الرسالة



مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات:
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة:
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد: محمد فريد - القاهرة.

مرحبا بربيع القلوب ..

بقلم : أحمد حسن الزيات

بعد احد عشر شهرا من العام قضاها المسلمون فى جهاد العيش وصراع المادة فقاسوا فى صيفه سعار الشهوات ، وكابدوا فى خريفه خمود المشاعر ، وعانوا فى شتائه موت الضمائر ، يأتيهم ربيع الأرواح فى رمضان فيحيى موات قلوبهم بالبر ، ويوقظ رواقد نفوسهم بالذكر ، ويرجع بأرواحهم الى منبعها الأزلى فتبرأ من أوزار الحياة ، وتطهر من أوضار المادة ، وتتزود من مذخور الخير بما يقويها على احتمال المحن والفتن فى دنيا الآمال والآلام بقية العام كله .

لذلك كان رمضان فى الشرع الالهى طهورا من رجس العام وهــدنة فى حرب القوت وروحا فى مادية الكون .

وقد اختصه الله بهذه الميزة على سائر الشهور ليومين من ايامه كان لهما فى تاريخ العالم ارفع الشان وفى مصير الانسان أبلغ الأثر : يومه السابع عشر من السنة الحادية والأربعين من مولد الرسول ، وهو يوم القرآن ، ويومه السابع عشر من السنة الثانية لهجرته وهو يوم الفرقان .

فاما يوم القرآن ففى ليلته المباركة تجلى الله لجبل النور كما تجلى من قبل لجبل الطور ، فانزل الروح الأمين بالاشراقة الاولى من كتابه الكريم على قلب نبيه العظيم ، فاستعلنت منذ تلك الليلة معانى الحق ، واستبانت سبل السلام ، واستقامت موازين العدل ، وخرج الناس من ظلام حالك كانوا يعمهون فيه ، الى نور ساطع صاروا يهتدون به .

وأما يوم الفرقان فهو يوم التقى الجمعان : جمع المدينة وجمع مكة فى بدر .. وكان المسلمون على فقرهم وضرهم ثلث المشركين ، وكان المشركون على كثرتهم وعدتهم صفوة قريش ، وكان موقف الاسلام من الشرك يومئذ موقف محنة ، كان بين العدوتين الدنيا والقصوى فى بدر مفرق الطريق ، فاما أن يقود محمد زمام البشرية فى سبيل الله فتنجو ، واما أن يردها أبو جهل الى مجاهل التيه والضلال فتهلك . لذلك كان النصر فى موقعة بدر حكما قاطعا من أحكام الله غير مجرى التاريخ ، وعدل وجهة الدنيا ، ومكن العرب فى دورهم أن يبلغوا رسالة الله ، ويؤدوا أمانة الحضارة ، ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم .

***

رمضان هو التمرين الرياضى السنوى للنفس ، يشترك فيه المسلمون فى جميع

اقطار الارض ، يصومون في وقت واحد ، ويفطرون في وقت واحد ، وينصرفون عن اللذات الحسية والنفسية ليتجهوا بالتامل والتعبد والخشوع الى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا السنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغلوا أيديهم عن الأذى ، ويصدوا أهواءهم عن السوء . وتلك هي العناصر الجوهرية لعقيدة الصوم ، وهذه القيود والحدود التى تضمنها معنى الصوم هي المجاهدة التى تعود الانسان ضبط النفس وقوة الارادة .

وضعف الارادة انما يقوى برياضة النفس على الحرمان المؤلم ، كما يقوى الجسم برياضة البدن على الجهد العنيف ، وكما يقوى العقل برياضة الذهن على التفكير العميق . والرياضة الروحية هي حكمة الصيام في الاديان كلها . « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وتقوى الله ومجاهدة النفس هما الغاية من هذه الحكمة . وقد اجتمعتا في قوله تعالى : « واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى » ، فالخوف من الله هو التقوى ، ونهى النفس عن الهوى هو المجاهدة .

على ان للجوع أثرا شديدا في تصفية النفوس وتلطيف الطباع ، لأن كدر النفس انما يكون في الأكثر من كدر الجسد . وقد قالوا ان البطنة تذهب الفطنة ، لذلك اتخذ كثير من أئمة الدين ورجال التصوف الجوع سبيلا الى تهذيب النفس وتقوية العقل واذكاء الروح ، قال الامام على رضى الله عنه يصف العارف بالله : « قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ورق غليظه » يريد بجليله بدنه الضخم وبغليظه طبعه الكثيف وقال يحيى بن معاذ : « الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزاهدين سياسة وللعارفين تكرمة » .

فرمضان اذن رياضة النفس بالتجرد ، وثقافة للروح بالتامل ، وتوثيق لما وهى بين القلب والدين ، وتقريب لما بعد بين الرفه والمسكين ، ونفحة من نفحات السماء تفعم دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفاس الملائكة .

ورمضان ثلاثون عيدا من أعياد القلب والروح ، تفيض أيامها بالسرور ، وتشرق لياليها بالنور ، وتفتر مجالسها بالأنس ، ويغمر الصائمين فيض من الشعور الديني اللطيف يجعلهم بين صحوة القلب ونشوة الجسد في حال استغراق في الله يتاملون أكثر مما يعملون ، ويستمعون أكثر مما يتكلمون .

ورمضان بعد أولئك كله رباط اجتماعي وثيق يؤكد أسباب المودة بين أعضاء الأسرة بالتواصل والتعاطف وبين أفراد الامة بالتزاور والتالف ، وبين اهل الملة بذلك الشعور السامي الذى يغمرهم في جميع بقاع الارض بانهم يسيرون الى غاية الوجود قافلة واحدة ممتزجة الروح متحدة العقيدة متفقة الفكرة متشـــابهة النظام متماثلة المعيشة .

***

هذه تحية صادقة لشهر رمضان المبارك كتبها مؤمن وقرأها مؤمنون ، ولا يدرى الا الله ماذا تدخر مدنية المال ومادية العلم لهذه الروحية التى تتجلى في الصـــوم ، ولهذه الفيرية التى تتمثل في الصائم .

وقى الله رمضان شر العلم الجاهل والدين الكاذب والتقليد الأعمى والتمـــدن المشوه ، وجدد الله به على المسلمين الأعوام المقبلة وهم ناعمون في ظلال الأمن ، متمتعون بنعمة الوحدة .

احمد حسن الزيات

.. وهذا هو تاريخها

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٧ -

عندما شرعت أعد هذه الكلمة ، قضيت أياما أطوف بذاكرتي فيما قرأت ، وأراجع بعض ماقيدت ، فأفنيت وقتا طويلا في حشد مادة الكتابة ، ثم وقع الى كتاب لم أكن سمعت به . فلما بدأت أقرؤه وجدتني قد أضعت أيامي هباء ، لأنه لو كان في يدي قبل ذلك ، لأغناني عن بحث طويل وتنقيب مضن . فلم أستحل لنفسي أن أعود الى قضية الأكاذيب الملفقة ، حتى أنصف صاحبته ما استطعت . جاء هذا الكتاب كأنه تقريع لي ، ولكل من نصب نفسه لعلاج المسائل العامة في حياة الشعب العربي والاسلامي ، لأننا عشنا دهرا في موج متلاطم ، ثم لم يكن لنا من الحكمة والعقل ، ما يدفعنا الى تقييد ما يجري في زماننا على ترتيب تاريخي متصل ، فيكون ذلك معوانا لنا على جلاء الصورة التي عشناها أو التي نعيشها ، في ضوء مبين عن حقيقتها ، وتلافيفها ، وتعاريجها ، وخفاياها . وهذه هي النكبة التي نكبنا بها ، وأنا أشهد على نفسي ، على الأقل ، أني قصرت في ذلك تقصيرا معيبا ، اذ شغلتني نفسي عن تتبع كثير من الحقائق وتقييدها . فلما جئت أطلبها ، وقعت في المآزق ، حتى جاء كتاب « تاريخ الدعوة الى اللغة العامية وآثارها في مصر » ، فأنقذني مما تورطت فيه . وهذا الكتاب النفيس من تأليف الدكتورة نفوسة زكريا سعيد ، المدرسة بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، (الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) والجهد المبذول في جمع مادة هذا الكتاب ، جهد يدل على التجرد الصحيح السليم في طلب المعرفة ، وعلى الصدق في السعي الى الحقيقة ، وعلى النفاذ في ادراك الحقائق ، وعلى الصبر في معاناة التنقيب بلا كلال ولا ملل . ولا أظنني قرأت منذ سنوات طوال كتابا يتناول المسائل العامة في حياتنا الحديثة ، بذل فيه صاحبه من الوقت والجهد والأناة ، مابذلت الدكتورة نفوسة في كتابها هذا . ولا أظنني قرأت أيضا في هذا الدهر كتابا ، ينبغي لكل عربي وكل مسلم أن يقرأه من ألفه الى يائه ، يضارع هذا الكتاب ، وحسبها أنها استطاعت أن تجلو للناس صورة صحيحة صادقة مؤيدة بالأسانيد ، بلا تزيد ولا كذب ولا ادعاء ، عن أكبر معركة تدور في العالم العربي والاسلامي وهي معركة البناء أو الهدم ، معركة الحياة أو الموت ، معركة الحرية أو الاستعباد ، معركة وحدة العرب والمسلمين بلغة عربية واحدة هي الفصحى ، أو تفرق العرب والمسلمين أشتاتا بلغات متنابذة هي العامية . ولو كان لي من الأمر شيء ، لأمرت أن يطبع هذا الكتاب ليكون في يد كل شاب وشابة ، وكل رجل وامرأة ، ويكون له مختصر ميسر لكل من مكنه الله من القراءة . ولست أريد الاغراق في الثناء ، واخلاء الكتاب من كل عيب ، ولكني أراه كتابا صالحا لكل مثقف ، يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة . اذا وقانا الله شرها باليقظة فقد نجونا من المحنة الساحقة ، واذا أسأنا قابلتينا بتمام الغفلة ، فذلك ذل الأبد ، ولا حول ولا قوة الا بالله وحده .

وهذا أوان العودة الى قضية هذا الداعية الجديد وأكاذيبه الملفقة . وقد كشفت النقاب عن وجه لويس

عوض ، فى مقالتى السابقة ، فعرضته كما هو فى حقيقته ، لا أديبا ، ولا متأدبا ، ولا مفكرا ، ولا دكتورا ذا طيلسان وجلاجل ، بل حاقدا على العربية وكتابها وأهلها ، يستخدمه قوم لأغراض بعيدة الاثر فى حياة الامة التى تتخذ العربية لغتها والقرآن كتابها ، بلا مواربة ولا استخفاء • ويريد الله أن يرسل الى دليلا جديدا على أنه لم يزل كما كان فى صدر حياته ، داعية للعامية ، ولا شىء غير ذلك ، ولا هم له الا ذلك • ففى العدد الاخير من مجلة الاذاعة (٢٩ شعبان سنة ١٣٨٤) بعنوان : « هل صحيح ••• الرواية والقصة القصيرة فى محنة » ، والذى أثار الموضوع هو قول توفيق الحكيم : (« لقد انصرف الكتاب عن الرواية والقصة القصيرة ، الى المسرح والتليفزيون والسينما » ، فهل يعنى هذا أن الرواية والقصة القصيرة تمران بمحنة) فأجاب نجيب محفوظ جواب عارف خبير ، وأجاب يوسف الشارونى جواب متتبع ، وكلاهما لم يتعرض لما تعرض له لويس عوض ، لان المسرح والتليفزيون والسينما ، أكثر مافيها الآن بالعامية المحضة ، وهذا بلاء مخوف العواقب ، فالمنصرف عن الرواية والقصة القصيرة اليها ، انما ينصرف الى محض العامية ، اما لويس عوض ، فبالذى يعتمل فى صدره من الحقد على العربية اجاب ، ولم يفهم السؤال الذى وجه اليه، بل تسرع وحاول أن يتفلسف بغير فلسفة ،كما تادب فى هامش الغفران بلا أدب • فزعم أن محنة الرواية التى تجمدت ، والقصة القصيرة التى ذبلت ، يعود الى جملة أسباب !! « أهمها ذلك القرار الذى اتخذه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب منذ سنوات بضرورة استعمال اللغة العربية فى حوار القصة ، وقصر الجوائز على القصص الخالية من الحوار العامى». ثم جاء بكلام كثير ملفف فى الغموض والتحكم ، تابع من عقيدته التى بنى عليها كيانه كله ، وهو الدعوة الى العامية ، وبغض اللغة العربية • ولا يعنينى هنا ان انقده ، ولكن يعنينى ان اكشف اللثام عن وجه غريب فى تاريخ الحياة الأدبية المعاصرة ، وانه حين عرف بنفسه فى سنة ١٩٥٤ فقال عن نفسه : «عرف بدعوته للأدب العامى فى صدر حياته الأدبية ، وللأدب فى سبيل الحياة فى طوره الحالى » ، لم يعن بهاتين المقولتين سوى شىء واحد ، هو انه لم يزل «داعية للعامية» ، لا غير ، وانه لايعنيه الأدب ولا غير الادب ، لأنه ليس بأديب ولا شبه أديب ، وانما يعنيه أن تسود العامية على العربية لأنه داعية ، كما بينت فى المقالة السالفة • وبذلك يتبين أن المخرقة التى اتخذها باساءة الكتابة فى آداب العربية ، حين وظفته صحيفة الأهرام مستشارا ثقافيا بها ، انما كانت ستارا يحجب به نفسه ليدع آخرين يعبرون عما يريد ، ومن المسلمين خاصة ، كما قال فى كلامه الذى نقلته عن «بلوتولانده» • فمن أجل ذلك رأينا صحيفة الاهرام تكاد تتفرد من الصحف كلها بالاغراق فى السخرية من العربية ، بالكلمة ، وبالصورة ، وبكل مافيه تحقير للتراث العربى بلا رعاية أحيانا لبعض ما ينبغى أن يراعيه ذو عقل سليم ، أو ذوق صحيح•

وسأثبت بالبرهان القاطع ، أن موضع هذا الداعية الجديد فى الحياة الادبية المعاصرة ، موضع مريب جدا ، لا بما أعلمه خبرا ، بل بالاستدلال التاريخى على القاطه التى أودعها ما سماه « التجربة رقم : ١ » ، وهى تجربته فى اللغة العامية ، ولن أعيد القاطها هنا ، لأنى أثبتها فى المقالة السالفة • وقد زعم أنه فى سنة ١٩٣٧ (١) كان يتعلم مبادىء اللغة الايطالية ، ووقف عند المبادىء ، فاسترعى انتباهه أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة، ولهجتها المنحطة الايطالية أقل من البعد بين اللغة العربية المقدسة ، ولهجتها المنحطة المصرية (٢) وأنه ظل الى سنة ١٩٤٠ يدعو الى ذلك، ثم أفهمه بعض من يفهم!! أن المسألة حساسة ، لأنها تتصل بالدين رأسا !! لأن الأمر قد ينتهى بعد قرن أو قرنين الى ترجمة القرآن الى اللغة المصرية ، كما حدث للانجيل أن ترجم من اللاتينية الى اللغات الاوربية الحديثة (٣) ثم زعم أنه يفهم أن الاعتراف باللغة المصرية (أى العامية) ، لايتبعه بالضرورة موت اللغة العربية ، اذا احتاط الناس لذلك !! وانه ليس عنده مايمنع من قيام الأدبين جنبا الى جنب ، اللهم الا اذا شككنا فى جدارة اللغة العربية والأدب العربى وقدرتهما على الحياة • (انتهت التجربة مختصرة) • وسأريك أن هذا كما قلت ، كذب كله ، فهو لم يفكر فى شىء، وانما لقن أشياء كما يلقن سائر الدعاة الصغار الذين يرددون ما يلقى اليهم ترديد الببغاوات • هذه هى القضية •

وهذا هو تاريخها ، ولكنه تاريخ طويل جدا ، ومتقادم جدا ، ويؤسفنى أن أكون مضطرا للايجاز• فمنذ استيقظ العالم الاوربى لنهضته الحديثة ، وهو يرى عجبا من حوله : أمم مختلفة الأجناس والألوان والالسنة ، من قلب روسيا ، الى الصين ، الى الهند ، الى جزائر الهند ، الى فارس ، الى تركيا ، الى بلاد

العرب ، الى شمال افريقية ، الى قلب القارة الافريقية وسواحلها ، الى قلب أوربا نفسها ، تتلو كتابا واحدا يجمعها ، يقرؤه من لسانه العربية ، ومن لسانه غير العربية ، وتحفظه جمهرة كبيرة منهم عن ظهر قلب ، عرفت لغة العرب أم لم تعرفها • ومن لم يحفظ جميعه حفظ بعضه ، ليقيم به صلاته ، وتداخلت لغته في اللغات ، وتحولت خطوط الامم الى الخط الذي يكتب به هذا الكتاب ، كالهند ، وجزائر الهند وفارس ، وسائر من دان بالاسلام • فكان عجبا ان لا يكون في الارض كتاب كانت له هذه القوة الخارقة في تحويل البشر الى اتجاه واحد متسق ، على اختلاف الأجناس والألوان والألسنة • فمنذ ذلك العهد ظهر « الاستشراق » ، لدراسة أحوال هذا العالم الفسيح الذي سوف تتصدى له اوربا المسيحية بعد يقظتها ، وعلى حين غفوة رانت على هذا العالم الاسلامى • فكان من أول هم « الاستشراق » ، أن يبحث لأوربا الناهضة عن سلاح ، غير أسلحة القتال ، لتخوض المعركة مع هذا الكتاب الذى سيطر على الامم المختلفة الاجناس والالوان والالسنة ، وجعلها أمة واحدة تعد العربية لسانها ، وتعد تاريخ العرب تاريخها ، وبدأ الغزو المسلح ، وسار الاستشراق تحت رايته ، وزادت الخبرة بهذه الأمم ، فمن كان منها له لسان غير اللسان العربى ، أعدت له سياسة جديدة لاغراقه في لسان الغازى الاوربى حتى يسيطر عليه ، ومن كان لسانه عربيا ، أعدت له سياسة اخرى لاغراقه في تخلف مميت ، لخصها وليم جيفور ديلجراف في كلمته المشهورة : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج في سبيل الحضارة (يعنى الحضارة المسيحية) التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه » • فكان بينا انه لايمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته •

وتبين لهم ان لاوسيلة الى اقصاء القرآن فى الأرض المفتوحة ، الا بالسيطرة على وسائل التعليم شيئا فشيئا ، حتى لاتتمكن الامة من السيطرة عليه ، فتقيمه على طريق سوى يفضى الى نهضة صحيحة • وكان من قدر الله أن منارة العالم الاسلامى كله كانت فى مصر ، وهى الأزهر ، فصار من الحتم المقطوع به أن تكون سياسة الغزو الاوربى موجهة الى مصر ، قبل كل مكان فى هذا العالم الاسلامى • فمن أجل ذلك كانت حملة نابليون سنة ١٢١٣ من الهجرة (١٧٩٨م) ولكنه لم يلبث بها الا قليلا ثم رحل • وبعد قليل أيضا صار أمر مصر الى محمد على سنة ١٢٢٠ من الهجرة (١٨٠٥ م) ، فمن خلال حكمه ، سيطرت القناصل الاوربية على مرافق البلاد ، ومنها التعليم ، فحال جهل محمد على وحبه للعظمة ، بينه وبين مقاصد هؤلاء الغزاة المتربصين ، فى توجيه التعليم الى جهة غير صحيحة ولا نافعة ، فلم يكن للغة البلاد نصيب مما ظنه محمد على ارتقاء بالبلاد وبتعليمها • وكذلك حدثت أول فجوة بين التعليم ، ولغة التعليم •

ثم أرسلت البعثات الى فرنسا سنة ١٢٤٢ هجرية (١٨٢٦م) ، فكان ممن رافق هذه البعثات العلمية شاب فى الخامسة والعشرين من عمره ، كان ممن تلقى علومه فى الأزهر ، ليكون لهم اماما ، فبجده واجتهاده تعلم الفرنسية ، وقرأ بها ماشاء الله من الكتب ، وكان الرجل ، كما يظهر فى كتبه ، ذكيا سليم الطوية ، وفيه غفلة يسيرة ، جعلته أحيانا يقف كالحائر فاغرا فاه من عظمة ما رأى فى بلاد الفرنسيس !! فلما عاد الى مصر ألف وترجم ؛ فكان مما ألف ، كتاب سماه « أنوار توفيق الجليل ، فى اخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل » (سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨ م) فعقد فصلا ذكر فيه فضل العربية ووجوب احيائها ، ولكنه ضمنه دعوة الى استعمال العامية فقال : « نعم ان اللغة المتداولة فى بلدة من البلاد ، المسماة باللغة الدارجة ، التى يقع بها التفاهم فى المعاملات السائرة ، لامانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ تضبطها ، وأصول على حسب الامكان تربطها ، ليتعارفها أهل الاقليم ، حيث نفعها بالنسبة اليهم عميم ، وتصنف فيها كتب المنافع العمومية والمصالح البلدية » •

ولكنى لا أكاد أشك أن هذا الرأى الذى وقع فيه **رفاعة الطهطاوى** ، لم يكن رأيا استحدثه هو ، بل جاءه أيام كان مقيما مع البعثة بفرنسا ، غره به داهية من دهاة القوم ، عرف ما يكن رفاعة لبلاده من حب التقدم ، فلم يزل به حتى أراه الباطل حقا ، والا كيف غاب عن رفاعة أنه كان أولى به أن يدعو الى تعميم التعليم فى كل بلدة من البلاد ، كما كان ذلك فى البلاد الغربية التى أعجبته حضارتها واستخرجت دهشته !! فهل رأى هو فى فرنسا ان أهل كل اقليم أو قرية يعلمون أبناءهم اللغة الدارجة ويكتبون بها « كتب المنافع العمومية ، والمصالح البلدية » !! هذا عجب • بيد أن هذه الدعوة من رجل عربى مسلم ، لم تلق سميعا ولا مجيبا ، وذهبت أدراج الرياح •

ولكن لم يمض غير قليل حتى انشئت المدارس الابتدائية ، التى كانت قد الغيت فى عهد محمد على، فصارت نحو ثلاثين مدرسة (فيما بين سنة ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) ، فاحتاجت الى عدد وافر من اساتذة اللغة والأدب ، هذا فضلا عن المدارس الثانوية على قلتها يومئذ ، ولكنها مقبلة على الزيادة • فأنشئت مدرسة دار العلوم سنة ١٨٧٢ ، اى قبل وفاة رفاعة الطهطاوى بعام واحد • فتولى التدريس فيها رجل من عظماء رجال الاحياء ، هو الشيخ حسين المرصفى، فكان له أثر عظيم فى احياء اللغة وآدابها ، وألف كتابه «الوسيلة الأدبية» فكان له فضل عظيم جدا على كل من تخرج فى دار العلوم • واقترن وجود المرصفى ، بظهور شاعر فذ نقل اللغة يومئذ من حال الى حال ، فاسقط عن الهمم تلك الأغلال التى كانت تمسكها الى الأرض ، وتقعدها بالعجز عن توهم ادراك الاوائل فى نصاعة العبارة وتجويد الشعر • وهو الامام الاول محمود سامى البارودى المولود سنة ١٨٤٠) وظهر اسمه وشعره فى نحو هذا الوقت، اى (١٧٨٠) ، وبدات العربية من يومئذ تستعيد شبابها وقوتها ، وانطلقت الالسنة من عقال العجز، بفضل هذين الرجلين •

ولكن أنى للعين الساهرة أن تغفل عن عواقب ما ترى من حركة الاحياء؟ كان كثير من أهل الحل والعقد منذ عهد محمد على ، ممن درس بغير اللسان العربى ، وله أصل غير عربى، ونمو فى بيئة غير عربية، يزدرى العربية أو لايلقى لها بالا ، ولأنهم أصحاب سلطان، كان كثير من صغار الموظفين واشباههم يحاكيهم ويتشبه بهم ، ويتراطن كتراطنهم ، فرأى أحد رجال الحرب الثقافية الخفية ، أن الوقت قد حان ، وأن لابد من الاسراع فى بث الدعوة التى تعوق حركة الاحياء، أو تشتت بعض الجهود ، وعسى ولعل أن يكون لها أثر • هذا مع ظهور بوادر الثورة على حكم أسرة محمد على ، وتجمع القوى تحت قيادة أحمد عرابى ، ليفض هذا الكابوس المطبق على صدر مصر وأهلها • فاذا زال حكم هذه الأسرة وأتباعها ، وأفضى الأمر الى أهل البلاد ، فربما اشتعلت حركة الاحياء فى كل قرية وبلد ومدينة • وعندئذ يذهب أيضا كل ما يدبر أدراج الرياح •

كان يقبع بين جدران دار الكتب المصرية ، ماكر خبيث يقال له ولهلم سبيتا، نزل مصر ، وعاش فى الأحياء المصرية ، ودرس اللغة العامية ، ووجد أنها تختلف من بلد الى بلد ، ومن حى الى حى ، فلما رأى هو ومن يهدف الى تحطيم حركة الاحياء من أهل الاستعمار الاوربى ، أن الامر يوشك أن يخرج الى ما لايحمدون عقباه من سيادة اللغة العربية ونهضتها مرة أخرى ، سارع الى تاليف كتاب سماه « قواعد اللغة العامية فى مصر » ، ولكنه لم يقتصر فيه على الدراسة بل كشف فى مقدمته عن الغرض الذى يرمى اليه فقال : « واخيرا ساجازف بالتصريح عن الأمل الذى راودنى على الدوام طول مدة جمع هذا الكتاب ، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها (ما اشد حبك لمصر !!) ، ويمس أمرا هو بالنسبة لها والى شعبها يكاد يكون مسالة حياة أو موت (بلا شك يا ولهلم !) ، فكل من عاش فترة طويلة فى بلاد تتكلم العربية يعرف الى اى حد كبير تتاثر كل نواحي النشاط فيها ، بسبب الاختلاف الواسع بين لغة الحديث ، ولغة الكتابة » • وبين جدا أن ولهلم هذا مخادع عظيم ، لأن نشر التعليم الصحيح كاف فى ازالة هذه الصعوبة بلا أدنى ريب ، كما حدث فى جميع لغات الدنيا ، ولا يزال يحدث الى اليوم • ثم يقول : « ففى مثل تلك الظروف ، لا يمكن مطلقا التفكير فى ثقافة شعبية ، اذ كيف يمكن فى فترة التعليم الابتدائى القصير ، أن يحصل المرء حتى على نصف معرفة بلغة صعبة جدا كاللغة العربية الفصحى ؟ » • ولا شك ان ولهلم هذا أقدر الناس على معرفة صعوبة اللغة الفصحى ! لأنه أدرى الناس بها، ثم يتجه الى ناحية أخرى فيقول : « وطريقة الكتابة العقيمة ، أى بحروف الهجاء المعقدة ، يقع عليها بالطبع اكبر قسط من اللوم فى كل هذا ، ومع ذلك فكم يكون الأمر سهلا لو أتيح للطالب ان يكتب بلغة، ان لم تكن هى لغة الحديث الشائعة ، فهى على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة ، بدلا من أن يجبر على الكتابة بلغة هى من الغرابة بالنسبة الى الجيل الحالى من المصريين ، مثل غرابة اللاتينية بالنسبة الى الايطاليين • وبالتزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة ، لا يمكن أن ينمو أدب حقيقى ويتطور » •

وظاهر ان جميع التالفين قديمهم وحديثهم ، كسلامة ولويس عوض ، انما يكررون هذه المقالة بلا تغيير ولا تبديل ، وتشبيههم هو نفس التشبيه• ثم انظر ما يقول فى شأن القرآن ، وقارن بينه وبين ما يقوله لويس عوض : « فلماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة الى ماهو أحسن ؟ ببساطة، لأن هناك

خوفا من التعدى على حرمة الدين ، اذا تركنا لغة القرآن كلية . ولكن لغة القرآن لا يكتب بها الآن فى اى قطر . (انظر ماذا يقولون !) . فأينما وجدت لغة عربية مكتوبة ، فهى اللغة العربية الوسطى ، أى لغة الدواوين . وحتى ما يدعى بالوحدة بين الشعوب الاسلامية (انظر ماتتضمنه هذه الكلمات !) لا يمكن ان يقلقها تبنى لغة الحديث العامية ، اذ ان لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى ، ستظل كما هى فى كل مكان » . وهكذا مضت آخر جاء يفتى المسلمين فى دينهم ، كما أفتى لويس عوض بجواز ترجمة القرآن الى العامية !

ولم يلبث الا قليل ، حتى قام المقتطف ، وكان ممالئا للانجليز ، فاقترح سنة ١٨٨١ كتابة العلوم بلغة الحديث ، بلا اشارة لما قاله سبيتا ، (سنة ١٨٨٠) واستدل على ضرورة ذلك بما استدل به سبيتا ، وجاء أيضا بالتشبيه نفسه ، أى « البعد بين اللاتينية والايطالية » ، وأدلته وحججه ، فيها نفس الطابع المتسم بالغباوة الاستشراقية التبشيرية، التى تتظاهر بالجد والعلم ، وهى فى الحقيقة تكشف عن طبيعة عدم الحياء من استغفال السامعين أو القارئين . وعمل المقتطف سىء جدا ، لأنه استغفل الناس مرتين ، مرة بالحجج السخيفة المختلسة ، ومرة بالتظاهر بأن هذا الاقتراح آت من قبل قوم عرب اللسان والمولد ، هم أصحاب المقتطف ، مع أن انكشاف أمرهم قريب كان وميسور . وهذا هو نفس الخداع الذى لجأ اليه لويس عوض ، كما ترى !

وبالقاء المقتطف هذه القنبلة ، سنة ١٨٨١ ، بدأت كلمات سبيتا تأخذ طريقها الى بعض الناس . وقام الشيخ خليل اليازجى ، وهو لبنانى نصرانى، فدفع ما قاله أصحاب المقتطف دفعا شديدا ، وهو كلام عاقل لا هوى له. ولكن أيد رأى المقتطف بعض الناس . ولكن الأمر كله لم يخرج عن هذا النطاق الضيق . وشغل الناس بالنكبة الكبرى ، بهزيمة عرابى ، ودخول الانجليز ، واستيلائهم على التعليم كله ، وجعله ملحقا بوزارة الأشغال العمومية .

ولكن هل هذا الأمر وانتهى ، كلا ، فقد كان أيضا فى مصر «كارل فولرس الألمانى» ، خادم الانجليز ، وويلككس المهندس الانجليزى ، وبدا كل منهما حركة منفصلة ، ولكنها متصلة المعانى ، فألف فولرس كتابا فى «اللهجة العامية الحديثة فى مصر» ، (سنة ١٨٩٠) ثم تولى ترجمته فى سنة ١٨٩٥ الى الانجليزية بوركيت . والح على ما الح عليه سبيتا، من صفة العربية الفصحى بالجمود والصعوبة، وشبهها باللاتينية ، وشبه العامية بالايطالية . أما ويلككس، فالقى محاضرة ونشرها فى مجلة الأزهر ، التى آلت اليه سنة ١٨٩٣ ، وزعم فيها أن الذى عاق المصريين عن الاختراع ، هو كتابتهم بالفصحى ، ودعا الى التاليف بالعامية ، وقال للناس : « وما أوقفنى هذا الموقف الا حبى لخدمة الانسانية ورغبتى فى انتشار المعارف ، وما أجده فى نفسى من الميل اليكم ، الدال على ميلكم الى » ، وهذا كلام ثقيل الدم جدا كوعظ المبشرين، وهو منهم، وهذا الغبى أيضا جاء بتشبيهات جديدة فى مقالته ، فشبه الفصحى باللاتينية ، والعامية بالانجليزية ! وهذه براعة خارقة ، وزعم أن اللغة الفصحى ماتت، لأنها صعبة وجامدة ، ودعا الى اتخاذ العامية لغة أدبية اقتداء بالانجليز . ولا أستطيع أن أكتم اشمئزازى ، لأنى منذ كنت صغيرا الى هذا اليوم، لاأكاد أقرأ كلام هذا الرجل الا لحقنى الغثيان من ثقله الذى لامثيل له فى شىء من الاشياء مهما استقذرتها النفس . ومن أشد غثاثته وثقله فى هذا الأمر أنه نشر فى المجلة (الأزهر) ، حيث نشر محاضرته اعلانا يغرى فيه باتخاذ العامية فى الكتابة هذا نصه : « من قدم لنا هذه الخطبة باللغة الدارجة المصرية، وكانت موافقة جدا، يكافأ باعطائه أربعة جنيهات افرنكية ، وان كثر المتقدمون ، فيعطى هذا المبلغ لمن يحوز الأولية » . وأنا أستحلف القارىء ، ألم يشعر بالغثيان من هذا المبشر الصفيق الوجه !

وكانت هذه الدعوة الى العامية مؤقتة أيضا ، فان هذا الوقت قد صادف نهضة حسنة فى طبع كتب التراث العربى فى مصر وفى غير مصر ، واقبل كثير من المتعلمين عليها ، وصادف أيضا استيلاء دنلوب على التعليم فى مصر ، ووضعه النظام الذى اراد به أن يغلب اللغة الانجليزية فى التعليم ، ويضعف تدريس العربية ما استطاع ، ويجعلها مبغضة الى الطلبة ومحتقرة بقدر الامكان . (ومع الاسف هذا هو النظام السائد الى اليوم فى مدارسنا ، مع أنه هو نظام دنلوب ، ولانظام لدنلوب سواه) . ففرض دنلوب تعليم العلوم كلها بالانجليزية ، واختصر

دراسة العربية وما يتصل بها اختصارا سوف يؤدى بعد قليل ، الى وجوب استمرار ضعف تعليم العربية جيلا بعد جيل · وصادف مرة أخرى بدء ظهور الشعور الوطنى فى الشبان الذين صدمهم الاحتلال الانجليزى ، والذين يمثلهم مصطفى كامل، وبدأت حركات اصلاح مضادة لما يفعله الانجليز ، فآثر هذا المبشر أن يلقي بدعوته ، ليكون ذلك أوقع لها ، واشد اثارة لبلبلة ضعاف النفوس ، وطالبى التقرب ، وذوى الميل الطبيعى الى ويلككس واشباهه ·

وكانت الحركة الادبية فى ذلك الوقت آخذة فى النمو ، برغم جميع العوائق التى تعترض سبيلها ، وكانت المدارس التى يملك دنلوب زمامها ، ترغم أسلوبه على التقهقر احيانا ، وزاد عدد العائدين الى الفصحى من الكتاب والشعراء والخطباء والمدرسين ، وذلك ضرب من مقاومة العدو الباغى الذى يفرض سلطانه على البلاد · والظاهر أن الجهات التى تسيطر على سياسة المنطقة ، أرادت أن تبعث وجها جديدا ليتولى الدعوة الى العامية ، وتحقير الفصحى، فاخرجت من أحد قضاة المحاكم رجلا يقال له «سلدن ولمور» ، فألف هو الآخر كتابا سماه : « العربية المحلية فى مصر » (سنة ١٩٠١)، دعا فيه الى اتخاذ الحروف اللاتينية فى الكتابة العربية ، واتخاذ اللاتينية لغة أدبية ، ويهددنا اننا اذا لم نفعل ذلك «فان لغة الحديث ولغة الادب ستنقرضان ، وستحل محلهما لغة أجنبية ، نتيجة لزيادة الاتصال بالامم الأوربية » · وهذا الانجليزى كما ترى محب لمصر ، مشفق على ضياع العامية والفصحى جميعا !! وقال: « ومن الحكمة ان ندع جانبا كل حكم خاطىء وجه الى العامية ، وأن نقبلها على انها اللغة الوحيدة للبلاد ، على الأقل فى الأغراض المدنية ، التى ليست لها صبغة دينية » · ولا سيما بعدما ظن ولمور أنه قد أثبت أن العامية تختلف عن الفصحى تمام الاختلاف ، وانها أكثر شبها بفروع اللغات السامية منها بلغة القرآن ولغة الادب العربى القديم · ثم ختم كلامه بأن «خير الوسائل لتدعيم اللغة القومية (أى العامية) ، هى أن تتخذ الصحف الخطرة الاولى فى هذا السبيل ، ولكنها ستكون فى حاجة الى عون قوى من أصحاب النفوذ ، فاذا نجحت هذه الحركة ، فان وقتا قصيرا فى التعليم الاجبارى ، وليكن سنتين ، سيكون كافيا لنشر القراءة والكتابة فى البلاد » · وبالطبع هذا سخف لست بصدد مناقشته ، ولكن هذا المخادع اتخذ حيلة لطيفة لاقناع حكومة مصطفى فهمى الممالئة لقومه الانجليز، فانه فرغ من مقدمة كتابه التى حشاها هذا الخلط ، ثم زعم أنه علم بظهور مقالة لعالم أمريكى فى فقه اللغة «يهتم اهتماما كبيرا بخير الشعب المصرى» !!، وانه وافقه هو وسبيتا وويلككس !! على وجوب اتخاذ العامية لغة أدبية ، وكتابتها بحروف لاتينية، وان هذا العالم الامريكى (يا للكذب !) يناشد الحكومة المصرية لتعترف بالعامية وتقرها ، ويناشد الانجليز لتدعيم هذه العامية ، ليساعدوا على تقدم الشعب الروحى !! (ما هذا ؟) ، كما ساعدوا من قبل على تقدمه فى الحياة المادية · ويعنى بذلك عهد كرومر ، كما هو معروف · وهذا العالم الامريكى الذى ادعى ولمور انه نقل عنه ، ليس سوى مبشر مثله ، ولذلك أخفى اسمه ولم يذكره · ومما يدل على شخصية ولمور هذا أنه جعل يشكر رؤساء المصالح الحكومية ، لاكتتابهم فى عدد من نسخ الكتاب ، مما مكنه من طبعه · هذا ليس قاضيا ، انما هو شحاذ ، والا فكيف عجز عن طبع كتابه فى بلاده ؟ ·

فلما ظهر كتاب ولمور (سنة ١٩٠١) ، استجاب المقتطف مرة أخرى لدعوة العامية ، فهب يقرظ الكتاب ، كأنه جاء تأييدا لرأيه هو واقتراحه ، لا لرأى سبيتا واقتراحه · ولكن محصل كل ذلك لا يخفى ، لأن الذى كان يبيته هؤلاء كان يجرى على ألسنتهم واقلامهم ، فيقول المقتطف فى تقريظه : «وكثيرا ما قلنا للأوروبيين والامريكيين الذين ذاكرونا فى هذا الموضوع ، انه لو اهتم محمد على باشا جد العائلة الخديوية ، بكتابة اللغة المحلية فى مصر والشام ، وجعل الكتابة بها وحدها ، لما وجد فى ذلك كبير مشقة » · ثم يأتى فى آخر الكلام تحريض شديد : «··· الا اذا تسلطت على البلاد قوة قاهرة، عضدت الساعين فى ضبط اللغة المحلية وكتابتها» · وينبغى لكل عاقل أن يقف قليلا عند ذكر محرر المقتطف : «وكثيرا ما قلنا للاوروبيين والامريكيين» ، واذن فالأمر موضوع للحديث بين الأوربيين والامريكيين ، قبل أن يتظاهر المقتطف فى سنة ١٨٨١ أن له اقتراحا فى شأن العامية والفصحى ،

ويقول فيها نفس ما قاله سبيتا قبله سنة ١٨٨٠ ، مغفلا ذكره ، وكأنه لم يكتب شيئا ، وكان سبيتا بعيد الدار لا يستطيع محرر المقتطف أن يلقاه بدار الكتب (أرجو أن يحدثني من يريد ، عن هذه الدعوة التي تحاط بكل هذا المكر والرياء والخداع والغش ، ماهي ؟ أهي صادرة من قلوب خالصة طالبة للحق مطالبة به ؟) • ثم ما اهتمام الاوربيين والامريكيين ، وليس لسانهم بلساننا ، في شأن اتخاذ العامية للكتابة الأدبية أو ترك الكتابة بها الى الفصحى ؟ ثم لماذا يقول هذا للاوربيين والأمريكيين، وكان هو قادرا تحت سلطانهم يومئذ أن يفعل ذلك في مجلته ؟ انها أمور غير مفهومة ، بل مفهومة ، تجعل كل عاقل يرتاب في كل داعية للعامية من هذه الناحية الخبيثة وحدها ، فما ظنك بالنواحي الأخر •

وكانت مقالة المقتطف يومئذ أعظم أثرا من رأيها الاول أو اقتراحها ، لأنها جاءت مؤقتة مع الحركة الوطنية ، ومع البعث الثقافي ، فنشطت الالسنة ، وكثر اللجاج في شأن العامية والفصحى ، وكان له عوامل خارجة عما نحن فيه الآن ، تزيده لجاجا ، ولكن الشيء الغريب ، وهو ليس بغريب في الحقيقة، هو أن مجلة الهلال التي تميل بهواها الى ناحية الفرنسيس ، لم تشهد الجولة الاولى ، لا مؤيدة ولا منكرة ، لأنها لم تكن أنشئت بعد ، ولكنها شهدت هذه الجولة ، فانحازت الى معارضة رأى الدعاة الى العامية ، ولكن ظني أن هذا موقف وحسب لايتضمن أى دلالة على الرأى ، لأسباب كثيرة لا محل لذكرها هنا • وحسبك أن تعلم انها أفسحت صدرها لكثير من دعاة العامية ، بأحقادهم وضغائنهم ، في تلك السنة ، وظلت تفعل ذلك حتى استكتبت سلامة موسى فيما بعد ، فكتب لها شرا مما كثيرا جميعا •

فبعد سنة ١٩٠١ ، ظل الامر مضطربا ، ولكن ظهر بوضوح للدعاة أن أمرهم قد استوى على وجه يرضونه ، وينبغي أن يغيروا الموقف ، ويبدلوا الأماكن ، ويخلعوا الملابس ، ويتولوا تطرية وجوه الممثلين الجدد بالمساحيق الصالحة • ومع ذلك فأنا لم أكشف اللثام عمن وراء هؤلاء الدعاة ، لان التلويح فيما قلت يدل عليهم ، وعسى ان يأتي ما يدعو الى بيان أوضح ، وهو آت على كل حال •

والشيء الذي لا أظن الدارس يخطئه ، هو ارتباط هذه الدعوة فترة بعد فترة بأحداث سياسية واجتماعية ظاهرة أو خفية ، تأتي قبل شيء يكون نكبة وقارعة ، كما كان سبيتا قبل هزيمة عرابي والانتقام منه ، أو تأتي بعد النكبة بشكل آخر كما جاء ولمور هذا الذى ختمنا به هذا الفصل من البيان عن دعوة العامية • وسأدع الآن هؤلاء الاجانب والعملاء الذين حملوا كبر الدعوة الى اللغة العامية ، ومن لف لفهم من محرر المقتطف الى الاسماء المتخفية بلا شخوص ، الى الاسماء التي ظهرت مرة واختفت فلا يعرف عنها شيء . وهذا موضع وقوف لابد منه؛ لان الامر سوف يختلف اختلافا شديدا فيما بعد •

وقد تبين **خلال هذا العرض السريع** ، ان التجربة التي مر بها لويس عوض في مسألة الدعوة الى العامية ، تجربة هو مسبوق اليها ، وغير معقول أن لا يكون عرف عنها شيئا ، ولا أحب أن أقول لماذا هو غير معقول ، لا استنباطا ، ولكن بنصوص كلام أيضا • وتبين أيضا أن الافكار الثلاثة التي دارت في تجربته كلها منقولة نقل مسطرة من كتب كان يتوهم هو انهما غير موجودة الا في بعض الخزائن العميقة المظلمة التي لا تصل اليها الايدى بسهولة ووضوح • ومادام مسبوقا اليها حرفا حرفا، وخطوة خطوة ، وتشبيها تشبيها ، فهو بلاشك مدع وكاذب في تجربته ، بل هو يعيش في أحلام وسمادير لا حقيقة لها ، فربما قرأ الخبر عن غاز من الغزاة ، فتراه في اليوم الثاني يمشي في الارض كأنه لساعته نزل عن صهوة حصانه ، شاهرا سيفه ، يريد ان يطعن ولكن يحجبه الخوف والذعر ، وهذه صورة تلقاها كثيرا فيما كتب عن «الخلفية التاريخية لرسالة الغفران ، كما سماها والعياذ بالله • وسأتابع عرض هذه الدعوة ، والكشف عن خفاياها وروابطها، لكي أضع هذا الداعية الجديد في الموضع الصحيح الذي سوف يتبين انه خطر اى خطر ، برغم ما تلبس به من أردية الجامعات ، وما علق على اسمه من الالقاب ، وما أسند اليه من استشارة ، وهذا أغرب شيء ، لأنه كان يقال في المثل : «المستشار مؤتمن»، فجاء هذا فنقض علينا أمثالنا ، كما نقض علينا الفاظ لغتنا ، ومع ذلك ، فالعرض مستمر •

محمود محمد شاكر

نشيد الأناشيد

للدكتور فؤاد حسنين على

امتاز عصر سليمان بازدهار الفلسفة والشعر وخاصة الاغانى والاناشيد وعنى سليمان بجمع الشعر فى دواوين خاصة حتى لا تصل اليه يد الفناء والباحث فى تاريخ التراث العقلى لهذه الشقة من الجزيرة العربية يدرك أثر هذه النهضة الثقافية وذلك التطور الاجتماعى فى نشيد الاناشيد .

فالحبيبة هنا تشبه بفرس فى مركبة فرعون وهى تتحلى بمختلف أنواع الحلى وتطيب بشتى أصناف الطيب ، ولا ترى الا وقد تحلت بالقرط والقلائد الذهبية والفضية بينما قنعت المرأة هناك قبل عصر سليمان بالقرط العادى البسيط الذى تزين به أذنيها أو انفها كما حلت جبينها وشعرها بالصفائح الفضية او الذهبية .

أما القلائد فكان معظمها من اللآلىء أو الاسطوانات الزجاجية او المعدنية ، وما يقال عن الحلى يصدق فى الملبس والمأكل والمسكن واقامة معالم الزينة والافراح . فنشيد الاناشيد مرآة صادقة لحياة الترف والنعيم التى انتشرت فى عصر سليمان .

لكن للنشيد قيمة أخرى غير هذه القيم الاجتماعية وهى التى تعنينا هنا ، خصوصا أن هذه القيمة الادبية لا تقتصر على الادب العبرى فحسب بل تتعداه الى الادب العربى أيضا وبخاصة الجاهلى فالمقابلة بين الصورة الشعرية الواردة فى نشيد الاناشيد وتلك التى نجدها فى شعرنا الجاهلى تضطرنا ، وهنا أعنى المتبصرين منا فى تاريخ ادبنا العربى ، الا تتهور وتصدر أحكاما فى غير ترو وتدبر فى شعرنا وفنونه كذلك الذى يدعى «ونشأت **فنون لم تكن مألوفة عند الجاهليين كالغزل الخالص الذى يقصر الشعراء انفسهم عليه كما فعل العذريون الذين لم يقولوا الشعر الا فى الحب وفنونه المختلفة وكعمر بن ابى ربيعة القرشى الذى لم يكن عذريا ولكنه لم يقل الا الغزل** »

يقينا ان صاحب هذا الرأى مخطىء عند ما يخلط بين الادب والدين فهو يجعل ظهور الاسلام حدا ادبيا بين العربية الجاهلية والعربية الاسلامية ، ان مثل هذا التقسيم يصدق عندما ندرس العقائد العربية الدينية وتطورها اما اذا ما عرضنا للغة والادب ، فالامر مختلف تماما اذ القرآن الكريم مثلا وهو خير ما استشهد به هنا جاهلى العبارة ، جاهلى الدلالة أرضى المبانى سماوى المعانى تنزل به الوحى عربيا جاهليا ، ومن ثم ظلت هذه العربية بدوية فصيحة فياضة خالصة من كل شوائب الأعجمية الاسلامية طيلة قيام دولة الامويين ، فالعربية نثرا وشعرا حتى قيام الدولة العباسية تعتبر من الناحية الادبية اللغوية عربية جاهلية فشعر جرير جاهلى ، والفرزدق جاهلى والبعيث جاهلى وكثير جاهلى وتابت قطنة جاهلى ، وكذلك قل فى العجاج ، ورؤبة وغيرهم، فقول الدكتور طه حسين « ففى العصر الاسلامى أيام بنى امية » قول فيه افتراء على العقلية العربية .. والادب العربى نثرا وشعرا . أما اللغة العربية الاسلامية فلم تنشأ الا من اختلاط الأعاجم بالعرب ففسدت السليقة وضمرت الفصحى وظهرت المواليا والفنون الشعرية السبعة مثل الكان كان والدوبيت .. الخ .

ويفيدنا نشيد الاناشيد أيضا فى الفصل فى هذه الاحكام التى تلقى جزافا حول شعرنا جاهليا كان أو اسلاميا فالمؤرخون يقررون فى شىء من الجرأة أن امرأ القيس مثلا أول من وقف على الأطلال وبكى واستبكى ومن تشبيهاته المبتكرة :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

أو قوله :

وبيضة خدر لايرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل

ويقرر المؤرخون ايضا أن النابغة كان السابق في اعتذارياته وفي كثير من المعاني المبتكرة .

وقالوا في الاعشى انه صناجة العرب ، وتفيض كتب الادب العربي بمثل هذه الاحكام المرتجلة .

نعم ان هذه الصور وردت في شعر عربي جاهلي بينما شبيهتها سواء في نشيد الاناشيد أو غيره من المختارات الشعرية العبرية الممتازة في العهد القديم قد جاءت في العبرية الا أن الحقيقة التي يجب ادراكها أن العبريين قبل أن يعبروا الاردن ويعرفوا باسم عبريين كانوا يحيون حياة عربية بدوية ، فلما نزحوا الى فلسطين جاءوا ومعهم خيالهم الصحراوي وقريحتهم العربية وقد لازمتهم هذه الخصائص عصورا طوالا ، ومن ثم أخذت تتطور وتجاري الاحداث التاريخية .

فهذه الصور الشعرية التي نجدها مشتركة بين الادبين ترجع في الواقع الى تلك العصور التي عاشت فيها هذه القبائل في صعيد واحد ، واي حكم على تاريخ أو تحقيق صورة شعرية في احدى اللغتين يتطلب منا ولا شك الرجوع الى اللغة الاخرى وبعد ذلك يحق لنا أن نصدر أحكاما في تاريخ الادب أو صوره .

ولعل اوضح لوحة شعرية يشترك فيها غزل النشيد مع الشعر العربي الجاهلي هي تلك التي يعرضها امرؤ القيس في معلقته حيث يقول :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله ما لك حيلة
وما أن أرى عنك الغواية تنجلي

وفي هذا المعنى يغنينا النشيد :

أنا نائمة وقلبي يقظ
حبيبي يطرق
افتحي لي ياأختي ياحبيبتي
حمامتي غانيتي
كسا الطل هامتي
ورش الليل قصصي
خلعت غلالتي فكيف البسها
وغسلت قدمي فكيف أوسخها

وفي موضع آخر من المعلقة يقول امرؤ القيس أيضا :

وفرع يزين المتن أسود فاحم
أثيث كقنو النخلة المتعثكل

ويصورها النشيد بقوله :

شعرك يتماوج تماوج شعر معز تنحدر من جبل جلعاد .

قامتك نخلة وثدياك كبائس
قلت تسلقها وأمسك باعذاقها

***

واذا تركنا امرأ القيس الى عمرو بن كلثوم وجدناه يقول في معلقته :

وساريتي بلنط أو رخام
يرن خشاش حليهما رنينا

ويذكر النشيد :

ساقاه عمودا رخام أبيض تقومان على قاعدتين من الابريز .

دوران وركيك حلية صنعها فنان .

وليست هذه التشبيهات وتلك الصور قاصرة على المعلقات ، فهاهو المرقش الأكبر في قصيدته التي مطلعها :

الا بان جيراني ولست بعائف
ادان بيه صرف النوى ام مخالفي

يصف النواعم الأبكار بقوله :

يهدلن في الآذان من كل مذهب
له ربذ يعيا به كل واصف

ويقول المرقش الاصغر في قصيدته التي مطلعها :

ألا يا سلمى لا صرم لي اليوم فاطما
ولا أبدا ما دام وصلك دائما

في هذا المعنى :

تحلين ياقوتا وشذرا وصيغة
وجزعا ظفاريا ودرا توائما

ويعبر النشيد بعبارته :

ما أجمل لهزمتيك يتدلى عليهما الحباب وجيدك حوله السخاب سنصنع لك قلائد الذهب المحلاة بالجذاذات .

ويصف سويد بن ابي كاهل اليشكري في قصيدته التي مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا
فوصلنا الحبل منها ما اتسع

اسنان رابعة فيقول :

حرة تجلو شتيتا واضحا
كشعاع البرق فى الغيم سطع
صقلتـــه بقضيب ناضـــر
من أراك طيب حتى نصـع
أبيض اللون لذيذا طعمــه
طيب الريق اذا الريق خدع

ويعرض المرار بن المنقذ العدوى لنفس المعنى فى قصيدته التى مطلعها :

عجب خـــولة اذ تنـــكرنى
أم رأت خولة شـــيخا قد كبر

فيقول :

واذ تضـحك أبدى ضحكهــا
اقحـــوانا قيـــدته ذا اشر
لو تطعمت به شـــــبهته
عسلا شيب به ثلج خصـر

ويعرض النشيد لهذا المعنى بقوله :

أسنانك كقطيع جزائز خارج من الغسل ، شياهه متئمات وليست بينهاالمفرد ،عروسيشفتاك تقطران شهدا وعسلا ، ولبنا يسيل لسانك ، ولثيابك ، ريا كشذا لبنان .

ومن الصور الشعرية الجميلة حقا هــذه التى يذكرها شبيب بن البرصاء فى قصيدته التى مطلعها

الم تر أن الحى فرق بينهم
نوى يوم صحراء الغميم لجوج

حيث يقول :

فان تك هند جنة حيـــل دونها
فقد يعرف اليـــاس الفتى فيعيج

ويعرض له النشيد قائلا :

جنة مغلقة . نبع مختوم وعين بكر عروسى .

هذه بعض المقابلات بين الغزل فى نشيد الاناشيد وفى الشعر العربى الجاهلى تتبين منها مدى تغلغل الخيال العربى الشاعرى الغزلى فى القدم وذلك لان أغانى نشيد الاناشيد ليست من وضع شاعر بعينه بل نتاج شعب تناولها حذفا واضافة وتحـــويرا وتطويرا حتى دونت شانها فىذلك شان ســـائر الاغانى الشعبية الاخرى عند مختلف الشعوب .

والآن نتساءل : هل هذا النشيد لسليمان حقا ؟

الواقع أن مطلعه لا يؤيد صحة نسبته اليه ، نعم قد ذكر اسم سليمان فيأكثر من موضع الا أنه فى أكثر المواضع لا يذكر اسمه وان ذكرففى صيغة الغـائب لا المؤلف ، وهذا الاختــلاف حول المؤلف وما جاء بالنشيد من غزل جنسى قسم اليهود منذ القدم الى شيعتين : شيعة تقول انهغزل جنسى دنيوى ،واخرى تعتبره «قدس الاقداس» أعنى أقدس كتاب .

وهذا الفريق الذى يقول بقدسية النشيد ينظر اليه نظرة صوفية رمزية ، وظل امر هـذه الرمزية سائدا لايجرؤ أحد على منـــاقضته حتى جاء القرن الســـابع عشر الميــلادى فظهرت حركة نقد الكتاب المقدس وعرض النقاد فيما عرضوا له للنشيد فأجمعوا على بطلان قيمته الدينية . وقال نفر من العلماء ان للنشيد لونا تمثيليا يقوم بالدور الاول فيه سليمان وحبيبته وهى تخـــاطب عادة بعبـــارة (اختى) أو (عروسى) أو (ياأجمل النساء) وفى الآية الاولى من الاصحاح السابع تخاطب بلفظ (شولاميث) .

لكن هذا الرأى القائل بمسرحية النشيد وجــد كثيرين من المعارضين الذين يستبعدون أولا سليمان ويقولون أن المحب راع ساذج وهو الذى تخاطبـه الحبيبة بقولها :

قل لى حبيب روحى اين ترعى ؟

اين تربض فى الظهيرة حتى لا أصير كالمخبولة بين قطعان أصدقائك ؟ كذلك الحال مع الحبيبة فهى راعية اذ يرد عليها حبيبها قائلا :

ان لم تعرفى يا أجمل النساء ، اذهبى ، اقتفى أثر الغنم وارع جداك عند اكواخ الرعاة .

وفى النشيد مواقف أخرى تؤيد وجود هذا اللون التمثيلى وتؤكد صحة الرأى القائل بمسرحية النشيد وان كنا نصطدم فيه بعبارات أخرى تعارض التمثيلية اذ لانجد فى النشيد«الحدث» وقدأدت تلك الخصائص الى اعتباره مجموعة من الاغانى بعضها وضعللتمثيل حقا والبعض الآخر قد ضاع ولم يصلنا منه الاالقليل وقد أقحم هذا الجزء على الاغانى الاخرى فنتج عن هذا الخلط هذا المزيج الغريب فى نشيد الاناشيد .

والحقيقة التى ننتهى اليها ويجب أن نقررها هنا أن هذا النشيد عبارة عن مجموعة من أغانى الزفاف والافراح جمعت الى بعضها كما جمعت فى العهـــد

القديم أناشيد أخرى في المراثي أو الحج أو الحكمة وغيرها من المجاميع التي جاءتنا أو وصلتنا الاشارة اليها .

ومما هو جدير بالذكر ان كثيرا من هذه المعاني العربية القديمة وتلك العادات ما زالت الى يومنا هذا حية مستعملة في عالمنا العربي مع التنويه الى أن انتشارها استتبع ظهور طائفة من الشعراء الغزليين والغزليين الخلص منذ أن عرفت الانسانية الشعر ، وتغنت بالعواطف الانسانية الرقيقة فمن خطل الرأى ان يدعي مدع ان العرب الجاهليين وهم خالقو الشعر وقائلوه لم يخلص منهم شاعر للغزل ومما هو جدير بالذكر ان ابن هشام يذكر في سيرته شيئا عن طفولة الرسول صلى الله عليه وسلم وما تحلى به من كريم الاخلاق وذكر السهيلي في هذا الصدد ماذكره صاحب عيون الأثر بسنده وابن عساكر الى على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما هممت بشيء مما يهم به أهل الجاهلية الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما اى من فعلهما : قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان .

قال نعم .

فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير . فقلت :

ما هذا؟ فقالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش ، فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت فأخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته » .

وغير اغاني الزفاف نجد كذلك عادة تتويج العروس أو وضع الاكليل على رأسها فهذه ظاهرة جديدة جديرة بالوقوف عندها ولو وقفة قصيرة ونتساءل هل تتويج العروس كما جاء في نشيد الاناشيد عادة استحدثتها المملكة السليمانية تشبيهها للعروس بالملكة ؟ الواقع غير هذا فالتاريخ العربي القديم يذكر سواء في النصوص أو الآثار استخدام الاكليل أو التاج كوسيلة من وسائل الزينة عند الزفاف ثم جاءت المسيحية فحاربت هذه العادات أولا باعتبارها وثنية ، وقد تزعم حملة التحرير هذه المصلح الاسكندرى (كليمنس) وغيره امثال (ترتليان) . لكن هذا التحريم للتاج أو تتويج العروس لم يدم طويلا وذلك بدليل هذه النصوص التي وصلتنا والتي ترجع الى أواخر القرن الرابع الميلادى فهي تجمع على استخدام التاج أو الاكليل في حفلات الزفاف الكنسية رمزا للفوز والنصر .

وقد تعصب لهذه العادة الشاعر السرياني (افرايم) فطالب بوجوب مراعاتها في الطقوس الدينية الخاصة بالزفاف ، وقد سجل الشاعر دعوته هذه في احدى قصائده النسطورية التي تحدث فيها عن الطقوس الدينية الكنيسة عند الزواج ، وهكذا نجد تتويج العروس في الكنيسة الشرقية يصبح شرعة تجب مراعاتها . وما زلنا حتى اليوم نجدها في الكنائس الشرقية سواء كانت بيزنطية أو سريانية أو قبطية أو ارمنية . والفرق البسيط الذى يوجد بين هذه الكنائس ان البيزنطيين يستخدمون الاكليل بينما يتميز السريان وآخرون بالتاج .

ولفظ (تاج) هو في السريانية (كليلا) وتستخدم الكنيسة القبطية هذه الكلمة للتعبير عن كل ما يتصل بطقوس الزواج . فلفظ (كلل) يعني به اليوم القيام بالطقوس الدينية للزواج فاللفظ قد خرج من معناه الاصلى الذى وضع له أعنى (تاج) واصبح يستخدم في اقامة الطقوس الدينية للنكاح .

ولم تقتصر هذه العادة على العرب المسيحيين بل ظلت منتشرة بين المسلمين انتشارها بين الوثنيين ففي مصر مثلا نستطيع تتبع هذه العادة في كثير من كتب السير والآداب الشعبية مثل سيرة الظاهر بيبرس كما نجد في القرن الثامن عشر معجما لغويا عربيا يسمى بهذا الاسم اعنى (تاج العروس) .

وعن العرب والشرق العربي انتقلت هذه العادة الى الغرب ، فقد جاء في رسالة للبابا (نيكولوس الاول) وقد ارسلها عام ٨٦٦م الى مسيحيي بلغاريا ردا على فتوى طلبت منه خاصة باستخدام التاج في طقوس الزواج فأجاب بالايجاب .

هذه صورة صادقة للحياة الأدبية العربية الشعبية لا في اقليم بعينه أو زمن دون غيره لأن الغزل ميثاق الانسانية في شبابها وبخور السعادة الزوجية في عنفوانها . وهذه منحة عربية أخرى .

د . فؤاد حسنين على

عام جديد

للشاعر: ألفرد تينسون

ترجمة الدكتور: محمد أحمد الغمراوي

هذه القطعة من مختارات كتاب بلجريف « الخـــزانة الذهبية لخير الأشعار الغنائية فى اللغة الانجليزية » طبعة عام ١٩٢٨ ، وهى ، كما يدل عليه عنوانها فى الكتاب ، مقطوعة مطالعه خير واطول قصائد اكبر شعراء الانجليزية فى القرن التاسع عشر لورد تينسون : قصيدة « للذكرى » ذكرى وفاة صديق الشاعر الحميم آرثر هلم ، التى نشرها الشاعر لأول مرة عام ١٨٥٠ غفلا من اسمه وهو فى العام الواحد والاربعين من عمره فلاقت من تقدير النقاد واقبال القراء ما دعا الى اعادة نشرها عدة مرات وبيع منها فى اشهر قليلة ما بلغ ستين الف نسخة . وكانت لطولها قد طبعت كتابا مستقلا اذ يبلغ عدد ابياتها نحو خمسمائة والفى بيت فى مائة وثلاثين مقطوعة وخاتمة ، كلها من وزن واحد فى رباعيات بديعة انيقة فى اللفظ والنظم والتعبير .

اما الترجمة فلا تخلو من تصرف لا يخل بروح الأصل دعت اليه الترجمة الشعرية اذ يرى المترجم أن الشعر ينبغى الا يترجم الا شعرا .

أيا نواقيس لها وحشـــة ... دقى لجو موحش عربيد
دقى لسحب طائرات بدت ... دقى لضوء الثلج فوق الصعيد
وعامنــا يلفظ انفاســه ... فى ليــلة ذات ظلام شـديد
فيا نواقيس لها وحشــة ... العــام يقضى فاتركيه يبيد
دقى وداعا للذى قد مضى ... ورحبى من بعـده بالجـديد
دقى ففى دقك بشرى لنـــا ... وارســلى دقك عبر الجليد
العـــام يقضى فاتركيه ولا ... تستوقفيه فى الرحيل البعيد
دقى طرادا للكذوب الذى ... كان ، واهلا بالصدوق الوئيد
دقى طرادا الأسى يكسف البـ ... ـال حدادا على الحبيب الفقيد
والحــــزازات وآثارها ... بين غنى وفقير عميـــد
ورحبى بالود بين الورى ... والعدل والانصاف حتى يزيد
دقى طرادا للمبادى التى ... تموت فى بطء كخصم عنيد
وللخصومات التى افســدت ... حياة احزاب فضـاعت جهود
ورحبى بالنبـل فى عيشــنا ... فاننـــا نحتـــاج منه المزيد
وطاردى الحاجة من بيننــا ... والهـم والاثم ونقض العهود
دقى طرادا للذى احزن الشعـ ... ـراء فى شعرى الحزين النكيد
ورحبــى دقا بكل الذى ... يوحى الى الشاعر خير القصيد
وطاردى الحقـــد وقدح الذى ... يقدح فى الند الأمر يريد
ورحبى بالحب حب الهدى ... والحق صرفا ليس عنه محيد
وحب فعل الخير نبغى به ... نفعا يعم الناس رغم الحدود
دقى طـرادا للوباء الذى ... يأتى من الماضى كثير الوفود
دقى طرادا للفساد الذى ... يأتى به الحرص وحب النقــود
دقى طرادا للحروب التى ... تأتى تباعا من قديم العهــود
ورحبى دقـــا بعهــد نرى ... فيه السلام الحق دوما يسـود
ورحبى بالعهــد عهـد الذى ... يحيا بقلب الحــر قلب الأسـود
بالقلب لا يطوى على خسـة ... ولا يكف الكف عن ان تجود
وطــاردى الظلمة من ارضنا ... ورحبى بالنــور حتى يعــود

ياسين وبهية

تأليف: نجيب سرور واخراج: كرم مطاوع

بقلم الدكتور: محمد مندور

هناك قصة شعبية معروفة عن الشاب الريفى ياسين وخطيبته الريفية الحسناء بهية وفجيعتها فى خطيبها فى ظروف غامضة لم يستطع الخيال الشعبى أن يتبينها بدليل تساؤل راوى هذه القصة عمن قتل ياسين فى قوله الشائع « يا بهية وخبرينى على جتل ياسين » وتناول الشاب نجيب سرور هذه القصة وكتبها من جديد فى قصيدة شعرية قصصية مطولة وطوعها لفلسفة حياتنا الاشتراكية الجديدة فحدد قاتل ياسين باذناب الباشا الاقطاعى الذى كان يسيطر على قرية ياسين كلها ويستغل جهد فلاحيها ويحرمهم من ثمرته، ومن تبدو منهم أية مقاومة أو تمرد يأمر فيلقى به فى جب يموت فيه • وكانت الطامة الكبرى التى أثارت الفتى ياسين ضد هذا الباشا المستغل الظالم واذنابه هى محاولة ادخال خطيبته وحبيبته بهية الى القصر لتعمل خادمة حيث كان يعلم ياسين المصير الذى ينتظرها وهو هتك عرضها وطردها بعارها ، وقد حملت هذا العار فى بطنها ، فثار ياسين وأثار أهل القرية أجمعين وقادهم فى حركة تمرد عاتية ليحرقوا قصر الباشا ، ولكن ياسين يلقى حتفه برصاصة من أذناب هذا الباشا اللعين ، كما حدد شاعرنا الشاب مكان هذه المأساة فى قرية بهوت • ولم يكتب نجيب سرور هذه القصيدة بالعامية كروايتها الشعبية المعروفة ، بل كتبها بالفصحى الشعرية المنفعلة ، وان لم يتحرج من أن يؤثر احيانا اللفظة أو التركيب العامى على الفصيح عندما يحس فى تدفقه التلقائى أن العامية أقدر على التعبير عما يجيش فى نفسه أو على الأصح يتفجر فى قلبه من انفعالات ثورية عنيفة • ومع ذلك فان المزاوجة بين العامية والفصحى فى هذه القصيدة الثورية الطويلة لايستلفت انتباهنا بقدر مااستلفتته

قدرة الشاب الآخر المخرج **كرم مطاوع** الذى استطاع أن يخرج هذه القصة الشعرية فى صورة درامية نستطيع أن نؤكد أنها بلغت ذروة النجاح اذا كان مقياس النجاح أو عدمه هو تحقيق هدف المؤلف والتأثير فى الجمهور تأثيرا قويا عميقا • ومن المؤكد أن كرم مطاوع قد اتى فى اخراجه لهذه القصة الشعرية بما يشبه المعجزة الفنية • فالقصيدة فى أصلها قصصية لا تتضمن حوارا ولا مشاهد ولا ديكورات ومع كل ذلك استطاع المخرج أن يعطيها جميع المقومات الدرامية من ديكور الى شخصيات الى حوار الى مواقف أوحى بها وان لم يعرضها فعلا على خشبة المسرح ، وذلك بأن قام بتقطيع هذه القصيدة الطويلة وتوزيعها على الممثلين الذين قاموا بدور ياسين وبهية وأبيها وأمها وعم ياسين الذى تبناه بعد موت أبيه • كما كون المخرج كورسين أى مجموعتين احداهما تمثل فلاحى القرية وما يتهامسون به عن ظلم الباشا الاقطاعى واستغلاله وغدره ، وجماعة أخرى يقوم رئيسها بدور الراوية للقصة ويردد أفرادها بعض فقرات هذه القصة المثيرة كتعليق للشاعر المؤلف على بشاعة تلك الاحداث ودلالتها الانسانية والاجتماعية المثيرة • وما من شك فى أن قدرة المخرج الواعى على فهم هذا النص الشعرى العنيف وتشرب روحه وتمثل مضمونه الثورى العميق قد كان له فضل كبير فى نجاح هذه التجربة الجديدة الفريدة فيما يمكن أن تسميه حقا بالمسرح الشعبى الشعرى وعلى أساس من هذا الفهم الصحيح للنص استطاع المخرج أن يختار الممثلين القادرين حقا على هذا الفهم والانفعال به وادائه على النحو الناجح المؤثر وبخاصة ممثلنا القدير محمد الطوخى الراوية ورئيس جوقة الرواية والتعليق ، فقد كانت هذه الجوقة بالذات

رائعة فى أدائها الشعرى لهذه القصة وتنغيم مقاطعها المختلفة بالنغمات الملائمة الصادقة التعبير فى غير مبالغة ولا تهافت .

وبفضل هذا الاخـراج والأداء الرائعين الجديدين استطاع القصص الجيد النص والجيد الاداء تعويض الجمهور عن المشاهدة الفعلية للاحداث العديدة التى تسردها القصة . ومن الواجب أن نلاحظ أن الاستعاضة بالقصص الشعرى القوى المؤثر عن المشاهدة الفعلية لمشاهد القسوة والعنف مبدأ فنى قديم استند اليه عمالقة الدراما الكلاسيكية أنفسهم، وفى مقدمتهم شاعر التراجيديا الكلاسيكى الكبير راسين . الذى آثر قصص الأحداث العنيفة الدامية فى عدد من تراجيدياته على عرض تلك المشاهد البشعة على الجمهور مطمئنا الى قدرته الشعرية الخارقة على أن يثير الجمهور بقصصه أكثر مما يمكن أن تثيره المشاهد الفعلية لتلك الأحداث . وأستطيع أن أضرب لذلك مثلا بمشهد شهير فى احدى روائع راسين وهى تراجيديا « فيدر » التى تقص قصة « فيدر » عندما اتهمت ابن زوجها هيبوليت بأنه قد هم بها أثناء غياب أبيه فى الحرب ولكن الابن عف عن هذا الاثم ، فاغتاظت « فيدر » ودست له عند أبيه بعد أن عاد من الحرب وادعت أن هذا الابن البار هو الذى راودها عن نفسها وهى التى تأبت عليه فغضب الاب واستنزل غضب الآلهة على ابنه واستجابت الآلهة لندائه فحملت خيل هيبوليت على أن تجمح به وهو خارج فوق عربته للصيد ، وكان جموحها من العنف بحيث ألقت الشاب من فوق العربة ومزقته اربا اربا . ولكن راسين لم يعرض مثل هذا المشهد البشع على خشبة المسرح مع أنه من الثابت تاريخيا أن المسرح الكلاسيكى كان يملك من الامكانيات ما يستطيع أن يخرج به مثل هذا المشهد، غير أن الشاعر العظيم هو الذى آثر القصص على المشاهدة وذلك بأن جعل تابعا لهيبوليت يحضر مأساة هذا المشهد ثم يعود ليقص على الجمهور وصف تلك الفاجعة المؤثرة المؤلمة . ويكاد النقاد يجمعون على أن «راسين» قد حقق فى هذه اللوحة التى صورها بالشعر عندما قص هذه الفاجعة ـ أكثر مما كان يستطيع أن يحققه تمثيل المشهد فعلا أمام الجمهور على نحو ما فعل بعد ذلك الرومانسيون وكتاب الميلودراما الحسيون السطحيون عندما آثروا عرض مثل هذه المشاهدالبشعة المقززة على الاكتفاء بقصصها وتصويرها باللفظ الشعرى . لا بالحس المشاهد،وانا أقرر هذا المبدأ الكلاسيكى وأضرب له مثلا لأوضح لمن قد يعترضون على المحاولة الجبارة التى نجح فيها مسرحنا الشعبى الهادف أنه لا ضير من ادخال العنصر القصصى على الدراما الشعبية ما دام هذا العنصر قد اكتسب من قوة صياغته وقوة أدائه ما يستطيع أن ينفث الحركة والحياة فى نفوس المشاهدين بجذبهم اليه والاستحواذعلى انتباههم واثارةالانفعالات العميقة فى نفوسهم . واذا كان الامر أمر مبادىء وأصول فنية تقليدية فانه من الواجب أن نذكر دائما أن هذه الأصول والمبادىء الفنية التقليدية ليست غاية فى ذاتها . بل هى مجرد وسائل يستخدمها الكاتب شاعرا كان أم ناثرا فى تحقيق هدفه وابلاغ رسالته الى الجمهور . وعلى هذا الاساس نستطيع أن نغتبط بنجاح هذه التجربة الرائدة وان نعتز بشاعرنا الشاب . ومخرجنا الشاب وممثلينا الأفذاذ القادرين .

دكتور محمد مندور



مقومات القصة القصيرة

(٢) بقلم : الدكتورة لطيفة الزيات

حاولت في مقالي السابق في هذا المكان أن احدد مقومات القصة القصيرة بردها الى منابعها الاولى ، وبتبين ما جد على الحكاية بحيث أصبحت قصة قصيرة لا ذلك الشكل الفنى الذى تنفرد به دون ألوان الادب جميعا، اعتقادا منى أن تحديد المقومات التى جدت على الحكاية ونأت بها عن طابعها التقليدى الى طابع القصة القصيرة انما هو تحديد لمقومات القصة القصيرة • وأشرت فى ذلك المقال الى كاتبين أسهما فى أولى محاولات القصة القصيرة ، أحدهما روسى وهو جوجول والثانى أمريكى وهو « ادجار آلان بو » وبينت الاضافة التى أسهم بها « جوجول » فى خلق القصة القصيرة انما هى اضافة الى موضوع القصة أكثر منها الى شكلها ، وان كانت الاضافة الى الموضوع تطلبت بالضرورة تغيرا فى الشكل • وأشرت الى أن القصة القصيرة قد أسقطت فى مجموعها موضوع « بو » الذى تمسك بمعالجة الغريب بدلا من العادى فى قصصه ، وان كانت قد تأثرت الى حد كبير بالشكل الذى أبدعه « بو » للقصة القصيرة •

***

وتوقفت عند جوجول ، وأفردت المقال لتبيان الاضافة التى أسهم بها فى نشأة القصة القصيرة كما نعرفها اليوم • والى جوجول أرجعت الفضل فى ميلاد القصة القصيرة متحررة من بقايا الرومانسية التى تتمثل فى الاعتماد على الغريب فى الموضوع ، وعلى المذوق المتمسق الرنان فى اللغة ، وعلى الوعظ والارشاد والدروس الاخلاقية والفلسفية بانواعها• فجوجول هو الذى كتب البقاء للقصة القصيرة كشكل فنى مستقل ، حين ربطها بالحياة اليومية للانسان العادى ، وحين وجهها الى الاحتفاء بتلك اللحظات العابرة من حياتنا اليومية • وترتب على استخدامه للعادى سلسلة من المقومات تتصل بالطريقة التى يقترب بها الكاتب من مادته ، وباللغة وبالطريقة التى يكتب بها • فالطريقة التى يقترب بها الكاتب من مادته تعتمد على الموضوعية البحتة ، وعلى اتخاذ الكاتب موقف الحياد التام تجاه المادة التى يعالجها، ذلك الحياد الذى يصفه « تشيكوف » ، أحد بناة القصة القصيرة حين يقول : « ينبغى أن يتوفر للكاتب من الموضوعية ما يتوفر للكيميائى ، ولا بدله من أن يضع جانبا موقفه الذاتى .. وان يدرك أن المشاعر السيئة جزء لايتجزأ من الانسان ، مثلها فى ذلك تماما مثل المشاعر الخيرة • » واللغة التى يكتب بها الكاتب تتسم بالبساطة وتقترب ما أمكن من لغة الحياة اليومية ، والطريقة التى يكتب بها مادته تعتمد على تطوير الحدث من شخصيته أو شخصيات ينبع عنها الحدث المعين بالضرورة والحتمية ، وتقوم على التصوير بدلا من التقرير وعلى الجسم المرئى المحسوس لا المجرد اللامحسوس•

***

وكان هذا هو الدور الذى قام به جوجول فى نشأة القصة القصيرة ، أما الاضافة التى اسهم بها « ادجار آلان بو » فسأفرد لها هذا المقال •

نستطيع أن نقول ان «ادجار آلان بو» هو الذى خلق الشكل أو القالب الفنى الذى تتميز به القصة القصيرة اليوم ، كلون أدبى ينفرد بميزاته الخاصة عن بقية ألوان الأدب • وفى قصص « بو » القصيرة نجد بنيانا محكما يكاد يقترب فى دقته من دقة الرياضيات ، بنيانا يصفه بو ذاته حين يقول :

« يتراءى للأديب الفنان تأثير موحد يبغي تحقيقه، وهو يبتدع من الاحداث ويوجـد من بينها ما من شأنه أن يساعده على خلق هذا التأثير الموحد الذى تراءى له • ولا ينبغي للكاتب أن يكتب فى القصة بأكملها كلمة واحدة تميل ميلا مباشرا أو غير مباشر فى اتجـاه غير الاتجاه الذى يرمى اليه • وبهـذه الطريقة ، وبهذا الحرص ، وبتلك المهارة ، تخرج الى الوجود أخيرا صـورة تترك فى ذهن من يتأملها الشعور بالرضا التام » ولم يدرك «بو» وهو يكتب هـذا الكلام ، وهو يطبق نفس هذه النظرية على قصصه أنه يشرع للقصة القصيرة التى حذت حذوه• والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو : ما هو الجديد فى هذا الكلام ؟ ما هى المقومات التى أضافها «ادجار آلان بو » الى شكل القصة القصيرة ؟



وأهم هذه المقومات هى وحدة التأثير من البداية الى النهـاية بحيث يهدف كل حدث ، وكل تفصيل وكل خط من خطوط الشـخصية ، وكل جزء من أجزاء الحوار ، وكل كلمة الى خلق تأثير موحد يزداد عمقا كلما تقدمت القصة القصيرة حتى تستكمل أعماقها بالكلمة الاخيرة • ويترتب على وحدة التأثير هذه عدة مقومات تعرف بها القصة القصيرة اليوم •

اذ يترتب على وحدة التأثير تركيز القصة حول لحظة واحدة لها بداية ووسط ونهاية، لحظة لا تخرج عليهـا الا لتعود اليهـا ، ولا تخرج عنها الا بغية اغنائها واستكمال تأثيرها ، لحظة قد تستطرد الى ماضيها أو الى مستقبلها لتعود اليها وقد اكتسبت غنى بهذا الاستطراد• وكان هذا التركيز على اللحظة من بدايتها الى نهايتها يؤذن بانتهـاء الحكاية التى تحكى قصة الانسان من يوم مولده الى يوم زواجـه أو وفاته ، وبالانتقال الى القصة القصيرة التى تركز على لحظة واحدة من لحظات حياة الانسان ، وتمسك بها وتعمقها فى مجرى واحد ، مكتشفة خلال هـذا التعميق كل معانيها وكل أبعادها وكل قيمهـا ، ومحيلة اياها بذلك الاكتشاف الى شعر •



ويترتب على وحدة التأثير هـذه ما يعرف اليوم باسم «الجو» الموحد الذى يمسـك بالقارىء منذ اللحظة الأولى ، ويدفع به فى اتجاه واحد لا يفلت منه حتى النهاية ، ذلك «الجو» الذى أصـبح اليوم سمة من السمات المميزة لكل قصة قصيرة • وخلق الجو الموحد فى القصة القصيرة يقتضى من الكاتب القدرة على الاستبعاد والقدرة على الاختيار، استبعاد ماليس له علاقة مباشرة بخط التطور ، وبالتـأثير الموحد المطلوب ايصاله للقـارىء ، واختيار ما من شأنه أن يطور هذا الخط ، ويعمل على توحيده، وان يوحى للقارىء بهذا الاثر • فالشخصية مثلا ،لاترسم متكاملة فى القصة القصيرة كما ترسم فى الرواية ، بل تستبعد منها محل الخطوط التى لاعلاقة مباشرة لها بالحدث ، ويختار من بين هـذه الخطوط ما من شأنه أن يوحى بالتـأثير المطلوب • وينطبق ذلك أكثر ما ينطبق على الوصف الذى ينبغى أن تستبعد منه فى القصة القصيرة ما لا يقوم بوظيفة فعاله ، وينبغى أن نختـار منه ما يوحى ، بحيث تنطبع المرئيات بالحالة الشعورية العامة التى تسـود القصة ، وبحيث تجسم هذه الحالة ، وتصبح بهذا الانطباع والتجسيم ذات فاعلية فى خلق جوالقصة المطلوب • فلا شىء من القصة القصيرة يطلب لذاته ، وانما ينبغى أن يطلب بمدى ما يطور اللحظة المعينة التى تعرض لها القصة ، وبمدى ما يسبغ عليها من وحدة التأثير من البداية الى النهاية ••

وأضفت نظرية (بو) وتطبيقه لهذه النظرية على القصة القصيرة احدى مقوماتها الاخرى التى تنفرد بها عن الحكاية • فبينما تقوم الحكاية على السرد ، تقوم القصة على التصوير أوالتجسيم •فكاتب القصة القصيرة لا يقرر ما يحدث ، بل يترك الحدث يتفتح أمامنا بالتدريج ، يكشف عن نفسه بنفسه كمـا يحدث فى منظر من مناظر المسرحية • وقد اندرج ذلك الطابع الدرامى فى القصة القصيرة بحيث أصبح صفة مميزة من صفاتها ، صفة ترتبط أشد الارتباط بوحدة التأثير المطلوبة • وتطوير الحدث تطـويرا دراميا مباشرا أمام القارىء دون تدخل من الكاتب يقتضى بالضرورة انطواء الحدث على صراع ينبع من الموقف الذى تبدأ به القصة ، ويتعقد فى الوسط ، وينحل فى النهـايـة التى تجمع بين كل الخطوط تمهيدا لحلها فى لحظة التنوير النهائية ، تلك اللحظة التى تضفى المعنى على كل كلمة من كلمات القصة •

ولم تكتسب القصة القصيرة من الدراما احـدى ميزاتها فحسب ، بل سلبت الشعر أيضا احـدى

ميزاته . ويمكن أن نقول أن هذه الميزة هي (التوتر) الذي يختص به الشعر دون غيره من فنون الادب . والقصيدة الشعرية تنبض بالتوتر الفني نتيجة لوحدة التأثير فيها أولا ، ونتيجة للاقتصاد الشديد في استخدام الالفاظ ولاختيارها اختيارا دقيقا ، وللنظام المعين الذي تنتظم فيه بحيث تتعارض كلمة موحية من كلمة موحية ، وبحيث توحي الكلمات المحذوفة بقدر ما توحي به الكلمات المستخدمة وبحيث تتدرج جميع الايحاءات في نسيج يوحي باكثر مما توحي به أجزاء النسيج مجتمعة ، وبحيث تتوتر القصيدة نتيجة لكل هذا بالمفارقة وبمستويات متباينة من المعنى .

ومن الشعر استمد «ادجار آلان بو» وهو الشاعر القدير ، هذه الخاصية ، واضافها الى القصة لتصبح سمة من سماتها المميزة . ووجدت صفة التوتر الفني هذه في القصة القصيرة القالب المهد لاستقبالها ولتطويرها . فوحدة التأثير متوفرة في القصة القصيرة أو ينبغي أن تتوفر لها بقدر ماتتوفر في القصيدة الشعرية. والاقتصاد الشديد والتركيز في استخدام الالفاظ ، وترتيب هذه الالفاظ بحيث تجري في مجرى واحد وتصب في مصب واحد . عناصر تتوفر في كل من القصة القصيرة والشعر . ومن ثم فتربة القصة القصيرة هي تربة الشعر، وان كانت الاولى تتميز بامكانيات للتوتر الفني لا تتوفر عادة في الثانية ، فبينما لا يتحتم أن تقوم القصيدة الشعرية على بناء يتضمن التوتر ، يتحتم أن تقوم القصة القصيرة على مثل هذا البناء ، اذ أن الحدث الذي يتفتح أمام أعيننا دون تدخل من الكاتب يتطلب وجود صراع ، والصراع بالضرورة يتضمن عنصر التوتر . ومن ثم فنحن نتطلب من القصة القصيرة أكثر مما نتطلبه من الشعر . نتطلب منها توترا في البنيان ، وتوترا في النسيج ، والتوتر في البنيان يعني بالطبع التوتر في النسيج والعكس صحيح . والمفارقة التي تصحب عادة هذا التوتر تصدر في هذه الحالة عن البنيان والنسيج معا .

وحين يبلغ هذا التوتر المبني على التركيز والحذف، على بلورة الالفاظ والمعاني ، على المفارقة في البنيان والنسيج ، على تباين مستوى المعاني . حين يبلغ كل هذا قمته في القصة القصيرة نخرج منها بنفس الاحساس الشاعري الذي نخرج به من قصيدة شعرية عظيمة . فالقصيدة الشعرية العظيمة ، كما اثبت النقد الحديث ، تقوم بدورها على التوتر في البنيان والنسيج ، فرغم أن التوتر في البنيان ليس حتميا في الشعر ، فما من قصيدة عظيمة الا توفر في بنائها هذا التوتر .

ومن ثم فان القصة القصيرة العظيمة تغنينا بقدر ما يغنينا الشعر العظيم .

« د . لطيفة الزيات »

تاريخنا في أيد غير أمينة

بقلم : رجاء النقاش

عندما بدأ الاستعمار الغربي غزوه الواسع لآسيا وافريقيا ، لم يكن يفكر فقط بعقلية اقتصادية أو عقلية عسكرية ، ولكنه فكر أيضا بعقلية علمية ٠ لقد عرف الغرب منذ البداية قيمة العلم ٠ بل جعل من العلماء كتيبة تقف في طليعة الغزو الكبير ، وتسبقه وتمهد له ٠ ويكفي أن نتذكر العدد الضخم من العلماء الذين اندمجوا وسط الشعوب المختلفة يدرسون لغاتها وعاداتها وبيئتها الجغرافية وتاريخها حتى نعرف خطورة هذه الحرب العلمية ٠

فعندما جاء نابليون الى مصر ، فاتحا وغازيا ، صحب معه الى جانب قواده وضباطه وجنوده عددا كبيرا جدا من العلماء في مختلف فروع العلم ، ويحدثنا المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي عن هذه الكتيبة العلمية التي صحبت الحملة الفرنسية فيقول في الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية :

« اصطحب نابليون معه طائفة من علماء فرنسا ونوابغها في الرياضة والهندسة والطب والجغرافيا والفلك والادب والكيمياء والاقتصاد السياسي والآثار والمعادن وطبقات الارض والحيوان والنبات وفن المعمار وهندسة الري والقناطر والجسور والميكانيكا ، وطائفة من رجال الفنون من المصورين والرسامين والموسيقيين والنقاشين والمثالين ، فبلغ عدد هؤلاء ١٤٦ عضوا ما بين عالم واديب ومهندس ومثال تتألف منهم لجنة العلوم والفنون التي كان لها شأن يذكر في تاريخ الحملة الفرنسية ، وقد جهزهم نابليون بمجموعة كاملة من الآلات الطبيعية والرياضية ، وكان من بينهم جماعة من اقطاب العلوم ممن يشار اليهم بالبنان في فرنسا ، امثال مونج العالم الرياضي ، وبورتلييه العالم الكيميائي وغيرهم » ٠٠٠ وينقل الرافعي بعد ذلك رأيا لمؤرخ فرنسي يقول فيه : ان نوابغ فرنسا في الحروب والعلوم والفنون قد صحبوا نابليون في الحملة على مصر ، وجذبتهم اليها ثقتهم في قائدهم الفتى العظيم وركبوا البحر دون أن يعرفوا الى أي جهة يقصدون » ٠

٠٠٠ وهكذا كان نابليون يفكر فيما هو أبعد من الغزو العسكري ، كان يفكر في اكتشاف مصر اكتشافا كاملا ، وبذلك يسهل له أن يجعل منها قاعدة للامبراطورية الشرقية التي كان يحلم باقامتها على أن تكون القاهرة عاصمة لها ٠ ولا يمكنه بالطبع أن يقيم قاعدة الامبراطورية « الخيالية » دون أن يكون على فهم كامل ومعرفة شاملة بهذه القاعدة ٠ فالمادة العلمية التي يمكن أن يصل اليها علماء الحملة الفرنسية تستطيع بلا شك أن تمكن نابليون من السيطرة الكاملة على مصر ، ومن استغلالها الى أقصى حد ، حتى يتمكن بعد ذلك من تحقيق الأحلام البعيدة وقد ضمن نقطة ارتكاز ثابتة ٠

وعقلية نابليون هي مثل أعلى للعقلية الاستعمارية الغربية في جميع موجات الغزو التي سبقت الحملة الفرنسية والتي تلتها ٠ لقد كان الاستعمار باستمرار يعتمد على بعض العلماء ويجندهم في سبيل خدمته ٠ واذا عدنا الى أكبر موجة استعمارية ناجحة ضد مصر وهي التي تمثلت في الغزو الانجليزي لمصر سنة ١٨٨٢ ، فاننا نجد من بين أسماء الانجليز الذين أسهموا في عملية احتلال مصر مساهمة كبيرة اسم المستشرق **بالمر** ٠ ان هذا الاسم لا بد أن يذكر دائما في أي كتاب عن تاريخ الاحتلال الانجليزي لمصر ٠ فقد قام هذا المستشرق بمحاولة جذب البدو في سيناء الى صف الانجليز ودفعهم الى خيانة الجيوش المصرية العرابية ٠ ولبس **بالمر** ملابس البدو ، وحمل معه كميات ضخمة من المال ليوزعها على هؤلاء البدو، مستعينا في هذه العملية بمعرفته الدقيقة باللغة العربية ، وبدراسته العلمية الواسعة لمنطقة سيناء ٠ وقد لقي **بالمر** مصرعه اثناء محاولته ، لان البدو طمعوا في ماله ، ففضلوا المال على ما كان يتظاهر به من علم غزير وعلى ما كان يقدمه الى هؤلاء البدو من نصائح للانضمام الى الانجليز ٠ ونستطيع أن نتذكر أيضا في هذا الميدان الكولونيل « **لورانس** » الشهير الذي اندمج بعبقرية نادرة في عرب الجزيرة ولبس ملابسهم وأكل طعامهم وامتزج بهم كل الامتزاج ٠ كل ذلك في سبيل أن يكسبهم الى صف الانجليز في الحرب العالمية الأولى ٠

وهناك أيضا **جون فيلبي** الذى سمى نفسه باسم الحاج عبد الله فيلبي ولعب دورا كبيرا فى السياسة العربية حتى قيام الحرب الثانية .

هذه مجرد نماذج من الذين اشتركوا - بتجاربهم ودراستهم الواسعة - فى مساعدة الاستعمار الغربى على تنفيذ أهدافه ، وقدموا له أعظم الخدمات ، وبدون هؤلاء العلماء فان الاستعمار الغربى ولا شك كان سيجد صعوبة كبيرة فى تحقيق كثير من أهدافه .

ومحاولات الاستعمار الغربى مستمرة منذ وقت طويل للاستفادة بهذه الدراسات الواسعة لكل بلد تريد أن تسيطر عليه ، وتريد أن تحافظ على نفوذها فيه .

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو فى مصر ، وبدأت صفحة الاستعمار الانجليزى تنطوى من بلادنا ، وتنطوى معها نهائيا قصة النفوذ الغربى فى مصر .. فى هذه المرحلة الجديدة الأصيلة من تاريخنا ، لم يتخلص الاستعمار الغربى من محاولته المستمرة لدراسة التاريخ المصرى ، والواقع المصرى ، بل على العكس زادت الدراسات الغربية عن مصر بعد قيام الثورة . ومن الضرورى أن نعترف أن بعض هذه الدراسات انما يقوم لوجه العلم فقط ، ففى الغرب ولا شك علماء مخلصون يريدون أن يفهموا - بحافز علمى أصيل - جميع التطورات التى حدثت فى بلادنا ، على اعتبار أن هذه التطورات جزء من حقائق العالم المعاصر ... وجزء هام له قيمته .

هذه حقيقة يجب أن نعترف بها . ولكن الى جانب هذه المدرسة المخلصة للعلم بين الغربيين ، توجد مدرسة أخرى أخطر وأوسع نفوذا ... هذه المدرسة هى مدرسة « بالمر وفيلبى » وغيرهما من المستشرقين وهى المدرسة التى ترتبط ارتباطا أساسيا بمصالح الاستعمار الغربى وأطماعه فى بلادنا . وهذه المدرسة تجمع حولها عددا كبيرا جدا من علماء العالم وتستخدمهم وتيسر لهم ظروف الدراسة وتقف وراءهم الى أقصى الحدود .

ومن هذه المحاولات الاستعمارية الواسعة التى تأخذ شكلا علميا ذلك المؤتمر الذى دعت الى عقده فى لندن مدرسة الدراسات الافريقية والآسيوية فى جامعة لندن . وموضوع المؤتمر هو تاريخ مصر الحديث . وسوف يعقد هذا المؤتمر فى الفترة مابين ٩ و ٨ ابريل سنة ١٩٦٥ .

وقبل أن أتحدث عن هذا المؤتمر أود أن أعود الى سرد بعض الحقائق حول المواقف المختلفة من تاريخ مصر الحديث . فلقد ظهرت اتجاهات عديدة لكتابة هذا التاريخ ابتداء من القرن الماضى حتى اليوم . وكان كل اتجاه من هذه الاتجاهات يتحرك بوحى فكرة معينة . وهناك مثلان واضحان فى هذا الميدان .

اما المثل الاول : فقد ظهر خلال محاولة الغربيين أن يؤكدوا انفصال مصر نهائيا عن الوطن العربى وعن الامة العربية ، وكانت لهم فى ذلك وسائل عديدة ، وكان من بينها خلق جيل من المصريين متعصب للفرعونية مؤمن بها أشد الايمان . ولايمكن بالطبع أن يعارض أى ذهن عربى مستنير مسألة اهتمام المصريين سواء كانوا مواطنين عاديين أو علماء باحثين بالتراث الفرعونى العظيم ، وبالحضارة الفرعونية المزدهرة ، فتاريخنا الفرعونى القديم هو جزء ثمين من تراثنا لا يمكن أن نتنكر له أو نتبرأ منه أو نرفضه . ولكن الخلاف كل الخلاف بيننا وبين أعدائنا فى الفكر والحياة هو طريقة « توظيف » هذا التراث . فهناك من يريدون للتراث الفرعونى أن يعود الى الحياة بهدف واحد هو تعميق الملامح الذاتية للمصريين وفصلهم نهائيا عن الامة العربية .

هذه هى الوظيفة التى نرفضها للتراث الفرعونى . أما وظيفته الحقيقية فى نظرنا فهى تعميق الاحساس باننا شعب له حضارة ، وقادر على صنع الحضارة كما حدث فى يوم من الأيام وفى عصر من عصور التاريخ . بل اننا وقد أصبحنا جزءا من الأمة العربية انما نجد فى هذا التراث الفرعونى العظيم تراثا للأمة العربية كلها تعتز به وتستند اليه فى نهضتها الجديدة ضمن ما تستند اليه من ألوان التراث الأخرى .

وفى سنة ١٩٢٦ ظهرت محاولة من المحاولات الغربية للاهتمام بتاريخ الفراعنة بهذا الدافع الذى أشرت اليه ... دافع فصل المصريين عن العرب تماما .

ويحدثنا الدكتور محمد حسين فى الجزء الأول من كتابه عن « الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر » فيقول صفحة ١٢٦ :

« ان الثرى الأمريكى روكفلر وابن روكفلر الكبير ، صاحب الملايين ، قد أعلن سنة ١٩٢٦ عن تبرعه بعشرة ملايين ريال امريكى (وهو مبلغ كان يعادل مليونين من الجنيهات المصرية

وفتذاك) لانشاء متحف للآثار الفرعونية في مصر ، يلحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن . واشترط لمنح هذه الهبة أن يوضع المتحف والمعهد تحت اشراف لجنة مكونة من ثمانية اعضاء ليس فيها الا عضوان مصريان فقط ، على أن تظل هذه اللجنة هي المسئولة عن ادارة المتحف والمعهد لمدة ثلاث وثلاثين سنة . وقد استرد الثرى الامريكي هبته وقتذاك ، بعد أن ارسل مندوبا يمثله من علماء الآثار الامريكيين المعروفين وقتئذ ـ وهو الأستاذ برستد ـ ومعه احد محاميه ، وذلك لرفض الحكومة شرط اشراف الاجانب الفني على المعهد ، وقد كان واضحا من تحديد صاحب الملايين مدة الاشراف بثلاث وثلاثين سنة انه يهدف الى خلق جيل من المتعصبين للفرعونية ثقافيا وسياسيا » .

هذا هو المثل الأول الذى يثبت لنا أن هناك دائما فكرة موجهة رئيسية وراء أى محاولة لاعادة كتابة تاريخ مصر ... وهذه الفكرة فى هذا المثل هى كما أشار الدكتور محمد حسين خلق التعصب الثقافى السياسى للفرعونية فى مواجهة الايمان بالعروبة ثقافيا وسياسيا عند المصريين .

أما المثل الثانى فى هذا الميدان فهو محاولة الملك فؤاد اعادة كتابة تاريخ مصر الحديث عن طريق عدد من العلماء الغربيين والمصريين . وكان الهدف من هذه المحاولة هو خلق تيار تاريخى يدافع عن أسرة محمد على ويثبت دورها فى خلق مصر الحديثة . وعلى أثر هذه المحاولة التى حركها وتبناها الملك فؤاد صدرت كتب عديدة فى مصر وفى أوروبا ، عن الخديوى اسماعيل والد الملك فؤاد ، وعن غيره من حكام أسرة محمد على . وأذكر أننى قرأت كتابا مصريا عن الخديو اسماعيل صدر ضمن هذه الموجة من الكتابات التاريخية ، وفى هذا الكتاب يبرر المؤلف كل تصرفات الخديوى التى أدانه عليها كل النقاد التاريخيين ، مثل القروض الكثيرة ، وبناء القصور ، والاغراق فى الترف ، ونحو ذلك مما أدى الى أزمة كبرى فى مصر انتهت بخلع الخديوى اسماعيل نفسه ، الذى خرج وقد أخذ لنفسه من الخزانة ١٥ مليونا من الجنيهات ... ومصر فى ذلك الوقت كانت فى أزمة اقتصادية مريرة . ومع ذلك لم يفكر اسماعيل فى مصر وانما فكر فى نفسه . وأذكر أن مؤلف هذا الكتاب قدم تفسيرا غريبا لمجاعة حدثت بين الجند فى عهد الخديوى اسماعيل فقال مامعناه : ان هذه المجاعة كانت مقصودة من جانب الخديوى لكى يتعلم الجنود الصبر والاحتمال . والكتاب ملىء بمثل هذه التبريرات العجيبة لأخطاء عصر اسماعيل الفادحة .

وقد فاز هذا الكتاب بجائزة رصدتها الدولة فى عهد الملك فؤاد للمؤلفات التاريخية ، وتمت طباعته أيضا على حساب الدولة .

هذان المثلان يكشفان لنا عن أن أى محاولة لاعادة كتابة تاريخ مصر أو لاعادة النظر فى هذا التاريخ انما تقوم عادة لخدمة فكرة معينة .

وهذا هو ما ينطبق على المحاولة الجديدة التى تقوم بها جامعة لندن فى المؤتمر الذى تنوى أن تعقده فى ابريل للنظر فى تاريخ مصر الحديث .

وقد تحدثت حول هذا المؤتمر مع بعض علمائنا العرب وخرجت من هذه المناقشات ببعض الحقائق الهامة التى يجب أن تكون واضحة أمام الرأى العام العربى وأمام الهيئات العلمية المختلفة فى بلادنا ، حتى يكون لنا موقف سليم محدد فى هذه القضية الهامة .

ومن الحقائق الهامة فى هذا الميدان أن المدرسة التى دعت الى المؤتمر وهى مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن قد أسست فى أواخر القرن التاسع عشر خلال موجة الاستعمار الغربى ضد افريقيا وآسيا . وكانت هذه المدرسة تابعة فى بدايتها لوزارة الخارجية البريطانية . وكان الهدف من انشائها هو أن تكون مدرسة للمخابرات البريطانية بحيث تم العمل الذى تقوم به هذه المخابرات على أساس علمى . ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة المستشرق «بوين» وهو مؤلف كتاب مشهور عن « المجتمع الاسلامى فى القرن الثامن عشر » وكان «بوين» يقول بصراحة انه يعمل فى المخابرات البريطانية ، وحتى اليوم ما زالت علاقة هذه المدرسة بوزارة الخارجية البريطانية وثيقة ، رغم أنها من الناحية الشكلية تابعة لجامعة لندن .

ويقف « برنارد لويس » رئيس قسم التاريخ فى هذه المدرسة وراء المؤتمر الذى سينعقد فى ابريل القادم لدراسة التاريخ المصرى الحديث . وبرنارد لويس يعتبر من أشد العلماء الغربيين مناصرة للصهيونية . ولذلك فانه حرص على أن يخفى دوره فى هذا المؤتمر ، ودفع مساعده «بيتر هولت» الى أن يتصدى لرياسة المؤتمر ، ويوجه الدعوات باسمه الى العلماء المشتركين فى المؤتمر .

والدول التى دعيت للاشتراك بعلمائها المتخصصين

فى هـذا المؤتمر هى : امريكا وفرنسـا وانجلترا واسرائيل ، والجمهـورية العربية المتحدة . وقـد اتبعت الجمهورية العربية المتحدة سياسة سليمة فى شأن المؤتمرات العلمية التى تشترك فيها اسرائيل وهى انها لا تقاطع هذه المؤتمرات ، كما يحدث فى المؤتمرات السياسية ، بل يشترك علماؤنا فى هذه المؤتمرات العلمية ، ويقفون دائما للتصدى لكل محاولة من جانب اسرائيل لتشويه القضية العربية أوالثقافة العربية .

وفى الوقت الذى حرصت فيه مدرسة الدراسات الشرقية على دعوة اسرائيل للاشتراك فى مؤتمر علمى عن تاريخ مصر ، تجـاهلت المدرسـة ـ عن عمـد واصرارـ دعوة جهات علمية أخرى معروفة باهتمامها الكبير بالتاريخ المصرى . فلم يدع الى هذا المؤتمـر على سبيل المثال علماء جامعة نيودلهى فى الهنـد . وفى هذه الجامعة معهد للدراسات الدولية ، وفى داخل هذا المعهد قسم للشرق الأوسط يهتم أشـد الاهتمام بالتاريخ المصرى والتاريخ العربى على وجه العموم ، ومن أساتذة هذا المعهد المعروفين ، أشرف أجوانى ، وقد نال درجـة الدكتوراه فى بحث عن السياسة الأمريكية فى الشرق العربى ، ومسـاعد الدكتور أشرف هو « **ظهير قريشى** » ، وهو من أكبر المهتمين بالتاريخ المصرى ، وقد نال درجة الدكتوراه فى بحث عن « نشأة وسقوط حزب الوفد المصرى » .

ان هذه المدرسة من علمـاء الهند المهتمين أشـد الاهتمام بالتاريخ المصرى والعربى عموما ، لم تتلق اى دعوة من مؤتمر لندن للاشتراك فى بحث التاريخ المصرى الحـديث ، اذ حرصت جامعة لندن على أن يكون المشتركون فى هذا المؤتمر هم العلماء الغربيون وتلاميذهم من علماء اسرائيل . والمدرسة الغـربية فى التـاريخ المصرى هى التى كتبت تاريخ مصر فى القرن الماضى وأوائل القرن العشرين ، وقد ملأت هذا التاريخ بالأخطاء المتعمـدة والتفسـيرات الخاطئـة ، وبررت هذه المدرسة التاريخيـة كثيرا من أسـاليب الاستعمار الغربى ، أما الهنـود الذين لم يدعوا الى مؤتمر لندن،فانهم يمثلون مدرسة جديدة فى النظر الى التاريخ المصرى . انهم أقرب ما يكونون الى النظرة المصرية العربية نفسها . ويعود ذلك بالطبع الى أنهم لا يرتبطون بمصلحة معادية لمصلحة الشعب فى مصر، وهم فى نفس الوقت أصحاب تجربة متشـابهة مع التجـربة المصرية ... لقد عانوا من الاسـتعمار الانجليزى بنفس الدرجة القاسية التى عانينا منها.

لذلك كله لم تفكر مدرسـة الدراسات الشرقيـة بجامعة لندن فى توجيه الدعـوة الى علمـاء الهنـد المهتمين بالتـاريخ المصرى . كذلك لم توجه الدعوة الى علماء الروس ، رغم أنهم بذلوا مجهودات رائعـة فى دراسـة التـــاريخ المصرى ، ورغم أنهم يمثلون مدرسة جديدة بارزة فى ميدان الدراسات المصرية.

وهكذا يبدو أمامنا بوضوح أن هذا المؤتمر لم يقم على نية علميـة حسـنة ... لقد تعمـدت مدرسـة الدراسـات الشرقيـة أن توجـه الدعـوة الى الذين لا يتعاطفون مع التاريخ المصرى ولا مع مصر نفسها ، بينما حرم المتعاطفون مع مصر والتاريخ من الاشتراك فى هذا المؤتمر .

ولكن ما هو الهدف من وراء هذا المؤتمر ؟

الحقيقة ان الغربيين قد أحسوا منذ زمن بحـركة علمية كبيرة تجرى فى مصر هى حركة اعادة كتابة لتاريخ وان لم تثمر هذه الحركة عملا كبيرا شـاملا حتى الآن ، وبالطبع لم تكن هذه الحركة اجراء مريحا بالنسبة للغربيين الذين تعـودوا على أن يكونوا هم أنفسهم مصدرا لتاريخنا ومرجعا أساسيا فيه . اما الآن فقد أوشكت المسألة أن تفلت من أيديهم . ان جيلا جـديدا من العلمـاء المصريين الأكفـاء سـوف يتناولون التاريخ المصرى من جديد . ويقدمون حوله آثارا علمية لها خطرها وقيمتها ، وسوف تغير هذه الدراسات الجديدة كثيرا من القيم التى بذرها العلماء الغربيون فى الأذهان عن تاريخ مصر .

ولذلك فقد فكرت جامعة لندن فى أن تأخذ المبادرة العلمية ، وتسبق جهود المصريين فى كتـابة تاريخ مصر . ولو نجحت هذه المحـاولة فسـوف تصـدر دراسات عديدة جديدة عن التاريخ المصرى تصادر ـ بكل وضوح ـ أى محاولة علمية من جانبنا لتصحيح هذا التاريخ .

وفى مقدمة أهداف هذا المؤتمر كذلك أن العلماء الغربيين يريدون أن يعـرفوا ماذا يدور فى أذهـان علمائنا المصريين حول التاريخ المصرى ، وذلك لفهمه أولا ، وللرد عليه بعد ذلك .

ومن أهداف هذا المؤتمر أيضا « **التشكيك** » فى أسلوب المقاطعة العـربية لاسرائيل . ان المقاطعـة العربية لاسرائيل مقاطعة شاملة فى ميدان السياسة والاقتصاد . ولكننا كما أشرت فى أول هذا المقـال

لا نقاطع المؤتمرات العلمية التى تحضرها اسرائيل . والأوساط العلمية الغربية تريد أن تستغل هذا الموقف لتقول للعالم : ها هم العلماء المصريون يجتمعون مع العلماء الاسرائيليين .. أى ان الاتصال الثقافى بين العرب واسرائيل ممكن . وهم يحاولون الافادة ــ دعائيا ــ من هذه النتيجة الى أقصى حد .

وتجد أخيرا أن من أخطر الاهداف لهذا المؤتمر اتخاذ موضوعات التاريخ المصرى مبررا لمناقشة كثير من القضايا السياسية والاقتصادية فى الأوضاع الراهنة للجمهورية العربية . ويظهر هذا الهدف واضحا فى أن المدعوين للمؤتمر ليسوا كلهم من علماء التاريخ ، بل هناك أساتذة فى العلوم الاقتصادية والسياسية . وقد انعكس هذا الاختيار على موضوع البحوث التى ستعرض فى المؤتمر ، حيث تشمل هذه البحوث عددا كبيرا من الموضوعات السياسية والاقتصادية . فمن بين المدعوين الى هذا المؤتمر : العالم السياسى « فاتيكيوتس » وهو من أصل يونانى وله كتاب مشهور عن «الجيش المصرى فى السياسة»، ويحمل الكتاب اتجاهات معادية لنا ، تتميز بعدم الفهم وسوء النية . فهو يقول فى كتابه ان الثورة المصرية حكم عسكرى وضع حدا للتجربة الديمقراطية فى مصر . مما يدل على أنه لم يفهم الثورة المصرية، كما أنه تجاهل ــ عن عمد وقصد ــ حقيقة الديمقراطية المصرية قبل الثورة ، فلقد كانت هذه الديمقراطية ــ فى وجهها الصحيح ــ ديكتاتورية للاقطاعيين والرأسماليين ضد الشعب . أما الديمقراطية الصحيحة فلم تعرفها مصر الا بعد الثورة . فقد بدأت الثورة تجربتها الديمقراطية من النقطة الأساسية التى ينبغى أن تبدأ منها الديمقراطية الصحيحة وهى : المساواة الاقتصادية التى تقوم على أساس سليم من العدل الاجتماعى . والبحث الذى سيقدمه « فاتيكيوتس » الى مؤتمر لندن عنوانه « التطورات الاجتماعية فى مصر منذ انقلاب ١٩٥٢» .. ولايخفى ما فى تسميته للثورة المصرية باسم الانقلاب من خطأ وسوء نية واضحين .

وهناك نموذج آخر هو : «ناداف سافران» وهو أستاذ فى جامعة هارفارد وصهيونى معروف ، وله كتاب عنوانه « مصر تبحث عن مجتمع سياسى » ، وفى هذا الكتاب يقول : ان ثورة ٢٣ يوليو هى ردة فكرية الى التيار الدينى فى مصر . والكتاب بالطبع لم يفهم الأبعاد التقدمية الحقيقية للثورة المصرية ، وهذا العالم الصهيونى له أيضا كتاب عن «الولايات المتحدة واسرائيل » وفى هذا الكتاب يمجد اسرائيل ويدعو اليها دعوة واضحة . وسوف يقدم «سافران» الى المؤتمر بحثا عن « الفكر السياسى فى مصر بعد ١٩٥٢ حتى الميثاق الوطنى » .

ويمثل اسرائيل فى هذا المؤتمر أستاذان فى الجامعة العبرية هما : جاكوب لانداو وهو مؤلف كتاب « الأحزاب والبرلمانات فى مصر حتى ١٩٥٢ » .

وسوف يقدم لانداو الى مؤتمر لندن بحثا عن « التجارب البرلمانية فى مصر بعد ١٩٥٢» أما العالم الاسرائيلى الثانى فى المؤتمر فهو « جبرائيل باير » وله كتاب عن « تاريخ الملكية الزراعية فى مصر حتى عام ١٩٥٢ » وسوف يقدم الى المؤتمر بحثا عن « المسالة الزراعية فى مصر قبل ١٩٥٢ » .

وكل هذه النماذج تؤكد أن المؤتمر سيحاول أن يتحدث بالدرجة الأولى عن الثورة وعصر الثورة فى مصر .

ومن هنا كان واجبنا أن نقبل الدعوة الى هذا المؤتمر ، فانها بمثابة نوع من التحدى ، وان كان هذا التحدى يأخذ شكلا علميا ناعما . وعندما نشترك فى هذا المؤتمر فاننا نقف بعلمائنا فى وجه اى محاولة لتشويه تاريخنا وثورتنا ، خاصة وأن هذه المحاولات تختفى وراء العلم وتحاول أن تظهر بمظهر الحياد الفكرى الذى يجعل منها أشبه بمؤامرة واسعة النطاق لبث الأفكار المختلفة ضدنا فى جامعات العالم كله . لذلك فان من واجبنا أن نتصدى لهذه المحاولة بوسائل علمية، وأن ندخل الميدان بلا تردد، حتى لا يقدم هذا المؤتمر أبحاثه عن مصر دون أن تدور حولها اى مناقشات ، فمن الواجب أن تكون نتائج المؤتمر ودراساته خاضعة لمناقشات علمائنا وتصحيحاتهم وردودهم على كل صغيرة وكبيرة فيها .

لهذا كان من الطبيعى أن نشترك فى المؤتمر ، وقد وجهت الدعوة الى عدد من علمائنا قبل ثلاثة منهم هذه الدعوة بالفعل وهم : الدكتور عبد الحميد البطريق أستاذ التاريخ الحديث بكلية البنات ، والدكتور محمد جمال الدين الشيال أستاذ التاريخ الاسلامى بجامعة الاسكندرية والدكتور محمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة . وستتكفل جامعة لندن بنفقات السفر والاقامة لهؤلاء العلماء .

وهناك مسئوليات عاجلة يجب أن تتحملها الجهات

الرســمية والعلمية عنـدنا بصورة كاملة ، حتى لا يصبح تاريخنا فريسة سهلة فى أيد غير أمينة ٠

ولقد أشرت الى بعض هذه المسئوليات التى يجب أن نتحملها ، حماية لتاريخنا وحرصا عليه ، فى جريدة الجمهورية اشارة سريعة ، وأستاذن القارىء فى أن أعيد الحديث عن هذه المسئوليات بشىء من التفصيل٠

وابسط مسئولياتنا امام مؤتمر لندن ان نزيد ـ من جانبنا ـ عدد علمائنا المشتركين فى هذا المؤتمر والا نكتفى بهؤلاء العلماء الثلاثة الذين دعتهم جامعة لندن ٠ من واجبنا ان نرسل عددا أكبر من العلماء على ان يقدموا مجموعة شاملة من البحوث عن تاريخ مصر ٠ وبذلك يكون لنا وجـود علمى كبير فى هذا المؤتمر يستطيع ان يفرض وجهـة نظره ويدعمهـا بالوثائق العلمية الكافية ٠ ويجب أن تتكفل الدولة نفسهـــا بنفقات هؤلاء العلمــاء الذين تختـــارهم للاشتراك فى هذا المؤتمر ٠٠٠ والذين لم يتلقوا دعوة من جامعة لندن التى اقتصرت على دعوة العلماء الثلاثة الذين أشرنا اليهم ٠

ولقد كان من واجبنا أيضا منذ البداية أن نفكر بأسرع وقت فى عقد مؤتمر للمؤرخين العرب ، على أن يعقد هذا المؤتمر فى القاهرة ، ويدعى اليه العلماء الاجانب المهتمون بالتاريخ المصرى وخاصة العلماء المتعاطفين مع التـــاريخ المصرى والثورة المصرية ٠ وما أكثرهم فى شتى أنحاء العالم ٠

ان مؤتمرا مثل هذا المؤتمر ســوف يكون بداية صحيحة لاعادة كتابة تاريخنا من ناحية ، وللاتفاق من ناحية أخرى على الميادين الجديدة والمناهج الجديدة التى يجب أن نعتمـد عليها فى اعادة كتـابة هـذا التاريخ ، وسوف يكون مثل هذا المؤتمـر أســاسا سليما لتصحيح كل الأخطاء التى انتشرت عن عمد او غير عمد ـ فى الكتب الغربية عن التاريخ المصرى ٠ ومثل هذا المؤتمر يستطيع أن يكشف أيضـا عن الموضوعات الجديدة التى تستحق الدراسة بالنسبة للتاريخ المصرى حتى لا نقف عند الموضوعات التقليدية القديمة ٠ فهناك على سبيل المثال موضوعات نحو : نشأة الاقطاع المصرى ، ونشأة الرأسمالية المصرية ، ونشأة الطبقة العاملة المصرية ،وكل هذه الموضوعات التى لم تبحث من قبل بطريقة علمية جدية يجب أن تبحث وتدرس على أوسع نطاق ٠ ويجب أن نحاول باســـتمرار الكشف عن الخصائص الخاصة فى هذه القوى التى صنعت تاريخنـا الحديث ٠ فهناك بكل تأكيد خصائص متميزة لهذه القـوى ٠٠ خصـائص تختلف عما نجده فى المجتمعات الاخـرى وخاصــة فى المجتمعات الغربية ٠

هناك خطوات اخرى يجب أن نبذلهـا لنصـون تاريخنا حتى لا يصبح مادة سهلة فى أيدى العلمـاء الغربيين يتصرفون فيه كما تشاء لهم اهدافهم ، ومن هذه الخطوات :

اولا : جمع الوثائق التاريخية والاهتمـام بها ، فقـد تقلصت دار الوثائق المصرية الى مخزن صغير ضيق يعلوه الغبار ، وتتكدس فيه هذه الثروة الثمينة المتصلة بتاريخنا كله، ويجب أن ننشىء لهذه الوثائق بناء واسعا منظما الى اقصى درجات التنظيم ، على أن يضم هذا البناء الجديد الوثائق المبعثرة فى دار الوثائق بعابدين ودار المحفوظات بالقلعة ودفترخانة المحكمة الشرعية ودفترخانة وزارة الأوقاف ٠ ولا بـد من تأليف لجنة عليا للوثائق المصرية تحصرها وتدرسها وتحافظ عليها ، وتقـوم بعمليـة شـاملة لتنميـة « الارشيف المصرى » الذى يمكن أن يتخـرج منـه بلاشك جيل جديد من علمائنا المصريين بل جيل جديد من علماء العالم المهتمين بالدراسات المصرية٠ والحقيقة أن الوثائق المصرية لم تخط ـ فى تنظيمها ـ خطوة واحدة منذ أن قام الملك فؤاد بتنظيم جزء منها ليجعله أساسا للدراسات التاريخية « المزيفة » التى كتبت فى عهده عن أسرة محمد على ٠

ثانيا : يجب أن نجمـع بمنتهى الحـــرص كل مذكرات الزعمـــاء المصريين بحيث تكون نصـوصها تحت أيدى العلماء والباحثين ٠

ثالثا : لا بد من نشر الرســائل العلميـة التى يكتبها شـباب العلمـاء عندنا عن التـاريخ المصرى والتاريخ العربى ، فكثير من هذه الرسائل للأسف لا تجد فرصة للنشر وتظل ضائعة مبددة رغم قيمتها واهميتها ٠

هذه صـورة من واجباتنـا نحو تاريخنـا كمـا اسـتطعت أن أستخلصها من مناقشـاتى مع بعض علمائنا الكبار ، وبخاصــة أستاذنا العـالم الكبير الدكتور محمد انيس ٠ انها واجبات هامة يجب أن نتحملها ـ على مسـتوى الدولة والتنظيم الشـعبى والجامعات، فى سبيل تاريخنا حتى يصبح هذا التاريخ قلعـة منيعة لا يستبيحها أعـداؤنا بأى شـكل من الأشكال ٠

رجاء النقاش

الفلاح في الشعر العربي (*)

وتصوير شقائه

بقلم : محمد عبد الغني حسن

- ٤ -

من المؤكد ان استجابة الشاعر لمشهد يراه ، او حادثة تقع عينه ، او لتجربة يمر بها او تمر به تختلف بحسب استعداده لتلقي الصور المادية والمعنوية، وبحسب قوة التخيل عنده، وبحسب عواطفه ومقدار انصهارها وانفعالها ، وبحسب قدرته على التلوين ، وبحسب مقدرته على ربط العلاقات بين الأشياء حسية كانت أم معنوية ، وبحسب ما قد يكون راسبا في أعماقه نتيجة خبرات سابقة او قراءات أو مدخرات ماضية .

فالناعورة – أو كما نسميها الساقية – هي آلة بسيطة غير معقدة ، مزودة بقواديس تحمل الماء من البئر لتلقيه في القنوات ، ويجرها حيوان زراعي – غالبا ما يكون الثور – وهي تدور ليدور معها الحيوان في محيط دائم لا يتغير مساره ، وتحدث في دورانها صوتا خاصا يعرفه سكان الريف ... هذه الصورة البسيطة قد نظر اليها شاعر عربي عصري من شعراء العصر الوسيط نظرة خاصة ، فتوهمها خائفة ولهانة ، وتصورها تدور هذا المدار الدائم من باب الحيرة ، وتخيلها تبحث عن الماء والماء فوقها محمول :

ناعورة مذعورة
ولهانة وحائرة
الماء فوق كتفها
وهي عليه دائرة

ونظر اليها الشاعر « **محمد مفيد الشوباشي** » من ناحية صوتها فجعله نواحا ، واكتفى من هذا الملحظ التشبيهي بهذا القدر ، لم يجاوزه الى ما هو أبعد ، فلم يقل لنا – مثلا – لماذا تنوح هذه المسكينة : أهي تنوح لما ينوح الناس لأجله من فراق حبيب ، أو ظلم صارخ ، أو الم ممض ، أو هوى مبرح ؟!

ثم جاء الشاعر « **كمال بسيوني** » فجعل بكاء الساقية وانينها حزنا على الفلاح الشقي الذي يكد ويحظى غيره بثمرات كده ، وهو جائع عريان :

دعها تئن وتبكي ... ان فيك فتى
سواه يحصد وهو الباذر العاني
جوعان ، عريان ، يكسوهم ويطعمهم
ظمآن يسقيهمو من دمعه القاني

وهذه العاطفة الوجدانية بين الناعورة وهي جماد، وبين الفلاح الشقي المحروم البائس وهو انسان يحس ويتالم ، هي دليل على احساس كامن بسوء حالة فلاحنا عبر عنه شاعرنا على طريقته وفي حدود طاقاته في الخلق والفن والخيال .

ولكن الغريب أن الشاعر « **محمود حسن اسماعيل** » امام شعراء الريف ومدره الفلاح القدير، قد جعل هذه العاطفة بين الناعورة وبين الثور الذي يجرها ويديرها ... فنقل الاحساس بالألم والشقاء نقلة عجيبة من دنيا الانسان الى دنيا الحيوان ... حين يقول في وصف الساقية – أو الناعورة – من قصيدته : « القيثارة الحزينة » :

دءوبة الشكوى على راسف
في الذل مفجوع على جهده
دارت به البلوى فما راعه
الا عماء غال من رشده
وضلة يسعى بلا رائد
على سبيل فل من جهده
أعمى رماه البين في دارة
لم يدر نحس الخطو من سعده
شدت حبال الذل في راسه
وفت صرف الدهر في كبده

مناوح الضـــجة فى اذنــه
وملعب السـوط على جلده ...

فالثور هنا ينال من احساس الشاعر ما لم ينله الفلاح . ولعل تقارب الصلة بين الساقية والثور اكثر ارتباطا مما بين الساقية والفلاح الذى قد بعد عن الصورة ، فبعد عن الظهور ، فبعد عن الاحساس بشقائه . والتلازم هنا فى « التداعى » هـو الذى املى على محمود حسن اسماعيل الاحساس بالعذاب الذى يرسف فيه الثور . ومما يؤكد هذا أن شاعرنا الكبير قد كرر الفكرة نفسها فى قصـيدة « من الراعى » احدى قصائد ديوان « أغانى الكوخ » حيث يقول :

وكم ناعـورة ناحت
على مستعبد فيهـا
أسير السوط كم ضجت
له يومـا اغانيهـا
شربنـا المدمع الصافى
نميرا من مآقيهـا ..

وتظل الساقية أو الناعورة تئن وتبكى حزنا على الثور المستعبد ، المقيد ، المعصـوب العينين ، فى شعر محمود حسن اسماعيل حتى سنة ١٩٣٥ ، الى أن نراه بعد ذلك التاريخ ، وفى ديوانه : « هـكذا اغنى » . المطبوع سنة ١٩٣٨ يترك حكاية الثـور المفجوع على حظه التاعس ، ويجعل أنين الساقية بكاء وحزنا على الفلاح نفسه ... على الانسان المعذب . وقد لا يكون الفلاح هنا ماثلا فى اللوحة الشعرية مع الساقية ومع الثور الذى يديرها ، ولكن محمود حسن اســماعيل « استحضره » حتى تتم عملية الاحساس الكامل بالألم فى أبشع صوره : احساس بالألم عند الثور الذى قيدته يد الظلم ، وعند الفلاح الذى يشارك الثور فى تعس الحظوظ :

والسـواقى مفجعـات عليـه
نائحـات تريق من عبراتـه
عندهـا الثور قيدته يد الظلـ
ـم ، وهذا حليفه فى سماته !

على أن الفلاح الشقى الكادح لغيره والمؤثر غيره على نفسه لم يمنع تصوير شقائه من أن يوصف بالسعادة عند بعض الشعراء ، وهو وصف يؤكد ما فى العمل نفسه من ايحاء بمعنى السعادة ، على الرغم مما يكابده العامل من تعب وهبوط فى مستوى العيش . وهـذا المعنى « الطوباوى » الجميل قد احسن التعبير عنـه الشاعر المصـور الريفى المبدع « **عبده بدوى** » فى قصيدته « الفلاح السعيد » وفيها يقول :

انا الفــلاح كم صـلت
اغـاريدى عـلى الأرض
فبعضى قام فى نخــل
وفى عشب هـوى بعضى
صـعدت سماءهـا طيرا
وردت بروضهـا دوحـه
وكنت الريشـة الخضـراء
فى اخراجهـا « لوحـه »
صحبت البذرة العـذراء
حتى أصـبحت ورده
ولـمـا دار نهداهــا
لممت الشعر فى عقـده

ويظل الفلاح فى هذه الأغنية السعيدة يعدد لنـا وجوه سعادته ، حتى بطفلته التى تشـم القمح فى جسده فتسأله عن القمح ... ثم يحكى لها قصصه حتى تنام وتذهب فى حلمها الوردى ، ثم يصحو على صوت عصفور يناديه من فوق ربوة :

فارســل غنوتى البيضـا
« للفصــن الذى اثمر
وللأرز الـذى ينمــو
وللقطن الذى اقمر !

وهذا الرضى أو تلك السعادة عند الفلاح فى شعر عبده بدوى لم يكونا خنوعا ولا استكانة ، بل كان وراءهما تصميم على الخلاص من الظلم . فهذه « القرية الطيبة » فيها اصرار وعزم على التحرر :

هنا من القــرية الخضراء حيث جزائر الشـجر
فئــوس تنقش التاريخ فـوق جوانب القمر
وقوم اقســموا بالجوع مطروحا على الســهر
لسوف نشق قلب الظلم! قلب وجوده الحجرى ..

وهذا الشعور بالسعادة عند الفلاح ، على الرغم من أله ، هو نتيجة ـ عند الشاعر عبده بدوى ـ للحب الذى يملأ كيانه ، والايمـان العميق الذى يتخلل بنيانه . وهذا الفلاح « حمدان » يقول فى ثنائيـة شعرية بينه وبين « حميدة » :

الحب لم يصبح غناء أو هتافا في الصدور
الحب فيما طرزت كفاى في الحقل الكبير ..

والشاعر هنا يحيل الحب الى عمل ، والى باعث على العمل ودافع له . وما أقوى حب حمدان وهو يخاطب فتاته « حميدة » قائلا عن الحب :

فلتسمعيه نبضة مصرية بين الجذور
ولتبصريه جنة لقاء صادحة العطور
حبى له جذر .. له ساق ، له ثمر منير ..

والحب في الريف عند عبده بدوى وفي قصيدته « تذكار » هو الكفاح ، والبناء في اصرار ، والبذور التى تستحيل مع العمل والكدح الى اشهى الثمار :

عرقا الحب في الحياة كفاحا
وبناء يقيمه اصرار
وبذورا اذا رماها فغنت
بين أهدابها ثمار تدار

والحب عنده كذلك هو الذى جعل الفلاح يغرس الأرض ايمانا ، ويطرزها حبا :

فانى قد غرست الأرض اصرار وايمانا
وقد طرزتها بالحب رابية ووديانا
فنيت بها فالقتنى على الريحان ريحانا

واذا كنا نجد في الشعر العربى منذ عصوره الأولى نغمة الحنين الى الوطن عند الاغتراب . فاننا نجد عند بعض شعرائنا المعاصرين نغمة الحنين الى القرية والى الريف . وقد جذبت المدينة كثيرا منا - نحن الشعراء - اليها ، فقطع بعضهم صلته بالريف حين أخذته الحواضر بزحامها . ولكنا لا نعدم عند شاعر أو آخر نوعا من ذلك الحنين الذى صوره لنا الشاعر سيد قطب في ديوانه « الشاطئ المجهول » ، وفي قصائده التى جعل عنوانها العام : وحى الريف ، فقد عاد شاعرنا الى الريف سنة ١٩٣٣ بعد أن غادره صبيا ، فخاطبه قائلا :

انى فقدتك في الطفولة غافلا
عما حويت من الوجود السامى
لكن وجدتك اذا كبرت بخاطرى
رمزا أحيط بغمرة الابهام
وتكشفت نفسى فلحت ، كانما
نفسى وأنت جمعتما بتؤام
ووجدت أحلامى لديك وضيئة
لم تبل جدتها يد الأيام
واليوم عدت اليك أحسب أننى
طير يؤوب بعد جهد دامى
يا ريف ! تدعونى اليك ، وأننى
للمستطار الى لقاك الظامى

والحق أننا لا نحس في هذه الأبيات الفاترة حرارة في العاطفة ، ولا تحرقا في الشوق ، ولا فرحة كبرى في العودة ، كمثل الذى نجده في قصيدة « عائد الى القرية » للشاعر عبده بدوى الذى يرقصنا كل بيت من ابياته فيها ، كانما نشارك - نحن أهل المدن - الشاعر فرحته الضافية بهذه العودة ! فالصور الريفية عنده حية زاهية فتانة الألوان ، والشعور عنده ينتفض انتفاضات كبرى نابعة من القلب ، لا من الصور التقليدية التى ارتطم الشاعر سيد قطب فيها بمثل تعبيراته : « الوجود السامى » ، ولم تبل جدتها يد الايام » . ونكتفى هنا - فى هذا المجال الضيق - بذكر بعض مقاطع من قصيدة عبده بدوى : (عائد الى القرية) :

انا قد عدت يا دنياى للأحلام والنور
لأرض لم تزل تنمو وتزهر بين تفكيرى
لحقل قرب الأهداب من فوق الأساطير
وأغفى تحت ظل الدوح ريان الأسارير

* * *

انا قد عدت أشواقا تحدق فوق أهدابك
وعصفورا ينقر ماسة للفجر في بابك !
فماضى الذى قد ضاع متكئ بأعماقك
يطل بصوته ويعود مختبئا بأوراقك

* * *

رجعت لقرية تهتز بالأوراق في نفسى
أغانيها على الثغر .. وجرتها على الرأس
وماضيها يرى عريان محنيا على فأس
يرى في أوجه سمراء تحمل رهبة الشمس

الى أن يقول معرجا فى انتقالة موفقة على أهله الفلاحين في القرية :

هنا أقوامى البسطاء منكسرين كالعشب
على أجفانهم ما بين دنياهم من الحب
أحبهم فهم في الأرض ما أملك . هم شعبى
هم العش الذى يأوى اليه مرفرفا قلبى

وهذا الحب الذى يكنه الشاعر عبده بدوى للفلاح ، والحب الذى يدفع الفلاح الى العمل والى تطريز الارض بالزرع والنبات والروابى والاودية هو الامل المتجدد المعقود على الفلاح الذى حررته الثعورة من أسر الذل ، وظلم الاقطاع .

محمد عبد الغنى حسن

وحدة العالم العربي في السودان

بقلم الدكتور أحمد محمد الحوفي

لقد تبين من المقالين السابقين أن العراق والشام ومصر عريقة في عروبتها . فهل السودان عربي مثلها؟ وهل هو عريق في عروبته عراقتها ؟

لست أريد أن أتعجل الحكم بعراقة السودان في عروبته ، بل أدع التاريخ يحدث بما رآه وسمعه وسجله .

فبماذا يحدث التاريخ ؟ انه يحدث بأن علاقة العرب بالسودان قديمة ، اذ رحلت جموع من السبئيين من جنوبي بلاد العرب الى الساحل الغربي للبحر الأحمر منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وأقاموا فترات في بعض جزره مثل سقطرة ودهلك ، ثم انساحوا على الساحل الافريقي ، وجعلوا يجوبون الى الداخل بقوافل الابل ، ولا تزال أسماء بعض الأماكن بجوار مصوع وعصب تدل على توغلهم في هذه المناطق .

وقد كان اليمنيون من معين وسبا وحمير على اتصال دائم بساحل افريقية ، وتبين البحوث الحديثة أنهم أدركوا قيمة موقع زنجبار ، فاتخذوها مخزنا لسلعهم ، ومنها توغلوا الى الداخل والى البحيرات الكبرى .

ويستدل علماء الأجناس من ملامح السكان في اقليم بحيرة فيكتوريا على أن صلة العرب بالاقليم ترجع الى عهد بعيد .

ثم نزحت جماعات من بلى الى بلاد البجة قبل الاسلام ، ولم تلبث أن تبعتها جماعات من الحضارمة في القرن السادس الميلادي ، ويغلب على الظن انهم اختلطوا ببلي وامتزجوا بهم ، وكانوا جميعا في زمن المسعودي هم المسلمين دون سائر البجة ، وما زال البجة الى يومنا هذا يسمون اللغة العربية (بلويت) أي اللغة البلوية ، نسبة الى بلي التي حملت اللغة العربية اليهم .

ثم بدأت صلات العرب المسلمين بالسودان منذ بلغ عبد الله بن سعد بن أبي سرح دنقلة سنة ٣١ هـ (٦٥١ م) فمهد الطريق للاتصال الدائم ، لأنه عاهد أهل النوبة على حماية المسلمين الذين يقدمون الى بلادهم تجارا وغير تجار ، وعلى صيانتهم المسجد الذي بناه المسلمون في دنقله .

ولم يلبث العرب بعد ذلك أن اتجهوا الى السودان في جموع كثيرة يتلو بعضها بعضا .

وقد سلكت هذه الجموع الى السودان ثلاثة طرق:

أولها : الطريق الشرقي عبر البحر الأحمر ولاسيما من باب المندب ، لأن السكان في بلاد اليمن قد كثروا وآثر بعضهم الهجرة ، ومن هؤلاء المهاجرين من شخصوا الى السودان ، لسعته وخصبه وصلتهم به من قبل ، ولأن العبور اليه ميسور سهل ، وهم أهل خبرة بالملاحة التي مارسوها من زمن بعيد .

وثانيها : الطريق الشمالي الذي يخترق مصر ، لأن كثيرا من القبائل العربية كانت تهاجر الى مصر مخترقة برزخ السويس ، ثم تتجه الى الجنوب حتى تستقر بالسودان .

وثالثها : الطرق الليبية التي تصل السودان الشمالي الغربي بصحراء ليبيا ، وبعض هذه الطرق يشمل مصر وبرقة ، وبعضها يبدأ من تونس وطرابلس وفزان ، وبعضها يبدأ من الصحراء مباشرة .

ولقد كان العرب الذين يهاجرون الى السودان يطمئنون الى المقام به ، لأنهم يجدون اخوانهم قد سبقوهم الى هناك ، ويجدون المراعي الكثيرة الصالحة للابل والبقر ، ولهذا كان منهم الأبالة (رعاة الابل) والبقارة (رعاة البقر) .

وليس من غرضي في هذا البحث أن أفصل المقال في هذه الهجرات ، ولهذا أكتفي بأمثلة لها :

١ ـ حينما قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) فر كثير من الأمويين وأتباعهم الى مصر ،

فى ألفين أو أربعة آلاف ،فتعقبهم العباسيون، فهربوا الى السودان ، وأقاموا فى منطقة سنار ، ثم انضم اليهم كثير من العرب الذين قدموا من الجزيرة .

٢ – رحلت بطون من بنى سليم – من ربيعة بن نزار – من اليمامة الى مصر فى خلافة المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ) وانتشروا بنواحيها ، ونزلت طائفة منهم بالصعيد ، ثم حاربهم الأيوبيون ، فانسحب أكثرهم من أسوان الى الجنوب ، واتخذوا بلاد مريس مركزا لنشاطهم،ولا تزال ذراريهم باقية الى اليوم فى النوبة وشمالى السودان ، وهم الذين لقبوا ببنى الكنز نسبة الى كنز الدولة أصغر زعمائهم وكان الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله قد اطلق عليه هذا اللقب مكافأة له ، لأنه ساعده على الخلاص من الثائر الأموى أبى ركوة .

٣ – ورحلت بطون من هلال الى السودان فى الحملة التى وجهها السلطان قلاون سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) الى بلاد النوبة ، ثم ارتحلت جموع منهم ومن بنى سليم الى السودان قادمة من المغرب ، ثم لحقت بهم بطون من هوارة منذ أول القرن التاسع بعد الهجرة .

٤ – كانت جهينة من أوائل العرب الذين دخلوا مصر فى عهد عمر بن الخطاب ، فاستقر معظمهم فى وادى النيل وفى الشرقية والقليوبية بخاصة ، وأقام بعضهم فى الصحراء الشرقية ، فزحفت جهينة جنوبا الى السودان . على أن الجهنيين سلكوا الى السودان طريقا آخر ، فقد كانت منازلهم بالجزيرة ما بين ينبع ويثرب ، فاجتاز كثير منهم البحر الأحمر ، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وكاثروا هنالك سائر الامم ، وغلبوا على بلاد النوبة ، وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم ، وحاربوا الحبشة فأرهقوهم ، وهناك زادت قبائلهم على الخمسين فى وادى النيل الأزرق حتى تونس ، وأقام بعضهم فى الجزء الممتد من الجنوب الى كردفان .

وما تزال الانساب العربية باقية متوارثة ، فالى جهينة ينتسب أكثر من نصف العرب بالسودان ، وينتسب آخرون الى الزبير بن العوام ، وهم العبابدة والكواهلة المقيمون على النيل الأبيض والنيل الأزرق وفى الجزيرة التى بينهما فى ناحيتى عبود وود مدنى ، وبعضهم بادون يسكنون غربى الرهد مع الحمدة ، ومن فروعهم الحسنات والشنابلة .

وتنتسب الى جذام (قدموا الى مصر منذ الفتح وأقاموا مع جهينة بالصعيد) قبيلة الكبابيش – رعاة الابل – فى شمالى كردفان ، وتنتسب الى ثعلبة (وهم من طيىء قدموا الى مصر بعد الفتح بقرنين أو ثلاثة) قبيلة البقارة فى غربى السودان ، وتنتسب الى ربيعة بنوكنز المقيمون بين أسوان وحلفا .

ويظهر أن المحالفات أحدثت بعض الخلاف فى النسب ، لأن البقارة والكبابيش الحاليين ينتسبون الى جهينة ، وهم فى الحقيقة أحلاف تجمعوا على فترات ، وتالفوا من عدة بطون لعل أهمها جذام وجهينة والهوارة وبنو هلال وبنو سليم ولخم وبلى وغيرهم .

وهناك الهوارة فى شمالى السودان : وهم من هوارة صعيد مصر ، والهلاليون فى غربى السودان ، وبنو سليم بالنيل الابيض ، وبنو فزارة فى وسط كردفان وشرقيها .

وبالسودان فروع من قريش ممثلة فى البكريين والعمريين والزبيريين والطالبيين والعباسيين والأمويين والجعفريين .

وقد أسس بعض العرب هنالك ممالك وسلطنات عربية فى السودان الشمالى ، بعد أن توالت هجراتهم وتزايد عددهم ، واشتد نفوذهم ، وكان من آثارها نشر اللغة العربية ، وتوسيع مجالى الثقافة الاسلامية وتيسير الغلبة للدماء العربية ، مثل مملكة الفنج سنة ١٥٠٤ م التى دامت أكثر من ثلاثة قرون ، وهى المملكة التى أسسها فى سنار عرب من بنى أمية ، ومثل مملكة تقلى فى الشمال الشرقى من مديرية كردفان ، أنشأها العرب فى أواسط القرن السادس عشر ، ولها فى تاريخ العروبة شأن عظيم ، لأنها مكنت للعرب أن يتوغلوا فى شمالى النوبة ، ولأنها ساعدت على نشر الاسلام واللغة العربية ، وشجعت على المصاهرة بين السودان والقبائل النوبية ، وأغرت القبائل العربية بالهجرة الى السودان والاستقرار فيه .

واذن فقد حفل السودان بالعرب ، وزخر بالانساب العربية منذ الفتح الاسلامى بخاصة ، سواء أكانت القبائل العربية قدهاجرت اليه عن طريق مصر ، أم رحلت اليه من شمالى افريقية ، أم قدمت من الجزيرة عابرة البحر الأحمر .

ومعنى هذا أن السودان صار – جنسا ولغة وثقافة ودينا وتاريخا – اقليما من الوطن العربى الكبير .

« د . **احمد الحوفى** »

قصيدتان

للشاعر: أحمد رامى

ساعة الوداع !

قلب لم يبق للتعلل داع
كل همى فى قبلة للوداع

كم توهمتها على موج ظنى
وسفين الهوى بغير شراع

كلما جاد لى الزمان بقرب
منعتنى من العناق الدواعى

وتوالت على اللقاء الليالى
وكانى ما عدت بعد انقطاعى

ويمر الزمان بين لقاء
وفراق فى لهفة والتياع

وكانى ما نلت من بعد صبرى
غير شوقى لقبلة فى الوداع

***

ايه يا ساعة الوداع لقد خا
يلت عينى بطيفك الخداع

كلما صور الخيال لى الفرقة
من بعد الفة واجتماع

نازعتنى نفسى الى ذلك المو
قف والدمع بين جفنى ساع

وهى ترنو الى نظرة اشفا
ق وترثى لحسرتى وارتياعى

فوددت الفراق على فمى
ينهل ما يشتهيه بعد امتناع

نداء ..

احببتها من غير ان ادرى
ان النوى تفضى الى الهجر

مال لها قلبى لما رأى
دمع الاسى من عينها يجرى

اصغت الى شعرى رددته
ابثه ما جال فى صدرى

فقامت الأدمع فى عينها
ثم انثنت تنهل كالقطر

بكت على شكواى من غيرها
وما درت ما جد من أمرى

يا جارة البستان بين الربا
فى الروضة الناضرة الزهر

أهكذا تمضى الليالى بنا
والشهر ينسل من الشهر

والقلب من فرط الذى شفه
يبكى على ما فات من عمرى

واخجلتا منه وقد سمته
ذل الضنى من شدة الصبر

منيته ان تطفئ شوقه
ولم يزل فى وقدة الجمر

جودى بسطر وارحمى وجده
فانه يقنع بالسطر

حرمت عينى نعمة المجتلى
فلا تذيبى القلب بالهجر



للشاعر: محمد أحمد العزب

لو أن الحب استرخى فى الأهداب ٠٠ ونام على الشفتين
لو أن الأمل الناعم هز عروش اليأس بأنملتين
لو أن الحزن لكل جراح الناس تمطى فى الأعماق
لو أن « الآخر » يحيا فينا يقظا مشدود الأحداق
كانت أيدى اللقطاء تعانق خلف جدار الليل أبا
كانت أحلام الغرقى تشعل كل جليدى لهبا

كانت كل الأفواه الجوعى تأكل ٠٠ وتغنى فرحا
وتعيد البسمة للشهداء ٠٠ تعيد الروح لمن ذبحا
وبألف تميمة حب تبحر خلف جبال الآزال
تستل الحقد من الموتى فى التيه ٠٠ وخلف الأدغال
تستل الحقد من الثاوين هناك على جبل الصمت
من كل شهيد مات على صحراء الخوف بلا موت

وتقينا لعنات الماضى الموتور وأحقاد الحاضر
لنعانق دنيا تتهلل جبهتها بالحب الناضر
فنبى الأرض ٠ الانسان المتهرىء ٠ ما زال نقيا
الحرف الأبيض يستلقى فى دمه فجرا ورديا
ولأن الحب استرخى فى الأهداب ونام على الشفتين

ولأن الأمل الناعم هز عروش اليأس بأنملتين
ولأن العالم صنع الخبز وبشر كاهنه بسلام
وتغنى بالخصب ٠٠ وغنى للفجر ٠٠ ولوح بالأعلام
ينسى الانسان الفادى كل الآلام اللاانسانية
ويرش الزهر على الشوك المسموم ويغسل أحزانه



فتح بيت المقدس

بقلم : علي أحمد باكثير

المشهد الثامن

عمرو بن العاص بمعسكر المسلمين في ظاهر بيت المقدس .

يرى صفرونيوس على رأس وفد ايلياء وهم جلوس بين يدي عمر وعنده أبو عبيدة وعبد الرحمن ابن عوف وعمرو وخالد ويزيد بن أبي سفيان ومعاوية وكعب الأحبار .

عمــر : مالي أراك عابسا أيها الشيخ الجليل ؟ ألم يوافق أهل المدينة على الشروط ؟

صفرونيوس : يا أمير المؤمنين ان شئت أن يتم الاتفاق بيننا فأخرج من اجتماعنا هذا اليهودي .

عمر : ويحك هذا ليس بيهودي . هذا قد أسلم فهو منا .

صفرونيوس : أليس كان يهوديا ؟

كعب : كنت يهوديا ولكني قد أسلمت وصرت من المسلمين .

صفرونيوس : اليهودي لا يخرج عن مسلاخه أبدا وان بدل دينه سبعين مرة .

كعب : يا أمير المؤمنين انما أرادوا أن يبعدوني لأني أعرف ما يضمرونه من كيد للمسلمين .

صفرونيوس : كلا بل لأنك تكيد لنا وللمسلمين من أجل أصحابك اليهود .

كعب : يا أمير المؤمنين أجرني من هذا الذي يتهمني ظلما في ديني .

صفرونيوس : ألم تتصل بأصحابك اليهود في هذه البلاد ؟

كعب : هم الذين اتصلوا بي لأرفع مظالمهم الى أمير المؤمنين وقد فعلت .

صفرونيوس : هاهو ذا يا أمير المؤمنين قد أقر على نفسه .

عمر : ياكعب ان شئت أن تبقى نظيفا غير متهم فاقطع صلتك باليهود فلا شأن لك بهم .

كعب : يا أمير المؤمنين انهم مظلومون في هذه البلاد . وينبغي أن تعدل بينهم وبين النصارى فهم جميعا من أهل الكتاب لا فرق بينهم الا أن هؤلاء يقولون الله واحد وهؤلاء يقولون الله ثالث ثلاثة .

عمر : ويلك يا كعب .. ان الله تبارك وتعالى قد أدبنا خيرا من ذلك اذ قال : ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن .

(يسكت كعب وينظر عمر الى أصحابه كأنه يستشيرهم) .

ابن عوف : ليس من حق هؤلاء يا أمير المؤمنين أن يقولوا نريد فلانا أو لا نريد فلانا من أصحابك . فانا لم نقل لهم هاتوا فلانا ولا تأتوا بفلان .

خالد : اجل يا امير المؤمنين ما شأنهم بكعب ان كان مسلما أو يهوديا، هذا من التعنت . ان كانوا لا يريدون الصالحة فخل بيني وبينهم فساكفيك امرهم باذن الله .

صفرونيوس : يا امير المؤمنين انا جئنا لنفاوضك ولنفاوض المسلمين لا لنفاوض اليهود .

عمر : ونحن كذلك يا امير المؤمنين انما نفاوض اهل ايلياء وهم نصارى فما ضرك لو اجبتهم الى ما يطلبون وانه لهين .

كعب : اخراجي من المسلمين هين يا ابن العاص ؟

عمرو : بل خروجك من الاجتماع يا كعب فهو ما يطلبون .

أبو عبيدة : هذا هو الرأى يا امير المؤمنين فان يعلم الله ان كعبا صادق فى اسلامه فلا يضره ذلك .

عمر : **صدقت .. اخرج يا كعب الساعة فاذا احتجنا اليك دعوناك .**

كعب : **يا امير المؤمنين كيف ترضى الدنية فى ديننا ؟**

عمرو : **(ينهره) دع عنك هذا ويلك .. اخرج .**
(يخرج كعب) .

عمرو : **الآن وقد اجابكم امير المؤمنين الى ما طلبتم فعجلوا بالموافقة قبل ان يكل امركم الى خالد فليفتحنها عليكم عنوة .**

صفرونيوس : **اننا قبلنا الشروط جميعا الا ان يؤذن لليهود بدخول المدينة فهذا ما لانقبله بحال .**

عمر : **لكن بها مآثر الانبياء والرسل وهى تراث للمؤمنين على اختلاف اديانهم فكيف تمنع عنها اليهود ؟**

صفرونيوس : **ان هرقل قد اجلاهم من المدينة والزمهم ان يبتعدوا عن اسوارها ثلاثة اميال ونحن لا نرضى بغير ذلك .**

خالد : هرقل لم يبق له فى ايلياء حكم ولا أمر .

صفرونيوس : لكن شعب ايلياء هم الذين طلبوا من هرقل ذلك لما ارتكبه اليهود اثناء احتلال الفرس من تنكيل بالنصارى وتدمير لكنائسهم .

عمر : انما ارتكبوا ما ارتكبوا لأن كان الفرس يمالئونهم عليكم اما نحن فاطمئنوا فلن يقع مثل ذلك منا ابدا .

صفرونيوس : انكم لا تعلمون ما يستطيع هؤلاء الأبالسة ان يقوموا به من الدس والوقيعة بيننا وبينكم حتى يوغروا صدوركم علينا أو يوغروا صدورنا عليكم الا ترون أن احدهم قد طلع لنا من بين أظهركم زاعما أنه مسلم وهو يهودى عريق .

كعب : (يتطلع من باب الخيمة) يا أمير المؤمنين احمنى من لسان هذا النصرانى المتعصب .

صفرونيوس : انه بقى معنا ولم يخرج .

عمر : ويلك يا كعب .. اذهب ذهب الله بك .. نحوه عن الباب .

(يجذبونه فيخرج) .

صفرونيوس : ارايت يا امير المؤمنين ؟ كيف نأمن هؤلاء اذا اقاموا بيننا فى المدينة ؟

عمر : اذن فسنشترط لكم الا يساكنكم أحد من اليهود فى المدينة على الا يمنعوا من الزيارة والحج .

صفرونيوس : لقد كانوا ممنوعين ان يطأوا ترابها فى عهد هرقل .

عمر : دعنى من عهد هرقل .. انكم لاتريدون أن يساكنكم اليهود ليس من أجل أنهم من اتباع موسى عليه السلام ولكن لغدرهم وجشعهم وقسوتهم وكبريائهم على من سواهم . ونحن قد اخرجناهم من مدينتنا كذلك ليس من أجل انهم يهود بل لما غدروا ونقضوا العهد ومالئوا العدو .

صفرونيوس : انك لتعرفهم جيدا يا امير المؤمنين .. انهم هكذا منذ كانوا ولقد كانوا يحرضون هرقل عليكم من قبل ليقضى على دينكم قبل ان يعظم امره . فلما رأوا انكم منتصرون اليوم طفقوا يترددون اليكم ليغروكم بنا ولتنتقموا لهم منا .

عمر : لتنتقم لهم منكم ؟ هذا والله لايكون ابدا قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود .. والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون .

صفرونيوس : أهذا فى كتابكم ؟

عمر : نعم .

صفرونيوس : فما بالكم تدافعون عنهم وهم أشد الناس لكم عداوة ؟

عمر : ان ديننا يأمرنا بالعدل والاحسان . ومن العدل والاحسان الا يضار مؤمن فى دينه . ولا يمنع من اداء شعائره . وبايلياء مآثر الرسل والأنبياء . ونحن نؤمن بهم جميعا ولا نفرق بين أحد منهم . والله هو الهادى واليه مصير العباد . قال تعالى : وقالت اليهود ليست النصارى على شئ . وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

صفرونيوس : فنحن كذلك نؤمن بالرسل جميعا ولا نفرق بينهم ولكن اليهود هم الذين يفرقون يا أمير المؤمنين ، انهم يكفرون بالسيد المسيح ويقولون فى أمه الأقاويل .

عمر : قاتلهم الله انى يؤفكون ، بسم الله الرحمن الرحيم اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر . قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون .

صفرونيوس : أهذا فى كتابكم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم .

صفرونيوس : قد قبلنا اذن يا أمير المؤمنين .

عمر : اقرأ يا معاوية كتاب الصلح .

معاوية : (يقرأ) بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعطى عبد الله عمر امير المؤمنين أهل ايلياء من الامان ، أعطاهم أمانا لانفسهم واموالهم وكنائسهم .. وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم .

عمر : على رسلك .. اضف هنا فى هذا الموضع .. ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود .

معاوية : (يكتب) ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود .

صفرونيوس : خذ ياأمير المؤمنين هذه مفاتيح بيت المقدس !

« ستار »

ذكرى لقاء

للشاعر : إبراهيم شعراوى

تساءلت : يا قلب هل كان فجرا ... لقانا على الشط ام كان عصرا
فابصرت قلبى فى حيرة ... يحملق فى وقد رام امرا
وانصت وهو يقول : التقينا ... مرارا مساء وصبحا وظهرا
نعم ، لحظة كان ذاك اللقاء ... ولكنه دام طيفا وذكرى
لماذا رايتك فى المنحنى ... وغذيت روحى باغلى المنى
لاهدر معنى الاباء بقلبى ... وامضى بهذا الورى مذعنا ؟!
لاحصى النجوم واحيى الهموم ... واقطع فى الفجر خيط السنى !
هلال يضىء على الجبهة ... وصدر يعربد بالفرحة
وقهقهة كخرير المياه ... تخط النهار على صفحتى
بلى غضة انت كالبرعم ... وانت شذى الورد يا ملهمى
وكالفجر فى وجهك الباسم ... ارى نشوة الفرح الدائم
وانصت للدف يرسل ايقا ... عه وينغم نبضة قلبى
والثمه حين ياتى وئيدا ... مع الموج من قارب فيه حبى
وقد شف مثل وشاح الحرير ... يؤملنى بالزفاف النضير
احبك انت اخضرار الحياة ... ودفء الدماء وشدو الطيور
لقد كان عهدا وديعا وئيدا ... تسرب فى خاطرى .. كيف مرا
نعم لحظة كان ذاك اللقاء ... ولكنه دام طيفا وذكرى

للقدماء ظروفهم

بقلم الدكتور أحمد كمال زكى

من عرضى السابق لتاريخ الشعر العربى يظهر لنا ان هذا الفن «شىء» خاص يختلف كل الاختلاف عن النثر ، وان نشأته مرتبطة بالانشاد كايقاع له قيوده جعل « الوزن » شرطا أساسيا فيه . وهو فى ذلك ـ وبغض النظر عن وجهة نظر ارسطو (١) ـ التى تبدو غريبة علينا ولا تخلص من اعتراض ـ لا يختلف عن شعر الأمم الاخرى من حيث النشأة المرتبطة بالموسيقى والرقص .

ان اتخاذ الفنون الثلاثة على هذا النحو يشرح لنا بسهولة علاقة الوزن بحركة الراقص وبايقاع النغم، ولكنه يحتاج الى أن نقول ان ارتباط الشعر خاصة بالعاطفة عندما تصل الى قمة توترها ـ وهى فى هذه القمة تهتز فى موجات متساوقة على ما تؤكده الأجهزة العلمية الحديثة ـ جعل الهزات المترددة التى يقوم بها « الوزن » هى المجال الطبيعى بل الوحيد لكل شعر . ومن هنا نفهم لماذا يصر كبار النقاد على التشهير باصحاب الشعر الحر الذين يتحررون تماما من تعاقب الايقاعات المنتظمة فى اعمالهم .

والشعر الحر ليس هو الشعر المرسل فى الأول يسلك الثائرون على العروض كتقليد ضرورى ، وهم عندنا اصحاب القصيدة المنثورة ! وفى الثانى يسلك اغلب شعراء اوروبا ما بعدوا عن أناشيد السوناتا والبالاد ونحوهما ، كما يسلك بعض مجددى العرب من الشباب .

الشعر اذن من نشأته والى اليوم هو الكلام الموزون وقد كان دائما يبحث عن « الشكل » الذى يتنوع الوزن داخله . واهتدى قدماؤنا ـ وهم لهم ظروفهم الخاصة ـ الى أنماط حصرها الخليل بن أحمد فى الأبحر المعروفة ، وكان صنيعه فى حد ذاته محاولة منه الى أن يفرق بين الوزن واطاره . فالوزن مسلم به ولكن الاطار فيه نظر ! الأول جوهر ثابت ، والثانى عرض متغير . ولقد اضاف هو الى الأطر الجاهلية بحرين محدثين هما المجتث والمضارع ، اخترعهما المسلمون ، وأضاف الأخفش تلميذه البحر المتدارك (٢)

هذا فى الوقت الذى خلت فيه الدائرة العروضية من أوزان جاهلية ترد فى أشعار عبيد بن الابرص وامرىء القيس وغيرهما ، ومن أوزان أخرى أحدثها واحد كابى العتاهية الكوفى وآخر كعبد الله ابن هارون البصرى مؤدب آل سليمان . قال ياقوت « وكان عبد الله بن هارون يقول أوزانا غريبة من العروض فنحا رزين نحوه فى ذلك فأتى فيه ببدائع جمة ، وكان رزين من اصحاب « دعبل الخزاعى الشاعر » (٣)

تلك الحقيقة مهمة جدا فى فهم طبيعة الشعر العربى ، وعن طريقها نقرر أن المعركة التى كانت تدور دائما بين القدماء والمحدثين ـ على شتى الأدهار ـ لم تنكر قط الوزن ، ولكنها حاولت أن تحطم الشكل الثابت الذى التزمته الاطر على نحو ما استقرت عليه فى دائرة الخليل .

ظل الوزن دائما قيدا مقدسا لم يكن من حق

(١) راجع « تاريخ الشعر اولا » المنشور فى العدد ١٠٩٢ من الرسالة صفحة ٢٧

(٢) العمدة ١ : ٨٨ ـ الأغانى ٦ : ١٨٥ ، ٢١ : ٦٩ (ط ساسى)

(٣) ارشاد الأريب ٤ : ٢٠٩ (ط . هندية سنة ١٩٢٧)

الشاعر أن يضـيق به ، وعندما اخترع الأوزان ـ غير الجاهلية ـ جعل التفعيلة نقطة البداية لاطاره. وربط هذا الاطار بظروفه وما جد فيها من ايقاعات احدثها التطور الدائب .

ويتشعب بنا القول لو ذهبنا نقتفى معالم الخطا التى خطاهاالاطار الموزون ، الا أننا يجب أن نذكر أن قدماءنا كانوا فى تقبلهم الاطار الجديد اجرا من بعض شيوخ اليوم . ياقوت مثلا يعترف بفضـل رزين العروضى ويمجده ، وابو الفرج الأصبهانى من قبله يسـجل بتقدير لابى العتاهية قوله انه كان اكبر من العروض ، ويحفظ ابن رشـيق لمنهوك الرجز (٤) فى مدح الهادى ومدح المعتضـد شيئا ، كما يحفظ كثيرون ما توسع فيه بشار بن برد من اطر ، ويروون للنواسى والخليع وسـعيد بن وهب ما لا يجرى على القاعدة .

ان هؤلاء فيما بدا لنا لم يسلموا بالتنظيم الشكلى للوحدات الموسـيقية القائمة على التوزيع التفعيلى القديم ، ولكنهم من ناحية أخرى سلموا بضرورة بقاء الشعر كله فى المجال التقليدى .

وليس هذا تناقضا ، لأنه فى الواقع يعنى انهم مع تسليمهم بان الشكل قد يتغير الا أن هذا التغير يجب الا يخرج بالقصيدة عن حلبة الأولين . وقـد كان يسوقهم الى ذلك أن « وظيفة » الشعر لم تتغير منذ شب فى ظل الفخر والهجاء ـ والمـدح أحيانا ـ والرثاء ، وظل الشعر مرتبطا بملك أو أمير اوعظيم ينطق باسمه ويدعو له فى أغلب الأحيان ، وكانت الومضـات الذاتية الفردة من الضـآلة بحيث لم تستطع أن تقاوم تيار المجموع الذى يتقدمه الملك أو الأمير أو العظيم .

وهذا سر جمود القالب ، وضياع حركات التجديد الشكلية تحت الحاح التقليد على أن يبقى مستودا من النقاد . وكل ما حدث الى جانب ما استحدث

ـ وكان هينا فى الحقيقة ـ هو تجزىء البحر مع التفنن فى استخدام العلة بحيث يصـبح البحر البسيط .

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

شيئا آخر اذا كانت عروضـه مقطوعة مجـزوءة والضرب مثلها أى

مستفعلن فاعلن مستفعل
مستفعلن فاعلن مستفعل

واما اذا كان من المخلع فهو عـلى هـذا النحو الغريب :

مستفعلن فاعلن فعـولن
مستفعلن فاعلن فعـولن

وبالتوسع فى استعمال الخبن والطى (٥) يكون المخلع نفسه بالصورة التالية أو نحوها .

مستعلن فاعلن فعـولن
مستعلن فعلن فعـول

ونلحظ أن الكم النغمى المكون من أسباب واوتاد وفواصل ـ باصطلاحات الخليل ـ على رغم اختـلافه ظل قائما على التفعيلة كأساس للوزن ، ولـكنه لم يبعد عن دائرة البسيط كما حددها الخليل . ويبدو أننا ملزمون هنا بأن نقول ان العلة فى ذلك هى بقاء وظيفة الشعر كما كانت ، بحيث تصبح دعوة بشار بن برد او دعوة أبى نواس من بعده الى تغيير مهمة الشاعر ـ من حيث انه يصدر عن عاطفـة منفعلة بحدث ما ـ مجرد فكرة طائشة أو مجرد حلم بدده الواقع المرير .

هكذا لم يكتب نجاح ملحوظ لاى شاعر حاول تغيير الاطار وآية ذلك ان أصبحت الموشحة اليوم ـ وهى نموذج لتطور الشكل القديم ـ نمطا ننظر نحن له بعجب ، بل قد يرى بعضـنا فى تعـدد أغصانه واقفـاله زيادة فى التقييـد . وقد يحـل بعضنا الموشحات كلها محلا ثانويا فى التراث ، فاذا ذكر الموال فكأنما ذكر العبث والهراء !

---

(٤) شطر المنهوك مكون من تفعيلة واحدة هى « مستفعلن » وعلى سياقه قال الشاعر :

يا ليتنى فيها جذع

كما قال الآخر فى تلبيته :

الهنا ما اعدلك
لبيك قد لبيت لك
ماخاب عبـ ـد سألك
انت له حيث سلك

(٥) الخبن حذف الثانى الساكن والطى حـذف الرابع الساكن ، وقد يقع الخبن والطى فى تفعيلة واحدة ويسمى الخبل .

أجل ، ولما كان للشعر العربي بانماطه التي اخترعها الجاهليون وحافظ عليها المسلمون ـ تعصبا وتقليدا لظروف أقوم ببسطها في مجلة الشعر ـ طابع الخطابة المستمد من طابع اللغة الجهير ، فقد وجد الكلاسيكيون أن من السهل ربط قصائدهم بالصخب الايقاعي مهملين تهويمات العاطفة . وبات على الشاعر ان يحملنا بموسيقاه التي يقيسها بعقله على أن نصدق تقولاته مهما يكن فيها من زور وافتعال ، وكان من يخلص الى نفسه منهم أحيانا يترفع الرواة عن ترديد شعره كأنهم يرفضون منه النغمات الهادئة التي تبعد عن الفخامة والجزالة والصلابة ونحو ذلك .

وهكذا كتب الكلاسيكيون على أنفسهم أن يعيشوا في أسر الجاهليين ، يخضعون الفكرة الشعرية ـ بالتوسع فيها أو بتضييقها ـ لوحدة البيت المقفى . حتى أصبحت القصيدة في آخر الامر مجرد أصوات ماتت مدلولاتها في أصداء الروى ، وعلى تراب الصور التي أبلاها تداولها على مر الاجيال .

(٢)

أما اليوم فقد تغيرت الظروف ، وظهر جليا أن الحياة الجديدة لايمكن أن يتسع لها الاطار القديم ، ولكننا في الوقت نفسه نلتزم ببعض الاصول الفنية التي يوضع « الوزن » الشعري في مقدمتها . على أن التزام الوزن لايعني التزام الاطار ، فقد سبق أن قلنا ان الاطار يجب أن يتغير ، ونضيف أن تغير هذا الاطار دليل على الصحة وتمام العافية وليس دليلا على مرض أو عجز أو افلاس .

واذا كان الاطار القديم ـ وهو له ظروفه ـ يقوم على وحدة البيت المحدد بعدد خاص من التفعيلات ، فان المجددين باسم المضمون الجديد يرون ان لا ضرورة مطلقا لهذا الالتزام . فهم تبعا لاهتزازات عاطفتهم وخضوعا لتدافع تيار التجربة في أعماقهم يعتمدون « التفعيلة » وحدها أساسا للوزن وليس البيت كله ، بمعنى أن البيت عندهم قد يكون تفعيلة واحدة وقد يكون اثنتين أو ثلاثا ، وقد يحتاجون في البيت الى ست تفعيلات مرة واحدة .

ويتوسط جماعة من المحدثين فيرون أن « التجربة » لها وحدها حق فرض الاطار الفني ، وليس للشاعر ان يتحكم في تحديده . ذلك ان الشكل الذى يتبع نظاما معينا في الايقاع والتقفية لاشك يتلاءم مع التجربة التي تشكله ، والتجربة التي ترفض الهندسية المعينة يضيق عنها هذا الشكل وتراه مناسبا لمرحلة من مراحل تطور الفن .

مثل هذا الفريق المعتدل ـ او المذبذب بين القديم والجديد ـ يثير قضية المحتوى الشعري او المضمون على نطاق واسع ، اذ انه يعني ان في الحياة ماينبغي ان يربطنا بالماضي كله . على أننا اذا انعمنا النظر تبينا ان وراء ذلك كله مجرد خوف على تاريخ نكره ان يندثر ، وننسى في هذه الحالة انه لم يكن ثمة جديد حتى أعيد النظر في كل القديم .

ومع ذلك فقضية المحتوى تظل تحتاج الى ان يقال فيها الكثير ، ولكننا نحسم القول بان نذكر أن وظيفة الشعر اليوم لم تعد هي وظيفته بالامس . وبالتالي انصرف الشاعر تماما عن ركاب أى عظيم ، بل أصبح صدوره عن ذات مستقلة ـ وهي مرتبطة فعلا بالمجتمع ـ ضرورة يقتضيها الفن المخلص الواعي .

وكان التقدم الهائل الذى قطعته المعرفة في جميع المجالات الحيوية قد كشف عن أن البواعث التعسفية لاحترام المحتوى القديم لا يمكن أن تكون مصدر ثراء للقصيدة المعاصرة ، كما كشف عن أن الشاعر الذى يرسم اطاره الفني في حدود معان ساذجة تعرض عرضا تقريريا ـ بغض النظر عن اصطناع التشبيه ونحوه ـ لايمكن أن يعالج في هذا الاطار تمزق انسان العصر في عهد الصاروخ أو تطلع انسان العصر الى غزو الكواكب . انسان القرن العشرين القوى الضعيف ، الجبار المتداعي ، العنيد المستسلم ، هذا الانسان ليس كالانسان الفطرى الذى يجعل الدابة محور حياته ثم اذا تطور ركب البراذين والبغال !

ثمة تجارب جديدة وايقاع جديد ، فلابد اذن من اطار غير هذا الاطار الذى استعمل استعمالا مستمرا طوال ستة عشر قرنا على الاقل !

ومن هنا يكون شيوخ الادب ممن يهاجمون الشعر المرسل ـ لانه يبحث عن الشكل المناسب لتجربة العصر المعقدة ـ أقرب الى التعنت منهم الى الانصاف لانه لا يعقل أن يقف شاعر العصر على الاطلال كما

فعل شوقي أو يتحدث عن الاشاوس الذين يذودون عن الحمى بحرابهم أو يجعل الحصان مكرا مفرا لا يلهب بالسوط ولايكاد ذيله يبلغ الثرى ٠

أجل ، لا يعقل أن يفعل شاعر العصر ذلك ، والا سوف تصح المنهجية التي قررها ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » ، ويكون المعول على النجاح ان يبدأ مقصد القصيد بذكر الديار فيبكي وشكى وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ثم وصل بالنسيب ليستدعي به اصغاء الاسماع اليه ، فاذا علم أنه استوثق من ذلك عقب بايجاب الحقوق فرحل في شعره وأنضى الراحلة والبعير ، ثم اذا تأكد من أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء بدأ في المديح وهكذا (٦) ٠

اننا الآن نعرف أية ثورة يعيشها العالم ،ونعرف انه يصدر بمضامين ربما عد كثير منها كفرا في نظر الاولين ٠ وليس هناك هذا الرضى الذى عمل حكام الأمس على توطيده باشاعة فكرة الجبرية بكل مافيها من خنوع وتواكل ، بل ان الانقلاب على الفهم الرياضي عرض كل القيم المتوازنة للانهيار ٠ لم يعد في حياة الانسان معقول يظل معقولا الى الأبد، لم يعد يرى في لحظات الزمن منطق التوالى المألوف، لم يعد يعيش على الارض حشرة تأكل مما يبذره القدر ٠

لقد اصبح « انسانا » يفكر وقد تسلح بأسباب الثقافة ، كما راح يرفض ـ لنمو وعيه ـ ان يأخذ الأمور بما اعتاد ان يأخذها به الأجداد والأولون ٠ فاذا كان يحطم ما يرفض الشيوخ تحطيمه فمن أجل ان يحقق ذاته التي تكبر على الماضي وان انتفعت بالتاريخ ٠

ان الايمان بفاعليات الحياة العصرية ينقض التقليديات التليدة ، فلو كان للشعر مادته المحدودة بالشكل الثابت وليست هذه المادة هي تجربة الانسان في القرن العشرين لقنعنا بالمحتوى القديم٠ ولا يعترض أحد بأن التجربة الانسانية كانت دائما موضوع القصيدة القديمة ، فان هذه التجربة كانت مقيدة بأمور تعد اليوم ممجوجة وكان بسطها يتناسب مع المستوى الفكرى الذى سما اليه الاولون ٠

لقد صارت الانسانية تبحث عن أطراف التجربة التي تجمع خبرتها او التي تبلور جوهرها ، فأصبح للشعر مهمة لا يمكن أن تؤدى بالأسلوب القديم ولا يحصرها التنظيم البيتي المعروف ٠ بل اصبح يتحاشى الوقوع على قوالب الأجداد لأنها توحي بالزيف وتبدد الذات المخلصة للواقع وللعصر ، اصبح منطقيا مع صاحبه دون ما نظر الى طريقة الأولين ٠

د ٠ أحمد كمال زكي

---

(٦) يحسن هنا مراجعة هذا الكتاب ١ : ٢١ (ط ٠ الحلبي سنة ١٣٦٤) وسنرى أن ابن قتيبة يفرض على الشاعر المعاني والصور التي يناسبها كل موضوع من الموضوعات الشعرية التي عددناها ٠



الشاعر أبو سلمى

بقلم : محمد نصر

منذ بضعة اعوام ــ ولعله على وجه التحديد عام ١٩٥٩ ــ قرات في مقال «بصراحة» للاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام ابياتا من قصيدة لشاعر فلسطيني اسمه « أبو سلمى » اذكر منها :

انثر على لهب القصيـــد
شــكوى العبيد الى العبيد
شـــكوى يرددها الزمـــا
ن غـــدا الى ابد الأبيـــد
قالوا : المــلوك ! وانهــم
لا يملكون ســوى الهبيـد
دكت عـروش زنـــو
هـــا بالسلاســـل والقيــود
ســــحقا لمن لا يعرفـــو
ن سوى التعـــلل بالوعود
واذلهـــم وعـــــد اليهو
د ولا اذل من اليهـــود

وكانت تلك القصيدة بالنسبة الى قصيدة يتيمـــة لا أعرف شيئا عنها ، ولا عن صاحبها ، وتمنيت يومها ان اراه واظفر بحديث معه .

ومضت الايام وساقني الحظ لزيارة سوريا في اوائل صيف ما قبل الانفصال ، وشد ما كانت سعادتي عنـــدما عرفت من الشاعر الكبير شفيق جبري ان ابا سلمى يقيم في بيت متواضع باحد الاحياء في دمشق .

وفي اليوم التالي ، اسرعت اليه ، ودار بيننا حديث طويل عرض في اثنائه لمأساة فلسطين ، ولغيرها من قضايا الشـــعر والادب .

ومنذ ذلك الحين كتبت الكثير عن أدباء وشعراء الشام ولكن لم اكتب عن « ابي سلمى » حتى حمل الى البريد اخيرا رسالة من صحفي دمشقي طواها على بضع صور لابي سلمى ولزوجته ، وكانت الرسالة تفيض بالعتاب لاغفال الكتابة عنـه ، وهـــو الذي يعتبر عن ــ جدارة واستحقاق ــ شاعر فلسطين الاول ، وابنها الوفي . ومن حقه على الصحافة ان تقاسمه مشاعره لا ان تدير له ظهرها وتتركه نسيا منسيا ، وهو الذي كان ملء العيون والاسماع في بلده .

وتضمنت رسالة الصحفي ــ الى جانب هذا العتاب ــ بضعة اسئلة جديرة بالمناقشة ، والبحث لها عن اجابات شافية :

ــ لماذا توقفت الاقلام التي ظلت تثير الحماسة ضد الصهاينة وتطالب بتطهير فلســطين من آثامهم .. وحتى تفتح الصـــحف ابوابها للدعوة لجيش التحرير الفلسـطيني الذي بدأ يستعد لخوض غمار المعركة الفاصلة ، وبالذات بعد ان عادت انظار العالم تتجه الى ارض الميعاد ، وترقب ما يتنظر ان يحدث عقب تحويل روافد الاردن واستغلالها لصالح العرب .

والآن لنمض معا الى قلب الموضوع الذي من اجله كتبت لك هذه المقدمة الطويلة .. تعال الى ابي سلمى لنعرف ماذا وراءه وماذا امامه وما هو دوره في المعركة .

ــ ان اسمه الحقيقي عبد الكريم الكرمي .

تفتحت عيناه على اجمل بقعة في مدينة طولكرم في عام ١٩٠٧ وامتدت آذناه لتسمعا جدل العلماء وحوار الشعراء في بيت أبيه الشيخ سعيد الكرمي ، الذي كان من اعلام فلسطين ، ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق .

هذا هو الاطار العام ، اما الصـــورة نفسها فتؤكد لكل من يراها انه شاعر خلقته مأساة فلسطين ، وفي قيود الاحزان ، وصرخات الضحايا غنى هذا الشاعر وبكى بمرارة ، فعرفـــه الوسط الادبي لايستلهم الا الثار ، ولا يطالب بغير العودة الى حيفا ، وتطهير كل ركن من اركان بلده الحبيب .

بالزورق هاجرت

ان قصة حياته تقول : انه ما يكاد يبلغ العمر الذي يؤهله للالتحاق بالمرحلة الثانوية حتى يرحل الى دمشق ليتم تعلمه في احدى مدارسها الثانوية ثم يعود الى القدس ليتعلم الحقوق ويحصل على اجازتها ، ويعمل بعد ذلك محاميا في مدينة حيفـــا الى سقوطها في ايدي الصهاينة عام ١٩٤٨ ، ومن حيفا ينزح الى عكا ومنها الى دمشق ليختارها دار اقامة له الى ان يأتي وقت العودة ، وما هو ببعيد .

ويستقر شاعرنا مع زوجته التي تصغره ببضع سنوات وابنهما الذي يتخصص في دراسة الطب ، يستقر الثلاثة في شقة يدفع لمالكها الاصل سنويا ــ كما قال لي ــ ١٤٠٠ ليرة ، وبعد فترة طويلة من اقامته في دمشق تصدر وزارة التربية والتعليم قرارا بتعيينه مدرسا باحدى المدارس الثانوية ، ومنها يخرج في عام ١٩٦١ ليلتحق بوظيفة قضائية ما يزال يشغلها الى الآن .

وابو سلمى كشاعر وكمعلم انصرف الى تلامذته في السنوات

الاخرة فلم يؤلف كثيرا ، الا ان ديوانيه « التشرد » . . « واغنيات بلادى » يدل ما قدمه فيهما من قصائد على عقلية نادرة بين شعرائنا .

وحين يلتقى باحد يذوب رقة . لان فيه اصالة البيئة التى انشأته ، وحين يعود بخياله الى الوراء ، الى الوقت الذى راى فيه الابرياء يقتلون بالجملة . تراه ينفعل وتطفر الدموع من عينيه .

هذا هو ابو سلمى . . ابن فلسطين المتطلع الى الامام دائما الرجل الذى يقرأ «شكسبير» ويحفظ طه حسين ، والزيات ، ويحب شوقى وحافظ ابراهيم .

وابن السابعة والخمسين الابيض الوجـه الاصلع الشعر ، الذكى العينين ، ما تزال حيوية الشباب تعمر قلبه .

سالته وكانت زوجته تجلس بجواره :

ـ وماذا قلت فى ابنة بلادك :

قال وابتسامة حلوة ونظرة . . عاذلة يرسلها الى زوجته :

ابن الشـدى والحلم المزهر
اهكذا حبـك يا اسمر

قلت : وكم انجبت من البنين والبنات ؟

قال : ولدا واحدا يدرس الطب .

ـ وكيف نجوت واسرتك من خطر الصهاينة ؟

فقال : يوم النكبة خرجت بحرا راكبا زورقا ، وطلعنا على عكا ، ومنها اتيت الى دمشق ، وكان ذلك فى نهاية شـهر نيسان من سنة ١٩٤٨ .

قلت له : وماذا حملت معك من مؤلفاتك ؟

قال : والحزن يبدو فى صوته :

ـ كما ضعت انا ضاع انتاجى .

سالته : وماذا عن القصيدة التى نشرت الاهرام بعض ابياتها ؟

قال : لم استطع بسبب التـشديد بموقف ملوك العرب السابقين ان ازور اى بلد عربى .

قلت : وماذا قلت يومها عن امام اليمن .

قال قلت :

عرج على اليمن السـعيد
وليس باليمن السـعيد
واذكـر اماما ما يـزا
ل يعيش فى دنيـا ثمود

ـ وفاروق ماذا قلت فيه ؟

قال :

ـ يومذاك كانت لفاروق لحيـة يضلل بها شعبه وقد قلت فيه :

دع سبحة التضليل واخـ
ـلع عنـك كاذبة البرود
احسبت ان الملك بالتسـ
ـبيح يطلب والورود

سالته : وماذا تريد ان تقول اليوم لمحبى شعرك ؟

فاجاب :

طال دربى فهل تفى جراحى
وعلى السفح هل يرف جناحى
قطرات الدم الشعة من قلبى
كانت ولا تزال صـباحى

فمتى تلتقى مع الشام ارضى
ومتى تلثم البطاح بطاحى

مع أغنيات بلادى

واذا رجعت معى الى ديوان اغنيات بلادى تلمح فى كل قصيدة لابى سلمى نقدا لاذعا . . وقسوة على من خانوا امانة فلسطين ، واعانوا الصهاينة على تشريد ابنائها ، اسمعه وهو يقول :

قل للذين جثوا على وطنى
ما بيننـــا الايام والحقب
من قبلكم مر الطغـــاة بنا
هل تعثرون بهم ؟ لقد ذهبوا
عصفت بهـم نار مقدســة
واذا بهـــم لجهنم حطب

ويثور ابو سلمى على من يتهم ابناء فلسطين بالتقصير فى الحرب وحماية الوطن بقوله :

قسـما بالـفوح انا حملنـا
يا فلسطين فى هواك العذابا
واذا ما سالت عنا التسيئا
وأبينا الا اليك انتسـابا
ما بعدنا عن طيب ارضك الا
زادنا البعـد من ثراك اقترابا
وزرعنا الاشـواق فى كل ارض
ليتهـا انبتت قنـا وحرابا
والتقينا على ملاعبك السـ
ـمحة شيبا بعد النوى وشبابا
وسجدنا نقبل الحجر الاسـ
ـود والرمل والحصى والترابا
هذه دارنا فيا وحشـة الدا
ر اذا لم تستقبل الغيابا
لاتسل اين اهلها ، فالخيام السـ
ـود شقت صدر الليالى انتحابا
حسبوا اللاجئين فى كل قطر
وهم بين اهلهـم ـ الغرابا

الى ان يقول :

فللموهم ، فكيف يغفون يوما
وفلسـطين تقرع الابـوابا

وفى صفحات اخرى :

من ديوان « اغنيات بلادى » ، نجده يلتهب عاطفة واشواقا فهو يناجى ابناء وطنه نجوى محب له معهم ذكريات غالية .

ثم ماذا ؟

لا اعتقد اننى اجاوز الحقيقة اذا قلت ان لقاء شاعرنا الكبير بابناء وطنه ، وعلى ثراه الطاهر ، اصبح قريب المنال بعد ان تغير الوضع فى جميع الدول العربية ، وبعـد ان صـادفت قرارات مؤتمر القمة فى قلوب ابناء العرب ورؤسائهم وملوكهم اروع صدى .

وشكرا لصانع تاريخنا الحديث رئيسنا عبـد الناصر الذى جمع كلمة العرب ، وخلق جيش التحرير الفلسطينى ، وهنيئا لابى سلمى بالامل المرتقب ، وما يوم تطهير الارض المقدسـة ببعيد .

محمد نصر

أخبار

● « اعترافات ابو نواس » ... كتاب جديد لكامل الشناوى ، المؤلف يخصص كل وقته للاطلاع على المراجع والكتابة ، لظهور الكتاب فى اقرب فرصة .

● « عود القصب » .. مجموعة قصصية جديدة للقصاص محمود حسن العزب ، تظهر قريبا .

● « رجال من الريقية » .. الكتاب السابع للشاعر عبده بدوى عن افريقية ، يصدر عن الدار القومية ، ويتعرض بالدراسة لعدد من الكتاب والفنانين والسياسيين فى مقدمتهم الشاعر ليوبولد سيدار سنغور ، والمثال سارد ، والسياسى وليم توبمان ، والدكتور وليم توجوا .

● يقيم نادى القصة ندوة للفنون الشعبية فى مساء الأربعاء القادم الساعة الثامنة مساء وسيقدم الندوة الأستاذ زكريا الحجاوى ويؤدى بعض الفنانين الشعبيين الوانا من فنونهم .

● فى مساء ١٢ يناير تقيم الجمعية الأدبية المصرية ندوة شعرية : يقدمها الأستاذ صلاح عبد الصبور يشترك فى الندوة الأساتذة والدكاترة : محمد محمود الصياد ـ شريفة فتحى ـ احمد كمال زكى ـ عبد المنعم عواد يوسف ـ وفاء وجدى ـ ابراهيم شعراوى ـ كمال نشات ـ ابراهيم الخضرانى ـ حسن فتح الباب ـ محمد الفيتورى ، ويعقب على الندوة الدكتور محمد النويهى .

● وافق الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى ورئيس المجلس الأعلى للفنون والآداب على تاليف وفد الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر الأدباء العرب ببغداد من الدكاترة والأساتذة :

مهدى علام ـ يوسف السباعى ـ سهير القلماوى ـ محمد مندور ـ رشاد رشدى ـ عبد الرحمن الشرقاوى ـ عباس خضر ـ يوسف ادريس .



الواقعية النقدية ..
هل تتعارض مع مرحلة البناء ؟

لنعرض الآن ــ ولو مؤقتا ــ عن تلك الحملات الجوفاء التي يشنها بعض الزملاء في الصحف والمجلات باسم الجديد الذي يزعمون أنه يصارع قديما .

وقد أوضحت في الأسبوع الماضي أن أولئك الزملاء **ليس لهم جديد يختلف عما يسمونه قديما** يصطرعون معه ، وخاصة اذا كان المقصود بالجديد هو التعبير عن ثورتنا واشتراكيتنا القائمة عن طريق الارتباط بالشعب والانفعال بما ينفعل به والتأمل فيما يجد في حياته وما يعترض توثبه نحو الأهداف الاشتراكية السديدة ، اذ نلمح في كلام الزملاء هذا الكلام الطائر العالق بغبار المعركة **ولا نعلم لهم انتاجا أدبيا ينطبق عليه أو يتجه اليه أكثر من انتاج غيرهم ممن يحملون عليهم ، على فرض أن لهم مثله .**

لنعرض الآن عن ذلك ، كي ننظر ــ في هدوء ــ في قضية أكثر نفعا منه ، هي **كيف يعبر الأدب عن الثورة الاشتراكية ويقف منها موقف القيادة الفكرية بوسائله الفنية ؟**

كانت هذه القضية قد اعتملت في نفسي عندما قرأت مقال الدكتور محمد مندور « الأدب والاشتراكية » المنشور في « الرسالة » ــ العدد ٧٣ ــ والذي يقول فيه :

« ان مرحلة التحول الاشتراكي كان لابد أن تدفع الأدب نحو مواصلة السير في طريق الواقعية النقدية ، أي نقد الأوضاع التي كانت سائدة في واقع ما قبل الثورة تعزيزا وتمكينا لاجراءات التحويل الاشتراكي حتى اذا تم هذا التحويل وانتقلنا الى مرحلة البناء ، والبناء لا يشمل ماديات الحياة الجديدة بل معنوياتها الجديدة أيضا ــ كان من واجب الأدب بل من طبيعته أن ينتقل هو الآخر من الواقعية النقدية الى الواقعية البناءة التي تبحث عن القيم الايجابية الجديدة التي لابد أن تنبع من التغيير الثوري الذي حدث في حياتنا بدلا من البحث عن مفاسد ومظالم العهد البائد أو الرواسب التي تخلفت عنه » .

اتفق مع الأستاذ مندور في ضرورة أو حتمية انتقال الأدب من تناول مفاسد العهد البائد الى الذي حدث في حياتنا من تغيير ثوري ، وقد سبق أن ناديت بذلك غير مرة . ولكني اختلف معه في عدة نقاط تجتمع في أمر واحد :

١ ــ لا ينبغي أن يدع الأدب الرواسب المتخلفة عن العهد البائد ، لأننا لم ندعها بعد ولا تزال في واقعنا .

٢ ــ الواقعية النقدية ليست شيئا مغايرا للواقعية البناءة ، فالميثاق مثلا حينما يدعو الى النقد والنقد الذاتي انما يقصد الى أن يستخدم النقد في البناء ، عن طريق تبين الأخطاء فيما وقع وتجنبها فيما يأتي . **فالواقعية النقدية حين تسلك السبيل الذي يسلك في هدم المباني الآيلة الى السقوط على ساكنيها كي تبني في أماكنها بيوتا جديدة ــ لا تكون الا واقعية نقدية بناءة في وقت واحد .**

٣ ــ لا ينبغي أن يكون هم الأدب كله هو البحث عن القيم الايجابية الجديدة . فاني أعتقد **أن الرسالة العظمى للأدب في الوقت الحاضر هي تصوير الصراع بين القيم الايجابية والقيم السلبية التي تصطرع الآن في حياتنا** ، اذ تحاول الأولى أن تتخلق ، وتحاول الثانية أن تعوقها ، بل تتغلب عليها في بعض

الزوايا المعتمة ، ومهمة الأدب أن يسلط الضوء على هذه الزوايا ويكشف ما يجرى فيها .

والأمر الواحد الذى يجمع كل ذلك هو **أن الأدب ليس من طبعه ان يتخلى عن النقد ، لأن النقد هو عمله بطريقته الخاصة .** والأدب كله نقد فى نقد .. فهو اما نقد الحياة واما نقد « نقد الحياة » ـ الأول هو الأدب الابداعى ، والثانى هو ما يسمى بالنقد الأدبى

والدكتور مندور يدعو الى أن يقود الأدب والأدباء الأحداث بدلا من أن يسيروا فى ذيلها ، ولكنه يتساءل طبقا لما قرره من الفصل بين الواقعية النقدية والواقعية البناءة : هل تتحقق القيادة عن طريق ابراز كل اعوجاج او اهمال أو فساد قد يتطرق الى بعضنا أم يكون عن طريق البحث عن مواضع الثقة والأمل والاستقامة عند بعضنا الآخر ؟

وطبقا لما رأيناه من أن رسالة الأدب العظمى هى تصوير الصراع بين القيم الايجابية والقيم السلبية ـ يكون ذلك التساؤل غير ذى موضوع .

والدكتور يشعر بذلك فيقول بعد تساؤله المتقدم: **« وانا لسوء الحظ اعلم من تاريخ الآداب العالمية ان الأدب الناجح أو الأكثر نجاحا قد كان دائما الأدب الصادر عن نقد الحياة . واما الأدب الذى يتغنى بالحياة ويشيد بنواحيها الايجابية فلست أدرى لماذا تقل الاستجابة له » .**

واذا كان الأمر كما رأينا فليس ثمة « سوء حظ » وليس فى المسألة مالا يدرى أو ما يخفى ، فان الأدب القاصر على التغنى والاشادة لا يؤدى عمله ، وشعور الناس بأنه يهمل وظيفته النقدية يصرفهم عنه .

على أن تقسيم الأدب الى ما ينقد الحياة ، ومايشيد بها ، عملية تحتاج الى نظر .. ففى أشد الاحوال سوءا نرى الأدب الناجح الناقد للسوء لا يخلو من عنصر ايجابى يبعث الأمل ، وفى أكثر الأحوال استقامة واتجاها الى القيم الايجابية لا ينبغى أن يخلو كذلك من العناصر المعوقة . **والحياة لم تخل ولن تخلو أبدا من العنصرين .. هكذا خلقت !**

ونأخذ مثلا على نجاح الأدب الناقد للحياة واخفاق غيره ـ الأدب الروسى . كان النوع الأول يتمثل فى أدب ما قبل الثورة ، أدب تولستوى وتشيكوف ودستوفسكى وأمثالهم . فلما جرد الأدب من سلاحه أو عطل عن وظيفته بعد الثورة ولم يلتفت الا الى القيم الايجابية وما يسمى بناء نزل عن مستواه السابق أو قل اصبح لا ادبا .. أصبح خطبا ودعاية ، وقلت الاستجابة له . ولم يكن ذلك لأن الشعب اقفر عن أن ينجب مثل السابقين ، بدليل أن الحال تبدلت أخيرا **وصرنا نرى أدبا روسيا حديثا ناجحا لأنه عاد الى نقد الحياة .**

المدرسة الحديثة

وإبراهيم أغا !

كنت عازما أن أكتفى بالكلمة الوجيزة التى عقبت بها فى العدد الماضى من « الرسالة » على مقال بعنوان « **حديث عن المدارس الادبية والمذاهب الفنية** » قولنى فيه صاحبه ما لم اقله وراح يصول فى مناقشة ما قولنيه ..

ولكنى تذكرت حكاية مما يتندر به عن عقليات معينة تأبى أن تتفتح لوعى ما يقوله الغير .. **هى حكاية ابراهيم أغا .**

قلت فى مقال « **ظاهرتان فى دراسة أدبنا الحديث** » ـ العدد ٧٢ من الرسالة ـ ان أعمالا أدبية واقعية كثيرة ، ودعوة الى المذهب الواقعى ، ظهرت فى الربع الأول من القرن العشرين **(لم أقل ان الربع الأول كان واقعيا صرفا .. كما قولنى كاتب المقال)** وصدرت تلك الأعمال عن عدة أدباء أطلق عليهم اسم «**المدرسة الحديثة**» وظلت «**المدرسة الحديثة**» تكتب القصص الواقعية وتدعو الى المذهب الواقعى فى نحو عشر سنين من الربع الأول للقرن، خلافا لما زعم هو من أن الواقعية انما **بدأت فى** الربع الثانى . وجعلت أكرر كلمة « **المدرسة الحديثة** » و « **مذهب الحقائق** » ـ كما كانوا يسمون الواقعية فى ذلك الوقت ـ ولكن الكاتب الفاضل ابى الا أن يغلق وعيه ازاء اسمى « **المدرسة الحديثة** » و « **مذهب الحقائق** » اللذين ترددا كثيرا فى الربع الأول من القرن على أقلام رجال ما زال بعضهم أحياء ـ اطال الله فى اعمارهم ـ واصر على أن يقول: « ومن نافلة القول أن أقرر أن كون هذه الفترة فترة رومانسية لا يمنع من وجود بعض المذاهب الأدبية الأخرى .. التى لم يرتفع صوتها الى مستوى المذهب .. » .

هكذا قال .. وهو يقصد « **المدرسة الحديثة** » و « **مذهب الحقائق**» ولا أريد أن أسأله : كيف تكون « **مذاهب** » ولا ترقى الى مستوى « **المذهب**» .. فأمثال هذا الخبط كثيرة فى مقاله والسؤال عنها لا ينقضى ·

انما اكتفى بحكاية **ابراهيم أغا** ، وهى كما يلى :

كان « الشيخ على » يتردد على دار ابراهيم أغا كل صباح حيث يقرأ « سورة » وكان ابراهيم أغا يقول له دائما ويردد قوله :

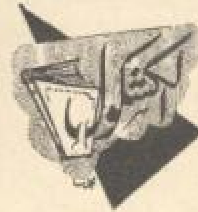
« **الله الله يا شيخ محمد .. احسنتم يا شيخ محمد ..** »

وأراد الشيخ على أن ينبه ابراهيم أغا الى أن اسمه « **على** » **لا** « **محمد** » فتلمس مناسبة ما ، بعد أن فرغ من قراءة السورة ، وجعل يحكى لابراهيم أغا قصة من حياته كرر فيها اسمه بمثل :

« **قالت لى امى : تعال يا على .. وقال ابى روح يا على ..** »

وكان ينطق اسمه « **على** » بنبرات بارزة ليثبته فى ذهن ابراهيم أغا عسى وعيه يتفتح له .. ولكن ابراهيم أغا أبى أن يعى .. وراح يتحسس شاربه ويبرمه الى أعلى وهو يقول :

« **عفارم .. شيخ محمد !** »



● سألنى صاحبى : ما موقفك من المعركة بين الشعر التقليدى والشعر الجديد ؟

قلت : **لست من القائلين بحتمية الشعر التقليدى ، ولست من خصوم الشعر الجديد ، أنا أحب الجيد من النوعين ، وأرحب بكل تجربة جديدة ·**

قال : ففيم حملتك على فريق الشعر الجديد ؟

قلت : لست أحمل على الشعر الجديد ، **انما الحملة على استغلال المعركة الحقيقية بين الشعر التقليدى والشعر الجديد فى خلق معركة وهمية هدفها مآرب أخرى .. شخصية ولا قومية ·**

قال : ألست معى فى أنك لا ترضى هؤلاء ولا هؤلاء ؟

قلت : **بلى ، معك ·**

واضفت : **محنتى أنى قديم عند أصحاب الجديد .. وجديد عند أهل القديم ..**

● أقامت الجمعية الأدبية المصرية حفل تكريم **للأستاذ محمد فريد أبو حديد** رئيس شرفها ، بمناسبة منحه جائزة الدولة التقديرية فى الأدب هذا العام · وقد تبرع الأستاذ الكبير للجمعية بمائة جنيه ، ولما روجع فى ذلك قال : **ان هذا ليس تبرعا ، انما هو اشتراكى فى الجمعية مدى الحياة ·**

أضاف الأستاذ أبو حديد بذلك – الى رعايته الأدبية للجيل الممتد – هذه الرعاية النبيلة الكريمة.

● كانت فرصة طيبة ، تلك التى أتاحها لنا **المكتب الثقافى بمحافظة الدقهلية** للالتقاء بزملاء من الأدباء فى المنصورة · وقد حفل « مدرج ابن لقمان » بجمهور لا عهد لنا بمثله فى الندوات الأدبية بالقاهرة ··· وحمى الوطيس بين **الأستاذ** على أحمد باكثير – مؤلف مسرحية «**هاروت وماروت**» موضوع المناقشة – وبين قرائه هناك · وبمثل سحر هاروت وماروت امتلك باكثير الموقف **وأثبت أن التراث العربى الذى كتب من وحيه هذه المسرحية خير ما يتحرك منه الأديب لبث القيم الانسانية الخالدة ·**

كنا فى طفولتنا نمر أمام « **المركز** » ونرتعد .. والحمد لله على أنا عشنا ورأينا رجال « **المحافظة** » أدباء ومفكرين يديرون الندوات الأدبية ويلتقون مع الجماهير كى يقدموا لها ما تتطلع اليه من الطعام الفكرى المرىء ..

● تصدر قريبا مسرحية جديدة للأستاذ على باكثير بعنوان « **حبل الغسيل** » وهى مسرحية عصرية باللغة العربية الفصيحة ، يتناول فيها المؤلف بالنقد والتحليل شخصيات تعيش وتعبث الآن فى حياتنا الأدبية والفنية ، أو قل يضفى ملامحها واتجاهاتها على شخصيات المسرحية ، وبعضهم من ذوى النفوذ فى المسارح ولجان الفحص·

والسؤال المهم هو : **هل ستعرض المسرحية على أحد المسارح ؟!**

« **عباس خضر** »



بقلم عبده بدوى

حول مذكرة الشعر

اذا كانت معركة «مذكرة الشعر» قد هدأت، واذا كان الشعراء من أشد الفنانين اثارة، فان من الواجب أن ننظر في فترة «الهدوء» هذه الى المسائل بمعقولية وبنظرة قريبة من روح الانصاف!

وان نظرة من جديد الى المذكرة ـ مع انها لاتخلو من المآخذ ـ توضح انها ما كانت تستحق كل هذا الصراخ، وما تلا ذلك من اجتماعات، ومقابلات، وصليل سلاح، ولكن هذه المذكرة كانت فرصة للذين يحاولون ان يؤكدوا بعض المفاهيم السياسية، والذين يحبون أن ينسفوا كل محاولة للالتقاء الواعي بين المثقفين، والذين يريدون الوصول الى بعض المناصب والذين يتوهمون ان الضغط على الشعر المتجدد هو ضغط على أنفاس الحضارة العربية نفسها، والذين يخدمون اغراضا مشبوهة تستند الى بعض المنظمات الثقافية، والذين يرون أن في عملية اللقاء نفسه فائدة مهما يترتب على هذا اللقاء.

ولكنا حين نفكر في الحصاد الذي انتهى اليه الحديث عن الشعر في الفترة الاخيرة، نجد ان العقم هو الذي كان فارس المعركة، ونجد أن الغبار والمرارة لم يستقرا في وجه أحد وقلبه مثلما استقرا في وجه الشاعر وقلبه.

ونحن نستطيع الآن ان نتخيل الشعراء حين يقابل بعضهم بعضا، وكيف ان الصورة لن تتم الا حين يقطب وجه فلان في وجه فلان، وحين تتصاعد كلمات قاسية في نفس فلان بنفس الغليان الذي تخرج به من نفس فلان .. نستطيع أن نتخيل هذا وفي الوقت نفسه نستطيع ان نؤكد ان هذا الشقاق لا يحدث بهذه الضراوة في أي حقل من حقول الادب والفن، ولعل هذا يعطينا شيئا من السر الذي يجعل أوراق شجرة الشعر تذبل ثم تسقط ثم تموت وهي في قلب الربيع، ونضارة الحياة!

وان قراءة ثانية لمذكرة الشعر توضح انه ما كان يجب ان تأخذ طريقا غير طريق الكلمة المناقشة الهادئة بين افراد الأسرة الواحدة، ونحن نتساءل الآن: هل ناقشنا شيئا على المستوى السياسي والاجتماعي بمثل هذا الحماس، وهل دعيت جمعية الادباء لمناقشة الميثاق مثلا؟ وهل طالب الذين وقعوا على المذكرة بمناقشة شيء آخر غير موضوع

المذكرة ، ما عدا تلك المذكرة المرفقة التى اشار بمحتواها يوسف السباعى على الدكتور لويس عوض حتى لا يظهر التباين الواضح فى الخارج بين الحديث عن التغيير والتطوير ومحاولات التغلب على مشكلات التطبيق ، وبين الحديث عن الشعر المتجدد وشعر التفعيلة بين المثقفين .

ولقد ادينت اشياء كثيرة فى عملية التوتر هذه فقد كانت فرصة للهجوم على المجلات ، ولغمز بعض الفلسفات، وللتعريض بماضى الادباء، ولتجريح بعض الشخصيات ، بل لقد كانت فرصة للنزول الى المعركة بكافة الاسلحة ، فكلمة «الاطار الثابت» التى حولت الى نكتة فى الوسط الادبى ، كانت تعقبها مباشرة كلمة « وماهذا الاطار الثابت الا مجموعة القيم التى يتواضع ابناء الامة الواحدة على ان يقيسوا امورهم بها قياسا يتسم بالمرونة الحية» .

وكلمة الخطيئة فى الاسلام تختلف جوهريا عن كلمة الخطيئة فى المسيحية .

والقول بان الانحراف فى شكل دون شكل قول لا يمكن قبوله ، والدعوة الى استيحاء الرموز الاسلامية والافريقية لا يمكن حمله على انه دعوة ضد استيحاء الرموز المسيحية مادام الشعراء واقعون الآن فى هذه الدائرة ، والقول بان يوسف الخال يحاول كتابة الشعر من جديد من وجهة نظر مسيحية لا يستلزم أن ينادى بها ناقد هنا، مؤكدا بان هذه الايديولوجية هى التى يجب أن تسود الشعر المعاصر ، والقول بان الحماس لشعر التفعيلة يستدعى الالغاء التام للشعر المتجدد قول قد يبدو مضحكا ولا اعرف شاعرا او ناقدا يحترم قلمه ثم يقول بمثل هذا القول .



والسؤال الآن : هل كانت لجنة الشعر مخطئة حين تعرضت لمفهوم الدين والقومية فى المذكرة ؟

انا ازعم لنفسى ان اقول انه من البديهيات ان شعر التفعيلة كشكل فنى لا يمكن ان يسوق الشاعر الى الانحرافات الدينية والقومية ، وان الشعر المتجدد يمكن ان يحمل هذه المضامين بل لقد حملها فى ماضيه بعنف وبحقد ، وبالرغم من انه بالتحديق فى وجوه الذين حملوا هذه المضامين نجد انهم فى اكثرهم من الشعوبيين الحاقدين على العرب مثل بشار ، وابو نواس، ومهيار الديلمى، وبعض الشعراء السود مثل سحيم ، والحيقطان الحبشى ، وعكيم الحبشى .. اقول انه بالرغم من كل هذا فان شعر التفعيلة ملىء بهذه الانحرافات الدينية ، والقومية ، بل لقد وصل به بعض الشعراء الى حد الميوعة والتخنث حين تكلموا عن عمليات اغتصابهم كالنساء !

فالشكل المتجدد مع انه عاش ما يقرب من الفى سنة الا انه فى تاريخه كله لا يمكن ان تسمع فيه ما قيل فى هذا العصر فى موضوع واحد كموضوع الاله مثلا ، فالله فى شعر التفعيلة مكبل يبصق فى عيونه الشرطى واللوطى والقواد ، ومعلق على المقصلة ، ومسجون ، ومحترقة ستائره ، وجدار يسد العين، وهو الثلج ، وكافر من يقول لا اله الا هو كما فى قصيدة بعنوان «الحلاج وبئر المرة » والشعر الجديد ملىء بالرموز التى تدين العروبة ، والاسلام والوحدة ، ومصر .. الخ بما لا يدع مجالا للشك !

ولعل من الانصاف أن نذكر ان هذا الحديث على مستوى الوجود العربى ، وان شعراء التفعيلة عندنا — وبخاصة الظاهرين منهم — لا توجد عندهم هذه الظاهرة الحادة ، فهم يصلون الى حد التمرد ولكنهم لا يجاوزونه الى حد الرفض، وهم قد ينسحبون الى الملل والتمزق واجترار الرموز المسيحية ولكنهم يحولون كل هذه الاشياء الى شعر ، بل انا ننتظر منهم الشاعر العظيم الذى يعبر عن اشواق امته ، وعن افراح الحياة من حوله ، وعن الاحتكاك بالكون، وعن اشياء كثيرة لاتزال تنتظر الشاعر العظيم !

وليس معنى هذا ان الذين يقولون الشعر المتجدد يقبل كل ما يقولونه ، فعندنا من الشعراء من تقف تجربته عند حد التعامل مع الالفاظ ، ومن يقول اشياء لا تمت الى الانسان المعاصر باية صلة ، ومن لا يريد ان يعترف ان الشعر اصبح بناء جديدا بالصور من خلال رؤية عميقة للحياة ، واحساس بالمعاصرة فى كل نبضة وكل حرف من خلال توتر مهندس يعرف أوله من وسطه من آخره ، وان الشعر لا ينبغى ان يقف عند تقاليده ، وانما عليه ان ياخذ الكثير من الفنون التشكيلية والتعبيرية ، بل لا ينبغى أن يقف عند حد القصيدة الغنائية وانما يجب ان يتعداها الى المسرحية والملحمة ، وللالتحام مع الموسيقى فى الاوبرا ، ومع النثر فى الاوبريت .



واعتقد أن هذا لن يتحقق الا اذا وقفنا على ارض صلبة من التراث، وفتحنا نوافذنا على كافة الثقافات دون ان نسمح لاحداها بان تعصف بنا ، وتقبنا نحن

عن رموزنا بدلا من تلك الرموز الجاهـزة التي يلح البعض في اظهارها فاذا هي اسماء دواوين ، وآيات توضع تحت عنـاوين القصـائد دون أن تمت الى القصائد بصلة ، وترجمة تقحم على القصيدة مع ان طبيعة التجربة قد تأباها في نفس القصيدة ، ومـع ان الشـاعر يجب الا تصادر تجربته ، وعليه أن يمد لهفته الى الزاد الذي يريد ما دام يحول كل ما يحس به الى شعر ، ولكن من الواجب ايضا أن يفكر لماذا تمتد اليه يد واحدة دون الايدي الاخرى بالقوت ، ولماذا لا يجهد نفسـه في التنقيب عن هذا الذي يغذى روحه ، بدلا من أن يصبح « داجنا » يقبل على الطعام بنفس الحماس الذي يقبل به على الدخول في القفص!

ان الدعوة الى الا يقتصر الشاعر على ميراثه من الشعر تعتبر دعوة تقدمية ، ولكن حين يرفع واحد صوته على استحياء بان على الشاعر الا ياخذ رموزه من دين واحد بل من كافة الاديان ، ومن المعتقدات عند بعض القبائل الافريقية ، بل ان عليه الا يلتفت الى رموز هذه الاديان جميعا بالصورة التي تشغله عن الحياة من حوله .. حين يقول واحـد هـذا ، تتعالى الاصوات بالخوف من الخوض في مسـائل الدين ، ويرتعش البعض الى حد الذعر كان هناك مناطق مقفلة في الفكر لا يمكن لأحد ان يمد اليها سن قلمه ، واني لأتصور الجزع الذي يمكن أن يرتسم على وجوه بعض اسـاتذة الجامعـة ، حين يذهب طالب لتسجيل موضـوع لدرجـة الماجسـتير او الدكتوراه بعنوان الرموز المسيحية في الشعر ، أو امكانيات الرموز الاسلامية في الشعر ، مادام البحث سيدور في حدود المنهج العلمي ، ولكنـه الخـوف الموهوم الذي يشل جانبا كبيرا من حياتنا ، ولعله الذي حمل البعض في عتاب لجنة الشعر لانها دعت الى ما اسـمته « **الروح المميزة لشخصيتنا الفنيـة على مدى العصور** ».

والذي نحب ان نطمئن به الذين شـغلوا بهـذه القضية التي اثرتها في مقالات متتابعة بالرسالة قبل مذكرة الشعر – وفي مقدمتهم الاسـتاذة الدكتـورة بنت الشاطىء – ان كل كلمة قيلت في هذا الموضوع كانت عن دراسة متأنية، وانها لم تكن التقاطا لكلمات أو لشواهد جزئية ، وانما كانت بحثا هادئا بعيدا عن الحقد والخوف في الوقت نفسه ، ولا زلت أرجو لهذا الموضوع تعميقا من اكثر من قلم ، بل لا زلت أؤكد ان هذه الفقرة الخاصة بهذا الموضوع في مذكرة اللجنة كانت الفقرة الموضوعية التي تعتمد في الانتاج الحديث – على المستوى العربي – على الف دليـل ودليل !

وفي ضوء هذا نرجو للشعر مزيدا من الازدهار ، ومزيدا من المناقشات على الا يتحول كل هذا الى ما تحول اليه موضـوع المذكرة مـن خلط وتماسـك بالارواح والاقلام !

ضربتان على الرأس !

في الاسبوع الماضي وجدتني احرك «مؤشر» الراديو ثم اقف في سرعة حين يعلن المذيع انه سيقدم برنامجا عن نيجيريا بعنوان في الطائرة رقم ٧٧٧ من اعـداد واخـراج على فائق زغلول ، وأصغى لحظات فاذا بحديث يدور بالعامية عن الحياة هناك ، ثم اذا نقلة مباشرة بالحوار الى ثلاثة مشاهد من كتابي « مـع شعوب أفريقية » ، وبين كل مشهد ومشـهد يدور حديث بين اثنين عن اشياء كثيرة في نيجيريا لا اريد ان اتعرض لها هنا بالحديث ، ولكن الذي احب ان القى عليه الضوء هنا هو الاخذ من كتابي بالصورة التي تم عليها ، ولقد دفعني هـذا الى أن اتنـاول نسخة من كتابي ، ثم اتابع ما يذاع فقرة فقرة فاذا به ما كتبت كلمة كلمة ؛ وقد بدات هذه المراجعـة ابتداء من الحديث الذي جعلته يدور بين أوكبـارا الافريقي ، وعالمي الآثار جودوين وريتشـارد في اللحظة التي يحمل فيها أو كبارا احد الآنية .

جودوين – يا لله . انه دقيق الصنع

اوكبارا – هل هو هام كتماثيل الرجال والنساء التي عثر عليها ؟!

جودوين – ان كل شيء نعثر عليه في هذه الحفريات هو احتجاج على العصر

ريشارد – احتجاج .. هذه كلمة غريبة !

جودوين – بل ان افـريقية تحتج الآن على كل الذين جردوها من ماضيها .

ريتشارد – مازلت انكر ان لافريقية ماضيا .

جودوين – ماضيها امام عينك الآن . وليس لأحد ان ينكر عليها امجادها .

ريتشارد – اية امجاد ياسيدى الأستاذ .

جودوين – ان هذه الكشوف مع بقية الكشوف الاخرى تؤكد ان هذه المنطقة عـرفت الاسـتقرار السكانى قبل ٣٠٠٠ سنة ق.م

ريتشارد – اليس فى هذا مبالغة ؟

جودوين – العلم يقول كلمته الحاسمة .

اوكبارا – سيدى الاستاذ .. وماذا حـدث فى بلادى بعد ذلك ؟

جودوين – حدث انها تأثرت بهجـرات تشبعت بالحضارة الفرعونية

اوكبارا – وفى اى مكان كانت هذه الحضارة ؟

جودوين – يغلب على ظنى انها متأثرة بحضـارة «كوش» فى طرف مصر .

اوكبارا – وما الذى يجعلك تميل الى هذا الرأى ؟

جودوين – أشياء كثيرة ، منهـا اعتقـادهم بأن الكبش هو رمز آمون

اوكبارا – ان المعروف عندنا أن اله «اليوروبا» كان يظهر بقناع كبش ، وان اله العواصف والرعود كان كذلك على هيئة الكبش .

جودوين – نعم .. والرقائق التى كانت توضع على صور الكهنة فى اليوروبا تذكرنا بنماذج لها فى مصر الفرعونية ، ثم ان الناس هنا عبدوا الشمس، واعتقدوا ان الارواح مخلدة وانها حين تغادر الجسم تعود الى الشمس

اوكبارا – سيدى الاستاذ : انك تسلمنى تاريخ نيجيريا

ريتشارد – انه تاريخ الحضارة الفرعونية

اوكبارا – ان تاريخ الفراعنة تاريخى .

جودوين – ان تاريخ الانسان كله ملكك يا اوكبارا .

اوكبارا – ولكنى احس الآن ان قامتى ارتفعت ، ان القارة التى كانت ميتة فى جنبى قد اخذت تدق كالقلب ، ان كل شىء فيها يخضر الآن .. يزهر .. يعطى ثمرا .

.. وتستمر هذه المحاورة بنصـها واخطائها المطبعية ، ثم تستمر محاورة اخرى تستغرق عـدة صفحات ، وهى التى وضحت فيها دور « عثمان دان فوديو » فى الرقعة النيجيرية الكبيرة .. وينتهى البرنامج دون اية اشارة الى كتابى ، وتتم الضربة الاولى .

وفى يوم الخميس الماضى افتح مجلة صباح الخير واذا بى أجد خبرا يقول: سليمان جميل الف مسرحية اسمها الارض العالية سيقدمها مسرح الحكيم ويقوم باخراجها حسين جمعة ، وهذه اول مرة يؤلف فيها سليمان جميل نصـا مسرحيا ، وليس موسـيقى مسرحية ، ولما كنت – والله – مؤلف مسرحيةالارض العالية ، ولما كان الموسيقى سليمان جميل لا يقول الشعر ولا ينوى ان يقوله فلا اكتم انى شـعرت بالمرارة عند الضربة الثانية .

وقد كان يمكن الا اعلق على شىء من هذا لو حدث فى فترتين متباعدتين ، ولكنه تم فى اسبوع واحد .. تمت ضربتان على الراس فى اسبوع واحد ! ولست اعلم ما ستجىء به الايام المقبلة .

عبده بدوى





المطاط

بقلم : أحمد سعيد الدرواش

تمهيد :

لاحظ كريستوف كولومبوس اثناء رحلته التاريخية لأمريكا الجنوبية والوسطى ، ان الهنود الحمر يلعبون بكرات سوداء ، ترتد ثانيا عند اصطدامها بالارض مرات عديدة ، كما لو كانت تنبض بحياة كامنة فيها ، فاشتد به العجب مما حفزه الى نقلهـا معه الى اسبانيا ، فاثارت كثيرا من الدهشة والغرابة .

وكان الهنود الحمر يضعون العصير النباتي الذي يسيل من الاشجار بعد جرحها ، حول ارجلهم او حول قالب مصنوع على شكل دورق ، ثم يتركونه ليجف ، وتعاد هذه العملية مرارا حتى تتكون فيها طبقة سميكة من المطاط ما اشبهها بحذاء يقي ارجلهم من الماء ، او بدورق تحفظ فيه السوائل من خمور او مياه .. وكذلك كانوا يستخدمون سائل المطاط الطازج في لصق ريش الطيور الملونة في اطار من الجلد يلبسونه فوق رؤوسهم زينة لهم في أعيادهم وحفلاتهم .

ثم انتقلت هذه المادة الى اوربا ، كما انتقل كثير غيرها من طريق القرصنة او التجارة ، وابتدأ القوم هنـاك يستغلون خصائصها في استنباط صناعات جديدة منها ، فرسبوا المطاط حول اسطوانة من الشمع ، ثم اذابوا الاخير في الماء السـاخن فحصلوا بذلك على انابيب من المطاط .

وتوصـل الكيمياني بريستلي (مكتشف الاوكسجين) الى ان المطاط له خاصية محو الكتابة بالقلم الرصاص اذا مسحت قطعة منه بها ، ومن ثم كان اشتقاق لفظ المطاط باللغة الانجليزية وهو Rubber من الفعل Rub

اما الهنود الحمر فقد كانوا يطلقون اسم (كا او تشو) على شجرة المطاط ، ومعناه بلغتهم الشجرة الباكية ، ذلك لان سائل المطاط يسيل منها على شكل قطرات من الدموع بمجرد جرحها ، ومن هذا الاسم اشتق لفظ الكاوتشوك في كثير من اللغات .

ولم تنتشر صناعة المطاط في ذلك الوقت اللهم الا في عمل المشمع الماكنتوش الشهيرة الواقية من المطر . وصنعت هـذه الاقمشة باذابة المطاط في مذيب عضوي يتشبع به القماش ، ويترك برهة حتى يتبخر المذيب ويترسب المطاط بين الاليـاف طامسا مسامها .

غير ان انتشار صناعة المطاط كان يسير بخطوات وئيدة لعدم ثبات صفاته المرنة باختلاف الأجواء ، ففي الشتاء يصبح صلبا سريع التكسر ، وفي الصيف يمسي لزجا كريه الرائحة .

واخيرا في اواخر القرن الماضي توصل شـارل جوديير في امريكا الى العثور مصادفة على نتائج غاية في الاهمية عندما اضاف الكبريت الى المطاط ثم سخن الخليط لدرجة ١٤٠ مئوية فحصل بذلك على نوع من المطاط يمتاز بالمرونة ولا يتأثر بالبرودة او الحرارة . وقد سميت هذه العملية بالفلكنة نسبة الى فلكان اله النار . وتعرف بالعربية بعملية الكبرتة نسبة الى استخدام الكبريت فيها .

وكان هذا الاكتشاف مولدا لانطلاقة جديدة في تصنيع المطاط فانتشر استخدامه في شتى الصناعات الانتاجية ، فالقلم الذي نكتب به يحتوي على انبوبة من المطاط ، والسيارة التي نركبها تحوي مئات من القطع الصغيرة والكبيرة ، وخراطيم المياه ماهي الا مادة المطاط المقوى بالياف النيل ، والطائرات او الدبابات

او البواخر اذا امعنت النظر في مكوناتها لا تلبث ان تجد فيها قطعا من منتجات المطاط . كذلك الحال في لعب الأطفال والاجهزة العلمية ، والألعاب الرياضية والملابس الواقية من المطر والحقائب وغير ذلك .

وكذلك خطت الصناعة خطوات كبيرة نحو تسهيل عملية الفلكنة ، فاستحدثت - نتيجة للبحوث العلمية المتواصلة - مواد كثيرة تساعد على سرعة اتمام هذه العملية وخفض درجة الحرارة التي تتم فيها ، ومثل هذه المواد الحفازة هي اكاسيد الرصاص والمانيزيا والجير ، كما يضاف اكسيد الزنك لتنشيط المواد السابقة ومنع اكسدة المطاط بالهواء الجوي .

كذلك توجد مواد لتقوية المطاط المفلكن مثل السناج وكبريتات الباريوم والكاولين ، والمادة الأولى (وهي اسود الكربون) هي افضلها جميعا ، اذ تكسب المطاط مقاومة عظيمة ضد الاحتكاك ولهذا نراها في اطارات السيارات كما توجد ايضا بعض مواد خامدة تستعمل كمالئة للمطاط فتعمل على خفض تكاليف تصنيعه، وتعمل في الوقت نفسه على سهولة تشكيله ، وبعض امثلة لهذه المركبات هي كبريتات الباريوم وكربونات الكلسيوم والطفل الدياتومي الموجود في الطبيعة بحالته البدائية وهو موجود عندنا في طريق الفيوم كما يلون المطاط بملونات حمراء مثل كبريتيد الأنمد ، اما اكسيد الزنك واكسيد التيتانيوم فهما من الملونات البيضاء ، كما يلون المطاط بملونات اللاكات ذات المظهر الخلاب اللامع ، كما تضاف مادة القلفونيا وحمض الاستياريك والشمع وزيت البرافين لاكسابه نعومة الخاذة .

وجود المطاط واستخلاصه

يوجد المطاط في الطبيعة شرابا ابيض اللون داخلا في عصير بعض الاشجار التي تنمو في المناطق الاستوائية ، واهم هذه الاشجار نوع يقال له شجرة هيفيا البرازيلية التي توجد بالبرازيل والملايو واندونيسيا وسيلان وغرب افريقيا ، علاوة على الانواع الاخرى التي تعطي اصنافا اقل جودة ، وتنتشر في الهند وبورنيو والهند الصينية وسيام وبعض اجزاء اخرى متفرقة في افريقيا مثل كينيا .

ويستخلص المطاط الخام من العصير النباتي بقطع الشجرة في الصباح الباكر كما هو موضح بالشكل فيسيل العصير النباتي ويجمع في اوعية خاصة يحفظ فيها باضافة النوشادر اليه وبعد وصول هذا السائل الى المصانع يضاف اليه حمض الخليك فيتجمد المطاط الخام من السائل ويطفو على سطحه ، فيرفع ثم يضغط على شكل الواح لينة مطاطية Lotex كما في الشكل

واحيانا تستخدم طريقة بدائية في استخلاص المطاط من العصير النباتي ، بغمس ساق خشبية فيه ، ثم تعريضها لدخان ناتج من حرق اخشاب بعض النباتات الخاصة كشجرة الأوريكوري ، فيترسب المطاط في طبقة رقيقة على الساق ، وتتكرر هذه العملية عدة مرات حتى تتكون كرة كبيرة تزال وتضغط على شكل الواح



وكان من المعتقد ان المطاط الناتج من هذه الطريقة اجـود من الانواع الاخرى ، ولكن ثبت حديثا عدم صحة ذلك ٠

وقد اجرت وزارة الزراعة عدة تجارب واسعة النطاق في برج العرب ومحطة جاناكليس بابي المطامير لزراعة اشجار المطاط ، واختيرت لذلك نباتات حولية كنبات كوكساكس وكرمساكس ، ففي الحرب العالمية الثانية اضطرت روسيا وانجلترا لزراعة المطاط مهما كانت التكاليف ، فزرع نبات الكوكساكس في شمال روسيا الكرمساكس في كينيا ، ولكن بمجرد انتهاء الحـرب وقفت زراعة المطاط مؤقتا لرخص المستورد من البلاد الاصلية المنتجة ولتفضيل محاصيل اخرى اكثر اهمية ٠

اما تجـارب وزارة الزراعـة عندنا ، فقد اثبتت نجاحا كبيرا لملاءمة البيئة والجو ، وحصلت الوزارة على اشجار مطاطية تحوى نسبة كبيرة من المطاط ، واثبتت التحاليل الكيميائية جودة هذا المطاط الناتج منها ٠

المطاط المخلق

اثناء الحرب العالمية الاولى حاصر الحلفاء ألمانيا حصارا عنيفا لمنع تسرب المواد الاستراتيجية اليها ، ومنها المطاط احد دعائم الحرب الميكانيكية ، فاتجهت المانيا الى علمائها الكيمائيين لعلهم يجدون بديلا لهذا المطاط بتخليقه في المعامل من عناصره الاولية ولم تخيب شركة باير الالمانية الظن ، وتوصل علماؤها وباحثوها الى انتاج مطاط مخلق يسمى مطاط الميثيل من مواد اولية بسيطة ناتجة من البترول ، فكان ذلك ابذانا بمولد هذا المخلوق الصناعى في معامل الكيمياء بدلا من معامل النبات البطيئة النمو والانتاج ٠

وفي خلال الحرب العالمية الاولى انتج الالمان كميات كبيرة من المطاط المخلق الصناعى بلغت حوالى ٢٣٥٠ طنا ، ولكن بمجرد انتهاء الحرب وقفت هذه العملية لضعف مقاومة هـذا المطاط الصناعى في ذلك الوقت لان صناعته لم تكن قد نضجت بعد ، فلم يتحمل الاطار الخارجي للسـيارة المصنوع منـه اكثر من ٣٠٠٠ ميل ٠

وتذبذب انتاج المطاط المخلق تبعا لارتفاع ثمن المطاط الطبيعى او انخفاضه ولم تثبت على الاستمرار في البحوث سوى شركتين احداهما المانية والاخرى امريكية ٠

وعندما استولى اليابانيون على مصادر المطاط الطبيعى بجزر الملايو واندونيسيا في الحرب العالمية الثانية ، اهتزت الاوساط الصناعية والعلمية وواصلت البحوث لعلها تستطيع ان تغطى احتياجات الجيوش المقاتلة من مطاط مخلق يعوضها عما فقدته من ينابيع المطاط الطبيعى بالملايو واندونيسيا ، ونجحت البحوث في الانتاج على نطاق صناعى واسع من غاز الاستيلين المتصاعد اثناء تكسير الغازات البترولية الناتجة من التقطير ، وفي البلاد الفقيرة في البترول استطاعت انتاج الاستيلين من كربيد الكلسيوم وهو المركب الذى سوف تنتجه المصانع الكيميائية باسوان ٠

وقد تمكنت روسيا من تخليق المطاط من الغازات البترولية باسماء متعددة منها مطاط بونا ٨٥ ، بونا ١١٥ ٠

وفي الولايات المتحدة تحت اسم بريونان ، هيكار ، شيمى جم نيوبرين ٠

وفي اليابان تحت اسم موستون ٠

وقد بلغ انتاج امريكا في اثناء الحلب العالمية الثانية حوالى ٧٥٪ من جميع الانواع المطاطية الطبيعية والمخلقة المستعملة في امريكا ، وقد اصبح المطاط المخلق على قدم المساواة مع المطاط الطبيعى ، بل يخلط به في صنع اغلب المنتجات المطاطية لاكسابها خواص لا توجد في المطاط الطبيعى كمقاومته للمذيبات العضوية والاحتكاك ٠

استخدام المطاط في البويات

المطاط الطبيعى شديد المرونة ، ومقاوم للرطوبة ، وعلى ذلك امكنت الافادة من خواصـه هـذه في صناعة الدهانات المانعـة للرطوبة كالمستخدمة في سفن الصيد واليخوت وواجهات المنازل القائمة على شواطىء البحار ، وقد اجريت عدة محاولات لادخـال المطاط في الدهانات ولكنها تعثرت نظرا لان عدد المذيبات له محدود ، وتختلف هـذه المذيبات عن مذيبـات الزيوت الجفافة والراتنجات ، فضلا عن ان محاليل المطاط عالية اللزوجة ، واذا اريد تجنبها لكى يسهل استخدامها بالمرقاش (الفرشة) لكلفنا ذلك كمية كبيرة من المخفف ، فبذلك تصبح قشرة الدهان رقيقة جدا عند جفافها وغير متماسكة ٠

واخيرا امكن التغلب على هذه العقبات باستخدام مركبات تقلل من اللزوجة ، وتجعل المطاط قابلا للذوبان في المذيبات المعتادة مثل التربنتين المعدنى ، وتتلخص الطريقة في مزج المطاط مع نسبة بسيطة من ملح معدنى مثل لينولات الكوبلت بنسبة ٢ر٠ ٪ من وزن المطاط ٠

وبذلك امكن الحصول على محلول يحتوى على ٥٠ ٪ مطـاط ذائب في التربنتين المعدنى ، وهذا المحلول مفيد عند استخدامه مع الزيوت الجفافة مثل زيت الكتان المحـول ، او زيت الطبخ (زيت الخشب الصينى) المحول بالحرارة بنسبة لاتزيد عن ٢٠ ٪ من وزن الزيت المستخدم ٠

وهذا الخليط يعطى سطحا مقبولا عند الجفاف ، وله تاثير جيد على درجة لبريق الورنيش الزيتى ودرجة انسيابه ٠

احمد سعيد الدمرداش

الكتب تقرأ وتعرف

خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية

تأليف القائد العربي عبد الله التل

بقلم : محمد عبد الله السمان

فى مارس عام ١٩٥٩ م نشرت دار القلم بالقاهرة مذكرات المؤلف عن معركة فلسطين فى كتاب ضخم تحت عنوان : « كارثة فلسطين » استوعب فى دقة وتحليل الأحداث العسكرية والسياسية التى وقعت بعد قرار التقسيم فى أواخر عام ١٩٤٧ ، ولقد وجد الكتاب صدى بعيد الاثر فى الارجاء العربية والاسلامية على السواء ، لا لأن فلسطين العربية المسلمة لاتزال تحتل مكانا حساسا فى قلوب العرب والمسلمين وحسب ، بل لان المؤلف من القواد العرب الذين ابلوا بلاء حسنا فى المعركة اذ كان قائدا لمعركة القدس ، ومن المؤمنين ايمانا عميقا بالقضية الفلسطينية ، وهذا جعله لا يتوانى لحظة واحدة عن كشف الخيانات العربية التى طعنت القضية من الظهر ، وحمله بعد ان أدى واجب العقيدة على ان يهاجر الى القاهرة فى اكتوبر عام ١٩٤٩ .

ومن يوم أن هاجر الى القاهرة وهو وثيق الصلة بقضية فلسطين ، هذه القضية التى تمتزج بدمه قبل شعوره واحساسه وروحه نفسها ، وها هو ذا اليوم يقدم كتابه الجديد عن خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، واذا كان كتابه الأول قد أرخ لمعركة فلسطين فى الجانبين السياسى والعسكرى ، فان كتابه الاخير قد أرخ لجذور المشكلة الفلسطينية ، وصار كلاهما جزءا متمما للآخر وان كان من الأجدر أن يكون الجزء الأول متمما للجزء الثانى الأخير .

اجل : كنا نود ان يسبق الكتاب الثانى شقيقه الاول ، لا ليتفق مع الترتيب الزمنى للقضية فقط ، ولكن لان الكتاب الاخير سلط أضواء على اليهودية ، كشفت عن خسة وهمجية طبعت عليهما منذ أن وجدت على الارض ، ومن شأنهما أن تستفزا أهدأ الاعصاب وتصيبا العقل بالدوار ، والاذهان بالذهول .

***

لقد عكف المؤلف خلال ستة أعوام على دراسة المشكلة اليهودية وصلاتها التاريخية بفلسطين متتبعا احداث التاريخ منذ خروج اليهود من مصر الى ايامنا هذه ، وما رافق تلك الاحداث من وحشية وهمجية امتزجت بدمائهم ، وكان أن جاءت دراسته فى قسمين كبيرين ، استوعب القسم الاول فى ثلاثة عشر فصلا مرحلة تبدأ بالعدوان الاول على فلسطين منذ ثلاثين قرنا من الزمان وتنتهى بسيطرة اليهود على أغلب دول أمريكا واوربا وعلى عصبة الامم ومن بعدها هيئة الامم المتحدة ، وفى هذا القسم ، اوضح المؤلف الصلات الاولى بين اليهود والمسيحية ثم الاسلام ، وشرح حقيقة الدين اليهودى الذى يمارسه اليهود من توراتهم وتلمودهم ومقررات حكمائهم ، ثم ذكر الخطط اليهودية العالمية وأدواتها التنفيذية من ما سونية وصهيونية ، ولا سامية ، واللاسامية هذه فرية اخترعها اليهود سلاحا يحاربون به الانسانية فى جميع صورها ، حيث فسروا للعالم أن العداء لليهود هو عداء للجنس السامى ، ونجحوا بصفاقتهم المعهودة فى اخفاء « اليهودية » وراء هذه الكلمة التى أسموها « اللاسامية » .

***

اما القسم الثانى : فقد استوعب فى عشرة فصول مرحلة تبدأ من العدوان اليهودى الثانى منذ بداية

الاحتلال البريطاني في عام ١٩١٧م ، وتنتهي بالعدوان اليهودي السادس على المياه العربية في أيامنا هذه ، وفي هذه الفصول العشرة ، أوضح المؤلف مراحل تنفيذ الاعتداءات اليهودية ، وما لازمها من غدر بريطاني ، وهمجية يهودية ، واجرام امريكاني ، ساعد على قيام دولة العصابات « اسرائيل » وختم هذه المرحلة برأيه في الحل الصحيح للمشكلة موضحا سبيل النجاة مما تعانيه الامة العربية ، وتعانيه الانسانية من ويلات اليهودية العالمية وأخطارها .

***

والحق الذي لامجاملة فيه أن المؤلف أعطى دراسته عن اليهودية العالمية وخطرها على الاسلام والمسيحية كل ما أمكنه من جهد ذهني ، يبدو ذلك واضحا في كثرة المراجع التي رجع اليها ، ومعظمها مما يتعذر علينا الحصول عليه ، وكان موفقا وهو يعرض الخلق اليهودي في خسته وهمجيته ، ليس فقط من واقع القرآن الذي ابرز هذا الخلق ، ولا من واقع التاريخ الاسلامي خلال احتكاك اليهود بالاسلام منذ فجره ، ولكن أيضا من واقع كتابات المؤرخين الاوربيين وغيرهم ، ممن عاصروا كثيرا من الوقائع التي لعبت فيها خسة اليهود دورا رئيسيا على مر العصور .

فبعد أن عرض المؤلف للتلمود وهو مجموعة تفسيرات الربيين والحاخامات للتوراة حسب اهوائهم ، هذه التفسيرات التي طمست أصول الشريعة اليهودية التي أنزلها الله على موسى، واعتبرها اليهود أهم من التوراة ، فقد جاء في التلمود ص٥٤ «ان تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله » وفيه اعتراف الله بأخطائه في تصريحه بتخريب الهيكل ، حتى صار يبكي ويزأر قائلا : «تبا لي لأني صرحت بخراب بيتي ، واحراق الهيكل، ونهب أولادي» وفيه : « أن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة ، وخلق الله الاجنبي على هيئة انسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم » وفيه : « أن يسوع المسيح ارتد عن الدين اليهودي وعبد الاوثان وكل مسيحي لم يتهود فهو وثني عدو لله ولليهود » .

وبعد أن عرض المؤلف احدى عادات اليهود الدينية وهي المتعلقة باستنزاف دم غير اليهود من اجل مزجه بالعجين الذي يصنع منه فطير العيد الذي يأكله اليهود ، وقد ثبتت حقيقة هذه الوحشية وممارسة اليهود لها في جميع مراحل التاريخ، حتى انها كانت من أهم العوامل التي أدت الى ذبح اليهود وطردهم من جميع بلاد اوربا وآسيا في أزمنة مختلفة ، كشف المؤلف الستار عن مؤامرة اليهود على الحياة العربية ، في مشاريعهم زمن الانتداب ، وبعد قيام دولتهم ، ثم في الآونة الاخيرة ، حيث تنبه العرب للخطر المحدق بهم ، فجمعوا صفوفهم ، ووحدوا كلمتهم ، وتناسوا خلافاتهم .

ويرى المؤلف أن الاحزاب والهيئات والحركات العربية العلمانية ـ كانت ـ ومازالت ـ تعالج المشكلة الفلسطينية من جانبها المادي فحسب ، ولذلك اتجه في دراسته هذه الى الجانب الديني المقدس للمشكلة ، لأن عناصر مشكلة فلسطين في كل مرحلة من مراحلها التاريخية ـ دينية مقدسة في المقام الاول ويرى ان اية معالجة لها لاتكون على اساس ديني جهادي ، مكتوب عليها الاخفاق لامحالة ، لان ايمانه بهذا مبني على تجارب عسكرية عاشها وحقائق تاريخية لمسها ووعاها ، ولانه لم ينس بعد يوم وقف الرئيس في الازهر الشريف وأطلق صيحته : الله اكبر .. الله اكبر سنقاتل .. سنقاتل .. سنقاتل ويومها كان يخيل للعالم أن هزيمة مصر امام قوى العدوان الثلاثي متوقعة ، فجساءت صيحة الجهاد « الله اكبر » عاملا أساسيا في تحويل الشعب العربي المؤمن الى قوة تدفع عن دينها ووطنها عدوان المعتدين .. وكان النصر .

كان من أهم ما تناولته دراسة المؤلف الفصل الاخير منها ، حيث وضع حلولا لهذه المشكلة المستعصية ، وهي تتركز في أنه يجب أن نخوض المعركة على أساس الجهاد الديني ، وأن فلسطين ليست بلدا عربيا اغتصب فحسب ، وانما هي بلد اسلامي بالدرجة الاولى ، لانها تعد مهوى أفئدة سبعمائة مليون مسلم يقدسونها كما يقدسون مكة والمدينة ، كما أنها مهوى أفئدة ملايين المسيحيين المخلصين الذين لم تخرب اليهودية العالمية ضمائرهم،

ويجب ثانيا : أن تجدد حكومات العرب الصلة مع الشعوب المسلمة وتبصرها بخطر اليهود والاستعمار، فسيظل الغرب المستعمر يهزأ بنا ما دمنا نعالج مشكلة فلسطين على أساس انها ارض عربية اغتصبها اليهود ، ويؤكد المؤلف خطر الحركات العلمانية المنتشرة في الوطن العربي وانها قد تخرجت في مدارس الغزو الثقافي الغربي ، ويجب ثالثا ان تظل الوحدة العربية مؤكدة كوسيلة لا بد منها لتحقيق النجاح في المعركة ، وأن نعنى عناية كبرى بالقوى المادية في الوطن العربي كالبترول ، وهو من الاسلحة الخطيرة الضرورية للمعركة .

ويشير المؤلف بعد ذلك ، الى ضرورة ربط الشباب العربي الذي ولد خارج فلسطين بقضية بلاده ،والى ضرورة اشراك جميع الشعوب المسلمة في معركة تحرير فلسطين ، لان هذا واجب يفرضه الاسلام ، والى ضرورة الالتفات الى أنه لأول مرة تواجه المدنيتان الاسلامية والمسيحية خطر اليهودية العالمية المدمر عليها ، والى ضرورة إبعاد فكرة مشكلة اللاجئين العرب كمشكلة انسانية ، لان علاجها عند الغرب المستعمر ليس الا المعونة الغذائية والكسائية ، والى ضرورة اعداد الجيل المؤمن الصادق الجدير بخوض المعركة المقدسة .

وبعد ــ ففي أكثر من أربعمائة صفحة قدم القائد العربي عبد الله التل دراسته المستفيضة عن خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، وضمنها معلومات لاشك في أنها تستثير أعصاب القارىء وتذهل عقله ، ولا سيما في مجال وحشية اليهود على مر العصور وعبثهم بالدماء البشرية على أساس اعتقادي ، وقد يرى البعض أن الدراسة قامت على مجموعة من النقول عن الوثائق والمؤلفات ، ولكن حسب المؤلف أنه قضى ستة أعوام ينقب ويبحث ويستلهم أعم المراجع ، ليقدم اليهود في صورة مخجلة منفرة ، لن يكون خطرها على الاسلام أو المسيحية ، ولكن على البشرية والانسانية قاطبة .!

محمد عبد الله السمان

كتب جديدة

تقديم : تحسين عبد الحى

يرتبط التقدم الثقافي لكل امة من الأمم ــ كما وكيفا ــ بدرجة تقدمها الحضاري .. في صورة المختلفة .. والمتتبع لتاريخ الامة العربية يجد أن مرحلة ازدهارها الحضاري في العصر الوسيط كانت مدعمة تدعيما تاما وكاملا بفكر عربي اسلامي متطور واذا كنا اليوم نواجه مرحلة جديدة من مراحل تقدمنا الحضاري فانه يجب علينا ان نراعي بالضرورة تلك الفترة العصيبة التي حوصرت فيها الحضارة العربية سواء قبل الاستعمار التركي وخلاله أو في فترة الاستعمار الغربي . ويمكننا القول بأن حركة هادفة قد استطاعت طوال هذه الفترة ان تتناول بيد الهدم الكثير من معالم حضارتنا لكي تقدمها في النهاية لابناء جيلنا مشوهة ممسوخة ..

ويجدر بنا اذن ونحن نعيش الآن في غمار معركة القديم والجديد .. ان نقوم اولا باعادة تقديم كتب تراثنا وصياغتها من خلال الدراسة الجادة لها ــ بعيدا عن نفوذ حكومة البلاغيين التي ظلت تقدمها لنا طوال القرون الماضية بالشروح الهامشية والجمل المسجوعة .. الخ .. وقد كانت دائما تعنى بالشكل دون المضمون العلمي الرائع لهذا التراث .

لقد قدم رواد حضارتنا العربية الاسلامية العظام الكثير من الجهود المثمرة التي ساعدت على دعم التقدم الانساني العام وتقديره ومن خلال هذا المحتوى سنقدم هنا كتابين ..

الاول عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كاحد الرواد المبدعين في اساليب السياسة والحكم والثاني عن الخوارزمي العالم الرياضي الفلكي

عمر بن الخطاب
الوثيقة الخالدة .. للدين الخالد

تلتقي كل المذاهب الاشتراكية المعاصرة عند مفهوم واحد للاشتراكية ــ وهو العدالة الاجتماعية ــ وعلى الرغم من هذا التلاقي الا انهم

يختلفون فى الوسائل .. وشخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونظام حكمه يعتبران فى حد ذاتهما ـ نوعا من العدالة الاجتماعية ـ التى اضفى عليهما عمر من شخصيته القوية ما ساعدها على ان تسود .. أقول هذا بالطبع متجردا من رواسم القوالب الايديولوجية المعروفة لدينا الآن ..

وقد استطاع الاستاذ عبد الكريم الخطيب مؤلف كتاب عمر بن الخطاب ان يقدم لنا دراسة لا بأس بها عن حياة خليفة رسول الله ـ عن اسلامه وعن هجرته ومؤهلاته للخلافة وموقفه رضى الله عنه من خالد بن الوليد وعن زهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الدنيا .. يقول المؤلف :

روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فى المسجد زهاء خمسين رجلا من المهاجرين فذكروا عمر وما اخذ به نفسه من زهد وحرمان وقالو : ماترون الى زهد هذا الرجل ، والى حليته وقد فتح الله على يديه ديار كسرى قيصر ، وضم اليه طرق الشرق والغرب .. ثم ان وفود العرب والعجم يأتون فيرون عليه هذه الجبة قد رقعها اثنتى عشرة رقعة ،فلو سالتموه ـ معاشر اصحاب محمد ـ ان يغير هذه الجبة بثوب لين فيهاب منظره ويغدى عليه بجفنه من الطعام ويراح عليه باخرى ياكل منها ويأكل معه من حضره من المهاجرين والانصار ؟

وتهيب القوم ان يكلموه فى هذا وتخيروا لهذا الامر من ازواج النبى امهات المؤمنين : عائشة ، وحفصة بنت عمر ..

وعندما اخبرتاه بما يريدان قال عمر بعد نقاش طويل مفحم . « لا اكل عمر طيبا ، ولا لبس لينا ، اسوة بصاحبيه ، ولا جمع بين ادامين الا الماء والزيت، ولا اكل لحما الا فى كل شهر !! »

فخرجنا من عنده ، واخبرنا اصحاب رسول الله بما كان منه ومنهما » ويستمر الكتاب بعد ذلك فى شرح وتفسير عدالة عمر بن الخطاب وبعد نظره وحكمته فى كل قراراته التى اتخذها لصالح الاسلام والمسلمين وخاصة موقفه من خالد بن الوليد وعزله عن امارة الجند وتولية ابى عبيدة مكانه. والكتاب يعتبر سردا تاريخيا لشخصية عمر بن الخطاب

الخوارزمى

العالم الرياضى والفلكى

« يقول ارنست رينان » « ان العلوم والحضارة والآداب مدينة بازدهارها وانتشارها للعرب وحدهم طوال ستة قرون »

ويقول العلامة سيديو : « ان العرب فى الواقع هم اساتذة اوربا فى جميع فروع المعرفة »

وكتاب الخوارزمى العالم الرياضى والفلكى ـ الذى الفه المرحوم محمد عاطف البرقوقى والاستاذ ابو الفتوح محمد التونسى ـ يعتبر دراسة لعالم من اعلام العلوم الرياضية العرب ، اسهم فى بناء التراث العلمى البشرى بقدر كبير ، ولمع فى ناحيتين بارزتين من العلوم الرياضية وهما الجبر والفلك .

وقد حاول المؤلفان فى هذه الدراسة ان يرسما صورة واضحة موجزة لنشاة العلوم الرياضية منذ احس الانسان حاجته اليها ومنذ كانت معارفه وحاجاته اولية يسيرة ثم تتبعا هذه العلوم عند مختلف الامم القديمة حتى وصلاالى العرب ، وتتبع المؤلفان تطور هذه العلوم عندهم من العصر الجاهلى الى عصرهم الذهبى فى ايام المأمون العباسى حيث نبغ محمد بن موسى وذاع صيته فى الآفاق .

ويقدم المؤلفان بعد ذلك دراسة ممتعة لافكار الخوارزمى وكتبه .. وخاصة كتابه المشهور «الجبر والمقابلة »

ومن ابواب كتاب الجبر والمقابلة باب الضرب ، والمراد منه بيان كيفية ضرب الاشياء او الجذور بعضها فى بعض .

ثم باب الجمع والنقصان ، ويتناول هذا الباب شرح بعض القوانين الخاصة بجمع المقادير الجبرية وطرحها وضربها وقسمتها .

ثم يعرض بعد ذلك مسائل مما يجرى فى حياة الناس من بيع وايجارات ، ومايتعاملون به من صرف وكيل ووزن ..

ثم يذكر بعدذلك ما يتعلق بالمساحات ، فيتحدث عن وحدة المساحة ومساحات بعض السطوح المستقيمة والاجسام ، ومساحة الدائرة والقطعة

ـ وفى هذا دليل قاطع على انه كان عالما بنظريات التشابه فى الهندسة ومنها : »

« اذا تقاطع وتران داخل دائرة فالمستطيل المكون من جزاى الوتر الاول يكافىء المستطيل المكون من جزاى الوتر الآخر »

وواضح انه استخدم هذه النظرية فى الوصول الى قطر الدائرة ... الخ ..

ان كتاب الجبر والمقابلة الذى كتبه الخوارزمى كان المرجع الاول الذى اعتمد عليه النابهون من علماء الرياضة فى أوربة فى العصور الوسطى ، ولذلك يقول كاجورى : ان العقل ليدهش حين يرى ما عمله العرب فى علم الجبر .

ولذلك اهتم الاوربيون بنقله الى لغاتهم ، فقد نشر مختصر منه (ف . روزن) بلندن سنة ١٨٣١م ودرسه بالفرنسية (ا ـ مار) بعنوان قسم الهندسة من كتاب الجبر لأبى عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى ونشر (ج.روسكا) دراسة له بالمانية بعنوان (اقدم جبر عربى وفن الحساب) بمجلة المجمع العلمى بمدينة (هيدنبرج)بالمانيا سنة ١٩١٧م وترجمه الى اللاتينية (روبرت أوف شستر) حول سنة ١١٤٠م ، وتعد هذه الترجمة اساسا لجميع الدراسات التى قام بها كبار العلماء، كما شرحه عدد كبير من علماء الرياضة العرب .

وقد ترك الخوارزمى مؤلفات قيمة فى الفلك والجغرافيا : منها كتاب (زيج الخوارزمى) ، وكتاب تقويم البلدان ، وكتاب فى الهندسة والفلك والحساب والموسيقى ، ويقول الدكتور (سارطون) فى كتابه الاخير انه يشتمل على خلاصة دراساته لا على ابتكاراته .

هذه بعض آثار الخوارزمى فى علم الفلك ، وهى ناطقة بانه كان ذا عقلية رياضية جبارة ، وانه كان عالما مفكرا فى مقدمة العباقرة فى علوم الرياضة والفلك ، ابتكر الجبر وعلمه ، كما علم الحساب للناس اجمعين .

« تحسين عبد الحى »

نحن العرب

للشاعر : على الجندى

الى محمد عز الدين المناصرى الاردنى
تحية لتحيته الشعرية

انا لأوسط أمة
عزت وسادت فى البشر
واضاءت الدنيا بها
كالليل ضواه القمر
طابت معادنها فطا
ب الخبر منها والخبر
وبنت ممالك سامقا
ت كالدرارى الزهر
كانت بجيد زمانها
كالعقد فصل بالدرر
زالت !! وما زالت ترو
حنا بانفاس الزهر
دثرت !! ورسم المجد بيـ
ن طلولها لم يندثر
والشمس تحجب عينها
والضوء منها منتشر
فى ظلها الفينان فا
ض الخير ، والعدل ازدهر
والعقل ألهم رشده
فصفا ، وزايله الكدر
والعلم اخرج شطأه
وزها بروضته الثمر
وتحرر الانسان من
رق حنى منه القصر

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى



● **مجلة الفنون الشعبية :**

مما لا شك فيه ان اهتمام الدولة بالثقافة جعلها تفكر في الوسائل التي تعمل على نشرها ، لهذا أنشأت هذه المجلات المتعددة لكي تتيح الفرصة أمام جمهور المثقفين عندنا .

وقد حظيت الفنون الشعبية باهتمام الدولة ورعايتها باعتبارها التراث الأصيل الذي تكمن فيه شخصيتنا وتبدو عليه ملامحنا ، وحملت هذه الفنون الشعبية عندنا مجلة صدرت منذ اسبوعين واستطاعت ان تخرج الى النور على هذا المستوى الطيب من دسامة المادة وروعة الاخراج .

وقدم الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد هذا العدد الجديد مبينا ان صدور هذه المجلة كان «استجابة طبيعية لاحساس مجتمعنا العربي الاشتراكي بذاته واستكمال ملامحه ، بعد ان اتم مرحلة التحول ، وبدأ مرحلة الانطلاق العظيم » . كما ان صدورها ايضا كان «استجابة منطقية لاحترام الشعب لذاته وتقديره لفنونه »

ويوضح الدكتور حاتم أن رسالة هذه المجلة «هي أن تكون مرآة صافية وصادقة تعكس نبض المجتمع العربي الاشتراكي ، كما يبدو في مأثوراته وآدابه ورسومه وتماثيله وعروضه التي تتوسل بالحركة والايقاع والتمثيل» كما انها مطالبة «بتصحيح مفهوم الفنون الشعبية ، والكشف عن المجهول فيها ، ودراسة روائعها ، وتقديم اعلامها ، وتخليصها من رواسب السلبية والتردد والتواكل ، واظهار ما في هذه الفنون الشعبية من القيم الانسانية العليا كالحق والخير والجمال وابراز ما تمتاز به من الاصالة التي تجعلها انسانية قومية وطنية ، بلا تناقض ولا صراع » .

وتلت كلمة الدكتور حاتم كلمة رئيس تحرير مجلة الفنون الشعبية الدكتور عبد الحميد يونس فبين ان تراثنا الشعبي ومأثوراته فيه من المرونة ماجعله – ولا يزال يجعله – قابلا للتطور والنمو مع تطور الحضارة ونموها ، كما انه في الوقت نفسه يرد على أولئك الذين انتقصوا من قدرة العقل العربي والارادة العربية ، « تبريرا لاستعلاء عنصري » .

ولذلك يرى الدكتور ان العمل على احياء التراث الشعبي العربي «تبعة قومية وانسانية وعلمية في وقت واحد» ، ومن اجل ذلك فان مجلة الفنون الشعبية ستتحمل هذه المسئولية الضخمة ، ولن تضن بعرض الدعوة المخلصة والمادة الاصيلة والاقتراح المفيد .

ويشير الدكتور الى أن انصع دليل يمكن ان يقدم على عظم هذه المسئولية القومية والعلمية هو ذلك «الاعتراف الذي سجله المستشرق الانجليزي (جب) في كتاب «تراث الاسلام» فقد ذكر صراحة ان اوروبا تأثرت اواخر القرون الوسطى واوائل عصر النهضة بالمأثورات الشعبية العربية ، وهي التي اعطتها

السمات القومية فى الادب ، وغيرت من قوالب الشعر المنظوم . ومنحتها القافية . والكثير من المضامين ، وعلى الرغم مما قيل عن عجز القريحة العربية فى مجال القصة ، فان هذا المستشرق يصرح بان القصص الإيطالى من عصر النهضة انما ظهر حكاية للقصص الشعبى العربى ، وان «شوسر» أبا الادب الانجليزى قد تأثر بطريق مباشر وغير مباشر النهج العربى فى السرد والوصف والتصوير . وبعد ان يضيف الدكتور ان هذا المستشرق قد عدد الاثار الادبية الكثيرة التى بها قلد الاوروبيون الاشكال والمضامين الشعبية العربية يقول ان هذه ، مجالات حرية بأن نعود الى دراستها من جديد ، لا لنؤكد مزية من مزايا العرب، وانما لنجلو الحقيقة ، ولنتبين مرحلة من مراحل التطور فى ماثوراتنا الشعبية الحية ، ولنتعرف على القسمات الاصيلة فى تراثنا الشعبى الذى صاغه مزاجنا وفكرنا ووجداننا على مدى العصور » .

وينتقل الدكتور ليتحدث عن اساس نهضتنا الفنية مبينا أن هذا الاساس انما يرتكز على ماثوراتنا الشعبية وانه اذا كانت قد تعثرت جهودنا فى الماضى فان الذى لاشك فيه «ان عنايتنا اليوم بالفنون الشعبية قد حفزت ، ولاتزال تحفز الفنانين الى استلهام المأثورات الشعبية العربية الأصيلة .. فى الموسيقى والغناء والتمثيل وتصوير اللوحات الحية والرسم والنحت» .

وبهذا نتحلل من أسر التيارات الاجنبية الوافدة التى رانت على عقولنا الى الارتكاز على انفسنا ، وما فى سلوكنا ، ومايكمن فى نفوسنا وعقولنا ومااحتفظت به ثقافتنا الشعبية من خبرة ومهارة . ويبين الدكتور أن زوال الشعور بالنقص امام الفنون الغربية «سيضاعف من قدرتنا على الابداع الاصيل ، وسيجعلنا ننفذ الى جوهر النفس الانسانية مع الاحتفاظ بمقوماتنا وخصائصنا العربية ونحن نلاحظ بوادر هذا الاتجاه العظيم الذى نحطم به الحصار الثقافى الذى فرض علينا ، ولن يمضى طويل وقت حتى يشهد جيلنا بفضل العناية بالمأثورات الشعبية وتطويرها والافادة منها ، أدباء عالميين فى الدراما والرواية والقصة القصيرة والشعر وفنانين عالميين فى الموسيقى والتمثيل والرقص التوقيعى والتصوير والنحت » .

على أنه لايسعنا الا أن نقدم التهنئة للدكتور عبد الحميد يونس على هذا المجهود الضخم الذى بذله فى سبيل الاعداد لهذه المجلة .. تحية اليه .. والى الزميلة الجديدة مجلة «الفنون الشعبية» .

● «الآداب» وعامها الثالث عشر

طالعتنا ، مجلة الآداب ، اللبنانية بحديث لرئيس التحرير الدكتور سهيل ادريس — شرح فيه وضع مجلته من الناحيتين المعنوية والمادية ، فمن الناحية المعنوية يعترف الدكتور سهيل بأن مستوى ما ينشر فى المجلة من النتاج الادبى الآن يختلف عما كان عليه من قبل ، تبعا للتطور الهائل الذى طرا على المجتمع العربى فى المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، اذ أن المجتمع العربى اليوم «يسير سيرا واضحا فى طريق الاشتراكية تلك التى لم يكن يعيها من قبل او كان يتنكبها عن وعى» .

ويستطرد الدكتور سهيل ليرد بصراحته المعهودة عن التهمة التى توجه الى مجلتك تلك هى ندرة الاقلام اللبنانية فيها على الرغم من انها مجلة لبنانية ، ويقول الدكتور ان المجلة «لاتفهم اللبنانية انعزالا وانغلاقا عن المجموعة العربية ، بل تفهمها انفتاحا ومشاركة، لأن المصير اللبنانى مرتبط أوثق الارتباط بالمصير العربى كله ، وهذه المجلة حريصة على أن تتعاون مع جميع العناصر التى تؤمن بالقومية العربية وبالمصير المشترك ، الى اى بلد انتموا . ونعتقد ان من الطبيعى أن تمتنع العناصر الانعزالية عن الكتابة فى «الآداب» والا تكون «الآداب» بدورها حريصة على أن تفسح لها صدرها » .

وينتقل الدكتور متحدثا عن الوضع المادى للآداب فيذكر أنها «ليست مدعومة دعما ماديا من أية سلطة أو جهة او مؤسسة او فرد» وانها تعتمد على قرائها فى أجزاء الوطن العربى، هؤلاء القراء هم الذين ضمنوا لها «الحفاظ على استقلالها وجعلها تقاوم جميع المغريات وما أكثرها ، لا سيما المغريات، الأجنبية » .

والمعروف ان الدكتور سهيل ادريس كان ممن تبنوا الكشف عن الاتجاهات المشبوهة والصلات المريبة لبعض المجلات التى تصدر فى لبنان ونوه بما لها من تعاون مع الاستعمار والصهيونية اللذين حرصا كل الحرص على ان يقدما لهذه المجلات المعونات المالية كما صرح الدكتور سهيل بهذا أيضا فى حديث أدلى به الى جريدة «الجمهورية» اثناء زيارته الأخيرة للقاهرة .

محمد العوانى

البريد الأدبي

أياتي عن قريب

للشاعرة فلورى عبد الملك

هنالك على الطريق   صدى صوت رقيق
ينادى فى خشوع
تمهل فى خطاك   فقد اضحى هواك
لظى بين الضلوع
وانت .. الا تبالى   بساهرة الليالى
ستذوى كالشموع
حنين فى دماها   وشوق فى حشاها
وفيض من دموع
مقرحة الجفون   مثقلة الشجون
وتهفو للهجوع
وتصحو فى الصباح   مضعضعة الجناح
تفر من الجموع
تهيم على الروابى   وتشكو فى عذاب
هوى القلب الوجيع
تحن الى الرفيق   فتهرع للطريق
تسائل فى ولوع
ايأتى عن قريب   وتهنا بالحبيب
متى.. ؟ هل من رجوع

اللجنة المفترى عليها

بقلم عبد الرحمن احمد سالم

تلك هي لجنة الشعر . فقد اثارت مذكرتها المرفوعة الى الدكتور حاتم ضجيجا لم تهدأ اثاره بعد ، وكثرت الاقلام المشهورة فى وجه هذه اللجنة ، حتى لكانى باصحاب هذه الاقلام يعانون من اللجنة غيظا مكتوما سنحت الفرصة لاطلاقه فاطلقوه فى ثورة عجيبة تبعث على الدهشة ، وتثير الغرابة .

لماذا هذا ؟ هل هناك فى مذكرة اللجنة ما يبرر كل هذه الثورة المحمومة ؟

ان ما اثار هؤلاء الثائرين المحتجين بصفة خاصة هو فقرة وردت فى المذكرة تطالب بحق الاشراف على كل ما يتسم بجسم الدولة من وسائل نشر الشعر ، والحق ان هذه العبارة فهمت على غير وجهها ، واولت تأويلا يتفق ومقصود الحانقين ، ولا يتفق ومقصود اللجنة ، لم تقصد اللجنة بالاشراف ان تحجر على التجارب الجديدة وتميتها ، كلا ، ولا يمكن ان تقصد ذلك . فهذه التجارب مواليد صغيرة من حقنا ان نهيىء لها سبل الحياة الطبيعية وتتركها بعد ذلك تجابه هذه الحياة ، فان ملكت مقوماتها عاشت رغم محاولة القضاء عليها ، وان فقدت مقوماتها ماتت رغم كل محاولة لانعاشها بالتنفس الصناعى !

كل ما قصدت اليه اللجنة الا يفتح الباب هكذا على مصراعيه امام الشعراء الجدد ، ففيهم الشاعر ، وفيهم المتشاعر ، وفيهم من لاشاعرية عنده على الاطلاق ، بل يجب ان تختار من تجارب هؤلاء الشعراء ما تثبت اصالته وصدقه وشاعريته ، حتى لايدخل من الباب الا من يملك تذكرة الدخول ، ويطرد الباقون حتى يثبتوا ملكيتهم لهذه التذكرة ، ولا شك ان فى هذا التصرف خيرا وبركة على الشعر ، فكثير من الناس الآن زهدوا فى الشعر وانصرفوا عنه ، لما يرون فى معظمه من اسفاف وسطحية .. فانطبعت فى اذهانهم صورة مشوهة عن الشعر عموما بما فيه الجيد ، وقد يؤخذ البرىء بذنب المجرم .

ورأت اللجنة ايضا الا يضيق الخناق على الشعر العربي الأصيل ـ ولا الوزن التقليدي ـ في مجلات وصحف ليست حكرا لبعض الأفراد وبعض التجارب ، ولكنها من حق كل الأفراد وكل التجارب ، ولا اظن ان في هذا المطلب ما يثير الانتقاد .

لقد صوبت الى لجنة الشعر سهام كثيرة ، واصبحنا لا نكاد نقرا صحيفة الا ونجد فيها من الحملات المسرفة شيئا كثيرا وقد دعا البعض الى وجوب عقد اجتماع سريع ، وغير عادى لاعضاء جمعية الادباء لمناقشة هذه القضية (الخطيرة) وعقد هذا الاجتماع فعلا . كما قام البعض بتصوير السادة اعضاء لجنة الشعر بصور مزرية ، وكلهم اعلام افاضل ، خدموا بلدهم بعصارة افكارهم ، وما زالوا يخدمون ، فكان جزاؤهم منا هذا الهزء المرير ، والسخرية اللاذعة .

كفى يا قوم تقريعا للجنة المظلومة ، فلم ترد لكم وللادب الا الخير .. كل الخير .

الأول الا انها تخالف كلام الدكتور .. وها هي ، بل ان هناك مشابهات عديدة بين النديم وبيني لادرى عل جاءت من وحي القدرة الخفية او جاءت مصادفة بغير قصد منى ولا من احد .

لقد تعلمت صناعة التلغراف كما تعلمها النديم واشتغلت بالتعليم في مدرسة خيرية كما اشتغل النديم وجربت الاستخفاء على الطريقة البوليسية اكثر من مرة في ابان الحرب العالمية الاولى وكذلك فعل النديم عند مطاردته في اعقاب الثورة العرابية .

ولكننى ـ مع هذه التشابهات ـ لم اشعر من قبل ولا اشعر الآن بان الرجل قدوتي المختارة بين امثلة النبوغ التى اتمناها او بين الشخصيات المثالية التى اجلها واحب ان انتمى اليها . ويسهل الرجوع الى كلام العقاد في كتابه « حياة قلم » صحيفة ٤٠ ، ٤١ .

العقاد والنديم
في كتاب الدكتور شوقي ضيف
محمد ماجد محمد عبد الفتاح

ذكر الدكتور شوقي ضيف في كتابه «مع العقاد» صحيفة ٢٩ من طبعة دار المعارف « ويلتحق بمدرسة الفنون والصنائع ، ثم يتركها ويوظف في مصلحة البرق «التلغراف» وياخذ في تعلم دروسه في ضاحية الدمرداش بالقاهرة ويمضى في ذلك ستة اشهر يتجه بعدها الى الصحافة التى اعده لها القدر من قديم ، وربما كان توظفه بمصلحة البرق اقتداء منه بعبد الله نديم الذي توظف بها حينا ، وايضا ربما كان اشتغاله بالتعليم في المدرسة الاسلامية الذي تحدثنا عنه آنفا ضربا من هذا الاقتداء ، فقد اشتغل عبد الله نديم ايضا بالتعليم في المدارس الخيرية وهو اخيرا في سنة ١٩٠٧ التى توفى فيها ابوه يخلص مثل النديم للخدمة الوطنية » .

هذا .. على الرغم من ان سلسلة المقالات التى كتبها العقاد في اواخر ١٩٥٧ والتى تنشرها الآن دار الهلال ـ هي المرجع الوحيد الذي استقى منه الاستاذ الدكتور معلوماته عن حياة العقاد

اقتراح
ماهر محمود البقرى

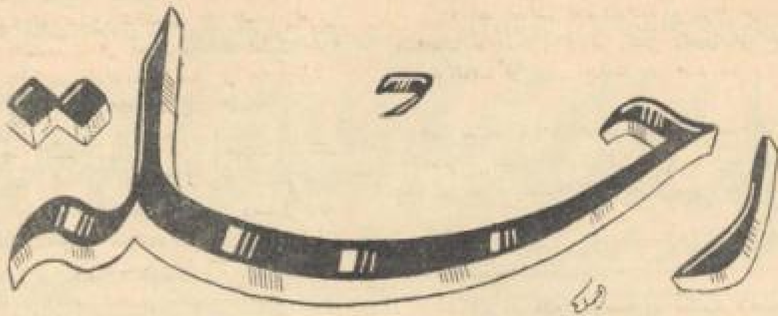
يحسن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بتشجيعه الادباء والدارسين بطبع كتابهم الأول على نفقته مع تقديمه للسادة القراء بقلم احد اعضاء المجلس الأدباء ، غير ان لى اقتراحا وددت لو يعمل به المجلس ليتم فضله ، ذلك هو توزيع الكتاب الاول عن طريق المجلس نفسه لسببين ليس غير :

١ ـ ان عدد المطبوع من الكتاب الفا نسخة فقط للاديب او الدارس نصفها وكثير من دور التوزيع تعزف عن توزيع هذا العدد لقلته .

٢ ـ ليس يليق بالدارسين ان يشغلوا بالنواحي المادية بتحديد سعر الكتاب ، وكم وزع منه وصافي ارباحهم الخ ؟

وفضلا عن ذلك فان المجلس يتولى توزيع سائر مطبوعاته بنفسه توزيعا غير تجارى ، كما يصنع في الف نسخة من الكتاب الأول .





قصة بقلم : ثروت اباظة

كان مكانها فى الطائرة بجانبه ولم تعره التفاتا . فقد كانت المرة الاولى التى تركب فيها طائرة وكان كل ما يسعى اليه ذهنها ان تقرأ ماتحفظه من القرآن: قليلا ما كانت تلجأ الى القرآن وهكذا كان محصولها فيه يقل كلما لجأت اليه . فهى تجهد ذهنها بحثا عن السور القصار . ويخونها ذهنها الخائف المذعور فلا تذكر الا« قل هو الله احد»وتكمل السورة وتبحث عن غيرها فلا يقودها ذهنها الا الى « قل هو الله احد» فتعيدها وتعيدها ولا تقول غيرها وهو بجانبها ينظر اليها وطيف ابتسامة يطيف بفمه . وتظل هى تقرأ قل هو الله احد حتى تجد نفسها آخر الامر قد اطمأنت الى تحليق الطائرة فى الهواء وتفيق الى نفسها من ذعرها وتنظر حواليها وتراه وترى الابتسامة وتوشك ان تلاقيها بابتسامة . وتتفرس فيه . فتى اسمر الوجه سمرة غير مصرية حلو الملامح ذكى العينين حليق الشعر اسوده . فى وجهه سماحة وطيبة وحب ... حب للحياة ولكل شىء فى الحياة . وينتهز فرصة نظرها اليه فيقول فى انجليزية نقية :

ـ أخائفة انت الى هذا الحد !

وتدهش انه عرف بخوفها على رغم جهله بالعربية فتقول

ـ كيف عرفت انى خائفة ؟

ـ لكل دين تعاويذه .

ـ نعم انى خائفة...الحقيقة اننى كنت خائفة... ولكننى الآن اشعر بالطمانينة .

ـ اترى كان لما تتمتمين به اثر فى هذه الطمانينة.

ـ لا ادرى ... ولكنى الآن غير خائفة .

ـ انت مصرية ؟

ـ نعم .

ـ ما هذا الذى كنت تقولينه .

ـ كلام من كتابنا

ـ مسلمة انت ؟

ـ نعم

ـ اهذا هو القرآن

ـ كلمات قليلة منه

ـ انا ايضا اقول كلاما حين اكون خائفا

ـ من الانجيل ؟

ـ لست مسيحيا

ـ اذن

ـ انا بوذى

ـ من الهند انت

ـ نعم

ـ وهل كنت خائفا

ـ فى هذه المرة لا ... انها ليست المرة الاولى التى اركب فيها الطائرة .

ـ هل خفت فى المرة الاولى ؟

ـ المشاعر الانسانية واحدة فى جميع انحاء العالم ومهما تختلف الاديان

ـ انت مسافر الى لندن

ـ نعم وانت

ـ الى لندن ايضا

ـ للدراسة

ـ نعم وانت

ـ للدراسة ... كنت فى اجازة وها انذا عائدة منها

ـ الا تشعر بالغربة فى لندن

ـ اننى اشعر بالغربة بمجرد بعدى عن بيتى

ـ اخاف من الغربة

ـ هى المرة الاولى التى تفارقين فيها اهلك ؟

ـلم ابت ليلة خارج منزلى .. بل لم ابت ليلة بعيدة عن اختى

ـ اظنها غير سعيدة بسفرك .
ـ مسكينة كانت تحاول ان تخفى الدموع حتى لا اراها .
ـ الم تحاول اسرتك ان تمنعك من السفر
ـ حاولت امى ولكن ابى متحرر التفكير ورأى اننى متقدمة فى دراستى فلم يشـــا ان يحرمنى هـذه الفرصة .

وجرى الحديث ... حدثته عن ابيها وامها واختها واخيها.وحدثها عن اخوته الثلاثة من الذكور والاربع من النساء فعرفت اسـماءهم واسـمائهن وعرفت المتزوجة منهن ومن لا تزال تنتظر الزوج وعرفت ماذا يفعل اخوته من الذكور عرفت اعمالهم جميعـا ... ساعة واحدة كان كل منهما يعرف كل شيء عن الآخر وجرى الحديث ونسيت الطائرة ونـسـيت الخوف ونسيت اباها واختها واخاها نسـيتهن بالحـديث عنهم ... نسيت لهفتهم فى يوم سفرها ونـسـيت الجزع فى عينى امها والضـياع فى عينى اختهـا والشعور بالمغامرة فى عينى ابيها والشوق الى المجهول فى عينى اخيها ... نسيت المشاعر التى ودعوها بهاق غمار الحديث وعن حياتهم اليومية وفجاة اهتزت الطائرة هزة عنيفة وحوم الصمت على المسافرين وعاد اليها الخوف ولم تشعر بنفسها وهى تمسك بيده فى ذهول ولم تشعر ايضا بيده وهو يطبقها على يدهـا المرتجفة . وبعد لحظات انباهم صوت قائد الطائرة انهم فى خطر وانه يحاول ان يتغلب على هذا الخطر

وتظرت الى جارها الذى اصبح صديقها وتكلمت عيناها وتكلمت عيناه وساد الصمت دقائق طويلة.. طويلة .. ثم ارتفع صوت قائد الطائرة .

ـ اقتربنا من لندن ... الله معنا .

وعادت الى « **قل هو الله احد** » تقولها بقلبهاونظرت الى جارها ووجدته يقول كلاما لا تفهم منه شيئا .

وحين لامست الطائرة أرض المطار وجدت نفسـها فى حضن هريش وهى مازال تردد « قل هو اللهاحد» وحين انفصلت عنه انفجرت باكية ضاحكة متمتمة بكلمات السورة الوحيدة التى اصـبحت لا تحفظ غيرها .

واستمرت الصلة بينها وبين **هريش** حتى اصبحت تقضى كل اوقات فراغها معه . وأحست فى صـحبته امنا ، واستطاعت برفقته ان تتغلب على الغربة اغلب ساعات النهار . ولكن الوحدة كانت تفغر لها فاها كلما تلقفتها الحجرة التى استأجرها لها عند اسـرة صديقه .

وفى يوم سالها هريش ونظرة الحب تشـع من عينيه

ـ سلوى ... اريد أن أتزوجك
ـ كيف
ـ هكذا
ـ ولكن ديننا يحرم الزواج بك
ـ اعلم

وصمتت بعض الحين ولكنها ما لبثت ان وافقت على الزواج . وتم الـزواج غير علم من احـد الا الموظفين المختصين .

ومرت الايام وسلوى تكتب لاهلها لا تجسـر ان تخبرهم بما تم فى امرها حتى كان يوم شـعرت **سلوى** بالم فى جنبها . لم تحفل به اول الامر ولكن الالم ازداد ولم تستطع ان تكتم امره عن **هريش** . وطالعهما الطبيب بالحقيقة القاتلة ... المرض قاتل لا سبيل الى التغلب عليه .

ونظرت سلوى الى هريش وانعمت النظر ولم تجد شيئا تقوله الا

ـ انا آسفة ... لم استطع ان احقق لك السعادة التى كنت اتمنى ان احققها لك

ولم يستطع هريش ان يحمل العبء وحـده . وفوجئت اسرة سلوى بخطاب موقع من هريش ان ابنتهم مريضة . وظن الأب أن التوقيع لأحد زملائها ولم يفكر الا فى مرض ابنته فسرعان ما ذهب اليهـا فى لندن . ووجدها على فراش الموت ووجد معهـا هريش . وما هى الا لحظات حتى تبين ما فعلته ابنته. واوشك ان يتركها ليعود الى القاهرة ولكن **سلوى** نادته فى صوت واهن ضعيف .

ـ ابى

ووجد نفسه يقول دون ريث وتفكير

ـ لم اعد اباك
ـ انى هنا وحيدة
ـ انا لا اراك وحيدة
ـ لى رجاء لا يستطيع ان يحققه لى هريش
ـ لا تنطقى إسمه
ـ فهو رجاء لن يحققه لى الا انت
ـ لا اريد ان اسمع
ـ اريد ان ادفن كمسلمة

وانهار الأب الحزين باكيا ... انهـا ما زالـت مسلمة ...

هل اشركت بالله يا سلوى ... هـل اشركت بالله

ـ اريد ان ادفن كما يدفن المسلمون
ـ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .



العدد ٧٧
الثمن ٣ قروش

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
احمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف اجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٠٩٦ ـ الخميس ١٢ رمضان سنة ١٣٨٤ هـ ١٤ يناير سنة ١٩٦٥ م ـ السنة الثانية والعشرون

بعض أنواع غريبة من الصيام وأشباه ونظائر لصيام رمضان في الشرائع السابقة للإسلام

بقلم الدكتور: علي عبد الواحد وافي

اختلفت **أشكال الصوم** باختلاف الأمم والشرائع وتعددت أنواعه بتعدد الأمور المرتبطة به والأسباب الداعية اليه ، غير أن قوامه في جميع أنواعه هو حرمان الجسم والنفس من بعض حاجاتهما الضرورية المحببة .

* *

ولا يتحقق الصوم فى الاسلام الا بالامساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع اقتران النية به . ويصدق هذا على خمسة الأنواع من الصيام المقررة في الاسلام وهي صيام الفرض والنذر والقضاء والكفارة والتطوع .

ولكن لا يصل صيام المؤمن الى درجة الكمال الا اذا اجتنب مع ذلك المحظورات جميعا وتحاشى الوقوع في المحرمات أقوالها وأفعالها ، وابتعد عن سفساف الأمور وعن الاساءة الى الخلق ، وتغاضى عن اساءتهم اليه ، فأضعف درجات الصيام يتمثل فى مجرد الامساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس مع اقتران النية به . ولكن فوق ذلك منازل رفيعة فى الاسلام تتدرج فى سموها وقربها الى الله تعالى حتى تصل الى المثل الأعلى الذى حث عليه الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . ويقصد بالزور فى هذا الحديث المحظور والمحرم قولا كان أو فعلا ، وقد أكد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المعنى فى حديث آخر اذ يقول : « اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل ، فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل انى صائم ، انى صائم » . و « لا يرفث » معناه لا يفحش فى قول أو فعل ، و «لا يصخب» معناه لا يرفع صوته صاخبا ولا يجهر بالسوء من القول ، و « لا يجهل » معناه لا يتصرف تصرفا سفيها ، ومنه قول عمرو بن كلثوم فى معلقته:

الا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن هذا يبين أن كمال الصيام فى الاسلام يقتضي – بجانب الامساك عن الأكل والشرب والجماع – الامتناع عن كثير من أنواع الأقوال والأفعال . هذا الى أنه يسن فى الأيام العشرة الأخيرة من رمضان الاعتكاف فى المساجد . والاعتكاف يقتضي عدم الخروج من المسجد والتفرغ للعبادة ، والكف عن الأعمال الدنيوية وعن قربان النساء طوال مدة الاعتكاف نهارها وليلها . قال تعالى : « ولا تقربوهن وأنتم عاكفون فى المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها » . وقد ثبت أن الرسول عليه السلام واظب على الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان.

* * *

هذا ، ومن أنواع الصيام المقررة فى الشرائع الأخرى أنواع غريبة تختلف عن صيامنا فى كثير من الوجوه .

فمن ذلك الصيام عن الكلام بجميع أنواعه . وقد شرع هذا النوع من الصيام لدى كثير من الشعوب البدائية وغيرها . فعند السكان الأصليين لأستراليا كان يجب على المرأة اذا توفى عنها زوجها أن تظل مدة طويلة ، تبلغ أحيانا عاما كاملا ، صائمة عن الكلام . ويظهر أن هذا النوع من الصيام كان مقررا كذلك لدى اليهود ، بدليل قوله تعالى لمريم : « فاما ترين من البشر احدا ، فقولى انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا » ، وكانت شريعة مريم وقومها حينئذ هي الشريعة اليهودية .



ومن ذلك ايضا الصيام عن بعض أنواع الطعام والشراب دون غيرها . فبعض أنواع الصيام عند المسيحيين يتحقق بالامساك عن الغذاء الحيواني وما يستخلص منه ، وذكر العلامة ابن النديم في كتابه « الفهرست » في أثناء كلامه عن الصابئين أن دينهم كان يفرض عليهم صيام سبعة أيام أولها لثمان مضين من شباط ، وأن هذا كان أهم أنواع صيامهم، وأنه كان مقيدا ببعض أنواع الطعام والشراب ، « فكانوا لا ياكلون في هذه الأيام شيئا من الزفر (كلمة عامية تطلق على اللحوم وما يستخرج منها) ولايشربون الخمر » ، وذكر العلامة البيرونى من أنواع الصيام عند الهنود البرهميين صياما « يجتنب فيه الصائم اللحم والسمك والحلوى واقتراب النساء ، ويجعل أكله مرة واحدة كل يوم » .



ومن ذلك أيضا الصيام عن جميع أنواع الأعمال أو عن معظمها. وقدشرع هذا الصيام في كثير من الأديان . فالدين البوذى مثلا يفرض على أتباعه الصيام من شروق الشمس الى غروبها في اربعة أيام من كل شهر قمرى يسمونها أيام « اليوبوزاتا » وهي اليوم الأول والتاسع والخامس عشر والثانى والعشرين (أى مبدأ كل منزلة من منازل القمر الاربع) ، ويقتضى صيامهم هذا الامساك عن مزاولة أى عمل حتى اعداد طعام الافطار. ولذلك يعمل الصائمون على اعداد طعامهم قبل شروق الشمس من كل يوم من هذه الأيام الأربعة . ويمكن أن يعد من هذا النوع ما قررته شريعة اليهود من تحريم مزاولة كثير من الأعمال في يوم السبت من كل أسبوع ، ويظهر من شواهد كثيرة انهم كانوا في عصورهم القديمة يمتنعون في هذا اليوم كذلك عن الاكل والشرب ، ثم قصر الأمر فيما بعد عن مزاولة الأعمال .

وذكر العلامة أبو الريحان البيرونى أنواعا غريبة من صيام الهنود البرهميين في كتابه القيم :

« تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة »

فمن ذلك نوع يسمى عندهم « أوب باس » ، وهو « أن يعين الشخص اليوم الذي يريد صيامه ، ويضمر اسم من يتقرب اليه بهذا الصيام (آلها كان او ملكا أو غير ذلك) ، ويتناول طعامه عند الظهيرة في اليوم السابق ليوم صيامه ، ويتظف أسنانه بالتخليل والسواك ، ويمتنع بعد ذلك عن الطعام . فاذا أصبح يوم الصيام استاك ثانية واغتسل وأقام فرائض يومه وأخذ بيده ماء ورمى به في جيهاته وأظهر اسم من يصوم له بلسانه ، وبقى على حاله الى غد يوم الصوم . فاذا طلعت الشمس فهو بالخيار في الافطار : ان شاءه في ذلك الوقت ، وان شاء أخره الى الظهيرة » ـ ومنه نوع آخر يسمى «كرِِجر» وهو أن يصوم « اربعة أيام يأكل في اليوم الأول منها وقت الظهيرة فقط ، وفي اليوم التالى وقت العتمة ، ولا يأكل في اليوم الثالث الا ما يدفع اليه غير مطلوب ، ويصوم اليوم الرابع كله » ـ ومنه نوع يسمى «براك» وهو أن « يجعل طعامه وقت الظهيرة ثلاثة أيام متوالية ، ثم يحوله وقت العتمة ثلاثة أيام متوالية ، ثم يصوم ثلاثة أيام متوالية لا يفطر فيها البتة » ـ ومنه نوع يسمى « جندراين » وهو أن « يصوم يوم الاستقبال (ميقات فلكى) ، ويتناول في اليوم الذى يتلوه قدر مضغة ملء الفم ، وضعفيها في اليوم الذى بعده ، ويجعلها في اليوم الثالث ثلاثة اضعافها ، الى أن يبلغ يوم الاجتماع (ميقات فلكى) على هذا التزايد . ثم يتراجع من المقدار الذى بلغه طعامه بنقصان مضغة مضغة الى أن يفنى (أى بعد أن يصبح مضغة واحدة) عند استقبال بلوغ الاستقبال (ميقات فلكى) ـ ومنه نوع يسمى « ماسداس » وهو أن « يصوم بالوصال أيام شهر متوالية لايفطر فيها بتة » ـ ومنه نوع مقصور على النساء دون الرجال « وهو صيام السادس من بوش (اسم شهر عندهم) ويكون تمام يوم بليلته » ـ وأشار البيرونى كذلك الى بعض طقوس غريبة ترتبط عند الهنود

البرهميين ببعض أنواع صيامهم • فذكر أنه فى بعض الأنواع ، يجعل الصائم الأرض وطاءه من غير فرش ولا ارتفاع عنها بسرير ، وفى بعض أنواعه « يتلوث الصائم بأخثاء البقر (أى بروثها) ويفطر بأخثائها وبولها » •

***

ومن الأوضاع الغريبة فى هذا الصدد كذلك ما تسير عليه بعض طوائف الرهبان والمتصوفين من التزام الصوم فى جميع أيام العمر أو فى معظمها بقصد المبالغة في تعذيب الجسم واذلاله لتصفو الروح فى زعمهم ، وقد نهى الاسلام عن ذلك نهيا باتا واعتبره غلوا فى الدين ، فعن أنس بن مالك أنه قال: « جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلة، ثم أخذوا يلتمسون المبررات لقلتها) فقالوا أين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟! قال احدهم أما أنا فاصلى الليل أبدا ولا أهجع • وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا • فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » •

* * *

ولم يندب الاسلام الى الصوم المتواصل الا للأعزب الذى لا تسمح له موارده بالزواج ولا بالانفاق على أسرة • فقد أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عبدالله بن عمر، قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » والمعنى : من قدر منكم على أعباء الزواج فليتزوج ، ومن لم تكن له قدرة على ذلك فليصم ، فان الصوم وقاية له من الوقوع فى المحظور، والوجاء هو رض عروق الخصية من غير اخراج لها فيكون شبيها بالخصاء • والمعنى أن الصوم يكسر الشهوة ويضعف الاتجاه اليها •

هذا ، ولصيام رمضان عند المسلمين **أشباه ونظائر** فى الشرائع السابقة للاسلام ، وخاصة عند الصابئة والمانويين •

فقد ذكر ابن النديم فى كتابه « الفهرست » أن شريعة الحرانيين المعروفين بالصابئة أو الصابئين (وقد تأثرت ديانتهم بالديانة البابلية القديمة القائمة على عبادة الكواكب) « تفترض عليهم الصيام ثلاثين يوما أولها لثمان مضين من اجتماع آذار » ، ويظهر مما ذكره فى هذا الصدد أن صيامهم هذا كان امساكا عن جميع أنواع الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها ، وأنه كان تكريما للقمر • وذكر فى أثناء كلامه عن التنوية الكلدانيين أو المانوية (ودينهم مزيج من البابلية القديمة والمسيحية والزردشتية • ويقوم كثير من مظاهرها على عبادة الكواكب) أنهم كانوا « يصومون ثلاثين يوما تبدأ عندما يهل الهلال وتنزل الشمس الى الدلو ويمضى من الشهر ثمانية أيام » وأنهم كانوا يفطرون فى كل يوم منها « عند غروب الشمس » ، ويظهر مما ذكره فى هذا الصدد أن صومهم هذا كان متصلا اتصالا وثيقا بالظواهر الثلاثين عند الصابئين •

* * *

ومع اتفاق صوم رمضان مع هذين الصومين فى بعض المظاهر المادية فانه يختلف عنهما اختلافا جوهريا فى مقدماته وشروطه وقواعده ووقته وطريقة أدائه ومقاصده وحكمة تشريعه ومن يتقرب اليه به • بل انه ليس بينه وبينهما من وجوه الشبه الا الاتفاق فى عدد الأيام وتتابعها • على أنهما فى هذه الناحية نفسها يختلفان اختلافا غير يسير ، فالصيام الاسلامى مدته شهر قمرى ، على حين أن صيام الصابئين والمانوية مدته ثلاثون يوما تبدأ من الثامن من شهر شمسى •

ومن هذا يتبين مبلغ التهافت فيما ذهب اليه بعض أعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم كجاكوب الألمانى فى رسالته عن صيام رمضان ووسترمارك الفنلندى فى كتابه عن « أصول المعانى الخلقية وتطورها » اذ حاولا خلق رابطة وهمية بين صيام رمضان عند المسلمين وصيام الثلاثين عند الصابئة والمانويين •

* * *

وقد ذهب بعض المفسرين فى تفسيرهم لقوله تعالى « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على

الذين من قبلكم » الى أن صيام رمضان بالذات قد فرض على اليهود والنصارى وأنهم تركوه تحريفا منهم لفرائض الله .

وذهب بعض المؤرخين الى أن صيام رمضان كان متبعا عند بعض قبائل العرب فى الجاهلية وبخاصة قريش . فقد روى ابن اسحاق فى حديث بدء الوحى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قبل بعثته يجاور فى غار حراء من كل سنة شهرا ، وأنه كان يقضى هذا الشهر صائما يطعم من جاءه من المساكين، وأن هذا الشهر هو شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وأن ذلك كان مما تتحنث به قريش فى الجاهلية . والتحنث معناه التبرر والتقرب الى الله بالعبادة . فعبارة ابن اسحاق تدل على أن صوم رمضان بالذات كان مما تتعبد به قريش فى الجاهلية .

وقد اختلفوا فى أصل هذه الشعيرة لديهم ، فمنهم من يرى أنها من بقايا الملة التى جاء بها ابراهيم، ومنهم من ذهب الى أن عبد المطلب جد النبى عليه السلام كان أول من شرع هذا الصيام وعمل به . ولكن لم يثبت شىء من هذا كله بدليل قاطع . ومهما يكن من مبلغ الصحة فى هذه الروايات ، فانه لايضير الدين الاسلامى فى شىء أن يكون صيام رمضان بالذات كان مفروضا على اليهود والنصارى أو كان متبعا عند العرب فى الجاهلية أو عند بعض قبائل منهم قبل بعثة الرسول ، فقد شرع لنا بنص القرآن كثير مما شرع للأمم من قبلنا ، قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى » ، وقال فى آية الصيام نفسها : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » . وثبت كذلك أن الشريعة الاسلامية اقرت كثيرا من شعائر العرب فى الحج وغيره بعد أن خلصتها مما كان عالقا بها من أدران الشرك والتوجه لغير الله بالعبادة .

د. على عبد الواحد وافى

أنا فى بحار النور

للشاعر: محمد مصطفى الماجى

أنا فى بحـار النور مسـحور هنا فى شرفتى ..
والأفـق وردى الاهـاب مطـرز بالفرحـة
والدوح مشـتبك تعانق لهفـة فى لهفـة
والزورق المخمور يضرب موجـة فى موجـة
حتى عنـاقيد الكروم ترنحت فى نشـوة
حتى عصـافيرى هنـا قد غردت فى جنتى
حتى الفراش رأيتـه قد طـار حـول الربوة
قلبى يصـفق للجمـال وطار بعـد القمة

وهـــذه هى آثارها !!!

بقلم : محمود محمد شاكر

احب ان اجعل قارىء هذه المقالات على بينة من سياقها ، لا شكا فى قدرته على متابعة ما أكتب ، بل معاونة له ولنفسى على الاحاطة بتاريخ قضية من أعقد القضايا التى ابتلى بها العالم العربى خاصة ، والعالم الاسلام عامة ، ولا تزال حيـة الى اليوم ، بل بلغت عنفوانها فى هذه السنين الاخيرة . وليس لها شبيه فى العالم كله ، حتى فى البلاد التى تعد لغتها وكتابة لغتهـــا من اصعب اللغات واشدها تشعبا ، كاللغة الصينية مثلا . والكشف عن حقيقة هذه القضية ، وهى قضـية العامية والفصحى ، كشـف عن أعظم مؤامرة خبيثة ، بدات خافتة ثم علا صوتها واشتد ضجيجها منذ سنة ١٩٥٦ ، بعد العدوان الثلاثى على مصر ، وبعد ارتداد قوى الشر على أعقابها . والمشتركون فى هذه القضية ، بين غافل لا يدرى ماذا يقول ، ولا ماذا يراد به ، وبين ماكر خبيث يضرم النار فى الحطب ، لتأكل الأخضر واليابس بعد قليل .

فقبل ان أبدا اول مقالة فى الكشف عن أمر لويس عوض ، حين اتخذ شيخ المعرة ورسالة الغفران أداة لنفث سمومه فى صـحيفة الأهرام ، كنت على تمام اليقـين من أمر هذا المتدسس الى اكبر الصـــحف العربية ، واتخاذه اياها مسرحا لعرض فصل مفزع شديد الخطر ، على الغافلين عنه وعن الذين يحركونه كما حركوا من قبله دمى كثيرة ، كان لها أثر بالغ الخطر فى حياتنا السياسية والأدبية . كان لويس عوض متكشفا لى غاية التكشف ، كنت أراه عاريا من كل ستر يخفيه ، وأرى الخيوط التى تحركه وتديره ، ولكن صحيفة الأهرام التى جعلته مستشارا ثقافيا لمؤسساتها كانت قد لبست على الناس أمره ، اذ اخرجته من خمول الذكر الى صيت يسير به حيث سارت . وأنا لا أدرى على وجه التحقيق كيف وقع هذا ؟ ولا من الذى هيأ لمثله هذه الفرصة ؟ ولكنى كنت أعلم أنه هو أو غيره ، كان لابد أن يتدسس الى مثل هذا المكان ، فى غمرة الحوادث العظيمة التى مرت بنا فى السنوات الأخيرة . وما ذلك الا لأنى كنت أتابع زحف هذه القوى الشريرة منذ عهد قديم ، بلا غفلة عنه . وكيف أغفل عنه ، وقـــد كدت يوما ما أكاد أكون احد صرعاه ، ورأيت اخوانا لى قد صرعوا وأنا أراهم بعينى . منهم من نجاه الله كما نجانى ، ومنهم من هلك فيمن هلك ؟ كيف أغفل عنه ، وأنا لم ازل اشهد منـذ عشرات السنين طلائع التخطيط المدبر ، تنقض على أمتى وبلادى من كل ناحية ، ويتم لها كل ما تريد ، أو بعض ما تريد ، يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام ؟ ومن أجل ذلك لم أحمل القلم منذ حملته ، الا وأنا مؤمن أوثق ايمان بأنى أحمل أمانة ، اما أن أؤديها على وجهها ، واما أن أحطم هـذا القلم تحت قدمى بلا جزع عليه ولا على نفسى . وأبيت منذ عقلت أمرى أن أجعله وسيلة الى طلب الصيت فى الناس ، أو ابتغاء الشهرة عندهم ، عرف ذلك من عرفه من خلطائى فى هذه العزلة الطويلة الأمد التى ضربتها على نفسى ، وجهل ذلك من جهله . وعلى شدة مالقيت طول هذه السنين من ملامة تلحانى على هذه العزلة التى رضيتهـــا لنفسى ، لم أرض أن أخوض فيما يخوض فيه الناس ، الا كمثل تحلة القسم ، اى بمقدار مفرط القلة ، غير مبالغ فى ذلك ولا موغل . ولذلك صار رأيى مقصورا على قلة من اخوانى كنت أبثهم ما أجد وما أعلم ، ثم احبس لسانى عن كثير ممن ألقى من الناس ، حتى صرت أجدنى كالعيى الذى لا يحسن الابانة عن ذات نفســـه ، لأن طول الكتمان وترك

تحريك اللسان بالرأى ، مضر بالمرء كضرر الثرثرة بلا عقل .

فلما جاء مالا يسكت عليه لشدة خطره ، ظللت اؤامر نفسي طويلا اى السبيلين أسلك ؟ فلما تبين لى الرشد ، حملت القلم وانا على بينة من طريقى ، طريق لن يخدعنى عنه أحد بثناء او ذم ، فكلاهما لا يغرنى ولا يرهبنى . وقلت لنفسى : هذا انسان تعرفينه على وجه ، ويعرفه الناس على وجه آخر ، تعرفينه بطول الفك لأمثاله مخادعا شديد الخداع ، ويعرفه الناس مخدوعين اشد الانخداع . فكان بينا لى أن أجعل همى كشف الزيف المفضى الى الخديعة ، لاكشف الأخطاء التى أخشى أن يصدقها الناس . وكان بينا لى أيضا أن انخداع الناس بهذا الانسان ماتاه من طريقين : طريق صحيفة الأهرام التى وثق الناس بها ، لظنهم أنها منذ انتزعت من أيدى أعدائهم ، صارت الى أيد أمينة لا تخون الأمانة ، وطريق اللقب الذى يحمله هذا الانسان ، وصاحبه عند الناس أمين أيضا لا يخون الأمانة . فعندئذ لم اجد طريقا أهدى لى وللناس من ان ابدأ بتحليل شيء من كلام هذا الانسان على وجه الدراسة الأدبية ، ليكون بيان زيفه اثباتا قاطعا على أن حامل هذا اللقب لا يستحقه بوجه من الوجوه ، حين يتبين لكل أحد انه دعى ثرثار ، لا يحسن شيئا من مناهج دراسة الآداب على وجه يليق بحامل هذا اللقب . واظنني قد بلغت فى ذلك ما اريد ، واظنني لم اظلمه قلامة ظفر فى شيء مما كتبت عن مناهج الدراسة الأدبية. ولم أجعل همى الكشف عن ادعاء هذا الدعى وحسب ، بل جعلت همى أيضا أن ازيل الخبث من طريق الدراسات الأدبية لعلمى أن هذه الدراسات هى أخطر الدراسات فى أمم الارض جميعا ، ولأن الغش فيها خفى ينساب، وهو لخفائه شديد التأثير فى عقول الناس وفى تفكيرهم، وبالغ الضرر فى حياة الانسان عامة، ومنذر بخطر يغتال الفكر الانسانى، ويؤدى الى تدمير الثقافة والحضارة جميعا ، لانه يعتمد على الكلمة المنسابة التى تركب الألسنة ، وتنفذ فى العقول ، فتهدد سلامتها وبراءتها من الآفات . ومعلوم بالبديهة أن الغش والتزييف فى العلم لا يؤذيان كأذاهما فى الدراسات الأدبية ، لأن كشفهما فى العلوم سهل وميسور ، ولكنه فى الآداب عسير شديد العسر .

فكان بينا عندى ، وينبغى أن يكون كان بينا عند القارىء ، أنى لم اكتب ما كتبت لاناقش عالما او أديبا أو مثقفا ، بل العكس هو الصحيح اذ كان هذا الانسان عندى ليس بعالم ولا أديب ولا مثقف ، بل هو كان عندى دعيا قد اتخذ هذه الصفات بشكل ما ، وسيلة لنشر خبائث يكتم حقيقتها عن الناس، ويدسها فى تضاعيف كلامه كما يفعل كل داعية يبتغى الفتنة ، ولا يبغى شيئا غير الفتنة ، ليصل الى غايته فيما يدعو اليه . فمن أجل ذلك لم اكد افرغ من اقامة الدراسة الأدبية على نهجها ، حتى عمدت بلا التواء الى تجريده من هذه المراقع التى كان يتخفى فيها ، تزييفا على الناس ، ودبيبا الى غفلاتهم بالخديعة والمكر ، فلم اتردد فى خلال ذلك لحظة واحدة فى وصف هذا الانسان بالصفات التى تنطق بها كتابته واعماله ، مجردة من كل مداهنة فى الحق ، لان ذلك ليس من شيمتى ولأن التردد دونه عجز وتخرف وخيانة للأمانة . نعم ، كنت خليقا أن أدع التصريح الى التلويح ، لو كنت داعية مفتونا بدعوة ينفرد بها ، ويريد التنفيس عن نفسه بالثرثرة . ولكنى كنت أعلم علما لا يخالطه ارتياب انه شيء تحركه قوى شديدة أعرفها ، خبرتها بنفسى ووجدت آثارها يوما ما فى عقلى ووجدانى ، وعلمتها قوى متضافرة شديدة الخطر ، تتربص بأهلى وعشيرتى وبلادى الدوائر ، فلم أستحل أن أعامله معاملة الداعية المنفرد بدعوته ، المنفس عن نفسه حر الاحتراق بما يجد من النار الآكلة . وكيف اداهن او الوح ، والنذر من حولى تصرخ وتعوى ، وكل نذير يهدد بسوء عاقبة الغفلة عنه وعن أمثاله ؟



وانا امرؤ لا أحب الهمس والدندنة فى الآذان سرا ، ولا أحب التناجى الخفى بالاثم والعدوان تحت ستار من الظلمة ، واكره من يدور باللائمة من مجلس الى مجلس غير معالن ولا مصرح ، فمن أجل ذلك كتبت هذا لأهتك هذا الستر البغيض الى النفوس الصحيحة ، ولأبين لمن لا يعرفنى نهجى الذى أسير فيه معلنا بلا جمجمة ولا استخفاء ، فمن شاء أن يلوم بعد ذلك فليلم ما أحب اللوم ، فانى مؤد أمانة ، ومؤديها على النهج الذى لا تزل بى فيه مداهنة أو تلويح ، ولا تحبس خطواتى فيه مخافة أو تهديد او مناجاة بالاثم والعدوان . أما صحيفة الأهرام التى مكنت لهذا الدعى ، وهيأت لهذا الداعية الجديد أن يتصرف فى بعض صفحاتها بنفسه وببعض شيعته

تصرف المالك ، فانى لا أزال أحمل فعلها على أحسن محمل اطيقه ، والتمس لها العذر بعد العذر ، لظنى أنها وقعت فى شرك لم تدر كيف تخلص منه ، وعسى أن تجد هى الطريق الى الخلاص ، باليقظة والتنبه . وتحسن الرعاية لمصلحة الأمم التى تعدها أول صحيفة تعبر عن أهدافها ، وتعمل مخلصة جاهدة فى سبيل الخير . وعسى أن تجد لنفسها مخرجا ينجيها من التهمة ، وينقذها وينقذ قراءها الذين استقرت فى قلوبهم الثقة بأمانتها وصدقها ، من أن تكون مرتعا قريبا سهلا ، ومنبرا عالى الصوت شديد الدوى ، لهذا الداعية وأشياعه ، حيث يتخذها وسيلة لبلوغ اهدافه واهداف من يحركه من حيث لا تدرى . ومع كل ذلك ، سوف يأتى فى غضون هذه المقالات بيان شاف عن كل الأخطار التى تهدد كيان هذه الأمم ، فعسى أن تجد فيها صحيفة الأهرام مقنعا ترضى عنه، ان لم تكن قد وجدت فيما سلف ما يوجب عليها أن تبرأ مما تجب البراءة منه .

***

أما الآن ، وقد قضيت نحبى من البيان عن نفسى ومنهجى ، فانى عائد الى ما كنت فيه من تاريخ قضية الدعوة الى العامية واستبدالها بالفصحى ، والى موضع هذا الدعى من تاريخها ، والى ما يحيط اليوم بهذه القضية ، والى الآثار الشنيعة المترتبة عليها . وأحب مرة أخرى ، وما أكثر ما أحب !! أن يكون القارىء متنبها غاية التنبه ، لأنى لا أكتب هذا التاريخ المتشعب المتداخل ، للتسلى بالألفاظ أمضغها ، (كما يتسلى الفارغون على المقاهى بالحديث وقزقزة اللب) بل أكتبه باذلا أقصى الجهد ، ليفتح كل امرىء عينيه على أكبر الجرائم التى ارتكبت ، والتى لاتزال ترتكب بأخبث الوسائل واخفاها وأفتكها ، فى غمرة الحديث عن النهضة والتطور ، وعن الأدب والفن . وفى فترة من اشد الفترات خطرا على مستقبل الحياة فى الأمم العربية ، من حيث هى أمة واحدة . ثم على مستقبل سائر الأمم الاسلامية ، من حيث هى الصديق الطبيعى للعالم العربى ، ومن حيث هى الدرع التى تلقت ضربات المعاول الأولى بيد الاستعمار الغربى، ولاتزال تتلقاها ، ومن حيث هى الذخيرة الباقية صداقتها وعونها لنا غدا ، برغم كل ما أدت اليه دسائس الاستعمار وصنائعه وعملاؤه فى بلادنا وبلادهم .

واذا كنت قد عرضت فى مقالتى السالفة أولية قضية اللغة العامية والدعوة الى استبدالها بالفصحى، منذ عهد سبيتا الألمانى سنة ١٨٨٠ م ، الى القاضى ولمور الانجليزى ومحرر المقتطف فى سنة ١٩٠١ ، فانى فى الحقيقة قد انتزعت هذا الجزء انتزاعا من حركة متكاملة قديمة العهد ، متشعبة العوامل ، متداخلة الآثار . فعلت ذلك لأنى رأيتنى لو بدأت عرض الصورة من جميع نواحيها وأبعادها فى مقالة او مقالتين ، فكأنى أريغ اختصار قصة كاملة تستغرق آلاف الصفحات ، فى بضع عشرة صفحة من مجلة الرسالة . وهذا أمر لا يكاد يتم لأحد الا باخلال شديد فى سياق القصة . ولكن كان لابد مما ليس منه بد . وساحاول الآن محاولة أخرى مخوفة ، يتهددها الايجاز بالغموض ، ولكنى سأحاولها مرغما حتى يتسنى لى أن اربط هذه القضية باصولها القديمة ، باذلا فى البيان غاية الجهد ، ابراء لذمتى فى اتمام الصورة ، وتنبيها لكل غافل عن الخطر المقبل ، وهو خطر ساحق يسحق تاريخه ومصيره . فاذا قصرت ، فذلك المعهود من العجز ، واذا شارفت حد الابانة ، فبتوفيق الله وحده وتسديده . وان كنت لا أدرى على التحقيق من أين أبدأ ؟ أمن التاريخ البعيد ، أم من التاريخ القريب ؟

وفى هذه الحيرة ، أراه حسنا من الحسن أن أطوى التاريخ الطويل فى كلمات موجزة دالة على مساربه ، وأسوق بعض الايضاح فى خلال ذلك ، حتى تتصل الأجزاء وتلتقى عند عهد محمد على فى سنة ١٨٢٦ م، وما بعدها . وأسأل القارىء أن لا يمل ، فان الملل من كواذب الأخلاق ، كما قال عمرو بن العاص رضى الله عنه . ففى عصر النهضة الأوربية الأخيرة ، كان هناك عالمان كبيران : العالم الاوربى المسيحى، والعالم العربى الاسلامى . كان الأول قد ساور أول الشباب حين انطوى دهرا على نفسه ، يدرس ما حمل اليه الحاملون من تراث العرب والمسلمين فى العلم والادب وذلك بعد ارتداده الى دياره منذ آخر حرب صليبية ، وبعد ظهور الدولة العثمانية المسلمة التى غزت أرضه ودياره وتوغلت فيها ، حتى تركت أصداء التكبير والتهليل تصدع الجبال فى قلب القارة الاوربية .

وكان الآخر قد أغفى الغفاءة فى أعقاب دورة هائلة من دورات الحضارة ، بعد أن سارت كتائبه قرونا طوالا تطوف بحضارة الاسلام من الشمال البعيد الى الجنوب القصى ، ومن الشرق النازح الى الغرب الشاسع ٠٠ وفى هذه الفترة كان الأول متحفزا ثائرا لا يهدأ ، وكان الآخر مستهينا مستنيما لا يبالى ٠ كان الأول طموحا نزاعا الى الآفاق البعيدة ، وكان الآخر قانعا آمنا فى ظل بنيان مرصوص ظنه لا ينفذ فيه شىء ٠

كانت قناعة ثانيهما بقوته وماضيه وتجاربه ، وأمنه فى قلاعه وحصونه ، وغفلته عما جرى من وراء أسواره ، اغراء للأول بالاقدام على مباغتته وافتراسه ٠٠ ولكن كانت تجارب الحروب الصليبية القديمة ، وحروب آل عثمان من الترك ، قد دلت دلالة قاطعة على أن مواجهة العالم الاسلامى بالانقضاض المسلح ، لا تجدى الا انبعاث قوة متماسكة شديدة البأس والخطر ، خليقة أن تسترد شبابها ،مهما كان فى كيانها من العيوب ، وسرعان ما تلم شعثها الى معركة فاصلة كسائر المعارك الأولى التى ردت غزاة الصليبية على أعقابهم ٠ فكان من الحكمة اذن ، تجنب المواجهة ، وكان من حسن التدبير واتقاء العواقب ، أن تدور هذه القوة الجديدة الأوربية من حول العالم الاسلامى تتنقصه من أطرافه البعيدة بمهارة وحذر ، حتى لا يرتاع قلب هذا العالم الغافل ، فينفض التراب عن ثيابه ، ويمسح النوم عن وجهه ٠ ودبت أوربا دبيبا حول هذا العالم ، وجعلت تطوق شواطىء القارة الافريقية من الغرب الى أن بلغت شواطىء الهند ٠ طوقته يومئذ بطوق من الثغور تحتلها ، ثم تنفذ من كل ثغر الى بدن العالم الاسلامى شيئا فشيئا ، على حذر شديد ، وبلا ضجيج يزعج ٠ نعم كان هذا غزوا ، ولكنه غزو خفى الوطء ، بعيد المرمى ، طويل الأجل ٠ لم يكن غزوا بالمعنى الذى كان الناس يعهدونه يومئذ ، أو الذى نعهده الى اليوم ، لم يكن جيوشا وجحافل لها صليل بقعقع ونقع يثور ، فتدك فى زحفها الحصون حصنا حصنا ، حتى تفرغ من الارض كلها فى شهر أو شهرين ، أو عام أو عامين ٠ كان غزوا أقل ما فيه نكاية هو الجيوش ، وأبلغه افتراسا هو التجارة ، وأفتكه بالانسان هو « **التبشير** » ٠ وهذه الصورة ، لا يكاد يخطئها من كان له أدنى المام بتاريخ الغزو الاوربى المسيحى للعالم الاسلامى ٠

وليس يعنينا هنا أن نتتبع تاريخ نكاية الجيوش وافتراس التجارة ، بل الذى يعنينا هو «التبشير» ٠ وفهم طبيعته وعلمه ، أمر لابد منه لكل انسان رأى بلاده نهبا ممزقا ، وأشلاء مقطعة ، من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ومن أبعد مغرب الى أبعد مشرق ، لأنه أحد كتائب الغزو الجديد وأفتكها بالناس ٠ ولست هنا بصدد سرد تاريخ « التبشير » منذ قام البارون دى وبتز فى سنة ١٦٦٤ ، يدعو الى تأسيس مدرسة جامعة ، تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحى وتعلم فيها لغات الشرق لمن يناط بهم أمر التبشير ، فهذا يحتاج الى دراسة مطولة ، وحسب المرء أن يرجع الى ما ألفه المبشرون أنفسهم من كتب فى تاريخ التبشير ، ليعلم المناهج التى سار فيها حتى هذا اليوم ٠ ولكن ليس يحل لأحد ممن يتعاطى النظر فى أمور الناس فى البلاد التى وقعت نهبا للغزو الاوربى أن يغفل أمر التبشير ، ولا أن يتجاهل آثاره ، ولا أن يغضى الطرف عن وسائله ، لأنه هو فى الحقيقة أقوى العوامل التى مكنت للاستعمار فى بلادنا ، وجعلتنا فى الحال التى نحن عليها من الضعف والتفكك ، والجهل بالأسباب الصحيحة التى تهيىء لنا مستقبلا كريما شريفا فى هذا العالم وسأحاول أن أوضح الأمر ما استطعت فى هذه العجالة التى لا تشفى غليلا ٠٠

فمن تمام الجهل أن يظن المرء أن معنى «التبشير» هو اقتصار فئة من الرهبان أو القسوس بالدعوة الى دينهم ، من حيث هو عقيدة يسمعها المرء فيرضاها أو ينكرها ٠ فهذا أمر باطل أشد البطلان ، لا من حيث الواقع فحسب ، بل من حيث شرح المبشرون أنفسهم معنى التبشير عندهم ، وهم الممارسون له ، وهم لذلك أدرى به ٠ وأشد بطلانا أن يتصور امرؤ أن التبشير بمعزل عن الغزو الحربى والغزو الاقتصادى ، والغزو الفكرى والسياسى ، وعن محاولة الجنس الاوربى المسيحى أن يخضع الأمم لسيطرة تدوم ما دامت له حضارة ٠ وأشد بطلانا منها جميعا أن يخطر ببال أحد أن التبشير قد غاب عن كثير من الدعوات التى قام أصحابها ينادون بضروب من الاصلاح (!!) فى بلاد العرب وفى بلاد الاسلام وفى غيرهما من البلاد ، وانه لم يضع فيها أصبعه ليحول معنى « **الاصلاح** » الى معنى من التدمير والهدم والتحطيم ٠ ومن صدق النية ، واطلع على كتب المبشرين أنفسهم ، عرف أن أكثر الحركات السياسية والاجتماعية قد لوثت بمكره

الخفي ، وانه لم يغب عن شيء من الحركات الوطنية او القومية او الثقافية او الادبية او ما شئت ، بل كان من ورائها عاملا يقظا شديد الخفاء شديد الاثر ، يتزيى بكل زى ، على اختلاف الامور ، لابسا لكل حالة لبوسها ، ومرسلا فيها أعوانه الذين قام على أمرهم دهرا طويلا حتى لا يتكشف أمرهم للغافلين عن دسائسه المدروسة المخططة الطويلة الأجل .

وكان اخفى طريق عرفه المبشرون، واقرته سياسة الدول الاوربية الغازية جميعا ، هو طريق التعليم ، لان حاجة الناس الى العلم لا تنقطع ، وبخاصة فى زمن اليقظة بعد الغفوة ، هذه واحدة ، والاخرى أن التعليم يضمن تنشئة أجيال قد صبغوا على أيد معلميهم بالصبغة التى يريدها الدهاة من أساتذتهم ، وهو أخطر عامل فى توجيه أفكار الصغار الى الجهة التى يريدها المعلم ، فينشأ الطفل ويكبر حتى يصير رجلا ، فلا يحس فى نفسه أنه قد طبع طبعا جديدا ، يراد به استبقاء سيطرة الغازى عليه وعلى بلاده ، وتدمير أمته بمسخه هو واقرانه الى عبيد يذللون الطريق لاقدام السادة الطغاة من حيث لا يدرى أنه عبد مسخر . واليك فقرات دالة من كلام رجل من رءوس المبشرين ، تغنى عن الاكثار ، هو المسيو شاتلين ، يقول فى سنة ١٩١١ : « **ان ارساليات المبشرين الدينية ، التى لديها اموال وفيرة ، وتدار اعمالها بتدبير وحكمة ، تاتى بالنفع الكثير فى البلاد الاسلامية ، من حيث انها تثبت الأفكار الأوربية** » . ثم يقول : « **ولا شك فى أن ارساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية ، تعجز عن أن تزحزح العقيدة الاسلامية من نفوس معتقديها . ولا يتم لها ذلك الا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الاوربية فبنشرها اللغات الانكليزية والالمانية والهولندية والفرنسية ، يتحكك الاسلام بصحف أوربا ، وتتمهد السبل لتقدم اسلامي مادى (تامل هذا جيدا) ، وتقضى ارساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية ، التى لم تحفظ كيانها الا بعزلتها وانفرادها** » .

وهذا كلام دارس خبير ، ينبغى أن تقرأه لفظا لفظا ، لأنه تخطيط شامل ، فى ألفاظ قليلة ، ثم قال ما يعين على كشف الأهداف والأغراض ببيان شاف اذ يقول : « انه مهما اختلفت الآراء فى نتائج أعمال المبشرين من حيث خطتهم فى « الهدم » ، فان نزع الاعتقادات الاسلامية ملازم دائما للجهود التى تبذل فى سبيل التربية النصرانية . والتقسيم السياسى الذى طرأ على الاسلام (تأمل !) ، سيمهد السبل لأعمال المدنية الاوربية . اذ من المحقق أن الاسلام يضمحل من الوجهة السياسية ، ولن يمضى غير زمن قصير ، حتى يكون الاسلام فى حكم مدنية محاطة بالاسلاك الاوربية » .

وتستطيع أن تجد فائدة عظيمة فى تتبع تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ، فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، فى رسالة كتبها الأستاذ **جرجس سلامة** وان كان قد نظر الى هذا الموضوع من غير الوجه الذى ننظر اليه منه ، ولكنه أقر فى مقدمته أن هذا التعليم قد بدأ فى مصر لأغراض دينية بحتة ، وأنه اتجه نحو الاستقلال والعزلة : « حتى أصبح التعليم الأجنبى دولة داخل الدولة ، يوجه النشء الوجهة التى يراها ، ويصبغهم بالصبغة التى يرغبها ، دون اشراف فعلى من الدولة عليه » . ويقول أيضا : « .. بل بلغ الأمر الى حد أن اشتملت بعض الكتب المستعملة على معلومات خاطئة مضللة عن مصر ذاتها ، وكان كل ذلك يدرس لابنائنا ، مع انعدام وجود أى توجيه قومى يوجه شبابنا الوجهة الوطنية الصحيحة » ، وقال أيضا : « وزاد من خطورة كل ذلك أن جميع المدارس الأجنبية دون استثناء ، قد أسهمت بنصيب كبير فى اضعاف اللغة العربية .. فهى تلقى فى خضم الحياة المصرية كل عام ، من ينظرون الى غيرهم من طبقات المتعلمين فى المدارس الحكومية الوطنية نظرة متعالية ، وينظرون الى اللغة العربية نفس النظرة .. » . وقد آثرت أن أنقل هذا كله هنا ، لأنها نظرة مسيحى دارس الى هذا التعليم الأجنبى ، وهو غير مكلف أن ينظر اليه من حيث ننظر نحن ، ولكن سياق دراسته مفض الى مثل الذى يفضى اليه المسلم من حيث استخدام هذا التعليم أداة لصبغ أبناء الناس بالصبغة التى يريدها هؤلاء الدعاة ، وبتوجيههم الى وجهة غير صحيحة فى الوطنية أو فى غيرها من شؤون الدين والدنيا . وهذا كاف بحمد الله فى اثبات ما نريد من استغلال التعليم لبث أفكار مدمرة فى المتعلمين على أيدى هؤلاء المبشرين .

فهذا وما بينته فى مقالتى السالفة يدل على شدة عداوة المبشرين ومدارسهم وتعليمهم للغة العرب ، وهذا امر ظاهر مفهوم ، وقد ذكرت فى الكلمة السالفة مقالة وليم جيفورد بلجران : « متى توارى القرآن ، ومدينة مكة ، من بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه » ، ومفهوم ايضا ان « الحضارة » التى يعنيها حضرة الفاضل ، هى المسيحية ذاتها ، ومفهوم أيضا أن القرآن لا يتوارى حتى تتوارى لغته . وزاد **القسيس زويمر** هذا الأمر وضوحا ، وبين ان اللغة العربية هى الرباط الوثيق الذى يجمع ملايين المسلمين على اختلاف اجناسهم ولغاتهم ، وذلك حيث يقول فى سنة ١٩٠٦ او قبلها: « انه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد، أعظم من عقيدة الدين الاسلامى ، الذى اقتحم قارتى آسيا وافريقية الواسعتين، وبث فى مئتىمليون من البشر، (وهذا تعداد أقل من الحقيقة يومئذ بكثير كما تعلم) عقائده وشرائعه وتقاليده ، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية » .

فليس مفهوما بعد الذى بينته من طبيعة التبشير بغاية الايجاز ، وما دلت عليه من أعماله فى التعليم ومن غاياته ، أن يكون بمعزل عن قضية هدم اللغة العربية الفصحى ، التى هى لغة القرآن ، وعن جعل اللغات الأوربية مقدمة عند المثقفين على لغة الآباء والأجداد . ولكن الى أن غزا نابليون مصر فى سنة ١٧٩٨م ، لم يكن للمبشرين أثر يذكر فى التأثير على أبناء البلاد العربية . فلما تولى **محمد على** أمر مصر ، وزينت له نفسه أن يستقل بها ، وأغراه طموحه أن يجعلها تنامى دار الخلافة فى تركيا ، انثال عليه قناصل الدول ليشدوا أزره ، وليحطموا بمعاول جيشه صرح الخلافة العثمانية . فعاونوه على انشاء المدارس ، واستقدم لها المعلمين ، وأرسل البعثات الى أوربا منذ سنة ١٨٢٦ ، وكان أول الرأى لمن شهد هذه النهضة المفاجئة الجديدة ، أن تترجم كتب العلم الأوربى الى العربية ، وأن يؤلف بالعربية فى هذه العلوم ، حتى يستغنى بعد قليل عند استجلاب الأساتذة الأوربيين للمدارس الثانوية والعالية.وهذا ما كاد يحدث ، فان كثيرا من الكتب قد ترجم يومئذ الى العربية فى أنواع العلوم كالطب والهندسة والرياضيات والعلوم الحربية ، وطبع أيضا بمصر طباعة جيدة ، ولكن يظهر أن القناصل خوفوا هذا الطاغية الجرىء ، عقبى تيسير العلوم لطلابها من أبناء مصر ، بنشرها بلسانهم ، وزينوا له أن يقتصر على البعثات التى تدرس فى الخارج . فانتهى الأمر بأن حبست هذه الكتب فى مخازن القلعة ، وحيل بين اللسان العربى ومتابعة العلم فى ذلك العهد البعيد ، فكانت أول فجوة حدثت بين التعليم ولغة التعليم . وصار المتخرج فى البعثات يحسن لغة البلاد التى تعلم بها ، ويحسن التعبير بها فى العلم الذى درسه ، ثم لا يحسن مثله فى لغته التى ينتمى نسبه اليها . وبعد قليل بدأت طلائع ارساليات التبشير تفد الى مصر ، وتنشىء المدارس ، وتحدث فى بيوت المسلمين وغير المسلمين صدعا كان يصعب اتقاؤه يومئذ ، لقلة المتنبهين اليه .

وظل الأمر يستشرى ويزداد سوءا فى أواخر عهد محمد على ، الى أن هبت رياح أوشكت أن توقظ الناس الى نهضة صحيحة تبدأ من حيث ينبغى البدء، وذلك عندما حدث ما دعا الى اعادة فتح المدارس فيما بين سنة ١٨٦٣ ، وسنة ١٨٧٩ ، وما دعا الى حركة احياء بين أفراد أفذاذ من علماء الأزهر ، وما دعا الى انشاء مدرسة دار العلوم . وابتدأت طلائع النهضة الصحيحة بما أشرت اليه من ظهور نابغة البيان فى ذلك الزمان محمود سامى البارودى، الذى رد الشعر العربى الى شباب فقده فى عصور متتابعة ، قعدت بالهمم فضربتها بالعجز والتسليم بأنها لا تطيق أن تبلغ حيث بلغ الأوائل ، فجاء هذا الرجل آية على امكان ذلك ، وكان ذلك فى حوالى سنة ١٨٧٠ ، وبدأ موكب النهضة يسير ، ويتكاثر فى مسيره . وكاد الأمر يفلت، واذا أفلت الأمر من أيدى الغزاة يومئذ، ونجت مصر فى سنة ١٨٨٢ من طغيان أسرة محمد على وفسادها ، ومن احتلال الانجليز بهزيمة عرابى. لتغير تاريخ هذه المنطقة ، ولاحتفل السيل فجرف هذه المكايد الصغار التى كانت تكاد يومئذ ، ولطمست الفجوة التى كانت قد انشقت بين التعليم ولغة التعليم .

وفى هذه الفترة ، ما بين ١٨٦٣ ، الى ١٨٨٢ ، ظهرت بوادر تأسيس الجمعيات الكبرى للتبشير فى مصر وسوريا وغيرها من البلدان الاسلامية ، وكان ظاهرا أن هذه الفورة متعلقة بالتكوين السياسى

الذي يراد بقلب العالم الاسلامي ، ولذلك تنشط التبشير ، في أماكن متفرقة من العالم الاسلامي ، وكان الهدف الأكبر هو مصر والشام ، وزاد عدد الرجال المبشرين ، وأكثرهم ليسوا من القسوس كما يعلم ذلك كل متتبع لحركات التبشير • والظاهر ان هذه الحملة الصليبية الجديدة ، كانت قد هيئت لها خطط جديدة ، أو جبها طول الاحتكاك داخل هذه البلاد بأهلها وسكانها وطوائفها ، وتجديد الفهم لحقيقتها وما هو كائن فيها • فلست أجده عجيبا اذن ان يتفق في عام واحد تقريبا (سنة ١٨٨٠ ، وسنة ١٨٨١) ظهور كتاب **سبيتا** الداعي الى استبدال العامية بالفصحى ، وظهور مقالة **المقتطف** ، الداعية الى مثل ذلك ، وان تكون حججها واحدة في صعوبة الفصحى ، وفي بعد لغة الحديث عنها كبعد الايطالية من اللاتينية ، وان يتشابه المكر في الموضعين بقياس فاسد متخالف الأجزاء ، لست أجد هذا اتفاقا عجيبا من ألماني أعجمي اللسان مقيم في دار الكتب المصرية وعربي اللسان مقيم في بيروت حيث أكبر مؤسسة تبشيرية أنشئت سنة ١٨٦٥ بأموال الانجليز والأمريكيين ، وتخرج هو على أساطين التبشير فيها، وهي الكلية السورية الانجيلية ، المعروفة اليوم باسم « **الجامعة الامريكية** » ، وهذا دليل ظاهر من حال الرجلين ، وفي كلام كل منهما دليل ظاهر وباطن انه حق ويقين ، أنهما انما تلقيا اشارة البدء في الشام ومصر من جماعات التبشير أو مؤتمراتهم الأخيرة ، وان هذا الذي كتب من الرأى المتواطىء في معانيه ودلالاته وتشبيهاته ، يدل على أن الأمر بتفاصيله كان مبيتا مدروسا ، قد طال الاعداد له ، وكثر تساؤل المتشاعرين به متى يحين حينه ، كما دل على ذلك أيضا كلام محرر المقتطف سنة ١٨٨١ ، وهو مقيم في بيروت ، وسنة ١٩٠١ ، وهو مقيم في مصر • ودل ما كان من أمرهما على انه لم يكن يراد اثارة هذه الفتنة بمرة واحدة علانية في كل مكان ، خوفا من أن تنشأ قوة تقضي على الأمر كله في مهده، بل كان يراد ان تكون في أضيق الحدود •

وخبر ذلك ان ولهلم سبيتا ، كتب كتابه بالالمانية في مصر، ومن يعرفها من المصريين قليل من الدارسين في البعثات أو بعض أصحاب الثروة والسلطان • واذن فالغاية المرجوة منه محدودة بأضيق الحدود ، وفي نطاق عدد قليل ، كأنه هو وحده المخاطب عند صدور الكتاب بما في الكتاب • وهذا أفعل ، لان الذي يقرؤه ، يعد نفسه في الناس كأنه وقع على خبيء مكنوز ، فهو لا يهدأ حتى يبوح تلميحا وتعريضا اذا خاف التصريح • وعن هذا الطريق يستطيع سبيتا أن يعرف أثر مقالته التي ساقها في مقدمته مجازفا كما قال ، وراحما للشباب مما يعانون من تعلم الفصحى !! ومتحرقا على أن الادب الحقيقي لا ينمو ! بالتزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة ! وما شئت بعد من عواطف الحب التي يعالجها هذا المبشر الألماني للشعب المصرى !

وأما المقتطف ، فقد وقفت فيه على عجيبة لم ار لها مثيلا فيما عرفت من المجلات ، وذلك أني فوجئت بان المجلد السادس منه ، وهو مجلد السنة السادسة من حزيران سنة ١٨٨١ الى أيار سنة ١٨٨١ ، طبع من كل عدد منه طبعتان ، احداهما خالية من هذه المقالات التي بدأها في تشرين الثاني ١٨٨١ ، بعنوان اللغة والنجاح ، ورد خليل اليازجي عليه في كانون الأول ١٨٨١ ، وتعقيب المتنكر تحت اسم « المكن » على محرر المقتطف وعلى رد اليازجي ، وتأييده اتخاذ العامية لغة للكتابة ، في كانون الثاني ١٨٨١ ، وما نشر في عدد شباط ١٨٨١ باسم الجمعية الأدبية الدمشقية ، وما كتبه أسعد داغر ، ثم رد « المكن » عليهم في آذار ١٨٨١ ثم متابعات اخرى للموضوع في نيسان ١٨٨١ ، وما بعده • فهذا كله وأمثاله لا وجود له في المجلد المختصر ، وعدد أوراقه ٣٢٨ صفحة ، وموجود في المجلد المطول ، وعدد أوراقه ٧٦٠ صفحة • فهل لهذا الأمر الغريب علاقة بتوزيع المطول في مكان دون مكان ، وقصر توزيع المختصر على مكان بعينه ؟ هذا والله أمر يحيرني ؟ وقد تابعت ما كتب فيه ، فلم أجد أحدا من أهل مصر شارك في معالجة هذه القضية اذ ذاك ، فكان هذه المجلة كانت مجهولة هنا ، معروفة في بيروت ونواحيها ، أو كان المختصر هو الذي يرسل اليها دون المطول •

فمجيء هذه الدعوة في مصر وفي الشام على هاتين الصورتين المتباينتين في الظاهر ، لم يكن يراد به الا احداث صدع في النهضة ، وبث بلبلة ، واستحياء فتنة ، ان لا تكن جهرا في كل مكان ، فهمسا في مكان دون مكان ، لا لليوم الحاضر ، بل لغد سوف يأتي فلا يكون همس ، وعسى أن يوجد في مصر

من أنفس المسلمين ، من توافق هذه المقالة هـواه ، فيتولى هو اذاعتها بين الناس ، ويكون ذلك أحسن تحقيق لوصية **القس زويمر**، لمن خرجهم من المبشرين اذ قال لهم : « تبشير المسلم يجب أن يكون بلسان رسول من أنفسهم ، ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أبنائها » . (وبين أن ما ذكره لويس عوض فى تجربته فى شأن العامية أيضا ، والتى نقلتها آنفا من بلوتولاند ، اذ قال : انه سكت مؤثرا أن يتولى الدفاع عن رأيه مسلم لا مجال للطعن فى نزاهته، انما هو قول متوارث لقنه اياه بعض من تولى تدريبه فى « الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » ، أو كما قال) .

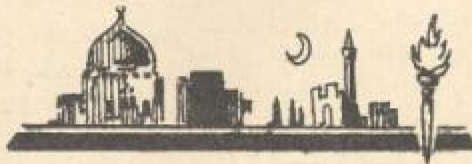
وعلى الحالين جميعا ، فظاهر من السياق ارتباط أول داعيتين الى استبدال العامية بالفصحى ، ارتباطا وثيقا بوسائل التبشير وتوجيهاته وأغراضه وأعماله ومراميه . وليس من جاء بعد هذين ، وهم فولرس الألمانى (١٨٩٠) ، والانجليزيان ويلككس (١٨٩٣)، وويلمور (١٩٠١) ، بأوهن منهما رباطا بالتبشير ، بل لعل العكس هو الصحيح ، لأنهم فضلا عن تظاهر الأدلة على وثيق ارتباطهم به ، فانهم انما جاءوا أيضا فى زمن الاحتلال الانجليزى الذى كان التبشير مقدمة له أولا ، ثم محققا بعدلسياسته ، وناشرا لمكايده ، وساعيا فى تثبت قواعده ، وذلك بأعظم وسيلة يملكها التبشير ، وهى التعليم ، كما أسلفنا من صفته .

واذا شئت أن تعـلم مقدار تكافل التبشير والسياسة وتعاونهما على اذلال الأمم والرجال وتحقيرهم وايذائهم بأصفق ما يتسنى لانسان من الوقاحة وغلظ الوجه ، وجلافة التركيب الأخلاقى ، وبذاءة النفس الملوثة فى داخلها بالحقد والاحتراق ، فانظر كيف جاء « التبشير »تحت راية الاحتلال الانجليزى ليعقد مؤتمرا فى القاهرة ، فيأبى على زويمر القس المبشر حسن خلقه ، وتمام ديانته، وورع نفسه، الا يكون انعقاد المؤتمر فى بيت زعيم الثورة وقائد النهضة أحمد عرابى المسلم العربى ، فيفتتح زويمر برئاسته هذا المؤتمر فى ٤ ابريل سنة ١٩٠٦ فى القاهرة فى بيت عرابى ، فى باب اللوق ، والرجل يومئذ قد عاد من منفاه ، وحرم ماله وداره ، فهو مقيم ببيت أولاده بشارع خيرت . وحسبك أن تعلم أن أحد هؤلاء المؤتمرين قد وقف تحت سقف هذا البيت ، يعرض اقتراحا : بانشاء مدرسة جامعة نصرانية ، تتولى كل الكنائس المسيحية الاتفاق عليها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة ، ثم ختم كلامه بهذه العبارة :

« ربما كانت العزة الالهية قد دعتنا الى اختيار مصر مركز عمل لنا ، لنسرع بانشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الاسلامية » .

لم يكن مؤتمرا للتبشير ، بل كان مؤتمرا لانتقام خسيس لا يصدر عن قلب سليم أبدا . وكذلك كان فعلهم فى عشرات من الحوادث ، وتلك كانت آدابهم، فكيف يلام تلميذ لهم اذا نشر فى مناسبة الاسراء والمعراج ، بما يتوارث من هذه الأخلاق، كلاما لايليق أن يقال ، وبأسلوب كأسلوب صاحبنا الذى ظن العزة الالهية قد دعته الى مصر ، يا سبحان الله ، والى قريب حتى نفرغ من أخطار هذه القضية .

محمود محمد شاكر



وحي من (وحي الرسالة)

صور تركية في الأدب المصري

بقلم الدكتورة: نعمات أحمد فؤاد

بمناسبة عودة صاحب الرسالة أستاذنا **احمد حسن الزيات** من رحلة النور أعكف هذه الأيام على كتابه الكبير الجليل (وحي الرسالة)أدرسه وأتدارسه لأفيد منه للمرة الكم لست أدري .. واستخرج الصور والاتجاهات والملامح الفنية وطبقات المجتمع وقطاعاته المختلفة وضروب النقد الاجتماعي والسياسي والأدبي وكل ما يعني الدراسة الأدبية لرجل الأدب الكبير تحية ووفاء .

ودراستي عن صاحب الرسالة طويلة ستتصل فصولها ولكني على هامشها أسوق هذا الحديث الطريف .

من الظاهرات التي تلفت العين في معرض **(وحي الرسالة)** بلوحاته وصوره ، وفنونه **(الركن التركي)** فلقد كتب أستاذنا الزيات كثيرا عن الأتراك وعنجهيتهم وغطرستهم الغبية وغبائهم المتغطرس الذي عاني منه قومنا قديما .

كلنا نعرف من وحي الرسالة كيف عاش الزيات في آلام القرية المصرية ومشاكلها .. كيف شخص العلات واستقصى الأسباب والتمس الطباب ونذد بمستغليها وممتصي دمائها ورسم للقرية من الصور الزاهية والكابية مايملأ معرضا للتصوير ، فالزيات يملك من وسائل الفن (كاميرا) وريشة وقلما فهو حينا يصور المنظر كما يبدو ، وآنا يلونه كما يحلو ، وتارة يرسله موقعا مرجعا،وآونة يسطره مفوفا موشى فيجمع بين المنظر واللون والصوت والحركة ثم تجيء لمسة الفنان فتخلع على هذا كله طابعه وتمهره بامضائه ولو كان غير منظور ..

ولنرجيء حديث القرية المصرية في أدب الزيات مليلا لنتحدث اليوم عن ظاهرة أخرى عنده ولو انها تابعة للظاهرة الكبرى في أدبه (القرية والفلاحين) .

والظاهرة التابعة التي جاءت في تاريخه للقرية ، حديثه الضاحك الباكي عن « الاتراك » ... ومن صورهم في (وحي الرسالة) أو من صوره لهم هذه الصورة لتركيا القديمة وان كنت أنا شخصيا أعتقد ان ماجاء بها من صفات وسمات لم يتغير لانها (خصائص قومية) يتوارثونها خالفا عن سالف وهي تلازمهم في كل مكان يذهبون اليه وعلى أي حالة يكونون .. عليها .. من الغنى أو الفقر .. وكلنا في مصر نتفكه صادقين بالمثل السائر (حسنة لسيدك محمد أغا) . أو نتذكر ممرورين (آخر خدمة الغزعلقة) . وللمثلين في مروياتنا الشعبية قصص كالأساطير لعل بعضه ما رواه الاستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين في كتابه (قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية) .

والآن اسمعوا معي الاستاذ الزيات :

(تركيا القديمة ـ غفر الله لها ـ كانت في دول الأرض معنى من معاني الارهاب **حروف لفظه السم واليم والسجن والسيف والسوط** جمعت في يدها القوية أطراف الشرق والغرب ، ثم أدارت حول تاجها الرهيب هالة من خلافة الرسول فعنت لها الوجوه وخشعت لسلطانها الأفئدة. **ولكنها لم تستطع أن تثبت ملكها بقوة الروح وبراعة الذهن وعبقرية البيان كما فعل العرب** فظلت واقفة امام شعوبها الثائرة **عابسة الوجه معقودة العنق منشورة الشارب مشهورة السيف** . فحرمها ذلك الموقف نصيبها من **طمأنينة السلم ، ومدنية العلم ونعمة الثقافة** . وكان ولاتها على الأمصار الخاضعة يحكمون ـ الناس بهذه

العقلية الجهول ، فيظهرون الأبهة ، وينشرون الرهبة، ويحصـــدون الأمــوال والأنفس بالضرائب والرشى والمصادرة والقتل ، فاذا طالت الولاية واكتظ الوالى ورضى (المابين) وأراد الباشا أن يفكر فى الدين أو فى العلم أو فى الاصلاح ‥ دل على فهم بليد وغفلة عجيبة) ٠

وهنا ساق الاستاذ الزيات الشاهد من قصـــة الوالى التركى على العراق فى أيام شاعره الزهـاوى فليرجع اليها من أراد ٠ أما أنا فاسوق الشاهد والمثل من عند الزيات أيضا ولكن مما يتصـل بمصر التى ماتزال محفورة فى ذاكرتها الأهوال التركية البغيضة التى تاب الله على جيلنا منها اذا اسـتثنينا بقـايا بلايا من مخلفاتهم ولكن جيل الزيات عنده الكثير ليرويه ٠ ولنبدأ الآن بقصة « المأمور التركى » ٠

(كان لفظ « المأمور » معناه الموت الذى لاعاصـم منه ولا مهرب ٠ ذلك أنه كان يخرج كل يوم على جواده الى الحقول ، شاكى السلاح ، كاشر الوجـــه منفوخ اللغاديد ، مفتول الشارب ، متوقد النظـر ، **كأنه تمثال الرعب أو صورة الهولة** ، ثم يسير متلفتا ذات اليمين وذات الشمال لا ليتفقد العمال ويتعهـد الزروع ، ولكن ليبحث عن انسان يعذبه ، أو حيوان يضربه ٠ والناس قد تعودوا منه ذلك فهم لاينفكـون طول النهار يرقبون ناحيته ويرصدون طريقه ، حتى اذا ابصروهمن بعيد ، غابوا فىمخابىء الارض كأنهم لم يكونوا ، فاذا عاد من طوافه خائب السوط جلس أمام الدوار وأمر أن ترش الارض وأن يلقى فى وحلها من جاءه فى طلب حاجة أو رفع مظلمة ، ثم يصيح بالجلاد أن ينهال عليه بالكرباج ، وهو فى خلال ذلك يميد من الغضب **ويبربر من الغيظ** حتى تهدأ ثورته وترضى كبرياؤه بعد لأى وكان العمد والمشايخ منوطين به ، فلا يسمعون الأمر والنهى الا منه ، ولا يرفعون مشكلات القرى وقضاياها الا اليه ٠ لذلك ظل أهلوها يجهلون أن لهم خديويا غير على شريف ، و (نظارا غير نظار الزراعة و (مأمورا) غير مأمور التفتيش ٠ **وكان هذا (الحاكم) كسائر بنى جنسه مغلق الذهن مطبق الجهالة . يجهل الزراعة ولكنه يأمر . ولا يعلم القضية ولكنه يحكم** ، والجانى المحكوم عليه هو الذى يجرؤ على أن يعقب أو يعارض ٠ وكان سادته لا يفوقونه فى الذكاء ولا فى الرحمة ، فكانوا اذا زاروا هـــذه القرى ـ وقليلا ما كانوا يزورون ـ تنكبوا بنادقهم وخرجوا يقتلون الوز فى البرك ، والحمام فى الأجران، والكلاب على التلول ، والغربان على الشجر ، ويراهم **الناس فيرنون اليهم دهشين من طرابيشهم الحمر على وجوههم البيض ويظنون أن وراء هذا الرداء جمـــال القلب وكرم النفس** ، فاذا دنوا منهـم يسـألونهم الاحسان والعدل زموا بأنوفهم ومضوا مسـتكبرين لا ينظرون ولا يجيبون) ٠

وكم لهذا المأمور بيننا الآن ، من رواسبهم ، أشباه ‥ بيض الوجوه سود النفوس والكثيرون منا يظنون لطيبتهم أو لغفلتهم أن وراء هذا الرواء جمال القلب وكرم النفس فاذا النفس خواء ، واذا العقل بلاء ، واذا القـلب منخوب أجوف لم تعمره عاطفـة ولم تدخله رحمة ولم تخصبه المـزايا الكبيرة التى يختص الله بها شعوب الحضارة ‥ المزايا التى تعطى الحياة الانسانية الفن والعلم والأدب والحكمة والفلسفة وروائع الفكر ٠

ويكمل صورة « المأمور » ويعمق (خلفيتهـا) الصورة البشعة التى رسمها القلم القادر (للأغوات) ولعذاب المصريين منهم :

(‥٠ وأصبح الصباح فجلس المأمور والمعاونون والنظار ، ورشت الأرض ، وطرح الجانى ، وتعاقبت على جسده المعرى عذابات الكرابيج، والناس من حوله يضجون بالبكاء ، ويضرعون بالرجاء و (الأغـوات) يتلذذون برؤية الدماء المنزوفة ، والدموع المذروفة ، ويطربون لسماع الأنات الضارعة والصرخات المتصلة، حتى كلت يد الضارب وخفت صوت المضروب فحملوه الى السجن ٠ وشفع العمدة لاهله أن يأخذوه ، فلما دخلوا عليه لم يجدوا فيه وأسفاه الا حشاشة نفس لفظها على صدر حبيبته أثناء الطريق)

ولهذا المأمور أبناء عمومة كان لهم مع الفلاح المصرى تاريخ أسود :

(كان الفلاح فى القرن الماضى يكابد صـــنفا من الخلق صورهم الله على مثال عجيب من خفة الصقور وفتكة النمور وهيئة الناس ليكونوا مذكرين بجبروته ومنذرين بعذابه ، كانوا من الأرناءود أو الجركس ، وكان عملهم جباية الضرائب على كل شىء ، ومن كل شخص وفى كل وقت ، وبكل صورة ، او اقتحـام الدور للبحث عن المحظور أو المحكور من الملح والصابون اذا اقتناهما أحد من غير طريق الحكومة ٠ وكـــان سبيلهم الى ذلك سبيل الارهـاب والعنف ، فمتى دخل أحدهم قرية من القرى دخلها الفزع والروع فلا

يملك السائر ان يتقدم ولا الواقف ان يتكلم ولا الداخل أن يخرج . ثم تخشع فى القرية الحياة فلا تسمع حسا ولا حركة الا عـرير الكلاب وقوقاة الدجاج وصراخ الصبية فاذا خرج منها (الجندى) كما كانوا يسمونه انطلقت من ورائه ضجة شديدة فى البلد من بكاء المضروب وصراخ المنهوب ودعاء المضطرب)

هذه بعض الصور التى رسمها أستاذنا الزيات لو تأملناها سهل علينا تفسير التاريخ .

لقد امتلأ تاريخ تركيا بالطغاة حين حفل تاريخ مصر بفتوحات الفكر والأمجاد العلمية والفنية والعقائدية والحضارية .. وكم بين تركيا ومصر فى ضمير الانسان وفى حضارة الانسان ..

لقد اعطت مصر ماأعطت للناس حين أفزعهم (هولاكو) وروعهم (سليم) سليم الذى قضى فى مصر وحدها على ٥٠ حرفة يوم انقض على الصناع والفنانين فحملهم كرها الى استانبول .

لقد اشتهر الاتراك فى الحروب وتباهوا بالشجاعة ولكنها شجاعة عامية لايخلد بها تاريخ ولا يشرف بها (انسان) . ولعل (شوقى) وهو أكثر شعرائنا دفاعا عنهم ، لمح هذا المغزى حين قال (يادولة السيف كونى دولة القلم) ولكن القلم موهبة ونعمة يحظى بها السعيد من الأمم والأفراد .

ليس فى تاريخ تركيا ، كما فى تاريخ العرب ، نبى كمحمد بن عبد الله ، وليس فى تاريخ تركيا كما فى تاريخ مصر مفكر كاخناتون العظيم .

وان مجموعة خطابات وأوامر (عباس باشا الأول) التى جمعها وطبعها (الامير محمد على) (ليعلم العالم شيئا عن تاريخ هذا البطل العظيم) كما يقول ، لتصور العقلية التركية .

فمن أوامر عباس باشا الى خورشيد اغا أمر بشراء (قبقاب حمام) وأمر بشراء مخالى للتبن ودهن النعام (من عند كائن من كان) وحجر البلاط ، و (البطاطة) وطاحونه وطاسه لأن (البن الذى يصرف فى الدائرة كان يجرى تحميصه **وطحانه** (هكذا) فى الخارج قد ظهر غش فى المطحون)

وأمر بتعيين سماسرة أمناء (ليشترون) المقادير المطلوبة .

ياله من تركى عبقرى ... فى التفاهة ... (هكذا) لعل التركى من دون سائر خلق الله المقصود بالمثل العربى (تمخض الجبل فولد فارا) ..

ومفخرة المفاخر عند محمد على هذه (الحكاية)التى يصدر بها كتابه فى زهو كأنها مما يزهى به .

(... قال لى الشيخ احمد ابو السعود الذى كان استاذى فى تلاوة القرآن الكريم انه فى أيام عباس باشا لم يكن أحد يسير فى الشوارع اذا ماأذن المؤذن للصلاة فى الجامع ، وكان الناس يلزمون بيوتهم وكانت الطرق هادئة ساكنة طول وقت الصلاة،وكان **الشاويشية الاتراك الفرسان الذين كانوا وقتئذ يحافظون على الأمن يضربون ... (بسياطهم) كل شخص يرونه سائرا فى الشوارع)** .

هكذا يفهم الاتراك (التقوى) لشد مايذكرنى هذا قول استاذنا احمد امين فى قاموسه (واشتهر التركى بتدينه ولكنه كان تدينا شكليا تنقصه روح الاسلام فهو يعنى بالادب امام تلاوة القرآن وباقامته الصلاة اكثر مما يعنى بتحرى ـ العدل ورفع المظالم وعدم الرشوة ويعتقد انه اذا ارتكب هذه الجرائم كلها ، يرفعها عنه بناء مسجد أو سبيل أو مدرسة . ومع الأسف لقى منهم المصريون الأمرين) ومن العقوبات العادية التى كانت تصدر بها الأوامر فى سهولة وبساطة (قطع اللسان) والاعدام والطرح فى البحر، وهذا خاص بالنساء اللائى يتلفن أعين .. أبنائهن هربا من التجنيد . .

ويعلق محمد على (الامير) على هذه) العبقرية الادارية (بقوله :

(هذا يظهر كيفية الاوامر الجد)

وبمناسبة التجنيد نذكر ان هناك أمرا طريفا (بأن يكون فرز المجندين هنا بواسطة شورى الاطباء وسيقبل منهم الشبان الاصحاء البنية ولو يكون بهم قرع او نقص سنة واحدة او على عينه الشمال نقطة) .

ولست أدرى السر فى تعيين العين (الشمال) وهل يختلف الامر لو أن النقطة على العين اليمين ؟ من سوء الحظ ان الجواب عند (ولى النعم) . ان نشر

هذه (الخطابات) و (الارادات) و (الاوامر) دليل آخر على غباء (التركى) ممثلا هذه المرة فى شخص الناشر الكبير ، الأمير محمد على ٠

ومن طرائف الاوامر او العقوبات لست ادرى هذا الامر بعد ان اكتشف ولى النعم جهل التلاميذ ٠

ارادة لمدير المدارس :

(٠٠٠٠٠ يحق لى ان الغى ديوان المدارس الذى اتخذناه اساسا ٠٠٠ للتعليم واطرد الاساتذة والمهندسين المومى اليهم والبالغ عددهم ٠٠٠ خمسة عشر شخصا حيث انهم لايعرفون شيئا خلاف تخريب الاقاليم وقد **طردتهم من الخدمة ابديا** وكتبت لمدير الاقاليم الوسطى ان ينزع نياشينهم ويرسلها الى الديوان ويجب ألا يستخدموا بعد ذلك فى الحكومة بمعرفة ديوان المدارس واذا **استخدمهم احد على غير ارادتى فسانزع نياشينه واطرده حالا** وحيث انه لا يكفى لكل من مراكز بنى سويف والفشن والفيوم وبنى مزار والمنيا مهندس ماهر مقتدر فيلزم ان تعتنوا بانتخاب خمسة مهندسين واقفين على العلوم والأعمال الهندسية والحساب وارسالهم الى المديريات المذكورة واعلموا انى بعد عودتى من وجه قبلى سأمتحنهم وأجربهم **فاذا تبين انهم مثل المهندسين المطرودين فساضطر ٠٠ لطردهم ايضا والغاء ديوان المدارس كلية ، وللمعلومية** تحرر لكم هذا لاتباعه) ٠

وارادة أخرى شبيهة لحكمدار السودان :

ففى (غضون هذه السنة (١٢٦٦ هـ) أمر الوالى عباس باشا بامتحان مهندسى الأرياف ومعلمى المدارس لان الكثير منهم ليسوا على شيء وجعل كلا من اليوزباشية على مبارك افندى وعلى ابراهيم افندى وحماد افندى من ارباب الامتحان وشرط عليهم الا يتكلموا الا بالصدق ولو على أنفسهم واذا علم ان احدا منهم كذب فى شيء فجزاؤه **سلب نعمته والباسه لبدة الفلاحين وسلكه فى سلكهم ٠٠**)

كان الفلاحين ليسوا أولياء نعمته٠٠٠كانهم ليسوا سادته الحقيقيين فى حساب التاريخ ولكنه عباس اغا ٠

وأمر بسلب حصان فى أدب :

الى امير لواء حسن بك

(وكيلنا حسين اغا قد حضر عندكم ورأى حصانكم جيدا يوافق لطبعنا وحضرتكم ـ ولعله يقصد وحظرتكم بالظاء ـ قد رضيت بان تتكرم علينا اعطاؤه فبناء عليه قد أرسلنا الى طرفكم ناظر اصطبلنا على اغا لاستلام الحصان بعد تجربة سيره وركوبه واحواله كلها) ٠٠

وأمر حيوانى (وكان عباس باشا يراف بالحيوانات) كما يقول قريبه محمد على : (وقد علم لنا من الجواب الوارد من يوسف بك ان الكلاب المأخوذة من النبراكى ٠٠ بواسطة أخينا حليم بك كانوا فى الجنينة وباب المياه كان مفتوحا فوقعوا فى الماء وتيار سيل المياه أخذهم ٠ حتى من شدة ضرب أمواج المياه فيهم مزقوا جلود البعض ولاجل هذه المسألة يوسف بك ضرب الجناينى مائتين سوط حسب افادته فى الجواب مع ذلك ان الاهمال كان من يوسف بك لامن الجناينى الذى ضرب ظلما وعدوانا ٠

فانى آمركم ان تضربوا يوسف بك ثلاثمائة سوطا تاديبا له ٠ وتأخذوا من صدره النشان وعينوه معاونا للاصطبل تحقيرا له وان لم تنفذوا امرنا هذا كما هو واجب فانى احلف لكم بدينى ساضربكم الف سوط هكذا فليكن لكم معلوما فالامل منكم ان تنفذوا أوامرى كلها كما امرتكم وتعالجوا جروح الكلاب كل يوم حتى تطيب جروحهم وتخبرونى عن تحسن حالتهم)

وكم من جراح غائرة أثخن بها الغباء التركى الغاشم والاستبداد التركى المتحجر ، جسم مصر والعرب فبينما يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه (الاستعمار والتحرير فى العالم العربى) ٠٠ « فبينما لم يترك الأتراك أى اثر حضارى بناء فى العالم العربى كانوا عالة على تراث العرب ـ ابتداء من العمال حتى شكل الكتابه ومن الصناعة حتى الثقافة ٠

وبعامة فقد كانت (الاستعارة) التركية نهبا حضاريا وابتزازا مخططا للموارد يقوم على مبدأ معروف

وبعد فليس النثر أو (أدب المقالة) ممثلا فى الزيات هو وحده الذى صور الاتراك فى واقع التاريخ المصرى والمفهوم المصرى فان المسرح المصرى قد اسهم فى هذا التصوير بنصيب كبير ٠ فبديع خيرى من وراء مسرح الريحانى فى رواية (الا خمسة) وكتابنا الكبير توفيق الحكيم فى مسرحيته (الايدى الناعمة) و (باكثير) فى مسرحيته (جلفدان هانم) على سبيل المثال ، فتحوا مجالا لنماذج تركية وللسخرية المصرية

منهم فى وقت واحد . (جلفدان هانم) بكبريائها الفاشمة وتسلطها الارعن ، وحبها للسيطرة والتحكم فى الآخرين .. التحكم فى عقولهم فيتلقى طالب العلم مالا يريده ومالا يعنيه ، والتحكم فى عواطفهم فتفصل بين الابنة وزوجها الذى تحبه ، والرغبة الآثمة فى اشاعة الرعب منها بالتهديد والوعيد والبطش... (جلفدان هانم) هذه بصورتها البغيضة وعقليتها المريضة ، رمز لسياسة تركيا اذا تمكنت من الآخرين ولست بمبالغة وصفها او مبالغة فيه ، مصرية خالصة المصرية ، فقد سبقنى اليه شاعر مصرى يمت اليهم بسبب هو ، ولى الدين يكن ، ففى قصيدته التى ناقض بها قصيدة شوقى المشهورة التى قالها فى خلع (عبد الحميد) سنة ١٩٠٩ ومطلعها :

سل يلدزا ذات القصور
هل جاءها نبأ البدور

وصف ولى الدين يكن وهو من أرومة تركية فى نقيضته الحاكم (التركى) بالبطش ، والجهل والغرور والنهب والفتك والتخريب :

هاجتك خالية القصور
وشجتك آفلة البدور
وذكرت سكان الحمى
ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغزيـ
ـر تباعت الدمع الغزير
وتواهب المال الكثيـ
ـر وناهب المال الكثير
يا مسغب الاجناد قد
اشبعت مساغبة النسور
لله اجساد ثوت
بين الجنادل والصخور
كم خلفها من صبية
يتمت ومن شيخ كبير
ان الثلاثين التى
مرت بنا مر العصور
وهبتك تجربة الامو
ر فعشت فى جهل الامور
لو ان للأيام السـ
ـنة لصاحت بالثبور
هى غادة لكنها
دارت على رأس المغير

من عاش يستحل الشرو
ر يموت من تلك الشرور
ان الزمان يقدر تسم
يذيق عاقبة الغرور

على ان (شوقى) نفسه لم يستطع مقاومة الروائة المصرية فيه فسخر السخرية المصرية التقليدية من الاتراك فى مسرحية (الست هدى) أما النديم فقد استخدم (المسامير) فى ايلامهم جزاء وفاقا لما جرعتنا يداهم من غصص العذاب .

واحدث الصور التركية فى الادب المصرى صورة (العروس) التى رسمها اديبنا توفيق الحكيم فى كتابه الجديد (سجن العمر) .. العروس التركية الشمطاء التى كانت فى الخمسين من عمرها وتريد ان تسير الى بيت (العريس) فى زفة تتقدمها الموسيقى الميرى ولنترك الحكيم يروى :

(.. وصلنا الى شبين الكوم بالسلامه .. وهنا قامت القيامة .. سمعت صياحا وصخبا وزعيقا يملأ الجو فى المحطة .. انها العروس بسلامتها ماكادت تنظر حولها وهى نازلة من القطار حتى صاحت : اين الموسيقى .. الميرى .. ؟ ورفضت رفضا باتا ان تنقل قدما من المحطة الا اذا سارت الموسيقى الميرى امام عربة العروس «الكوبيل» بخيولها المزوقة بالورد ... ولم يكن أحد قد فكر فى ذلك ولا عمل له الترتيب ، لان العروس لم تكن صغيرة السن ولا كان هذا اول عرس لها ، فقد سبق لها الزواج اكثر من مرة .. ولكن مخها التركى ابى الا ان تزف فى شوارع المدينة بالموسيقى الميرى ... لم أفهم الا فيما بعد سبب هذا الضجيج والزعيق .. واكب الجميع على يد العروس يلثمونها متوسلين متضرعين أن تغفر لهم هذه الزلة وان تركب العربة الكوبيل وتمضى فى هدوء الى بيت الفرح ، منعا للفضيحة وتجمع المارة واهل الفضول .. واخيرا ركبت وسارت معهم وهى تشتمهم باللغة التركية وهم يشتمونها فى سرهم باللغة العربية ...)

وبعد فهذه (الصور) التى ساقها الينا اوساقنا اليها كتاب (وحى الرسالة) تكفى اليوم لتكون هامشا للدراسة التى أعدها عن الكتاب الكبير وان كانت لا تكفى هامشا للتحية التى أزجيها الى الاستاذ الجليل .. صاحب الرسالة .

« د ة . نعمات أحمد فؤاد »

قصة "التين"

بين الفرسان الثلاثة

بقلم الدكتور بدوي طبانة

انها قصة طريفة حقا ، قصة مرح الشباب في طلاقته ، وصفاء الاخلاء في عذوبته ، وحدة الهوى في سحره ومرارته .. ثم فيض الالهام في هديره الصاخب ، وتدفق الشاعرية في سيلها المنساب من قلوب الشباب ليروى النفوس الظماء من نمير الصبابة والشعر ..

وقد يكون في استعادة تلك القصة أقوى الدلالات على مدى ما يستطيع ذلك الفن الجميل أن يشيعه في النفوس من البهجة والانس ، حتى يصبح رياضة نافعة ، وسلوى لتلك النفوس المثقلة بأعباء ووحشة الاغتراب عن الأهل والأوطان .

ولا بد أن تثير القصة في الخاطر سؤالا ما أقسى جوابه على نفس الشاعر والأديب، ومن عاش في أجواء ذلك الفن الانساني الرفيع : أين أمثال هذه السلوى الفنية والرياضة النافعة في أمثال تلك البيئات ، وما أكثرها في ديار العروبة في أيامنا الحاضرة ؟! لكأنما نضب معين الفن ، وغاضت روافده ، فصوح نبته واجدبت رياضه ، مع توافر دواعي النضرة ، وكثرة أسباب الخصب والنماء .

❋ ❋ ❋

أما الفضل في اثارة هذه القصة التي وقعت أحداثها منذ سبع وثلاثين سنة (سنة ١٩٢٧) فان مرجعه الى الكاتب الأردني الأستاذ مصطفى محمد الغار الذي كتب في « **الرسالة** » تعليقا على ناحية من النواحي الكثيرة التي تناولتها بالدراسة في كلماتي عن الشاعر العربي الأستاذ حافظ جميل ، ونشرتها الرسالة في أربعة أعداد صدرت في ١٣ و ٢٠ و ٢٧/٨/١٩٦٤ و ٣/٩/١٩٦٤ .

وقد نقل الأستاذ الغار من تلك الكلمات قول عن حافظ جميل « واولى تجاربه مع المرأة تجربته مع (التين) وهو الاسم المستعار الذي اختاره لزميلته في الجامعة الامريكية ببيروت ، التي هام بها ووقع في شراك هواها ، فصاغ فيها كثيرا من قصائده التي تراواها زملاؤه في الجامعة ، حتى فاض حديث الهوى ، وهدده مدير الجامعة بالفصل ان لم يمسك عن هذا التشبيب ويكف عن اذاعته . وكان ذلك في شباب حافظ منذ سبع وثلاثين سنة ، ومن تلك القصائد وأطرفها قصيدته (تين) » ..

وعلق الأستاذ الغار على هذه الفقرة بقوله « ان هذه القصيدة التي نسبها الدكتور بدوي للشاعر حافظ جميل قد اشترك في نظمها ثلاثة من رفاق الدراسة في الجامعة الأمريكية ببيروت وهم : ابراهيم حافظ طوقان وحافظ جميل ووجيه البارودي » .

ولو صح هذا القول الذي قاله الاستاذ الغار لخرج الأمر عن دائرة الصداقة والمرح والزمالة وأخذ كل شاعر من الشعراء الثلاثة بحظ من هذا الفن الجميل، فان تلك الأسباب جميعا لا تسوغ لشاعر مهما تكن منزلته في عالم الشعر والفن أن يستبيح لنفسه جهد صديقه ، أو ينسب الى نفسه عملا أدبيا شاركه فيه غيره بقسط كبير أو قسط ضئيل ، فان ذلك هو « الانتحال » الذي يدعي فيه الشاعر لنفسه شعر غيره على غير سبيل التمثل أو الاقتباس كما يقال ان جريرا فعل ذلك ببيتي المعلوط السعدي :

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقد أجمع الرواة على أن هذين البيتين للمعلوط انتحلهما جرير ، كما انتحل أيضا قول طفيل الغنوي :

ولما التقى الحيان ألقيت بالعصا
ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

ولذلك قال الفرزدق :

ان تذكروا كرمي بلؤم أبيكم
وأوابدي تتنحلوا الأشعارا

والحديث في امثال ذلك في القديم والحديث ، وفي القاب الافادة وضروب الأخذ يطول ٠٠٠



فهل وقع الشاعر العربي الكبير حافظ جميل في قصيدته « ياتين يا توت يا رمان يا عنب ٠٠ » في مثل ما وقع فيه جرير وغيره من بعض فحول شعراء العربية ، كما ذهب الى ذلك الأستاذ القار في تعقيبه الذي انتهى فيه الى القول بأن « الشعراء الثلاثة حافظ جميل وابراهيم طوقان ووجيه البارودي قد اسهموا في نظم اكثر من قصيدة غزلية ابان سني دراستهم في الجامعة الامريكية ، وقد جمع بينهم الشعر ومقعد الدراسة والاستجابة لمنازع الشباب »؟

لقد استشهد الأستاذ القار على صحة هذا القول بقصيدة « وادي الرمان » التي نشرها الشاعر وجيه البارودي في ديوانه وشاركه في وضعها رفيقه الشاعر ابراهيم طوقان ٠

فأين حافظ جميل في هذا المثال الذي ساقه حجة أو دليلا للقياس ؟ وهل وردت قصيدة (التين)وهي موضوع الحديث هنا في ديوان وجيه البارودي أو في ديوان ابراهيم طوقان ، وقد طبع كلا الديوانين ونشرا ؟! وقد عرفنا حرص كل شاعر على شعره ، وتسجيل ظروفه التاريخية ، واثبات أية مشاركة لو كانت وفاء للحق وقياما بواجب الصحبة الطويلة الحبيبة، كما اشار وجيه البارودي الى مشاركةصديقه الشاعر ابراهيم طوقان في قصيدة « وادي الرمان » بقوله « ان القصيدة مثال مبتكر امتزج روحانا بكل كلمة ، فجاءت قصيدة لايستطيع ناقد مهما حقق ودقق أن يجد دليلا على ينبوعها الثنائي » ٠٠ وتلك هي الدقة والأمانة التي نشير اليها ولا تقتصر في الوصف بها على شاعر من الشعراء الثلاثة دون زميليه ، وهم وحدهم اعرف الناس بأشعارهم وأحرصهم عليها ، وتسجيل ظروفها ومدى استقلالهم بكل قصيدة منها ٠

وقد اشترك الشاعران المرحوم ابراهيم طوقان والدكتور وجيه البارودي في نظم قصيدة « حديقة العشاق » التي عارضا فيها قصيدة « يا تين » للأستاذ حافظ جميل ، واقتبسا في تلك القصيدة عدة أبيات من قصيدة حافظ ، وقد ذكر في ديوانه (نبض الوجدان) أن صديقيه لم تكن لهما أدنى صلة أو معرفة بالتي أوحت اليه نظم هذه القصيدة وغيرها من القصائد « التينية » التي سجل بعضها في ذلك الديوان ، وأن شيطان شعر المرحوم ابراهيم طوقان كان الآنسة (م ٠ ر) الفلسطينية، اما شيطان حافظ يومئذ فقد كان الآنسة الدمشقية (ل ٠ ت) ٠

ويذكر حافظ الحادث الطريف الذي وقع له يومئذ وكان سببا في تاليفه قصيدته « يا تين » فقد كان يتحدث ذات يوم الى زميله الدكتور وجيه البارودي، واذا بالآنسة (تين) تمر بهما فجاة فكان أن التفت حافظ اليها عفوا ، ثم صاح « يا تين » ولكنه سرعان ما ادرك خطاه ، وخاف على نفسه ، ولا سيما بعد وعده عميد الجامعة بالكف عن التشبيب بها بعد أن كان قد بعث اليها بقصيدته « التينة العاشقة » ٠٠ ثم التفت الى زميله الدكتور وجيه متمما (يا تين يا توت يا رمان يا عنب) فضحك الدكتور وجيه لذلك التخلص ، ووعده حافظ بانه سيكملها ليجعل منها قصيدة وبعد نحو أسبوع كان قد الف ستة مقاطع من تلك القصيدة سلمها الى الدكتور وجيه ثم أتم حافظ القصيدة والقاها في مدرسة (الفريندز) في قرية برمانا في حفلة أقيمت لتكريمه هناك ٠٠ وكان ذلك سنة ١٩٢٧ م ٠

وقد صدر بعد ذلك ديوان المرحوم ابراهيم طوقان، وليس فيه ذكر أو اشارة الى قصيدة (يا تين) ولا الى قصيدة (حديقة العشاق) التي شاركه في نظمها الدكتور وجيه البارودي في معارضة قصيدة حافظ ٠ ومعنى ذلك أن ابراهيم طوقان لم يدع هذه القصيدة لنفسه لأنه كان يعرف أنها ليست له ، وليس من حق أحد أن ينسب اليه ما برأ نفسه منه ٠

ومن الحقيقة أن نذكر أن ديوان ابراهيم طوقان نشر بعد وفاته ، وقد يكون ذلك مظنة القول بضياع هذه القصيدة أو غيرها ، الا أن ناشر الديوان وهو الأستاذ احمد طوقان يقول فيه بالحرف « هذا هو ديوان أخي ابراهيم ، اضعه بين يديك أيها القاريء الكريم بعد أن ساعدت الظروف على نشره غير مدع فضلا في جمعه ولم شتاته ، فقد كفاني المرحوم ابراهيم مشقة الجمع وعناء البحث بين مفرق الأوراق ٠٠٠ قلت ان ابراهيم رحمه الله وندى ثراه قد كفاني مئونة جميع الديوان ، ذلك لأنه جمع ديوانه بنفسه قبل أن فارق دار النكد والفناء الى دار النعيم والبقاء، وانك لتجد بين مخلفاته دفاتر كتبت في مناسبات متفاوتة في القدم ٠٠ ثم نقل رحمه الله تلك المجموعة المنقحة مرة أخرى ٠٠ أما ما ستطالعه في هذا الديوان

فهو بعينه ما كان سيطلع به علينا المرحوم ابراهيم لو مد الله فى أجلـه وأشرف بنفسـه على طبـع ديوانه ٠٠ » ٠

وأعتقد أن فى هذا البيان ما يكفى لإزالة كل لبس فى الظن بأن المرحوم ابراهيم طوقان له أثر فى تلك القصيدة ، اذ لم يجد ناشره شيئا منها فى المجموعة التى أعدها الشاعر بنفسه قبيل وفاته ٠

والأمر كذلك فيما يتصل بالدكتور وجيه البارودى الذى نشر ديوانه « بينى وبين الغـوانى » ولا أثر فيه للتين والرمان والعنب !

ذلك كان مبلغى من العلم والتقدير حينما أشرت الى قصيدة (التين) فى ثنـايا حديثى عن تجارب حافظ جميل مع حواء ٠

ولما نشر الأستاذ الغار كلمته فى « الرسـالة » تفضل الأستاذ حافظ جميل فبعث الى بالكتاب التالى توضيحا للحقيقة :

سيادة الأخ الدكتور بدوى طبانه المحترم

طالعت فى العدد ١٠٨٦ من مجلة الرسالة الغراء وفى حقـل (البريد الأدبى) منها كلمة للكاتب الأردنى المحترم الأسـتاذ مصطفى محمد الغار موجهة اليكم حول قصيدتى (ياتين) ٠ وقد لفت نظرى من تلك الكلمة ثلاث نقاط هى :

(١) ادعاء الكاتب ان قصيدة (ياتين) لم تكن من نظمى انا وحدى ، وانما هى من نظم ثلاثة شعراء هم انا والمرحوم ابراهيم طوقان والدكتور وجيه البارودى ٠

(٢) اننا نحن الشعراء الثلاثة كثيرا ما اشتركنا فى نظم اكثر من قصيدة غزلية ابان دراستنا فى الجامعة الأمريكية ببيروت ٠

(٣) اشارته الى قصيدة ادعى فيها ان المرحوم ابراهيم طوقان قد بعث بها الى الدكتور عمر فروخ وقد ورد فى تلك القصـيدة كلمة « ليل » ٠

ومع انى كنت قد شرحت فى ديوانى (نبض الوجدان) وتحت قصيدة « ياتين » بالذات ظروف نظم تلك القصيدة الا أنه يبدو لى ان بعض الاخوان اما انهم لم يكتفوا بما اوردته من معلومات فى الديوان حول الموضوع او انهم لم يطلعوا على الديوان بتاتا ٠

وعليه فاثارة للأذهان وزيادة فى الايضاح اود ان ارد على الكاتب المحترم بالكلمة التالية راجيا التفضل بنشرها ٠٠٠

(١) كنت فى سنة ١٩٢٧ وانا يومئذ تلميذ فى الجامعة الامريكية ببيروت قد نظمت من جملة ما نظمته من قصائد التين قصـيدة بعنوان (ياتين) ٠ وكانت تلك القصيدة تحتوى على المقاطع الستة التالية :

ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب
يادر يا ماس ياياقوت يا ذهـب

الله الله ما هـذا الصـدود وما
هذا الجفـاء وما للقلب يضـطرب

ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب
ياتين ياليت سـرح التين يجمعنا

ياتوت يا ليت ظـل التوت مضجعنا
وانت ليتك يارمـان ترضـعنا

والكـرم ياتين بنت الكرم تصـرعنا
ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب

حدائق الشـام عين الله ترعـاك
ولا سـرت نسمة الا بريـاك

يامرتع الصـرب الأتراب مثـواك
تفتـر من بهجـة الدنيا ثنايـاك

ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب
يايوم الجلن امثـال التماثيـل

مكللات بهـالات الأكـاليل
تبعث (ليل) وليل ذات تفـضيل

ليل فديتـك ماالقاك ياليل (١)
ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب

الشمس ماالشمس انالشمس تنكسف
البدر ما البدر ان البدر ينخسـف

الدمع الدمع ان الدمـع ينـذرف
يا منية القلب عن وصل وانصرف

ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب

ناداك بالتين يالبـل منـاديك

والتين بعض جنى الأطياب من فيـك
لو كان يجدى الفدا فى عطف اهليـك

لرحت بالروح افديهـم وافـديك
ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب

---

(١) (ليل) بكسر اللامين اسم بطلة التين

كانت هذه المقاطع الستة هي اول مقاطع قصيدة (ياتين) التي نظمتها يومئذ والتي استنسخها منى الكثيرون من الاصدقاء ومن ضمنهم المرحوم ابراهيم طوقان والدكتور وجيه البارودى . وقد علمت بعد ذلك انهما اجريا عليها اضافات من نظمهما ثم انتشرت القصيدة الجديدة بعد تلك الاضافات باعتبار ان ثلاثتنا كنا قد اشتركنا في نظمها . اما انا فلم اكترث للحدث ، وظللت محتفظا بقصيدتي الاصلية آملا ان تتاح لى الفرصة بعد ذلك لاتمامها . وفعلا رجعت بعد مدة وعدلت فيها ماعدلت ثم اتممتها حتى جاءت بالشكل الذى هي عليه الآن في ديواني (نبض الوجدان) .

هذا ما يتعلق بنظم القصيدة .

(٢) اما النقطة الثانية التي ادعى فيها الكاتب اننا كثيرا ما اشتركنا في نظم اكثر من قصيدة غزلية فليسمح لى بان أطمئنه واؤكد له انني لم اشترك طيلة حياتي مع اى كان في نظم بيت واحد من الغزل لا من قريب ولا من بعيد . وقد كان اشتراكي مع المرحوم ابراهيم طوقان والدكتور وجيه البارودى لايتعدى نظم القصائد الخاصة بالنكتة والدعابة والمجون والهجاء احيانا كقصائدنا في (طوا) و (احسان احمد) و (الازهرى) وغيرها من القصائد التي نشرت انا اكثرها في بعض المجلات العراقية ، وجميع تلك القصائد كانت محفوظة لدى المرحوم ابراهيم طوقان ومدونة اما بخطه او بخط الاخ نديم البارودى مع مقدمة للمرحوم ابراهيم طوقان لكل قصيدة من انشائه وكانت تلك المجموعة تسمى (الديوان المشترك) .

بالاضافة الى ذلك فان جميع طلاب الجامعة يومئذ يعلمون ان ملاك شعر المرحوم ابراهيم طوقان كانت الآنسة الفلسطينية (عازى صفورى) التي حصر فيها معظم غزله ان لم اقل كله ، كما كانت ملاك شعرى انا الآنسة الدمشقية (ليل تين)التي نظمت فيها اكثر من عشر قصائد ومقطوعات نشر قسم منها في ديواني (نبض الوجدان) . اما ملاك شعر الاخ الدكتور وجيه البارودى فكان يتبدل بين حين وآخر من مذكر الى مؤنث .

(٣) اما النقطة الثالثة فهى الابيات التي ذكرها الكاتب المحترم في مقاله والتي ورد فيها كلمة (ليل) .. ولا ادرى اى ضوء تلقى هذه الكلمة على الموضوع ؟ اللهم الا ان ينورنا بذلك الاخ الدكتور عمر فروخ الذى وجهت اليه تلك الابيات .

المخلص حافظ جميل

واخيرا .. لعل قراء (الرسالة) قد استمتعوا بقصة التين في الشعر العربى المعاصر كما قرأناها في السطور ، وبحديث فارس الفرسان الذى اماط اللثام وافصح عما بين السطور ، وما ينبئك مثل خبير !

((د. بدوى طبانة))

أصل القضية..

بقلم: عبد الكريم الخطيب

ولا قضية **الا قضية الشعر الجديد** ، فما ينتهى حديث عنه الا جد له حديث ، وما انفض مجلس الا قام له مجلس حتى لكأن العصر لم يلد أعجوبة غيره ولكأن الحياة - عندنا على الاقل - لم تواجـه من المشكلات ما يستاهل أن يكون قضية من قضايا الرأى غير الشعر الجديد ، ومشكلة الشعر الجديد !

وهذا فى - رأينا - اسراف فى تبديد الجهود والقوى التى تتطلبها منا ميادين أخرى كثيرة ، فى واقعنا المادى والعقلى والروحى ! ولكن يظهر ان بدعة الشعر الجديد ليست على ما يبدو فى ظاهرها الذى أيناها عليه من شحوب وذبول ، حتى لقد خيل الينا ان هذه المقطعات الممسوخة أطلت علينا بوجوهها المنكرة ليست الا مواليد ضائعة التقطها بعضهم من عرض الطريق وجعل نسبها اليه، من ثم فانها لاتلبث طويلا فى يد أصحابها حتى يلقوا بها ليد الضياع متى انكشف لهم أمرها ، وبان الشؤم الذى يطلع عليهم منها ، كنا نحسب هذا الحساب للشعر الجديد ، وقد صح حسابنا أو على الاصح بعض هذا الحساب حيث عدل بعض شعراء الجديد عن طريقهم الذى قطعوا فيه أشواطا ، وامسكوا عن الشعر جملة ، اذ لم يكونوا فى الواقع شعراء الا فى حساب هذا السقط من الشعر .. كما انه عقل بعض شعراء القديم الذين حدثتهم أنفسهم عن اللحاق بهذا الركب المفتون .

ولكن - مع هذا - فان الامر - أمر الشعر الجديد - على غير هذا الحساب ومن وراء ذلك التقدير ، اذ انه ما كادت لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم ، تتقدم برأيها الى المسئولين .. المسئولين عن حماية المجتمع من الآفات المغيرة على اكرم مقوماته ، واعزها عليه من لغة ودين ، ماكانت اللجنة تنبه الى هذا حتى تجمع للجديد أنصار من كل لسن وأمة ، وحتى لقد ظهر فى الافق كثيرون ممن كانوا يحسبون من دعاة الحفاظ على اللغة والدين .. فاتخذوا مواقفهم فى جانب الشعر الجديد ، مجاهرين بهذا أو متسترين تحت دعوى الحياد باسم : حرية الرأى ، واتاحة الفرصة للتجربة الجديدة والتسامح فى أخطاء الجديد ، حيث لكل جديد عيوبه واخطاؤه الى غير ذلك من التعلات والمعاذير .

كتبت **بنت الشاطىء** فى صفحة الاهرام الادبية (اول يناير من عام ١٩٦٥) تحت عنوان « قضايا ادبية .. الاطار الشعرى والدين» - كتبت - تأخذ على اللجنة اقحامها الدين فى قضية الشعر الجديد واستعداءها عليه باسم الدين .

تقول الدكتورة (بنت الشاطىء) (فلقد وددت لو أن لجنة الشعر أعفتنا من اقحام الدين فى خصومتها للشعر الجديد ، فللدين حرمة يجب أن تصان ، فلا نستغله بغير حق سلاحا فى معاركنا الأدبية نشهره فى وجه دعاة التجديد ! »

وهذه غيرة غير مستغربة من بنت الشاطىء على الدين وحرماته ، والنأى به عن مواطن بين متضارب الآراء ! فهى أستاذة لغة ، وتصلح أن تكون أستاذة دين .

وتحصر بنت الشاطىء الخلاف بين لجنة الشعر وبين أصحاب الشعر الجديد فى أمر واحد وهو : الاطار الذى يوضع فيه كل من الشعرين .. فالشعر القديم ملتزم عروض الشعر القديم فى الدائرة التى حصرها «الخليل بن احمد» بينما أصحاب الجديد لا يلتزمون هذا العروض ولا يحترمونه .

أهذا كل ما هنالك من خلاف بين الشعر العربى

وهذا الشعر الجديد ؟ وهل لهذا فزع الناس من هذا الشعر وأنكروه ؟ وهل لهذا او من أجل هذا فزعت لجنة الشعر الى المسئولين تنبه الى هذا الخطر الزاحف على اللغة والدين ، ان يكن لهذا كانت اجتماعات اللجنة ومقرراتها فقد كتبت اللجنة بهذا وثيقة دامغة تشهد عليها بالجهل الطفولى الذى لا يليق بالرجال !

تقول بنت الشاطىء : «ومع التسليم -فرضا- بان فيما ساقته اللجنة من عبارات والفاظ لبعض شعراء الجديد ما يجرح شعورنا الدينى ، فان هذا ليس كل الجديد ، بل ان فى كثير غيره مالا يتهم ولا يجرح » .

ثم تمضى الدكتورة فى حديثها : «والقضية فى رايى لايجوز أن تتعلق بجزئيات وأفراد ، وانما تعالج من أفقها العام.. ويكون السؤال الاول هكذا: هل ينفرد الشعر الجديد بهذا الملحظ - ملحظ التهجم على الدين - الذى اشارت اليه اللجنة فى دفاعها الحار عن القومية والدين .

« وبعبارة أخرى :

« هل نلقى التبعة على الاطار الجديد ،فيكون الاطار الشعرى الموروث عاصما للشعراء من الجراة على ديننا والمساس بعقيدتنا » .

أهذا كل مافى الامر اذن ؟ خلاف - مجرد خلاف - فى الاطار بين الشعر العربى والشعر الجديد .

هذا كل مارأته الدكتورة بنت الشاطىء فى مقررات اللجنة ، وفى ثورتها على الشعر الجديد .

ونتيجة لازمة لهذا يكون الشعر الجديد شعرا عربيا ، وان جاء فى اطارات وصور على غير تلك الاطارات والصور التى جاء عليها الشعر العربى .

واذن فما هو خطر الشعر الجديد ، وما هذه الثورة الظالمة القائمة فى وجهه ؟ الأنه يحمل دعوات منحرفة متحللة، فيها تجديف على الدين، واستخفاف بالعقيدة وعدوان على المثل والاخلاق ؟

وماذا فى هذا ؟

وهل اذا التزم الشعر الحديث الاطار التقليدى للشعر العربى أياخذ ذلك على أيدى شعراء الجديد، فلا يكتبون شعرا يجرح ناموس الدين ويهتك حرماته ؟ وهل استطاع هذا الاطار الشعرى الموروث أن يحول بين شعراء الالحاد، والمجون ، وبين أن يقولوا هذا الشعر الالحادى الماجن ؟ وهل قليل ما فاض به شعر الأخطل ، وبشار ، وأبى نواس ، وحماد عجرد وزمرة شعراء المجون فى العصر العباسى من سخرية وعبث بالدين والاخلاق؟ وهل قليل ماحملت لزوميات المعرى من مقولات فى الدين والمتدينين تستخزى أمامها مقولات الشعراء المجددين ، وتتوارى حياء وخجلا ؟

ونعم هذا حق .. وانه ليحق للدكتورة بنت الشاطىء أن تاخذ بتلابيب لجنة الشعر وان تتهمها باقحام الدين فى قضية لاناقة له فيها ولا جمل كما يقولون ، وان الدكتورة مع هذا كريمة متسامحة مع اللجنة اذ لم ترمها بالسذاجة والجهل !

ومع هذا فان لنا ان نسأل الدكتورة بنت الشاطىء: كيف نظرت فى قرارات اللجنة ؟ وعلى أى مفهوم فهمت دلالات الفاظها وعباراتها .

وتاذن لنا « بنت الشاطىء » أن نجيب عنها بانها نظرت فى قرارات اللجنة نظرة لم تقع الا على أهون مقرراتها شأنا ، واقلها غناء فى ادانة الشعر الجديد وتجريمه ، حيث لم تعلق نظرتها من مقررات اللجنة الا بالاطار الذى جاء فيه الشعر الجديد خارجا عن الاطار المأثور !

هذا ، أو أن الدكتورة بنت الشاطىء قد وسعت نظرتها كل ما حوت مذكرة اللجنة من حيثيات ومقررات ، ولكنها حسبتها من الشعر الجديد ، فلم تحفل بمدلولات الالفاظ ، ولا مفاهيم العبارات ، ولم تقف عند مواضعات اللغة كما يعرفها العرب .. فانه على هذا الاسلوب يفهم الشعر الحديث ، وبهذا الاهدار لدلالات الالفاظ ومفاهيمها تقوم له سوق رائجة بين شعرائه ومحرقى البخور له .

أو أنه لا هذا ، ولا ذاك ، ولكن الدكتورة بنت الشاطىء أرادت أن تكيد للجنة هذا الكيد ، وأن تظهرها على تلك الصورة الهزيلة التى تسقط كل رأى لها فى أعين الناس ، لحاجة أو حاجات فى نفسها .

وعلى أى فان أى تخريج لهذا الفهم الذى فهمته الدكتور لمذكرة اللجنة ممكن أن يفترض أو يقبل الا ما كان من باب الغفلة وسوء الفهم ، الامر الذى لاتقبل ولا يقبل أحد أن تتهم به الدكتورة ، ولو أرادت هى أن يتهمها الناس به فى هذه القضية لحاجة أو حاجات فى نفسها أيضا :

وندع هذا الى موضوع القضية التى أرادت بنت الشاطىء - عن عمد وسبق اصرار - أن تطمس معالمها ، وان تلبس الحق بالباطل فيها ، وان تسوى الحساب بين الشعر العربى والشعر الحديث ، على

هذا الاسلوب الذى أرادته ، وأن توهم الناس أن الخلاف القائم بين الشعر العربى والشعر الحديث ، لايعدو أن يكون اختلافا شكليا فى الاطار الشعرى ، لا يضير اللغة فى شىء ، ولا يمس الدين أو العقيدة ٠

وتعلم الدكتورة علم اليقين أن قضية الشعر الحديث - ان صح أن تكون له قضية - ليست فى الاطار الذى تخيره له أهله ، ولا فى العبث بالوزن والقافية ، ولا باهدار كل مقومات الشعر العربى ٠٠ فذلك - كما قلنا - أهون ما فى الشعر الجديد وأقله خطرا وضررا ٠٠ اذ ليس الكلام كله أدبا ، وليس كل الادب شعرا ٠

وبلية الشعر الجديد هذا انه ليس كلاما أصلا ، أو على الاصح ليس كلاما عربيا له مدلول ومفهوم ، ولو كان كلاما عربيا يفهمه الناس على ما يفهمون الكلام العربى فى أى اطار يعرض فيه لما كان لأحد أن يعرض له أو يقف فى سبيله ٠٠ فهو كلام عربى ، محسوب على اللغة العربية يزيدها نماء وثراء ، سواء أكان شعرا ، أم نثرا ، أم خليطا من الشعر والنثر ، أم صورة جديدة من صور الأداء الذى تحتفظ فيه اللغة بدلالاتها ومفاهيمها ٠

ولكن هذا الشعر الجديد ليس الا ضروبا من الالغاز والمعميات ، لا يعرف العارفون باللغة العربية كيف يقرءونه أو يفهمونه ٠٠ ولو وقف أمره عند هذا لهان الخطب ، ولتركه الناس يمضي كما يمضى هذر الكلام وسقطه ٠٠ ولكن مكمن الخطر فى هذا الكلام الضرير أن يقوم له شراح ومفسرون ، وغواصون ، ثم يتصايحون انهم انما يسبحون فى بحار هذا الشعر على زوارق من ذهب وفضة ! وانهم يلتقطون من شطآنه الجواهر واللآلىء التى يحلم بها أولئك الذين يحلمون بجنات الخلد الذى يوعدون !

وآفة هذا الشعر الجديد كامنة فى هذا الاسلوب الملتوى الغامض الذى يعرض اللغة العربية لخطر داهم من شأنه اذا امتد واستشرى أن يذهب بهذه اللغة ، ويضيع المعانى التى يعرفها الناس لكلماتها وأساليبها ٠

وأى شىء يبقى من اللغة اذا انحلت الرابطة التى تربط الناس بها حين تزايلها المعانى التى أخذوها بها ، وتعاملوا فيما بينهم عليها ؟

وهنا ، وفى هذا المقام يذكر الذاكرون أمر الدين وما يلحقه من هذا الضياع الذى تتعرض له اللغة ٠: فانه فى اليوم الذى تضيع فيه معالم اللغة العربية ، وتنطمس مدلولات كلماتها ومفاهيم أساليبها ٠٠ فى هذا اليوم - لا كان - تتقطع بين المسلمين وبين الاسلام كل علائق الصلات التى تصلهم به ، وتضيع معالم السبل التى يردون منها موارده ، وينهلون من مناهلها !

ولا نقف من أمر اللغة العربية والدين عند الاعجاز الالهى الذى حملته هذه اللغة فى كتاب الرسالة الاسلامية ، وان كان ذلك مما ينبغى أن نحرص الحرص كله عليه ونرخص كل غال من أجله ، فنحافظ على هذه اللغة محافظة تبقى على كل سماتها فى مفرداتها وأساليبها - لا نقف عند هذا الذى تعرف بنت الشاطىء من أمره أكثر مما يعرف كثير غيرها ٠ ونسأل الدكتورة بنت الشاطىء : بأية لغة يتفاهم العرب فى أوطان العروبة ، وبأية لغة يتصلون بآدابهم وعلومهم وفنونهم ، اذا حلت لغة الشعر الجديد محل اللغة العربية ، وأجلتها عن ألسنة الناس وقلوبهم وعقولهم ؟

ربما يقول قائل - ولا نرضى لبنت الشاطىء أن تقول هذا القول : وأى ضير فى أن نجعل لغة الشعر الجديد لغة نعيش بها وعليها ؟ وهل نحن أول أمة استبدلت بلسانها لسانا ، وبلغتها لغة ؟ ان اللغة عند كثير من الأمم التى تقدمت ركب الحياة ليست لونا يصبغ بشرتها أو دما يجرى فى عروقها ، وانما هى نقد تتعامل به ، فتبدله ألوانا وأشكالا ، حسب دواعى الحياة ، ومقتضيات العصر ! فلم هذه القداسة التى تضفيها على اللغة العربية ؟ ولم نحكم عليها هذا الحكم القاسى فنحملها معنا عبر الاجيال . وننتقل بها من حال الى حال ؟ ان اللغة أشبه بالكائن الحى له أجل محدود لا يتعداه ، فاذا استوفى أجله وجب دفنه وموازاته ! واللغة العربية قد استوفت أجلها منذ زمن بعيد ، وحملها عبء فادح قد أثقل كاهل الاجيال الماضية، وهى اليوم على كواهلنا أقسى وأفدح ! فلم تضيق بلغة الشعر الجديد ، ولم نفرض على أبناء هذا العصر أن يتنفسوا فى هذا الهواء الفاسد

ولكن - ومع قبول هذه المغالطات - أتصلح لغة الشعر الجديد أن تكون لغة يتفاهم بها الناس ؟ بل أتصلح هذه اللغة أن تكون كلاما - مجرد كلام - يتفاهم به انسان وانسان ٠

تلك قضية أخرى فيها نظر ، وفيها كلام ٠

عبد الكريم الخطيب

فى القومية العربية .. والإسلام

بقلم : محمد جلال كشك

لا أظن ان أحدا قد استطاع حتى الآن أن يقدم لنا التفسير المنطقى المقنع لظهور القوميات .. كيف تنصهر جماعات عديدة عبر مساحات شاسعة فى قومية واحدة .. بينما يبقى بداخلها نتوء قومى يستعصى على الذوبان ..

ولا لماذا تنهار بعض الحدود أمام زحف قومية من القوميات ، فتعبر العروبة أفريقيا كلها حتى تصل بالقومية العربية الى شاطىء الأطلسى .. بينما تعجز عن عبور الخليج العربى الى فارس !

أحسب أن القوميـــة كالكهرباء .. أو كالحياة ذاتها ، نحسها وندركها ونميز خصائصها ونعرف مداراتها واحتمالاتها ولكن تبقى هى لغز الألغاز .. يستحيل على التعريف ، ويصعب على التشخيص .. ما الذى يضاف الى الخلية فيحيل الكربون والفسفور والهيــدروجين .. الى كائن يحب ويكـره ويتكاثر ويثرثر وينافق ..

ذلك هو ما نسميه بسر الحياة ..

ونحن نعرف السلك المكهرب وخواصه ولكننا مازلنا نتلمس سبيلنا لمعرفة الكهرباء ذاتها ..

ولقد كانت القومية العربية ، ومن ثم الوحـــدة العربية قضية بديهية يأخذها الناس ببساطة كما يأخذون الحياة ذاتها يحبونها ويمارسونها ويذودون عنها .. دون أن يصدعوا رأسهم فى تعريفها ..

حتى ظهر الصراع السياسى حول الوحدة العربية، فاذا بهذه البديهية تتحول الى قضية اعقد من ذنب الضب ..

ولقد شبهتهـــا بانسان كان يمشى على قدميه فى استواء تام وبخطوات ثابتة حثيثة حتى جاءه المناطقة فناقشوه فى المشى .. سألوه عن المشى .. كيف يمشى ؟! ولمــاذا ؟! ومن أين تأتى الحركة .. أمن القدمين ابتداء .. أم من الارادة وكيف تأتى الارادة دون اكتمال الوعى بالحركة .. أم كيف يتم المشى دون مشائين ؟ .. ومشائين حقيقيين ؟ ولماذا يسير بالقدم اليمنى قبـــل اليسرى ؟! أليس ذلك اخلالا بالتحالف الأبدى بين القدمين ؟!

لا أظن أن صاحبنا سيمشى أبدا .. بالطبع ليس هذا الحديث طعنا فى الوعى والفهم .. ولكنه رفض للتعقيد ، اذ أن مهمة الفكر هى تبسيط الصـــعب لا تعقيد البسيط والبديهيات ..

كانت القضية بســيطة .. أمة واحدة .. ذات لسان واحد .. تعيش على أرض واحدة ، يربطهـا تاريخ واحد ، ويعتصرها حاضر واحد ، وتستشرف مستقبلا واحدا .. فماذا تفرق ما وحد الله ؟!

كانت العروبة والاسلام والشرق مترادفات لمفهوم واحد عند الأجيال التى سبقتنا .

لأنهم يتكلمون العربية ، ودين الغالبية العظمى هو الاسلام .. ولأننا كنا نسمى فى قاموس السياسة الدولية ، بالشرق ، وتسمى قضايانا بالمســـألة الشرقية .

وكان الاســتعمار المتطلع الى غزونا اسمه الغرب وكبلنغ يقول «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا» وكان امين الريحانى يقول : (أنا الشرق) وحافظ ابراهيم بفرح لانتصار اليابان الدولة الشرقية على روسيا الدولة الغربية ..

لقد كانت « **العصبية الشرقية** » هى درع شعوب افريقيا وآسيا فى مواجهة أعنف واحط غزو عرفه التاريخ البشرى الا وهو الغزو الاستعمارى الغربى

.. واذا كانت الدعوة الى نبذ كلمة شرق وغرب فى آسيا وافريقيا فى عصر الغزو الاستعمارى .. هى دعوة مفضوحة لفتح الحصون ، وتسلم البلاد .. فلا شك ان الاشادة بها اليوم ، وبالذين رددوها .. انما تعكس الجهل والاستمرار فى سياسة حصار طروادة .. وها هو توينبى يتحدث عن « **العالم والغرب** » .. وهو لا يتحرج رغم ثقافته ، بل ربما بسبب ثقافته ، من تقسيم الوجود الى « عالم وغرب » .. بل يرى ان كل ما يحتاج الى تفسير هو لماذا وضع العالم قبل الغرب فى عنوان الكتاب .. مع ان الغرب هو الأهم .. ويفسر ذلك بأن « فى التصادم بين العالم والغرب ـ ذلك التصادم الذى استمر نحو أربعمائة أو خمسمائة سنة حتى الآن، لم يكن الغرب هو الذى تلقى الضربة من العالم ، بل انه العالم هو الذى أصابته الضربة من الغرب، وكانت اصابة شديدة .. »

لم يكن أجدادنا متعصبين ولا جهلة عندما أحسوا بالعصبية الشرقية فى مواجهة الظلم الغربى ..

كذلك كانت افريقيا العربية كلها ، والأقطار العربية الآسيوية خارج دائرة الهلال الخصيب لاتفرق بين العروبة والاسلام بل رفض الجزائريون فى الثلاثينيات التصديق بامكانية وجود عربى غير مسلم ! وقال مكرم عبيد « أنا مسلم وطنا نصرانى دينا .. » وقال أمين نخلة المسيحى المارونى « أما ان يكون فينا عربى من لحمنا ودمنا ، ثم يغدو ولا يمت الى محمد بعصبية ، ولا الى لغة محمد وقومية محمد ، فهو ضيف ثقيل علينا غريب الوجه بيننا » ..

فى اعتقادى ان القومية العربية لم تصبح مشكلة الا فى الأربعينيات .. وان كان البحث فيها قد بدأ فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع العشرين .

وجاءت المشاكل مع محاولة نقل « القالب الغربى» وادخال واقعنا فيه .. كان لابد للحركات السياسية أن تثبت شرعيتها بالحصول على « مطابقة » لأهدافها بموجب التعريفات والنظريات الأوروبية ويعترف توينبى بانتقال «القومية الغربية» الينا ، ويصف ذلك بأنه «من المؤسف حقا أن تنقله الشعوب الناطقة باللغة العربية كما هو » .

فقد كان تقسيم القوميات على المفاهيم الغربية ظاهرة نشأت فى غرب أوروبا ـ **كما يقول توينبى** ـ وطغيان الغرب يتجلى فى تحويله تجاربه الى قوانين عامة للجنس البشرى .. الانسانية عنده ظاهرة غربية . نشأت مع الاغريق وتطورت الى أوروبا الحديثة (الغربية) وامتداداتها فى أمريكا اما « العالم » .. كما يسميه توينبى ، فليس الا الخلفية التاريخية ومادة الحضارة للجنس الأبيض المختار .. فنحن لا مكان لنا فى صياغة قوانين عامة للجنس البشرى ، بل حتم علينا أن نصب فى قوالبه وان ننكر واقعنا لأن النظرية الغربية لا تتفق مع هذا الواقع !

والعجيب أن يأتى مفكرونا فيلتزمون بهذا المنهاج فى التفكير ، ويسقطون التجربة العربية من حسابهم من أجل اثبات صحة وشمول التجربة الأوروبية ! بل حتى فى ترتيب الزمن نرى بعض مفكرينا يتقمصون الشخصية الأوروبية فيسمون العصر الذهبى للحضارة الاسلامية ، بالقرون الوسطى ، مع الشحنة السوداء التى تحملها هذه الكلمة .. بفعل الثقافة الغربية ، لان أوربا تؤرخ لنفسها مبتدئة بالاغريق ثم الرومان .. ثم تنهار حضارتها ، فتأتى العصور الوسطى ، عندما تنتقل الحضارة الى الشرق .. ثم تعود « الحضارة » من جديد باكتشاف راس الرجاء الصالح وتطويق العالم الاسلامى .. فتبدأ العصور الحديثة .. فكيف نسمى نحن فجر حضارتنا ، وأزهى عصورنا ، بالقرون الوسطى ، ونحن نبدأ به التاريخ ؟!

نعم .. عندما جئنا نعرف القومية العربية ، استعرنا المفاهيم الأوروبية ، وكانت أروج النظريات فى تعريف القومية هى النظرية الماركسية .. وقد رفضت الماركسية اعتبار الدين من مقومات القومية .. وسنعود الى ذلك .

كذلك رأت الماركسية ان القومية من صنع الراسمالية ، وان الوطن كلمة مرادفة للسوق ، ومن ثم فصدام القوميات هو فى حقيقته يعكس انقسام العالم الى راسماليات ، وبالتالى الصراع على الاسواق ..

.. وقد خطر لى سؤال .. اذا كانت القومية لاحقة لظهور الراسماليات او حتى مصاحبة لها .. فلماذا انقسم العالم الى راسماليات فرنسية وانجليزية والمانية ؟!

تأمل السؤال مرة اخرى .. وستجد أن التعريف الماركسى يبدأ حقا من حلقة مفرغة ..

وانطلاقا من التعريف الماركسي بان القومية ظاهرة مصاحبة للراسمالية ، وان الراسمالية مصيرها للزوال ، ولهذا ستزول القوميات .. وتختفي الحدود .. فلا فرنسي ولا الماني .. ولا روسي ولا صيني .. بل البروليتاري .. الانسان العامل في كل الاوطان .. فلا حدود .. لان البروليتاريا لا وطن لها ..

كانت نبوءة جميلة .. واحدة من الحشد الهائل من البشرى السعيدة التي طفح بها القرن التاسع عشر .. ولكنها للأسف لم تتحقق ، فقبل ظهور الراسمالية ، كان هناك الفرنسي والانجليزي والروسي والصيني .. تقاتلوا جميعا واستشهدوا تحت راية القومية .. ومن اجل وطن الآباء .. وبذلوا الدم دفاعا عن كل شبر من ارض الوطن .. ولا حاجة للحديث عن صراع القوميات في ظل الراسمالية .. ثم جاءت الاشتراكية فهل اختفت القوميات ؟ بالعكس .. زادت الحدود القومية وضوحا وعمقا ..

ففي ظل الروسيا المقدسة ومملكة ابن السماء ، تقاتل الروسي والصيني حول الارض .. وفي ظل كيرنسكي وحكومة الكومنتانج ما اختفت الحدود .. ولا توحدت الصين وروسيا .. وفي ظل الشيوعية أو الماركسية اللنينية .. تجدد النزاع حول الارض والحدود على نحو فاق كل ما قبله .. الى حد التهديد بقنبلة يوم القيامة .. ولا يبدو ان البروليتاري الصيني اقل صلابة وعنادا في مجابهة البروليتاري الروسي من والده البورجوازي الصيني أو جده الاقطاعي الكونفوشيوسي ... وهذه وثيقة روسية ، دعنا نحاول للتسلية ، ان نسأل القارىء تحديد تاريخها ؟ ..

تقول الوثيقة :

« باي حق يدعي الصينيون ملكية اراض لم تكن تنتمي للصين ؟ انهم يشيرون الى انه منذ عدة مئات من السنين قدمت القوات الصينية الى هذه المناطق ، وان الامبراطور الصيني كان يجمع الضرائب من الاهالي المحليين .. »

« ان تاريخ البشرية يمتلىء بالامثلة على ظهور وسقوط الدول ، وهجرة السكان التي تغيرت في خلالها اكثر من مرة الحدود بين الدول وفي وسع اي انسان ان يثبت اي شيء باللجوء الى اسلوب «الاشارات التاريخية» في مسالة الحدود وباستخدام مثل هذه الحجج ايضا يمكن اثبات ان حدود الصين لا تتعدى خط سور الصين العظيم الذي يبعد عن بكين اكثر من ١٠٠ كيلومتر . والواقع ان حدود الصين كانت تمر هناك يوما ما، والسور نفسه دليل على ذلك ! »

« هل فكر اولئك الذين يتساءلون عن ملكية روسيا لاراض تبلغ مساحتها مليون كيلومتر مربع ونصف مليون في كيفية رد فعل هذه المزاعم على الشعب الروسي الذي يعيش ويعمل على هذه الارض منذ اجيال عديدة ويعتبرها وطنه .. ووطن اجداده ؟ .. هذا هو سبب قولنا ان الحدود الحالية قد نشأت تاريخيا وثبتتها الحياة نفسها ، ومعاهدات الحدود اساس لا يمكن تجاهله »

والوثيقة الروسية ترد على ما جاء في مجلة صينية « ان روسيا قد استولت قسرا على أراض واسعة في شمال نهر هيلونزين وشرق نهر اوسوري، كما ضمت روسيا اراضي واسعة في سنكيانج وفي المنطقة الشمالية الشرقية .. ونحن لم نطالب بعد بتصفية حساب هذا الامر .. »

المقال جاء في مجلة صينية شيوعية في العدد الرابع من عام ١٩٦٤ .. والرد الروسي ضمن نشرة سوفيتية صادرة في اكتوبر ١٩٦٤ ..

ولسنا هنا نناقش الخلاف « الايديولوجي جدا » بين الصين وروسيا .. انا نريد ان نستخلص هذه الحقيقة الاولى في دراستنا هذه .. الا وهي كون القومية حقيقة موضوعية خارج اطار النظم الاجتماعية والاقتصادية .. فقد وجدت القوميات الاقطاعية ، ثم القوميات الراسمالية .. وهانحن نستقبل عصر القوميات الاشتراكية (مع ملاحظة ان القومية في الحضارة الاسلامية تختلف تماما عن تجربة اوروبا)

ثم ننتقل لمناقشة بقية التعاريف . . وهذه التعاريف كما قلنا لا تلزمنا بشيء الا في تفنيد حجج معتنقيها ، القومية ، في تعريفهم : جماعة من الناس تكونت تاريخيا تجمعها وحدة الارض واللغة والتراث

والمصالح المشتركة • فلنمر سريعا على هذا التعريف حتى نصل الى نقطة التراث المشترك ، فما من أحد يجادل فى اننا جاعة من الناس وأرضنا لم تعرف الحدود الا على يد « الوحدويين » الذين كرسوا ما فعله الاستعمار ، فاصبحت جوازات السفر عندهم كأنها الاعلام ، وقبل ان نبتلى بالتجزئة كان العربى يركب ناقته من بغداد ليزور أقاربه فى فاس و طنجة .. وكانت القوافل تأتى بجمال « قطر » لتباع فى سوق امبابة . !

وكثيرا ما كان الصحفيون الاجانب يسألون فى مؤتمر القمة العربى .. هل يتكلم الرؤساء والملوك العرب نفس اللغة ؟!

وعجبا لـ ١٣ ملكا ورئيسا ناجتهم أمهاتهم بلغة واحدة ، ثم يصرون على تمثيل ١٣ دولة وكيانا !

ننتقل الى التراث • • وهنا يصطدم الواقع العربى ، بالنظريات المستوردة •• لان الحضارة الغربية الحديثة استبعدت الدين من مكونات القوميه. وان كانت لم تستبعده أبدا من سلوكها السياسى • على الاقل فى عداوتها للعرب ، لذلك يصطدم المثقف العربى المتأثر بنظريات الغرب ، باستحالة تطبيق هذه النظريات على واقعنا ، فيرفض أو يدور فى محاولة للتوفيق ، أو كما تقول ندوة « مجلة الكاتب» لكسب الجماهير .. !!

التراث هو التاريخ • وهو التكوين النفسى ، هو الثقافة ، هو مكونات النفس والعقل والروح •• هو الاحزان والافراح .. أيامنا الغر .. وسنواتنا العجاف .. ومهما تكن عوطفنا .. ومهما ترتطم رءوسنا بصخرة الحقيقة •• فلا تراث للعرب الا الاسلام .. ان فتشنا قبل الاسلام سنتمزق الى فراعنة وآشوريين وكلدانيين وسبئيين وفينيقيين •• وان تنكرنا له اليوم فسنتمزق الى عرب وبربر وأكراد وشراكسة وزنوج •• بل الى مسلمين ومسيحيين •

بالاسلام يبدأ التاريخ العربى •• ليس الاسلام احدى قمم العروبة كما يقول بعضهم •• بل هو العروبة ، فما نحن قبل الاسلام •• ما المناذرة •• والغساسنة •• تحت الحماية الفارسية والرومية !

ماذا نعرف عن حضارة الفراعنة او حمير حتى نحدد خصائصنا النفسية وتراثنا المشترك ؟ ما الذى يجمع العراقى بالمغرب العربى •• ماذا بقى لنا من تراث قرطاجنه ؟! ..

العربى المسلم تراثه الاسلام .. ثقافته .. لغته. دينه ، والعربى المسيحى تراثه الاسلام ثقافته .. .. لغته .. حضارته .. وفى اعتقادى انه لا يمكن قيام امة اذا اختلف ابناؤها حول أيامها القومية .. فلا يمكن قيام امة من المانيا وفرنسا ما دامت سيدان وفرساى وماجينو • • تثير ذكريات متضاربة عند الالمانى والفرنسى•• بينما تستمر الامة رغم الخلافات الطبقية والصراع الاجتماعى •

لذلك نرى أن الانفعال الوجدانى للمسلم العربى والمسيحى العربى واحد ازاء معارك صلاح الدين ضد الغزو الصليبى .. فالعرب المسيحيون جميعا يطربون اليوم اذا ماذكرت انتصارات صلاح الدين او اسر لويس فى دار بن لقمان .. وهم بذلك يدخلون فى التراث الاسلامى .. وليس مصادفة ابدا أن نصارى مصر كانوا مع جيش عمرو بن العاص يوم تحرير مصر من حكم روما واكمال عروبتها وتأكيدها الى الأبد ..

الاسلام هو تراث العربى المكون والمتمم لقوميتهم • هو تاريخهم •• وثقافتهم ووجدانهم القومى •• هو رسالتهم فى هذا العالم وروح حضارتهم ان كان مقدرا لهم ان يقدموا حلقة جديدة فى تاريخ الحضارة ••

كانت علاقة الاسلام بالعروبة .. بديهية لاتحتاج لنقاش حتى تسلل لنا السم الغربى ، مستغلا صراعنا ضد الترك ثم تطور ما يسمى بالثورة العربية • • فاختلطت المفاهيم حتى اصبح الامر بحاجة الى « غربلة » شاملة لكل المسلمات والبديهيات .. ولنا عودة ..

محمد جلال كشك

كنافة زوجتي

قصة بقلم : على نور

طالما أعجبت ببراعة زوجتي ومهارتها في اعداد صينية الكنافة اعجابا ظل طويلا مصدرا لفخري ومباهاتي بين الأصدقاء والزملاء ممن كانوا يدعونني أحيانا الى موائد افطارهم في رمضان ، وكثيرا ماكان يبلغ بي التحيز الأعمى مبلغ التهور والشطط الذي يوقعني في أدق المواقف وأحرجها ، فكنت اذا ما قدمت لنا الكنافة على مائدة صديق أو زميل ، أروح أتناولها بسياط من النقد المر البعيد عن كل مجاملة ، وأعلن رأيي صراحة في سوء اعدادها ورداءة صنعها ، وأذهب الى حد المقارنة بينها وبين كنافة زوجتي، فيغضب الصديق صاحب الدعوة، ويستنكر تصرفي باقي المدعوين ممن أعرف وممن لا أعرف وكنت أرى حينذاك أن الأمر طبيعي ، فما ذنبي أنا اذا كانت لا تعجبني غير كنافة زوجتي فلا أستسيغ سواها ؟!

ولا أنسى يوم أن تفضل السيد باشكاتب القلم فاولي مرءوسيه - وأنا منهم - شرف دعوتنا الى مائدته في رمضان ٠٠٠٠ فلبينا الدعوة ، ولم يفت الزملاء أن يزودوني يومها بنصحهم حتى لا أفتح فمي كعادتي بكلمة اذا ما قدمت لنا الكنافة ، اذ يجب أن يكون لكنافة السيد الباشكاتب تقديرها الخاص الذي يتفق وما لصاحبها في نفوسنا من مهابة ووقار ٠٠

وأعترف صراحة أن كنافة السيد الباشكاتب تلك ، كانت أسوأ ما تناولته في حياتي كلها من كنافة ، ومع ذلك فقد جاهدت كل جهاد حتى لاينطلق لساني على الرغم مني بما لا تحمد عقباه ، فكتمت مشاعري الى أن انتهى الافطار بسلام ، وخرجنا الى الشارع ٠٠٠ وهناك رحت أنفس عن صدري ، وأصب سخطي ونقمتي على كنافة السيد الباشكاتب ٠

ولست أدري كيف بلغ الباشكاتب كل ما قلته حرفا بحرف ، فأرسل في صباح اليوم التالي يدعوني الى غرفته ليلقي على درسا في واجبات الذوق واللياقة واختتم كلامه في تحد ووعيد وهو يزمجر قائلا :

- كنافة مراتك ! كنافة مراتك ؟! ماتدوقنا يا أخي الكنافة دي اللي انت خاوت بيها الدنيا ٠٠ لكن تعرف بقى يا بطل لو طلعت كنافة مراتك موش حاجة !!

ثم رمقني بنظرة هائلة تحمل وراءها تهديدا بالويل والثبور وعظائم الأمور ٠٠٠ ، فأوجست خيفة ، واضطربت في موقفي ، ولم يسعني سوى قبول التحدي ٠

وأسرعت الى زوجتي أبلغها الأمر ، وأستنجد بمهارتها المشهودة في صنع صينية الكنافة لعلها تنجيني من غضبة السيد الباشكاتب ونقمته علي ٠٠ ولم تمض أيام حتى حددت موعدا للباشكاتب ليشرف بيتي وفي صحبته زملائي من موظفي القلم ليتناولوا طعام الافطار عندي وعلى رأسه الكنافة العتيدة موضع فخري وزهوي ٠

وعكفت زوجتي على صينية الكنافة العزيزة تعدها في عناية واهتمام ، وتضفي عليها من حذقها وتفننها الشيء الكثير ، وتسرف في تزويدها بكميات اضافية من التحابيش اللازمة ٠٠٠ ثم تدفق على الصينية كميات وافرة من السمن البلدي مما جعلني أرقص فرحا ٠٠٠ فانني اليوم كفؤ لقبول تحدي السيد الباشكاتب بالمزيد من الاستخفاف وعدم المبالاة ٠٠ فقد انتصرت دون شك ، وسيتذوق الباشكاتب ومن معه كنافة فريدة في نوعها هيهات لهم أن يتذوقوا مثلها الا في بيتي ٠٠ ومن صنع يد زوجتي ٠٠٠ وغير هذا ٠٠٠ فلا ٠

وحمل الخادم في حرص زائد صينية الكنافة

العزيزة ليوصلها فى رعاية الله الى الفرن ليتولى انضاجها فى عناية تامة ... ورحت ألاحق الخادم وهو يهبط بالصينية الى الشارع أوصيه بها خيرا ثم أكرر التوصية بأن يأخذ طريقه على الفور الى الفران ... وعليه أن يسير فى محاذاة الحائط .. واذا ما أراد أن يعبر الشارع بعد هذا عليه أن يتلفت جيدا يمنة ويسرة فاذا ما وصل الى الفرن فعليه ان يمسك بالصينية جيدا قبل أن يسلمها الى الفران ثم يقف الى جانبه ويراها بعينيه وهى تأخذ طريقها الى جوف الفرن ... والخادم ينظر الى بعينين حائرتين وقد ارتسمت الدهشة البالغة على قسمات وجهه فلم يسبق لى أن أوصيته على شىء - بمثل هذه الصورة - كما أوصيته على صينية الكنافة .

ووصل السيد الباشكاتب قبيل موعد الافطار ، يحف به المدعوون من الزملاء ... واعدت المائدة ، وأفرد فى وسطها مكان خال بقى فى انتظار وصول الخادم بصينية الكنافة .

ووصل الخادم .. ووصلت الصينية قبل انطلاق المدفع بدقائق معدودات ، وكنت أجلس بين ضيوفى أرحب بهم فى مرح واعتداد بنفسى عندما بعثت الى زوجتى تستدعينى الى المطبخ على عجل ... وأسرعت اليها ... رأيتها شاحبة الوجه ترتجف .. وصحت بها - حصل ايه !! .. ولم تجب ولكن أشارت بيدها المرتعشة الى .. الى صينية الكنافة .. ونظرت ... وانعقد لسانى من الذعر .. وراحت أنفاسى تتلاحق فى لهاث مسموع ..

كان كل ما بالصينية قد استحال الى قطعة من الفحم الاسود لا معالم لها ..

.. لقد غفل الفران - لا سامحه الله - عن صينية الكنافة فاحترقت ..

وكان الموقف جد عسير لا يحتمل انتظارا ، فرحت أفكر فى سرعة محمومة .. ماذا أفعل ؟!.. وفجأة قفزت من مكانى منطلقا الى خارج البيت ، أركض الى الشارع وزوجتى تلاحقنى بصيحاتها المكتومة وقد حسبت اننى اصبت بلوثة مفاجئة جعلتنى لا أعى شيئا ..

وكان يقع على مقربة من بيتنا ، محل شهير لبيع الحلوى ، رحت أسابق الريح اليه ، واشتريت قرصا كبيرا من الكنافة دفعت فيه ثمنا باهظا ثم عدت به سريعا الى البيت فى اللحظة التى كانت فيها دقة المدفع تنطلق مدوية فى الفضاء .

وحملت الكنافة الى المائدة فى طبق كبير ، وجلسنا جميعا نتناول افطارنا ، حتى اذا ما جاء دور الكنافة فى النهاية ومد السيد الباشكاتب يده اليها يتذوقها راح قلبى يخفق سريعا بين أضلعى ... وتبع الزملاء السيد الباشكاتب وتوالت أيديهم على القرص العزيز يأتون عليه بأكمله فى لحظات ... كانت أمنيتى الوحيدة تنحصر فى كلمة مديح ... كلمة مديح واحدة أسمعها من السيد الباشكاتب ومن معه تعبر عن رضائهم واستحسانهم لكنافة لم تصنعها زوجتى؟ ... ورحت أرقب الوجوه الجامدة فى قلق والعرق يتصبب من جبهتى رغم برودة الجو ... وأخيرا .. أخيرا هز الباشكاتب رأسه ، وابتسم ابتسامة عريضة صفق معها قلبى ... ابتسامة لم أر من قبل مثلها على شفتيه المزمومتين دائما ... ثم قال فى نبرات هادئة لا تخلو من تؤدة ووقار وكأنه يمنحنى وسام الفوز فى مسابقة رهيبة خرجت منها منتصرا :

- شىء جميل .. كنافة مدهشة ..

وقبل أن أتهيأ لأشكر الباشكاتب على لفتته الكريمة .. انطلقت ضحكة عالية من أحد الزملاء ارتجت لها أركان البيت وانخلع لها قلبى ، ليقول ساخرا :

- هى فعلا كنافة مدهشة ... مدهشة جدا .. المحل ده طول عمره بيعمل أحسن كنافة فى البلد .

وأشار الزميل بيده الى قرص من الورق المقوى ، كان مختفيا تحت قرص الكنافة وكان يحمل اسم محل الحلوى الشهير .

ومنذ ذلك اليوم - أيها القارىء العزيز - لم أعد أفخر بكنافة زوجتى ... بل لم أذق للكنافة طعما .

عدلى نور

هم الفقراء!!

للشاعر: محمود حسن اسماعيل

فقراء !! ..
لا .. والله !!
.. بل نحن الذين شذا الاله يضوع فوق ترابهم

يسقيهم لهب الحياة جداولا   خضرا ، تفرد كاسها لربابهم
ويزورهم رزق السماء .. بيمينه   عرق الطريق ، يدق حسرة بابهم
تخضل نظرته ، وتورق ناره   وتميل كرمته على أكوابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين تبرجت   أعراس كل منعم بعذابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين تكلمت   للظلم شاهقة ، بذل رقابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين ترنمت   أوتار سطوته بدمع ضبابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين تسللت   نظراته الشماء من أهدابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين تسلقت   نفخات عزته على أصلابهم
ومشت على أيامهم ، تند الصبا   وترش تيه النوح فوق شعابهم
وتلملم القمر الحزين .. تدسه   فى صرة الحرمان ، تحت ثيابهم
وتسوم سائمة الفراغ وراءهم   سوط الضياع ، ونهشه لغيابهم
وتصب نجم الليل فوق عيونهم   أقداح نار ، ولولت بسحابهم
ترمي السكون بمثله ، وتعيده   رقا ، برق صادح ، يشجى بهم ..
احباب جوع الطير .. جاع زمانهم   وتساقطوا ثمرا على احبابهم :
كلب .. وراهبة تلوك زمانها   تجتره ضجرا على اسلابهم
جاعت !! فردت ذاتها قوتا لها   وهم ، يرد لهم هشيم سرابهم
هلكى الى هلكى .. ينوح بهم صدى   فى الكوخ ، ينعق بومه لخرابهم
صهروا الحياة لغيرهم ، وتوكلوا   والموت يصهر دمعهم بثوابهم
و « الحمد لله » .. استمرت نغمة   تشجى الرضا ، بطعامهم وشرابهم
داروا بها ، وتعطروا بجنائز   سلبت هوان الطيب من أثوابهم ..
وخطا السماء على تواضع وجههم   عزفت اباء الروح طى عيابهم

فقراء !! ..
لا .. والله !!

نحن ربابة للسائرين ...   نواحها غنى بهم !! ...

من وحي بحيرة ناصر

للشاعرة : عفيفة محمد المرصفي

داعب النـــاى باســـوان وغنى
وعلى الشــطين افنـــان تثنى
يجتنى الهيمـــان فيهـــا ما تمنى
أى ورد أى عطـــر اى مـعنى

* * *

مدنف اضناه شــوق وحنــين
رتل الأشـــواق بالعزف الحزين
ملأ الأجـــواء شـــدوا ورنين
فشكا الصـــخر هـــواه بالأنين
والخزامى تنشر العطر الذكيـــا
بين آثار صـــبيحات المحيـــا
تبعث التـــاريخ نشـــوانا فتيا
وتحيى فيـــه عزمـــا أبديـــا

* * *

وبدا المـــاء لجينـــا ســـاحرا
هـــادئا طورا وطورا ثائرا
فتن البدر فامسى حـــائرا
بين موج وســـماء ســـاهرا

* * *

كل مـــا فى الكون لحن وغـــزل
كل مـــا فى الكـــون حب وقبـــل
فى حفيف الغصن فى همس الأمل
فى جمال الورد فى سحر الخجـــل
بعـــدوهن لاح طيف هـــائم
شـــبح واه وطرف ســـاهم
عبـــرات وفـــؤاد حـــالم
غـــارق يا للهـــوى أم عائـــم ؟

* * *

هـــو نومى تلظى بالألـــم
فقـــد الألف فاضـــناه الســـقم
تاه فى اليـــم شريـــدا لـــم ينـــم
صـــاح فى اسوان فاهتز الهـــرم
لم امت يا صـــاح انى هاهنـــا
فى جنـــان الخلد فى روض المنى
انـــا احيـــا بالمعـــالى يا انا
وأبـــاهى فى ســـمائى بالبنى
ثـــورة أنت وفيض وهبـــات
قـــوة انت وعـــزم وثبـــات

أخمـــد الحـــزن ودار العبرات
تنعش الروح المعنى والرفـــات
يا ملاكى فى السما هـــل تدركين ؟
هل تعانين شـــقائى والحنين ؟
ما ســـمعت ؟ أترانى فى اليقين ؟
هل تعى الروح الدنى هل تستبين؟

* * *

ان روحى تستفيث الناهضـــين
انا أحيا فى نضـــال العـــاملين
انا أحيا فى ضـــمير الخـــالدين
انا أحيا فى خلايا الثـــائرين
يا الهى صوتها لا ريب فيـــه
أنعش الصـــوت فـــؤادا يفتديه
ان قلبـــى فى جحيم يصطليـــه
انقذيه يا نعيمى انقـــذيه

* * *

لم أمت يا صـــاح فانهض للعمل
أنت رمز للأمـــانى ومثـــل
كهـــدير النيل ، خفاق الأمـــل
كدوى النحـــل يســـعى للعســـل

* * *

اين انت يـــا غـــرامى ، اين اين ؟
ابقاع النيل أم بالشـــاطئين ؟
أم بأجـــواء وارض بين بين ؟
رافقينى حيث نحيـــا مهجتين
انا أحيـــا فى « بحير الناصر »
انا نشـــوى بالنهوض الزاهـــر
انـــا ارنـــو للبنـــاء الســـاحر
انا أزهـــو بالعظيم الظـــافر

* * *

كسر القيـــد واصـــنام الجمـــود
قهر الخصـــم بعزم وصـــمود
وبنى بالعـــدل هرمـــا للخلود
فى رياض العرب ، فى مهد الجدود
كلنا فى الســـلم عـــزم وهمم
كلنـــا فى الحـــرب نار وحمم
ثورة هـــدت ظلامات الألم
كيف لا نحمى حمـــاها والعلـــم ؟

فى ذكرى أحمد محرم

بقلم : عبد المعطى المسيرى

فى هذه الأيام تحتفل الأمة العربية بذكرى ميلاد شاعر العروبة والاسلام أحمد محرم ، الذى وهب حياته وفنه للقضايا العربية ، وللنضال مع الشعوب العربية ضد المستعمرين والمستبدين ·

شاعر القومية العربية

عاش شاعرنا الراحل حياته فى صراع متصل ضد الاستعمار ··· ضد الاستعمار فى كل مكان من أجزاء الأمة العربية ···

تثور سورية فتقاوم الانتداب الفرنسى ·· الذى تنكل جيوشه بالمواطنين السوريين ·· فهتف شاعرنا العربى :

يا غاديا ببريد الشام ينتحب
ماذا دهاك ، وماذا أنت مرتقب

أفرغ غليل الأسى نارا على كبدى
وخل قلبى لأخرى فيه تلتهب

هذى لمصر تؤدى الحق ناحية
وتلك للشام تقضى منه ما يجب

عمان فى كل جنب منهما ضرم
عال وفى كل عين وأكف سرب

وهكذا يرى الشاعر ان الأمة العربية أمة واحدة ·· وان المعركة واحدة ، ومن ثم فموقف « الشاعر العربى » وتأثره واحد ، ان كانت كبده لسورية ، فقلبه لمصر ·

ويثور العراق محتجا على الرصاص الذى يخترق صدور أبنائه من الانجليز ومن القصر ، ومن نورى السعيد ·· فينشد الشاعر :

ان يفزع النيل والأردن ما بهما
فبالفرات وشطى دجلة العجب

ويح العراق ، وقوم بالعراق علا
ضجيجهم وتمادى منهم الصخب

بغداد تنظر والأحشاء خافقة
والعين دافقة والقلب مرتعب

أين الرشيد وأيام له سلفت
أين الحماة وأين الفتية النجب

دار السلام أهزتك الخطوب أسى
لما فجعت بهم أم هزك الطرب ؟

الشاعر ··· والوحدة العربية

ويقدر الشاعر ان خلاص العرب ، وتأكيد حقهم فى الحرية والحياة والعدل لا يكون الا بالوحدة ، وحدة القومية العربية فيقول :

أمم العروبة جاء يومك فاعملى
والى مكانك فانهضى وتقدمى

لك فى فم الأحداث دعوة صارخ
ينفى القرار عن الشعوب النوم

فدعى المضاجع وانفضى عنك الكرى
وخذى السبيل الى المقام الأعظم

ضمى القوى وتجمعى فى وحدة
عربية تحمى اللواء وتحتمى

هـذا السبيل لكل شـعب ماجد
عـالى اللـواء الى العـروبة ينتمى

امم العروبة جـد جدك فانظمى
من عقـدك المنثور ما لم ينظم

لك أن تسـودى تحت رايتك التى
خفقت لها الدنيا فسودى واسلمى

وكان يرمى الاستعمار باقذع عبارات السـخط والمقت كما كان يركبه بالسخرية فيقول :

اشقى الرجال بما تمشى وسـاوسهم
من ظن ان بناء الله يتهدم

واكثر الناس فى أحكامه شـططا
من كان يطمع أن تستعبد الأمم

فى سبيل فلسطين

فاما « فلسطين » فقد كانت نكبتها شغل الشاعر الشاغل وكان يلاحق « بلفور » ووعده بشـواظ غضبه ٠٠٠ يصـور شؤم وعده ، وفظاعة جرمه بقوله :

تلك الاسـاءة ما اسـتقل بمثلهـا
فى الدهـر قبلك من أساء وأجرمـا

وفى قصيدة أخرى يصور الذئبين : الذى لايملك، والذى لا يستحق :

باعـه ذئب لذئب غيـلة
فهـو للذئبين نهب مقتسم

ثم يندد بقوم بلفور ــ الانجليز ــ قائلا :

يا ويحهـم أفما رأوا من حولهـم
شعبا أعز من اليهـود واكرما :

واستشهد « محمد سيد العاصى » فى الثـورة فرثاه الشاعر على طريقته ٠٠ لم يرثه ، بل هناه ٠ ولم يبكه بل طالب بدمه ٠٠ أعلنها ثورة عارمة على الانجليز ٠٠٠ وكان ذلك عام ١٩٣٦ فقيل للشاعر : تريث ، تمهل ، اننا نوشك على توقيع المعاهدة !!

وطبيعى انه لم يتمهل ولم يتريث بل ازداد هتافه. وعـلا صوته ، فـلوح له بالمنصب وذهـب المعز !!

فاستعر غضبا ٠٠٠ منذ متى طلب « محرم » المنصب او المال !؟ وهل له عهد بذلك !

اذن فليهدد بالسـجن وبسيف المعز !! فيتعجب ويشير الى موقف الشهيد :

رفع السـيف على هام السهى
افـلا ارفـع فيـه القلمـا !

الوعد المشئوم

وكان لذكرى وعد بلفور المشـئوم ، فى النفوس الزكية رنة الم وغضب يترجمها الشاعر الى صورة واضحة نابضة :

تلك العـروبة جرحها يجرى دما
من يمنـع الاسـلام ان يتالما

هـذا تراث محمد فى قـومه
أمسى بايـدى الناهبـين مقسـما

اثر السـيوف عليه والدم حوله
حران يصرخ اين أبطـال الحمى

أين الألى ورثوا الممـالك حـرة
تقضى القضاء على القياصر مبرما

وكانما كان الشاعر لا يكفيه تجنيد « العرب » فى سبيل فلسطين فياخذ فى جعل « الشمول » قاعدة تتحرك للنجدة ٠٠ فيخاطب المسلمين فى كل مكان .

ايه شـعوب المسـلمين تنبهـوا
فتـداركوا أمركم ان يجـذما

الله فى اخـوانكم وبلادكـم
افما ترون الخطب كيف تجهمـا

انى وفيت لهـم ولسـت بمسـلم
ان خنت فى دنياى شعبا مسـلما

اتبيت اولى القبلتـين حزينـة
وأبيت وسـنان الجفون منعمـا

ثم يمضى الشاعر فى نضاله من أجل فلسطين ، فيصور حزن الأماكن المقدسة :

فى حمى الحق ومن حـول الحـرم
أمـة تؤذى وشـعب يهتضـم

فزع القـــدس وضـجت مكة
وبكت يثرب من فـرط الألم

ومضى الظلم خليان ناعمـــا
يسحب البردين من نار ودم

بعثتـــه شـــهوة وحشـــية
تتلظى مثـل أجـــواف الأطم

ويفرغ الشاعر من رسم الصورة الحزينة الباكية المبكية ليواجه العرب ، ويواجه المسلمين ، محرضـا على القتال :

من ذا يرى دمـــه أعز مكانة
من أن يخضب من فلسطين الربا

كبرت حين عفا الوفاء وما عفـا
فى أرضها أثر البراق ولا خبا

أنى أرى المعراج عنـــد جلاله
وأرى النبى وصـــحبه والموكبا

ثم يستحث الهمم على نحو أوقع يستحثها للدفاع عن النفس فالصهيونية اذا مرغت من فلسطين وقدر لها أن تستقر فلن تقنع ، بل ستكون كل أمة عربية فريسة لها :

بقلوبنـا الحرى وفى أحشـــائنا
ما شب من أشجانها وتلهبا

نتجرع البلوى ونـدرع الأسى
نرعى لاخواننا الزمام الأقربا

انا لنعـــلم أن آكل لحمهـــم
ســيخوض منا فى الدماء ليشربا

***

ولكن لن يتم ذلك فنهاية المأساة معروفة ومقدرة سيفشل الاستعمار فى تحقيق حلم الصهيونية :

يديرون فى تهويدها كل حيـــلة
ويأبى لها ايمانها أن تهودا

بلاد أعـزتها سيوف محمد
فما عذرها الا تحب محمـــدا

أفى المسجد الأقصى يعيث الألى أبو
سوى المال طول الدهر ربا ومعبدا

أيمسى عبيد العجل للناس ســادة
وما عرفوا منهم على الدهـــر سيدا

لهم فى فلســطين القبور ولم يكن
ثراها لأهل الرجس مثوى ومرقدا

الشاعر والشعوب ... والملوك

وشــــاعرنا يؤمن بالشعب ... فلا بد له من انتفاضة ، لا بد له من وثبة ..

لا بد للشعب مهما لان جانبه
من وثبة تفزع الافلاك والسحبا

وقد تمر بالشعب فترة يسكن فيها ليتهيأ للعمل والنضال ، وقد ينخدع المستعمر والمستبد فيملكه الغرور حتى تصفعه الحقيقة .

ترضى الشعوب الى مدى فاذا أبت
رضى الأبى ، وطـــاوع الغضـــبان

***

وطبيعى والشاعر يؤمن بالشعب أن يكفر بالطغاة ... بالملوك ... انه يكيل لهم الصفعات ... فهم عنده ليسوا الا بغاة ، ومصاصى دماء وكذابين ومتى يكيل لهم الصفعات ؟ وهم فى أعلى مراتب الجبروت والطغيـان ، وبأيديهم كل وســائل السلطان .. يقول :

كذب الملوك ومن يحـاول عنـــدهم
شرفا ويزعم انهـــم شرفـاء

وينتهى من تقريعهم الى تحريض الشعب عليهم :

بغت الملوك على البـــلاد وغرهـــا
ممن تســوس تجاوز وســماح

ما بالنا نشـــقى لتنعم عصـــبة
فـــلا رفق ولا اســـجاح ؟

* * *

... هـــذه لمحات عابرة من حياة وكفاح وفن الشاعر العربى الراحل ، تعرضهـــا تحية لروحه الكريمة ، وذكراه الخالدة .. رحم الله أحمد محرم وأحسن له الجزاء بقدر ما أسدى الى الوطنية والعروبة والاسلام من نفع وخدمات .. وقدر ما نزل به فى هذا السبيل من محن وتضحيات .

« عبد المعطى المسيرى »

من أعلام الفقه الإسلامي في اليمن :

الإمام الشوكاني

بقلم : محمد الدسوقي

١ ـ اليمن ذلك القطر العربي الشقيق الذي ثار ضد التخلف والعبودية ، وابى الا ان يسير في ركب الامم المتقدمة القوية ، وان يشارك في بناء التقدم الحضاري للامة الاسلامية وان يعيد تاريخه المجيد المشرق الذي كان مضرب الامثال في الرخاء والمدنية .

لقد عاش اليمن فترة مظلمة قاتمة مشحونة بصور متباينة من التحكم والقسوة والاستغلال ، لقد عمل حكامه على عزله عن العالم ، ونشروا بينه الاباطيل والخرافات ، والسموم والمخدرات واججوا بين افراده نيران الخصومات القبلية والمذهبية ، ليظل متخلفا مستسلما للسادة ، يمتصون دماءه ، ويعبثون بخيراته ، ولكن الشعب الاصيل لا يقبل الخنوع والخضوع وهو ان بدا مستسلما في بعض الاحيان فان ذلك لا يعني ان شعلة الثورة فيه قد خمدت ، وان روح المقاومة لديه قد هزلت لأن سكونه اشبه ما يكون بسكون العاصفة التي تهب ثائرة عنيفة ، تدمر قصور الظلم ، واوكار الشر ، وتطهر الارض الطيبة من اوضار الفساد ، وآثام القاسطين .

٢ ـ لذلك ثار شعب اليمن ثورته المباركة ، وقام يدك معاقل الطغيان والرجعية ، ويشيد صروح العزة والقوة والمدنية ، وقد رايت ان اعرف على صفحات هذه المجلة ببعض فقهاء اليمن الاعلام ، لأني لاحظت ان الحياة الفقهية في هذا القطر العزيز كانت دائما نشطة قوية حتى في عصور الضعف والظلمات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان دراسة الفقه الاسلامي واعلامه في اليمن لم تلق اهتماما وعناية مثل ما لقيت العراق ، او الحجاز مثلا ، وربما يعزى هذا الى ما كان يقوم به حكام اليمن من فرض القيود ، والعزلة التي عاش في ظلها ذلك الشعب بعيدا عن تيار التقدم والحضارة ، فلم يعرف عن العالم الخارجي شيئا ذا بال ، وكذلك الى منع الهيئات العلمية من دراسة المخطوطات اليمنية . ولكن الامل كبير اليوم ـ بعد ان زالت الحدود وتمزقت القيود ـ ان ينال الفقه في اليمن عناية الدارسين والمحققين ، وان يماط اللثام عن تراثنا الفقهي واعلامه المجددين المجتهدين ـ قديما وحديثا ـ في هذا القطر المجاهد الشقيق .

٣ ـ ومع الاعتراف بقلة المصادر التي بين أيدينا ، وان بعضها ما زال مخطوطا ، وان اهم المصادر وأكثرها وفاء في مكتبات اليمن ومساجدها وهي مكتبات يعوزها التنسيق والفهرسة العلمية الحديثة ، وفي حاجة الى جماعة من المحققين المتخصصين ـ تعمل على اخراج هذه الآثار اخراجا علميا دقيقا ، بحيث تصبح مصادر يسهل الرجوع اليها والانتفاع بها .

٤ ـ والفقيه الذي آثرت ان ابدا به هذه الدراسة هو القاضي المجتهد محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، صاحب المؤلفات الجمة ، والذي نادى بالرجوع الى الكتاب والسنة ، وحرم التقليد والتعصب المذهبي وكان من المجتهدين المجددين .



وقد ولد الشوكاني في شهر ذي القعدة سنة ١١٧٢هـ في بلدة هجرة شوكان وهي قرية من قرى السحامية احدى قبائل خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم ، وقد اشتهر جماعة من اهل هجرة شوكان هذه بالعلم والفقه ، منهم العلامة الحسين بن علي الشوكاني ، الذي كان من اكثر العلماء المحققين في الفروع ، والقاضي الحسين بن صالح الشوكاني احد قضاة المتوكل على الله اسماعيل ، كان مشهورا بالعلم متقنا للفقه وغيره ، وكذلك على ابن محمد الشوكاني والد القاضي محمد بن علي ، صاحب السيرة الطيبة والاخلاق الحميدة ، وسوى هؤلاء ممن لا مجال هنا لحصره وذكره .

وقد جاء في الجزء الثاني من البدر الطالع ان والد الشوكاني

قد انتقل الى صنعاء واستوطنها ، وفي خريف احد الاعوام ذهب الى وطنه القديم هجرة شوكان ، فولد له ابنه هذا ثم انتقل به الى صنعاء ونشأ بها ، ولذا يقال له الشوكاني ثم الصنعاني.

وفي صنعاء نشأ الشوكاني في بيت يجمع بين العلم والصلاح، فابوه كان من كبار علماء اليمن ، وكان رجلا فاضلا سمح الخلق يخشى الله في قوله وعمله ، وكانت لديه مكتبة عامرة بالمؤلفات في مختلف الوان الدراسة الفقهية واللغوية والادبية والتاريخية وقد تولى القضاء فكان خير مثال للقاضي الذي يضطلع بهذه الرسالة في امانة وصدق واخلاص ..

وكان الشوكاني منذ طفولته ذكيا ذا حافظة قوية ، وبديهة حاضرة حفظ القرآن الكريم وجوده على جماعة من المعلمين ، وهو غلام صغير ، وبعد ان اتم حفظ القرآن ، اقبل على ما كان لدى والده من كتب كثيرة ، يقرأ ويطالع في نهم وشوق ، لايضيع وقتا دون ان يستفيد شيئا ، وكان اغلب ما قرأه في هذه الفترة المبكرة من حياته كتب الادب والتاريخ .

٥ ـ ثم شرع في الدراسة العلمية ، والاخذ عن الشيوخ والعلماء . فدرس على والده كتاب الأزهار للامام المهدي احمد ابن يحيى المرتضى احد فقهاء المذهب الزيدي ـ وهو المذهب السائد في اليمن ـ ويعد هذا الكتاب من امهات الكتب في هذا المذهب ، ولذلك درسه على غير والده من العلماء والفقهاء مثل العلامة احمد بن عامر الحدائي ، وعبد الرحمن بن قاسم المدائني واحمد بن محمد بن الحرازي وعلى هذا الاخير كرر قراءة الازهار وشرحه وحواشيه ، ولازمه نحو ثلاث عشرة سنة ، يدرس ويقرأ في مختلف الكتب الفقهية حتى صار فقيها نابها وعالما مرموقا.

على ان الامام الشوكاني لم يدرس فقط كتب الفقه . ولكنه درس ايضا كتب الحديث ، والتفسير ، واللغة ، والنحو ، والعروض ، والبلاغة ، والمنطق ، وآداب البحث والمناظرة على كثير من العلماء المتخصصين . فقد طلب العلم لا يصرفه عنه اى شيء ، واكب على طلبه في اخلاص ودأب طول حياته حتى صار الى ما صار اليه من علو المكانة وبعد الصيت ، والاجتهاد المطلق في الفقه ، والامامة في الحديث والتاريخ واللغة ، واعترف له الجميع ـ شيوخه واقرانه ـ بالتفوق والعلم الغزير.

٦ ـ وقد بدا نجم الشوكاني يسطع وهو في نحو العشرين من عمره ، كان له تلاميذ يدرسون عليه ، ويتحلقون حوله ، وكان اهل صنعاء يستفتونه ، كما كانت ترد اليه الاستفسارات من الجهات البعيدة ، فيرد عليها ، وشيوخه اذ ذاك احياء ، وكان مع هذا يجلس من شيوخه مجلس المتعلم ، لانه كان يؤمن بان العلم لا يعرف نهاية في طلبه ، وان العالم المخلص لا يتوقف ابدا عن الاستزادة والدراسة ، وكانت تبلغ دروسه في اليوم والليلة نحو ثلاثة عشر درسا ، منها ما ياخذه عن مشايخه ، ومنها ما ياخذه عن تلامذته ، واستمر على ذلك مدة حتى لم يبق عند احد من شيوخه علم لم ياخذه ، اللهم الا شيخه العلامة عبد القادر بن احمد فانه مات ولم يكن قد استوفى ما عنده .

٧ ـ وقبل ان يبلغ الثلاثين من عمره ، الف بعض الكتب ، وانتهت به الدراسة العلمية المخلصة الى الاجتهاد المطلق ، وترك التقليد . فكان لا يتقيد براى دون راى ، ولا مذهب دون مذهب ، ولا يعرف الحق بالرجال ، ولكن يعرف الرجال بالحق ، وقد قامت بينه وبين بعض الفقهاء مناقشات ومحاورات حول الاجتهاد والتقليد سأشير الى طرف منها بعد قليل .

وقبل ان يبلغ الاربعين الف معظم كتبه التى تربى على المائة والتى جمعت بين التفسير والحديث والفقه والعقائد والاصول واللغة والتاريخ ، وعلم المنطق والسياسة .

٨ ـ وفي شهر رجب من سنة ١٢٠٩ مات القاضي العلامة يحيى ابن صالح السحولي الذي كان قاضيا اكبر للخليفة المنصور بالله على بن الامام المهدي ، وكان رجلا سديد الراى ، له مهابة ومنزلة جليلة . يقصده الوزراء اذا نابهم امر ، ويلجأ اليه الخليفة اذا عرضت له مشكلة من المشاكل ، فلما مات هذا القاضي الجليل ، لم يجد الخليفة من يملأ الفراغ الا الشوكاني فعرض عليه ان يتولى منصب القضاء ، فاعتذر ، لان العلم قد شغله عن كل شيء ، غير ان الخليفة رفض اعتذاره ، لان القيام بالقضاء والعلم ممكن ، فطلب الشوكاني من الخليفة ان يمهله مدة ، فاجيب الى ما اراده ومكث الشوكاني نحو اسبوع مترددا لا يدري ماذا يفعل ! وجاءته الوفود من كل مكان ، تطلب منه قبول هذا المنصب ، لان الاجابة اليه واجبة ، خشية ان يتولاه من ليس اهلا له ، فتهمل احكام الشريعة وتضيع الحقوق ، وينتشر الفساد ، فلم يجد بدا من قبول هذا المنصب الهام الخطر . ومع انه لم تكن لديه خبرة سابقة بشئون القضاء ، لانه لم يحضر عند قاض في خصومة ولا في غيرها حتى والده ، لانصرافه الى العلم ، ورغبته في عدم الاتصال باهل الامر ، وارباب الدولة ـ مع هذا فقد كان قاضيا قديرا مخلصا ، تمكن من القيام برسالة القضاء على اكمل وجه ، واكرم غاية.

٩ ـ وقد تفقه الامام الشوكاني اولا على المذهب الزيدي الذي ينتسب الى الامام زيد بن على زين العابدين رضي الله عنه ، وهو اعدل مذاهب الشيعة ، واقربها الى اهل السنة ، ولا يعترف باغلاق باب الاجتهاد ، بل هو مفتوح في كل زمان للقادر عليه ففضل الله واسع ، وليس خاصا بقوم دون قوم ، وعصر دون عصر ، ولهذا كثر المجتهدون في هذا المذهب كثرة عظيمة ، وكثرت المؤلفات الفقهية فيه ، وقد اقبل الشوكاني على هذه المؤلفات فدرسها والم بها الماما دقيقا ، ثم درس بعد ذلك آثار المذاهب الفقهية الاخرى ، وانتهت به هذه الدراسة العلمية الجامعة المركزة الى الاجتهاد المطلق ، وهو ذلك النوع من الاجتهاد الذي يقوم اساسا على تعرف الاحكام من مصادرها ولا يتقيد براى ، او مذهب معين ، بل يتجه الى اخذ الأحكام من الكتاب الكريم والسنة النبوية ، مع الاستهداء بآراء الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين . ولا يصل الى هذا النوع من الاجتهاد الا من نال قسطا وافرا من الدراسة اللغوية وكان ذا فهم في كتاب الله ، ومعرفة بالسنة ومقاصد الاحكام الشرعية واطلاع واسع على آثار السابقين من الفقهاء المجتهدين ، وجمع

الى هذا الورع والتقوى والزهادة والاخلاص ولم يخش في الله لومة لائم .

١٠ ـ وتوافرت في الامام الشوكاني كل هذا ، فهو قد حفظ القرآن وجوده في صغره ثم درسه وفسره بعد ذلك ، ودرس اللغة العربية وعلومها المختلفة دراسة عميقة ، كما درس السنة والف فيها ، واطلع على آثار كثير من الفقهاء ، وكان مع هذا دقيق الفهم ، قوى الذاكرة ، رحب الافق ، صالحا ورعا عزوفا عن اتباع هذه الدنيا ، منصرفا الى العلم في جميع اوقاته ، لم يطلبه لدنيا يصيبها ولكنه طلبه ابتغاء مرضاة الله ، ولذلك كان لا ياخذ على التدريس والفتيا اجرا ، وقد لامه بعض خاصته على ذلك ، فاجاب بانه قد اخذ العلم بلا ثمن فلا بد من انفاقه كذلك !

ولا غرو بعد هذا في ان يصل الى الاجتهاد المطلق فهو اهل له ، وخير من يقوم به .

لقد حارب التقليد حربا لا رفق فيها ، وكان يمقت التعصب المذهبي مقتا شديدا ، وليس ادل على ذلك من قوله في مقدمة كتابه نيل الاوطار : ورضيت النفس حتى صفت عن قذر التعصب الذي هو بلا ريب الهلكة ، فهو يعد التعصب سبيلا للهلاك والاثم ، ويشير الى انه قد جاهد كثيرا حتى تخلص من هذا الداء الذي استشرى وكان سببا في خلافات واحكام خطيرة كان المسلمون في غنى عنها .



والشوكاني الذي حارب التقليد والتعصب كان يدعو الى الاعتماد على الكتاب والسنة ففيهما ـ اذا ما اخلص المرء واتخذ الحق رائده واستعان بالله ـ كل ما يحتاج اليه الانسان من ادلة الاحكام التي يريد معرفتها وهو يقول في كتابه القيم (ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول) : « عندى ان من استكثر من تتبع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وجعل كل ذلك دابه ووجه اليه همته ، واستعان بالله عز وجل ، واستمد منه التوفيق ، وكان معظم همه ، ومرمى قصده الوقوف على الحق ، والعثور على الصواب من دون تعصب لمذهب من المذاهب ، وجد فيهما ما يطلبه ، فانهما الكثير الطيب ، والبحر الذي لا ينزف ، والنهر الذي يشرب منه كل وارد العذب الزلال ، والمعتصم الذي ياوى اليه كل خايف ، فاشدد يديك على هذا فانك ان قبلته بصدر منشرح وقلب موفق ، وعقل قد حلت به الهداية ، وجدت فيهما كل ما تطلبه من ادلة الاحكام التي تريد معرفتها كائنا ما كان) .

فهو هنا يدعو الى الاجتهاد وينفر من التعصب المذهبي ، ويؤكد ان الكتاب والسنة هما المصدران الاساسيان لدراسة الشريعة واستخراج الاحكام الفقهية ، ويشير الى الزعم القائل ان ادلة الكتاب والسنة لا تفي بجميع الحوادث ، فلا يقول بهذا كما ذكر به في كتابه الا كل من عميت بصيرته ، وحرم لذة العلم ونعمة التوفيق .

١١ ـ وقد دفعه اجتهاده واستقلال رايه الى تاليف كتاب عن شرح الازهار السالف الذكر سماه « كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار » تعرض فيه بالدراسة والنقد لكل ما اشتمل عليه هذا الكتاب من قضايا وآراء ، ورفض كل رأى لاتنهض به حجة ، وثار الفقهاء المقلدون عليه ، لاهمية هذا الكتاب واعتقادهم بان كل قضاياه ومسائله يجب ان تؤخذ قضية مسلمة ، فهي فوق مستوى النقد والمناقشة ، واحتدم الصراع بينه وبين هؤلاء الفقهاء ، فكان يصاولهم بالحجة ، ويقرعهم بالبرهان ، ولما عجزوا عن مجاراته في المناقشة والمناظرة اتهموه بانه ما اراد بمثل هذه الآراء الا هدم مذهب آل البيت ، فرد على هذه التهمة ردا مفحما ، والف في ذلك رسالة سماها « القول المفيد في ادلة الاجتهاد والتقليد » جرى فيها على طريقة البحث والمناظرة ، فذكر دلائل كل من القائلين بالاجتهاد ، والمانعين له مع مناقشة كل ما يعرض له دون تعصب او تحيز ، ورغبة في الوصول الى الحقيقة واظهارها ، ودعوة الى التمسك بالدليل الصحيح سواء وافق الجمهور ام خالفه .وقامت بسبب هذه الرسالة فتنة في صنعاء بين من هو مقلد ، ومن هو مقتد بالدليل .

وواجه الشوكاني العاصفة بحزم وعزم ، وكان اقوى مما توهمه خصومه والمتحاملون عليه ، فهو يحب آل البيت ، ولا يبغي الا احقاق الحق وازهاق الباطل ، وهو رجل واسع الافق ، يحترم عقله ويفقه دينه وآرائه ، واثبت بالحجج الدامغة ان التقليد حرام من وراء ما يقول الا احقاق الحق وازهاق الباطل ، وهو رجل واسع الافق ، يحترم عقله ويفقه دينه ويدافع عنه وكذلك لم تلن قناته ، ولم يتخل عن دعوته وآرائه ، واثبت بالحجج الدامغة ان التقليد حرام ومذموم ، وان الاجتهاد واجب ومطلوب .

١٢ ـ وبعد فان آراء الشوكاني في الاجتهاد والتقليد ، ودعوته الصريحة الى الرجوع الى مصادر الشريعة الاولى ، والى النظر العقل السليم ، والسير على مناهج الفقهاء المجتهدين ، واحترام الدليل دون نظر الى الاسماء والمذاهب ، تعد ثورة ضد الجمود والتعصب الذي ساد العالم الاسلامي بصورة قائمة في القرن الثالث الهجرى ، وتدل في الوقت نفسه على عقلية خصبة متحررة لا تؤمن بالتبعية ، وترى ان فضل الله ليس قاصرا على بعض العباد دون بعض ، فكما اجتهد السابقون ، يجب ان نجتهد والقرآن الكريم يدعو الى الاجتهاد ويحض عليه ، وليس فيه آية واحدة تشل حركة العقل في سيره وتقدمه .

لقد عاش الامام الشوكاني حياته كلها من اجل العلم ، زهد في الدنيا ، وترفع عن الشبهات ، وكان بآرائه ودعوته الجريئة الى الاجتهاد فقيها ممتازا ، وعالما مجتهدا مجددا ، ورائدا من رواد النهضة العلمية في اليمن .

وفي ليلة الاربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠ توفي الشوكاني بعد حياة حافلة بالجهاد العلمي المبرور ، ومقبرته مشهورة بصنعاء ، رحمه الله واجزل مثوبته.

محمد الدسوقي

إليك: أيها الإنسان

للشاعر: محمد الجبار

عندما أستل أنفاسي من صـدر المساء
ويراني الليل شيئا ضائعا وسط المدينه
تتبنى دمعتي ٠٠ كل دموع الأشقياء
حينما تطفو بقاياهم على بحر السكينه

***

واذا عادت طيور من رحيل في الغروب
سوف تغفو بين أيدي الليل في عش السلام
ولماذا ضاع بين الناس انسان غريب ؟
لم يجد حتى رداء الظل من نسج الظلام

***

عندما ينظر روح الليل من عيني لنفسه
فيرى ٠٠ ما لايراه من خفايا الضائعين
عندما يشرب من كاسي ٠٠ فتهمي عين كاسه
وكاني صرت تاريخ الضحايا البائسين

***

عندما أسمع في الاعماق آهات الجذور
وهي أسرى ٠٠ في قيود الطين ٠٠ تشتاق الضياء
حزنها الأسود ٠٠ تحت الارض ٠٠ كالقلب الكسير
وهي تعطي دوحها المخضر بالدمع العطاء

***

بعضنا قد مات يبكي ٠٠ بعضنا مات يغني
ثم تمتمنا : قضاء الحظ مكتوب علينا
بعضنا لم يستطع شيئا ٠٠ سوى بعض التمني
وتولى هامسا للموت : ان جئت ٠٠ فزرنا

***

هـذه أسطورة هلكى ٠٠ ذروها للرمم
لم لا أحيا ٠٠ ويحيا الناس حولي سعداء
كيف تطوى يا نسيم الليل عطرا من نغم
وأنا أمشي أسير الخوف ٠٠ عاني الكبرياء

***

وتدور الارض بالناس ٠٠ وما زالت تدور
بالتعاسات التي تغفو ٠٠ وتصحو في الصباح
بوجوه ٠٠ كل ما فيها عيون تستجير
أصبحت شبه مرايا لحريق من جراح

***

يصخب الملهى ٠٠ وخلف الحان ٠٠ كلب متخم
ينهش اللحم ٠٠ وفي عينيه جوع المستزيد
وجوار الكلب طفل شاب فيه الألم
أفطرت عيناه بالدمع ٠٠ صباحا ٠٠ يوم عيد

***

يصخب الملهى ٠٠ كما يصخب في الكوخ الأنين
ثم تاتي الريح كي تنثر أصداء البشر
والصدى ٠٠ أين ترى يغرق في بئر السكون
فيه ضمت صيحة المولود ٠٠ همس المحتضر

***

يا أخي المحروم ٠٠ كل الناس في ذاتك جوعى
كلنا في وجهك المعروق اثم البشريه
ربما ننساك ٠٠ لكنا ٠٠ بماساتك صرعى
وضحاياك ٠٠ وان كنت لنا انت الضحيه

***

اننا نحمل من عريك في الدفء ذنوبا
يا لقيط الناس كل الناس ٠٠ في عيد الخطيئه
وغدا تغفر لو تلقى مع الناس نصيبا
في حياة سمحة تخفر بالحب ٠٠ وضيئه



بيت الطاعة في أول قصة تناولته

أبدا بالاستدراك على هذا العنوان : بيت الطاعة في أول قصة تناولته ، من حيث الجزم بأن القصة التي سنتحدث عنها أول قصة مصرية تناولت هذا الموضوع ، فربما لا تكون « اول » بل هناك ماسبقها في تناوله ولم أره ، وقد تكون كذلك فعلا على ما نظن ، وهو ظن يقرب من اليقين ، لما فعلته من التتبع والاستقراء .

هي قصة قصيرة لمحمود طاهر لاشين كتبها بهذا العنوان « **بيت الطاعة** » ونشرها في مجموعة « **سخرية الناى** » ، خطرت لي بمناسبة ما نشر أخيرا في موضوع « تنظيم الأسرة » الذي يشغل الاذهان في الوقت الحاضر ، من أن لجنة الاحوال الشخصية للمسلمين بوزارة العدل رأت في تنفيذ حكم الطاعة كرها **أن سوق الزوجة الى بيت الزوجية بقوة الشرطة لا خير فيه لأن تستقيم الحياة الزوجية** وأنه كثيرا ما يؤدي الى ارتكاب جرائم ، فضلا عن انه ينافي الكرامة الانسانية ، ومهما كان في موقف الزوجة من تحد لتعاليم دينها ولحكم القضاء فان ذلك لا يبرر اهدار الكرامة ، ولهذا انتهى الرأى الى عدم جواز تنفيذ حكم الطاعة بهذا الشكل ، وأنه يكفي معاملة الزوجة بآثار نشوزها ، وأن من حق الزوج طلب التفريق بينه وبينها مع الزامها بالآثار المادية لذلك .

هذا الذي ينتهي اليه التشريع الآن قاله من نحو اربعين سنة الرائد القصصي محمود طاهر لاشين في قصته «بيت الطاعة» ـ قاله بطريقته الفنية المجسدة في أشخاص القصة :

رجل من أصل تركي يصفه الكاتب هكذا :

« ميسور الحال ، ويظهر لأول وهلة من هندامه الحسن ، وياقته العالية و (بمباغه) الأنيق وعصاه الثمينة ، على انه لا يعد بين اهل طبقته متعلما ، فهو لا يعرف بعد (فك الخط) الا قليلا من اللغة التركية تلقنها عن أمه صغيرا ـ فلا يعد في الوسط الذي هو منه عاملا، فقد قضى شبابه في عز والديه يفكر ويدبر، ولكن في السخف والصبيانيات، ويسعى وينشط ، ولكن للذاته وملاهيه » .

تزوج ذلك الرجل فتاة يصفها الكاتب هكذا :

« على جانب عظيم من الجمال، ولكنه جمال لايدركه الكثيرون ، فليس مصدره (الخدود اللي زى التفاح، والوش اللي زى لهطة الاشطة ، والحواجب اللي زى هلال شعبان ، والمناخير اللي زى بلحة الشام ، والصدر اللي زى بلاط الحمام) بل هو جمال الروح، الجمال الذي يوحي الى الفنان، ويهتاج نفس الشاعر، أو على الاقل الجمال الذي ينشر السعادة المهذبة في بيت زوج مهذب . ولكن كيف يتسنى لمخلوق (الزوج) هذه نشأته، وتلك جبلته كالذي مر ذكره أن يدرك سر هذا الجمال ؟ »

ولنغض عن عبارة « **كالذي مر ذكره** » التي نلحظ انها نابية في السياق القصصي ، ونمضي في القصة مع الكاتب لنرى كيف يصور اصطدام عواطف الزوجة الرقيقة بجمود ذلك الزوج الغليظ ... يسيء الرجل الظن في زوجته ، بل في جنس المرأة . ويعلل الكاتب ذلك تعليلا موفقا ، اذ يقول انه «**يعلم ضعف من وقعن في غوايته من النساء ، لذلك فهو**

ضعيف الثقة بالنساء ، ومن ثم نشأ في نفسه احساس الغيرة واستفحل أمره ـ النافذة لا تفتح ـ الخادم لا يخاطب ـ الملابس حسبما يصف ـ العتبة لا ترى الا بمشيئته وتحت اشرافه ٠٠ ،

وأدى الصدام بين الزوجين بهما الى المحكمة الشرعية ، وكانت قضية « الطاعة » ودخلت الزوجة « بيت الطاعة » وأحست بأن كرامتها الانسانية تهدر ٠٠ ومن هنا تسللت اليها وسائل السقوط . فالكرامة والخلق أمران متلازمان ، وتدع « لاشين » يصور لنا ذلك بأسلوبه الطريف :

« ٠٠٠ وباحدى الوسائل التي لا تعجز عنها النساء تتصل الزوجة بشاب على سطح المنزل المجاور ، وتحولت من امرأة عفيفة الى عشيقة الشاب . وعادت اليها نضارتها التي كانت قد ذبلت ، وأينعت فيها بهجة الحياة ، واستجابت لدعوة التقريب بينها وبين زوجها » وهي دعوة قامت بها عجوز أتى بها الزوج لتخدم الزوجة في بيت الطاعة ، وكان لها دور في اتصالها بالشاب على سطح المنزل .

وقال ممدوح افندي (الزوج) لأحد أصحابه :

« ايه رأيك بقى يا خفيف ؟ أهي رجعت عاوزة تبوس ايدي زي الكلب ٠٠ هاهاها ٠٠ »

واتصل الزوجان بعض الاتصال ، واتصل العشيقان كل الاتصال ٠٠

وبعد أشهر عاد الزوج بزوجته الى منزلهما الأول مهللا مكبرا ٠٠ **لأن جنينا كان يتحرك في احشائها .** ولم يكن ممدوح افندي قد رزق من قبل ولدا ٠٠ ثم وزعت رقاع الدعوة المذهبة الحروف والآتي نصها :

الدهر أقبل بالهنا

واليوم قد نلنا المنى

والطير غرد صائحا

بشرى لنا بشرى لنا

نتشرف بدعوة حضرتكم لسماع المولد النبوى الشريف يوم الجمعة القادم الساعة السابعة مساء بمنزلنا الكائن بشارع ٠٠٠ احتفالا بسبوع ولدنا (أنور) والعاقبة عندكم في المسرات » .

وقد تقرأ هذه القصة الآن فتمر بها على أنها قصة ذات موضوع معروف ومطروق ، ولكنك اذا نظرت اليها نظرة زمنية ، أي باعتبار أنها باكورة في موضوعها وحسن تناوله لأكبرتها وعرفت فضل كاتبها ، لا في الريادة الادبية فقط ، ولكن في الريادة الاجتماعية كذلك .

ومما يلاحظ أن كتابنا القصصيين الأوائل حملوا هم مجتمعهم وهالهم تأخره وما يعوق تقدمه من معوقات ينسب بعضها ظلما الى الدين وجهلا بالدين .

ولم يقتصر الأمر في ذلك على مذهب أدبي معين كالواقعية ، وان كانت هذه أكثر الاتجاهات عناية بالمجتمع . بل شمل الاتباعيين (الكلاسيكيين) كالمويلحي في « عيسى بن هشام » وحافظ ابراهيم في « ليالي سطيح » ، وكذلك الابتداعيين (الرومانسيين) مثل المنفلوطي في العبرات والنظرات .

كانوا كلهم جد مشغولين بالأهداف الاجتماعية الى جانب عنايتهم بالتجويد الفني ، كل على حسب اتجاهه في الأدب .

ومن قبل هذا الأدب الحديث ، نجد كذلك ما كان قبله من فنون قصصية كالمقامات وحكايات كليلة ودمنة ، وكذلك الأدب الشعبي بألوانه المختلفة ، قصة وموالا وزجلا ٠٠ كلها أو معظمها تلتزم الفضائل الاجتماعية والصفات الكريمة في الانسان .

ولعلنا نخلص من ذلك كله الى أن مزاجنا الادبي ـ والقصصي خاصة ـ أميل الى الالتزام الاجتماعي . لم نتخل عن هذا الالتزام الا في فترات غلبنا فيها على أمرنا ، فشعرنا باليأس ، وهرب أدباؤنا من المجتمع .

ولو نظرنا مثلا الى حال الادب قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ والى حاله بعدها لرأينا مصداق ذلك وموضوع المقارنة هو الواقع الاجتماعي من حيث الهرب منه في الحالة الاولى ، والالتصاق به والعناية بالتعبير عنه في الحالة الثانية .

ولذلك أعتقد أن كل المحاولات للبعد بالأدب عن الالتزام الاجتماعي في هذه الوثبة التي نعيشها ستذهب في الهباء ولن يبقى منها الا ما ينفع الناس .

قصة قصيرة

فجأة وقفت سيارة الأوتوبيس في الشارع ، واندفع الركاب الى الامام في شيء من الذعر ، ولكن الله ستر ٠٠ اذ اقتصر الأمر على اصطدام الواقفين بعضهم ببعض ، واهتزاز الجالسين في مقاعدهم ، وانكفأ « الأستاذ صابر » على المقعد الذي أمامه

وسقطت نظارته ولكنها لم تنكسر لانهـا انزلقت على الجريدة التى كان يتصفحها ، وبرغم ذلك ساد جو من القلق أقله خشية التأخر عن المهام والأعمال .

وتطلع الجميع الى الخارج كى ينظروا ماذا هناك.. أمام سيارة الأوتوبيس سيارة صغيرة (ملاكى) فى مؤخرتها آثار ظاهرة للصدام .

وجاء شرطى المرور، واشار الى سائقى السيارتين ان يعرجا الى الشارع الجانبى حتى ينفسح الطريق للمرور المعطل ، وكى يجرى اللازم ..

نزل سائق الاوتوبيس ، وكان الخوف باديا عليه وكأنه يردد فى نفسه : يا فتاح يا عليم ..

واختلفت تعليقات الركاب :

ـ يا أخى ، السواقين دول .. مش حايجيبوها البر ..

ـ دلوقت ياخد نصيبه ..

ـ يستاهل ..

ـ يا جماعة حرام عليكم .. دا غصب عنه .

ـ أيوه .. ويمكن صاحب عيال .

اما المحصل فكان واقفا ساكتا كأن الامر لا يعنيه، وكان يرقب راكب السيارة الصغيرة الذى نزل ووقف جامد الملامح لا يبدو عليه أنه مهتم لما حدث .. وتعجب المحصل كذلك لان سائق السيارة الصغيرة لم يبرح مكانه .. وان كان تعجبه لم يطل، اذ لمح على السيارة أنها « حكومية » ..

ودار كلام بين سـائق الاوتوبيس وبين راكب السيارة الصغيرة الانيق الوديع .. كلام لين هادىء مختصر .. مالبث أن عاد سائق الاوتوبيس يحكيه فى سرور وحمد لله .. قال وهو يرى السيارة الصغيرة تدور وتنطلق : « راجل جنتل ! » وأردف يقول انه اعتذر له وأعرب عن خطئه ، فكان لطيفا جدا .. وقال « معلهش ! »

انفرجت شفتا المحصل عن نصف ضحكة ساخرة وهو يقول :

« طبعـا معلهش .. وهو يهمـه ايه ؟! طبعا .. جنتل ! »

وقصـد الى راكب جديد مستأنفا عملـه قائلا : تذاكر ..

واستأنف الاستاذ صابر قراءة جريدته ، فشعر كأنه استيقظ من حلم مزعج ، اذ وقع نظره على نبأ يقول :

« تزمع الحكومة بيع سـياراتها للأشخاص المصرح لهم بركوبها وبيع باقى السيارات بالمزاد » .



● اجتمع مجلس ادارة جمعية الأدباء فى الأسبوع الماضى ، واجرى (القرعة) بين اعضـائه لاسـقاط أربعة منهم ، تمهيدا لاجراء انتخاب جديد لملء المقاعد الأربعة .

الذين بقوا هم :

طه حسين (الرئيس) ويوسف السباعى (السكرتير العام) وحسين فوزى واحسان عبد القدوس واحمد بهاء الدين .

والذين أسقطتهم (القرعة) هم :

توفيق الحكيم ومحمود تيمور ويحيى حقى وعبد الرحمن الشرقاوى .

الأدباء الساخطون على الجمعية كانوا ولا يزالون يطالبون باعادة الانتخاب . **فهل يرون تنحية واحد أو اكثر من الاربعة مسكبا ؟!**

أمن أجل أن يكون هؤلاء أعضاء فى مجلس الادارة .. تتعارك !!

● قال لى صاحبى : لقد خدعتم ..

قلت : فيم ؟

قال : فى نقل المعركة من مجالها الخارجى بينكم وبين المنظمات الاجنبية الاستعمارية الصهيونية التى تغزونا باسم الثقافة ـ الى الداخل .. بين ما سمى بالجديد وما أطلق عليه قديم !

قلت : صدقت . خدعونا أولاد الجن !

● الناقد الكبير الذى شتمنى ـ سامحه الله ـ لأننى كتبت عنه كعضو فى لجنة مسابقة أدبية نظمتها مجلة « **حوار** » .

ذلك الناقد الكبير .. **انتقل ـ بعد الشتيمة ـ** الى الدفاع عن مجلة حوار ..

لماذا اذن يدافع عنها ما دام يغضب من أن ينسب اليها ..؟

انه يسـتند فى دفاعه الى أن الدولة رخصت له بالسفر الى مقر اجتماع اللجنة ..

ان الـدولة لا تحجـر على الحرية الشـخصية فى نطاق ما يقبل الأخذ والرد . **وهـذا هو ما نحن فى نطاقه .**

عباس خضر



حول الشعر

بالرغم من كل ما يقال عن الشعر الآن ، وبالرغم من جعل الشعر المكان المناسب للصراع حول أشياء لاتتصل بجوهر الشعر الا ان مما لا شك فيه أن الشعر ينبت الآن في أرض جديدة لم ينبت عليها من قبل، قد يقول البعض ان هذه الارض ليست مضمخة بعبير الاجداد ، وان الزهور التى تسيجها ، والتى تتناثر على أحواضها لا تمت الى الزهور القديمة بصلة ، ولكن الخبراء بالزهور يؤكدون أن الغرابة والدهشة والتوحش التى تصيب هذه الزهور لايمكن أن نفصلها تماما عن المحيط الذى توجد فيه ، وان هذه الفترة ضرورية لمرحلة التفتح والازدهار فى الشعر ، فبمقدار المعاناة والتمزق يأتى الوليد صحيحا ، وقد يكون هذا العصر لا يلد الا التوائم .

فالبلاغة الآن ليست بلاغة التقديم والتأخير والتشبيه والاستعارة والكناية ورد العجز على الصدر .. بالقدر الذى هى به بلاغة بناء كامل بالصور فى توتر متحكم فى كافة أجزائه ، حتى يمكن أن يسلمنا فى نهاية الامر شيئا جديدا وعميقا يحس به الانسان أنه يعيش فى محور الكون وفى أعمق أعماق المعاصرة.

والشعر مطالب الآن بعدم الوقوف عند خصائصه المتوارثة ، لانه هو نفسه أصبح مرحلة تصل اليها القصة والمسرحية والصورة والتمثال ، ومن هنا فلا بد له ان يستعير أدوات جديدة من كافة الفنون التشكيلية والتعبيرية .. فى تناول الصورة ، والحوار وتكثيف الموسيقى ، والبسط القصصى ، والعرض الدرامى ، ولعل خير ما يفعله الشعراء الآن هو كسر الحواجز بينهم وبين الفنون الاخرى ، والاستفادة من كافة الامكانيات التى يقدمها العصر .

وليس معنى هذا أن هذه المرحلة لم نقرب منها لان عندنا الآن من يستخدم - ولو بدون وعى - تكنيك السينما والمسرح والصورة والتمثال والبناء السيمفونى فى أعماله الشعرية .

ثم انا نجد الآن شبه تحول بطىء من القصيدة الغنائية الى المسرحية والملحمة والاوبرا والابريت ، وان كان طابع القصيدة الغنائية لا يزال هو المسيطر على كافة هذه الاعمال ، ولعل النقاد على حق حين يتناولون بعض هذه الاعمال ويسبقونها دائما بكلمة قصيدة مثل القصيدة المسرحية والقصيدة الملحمية وهكذا ! فالشعر الآن مطالب بمخاطبة الجماهير فى

الاذاعــة ، وفى التليفزيـون ، وفى المسرح ، وفى الاوبرا ، وما دام جمهور الشعر قد تغير من قارىء يعتصر عينيه أمام سطور سوداء ، الى عدد كبير من « المستهلكين » يجلسون متراصين ، ومســتخدمين اكثر من حاسة فى « التلقى » .. مادام الامر كذلك فلابد للشاعر من تطوير أداته ، ولابد له من مخاطبة الأحاسيس المتباينة والعديدة التى تتلقى شعره الآن فى صورة شبه جماعية ، ولعل هذا الامر هو الذى يدعونى الى المطالبة باستعارة أدوات جديدة من بعض الفنـون التى تتميز بمخــاطبة الجماهير فى الشعر المعاصر !

وفى الشعر الآن نجد ظاهرة المعــاصرة ، فنحن نحس ان الشاعر مع أن قدميه تقفان على أرض محلية الا ان رأسه يمكن ان يلف العالم فى دقائق ، ولعل هذا الشمول الذى أعطاه اياه هـذا العصر الحـديث يطالبه أن يكون شاعرا على مستوى الكون كله ، ومن هنا ينعـدم عنـدنا الشاعر المتخصص فى الجنس ، والشاعر المتخصص فى الهجاء ، والشاعر المتخصص فى الملل ، بحيث يصبح الشــاعر ـ حتى من خلال محليته وايديولوجيته ـ ممتلئا بوهج الكون ، وواضعا قلبه على النبض السريع الحامى للحياة !

وكما نجد الشــعر الآن يقترب من الحياة ومن الكون ، نجـده يقترب من نفس الشاعر ، فالشاعر الآن حريص على أن يقدم نفسه بدون زيف أمام العالم ، والشاعر الحديث كما هو مطالب بان يعطينا قيمـا كبـيرة كالمـوت ، والطبيعـة والزمن ، والحب ، والاحاسيس الانسانية ، والعمل ، وكمـا هو مطالب بالا يبتعد عن جمهوره ، فانه مطالب أيضـا بالقرب من نفسه ، حتى يكون لكل ما يعطى بكارة الحياة ، ونضــارة الميلاد الجـديد ، لأن كل شىء سـيذوى وسيتهشم مادام الشاعر لا يكون صادقا مع نفسه .

والشعر الآن فى شكليه يهتم بالتجريب ، وهو فى فترة التجريب هذه يحطم اشياء كثيرة بل يحطم نفسه فى نفس الوقت ، فنظرة واحدة الى حركة التجريب نجدها تتعدى التفعيلة ، الى محاولة الرجوع الى أصغر جـزء موسـيقى ، الى التعامل بالسبب والوتد ، الى الشــعر المرسـل ، الى القـول بضرورة التزحيف والتعليل فى التفعيلة ، الى قصيدة النثرة ، الى فكرة النبر ، الى ما يسـمى « شعر بنثر » ، وفى الوقت نفسه لا تنفى عن الشعر المتجدد ـ وهو ما نقصد به ما يسمى بالشعر العمودى ـ انه يجرب داخل اطاره فهو يحول الآن القافية من كلمة زاعقة الى كلمة عادية ينتظرها البيت بحيث لا تختلف لثراء اللغة العربية عن الكلمات الاخرى فى شىء واضح ، وهو يقف الآن وقفة طويلة عند البحور السريعـة ، والمجـزوءة ، وذات التفعيلة الواحدة ، بل انه يمـزج بين بعض البحور ليعطى تلوينا أكثر ، فاذا أضفنا الى ذلك انه يتحرك فى دائرة كبيرة تضم ستة عشر بحرا ، وستة بحور مولدة ، وبعض التجـديدات التى حدثت فى عصور التحول والنضارة ، وما يقرب من مائة عروضة وضرب .. اذا أضفنا ذلك أدركنا أن هذا الشــعر يتطور عضويا ، وأنه لا يعجز عن البسط القصصى والعرض الدرامى واستعارة الخامات ، والانفجارات ، والحركة ، والبطء ، والانتقالات ، والتلوين من الفنون الأخرى !

وفى ضوء هذا ندرك أن هناك فرقا بين الجديد وبين التجديد ، وأن هناك فرقا بين الأضافة التـابعة من الاصل وبين « الموضة » التى تتغير بتغير الفصـول الشعرية

صحيح أن الشـــعر الآن قد وصل الى مراحـل انفجارية فى الكلمـة والصـورة والمضـمون ، وانه يستخدم الرمز والاسطورة استخداما ذكيا ومريبـا فى الوقت نفسه ، وانه يصل فى مرحلة التحـدى للتراث العـــربى الى مرحلة « شعر بنثر » ، وانه يتجـاوز مرحلة التحـدى الى مرحلة الرفض ، وانه يبصق فى وجه أشياء كثيرة ، ويدين كل ما هو قيم ومضىء فى حياتنا ، وان صوتا خشنا يتردد الآن من حنجرته الذهبيـة ، وانه يدمن الترجمـة عن بعض الكتب المقدسـة وانه وصـل الى نوع من الميـوعة والتخنث جعل الشاعر يصرخ بان جسـده امراة ، وانه يجثو بعـد أن اغتصب الف الف اغتصاب ـ كجوتنبن ـ وان هذا أوان « المسخرة » على حد تعبير البعض !

صحيح أن الشعر يضم كل هذا ، وأن هذا لم يحدث فى أى عصر من عصور التاريخ العربى ، ولكن كل هذا لا يجعلنا ندين الشعر المعاصر ، ولا يجعلنا ندين شكلا من الأشكال ، ولكنه يجعلنا ندين الشعراء الذين يقفون على الأرض الرخوة ، ومن الغريب أنك

لا تحقق فى أكثر هؤلاء الذين يملأون قلب الشعر بالمرارة ، الا وتجد أن تاريخهم يملأ بالمرارة كذلك .

فاذا وصلنا الى مرحلة التطبيق وجدنا أن شعرهم غث ، وأن الجديد فيه قد يكون الدهشة والغرابة حين تجد الشاعر عاجزا عن أن يرفع صوته عن أهون الأشياء ، ومع هذا تراه يمسك بخناق الاله ، أو يتصوره داعرا ، أو يجعل نبيا من الانبياء يبول على نفسه ، أو يكثر من الحديث عن اللواط .. الخ .

ان للشاعر ان « **يجرب** » كما يريد ، وله أن يدين الأرض والسماء ، ولكن علينا أن نحكم موازين الشعر فيما يقول ، ومن الغريب أن تجد بعض النقاد يفرح بهذه المواقف الانفجارية ، ويقف للدفاع عنها من الذين يريدون نقدها فى ضوء ما ينقد به الشعر الذى يقال فى الطبيعة مثلا ، ولكنهم من غمرة فرحهم بهذا «الجديد» يدافعون عنه باسم الحرية ، فانه ليس من الحرية أن تنقده من واقع ما ينقد به الشعر . انه فى فترات التحول قد تخف الحضارة ، وقد تكون فرصة للبعض للقيام بعملية اجهاز سريعة ما دام الشعب مشغولا بالبناء وتدعيم الحياة ، ومشغولا عن الثقوب ، ولكن الشعب سرعان ما يتحول ويضع يده على كل الذين خانوا حضارته ، والذين عملوا على سرقة جواهره فى الظلام .

وبالرغم من كل هذا فان التاريخ سيثبت ، أن عملية التحول هذه فى الشعر ، ستعطينا الشعر العظيم .. والشاعر العظيم !

نظرية الفن المتجدد

« .. كان جميلا من الأستاذ عبده بدوى أن يتعرض لكتابى « نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر » فى عدد الرسالة بتاريخ ١٩ من نوفمبر ١٩٦٤ . ولقد عرض الأستاذ بدوى الخطوط الرئيسية للكتاب ، وأعطى عنه فكرة جلية بينة ، كما انه تناوله بالنقد الموضوعى القيم ، فله منى أجل التقدير وأعظمه ..

على انى اريد هنا ان أبدى ما عن لى على بعض مآخذه التى أوردها . فقد أخذ على انى لم أعالج القضية على المستوى العربى كله ، وانى لم أربطها بدوافعها ، ولم أضغط بشدة على الذين يعبثون بها بامكانياتهم المشبوهة ..

والحق أن هذا كله راجع الى هدف الكتاب وموضوعه الأساسى . فالكتاب يقدم نظرية فى الأدب هى « نظرية الفن المتجدد » ، ثم يسعى خلال تقديمها الى ادعامها بالنماذج والأدلة .. ومن هنا يتضح أنه يكفى لاقامة ذلك أن يلتمس منه ما يؤدى الغاية المستهدفة .. فابيات من هنا وهناك ... وهذه القصيدة أو تلك .. والتعرض لشعر التفعيلة فى بعض المواطن العربية .. كل ذلك يغنى بعضه عن بعض ، كما أن بعضه يغنى عن تتبعه فى كل موطن عربى . وهذا هو بعينه ما جعل منهج الكتاب يهتم بشعر التفعيلة من زاوية تلك النظرية التى عرضتها ، وهو نفسه ما جعل مراجع الكتاب لا تبدو وفيرة سخية لقصر البحث فيه على هذه الزاوية وحدها .

فلو كانت غاية الكتاب اذن هى شعر التفعيلة للزم بداهة أن يكون منهجه هو كما أراد الأستاذ عبده بدوى ، واذن فالأمر ليس كسلا ، وليس رسما لمنهج سهل ، ولعل الأستاذ عبده لو أعاد النظر فى الكتاب ، وجعل النظرية هى المحك له ، لاتفق معى على مابينت هنا .

أما اعجابه بقصيدة « طوق الياسمين » لنزار قبانى ، فانا اشاركه هذا الاعجاب ، لأنى لم أعب فيها كل شئ أو معظمه ، ولكنى لاحظت عليها بعض الملاحظات مما لا يخلو منه أعظم الآثار الفنية ، مع احتفاظى برأيى العام فى شعر التفعيلة . فقد قلت ان بعضها يخلو من روح الفن ، ولكن لا من حيث الموقف وبلاغته ، بل من حيث الصوغ الفنى لهذا الموقف البليغ . وحين ربطت بينها وبين قصيدة ابن خفاجة من حيث الايحاء ، فقد قصدت أن اثبت وجود الايحاء فى الشعر القديم بغض النظر عن التقاء القصيدتين فى موضوع واحد . وهذا ما أدركه الأستاذ عبده وأشار اليه ، ومع ذلك فياحبذا لو عثرت على قصيدة قديمة فى نفس الموضوع والموقف والتجربة . أما حين يعز أمرها ، فالاكتفاء باى نص موح يحقق الغرض منه .

هذا ولقد كان من اعجابى بقصيدة نزار أن قلت عنها : « وهذه الملاحظات لا تنسينى أن أذكر أن

بالقصيدة تصويرا ايحائيا مما سبق ان تحدثنا عنه حين استشهدنا بجزء منها قبل ذلك ، ولا تنسيني ان أذكر ما فيها من تحليل شعوري وتعبيري مما يعتبر كذلك طابعا مميزا « للشعر الحديث » ومقصدا لشعرائه » .

وبعد فليتقبل مني الاستاذ عبده بدوي الحب الأخوي من شط النيل الدافيء بالخرطوم .. »

.. كانت هذه هي الرسالة الكريمة التي وصلتني ـ يدا بيد ـ من الصديق عز الدين الأمين المحاضر الأول بجامعة الخرطوم ، وليس لي تعليق سوى الكلمات التي دارت بيننا حول «نظرية الفن المتجدد» وان الموضوع من الأهمية بحيث يحتاج الى دراسة شاملة . وما دمت قد وصلت في حديثي معه الى انه وعد بتقديم دراسة شاملة تتفرع عن هذه النظرية.. فاني أعتبر نفسي قد وصلت الى ما أريد .

أما ما يتصل بقصيدة « طوق الياسمين » لنزار قباني ، فاني أعتبر ان أداءها كان لا يمكن بغير هذه الطريقة البسيطة الهفهافة التي تتصل بطبيعة التجربة . فالبلاغة في القصيدة في نظري هي في طبيعة المواقف الصغيرة في القصيدة حين نرى ـ البنت ـ تشكره على هديته ، ثم تضحك ، ثم تذهب الى ركن لتتسرح ، وتتعطر ، بينما لا تكف عن ترديد لحن فرنسي ، ثم تقصد بعد ذلك الى دولاب الملابس، ثم تطلب منه ان يختار لها ثوب الخروج ، ويضل الشاعر في دوامة الملابس ، ولكنه يشير الى فستان اسود حزين كأيامه، وتلبسه ثم تتحلى بعقد الياسمين .. ثم يحس الشاعر أن كل هذه الزينة لم تكن له، حين يسقط منها عقد الياسمين، فينحنى من يراقصها ليأتي به فاذا به يقول :

« لا شيء يستدعي انحناءك ... ذاك طوق الياسمين ! »

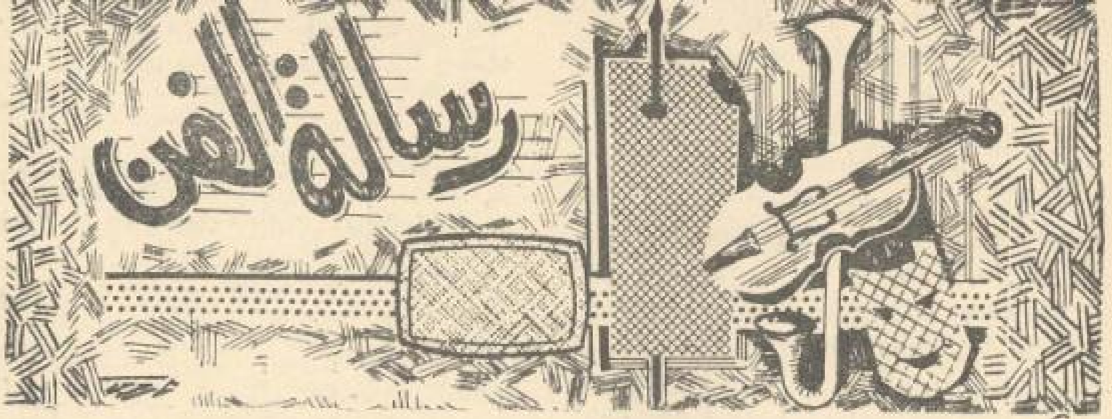
واعتقد أنه من حيث « الصوغ الفني » كان لا بد من ذكر الاشياء الصغيرة كالتسريح ، ودمدمة اللحن الفرنسي ، والدولاب ، والحف المقتصب ، والشلحة العنبية الحمراء ، ولا بد من اضفاء الخفة والهشاشة على الموقف كله بالصورة التي تحدث عنها الشاعر ، هذا رأيي مع احترامي الكامل لرأي الاستاذ عز الدين الأمين، أما القصائد التي تقرب من الموضوع والموقف والتجربة ، فيمكن أن تجدها في شعر عمر بن أبي ربيعة .

هذه كلمة صغيرة أرسلها الى الصديق عز الدين الأمين من شط النيل الحالم بالقاهرة ، لقد كتب كلمته بالخرطوم ، وسلمها بيده الى في القاهرة ، ولكن يشاء الله أن أرسل اليه هذه الكلمة على صفحات الرسالة ، ان انفاسي تشتد ، وقلبي يصرخ ، وعيناي وأيامي وقلمي تحتشد بالشوق الى عودة الى الخرطوم .. عودة تظللني باشجار النيم ، وتجعلني أهز بعض الأيدي ، وأزحزح الشمس عن جبيني ، وأحس أن النجوم في جيبي ، وأن كل ما في العالم صديق الي، وأن الحياة جديرة بأن تعاش !

عودة ولو ليوم واحد ... ولكن من يعطيني الخرطوم ؟

عبده بدوي





مراكز التدريب المسرحي
ودورها في ايجاد فن مسرحي متكامل

بقلم : حسن جمعه

تحتضن القاهرة الآن نهضة مسرحية سوف تصبح من دعامات التقدم الثوري المنطلق .

وانه مادامت هناك نهضة مسرحية ومسارح فلابد من وجود مراكز للتدريب المسرحي تقف وراء كل عمل مسرحي متكامل .

ان عملية الخلق المسرحي وهي أشق عمليات الخلق الفنية ، تحتاج الى مجهودات شاقة فى التكوين المسرحي المتكامل ، من رسم لخطة الاخراج والمؤثرات الضوئية والصوتية والحركية ، وتصميمات المناظر والملابس والأقنعة والباروكات ووسائل التخفى الدائمة والمؤقتة والمفاجئة وقطع الاكسسوار المتحركة والاسلحة وغير ذلك .

هذا بخلاف ما تحتاج اليه النصوص الدرامية المختلفة من مناظر متباينة يحتاج الكثير منها فى عهدنا هذا الى تغيير سريع ومتعدد، على أن المسرحيين الحقيقيين أمام هذه الحالة لايصح لهم أن يجابهوا أعمالهم الفنية مجابهة الارتجال التي قد تكلف المال الكثير ، ولاتعطي النتيجة المطلوبة ، لا بد لهم اذن من حقل تجريب مسرحي ، وهذا الحقل عبارة عن مركزية مجموعة من المسارح الكثيرة الصغيرة التى تجرى فيها التجارب قبل ظهور العمل الفني ويقصدها المخرجون باعمالهم الكبيرة المتعسرة ليجربوا عملهم فيها قبل أن يذهب الى الورش حيث ينفذ حرفيا بعد هذه الدراسة التى تمت بالتأكيد الفنى الذي ينير الطريق الى التنفيذ .

وهذا النوع من مراكز التدريب المسرحية منتشر فى كل من ستراسبورج وباريس وليون ونيس فى فرنسا ، وفلورنسا وميلانو فى ايطاليا ، ولهذه المراكز دخل كبير فى رقى العمل المسرحي وتعدده بشكل لافت للنظر .

وبفضل هذه المراكز التدريبية التجريبية تصبح كل النصوص التى تحتاج الى حيل مسرحية سهلة التنفيذ بفضل ماأعد لها من قواعد وما وضع لها من دراسات لتنفذ بأقل التكاليف وبخامات محلية ..

ومقومات المراكز التدريبية سهلة للغاية ، وتستطيع الهيئات التى تشرف على النشاط المسرحي لتوفيرها .

ويحتاج الامر لانشاء مركز من هذا النوع ذى ثلاث صالات :

الاولى : للنماذج المسرحية والملابس والأقنعة ،

وبهذه الصالة أربع أو خمس ماكتات للمسرح وفتحته ١٥٠ سم فقــط وكل ما كيت مزود (بالسوفية والكواليس والاقراص الدواره وكل المعــدات التى يجب توافرها فى مسرح نموذجى ولــكن بمقيــاس مصغر) وفى هذه النمــاذج تنفذ أصعب المسرحيات العــالمية والمحلية على مقيــاس مصغر ، ويحضرها المخرجون ويا حبذا لو كانت لحساب مسرحياتهم التى يجدون فيها صعوبة .

الثانية : صالة المؤثرات الضوئية وفيهــا تصمم الاضاءات المسرحية المختلفة على كادرات وخلفيــات بربع الحجم تقريبــا ، كمــا تدرس فيهــا الآلات والماكينات الخاصة بالاضــاءة المسرحية وتطويرها وتحسينها، ثم رسم الجديد منها وارساله الى الورش لتنفيذه بواسطة الفنيين حتى يستفيد منهــا المسرح ببساطة ، حتى لا تكون هناك عقبات فى المستقبل ، كما تدرس كذلك الحيل المسرحية الكثيرة التى يحلم بها المخرجون ويتوقون الى تنفيذها ، ليتكامل عملهم على خشبة المسرح .

الثالثة : صــالة التنفيــذ الطبيعى على الارض ، أو على الشاشيهات المتحركة من أســفل الى أعلى ، وهى فى الغــالب صالة كبيرة جدا ١٥ × ٢٥ مترا تقريبا ، ويتم فيها التنفيذ بوسائل الاسقاط الضوئى أو الرسم المباشر على الارض أو التكبير بواسطة النقل المنفرج أو بواسطة المربعات على الطريقة الايطالية أو بواسطة مضاعفة الابعــاد والزوايا بالقدر المطلوب ، وذلك بعد قياس الماكتات المصغرة التى درست فى صالة النماذج التى سبق ذكرها .

ولا يقف نشاط مركز التدريب المسرحى عند هذا الحد فقط بل انه يتناول المسرحيات الصعبة يدرسها الدراســة الوافية . ثم يقدمهــا كعمل مسرحى أو نموذج مسرحى متكامل قامت به أسرة هذا المركز اذ المخرج وراسم الخطوط الدرامية ، ومدير المسرحية ومصمم الديــكور ومنفذه ومصمم الملابس والاقنعة وغيرها ماهم الا مجمــوعة المنتسبين الذين يقومون بالدراسة الجماعية لاخراج العمل المسرحى فى صورته الاكاديمية التى توضع كمثال نموذجى أمام الاعمــال المسرحية الاخرى ، هذا وقد تصادف المسرحيين فى اخراج مسرحيــاتهم عقبة خشبة المسرح وصغرها أو ضيقها أو عدم ارتفاعها أو انعدام السوفيته فيهــا أو نقص أجهزة الاضاءة وأماكن وجودها ؛ وهنــا يبرز دور مركز التدريب الذى يجند من قوره الامكانيات الذكية لمسح خشبة المسرح وتخطيطها وحل مساحتها والتصرف فيها بما يناسب العرض الجديد ، وقــد يبدع أسلوبا جديدا فى التعبير والتركيب يخــالف ماهو متبع فى المسارح العادية الاخرى وبهذا يضيف أسلوبا جديدا الى أساليب التنفيذ المسرحى والحرفية المسرحية ..

واننا اذا نظرنا الى المع قادة المسرح العــالمى الآن أمثال « فيلار » وبارو » نجد أنهم قد تخرجوا فعلا فى أمثال هذه المراكز المسرحية التدريبية ، وان دورهم فى تطوير المسرح الحديث وآلاته وحرفيته ، لم تكن الا ثمرة الدراسة المستمرة فى هذه المراكز ، التى ألحقت بمسارحهم الحالية لتسهم بدورها كذلك فى تطوير خشبة المسرح ، وأجهزتها الحديثة .

وان المهرجانات المسرحية التى تقدم فى فرنســا ســنويا باسم هذه المراكز ، لمدرســة راقية تقدم الكسب الفنى للمسرح العالمى ، وتقدم الفن المسرحى المتجدد المتكامل ، وتقدم الافكار السباقة فى معالجة كل النصوص القديمة والحديثة على السواء .

واننا اذا نظرنا لنهضة مسرحنا العربى ، نجد أنه بدأ فعلا فى السير على منوال هذه المراكز ، فقد انشىء أول مركز للتــدريب المسرحى فى مسرح الحكيم ، ومهمته تخريج الفنيين الذين يعملون فى صمت وراء الاعمال المسرحية الضخمة ، وسوف نلمس نتيجة هذا المركز قريبا ، وسوف يغذى بخريجيــه كل ركن من أركان المسارح فى الجمهورية العربية المتحدة ، وسوف يخرج منه الجديد المبتكر على أســاس علمى سليم .

« حسين جمعه »

رحلة الى الأندلس

تأليف الدكتور: حسين مؤنس
نقد : محمد عبد الله السمان



خمسة اعوام اصدر **الدكتور حسين مؤنس** كتابه الأول عن الاندلس : **فجر الاندلس** من سبعمائة صفحة ، وكان دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامى واواخر القرن الاول الهجرى ، الى قيام الدولة الأموية اوائل القرن الثامن الميلادى ، وها هو ذا يقدم كتابه الثانى « **رحلة الى الاندلس** » فى أكثر من اربعمائة صفحة ، وقد اطلق على هذه الرحلة : «**حديث الفردوس الموعود**» ـ «**لا المفقود**» فحيثما حللنا فى اوطان العرب وجدنا الاندلس على كل لسان ، عندهم جميعا ـ أى العرب ـ بلد عربى ، قائم باهله ومدائنه وعلمائه وشعرائه ومجده الذى كان .. فكيف يكون مفقودا وله كل هذا الوجود ؟ انه موعود لا مفقود ، موعود عند من يعلمون ان الماضى لا يموت الا بالنسبة الى الاموات ، وموعود عند كل من يدركون ان التاريخ لا يعرف الامس او اليوم او الغد ، وانما هو نهر الحياة يمضى الى الأجل المضروب الذى قدره علام الغيوب ، وموعود عند كل من يؤمنون باصالة هذه الحضارة العربية الزاهرة التى عبرت القفار والبحار وثبتت اقدامها بين فكى الأسد ، وبنت صرحها فاعات والعدو لها بالمرصاد .. !

بهذه الفكرة ارادنا الدكتور حسين مؤنس مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد أن نصحبه فى رحلته الممتعة ، ولا علينا ممن يحسبون ان الحسرات فلسفة ، والعبرات حكمة ، وتذكر الآلام تكفير وتطهير ، فالرجال لا يبكون ولا يتوجعون ، انهم يتاملون ويعتبرون .. !

ولئن كان المؤلف فى كتابه الاول «فجر الأندلس» مؤرخا يؤرخ للعرب والمسلمين فى الأندلس ، ويوف هذه الفترة الطويلة حقها من التحقيقات التاريخية ، والدقة فى تحليل الأحداث الجسام التى تخللتها ، لدفع شبهات عن الأمجاد التى صنعها أجدادنا فى بلاد الأندلس ، والحضارة التى اشرقت على أوربا باسرها ، فهو فى كتابه الاخير «رحلة الى الأندلس» أديب فنان يبعث فى ذكريات التاريخ الحياة من جديد ، ويستنطق الأطلال والديار لتحكى للتاريخ قصة الخلود .

لقد جعل المؤلف من كتابه او من رحلته رواية طويلة ذات فصول عديدة ، بداها بوصف رائع للطريق الى الأندلس ، والطريق الى الأندلس عنده طويل فى حكم الزمان ، لان بيننا وبين عصره الأخير ما يزيد على خمسة قرون ، وبيننا وبين عصره الزاهر نحو عشرة قرون ، وطويل فى حكم المكان ، لان الأندلس قابع هناك خلف بحار وجبال ووديان..

ويواصل حديثه عن المكان والزمان ، فيحدد المراد بالأندلس ، فلفظ الاندلس يطلق اليوم على الجزء الجنوبى من اسبانيا ، وهو يضم سبع مديريات هى : قرطبة ، وأشبيلية ، وقادش ، وديان ، وغرناطة ، ومالقة ، ثم ولبة ، اما العرب فكانوا يطلقون لفظ الأندلس على ما شمله سلطانهم من شبه الجزيرة فى فتوحاتهم الاسلامية الكبرى التى قام بها ثلاثة من ابطالهم ، هم : طارق بن زياد ، وموسى ابن نصير ، ثم ابنه عبد العزيز بن موسى ، وذلك منذ وثبة الفتح الأول فى أوائل القرن الثامن الميلادى..

ويقف بنا المؤلف وقفات طويلة فى قرطبة التى انبتت ابا الوليد ابن رشد أعظم فلاسفة القرون الوسطى على الاطلاق ، رجلا مد يمينه فصافح ارسطو ، ومد شماله فصافح ديكارت ورينان ، وانبتت ابا بكر ابن طفيل صاحب اروع قصة فلسفية كتبها انسان ، وانبتت ابا القاسم الزهروای اعظم جراح ظهر فى الوجود حتى العصر الحديث ، وابرزت بمسجدها الجامع اضخم عمل معمارى قام به العرب فى الشرق او الغرب على السواء ، وبشهد بانهم كانوا أعظم مهندسى الدنيا ، كما يقف بنا المؤلف فى اشبيلية الأرملة الطروب ، التى كانت ايام العرب مدينة الفن والموسيقى والرقص والغناء، والتى استقبلت ماسانها الكبرى حين استبد بها - بعد سقوط الخلافة - بنو عباد ، طراز عجيب من الناس ، باليد اليمنى كتبوا ارق الشعر واعذبه وباليد اليسرى اقترفوا اشنع الجنايات وابشعها، وكما يقف بنا المؤلف فى غرناطة التى كانت المعقل الاخير للمسلمين ، ولم تستسلم فى يناير عام ١٤٩٢ م لتنتهى قصة الأندلس الا بعد أن دافعت دفاعا رهيبا ، واستشهد فى ميدان الشرف من اهلها الوف بعد الوف .

ويدفع المؤلف الشبهة القائلة بان الحضارة افسدت طباع اهل الاندلس ، بان عنصر الرجولة فى العرب سليم صاف لا يؤثر فيه ترف ، فقبل ان تسقط غرناطة بايام كان رجالنا فى الميدان يحاربون، كانوا يناضلون وملوكهم يفاوضون للتسليم ، لم يكسب مغلوب احترام الغالب كما كسب الاندلسى احترام الاسبانى ، وضياع الاندلس انما علته الكبرى الاختلاف والحسد والحقد بين الرؤساء .

ولا يتركنا المؤلف دون أن يعرج بنا على الجناح الكبير : شرقى الاندلس أو شرقى اسبانيا ، هذا الساحل الطويل الذى يطل به شبه الجزيرة على المغرب والبحر الابيض المتوسط ، وهو دون شك أحفل نواحى شبه الجزيرة بعد الجنوب بالتاريخ وعبر التاريخ ،حيث كانت مدنه مجالات عاش فيها أجدادنا قرونا بعد قرون ، وأشرقت على العالم بنور العلم جيلا بعد جيل ، ومسارح لأهل الشعر والنثر ورثنا عن أهلها دواوين بعد دواوين . وكذلك عرج بنا المؤلف على مدريد وما حولها ، وطليطلة وقصرها الشهير ، وضاحية الاسكوريال وديرها الطائر الصيت بمكتبته التى تضم زهاء الفى مخطوط عربى فى علوم القرآن والفقه والحديث والادب والتاريخ ، بالاضافة الى الفى مخطوط عربى فى الفلسفة والطب والرياضيات والجغرافيا ، امتد الى هذه المخطوطات احد الحرائق .

ويأتى المؤلف على نهاية رحلته ، فيجعل البرتغال خاتمة المطاف ، والبرتغال أصغر بلاد اوربا ، ولكن أهلها من أعنف الاوربيين وأشدهم ضراوة وقدرة على ركوب البحر ، وقد يحسب الانسان ان البرتغال لم تكن اسلامية بالقدر الذى كانت به اسبانيا ، وذلك بسبب قلة الآثار المعمارية التى نجدها هناك ، والمعروف ان المسلمين ثبتوا فى جنوب البرتغال حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، ولكن البرتغاليين - بعنفهم المعروف - كانوا لا يستولون على بلد الا محوا آثار المسلمين منه محوا .

هكذا استطاع الدكتور حسين مؤنس فى رحلته الى الاندلس ، ان يشدنا اليها شدا ، ويجعلنا نعيش مع ذكريات عزيزة على كل عربى ومسلم،كان روائيا أصيلا وهو يسرد الاحداث ، ومخرجا عبقريا وهو يحرك الاشخاص على المسرح ، ولغويا عميقا يناقش الالفاظ ومدلولاتها ، وما أصابها من تحريف،وشاعرا ملهما يستثير الاطلال حتى يخرجها من صمتها ووقارها ..

وربما كانت الصورة الادبية المشرقة التى أرادها المؤلف لرحلته عاملا أساسيا فى أن يغلب طابع الوصف على طابع التحقيق التاريخى ، وفن الاثارة على فن البحث العلمى ، فقد أجلى لنا ماساة الاندلس، ولكن لم يتعمق بنا الى جذور هذه المأساة لنقف على العوامل الاساسية التى صنعتها فى كل مرحلة من مراحل تاريخ الاسلام فى الاندلس ، كثير من الصور أضاءها من جانب واهملها من جانبها الآخر ، فمثلا استطاع أن يستثير آلامنا بما فعلته الحروب الصليبية السافرة فى الاندلس بالعرب والمسلمين وتراثهم وحضارتهم من مسخ وتشويه ، وكيف لم يدعوا مسجدا دون أن يحولوه الى كنيسة ، وكان الاجدر به أن يعرض صفحة المسلمين فى فتحهم الاندلس، وكيف عاملوا المغلوبين معاملة انسانية ووفوا لهم عهودهم، وكيف حافظوا على المؤسسات المسيحية ذات الطابع الدينى دون أن يمسوها بأذى كالأديرة وغيرها ، فهو مثلا أشاد بالادباء والفقهاء والفلاسفة بما أنتجوه من فكر انسانى، ولكنه لم يدلنا على أماكنهم والمحنة تمتد ألسنتها الى الفردوس الاسلامى ، والملوك والامراء المسلمون يناضل بعضهم بعضا ، ويستعين البعض على

الآخر بالحكام الصليبيين من أجل المحافظة على الملك أو الامارة ، صحيح انه دلنا على بعض الادباء ، ولكن وهو يبكي الاطلال ويثير الاشجان ، وبعد أن وقعت الواقعة ، أما علماء الدين وفقهاء المسلمين هناك خلال المحنة على مر عصور الحكم الاسلامي ، فلم يجعلنا المؤلف نحس باى دور يذكر لهم .

وبعد : فرحلة الدكتور حسين مؤنس الى الاندلس قطعة من النثر الأدبى المشرق ، جاءت فى صورة ملحمة غير شعرية ان جاز اطلاق الملحمة على غير الشعر ، هذه الملحمة صورت تصويرا بارعا مأساة الاسلام فى الاندلس ، غير أن مكان الاعتبار من هذه المأساة تركه المؤلف لفطنة القارىء ، وهو ان علة أية مأساة أصابت المسلمين من قبل لم تكن سوى الفرقة والتناحر والحرص على المطامع ، وأهم من هذه كلها ضعف المسلمين عن أن يقوموا طغيان الحكم ، وانحراف الحكام ..

محمد عبد الله السمان

حول العالم فى ٢٠٠ يوم

تأليف : أنيس منصور
نقد : علاء الدين وحيد

من الظواهر التى يفتقدها قارىء اليوم فى مجلاتنا الثقافية وكانت منتشرة فى مثيلاتها فى الجيل السابق ، الاهتمام بأدب الرحلات . ولعل مرد ذلك يرجع الى ان الحديث عن العالم الخارجى كان جد قليل فى الصحافة عامة ؛ بينما تغير الوضع الآن ، واصبحت الكتابة عن البلدان الاجنبية تحتل مكانا دائما بارزا فى صحفنا . وفى تناول كتاب مثل (حول العالم فى ٢٠٠ يوم) لأنيس منصور ، الذى فاز به بجائزة الدولة التشجيعية لعام ١٩٦٤ ، مناسبة طيبة لرد اعتبار أدب الرحلات فى المجلة الأدبية . هذا الأدب الذى خذله معظم أصحابه ، ولم يبق وفيا له الا القاصان الكبيران محمود تيمور ومحمود البدوى ، وخاصة الاخير الذى تلون الكثير من قصصه بالعالم وراء البحار !
ومن الطريف أن هذه الرحلة التى اخذت من صاحبها سبعة أشهر تطواقا ، واخذت من المتلقى حوالى سبع مائة صفحة من القطع الكبير قراءة . وزار فيها أنيس منصور : الهند وسيلان وسنغافورة وأندونيسيا واستراليا والفلبين وهونج كونج واليابان ثم أمريكا ـ كدنا نقول .. وأوربا ، كما أوهمنا المؤلف فى مقدمتيه والناشر على الغلاف الأخير للكتاب ، لولا أن النص نفسه ينفى هذا الوهم ! ـ لم يكن مقدرا لها فى بدايتها الا شبه القارة الهندية بل جانب صغير فيها هو ولاية كيرالا حيث فاز فيها الحزب الشيوعى بحكومة شيوعية ١٠٠٪ ! وكان التحقيق الصحفى الذى كتبه أنيس منصور عنها ، باعثا على طلب المزيد من الموضوعات الممتازة والدوران حول العالم !

يكتب المؤلف فى المقدمة : « والمسافر كما يقول المثل الانجليزى .. يجب أن يكون له عينا صقر ليرى كل شىء ، وان تكون له أذنا حمار ليسمع كل شىء ، وأن يكون له فم خنزير لياكل أى شىء ، وأن يكون له ظهر جمل ليتحمل أى شىء ، وان تكون له ساقا معزة لا تتعبان من المشى .. وان يكون له ـ وهذا هو الأهم ـ حقيبتان : احداهما امتلأت بالمال والثانية امتلأت بالصبر ! وقد حفظت هذا المثل جيدا .. وان كنت قد نسيت كثيرا ما الذى افعله كالصقر ، وما الذى أفعله كالحمار .. ولكن لم انس ان أكون جملا وان أصبر .. فالله مع الصابرين » !

واذا كان من المستحيل أن نعرض ـ فى حيز ضئيل ـ لمعظم الأشياء التى تتناولها رحلة من الرحلات ، تقع كل ساعة على جديد . فان المحاولة مع مثل هذا الكتاب الضخم تجعل المحاولة اكثر صعوبة ومع ذلك فلا بد من المثابرة ..!

من الموضوعات التى عنى بها كاتبنا عناية زائدة ، أهمية قارة آسيا ، وخاصة فى هذه الايام التى تحررت أرضها من استعمار الرجل الأبيض . انه يؤمن ان آسيا هى الوجه الجديد للدنيا فى الغد القريب . فنحن لذلك يجب أن نلتفت اليها أضعاف ما نفعل . ويأخذ على وزارة خارجيتنا انها تنظر الى هذه القارة كمنفى للموظفين ومكان لا يستأهل الاهتمام كاوربا . وما أكثر ما صاح أنيس منصور فى هذه الوزارة « الى الشرق قليلا ، وفى كثير من الواقعية .. الخطر هنا . المستقبل . الزحف . الحياة ؛ كله هنا فى آسيا » . (ص ٢٤٦)

وتحدث مؤلفنا في موضعين متفرقين عن احمد عرابي في منفاه في سيلان ، فرسم لزعيم الثورة ، لقطات سريعة عن حياته في أثناء العشرين عاما التي قضاها هناك • محاولا أن يلقى أضواء جديدة على هذه الاعوام المجهولة في حياة الزعيم المصري ، فيترجم أنيس منصور نص ما كتبته جريدة الاوبزرفر الانجليزية الاستعمارية التي تصدر في سيلان بتاريخ ١١ يناير ١٨٨٣ — كوثيقة تاريخية — عن نزول عرابي الجزيرة واستقبال الاهالي له وخاصة المسلمين • ويتحدث الكاتب في الفصل الآخر عن نشاط عرابي في الجزيرة ودعوته الى تعليم اللغة الانجليزية وانشاء مدرسة للتفقه في الدين لا زالت تؤدي رسالتها حتى اليوم ، وكذلك بعض نواحي حياته الخاصة •

ومن المعروف عن رئيس تحرير مجلة **(هي)** اهتمامه القديم بقضايا المرأة • فهو يرى ان المرأة مقياس لحضارة أي مجتمع ، وهي التي تدل أيضا على عقلية الرجل ومدى ثقافته وتقدمه أو تأخره • وهذا الجانب تناوله المؤلف بصورة تكاد تكون متكاملة في هذا الكتاب • فهو مثلا يتحدث عن الفتاة الاندونيسية المسلمة التي تتمتع بحرية كبيرة ، ونجحت تجربة اختلاطها بلا جرائم خلقية • ويعجب كثيرا بالمرأة اليابانية التي يراها النموذج المثالي للمرأة في العالم كله •• أما الامريكية فهي على العكس من ذلك لا تهتم بالرجل • فاذا كانت الشرقية تمشي وراءه والأوربية بجواره فبنت العالم الجديد تسير أمامه ! ولا ينسى أنيس منصور بالطبع بنت بلده ، فيهاجمها بشدة — كتب هذا الكلام طبعا قبل أن يقع ويتزوج ! — ويأخذ عليها انها لا تعترف بأنوثتها الا قبل الزواج ، أما بعده فقد انتهى الامر وحصلت على رجل !

ويحدد القارىء العادي شهرة **أنيس منصور** بثلاثة اشياء أحدثت دويا كبيرا هي ، الوجودية ، والهولاهوب ، وتحضير الأرواح بالسلة ! وقد اهتم صاحبنا بالموضوع الأخير في (حول العالم في ٢٠٠ يوم) اهتماما عظيما ، فأفرد له ثلاثين صفحة كاملة! ولا عجب فان تحضير الأرواح بالسلة احدى نتاج هذه الرحلة ، عرفه مؤلفنا في اندونيسيا عندما سافر اليها • وهو يعرض للتجربة ويؤكد حقيقتها بما أجراه من «اتصالات » بوالده وأصدقائه مثل سلامة موسى وصلاح ذهني وروز اليوسف ، ورغم ان أنيس منصور لا ينكر هذه الظاهرة الغريبة ، الا انه لا يجد لها تعليلا مقنعا ، ويعقب « ان حركتها — أي السلة — تضايقني وتجعلني أشعر بشيء من القرف هو خلاصة الخوف والدهشة والاحتقار لها ولنفسي اذا صدقت شيئا من هذا » (ص ٢٢١) •



كان المفهوم القديم في أدب الرحلات ، يكاد ينحصر في تجميع أكبر كمية من الغرائب والأعاجيب ، يحاول السائح الكاتب أن يبهرنا بها • وينبهر القارىء فعلا ، ولكن وهو يدرك أن هذا قد تم على حساب الشعب نفسه صاحب هذه الغرائب والأعاجيب ، اذ رسمته في صورة الشذاذ الذين لا يكادون ينتمون الى عالم البشر العاقل الذي نحن منه !

لقد تغير الوضع الآن واصبحت هذه النوادر تجيء على هامش تناول الشعب ذاته ، معللة مفسرة من وجهة نظر غير ضيقة لا تلتمس العيوب أو تنكر طبائع الشعوب ، بل متعاطفة معها محبة لها ، كما فعل أنيس منصور في (حول العالم في ٢٠٠ يوم) ونكتفي بمثال واحد من مئات النماذج التي يمتليء بها الكتاب • انه يعرض في حديثه عن الهند ، للأفاعي وحب الهنود لها حبا مكينا • ولكنه لا يقف بنا عند الخبر التقريري الذي قرأناه في كتب أخرى عشرات المرات من قبل ، بل يحلل ويفسر •• ان الفئران الكثيرة في الهند تلتهم محصول الأرز والقمح ، الغذاء الرئيسي للشعب ، وفقدانه يعرض البلد المجاعة . والافاعي تطارد الفئران وتأكلها، انالناس يختارون ما هو أقل ضررا •• اختاروا الثعبان لأنه اهون من انتشار الفئران وضياع المحصول • ولا يكتفي مؤلفنا في تحليله بهذا القدر بل يستخلص نتائجه العامة أيضا التي تنتهي به الى « انني رأيت الأصل في كل شيء هو مدى ضرورته للانسان فاذا كان الشيء ضروريا ، جاء الدين ووضع عليه تاج القداسة » (ص ٢٦٦) •

وشيء آخر قريب من هذا يمكن أن نستشف خطوطه من خلال صفحات الكتاب ، وهو نتاج الظاهرة التي تسيطر على المسافر الذي يغادر وطنه الى بلاد أجنبية • انه دائم المقارنة بين هذا الوطن وهذه البلاد • وحينما تتحول هذه المقارنة الى عرض على قارىء ، فانها تصحح الكثير من الأوضاع التي

أخذت صورة نهائية في أذهان السواد الاعظم من الناس . كما فعل صاحب (حول العالم في ٢٠٠ يوم) وهو يتحدث عما يعتقده الكثير منا ، من اننا أكثر ـ أو على الأقل من أكثر ـ شعوب العالم حبا للغناء . فيقارن بيننا وبين الأندونسيين ، واذا بالمقارنة ليست في صالحنا . ويكفي انهم يعدون الغناء والرقص من أهم ألوان الثقافة العميقة . ولذلك لابد ان يضم كل وفد ثقافي اندونيسي أكثر من نصفه من الراقصات والموسيقيين ! ولا عجب في ذلك فالطفل يتمرن على الرقص والغناء وهو في الثالثة من عمره . ويذكر لنا انيس منصور بضع رقصات شاهدها مثل : اللاجونج، الدلاي، البارونج والحوريات الاربع . وعن الأخيرة يؤكد مؤلفنا انها اروع من (بحيرة البجع) المذهلة ! رغم ان الذين يقومون بها رقصا وغناء من القرويين الأميين الحفاة !



وانيس منصور لا يرتبط أساسا بذكر الأشياء النادرة ، بل يلتفت الى الواقع المعاش .. الحياة الشعبية العادية الخصبة التي يتنفسها الناس في بلادهم . وهذا احد الفروق بين كاتب الرحلة في القديم والحديث . ولهذا جعلنا مؤلفنا نحيا في الشعوب التي عرض لها ، وفي الوقت نفسه استكمل ـ بطريقة ضمنية ـ عنصر الادهاش الذي لا بد وأن يستولي على السائح الذي يشاهد بلادا جديدة لها أوضاعها الخاصة التي تختلف مع غيرها . لذلك اتسمت مواقفه في معظم الأحيان بالنسبة للأشياء التي يتعرض لها بالواقعية والحلول ـ التي لا يقف أمام مشاكلها متفرجا ـ بالواقعية ايضا ..

ونذكر له في هذا الموضع رايه في عربة الريكشا، وهي احيانا وسيلة المواصلات الوحيدة في الطرق الجبلية الهندية . والريكشا هي العربة التي يجرها رجلان ويدفعها الى الامام ثلاثة آخرون فتنطلق براكبها . فكاتبنا لا يتمسك بالحلول الخيالية او التهاويم الرومانسية ازاء ما يمكن أن يستشعره الراكب من ضيق وهو يستخدم الانسان بدلا من الحيوان . «قد يرق حالك لهم وتترك الريكشا وتعدل عن الركوب . ولكن لو فعل كل انسان مثلك لماتوا من الجوع ، فأيهما اهون أن تركب معهم وتدفع لهم ، أو تدفع لهم دون أن تركب . اذا فعلت هذا فلن يفعله كثيرون غيرك . فاركب معهم » (ص ٢٧)

تعكس صفحات **(حول العالم في ٢٠٠ يوم)** قول انيس منصور « لقد كان العالم كتابا كبيرا عريضا طويلا غنيا بالفاظه ومعانيه.. كنت أقرأ بعقلي وقلبي ، وأقلب الصفحات بيدي ورجلي . » والسبب الأول انه يعيش التجربة ، انه لا يتحدث من خارجها بل يحاول أن يشارك فيها ما امكنه . ولذلك فهو يرتدي مثلا (الدوتي) ـ وهو عبارة عن فوطة تلتف حول الوسط وليس فوقها الا قميص ـ كما يفعل أبناء الهند وسيلان ، ويسير بهذا اللباس في المطر بلاجورب او حذاء، ويدفع الثمن لذلك انفلونزا حادة! (ص ١٤٩) . وفي أول ليلة له في طوكيو يطلب الطعام الياباني ويتناوله بشراهة ، تضطره الى أن يلزم الفراش أسبوعا كاملا في حالة مغص دائم وغثيان ! (ص ٤٤٠) .

وأسلوب أنيس منصور شيق ممتع ، لا تجد نظيره كثيرا عند اساتذة الفلسفة الذين يكتبون في الصحف. فهو يستعمل الاسلوب التلغرافي ولكنه في استعماله لا يهبط به الى أن يكون جافا أو عاميا أو مبتذلا . وهو كصحفي يعرف كيف يستهوي الجماهير ويستحوذ على انتباهها بالأشياء التي تهتم بها وتبحث عنها .

وأحد عيوب هذا الكتاب الذي يواجهنا منذ الفصول الأولى : **التكرار** . ولا أعني أن أنيس منصور ينظر الى الاشياء في مختلف البلدان بنفس النظرة بل انه يكرر الحديث نفسه أكثر من مرة . ولقد اعترف كاتبنا بهذا القصور في مقدمته التي حاول بها أن يستلب كلمات النقد بتصنعه الاشارة الى ما في كتابه من ضعف ، متمثلا هنا بالمطرب الذي يعيد ويزيد !

ولكن بعيدا عن سلاسة أسلوب صاحبنا وخفة دمه ، نجد أن التكرار يمثل ظاهرة الاستهتار بكل عبثها ، والاستهانة بالقارىء رغم كل تبرير ساذج . فانيس منصور لم يحاول أن يراجع مؤلفه قبل نشره ويسقط منه ما تكرر بصورة تبلغ حد السأم أحيانا . لقد تكلف المتلقي في هذا الشأن وهو يطالع هذه الرحلة حين نشرت في الصحف لأول مرة ، بما تضطر اليه الصحافة من سرعة . ولكن كيف يغفل ـ أي القارىء ـ ثانية وقد جمعها المؤلف

فى كتاب ؟ وليت الأمر اقتصر على بضع فقرات أو صفحات لهان الأمر ، بل شمل أحيانا الفصـــول الكاملة كما فى الفصلين الافتتاحيين (غريب فى دنيا غريبة) و (أتمنى أن أعود) مثلا !

والى عدم الغربلة أو مراجعة الكتاب قبل دفعه إلى المطبعة ، تعود أيضا أشياء غير قليلة لا صلة لهـا بموضوع الرحلة ، الا اذا تصنعنا هذه الصلة تصنعا وتعللنا بانه مهما اختلفت الموضوعات فصاحبهـا واحد ! كما فى كلمات (أراكم بخير ، زوج الاثنين) ص ١٧ - ٢١ ، التى يتحدث فيها أنيس منصور عن جيرانه من العامة فى القاهرة • وفى الســطر الأخير يذكر انه لن يسمع الجديد من أصوات جيرانه لأنه على أهبة السـفر • وفى ذكر « السفر » ظن المؤلف أنه وجد التعلة لاقحام هذه الاسطر الكثيرة بين صفحات كتابه !

ويبدو هذا الاهمال فى مراجعة **(حول العالم فى ٢٠٠ يوم)** فى أقبح صورة ، والمؤلف لا يجمع مـا كتبه فى موضوع واحد فى اتصال سياق واحد • بل يترك حديثه يتطوح به يمينا ويســارا فى منعرجات بعيدة ، ثم يعـــود الى ما أراد تناوله فى البداية ، ثانية ! وبذلك افسد على القارىء الكثير من الموضوعات الحيوية • مثل : الشـــاى ، وعرابى فى المنفى •• الخ •

والى هذا العيب نفسه يرجع شىء آخر مثل بعض ما تجده فى الكتـاب من تناقض ! كأول من عرف الشاى فى العالم ، فهى مرة اليابان (ص ١٣٢) ، ومرة الصين (ص ١٤٣) ! وكتعداد مدينة طوكيو فهو مرة خمســة عشر مليونا ومرة أخرى ثمانية ملايين (ص ٤٩٤) !

ويخيل الى ان القارىء الذى كان يتابع الصحف التى كانت تنشر كتابات أنيس منصور عن رحلته هذه ، كان أكثر احاطة بهذه الرحلة منه عند جمعها فى كتاب • رغم ان العكس كان يجب أن يكون هو الأصح كما هو معروف ! والسبب ان المؤلف لم يربط مقالاته بعضها بالبعض الآخر ، وأكثر من هذا لم يرتبها ترتيبا يتفق مع خطوات رحلته نفسها ، وهو ما عرضها للاضطراب !

ويرسم أنيس منصور صورة لليابانى • انه ذكى ولكنه يصرف ذكاءه فى التقليد وليس فى الاختراع ! « ان اليابان هى المثـــل الاعلى للدولة التى تقف على قدميها وتضع هذين القدمين فوق أكتاف الآخرين • والمثل يقول : ان القزم من الممكن أن يرى أكثر من العملاق اذا وقف على كتفيه » (ص٤٤٣) ولا نظن ان الصورة التى يعطيها لنا المؤلف بهـــذا الشكل عن أبناء الشمس المشرقة دقيقة كل الدقة .

فلا يمكن أن تبنى دولة عملاقة نفسها بهذه القـوة التى نعرفها ، على أساس منهار متفسخ من الاقتباس الدائم والتقليد المستمر ! فهناك فرق كبير بين قولنا ان اليابانيين يبنون حياتهم على مجرد التقليد المتقن، وبين أن نقول انهم يســـتفيدون كغيرهم من الأمم بابتكارات العصر الحديث ، الذى يرفض مبدأ احتكار امة لنتاج علم أو فن • وقد دفعـه هذا التفسـير المهزوز فى النهاية ، الى أن يدافع عن مبادىء السرقة والتقليد والاقتباس• وان يسخر من الذين يهاجمونها فى بلادنا فى مجال الألحان الموســـيقية أو الأفكار المسرحية - اتهم أنيس منصور فى مسرحيته اليتيمة التى الفهـا (حلمك يا شيخ علام) بنفس الاتهام عن أصل فرنسى !

ان بلورة أعماق شعب من الشعوب ليست بالعمل الهين الذى يستطيعه الزائر الاجنبى الذى يقضى بين ربوعه القليل من الاشهر أو الأسابيع • ولكن اذا حاصرت الصحفى السائح هذه الأشهر والأسابيع فلا مفر من أن يتجاوز القارىء عن الكثير من الموازين حتى لا يغمط للكاتب حقا • ولكن هذا لا يعنى بالطبع أن تكون الأيام القليلة جواز مرور الى الكتابة عن عوالم جديدة نريد أن نصل الى اغوارها . والا عد هذا مجرد ثرثرة والسلام ، كما فعل أنيس منصور فى بعض أجزاء رحلته هذه وخاصة وهو يزور امريكا• ففى هذا الجانب من سياحته يتناول الاشياء فى معظم الأحيان بسطحية واضحة ، كما صنع وهو يتحدث عن خشونة المرأة الامريكية التى تنقصها رقة الأنوثة (ص ٥٩٦) !

على تعـدد الجوانب الكثيـرة التى تناولها أنيس منصـور فى رحلتـه • فانه لم يهتم بالحـديث عـن الفكر والثقافة والجانب الادبى ! لقد تجاهل هـذا الحديث تماما وكأنه من المحرمات ، أو مما لا يدخل فى منهج أدب الرحـلات ، أو مما لا يليق بأديب صحفى سائح أن يذكره !

نعم ان بعض الصفحات تذكر أحيانا أســماء مؤلفـات أو أدباء من الشرق والغرب • مثـل على

محمود طه ونزار قباني وعبد الحميد جودة السحار وتنسى وليامز وتولستوى . ولكن لا دلالة لاسماء هذه الكتب أو الكتاب ، لأنها تجىء على هامش الهامش ، كمئات غيرها من اسماء مجهولة ! ويكفى أن نتمثل بما كتبه صاحب (حول العالم فى ٢٠٠ يوم) عن جون رسكن . انه لم يات له بذكر (ص ٥٦٤) ، الا لأن الوارث الوحيد لثروة ملك اللؤلؤ ميكوموتو اليابانى يهتم بهذا الأديب الانجليزى ويجمع كل مخطوطاته !

ومن الطريف ان يقف صاحبنا هذا الموقف ، بينما هو يهتم بالسينما بالذات ! ووجه الطرافة هو ان هذا يحدث من واحد كانيس منصور ، الذى كتب عن نفسه اكثر من مرة ، انه لم يدخل دارا سينمائية فى حياته ، الا بعد أن تخرج من الجامعة! فهو يتحدث عن أفلام شاهدها فى اليابان وأخرى فى هوليود مثلا . وبالذات افلام مثل ابن هور ، سليمان وملكة سبأ ، مذكرات آن فرانك) وكلها تزيف التاريخ داعية لاسرائيل !

ويقول انيس منصور فى المقدمة ، انه حذف عشرات من الفصول السياسية لدرجة ان القارىء سيجد فصلا واحدا فقط عن دولة اقام بها اسابيع! وربما شكر بعض القراء المؤلف على ذلك ولامه البعض الأخر . ولكنى لا اظن أن الفريقين يوافقونه على الاسلوب الذى اتبعه فى ذلك . فعندما كتب مثلا عن زيارته للدالاى لاما زعيم التبت الروحى ، وذكر عشرات الاشياء عن هذه الزيارة ، لم يحاول ان يذكر الأهم من هذا كله .. من هو الدالاى لاما ؟! وما هى الاوضاع التى صاحبت فراره الى الهند . الى آخر هذه النواحى السياسية الضرورية !

وبمناسبة الحديث عن السياسة نذكر للمؤلف كراهيته الشديدة للشيوعية ، فان روح هذا العداء تسرى من اول الكتاب الى آخره . فهو كما لا يخفى ارتياحه لاسقاط نهرو لحكومة كيرالا الشيوعية (ص ٤٤) ، يتفق مع الامريكيين فى بغضهم للشيوعية وخوفهم من أن تضيع حرية الانسان ، وكل ما أقامه بنشاطه المتحرر ، عندما تقع فى ايدى « الكالى الحاقدون الفاشلون الذين يحلمون باليوم الموعود عندما تسود الشيوعية العالم كله ! (ص ٥٩٧) .

« علاء الدين وحيد »

كتب جديدة

يقدمه : تحسين عبد الحى

شاعرات عربيات

تاليف روحية القلينى

يشتمل الكتاب على دراسة رائعة للشاعرات . عائشة التيمورية ، وملك حفنى ناصف (باحثة البادية) ورابعة العدوية (الشاعرة المتصوفة) ـ والخنساء . دون التقيد بالزمن التاريخى أو البيئة او المذهب الفنى ..

وتقول المؤلفة : لقد كانت ملك تعتبر عائشة استاذة لها ورائدة والاثنتان يغلب عليهما النظم والنزعة التعليمية التوجيهية ، وربما يرجع ذلك لانهما كانتا تميلان معا الى الاصلاح فاستغلتا الموهبة الشعرية فى هذه الناحية .

أما الخنساء ورابعة العدوية فالاولى كان جل شعرها فى الرثاء ، والثانية كل شعرها فى التصوف والخنساء مخضرمة عاشت فى الجاهلية وادركت الاسلام ، ورابعة جاءت بعد ظهور الاسلام .

وقد القت المؤلفة ضوءا على حياة كل واحدة ورأيها الخاص فى شعرها ، وذلك فى كلمات موجزة مبسطة فاعطت بحق صورة سريعة لكل من يهمه أن يعرف شيئا عن شاعراتنا العربيات دون أن يرجع للمراجع المطولة .

ويقع الكتاب فى ٨٤ صفحة من القطع الكبير وتنشره الدار القومية .

أبو زكريا الفراء

ومذهبه فى النحو واللغة

تاليف : الدكتور أحمد مكى الأنصارى

يعطى الكتاب صورة واضحة المعالم عن حياة الفراء ـ وتحقيق مفصل لطائفة من آثاره العلمية . وقد كان من المعروف الى الآن بين مؤرخى النحو وعلمائه أن الفراء لا يزيد على أن يكون من زعماء

المدرسة الكوفية ـ ولكن المؤلف يبين من ناحية أن الفراء يعد الزعيم الاكبر للمدرسة الكوفية كما كشف من ناحية أخرى عن أنه هو المؤسس الاول للمدرسة البغدادية • وتحدث المؤلف عن جميع آثار الفراء الموجود منها والمفقود ثم أردف ذلك بحديث ضاف عن منهج الفراء فى التاليف • ويبين كذلك مذهبه النحوى واللغوى • وقد ذيل الكتاب بمجموعة حافلة من الفهارس الموضوعية والتحليلية وغيرها من الفهارس ، العديدة • ويقع الكتاب فى ٦٥٤ صفحة من القطع الكبير وقد نال به المؤلف درجة الدكتوراه من كلية الآداب فى جامعة القاهرة ـ وطبعه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ونشرته دار المعارف •

« التاميم »
تاليف أ.هـ. هانس
تعريب وتعليق محمود فتحى عمر
مراجعة حمدى حافظ

يحتوى الكتاب على كل مايتعلق بتجربة التاميم فى انجلترا سواء من ناحية حوافزه او انواعه او ادارته او تمويله .. ويناقش الكتاب كذلك الكثير من الموضوعات المتعلقة بالمؤسسات العامة وهى الاداة التى ينفذ بها التاميم ، ويتناول عدة موضوعات مختلفة فيقول عن الكفاية الانتاجية «ان قياسها ليس وحده هو قياس كمية الناتج المصنوع فى وقت معين وانما ايضا تحديد التكلفة الكلية للصناعة . ويبين الكتاب معنى اللامركزية كمايبين الاوضاع التى تنشأ عن الفهم الخاطىء لها.

ويقع الكتاب فى ٢٩٤ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية فى سلسلة «اخترنا لك» .

اتحاد روديسيا ونياسالاند
قيامه وانهياره
تاليف : شوقى الخشاب
تقديم : دكتور عز الدين فريد

يقدم الكتاب صورة كاملة للاسس الجغرافية لتطور السيطرة الاوربية على ذلك الجزء من القارة الافريقية ابتداء من عام ١٨٩٠ حين قدمت الطلائع الاولى للاوربيين من ساسة ومبشرين وتجار ومغامرين حتى عام ١٩٥٣ ـ وهو العام الذى شهد اعلان تشكيل الاتحاد الفدرالى فى صورته الحالية وينقسم الكتاب الى ثلاثة أبواب رئيسية ـ ويتضمن الباب الاول فيها عرضا موجزا للاحوال الطبيعية والاثنوجرافية للمنطقة اما الباب الثانى فقد عالج أوجه النشاط الاوربى ـ كعامل جغرافى ـ فى صوره المختلفة وقد وجه المؤلف عناية خاصة للظروف الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن هذا النشاط. واستعرض الكتاب فى الباب الثالث والاخير الاسس الجغرافية للمشكلة السياسية التى نشأت عن الاتحاد والتى اسفرت عن انفصال اقاليمه الثلاثة ، وحصول كل من نياسالاند وروديسيا الشمالية على استقلالهما . ويقع الكتاب فى ٢٥١ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية فى سلسلة من الشرق والغرب .

السوق الافريقية المشتركة
بين السياسة والاقتصاد
تاليف محمد الجبالى ••

يقدم المؤلف فى هذا الكتاب الذى يقع فى ١٤٦ صفحة من القطع الكبير والذى نشرته الدار القومية• دراسة مفصلة عن الحالة الاقتصادية فى افريقية فى اربعة مباحث : الاول عن الزراعة ، والثانى عن الصناعة ، والثالث عن التعدين ، والرابع عن التجارة

وبعد أن يوضح الكتاب العوامل التى تحتم قيام سوق افريقية مشتركة يؤكد أن قيام هذه السوق وقيام وحدة اقتصادية افريقية هما السبيل الوحيد الى مواجهة أخطار السوق الاوربية المشتركة والى تنفيذ مشروعات التنمية وحسن استغلال الموارد الطبيعية فى القارة والافلات من القبضة المسيطرة للاستثمارات الاجنبية نتيجة لزيادة حجم المبادلات بين دول السوق الافريقية وقيام صناعات جديدة بحيث لا تكتفى القارة بان تكون مصدرا للمواد الأولية فقط التى تخضع لتحكم أسواق التصريف وتقلبات الاسعار وتذبذبها بل ان اتحاد الدول الافريقية من اعضاء السوق الافريقية يمكنها من عكس النتيجة بحيث تصبح هى فى المركز الأقوى بل أكثر من هذا انها تستطيع أن تفرض أسعارها على الاسواق الخارجية ـ للحصول على أكبر فائدة ممكنة توجه لخير شعوب القارة وتحقق أملها •

تحسين عبد الحى

قراءات في المجلات العربية



يقدمه: محمد العواني

● نحو لغة عربية واحدة :

فى مجلة الآداب اللبنانية بحث بعنوان « نحو لغة عربية واحدة » كتبه الأستاذ محمد محمود عبد الرازق وقد ابتدأه بالحديث عن « الازدواج اللغوى » مبينا أن هذا الازدواج اذا كان قضية كل لغة ، فانه لا يوجد في لغة ما بالتأزم والتشابك الظاهر بالنسبة للغة العربية ، وفى رأى الباحث ان كثرة اللهجات فى بلادنا العربية الى حد بلغت فيه أكثر من خمسين لهجة تحمل مسئولية « أزمة التعبير الفنى عندنا وبعضا من أزمة الفنان وقلقه » فهو حين ينفعل بالعامية ، ينقل انفعاله على الورق بالفصحى ، وفى عملية النقل هذه تضيع زبد الانفعال ، وكثيرة تلك المصطلحات العامية التى تموت بنقلها الى الفصحى . أو لا يمكن نقلها دون التضحية بالصدق أعلى الصدق ثم يسير مؤكدا أن الكاتب حين يكتب بالعامية فان دائرة قرائه تضيق لأنه لايخاطب بها أكثر من ٥٠٪ من الجمهور العربى ، ويستدل على ذلك بما كتبه الأستاذ احسان عبد القدوس فى مقدمة الطبعة الثانية لقصة أنا حرة اذ يقول « لقد قرأت أثناء قراءتى للقصة ، قصة عراقية باللغة العامية ، ولم أفهم منها شيئا ، وخيل الى أن قراء العراق لن يفهموا من قصتى شيئا اذا كتبت حوارها باللغة المصرية العامية » ويخلص من قول احسان بأنه « شهادة حية لفنان يتوق الى الجمهور الكبير » .

ثم يقر الباحث أن تعدد اللهجات تمزيق لجسد الوطن العربى ، وأن حكاية انقلاب هذه اللهجات الى لغات مستقلة حكاية قديمة ومستحيلة فى نفس الوقت ، فهناك عوامل كثيرة تستبعد تفتت العربية الى لغات متناثرة من أهمها فى رأيه « تغير الظروف الحياتية فى القرن العشرين ، عن طريق الاتصال المباشر وغير المباشر بكافة المجموعة العربية فى ساعة بالطائرة وفى لحظات بالاذاعة والتلفزيون » .

ويمضى موضحا أن أشهر المحاولات التى قامت للتقريب بين العامية والفصحى ما قام به الأستاذ توفيق الحكيم فى مسرحية « الصفقة » ، فقد كتب حوارها بألفاظ منتقاة تقرأ بالعامية والفصحى معا ، ولكن يأخذ عليها أنها وان « قاربت بينهما باختيار اللفظ المشترك فانها تقارب بين عامية واحدة هى العامية المصرية ، وبين الفصحى ، وفى ذلك اجحاف بحق العاميات الأخرى » .

ثم يتساءل من أى عامية نختار اذن فصحانا «هل نفرض على جميع العرب لهجة واحدة ؟ » على أن هذا لو تم لكان تضخيما للمشكلة لا حلا لها ويستنتج أنه لم يبق الا أن يختار كل فنان فصحاه من عاميته « شامية كانت أم عراقية أم جزائرية » وسيتجمع بمرور الوقت حصيلة ضخمة من ألفاظ الفصحى يمكن التقاطها من كافة اللهجات واستعمالها على نطاق أوسع من نطاقها المحلى ، وفى هذه الحالة فان اللفظ سيفرض نفسه بنفسه على مختلف الألسنة والأذواق ، لينزوى غيره من الألفاظ المشابهة المتأبية على الألسنة » .

وينتقل الى أن من المقترحات التى قدمت نحو هذا الغرض ما جاء بتقرير لجنة العامية والفصحى الذى عرضه الأستاذ محمد فريد أبو حديد على

مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٨ ويتلخص «في ضرورة القيام بعملية مسح شامل للغة العربية لدراسة ما تستعمله الأقطار العربية في شرق العالم وغربه لامكان معرفة الألفاظ التي تستعملها الشعوب العربية جميعا أو ما تستعمله كثرة من تلك الشعوب ولا ذكر لها في كتب اللغة » ٠

ويرى الباحث أنه في الوقت الذي يمكن أن تسير فيه هذه التجربة الجديدة نحو الأسلوب الجديد فان الواجب يقتضي القيام بثورة جبارة لمحو الأمية في البلاد العربية كما تقتضي الضرورة أيضا تيسير الكتابة وتيسير النحو ٠

ومهما يكن من امر فان الباحث على الرغم من اهمية الآراء التي تناولها الا أن بعضها كان يحتاج لتوضيح ٠٠ كتيسير الكتابة وتيسير النحو اللذين وردا في المقال. على أن التعبير الذي يقول فيه « وليس بكثير على عالم يتجه الى العالمية بخطوات سريعة أن تكون له لغة واحدة للتفاهم » ان هذا التعبير لا يخلو من المبالغة ٠ ففي رأيي أنه لن يتحقق حتى ولو بعد ألف أو مليون سنة كما يقول الباحث اذ أن اتفاق العالم على لغة واحدة أمر متعذر يدل عليه قول الله سبحانه وتعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم » ٠

* اليمن في القصص الشعبي :

نال القطر اليمني الشقيق في تراثنا الشعبي اهتماما لم يتهيأ لأى قطر عربي آخر ، فقد استأثر دون غيره بمجموعة خاصة في قصصنا الشعبي تعددت ألوانها وتنوعت أهدافها واتجاهاتها ٠

ففي مجلة الفنون الشعبية بين الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف أن هذا الاهتمام يرجع الى تلك الصلات الوثيقة التي قامت بين مصر واليمن منذ تلك العصور السحيقة التي تترامى وراء حدود التاريخ ، ثم يشرح المقصود من كلمة اليمن فهي « ذلك الجنوب العربي كله الذى قسمه الاستعمار في العهد الاخير الى مشيخات وامارات وسلطنات » ٠

وفي ظل الاسلام ظلت هذه الصلة ، فلم تنقطع صلة مصر بجنوب الجزيرة العربية وارتبطت مصر واليمن بصلة قوية هي الدم والرحم « ذلك أن جنود الفتح الاسلامي الذين جاءوا الى مصر كان أكثرهم من القبائل اليمنية ، وقد استوطن هؤلاء اليمنيون مصر بعد الفتح ، وأصهروا مع أهلها وارتبطوا فيما بينهم برباط الأسرة الواحدة ، وكان من الطبيعي أن يبقى هؤلاء اليمنيون على ذكر لبلادهم ، وأن ينقلوا الى المجتمع المصرى كثيرا من عاداتهم وقصصهم وتقاليدهم » ٠

وبعد أن تناول المقال هذه الصلات على مدى تاريخ العصور المختلفة ، أشار الى أن نصيب اليمن في قصصنا الشعبي كان ثلاث قصص كبيرة هادفة هي :

١ ـ قصة سيف بن ذى يزن وتقع في أربعة أجزاء كبيرة ٠

٢ ـ قصة فتوح اليمن الكبرى ، وما جرى للامام على الفارس الكرار والبطل المغوار المهول ٠

٣ ـ قصة الصحابي الجليل معاذ بن جبل واقامته بين أهل اليمن سبع سنين يبث فيهم الدعوة ويهديهم الى الاسلام ٠

وهذه القصص الثلاث هي من صنع القصاص في مصر ٠

ويتحدث المقال عن كل قصة من هذه القصص فيذكر أن قصة « سيف بن ذى يزن » كانت من وحى الصدام الذى نشأ بين صلاح الدين الأيوبي واليمنيين من جهة ، والجهاد الذى استمر بينه وبين الصليبيين من جهة أخرى فهذه القصة انما كتبت لغرضين أولها ديني والآخر سياسي ٠

اما قصة « رأس الغول أو فتوح اليمن » فكانت أيضا من وحى الصدام الذى نشأ بين صلاح الدين والمختلفين معه في اليمن ، ويرجع كاتب القصة الفضل في اسلام أهل اليمن الى بطولة الامام على بن ابى طالب ، ولكن الحقيقة التاريخية هي ان النبي صلى الله عليه وسلم ولى عليا عاملا على اليمن ، واستجاب اليمنيون لدعوة الاسلام على أثر وصولها الى آذانهم ، وتوافدت وفودهم على المدينة ومكة لاعلان اسلامهم ، ولكن كاتب القصة تجاوز الحقيقة التاريخية ، وزعم ان فتح اليمن كان عنوة وانه تم بعد قتال مرير بين على بن ابى طالب والبطل المعروف باسم رأس الغول ٠

ويبين الباحث ان هذه القصة تعرض صورا من البطولة الاسلامية ، في الصبر على الحرب واقتحام الاهوال ، ولعل القصاص استوحى هذه الصور من حروب الردة التي كانت ارض اليمن ميدانها على عهد الخليفة الاول ابى بكر الصديق ،

أما قصة معاذ بن جبل فهي «وسط بين القصتين» ادخل عليها القصاص ماشاء من الاشعار والرؤى والاحلام فهي كما يقول «قصة الشيوخ الذين يطمئنون الى حديث الدين ويستروحون بالقصص الديني» ،

« محمد العواني »

أسبوع الكتاب العربي

١٩٦٥

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي



السويس
مبنى الثقافة والاستعلامات

من ٩ الى ١٥ يناير ١٩٦٥

البريد الأدبي

... واشرق الصباح !!

للشاعر عبد الكريم ابراهيم رجب

الدرب جاث تحت جنح الليل مكتوم الانين
والريح تعوى في الفضاء قوية لا تستكين
والمدفع المسعور يرنو مظلم الرؤيا حزين
وهناك فوق السور جندى جريح لا يبين
وتحرك الجندى في صمت واعياء اليم
ورنا بوجه مشرق لغسائر الباقى الاثيم
وتحركت شفتاه في زهو تقص على النجوم
اسطورة الشعب المسخر والظلام المستديم
وتحامل الجندى حتى مس مدفعه الحبيب
وتحركت قدماه نحو معاقل الظلم الرهيب
ودماؤه الحمراء تجرى فوق احجار الدروب
والليل يشفق ان يموت فلا يرد ولا يجيب
ومع الصباح تنفس الدرب المتوج بالضياء
وتلفتت عيناه عن شيء توارى في المساء
فرآه يسبح وسط بحر لا يحد من الدماء
ودماه ترسم في وضوح : اننا نحن الفداء

اللا معقول والاشتراكية

بقلم : خميس سلمونه

في أعقاب الحرب العالمية الاخيرة برزت الى حيز الوجود الادبى ظاهرة اللا معقول في الفن وهذه الظاهرة نتيجة حتمية للحيرة التى تنتاب انسان العصر الحديث وتشكل الخطر عليه فيلوذ بالفرار من الواقع الحى الملموس الى كل ما هو رمزى ومجهول . وها هو «صمويل بيكيت» يضع السلاسل في رقاب شخصياتهم ويغريهم بامل لا يتحقق (في انتظار جودو) و«يوجين يونسكو» يحول الادمى بجرة من قلمه الى خرتيت اعجم في (الخرتيت) وفيلسوف الوجودية الاشهر «جان بول سارتر» يعلن رايه المتشائم في الانسان بصراحة مذهلة قائلا « الانسان عاطفة لا معنى لها» ثم في الحياة (الحياة لا معنى لها) ... ان هذا الهروب من الواقع الحى .. هو (اللامعقول او العبث او اللامعنى) ·

وقد غزا اللامعقول واقعنا الادبى العربى وظهر واضحا جليا في الفن المسرحى على يد بعض كتابنا العرب وفي مقدمتهم الاستاذ «توفيق الحكيم» حيث قدم لنا مسرحيته (يا طالع الشجرة) و (الطعام لكل فم) ورايى أن هذا اللعب (المستورد) لا يتمشى اطلاقا واشتراكيتنا الحاضرة التى نبنيها على الاسس الواضحة والدقة والمنطق الواعى .. وليس من الفن والمعقول في شيء أن نترك المتفرج الاشتراكى يشاهد احدى مسرحيات اللامعقول ليتخبط في حيرة من أمره مستنتجا من الالغاز والرموز مفاهيم جديدة للحياة والواقع .. وما جدوى أن نترك المسرحية بلا نهاية .. ولا هدف .. فان حياتنا الحاضرة لا تؤمن الا بالمنطق السليم والوضوح ونحاول جميعا جاهدين الوصول الى حياة افضل ولا يتأتى لنا ذلك الا بعرض النماذج والقضايا الاجتماعية الهادفة في اطار فنى نموذجى واضح فما زالت في مجتمعنا بعض التقاليد البالية والعادات الذميمة التى لو صرف بعض كتاب المسرح عندنا جل طاقاتهم الفنية لمحوناها وانتصرنا عليها.

واذا كان هذا (اللون) المستورد من الفن قد بلغ شاوا كبيرا في المجتمع الغربى عند «يونسكو» و«بيكيت» فانه لا يصلح البتة فى مجتمعنا العربى الاشتراكى فنحن ما زلنا نبنى صرحنا الثقافى والاجتماعى على قيم ثورية خلاقة ومبادىء اشتراكية تقدمية الهدف منها اسعاد المجموع وكيف نؤمن باللامعقول الذى شملت ثورته كل المصطلح عليه في القواعد الفنية للادب والمقومات الدرامية للمسرحية الاصيلة فلا تعترف هذه الثورة بمدلول الحركة والشخصيات والحوار وقد لاحظ (ارسطو) أهمية هذه الحركة في المسرحية منذ قرون خلت فقال في كتاب «الشعر» «ان المسرحية لا تستهدف تصوير الناس وحسب بل هى ترمى الى تصوير افعالهم لان هذه الافعال هى التى تجلب حركة الحياة وضوضاءها وهى التى تقرر مصائر الناس من سعادة وشقاء» ولا تقيم - هذه الثورة - وزنا للبداية والوسط والنهاية حتى تلاشت الحبكة المسرحية واتسعت الدائرة المفرغة فضاع المعنى وسط الالغاز والرمزيات والاراء القاتمة السوداء التى انتشرت في المجتمعات

الراسمالية داخل المناجم المظلمة .. وبين تروس الالة المسيطرة على الانسان هناك التى تحكمت فى تصرفاته فاصبح عبدا لها فى تفكيره واحساسه ففقد خصوبة النطق ونزاعة الراى وحرية الكلمة .

ولعل مذهب اللا معقول الذى اتى فجاة يذهب فجاة وتلك هى ظاهرة الطفرات فى الاشكال الادبية فقبل ظهور الشعر الحديث كان عدد الشعراء محدودا ولما فتحت ابوابه ظهرت عشرات الاسماء وهدات العاصفة لتتحول ظاهرة الطفرات بعد ذلك الى عصر القصة القصيرة فظهرت فجاة عشرات الاسماء فى عالم القصة القصيرة .. وهذا الموسم على ما يبدو موسم اللامعقول.

الا انه سيتلاشى ويصير الى العدم .. ولن تبقى الا المسرحية الهادفة البناءة التى قال فى تعريفها «ارسطو» .

« القصة المسرحة ذات الهدف هى التى ترمى الى تقديم الحدث عن طريق الحركة والتى تقدم هذا الحدث تقديما فنيا خاصا يستوعبه القارىء او المتفرج ثم يخرج منه وقد حدث فى نفسه شىء ما هو مايرمى اليه مؤلف المسرحية ومايهدف اليه من وراء كتابته ..».

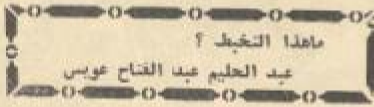
فالانفع والارفع لنا جميعا ان يسدل الستار نهائيا عن كل عبث ولامعقول «كالطعام لكل فم» و «فى انتظار جودو» وليرفع عن كل نموذج ناجح مثل «المحروسة والسبنسة والايدى الناعمة» وكل ماهو اشتراكى بناء يسير بمجتمعنا العربى قدما الى الامام .

الشعر الجديد وموسيقى عبد الوهاب

عبد العزيز مصطفى

مسالة الشعر الجديد ، او التخلص من الوزن القديم من اهم المسائل فى حياتنا الادبية ، لانها تتصل بالذوق الفنى والمقاييس الفنية ، ولانها حركة تجديد فى تذوق الشعر . فالشعر الجديد يحتفظ بوزن التفعيلة ، والمعانى الشعرية . ولكنه يفتقر الى التناسق الموسيقى وتآلف النغم الذى يحقق اللذة الفنية ، والجمال الفنى . وقد يكون بين الشعر الجديد والشعر الاجنبى تشابه فى «الموسيقى» ولكن اللغة فى الشعر الاجنبى غير التكوين اللغوى العربى ، ومن هنا كانت بعض الفوارق بينهما ، فلا عذر لمن يستعير «الموسيقى الشعرية» الاجنبية فى الشعر العربى ، لانه يشذ عما ينسجم مع طبيعة اللغة العربية وخصائصها الفنية .

موسيقى عبد الوهاب — مثلا — تتوافر فيها قيمة التناسق الفنى وقمته ايضا ، رغم ماقيل عن التشابه بين الحانها والالحان الاجنبية . فاذا كنا نتذوقها ونتذوق الموسيقى الاجنبية واذا كنا نتذوق روائع الشعر العربى والاجنبى ، فانما يرجع ذلك الى سبب جوهرى فيها ، هو تناسقها . فالتناسق اصل من اصول الفن . وهو — فيما نرى — احد الاسباب الهامة فى الخلاف بين شعراء القديم والجديد ، وبين جمهور القديم ، وجمهور الجديد . هو خلاف فى التذوق . ومهما تكن حجة العاشقين للشعر الجديد ، فان احدا لا ينكر فى الشعر لزوم الوحدة الفنية له الى جانب الوحدة الموضوعية . ومهما تكن الافاق التى يحلق فيها الشاعر فليس بد من «الهارمونى» فى الشعر ،كالهارمونى فى الموسيقى ان جاز هذا التعبير !



تخبط شنيع وقع فيه الدكتور لويس عوض .. اجل فبدون تساوق فى الفكر او منطقية فى الاستدلال .. يعمد الدكتور الى النيل من كرامة الشعب العربى فى اسلوب غريب وساضرب لذلك مثلين فقط كدليل على ما يقول .

١ — يقول الدكتور فى رسالة من القاهرة — التى تنشرها له حوار — يقول عن الجمهور العربى فى جمهوريتنا العربية المتحدة : « انه جمهور لايقتنى الكتب الا لشهرة مؤلفيها او لان هذه الكتب تمارس المعرفة الجنسية .. وهى البضاعة الناجحة فى بلاد متخلفة حضاريا كبلادنا» .. وفحوى الكلام .. ان الدكتور يعيب على الجمهور العربى احتفاءه بالمعرفة الجنسية ويعتبر المعرفة الجنسية هذه من مظاهر التخلف الحضارى .. ولذا فهو يصف الجمهور العربى بالتخلف الحضارى من اجلها .. وينسى الدكتور انه هو نفسه ممن يروجون للمعرفة الجنسية وحسبنا قوله على لسان عذراء فى مجلة حوار الصهيونية :

فذاق طعم الحب من ثغرى ومن جسدى
واخصبنى بالته فذقت حلاوة الوتد

والدكتور امام امرين :اما ان يكون هو الاخر بناء على قاعدته كاتب متخلف حضاريا .. واما ان يكون هو نفسه يعمل على نشر التخلف الحضارى فى بلادنا بدليل نشره هذا الشعر الجنسى الفاضح الذى يدل على التخلف — حسب قوله !

٢ — ويقول الدكتور : ان «التوراة فضلا اخطر واجل من ان ينكر فى خلق اجيال من الشعراء والروائيين وكتاب القصة الطويلة والقصيرة فى الغرب على حين كان القرآن تعليميا كله» بمعنى ان القرآن مجرد تعاليم لا رصيد لها من الواقع وانه لايملك فلسفة معينة لتسيير الحياة الدنيا .. لكن الدكتور يقول بعد ذلك من حيث لا يدرى .. فى معرض الاستدلال على تقليدية الاسلام بان هذه التقليدية اتت «من التدخل الدينى فى كل شىء حيث تسود الكتب الصفراء قوة تحكمية تنشب مخالبها حتى فى العلاقات الاجتماعية البسيطة بين الناس» وبرغم مافى هذا الكلام من تجن الا انه يحمل اعترافا بان الاسلام يطبع كل شىء فى حياة المسلم بطابعه ويتدخل فى حياة المسلم تدخلا شاملا — وان ترك له شئون دنياه يصرفها كيف شاء ، ما دامت تتفق مع الخطوط العريضة التى شرعها — كما لايريد الدكتور ان يظهر ... فانظر بربك كيف يفعل بنا الدكتور !!

الصبى والصياد

قصة بقلم : فاروق حنيب

في تلك اللحظة أدرك عطيه أن كل الحيل فاشلة لمواجهة المعلم • في البداية تلكأ كأنه لم يسمع ، فانهالت الشتائم على رأسه • كتم غيظه في داخله حتى يقول « حاضر » ، فلم يستطع • جاءته فكرة •• أن يهدد بالبكاء • ولكن ما الفائدة •• والبكاء نفسه يجلب الضرب •• والضرب يؤلم •• والألم يجعله يقول « حاضر » من جديد • سكت والدموع لا تحاول الفرار من عينيه الجميلتين الصغيرتين• تسلل الغضب الى قلبه ، فبانت صفحة وجهه كسطح اللبن الأبيض عندما تعلوه نتف الغبار العابرة • انحرف بعيدا عن المعلم حتى لا يرى سحنته المغضنة العجوز ، انه الذى علمه الصنعة • رحب به في اللقاء الأول • قال لأمه وهى تسلمه اياه •• هذا الولد في عيني •• اطمئني عليه • وأمام المنضدة السوداء وقف يتعلم •• كشف الأسرار ما عدا التاء المربوطة • يا للفظ التعس •• انها نفس التاء المربوطة هي التي تسبب له المشكلة الآن •

في الصباح قال له المعلم :

اذهب الى المسبك لتحضر نصف كيلو تاء مربوطة.

رد عليه في فرح :

ـ حاضر يا معلم

سوف يخرج الى الشارع ، وربما قابله صديق قديم • معه قرش •• ما أحلى أن يشترى به سيجاره ليدخنها كأحسن رجل • أكلته قدماه تستحثانه للجرى والشقاوة • المسافة طويلة يمكنه أن يغيب خلالها ساعة ، ولديه الحجج • لن يطلب منه ثمن المواصلات حتى لا يطالبه بالعودة سريعا • ولكن المعلم عاد وقال له :

ـ المسبك بعيد•••أجل حكاية التاء المربوطة•••

خذ ثلاث صفحات من كتاب الصياد والبحر ••• واقعد اشتغل •

غضب من أعماقه لهذا التغيير المفاجىء ، لكنه قال :

ـ حاضر يا معلم •

وأمام خانات الحروف الصغيرة أخذ يرتبها ، ويحلق فيها بعينيه الكليلتين • وقبل أن يجمع كلمة واحدة مرت عيناه على أسطر القصة بالكتاب ••• وبدأ يقرأ•• ذهب الصياد العجوز الى البحر كعادته، جلس القرفصاء على الرمال الناعمة والقى ببصره بعيدا عن الأفق • رأى الشمس وهي تحاول الشروق مرت من فوقه طيور البحر المهاجرة • وتوقف عطية عن القراءة • سرحت خواطره مع الصياد العجوز • تخيل البحر الواسع الفسيح • اشتاق لرؤية طيور البحر الجميلة • تمنى أن يطير الى هناك حيث الهواء والشمس والسمك • لكن حروف الرصاص الصغيرة تقبع في خاناتها المتعددة تنتظر أصابعه للجمع • وصوت المعلم لا يكف عن الأوامر :

ـ اسمع يا عطيه •• كم سطرا جمعت ؟•

ـ لم أجمع شيئا ••

ـ اترك ما في يدك •• وتعال اشتر لى سجاير •

ـ حاضر يا معلم •

وقفز الى الشارع ، القروش في كفه ، والصياد والبحر يعيشان في قلبه • سوف يعود اليهما حالا• يا لها من حياة حلوة • ليته عمل صيادا حتى يرى البحر والطيور والشمس المشرقة • مكان المطبعة لا يدخله النور أبدا • يعشش فيه العنكبوت ، وجه المعلم الكالح لا يكف عن النظر اليه ، يراقبه في كل

لحظة . ومن عند البقال خطف السجائر ، ثم عاد يواصل الرحلة . شعر الصياد بتسائم لطيفة تداعب وجهه ، ألقى شبكته وانتظر قليلا ، ثم شد الحبل ، لم يخرج له شيء الا بعض القواقع الفارغة . لم يغضب الصياد .. بل دعا الله أن يرزقه فى المرة القادمة . مر عليه طفلان ، فوقفا بجواره يتأملان الصيد ، دعاهما الصياد للجلوس بجانبه . كان الصياد العجوز يتفاءل بالأطفال . الصياد العجوز رمى شبكته فى البحر مرة أخرى. انتظر وهو يبتسم للطفلين فى حب ومودة . ليته أحد هذين الطفلين. لم يبتسم له المعلم مرة واحدة . ليس فى لسانه سوى الشتائم والأوامر .. هات .. خذ .. اذهب .. تعال .. لا تتأخر .

وعاد الى القراءة .. الصياد العجوز كان طويل القامة .. أبيض الوجه .. له لحية كثة كالشيوخ الأتقياء . حلو المعشر والحديث . الصياد العجوز كان ينتظر الشبكة وهو يبتسم للطفلين . وغرق عطية هو الآخر فى الانتظار ... لكن المعلم انتزعه من عالمه اللطيف :

ـ كم سطرا جمعت يا عطية ؟.

ـ لم أجمع شيئا .

ـ لماذا ؟.

ـ أحاول قراءة القصة كلها أولا ..

ـ ومتى تبدأ فى الجمع أيها الكسول .. يا ابن..

ـ حالا .. يا معلم .

ـ سمعت منك حالا هذه مائة مرة .. أنت تعرفنى

ـ نعم يا معلم ..

ـ هل تريد أن أضربك للمرة الرابعة اليوم .

ـ لا .. يا معلمى .

ـ طيب ما الذى يعطلك ؟

ـ لا شيء .

ـ يا ابن ...

وبسرعة مرت عينا عطية على الأسطر .. وأكمل .. وخرجت الشبكة فارغة فى هذه المرة أيضا . ضحك الطفلان ، فابتسم الصياد العجوز عن رضى ، انه يعرف البحر .. لا يعطى خيراته بسهولة ... لا بد أن يتعب وان يصبر امامه حتى يفوز بالصيد الوفير . والقى الصياد العجوز شبكته للمرة الثالثة. ولم يصبر المعلم حتى يعرف عطية النتيجة . صاح فيه بضيق شديد :

ـ هل بدأت فى الجمع يا عطية ؟.

ـ لم أبدأ بعد يا معلمى .

ـ يا ابن الحرام ..

وتقدم منه ينتزع الكتاب من يده . قال له فى حدة :

ـ دع القصة .. واذهب الى المسبك لتحضر الثناء المربوطة .

وانهار عطية . المعلم يعود الى طلبه الأول. لكنه الآن يعيش مع الصياد العجوز والبحر والطيور المهاجرة. لايستطيع مفارقة الرمال الناعمة والشمس المشرقة . وهو يعرف المعلم جيدا .

فى تلك اللحظة أدرك أن كل الحيل فاشلة لمواجهة المعلم . تلكأ فى البداية وكأنه لم يسمع ، فانهالت الشتائم على رأسه . كتم غيظه فى داخله حتى يقول « حاضر » ، ككل مرة ، فلم يستطع . جاءته فكرة .. أن يهدد بالبكاء .. لكن ما الفائدة .. والبكاء نفسه يجلب الضرب .. والضرب يؤلم .. والألم يجعله يقول « حاضر » من جديد . سكت والدموع لا تحاول الفرار من عينيه الجميلتين الصغيرتين . تسلل الغضب الى قلبه ، فبانت صفحة وجهه كسطح اللبن الأبيض عندما تعلوه نتف الغبار العابرة . كان قلبه ينبض بحياة الصياد العجوز وهو ينتظر الشبكة ، وربما تحمل له سمكا كبيرا .

فاروق منيب



الدار القومية للطباعة والنشر

الثمن ٣ ص

العدد ٧٨



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٩٠٧ - الخميس ١٩ رمضان سنة ١٣٨٤ هـ ٢١ يناير سنة ١٩٦٥ م - السنة الثانية والعشرون

رحلة الأندلس..

من روائح فردوسنا المفقود

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان آخر من ودعت فى القاهرة العالم الجليل الاستاذ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر ، وكان اول من لقيت فى برشلونة القسيس الحر الأب انخيل جومز راعى كنيسة سرقسطة . وكان بين وداع الاول ولقاء الآخر رحلة طويلة تحت النجوم وفوق الغيوم ابتدأت على طائرة مصرية سبحت بنا من سمائنا العربية الضاحية الى سماء روما المضبة فى ثلاث ساعات وبعض الساعة ، ثم انتهت على طائرة ايطالية ساحلت بنا فوق البحر الابيض الى نيس ثم الى برشلونة فى ساعتين

كان بينى وبين الامام العربى حديث ، ثم كان بينى وبين الحبر الاسبانى حديث ولم يكن هذان الحديثان وحدهما هما اللذين جمعا بينهما فى ذهنى ، وانما كان الجامع مشابه كثيرة من قسامة الوجه واستواء القامة وحلاوة النغمة وبراعة الذهن ولطافة الحس وطلاقة الفكر وخصوصية الزى وخلوص العقل من شوائب التقليد ورواسب الماضى وخوادع الراى .

كان آخر ما بقى فى سمعى من حديث الباقورى روايته عن أحد المفسرين الظرفاء فى تفسير قول الله تعالى حكاية عن سليمان : « وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين » اذ فسر العذاب الشديد الذى توعد به سليمان الهدهد بأن ينتف ريشه ويهاض جناحه ثم يترك بين جماعة من الطير ، لا هى من أهله ولا هى من شكله ، حتى اذا نفرته لا يجد الريش الذى يقى ، ولا الجناح الذى يدفع ، ولا المنطق الذى يبين . وكانت حالى وأنا بين المرضى فى بهو الانتظار من عيادة الدكتور براكير التى تضم ثلاثين طبيبا وعشرين طبيبة ومائتى ممرضة غير الموظفين والخدم ، أشبه بحال ذلك الهدهد لو أن سليمان أنجز فيه هذا الوعيد : كنت أجلس فى قوم من أشتات الناس والأجناس لا يتكلمون غير الأسبانية أو ما يشبهها ، فاذا تحدثوا لا أفهم واذا حيوا لا أرد . نعم انهم لم ينفرونى كما تنفر جماعة الطير الغريب عنها ، فان الانسان من الأنس والوحش من الوحشة ولكنهم صدوا بوجوههم عنى صدود الدمية عن الدمية فى المتحف العظيم . وكان من توفيق الله أن جلس الى جانبى ذلك القسيس الكريم ففطن الى أننى لا أعرف الاسبانية ، فقلب على أذنى بعض اللغات حتى قال بالفرنسية : لعلك من الجزائر . فقلت له : أنا عربى من مصر . فهش بى وأهل ثم قال فى ابتسامة رقيقة :

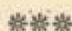
نحن اذن اخــوة · أنا من مواليــد طليطلة ، ولا يزال بين اسرتي وبين العرب نسب شابك · وان أسرتي تعرف الى اليوم بأسرة (المولى) وهي لا تزال تعتز بهذا النسب وتحتفظ بهذا اللقب · فقلت له وانا اطالع في محياه سحنة الباقوري وسمرته : لشد ما يسعدني أن يكون أول من القى في برشلونة رجل تنزع نفســه ونفسي الى عرق واحد · ثم أفضنا في حديث العرب وما خلفوا في الأندلس من آثار ، وفي حــديث الاسلام وما نقل الى الفرنج من ثقافة ·

وجاء دور القس فدعته ممرضة الى الطبيب · فقام وهو يربت بكفه اليسرى على كتفي ويقول : سأرجع · ثم عاد فاستأنفنا الحديث الشائق العذب وشققناه الى معاني شتى ، وكان بين دوره ودوري وقت طويل فسألته : الا يزال رجال الكنيسة يعتقدون في العرب والاسلام ما كان يعتقده أسلافهم من قبل ؟ فأجاب في غير مداراة ولا مماراة : لقد درس المؤرخون المنصفون والعلماء المخلصون مآثر العرب ومبادىء الاســـلام على المنهج الواضح والمنطق الصحيح والنية الحسنة ، فوجدوا أن خمسة عشر مليونا من المسلمين عمروا أسبانيا ثمانية قرون ومعهم الدين والأدب والفن والعلم والحضـــارة والعمارة ، قد نقلوها من الظلام الى النور ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن الهمجية الى المدنية ، حتى أصبحت في عهد الناصر والمستنصر مهوى الأفئدة ومنتجع العقول وملتقى الشرق والغرب ومجتمع القيادة الروحية والمادية في أوربا والعالم كله · ثم أدركوا أن ما أعمى المستكبرين عن رؤية النور انما هو الجهل والتعصب ، فان الأمر يومئذ كان للكنيسة في سياسة الدين والدنيا · ولم تر الكنيسة في فتح العرب للأندلس الا استبدال دين بدين وشعبا بشعب ولغة بلغة وسلطانا بسلطان ، فحاربت الاسلام بالشبه والأضاليل ، وحاربوا العرب بالخيانة والتفرقة ، ولو علموا كما يعلمون اليوم أن الاسلام طريق سماوي يؤدي الى الله ، وأن المسلمين اخوة مؤمنة تتعاون على الخير ، لنعمت أسبانيا في ظل التعايش السلمي بالنعيم الدائم والوحدة الشاملة ·

أنا أعلم عن يقين أن الله نقطة في مركز الكون يوصل اليها طرق كثيرة مختلفة البدء متفقة النهاية · والاعتقاد بأن طريقا بعينه من هذه الطرق هو وحده الذي يؤدي ، كان مصــدر الشر على الناس جميعا · كل الطرق تؤدي الى روما كما يقــول المثل ، وما دام الطريق واضحا مستقيما تبينه حدود الله وتهدي اليه أعلام الحق فهو لا محالة واصل · ولا يضير سالكه أن يكون هناك طرق أخرى لكل منها اسم ورسم · وأنا بهذا الاعتقاد أخدم الكنيسة التي أرعاها ، باعتبارها أحد هذه الطرق ، لا هي أكملها ولا هي أمثلها · والاسلام الذي نقل البداة الجفاة من رعاة ابل وغنم ، الى رعاة دول وأمم ، وحول أسبانيا الممزقة المستضعفة الجاهلة من عهد الفوضى والانحلال الى عهد الناصر وابن رشد ، لا يمكن أن يكون هو الاسلام الذي زعم الجاهلون أنه قام على السيف وحكم بالتعصب وساد بالاستعمار ، وأن ما خلف في الأندلس من الحضارة والعمارة والثقافة لدليل ناهض على سمو مبادئه وبلوغ وسائله وعــدالة حكمه · وان الرأي الكنسي ليميل اليوم الى التوفيق بين المذاهب المسيحية المختلفة ، ولعله يميل بعد ذلك الى التقريب بين الأديان جميعا ·

فقلت له وأنا أنظر في عجب الى المسح الذي يلتف على بدنه ، والى الصليب الذي يتدلى من عنقه : أيوافقك اخوان الكنيسة على هذا الفهم ؟ فقال وهو يهز رأسه : لا أزعم ذلك · ولكل رأيه · وكان دوري في الدخول على الطبيب قد حان فودعته وفي نفسي ونفسه أن نتلاقى كلما واتت الفرصة ·

لبثت فى برشلونة عاصمة أسبانيا بعد مدريد تسعين يوما معصوب العينين مرفوع الجنبين أسمع ولا أرى ، وأحس ولا المس ، وأتخيل ولا أتمثل . فاذا سألتنى عما رأيت من آثار فردوسنا المفقود قلت لك لم أر الا بعض المعالم من قطلونية فى أواخر أيام العلاج بعد أن كشف عنى الغطاء ، وخرجت من محبسى أبى العلاء ، فجلت فى شوارع برشلونة الشجر ، (بضم الشين) ووقفت فى ميادينها الفسيح ، وجلست فى حدائقها الغن ، وركبت الطريق الصاعد من ساحل البحر الأبيض الى ربوة (تبيدابو) وهى قطعة من الروض سقطت من الجنة واستقرت على جبال (مالاس) و (مونت جويك) وشقت بينهما وادى (بيزوس) وهو متنزه الناس فى أيام الآحاد والأعياد والمواسم . وفيما بين ذلك كنت أرسل طرف العبران فى الأفق الضاحى فأرى الشمس التى أشرقت على قومى زهاء تسعين سنة منذ فتح برشلونة موسى بن نصير سنة ٧١٣ م الى أن استردها لويس بن شرلمان سنة ٨٠١ م وأستنشق الهواء الذى استنشقه أجدادى الفاتحون المعمرون المحضرون فملأوا به رئاتهم ثمانية قرون ، ثم نفثوه فى أقطار أسبانيا والبرتغال وفرنسا دينا وأدبا وعلما وحكما وعمارة وحضارة ، ولكنى وا أسفاه لا أرى الأعلام البيض التى تخفق ، ولا المآذن الشم التى تنادى . ثم أرد طرفى الى الأرض فأرى الشمائل العربية ولا أرى العرب ، وأجد الخلائق الاسلامية ولا أجد الاسلام ، وتتراءى فى خيالى أطياف الأمويين والمرابطين والموحدين هائمة فى الضباب تنوح على ملك دال وحكم زال ومجد ذهب . وما أدال هذا الملك وأزال هذا الحكم وأذهب هذا المجد الا ما أصابهم من تفرق الكلمة وتعارض الهوى ، وتخاذل القوى وتحاسد الأنداد وممالأة العدو . وتلك هى أدواء زعماء العرب فى كل حين ، من يوم السقيفة الى يوم فلسطين !



لم أر اذن فراديس الأندلس ، ولكنى شممت عبيرها ، ووجدت رياها فى ثلاث أوانس من حسان الجنوب كن يمرضننى : أولاهن من طليطلة وتسمى سلطانة ، وثانيتهن من قرطبة وتسمى فضيلة (فاديلا) ، وثالثتهن من بلنسية وتسمى الثريا (السريه) (بسكون اللام وضم السين) ، وكان هؤلاء الأوانس الممرضات قد علمن أنى عربى من مصر فكن يتسابقن الى خدمتى ، ويتعاقبن على غرفتى ، ويبتغين الوسائل الى الوقوف طويلا بجانب سريرى يحدثننى عن أرومتهن العربية ، وما بقى منها فى دمائهن من الحنين الى العرب والنزوع الى الشرق . فاذا حدثتهن عن الاسلام ـ وقد كان دين أجدادهن ـ غمغمن بالكلام المغلق ، أو أبن عن الجهل المطلق !

ونشأت بينى وبين الأوانس الجميلات على طول الأيام ودادة قلب أو صداقة نفس ، تقول انها مواصلة القريب أو مؤانسة الغريب أو مخالصة الحب . فكن يطمئنني على سير العلاج ، ويصبرننى على احتمال العيش فى الظلام ، وطول النوم على الظهر ، وضيق النفس من الأرق ، ويشعرننى بأنسهن المرح وحديثهن العذب أنى فى بيتى وبين أهلى ، ويفضين الى بأخبار المستشفى وبخاصة أخبار العرب النازلين به . وكان حديثهن عن العرب قصيدا من المدح على ما يظهرون لهن من عطف ، وما يفضلون عليهن من كرم . الا حديثهن عن عربى كبير كان يعمل فى ديوان ملك سابق ، فقد قلن انه دخل المستشفى وعلى كتفه منصبه لم يحطه عنه ، فهو يأمر وينهى وهو فى غير ديوانه ، ويعامل الممرضات والسعاة معاملته لجواريه وغلمانه ، ولا يكاد الجرس المضيء ينطفيء من فوق بابه ، فاذا طلبوه الى الطبيب فى أسفل الدار أصر على أن يصعد الطبيب اليه . واذا أخبروه أن ذلك محال نزل فى بيجامته من غير رداء ، وصمم على

أن يدخل قبل دوره من غير نداء · أما معاركه على الطعام فى كمه وكيفه فهى حديث الجيران والخدم · وهو مع هذه العنجهية كلها كز الأنامل سليط اللسان ، لا تسقط (البيزيتة) (١) الهينة من كفه ، ولا تخرج الكلمة اللينة من فيه !

زارنى حين علم من الممرضات أنى فى المستشفى لأن من خير ما فيه أنه يقرأ الرسالة ، فمكث طويلا لا يدير بين فكيه الا كلاما ثقيل اللهجة خطل المنطق عن معاونة مصر لليمن · ومعاذ الله أن أغثى نفسك بسماعه وأنت صائم !



هذا لقاء القسيس وحديث الأوانس · وحديث الأوانس يتصل ولا ينقطع ، وينشط ولا يفتر · ويطول ولا يمل · ولقد ذكرت بصحبتهن ومودتهن أوانس الرشيد الثلاث : ضياء وسحر وخنث · وهن اللاتى انطقنه بهذه الأبيات :

ملك الثلاث الآنسات عنانى — وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها — وأطيعهن وهن فى عصيانى
ما ذاك الا أن سلطان الهوى — وبه قوين أعز من سلطانى

غير أن أوانسى لم يكن منهن عصيان ، ولا لى عليهن سلطان ·

كذلك ذكرت أوانس (جيان) الثلاث اللائى وصفهن الشاعر (مانويل ماتشادو) بقوله فى قصيدته المشهورة :

ثلاث سمراوات
شغلن قلبى من جيان ·
عائشة وفاطمة ومريم ·
ثلاث سمراوات رائعات الجمال
ذهبن ليجنين الزيتون
فوجدنه قد جنى ····

ولكنى لا أذكر أوانس ابن أبى ربيعة الثلاث اللاتى اتخذ منهن مجنا يتقى به عيون القوم :

فكان مجنى دون من كنت أتقى — ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فان الحديث بريء وان رمضان كريم !

أما حديث الأندلس فساعود اليه بعد أن أعود الى برشلونة لاتمام العلاج ، فأعيش فى رياضها مع أول بنى أمية الى آخر بنى سراج !

« احمد حسن الزيات »

---

(١) عملة اسبانية تساوى ثمانية مليمات ·

وهذه هي أخبارها !!!

(٩)

بقلم : محمود محمد شاكر

مرة أخرى ، ثم مرة أخرى ثم مرة أخرى ، احب ان يعلم من لم يكن يعلم ، انى امرؤ لا ترهبه بوارق الوعيد ، ولا تثنيه لوائح التهديد ، ولا تهوله ألفاظ محفوظة تلوكها الأقلام الداهلة ، وتمضغها الافواه المتلمظة . وانى مذ خفت الله وحده ، لم اطو قلبا على مخافة احد من عباده ، واني مذ فزعت من ان أشرك بالله أحدا ، لم ترعني كلمة أوصف بها سوى « الشرك بالله » . وكل صفة بعد هذه ، فمصيرها عندى ما قال زياد فى خطبته البتراء : « ان اجعلها دبر اذني وتحت قدمى » ، الا ان اكون مبطلا فى قول او فعل ، فعندئذ أؤوب الى الحق صاغرا خاضع العنق ، لا تأخذني دون ذلك عزة بالاثم ، ولا يمنعني منه حياء او كبر ان اقر علانية بخطأ كان منى ، أو زلل ترديت فيه . واستغفر الله واتوب اليه ، اذ الجانى من الجانى الى ان اصف للناس نفسى ، بما لا ينبغى للمرء أن يعتاده من التمدح ، فانه يوشك ان يكون بابا من الأبواب الخفية الى النفاق .

وخبر ذلك انى ظللت اكتب للرسالة ثمانية أسابيع ، كتبت فيها ثمانى مقالات ، والزمت نفسى مقالة الحق بلا جمجمة أو دهان فيما اقول ، ولزمت طريق الابانة عن حقائق ما اكتب عنه ، بلا رغبة فى ثناء من احد ، ولا رهبة من مذمة تجيء من خلق ، ولا خشية افك ارمى به انا منه برىء . ثم فوجئت بشيء غريب جدا ، لم يكن مثله يخطر لى ببال . ولولا ما أجد من تبعة هذا القلم ، ومن شعور بحق قارىء الرسالة على ، لما شغلته به ، وكان من حق القارىء على الا اخليه من متابعة ما يقال عما اكتب فى الرسالة ، اذا كان قائله قد استودعه مكانا غير مجلة الرسالة . وذلك انى رأيت الزميل القديم الدكتور محمد مندور ، قد انشأ كلمات حول شيء سماه « معاركنا الادبية » ، القى بعضها فى الاذاعة ، ثم نشرها فى مجلة « روز اليوسف » . فكتبت الى مجلة « روز اليوسف » كلمة مختصرة ارد عليه مقالته حيث نشر كلامه ، ولكن عسى الا يكون قارىء الرسالة قد اطلع على ما قال الدكتور مندور ، فمن أجل ذلك ، احببت ان الخص له فحوى ما قال .

زعم الزميل القديم ان هناك « معركتين تدوران فى الصحف والمجلات ، احداهما حول الشعر ، والثانية حول ابى العلاء المعرى وتراثنا القومى كله » !! . وبعد ان افاض فيما قال عن معركة الشعر ، التفت الى كى يقول : « ولسوء الحظ ، عاصرت هذه المعركة الضالة ، معركة أخرى اثيرت حول ما كتبه احد كبار مثقفينا عن ادب الرحلة فى العالم الآخر » ، ويعنى بذلك لويس عوض . وأنا بلا ريب ، لا انكر على الدكتور مندور حقه فى ان يصف لويس عوض بما يشاء : فهو مسئول عما يقول ، ولكنى انكر عليه أن يسمى هذا الذى اكتب « معركة » ، فهذه مبالغة لا احمدها له ، فان الذى اكتبه ليس « معركة » ، بل هو كما بينت مرارا : كشف عن تزييف انسان يحمل لقبا ، لا ادرى كيف حمله ، غر بعض الناس حتى زعموه مثقفا . وليس به ، بل هو ممخرق عظيم المخرقة على الناس . وهذا احد الأسباب التى جعلتنى أوقن أن الدكتور مندور ، لم يقرأ حرفا مما كتبت فى الرسالة . ولا على من ذلك ، ولكن الذى على ان اعاتب الزميل القديم ، اذ دل ما كتبه على انه لم يقرأ ايضا حرفا مما كتب لويس عوض ، لأنه لو كان قرأه ، لما انشأ هذه الكلمات التى اذاعها ، ثم نشرها فى « روز اليوسف » . وحسبك ان تعلم ان لويس عوض قال ان ابا العلاء تعلم باللاذقية ، واخذ آداب اليونان وفلسفتهم فى لغتها الأصلية ، من راهب دير اللاذقية ، وهو دير الفاروس . فيأتى الدكتور فيقول ان لويس عوض اجتهد فى

البحث (! ! !) عن تأثر أبي العلاء باليونانيات . ويدعى ان هذا التأثر تم بواسطة راهب يونانى اتصل به ابو العلاء فى حلب ، وافاد منه » ، فهذا الخلط كله لا يأتى من قارىء قرأ ما قاله لويس عوض ، ثم قرأ ما كتبته ورددته عشرات المرات فى المقالات التى ينتقدها ، وينصب نفسه حكما عليها . ولا على ايضا من ذلك ان شئت ، ولكن الذى على أن أجعل كل قارىء للرسالة حكما احكمه فيما كتبت ، هل وجد أحد منهم أنى لجأت الى « التجريح الشخصى ، والى استخدام الأسلحة غير الشريفة ، والى اثارة فتنة قومية ودينية » ، كما يقول الدكتور مندور ؟ أصحيح هذا ؟ اذا كان الدكتور مندور مستهينا بالألفاظ التى تجرى على لسانه ، أفيظن أن الناس يستهينون بعقولهم التى بها يفكرون ؟ ثم من يكون لويس عوض هذا ، حتى ارتكب له هذه الخساسات التى ينسبها الى زميل قديم ؟ واذا كان هذا الانسان معدودا عند الدكتور « أحد كبار مثقفيه هو » ، فهل يظن أن أحدا يوافقه على أن هذا الخاق الذى لا يمثل شيئا ، يمكن أن يمثل « طائفة قومية » و « فرقة دينية » حتى يكون ما يكتب عن كشف زيفه ، واماطة اللثام عن نكارة جهله ، واضطراب تفكيره ، واختلاط عقله ، سببا فى اثارة فتنة قومية ودينية ؟ هذا عجب فوق كل عجب !!

ومع ذلك فهذه الألفاظ الجريئة التى لا يستحل رجل غير مستهين بالناس أن يصف بها أحدا من الناس بلا بينة ، انما هى الفاظ ممجوجة قد ملتها الأسماع منذ قديم ، يوم كانت تتخذ أداة للارهاب واسكات الالسنة والاقلام ، والدكتور خبير بما اعنى ، فيما أظن . وللدكتور مندور ما شاء من الحق بعد اليوم ، أن يقول عنى ما شاء ، وان يستخدم هذه الألفاظ ما حلا له استخدامها وطاب مذاقها فى فمه ، ولكن ليعلم أنها الفاظ بالية المعانى ، لا تخيفنى ولا ترهبنى ، ولا تمنعنى من وضع هذا الانسان فى حاق موضعه من حركات التدمير التى تراد باهلى وعشيرتى وبلادى ، رفض ذلك الدكتور مندور ام لم يرفضه ، وهى أيضا لن تمسك قلمى عن تمزيق هذه الظلمات التى يتخفى فيها هو وامثاله ، رحب بذلك الدكتور مندور ام لم يرحب ، فانه يقول فى كلمته التى انشأها فى روز اليوسف : « انى أرحب بكل معركة ادبية او فنية نظيفة (هكذا قال ! !) ، ولكنى ارفض كل الرفض التجريح الشخصى ، والتهم الخطيرة الباطلة (وهكذا يقول ايضا ! !) ، التى يجب منعها (وهكذا يقول ايضا !!) ، حتى لا تثير فتنا قومية ودينية ما أغنانا عنها ، وما أحوجنا الى عكسها » !! و كما قال ! ورحم الله شيخ المعرة اذ يقول :

وكيف يؤمل الانسان رشدا
وما ينفك متبعا هواه
يظن بنفسه شرفا وقدرا
كأن الله لم يخلق سواه

ما احوج كل امرىء منا الى عظة هذا الشيخ الجليل ، رحمه الله ، وغفر له ، وجعل كل لسان سوء محمدة له عند ربه ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

هذا ، واذا كان الدكتور مندور ، يعد نفسه ناقدا ، ويعده الناس كذلك ، فأول شرط يجب أن يشتمل عليه الناقد ، هو الاحاطة بما يتكلم فيه ، حتى تصبح الاحاطة قبل الحكم خليقة وسجية لا يبذل فى صقلها جهدا ، ولا يلقى فى استخدامها عنتا . وهذا أمر مفروغ منه فيما أظن ، الا ان يكون « النقد » قد تغير وتغيرت شرائطه فى زمان لويس عوض (معذرة اذا قلت ذلك !) ، الذى يعده الدكتور مندور « طائفة قومية ، وفرقة دينية » !! اذا كانت هذه خليقة الناقد ، فبأى خليقة استباح الدكتور الناقد أن يقول : « من الثابت أن أبا العلاء المعرى لم يكن ثابتا على دينه الاسلامى متمسكا به ، بل لقد اتهم اتهاما اكيدا بالالحاد والزندقة » .

من الذى أخبر الدكتور مندور أن هذا ثابت واكيد ؟ وهل أحاط علما بما يدعى ثبوته واكادته (وهذه لفظة جديدة ، استعملتها للدكتور خاصة !) ؟ اذا كانت الأحكام الأدبية تلقى على الناس بهذا القدر من الاستهانة ، بلا تورع ، وبلا نظر ، وبلا احاطة ، فأى قيمة للآداب تبقى عند الناشئة ممن يجل الدكتور مندور ويتثقف على يديه ؟ وانا بحق زمالتى القديمة ، وبحق معرفتى بالدكتور ، كنت اربأ به عن هذه الاستهانة ، وكنت اتمنى له الا يدع لشىء ، مهما عظم ، سلطانا على أحكامه الأدبية ، لأنه اذا خلط هذه الأحكام

مرة بالتسرع والحيف وقلة الاحاطة ، سقطت الثقة باحكامه في مئــات من المرات . وكل مبتدىء من تلامذته ، يستطيع أن يرجع الى عشرات من الكتب قد نظرت في دين شــيخ المعرة ، ونقدت الأخبــار والأشعار التي ساقها من ساقها للدلالة على فســاد دين الشيخ ، فيرى فيها برهانا اقوم على ســـلامة دينه ، وعلى التزامه شرائع ربه ، فكيف يقول اذن ، اذا سمع الدكتور يثبت ويؤكد فساد دين الشيخ بلا برهان انتزعه من كتبه ودواوينه ، وبلا بينـة او حجة ؟ أهكذا يتصدر الناس للقضاء في مثـل ذلك الأمر العظيم ؟ وأي فرق يبقى بين الدكتــور مندور ، وهو مَن هو ، وبين لويس عوض ، هــذا الدعى الذى لا يحسن شيئا الا الثرثرة الفارغة ؟

ولم يفعل الدكتور ذلك ، ويرتكب هذا الحكم الجائر بلا تردد ؟ الأن شيخ المعرة قد مات وبليت عظامه منذ أكثر من ألف سنة ، فلم يبق على ظهـر الأرض حى يدفع عنه ، أو يتكلم عنه ، كما يجــد لويس عوض من يدفع عنه أو يتكلم عنه ؟ ورحم الله الشيخ ، كأنه كان ينظر بعين الغيب الى ما سيلقاه بعد موته اذ قال :

هتى عدد الأقــوام لبـا وفطنـة
فلا تســالينى عنهما وســـل بى
افارقهم ، ما العــرض منى عندهــم
ثليبـــا ، ولا عــرض لهم بثليب
وهان على سـمعى اذا القبر ضمنى
هــرير ضـــباع حوله وكليب

ولو أطاق الدكتور مندور أن يقرأ مـــا كتبت في مجلة الرسالة ، لعلم أن أمر اتهام الشيخ بفســـاد الديانة ، دونه أشواك مبعثرة من الشكوك ، لا يليق بدارس بعد اليوم أن يتجاهلها أو يغفلهـــا . وذلك لأن الدراسة الأدبية لآثار الرجال من كتاب وشعراء، لا تقوم على التسليم بالأخبار الملفقة التي يلقيهـــا مستهزىء، او مبغض، أو حاقد، او غافل، او علج من علوج الروم ، أو زاقول من زواقيل الجزيرة ، بل تقوم على نقد الأخبار ومصادرهـــا ومواردها بتمحيص مسئول عما يقول . وعار على أستاذ دارس أن يتقمم الكلمات من أفواه الناس بلا شك ، وبلا عرض لهذه الكلمات على الآثار نفسها ، بأمانة وصدق وجد ، وبلا استهانة كاستهانة جلاس المقاهي واحلاس الارصفة!! ممن لا هم لهم الا التشدق بالالفــاظ المستظرفة على ثقلها ، والنظرات المتهكمة على غثاثتها وبردهـــا .

وليعلم من يحب أن يعلم ، أن الدراسة الأدبية جد لا مزاح فيه ، وأن أمة تسلك طريق الهزل والتماجن ولوك الألفاظ المستشنعة تظرفا في دراسة آدابها ، أمة قد قضى الله عليها أن تكون هلاكا مجسدا ، وبلاء مصبوبا ، على ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

وما دام الدكتور مندور ، قد صرفني عن متابعـة ما كنت فيه من شأن هذا الدعي المتخابث ، الطواف على المجالس متاجيا بآثامه وحيله ومكايده وعبثه ، ملقيا في الآذان أنى أريد « فتنة قوميـــة ودينية » (اعنى لويس عوض قائل ذلك !) منذ بدأت اول مقالة كتبتها للرسالة ، ولم يزل يرددها حتى صدقها رجل مثل الدكتور مندور ، فرددها فيمـــا يقول عنى ـ ما دام الدكتور مندور قد صرفني الى مثل هذا الهـــذر ، فانى لمنصرف الى مـا كتبـــه في مجلة « روز اليوسف » فيما سماه « معركة الشعر » ، وان كنت غير راغب أن أتعجل هذا الأمر قبل أوانه من مقالاتى هذه . ولكن هكذا أراد الدكتور مندور ، وهكذا عجل القلم . ولكنى لن أدخل الأمر من مدخله الذى كنت أتوقع الولوج منه ، بل من حيث اراد الدكتور مندور نفسه أن أدخل ، بأن جعل المعركتين، فيما زعم ، في قرن واحد ، ووصفهما بصفة واحدة اذ قال بعد كلامه الذى نقلته في صـدر الحديث : «حيث اخذت تتسلل الى هاتين المعركتين (!!) عناصر تجريح شخصى غير كريم ، واتهامات قومية وسياسية غير شريفة (والعياذ بالله من الألفاظ !) » . والذى يحملنى على الانصراف الى هذه المقالة في الشعر ، أن الأمر في نقد « المعركتين » ، مبنى كله فيهمـــا على الاستهانة بخطر الألفاظ والأحكام ، وقائم على عدم الدقة والضبط في تحديد المعانى ، وعلى اذابة الجد في ماء عكر من الهزل ، بلا توقف ولا أناة .

يقول الدكتور مندور : « وأكثر خطرا وضراوة وضررا من تهمة الخروج على القومية العربية ، ممثلة في الاطار التقليدى للقصــيدة ، تهمة الخروج على الاسلام ، بدعوى أن هذا الشعر الجديد يســتخدم أحيانا الفاظا كثيرة التردد في دين كريم يعترف به الدين الاسلامي نفسه ، كالدين المسيحى ، مثــل لفظة «الخطيئـــة » ، ولفظة « الخلاص » ، ولفظـة « الصلب » ، فهذه تهمة غبية ؛ ونحن المسلمين نعتبر جميع الديانات السماوية جزءا من تراثنـــا الروحى بل جزءا من التراث الروحى للبشرية جمعاء ونحن حتى لو افترضنا العكس ، لما جاز هذا التخبط

في الاتهام ، مراعاة لمشاعر اخواننا في الوطن الذين شاركونا دائما افراحنا واحزاننا ومعاركنا الوطنية الكبرى ضد الاستعمار والرجعية والاقطاع والراسمالية الجشعة ، وهم اخواننا واشقاؤنا الاعزاء الاقباط » .

وقبل أن أبدأ في بيان ما أريد من خطر هذه الكلمات المختلطة التي تلقى بلا حساب ، أحب أن أسأل سؤالا ، لا أوجهه الى الدكتور مندور ، بل لكل من لا يدين بالاسلام من المواطنين : ما الذي يجرح مشاعر احد منهم ، اذا قلنا ان لفظ « الخطيئة » ، و « الخلاص » ، و « الفداء » ، و « الصلب » ، وهي الفاظ ذات دلالات واضحة في العقيدة المسيحية ، ليست لها هذه الدلالات عندنا نحن المسلمين ، وليس لها تاريخ أو أثر في حياتنا ، كتاريخها وأثرها في حياتهم ، وأن المسلم اذا استعملها ، فانه يستعمل الفاظا لا تؤدي معنى واضحا في نفسه ؟ وبلا ريب ، لا يستطيع مجيب أن يقول : ان هذه المقالة تجرحني وتؤذي مشاعري ! فانه عندئذ يكون متجنيا اكبر التجني ، في الزام من لا يدين بدينه ، أن يدين بمدلولات ألفاظ لا أصل لها في عقيدته . أليس كذلك ؟ فاستخدام الدكتور مندور ، « أسلوب الحكيم » في عرض هذه المسالة ، ضرب من المغالطة ، وتحويل للأمر كله عن مستقره ، وادخال للسفسطة في مقام لا يحسن فيه الا صريح العقل والمنطق . واذا جاز للدكتور مندور أن يقول هذا للمسلمين حتى ينتهوا عن انكار ذلك على من يستعمله ، لجاز ايضا لمن يعكس الأمور من المسلمين أن يقول لأهل المسيحية : ارجوكم أن لا تستعملوا لفظ « الخطيئة » ، و « الخلاص » و « الفداء » و « الصلب » ، لأن ذلك يجرح مشاعر المسلمين ؟ أمن العدل أن يطالب أحد نصرانيا بمثل هذه الحجة المتهافتة ؟ هذا خلف من القول رديء .

وأمر الدين امر جلل ، لا يقضي فيه الدكتور مندور ، أو لويس عوض ، أو غيرهما بما يشتهي هو ويحب ، بالفاظ يراها هو دالة على معنى مفهوم ، وهي لا دلالة لها الا على سوء تصور الأمور المشكلة التي تفضي الى اكبر الاخطار . فقول الدكتور مندور « اننا نحن المسلمين نعتبر جميع الديانات السماوية جزءا من تراثنا الروحي ، بل جزءا من التراث الروحي للبشرية جمعاء » ، قول لا يقوم على ساق صحيحة ولا ساق عرجاء ، وليس يصح له أن يذيع مثل هذا على الناس ، بلا احتفال ولا تقدير لدلالاته . وأقل ما فيه من الخطأ ان قائله لا يحسن أن يفرق بين معنى « الديانة » ، كما يعرفها كل ذي دين ، وبين معنى « الكتاب » الذي أنزله الله على نبي من أنبيائه . فالمسيحي مثلا ، لا يعد الديانة اليهودية ولا الديانة الاسلامية جزءا من تراثه الروحي ، والا انتقض عليه دينه . واليهودي أيضا ، لا يعد الديانة المسيحية ولاالديانة الاسلامية جزءا من تراثه الروحي ، والا انتقض عليه دينه ، وكذلك المسلم ، لا يعد الديانة اليهودية ولا الديانة المسيحية جزءا من تراثه الروحي ، والا انتقض عليه دينه ، لأن كل ديانة من هذه الثلاثة لها عقيدة شاملة منتزعة من كتابها كما هو عندها ، وكما تفسره ، وكل عقيدة منها تنقض كثيرا من عقائد الديانتين الأخريين ، فغير معقول بوجه من الوجوه أن تعد شيئا مما تنقضه جزءا من تراثها الروحي ، الا اذا كان معنى « التراث الروحي » متسعا للتناقض الذي لا يقبله عقل عاقل .

فنحن المسلمين انما امرنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام ، وأنزل الانجيل على عيسى بن مريم عليه السلام ، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، اي شاهدا عليها أنها حق من عند الله أمينا عليها ، حافظا لها ، فما وافق القرآن فهو حق وما خالفه ، فالله حاكم بيننا وبينهم فيه يوم القيامة . وهذا بلا ريب صريح المعقول ، أما أن يكون ما وافق القرآن ، وما خالفه جميعا جزءا من التراث الروحي للمسلمين وغير المسلمين ، فهذا ابطال لقضية الدين كلها ، ويكون معناه عندئذ أن تمحى جميع الفروق بين الديانات ، وخير للناس يومئذ أن يعترفوا جميعا ببطلان دياناتهم ، ويلتمسوا لأنفسهم دينا آخر يجتمعون عليه . وهذا شيء لايقول به احد من أهل الأديان .

وندع هذا الخلط في كلام الدكتور مندور ، الى دلالة الألفاظ التي سبق أن ذكرت في مقالتي الخامسة أن لويس عوض ، منذ ملاه مالئه في «الخلوة المشهورة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » ثم أطلقه خلال الآداب عامة ، والآداب العربية خاصة ، لا يكاد يرى في سمادبره الا « الصلب » و « الخلاص » و « الفداء » و « الخطيئة » ، ولا يكاد يرى ما يكتبه

الكتاب والشعراء ، كتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ، وصلاح عبد الصبور ، وغيرهم ، الا مقرونا بهــذه العقــائد ، وهــذه الالفاظ هى نفس الالفاظ التى جاءت فى مقــال الدكتور مندور ، وأفتى فيها بما افتى ! !

وهذه الالفاظ الاربعة ، ينبغى أن تدرس بـــلا غموض ولا ابهام ، كما يحاول ذلك من يحاوله من صبيان المبشرين ، وبلا استهانة بدلالاتها كما يحاول ذلك الدكتور مندور وغيره ممن يعدها رموزا لتراث روحى ، لا بأس على المسلم فى استعمالها ! كلا ان الطريق محفوف بالمخاطر ، لمن صدق نفسه ، وعرف حرمة الكلمة كيف تقــال ، وكيف تفسر ، وكيف توضع فى موضعها . وترتيب هذه الكلمات الاربعة فى دلالتها عند القوم يأتى هكذا : «الخطيئة» ، ثم «الفداء» ، ثم «الصلب» ، ثم «الخلاص» .

وتلخيص معنى هذه الالفــاظ الاربعة فى العقيدة المسيحية : أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم من تراب وقال له : « يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » فأزلهما الشيطان عنها . فبهذه المعصية كمـــا نقول نحن ، وهى « الخطيئة » عند النصارى ، أصبحا هما وذريتهما تحت سلطان هذه الخطيئة ، لا ينفكون منها ، واستحق البشر جميعا ، بخطيئة والديهم ، عقاب الآخرة وهلاك الابد . وهذا هو ناموس العدل الذى لا يتغير ، يستحقه من عصى الله سبحانه عندهم ، ومن ورث خطيئة آدم وزوجه . فان عاقب الله آدم وذريته على خطيئتهم بهلاك الأبد ، فذلك ما يوجبـــه ناموس عدله فى حكمه ، ولكن ناموس رحمته يستوجب العفو عنهم، فناقض ناموس العدل ، ناموس الرحمة ، فتطلب الامر شيئا يجمع بين الرحمة والعدل .

فكانت الفدية التى يتم بهـــا ناموس العدل ، ويتحقق بها ناموس الرحمة . ولكن ينبغى أن تكون الفدية طاهرة غير مدنسة ، وليس فى الكون ما هو طاهر بلا دنس الا الله سبحانه وتعالى . ولكن تعالى الله عن أن يكون له جســـد يكون فدية ، فأوجبت المشيئة أن يتـــخذ جسدا يتـــحد فيه اللاهوت والناسوت ، فاتحدا فى بطن امرأة من ذرية آدم هى مريم ، فيكون ولدها انســـانا كاملا من حيث هو ولدها ، وكان الله ، تعالى عن ذلك ، فى الجسد الها كاملا ، فكان المسيح الذى اتى ليكون فدية لخلقه .

وهذا هو «الفداء» . ثم احتمل هذا الانسان الكامل والاله الكامل ، أن يقدم ذبيحة ، ليكون ذبحه تمزيقا لصك الديونة المصلت على رأس بنى آدم ، فمات المسيح على الصليب . فاستوفى ناموس العدل بذلك حقه ، واستوفى ناموس الرحمة بذلك حقه ، وهذا هو «الصلب» . وكان احتمال ذلك كله كفارة لخطايا العالمين ، تخلصهم من ناموس هلاك الابد ، وهذا هو «الخلاص» . ولما كان البشر كلهم خطاة بخطيئة أبيهم آدم وامهم ، فهم هالكون هلاك الابد ، ولا ينجيهم من عقاب الشريعة الالهية العادل المخيف ، سوى ايمانهم بالمسيح الفادى ، وبحضوره فى كل وقت فى قلوب المؤمنين ، فى الفرح والحزن ، والشقاء والسعادة ، فهو الذى يؤازرهم بما يحتـــاجون اليه من العون والحكمة ، ويخلصهم من ثقل الخطيئة ، وينجيهم من العقوبة المستحقة عليهم منذ كانت الخطيئة الاولى .

وهذه الالفاظ الاربعة ، لا تعامل معاملة أشباهها، من جهة اللغــــة ، بل من جهة دلالتهـــا على عقيدة متكاملة . فالخطيئة ، فى لغة العرب الجاهليين ، ثم فى لغة المسلمين ، لا تحمل شيئا من معانيها ولوازمها فى لغة النصارى ، وان كان اللفظ واحدا . ومعصية آدم عندنا معصية كسائر المعاصى ، تمحوها التوبة، وخطيئة كسائر خطايا الناس ، تغسلها المغفرة ممن يملك المغفرة ، وهو الله ســبحانه . وقد بين الله ذلك فى قوله : « وقلنا يا آدم اســكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شــئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم». فكانت توبة آدم ماحية لمعصيته فى الدنيا والآخرة ، لا تستتبع عقوبة باقية ، وان الله سبحانه كتب فى صحف ابراهيم وموسى : «الا تزر وازرة وزر أخرى»، فلا يرث مولود خطيئة والد «وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . فهذا ينقض على المســلم استعماله لفظ «الخطيئة» ، بمدلولها فى الديانة المسيحية. لان هذا الضرب من «الخطيئة» ، لا أصل له فى عقيدته ، بل هو منهى أن يعتقد توارث الخطيئة ، لانه اذا اعتقد ذلك كذب خبر الله فى كتـــابه ، بأن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وتكذيب خبر الله واعتقـــاد خلافه كفر مجرد . لايختلف فى ذلك أحد من المسلمين والعقلاء عامة مسلمين أو غير مسلمين .

واذا بطل أن يكون للفظ «الخطيئة» عند المسلمين معنى يحمله ، كالذى هو عند النصارى ، بطل ان تحتاج معصية آدم الى فدية تتطلبها ضرورة الجمع بين الرحمة والعدل . و «الفداء» بالمعنى الذى تدل عليه عقيدة النصارى ، غير مفهوم عند أحد من المسلمين ، ولا يرى ما يستوجبه ، اذ لم تكن الخطيئة عندهم متوارثة فى الذرية . واما ما استوجب معنى الفداء من ألوهية المسيح وبنوته لله ، تعالى الله عن ذلك ، فان الطفل الصغير يقرأ فى أول مايقرأ : «قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » . ثم يتعالى حتى يقرأ بعد ذلك: « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا » . الى آيات كثيرة بهذا المعنى . فاستحال أن يكون ذلك من عقيدة أحد من المسلمين، واذا استحال هذا ، استحال ما يوجب معنى «الفداء» ، ولا يبقى لهذا اللفظ سوى المعنى اللغوى العربى المشهور .

واذا بطل هذان المعنيان ، لهذين اللفظين «الخطيئة» و«الفداء» ، على الوجه الذى هو من عقيدة النصارى ودياناتهم . واستحال ان يقولهما المسلم وهو يعتقد فيهما مثل ما يعتقده النصارى ، لم يكن للفظ « الصلب » بعد ذلك أى معنى ، سوى المعنى اللغوى المشهور ، سواء كان المسيح قد صلب كما يعتقد النصارى ، أو لم يصلب كما يعتقد المسلمون ، بما أنبأهم الله سبحانه وتعالى اذ يقول فى كتابه الكريم حين ذكر اليهود وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق : «وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما » .

واذا استحال أن يكون لهذه الالفاظ الثلاثة معنى عند مسلم يعتقد صدق ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه من القرآن ، استحال أن يكون للفظ «الخلاص» معنى مفهوم عنده ، على الوجه الذى يعتقده من يدين بالنصرانية وعقائدها .

واذا استحال أن يكون لهذه الالفاظ الاربعة : « الخطيئة ، ثم الفداء ، ثم الصلب ، ثم الخلاص » معنى عند المسلم على الوجه الذى تدل عليه عند أصحابها ، فكيف تكون جزءا من تراثه الروحى ؟

أهذا كلام يعقل ؟! كلا بلا ريب ، لا يعقله مسلم ولا نصرانى ولا مجوسى ، ولا ماشئت من أصحاب العقائد والديانات ، ولا يخرج عن أن يكون سخفا لا يستغفل بمثله النصارى ارادة أن تستجلب مودتهم . ولن يؤذيهم ويجرح مشاعرهم ان نكون صرحاء فى التعبير عن وجوه الخلاف بيننا وبينهم فى العقيدة ، ولكن بما آذاهم ان تتخذ الفاظ عقيدتهم لهوا ، بادخالها فى باب المداهنة السخيفة التى لا تدل على عاطفة صحيحة ، بل على آفة شديدة فى هذه العاطفة . وكيف لا يؤذيهم ، وهم يعرفون اننا نقول لهم شيئا فيما يمس عقائدهم ، ونحن نبطن شيئا غيره ، ان هذا الفعل أقرب الى السخرية بهم والاستهزاء بعقولهم . وهذا بيان كاف فى هذا الامر انشاء الله .

اما مسالة استخدام الشعر الجديد لهذه الالفاظ الاربعة ، فلا بد من تحديد وجهة النظر الى هذا الموضوع . فالشعر تراث عام فى كل لغة من اللغات وسواء أكان المتكلم بهذه اللغة مشركا ، أم يهوديا ، أم نصرانيا ، أم مجوسيا ، أم مسلما ، أم جاحدا لذلك كله كافرا به ، فمن حقه أن يستخدم شعر اللغة للبيان عما فى نفسه ، لا يملك أحد أن يدفعه عن ذلك ، وليس يجعل شعره حسنا أن يكون اعتقاد الشاعر حسنا عند قارئه ، ولا يجعله سيئا أن يكون اعتقاد الشاعر سيئا عند قارئه . فالشعر ، هو كما قالت أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها : « الشعر كلام ، فحسنه حسن ، ورديئه ردىء ، فخذ الحسن واترك الردىء » . واذا كان الامر كذلك ، فليس يعيب شعرا يقوله نصرانى أن يأتى فيه بالفاظ أهل ملته ، مادام صادقا فى التعبير عن نفسه بكلام جيد يدخل فى باب الشعر . وتأتى على النفوس أزمان وأحوال ، تكون بعض الفاظ العقيدة كأنها جو شامل شديد التفجير لها من نواحيها ، فتجرى الألفاظ عندئذ فى مد النفس تلوح معبرة عن معان مختزنة من تجارب القرون التى عاشت بهذه العقيدة ، ومن التجربة الحديثة التى نبعت وانبثقت فى نفس هذا الشاعر او ذاك . فالنصرانى المعتقد فى « خطيئة » أبيه آدم أنها خطيئة لا تمحوها توبة ، وأنه ورث هذه الخطيئة فى دمه ، وأن نكال الهلاك الخالد جاثم على روحه ، اذا استدفعه الاحساس الطاغى الصادق الى الابانة عن كل ما فى نفسه من تراث دينه وعقيدته وثقافته ، فذكر بعد ذلك

« الفداء » ، و « الصلب » ، و « الخلاص » ، في حق موضعه من الشعر ، فقد أحسن غاية الاحسان في الابانة عن نفسه ، وعسى أن يقرأه المسلم وغير المسلم ممن شم طرفا من معرفة عقائد النصرانية ، فيهتز لهذا الشعر اعتزازه لأي شعر آخر ، ضمن بيانا مشرقا من احساس صحيح نابض . وأظن أن الذين يتكلمون في « معركة الشعر » ، لم يريدوا قط أن يحجروا على النصارى أن يقولوا من جيد شعرهم ما جادت قرائحهم بالجيد من الشعر ، ولم يستنكروا على ذي عقيدة أن تجرى ألفاظ عقيدته في شعره .

ولكن الشيء العجيب المحير، هو أن كثيرا من رواد الشعر الحديث في السنوات الأخيرة ، قد أوغلوا في استخدام هذه الألفاظ الأربعة ، وقليل من أشباهها ، في شعرهم ، وهم جميعا مسلمون . فالأمر عندئذ يوجب اعادة النظر . أهؤلاء جميعا قد تواطأوا على استعمال هذه الألفاظ الأربعة لدلالتها اللغوية المجردة ، أم بدلالاتها التي تتطلبها العقيدة المسيحية مترابطة متواصلة لا ينقطع حبل معانيها المتداعية من « الخطيئة » الى « الفداء » الى « الصلب » ، الى « الخلاص » ، كما أسلفت بيانه ؟ فاذا كانوا قد تواطئوا على استعمالها بدلالتها اللغوية المجردة فما الذي ألزمهم هذه الألفاظ الأربعة ، ولم يضعوا مكان «الخطيئة» مثلا « الاثم »، و « الذنب » ، أو « الحوب » أو « المعصية » ، أو « الزلة » أو ما شئت ؟ وكيف تواطئوا ، على تباعد الديار والأوطان ، على هذه الكلمة ، وأي سحر فيها ! ولم قالوا « الفداء » ، وأكثروا ، ولم يقولوا قط « الكفارة » ؟ ولم قالوا « الصلب » و « الصليب » ، ولم يقولوا « الشنق » و « المشنقة » ، وهي أشهر وأعرف وأكثر استعمالا الى اليوم ؟ ولم قالوا : « الخلاص » ، ولم يقولوا « النجاة » ؟ والجواب بلا شك أنهم لم يستعملوها بدلالتها اللغوية ، ولا فكروا في ذلك ، لأسباب كثيرة جدا ، أقلها أن التواطؤ على هذه الصورة في ألفاظ أربعة من اللغة ، يدخل في باب المحال عقلا حدوثه ، اذا زعم الزاعم أن ذلك وقع اتفاقا ومصادفة ، فطابق الألفاظ الأربعة التي تقوم عليها العقيدة المسيحية .

ومن المغالطة الفاضحة ما قرأته في صحيفة لويس عوض (المعروفة الآن بصحيفة الأهرام ! !) حيث زعم الكاتب « أن أكبر ما اضافته الحركة الشعرية الجديدة هو الاستعانة بالرمز ، فالصلب عند كثير من الشعراء ، رمز لتضحية الانسان في سبيل القيمة التي يؤمن بها . والاسلام يعرف كلمة الخطيئة ، كما قال القرآن الكريم : « واغفرلي خطيئتي يوم الدين » . وهذا نص كلامه . ولست أدري كيف يتكلم الناس هذه الايام ، أبألسنتهم دون عقولهم ، أم بهواجسهم دون تأملاتهم ، أم بخطراتهم دون أفكارهم ؟ لماذا كان « الصلب » رمزا للتضحية ، ولم يكن القتل ، ولا الشنق ولا المثلة ، ولا الخازوق !! مادام الأمر يتعلق باللفظ دون دلالته المرتبطة بمصلوب بعينه أو مقتول أو مشنوق أو ممثل به أو مخوزق !! وأما «الخطيئة» فلم يقل لنا ماهو الرمز الذي اتخذت له. والاسلام كما يعرف « الخطيئة » ، وهي التي يحتقبها أبناء آدم ، يعرف « المعصية » ، و « الذنب » ، وقال في ذكر أبينا آدم : « وعصى آدم ربه فغوى » ، ولم يسم معصية آدم « خطيئة » قط . فهذه مغالطات معيبة . (وبالمرة ، يحسن أن يقال لهذا الكاتب الا يتبع سبيل المستهينين بحقوق الألفاظ والنقول، فليس في القرآن آية كالتي ذكرها ، بل الذي قال الله تعالى : والذي أطمع أن يغفرلي خطيئتي يوم الدين . فلزم التنويه) ! وياللعجب لصحيفة الأهرام !! ما أشد عنايتها وحفاوتها بما ينشر فيها!

وقد ذكرت هذه المغالطة ، لأنها هي الطريقة المستعملة حديثا (!!) في التفكير ، ولأنها هي الستار الذي يلقى على الحقيقة المفزعة ، مضافا اليها توابل من ذكر التطور ، وسائر الالفاظ التي تباع الآن في الصحف منظومة في الأعمدة ، كما تباع عقود الفل والياسمين . ولكن من البين أن هذه المغالطة قريبة مكشوفة كما سلف . والحقيقة أن الأمر كله يتلخص في كلمات قلائل :

فهذه الكلمات الأربعة، وهي أس العقيدة المسيحية لايمكن أن تقع اتفاقا ، فيتوطأ عليها بعض الشعراء ، لا عن عقيدة ، بل عن التماس رمز لشيء يجدونه في حياتهم ، فلا يجدون الا هذه الاربعة بأعيانها . هذا باطل بالطبع . ولكن الواقع أن في بعض البلاد وبعض الطوائف من جعل ديدنه في شعره، ذكر هذه الاربعة ولا يعاب أن يذكرها لأنه مسيحي يعيشها عقيدة واقتناعا بجميع ماتلزمه العقيدة من امتداد معاني هذه الألفاظ وروابط بعضها ببعض . ولكن هذا

الضرب من الشعر، قد تولى منذ قديم بعض صبيان المبشرين الترويج له ، والاكثار من التلويح بانه الجديد الذي لا جديد غيره، واكثروا في ذلك الصخب واللجاجة في الصحف والمجلات ، وقارن ذلك تفشي شعر اليوت ، ومذهبه في تحديد الثقافة ، وان ثقافة الشعب ، ودين الشعب ، مظهران مختلفان لشيء واحد، لان الثقافة في جوهرها تجسيد لدين الشعب، **وان السير الى الايمان الديني عن طريق الاجتذاب الثقافي ، ظاهرة طبيعية مقبولة .**

وبمكر وخبث شديد ، مزج بين اليوت ومذاهبه، وبين هذا الشعر الذي يحمل هذه الالفاظ الاربعة في فئة غريبة الاطوار من دراويش جبل لبنان ، وجلجل الدعاة بالمقالات الطنانة ، واتخذت في كل بلد عربي ركائز لهذه الابواق ، تذيع ما يلقى اليها او تلقنه ، وظهر في مصر في اوائل هذا الوقت صبي «الخلوة المشهودة تحت اشجار الدردار» ، واطافت به طائفة على شاكلته ، وكان يومئذ في الجامعة مدرسا للغة الانجليزية ، وكتب شعر بلوتولاند الذي دللت عليه ، وكان الصبي القديم قد هرم وصار كهلا لاغيلمة المبشرين في مصر . وبدا نفث السموم ، تصادف ذلك شبابا قل محصولهم من الجد في القراءة، وسئموا الشيء الذي يلقى اليهم فلا يفهمونه ولا يحترمونه ، لان نظام **دنلوب** كان قد انتهى الى غايته في قتل اللغة العربية في عقر دارها ، في مصر ، ولا يزال يفعل ، الا ان تتداركها العزائم المخلصة . فمن ههنا بدت هذه الالفاظ الاربعة تاخذ طريقها الى السنة هذه الطائفة من الشعراء المحدثين، مقرونة بالحملة المبددة لموازين الشعر القديم، فكان المسلمون من هؤلاء الشعراء ، انما يستعملون هذه الالفاظ لظنهم انها جزء متمم لجدة الشعر ، والاحساس بواقع الحياة التي يعيشونها، بما فيها من آلام الحيرة والضياع والاستبداد والمخاوف ، فكان لهذه الالفاظ الجديدة سحر في نفوسهم ، فاتخذوها تقليدا ، بلا فهم بما تنطوي عليه من الدلالات . وكلما نشأ ناشيء منهم ، قام له من يثني عليه ويمتدحه ويذيع بشعره حتى يجتذب الى تقليده آخرين . وتفشت الكلمات، وطال عليها بعض الامد ، فلما جاء الاعتراض عليها، التمسوا تفسيرا لهذه الالفاظ المقلدة التي لا صدى لها في نفوسهم ، فقالوا هي **(الرمز)** ، فسألهم : رمز لماذا ؟ ولم كانت هذه الاربعة دون غيرها هي الرموز؟ لم يحيروا جوابا الا كالجواب الذي اسلفنا ذكره ، بما فيه من المغالطة ، فالامر كله مبني على تقليد مجرد لا قيمة له . فالمقلد لا يفلح ابدا . وانما يفلح من جاء الاحساس بالشيء من قرارة نفسه ، وقليل ما هم في كل من يتكلم .

وفي هذا الأوان نفسه يقوم لويس عوض وصبيانه بتفسير آثار توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور على اساس من مفهوم هذه الالفاظ الاربعة : وانهم وان كانوا مسلمين ، فان آثارهم التي لا تحمل هذه الكلمات الاربعة بنصها ، تحملها جميعا بمعناها ومبناها! وهذه احدى الاعاجيب ، ولكن ليس بعجيب ان يكون هذا المبشر الداعية الى تحطيم المجتمع العربي ، في خلال هذه الفترة الشديدة الخطر قد لقن كما لقن غيره من الابواق في اماكن مختلفة ، بين كتاب وشعراء ان يبدأوا بث هذه الافكار التي توهن الشعور باليقظة ،و تشكك في الماضي ، وتعلم الشيء التقليد ، اي الكذب على النفس وعلى الناس.

لقد قطعني الزميل القديم عما كنت فيه من امر العامية وتاريخها وآثارها . وكنت اوشك اكتب : « وهذه هي اخطارها »، ولكني انصرفت عن ذلك اثناء الكتابة ، وان كنت اظن الامر قريبا من قريب، والى الاسبوع القادم ان شاء الله .

محمود محمد شاكر



فن ترجمة الشعر

للدكتور : عبد الحميد يونس

لقد واجه الشعر فى العالم كله تقريبا ازمة جعلته يتخلف عن مكانته الممتازة بين فنون التعبير ، وظهرت هذه الازمة بصورة واضحة بين الحربين العالميتين ، وكانت مثاراً للجدل والمناقشة والبحث ، وكاد يجمع النقاد والشعراء والفلاسفة على أن طبيعة الحياة المعقدة التى تنزع الى السرعة فى كل شىء ، والتى يغلب الصخب فيها على التامل ، هى التى جرفت الشعر عن مكان الصدارة الذى ظل يتربع عليه الاحقاب والدهور . وليس من شك فى أن هذه الازمة لا تعود الى طبيعة الحياة شبه الصناعية ، بقدر ما تعود الى طبيعة الشعر نفسه ، ذلك لان التعبير الفنى ـ مهما أصابه ـ لا يزال هو المحقق لوجود الانسان وموقفه من نفسه ، ومن الحياة ، ومن الكون . وليس من شك أيضا فى أن تخلف الشعر لايعنى تخلف الشاعرية الانسانية التى تتوزعها فنون الايحاء والتوقيع وتشكيل المادة .

وكان من الطبيعى أن تصبح ازمة الشعر بعد الحرب العالمية الثانية ، شبيهة بالادوار المزمنة التى يستعصى تشخيصها ، ويتعذر علاجها . ولم يغب عن النقاد والفلاسفة والشعراء أن الاشكال الجديدة والمضامين الجديدة قصيرة الاعمار بالقياس الى الاشكال القديمة والمضامين القديمة ، وكأنها المواليد التى لم تستكمل فترة الحمل الصحى ، والتى خرجت الى الحياة ناقصة الوزن ... ناقصة الاعضاء بعد ولادة عسرة ، احتاجت فى ابداعها الى ما يشبه مبضع الجراح .. ! ولقد كثرت فى عالم الشعر الانماط المستحدثة ،وكان على الحياة أن تتلقاها بين التسليم والانكار ، وبين الدعاية والاختبار وكثرة هذه الانماط تشير فى ذاتها الى عمق الازمة واستمرارها ، وتشير ايضا الى أن روح العصر لم تجد بعد الشعر الذى يخلدها . وانها تتردد بين الشعر التقليدى الذى استطاع ان يبقى عنصرا حيا من عناصر الغذاء الفنى ، وبين الشعر المستحدث الذى لا يحمل من عناصر الغذاء اكثر مما تحمل شطائر الانسان العجل الذى لا يجد وقتا حتى للوقوف ! . .

الاحياء والترجمة

يخطىء من يظن أن العرب لا يواجهون هذه الازمة العالمية فى الشعر الآن ، وهم بفضل موطنهم الكبير ، يتوسطون العالم ، ولا يمكن أن ينعزلوا عن تطوراته وأحداثه ، وبخاصة فى دنيا الفكر والوجدان . واذا كان هناك نفر من الناس قد تصور بحسن نية ـ ولا نقول بسوء قصد ـ ان الادب العربى قد تاثر الفرس واليونان والرومان فى العصور الوسطى، تاثره للآداب الأوروبية والأمريكية فى العصر الحديث، فان ذلك لا يمكن أن يحجب الحقيقة السافرة ، وهى أن الادب العربى بصفة عامة ، والشعر العربى بصفة خاصة ، قد منح الشعوب الهيلينستيه والرومانية والجرمانية ببعض الأشكال والمضامين حتى فى غضون الصراع الصليبى . ولكن العرب عندما افاقوا فى نهضتهم أوائل القرن الماضى، واجهوا موقفا مزدوجا .... واجهوا مقتضيات الاحياء التى تضعهم فى مكانهم من تاريخهم ، كما واجهوا

تفوق الغرب المادي بثورته الصناعية الكبرى . وليس صحيحا على الاطلاق ان جميع مقومات النهضة انما كانت حكاية لأفكار الغرب ، وآداب الغرب ، وسلوك الغرب . وكل منصف يتوسل بالحياد في الحكم يستطيع أن يستعيد احداث النهضة وفكراتها قبل الحملة الفرنسية بزمن يقصر أو يطول . لم تكن النهضة العربية في السياسة والفكر رقصة على ايقاع المدافع الفرنسية ... ولا كانت آثار أقدام الجنرال «بونابرت» ... لم تكن صدى لدهشة « رفاعه رافع الطهطاوي » ومن كان معه في باريس ، ولكنها كانت تحولا في الحياة وفي السلوك ... في العقول وفي القلوب ، نجد شواهده ـ أو لعل الأصح ان نقول بعض شواهده ـ فيما سجله المؤرخ العربي « عبد الرحمن الجبرتي » عن الفترة التي سبقت الحملة الفرنسية وقدوم نابليون .

لم يتأثر العرب في مصر بما سجله العلماء الذين صحبوا الحملة الفرنسية ، وانما تأثروا المطبعة التي بقيت بعد خروج هذه الحملة . وليست المطبعة هي التي صنعت النهضة الادبية ، ولكنها سايرت التطور النزاع الى ديمقراطية العلم والفكر والادب . وسرعان ما يسرت هذه المطبعة الكتب لأوساط المتعلمين، وكانت ترتكز في عهدها الاول على الاحياء الذي تجاوز الصنعة الجامدة في فن الشعر الى التماس النماذج في عصور البداوة والحضارة على السواء ، وظهرت الكلاسية الجديدة بجميع مقوماتها من الاحتفال بالشكل ، والاكبار من شأن القديم ، واعتبار الفن الشعري حرفية لها قواعدها وضوابطها وعلاقاتها ، ومع ذلك استوعبت هذه الكلاسية الجديدة مضمونا يصور النزعة الثورية الى حرية الفرد ، وحرية الجماعة ، ولم تلبث ان حاولت الافادة من الادب الغربي في الصور وفي الانماط معا ... في شعر اسماعيل صبري ظلال فرنسية باهتة ، وفي شعر شوقي محاولة لتقليد الغرب في المسرحية الشعرية ، وكلاهما من أئمة الكلاسيين ...

ومن الصعب ان نرسم خطا فاصلا بين الكلاسية الجديدة من ناحية ، وبين الرومانسية في نهضتها الادبية من ناحية اخرى . ذلك لان شخصية الفرد كانت تطل برأسها من خلال الاشكال والقواعد عند « البارودي » واسماعيل صبري وشوقي وغيرهم ، بيد أن الاتجاه الرومانسي استكمل ملامحه وقسماته عند الاصدقاء الثلاثة : عبد الرحمن شكري وابراهيم المازني وعباس العقاد ... عندهم تحول الاحياء الى ترجمة ، فنحن نجد شعراء البحيرة الغنائيين فيما صدر عن هؤلاء الثلاثة ، وشعراء البحيرة هؤلاء ، هم أئمة الشعر الغنائي الانجليزي الحديث. ومع ان شكري والمازني والعقاد ، قد فتنوا بالادب الأوروبي ، وقلدوا الشعر الانجليزي ، الا انهم لم يستطيعوا الخروج على تقاليد الشعر العربي في القالب والصياغة واللهجة . ونحن نجد في دواوينهم محاولات صريحة لترجمة الشعر ، وهي محاولات قامت على ركنين اساسيين : الأول هو انتخاب المقطوعات التي تناسب قدرة المترجم وذوقه ، والثاني ، هو العمل على الاحتفاظ بجميع مقومات الشعر فيما يترجم ... والسؤال هو : الى اى مدى وفقوا في هذه المحاولة ؟ ..

ولقد كشفت هذه المحاولة عن صعوبة ترجمة الشعر من لغة الى لغة اخرى ، والاجابة عن مدى توفيق هؤلاء الثلاثة في نقل الشعر الى العربية تكمن في المعيار النقدي الذي وضعه احدهم للحكم على الشعر بصفة عامة . فلقد قرر العقاد « ان الشعر الجيد في لغة ، جيد في لغة اخرى » اى ان مقومات الشعر ليست في الشكل ولا في الصياغة ، ولكنها في المعاني والأخيلة والصور ، وما دام المترجم على بصر باللغتين الى جانب الشاعرية ، فانه يستطيع أن ينقل المقطوعة أو المطولة نقلا أمينا كاملا ... قد تكون في اصلها الانجليزي أو الفرنسي مرسلة بلا قافية ، وقد تكون ثمانية الاقدام ، أو اسكندرية الايقاع ، ومع ذلك فالمترجم حر في أن يصبها في الوزن الطويل او البسيط او المتدارك مع التزام القافية بطبيعة الحال . وتدوين الشعر في اللغة العربية يختلف عنه في اللغة الانجليزية او الفرنسية ، ومن هنا تتباين علامات الترقيم التي تبين الوصل والفصل والوقف . وليس الامر مجرد كتابة ، ولكنه النبرة والمعنى والصورة . ومع ذلك استطاع المترجمون الرومانسيون الأوائل ان يتجاوزوا وحدة البيت الى وحدة الفكرة ، والى ما يقترب من وحدة الصورة . فهل تراهم استطاعوا ان ينقلوا الى المتذوق العربي كل ما يحمله الشعر المنقول ؟

ولا يستطيع ان يحكم على مدى التوفيق او الاخفاق الا رجل كابد الترجمة الأدبية وادرك انها اعسر بكثير من الترجمة العلمية . ذلك لأن المترجم مطالب فى مجال الأدب ان ينقل ظلال المعانى الى جانب احساسه بما يمكن أن نسميه نظام التعبير فى اللغتين ... التى ينقل منها والتى ينقل اليها . واذا كان نقل الصورة بكمالها مجملة او مفصلة ممكنا ، فان ظل المعنى متعذر،وهو فى بعض الاحيان مستحيل . ونحن نسلم فى الوقت نفسه بأن لبعض الصور دلالات تختلف من بيئة الى بيئة ، ومن شعب الى شعب ، ومن لغة الى لغة ، وقد يحتاج الأمر الى التفسير أو التعليق ، ولكن ما القول فى موسيقى الشعر ؟ أهى مجرد قالب عام تصب فيه الالفاظ ، ام هى جزء من الدلالات الشعورية التى تحتاج فى توضيحها للشاعر ولغيره من أبناء جلدته الى ايقاع معين .

الواقع ان هذه المشكلة هى العقدة الأساسية فى ترجمة الشعر ، والواقع ايضا أن اللغة الانسانية على اختلاف الأقوام والشعوب ، انما تقوم بالنبر والجهر . ومن هنا كانت الموسيقى طابعا اصيلا فى اللغة الانسانية بصفة عامة ، ومن هنا ايضا اتفق الناس فى بعض أسماء الأصوات والحركات اتفاقهم فى بعض الايماءات والاشارات التى تصاحب اللغة، وهم يتفقون فى هذا كله اتفاقهم فى السرور والغضب ... فى الضحك والبكاء ، وعلى الرغم من هذه الوحدة الانسانية يحتفظ كل شعب بموسيقاه اللغوية التى تحكى مزاجه وثقافته وطبقته حكايتها لأصله ووراثاته . ومن خلال هذه الدائرة أيضا توجد الموسيقى اللغوية لكل شخصية ، بل لكل موقف انسانى تواجهه هذه الشخصية .... ومعنى هذا ببساطة ، أن الموسيقى ليست مخرجا من المخارج ... ليست حرف هجاء يضم الى حرف آخر ... ليست كلمة تنتظمها عبارة ، ولكنها الطابع الانسانى العام **أولا** والطابع القومى **ثانيا** والمضمون الثقافى **ثالثا** وشخصية المتلاقى وموقفه بعد ذلك ... الموسيقى هى المعنى . وهى الموقف الشعورى فى آن واحد ... وموسيقى الشعر اذا كانت امتدادا لتقاليد كسلوك الانسان ، فانها فى الوقت نفسه شخصية الشاعر ، وموقفه الذى يحفزه الى أن يصدر هذه المقطوعة أو تلك ..... هذه المطولة او تلك ... هذه الملحمة او المسرحية او ما شئت من الانماط والقوالب ....

وكل من يتصدى الى ترجمة الشعر من لغة الى لغة ، عليه ان يدرك الفارق بين موسيقى اللغة التى ينقل منها ، وتلك التى ينقل اليها ، وعليه بعد ذلك أن يتقمص شخصية الشاعر الذى ينقل عنه ، وأن يقف معه فى نفس الزاوية وفى نفس الظروف التى تدفعه الى تحقيق الذات والموقف بالشعر ... قد يبدو الآن مستحيلا ، ولكنه فى الواقع ممكن وان كان صعبا ... والمثقفون جميعا يذكرون «فتزجرالد» الذى ترجم رباعيات الخيام الى اللغة الانجليزية ... مع انه حولها الى خماسيات ، الا انه استطاع أن يقدمها بفكراتها وخلجاتها وظلال معانيها الى قراء الانجليزية ، ومن يتذوقها يجد ان موسيقاها الجديدة تناسبها أيضا .. كل الفارق يكمن فى اختلاف الموسيقى فى اللغتين : الفارسية والانجليزية ، واستحق المترجم ، بهذه الرباعيات التى نقلها مكانه فى الأدب الانجليزى ، وبهذه الترجمة وحدها دفن مع العظماء والأعلام فى مقبرة « وستمنستر » !

وقد تبدو ترجمة الملاحم والمسرحيات الشعرية يسيرة فى ظاهر الامر لما فيها من الاحداث المتتابعة والشخصيات المتكاملة ، والمحاورات التى قدت على الشخصيات والمواقف . ولكنها فى واقع امرها صعبة عسيرة كالمقطعات الغنائية سواء بسواء . فالتوسع اللغوى يختلف من لغة الى لغة ، وكذلك الرمز ، وما اكثر الاخطاء التى وقع فيها بعض المترجمين ، المسرحيات النثرية ولا تقول الشعرية ، على الرغم من رسوخ اقدام المترجمين ، وليس يكفى أن يعتمد الناقل على المعاجم التاريخية والشروح ، بل يجب ان يتقمص الشاعر والجمهور الذى قيل الشعر له ، وليس يكفى ايضا أن يتسم المترجمون بالموهبة الفنية والقريحة الأدبية ، والرؤيا الشعرية ، وقد يكون المثل السائر فى تضاعيف الملحمة ، او الحوار

التمثيلي ، رمزا واضحا في عصر او لغة ، فاذا نقل الى عصر آخر او لغة اخرى ، اصبح تعبيرا مناقضا او مغايرا في الدلالة او مضحكا ...

وموسيقى الشعر اذن هي الفيصل الحقيقي في في ترجمة الشعر ، ذلك لأن القالب العام يناسب اغراضا دون اغراض ، وهي حقيقة سجلها شعراؤنا القدامى ، وشرحها علماؤنا العروضيون . والحرية التي استشعرها المترجمون الرومانسيون الاوائل في صب مايترجمون في هذا الوزن أو ذاك ، تخرجهم عما ينبغي لترجمة الشعر بجميع مقوماته وعناصره ، فاذا اضفنا الى ذلك دلالة الموسيقى الداخلية في الشعر على الانفعال ، وتدفق الشعور ومسايرتهما بالايقاع أدركنا أن ترجمة الشعر فن يجاوز مجرد النقل الى الابداع ... ان المترجم الحق للشعر يكابد من الحوافز والجهود ما يكابده الشاعر الخلاق، وهو يستحق — اذا استكمل هذه المقومات — مكانه بين المبدعين ...

دلالة الشعر الحديث :

وهكذا تفسر مشكلة ترجمة الشعر من لغة الى لغة اخرى ازمة الشعر الحديث بجميع ابعادها . ولسنا نقصد بهذا المصطلح « الشعر الحديث » نمطا معينا من الاوزان المستحدثة ، وانما نقصد ابداع الشعر بصفة عامة في عصرنا هذا الحديث ... انه يواجه أزمة عالمية ، ولعل هذه الازمة في الشرق الذى يستكمل مقومات نهوضه ، اضعف منها في الغرب الذى يستشعر الضياع بتحكم المادة في الانسان .. لم يعد الشاعر قادرا على مواجهة نفسه ، ولم يعد يستطيع ان يندمج في الحياة وفي الطبيعة ... واصبحت اللغة عنده كالارقام في الرياضات ، والرموز المنقوشة على أوراق النقد . ويوم يعود الى ادراك الحقيقة : وهي ان اللغة هي انسانية الانسان التي يحقق بها وجوده والتي ينتزع بوساطتها البقاء ، والتي يدخل بها من الجزئي الى الكلي ، ومن الزائل الى الخالد ، فانه يستعيد القدرة على تسجيل هذه الانسانية بالشعر ... وكاتب هذه السطور يستشرف الايقاع المتوازن في الحياة ، القادر على التخلص من الهبوط والتردى ، وهو التوازن الذى يستعيد به الانسان توازنه النفسي والعقلي ، يوم ذاك يصبح شعر كل الناس زادا لكل الناس ... ويوم ذاك تزول محنة الشعر الى الابد.

د. عبد الحميد يونس

إلى وَلدي

للشاعر : على الشباسى

ابنى قد بسم الصباح وصار عيدك أغنيه
في كل ثغر في الحياة ... وفي البلاد القاصية
والحب عالق في عيونك كل أيد حانيه
غرست بدربك زهرة في قلب جيلك ناميه
لا .. لم يعد عبد .. ولا قيد يروع ندائيه
فالحب الحان معطرة بارضك صافيه
وشفاه شعبك غنوة قدسية بك شاديه
ابنى في عيد المحبة عيد أسرتنا الحبيبه
والمجد يصرخ في دمائك مثل أمواج رهيبه
لا تنس كهلا مثل عمرى شاقه ربع الوطن
ودموعه الحرى تعرت في متاهات الزمن
كم شاقه ارض الجدود وشاقه أن يرجعا
للقدس .. للزيتون .. للربع الذى قد ضيعا
فغدا سيأتي عيدنا .. وغدا سنلقاها معا
وغدا ستكبر اسرتي وتصير أوطان العرب
وأرى الحياة جميعها عيدا وحبا كاللهب
وتعود تبسم يا بنى لطفلك الغض الصغير
وتردد الماضى له .. مثلى أنا .. عبر العصور
فحياة شعبك قصة مكتوبة بين الصدور



للدكتور: فؤاد حسنين على

من اليسير على فقيه اللغة العربية واخواتها تتبع ثقافة شعوب شبه الجزيرة العربية والقارة الافريقية ، لأن هذه اللغات تكون وحدة تعرف عند المختصين باسم الاسرة السامية الحامية .

واذا دققنا النظر فيها وجدناها تحمل اسماء جغرافية مشتقة من الاقليم الذى انبثقت منه أو انتشرت فيه بخلاف العربية التى لا تعثر فيها على ركيزة جغرافية تعيننا على تحديد الوطن الذى بعثها ، سواء كان هذا الوطن آسيويا أم افريقيا وعاونها على الانتشار حتى تمكنت من فرض نفسها على كل الجزيرة لغاتها وأهلها .

فلفظ عرب كما عرفه المتقدمون من ابناء هذه اللغة عبارة عن كل واد غير ذى زرع ، ففى معاجمنا اللغوية العربية نجد لفظ (تعرب) مستخدما للتعبير عن الاقامة بالبادية ومن هنا كان لفظ (عرب) يفيد الجفاف والصحراء . أما سائر المعانى الاخرى التى تطور اليها اللفظ منذ ظهور الاسلام فلا نجد لها سندا جاهليا ، وهذا مما حدا بكثيرين من الباحثين امثال عالم الأجناس (جيرلند) واللغوى (تيودور نولدكه) الى ترجيح افريقية هذا الوطن ، لا آسيويته .

لكن من حسن الحظ جاءنا كثير من النصوص البابلية الاشورية والعبرية التى تعيننا على تحقيق هذا الوطن الأصلى لهذا الجنس العربى ففى الآية الثالثة عشرة من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر اشعيا نجد ما نصه بالعبرية : بيعر بعرب تلينو أورحوت ددانيم ، أى فى غابة ـ باقليم ـ عرب تناعون يا قوافل الددانيين ، (راجع كذلك ارميا ص ٢ ى ٦ و ص ٥٠ ى ١٢ وسفر نحميا ص ٢ ى ١٩ و ...)

ومن اقليم (**عرب**) هذا هاجرت قديما القبائل التى هبطت وادى النيل قبل عصر الأسرات وامتزجت مع سكانه الاصليين ، ومن ثم انسابت الى شمال افريقيا وكونت هذه الشعوب التى تعرف باسم الشعوب الحامية ، نسبة الى حام أحد أبناء نوح . واذا أردنا أن نتبين العلاقة الجنسية او الثقافية بين الآسيويين الساميين والافريقيين الحاميين فما علينا الا أن ننتقل الى مصر لأنها وكما تسمى بحق القنطرة بين ابنى نوح عليه السلام .

فالدارس للغة المصرية القديمة والعالم ببعض اللغات السامية الحامية الاخرى يدرك لاول وهلة مدى « عروبة » اللغة المصرية القديمة ، فهى تتفق والعربية فى كثير جدا من خصائصها الصوتية والنحوية والصرفية واللغوية ففيها الهمزة والتثليث وصحة الفعل وعلته ، والصحيح فى المصرية القديمة هو الذى خلت أصوله من أحرف العلة وهى الالف والواو والياء والمعتل يكون مثالا وأجوفا وناقصا ولفيفا مفروقا ولفيفا مقرونا . وما يقال عن الصوت

والفعل . يقال ايضا عن الضمائر والعدد وكثير من المفردات اللغوية .

ولا شك في أن الفضل الأكبر في الكشف عن هـذه الحقائق يرجع الى العلامة الألماني (كورت زيته) صاحب الايادي البيضاء على علم المصريات وبخاصة اللغة .

وعبر الهجرة الى وادي النيل نجد هجرة اخرى يقوم بها الكنعانيون، او كما يطلق عليهم الاوربيون، الفينيقيون من وطنهم الأصلي أعني هـذا الجزء من سوريا ولبنان الممتد على البحر الابيض فيما بين النهر الكبير وجبال الكرمل . وقد اشتهر اولئك العرب الكنعانيون منذ الألف الثاني ق.م. بالملاحة والتجارة فاستعانت بهم شعوب كثيرة سـواء في قيادة الاساطيل التجارية أو الحربية فاستخدمهم (سنخريب) و (بسماتيك) و (نيخـو) و (اجزيرسيس) و (الاسكندر) . ويحدثنا هيرودوت ان هذا الاسطول العربي الكنعاني طاف حول افريقيا في القرن السابع ق.م. واذا ذكرنا اولئك العرب الكنعانيين يجب ألا ننسى هـذه الأسـفار البحرية الموفقة التي مسحوا بها البحر الأبيض المتوسط . ومن ثم توغلوا في غرب أوربا فبلغوا انجلترا وايرلنده بعد ان طافوا بفرنسـا واسـبانيا وغرب القـارة الافريقية وكانوا في اسفارهم يعنون بنشر التجارة والثقافة والعقائد . فالتاريخ يحدثنا ان أسطولهم التجاري كان يخرج من صور متجها شمالا محاذيا آسيا الصغرى مارا بجزيرة قبرص ، ومن ثم يعرج على انطاكية وهكذا يمخر عباب البحر حتى يبلغ رودس فجزيرة كريت فبلاد اليونان ومنها يخرج خط ملاحي الى شـمال افريقيا مارا بطرابلس وغيرها من الموانى .

اما الخط البحري الثاني فيخرج من اليونان الى جزيرة مالطة فصـقلية فقرطاجنة ملتقى خطوط الملاحة البحرية في غرب البحر الأبيض المتوسـط فيسير خط الى اوستيا ميناء روما وآخر الى سردينيا فجزائر البليار فالشاطىء الشرقي لاسبانيا المطل على البحر الأبيض المتوسط حيث توجد قرطاجنة الجديدة ثم يعبر بوغاز جبل طارق الى قادس ويمخر المحيط شمالا متجها الى فرنسا فشمال أوربا وغربها . ومن قرطاجنة يتجـه خط ملاحي اخر يسير على محاذاة الشاطىء الافريقي مارا بنوميديا وموريتانيا ثم يعبر بوغاز جبل طارق الى المحيط الاطلسي زائرا الشاطىء الغربي للقارة الافريقية .

وقد ظلت صور الميناء الاولى في تاريخ البحرية العربية حتى بعد ظهور الاسلام ومنها كانت تخرج سفننا التجارية والحربية لخدمة أهدافنا الاقتصادية والعسكرية ، وقد حفظت لنـا كتب الأدب العربية القصيدة التي قالها الاعرابي لما اغزا الوليد بن يزيد الاسود بن بلال المحاربي البحر :

اقـول وقد لاح السـفين ملججا
وقد بعـدت بعـد التقرب صـور

وقد عصـفت ريح وللموج قاصف
وللبحر من تحت السـفين هـدير

الا ليت حجري والعطـاء صفا لهم
وحظي حظوظ في الزمـام وكور

وقد استتبعت هذه السيادة البحرية قيام بعض القواعد على طول الطريق الذي يجوبه هذا الاسطول ومن اشهرها صقلية ومالطة . وفي القرن الثـاني عشر ق.م. ظهرت قاعدة (ليكسوس) في موريتانيا بالقرب من الرباط الحالية ثم قادس وأوتيكا و أوزا وقرطاجنة مع ملاحظة ان معظم شمال افريقيا كان ارضا كنعانية عربية جنسا وثقافة ولغة . واذا ذكرنا قرطاجنة يجب ألا تغيب عنا الاشـارة الى الدور السـياسي الهام الذي لعبته في توجيه السـياسة العالمية وبخاصـة (حنيبعل = حنانك يا بعل ـ الله ـ) والذي ينطقه كثيرون (هنيبال) خطأ .

والذي يهمنا من هذا العرض هو اثبات تغلغل العنصر العربي الاسيوي في افريقيا منذ قرون بعيدة ق.م. وقد ظلت هذه البلاد مؤمنة بعروبتها بالرغم من ضياع سلطانها السياسي واستيلاء الرومان عليها اولا . المستعمرون الاوربيون ثانيا وظلت بقايا اللغة الكنعانية العربية القديمة حية حتى جاءت الهجرات الاسلامية فانتشرت في هذا الوطن العربي القـديم وانقذت الجنس واللغة والعقائد من الضياع . ولعل خير مثال يساق لتاييد هذا الرأي جزيرة مالطة ، فقد ظلت محتفظة بكثير من بقـايا اللغة الكنعانية حتى استردها العرب ثانية في اغسطس ٨٧٠ م واستولوا

عليها بعد ان حرروها من البيزنطيين . وقد عثروا فيها على بقايا معبدين كنعانيين احدهما للاله (ملكرت) والثاني للآلهة (عشترت) . وتسامح العرب المسلمون ، كشأنهم في سائر البلاد المفتوحة ، مع سكان مالطة الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية على يد بولس الرسول عام ٦٠ م فأمنوهم على عقيدتهم .

وما زال أهالي مالطة حتى يومنا هذا يتكلمون لهجة عربية مسيحية مع بعض المفردات الصقلية .

وظلت مالطة تحت السيادة العربية حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي .

ولم تكن شبه جزيرة سيناء هي القنطرة الوحيدة بين آسيا وافريقيا ، فالتاريخ يحدثنا أن قبائل عربية جنوبية عبرت باب المندب ق.م. واستوطنت البلاد المعروفة اليوم باسم بلاد الحبشة نسبة الى القبيلة العربية الجنوبية (حبشت) التي نقلت معها الى القارة الافريقية ، عدا اسمها ، اللغة والدين وسائر عاداتها وتقاليدها . وقد ظلت اللغة الحبشية أو الجعزية أي لغة الأحرار حية متداولة حتى القرن الرابع عشر الميلادي ومن ثم سجنت في الكنيسة وحلت محلها الحبشية الحديثة والمعروفة اليوم باسم الامهرية وهي اللغة الرسمية للبلاد .

والآن بعد هذا العرض الشامل للعرب والوطن العربي نتساءل هل لدينا عناصر أخرى غير اللغة والجنس تلقي شيئا من الضوء على عروبة هذا الوطن الافريقي الاسيوي وان كان الجواب ايجابيا فما هي ؟

الواقع ان خير حكم نرجع اليه للاجابة على هذا السؤال ، العقائد الدينية العربية سواء كانت آسيوية أم افريقية ، فالديانة المصرية القديمة وبخاصة ماوصلنا منها تقدم لنا صورة لاتختلف كثيرا عن تلك التي نعرفها عن الوثنية العربية الاسيوية وبخاصة فان كتبنا الدينية المقدسة من موسوية ومسيحية واسلامية تكاد تدور حول مصر وعقيدتها فمصر ليست مهبط ديانات وادي النيل فحسب بل منها خرجت الشعلة الأولى التي أضاءت منطقة البحر الابيض المتوسط ، ومن ثم زحفت حتى بلغت جرمانيا في قلب أوربا وايرلنده في غربها بل شملت الشرق الأدنى أيضا . لقد آوت مصر ابراهيم الخليل ومن ثم حنت على يوسف عليه السلام الذي وفد عليها كما تحدثنا الكتب المقدسة ، عبدا فاعتق ثم أخذ يتسلق سلم المعالي صعدا ثم طمع في خزائن الأرض فاجابه فرعون الى رغبته . وبعد أن تمكن يوسف من الحكم استدعى اباه يعقوب وسائر أفراد أسرته وتوافد الاسرائيليون على البلاد حتى اضطروا الى الخروج منها .

والآن نتساءل عن الرجل الذي يقال انه خرج ببني اسرائيل من مصر من هو وماذا كان يريد موسى مصري المولد والاسم والنشأة ، هذا ما أجمعت عليه المصادر الدينية التي بين أيدينا ، وما أجمعت عليه أسفار العهد القديم والقرآن الكريم حتى لا مجال للشك فيه . وتحدثنا الكتب المقدسة أيضا ان موسى « تهذب بكل حكمة المصريين » (راجع سفر أعمال الرسل ص ٧ ى ٢٢) فما هي حكمة المصريين التي تهذب بها موسى ؟

ليس من العسير أن نجيب على هذا السؤال وبخاصة فهذه الاجابة لا تعدو الحديث عن دياناتنا العربية الوثنية الاسيوية الافريقية . فمن حسن الحظ ان اهتدى العلماء الى ما يسمى تجاوزا « كتاب الأموات » ، وهو عبارة عن مجموعة من النصوص والتراتيم الدينية والحكم والامثال التي كان يحرص المصري القديم على رسمها على جدران قبره ، ومن ثم مع توالي الزمن دونت على ورق البردي ووضعت مع الميت . وشأن هذه التراتيم وتلك الحكم شأن بعض آيات القرآن الكريم ، وما اليها التي تكتب الآن على جدران مقابر المسلمين . فهذه النصوص هي الدليل الذي يأخذ بيدنا الى عالم الموتى فيطوي العصور طيا وينتقل بنا بين المصرين الشمالية والجنوبية فهو يعرض لنا عبادة (آمون) في طيبة واوزيريس في مصر السفلى وآتون في تل العمارنة .

وقد جاءنا من مصر القديمة الشيء الكثير من القصص والآداب والحكم والأمثال التي نجد صداها في كثير من الكتب الدينية التي اتصل أصحابها بالمصريين مباشرة أو غير مباشرة . ولعل أغزر مادة وصلتنا من مصرنا هي تلك التي تتصل بعقائد المصري وطقوسه ، فقد أدرك المصري أن دينه هو أسمى دين على ظهر الأرض وشاركه في هذه

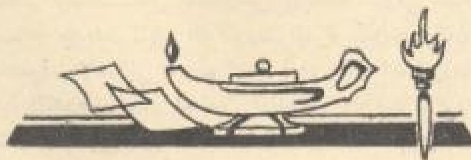
العقيدة اليونانى الذى قرر أن الدين المصرى القديم هو اكسير الحكمة والتفكير العميق ، لذلك انصرف علماء اليونان الى دراسة هذا الدين والعناية به ٠

والسؤال الذى يتبادر الى اذهاننا هو هل الدين المصرى القديم دين واحد ام عدة أديان ؟ وهل الديانات المحلية التى كانت منتشرة فى المراكز المختلفة هى صور لأصل واحد شأنها فى ذلك شأن الأولياء والقديسين اليوم ؟

اختلف العلماء بادىء ذى بدء عند الاجابة على هذا السؤال ، وجاء كل فريق بحججه ، والواقع أن الفصل فى مسألة الخلاف هذه يتطلب قبل كل شىء الاجابة على سؤال آخر يتصل بطبيعة الدين المصرى القديم فهل هو دين توحيد ام تعدد آلهة ، وان المظاهر الكونية المختلفة من رعد وبرق ونور ونجم وقمر وشمس وماء وسماء ، ما هى الا الاعراض والمظاهر التى تتجلى فيها عظمة الله وقوته ، فهى مظاهر صفاته ومدلولات اسمائه الحسنى وان بدت احيانا فى هيئة آلهة عديدين وكل منهم يمثل صفة من صفات الاله الواحد ٠ كان المصرى يجد الهه فى جميع كائنات الوجود فى السماء والأرض فى المياه فى الجنوب والشمال فى الشرق والغرب فى المدن والأقاليم ٠ فالمصرى حيث يتلفت يجد آلهه هو فى أمس الحاجة اليها ، لذلك كان بصيرا بكل ما حوله من سائل وجماد ، حيوان ونبات ٠ لكن الاله الأعظم الذى احتل أرفع مكان وفى مختلف العصور والأقاليم هو رع = الشمس ٠ وقد عبد فى كل بقعة وان كان بأسماء مختلفة ، ورع لايقيم على الأرض مع عباده شأنه شأن الآلهه المحليين بل كان يحلق فى فلكه فى السماء ، ولا عجب فقد كان مانح الحياة لجميع الكائنات ، وسيد فصول السنة وحامى مصر ٠ رع هو النور الذى يبدد غياهب الظلمات وهو فى كفاح دائم كل مساء مع الظلام ومن ثم فهو الذى يطلع على الكون كل صباح ٠

ولكن عبادة رع هذه تطورت ولاءمت بينها وبين المجتمع فأخذت تتغلغل فى الجنوب فنجد (آمون رع) و (سوبيك رع) وظل الحال كذلك حتى جاء الهكسوس فى أعقاب الاسره الثانية عشرة وظلت عبادة (آمون رع) كما هى وتحررت مصر من العدو الخارجى فعظم نفوذ (آمون) واصبح كهنة أمون فى طيبه يكونون خطرا يهدد سيادة فراعنة الاسرة الثامنة عشرة فتجاسر (امينوفيس الثالث) وقاوم نفوذ كهنه امون رع وبلغ به التطرف فى مقاومة عبادة امون رع ان محا اسمه من معظم الاثار التى امتدت اليها يده ٠ولم يقف الامر عند ذلك بل نجد الفرعون الشاب (أمينوفيس الرابع)يغير اسمه لاشتماله على لفظ (آمون) وتسمى باسم «اخناتون» أى (زوج قرص الشمس) ولم يكتف بهذا بل نقل عاصمته من طيبة مركز عبادة آمون ومعابده الشامخة الى المكان الذى يعرف اليوم باسم تل العمارنة بعد أن شيد فيه المدينة الجديدة «أخيتاتون» ٠ وهذه الثورة العقائدية الدينية لم تكن سلبية كما قد يتبادر الى الأذهان ، وقصد بها القضاء على عبادة آمون ، بل خلقت عقيدة جديدة هى عقيدة التوحيد ، وقد كانت الأولى من نوعها ، فكان اخناتون أول رجل فى العالم جاءنا على لسانه التوحيد ٠ لقد قاوم اخناتون العبادات المصرية القديمة لأنه اعتبرها وثنية اذا ما قورنت بالدين الجديد الذى أرسله الله لنشره وعلى كل فان اخناتون لم يعمر طويلا ، وتوفى ولما يمض على جلوسه على عرش الفراعنة أكثر من سبعة عشر عاما وترك الحياة ولم يترك وليا للعهد فارتد كثيرون بسبب نشاط كهنة طيبة وطويت بوفاته صفحة من أمجد الصفحات التى خلفتها الانسانية واضطرت جامعة (أون) (عين شمس) والتى خرجت للعالم عددا كبيرا من المفكرين ومن بينهم موسى عليه السلام الى الاقلال من نشاطها العلمىلمناصرتها للدين الذى بشر به اخناتون اذ كان علماؤها فى أبحاثهم يستكملون فكرة الاله العالمى واظهار خواصه فهو اله الحق والصدق والنظام والعدالة ٠ (يتبع)

د ٠ فؤاد حسنين على



زكي مبارك



في مناسبة ذكراه

بقلم: أحمد الصادق عبد الصمد

من كان يظن أن الأديب الذي ظل خلال النصف الأول من هذا القرن مل، حياتنا الأدبية والذي لم يسترخ قلمه الى الراحة يوما منذ ان أمسك بيده القلم ، والذي كان الفارس المغوار في معاركنا الأدبية ، ولم يغمد له قلم ، ولم تهزم له معركة ، والذي كان عملاقا شامخا لم يتهيب موقفا في كل صولاته وجولاته ، والذي كان في حلبات الجدل قوة لم تعرف الوهن ، ولم تسلك سبيل الاستسلام .. من كان يظن ان مثل هذا الأديب ننساه ولا نكاد نذكره ، ونتغافل عنه ولا نكاد نحس به . ونتجرد من الوفاء له . وهو الذي عرف في حياته الوفاء لأصدقائه وأعدائه على السواء ، وانصاره ومعارضيه معا ... واذا كانت الرسالة في عهدها الحاضر تحيي اليوم ذكرى المغفور له الدكتور زكي مبارك ، فان ذلك ليس الا وفاء منها للرسالة في عهدها الغابر . فطالما حفلت صفحاتها بادب زكي مبارك ، بل حفلت باعنف معاركه الأدبية ومساجلاته الجدلية ، مع عمالقة الأدب وأقزامه في مصر وغيرها من بلاد العروبة والاسلام ..

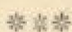
ولد محمد زكي عبد السلام مبارك عام ١٨٩١ في قرية سنتريس احدى قرى محافظة المنوفية ، وحفظ القرآن الكريم . وتعلم القراءة والكتابة بمكتب القرية . ونزح الى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف . وتلقى علوم العربية والثقافة الاسلامية على علمائه . وكان زكي مبارك في شبابه طموحا ، دفعه هذا الطموح الى أن يلتحق بالجامعة المصرية فلما كان لا يمكن لمثله ان يلتحق بها الا اذا كان ملما باحدى اللغات الأجنبية الماما تاما لهذا كرس ثلاث سنين من حياته لتعلم اللغة الفرنسية فاتقنها ووقف على آدابها ، وبهذا تم له ما أراد والتحق بالجامعة المصرية في سنة ١٩١٦ وأثناء التحاقه بالجامعة قامت الحركة الوطنية في سنة ١٩١٩ فشارك فيها مشاركة فعالة بخطابته وشعره .

وفي سنة ١٩٢١ نال ليسانس الآداب من الجامعة المصرية ، ولكن زكي مبارك كما قلت سابقا كان طموحا ، دفعه هذا الطموح أيضا الى الاستزادة من الاغتراف من مناهل العلم للحصول على مرتبة علمية أعلى فجاهد وجالد حتى يصل الى ما يبغيه فتقدم الى الجامعة باول رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه ، وكان موضوع الرسالة « الاخلاق عند الغزالي » فنال درجة الدكتوراة في سنة ١٩٢٤ ، وشغل عمل التدريس بالجامعة المصرية . وزكي مبارك كان شغوفا بنيل الدرجات العلمية ولهذا رحل الى باريس والتحق بجامعة السربون وتقدم برسالة لنيل درجة الدكتوراه كان موضوعها « النثر الفني في القرن الرابع » فنال درجة الدكتوراه الثانية في سنة ١٩٣١ وعاد الى مصر ليشتغل بالتدريس بالجامعة ، وفي سنة ١٩٣٧ تقدم الى الجامعة المصرية برسالة جديدة لنيل الدكتوراه للمرة الثالثة وكان موضوع هذه الرسالة هو « التصوف الاسلامي » وتم له ما أراد ونال الدكتوراه بمرتبة الشرف ثم ندب ليشغل عملية التدريس بدار المعلمين ببغداد ، وله فيها ذكريات وذكريات ، سجلها في مؤلفات ثلاث هي « ليلى المريضة بالعراق » في ثلاثة أجزاء و « وحي العراق » ، و « ملامح المجتمع العراقي » .

وعلى الرغم من ان لزكي مبارك انتاجا ادبيا قيما مطبوعا يربو على العشرين كتابا فان شهرته الأدبية اعتمدت اساسا على مقالاته في الصحافة الأدبية واخصها الرسالة ، حيث تجلى فيها باعنف معاركه التي اثارت خصومه ، واوغرت صدورهم عليه .

ومعارك زكي مبارك مع الأدباء لم تتوقف ، وكأنما اتخذ من الصراع شعارا له في حياته الأدبية ، حتى اذا خلا الجو من اسباب المعارك ، اختلق لها الأسباب وفرض على نفسه ان يكون احد طرفيها ثم انبرى لها بقلمه ، وقلم زكي مبارك اتخذ العنف شعارا له في مساجلاته ومجادلاته . وكأنما قد هذا القلم من صخر ، فهو يساير مصدره ولا يحيد عنه . ومقالات زكي مبارك لم تكن تحفل الا برأى جرىء ليثير المعارك حوله، فكم أرهق بآرائه الحرة أقلاما ناصبته العداء، وصمد أمامها قلمه لأنه لم يكن يعرف للاستسلام معنى . اذكر ان زكي مبارك كتب مقالا على صفحات الرسالة تحت عنوان : « النواحي الانسانية في الرسول » جعل بعض المجلات الدينية يعبىء الأقلام العديدة لمناقشة مقاله عاما بأكمله ، حتى كلت الأقلام وجف مدادها .

لقد أتعب زكي مبارك معاصريه في كل ما ألف وفي كل ما كتب في الصحف ، وحتى رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الى الجامعة عن التصوف الاسلامي ، اتعبت الأساتذة الذين تولوا مناقشتها ، فاضطروا الى حذف جانب منها وهو الخاص بالمدائح النبوية، حيث اتهموا بصلتها بالتشيع . كما اثارت رسالته الأخرى: « الأخلاق عند الغزالي » متاعب لمناقشتها من أساتذة الجامعة الكبار . وفي هذه الرسالة هاجم بعنف الامام الغزالي حتى تصدى له الاستاذ الشيخ .... لمناقشته ، وحتى تدخل المغفور له الدكتور منصور فهمي رئيس اللجنة ليضع حدا للمعركة ، وكان رأيه أن الرسالة الجامعية محاولة عقلية يخطىء فيها الطالب ويصيب، وذلك لا يمنع من نجاحه بدرجة مشرفة ، وحتى انتقلت المعركة بعد ذلك الى خارج الجامعة ، وتولى زكي مبارك مناظرة الاستاذين الشيخ يوسف الدجوى والشيخ أحمد مكي وغيرهما من كبار العلماء، وكانت معركة ما بعدها معركة . وفي بقية مؤلفات الدكتور زكي مبارك ، لم يكن يسلم مؤلف واحد من اشتعال المعارك حوله ، كالنثر الفني في القرن الرابع في جزأين ، وحب ابن أبي ربيعة وشعره ، وليلى المريضة بالعراق في ثلاثة أجزاء ، ووحي بغداد ، وملامح المجتمع العراقي ، والموازنة بين الشعراء ، وعبقرية الشريف الرضي في جزأين .



وبعد ـ فان حياة الدكتور زكي مبارك كانت أشبه بالمأساة في قالب ملهاة ، فقد صنعه البؤس على عينه في نشأته ، وذاق من مرارته كأسا دهاقا وهو يشق لنفسه طريقا وسط الصخر المستعصي على اللين والاستسلام . وضحكت له الدنيا وابتسمت له الحياة في ريعان شبابه وردحا من مرحلة كهولته. ولكن الدنيا حين تضحك لانسان ، والحياة حين تبتسم له ، فكأنما ييسران له التلهي بهما ليس الا ، ثم عادت الدنيا وتابعتها الحياة يتجهمان له،ويعبسان في وجهه ، وتفسحان الطريق للبؤس ليأخذ مكانه فوق صدره وعقله معا ، فكانت نهايته تعبيرا عن نشأته ومدلولاتها ، وهذه سنة الله في خلقه : كما بدأكم تعودون ..!

انتهت حياة زكي مبارك في اليوم الثالث والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ ، في زحمة الحياة وصخبها وضوضائها ، كما عاش قلمه في ضوضاء المعارك الأدبية الصاخبة ، مع فارق كبير ، هو أن قلمه فرض على الدنيا من حوله أن تحس به ، وأن تستمع له ، أما نهايته فقد فرضت على نفسها الا يحس بها أحد ، والا يكترث بها كائن حي ..

انتهت حياة زكي مبارك ، ولو امهله الموت ليقول كلمته الأخيرة يودع بها الدنيا ، كما تودع انفاسه الأخيرة الحياة ، لردد من شعره :

ستذكرني مصر وما كان قلبها
سوى صخرة في جانب النيل ملساء
الى الله أشكو لؤم دهري وصرفه
وعند الاله البر أودع حوبائي

« أحمد عبد الصمد دياب »

أصنام الأدب

بقلم : أنس داود

اذا كان قراء العربية ـ عندنا ـ على معرفة تامة بكتاب « الغربال » لميخائيل نعيمه .. فانه لم يكن الاثر الوحيد فى تراث المهجر النقدى .

فقد عرف الادب المهجرى الفصول النقدية الطويلة ، والمقدمات الدارسة لدواوين الشعراء ، وعرف ايضا كتابى « المنقار الاحمر » لشكر الله الجر و .. « ثورة قازان فى معلقة الارز » لمحمود الشريف ، فى البرازيل ، كما عرف كتاب « اصنام الادب » لالياس قنصل فى الارجنتين .

والياس قنصل متعدد فى مناحى اتجاه الادبى .. فهو ناقد وشاعر وقصاص .. هاجر عام ١٩٢٤ وهو فى العاشرة من عمره ، وسلك نفس السبيل التى سلكها الآلاف من ابناء وطنه ، ككفاح شاق فى سبيل العيش طيلة النهار ، ودأب على الدراسة جزءا غير يسير من الليل .. حتى اشتغل بالصحافة وانقطع للعمل الادبى والنضال فى سبيل العروبة ، و « اصنام الادب » الذى اصدره عام ١٩٣٩ هو خطوة على الطريق المهجرى الاصيل ، طريق الثورة على الشعر التقليدى ، والمعانى المبتذلة ، والصور المفتعلة ، وقصور الادعياء عن تمثل التجارب الحية ، والنفوذ الى اسرار الكون .. ومن ثم فهى دعوة حارة الى صدق الاحساس ، ودقة التعبير ، وعمق التجربة ، وتوثب الخيال ..

رأى الكثيرين من شعراء مهجره ـ الارجنتين ـ يسيئون فهم الخيال ، اذ يحسبونه مبالغة لا يقرها المنطق القويم ، ومغالاة لا يقبلها العقل السليم .. فدعاهم الى أن يميزوا بين الخيال والمبالغة قائلا :

« ميزوا بين الخيال والمبالغة .. لا تحاولوا ان تفرضوا علينا افكاركم بالكذب . فالكذب لا يقنع احدا ، وانما يقنع الصدق فى الاحساس ، والصدق فى الشعور »

ورأى أن عقم الموهبة قد يطوح بصاحبه فى واد بعيد ، فيجلد قريحته ـ على حد قوله ـ فى تصيد التشابيه الزائفة ، والصور المتدثرة بثياب غريبة « فاذا حبيبته قد خلقها اله غير الاله الذى نعرفه ، واذا دموعه تجرى كالانهر ، واذا بدعائم الكرم والجود تهوى بموت صديق له ، واذا بالملائكة تتهلل فرحا فى السماء لولادة صبى لنسيب له ، واذا افكاره جميعها تجرى على هذا النسق العجيب »

وقع صاحب « اصنام الادب » على السبب الصحيح الذى يدفع امثال هؤلاء الشعراء الى تلك المبالغات الكاذبة ، وهو نضوب الشاعرية ، وانعدام التجربة الحية فى حياة الشاعر .. يقول مستخفا :

« ضحكنا حين رأينا الشاعر ميشال مغربى يحاول ان يكون بعيد الخيال ، فلا تسعفه شاعريته ، ويأتينا بصورة بليدة على غرابتها ، جامدة على مافيها من المغالاة .

يقول مغربى واصفا حبيبة مريضة :

بروحى أفدى فى السرير مريضة
وددت لو انى فى الورى دونها مرضى

وقد عقد مقارنة لطيفة بين هذا البيت وبين البيت المشهور :

يقولون ليلى فى العراق مريضة
فياليتنى كنت الطبيب المداويا

فرأى فى هذا البيت صدقا فى الاحساس ، وبساطة فى التركيب ، ورأى أن عظمة هذا البيت تتمثل فى تلك الأمنية الانسانية البسيطة التى ربما ينالها من يحب وهى أن يجلس بجانب حبيبته فى مرضها ليحنو عليها ويداويها ، وتلك آية الحب الصادق العميق ، أما ميشال مغربى فقد تمنى شيئا « لا يقدر على بلوغه رجل ، وهذا هو الفرق بين المبالغة العقيمة والخيال الوثاب »

اما اسلوب الياس قنصل فى نقده ، فتشوبه السخرية اللاذعة ، والتهكم المر ، فحينا يرسم صورة كاريكاتورية لجسم احد منقوديه الضخم ، وبطنه المنتفخ ، وذراعيه المفتولين .. ليقرر انها صورة لمخلوق حرم ـ بالطبيعة ـ من موهبة الشعر فكل ما يصدر عنه بعد ذلك انما هو من قبيل الادعاء ..

وحينا آخر يسلق الشاعر نفسه بعبارات حادة

لصورة ملفقة ، او مبالغة ممقوتة ، لان همه من الكتابة فى النقد – كما قال – ان يطهر جو المهجر الشعرى من الادعياء ..

فحين يقول شاعر انه جن من ابتسامة ساحرة لاحت على ثغر احدى الجميلات يقول له :

« من المعقول ان يلتذ الانسان بابتسامة ترسلها اليه ذات دلال ، ومن المعقول أن يعتبر هذه الابتسامة استهلال عهد من الصداقة بينه وبينها ، ومن المعقول ان يعود الى اصدقائه فيثقل عليهم بأحاديث الابتسامة ، ولكن ليس من المعقول ان يجن المرء لابتسامة مهما كان متزعزع الاركان »

ثم يقول ساخرا ، فيذكرنا بسخريات «الرافعى» فى كتابه اللاذع « على السفود » :

« ليتنا نعرف المرأة التى سببت هذه الجناية ، اذن لانتقمنا منها انتقاما فظيعا ، وذلك بأن نتلو عليها هذه الابيات »

لكن هذه السخرية اللاذعة التى غلف بها كتاباته لم تشغله عن ارساء قيم نقدية نستطيع ان نقول انها قيم اصيلة ورائدة ..

لقد اعتبر ان نقل الواقع والتصوير الفوتوغرافى له ، ليس مهمة الشاعر ، وكل من اطال النظر فى الشعر العربى يعرف خطر الثورة على التصوير الشكلى للواقع ، أو التجربة الحسية – فحسب – للانسان والطبيعة معا .. فترات العصر الجاهلى بما ينوء به من هذه النزعة الشكلية الحسية قد اثقل كاهل الشعر العربى فى كل عصوره ، وجعله يمس سطح الاشياء ، ولا يتغلغل فى اعماقها .. فالمرأة فى معظم تراثنا جسد ، والطبيعة لوحة جامدة ، وهذا مجمل ما يراه مفكر رصين كالمرحوم احمد امين من جناية الشعر الجاهلى على الشعر العربى .. لذلك حمدت لالياس قنصل ان اعتنى بالبحث عن مهمة الشاعر ، وان كانت تلك المهمة لديه :

« ان يتغلغل الى صميم الحياة فى الشىء الذى يصفه لنا ، فيطلع علينا بصورة تجعل نظرتنا الى هذا الشىء اعمق واجمل »

وكان الشاعر الحقيقى فيما يرى هو « الذى يقدم لنا تأملات نفسه بعد غوصه الى أعماق الحياة، فيجلو لنا ناحية من فكره حتى نراها اجمل او اقبح او اعظم أو اسخف مما كنا نراها قبل ان يمن علينا القدر بمطالعة القصيدة التى سالت بها يراعته »

وهو الذى يبدو وكأنه يتمتع بعيون غير عيوننا ، فيرى فى الوجود مالا نرى ، ويسمع ويحس مالا تسمع ولا نحس به ، أى أنه الذى جعل موهبته فى مكان قيادة الاحساس الانسانى وتفتيحه على مظاهر الوجود ، وتنبيهه الى ادق خفاياه ، واعمق اسراره

بهذا الفهم لمهمة الشعر ولمهمة الشاعر معا ، ووظائف اللغة والخيال والصورة فى العمل الشعرى يكون الناقد الياس قنصل قد رسم ملامحه كناقد اصيل ، ولكن ثمة ملمح آخر ، سيزيد شخصيته وضوحا ، فقد نبتت فى المهجر **– كما تنبت الاعشاب السامة اليوم فى لبنان** – فئة محرومة من مواهب القول ، فجعلت عجزها فى اللغة قاعدة ، وقصورها عن البيان مذهبا ، وركاكتها الاسلوبية وافتقارها الى تذوق موسيقى اللغة الشاعرة تجديدا ، ومضت تحاول تخريب كيان الشعر العربى بكسر اوزانه ، والخروج عن مقوماته الموسيقية .. فتصدى لهم الياس قنصل بسخرية «رافعية» . ومنطق «عقادى» ومما قاله :

«يفاجئك صاحب «المتمردات» بقوله : انه متمرد .. والتمرد فى عرفه هوأن يكسر الوزن اذا لم يستطع لسبب من الاسباب أن يقومه، وهو يردد على مسمعك أن الاوزان الشعرية قدأكل الدهر عليها وشرب، فاذا قلت له انه مصيب فى ذلك : ولكن الواجب – واجب التمرد والتجديد – ان يخترع المرء وزنا جديدا يسير عليه فى كل أبياته استعرضك بقهقهته المعهودة»

وبهذه الكلمات يكون الناقد الياس قنصل قد شجب هذه المحاولات الطائشة التى تريد أن تدمر نظام موسيقى الشعر العربى ، دون أن تحس بأن واجبها حينئذ أن تقدم نظاما موسيقيا آخر ، وهذه هى دعوة التجديد الحق عن هدى وبصيرة ، تضع القاعدة مكان القاعدة ، وتقيم جديدا حين تهدم قديما .. وتعى مسئوليات البناء فى نفس الوقت الذى تريد فيه الهدم ..

وأهم عيوب هذا الكتاب – فيما ارى – انه يتناول مجموعة من أدعياء الشعر فى المهجر ، وممن كانت الصحف تضفى عليهم – هناك – من صفات العبقرية والنبوغ بقدر ما كانت تفيض به أكفهم على محرريها

ولو أن الكاتب بذل جهوده فى نقد عبقريات الشعر المهجرى ، وتفسير روائعه لأخصبت كتاباته .. وتفتحت ابعاد جديدة لشخصيته الناقدة ..

ولكنه جعل همه – كما قلنا آنفا – ان يطارد الادعياء ، وأن ينقى جو الشعر المهجرى من الشوائب .

« انس داود »

الفلسفة والثورة

بقلم : عبد الفتاح الديدي

هذه الكلمة يجب أن تقال هذا الموضوع هو الذى يشغل بال الكثيرين . نحن نواجه الآن رغبة حادة فى استقصاء فرع من فروع الفلسفة لنجعله نموذجا حيا فى التفكير ومثلا واضحا أمام الجموع العربية المتحركة نحو عالمها الجديد . لا شك اننا جميعا نرغب فى أن نرى نوعا من الفلسفة يخترق عقول الناس وأفهامها من أجل التوعية والايمان والاجتماع حول معنويات الحياة . هذا هو أملنا نحن المشتغلين بالفلسفة وهو حاجة طبيعية تلقائية فى نفسيات الأفراد والجماعات من غير المشتغلين بالفلسفة .

لا يعنى هذا بطبيعة الحال ان هناك رغبة فى فرض نوع معين من أنواع الفلسفة على الجماهير العربية المتطلعة الى حياة متكاملة من حيث المعاش والتفكير سويا . لا يعنى هذا أننا نود القيام بعملية اختيار لاحدى الفلسفات كيما تصبح فلسفة الجموع ونرفض بعد ذلك ما عداها ونقصر الفهم والعمل والتفكير على هذه الفلسفة كما هو الحال فى الاتحاد السوفييتى . انما نريد أن نجعل من احدى الفلسفات نوعا من المران العقلى الملائم لطبيعة الفكر العربى ونوعا من الايمان الوجدانى لدى شبابنا المتطور مع وثبات الثورة ونوعا من التجاوب مع جميع أوضاعنا وظروفنا وآمالنا . ولا يعنى انتقاء مثل هذه الفلسفة أن نرفض كافة الفلسفات أو أن نعتبرها ذات خطر على تفكيرنا . فهذا افساد لدور الفكر وهو حجر على مواد الاشتغال العقلى بالمبادىء والأوليات والجوانب المختلفة المتباينة .

نريد اذن أن نقولها واضحة صريحة. ان المشتغلين بالفلسفة يفزعون من هذا التيار الجامح الذى يرغمهم دائما على التفكير فى فلسفة عربية قومية . ان الفلاسفة وأصحاب النظر العقلى يذعرون من مطالبة الناس لهم بأن يبدعوا فلسفة مصرية أو بيئية. وهم فى الواقع محقون فى اشفاقهم من هذا المطلب لأن الفلسفة علم مثل بقية العلوم قد يتفق مع بعض النظرات وقد يختلف عنها ولكنه لا يتقيد الا بظروف تطور مفهوماته وكلماته ودوائر اختصاصه. فالفلسفة علم قد يجمع ما يعجبك وما لا يعجبك فى آن واحد وقد يعلمك الايمان والرفض فى نفس اللحظة . وتقتضى طبيعة الفلسفة نوعا معينا من الاستعداد لدى الافراد من أجل دراستها والاقبال عليها . لابد من الفة الفاظ الفلسفة واساليبها وطرق التعبير فيها من أجل فهمها . ولهذا اذا قال أحد الناس نريد فلسفة مصرية من أجل تأكيد الايمان والفهم لدى شعوبنا المناضلة كان كمن يضرب الفيلسوف فوق انفه . فالفلسفة تتطلب دراية بالفلسفة عند زاوية خاصة فعلينا أن نقوم فى التو واللحظة بالفصل بين هذه الزاوية الفلسفية التى اخترناها للجموع وبين الفلسفة كعلم له حق البحث والتطور الخاص المنفرد داخل أروقة النظر والدراسة . والا فعملية الاختيار هنا هى نوع من الارهاب الفكرى الذى يخشاه كل فيلسوف والذى يحجم عنه قسرا حرصا على أقدس مقدسات العلم الذى يشتغل به وهو الانطلاق والحرية

علينا أن ندرك اذن مدى خطورة اختيار فلسفة معينة من أجل التمشى مع التطبيقات الثورية . لا يجب أن تكون تلك نهاية الفلسفة كعلم . بل يجب أن تكون تلك الخطوة نوعا من أداء الوظيفة الخالدة التى يقوم بها الفكر عادة حيال الحركات الاجتماعية والسياسية ذات الأصول المنهجية والبذور الروحية. ولا يصح أن تطغى هذه الفلسفة الجديدة المقترحة على أصول المهنة ذاتها كما لا يجوز أن تفسد مفهوم الفلسفة أو أن تخون كرامتها .

وقد صارت المادية الجدلية فلسفة روسيا القومية والسياسية فقضت على جميع مفهومات العلم والسياسة والفلسفة داخل الاتحاد السوفييتي . استطاعت المادية الجدلية أن تحتل المكانة الأولى وان تقضى على كل أنواع البحث العقلى داخل أروقة الدراسة بالجامعات والهيئات . لم تفسح المجال لأى نوع من أنواع الفلسفة لأن العملية صارت فى يد من لا يعبأ بالفلسفة فى حد ذاتها وانما يهمه أولا وقبل كل شىء حماية المفاهيم القومية التى تنبنى عليها كل أصول الفكر السياسى والاجتماعى .

وصارت الوضعية المنطقية فلسفة الولايات المتحدة الأمريكية . وهى فلسفة أمريكا الشعبية التى تقارب من مفاهيم الدولة العملية فى السياسة وفى الصناعة وفى الحكم وبين وسائل التعامل الفكرى بين الأفراد. ولكن هذا النوع من الفلسفة لم يطغ طغيانا كاملا على مجالات البحث الأخرى الا من حيث ذيوعه وشعبيته . اما أساليب البحث والنظر والاشتغال بالفلسفة فهى غير مقيدة أو محدودة تحديدا قاطعا بواسطة ماتفرضه الوضعية المنطقية. وهذه الوضعية المنطقية لاتعادى العلم بل تحرص على تأديته وانجاحه مع ربطه بالاحتياجات العامة ووسائل التحقيق الفعلى للنظريات المأخوذ بها . ولكنها لا تروق المشتغلين بالفلسفة على نحو ما تنادى أصولها وحقيقتها فى نظرهم . وعلى الرغم من ذلك فهى لا تحمل طابع الفكر القومى ولا تحتاج الى فرض أنواع من أساليب حمايتها وحفظها على نحو ما تفعل المادية الجدلية .

والواقع أن المادية الجدلية والوضعية المنطقية كلاهما يمثل تيارا معاديا للفلسفة بأصولها العلمية الحقيقية . فالمادية الجدلية ترتبط بمفهومات معينة ليست من الصحة فى شىء كما تضع الوضعية المنطقية شروطا خاصة لا يجوز التفكير على غير منوالها . وهاتان الفلسفتان تشيعان الرعب والبغض فى نفوس الفلاسفة . ولكن لا مانع من وجهة نظر الفلاسفة الخلص أن نترك هذه الفلسفات فى دائرة اختصاصها بالنسبة الى الجموع البشرية المتلاصقة داخل اطار المعاملات. ليس مايمنع فعلا أن تكون هذه الفلسفات بمثابة طراز للفكر داخل نطاق الجامعات غير المتخصصة التى لا تطلب بحثا خالصا والتى لا يمكن أن نطلب اليها أكثر من هذه التحديدات الشعبية المفيدة التى تنظم الفكر مع العمل وتجعل مطالب الروح فى اتساق مع مقتضيات الواقع الفعلى. هذه الفلسفات اذن منتهية مكتملة بينما الفلسفة الحقيقية لا تكتمل ولا تنتهى . وهذه الفلسفات رافضة لما عداها ، منكرة لكل فلسفة سواها ، بينما لا يجمد الفكر قط عند وضع ولا تحده شروط أو قواعد . وهذه الفلسفات لا تحتاج الى تمعن أو فحص دقيقين بينما ترفض الفلسفة الخالصة أن تكون نوعا من الأداء الوظيفى لاحتياجات مباشرة أو عملية .

فالفكر يمتد الى آفاق لاتمليها الاحتياجات المباشرة. وأخطر شىء هو أن تجعل هذه الفلسفات بمثابة القيم على كل ضروب الاشتغال بالفكر والتعامل النظرى. فهذه المرحلة البدائية قد اجتازها الفكر منذ كان لايزال يشرع فى ملامسة الواقع والاقتراب من مظاهر المعاش اليومى . ولا شك انها صارت أقرب الى ضرورات الأوضاع اليومية . فالانسان لا يحتاج الى الفكر الا بقدر ما يتحسس احتياجاته داخل نطاق الواقع المحدود . ولكن هذه البدائية فى التفكير لا تعدو أن تكون ظاهرة قريبة الشبه لكل ما يجرى فى مجالات الفن والأدب والصناعة . لقد صارت الانسانية ذات نزوع طبيعى نحو البدائية كانما تستعيد انتعاشها بالتجربة السالفة . وهذا هو ما يحصل بالفعل فى كافة المجالات .

بيد أننا نخشى اختيار فلسفة شعبية تصبح وسيلة لتهديد الفكر ونخشى أن تطغى فلسفة الجموع وفلسفة الكيان القومى والروحى على وسائل العلم والبحث المتمرين . ويكفينا أن نرى الاتحاد السوفييتى يفكر بعقلية محددة ، ونرى الولايات المتحدة تغط فى سبات العلم المرتبط بالألفاظ ذات الدلالة المحسوسة. ونحن نشعر ببوادر هذه النزعات لدينا حينما نرى بعض الناس يتهم نوعا من الفلسفات بأنه غير اشتراكى . فهذا هو سبيل احتكار طائفة معينة لأبواب الفكر واستخدام التهديد كوسيلة للضغط على مجالات الفلسفة .

واذا جاز لنا أن نتهم بعض الفلسفات بأنها غير اشتراكية فلا بد أن ينسحب اتهامنا ذلك على حساب التفاضل والتكامل الذى تقوم الجامعات والمدارس بتعليمه . فالتفاضل والتكامل ليس من علوم

الاشتراكية وعلى ذلك ينبغى أن توقف تدريسها فى جامعاتنا وشرحها فى الكتب التى تصدرها مطابعنا. ذلك أن الفلسفة لا تقل علمية واستقلالا عن حساب التفاضل والتكامل .

واذا كان هناك جزء من الفلسفة يختص بالمفاهيم والعقائد الشعبية فليس معنى ذلك أن مهمة الفلسفة كلها هى ذلك العمل وحده . وقد تخدم الفلسفة الاشتراكية من أحد جوانبها وهى تفعل ذلك بلاأدنى شك . ولكن ليس كل ما فى الفلسفة من مواد هو من مستلزمات علم الاشتراكية . كما هو الأمر فى علوم الهندسة . ليست كل هذه العلوم الهندسية مسخرة لبناء المنازل . فاذا قلت ان مهمة الهندسة الأولى هى بناء المنازل كنت مخطئا واذا قلت ان مهمة الفلسفة الوحيدة هى اقامة المفاهيم والعقائد كنت ايضا مخطئا .

بقى أن نشير هنا الى أن بعض الناس يتهم **المذهب الوجودى** بانه غير اشتراكى . وهو يشير الى الوجودية فى غير قليل من الازدراء وأنا لا أزال أصر على موقفى فى الاستناد الى الفلسفة الوجودية المستمدة من الظاهريات وهى وجودية أخرى غير تلك التى يستمدها الدكتور عبد الرحمن بدوى من كير كجورد . ويبدو ان نقاد هذا الخط الفلسفى يجهلون أى شىء عن تطورات الفكر المعاصر . فالوجودية هى الفلسفة الاشتراكية الحديثة التى التهمت الشيوعية وجعلتها طرفا من قضاياها ، وهى فى ذلك تؤدى عملا شبيها بما عملته نظرية النسبية فى فزياء نيوتن . ان النسبية التى جاء بها أينشتين لم تعارض فزياء نيوتن وانما ضمتها الى كيانها وجعلتها بعضا من تفسيرها . وكذلك لم يعارض سارتر الشيوعية وانما جعلها جزءا من بناء الوجودية الاشتراكية كما تمثلت فى كتابه عن نقد العقل الديالكتيكى .

لقد ظل سارتر يهادن الشيوعيين زمنا طويلا ويسعى لأن يضموه اليهم ولكنهم كانوا دائما يشعرون بالخطر الذى يكمن فى تيارات فكره على الاصول الماركسية . ولهذا تجنبوا اعتباره شيوعيا الى أن أظهر كتابه الأخير وأعطى تفسيرات اشتراكية مستحدثة لكل اليسار الفلسفى . ونقاد المذاهب الفلسفية عندنا يوجهون اتهاماتهم الينا وهم لا يعلمون أن الوجودية الاشتراكية قد ابتلعت الشيوعية ابتلاعا وأن الوجودية عادت الى تمثيل الاشتراكيات العالمية أصدق تمثيل .

لا بد أن يستيقظ أصحابنا الذين ما زالوا يغطون فى النوم . لقد اعاد سارتر الى الديالكتيك فاعليته ومعقوليته من ذاته . وبذلك يكون سارتر قد أعاد الى الديالكتيك كل أصوله واوضاعه الحقيقية فى ارتباطه بالكيان البشرى . وظن ماركس أن الديالكتيك كان مقلوبا لدى هيجل وأنه هو الذى قومه وعدله . ولكن سارتر هذا الطفل الرجيم قد أقحم نفسه فى الميدان لاستنقاذ الديالكتيك من المفاهيم الماركسية المغلقة وافساح المجال أمام معقوليته المستمدة من ذاته . فاستطاع سارتر أن يجعل من الشيوعية احد أبواب نظريته الاشتراكية وأن يحيلها الى مجرد رأى داخل نظريته العامة .

وعندما تقترب ثورتنا من حقائق الوضع الاشتراكى المعاصر سترى ان احدث النظريات التى تحتاج الى تقريب والى تعبئة شعبية والى امتزاج بالمعنويات القومية هى تلك التى تستقى أصولها ومبادئها من سارتر وعندما تحتاج الى كيان روحى مساند لعقائدنا الفكرية الموازية للاطار المادى وفقا لطبيعة بلادنا ستجده بلا شك فى ثنايا نظرية الوجود الارادى للعقاد . وبين هاتين الفلسفتين بوجهيهما الروحى والمادى سنحصل على المفاهيم القومية الثورية . بادخال هاتين الفلسفتين كل منهما فى الأخرى مع التبسيط الشعبى نحصل على الفلسفة التى تلتقى مع الثورة .

« **عبد الفتاح الديدى** »

الأدَبُ الكشميري

بقلم : محيي الدين الألوائي

الآداب الشرقية المعاصرة :

كشمير : هي البلد الجميل المسمى بعروس الهند أو سويسرا الشرق .. وتقع فى المنطقة الشمالية للهند ، على بعد ٦٥٠ ميلا من دلهى عاصمة الجمهورية الهندية ، وتتصل حدودها الشمالية بجبال الهمالايا الشامخة المغطاة بالثلوج ، واراضيها مفروشة باشجار الصنوبر والسرو ، وتجرى من تحتها الجداول التى تصب فيها مياه الشلالات من قمم الجبال المغطاة بالثلوج ، وفيها لمسات الطبيعة الملهمة فى وسط الغابات الجميلة والحدائق الغناء ، وتتجلى مظاهر هذه المنطقة الرائعة ، وجمال طبيعتها فى أدب شعبها ، وشعرائه وأدبائه بنطاق واسع . وفيما يلى جولة خاطفة حول اللغة الكشميرية وآدابها وتطوراتها .

نشأة اللغة الكشميرية

لاشك ان اللغة الكشميرية قد صارت وارثة للبراعة الأدبية المدخرة خلال اكثر من ستة قرون فى السنسكرتية والفارسية ، ولكنها لم تكن لغة رسمية للحكومات ولا لغة الدراسة فى المدارس الى سنين متاخرة . ويبدو من هذا جليا سبب اضمحلال الصحافة فى اللغة الكشميرية وضآلتها ، وهبوط مستوى النثر فيها . ولم يكن سبب هذا وذاك عدم النبوغ الانشائى فيها ،بل فقر التسهيلات اللازمة للنشر ، وكذلك لأجل الجمود السائد فى عامة القراء ، فان القصص القصيرة التى وضعها مشاهير الكتاب مثل اختر محيى الدين و «أوميس كول» وروش و «نديم» و «ذوتشى» و «تاج‌بيجوم» لتبشر بمستقبل باهر للادب الكشميرى ، كما تبشر به تمثيليات«بشكار بهان» و «على محمد» وامثالهما وهذه الأعمال الأدبية وان لم تكن فى درجة عليا من الأساليب والمناهج ، تدل محتوياتها على خصوبة الأرض وطيبتها للتحرك نحو حياة جديدة تتبلج فى كشمير ، ويفوح نفح نسيم جديد فى كل من الساسة العاملين ، والفلاحين الكادحين ، وافراد الطبقة المتوسطة والفقيرة والغنية ، والفنانين الناشئين ، والعمال الكادحين والموظفين فى المكاتب الحكومية والشركات والجامعات والمعاهد بل فى جماعات السيدات اللاتى لايتبرجن من بيوتهن ويحتفظن بتقاليدهن التى ورثنها جيلا بعد جيل .

الشعر الكشميرى

ان الشعر الكشميرى قد احتل مكانة مرموقة وسط الآداب الشعرية الهندية ، ولكن النثر الكشميرى لم يصل بعدالى مستوى النثر من الآدب الأخرى ويرجع تاريخ التراث الادبى فى اللغة الكشميرية الى القرن الثالث عشر اذ اختار «سيتى كانتا» لغة شعبية يفهمها الجميع لمقالته الدينية الشهيرة : «مهاتايا بركاشا» . وفى أول الأمر كانت اللغة الشعبية الدارجة تستخدم للأغراض الدينية فقط فلم تلبث ان أصبحت وسيلة لسائر الاحتفالات والمناسبات الثقافية والأدبية . وكانت كشمير فى تلك الايام تعانى أزمات سياسية خطيرة ، والنمط الثقافى ــ الاجتماعى كان يمتاز بمظاهر الاتصال الوثيق بين فلسفة «شيوا» والتصوف الاسلامى . وتتجلى هذه النغمة الجديدة فى كلام « لال دد » (القرن الرابع عشر) ومعاصرها الشيخ نور الدين . وتشرب شعر «لال دد» بمقطوعات من الاغانى الصوفية التى تدور حول نظرية «وحدة الوجود» فجاء نمطا جديدا شيقا فى هذا المضمار . ويدعو شعر الشيخ نور الدين المعروف « بنندرشى » الى توازن تام بين القوى المادية والروحية . وقد سبق هذين الصوفيين «كبير» فى الدعوة الى ضرورة



منظر خلاب ساحر من طبيعة كشمير
يستلهم منه الشعراء والادباء

النظام الداخلى والتجرد النفسى وفى تزعم نضال ضد الجمود الروحى . ودعا هذان الصوفيان الاسلام والهندوسية الى هدف واحد مشترك ، ووجها دعوة حارة متحمسة نحو الاخوة الانسانية والمساواة الاجتماعية والوحدة الروحية ، بصرف النظر عن الاختلافات الدينية والطائفية والجنسية واللغوية والاقليمية ، وما الى ذلك من الشكليات التى لاتمت الى الحقيقة بصلة ، واتى بعد ذلك عصر الشاعر الصوفى « محمود جامى » وملك زمام الادب الشعرى فى الكشميرية على نمط «المثنوى» الفارسى ومنح تحولا جديدا للادب الصوفى وألبسه ثوب التجدد والتطور العصرى . واما التراجم الكشميرية للمؤلفات القيمة الفارسية مثل : « يوسف وزليخا» و « ليلى مجنون » وكلريز فكانت تعتبر فى مقدمة الاعمال الادبية التى غذت الادب الكشميرى بمواهب الادب العالمى . وقدم «هيمل» مثلا حيا قيما للتضافر الفنى والادبى ، فى قصصه الشهيرة فى الكشميرية .

عهد التجديد

واما شعراء البلاط الملكى للسلطان العالم العبقرى «زين العابدين» (القرن الخامس عشر) فلم ينقلوا « شاهنامه » للفردوسى الى الشعر الكشميرى فقط ، بل تبرعوا للغة الكشميرية بملحمة قيمة مشهورة باسم : «باناسوراوادها» وقصيدة تاريخية باسم : « زينا جريتا » (أى تاريخ حياة الزين) وتمثيلية هامة تعرف باسم : « زينا ولاسا » (أى قصر الزين) ولكن الركود الذى ساد الادب الكشميرى بعد وفاة راعيه الاكبر قد قضى على هذه الذخائر الادبية وغيرها ، واتى عليها حين من الخمول والجمود . واستمرت تلك الحالة الى بروز «محمود جامى» فى القرن التاسع عشر حيث استغل هذه الذخائر المكنونة لأشعاره الصوفية ، ولنشر أخيلته الخلابة التى تدور حول الآراء الفلسفية والفكرية والروحية .

وقام «برامانندا» بتصوير التقاليد الشعبية الشائعة عن «كرشنا» و «شيوا» فى اسلوب بسيط جيد . وجاءت قصائده الشهيرة : «رادها سويام وارا» و «سوداماجرتا» و «شيوالجنا» كنوزا للاشعار العظيمة وتشتمل على ميزات الجمعية « الوشناوية » والزهد « الشيوى » . وان كانت هذه القصائد مليئة بآراء الاساطير والافكار الخرافية فانها لاتخلو عن القيم الاجتماعية ، والنص الشعرى «للرامايين» من وضع «بركاش رام كور» قد بلغ اوج الشهرة والقبول الحسن لدى عامة الشعب . ووضعه « بركاش كور » فى القرن الثامن عشر باسم «راماوتراجريتا» ، ويليه الشعر التاريخى « لوهاب بارا» (القرن التاسع عشر) فى المنهج الحديث والتزام النمط الشعبى السائد المعروف .

ملكة الشعر الكشميرى

ان «حباخاتون» (العشيقة الحاذقة ليوسف شاه تشاك) لهى التى انهضت التراث الادبى فى القرن السادس عشر ، وافتتحت دورا جديدا من النشاط الادبى البنائى . وتطورت فتاة فلاحة الى عرش الشعر الكشميرى حيث كان يتناول شتى نواحى الحياة الشعبية . وتتدفق أغانيها بابتسامات ودموع ، وسادت اناشيدها البديعة ذلك العصر كله الى عصر نبوغ «ارنيمال» فى القرن الثامن عشر للميلاد المسيحى وكانت «ارنيمال» زوجة شاعر فارسى برهمى وقد منحت للغة كشمير مجموعة من القصائد الحية الرائعة تطرق جميع أبواب المشاعر والعواطف فى الافراد . وفى ممر الايام قد تحولت اناشيدها الى اناشيد دينية وتعبدية وتبرعت الى مكتبة الادب الكشميرى بديوانيها الشهيرين «بلبلا» و «نعت» واما «كرشنا دزدان» و «نسيم» فعملا الخيوط الشعبية ثم نظما فيها جواهر الاغانى والاناشيد بطريقة بديعة رنانة حيث تبهر الاسماع وتهز القلوب ، ولم يظهر

الادب الكشميرى المعاصر ، سيما الشعر منه على شاشة اللغة الكشميرية الا فى اواخر القرن الماضى. وان الشعر الهجائى «لمقبول كر الأوارى» و «وهاب بارا» مهد الطريق الى مانعرفه الآن بالشعر الواقعى وقام عدد لاباس به من الشعراء فى ذلك العصر بوضع كلامهم فى الهجو والهزليات والمضحكات والأمور الجدية فى صورة هزل واخيرا فى الغزل . وكان الغزلى الكبير «رسول مير» يعد فى مقدمة صفوف المطربين الغزليين واتى فى العصر بالذات داعية الشعر الحديث الكشميرى «مهجور» (١٩٥٢ - ١٨٨٥ م) وتأثر كثيرا بغزل «مير» واسلوبه الفذ ومنذئذ انفتح مصراع جديد فى الادب الكشميرى المعاصر .

الأدب الشعبى

ينعكس فى الشعر الكشميرى خلال عقدين اخيرين بطريقة ملحوظة مظهر النهضة الاجتماعية - السياسية بين الكشميريين وكفاحهم المرير ضد نير الاقطاع . ويتجلى من خلاله مدى شعور الشعب الكشميرى الذى يتوق الى تحقيق كشمير الحديثة وكان «مهجور» أول شاعر نبه الشعب الى التعقل والوعى والتطور الذى يأخذ بمجاميع قلوب الناس جماعات وفرادى ، ومنحت اناشيده ، المليئة بالوطنية والحماس والحمية ، للشعر الكشميرى نهجا جديدا بل كسته وجهة نظر جديدة واتجاها ذاتيا لم يسبق لهما مثيل ، وهذب الاساليب القديمة والتشبيهات العتيقة فيه ، واخترع أساليب واستعارات جديدة تتفق مع المطالب الحديثة ومقتضيات العصر ، وهذا النهج الجديد قد صار بمثابة صمام الأمن له من مصائب الرقابة الرسمية وبفضل ذلك التحول استطاع ان يوقظ فى الشعب وعيا ضد نير الاقطاع والاستغلال المخيف .

واما معاصره «عبد الأحد آزاد» فكان اكثر صريحا فى مهمته ودعوته التى يتخذها مبدأ له . وكرس جهوده ، أولا وقبل كل شىء ضد التعصب الدينى والبغضاء للطائفية وضيق الافق القومى او الوطنى ودعا الى خلق مجتمع لاتسوده الطبقيات أو الفوارق العنصرية واللونية واللغوية ، وما الى ذلك من اوبئة المجتمع ، وكانت كشمير حينذاك تقاسى انواعا من الكروب من جراء الحكم الاقطاعى والسيطرة الاستعمارية ، وان الأعباء الملقاة على عاتق الأدباء والكتاب والشعراء لثقيلة جدا ، وكان عليهم ان يثيروا فى اذهان الناس شعورا مليئا بالحماس الوطنى وغيرة التخلص من ويلات المصائب العديدة التى كادت تكسر ظهرهم .

عهد النهضة

عهد الاستقلال فى كشمير قد منح حلة بيضاء للادب الكشميرى اذ شد ازره ، لا لمجرد اتساع دائرة مواضيع الأدب وتحرره من القيود والعقبات بل كانت هناك محاولات جمة لاحياء كل ماهو ثمين مدفون فى آداب البلاد وثقافاتها ومدنياتها ، وكان «نديم» احد منظمى الحركة الثقافية الجديدة فى كشمير ، وكما انه فى مقدمة الشعراء الشبان المتفائلين الملهمين ، ولم يلبث ان وجد نفسه فى وسط جماعة متجانسة من زملائه الشبان مثل «روش» و «راهى» و «بريمى» وغيرهم وحتى الشعراء الذين لهم سبق فى الميدان نحو «عارف» و « آرزو » و « امبادار » و « فاضل » اقتفوا آثار التحول الحديث ولبوا مقتضيات الوقت بدون اشمئزاز ولافتور ، وسعى كلا الفريقين لخلق مجتمع حر من الازمات وبعيد من الاهوال ، وبذل هؤلاء الشعراء والكتاب جهودا جبارة للقضاء على العناصر المضادة للاصلاح الاجتماعى والديمقراطى. وفى متناول ايدينا من هذه الذخائر «شبابى ناضر» «لنديم» من نماذج حية لهذا التطور الحديث فى الاتجاهات الذهنية والافكار الحرة والآراء العصرية ولبى الشاعر الى مطلب الوقت فى السلام والانسجام الداخليين بطريق الاستفادة بكل ماهو قيم فى آداب البلاد وثقافاتها التى لها يد طولى ، قديما وحديثا، فى دعوة الناس الى الالفة والود ومجد الماضى . وانشد «نديم» لأهل وطنه فى مواضيع شتى مثل الاصلاح الزراعى والتهذيب الاجتماعى الداخلى والخارجى ، ووصف الفلاح الخامل لمحراثه ونيره فى الحقول « بكاتب سطر او راسم خط حديث فى تاريخ مستقبل الشعب ، وعلى جبين وطنه الحبيب » .

محيى الدين الالوائى

الإنسان .. والزمن

للشاعرة : جليلة رضا

توقف عن سيره متعبا وسمر رجليه فوق الصخور
ولكن صاحبه شده وصاح به أن يحث المسير
أجاب : حنانيك كلت خطاى وليلى ضرير ودربى عسير
الى أين تدفعنى هاربا ؟ وما منتهاى ؟ وأين المصير ؟
الا ايها الشيخ قف برهة لاشهد خلفى الضياء المنير
أما كنت من قبل لى طائعا سريع الرضاء ، عطوفا ، صبور ؟

فما بالك اليوم تسخر منى ومن ادمعى !
وتصرخ : « سر ! سر » وصوتك يعصف في مسمعى
ويطعن ظهرى اخنجرك المستبد العنيد
وتلهو براسى فيبيض شعرى مثل الجليد
بانفى فتنفخه كالكره
بكل عروق يدى النافره

ويالك من زمن ظالم تشيع الفناء على أرضنا
تململ صاحبه فى استياء وقطب جبهته فى اكتئاب
وتمتم يالك من جاحد ظلمت زمانك يابن التراب

اذا ما حرمتك عز الشباب وفخر الجمال
فانى وهبتك تاج الوقار وعرش الخيال
وهدأت اعصابك الثائرات
وبدلت طيشك بالذكريات
وبالصبر فاق الهوى والمجون
بروح القناعة ضيم السنين
ومن ضوء الهام معرفتى
غمرتك بالوعى والخبرة

فاما هرمت واصبحت مثلى فحسبك انى وهبتك عقل

كلمات مهاجرة

للشاعر : محمد فتوح أحمد

(من مذكرات «فلسطيني» مازال مغتربا .. هناك
في وطنه .. اليها)

صلى لأجلى .. أرضنا مقبرة
لم تبق فى أغوارها جوهره
صلى لأجلى .. انني ها هنا
اشقى وراء الكلمة النيره
اشقى على حرف .. رقيق الصدى
مهاجر في بسمة مزهره
او نجمة فى الشعر مضفورة
تصطاف فى نظراتك المقمره
اشقى على الانسان .. أيامنا
من بعدكم .. ايامنا منكره
وانت ما جربت معنى الفنى
وان يذيب الحى .. أن يعصره
وان يموت المرء فى غربة
أرض الصبا .. لكنها مقفره
المسجد العارى .. بايديهم
جفت به التسبيحة المطره
والتين .. والزيتون .. والمنحنى
ماتت على الاقدام مستكبره
ونحن .. حتى نحن .. يافتنتى
نعيش : لا موت ولا مغفره
فالذنب .. يشوى الذنب أرواحنا
وتنطوى ايامنا منذرة !
ونحن كنا ملح هذا الثرى
وعرقه المخصاب والمقدره
كانت لنا دار .. وكانت لنا
فى ظلها تعريشة مثمره
تنام فيها الشمس مرخية
ويسكب الضوء بها أنهره
يا كم لعبنا عندها .. كم لنا
في جذعها من احرف مبصره

تحكى بأنا ذات يوم .. هنا
كنا ، وكانت أرضنا الخيره
صلى لأجلى .. انني هاهنا
أعيش .. لا موت ولا مغفره
فلست فى دارى سوى لاجىء
يكاد مرأى الدار أن ينحره
ضاقت بنا .. لما رضينا الأذى
ضاقت باشواق الغد المهدره
وأن يظل السفح اسطورة
وأن يظل الحقل « مستعمره »
وان يضيع العمر فى رحلة
وراء طيف العودة المنتظره
يموت .. يستجدى ، فمن منزل
يشقى به يوما .. الى مقبره
والريح فى آثاره صرخة
تاهت على الصحراء مستعبره
التل .. والمجرى .. وحتى الحصى
و«العشة» الصغرى .. وحقل الذره
وكل شىء .. كل شىء هنا
يصرخ : لا موت ولا مغفره
صلى لأجلى .. واذكرى حبنا
فانني اخجل ان اذكره
وليس للمقهور ان يشتهى
وليس للأزهار أن تسحره
وليس للأغراب أمثالنا
الا غرام الارض .. ما اكبره
يا أرضنا .. يا أرض آلامنا
يا قطعة فى الصدر مخضوضره
يا ذنبنا .. يا ذنب آبائنا
معذرة ـ يا أمنا ـ معذرة !

وحدة الدم العربي في شمالي أفريقية

بقلم الدكتور : أحمد محمد الحوفي

\- ١ -

عجيب هذا الدم العربي .

لقد أبى أن يحتبس في جزيرة العرب ، فجعل يتسرب منها آنا وينطلق آنا، حتى عم الشام والعراق ومصر والسودان ، وها هو ذا يسرى ثم يجرى الى شمال افريقية ، من برقة الى المغرب الأقصى .

فقد عمر العرب شمالي افريقية قبل الاسلام بزمن بعيد ، وذلك أن قبائل عربية يمنية رحلت من جزيرة العرب الى السودان ، ثم الى المغرب ، وانتشرت في ربوعه وفي جهات من الصحراء ، واختلطت بالسكان الذين كانوا قد وفدوا من أوربا ، واستقر بعض العرب بكثير من الجزائر مثل جزائر الكنارى في المحيط الأطلسى ، وجزيرة سردينية وصقلية ومالطة وقوصرة في البحر الأبيض المتوسط ، وكان ذلك في زمن قديم لا يقل عن ثلاثين قرنا قبل ميلاد المسيح .

وهؤلاء هم الذين يسمون أنفسهم (**أمازيغ**) أى الأشراف الأحرار ، ويرفضون كلمة (بربر) التى أطلقها عليهم اليونان ثم الرومان ، لانها تعنى الهمج المتوحشين ، وهم في الحقيقة عرب ليسوا من الوحشية أو الهمجية في شيء .

وقد ذكر « هيرودوت » أن البربر بتونس رحل، وانهم بالمغرب الأوسط يسكنون السهول ، ويحرثون الارض وبعضهم يقيم بالجبال التى تكسوها الغابات.

وذكر ابن خلدون أنهم قبائل أكثر من أن تحصى، يعمرون شمال افريقية من المغرب الى الاسكندرية منذ أزمنة لايعرفون أولها ولا ماقبلها، ثم اتخذ الفينيقيون - وهم عرب - البحر الابيض المتوسط مجالا لتجارتهم وملاحتهم ، وأنشأوا على سواحله كثيرا من المراكز والمرافيء التجارية . وفى القرن العاشر قبل الميلاد نزحت جموع منهم الى تونس ، وأقاموا بها دولتهم ، وأسسوا عاصمتها قرطاجنة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، واختلطوا باخوانهم العرب الذين كانوا قد سبقوهم الى هناك منذ زمن بعيد .

ولم تلبث دولتهم أن صارت شديدة البأس ، وأعظم دولة تجارية على البحر الابيض المتوسط ، اذ كان القرطاجنيون أوفر من الرومان مالا ، وأعظم أسطولا، وأكثر مراكزا ، وكانت أملاكهم في افريقية تشمل معظم تونس والجزائر ومراكش .

ثم نشبت حروب طويلة بينهم وبين روما، وانتهت سنة ١٤٦ م بانتصار الرومان وتدمير قرطاجنة .

فلما استهل الاسلام توالت الهجرات العربية الى شمالى افريقية منذ اتجه عمرو بن العاص الى برقة سنة ٢٢ هـ ، فصالحه أهلها ، ثم سار الى طرابلس ففتحها في العام نفسه .

وكان عقبة بن نافع قد أقام ببرقة وزويلة الى أن أرسل اليه معاوية جيشا فتح به افريقية ، وأسس مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ (٦٧٠م) ، ثم زحف تجاه الغرب حتى قارب المحيط الأطلسى .

وما زالت الجيوش توجه الى هذه الاصقاع حتى اكتمل فتحها سنة ٨٢ هـ (٧٠١م) . وسرعان ما تدفقت القبائل العربية على شمالى افريقية من مضرية وحميرية حتى ازدحم الاقليم بها . وحسبنا أن نذكر منها الجموع الحاشدة من مضر التى ارتحلت الى هناك واستقرت واختلطت دماؤها بدماء الأهليين . هذه الجموع هى بطون من بنى هلال وسليم ، كانت قد نزلت بصعيد مصر شرقى النيل، ولكنهم تكاثروا وعاثوا فى مصر فسادا ، ثم سنحت الفرصة للخلاص منهم ، حينما خلع المعز بن باديس الصنهاجي ولاءه للخليفة الفاطمى المستنصر سنة

٤٣٧ هـ (١٠٤٥ م) ، وقطع اسمه من الخطبة ، وخطب باسم الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، اذ كانت الثورة على المذهب الشيعى قد تفاقمت فى شمالى افريقية ، واطمأن الناس الى العودة لمذهب اهل السنة ، واقبلوا على مذهب الامام مالك .

حينئذ استشار الخليفة الفاطمى المستنصر وزيره أبا محمد اليازورى ، فأشار عليه بأن يستعين على المعز ببنى هلال وسليم ، ليتخلص من شرورهم ، وليقوض ملك ابن باديس ، فشجعهم الخليفة على الرحيل الى شمالى افريقية ، واعطى كلا منهم بعيرا ودينارا ، وقال لهم : قد منحتكم المغرب وملك المعز ابن باديس ، فسرعان ما استجابوا ، ونزحوا الى برقة سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢) م وافتتحوها ، وكان عددهم أربع مائة الف ، ثم كتبوا الى اخوانهم الذين بقوا بمصر يرغبونهم فى اللحاق بهم ، فسار اليهم كثير منهم ، وبقى بعضهم بمصر مثل بنى عقبة بأسنا وأسوان .

وهنالك فى برقة وطرابلس استقر بنو سليم زمانا ، ثم شخصوا الى المغرب . أما بنو هلال فانهم جعلوا ينتشرون من تونس الى المغرب ، حتى بلغوا مراكش ، ووصل بعضهم الى ريودور الخاضعة لاسبانيا الآن ، ثم اتجه فريق منهم الى السودان ، فاقاموا بدارفور ، ولا يزال عامة سكانها يرجعون نسبهم الى بنى هلال .

ويكفى للدلالة على كثرة المهاجرين الى شمالى افريقية أول مرة أن عدد الفرسان المحاربين كان سبعة آلاف فارس فى موقعة بينهم وبين المعز بن باديس وأعوانه من قبيلة (زناتة) المغربية سنة ٤٤٦هـ (١٠٥٤) ، وهى الموقعة التى دخلوا بعدها القيروان وباجة ، وجعلوا ينتشرون فى الاقليم كله .

وقد ذكر ابن خلدون كثيرا من بطون بنى هلال فى عصره ـ توفى سنة ٨٠٨ هـ ـ مثل الأثبج ورياح ، والعاصم ، ومقدم ، وقرة ، والكلبة ، والشبة ، والصحة ، والسرحانية ، وذكر كثيرا من بطون بنى سليم فى زمنه مثل زغب ودياب ووهيب ومحارب وعوف وعزاز وعريف .

ثم تتابع العرب الى شمالى افريقية من قبائل وبطون شتى ، وتشعبوا هنالك وتكاثروا ، وامتزجوا بالسكان امتزاجا تاما ، فتعربت البلاد دما ولغة وثقافة وعادات ، وصارت العروبة هى الطابع المميز لهم منذ زمن بعيد .

وعلى الرغم من تحامل Rene Basset على العرب والمسلمين فى الفصل الذى كتبه عن البربر ، فانه قد ذكر أن البربر « **تغيروا تغيرا عظيما لاختلاطهم بالعرب ، حتى ليستحيل تمييزهم فى أغلب الأحيان فهم لم يعودوا يذكرون شيئا عن أصلهم الحقيقى أو لغتهم أو عاداتهم** » .

فلا غرابة فى أن كان الملايين من أبناء المغرب كله حراصا على نسبهم العربى ، ومحتفظين بكثير من عاداتهم وعادات أسلافهم العرب الأولين .

ولذا قامت بشمالى افريقية دول كثيرة ، أسس بعضها العرب ، وأسس بعضها المستعربون ولكنها كانت كلها تحرص على صبغها العربى ، وتفاخر به، ولم تنزع دولة من التى اقامها المستعربون الى لون من التنكر للعروبة ، أو التعصب للبربرية ، أو الدعوة اليها لتكون شعارا للشعب .

وهذه الدول الكثيرة ، منها :

الدولة الرستمية بالجزائر من ١٦٠ ـ ٢٩٦ هـ (٧٧٦ ـ ٩٠٨م) .

الدولة الادريسية بمراكش من ١٧٢ ـ ٣٧٥ هـ (٧٨٨ ـ ٩٨٥م) .

دولة الأغالبة بتونس من ١٨٤ ـ ٢٩٦ م (٨٠٠ ـ ٩٠٩م) .

الدولة الفاطمية بشمالى افريقية٢٩٧هـ (٩٠٩م).

دولة بنى حماد بقلعة بنى حماد وبجاية بالجزائر من ٣٩٨ ـ ٥٤٧هـ (١٠٠٧ ـ ١١٥٢م) .

دولة المرابطين بمراكش من ٤٤٨ ـ ٥٤١ هـ (١٠٥٦ ـ ١١٤٧م) .

دولة الموحدين بمراكش من ٥٢٤ ـ ٦٦٨ هـ (١١٣٠ ـ ١٢٦٩م) .

دولة الأشراف بمراكش ٩١٥ هـ (١٥٠٩م) الى اليوم .

أما الزعم بأن الأمازيغ أوالبربر أصلهم من السلت فانه ادعاء استعمارى باطل ، يحاول تفرقة العرب ، وادماج سكان شمالى افريقية بالفرنسيين ، وقد باءت بالهزيمة محاولات الايطاليين والفرنسيين أن ينسوا البربر عروبتهم ، وأن يصرفوهم عن اللغة العربية الى اللغة البربرية ، وعن الحروف العربية الى الحروف اللاتينية .

د. أحمد الحوفى

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس (٭)

المشهد التاسع

بقلم : علي أحمد باكثير

بيت البطريق صفرونيوس على جبل الزيتون ،حجرة تطل على مدخل كنيسة القيامة .
تظهر مارية اخت البطريق وابنتها الشابة بربارة واختها الراهبة مارتا واقفات يتطلعن من شبابيك الحجرة .

مارتا : هذه جموع كبيرة جاءت لتشهد الموكب .. من الذى اخبر هؤلاء الناس .

مارية : قد انتشر الخبر فى الناس منذ أمس .. كل يشتهى أن يرى ملك العرب .. حتى النساء .. والاطفال .

بربارة : من حسن حظنا اننا فى بيت يطل على مدخل الكنيسة .

(يدخل انطوان)

هلم يا أبى .. تعال قف الى جانبى .

انطوان : ألم يأت الموكب بعد .

بربارة : أرى الناس تتدافع يا أبى فلعل الموكب قد اقبل .

انطوان : دون طبل ولا زمر ؟

بربارة : أخبرنى خال البطريق أن أهل المدينة ارادوا أن يقلسوا لهذا الملك العربى فمنعهم .

انطوان : من الذى منعهم ؟

بربارة : خالى .

انطوان : الا يخشى خالك ان يغضب منه ملك العرب اذا بلغه انه منع الناس من الاحتفال به ؟

بربارة : انما منعهم نزولا على رغبة ملك العرب .

انطوان : عجيب .

بربارة : أعجب من ذلك يا أبى انه يرتدى فيما يحكى خالى ثيابا مرقعة ..
(تهتف) انظروا .. انظروا .. هاهو ذا الموكب قد ظهر .

انطوان : هؤلاء المشاة .. لعلهم يتقدمون الموكب .

بربارة : بل هوذا الموكب .. الا ترى خال البطريق يلمع رداؤه الاصفر تحت الشمس .

مارية : أجل ذاك أخى صفرونيوس .

انطوان : وأين الملك .

بربارة : لاريب انه ذلك العملاق الذى يسير عن يمينه .

مارية : انهم متوجهون نحو كنيسة القيامة . أتراه يدخلها؟

بربارة : لا ريب أنه سيدخلها .. انه طلب من خالى أن يزيره المآثر .

مارتا : (تصلب) عساه يدخلها فيؤمن بالمسيح يارب !

بربارة : انه يؤمن يا خالتى بالمسيح .. هؤلاء المسلمون يؤمنون جميعا بالسيد المسيح .

مارتا : ولكنهم ينكرون الوهيته .

مارية : انظروا .. دخل الكنيسة خلف أخى البطريق .

مارتا : يارب .. انت قادر على هدايته !

انطوان : أراك تحبينه كثيرا يامرتا .

مارتا : كيف لا وقد انقذ كنيستنا من بدعة هرقل ؟

مارية : ترى ماذا يصنع الآن داخل الكنيسة ؟

انطوان : ماذا يصنع ؟ يتأمل فى التحف والايقونات

مارتا : لا تخف على اخينا البطريق .. انه لبق .

انطوان : ماذا تعنين يا مارتا ؟

مارتا : لن يتركه حتى يصلى معه للمسيح .

انطوان : أحسب يامارتا أن اخاك البطريق لألبق من ذلك

برباره : صدقت يا أبى .. لابد أنه يريه التحف والايقونات

مارتا : واين هى التحف والأيقونات ؟ قد سحبها قيصر الى القسطنطينية . ولم يبق منها الا قليل .. آه لو بقى الصليب الاعظم حيث كان .. اذن لربما .

انطوان : لربما ماذا ؟

مارتا : لربما نالت بركته هذا الملك العربى فآمن !

انطوان : يا عزيزتى الاخت .. ما شأنك به ؟ الرجل تركنا فى ديننا فاتركيه فى دينه .

مارتا : وهل اكرهته انا على شىء ؟ انما ادعــو الله له بالهداية .

برباره : انظروا هاهو ذا خرج .

مارية : ياله من عملاق .

انطوان : فى وجهه امارات الحزن والاخبات

مارتا : الم اقل لك ؟

برباره : وقف يتحدث مع خالى .

مارية : ترى ماذا يقول أحدهما للآخر ؟

برباره : انه يضرب على كتف خالى كأنه يشكره .. خالى يركع أمامه !

مارية : والعملاق ينهضه !

مارتا : عجبا ما معنى هذا ؟

برباره : انظروا ! انهم أحضروا له جواده .

مارية : أهذا جواده ؟ ليس عليه غيرسرج بسيط .

انطوان : لكنه جواد أصيل .

مارية : ياالهى !

برباره : وثب على الجواد بيد واحدة !

مارية : وبدون ركاب !

انطوان : وركب اصحابه خيولهم .. عجبا اين كانت هذه الخيول ؟ لقد جاءوا ماشين . ويسمع وقع حوافر الخيل منطلقة) .

برباره : كانت معهم يا أبى فترجلوا منها تعظيما للاماكن المقدسة .

انطوان : والله ما سمعت ولا رأيت أعجب مما رأيت اليوم .

مارتا : وتستكثرون بعد عليه وعلى أصحابه أن يؤمنوا ؟

برباره : قلت لك يا خالتى انهم مؤمنون بالسيد المسيح .

مارتا : نريد منهم يابنيتى أن يؤمنوا به كما نؤمن نحن به

انطوان : ولم هذا التعصب يا مارتا .. اما كفى ما أصابنا من هرقل .

برباره : هذا خالى قادما الينا .. لنسأله عن كل شىء . (تخرج لتستقبله)

مارتا : هذه اول مرة تقع عينى فيها على هؤلاء الناس .

انطوان : فكيف رأيت ؟

مارتا : ازداد ايمانى لما رأيتهم .

انطوان : كيف أيتها الاخت ؟

مارتا : ما كان هؤلاء ليغلبوا جنود الروم المدججين بالسلاح الساترين اجسامهم بالدروع ، وزرد الحديد لولا سخط الله علينا لما اقترفناه من ذنوب وآثام .

انطوان : من الذى اقترف ؟ نحن ام الروم ؟

مارتا : نحن النصارى جميعا باختلافنا فى المسيح وعداوة بعضنا لبعض .

برباره : هذا قد وقع من زمن بعيد .

مارتا : ان الله يمهل يا أخى ولكنه لايهمل .
(يدخل صفرونيوس ومعه بربارة ممسكة بيده وهو يفيض عليها حنانا) .

صفرونيوس : لا يابنتى مازرنا جميع المآثر بعد .. سأوافيه غدا لنزور كنيسة المهد فى بيت لحم .. (يحيط به الجميع) .

مارية : واين ذهب الآن يا أخى

صفرونيوس : رجع الى معسكره .

مارية : كيف تركتموه دون أن تقيموا له وليمة غداء ؟

صفرونيوس : بل دعوته يامارية ودعاه غير واحــد من الكبراء الذين استقبلوه ولكنه اعتذر لانه صائم .

الجميع : صائم ؟

صفرونيوس : اجل لم يشأ أن يدخل بيت المقدس الا وهو صائم .

انطوان : ما أعجب امره .. لكأنه اسطورة من الأساطير .

صفرونيوس : صدقت انك لكذلك .. كل يوم ينكشف لى عن فضل جديد .. لقد كنت اظن انه هو الرجس الآتى من القفر الذى ذكره النبى دانيال ولكنى اقتنعت اليوم اننى كنت مخطئا فيما ظننت .

مارتا : كيف يا أخى ؟ .. هل اعرب لك عن استعداده للايمان ؟

صفرونيوس : هذا رجل كله ايمان يامارتا من قمة رأسه الى اخمص قدميه .. انه ليذكرنى بذلك الطرازالقوى من انبياء العهد القديم .

مارية : ماذا صنع يا أخى داخل الكنيسة ؟

صفرونيوس : ماصنع شيئا .. ما زاد على أن تمتم بكلام لم اسمعه لعــله من القرآن المنزل على نبيهم فانه يحفظه عن ظهر قلب .

انطوان : الم تبهره الكنيسة بجمالها وروئقها وما فيها من صور القديسين والقديسات ؟

صفرونيوس : لا .. ما ظهر لى شىء من ذلك .. كان كأنه غائب عما حوله من الصور والايقونات .. ولكنه انتبه واهتم لما وقفت به على المكان الذى قبر فيه السيد المسيح ، ثم رفع منه الى السماء فأخذ ينظر اليه فى خشوع واجلال .

مارتا : الم يقبل القبر أو يتمسح به ؟

صفرونيوس : لا .. ما تحرك من مكانه ولكنى لمحت فى وجهه لمعة من نور الايمان والطمأنينة وتمتم بكلمات لم أسمعها .

بربارة : (كالمأخوذة بحديث خالها) ثم ماذا يا خال ؟

صفرونيوس : ثم لم يلبث أن ذكره أحد رفاقه بحضور وقت الصلاة عندهم فأخذ يسوى رداءه وتوجه مع رفاقه الى ركن فى الكنيسة ليصلى بهم ولكنه عدل عن ذلك فجأة وأسرع بالخروج من الكنيسة وهرولت خلفه فقلت له : ربما منعك من الصلاة فى بيت من بيوت الله ؟

بربارة : عندما رأيناك تتحدث معه على عتبة باب الكنيسة

صفرونيوس : نعم .. أتدرون ماذا أجاب ؟

الجميع : ماذا أجاب ؟

صفرونيوس : أيها الشيخ الحبر الجليل أخشى أن يجىء المسلمون بعدى فيصلوا فيها مثلى ويقولوا هنا صلى عمر فيأخذوها منكم ويتخذوها مسجدا لهم .

الجميع : (مدهوشين) ياللشعور النبيل .. يا للسلوك الحكيم ! ياللعدل .

صفرونيوس : فلم أملك حينئذ ان ركعت امامه عرفانا وشكرا فانهضنى بقوة .. وفى وجهه شىء من الغضب وهو يقول : هذا لا ينبغى لغير الله .. قلت له اننا نركع لملوكنا .. أتدرون ماذا قال ؟

الجميع : ماذا قال ؟

صفرونيوس : أيها الحبر الجليل ما انا بكسرى ولا قيصر .. أنا عبد من عباد الله ؟ (يفغرون أفواههم عجبا) هل تذكرون يامارتا يوم جاء الامبراطور هرقل ليحج وليعلق الصليب الأعظم كيف دخل من الباب الذهبى فى ردائه الارجوانى يبرق بالذهب والجوهر .

مارتا : نعم وكان فى استقباله البطريق زكريا رحمه الله فأخذ يعنفه على فخامة ملبسه وامره ان يخلع رداءه الارجوانى حتى يدخل الاماكن المقدسة بما يليق بها من الخشوع والاجلال .

صفرونيوس : فانظرى شتان ما هذا وذاك .. ذاك احتاج الى تنبيه البطريق زكريا ليخلع ما عليه من الزينة الفاخرة .. وهذا يعيش طول حياته فى هذا الثوب المرقع البسيط لا عن عجز أو بخل ، فقد فتحت الدنيا خزائنها له فى المشرق والمغرب ، وان وجدته ليلبسون خيرا منه . ولكنه آثر أن يعيش كأنه حاج طول حياته خضوعا لله عز وجل .

(ستار)

أبي : زكي مبارك

بقلم : كريمة زكي مبارك

« لو شرب الصخر من رحيق الوجود بعض ما شربت لتحـــول الى أوتار وقلوب ، فكيف أصمت والدنيا كلهـــا تتارجح من حـــولي بأنفاس الأزهار والرياحين، ولي قلب يتشوف الى الفنان الجمال تشوف الشمس الى أنداء الصباح » .

زكي مبارك

ولكن زكي مبارك صمت ، وان كان زكي مبارك لم يمت ، فأدبه لا زال حيا وسيبقى حيا ، فقـــد زود المكتبة العربية بدرر نادرة ســـتبقى خالدة على مر الزمان . ولكن الذى مات أبى ، وعن أبى أتكلم .. أتكلم عن زكي مبارك الأب الحنون ، ولا أتكلم عن زكي مبارك الأديب الشاعر .

أتكلم عن أبى الذى مات وخلف لى الحزن بعد أن كان ملء السمع والبصر .

كان أبى رحمه الله فى صحبة القلم دائما ، وكان لا يستطيب هذه الصحبة اذا صحبتهـــا الضوضاء ورافقها الطنين والازعاج . فكان لا يستطيع الكتابة الا فى الهدوء التام . وعلى هذا كنا دائما نقطن منزلا يتكون من طابقين : الطابق الاول يحتوينا جميعـــا ، والدتى واخوتى . وأما الطابق الثانى فقـــد كان خاصا به .

وكان أبى عندما يستيقظ فى الصباح ونسمع وقع أقدامه ، تعد له أمى الفطور مع الشاى . وفى طريقه الى عمله يلقى الينا بتحية الصباح وبمصروف اليومى الذى كنت أصر على طلبه يوميا كل صباح . وعنـــد الظهـــر يعـــود من عمله فيجلس معنا بعض الوقت ، يســـأل عن احتياجاتنا ثم يتركنا الى الطابق العلوى حيث تحمل له أمى الغداء وتعود الينا بعد أن ينال منه ما يريد . وبعد العصر يستيقظ والدى من النوم حيث تحمل له أمى الشاى الى الطابق العلوى وبعدها ينزل لعمله ولا يعـــود الا فى منتصف الليل ونحن نيام ..

وقد عشت سنوات طوالا والطابق العلوى هـــذا يشغل بالى ، بل كان أبى هو شغلى الشاغل، فكانت تدور بمخيلتى الكثير من الأسئلة التى حيرتنى لفترة طويلة وأنا فى الحلقة الاولى من سنى حياتى .

من هذه الاسئلة على سبيل المثـــال لا الحصر ، لماذا يعيش أبى بمفرده فى الطابق العلوى ؟

وماذا يفعل أبى وحده بمفرده فى هذا الطابق؟ وما الذى يحتويه هذا الطابق ؟ ولماذا يعيش أبى وأمى كل منهما فى طابق وكل فى عالمه الخاص به ؟ ولماذا يغلق أبى هذا الطابق العلوى دائما بالمفتاح وهو خارج الى عمله ولا يتركه مفتوحا كى نراه ؟

ترى هل يحوى النفيس الغالى من الاثاث والرياش حتى بات أبى يخشى عليه من عبثنا ؟

كانت هذه بعض الأسئلة التى طالما حيرت أفكارى وعشت السنين الطوال لا أجد لها جوابا شافيا . حتى كان اليوم الذى صحبنى فيه والدى الى الطابق العلوى او الى العالم المجهول الذى رسمت له صورا كثيرة فى مخيلتى . فارى ويا للعجب ... ارى الردهة وقد غطيت أرضها باكداس مكدسة من الجرائد والمجلات، حتى يخيل اليك أنها فرشت بسجاد مصنوع من كتل من الجرائد والمجلات . وحوائط الردهة كلهـــا قد اختبأت وراء مكتبات تعلو حتى تصل الى السقف وبها النفيس الغالى من الكتب الادبية والفلسفية .

وفى وسط الردهة كانت هناك مائدة لا يظهر منها غير أرجلها التى بها تستطيع أن تحكم على أن هذه أرجل لمائدة مستطيلة ، والسبب ايضا هو أن الكتب والمجلات تغطيها وترتفع عليها حتى تقارب النجفة المعلقة فى وسط الصالة .

وبينما أنا غارقة فى ذهولى مما أرى ، رن جرس التليفون وحرت كيف أنتقل الى حيث أسمع الصوت. فليس هناك شبر واحد فى الصالة خال من المجلات يستطيع المرء أن يمر منه . وأخيرا أصل الى الحجرة التى بها رنين التليفون ، وانا اغوص فى الجرائد والمجلات ، فأجدنى فى حجرة لابد وانها حجرةالمكتب وان كان هذا المكتب لا يظهر منه أيضا غير جوانبه . أما أعلاه فقد امتلأ بالكتب والمجلات . وأدقق النظر لأرى التليفون فلا أستطيع الا سماع صوته فقط أما اين التليفون فلست أدرى . ويدخل أبى على وانا فى هذه الحيرة ويقلب الورق والكتب والمجلات التى فوق المكتب ويخرج من بينها التليفون ، ويسأل منالهاتف فيرد عليه الاستاذ أحمد حسن الزيات الذى يستعجله ارسال مقاله الأسبوعى لمجلة الرسالة فيبتسم أبى ويجيبه بأنه سيحمل المقال اليه فى صباح الغد .

واتوجه لرؤية حجرة أخرى هى حجرة الجلوس ، فأجد الاوراق والكتب والمجلات قد غطت معظم السجاد وجميع كراسى الصالون بلا استثناء . ورفعت عينى الى حوائط الحجرة فوجدت الكثير من أبيات الشعر قد غطتها .

كان أبى رحمه الله اذا واتاه شيطان الشعر كتب ما يجول بخاطره فوق علبة كبريت أو ورقة أو أى شىء معه ، فان لم يجد هذا أو ذاك كتب فوق الحائط ما يدور بخلده .

وهالنى ما رأيت وخيل الى ان باستطاعة والدى تركنا نلهو فى هذه (الشقة) فلن نعيث بها تلفا حتى تصبح على اى حال باسوأ مما هى عليه الآن . ونظرت الى أبى فى دهشة وقلت له: مادام الحال هكذا ياأبى فلماذا تخشى أن نلعب هنا ، اننا لن نقلب (الشقة) رأسا على عقب أكثر مما هى عليه الآن .

فابتسم والدى وقال : ولكن اخشى أن تقلبوها عقبا على رأس . فأعود فى المساء فلا أجد ما كنت اكتبه فى الصباح .

قلت فى حديثى اننا كنا دائما نقطن منزلا يتكون من طابقين أبى وحده مع كتبه فى الطابق العلوى ، ووالدتى معنا فى الطابق الاول . وكان همزة الوصل بين أبى وأمى ، بل بين أبى وبيننا جميعا جرس صغير يربط بين الطابقين ، فلو رن الجرس مرة واحدة لكانت أمى هى المطلوبة ، ولو رن الجرس مرتين لكان المطلوب أخى الأكبر وهكذا .

فكان كل منا يعرف بعدد دقات الجرس . وكنت أنا على هذا أحمل رقم ٥ ، فلو رن الجرس خمس مرات لكنت أنا المطلوبة ، على أنى لم أر فى حياتى هذا الطابق الثانى الا بعد أن دخلت فى الحلقة الثانية من عمرى .

ورغم أن أبى كان يشغل الطابق الثانى بكامله وبمفرده فكان حضوره الى البيت لا بد وأن يصاحبه هدوء تام من جميع الموجودين فى المنزل حتى يستطيع الكتابة . وأذكر اننا كنا ننتظر خروجه بفارغ الصبر حتى نستطيع احداث الضجيج الذى يلازم عادة سنوات الطفولة الأولى .

كان أبى رحمه الله يحلو له كثيرا الجلوس فى حديقة (الفيلا) يجاذبنا أطراف الأحاديث ونقرأ عليه أنا واخوتى بعض مقالاته أو أشعاره . وحتى حين كنا نقرأ عليه هذه المقالات كان يحب الهدوء التام .

وفى مساء ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ مات أبى فحرمت الحنان والحب ، مات وخلف لى اليتم ، وكم أرقتنى هذه الكلمة وما زالت . وسأبقى أبكيه ما شاء لى الهوى .

مات أبى بعد ان فهمت معنى الهدوء ومعنى الأدب والشعر . وفهمت لماذا كان أبى يحبس نفسه بمفرده الليالى الطوال ليكتب ويكتب ثم يكتب ... انه الخلود ، فلقد زود أبى الزكى المبارك المكتبة العربية بدرر نادرة خالدة على مر الزمان وسيبقى الزكى المبارك حيا فى ضمير الشعوب العربية لأن درره التى خلفها باقية على الأزمان فى ضمير هذه الشعوب العربية ووجدانها .

كريمة زكي مبارك



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

على ضوء تجربتي في التفرغ

سألني أحد الزملاء الصحفيين – في تحقيق صحفي عن تفرغ الأدباء والفنانين – عن تجربتي في العام الذي يسرت لي فيه وزارة الثقافة والارشاد القومي أن أتفرغ لدراسة أدبية – سألني الزميل : هل كان تفرغك تجربة ناجحة ؟ فأجبت بما كان فيها من ظروف النجاح ، وذكرت كذلك بعض المعوقات التي يشتمل عليها النظام القائم لتنظيم هذه العملية ، وأذكر أنه كان مما قلته أن توقيت التفرغ بسنة لا يحقق الاطمئنان التام للمتفرغ ، لارتباطه بعمله الأصلي من حيث ان في فكره دائما أنه سيعود اليه ، وقد تفوته ترقية أو تتبخر منه درجة .. كما حدث لي فعلا .. فيذهب الاطمئنان في الهباء ولا يتوافر الجو المقصود توافره لمصلحة الانتاج الذي تفرغ من أجله ..؟

وقد يكون المتفرغ في عمل حر بالقطاع الخاص مثلا ، وليس من السهل أن يقطع عمله ثم يعود اليه . لهذا وذاك اقترحت أن يكون التفرغ دائما لا موقوتا بمدة معينة ، وليس ثمة خوف من ذلك مادام الاختيار قائما على أساس الانتاج السابق للمتفرغ الذي يتبين منه أنه من أهل الجد والدأب على الانتاج المفيد ، مما يجعله أهلا للثقة .

ولما سألني الزميل الصحفي : هل كانت منحتك المالية مجزية .. تحرجت من الاجابة الصريحة .. لأني في الحقيقة وجدت نفسي في خلال تفرغي « متقشفا » لا متفرغا بالمعنى المقصود وهو تهيئة جو صالح للانتاج الأدبي أو الفني بعيدا عما يقلق البال من أسباب المعيشة ، الى ما حدث من (لطش) درجتي التي لم أعوض عنها حتى الآن ..

لذلك لم أكرر التجربة ، واكتفيت من الغنيمة بالاياب كما يقول المثل ، أو بالكتاب الذي جهدت ما وسعني ، بل أكثر مما وسعني .. أن أؤلفه ..

ولقيت في ذلك عنتا وشدة ، لا بالنسبة لشخصي فأنا قد تعودت على الكفاح والتقشف منذ كنت طالبا من الريف يعيش بالقاهرة وقد انقطعت أسباب امداده من البلد .. ولكن ما ذنب أفراخ تكاثروا قبل عهد التفكير في تنظيم الأسرة الذي يجري الآن .. ؟

نقد ذاتي ..

وندخل بعد في نوع من النقد الذاتي .. لم أستطع صبرا على « فومها وعدسها وبصلها » أي فوم التفرغ وعدسه وبصله .. ولم أستطع صبرا على صياح الأفراخ .. فقبل انقضاء المدة وجدتني مضطرا الى كتابة مقال هنا أو اذاعة حديث هناك ، من الانتاج « الخفيف » الذي يشغلنا دائما عن الانتاج « الثقيل » .

ومن المقابلة بين « الخفيف » و « الثقيل » نستطيع أن نتبين جدوى التفرغ ، فالواقع أن الزملاء – وأنا منهم – تشدهم مطالب العيش ، الى « نثريات » الانتاج الأدبي دون أن يجدوا فراغا لاغناء الحياة الأدبية بدفع « مبالغ » كبيرة من الانتاج ترفع رصيد أدبنا الى المستوى المنشود .

وخلال الدراسة التي قمت بها في سنة التفرغ – وهي في تاريخ أدبنا الحديث – تكشفت لي حقائق رهيبة ، منها ما يتصل بسياق حديثنا عن الشد والجذب بين الانتاج الأدبي الكبير وبين أسباب المعيشة ، فقد رأيت كثيرا من الأدباء ذوي المواهب

والمـديرات المعنية تخلفوا عن الركب في بعض الطريق ، وكان يرجى ان يكون لادبنا بهم شأن او ذلل لهم ما عاقهم عن مواصلة المسير ، وغمرتهم لجة النسيان بسبب من جنس معوقاتهم .. اذ شغلت شواغل العيش «نفسها» من بعدهم ـ ونحن منهم ـ عن انقاذهم من غرق النسيان ودراستهم دراسة تصل الماضي بالحاضر وتربط الفرع بالأصل .

وهانحن أولاء نرى الدولة تهتم بالرعاية لتنقذ الجيل الحاضر من مثل ما اغرق الجيل السابق ، ولكننا نرى التنفيذ دون مستوى الاهتمام الكبير بمراحل تعود القهقرى الى الوادى الماضى السحيق..

صورة غير كاريكاتيرية

التنفيذ .. وما أدراك ما التنفيذ ! يقصد طالب التفرغ الى ادارة التفرغ فيجدها متفرغة .. مديرها لا يحضر الا يومى الاثنين والخميس .. هكذا يقال لك وان كنت تفقده حتى فى هذين اليومين .. وقد تجد هناك موظفا يعطيك « الاستمارة » التى تملؤها ، ثم تعيدها بعد اجراء مايلزم من التزكيات، **وتنتظر ... اللجنة ، وما ادراك ما اللجنة !.**

وعندما تحدث المعجزة وتجتمع اللجنة وتنظر فى الطلبات وتقرر منح التفرغ لمن تختاره ـ يكون قد مضى على تقديم الطلب اكثر من سنة .. وعندما تقع المعجزة الكبرى وتجتمع لجان « البعثات » التى لا تدرى ما دخلها فى الموضوع ، ويمر « الورق » من موظف الى آخر ومن ادارة الى أخرى ، ويصدر الأمر النهائى ـ يكون قد مضى أكثر من سنة أخرى .. !

وينظر المتفرغ فيجد ان المنحة المالية المقدرة له اقل مما يتقاضاه الآن .. فقد تغيرت حالته المالية فى خلال السنتين أو الأكثر منهما .. أخذ علاوة .. رقى ترقية رفعت مرتبه .. أى شىء آخر.. فيشكو طالبا الزيادة . ويقول مدير الادارة : لا ، قد انتهى الأمر .. وهو رجل رقيق . فيعقب على ذلك بأنه سيرفع الأمر الى اللجنة . ولكنه يعد .. أو بالأحرى يوعد .. بانه سيعارض الزيادة ، لأنه رجل رقيق يحتاج الى الهدوء ويبغى الراحة . وفتح الباب وما يترتب عليه من كثرة الطلبات و « دوشة الدماغ » لا تتفق مع مايحتاج اليه ويبغيه من الهدوء والراحة .

ولايزال الشاكون من التقدير الأقل منتظرين المعجزة: اجتماع اللجنة، واذا وقعت المعجزة الكبرى وتغلبت اللجنة على «وعيد» مدير الادارة ، فسيكون ذلك ـ ان كان ـ بعد أن تتغير الأحوال المادية للمتفرغين .. فيعيدون الشكوى ، وتتصل الحلقات ، وتؤذن « ديك ألف ليلة » فى نهاية كل منها ..

هذه صورة لجانب من تنفيذ الفكرة الكبيرة التى ترمى بها الدولة الى اثراء حياتنا الادبية والفنية بما يرجى منها . وهى صورة قد يتبادر الى ذهنك أن فيها ميلا الى مبالغة « الكاريكاتير » ولكنها الواقع نفسه كما يقع ، أؤكد لك .

النتيجة الحتمية

وماذا تكون النتيجة ؟

هى ما نراه الآن من كتابات « نثريات » يطالعنا بها بعض المتفرغين فى الصحف والمجلات ، وما فعلته انا ونقدت نفسى فيه قبل ان أتعرض لنقد الزملاء..

محررون فى الصحف اخذوا التفرغ . ولكن مازال الصحف نفسها تنشر لهم كما كانوا قبل التفرغ . مع فارق واحد بطبيعة الحال . هو أنهم الآن يكتبون « بالقطعة » بعد أن انقطعت مرتباتهم وحلت محلها مرتبات التفرغ .

وغير محررين فى الصحف يصنعون نفس الصنيع ، يقدمون « نثريات » فى الاذاعة والمجلات .

وماذا تكون النتيجة الثانية ؟

هى النتيجة الحتمية .. الانتاج « الخفيف » لايزال عقبة فى طريق الانتاج « الثقيل » .

وكانتا يا بدر لا رحنا ولا جينا !



● قال لويس عوض فى حديث بمجلة الاذاعة : ان محنة الرواية والقصة القصيرة عندنا تعود الى جملة اسباب «اهمها ذلك القرار الذى اتخذه المجلس **الاعلى لرعاية الفنون والآداب منذ سنوات بضرورة استعمال اللغة العربية فى حوار القصة ، وقصر الجوائز على القصص الخالية من الحوار العامى** » .

ثم قال فى تقديم قصة «الشحاذ» لنجيب محفوظ التى بدأت تنشر حلقاتها الاهرام - قال انها تضع نجيب محفوظ فى الصف الاول من الروائيين العالميين ، أو شيئا مثل هذا . كما قال مثل ذلك من قبل فى قصص اخرى لنجيب محفوظ .

والمعروف أن نجيب يكتب الحوار باللغة العربية . ومعنى هذا أن الحوار الفصيح لا يعوق القصة عن التقدم ولا يعرضها لمحنة .

فاى الامرين نصدق ؟!

● قرأت أن محافظ البحيرة خصص مبنى جديدا لجمعية أدباء دمنهور مؤثثا تأثيثا كاملا .

وبهذه المناسبة اذكر ما يلى :

جمعية الادباء التى تضم معظم أدباء الجمهورية تنزل ضيفة على نادى القصة .

جمعية الشعراء (برأسها عزيز اباظة) لا مكان لها .

رابطة الادب الحديث تستأجر حجرة من (باطن) احد النوادى .

الجمعية الادبية المصرية تشغل شقة رطبة بدور أرضى فى منزل قديم ، تعوم فى (النشع) أواخر الصيف ، وتهدد المسنين أمثالى بالروماتيزم فى الشتاء .

الدكتور حاتم لن يرضى عن ذلك الوضع عندما يعلم به . لهذا أثير الموضوع ..

● الدكتور محمد مندور يستعمل «ورق الكربون» فى كتابة مقالاته ... فيذيع نسخة فى البرنامج الثانى للاذاعة ، وينشر اخرى فى احدى المجلات .

وبذلك يضرب عصفورين بحجر واحد . ويتقاضى أجرين على مقالة واحدة .

● قرأت فى مقال « تشييد الاناشيد » للدكتور فؤاد حسنين (العدد ٧٧ من الرسالة) قوله :

« ويفيدنا تشييد الاناشيد أيضا فى الفصل فى عدة الاحكام التى تلقى جزافا حول شعرنا جاهليا كان او اسلاميا فالمؤرخون يقررون فى شىء من الجرأة أن امرأ القيس مثلا أول من وقف على الاطلال وبكى واستبكى » .

كنت اود - وما زلت - ان يذكر لنا الدكتور من من المؤرخين قرر هذه الاولية لامرىء القيس .

● كان مذيع التليفزيون ينطلق فى الحديث عن رؤية الهلال وثبوت شهر رمضان ، والمذيع يقول :

« .. عملا بقوله تعالى صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته !! » .

وفى مناسبة أخرى قال مذيع آخر :

« ... حمزة خال الرسول عليه السلام !! » .

أعتقد أن مثل هذه الاخطاء تجعلنا نفكر فى تصنيف المذيعين، بحيث يكون كل منهم ذا اختصاص معين ويقوم بتقديم ما اختص به .

● استمعت مساء الاربعاء الماضى الى مناقشة عجيبة فى برنامج « مع النقاد » بالبرنامج الثانى للاذاعة حول قصة « النصف الآخر » للاستاذ عبد الحميد جودة السحار .

وكانت المناقشة بين الدكتورة لطيفة الزيات وناقد كبير .

ووجه العجب فى المناقشة أن الناقد جعل طول الوقت يردد أن المؤلف أراد أن يعالج فكرة فاخترع لها الحوادث .. مما دعا المؤلف أن يقسم له انه لم يرد ذلك ..

وكانت الدكتورة لطيفة تناقش ذلك الناقد ببصيرة أدبية . ولكنها لم تفلح فى زحزحته عن ذلك الجدل العقيم الذى ظل يبدىء به ويعيد كأنه لا يسمع ما يدحض قوله .

هل الفكرة نابعة من الحوادث أم أن الحوادث نابعة من الفكرة ؟ جدل لا محصول له .. تماما مثل البيضة والدجاجة .. ايهما الاصل !

ازاء ذلك اضطر الأخ مقدم الندوة (ابراهيم الصيرفى) الى الخروج عن حياده ومعارضة الناقد الذى وصفه المرحوم العقاد - فى احدى فكاهاته - بشبح النقاد ..

عباس خضر



بين التراث والمعاصرة

يخيل الى أن كلمة « التراث العربى » قد أصبحت الآن شبحا ثقيلا يكاد يصيب الكثيرين بالدوار ، وأنا لا أريد أن أحدق فى وجوه هؤلاء الذين عملوا بصبر وأناة وذكاء على تحطيم هذا التراث ، وتشويهه ، والضغط عليه ، ولكنى أريد أن أذكر أن فى حياتنا الفكرية الآن ما يشبه « المسلمات » بأن التراث العربى عقيم ومنحط ولا جدوى من الالتفات اليه ، وأن كل مواطن الآن يحمل عار هذا التراث ، وأن عليه أن ينتقم لنفسه منه بالسخرية والاستهزاء والدهشة من الذين يحاولون الحديث عن هذا التراث ، بل ان بعض المفاهيم السياسية سرعان ما تتناثر على الأفواه لتقول : ان هذا رجعى لانه حقق كتابا ، وان هذا ضد العصر لأنه أطال الوقوف فى كتاباته عند بعض العصور الماضية ، أو لأنه يدرس فترة بعينها فى كلية من الكليات الجامعية .

وأنت اذا سألت الكثيرين الآن عن الحضارات القديمة — فى المنطقة العربية — كالفرعونية أو البربرية أو الفينيقية ، وأين هذه الحضارات الآن فى حياتهم وسلوكهم ، لأجابوك بصوت متهدج ، وعيون شبه حالمة ، بأن هذه الحضارات ماسات زين بها جيد الانسانية ، ولظلوا يحدثونك — حديث الشعراء — عن روعة هذه الحضارات، دون أن يميلوا الى الجانب الآخر الذى لا تخلوا منه أية حضارة من حضارات العالم .

وليس لهذا من سبب الا انه وجد عدد من الباحثين والأثريين ، ووجد عدد آخر يعتقد أن فى الوقوف عند هذه الحضارات ما يهدهد فى نفسه الغيظ على الحضارة التى استوعبت هذه الحضارات ، ثم ابتلعتها .. وفى ضوء هذا نرى أن هذه الجماعات تزين هذه الحضارة ، وتتعاطف معها ، ولا تتحدث عنها الا بقداسة ، بل وتنفض الغبار عن بعض الرموز والأساطير ثم يكتشف فى الأعمال المعاصرة فجأة أنها تمت بصلة حميمة الى هذه الرموز والأساطير القديمة .. ولا لوم على هؤلاء جميعا مهما تكن الأغراض التى تحركهم ، ولكن الذى نريد

الوصول اليه هو انه يمكن « **تزيين الحضارة** » فى عين المواطن الحـــديث ، وانه يمكن للمـــواطن ان يتعاطف مع اية حضارة ، ويمكن ان يسند اليهـا ظهره وهو يعيش ، بل يمكن ان يشهر من أجلهـــا القلم والسلاح معا !

وانا لا أريد أن أزور فى التاريخ ، فكل حضارة لها اخطاء ، ولكن كما انه يوجد بيننا الآن من يقدم بعض هذه الحضـــارات امام اعيننـــا كالماسة بحيث لا يبهرنا منها الا الضوء من كافة الزوايا ، فان الذى تريده بالنسبة للحضارة العربية أن تقال فيها كلمة الحق الى جانب كلمة الحقد التى يتصايح بهـا الآن الكثيرون اما نقلا عن المستشرقين ، واما تنفيسا عن غضب قديم متوارث ، واما ظنا بأن الحضارة المعاصرة لا بد ان تكون معلقة فى الهواء دون الاعتماد على الجذوع والجذور والأرض الطيبة ٠

وليس فى هذا شىء من المصادرة ، لأن للكاتب أن يدين ما يشاء من العصور ، وأن يشجب مايعتقد من التيارات ، ولكن عليه أن يبرر ما يقول ، وأن يعطى الدليل دائما فى هذه القضايا الخطيرة ، اما أن يحاكم حضارة بجرة قلم ، أو يعدم عصورا بدون دليـل قامر لا يبدو معقـــولا ولا يستحق صاحبه الاحترام ، ومع هـــذا فنحن نجد كثيرا من هـــذه «المسلمات» فى بعض ما يكتب ، وبخاصة فيما تكتبه الأقلام المهاجرة الى لبنان ٠

وفى الوقت نفسه يجب على الكاتب الا يقف عند فترة بعينها فى تاريخ الأمة فى أكثر انتاجه وتفسيراته وحبه ، فاذا ترك هذه الفترة « للنزهة » فى فترة أخرى حمل المعول ، وظهر على وجهه الحقد كلما ارتطم هذا المعول بمجد شامخ ، أو خلود يزيد تألقه تحت وقع الضربات ، ذلك لأن هذا الكاتب مطالب باحتضان كافة الدورات الحضارية فى بلده ، ومطالب بأن ينظر اليها بروح منصفة ، اما أن يضرب فترة بأخـــرى ، أو يرى الخصب المطـلق فى واحـــدة ، والنضارة الباقية فى الثانية ، والعقم الأبدى فى الثالثة فشىء يحمل على الريبة ، ويحمل على الخوف فى الوقت نفسه ٠

فمن الضرورى أن ينظر الانسان الى تاريخ بلده على انه « **وحدة حضـــارية** » متكاملة ، مهما كانت « حدة » الفترات التى انتقلت اليها ، ذلك لأن الزمن قد حول ــ بلا شك ــ هذه الحدة الى حب كبير يلف كل الأدوار الحضارية ، بل الدور الحضارى الواحد ان صح هذا التعبير ، ولكنا ٠٠ البعض منا يفتقـد هذه النظرة !

فاذا تركنا محاولة الصراع فى « **خيوط النســيج الواحد** » وجدنا أن هناك ــ فى عالم الفكر ــ ضغطا مستمرا على الحضارة العربية ، ضغطا يأخذه وضـع كسارة البندق التى تحيط بالضحية من كل الجوانب ثم تضغط وتضغط من الخارج ، فاذا أضـفنا هـذا الضغط الخارجى الى الضغط الداخلى الذى لم يصفى الى الآن تماما ، وجدنا الصراع والتمزق اللذين يشلان الفكر فى المنطقة العربية ٠ ووجدنا الضيق الذى يأخذ بخناق الحياة ٠

ولعل من الانصاف أن نذكر أن «القوت الفكرى» الذى يوجد عندنا لا يكفى طموح الانسان المعـاصر ولا احتياجاته النفسية والاجتماعية ، وانه لابد لهذا الانسان من أن يمد عقله وقلبه الى أكثر من مكان بحثا عن الزاد ، ولكن ألا يجب أن نذكره بأن عليه ألا يضيع تماما فى المناطق التى يهاجر اليها بعقله وقلبه ، وانه لن يعصمه من هذا الضياع الا أن يكون مستوعبا لحضارته التى يجب أن يستوعبها قبـل أن يبدأ الرحلة المزهرة ٠

صحيح ان الأصوات المريبة تناوشه من كل مكان بأنه لا شىء عنـــده ســوى العقم والجـدب والارض الخراب ، ولكن اما آن لهذا الانسان أن يرفع عنـه هذه الوصاية الخفية ، ثم يأخذ فى التجريب بنفسه ويحاول أن يقترب ــ ما أمكن ــ من تراثه المتطـور كما يقترب من أى تراث بعيد عنه ٠

نحن لا نقول بأن التراث خير كله ، ولا نريد لهذا التراث بأن يتزاحم على أقلامنا بالصورة التى تموت فيها قطع الضوء فى كل ما يكتب ، ذلك لأن مما لا شك فيه أن هناك نوعا من التراث لا يموت مادام ينظر اليه داخل عصره ، ثم ان التراث كله لا يبدو شبحا باردا يتنقل على الحياة المعاصرة ، ويحاول أن يخفيها بعباءات سوداء ، ذلك لأن الحاضر المتطـور ــ ليس كما يتصور ــ ضد التراث ، فمما لا شـك فيه أن الحاضر قد يحيى الذات ، ويضيئه بحيث

يبدو من بعيد كنجم ثابت مزدهر . فعلى المستوى السياسى نجد اشتراكيا كابي در يتجول بيننا الآن . وعلى المستوى الفكرى نجد عددا كبيرا يتنفس فى جو الحياة الآن كابن خلدون ، وابن رشد ، وابن سينا ، وأبى العلاء ، والمتنبي .. الخ .

ولكن بالرغم من كل هذا نجد انه لانزال توجد عندنا الخشية من الالتفات الى الماضى العربى ، كاننا نريد أن نؤكد اننا لا ننتمى الى أب او جد ، او انمسح الغبار عن جبهة شامخة فى التاريخ يؤثر على الحياة التى نعيشها الآن ، او كان الشجرة لكى تبقى خضراء يجب الا تتصل بجذع او جذر أو ارض طيبة .

والآن هل أريد أن أقول ان بعض المستشرقين قد شككونا فى ماضينا ، وان الذين يقفون عند فترة واحدة من فترات التاريخ يحولون هذا الشك الى مايشبه اليقين ، وان أصواتا خشنة تصيح اليوم من المنطقة العربية ـ ومن منطقة بذاتها ـ بان كل تراث مقبول فى العالم ما عدا التراث العربى ، بل لقد وصل الحد الى القول بالاعتراف بالتراث الجاهلى قبل الاسلام ، اما بعد الاسلام فشيء لايمكن قبوله . ومن خلال هذا التصايح سمعنا أصواتا تقول بان هذا التراث ثور لا بد من نحره ، وان البعض يفخر بان كلمة العرب لم تخط من قلمه من عدة سنين .

وقد نسمع من البعض دائما بان حضارتنا ليست عشة ، وان على كل انسان ان يصكها ، ونحن نقول له سنصك معك هذه الحضارة ، ولكننا فقط نريد منك ان توضح لنا البديل الذى يقوم مقام هذه الحضارة ؟ وكيف يتسنى لنا أن نتسلخ من انفسنا ثم نعتنق ماتريد ؟ ان المخاصمين لهذه الحضارة يقفون عادة الى جانب الفرعونية او البربرية او الفينيقية لمجرد الضغط على الحضارة العربية . وقد نرى البعض يذهب ـ كسلامة موسى ـ الى أنه لا حد لأخذنا من الحضارة الغربية مهما كان الأخذ . وقد نرى البعض يقف بنا عند حضارة البحر الابيض المتوسط . ونرى البعض يشد الى آسيا والبعض يشد الى افريقية ، ولكن الجميع يتفقون انه لا بد من الانتماء الى شيء ، اما أن نكون نحن شيئا ، اما أن نصبح الأجزاء كلا فشيء لا يمكن قوله . لهذا التصايح

العنيد الغاضب الذى يظهر بالحاح بين الحين والحين، كلما سنحت فرصة ذهبية لأخذ مكان واضح تحت الشمس العربية فى المنطقة .

وقد يقول البعض : ان التراث العربى نشأ فى أحضان الاسلام ، ثم يفكر فى نظرية فصل الدين عن الدولة التى تمت فى اوربا ، وكان اوربا قد انفصلت تماما عن تراثها الروحى ، قد يفكر فى هذا ويتجاهل تماما أن الاسلام دين ونظام للحياة ، وان تراثه فى الوقت نفسه يؤمن بالعدل والنظام والتقدم واحترام الوجود . وفى ضوء هذا يصعب **استعارة** النظم التى تفصل فصلا حادا وحاسما بين الدين والحياة او التى تقضى تماما على الدين لسبب واحد هو أن الدين الاسلامى يختلف اختلافا جوهريا عن الدين الذى نظر اليه الشرق والغرب هذه النظرة .. صحيح ان الحياة يجب أن تتحرك وان حركتها لا يجب أن تتوقف باسم اى دين من الاديان ، ولكن من خلال هذا التحرك يجب الا نقيس ظروف دين على ظروف دين آخر ، او لمجرد ان آخرين فكروا فى هذا الأمر ، أو لأن أخطاء التطبيق فى هذا الدين قد كثرت فى بعض العصور، ذلك لأنه مادامت عندنا قاعدة تقول بالتطور الدائم ، وأنه لا يوجد شيء يعرقل هذا التطور ، وان نظرتنا الى الحكم والحياة تنبع من ظروفنا وتاريخنا ، ما دامت نظرتنا الى الحياة هذه النظرة ، وما دام تراثنا الروحى قادرا على أن يمدنا بالثورية والانسانية ، فلماذا ننظر الى التراث هذه النظرة . ولماذا يشككنا «الصوت العالى المريب» فى كل ما يتصل بالمتطور والمضىء فى تاريخنا .

نحن لا نعنى عودة الى الوراء ، ولا نعنى اجترارا لما قيل ، وانما نعنى أن نكون أنفسنا ونحن نحاذى الحياة بل ونتقدمها ، نعنى أن نكون مرتبطين بالقوى الثورية الجديدة الصاعدة من الحقول والمصانع ، نعنى أن نواصل البناء دائما على الا يكون فى اذهاننا ـ كما يحاول البعض أن يؤكد ـ أننا لا نحمل عار حضارة ، وعقم عصور كاملة ، أو أننا ننتمى الى دورة دون أخرى فى الدورات الحضارية التى مرت على المنطقة الافروآسيوية . ونحن لا نحجر عن الاصوات التى تقول بهذا صراحة ، أو التى تدس هذه الأقوال فى رموز ، ولكنا فقط نطالبها بان تقدم ادلتها ، وهى تدس السم فى قوت هذا الشعب . وق

الوقت نفسه نتساءل لماذا يبدو صوتها زاعقا وخجلا في هذه الايام ؟ وما الذي يغريها الآن بهذا الصياح ؟ والى متى ؟

لقد وضحت ان جانبا من التراث يمكن أن يبنى بالثورة ، وأن جانبا منه يستحق أن ينسف . وفي الوقت نفسه نتساءل **مرة ثانية** .. هل صحيح انا عرفنا تاريخنا . أليس هذا التاريخ مهملا ومعرضا للضياع وينظر الى المشتغل به نظرة غريبة . ألاتوجد اكداس منه لم تلق الى الآن حتى الفهرسة في دارالكتب وفي غيرها من الدور . وكيف نحكم على شيء لم تظهر الى الآن صورته كلية . فنحن نعرف بعضا منه في حياتنا . وكل بلد عربي يعرف بعضا آخر منه . اما النظرة الكلية لهذا التراث العربي . أما الحكم الصحيح على قيمة تراث هذه الأمة ككل فشيء لم يتحقق الى الآن . ومن هنا نسأل **مرة ثالثة**.. كيف ندين امة كاملة ببعض الادلة الهزيلة التي توجد بين أيدينا الآن .



ان البعض قد يتصور أنه وهو يدين ماضي هذه الامة يخدم أوضاعا قائمة . ولكن الحقيقة تؤكد أن الانسان الذي يعكف على وثيقة من البردى ، أو يريق ماء عينيه على مخطوط ، أو يفتش عن كلمة ضائعة في نقش من النقوش ، ما دام يقوم بكل هذا في وضوح رؤية ، وفي احساس بالمعاصرة وايمان بقيمة العلم .. مادام يقوم بكل هذا فانه لايقل قامة عن هذا المثقف الذي لا يتحدث الا عن الشعارات ، أو يجلس في مقهى ليتكلم عن السأم والجنس ، او يأخذ في تصنيف الناس ، أو يتحدث عن تغيير قادم في بعض المناصب ، او يشير بالالتفاف حول هذا والانصراف عن ذاك .

واخيرا فليس معنى هذا أن نحرق البخور حول الحضارة العربية . ولكن معناه الا نكون ارضا للذين يبدرون العار الآن باسم الحضارة العربية . ومعناه الا نتلقى الكلمة بحب . ولكن أن نفتش فيها بذكاء .

ان عندنا الآن من يستند الى الثقافة اليونانية ، ومن يستند الى حضارتي الشرق والغرب . ونحن لا نريد الا ان نقول له . فلتكن الأرض التي تقف عليها متعددة الطبقات . ولتكن احدى هذه الطبقات الشريف والمضيء من تراثك العربي .



ان فرصة الانسان العربي في أن يقف بدون خجل . وبدون عار لن تتحقق تماما الا في هذا العصر . وان كل هذا لن يتحقق الا اذا وثق بنفسه والا اذا نحى من أمامه الحاقدين عليه ، الا اذا نقل « المؤشر » عن هذه المحطة المشبوهة التي لا تكل عن الشوشرة على ماضيه وحاضره .

انك قد تفتح قلب الهندى أو الياباني فلا تعثر الا على الحب لكل ماضي الهند وماضي اليابان ، بل اذا فتحت قلب انسان في المنطقة العربية فانك لابد ستجد هذا الحب الكبير .. واذا كانت شبكة التشويش الصوتية تسد منه الأذن في الحين بعد الحين !

ومهما يكن من شيء فاذا عجز الانسان المعاصر عن ان يحب حضارته . أو اذا ظل مترددا في القبول والرفض في هذه الفترة الذهبية من تاريخه ، فان عليه أن يجثو بعد ذلك على ركبتيه ، ثم ان عليه أن يغمض عينيه وهو يطلب بان يعطوه « الحضارة الغربية » ليلبسها على جسمه وأحاسيسه . وفي هذا الحال لن تتغير صورة المواطن العربي عن صورة المواطن التركي .. او أي مواطن آخر قبل أن يلبس اية حضارة نفسه واحاسيسه .

ولعل هذا يرضى الفئة التي ظلت دائما تناوش الحضارة العربية . وقد يتحقق لها ماتريد .

عبده بدوى



رسالة العلم

البنسلين .. من انجلترا .. الى أمريكا .. الى مصر!

للدكتور عفيفي محمود

ربما يبدو الحديث عن البنسلين اليوم حديثا قديما مستهلكا، وخاصة بعد ان انقضت على اكتشافه فترة من الزمن تزيد على ثلث قرن ، اكتشف خلالها عديد من مشتقات البنسلين وغيره من المضادات الحيوية ، استعملت جميعا في شفاء مختلف الامراض الميكروبية الخبيثة والبسيطة واصبحت شيئا مألوفا في حياة الناس ، وان ظل البنسلين أشهرها جميعا لانه أول عقار اصبح في متناول الطب بكميات كافية للتطبيق في المرحلة التجريبية الاولى ، وقد شاءت عناية الله ان يتوافر البنسلين في وقت كان العالم في اشد الحاجة اليه لانقاذ الآلاف من ضحايا الحرب الثانية .

الا أننا نرى للحديث عن هذا العقار السحرى اليوم بالذات ضرورة خاصة لسببين :

أولهما : ان قصة اكتشافه وانتاجه ضمت فصولا رائعة من الكفاح الرائد والتعاون المثمر بين العلماء في مختلف التخصصات ، وهو ما نحب أن نجعله اليوم نصب اعين علمائنا العرب وهم يجتازون بالبلاد مرحلة هامة وحيوية في طريق الاستقلال الصناعى والاكتفاء الذاتى ، كما ان النجاح في صنع هذا العقار كان فوزا للانسانية وانتصارا مبينا للجوانب الخيرة للعلم الذى داوى بيمناه ما جره بيسراه على البشرية من دمار من جراء صنع القنبلة الذرية الذى تم في نفس الوقت تقريبا .. وما أحوج العالم الآن ان يتأمل هذا الدرس وهو يستقبل عاما جديدا ويبدأ به صفحة ناصعة مشرقة ، سطورها المحبة والسلام.

أما السبب الثانى — وهو ما نراه اكثر التصاقا بنا نحن العرب — فهو ان آخر الانباء تقول ان العلماء العرب قد نجحوا في صنع البنسلين في معامل القاهرة ، من خامات محلية ، وبايد مصرية .. واصبحت الخطوة التالية ان تتولى المؤسسات الدوائية اخراج تجارب العلماء من المعامل الضيقة الى المصانع الواسعة ، لكى يغمر اسواقنا في القريب بنسلين مصرى توفر به آلاف الجنيهات من العملة الصعبة وتفتح بصناعته المجال امام خبرة الجيل الجديد من العلماء العرب وامام آلاف الايدى العاملة من ابناء هذا البلد ..

والبنسلين — **كما هو معروف** — مادة يفرزها نوع معين من الفطريات — (وهى نباتات دقيقة) — قريب النسب من العفن الاخضر الذى نراه أحيانا على الخبز والجبن اذا طال حبسهما في مكان رطب دافىء .. وقد اشتق اسمه من الاسم العلمى لهذا الفطر «بنسليوم نوتاتم» ، ومن اهم خصائص هذه المادة انها تمنع نمو البكتريا وتوقف تكاثرها ، وهذا هو جوهر فعلها في علاج الامراض الميكروبية .. ويستخدم البنسلين ومشتقاته في علاج كثير من هذه الامراض كالدفتريا والجمرة الخبيثة والحمى القرمزية والحمى المخية الشوكية ، وكافة انواع القروح والالتهابات ، كما نجح في علاج بعض الامراض الخبيثة مثل الزهرى والسيلان وهو من اقدم الامراض التى عانت منها البشرية .

بدأت قصة البنسلين منذ حوالى ستة وثلاثين

عاما في احد مستشفيات لندن حيث كان السير الكسندر فلمنج يجري بحوثه على البكتريا ، وكان يزرعها في اطباق خاصة فتنمو وتتكاثر وتتخذ شكل بقع بيضاء معتمة .. وبينما هو يفحص هذه الاطباق ذات يوم اذ به يلاحظ في احدها بقعة اكبر حجما من سائر البقع البكتيرية، وكان لونها اخضر مائلا للزرقة مما يقطع بانها ليست البكتريا التي الفها والتي زرعها بنفسه .. ولم تكن هذه البقعة الدخيلة الا مستعمرة لفطر البنسليوم ، تسللت جراثيمه من الهواء الى داخل الطبق حيث نمت وتكاثرت ، وقد استرعى انتباه الباحث ان المنطقة المحيطة بهذه البقعة الفطرية خالية تماما من البقع البكتيرية مما جعله يشك في ان لهذا الفطر دخلا في ايقاف نمو البكتيريا ، فقام بعزله وزرعه مستقلا فاذا به بعد اسبوعين من تكاثره يفرز سائلا اصفر لم يكد فلوري يصب قطرات منه في انابيب عكرة بالبكتريا حتى صفا لونها ولم يعد للبكتريا فيها اي اثر ..

وعندما عرض فلمنج ابحاثه على الهيئات العلمية في انجلترا لم تعره اهتماما ، بل اعتبرتها نوعا من «المطارة» لا ترقى الى مرتبة البحث العلمي ، وكان من الشائع انذاك ان «لبخة» من الخبز العفن تساعد على اندمال الجروح !! ولم يخطر على بال احد ان اكتشاف فلمنج هو احد اللقاءات الرائعة النادرة بين العلم والخرافة !! .. وهكذا طويت ابحاث فلمنج بين صحائف النسيان عشر سنوات الى ان نشبت الحرب العالمية الثانية ، وراح الالوف من الجرحى ضحية التلوث الميكروبي ، ولم تسعف مركبات السلفا التي كانت شائعة آنذاك في علاج هذه الحالات التي كانت تنتشر بسرعة مخيفة .. وعندئذ خطر لبعض البحاث الانجليز ان يرجعوا الى ابحاث فلمنج ، وكان ان انقطع نفر من اطباء جامعة اكسفورد — وفي مقدمتهم الدكتور فلوري — لاجراء تجارب تربية هذا الفطر واستخلاص افرازه في صورة نقية ، ودراسة خواصه الاقرباذينية — وبخاصة اثره على كريات الدم البيضاء — فكانت النتائج مبشرة واعدة .. فبداوا بتجربة ما حصلوا عليه من البنسلين في علاج المرضى ونجحوا في انقاذ حالات خطيرة قليلة ولم يقف في وجه التوسع في استخدامه الا ضآلة الكميات التي أمكن الحصول عليها، اذ كان يلزم مائة جالون من السائل الفطري للحصول على جرام واحد من مسحوق البنسلين .. وعلى الرغم من كل هذا فان انجلترا التي كانت مشغولة بمستعمراتها ومنهوكة بالحرب اقتصاديا وبشريا ، لم تستطع تمويل مشروع صناعة البنسلين على نطاق أوسع ، فكان ان هاجر فلوري وزملاؤه الى امريكا التي تبنت المشروع ، وتضامنت الشركات مع الحكومة في انفاق ثلاثين مليونا من الدولارات على تطوير ابحاث صناعة البنسلين حتى اصبح الناتج منه كافيا لسد حاجة المستشفيات الحربية وحسب .. وبمزيد من الجهد والانفاق ازداد هذا الناتج حتى اصبح البنسلين في اعقاب الحرب في متناول الجميع بعد ان كان العالم كله لا يملك من هذا العقار السحري عام ١٩٤٢ الا ملء ملعقة شاي استغرق صنعها ثلاث سنوات كاملة !!

وفي اثناء السنوات العشر الماضية تطورت صناعة البنسلين تطورا كبيرا ، فبعد ان كان يستحضر على شكل بلورات تمر في الدم وتخرج سريعا مع البول بحيث يتحتم حقن المريض به كل ثلاث ساعات ، اصبحت مستحضراته مع مادة البروكايين الموقتة يستمر فعلها في الدم يوما كاملا .. وقد نجحت البحوث اخيرا في تحضير صور من البنسلين تقاوم فعل العصارات الهضمية وبذلك اصبحت في الطريق الينا اقراص منه يمكن تناولها عن طريق الفم دون حاجة الى وخز الابر وما تسببه من آلام لذوي الجلود الحساسة ..

وبخلاف البنسلين خرج الى الوجود عديد غيره من المضادات الحيوية اهمها :

« ستربتومايسين » و « كلورومايستين » و « اورومايسين» وجميعها افرازات فطرية ... و«تيروتريسين» و « باسيتراسين » و«بوليميكسين» وهي افرازات بكتيرية، ولكل منها استعمالاته الخاصة وعيوبه التي يعمل الطب على تلافيها ..

ورغم المحاولات العديدة لمعرفة التركيب الكيماوي لمادة البنسلين — كخطوة اولى وضرورية لتاليفه او « تخليقه » ، الا ان انتاجه عن طريق تربية الفطر واستخلاص افرازه ما زال هو الطريق الافضل والارخص ، ولهذا السبب فان النجاح في صناعة البنسلين ما زال رهنا بتحسين طرق تربية هذا الفطر وحمايته اثناء نموه من الميكروبات الدخيلة ،

والحصول على افضل المواد الغذائية اللازمة لنموه وتكاثره ، وتوفير احسن الظروف والعوامل المساعدة على تكاثره وزيادة كمية افرازه ..

وفي امريكا – حيث تزدهر صناعة منتجات الالبان – فان ما يتخلف عن هذه الصناعة من السائل المعروف باسم «الشرش» يعتبر مصدرا رخيصا وغنيا بسكر اللبن «الكتوز» والبروتينات والفيتامينات اللازمة لنمو فطر البنسليوم ..

ولم تقف بلادنا في هذا المجال موقف المتفرج ، فمنذ بضع سنوات تدور الابحاث في معاملنا حول صناعة البنسلين من سلالات الفطر المستوردة من روسيا .. وقد نجح علماؤنا الشبان وفي مقدمتهم المرحوم الدكتور عز الدين محمد طه رئيس وحدة كيمياء الكائنات الدقيقة بالمركز القومي للبحوث ، والباحث الشاب محيي عبد السميع في دراسة ادق العمليات الكيميائية التي تكتنف نمو فطر البنسليوم وتوفير احسن الظروف لتكاثره .. ولما كانت السكريات والبروتينات اللازمة لتغذيته غير متوفرة لدينا بالقدر الذي يسمح بانتاج البنسلين على نطاق اقتصادي ، فقد فكر علماؤنا في مصدر رخيص لهذه المواد ، وكان اقرب طريق الى القصد هو استخدام النواتج المتخلفة عن بعض الصناعات القائمة لدينا بالفعل .. وتقوم في بلادنا منذ وقت طويل صناعتان ناجحتان هما صناعة السكر من القصب الذي يعتبر ما نزرعه في صعيدنا من اجود انواعه في العالم ، وصناعة النشا من الذرة .. فمن صناعة السكر يتخلف محلول سكري مخفف هو «المولاس» الذي يحتوي الى جانب السكر على نسبة من الاملاح ، واما صناعة النشا فيتخلف عنها سائل يحتوي على عدد من الفيتامينات والمركبات الازوتية الناتجة عن تحلل محتويات بذور الذرة عند نقعها في الماء .. ومن هذين المصدرين تتوفر عناصر غذائية كاملة لنمو الفطر ، لا تكاد تكلفنا نفقة تذكر ، فقد كانت هذه السوائل تعتبر عادما لا يستفاد منه في شيء ، بل ربما كان تصريفها هو الذي يكلفنا بعض الجهد ..

وقد عهدت شركة النصر للصناعات الدوائية الى وحدة ابحاث الكائنات الدقيقة بدراسة جوانب العملية المختلفة ، وبتدريب الاخصائيين اللازمين على طرق التحليل الكيميائي والميكروبيولوجي التي يلزم اتقانها للنجاح في هذه الصناعة الدقيقة ..

وبعد ان نجحت التجارب المعملية ، خرجت عملية انتاج البنسلين في بلادنا من انبوبة الاختبار ، وتم انجازها على نطاق نصف صناعي فنجحت كذلك ..

واليوم ، وقد نجح التعاون بين هاتين الهيئتين العلميتين في بلادنا ، فنحن نبارك ميلاد هذه الصناعة المصرية الجديدة ، وننتظر في اسواقنا البنسلين المصري الذي صنعته الايدي المصرية ، تحركها العقول المصرية !!

د. عفيفي محمود

أخبار

- عين الاستاذ : احمد حسن الزيات عضوا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – في المكان الذي خلا بوفاة الاستاذ عباس محمود العقاد .
- الجنس ومفهوم الواقعية في القصة المصرية كتاب جديد يصدر في الشهر القادم .. لمؤلفه السكندري : فتحي الابياري ، هذا هو الكتاب الرابع للكاتب .
- سيتحدث الدكتور محمد هداره عن «نجيب محفوظ» والدكتورة نفوسة زكريا الاستاذة بجامعة الاسكندرية ستتحدث عن «المازني» وذلك في مهرجان القصة الذي سيقام يوم ١٥ فبراير بالاسكندرية بمقر نادي القصة .
- تقيم اسرة اللغة العربية بكلية آداب جامعة الاسكندرية ندوة موضوعها : « البناء الفني للدراما » وذلك في يوم الاربعاء ١٠ فبراير ١٩٦٥ .
- تقيم الجمعية الادبية المصرية يوم الثلاثاء ٢٦ من يناير ندوة لمناقشة كتاب (ابن المعتز) للدكتور احمد كمال زكي . ويقدم الندوة الاستاذ عبد الرحمن فهمي .
ويشترك في المناقشة:
د . شوقي ضيف – د . يوسف خليف
الاستاذ صلاح عبدالصبور – الاستاذ فاروق خورشيد .

الكتب نقد وتعريف

علم السياسة فى القانون الاسلامى

تأليف : مصطفى فاضل
نقد : عبد الجليل شلبى

للمؤلفات الاسلامية التى تكتب بغير اللغة العربية وتنشر بين غير المسلمين أهميتها الخاصة بالنسبة للكاتب المسلم ـ وهى لهذه الاهمية تتجه بمؤلفيها . أو هم يتجهون بها وجهة تغاير وجهتهم لو أنهم ألفوها باللغة العربية ونشروها بين المسلمين .

فالغربيون اما أن يجهلوا الاسلام وقوانينه أصلا أو يعرفونها مشوهة مبتورة مما كتبه المستشرقون ، والمستشرقون لايكتفون بغمز الاسلام وتشويهه .. ولكن يسوءهم أن يصوره كاتب ما فى صورته الحقيقية أو يثنى عليه ثناء جميلا ، ونحن نعلم مدى الامتعاض الذى ينال هذه الطائفة مما يكتبه كاتب يميل الى الانصاف من أمثال توين بى أوجب ـ وحين أخرج جب كتابه « المحمدية » غضب له الكثيرون حتى أخرج جيوم كتابه «الاسلام» ليكون ردا عليه ، وفى هذا الكتاب الاخير أكاذيب بلقاء لا أدرى كيف احتملها كاتبها (١) .

والكاتب المسلم الذى ينشر مؤلفا بين هؤلاء يحتاج الى مراعاة هذه الاعتبارات وهى تدعوه الى الاكثار من ذكر الادلة وحسن التأتى لعرضها وكيفية الاقناع بها

---

(١) يفترى جيوم على محمد (ص) افتراءات لا تتفق ونشأته ولا توجد فى أى كتاب سيرة ويدعى ان لديه بقايا من سيرة ابن اسحق وسيرة ابن اسحق لا توجد ، حتى ان المرحوم احمد زكى حينما اعلن فى مؤتمر المستشرقين بأثينا سنة ١٩١٢ عن كشفه كتاب الاصنام قال مداعبا : ان المستشرق نولدكه كان علق حياته على رؤية هذا الكتاب ، وهو لهذا لا يظهره حتى يعلق المستشرق حياته على كتاب آخر فقال المستشرق هس ان نولدكه علق شرطه على كتاب اندر من الكبريت الاحمر مثل «سيرة ابن اسحق» ، او «كتاب الاكليل» للهمدانى .

لأنها ستتعرض للكثير من النقد والمعارضة ، كما يتهم هو بمحاباة دينه وحب الثناء عليه .

والمؤلف الذى أريد أن أتحدث عنه الآن هو مجموعة من المحاضرات ألقاها مؤلفها على طلابه فى جامعة « يوتاه » احدى الولايات المتحدة . وهو القاضى **مصطفى فاضل** الذى شاء له تواضعه الا يذكر شيئا من ألقابه العلمية ولكن لغته وعلمه ودقة بحثه تغنيه كلها عن الالقاب .

وقد استضافته هذه الجامعة صيف ١٩٦٤ لالقاء هذه المحاضرات .

وقبل أن أتحدث عن هذه المحاضرات أذكر أنها شوقتنى الى مراجعة مؤلفين كبيرين وددت لو أنى أستطيع مراجعتهما فقد كان كل منهما يتمثل لى طوال صحبتى لهذه المحاضرات .

أول هذين الكتابين هو كتاب « روح الاسلام » للمرحوم أمير على . وعلى الاخص الجزء الثانى منه . وثانيهما محاضرات جولد زيهر التى كان أعدها ليلقيها بأمريكا أيضا ، ولم يتيسر له ذلك وترجمت للعربية باسم « العقيدة والشريعة فى الاسلام » .

فكتاب أمير على دفاع عن الاسلام يهمه أن يجلو مزاياه ويبرز حكمته ويكشف عن أسراره وفائدة العمل بقوانينه . وكلمة « روح » فيه تأتى بمعنى سر أو حكمة والقاضى « الفاضل » كان ينهج مثل هذا النهج فى محاضراته .

أما كتاب زيهر فعلى شاكلة كتبه الاخرى يترفق فى غمز الاسلام ويحسن التأتى لجرحه فيوهم قارئه انه غير متعصب ولا متحامل ولكن ثوب الرياء يشف عما تحته ويفضح ما وراءه .

وقد صاحب مؤلفنا طوال محاضراته مستشرقا آخر يسلك هذه السبيل ـ هو الدكتور «اندرسون »

الاستاذ بجامعة لندن ـ والدرسون ـ فيما أعلم ـ له كتابان اسلاميان ٠ أحدهما « القانون الاسلامي في العالم الحديث » والثاني هو «الاسلام في افريقية» والكتاب الاول هو الذى عني به المؤلف فجعله محورا لاهم أبحاثه وجعل الرد عليه بحثا أساسيا في أهم موضوعاته ٠ ومع هـذا يصفه بانه من المعتدلين او غير المتحاملين (ص٥٧) ٠

أدب جميل من القاضي « الفاضل » ولكن اذا كان هذا اعتدالا وعدم تحامل فيما يرى فهناك ولا ريب تحامل لا يحتمل ٠

والامر كذلك ٠

أشار المؤلف في صدر حديثه الى عدد ممن يقومون بدرس القانون الاسلامي في الجامعات الاوربية والامريكية وليس فيهم دارس مسلم واحد ٠ وفيهم استاذ شرقي مصري هـو الدكتور سابا حبشي ـ واشار الى كلمة منصفة له هي ان السبب في استمرار ما يهتم به الدارسون من القانون الاسلامي انه دين لنحو اربعمائة مليون مسلم وانه لايزال يكون جانبا هاما من القانون الدولى المعمول به الآن ٠

والدكتور **سابا حبشي** يشتهر بدرسه أحمد ابن حنبل ومذهبه الفقهي وهو اليوم أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة كولومبيا بنيويورك ٠

وسيطول بي الحديث لو ذهبت أفصل القول في الموضوعات الكثيرة التى تناولها هـذا المؤلف ولكن يمكن أن أقسمها الى ثلاثة أقسام رئيسية :

تمهيدات عامـة ، وجزء من تاريخ التشريع ، وأبواب من الفقه الاسلامي ٠ وهذا القدر كاف جدا بالنسبة للفترة المحدودة التى القيت فيها هـذه المحاضرات والمؤلف ولا شك كان يتمثل الاعتبارات التى قدمتها فهى التى أملت عليه الاطالة في تمهيده وهى التى جعلته يختار من الفقه موضوعات بعينها وهى التى جعلته يقف طوال محاضراته موقفا دفاعيا وقد صرح أول حديثه انه لسوء الحظ أن وكل اليه درس هذا القانون لجماعة لم يحسنوا فهمه فأساءوا تصويره أمام الدارسين ٠

واذن فالذى يهمنا ازاء هذا الكتاب لامجرد عرض معلوماته ولا دقة هذه المعلومات فقط ، وانما يعنينا بجانب ذلك او قبله مدى توفيقه فيما قصد اليـه من حسن الدفاع عن الاسلام وتصوير مزاياه ٠

استعرضت المقدمات حال العرب قبـل الاسلام وأهم نظمهم القبلية والبدوية وصورت حياتهم ومكانة قريش عصر البعثـة ـ وكان الغرض من ذلك هـو بيان مدى الاصـلاح الذى جاء به الاسـلام على هؤلاء الغـافلين ومدى ما نالهم بسـببه من تقدم حضارى واجتماعي ٠

هذه الفـكرة أشار اليها اشـارة عابرة ولم يقف امامهاطويلا ـ وليته فعل ـلكنه كان معجلا للحديث عن موضوعات أخرى يراها أهم ٠

تحدث عن القـانون القرآني في الميـدان الدولى العام وفي ميادين التجارة والاقتصـاد والسياسة العامة ٠٠ وفيها جميعـا أحسن التصوير وأحسن الدفاع وأحسن الموازنة ٠

في الميدان الدولى العام وصف الاسلام بانه دين تسامح ومسالمة لا يحب اثارة الحروب ولا يقدم عليها الا للدفاع عن العقيدة او نشرها بين الوثنيين ، كما تحدث عن معاملة الذميين والـكتابيين وأنه لا يكره المسيحى ولا اليهودى على الاسلام ولا يعامل الكتابيين معاملة واحدة لانهم ليسوا سواء في دينهم او موقفهم من المسلمين ٠٠٠ الخ ٠

ولم يشأ أن يعقد موازنات بين القانون الاسلامي والقانون الدولى العام او يفاضل بينهما ، ربما لان في هذه الموازنة احراجا للامريكيين ـ ولكنه ما فتىء يؤكد أن هذا القانون القرآني يصلح أن يكون قانونا دوليا يعمل به وأنه يحقق الاهداف التى يدعو اليها الساسة المصلحون لاقرار السلم وحقن الدماء ٠

وفي ميادين التجارة والاقتصاد بين أن الاسلام أحل البيع وحرم الربا وبعد حديثه عن كل منهمـا عاد يتساءل عن أعمال البنوك وفوائد ما يودع بها أهى من الربا الذى يحرمه القرآن أم هي مباحة لانها ليس بها استغلال ولا اجحاف بالفقراء ، وبين أن فقهـاء المسلمين يختلفون في هذا ٠٠ فريق يجيز وفريق لا يجيز ولم يقطع هو برأى ٠

ودعاه الحديث عن سياسة المـال أن يتحدث عن الشـيوعية المركسية فلم يقف أمامهـا طويلا وانما تحدث عن التعاون في الاسـلام وعن الزكاة وآثارها

وانها ضريبة ترتبط بالدين ، وكرر فى غير موضعان المجتمع الاسلامي لا يقوم على المادة وحدها ولكن يعنى دائما بالضمير والمبادىء الاخلاقية · حتى ان العمل قد يقره النظر القانونى ولكن لا ترضاه الاخلاق ·

اعجبنى أن تنال هذه الفكرة حظها من العناية وأن تتراءى خلال هذه الابحاث بين حين وآخر ·

أما الحديث عن تاريخ التشريع فلم يأت منظما ولا متتابعا ـ والذي جعل المؤلف يتموج به هذا التموج هو عنايته بالرد على الدرسون فى اتهامه قانون القرآن بالجمود ـ فهو من ناحية غفل عن مصادر التشريع الاخرى من السنة والاجماع والقياس وفتح باب الاجتهاد للبحث عن مصالح الناس ، ومن ناحية أخرى نسى أن النبى أقر معاذا على اجتهاده وانه منذ عهد الخلفاء حدثت تطورات متعددة أوفت القانون الاسلامي وشرحت نظريات القرآن · الحق أن هذه الفكرة نالت من المؤلف اهتماما كبيرا وقد وضحها توضيحا حسنا ·

واهتم من بين أبواب الفقه بالوقف وقانون الاحوال الشخصية والمواريث وبذل عناية كبيرة فى بيان منزلة المرأة ومكانتها فىالقانون الاسلامى مهتما بدفع ما يتهم به من انه هضم مكانتها أو او نقصها عن الرجل ·

ولست بحاجة بعد هذا كله الى سرد بقية ما حوت المحاضرات أو تحليل شىء منها فلا يتسع مثل هذا الحديث لتوفية الكتاب حقه · ولكن بالكتاب هنات أود أن أشير اليها ·

اما من الناحية الشكلية فهذه المعلومات بحاجة الى تبويب ووضع عناوين جزئية تمكن من الافادة منها ·

كذلك غلب عليها الاستطراد والانتقال المفاجىء الى بحث آخر حتى ان الفكرة الواحدة قد تعرض أكثر من مرة أو يعرض جزء منها ثم يأتى جزؤها الآخر فى مكان آخر · فاذا أردنا مثلا أن نستخلص مكانة المرأة ، أو فائدة الزكاة ، كان لا بد من قراءة المحاضرات كلها أو معظمها ·

ولا يشفع لهذا أنها محاضرات لم تؤلف لتكون كتابا بل يزيد النقد حدة أنها عمل فاض من طبيعته النظام والدقة والترتيب ·

واهم من هذا أن هناك آيات من القرآن الكريم لم تحسن ترجمتها ·

ولا أكاد أشك فى أن المؤلف نقلها من بعض المصاحف المترجمة ـ ولو أنه فهمها وترجمها بنفسه لكانت صحيحة محكمة ذلك أن لغة المؤلف وأسلوبه وقدرته على شرح افكاره لا تدل فقط على قوة فى اللغة الانجليزية بل تدل على امتياز عظيم ـ واذا صدق ظنى فى أنه نقل من الآخرين فعجيب أن ينقل معانى القرآن عمن اساءوا فهم قوانينه وأساءوا تمثلها كما ذكر ·

وعلى سبيل المثال أذكر هذه الآيات :

ص ٩ : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل » قيد الحبة بأنها حبة القمح ·

ولا داعى لهذا التقييد ·

والآية : ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه : فسر تغمضوا بمعنى تقفلوا عينا وهو تفسير حرفى لا يؤدى المعنى المراد ـ اذ المقصود أنكم لاتقبلونه لانفسكم الا اذا تغاضيتم عن عيوبه أو خبثه ·

ص ٧ ـ وما ملكت أيمانكم : فسرها أنها ماتملكه يدكم اليمنى ـ وكان الاقرب أن يقول ارقاؤكم ·

ص ٨ ـ أمة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل ،

فسر الآيات بأنها العلامات والمراد هنا أجزاء القرآن وفسر اناء بساعات وكان الاولى كل أوقات الليل ·

ص ٦ ـ ويخافون يوما كان شره مستطيرا :
فسر المستطير بانه على جناح ·

والحق أن هذه الآيات قليلة جدا بجانب الآيات الكثيرة التى استشهد بها وترجمت ترجمة سليمة ·

وانى أود أن تقوم احدى الهيئات الاسلامية بطبع هذه المحاضرات ـ بعد مراجعتها ـ فى لغتها الانجليزية وتوزيعها على الجامعات ودور العلم المتكلمة الانجليزية دون مقابل · رغبة فى تصحيح الافكار الخاطئة عن الاسلام وعملا على اضعاف من دعايات المستشرقين ·

عبد الجليل شلبى

كتب جديدة

يقدمها : تحسين عبد الحى

القصص القرآنى
فى منطوقه ومفهومه

تاليف : عبد الكريم الخطيب

تعتبر القصة فى القرآن ركيزة قوية من ركائز الدعوة الاسلامية القائمة على الاقناع العقلى والاطمئنان القلبى، بما تدعو اليه من الايمان بالله ، ورسله، وكتبه واليوم الآخر ، وبما تحمل من مثل فى مجال الجهاد والكفاح والبذل والتضحية والفداء فى سبيل الدعوة الى الحق ، والتوجيه الى الخير والهدى، والتنكر للباطل والضلال ، والصمود فى وجه الظلم والطغيان .

ولكن كيف نلتقى بالقصة القرآنية؟ ومن اى جانب ننظر اليها ؟ وباى مقاييس نقيسها . .ويجيب الكتاب بابوابه وفصوله المختلفة على هذه الاسئلة .. اذ يقدم لنا دراسة مفصلة عن القصة ومفهومها فى القرآن ، وعناصر القصة فى القرآن ، والقوى الغيبية فى القصص القرآنى، والصراع فى القصص القرآنى الى غير ذلك من الابحاث الهامة التى تنتظمها أبواب الكتاب وفصوله ويقع فى ٤٢٦ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار الفكر العربى .

الاسلام والطب

تاليف : محمد عبد الحميد البوشى

تقول الدكتورة « شوارتزهبت » وزيرة صحة جمهورية المانيا الاتحادية .. « ان الغرب لن ينسى أبدا أنه مدين للعرب بدراسة الطب . وأن مؤلفات ابن سينا،والعباس والرازى كانت هى الكتب الوحيدة التى تدرس فى جامعة « بالرمو » التى كانت تضم اشهر مدرسة للطب فى العالم الغربى . والكتاب يتحدث عن الطب ونظرة الاسلام اليه وذلك من واقع الآيات القرآنية الكريمة .. والأحاديث الشريفة . وقد قدم المؤلف لموضوعه بدراسة لتاريخ الطب عند الامم القديمة . مثل الطب عند قدماء المصريين ، وعند البابليين والكلدانيين والآشوريين . وكذلك الطب عند الهنود والصينيين والفرس والرومان ..

ويقع الكتاب فى ١٦٢ صفحة من القطع الصغير ونشرته دار القلم ضمن سلسلة كتب.المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى .

داج همرشلد

تاليف : جوزيف . ب . لاش
ترجمة : مصطفى حنفى
مراجعة : محمود فتحى عمر

عرف همرشلد بالاتزان والمرونة بين الدبلوماسيين المحترفين خلال تناول أعقد المسائل ، هذا الى سعة حيله فى وضع الحلول ، فهو - على حد قول هيو جيتسكيل - قوة ذهنية خارقة ، وقوة جسدية تتماشى معها.واختلفت الآراء حول شخصية همرشلد. فهو الذى أثار الانجليز والفرنسيين عليه فى أزمة السويس وأثار دول افريقية وروسيا عليه فى أزمة الكونغو .

ويتناول الكتاب حياة هذا الرجل منذ أن عين سكرتيرا عاما للامم المتحدة الى أن مات فى حادث الطائرة فى احراش الكونغو . ويقدم لنا الكتاب الجانب الآخر من حياة همرشلد الانسان ، الذى يهوى الادب والشعر والفن والتصوير والموسيقى .

ويقع فى ٢٣٩ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ضمن سلسلة مذاهب وشخصيات .

الرعاية الاجتماعية والمواطن

ترجمة : عزيز مترى عبد النبى
مراجعة : الدكتور بدراوى فهمى

يحتوى الكتاب على مجموعة مقالات فى موضوع الرعاية الصحية والاجتماعية لكل من جين جراهام هول ، وبيجى جاى ، وجون باين ، وفرانسس بيتر. وغيرهم من الكتاب ويقول « بيترآرثر » فى مقدمته « ان نجاح هذا الكتاب وأمثاله فى تحقيق أهدافه يقاس بالسرعة التى تصبح فيها هذه المبادىء قديمة متخلفة ، اذ أنه مهما بلغ نجاح مبادىء الرعاية الاجتماعية المعاصرة فان حاجات البشر دائمة التطور، ويجب أن تتطور معها آراؤنا عما يمكن أن تؤديه

الجماعة للفرد من خدمات . ولسوف ينظر الناس بعد مائة عام الى الثورة الاجتماعية التى تحققت فى منتصف القرن العشرين نظرتنا الآن الى الاصلاحات التى تمت سنة ١٨٣٠ .

ويقع الكتاب فى ٣٤٨ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار الفكر العربى .

١٩٧٥ والمعجزات العلمية المنتظرة

تاليف : أرنولد ب . باراك

ترجمة : اللواء سعد الدين صبور

تصدير : الدكتور محمد عبد القادر حاتم

تقديم : حسن جلال العروسى

يقول الدكتور محمد عبد القادر حاتم فى تصديره للكتاب :

« وخلاصة القول فى هذا الكتاب أنه يتنبأ بالتطورات التى ستغير الحياة تغييرا جذريا بحيث يبدو بها وجه العالم صورة جديدة رائعة » .

والكتاب يحدثنا عن التاريخ القريب ، مقارنا بالماضى القريب ، وهو فى ذلك لا يقوم على التكهن والتنجيم ، وانما يقوم على محاولة عكس الحاضر والماضى القريب على مرآة المستقبل المجهول . وقد عالج المؤلف فيه موضوعات كثيرة منها : الناس ، والمزارع ، وخطوط التجميع فى المصانع ، والمنازل ، والأزرار الكهربائية ، ووفرة الانتاج ، والتعليم الجامعى للكافة ، والمواصلات ، وما سيكون فيها من طائرات تسير بسرعة ثلاثة آلاف ميل فى الساعة أو تزيد ، وسيارات نفاثة تسير مرتفعة عن الأرض ، كما تناول بالحديث المخترعات والمعجزات الطبية المنتظرة ، وتطور استخدام الذرة ، والسفر الى الكواكب .

ويقع الكتاب فى ٣٢٥ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار النهضة العربية .

نظرية التكامل الاقتصادى

تاليف : بيلا بلسا

ترجمة

محمد عبد العزيز أحمد

عبد الرحمن شبل حسن

محمد الجبالى

مراجعة

دكتور صلاح الدين عبد الوهاب

يتناول الكتاب موضوع التكامل الاقتصادى بالدراسة والتحليل سواء من الجانب الاستاتيكى أو الجانب الديناميكى وقد أوضح المؤلف الصور المختلفة للتكامل ، مثل منطقة التجارة الحرة والاتحاد الجمركى والسوق المشتركة والاتحاد الاقتصادى والاتحاد الكامل . وقد طبق المؤلف عند عرضه لوجهات النظر المختلفة ـ المبادىء النظرية على مشروعات التكامل المعاصرة مثل السوق الأوربية المشتركة ومنطقة التجارة الحرة والمشروعات المقترحة لتكامل امريكا اللاتينية .

ويقع الكتاب فى ٢٦٩ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية .

التعاون من اجل القضاء

على مشاكلنا الاجتماعية

تاليف : جلال زكى

يقدم هذا الكتاب الذى يقع فى ١٥٧ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ـ تعريفا بالتعاون وتاريخ الحركة التعاونية وانتشارها عالميا ثم الدور الاقتصادى والمنهج الاشتراكى لرواد التعاون وينتقل بنا الكتاب من التعاون المتعارف عليه عالميا الى التعاون الاجتماعى . ويبين كيف أن هذا الشكل الأخير من التعاون هو مذهبنا لحل مشاكلنا الاجتماعيه فى تطور مجتمعنا الحديث ذلك التطور الذى يسبق الزمن ، ولا بد لجميع أجهزة المجتمع وجميع وحداته من التطور فى اتزان . فالانسجام التام بين المجتمع وبين وحداته لن يأتى الا باتحاد جميع وحدات المجتمع ، اتحادا هادفا يرمى الى خلق حياة أفضل .

مهرجان الذكرى الأولى لوفاة

احمد لطفى السيد

استاذ الجيل

يحتوى الكتاب على مجموعة الخطب والكلمات والقصائد التى القيت فى مدينة المنصورة لمناسبة الذكرى الأولى لوفاة أستاذ الجيل ـ « احمد لطفى السيد » التى اشترك فيها صفوة ممتازة من العلماء والمفكرين امثال الدكتور طه حسين والدكتور محمد عوض محمد والأستاذ احمد حسن الزيات والدكتور عثمان امين والدكتور السعيد مصطفى السعيد والدكتور احمد فؤاد الأهوانى .

وقد جمعت محافظة الدقهلية اقوال وخطب هؤلاء الأعلام وغيرهم ممن اشتركوا فى المهرجان فى هذا الكتاب .

ولا شك أن اخراج الكتاب فى هذه الصورة يعد تعبيرا وعرفانا من محافظة الدقهلية لابنها أستاذ الجيل احمد لطفى السيد كرائد من رواد النهضة الفكرية والثقافية .

تحسين عبد الحى

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



مؤرخ القومية العربية :

وهب حياته للقومية العربية وراح يبشر بهـــا ويكتب عنها ويدعو لها ٠٠ انه الاستاذ ساطع الحصرى الذى طاف فى انحاء كثيرة من بلادنا العربية مناقشا ومحاضرا ، وقد استطاع بما أوتى من الايمان بهـذه القومية أن يتصدى لمن يرد عليه ويقيم الحجة والبرهان ولقد تجلى هذا الايمان فى مرحلة مبكرة ٠٠ فهو وان كان يبلغ من العمر الآن حوالى الخامسة والثمانين لكنه يمثل بالنسبة لنا قطعة حية من ماضينا وحاضرنا وآمال مستقبلنا ٠

ان الاستاذ ساطع الحصرى بين فى حديث أدلى به الى مجلة المصور فى عددها السنوى كيف باشر دعوته للقومية العربية قائلا انه عندما تولى وزارة معارف العراق عقب تولى الملك فيصل العرش عمد الى تخطيط منهج جديد للتعليم يعتمد على تدريس القومية العربية والوحدة العربية ليغرس مفهوم القومية والوحدة عند ابناء الجيل الجديد ، وقد أنشأ لهذا الغرض « مجلة التربية والتعليم » لتكون منبرا للدعـــوة للقـــومية العربية ، كما قام بسلسلة طويلة من المحـــاضرات فى هذا الميدان ، ويقول الاســـتاذ الحصرى انه كان يصاب بألم شديد من معارضة هذه الدعوة من بعض المثقفين خصوصا المثقفين المصريين ، ولكنه كان يتابع هذه الافكار ويرد عليها بشكل دائم ٠

ويحكى الاستاذ ساطع أنه التقى فى بغـــداد بصديقه «الاستاذ أحمد حسن الزيات» الذى اشتغل بالتدريس فيها فترة ، ثم عاد الى القاهرة ليؤسس مجلة « الرسالة » ويقول الاستاذ الحصرى انه اتخذها منبرا للرد على بعض دعاة مصر الفرعونية » ٠

ويبين الاستاذ أن أول مثقف مصرى اشتبك معه فى معـركة كان هـو سـلامه موسى وذلك على اثر مقال نشر له فى مجلة « السياسة الاسبوعية » عام ١٩٤٨ تحت عنوان « التفسير الاقتصادى للتاريخ » حاول فيه أن يفسر ثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩ منعزلة عن الثورة العربية التى كانت تعم المنطقـــة ، ومقال آخر نشر له فى نفس العام دعا فيه كما يقول الاستاذ الحصرى الى « قطيعـــة الماضى والنظـــر الى مستقبل جديد غير مرتبط بتـــاريخ مصر العربى الذى وصفه بانه من اسباب تخلف المصريين » ٠

ويقول الاستاذ الحصرى اننى « رددت عليه بمقال نشر بمجلة « التربية والتعليم » التى كانت تصـدر ببغداد: رددت مقالته الاولى الى الفكر الماركسى المنعزل عن واقعنا العربى ، وفندت مقاله الثانى بانه لايوجد شعب ينعزل عن تاريخه يمكن له أن يبنى مستقبلا على أسس سليمة » ٠

ويرجع الاستاذ ساطع الاسباب التى جعلته يشتبك مع هؤلاء الكتاب المصريين الى أنه كان يؤمن بالدور الذى يجب أن تقوم به مصر فى القومية والوحدة ، وانه قد عبر عن هذا فى مقال نشره فى مجلة «البلاد» عام ١٩٣٦ ومما أورده فى هذا المقال قوله :

« ان كل الصفات والمزايا الطبيعية التى زودت بها مصر تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة فى

انهاض القومية العربية .. انها تقع فى مركز البلاد العربية بين القسمين الاسيوى والافريقى فيها ، كما أنها تكون اكبر كتلة من الكتل التى انقسم اليها العالم العربى ، وحظيت باكبر قدر من الحضارة الحديثة ، واهم مركز من مراكز الثقافة فى البلاد العربية ـ كل ذلك : المركز الجغرافى والثروة ومستوى الثقافة يجعلها الزعيمة الطبيعية للقومية العربية » .

● **بين الرسالة و « الاقلام » :**

تحت عنوان « مطالعات فى المجلات » قدمت مجلة « الاقلام » التى تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد فى العراق عرضا للعدد التاسع والخمسين من مجلة « الرسالة » وتقول « الاقلام » ان الدكتور بدوى طبانة تناول فى هذا العدد من الرسالة الشعر العراقى المعاصر، وان الدكتور أحمد كمال زكي عالج (الرفض) الذى يتخذه بعض الشعراء (موقفا) يتجاهل القيم التى تجمع عليها مجتمعاتهم .

ويضرب لنا مثلا بشاعر من سورية وآخر من لبنان .. ثم ينتقل الى شاعر محسوب على العراق ويتساءل (الدكتور زكى) : «ترى .. نزعم انه يرفضنا نحن العرب لاننا تستحق الرفض ؟ أم لعيوبنا ؟ أم لعناده؟ أم لمنفعته قد هجرنا ؟ » وتعقب الاقلام على هذا بان الدكتور كمال زكى قد طرح السؤال ، فهل يملك الشاعر الجواب ؟ ثم تنتقل « الاقلام » الى ما كتبه الاستاذ عبده بدوى فى نفس هذا العدد وتقول عنه انه « قد وقف موقفا رائعا من المحاولات اللئيمة التى يساق عن طريقها الشعر العربى الحديث الى اصطناع رموز معينة للتعبير بواسطتها عن قيم لاتمت الى مجتمعنا ومثلنا وديننا بصلة وهو (أى الاستاذ عبده) قد عرى فى بحوثه التى سبقت هذا البحث ، هؤلاء الذين يحملون راية هذه المحاولات وكشف عن زيفهم الخلقى والوطنى بما لايدع مجالا لاكبارهم حتى لو وفقوا الى عرض نماذجهم فى أطر فنية تستحق الاعجاب .. ولعل (مهيارا الدمشقى) اوضح مثال لهؤلاء الذين هتك الاستاذ بدوى عن اوجههم الحاقدة براقع الادب والفن .

● **السليقة فى التجديد اللغوى :**

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ أنيس المقدسى بحثه فى مجلة « العربى » وقد دفعه الى الكتابة فى هذا الموضوع مايراه من أن نهضتنا القومية الجديدة تقتضى احياء تراثنا اللغوى القديم . لما فى احيائه والمحافظة عليه من تدعيم للقومية العربية وتقوية لاواصر القربى بين أبنائها . ويرى الباحث أن نمو اللغة يحدث بتاثير عاملين رئيسيين أحدهما خارجي وهو مايتسرب فيها مع الزمن حتى يصبح جزءا منها ، والعامل الثاني داخلى ، وهو مانشأ ولا يزال ينشأ فى داخل اللغة من الفاظ استحدثت لاغراض ومعان جديدة .

وبعد أن يتحدث الباحث عن التوليد وأنواعه ويمثل لكل نوع ، يذكر ان القدماء والمحدثين ينظرون الى التوليد نظرة اختلاف « فالقدماء وقفوا بين المولدات وقفة الانكار أو عدم الاستحسان فابقوها خارج حرم الفصاحة ، ولهذا قل ذكرها فى معاجمهم بل كانوا اذا ذكروها قالوا « انها غير عربية أصيلة فلا يحتج بها » .

ولكن اهل العصر الحديث اعتبروا هذه الالفاظ ضرورة لا غنى عنها واصبحت المعاجم الحديثة تقرها ويستدل الباحث على ذلك بان المعجم الوسيط الذى صدر عام ١٩٦٠ باشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة فيه مئات منها .

ويرى الاستاذ المقدسى أن التجديد فى اللغة لايراد به الخروج عن قواعد اللغة المقررة فى علوم الصرف والنحو والبيان ، فالخروج عنها خطأ لاجدال فيه ، وانما يراد بالتجديد انشاء أو اقتباس صيغ صحيحة لم ينص عليها قبلا ، تملك مالا يملك سواها من اكساب المعنى قوة أو روعة أو حسن بيان .

ثم يضيف الى ذلك أن مايوطد هذه الصيغ ويهدينا اليها « سليقة لغوية يؤديها الزمن ، وكثيرا ما تصطدم هذه السليقة بالنصوص التقليدية ، ويحدث تنازع بينهما قد يستمر دهرا طويلا ثم لايلبث هذا التنازع أن ينتهي غالبا بانتصار السليقة » ولم يفت الاستاذ المقدسى أن يذكر الكثير من الامثلة لتوضيح مايراه .

من ذلك ما أورده من استعمال الطغرائى للفظ التشويش مؤثرا اياه على لفظ التهويش وذلك فى قوله :

وان قدرت على تشويش طرته
فشوشيها ولا تبقى ولا تذرى

وكمثل « المأتم » يذهب الناس الى أنه المصيبة يقولون كنا فى مأتم وليس كذلك ، انما المأتم النساء يجتمعن فى الخير والشر ، والصواب أن يقال كنا فى مناحة ، الى غير ذلك من الامثلة العديدة التى ساقها الاستاذ أنيس فى ثنايا البحث تدل على انها لدارس متمكن من أسرار اللغة ومكنوناتها .

« **محمد العوانى** »



نقد قصائد

للدكتور احمد كمال زكى

الشاعر مصطفى ابراهيم عمران يعد بفنان اصيل وهو فى القصائد التى بعث بها يبدو مكتمل الاداة قادرا على الاداء لولا هنات عروضية ولغوية من السهل أن يتخلص منها . وعلى الرغم من أنه يحاول ان يشغل نفسه بالقضية العربية فيكتب مثلا « رسالة الى المغتربين » فان سائر شعره يغلب عليه الالم وبكاء الحبيبة ورصد الياس . ومثل هذا من غير شك يناسب الطور الرومانسى الذى يمر هو به ، كما يمر غيره من الشباب ، ولكننى أرجو أن يحاول استشراف آفاق أكثر نضرة وأكثر امتلاء بالامل والبشر ، وهاأنذا أسوق بعض أبياته :

حملت الهوى فى شغاف الفؤاد
سنين أناسى ليالى السمر
سابقى وفيا لذكرى الهوى
لذكرى هوى ليته ما اندثر
سابقى وحيدا وحبى الوحيد
سيبقى بقلبى الذى قد صبر

* *

وارسل الشاعر أحمد عنتر مصطفى قصيدتين الاولى بعنوان « لعينيك » والثانية بعنوان « رحلة فى زورق » والقصيدتان جيدتان وان يكن هو فيهما رومانسيا مغرقا فى خيالات الرومانسيين بل معتمدا أساليبهم وصورهم واكليشيهاتهم التى اصبحت لاتدل على تجربة ذاتية أصيلة . وفيما يلى أقدم عدة أبيات طيبة من قصيدته « لعينيك » على أن أنبهه الى أن « الالى » ليست بمعنى « الاولى » وانما هى اسم موصول يحتاج الى صلة :

لعينيك كم طوفت فى كل ليلة
لالقاك فى وهم الخيال فاسعد
لعينيك أضنيت الفؤاد لنلتقى
وما كان بين العين والقلب موعد
لعينيك كم ارسلت فى الليل زفرة
تردد أين الحب فى القلب يرقد
لعينيك ما للخمر من رونق الصبا
وكم نادت العينان ..والخمر أبعد

***

وللشاعر تاج الملوك زكى قصيدة بعنوان « عام جديد » لا أوافق على مافيها من افكار لانها لاتفسح مجالا للامل .

جاء عام لست أدرى هل سيغدو
باسم الوجه سيمحو الهم عنا
أم سيوصيه الذى ولى فيمسى
كالح السحنة مشئوما معنى

أجل لا أوافق .. لا لشىء الا لان الحياة وان يكن ماضيها اسود ــ وللشاعر نظرته ــ فلابد أن يؤمل خيرا ، لابد ان يبشر بل لابد أن يحبب لدينا الحياة ويقربها الينا .

ان تاج الملوك شاعر من غير شك وهو ينظم باقتدار ولكن تنقصه الفكرة العميقة وهو قادر عليها بالقراءة والاطلاع والدأب فى تحصيل أسباب الثقافة .

بين القفر والفقر

للشاعر ابراهيم محمد نجا

يقول الشاعر :

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما
تموت الافاعى من سموم العقارب

فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد
وخرب حفر الفار ســــدا لمارب

والنقطة التي نضعها فوق الحرف أو تحته ، هي في ظاهرها شيء طفيف ضعيف لا حول له ولا طول، ولكنها قد تختزن في باطنهــا قوة هائلة تماثل في عالم الأفكار المجردة ، قوة القنبلة الذرية في دنيـا الحقائق المحسة ٠٠ فلربما وثبت نقطة من حرف الى حرف آخر في كلمة ، فغيرت معناها قليــلا او كثيرا ٠٠ ومن ذلك ما حدث في قصيدتي : « على البعد » ، فقد ورد فيها البيت الآتي على هذا النحو :

وانت التي صــــاغ لي حبهـــا
من « الفقـــر » ما يفتن الأعينـا

وقرأ البيت بعض زمــلائي من المصريين الذين يقيمون في مدينة كركوك بشمال العراق ، فاختصموا في تفسير معناه ، ولكنني وضعت حدا لهذا الاختصام حين اخبرتهم بأن الفقر محرفة عن القفر ٠٠

وقد كان من لطف الله أن النقطة التي قفزت من القاف الى الفاء ، كلاعبة الســيرك مثلا ، لم تغير من معنى الكلمة الا قليلا ، فان الشقة بين القفر والفقر قريبة جدا ، لأن كلا منهما يمثل الخلو مما هو في حاجة اليه ، فالاول خلو من النبات ، والآخر خلو من المال ٠٠٠ وانا لم أضق بكلمــــة الفقر حين اقحمت نفسها في هذا البيت من القصيدة ، لاني ٠ وان كنت غنيا عن الناس كل الناس ، فانا الفقير الى الله ٠٠ والله الغني وانتم الفقراء ٠

ومهما يكن من شيء فان نقطة « الفقر » لم تفعل مافعلته نقطة اخرى هي نقطة « الصليان » الماكرة ، حين هربت من الياء فاوقعت الدكتور لويس عوض فيما وقع فيه ٠ وقد كنت والله أحســـبه على بصر بأدبنا ولغتنا يماثل أو يقارب بصره بادب الانجليز ولغتهم ، ولكنه بآرائه المضحكة في الشعر والادب ٠ قد اخلف الظن ، واضاع الحسبان ٠

على انه يقال ان نقطة الصليان لم تهرب من تلقاء نفسها ٠ وانما هربها الدكتور المذكور عامدا متعمدا لحاجة في نفس يعقوب (ويعقـــوب اسمه ايضا ٠٠ ٠٠ اسرائيل !) ٠ ومن ثم يكون ــ أي الدكتور ــ متهما ــ ولا مؤاخذة ــ بالتهريب ٠٠ مع العمد وسبق الاصرار ٠

ومع ذلك كله فانني أشكر نقطة « الصليان » هذه لانها حين اختبات اظهرت خبيثا كان كامنــــا ، ثم امتعتنا بمقال ناضج في هذا الموضوع للصـــديق الاستاذ عبده بدوي ، كما أسعدتنا بعودة كاتبنـــا الكبير الاستاذ محمود محمد شاكر الى الرســــالة العزيزة بعد غيبة طويلة ٠٠ ورب ضارة نافعة ٠

وكما تفعل النقطة ، يفعل الحرف حين تستبدل به غيره في الكلمة ، فيقلب معنـــاها من النقيض الى النقيض ، وقد فعل ذلك صاحبنا أبو نواس صاحب الشعر البهيج في الديوان ، والشــارع البهيج في بغداد ٠٠ على شاطيء دجلة ٠

والقصة باختصـــار ، فيما يروى الرواة ، أن أبا نواس ادركه الغيظ والغم حين أهدى الرشـيد الى جاريته الاثيرة « خالصة » عقدا ثمينا ، بينما لم يأخذ هو على شعره شيئا ذا بال ، فكتب هذا البيت على باب من أبواب قصر الخليفة :

لقد ضــاع شعري على بابكم
كما ضاع عقـــد على خالصة

قالوا وقرأت خالصـــة البيت الذي كتب عــلى باب البيت ، فكأنما أصابهـــا المس ، واسرعت الى الخليفة تخبره وهي تبكي بما صنع أبو نواس ٠٠ ولكن الخبيث ــ أبا نواس ــ حين علم بما فعلت خالصة لم يفعل شيئا الا أن استبدل الهمزة في « ضـاع » بالعين ٠ فأصبح البيت هكذا :

لقد ضاء شعري على بابكم
كما ضاء عقد على خالصـــه

وجاء الخليفة ومعه خالصة والحاشية ، فقرأ البيت مدحا أعظم المدح ، بعد أن كان ذما أبلغ الذم ٠٠ ومع أن الخليفة فهم « القولة » ، فقد أعجب بذكاء أبي نواس وحسن تصرفه ، وأمر له بجـائزة ، وكذلك فعلت خالصة وهي تضحك وتتيه ٠

والقصة قد تكون متحــــولة اي « مفبركة » كما « يفبرك » الدكتور لويس عوض فيمـــا ينقل من أشعار واخبار ٠٠ ولكنها ــ القصة طبعـــا ــ تنفع للدلالة على مانريد ٠

وبعد ، فهكذا صنعت نقطة « الفقر » حين تركت موضعها الى موضع آخر ٠٠ غيرت معنى الـــكلمة ، وجعلتني أكتب هذه الكلمات ٠ فمعـــذرة للقراء ٠٠ والى اللقاء ٠

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي

١٩٦٥



من ٢٣ الى ٢٩ يناير ١٩٦٥ — الاسماعيلية مبنى المحافظة

كل يغنى على «ليلى»

قصة بقلم: محمد عبد الحليم عبد الله

كان أسعد يوم فى حياته هو ذلك اليوم الذى نال فيه شهادة التوجيهية من اول دور وسمع فيه زغرودة أطلقتها امه على السلالم فتجمع النساء حولها والاطفال والرجال اخيرا ليشربوا شربات الورد ابتهاجا بنجاح (**سعد**) .

وفى مساء اليوم التالى فترت الفرحة واعقبها الخمول النفسى الذى نحسه عقب كل توتر والذى نرى شبيها له حتى على أماكن الافراح بعد ان تنزل عنها معالم الزينة .

كان المسئولون فى البيت ... يتحدثون عن المستقبل ...

كان ابوه (ترزيا) بعين واحدة والام تخدم فى البيت خمسة من الاطفال غير ... الزوج . الذى كان يعود آخر اليوم بمطالب شخصية وهموم جماعية على الزوجة ان تشاركه فيها . لذلك لم يكن اجتماع الاسرة عقب نجاح (سعد) الا ترجمة للحلم بالراحة الذى يراود خيال الام فى البيت والأب فى الدكان .

ولما صدر القرار باتفاق الزوجين على وجوب توظيف (سعد) كانت الفرحة التى شملته اقوى من ان توصف ولو أن نورها سطع من عينيه الضيقتين الذاهلتين وارتسم على شفته الغليظة القاسية .

واشفق عليهم الزمن . فلم يطل لفه ولا بحثه عن الوظيفة فعين كاتبا فى احدى الادارات باحدى الوزارات .

وعلى السلم مرة اخرى انطلقت زغرودة اجتمع لها النساء والاطفال ودارت بعدها اكواب شربات الورد وبقيت دعوة أخيرة كانت ختام التهنئة على فم كل امرأة دخلت على ام سعد . هى : « عقبال العروسة » .

وكانت الأم تغمغم فى الرد عليها وتحاول ان تقف بينها وبين الله لأن ظروف ابنها لا تسمح بقبول هذه الدعوة .. انهم فى حاجة ماسة الى وجوده معهم ...

ابوه ذو العين الواحدة يعود آخر النهار وهو يلعن الابرة والمقص ، وامه .. عندما يأتى منتصف الليل ... تكون قد فرغت من لعن جميع ادوات المنزل ....

لكن فرحة الابن كانت بمعزل عن كل هذه البلايا.

ومنذ الاسبوع الاول من تسلمه الوظيفة خالطت فرحته أحلام مخمورة ... بعد ان التقت عيناه بعينى (**ليلى**) الكاتبة على الماكينة فى نفس الادارة ذات القوام الرشيق والوجه الاسمر والعيون الملونة .



كان لا يكف عن مراقبتها حتى وهو يعمل ويقضى فترات ما قبل النوم كل ليلة فى احصاء الكلمات العادية التى تبادلاها وفى تصور حلاوة الكلمة غير العادية التى يأمل أن يسمعها من فمها . ان قلبه يخفق باستمرار ويدق مثل حامل حروف الكتابة التى تدقه باصابعها طول اليوم وقد يرقص قلبه عندما يدخل النسيم من النافذة الشمالية فيفسد نظام شعرها فتمد يدها نحو جبينها لتسويه فتكف الماكينة عن الدق ...

وجلس مستغرقا فى العمل وكل شىء فى المكتب

هادىء ... الا ليلى والماكينة . وكان الوقت صيفا وزميلاه في اجازة . وكان هذا هو اليوم الثاني لانفرادهما معا في الحجرة ... وقد ظل طول الليلة الماضية يتحايل على النوم بلا جدوى . كان يفكر فيما يمكن ان يقول لها . كان يشعر بان كل شيء يتعلق به امانة عنده يحتفظ به من اجلها هي ... من اجل ليلى ... الليل والنهار والشباب وشهادة الثقافة والنقود .. والقلب اولا واخيرا .. كل هذه الاشياء أمانة عليه ان يحتفظ بها من اجل (**ليلى**) .

واخذت الماكينة تدق .. وعندما كانت ترفع عينيها لتنظر في احدى الكلمات في أعلى الصفحة كانت عيونهم تلتقي في خطف ويتردد الكلام على شفتيه .. ويسابق نبضه نبض الماكينة ولا يذكر شيئا مما يدور في البيت أو الدكان كأنما الله قد استجاب دعوات الجارات بعد أن وضعن اكواب الشراب الفارغة ...

ودخل فجاة أحد السعاة واستدعى ليلى للقاء الرئيس في الحجرة البعيدة .. وفجاة ايضا شعر سعد براحة غريبة تهبط عليه اشبه بالهدوء الغامض العميق بين نوبتين من نوبات الم حاد ..

كان يريد أن يتخذ قرارا اخيرا . يريد ان يقول لليلى : انى احبك او انى اريد ان اتزوجك او على الاقل اراك في الخارج ...

لكن .. اى هذه الكلمات انسب ؟ انه يخاف شفتها السفلى .. ان تعبير الاشمئزاز او الاعراض حين ينطبع على هذه الشفة يكون شيئا قاتلا .

ونظر في زجاج الباب والحجرة خالية عليه . فراى منذام نفسه وجبينه .. جبينه المشرف باسراف على العينين كانه ظلة تحميها من الشمس . عيناه الضيقتان المائجتان بالمخاوف والرغبات تحت هذه المظلة .. هل تستطيعان أن تبارزا عينى ليلى اللذين تكسران السيف ؟!

وعاد الى مكانه وتنهد . وكف عن التفكير لحظة لانه سمع وقع خطواتها . ثم جلست الى الماكينة بسرعة واخذت تدق حروفها بعصبية وتعبير الاشمئزاز على شفتها طول هذه المدة . فعدل عما كان مشغولا به واجل كل شيء الى غد ..

لكنه سمع بكاءها فجاة . ووقفت الماكينة وارتفع البكاء ...

وبطريقة هستيرية كان صمام الأمان قد انفتح . ومال اليها بلا وعي وأخذ يسترضيها كأنما هو الذي تسبب في كل شيء . واخيرا أفاق على موقف غريب .. على عينى ليلى وهي تنظر اليه بدموعها، لكن الوجه كان مبتسما كله . وعلى ثناياها بريق عذب برد الوعي للمغمى عليه . وقد امسكت كتفه بيدها اليسرى ومدت يدها اليمنى نحوه بالمنديل الصغير الذي مسحت به دموعها وهي تقول له :

ــ معلش .. طيب بس .. معلش ...

كان سعد قد انخرط في البكاء . خانته دموعه اولا فلما شعر انها احست به اسرف في تقديم القربان ورجته ليلى بصوت هامس ان ينهى الموقف حتى لا يدخل احد فيراهم .

ثم ظلت البسمات طول اليوم بعد ذلك تعبيرا خاشعا حنونا بين الاثنين. تقطع المسافة بين المكتبين مثل برقيات بلا كلمات ..

كان ابوه ياكل وهو مائل العنق في هذه الليلة يكاد راسه يرقد على كتفه اليسرى .. من التعب .. والام تقشر لابنها خيارة دليلا على امتيازه في الأسرة واعترافا بمعونته المالية لهم والاطفال في مكان آخر من الشقة الصغيرة يضحكون على نكبتهم بملة السرير التي تسقط بهم كلما تحركوا عليها ..

وبمقدار الضجيج الذي كان متسلطا على الحجرة الداخلية كان هناك سكون ووجوم على الاربعة الذين ياكلون .. وشعر الاب المتعب كان امرا يضايق ابنه فاغتصب الكلمات وسأل :

ــ شيء في الشغل يضايقك يا سعد ؟

فرد الابن باختصار بارد !

ــ لا ..

وقدمت اليه الام خيارة مقشورة سويت باعتناء:

ــ خد يا حبيبى ..

فاخذها وهو يذكر ليلى وعيناه مسبلتان حتى لا تفسد المرئيات امامه صورة من تخيلها يوم نطقت

بكلمة جميلة فاذهلته . واخذ يمضغ بسرعة وصمت فعاد الاب يسأل فى قلق وغيظ :

ـ شىء فى الشغل يضايقك يا ولد ؟

فرد باحتجاج :

ـ يا ولد ؟

ـ كبرت ؟

ـ نعم .. و.. و... سأتزوج خلاص .

وجرحت السكين اصبع الأم وهى تقشر له الخيارة الثانية واعاد الاب رأسه الى وضعه الطبيعى بعد ان كان مائلا نحو كتفه وقال له :

ـ تتزوج ؟

ـ نعم .. مثلك

فقام الاب فى صمت ودخل الى غرفة الاولاد الذين كانوا يصخبون وانهال عليهم ضربا . ولم تمض دقائق حتى كان السكون قد اطبق على الشقة الصغيرة واطفىء النور وان كان هناك عيون لم تنم ...

ومشى كل شىء بعد ذلك هادئا رتيبا ...

كان والد سعد فى الدكان مكبا على عمله فى استبسال آملا ان تقوم سعاد بشىء من الاعباء التى تكل الابن عن القيام بها وقد اوشكت ان تتخرج من مدرسة الفنون الطرزية .

والام تدور فى الشقة بحركة لا تتوقف من كثرة الطلبات كأنها آلة فى مصب شلال .

والموظفون فى مكتب سعد ينظرون الى ليلى بحساب ويكلمونها بحساب لأن خطيبها جالس بالمرصاد ...

وبقدر ما كانت الصلة تقوى بين سعد وليلى كانت الفجوة تتسع بينه وبين اسرته لأنه لم يعد يعطيها مالا ولا حبا . حتى مضى على ذلك عام كامل وذهب سعد الى بيت ليلى فى زيارة عادية على غير ميعاد فلما دخل رأى البيت وكل شىء فيه يضحك . والضيوف امرأة وشاب قادمان من الاسكندرية . ومن النظرة الاولى عرف سعد من تكون هذه المرأة. انها بلا شك خالة ليلى .. صورة مكبرة من امها والذى يثير الدهشة هو لون العيون والبشرة السمراء فقد كانت مطابقة تماما لوجه ليلى وعينيها اما الشاب فهو ابن خالتها فى السابعة والعشرين من العمر وموظف فى احد بنوك الاسكندرية وخريج كلية التجارة .

وكان اللقاء عائليا : لكن سعد احس بانه اقلهم شأنا . وكانت العيون الملونة تلتقى بشكل متودد غير عابئة بوجوده . وتطور الامر الى حد ان ليلى وابن خالتها اخذا يتحدثان عن ذكريات قديمة لهم حين كانت ليلى فى احدى مدارس اسكندرية الابتدائية وابن خالتها فى رأس التين الثانوية. وكان يراجع لها دروسها ويضربها على يديها واحيانا على خدها ..

ـ هل تتذكرين ذلك يا ليلى ؟

ووضعت يدها على خدها وهى تضحك . ووضع سعد يده على خده هو الآخر كأنه احس بلطمة ولم يلبث ان انصرف .

وفى الايام التالية بلغت احزان سعد اشدها فقد علم ان ابن خالتها قد انتقل الى القاهرة.. علم ذلك منها .. وقالته له باهتمام يكاد يبلغ حد الحزن.

لقد بعث الوافد الجديد فى نفسها شيئا ينقصها. اقنعها بانه كان ممكنا ان تكون خيرا من ذلك وانه سيعيد الماضى بشكل أروع ويعاونها حتى تنال « شهادة عالية » . فلم تعد ليلى ترى نفسها منذ ذلك اليوم كأنها تنظر الى صورة لها ايام الطفولة.

واحست انها تريد ان تكبر ولن يكون ذلك الا على يدى المربى الجديد . فما كانت تريد شابا ساذجا. وتشربت هذه الخواطر ليلة بعد ليلة فلما اعلنتها لسعد قال لها بلهجة الخائف والمتحكم معا :

ـ لكننى امانع .. انا ارفض ذلك .

فنظرت اليه بشفقة . وعيناها مليئتان بالعطف وعلى شفتها السفلى استخفار شديد .

ـ ترفض !.. وهل هذا من حقك ؟

فتلجلج قائلا :

ـ انا .. انا .. الذى اسالك هذا السؤال ، ان ذلك يعنى .. اننا لن نتزوج قبل عشر سنوات.

فقالت وهى تنظر بعيدا :

ـ عدلت عن الزواج بالمعنى الذى فهمناه معـا. لقد فهمت الزواج على صورة جديدة

فاحس ان دموعه ستغلبه . وتذكر يوم بكى من اجلها فشعر انه سيقهر وسيبكى



وعزت عليه نفسـه . احس كانه فتاة مرفوضة. دخلت على العريس وهى تحمل كـوب الشربات ليراها كرغبة والديها ثم سلمت عليهم ولم يعد. جرح المراة القديمة يصيب قلب الرجل الجديد ؟! فاحس انه يحارب وهو اعزل وان عليه ان يتسلح للدفاع او الثار.

لكنه تذكر نظرات الزملاء لهما وشعر كان احدا منهم سيحل محله وعنـد ذلك سالها وهـو جاف الريق :

ـ وماذا سنقول .. لمن معنا .. هنا ؟

فهزت كتفيها بلا مبالاة .. امـراة تحـولت .. وبرزت على شفتها السفلى اشمئزازة كبيرة ، فقال:

ـ انا لست فاهما شيئا . فردت بهدوء ثقيل ة

ـ سانتقل الى البنك ... معه ...
فحملق فيها مشدوها . وفطن الى انه اخطأ فى المفاضلة بينها وبين اشياء كثيرة فى الدنيا لكنه ضل فاختار اقل الاشياء قيمة . هكذا كان احساسـه ولو مؤقتا . قال :

ـ اشكرك .. حل موفق ..

فردت بعطف نسبى يحمل رائحة حب قديم جدا.

ـ ربما ... ربما يكون فى هذا خير للجميع.

وكانت امه تقشر البطاطس حين فاجاها بقـوله انه عدل من زواج ليلى .. فجرحت السكين يدها مرة اخرى . ولما استردت وعيها عددت له بفرحة ملهوجة : من البنات من يمكن انتصلح له زوجة لكنه نادى على اخيه الثالث ولم يرد على امه . ولما جاء قال له :

ـ ستنتقل الى التوجيهية هذا العام يا اخى .. وفى العام القادم ستكون فى التوجيهية

ـ صحيح . وماذا تقصد ؟

ـ اقصد اننا سنكون معا فيها .. انا وانت . (وربت على كتفه) هل تصدق هذا ؟

فنظر اليه اخوه مذهولا وساله ضاحكا : « ماذا جرى لعقل العريس ؟».

لكن (سعد) نظر الى امه وقال :

ـ ساعاون اخى بمالى وامشى معه خطوة بخطوة وانا فى الوظيفة .. سانتظر زواج اختى .. سافرش حجرة نومك بالسـجاد يا ماما .. ساعمل اشياء مستحيلة .



كان يتكلم وهو غضبان كان الكلام موجه الىخصم والجو حوله مشحون بالذهول . واخيرا افاقتالأم من حلمها واخذت تتمتم :

يعنى .. يعنى .. آ..

فقال الابن قبل ان ينصرف :

ـ ساصل انا واخوتى الى منزلة ليلى وزوجهـا وسنكون فى منزلة احسـن .. تأكدى.

وعندئذ رفعت الام وجها الى السماء وابتهلت :

ـ الله يعمر بيتك يا ليلى انت وجوزك .. يا رب وجرت نحو الخارج . كان ابنها يفهم الى اين هى ذاهبة فمنعها. شدها شدا وهى تجرى نحو السلالم لتطلق من قلبها زغرودة حقيقية تلم حولها الجيران.

محمد عبد الحليم عبد الله

الثقافة
اسبوعية
تصدر كل ثلاثاء

الرسالة
اسبوعية
تصدر كل خميس

المجلة
شهرية
تصدر يوم (٥)

الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)

القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)

هذه مجلات

الثقافة والارشاد القومي



العدد ٧٩

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١٠٩٨ ـ الخميس ٢٦ رمضان ١٣٨٤هـ ـ ٢٨ يناير ١٩٦٥م ـ السنة الثانيه والعشرون

قواعد النحو فى العربية الفصحى

وعلاقتها بالدعوة الآثمة الى استخدام العامية

للدكتور : على عبد الواحد وافى

يزعم الداعون الى استخدام العامية فى الكتابة والقراءة أن العمل بما يدعون اليه يوفر علينا الاوقات والجهود التى نبذلها الآن فى تعلم قواعد العربية الفصحى ، وخاصة ما يطلق عليه منها اسم «النحو» وهى قواعد الاعراب التى يتمثل معظمها فى أصوات مد قصيرة (حركات) تلحق أواخر الكلمات مع تنوين أو بدون تنوين لتدل على وظيفة الكلمة فى العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة . فيقولون ان هذه القواعد قد بلغت من الكثرة والدقة والصعوبة والتشعب مبلغا تنوء عن الاحاطة به همم كثير من الناس وتقصر عنه اعمارهم . ولذلك يندر أن نجد ، حتى من بين المتخصصين فى دراسة العربية الفصحى أنفسهم ، من يحيط بهذه القواعد احاطة تامة . هذا الى أن تطبيقها فى القراءة والكتابة يقتضى من القارىء والكاتب انتباها عميقا ومجهودا كبيرا فى ملاحظة عناصر العبارة ، وعلاقة كلماتها بعضها ببعض ، وصلة الجملة بما قبلها وما بعدها ، واستحضار ما ينطبق من هذه القواعد على كل عنصر وكل كلمة من هذه العناصر والكلمات . وانتباه ومجهود هذا شأنهما يؤديان الى تعويق القراءة والكتابة ، ويفضيان الى صعوبة الفهم وابطائه ، ولا يقوى على بذلهما الا القليل من المتوفرين على دراسة هذه القواعد . ولذلك يندر أن نجد ، حتى من بين المتخصصين فى دراسة العربية الفصحى أنفسهم ، من يستطيع تطبيق هذه القواعد تطبيقا صحيحا كاملا فى قراءته وكتابته . ويبنون على ذلك اننا اذا استخدمنا العامية ، وهى لغة مجردة من قواعد الاعراب ، استغنينا عن بذل هذه الجهود ، واتقينا هذا العنت ، واستقامت شئون قراءتنا وكتابتنا وطرائق فهمنا للعبارات . ويضيفون الى هذا كله أن الاغراض التى تحققها علامات الاعراب فى العربية الفصحى ، وهى تحديد وظيفة الكلمة فى الجملة ، تحققها اللغة العامية بوسائل أخرى سهلة يسيرة . ففى اللغة العامية تفهم وظيفة الكلمة من ترتيب وضعها فى الجملة ومن السياق ومن كلمات مستقلة ومما يكتنف العبارة من قرائن . فللدلالة على فاعلية «محمد» مثلا فى قولنا «أعطى عليا محمد الكتاب» تضع العامية كلمة «محمد» فى صدر الجملة ، أو تضع فى العبارة كلمات تشير الى فاعليته ، فتقول مثلا : «محمد ادا الكتاب لعلى» أو «دا محمد هو اللى ادا الكتاب لعلى» .

***

ومن الغريب اننا نجد لهذه الدعوة ولهذا المنطق أنصارا من بين قدامى الباحثين أنفسهم ، ومنهم ابن خلدون ، كما يبدو مما كتبه فى مقدمته عن اللغة العامية للمجتمعات البدوية فى عهده اذ يقول :

« اننا نجد هذه اللغة فى بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضرى (يقصد العربية الفصحى وهى لغة مضر) : ولم يفقد منها الا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول مثلا • فاعتاضوا عنها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد ••• وما زالت هذه البلاغة وهذا البيان بدن العرب (يقصد البدو) ومذهبهم لهذا العهد • ولا تلتفتن الى خرفشة النحاة أهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وأن اللسان العربى فسد اعتبارا بما وقع فى أواخر الكلمات من فساد الاعراب الذى يتدارسون قوانينه • وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم ، وألقاها القصور فى أفئدتهم • والا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل فى موضوعاتها الاولى ، والتعبير عن المقاصد والتفاوت فيه بتفاوت الابانة موجود فى كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة فى مخاطباتهم • ولم يفقد من أحوال اللسان المدون الا حركات الاعراب فى أواخر الكلمة فقط ، الذى لزم فى لسان مضر طريقة واحدة ومهيعا معروفا ، وهو الاعراب ، وهو بعض أحكام اللسان••• ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد (يقصد اللهجات العامية المستخدمة لعهده فى المجتمعات البدوية فى التخاطب) واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية فى دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه » •

هذا ، وقد كشفنا فى مقال سابق عن الاغراض الآثمة التى يرمى اليها جماعة الشعوبيين الداعين فى الوقت الحاضر الى استخدام العامية فى القراءة والكتابة ، وعن الكوارث البليغة التى تصيب الثقافة العربية والفكر العربى وتقوض أهم دعامة تعتمد عليها وحدة الوطن العربى وقومية أهله اذا تحقق — لا قدر الله — مايدعون اليه • فبحسبنا هنا أن نبين فساد منطقهم فيما يذهبون اليه بصدد موضوع هذا المقال وهو قواعد النحو فى العربية الفصحى :

١ — فليس بصحيح ما يزعمونه من أن قواعد النحو قد بلغت فى كثرتها وصعوبتها وتشعبها مبلغا تنوء عن الاحاطة به همم كثير من الناس وتقصر عنه أعمارهم • بل اننا لا نجد من بين قواعد اللغات الانسانية الراقية جميعها ما وصل فى ضبطه واطراده وقلة أصوله ويسر مأخذه وسهولة الاحاطة به الى ما وصلت اليه قواعد النحو فى العربية الفصحى ؛ ولم يوفق علماء القواعد فى أية لغة انسانية راقية الى ما وفق اليه علماء النحو فى العربية الفصحى ، اذ استطاعوا — بفضل عبقرياتهم وعمق تفكيرهم ومناهجهم السليمة فى البحث وما يذلوه من جهود مضنية فى هذا السبيل — أن يرجعوا جميع ما استخلصوه من ملاحظة كلام العرب قديمه وحديثه الى قواعد محكمة مطردة قليلة ، منقطعة النظير فى احكامها واطرادها وقلة عددها ؛ حتى انه ليمكن حصرها فى ثلاثة القواعد الآتية :

● من الكلمات العربية ما هو مبنى ملازم آخره حالة واحدة ، ومنها ماهو معرب يتغير آخره بتغير وظيفته فى الجملة • والمبنى من الكلمات هو الحروف والافعال الماضية وأفعال الامر وأفعال المضارع اذا اتصلت بها نون التوكيد أو نون النسوة وطوائف محدودة من الأسماء كالضمائر وأسماء الموصول والاشارة والشرط والعدد المركب ••• والمعرب من الكلمات هو ما عدا ذلك من الاسماء والافعال •

● المعرب من الاسماء يرفع وينصب ويجر، ولكل وضع من هذه الاوضاع حالات خاصة حصرها علماء النحو حصرا دقيقا • والمعرب من الافعال يرفع وينصب ويجزم • فينصب اذا دخل عليه ناصب ويجزم اذا دخل عليه جازم ويرفع اذا تجرد منهما • والنواصب والجوازم محصورة العدد مبينة النوع محددة العمل •

● الأصل فى الاعراب على الاطلاق أن يكون بالحركات وهى الفتحة للنصب والكسرة للجر والضمة للرفع والسكون للجزم • ويستثنى من ذلك جمع المؤنث السالم فانه ينصب بالكسرة ، والاسم

الممنوع من الصرف اذا لم يضف ولم يعرف بأل فانه يجر بالفتحة • والاسم المعتــل الآخر فان الحركة لا تظهر الا على اليائى منه فى حالة النصب وتكون مقدرة فيمـــا عدا ذلك ؛ والفعل المعتل الآخر فان اعرابه فى حالة الجزم يكون بحذف آخره وفى حالة الرفع بحركة مقدرة وفى حالة النصب بحركة مقدرة فى المعتل بالألف وظـــاهرة فيما عداه • والافعال الخمسة فان اعرابها يكون بثبوت النــون فى حالة رفعها وحذفهـــا فى حالتى النصب والجزم • وثلاث طوائف من الاسماء وهى المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة ، فان اعــرابها يكون بالحروف أى بتغير حرف من حروفها ؛ وقد بين علماء النحو طرق الاعراب بالحروف فى كل طائفة منها •

والاسم المعرب بالحركات يدخله التنوين الا اذا كان مضـــافا أو معرفا بأل أو ممنوعا من الصــرف

هذه هى قواعد النحو التى يهــول أعداء العربية الفصحى فى شأنها ؛ ويصــورونهـــا فى صورة أمور مخيفة تعجز عقول البشر عن ادراكها • فقد أمكننا ــ بفضل سهولتها وضبطها وقلة أصولها ــ أن نحصرها فى ثلاث قواعد يمكن تلقينها صغـــار المتعلمين فى بضعة دروس اذا ترســـمنا الطرائق الجـــادة فى التعليم •

٢ ــ وليس بصحيح ما يزعــمونه من أن مراعاة هذه القـــواعد فى القراءة والكتابة تقتضى انتباها عميقا وجهـــدا كبـــيرا يفضـــيان الى تعـــويق القراءة والكتابة والى صعوبة الفهم وابطائه • بل انهـــا ــ ليسرها وضبطها وقلتها ــ تنطبع فى الأذهان انطباعا قويا ويســـهل استحضارها • وبتــكرار مراعاتها وكثرة استعمالها فى القراءة والــكتابة تتكون لدى الفرد بحكم العـــادة ملكة سليمة يستطيع بفضلها القراءة والحديث والكتابة وفق هذه القواعد بدون أن يقتضيه ذلك شيئا مذكورا من الانتباه والمجهود• وهكذا جميع الامور التى تستقر بحكم العادة ؛ وهذه هى سنة الله فى جميع لغات بنى الانسان •

واذا كان معظم المتعلمين فى الوطن العربى يعجزون عن القراءة والحديث بالعربية الفصحى • فان سبب ذلك لا يرجع الى صعوبة قواعد هذه اللغة ؛ وانمـــا يرجع الى استهانة المدارس بشأنها وفساد فى طرق تعليمهـــا ؛ والى أن المعلمين لا يأخذون تلاميـــذهم بالحـــديث والقراءة بالعربية الفصحى ؛ ولا يعملون على تكوين هذه العادات فى ألسنتهم وأقلامهم • وانما يكتفون بعرض قواعدها عرضا جافا لايكون ملكة ولا يقوم لسانا • واذا كان المتخرجون فى الوقت الحاضر فى معـــاهد التخصص فى اللغـــة العربية لا يجيد معظمهم هذه اللغة اجادة تامة ؛ فان ذلك لا يرجع الى صعوبة قواعدها ؛ وانما يرجع كذلك الى فساد فى مناهج هذه المعاهد ؛ واقحــــام عدد كبير من المواد الدخيلة فى خططها لتحقيق تطويرها فيما يزعمون ، وطغيان هـــذه المواد الدخيلة على موادها الاصـيلة ؛ واستئثارها بأكبر قســـط من الوقت والمجهـــود • وكذلك انتهى الامر فى معاهد التخصص فى عقائد الاسلام وشرائعه • وهى معـــاهد ترتبط موضوعاتها ارتباطا وثيقا باللغة العربية الفصحى •

٣ ــ وليس بصحيح ما يزعمونه من أن الاغراض التى تحققهـــا قواعد الاعراب فى العربية الفصحى تحققها العامية • وذلك أن وظيفة الكلمة فى الجملة ــ أى كون مدلولها فاعلا أو مفعولا او حالا أو تمييزا أو مضافا اليه أو خبرا أو شرطا أو جوابا ...الخ، كل ذلك يستبين فى العربية الفصحى بعلامات تلحق الكلمة نفسهـــا وتكون جزءا منهـــا وهى علامات الاعراب ؛ وبذلك تظهر فى صورة واضـــحة دقيقة معـــانى الكلمات وعلاقاتها بعضهـــا ببعض ومدلول العبارة فى جملتها ؛ ويظهر هذا كله بدون حشو ولا اقحام كلمات ولا اعتماد على ايحاء السياق أو على قـــرائن خارجة أو على الحـــدس والتخمين • وهـــذه ســـمة من أبرز السمات التى تمتاز بهـــا اللغات الراقية • على حين أن العامية لتجردها من علامات الاعراب لا تفهم من عباراتها هذه الامور الا عن طريق ترتيب الكلمات فى الجمل ؛ وتطويل الجملة باقحام كلمات فيها ؛ والاعتماد على ما يوحى به السياق ؛ وتهدى اليه القرائن الخارجة ؛ ويرشد اليه الظن والاجتهاد • وأداة هذا شأنهـــا لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعانى الدقيقة ؛ ولا عن حقـــائق الآداب والعلوم والانتاج الفكرى المنظم • ولا أدل على ذلك من اننا فى حديثنا العادى نفسه كثيرا ما نضطر الى استخدام قواعد العربية الفصحى حينما نكون بصدد التعبير عن حقائق منظمة وأفكار مسلسلة : لا نفعل

ذلك للمباهاة واظهار القدرة على التعبير الفصيح ، وانما نفعله مضطرين اضطرارا ، لاننـا نرى أن العامية لا تسعفنا في قواعدها بما يضبط تفكيرنا ، وينقله نقلا صحيحا الى الاذهان • فاذا لم نجد أمامنا الا اللغة العامية نستخدمها ـ بقواعدها الساذجة المضطربة ومفرداتها المبهمة الدلالة المحدودة العدد ـ في جميع شئون تفكيرنا وتعبيرنا ، لتقطعت بنا أسباب الثقافة ، ونكصنا الى الوراء قرونا عديدة ، وقضى على نشاطنا الفكرى قضاء مبرما • لان الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية ودقيقة في التعبير ، خمدت جذوته ، وضعفت همته ، وضاق نطاقه واقتصر نشاطه على توافه البحوث وسفساف التأملات • فاللغة هي القالب الذى يصب فيه التفكير • فكلما ضاق نطاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ضاق نطاق الفكر واختل انتاجه •

هذا • ويحمل لواء الدعوة في الوقت الحاضر الى استخدام العامية واطراح العربية الفصحى وقواعد اعرابها بجانب الجهات والهيئات التى أشار اليها صديقنا العلامة الاستاذ «محمود محمد شاكر» في مقالاته القيمة في الاعداد الاخيرة بالرسالة ، وبجانب الجهات والهيئات التى أشرنا نحن اليها كذلك في مقال سابق بهذه المجلة ـ منظمات يهودية لها عملاء في مختلف البلاد العربية من أبناء هذه البلاد نفسها مع الأسف الشديد • ويساعدها في ترويج دعوتها طائفة من الباحثين في فقه اللغة من علماء اليهود بوجه خاص • وقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء أن زعم أن قواعد الاعراب لم تكن مراعاة في لهجات الحديث عند العرب ولا في لغات آدابهم وكتابتهم ، وانما خلقها النحاة خلقا قاصدين بذلك تزويد اللغة العربية بنظم شبيهة بنظم اللغة اليونانية ، حتى يكمل نقصها وتسمو الى مصاف اللغات الراقية !! ولما كان أصحاب هذا الراى ينتمون الى علماء اللغة، ويحاولون أن يلبسوا باطلهم هذا ثوب الحق ، ويموهوا على ذوى العقول الضعيفة بسفسطة من الاستدلال ، رأينا من الخير ان نعرض فيما يلى لأهم أدلتهم ونبين بطلانها •

يرجع اهم ما يتظاهرون بالاعتماد عليه الى ثلاثة أمور :

احدها أن جميع اللهجات العامية المتشعبة من العربية والتى تستخدم الآن في البلاد العربية اللسان ـ مجردة من الاعراب•فلو كانت اللغة العربية القديمة معربة الكلمات لانتقل شيء من نظامها هذا الى جميع اللهجات الحاضرة او الى بعضها على الاقل•

وثانيها أن قواعد هذا شأنها في التشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقتها بعضها ببعض لا يعقل أنها كانت مراعاة في لهجات الحديث عند العرب ، لأن لهجات الحديث تتوخى في العادة السهولة واليسر وتلجأ الى أقرب الطرق للتعبير •

وثالثها أن قواعد هذا شأنها تشعبا ودقة لايعقل ان تكون قد نشأت من تلقاء نفسها ، ولا يمكن لعقليات ساذجة كعقليات العرب في عصورهم الاولى أن تقوى على خلقها، فهى تحمل آثار الصنعة الدقيقة المحكمة ، ويبدو عليها طابع من عقلية المدارس النحوية التى ظهرت في العهود الاسلامية بالبصرة والكوفة وما اليهما •

هذا هو أهم ما يستدلون به على رأيهم •وفيما يلى طرف من البراهين الدامغة على فساد أدلتهم هذه وتهافتها :

١ ـ ان عدم وجود هذه القواعد في اللهجات العامية الحاضرة لا ينهض دليلا على أنها لم تكن موجودة في العربية الاولى • فقد انتاب اصوات اللغة العربية وقواعدها في هذه اللهجات كثير من صنوف التغير والانحراف ، وخضعت لقوانين التطور في مفرداتها وأوزانها ودلالاتها فبعدت بعدا كبيرا عن اصلها •

٢ ـ ليس بغريب أن تتفق اللهجات العامية جميعا في التجرد من علامات الاعراب • فقد خضعت لقانون من قوانين التطور الصوتى ، وهو ضعف الاصوات الاخيرة في الكلمة وانقراضها ، وهو قانون عام قد خضعت له جميع اللغات الانسانية في تطورها ، فما كان يمكن أن تفلت منه لهجة من اللهجات العامية المتشعبة عن العربية •

٣ ـ ان دقة القواعد لاتدل مطلقا على أنها مخترعة اختراعا • فاليونانية واللاتينية مثلا في العصور

القديمة ، والالمانية فى العصر الحاضر ، تشتمل كل واحدة منها على قواعد لا تقل فى دقتها وتشعبها عن قواعد اللغة العربية ، ولم يؤثر هذا فى انتقالها من جيل الى جيل ، ولا فى مراعاتها فى الحديث ، ولم يقل أحد انها من خلق علماء القواعد .

٤ ـ ان خلق القواعد خلقا محاولة لا يتصورها العقل ، ولم يحدث لها نظير فى التاريخ ، ولا يمكن أن يفكر فيها عاقل و يتصور نجاحها، فمن الواضح أن قواعد اللغة ليست من الأمور التى تخترع او تفرض على الناس، بل تنشأ من تلقاء نفسها وتتكون بالتدريج .

٥ ـ واذا أمكن أن نتصور أن علماء القواعد تواطئوا جميعا على ذلك ، فانه لا يمكن أن نتصور أنه قد تواطأ معهم عليه جميع العلماء والمؤرخين من معاصريهم ، فأجمعوا كلمتهم ألا يذكر أحد منهم شيئا ما عن هذا الاختراع العجيب . ولا يعقل أن يقبل معاصروهم هذه القواعد على أنها ممثلة بقواعد لغتهم ويحتذوها فى كتاباتهم . اللهم الا اذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحروا عقول الناس والسنتهم واسترهبوهم وانسوهم معارفهم عن لغتهم وتاريخها، فجعلوهم يعتقدون أن ما جاءوا به من الافك ممثل لفصيح هذه اللغة .

٦ ـ تقوم أوزان الشعر العربى وقواعده الموسيقية على ملاحظة نظام الاعراب فى المفردات . فبدون اعراب الكلمات تختل أوزان هذا الشعر وتضطرب موسيقاه . ومما لا شك فيه أن هذه الاوزان سابقة لعلماء البصرة والكوفة ، وأن شعرا عربيا كثيرا قد قيل على غرارها من قبل الاسلام ومن بعده قبل ان يخلق هؤلاء العلماء . فانكار هذا الشعر لا سبيل اليه . ولا يمكن ان يكون قد الف غير معرب الكلمات ، لان عدم اعرابها يترتب عليه اضطراب أوزانه واختلال موسيقاه .

٧ ـ واقوى من هذا كله فى الدلالة على فساد هذا المذهب تواتر القرآن الكريم ووصوله الينا معرب الكلمات ، وقد نزل «بلسان عربى مبين» .

٨ ـ ان فى رسم المصحف العثمانى نفسه ، مع تجرده من الاعجام والشكل ، لدليلا على فساد هذا المذهب . وذلك أن المصحف العثمانى يرمز الى كثير من علامات الاعراب بالحروف (المؤمنون ، المؤمنين.) والى علامة اعراب المنصوب المنون (رسولا ، شهيدا، بصيرا ...) وهلم جرا . ولا شك أن المصحف العثمانى قد دون فى عصر سابق بأمد غير قصير لعهد علماء البصرة والكوفة اللذين تنسب اليهم هذه المذاهب الفاسدة اختراع قواعد الاعراب .

ولهذه البراهين الدامغة وغيرها تبين فساد الرأى الذى نناقشه لجميع المحققين من باحثى الفرنجة أنفسهم حتى لأكثرهم تحاملا على العرب ، وأشدهم ولوعا بالانتقاص من حضارتهم ولغتهم مثل رينان الفرنسى .

فنظام الاعراب عنصر اساسى من عناصر العربية الفصحى ، وهو سمة من سمات رقيها ، وقد اشتملت عليه منذ أقدم عصورها . وكل ما عمله علماء القواعد حياله هو أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصا من القرآن والحديث وكلام الفصحاء من العرب ، ورتبوها وصاغوها فى صورة قواعد وقوانين . ويدلنا التاريخ أنهم كانوا امناء كل الامانة فى استخلاص قواعدهم، وأنهم كانوا يلاحظون المحادثة العربية فى أصح مظاهرها ، ويستنبطون قواعدهم من هذه الملاحظة ، وانهم كانوا لا يدخرون وسعا فى دقة الملاحظة واتخاذ وسائل الحيطة ، حتى انهم ما كانوا يثقون بأهل الحضر ، لأن لغتهم كان قد تطرق اليها الفساد فى عصرهم ، ولا بالقبائل التى احتكت السنتها بلغات اجنبية كلخم وجذام وقضاعة وغسان واياد وبكر وأزد عمان وأهل اليمن ، وانهم كانوا يبذلون فى سبيل ذلك من وقتهم وجهودهم شيئا كثيرا ، فكانوا يرحلون الى الأعراب فى باديتهم ويقضون عندهم الشهور بل السنين ، وعلماء هذا شأنهم دقة واحتياطا واخلاصا للعلم ، وهذه نتائج بحثهم ناطقة بعبقريتهم وعمق تفكيرهم وسلامة بحثهم، خليقون منا بأطيب الحمد وعظيم الثناء ، طيب الله ثراهم ، وجزاهم عن العربية والاسلام خير الجزاء .

د . على عبد الواحد وافى

.. وهذه هي أخطارها !!

(١٠)

بقلم : محمود محمد شاكر

لقد أحسن الدكتور محمد مندور من حيث لم يدر، ومن حيث لم يرد ، الى والى الناس ، حين كتب ماكتب فى مجلة « روز اليوسف » ، فصرفنى عن قضية العامية واستبدالها بالفصحى ، الى قضية أخطر منها واشد تأثيرا فى أيامنا هذه ، لا بل هى اوغل فى التدمير الذى يراد بنا ، وأفتك بالعقول والنفوس ، وأبشع أثرا فى حياة كل فتى وفتاة من أهل الاسلام ومن أبناء العرب . وقد عالجتها من الوجه الذى لا يجوز لعاقل يعقل ما يقول ، أن يعالجها من وجه غيره ، وهو البيان الصريح عن معانى الألفاظ ، وما تحمله فى طياتها من تاريخ متصل ، وما تنطوى عليه من عقيدة متكاملة مترابطة ، تفقد كل معنى ، اذا أراد مريد ، أو تخيل متخيل ، أنه قادر على أن ينفض عن هذه الألفاظ دلالتها فى صلب العقيدة المسيحية ، وهى الألفاظ الأربعة التى تدور فى ألسنة بعض الشعراء من أبناء الاسلام ، وهى «الخطيئة» و «الفداء» و «الصلب» ، و «الخلاص» . وليس يجدى شيئا ولا يغنى ، أن يحتال محتال فيزعم أن هذه الألفاظ رموز لمعان انسانية مجردة ، كالتضحية فى سبيل القيمة أو المبدأ الذى يؤمن به انسان ما من الناس ، لأن مئات من الألفاظ فى لغة العرب ، وفى غير لغة العرب ، قادرة على أن تكون رموزا لهذا الشىء نفسه، بمجرد الدعوى عندئذ . فهذه الألفاظ الأربعة اذا خلت من دلالتها فى عقيدة أصحابها ومستعمليها ومعتقديها ، صارت كسائر ألفاظ اللغة ، لا تحمل شيئا الا معناها اللغوى المجرد . فمن أبطل الباطل أن يجعلها امرؤ صالحة لأن تكون « رمزا » بدلالتها اللغوية المجردة . فان كل لفظ فى اللغة صالح عندئذ أن يكون « رمزا » ، بلا فرق فى ذلك بين الألفاظ اللغوية . والنتيجة المنطقية لهذه الدعوى ، أن كل امرىء مباح له أن يجعل كل لفظ فى اللغة ، رمزا لشىء يتوهمه هو ، وان كان غيره من الناس لا يرى له معنى مفهوما عنده ، الا المعنى المتداول المعروف . وكذلك يصبح الناس يوما ما ، اذا سار الشعراء والكتاب هذه السيرة ، واذا اللغة ضرب من الخبل ، ككلام الموسوسين والممرورين ، لا يفهم أحد عن أحد شيئا الا بمعجم خاص بكل شاعر وكل كاتب ، وخير للناس يومئذ أن يعيشوا بين أسوار مسورة ، كالأسوار التى انطلق من ورائها انسان مثل لويس عوض ، وفلان وفلان ، ممن يقرأ لهم المرء فيقع فى دوار كدوار البحر الهائج .

ومع ذلك ، فبين عندى ، وسيكون بينا ان شاء الله عند كل قارىء ، أن قضية العامية واستبدالها بالفصحى ، وقضية استعمال هذه الألفاظ وأشباهها، هما فى الحقيقة قضية واحدة ، لا من حيث مآلهما وعواقبها ، بل من حيث مصدرها ومنابعها أيضا . ولذلك أظننى لم أفارق الموضوع الذى بدأته ، اذ كنت قد ألزمت الزاما أن أجعل احدى القضيتين تتخلل الأخرى وتعيث فى سياقها . وكان السياق أن أفرغ من قضية العامية واستبدالها بالفصحى ، ثم أتبعها بالقضايا النابعة من حيث نبعت هذه القضية . وان شئت أن أقول ان لى أسوة حسنة بأسلافى من أهل هذه العربية ، يوم كانوا يعدون الاستطراد بابا من أبواب التخفيف والاستجمام ، حتى لا تستكره النفوس على احتمال باب واحد من العلم ، فيتخللونه بأشباهه ونقائضه وما يمت اليه بسبب من الاتصال أو المفارقة ، ليكون ذلك أروح للنفس ، وأدعى الى احتمالها مؤونة التعب فى التزام باب واحد من الفكر ، وأنفى للملل الذى يأخذ بأكظامها حتى تضيق بما تقرأ أو تسمع ، وكان رأس هؤلاء أبو عثمان الجاحظ ، وأبو العباس المبرد ،

وغيرهما من الكتاب والأدباء ، والعلماء والشعراء أيضا .

فالآن أعود الى حيث قطعني الدكتور مندور مشكورا على ما فعل . وقبل ان أعود الى وصل ما انقطع ، أجده حقا على أن أدل القارئ على شيء وقع لى منذ أيام قلائل اتفاقا . فانى كتبت فى المقالة الثامنة ، شيئا عن تاريخ المعركة بين العالم الأوربى المسيحى ، والعالم الاسلامى العربى ، ورسمت صورة سريعة لما كان ، وقلت : « انها صورة لا يكاد يخطئها من كان له أدنى المام بتاريخ الغزو الأوربى المسيحى للعالم الاسلامى » ، وذلك اذ بينت أن تجارب الحروب الصليبية ، وحروب آل عثمان من الترك ، قد دلت العالم الأوربى المسيحى دلالة قاطعة على أن مواجهة العالم الاسلامى بالانقضاض المسلح ، لاتجدى الا انبعاث قوة متماسكة شديدة الباس والخطر ، خليقه أن تسترد شبابها ، مهما كان فى كيانها من العيوب . فكان من الحكمة أن يتجنب العالم الأوربى المسيحى مواجهة العالم الاسلامى ، وكان من حسن التدبير واتقاء العواقب ، أن تدور هذه القوة الأوربية المسيحية الجديدة ، من حول العالم الاسلامى ، تتنقصه من أطرافه البعيدة بمهارة وحذر ، فدبت أوربا دبيبا حول هذا العالم ، وجعلت تطوق شواطئ الاسلام فى افريقية وفى آسيا بطوق من الثغور تحتلها ، ثم تنفذ من كل ثغر الى بدن العالم الاسلامى شيئا فشيئا ، بحذر ، وبلا ضجيج يزعج . وانتهيت فى كلمتى الى أن أقل هذا الغزو نكاية بالعالم الاسلامى هو الجيوش ، وأبلغه افتراسا هو التجارة، وأفتكه بالانسان الذى يسكن العالم الاسلامى ، هو « التبشير » . وذهبت الى أن « التبشير » ليس معناه اقتصار فئة من الرهبان والقسوس على الدعوة الى دينهم ، من حيث هو عقيدة يسمعها المرء فيرضاها أو ينكرها ، فهذا باطل ، بل معناه أنه أفتك أسلحة الغزو الأوربى المسيحى ، ويراد به اخضاع العالم الاسلامى لسيطرة العالم الاوربى المسيحى ، بوسائل خبيثة من التدسس والتدمير والهدم ، فى كل ناحية من حياتنا الاجتماعية والسياسية والادبية .. واخضاع عقل المسلم للعقل الاوربى وطرائق تفكيره ، لينشأ فى هذا العالم من أبنائه ضرب من المسوخ .. يكون عبيدا تذلل الطريق لأقدام السادة الطغاة ، من حيث لايدرى أحدهم انه عبد مسخر ، يعمل فى سيادة هذه الحضارة الجديدة على حضارته ، بل يعمل على هدمها واستئصالها من نفسه ومن نفوس أمته .

فكان من الاتفاق أن وقع فى يدى منذ أيام قلائل كتاب مترجم بعنوان « **العالم والغرب** » ، لكبير المؤرخين الانجليز فى العصر الحاضر ، وهو « أرنولد توينبى » ، نظر الى هذه المسألة نظرة مجردة ، وان كان لا يخلو ، بلا تثريب عليه ، من أثر الفكر الذى يعد نفسه سيدا فى هذه الأرض ، لا ينازعه فيها منازع ، وهو الفكر الأوربى المسيحى المتغطرس . وسأنقل كلامه ، لا لأنى ممن يشغل نفسه بالتماس تأييد لما يقول من أوربى ، فان هذا لا يكاد يخطر لى ببال ، لأنى منذ رفضت أن أكون عبدا لهذه الحضارة الأوربية ، كما اراد نظام تعليم دنلوب فى مدارسنا وجامعاتنا أن يجعلنى ، رفضت أيضا أن أجعل لعقول هؤلاء الناس سيادة على عقلى . بل أنقله ليعلم كثير من المفتونين من الشباب البرئ الظامئ الى المعرفة ، الطالب للحق ، المضلل عن الحق ، الساعى الى احياء أمته بعد الذى رأى من آثار العبودية والذل على جباهها وأبدانها ، أنه قادر بالتأمل واليقظة وحسن الادراك ، أن يعرف الحق بجهده واخلاصه ، اذا أدرك حقيقة واحدة : هى أن هذا العالم الأوربى الباغى ، عدو له شديد العداوة ، وأنه ماكر شديد المكر ، وأنه خبير حسن الخبرة بتهديم الأمم وردها القهقرى متردية فى الغموض والحيرة ، وأنه لذلك خليق أن لا يأمن أحدا ، مهما كان شأنه ، على دعوة يدعيها ، أو بدعة يدعو اليها ، وأن عليه أن يحذر الألسنة ، فان اللسان أكذب شئ اذا خان ، وأصدق شئ اذا حمل الأمانة وأداها على وجهها . وسأزيد هذا بيانا فيما أكتب ان شاء الله .

عقد توينبى فصلا فى كتابه سماه « الاسلام والغرب » ، لا أستطيع أن أنقله هنا بحذافيره ، ولكنى سأنقل منه ما يدلك على هذه الصورة التى رسمتها ، وعلى أن اللغة الفصحى التى يراد هدمها وازالتها ، ليست من الهوان بالمنزلة التى تغفل عنها حكومات العرب والمسلمين ، لا من حيث نقول نحن ، بل حيث يقول هذا الانجليزى المؤرخ ، قال :

« بعد فشل الاتراك أمام ابواب فينا عام ١٦٨٣، كان يجب أن يتم الهجوم المعاكس الغربى على العالم الاسلامى ، فى يوم أو آخر ، ولكنه تاخر فى الظهور

بسبب الصورة التي كانت في مخيلة الغربيين عن شجاعة الاتراك والمسلمين وبسالتهم العسكرية ، وقد أجاب العالم الغربي على استيلاء الأتراك على المسيحية والارثوذكسية الشرقية في القرنين الرابع والخامس عشر ، بتأمين سيادته على البحار ، لتطويق البلاد الاسلامية ، عوضا عن مقابلتها وجها لوجه ، كما فعل خلال الحروب الصليبية التي كانت نتائجها وخيمة عليه • وفي طوافهم حول افريقية ، وصل البحارة البرتغاليون الى الشواطىء الغربية للهند ، سابقين ببضع سنوات الى هناك المغول ، آخر موجة من موجات الاسلام التوسعية ، هؤلاء الذين قدموا من آسيا الوسطى بطريق البر ، وعندما حقق الاسبانيون ربط المحيط الاطلسي والهادىء مرورا بمكسيكو ، قامت في الفلبين حواجز جديدة آسيوية هذه المرة ، بين المسيحية الغربية والاسلام ، اللذين لم يتجاوروا ، حتى ذلك التاريخ ، الا في الطرف الثاني من العالم ، في وادي الدانوب ، وغربي المتوسط • وهكذا في نهاية القرن السادس عشر ، بفضل السيطرة على البحار ، استطاع الغرب ان يطوق البلاد الاسلامية ، ولكنه لم يخاطر في شد الحبل الا في القرن التاسع عشر ، فيما بعد ، وحتى ذلك التاريخ ، كانت فكرة بسالة المسلمين العسكرية تفرض الحذر على الغربيين ، وتشدد عزائم المسلمين أنفسهم لتجعلهم واثقين من انفسهم • وهذه الثقة المتينة ، قضى عليها شيئا فشيئا على أثر الفشل المتتالي الذي منيت به الامبراطورية العثمانية ، وباقي الدول الاسلامية ، وقد كبدهم اياه خصم مجهز بأسلحة غربية ، يملك التكنيك والعلم اللذين تقوم عليهما الحرب الحديثة » •

ويؤسفني أن الاصل الانجليزي لم يقع في يدي حتى أترجمه ، ولكن هذه الترجمة على مافيها ، مفهومة المعنى ، وهي نص ماقلت في كلمتي الثامنة • ومن البين ان مؤرخا مثل توينبي ، لا يلقي القول جزافا في أمر هو من صلب مادته ، وفي جزء لايتجزأ من تاريخ حضارته • ولكنه في هذا الفصل ، حين حلل ماجرى في تركيا الى أن جاءت نكبة مصطفى كمال ، كان ينظر كعادته من خلال عقيدته في الحضارة الغربية المسيحية ، كما يفعل معذورا أو غير معذور ، كل مفكر أوربي ، وهي أن السيادة التي بلغتها الحضارة الاوربية في كل شيء خاضعة « لطريقة العيش الغربية » وأن النهضة والاحياء لاتتم ، الا باعتناق مبادىء الحضارة الغربية •

ومهما بلغ عقل توينبي وذكاؤه ، فان هذا لايمنع من ان يكون رأيه فاسدا في مثل هذه الامور ، لان العقل الذي لايتصور أن الحياة البشرية قادرة على صنع الحضارات ، بلا استناد الى « طريقة العيش الغربية » و « اعتناق مبادىء الحضارة الغربية » ، عقل قد اسقط من حسابه أن الحضارات قامت وبادت ، من قبل ان تكون الحضارة الغربية واصولها جميعا على ظهر الارض ، وأن هذه الحضارة اذا بادت واستؤصلت ، فالانسان أيا كان بعد ذلك ، قادر على ان يبنى حضارة جديدة تناقض هذه الحضارة الغربية في «طريقة العيش» ، وفي «المبادىء» التي يدعيها • ولكن آفة العقل الاوربي ، أنه لايرى في الدنيا الا نفسه ، ولا ينظر الى الحضارات الا من خلال ماضيه وحاضره ، وصدق الله : « أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون • فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون » • وهذا العقل الاوربي فرح بما عنده من العلم ، مستهزىء بكل ما لايطابق مايراه من حضارات الماضين ، وحضارات الآتين ، بعد ان تكف الحضارة الاوربية المسيحية عن أن تكون حضارة لها شأن يذكر ، وان ذلك لكائن ان شاء الله •

وليس من همي هنا أن أنقض على توينبي فكره ونظره وتحكمه ، بل من همي أن اكشف عن اشياء تنبه لها ، لها صلة وثيقة بما نحن فيه ، وهي محمدة له نعترف بها ، وينبغي أن يكون واضحا اننا لانسلب الناس فضائلهم من أى أهل لسان كانوا ، ومن أى أهل ملة نعرفها • فهو بعد ان حلل موقف تركيا من الحضارة الغربية قال :

« وهناك بدون شك أفكار ومؤسسات غربيةأخرى هي ابعد بكثير من ان تكون حسنات ، سنكتفي بذكر واحدة منها فقط ، هي الفكرة القومية ، والاتراك كسائر الشعوب الاسلامية ، انتقلت اليهم عدوى القومية مع غيرها من المفاهيم الغربية الصالحة منها والطالحة • ونستطيع أن نتساءل عن نتيجة تسرب هذا المبدأ الى العالم الاسلامي ، حيث تعلم التقاليد

الموروثة أبا عن جد (انه ليس تقليدا ، بل هو دين نحن مسئولون عنه يوم القيامة بين يدى رب العالمين) ان المسلمين كلهم اخوة بفضل دينهم المشترك ، على الرغم من الاختلاف فى العنصر ، واللغة ، والوطن • فى هذا الوقت لنا ملء الحق أن نتساءل عما اذا كانت الاخوة الاسلامية التقليدية ، ستحمل حلا للمشكلة الاجتماعية ، أفضل من الحل الذى يقدمه التقليـــد الغربى القائم على الاعتراف باستقلال وسيادة كل أمة • ان المجموعة الغربية بوضعها الحالى ، منذ الحرب العالمية الثانية ، قد قسمت وفككت الى أربعين دولة سيدة مستقلة ، أى ان البيت قد « انقسم على نفسه» ومع ذلك مازال للغرب مقدار كاف من النفــوذ فى العالم ، كى تحتفظ جرثومة القومية بفعاليتهـــا ، وانا لنأمل ألا نرى هذه الجرثومة تنتشر فى العـالم الاســلامى على الاقل ، لان الوحدة السياســية والاجتماعية على مسـتوى ونطاق عالميين ، همـا ضرورتان لسلامة الانسانية ، اليوم فى الحقبة الذرية النووية ، أكثر من أى وقت مضى • وقد قدم الشعب التركى بقيادة أتاتورك ،خدمة كبرى للعالم الاسلامى بمحاولته حل مسألة « الاستغراب » (أى الخضـوع لطريقة العيش الغربية ، واعتناق مبادىء الحضارة الغربية) • المعروضة على جميع الشعوب ، بتبنيـه دون تحفظ ، الافكار الغربية الحديثة ، ومن بينهـا القومية وغيرها ، غير ان باقى البلدان الاسلامية ، ليست فى حاجة لان تتبع تماما الطريق الذى خطـه الرواد الاتراك » •ثم يقول فى اثر ذلك :

« ان هناك بلادا اسلامية ، عربية اللغة ، واذا كانت لغة التخاطب تختلف حسب المناطق (ويعنى اللغات العامية) ، فان اللغة الفصـحى واحدة من شواطىء الأطلسى فى المغرب ، الى حـدود فارس الغربية شرقا عند شواطىء الخليج العربى ، ومن حلب والموصل شمالا ، حتى الخرطوم وعدن ومسقط وزنجبار جنوبا • جميع الكتب والصحف الصادرة فى القاهرة ودمشق وبيروت ، تقرأ فى هذه المنطقة الشاسعة كلها ، وحتى خارجها ، لأن اللغة العربية ، هى اللغة الدينية لجميع البلدان الاسلامية ، حتى تلك التى لا تستخدمها فى التخاطب • فهـل من الضرورى أن يجزأ هذا العالم العربى الى عشرين دولة مستقلة ، تعيش بعزلة تامة عن بعضها البعض ؟ وهل من الضرورى حقيقة أن نرى العالم العـربى يتفكك ويتجزأ ، كما حصل مع الأسف للامبراطورية الاسبانية الامريكية ؟ ان هذه التجزئة ، تعتبر من أخطر نقائص حضارتنا الغربية ، وسيكون مؤسـفا حقا أن نرى الشعوب العربية تنسج على منوالنا فى هذه الناحية » •

وتوينبى أحد أذكياء المؤرخين ، وعلم من أعلامهم، وبذكائه وعلمه،انتبه الى مايغفل عنه من يعدون أنفسهم أو كان الناس يعدونهم ولا يزالون ، أهل حكمة ورأى من أهل جلدتنا • ولكنه حين درس المسألة التركية وحللها ، كان خاضعا خضوعا تاما لوراثة قومه عداوة الترك ، لأنهم كانوا آخر كتيبة من كتائب الاسلام فى مد ثلاثة عشر قرنا ، صدمت جدار الحصن المنيع الذى اعتصـمت به أوربا المسـيحية ، منذ عادت أدراجها هزيمة عن آخر معركة صليبية ، ثم نفذت فيه ، وتركت كلمة الله تعلو فوق شواهق جباله ، ومع كل ذلك ، فقد كان الرجل صادقا فى نظـره ، وان أساء تصوير المسألة التركية ، ولذلك لم تحجبه هذه العلة القادحة فى بعض نظ ه ، من أن يفضى الى نتيجة صحيحة ، حين نظر الى العالم العربى ، وأنكر سعى قومه ، منذ كان لهم علينا سلطان ، الى تفتيت وحدتنا الى دويلات لا تقوم واحدة منهن فى هـذا العالم بنفسها ، مهما بلغت من القوة ، ولا سيما فى هذا العصر الذى تتنازع السيادة فيه القوى العلمية، فى الكتل البشرية الوفيرة العدد • فاذا قل العدد ، فالقوى العلمية لا تجدى نفعا يذكر فى هذا الصراع الضـخم • ولم ينج توينبى فى نظـره الى المسألة الاسلامية ، من داء الحضارة الغربية المتوارث ، وهو التفرقة بين الأجناس ، وان اتحدت العقائد • فلذلك عد الترك ، لأنهم ترك ، جزءا منفصلا عن « القومية العربية » ، كما فعل ذلك بفارس ، وباكستان ، والهند ، وسائر بلاد افريقية وغيرها ، لأنهـم جنس غير عربى الأصل ، هذا مع تمام تنبهه الى أن الاسلام يوجب على المسلمين أن يكونوا أخوة ، لا يفرق بينهم اختلاف فى جنس ، أو لغة ، أو وطن •

ولكن لو كان توينبى أعاد النظر وهو برىء من داء قومه فى التفرقة العنصرية ، لعلم أن الأمر كان على غير ما يتصور ، وعلى غير ما يراه اليوم فى ظاهر أمر هذا العالم الاسلامى ، بعد البلاء الذى نزل به من مكايدأهل جلدته وملته • فكل أمة دانت بالاسلام من غير أهل جزيرة العرب الذين خرجوا على عهـد

أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ، وسائر خلفاء الاسلام من بعدهم ، كانت بين أحد أمرين : اما أن تدين بالاسلام ، ثم لا تلبث أن تطرح ماضيها كله من لغة ودين ، ثم تتخذ العـــربية لغتها والاسلام دينها ، وتخالط العرب مخالطة تامة ، حتى يذهب الجنس كله أو أكثره الا بقايا قليـــلة ويدخــل في العروبة ، كما حدث ذلك في العراق والشام ومصر، وبلاد المغرب كلها الى أرض الأندلس واما أن تدين بالاسلام ، وتعد العربية لغتها الأولى ، وتحتفظ بشيء من لغتها ، كما كان الأمر في فارس والسند ، وبعض قبائل الترك والأكراد وغيرهم ، في كل مكان تعالى فيه الأذان ، وتلى فيه القرآن . ولكن هذه اللغات المتنعة ، لم يعصمها امتناعها من أن تفقد شخصيتها التي كانت لها في جاهليتها قبل اسلامها ، فانقلبت اللغة الفارسية القديمة ، الى الفارسية الحديثة ، وتصف معجمها وأساليبها وأوزانها آت من العربية، حتى صارت لسانا آخر غير اللسان الجاهلي . وكذلك الأمر في لغة الترك والأكراد ، وسائر اللغـــات في آسيا وفي افريقية . وتستطيع أن تســـمي هذا « تعربا » ، لأن هذه اللغات قد صارت ذات نسب قريب بالعربية ، من حيث فقدت كل لغة من هـــذه اللغات أكثر خصائصها الجاهلية ، والزمت نفسها الدخول في عربية « القرآن » .

ولم يكن الذي منع هذه اللغات أن تزول وتحل محلها العربية ، كما تم ذلك في بلاد العرب التي نعرفها اليوم ، كالعراق ومصر ، وشمال افريقية ، أي المغرب كله ، والسودان ، أن اهل هذه اللغات حين أسلموا استمسكوا بجنسياتهم ولم يريدوا عنها حولا . كلا ، ولكنهم فقدوا الأسباب التي اتيحت للبلاد التي صارت عربية خالصة . فمن هذه الأسباب قلة هجرة القبائل العربية الى هذه الديار ، ونزولها في قراها المنتشرة ومدنها وعواصمها ، كما نزلت في مصر والعراق والشـــام وسائر بلاد افريقية ، ولا سيما في أول الفتوح ، وتتابع نزولها بها جيلا بعد جيل . ومن الأسباب أيضا ان شبابها لم يكد يفارق لغة قومه الى عربية القرآن ، حتى جذبتـــه الحواضر الاسلامية الكبرى ، كبغداد ، ودمشق ، والفسطاط ، وبلاد المغرب الى الأندلس ، ففارق أرض قومه في طلب العلم ، وفي طلب الجاه ، وفي طلب الثروة والسلطان ، فلم تتأصل هناك طائفـة تكون لها الغلبة في تحويل اللسان من فارسي مثلا ، الى عربي محض . ومع ذلك ، فان يكن آلاف من ابناء الفرس قد هاجروا ، واندمجوا في العرب حين هاجروا فان سيادة العربية ،عربية القرآن،قدهاجرت بآلاف من الالفاظ ،فعربت اللغة الفارسية القديمةحتى أحالتها عن الوجه الذي كانت عليه في جاهليتها .

ومع ذلك ، فهذه البلاد جميعها ، من حدود الصين الى آخر المغـرب ، ومن أقصى الشـــمال الى أقصى الجنوب ، قد أخرجت آلافا مؤلفة ، في فترة قصيرة جدا ، من أفذاذ علماء العربية ، وفقهاء الديانة ، وبلغاء الكتاب ، ونوابغ الشعر ، وأعلام الفاتحين ، وأخــرجت كل متفــرد في باب من أبواب المعـرفة الانسانية ، وكل مذكور مشهور في ناحية من نواحي الحضارة ، بلا تمييز مبني على الجنس في شيء من ذلك كله ، بل جميعهم ينتمي الى عقيدة واحدة هي الاسلام ، والى لغة واحدة ، هي لغة الاسلام ، وهي العربية . والجنس العربي نفسه ، لا يجد ما ينتمي اليه غير هذين : هذه العقيدة الواحدة ، وهي الاسلام وهذه اللغة الواحدة ، وهي لغة الاسلام ، بلا فرق في ذلك .

ومصطفى كمال اتاتورك،الذي زعم توينبي أنه قدم بالشــعب التركي خـدمة كبرى للعالم الاسلامي ، بمحاولته حل مسألة « الاســتغراب » ، باتخـاذه الأفكار الغربية دون تحفظ ، ومن بينها « القومية »، قد أساء الى الشعب التركي غاية الاساءة ، لأنه عاق سير التاريخ ودمر بنيان الماضي ، وجعله ركاما على الطريق يسده ، وأنزل بالعالم الاسلامي نكبة كبرى، بفقدانه عضوا من أعضائه الذين حملو العبء قرونا متطاولة ، بلا تململ ، بل بصبر وقوة ودماء تسيل . ولو كان مصطفى كمال عاقلا مدركا لما ينبغي أن يفعل ، لما حاول ما حاول من تدمير اللغة التركية ، وتدمير العقيدة التي ينتمي اليها الترك وانشاء شيء

يقال له «القومية التركية» كان سير التاريخ يقتضيه أن يحول الشعب التركى مرة واحدة الى اتمام العمل الذى تم نصفه ، وهو جعل اللغة التركية « المتعربة » لغة عربية خالصة ، وجزءا لا يتجزأ من « القومية العربية» التى لا قوام لها الا بالاسلام ، والذى ينتمى اليه التركى بنفس القدر الذى به ينتمى اليه العربى، وأيضا ، فالذى فعله مصطفى كمال ، لم تكسب به تركيا شيئا ، بل فقدت ماضيها، وشلت حاضرها ، وهددت مستقبلها ، وصارت كأنها تائه متحير فى بادية يطوقها سراب من آمال لا يمكن أن تتحقق ، وتوينبى نفسه يعرف هذا ، وكلامه دال عليه ، وان كان مما يكبر عليه أن يقوله صراحة . وكل بلد اسلامى ، انحلت عراه التى تربطه بالعرب مهدد أن يصير الى نفس التيه الذى وقعت فيه تركيا، اذا ابتلى بمن يقوده الى هذه المتاهة ، كما ابتليت تركيا ، والخطر اشد استحكاما وتهديدا لبعض الأجناس التى كانت مندمجة فى بلاد عربية ، اذا هى حاولت ان تقتدى بتركيا، فتنتزع نفسها من تاريخها العريق فى الاسلام والعربية . ونحن ، أهل القومية العربية ، ملزمون بأن لا ندع شيئا يغرى بعد اليوم احدا على أن يهلك نفسه فى هذا التيه ، لأن هلاكه أيضا هلاك لنا غدا ، عرفنا ذلك اليوم أم لم نعرفه. ولا سبيل الى نجاتنا ونجاتهم الا بأوبتنا جميعا الى « القومية العربية » ، اى الى الاسلام الجامع لكل جنس منا فى أخوة واحدة ، وعقيدة واحدة ، والى اللغة العربية ، لغة الاسلام ، باصرار كامل على تحطيم جميع العوائق التى تحول بيننا وبين هذه الغاية . وسابين هذا بعد قليل .

واذا كان توينبى قد فزع ، بعد حديثه عن المسألة التركية ، من أن يرى العالم العربى مفككا مقسما الى عشرين دولة مستقلة ، ويرى هذه التجزئة أمرا يدعوه الى الاسف ، كما يأسف على تفرق ما سماه الامبراطورية الاسبانية الامريكية!! - اذا كان توينبى قد فزع ، فينبغى أن نكون نحن أشد فزعا ، لا من تجزئة العالم العربى وحده ، بل من تجزئة العالم الاسلامى ، الذى هو الصديق الحاضر العتيد بتراث ثلاثة عشر قرنا من الأخوة ، ولم تكد تؤثر فى شعوبه وجماهيره كل المكايد التى دبرت ، ولا النكبات التى نزلت ، وعلى رأسها نكبة انفصال الدولة التركية عن الشعوب العربية ، أو على الأصح ، محاولة الدولة التركية ان تفصل الشعب التركى عن اخوته من الشعوب العربية .

وقد تنبه توينبى الى اللغة الفصحى ، وأنها هى الرباط الوثيق الذى يمنع البلاد العربية من التفكك، من شواطىء الأطلسى فى المغرب الى حدود فارس الغربية شرقا عند شواطىء الخليج العربى ، ومن حلب والموصل شمالا ، حتى الخرطوم وعدن ومسقط وزنجبار جنوبا ، ولم يلق بالا الى الذى سماه « لغة التخاطب » ، وهى اللغة العامية، لأنه يعرف أن أيسر الجهد والصدق والفهم ، قادر على أن يجعل الفصحى هى « لغة التخاطب » العامة أيضا ، وان بقى للعامية آثار قليلة متفرقة فى طبقات الناس بعد ذلك . وكلامه دال أيضا على معرفته تمام المعرفة ان اى محاولة لاتخاذ « لغة التخاطب » فى كل منطقة من هذه المناطق واستبدالها بالفصحى ، مؤد بلا ريب الى أن يتفكك العالم العربى ويتجزأ الى عشرين دولة مستقلة ، يعيش بعضها فى عزلة تامة عن بعض . وتوينبى معذور ، حين يعد اللغة الفصحى ، هى « اللغة الدينية » لجميع البلدان الاسلامية ، حتى تلك التى لا تستخدمها فى التخاطب . ومن العبث أحيانا افهام العقل الأوربى بعض الحقائق التى لا تطابق ما يتصور ، كما أسلفت . فاللغة العربية ، أو اللغة الفصحى ، ليست « لغة دينية لجميع البلدان الاسلامية » ، حتى تلك التى لا تستخدمها فى التخاطب ، كما يقول ، بل هى لغة القرآن ، ولغة الحديث ، اى لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث هو مبلغ للقرآن ، ومبين عنه . والفرق بين الكلامين شديد الخطر .

وذلك أن لفظ القرآن وهو « كلام الله » ، المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما هو ، وكما انحدر الينا بالتواتر والتوارث الذى منع عن اى لفظ فيه أن يدخله تغيير أو تبديل ، مرتبط أشد ارتباط لا بعقائد المسلم وعباداته فحسب ، بل بتشريعه واقتصاده ، وعلمه ، وفلسفته ، وحروبه ، وجهاده، بل بتفاصيل حياته اليومية ، وخطرات نفسه ، ولمحات تفكيره، وآداب معاشرته ، لصديقه، وزوجه، وولده ، وأهله ، وعشيرته ، فلا يكاد يوجد شىء فى

حياة الانسان المسلم الا وله فى القرآن هدى هو نص أو هدى هو استنباط . لا فى خاص أمره ، ولا فى عام أمر المسلمين ، ولا فى علاقة المسلمين بالأفراد من غير أهل ملتهم ، أو الأمم التى لا تدين بدينهم ، بل فيما هو أقل من ذلك شأنا ، وما هو أعلى وأشرف. وفى كل ذلك يلتمس النص ، وتستنبط من النص أحكام للوقائع الحادثة التى تجد فى حياة الناس ، وللاستنباط أصول ضابطة ، بها يتبين الناس حين يختلفون ، أى شيء من أحكامهم المستنبطة هو الذى يقبل فيه الاختلاف ، وأيها الذى لا يقبل فيه الاختلاف ، لأن لفظ القرآن العربى يأباه . وكذلك الشأن فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا صح عندنا من الوجوه التى يصح بها الحديث،وعلم تصحيح الحديث ومعرفته ، من العلوم التى انفرد بها المسلمون ، وجاءوا فيها بما لم تأت بمثله امة من الأمم الى يوم الناس هذا . والذى صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بمنزلة القرآن ، فى الهدى ، بل هو أوسع ، لأن حديثه صلى الله عليه وسلم هو البيان عن القرآن ، فيه تفصيل ما أجمل القرآن ، وايضاح ما أبهم ، واستثناء ما استثناه الله، وزيادة مازاده الله بالوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم . وهو فى كل ذلك يتعلق بكل صغيرة وكبيرة فى حياة الفرد المسلم ، وفى حياة الجماعة ، وفى روابط هذه الجماعة ، وروابطها بغيرها من الجماعات.

وقد أحببت أن أختصر هذه الصفة ، لأعطى القارىء طرفا من المعرفة ، بصفة ما تفرق فى كتب الفقه ، وعلم الكلام ، وكتب الآداب ، وكتب الأحكام، وكتب الفلاسفة المسلمين ، وسائر ما كتب المسلمون فيه من فن وعلم ، كل ما فيها منتزع من لفظ القرآن ولفظ الحديث باستنباط قائم على أصول ضابطة لا مثل لها فى منطق أو غيره . ومثل هذه الصورة فى لغة القرآن والحديث ، لا تكاد تتضح لرجل مثل توينبى ، لأن عهده بالتوراة والانجيل ، أنهما كتابان معزولان عن هذه الحياة ، من حيث هما نص شامل لتفاصيل المعانى التى يحتاج اليها البشر فى جميع معاملاتهم اليومية ، وفى خاص شؤونهم البادية والمستورة ، الى آخر ما ذكرنا قبل ، فهو لا يرى « القرآن والحديث » ، الا من خلال معرفته بكتابى الدين المسيحى ، فيرى القرآن كالاناجيل مثلا ، اخبارا وعظات ، وشيئا يتلى فى بعض الصلوات ، والتقيد بلفظه غير مفهوم عنده على الوجه الذى نعرفه نحن من التقيد بلفظ القرآن ولفظ الحديث ، فى استنباط الاحكام .

فالأمم المسلمة ، سواء أكانت عربية اللسان والأصل ، أم كانت غير عربية اللسان والأصل ، لا ترى القرآن الا على الوجه الذى حاولت بيانه فيما سلف ، وأستغفر الله من التقصير ، وهى لا تعد اللغة الفصحى ، أو اللغة العربية ، «لغة دينية» اى لغة للعبادات والرسوم، كالذى عند طوائف أهل الكتاب، بل هى عند جميعهم لغة المسلمين التى لا يستغنى أحد من الناس كائنا ما كان عن اتقانها ، والتوسع فى معرفتها ، والضبط لعلمها ومادتها وفقهها ، مادام منتسبا الى شأن من شؤون الحضارة التى يعيشها ، فهو محتاج اليها اذا كان فيلسوفا منطقيا ، من الوجه الذى كان الفقيه والأصولى محتاجا اليها ، وسواء بعد ذلك أكتب فى الفقه او الفلسفة باللسان العربى ، أم بلسانه هو غير العربى . وهذه هى السيرة التى كان عليها علماء الترك والفرس والهند وسائر الأمم الاسلامية التى لم تتخذ العربية لسانها الذى لم يبق لها لسان غيره ، واما شبهة « **اللغة الدينية** » ، فان الداعى اليها ، ان صح ما اقول ، هو أن الدعاة والمبشرين والمستعمرين لما دخلوا بلاد الاسلام فى افريقية والهند وغيرهما ، ورأوا الطفل الصغير ، والجارية ، والغلام ، والرجل ، كلهم يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، ويتلوه فى صلاته خاشعا باكيا ، ورأوا أن بعضهم لا يعرف من العربية الا ما يحفظ من القرآن ، ولا يحسن يقرأ شيئا بالعربية الا القرآن ، ظنوا أن ذلك كذلك لأن اللغة العربية « لغة دينية » ، وهذا سخيف جدا عندنا بالطبع ، وذلك لأن كل مسلم ، عربيا كان أو غير عربى ، يعلم

علما يقينا أن القرآن كلام الله ، وأن مجرد تلاوته عبادة يثاب المرء عليها ، وحفظه عبادة أخرى ، وفهمه عبادة ثالثة ، والتفقه فى معانيه عبادة رابعة، والنظر فى كتابته عبادة خامسة، ولكل شيء من هذه العبادات ثواب ، فضلا عن أنه كلام الله الذى يفارق كلام البشر من كل وجه ، وهو من الله واليه، يتعبد المسلم بان يستودعه صدره ، لأنه كلام ربه . وعلى هذا المسلم بعد ذلك أن يتعلم ان استطاع لغة القرآن ، ليفهمه ويتفقه فيه ، وذلك خير ما يفعل ، والا اقتصر اذا لم يستطع ، على معرفة دينه بلسانه هو ، ودينه هو ما يتضمنه القرآن والحديث ،مما يشمل كل صغيرة وكبيرة فى حياته الخاصة أحيانا ، وفى حياته العامة أحيانا أخرى ، على الوجه الذى أسلفنا بيانه ، وهذا كاف فى الدلالة على أن اللغة الفصحى ، أو اللغة العربية ، ليست « لغة دينية » ، بالمعنى الذى تعد به « اللاتينية » مثلا « لغة دينية » .

وينبغى لنا أن ننعم النظر فى شان القرآن ثم فى شان الحديث ، لأنهما كانا أول فاتحين فتحا كل أرض من بلاد العالم الاسلامى كله ، ما بين أقاصى الصين الى أقاصى المغرب ، وما بين قلب أوربا الى أواسط افريقيا وجزائر الهند ، فى قارة آسية ، فصار للقرآن دوى بين أرجاء هذا العالم قرونا متطاولة ، يعرفه من شهد بقاياه فى مساجد مصر نفسها منذ ثلاثين أو أربعين سنة ، والذى لم يخطئه رحالة أوربى كتب رحلته فى أرجاء العالم الاسلامى منذ مئة سنةأو ما قبلها ، فهذا الركاز الباقى بعضه قائما فى العالم الاسلامى ، خليق أن يدفع العرب الى حمل أمانة القرآن بحقها مرة أخرى ، وحمل أمانة لغة القرآن بحقها مرة أخرى ، والاقدام بلا تردد على انجاز أكبر فتح ، برد جميع البلاد الاسلامية غير العربية الى القرآن كلام الله ، واتمام ما بداه الآباء من تعريب نصف اللغة ، كما فى التركية والفارسية والأوردية وغيرها، برد هذه الألسنة الى لسان واحد هو اللسان العربى ، بعد أن أزاله عن مكانه مكر العدو وطغيان الغازى .

وكأنك ترى هذا توسعا فى الأمل الممدود مع الخيال، وأقول لا ، بل هو حقيقة كادت تكون واقعة، ثم حالت بينها الحوائل ، ولماذا ينكرها المرء الا من حب العجز واطراح الهمة ؟ وأسالك هل كان انجليزى واحد فى القرن السابع عشر أو الثامن عشر ، يخطر بباله ان لغته سوف تكون لغة عالمية تطبق ما بين مشارق الأرض ومغاربها ؟ ، كلا بلا ريب ، فما الذى جعل هذا ممكنا للانجليزى بلا تراث الا طغيان الغلبة والسيطرة ، وجعله غير ممكن لى ، وأنا أملك ما هو افعل من الغلبة والسيطرة ، وهو دين الله الذى يتساوى فى حمل كتابه والقيام بلغته العربى وغير العربى ؟ وليتامل امرؤ ينكر هذا بعض ما حدث للغته . فان لغة العرب كانت لها السيادة فى افريقية وآسيا ، فزاحمتها لغات الغزاة حتى زحزحتها عن مكانها ، أو أزالتها من الألسنة ، ووضعت فى السنة الافريقيين والآسيويين السنة انجليزية أو فرنسية ، او هولندية ، أو برتغالية ، وقد شهدنا بالأمس القريب اجتماع الافريقيين وغيرهم فى مصر ، فكان خطيب كل أمة يخطب بالانجليزية أو الفرنسية ، وآباؤه الى عهد قريب كانوا يكتبون بالعربية ويؤلفون بها ، ويقولون فيها شعرا ، هذا على قلة التواصل كان بينهم وبين بلاد العرب لبعد المسافات ، وغلبة الاستعمار ، والذى حدث هو أن الاستعمار قد جعل حرب اللغة العربية أحد أسلحته ، كما جعل التبشير سلاحا لمحو الاسلام من افريقية ، وهو يصرح بهذا اليوم غير موارب فيما يكتب عن افريقية .

فاذا صح ذلك ، وهو صحيح . فاللغة الفصحى التى ذكرها توينبى ، وبين أنها هى الرباط الوثيق الذى يمنع العالم العربى من التفكك ، اذا أراد مريد أن يدخلها فى معركة مع اللغة العامية التى تؤدى الى التفكك ، كما تنبه اليه توينبى أيضا ، فان هذه المعركة لا يمكن أن تعد معركة أدبية مجردة من العوامل السياسية والدينية ، الخفية والظاهرة . وكل من يريد أن يدس هذه الحقيقة فى ضباب من الغموض ، والألفاظ المبهمة ، والمغالطات ، فانه امرؤ مريب يكتم أمرا يرمى اليه ، لآفة ينطوى عليها. أما الدعاة الى ذلك كصبيان المبشرين أمثال سلامة موسى، ولويس عوض ، ومن ساذكرهم فيما بعد ، فهؤلاء قد تجردوا لهذه الحرب السياسية التى اتخذت الدعوة الى العامية سلاحا يراد به تفتيت قوة متجمعة كانت، أو قوة هى فى طريقها الى التجمع ، وكل الذين يغفلون عن هذه المعارك ، ويعدونها معارك أدبية (!!) اى معارك الفاظ ! انما يخاطرون بمستقبل أمم قد ائتمنوا عليها . والى اللقاء فى الأسبوع القادم .

محمود محمد شاكر

الشكل هو الموضوع

للدكتور : رشاد رشدى

مشكلة الشكل والموضوع لها ارتباط وثيق بمعنى العمل الفنى - وبرسالته - وبصلة الفن بالحياة وبما يسمونه الفن للفن وبغير ذلك من المسائل التى تثار كثيرا هذه الأيام ٠٠ ولقد قضيت بعض الوقت هذا الصيف أقرأ أعمال الكاتب والناقد الفنى **(والتر باتر)** - وهو من أكثر من أثروا فى الاتجاهات الفنية فى القرن العشرين بكتاباته التى كتبها فى أواخر القرن الماضى ٠ حتى أن بعض النقاد ومنهم (هربرت ريد) يعتقدون أن (باتر) مسئول عن الحركات الفنية التى ظهرت فى القرن العشرين أمثال التأثرية والتعبيرية والتجريدية وأن بروست وكافكا وبارتوك وسترافنسكى وبيكاسو وهنرى مور قد تأثروا جميعا بباتر ٠

و (والتر باتر) وهو أستاذ الكاتب المعروف (أوسكار وايلد) ويعتبره البعض مسئولا عما أصاب أوسكار وايلد من ضياع فى أواخر حياته ، ولكن باتر لم يكن فى تهور وايلد ٠ وكانت أيضا تنقصه الشجاعة التى كان وايلد يتمتع بها أحيانا الى حد الجنون ٠

ولكن المسألة ليست مسألة شجاعة وتهور - أوجبن وتردد - فالمبادىء الفنية التى نادى بها وايلد ، هى نفس المبادىء التى نادى باتر ٠ ولكن وايلد فى تحمسه لها حاول أحيانا أن يبسطها وأحيانا أخرى يصوغها صياغات متطرفة ٠٠ ومن هنا كان الخطأ - وسوء الفهم الذى أوقعه فى مشاكل اجتماعية أدت به الى الهلاك ٠

فمما لا شك فيه أن مسائل النقد وعلم الجمال مسائل دقيقة للغاية لا ينبغى أن تعرض على الناس فى بساطة أو تبسيط ، لأنه من السهل اساءة فهمها ٠٠ ولا ينبغى أيضا أن يتعرض لمثل هذه المسائل الدقيقة المتصل بعضها بالبعض الآخر اتصالا عضويا وثيقا الا من كان على المام دقيق شامل بالفن والأسس والأعمال الفنية ، وكل ما يمت الى هذه الأمور من قيم حضارية سواء فى الماضى أو فى الحاضر ٠

ومع ذلك كله فلا يسلم من كان على علم بالفن وأصوله من أن يسىء الناس فهمه، فبرغم ماكان عليه (باتر) من حيطة وحذر فى معالجته للنقد الفنى، ورغم تحفظاته الأكاديمية العديدة فى أحكامه،ورغم شروحه العلمية المستفيضة لنظريته ، أو بالأحرى - نظرته النقدية ، تجده يشتهر بأنه ناقد جمالى لا يعنى الا بالجمال المطلق - ولا يهمه الا الفن للفن ٠٠ وكل ذلك لأن (باتر) كان يهتم بشكل العمل الفنى ٠

ولكن من يدرس كتابات (باتر) عن الشكل والموضوع ، يدرك أنه لم يكن ناقدا جماليا على الاطلاق - بل ربما كان أقرب الى الناقد الأخلاقى - كما يقول اليوت - منه الى أى مذهب آخر من مذاهب النقد ، ويدرك أيضا أن مسألة الفن للفن خرافة لم يقل بها (باتر) ٠٠ ويدرك فوق هذا وذاك أن علاقة الشكل بالموضوع ، هى أدق وأعمق وأهم مما يتصور الكثيرون من الناس ، ومن النقاد الذين يأخذون الامور بظاهرها دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتمحيص ٠

كتب باتر يقول :

ان الميزة الأولى فى أرفع درجات الأدب وفى أحطها هى الصدق ٠٠ ففى الادب العادى - غير المتميز يكون الكاتب عادة مخلصا للواقع كما هو - أما فى الأدب الرفيع فيكون الكاتب مخلصا لرؤياه

للواقع ـ وبذلك يكون الصدق فى الأدب العادى هو الصدق فى نقل الواقع ـ أما فى الأدب الرفيع ، فالصدق هو الصدق فى التعبير عن رؤيا الكاتب للواقع ٠

ولقد كان البحث عن التعبير الصادق بهذا المعنى يشغل باتر دائما وكان يحاول أن يجد التعبير المناسب للرؤيا ٠٠ أو الشكل المعادل للموضوع ٠٠ وكان يتابع هذا البحث فى كل ما يكتب ٠٠ فى دراساته عن النهضة ، فى كتبه عن أفلاطون والأفلاطونية ـ فى دراساته الاغريقية ٠ فى كتابه ماريوس الابيقورى ٠ وفى كتابه المسمى «تقديرات»

ولقد سأل فرانك هاريس باتر مرة عن أجمل ما فى الحياة فأجابه :

« اشياء كثيرة ـ ولكن اهمها فرحة الخلق الفنى ٠٠ أن أكتب جملة واحدة كاملة ـ يكسو فيها اللفظ الفكرة كساء كاملا ، فلا يكون ضيقا بحيث تبدو الفكرة عارية بعض الشيء ، او متسعا أكثر من اللازم ، او منمقا أكثر مما يجب ٠٠ فيجذب الانتباه للفظ دون الفكرة ـ بل يجب أن يكون اللفظ مساويا للفكرة » ٠

ولم يكن باتر يبحث عن اللفظ الرقيق أو السهل أو الواضح ٠٠ أو القوى بل عن اللفظ الذى يتفق مع المعنى ٠٠ ولذلك لم تكن هناك بالنسبة له لغة صالحة ، ولغة غير صالحة ـ فأية لغة صالحة ما دامت تؤدى الغرض المطلوب منها ـ اى التعبير عن رؤيا الكاتب ٠٠ ولذلك فهو يعرف الأسلوب ، على أنه ايجاد الشكل المناسب للموضوع ـ أو بمعنى آخر ـ التعبير المناسب عن احساس الكاتب بالواقع ٠

التعبير ـ اذن ـ لا بد أن يكون نسبيا فى جميع الأحوال٠ بمعنى ان التعبير اللائق فى بعض الأحيان، قد لا يكون لائقا فى أحوال أخرى ، وهكذا ٠٠

ويذهب (باتر) الى درجة أخرى فى الوضوح فى تعريفه للتعبير ، فيصفه بأنه التوفيق بين محدد ما فى عالم الفكر وبين معادلة فى عالم اللغة ٠٠ ولكى يتم هـــذا التوفيق لا بد للمحدد ـ اى الفكرة أن يتحول الى شيء موضوعى يدركه الحس ٠٠

ومن ثم كانت عظمة الفن عند اليونان ـ اذ كانت أفكارهم قابلة دائما للتحول الى كائنات موضوعية يدركها الحس ٠

ومطابقة الشكل للموضوع مطابقة كاملة ـ امر ضرورى فى نظر (باتر) وهو يصف الأعمال الفنية التى لا يطابق فيها الشكل الموضوع مطابقة كاملة بانها « رموز حملت اكثر مما تطيق أن تحمل ـ فهى بذلك ليست الا وسيلة من وسائل التلميح بفكرة ما زالت فى عالم الظلال ، لأن العمل الفنى لم يستطع التعبير عنها تعبيرا كاملا ٠

وهذا ما يعيب الكثير من شـــعر (وردزورث) و (فيكتور هوجو) حيث الأفكار لم تتحـول تحولا كاملا الى صور ـ ولذلك يستطيع الانســـان أن يتبينها كأفكار ٠

والعمل الفنى الكامل ـ فى نظر باتر ـ هو الذى لا يمكن أن تتبين فيه الفكرة منفصـــلة عن العمل نفسه كمحسوس موضوعى ٠ اذ أن الفنان قد أغرق أفكاره الذهنية والروحية فى الشكل الحسى ـ كما فعل (كيتس) أو كما يفعل الاغريق عادة ـ ولذلك فلا أثر للفكرة مهما بحثنا عنها ٠

وهنا فقط عند ما يزول كل أثر للفكرة كفكرة مجردة أو عند ما يتم تحويلها الى شكل حسى ٠٠ يكتسب العمل الفنى شخصيته المميزة له ،ويصبح عالما قائما بذاته ٠٠ والتصارع بين الفكرة والشكل الحسى غالبا ما ينشـــأ عنه ضرر قيم للعمل الفنى نفسه ٠

ونجد هذا التصارع أحيانا فى أعمال (ليوناردو دافنشى) ـ اذ كان يسمح لأفكاره بأن تتصـــارع مع حواسه مما يحدو به الى أن يغوص أكثر مـــا يجب تحت الشكل الخارجى للأشياء ـ وهو الذى يبدأ فيه الفن وينتهى ٠٠ ولكن فى أغلب الأحيان كان ليوناردو يعرف كيف ينتظر اللحظة السعيدة ـ لحظة الخلق الفنى ٠٠ حيث تكتمل الكلية الكيماوية ٠٠ وتنقلب الفكرة الى لون وصورة ٠

وهذا الاتحاد بين الفكرة ومعادلها أو الموضوع والشكل ليس مسألة آلية ٠٠ بمعنى أن الفكرة تخطر أولا فى عقل الفنان ثم يترجمها الى الشكل ٠٠ فالوحدة بين الموضوع والشكل وحدة عضوية ٠٠ لان الشكل والموضوع هما فى الحقيقة شيء واحد يخلقه عقل الفنان فى لحظة واحدة ، هى لحظة الخلق الفنى حيث يعمل الخيال فى عدالة تامة على مزج الفكرة بشكلها المعبر عنها بحيث يصبح الاثنان وحدة لا يمكن أن تتجزأ ٠

ومن ثم كان السر فى التعبير الفنى الكامل ـ فهو يكمن فى الوحدة التامة بين الموضوع وشكله فى العقل الخلاق نفسه ٠٠ ويقول باتر فى مقاله عن الأسلوب ٠٠ « ان الشكل الكامل هو الذى يصبح بطريقة أو بأخرى الموضوع الذى يعبر عنه » ٠

فالمسالة اذن ليست مجرد البحث عن الشكل المناسب للموضوع ـ أو المعادل للفكرة ـ أو التعبير السليم عن الرؤيا الداخلية للكاتب ـ انما أولا وقبل كل شيء ٠٠ خلق الشكل المعبر ٠٠ هذا ما يجب أن يكون هدف الفنان ٠٠ الشكل الذى هو فى الحقيقة الموضوع لأننا لا نستطيع أن نميزه فى الواقع عن الموضوع ٠

ولهذا السبب كان باتر أول من نادى بأن الموسيقى هى أرقى الفنون ، لأننا فى الموسيقى كما يقول ٠٠ لا نستطيع أن نميز الشكل من الموضوع أو الفكرة من التعبير » ٠

وقد كان (باتر) يرى أن كل الفنون تحاول أن تسموا الى مستوى الموسيقى ، لأنها دائما تسعى الى الغاء التمييز بين الموضوع والشكل ٠

الوحدة بين الشكل والموضوع اذن هى مقياس التفوق فى الخلق الفنى ٠٠ فحيث نستطيع أن نميز الموضوع عن الشكل كما فى الفن الدينى فى العصور الوسطى عندئذ ندرك أن العمل الفنى مازال فى حالة كفاح للتعبير عن افكار لا يستطيع التعبير عنها ٠٠ أو أن الشكل لا يتناسب مع الموضوع الذى يعبر عنه ـ أو أن الموضوع لا يمكن صياغته كعمل فنى ٠٠

والنتيجة فى كل هذه الأحوال أن العمل نفسه لم يكتمل بعد كعمل فنى ٠٠ ولكن عندما لا نستطيع أن نميز الشكل من الموضوع كما فى أعمال فلوبير وأكثر أعمال دافنشى حيث الشكل المعبر هدف فى ذاته ٠٠ هنا العمل الفنى الكامل ٠

وهذا ما يفسر ما يقوله باتر فى نهاية مقاله المعروف عن الاثرى الأعافى ونكلمان : ـ

« دعنا نعرف الشعر بأنه كل خلق أدبى يجلب المتعة عن طريق شكله فقط دون الوجوع الى موضوعه » ٠

فهذا القول لا يصدر عن ناقد جمالى يؤثر الشكل على الموضوع ـ او يفرض بان الواحد يمكن أن ينفصل عن الآخر ٠٠ بالعكس ان ما يعنيه باتر هنا هو أن فى العمل الجيد يجب أن يكون الشكل كافيا لكى يمنحنا المتعة المنشودة ـ فاذا حصلنا على هذه المتعة فى الشكل على حدة والموضوع على حدة فهذا يعنى أن التعبير فى حد ذاته خاطىء لأنه قد سمح للموضوع أن يكون له كيانه المستقل عن الشكل وللشكل أن يكون له كيانه المستقل عن الموضوع ٠

فالشعر يجلب المتعة عن طريق شكله فقط ٠٠لأن هذا الشكل يطابق الموضوع مطابقة تامة ٠٠ لأنه فى الحقيقة قد استوعب الموضوع فأصبح كل شيء ٠ ولا شيء غيره ٠

ولكن لكى يتضح هذا المفهوم للشكل يجب أن ناخذ فى الاعتبار نظرية النسبية فى الفن ـ وهى التى نادى بها باتر والتى بنى عليها كل نظرياته الفنية ٠

فعند ما يتكلم باتر عن الشكل بهذا المفهوم لايعنى الشكل المطلق المجرد ـ أو أى شكل ٠٠ أو حتى الشكل الذى يحتوى الموضوع كما يحتوى الاناء الماء

انه يتكلم عن الشكل الملائم ٠٠ عن الشكل المعين الذى بدونه لا يستطيع الموضوع المعين أن يصبح ذا دلالة أو معنى ٠٠ انه فى الحقيقة يتكلم عن ايجاد المعادل الحسى لرؤيا الكاتب الداخلية ـ الشكل المعبر ـ وهو هذا الشكل الذى قام بمسئولياته كاملة نحو موضوعه ٠

« د ٠ رشاد رشدى »

دراسة وجودية في ٤ مقالات :

فلوبير .. مثلا !

بقلم : انيس منصور

(١) الرجل

ليس الاديب الفرنسي جوستاف فلوبير (١٨٢١ - ١٨٨١) هو الذي يهمني من الدرجة الأولى . وانما هو « مناسبة » فقط لكي اصل الى ما اريد . والذي اختار الاديب فلوبير هوالفيلسوف الوجداني سارتر . وأنا اخترت سارتر لكي اشرح مذهبه الجديد في النقد الأدبي . وهو المذهب الذي اجده قريبا جدا الى ما اريد ان اختار من مذاهب النقد الأدبي .

والى جانب ، فالأديب فلوبير اديب نموذجي في حياته وفي أدبه وفي عصره وفي اختلاف النقاد عليه وفي تطبيق المذهب النقدي الجديد عليه . ولهذا فالأديب فلوبير « مناسبة ممتازة » .

ولابد أن اتقدم ببعض الأسئلة . ومن خلال وضع هذه الأسئلة يظهر الطريق الذي اريد ان اسلكه من هذه المقالة الأولى حتى اصل الى نهاية المقالة الرابعة .

واتساءل : هل العمل الادبي هو وسيلتنا الى فهم الأديب ؟ هل العمل الادبي هو وسيلتنا الوحيدة ؟ هل العمل الادبي هو المصباح الذي نمسكه ونضيء به جوانب الأديب ، تمهيدا لمعرفته ؟ هل الأديب نفسه هو المصباح الذي يلقي الضوء الوحيد على العمل الادبي ؟ هل الأديب واعماله الادبيه هو كل ما نريد ؟ والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الا يوجد لها دخل قوي أو ضعيف في تنشئة هذا الأديب وبالتالي في ظهور اعماله الادبية ؟ هل أعماله الادبية تعتبر صدى او رد فعل لظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية قائمة ؟ الا نتخذ من اعماله الأدبية سجلا للعصر وبيانا لموقفه من الأحداث ؟

أو بشكل آخر : هل ندرس الادب والاديب باعتبارهما أو باعتبار كل منهما ، شيئا «منفصلا» تماما عن الظروف التاريخية ؟ وحتى لو حرص الأديب على أن يكون منفصلا عن الأحداث ، مهما كانت الاسباب . الا نرى أن هذا الاتصال والحرص عليه ، موقف في حد ذاته يستحق الدراسة والتأمل؟ هل لو كان الأديب من رايه أن الأديب أو الفنان يجب ان يعيش لأدبه فقط او لفنه فقط ، وأن ما يسميه بالحياة الادبية ، او الادب للأدب أو الفن للفن . الا نرى أن هذا الشعار في ذاته يجب ان ينبهنا اليه ويشدنا الى فلسفته لكي نغير تقييمه بشكل آخر ؟

هذا الرجل فلوبير كان حريصا على أن يعيش لأدبه ، او يعيش ادبه ، وان يقفل أبوابه في وجه المجتمع ، وأن يسد منافذه حتى لاتهرب مشكله اجتماعية الى أذنه . . الا نرى اليوم أن هذا موقف شاذ . وأن فلوبير قد رفض عن عمد ، ولأسباب اقتصادية ، أن يقف مع الناس والى جوارهم ، لكي يوفر لنفسه هذه العزلة البورجوازية وهذه الانفصالية المثالية ؟ . لاشك أن موقف فلوبير ، وانسحابه من المجتمع وحرصه على عزلته وعلى هدوئه الفني يستحق ان ندرسه وأن نشير اليه وأن ننقده . وأن ننقد معه في نفس الوقت ، كل فهم أدبي أو نقدي يحاول أن يأخذ الأديب بما يقول، دون أن يفسر ويعلن مالا يريد الأديب أن يقول . فهذا الأديب فلوبير لم يقل كثيرا ، ولكن مهمة الناقد هي أن يكشف الأديب ، وأن يبينه ، ولا يهم

بعد ذلك ان يقال اننا فضحناه .. لأن الانعزال نفسه فضيحة يتستر عليها الأديب . والبعد عن الجماهير ، عن فلسفة وعناد ، عار لا يصح السكوت عليه ..

* * *

والآن أقدم الرجل النموذجي ..

انه جوستاف فلوبير . ريفي فرنسي . ابوه رجل ثرى . طبيب جراح . وابنه الاكبر طبيب أيضا . وقد ولد فلوبير الصغير وعاش معظم سنوات حياته في أحد المستشفيات يرى الجثث وقد تكاثر عليها الذباب .. نفس الذباب الذى يقف عليه وهو ياكل وهو يشرب .

وأم فلوبير ابنة طبيب أيضا .. وأصدقاء فلوبير الصغير من الأطباء ايضا . وأول رجل سافر معه الى اسبانيا في رحلة خارج فرنسا كان طبيبا ..

وتكرار كلمة طبيب في السطور السابقة تبين الى اى حد تأثر فلوبير بالجو الطبى التشريحى . بجو الناس الذين يرون الموت ولا يخافونه . يقلبون فى الجثث بلا اشمئزاز . يغسلون أيديهم من الدم دون قرف ..

لقد ولد وعاش بين ناس لهم أعصاب من حديد بارد .

وان كان جوستاف فلوبير لم يكن من اصحاب الاعصاب الجامدة أو الباردة . فهو قطعة من النار في اناء من صفيح او اناء من حديد متين .

ولم يشأ الأب ان يجعل فلوبير يدرس الطب . ولو شاء لرفض الابن . لقد بعث به الى باريس ليدرس القانون . ولم يحب هذا الابن دراسة القانون . فميوله قد اتجهت الى شىء آخر . هو التأمل والقراءة .. والقراءة اكثر . وكان يصاب بسرحان شديد عندما يذهب الى قاعات البحث . وعندما كان يلقى عليه الاستاذ معلومات عن الرومان والتاريخ الرومانى ـ كان فلوبير يغيب فى أحلام يقظة كلها تدور وتتمرغ في حلبات الصراع الرومانية وفي الحمامات الرومانية وفي الحدائق الرومانية .. لقد كان الطالب فلوبير ينسج من خياله أساليب غريبة للهرب ..

وعرف الهرب بصورة أعنف . لقد كان يسقط على الارض والدم ينزف منه .. يسقط فجاة ويصرخ ويتحول الى قطعة من الخشب . وقد وصف الاطباء هذا المرض فى ذلك الوقت بانه نوع من الصرع . وقد تكرر هذا كثيرا . وادرك الأب ان ابنه لا يستطيع ان يكمل دروسه ، فسحبه من باريس واعاده الى الريف .

ولكن نوبات الصرع هذه قد جعلت فلوبير الصغير يخاف مخالطة الناس ، فهو يتوقع ان يسقط بين ايديهم بين لحظة واخرى . فانعزل . واحس بانه ضعيف وانه قد بلى . وربما كان حرص فلوبير على ان يجعل صوته غليظا اثناء الكلام كان معناه انه يريد ان يبدو قويا متينا . وحرص ايضا على ان يتبختر أثناء مشيته وأن يباعد بين ذراعيه وجسمه ، كانه ديك رومى ، كل ذلك ليؤكد حركات التعويض التى يقوم بها لكى يبدو اقوى مما هو عليه ..

وقد عاونه ثراء ابيه على ان يلزم البيت وان يجد كل ما يريد من مال وكتب . فلم يكن فى حاجة الى ان يعمل ، ولا الى ان يصحو فى ساعة مبكرة في اى يوم ، ولا الى الاستعجال في النشر او الكتابة . لقد كان ينام على مهل ويأكل على مهل ويقرأ ويكتب وينشر على مهل . فهو ليس في حاجة الى النشر السريع .. لأنه ليس في حاجة الى الشهرة . وليس في حاجة الى المال الذى تأتي به الشهرة . ثم انه ليس واثقا من نفسه تماما .

وكان من عادة الاديب الصغير ان يستدعى اصدقاءه ليقيموا فى بيته اياما ليقرأ لهم ما كتب . وقد تعلم هذه العادة ، او اضطر اليها ، وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، وبقيت كذلك الى آخر ايامه .. وبقى شىء آخر هو حساسيته الشديدة لأى نقد . فقد كان لا يقبل النقد . واذا سمعه فانه يثور وقد يسقط على الارض مغشيا عليه . وكان اصدقاؤه يجدون صعوبة شديدة في معاملته وفى مناقشته ولكن الشىء الوحيد الذى كان يحميه منهم هو الحبوب المهدئة التى كان يتعاطاها باسراف شديد . وكانت هذه الحبوب من عوامل برودته النفسية والعقلية .. والجنسية ايضا !

ومن مظاهر التأنى والتأنق فى أسلوب فلوبير انه كان يمضى الساعات في اختيار الجملة او اختيار

اللفظة الواحدة . وكان يقرأ جمله بصوت مرتفع لنفسه ، ولأصدقائه ايضا ، وكان يرى ان الاديب يجب ان يكون لاسلوبه النثرى موسيقى من نوع خاص . وكان يحرص ، في شيء من الهوس ، على الا يكرر اللفظ الواحد في الصفحة الواحدة مرتين . وكان يجد في هذا صعوبة شديدة وصعوبة لامبرر لها ايضا . فهو يستخدم كلمات بسيطة ومحدودة وهو حريص على ذلك . فكيف يستخدم الكلمات المحدودة مرة واحدة في قصصه الطويلة التي تتكرر فيها المعاني والمواقف دون أن يلجأ الى نفس الالفاظ؟ ولكنه كان يحاول باصرار طويل .

وفي خطاباته الى عشيقته «لويز كوليه» اعترف لها بأنه يعاني آلاما شديدة بسبب كلمتين في احدى قصصه !

وهو صادق فيما يقول ..

ورغم حرص الاديب فلوبير على ان ينعزل تماما وعلى ان يقفل النوافذ — على حد قوله — حتى لا تهب عليه رياح المجتمع ، كان كثير التنقل . فقد سافر الى معظم الدول الاوروبية . وسافر الى الشرق الاوسط . سافر الى مصر في ديسمبر سنة ١٨٤٩ وسوريا وتركيا واليونان . وله حكايات بعث بها من مصر الى أمه والى عشيقته والى أصدقائه — طريفة ، فهو يصف في القاهرة هؤلاء الرجال الذين يصبغون شفاههم بالأحمر وخدودهم أيضا . ويعرون بطونهم ويرقصون كالنساء ، والصاجات في ايديهم وحولهم وقف رجال آخرون يدقون على الطبول . وقد استخدم فلوبير كلمة «الدربكة» .. ويتقدم رجل يقبل هؤلاء الرجال من خدودهم ومن بطونهم . ولم يخف فلوبير اعجابه برشاقة وليونة هذه الاجسام . وان كان قد اعترف بقرفه من الرجل الذي يقلد مظاهر المراة . ويصف الرحلة من النيل الى اسنا والى قنا . وفي اسنا تردد على بيت سيدة تركية اسمها«كجك هانم»ووصف ليلة مثيرة امضاها في بيتها .. حيث الرقص والغناء والخمر والنوم.. الخ . وكان بيتها محاصرا بالحراس ، حتى لا يهجم اللصوص عليه . وقابل رجال الدين الاقباط في مصر وناقشهم في كثير من النظريات الدينية .. ومن ذلك الوقت بدأ فلوبير يفكر بصورة جادة في قصة « عذاب القديس انطون» ذلك الراهب المصرى الذى اقام سنوات في الدير ، ثم ظهر له الشيطان يغريه ويعذبه .. ولكنه قاوم وعاد الى الدير ..

وكثيرا ما أعلن فلوبير انه لو قدر له ان يختار عصرا من العصور ليعيش فيه لاختار العصور القديمة جدا ايام كان الرجال اكثر رجولة ، والنساء اكثر صدقا ، والطبيعة اوسع ، والانسان اهدا .. ولاختار ان يعيش في مصر وفي مدينة اسنا بالذات ، وان يشارك «كجك هانم» حياتها !

لقد كان فلوبير يعيش في عصر الرومانسية الفرنسية . عصر الحساسية الشديدة والمرض النفسى ، والهرب من الحاضر الى الماضى ، ومن الجديد الى القديم .. والهرب من فرنسا الى بلاد بعيدة ، الى دنيا غريبة ، الى التاريخ القديم .. عبر النهر وعبر البحر ..

ولكن فلوبير اعتبره النقاد الاب الشرعى للواقعية في الأدب الفرنسى . لانه استخدم الاسلوب البسيط الخالى من التهويمات والبهرجات اللفظية والتراكيب الحارة ، وانتقى موضوعات ومضمونات في حياة كل الناس . وهو لذلك كان واقعيا ولم يكن رومانسيا غارقا او مغرقا في الخيال .

ولكن فلوبير هذا الكائن الحساس لم تهزه الدنيا الواسعة ، ولا المجتمع المتغير ، ولا الثورة الصناعية ولا النهضة العملية والفلسفة الاشتراكية . وانما تأثر بشدة بحوادث فردية هزته بعنف ، ولم يسكن هذا الاهتزاز طول حياته .

فقد حدث وهو في الرابعة عشرة ان راى سيدة تكبره بعشر سنوات ، واقتربت منه السيدة وهمست في اذنه بشيء .

واستقر هذا الشيء في قلبه . والسيدة كانت عشيقة رجل يهودى ينشر المؤلفات الموسيقية . وقد ظل فلوبير صديقا للرجل وصديقا لهذه السيدة ، ولكن من بعيد . فقد ظلت هي الحب الوحيد في حياته . ولم تشأ هذه السيدة ان تخون عشيقها مع فلوبير . فقد كانت تشعر بشيء عميق جدا من الامتنان لهذا الرجل الذى لم يكن مخلصا لها .. وقد انتهت حياة هذه السيدة بان دخلت مستشفى الامراض العقلية ولكن صورتها وحبها والحلم بها ظل مرفرفا حول فراش فلوبير . وقد أمضى فلوبير سنوات يحلم بها ويضع رأسها تحت اللحاف ويتخيل ويهتز وترتفع درجة حرارته ويصرخ !

وجاءت آخر حياة فلوبير ايضا ..

لقد عرف الشاعرة « لويز كوليه » ، وهي سيدة

ممتلئة القامة فيها عناد ولها شخصية ،وفيها رجولة ايضا .

وكانت لويز هذه عشيقةالفيلسوف فكتور كوزان والشعراء هيجو والفريد دىفنى والفريد دى ميسه! .. وقد حصلت على اربع جوائز في الشعر . ومن المؤكد أن شعرها كان متوسط القيمة. ولكنعشاقها هم الذين رفعوا قدرها . واحبت هى الاديب فلوبير وكانت شديدة الغيرة . وكان هو شديد الحساسية والمراهقة . والخطابات التى بعث بها فلوبير تدل على سذاجته وعلى مدى المراهقة العنيفة التى تمزقه . ومن الغريب انهيحاول ان يعذبها وان يجرح كرامتها فيروى لها مغامراته العاطفية والجنسية الاخرى . وانقطعت الصلة بينهما بعض الوقت . ثم عادت بعد ذلك .. وكانت مشكلته مع هذه الشاعرة انها تروى كل شيء لأى احد .. وكان يتصور ان الذى يدور بينه وبينها سر . فقد كان لايلتقى الا قليلا جدا . وكان ضعيفـا من النـاحية الجنسية . وكانت هى عنيفة .

وكان يتوهم فلوبير ان بيـوت اهل الريف هى المصنوعة من زجاج فكل الناس يعرفون اسرار كل الناس. كل الناس يرون بعضهم البعض.ويحرصون على ذلك . فاذا عرفوه اتخذوا منه موقفين هامين : أن يؤيدوه أو يعارضوه .. ولا توجد حلول وسطى فى الريف .

ولاحظ فلوبير ان لويز هذه ايضا عندها كل طباع اهل الريف .. ونسى انه هو ايضا بموقفه منها قد اكد انه ريفىجدا وانه ليس جريئا بما فيه الكفاية، وانه اقل واقعية مما يدعى !

هذان حادثان خطيران فى حياته ، اما الدنيا التى حوله ، اما الثورة على البورجوازية ، والثورة على الاستعباد الاقطاعى وعلى الاستغلال الصناعى ، كل ذلك فلا أثر له فى كل مؤلفات فلوبير .. وان كان هو في بعض الاحيان قد ابدى مخاوفه وقلقه وفزعه . ولكنه لم يتجاوز الخوف الى الشرح أو الى اتخـاذ موقف . ولم يترك الفزع ليفكر أو يتأمل . ولكن الموقف الوحيد الذى لم يغيره هو ان يسد الباب في وجه الريح ، وان يسد النافذة في وجه الضوضاء ، وان يفتح عينيه على اعماقه ، وان يغمس قلمه فى جراحه الشخصية ، وان يكتب على مهل !

ووقع حادث أدبى هام في حياته ايضا ..

فعند ما عاد فلوبير من رحلته الى الشرق الاوسط كان ممتلئا بقصة «عذاب القديس انطون» فكتبها واستدعى اصدقاءه ليقرأها عليهم بنفسـه . واقام عنده الاصدقاء أربعة أيام حتى فرغ من قـــراءة هذه القصة . وكان قد اتفق معهم الا يقاطعوه اثناء قراءتها ، وسألهم وهو يضرب المنضدة بيده :

ما رأيكم فى هذه القصة ؟ وقبل ان يجيب واحد منهم ابتلع بعض الحبوب المهدئة ، وقبل ان تأتى هذه الحبوب بأى اثر اجاب احد اصـدقائه قائلا . رأيى أن تلقى بها فى النار ولا تتحدث عنها بعد ذلك!

وقال صديق آخر : ما لنا ومال قديس يعـذب نفسه فى الصحراء . انه ارتضى هذا العذاب.والعزل. وهو لذلك يستحق كل ما يقع له . فهو الذى اختار هذه الحياة . او هـو الذى اختار الانسحاب من حياتنا .. لماذا لا تكتب عن انسان يأكل الخبز . ويتعب فى الحصول على الخبز ..

وقال ثالث : لماذا لاتكتب قصيدة السيدة دلامار؟ وفجأة برقت عينا فلوبير وقال : والله فكرة !

وكانت قصة السيدة دلامار حديث المـدينة منذ ذلك الوقت .. وهى قصة امرأة خدعت زوجها دون ان يعرف ثم ماتت في النهاية . وهى امرأة عاشت في الخيال وعندما صدمها الواقع قـررت ايضا ان تفرض الخيال على الواقع . وفشلت فانتحرت !

وقصة السيدة دلامار هى نفس قصة فلوبير التى كتبها بعد ذلك باسم «مدام بوفارى».

وكما اخترت فلوبير لكى يكون نموذجا فىالمناقشة سأختار أيضا قصة « مدام بوفارى » لان فلوبير يرى انها هى حياته ، فقد قال مرة : مدام بوفارى هى انا !

والنقاد يرون انها من اروع اعماله الادبية ، ومن اكثر اعماله دلالة على فلسفته . .وانها بداية المذهب الواقعى فى الادب فى فرنسا وفى العالم — رغم انه كانت هناك مذاهب واقعية كثيرة من الرسم والنحت وكانت سابقة على فلوبير .

واذن فسأتحدث ايضا عن قصة «مدام بوفارى» باعتبارها صورة للمؤلف نفسـه . صورة اختارها هو نفسه وارتضاها النقاد ايضا كنموذج لعمل ادبى متكامل ، أو كامل لا نظير له فى الآداب العالمية .

وقد عكف فلوبير على كتابة هذه القصة ففرغ منها في اربع سنوات ..

وظهرت هذه القصة مسلسلة في احدى المجلات .. ثم ظهرت في كتاب سنة ١٨٥٧ وصادرتها السلطات الفرنسية في ذلك الوقت.وصادرت بعدها بستة أشهر ديوان الشاعر بودلير « ازهار الشر » وكانت هذه هي أول مرة تصادر فيها ديوان شعر بتهمة الخروج على الآداب والدعوة الى الانحلال الخلقي .

اما حجة السلطات الفرنسية في مصادرة قصة «مدام بوفارى» فهى انها قصة فاجرة وان بطلتها متحلة وان المؤلف يدعو الى تمزيق القيم الاخلاقية وهدم الروابط العائلية .

ولكن المحامى دافع عن المؤلف بقوله : ان البطلة فاجرة . هذا صحيح . ولكن هذه البطلة لقد لقيت اقسى أنواع العقاب . فكأن المؤلف يريد أن يعاقب الفجور والاستهتار .

وافرجت المحكمة عن المؤلف وعن القصة ..

ولكن السبب الحقيقى ليس هو اقتناع المحكمة، وانما هو توسط بعض افراد اسرة نابليون . وهذا ما يرويه فلوبير فى رسائله لأخيه . فقد وعده أحد افراد اسرة نابليون بالتوسط . وتوسط . ونجح. وظهرت القصة . وانتشرت في فرنسا . واحس كل انسان بانها تمسه هو بشيء ، مما يدل على أن المجتمع في فرنسا كان متحللا وان هذه القصة كانت صورة صادقة له .

ان عشيقة لويز كوليه قد ثارت عليه، فقد أدركت ان الكثير من ملامحها وتصرفاته هى بالضبط ملامح وتصرفات مدام بوفارى ..

واحس اصدقاؤه ايضا انهم مرسومون فيالقصة.

ولما ادرك فلوبير ان كل اصدقائه ــ بل كل عصره ــ يريد ان يقاسمه هذه القصة اعلن انه لم يستمد هذه القصة من حياة أحد ، وانما هو استمدها من العصر كله .. وان مدام بوفارى هذه ليست الا هو شخصيا . هو الفنان الذى يعيش كتبه . أو يعيش ادبه . ويحاول ان يعرض افكاره على عصره ، دون ان يتفتح لعصره ..

ولكن فلوبير لم يثبت على آرائه كثيرا ..

فقد ورث عن ابيه أرضا وبيتا . وقد نزل عن هذا البيت لبعض افراد اسرته ..و لم يبق له شيء مطلقا . وحاول استثمار امواله . ولكنه خسر كل امواله . واضطر اقاربه الذين عاونهم الى انيعاونوه ولكنه رفض .

واقترحت عليه الاديبة جورج صاند ان تعاونه ماديا ، ولكنها لم تعده بالكثير . ولكنه اعتذر . وبدأ فلوبير يشكو من جشع الناس ، ويشكو من سفالة الاثرياء وهو ابن الطبقة المتوسطة .

وقبل ان تنتهى حياة فلوبير بلحظات احس بأنه سيموت .. فجمع ما تبقى لديه من قوة ومن خيال فنان ومن ارستقراطية جريحة ، فارتدى ملابسه كلها . وجلس الى مكتبه وفتح النافذة لأول وآخر مرة . ونادى الخادمة لتحضر له طعام الافطار. ولما عادت الخادمة كان قد فرغ من كتابة كلمتين على ورقة صغيرة فوق مرآة هما : جوستاف فلوبير ..

ورأته الخادمة يحنى رأسه لها كأنه يشكرها .. ولا بد انها شعرت بشيء من السعادة لهذا التغيير المفاجيء الذى طرأ على سيدها . ولكن الانحناءة طالت والتصقت رأسه باسمه . ولم يسمع صرختها المفاجأة المذهلة .

لقد مات بنفس الهدوء ، وكان آخر شخص قابله ورآه هو : جوستاف فلوبير !

« انيس منصور »

السياب

للدكتور : أحمد كمال زكي

-١-

في نهايات ديسمبر من عام ١٩٦٤ بلغنا نعي الشاعر الانسان بدر شاكر السياب ، وكان قد توفي بعد أن نفض يديه نهائيا من كل الاتجاهات المشبوعة التي ورطته فيها آماله . وقبل ذلك بالتقي عشرة سنة قطع آخر التزاماته الفكرية بالعملاء الحمر وان ظل مذبذبا بين ايمانه بحتمية انتصار الانسان العربي وهتافه مع الهاتفين في « مجلة شعر » البيروتية .

ان هذا الشاعر الذي ولد في جيكور بالعراق عاش طفولة بلورها بالم في كل ما قصد به ابنه « غيلان » عن نهر القرية « بويب » وسنابل القمح فيها واشجار التوت وكذلك عن تراث الاجداد وحكايات الاجداد ، ثم تفتحت هذه الطفولة على شباب قلق متخوف يشعر بالغربة دائما . واستمر هذا الاحساس يلازم الشاعر ، لاسيما بعد أن انتقل الى المدينة ورآها ـ كما رصد رؤيته في قصيدته مرثية الآلهة ـ هرة سوداء تاكل بنيها !

وكانت أربعينات هذا القرن قد أقبلت وروافد الثقافة المتضاربة تتجمع في المخيلة الشعرية العربية فتهزها وتثيرها وتخرج بها من حدود التقليديات المثقلة بالصنعة والتكلف ، واستطاع السياب أن يجد فيها حاجته الى الفكرة الرشيدة عندما تبدأ بالذات الفردة ثم تصعد الى المجموع في محاولات رومانسية كان يدعمها بلند حيدري ونازك الملائكة ونحوهما .

وعندما جاوز السياب هذه المرحلة التي توجها بديوانه « أزهار ذابلة » وكان قد التقى فنيا بستيفن سبندر الانجليزي ـ داعية الماركسية الذي سبها فيما بعد ـ بدا أكثر فهما للواقع وان كان شعوره بالضياع قد تضخم الى حد كبير . وتكشف مجموعته الشعرية « أساطير » عن هذه البلبلة مؤذنة برمزية غلبت على شعره فيما بعد ، وقادته الى ايقاعات فذة .

لقد صدرت « أساطير » سنة ١٩٥٠ وفي سنة ١٩٥٢ صدرت « حفار القبور » القصيدة الكبيرة التي تعد من أخطر أعماله ، فاذا الشاعر نمط فريد متطور أبدا ، متطلع دائما الى ما عساه يهديه الى حقيقة نفسه التي أراد السل أن يمزق رئتيها وأبت هي الا أن تتمسك بالحياة لانها كانت ترغب في الحياة !

وبين هذين القطبين .. حب الحياة برغم تغربه فيها ، ومقاومة المرض الذي يعصف به رثى السياب الانسانية أفجع رثاء ، بادئا بقريته الضائعة جيكور ومنتهيا بالرجال الجوف الذين يشبهون رجال توماس اليوت تماما .

ويبدو أن وقوع السياب على اليوت ـ بصفة خاصة ـ كان منتهى ما يطمح فيه ، أو لعله صادف كل هوى من نفسه . هو حقا قرأ لروبرت بروك وادجار ألان بو وايديث ستيويل وغيرهم ، الا أن اليوت علمه كيف يجتر المرارة والضياع واليأس ، وكيف يعبر عن روح تعجز عن كل شيء حتى الآلام ، ومن هنا وسم بميسمه .

هو القدر ...

غير أن شاعر « الارض الخراب » هيأ للسياب السبيل الى أن يغير أداته الفنية تغييرا ظهر في كل الشعر الذي قاله بعد صدور ديوانيه « أزهار ذابلة » و « أساطير » واغلب هذا الشعر مجموع في « أنشودة المطر » و « منزل الاقنان » و « المعبد الغريق » .

وتغيير الاداة أي خروجه على النظام البيتي مع

انه أقدر محدث على التقفية الكلاسيكية – لم يكن يعني أكثر من أنه عرف القالب الشعري الذي يتسع لأزمته . وهو يستعين عليه بالتهاويل والاقتباسات والايماءات والرموز الاغريقية والبابلية والعربية – نادرا – حتى ليحير القارىء بالتهميشات والشروح . نرى ذلك على سبيل المثال في قصيدته « من رؤيا فوكاي » التي كتبها عام ١٩٥٥ متأثرا فيها ايديث سيتويل وتوماس أيليوت على حد سواء ، ولما كان يعرض فيها لقنبلة هيروشيما فقد لجأ الى الاساطير اليابانية والصينية ، ولم يصده ذلك في الوقت نفسه عن رؤى هوميروس وشيكسبير ولوركا ، علما بأنه زاوج فيهما بين التكنيك العمودي والتكنيك المرسل .

– ٢ –

بدا هذا الشاعر – السياب – حياته عربيا مخلصا ، وطنيا ، وختمها عربيا مخلصا وطنيا . وبين البدء والختام سنو الضياع ومحاولة البحث ، ولعل هذا يلخص حياته أدق تلخيص ، وقبل أن نحاول تقييم شاعريته داخل الاطار نقول انه في تردده بين الشيوعية والتموزية – كنزعة شعوبية سادت وحمل لواءها القوميون السوريون ومجلة شعر البيروتية – كان يصور غربته فعلا أو كان يحاول أن يهتدي الى الايمان من بعد كفره .

انه عندما كان ماركسيا وقف موقفا سلبيا بالنسبة لتقسيم فلسطين ، ولكنه عندما تبين انه في صف واحد من الشعوبية التي راحت تحارب العرب – كما يقول هو بنفسه منذ مقتل عمر بن الخطاب الى يومنا هذا – أعلن رفضه التام لكل مالا يحفظ للعرب قوميتهم .

على أن المقاومة التي جوبه بها من جانب الشعوبيين – نذكر منها على سبيل المثال – مقاطعتهم لرائعته المومس العمياء – أوقعته في أكثر من مازق معيشي . وكانت رغبته في أن يحيا تدفعه دفعا الى أن يستسلم أحيانا لأعداء الحياة . فهو يعلن ولاءه لطغاة العراق الذين دحروا ، وهو يخاصم « الآداب » البيروتية من أجل « مجلة شعر » الممولة بمال الأبالسة ! وفي سنة ١٩٥٩ يرضى أن يسلكه أسعد رزوق في المجلة المذكورة مع الفينيقيين من أمثال يوسف الخال وأدونيس ، وهكذا ..

واذا كانت شعوبية الماركسيين قد تولى هو فضحها وفضح أساليبها في مقالاته التي نشرها بعنوان « كنت شيوعيا » فان التموزية التي بقيت عنده الى عام ١٩٦٠ مرتبطة بانسانية يختلط فيها الكفر باليقين ، تحتاج فعلا الى من يكشف عن جانب الخير فيها .

وتبدو التموزية عنده بصفة خاصة في قصائده « جيكور والمدينة » و « المسيح بعد الصلب » و « مدينة السندباد » و « سربروس في بابل » و « أغنية شهر آب » و « رسالة من قبر » وتكون غالبا مختلطة بفكرة الاستشهاد المسيحي أحيانا ، وأحيانا بعذابات سيزيف ، وفي كل الأحيان معبرة عن رغبته في الحياة أولا وأخيرا .

والحقيقة أننا بقراءتنا تلك الاشعار – بعمق – نحس شيئين : أولهما سخطه على المدينة ذلك السخط الذي يبدو كما لو كان لعنة على الانسانية كلها مع انه يحب أن يرثيها أو يرى أن من واجبه رثاءها ، وثانيهما تبشيره بربيع ما أو دعوته للاله الخرافي « تموز » أن يبعث من خلال برك الدماء وأنقاض العفن .

ويلعب المطر دائما دوره الاساسي في نزعته التموزية ، وقد انقطع هذا المطر عندما ثار العراق وثار هو على ثورته عاملا مع المخربين الذين تمكنوا من اقصاء الشرفاء . وكان اشتغاله مع أمثال يحيي قاسم الذي جعل جريدة « الشعب البغدادية » منبرا يهاجم منه المخلصين العرب هو النكسة « القومية » التي صاحبت اتصاله بمجلة شعر ، وبسقوط المطر يحقق مغزى الاسطورة التموزية ويرضي في الوقت نفسه أصحاب تلك المجلة والعاملين فيها ضد البقاء العربي !

واذا كان ثمة من يرى أن الطور التموزي عنده كان في حقيقته امتدادا للطور الانساني الذي صدر فيه عن روائعه « حفار القبور » و « المومس العمياء » و « الاسلحة والاطفال » و « النهر والموت » وان يكن في الاخيرة التي نشرها عام ١٩٥٦ نصف تموزي ، فان نوع الحافز يحسم الدعوى . فهو في غير هذه موتور يريد أن يعيش بأي سبيل ، وهو في هذه متفاعل مع أحداث بلده ووطنه العربي الكبير عندما يهاجم أشكال الاستعمار والمستغلين . ولقد توج جهاده بقصيدته الكبيرة « بورسعيد »

متجاوبا باخلاص مع معركة مصر الظافرة ،وبالاحرى التي أصبحت علما على ديوانه «أنشودة المطر» وكان قد قالها وهو مهاجر فى الكويت وهي :

أصيح بالخليج : ياخليج
يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى
فيرجع الصدى
كأنه النشيج :
ياخليج
يا واهب المحار والردى
وينثر الخليج من هباته الكثار
على الرمال رغوة الأجاج والمحار
وما تبقى من عظام بائس غريق
من المهاجرين ظل يشرب الردى
من لجة الخليج والقرار
وفى العراق ألف أفعى تشرب الرحيق
من زهرة يربها الفرات بالندى
وأسمع الصدى
يرن فى الخليج
مطر
مطر
مطر
فى كل قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزهر
وكل دمعة من الجياع والعراه
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهى ابتسام فى انتظار مبسم جديد

والعجيب ان اسعد رزوق تبنى هذه القصيدة فى « مجلة شعر » ليجعلها أساس تموزيات الشاعر ، على الرغم من انه يصرح بانها لا تظهر الأسطورة التموزية عنده بوضوح ، ولم ينس بطبيعة الحال « النهر والموت » فجعل منها نموذجا كسائر تموزياته لتصوير فكرة البعث والنهوض مستقلا احساسه الكريم ـ احساس الشاعر ـ وهو يحمل العبء مع البشر كما حمله من قبل سيزيف الاغريقى ليؤيد وجهة نظره حتى وان جعلت الاسطورة التموزية كامنة بالقوة فى القصيدة !

معنى هذا أننا لا نحدد ظهور نزعته القومية ـ فى حدود المفاهيم الانسانية العربية ـ بعام ١٩٦٠ وانما نحددها ببدايات الشاعر ، وهى تصاحبه على مدارج ايامه اثناء تنقله هنا وهنالك . ان «انشودة المطر» مثلا تصوير صادق لآمال العراقيين الاحرار ، وهى فى اتجاهها لا تخرج عن طريقه الذى سنه فى « الاسلحة والاطفال » وان يكن فى هذه ناعيا على الحضارة التى تطيح بالصغار وتبيد أعشاش العصافير وتحطم الابتسامة والرجاء :

أسى موجع أن يموت الصغار
أسى ذقت منه الدموع
أجاجا ومثل اللظى فى الفم
وأحسست فيه اشتعال الدم
بعينى من نازفات الضلوع
عويل من القرية النائية
وشيخ ينادى فتاه الغريق
بهذا الطريق وذاك الطريق
ويسعى الى الضفة الخاليه
يسائل عنه المياه
يريدون الا تتم الحياه
مداها والا يحس العبيد
بأن الرغيف الذى يأكلون
أمر من العلقم !

وعندما نذكر هذا يجب ألا ننسى موقفه من المدينة بصفة عامة ، وولعه بالقرية ، وحملته على الحروب وعلى من يبذرون النار ويزرعون البساتين بالجثث ، يقول فى « بورسعيد » مصطنعا التقفية الكلاسيكية :

حييت موتى وأحياء وأبنية ... مستشهدات أو استعصين اركانا
والنار والباذرون النار كم زرعوا ... من كل ثكل لعزرائيل بستانا
من كل وجه لطفل فيه زنبقة ... تدمى وتلتم فيه الريح غربانا

كذا يجب الا ننسى موقفه الصلب من الواقع المظلم الذى عاشه العراق فى عهده البائد قبل عام ١٩٥٦ واحساسه المخلص بأن شيئا يجب أن يحدث

لانقاذ ارضه وان البشر يحتاجون الى بروميثيوس كانسان جديد ، مع ملاحظة انه استبدل به سيزيف في الطور التموزي !

ولقد بشر بالسلام ، وعنى بالانســـــــان ، ومجد الكفاح البطولي الذي قدمه العرب في كل شبر من ارضهم ، فكانت « يوم الطغاة الاخير » و « جميلة بوحيرد » و « رسالة من مقبرة » و « بورسعيد » وقصائد « قافلة الضياع »

انا سنمضي في طريق الفناء
ولترقص أورام، حتى السماء
حتى نروى من مسيل الدماء
اعراق كل الناس .. كل الصخور
حتى نمس الله ...
حتى تثور !

وعندما يرى ان الموت لصق الحياة ولا سبيل الى الفكاك منه ، يستنجد بموهبته مستمدا أساطير بلاده ليصرخ في بورسعيد :

فليحرس الاحياء باب الحياه

يامرفا النور كوني مرسى لافكاري كوني لأشعاري وحيا

لقد خباتك في عيني .. فانت قيثاري
والطين فم يمتص اشعاري الخضراء والحمراء
فلتصمدي يابورسعيد
يابوابة الحياة
يالغة الانسان !

وتعلو الصرخة ذاتها فيما بعد ، ولكن على قدر طاقته — فقد كان مرض الموت يفترسه جزءا جزءا — وذلك عندما يبلغه وهو في مستشفى سان ماري بلندن نبأ مصرع قاسم العراق فيقول :

هرع الطبيب الى — آه لعله عرف الدواء
للداء في جسدي فجاء

هرع الطبيب الى وهو يقول : اذا الى العراق .
الجيش ثار ومات « قاسم » اي بشرى بالشفاء !
ولكدت من فرحي اقوم .. اسير .. اعدو دون داء
مرحى له اي انطلاق
مرحي لجيش الامة العربية انتزع الوثاق
يااخوتي بالله .. بالدم .. بالعروبة .. بالرجاء

هبوا فقد صرع الطغاة وبدد الليل الضياء
فلتحرسوها ثورة عربية صعق « الرفاق »
منها وخر الظالمون لان تموز استفاق !

في هذه المرة كان تموز هو تموز سنة ١٩٦٣ يبشر بخير عربي دافق ، ويؤكد أصالة احساس شاعر كبير بالعروبة ، ويدحض زعم من زعم ذات يوم انه خائن :

انى لاعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون
أيخون انسان بلاده
ان خان معنى أن يكون فكيف يمكن أن يكون ؟

— ٤ —

وبعد ..

فهل اذا وقفنا هنا نكون قد أدينا حق الشاعر العراقي العربي علينا من الوفاء والتقدير ؟

لانظن ، فثمة صفحات عنه ستظل مطوية حتى ينشرها أولئك الباحثون عن الحقيقة . وستكون غنائياته الآسية التي يجمعها « منزل الأقنـــان » و « المعبد الغريق » ، في قمة الأعمال الأدبية الكبيرة التي يجب أن تحفظها الانسانية على مدى الايام .

السياب في هذه الصفحات يطلق آخر صرخاته راثيا نفسه ومتفجعا على عمره الذي عراه داء الموت من زهراته ، ويذكر زوجته وابنه الذي احتل جزءا من شعره ، كما يرصـــــد لاشـراقه في غربة المرض القاتل ، ويعلن عن استسلامه لآلامه كما استسلم من قبل ايوب ، ويشكر حبيبه الله الذي ابتلاه :

هداياك في خافقي لا تغيب

هداياك مقبولة هاتها

اشد جراحي واهتف بالعائدين :

الا فانظروا واحسدوني فهذى هدايا حبيبي !

رحم الله السياب في نومته تلك التي تنبأ بها .. صباحها اول ليل الأبد ، ويمر به القوم مشرئبين ، ويقرأ احدهم شـــعره وعندما يمر على قبره يقول وأين من هذا الرميم الشعر يدفق بالعواطف ؟

« احمد كمال زكي »

الفلاح في الشعر العربي

د. نصوير شقائه

(٥)

بقلم: محمد عبد الغني حسن

تضم قصص البؤس والشقاء عند الفلاح قصصا وحكايات مؤلمة ، أصبح الشعراء بعد ثورة ٢٣ يوليو يحكونها ويجعلون منها موضوعا يحكي فيه الشعراء لأطفالهم أو يحكي الأطفال عن آبائهم وأجدادهم مآسيها التي احالتها وثبتنا الثائرة الى افراح وأغاريد.

فالشاعر فوزي العنتيل يجلس مع الكادحين في ليلة قروية ، يتسامرون ويثرثرون ، والليل يصغي في غير ملل الى حديثهم ، والنخل يخفق في حنان ناشرا اغصانه — أو سعفه — في القبة الزرقاء :

ومضيت أعصر من سنيني قطرة
بيضاء في افق الحياة القاتم

في الريف بين الكادحين يسوقهم
قدر ، وراء الكون ، فوق العالم

وخطا تمر على بقايا قصة
من دمع محروم وقسوة حارم

والشاعرة **روحية القليني** — وهي اول انسانة وجدنا لها شعرا في الفلاح — تجعل من ماضي ذلك المخلوق البائس موضوعا لقصص الكفاح يقصها الطفل عن جده الفلاح . وهي حين تلمس الريف وسنابل القمح التي تراقص — في مناجاة لذيذة — نخله الباسق ، والناي الذي يكسر صمت الدجي بعزيفه الشجي — لا تنسى ان تصف لنا ناحية كريمة من اخلاق الفلاح ، وكأنها بهذا ترد على الذين كانوا الجار في القرية لجاره ، وهي رعاية فقدناها اليوم في يلقون عليه التهم الظالمة بلا حساب . فتذكر رعاية المدن التي لا يحس فيها سكان الطبقة الواحدة في المبنى الواحد بعضهم بعضا ، وتذكر وفاءه وحفاظه على الدين ، وطهارة قلبه من الحقد ، وامتلاء كيانه بالحب — هذا الحب الذي وجدناه واضحا في شعر الشاعر **عبده بدوي** — تقول روحية :

الخير في بلدي على الضفات في حضن الخميله
والنيل يجري بين اسوان وقاهرتي الجميله
تتفرع القنوات منه فترتوي أرضي الأصيله
والطفل في مرح الطفولة كم جرى يلقى زميله
ليقص ماضي جده الفلاح أحقابا ذليله
قصص الكفاح مع الآباء وكل ما فيهم فضيله
والأم كم سهرت وكم عانت لكي ترعى الطفولة
وسنابل القمح التي رقصت مناجية نخيله
والناي في صمت الدجي يحكي ملاحمه الطويله
والجار يرعى جاره ويثير في صدق سبيله
وعلى الوفاء تجمعوا في ظل أنسام عليله
الدين هاديهم وفي اخلاقهم مثل نبيله
لا حقد في قلوبهم فالحقد عندهم رذيله
عاشوا على الحب الاصيل وما ارتضوا عنه بديله

ونلاحظ أن اللوحة الشعرية عند شعراء الفلاح والريف تتكرر فيها بعض وحدات — كما يحدث في الرسم الزخرفي حين يكرر الفنان وحدة معينة في أشكال شتى — يديرها الشعراء هنا وهناك ويديرون عليها المعاني المختلفة التي تتفق مع أهدافهم واغراض شعرهم . فالساقية ، والشادوف ، والفأس وسنابل القمح ، وجنى القطن ، والناي ، والكوخ ، وزهر الفول ، وزهرات القطن ، وحاملة الجرة وغروب الشمس ، وصياح الديكة ، والنخيل ، وجلباب الفلاح الازرق — كل هذه من الوحدات المتكررة والمناظر المكرورة المألوفة التي تلقانا دائما في اغلب الشعر الريفي .

وقد رأينا ـ قبل هذا ـ كيف تناول الشعراء صوت الناعورة ، فجعلوه أنينا تارة ، وجعلوه تارة بكاء على الفلاح واشفاقا لحاله ، وتارة بكاء على الثور الأسير المعمى الذى يدير الساقية .

أما الفأس فان الشاعر عبده بدوى يجعلها تنقب فى الأرض بضرباتها عن فكرة ، قائلا :

ضربنا على الليل أبوابه
فصاح الصباح على الربوة

وقمنا نعمق ضوء النهار
بفأس تنقب عن فكرة

والشاعر **محمود حسن اسماعيل** يرى الفأس ـ أو بالأحرى يد الفأس ـ حطبا يابسا يمر على الصخور فيحيلها الى أرض مزدهرة بالورود :

حملت فأسه من الغيب سرا
حير العقل كامن من صفاته

حطب يابس يمر على الصخر
فتزهر الورود فى جنباته

ثم يراها فى قصيدة « نبى جائع » من ديوانه « اين المفر » قطعة بلهاء من الحديد ، يجثو القدر لارادتها ، واذا مست حجاب التراب أورق من تحتها الحجر :

وبين يديه بلهاء الحديد جثا لها القدر
اذا لمست حجاب الترب أينع تحتها الحجر !

والشاعر **محمد العفيفى** يرى الفلاح ملهما الطيور تسبيحها ، وهو راكع فوق الفأس لا يمل :

أيها الفلاح الذى قيدوه
بقيود الأسى وطوق الجوع

الهم التسبيح الطيور وفوق الـ
فاس ما مل من طويل الركوع

فاذا انتقلنا الى جلباب الفلاح الأزرق الممزق ، رأيناه عند الشاعر محمود حسن اسماعيل :

توراة بؤس عليها نقرأ العبر !

ونراه تارة أخرى عنده : (كفنا مزقت بوالى رفاته) ، وهما من التشبيهات الرائعة القوية التى يجيد أمثالها هذا الشاعر المحلق ، على حين نرى صفة هذا الجلباب عادية بغير تشبيه عند الشاعر الدكتور **عفيفى محمود** حيث يقول :

كل يوم يسبق الشمس الى الحقل العتيق
فى قميص حائل الزرقة مفغور الخروق !

وعند الشاعر محمد العفيفى حين يقول مخاطبا الفلاح بعد الذى فعلته له الثورة :

لن ترى جائعا على بطنك الـ
ـخاوى ثياب زرق الأسى ورباط

اما القطن وجنيه وجانياته ، فقد أبدع الشاعر خليل مطران وصفه فى قصيدة « هدايا العروس » وفيها يقول :

هبت صبيات المزارع بكرة
يخطرن بين السير والاسراء

من كل عاصية النهود ، بها تقى
مطواعة الأعطاف ذات حياء !

نادى بها البشراء : حى على الجنى
فغدت تلبى دعوة البشراء

والقطن موف ضاحك ببياضه
وصفائه من كدرة الغبراء

يتدفق مثل السيل من جنباته
ويخضن شبه البحر فى الأثناء

متغنيات من أهازيج الصبا
ما شاء وحى هوى ، وطيب هواء !

ولم تكن هذه القصيدة التى منها هذه الأبيات فى موضوع الريف ولا فى مجالى القطن ، ولكن مناسبتها كانت فى حفل زفاف .

أما زهرة القطن ذاتها فللشاعر محمود حسن اسماعيل فيها قصيدة عينية رائعة يقول منها :

حين ذاب الطل فى كاساتها
لؤلؤا يجرى على كف الشعاع

لثمت خد الضحى وابتسمت
كابتسام الطفل فى عهد الرضاع

وبدت صفراء تحكى غادة
ذبلت نضرتها يوم الوداع

تخفق النسمة فى اهدابها
خفقة العاشق فى ليل الزماع

فتراها فى الربا راقصة
زانها الضوء بزهو والتماع

ذات كأس اترعت شمس الضحى
ريقها من خمرة النور المشاع !

وتذكرنا هذه الصورة لزهرة القطن بصورة فاتنة لزهر الفول نجدها عند الشاعر **مصطفى صادق** منذ أكثر من نصف قرن ، وتعد من الالتفاتات الأولى فى العشر الأوائل من القرن العشرين لجمال الطبيعة فى الريف المصرى ، وفيها يقول :

نائمات بروضها فى سرير
بين خز وسندس وحرير
هزها الفجر فاستفاقت كما تطرف
بعد الكرى جفون الصغير !

جال فيها الذى كما حير الدمع
دلال الهوى بأهداب حور !

زهر الفول ! أنت نضرة عمر
عطر من هوى الشباب قصير

تشبه الأرض جنة أنت فيها
زغب الريش ساقطا من طيور

ولو ان النجوم ذات قشور
لحسبناك بعض تلك القشور

وقد افتن زملاؤنا الشعراء فى تفتيق المعانى وتوليدها من كل شىء وقع عليه نظرهم ، أو سمعته أذنهم فى الريف المصرى ، فكل صوت يسمع هناك فهو ــ غالبا ــ أنين ونواح على سوء حالة الفلاح .

فصوت السواقى أنين فاجع اما على الفلاح ، واما على الثور كما رأيناه قبلا عند الشاعر محمود حسن اسماعيل . وخوار الأبقار هو شكوى صاعدة الى السماء من تعس الفلاح وبؤس الضعفاء عند الشاعر فوزى العنتيل حيث يقول :

والنخل يخفق فى حنان ناشرا

أغصانه فى القبة الزرقاء

وخوار أبقار تصعد فى السما
يشكو اليها قصة الضعفاء ...

وهديل الحمام هو بكاء على حالة الفلاح عند الشاعر العراقى أحمد الصافى النجفى حيث يقول من قصيدة حالية جيدة بعنوان « الفلاح » :

حتى الحمام عليك رق بدوحه
فله بحقلك رنة ونواح !

واذا كان انين الساقية وسجع الحمام هما أقرب الأصوات الى نغمة الحزن والتفجع ، وأكثرها ، ملاءمة لتكون أصوات بكاء على شقاء الفلاح ، فان خوار البقر عنا يعد نغمة نشاز عند الشاعر فوزى العنتيل ! وقد كان له منادح كثيرة عن هذه الصورة المزعجة ... !

اما الكوخ ــ وهو أحد الوحدات المتكررة فى اللوحات الشعرية الريفية ، فاننا نجده عند محمود حسن اسماعيل « حقيرا متداعيا » ، قد نامت النعمة عنه وعن صاحبه فى قوله :

وارث للمسكين عيشا أسودا

ان فى كوخ حقير متداع

نامت النعمة عنه ، وجفت
معدما لم يرعه فى مصر راع

عصفت ريح الأسى كسرته
وطوت نعماه دنيا الصراع

رقص القصر على أكتافه
وهو جاث ... بين ذل واقتناع

وهو عند الشاعر فوزى العنتيل ترقد على جداره ظلمة ممسوخة مثل ظلاله المتشائم :

وعلى جدار الكوخ ترقد ظلمة
ممسوخة كظلاله المتشائم .. ؟

وهذا الظلام الكئيب الموحش على جدران كوخ الفلاح نجده عند **أحمد الصافى النجفى** ، ونجد بجانبه صورة لضعف الكوخ وتهالك بنائه ، حتى ليكاد سقفه يخر فى الليلة الماطرة ، وتكاد الرياح أن تطير به من مكانه حين تهب :

فى الليل بيتك مثل دهرك مظلم
ما فيه لا شمع ولا مصباح

فيخر سقفك ان همت عين السما
ويطير كوخك اذ تهب رياح

وهكذا تجد هذه الوحدات المتكررة ملونة عند كل شاعر من شعراء الفلاح والريف بألوان مستمدة من حسه وشعوره وخياله واستعداده للخلق الفنى .

« **محمد عبد الغنى حسن** »

صراع الثقافة !!

بقلم : محمد عطا

شهدنا فى الفترة الأخيرة معارك محتدمة بين الكتاب العرب بعضهم وبعض سواء فى المحافل الادبية أم فى الصحف والمجلات السيارة ، واتسمت هذه المعارك أو اعمها الأغلب بالحدة والعنف ، وبذلك خرجت هذه المعارك من نطاق النقاش والحوار العميق الى نطاق الانفجار العاطفى الذى لايخدم قضية الادب ولا يدعم أصول النقد ، ولا يرفع دعامات الخلق الفكرى فى مرحلتنا الثقافية الحاضرة .

ومما لا شك فيه أن هناك قضايا فكرية تنتظر من نقادنا البت فيها وابداء وجهة نظرهم ، وهذه القضايا الفكرية تبعث من التطور الهائل الذى طرأ على حياتنا ومجتمعنا ، هذا التطور الذى دفع الأدباء الى التخلى عن التعبير عن ذواتهم تعبيرا عاطفيا رومانسيا الى التعبير عن واقع الجماهير واحساسهم وكفاحهم وآمالهم ، فالأديب فى المجتمع الاشتراكى غيره فى المجتمع الرأسمالى ، فهو فى المجتمع الاشتراكى لا يخدم أو يعبر عن القلة صاحبة النفوذ والسلطان ولا يكتب لجماعة بعينها ولكنه يكتب ويعبر عن القاعدة الجماهيرية ، واذا كان يعبر عنها ، فهو يكتب لها ، وهنا نشأت قضيتان فكريتان ، القضية الأولى هى : عمن يعبر الأديب أو الكاتب ؟ والقضية الأخرى هى : لمن يكتب الأديب ؟

وحول هاتين القضيتين كان لابد من وقوع الصراع أو كانت حتمية الصراع ، الصراع بين القديم والحديث ، والصراع حتمى فى مرحلة الانتقال ولسنا نشك فى أن جمهرة الكتاب العرب تؤمن بحتمية التطور، وتعتنق المبادىء الاشتراكية ولا تكاد تختلف فيما بينها فى الذهاب الى أن يلتزم فى الأدب كما نلتزم فى العلم ، وأن يكون أدبنا انعكاسا صادقا لتطورنا العظيم ، وأن نشد بالأدب أزر الجماهير الكادحة، وأن نسمو بثقافتنا وأفكارنا ، وأن نحررها من الانحلال والعواطف الحسيسة أما الخلاف بينهم فيتمثل فيما أعتقد فى الشكل لا فى المضمون ، ففى الشعر مثلا يذهب فريق الى أن الوزن والقافية ينبغى أن يتحرر منهما الشعر العربى فى فترتنا الحاضرة والمستقبلة بحجة أنهما قيدان ثقيلان على انطلاقة الشاعر والتعبير بصدق عن كامل احساسه وأن التزام القافية فيه نوع من الرتابة الممجوجة التى لم تعد تتفق والتطور الموسيقى فى العصر الحاضر ، وأن الشعر يمكن أن يتحقق بدون القافية بل بدون الوزن ، أما الفريق الآخر فيحمل على هذا الرأى حملة عنيفة ، ويرى أن الشعر العربى لايكون شعرا من غير وزن وقافية ، وترخص بعضهم فقال اننا يمكن أن نلون فى القافية لا أن نتحلل منها كل التحلل .

والخلاف بين الفريقين ليس ابن اليوم ، ولكن له جذوره البعيدة ربما يرجع العهد بها الى العصر العباسى ، وهو خلاف يستعر فترة ثم يخمد ثم يعود الى الفوران حينا بعد حين . وقد تجدد فى هذه المرحلة لأن الفريق الآخر يرى أن تحررنا قد شمل كل شىء ، وأننا نكتب للجماهير لا لفئة متفقة بعينها، فاذا تحررنا من الوزن والقافية استطعنا أن نفرغ كل طاقاتنا وأحاسيسنا فى القصيدة أو المقطوعة دون أن نتعثر أو نستقطب الطاقة الشعرية المتفجرة ، ودون أن نلجأ الى استخدام ألفاظ قد لا تكون دالة أو موحية أو ألفاظ غريبة على أسماع الجماهير الذين نعبر عن مشاعرهم ، ونحاول امتاعهم ، وليس من ريب فى أن أغلبنا ما زال مشدودا الى عمود الشعر العربى وأن من العسير عليه أن يتذوق شعرا متحررا كل التحرر من الوزن والقافية ، فالشعر الذى تذوقناه فى كل مراحلنا هو الشعر العربى الملتزم ، شعر المتنبى وأبى تمام والبحترى وأبى العلاء المعرى وأبى نواس هؤلاء الشعراء الذين أجمع نقادنا على أنهم أعظم شعراء العربية على الاطلاق ، على اننا فى الوقت ذاته قد قرأنا الموشحات والمواليا الأندلسية وطربنا

لها واستمتعنا بها ، وتأثرنا من غير شك بآراء النقاد العرب ، وان كانوا قلة من أن الشعر يتحقق بدون الوزن والقافية ، واذا كان الأمر كذلك فهل يمكن أن نحسم هذا الخلاف الدائر فى عصرنا كما كان فى عصور من قبلنا ؟ لا شك أن الشعر العربى له أصوله وقواعده ، ولكن هذه الأصول والقواعد يمكن أن تتطور كما تطور كل شىء فلن يظل القديم على قدمه، ولن يظل الحديث حديثا بل سينتهى به الأمر الى أن يكون عتيقا ، وتحاول الاجيال القادمة المتطورة تجديده وتغييره .

هذه هى سنة التطور ، وهذه هى الحياة النامية المتجددة تجدد الفكر الانسانى الذى لا يقف عند حد . على أن الذى أومن به ، وسيظل باقيا بقاء هذا اللون من الأدب هو أنى اذا طالعت شعرا أحسست بأنى أطالع شعرا لا شيئا آخر بمعنى أن احس احساسا عميقا بأن الشاعر قد نقل الى تجربته الشعورية كاملة من غير أن تتقطع انفاسه ، وأن اشعر بصدق احساسه ، وأن يشدنى اليه ، وأن يحرك كوامن نفسى ، وأن يحملنى على التفكير فيما ذهب اليه من معان وأحاسيس ، ولا يهمنى بعد ذلك القوالب التى صب فيها شعره أهى قوالب موزونة أم غير موزونة ، مقفاة أم غير مقفاه ، واذن ينبغى الا نرفض الشكل أيا كان هذا الشكل ، وانما نرفض العى والحصر والانفعال الكاذب والجنس الرخيص ، والتجديد الغامض القاصر الذى ما وجد الا لاحداث البلبلة الفكرية أو محاولة الهدم لذات الهدم .

وليس التحرر من الوزن والقافية هو كل شىء ، بل ذهب الفريق الآخر أو معظمه الى المناداة بالتحرر من اللغة ذاتها ، أعنى اللغة الفصحى ، وترجمة احساسنا ومشاعرنا وعواطفنا باللغة الدارجة التى تفهمها جماهيرنا ، واعتقد أن هذا غلو منهم ، لأنهم يحصرون أنفسهم فى مجال ضيق ، مجال اللهجة المحلية التى لا تفهمها أو تستسيغها الجماهير العربية فى المناطق الاخرى ، هذا الى أننا قد تواضعنا على أن تكون لغة الكتابة ولغة الأدب هى اللغة الفصحى ، ولغتنا الفصحى تمتاز بالمرونة والثراء وكثرة الألفاظ التى تعبر عن معنى واحد أو تكاد تعبر عن معنى واحد ، وميزتها هذه قد مكنت بعض الأدباء من استخدام ما أسموه باللغة الوسطى ، أو اللغة الثالثة التى تستخدم الكلمات أو التعابير الدائرة على الألسنة بقليل من التحوير من غير أدنى افتعال ، ويخيل الى أن المنادين باستخدام العامية أو اللهجة المحلية لا يخدمون قضية الادب العربى بل أنهم يهوتون من حيث يدرون أو لا يدرون من شأن قوميتهم العربية التى تقوم أول ما تقوم على وحدة اللغة ، هذا الى أنهم حين ينادون بذلك يعملون على ايجاد ما يشبه الانفصام ، بين ثقافتنا العربية القديمة ، وبين ثقافتنا المعاصرة، والانفصام يؤدى الى التنكر لماضينا ، ونحن نعلم كل العلم أن من لاماضى له لاحاضر له ، على أننا قد ارتضينا أو ارتضت جمهرتنا أن نقيم ثقافتنا المعاصرة على أساس ثقافتنا الغابرة ، ثقافة الآباء والاجداد . على أننا فى فن «الرواية» يمكن أن نلجأ الى استخدام العبارات العامية فى الحوار التى لايمكن أن تعبر عنها التعبير الدقيق العبارات الفصحى اى فى حالة الضرورة القصوى .

وهناك موضوع آخر أثير فى المعارك الأخيرة وحمل ما لم يحتمل هو موضوع التفسير الخاطىء لبعض تراثنا الاسلامى والخطأ فى نظرى لا يعدو أن يكون قصورا من المفسر أو الكاتب عن أن يحيط بهذا التراث أو يتعمقه.والقصور ناشىء عن أن بعض كتابنا قد طغت عليه الثقافات الأجنبية فبهرته وأقصته عن أن يدرس الثقافة الاسلامية بنفس الحرارة التى يدرس بها الثقافات الأخرى ، ومن هنا كان خطأ هذا البعض أننا من غير شك نعانى من أن مجتمعنا الحاضر يجمع بين فريقين متناقضين كل التناقض ، فريق مثقف ثقافة غربية خالصة ، وفريق مثقف ثقافة عربية خالصة ، الفريق الأول لا يرى ثقافة أصيلة الا ثقافته ، والفريق الثانى يؤمن ايمانا عميقا بثقافة العربية ويراها خير الثقافات ، ووجود هذين الفريقين فى محيط واحد معناه تجدد الصراع بينهما يوما بعد آخر ، وحينا بعد حين ، ولن نتخلص من هذا الصراع وشيكا مع وجود هذه الازدواجية فى التعليم ، ومع محاولة الثقافات الاجنبية غزونا بكل طريق وبكل وسيلة ، ومع وجود هذه الرواسب التى تركها الاستعمار الفكرى وخلفها لنا فى الشرق العربى .

وهذا الصراع واضح كل الوضوح فى الوطن العربى بأسره ، ومن أجل هذا كان واجب المثقفين الأول هو العمل على التقريب بين الثقافات ، بمعنى أن نؤمن جميعا بأن الثقافة العربية الاسلامية هى

(البقية على صفحة ٣٤)

وثيقة مبايعة

للشاعر الدكتور عبد العزيز مطر

من كل أعماقى ، وكل مشاعرى
من مهجة القلب المحب وخاطرى
من كل قلب فى الكنانة مفعم
بالحب للبطل العظيم الثائر
وبحق فجر ثار فيه مؤيدا
بعناية الله العزيز الناصر
وبحق تحرير البلاد وقد قضت
سبعين عاما فى قيود الآسر
وبحق تأميم القناة وردها
للشعب من يد غاصب ومغامر
وبحق وقفة بورسعيد منيعة
من خلف قائدها الشجاع الظافر
وبحق ثامنة الأعاجيب التى
شيدت بأسوان بقدرة قادر
وبحق كل مصانعى ، فبفضله
غدت الصناعة من صميم مفاخرى
وبحق مجتمع يرفرف فوقه
علم الكفاية والعدالة ، ناضر
وبحق ميثاق عظيم سنه
كلماته كالنور فوق منائر
وبحق أجيال مضت تواقة
للنهضة الكبرى وعز الحاضر

***

من أجل حقك يا فلسطين العزيـ
ـزة فى القضاء على الدخيل الغادر
من أجل أن تغدو « عمان » حرة
ويتم تطهير الجنوب الثائر
من أجل رغبة أمة فى وحدة
تسع الخليج الى المحيط الهادر
من أجل افريقيا المناضلة التى
ترنو اليه بكل حب غامر
من أجل نصرة كل شعب ناهض
من أجل تحقيق السلام الزاهر
من أجل آمالى ، بحق مكاسبى
بعقيدتى ، بايعت « عبد الناصر »

***

هذى وثيقة بيعة حررتها
بمشاعرى ، ليست قصيدة شاعر

في أخريات الربيع

للشاعر : بدر شاكر السياب

يا ضياء الحقول ، يا غنوة الفلاح في الساجيات من أسحاره
اقبل ، فالربيع ما زال في الوادي ، قبل صداك قبل احتضاره
لا تصيب العيون الا بقاياه ، وغير الشرود من آثاره :
دوحة عند جدول تنفض الأفياء عنها وترتمي في قراره
وعلى كل ملعب زهرة غيناء فرت اليه من أياره

***

في المساء الكئيب ، والمعبد المهجور ، والعابسات من أحجاره
مصغيات ، تكاد من شدة الاصغاء أن توهم المدى بانفجاره
أرمق الدرب ، كلما هبت الريح وحف العتيق من أشجاره
كلما أذهل الربى نوح فلاح يبث النجوم شكوى نهاره
صاح « ياليل » فاستفاق الصدى الغافي على السفح والذي في جواره
فاذا كل ربوة رجع « ياليل » ونام الصدى على قيثاره :
أين منهن خفق أقدامك البيضاء بين الحشيش فوق اخضراره
مثل نجمين افلتا من مدارين فجالا الضياء في غير داره
أو فراشين أبيضين استفاقا يسرقان الرحيق من خماره ! !

***

أنت في كل موعد وسنان ، ما زال يومه في انتظاره



(بقية المنشور على صفحة ٣١)

الاساس الذى ينبغى أن نتثقف به ، ولا يمكننا أن نتخلى عنه ، وواجبهم الثانى هو اخصاب هذه الثقافة وتنميتها وتلقيحها بالثقافات الاخرى ، كما فعل أجدادنا الذين نقلوا الى العربية الثقافة اليونانية ، فافادوا منها حتى ازدهرت الثقافة العربية . وأينعت واستطاعت أن تجدد وأن تضيف الىالثقافة اليونانية اضافات قيمة ما لم تعرفها ، وتمكنت بذلك من أن تحمل مشعل التقدم والتطور ، وأن توقظ الرعيل الأول من بناة الحضارة الغربية ، وأن تهديهم الى طرق البحث العلميـة الصحيحة ، وفى طليعتها الطريقة التجريبية التى استخدمها«روجر بيكون»الذى كان تلميذا مخلصا للثقافة العربية الاسلامية ، واعترف بهذا فى غير حياء أو خجل ، وكان اعترافه اعتراف العالم الذى يؤمن بان الثقافة ليست ملك أمة ولا شعب ، ولكنها ملك الانسانية جميعا ٠

ان العالم اليوم اصبح أسرة واحدة أو هو فىطريقه الى أن يكون كذلك ، واذن فمن واجب المثقفين العرب اخصاب ثقافتهم لا هدمها أو التنكر لها ، وعملية الاخصاب هذه تقتضيهم الانصراف اليها دون غيرها من المهاترات أو العناد ، وهى عملية ستستغرق كل وقتهم،لأنها لن تنجح الا اذا توافر المثقفون علىدراسة الفكر العربى الاسلامى دراسة مخلصة عميقة مستنيرة فمثل هذه الدراسة لم توجد بعد ، لأن الاستعمار الغربى قد شوه معالم هذا الفكر أو عمل على وقف تيار المد العربى الثقافى ، وعمل مثقفونا فى الوقت ذاته على تطوير هذه الثقافة حتى تتفق وروح العصر مصطفين مناهج الثقافة الحديثة ، وأسلوب التقدم العلمى ، ولن يضيرهم هذا الأخذ ما دامت وجهتهم العمل على التقدم الانسانى والنهوض بثقافة كان لها مجد وتاريخ ، وأثبتت وجودها وكيانها فى عصور متتابعة وآجال متطاولة ٠

محمد عطا

مُنَاجَاة

للشاعر: يس الفيل

اذا ماشقشق العصفور بين المـاء والعشب
وعانق فأسه الفلاح فى زهو وفى حب
وقافلة الصبايا السمر ان غنت من القلب
وان شيخ دعا الفتاح : ربى ارزقنى يا ربى

فزفى يا عروس النور أفراحا الى الدرب
ومدى شعرك الذهبى فوق الجرن والحب
وهاتى كاسك الفضى بالآمال .. للشعب
يغنى حين يترعه .. نشيد الخير والحب

عيد الفكر الإنساني



بقلم : فتحي عثمان

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »

كما يحتفل الانسان بالذكريات السعيدة والمجيدة بأساليب معينة متباينة ... يحتفل المسلمون بعيد الفكر الانسانى ، بأسلوب فريد هو الصيام ٠

ولقد كان رمضان عيد الفكر الانسانى اذ حمل الى البشرية دعوة لاتخاطب الا عقولهم ٠٠٠ دعوة معجزتها المنطق والبيان « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ٠

وهكذا لا تقنع دعوة الاسلام بأن تحمل الى الانسانية هداية عامة مجملة ... انها تريد أن تصل الى أعماق الفكر والوجدان ، عن طريق بينات مفصلة من الهدى والفرقان !!

ودعوة الاسلام لا ترضى أن يتبعها العدد الجم الغفير من البله والمعتوهين ، أو الضالين المضللين٠٠ انها دعوة تخاطب الذين يعقلون ، والذين يعلمون ، والذين يتفكرون ويتدبرون ، وتعرض نفسها على اولى البصائر والابصار والالباب !!

فما أسعد العقل الانسانى بهذا التكريم ... سواء آمن أو لم يؤمن بهذا الدين !!

لقد اعلن القرآن نهاية عهد الطفولة التى كانت البشرية تنقاد خلالها للخوارق الحسية والمعجزات المباشرة الصادعة القارعة ... اعلن القرآن نهاية ذلك العهد ، وبداية عهد الرشد ، وقرر أن اقناع العقل ابقى وأدوم من انبهار طارىء قصير المدى ، قد يستثير رد فعل من اللجاج والعناد « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ٠٠ ومانرسل بالآيات الا تخويفا » ٠

«لقد تكرر طلب الآيات — اى المعجزات — من جانب الجاحدين او بالاحرى زعمائهم كثيرا ، حتى حكى القرآن المكى ذلك عنهم نحو ٢٥ مرة صريحة عدا ماحكى عنهم من التحدى الضمنى ومن التحدى بالاتيان بالعذاب واستعجاله والتساؤل عن موعده ٠٠ **ان حكمة الله اقتضت الا تكون الخوارق دعامة لنبوة محمد وبرهانا** على صحة رسالته وصدق دعوته التى جاءت بأسلوب جديد **هو أسلوب لفت النظر الى الكون** ومافيه من آيات باهرة، واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة والاتجاه وبطلان الشرك والوثنية وسائر العقائد والتقاليد المتناقضة مع هذا الأصل النقى البسيط ، ثم **أسلوب مخاطبة العقل** والقلب فى الحث على الفضائل والتنفير من الرذائل ، واثبات قدرة الله على الحياة الأخرى وفكرة الحق والعدل فيها ، وعلى اعتبار ان الدعوة التى تقوم على وجود الله واستحقاقه وحده للعبودية واتصافه بجميع صفات الكمال ، وعلى التزام الفضائل واجتناب الفواحش **هى فى غنى عن معجزات خارقة للعادة لا تتصل بها بالذات** ، وفى هذا ما فيه من وضوح الرسالة المحمدية وترشيحها للخلود والتعميم » أفلا يحق للفكر الانسانى ان يعتبر شهر القرآن عيدا ٠٠ أكرم به من عيد !!

وعلى قدر الحاح القرآن على العقل الانسانى : يستثيره ويذكى طاقاته ويعلن الثقة به فى اخطر قضاياه ... على قدر ضيقه بالتقليد الذى يمسخ البشر قردة خاسئين !!

فالقرآن يوجه العقول للمنطق والحجة والبيان « وجادلهم بالتى هى أحسن » ، « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » ٠٠ ومن الطريف أن الامام ابن حزم يذكر فى هذا الباب ان المسلمين مأمورون باتباع ملة ابراهيم : « فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا » ، ومن ملته المناظرة والمحاجة « تلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه » ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه » .. ثم يقول ابن حزم « وقد علمنا

الله الحجة على الدهرية والثنوية وجميع الملل ، وامر بالجدال على لسان رسوله (جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم) وقد علمنا رسول الله وضع السؤال وكيفية المحاجة ، وقد تحاج المهاجرون والأنصار وسائر الصحابة ، وحاج ابن عباس الخوارج بامر علي وما انكر أحد من الصحابة الجدال في طلب الحق ، ومن شاء ان يستزيد فليطالع ذلك الباب الممتع الذى عقده ابن حزم بعنوان (باب في اثبات حجج العقول) وهو يستهل الباب منكرا على من قال : لا يعلم شيء الا بالالهام ـ وهم المتصوفة ، ومن قال : لا يعلم شيء الا بقول الامام ـ وهم الشيعة ، ومن قال : لا يعلم شيء الا بالتقليد ـ وهم غلاة المذهبيين ، وعند ابن حزم انه لااحتجاج بغير النص الشرعي من كتاب او سنة ، لكنه يقول : « **بطل ان يعلم صحة الخبر بنفسه ، اذ لافرق بين صورة الحق منه وصورة الباطل ، فلابد من دليل يفرق بينهما ، وليس ذلك الا لحجة العقل المفرقة بين الحق والباطل**» .

● والقرآن يحرر العقول من اى انقياد لرغبة او رهبة .. انه ينعى على الذين قالوا «انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » ، وعلى الذين قالوا « انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا !

وابن حزم يقول هذه الكلمات المشرقة المتالقة :

« اجمع الناس على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم ، وان العلم معرفة الحق بدليله .. وعلى اخراج المتعصب بالهوى والمقلد الاعمى من زمرة العلماء .. ولا يجوز الفتوى بالتقليد لأنه ليس بعلم ، والفتوى بغير علم حرام ، ولا خلاف بين الناس أن التقليد ليس بعلم وان المقلد لا يطلق عليه اسم عالم. وهذا قول أكثر الاصحاب وجمهور الشافعية». وابن حزم يؤثر الخطأ في الاجتهاد على الصواب في التقليد. فالمقلد المصيب موزور بتقليده غير مأجور على صوابه . والمجتهد المخطىء مأجور باجتهاده غير مؤاخذ على خطئه .

أفلا يحق للفكر الانساني ان يعتبر شهر القرآن عيدا ... اكرم به من عيد !!

وتقدير العقل الانساني وحده .. أساس أصيل للمساواة الانسانية .

انه لا مجال في نور العقل لفوارق الأرض او الدم او الطبقة ... فالعقل الانساني موجود ما وجد الانسان .. ومن ثم فكل ارباب العقول سواء !

ولقد كان محمد من (قريش) ، ونشأ في (مكة) .. ولكن لم تنصر قريش رسالة محمد ، وانما نصره (الأوس والخزرج) .. واخرجت مكة محمدا، وكانت (يثرب) هى التى آوته ونصرته !!

وخرج الاسلام الى الناس يحمل معه (الايديولوجية الانسانية) الجديدة ..

● انه يرتكز الى (أمة) لا تنتسب الى أرض او عرق .. بل الى رسالة الخير والاصلاح

« كنتم خير **أمة** اخرجت للناس

« **تامرون بالمعروف**

« **وتنهون عن المنكر**

« **وتؤمنون بالله** »

● ويقيم في الأرض **(دولة)** لا تقوم على حتمية جغرافية أو جنسية .. وانما تعلن ولاء جديدا للاختيار الحر .

« ان الذين آمنوا ، وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

« والذين آووا ونصروا .

« **أولئك بعضهم أولياء بعض**

« والذين آمنوا ولم يهاجروا : مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا

« وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق

« والله بما تعملون بصير .

« **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ، الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » .

ولقد منحت هذه الأمة عضويتها ، ومنحت هذه الدولة رعويتها : للعربي القرشي وغير القرشي ، ولصهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي .. سواء بسواء !!

● **وامة الاسلام ودولته لا تقتلعان عصبية الارض او الدم لتقيما عصبية الدين** .. انها تقدس أخوة

الانسان والانسان ولا تجيز لصاحب الايديولوجية الجديدة أن يستهل بعدوان :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ».

« ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

والاسلام لا يرفع سيفا الا ليردع سيوفا مصلتة على حرية الفكر . فان اغمدت السيوف رحب الاسلام بصرير الاقلام وحجاج الالسنة ، ولو انتهى ذلك - فى اخلاص وشرف - الى عدم اعتناق الاسلام !!

فالقتال فى الاسلام يدفع فتنة طغيان الانسان على الانسان : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة .. ويكون الدين كله لله » .. فان قمع الطغيان وكفلت الحرية، فكل انسان حر فيما يقتنع به ويدين « لا اكراه فى الدين » «قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم ، انلزمكموها وانتم لها كارهون » .

فاذا أردنا أن نحسن (الصيام)، فعلينا الا ننشغل بالاحتفال عن المحتفل به .. علينا ان نعطى (الفكر) دائما قدره ، وان نتعامل اساسا مع (الانسان) !!

وما احق للانسان ان يحتفل بعيد الفكر الانسانى هذا الاحتفال الفريد .

فتحى عثمان

ت . س . اليوت

ومدرسة النقد الحديث

بقلم : سيد سرحان

مع مستهل العام الجديد مات الشاعر الناقد ت . س . اليوت وقالت الجرائد العالمية صبيحة موته ان العالم قد فقد علما من أعلام الادب فى القرن العشرين ، طبع أدب هذا القرن باكمله بطابعه ، وترك عليه بصماته الواضحة . ولم يكن اليوت صاحب مدرسة فى الشعر الحديث فقط وانما كان أيضا صاحب مدرسة فى النقد ، تقوم على نظرية معينة هى النظرية الموضوعية ، وكان لكتاباته النقدية الهامة أثر كبير على تكوين العقلية النقدية لمعظم نقاد هذا العصر .. الذين تتلمذوا على اليوت وفصلوا نظريته بالتطبيق على الاعمال الفنية والاشغال الادبية المختلفة ، أو طوروها وعدلوا فيها وان ظل جوهر النظرية واحدا فى أعمال كل منهم .. ولذلك فان الدارس للنقد الحديث فى القرن العشرين لابد أن يترسم خطوات اليوت ويتتبع أثره العميق فى الكتابات النقدية المختلفة التى ظهرت على مدى نصف قرن فى انجلترا وأمريكا ..

بدأت **مدرسة النقد الحديث** تحت زعامة اليوت بالبحث عن منهج جديد لتحديد الصفات الخاصة التى تميز العمل الفنى عن غيره من نواحى النشاط الانسانى . وكان الباعث الرئيسى لنشوء هذه الحركة الجديدة فى النقد هو الثورة على المدرسة الرومانسية التى ازدهرت فى انجلترا فى القرن التاسع عشر - أو بالاحرى الثورة على النظرية الرومانسية فى النقد التى تقول ان العمل الفنى هو تعبير عن شخصية مؤلفه ، وان وظيفة الناقد هى ان يسجل انطباعاته عن العمل الفنى وكان من نتيجة هذه الثورة أن أعلن اليوت ومن قبله الناقد الفيلسوف الانجليزى ت . ا . هيوم نشأة الكلاسيكية الجديدة التى ترى ان العمل الفنى يجب أن يتميز بالاحكام فى الشكل والدقة فى الصور الفنية . وبدأت الحركة بكتابات ت . ا . هيوم قبل أن يموت بسنة واحدة فى الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٧ . وهى عبارة عن سلسلة من المقالات أطلق عليها اسم « التأملات » ، وهاجم فيها ذاتيه الادب الرومانسى وما يتسم به من غموض ، ودعا الى استخدام الصور الفنية « الجافة والملموسة » فى الشعر خاصة ، كما دعا الى الموضوعية فى الفن عامة . وكان هيوم يؤمن بان الانسان بطبيعته حيوان محدود القدرات ، على عكس ايمان الرومانسيين بأن الانسان له قدرات غير محدودة . وبما ان الانسان حيوان محدود القدرات فهو لايستطيع أن ينجز شيئا ذا قيمة الا اذا فرض على عمله نظاما قاسيا . وأثرت آراء هيوم النقدية والفلسفية فى اليوت وانعكست فى مقالته الشهيرة عن « التقاليد والموهبة الفردية » التى ظهرت عام ١٩١٧ . وفى هذا المقال يدعو اليوت الى الفكرة القائلة بان الشاعر لايعبر عن شخصيته فى العمل الفنى وانما هو يخلق « وسطا » معينا ، وفى هذا « الوسط » تتجمع الانطباعات والتجارب الحسية فى تكوينات جديدة وغير متوقعة . وهاجم اليوت رأى وردزوث الشاعر الرومانسى القائل بان الشعر عبارة عن « تدفق حر للمشاعر » وأكد ان الشعر ليس اطلاق المشاعر على أعنتها وانما هو هروب من الشخصية . فكلما هرب الشاعر من شخصيته التى يعيش بها فى الحياة وخلق جسما موضوعيا لايمت بصلة الى هذه الشخصية كان أقرب الى النجاح . وبهذا المفهوم يصبح العمل الفنى عبارة عن ترتيب وتشكيل له مغزاه للتجارب الحسية ، وليس تعبيرا عن حياة خالقة أو عن تاريخ معين أو فكرة بعينها . وانما هو نمط من التجارب الحسية له وجود أزلى فى الماضى كما هو فى الحاضر والمستقبل . ولذلك فان قصيدة لشكسبير مثلا لها وجود عصرى مثلها مثل أى قصيدة حديثة تماما ، لأنها عبارة عن جسم موضوعى يثير عاطفة أو مواطف معينة ولا علاقة له بالظروف الشخصية أو التاريخية

التي تم خلقه فيها . وبهذا المفهوم أيضا يصبح لتراث الامة الشعرى مثلا وجود عصري ، ولابد للشاعر الجديد أن ينمى لديه هذا الاحساس بحضورية التراث أو عصريته لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها أن ينمى عنده الاحساس بالشكل أو « **الوسط** » الذى يخلق عن طريقه العمل الفنى . وبهذا المفهوم أيضا يصبح الشعر والفن عامة موضوعيين وليسا ذاتيين ، مثل ماكان يعتقد الرومانسيون .

ومن هنا لعبت أفكار اليوت دورا هاما فى تشكيل الحركة النقدية التى قامت فى الثلاثينات فى أمريكا وانجلترا والتى وضعت نصب عينيها انقاذ العمل الادبى من الترجمة الذاتية والتاريخ وحاولت اكتشاف الصفات التى تجعل منه نشاطا متفردا مميزا عن سائر النشاطات الانسانية ، وطرحت الاسئلة الهامة التالية :

ما الذى يميز استخدام اللغة استخداما أدبيا ، وبالذات استخداما شعريا ، عن الوسائل الاخرى فى استخدام اللغة ؟ وما الذى يجعل العمل الفنى متفردا ؟

ولم يكن كافيا ان يقال ان الشعر يتميز بدقة استخدام الصور الفنية او الموضوعية . وانما أوحى تأثير الشعر الرمزى الفرنسى الذى جاء عن طريق اليوت ، بأن الصورة الفنية فى القصيدة مهما كانت دقتها وقدرتها على الايحاء الحسى لايمكن أن تقوم بذاتها فى القصيدة وانما يجب ان تكون جزءا من نمط متشابك من الصور الفنية التى تنتظمها القصيدة ككل .. ومن هنا نشأت وحدة العمل الفنى وقدرته على اعطاء التأثير المتكامل من خلال الجزيئات المترابطة ترابطا عضويا مثل أجزاء الجسم الحى . وعندما توضع الصورة الفنية الواحدة داخل هذا النمط المترابط من الصور التى تكون القصيدة ككل ، فانها تكتسب ظلالا من المعانى أكثر دقة ورهافة وتصبح أكثر قدرة على الايحاء مما لو كانت وحدها وبالطبع اكثر كثيرا من استخدامها فى النثر . وثانيا كان تأثير شعراء ما وراء الطبيعة الانجليز من القرن السابع عشر ، يضيف بهذه النظرة الجديدة الى الشعر والفن عامة الكثير . وأهم ما أضافته دراسة هذا اللون من الشعر هو اكتشاف عنصر الفكر . وقد أكد اليوت فى مقاله الشهير عن شعراء ما وراء الطبيعة الانجليز وخاصة جون دون ، ان الفكر والشعور كانا شيئا واحدا فى شعر هؤلاء الشعراء . فكان جون دون مثلا يحس الفكرة بنفس القوة والسرعة التى يشم بها المرء عبير زهرة جميلة .. وهذا هو السبب الرئيسى فى قوة تأثير شعرهم . أما ما تلاهم من شعراء مثل تينسون وبراونج مثلا — وهما من شعراء الفكرة — فلم يستطيعوا احداث تأثير فى مثل هذه القوة ، لأن الفكر كان ينفصل فى شعرهم عن الشعور .

وترتب على هذا التقييم الجديد لشعراء ما وراء الطبيعة الانجليز تأكيد مدرسة النقد الحديث على استخدام الفكر استخداما جادا فى الشعر . ولا نعنى بالفكر هنا أفكارا معينة أو نظاما فلسفيا يدعو له الشاعر فى القصيدة ، وانما هو تدخل العقل فى تنظيم الاحاسيس والصور الحسية والخبرات التى تكون فى مجموعها القصيدة أو بالاحرى ما يسميه أبناء هذه المدرسة بالبناء القائم على المفارقة . ويقول أحد أعمدة هذه المدرسة وهو الدكتور كلينث بروكس فى كتابه « **الابنة المحكمة الصنع** » ان المفارقة هى لغة الشعر الوحيدة . وقد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ان بروكس يعنى بالمفارقة استخدام الحيل اللغوية أو الخداع الذهنى الظاهر مثلما نقول ان الحقيقة الوحيدة فى الدنيا أنه لاتوجد حقيقة — ليس هذا هو المقصود بالمفارقة اطلاقا وانما تتولد المفارقة الشعرية من موقف شعورى معين يتضمن موقفا مناقضا له فى الظاهر ومع ذلك يتكامل معه ويكونان معا وحدة واحدة فى البناء العام للقصيدة ككل عضوى . كما تنبع المفارقة من مقابلة الدلالات الشعرية داخل القصيدة الواحدة بعضها ببعض فتكتسب بهذا التقابل معانى جديدة قد تتعارض أو تتناقض فى الظاهر ولكنها فى نهاية الامر تكون موقفا شعوريا متسقا هو الانطباع الكلى الاخير الذى تتركه القصيدة فى نفس القارىء . وفى محاضرة ألقاها الاستاذ روبرت بن وارين فى جامعة برنستون عام ١٩٤٣ بعنوان « الشعر الخالص والشعر غير الخالص » حاول أن يوضح معنى المفارقة بطريقة أكثر تبسيطا . فمثلا فى قصيدة حب غنائية لا يجب على الشاعر أن يتناول الحب بصفته عاطفة ساذجة مشبوبة وانما يجب أن يورد الصفات المناقضة لهذه العاطفة الخالصة مثل الجنس والشهوة مثلا ، وبهذا التناقض الظاهرى بين موقفين شعوريين يتسقان فى النهاية ليكونان موقفا مركبا يعطى انطباعا كليا ،

وبالطبع ليس هذا المثـــال ملزما لكل من كتب قصيدة حب غنائية وانما هو فقط تبسيط وتوضيح لفكرة المفارقة . والاستاذ وارين يضرب مثلا على المفارقة كما عرضناها آنفا بمشـــهد الشرفة في مسرحية شكسبير « روميو وجولييت » ففي هـذا المشهد نجد مناجاة الحبيبين التي تتسم بالعاطفـة المشبوبة، بينما يطلق مركيوشو نكاته الشبه جنسية .. وهذا التعليق الدرامي من جانب مركيوشو يكون تناقضا في الشعور بين ما يقـوله وبين مـناجاة الحبيبين الرومانسيين وبالتالى يكون موقفا مركبا تعمق من احساسنا بالحب الرومانسى الذى يربط بين روميو وجولييت .

وقد هاجمت مدرسة **النقد الحديث بشدة** طرق الحديث اليومية والكليشيهات اللغوية المحفـــوظة التى كان من شأنها أن تفقد المعانى جدتها وقدرتها على الايحاء وتجعلها سوقية . ولهذا كان ناقدا مثل آلن تيت ـ وهو من عمد هذه المدرسة أيضا ـ يقول فى مقال له عن « التوتر فى الشـــعر » ان « **كثيرا من الشعراء يضطرون الى اختراع لغة خاصة بهم ، أو الى استخدام لغة قاصرة للغاية** » والسـبب فى ذلك هو أن « **حديث الناس اصبح مشبعا الى درجة كبيرة بالمشاعر العمومية** » أو بالاحرى بالكليشيهات، ولكن قوة الشعر عند «تيت» لاتكمن فى محاولة ايصال معنى معين ، ولا تكمن أيضا فى تجسيم الشـــاعر لاحاسيسه الخاصة المستمدة من حياته . « فتطور » القصيدة أو « امتدادها » أى حركتها المنطقية من نقطة الى أخرى أو من معنى الى آخر حتى تصل الى نهايتها ، وكذلك « كثافتها » أى الشحنة العاطفيـة التى تحملها ، كلاهما أقل أهمية مما يسميه «تيت» « بالتوتر » الذى يقوم عليه بناء القصيدة . ويعنى تيت « بالتوتر » ، التعقيد الفني فى تصـــوير التجربة الشعرية ، ذلك التعقيد الذى يتعدى مجرد حركة المعانى فى القصيدة أو تطورها ، لتصبح مجموعة من الاحاسيس والمعانى التى ينتظمها نمط مركب ، وعلى القارىء ان يحاول قراءة القصـــيدة بوصفها بناء مركبا من المعانى أولا وأخيرا .

وقد عالج الاستاذ الدكتور «١» ريتشـــاردز وهو من أئمة دارسى النقد الحديث وعلم النفس معا، مشكلة المعنى فى الشـــعر والفن عموما فى كثير من كتاباته .. وهو يفرق فى كتابه الهـــام « العلم والشعر » الصادر عام ١٩٢٦ بين طبيعة « المعنى » فى الكتابة العلمية وطبيعة المعنى فى الشعر ، فهو يسمى المعنى فى العلم « معنى مشيرا » أى يشير الى شيء خارج نفسه . فالعبارة العلمية مثلا ليســت مقصودة فى حد ذاتها وانما هى تشير الى حقيقـــة خارجية فى الطبيعة ، اما المعنى فى الشعر فيسميه الاستاذ ريتشاردز « معنى عاطفيا » وهـــو يختلف عن الاول اختلافا جذريا ، فليس المقصود منه ايصال حقائق أو أفكار وانما خلق حالة شعورية معينـــة ذات قيمة . ويعنى ريتشاردز بالقيمة ، تنظيـم الاحاسيس والدوافع البشرية المتعارضة والمتنافرة، وهذا الجزء من نظريته لايختص فقط بطبيعة الشعر من حيث هو كيان عضوى مستقل وانمـــا يختص أيضا بمهمة الشعر . وريتشاردز يعتمد الى حد كبير على علم النفس فى هذه النظرية ـ التى تنبع أيضا من مفهوم أبناء مدرسة النقد الحديث للفن بوصفه جسما موضوعيا مستقلا عن شخصية الشـــــاعر وشخصية القارىء أو الناقد على الســواء . ويرى ريتشاردز ان الانسان تتنازعه مجموعة من الدوافع المتصارعة المتناقضة ، وتنجح بعض هذه الدوافع فى التغلب على البعض الآخر وتبرز على الســـطح وبالتالى تكون هى المحرك لسلوك الانســـان فى الحياة ، أو تلك المكبوتة فتظل فى منطقة الظـــل ولكنها تتحين دائما الفرصة للظهـــور والتغلب على الدوافع الاخرى والانسان بالتـــالى فى لحظـــات حياته اليومية يظل دائما أبدا نهبــا لهذه الدوافع المتناقضة . واذا سلمنا بأن الشـــعر ـ أو الفن عموما ـ هو عملية تنظيم للاحاسيس فى نمـــط عضوى معين ، فان قراءة قصيدة ما من شأنها أن تنظم هذه الدوافع المتعارضة أو المتنازعة فى نفس القارىء ومن ثم يصل أثناء القراءة الى حالة نفسية من التوافق والانسجام فى الدوافع والاحاسيس . ذلك هو جوهر « **نظرية القيمة** » التى كونت ركنا هاما من أركان النظرية الحـــديثة فى النقد . ويستطيع الدارس أن يجد تشابها كبيرا بين الاثر الذى يحدثه الشعر عند ريتشاردز ونظرية التطهير التى نادى بها أرسطو فى حديثه عن المأســـاة فى كتاب « الشعر » الا أن ريتشاردز اســـتطاع أن يعطى نظريته صيغة علمية لم تتوفر للفيلســـوف الاغريقى العظيم ، مستفيدا من نظريات علم النفس الحديث ومرتكنا الى الاطار العـــام الذى تتحرك مدرسة النقد الحديث فى داخله ، وتعنى به اطار الموضوعية فى الشعر أو الفن بشكل عام .

سمير سرحان

إسعاف النشاشيبي

بقلم : كامل السوافيري

في الثاني والعشرين من يناير منذ سبعة عشر عاما لبى أديب العربية الكبير محمد اسعاف النشاشيبي نداء ربه في القاهرة فلم تقذ عيناه برؤية اشلاء قومه متناثرة في الدروب ، ولم يذب قلبـــه حسرة على ما اصاب وطنه فلسطين .

واسعاف النشاشيبي علم من أبرز اعلام الفكر المعاصر ، وكوكب متألق في سماء الأدب الحديث ، سار اسمه على كل لسان ، وذاع أدبه في كل قطر ، وملأت شهرته الآفاق .

وأدل سمة تميز الفقيد حبه للعربية ، واعتزازه بالعرب ، وافتخاره بالاسلام ، فكانت اللغة العربية أو فتاة الجزيرة - كما كان يحلو له أن يسميها - فتــاة أحلامه التي شــغفته حبـــا . تغنى بعظمتها وروعتها ، وترنم بفصاحتها واعجازها ، وسخر بيانه للاشـادة بمكانتها ، والاعلاء من قدرهـا ، والدفاع عنها ، وجعل من هذا البيـــان الخالق المبدع نارا تحرق من غض من قدرها أو انتقص فضلها .

وهام اسعاف بنبي العرب محمد صلى الله عليه وسـلم فاستلهم منه معـــاني السمو ، واستمد من سيرته روح القوة والبطولة .. لقد نظر اسعاف الى اللغة العربية نظرة عميقة باعتبارها أقوى دعامة في دعائم القومية العربية ، وأعظمها أهمية ، وأكبرها أثرا . فباللغة العربيـة عبرت الأمـــة العربية عن أفكارها ومشاعرها ، وباللغة العربية نزل القرآن الكريم المعجز بفصـاحته وبلاغته ، وباللغة العربية حفظنا تراثنا الذي به نعتز ونفاخر ، فلا غرو أن يعتبر اسعاف اللغة بأنهـــا الأمة ، ويعد الأمة هي اللغة حين يقول : « اللغة هي الأمة والأمة هي اللغة وضعف الأولى ضعف الثانية وهلاك الثانية هلاك الأولى .. وان يعتبر اللغـــة ميراثنـــا العظيم الذي ورثناه عن آبائنا ، وأننا ينبغي أن نحرص على هذا الميراث ، فيقول « واللغة ميراث أورثه الآباء الابنــاء وأحزم الوارث صائن ما ورث ، وأسفههم في الدنيا مضيعه وانا أمم اللسان الضادي لعرب ، وان لغتنا نهي العــربية ، هي الارث الذي ورثنــاه ، وانا لحقيقون - والاباء هم الاباء ، واللغه هي تلك اللغة - بان نقي عربية الجنس وعربية اللغة ، نقي العربيتين مما يضيرهما او يوهنهما » . ويبين فضـــل اللغه العربية على غيرها من اللغات فيقول : «واذا تنافرت اللغات يوما وتساجلت جاءت فتـــاة الجزيرة سيدة عقيلة وجئن اماء ، واذا طلعت تضـــاءلن امامها ثم غربن وغـــرن كالشمس اذا نجمت لم تبد كواكب السماء » وحب اسعاف للعربية واعتزازه بالعربي ، وهيامه بالعرب كل أولئك جعله يسمي معظم كتبه بما يحمل هذه المعاني ومن هذه الآثار « قلب عربي ، وعقل اوربي» القدس ١٩٢٤ ، «كلمة في اللغة العربية» القدس ١٩٢٥ «العربية وشاعرها الاكبر احمد شوقي و « اللغة العربية والاستاذ الريحاني » و «العربية في المدرسة» القاهرة ١٩٢٨ ، و «البطل الخالد صلاح الدين ، والشاعر الخالد احمد شوقي» القدس ١٩٣٢

واسلوب النشــاشيبي ذوب روحه وابن نفســه وخليقته وطريقته لم يقلد فيه أحدا ، ولم يتأثر نهج كاتب ، وانما هي الفاظ عربية مضرية عرفها ، وملكه وهبها وتتجلى فيه الشـــدة التي تتمثل في خلـق اسعاف والقــوة التي تتمثل في نفسه ، والوضوح الذي يتمثل في طبيعته .

وقد دعا اســعاف أدباء عصرنا الى ورود الينابيع العذبة الصافية: القرآن الكريم ، والحديث الشريف، وامهات الكتب العربية كالأغاني والأمالي ، والكامل والبيـــان والتبين ليشيدوا بناء لغتهم على أقـوى الأسس .

ودعوة النشاشيبي جعلتني أتســـاءل اليوم عما كان سيصيبه من حسرة وألم لو امتد به العمر فعاش حتى هذه الأيام ورأى كيف يتعجل فريق من الناس الشهرة فيسودون الصفحات بكلام اجوف ظانين انه من الأدب والأدب يبرأ منه ، وكيف يكتب فريق آخر فنون الأدب باللغة العامية زاعما أن واقعية الفن تملى عليه ذلك ، وكيف تشن الهجمات على معاقل الفصحى ومنابع التراث ؟

وعادت بي الذاكرة الى تلك الكلمات النارية التي نشرها الفقيد في مجلة الرسالة تارة باسم السهمي وثانية باسم أزهري المنصورة وثالثة باسمه الصريح فاخرس بها الألسنة المتطاولة على بنت عدنان ، والجم بها المعتدين على تراثنا القديم .

ولد النشاشيبي في مدينة بيت المقدس سنة ١٨٨٢ وفي كتاتيبها تلقى دراسته الأولى ثم أرسله والده الى المدرسة البطريركية في بيروت حيث قضى بها أربعة أعوام درس فيها أصول اللغة وتذوق فنون الأدب ، وسحرته اللغة العربية برشاقة أساليبها وأناقة عباراتها ، وجمال مفرداتها • وعاد الى فلسطين فكان أول نجم لمع في سمائها الأدبي في ذلك الوقت وعلى وجه التحديد في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى • اذ اخذ يملأ انهار الصحف الادبية التي كانت تصدر في القدس من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٣ بالوان من أدبه في الشعر والنثر •

ولما خمدت الحرب ، وابتليت فلسطين بالانتداب الذي فرض عليها تحقيقا للوعد المشئوم ، وأنشئت بها ادارة بريطانية للمعارف اختير الفقيد مدرسا للغة العربية ثم اختير مفتشا عاما لها فنهض بها ، ورفع لواءها وأشرب الطلبة حبها وقدم للناشئة كتابيه : مجموعة النشاشيبي سنة ١٩٢٣ والبستان سنة ١٩٢٤ مختارا فيهما من عيون الشعر وبدائع النثر ما يتمشى مع نمو الطلبة العقلي في الاستظهار والدراسة • وبعد سنة ١٩٣٠ اعتزل ادارة المعارف، وانصرف عن الوظيفة وعكف على القراءة والبحث والقيام بالرحلات السنوية لمصر والشام • وفي سنة ١٩٣٦ قدم للمكتبة العربية كتابه العظيم الاسلام الصحيح الذي قرأ من أجله مايزيد على الف مرجع•

وابتداء من سنة ١٩٤٥ أخذ يقدم لقراء الرسالة مختارات من عيون الادب العربي تحت عنوان «نقل الاديب» •

وحين حضر للقاهرة قبل وفاته حمل معه ثلاثة كتب : نقل الأديب ، وأمالي النشاشيبي ، والتفاؤل عند أبي العلاء •وقد نشر الأول في بيروت سنة١٩٥٦ وقدم له وترجم لمؤلفه الدكتور اسحق موسى الحسيني أما الكتابان الآخران فلم يكتب لهما ان يريا النور •



استظهرت في مقاعد دراستي بمدرسة السوافير في بواكير طفولتي مقطوعة شعرية وكلمات نثرية مما اختار النشاشيبي في بستانه لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، وفي فجر شبابي اسعدني القدر بلقاء النشاشيبي والتعرف اليه في فلسطين حيث استمعت اليه خطيبا يهز القلوب ، ويخلب الأفئدة وقرأت بعض آثاره،وعشت فترة مع كتابه: الاسلام الصحيح، وامتدت بي الايام فلقيته في القاهرة ، وشهدت مع أعلام الادب والفكر ـ نديه في فندق الكونتننتال الذي كان ينتظم عقده كل أمسية ، في فصل الشتاء ، واصغيت اليه في اعجاب وهو يطوف بنا في رياض الأدب ويروي روائع الشعر ، وغرائب التاريخ ، ونوادر الأمثال ، ويسوق الشواهد ، وينشد الأبيات ، ويصل القديم بالحديث كانما يقرأ من كتاب مفتوح ، وأكبرت علم الرجل وادبه وسعة اطلاعه وساءلت نفسي : كيف حصل اسعاف من العلم ما حصل ، ووعت ذاكرته ما وعت ؟ وخيل الى أن اسعاف قد وعى كل ما كتب في اللغة ، واستوعب ما ألف في الأدب وهنا استعير بيان الاستاذ ، أحمد حسن الزيات ، اذ يقول عنه بعد وفاته في العدد ٧٦١ من الرسالة الصادر في ٢ فبراير سنة ١٩٤٨ :

« **لا تستطيع أن تذكر له كتابا من كتب العربية لم يقراه ، ولا بيتا من شعر الفحول لم يحفظه ، ولا خبرا من تاريخ العرب والاسلام لم يروه ، ولا شيئا من قواعد اللغة ونوادر التركيب وطرائف الأمثال لم يعلمه** » •



ووفاء للفقيد أتمنى أن يقام له مهرجان في القدس او في القاهرة يتناول فيه أصدقاؤه الأعلام جوانب عبقريته ونواحي ثقافته ، وأن يعاد نشر كتبه وآثاره ، ومنها ما يمكن جمعه في كتاب واحد يضم كل ماقال عن اللغة العربية ، وأن يترجم له في كتب الأدب وتختار من كلماته نصوص للطلبة ، وأن يدرس أدبه في الجامعات والمعاهد . لقد قال اسعاف عن مصر في كتابه العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقي « الا ان محمدا وذكر محمد وقرآن محمد ولغة محمد وعربية محمد وأدب محمد كل ذلك لن يزول وكل ذلك لن يبيد وفي الدنيا مصر » •



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

شياطين المعركة!

المعركة الأدبية الأخيرة أخذت الوانا شتى من الصراعات . بعضها حقيقى . وبعضها وهمى أو يلبس الحقيقة بالوهم ..

وقد دخل فيها - الى جانب المتعاركين الأصلاء - من يقذف هذا بحجر أو حصاة ، ومن يحفن حفنة من التراب ويذريها فى وجوه الآخرين ... ومن يأخذ أقباسا من نار المعركة ويرمى بها فتعلق ببعض الأشياء فتنتشر منها رائحة شياط لا تستطاب .

ونرى من واجبنا أن نقول لهذا أو ذاك : لا ، يابنى .. أو يا أخى عيب .. لا تفعل هذا .. أو ليس الأمر هكذا .. أو مثل ذلك .

ونقول ذلك لأن هؤلاء الذين يقذفون بالحصى والحجارة والنار والتراب يعتلون منابر ذات قيمة لا بد أن تجعل لكلامهم أثرا فى بعض القراء .

فى مقال تحت عنوان « **نحو اتحاد ثورى للأدباء والكتاب** » بجريدة الجمهورية (الخميس ١٤/١/١٩٦٥) يصور الأخ فاروق منيب المسألة على أنها ابعاد للأدباء «**التقدميين**» عن جمعية الأدباء والمجلس الأعلى ولجانه والاقتصار فى هذه الهيئات على « **الجامدين** » الذين « **يعتقدون أن المرأة هى المتعة والفراش** » **وأن الأعضاء الحاليين فى الجمعية وفى المجلس الأعلى لا يكونون الكيان الحقيقى للأدباء والكتاب** .. أو كما يقول : « **من اجل هذا كله (يعنى تأخر الأعضاء وعزلتهم) وضح المطلب الضرورى .. أن تلتئم جمعية الأدباء والمجلس الأعلى بكيان الأدباء والكتاب الحقيقى ..** »

وهذا « **الكيان الحقيقى** » يذكرنا بما كان يقوله أعضاء حزب الأحرار الدستوريين من أنهم « **أصحاب المصالح الحقيقية فى البلد** » .

والمقال يرمى الى ضرورة تكوين « اتحاد ثورى للأدباء والكتاب » كما يدل عنوانه وطبقا للهتاف المختوم به .. وهو « **عاشت وحدة الكتاب الثوريين**»!

وأقول للأخ فاروق منيب : ان الأدباء والكتاب الثوريين الذين تعنيهم وتطالب بضمهم الى جمعية الأدباء .. كلهم أعضاء فى الجمعية .. لا فى الجمعية العمومية فقط ، بل منهم أعضاء فى مجلس الادارة، وما أظنك تحسب **أحمد بهاء الدين وعبد الرحمن الشرقاوى** عضوى مجلس الادارة من الرجعيين المتأخرين ! والمجلس الاعلى تتمثل فيه كل الاتجاهات الادبية ، وما من لجنة من لجانه الا تشتمل على أعضاء من « ذوى الكيان الحقيقى » الذين تعنيهم ، وما أظن **يوسف ادريس ونعمان عاشور** مثلا عندك من غير ذوى هذا الكيان ! لجنة واحدة فقط - هى لجنة الشعر - ليس فيها من يمثل الشعر الجديد ، والمعركة الحقيقية كما قلت من قبل هى بين شكلى الشعر : التقليدى والجديد ، وما عدا ذلك اوهام أو أسباب يتذرع بها لأغراض أخرى .

والمؤتمرات والمهرجانات هى أيضا غرض من الأغراض .. وقد جاء ذكرها فى مقال الأخ فاروق .. ويظهر أنه لم يطالع فى الصحف أسماء مثل « **يوسف ادريس وصلاح عبد الصبور** » فى وفد مؤتمر الادباء العرب ومهرجان الشعر اللذين يجتمعان قريبا ببغداد . ولعله يلاحظ أن صلاح عبد الصبور يمثل الشعر الجديد .

أما مسألة المرأة من حيث الآراء التقدمية والرجعية فى شأنها بين أعضاء الجمعية والمجلس ولجانه .. فحسبى أن انبه الأخ الى أن رائدتين من رائدات

النهضة النسائية من أعضاء هذه الهيئات ، وهما الدكتورتان : بنت الشاطىء ، وسهير القلماوى ٠

ذلك لون من « **شياط المعركة** » وهو من الوان « التقدميين » الذين يحتكرون التقدمية والثورية والكفاحية ٠٠ ويرونها مقصورة عليهم !

وهاك لونا يمثل الطرف الآخر بحق ٠٠ فاذا كنا نرى ذلك اللون زعما ووهما فان هذا اللون حقيقة، وهو حقيقة مؤسفة ٠٠ فالأخ عبد الكريم الخطيب - فى مقاله « أصل القضية » بالعدد ٧٨ من الرسالة - يرى أن الشعر الجديد ليس كلاما ٠٠ او كما يقول : « **وبلية الشعر الجديد هذا أنه ليس كلاما أصلا !!** »

لماذا يا أخى ؟ ألا ينطبق عليه قول ابن مالك : « **كلامنا لفظ مفيد كاستقم** » ؟!

ويرى الاخ عبد الكريم أن « أصل القضية » **يكمن فى أن الشعر الجديد انما هو محاربة للدين** ٠٠ لماذا ؟ لأنه « يعرض اللغة العربية لخطر داهم من شأنه اذا امتد واستشرى أن يذهب بهذه اللغة » وبما انه كذلك يجب ان « يذكر الذاكرون أمر الدين وما يلحقه من هذا الضياع الذى تتعرض له اللغة ٠٠ فانه فى اليوم الذى تضيع فيه معالم اللغة العربية وتنطمس مدلولات كلماتها ومفاهيم أساليبها ٠٠ فى هذا اليوم - لا كان - تنقطع بين المسلمين وبين الاسلام كل علائق الصلات التى تصلهم به ، وتضيع معالم السبيل التى يردون منها موارده وينهلون من مناهلها ! » ٠

وانى أطمئن الأخ عبد الكريم ٠٠ فلن يؤدى الشعر الجديد الى شىء من هذا أبدا ٠٠ فان أصحابه يقولونه بلغة عربية فصيحة مبينة ، بل هى فى شعر بعضهم أفصح وأبين منها فى شعر بعض التقليديين ٠

ومسالة الدين هنا - يا اخى - مقحمة ، وهى نغمة قديمة جدا ٠٠ عزف عليها كل من اعترضوا طريق التقدم فى عصرنا الحديث ، ومن أوائلها ما حكاه الدكتور طه حسين فى كتاب «الأيام»من قول أحد المشايخ : « ٠٠ **ومن ذهب الى فرانسا (بكسر النون) فهو كافر او على الأقل زنديق !** »

وبما أن كثيرا من المسلمين ذهبوا الى فرنسا وعادوا غير كافرين ولا زنادقة ٠٠ فان الشعر الجديد كذلك لن يعرض الدين لأى ضياع !

وهذا لون ثالث من « شياط المعركة » يشبه ما يلتصق بأسفل قدر تحتها النار وقد غفل عنها الطاهى ٠٠ مقال عن مسرحية عبد الرحمن الشرقاوى « مأساة جميلة » كتبه الأخ عامر بحيرى فى مجلة الثقافة - العدد ٧٧ - تابع فيه حملة ضريرة على هذه المسرحية ٠

أظن انه من البدهى المعروف والمجمع عليه **أننا لا نعادى الشعوب التى تعادينا حكوماتها وأفراد** منها، بل على عكس ذلك ندعو الىالسلام العالمى الذى يقوم على تآخى شعوب العالم فى الانسانية ، وأن الناس الذين يسخطون ويثورون على القوى الاستعمارية فى بلادهم نعدهم أصدقاء ونشيد بهم، مثل « سارتر » بالنسبة للجزائر ، وبرنارد شو بالنسبة لحادث دنشواى ٠ وقوميتنا العربية ليست تعصبا عنصريا ، بل هى انسانية فى غاياتها البعيدة.

كنت أحسب أن هذه الحقيقة بدهية لا تحتاج الى تقرير أو شرح ، ولكن ما قرأته فى مقال عامر بحيرى خيب ظنى ٠٠

ذلك أن عبد الرحمن الشرقاوىصنع فى مسرحيته « **مأساة جميلة** » **صنعا انسانيا أكسبها قيمة أدبية عالمية ، الى جانب ما قامت عليه من الوطنية العربية وتصوير كفاح العرب فى الجزائر** ٠ اذ أتى ببعض الشخصيات الفرنسية وعبر على لسانها عن سخطها على قادة بلادهم الذين يسوقونهم الى حرب الآمنين فى بلادهم والاعتداء عليهم ٠

ومن تلك الشخصيات شخصية « سيمون » الراقصة الفرنسية التى ساعدت مجاهدى الجزائر فى تدبيرهم ضد الجنود الفرنسيين ٠ ولا يعجب الأخ عامر بحيرى تبرير « سيمون » لمساعدتها الجزائريين بقولها :

« **من اجل فرنسا ما أصنع !**
من أجل القيم الفاضلة المتهنة فى وطنى الضائع ! »

ويؤسفنى أن أحتاج الى شرح هذا الكلام ، كما احتجت الى تقرير تلك الحقيقة المعروفة ٠ فالسيدة الفرنسية ترى بحق أن قادة بلادها الاستعماريين يعملون ضد فرنسا نفسها ، وأنها اذ تقاومهم تعمل على خدمة فرنسا ٠

وكذلك يرى المحامى الفرنسى الذى دافع عن

« جميلة » فينبه قومه الى خطأ ما يفعلون مما يشوه تراث فرنسا ويلطخ جبينها بالعار .

وهل أحتاج مرة ثانية الى أن أقول اننا لسنا أعداء لفرنسا الشعب .. ؟

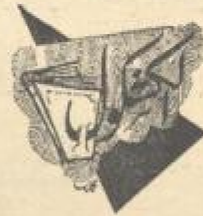
الحق انني مندهش ، والقلم لا يطاوعني في شرح البدهيات ومناقشة أمور ظاهرة الخطأ ، وما أصعب أن تدلل على أن الشمس ساطعة في نهار لا غيم فيه .

ان المسرحية كلها تمجيد لجميلة وسائر المجاهدين الجزائريين ، أفلأنها اشتملت على تصوير أفراد من أعدائهم في صورة مشرقة ، لأن الحق والخير يشرقان في نفوسهم فيرون سوء ما يفعل قومهم — نقول ان المؤلف يمجد فرنسا لا الجزائر ويشيد بسيمون لا بجميلة !!

أليس تصوير هؤلاء الأفراد نفسه باعتبارهم ساخطين على فظائع قومهم — هو نفسه معززا للمعنى العام في المسرحية ، اذ يعتبر من قبيل ما نقول في مثله : وشهد شاهد من اهلها ؟

ومن أمثلة الفهم العجيب عند الاخ عامر بحيري أن « سيمون » راقصة .. وهي لهذا غير جديرة بالموقف الحسن الذى وضعها فيه المؤلف !

الا تشم رائحة الشياط ؟!



● ذكرني ما قاله الأستاذ شاكر في مقاله بالعدد الماضي من الرسالة في الدكتور محمد مندور **من أنه « ينقد » دون أن يقرأ ما ينقده** — ذكرني ذلك بالحكاية التالية :

على اثر ظهور ديوان « **شفق** » للاستاذ العوضي الوكيل كتب الدكتور محمد مندور في جريدة الجمهورية « ينقد » الديوان ، فكان مما قاله أن الشاعر لفرط حبه للطبيعة ومظاهرها سمى ديوانه « شفق » ولم يفته — أي مندور — أن يتحدث عن منظر الشفق واسره للشعراء ..

والواقع ان معظم شعر الديوان قاله الشاعر في اسرته واولاده ، ومن بينهم ابنته « شفق » التى ظفرت وحدها بقصيدة تحت هذا العنوان الذى سمى به الديوان !

● في ندوة « فكر وفن » بالبرنامج الثالث للتليفزيون العربي — كان الدكتوران رشاد رشدى وفايز اسكندر يقدمان ثلاث مسرحيات قصيرة لتشيكوف ، فقال الثاني : **ان رشاد رشدى هو أول من ترجم لانطون تشيكوف الى العربية !!**

والدكتور رشاد رشدى يعلم — لا بد — انه ليس اول ... الخ ، وكنت أحب أن يرد ببيان الحقيقة ، **وهي أن كثيرين ترجموا لتشيكوف الى العربيه قبله .**

قرأنا كثيرا من قصص تشيكوف القصيرة التى ترجمها المرحوم محمد السباعي في العشرينات من هذا القرن ، وقد جمعها ولده يوسف السباعي مع غيرها في كتاب « **مائة قصة** »

● كان الدكتور لويس عوض قد قدم أول حلقة من قصة « **الشحاذ** » لنجيب محفوظ التي تنشر الآن مسلسلة في ملحق الأهرام الأدبي ، وقال في التقديم انه قرأ القصة وأعجب بها ، ورآها خطوة جديدة في فن نجيب محفوظ تضعه في الصف الأول من الكتاب العالميين .

وقد قرأت الأجزاء التي نشرت من قصة الشحاذ . وأتمنى أن يكتب نجيب محفوظ مالا يعجب لويس عوض !

● في احدى حلقات البرنامج الخاص الذى يقدمه البرنامج العام للاذاعة عن « صاحب البردة » الامام البوصيري — قال فقيه الكتاب للصبي محمد ابن سعيد (البوصيري) : يجب أن تتكنى .. وبين له ما يقصده بالتكني فقال : تنتسب الى بلد من البلاد ولتكن كنيتك من الآن البوصيري ..

وذلك خطأ ، لأن الكنية هي ما تصدر بأب أو أم كأبي الطيب وام أحمد .

● كنت أوثر الا يكتب استاذ الأساتذة **الدكتور طه حسين** — ملخصات القصص التي تنشرها أخبار اليوم ، وأن يدخر طاقته الثمينة لتاليف أجدى . اطال الله حياته وأمتعه بالصحة والعافية .

عباس خضر

حول الأدب



بقلم عبده بدوى

الشاعر والموت

يمكن أن يقال ان « بدر شاكر السياب» عاش الحياة كأعمق ما تكون الحياة ، وانه مابين عامى ١٩٢٦ ، ١٩٦٤ قد عاش في الوهج من كل شيء ، قد عرف النار ، والخوف ، والقلق ، والانتظار ، وقد كان وراء كل هذا شيء رهيب اسمه «الموت» .

فالموت هو البطل الحقيقى فى حياة بدر شاكر السياب ، صحيح انه لم يظهر له بكافة ملامحه فى ديوان «ازهار وأساطير» ولكن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن هذا الديوان كان تمهيدا للرؤية الحقيقية للموت .. تمهيدا لان يحس الشاعر أن الموت يعيش فيه كما تعيش الحياة، وان هذا الموت يمكن أن يتغلب على الحياة فى أية فترة من فترات النهار ، أو أية قطرة من قطرات الليل ، وكان شكسبير قد عبر عن هذه الحالة حين قال : « لم يأت اليوم بعد ولكنه آت لامحالة ! » فهو فى هذه الفترة الاولى يدخل فى تجارب الحياة ، ولكن سرعان ما يكتشف أن هذه التجارب تنتهى بالاحباط ، ومن هنا يكثر حديثه عن الشتاء والخريف ، وعن القطرة التى بين الاهداب ، وعن الخوف من أن يصيح أحد السمار بقوله : « أحبا وخابا فواحسرتاه ! » ، وعن المناديل الحيارى التى تومىء بالوداع أو تشرب الدمع الثقيل ، وعن الضياع مع الضباب .

والشاعر يدرك فكرة الموت فى أول الامر محنة ، ولكنها تطل من كلماته على استحياء ، فهو لايقصد اليها ، وهو لايتحدث عنها الا حين تصبح أمامه حقيقة .

● أشباح غناء

تتنهد فى الحاكى وتدور كاعصار

بال مصدور

● وهويت أنشقها فتصعد كلما صعد العبير

من صدرى المهدوم حشرجة فتحترق العطور

تحت الشفاه الراعشات ويطفأ الحقل النضير

شيئا فشيئا .. فى عيونى ثم ينفلت الأسير !

● أظل أذكرها .. وتنسانى ؟

وأبيت فى شبه احتضار ، وهى تنعم بالرخاء

● التفيئك ؟ كان شوقي للقياك اشتياقا الى الضياء الحزين

واحتشاد الوجوه في الغربة الجوفاء ، والشاي، والخطا ، واللحون .

فالشاعر في هذه الفترة يتحرك بالمرض ، ويحس أن الحياة مازالت كالفراشة التي تحط فوق زهرة عمره الهزيلة ، ولكن هذه الفراشة تطير ويحط مكانها شيء ثقيل يسمى «الموت» ، وهو لايستقبل هذه الفترة بالذعر ، وتلاحق الانفاس ، واتساع الحدقتين ، ولكنه يستقبله وهو يحس أنه لابد أن يفتح له الباب كما فتح له صدره من قبل ، ومن هنا لا يصبح الموت مقيما في صدر الشاعر فقط ، ولكنه يقيم في كل شيء من حوله ، فنحن نرى الموت يملأ قرية جيكور في أول الامر ، ولكنه يغادرها الى كل مكان في العالم، ولما كان الشاعر في هذه الفترة أصبح يضع عينيه وقلبه على الحياة ، فانا نراه يملك عالما عليلا يختفي الموت وراء كل معالمه .

وينظر حوله فيجد شاعرين يؤنسان رحلته ، أما أولهما فهو الشاعر الانجليزي جون كيتس الذي مات بالسل (نفس الداء) في الخامسة والعشرين ، وهو حين يستحضره لايستحضر منه غير قصيدته التي كانت آخر ماكتبها ، والتي كان يخاطب بها كوكبا في السماء :

● وتمتد يمناك نحو الكتاب

كمن ينشد السلوة الضائعه

فتبكي مع العبقري المريض

وقد خاطب النجمة الساطعه

« تمنيت يا كوكب

ثباتا كهذا ــ انام

على صدرها في الظلام

وافنى كما تغرب »

ثم هو يهدي قصيدة الى الشاعر الفرنسي شارل بودلير ، وحين يختمها يقول :

● ... صكني العباب

يقذفني من شاطىء لشاطىء قديم

حملت من قراره محارة العذاب

حملتها اليك

فمد لي يديك

وزحزح الصخور والتراب.

صحيح انه انزعج لنبوءة عراف هندي تقول بان الحياة ستنتهي على الارض في عام ١٩٦٢ ، في قصيدة «نبوءة ورؤيا» وانه كان يتشبث بالشمس لكيلا تغرب لانه لا يأتي مع الليل سوى الموتى كما في قصيدة (الام والطفلة الضائعة) ولكنه أصبح يحس انه لاأمل في عودة الفراشة التي طارت من فوق زهرة عمره ، وانه أصبح لايحس الا هذا الشيء الثقيل اللزج الذي يسمى الموت ، واذا كان هذا الاحساس واهنا في ديوان المعبد الغريق ، فانه أصبح حقيقة مؤكدة في ديوان منزل الاقنان، بحيث أصبح احساسه بالموت كهذا الاحساس الذي عبر عنه الشاعر بيتس من انه لايخرج عن كونه انتقالة من حجرة الى أخرى.

لقد كان يأمل في بعض الاحيان ، ولكنه هذا الأمل الخاطف الذي لايختلف في ملامحه عن اليأس والذي يمكن أن نراه في قصيدة (صياح البط البري)

● صياح كأجراس ماء .. كأجراس حقل من النرجس

يدندن والشمس تصغي ، يقول :

بان المطر

سيهطل قبل انطواء الجناح

وقبل انتهاء السفر !

كما يمكن أن نراه في قصيدة «نداء الموت» فبينما تصيح به آلاف القبور ، نرى به جذوة من حريق الحياة تأبى الموت ، وتتوهج هذه الجذوة حين يناديه ابنه غيلان ، ولكن ام الشاعر الميتة سرعان ما تطلب اليه أن يسرع اليها لكي يدفىء عظامها ، ومن هنا نرى الشاعر يلقي كلمات تقول : (خريف ، شتاء ، أصيل ، أفول) .

ثم يطلب من قبر أمه أن يفتح له ذراعيه ، فالام التي تمثل الشيء الثقيل اللزج ، أصبحت أقوى عنده من الابن الذي يمثل الفراشة الرفافة .

بل ان الموت يصبح عنده بعد ذلك شيئا محبوبا ، حين يصل الشاعر الى مرحلة تشبه التصوف بحيث يمكن القول بأن الشاعر قد أصبح يعيش بالموت اكثر مما يعيش بالحياة ، وانه يجب أن يتحول الى أيوب عصري تتوهج فيه نبوة المرض والموت والرضى في وقت واحد .

● لك الحمد ، ان الرزايا عطاء
وان المصيبات بعض الكرم
الم تعطنى أنت هذا الظلام
واعطيتنى أنت هذا السحر ؟
فهل تشكر الارض قطر المطر
وتغضب ان لم يجدها الغمام
شهور طوال وهذى الجراح
تمزق جنبى مثل المدى
ولا يهدأ الداء عند الصباح
ولا يمسح الليل أوجاعه بالردى
ولكن أيوب ان صاح صاح
لك الحمد ان الرزايا ندى
وان الجراح هدايا الحبيب
اضم الى الصدر باقاتها
هداياك فى خافقى لا تغيب
هداياك مقبولة هاتها !
اشد جراحى وأهتف بالعائدين
« الا فانظروا واحسدونى
فهذى هدايا حبيبى ! »

● لانه منك حلو عندى المرض .

● هيهات تشكو نفسى الراضيه

والشاعر قد يحب أن يصرخ فى شوارع لندن الصماء ـ حيث يستشفى بها ـ قد يحب أن يقول « هاتوا لى أحبائى » ولكنه لايلبث أن يقول :

● ولو انى صرخت فمن يجيب صراخ منتحر
تمر عليه طول الليل آلاف من القطر .

وقد يأمل أحيانا فى الشفاء .. فى العودة الى زوجته اقبال .. فى العودة الى ولده غيلان .. ولكنه حتى وهو يأمل هذا ، فانه يقدمه فى جو يائس حزين كانه يقول له لا أمل .. لا (ثلاث مرات) فى مقابل الامنيات الثلاث ، ولكن لا أمل أبدا .. لا أمل أبدا .

تلك هى المشكلة الحقيقية فى هذا الشاعر ، لم يقف عندها من الخارج ، ولكنه تعمقها واصبح ينظر من خلالها الى الوجود نظرة رحيبة لا تقف عند ماساته فقط ، ولكن عند ماساة الموت بالنسبة للانسان . ولقد عمق هذه المأساة أن الشاعر كان يدرك ادراكا خفيا انه لا أمل فى أن يعيش طويلا .. لا أمل فى نشدان بعث تموزى يعود به من الموت أو شبه الموت .. لا أمل الا فى الموت .. الا فى الموت !!

ونحن نجد دقات الموت الرهيبة تطرق عليه بابه ، ثم صوته ، ثم جوهر وجوده فى كافة المراحل التى مر بها ، نجد هذا الموت يتسلقه كلبلابة ضعيفة ، ثم نجد هذه اللبلابه تتحول الى حية تلفه وتضغطه ، ثم نجد هذه الحية تتحول الى مئات الحيات .. ونجد الشاعر يعيش وهو يعتصر ويلتهم شعاعا شعاعا ، ثم يحدث صدع فى الشمس ، ثم تسقط قطعة من الشمس ، ثم تتوارى الشمس !

لقد عاش فترة رومانسية مجهدة ، وكان لابد له أن يعبر فترة كبيرة من خلالها ، بل كان يمكن أن يتحول الى زهرة مطرقة فى بساتينها الحبية ، ولكن الشاعر يشد نفسه ثم يضعها فى غليان الشيوعية ، ثم يجرجر نفسه ليلقى بها فى حلم عودة تموز ، ثم يجد انه لاصدر له أخيرا الا فى القومية العربية .. فهى الام التى لا ترفض عودة الابن مهما طالت فترة الانتظار ، ومهما كان الانتظار قاسيا وحزينا ، ولقد كان هذا الانتظار قاسيا وحزينا ، ففى هذه الفترة انكر أشياء كثيرة على الأم لعل فى مقدمتها انكاره أن قطعة من قلبها فى فلسطين ، ثم كانت فترة ضياع أخرى حين ارتبط ببعض المجلات ودور النشر فى بيروت ، ولكن أحدا لاينكر انه فى كافة هذه المراحل كان شاعرا يتطور ، كان شاعرا حتى أنامل أصابعه، ولن يقلل من هذه الشاعرية فترة الصراخ ، ونظم الشعارات فى الفترة التى ألقى بنفسه فى الشيوعية .



ان هناك من سيقف طويلا عند شعر بدر شاكر السياب ، فسيجد نقاد التفعيلة عنده ما يكيدون به الشعر المتجدد ، وسيجد من يتعاطفون مع القومية من يؤكدون أن قيمته الحقيقية لم تظهر الا حين أحس انه يقف على أرض بلاده وتاريخها ، وبعد أن اختفى عنه بخار الشيوعية ، ثم ضباب المفاهيم الغربية .. ولكن أحدا لا يختلف فى أن الموت كان البطل الحقيقى فى حياته ، وان المحلية قد تتحول الى العالمية متى وجدت الشاعر الواعى بحقيقة المحلية والعالمية .. فاقبال الزوجة تتحول الى الانتظار ، وغيلان الصغير

يتحول الى الامل الباقي للانسانية ، وقرية جيكور تتحول الى نقطة احتكاك بالكون .

● وجلست تنتظرين هائمـــة الخواطر فى دوار « سيعود . لا . غرق السفين من المحيط الى القرار سيعود . لا . حجزته صارخة العواصف فى أسار يا سندباد ، اما تعود ؟

كاد الشباب يزول ، تنطفىء الزنابق فى الخدود فمتى تعود ؟ »

● اسمعه يبكى ، يناديني

فى ليل المستوحد القاسى

يدعو .. أبي ، كيف تخليني

وحدى بلا حارس ؟

● جيكور ، جيكور ، ياحقلا من النور

فى الليل ، فى عالم الاحلام والقمر

ينشرن أجنحة أندى من المطر

فى أول الصيف

ياباب الأساطير

ياباب ميلادنا الموصول بالرحم

من أين جئناك ؟ من أين المقادير ؟

من أين ظلم ؟

وأى أزمنة فى الليل سرناها

حتى أتيناك ؟ أقبلنا من العدم ؟

أم من حياة نسيناها ؟

جيكور مسى جبينى فهو ملتهب

مسيه بالسعف

والسنبل الترف

مدى على الظلال السمر ، تلسحب

ليلا فتخفى هجيرى فى حناياها !

***

والشاعر لعمق شاعريته لايلتفت الى حرب الاديان ذلك لان فى أعمق أعماقه تتلألأ جوهرة الايمان ، ومن هنا فنحن نراه يزيد طاقة الحب عنده بحب محمد والمسيح ، ولعله الشاعر الوحيد الذى فتح قلبه لكافة الثقافات والحضارات ، ومن هنا فهو يأخذ رموزه ، وأساطيره من العرب ، ومن اليونان ، ومن المسيحية ومن بعض الحضارات القديمة كاليابانية والصينية والملاوية .

وهو قد يضمن من هذا الرصيد فى شعره .. فتتكاثف تجربته :

● وفى وهج الظهيرة صارخا
« ياحادى العيس »

● « ولما استرحنا بكينا الرفاق »
همس لانيبس عبر القرون

وهو اذا كان فى طريقة بنائه هنا يذكرنا بطريقة بناء اليوت للقصيدة ، فانه يذكرنا بلوركا حين يلملم الاشياء الصـغيرة والحارة من حوله ، ويذكرنا بهذا حين يتكلم عن جيكور ، وعن نهر بويب ، وعن النخيل ونقر الدرابك ، واجتماع السمار حول قصاص يحكى عن الجنيـات وعن قمر الزمان ، وعن السراج الذى ينتظر العائد ، وعن انتظار جيكور لدم عروس عـلى منديل محمود ، وعن الشرفة المغلقة (الشناشيل) لابنة الشلبى وعن أغنية شعبية تقال تحتها :

● يا مطرا ياحلبى

عبر بنات الشلبى

يامطرا ياشاشا

عبر بنات الباشا

يامطرا من ذهب

وبدر شاكر السياب لا يهتـم « بالمنمنمات » فى القصيدة ، وبالمكعبات الصغيرة ان صح هذا التعبير وانما نراه يقدم «كادرات» هائلة تبهر أنفاس القارىء ثم يلف كل هذا بالروح الاسطورى الذى يعتبر ميزة من ميزات شعره ، والذى يتناسب مع طريقته فى المزج بين الرؤى المبصرة وبين الذكريات كمـــا فى قصيدة مدينة السراب ، أو تضفير هذه الرؤى بالحلم كما فى قصيدة (نبوءة ورؤيا) .

فاذا أضفنا الى ذلك أن الموضوع الرئيسى عنده وهو (الموت) ينبع من طبيعة الصور ومن أدق الظلال التى تتكون منها هذه الصور ، وان القصيدة عنـده

ـ فى الفترة الاخيرة ـ كون كبير تمتزج فيه الارض والسماء والاسرة والقدر والموت ٠

اذا أضفنا ذلك أدركنا أن القصيدة عنده من نوع جديد فى اللغة العربية ٠

ونحن اذا تتبعنا معمارقصيدة كقصيدة يانهرمثلا فى ديوان المعبد الغريق ، نجد الشاعر يعود ثقيلا لانه محمل بالحزن ، فاذا سال فى ضفتيه عن هواه وجد الاشجار الذى أذبلها الخريف عشرين مرة ، ومع ذلك فهو منجذب الى هذا الماضى حتى ليود أن يعود فيه طلا ليداعب الجنيات وليتعلق بشراع سفينة ، ولينشد من الملاح أغانيه ، ولتلوذ النجوم بصدره ، وبينما هو مسترسل فى هذا التذكر يطل الموت فجأة فيصرخ :

● ماأخيب الموتى اذا رجعوا الى الدنيا القديمة ٠

ثم يرثى لهؤلاء الذين يتطلعون الى الماضى لانهم سيكابدون ألم التغرب مرتين، ثم ينمو عنده احساس بانه أكثر من غريب غربة واشد حيرة ، ثم ينمو احساس القارىء أكثر فيحس أن الشاعر يتحدث عن نهر الزمن ، وان الضفة هى ضفة الأبد ، بالرغم من أن الشاعر يضع على الضفة لفترة ما فتاة تسمى «هاله» ٠ ثم يختم القصيدة بانه لن ينسى هذه الفتاة وهو فى أكفانه !

ولعل مما ساعد الشاعر على التاثير انه كان عنده دائما شىء يريد أن يهمس به الى القارىء ، صحيح أنه لن يقول كلمته الا من خلال الكون كله ، ولكن من ينصت اليه يحس انه قد امتلأ بشىء ٠٠ شىء قد يكون الحزن ، وقد يكون الخوف ، وقد يكون الموت لابد من أن يحمل الذى ينصت اليه نصيبه من هذا الشجن !

ولعل من الجديد الذى أضافه بدر شاكر السياب الى القصيدة العربية ، ذلك النوع من الحوار الداخلى الذى قد يكون حديثا خاصا للابن كما فى قصيدة ابن الشهيد ، والذى قد يكون صوتا لغيلان ، أو لزوجة الشاعر أو لأمه ، ولعل قصيدة (قصيدة الى العراق الثائر) توضح هذا النوع من الحديث الذى يشبه ما يقوم به «السوليست» فى الاوركسترا ، والذى وان كان يعزف وحده الا أن عمله يكون من صميم العمل الاوركسترالى ، فهو فى اذاعته لفظائع الشيوعيين فى العراق ، يسمعنا أصواتا من داخل القصيدة تقول :

●فيه الوجوه الضاحكات تقول ، قد هرب التتار
والله عاد الى الجوامع بعد أن طلع النهار ٠
طلع النهار فلا غروب »

● رفعت الى الله الدعاء ، الا أغثنا من ثمود
من ذلك المجنون يعشق كل أحمر ٠
فالدماء تجرى والسنة اللهيب تمد ، يعجبه الدمار ٠

أحرقه بالنيران تهبط ، كالجحيم ، من السماء ،
وأصرعه صرعا بالرصاص ! فانه شبح الوباء ! »

● هرع الطبيب الى وهو يقول : ماذا فى العراق ؟!
الجيش ثار ومات قاسم ٠

اننا فى هذه القصيدة نجد الحوار نابعا من نفس العمل ، بحيث لو لم يكتبه الشاعر لانبثقت هذه الأصوات فى أعماق القارىء الواعى ، ولكن هذه «النضارة الصوتية»تتبدد أحيانا حين يقدمها الشاعر متعمدا من أثر قراءة أو من أثر مغالاته أحيانا فى استخدام الرموز والاساطير ٠

***

وأخيرا فقد عاش هذا الشاعر بالموت وللموت ، ولعل فكرة (الموت) لم تقدم فى الشعر العربى ، مثلما قدمها بدر شاكر السياب بمثل هذا الشجن والصبر ، والشفافية ٠

ولقد استوقفتنى منه قصيدة (الوصية) التى يقول فيها :

● اقبال يا زوجتى الحبيبه
لاتعزلينى ما المنايا بيدى
ولست ، لو نجوت ، بالمخلد
كونى لغيلان رضى وطيبه
كونى له أبا واما وارحمى نحيبه
وعلميه أن يزيل القلب لليتيم والفقير
وعلميه ٠٠٠

استوقفتنى هذه القصيدة ، وخيل الى أنه يخاطب بها الشعر نفسه ، فكل شاعر مسئول عن « غيلان» الآن وليس يكفى أن تجفف من عينيه وقلبه قطرات الحزن ، ولكن ـ الوصية تقول ـ أن تكون له رضى وطيبة ٠ أن تكون له رضى وطيبة !

« عبده بدوى »

بين ديكارت والحسن بن الهيثم

بقلم : أحمد سعيد الدمرداش

ان أشد الحركات التى بدأ بهـا الفكر العلمى الحديث فى عصر النهضة الأوروبية ، قد ظهر جنينا نتيجة الثورة الكوبرنيقية التى حدثت فى تقدم علم الفلك ، ففى العصـور الوسطى كانت أظهر عناصر التفكير الخضوع للسلطة ـ سلطة الكنيسـة أولا ـ ثم سلطة الكتب التى تروق فى عين الكنيسة ، ولما كانت الكنيسة قد زهدت الناس فى الحياة الدنيوية ، وجعلت مهمتها الأولى ما وراء المادة ، فقد ساعدت بذلك على ايجاد شىء يشبه عصر الأساطير الذى سبق ميلاد العلم والفلسفة .

وكانت نهضة العـلم التى ميزت بداية العصر الحديث مماشية لاحيـاء مذهب الطبيعة ، والقمع التدريجى لمذهب ما وراء الطبيعة ، ولم تكد الأرض تنزل عن مكانتهـا كمركز للكون الى مجرد سيارة صغيرة من سيارات الشمس فى عالم المجرة ، حتى بدأ النـاس يحسون أنه قد أصبح من المستحيل اعتبار الانسان تاج الخليقة أو بطل الرواية الكونية ، وبهذا اضطربت الميثولوجية الكنسية من الأساس ، ثم فقدت سلطتها نتيجة ثورة الاصلاح الدينى على يد مارتن لوثر وكلفن ، ولم يبق لديها سوى العقيدة والايمـان ، ولكن سرعان ما اهتزت العقيدة على يد البحوث العلمية التى قام بهـا كوبرنيق وديكارت ونيوتن وغاليليو ، فلم تطق الكنيسـة صبرا وحرقت جوردانو برونو حيا أحد رواد الفكر العلمى ، لعلها تقف تلك الانطلاقة المتدفقة ، غير أن المذهب العلمى استمر فى طريقه مندفعا بخطوات جريئة وثابة .

ما كان لهذه الروح الجديدة التى شملت أوروبا أن ترى النور لولا وجود الحضـارة الاسلامية فى الأندلس وصقلية وشمال أفريقيا ، فكانت اشبيلية وقرطبة مصادر اشعاع للعلوم فى الاندلس ، وبالرمو التى ظلت تحت حكم المسلمين أكثر من مائتى عام يحج اليها طلاب العلم من جامعات سالرنو بايطاليا وبال بسـويسرا واكسـفورد وكامبردج بانجلترا والسوربون بباريس .

وتدفقت المخطوطات العربية فى شتى العلوم من طبيعيات والهيات وفلسفة ورياضيات ، حينما وجد الصليبيون أنفسهم تجاه حضارة كانت أسمى بكثير من حضارتهم ، بل كان ذلك أمرا مفاجئا لهم بقى يثير دهشتهم وعجبهم ، وكانت حركة الترجمة من العـربية الى اللاتينيـة على أشـدها حمل لواءهـا قسطنطين الافـريقى وجيرار دى كريمـونا ووجـد المشتغلون بالعـلم أنفسهم أمام ينابيع فياضة من التراث الاسلامى لا ينضب معينه .

ديكارت وعلم الضـوء : كان ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) ككثير قبله شديد السخط على حال العلم فى زمنه ، وكانت الدراسة الوحيـدة التى تعتبر لديه قائمة على أساس متين هى الرياضيات . وكان ذلك فى ظنه راجعـا الى الطريقـة المستخدمة فى الرياضيات ، وهى التى تبـدأ بمعلومات واضحـة (البديهيـات والتعـاريف والنظريات السـابقة) وتسير بطريقة استنباطية ، حتى تصل الى نتائج غير قابلة للشك . ولهذا أراد ادخال الطريقة الرياضية فى الفلسفة كما أدخلها فى دراسـة علم الضوء حينما نشر كتابه فى انكسار الضوء عام ١٦٣٧ . ويصر علماء اوربا للآن ومنهم مؤرخ العلوم الفرنسى بول تانرى على أن ديكارت هو أول من أعطى مثالا لماينبغى ان يكون عليه علم الطبيعة النظرى من منهج رياضى هندسى . غافلين عن الحقيقة او مخـادعين انفسـهم عن بحوث الحسن بن الهيثم التى سبقته باكثر من ستمائة عـام ، اذ كان أول من نادى بالاسـتدلال الرياضى المبنى على التجربة والاستقراء .

ينظر ابن الهيثم أولا فى انعكاس الضـوء على السطوح الثقيلة ، وهو يفترض أن للضوء « حركة فى غاية القوة » وأن الصقيل « يمانعه ممانعة فى الغاية » ، فيكون الانعكاس من أجل هذه الحركة ، ومن أجل هذه الممانعة ، ويكون رجوعه بقوة تعادل قوته قبل اصطدامه بالصقيل .

ولكى يستنبط ابن الهيثم اتجاه الحركة المنعكسة ، يعتبر الحركة السـاقطة ـ أو « الاعتمـاد » كما يسميه ـ مركبة من حركتين ، احداهما عمودية على السطح الصقيل ، والأخرى موازية له ، أما الحركة العمودية فتبطل عند التصادم بسبب ممانعة الجسم الصقيل لاعتماد الضوء فى هذه الحركة ، ويتولد منها ومن ممانعة الجسم لها حركة عمودية مساويـة فى الاتجاه المضاد ، وأما الحركة الموازية فتبقى على حالها بعد التصادم لعدم وجود ما يمنعها .

ومن ذلك يستنتج ابن الهيثم أن انعكاس الضوء يكون بزاوية مسـاوية لزاوية السقوط ، فالطريقة

التي اتبعها هي طريقة تحليل الحركة ـ باعتبارها كمية موجهة ـ الى مركبتين ، او كما يقول «قسطين» متعامدين ، ثم تركيبها من قسطين : أحدهما هو القسط الموازى الأول ، والآخر يساوى القسط العمودى الأول في المقدار ويضاده في الاتجاه ، ثم أخذ يتساءل لم ينعكس الضوء على الصفة التي ينعكس عليها ، وكانت نظريته « لمية الانعكاس » قد استنبطها من مثال ميكانيكي ، بدأ يشرح ما يحدث اذا كرة صغيرة صلبة ملساء متحركة لقيت جسما صلبا يمنعها من الاستمرار في حركتها على السمت الأول ، وقاس على هذا المثال الميكانيكي انعكاس الضوء ، قاسه بجهاز اخترعه بنفسه سماه آلة الانعكاس ، وهو يتركب تركيبا يختلف اختلافا عظيما عن الجهاز الذي ذكره بطليموس في كتابه المناظر ، وجعله ابن الهيثم بأبعاد خاصة ومقاييس معينة ، كما جعله ذا أجزاء مختلفة بحيث يصلح استعماله، لا للبحث عن كيفية انعكاس ضوء الشمس وحده ، بل للبحث عن كيفية انعكاس الأضواء العرضية أيضا ، ولا للبحث عن كيفية انعكاس الضوء عن سطح المرآة المستوية وحدها بل للبحث عن كيفية انعكاس الضوء عن سطوح المرايا الكرية والاسطوانية والمخروطية المقعرة منها والمحدبة، وكان جهازه كفيلا بتحقيق الأوضاع المختلفة التي يجب أن توضع عليها تلك المرايا للتأكد من وقوع الشعاع الساقط والشعاع المنعكس والعمود من نقطة الانعكاس جميعا في مستوى واحد ، بل كفيلا أيضا بقياس مقادير زوايا السقوط ومقادير زوايا الانعكاس في شتى هاتيك الاوضاع وعلى تصاريف تلك الاحوال..

لقد كان ابن الهيثم أول من وضع أسس التجارب العلمية المعملية التي نطلق عليها « اكسبرمنت » ويسميها هو « الاعتبار » .

وفي الانعطاف اتخذ جهازا سماه آلة الانعطاف ، لا اتردد ايضا في أن أقول انه كان يتركب تركيبا يختلف اختلافا عظيما عن الجهاز الذي ذكره بطليموس في كتابه المناظر ، وقد جعله ابن الهيثم بأبعاد ومقاييس وتدريجات ، وجعله ذا أجزاء مختلفة بحيث كان كفيلا بدراسة الانعطاف بالاعتبار بالأضواء الذاتية وبالأضواء العرضية ، وتناولت اعتباراته انعطاف الضوء من الهواء في الماء ، ومن الماء في الهواء ، ومن الهواء في الزجاج ، ومن الزجاج في الهواء ، ومن الماء في الزجاج ، ومن الزجاج في الماء ، ولم تقتصر بحوثه على الانعطاف عند السطوح المستوية بل تناولت أيضا الانعطاف عند السطوح الكرية ، وعند السطوح الاسطوانية المحدبة منها والمقعرة ، ولم تكن اعتبارات ابن الهيثم منصبة على الناحية الوضعية من الانعطاف بل شملت أيضا الناحية الكمية واستقرأ منها احكاما كمية في الانعطاف .

فاذا انتقلنا الآن الى بحوث ديكارت في انعكاس الضوء وانكساره تبين لنا بوضوح مقدار ما يدين به لابن الهيثم ، وليس هناك مجال للشك في أن ديكارت قد تأثر بابن الهيثم بطريق مباشر أو غير مباشر ، ولا غرابة في ذلك ، فقد ترجم كتاب « المناظر » لابن الهيثم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادى ، وسرعان ما تغلغل أثره في تفكير كثير من علماء أوربا ، وكان رجال جامعة اكسفورد في القرن الثالث عشر يرون في ذلك الكتاب مثلا أعلى يحتذى به لطريقة البحث في علم الطبيعة عارضوا بها طريقة أرسطو ، والذى اجتذبهم في طريقة ابن الهيثم هو بالذات أسلوبه في تطبيق الرياضيات على المسائل الطبيعية ، لم يتأثروا كثيرا بطريقة نصير الدين الطوسى الهندسية في دراسة ماهية الشعاع الضوئي لأنها كانت منبثقة من منهج اقليدس الوضعي الذى يفترض خروج الشعاع من العين للمبصر على غرار قرون الاستشعار في الحشرات ، لأن ابن الهيثم هدمها وبرهن على أن الضوء انما يصدر من المبصر الى العين على السموت المستقيمة ، والضوء له دفع وله حركة في زمان كما هو معروف في النظريات الحديثة .

عرض ديكارت قانون انكسار الضوء في كتابه « في الانكسار » على أنه نتيجة مستنبطة من بعض الفروض ، لا على أنه نتيجة وصل اليها بالاستقراء التجريبي ، والطريقة التي اتبعها في الاستنباط هي عين طريقة ابن الهيثم في التحليل والتركيب ، وديكارت مثل ابن الهيثم يطبق هذه الطريقة أولا على الانعكاس قبل تطبيقها على الانكسار .

وليس هناك خلاف بين معالجة كل منهما للانعكاس ، سوى أن ابن الهيثم يفترض انعكاس المركبة العمودية ، ويستنتج من ذلك مساواة سرعة الضوء بعد الانعكاس لسرعته قبله ، في حين أن ديكارت على الضد من ذلك يفترض هذه المساواة افتراضا ويجعل انعكاس المركبة العمودية نتيجة لا فرضا ، وليس لهذا الخلاف أهمية من الوجهة الرياضية ، فالبرهانان متكافئان ، وان كانت فروض ديكارت تنطوى على اعتبارات فيزيقية من شأنها أن

تعرض نظريته لاعتراضات لا يمكن دفعها ، وهذه الاعتراضات التى نبه اليها الرياضي المعاصر لديكارت وهو العلم الفرنسى «فرما» لاترد على فروض ابن الهيثم

لقد جاء ديكارت بثورة فى علم الطبيعة بالنسبة لمفاهيم عصره ، وهو يغالط نفسه اذ يحسبها من نسيجه وحده فى غيبة من بحوث ابن الهيثم التى سبقته لانها لم تكن منتشرة بشروحها المستحدثة فى محيط ديكارت العلمي الذى هو هجين بين الفلسفة والرياضيات ، وكان يرمى من ذلك الى احالة العلم الطبيعي بأسره علما هندسيا لا أثر فيه للميتافيزيقا ، ولا أثر فيه للصور الجوهرية أو الكيفيات الخفية التى قال بها الفلاسفة المدرسيون فى العصر الوسيط، أراد ديكارت وهو صاحب مبدأ الشك أن يقصى من مفهوم المادة كل صفة لا يمكن ردها الى الصفات الهندسية أو الميكانيكية البينة كالشكل والمقدار والحركة ، ولا يمكن من وجهة النظر هذه أن يؤثر جسم فى آخر عن طريق التصادم بينهما .

هذه هى نفس الاعتبارات الفلسفية للعلماء الاسلاميين أمثال ابن سينا وأبى البركات بن هبة الله ملكا ، صاغها ديكارت بأسلوب عصره ، وبخلفيات هؤلاء العلماء العرب .

طبق ديكارت طريقة التحليل والتركيب على الانكسار ، وهو فى هذه الحالة يضع فرضين ، الفرض الأول هو أن المركبة الموازية للسطح الفاصل بين المشفين تبقى على حالها (أى لا تزيد ولا تنقص) بعد الانكسار ، وهو فى ذلك قد خالف ابن الهيثم الذى قال عن هذه المركبة ان مقدارها يزيد اذا كان المشف الثانى ألطف ، أو ينقص هذا المقدار ان كان المشف الثانى أغلظ ، والفرض الثانى الذى يضعه ديكارت هو ان هناك نسبة ثابتة بين سرعة الضوء فى المشف الذى فيه الشعاع المنكسر وسرعته فى المشف الذى فيه الشعاع الساقط .

هذا الفرض الثانى ينطوى على الفكرة القائلة بان سرعة الضوء خاصة للوسط الذى يكون فيه ، وهى فكرة عبر عنها ديكارت فى كتاباته الخاصة التى دونها بين سنة ١٦١٩ وسنة ١٦٢١ ، اى قبل ظهور كتابه فى البصريات بنحو ستة عشر عاما ، وقد قال بعض الباحثين فى بصريات ديكارت ان الوقوع على هذه الفكرة كان علامة من علامات العبقرية ، غافلين عن بحوث ابن الهيثم التى أهملوها عمدا لحاجة فى نفس يعقوب ، حتى هيأ الله لابن الهيثم عالما مصريا فذا هو الاستاذ مصطفى نظيف الحائز لجائزة الدولة التقديرية فى العلوم ، نشر هذه البحوث فى مجلدين كبيرين ، ونقتطف من كتاب « المناظر » لابن الهيثم من تأليفه ما يلى :

« والأضواء تمتد فى الأجسام المشفة بحركة سريعة تخفى عن الحس لسرعتها ، ومع ذلك فان حركتها فى الأجسام اللطيفة أعنى الشديدة الشفيف أسرع من حركتها فى الأجسام الغليظة أعنى الأضعف شفيفا ، وذلك أن كل جسم مشف اذا نفذ فيه الضوء ، فان الجسم المشف يمانع الضوء ممانعة بحسب ما فيه من الغلظ ، لأن كل جسم طبيعى لا بد أن يكون فيه غلظ ما » .

وواضح من هذا النص أن سرعة الضوء تكون بحسب الممانعة التى يصادفها فى الوسط المشف الذى يسير فيه ، وهذه الممانعة تكون بحسب ما فى المشفى من غلظ .

قرن ديكارت هذه الفكرة بالفرض الخاص بثبات السرعة الموازية ، فاعطاه ذلك قانون انكسار الضوء فى صورته الآتية :

$$\frac{\text{جاس}}{\text{جاك}} = \frac{\text{ع ك}}{\text{ع س}} = \text{ث}$$

حيث س = زاوية السقوط ، ك = زاوية الانكسار ، ع س = سرعة الشعاع الساقط ، ع ك = سرعة الشعاع المنكسر ، ث = مقدارا ثابتا ، والقانون فى هذه الصورة يلزم عنه أن تكون سرعة الضوء فى المشف الأغلظ أكبر من سرعته فى المشف الألطف ، وهذا عكس الرأى الذى ذهب اليه ابن الهيثم ، بل قد اعترض عليه علماء الطبيعة أمثال هيجنز صاحب النظرية الموجبة ، و «فرما» صاحب نظرية أقصر الأوقات، ونيوتن صاحب نظرية الجسيمات فى الضوء المنقولة من ابن الهيثم ، ويقصر المجال عن شروحها جميعا فى هذا المقال .

ان مخطوطات ابن الهيثم وتراجمها اللاتينية كانت باحدى الأديرة بقرب باريس وكان يتردد عليها ديكارت باحثا منقبا ، حتى هيأت له الظروف ابراز دراساته فى علم الضوء ، وكل ينابيعها مستمدة من ابن الهيثم ، وكان مستواها يعلو عن مستوى عصره ولهذا بهرت أقرانه من علماء عصر النهضة ، وهم اما غافلون أو مخادعون لأنفسهم عن التراث العلمى العربى .

احمد سعيد الدمرداشى

معالم في الطريق

تأليف سيد قطب

بقلم: محمد عبد الله السمان

ان البشرية اليوم تقف على حافة الهاوية ـ لا بسبب التهديد بالفناء المعلق على رأسها ـ ولكن بسبب افلاسها في عالم القيم ، وازاء هذا يتحتم على الاسلام أن يؤدى دوره في قيادة البشرية ، لأنه وحده هو الذى يملك القيم والمنهج الذى يضبط سلوكها ، ويوجه غاياتها الى انقاذ هذه البشرية .

وهذه هي الفكرة الأساسية التى يقوم عليها كتاب الأستاذ سيد قطب الجديد : «معالم فى الطريق»

اما هذه المعالم فيجب أن تقام من المصدر الأول للعقيدة الاسلامية .. « القرآن » ومن توجيهاته الأساسية ، ومن التصور الذى أنشأه في نفوس الصفوة المختارة .. « الصحابة » التى صنع الله بها في الأرض ما شاء أن يصنع ، والتى حولت خط سير التاريخ مرة الى حيث شاء الله أن يسير .

المؤلف يعرض هذه المعالم ، فيشير الى أن هنالك ظاهرة تاريخية ، يجب أن نقف أمامها طويلا، لانها ذات أثر حاسم في منهج الدعوة الاسلامية واتجاهها. اما هذه الظاهرة . فهى أن الدعوة قد أخرجت جيلا مميزا فى تاريخ الاسلام كله ، وفى تاريخ البشرية جميعه ، ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى ، **ذلك** لأن النبع الذى استقى منه ذلك الجيل هو نبع القرآن وحده ، فما كان حديث رسول الله وهديه الا أثرا من آثار ذلك النبع ، **ثم** حدث أن اختلطت

الينابيع ، فصبت في النبع الذى استقت منه الأجيال التالية ، فلسفة الاغريق ومنطقهم ، وأساطير الفرس وتصوراتهم، واسرائيليات اليهود، ولاهوت النصارى، وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات ، واختلط هذا كله بتفسير القرآن ، وعلم الكلام ، كما اختلط بالفقه والأصول معا، وتخرجت على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل .. فلم يتكرر ذلك الجيل أبدا .

ويشير المؤلف الى عامل أساسى آخر غير اختلاف طبيعة النبع ، ذلك هو اختلاف منهج التلقي عما كان عليه فى ذلك الجيل الفريد ، انهم فى الجيل الأول ، لم يكونوا يقرءون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع ، ولا بقصد التذوق والمتاع ، انما كانوا يتلقون القرآن ليتلقوا أمر الله فى خاصة شانهم وشان الجماعة التى يعيشون فيها، ليعملوا به فور سماعه ، فمنهج التلقى للتنفيذ والعمل هو الذى صنع الجيل الأول ، ومنهج التلقى للدراسة والمتاع هو الذى خرج الأجيال التى تليه ، كما يشير المؤلف الى عامل ثالث ، هو أن الجيل الأول دخل فى الاسلام وقد خلع على عتبته كل ماضيه فى الجاهلية ، وعاش فى عزلة شعورية كاملة بين ماضيه فى جاهليته وحاضره فى اسلامه ، أما الأجيال التى تليه فلم يقدر لها أن تتخلص نهائيا من ضغط المجتمع الجاهلي والتصورات الجاهلية والقيادة الجاهلية فى خاصة نفوسهم .

وعندما تعرض المؤلف الى طبيعة المنهج القرآني ، اشار الى أن القرآن ظل طوال الفترة المكية ـ ثلاثة عشر عاما ـ يعالج فحسب القضية الأولى ، والقضية الكبرى والقضية الأساسية فى الدين الجديد ، قضية العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسية : الألوهية والعبودية ومابينهما من علاقة ، **وكان** القرآن ـ وهو يبنى العقيدة فى ضمائر الجماعة المسلمة ـ يخوض بها معركة ضخمة مع الجاهلية ورواسبها ، فظهر بناء العقيدة ، لا فى صورة نظرية ، ولا فى صورة لاهوت، ولا فى صورة جدل كلامى ، ولكن فى صورة تجمع عضوى حيوى ، وتكوين تنظيمى مباشر للحياة ، **كان** هذا القرآن المكى يفسر للانسان سر وجوده ووجود هذا الكون من حوله ، وكانت هذه هى القضية الكبرى التى يقوم عليها وجود الانسان ، وستظل هى القضية الكبرى التى يقوم عليها وجوده على توالى الأزمان . ان طبيعة هذا الدين هى التى قضت بهذا المنهج ، فهو دين يقوم كله على قاعدة الألوهية الواحدة .. كل تنظيماته وكل تشريعاته تنبثق من هذا الأصل الكبير ، وهذا جانب من سر هذا الدين وطبيعته ، يحدد منهجه فى بناء نفسه وفى امتداده ، ويجعل بناء العقيدة وتمكينها ، وشمولها واستغراقها لشعاب النفس كلها ، ضرورة من ضرورات النشأة الصحيحة، وضمانا من ضمانات الاحتمال، والتناسق بين الظاهر من الشجرة فى الهواء ، والضارب من جذورها فى الأعماق .

وهناك جانب آخر من طبيعة هذا الدين يتجلى فى هذا المنهج القويم ، فالاسلام منهج عملى حركى جاد، جاء ليحكم الحياة فى واقعها ، ويواجه هذا الواقع ليقضى فيه بأمره ، يقره او يعدله اويغيره من أساسه، فهو ليس نظرية تتعامل مع الفروض ، ولكنه منهج يتعامل مع الواقع ، والذين يريدون من الاسلام اليوم أن يصوغ نظريات ، وأن يصوغ قوالب نظام ، وأن يصوغ تشريعات للحياة - بينما ليس على وجه الارض مجتمع قد قرر فعلا شريعة الله وحدها - هؤلاء لا يدركون طبيعة هذا الدين ، ولذلك يريدون منه أن يغير طبيعته ومنهجه وتاريخه ، ويحاولون أن يستعجلوه عن طريقه وخطواته ، ليلبى رغبات فى نفوسهم انما تنشئها الهزيمة الداخلية فى أرواحهم .

وعندما أشار المؤلف الى أن « لا اله الا الله » منهج حياة ، ذكر أن العبودية لله وحده هى شطر الركن الاول فى العقيدة الاسلامية المتمثل فى شهادة : أن لا اله الا الله ، والتلقى عن رسول الله فى كيفية هذه العبودية - هو شطرها الثانى المتمثل فى شهادة أن محمدا رسول الله ، والقلب المؤمن المسلم هو الذى تتمثل فيه هذه القاعدة بشطريها ، لأن كل ما بعدها من مقومات الايمان وأركان الاسلام انما هو مقتضى لهما ، والمجتمع المسلم كذلك هو الذى تتمثل فيه تلك القاعدة ومقتضياتها جميعا ، ومن ثم تصبح شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . قاعدة لنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحذافيرها ، وهذا التقرير الموجز المطلق الحاسم ، يفيدنا فى تحديد كلمة الفصل فى قضايا اساسية بالغة الخطورة ، لأنها أساسية فى حقيقة هذا الدين ، يفيدنا فى تحديد طبيعة المجتمع المسلم ومنهج نشأة المجتمع المسلم، ومنهج الاسلام فى مواجهة المجتمعات الجاهلية ، ثم منهج الاسلام فى مواجهة واقع الحياة البشرية .

واخيرا - جعل المؤلف من قصة أصحاب الأخدود، الطريق الوحيد الى بعث اسلامى ، والمنهج السليم لصياغة أمة اسلامية ، فقد ارتفع الايمان بقلوب أصحاب الأخدود على الفتنة ، وانتصر فى قلوبهم الايمان على الحياة ، فلم تفتن عن دينها وهى تحرق بالنار حتى تموت ، لأن قلوبها تحررت من عبوديتها للحياة ، فلم يستذلها حب البقاء وهى تعاين الموت بهذه الطريقة البشعة ، وانطلقت من قيود الارض وجواذبها جميعا ، وارتفعت على ذواتها بانتصار العقيدة على الحياة فيها .

وبعد ، فمما لا ريب فيه أن كتاب الأستاذ سيد قطب وثبة جريئة فى التفكير ، تؤكد أنه لا بد من بعث اسلامى جديد ، اذا أريد انقاذ البشرية من شقوة الجاهلية ، ولا بد لهذا البعث من معالم فى الطريق تلقى أضواء على دوره ومهمته وغايته ، ونقط البدء فيه ، ولا بد لهذه المعالم أن تقام من المصدر الاول للعقيدة ، وهو القرآن : من توجيهاته الأساسية ، ومن التصور الذى أنشأه فى نفوس الصفوة المختارة التى صنع الله بها فى الأرض معجزة التاريخ .

الا ان فى الكتاب وقفات يسيرة :

فاعتبار المؤلف أن القرآن المكى خلال الثلاث عشرة سنة خدم قضية العقيدة وحدها ، قول فيه نظر ، فالمعروف أن الطابع الذى تفوق فى هذه الفترة المكية هو طابع العقيدة فى العرض القرآنى ، والى جانب التفوق فى جانب العقيدة ، اهتم القرآن أيضا بالسلوك والأخلاق وقصص السابقين لاقتباس العظة والعبرة منها لا فى مجال العقيدة وحدها ، بل فى مجال السلوك أيضا ، فسورة يوسف مثلا وهى مكية - باستثناء اربع آيات - لا تكاد تتعدى الآيات التى تتصل بالعقيدة بضع آيات .

ولسنا مع المؤلف : فى أن الاسلام يرفض اية حضارة الا اذا كان مصدرها الاسلام ، لأن الحضارة فى كل زمان ومكان قيمة مشتركة بين الناس جميعا ، ومجهود بشرى لا يختص بجنس دون جنس ، وحتى فى الصدر الأول للاسلام ، اقتبست بعض الأنظمة الرومانية والفارسية فى مجالى السياسة والحكم وغيرهما ، وكل ما يفعله الاسلام ازاء الحضارة - اية حضارة - أن يوجه سلوكها وغاياتها .

والمؤلف يدرك بالطبع أن الاسلام قد مر بتجربة القيادة ، وتسبب المجتمع المسلم فى فشلها أكثر من مرة ، فاذا اراده على أن يدخل تجربة جديدة ، فلابد من تسليط الأضواء اولا على أسباب الفشل ، لتبدأ معالم الطريق ، وهذا ما لم يكن واضحا ملموسا فى منهج الكتاب .

ومثل هذه الوقفات اليسيرة لا ينقص قدر الكتاب فى مجال الفكر الحر الجرىء ، وفى مجال التفكير المنطقى السليم ..

محمد عبد الله السمان

كتب جديدة

يقدمها : تحسين عبد الحي

فضل العرب على اوربا

تاليف : الدكتورة سيجريد هونكه

ترجمة : الدكتور فؤاد حسنين على

قد آمن العرب سواء فى الجاهلية أو الاسلام بالحقوق الانسانية كاملة غير منتقصة لكل فرد من أفراد المجتمع البشرى .. فمن خلال مبادئهم الانسانية وتسامحهم وعدم تمكينهم للون من أن يكون عاملا من عوامل التفرقة والتمييز العنصرى استطاعوا أن يجعلوا من مشرقنا العربى مركزا للاحداث التاريخية العالمية التى غيرت وجه الوجود ، فنقلته من البدائية الى الانسانية ومن الانانية الى الايثار . ومؤلفة هذا الكتاب الدكتورة (سيجريد هونكه) الالمانية الاصل من أولئك الذين يؤمنون بأن البحث العلمى يجب الا يصبغ بصبغة القومية المتعصبة - كما لا يتخذ وسيلة من وسائل الدعاية السياسية أو الكسب المادى الرخيص - فمن خلال هذا الايمان استطاعت أن تقدم لنا معالجة قيمة لمختلف نواحى النشاط العقلى العربى وأثر هذا النشاط فى التقدم الانسانى العام . مدعمة ذلك بكثير من الصور واللوحات النادرة . وقد أشادت المؤلفة بفضل العرب ونبوغهم فى جميع المجالات العلمية والعمرانية ، فمن علوم الفلك والرياضيات والطب الى كل ما يمكن أن نتصوره حاليا فى القرن العشرين فى مجال الخدمات العامة .

فقد انتشرت المستشفيات فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى - قبل الف عام من الهيمالايا الى البرنات . ففى قرطبة نجد فى منتصف القرن العاشر خمسين مستشفى ، أكثر من هذا العدد بكثير كانت تضمه بغداد والقاهرة ودمشق وجميع الحواضر الاسلامية .

وقد اهتم العرب بالكتب فأنشأوا لها المكتبات العامة .. وزودوها بوسائل الراحة - ففى بغداد وحدها كانت هناك مائة مكتبة عامة لكى يستعين بها كل طالب علم سواء أكان مستعيرا أم قارئا ومدينة صغيرة مثل النجف كانت فى القرن العاشر الميلادى فخورة بامتلاكها أربعين ألف مجلد . وقد تحدثت المؤلفة فى موضوع الانتماء الجنسى لعلماء مثل الخوارزمى وابن سينا وغيرهم - وأوردت مقارنة طريفة .. فقالت ان الرئيس السابق ايزنهاور أصله المانى . وهو الآن امريكى .. فهل يمكننا القول أنه المانى فقط ونركز على ذلك ..مثل تركيزنا عن علماء العرب الرواد فنقول ان هذا فارسى وهذامصرى الخ .

ويقع الكتاب فى ٤٨٩ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار النهضة العربية .

فلسفة المجتمع العربى

تاليف : عبد المجيد عبد الرحيم

لقد أدت المتناقضات التى زرعتها الامبريالية الغربية فى الشرق ، وافلاس الحضارة الاوربية فى نظر الشرقيين ، لعجزها عن تحقيق مبادىء وقيم انسانية كالتى أوجدتها الحضارة الشرقية منذ آلاف السنين وبسبب حروبها الكبيرة والصغيرة والدائمة والصراع بين المذاهب والآراء المتعارضة ، أدت كلها الى وجود أزمة عقلية فى الشرق عامة والعالم العربى خاصة . وفى هذا الكتاب محاولة للكشف عن المثل العليا والمبادىء الفعالة فى ضمير المجتمع العربى . لان المجتمع العربى كما يقول المؤلف : يتطلب فلسفة جديدة تقدم نظرة شاملة كلية عن ثقافة هذا المجتمع وحضارته وامكانياته ، وتستعين بالآراء السياسية فى الحكم والاقتصاد لتكوين هذه الفلسفة العربية الجديدة . وقد شرح المؤلف أسباب تخلف العرب داخليا وخارجيا مع تحديد للاسس الفلسفية للمجتمع العربى فى حدود القدرات الروحية والمادية للعرب وذلك من خلال دراسته لمشكلة السكان وعوامل الانتاج وارتباط ذلك بالثورات التحررية التى قامت فى أنحاء الوطن العربى .

ويقع الكتاب فى ١٨٩ صفحة من القطع الكبير ونشرته مكتبة النهضة المصرية .

ابن المعتز العباسي

تاليف : الدكتور احمد كمال زكي

يقول المؤلف : لم يحاول ابن المعتز ان ينكر في كل كتبه وكل رسائله أنه كان انسانا مغامرا، بل على العكس يبدو كما لو كان فخورا بهذه الصفة ، ويمكن أن نقول بعد ذلك ان القاعدة التي اتخذها ابن المعتز أساسا للحياة الاجتماعية هي : عش ودع غيرك يعيش ! وكتاب ابن المعتز يقع في ثلاثة ابواب وكل باب يرصد لفترة من فترات التاريخ يمكن أن تكون محاولة جادة لدراسة مجتمع العصر من مختلف نواحيه وفي شتى تركيباته .

فالباب الأول يستغرق حياة ابن المعتز اللاهية الى أن اكتمل شبابه ، والباب الثاني يتعرض لحياته وهو رجل يشتغل بالعلم والسياسة ويفكر في عرش أبيه الذي انتزع منه ذات ليلة مشئومة من ليالي المغامرات، والباب الثالث يقف عند مؤامراته على المقتدر ـ وكان في الثالثة عشرة من عمره ـ بعد أن اقتنع بأن الخلافة لا يمكن أن تكون لصبي لا يعرف كيف يقابل تصادم القوى .

وقد عاش ابن المعتز شباب لاه ثم رجولة لها طابعها الذي فرضته ظروفه الصحية والفكرية وقواه البدنية وأخيرا شيخوخه مبكرة لم تحسن التدبير ولا التقدير .

ويقع الكتاب في ٢٧٣ صفحة من القطع المتوسط ونشرته الدار المصرية للتاليف والترجمة في سلسلة أعلام العرب .

تاريخ القرآن

تاليف : ابراهيم الابياري

يحتوي الكتاب على تلخيص لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وكما يقول المؤلف ـ تلخيصا يقف عند الاجمال الجامع ولا يعرض للتفصيل المشتت . ويعتبر في نفس الوقت تمهيدا لتلخيص ثان ميسر مبين يجمع كل ما يتصل بالقرآن الكريم

ويبحث الكتاب في أحوال الجزيرة العربية قبل الرسالة ويعرض لغزوات الرسول ولحياته صلى الله عليه وسلم ثم ينتقل بعد ذلك الى القرآن الكريم في عدد الآيات وترتيبها واسماء السور ثم الحكمة في نزول القرآن منجما ومصحف عثمان ، ورأى ابن قتيبة في القراءات الى غير ذلك من الموضوعات الهامة.

ويقع الكتاب في ١٦٤ صفحة من القطع المتوسط ونشرته دار القلم .

تاريخ الفلسفة الأمريكية

تاليف : هربرت شنيدر

ترجمة : الدكتور محمد فتحي الشنيطي ..

لقد اعتاد الامريكيون أن يفكروا في تقاليدهم الثقافية في عبارات اقليمية ـ ذلك لان « الولايات » وان كانت قد اتحدت في بناء سياسي اقتصادي واحد فثمة مناطق حضارية متمايزة داخل البلاد ، وكل منطقة من هذه المناطق تساهم في تزويد التراث الامريكي « بلونها المحلي » وأفكارها الخاصة .

ويقدم الكتاب دراسة للافلاطونية والتجريبية في أمريكا المستعمرة ، ولعصر الاستنارة الامريكي ثم يبحث بعد ذلك في موضوع القومية والديمقراطية والمذاهب المثالية . وظهور النزعة الطبيعية الجديدة والنزعة الواقعية .

ويقع الكتاب في ٤٤٤ صفحة من القطع الكبير ونشرته مكتبة النهضة المصرية .

ديوان انغام حالمة

تاليف : الشاعرة روحية القليني

تقديم : الاميرة دينا عبد الحميد

يحتوي الديوان الذي يقع في ١١٢ صفحة من القطع المتوسط والذي نشرته المؤسسة المصرية للتاليف والترجمة على مجموعة من القصائد الوطنية والعاطفية وصلت الى خمس وأربعين قصيدة منها قصيدة بورسعيد ، والجزائر ، وعودة الأحرار ، وساصفح لقلبي ، وكبرياء الحب ، ومن وحي مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا، ودموع الشاعرة ، وأنا والزهرة وكذلك قصيدة الأم العربية التي صورت لنا فيها الشاعرة عزم المرأة العربية ،وايمانها ، وفرحتها بحريتها الوطنية ، وتقول الأميرة دينا في تقديم الديوان : ان شعر المرأة العربية ـ ان صحت التفرقة بين الأدب النسائي وغيره ـ قد اتسم دائما بالصدق، والايمان والحس المرهف ، وهذا كله نشعر به بصفة خاصة في شعر « روحية القليني » الوطني منه والعاطفي .

وأبيات روحية القليني عندما تغنى لنا انما تغنى بقوة العاطفة ، وروح الصدق والبساطة ، وبذلك تحول أحاسيس شعرت بها كل امرأة الى تجربة انسانية عالية .

تحسين عبد الحي

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى



• الحاضر والمستقبل :

طالعتنا مجلة الثقافة فى العدد التاسع والسبعين بمقالة للاستاذ **محمد فريد أبو حديد** بعنوان «حاضرنا ومستقبلنا» ، وقد مهد الاستاذ فريد مقاله بمقدمة بين فيها ان هناك مظاهر عابرة فى حياتنا الانسانية يخيل الينا أنها هى الحقيقة الكاملة ، وقد رد على من يقولون بحتمية التطور من تلقاء نفسه بمرور الزمن ، مبينا أنهم يغفلون أثر العوامل الحقيقية التى تعمل على التطور ، وتتلخص هذه العوامل فى « توافر الطاقة البشرية التى تحرك المادة وتجعلها تتطور من حالة احتمالية الى حالة فعلية » .

والزمن وان كان لازما للتطور الذى تحدثه هذه الطاقة البشرية ، فهو فى رأى الأستاذ فريد ليس الا عاملا واحدا « وقد يكون عاما واحدا أو عشرة أعوام وقد يكون قرنا أو عدة قرون » تبعا لتلك الطاقة البشرية المتماسكة .

ومن هنا كان التقهقر والتوقف الذى أصاب بناءنا الحضارى الماضى يرجع سببه الى « اختلاف الآراء والمذاهب فى المجموعة التى تمثل القوة البشرية الدافعة فى الأمة العربية » .

ويمضى الأستاذ فريد مبينا أن سر وجود هذه الاتجاهات المعرقلة للتقدم ، هو هذه « الانانية «التى استولت على قادة الآراء وزعماء المذاهب الفكرية فى الأمة العربية ، وقد تعدى ضرر هذا من الاضطرابات الدموية والتطاحن بين أبناء الأمة العربية الواحدة الى الناحية الثقافية ، فقد أدى ذلك الى تشتت أصحاب هذه الآراء والمذاهب الى فرق ثقافية صارت داء وبيلا أنهك قوى الامة وجعل حركتها الحضارية تضعف ويتحدد مداها .

واذن فهذه الآثار السيئة التى أصابت الثقافة كانت نتيجة للأنانية والكبرياء فى أصحاب هذه المذاهب والآراء وهم من عناصر شتى جمعتها وحدة سياسية هى قوة الدولة العربية الماضية وحدها على الرغم من أن هذه العناصر كان « بعضها عربى الاصل والثقافة ، وبعضها فارسى الاصل والثقافة ، وبعضها من أصول لاتقع تحت حصر سريع » .

وبالنسبة لوقتنا الحاضر فان الأمر يختلف عما كان عليه من قبل ، اذ أن قادة الرأى عندنا الآن ليسوا من عناصر شتى ، بل انهم من أبناء العربية التى صارت تصدر بعد أن توحدت ثقافتها وامتزجت ـ عن منبع واحد هو هذه « الثقافة العربية الموحدة » .

ومن أجل هذا فان الواجب على قادة الفكر وأصحاب الآراء المختلفة « أن يكون رائدهم مصلحة هذه الأمة العربية الجديدة ، وابعاد عوامل الأنانية والكبرياء التى تتجه بغير وعى الى التباعد والتفرق » .

***

ثم ينتقل موضحا أن على المفكر حين يعرض آراءه أن يسائل نفسه « هل يصح لى أن أتمسك بآرائى لأنى أعرف حقا أنها الصالحة التى أحب للمجتمع أن

يقبلها ؟ أم هي آراء خاصة بميولي واني أريد اقحامها على المجتمع بدافع من أنانيتي وكبريائي » .

وما دامت مصلحة المجتمع هي مصلحة الجميع وخيره هو خير الجميع فان الواجب على كل ذي رأي أن يكون « جنديا في الصراع الفكري الحر الذي يريد اظهار الحقيقة في مصلحة المجتمع » .

ويضع الأستاذ فريد قاعدة عامة يمكن أن تعتمد عليها تلك هي « أن ترتكز على الخير والجمال » فاذا عرض رأى من الآراء امكن فحصه على ضوء ماينتج عنه من الخير ، وما يتميز به من معنى الجمال ، فاذا خلت الفكرة من الخير كانت ظاهرة التزييف ، ومن الممكن لكل مفكر آخر ان يظهر بطلانها وتزييفها وبعدها عن الحقيقة التي تحرص عليها الانسانية دائما في كل عصر وفي كل مجتمع .

العروبة عند ابن تيمية

في مجلة الاقلام العراقية بحث بهذا العنوان كتبه « جمال الدين الألوسي » وقد عرف الكاتب في مقدمة هذا البحث بابن تيمية فبين أنه ولد في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ بحران أيام غزو التتر ، وأنه ترعرع ودرس العلوم الاسلامية والعربية في دمشق ويخلص بعد التعريف بابن تيمية الى الحديث عن رأيه في العروبة فيقول انها كما تطلق على العرب جنسا ، تطلق على لغة العرب لسانا ، ويقول ان العرب خصهم الله سبحانه وتعالى وخص لسانهم بأحكام تميزوا بها فجنسهم أفضل الاجناس ولهذا كان لن لم يعتقد بان جنس العرب افضل من سائر الاجناس فهو شعوبي ، والشعوبية وهم أراذل الناس قد ابتدعوا في الدين وخرجوا عن جماعة المسلمين .

ويشرح الباحث ان سبب فضل العرب عند ابن تيمية ليس لما ورد فيهم من نصوص القرآن والحديث فقط أو لما خصوا به من أحكام الفقه بل هم افضل كذلك لما اختصوا به فطرة ومعدنا في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم .

ثم يبين ان ابن تيمية يكره للرجل المقيم في أرض عربية أن يتعود النطق بغير العربية وهو قادر على التكلم بها ، لأن اللسان العربي هو شعار الاسلام . كما بين أن العروبة عنده أيضا تكتسب بـ (اللغة) وبـ (الوطن) وبـ (النسب) فمن تكلم العربية فهو عربي ومن انتسب لأب عربي فهو عربي ومن سكن أرض العرب فهو عربي ولما جاء الاسلام وفتح العرب الدنيا وانتشروا فيها ، سكنوا سائر البلاد من أقصى الشرق الى أقصى الغرب وغلب على أهلها لسان العرب حتى لا تعرف غيرهم فهذه البقاع يعتبر ابن تيمية أهلها « بين عربي ابتداء أو عربي انتقالا أي بين عربي أصيل وعربي مستعرب » .

السياب الشاعر العراقي

مات منذ أيام الشاعر العراقي بدر شاكر السياب بعد أن أصيب بمرض وهو في قمة شبابه لم يفلح الطب في شفائه ، وقد تناول هذا الشاعر أكثر من كاتب تحدثوا في دراسة مستفيضة عن حياته وأعماله الأدبية ويصفه الدكتور يوسف ادريس بقوله انه كان شابا خجولا كثير الابتسام قليل الكلام نحيلا رفيعا شاعرا موهوبا كما يعتبره واحدا من مؤسسي مدرسة الشعر الجديد .

وتحدث عنه رجاء النقاش في جريدة الجمهورية الصادرة في ٧ يناير ١٩٦٥ مبينا أن السياب حين بدأ حياته الفنية سنة ١٩٤٨ كان شاعر رومانسيا وظهر أثر هذا الاتجاه في ديواني (أساطير) و(ازهار ذابلة) ثم يوضح أن المعاهدة التي أرادت حكومة صالح جبر في العراق أن تفرضها على الشعب قد أتاحت للشاعر أن يشترك مع الشعب في تحطيمها كما اشترك في المظاهرات والمؤتمرات الشعبية ، ويرى الاستاذ رجاء أن هذه الفترة هي التي بدأ يتفتح فيها وعي الشاعر « على شيء جديد في داخله » حتى استطاع أن يتخلص من سطوة الاحساس عليه .

ويعقد الاستاذ رجاء مقارنة بين السياب والشاعر الانجليزي ت . س . اليوت فيذكر أوجه الشبه بين كل منهما .

على أنه يشرح في مقاله الاسباب التي جعلت السياب يتردد بين بعض المذاهب فهو قد أقبل على المذاهب السياسية بنهم « فقرأ الماركسية وارتبط بالماركسيين عدة سنوات ثم انفصل عنها انفصالا معنويا » كما ارتبط الى أقصى حد بالاتجاهات السياسية التي تؤمن بالوحدة العربية والقومية العربية . ومما يذكر أن للشاعر الراحل عدة دواوين منها « انشودة المطر » «ومنزل الأقنان » و « المعبد الغريق» وقد كان في الآونة الاخيرة يعد ديوانه الاخير « شناشيل ابنة الشلبي » للطبع .

محمد العواني

البريد الأدبي

الثمن

بقلم : أمين يوسف غراب

فى يوم الاثنين قبل الماضي نشر الناقد الكبير الدكتور « محمد مندور » مقالا في مجلة روز اليوسف قال فيه عن زميله لويس عوض أنه من كبار مثقفينا . وقال فيه عن أبى العلاء المعرى ـ انه من الثابت أن أبا العلاء المعرى لم يكن ثابتا على دينه الاسلامي متمسكا به . بل لقد اتهم اتهاما أكيدا بالحاد والزندقة .

كان هذا فى يوم الاثنين . وفى يوم الجمعة نشرت صحيفة لويس عوض فى جريدة الاهرام قصيدة ـ عصماء ـ للسيدة الجليلة الشاعرة ملك عبد العزيز زوجة الناقد الكبير الدكتور محمد مندور .

كان هذا فى يوم الجمعة . وفى يوم الاحد ذهب الدكتور محمد مندور الى جريدة الاهرام وليس الى صحيفة لويس عوض وقبض الثمن .

مسكين شيخ « المعرة »

توضيح للدكتور فؤاد حسنين على

قرأت فى تعقيبات الاستاذ عباس خضر (العدد ٧٩ من الرسالة) على عبارتي الواردة فى مقالى نشيد الاناشيد (العدد ٧٧ من الرسالة) وهي :

« ويفيدنا نشيد الاناشيد أيضا فى الفصل فى هذه الاحكام التى تلقى جزافا حول شعرنا جاهليا كان أو اسلاميا فالمؤرخون يقررون فى شيء من الجراة أن امرأ القيس مثلا أول من وقف على الاطلال وبكى واستبكى » .

ما يأتى :

« كنت أود ـ وما زلت ـ أن يذكر لنا الدكتور من من المؤرخين قرر هذه الاولية لامرىء القيس ؟ »

واستجابة لرغبته احيله الى « تاريخ الادب العربى » تأليف أحمد حسن الزيات . الطبعة الثالثة والعشرون ص ٤٨ حيث جاء :

« نشأ امرؤ القيس .. فقالوا انه أول من وقف على الاطلال وبكى على الديار وشبب بالنساء » .

بدعة الاربعين ..

بقلم عيسى متولى

دعيت والدتي ، طيب الله مثواها ، الى أكرم جوار منذ أسابيع قريبة ...

وبعد وفاتها بشهر ، اجتمع الأهل ، لتحديد يوم « الاربعين » ...

فسألتهم : وهل « الاربعين » فرض .. أم سنة ؟!

لقد حفظت كتاب الله كله ، فلم أجد فيه لهذه البدعة ذكرا ...

وقرأت أحاديث الرسول الحبيب ، فما وجدت فى حديث منها تصريحا .. ولا تلميحا ..

وأنا لا أعترف بشيء خلا منه كتاب الله .. وسنة رسوله ..

ولما سقط فى أيديهم ، قال قائل منهم انه مجرد « تقليد » متبع ، لا بد من احترامه ...

قلت : بل هى بدعة ، توارثناها عن الفراعنة الأقدمين ، جيلا بعد جيل ، ما أنزل الله بها من سلطان !.

أنترك الفرائض والسنن .. ونتبع الضلالات والبدع ؟!

والرسول الأمين يقول: « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

وأكدت لقومى أننى اذ أخالفهم الرأى لا أخالفهم اياه عن تقصير نحو ذكرى أحب انسان الى .. ستبقى ذكراه بين ضلوعى ما حييت .. بل اتباعا للدين القويم ، الذى أنعم الله به علينا ، لينأى بنا عن البدع والضلالات .. ويخرجنا من الظلمات الى النور ...

قد يترك الميت ذرية ضعافا ، هم أحوج مايكونون الى ما ينفق فى المآتم ، وما تتطلبه من مظاهر ، ومع ذلك تراهم يحرصون على اتباع هذه البدع .. فلا بد من اقامة السرادقات ، والولائم ، وعلى رأس ولائم « الاربعين » صحون « لقمة القاضى » !.

وهؤلاء الايتام ، سرعان ما ينفض عنهم العم والخال ، ويسوء المآل !.

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟!.

مالهم لا يرعون حق اليتيم .. بدلا من هذه المظاهر الكاذبة ؟!.

واذا كان هناك فضل من مال .. فلم لا يوجه للصدقات .. فهذا خير وأبقى !.

لقد أوصانا الله بالوالدين احسانا فى حياتهما.. حتى اذا ما دعاهما الى جواره الكريم ، أوصانا بخمس كلمات بينات .. تفيض رحمة ، ونورا ...

خمس كلمات بينات ، نرددها فى صلاتنا ، ودعائنا ..

هذه الكلمات الخمس البينات هى :

« رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » ..

الفرق بين زهير بن أبى سلمى

والبهاء زهير

بقلم نبيل فرج

ذكر الدكتور عبد الحميد سند الجندى فى مقدمة كتابه «زهير بن أبى سلمى شاعر السلم فى الجاهلية» الذى نشرته وزارة الثقافة أنه (قد صدر فى السنوات الأخيرة كتاب صغير عن زهير بن أبى سلمى فى سلسلة « نوابغ الفكر العربى » التى تصدرها دار المعارف ، وهو كتيب قد يجد الباحث العجل فيه بغيته ، ولكنه لا ينقع غلة ناشدى البحث العميق).

وقد بحثت عن هذا الكتاب الصغير فلم أجد له أثرا ، فعدت أستهدى آخر قائمة للمطبوعات الثقافية لدار المعارف بمصر — لعله لم يصل للمكتبات أو نفد منها — فلم أجد فى هذه السلسلة أية كتاب عن زهير أو اى شاعر جاهلى ، ما عدا الخنساء ، بل وجدت فى عدد ٢٨ كتابا عن « البهاء زهير » الذى عاصر دولة بنى أيوب وست سنوات من دولة المماليك البحرية .

امر غريب . كيف يخلط أستاذ أكاديمى بين شاعر جاهلى واضح القسمات الفنية والفكرية ، توفر على درسه سنوات ونال فيه درجة الماجستير فى الآداب ، وبين شاعر متاخر عاش فى أخريات العصر العباسى ، تشيع فى أشعاره الروح المصرية والعاطفة المصرية والذوق المصرى ؟

ان الفرق بينهما فرق بين الفطرة السليمة المقتدرة بذاتها ، والصنعة الزاهية المكتسبة .

ولو أن الدكتور اختصر على ذكر الكتاب الذى لم يطلع عليه لهان الأمر شيئا ، فقد أورد فى آخر الكتاب مراجع لم يعد اليها ولم يفد بها .. انما أتاح لنفسه ، فوق هذا ، أن ينتقص مما زعمه ، فوصفه بانه كتاب صغير لا ينقع غلة ناشدى البحث الخصب العميق — لكى يرفع من قيمة كتابه ضمنا ، ويوحى بانه ينقع غلة أولئك الذين ينشدون البحث الخصب العميق .

والحق ان كتابه لا يرقى الى هذا المستوى على الاطلاق ، ففيه من العيوب أكثر مما فيه من المزايا . وفيه من السرعة أكثر مما فيه من التبصر البطىء .

ان من يصدر مثل هذه الأحكام فى مقدمة دراسة اكاديمية ينبغى أن تتسم بشدة التحرج والاستيثاق رجل غير أمين على الكلمة . غير معذب بها . لم يتشرب روح العلم ولا يحترم منهجه .

وطالما انه لا يزال بيننا من يستخف بالكتابة ، اعتمادا على عدم معرفة القارىء ، ويحتال على المنهج العلمى ... طالما انه لا يزال بيننا من لا يحبل ضميره ، حين يتصدى للبحث ، الى منارة يقظى .. ستظل دراستنا تعانى من الضعف والاختلاط والقصور ، وهو ما آن لنا أن نتخلص منه .

صراع

قصة مصرية

بقلم أمين يوسف غراب

قال لها هامسا ، وهو يتلصص بعينيه على امها التى تقف على عتبة داره في نهاية الحارة تتحدث الى امه :

ــ تعالى نلعب ..

فلم تجب . وانما اشاحت بوجهها عنه كمن لا تريد ان تسمع ، فاقترب منها خطوة .. وشدها من ذراعها وهو يقول بصوته الهامس الذى يفيض حنانا ورجاء يود تحقيقه :

ــ تعالى نلعب ..

فالتفتت اليه غضبى، وقالت وهى تنظر الى يده الصغيرة التى ما زالت معلقة بذراعها :

ــ انا مخصماك ..

ــ من غير سبب

ــ اتهمتنى بسرقة الكرة ..

ــ اننى سألتك عنها فقط .

ــ لا .. اتهمتنى بسرقتها ..

ــ حقك على .. وغدا سأجىء لك بكرة غيرها ..

ــ من اين ؟

فقال وهو ينظر الى ذراعها الصغيرة التى مازالت معلقة في يده :

ــ سمعت ابى يقول لأمى ، انه عندما يذهب الى السوق بعد غد ، فسوف يشترى له جوربا جديدا وعند ذلك سوف آخذ جوربه القديم واصنع لك منه كرة جديدة .

فقالت وهى تنظر اليه .. ونور جميل يتألق فى عينيها :

ــ سوف اصنع لك كرة من عندى .. فأبى يملك اكثر من جورب .. واستطيع ان آخذ منها ما اشاء

ومع انه لم يفطن الى شيء ، الا انها تداركت سريعا جملتها الاخيرة ، وما فيها من حرج له ، لذلك عقبت ضاحكة ، وذلك النور الجميل ما زال يتألق فى عينيها :

ــ تصالحنا ..

فقال فرحا :

ــ وسنلعب ..

ــ اسبقنى وسوف الحق بك ..

ــ تعالى معى ..

ــ اعددت لك مفاجأة سارة . سأذهب لأحضرها .

فقال فى ابتهاج شديد :

ــ ما هى ؟

فنكست هدبيها الطويلين ، وهى تضحك ، وتضع أصبعها الصغير على غمازة فوق خدها المتورد ، وتقول ناظرة اليه :

ــ احزر ..

فقال مفكرا :

ــ كرة ؟

ــ لا ..

ــ تؤكل ؟

ــ لا ..

ــ تشرب ؟

ــ لا ..

ــ ما هى اذن ؟

فقالت وهى تنسرق من امامه ضاحكة .. تقفز فى خطوات عالية كالغزال :

ــ اسبقنى وسأحضرها لك ..

فانصرف تغمره فرحة كبيرة .. ووقف ينتظرها

على راس الحارة حتى تجيء ، ويذهب معهـا الى الجرن يلعبان مع الصبية على ضوء القمر في رمضان الاستغماية ـ وجمال المالح ـ وحلقة ومضرب ـ الى ان تدق طبلة **عم نوفل** المسحراتى اولى دقاتها ، فينصرف كل الى بيته ، فرحا مبتهجا بما ظفر من هذه الليالى الجميلة من لعب .. ومرح .. ولهو برىء ..

وبينما هو فى مكانه مر به عم نوفل ، تسبقه عصاه السنط الطويلة ، التى تهديه دائما الى الطريق ، ففزع الصبى لمرآه · والصق جسده بالحائط فى الظلام حتى لا يشعر به ، وقد انتابته حالة شديدة من الذعر ، وحالة اخرى من الاطمئنان او الرضا لا يدرى · فهو ان ظفر به عم نوفل الليلة ، حرمه من الاستمتاع باللعب مع سلوى في الجرن ، وان لم يظفر به ، حرم الصبى نفسه من بعض الطيبات التى تعود عليه فى الليالى التى يقود فيها عم نوفل فى أزقة القرية وحاراتها ، يدق على بيوت الناس ليوقظهم للسحور والصلاة التى هى عند الله خير من النوم.

وظل الصبى فى مكانه من الحائط حائرا لم يقطع بامر . ينظر في خوف او رضا لا يعرف ، الى عصا عم نوفل الطويلة ، وهى تقترب منه ، متمنيا من قلبه ان تخطئه ، ومتمنيا ايضا من قلبه ان تظفر به! بيد ان الأولى هى التى كان لها التفضيل في نفس الصبى ، لانه كلما راى العصا تقترب منه وخطوات عم نوفل المتعبة تدب اليه ، أطبق على شفتيه والصق جسده بالحائط حتى ود انه دخل فى قلبه ، ولكن عم نوفل كانت له حاسة شم قوية ، يستطيع ان يشم بها رائحة الناس ويميزهم ويتعرف عليهم، لذلك ما ان اقترب من مكان الصبى حتى حول عصاه الطويلة الى الجدار الذى يختبىء الصبى بجواره ، وقال له على الفور :

ـ امام

فاضطرب الصبى وتعالت دقات قلبه وهو يجيب سريعا :

ـ نعم ..

ـ ايـن كنت امس .. واول امس .. وكيف تجعلنى ابحث عن غيرك ليمسك بيدى ويحمل عنى الفانوس ؟

فتلعثم الصبى وهو يقول :

ـ كنت أجود فى جزءى عم ، وتبارك ، كما قلت لى ..

ـ انت تكذب ..

فقال الصبى خائفا :

ـ اسأل امى ..

ـ امك شقية بك ·· ويلعبك طوال الليل فى الجرن

وصمت عم نوفل لحظة ، ودق بعصاه على الارض ثم قال :

ـ هل تريد ان أشكوك الى ابيك ؟

ـ لا .. لا .. انه يضربنى ..

قالها الصبى فى خوف شديد وهو ينظر اليه حتى لكانه يظن انه يراه .. فقال الشيخ :

ـ اذن ستسرح معى الليلة .

واراد الصبى ان ينطق .. ولكنه التفت فرأى سلوى تهل على رأس الحارة من بعيد كما يهل القمر الوليد فى الافق من بعيد فاضطرب ثانية وتعالت دقات قلبه، واحس بضيق شديد وقال خائفا وعيناه معلقتان فى عينى الشيخ الضرير :

سأسرح معك الليلة وكل ليلة ، فقط لاتشكونى الى ابى .

سأنتظرك في المسجد ..

نطقها الشيخ وانصرف ، تسبقه عصاه ، تبحث معه في الظلام عن بيت الشيخ الشافعى مأذون الشرع ليقرأ فيه بعض القرآن ، الذى تعود ان يقراه ايضا في بيوت غيره من اهل القرية طوال شهر رمضان ، فعم نوفل له فى القرية مكانة ملحوظة . ويقوم فيها باعباء كثيرة ، فهو رغم انه كهل فى الستين من عمره ، ورغم ان الأيام أتت على كل شيء فيه ، ولم تبق من جسده الا ما يشبه الصورة القديمة التى تآكل اطارها وتسلل البلى الى رسمها · فهو مقوس الظهر معوج الساقين ، ومع ذلك فهو فى القرية حركة نشاط دائمة ، لا تعرف الهدوء ولا الراحة ولا الملل · فهو فقيه المسجد الذى يؤذن فيه الناس للصلاة ·· وهو حانوتى القرية الوحيد الذى يغسل الموتى ويكفنهم ويتلو على رءوسهم القرآن عندما يخرجون من الدنيا · · وهو يتلوه أيضا كل

صباح فى بيوت أهل القرية ـ بالمسانية ـ أى بالسنة ، نظير كيلة أو نصف كيلة من الحنطة أو الشعير كل عام ·

أما اذا جاء رمضان فهو أيضا مسحراتى القرية الذى يجوبها كل ليلة بطبلته ، يدق بها على الأبواب بابا بابا · ورغم أن هذا كان يجهده كثيرا ، الا أنه كان يسعده أيضا ، وهو لا يسعده وحده ، وانما يسعد معه جماعة كثيرة من الصبية والصبيات والعجائز الذين يقطنون معه دهليز « المرعشلى » · وهو دهليز كبير يضم أكثر من عشرين غرفة ··· وقفها على الفقراء الذين لا مأوى لهم من أهل القرية كما وقف جناحا من هذا الدهليز على ـ خولى ـ زراعة الوقف يقطنه هو ومن يشاء من أسرته · وهو الجناح الذى يقطنه امام مع أمه وأبيه ·

وكان سكان هذا الدهليز جميعا ، اذا جاء رمضان وطلعت عليهم بشائره فى الافق ، غمرتهم فرحة لاحد لها ، وعاشوا جميعا فى هناء زائد وسرور مقيم · وذلك بسبب الصدقات الكثيرة التى كانت تنهال على عم نوفل فى رمضان ، وكان يوزعها على سكان الدهليز الذين كانت قلوبهم تكاد تطير من الفرح عندما يدخل عليهم عم نوفل بعد السحور حاملا جواله المكتظ بالخيرات ، ويفرغه أمامهم على الأرض فيلتفون حوله كالقطط الجائعة ، يستخلصون بأيديهم الصغيرة الجبن من العجوة ، ومخلل اللارنج والقثاء من البلح والجوافة ، والخبز الجاف من الكحك والمنين والغريبة وعظم الدجاج وقطع اللحم من رءوس الفجل والكرات · وما الى ذلك كله من خير عميم ، يظفر الصبى منه بالنصيب الأوفر دائما ·

فكر الصبى فى هذا كله سريعا وهو فى مكانه من الجدار يشيع الشيخ الضرير ومرت به خيالاته مرورا سريعا كالنور العابر ، فغمرته لذة كبيرة سال لها لعابه وود لو أنه سبق الزمن وانطوى سريعا هذا النصف الاول من الليل · ووجد نفسه برفقة الشيخ يحمل له الفانوس ، وهو يدق على الطبلة فتفتح الابواب وتمتد الايدى الى الجوال بكل هذه الخيرات ·

بيد أن هذا كله تلاشى فجأة ، وذاب كما تذوب قطرة الندى تحت وهج الشمس ، عندما التفت فرأى **سلوى** تقبل عليه وهى تحمل له فانوسا اشترته له حتى يكون مثلها ومثل بقية الصبية الذين يلعبون بفوانيس رمضان فى الجرن ، بيد أنه أحس عند رؤيته الفانوس فى يدها بشىء كثير من الخجل ، وأحس بهذا الخجل يتزايد وهى تقدمه له ··· وتقول فى فرحة غمرت وجهها كله وزادته بهاء :

ـ هذه هى المفاجأة التى أعددتها لك ·

ولما لم ترتسم على وجه الصبى الفرحة التى كانت تنتظرها وادركت بذكائها سريعا سر خجله وارتباكه· قالت على الفور ·· مسترسلة فى الضحك ·· مستطردة فى الحديث :

ـ سأقول لك السر ·· فقط لا تذعه على أحد ··

ـ أى سر ؟

ـ خالتى آمنه ـ تقصد أمه ـ هى التى اشترته لك ·· وأنكرته منك لأنها غاضبة عليك ··

ـ لماذا ؟

ـ لأنك لم تحفظ بعد جزء عم ··

فتهللت أسارير الصبى وهو يتناول من يدها الفانوس ، ويشدها من ذراعها ، ويركض معها الى الجرن قائلا فى ابتهاج :

ـ ان أمى لا تعرف شيئا ·· لقد حفظت أيضا تبارك ، وقد سمع ، والاحقاف ، وفصلت ، والزمر ، وعما قريب ساحفظ نصف القرآن ، واذهب الى طنطا والتحق بالمعهد الأحمدى ، سمعت أبى يقول ذلك ·

ثم أراد أن يقول لها شيئا آخر ، ولكن ساحة الجرن الكبيرة طالعتهما مكتظة ممتلئة بصبية القرية يحملن الفوانيس المضاءة ويركضن بها فى ساحة الجرن الذى تراءى لهما من بعيد كساقية فوانيسها من النجوم الباهرة التى تتلألأ فى الليل ، فوقفتا بفانوسيهما ينظران الى مئات الفوانيس الاخرى فى فرحة غامرة ، وكل آمال الصبى والصبية أيضا أن يظل رمضان فى القرية طيلة شهور السنة بل طيلة أيام العمر · حتى يدورا فى هذه الساقية ، وينعما بهذا الجمال ·

وقالت الفتاة للصبى :

ـ هيا بنا ·

ولكن الصبى وقف متسمرا ينظر الى عصا عم نوفل وهى تدب نحوه كالثعبان ، ويصغى الى صوته الأجش وهو يقول :

ـ هل ستسرح معى أم ساشكوك لأبيك ··

أمين يوسف غراب



الثقافة والارشاد القومي

العدد ٨٠

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

من ذكريات العيد فى القرية

صفحات من «ذكرى عهود»

بقلم: أحمد حسن الزيات

سأترك العيد الذى بزغ سناه أول امس فى هلال شهر شوال الى الناعمين الفارين من براعم الصبا وازهار الشباب ، فان العيد صحة وزينة وبهجة ومتعة ، والشيوخ لم يعد لهم من كل اولئك شىء . لم يعد لهم الا الذكريات الحلوة تعادهم من عيد الى عيد ، وقد عاودتنى فى صباح يوم عيد الفطر وانا انظر بعينى الكليلة من شرفة البيت الى زهر الاطفال يمرحون فى أثوابهم الجديدة ، ويلهون بالعابهم المختلفة ، ذكرى من ذكريات القلب فى الطفولة ، وصورة من صور العيد فى القرية ، لا ازال اجد اثرهما فى النفس حيا على موت الذاكرة ، جديدا على بلى العمر . فانا اتخيلهما اليوم كما اتخيل حقيقة الواقع واتمثلهما الساعة كما اتمثل حوادث الأمس .



كان ذلك وانا فى العاشرة من عمرى ، أغدو الى الكتاب فى الصباح ، واروح الى البيت فى المساء ، ومعى فى الغدو والرواح رفيق من لداتى فى السن ومن جيرتى فى الحارة ، لانكاد نفترق بياض النهار وقليلا من سواد الليل . . كان هذا الرفيق هو صديقى الأول فى المرحلة الأولى من مراحل العمر . وكنت احبه دون سائر الرفاق لتشابه بينى وبينه فى الخلق والطبع والهيئة ، فضلا عما كان يتميز به من وسامة تلوح على وجهه ، ووداعة تشع فى عينه ، ورقة تشيع على فمه ، وطيبة تنبعث من قلبه . كان رفيقا فى لعبه فلا يعمد الى الخشونة ، عفا فى حديثه فلا يميل الى الفحش ، مؤثرا لاخوانه فلا يخص نفسه بلعبة أو متعة ، فكرته لكل لاعب ، وكتابه لكل قارىء ، وعونه لكل محتاج . وكان مقيما للصلاة فى أوقاتها الخمسة . فاذا أقبل شهر رمضان تعاقبنا التبليغ وراء سيدنا ، وهو يصلى التراويح اماما فى بيت الله ، وتناوبنا تلاوة القرآن معه وهو يحيى رمضان قارئا فى بيت العمدة .



كان أبوه الفلاح النجار من الأجراء (التملية) فى تفتيش على باشا شريف ،

لا تزيد يوميته على ثلاثة أرباع القرش ، ولا سنويته على فدان من أرض الدائرة يزرعه شعيرا أو ذرة . لذلك كان لا يملك من الثياب الا جلبابا واحدا يشتريه له ابوه فى العيد الصغير فيلبسه على اللحم طوال العام كله لا يبدله . وكان يحرص على صيانة هذا الجلباب أشد الحرص ، فلا يمزقه باللعب العنيف ولا يبليه بالغسل البالغ . ومع ذلك كان راضيا مطمئنا لا يمد عينه الى متعة ، ولا يحسد غيره على نعمة .



ذهبت أيام رمضان الغر ولياليه الطهر من تلك السنة ذهاب النسمات الرخية هبت على الدنيا من رياض الجنة فعطرت الأنفاس ولطفت الطباع وقربت ما بين السماء والأرض . وأصبح يوم (الوقفة) فاذا الكهول والشباب من القرية يمتطون حميرهم فى نشاط ، ويسلكون طريق السوق فى زياط ، ليشتروا من المنصورة حاجة العيد من لحم (وفطرة) ، وكان أكثر الفطرة التمر والخروب وأقلها البندق وعين الجمل . وكان ضعاف الدين يسمون يوم (الوقفة) عيد الشباب ، لأنهم كانوا يستبيحون فيه الافطار ليملأوا بطونهم بالمجان من اصناف الفطرة بحجة انتقاء الأجود منها قبل الشراء . وكان تجار النقل يتسامحون فى هذا الاختبار — وان أسرفوا فيه — استمالة لهواهم واجتلابا لسواهم . وكان من تخلف فى القرية من النساء والأطفال ينتظرون رجوع العير بالأخراج الموقرة على صبر نافد وشوق شديد فاذا ما رجعوا نفحوا المتشوقين المتشوفين بقبضات مختلفات من التمر أو الزبيب فيزازق البنون ويزغرد البنات ويقع البيت كله فى زياط شديد . ولكنهم يتذكرون أن رمضان الحبيب يلفظ أنفاسه الأخيرة مع الشمس الغاربة فتخشع الاصوات وتنهل العبرات ويخامر الناس الخوف من انطلاق الشياطين المقيدة ، فيجلس الصبيان على أبواب الحجرات يكررون البسملة ويضربون حديدا بحديد ، حفظا للبيت من دخول شيطان مريد .



فاذا دوى مدفع الافطار الأخير من البندر ورفعت صوانى الطعام من الحارة ، وقضيت صلاة المغرب فى المسجد ، خرج أهل القرية جميعا الى المقبرة ومع كل اسرة فانوس يحمله الرجل وسبت من الفطير تحمله المرأة ، حتى اذا بلغوها وضعوا المصابيح على أوجه القبور وجلسوا أمامها يستذكرون ويستعبرون وقد اختلط ندب النساء بتلاوة الفقهاء : أولئك يعددن مناقب الموتى بمراثيهن الموقعة ، وهؤلاء يقرءون على كل قبر سورة يس بتلاوتهم المسرعة ، ثم تعود القرية الحية من القرية الميتة لتتجهزوا للعيد بجهازه فيقضون الهزيع الثانى من الليل فى طسوت الاستحمام أو فى دكان المزين ، والاغتسال بالماء الحار لايعرفه الفلاحون الا ليلة العيد وليلة العرس ، ويوم الموت ، ثم يعدون زينتهم فيكورون العمائم ويصبغون الأحذية . ومن لا يحسن

لوث العمامة أو لا يملك علبة (الورنيش) ذهب بطربوسه أو حذائه الى قريبه أو جاره ، والقرية كلها اسرة واحدة يكمل بعضها نقص بعض • فاذا فرغوا من ذلك ناموا بقية الليل على هدهدة الأحلام ومناغاة المنى ، وتركوا النساء أمام الأفران والكوانين ينضجن الخبز ويطهون اللحم ويصنعن الحلوى حتى الصباح •

فرغت أنا وصديقى عبد الحافظ النجار من قراءة ما تيسر من كتاب الله على أرواح موتانا ورأينا الناس ينصرفون فانصرفنا ولم يبق من شمعة فانوسى الا عقب لا يكاد يبلغ بنا الدار • وفى أثناء الطريق قال لى رفيقى بصوت خافت ولهجة حزينة : ربما لا أراك غدا فكل عام وأنت طيب • فقلت له وأنا أحدجه بنظرى فى استغراب ودهشة : ولم لاتراني ياعبده ؟ لقد أعددت لك الكرة لنلعب والحبل لنتارجح • فقال : لاأحب أن يرانى الصبيان وليس على جسدى جديد ولا فى رجلى حذاء ولا فى يدى قرش ولا فى جيبى فطرة • لم يستطع أبى أن يحقق لى شيئا من ذلك لأنه مرض منذ ستة أشهر فانقطعت أجرته من وسية الباشا بانقطاع عمله •

فقلت له وأنا أربت على كتفه : هون عليك ياعبده فان أكثر الأطفال على مثل هذه الحال • وما دمنا معا فكل شيء جديد ، وكل يوم عيد • فقال لى بلهجة العزوم الصارم : لن أجعل الصبيان يشعرون أنى أصغر منهم شأنا وأن أبى أضعف من آبائهم قدرة • وسأقضى مع أبى المريض وأمى البائسة وجدتى العجوز العيد الذى اختاره لنا القدر • فقلت له وقد يئست من صرفه عن عزمه : ليكن ماتريد • وسأعيد معهم ومعك •



وغدوت عليه فى داره بعد صلاة العيد وزيارة المقبرة ووجبة الافطار ومعى نصيبى كله من النقل والكعك ، وقضينا يوما من أسعد الايام نلعب بآلات النجارة ، ونلهو بأوراق اللعب ، ونستذكر ما حفظنا من السور القصيرة ، ثم نركض وراء الكرة من الفناء الى الحظيرة ، ومن الحظيرة الى الفناء • وذهبت فجئت بحبل المحراث وشددناه من طرفيه الى عرق غليظ فى سقف الزريبة وأخذنا نتأرجح • وكان كل شيء فى الدار مبتهجا بابتهاجنا مغتبطا لاغتباطنا • فالأب قد نسى مرضه وقعد القرفصاء يرامقنا بعين قريرة ونفس مطمئنة ، والأم قد تركت عملها وجعلت تبارك مرحنا بالنظر الحنون والقلب العطوف ، وتحمد الله على أن جاء العيد لابنها فى الدار حين رفض أن يذهب اليه فى القرية ، والكلب الأليف كان يتبع خطواتنا من مكان الى مكان وهو ينبح كأنه يضحك ، ويبصبص بذيله كأنه يجامل • والدجاجات قد أخلت لنا صحن الدار فجثمت تحت الجدار القصير وأخلدت الى السكون الا اذا حركتها طبيعة الحياة فيصيح ديك أو تنوقى دجاجة • حتى اذا قضينا حاجتنا من متع العيد كلها جلسنا عن جانبى الجدة الطيبة وألقينا اليها السمع لتساقط فيه الكلم العذاب من (حدوتة) طويلة مشوقة حتى بدت فى جفنينا فترة النعاس فغفونا على حصيرتها الى

أن انطلقت مدافع الغروب على شاطئ المنصورة ، ولعلع صوت أبى عامر على سطح الزاوية .

كان هذا العيد المحصور بين صحن الدار وحظيرة البقرة ومجلس الجدة أسعد من عيد الآخرين الطليق بين ساحة القرية ومجالى الحقول وملاهى البندر ، لأنه كان عيد قلبين صغيرين لم تترسب فيهما أكدار الحياة بعد ، فخلوا من الهم والحقد ، وامتلآ بالرضا والغبطة . والارض على رحبها تختصر احيانا فى مكان ، والسعادة على تفرقها تجتمع كلها فى وجودك مع انسان . والصداقة الطفلية الاولى عميقة لأنها احتلت القلب على خلو ، لاصقة لأنها خالطت الشعور عن جاذبية ، باقية لأن حدثان الدهر تجرى عليها وهى راسخة فى القاع .



ظلت صداقتنا البريئة الحلوة تنمو مع مشاعرنا وعواطفنا ثلاث سنين طبعنا آثارها فى المكتب وفى الملعب وعلى ضفاف بحر شبين حتى دها مصر وباء الكولرا سنة ١٩٠٢ فصحا أهل القرية يوما فاذا كل دار فيها مريض ، واذا كل ساعة فيها جنازة . فهان الموت ورخصت الأموات حتى لايعاد محتضر ولا يشيع ميت ولا يعزى حى . كان الموت الوحى الذريع يتخطف جيرتى فى الحارة واحدا بعد واحد ، فخلت الملاعب من الاطفال والمصاطب من الرجال والمحاتب من الصبية . وهجم الوباء الهندى الاصفر على دار عبد الحافظ فاختطف والديه فى اسبوع وبقيت الجدة على حصيرتها الخشنة تبكى الابن وتندب الكنة وتحنو باضلاعها الهشه على الحفيد ، ولكن حنوها الشديد لم يدفع قضاء الله فاصبح عبد الحافظ يشكو ظما لا ينقعه ماء ، وقيئا لا يمنعه دواء . واسهالا لايقطعه شئ ، فعلمت جدته انه الموت ! فضجت بالصراخ ورنت بالعويل . وسمع الجيران جزعها فشاركوها من بعيد . وكان ابى قد حرم علينا غشيان الدور ومخالطة الناس ، ولكنى تسللت الى دار المريض العزيز فوجدته يكابد هول الداء وحده ، فلا أبوه يخفف عن كبده سعار العطش ، ولا أمه تمسح عن ثوبه رجع القئ ، فانهلت بوادر دمعى ، واحسست حرقة الحزن فى صدرى . وكان بيتنا يشرب الماء المغلى فلم يصب أحد منا بسوء . فظننت ان الدواء فى هذا الماء ، فحملت منه قلة اليه كما حملت مثلها بالأمس الى « زهرة » بنت الحارة صديقتى وصديقته . فلما رآها فى يدى افترت شفتاه الذابلتان عن ابتسامة غائمة فجرعته منها جرعات . ثم جلست بجانبه أرطب حلقه اليابس بالقلة من لحظة الى لحظة حتى وقف الماء فى فيه فلم يستطع أن يسيغه . ثم شخص بصره وحشرج صدره واخذه فواق ضعيف ثم لفه سكون شامل .

أبدا لن أنسى هذين اليومين من حياة صديقى الأول : يوم قضيت معه يوم العيد وهو يقاسى هم الوحشة ، ويوم قضيت معه يوم الموت وهو يكابد الم الوحدة !!

واحسرتاه على قريتى الصغيرة ؟ لقد أقبل عليها عيد الفطر فى تلك السنة الحزينة والموت قد ختم على أكثر الدور ، ونقل نصف أهليها من الدور الى القبور .

« احمد حسن الزيات »

.. وأيضاً !!

بقلم : محمود محمد شاكر

- ١١ -

لا أدري ما الذي أصاب صحافتنا في هذه الفترة من تاريخنا ؟ نعم ، كنت ، كما قلت في المقالة الثامنة، أتابع زحف القوى الشريرة منذ عهد قديم ، بلا غفلة عن بوائق هذا الزحف . ونعم ، كان هذا الزحف يتشعب ويمد خطاطيفه الى جميع وسائل النشر والاعلام ، من كتب وصحافة واذاعة وتليفزيون ، ولكنه كان فيما أظن ، يعتمد على التدسس الخفي الذي لا يكاد يعلن عن نفسه الا في الخطرة بعد الخطرة ، وكان حذرا لا يعالن بكشف اللثام عن معارف وجهه ، بل كان اذا انكشف اللثام مرة ، دلس على الناس بشيء من الألفاظ والاعمال كحرية الرأى ، وحرية النشر ، واتاحة الفرصة للمخالفين أن يعبروا عن آرائهم . بيد أنى رأيته في هذه الفترة ، يرتكب خلاف ما اعتاده بالأمس، وادع التلويح الى التصريح . وذلك أنى أنبأت قراء الرسالة في المقالة التاسعة أن الدكتور محمد مندور ، نشر كلمة في مجلة « روز اليوسف » تناولني فيها بما لم أكن أظن أنه يليق بمثله أن يفعله ، وأنى كتبت الى مجلة « روز اليوسف » كلمة مختصرة ، أرد عليه قالة السوء التي قالها عنى ، لتنشر حيث نشر كلامه . وكنت على يقين أن مجلة « روز اليوسف » ، سوف تنشر هذه الكلمة حيث نشر الدكتور مندور كلمته ، وذلك لأن هذا النشر حق طبيعي وقانوني ، درجت عليه كل الصحافة منذ كانت ، بلا اعتبار لأى شيء سوى هذا الحق . والكلمة التي كتبتها لهذه المجلة لا تخرج عن حد التوضيح لما أساء الدكتور فيه القالة عنى ، ولم أتجاوز فيها القدر الذي يخصنى مما جاء في كلمته ، فلم أناقشه رأيا ، ولا تحاملت عليه في عتاب أو لوم . ففوجئت باغفال هذه المجلة في الأسبوعين الماضيين ، لما هو حق معترف به عند الناس جميعا، ولا أقول في آداب الصحافة ، ولا في الزام القانون. وأنا لم أكتب هذه الكلمة لمجلة « روز اليوسف »، الا لأني وجدته من الأدب وحسن الخلق ، أن لا أغفل شأن هذه المجلة ، ولا شأن الكاتب فيها ، فآثرت أن أكتب لها أولا ، قبل أن أنقل لقراء الرسالة خبر ما قاله الدكتور عما اكتبه فيها .

وأظنني ، بفعلي ذلك ، قد وضعت الأمر في نصابه ، فليت شعرى ، ما الذي حدا بهذه المجلة أن لا تضع هي أيضا أمرى وأمرها في نصابه ؟ أيبلغ التحيز الى فئة من الفئات ، أن يخالف المرء ما درج عليه أدب الصحافة وما كفله القانون من حق الدفاع عن النفس ، وأن يهدر المرء حقا معترفا به لا لشيء الا لأن المشرف على الصحيفة أو المجلة يحطب في هوى عصابة من الناس ، ليست كلمتهم التي يقولونها ، أولى من كلمة مخالفيهم بالاحترام والتقدير ؟ واذا كان المشرف على الصحيفة أوالمجلة قد أباح لنفسه أن ينشر في صحيفته أو مجلته كلمة تمس رجلا من الناس ، أيا كان هذا الرجل ، فانه لا يستطيع أن يبيح لنفسه التحكم في نشر كلمة يدفع بها هذا الرجل عن نفسه مقالة سوء ، يراها قبيحة أن تقال بلا برهان أو حجة . وأنا لا أقول هذا لأنه كان مما يسرني أن تنشر كلمتي في مجلة «روز اليوسف» ، بل أقوله دفاعا عن حرية الناس وعن كرامتهم ، لأن الذي يفعل معى ، خليق أن يفعل مع كل أحد تتناوله الألسنة ، ثم لا يجد وسيلة يعبر بها عن رأيه ، حيث تناوله من تناوله ، ويبقى حقه مضيعا لا يدرى كيف يناله ، ما دام المشرف على الصحيفة أو المجلة ، يعد نفسه صاحب الحق المطلق في النيل من أقدار الناس أو آرائهم أو أعراضهم ، ثم صاحب الحق المطلق في أن يمنع

هؤلاء من الدفاع عن أنفسهم ، أو كشف التزييف الذى تتولى صحيفته أو مجلته نشره واذاعته على جماهير الناس .

واذا كنت أنا قد وجدت مجلة الرسالة ، لأقول فيها ما ازيف به مقالة تقال عنى ، فعسى أن لا يجد مئات من الناس مكانا يتيح لهم الدفاع عن أنفسهم. وأحب أن أسأل : من الذى أعطى المشرفين على الصحف او المجلات هذا الحق المطلق ؟ وبلا ريب،لم يعطهم أحد هذا الحق ، بل لعلهم لم ينصبوا مشرفين على الصحف والمجلات ، الا لكى يتيحوا لكل ذى رأى أن يعبر عن رأيه ، ولكل صاحب حق أن يدافع عن حقه ، بلا تفريق ، وبلا تحيز . فان كان عند هؤلاء المتحيزين الى عصابات من الناس سلطان قد فوضوا به أن يهدروا ما شاءوا من الحقوق ، وأن يمتهنوا ما شاءوا من آداب الصحافة وواجباتها ، فليعلنوا ذلك ، حتى يكف كل امرىء عن الاهتمام بما ينشر فى صحفهم أو مجلاتهم . ويكون ذلك منهم عدلا وانصافا ، يقبله الناس راضين أو كارهين . لم أكتب هذا غضبا لنفسى ، بل غضبت لكرامة امة أنا أحد أبنائها ، ولصحافة لم ازل أعرفها مذ عقلت ، ترعى حرمة الرأى والدفاع عنه ، مع أنها كانت يومئذ ترتكس فى حماة الاستبداد والظلم والخيانة ، ولكنها على ذلك كله ، لم تكن تجترىء على حقوق أبناء الأمة وآرائهم وأعراضهم ، بالتحكم الغليظ الذى لا خير فيه .

فليت شعرى ما الذى أصاب صحافتنا فى هذه الفترة من تاريخنا ؟ ان هذا لعجيب ! ولكن زمانا أتاح لأحد صبيان المبشرين أن يصب فى أكبر صحيفة فى العالم العربى والاسلامى كل ما فى قلبه من الحقود والجهالات ، وسمادير المخمورين ، ووساوس الممرورين ، ويدوس باقدامه تاريخ العرب والمسلمين بلا رادع وبلا حياء ، لا يستنكر فيه أن يضيع حق امرىء يناله قلم بمس رفيق جارح، كالمس الذى أصابنى من قلم زميلى القديم الدكتور مندور ، وكان أجدر بى أن أقول له ما قال كثير لصاحبته عزة ، حين حملها زوجها على سبه :

يكلفها الخنزير شتمى ، وما بها
هوانى ، ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا ، غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

وما كان أحكم طرفة بن العبد اذ يقول ، فى المثل المعروف :

يا لك من قنبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى
قد رحل الصياد عنك فابشرى
ورفع الفخ فماذا تحذرى
لا بد من صيدك يوما فاصبرى

وأعاهد نفسى منذ اليوم ، أن لا أرتكب مثل هذه الحماقة مرة أخرى ، مهما قيل عنى ، ومهما نشر ، فان ذلك أهدى سبيلا من السبيل التى غرتنى بها نفسى ، وثقتى بالناس . وفى مجلة الرسالة مقنع وسعة لما أريد أن أقول ، وهى حسبى ، ان شاء الله .

واذا كان القارىء قد أنساه طول الاستطراد فى قضايا تخللت قضية العامية وارادة استبدالها بالفصحى ، فانى لم انس ما بدأته . وعذرى أن هذه القضية لم تكن قط قضية مفردة برأسها ، بل كانت قضية متشعبة الجذور،كل جذر يمدهابضرب من الغذاء ، ويصبغها بلون من الصبغة ، ولا أزعم أنى قادر على أن استوعبت القول فيها استيعابا مغنيا شافيا كافيا فى هذه المقالات ، فان ذلك ضد طبيعة المقالة ، لاعتماد المقالة على الفكرة الواحدة المترابطة. ولكن حاجة القراء الى المقالة،أشد أحيانا من حاجتهم الى الكتاب ، وهو وحده الخليق باستيعاب القول الشافى . ومع ذلك ، فما الذى يضير القارىء أن يسير معى فى الدروب المتشابكة ، فيرضى أن اسلك معه دربا ، ثم استوقفه ليسلك معى دربا آخر ، ثم نعود الى الدرب الأول ، ثم نعوج معا الى درب ثالث، يفضى بنا مرة أخرى الى الدرب الثانى أو الدرب الأول ؟ لا يضيره شىء فيما أظن ، وهبها رحلة استكشاف لمتاهة من الأرض مجهولة ، وهبها رحلة استمتاع بتاريخ متطاول ؟ أليس ذلك وحده متاعا ؟ فما ظنك اذا كان فوق المتاع ؟ وما ظنك اذا كان أمرا لا بد منه لمعرفة المكر الخبيث الذى أحاط بأمة يراد لها الهلاك المصبوب عليها من حيث تتلفت ؟ ماظنك اذا كان أمرا يتعلق باتلاف ماضيها كله وسحقه وسلخها من هذا الماضى بآلاف من الوسائل التى ترى هينة عند أول النظر ، فاذا رددت النظر اليها هالك ما يهولك من وخيم العواقب ؟ ما ظنك اذا

كان شيء مثل لويس عوض ، وأشباه له كثر ، قد استخدموا لينبثوا في كل ناحية من حياتنا الأدبية والثقافية والاجتماعية ، وكل منهم في لباس يتنكر فيه ، ليؤدى مهمة هو مكلف بها ، طبقا لدراسة مخططة ، تاتي في مواقيت بعينهـا، مندسة في الانتفاضات الكبرى ، لتقضى أربها من القضاء على كل انتفاضة ، أو تحويلها عن صحيح أهدافها ، أو تعويقها عن السير في الطريق الذى كان ينبغى أن تسير فيه الى غايتها ؟ أمن العبث عندئذ أن أقف معك متمهلا ، أدلك على مواطىء أقدام الفتاك والجبناء وعلى مسارب كالتي وصفها المتنخل الهذلى اذ يقول :

كان مزاحف الحيات فيه
قبيل الصبح آثار السياط

وانها لحيات ليل مظلم ، لا يشفى لها لديغ . ولا ينبئك مثل خبير . فاني كنت أحد من ابتلى بلدغها، ثم أعان الله سبحانه فبرئت قبل أن يفتك بى سمها الناقع ، ثم وقفت أرصدها وأرصد مزاحفها ، وأطأ منها ما أطأ بقدم ثابتة ، بصيرة بما يجنبها المتالف والمهالك ، وكان ذلك حسبي في وقاية نفسى شر فتكها . أما الآن ، فاني وجدته فريضة محكمة أن أبصر أهلى وعشيرتي وأوقظهم الى ما يكمن لهم فى الطريق من هلاك موبق ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » ، فعلى كل ذى علم أن ينصح الناس بما علم ، والله يهدى من يشاء .

وقد أسلفت البيان عن حقيقة عمل « التبشير » ما هو ، وأن توهم «التبشير» ، دعوة للدين المسيحي، أمر باطل ، بل هو أحد أدوات الاستعمار الغربى فى آسية وافريقية ، ولا يهمه من أمر الدين الا الغلبة باى أسلوب كان، حتى يكفل سيادة الحضارة الغربية على حضارات الامم ، ولا سيما أكبر حضارة في عالمنا نحن ، وهي الحضارة الاسلامية التى سادت آسيا وافريقية الى أن خرجت أوربا لغزو بلاد الاسلام . وبينت أن المبشرين أنفسهم قد علموا علما يقينا أن الدعوة الى المسيحية من حيث هي عقيدة ، لاتلقى أذنا سميعة ولا أذنا صماء ، فكان المخرج من هذا المأزق، أن يكون عمل التبشير في ميدان غير ميدان الدعوة الصريحة الى المسيحية . **فكان اجماعهم :** أن ارساليات التبشير تعجز عن أن تزحزح العقيدة الاسلامية من نفوس معتقديها ، كما قال شاتليه ، ولكنها تستطيع أن تقضى لبانتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية ، ببث الافكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية وتمهيد السبيل لتقدم اسلامى مادى، وهو الذى عبر عنه توينبى بانه « طريقة العيش الغربية » ، و « اعتناق مبادىء الحضارة الغربية »، كما أسلفت في المقالة العاشرة ، وطريقة العيش الغربية ، ومبادىء الحضارة الغربية هى بلا شك ، نتاج طبيعى للعقيدة المسيحية التي تسود العالم الغربى ، لا يرتاب فى ذلك عاقل .

فكانت الوسيلة الأولى لبلوغ ذلك هى ، **التعليم ، والصحافة** ، وبالاستيلاء على هذين الحصنين ، يتم للمبشرين ما يريدون من هزيمة العالم الاسلامى ،فى معركة الثقافة ، بلا ضجيج يزعج . وقد ابانت المبشرة « أنا ميلجان » عن ذلك أحسن الابانة اذ قالت : « ان المدارس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحى ، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة أوطانهم » !! وتقول أيضا عن كلية البنات فى القاهرة : « فى صفوف كلية البنات فى القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى . وليس ثمة طريق الى حصن الاسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة ». وقد بين«دانبى» المبشر ذلك حين ذكر التعليم فقال : « وهكذا ينشأ الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة » . وكشف ذلك القس زويمر كشفا صريحا حين قال فى وصاياه للمبشرين : « ينبغى للمبشرين ان لا يقنطوا اذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، اذ من المحقق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد الى علوم الأوربيين وتحرير النساء » . وهذه أقوال قديمة ، ينبغى أن يتأملها العربى والمسلم فى هذا العصر الحديث !!

ويضيف المبشر «تكلى» اضافة صريحة،تكشف عن وجوه الخطر الكامنة فى التعليم الغربى ، فانه يقول : « يجب أن نشجع انشاء المدارس ، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربى . ان كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانجليزية .

ان الكتب المدرسية الغربية ، تجعل الاعتقاد بكتاب شرقى مقدس ، أمرا صعبا جدا » • وهذا واضح كل الوضوح ، فى أن أمر التعليم ، على الصورة التى ارادوها ، والتى أرادها دنلوب وأمثاله ، هى نزع اعتقاد الشباب المسلم ، فى كتاب الله الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، والذى عبر عنه وليم جيفورد بلجراف فيما ذكرته آنفا : « متى توارى القرآن ،ومدينة مكة ، من بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة ، التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه» ، وخسىء المبشر!

ولهذا الهدف نفسه ، سعى المبشر لويس ماسنيون الذى يعد مستشرقا ، حيث قال فى مجلته التى يخدم بها وزارة المستعمرات الفرنسية : « ان الطلاب الشرقيين الذين يأتون الى فرنسا ، يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية » • وهذا ليس قوله وحده ، بل هو ما تعمل له أكثر الجامعات فى أوربا وامريكة ، وسائر ما يتفرع عنها من الجامعات التى تقام تحت اشرافها فى بلاد العرب ، كالجامعة الامريكية فى بيروت ، وفى مصر ، كما بينت ذلك فى مقالة سالفة • هذا امر الاستيلاء على التعليم والمتعلمين ، لم أزد فيه على أن نقلت نصوص أقوالهم دون تعليق يذكر • فان أى عاقل يستطيع أن يرى الطريق واضحة بأيسر التأمل •

اما الصحافة والاستيلاء عليها ، وتتبعها بلا ريب، سائر وسائل الاعلام والتوجيه التى انتشرت فى هذا العصر الأخير ، فحسبك أن تقرأ ما قاله المبشر ولسن كاش : « ان الصحافة لا توجه الرأى العام فقط ، أو تهيئه لقبول ما ينشر عليه ، بل هى تخلق الرأى العام (تأمل هذه العبارة تأملا جيدا) • وقد استغل المبشرون الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية ، أكثر مما استطاعوا فى أى بلد اسلامى آخر (تأمل هذا أيضا) • لقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصرية ، اما مأجورة فى أكثر الاحيان ، أو بلا أجرة فى أحوال نادرة » • وهذا كلام قيل فيما قبل سنة ١٩٢٣ ، فهو قول قديم ينبغى أن تتأمله ، وأنت تدرس تاريخ هذه الفترة من حياتنا ، أما بعد ذلك فان الأمر قد اختلف، بعد أن صار صبيان المبشرين مبثوثين فى كل مكان ، يتكلمون بلا حرج، وألفاظهم تنضح بالدلالة على حقائقهم ، منذ كان سلامة موسى ، الى أن كان لويس عوض وشيعته من الصبيان ، ثم ما تراكم من الخطر الأعظم بوقوع جماعة لم يحاولوا قط أن يرتابوا فيما يلقى اليهم، فأصاب ذلك من نفوسهم موقعا ، فرددوا كلاما فتنوا به ، وهم لا يدركون ما وراءه من مرامى هذه القوى المجتمعة الشديدة المكر والبطش ، والتى تعمل دائبه بلا غفلة ولا فتور ، على هدم نفوسهم ، وهدم بلادهم ، لكى تقع فى شرك لا مخرج لها منه، أرادت ذلك ، بعد تمام النكبة ، أم لم ترده •

فمن الغفلة التى تطمس القلب والعين والعقل ، أن يعرف ذلك انسان له بقية من نخوة أو كرامة او عقل ، ثم لا يعيد النظر فى كل أمر من أمور هذه الامة العربية والاسلامية،ليرى أثر اصبع التبشير العامل على تحطيم النفس العربية والمسلمة ، فى كل ناحية من نواحى الحياة الادبية والسياسية والاجتماعية ، وليبصر عيانا صدوع التحطيم والهدم ظاهرة فى حياتنا ، وليدرك أن العدو الذى يريدنا أن نعتنق مبادىء الحضارة الغربية ، وأن نعيش طريقة العيش الغربية ، انما يريد أن يقوض بناء كاملا تم كماله ، فى قرون متطاولة ، وبقى يقارع الخطوب والاحداث والنكبات دهورا ، محتفظا بقوته وكيانه ، ولم يجترىء عليه العالم الاوربى المسيحى، الا بعد طول تردد فى القرن التاسع عشر ، كما قال توينبى •

ولأن أحكم عروة كانت تربط العالم الاسلامى، على اختلاف ألسنته واجناسه فى قارتى آسية وأفريقية ، هى لغة العرب التى بها نزل القرآن ، كما قال القس المبشر زويمر ، وكما اشار الى بعض ذلك المؤرخ الانجليزى توينبى ، فان « التعليم » ، الذى فرضه الاستعمار الغازى على العالم الاسلامى ، والذى تولاه التبشير بفتح مدارسه فى كل بلد عربى من بلاد هذا العالم ، اعتمد أول ما اعتمد على محاربة اللغة العربية حيث كانت ، كما شهد بذلك الأستاذ الفاضل جرجس سلامة فى كتابه عن التعليم الأجنبى فى مصر،فى القرنين التاسع عشر والعشرين، وكما يدل عليه ايضا ما انتهت إليه مدارسنا من الاستهانة بشأن اللغة العربية ، وظهور ذلك ظهورا بينا فى جميع نواحى حياتنا التى نحياها اليوم . وسبب هذا البلاء الذى نعانيه ، انما هو الهدف

الذى اراده دنلوب بنظامه الذى سير عليه المدارس المصرية حينا طويلا ، بأن يجعل اللغة الانجليزية هى السائدة فى التعليم كله ، ويجعل لغة البلاد ، كأنها لغة أجنبية تدرس فى غربة شديدة على نفوس الناشئة ، فلا يكاد يطول زمن ، حتى ينحل الاهتمام بها شيئا فشيئا . حتى تكاد تصبح لغة غريبة على ابنائها واهلها ، وهكذا كان ! (ومن المحزن ، ومن المخزى ، ان يكون هذا هو الهدف الحقيقى الذى يسعى اليه نظام دنلوب اكبر السعى واصدقه ، ثم لا تزال الى الساعة نسمع من يقول للناس ان نظام دنلوب ، كان يرمى الى اخراج طبقة من الموظفين ، لا غير . وهذا باطل معرق ، وقصد سخيف ، لا يصدقه الا من اعوزته ملكة نقد الأقوال والأخبار والشائعات المروجة لستر الحقيقة ، فهو لذلك لا يبالى ان يحاول عرضها على صريح من العقل ، او على شهيد من الواقع) .

واذا كان الغرب قد توقى طوال هذه الفترة ان يواجه العالم الاسلامى فى ميادين القتال ، مخافة أن تكون عاقبة التلاقى وجها لوجه وخيمة ، كما قال توينبى . فانه قد جاء ما لم يكن قادرا على توقعه يومئذ ، فضلا عن توقيه . فقد كانت نتيجة التصادم بين قوى الأمة العربية والاسلامية ، وقوى الاستعمار والتبشير فى ميدان الحرب اللغوية ، والحرب الثقافية ، ان انبعثت فى جميع ارجاء العالم الاسلامى حركة احياء شديدة العجلة ، كالذى حدث فى الهند وغيرها

وانطلقت ايضا حركة غريبة تفور بالآمال وبتحقيق الآمال معا ، كان يحمل لواءها يومئذ ، البارودى ، وذلك فى نحو سنة ١٨٧٠ ، كما اسلفت . فاذا بنا نفاجأ بعد قليل بدعوة سخيفة جدا عند من يحسن النظر ، ومن له أدنى قدر صحيح من سلامة الطبع ، ومن عنده أدنى قدر من حب بلاده ولغة امته ، ومن له ادنى حس بطبائع الألسنة البشرية وتاريخها ومدارجها على العصور المتطاولة . ولا عجب ، فانها كانت دعوة خبيثة المخرج ، احتيلتها مؤسسات التبشير ودعاته على حين فترة من غلبة الجهل بالقراءة والكتابة فى جماهير الناس ، وعلى حين الوقوع فى قبضة الاستعمار الذى كان يشل حركة المصلحين فيمنعهم بوسائل مختلفة من ادراك ما يبتغون من اصلاح

حال امتهم ، الا بعد جهد جهيد . وهذه الدعوة ، هى دعوة استخدام العامية واستبدالها بالفصحى فى التعليم والكتابة ، التى لم يكن لها مخرج فى مصر منذ سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٩٠٢ ، الا من ثلاثة من المبشرين ، فى اى ثياب مدنية كانوا ، هم سبيتا الالمانى ، وويلككس وولمور الانجليزيان . ومخرج فى بيروت ، هو مجلة المقتطف ، التى كانت ترتضع أسباب بقائها يومئذ من اكبر مؤسسة تبشيرية دخلت الى ثغر من ثغور بلاد العرب ، فاستقرت فيه سنة ١٨٦٥ ، وهى « الكلية السورية الانجيلية » ، « التى تعرف اليوم باسم « الجامعة الامريكية » ، ولم ينقض تغيير الاسم شيئا من حقيقتها التى عليها انشئت ، ولها ولتحقيق اهدافها لا تزال تعمل ، بلا مواربة ، الا بعض المخافتة .

وخبث مخرج هذه الدعوة فى اول عمرها ، طمس عليها وعلى اصحابها وعلى مؤلفاتهم أو كتابتهم فيها بعض الطمس . ولكن هل كان هذا قضاء عليها ، وازالة لها ومحوا ؟ كلا ، فان هذه الدعوة المكتوبة، كانت ترفدها أسباب أخرى من خارج ، امثال اليهودى يعقوب صنوع ، وتصنعه الوطنية والدفاع عن الحق ، وممارسته ذلك بالكتابة العامية ، ثم بدء نشأة المسرح العامى ، وهو اللهو الذى تسرع اليه النفوس . ويرفدها أيضا ضروب من الاعداد كانت تتم فى المدارس الأجنبية التى وصفناها آنفا ، وفى المدارس الثانوية والعالية أيضا ، التى كان بعضها خاضعا خضوعا مباشرا للانجليز ، وعلى رأسهم دنلوب ، ومن يحيط به من المبشرين فى صورة اساتذة ، أو خضوعا مباشرا للفرنسيين فى عهد الانجليز ، كمدرسة الحقوق ، التى كان طلبتها يمارسون ممارسة عملية اهدار الفقه الاسلامى والشريعة كلها بأصولها ، واحلال القانون الفرنسى الوضعى مكانهما ، ويقترن بهذه الدراسة التى تغلب عليها الفرنسية ، والاعجاب بها وبآدابها وفكرها ، ضرب من الاعراض عن العربية احيانا ، أو ضرب من الشك والاستهانة ، أو ضرب من قلة الاحتفال واسقاط امرها كله من الحساب .

ولكن منذ سكت صوت ويلككس وولمور فى سنة ١٩٠١ ، لم نكد نسمع صوت صارخ يتولى الدعوة

الى العامية واستبدالها بالفصحى ، ولكن كان التعليم كله فى المدارس العالية والثانوية والابتدائية ايضا ، لايزال منحرفا عن لغة البلاد العربية ، الى تغليب اللغة الاجنبية فى تدريس جميع العلوم ، ثم زاد الالحاح فى ذلك زيادة شديدة ، فكان ذلك تعطيلا تاما للقوة التى تنشأ من ابناء البلاد ومثقفيها ، وجعلها فاقدة للقدرة على التعبير بلسان قومها ، فى العلم الذى أفنت الليالى والايام فى تعلمه ، على علاته ، لمنفعة امتها · وفى مثل هذه الاحوال ، لا يأمن المرء أن يجد استعدادا شديدا للانحراف فى التفكير ، ولا سيما اذا خالط الفكر شيء يقسره على الخضوع لسيادة ارتضاها حبا واعجابا ، أو عنوانا ومذلة ، أو خيانة وسوء نية · وفى هذه الفترة أيضا احتدم ما أحياه البارودى ، فظهر من الكتاب والشعراء من مهدت لهم قواهم أن يتصدروا قيادة الطريق الى احياء العربية ، فى الجماهير الباقية المحبة للغة بلادها ، دون معونة تحدثها المدارس ، من تخريج جمهور محب للغة بلاده ، يتكاثر به عدد هذه الجماهير ، وكان فى مقدمة ورثة البارودى ، فى باب الشعر خاصة ، جماعة تكاثروا ، تقدم منهم شوقى ، وحافظ ، ومطران ، وعشرات من نوابغ الشعر من بعدهم · ولكن كان أمر الاحياء كما ترى ، كجناحى طائر ، أحدهما ناهض تخفق ، والآخر مهشم مكسور مهيض · فكلما تكاثر عدد المتخرجين من هذا التعليم بتكاثر المدارس ، زاد هذا فى جانب العامة ، ولم ينتفع خاصة الاحياء العربى بشيء يذكر ·

ومضت الحياة السياسية تضطرب منذ احتلال الانجليز لمصر ، واستيلائهم على كل ما فيها سنة ١٨٨٢ ، بعد هزيمة زعيم البلاد ، أحمد عرابى · فنشأ بعده مصطفى كامل ، «وبدأت به حركة جديدة للاحياء من وجوه أخرى كثيرة ، وبدأت تتكون نواة مقاومة يغذيها الانجليز والفرنسيون وجميع أعوانهم ممن لهم سلطة أو جالية فى هذه البلاد ، ليحولوا بين دعوة مصطفى كامل ، التى تقوم فى أساسها على الاعتراف بالخلافة التركية ، وعلى الامل فى أن تخرج تركيا من محنتها التى أوقعها فيها العالم الاوربى المسيحى ، الذى طوقها ، وجعل يطعنها من جميع نواحيها ، ثم سماها «مريض أوربا» ، بعد أن سلط عليها كل جراثيمه الفتاكة ، بالدس والمكر والخداع · فبعد فترة بدأت دعوة «مصر للمصريين» ، معارضة لمبدأ مصطفى كامل ، واحيطت هذه الدعوة ، بكل الوسائل المثيرة ، التى يكون ظاهرها انقاذ الوطن من براثن الاستعمار الاجنبى ، بما فيها تركيا ، هكذا يقولون ! ، وباطنها تثبيت القواعد الفكرية التى تحمل الشاب المصرى على أن لا يرى شيئا يربطه بشيء من البلاد التى تحيط به ، سوى ظل باهت من الروابط الدينية واللغوية التى فرضت عليه فرضا ، كما قال ذلك بعضهم فيما بعد · ثم يرى أن مرده كله الى مصر وحدها ، والى تاريخها القديم العريق فى الآباد البعيدة ، وهو تاريخ الفراعنة ، الحافل بالآثار القائمة ، والتى يأتى السائحون من كل أوب لرؤيتها أو دراستها · وتولى كبر هذه الدعوة ، بلا اطالة فى الرد عليها أو تفسيرها ، رجل ولد فى سنة ١٨٧٢ ، وأتم تعليمه الابتدائى فى عهد الاحتلال سنة ١٨٨٥، وتعليمه الثانوى سنة ١٨٨٩، ونال شهادة الحقوق فى سنة ١٨٩٤ ثم تولى تحرير الجريدة (التى كانت شركة مكونة من محمد محمود، وعمر سلطان ، وأحمد حجازى ، ومحمود عبد الغفار ، وهى أسماء لها أثر فى بعض تاريخنا السياسى) ، وهذا الرجل هو «احمد لطفى السيد» ·

وهذا الرجل عندى شديد التناقض ، ينبغى أن يعاد درسه بدقة متناهية · فحيثما سرت فى قراءة تاريخه أو آثاره ، اجد له أقوالا متناقضة ، وأعمالا تناقض أقواله ، وأحس وأنا اقرؤه بحجاب من التكلف جاثم على قلبى ، والمس وراء ألفاظه ادعاء وكأنه ليست فى الطبع ، بل هى مستحدثة بارادة وعزيمة صادقة ، وكلماته توحى لى دائما بشىء له همهمة غامضة ، تخفى أكثر مما تعلن ، حتى لقد وجدت ذلك فى ترجمته لكتب لأرسطو ، وهذا أمر غريب جدا لا يكاد يتفق فى الترجمة على وجه التخصيص ، فظهوره فيها يلفت النظر الى استحكامه استحكاما راسخا فى العظام ، لا فى النفس وحدها · وليس من همى هنا أن احلله تحليلا أدبيا ، ولكن يهمنى أن تعلم أن هذا الرجل هو الذى خلف هذه الدعوة الخبيثة المخرج التى سكن ريحها منذ سنة ١٩٠٢ ، فأعادها هو فى ابريل ومايو من سنة ١٩١٣ ، فى صورة جديدة غريبة ، تتسم بكل هذه الصفات وغيرها ، مما يعين مثله على أن يكتب مثل ما كتب فى شأن اللغة العربية ، وفى هذه المقالات السبعة ضروب من السخف فى الاحتجاج لا يملك

المرء الا أن يعجب من اتفاقهما ، لرجل ذاعت النالة فى الناس على أنه فيلسوف منطقى ، حتى كاد يسمى بالمعلم الثالث !! وهذا اعجب العجب !! ولكن هكذا زماننـــا ! رواج الأحدوثة بالمدح أو بالذم ، يتلقى بالتسليم المغمض العينين ، ويســيطر بالوهم على منابع الفكر ومساربه .

ودخل هذا الرجل الى دعوته مدخلا غريبا فى وصف غنى العربية فيما يتناول المعانى والمسميات القديمة ، وفقرها فى المعانى الجديدة والمصطلحات العلمية . وظل يدخل من باب ويخرج من باب ، ويلقى ريبة ثم يرحل ، ويأتى بحجة واهية ثم ينقض ، فيطالب الكتاب بأن يتسامحوا فى قبـول المسميات الاجنبية ويدخلوها فى كتابتهم ، كما ادخلهـــا الجمهور فى المخاطبة . وهذا كلام من لا يدرى ما عقابيل مايقول ، فلا هو رياضى ولا هو منطقى ، يحسن تصور القضايا على وجه الاحاطة والشمول . وكتب معترفا ان هذا الرأى خليق أن ينشر الفوضى فى اللغة ، ولكنه زعم أن الفوضى نافعة وواقعة فى زمن الانتقـــال ، وأن لا خطر على اللغة منها مادامت ستخرجها من جمودها الى التطور الراقى الذى يوافق أطماع الامة !! ثم زاد فطالب بأشياء أغرب مما قال سبتا وامثـــاله من الخبثاء الماضين ، لا أدرى كيف قالهـــا كمطالبته : « أن يحتضن الكتاب المفردات العربية الموجودة فى اللغة العامية ، فيردوا ما تشوه منها الى أصله العربى ويستعملوه صحيحا ، وما لم يشــوه يستعمل على حاله ، ويستثنى من ذلك ما ابتذل من الالفاظ ... هذا وان استعمال مفردات العامة وتراكيب العامة ، فيه من وجهة أخرى احياء للغة الكلام ، والباسهـا لباس الفصـــاحة » !! هــذه أفكار عجب ، أمجرد اســتعمال لفظ عامى وكتـــابته ، يلبسه لباس الفصاحة !

ثم افاض فيما ينفع من العلم والفهم ، حتى انتهى الى أعجب كلام : « واقرب الطرق الى هــذا الصلح (يعنى بين العامية والفصحى) ، أن نتذرع الى احياء العربية باستعمال العـــامية ، ومتى استعملناها فى الكتابة ، اضــطررنا الى تخليصهـــا من الضعف ، وجعلنا العامة يتابعون الكتاب فى كتاباتهم ، والخطباء فى خطاباتهم ، والممثلين فى رواياتهم » . وهــذه النتيجة التى انتهى اليها حضرة الفاضل المنطقى ، تتفق تمام الاتفاق مع آرائه التى اذاعهـــا مرارا ، واعتباره أمر صلة مصر بالبلاد العربية أمرا خرافيا غير مقبول حدوثه ولا متوقع ، لا ذلك اليوم ، ولا بعد ذلك اليـــوم . وهو كان غير قادر على أن يرى أن العرب أمة واحدة ، ذات لســـان واحد ، وعقيدة واحدة ، وكان يفر منها فيما يكتب ، كما كان يفر من الحديث فيها اذا لقيه من يحسن ان يدفع عن رأيه (وهذه مقالة مجرب) .

ولكن اذا شئت أن أريك تناقض هذا الرجل فى هذا الامر نفسه ، فانى أحيل القارىء على كلمة كتبها هذا الرجل نفسه قبـــل ذلك بأربع سنوات ، فى ٢١ اغسطس سنة ١٩٠٩ ، من الجريدة ، بعنوان : « فى انكلترا أيضا » ، فهو يذكر ما رأى من تمجيد القوم هنـــاك لشاعرهم العبقرى شكسبير ، وانهم يحلونه فى قلوبهم منزلة أعلى من منزلة كل ملوكهم الأولين . قال : « على ذكـر شـــكسبير ، يرد على خاطرى انى سمعت انه استعمل من اللغة الانجليزية ، عشرين الف كلمة ، وان فى بعض أساليبه خفاء على كثير من العامة ، ولكنى لا أصدق أن أحدا سمع أنه رمى « بالتقعر » ، بحجة أنه لم يقتصر فى كتاباته على مئات الكلمات التى تكفى للتعبير عن المقاصد فى اللغة الانجليزية » ثم يضرب المثل بما استعمله أبو العلاء المعرى من غريب اللغة ثم يقول : « وانه عـــلى ذلك يستحيل على رجل يذوق طعم الكلام أن يرمى أبا العلاء بالتقعر » ثم يقول :

« فما بالنا فى بلدنا نجـد كل يوم لهذه الكلمة رنينا خبيثا فى الآذان ، بل نراها على سوء استعمالها وقبح مدلولها ، تسيل بسهولة على كثير من الألسن ، كلما صادف بعضهم فى الكتب ، أو على الجرائد ، كلمة يظنها غريبة ، وما هى بالغريبة الا عنده ... ثم يقول : « اذا كان شكسبير ، كما سمعت ، قـد استعمل عشرين الف كلمة ، مع أن راسين على غناه ، لم يستعمل الا أقل من اربعة آلاف ، فأولى بالعربى ان لا يحد لغته الفسيحة ، بحدود ما يستعمل منها فى ميدان باب الخلق ، أو فى سوق الخضار . ان لم يكن التوسع فى الالفاظ للمعـــانى ، ولا لمنفعة الادب ، ولا لخدمة اللغـــة ، فليكن على الاقل لخدمة القرآن ، الذى بات الكافة لا يفهمون معنى الفاظه . ومن واجبهم ان يفهموه ، فانه انما يتلى لنفهم ... لا بعلم الا الله ، متى نرى شوقى وحافظ بالعين التى يرى بها الانجليز شعراءهم ؟ بل متى نحب وطننا ،

ولغتنـــا ، وآدابنا ؟ ومتى يكون للحق سلطان على نفوسنا ، حتى لا نتخذ الجد لعبا ، ولنتعلم حسن الظن وصدق الانتقاد » .

لم تمض على هذه المقالة اربع سنوات ، حتى شرع هذا الرجل ، يضع مشروعا لابادة العربية ، وطمرها فى ركام من الكلمات الاجنبية ، وتحطيم بنائهـــا بالعامية تحطيما كاملا ، بلا رعـــاية لما ذكـــر من « التوسع فى الالفـــاظ والمعـــانى » ، ومن « منفعة الادب »ومن « خدمة اللغة »،ومن « خدمة القرآن » ، أين ذهب كل هذا الذى قال؟ ومن الذى لوى لسانه؟ ومن اى مصدر جاءته هذه الافكار المضيئة ؟

ان هذا الرجل كان أول عربى اجترأ على أن يردد المقالة الخبيثة التى قالها الاربعة الخبثاء المخارج من قبله ، ولكن فى ثياب أخرى ألبسها اياها من ثياب بنات أفكاره !! (وكان الله بالسر عليما) . وبظهور مقالاته التى لا أجد ما أصفها به سوى الخلو التام من المنطق ، والتلبس التام بالتذاكى الماكر ، انضم تيار الدعوة الى استبدال العـــامية بالفصحى جدالا ومناقشة ، ثم استعمالا فى المسارح واشباهها ، ومن العجيب أن يجىء توقيت هذه الدعوة التى قام بها هذا الرجل ، على أبواب القلق العالمى الذى أفضى الى الحرب العالمية الاولى، وفى الوقت الذى كانت تتجمع فيه قـــوى الامة كلهـــا تنتفجر فى وجه الاحتلال البريطانى ، والذى عاق انفجـــاره نشـــوب الحـــرب العـــالمية ، واقدام الانجليز على حشد مليون مصرى ونصف مليون باسم « السلطة » ليكونوا وقودا لنار هذه الحرب ، فتأخر ميقاتها الى سنة ١٩١٩ ، فكان لأمر العامية فيها شأن آخر ، سنتحدث عنه ان شاء الله فيما يلى ، والى الاسبوع القادم .

« محمود محمد شاكر »

مقطوعتان

للشاعرة الدكتورة : عاتكة الخزرجى

مخدع صورة ...

اصورة من أهوى فديتك انتى
تحيرت أى الموضعين يفضل !

أقرة عينى أم حشاشة خافقى
فان كلا الدارين رحب ومقفل

ولكن عينى قد تنم وانمـــا
كتوم الهوى عندى أعز واجمل

فيا قلب افتح مخدعيك وضمها
كما ضم للصدر الكتاب المنزل

كيف السبيل ...

ســـأموت من لهف عليـــك
واحسرتاه .. فمن اليك .. ؟

كيف السـبيل الى لقـــا
ك فـــارتوى من ناظريك ! ؟

مولاى هـــــذى مهجتى
وقف عليـــك وفى يـديك !

أترى يســـاعفنى الزمـــان
تراه يشـــفع لى لديك ؟ !

د . عاتكة الخزرجى

لامية العرب

للدكتور: فؤاد حسنين على

أو ان شئت فقل ملحمة الصحراء صورة البادية الناطقة ولوحتها الخالدة تعرض لنا قحلها وجفافها، قوتها واهوالها،حمارة صيفها وزمهرير شتائها أوحى بها الى شاعر عاش فى البادية وخبرها فعاف الحضر وكره سكان المدر لأنه :

طريد جنـايات تيـاسرن لحمه
عقـيرته لأيهـا حم اول
تنام اذا مـا نام يقظى عيونهـا
حثـاثا الى مسـتكره تتغلغل

وصاحب هذه اللامية شاعر قحطانى جاهلى ازدى وهو كما تحدثنا المصادر التى بايدينا من بنى الحرث ابن ربيعـة بن الاوس بن الحجر . ويعرف باسم الشنفرى وكان وثابت بن جابر وعمرو بن براق أعدى العدائين فى العرب ، وان جرى المثل بالشنفرى فقيل : اعدى من الشنفرى ، ويروى الأصـبهانى صاحب الاغانى ان الشنفرى لما كان صغيرا وقع فى الاسر مرة وأسره بنو شبابه ، وهم حى من فهم بن عمرو بن قيس عيلان ، فلم يزل فيهم حتى أسر بنو سلامان بن مفرج رجلا من فهم واحد بنى شبابة ، ففداه بنو شبابة بالشنفرى وظل فى بنى سلامان زمنا وهو لا يعلم انه فى الأسر . ولما تبين له ذلك غضب ورحل الى فهم واقام هناك حتى قتل .

ولا ادل على أهميـة هذه اللامية من تعرض أكثر من لغوى لشرحها أمثال المبرد وثعلب والتبريزى والزمخشرى والعكبرى ويحيى الحلبى الغسـانى والزوزنى والنقشـوانى وابـن اكرم وابـن زاكور وعطاء الله المصرى والسويدى والسـعيدى الحميرى وغيرهم . كما حرصت أمهات مصادر الأدب العربى كالمفضليات وكتـاب الوحوش للأصـمعى وحماسة ابن تمـام والحيوان للجاحظ والشـعر والشعراء لابن قتيبة ونقد الشعر لقدامة والعقـد الفريد لابن عبد ربه ومروج الذهب للمسـعودى والاغانى للاصبهانى وأمالى القالى ومزهر السـيوطى والموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى وصـحاح الجوهـرى والاتبـاع والمزاوجة لأحمد بن فارس وجمهرة الأمثال لأبى هلال العسـكرى ولزوميات المعرى ومخصص ابن سـيده ومحاضرات الأدباء للراغب الاصبهانى ومختارات ابن الشجرى وغيرها على الاستشهاد بها .

ولعل خير ما تتميز به هذه اللامية ان الشنفرى يبغض أهله ويحتقر عشـيرته فهو لا يستهلهـا بالنسـيب وبكاء الاطلال ورثاء الدمن ومدح أفراد قبيلته والتغنى بصفاتهم أو التحدث عن بطولتهم كما جرت عادة بعض الشعراء فيما جاءنا من أشعارهم بل يقوله :

اقيمـوا بنى امى صـدور مطيكم
فانى الى قوم سـواكم لأميـل
ولى دونكم أهلون سـيد عملس
وارقط زهلول وعرفاء جيـال
هم الأهل لا مسـتودع السر ذائع
لديهم ولا الجانى بما جر يخـذل

وهكذا نجد عبقرية ابن مالك الازدى تفيض عليه بملحمة يهب فى أبياتها نسـيم الحرية ويدوى فى جنباتها صوت الصحراء :

وفى الارض منـاى للكريم عن الأذى
وفيهـا لمن خـاف القلى متعزل
لعمرك ما فى الأرض ضيق على امرىء
سرى راغبا أو راهبا وهـو يعقـل

ويردد هذا المعنى معن بن أوس فى قوله :

وفى الناس ان رثت حبـالك واصل
وفى الارض عن دار القلى متحـول

وقال المتلمس :

وفى البـلاد اذا ما خفت فـائدة
مشهورة عن ولاة السـوء مبتعـد

ويعبر عنه ابن نمير الثقفي بقوله :

وفي الارض ذات العرض عنك ابن يوسف
اذا شئت منأى لا ابا لك واسع

وقال بحر بن العلاء مولى بني امية :

وفي اليأس لو يبدو لك اليأس راحة
وفي الارض عمن لا يواتيك مذهب

ويختص الجوع والعطش بابيات تقرب من الثلاثين ويمثل هذا العدد وصفت الصحراء واخلاق الشاعر · والشنفرى في تصويره للجوع والعطش يرسم لنا لوحة قلما نجدها عند غيره من كبار الفنانين ·

اديم مطال الجوع حتى اميته
واضرب عنه الذكر صفحا فاذهل
واطوى على الخمص الحوايا كما انطوت
خيوطة مارى تغار وتفتل
واغدو على القوت الزهيد كما غدا
ازل تهاداه التنائف اطحل
فلما لواه القوت من حيث امه
دعا فاجابته نظائر نحل
مهللة شيب الوجوه كانها
قداح بكفي ياسر تتقلقل

وتضيق الصحراء امامه ، ولا يجد من القوت شيئا، فيعرض لنا صورة اخرى يجد فيها الجوع في شبح ذئب وصفته القصيدة بابيات تعتبر من اقوى الابيات التي وصلتنا في الادب الجاهلي · اختار الشنفرى الذئب للتعبير عن الجوع وكان موفقا في اختياره وعرض القطا لتصوير العطش فكان ابلغ وادق :

وتشرب اسارى القطا الكدر بعد ما
سرت قربا احشاؤها تتصلصل
هممت وهمت وابتدرنا واسدلت
وشمر مني فارط متمهل
فوليت عنها وهي تكبو لعقره
يباشره منها ذقون وحوصل
كان وغاها حجرتيه وحوله
اضاميم من سفر القبائل نزل
توافين من شتى اليها فضمها
كما ضم اذواد الاصاريم منهل
فعبت غشاشا ثم مرت كانها
مع الصبح ركب من احاطة مجفل

وغير الذئب والنمر والضبع والقطا عرض لناقته وشبه شجاعتها بفؤاد السبع كما حدثنا عن الالفة التي قامت بينه وبين الاراوى · اما اخلاق الشاعر فاخص ما توصف به الشجاعة والقناعة والصبر وعزة النفس وقد عبر عن هذه الصفات وغيرها بعبارات قوية والفاظ منتقاة :

وان مدت الايدي الى الزاد لم اكن
باعجلهم اذ اجشع القوم اعجل
وما ذاك الا بسطة عن تفضل
عليهم وكان الافضل المتفضل
واني كفاني فقد من ليس جازيا
بحسنى ولا في قربه متعلل
ثلاثة اصحاب فؤاد مشيع
وابيض اصليت وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون يزينها
رصائع قد نيطت اليها ومحمل
اذا زل عنها السهم حنت كانها
مرزأة عجلى ترن وتعول
ولست بمهياف يعشي سوامه
مجدعة سقبانها وهي بهل
ولا جبا أكهى مرب بعرسه
يطالعها في شانه كيف يفعل
ولا خرق هيق كان فؤاده
يظل به المكاء يعلو ويسفل
ولا خالف دارية متغزل
يروح ويغدو داهنا يتكحل
ولست بمحيار الظلام اذا انتحت
هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل
اذا الامعز الصوان لاقى مناسمي
تطاير منه قادح ومفلل

فهذه الاسباب وغيرها هي التي جعلت من اللامية ملحمة عالمية خالدة استحقت من علماء اللغات العربية من الغربيين هذه العناية التي صرفت في دراستها وادراك جمالها فمنذ ان نشرها (ده ساسى) واتجهت اليها انظار كثيرين امثال(فرنل)و(فيل)و(كوزجارتن) و (رويس) و (ريكرت) و (همربرجشتال) و (الفارت) و (اداما ميكيفيتشا) و (فرين) و (ب · بليا) وغيرهم الذين عنوا بها عناية خاصة ونقلوها نظما ونثرا الى مختلف اللغات الاوربية ·

ولم تقف عناية الغرب بهذه اللامية عند هذا بل

نرى كثيرين من علمائه يتسابقون الى اقتناء مخطوطاتها وسد حاجة الباحثين بتوفير نصوصها فاصبحنا لا نقرأ بحثا حولها الا ونجد اشارة الى نسخة امثال (بيترمان) و (شبرنجر) ومكتبة جوتا او ليدن و باريس او الفاتيكان او اكسفورد وغيرها من دور الكتب الغربية .

وفي عام ١٨٦٤ رأى شيخ المستشرقين **(تيودور نولدكه)** ان الوقت قد حان لاعادة النظر في اللامية فانصرف اليها وقتا ثم خرج للعالم بكتاب حول الشعر الجاهلي عرض فيه للاراء المختلفة التي قيلت في اللامية وناقشها ثم قال ماترجمته «ولولا اني رأيت على مخطوطة (بترمان) عبارة لامية الشنفرى وقيل انها منحولة ما تطرق الى ذهني شك في صحتها ، واذا كانت اللامية كما يدعي البعض غير حقيقية ودخيلة على الشنفرى ، فالشاعر الذي قالها يجب ان يكون ملما بالحياة العربية الجاهلية الماما تاما كما ان خياله كان غزيرا جدا حتى انه ليستحق ان يتبوأ اسمى مكان بين الشعراء الجاهليين ... واذا لم تك هذه اللامية لبطل الصحراء فانها صنعت لتنسب لمثله ، وما كان في استطاعة شاعر اسلامي متأخر الخروج عن بيئته والتحدث الينا بمثل قول الشنفرى :

فان تبتئس بالشنفرى ام قسطل
لما اغتبطت بالشنفرى قبل اطول

ولم يقف امر اللامية عند هذا الحد من العناية بل نجدها مع مرور الزمن تخطو خطوات واسعة في الاوساط الادبية العربية الاوربية وذلك بفضل العناية التي وجهها الاوربيون الى الشعر الجاهلي ونشر كنوزه ، وبعد أن كانت العناية بهذه الآداب قاصرة على الافراد غزت المجامع العلمية فنجد مجمع (فينا) ينشر دراسة لنولدكه في خمس معلقات لزهير ولبيد وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد والحرث بن حلزة ، كما اصدر معلقتي امرىء القيس وطرفة بن العبد عام ١٩١٣ بعد مجهود عظيم صرفه (جيجر) و (جنر) ، وبينما كان المجمع العلمي في فينا منصرفا الى مثل هذا النوع من الابحاث اذ بالمجمع البافاري بميونخ ينشر في عامي ١٩١٤ و ١٩١٥ بحثا يعتبر بحق من أحسن الابحاث التي بايدينا حول لامية العرب للمستشرق الالماني (جورج يعقوب) ويكفي أن أقرر هنا ان هذا العلامة لم يقدم على هذا البحث الا بعد أن مهد له بكتاب عن حياة البدو في العصر الجاهلي ، وجمع مختلف المراجع التي تعرضت لهذه اللامية كما عني عناية خاصة ببيئات الشرق العربي وحيوانه وهو في بحثه هذا نراه يصب كل هذه المعلومات في قالب علمي جميل ويناقش في شيء من اللين والدعة الرأي الذي اجمع عليه شراح اللامية للفظ (سمع) الوارد في قول الشنفرى :

فاني لمولى الصبر اجتاب بزه
على مثل قلب السمع والحزم افعل

وقد ذكر الزمخشري وابن زاكور وعطاء الله والمبرد ان (السمع) هو ولد الذئب من الضبع وخالفهم هذا المستشرق وقال ان مثل هذا التزاوج لم يتم بين الذئب والضبع ، واستعان لاثبات صحة هذا الرأي بحديقة حيوان (هلابرن) بالمانيا التي نجحت في تجربة التزاوج بين الذئب والثعلب واخفقت في تحقيق ما ذهب اليه شراح اللامية . فالسمع حسب تقرير الرحالة والعلماء وبخاصة علماء الحيوان هو حيوان يشبه الكلب وفي حجم الحمار ، اذا لم تصب الطلقة الاولى منه مقتلا تكونت عنده مناعة ضد الرصاص وهو يهاجم الانسان ويضربه بمخلبه الامامي فيبجر بطنه ويفترسه ، ومن شدة خطره قاطة ، ويطلق عليه علماء الحيوان اسم (ليكاون وقوةباسه انه لايستطيع الفرد السير ليلا الا في صحبة بيكتوس) وهو مشهور بقوة السمع حتى يضرب به المثل :

تراه حديد الطرف ابلج واضحا
اغر طويل الباع اسمع من سمع

وغير السمع هذا الحيوان اليمني تجد في اللامية عناصر يمنية اخرى تكشف عن وطنها ووطن الشاعر،

فعبت غشاشا ثم مرت كانها
مع الصبح ركب من احاظة مجفل

واحاظة منطقة تقع ببلاد اليمن شمال خط عرض ١٤ وخط طول ٤٤ شرق جرينيتش . ويرى صاحب جزيرة العرب في الجزء الاول ص ٧٨ ـ ٧٩ انه برج ببلاد اليمن . ويذكر البكري في معجم ما استعجم : وقد قيل ان احاظة قبيلة من ذي الكلاع من حمير وهو الصحيح .

وجاء في اللامية ايضا :

نصبت له وجهي ولا كن دونه
ولا ستر الا الاتحمي المرعبل

فالاتحمي برد منسوب الى اتحم وهي بلد باليمن

والآن نسائل انفسنا هل اللامية قصيدة من هذه القصائد التي يعرضها لنا امثال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، ام حلقة من حلقات البطولة العربية الجاهلية التي تطورت فيما بعد الى الملاحم ؟

« د . فؤاد حسنين علي »

اللغة والدين

بقلم: عبد الكريم الخطيب

لا يذكر التاريخ أن ديانة من الديانات السماوية أو الوضعية قد ارتبطت بلغة من اللغات ، كما لايذكر التاريخ أيضا أن لغة ما قد ارتبطت بعقيدة امة أو جماعة ، وهذا من مسلمات الامور ، اذ العقيدة الدينية فى صميمها مجموعة من الافكار والتصورات لحقيقة الاله أو الآلهة على نحو ما .. ثم مايتبع ذلك من عبادات واخلاقيات تتسق مع هذا التصور للالوهية .. وهذه المفاهيم لا تتوقف على لغة بعينها وانما هى صالحة لأن تصور وتحمل فى أية لغة ، وبأى لسان .

فهل يمكن أن ينسحب هذا المفهوم للعلاقة بين اللغة والدين ـ على اللغة العربية والشريعة الاسلامية ؟ بمعنى هل يمكن ان تفصل اللغة العربية عن الدين الاسلامى ، ثم لا يكون لذلك أثره فى هذا الدين .. عقيدة وشريعة ؟ والاجابة على هذا السؤال ايجابا أو نفيا يحسم كثيرا من وجوه النزاع بين المحافظين والمجددين ، كما يخفف كثيرا من حدة الصراع فى تلك المعارك الظاهرة والمستترة بين المهاجمين للغة العربية والمدافعين عنها .

فاذا كان للغة العربية شأن بالعقيدة الاسلامية ، واثر فى عرض حقائقها فانه ليس لأحد أن يمس هذه اللغة ، أو يحاول تعديل وجوهها ، أو تغيير معالمها لأن فى ذلك عدوانا على الدين ذاته ، وما لأحد أن يجرؤ على المساس بأى شىء يتصل بشريعة اقامها الله ، وآمن عليها الناس ! وبهذه تصبح اللغة العربية فى حمى مقدس لا ينبغى لأحد أن يعتدى عليها فيه، والا كان من الآثمين .

وان تكن الأخرى ، وهى ان اللغة العربية ليست الا مجرد لغة ، شأنها فى هذا شأن غيرها من اللغات ، يتعامل بها الناس كما يتعاملون بالنقد لتبادل المنافع فيما بينهم ، وأن صلتها بالاسلام ليست الا صلة كلمات تحمل حقائقه التى ضم عليها ، والتى يمكن أن تحملها أية لغة أخرى .. ان يكن هذا فما يبقى للذين يدافعون عن اللغة العربية هذا الدفاع المستميت حجة فى الاحتفاظ بها على الصورة التى صادفها القرآن الكريم عليها ، وان أقل ما ينبغى ان يكون من هؤلاء المحافظين هو ان يدعوا هذه اللغة تتفاعل مع الحياة ، وتختلط بغثها وثمينها ، وأن تتبدل وجوها وألوانا حسب دواعى الحياة وحاجات الناس .. فما للناس من حاجة الى اللغة أكثر من الفهم والافهام بها ، على أية صورة تكون عليها ، وعلى اى وجه يطالعهم منها .

وننظر فنجد اصحاب هذه اللغة ـ أعنى اللغة العربية قد وصلوها بالدين من أول يوم التقت فيه بهذا الدين ، بل أكثر من هذا .. اذ نجد الدين نفسه قد وصل وجوده بهذه اللغة ، وعدها اللسان الذى يحدث عنه ، ويبين عن حقائقه ، ويجلى للناس وجهه ، ويشهد للرسالة وللرسول معا أنهما من عند الله ، وعن امر الله .

والشواهد على هذا كثيرة لاتكاد تحصر .

فأولا : يسجل القرآن الكريم فى آياته ان اللسان العربى هو اللسان المبين عن مضامين الرسالة الاسلامية ، وفى هذا يقول الله تعالى : « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » ويقول سبحانه : « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين »

وفى حرص القرآن الكريم على التنويه باللغة التى نزل بها ، وتسجيل هذا فى أكثر من آية منه ، مايشعر بأن لهذه اللغة فضلا ظاهرا ليس للغة غيرها، وأن اختيار القرآن لها لتكون اللسان المعبر عنه لهو الشهادة التى لا ترد أبد الدهر بأنها أهل للبقاء

والخلود ، ما خلد الدين وبقى .. وفى هذا يقول الله سبحانه مخاطبا النبى الكريم :

« فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم ، وانه لذكر لك ولقومك ، وسوف تسالون» فهذا القرآن الذى أوحى الى النبى الكريم هو ذكر خالد وتنويه دائم له ولقومه ، وقومه هم العرب ، والامر الواضح للعرب فى القرآن هو لغتهم التى نزل بها .. وبقاء ذكرهم فى الحياة انما هو رهن ببقاء هذه اللغة ترجمانا للرسالة الاسلامية فى الكتاب الكريم الذى تلقاه الرسول وحيا من رب العالمين .

ثانيا : وتأسيسا على هذا كانت معجزة النبى محمولة فى هذه اللغة وبلسانها .. فلم يكن للنبى معجزة تشهد له بان هذا القرآن الذى جاء به هو من عند الله ــ الا ماتحمل كلمات القرآن ذاتها من تحد لقدر البشر ان يأتوا بكلام مثل هذا الكلام العربى الذى يعرفه العرب ، ويتعاملون به نثرا وشعرا .. « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » .. « أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين» وتنقطع السنة الفصحاء والبلغاء ، أمام هذا التحدى ويقف العرب مبهورين مذهولين بين يدى هذا البيان العلوى .. وهنا يؤذن صوت الحق معلنا هذا الحكم القاطع الذى يملأ أسماع العالمين : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .. انه حكم ابدى ، قائم يتحدى الناس ، ابد الدهر .

فاذا دخل على اللغة العربية مايبدل خلقها ويغير وجهها أفيكون مع دعوة نبى الاسلام مايشهد له أنها من عند الله ، وأنه رسول الله ؟ ثم أيكون للاسلام بعد هذا حجة على الناس ؟

قد يقول بعض القائلين ان فى الرسالة الاسلامية ــ بقطع النظر عن اللغة التى حملتها ــ من معالم الحق والخير ما يقيم لها الحجة على انها دعوة كريمة ، وانها صادرة من جهة تبغى خير الناس ، وتستهدف هداهم ، وأن مضامين هذه الرسالة اذ تحمل بأية لغة ، وفى أى لسان ستجد لها طريقا الى العقول الصحيحة ، والقلوب السليمة ..

ونعم .. هذا حق ، ولكن مع هذا الحق تظل الدعوة الاسلامية بغير اللغة العربية عاطلة من الحلى التى زينها الله بها ، عاجزة عن أن تفحم المجادلين، وتخرس المتخرصين الذين لا يعجزهم فى مقام المحاجة والجدل ان يقولوا ان فى دعوات كثير من الفلاسفة والقادة والمصلحين مايقوم لهذا الذى يدعو اليه الاسلام من عقيدة وشريعة .. يمكن ان يقال شىء كهذا ، ثم لا تكون للذى يريد ان يدفع هذا القول حجة ظاهرة ، قاطعة ! وان مقطع الامر فى هذا هو هذا الاعجاز الذى يحمله القرآن الكريم فى نظمه الذى جاء عليه !

ثالثا : وايمانا بهذا الاعجاز اللغوى للقرآن حرص المسلمون الاولون على اللغة العربية حرصهم على الدعوة الاسلامية نفسها ، وانهم حيثما عرضوا الاسلام على أمة أو جماعة لاتتخذ اللسان العربى لسانا قدموا اليها اللغة العربية كأساس من أسس هذه الدعوة ، وكطريق يبلغ بالداخلين فى الاسلام الى الصميم منه ، ويرد بهم أصفى موارد هذا الدين ، واطيب واعذب مناهله .

واما من اخذ الاسلام بغير لغته تلك التى نزل بها من السماء فهو مسلم لاشك ، ولكنه لا يجد للاسلام هذا المذاق الطيب الذى يجده صاحب اللسان العربى ، الذى يتذوق بهذا اللسان مجانى آيات الله ، فيجد فيها من طعم الايمان ، وحلاوة الاسلام مايشيع فى كيانه طمانينة ورضى بهذا الدين، الذى يتشربه قلبه ، وتمتزج به روحه .

وقد كان لهذا الاحساس بالصلة الوثيقة التى بين اللغة العربية والاسلام أثره القوى الواضح فى الامم والشعوب التى دخلت فى هذا الدين ورضيته عقيدة وشريعة لها .. فانه لم تكد تمضى سنوات على اتصال هذه الامم بدين الله حتى تحولت الى أمم عربية فى لسانها ومشاعرها وتفكيرها جميعا وحسبنا شاهدا على هذا امة الفرس ذات الحضارة العريقة الضاربة فى أعماق التاريخ ، تلك الامة المدلة بجنسها، الحفيظة على عقلها ولسانها .. فانها ما ان دخلت فى الاسلام حتى كان اللسان العربى هو طريقها اليه ، ثم لم تمض سنوات حتى كان من ابناء الفرس شعراء وكتاب بهذه اللغة .. ثم كان منهم بعد هذا قادة الحركة الادبية فى الشعر والنثر .. ويكفى ان نذكر هنا من الكتاب عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، والجاحظ ، وابن العميد .. وكل واحد منهم دولة قائمة بذاتها فى الادب العربى .. وان نذكر فى الشعر

بشار بن برد ، وابا نواس ، وابن الرومى ومهيارا الديلمى .. وكل واحد منهم ايضا هو علم مفرد فى دولة الشعر العربى .. وهؤلاء ، وهؤلاء ، وهؤلاء جميعا وعشرات غيرهم من أعلام الشعر والنثر – هم من ابناء الفرس ، أو ممن يغلب عليهم الدم الفارسى .

فاذا تركنا الادب الي اللغة والنحو ، والصرف ، والفقه والتفسير ، والحديث .. ثم الفلسفة والمنطق والطب والموسيقى والغناء ، وغيرها من فروع الثقافة الاسلامية العربية – وجدنا ان اكثر الرجال واقدرهم فى كل فرع من هذه الفروع انما هم من ابناء الفرس ، أو ممن يحسبون من ابناء الفرس .

وليس هذا الا لأن اللغة العربية دخلت الى عقولهم وقلوبهم مع الدين نفسه فكان لها هذا الولاء وهذا السلطان الغالب عليهم . فاعطوها من ذات انفسهم الحب والاعزاز كأنها شعيرة من شعائر الدين ، وفريضة من فرائضه ، ولهذا أعطتهم اللغة افضل واكرم ما فيها من بلاغة وبيان !

وليس ينقض هذا القول ما حدث بعد ذلك من نكوص الفرس على أعقابهم ، وانسلاخهم من اللسان العربى والردة الى اللسان الفارسى .. فقد كان ذلك عن فتن كقطع الليل غشيت المجتمع الاسلامى فترة من الزمن ، فاستشرى شرها ، واطبق ظلامها حتى لقد غطى على مشاعر الدين نفسه ، وذهب أو كاد يذهب به من كثير من القلوب .. وذلك ان التعصب على العرب الذى اثارته الحركة الشعوبية قد اصاب الرءوس بصداع حاد عنيف ، ذهب معه كل تقدير وتفكير ، فلم يعد – والامر كذلك – فسحة فى النفوس تقبل أى شيء من العرب حتى ولو كانت اللغة التى عرفوا بها وجه الدين الذى عاشوا فيه وسعدوا به ، والتى ملكوا بها اعنة الفصاحة والبيان، وفتحوا بها مغالق العلوم والفنون .. وقديما قيل : العناد يورث الكفر !

وقد يسأل سائل بعد هذا : كيف يمكن ان يرتبط الدين باللغة أو ان ترتبط اللغة بالدين هذا الارتباط الذى لا انفكاك له .. ثم يبقى كل منهما صالحا للحياة عاملا فيها ؟ ان ذلك اشبه بمن يربط شخصين بحبل ثم يهتف بهما أن يمشيا أو يجريا .. والنتيجة اللازمة لهذا لا تحتاج الى بيان !؟

فالدين الذى يحكم عليه أن يتحرك فى الحياة بلسان واحد ، وبلغة واحدة هو دين مغلق على اهله ، لا يعيش فى غير موطنه ، ولا يجاوز حدود اللسان الذى ينطق به .. وانه اذا صح هذا مع دين من الاديان ، فهل يستقيم مع الدين الاسلامى ، وهل يتسق مع دعوته التى يدعيها بانه دين الانسانية جميعها ؟

واللغة ؟ اللغة التى يحكم عليها ان تكون لغة عقيدة ، وترجمان شريعة .. هى لغة مقدسة ، محكوم عليها ان تعيش فى هذا الافق الروحى ، وان تنعزل بطهرها وقداستها عن مضطرب الحياة وغبار الصراع الدائر فيها .

فاذا استقام هذا مع لغة من اللغات ، فهل يستقيم ذلك مع اللغة العربية التى يعيش فيها ، ويتعامل بها ملايين البشر ، ويجرونها معهم فى كل ميدان من ميادين الحياة .. فى مواطن الجد والهزل ، وفى مجال العلم والفن ؟

ان ذلك محال .. الا ان تنحل الرابطة التى بين اللغة وبين الناس ، والا ان تضيع معالم اللغة ، أو يضيع اهلها !

وندع الجواب على مايقال من جناية اللغة على الدين ، وحبسه فى دائرتها الضيقة المحدودة .. فتلك قضية اخرى ، وراء هذا الموضوع الذى نعالجه .

وننظر فيما يقال من جناية الدين على اللغة فى ربطها به ، وجعلها لغة مقدسة تعيش فى عالمها الروحى الطهور ..

ونقول : ان الدين – دين الاسلام – الذى ترتبط به اللغة العربية ليس معتقدا روحيا وحسب ، وليس نظريات تجريدية تعيش فى كيان اصحابها ، ويعيش بها اصحابها فى عزلة عن الحياة ، وفى غفلة عن واقعها ... وانما الاسلام دين الحياة الانسانية فى وجودها كله .. فى مادياتها ومعنوياتها جميعها .. دين يتحرك مع الناس ، أو يحرك هو الناس الى كل مجال يمكن ان تتسع له قواهم النفسية والروحية والجسدية !

فالاسلام فى صميمه قواعد تنظيمية من شأنها ان تعقد التصالح بين مطالب الجسد وهواتف الروح ، وأن تقيم التوازن بين نزعات الفرد ، ومصلحة الجماعة ! .. ثم ليس فى الاسلام بعد هذا

مايحول بين الانسان وبين ان ينطلق الى كل مجال يمكن ان يبلغه جهده ، وتسع له حيلته ، فى كل أفق من آفاق الحياة وفى كل وجه من وجوهها .. فانه لا خوف على الانسان بعد أن ضبط الاسلام خطوه على طريق الحق الخير ـ لا خوف عليه بعد هذا من ان يتحرك فى اى اتجاه كيف شاء !

واذ كان ذلك كذلك فانه لا محل للقول بأن اللغة العربية يدخلها اى ضيم من ارتباطها بالدين ، وقيامها من ورائه .. بل ان الامر لعلى عكس هذا تماما .. اذ ان حياتها الى جوار هذا الدين بصفته التى نعرفها له ـ يضمن لها البقاء والخلود ، ببقائه وخلوده ، كما انها تكسب كثيرا من المشاعر والوجدانات التى تضفى عليها الجدة والقوة والجمال ، كلما نظر اليها من خلال الدين ، واستدعاها أصحابها من آفاقه الطيبة المشرقة !

ولقائل ان يقول : هذا حديث سوى على منطق التصورات ، وبناء قائم على قضايا تجريدية لاتثبت للتجربة ، ولا تستجيب لواقع الحياة !

فهل حقا ضمن الدين للغة العربية البقاء والخلود ؟ وهل أكسبها اتصالها به وربطها معه جدة وقوة وجمالا ؟

ذلك سؤال .. وله جواب !

ولكن قبل ذلك : هل اللغة العربية حقا هى أهل فى ذاتها لأن تبقى وتخلد ؟ وهل هى صالحة حقا لأن تكسب من احتكاكها بالدين ، وتمسحها به جدة وقوة وجمالا ؟

ذلك سؤال ايضا .. وجوابه فى لقاء آخر .

« عبد الكريم الخطيب »

شبابنا

للشاعر : إبراهيم الشلوانى

شباكنا صدأت مفاصله ـ تصوف واتقى
والنجم فوق جبينه غنى له متشوقا
انغامه دمعت على اضلاعه اما اشفقا ..

يبست خدود الفل .. والليمون جف تعشقا
وشجيرة النارنج يصعد غصنها متسلقا
مالت عليه تبوح لاهثة .. وهم .. فاخفقا ..

وشعاره الوردى اشبعه الضياع تمزقا
خيطانه من رعشة الحمى ترف تعلقا
كانت حكايات لديه تموج طيفا شيقا

الليل يأبى ان تعود له وان يترفقا
والأمنيات على الرتاج تسيل عطرا أزرقا
الوهم فى الثلج الضرير رماه عبدا موثقا

القى عليه الظل حرمانا ووجدا احمقا
جاء الصباح اليه يعطيه .. فصد . واطرقا
شقيت على مصراعه النجوى وبات مؤرقا

والورد اطرق فوق شرفته رجاء مرهقا
شباكنا رغم الغيوم السود .. ذاب تحرقا

الاستعراب العام

في الوطن العربي (١)

للدكتور : أحمد محمد الحوفي

- ١ -

تبين من تتبع الهجرات العربية الى الوطن العربي أن بعضها كان قبل الاسلام ، وانها كانت موجات كثيرة متلاحقة بعد الاسلام ، وأن العرب أقاموا في أصقاع الوطن العربي ، واختلطوا بسكانه ، ثم امتزجوا بهم ، حتى غلبت دماؤهم على دماء السكان الأولين .

وتبين أن الشعوب التي كانت تعمر أقاليم الوطن العربي استعربت منذ الفتح ، واصطنعت اللغة العربية لغتها الشعبية والرسمية والأدبية والعلمية ، وتثقف بنوها بالثقافة العربية ، وتزوجوا من العرب وتزوج العرب منهم ، فكان استعرابهم قاطعا للعلاقات التي ترجع بهم الى أصولهم البعيدة ، وصاروا لا ينتسبون الى غير العرب ، ولا يعرفون بين الشعوب الا بأنهم عرب .

وقد ساعد على ذلك أن القصور والدور زخرت بالسبايا والحرائر من أمم شتى ، فنشأ جيل جديد من العرب أخواله ليسوا من العرب ، وأن أكثر السكان قد اعتنقوا الاسلام عن طواعية واختيار ، فلم يكتمل القرن الثالث الهجري حتى كان الناس قد دخلوا في دين الله أفواجا ، ولم يبق على دين مغاير الا قلة من الناس ، وكان اسلام هؤلاء من الأسباب التي سهلت زواجهم بعربيات .

على أن كثيرا من العرب صاروا منذ أواخر القرن الأول للهجرة يحترفون الزراعة في البلاد المفتوحة ، وجعلوا يندمجون بالسكان ، فلما جاء الخليفة العباسي المعتصم سنة ٢١٨ ـ ٢٢٧هـ (٨٣٣ ـ ٨٤٢م) استكثر من جند الترك ، واستغنى عن جيوش العرب ، وأسقط أسماءهم وأرزاقهم من الدواوين ، فانصرفوا الى الزراعة والتجارة ، وازداد اندماجهم بغيرهم ، حتى صاروا لا يفترقون عنهم في الطابع العام .

وليس من شك في أن سكان البلاد المفتوحة الذين أسلموا والذين لم يسلموا تبينوا أن العرب حرروهم من استبداد الفرس وعسف الروم ، وكفلوا لهم أسباب الأمن والعدل والرخاء والحرية والمساواة ، فاندمجوا بهم اندماجا وحدهم في الوطن العربي الكبير .

ولقد ظاهر هذه الوحدة ، ودعم أركانها أن نظام الحكم لم يكن قسريا (اضطر اليه الغالب المغلوب ، أو فرضه القوى على الضعيف ، بل كان نظاما خضع له الغالب والمغلوب معا ، لأنه مستمد من الاسلام الذي يدينون به ، ولأنه مرتكز على عقيدة الغالبين والمغلوبين ، ولهذا رجعوا به جميعا ، وارتضوه جميعا .

هذا الى وحدة التشريع الاسلامي المستمد من الكتاب والسنة ، فكانت القوانين التي تقوم عليها الأحوال الشخصية والمعاملات والأخلاق واحدة بين المسلمين ، وكان من حق غير المسلمين أن يتقاضوا الى المحاكم الاسلامية وفقا للشريعة الاسلامية ، على حين أن حريتهم مكفولة في التقاضي أمام محاكمهم الخاصة ، وحقوقهم مصونة فيما يتصل بأحوالهم الشخصية .

ولهذا نجد الأدباء ـ سواء العرب والمستعربون ـ يشيدون بماضي أجدادهم من العرب ، ويباهون بحضارة أسلافهم من العرب ، وينوهون بعظماء العروبة ، ويبكون ماضيها المجيد ، كما نجدهم يصورون الوجدان المشترك تصويرا ناطقا بالاخاء

والتعاطف ، وهم في هذا كله عرب معرقون في عروبتهم ، وان انحدر بعضهم من أصل بعيد غير عربي .

- ٢ -

وليس العرب بدعا في هذا ، بل هو شأن الأمم كلها ، فالأمة الانجليزية مثلا ترجع الى قبائل السلت التي كانت تستوطن الجزائر البريطانية ، والى الأجناس البريطانية والجرمانية والرومانية ، والنورماندية التي وفدت عليها ، ثم تمازجت كلها تمازجا أنتج الأمة الانجليزية المعاصرة .

وقد تنبه الجاحظ منذ اثنى عشر قرنا الى أن الاتحاد في اللغة والوطن والأخلاق والعادات لا يقل أثرا عن وحدة الجنس والنسب في قوله : « ان العرب استووا في التربة وفي اللغة وفي الشمائل والهمة ، وفي الانفة والحمية ، وفي الأخلاق والسجية فسبكوا سبكا واحدا ، وأفرغوا افراغا واحدا ، وكان القالب واحدا ، فتشابهت الأجزاء ، وتناسبت الأخلاط ، حتى صار ذلك أشد تشابها - في باب الأعم والأخص وفي باب الوفاق والمباينة - من بعض الأرحام ، وجرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب ، وصارت هذه الاسباب ولادة أخرى ، حتى تناكحوا عليها ، وتصاهروا من أجلها ، وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بنى اسحاق وهو أخو اسماعيل ، وجاءوا بذلك لبنى قحطان . ففى اجماع الفريقين على التناكح والمصاهرة ، ومنعهما من ذلك جميع الأمم دليل على أن النسب عندهم متفق ، وأن هذه المعاني قد قامت عندهم مقام الولادة والارحام الماسة » .

- ٣ -

ولكن ليس معنى هذا ان العرب قوم خلصت دماؤهم من عناصر أخرى في وطنهم الكبير الممتد من الخليج الى المحيط ، ومن جبال طوروس الى المحيط الهندى والحبشة ، فانه من المستحيل أن تخلص دماؤهم من دماء أخرى ، وهو اليوم نحو مائة مليون ، ولكن معناه أن الدم العربي هو الذى ساد وغلب .

ومن الخطأ أن نحصر العروبة في الملايين الذين يقطنون في العراق وسورية ولبنان والأردن وفلسطين وفي جزيرة العرب ، بدعوى أنهم هم العرب ، لأن دماء العرب في هذه الأقاليم لم تسلم من الامتزاج بدماء أخرى .

كما أن من الزلل أن تنفى العروبة عن مصر وشمالى افريقية والسودان ، بدعوى أن سكان هذه المناطق منحدرون من جنس غير عربي ، فقد تبين أن هذا وهم ينقضه التاريخ ، وبخاصة بعد الاسلام .

واذن فان الدماء العربية التى سرت في الوطن العربي قبل الاسلام وبعد الاسلام سريانا مستمرا متواليا هي الدماء الغالبة ، وهي التى ينتسب اليها سكانه ، ويعتزون بها ، ويمتازون من الناس .

- ٤ -

لا شك في أن العرب هم **الأكثرون** في الوطن العربي ، تدفقت هجراتهم من الجزيرة الى أقاليم الوطن العربي قبل الاسلام ، وانساحت موجاتهم وتلاحقت بعد الاسلام ، فاختلطوا بالسكان الأصليين وامتزجوا بهم ، وصاهروهم ، فتمازجت دماؤهم ، وتوحدت لغتهم وثقافتهم وتاريخهم ومشاعرهم في وطنهم الواحد ، فصاروا جميعا عربا .

ولكن هذا لا ينفى أن في الوطن العربي عناصر غير عربية الأصل ، بعضها استقر قبل الاسلام ، وبعضها وفد بعد الاسلام ، مثل الأكراد في العراق وسورية ، والشركس في سورية والاردن ، والترك في العراق وسورية .

ولكن هؤلاء جميعا متحدون مع الأكثرية العربية في الوطن والتاريخ والدين والمصالح المشتركة ، ويتكلم أكثرهم باللغة العربية .

أما الأرمن في الشام ، فانهم على قلة عددهم مرتبطون بالأكثرية بالمصالح المشتركة ، وهم في طريقهم الى الامتزاج والاستعراب .

غير ان هذه العناصر القليلة الضئيلة ليس من شأنها أن تنفى عن الأمة العربية صبغتها القومية الكاملة ، لأن القلة الضئيلة امتزجت بالعرب ، وانطبع أكثرها بالطابع العربي ، فصارت عربية الوطن واللغة والثقافة والتاريخ والعادات .

وليس يشذ عن هذا سوى السود في جنوب السودان ، وقليل من البربر في المغرب ، وهؤلاء وأولئك قلة في الاقليمين ، وأضأل من القلة بالنسبة الى عدد العرب جميعا في الوطن العربي كله .

- ٥ -

العرب اذن جنس واحد ، أو هم يرجعون الى عرق واحد ، اما بالأصل واما بالاستعراب ، ولكنهم مع هذا لا يدعون الى العنصرية ، ولا يقيمون قوميتهم على نعرة معادية لسواها .

وشتان ما بينهم وبين اليهود ، فاليهود يعتبرون أنفسهم ـ بالباطل ـ جنسا قائما بذاته كما يدعى زعماء الصهيونية ، زاعمين أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الاجناس ، وانهم يمثلون عرقا واحدا متميزا فى سحنهم وأشكالهم .

ولكن الحق يبرأ من هذه الدعوى ، فان اليهود قد خالطوا شعوبا عدة ، وجرت فى عروقهم دماء شتى ، ولهذا نرى فيهم تباينا فى الأجسام والأشكال، ففيهم الطوال والقصار ، وفيهم السمر والشقر ، وفيهم أصحاب الشعر الأسود والأصفر ، واصحاب الشعر الناعم والمجعد .

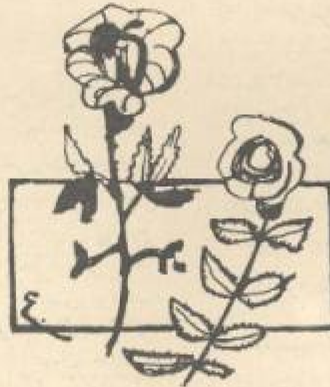
وهكذا يتباين اليهود فى اليمن ومصر والشام والمغرب وأوروبا ، بل ان سحنتهم تختلف فى الوطن الواحد ، ففى ألمانيا يتميز يهود بادن برءوسهم العراض ، ويمتاز يهود كولونيا وفرانكفورت بوجوههم المفلطحة أو المستطيلة ، ولهذا ينفى علماء الأجناس من اليهود هذه الصفة المدعاة ، فيذكر بيتارد فى مؤلفه عن الأجناس ان علماء الأجناس البشرية ـ ماعدا بعض اليهود المتعصبين لدعوى العنصر اليهودى النقى ـ يقررون ان اليهود جميعا أبعد من أن ينتموا الى ما يسمى بالجنس اليهودى ، لأنهم متباينو العناصر الى أبعد الحدود ، ويستنكر دعواهم فى قوله : نتساءل تجاه بعض التحاليل الدراسية للجنس فى مختلف الشعوب : الى أى حد تحتوى جماعة يهودية على العنصر اليهودى الأصيل ، هذا العنصر الذى نشأ بجوار البحر الميت ، وكان منه الشعب الذى سموه بالشعب المختار ؟

ويرد على هذا الزعم بالنفى ، ويؤكد ان تباين اليهود فى السحن والأشكال راجع الى اختلاطهم واندماجهم طوعا أو كرها بغيرهم من الشعوب.ويتفق معه ريتان فى هذا ، اذ يقول : ليس هناك شكل يهودى معين ، بل هناك اشكال وسحن لليهود متعددة . وكذلك يؤكد هانز جونتر وهو من المختصين بدراسة الاجناس ان اليهود مكونون من عدة اجناس واصول وان ادعاءهم نقاء جنسهم لا يمت الى الحقيقة العلمية بصلة .

- ٦ -

اما وقد اتضحت الوحدة الدموية فى الوطن العربى فماذا كان لها فى الشعر المعاصر من اثارة وأصداء وآثار ؟ ذلك موضوع البحث القادم ان شاء الله .

د. أحمد الحوفى



معاول الهدامين

للدكتور : ماهر حسن فهمي

مازالت مجلة الرسالة تسلط الأضواء على الهدامين وهم يرفعون معاولهم متسترين ، لينهالوا بها على حصوننا ، وقد تكاثرت أذرعهم حتى اصبحوا يشكلون خطرا حقيقيا ، فبات من الضروري اراقة السموم القاتلة التى تنفثها هذه الاقلام الموجهة فى الوطن العربى كله • ووراء المنظمات العالمية للثقافة يختفى المحركون ، وباسمها تنظم المؤتمرات ، وهناك يكشر الهدامون عن أنيابهم بدعوى الثقافةالعميقة ، وبدعوى الحرية المطلقة ، وبدعوات التجديد • ومن أخطر هذه المؤتمرات التى تعقد بين الحين والحين مؤتمر الادب العربى المعاصر المنعقد فى روما أواخر أكتوبر عام ١٩٦١ بادارة مجلة «تمبو بريزنته» ، ومعهد الشرق الايطالى ، والمنظمة العالمية لحرية الثقافة » •

ويلحظ الدارس لأعمال هذا المؤتمر التىطبعتبعد ذلك بوقت طويل ، عملية حفر القبور للغة الفصحى وللثقافة العربية واقامة التماثيل لأدب الجنس وتعبيد طريق معين للأدب العربى المعاصر • وما كان من الممكن لهذه المنظمات أن تنفق بسخاء على هذه المؤتمرات من أجل البحث فى عبقرية الأدب العربى المعاصر مثلا أو من أجل حرمان كل عباقرة العرب من جائزة نوبل ، بل أثير ما أثير تحت اسم الحرية العالمية للثقافة •

ضم المؤتمر عددا ضخما من المستشرقين الايطاليين والفرنسيين والانجليز والامريكان الى جانب عدد محدود من المفكرين والأدباء العرب المعروفين بموقفهم الصلب من التيارات الاستشراقية الموجهة كالدكاترة ابراهيم بيومى مدكور وبنتالشاطىء وجبرا ابراهيم جبرا الاديب الفلسطينى ، وتوسع ملحوظ فى عدد الادباء المعروفين بميولهمالهدامة مثل أدونيسويوسف الخال ومحمد عزيز الجبالى الاديب المغربى وبدر شاكر السياب،وان كان الاخيرقد غيرموقفه أخيرا فخيبظنهم وقد كان من المفيد حقا تكتل القوى الغيورة على الثقافة العربية ، وان كان من المؤسف أن كثيرا من مناقشاتهم قد اختصرت اختصارا مخلا فى مجموعة الأعمال المطبوعة ، وبرزت الآراء الهدامة بصورة تستوعبها عين القارىء استيعابا شاملا •

فاول كلمات المؤتمر كانت للمستشرق الايطالى «ديلافيدا» ، وهو يعترف فى مطلع كلمته بأنه لايعرف العربية كما ينبغى ، الا أن حجته فى ذلك هى عبء تعلم العربية الثقيل ، ولا تلبث هذه المقدمة أن تقربه من هدفه الذى يرمى اليه حين يحدده فى نقطتينهما : علاقة الاديب العربىبالتقليد الكلاسيكى واختياره بين الادب الفصيح والادب العامى • وحين يتحدث عن الفكرة الاولى يقارن بين الفصحىواللاتينية التىانحلت الى اللهجات المحلية فى ايطاليا وفرنسا وغيرهما ، ويحس أن بعض الادباء العرب سوف يتحدثون عن ضرورة العربية للابقاء على الوحدة المنشودة فلا يلبث أن يقرر ذلك ولكنه يخلص منه الى أن هذا لا يمنع أن تكون الشقة بين لغة الكتاب ولغة اللسان عائقا يعيه كل أديب ويشعر بوطأته القوية • وهذا العرض يحمل أجمل الحلول فى نظره وان لم يصرح بالحل المنشود ، فالبلد الذى كان يكتب باللاتينية فضل أن يكتب بلهجته المحلية وان أدى ذلك الى تمزق وحدته ، وهكذا ينبغى أن يصنع العرب ، حتى لا يشعر الكتاب بضغط الفصحى الوهمى عليهم • هذه العباراتيلقيها «ديلافيدا» كحقائق مقررة ،وكأنه يعلم أننا نجهل سقوط الامبراطورية الرومانية على أيدى القبائل الجرمانية ، وما كان من المنتظر أن تشعر هذه القبائل الجرمانية بالولاء للاتينية كمايشعر أحفاد الرومان • فالكنيسة المسيحية ورثت فكرة الامبراطورية الرومانية ولذلك تشبثت باللاتينية وما زالت متشبثة ، ووضعتها موضع التقديس ، أما الشعب الذى أتى بلهجاته ، وهى لاتمت بصلة الى اللاتينية ، فانه استفاد قدر ما استطاع من اللاتينية، وعلى مر قرون طويلة استطاع أن يوجد لغة محلية

جعلها لغته المكتوبة فيما بعد . ومن السخف أن نتصور أنفسنا نتمرد على اللغة العربية بلهجاتنا المحلية لأننا كالقبائل الجرمانية تجاه الامبراطورية الرومانية .

أما الفكرة الثانية التى يدور حولها المستشرق الايطالى ، فهى مدى تفاعل الاديب العربى مع تراثه فيرى انه تراث دينى لايلائم الواقع الذى يعيشه الاديب ، ومن المؤلم أن يعيش الاديب فى تناقض قائم بين تراثه الذى كان يمثل العقلية « القروسطية » أو عقلية القرون الوسطى وبين محاولاته لينفض عن كاهله هذا التراث الدينى ، فيلاحظ باعجاب كيف استطاعت العقلية الاوربية أن تؤثر تأثيرا واضح المعالم فى الادب العربى خلال القرن العشرين والتباكى على الاديب العربى وواقعية الادب ومحاولة اقتلاعنا من جذورنا لنصبح مجتمعا لا تاريخ له يسهل تذويبه ، نغمة سمعناها من قبل من سلامة موسى ومن غيره من بعض كتابنا المعاصرين ، وقد تبناها فى المؤتمر كثيرون كان أولهم يوسف الخال فى بحثه المدمر عن « الاديب العربى فى العالم العربى الحديث » ويتلقف يوسف الخال كلمة ذلك المستشرق عن التناقض ليقول مفسرا وجهة نظر الهدامين : « هذا التناقض بين كوننا شكلا فى العالم الحديث وكوننا جوهرا خارجه ، يضطرنا نحن الادباء العرب الى معاناة قضايا مجتمع قديم فى عالم حديث ، ومعاناة قضايا عالم حديث فى مجتمع قديم . فى التعبير عن معاناتنا الاولى نعرض أنفسنا لانتاج أدب يجده القارىء الحديث بعيدا عن قضاياه ومشكلاته ، وفى التعبير عن معاناتنا الثانية نعرض انفسنا ، من جهة أخرى لانتاج أدب يجده القارىء العربى مستوردا غريبا .

كنا نستطيع ، قليلا أو كثيرا أن نتخطى هذه الصعوبة ، فنكتب أدبا يعكس حياتنا ويعالج قضايانا الخاصة على نحو يهم القارىء فى كل مكان ، لو لم نكن فى عملنا الادبى مكبلين بصعوبات أخرى هى أيضا فى أساسها ، قائمة أو لاتزال قائمة لفقدان الحداثة فى عالمنا العربى .

أولى هذه الصعوبات اللغة : هل تعلمون أننا نفكر بلغة ونتكلم بلغة ونكتب بلغة ؟ أنكون اذن فى رأى البعض كالدكتور ليفيز لا نكتب أدبا قط لأننا لا نكتب بلغة الشعب ، بلغة الحياة ؟ ألم يبدأ الادب الانكليزى مثلا بتشوسر ، والايطالى بدانتى ؟ هذا الحرص الذى يبديه العرب على تمجيد اللغة فى قواعدها القديمة المتوارثة دليل واحد على أن العقل العربى ليس حديثا بعد ، اى ليس بهذا الصدد علميا ولا علمانيا ، فهو ما يزال يخضع الحقائق الموضوعية للرغائب الذاتية . فمن الحقائق الموضوعية مثلا أن اللغة تتطور مع الزمن ، وأنها انما تتطور على ألسنة المتكلمين بها ، على أن رغبتنا الذاتية فى أن نرى أنفسنا أمة عربية موحدة ، تحملنا على التمسك بلغة عربية موحدة خرجت من الأفواه الى بطون الكتب . **كنا نعتبرها لغة الوحى** فمنعناها من أن تتطور التطور الطبيعى الذى جرت على سنته جميع اللغات . **واليوم ، اذ ضعفت** الاعتبارات الدينية فى نفوسنا ، أقمنا فى وجهها عائقا من نوع جديد ، حين أخذنا نعتبرها لغة القومية العربية .

ثم يعود بكل حقده وتنكره ليهاجم الاسلام والتراث واللغة ، فلا يرى فى ذلك كله الا محاولات فاشلة أمام اقامة مجتمع سليم وأدب مزدهر : «وكم حاول أسلافنا فى مختلف مراحل تاريخنا أن يرسموا بالدماء حينا وبالدموع حينا آخر ، خطوط هذه الحدود ويفرضوا فى نطاقها وحدة لغوية وحضارية فاخفقوا ، **وكانت آخر المحاولات الاسلام ، وحين اخذ يتصدع كقوة سياسية واجتماعية فى عالم اليوم ، أحللنا محله فكرة القومية** ، فهل ننجح نحن حيث أخفق أسلافنا من قبل ؟ ... هذا التقطيع التاريخى هو صعوبة أساسية أخرى أمام نمو أدبنا العربى وازدهاره . »

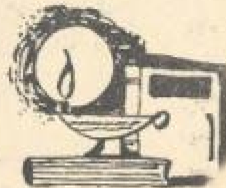
واذا كان المستشرق السابق قد تحفظ أمام فكرة القومية فرفع معوله ولم ينزل به ، فان يوسف الخال قد نزل به مرة ومرات محاولا التدمير الشامل دون تحفظ ، وانما هدفه أن يهدم ويهدم ليقف على الأطلال سعيدا بما حقق من واقعية وأشد سعادة بما حقق للهدامين من أهداف . ففى الوقت الذى أحيت فيه اسرائيل اللغة العبرية الميتة نحاول نحن او يحاول الهدامون أن يدمروا كل قيمنا لكى نحل محلها قيما أوربية فنحقق أهداف المنظمات العالمية لكى نصبح انسانيين ، وهذه هى العقبة الثالثة فى رأى يوسف الخال ، أمام الادب العربى ؟ « واذا

كان شيء في تراثنا يحول دون هـذا الاتصال والانفتاح فبئس هذا الشيء . كنا فيما مضى شركاء عاملين في حضارة الانسان ، ويجب أن نظل كذلك اليوم . أعطيناها حين امكننا العطاء ، فلا عار علينا اذا أخذنا منها اليوم ، بل العار في الا نأخذ اليوم لكي نستطيع العطاء غدا . هـؤلاء هم الثوريون الحقيقيون في عالمنا العربي عنوان ثورتهم ، كل ما يقف عائقا أمام اشتراكنا في تجارب الانسانية كلها ، أمام وحدتنا مع الحياة الانسانية ، هو ليس من تراثنا الحقيقي الأصيل ... من شرفة التراث الحضاري كله ، منذ قلقامش وهوميروس وطاليس وسوفوكليس حتى فولكنر وسان جون بيرس وهيديجر ، يجب أن نصنع أدبا . »

اما الصورة الرابعة التي تعوق يوسف الخال عن أداء رسالته على الوجه الأكمل فهي الطغيان السياسي في بعض مجتمعاتنا العربية ، فمحاولة تحقيق فكرة القومية العربية طغيان سياسي شديد ، لانه ينفي الاعتبارات العالمية والانسانية التي يسعى اليها . أما تحقيق العالمية وذوبان القومية واهدار كرامة الانسان بوسائل محاكم التفتيش وتمكين الاستعمار في كل صوره والانفلات من كل القيم وطعن المسلمين في اسلامهم والالتزام في الادب من أجل تحقيق هذا التدمير فلا طغيان في ذلك ، لانه يحقق حرية الهدامين وأهداف يوسف الخال . ففي هذا الصراع العنيف بين القومية العربية وأعدائها لاينبغي أن نحمي أنفسنا ، ولا ينبغي أن نحذر كما يفعل أعداؤنا وانما ينبغي أن نفسح الطريق للعابثين بالقيم باسم الحرية المطلقة . « الفكرة الكبيرة التي تستحوذ علينا اليوم هي فكرة القومية العربية وما تعده من بناء مجتمع واحد كبير تسود فيه العدالة وتتوفر عناصر القوة والكرامة والتقدم . لاباس . الفكرة جميلة ، وعسى أن تتحقق ، انما كيف ؟ وعلى حساب ماذا ؟ ... الطغيان السياسي من أجل تحقيق غاية مثلى ، وسيلة عتيقة حان لها أن تبلى . الانسان الحر وحده يحقق كل غاية ، بعبوديته لا يتحقق شيء . الانسان في كمال حريته وكرامته هو قبل أي غاية . من له أذنان للسمع فليسمع . اذا كان ما نهدف الى بلوغه حق ، وتؤمن أنه حق ، فلا حاجة بنا قط الى أن نتوسل الى بلوغه غير وسيلة حق . والطغيان السياسي بما يزرعه من رعب في النفوس ، وبما يقيم من موازين الفكر والسلوك ، ليس بالوسيلة الحق ، الوسيلة الحق هي احترام حرية الرأي وافساح المجال للنقد والجدل والنقاش، واعتبار أن لا شيء مهما يكن محرما على العقل . بمثل هذه الصعوبات نقف نحن الأدباء العرب في العالم الحديث . وهي صعوبات لا يحسدنا عليها أحد ، لكننا سنقهرها مع الأيام . فلنا من مآثرنا في التاريخ الانساني ما يشدد عزمنا ويجدد فينا الايمان بقدرة الأجيال العربية الصاعدة على أداء قسطها نحو أدبها ونحو أدب الانسان . »

والذي يقرأ ما يقوله يوسف الخال يتصور قيودا وهمية تكبل الأديب العربي وتعوق حريته ، في الوقت الذي يمارس فيه كل الأدباء على اختلاف اتجاهاتهم كل الحرية في الدوريات المتخصصة العديدة ، وفي الوقت الذي يعبر فيه يوسف الخال نفسه عن آرائه الهدامة في المجلات التي يشرف عليها ببيروت دون رقيب أو حسيب ، وفي الوقت الذي يهدم فيه كل المقومات العربية من لغة ودين وتراث وقومية في المنظمات والمؤتمرات الدولية ، بينما يعوقه أو يحركه حزم التوجيهات المسمومة التي يسير في مخططاتها .

د. ماهر حسن فهمي



قصيدة النثر ليست شعرا

بقلم : عدنان الداعوق

حوت مواد العدد الثامن من مجلة «الشعر» في جملة ما حوت مقالا لكاتب لم يتفق لي ان قرأت اسمه مرة بجانب بحث او قصيدة او نثر .. وكان هذا المقال الخطير بعنوان «قصيدة النثر في لبنان» .

ولم ينس قلم التحرير ان ذكر في زاوية المقال جملة تقول : «هذا المقال لا يعبر عن وجهة نظر المجلة ، وانما ننشره عملا بحرية النشر . وترحب المجلة بمختلف الردود التي تصلها .

وللأسف الشديد ان مر هذا العدد وتلته اعداد اخرى غير قليلة دون ان يلقى هذا المقال من عناية النقاد او المهتمين بالادب حتى .. فاصبح المقال ـ بصورة غير مباشرة ـ مسلما بما جاء فيه من آراء وافكار على جانب كبير من الانحراف .

وددت لو انني استطعت ان ارد على المقال وكاتبه في العدد التالي .. لولا ان يقيني حدثني ان اكثر من رد سينتشر حول هذا الموضوع بالذات .. فارجأت الرد لافسح المجال لناقد كبير يفهم بالشعر ـ حديثه وقديمه ـ اكثر مما لدي من خبرة في هذا الفن الكبير .

لنضع موضوع كاتب المقال جانبا .. فعلى ما اذكر ورغم كثرة قراءاتي لم اقرأ اسم «هاني مندس» مطلقا .. والاسم الحه لاول مرة في حياتي ، وان لم يخطئ الظن والحسبان فكاتب المقال غير هاني مندس .. وهو شخص آخر اراد ان يختفي وراء هذا الاسم متوقعا ـ وللأسف ـ مسبقا ان يلقى مقاله من الهجوم ما لايستطيع له ردا .

يفرد صاحب المقال مجالا كبيرا لتفسير كلمة التجديد في الشعر فهو يفترض قبل كل شيء ان الحركة الشعرية الناهضة تمرد على العقلية القديمة في تفهم الشعر وفهمه .

وهذا امر ـ مع التجاوز قليلا ـ بدهي اذا نظرنا الى الشعر الجديد وكونه خلقا جديدا .

ويصل بعد استعراض سريع الى نقطة هامة جدا اذ يقول : «الشعر الجديد غامض ومتشائم» .

ويفسر قوله : «يعود هذا الى النقطة الاساسية الهامة ـ انقسام العالم ـ وفقدان الرؤية الواحدة .. ويستطرد :

لابد من الاعتراف بان هنالك هوة نفسية .. وجدانية وفكرية تفصل بين الشعر الحديث وقارئه ، الشعر الحديث في الأعم الغالب يكاد يكون غريبا وشاذا عنه ، وذلك يرجع الى القارئ اصلا » .

من الغريب حقا ان كاتب المقال يطلب لفهم الشعر الحديث انسانا حديثا ، هذا الانسان الذي يعيش بلا انقسامات للعالم الواحد .. ومبصر للرؤية الواحدة ؟

ان كل النظريات الفنية في العالم وضعت ـ في الاصل ـ لتعطي تجارب جديدة على ضوء النور الذي يربط بين ماكان وما يتوقع ويؤمل ان يكون .

اما صاحب المقال فيرى العكس تماما .. انه في رايه يريد قارئا جديدا لكي يفهم الشعر الجديد .. وهذا ما يثير ـ بصورة غير مباشرة ـ اصحاب مدرسة الشعر الجديد اذ انهم يعتقدون غير ذلك .. فالشعر الجديد بنظرهم هو المصباح الفني لطريق الانسان لكي يبصر الموروث من قديم الشعر وليدرك معالم الوجود بالمنطق التي يفرضه عالم اليوم .

اما كاتب المقال فيقول :

«الشعر الحديث في الغالب يكاد يكون شاذا عن القارئ الذي استساغ السهولة واعتاد الاستمتاع والترنح على ايقاع القافية ، القارئ الذي عاش قرونا طويلة تحت نير الاستعباد والانغلاق والتحجر» .

فعلى ما يبدو ان كاتب المقال يفترض ان عالم الشاعر غير عالم القارئ ، وبصرف النظر على ان الشاعر هو قارئ في الاصل .. فعالم الاثنين واحد والبيئة واحدة ، اما ـ الانغلاق الاستبطاني ـ بالاذن من صديقنا الاستاذ يوسف السباعي صاحب هذه الكلمة .. فهو عالم ما اظن ان الشاعر الحديث يرغب الدخول فيه .

وبالتالي المشكلة ـ في راي صاحب المقال ما تزال قائمة ـ اذ لا وجود لقارئ لم يعش زمن الاستعباد والانطلاق والتحجر !

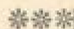


يطلق صاحب المقال السيد هاني مندس على ذلك الكلام المرصوف والمرصوص والذي تتخلله النقاط والفواصل بلا عد ولا حساب اسم قصيدة النثر . ويعطي مثالا على ذلك ، ومن اشتهر به اولا (محمد الماغوط) .. وهذا يعتبر الرائد الاول للشعر المنثور في الوطن العربي .

فمحمد الماغوط يعرف الكتابة . وكتابته لم تكن في يوم من الايام شعرا .. فهل نقبل ويقبل نقادنا ان نسمي كلامه شعرا ؟

اليكم المثل ، من آخر ـ قصيدة ـ نثرية قراتها له :

العنوان : وجه بين حذاءين ..
القلوب الوحيدة تقذف من النوافذ
النهود المهجورة تقذف من الحافلات
والطاولة الارملة
تمد راسها من النافذة وتبكي



كلمات اردها كالمجنون

في المقاهي والحوانيت

تحت النجوم وتحت بصاق الملايين

دون ان يفهمني احد

لا طفل ولا طائر

لا وحش ولا انسان .

من الصباح الى المساء وذقني ترتجف

وانا اغني :

لقد ضاع زمان النبوغ والانزلاق على السلالم الطويلة

القمل على الازهار

القمل على حطام الطائرات

الخ ..

والقصيدة طويلة .

ففي راى كاتب المقال ان الشعر المنثور يجب ان يفرض على الشعر الحديث ايضا ليحتل المكانة الرفيعة فى شعرنا العربى الأصيل والصدارة في أدبنا الحضاري الحديث .

ويعزز رايه بالقول : « ان قصيدة النثر خطرة لانها حرة » .

فالسيد هاني مندس ارتكب خطأ فادحا من حيث لا يدري :

ففي فلسفة للشاعر «ادونيس» وهو اول من اطلق على الشعر المنثور اسم «قصيدة النثر» اختلاف كبير لما يدعيه . اذ يقول «ادونيس» :

«قصيدة النثر شاملة ، متمركزة ، كثيفة ذات اطار ، هي عالم محدود ، مقفل على نفسه ، كاف بنفسه ، الخ ..

فاين هي الحرية في القصيدة النثرية عندما تكون : ذات اطار وهي عالم مغلق ، مقفل على نفسه .

ام ان المقصود بالحرية هنا ان يقول المرء كلاما كيفما اتفق ليسمى بعد ذلك شعرا او قصيدة نثرية ؟

ان السيد هاني مندس ينتمي الى فئة همها الأوحد ان تحطم قدسية اللغة العربية .. وهي نفس الجماعة التي نادت بكتابة اللغة العربية باللاتينية .

وليس ادعى الى الحيرة والذهول من تضارب آراء هذه الفئة المغالية عندما تحاول ان تبرر سلوكها بقولها :

« الف عام ونحن عبيد ، جهلاء ، وسطحيون . لكي يتم لنا الخلاص علينا ، يا للواجب السكر .. ان نقف امام هذا السد ونبعجه . اننا امام هذه المحاولة الشعرية الطرية احد امكانين ، اما الاختناق او الجنون» .

وكلا الامرين وخيم العاقبة والمنتهى .. وهذا مالا ترضاه انسانية ولا تؤيده ثقافة منفتحة ولغة اصيلة عميقة الجذور .

فالشعر المنثور هو كلام غالبا ما يكون ـ فارغا ـ لا قواعد له ولا اصول . مجرد كلام مرصوف يخلو من اي وزن او تركيب شعري متعارف عليه منتميا الى مدرسة او اخرى .. وهي بدعة ـ اي قصيدة النثر هذه ـ روجت لها جماعة عرفت بميول منحرفة وافكار شاذة .. وليست المعركة المزعومة التي تفتعلها لاثبات اقدام ـ قصيدة النثر ، وهي كسيحة مقعدة ، سوى النفخ في بوق لا يسمع حتى صاحبه .. ولن يصل صداه الى اي مدى .

ويريد كاتب المقال بشكل او باخر ان يدخل المعركة بين الشعر الحديث والقديم ضمن معمعة هذه المعركة المزعومة .

فالمعركة التي قامت بين الشعر الحديث والقديم ، قامت على اصول نقدية ونظريات مدروسة .

ووضعت المقارنة الشعرية اساسا لمنطق هذه المعركة .. بين التأييد والرفض ، وبين التجديد والمحافظة . اما ان تقوم معركة مفتعلة تلزم الشعر بهذا الوليد المسخ وهو «الشعر المنثور» لم تلحقه بالركب الحضاري الانساني ، فليست الا بدعة جديدة تتبناها فئة من المتطرفين المتحرفين انحرافا يدعو الى الغرابة والاستهجان .

فلماذا يسمى النثر شعرا وهو ليس بشعر ولا يمت الى اصوله وقواعده بصلة ؟

ولماذا لايسمى النثر نثرا ؟ وهل اذا سميت هذه البدع المشوهة شعرا تنفى عنها صفة التعقيد أولا وصفة اللامعنى ثانيا .

انه ليس بمستحسن ولا بمستساغ ان يمسخ النثر ذاته مسخا مشوها ، وتطمس معالم وضوحه وتعمل فيه يد التعقيد ، فيلون بالوان الذهول والجنون والرمز والقلق والضياع ، ويسمى بعدها شعرا .

وغريب كل الغرابة ان يلحق التمزق الفكري الذي اصبح ـ موضة ـ العالم المتحرف تمزق عضوي يشوه التركيب النثري ويبعثر معانيه وافكاره ليسمى شعرا .

حتى ان الشعر نفسه الذي تشوبه تلك الافكار النازعة الى اليأس والقنوط والتشاؤم المفرط اصبح ينظر اليه نظرة خالية من كل معاني التقدير والاحترام والاستحسان .

عدنان الداعوق

الدكتور طه حسين يتحدث :

عن بعض القضايا الأدبية الهامة

بقلم : محمد الدسوقي

١ ـ تحدث أستاذنا الكبير عميد الادب العربى الدكتور طه حسين حديثا موجزا مركزا عن بعض القضايا الادبية المعاصرة ، وقد سجل هذا الحديث للاذاعة التونسية ، فقد سعى مندوبهـا الى لقـاء الكاتب الكبير ، ورائد الحركة الفكرية العربيـة الحديثة لهذا الغرض وأسـعدتنى الظروف ، فحضرت هذا اللقاء ، وسمعت ذلك الحديث ، وقد استأذنت أستاذنا فى نشره بالرسالة فتفضل ـ مشكورا ـ وأذن لى .

٢ ـ والقضايا الادبية التى تحدث عنهـا عميد الادب العربى هى :

ا ـ الشعر الحديث .

ب ـ أدب الشباب وعلاقته بأدب الشيوخ .

جـ ـ الالتزام فى الادب .

د ـ الثورات وموقف الادب منها .

هـ ـ القصة المصرية وعلاقتها بالقصة الاجنبية .

و ـ أدب المرأة المصرية المعاصرة .

٣ ـ أما الشعر الحديث ، فقد اشتجرت حوله الاقلام وتباينت الآراء ، وأثيرت أخيرا مناقشـات وخصومات وصل أمرها الى السلطات .

عن هذه القضية الهامة فى حياتنا الادبيـة الراهنة تحدث الدكتور طه حسين فقال :

ان الشاعر حر فى التعبير كما يشاء بشرط أن يقدم لنا عملا فنيا ممتازا يثير فينـا المتعة واللذة ، ويستحوذ على مشاعرنا واحساساتنا ، أن يقدم لنا شعرا جديرا بهذا الاسم ، نقرؤه أو نسـمعه فتستريح اليه طباعنا وأذواقنا ولا تضـيق به نفوسنا كما تضيق بكثير من الشعر الرديء .

واذا نظرنا فى تاريخ شعرنا العربى ، فاننا نراه قد تعرض لالوان مختلفة من التجديد فى ألفـاظه ومعانيه ، ففى العصر الاسلامى أيام بنى أميـة جددت فى الشعر أشياء كثيرة ، فخففت الاوزان القديمة ، وعمد الشعراء الى أوزان قصيرة ، متأثرين بالموسيقى التى اخـذها العرب عن غيرهم من الامم ، ونشأت فنون لم تكن مألوفة عند الجاهليين كالغزل الخالص الذى يقصر الشعراء أنفسهم عليه كما فعل العذريون الذين لم يقولوا الشعر الا فى الحب وفنونه المختلفة ، وكعمر بن ابى ربيعـة القرشى الذى لم يكن عذريا ولكنه لم يقل الا الغزل، وكثرت ألوان الهجاء ، ونشأت فيه فنون لم يعرفها الجاهليون ، كالهجاء الغزلى الذى برع فيـه بعض الشعراء يريدون هجـاء الرجال فيتغزلون فى نسائهم ليغيظوا بذلك أزواجهن ، ووصـفت الخمر فى العصور الاسلامية كما لم توصـف قط فى الشعر الجاهلى ، ونشأ الغزل فى الغلمان وهو فن لم يخطر للجاهليين على بال ، واستطاع شاعر كأبى نواس أن يعيب وقوف الجـاهليين على الاطلال فى كثير من شعره كما يقول فى قصيدة :

عاج الشقى على ربع يسـائله
وعجت أسأل عن خمارة البلد

يبكى على طلل الماضين من أسـد
لادر درك قل لى من بنو أسـد ؟

وكثر البديع وعنى الشعراء بتحسين الالفـاظ بالاستعارات والجناس والمطابقات ، وجاء أبو تمام فكرهه العلماء اللغويون ، لانه انحرف عن طريقة القدماء كل الانحراف فعلا فى تجديد الالفـاظ والمعانى حتى سمع بعض علماء اللغة شـيئا من شعره فاستحسنه فلما قال له قائل : ان هـذا الشعر لابى تمام قال له : خرق خرق ، ثم جـاء شعراء الاندلس فأنشأوا الموشحات وغلوا فيها ، فانحرفوا أحيانا عن الوزن المألوف وانحرفوا دائما عن التزام قافية واحدة .

وفى العصر الحديث ظهر الشعر التمثيلى وهو نوع جديد لم يعرفه الادب العربى الا فى هذا العصر .

حدث هذا فى الشعر العربى فى تاريخه الطويل، فليس على الشعراء المحدثين اذن من بأس اذا هـم

جددوا وخرجوا على مألوف الشعراء المقلدين من التزام الوزن والقافية جميعا ·

ولكن الشعراء المحدثين الذين يدعون الى التجديد فى الشكل والمضمون ـ كما يحب كتابنا المحدثون أن يقولوا ـ لم يقدموا لنا حتى الآن ـ بوجه عام ـ أعمالا فنية جديرة باسم الشعر ، ولعلهم فى المستقبل يفعلون ·

٤ ـ وعن أدب الشباب وعلاقته بأدب الشيوخ قال أستاذنا الكبير :

ان أدب الشباب أدب ضحل لاعمق فيه ، فالشباب لايقرأ الادب العربى القديم ، ومن يعرف منهم لغة أجنبية يمكنه أن يقرأ آداب لغات أجنبية مختلفة ولكنه لايقرأ ، وبغير قراءة الادب القديم لن ينتج الشباب أدبا يستحق الخلود ، ويكون امتدادا لادب الشيوخ ، وقد ظهرت فى فرنسا جماعة ، تدعوا الى الكتابة الادبية دون اكتراث بالقراءة الجادة ، لكنها فشلت فى دعوتها ، وتراجعت عن المضى فى طريقها فلكى يكتب الشباب أدبا أصيلا ، أدبا جديرا بالبقاء ، يجب عليه اذن أن يقرأ كثيرا فى القديم والحديث ، وألا تشغله المدنية الحديثة · بمخترعاتها مثل « السينما » و « الراديو » و « التليفزيون » عن القراءة الواعية المتعمقة ، وأرجو أن يقبل الشباب على تراثنا القديم والحديث ، وأن يقبل كذلك على تراث الآداب الاجنبية ، حتى تعمق ثقافته ، وتستقيم لغته ، وتتسع آفاقه ، ويصبح بذلك أهلا لانتاج أدب أصيل جدير بالبقاء ، أدب يخلف أدب الشيوخ ، ولا يعرف الضحالة ، أو ركاكة العبارة وسوقيتها ·

٥ ـ وسئل الدكتور طه حسين عن الالتزام فى الادب فقال :

ان كل أديب ملتزم بما يعتقد ، فالأديب يقول ما يؤمن به ، واذا أكره على أن يكتب شيئا لايؤمن به ، فلن يكون لما يكتبه تأثير فى النفس والوجدان ، أو يكون عملا أدبيا لاتشيع فيه حرارة الصدق ، أو اصالة الخلق ، أو يكون شبيها بجسم لاحياة فيه · فاذا آمن الاديب بالاشتراكية والديمقراطية مثلا كان ما يقوله ويكتبه عن الاشتراكية والديمقراطية تعبيرا صادقا لازيف فيه ، فحيث يؤمن الاديب بفكرة أو مذهب ما فانه يصبح ملتزما فى أدبه بتلك الفكرة ، أو هذا المذهب ·

٦ ـ وعن موقف الاديب من الثورات قال عميد الادب العربى ·

ان الادب يمهد للثورة دائما ، لأنه يجسم الاوضاع الفاسدة ويدعو الى الحياة الكريمة ، وينادى بالنظم والمبادىء العادلة ، فيكون ذلك التجسيم ، وهذا النداء الى اصطناع القيم الانسانية ، ونبذ القوانين الجائرة وقودا يشعل الحماس ضد الظلم ، ويفجر فى المجتمع طاقات الثورة من أجل حياة أفضل ، ويهيىء الاذهان والحواس الى تقبل الانتفاضة التى تطيح بالقاسطين والمفسدين ، وترسم السبيل الى مستقبل مشرق بالعدالة والمساواة والرخاء ·

فمثلا قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ كان المجتمع المصرى يعانى من فساد القصر واضطراب الحياة السياسية والاقتصادية ، وتحكم الاقطاع فضلا عن الاحتلال الذى كان يفرض على القصر ورجال السياسة مطالبه ، ويتدخل فى شئون البلاد الداخلية والخارجية بمقدار ما يستفيد من هذا التدخل ، فكان الادب فى فترة ما قبل الثورة يصور حياة البؤساء والمحرومين ، ويتحدث عن ترف الاغنياء واسراف المسرفين ويندد بالدخلاء والعملاء والمستبدين ، وكان مع هذا يدعو الى الاستقلال والحرية ، والعدالة الاجتماعية ، وضمان قدر لائق من المعيشة لكل فرد ، وألا تستأثر بخيرات الوطن فئة معينة تعيش فى رغد مسرف على حين تموت فئات متعددة من الارهاب والجوع والحرمان ·

وكان الادب أيضا مع حديثه عن الاوضاع الفاسدة ، ودعوته الى العدالة الاجتماعية ، يشيد بالأمم التى عز شأنها وقوى سلطانها فلم تخضع لاجنبى ، ولم ترضخ لمستبد ، ولم تقبل أن تعبث بثرواتها أسرة حاكمة ، أو اقطاعيون مستبدون ، ولذلك تمتع أفرادها بالحرية والعدالة والمساواة ، ولم يكن بينها فوارق كتلك التى كان يئن منها المجتمع المصرى قبل الثورة ·

فعل الادب كل هذا وأكثر منه قبل الثورة ، وكان الشباب يقرأ هذا الادب وينفعل به ، وكان هذا الانفعال يبدو فى بعض الاوقات فى صورة اضرابات ومظاهرات ، وكانت هذه المظاهرات والاضرابات ارهاصا أو مقدمة للثورة التى قامت تضع حدا للعبث والاضطراب ، وتخلص الامة من الاحتلال والاستغلال ··

وفى فرنسا قبل ثورتها الشهيرة كان الادب

كذلك يتحدث عن المظالم التى يتعرض لها الشعب الفرنسى ، فقد كان هذا الشعب يئن من وطأة الاقطاع والضرائب ، وفساد الملكية والسلطة الدينية ، وامتيازات النبلاء ، كان الشعب يعيش فى بقايا العصور الوسطى ، تلك العصور المتخلفة فى تاريخ البشرية ، وكان الادب يصور فساد هذا المجتمع ، ويتحدث عن حياة البؤساء والمحرومين ، ويسخر من امتيازات النبلاء ورجال الدين ، ويرسم للمجتمع طريق الخلاص والانقاذ والعدالة. لقد كانت صيحات الادباء وآراء المصلحين من امثال « جان جاك روسو » و « فولتير » و « ديدرو » و « دالمبير » و « مونتسكيو » الشرارة التى أشعلت الثورة ، وقضت على الملكية ، وحطمت الباستيل رمز التخلف والاستبداد والفساد .

ان الادب يمهد للثورة ويصنعها ، انه الناقوس الذى ينبه الى الخطر ، فتهب الامة ثائرة حفاظا على كرامتها وكيانها .

لكن بعد أن تقوم الثورة يلاحظ أن الادب يتريث قليلا ، ويبدو كأنه فى موقف سلبى ، أو منعزل عن الثورة ــ وهو ليس كذلك ــ ريثما تستقر الامور ، ثم يقوم بدوره فى تسجيل آثار الثورة ، وتصوير المجتمع الجديد بعد ذلك .

٧ ــ وسئل الدكتور طه حسين عن القصة المصرية وعلاقتها بالقصة الاجنبية فقال :

ان القصة المصرية كانت فى أول مراحلها اما تقليدا للادب العربى القديم ، أو الادب الاجنبى ، ومن يقرأ كتاب « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحى ، وهو كتاب يصور حياة المجتمع المصرى وطبقاته المختلفة فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن فى صورة قصة لاتلتزم فيها الاصول الفنية للقصة بمفهومها الحديث ــ من يقرأ هذا الكتاب يجد أن المؤلف يكثر من السجع والازدواج والمطابقة وغير ذلك من الفنون البلاغية التى كان الاقدمون يسرفون فى استعمالها فى بعض العصور، ويجد ان المؤلف يستطرد أحيانا فيأتى ببعض الابيات الشعرية لأدنى مناسبة .

فمثل هذا اللون من القصة كان تقليدا للادب العربى القديم .

وكما قلد الادب العربى فى كتابة القصة فى أول مراحلها ، قلد الادب الاجنبى أيضا ، فقد كان الكتاب فى انشائهم القصصى يقلدون هذا الادب ، ويحاولون أن ينسجوا على منوال القصة الاجنبية .

ولكن القصة المصرية تطورت بعد ذلك تطورا ملحوظا ، وأصبحت مصرية صميمة ، وتخلصت من تقليدها للادب العربى القديم والادب الاجنبى على السواء ، وأخذت تصور المجتمع المصرى ، وتعكس تقاليده وبيئته ، وتتحدث عن مشكلاته النفسية والاجتماعية ، وتسجل أحداثه التاريخية والسياسية ، ومن الناحية الفنية وصلت القصة المصرية الى درجة عالية من القوة والاصالة ، ومن يقرأ مؤلفات الاساتذة محمود تيمور ، ويوسف السباعى ، ونجيب محفوظ ، ويوسف ادريس فانه يجد أن هذه المؤلفات خليقة بالتقدير والثناء ، وأنها تتميز بالاصالة والصدق الفنى ، وتعبر عن المجتمع المصرى أصدق تعبير ، وان كنت آخذ على الدكتور يوسف ادريس استعماله اللغة العامية فى كثير من الاحيان .

٨ ــ اما أدب المرأة المصرية فقد تحدث عنه الدكتور طه حسين قائلا :

ان أدب المرأة المصرية أدب قليل ، وهو على قلته ليس كله فى درجة جيدة فمثلا الدكتورة سهير القلماوى وهى أستاذة ورئيسة لقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة ليس لها الا كتاب « أحاديث جدتى» وبعض الدراسات النقدية والاعمال القصصية ، كما أنها ترجمت من الانجليزية الى العربية بعض آثار شكسبير ويبدو أن نشاطها الاجتماعى قد طغى على نشاطها الادبى ، فهى عضو فى لجان كثيرة : فى المحافظة ومجلس المدينة ووزارة الشئون الاجتماعية أما الدكتورة عائشة عبد الرحمن وهى أستاذة بجامعة عين شمس ، فلها محاولات فى الدراسات القرآنية ، ومؤلفات تاريخية عن أم الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه وبناته ، ولها كتب محققة ، وكتاب يشتمل على صور من حياة المرأة ، ودراسة عن الفلاح المصرى ومشكلاته .

وهناك غير الدكتورة سهير والدكتورة عائشة كاتبات يمارسن كتابة القصص والدراسات الادبية وقرض الشعر ، ومع هذا كله فادب المرأة المصرية المعاصرة أدب قليل ، وليس كله أدبا جيدا جديرا بالبقاء .

٩ ــ وبعد ، فهذا عرض للحديث القيم الذى تحدث به عميد الادب العربى حول بعض قضايانا الادبية المعاصرة ، حاولت فيه نقل الفكرة كاملة مع المحافظة على النص فى بعض الاحيان ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى هذا .

حفظ الله الكاتب الكبير ، وأسبغ عليه نعمة العافية .

« **محمد الدسوقى** »

حذار من الحب

للشاعر : على الجندى

هو الحب ـ عوفيت من دائه ـ يموت به الصب أو يسقم
يسوق اخا الحمق سوق الفراش الى ناره حظه الأشأم
فكم ذل قوم به ، أو شقو وكم صم قوم به ، أو عموا
هو الشهد فى بدئه لذة وبالسم آخره يختم
خمائله نزهة للعيون وفى زهرها تكمن الأرقم
وافراحه بهجة للقلوب ويأتى على اثرها المأتم
وايامه كالربيع النضير وسرعان ما ينقضى الموسم
ولياليه قمر اضحيان ولكن اصباحها معتم
ومن عجب أنه شائق عليه قلوب الورى حوم
يهيم الصغير به والكبير وتهفو له البكر والأيم

***

ويستعذبون عذاباته كأن عذاباته أنعم
ويستمرءون مراراته كأن مرارته « زمزم »
حذارك منه حذار المنون فان الهوى للردى سلم
وفى « قيس ليلى » أجل العظات لغر على هوله يقدم
ولا تغترر بوميض الثغور فما كل بارقة تسجم
ولا تخدعنك العيون المراض فان لواحظها أسهم
اذا ما رمت مهج الدارعين فما من رمى لها يسلم
وأهدابها شرك قانص يخاف فجاءاته الضيغم
فيا للضعائف يلقى الكمى بها الحتف والفارس المعلم

***

نصحتك فى الحب نصح الشفيق وفوق العليم به الأعلم
وانى فى صبوتى « عروة » وانى فى حكمتى « أكثم »
حملت تكاليفه يافعا وحمل تكاليفه مغرم
وضاق على عنقى غله وعض على ساقى الأدهم
واسقيت ما وسعت كأسه وفى كأسه الصاب والعلقم
ولم الق فى محنتى عاصما أفئ اليه ! ومن يعصم ؟ !
وما نلت منه سوى أنه هو النافث السحر ، والملهم
وهل نافعى أن يغنى القريض لمن لا يرق ولا يرحم
فياليت حبى كان الفصيح وان لسانى هو الأعجم
ويا ليت حظى كان الغنى وأن بيانى هو المعدم

أصداء

للشاعر : كمال نشأت

تواكبت لهفات لغابر الأيام
فنوحت ذكريات ذبيحة الأنغام
مشبوبة التحنان
والراقص المذبوح في رقصة العدم
يهفو وليس يبوح من حرقة الألم
والنصل يرديه
كالأفق الغيمان لا يطلع الصبحا
كالخافق الأسوان اخفى به جرحا
سران ما عرفا
ولت من نفسه في المغرب الباكى
والذكر من امسه كاللهب الذاكى
نارا واضواء
يحيا بها كرماد يقتات من ذاته
والألم الوقاد ينزو بآناته
مجرج الأصداء
يا مرعش الأسرار في مهجة الماضى
هيجت بى التذكار شردت اغماضى
في ظلمة السهد
وكوكبى الفضى يزهو باشعاع
كالنغم البضى يهفو باسماع
حلما وآمالا
يا من ينادينى من ظلمة الأعماق
ما كان يحيينى الا جوى الأشواق
ودفء ماضينا
القادم المجهول من عمرنا المنسى
الأمس منه طلول والغد كالأمس
جدب على جدب
فادفن صدى الأيام في لحدها الثلجى
واجعل من الأحلام رغوا على الموج
واتبع خطى النسيان !

من تاريخنا العربي

وحدة وسطوع

بقلم : محمود الشرقاوي

رأينا في فصول سابقة كيف كانت مصر وسوريا «بلدا واحدا» في أكثر أزمنتهما التاريخية ، من عهد الفراعنة الى الفتح الاسلامي الى عهود الدولة الأموية والعباسية ، الى أن انتهينا الى الوحدة الكبرى التي حققها البطل صلاح الدين : (أعداد الرسالة ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٥) .

رأينا كيف كانت مصر وسوريا في عهودهما تلك كلها يشملهما (وطن واحد) وتجمعهما وحدة كاملة شاملة سياسية وعسكرية وثقافية ، غير فترات قليلة كانت للفرقة فيها أسباب من المروق والأنانية والخيانة . وفي هذه الفترات الشاذة نفسها كانت الوحدة الثقافية شاملة موصولة .

كان أبناء صلاح الدين واخوته يتولون ، باسمه ، حكم هذه البلاد الموحدة ، التي أدخل في وحدتها بعد ذلك أقطارا أخرى فكانت تشمل: مصر وسوريا واليمن وبعض بلاد العراق والحجاز .

ولو أن أبناء صلاح الدين واخوته هؤلاء كانوا كما كان ، اخلاصا لفكرة الوحدة وشجاعة في سبيل الحرص عليها وتجردا من الأنانية ، ولو أنهم ساروا على نهجه وسننه في السياسة والحروب لبقيت مصر وسوريا دولة واحدة قوية مرهوبة في الشرق والغرب ، كما عهدناها وهي في عهده ، تقهر الصليبيين وتجليهم عن أرض سوريا وشواطىء مصر وتطهر منهم بلادا كانوا فتحوها وملكوها سنين طويلة تقارب المائة ، وأقاموا فيها ممالك صليبية .

ولكن هؤلاء الأبناء والاخوة من أسرة صلاح الدين تخاصموا واختلفوا وحارب بعضهم بعضا على الملك فضعفوا جميعا وأضعفوا الدولة وفرقوا الكلمة وجعلوا من الوحدة أشتاتا وشيعا .

ولكن الوحدة الفكرية والثقافية ، ومن قبلهما وحدة الدين ، ظلت باقية نامية وثيقة موصولة :

ظهر في هذه الفترة أولئك العشرات من العلماء والمحدثين والشعراء والمؤرخين في كل من مصر وسوريا . في هذه الفترة كان طلاب العلم وأساتذته يتنقلون بين حلب ودمشق والحجاز والقدس والقاهرة وبغداد ودمياط والاسكندرية ، وقل من هؤلاء العشرات من العلماء والألوف من الطلاب من كان سوريا لم يزر مصر والقاهرة ، أو مصريا لم يزر دمشق وحلب ، أو لم يسمع ويرو عمن زار هذه الحواضر والمدن .

في هذه الفترة ظهر من المؤرخين ، ابن العديم الحلبي ، وابن القفطي المصري ، وسبط ابن الجوزي ، وابن أبي أصيبعة المؤرخ الطبيب ، وابن القلانسي المحدث المؤرخ ، وغيرهم . ومن المحدثين والفقهاء : الامام النووي ، وأحمد بن اسحق الأبرقوهي ، وشمس الدين البروجردي ، وابن دانيال ، والامام المجدد ابن تيمية ، التي كانت صيحاته الاصلاحية والدينية من أقوى المؤثرات في كل من مصر وسوريا ، وظهر من هؤلاء المحدثين والفقهاء : سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، الذي كان مثلا في العزة والشجاعة والشمم ، وعبد العزيز ابن الرفاء الدمشقي ، وابن الجوزي المصري وغيرهم . ومن الأدباء والشعراء : ابن مكانس ، وابن حجة الحموي ، وابن فضل الله العمري ، وابن الوردي ، والقاضي الفاضل صاحب صلاح الدين وكاتبه ، وابن الشحنة ، وبدر الدين العيني ، والصلاح الصفدي ، وابن عربشاه ، والذهبي ، وابن كثير الدمشقي ، وغيرهم . وبعض هؤلاء كان يلي الوظيفة والقضاء في مصر ، ثم يتولى مثلها في الشام ، وكذلك العكس . وقل منهم من كان سوريا لم يزر مصر ، أو مصريا لم يزر سوريا ، ومنهم من تلقى العلم في شيراز وواسط والموصل ودمشق والقدس والقاهرة . وقل من هؤلاء من لم يقصده تلاميذه حيث كان في هذه الرقعة الواسعة المباركة من شرقنا العربي . ومنهم من ولد في مصر ورحل الى واسط وبغداد ودمشق ، والقدس فأقام

فيها عالما متعلما هاديا مرشدا ، ثم عاد الى مصر فاقام فيها ، ثم رحل الى مكة ليموت فيها .

بقيت للبلدين — في هذه البلبلة السياسية والمنازعات والخصومات والحروب — روابط اللغة والدين والثقافة ، يحفظ أهلوهما القرآن ويكتبون ويتدارسون حديث الرسول والفقه ابن مالك وفقه الشافعي ومالك وابن حنبل ، ويتداولون ويروون شعر المتنبي والبحتري والمعري وابى فراس الحمداني ، ويعرف اهل مصر في شعرهم جسر الرصافة وأمجاد حلب وتأملات شيخ المعرة وطوب مسجد الامويين في دمشق ، وصخرة القبة في القدس . ويرحل الرجال من سوريا الى مصر فيطلبون العلم في الأزهر ويشربون من ماء النيل ويعشقون قاهرة المعز ورسوم الخلافة الفاطمية وامجادها .

ويهبط ابن بطوطة من طنجة في الشمال الافريقي فيزور مصر ويطوف بها ثم يصعد الى سوريا فيتحدث الى أهلها بما رأى في القاهرة والريف والثغور من المساجد والعمائر والناس . ويخرج ابن جبير من الاندلس — وقد اوشكت شمسها أن تغيب — فيزور مصر وسوريا ويحدث أهل كل منهما عن شقيقه ورفيقه ، ويروى لأهل مصر كيف يعيش أخوتهم في الشام تحت حكم الصليبيين .

ويظهر في هذه الفترة من العصور الوسطى سلاطين من المماليك يجددون — على عجمتهم وظلمهم وجهلهم — عهد صلاح الدين ، فيقيمون الوحدة ويدفعون ، بسيوفهم وشجاعتهم واخلاص شعبي مصر وسوريا ، طوفان الشر والبغي والتخريب الذى جاء به التتار من الشرق البعيد فدمروا من قبل مجد الاسلام والدولة في بغداد . ويستخلصون حصون الشام وبلادا فيها كان الصليبيون قد احتلوها واقاموا فيها ممالك لهم وحصونا .

يظهر ذلك المملوك الذى أصبح سلطانا على مصر ، بل من أعظم سلاطينها وملوكها ، حتى تغنى أهل مصر بسيرته ووضعوا القصص للسمر في ذكرة : « **بيبرس** » .

في هذه الفترة الحالكة من تاريخ مصر والشام والشرق كله ، كان المغول يوالون هجماتهم المخربة على الشرق ، ويرسل أميرهم وقائدهم «هولاكو» الى مصر يطلب اذعانها وتسليمها . وجمع « قطز » الأمراء والمماليك والقواد ليتدبر معهم الأمر ويتدارك الخطر الماحق ، وانتهى الرأى الى تسيير جيش من مصر الى الشام يقوده « الأمير ركن الدين بيبرس » ، وسار الجيش الى غزة فاجلى عنها رجس المغول ، واستبشر السلطان بهذا النصر فخرج بجيش آخر الى الشام وجعل « بيبرس » أميرا على الجيش كله ووكل اليه ملاقاة المغول واجلاءهم عن الشام كله . وكانت الواقعة الفاصلة عند بيسان في مكان سجل التاريخ اسمه وخلد ذكره : « عين جالوت » (في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ — ١٢٦٠ م —) واختلط على أرض هذه البقعة من الشام الدم المصرى والسورى مطهرا أرض الوطن كله بعد ذلك من كل أثر للهزيمة والمهانة والذل ، مؤكدا بينهما الوحدة التى لا تنفصم .

وجلا المغول عن عروس الشام : « دمشق » بعد هزيمتهم عند بيسان ، وتدفقت جيوش الصليبيين تريد أن تنجد فلولهم وترسخ أقدامهم مرة أخرى حيث كانت في سواحل البلاد وممالكهم في داخلها ، ولكن الجيوش المصرية السورية الموحدة ، بقيادة « بيبرس » تستطيع أن تزحزحهم وتخرجهم من حصونهم وقلاعهم فتلقى بهم الى الموت أو الى البحر .

واستيقن القائد المظفر بيبرس من النصر فأرسل الى الأمير الصليبى « بوهمند السادس » أمير انطاكية رسالة عزاء وتهكم وتقريع ، يواسيه فيها عن فقد ملكه وملك المخربين الصليبيين في الشام ، وكانت « انطاكية » وطرابلس آخر مابقى من امارات الصليبيين وامارات بوهمند في سوريا ، فدحره بيبرس ودحرهم فيها وفرض عليهم صلح الغالب على المغلوب .

وكان المغول يريدون أن يثأروا لهزيمتهم في «عين جالوت » فاخذوا يغيرون على بلاد الشام في حروب متواصلة استطاع فيها جيش مصر وسوريا أن يردهم حتى يدخلهم جحورهم في آسيا الصغرى .

وبذلك طهرت بلاد الشام او كادت من شر المغول والصليبيين ، وعادت لها ولمصر **الوحدة الشاملة القوية المرهوبة ، وبلغت من القوة والمنعة الى حد ان تقرب لها اباطرة الدولة البيزنطية وعقدوا معها حلفا دفاعيا ، وتوثقت الروابط والمحالفات بينها وبين ملوك صقلية ، وأرجونة واشبيلية وغيرها .**

وشملت الوحدة ، في ظل هذه الدولة القوية المرهوبة ، بلاد الحجاز واليمن وساد الرخاء وزاد المال ونفقت التجارة ونعم الناس واقيمت اصلاحات كثيرة وأنشئت مدارس ، وفتح الجامع الأزهر من جديد ، بعد أن كان أغلقه صلاح الدين ، فعاد مثابة للعلماء ومنارة للعلم في هذه الدولة الموحدة ، يمكن من رباطها الثقافي بأوثق رباط .

وسجل شاعر دمشقى هذا النصر على الصليبيين

في هذا الشعر الذى يدل على مستوى ذلك العصر . ولكنه يعبر عن مشـــاعر الفرح التى شملت قلوب الناس جميعا :

ملك « الروم » فى الشــآم جميعا
واستجد الاســلام بعـد دحوضه
بالمليــك المظفر الملــك الأر
وع ، سيف الاسلام عند نهوضه
ملك جــاءنا بعــزم وحـزم
فاعتززنا بســمره وبيضــه
اوجب الله شكر ذاك علينا
دائما مثــل واجبــات لروضــه

وفى هزيمة التتار هذه يقول شاعر اخر دمشقى ، هو الشيخ شهاب الدين ابو شـامة ، يذكر انقاذ الشام منهم على يد مصر وجيشها وقائدها :

غلب التتار على البلاد فجاءهم
من مصر تركي يجــود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شـملهم
ولكل شيء آفة من جنســه

وفى مطاردة بيبرس وجيشــه جيوش التتار على نهر الفرات وهزيمتهم يقول كاتب الانشاء شهاب الدين أبو الثناء محمود :

سر حيث شئت ، لك المهيمن جار
واحـكم فطوع مرادك الأقـدار
لم يبق للدين الذى اظهـرته
، ياركنه ، عند الاعادى ثار
لمــا تراقصـــت الرءوس وحركت
من مطـــربات قســيك الاوتار
خضت الفرات بسـابح أقصى منى
هوج الصـــبا من نعـله آثار
رشـــت دماؤهم الصعيد فلم يطر
منهم على الجيش السعيد غبار
شكرت مساعيك المعاقل والورى
والترب والآســـاد والأطيـار
هــذى منعت ، وهؤلاء حميتهم ،
وسقيت تلك ، وعم ذا الايســار

اما مكانة الدولة وكرامة حاكمها وهيبته وحرمته فتصـــورها هذه القصص ، وهى بعض ما ذكر فى ذلك :

خرج جماعة من تجار مصر من بلاد العجم قاصدين مصر ، فلما مروا - فى طريقهم الى حلب - ببعض البلاد التى تخضع لحكم التتار ، كتب حاكمها الى « أبغا » ، ملك التتار وابن هولاكو ، يخبره خبرهم ، فامره هذا بأن يأسرهم ويرسلهم اليه .

وعلم الظاهر بيبرس بما وقع لهم فارسل الى ذلك الحاكم يهدده ويخوفه ، واسرع هذا الحاكم فأبلغ نائب حلب انه يخشى سطوة بيبرس ولا يستطيع أن يغضبه ، ودفع الى ملك التتـــار - من ماله - ما أرضاه وترك تجار مصر .

وكان التجار يســـافرون ويتوغلون فى البـلاد البعيدة يحملون « توقيعات » منه بالرعاية فيلقون كل أمان فى بلاد التتار وفارس وغيرهما من البلاد التى يتاجرون ويطوفون فيها الى حيث يشــاءون .

وكان قد اختار تاجرا وأعطاه مالا ليتاجر فيه فى بلاد الترك ، فلما دخلها شرهت نفسه الى المال فاخذه ورحل الى بلد فى أقصى الشرق من بلاد التتار ليقيم فيها ، وعرف بيبرس ذلك فارسل الى ملك التتار ان يعيده اليه فأعاده وارسل معه من يحرسه حتى وصل الى القاهرة .

ونحن نعرف ما وقع بينه وبين التتار من الحروب ، وهم مع ذلك - او بســبب ما لقــوا منه فى هذه الحروب - يتحاشون أن يغضبوه او يخالفوه .

وكان عند رجل سورى ذهب ومصوغ كثير خاف أن ينهب فى تلك الحروب فدفنه فى قلعـــة وهرب باهله الى حماة . فلما هدا الحال وامن ان يعـــود كتب الى نائب حماة يخبره خبر ذهبه ومصوغه وسأله ان يرسل معه من يحرسه حتى يعود بماله ، على أن يدفع نصفه للدولة ، وارسل حاكم حماة نبا ذلك الى بيبرس ، فكتب هذا امرا مطلقا - وجهه لمن عساه يقف عليه - بان يحفر الرجل على خبيئته ويأخذها . وارسل الحاكم مع صاحب الذهب من يحرسه ويمكنه من اخذ ماله ، ووجد هؤلاء أنه لابد لهم ان يعبروا نهر الفرات فوقفوا ولم يسيروا مع صاحب المال ، وعبر هذا وحده وبدأ يستخرج ذهبه وماله ، ولكن الأعراب تكاثروا عليه وأرادوا ان يقتلوه ويسـلبوه ماله ، فاخرج لهم توقيع بيبرس - وهو لم يوجه لهم وليسوا على ارض يحكمها - فخافوا أن يخالفوا أمره ويتعرضوا لغضبه .

ولم يعترضــوا الرجل بل أعانوه حتى وجد ماله وأخذه كله .

هكذا كانت هيبة الدولة الموحدة : مصر وسوريا وهيبة سلطانها .

ويزيد من عجبنا واعجابنا أن نعـــرف ان هـذا الرجل الذى استخلص ذهبه وماله - بهيبة بيبرس - كان يهوديا .. « محمود الشرقاوى »

في القومية العربية .. والعثمانية

بقلم : محمد جلال كشك

رضى الله عن عمر بن الخطاب وأرضاه عنا .. فى ثلاث كلمات لخص تلك القضية التى تقف الأقلام أمامها بكماء ، وتدور العقول حولها حائرة .. وتسود الصفحات فى النقاش بين الحركات والأحزاب والمنظمات بالوطن العربى .

وأعنى مشكلة العلاقة بين العروبة والاسلام – ان كان ثمة مشكلة – ولكن عمر على فراش الموت ، وطعنة المجوسى أبى لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قد سلبت البشرية ، أعظم بنيها الا من جاءه الوحى يلخص تلك العلاقة فى ثلاث كلمات .

قال عمر « وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب فانها مادة الاسلام » .

نعم « **العرب مادة الاسلام** » تلك هى القضية ، كما كانت واضحة لا تحتاج الى جدل ، وحسبك بأمة جعلها دينها فى أعز مكانة ، ونزل كتابه بلغتها ، فانتشرت مع انتشاره ، وسادت حيث ساد .. من المحيط الهادى الى المحيط الأطلسى .

أمة جاءتها القيادة طائعة مختارة فى الأرض التى تتقاتل عليها الأمم سعيا الى مكانة أو نفوذ .. أمة جعلها دينها قائدة الشعوب الملونة الى المساواة والحياة الانسانية ، بغير منازع .

يقول السيد أبو الحسن الندوى من علماء الهند : « ان العالم العربى قلب العالم الاسلامى النابض يتجه اليه روحيا ودينيا ويدين بحبه وولائه» «ولكن المسلم ينظر الى العالم العربى كمهد الاسلام، ومشرق نوره ومعقل الانسانية ، وموضع القيادة العالمية ، ويعتقد أن سيدنا محمدا العربى هو روح العالم العربى ، وأساسه وعنوان مجده ، وأن العالم العربى بما فيه من موارد الثروة والقوة ، جسم بلا روح ، وخط بلا وضوح اذا انفصل – لا سمح الله بذلك – عن سيدنا رسول الله وقطع صلته عن تعاليمه ودينه » .

ويعود العالم الهندى الكبير فيقول عن رجاء الاسلام من العرب « والعالم العربى يحسن الاضطلاع برسالة الاسلام ، ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الاسلامى ويزاحم أوروبا وينتصر عليها » .

« ولقد أكرم الله العرب – بهذه القيادة ، لما أخلصوا لهذه الدعوة الاسلامية وتفانوا فى سبيلها فأحبهم الناس فى العالم حبا لم يعرف له نظير ، وقلدوهم فى كل شىء تقليدا لم يعرف له نظير ، وخضعت للغتهم اللغات ، ولثقافتهم الثقافات ولحضارتهم الحضارات » « وهى القيادة التى يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ، ويعضوا عليها بالنواجذ » .

ولو أنفقنا ما فى الأرض جميعا على أن نجعل عقلا ممتازا من أبرز مفكرى الهند يسلم بهذه القيادة لعروبتنا ، تسليم الراغب الراضى لما أمكننا .. ولكن الله فعل .

فما الذى جعل أمتنا .. أو بعضا من مفكريها ، يبطرون على ما أتاهم الله ، ويضيقون بمكانتهم هذه من الاسلام ، ويفرون من مركز القوة ، الى مركز

الضعف والحيرة والتخبط ٠٠ ما الذى أوقعنـــا فى فى القومية العلمانية ؟ ٠٠

هناك أكثر من سبب يضيق العمر عن تقصيهـا كلها ٠٠ ولنبدأ بهذا السبب المعاصر والواضح ، الذى ما زال يترك آثاره وترسـباته فى كثير من تفكيرنا ٠٠ ذلك السبب الذى أعده القدر ، وأجاد خصومنا استغلاله ، وتهويله ، والتزايد فيه حتى بلغوا غايتهم ٠

ذلك هو علاقة العرب بالعثمانية ٠٠ أو ارتباط الاسلام والجامعة الاسلامية والدعوة الى الاســـلام بتطورات الدولة العثمانية ٠٠ منذ أن ظهـرت الى أن انهارت ٠٠

لماذا كان الترك قدرا محتوما على العالم الاسلامى والعربى بالذات ؟! ولماذا التوى الصراع فى سنواته الأخيرة ، فوضع القومية فى مواجهة الدين لينتهى الصراع باستبعاد الدين فى تركيا ، وتنكر الحركات القومية له فى دائرة الهلال الخصيب ٠

لنبدا بالأتراك ٠٠

كان ظهور الاتراك وقيـــام الدولة العثمانية ، ضرورة تاريخية ، حتمتها الأحداث فى هذه الرقعة من العالم ، وقبل ظهور العثمانيين ، كانت الحروب الصليبية ثم غارات التتار قد أجبرت العالم العربى على الدخول فى مرحلة الاقطاع العســـــكرى ٠٠ والأستاذ « ســـاطع الحصرى » يقـــول ان جيش الانكشارية كان أول جيش دائم فى التاريخ ، الا ان المماليك كانوا أيضا محاربين محترفين ، وهذه كانت هى صفتهم الأساسية ، التى يشترون من أجلها ، والتى يتفرغون لهــــا ، بعد تخطى مرحلة الطفولة التى يستخدمون فيها فى الأغراض المنزلية وتلقين الولاء والمؤامرات والتسلية البريئة والشاذة لأستاذه ٠٠ الا أن المملـــوك الأمرد سرعان ما يتحول الى قاتل محترف ، وتوكل له مهمة الدفاع عن البلد ٠

ولما قهروا الصليبيين والتتار انتقلت لهم السلطة واصبح لهم حق العيش على حساب الفلاح والتـاجر والصانع ٠٠ مقابل الحماية من الغزو ٠٠ وغزوالفرنج بالذات ٠٠ اتفاقية غير حرة ، ولا كانت ثمـرة تعاقد أو عقد ٠٠ انما هى اتفاقية طبيعية، يمليها حب البقاء وهى اتفاقية شرسة بشعة تستطيع أن تقول فيهـا ما تشاء ٠٠ ولكنها هى أســـاس العلاقة منذ قطز الاتابكى الى الأشرف الغورى ٠٠ ولقد ادى الطرفان التزاماتهما كاملة ٠٠ قهر المماليك لويس القديس ، وخلصوا الثغور من قراصنة الافرنج أكثر من مرة ، وطردوا فلول الصيلبيين من الشام ، وقهروا أيضا جحافل التتار ٠٠ ودفع الفـــلاح والتاجر الأرزاق والأتاوات والمكوس والنفقـــة والمشـــــاهرة ٠٠ دفعوا الى حد الموت ٠

ومنذ النصف الثانى من القرن الخامس عشر ٠٠ اختلت الاتفاقية ، جرى على المماليك قضاء التاريخ ، فانتهوا كقوة محاربة قادرة على صد الخطر المتفاقم باخراج المسلمين من الأندلس، وظهور سفن البرتغال عند السواحل العربية ، بل مفاجآتهــا المسـلمين بالظهور فى بحر الحجاز ذاته وجنوب اليمن ٠

وابن اياس المؤرخ المصرى يفسر ظهور ســـفن الافرنج فى البحر الاحمر تفسيرا طريفا يكشف عن ملامح التاخر الذى بدأ يغزو العالم الاسلامى فيقول: «ولكن تزايد الضرر من الفرنج فيما بعد وترادفت مراكب الفرنج ببحر الحجاز حتى بلغوا فوق عشرين مركبا ، وصاروا يعبثون على مراكب تجار الهنـد ، ويقطعون عليهم الطريق فى الأماكن المخيفة، ويأخذون مامعهم من البضائع ، وسبب هذه الحادثة أن الفرنج تحيلوا حتى فتحوا السد الذى صنعه الاسكندر بن فلبس الرومى ، وكان هذا نقبا فى جبل بين بحـر الصين وبحر الروم ، فلا زالوا الفرنج يعبثون فى ذلك النقب مدة سنتين حتى انفتح وصارت تدخل منـه المراكب الى بحر الحجاز ، وكان هذا من اكبر أسباب الفساد » ٠

(الجزء الرابع تاريخ سـنة ٩١٢ هجرية ١٥٠٧ ميلادية) ٠

ولكن المماليك كانوا أعجز من أن يصدوا هـذا الفساد ، كانوا يخرجون الى الحرب متثاقلين ليعودوا منكسرين ، فيستنكر ابن اياس أن تعطى لهم الجامكية ـ أى الرواتب « وهم المماليك الأرذال الذين صار يستكثر منهم فى الديوان ، ففيهم من لايعرف يجذب القوس ، ولا يمسك الرمح وهذا أمر عجيب » بل عجز الغورى عن أن يجد شجاعا منهم يرسـله الى ابن عثمان كسفير فقد خافوا جميعا لأن ابن عثمان « رجل جاهل سفاك للدماء وكل من توجه اليه بهذا الجواب قتله » ولما طلبهم طومان باى للقتـــال يعـد

هزيمة الغورى ، وصرف لهم لكل مملوك ثلاثين دينارا أرموا تلك النفقة فى وجهه وقالوا ما نسافر حتى نأخذ مائة دينار .. » واشيع ان السلطان قال للعسكر « انتوا اخذتوا من السلطان الغورى مائة وثلاثين دينارا ولم تقاتلوا شيئا وكسرتوا السلطان واختيتوا به حتى قتل منكم قهرا » ..

ومع فسادهم كقوة محاربة ، فسدوا كسلطة حاكمة ، وانحصرت طرقهم فى زيادة موارد الدولة فى نهب التجار ومصادرة أموال المتوفين بعد عصر الورثة فى كعوبهم وأصداغهم ، حتى ان ابن اياس يغبط الغورى على وفاة ثلاثة من الأثرياء فى سنة واحدة .. ويعدها من علامات سعد السلطان !

واشتغل السلاطين بتزييف النقود ، فاصبحت عملتهم « زغل »

وعند ما كتب « ملك الغرب صاحب الاندلس » ، مكاتبة تتضمن بأن السلطان يرسل اليه تجريده تعينه على قتال الفرنج فانهم قد اشرفوا على أخذ غرناطة ، وهو فى المحاصرة معهم » فماذا كانت نجدة السلطان الأشرف قايتباى ؟ .. العجب . !!

اقتضى رايه بأن يبعث الى القسوس الذين بالقيامة التى بالقدس ، بأن يرسلوا كتابا على يد قسيس من اعيانهم الى ملك الفرنج صاحب نابل ، بأن يكاتب صاحب قشتيلية ، بأن يحل عن أهل الأندلس ويرحل عنهم ، والا يشوش السلطان على أهل القيامة » ! وكما قال ابن اياس لم يفد ذلك شيئا واخذ الفرنج غرناطه .. بل أصبحوا مصدر ازعاج ورعب للسلطان ومماليكه ، وسفنهم تقتحم بحر الحجاز وتهدد ثغر جده .. ونظرة فى تاريخ بدائع الزهور تجد ان ابن اياس لا يكاد يسجل شهرا الا ويتضمن عبث الافرنج وظهورهم عند الثغور العربية ..

المحرم ٨٧٨ وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بان الفرنج قد تعبثوا ببعض سواحلها ، واسروا من المسلمين تسعة انفار .. وفعلوا مثل ذلك فى ثغر دمياط .

رمضان ٨٨٠ وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بان بعض تجار الفرنج احتال على تجار الاسكندرية حتى اسرهم ، وكان فيهم تجار السلطان وتوجهوا بهم الى بلاد الفرنج .

جمادى الاول ٨٨٤ : وانشا بهذا البرج مقعدا مطلا على البحر ينظر منه بمن مسيرة يوم الى مراكب الفرنج وهى داخلة المدينة .. وجعل حول هذا البرج ، مكاحل معمرة بالمدافع ليلا ونهارا ، بسبب الا تطرق الفرنج للثغر على حين غفلة .

ذو القعدة ٩١١ : وفيه سافر تغرى بردى الترجمان الى نحو بلاد الفرنج واخذ معه كتاب التبرلا ، وكان قد تزايد تعبث الفرنج بالسواحل واخذ اموال التجار .

ذو القعدة ٩١٣ : عين السلطان تجريده الى بلاد الفرنج ، وقد تزايد منهم الأذى والتعبث بالناس فى البحر الملح .

ربيع اول ٩١٥ : وفيه جاءت الاخبار بان العسكر الذى توجه الى الهند قد كسروهم الفرنج كسرة فاحشة وقتلوا العسكر عن آخره ونهبوا مافى مراكبهم اجمعين فتنكد السلطان لهذا الخبر

رجب ٩١٥ : وفيه افرد السلطان على طائفة المغاربة اثنين وثلاثين الف دينار ، وكان سبب ذلك ان تغرى بردى لما توجه الى بلاد الفرنج اشترى من ملوك الفرنج عدة اسرى من المغاربة بنحو من خمسين الف دينار .

ربيع اول ٩١٦ : وفيه كاتب السلطان جماعة من ملوك الهند بان يكونوا مع السلطان عونه على قتال الفرنج الذى صاروا يتعبثون بسواحل بلاد الهند ، وقد كثر الفساد هناك ، وبلغت عدة المراكب التى يعبثون فى السواحل نحوا من خمسين مركبا ، والامر الى الله فى ذلك .

جمادى الاول ٩١٦ : وفيه جاءت الاخبار من بلاد الغرب بان الفرنج قد ملكوا مدينة طرابلس الغرب ، وهذه المدينة من اجل مداين الغرب وهى مدينة عاصية ولولا ان الفرنج تحايلوا عليها لما قدروا على ذلك ، وقتل من المسلمين نحو من اربعين الف انسان وقد جاءوها الفرنج من البحر فى مائة مركب.. فلما بلغ السلطان ذلك تنكد للغاية وكذلك الناس قاطبة .

وفيه قبض شريف مكة على ثلاثة انفار من الفرنج دخلوا الى مكة وهم فى زى الاروام .

وفيه جاءت الاخبار بان الفرنج خرجوا على الامير محمد بيك بالقرب من ساحل قلعة اياس ، فقتل ، وقتل من كان معه من الجند واخذوا ماكان معه من المراكب المشحونة وكانت نحوا من ثمانية عشر مركبا ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكد الى الغاية .. وامتنع عن الاكل يومين .

ذو القعدة ٩١٦ : وفيه جاءت الاخبار من بلاد الغرب بان صاحب تلمسان تحارب مع الفرنج وقتل منهم نحوا من عشرين الف انسان ، واستخلص منهم ما كان قد استولوا عليه من جهات الاندلس وغيرها ، فسروا الناس قاطبة لهذا الخبر .

محرم ٩١٧: وبلغ السلطان ان تغرى بردى كاتب ملوك الافرنج باحوال مملكة مصر وان السلطان ليس له همة الى ارسال تجريدة ، وان السواحل خالية ليس بها مانع .

ربيع الاول ٩١٩ : حضر هجان من مكة من مسافة تسعة ايام واخبر بان الفرنج قد ملكوا كمران وانهم يحاصروا مدينة سواكن ، وان امير مكة خرج الى جدة خوفا على البندر من الفرنج ان يهجموا عليه .. فلما جاء هذا الخبر تنكد له السلطان . الى الغاية .

ولكن نكد السلطان لم يكن يجدى .. والفرنج يحيطون بالوطن العربى ويسمون اكتشاف رأس الرجاء الصالح تطويق الاسلام .. والأمة الاسلامية لم تكن بحاجة الى اضراب السلطان عن الطعام بل الى «٣٠٠٠ مركب حربى كانت تكون الاسطول العثمانى» والى أكبر قوة عسكرية عرفها العالم فى ذلك الحين وهى جيش الانكشارية ..

لقد انهار المماليك كقوة عسكرية وجاء دور الاتراك ليقفوا تقاتل الممالك الاسلامية ضد بعضها ولفرض الحماية العسكرية على العالم الاسلامى والعربى بالذات أى عودة العقد القديم بين الفلاحين والتجار والصناع والجند الجدد ولكن بشروط أفظع .. ولكن لا خيار .. اما الفناء على يد الغزو الفرنجى المتعصب المتوحش واما قبول شروط الحماية من أبشع صور الاقطاع العسكرى ..

هذه هى القضية ، ولعلها تفسر السهولة التى اكتسح بها الأتراك العالم الاسلامى ، بل ان الجزائر وهى دائما فى فوهة المدفع بالنسبة للغزو الصليبى ، لم يفتحها الأتراك ، بل دخلت طواعية وباختيارها فى الدولة العثمانية يقول الاستاذ ساطع الحصرى ، واما دخول الجزائر تحت الحكم العثمانى ، فقد تم بدون حرب ، بل بمحض ارادة حاكمها (خير الدين) المعروف بـ (بارباروس) كان قد تكون هناك نوع من (الحكومة البحرية) تملك اسطولا قويا يشتغل بالقرصنة ، لمقابلة قراصنة اوربا ، وصار خير الدين يتغلب على أساطيل اسبانيا ، ويسيطر على غرب البحر الابيض ، ومع هذا فقد رأى ان يقدم خدماته .. وأساطيله الى الدولة العثمانية ، واستقبله السلطان سليمان القانونى وجعله قائدا عاما لأساطيل الدولة ، وانضمت الجزائر بهذه الصورة الى الدولة العثمانية .

هذه هى غريزة الأمم التى لا تخطىء .. والجزائر كما نعلم هى أول دولة عربية احتلها الافرنج بعد ذلك ..

وقد يفكر البعض اليوم فى أى الاحتمالين كان أفضل للعرب ، احتلال الفرنجة اصحاب الحضارة المقبلة أم حماية العثمانيين رمز الحضارة المتوارية.؟ الا ان هذه القضية باطلة تماما .. فلم يكن هناك خيار لأن احتلال الفرنجة لم يكن يحمل ثمة أى أمل حق فى البقاء ، وكانت عبرة الأندلس هى الدرس الذى ايقظ حواس الأمة الى عهد الجبرتى عند ما يصف الحملة الفرنسية بقوله « واوشكت القضية ان تصبح اندلسية » .

وقد روى ابن اياس ما جرى على الأندلس فقال « وفيه جاءت الاخبار من جهة الغرب بأن الفرنج قد استولوا على غرناطة التى هى دار ملك الاندلس، ووضعوا فى المسلمين السيف ، وقالوا من دخل فى ديننا تركناه ، ومن لم يدخل فى ديننا قتلناه ، فدخل فى دينهم جماعة كثيرة من المغاربة خوفا على أنفسهم من القتل . والأمر لله » .

وربما نكون نحن وابن اياس متعصبين يلون الولاء الدينى نظرتنا للأمور..فلنترك لسيدة شريفة هى الدكتورة « سيجريد هونكة » تقول : « فى ٢ يناير ١٤٩٢ .

فى ٢ يناير ١٤٩٢ رفع الكاردينال د . بيدرو جوانزاليس ده مندوزا ، الصليب على الحمراء ، وهى القلعة الملكية للأسرة الناصرية ، وكان ذلك اعلانا بانتهاء حكم العرب على اسبانيا ، فهنا فى غرناطة كانت قد انتهت العروبة فى الاندلس ، اذ كانت قد شاخت وبلغت نهايتها .. وبضياع سيادة العرب وحكمهم انتهت هذه الحضارة العظيمة التى بسطت سلطانها على القارة الاوربية طيلة العصور الوسطى ، وقد احترمت المسيحية المنتصرة خدما الاتفاقيات التى تمت بينها وبين المسلمين ، وظل هذا الاحترام قائما مدة ثمانى سنوات .. ثم وقعت احداث قضت على المسلمين وبقايا ثقافتهم وحضارتهم ، وتعرضوا للاضطهادات الشنيعة فقد حرم عليهم الاسلام وتعاليمه ، واوامره ، كما حرم عليهم استخدام اللغة العربية وحتى نطق كلمة عربية او اغنية عربية او شعر عربى ، كما حرموا عليهم ايضا حتى العزف على الآلات الموسيقية العربية واستخدام الاسماء العربية وارتداء لباسهم القومى وزيارة الحمامات وفرضت المسيحية على من يخالف هذا من المسلمين اشد العقوبات من سجن وطرد وحرق ، والمسلم على قيد الحياة .

وهكذا تم النصر على العروبة وذلك عن طريق مختلف انواع الاضطهاد من حرق وقتل وتعذيب .

صدقت الدكتورة سيجريد .. وحقا ليس كل « الدكاترة حجامين » ..

ثمانى سنوات .. ثم أبيد العرب .. ونحن حكمنا الاندلس ثمانية قرون ، فعاشوا تحت حكمنا وتكاثروا ، وتعلموا ، واستحموا ، وتسلموا .. ثم تعصبوا وقضوا علينا ..

كانت شمس حضارتنا توشك على المغيب .. فى رحلة نحو فجر جديد .. واقبل المساء بعد يوم حافل .. لقد كان يوما صاخبا مثيرا مرهقا ورائعا حقا .. لم يمر على البشرية يوم مثله نبه ضميرها ، وأيقظ عقلها ، وفتح عينيها على ما فى هذا الكون من امكانيات الحياة والمتعة .. ما من حضارة قبلنا

قد أقبلت على الحياة كما أقبلنا .. فلم نعرف زهد العاجزين ولا لذة اليائسين .. الحياة عندنا متعة لا كأس ننتحر بتجرعه في شراهة .. ولا شر ننأى عنه ما وسعنا ..

لقد طال يومنا عشرة قرون .. وآن أن يأتي المساء . فهذه سنة الكون .. لنغفو حتى تشرق شمس الآخرين ..

صحيح ان لحظة الغروب طالت ، واننا وشمسنا تنحدر الى المغيب ، قد أفزعنا أوروبا ، ودقت أكفنا أسوار فينا..وسددنا الطريق على الغزو الاستعماري للشرق وأجبرناهم على الالتفاف حولنا ، وما زال الرعب في قلوب أوروبا الى اليوم .. ولكنه رغم ذلك كان الغروب .. كان العملاق يغفو .. وعندما مات سليمان ، ظل الجن سنوات وسنوات في العذاب المهين ، لايجرءون حتى على الاقتراب منه للتأكد من موته .. وحتى في عتمة الليل كانت ذكريات النهار تعيش في أحلامنا ، فنحتقر الافرنجي الذى طالما هزمناه ، وكان لنا من اتساع رقعتنا ، وتفوقنا العقلي والعقائدي مبررا للاستهانة بالعدو حتى التقى مراد بك وابراهيم بك بجيش نابليون .

بقيت كلمة ..

فكثيرا ما يقال ان الدولة العثمانية كانت دولة دينية ، وان جميع الارتباطات بها هي ثمرة العصبية الدينية ، وان الجدل حولها بين متعصبين للاسلام ، وعصريين ..

والحق ان هذا غير صحيح .. فان العثمانية كانت في بدايتها ونهايتها قضية سياسية وقومية ، أضعف جوانبها هي العصبية الدينية .. فمنذ بداية هذه الدولة ورعاياها لا يحملون لها ذرة من الاحترام الديني أو المدني .. وابن اياس يصف مواخير وليست معسكرات الجيش العثماني .. حيث اجفان الحشيش وقصاع البوظة .. وخيام الغلمان كفتيات الجيشا ..

ولكنها الضرورة التاريخية الفت بمجتمع يحيط به الفناء ، الى حماية أقوى عناصره عسكريا واكثرها تخلفا من الناحية الحضارية .. وهم المحاربون العثمانيون .. فحموه ثلاثة قرون .. والبعض يضيف وفرضوا عليه التخلف أيضا .. ولكن .. أصحيح انها كانت غلطة الأتراك ؟ . هل كان يمكن والعالم يستقبل مرحلة النظام الرأسمالي أن يقوم هذا النظام بين المسلمين ؟ .. أيمكن للخلق الاسلامي والفكر الاسلامي والتشريع الاسلامي أن يسمح بقيام نظام استغلال رأس المال ؟ .. ألم نبدد القرن الماضي كله في محاولة ، تعديل الاسلام ، ليسمح بالاستغلال الراسمالي والربا الراسمالي ؟ .. الا يمكن القول بأن ما تم كان دورة طبيعية تحتم فيها على المسلمين أن يتراجعوا بدينهم الى أن تنهار الحضارة الراسمالية ليعودوا بعدلهم وتكافلهم الى مسرح الحضارة من جديد ...

(أسئلة تحتاج الى من يجيب عليها) .

وحسبنا في هذه الدراسة ان نقف عند هذه الحقيقة .. وهي ان قيام الدولة العثمانية في الوطن العربي كان ضرورة تاريخية لمجابهة خطر الافناء .. وليس عصبية دينية ..

فماذا عن انهيارها ولماذا اختلفنا حول التركة ؟!

ولنا عودة ..

« محمد جلال كشك »



من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس

المشهد العاشر

بقلم : على أحمد باكثير

فى المسجد الاقصى

(يرى عمر عقب صلاته باصحابه وهو ينفض الغبار الذى علق به من الارض وكذلك يفعل اصحابه)

عمر : (فى تلاوة خاشعة) سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير .

الجميع : (يتمتمون) صدق الله العظيم .

عمر : خبرنى يا عبد الله بن سلام هل أصبنا المسجد الأقصى فى صلاتنا الساعة ؟

ابن سلام : أجل يا أمير المؤمنين .. هذا الموضع الذى صلينا فيه الساعة من المسجد الأقصى لا ريب.. هنا كان محراب داود .. وعلى هذا الفناء كله كان يقوم معبد سليمان .

عمر : الحمد لله على ما أنعم حمدا كثيرا اذ صلينا حيث صلى محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة أسرى به .

رومانوس : الك تنوى يا أمير المؤمنين أن تتخذ لنا مسجدا فى ايلياء ؟

عمر : نعم .

رومانوس : فهلا اتخذته هنا فى هذا المكان المقدس ؟

عمر : أى والله يا أبا الروم لقد هداك الله الى صواب

كعب : لكنى يا أمير المؤمنين لا أشير عليك بذلك .

عمر : ولم يا كعب ؟

كعب : أخشى أن يعترض اليهود والنصارى أو ينازعونا فيه .

عمر : ويلك .. انا لم نظلم أحدا من أهل ايلياء .. فقد تركنا لهم معابدهم وكنائسهم وصلبانهم ، اما هذا المكان فقد تركوه مهجورا .. فنحن أولى به منهم .

كعب : أليس أفضل من ذلك يا أمير المؤمنين أن نبنى مسجدنا فى بقعة جديدة فيكون للمسلمين خاصة لا ينازعهم فيه أحد ؟

عمر : ماذا ترى يا أبا الروم ؟

رومانوس : اما ان رأى كعب لعجيب يا أمير المؤمنين . أيخشى أن يترك النصارى كنائسهم ويزاحمونا على هذا المسجد .

كعب : ان لم يزاحمنا النصارى فقد يزاحمنا اليهود .

رومانوس : أنسيت يا كعب كتاب الصلح الذى بيننا وبين أهل ايلياء ؟

كعب : ما باله ؟

رومانوس : ليس لنا بمقتضاه أن نعطى اليهود حقا فى ايلياء غير حق الزيارة والحج .

كعب : فهذا من حق الزيارة والحج .

رومانوس : كلا لقد أهمله اليهود منذ هدمه عبدة الأوثان من الرومان وبنوا على أنقاضه معبدا لالههم جوبتر ونصبوا فيه تماثيل ملوكهم ، ثم جاء النصارى فهدموا ذلك المعبد الوثنى فأصبح هذا المكان المقدس مهجورا من اليهود والنصارى على السواء من يومئذ .

ابن سلام : لقد صدق أبو الروم يا أمير المؤمنين .

عمر : أحسنت يا أبا الروم أحسن الله اليك .. والله لكأنما ادخر الله لنا هذا المكان المقدس لنعمره مسجدا .. ونحن ورثة الأنبياء . ان أول الناس

بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين .

روماتوس : ولعل الله ما أسرى بنبينا الى هذا المكان وسماه المسجد الأقصى في كتابه العزيز الا لما قضى في سابق علمه أن المسلمين سيفتحون هذه الديار ويقيمون هذا المسجد نورا على نور .

عمر : ما أحسن ما قلت يا أبا الروم والله لقد شرحت صدري وزدتني يقينا .

روماتوس : شرح الله صدرك يا أمير المؤمنين ووفقك لما يحب ويرضى .

عمر : فاشيروا على الآن أين ترون نجعل القبلة ؟

كعب : عندي بذلك علم يا أمير المؤمنين .

عمر : قل يا كعب .

كعب : اجعلها خلف الصخرة لتكون القدس كلها بين يدي المصلي .

عمر : ضاهيت اليهودية يا كعب .. انا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة .

كعب : يا أمير المؤمنين انما أردت أن نولي وجوهنا شطر الكعبة من خلف الصخرة فنجمع القبلتين قبلة موسى وقبلة محمد عليهما السلام فهل في ذلك بأس ؟

عمر : لا بأس ان شاء الله يا أبا اسحاق ، مادولينا وجوهنا شطر المسجد الحرام .

ابن سلام : على رسلك يا أمير المؤمنين .. هل تبغى أن تخرج محراب داود ومعبد سليمان من المسجد ؟

عمر : اللهم لا ..

ابن سلام : اذن فلا تجعل قبلته خلف الصخرة .

روماتوس : لقد صدق عبد الله بن سلام يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف يا أبا الحارث .

ابن سلام : الصخرة كما ترى هناك في الجانب الشمالي ، والكعبة الى الجنوب ، فلو جعلنا القبلة خلف الصخرة لخرج هذا المكان كله من المسجد .

عمر : ويحك ياكعب هل غاب عنك موضع الصخرة من الكعبة ؟.

كعب : (يتغير وجهه قليلا) لا يا أمير المؤمنين ما فاتني ذلك ولكن في وسعك أن تدخل هذا المكان في المسجد وتجعل قبلته خلف الصخرة مع ذلك .

عمر : كلا يا كعب .. بل تجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورها .

كعب : ما كنت أعلم ذلك يا أمير المؤمنين وما أردت الا الخير .

عمر : انما الاعمال بالنيات ياكعب وانما لكل امرىء ما نوى .

كعب : فابنه يا أمير المؤمنين كما رأيت وتوكل على الله .

عمر : (ينظر جهة الشمال) : اذن فذلك موضع الصخرة ؟

ابن سلام : أجل يا أمير المؤمنين .

عمر : أهكذا هي منذ كانت ؟

ابن سلام : لا يا أمير المؤمنين ماكانت هكذا .. وما تراكمت عليها هذه الأتربة الا منذ اتخذها الروم كناسة لهم .

عمر : قاتلهم الله ألم يجدوا الا هذه البقعة المقدسة ؟

روماتوس : أرأيت يا أمير المؤمنين كيف أهمل هذا المكان المقدس من قبل اليهود والنصارى على السواء .

عمر : حق علينا معشر المسلمين قبل أن نقيم مسجدنا أن نرفع هذه الكناسة ونطهر منها الصخرة .. هلم أيها الناس نرفع اليوم منها ما تيسر .. (يشمر عن ساعديه ويتوجه نحو الشمال ومن خلفه الناس)

كعب يصيح بأعلى صوته ، الله أكبر ، الله أكبر .

عمر : ما هذا يا كعب ؟ ما حملك على التكبير ؟

كعب : يا أمير المؤمنين قد تنبأ على ما صنعت نبي منذ خمسمائة سنة .

عمر : يا أبا الحارث هل لديك بذلك علم ؟

ابن سلام : لا يا أمير المؤمنين ما عندي بذلك علم .

عمر : الا تكف يا كعب عن أضاليلك وأباطيلك .

كعب : يا أمير المؤمنين ان ما قلته لحق .

عمر : اذهب اليك .. لقد ضاهيت اليهودية ، وقد رأيتك وخلعك نعليك .

كعب انما أحببت أن أباشر الارض بقدمي .

عمر قد رأيتك ! والله لئن عدت الى مثلها لأوجعتك .. هلم أيها الناس الى الصخرة .

(يتوجه نحو الشمال وخلفه الناس) .

(ستار)

« علي احمد باكثير »

الأدبُ العربي في شمال القوقاز

بقلم : محمد منير مرسي

عندما كنت أتعرف بالمؤلفات القيمة لكراتشكوفسكي عن الأدب العربي ، وقع بصري على العنوان الذي يعلو هذه المقالة . ودهشت لهذا العنوان الذي ربط بين أدبنا العربي وبين شمال القوقاز . فلم يخطر ببالي أن يكون شمال القوقاز أرضية لأدبنا في العصر الحديث . واخذت اقرأ باستمتاع تلك الصورة الجميلة التي رسمها كراتشكوفسكي بريشة الفنان الأصيل . وعلمت منها أن اللغة العربية ظلت عدة قرون اللغة الأدبية الوحيدة التي كانت تستخدم في العلم وفي نواحي الاتصال اللغوي المختلفة في شمال القوقاز . وأن هذه اللغة عملت على تطوير تراث ثقافي استطاع أن يخلق علماء في اللغة والأدب والدين والتاريخ .

ويتضح مما نقل عن كتاب «آثار داغستان» لحسن الآلقاداري (١٨٣٤ - ١٩١٠) أن تأثير التراث العلمي العربي وصل الى داغستان بصورة مباشرة عن طريق الحج والزيارات المباشرة للبلاد العربية وتحت التأثير المباشر لبعض الشخصيات كمحمد بن موسى الذي زار مصر والحجاز واليمن ، والذي يسميه الآلقاداري بأنه أول عالم نشر العلوم والفنون العربية في داغستان .

ومن الممتع في هذه الصورة قصة كفاح أهل داغستان ضد السيطرة القيصرية ، وأسر زعيمهم «شامل» مما ترتب عليها وجود آثار تاريخية هامة باللغة العربية ، وتولد عنها كثير من أدب الرسائل والاتصال بالعربية أيضا .

وهناك صورة أخرى لا تقل امتاعا عن سابقتها : ففي العقد الثاني من القرن العشرين حدث أن أرسل طالبان من القوقاز لاكمال تعليمهما في معهد لينينجراد للغات الشرقية . وكانا لا يعرفان الا لغتين : لغتهما الوطنية ، واللغة العربية . وكانا يتحادثان بطلاقة تامة باللغة العربية في مختلف الموضوعات . بل ان أحدهما كان يكتب أشعارا منظومة على حسب أصول وقواعد العروض العربي .

وينقل كراتشكوفسكي عن « الشوكاني » في كتابه « البدر الطالع » قوله : انه قابل في صنعاء أحد علماء داغستان وانه سأله عن سبب رحيله من بلده ، ألم يكن من أجل أداء فريضة الحج . فأجابه بأنه جاء ليبحث عن كتاب قيل له انه موجود في صنعاء ويعلق الشوكاني على كلام هذا الداغستاني بقوله : ان اجابته كانت بلسان عربي مبين ، على درجة عالية من البلاغة والفصاحة ، وبلغ من حسن تعبيره وروعة ملفظه انني دهشت لدرجة أن اقشعر بدني .

وقد ذكرتني هذه القصة بحادثة وقعت معي . ففي أول زيارة لي لمعهد شعوب آسيا في موسكو التقيت بشخصية شرقية الملامح . وما ان عرف صاحبها أنني عربي حتى توجه الى بأسلوب عربي فصيح لا عوج فيه ولا التواء مما جعلني أعتقد بأنه أحد أبناء البلاد العربية الذين يدرسون في هذا المعهد . وامتد الحديث بيننا فسألته عن دراسته فأجابني بأنه لا يدرس في هذا المعهد وانما يعمل مساعدا لمديره . وهنا خطر ببالي أن مساعد مدير لمثل هذا المعهد لا يمكن أن يكون عربيا . فسألته عن موطنه ، فكانت دهشتي الكبرى عندما أجابني بأنه من بلاد القوقاز .

وهناك في معهد شعوب آسيا قابلت الاستاذ شرباتوف ، المستشرق في اللغة العربية ، وصاحب الجهود القيمة في دراسة اللهجة المصرية . وعبرت له في حديثي معه عن اهتمامي بالموضوع الذي أثاره كراتشكوفسكي عن الأدب العربي في شمال القوقاز . وختمت كلامي بابداء الرغبة في الاطلاع على دواوين بعض شعراء القوقاز . فأجابني بأن من يستطيع مساعدتي في هذا الموضوع هو « محمد سيدوف »

الداغستانى . وأشار على بالاتصال به . وفعلا ارسلت له خطابا عبرت له فيه عن رغبتى . وبعد أيام تسلمت منه خطابا باللغة العربية الفصحى وبخط جميل منمق وباسلوب عربى مبين يقول لى فيه ..

« ..... شكرت اهتمامكم بأدبنا الداغستانى باللغة العربية . ولعمرى ان دراسة هذا الموضوع لطريف وجدير بالالمام والاهتمام . وقد كان المرحوم الاستاذ كراتشكوفسكى قد الم فى آخر حياته بالأدب المحلى الداغستانى بالعربية . والكاتب أمده آنئذ ببعض نماذج من شعر هذا الأدب الفريد ، ثم أصدر مقالته « الادب العربى فى شمال القوقاز » ونرى من الأوفق تسمية الموضوع الفريد « بالأدب الداغستانى بالعربية » لأن التربة التى ولد فيها هذا الأدب ونما وتطور وازدهر هى داغستان بالذات فقط . وقد أرسلت لكم نسخة من معروضتى ... ومن واجبى أن أنوه الى أن هذه المعروضة هى خلاصة مازاولته ومارسته عدة سنوات من التدقيق العلمى فى هذا الموضوع » .

« ان الدواوين والأشعار العربية للداغستانيين أغلبها مخطوطات مبعثرة ، غير مجموعة فى مكان واحد .... واقبلوا فائق تحياتى ومزيد فرحى مما أنتم عازمون على دراسة الادب العربى فى داغستان، وعظيم ارتياحى من اناطة درس اللغة العربية فى تاجيكستان بعربى قح من صميم أرض الكنانة ، وفقكم الله لخدمة العلم وتطوره . الله اكبر والعزة والمجد للعرب . »

محمد سيد بن جمال الدين الاوارى الداغستانى

« ما حاج قلعة »

ووجدت مع الخطاب كتيبا صغيرا بالانجليزية ترجمة لدراسته عن هذا الموضوع وبعد أيام اخرى أرسل لى نسخة بالعربية من هذه الدراسة كان قد القاها باللغة العربية فى المؤتمر الدولى الخامس والعشرين للمستشرقين الذى عقد فى جامعة موسكو فى أغسطس من سنة ١٩٦٠ . وخلاصة ما يقوله الأستاذ « سيدوف » أن الأدب العربى فى داغستان ظهر فى الوقت الذى بدأ فيه تدهور الثقافة العربية بصفة عامة . لأن الأدب الداغستانى العربى بدأ نموه فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر . وكانت الأرض التى رعت هذا النمو، البيئة المحلية لداغستان . ومن هنا كان هذا الادب مصدرا هاما بل مرآة تنعكس عليها التطور التاريخى لهذا البلد . ومع أن أعمال الكتاب الداغستانيين فى ذلك العصر لم تدخل فى نطاق ثروة الآداب العالمية - مثلما حدث للأدب العربى العام - الا أن لها دلالة هامة من حيث انها تعطى صورة حية للأحداث التاريخية والأوضاع المحلية لهذه الأقوام الجبلية .

ويمتاز الأدب العربى الداغستانى - باعتباره وسيلة للتعبير - باسلوب واضح متناسق ، وتعابير غنية وافكار غزيرة ، كأنه نموذج من الأدب العربى فى عصوره الذهبية الغابرة . وهناك اتجاهان واضحان لتطور الأدب العربى الداغستانى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر :

أولهما : يتمثل فى المدائح الالهية والنبوية التى جادت بها قرائح الشعراء الداغستانيين تحت تأثير الاشعار العربية فى الالهيات والمدائح النبوية . ويغلب على هذا الاتجاه السطحية والتكرار اللفظى والتعبيرات الجوفاء مما أدى الى رداءة النظم الشعرى. ومن شعراء هذا الاتجاه : على بن محمد البغدادى التارغووى ، والشيخ على الغوموقى . والعالم كلا محمد الكاطروخى وشعبان بن اسماعيل العومورى ، وآقاميرزا القاعانى ، ودبيرقادى الاوارى وغيرهم .

ثانيهما : هو الاتجاه الذى يمثله الشعراء الداغستانيون الذين تغنوا بالوقائع التاريخية المعاصرة ، والحياة الواقعية ، وعكسوا صورتها فى أشعارهم فمثلوها أصدق تمثيل. وهم أنفسهم كانوا يشاركون فى تلك الحوادث بأقلامهم ومواهبهم . وهذه المواهب كانت مطبوعة بطابع خاص يميزهم . بل انهم كتبوا فى مختلف الاغراض الشعرية من حماسة ، ونسيب ، ومديح وزمانيات وهجاء ..

ومن شعراء هذا الاتجاه فى داغستان ، العالم الشهير سعيد الهاراكانى والعالم الحاج محمد السوغورى ، والعالم عبد اللطيف الجوزى ويوسف الياخساوى ، وميرزا على الآختى ، والشيخ أمير الغوموقى وحسن الآلقادارى ، ومحمد الهيهالى وغيرهم .

أما الطور الجديد للادب العربى الداغستانى فيبدأ فى أوائل القرن العشرين . وقد تمكن ممثلوه من الاطلاع والوقوف على بعض الاحداث السياسية الهامة . ويمتاز هذا الطور الجديد بوجود صلات بينه وبين الآداب المختلفة لروسيا القيصرية وبخاصة الأدب « التترى » الذى خطا خطوات الى الأمام آنذاك . ولم يعدم هذا التطور الجديد فى الأدب العربى الداغستانى تأثره بالبلاد العربية كمصر وسوريا .

ونتيجة لهذا التطور الجديد بدأ التجدد والانتعاش فى شخصية الشعراء ووعيهم ، واطلعوا على آثار وأفكار علماء الشرق والغرب مما أدى بالضرورة الى تطور فى الادب من حيث وضوح الرؤيا واتساع أفقها .

ومن بين الشعراء البارزين فى أوائل القرن العشرين ، محمد بن عبد الرشيد الهاراكانى المتوفى سنة ١٩٢٨م ، وله قصائد رنانة وأشعار خلابة منها قصيدته « يوم العواء » التى قالها فى معركة « عايا قاقا » بين الثوار الغدائيين الداغستانيين وأتباع الجنرال « دينتكين » فى جبال داغستان سنة ١٩١٩ ، والشاعر على السوغورى ، وحسن كوزون الفوموقى ، وفخر الدين الآرغانى والشاعر العظيم محمد القمرى ، واسماعيل الشولانى ، ومحمد نور ، ومكة شريف الكيمراويان وغيرهم .

وان خصائص اللغة العربية للأدب الداغستانى ، تحمل طابع التطور التاريخى لداغستان وان هذه اللغة فى تطورها لها أهميتها التاريخية ، ولها أهميتها كمادة ممتعة للنقد الأدبى ولعلم اللغة العربى بصفة عامة ، لأنها تساعدنا على تكوين صورة واضحة لتطور فرع من فروع الأدب العربى .

محمد منير مرسى

العائد

للشاعر : عبد الوهاب قناية

رباه .. ابصرت الطريق .. وعدت أدراجى أسير
وغسلت بالعبرات آثامى وأدران الفجور
وأفقت .. ويحى .. كم زرعت وكم حصدت من الشرور

***

قد شدت يارباه .. سجنا .. فيه أصبحت الأسير
وعقدت مشنقة بجيدى . . خلتها عقد الزهور
وعصبت عينى ثم سرت . . وقلت : ما غيرى بصير
وسجدت للشيطان أسلمه زمامى والمصير
وعلى أتون الاثم أحرقت الليالى كالبخور

***

وأفقت يا رباه من سكرى . . وعاودنى الشعور
فنظرت أتلو فى كتابى ما حفرت من السطور
فوجدتنى فى القاع . . وسط الطين والليل الضرير
ووجدت أسواط الرذيلة حطمت عودى النضير
ووجدت انى قد غرست البذر فى بطن الصخور

***

فبكيت ياربّاه أمحو عمرى الماضى المرير
وأذبت بالعبرات أغلالى .. وحررت الأسير
وهناك أبصرت الطريق .. فعدت أدراجى أسير
رباه فارحمنى .. وبارك عودتى .. أنت الغفور

عبد الوهاب قناية

النثر عند حافظ ابراهيم

بقلم صديق شيبوب

كل شـــاعر ناثر • هـذه قاعدة اذا تدبرناها وجدناها مستمدة من منطق الامور وحقيقة الأوضاع وخصائص الشعر ولوازم النثر •

والشعر فن • ولكل فن صناعته وخصائصه • ومن خصائص الشعر وضروريات صناعته أن يتعمد الشاعر اختيار الألفاظ ذات الجرس الخاص والايقاع المنشود ، وان يعنى بتنسيق عباراته بحيث تدل فى ايجاز على المعنى المقصود ، تدل عليه الالفاظ المختارة والعبارات المتآلفة والجمل المصوغة •

والشاعر يتعود اختيار الكلمات وتأليف العبارات وموسيقى الألفاظ •وبعبارة أخرى الالفاظ والعبارات فى موسيقى تدل على المعنى • انه يتعود ذلك حتى تصبح عنده سليقة تنسرح على قلمه سواء نظم الشعر أو استرسل فى النثر •

والنثر ليس مجرد الفاظ تؤلف لتأدية معنى من المعانى • انه صناعة فنية تحتاج الى براعة أدبية وقيم موسيقية لايجاد المعادلات الصوتية والموازنات الايقاعية بين الجمل سواء أكان هذا النثر مسترسلا مكتوبا أم مسموعا •والنثر يحتاج الى جمال وطلاوة ، والى ألفاظ مختارة وعبارات منقحة مصفاة •

والشاعر يتدبر هذه القيم منـذ نشأته ويجد فى احساسه الشعرى وفنه الايقاعي معينا وهاديا ودليلا• فاذا نقل هـذا الفن الذى حذقه الى النثر تماسـكت عباراته ارتالا وانسالت جمله انسيالا •

ولاعجب اذا رأينا بعد ذلك أن كبار الكتاب الذين طبعوا النثر بطابع خاص كانوا ممن عالجوا النظم فى مستهل حياتهم الأدبية •

واذا كان التـاريخ قـد أغفل الاشـــارة الى هذه الظاهرة فى ســيرة أمثـال عبد الحميد الكاتب أو ابن المقفع فلعله فعل ذلك لتغلب النثر على آثارهما ، أو لأنهما لم يجمعا بينه وبين الشعر مثل بديع الزمان وابن زيدون وأبى العلاء •

ونستطيع أن نعـد **حافظ ابراهيم** فى زمرة هؤلاء النوابغ الذين جمعوا بين الشعر والنثر وبرزوا فيهما على الســواء • ولقد كانت مواهب حـــافظ الأدبية وسليقته الشعرية ، وما اشتهر عنه من وفرة الحفظ وقوة الذاكرة ــ كل هذا يؤهله لتبوء هذه المكانة •

ومن المعروف عن حـافظ أنه لم يستكمل دراسته المدرســية وانما تثقف على هــواه فأكثر من المطالعة والاقبال على أمهات الكتب وخاصة كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ، ودواوين كبــار الشعراء ، كما صحب طائفة من كبـار علمـاء عصره الذين كانوا يحضرون مجالس الشيخ محمد عبده •

وقد وصفه صــديقه وصفيه الشيخ **عبد العزيز البشرى** أنه رزق خلالا ثلاثا لا تستوى للكثير : الأولى سلامة الذوق ، والثانية قوة الحافظة ، والثالثة طلاقة اللسان •

وتهمنا الخلتان الأوليـان • فقد كان حافظ يحس بجمال النصوص التى يطالعها وبروعتها ويحفظها عن ظاهر قلب فتستقر فى عقله البــاطن حتى اذا عالج الكتابة ظهر أثرها فى تلك العبارات الجميلة التى كان يصوغها والجمل الرائعة التى كان ينثرها • وهكذا تكاملت لحافظ حسن الصياغة وجمال العبارة وبلاغة الألفاظ وحلاوة الجرس •

ويظهر بعض هذا فى الـــكتاب الذى بعث به من السودان الى الشيخ محمد عبده يسأله فيه التوسط لرجوعه الى مصر ، ولعله أول أثر نثرى تخلف عنه ، وهذه الرســالة تقف الى جانب رسـائل الهمذانى والخوارزمى ولا تقل عنهما حسن أداء وبراعة صياغة• انه يقول : « واليوم أكتب اليـــك وقد قعدت همة النجمين وقصرت يد الجديدين عن ازالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد • فلقد نماضب ضغنه على،وبدرت

بوادر السوء منه الى ، فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم ، وآلامى كأنها جلود أهل الجحيم ، كلما نضج منها أديم تجدد أديم ٠٠٠ »

وهكذا نجد حافظا ينحو فى رسالته منحى المتقدمين من كتاب اللغة وكبار أدبائها فى نزعة شعرية وصور ذهنية ٠ وقد كان هذا النوع من الصياغة متفشيا فى ذلك العهد ، نجده فى صهاريج اللؤلؤ للبكرى وفى بعض حديث عيسى بن هشام للمويلحى ٠

على أن حـافظا لم يلبث أن تخلص من هذا الأثر ومشى فى طريقه فى النثر باسلوب هو الصميم من العربية مع خلوه من التقليد أو المحاكاة ٠

فعل ذلك فى قصة « **البؤسـاء** » الشهيرة للشاعر الفرنسى فيكتور هوجو ٠ وهى طويلة ٠ وقد ترجم حافظ فصلين منها ونشرهما سنة ١٩٠٣ ٠ وقد طبع الكتاب على نفقة احمد حشمت باشا بعنوان « كتاب البؤساء ـ وضـعه فكتور هيجو وعربه محمد حافظ ابراهيم ـ الجزء الأول » ٠

ومن المعروف أن المتقدمين من العرب كانوا يرون أن الترجمة على نوعين ، اما ترجمة للأصل حرفية أو معنوية فقط ٠ ويقول الصلاح الصفدى ان الطريقة الأولى رديئة لوجهين : أحدهما أنه لايوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية (وكان الكلام اذ ذاك منصبا على الترجمة عن هذه اللغة)٠٠٠ والثـانى أن خواص التركيب والنسب الاسـنادية لاتطابق نظيرها من لغة أخرى دائما، وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجـازات وهى كثيرة فى جميع اللغات ٠

وقد أخذ حافظ بنظرية الصلاح الصفدى وسلك الطريقة الثانية متصرفا فى الأصل من حيث التعبير ٠ ولم يكن له أن يفعل غير ذلك لأن الطريقـة الأولى ـ الترجمة الحرفيـة للأصل ـ تقتضى معرفة جيدة للغة المترجم عنها ، وهذا ما لم يكن يتوفر لحافظ ، بل قيل انه كان له المام بسيط باللغة الفرنسية وانه كان يستعين على الترجمة ببعض اصدقائه ٠ وهكذا نجد حافظا لا يتقيد بتقسيم القصة الى أجزاء وفصول ويصـدف عن كل مالايستطيع التعبير عنه بالعربية تعبيرا فصيحا يتساوى مع البلاغة التى توخاها فى كل الكتاب ، ويصدف عن كل مالا يستسيغه المطالع العربى ٠ ويأخذ حافظ على هوجو سرعة الانتقال من موضوع الى موضوع لأنه ينتقل طفرة من سردالعظات الى الخوض فى السياسة مما حمله على الشكوى من الجهد الذى عاناه فى تعريب الكتاب ٠

وترجمة حافظ على طريقـة نقل المعـانى فقط والاكتفاء من الاصل بما يسـتطيع تأديته فى بلاغة وفصاحة قد جعلت من « كتاب البؤسـاء » نموذجا رائعا للأسلوب العربى الرصين ٠ وقد وصفه الشيخ ابراهيم اليازجى حين كتب مقرظا الكتاب عند ظهوره فقال :

« اما لغة الكتاب فهى النهاية من البلاغة وحسن الترصيف ، ولا سيما الصفحات الأولى من المقدمة وما يليها ، وهى التى كان المعرب فيها مالكا عنان قلمه يصرفه بوحى فكره فيجرى حرا طليقا لاينساق الا حيث يسوقه وجدانه ، ولا يرسم الا ما يرتسم فى مخيلته ٠ فترى الكلام منسجما متراجع الفقرات لا يعترضه تكلف ولا تعسف ، ولا يرجع المطالع فيه على عبارة قرأها » ٠

وبعد أن تناول الشيخ اليازجى بالنقد الصفحات الأولى من القصة المترجمة حيث وجد أثر كد القريحة قال ان الكاتب استأنف ارتياحه وعاد قلمه الى مثل جريه الأول ورأيت الكلام متراصفا يساوق بعضـه بعضا فى غير تكلف ولا تصنع ٠

هذا ما قاله الشيخ اليازجى عند ظهور « كتاب البؤساء » والحق ان حافظا ظل يعالج عبارات اللغة والفاظها فى كتابه حتى أخرجه فى ديباجة عربيـة ناصعة لا يظهر فيه أثر للترجمة ٠ ولا عجب فقـد سلخ حافظ عاما كاملا فى تعريب هذا الكتاب الذى يقع فى ١٥٤ صفحة من القطع الصغير ، لأنه كان ينحت الألفاظ نحتا ، ويصقلها صـقلا ، ويتخير الاستعارات والمجازات فتتسابق الى قلمه حتى لايكاد يخلو منها سطر واحد ٠

وليس أدل على طريقـة حافظ فى تخير الألفاظ وتنسيق العبـارات من هذه الصفحة فى مستهل كلامه عن فكتور هوجو ، فهى أجمل ما كتب رصانة تركيب وموسيقى ألفاظ وعذوبة تعبير :

« ولد هيجو والقرن الغـابر صبى فى مهده لم يدرج فى حجر أمه ، ولم يفرق بين أمسه ويومه ٠ فاصطحبا طفلين ثم افترقا ، وضرب الدهـر بينهما بضرباته فالتقيا شيخين فانيين ، فاذا الأول سيد القرون ، واذا الثانى نادرة البطون ٠ هذا يمشى على

قدميه من ليل ونهار ، ويطير بجناحيه من كهرباء وبخار ، وذلك يتوكأ على عصوين من عظة واعتبار ، ويرتدى بثوبين من حكمة واختبار . وقد جلس الاول على سرير دولة الايام ، وأخذ الثانى بصولجان دولة الاقلام ، فالتقت دولة العجب بدولة الادب ، واجتمعت بدائع الاختراع ببدائع اليراع ، فاخضل ظل هاتين الدولتين ، وامتد من المغربين الى المشرقين فظل الناس بين نعيم الحرية ونعيم المدنية » .

ويجب أن ننتظر الى سنة ١٩١٢ حتى يصدر جزء آخر من ترجمة قصة البؤساء .

وقد جرى حافظ فى ترجمة هذا الجزء على الطريقة التى نسج على منوالهــا فى ترجمة الجزء الاول من حيث عدم التقيد بالاصل ، وتوخى فصاحة الاسلوب وبلاغة العبارات وتخير الالفاظ ، بل لعله غالى بعض الشىء فى تخير الالفاظ حتى استعمل منها الكثير غير المألوف واضطر الى تفسير معانيها .

بين هذين العهــدين ونشر الجزءين ، وفى سنة ١٩٠٨ على وجه التحديد ، نشر حافظ ابراهيم الجزء الاول من « ليــالى سطيح » الذى كتبــه فى اوقات متفاوتة واحيان متباعدة ، ولعله تأثر فى فكرة روايته على لســان سطيح ، أحــد الكاهنين المعــروفين فى الجاهلية « شــق » و « ســطيح » ، بكتاب « حديث عيسى بن هشام » الذى بعث فيه المويلحى أحد سراة مصر الغابرين ليشهد تبدل الحال وتغير الأوضاع . ولكن سطيح يختلف عن حديث ابن هشام من حيث الاسلوب والموضوع .

فى ليالى سطيح يخرج « أحد أبناء النيل » ذات مساء وقد « ضاقت عن النفس مساحتها لهم نزل به وأمر بلغ منه » فما يزال يسير والليل حتى اذا صار « من الأهــرام أدنى ظــلام » طرق ســمعه « صــوت انسان يسبح الرحمن » فتقصد مصدر الصوت فاذا به يقول « ... خرج يروح عن نفســه ، ويتخفف من نكسه ، فكشف له عن مكانى ، وقد آن أوانى ... » وصار «أحد أبناء النيل» يلتقى فى كل ليلة بالصوت فيحــدثه سطيح عن موضـــوع عالق بالاجتماع أو الأدب أو السياسة .

وأسلوب حافظ فى ليالى ســطيح لا يختلف عن أسلوبه فى « كتاب البؤساء » من حيث قوة الأداء وتخير الألفاظ والعناية بالاستعارات . وهو يقصد السجع اذا دان له ، خصوصا فى مطالع الفصول او فى مطالع كلام سطيح ، مثل قوله : « اديب بائس ، وشاعر يائس ، دهمته الكوارث ، ودهته الحوادث فلم تجد له عزما ، ولم تصــب منه حــزما ... » وقوله : « وكنت مع نفسى فى وحدة الضيغم ، ومن همومى فى جيش عرمرم ... » ويكفى أن تفتح اى صفحة من كتــاب ســطيح حتى تقع على مثل هذا السجع المصقول والنثر المطبوع الذى يرقى الى مرتبة النثر الفنى الجميل .

بقى كتاب « الموجز فى علم الاقتصــاد » تأليف «بولروا بوليو» ، وكان احمد حشمت باشا ، ناظر المعارف وقتئذ قد كلف حافظا سنة ١٩١٢ ترجمة هذا الكتاب، ثم ضم اليه خليل مطران فقاما بمهمتهما ونشرا الكتاب سنة ١٩١٣ فى خمسة أجزاء ، اى أنهما أفردا لكل فصل من فصول الكتاب الفرنسى الصــغير جزءا على حدة ، وقررت نظارة المعــارف العمومية تدريس هذا الكتاب فى مدارسها .



ولا نرانا قد أتممنا المطاف بآثار حافظ النثــرية اذا لم نشر الى « تثقيف التربيــة الأوليــة » الذى ترجمه حافظ لتلاميذ المدارس وطبعه فى جزءين سنة ١٩١٣ بتكليف من حشمت باشــا ايضا . ولعل حافظا انتفع من النقد الشديد الذى وجه الى كتاب « الموجز فى علم الاقتصاد » من حيث بلاغة الاسلوب وصــعوبته على الطلاب فتوخى فى كتــابه الجديد السهولة والبساطة استجابة لحاجات الطلبة . وقد وصف حافظ ترجمته فى مقدمة الكتاب فقال : « **ولم أنزل بهــا الى منزلة الساقط المرذول ، ولم ارتق بها الى ذروة البلاغة ولكن جعلت لى سبيلا قصدا بين الغايتين** » .

وبعد فهذا هو **حافظ ابراهيم** الناثر . ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان حافظا كان يعــالج النثر كما يعالج النظم ، فينسق عباراته كما ينسق قوافيه ، ويتخير مفردات النثر كما يتخير مفردات الشعر من حيث الدقة والضــبط والتوقيع . ولعــل بعض صفحات نثره كلفته من الجهد قدر ما كلفته قصائده ، وهى صــفحات لا تقل عن هــذه القصــائد روعة وجمالا . ولا عجب فى ذلك فقد كان حافظ شاعرا كبيرا ، وكل شاعر ناثر .

« صديق شيبوب »

حول الأدب



بقلم عبده بدوى

ماذا يدور فى الحقل الأدبى

لا أريد بحديثى هنا أن أوسع حدقة بعض الزملاء الذين يهاجرون بأقلامهم الى بعض المجلات البيروتية ، ولا اريد ان اطالبهم بالعودة الى صدور مجلاتهم وقبض أيديهم عن المكافآت السخية ، وفى الوقت نفسه لا أريد أن تكون هناك فجوة بين الأدباء على الصعيد العربى ، فنحن فى هذه الفترة فى حاجة الى النبض من بذرة واحدة ، والى الصمود من جذع واحد ، والى أن نكسو الأرض العربية بالظل والثمر والعبير !

أقول انى لا أريد شيئا من هذا ، وانما أطمع فى أن أرى طعما واحدا لثمارهم ، فنحن نجد لبعضهم هنا حلاوة فى المذاق ، فاذا ما رحل بقلمه تدفقت المرارة من قلبه وقلمه ، حتى ليخيل للقارىء أنهم يغمسون اقلامهم فى دماء هذه الأمة ، وانهم لا يقدمون جملا وحروفا ، وانما يقدمون حقدا جافا صلبا، وبثورا من حقد لاتلبث حين تتجاوز ان تأخذ هى الاخرى هيئة الحقد الجاف الصلب !

ولعل من الأشرف لبعض هؤلاء المهاجرين أن يكونوا أصحاب مواقف محددة ، حتى ولو كانت هذه المواقف تدين وضعا أو عصرا ، أو حضارة من الحضارات ، ذلك لأن مواقفهم هذه تومىء أن هناك حجرا على الفكر فى موطنهم ، أو تجعلهم سخرية حين يرصد انسان حركة الفكر فى بلد من البلاد العربية ، فالذى أعرفه أن حرية الأديب مكفولة ، وأن له حق الهجوم والتعريض والادانة ما دام يملك الدليل على ما يقول ، وأنا لست فى حاجة الى ذكر المحاكمات التى تمت أخيرا ـ بدليل وبدون دليل ـ للاله وللعروبة وللقيم وللتاريخ ولبعض الشخصيات الحية والميتة فى بعض الصحف والمجلات فى الجمهورية العربية المتحدة : ومعنى هذا أن الحقل الأدبى يتنفس العبير والوهج وأنه لا يفصله عن الافق وما بعد الأفق ما يخيف أو يرهب أو يقصر القامة ، أو يجعل الأنامل التى تحمل القلم راعشة أو مضطربة ، فالكاتب عندنا يجد من الحرية ما يجعله لا يحيط بذراعيه المنطقة العربية فقط ، ولكن العالم أجمع ، بل يجعله يحتضن الجحيم نفسه اذا رغب فى هذا !

ولكن الطائفة التى تحمل على جسمها أكثر من وجه تحاول أن تغير من هذه الحقيقة عن سذاجة أو عن خبث ، ولعل هذا هو الذى جعل بعض الكتاب عندنا بدون مواقف ، وجعل بعض الذين يتعاملون معهم ينظرون اليهم نظرة تتقاسمها السخرية

والمرارة ، بل جعلهم ينظرون الى الجمهورية العربية المتحدة نظرة بعيدة عن الحقيقة .. ففي بعض صحف بيروت اليوم حملة ضارية على مصر وعلى الفكر فيها ، ولعل من المضحك انهم لا يذكرون الا اسم مصر ، فاذا كان لا بد من التلوين بين العبارات ذكروا كلمة القاهرة ، اما كلمة الجمهورية العربية المتحدة فيصرون على تجاهلها ، كأن هذا يهدىء من حركة الصدر المستثار ، أو يجعل الآماق الغضبى تهدأ أخيرا على حلم خبيث لا يختلف في صورته عن الشيطان !

وخيط المعركة يبدأ في باب « رسالة القاهرة » .. بالعدد الاخير من مجلة حوار الذى كتبه (أديب خطير) من الجمهورية العربية المتحدة : اسمه أحمد رشدى حسين ، حاول فيه أن يعطى صورة مشوهة للفكر فى بلاده ، وأن يوسع رقعة الخلاف بين الشعراء ، ثم أخيرا أن ينال من مجلتى الرسالة والثقافة لأنهما لا يسيران فى الخط الذى تسير فيه بعض المجلات فى بيروت ، ولأنهما لا يؤمنان بالتبعية الفكرية لمجلة حوار ، وأخيرا لأنهما يستنبتان كلمة جديدة من ارض الحقيقة .

ونحن الآن نتساءل عن هذا الأديب الخطير الوهمى الذى ظهر فجأة فى الحقل الأدبى بالجمهورية العربية المتحدة ، والذى أعطى نفسه حق الحديث باسم بلاده ، والذى يكتب لأول مرة فى حوار . والذى تم أسلوبه عليه ومع ذلك لم نحاول الكشف عنه ، ولكن خطأ صغيرا جاء فى العدد ٨٩٢٧ من ملحق جريدة النهار قد تم عليه، فقد استعملت هذه الجريدة أسلوبا ليس غريبا عليها وهى أنها اعادت نشر رسالة القاهرة نقلا عن حوار ، ذاكرة أن الذى كتبها هو مراسلها فى القاهرة ، ولما كان مراسلها فى القاهرة ليس هو الاديب الخطير الوهمى احمد رشدى حسين ، وانما هو « بهلوان » يسىء فى كل يوم الى بلاده ، ويحدث فى كل أسبوع تخريبا فى الحياة الفكرية .. لما كان الأمر كذلك كان من الواجب أن نتساءل : الى متى تظل هذه الأعشاب السامة فى الحقل الأدبى ؟ وكيف أن هذا النوع من المتسلقات لا يجمل الحياة ، وانما يلف ويظل يعصر فى بطء وخبث البريق والنضارة من شجرة الفكر ، ونظرة واحدة الى أسفل هذه الشجرة تؤكد انه كان وراء هذه الأوراق ، وهى تصفر ، وهى تسقط ، وهى تموت !

فاذا تتبعنا هذا الخيط وجدنا الميدان الحقيقى للمعركة فى مقال بجريدة النهار (الأحد ١٠ كانون ٢ ـ ١٩٦٥) تحت عنوان : رسالة الى القاهرة حول مصائب الشعر لم تنشرها القاهرة بامضاء رئيس التحرير أنسى الحاج ، وهو يمهد فى هذه الرسالة بأن الشعر اللبنانى قد تعرض فى مجلة الشعر لأبحاث « مختلفة القيمة لهانى مندس والدكتور عبد القادر القط ومحيى الدين محمد» وأنه ما كان ليعنى بما يكتب عن هذا الشعر « خصوصا وأننا اعتدنا اصدقائى وانا عادات بعض المصريين فى المغالطة والسطحية » لولا المقال الذى كتبه الدكتور عبد القادر القط « تحت ماكياج العداء والصد» ،ومع أنه يذكر ان مقال الدكتور عبد القادر القط ناقص فى المعلومات ، ومجمد عند أبواب جاهزة ، وأنه أمسك منه « خيط شهوة لاجتياح الدعاية الجاهلة والسطحية والسيئة » وان هذا الخيط جعله يصمم على أن يرد على « الحملة المصرية» برسالة موجهة الى الدكتور القط .. مع أنه يقول هذا : الا انه يؤكد أن الدكتور عبد القادر القط لما كان يتهم « بالترويج للشعر الجديد الذى يملؤه اصحابه بالرموز المسيحية واللا اسلامية لتخريب الوجدان العربى ومحو التراث الاسلامى » ، فانه يكون فى حالة « **يكسب فيها عطفنا وتاييدنا وحبنا واعجابنا** » .

ثم ينشر الرسالة التى أرسلها الى الدكتور عبد القادر القط والتى تدور حول النقاط الآتية :

١ ـ الكتاب المصريون يرتكبون خطأ فادحا حين يقصرون الكتابة على « الشعر المصرى » ، وحين لا يجدون الا اسمى صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى ، مع أنه لا يصح اعتمادهما مقياسا للشعر الحديث « فالأول شاعر ثانوى والآخر ضائع وثانوى !! »

٢ ـ هناك سوء فهم ومغالطات رهيبة من طريقة الكتاب المصريين فى نقد الشعر أو شرحه .

٣ ـ حين احتضنت مجلة « شعر » الحركة الشعرية بصدر رحب وعلم « وشهوة خلق » ومسئولية تاريخية « لم ير الكتاب المصريون فى هذه المجلة ـ وقد ساهم بعضهم فيها ـ غير اتهامها بالخيانة للتراث العربى وهذه السياسة الجاهلة

والمتحاملة الجات واحدا مثل الى رد الاتهام بالتحدي! والى تبنى الخيانة ! »

٤ ـ كانت القاهرة آخر من يعلم قصيدة النثر ، ولم يكلف واحد من المصريين نفسه عناء الدرس للفهم ،فلما كتبوا عن هذا الموضوع شوهوه « ان أبرز ما تتسم به كتابات المصريين عن قصيدة النثر هو الفهم ـ أو عدم الفهم ـ الجزئى الجانبى السطحى ، والميل بخفة صاعقة الى الاستهتار والتسفيه» حتى ان دراسة الدكتور القط «كانت جانبية».

٥ ـ يؤكد أن « المصريين » لا يقرءون قصيدة النثر قراءة صحيحة ، وأن هذا يؤلم هؤلاء الشعراء ويزيدهم ايمانا « بمهزلة الواقع الأدبى العربى المعاصر » .

٦ ـ يجب الا تسيء مصر الى نفسها بعدم تدوق هذا الشعر ، فليس هناك مبرر لهذا « غير الكسل والاستهتار وسوء النية !! » .

٧ ـ ما يريده الشعراء فى لبنان هو أن يجعلوا الشعر «يتخطى الاعتبارات السياسية والقومية ، ومن جهة أخرى عليكم ان تخرجوا من لعبة خدع انفسكم بالسهولة والسطحية .. اذا كنتم فى مصر ثوريين فعلا فلا مبرر لكم فى الوقوف ضد هذا الشعر ، وفى افساده ، وفى الاكتفاء بشعراء مصر الثانويين ، الشعر العربى الحديث ، اللبنانى منه بشكل خاص ، أكثر تحررا وتمردا وثورية من كل ما حدث فى العالم العربى ، اذا كنتم مخلصين يجب أن تلحقوا به لا أن تخونوه » .

٨ ـ فيما يتعلق باشاراتك الى شعرى ـ والحديث هنا موجه الى الدكتور عبد القادر القط ـ لن تستطيع ان تعطى رأيا محترما ، اذا لم تحاول ان تفهمه بعقلية نظيفة ، متفتحة ، واسعة ، لن تعطى رأيا ذا قيمة !!

٩ ـ « .. اذا كان فى كلمتى عنف فهو عنف شرعى، اذ الحوار مقطوع بيننا وبينكم ،انتم تسلكون طريق الدكتاتورية الادبية ، لو أقيم مجال للحوار لطالبت قبل كل شيء بمناظرة حساب ومحاكمة ، اننى أعتبر مصر مسئولة عن تفشى السطحية والتفاهة والسخف فى كثير من الحقول ، وفى الشعر خاصة » .

والآن : هل يطاوع اديب قلمه ليعكر صفاء لبنان ؟

وهل اراق انسان دماء الفكر فى بلد عربى بمثل هذا الخنجر الذى يحمله أنسى الحاج ؟ وهل هناك دليل على ان المقصود هو النيل من « مصر» من خلال قصيدة النثر ، والا فما هى مسئولية «القاهرة» عن تفشى السطحية والتفاهة والسخف فى كثير من الحقول وفى الشعر خاصة ؟ ومن هو أنسى الحاج حتى يلقى درسا على الدكتور عبد القادر فى أن مقالته كانت ناقصة فى المعلومات ، ومجمدة وجانبية ، ثم يسرع فيمنحه « العطف والتأييد والحب والاعجاب » حين يذكر أنه قد لصق به الترويج للرموز المسيحية واللا اسلامية وتخريب الوجدان العربى ومحو التراث الاسلامى ؟

والآن : هل نحن فى حاجة الى ان تذكر أنسى الحاج بأن « القاهرة » لم تهمل قصيدة النثر التى يدعو اليها وانه قام على صفحات مجلة «الشعر» من يعرف بالدواوين التى تحمل هذا الطابع ، ولعل فى مقدمة هذه الدواوين ديوانه لن ، وديوان الصوت الآخر لخليل أحمد خليل ، وأن الذى كان يعرف بهما كان لا ينسى أن يذكر البلد ودار النشر والسلسلة والمشرف على السلسلة وعام النشر مهما كان بعيدا .. الخ ،وأنه فى بعض عمليات التعريف هذه عرض بالثقافة فى البلاد العربية ، وذكر أن الثقافة المتقدمة لا يحظى بها الا لبنان ، وذكر أن قصيدة النثر هى المخلص من الف عام من الضغط، فالعرب مضى عليهم ألف عام وهم عبيد جهلاء وسطحيون ، وأنه توجد فى كل قصيدة نثر « دفعة فوضية هدامة » ، وأن قصيدة نثرك ـ ان صح هذا التعبير ـ ترفض كل المقدسات والبناءات والاخلاق ، وانك ملعون فى جسدك ووجدانك ، وأنك تقول شيئا حتى عندما لا تقول شيئا. والآن دعنى أقدم لك بعض ما قدم من نصوص ـ غير مبتورة ـ كما وردت فى التعريف بقصيدة النثر :

- **اخترعوا لنا عفافا بدون دم**
- **انفخ البوق ، هيج الخيل ، اقنع الجيوش بالخيانة .**
- **طلعت من فخذ الهاجس اليك**
- **لم العشب .**

« **ما دمت أستعير عاشقا من أذنى**

- **الرقاص ينظر الى الكلمة ويكويها العشاء انتهى**

بحجر احفر الحجر : جسدى وردة
أفتح فمها بيدى
وجسدى أنزل درجها

يترقرق عبيرها على خدى
والدرج يروح يروح
جسدى امرأة
غيومه أبوابى • غيومه اعماقى
جسدى امرأة
جسدى
جسد الهاوية
● جسدى حيله
وجسدك فخ
من يهرب منا فقد نجا !

والآن نقول هل تختلف حقيقة هانى مندس الذى قام بالدعاية لقصيدة النثر فى الجمهورية العربية المتحدة عن الأديب الخطير أحمد رشدى حسين ؟ ان الاتهام فى هذه المرة يأتى من مقال منشور فى هذا العدد بقلم عدنان الداعوق فهو يقول « لنضع موضوع كاتب المقال جانبا ، فعلى ما اذكر ، ورغم كثرة قراءاتى لم اقرأ اسم « هانى مندس » مطلقا ، والاسم ألمحه لأول مرة فى حياتى، وان لم يخنى الظن والحسبان فكاتب المقال غير هانى مندس •• وهو شخص آخر اراد أن يختفى وراء هذا الاسم متوقعا ــ وللأسف ــ مسبقا أن يلقى مقاله من الهجوم مالا يستطيع له ردا » •

ونحن اذا تتبعنا عملية التزوير الأدبى هذه ، وجدنا أن هذا المقال قد نزل فى اجازة للدكتور عبد القادر القط ، ورده فى العدد التالى لنشر هذا المقال يوضح هذا ، ونحن لن نشير الى من تسلم مكافأة هذا المقال ، ولكننا فقط نصرخ قائلين الىمتى نسىء الى بلادنا ونجعلها نهبا لأقلام كثيرة ظاهرة ومستترة ؟

لا شك ان الذى يجعل أنسى الحاج جريئا على الحقائق ، ويجعله بعيد فى جريرته ما يسىء الى هذه الحقائق متخفيا وراء شعارات ان كانت تدين أحدا فانها تدينه هو ، ونحن لن نتعرض لشخصه ومواقفه فى الحزب القومى السورى ، ولكننا نذكر هنا فقط أن ما جعله جريئا على مصر كما يحب ، وعلى الجمهورية العربية المتحدة كما يحب كل عربى •• هو تلهف بعض كتابنا على النشر فى بيروت دون التفكير فيما وراء المكافآت السخية والمريبة !

وهو حرصهم على أن يشوهوا الجمهورية العربية المتحدة فيما يكتبون !

وهو تقديم ما تريده بعض هذه المجلات منهم • او التبرع بالوقوف الى جانب ايديولوجية هذه المجلات حتى يكون النشر مستمرا •

وهو تدليل مندوبى هذه المجلات فى الجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على خدمتهم بما يجعل الصلة مستمرة •

وهو التزوير الذى يحدث أحيانا على المستوى الفكرى ، والكتابة بأسماء زوجات فى أدق قضايا الفكر ، مع أنهن بعيدات عن هذا الميدان ، أو الكتابة بأسماء وهمية للكيد من بعض الأشخاص ، او من بعض التيارات •

وهو الدعوة الصريحة لأن تكون صدى للفكر الذى تعمل على تأكيده بعض المجلات فى لبنان ، ونظرة واحدة تؤكد ان بعض كتابنا لا يعرف الا بنوع خاص من الكتب ، ولا يحتشد الا حول شاعر او شاعرين من لبنان ، حين «يسرق» لا يسرق الا افكارا معينة من بعض هؤلاء الشعراء ، وكأن السرقة لا تهمه ولكن الذى يهمه هو الدعاية لهذه الأفكار ، والنزول بها الى رءوس المواطنين فى الجمهورية العربية المتحدة •

وهو اخيرا الجذور الضاربة التى تختفى وراء الرموز الدينية التى لا يعيب الشاعر ان تكون هذه الرموز مكثفة لتجربته، ولكن الذى يعيبه ان يفتعلها افتعالا لأن مجلة أو مسئولا عن النشر يحب هذا اللون من الرموز .

هذه كلمات لا أخاطب بها الا وجدان هؤلاء لادباء ، وعقولهم ، ولا اتوجه بها الا الى ضمائرهم، وليس هناكشىء اهدف اليه من ورائه غير ان يكونوا انفسهم ، فأنا لا اطلب منهم ان يكونوا مع وطنهم وحضارتهم ، ولا اطلب منهم ان يكونوا مع الحقائق بما يكتبون ، ولكنى اطلب شيئا واحدا هو ان يكون لهم موقف واحد محدد ، حينما يكتبون فى الجمهورية العربية المتحدة،وحين يهاجرون باقلامهم •• بل حينما لا يكتبون ، واعتقد ان هذا المطلب ليس من العسير تحقيقه !

وان كان هذا لا يمنعنى من ان اصرخ للمرة الثالثة ، وان اقول ــ وقد قلت هذا من قبل مرتين ــ ماذا يدور فى الحقل الادبى ؟ ماذا يدور ؟!

« عبده بدوى »

الكتب نقد وتعريف

اكتشاف جزيرة العرب

تأليف : الكاتبة الفرنسية جاكلين بيرين
ترجمة : قدري قلعجي
نقد : محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الذي نشرته دار الكتاب ببيروت في اكثر من اربعمائة صفحة يؤرخ لجزيرة العرب في القرون الخمسة الاخيرة ، ويعطي ويشرح لاوربا فكرة واضحة ، والمؤلفة الباحثة الفرنسية الاصل لم يكن دورها في هذا الكتاب دور المؤرخ ، لان جهودها انحصرت في دور الراوي للتاريخ ، فقد جمعت بين دفتي كتابها هذا ، جميع الرحالة الذين جابوا الجزيرة العربية عبر خمسة القرون الاخيرة من مغامرين وأفاقين ، وعلماء مخلصين ، لتروي قصصهم الشائعة ، وتسجل ماقدموه من خدمات في حقل المعرفة البشرية ، واكتشاف المناطق المجهولة ، متنقلة معهم في المكان والزمان .

والحق ان جهود الباحثة الفرنسية جاكلين بيرين لم تقف عند حدود السرد لقصص الرحالة ، ولكنها تعقبتهم في كل ماكتبوا وسجلوا ، ولم تضن على الحقيقة والتاريخ بهتك الستار عن كذب المفترين وخداع الدجالين ، وذلك ــ بالطبع ــ في حدود امكانياتها ودراساتها ، وماتملكه من مراجع تاريخية عن المنطقة العربية .

ويمكن ان نضيف الى قيمة هذا الكتاب كمرجع يكاد يكون فريدا في الجغرافية البشرية لمنطقة لم تزل مجهولة حتى لدى الباحثين العرب ، وكتاريخ حي ينتقل بالقارىء خلال خمسة قرون ، من بلاد اليمن وعسير وحضرموت ، الى عمان ومسقط ، والى نجد وعمان وبلاد الشام ، ومن آثار سبأ ذات الاسرار العجيبة ، الى آثار الخبيئة في قلب الجبال ــ اقول : يمكن أن نضيف الى قيمة هذا الكتاب كمرجع وتاريخ حي قيمة أخرى جديرة بالتسجيل ، فقد قام العلامة الجليل الشيخ حمد الجاسر بالاسهام في ضبط اعلام الكتاب وكتابة هوامشه ، والتقديم له بمقدمة مسهبة في اكثر من عشر صفحات ، ولهذه المقدمة اهميتها ، اذ تعرض الشيخ حمد الجاسر لجهود المستشرقين في خدمة التراث العربي والاسلامي ، من امثال المستشرق الالماني « فردنند وستنفلد » الذي كان اول ناشر منذ قرن من الزمان لكتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموي فمهد الطريق لكل ناشر عربي بعده ، والعالم النمسوي « داود هنري ملر » الذي كان أول ناشر لكتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني ، ولم يكتف الشيخ الجاسر بعرض نماذج لجهود المستشرقين في خدمة التراث العربي والاسلامي ، بل قرر أن من الانصاف ، بل من الاعتراف بالفضل لذويه ، القول بأن كل معنى بالبحث في تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها مايزال عالة على مانشره أولئك المستشرقون وحققوه من المؤلفات القديمة عنها .

ان المؤلفة قسمت الكتاب خمسة اجزاء ولا يفهم من هذا التقسيم مراعاة الترتيب الزمني للقرون الخمسة الاخيرة التي استوعب الكتاب تاريخ الجزيرة العربية خلالها ، وانما هو ايحاء من المؤلفة على الطريقة الغربية في التاليف .

جعلت المؤلفة عنوان الجزء الاول : « رفع الستار » وفيه عرضت لشبه الجزيرة العربية القارة المفقودة ، ورأت أنه اعتبارا من القرن الخامس للميلاد ، وحتى يقظة الرغبة الكبرى في المعرفة خلال عصر النهضة لم تكن لدى أوربا اية فكرة عن شبه الجزيرة العربية ، اذ قد سادها جهل مطبق بعد أن طغت على الحضارة الرومانية التي عرفتها ، موجات الغزو البربرية في القرنين الرابع والخامس ، وقد احتفظت الاديرة بشيء من المعرفة القديمة في المخطوطات التي كانت تنسخ فيها بكثير من الصبر ، كما عرضت المؤلفة لكتب القدماء ، حيث ايقظ الاطلاع عليها العقول وشجع على الاكتشافات ، فطفق الناس يقراون التوراة باعين جديدة فادركوا انها تضم بين دفتيها تاريخا الى جانب الحكمة والدين ، ويقراون

من جديد كتب الاغريق التى كانوا يجدون منها فى بطون مكاتب الأديرة حيث كانت قد اجتازت القرون الوسطى ، ثم عرضت المؤلفة لرحلة « لود فيكودى فارتيما » الى بلاد العرب أوائل القرن السادس عشر ، والنجاح الذى لاقته قصة رحلته ، فقد تعاقبت طبعاتها وترجماتها خلال ثلاثين عاما دون انقطاع ، وظهر منهـا بعض الطبعات فى القرن السابع عشر .

اما عنوان الجزء الثانى : « رواد مصادفة » فقد ذكرت فيه المؤلفة ان القرن السادس عشر كان عصر السيادة البحرية البرتغالية على البحور الساحلية لشبه جزيرة العرب حتى تاسيس شركات الهند الهولندية والانجليزية فى أوائل القرن السابع عشر ، فكان ذلك ايذانا بالصعوبات التى اعترضت السيطرة البرتغالية بل بافول نجمها ، كما تحدثت المؤلفة عن اربعة من الرحالة المغامرين ، استغلوا موسم الحج ، فزاروا الاماكن المقدسة لاغراض علمية وسياسية ودينية ، وذلك بين عام ١٦٠١ وعام ١٧٣٩ ، ابرزهم : « المطران مانيودى كاسترو » القاصد الرسولى فى بلاد الهند ، وشاب انجليزى يدعى « جوزف بيتس دكستر »

وفى الجزء الثالث الذى اختارت المؤلفة عنوانا له « مولد الريادة » تحدثت عن فجر العلم الذى بدأ بنمو المعارف العقلية فى أوربا . وكان العلم الذى تقدم بنسبة مطردة مع الملاحة والارتياد هوبلا مشاحة علم الجغرافيا ، ولاسيما علم رسم الخرائط ، وقبل عهد « فاسكودى جاما » واكتشاف الدورة حول افريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح، لم يكن فى الامكان رسم شبه الجزيرة العربية على الخرائط العالمية الا استنادا الى معطيات بطليموس.

وفى الجزء الرابع : « العربية القفراء والعربية البتراء » تعرضت المؤلفة للحركة الوهابية ، وللبدو والمدن المنقرضة فى العربية البتراء فى أواسط شبه الجزيرة العربية ، والعربية البتراء كانت تمتد فيما وراء الخط الرومانى المحض الذى عفا أثره ، وفيها اطلال مدن قديمة نشات فيما مضى من حركة القوافل التجارية بين جنوبى الجزيرة العربية والهلال الخصيب ، وقد ازدهرت هذه المدن فى مطلع القرن الاول للميلاد ، ولا سيما تدمر ، والعرب يقولون:ان هناك على مسيرة ثلاثة أيام من البحر الميت ـ فى تلك المنطقة التى تحمل على الخارطة اسم العربية البتراء ، ثلاثين مدينة خربة مقفرة كليا من السكان، وان بعض اعمدة ابنيتها لم يزل قائما ، وقد استنتج بعض المؤرخين أن تلك الخرائب لابد أن تكون اطلال مدن المنطقة التى اشتهرت فى التوراة باسم «آدوم» وعرفها المؤلفون الاغريق باسم أيدومة التى تغنى بتخيلها « فيرجيل » و « لو كان » ، وأيدومة هـذه ليست سوى العربية البتراء كما اسماها الجغرافيان الاغريقيان « سترابون » و « بطليموس »

وفى الجزء الخامس والاخير « العربية السعيدة» عرضت المؤلفة للبحر الاحمر ودوره فى الاكتشافات الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ، وسر آثار سبأ، وحضارة عمان وحضرموت .

وقد ختمت المؤلفة كتابها بقولها : ان حجب الجهل التى كانت مسدلة على معظم اجزاء الجزيرة العربية ؛ كانت قد هتكت باستثناء الحجاب المسدل على منطقة الربع الخالى قبل عام ١٨٧٠ م ، ولسوف تضاف الى وجوه الرواد العظيمة وجوه اخرى عظيمة أسهمت بدور فعال فى اكتشاف شبه الجزيرة العربية .

وبعد ـ فاهمية هذا الكتاب لا ترجع ـ وحسب الى اعتباره مرجعا شاملا لحركات مئات الرواد الذين ارتادوا الجزيرة العربية عبر خمسة القرون الاخيرة ؛ بل ترجع ايضا الى استيعابه لانطباعات هؤلاء الرواد ازاء الشعب العربى ومعتقداته الدينية، الا ان بعض الموضوعات التى تطرق اليها الكتاب لم يكن مستوفيا للتحقيق التاريخى ،كالحركة الوهابية مثلا ، فقد عرضت حركاتها الحربية فى صورة منفرة ؛ دون التعرض لمنهجها الاصلاحى ، كما اكثرت المؤلفة من تعبيرها عن الأصول الدينية بلفظة « التقاليد » مما يوهم بعض القراء بوضعية الدين الاسلامى .

ومما يلاحظ على الترجمة أن هناك بعض الفجوات فى الكتاب يحس بها القارىء ، ولا سيما فيما يتصل بالمعتقدات الدينية ، ومع هذا وذاك فحسب الكتاب من التقدير انه قدم للأوربيين معلومات على جانب من الاهمية عن حضارة المنطقة العربية ، ومعلومات كانوا يجهلونها عن مناسك الحج وغيرها من الشعائر الاسلامية الاخرى .

« محمد عبد الله السمان »

كتب جديدة

أحمد الصادق عبد الصمد

● دولة الفكرة :

التى اقامها رسول الاسلام عقب الهجرة

تأليف : فتحى عثمان

الناشر : مكتبة وهبة ـ عابدين

يقع هذا الكتاب فى مائة صفحة من القطع المتوسط تناول المؤلف فيه دولة الهجرة ، والبناء القانوني ، والكيان المعنوى ، لهذه الدولة ، وايديولوجيتها ، وعالميتها ، والعقد الاجتماعى والتضامن الاجتماعى فى مضمونها .

ويرى المؤلف ان دولة الفكرة هى حلم البشرية وهى لا تقوم على حتمية ظروف الارض او الدم ، ولكنها تقوم على اختيار الانسان بوعيه الكامل وارادته الحرة . ولقد أقام هذه الدولة رسول الله فى المدينة تجربة حية مبكرة للدولة الايديولوجية فى التاريخ .

● آدم عليه السلام :

تأليف : الاستاذ محمود شلبى

الناشر : مكتبة القاهرة بالأزهر

يقع الكتاب فى ١٥٤ صفحة من القطع الكبير ،

تناول الكتاب قصة الخليقة وخلافة الارض ، وموقف الملائكة من آدم ، وتمرد ابليس ، ومعصية آدم وخروجه من الجنة ، وفى نهاية الكتاب تحقيق

عن حقيقة ابليس : امن الجن ام من الملائكة ؟ وعن الجنة التى اخرج منها آدم اجنة الخلد هى ام جنة فى الارض ؟ وقد ذكر المؤلف فى مقدمته انه سار فى كتابة كتابه على طريقة تجمع صدق العلم وجلال النصوص واسلوب القصة وتصوير الاذاعة .

● مجتمعنا العربى كما ينبغى ان يكون :

تأليف احمد محمد جمال

الناشر : رابطة العالم الاسلامى

كتاب صغير في حوالى خمس وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، تناول في دراسة مركزة موجزة عناصر المجتمع الذى يجب ان يتكون منها ويقوم عنها مجتمعنا العربى في سلامته وقوته .

والمؤلف الحجازى الاديب الذى امتعنا من قبل بروائعه : على مائدة القرآن ، ومبادىء ومثل ، ومع المفسرين والكتاب ، يطالب العرب لكى يستعيدوا مجدهم ان يذكروا انفسهم التى نسوها ، ويستعيدوا اصالتهم التى اضاعوها .

● الاسلام والطب :

تأليف : محمد عبد الحميد البوشى

الناشر : المكتبة الثقافية

هذا الكتيب هو احد اعداد المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد وقد تناول المؤلف فيه الطب عند قدماء المصريين ، وعند البابليين والكلدانيين والاشوريين ، كما تحدث عن اشهر الاطباء العرب في الجاهلية كلقمان الحكيم والحرث بن كلدة ، والشمردل بن قباب الكعبى ، ثم تناول الطب فى الاسلام واهتمام الاسلام بالطب الوقائى وعرض لكثير من مشاهير الاطباء المسلمين كالفارابى والرازى وابن سينا ومجهوداتهم مع غيرهم ممن لهم فضل السبق على الطب المعاصر فى كثير من نواحى العلاج .

● الحلة السيراء :

لابن الابار ـ ٦٥٨ هـ

تحقيق د . حسين مؤنس

يقع الكتاب فى جزئين ، كل جزء تربى صفحاته على الثلثمائة من القطع الكبير ويضم الجزء الاول تراجم لاعلام الاندلس في المئات الاولى والثانية والثالثة والرابعة ، كما يضم الجزء الثانى تراجم اهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة .

وان الابار المؤلف واحد من اكبر من انجبتهم الاندلس في ميادين التاريخ والادب وعلوم الاسلا

اثنى عليه الاقدمون من العلماء ، كالمقرى في نفح الطيب والزركشى في تاريخ الدولتين والكتبى في فوات الوفيات ، كما اهتم به المحدثون وفى مقدمتهم المستشرق الهولندى (آن دوزى) الذى قرر في كتابه (مقدمة للبيان المغرب) ان ابن الابار مؤرخ ثبت دقيق جدير بكل ثقة .

● **القصاص في الفقه الاسلامى**

تاليف : احمد فتحى بهنسى

الناشر : الشركة العربية

يقع الكتاب فى أكثر من مائتين وعشرين صفحة من القطع الكبير ، وجاءت دراسته الفقهية المقارنة في ستة فصول ، تناولت القصاص وحكمة تشريعه وشروط وجوب القصاص، وحالات وجوب القصاص واستيفاء القصاص وما يسقط القصاص بعد وجوبه ثم وجوه الاثبات .

وهذا الكتاب هو السابع في مجموعة كتب الفقه الجنائى الاسلامى المقارن ، للمؤلف ضابط البوليس الذى يحمل ليسانسا فى القوانين ودبلوما في العلوم الجنائية ، ودبلوما فى الدراسات القانونية العربية وماجستيرا في القانون .

● **الفجر الراقص :**

تاليف : عبد السلام هاشم حافظ

الناشر : دار الفكر العربى ـ القاهرة

ديوان شعر جديد للاديب الحجازى الاستاذ عبد السلام هاشم يقع فى زهاء مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وقد قدم لهذا الديوان الاستاذ احمد رامى بقصيدة من اثنى عشر بيتا .

وفي الديوان خمس وثلاثون قصيدة من الشعر العمودى الا قليلا منها ، فانه من الشعر المنطلق ، وقد اختار الشاعر لقصائده عناوين فيها جاذبية مثل صلوات الالم والامل ، ورحلة الى حلم الازل، سندريلا على البلاج ، ومأتم فى عرس ، وقد حرص المؤلف على ان يقدم قصائده بعبارات تعتبر بمثابة الطابع المميز لموضوعاتها .

● **المراهق**

تاليف : كمال القلش

الناشر : مكتبة الزنارى

يقع الكتاب في ١١٢ صفحة من القطع المتوسط وهو مجموعة من القصص القصيرة بلغت تسعا ، هى الهارب، ليلة العيد ، قصة حب ، الخادمة ، صندوق الفلوس ، المباراة ، الملاحة ، هذه النظارة، الحصار .

يذكر المؤلف فى مقدمته ان ثمة شخصية واحدة موجودة فى جميع القصص ، متكررة في كل المواقف ذلك لان القصة هى دراسة لانسان معين فى سن المراهقة وفي تجارب المراهقة ، وهذا ما لوحظ فعلا من استعراض قصص المؤلف .

«احمد عبد الصمد دياب»

أخبار

● صدر هذا الاسبوع ديوان «ايقاع الأجراس الصدئة» للشاعر بدر توفيق .

● صدر للشاعر العراقى ايوب عباس ديوان بعنوان «دنيا» .

● يصدر خلال هذا الشهر عن الدار القومية كتاب «من وحى الاسلام» لمحمد بهى الدين سالم .

● صدر عن الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ديوان من الشعر بعنوان «نوار» .

● مسرحية «الارض العالية» للشاعر عبده بدوى تعرض على مسرح الحكيم فى نهاية شهر فبراير .

● «الخبوالحرية» ديوان شعر صدر للشاعر العراقى محمد جميل شلش .

● تصدر قريبا عن الدار القومية مسرحية «نيرون الشرق» .. اول مسرحية للزميل مصطفى فوده .

● تصدر قريبا مسرحية شعرية عن «عمر بن العاص» للشاعر عامر محمد بحيرى .

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العواني



دور الفكر العربي في الثقافة العالمية :

مما لا شك فيه ان من يغوص في اعماق الفكر العربي الاسلامي ، يدهش لما يجد من الافكار والنظريات التي جاء بها مفكرونا العرب ، في شتى مجالات العلم ، وفي مختلف نواحي التفكير والابداع فانهم لم يتركوا علما من العلوم التي كانت شائعة في زمانهم او الازمان السابقة الا اقدموا عليه وتفوقوا فيه ، يدل على ذلك هذه الاكتشافات الخطيرة التي توصلوا اليها في النواحي الفكرية ، والمبتدعات الحضارية ، سواء كان في الطب والكيمياء والرياضيات والفلك ، أم في الفلسفة والاجتماع والتاريخ .. الخ .

وعلماؤنا العرب وان كان يرجع الفضل اليهم في اكتشاف هذه العلوم وغيرها ، الا ان كثيرا من علماء الغرب ينكرون عليهم ذلك ، زاعمين انها من نتاج افكارهم وان احدا لم يسبقهم اليها .

وقد قدمت مجلة «الاقلام» العراقية بحثا لهذا الموضوع كتبه «سليم التكريتي» انكر فيه على علماء الغرب زعمهم ، ورد عليهم بامثلة عديدة يتبين منها ان كثيرا من الآراء والمكتشفات توصل اليها العلماء العرب من قرون بعيدة ، قبل أن ينسبها الغربيون اليهم ويدعونها لانفسهم» .

ويستدل الباحث على أن الفيلسوف العربي «عبد الرحمن بن خلدون» قد سبق كثيرا من علماء الغرب فيما توصلوا اليه من نظريات امثال آدم سميث ميكافيلي وجان جاك روسو وكارل ماركس وغيرهم ممن كتبوا في الاقتصاد والسياسة والاجتماع وفلسفة التاريخ .

كما بين الباحث أن (جابر بن حيان) قد سبق علماء الغرب بأكثر من سبعة قرون في اكتشاف طريقة التحليل الكمي للغازات، وانه أول من استحضر حامض النتريك ، واستعمل ثاني اكسيد المنغنيز في صنع الزجاج ، كما استخدم الزئبق في استخراج الاوكسجين ، يدل على هذا ان (سارتون) قال في كتابه (مقدمة في تاريخ العلوم) : ان جابر بن حيان شخصية فذة وهو من اعظم الذين برزوا في ميدان العلوم في القرون الوسطى .

ويبين الباحث أن دعوى الغرب بان (غاليلو) العالم الايطالي هو الذي اخترع رقاص الساعة ، غير صحيحة ، فقد برهن التاريخ على أن العرب هم الذين اخترعوا «بندول» الساعة على يد «ابو سعيد عبد الرحمن » المشهور بابن يونس المصري ، وقد استعمل العرب هذا البندول في الساعات الدقاقة التي اهدى هارون الرشيد واحدة منها الى شرلمان امبراطور فرنسا .

وينسب الاوروبيون الى (يوهان كيلر) اكتشاف علم الضوء والبصريات في حين ان الذي اكتشف هذا العلم هو العالم الكبير « أبو علي محمد بن الحسن ابن الهيثم» وأن كلا من كيلر وروجر باكون، ووايتلو وغيرهم قد اعتمدوا على مكتشفات ابن الهيثم ومادونه من كتب ورسائل في ظل ما ادعوا اكتشافه من نظريات عن علم الضوء والبصريات .

الى غير ذلك من الامثلة العديدة التي اوردها

الباحث ليدل بها على مدى ماأحرزه علماؤنا العرب من تقدم في ميدان العلم والمعرفة ، كما يدل على ان لهم فضل الاسهام والمشاركة في هذه الحضارة العالمية السائدة .

● **قضية العامية والفصحى :**

بين الحين والآخر تقوم المعركة بين العامية والفصحى ، فقد صارت هذه القضية تشغل بال الكثيرين في الأوساط الادبية ، اذ ان التنافس بين هاتين اللغتين بلغ من الحدة ماجعل احداهما تريد ان تطرد الاخرى ، ومهما يكن من أمر فان الذى نستطيع أن نقوله ،أن للفصحى مجالا لا تستطيع العامية ان تقتحمه أو ان تجاريها فيه ، فهى لغة التاريخ والمقال والبحث والعلم ، يضاف الى ذلك أن اللغة العربية رابطة من اقوى الروابط في توثيق الفهم بين الشعوب العربية ، لكن اللهجة العامية تختلف من قطر عربى الى قطر عربى آخر ، دون أصول أو قواعد وضوابط ، يدل على هذا ما سبق ان بينت في عدد سابق من هذا الباب ان احسان عبد القدوس كتب في مقدمة الطبعة الثانية لقصة (أنا حرة) يقول:

« لقد قرأت أثناء قراءتي للقصة ، قصة عراقية باللغة العامية ، ولم افهم منها شيئا ، وخيل الى ان قراء العراق لن يفهموا من قصتى شيئا اذا كتبت حوارها باللغة المصرية العامية» .

ويثور الآن جدل عنيف حول هذا الموضوع على صفحات الكثير من المجلات ، ويبلغ هذا الجدل عنفا وشدة حين حمل الدكتور لويس عوض العربية الفصحى مسئولية ازمة الرواية والقصة القصيرة ، فقد نشر في مجلة الاذاعة والتليفزيون ان سبب هذه الازمة يرجع الى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب الذى يصر على أن تكتب القصص والروايات باللغة العربية .

ويرد القصاص المعروف أمين يوسف غراب عليه في نفس هذه المجلة «في العدد التالى الصادر بتاريخ ٩ يناير ١٩٦٥» فيبين ان ماذهب اليه الدكتور لويس لايستند الى اى اساس ، فان كتاب القصة الطويلة — وعلى رأسهم «توفيق الحكيم» — زاد انتاجهم في عام ١٩٦٤ عما كان عليه في السنوات الماضية ، اذ ظهرت لتوفيق الحكيم ثلاث روايات هى « سجن الانسان » و «شمس النهار» و« الطعام لكل فم »٠٠ وكذلك نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله .. الخ.

كما يضيف الاستاذ أمين غراب ٠٠ ان القصة القصيرة لم تكن اكثر ازدهارا مما هى عليه الآن ، ويستدل على ذلك بمسابقة «نادى القصة» التى تقدم لها ٧٠٠ قصة ، وان مسابقة المجلس الاعلى المسماة باسم «الكتاب الاول» تقدم لها ما يزيد على ٢٠٠ قصة قصيرة ورواية من انتاج كتاب جدد .

ويمضى امين يوسف غراب متسائلا :

هل هناك فن او ادب يمكن ان يسمى فنا او ادبا اذا ما كتب باللغة العامية ؟

وهل لويس عوض نفسه يكتب مقالاته — التى يدور حولها ويلف ، ويقول فيها ما لا يقدر على قوله ، وما يقدر على قوله ، باللغة العامية ؟

وهل تاريخ الادب والفن الذى يدعى لويس عوض انه ألم باطرافه شرقا وغربا ويمينا ٠ ٠ هل في هذا الأدب ادب باللغة العامية ؟

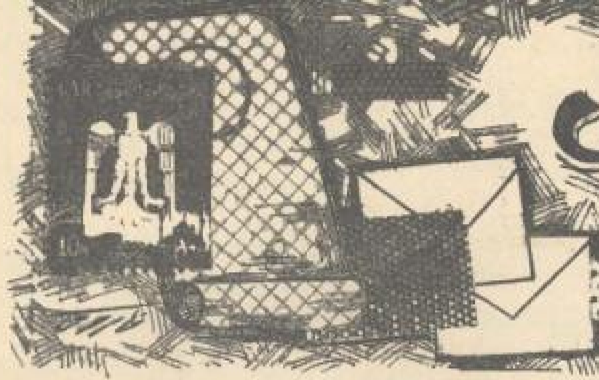
ويقول «انني ارجو من الدكتور لويس عوض.. اما ان يكون صريحا ورجلا ..

ويقول لنا في صراحة ماذا يريد ؟ واما ان يسكت بدل أن يتباكى ، فهو اذا وقفنا له تباكى ٠٠ وقال انهم يهاجمونني لانني لويس عوض ..

واذا سكتناله راح ينفث هذه السموم حول تراثنا المجيد الذى نعيش عليه وتعيش عليه امتنا العربية .. ان القومية العربية التى ينادى بها ويكافح من أجلها ، من هو في أغوار الصحراء شرق .. ومن هو في اغوار الجنوب ، انما رباطها المقدس هو اللغة العربية التى يريد منا لويس عوض ان نتحلل منها .. ثم يبين امين غراب ان الدعوة الى العامية ليست جديدة بل هى كانت منذ كان رفاعة الطهطاوى الى سلامة موسى ، ثم لويس عوض الآن.

ويستطرد أمين غراب فيربط بين الكلام عن ازمة القصة بما يرويه من قصة قديمة تروى في الريف هى قصة ٠٠ الزير الأثرى ، الذى أدخل ثور العمدة رأسه فيه وحين احتار الناس في الامر اتوا بمعلم القرية الذى اشار عليهم بقطع رقبة الثور أولا ولما لم يتمكنوا من اخراج رأس الثور من قلب الزير أشار عليهم بكسر الزير ٠

« **محمد العوانى** »



قصيدة النثر فى لبنان

بقلم ياسين النصير

« مقالة حول المقال المنشور بنفس العنوان فى « الشعر عدد اغسطس »

تميز لبنان دون غيره من البلدان العربية ، بظاهرة التغير المفاجىء ، فى معظم المجالات الادبية ، وهذا ليس راجعا الى عمق التجربة الادبية فى لبنان ، (مع اننا لا ننكر فضل ادباء لبنان المفكرين) وانما راجع بالدرجة الاولى الى التأثر بالتيارات الغربية فما يكاد تيار يظهر فى العالم الغربى ، الا وتجد له من يؤيده كما اننا نلاحظ ، ان كتبا لازالت مخطوطة فى زوايا المكتبات الغربية ، تطبع فى لبنان ، ولهذا ، فالقصيدة النثرية ، ليست وليدة التطور الشعرى العربى ، وانما فرع من فروع الادب الكلاسيكى الغربى ، الذى يعيش فى الحانات والملاهى .

ان الشعر العربى عندما ظهر لاول مرة قبل بعث الرسول عليه السلام بعشرات السنين ، كان بوضعية البيئة العربية ، وعندما تطور هذا الشعر ، كان تطوره نابعا من الكيان الشعرى العربى وان الذى لحقه من صفة للتأثر بالتيارات الغربية ، انما كان من جانب الشكل لا المضمون ، ولهذا فان الشعر الحديث جاء نتيجة متطلبات البيئة العربية ، ولهذا اتخذ شكلا يكون قياسيا لكل المجالات العالمية .

ان التطور الحادث ، فى معطيات الحياة الطبيعية ، واتجاه الانسان نحو الفضاء ، واستغلاله لكل طاقاته المادية ، مما جعله يشق طريقا جديدا ، يكون مسايرا مع تطور تلك المادة ، كما ان هذه التطورات الجديدة ، جاءت من اجل سعادة وفناء الانسان ولكنه قادر ان يحول السيف والمدفع الى محراث ، ومن هذا فان كل جديد ليس بالجديد، ولا كل قديم بالقديم ، كما انه ليس القديم فاسدا ، وليس الجديد صحيحا وسليما ، اذ لايمكن ان نخلق من التشاؤم تفاؤلا ، ولا من التفاؤل تشاؤما ، وانما نخلق من التفاؤل القديم تفاؤلا اكثر قوة ، ومن التشاؤم تشاؤما اقل وهكذا يكون القديم اساسا فى ظهور الجديد ، كما انه بذرة لنمو الحياة الجديدة ، وبصورة مدروسة .

فعندما ظهر الشعر الحديث ، كان وليد التطور الحاصل من الشعر القديم مع التأثيرات المختلفة التى قومت الاسلوب والتجربة ، فجعلته بوضعيته الجديدة ، واصبح الشعر الجديد جديدا ، بشكله ومضمونه ، ولكنه استعمل نفس الأوزان الشعرية ودرس نفس الاسلوب ، وعالج نفس المشاكل ، ولكن بشكل اعمق وهذا هو المنطق الصحيح للتطور ، ولكن أين تقف قصيدة النثر من هذا ؟ وما هى سنة تطورها ؟ وما هى القضايا الثورية التى عالجتها ؟ وما هو اسلوبها ؟

« قصيدة النثر خطرة لانها حرة ، هذه كلمات قالها ادونيس.. اما القول بانها (قصيدة) ليس صحيحا . ان القصيدة النثرية فى لبنان كما يسمونها ليست بالقصيدة الصحيحة اذ ان مفهوم القصيدة هو ماتمتع بالوزن والشعور والمضمون ، وعليه فان قصيدة النثر عارية من الكل . اما قوله خطرة، فصحيح انها خطرة ، اذ انها دخيلة على الشعر العربى وسوف تبدل من طريقة معالجته للحياة فتجعلها جامدة خامدة ، وهذا ما نلاحظه فى دواوين اصحاب مجلة « شعر » .

اما قوله (حرة) فهل هى حرة من الوزن ؟ نعم هى كذلك !! ام هى حرة من الحياة والبيئة العربية ؟ نعم هى كذلك ! ام هى حرة لانها نابعة من قلوب أحرار ..

واذن فالقصيدة النثرية فى لبنان هى حرة من الوجود والكيان والشعر العربى ، وهى دخيلة استعمارية على الشعر العربى وعلى حياتنا الادبية .

اما قواعد القصيدة النثرية فهى : الايجاز والتوهيج والمجانية .

اما الايجاز فلا اظن ان له مجالا فى أدبنا الثورى المساير لنهضتنا الاجتماعية والسياسية والادبية ، اذ كيف يجوز لنا ان نصف الحى بكلمة حى بينما يجوز لنا ان نصف الجهاد بكلمة جهاد .. وعليه تكون قصيدة النثر جامدة لانها تعالج مشاكل الموت والفناء والعدم .

اما التوهيج ، فانه لايحدث فى الاشياء الميتة ، وانما يكون فى الاحياء حدثا وفعلا ، كما انه موضوع لتجربة الشعر الحديث فى

مجال انطلاقه نحو الحياة الافضل ، ونحو التطور الجديد في المضمون الادبي ، ولا بحث في ان «التدمير حيوي ومقدس» .

اما المجانية ، اي العطاء بلا مقابل والاخذ بلا مقابل ، فان قصيدة النثر تقف مكتوفة الايدي تجاه التطور الحالي ، اذ انها تاخذ ولا تعطي ، والسبب راجع الى ان تاثيرها في الفكر الانساني لايعدو خربطة او وشوشة في مبادىء التعليم الاول ، فهي تاخذ من الموضوع انسانيته ، ومن المادة حيويتها ، ومن الحياة عبيرها لم تقع الجميع في بوتقة تجربة فطرية مكتسبة لتعطي للشعب للادب ، للانسان شيئا عن الموت ، عن الجماد ، عن اللاوعي ، عن الانحلال والاندثار ، ولهذا يقول اصحاب قصيدة النثر ، التدمير حيوي ومقدس» .

ان انسي عندما يثور نفسيا ، اي ان شعوره النفسي قد اصبح السر الوحيد له ، يقف انسي في ذلك المكان المظلم ، اي في داخل نفسه ، ويصف لنا المكان الخارجي مكان الانسان والحياة والكون والموت ، ومن يدري بسلامة نفسية انسي الحاج !! وهل هي نفسية العالم التمرسي المجرب؟! ثم ان في كل نفس عوامل داخلية وخارجية مؤثرة فيها ، بالاضافة الى ان النفس امارة بالسوء فكيف يقول انسي بقصائده ، ويريد منا ان نحيا التجربة كانها الطريق الوحيد او الحياة السعيدة .

ان في قطعتي انسي «الشبح الاجرد» و «البيت العميق» يصف بهما ماساة الانسان في حياته ونهايته الى المصير الحتم ، وهو هنا يستسلم للموت، فيطلب منا ان نثور لان الموت اخذ الانسان او ان الانسان دخل في عالم الاموات . فاين التوهج والمجانية ؟ واين الشخص الذي يجعل من الكون والحياة والرفض والحرية والمعطيات الاخرى ، اداة لتقويم النفس البشرية ، وابداعا لمعطيات اخرى ، وطرق ادبية جديدة .

اما موضوع اللغة ، فكان قصيدة النثر بلا لغة ، لا لانها مجانية ومتوهجة ، ولكن لانها ميتة واخذة فقط ، ان اللغة عامل من عوامل التقدم الحضاري لكل تطور ، ولكن عندما نقرا قصيدة من قصائد النثر ، نجد اللغة فيها لغة الغوغاء او الدهماء التي لاتعرف الا العنف سبيلا للحياة ، ولهذا فاللغة كلمات منفصلة وغير متماسكة ، ولا تؤلف وحدة الموضوع والجزء ، لانها تابعة من اللاوعي للشاعر ، وعندما يكون مثل هذا الشاعر ، بلا وعي ، فانه يصبح بلا ضمير ، وبالتالي يكون سطحي الفكرة والهدف ومثال التطور ، فان مثل هذا الشاعر عندما يعمل قصيدة نثرية يتحرر من :

١ ـ اللغة .

٢ ـ المادة .

٣ ـ العمل الانساني والثوري .

٤ ـ التجربة .

ونحن نريد كما يريد عصرنا الحاضر ان الشاعر يجب ان يحتوي ، اللغة لانها الوسيلة الوحيدة لمفهوم التطور الشعري . ويستعمل الحياة بحواسها ومواردها مواضيع لقصائده ، ونريده ايضا انسانيا ، يعمل لسعادته لا لشقائه ، وثوريا على الاستعمار ومستفيدا ومستندا على الماضي الادبي لانه لا يستطيع ان يتحرر منه ..

مع الشعراء :

تلقت الرسالة القصائد الآتية :

من وحي الثوار العرب
للشاعر عبد الباري أبو العينين

غراميات
للشاعر فيصل فتح الباب

صوت الأم
للشاعر احمد محمد الشال

الجزائر
للشاعر محمد زكي الغقي

دنيا الجمال
للشاعر عبد الحميد حموده

قم يا ابن عم
للشاعر محمد اسماعيل عاشور

خداع
للشاعر فرحات عبد الخالق

الحب الخالد
محجوب محمد موسى

انة الشاعر
للشاعر اسامة ضياء الخطيب (العراق)

رمضان حسان
للشاعر بيومي محمد الدسوقي

دولاب
للشاعر عبد الامير السعدي (العراق)

ابتهال
للشاعر هدى النعماني

لقاء عيدين
للشاعر عبد العزيز مصلوح

سلمت جمالها
للشاعر محمود شادر ربيع

وبكى الزهر
للشاعر عبدا لحفيظ عبد الرحيم عبد اللطيف

قصة قصيرة

الملاك

للدكتور نجيب الكيلانى

كنت اؤمن دائما بأن الفرد نتاج البيئة التى عاش فيها ، وكنت ارى بعينى دائما - كطالب بقسم الاجتماع - ما يؤكد هذه النظرية ويدعمها ، ولم يعترض ايمانى بذلك الا حالة واحدة استعصى على تفسيرها ، ذلك هو زميلى في القسم **«ابراهيم سويدان»** ، فقد نشأ في اسرة توارثت مهنة التجارة سواء من ناحية ابيه او من ناحية امه ، الاسرتان تؤمنان بالارقام ، وتسيران دقة الامور طبقا لخطة وتفكير طويل ، وتؤمنان ايضا ان ادخال «العاطفة» فى الشئون التجارية ليس له سوى نتيجة واحدة هى الافلاس او خراب البيوت ، ما عدا ابراهيم .. كان كثيرا ما يسخر من العقل ، ويعتبره وسيلة قاصرة لادراك الحقائق ، ويرى ان العاطفة لا تكذب، وانها تأخذ دائما بيد الانسان الى سر الوجود والحق الازلى .. وكنت اعارضه دائما واقول له : « ان هذه نظرة رجل متصوف وليست نظرة رجل يدرس علم الاجتماع » .

فكان يضحك منى ويقول : «انت تعبير عن ثقافة منحرفة .. عن عالم مادى اعمى لا يمكن ان يرى الحقيقة .. لأنها لا تتجلى الا فى نور القلب المؤمن »

اجل .. كانت صلتى وثيقة جدا بابراهيم ..

وادركت ذات مرة انه يطيل النظر الى « **فوزية** » احدى زميلات الدراسة ..

واستغربت .. لانه يتحدث عنها حديث العاشق الولهان .. ولم يكن هناك ادنى امل فى ان تستجيب لنظراته .. فهى جميلة جدا .. ومن اسرة ثرية تفوق اسرته بمراحل.. وهو انسان عادى فى سمته وهندامه ووضعه الاجتماعى .. وقلت له ذات يوم:

- لن تلمس السحاب بيديك ..
- ماذا تعنى ..
- ان تعلقك بفوزية خرافة ..

- اننى اؤمن بقوة الروح .. وروحى تستطيع ان تحلق فوق السحاب نفسه ..

- هذه احدى شطحاتك الصوفية ..

فابتسم ابراهيم وقال :

- انا لا اريدها فى ذاتها ..

- لكنك لا تمل التفكير او النظر اليها ..

فهز راسه وتمتم :

- اتعرف شيئا عن العشق الالهى ؟؟

فقلت فى حنق :

- انا احدثك عن فوزية ولا احدثك عن الله ..

وبدا الضيق على وجهى حين سمعته يقول :

- ايها الجاهل .. ان جمال فوزية انعكاس لجمال الخالق .. مظاهر الجمال فى الوجود كله انعكاس لجمال الله .. ولهذا فانا اعشق فوزية .. هى مجرد وسيلة .. مرحلة من مراحل العشق ، انتقل بعدها الى عشق الله ذاته .. ألم تسمع عن « رابعة العدوية ؟؟ »

قلت فى اصرار :

ـ لكنك تتمنى ان تتزوجها ..

قال ابراهيم :

ـ هذا هراء .. اذا تدخلت الرغبة الجسدية فى الحب افسدته .. وتلوثت الروح باطماع الحياة .. وماتت كل المعانى الجميلة ..

ـ لكن الزواج سنة الحياة ..

هذا بالنسبة لك ..

ومنذ ذلك اليوم وانا اشك فى حالة « ابراهيم سويدان » ، كان يقضى اكثر وقته صامتا ، ونظراته الشاردة ، تنبثق من عينين واسعتين فيهما عمق وقوة ، وكان يتابع « فوزية » اينما ذهبت ، ويحرص على الجلوس بالقرب منها ، ويحاول ان يجاذبها اطراف الحديث ، وفى بعض الاحيان يرافقها من المدرج حتى عربتها ، وكنت كثيرا ما احاول ان اعرف مايدور بينهما من حديث ، لكنه كان يهمس ساخرا :

ـ لن تعرف .. لانك لا يمكن ان تفهم لغتى .. وانا وانت نعيش فى عالمين مختلفين تمام الاختلاف .. وشتان بين عالم المادة وعالم الروح ..

فرددت قائلا :

ـ وهى ؟؟ فى اى عالم تعيش ؟؟ حذار ان تخدعنى وتزعم ان فوزية من سكان عالمك .. انها تركب عربة .. وترتدى أثوابا فاخرة وتقضى عطلة آخر الاسبوع فى عزبة ابيها ..

فابتسم قائلا :

ـ لم تزل جاهلا ياصديقى .. الفقر له معنى آخر عندنا .. الفقر بمعناه الصوفى ان تكون عاريا من كل رغبات الحياة واطماعها .. ولهذا قد يكون هناك امير يملك الكثير .. لكنه فقير .. والعكس صحيح .. افهمت ؟؟

وكان من المستحيل ان افهم ، ولا يمكن ان اعتبر فوزية فقيرة ، حتى ابراهيم نفسه لا يمكن ان يكون فقيرا ، انه يهاجم الغنى مع انه يملك اشياء كثيرة ويحرص عليها ، ويهاجم « مدرسة العقل والمادة » فى الوقت الذى يدرس فيه علومها ويتفوق فيها ، ويتقدم على .. انه لغز .. بل هو مجنون لا شك فى ذلك ، لكن الذى يحيرنى هو أن علاقته بفوزية تقوى وتتقدم حتى اصبحت لافتة للنظر ، ومع ذلك فقد ازداد ابراهيم استغراقا فى تصوفه ، وايمانا بافكاره، وظل يهاجم الحياة المادية ومتعها ، والاطماع السخيفة التى تحيل البشر الى وحوش فى غابة ، واخذ يؤكد اننا فى حاجة الى رسول جديد يدعو البشرية الى عالم الروح الشفاف النقى ، حتى يحصل الانسان على السعادة والامن الحقيقيين ..

لا انكر انه بمرور الوقت اخذت انعم التفكير فى كلمات ابراهيم ، واحلل فيها واحاول ان ابحث عن دوافعها ، بل تماديت واستعرت منه بعض كتب المتصوفة واخذت اقرؤها بشغف ، وشعرت آنذاك وانا اتمثل معانيها ان هذه الكتب تضم واحة سحرية فى صحراء الحياة المندفعة الهائجة ، واحة نسماتها وخضرتها وظلها توحى بنوع من السكينة غريب وتحولت من التفكير فى ابراهيم الى التفكير فى فوزية اتراها تؤمن بمثل هذه الافكار هى الاخرى ؟؟ هل اقتنعت بمنطق ابراهيم وتفسيراته ؟؟ وامتلأت نفسى بنوازع الفضول وحب الاستطلاع .. ووجدتنى اتسلل اليها ذات يوم فى غيبة ابراهيم ، وناخذ فى الحديث عن الكلية والعلوم ثم الآراء المختلفة فى تفسير اسباب الجريمة ودوافعها ، واستطعت بلباقة أن استعرض آراء ابراهيم . واخيرا قلت لها :

ـ مارايك فى ابراهيم ؟؟

ـ تلون وجهها بحمرة مباغتة ، وطرفت عيناها ، ووجدتها تعبث بحقيبة يدها فى ارتباك ، وتمتمت

ـ انه ملاك فى عالم من ذئاب ..

وهززت راسى فى حيرة وقلت :

ـ هذا حق ..

واشرق وجهها بالرضا ، وبدا لى انها قد ارتاحت لكلماتى ، ومن ثم انفكت عقدة لسانها واخذت تقول :

ـ أنت توافقني اذن .. انه الوحيد الذى لا يتعلق بالمظاهر ، ولا تغريه الماديات .. محال أن تجد له مثيلا بين زملائنا .. كلهم يتحدثون عن المستقبل والوظيفة وأحلام الثراء والموديلات .. واشياء كثيرة تافهة .. ألست معى ؟؟

قلت وأنا ادقق النظر الى وجهها الفاتن الجميل ، والسلسلة الذهبية المدلاة على صدرها الناهد :

ـ بلى ..

وسادت فترة صمت تجاسرت بعدها وقلت :

ـ الم يحدثك عن نظرية العشق الالهى ..

ـ ربما .. لكنى أذكر انه يؤمن بقوة الروح ، واتخاذ القلب دليلا الى عالم الحقائق .. لست ادرى لماذا أرى فى كلماته قوة واقناعا ..

الحقيقة ان ايمانى بآرائه يزداد يوما بعد يوم ، لكن الامتحان قد قرب وما على الا ان انسى ـ ولو الى حين ـ هذه المشاكل الفكرية ، وبعد الامتحان سيكون هناك متسع من الوقت لمعالجة هذه الامور

وكان على بعد اعلان النتيجة ان اذهب لتهنئة اول الدفعة « ابراهيم سويدان » ، ورايت فى بيته مظهرا ضخما من مظاهر الفرح والابتهاج ، وشهدت هرجا ومرجا ، وجلست الى جوار ابيه فى انتظاره ، وسمعت اباه يقول لأحد زملائه التجار :

ـ خير البر عاجله .. لقد قررنا ان نحتفل بالنجاح وبعقد قران ابراهيم ابنى دفعة واحدة .. ودق قلبى .. كانت كلمات ابيه مفاجأة مذهلة لى .. فأنا اعرف راى ابراهيم فى الزواج ، واعرف انه زاهد متصوف ، وان قلبه يتحول من حب البشر الى حب الله ذاته .. الى ما يسميه بالعشق الالهى .. وقلت فى نفسى : « لابد ان اهله قد ارغموه على الزواج من احدى قريباته طمعا فى مالها ، ولا شك ان ابراهيم تعس حزين ، وهو يساق سوقا الى شىء ليس من طبيعته ..

لكنى سمعت اباه يستطرد قائلا :

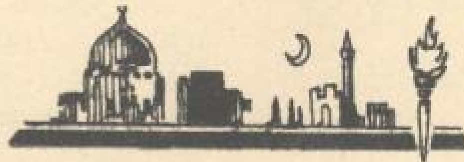
ـ ان ابراهيم ولد عاقل فعلا .. فالعروس من الطبقة الراقية .. ابوها يملك عزبة فى نواحى المنصورة .. وله رصيد ضخم فى البنك .. وهو رئيس مجلس ادارة شركة كبرى .. ابراهيم بن ابيه حقا .. عاقل رزين .. والعروس مثقفة .. زميلته فى الكلية ، وتخرجت معه هذا العام .. مال وجمال وعلم ..

دارت راسى ، واختلطت المرئيات امام عينى ، واجتاح قلبى حقد هائل على ابراهيم .. لم يكن سبب حقدى هو انى احببت فوزية حبا عنيفا .. لكنى عجزت عن الوصول الى قلبها .. بل كان حقدى الاكبر عليه لانه خدعنى .. ولانه فى الوقت الذى كان يبشر فيه بدعوة القلب والروح .. كان يؤمن فى قرارة نفسه بالعقل وبالارقام .. وانتفضت واقفا .. وقلت :

ـ **بلغه تهانى عندما يعود ..**

وسرت فى الطريق المظلم الى بيتى .. كنت افكر فى ذلك « الملاك » ، ولم اؤمن فى حياتى قط كما آمنت فى تلك اللحظات بان الانسان نتاج بيئته ..

دكتور نجيب الكيلانى





الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٨١

الثمن ٣



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

حسام غيبالي

الرسالة

رئيس التحرير
احمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
البريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١٠٠ ـ الخميس ١٠ شوال ١٣٨٤ هـ ـ ١١ فبراير ١٩٦٥ م ـ السنة الثانية والعشرون

المفردات في العربية الفصحى وفي العامية

للدكتور: علي عبد الواحد وافي

من اهم ما تمتاز به العربية الفصحى غزارة مفرداتها وثروتها الكبيرة في أصول الكلمات . فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية، وتزيد عنها باصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول ، ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها . هذا الى أنه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ، ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال ، مالم يجتمع مثله للغة سامية أخرى ، بل مايندر وجود مثله في لغة من لغات العالم . فقد جمع ابن منظور المصري في معجمه الخالد « لسان العرب » زهاء ثمانين ألف مادة عربية يتفرع من كل مادة منها عشرات بل مئات أحيانا من الكلمات الجامدة والمشتقة . وهي كذلك منقطعة النظير فيما تشتمل عليه من المترادفات التي تعبر كل مجموعة منها عن معنى واحد أو عن مظاهر معنى واحد أو عن أوضاعه وأحواله . فقد جمع مثلا للأسد خمسمائة اسم وللثعبان مائة اسم . وكتب الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط كتابا في أسماء العسل فذكر له أكثر من ثمانين اسما ، وقرر مع ذلك أنه لم يستوعبها جميعا . ويرى الفيروزابادي أنه يوجد للسيف في العربية ألف اسم على الأقل . ويرى آخرون أنه يوجد أكثر من أربعمائة اسم للداهية . ويوجد لكل من المطر والريح والنور والظلام والناقة والحجر والبئر أسماء كثيرة تبلغ عشرين في بعضها وتصل الى ثلثمائة في بعضها الآخر ، وقد جمع دوهامر المفردات العربية المتصلة بالجمل وشئونه فوصلت الى أكثر من خمسة آلاف وستمائة وأربعة وأربعين . وكذلك الشأن في الأوصاف والأفعال ، فلا يوجد وصف ولا فعل الا وله في العربية الفصحى عدة مفردات تعبر عنه أو عن درجاته أو أوضاعه .

ولا تقتصر مزايا العربية الفصحى من ناحية المفردات على غزارتها العددية ، بل يضاف الى ذلك خصب مناهجها في اشتقاق هذه المفردات بعضها من بعض وقياسية أوزانها واختصاص كثير من هذه الأوزان بالدلالة على معان معينة ، هذا الى سعة صدرها حيال التعريب والمجاز والكناية والنقل وما الى ذلك من الوسائل التي لا تنفك تضيف الى ثروتها الأصيلة ثروات مستحدثة وتجعل متنها دائم الزيادة مطرد النمو .

ولا يخفى ما لهذه الأمور من أثر كبير في كفاية العربية الفصحى وقدرتها على التعبير عن مختلف فنون القول ، فليس ثمة معنى يخطر بالذهن من المعاني الجزئية أو الكلية الا ونجد له من بين مفردات هذه اللغة ما يعبر عنه . وكثرة ما تشتمل عليه من المترادفات للمعنى الواحد تتيح لأرباب كل علم وكل فن وكل صناعة أن يقصروا بعض هذه المترادفات على مصطلحاتهم بدون أن تضار الفروع الأخرى وبدون أن يضار الاستعمال العام من جراء ذلك ، اذ يجد كل فرع من الفروع الأخرى ويجد الاستعمال العام فيما بقي من المترادفات ما يسد حاجته ، وتتيح كذلك لكل كاتب وكل شاعر وكل خطيب أن يتخير من بين هذه المترادفات أكثرها اتساقا مع بقية عناصر الجملة في جرسه وموسيقاه ووزنه ووضوح دلالته وقوة تأثيره ، أو أكثرها اتفاقا مع ما تقتضيه فواصل العبارات أو اتجاهات السجع أو أوضاع العروض والقافية في الشعر .

وقد انتقل العرب من أوضاع الجاهلية الى حضارة الاسلام ، ومن النطاق العربي الضيق الذى امتازت به مدنيتهم في عصر بني أمية الى الأفق العالمي الواسع الذى تحولوا اليه في عصر بني العباس فلم تعجز لغتهم عن مواجهة هذه الشئون الجديدة ، ولم

تضق ذرعا بالتعبير عن أية ناحية منها ، بل اتسعت للعلوم والفنـــون والمهن والصـــناعات على اختلاف أنواعها ، وللحضارة على كثرة مظاهرها ، فنهضت بالمـــواد الشرعية والرياضـــية والعلوم النفسية والاجتماعية ، وصارت لسان الفلسفة والســـياسة والقصص والصناعة والفن ومختلف ضروب المعاملات وبالجملة لم تقف أمام أية شعبة من شعب المعرفة أو الحضارة وقفة المتعثر الحائر ، بل كان لها من قـــوة حيويتها ، وعظيم مرونتها ، وغزارة ثروتها ، وسلامة أسسها ، ما أتاح لها الخوض في مختلف منـــاحي القول والتعبير عن شتى مظاهر التفكير :

وسعت كتــــاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنســـيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صـــدفات

وقد شهد بذلك المنصفون من المستشرقين أنفسهم وفيما يلي فقرات مما كتبه في هذا الصدد واحد من أشهر علمائهم هو المأســـوف عليه لويس ماسينيون في مقال له تحت عنوان « مقام الثقافة العربيـــة في المدنية العالمية » :

«مما يدل على أفضلية اللغة العربية احتفاظها بأكبر قدر من الأصول الثلاثية ، فقد بلغت فيها هـــذه الاصول أربعمائة ألف ومائة وثمانين . ومن بين هذه الاصول عدد كبير لا نظير له في أخواتها السامية . هذا الى أنها أرقى أخواتها جميعا في الثقافة بالمعنى العام . وذلك ما يمكن استنتاجه من ثروة المعاني الكامنة في كل أصل ثلاثي من أصولها ، ومن صقلها للمعاني والصعود بها في مدارج التقدم ...

وباستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أدبهم من جوامع الكلم التي تحمل من ســـمو الفـــكر وأمارات الفتـــوة والمروءة ما لا مثيـــل له . وإعجاز التأليف عند العرب يأتي من الايجاز الذي كأنه تركيز بالتقطير .

ثم كيف ننسى بعض مطالع قصائد المتنبي وهي كالأسهم صيغت من حكم خالصة تسمو قـــدرا على مجلدات من أقصوصات .

وكيف ننسى حكمة المتصوفين وكأنها قطرات ماء سكب فحملتها الراحتان بغير نصب في ابتهالها الى الله .

وأخيرا كيف ننسى أن العرب قد وضعوا في مجال العلوم الرياضية والكيماوية من الاصطلاحات الدقيقة ما يسير اليوم في خط متواز مع أحدث الأبحاث في تلك العلوم . وفي درس الوسائل العقلية والروحية التي استعملها بنجاح علماء العرب في التعبير عن تجاربهم العلمية والنفسية والطبية ما يدل على قابلية اللغـــة العربية لنقل الأفكار المفيدة في مفرداتها وصيغها الأصيلة .

واليك مثالا لذلك ما فعله محمد بن زكريا الرازي في استدراكات شكوكه على جالينوس وغيره ، وأبو حيان التوحيدي في اشارته الالهية ، والبيروني في تاريخ الهند ، والأصوليون من الشافعي الى ابن قيم الجوزية وابن الهمام في تجاربهم الاجتماعية .

ولا يعوز اللغة العربية في العصر الحاضر الا أن تخصص ألفاظ من مفرداتها للدلالة على ما استحدث في شئون العلوم والفنون . ولن يرهقنا هذا من أمرنا عسرا ، لأن في بطون معجمات هذه اللغة آلافا من الكلمات المهجورة والمستعملة مما يصلح أن يوضع لهذه المسميات الحديثة .

ولنا في هذا الصدد أسوة حسنة فيما فعله العرب أنفسهم في صدر الاسلام والعصر العباسي . وهذه هي احدى الغايات التي يعمل على تحقيقها « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة .



ونقف هنا وقفة يسيرة لبيان الكارثة التي تصيب ثقافتنا اذا اســـتخدمنا العاميـــة في العلوم والآداب والشعر والخطابة والنثر وشتى مناحي التفكير ، كما يدعو الى ذلك جماعات الشـــعوبيين أعـــداء العرب

والعروبة وعملاء الاستعمار لتحقيق أغراضه الهدامة. فالعامية لغة فقيرة كل الفقر فى مفرداتها ، لايشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادى ، وتكاد تكون مجردة من المترادفات . وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعانى الدقيقة ولا عن حقائق العلوم والآداب والانتاج الفكرى المنظم . ولا أدل على ذلك من أننا فى حديثنا العادى نفسه كثيرا ما نضطر الى استخدام العربية الفصحى واقتباس مفرداتها وقواعدها حينما نكون بصدد التعبير عن حقائق منظمة وافكار مسلسلة ، لا نفعل ذلك للمباهاة أو اظهار القدرة على التعبير الفصيح ، وانما نفعله مضطرين اضطرارا ، لأننا نرى أن العامية لا تسعفنا فى مفرداتها ولا فى قواعدها بما يضبط تفكيرنا وينقله نقلا صحيحا الى الأذهان .

وانما اذا طلبنا الى الذين يدعون الى استخدام اللغة العامية فى الكتابة أن يكتبوا بهذه اللغة كلمة يعبرون بها عن وجهة نظرهم نفسها ويسوقون فيها الأدلة على صحة رأيهم فانهم لا يجدون فى مفرداتها ما يتيح لهم الابانة عما يريدون الابانة عنه .

فاذا لم تجد أمامنا الا اللغة العامية نستخدمها فى جميع شئون تفكيرنا وتعبيرنا لتقطعت بنا أسباب الثقافة ، ونكصنا الى الوراء قرونا عديدة ، وقضى على نشاطنا الفكرى قضاء مبرما . لأن الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية فى التعبير خمدت جذوته ، وضعف شأنه ، وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه على توافه البحوث وسفساف التأملات . فاللغة هى القالب الذى يصب فيه التفكير : فكلما ضاق نطاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ضاق نطاق الفكر واختل انتاجه .



هذا ، وقد حاول كثير ممن فى قلوبهم مرض أن ينتقصوا من قيمة ماتملكه العربية الفصحى من ثروة فى المفردات وغزارة فى المترادفات ، فزعموا أن كثيرا من عناصر هذه الثروة مزيف مصنوع قد خلقه جامعو المعجمات خلقا لحاجات فى نفوسهم .

ولا يقدم هؤلاء بين يدى فريتهم هذه الا شبه دليل واحد ، وهو أن اللهجات العامية المتشعبة من العربية الفصحى محدودة المفردات ، وتكاد تكون مجردة من المترادفات . فلو كانت أمها الأولى بهذه الغزارة فى مفرداتها ومترادفاتها لانتقل شىء من ثروتها اليهن جميعا أو الى بعضهن على الأقل .

وفساد هذا الرأى لا يحتاج الى بيان :

فلهجات المحادثة فى جميع الأمم تقتصر فى العادة على الضرورى ، وتنفر من الكمالى ، وتنأى عن مظاهر الترف فى المترادفات وما الى ذلك . ولذلك تتسع دائما هوة الخلاف بينها وبين اللغة الفصحى فى هذه الناحية . فليست العربية فذة فى هذا الباب بل تشترك معها فيه جميع لغات الآداب أو اللغات الفصحى .

واليك مثلا اللغة الفرنسية الفصحى أو لغة الكتابة واللغة الفرنسية المستخدمة فى التخاطب العادى ، فالفرق بينهما فى المفردات لا يكاد يقل عن الفرق بين العربية الفصحى واللهجات العامية الحديثة المتفرعة عنها .

اما جامعو المعجمات فيدلنا التاريخ وتدلنا آثارهم على شدة حرصهم على تحرى الحق . فقد استخلصوا معظم ما اشتملت عليه معجماتهم من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى نزل بلسان عربى مبين ، ومن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن الآثار العربية فى العصر الجاهلى والعصور الاسلامية الأولى ، واستخلصوا بعضه من العرب المعاصرين لهم . وكانوا شديدى الحيطة فى هذه الناحية الى حد الافراط . فكانوا يتحاشون الأخذ عمن تشوب عربيته أية شائبة . ولذلك كانوا لا يكادون يأخذون الا عن عرب البادية لفصاحة ألسنتهم ، وبعد لهجاتهم عن التأثر باللغات الأعجمية ، وعزلتهم وقلة احتكاكهم بغيرهم . فكانوا يترقبون مجىء أعراب البادية الى المدن فى التجارة أو غيرها فيستمعون الى حديثهم ويناقشونهم فى مختلف شئون اللغة ، ويدونون من فورهم كل ما يهديهم اليه هذا الحديث وترشدهم اليه هذه المناقشة بصدد مفردات اللغة ودلالتها ووجوه استخدامها . وكانوا يتبعون أحيانا ما تسميه علماء اللغة « طريقة الملاحظة السلبية » ، فيرحلون الى

البادية ويقضون فيها بين ظهرانى الأعـراب الأشهر بل السنين يعاشرونهم ويستمعون اليهم فى أحاديثهم الطبيعية ويدونون ما يقفون عليه فى هذا السبيل. وفى ذلك يقول أبو نصر الفارابى صـاحب معجم « الصحاح » فى كتابه« الألفاظ والحروف »: «والذين عنهم نقلت اللغة العربية بين قبائل العـرب هم قيس وتميم وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ،ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا من لخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم أهل الشام واكثرهم نصارى يقرءون العبريات ،ولا من تغلب لمجاورتهم الروم،ولامن بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخـالطين لأهـل فارس والهند ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار الحبشة والهند ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطـائف لمخالطتهم تجار اليمن من المعينيين وغيرهم وقربهم من الجاليات اليمنية ، ولا من حواضر الحجاز لأن السنة أهلها كانت قد فسدت حينئذ لامتزاجهـم بأمم كثيرة » . ويقـول ابن خلدون : « وكانت لغـة قريش أفصـح اللغـات واصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنـانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم . فاما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان واياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشـة فلم تكن لغاتهم تامة الملكة لمخالطة الأعاجم . وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم فى الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية » .

وما اتخذوه من وسائل الحيطة حيال القبـائل والأمكنة اتخذوا مثله حيال الأزمنة والعصور . فلم يأخذوا الا عن العصور التى كان فيها اللسان العربى سليما لم يصبه بعد تبلبل أعجمى ولا انحراف عن أوضاع اللغة الفصحى . ولذلك لم يأخذوا الا عن عرب الجاهلية والاسـلام الى نهاية القرن الثانى الهجرى بالنسبة الى فصحاء الحضر والى أواسط الرابع بالنسبة الى فصحاء البادية ، وسموا هـذه العصور « عصور الاحتجاج » ، وأهملوا ما عداها مبالغة فى الدقة وحرصا على تحرى وجوه الصـدق واليقين .



هذا ، وينبغى ألا يعزب عن بالنا فيما يتعـلق بمترادفات اللغة العربية الملاحظات الآتية :

١ ـ أن كثيرا من الكلمات التى تذكرها المعجمات على انها مرادفة فى معانيها لكلمات أخرى غير موضوعة فى الأصل لهذه المعانى ، بل مستخدمة فيها استخداما مجازيا . ولم يعن بتمييز الحقيقى من المجازى الا بعض المعجمات كالأساس للزمخشرى .

٢ ـ أن الأسـماء الكثيرة التى يذكرونها للشىء الواحد ليست جميعها فى الواقع أسماء ، بل معظمها صفات مستخدمة استـخدام الأسـماء . فكثير من الأسماء المترادفة كانت فى الأصل نعوتا لأحـوال المسمى الواحد ، ثم تنوسيت هذه الأحوال بالتدريج وتجردت مدلولات هذه النعوت مما كان بينهـا من فوارق ، وغلبت عليها الاسمية . فالخطار والحطام والباسل والأصيد ... من أسماء الأسد يدل كل منها فى الأصل على وصف خاص مغاير لما يدل عليه الآخر . وكذلك ما يعد من أسماء السيف : كالصمم والهندى والحسام والعضب والقاطع ... وهلم جرا.

٣ ـ أن كثيرا من الألفاظ التى تبدو مترادفة هى فى الواقع غير مترادفة ، بل يدل كل منها على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التى يدل عليها غيره. واليك مثلا: رمق ولحظ وحدج وشفن ورنا. وما الى ذلك من الألفاظ التى تدل على النظر ، فان كلا منها يعبر عن حالة خاصة للنظر تختلف عن الحالات التى تدل عليها الألفاظ الأخـرى . فرمق يدل على النظر بمجامع العين ، ولحظ على النظر من جانب الأذن ، وحدجه معناه رماه ببصره مع حدة ، وشفن يدل على نظر المتعجب الكاره ، ورنا يفيد ادامة النظر فى سكون ... وهلم جرا .

« د. على عبد الواحد وافى »

.. وما أدراك ما هيه ؟

بقلم : محمود محمد شاكر

- ١٢ -

ما على القارىء بأس ان شاء الله ، اذا هو أمضى نفسه معى فى التجوال والتنقل . فقد كان من حق هذه الكلمة أن تتابع القول فى قضية « العامية واستبدالها بالفصحى » يوم تولى كبرها احمد لطفى السيد ، « معلم الجيل » ، كما أرادوا له أن يكون ! ولكن ربما جد من الأمر ما يلفتنى عن المتابعة ، فأنا عندئذ أجترىء على الانفتال بوجهى الى حيث ينبغى أن انفتل ، ثقة بحسن ادراك القارىء للصلة الوثيقة بين هذه القضية ، وسائر القضايا التى تعترض طريقى وطريقه . لأن المنبع الذى تتدفق منه هذه القضايا على عالمنا العربى والاسلامى ، منبع واحد ، ان شئت أن تسميه « الاستعمار » أصبت ، وان شئت أن تسميه « التبشير » أصبت ، وان شئت أن تسميه « الاستشراق » أصبت ، لأن هذه الثلاثة أسماء متباينة لحقيقة واحدة ، كما بينت ذلك فيما سلف .

وأظن القارىء لم ينس قط أنى بدأت مقالاتى هذه بالكلام عما كتبه لويس عوض عن شيخ المعرة ورسالة الغفران ، ولكنى انتهيت الى قضية العامية ومكايد المبشرين ، وذلك لأن بناء ما كتبه صبى المبشرين عن شيخ المعرة ، قائم على أسس تبشيرية تتخفى تحت ثياب منكرة من الدراسة الأدبية . وقد بينت آنفا أن هذا الصبى الدعى « الشرلتان » ، انما مكن له أن يعبث هذا العبث وينشره على الناس ، أن صحيفة الأهرام اتخذته مستشارا ثقافيا يشرف بسلطانه على مادة الثقافة فى مؤسسات الأهرام ، وأنه كان قبل ذلك انسانا مغمورا مغموزا فى تكوينه الثقافى والأدبى . ولا ندرى كيف أتيحت له هذه الفرصة ؟ وكيف اختير ليقوم فى أكبر صحيفة فى العالم العربى والاسلامى ، متعريا متجردا من كل حياء ، لكى يتحدى ملايين العرب والمسلمين بكل سوأة من سوءاته ، معالنا غير متستر ؟ أما الآن ، وقد رفع الستار عن خباثته التى يرتكبها ، فانه قد لجأ الى الحيلة القديمة التى كان قد أذاعها فى « بلوتولند » ، حيث دعا الى العامية المصرية ، والى ترجمة القرآن الى هذه العامية ، ثم قال انه وجد الناس قد استنكروا دعوته ، فلذلك سكت : « مؤثرا أن يتولى البيان عن رأيه مسلم لا مجال للطعن فى نزاهته »!! أو كما قال . قال ذلك سنة ١٩٤٧ ، أيام كان مغمورا مغموزا لا يعرفه أحد ، ولكن العجيب أنه قد حقق هذا القول ، واجتمعت له عصابة تعبر عن رأيه الذى قاله فى « بلوتولند » ، و « بمستشاريته » ، استطاع أن يجعل صحيفة الأهرام أيضا أداة للتعبير عن هذا الرأى فى صور مختلفة ماكرة .

بيد انه لم يقنع بذلك ، بل أراد أن « يتحدى » الناس بصورة أخرى ، متذرعا بنفس الحيلة . فقد ذكرت فى المقالة السالفة أن المبشر ولسن كاش قال : « ان الصحافة لا توجه الرأى العام فقط ، أو تهيئه لقبول ماينشر عليه . بل هى تخلق الرأى العام . وقد استغل المبشرون الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية ، أكثر مما استطاعوا فى أى بلد اسلامى آخر . لقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصرية ، اما مأجورة فى أكثر الأحيان ، أو بلا أجرة فى أحوال نادرة » . وهذا قول قديم ، قد جاء بعده ماعفى على آثاره ، فان الصحافة المصرية اليوم ، قد تفشت فيها خطاطيف التبشير تحت ثياب مزركشة من ادعاء القومية والوطنية والاصلاح ، ونعقت بما شاءت بلا حسيب أو رقيب . وحسبك مثلا هذا « الكاهن » الذى كشفنا عنه وعن مضمر دعوته وأساليب تغريره ، والذى استطاع أن يمد سلطانه على أكبر صحف العالم العربى والاسلامى ، ليطبع مادة الثقافة فيها بطابع دعوته الخبيثة التى تؤول آخر ما تؤول ، الى استلحاق الفكر العربى والاسلامى استلحاق العبودية والخضوع والخشوع لسلطان الثقافة الاوربية التى نبعت ، بلا ريب فى ذلك ، من الفكر المسيحى الأوربى ، كما يقول اليوت وتوينبى

وغيرهمـــا ، ممن يعبرون عن الحقيقة ، دون حاجز يحجزهم عن التعبير ، أو يدعوهم الى تزوير الحقائق ابتغاء التغرير .

والحيلة التى لجأ اليها «صبى المبشرين» فى هذه المرة ، وفى مرات كثيرة سبقت ، هى أن يختـار مسلما يرتضيه هو ، ليكتب له بعض مالا يجب أن يوقع عليه باســمه المحترم ، خدمة لهـدف من أهــداف التبشـــير القــديمة المألوفة الى اليوم ، وهو بث المعلومات التاريخية أو الأدبية ، متضمنة عقيدة العالم المسيحى ، وكأنها تاريخ مسلم به ، أو معترف به عند جميع الناس ، ونشر ذلك على أبناء العـــرب والمسلمين ، المتطلعين الى الاستفادة والمعرفة ، بلا اشارة الى موضع اختلاف أو تباين ، ليكون ذلك أسرع الى القلوب ، ان لم يأخذها أخذة رابية ، تترك فيهـــا نكتة سوداء تدعو يوما ما الى التشكك والحيرة .. فهذا « المستشار الثقافى » !! لأكبر مؤسسة صحفية فى بلاد العرب والمسلمين ، قد أراد ، ولا مراد لارادته ، أن يتخــذ صحيفـــة الاهرام وسيلة لتحقيق مآربه ومآرب من اصطنعوه ودربوه واستخدموه ، من أهل « الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » ، كما قال بلسانه . ويفعل ذلك، بعد الكشف عن حقيقته ومكانه من حركة « التبشـــير » التى شرحتهـــا فيما ســلف ، ليقــول لمن اصطنعوه : انظــروا ، كيف أتحدى ؟ ويهز رأســه «متلفتا يمنة ويسرة ، اعجابا بنفسه ، وعلى ثغره المحترم أيضا ابتسامة عاقلة فى غلالة من حياء وخفر !! مسكين هذا المفلت من القيود والأسوار !

وهذه الحيـــلة التى يظنها جديدة ، معروفة مألوفة فى حارات القاهرة ، فان جماعات التبشير لم تزل منذ زمان تعمــد الى حارات القـــاهرة وأزقتها ، حيث تتجمع الآلاف الـكثيرة من أبنـاء العرب والمسلمين فى بيوت مكتظة بسكانها ، فتودع أكف الأطفال وغير الأطفال ، كتبــا صـــغيرة أو منشورات فيها شىء كثير من عقائد المسيحية ، مسـوقة فى خلال قصص الأنبياء الماضين ، ليقرأها الصغار وأشباه الصغار ، وتتناقلها الالســـن ، ويبقى أثرها فى بعض النفوس ، فيكون ذلك نجاحا ، فيما يظنون ، فى بث عقائدهم خلال عقــائد هؤلاء الصغار بالحيلة والتدسس . وهذا شىء يجرى ، ونحن فى غفلة عنه ، وبلا رقابة ممن تجب عليهم رقابة هذا الضرب من المـــكر التبشيرى بالناس . ولكن مما يضعف أثر هذا المكر ، أن الذين يتلقونه ، انما يتلقونه مرتابين ، لأنه يوزع عليهم فى الخفاء . وهذا الخفاء يستثير الحذر ، ويضيع أثر هـــذه المنشورات فى أكثر الأحيان . ومع ذلك ، فان ترك مراقبته فيه اثم كبير .

غير أن لويس عوض ، صبى المبشرين ، أراد أن يستدخل هذه الوسيلة فيما يقع عليه ســـلطان « المستشار الثقافى لمؤسسات الاهرام الصحفية » ، فعمد الى الباب الذى سماه « دائرة المعارف » ، ليسلك الى النفوس نفس المسلك ، ويكون عندئذ خطرا محققا ، لأن ثقة الناس ، والشباب خاصة ، بصحيفة الاهرام ، وعدهم اياها مصدرا من مصادر معرفتهم وثقافتهم ، يمهد للكلمة أن تستقر وتثبت فى النفس والعقل ، بلا ارتياب وبلا حذر .

فمن أجل ذلك ، وجدته حقا على لا أدرى كيف أتنصل منه ، أن أتخلل حديث قضية العامية ، وهى قضية أثارها التبشير وسقاها ونماها ، بقضية هذا المكر المتحدى السافر فى باب «دائرة المعارف» من صحيفـــة الاهرام ، وهى قضية تبشـــير أخرى ، بينهما من الصلة ما بين الأخوين لأب وأم .

وأنا ، وان كنت لا أرتاح الى هذا اللفظ « دائرة المعارف » لأنه ترجمة سقيمة ، وأوثر عليه اللفظ الذى شاع عند أسلافنا وجهلناه اليوم ، وهو لفظ « الجمهرة » ، فى مثل هذا المعنى نفســه ، فانى أقدم بين يدى كلامى موجز معنى « دائرة المعارف » ، لأى شىء وضعت . فالجمهرة أو « دائرة المعارف » ، انما هى مؤلف يتضـــمن معرفة صحيحة سليمة وافية عن كل موضوع يحتاج الناس الى معرفته ، ويستوعب فى كل مادة من مواده خلاصة ما ينبغى أن تعرفه عن هذا الموضوع أو ذاك . أما المراد من تصنيف « الجمهرة » أو « دائرة المعارف » ، فهو أن تيسر لكل طالب معرفة من الأمة التى وضعت الجمهرة بلســـانها ، مادة تطابق الحق ، وتطابق ثقافة الأمة ، وتطابق عقـــائد هـــذه الأمة وتاريخها وحضارتها كلها على امتداد عصـــورها فى التاريخ المتقادم . فليس من المعقول ، اذن ، أن يكتب كاتب فى جمهرة تصنف فى أمة مسيحية العقيدة ، فى مادة

« المسيح » مثلا ، كلاما يتضمن معرفة تخالف فى اصولها معارف النصارى عن المسيح ، وتطابق معارف اهل الاسلام عنه ، مع تمام الاختلاف والتباين بين المعرفتين . هذا حقل . ماذا اراد مصنف الجمهرة ان يجعلها ملمة باطراف معارف الناس عامة عن « المسيح » ، كان صواب الراى أن يقدم ذكر معارف اهل ملته التى صنفت الجمهرة من اجلهم ، ثم يعقب عليه بما شاء من معارف اهل الملل الاخرى . هذا صريح المعقول ، اليس كذلك ؟

ولكن « المستشار الثقافى لمؤسسة الأهرام » ، تابى عليه طبيعة عقله أن يكون العقل شيئا مذكورا ! لانه ليس عاقلا بالمعنى المتعارف ، بل هو عاقل بعقل صبيان المبشرين ، اى بعقل يتحكم فيه هوى وحقد . وهو يرتكب فى سبيل ذلك ضروبا من العبث المبتذل ، والكيد السوقى ، اللذين يميزان طبائع المبشرين وأخلاقهم ، فى دور العلم ، وفى المستشفيات ، وفى الملاجىء ، وفى محافل المناظرة . فمن هذا المكان الذى فرض له سلطانا على ميادين الثقافة فى صحيفة الأهرام ، يريد هو ان يفرض على مئة وعشرين مليونا من العرب ، واضعاف أضعافهم من المسلمين ، وهم قراء الأهرام ، والذين يعدون هذه الصحيفة ضربا من الكتب ، يلتمسون فيها المعرفة والثقافة ، ويظنونها مرآة لماضيهم وحاضرهم = يريد هذا العابث المكايدبالسوقيةالمبتذلة أن يفرض على طالبى المعرفة أن يتلقوا عنه ما يضمر من التوجيه الخبيث ، سواء أكتب ذلك بقلمه ، أم استكتب له من الناس من يرضى أن يكون حاطبا فى حبله ، ومدافعا عن رأيه ، ولسانا ينطق بما لا يجرؤ هو أن يقوله علانية ، كما وعد بذلك فى « بلوتولند » . وهذا عبث ينبغى أن ينتهى ، لان الامر قد خرج الآن عن أن يكون زلة يزلها سخيف متهور ، الى ان تكون خطة متلاحقة الأهداف فى هذه الصحيفة وغيرها ، لا يكاد المرء يخطئها حيث توجه به النظر فى الصحافة وسائر وسائل الاعلام . وليس من العقل أن يلجأ هذا الرجل واشباهه من الخطاطيف المبعثرة هنا وهناك فى وسائل الاعلام ، الى هذه الذرائع الماكرة المنكرة ، لأن هذه الأمور لعب بالنار ينبغى للعاقل أن يحذره . وأنا لا اخاطب بهذا لويس عوض واشباهه ، بل اخاطب الذين يقفون من وراء الستار ، يحركون هذه الدمى المريضة التى يدفعها التهور الى ما لا تعرف هى عواقبه . ولا حاجة بى الى الدلالة على من اخاطب ، فكل عاقل يستطيع أن يقف على الأسماء الثلاثة لمسمى واحد ، وهى « الاستعمار » و « التبشير » و « الاستشراق » ، ثم يستطيع أن يرى أن لها هدفا واحدا فى صميم حياتنا يراد أن يصيبه السهم القاتل ، فى أوان من الانتفاضة يتطلب تحقيق ما أخطأناه فى ماضينا ، بالاهمال تارة ، وبالخيانة تارة أخرى ، وبتحويل حركة الاحياء عن الوجه الصحيح الى وجه فيه هلاك الامة ، وذل الدهر ، وعار الابد . وقد كان لنا فيما سلف عظة .

فى عدد الأهرام الصادر بتاريخ ٣٠ رمضان سنة ١٣٨٤ (أول فبراير سنة ١٩٦٥) ، أراد هذا المعبى أن يتحدى بتبشيره الذى كشفت عنه مرارا فيما سلف ، فذهب يستكتب كاتبا من المسلمين ، ليكتب له مادة « يعقوب النبى » . ولكن هذا الكاتب المسلم لم يزد على أن استنسخ ، أو ترجم ، او اقتبس ، او اختصر ، معارف أهل الكتاب عن « يعقوب » عليه السلام ، بما يطابق عقيدة أهل الكتاب فى الأنبياء ، وبألفاظ من الفاظهم ، دون أن يلقى بالا ، أو دون أن يحفل بأن هذه « المعرفة » المستجلبة ، سوف يقرؤها الملايين من العرب والمسلمين ، ومن شبابهم وطالبى المعرفة منهم خاصة ، وأن عقيدة هذه الملايين مباينة كل المباينة لعقائد سائر الملل من كتابية وغير كتابية فى معنى « النبوة » و « الأنبياء » . وليس من العقل فى شىء أن يفرض هذا الكاتب ، أو مستكتبه ، على طالب المعرفة من القراء ، أن يتلقى عنه ما يبلبل عقيدته ، أو يرتكس به فى حيرة لا يملك معها أداة للفصل بين ما يقدم له ، وما تستلزمه عقيدته من تنزيه الأنبياء ، وعصمتهم عن الاخلال بحق النبوة . هذا مع ما نعيده ونكرره ، من أن ثقة القارىء بصحيفة الاهرام ، مدعاة الى الامن والى الاطمئنان الى ما ينشر فيها ، لأنه لا يشك فى أن محررى هذه الصحيفة انما يرجون بما يكتبون نفعه وتثقيفه ، فهو لا يكاد يرتاب فى شىء مما ينشرون فهذا الفعل اقدام وجراءة على غش الناس ، والشباب خاصة ، باسلوب لا يختلف فى شىء عن أسلوب توزيع المنشورات فى ازقة القاهرة وحاراتها ، وفى كثير من القرى والريف ، حيث يحاول المبشرون أن يلحقوا بعقيدة الملايين المسلمة مايشتهون من الفساد

والبلبلة والاضطراب ، طلبا لاضعاف تكوين الأمة الثقافى ، الذى يفضى الى تدمير كيانها السياسى . وهذا أسلوب معروف قد أشرت اليه فى المقالات السالفة .

فمما جاء فى باب « دائرة المعارف » من صحيفة الأهرام ، فى ذكر يعقوب عليه السلام ، أنه كان بين الأخوين التوأمين : العيص « عيسو »، ويعقوب : «تنافس قوى حول من يكون كاهن الأسرة ومستودع أسرار السماء » ، وأن العيص : « نزل من بطن أمه أولا ، واعتبر لذلك الابن الأكبر ، واستحق لذلك حقوق الابن البكر ، وكان من أهمها حسب التقاليد : أن يكون المسئول الأول عن الأسرة بعد وفاة الوالد ، وأن يرث بركة السماء التى ورثها اسحق عن ابراهيم ، والتى تجعل منه كاهن الأسرة ، ومستودع أسرار السماء ، ومبلغ هذه الأسرار للبشرية ، ولكن يعقوب كان يطمح الى هذا المركز الدينى ، واستطاع بذكائه العمق الخارق أن ينتصر على أخيه ، بحيلتين : الأولى : حين اشترى منه حقوق البكورية ، وأفقده بذلك سنده الشرعى التقليدى . والثانية : حين احتال على أبيه بتدبير من أمه ، وحصل على البركة التى كان من المفروض أن يتلقاها عيسو (وهو العيص) » . ثم يقول : « وفى الطريق الى الحدود السورية العراقية ، حيث كان يقيم خاله لابان ، رأى يعقوب رؤياه التى عدها وحى السماء ، والتى وعد فيها يعقوب بأن يكون ذلك المكان الذى رأى فيه تلك الرؤيا له ولأبنائه من بعده » . ثم يقول : « أقام يعقوب بعد العودة الى أرض شكيم ، نابلس ، وعاوده الوحى فى شكل الرؤى والأحلام ، وأخذ يحارب الوثنية ، ويدعو الى نبذ الأوثان والأصنام ، وعبادة الواحد الديان ، فلم تستجب له القبائل الكنعانية، وناصبته العداوة، ورحل الى الجنوب ، وأقام فى منطقة بئر سبع ، وظل هناك الى أن كانت رحلته الى مصر ، مع أبنائه وأحفاده » .

وهذا الكلام على سقم عبارته ، وركاكة ألفاظه، ومشابهته للغة منشورات المبشرين التى يدسونها فى أيدى أطفال الأزقة والحارات خلسة وخيفة وترقبا ، كلام يتبرأ بعضه من بعض . ولست أدرى كيف يطيق امرؤ مسلم قرأ القرآن العظيم ، أو سمع آيات الله تتلى عليه ، مما فيه ذكر أنبيائه ورسله ، أن يقرأ هذا الضرب من الكلام عن نبى من أنبياء الله صلوات الله عليهم فضلا عن أن يخطه بيمينه ويستودعه الورق ، بل أن يرضى نسبته الى نفسه ، بل أن يذيعه على القراء الذين يعلم أنهم مثله مسلمون ، مذيلا بتوقيعه ؟ لست أدرى كيف كان ، ولكنه كان ، لأن أحد صبيان المبشرين قد خول سلطانا يقبض ويبسط !! فهو به قادر على أن يستكتب من شاء ما شاء ، بلا حرج عليه .

وهذا الكاتب قد استخدم فى معرض الحديث عن ثلاثة من أنبياء الله صلوات الله عليهم : « كاهن الأسرة » و « مستودع أسرار السماء » و « مبلغ هذه الأسرار للبشرية » ، و « المركز الدينى » ، و «الوحى» مفسرا بأنه الرؤى والاحلام !! وهؤلاء الانبياء الثلاثة من رسل الله وأنبيائه الذين لا يتم لنا ايمان الا بالايمان بهم وتوليهم ، والبراءة ممن يتبرأ منهم ، أو من ينسب اليهم من الأفعال والاعمال والصفات ما يخل بعصمة الانبياء وحقوق النبوة .

ومع ذلك ، فان كاتب هذه الكلمات لم يذكر فى كلماته قط أن يعقوب كان نبيا من أنبياء الله ، بل أقام مقام لفظ « النبى » الذى لا نعرف ليعقوب صفة غيره ، لفظ « كاهن الأسرة » ، و « مستودع أسرار السماء » ، و « مبلغ هذه الأسرار البشرية»، وأن هذه الثلاثة هى « المركز الدينى » ، الذى كان يطمح اليه نبى الله يعقوب عليه السلام . ولا ندرى لماذا فعل الكاتب ذلك ، مع مخالفته تمام المخالفة لما نعرف نحن من معنى «النبوة» ،ومع مخالفته أيضا لما يصف به أهل الكتابين يعقوب عليه السلام من أنه « أحد الآباء الثلاثة الكبار للعبرانيين » ، يعنون ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وليس من صفته عندهم أنه « كاهن الأسرة » ، أو « مستودع أسرار السماء ، ومبلغها الى البشرية » !!

ولفظ « الكاهن » عند القوم ، هو الذى ينحر الذبائح المفروضة فى اليوم أو الاسبوع أو الشهر، ويتولى فوق ذلك ضروبا من الخدمة فى محافل العبادة . كالعناية بالآنية المقدسة ، والنار المقدسة، وحمل تابوت العهد ، وسائر ما هم مكلفون به من فرائض ، ولكن هذا النظام لم يكن له أصل قديم

على عهد ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام ، بل هو مما افترضه عليهم ، فيما يقولون ، موسى عليه السلام ، كما جاء في الاصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج مفصلا مشروحا .

فهذا شيء كان بعد أنبياء الله الثلاثة بقرون متطاولة وليس لهذه الوظيفة التي افترضت على سلالة هرون عليه السلام ، مدخل في شأن النبوة والأنبياء . والذي له شبهة تمس هذا المعنى ، هو اللفظ العربي : « الكاهن » ، وهو عند العرب ، الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعى معرفة الاسرار ، كشق وسطيح وغيرهما ، وهو شبيه بالعراف والمنجم . ولكن ليس للكاهن عند العرب صفة دينية ينسب اليها . فهذا خلط سقيم جدا بين معنيين متباينين ، لا يقوله الا جاهل بحقيقة ما عليه ألفاظ القوم من أهل الكتابين ، وغافل عن حقيقة ألفاظ العرب التي تدور في كلامهم بيد أنه جمع في هذه العبارة بين مايراه أهل الكتاب في معنى « النبي » ، وهو مخالف لما عندنا ، وبين ما يقوله العرب عن العرافين والمنجمين والكهنة من الاكاذيب والاباطيل التي يتعاطونها انباء عن المستقبل ، وعن معرفة الأسرار المغيبة ، فاخترع لنبي من أنبياء الله عليهم السلام صورة مختلسة مزورة من ألفاظ مبهمة المعاني عنده ، فقال عن يعقوب « انه نافس أخاه حول من يكون كاهن الاسرة ومستودع أسرار السماء » . وهذا خلط ، أعجب كيف فات على صبي المبشرين الذي تولى نشر هذا فيما وقع عليه سلطانه من صحيفة الاهرام !! وان كنت على يقين من أنه لا يصلح أن يكون فقيها في الكتاب الذي يدعي الانتساب اليه .

وعسى أن يتمحل متمحل فيزعم أن هذا الكاتب المخلط بين معنى « النبي » عند أهل الكتاب ، و « الكاهن » عند العرب ، لم يرد بالكاهن النبي ، ولكن هذا باطل لايخفى ، لانه قال ان الابن البكر من حقوقه حسب التقاليد : أن يكون المسئول الاول عن الاسرة بعد وفاة الوالد ، وأن يرث بركة السماء (وهذه أعجب العجب !! هل سمع بمثلها مسلم قط ؟) ، التي ورثها اسحق عن ابراهيم ، والتي تجعل منه كاهن الاسرة ، ومستودع أسرار السماء ، ومبلغ هذه الاسرار للبشرية ، ولكن يعقوب كان يطمح الى هذا المركز الديني » ، فأي وراثة ورثها ، فيما يزعم الكاتب ، اسحق نبي الله عن ابراهيم خليل الله ، سوى « النبوة » التي سماها الكاتب « بركة السماء » ؟ ثم جعل «بركة السماء» هذه ، هي «التي تجعل منه كاهن الاسرة ،ومستودع أسرار السماء ، ومبلغ هذه الاسرار للبشرية» . وأي « تقاليد » هذه التي كانت على عهد ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام . أهي « تقاليد البكورية » ؟ ان هذه الالفاظ التي اختطفها من الفاظ القوم في كتابهم موضوعة في غير مكانها ، لان أمر «البكورية» وقواعدها ، انما جاءت فيما زعم أهل الكتاب ، في شريعة موسى ، كما اشار اليه كتابهم في سفر الخروج ، في الاصحاح الثاني والعشرين ، أن الله قال : « وأبكار بنيك تعطيني » ، أي أن يهب بكره لعبادة الله ، وأن يكون البكر خلفا لأبيه اذا خرج من داره ،وأن يعطى سهما زائدا على سهام اخوته من مال أبيه ، وأن يرث ملك أبيه اذا كان ملكا على بني اسرائيل . وهذه شرائع موضوعة متأخرة جدا على زمان ابراهيم واسحاق ويعقوب .

ونحن المسلمين . لا نقر شيئا من هذا كله في شأن ابراهيم وبنيه، لأن الله تعالى يقول في سورة البقرة : « أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ، قل أانتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون » ، ويقول في سورة آل عمران : « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلاتعقلون. ها انتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين . ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون » .

فهذا نص من الله سبحانه على موضع النزاع بيننا وبين أهل الكتاب وغيرهم ، في نسبة بعض ما دان به اليهود بعد مئات السنين ، الى أنبياء الله المسلمين الذين لم يكونوا قط يهودا ولا

نصارى بل كانوا مسلمين لله سبحانه ، كما قال الله سبحانه فى سورة الحج : «وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس» .

فبأى حق بعد ذلك، يأتى كاتب فينشر على الناس فى صحيفة الاهرام التى يتولاها صبى مبشر ، كل هذا الخلط المعيب فى دين الله الاسلام ، مع خلطه أيضا فى المفهوم المعروف من ديانات أهل الكتاب ، مستخدما فى ذلك ألفاظا مخالفة لألفاظ أهل الاسلام ، ومشابهة ، على خطتها ووضعها فى غير موضعها ، لألفاظ أهل الكتاب ؟ ألهذه المشابهة وحدها ينشرها صبى المبشرين ، حتى تذيع بين المسلمين الغافلين عن هذا الضرب السخيف من المكر ؟ (وراجع أيضا ماكتبته فى المقالة التاسعة ، عن الرغبة فى ذيوع ألفاظ « الخطيئة » ، والفداء ، والصلب ، والخلاص » ، فالاسلوب واحد لايختلف، والهدف المقصود فيهما جميعا هدف مستشنع لا خير فيه) .

وأدع هذا الآن الى ما جاء فيما نقلته آنفا فى شأن يعقوب عليه السلام وسيرته . وذلك ما ذكره الكاتب باختصار غريب عن سفر التكوين فى الاصحاح الخامس والعشرين والسابع والعشرين ، من ارتكابه شر الحيل فى شراء « البكورية » من أخيه العيص «عيسو» ، وما تواطأ عليه هو وأمه من غش أبيه اسحق عليه السلام وخديعته حتى سرق منه «البركة» التى كان حقها لأخيه العيص . ومثل هذه الاخبار شائعة عن الانبياء فى كتاب القوم بلا حرج منهم فى ذكرها واثباتها ، ويلتمسون المخرج منها بضروب من الاحتجاج معروفة لمن يطلبها . ونحن المسلمين ننزه أنبياء الله عن ارتكاب الكبائر الموبقة، قبل النبوة وبعد النبوة ، لان الله هو الذى يصطفى من رسله من يشاء ، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وما كان الله ليصطفيهم من شرار الخلق بل من خيارهم وأكرمهم عليه وعلى الناس . ولا نرى أن نبيا يختاره الله للنبوة ، كان يكون فى ماضيه محتالا ينال مطمحه بالغش والخديعة والتخابث على أبيه حتى ينال بركته . فان فعل ، فان الله ليس له مكره حتى ينزل بركته على هذا المحتال ، دون أخيه الذى خدع عن حقه . فهذا كله قدح فى النبى ، فى ديننا ، واكراه لله سبحانه على ماليس لأحد من خلقه أن يكرهه عليه بدعاء أو غيره . ويعقوب عليه السلام خاصة ، قد نزلت فيه آية صريحة فاصلة أنه كان عند الله قبل أن يولد ، هو النبى المبشر به جده ابراهيم عليه السلام ، وذلك اذ يقول الله سبحانه فى سورة هود ، حين ذكر خبر الملائكة الذين جاءوا ابراهيم بالبشرى : « وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب» ، ويقول فى سورة مريم ، لما ذكر أبراهيم عليه السلام ، لما اعتزل قومه وما يدعون من دون الله : «فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا » ، الى آيات أخر . فهذا الجزء الصادق عن الله سبحانه فى شأن يعقوب عليه السلام ، انه كسائر الانبياء ، كان عند الله نبيا مسمى فى سابق علمه الذى لا يتبدل ولا ينسخ . ان أباه وجدته قد بشرا به فسمى باسمه قبل أن يولد أبوه اسحق عليه السلام . فهذا المفهوم من صريح القرآن ، وهو الذى أنزله الله سبحانه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وقال فى صفته فى سورة المائدة : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » ، الى آيات أخر مر بعضها ، توجب علينا أن نكون شهداء بالحق ، بما أنزل الينا من كتاب ربنا ، بلا مواربة فى ذلك ولا خداع ولا مداهنة .

هذا ، فضلا عن البيان الصادق ممن لا يسعدنا

خلافه ، ففى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد فى مسنده ، من طريق مجالد ، عن الشعبى ، عن جابر بن عبد الله : « ان عمر بن الخطاب أتى بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم . قال : فغضب وقال : أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب (التهوك التحير حتى يسقط فى هوة) والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية . لا تسالوهم عن شىء ، فيخبروكم بحق فتكذبونه ، او بباطل فتصدقونه . والذى نفسى بيده ، لو ان موسى كان حيا ماوسعه الا ان يتبعنى » ، وفى حديث عبد الله بن ثابت انه قال : « والذى نفس محمد بيده ، لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم ، انكم حظى من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين » .

وقد بين ذلك عبد الله بن عباس ، فيما رواه أبو عبد الله البخارى فى صحيحه ، فى باب الشهادات اذ قال : « يا معشر المسلمين ، كيف تسالون أهل الكتاب ، وكتابكم الذى انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الاخبار بالله ، تقراونه لم يشب (اى لم يخلط بشىء مستحدث) ، وقد حدثكم الله ان اهل الكتاب بدلوا ماكتب الله ، وغيروا بايديهم الكتاب ، فقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ؟ افلا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما راينا منهم رجلا قط يسالكم عن الذى انزل اليكم ! » ، وصدق ابن عباس فيما قال فى زمانه ، ولا يزال صادقا فى زماننا !!

ونعم ، قد جاء الاذن ممن لاتسعنا مخالفته بالتحديث عن اهل الكتاب ، فقال صلى الله عليه وسلم ، من حديث عبد الله بن عمرو : « ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ، رواه أبو عبد الله البخارى فى صحيحه ، فى كتاب الأنبياء ، فرفع الله عنا بذلك الحرج فى معرفة مايقوله أهل الكتاب ، فى قصص الانبياء ، وغير قصص الانبياء ، ولكن هذا أمر له ميزان وضوابط ، من ذلك ما قال الشافعى رضى الله عنه : « من المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بنى اسرائيل بما لا تعلمون كذبه . وأما ماتجوزونه ، فلا حرج عليكم فى التحدث به عنهم» وضابط ذلك أن نعرض ماجاء فى كتبهم على كتابنا، فما وافق كتابنا، فهو حق، وماخالفه نصا أو خالفت معانيه أو مراميه مانعلمه من ديننا ، فنحن نكل اليهم امره ، وليس لنا أن نصدقه ، وان جاز من بعض الوجوه أن نذكره أو نرويه ، ولكن لابد من بيان ذلك للناس ، حتى لانتهوك فى الحيرة والتناقض والبلبلة ، فان الامر كله عندنا دين نحن مسئولون عنه يوم القيامة بين يدى رب العالمين ، وكيف لانسال عن مثل هذا ، والله وصف هذه الأمة بصفة ملزمة ، توجب عليها اليقظة فى النظر، والتحرى فى العلم ، ومتابعة كل شىء من أمر الدين والدنيا بحذر وبصر وأمانة ، فقال سبحانه فى سورة البقرة : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وكفى بشهادة الحق امانة يحملها العدل المتحرى للصدق .

واذن فمن مخالفة نص القرآن ونص الحديث أن نعرض لأحاديث اهل الكتاب عن أخبار الأنبياء أو غيرهم ، ثم نمضيها على الوجه الذى يرونه ، بلا تعقيب على وجه المخالفة بيننا وبينهم ، ولكن اكبر الاثم فى حق شباب المسلمين وعامتهم ، ومن لايحسن ان يبصر وجه الحق لجهله ولغرارته وقلة معرفته ، أن تساق اليه هذه الاخبار كأنها قصص وتاريخ ، بلا أدنى حذر من التهوك فى تصديق مايخالف عقيدتنا فى أنبياء الله ورسله . فما ظنك اذن اذا عمد انسان الى نزع صفة « النبوة » ، كما نعرفها ، عن نبى من أنبياء الله وعن آبائه ، وادخالهم فى غمار الكهانة والعرافة والتنجيم والتحدث بأسرار السماء ، مما هو عندنا باطل لايقبل . والذى يتحدث به الأنبياء من النذارة

والبشارة وأنباء الغيب ، ليس هو أسرار السماء ، بل هو تبليغ حق يريد الله أن يهدى اليه خلقه ، ليطيعوه ويعبدوه ويلتمسوا به الهداية الى صراط مستقيم . وما ظنك بعد اذا كان امرؤ ، يجعل نبوة النبى رؤى رآه وأحلام حالم ، بلا تدبر فى معنى مايقول ؟ ان هذا لأمر جلل مخوف العواقب. وما ظنك اذا التمس هذا الكاتب كل حيلة فى التعبير ليخرج من ذكر « النبوة » وما تقتضيه من تنزيه النبى عن أخلاق لاتليق بالانبياء ، ويلقى ذلك على أمة تعلم علم اليقين أن يعقوب عليه السلام نبى مرسل الى قومه ، ثم ينسب اليه أفعالا وأوصافا تقدح فى نبوته عند أهل الاسلام ؟ أليس ذلك خليقا أن يضلل النشء ويلفتهم بغرابة القصص ، عن حقيقة معنى « النبوة » وما تقتضيه من أخلاق ؟ وما ظنك اذا استخدم لهذا كله ألفاظا تدور عند أهل الكتاب ، أو ألفاظا شبيهة بألفاظهم دون ألفاظ أهل الاسلام ، وهو فى جميعها مخطىء فى فهم ألفاظ أهل الكتاب وغير ألفاظهم ؟

هذا عبث غث ، ولكن هكذا يريد صبى المبشرين أن يفرض على باب « دائرة المعارف » فى صحيفة الاهرام ، ماتوجبه عليه المهنة التى يزاولها منذ عاهد من عاهده ، فى الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » . وماذا يفعل الناس سوى أن يسمعوا لمن يحذرهم ، مادام هذا الطليق من القيود المفلت من الأسوار ، لايجد من ينهاه هو وأمثاله عن العبث السوقى المبتذل ؟ .

ورحم الله شيخ المعرة ، اذ يقول :

عش مجبرا أو غير مجبر
فالخلق مربوب مدبر
والخير يهمس بينهم
ويقام للسوءات منبر

وأى سوأة أقبح من صبى مبشر عابث ، يتخذ أكبر صحف العالم العربى والاسلامى منبرا ، يطرح منه على الناس مايشاء كما يشاء ، بلا مبالاة ، وبمكر وخبث ومجانة . ويقال فى المثل : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

محمود محمد شاكر

حديث مع قلبى

للشاعر : عامر محمد بحيرى

أشعل الحب فى الفؤاد لهيبا
وبدا أمره لدى عجيبا
كيف ينتابنى ضرام .. ولفح
من شبابى .. وقد بلغت المشيبا
وسألت الفؤاد : ما تولا
ك ؟ فكان الجواب منه الوجيبا
طال منه الذهول ، والصمت والـ
تفكير .. حتى حسبته لن يجيبا

ثم نادى فى رقة وحياء
يجعلان النداء همسا قريبا
لم لا يا أخى .. أليس وجودى
ما نحى من هوى الحياة نصيبا
أنا قلب يحس .. والحب جمر
لم يزل لفح ناره مشبوبا
حين مسته اصبعى .. خفق الطا
ئر .. يبغى فى الجو صدرا رحيبا
لا تلمنى .. وقل لى الشعر عذبا
أو فزدنى من الجوى تعذيبا
خل ما صغته من الشعر .. لكن
لا تخل الغناء والتشبيبا
قلت : حقا ياصاحبى انت قلبى
لست عنى ، ولست عنك غريبا
أنا أدرى بما دهاك .. لأنى
عنك بالصبر كم دفعت الخطوبا
عالم منك ما جهلت .. فقد شـ
ـبت .. وما زلت أنت غضا رطيبا
أبد الدهر فى الجوانح منى
ساكنا ، خافقا ، رضيا ، غضوبا
سل من الحب ما تشاء .. تجدنى
لك ما عشت مانحا مستجيبا
قل لها اننى ساهجر شعرى
كله .. لن أقول الا نسيبا
واذا شابت الطبيعة من حو
لى .. فقلبى فى حبها .. لن يشيبا

من مزالق المستشرقين

بقلم: عمر الدسوقي

لا أود فى هذا المقال أن أجحد ماليعض المستشرقين من آثار فى خدمة اللغـــة والأدب ، ونشر التراث العربى واحيائه ، مهما كان الدافع لهم على ذلك أول الأمر ، وان كانت لهم حتى فى هــذا الميدان أخطاء كثيرة ترجع الى جهـل بالمصطلحات العربيــة وعدم معرفة بأسرار اللغة والنفاذ الى روحها وتاريخها . ولـــكنى أود أن أكشف عن ظاهرة تكاد تكون عامة لديهم ،وهى أنهم اذا كتبـوا عن الاســلام أو عن العرب نزعوا فى كتـاباتهم الى ما ينم عن تعصب ، وأعماهم هذا التعصب فى كثير من الاحيان فوقعوا فى أخطاء فاحشة . ولولا أن هناك من ضعاف الايمان من لا يزال يفتتن بما يقولون ، ويردده من غير وعى، ودون أن تكون لديه متعة من الانزلاق فى مهـاوى الضلالة وهو يسايرهم ـ ما عنيت بتبيان بعض تلك المزالق فى هذا المقام .

وليس المستشرقون سواء فى تعصبهم ، ولعل من أخفهم وطأة المستشرق الانجليزى **نيكلسون** صاحب كتـاب تاريخ الادب العربى المشـهور ، وصــاحب الابحاث الضافية عن التصوف الاسلامى ورجاله .

وقد عن لى أخـيرا أن أراجـع بعض ما كتبــه عن الشعر الجاهلى فوجدت فىالفصل الذى عقده للرواية والرواة وما أدخلوه على الشــعر الجاهلى من زيف ـ عبـارة اســتوقفت نظرى وهى قوله : « وقد حدث كثـير من التغيير (فى الشــعر الجـاهلى) بسبب الاسلام ، خذ مثـلا كلمة الله ، فانها حلت فى كثير من الاحيـــان بدل كلمة اللات المعبود الوثنى » ـ ص ١٣٤ ط ١٩٥٦ .

ومعنى ذلك فى رأيه أن عرب الجاهلية لم يعرفوا كلمة الله، وأنها دخلت الشعر الجاهلى بتأثير الاسلام، وهــذا لعمرى من المزالق الخطـيرة التى وقع فيهـا نيكلسون ، ولقد رد على نفسه بعد أسطر قليلة حيث قال : « ولم يكن للدين ســوى أثر ضئيل فى حياة عرب الجاهلية ، ولا ينتظر أن نجد له أثرا كبيرا فى الشعر الجاهلى ، لقد كانوا يعتقدون اعتقادا غامضا فى اله عظيم هو الله ، وببناته الثلاث : اللات ومناة والعزى ، التى ساد تقديسها كل الجزيرة العربية ، والتى كانت شفاعتها مقبولة لدى الله » .

فهو يقر أن عرب الجاهلية كانوا يعتقدون بوجود الله ، وأن هذه الاصنام تشفع لهم عنده على حد قوله تعالى : « ما نعبـدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ، وعلى حد قوله تعالى : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله »، ومثل هذه الآيات الكريمة قد نزلت على النبى عليه السـلام ، وسمعها عرب الجاهلية ، وهى تحكى عن واقع معتقداتهم ، ولو كانت تحكى خطأ لردوه .

أو لم يعرف نيكلسون أن والد النبى عليه السلام كان اســمه عبد الله ، وأن كثيرا من عرب الجاهلية تسموا بهذا الاسم ، وأن من أيمانهم المشهورة باسمك اللهم ؟! ، وأن هناك من كان يسمى عبد اللات فلا يخلط بعبد الله .

وكيف يفسر قول زهير بن أبى سلمى :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسـكم
ليخفى ومهمـا يـكتم الله يعـلم

وقول النابغة الذبيانى :

حلفت فلم أترك لنفســك ريبــة
وليس وراء الله للمـرء مذهـب

وقول الأعشى فى معلقته :

واسأل قشيرا وعبـد الله كلهم
واسأل ربيعة عنـا كيف نفتعل

وقول عبيد بن الأبرص :

من يسأل النـاس يحرموه
وســائل الله لا يخيـب

وقول النابغة الذبيانى فى اعتذاره للنعمان :

أبى الله الا عـدله ووفـاءه
فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

أكان المراد بكلمة الله فى كل تلك النصوص كلمة اللات ثم غيرت فى الاسلام ؟ وهل اذا سألوا الناس

حرموهم واذا سألوا اللات لا يخيبون ؟ وهي أصنام لا تضر ولا تنفع . وهل للات عدل ووفاء ؟ ، وهل تعلم اللات ما أخفاه الناس في جوانحهم كما جاء في قول زهير ؟. اللهم انه التعصب أو الجهل . ثم لماذا اللات دون أختيها ؟ لقد كان العرب يجهلون كلمة (الرحمن) : « واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » ، ومن ثم استفسروا عنها . أما كلمة الله فكانت ولا ريب معروفة لديهم كما أقر هو بذلك .

ومن المزالق التي وقع فيها نيكلسون كذلك ما ورد في آخر ص ١٤٨ حيث يقول : « ومن المؤكد أنه قد شارك قومه قبل الرسالة عبادة الاصنام ، وقد اعترف هو بذلك (ووجدك ضالا فهدى) ، أما متى وكيف ارتد عن عبادة الأوثان ؟ فسؤال لا تمكن الاجابة عليه ، ولكن من الطبيعي الظن أن أهم نتيجة — تلك التي أولاها كتاب السيرة عنايتهم — قد سبقتها فترة طويلة من القلق وعدم النضج » ، وهو يشير بذلك الى فترة التحنث بغار حراء .

وقد أتى له هذا الزعم وهومشاركة الرسول عليه السلام قومه في عبادة الاصنام من عدم فهمه لكلمة (ضال) في الآية الكريمة ، وهي هنا بمعنى عدم الاهتداء الى الحقيقة ، فقد كره منذ حداثته عليه السلام عبادة الاوثان ، وكان بالجزيرة العربية يهود ونصارى، وكانت هناك فكرة غائمة عن دين ابراهيم، ولم يرض عن دين اليهود ولا دين النصارى ، ولم يعرف تفاصيل دين ابراهيم ، وان عرف أنه يدعو الى عبادة اله واحد وأخذ يخلو الى نفسه في غار حراء أمدا غير قليل ، يتعبد على دين ابراهيم ، ويتفكر في ملكوت السماوات والارض، وينأى بنفسه عما انغمس فيه قومه من ملذات وعبادة فاسدة ، حتى من الله عليه بالرسالة وهذا هو معنى الهداية، أي هداه الله الى الدين الحق الذي يصلح لزمانه وللاجيال من بعده الى يوم القيامة ، وأنه رسول هذا الدين وخاتم الأنبياء ، لأن العقل البشري صار في قدرته أن يتقبل هذا الدين الجديد ، ولأن اليهودية والنصرانية قد شابهما الشيء الكثير من المفاسد والآراء البعيدة عن كنه الدين ، ولأن دين ابراهيم بطقوسه وعبادته لم يعد يفي بحاجة البشرية .

فضال هنا بمعنى تائه متحير لا يدري على وجه اليقين الطريق المستقيم الذي يجب أن يسلكه من بين هذه الطرق المختلفة الى أن هداه الله اليه وأراه وجه اليقين أبلج ناصعا ، وبعثه رسول البشرية عامة .

أما أنه عبد الأوثان في صغره ، فقد تضافرت الروايات على أنه لم يسجد لصنم قط منذ حداثته، ولم يقل بذلك حتى أشد أعدائه ضراوة ولددا من كفار قريش ، ولقد جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: « لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى اكرمني الله برسالته ، قلت ليلة لغلام كان يرعى معي : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فاسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك ، حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف لعرس بعضهم، فجلست لذلك ، فضرب الله على أذني فنمت ، فما أيقظني الا مس الشمس ، ولم أقض شيئا، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك » ، وحديث النبي عليه السلام أصدق من فهم نيكلسون ، وقد قاله لقوم كانوا خصومه بالأمس ، ونشأ بين ظهرانيهم ، وعرفوا عنه كل صغيرة وكبيرة من حياته . واذا كان نيكلسون يتساءل : متى وكيف ارتد محمد عن عبادة الأوثان؟، ويرى هذا سؤالا لا يمكن الاجابة عليه ، فانا نسأله بدورنا : متى وكيف عبد محمد عليه السلام الأوثان؟ وهو سؤال نجيب عليه بأن ذلك لم يحدث قط .

ويذكر نيكلسون بعد هذا أن جماعة من المفكرين الدينيين قد ظهروا قبل محمد ، وسموا بالحنفاء ، منهم ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل وكلاهما من قريش، وأنهما واثنان آخران قد كرهوا عبادة الاوثان وتركوا مكة بحثا عن حقيقة دين ابراهيم، وفي الوقت الذي اعتنق فيه ورقة النصرانية ظل زيد بعيدا عن النصرانية واليهودية على السواء عابدا اله ابراهيم »، ثم يتكلم عن أمية بن أبي الصلت الثقفي . ثم يقول :

« ولا شك أن محمدا قد وقع تحت تأثير هؤلاء ، وكانوا معاصرين له ، وأنهم هم الذين أثاروه أول الأمر ، وتقول الروايات انه كان مرتبطا بورقة ابن نوفل خاصة ، اذ كان ابن عم زوجته خديجة ، وهو الذي بشره بأنه نبي هذه الأمة حين نزل عليه الوحي ، في حين أن محمدا كان لا يزال في شك من أمره » ص ١٥٠ .

وهذا لعمري من الخلط الذى كثيرا ما يقع فيه المستشرقون بدافع من التعصب الديني ، فنيكلسون يقول: ان ورقة قد اعتنق النصرانية ، ولو كان محمد متأثرا به لاعتنق مثله النصرانية ، ولو كان يريد التأثير عليه وهدايته الى الدين الذى ارتضاه لنفسه مابشره بأنه نبي‌هذه الامة، وبين الاسلام والنصرانية خلاف جوهرى فى العقيدة ، فالاسلام يدعو الى التوحيد والايمان باله واحد ، فى حين أن النصرانية تؤمن بالتثليث • وقد وضح هذا الفرق فى موقف النبى عليه السلام مع نصارى نجران حين وفدوا عليه ، وكانوا ستين راكبا معهم بسط فيها تماثيل ومسوح ، جاءوا بها للنبى عليه السلام ، فلم يقبل البسط لما فيها من تماثيل ، وقبل المسوح ، ولما جاء وقت‌صلاتهم صلوا بالمسجد مستقبلين بيت المقدس، ولما أتموا صلاتهم دعاهم للاسلام ، فأبوا ، وقالوا : كنا مسلمين قبلكم ، فقال عليه السلام : يمنعكم من الاسلام ثلاث : عبادتكم الصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم ان لله ولدا ، قالوا : فمن مثل عيسى خلق من غير أب ؟ ، فنزل قوله تعالى : (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) ودعاهم عليه السلام للابتهال فأبوا ، ورضوا بدفع الجزية فقبلها منهم .

ويثير نيكلسون الشكوك حول امية النبى وعدم معرفته القراءة والكتابة ص ١٥١ ، فيعلق على كيفية نزول الوحي لأول مرة وقول جبريل للنبى عليه السلام : اقرأ ، قال : ما أقرأ ، ويكرر عليه قوله : اقرأ ثلاث مرات ، والنبى يرد : ما أقرأ أى أننى لست ممن يعرف القراءة، فيقول نيكلسون ان رواية ابن هشام أن النبى قال فى ثالث مرة : ماذا أقرأ ؟ ومعناها أى شيء أقرأ ؟ ، فكأنه يعرف القراءة ، ولم يذكر بقية رواية ابن هشام عن النبى عليه السلام حيث قال: « قال : اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك الا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى » يشير الى أنه غته أى ضمه اليه‌بشدة حتى ظن الموت. فالنبى عليه السلام ينفى نفيا باتا فى هذا الموقف أنه يعرف القراءة ولم يقل ذلك الا تخلصا • ثم يناقش نيكلسون امية النبى ، ويفسر كلمة امى — متبعا فى ذلك رأى المستشرق « نولدكه » — بأن كلمة أمى لا تعنى الجهل بالقراءة والكتابة ، وانما تعنى عدم المعرفة بالكتب المقدسة السابقة متخذا من قوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون » دليلا على رأيه، مع أن الآية الكريمة تنفى عدم قراءته عليه السلام لأى كتاب قبل القرآن مقدسا أو غير مقدس ويستفاد ذلك من تنكير كلمة « كتاب » الذى يفيد العموم ، وأكد القرآن الكريم عدم معرفته الكتابة بقوله : « ولا تخطه بيمينك »، ولو كان عليه السلام يعرف القراءة والكتابة لظن به قومه الظنون وشكوا فى أنه نقله من كتاب آخر « اذا لارتاب المبطلون » ، وحياة النبى عليه السلام كانت معروفة لقريش وهم الد خصومه ، نشأ بينهم وترعرع حتى أرسل ، ولم يقل احد منهم انه كان يعرف القراءة والكتابة • وقد أورد القرآن هذه الحجة وهى أن النبى عليه السلام عاش بين ظهرانيهم وكانت حياته معروفة لديهم فى قوله تعالى : « واذا تتلى عليه آياتنا بينات، قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل : ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » •

وان بلغ اللجاج‌بالكفار أن زعموا ان القرآن ليس الا « أساطير الأولين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ، فاكتتبها تفيد أنها كتبت له ، واستكتبها سواه ، ولم يكتبها هو ، ولو كانوا يعلمون أنه يكتب لقالوا كتبها ، وهذه الأساطير التى كتبت له لم يقرأها بنفسه لأنه غير قارىء وانما تملى عليه ، أى تتلى عليه وتقرأ عليه حتى يحفظها ، ولو كان قارئا لقالوا يتلوها أو يقرؤها •

وهذه الآيات كلها نزلت‌على النبى وسمعها الكفار، ولو كان فيها أدنى لبس أو ريب لجابهوه بغير هذا ، ثم ان المعاجم العربية كلها قد فسرت كلمة (أمى) بأنه الذى لايقرأ ولا يكتب، ولست أدرى من أين أتوا بهذا التفسير الا اذا كان من وحى تعصبهم • وذلك ديدنهم حين يتعرضون لمسائل الدين أن يثيروا الشكوك ويكثروا الغمز واللمز حتى‌يرتاب المسلمون فى دينهم ، وهذا بعض ما يقصدونه باستشراقهم •

وردت هذه المزالق فى بضع صفحات متتالية من كتاب نيكلسون «تاريخ الادب العربي» وهناك غيرها كثير يجب التنبيه اليه ، واظهار كلمة الحق فيه ، حتى لا ينزلق معه بعض من يقرؤه من غير تدبر وبصيرة ، ولنا اليه عودة ان شاء الله •

« **بنغازى — عمر الدسوقى** »

دراسة وجودية في ٤ مقالات :

فلوبير .. مثلا !

بقلم : أنيس منصور

(٢) القصة

والقصة المقصودة هنا ـ كما أشرت من قبل ـ هي قصة مدام بوفاري ، أروع ما كتب الأديب فلوبير باعترافه هو ، وباعتراف النقاد .. فهي ليست قصة فقط ، ولا عملا أدبيا رائعا ، ولكنه قواعد مذهب وفلسفة فكر ..

لقد جعل النقاد من مدام بوفاري اسما لمذهب في الواقعية هو « **البوفارية** » ..

وهناك عدة تعريفات لهذه الكلمة من بينها : انه الاتجاه الادبي الذي يهدف الى الوصول الى المنبع بأسرع عبارة وأبسط لفظ وأوضح معنى ..

وهذا التعريف ليس دقيقا لقصة مدام بوفاري بالذات . ولكنه من الممكن أن ينطبق على أعمال أدبية أخرى كثيرة قبل وبعد فلوبير . وهذا التعريف هو أمل كل الأدباء وكل الفنانين . وقد استطاع علماء الرياضيات أن يحققوا هذا الأمل وذلك باستخدام المعادلات الرياضية التي هي أوضح وأبسط أسلوب للتعبير عن الحقيقة . ولا يزال الأسلوب العلمي مثلا أعلى لكل أساليب الكتابة في الوضوح والبساطة ..

وبعض النقاد يرى أن البوفارية هي الواقعية في أعلى صورها . وأن استخدام كلمة التعبير «البسيط» الغرض منها هو أن نميز بين الواقعية وبين المذاهب أو الاتجاهات الأدبية الأخرى مثل الرومانسية والرمزية والعبثية . فالبساطة هي وحدها المقياس أو هي الخط الفاصل بين المذاهب بعضها وبعض ومن الممكن أن نختار عبارتين للدلالة على ذلك .

فاذا قلت مثلا : كانت الشمس « الدامية » تدفن نفسها في أفق من الحرير الأزرق « الحزين » ، وكانت رءوس الشجر الخضراء « القاتمة » أصابع ، تشير في أسى ، الى نهاية يوم « ثقيل » ..

ان هذه العبارة ـ مثلا ـ من الممكن أن تدخل ضمن اطار المدرسة الرومانسية لكثرة هذه الصفات « الانسانية » لهذه الأشياء المادية .. أو لكثرة هذه الصفات التي لا ضرورة لها ..

واذا نحن استبعدنا هذه الصفات ، يمكن أن يقال ان هذه العبارة ـ مثلا ـ واقعية، لأنها لاتتضمن الكثير من الصفات التي لا مبرر لها ..

هذا رأي أيضا ..

وهذا هو المبرر في استخدام وتكرار كلمة البسيط والبساطة عند الحديث عن قصة مدام بوفاري والمذهب البوفاري في القصة وفي الأدب عموما » .

وبعض النقاد يطلق كلمة « البوفارية » اسما على كل شخصية مماثلة لمدام بوفاري ، فكأن البوفارية نوع من السلوك أو نموذج من الناس ، أو هي سلوك وهدف .. أو أسلوب حياة ..

ومدام بوفاري هذه هي بطلة قصة «مدام بوفاري» لجوستاف فلوبير .. والقصة بايجاز تروى مأساة - آسف لاستخدام هذه الكلمة ، فقد حرص المؤلف على ان يسمى هذه القصة اسما آخر هو « أخلاق اهل الريف » ولم يشأ ان يسميها مأساة أو دراما الى آخر هذه التسميات التي نسرف في استخدامها، ونبالغ في دلالتها • طبيب اسمه شارل بوفاري • هذا الرجل قد تزوج سيدة من قبل • وظن أنها غنية • واكتشف انها خدعته فطلقها • وساقته الصدفة وحدها الى علاج رجل عجوز • وفي بيت هذا العجوز وجد زوجته المقبلة .. انها « ايما » .. التي ستصبح بعد ذلك زوجته • في الوقت الذي قابل فيه ايما .. كان هو طبيبا معروفا في المدينة الصغيرة • وهو في نفس الوقت شاب طبيب ذكي ، وكانت هذه الفتاة تعيش في دنيا أخرى .. عالم من صنعها ... أو عالم صنعه لها شعراء وأدباء الرومانسية .. عالم كله كتب .. كله خيال ... كله أحلام .. لمس وهمس وورد وقمر وسحاب .. وكله آهات واثارة عنيفة .. لقد كانت « ايما » تحلم بأن تحب• وأن تتزوج الرجل الذي تحبه• وتزوجت « ايما » هذا الطبيب شارل بوفاري .. وأصبحت مدام بوفاري ..

ولكن الزواج جاء صدمة لها ، فلا ورد ولا عطر ولا همس ولا لمس ولا سحاب رقيق ، ولا قمر خائف .. وانما كل يوم تجد نفسها الى جوار رجل مرهق .. مهدود مكدود .. كل يوم يجدها الى جوار النافذة تنتظره .. لقد نامت واستراحت وتعطرت وتمشطت وكل شيء منها منتبه .. ولا تكاد ترى الطبيب حتى ترمي نفسها عليه .. أما هو فلا يكاد يرى السرير حتى يرمي نفسه عليه .. ويضع عطرها في عقاقيره وتقوم هي بدور النجوم التي تلمع ، ويقوم هو بدور السحب الكثيفة .. وتتألق النجوم بالقرب من نافذة الغرفة ، أما السحب فتتراكم على السرير ويرافق هذه السحب نوع من الرعد على شكل شخير متواصل ..

وكان عفريتا صحا في حياة مدام بوفاري ..

كان جسمها الضئيل « قمقم » زجاجي ، وجاءت هذه الصدمات المتوالية ، فحطمت الزجاجة ليخرج منها عفريت مدام بوفاري ..

وفي احدى الحفلات عرفت شابا..وشابا وعشرة شبان ورقصت معهم • واقتربت منهم • ولمست اماكن حساسة من نفوسهم .. وأخذت تنزع القناع الذي فرضه عليها الزواج ، وبدأت تظهر على حقيقتها - أقصد على غريزتها -

وقد ادركت في هذه الحفلة شيئا واضحا : هو ان زوجها مختلف عن الناس ، أو على الأصح اقل من الناس • وهذا رأي كل زوجة عادة • فالرجل الذي تعتاد عليه وتراه في الصباح وفي المساء ، لا يمكن ان يبهرها ولا ان يثيرها ، ولا ان يكون شيئا • وهي معذورة في ذلك ، وأدركت أيضا ان كل رجل أرق والطف واجمل وأكثر احساسا بالجمال من زوجها ..

باختصار : لقد سقط زوجها في أول حفلة ..
وعرفت السخط • وانتقلت من السخط الى القرف • ودفعها القرف الى الثورة على زوجها •

وفي هذا الوقت حملت راغبة طفلة وانشغلت بالطفلة بعض الوقت • وعاد لها فراغها • وعادت لها أحلامها العنيفة • وحرصها على ان يتكرر اللمس والهمس .. ويتكرر الناس الذين هم أكثر انسانية من زوجها • انها الآن اصبحت تفتقد الانسان • كانت تبحث عن الحب • قد وجدت الزوج .. وعندما وجدت الزوج راحت تفتقد الانسان .. وعندما وجدت الانسان فقدت الزوج نهائيا •

وقابلت أحد المحامين الشبان .. وتعلقت به وأحبها • أو هكذا قال لها .. وعرف الناس قصة فضيحة مدام بوفاري • أما الزوج فلم يعرف شيئا .. فهو آخر من يعرف •
ولكن هذا المحامي الشاب ذهب الى باريس ليكمل دراسته • وتركها • وبدأت تتظاهر مدام بوفاري بالمرض • وكان المرض هو ستارها الوحيد لكي تبعد عن الزوج • أو كان المرض التعبير الجسمي عن قرف نفسي .. وسواء أكانت تتظاهر بالمرض في ذلك الوقت ، أم كانت مريضة بالفعل • فالذي يهمنا هو أن زوجها لم يعد له وجود حقيقي في حياتها •

وجاء شاب آخر الى المدينة ..

وتعلقت به · وقررت أن تكون له · قررت بكل حواسها ·· لقد وجدت المبرر الحقيقي لأن تكون لرجل آخر · فهو شاب لطيف وجميل ومثير وهي في غاية العطش · وأثار هذا الشاب كل خيالها وحرك أبطال قصصها · وراحت تحلم بأنها بطلة قصة كذا وبطلة مسرحية كذا ·· لقد اشتدت إليها الأحلام · وضاقت بها الحياة في نفس الوقت ·

وخدعها هذا الشاب وصدمها ·

وقابلت المحامي مرة أخرى وندمت على الأيام التي أضاعتها معه ·· ندمت على الأيام التي تستسلم فيها له · واستسلمت له · وكانت عشيقته ·

وبدأت كوارث الزوج نفسه _ أبوه مات · وأمه لا تعرف كيف تعيش · وتطوعت مدام بوفاري لانقاذ حماتها ·· وقابلت المحامي الشاب من جديد ·

واضطربت الأحوال المالية لمدام بوفاري أيضا وانحطت وعبطت · وعرف الدائنون بيتها · وتزاحموا · وذهبت مدام بوفاري الى عشيقها الثاني لينقذها ولكنه اعتذر ·

وكان زوجها قد أصيب بكارثة طبية ، فقد فشلت احدى العمليات الجراحية التي كان يقوم بها وساءت سمعته طبيا ·· ومثل ذلك ساءت سمعته كزوج مغفل ·

وذهبت مدام بوفاري الى الاجزاخانة وابتلعت كمية من السموم وعادت الى البيت · وحاول زوجها أن ينقذها من نهايتها · ولكنه لم يفلح · وماتت ··

وحزن عليها حزنا شديدا ، ولم تقو أذناه على سماع صوت آخر مسمار يدخل في نعشها ··

وبعد فترة من الوقت راح يقلب في أوراقها ، فوجد رسائل عشاقها جميعا ·· كانت صدمة · أودت بحياته هو أيضا تاركا لابنته ملاليم لتعيش منها ··

والصفحة الأخيرة من قصة مدام بوفاري تصور كيف كانت حالة دكتور بوفاري عندما قال آخر عشاق زوجته واسمه رودلف :

« في أحد الأيام عندما ذهب شارل الى السوق لبيع حصانه _ آخر ما تبقى له _ قابل رودلف هناك ·

« ·· ولم تكد تلتقي عيونهما حتى اصفر وجه الاثنين · وتلعثم رودلف ببعض الاعتذارات ، ثم تشجع بعد ذلك ، وذهبت به الشجاعة الى دعوة شارل الى أن يشاركه في زجاجة بيرة ·· وجلس في مواجهة شارل يمضغ التبغ ، وهو يتحدث اليه ، بينما ظل شارل غارقا في النظر الى هذا الوجه الذي أحبته زوجته · ويبدو أنه كان يراها فيه · وتمنى لو كان هذا الرجل ·· ومضى رودلف يتحدث عن الزراعة ، وعن الماشية وعن المراعي ، ويردد عبارات أخرى تافهة ·· ولم يكن شارل ينصت اليه · وقد لاحظ رودلف ذلك ، ومضى هو الآخر يتابع صور الذكريات المتتابعة على وجهه الذي أخذ يتدرج في الاحمرار · وأخذت أنفاسه تتلاحق وشفتاه ترتجفان · وفي لحظة غضب صامت ، تجمدت عينا شارل على وجه رودلف ، الذي هو في شيء من الخوف ، توقف عن الاستمرار في الكلام · ولكن سرعان ماعادت ملامح الارهاق والتعب الى وجهه ·

« وقال له شارل : انني لا ألومك ·

« ولم ينطق رودلف بكلمة ·

« ولكن شارل وضع رأسه بين يديه ، وقال في صوت متكسر منهار ، ولهجة مستسلمة ذليلة وفي أسى لا حد له : لا ·· انني لا ألومك الآن ·

« بل انه أضاف أخرى ، وهي العبارة الوحيدة التي نطق بها : انها غلطة القدر ·

« واندهش رودلف لهذه العبارة ورأى انها لاتليق برجل مثل شارل ، وفي هذا الموقف · بل انه أحس انها تبعث على الضحك ····

« وفي الساعة السابعة جاءت ابنته « برتا » التي لم تكن قد رأته طول النهار ، تبحث عنه لتتناول

معه طعام العشاء . ووجدت رأسه مسندا الى الحائط، وعينيه مطبقتين ، وفمه فاغرا ، وفي يده خصلة شعر سوداء طويلة .

« وقالت : تعال يا بابا ..

« وقد ظننت أنه يريد أن يداعبها ، وهزته بلطف. فسقط على الأرض . لقد مات ....»

وفي هـذه القصـة يصف فلوبير مدام بوفاري بقـوله : « كان جمـالها الحقيقي في عينيها . وعلى الرغم من أن لونهما بني الا أن رموش عينيها تمثل اللون الاسـود . ونظرتها تتجه اليك في صراحـة وجرأة ..»

ويقول عنها أيضا : « قبل الزواج كانت تفكر في الحب . ولكن عندما لم تشعر بتلك السعادة التي تجيء بعد الزواج ، أحست بأنها قد أخطأت في تقديرها . وأخذت تتخيل معاني مثل هـذه الكلمات السعادة واللذة والنشوة ، تلك الكلمات التي قرأتها في الكتب » .

ووصف خيالها وأحلامها وقراءاتها الكثيرة : لقد كان عالمها كله مملوءا بالمحبين والعشاق ، والنساء اللاتي يتساقطن من أجل الحب ، والضحايا والقتلى بسبب الحب ، والغابات المظلمة والسحاب الهاربة ، والقبلات والقلوب الجريحة والبكاء والدموع والآهات والقمـر والبلابل والرجال المهـذبون أصـحاب الجوانتيات ، والرجال الذين لهم قوة الأسود ونعومة الحملان الوديعة ، والفضلاء الى غير نهاية ، وفي غاية الأناقة والذين يبكون كالنافورات » .

ووصف فلوبير زوجها بقوله : ولكن زوجهـا كلامه سخيف ومناقشاته تافهة.. ان أحاديثه تشبه أرصفة الشوارع التي يلقي عليها الناس كل فضلات حياتهم .. ثم انه لا يعرف السباحة ولا يعـرف رياضة الشيش ولا يعرف الرماية .. والرجل في رأيها هو القادر على أن يثير المرأة ويشعل طاقاتها الى غير حد .. ولكن زوجها ليس الا خيبة أمل بالنسبة لها . »

وعنـدما أحبت مدام بوفاري ذلك الشاب الذي قابله زوجها بعد انتحارها كانت تقول له : انني احبك ! انني أحبك بجنون لدرجة انني لا استطيع أن أعيش من غيرك . هل ترى الى أي حد ؟ في كثير من الأحيـان أحن اليك لدرجة النزق والهـوس واسأل نفسي : أين هو الآن ؟ لعله يتحدث الى امرأة اخرى .. انها تبتسم له ، انه يذهب اليها ..ولكني لا أصدق أبدا انك تفعل شيئا من هذا . وربما كانت هناك فتيات أجمل . ولكن واحدة لا تستطيع أن تحبك أكثر ولا أروع مني.أنا خادمتك أنا عشيقتك! انت مولاي ! أنت الهي ! أنت طيب ! أنت أنيق ! انت ذكي ! أنت قوي ! .. »

***

وانتهت قصة وحياة مدام بوفاري ، لا لأن المؤلف قرر أن يقضي عليها انتقاما لما فعلته في زوجها وفي غيره من الناس .. ولكن كان لا بد أن تموت لأنها قررت شيئا عسيرا جدا هو أن تعيش أحلامها ..

***

فصدمها الواقع ، وكان لا بد أن يصدمها.ولذلك ماتت مدام بوفاري ، وبقيت البوفاري في كل مكان في العـالم .. انها فلسـفة المراهقين والحالمين والواهمين .. الذين عرفوا مـدام بوفاري أو لم يعرفوها !

« انيس منصور »



رأى فى القصة المعاصرة

للدكتور : أحمد كمال زكى

فى مقالتين متتابعتين نشرتهما الدكتورة « لطيفة الزيات » فى « الرسالة » حاولت أن تبين مقومات القصة القصيرة ، التى هى نمط فنى يخالف الرواية والرواية القصيرة والرواية التخييلية كما تخالف الاقصوصة والحكاية وما يجرى هذا المجرى الذى يبعدها عن الاشكال القصصية غير المحددة التى يعرفها الاقدمون .

ولقد لحظت أن الدكتورة الفاضلة فى دراستها التقويمية لجأت الى التاريخ من أجل أن تقرر عدة قواعد فى هذا الفن ، وانتهت فى ضوئها الى أن جوجول الروسى يرجع اليه الفضل فى تخليص موضوع القصة القصيرة من بقايا الرومانسية التى تعنى بالغريب والوعظ والصنعة اللغوية فاستبدل بها بساطة اللحظات العابرة من الحياة اليومية . واذا لم أكن متطفلا على بحث الدكتورة أضفت انها تشير بذلك الى ما كان يسود حكايات اريستديس الملطى وبوكاشيو - بعده بستة عشر قرنا - وحكايات العشق التى تعرف باسم Novlleas التى منها ما خلفه فرنسيسكو دى باربرينو (ت ١٣٤٨) .

وكذلك قررت الدكتورة لطيفة أن ادجار الن بو استطاع أن يخلق « الشكل » أو القالب الفنى أو البنيان الذى اقترب بدقته من دقة الرياضيات ، واعتمد على التركيز حول لحظة واحدة لها بداية ووسط ونهاية . ولعلى لا أخطىء اذا قلت انها ترى هذا فى ضوء مهمة القصة - اذ ذاك - وكانت كما لا يخفى عليها وسيلة لسرد حكاية للآخرين! أجل ، وفى سبيل هذا وضعت الاسس التى تعمل على «نقل» الحكاية كما يراها المؤلف فاشترطت - كمقومات رصدتها - وحدة التأثير الناجمة عن وحدة الجو .

والصورة بهذا التحديد تبدو كاملة للمتعجلين ، غير ان الواقع أن وراء خلق القصة القصيرة قوى يصعب اضافتها الى جوجول وحده ولا الى بو بجانبه ولا الى أناس بعينهم حتى وان كان موباسان وجوركى من بينهم . وتحديد مقوماتها على النحو الذى تراه الدكتورة لطيفة الزيات يخرجها عن دائرتها الحقيقية من ناحية ولا يغطى قصة اليوم التى تندرج تحت مايسمى باللاقصة أو القصة الضد من ناحية أخرى .

ونحن اذا أردنا أن نختصر التفصيلات دون اختصار للحقيقة وجب أن نجيب عن السؤال التالى : لماذا ظهرت القصة القصيرة أصلا ؟

والسؤال يعنى بطبيعة الحال بالقصة الفنية ، لا الحكايات الخرافية ولا النوفيلا ولا ديكاميرون بوكاشيو ، ولا طرائف المقامات ونحوها ، كما يثير فى الوقت نفسه قضية الدوافع التى من أجلها أصبح للقصة «شكل» منتظم أو صياغة لها تخطيطها الثابت .

والحقيقة أنه تمكن الاجابة عن السؤال بأكثر من اجابة الا أن المهم - فى نظرى - هو أن نقرر أن تضاؤل أثر الشعر القصصى والدراما نظرا لتضخم جمهور القراء بعد قلة طالما استمتعت بالسماع والرؤية كان يعمل على توجيه الاهتمام نحو القصص . ولما كانت الروايات الطويلة لا تتفق تماما وطبيعة

الحياة في القرن التاسع عشر ـ لانهـا تحتاج الى وقت يفتقده العمال والأجراء وصغار الموظفين ـ فقد كان لابد أن يميـل المؤلفون الى اجتزاء التفصيلات حتى استطاعوا أخيرا أن يخرجوا بالاعمال التى تقرأ فى جلسة واحدة ، وكان الذين لا يزالـون يكتبون الرواية يجزئونها أحيـانا أجزاء تصدر تبـاعا على صفحات الجرائد اليومية .

وثمة راى آخر يمكن أن نضيفه ، وهو أن القصة القصـيرة نشأت بعـد ان دعمت الطبقة المتوسطة نفسها ، مع ملاحظة انهـا لم تكن تملك امكانيات الارستقراطية ولم تعش فى مثل ظروفها . وكانت ترى ان أنسب ما يناسبها هو هذه الاعمال المحدودة التى لاتربطها الا بلحظتها حتى وان كانت من النوع التخييلى أو من النوع الذى برع فيه ادجار الن بو . وكان عنصر الرومانسية الذى طبع روايات النصف الثانى من القرن التاسع عشر بمـا درج عليه من تحليل للمشاعر الدقيقة قـد ترك آثاره فى القصة القصيرة حتى أصبح من السهل أن نقول : ان القصة القصيرة فى تلك الفترة المبـكرة راحت تؤكد أنهـا تحتاج الى ما تحتاج اليه القصيدة الشعرية ! وهذا معنى ما ذهبت اليه الدكتـورة لطيفة الزيات فى حديثها عن التوتر وما تحولت به القصة القصيرة الى « التعبير » عن النفس أكثر مما كانت وسيلة لسرد حكاية على الآخرين .

واذن فما قدمه كل من جوجول وبو لا يمكن أن يكون جامعا مانعا فى تقويم القصة ، ونحن اذا قبلناه لا نقبله الا كمرحلة عبرتها قصة اليوم بحيث ينهار كل ما كان لازما لبناء أى قصة قبل خمسينات هذا القرن .

أجل ، وقد اضـاف غير المتخصصين فى القصة القصيرة وأشهرهم جيمس جويس وبروست وفيرجينيا وولف وهنرى جيمس وفورستر اضافات قيمة نبهت على عجز « التكنيك » الذى قومت معـالمه الدكتورة لطيفة الزيات ، وذلك كى تصبح القصـة القصيرة تصويرا لقطاع عرضى فى الحياة .

والقصة القصيرة بهذا التحديد موجودة اليـوم فعلا ، غير أن كثيرا من كتابها ـ حتى وان رفضوا أن تكون كقصيدة الشعر ـ يخرجون بها الى ما يخشى ان تعود به الى شكلها الاول الفضفاض، لا فى طريقة السرد تماما ولكن فى عدم التزامها موضوعا محددا.

ان الفكرة القصصية اليوم ـ منـذ مد الادباء الوجوديون سلطانهم الى تصميمها ـ بدأت تستحيل الى « أطر » فضفاضة يختلط فيها تصوير الظاهر تصويرا حرفيا باللاواقع مع طبعها كلها بطابع النفى أو الرفض .

و « السقطة » التى كتبها « كامى » شىء غريب عجيب ، لا هو يشبه أعمال تشيكوف وجوركى ولا هو فيه شىء من صنيع موباسان ، ويبعد كل البعد عن حرفية بو ، ويعتمد فيما يعتمد على مجـاهدات فرجينيا وولف وجيمس جويس . الوصف والحوار والمناجاة النفسية والتقرير، كلها متداخلة، ولابداية لها تقليدية ولا نهـاية ، وليس بين البداية والنهاية ذروة ، ثم عبثا نعثر على عقدة .

ومن ناحية الحجم ـ والنقاد التقليديون يهتمون جدا بتحديده على أساس عدد الكلمات ! ـ لا نجـد بصدده ما يدفع بنا الى تحديد معالم العمل من حيث هو قصة أو قصة طويلة أو رواية قصيرة .

ولكننا اذا جاوزنا كامى ـ وقد أصـبح بدوره مرحلة ـ نجد كتاب اللاقصة الذين لايزالون مجهولين بيننا ، مع أنهم فى اوروبا وأمريكا يشغلون الرأى العام والنقاد جميعا ، ويثيرونهم ، ويهدمون القواعد التى عمـل أدباء القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين على ارسائها وتأكيدها .

هل قرئت أعمال مارجريت دورا هنا ؟

وماذا عن جرييه وبيتور ومن يقفو أثرهمـا من امثـال ناتالى ساروت التى تكتب الرواية والقصة القصيرة ؟

ان اتجاه هؤلاء ومن لف لفهم من أدباء العرب ـ ومنهـم دريس الشرايبى ومطيع وكنفـانى وعايدة مطرجى ونجيب محفوظ فى غير رواياته ـ يحطمون المنهج الكلاسيكى ويرفضون أن يجعـلوها مجرد وصف لأشخاص فاعلة وترتبط بزمن له أول ووسط ونهاية !

وبناء على هذا الغيث « الانواع » التقليدية التى قسمت اليها الاعمال القصصية • فلم يعد ثمة قصة سيكولوجية ولا قصة انفعالية ولا قصة يوطوبية ولا قصة اجتماعية ولا ما شئنا من غير ذلك مما يصعب استقصاؤه وحصره •

أصبحت القصة القصيرة هى كل تلك الانـــواع ممتزجة ، واصبحت أيضا وثيقة احتجـــاج تستعين بشتى الاساليب على ابراز القضـية فى اطـارها التعبيرى الذى يعرى انســـان العصر ويكشف عن ازمته ، وليس من المهم فى هذه الحـــالة أن تكون هناك حدود واضحة للحدث لان هذا الحدث غالـــبا ما يكون ثانويا •

ولأول مرة فى التاريخ تقوم القصة على غير سرد مطرد ، بل على غير سرد مطلقـا ، وتكون فعـلا بغير حاجة الى أن تنصب مسرحا لشخصية ما أو اكثر !

ان المجددين العرب لا يفعلون ذلك تماما ، ولكنهم يقتربون شيئا فشـيئا من اغلب الذين يهزون صرح القصة فى أوروبا وامريكا • ولقـد انتهى هؤلاء الى أن « مقومات » اية قصة ينبغى أن تكون مستندة الى التعبيرية أولا ، بشرط أن يعتمد التعبير على الرؤية الظاهرة ويبعد عن التحليل النفسى • على أن هـذا لا يعنى تماما انكار الخلجات الداخلية ، ولكنه يعنى الا يبذل المؤلف أى محاولة لتفسيرها وتعليلها •

بل يسرف البعض فيرفض أن يستخدم النعوت على اساس أن ازجاء أى نعت يوهم القـارىء وهما يخرج به عن الفكرة كما ينبغى أن تكون • فالجو الذى يبدو باردا فى نظر المؤلف ــ وهو يعبر عن ذلك بقوله الجو البـــارد ــ قد لا يكون كذلك من وجهة نظر القارىء ، وكذلك الوردة الجميلة والغادة الحسناء والنهر الهادىء •

ان المطلوب هو رصد الظواهر فىعلاقاتها الظاهرة فقط ، وهـذا وحده اذا كان دقيقـــا كفيل بتقديم الاحتجاج المنشود ، لا سيما أن القاصين يصدرون عن مضمون لا يربطهم بأى مذهب من المذاهب حتى وان كان المذهب للوجوديين مع انهم ينتمون أصلا اليه •

غير أن هذه المقـــومات ــ وقد توفرت فى أعمال روب جرييه ــ فتنت كتاب القصة القصيرة ، فعملوا على بلورتها بصورة تدعو الى الدهش • ولحظنا فى اعمالهم ــ فضلا عن حيادهم الكامل وصدقهم الذى يمنعهم من ان يكتبوا «فلان يعتقد» أو «فلان يظن» خشية الا يكون يعتقد او يظن ما يبسطه ــ عمقـــا وخصوبة على الرغم من أن العالم الذى نراه عندهم لا واقعى وغـير ثابت واشـــخاصه بله لا يملكون مصيرهم ويتحكم فيهم قدر رهيب •

نحن لا ندرى الى اى حد يمكن أن نقبل ذلك فى قصصنا القصير العربى ، فان مايصدر عنه المجددون حتى الآن لا يكاد يجاوز الصياغة الوجودية ــ مع مضامين بعضها وجودى أيضـــا ــ وهو يؤذن بأحد أمرين: اما برجعة الى الوراء قبل الوثوب الى «شكل» ثابت جديد ، واما بتدمير هذا الفن كله على أساس انه بلا قيمـة كبيرة من حيث هو جنس من أجناس الادب • ولقد تنبأ بزواله فعلا جمـاعة من الادباء منهم ــ على سبيل المثال ــ لويس ماكنيس ، ولو قد وضعنـــا فى اعتبـــارنا أنه كان ينظر الى القصة التقليدية وهو يدلى بنبوءته تلك لحق لنا أن نتساءل: تراه كان يدخل فى حسابه صنيع أصحاب اللاقصة هذه الايام ؟

غير اننا فى الحقيقة لسنا متشـــائمين ، فسوف تظل القصة وبجانبها الاعمـــال الروائية على اختلاف أنواعها • وكلها فى نظرى لا يمكن ان تموت الا اذا ماتت رغبة الانســـان فى أن يتعرف على جاره وعلى نفسه وصور حياته ، وسيظل مجتمعنا «شـــغولا بحركة القص مهما تختلف أســـاليبه • فما يقدمه محمود تيمور يجب أن يبقى ، وامين يوسف غراب بتكنيكه المحكم ضرورة يحتاج اليها العصر ، وعبـد الحليم عبد الله لون من الالوان التقليدية الخصبة •

والى جانب هؤلاء أصـــحاب هذه القصص التى تشجب الأساليب المتوارثة • وهى قد تبدو خطيرة مدمرة لا تقل خطورتها عن خطورة ما يفعله أصحاب الشعر المرسل ، الا أنها «مرحلة من مراحل التطور•• مرحلة ذكية يشهد على جديتها امثال نجيب محفوظ وسهيل ادريس وغسان كنفانى ، واكثر من كاتب يطلع علينا من المغرب العربى فى أفريقيا العظيمة •

« د • احمد كمال زكى »

أساليب كتابة الرحلات (١)
في القديم والحديث

بقلم : محمد عبد الغنى حسن

- ١ -

ان من يتابع كتب الرحالة العرب فى القديم والحديث يرى اختلافا واضحا بين كل رحالة وآخر، من حيث المنهج والاسلوب ، والاهتمام برؤية بعض المشاهد دون بعض ، والتصديق لكل ما يسمعه خلال الرحلة ، والاتصال بأهل البلد النازل فيهم ، ومحاولة الاطلاع على عاداتهم وتقاليدهم ، ودراسة نظم الحكم والادارة فى البلد المنزوح اليه ، والموازنة بين ما تقع عليه عينه هنا وعينه هناك ، والاستعداد الفطرى للمرح والروح الفكاهية وقبول النكتة والارتياح لها وأشاعتها، والولوع بالاحصاء والتعداد لكل ما يمكن عده ، سواء أكان بشرا ، أم حيوانا ، ام جملة من المصانع ، أم عددا من البواخر ، أم قدرا مستهلكا من الطعام والشراب، كمية الارز المستهلك فى بلد ، أو مقدار اللبن الذى يشرب يوميا فى بلد آخر ...

وهذه الوجوه من الخلاف بين أسلوب رحالة ورحالة ومشاهد رحلة ورحلة ، لا نجدها فى الرحالين العرب وحدهم ، ولكننا نجدها فى كتب الرحلات الأجنبية التى يتاح لنا الاطلاع عليها فى لغاتها الاصلية ، أو مترجمة الى اللغة العربية . فلا شك أن طريقة « هـ.ف. مورتون » فى كتابة الرحلات غير طريقة « جنتر » و « أندريه موروا » و « وليام كوبيث » الرحالة الانجليزى الذى وصف الريف الانجليزى ، وصور الفلاح فيه تصويرا دقيقا فاتنا، حتى عد كتابه المعنون « أسفار ريفية » من أمتع كتب الرحلات التى تقرأ اليوم ولاتفقد متعتها وجدتها مع أنه يصور الريف الانجليزى فى القرن الماضى .

ولكل رحالة طعم خاص ومذاق خاص فى تدوين رحلته ، ومن هنا ترانا نؤثر رحالة على آخر ، أو نفضل رحالة فى لون لا يدانيه فيه رحالة آخر . ونجد هذا الطعم والمذاق ظاهرا حين نتناول رحلة ابن جبير الاندلسى الى مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية فى القرن السادس الهجرى، ورحلة ابن بطوطة الى أكثر هذه البلاد فى القرن الثامن الهجرى .

فكل من الرجلين يهتم بالمساجد ، وبيوت الله ، ومشاهد أهل البيت والصحابة والعلماء الزهاد ، والمتصوفة. فنرى ابن جبير يهتم أول الامر فى القاهرة بمشهد الحسين فيصور التابوت الفضى ، والقناديل الفضية ، وما حف بأعلاه من أمثال التفافيح ذهبا ، والاستار البديعة الصنعة ، وأنواع الرخام المجزع. ثم يصف بعد ذلك المسجد الاموى الكبير بدمشق ، والمسجد الحرام بمكة ، ومسجد النبى عليه السلام بالمدينة ، ويطوف فى كل مسجد طوافا طويلا ، ويقف وقفات طويلة هنا وهناك ، فلا يفوته منبر ولا مئذنة ، ولاصحن جامع ، ولا أعمدة ، ولا أستار، ولا قناديل ، ولا صناديق مختمة بالصندل مصفحة بالذهب أو الفضة ، ولا أبواب ، ولا قباب ...

ونرى الرحالة **ابن بطوطة** يصور المساجد فى رحلته ويصفها وصف الخبير الدقيق ، فلا يفوته جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، ولا المسجد الاقصى بالقدس الشريف ، ولا المسجد الحرام بمكة، ولا المسجد النبوى بالمدينة ، كما لا يفوته فى القسطنطينية وصف الكنيسة العظمى : كنيسة أيا صوفيا التى كانت فى عهد زيارته لها لم تنتقل بعد الى يد الاتراك العثمانيين فى عهد محمد الفاتح الذى فتح القسطنطينية فى القرن التاسع الهجرى

اى بعد زيارة ابن بطوطة باكثر من قرن من الزمان.

وليس غريبا أن يصف لنا رحالة عالم مسلم كنيسة او بيتا من بيوت الله يعبد فيه . فاذا كان ابن بطوطة المسلم يصف لنا كنيسة ايا صوفيا فى القرن الرابع عشر الميلادى ، فان رحالة عربيا مسيحيا معاصرا – هو الاستاذ فتح الله الصقال – يصور لنا فى رحلة الى أوربا فى هذا القرن العشرين مسجد ايا صوفيا ، بل يصور لنا عشرين جامعا فى العاصمة التركية كانت فى الاصل كنائس ثم استحالت جوامع بعد ان فتح العثمانيون المدينة .

وتاتى مع زيارة المساجد والكنائس والبيع فى الرحلات العربية زيارة المشاهد والمزارات وقبور الاولياء الصالحين ، وممن أسرف فى هذا اسرافاكثيرا الرحالة ابن جبير ، فقد وصف الثنا « قبة الوحى » و « دار الخيزران » ودار أبى بكر الصديق. ولا يقل ابن بطوطة عنه فى هذا الباب ان لم يزد عليه ، فقد وصف لنا مشهد الحسين عليه السلام» وتربة السيدة نفيسة ، وتربة الامام الشافعى بمصر ، وقبر رابعة البدوية – نسبة الى البادية – بالقدس ، وهى غير رابعة العدوية ، وموضع مهد المسيح عليه السلام ، والبنية التى يقال أنها كانت مصعدة الى السماء .

واذا كان بالرحالة ميل الى التصديق بالعجائب والكرامات فان ذلك ينعكس على أوصاف رحلته . وبطل هذا الميدان هو رحالتنا ابن بطوطة ، حتى لقد كان وصف الغرائب والعجائب التى لقيها موضعا للشك عند غير المصدقين ، مما أثار عليه خصومه المنافسين ، فاتهموه عند بعض السلاطين بالوضع ، وسفهوا رايه وكذبوه . ولكن المنصفين مالوا الى تصديق عجائب مشاهداته مادامت فى حيز المعقول ، وما دام لم يقم على نفيها دليل من السماع أو الرؤية ...

وقد أكثر ابن بطوطة من ذكر الحكايات عقب كل جولة ، أو فى خلال السرد للرحلة ، ويشير الى ذلك بقوله : حكاية . ثم يستطرد الى ذكر الحكاية التى قد تطول أو تقصر تبعا لنوعها وطبيعتها ... وقد لا يكتفى بذكر «حكاية» وحدها بل يعرفها بالصفة ، فيقول : حكاية غريبة ، أو حكاية عجيبة .

والاستطراد فى كتابة الرحلات ظاهرة لا نجدها عند أكثر الرحالين ، ولكنا نجدها عند بعضهم ممن يولعون به . فابن بطوطة يستطرد بذكر الحكايات والغرائب والكرامات ، واحمد فارس الشدياق ، رحالتنا العربى المعاصر الذكى الخفيف الروح ، يستطرد كثيرا على عادته فى كل ما يكتبه ، فقد حكى مثلا أن المستشرق « الدكتور لى » تزوج واحدة من الغجر او النور (الجبسيات) فى بلاد الانجليز ، وقد أحبها لسمرة بشرتها ، وأحبته هى لبياضه – على طريقة المخالفة ... ولكنه ، اى الشدياق – استطرد بعد هذا الى حديث طويل عن النور(الغجر) وشيخهم ورقصهم ، واحترافهم العرافة ومعرفة البخت ، وسرقتهم للدجاج والخيل ...

فاذا ما فرغ من تاريخ «الغجر» ووصف عاداتهم ، استطرد بعد ذلك الى حديث السواد والبياض فى الوان الناس ، وأتى بشعر طريف فى تفضيل السواد على البياض على سبيل « المغايرة » التى عرفها البديعيون ولجا اليها كثير من شعراء الصنعة ... كقول القائل :

يكون الخال فى وجه قبيح
فيكسوه المهابة والجمالا

فكيف يلام عاشقها على من
يراها كلها فى العين خالا

على أن الشدياق خرجمن مشكلة البياض والسواد فى النساء بتحسين الملاحة فى كل لون ، على حد قول البهاء زهير :

اسمع مقالة صب   وكن بحقك عونى
ان المليح مليح   يحب فى كل لون..

ومن كتاب الرحلات الذين أولعوا بالاستطراد « رفاعة رافع الطهطاوى » صاحب كتاب (تخليص الابريز ، الى تلخيص باريز) ، فاذا وصف لنا – مثلا – أحد «التياترات» فى باريس فانه يستطرد الى وصف الهوى والليل ، (ولا يمدح الليل الا من ترقب فيه وصال محبوبه) ، ثم يصف لنا ليل امرىء القيس الطويل لأنه ليل عاشق منتظر (كثر

فيه حرقه ، وزاد أرقه، وطال سهاده ، وطار رقاده) .. ولقد كانت رحلة رفاعة الطهطاوى الى باريس فى عهد حكم محمد على ، على حين كانت رحلة فارس الشدياق بعد ذلك بعشرات من السنين .

ويختلف كتاب الرحلات من حيث اهتمامهم بالاحصاء والعد وذكر الارقام . فهناك من لا يعير الارقام أى اهتمام ، وهناك من يغالى بها ، ويسرف فيها اسرافا كثيرا يصدع الرأس ، ويزهق النفس.. وقد اعتمد **فارس الشدياق** على الارقام يكمل بها طرائف كتابه فى الرحلات أو كتابيه اللذين يسمى أحدهما : « الواسطة ، فى معرفة أحوال مالطة » ، والثانى « كشف المخبا ، عن فنون أوربا » ، وهما من مطبوعات « الجوائب » التى أنشأها ذلك الشيخ العبقرى فى عاصمة الخلافة الاسلامية ..

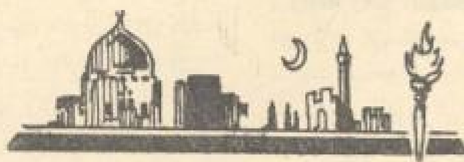
ومن احصاءات فارس الشدياق الطريفة فى رحلته لانجلترة وايرلندة ، انه ذكر نقلا عن احصاء نشرته صحيفة «التيمس» يومذاك أن جملة عدد القضاة ٤٩٩ قاضيا ، منهم أربعة وخمسون فى المحاكم العليا ، والباقى فى المحاكم الدنيا ، وأن عدد القسيسين المنتمين الى الكنيسة الاصلية ١٨٥٨٦ ، أما المنتمون الى بقية الكنائس المتفرعة فعددهم ٥٨٥٢١ قسيسا . وعدد الاطباء ١٨٧٢٨ ، ولا يدخل فى ذلك طلبة الطب الذين دخلوا فى سلك المتطببين . وعدد المهندسين ٣٠٠٩ مهندسين، وعدد المعلمين ١٠٦٣٤٤ منهم ٣٤٣٨٧ من الرجال و ٧١٩٦٦ من النساء . فاذا انتقل فارس الشدياق من المهن والحرف الى الارض والزراعة والرعى أورد فى رحلته طائفة من الاحصاءات الطريفة فى هذه الناحية ... فالانجليز – أو الانكليز بالكاف على طريقته وطريقة أهل الشام – يربون ثمانية ملايين من الماشية ، ويذبحون مليونين ... ومع خصب أرضهم وكثرة غلالهم فانهم يجلبون كثيرا من المأكول والمشروب من البلاد الاجنبية ، فقد جلبوا من البقر فى مدى ستة أشهر ١٢٢٣٨ رأسا ، ومن الغنم ٢٩٢٦٨ ، ومن البيض قرابة ٥٧ مليون بيضة ...

ويظل الشدياق فى رحلته ينتقل بالقارىء العربى من احصاء الى احصاء ، ومن رقم الى رقم ولكنه فى خلال ذلك يسوق من النوادر والفكاهات والملاحظ الذكية ، والبديهة الحاضرة ما يخفف من ثقل الارقام وتتابع الاعداد .

ومن أولع بالاحصاء فى الرحلات من أهل زماننا هذا الاستاذ فتح الله الصقال مؤلف كتابى : « فى العالم الجديد » و « أوربا أمس واليوم » ، وهما من كتب الرحلات التى تعتز بها المكتبة العربية الحديثة. ويمتاز الاحصاء عند الصقال بروح خفيفة تشوق القارىء ولا تبهظه ولا تثقل عليه ، فمن احصاءاته الطريفة ما ذكره عن متاحف فينا ومحتوياتها ... ففى متحف السجاد (٩٠٠) قطعة من أثمن وأنفس ماصنعته يد الانسان، وفى متحف السمك (٧٢٠٠٠) شكل وجنس من الاسماك . وفى المكتبة الوطنية (١٫٢١٠٫٠٠٠) كتاب مطبوع و (٣٠٫٠٠٠) مخطوط . وفى المتحف الزراعى ١٢٧٥٠ مجلدا ، تضم بين طياتها مليونين وخمسمائة ألف نوع من أنواع النبات . ومن طرائف احصاءاته عن دور العجائز ما ذكره عن دار العجزة فى عاصمة البلجيك ... فهى تحتوى على ٥٣٠ سريرا ، وكل غرفة تستوعب ما بين عشرين الى ثلاثين سريرا ، ويقوم بخدمة العجزة مائة وخمسة وعشرون خادما وخادمة.

وهكذا تستحيل الارقام والاعداد والبيانات والاحصاءات فى كتب الرحلات الممتعة الى أشياء لطيفة خفيفة لا يضيق بها صدر القارىء ، ولاتزدحم على خاطره ولا أمام ناظريه ...

« **محمد عبد الغنى حسن** »



دعوة .. للانسان .. في كل مكان وزمان

بقلم: فتحي عثمان

نزل القرآن بلغة قريش في شبه جزيرة العرب ... لكنه نزل يخاطب «الانسان» مطلقا بغير تحديد: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق **الانسان** من علق»، وهو يخاطب الانسان في كل زمان ومكان، ومن هنا كان لا يخاطب «الحس» بالخوارق التي يشهدها أفراد ويتناقلها جيل، وانما يخاطب (العقل) الانساني في كل البيئات والاجيال .. وهكذا كانت معجزة الاسلام (كتابا) و (بيانا)، وتذكرة لأولي الالباب!

وجاءت أولى آياته دعوة **للمعرفة الانسانية دون** حدود، لانها من عند الله الذي فوق كل الحدود.

«**اقرأ** وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم **الانسان** ما لم يعلم».

وتستهل فاتحة الكتاب وسائر سوره «بسم الله **الرحمن الرحيم**».. ورحمة الله ــ كما تحدث هو في كتابه ــ قد وسعت كل شيء.

وتفتتح الفاتحة بحمد الله «**رب العالمين**».

وشعائر الاسلام اعلان للوحدة الانسانية: فالأذان للصلاة دعوة عامة للفلاح لا تستعدي ولا تستثير، وفي الصلاة اجتماع للقلوب والتئام للصفوف: وفي الزكاة تلاحم وتكافل، وفي الحج تعارف والتقاء على مستوى عالمي. ثم تأتي شريعة الاسلام فتعلن المساواة الانسانية، لا تحابي ولا تتحامل «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» «ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم والوانكم».

وشريعة الاسلام تقيم ميزان العدل مع المخالفين في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم، ان الله يحب المقسطين. انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم».

ولقد اجتمع على هذه الدعوة الانسانية العالمية: بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، بجانب اساطين العرب من قريش وغير قريش. وشاء الله الا يلقى محمد القرشي من (قريش) غير العناد، والا يلقى محمد الناشيء في مكة من (مكة) الا التكذيب والعداء، وشاء الله ان ينصر **محمد من** (الاوس والخزرج)، وان يلقى الترحيب في (يثرب).

وهكذا كانت دعوة الاسلام دعوة انسانية عالمية.

- **تخاطب عقل الانسان في شتى البلدان والاجيال**
- **وتعلن المساواة الانسانية والوحدة العالمية**

نتيجة منطقية لاتجاهها الى مخاطبة «الانسان» و«عقل الانسان».

«وما ارسلناك الا رحمة للعالمين».

ومن اجل ذلك ارسل رسول الاسلام رسله وكتبه الى من حوله من حكام الارض .. وبينما كان المسلمون يعانون من (قريش) في (مكة) العنت والايذاء، كان القرآن يبسط أمامهم الافق والامل ويفتح اعينهم على العالم الواسع الرحيب:

«غلبت الروم في ادنى الارض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الامر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم».

وقد جاءت شريعة الاسلام تعالج الجوانب الرئيسية في الحياة .. ولم تغفل **القانون الدولي** الذي هيأ الاسلام لنشاطه المجال الحيوي بفضل دعوته الانسانية العالمية «يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود» «واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم» «فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم» «وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق».

وشريعة الاسلام تستهدف اقامة العدالة الدولية كما تستهدف اقامة العدالة الاجتماعية والسياسية: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما، **فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل**، واقسطوا ان الله يحب المقسطين». على ان الاسلام اذا اضطر للحرب دفاعا عن حق فشريعته الانسانية لا تتبع مدبرا ولا تجهز على جريح، ولا ترفع سلاحا على غير محارب ــ كهل او صبي او راهب او امرأة. ودعوة الاسلام الانسانية العالمية تواصل مخاطبة العقل حتى في ميدان القتال «وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه». فاذا بدرت بادرة للرجوع عن

البغى وجب الرجوع الى الاصل وهو السلم « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

ولنستمع الى الدكتور حميد الله الحيدر ابادى يقول في مدمة كتابه : « سيرة الدولة الإسلامية في المجال الدولى » بالانجليزية :

« لم يكن هناك قانون دولى في اوروبا قبل عام ١٨٥٦ م ، ومن المسلم به ان ما كان هناك قبل ذلك هو مجرد قانون للامم المسيحية . ففى عام ١٨٥٦م حدث للمرة الاولى ان اعتبرت دولة غير مسيحية – هى تركيا – اهلا للانتفاع من القانون الاوروبى العام للأمم ، وكانت هذه هى البداية الحقيقية لتحويل القانون العام للامم المسيحية الى قانون دولى عام . ولا يعنى هذا ان القانون الدولى بمضمونه الحديث قد ولد في ذلك الزمان والمكان ، وانما تحقق وجوده من قبل فى بقعة أخرى : ان الاسلام قد اعترف لكل الدول – بصرف النظر عن الدين والجنس – بنفس الحقوق والالتزامات . فعلى خلاف اية امة فتية ، لم يعلن المسلمون قانونهم للامم من أجل تحديد سياسة الدولة الاسلامية وحدها ، ولا على اساس اسقاط الدول غير المسلمة من الاعتبار ، بل ان القانون الدولى ليدين كذلك للمسلمين العرب فى العصر الاموى باعتباره علما منفصلا «مستقلا» فهم قد فصلوا بينه وبين علم السياسة وبين القانون بمعناه العام، وان كانوا لم يجردوه من أساسه الاخلاقى» .

ودعوة الاسلام تخاطب «الانسان» كما خلقه الله بدوافعه وعواطفه ، وميوله وانفعالاته .. انها لاتفترض أنه ملك معصوم أو شيطان رجيم .. استمع الى حديث رسول الاسلام .

«كل بنى آدم خطاء .. وخير الخطائين التوابون» .

« رفع عن أمتى : **الخطأ .. والنسيان .. وما استكرهوا عليه»** .

وتقرأ فى القرآن وصف «المتقين» الذين أعدت لهم جنات النعيم .

« والذين اذا **فعلوا فاحشة أوظلموا انفسهم ذكروا** الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون» .

كما تقرأ عن **«المؤمنين المجاهدين»** .

« اذ جاءوكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم

وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا الا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم» .

بل ان القرآن يقول عن **الرسل الأكرمين :**

« حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

« فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما انت نذير ، والله على كل شىء وكيل » .

« وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين» .

«وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، واذن لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا . وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها ، واذن لايلبثون خلافك الا قليلا ، سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا» .

وهكذا يتعانق فى حياة الانسان الضعف والقوة . وحسب الفرد القوى أن تربو فترات قوته على فترات ضعفه .. وحسب المجتمع القوى أن يربو عدد الأقوياء فيه على عدد الضعفاء .

«ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها» .

وبهذه الدعوة الانسانية يقطع الاسلام الطريق على المتزمتين الجامدين ، الذين يتشهون تتبع العورات ، ويتلمظون لتلمس العيوب .

« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة .. والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ..

لقد جاءت رسالة الاسلام الى الدنيا بمعنى عميق . جاءت لتعلن عن طريق (عبادة الله) .. (كرامة الانسان) .

(الانسان) فى أية بقعة من العالم .

(الانسان) فى أى زمن من الوجود .

(الانسان) فى أية حال من الاحوال التى هى من طبيعة الانسان .

(ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

فتحى عثمان

بمناسبة توقيع اتفاقية التبادل الثقافي والعلمي
بين الهند والجمهورية العربية المتحدة

الطلبة الوافدون إلى الهند

ونظم المنح الدراسية فيها

بقلم: محيي الدين الألوائي

قام فى الاسبوع الماضى وزير التعليم فى الهند السيد محمد على شاجلا بزيارة للجمهورية العربية المتحدة بدعوة من السيد وزير البحث العلمى الدكتور رياض تركى ، وجرت محادثات بين الطرفين حول البرامج التنفيذية الخاصة بالاتفاقية الثقافية والعلمية بين البلدين ، وامكانيات توسيع نطاق تبادل العلماء والمدرسين والطلبة ، خصوصا اساتذة اللغة العربية للتدريس فى الهند .

وقد تم الاتفاق اخيرا على ان يجتمع المجلس العلمى العربى الهندى المشترك ،مرة كل عام لوضع برنامج للعمل والتعاون،على أن ينعقد مرة بالهند ومرة بالقاهرة ، وتقرر أن يذهب هذا العام ستون عالما من الجمهورية العربية المتحدة الى الهند ، بينما يصل ثلاثون عالما من الهند الى القاهرة ، وكذلك تهدف الاتفاقية الجديدة الى رفع عدد المنح الدراسية من الجانبين وكذلك عدد اساتذة اللغة العربية المبعوثين الى الهند .

ونعرض فيما يلى جولة سريعة حول نظم المنح الدراسية واقسامها ، والعلوم والفنون التى تختص بها الهند ، وكذلك التسهيلات التى تتخذها السلطات التعليمية فيها للطلاب الوافدين اليها من مختلف البلدان :

كانت الهند منذ عصور بالغة فى القدم محط العلماء والباحثين من شتى انحاء العالم ، واما الجامعات القديمة التى قامت فى مدن « نلندا » و « تكسيلا » و « كرام شالا » و « أودانتابور » فى عصور انبثاق فجر الحضارة الهندية ، بمثابة مراكز عالمية لدارسى الفلسفات والحكم ، وتدفق اليها العلماء والباحثون من كل فج عميق ، وصاروا همزة الوصل ونقطة الالتقاء بين الحضارات المختلفة القائمة فى تلك العصور ، ووضعوا كتبا قيمة ومذكرات تاريخية ، تلقى الأضواء على العلوم والفنون والحكم السائدة حينذاك فى شبه القارة الهندية والبلدان المجاورة ، ومن المؤسف حقا ، أن الوهن والجمود قد تسربا الى شرايين الروابط العلمية والثقافية بين الهند والعالم الخارجى بفعل السياسة الاستعمارية البغيضة ، التى كانت تستهدف دائما بث روح التفرقة بين الأمم الشرقية ، وقطع أواصر التآلف والتعاون بين هذه الأمم التى تربط بينها برباط الصلات التاريخية والثقافية ، بل الروحية أيضا .
وصار الشرق ــ بوجه عام ــ يتطلع الى الغرب ، لجامعاته ومعاهده لنيل الدرجات العلمية ، والشهادات العليا بعد أن كان الشرق مهد الحضارات والعلوم ، وكعبة العلماء والدارسين فى مشارق الأرض ومغاربها .
وعقب الحرب العالمية الثانية ، حصل تقارب بين



الدكتور احمد رياض تركى وزير البحث العلمى (ج ٠ ع ٠ م) والسيد عبد الكريم شاجلا وزير معارف الهند . يوقعان اتفاقية التبادل الثقافى والعلمى بين البلدين

الشعوب والأمم . وبدأت الدول تتعاون وتتعارف فى شتى مرافق الحياة البشرية ، وادركت بنفسها مغبة حياة العزلة التى فرضتها عليها الدول الاستعمارية المغرضة ، استطاعت عدة دول أسيوية وافريقية أن تزيل عن كاهلها كابوس الاستعمار الغاشم ، وتشق طريقها الى التقدم والنمو فى مختلف الميادين ، ودب فيها شعور المصالح العامة ، والأهداف المشتركة بين الشعوب المستقلة حديثا ، وفهمت جيدا ضرورة التقدم العلمى .

ومنذ ان نالت الهند استقلالها فى عام ١٩٤٧ عقدت عزمها على العمل لاستئناف الروابط العلمية والثقافية ، الى جانب الصلات السياسية والاقتصادية ، مع البلدان الشقيقة التى كانت تربطها بها علاقات ودية متينة منذ أقدم العصور ، فوضعت مشروع المنح الدراسية للطلبة الوافدين اليها لكى يتمكنوا من القيام بتلقى العلوم من مناهل الهند التاريخية ، ويستعيدوا الروابط المعنوية القديمة ، التى انفصمت أوصالها لأسباب لم تكن فى حسبانها ، وضاعفت الهند هذه المنح الدراسية لجاراتها من الدول الآسيوية والافريقية ، خصوصا المنح التى خصصت لمواصلة الدراسات فى العلوم والفنون التى لا تتوافر فى تلك البلدان وسائلها وتسهيلاتها ، واختارت الهند لنفسها برنامجا للتعاون الثقافى مستهدفة منه تحقيق الآمال والاهداف المشتركة .

ويبلغ عدد الطلبة الوافدين الذين يتلقون العلوم فى جامعات الهند ومعاهدها الآن اكثر من اربعة آلاف طالب ، ينتمون الى ثمانين دولة من البلدان المختلفة . ومنهم طلاب يدرسون على حساب منح دراسية من الحكومة الهندية ، ومنهم من يواصلون الدراسة على نفقاتهم الخاصة ، وتتولى وزارة المعارف، ووزارة البحوث العلمية ، والشئون الثقافية مهمة الاشراف على مشروع المنح الدراسية ، بينما تشرف الاولى على الطلاب الوافدين الذين يختارون العلوم الانسانية ، والفنون العصرية ، والدراسات المهنية ، تشرف الثانية على الذين يختارون الهندسة والتكنولجية . والفنون الجميلة والآداب الهندية المختلفة ،

وقد بدأت الهند برامج المنح الدراسية العامة فى عام ١٩٤٩ بسبعين منحة سنوية ، ارتفع معدلها فى عام ١٩٥٦ الى مائة وأربعين منحة ، لسبع وأربعين دولة آسيوية وافريقية لمواصلة الدراسة فى الهند بمختلف أنواع الدراسات . واستمر هذا الازدياد النسبى باطراد عاما بعد عام . واما المشروع الآخر للمنح الدراسية فهو مشروع التعاون الفنى التابع لمشروع « كولومبو » . ويقتضى ذلك تمنح المنح او الزمالة الدراسية لابناء الدول الاعضاء فى مشروع « كولومبو » لكى يكملوا التدريب المهنى . وكان هدف هذا المشروع الذى هو موجه ــ أولا وقبل كل اعتبار ــ الى بلدان جنوب آسيا ، مواجهة مطالب الحكومات فى هذه البلدان من الخبراء والعلماء الاكفاء لتدريب مواطنيها طبقا لحاجتها وطلبها ، وقد نال فعلا حوالى ثلاثة آلاف شخص التدريب اللازم فى الهند ، وفقا لهذا المشروع ، وعادوا الى أوطانهم ليقوموا باداء واجباتهم نحو وطنهم وامتهم .

وبموجب مشروع آخر لتبادل المنح تقدم الهند ثلاثين منحة دراسية للبلدان الأوربية .. وتمنح هذه المنحه لمدة عامين ، ويستطيع الطالب ان يختار اى موضوع يعجبه ، ولكن يبدو من التجارب أن طلاب هذه البلدان يفضلون دراسة الثقافات الهندية والفنون الجميلة ، وشتى نواحى الاداب الهندية المعاصرة .

وان الاقبال الذى يلاقيه هذا المشروع من تلك البلدان يدل على تقديرها البالغ للدراسات الهندية المختلفة . ومن الدول التى تتلقى الزمالات الدراسية العليا من الهند : فرنسا وألمانيا الغربية .

واما مشروعات المنح الدراسية العامة التى ابتدأت فى عام ١٩٤٩ فيشمل سبعا وأربعين دولة آسيوية وافريقية ، مع اهتمام خاص للطلاب المنحدرين من اصل هندى . وفى مكنة الطلاب الذين يواصلون الدراسة فى الهند طبقا لهذه المنح ان يختاروا اى موضوع يريدونه ، سواء فى المستوى الجامعى او غيره حسب ضرورة الدولة التى ينتمى اليها الطالب، او حسب رغبته العلمية . لكى يمكنه التخصص فى هذا الموضوع للعمل فى وطنه بكفاءة وخبرة .

ويدرس الآن فى الهند اكثر من ستمائة طالب وفق هذه المنح الدراسية العامة وهم : من الجمهورية العربية المتحدة ، والعراق، والأردن وسوريا ولبنان واليمن وبلاد الجنوب العربى ، والسودان ، وكينيا

واوغنــدا ، وزنجبار ، وتنجنيقــا ، ونيجــيريا ، وروديسيا ، ونياسالاند ، والملايو ، واندونيسيا . ونيبار ، وبورما وسيلان ، والصــين ، وفيجي ، وسيام ، وغيرها من جنوب شرق آسيا .

وهناك مشروع آخر للتبادل الثقافي بين الهند وبلدان منظمة « الكومنولث » وضــع برنامجـه منــذ عام ١٩٥٩ باسم « مشروع كرمنولث » . مستهدفا جمع المصادر واكتشاف الوسائل الممكنة لنشر التسهيلات الدراسية لمواطني دول الكومنولث، فتقدم الهند خمسين منحة كل عام بموجب هذا المشروع حتى بلغ مجموع عدد الطلاب الرائدين من مختلف بلدان هذه المجموعة لمتابعة الدراســة في مختلف المواضيع ، أو لاعداد الرسائل للدكتوراه من جامعات الهند ، حوالى مائة طالب ، وفي مقدمة هذه البلدان ، كينيا ، واوغندا ، ونيجيريا ، وسيلان، والملايو ، وســنغافورة ، وغانا ، ونياســالاند ، وروديسيا .

ويتلقى الطالب الذي يحصــل على المنحة الدراسية وفق مشروع التبادل الثقافي العام ، ثلثمائة روبية شهريا ، اذا كان الطالب يواصل دراسته بمقتضى الزمالة الدراســية ، يتلقى مبلغا أكثر من المنح العادية . مع انه يختلف حسب البرامج التعليمية التي اتفقت عليها البلدان المعنية ، كل طالب من الوافدين يحصل على علاوة الكتب بمعدل ثلثمائة روبية سنويا، الى جانب النفقات الطبية، ومصاريف العلاج ، مع تسهيلات الانضــمام الى معســكرات الصيف ، التي تقام في المدن الرئيسية ، والمناطق السياحية ، في مختلف أنحاء الهند .

ويوجد في كثير من جامعات الهند ومعاهدها التي فيها الطلاب الوافدون مستشارون أكفاء للاشراف على راحـــة هؤلاء الوافدين والعمــل على حــل مشاكلهم ومطالبهم بكل الوسائل الممكنة . ومن مهمة هؤلاء المستشــارين أيضــا أن يقـدموا توصيات ومقترحات الى الجهات المختصــة في الجامعــات والحكومة ، لكي تتخذ الخطوات اللازمة لتوفير الراحة والتســهيلات للطلبــة في دور تعليمهم ، او مــساكنهم او معسكراتهم ، ويقع الاختيار على هؤلاء المستشارين من بين الأســاتذة الاخصائيين الذين يعرفون نفسيات الطلبة ووجهات نظرهم ، ومشــاكلهم أثناء الدراســة ليكون الامر أقرب الى التفهم ، والحل ، بطريقة ترضيهم .

أما الطلاب الوافدون الى الهند فلهم اتحاداتهــم الخاصة في الجامعات والمعاهد التي يواصلون فيهـــا دراساتهم ، وفي مقدمتها : « اتحاد الطلبة الأجانب » في نيودلهي ، ويضم هذا الاتحاد تحت لوائه معظم الطلبة القادمين من بلدان أفريقيا وآسيا ، وينظــم حينا فآخر احتفالات ومهرجانات في مناسبات الأعياد القومية والوطنية في بلدانهم ، ويشارك معهم في هذه الاحتفالات زملاؤهم من الطلاب الهنود ، حتى يسود فيها جو مفعم بالصــداقة المتبادلة والروح الاخوية السائدة بينهم . وهذا يساعد أيضا على توطيد الحب الوطني والشعور القومي في أذهانهم .

وفي جامعة دلهي مدينة جامعية خاصة للطــلاب الوافــدين ، يشرف عليها مجلس الهنــد للروابط الثقــافية في دلهي ، هــذا المجلس يتخذ ايضا التدابير اللازمة لاســتقبال الطلاب الوافدين لــدى وصولهم الى الهند ويقوم بمهمة ايصالهم الى الجامعات والمعاهد التي يلتحقون بها . وللمجلس مكاتب اقليمية لهذا الغرض في المدن الرئيســية بالهند ، مثــل كلكتا ومدراس وبومبــاي وغيرها ، وينظم في كل مركز يوجد فيه عدد من الطلاب الوافدين حلقــات دراسية في الشئون الهندية ، والدراسات الشرقية .

وتحت اشراف المجلس تقام أيضا معسكرات خاصة أثناء العطلة الصيفية في كشمير ، وغيرها من المناطق الساحرة بجمال الطبيعة ، ليكون الطالب الوافد ،على المام تام بطبيعة الهند وخصائصها ومناظرها الى جانب التزود بثقافتهــا وفلسفاتها ، وعلومها حتى يعود الطلاب الى أوطانهم مزودين بذخائر من المعلومات الجديدة ويزدادوا فهما وادراكا بالامم الاخرى .

وتعمل السلطات لتوفير الوسائل والتســهيلات الممكنة للتعايش مع المجتمع الجديد ، والانسجام مع البيئة التي يعيشون فيها ، مع الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، وتتاح للطلاب الوافدين أيضا الفرص السانحة أثناء اقامتهم في الهند للاقتباس من بساطتها وتسامحها وفلسفتها وحكمها المشــهورة ، لكي ينتفعوا بها في مستقبل حياتهم ، وبناء وطنهم وأمتهم على أسس من الدراية والكفاءة .

« **محيي الدين الالوائي** »

الساعة الرابعة

للشاعرة : روحية القليني

اذا دقت الساعة الرابعة … اطير الى هاتفي مسرعه
ادير على لهفات الفؤاد … دوائر خمسا له طيعه
وحين يرد اقول بشوق … الى حكاياتك الممتعه
فيحكي حكاياته المشرقات … واصغي بقلبي كاني معه
واستاف عبر الاثير شذاه … يعطر جو المنى الرائعه
وعبر الاثير حديث رقيق … يهز المشاعر ما اروعه
واصمت والقلب ينبض وجدا … اطيل السكوت لكي اسمعه

***

اذا مر يوم بعمر هوانا … ولا نلتقي فيه عبر الاثير
اكاد اجن اضيق بيومي … ونومي من العين سهدا يطير
واسال كل الذين اراهم … كان الحبيب مضى من شهور
امر بحيكمو خبروني … وعطر جوكمو بالعبير؟
تعود سمعي على صوته … على نغمات الهوى والشعور
تعود قلبي على وده … ففيه حنان يذيب الصخور

***

فكيف اذا غاب عني اطيق … وكيف يقر فؤادي المشوق
سيمضي بعيدا بعيدا هناك … وابقى انا في لهيب الحريق
اعانق سهد الليالي واحكي … لسمع الوساد هواي العميق
اقول بكل صباح جديد … لعل رسالته في الطريق
فاني غرقي ببحر اشتياقي … وتلك الرسالة شط الغريق
سيمضي وابقى مع الذكريات … فودي عميق وعهدي وثيق
اعيش على امل في اللقاء … فهلا يعود الحبيب الصديق؟

ابتهال

للشاعر: محمود محمد سالم

في سكون الدجى لمحت جلالك | ورأيت الوجود يحكي جمالك
واشع الاشراق يملأ قلبي | ضارعا من هداك يرجو نوالك
كل شيء يشف عنك دليلا | من بديع الحياة يبدو حيالك
كل شيء أراك فيه جميلا | أبدعته يداك حتى تمالك

***

كلما ان خافقي من هموم | ونزا الجرح بالدماء سعى لك
فمحوت الأساة رب ومست | نفحة منك ضائعا قد تهالك
وانرت الدروب حين تغشت | بظلام من الضلال تحالك
واستردت بك القلوب الحيارى | سبل الحق واستبانت جلالك

***

وتراءت لها السماء مرايا | عكست من بهائها افضالك
في مدار الافلاك في الأنجم الشهـ | ـب وفي السدم قد مددت ظلالك
في هدير الأمواج والبحر طاغ | أسمع البحر وهو يروى مقالك
في الغدير الشفاف في الكوثر العذ | ب وهمس الغصون شمت جمالك

***

في انبثاق الأضواء من موكب الفجر | لمحت الأضواء تحكى مثالك
انت يا نور كل شيء تعالت | حكمة منك لست تنسى عيالك
انت آثرتهم بلطفك حتى | أصبح الكون كله قد عنى لك
تمهل الظالمين حتى يثوبوا | عن فساد ويدركوا امهالك

***

أو يضلوا ويمسكوا عن متاب | فيذوقوا من الجزاء نكالك
انا يا رب ضارع في خشوع | اتملى في كل شيء جلالك
ملجئي انت في الوجود وعوني | فانلني الرضا وهب لي نوالك
وانر لي الطريق في ليل عمري | يا الهي فقد عشقت وصالك

***

رب هب لي على الرشاد احتمالا | واقل عثرتي وهب لي حلا لك
في سكون الدجى وقفت أناجيـ | ـك بروح ودعت فيها ابتهالك
فانصر الحق اين كان وهبه | قوة في الحياة تحمى رجالك

التجديد واللغة

عند سلامه موسى

بقلم : فيصل دري خضر

تستطيع كل لغة حية أن تعيش وتتطور ، ماعاش وتطور أبناؤها ، فليست اللغة هي التي تشع الحياة أو الخمول في البشر ، بل هم الذين يبعثون فيها الحياة أو الركود بسلوكهم في الحياة ، وبدهي أن المجتمع يطور لغته وفق زمانه ومكانه بمعنى ملازمة التغيير في دلالة الكلمات للتحول الاجتماعي ، فهناك بين المجتمع والكلمة تفاعل لا يستقل به أي منهما ، ولا يمكن أن يجيء التغيير عن طريق جهد بشري عامد يقسرها على سرعة التغيير ، لأن الجهد العامد لايتوفر له ما للاجماع من حساسية نحو نوعية التغيير .

ولكن اللغة بعامة عند سلامه موسى هي التي تحكم الناس فتسعدهم وتشقيهم ، لأنها في زعمه اما أثرية خاملة أبد الدهر كالعربية، تضفي خمولها وقصورها على الناطقين بها ، واما ذكية متفاعلة كاللغات اللاتينية دون استثناء ، فلأبنائها دون خلق الله جميعا الفهم والعلم والنشاط !!

وبهذا ينشيء قياسا من أقيسة المغالطة يضع هو مقدماته ونتائجه حتى يصل الى الجزم بأن العربية لغة ميتة علميا وأدبها ميت وليس أدب الملايين لأنه يكتب بلغة غير مفهومة !

والأمر لا يعالج على هذا النحو العصبي الحانق الذي عولج به في فصول متناقضة خرجت عن نطاق البحث الى مفهوم الكيد ، وكان من الممكن اعتبارها نزوة قلم عارضة قصد بها الرفه وارضاء النفس الحانقة ، وأنها جملة آراء متضاربة ، ماتت بموت صاحبها ، بل في حياته ، رغم موالاة نشرها بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٨ لأنها مجافية للواقع والحق . ولكن بعثها من جديد عام ١٩٦٤ فيمطبوعات أنيقة، هو تجميع أسلحة مفلولة ، يستعين بها في معركتهم جماعة الهدامين على القومية العربية وقيمها وآدابها. ومناقشة هذه المزاعم يراد بها ألا يلتبس الأمر على جيل عربي آمن بقوميته ولغته ، وسوف نرى أن نظرة سلامة موسى الى لغتنا وأدبنا وبلاغتنا التي حشدها في هذه الفصول ، لا تثبت للمناقشة .

فهو حين يصف العقلية العربية بأنها قديمة جامدة متبلدة تنظر الى الماضي،يجعل السبب هو تعلقنا بما أسماه حضارة الآداب والعقائد والزراعة ، وأن تسعا وتسعين في المائة من كتابنا سلفيون يؤثرون الفصحى ويتعلقون بالقديم ، نتيجة حرمان الأمة من الرقي الصناعي .

ولو صدر هذا من غير عربي لكان له ما يبرره من التحامل لدواع خفية ... ولكنها كلمات لا يقف وراءها الا الغرض ، وهو شيء تختلط معه الرؤية ، فلا يكاد القائل به يرى غير ما يهواه .

وليس باطلا أن يتعلق الناس في أي مكان بحضاراتهم العريقة ، أو يتدارسوا آدابهم القديمة أو يتفهموا الأمجاد السالفة ، والا لما اتسع أمام بصرهم المجال ليصفوا شيئا بالجدة وآخر بالقدم أو يوازنوا بين تافه وجيد ، والنظر الى الماضي وسيلة لبناء الحاضر ، وماضينا من أعز مفاخرنا وليس من عيوبنا ، والمجتمع الأمريكي الذي فتن به سلامه موسى حينا ، يود أن يتنزل عن نصف دنياه لتكون له عراقة الماضي ، ومن اجتث ماضيه انقطع به حاضره ، وتلك هي الغاية التي يصبو اليها الراغبون في تحطيم حاضرنا .

ولسلامه موسى الحق في أن يعتقد بافضلية هنري فورد عن خالد بن الوليد أو معاوية أو حسان عند الترجمة لأعمال كل منهم كما يقول ، فهذا شأنه وتلك ميوله ، ولكن ليس له أدنى حق في أن يفرض على العرب رأيه في ذلك ، فقد تكون دراسة حول هنري فورد نافعة في مجتمعه هناك ، عن دراسة لخالد ، ولكن هنا ، في أرض العرب ، قد تفيد دراسة علم من أعلام الصناعة ، ولكن بعد أن نفهم أولا من نحن ، ومن أجدادنا ، وماذا صنعوا لأنفسهم وللعالم كله ، ومدى الدور الذي أدوه في ركب الانسانية منذ كانوا ، وليس له أن يزعم أن العقاد لا يتميز بالروح الشعبي أولا يعمل على تكوينه ،لأنه

يؤلف عن رجالات العرب ويكتب بالفصحى ويهمل العامية ، وكان الأحرى بصاحب هذا الزعم أن يصدر كتبه بالعامية التي مجدها ليكسب احترام الشعب ، ولا يكون سلفي الذهن في لغته وأسلوبه وتفكيره وسلوكه كما وصف العقاد .

أما الارتباط بين اللغة والعقيدة بالصورة التي أبرزها فلا وجود له البتة ، والا لكان الأحرى أن يستعجم لسانه تناسبا مع العقيدة ، ولكنا نعلم أن هناك من هو عربي وليس بمسلم ، ومن هو مسلم ولا يعرف العربية ، ونعلم كذلك أن بعض العقائد الباقية ماتت لغاتها الأصلية ، وأن ترجمات كثيرة للانجيل مثلا وضعت لتتمكن الشعوب من تأدية الصلوات بلغاتها ، ولكنه لم يفطن الى أن الكتاب السماوي الذي نزل بالعربية أقوى من أن تبلى العربية في وجوده ، لأنه يحمل من معنويات اللغة ما يمدها بالحيوية والشباب والتجدد في كل وقت ، وهذا هو الارتباط القوي الذي لم يدركه ، وعلى هذا لا تكون هناك أسباب لكراهة العرب للتطور كما يذكر ، لأن استمرار اللغة عملية مستمرة وهو يعطيها التطور تلقائيا دون حاجة الى وصفها بالتبلد والتجمد .

ويقول ان العربية تحمل رواسب تاريخية قد تعود علينا بالضرر لأنها كانت تخدم مجتمعا ربما كانت فضائله معدودة بين الجرائم في سلوكنا العصري . ولسنا بصدد بحث الجرائم او الفضائل السلوكية ومتى تكون الفضيلة جريمة أو العكس ، ولكن مسالة رواسب العربية هذه شيء لم يقل به أحد لأن الكلمة ذات التأثير الاجتماعي كثيرا ما يتطور معناها كل بضعة أجيال عددا من المرات تبعا لتطور المجتمع الذي تعيش فيه ، وبعض الأطالس اللغوية تعنى بتحقيق التطور في المعنى الى جانب التطور في اللفظ ، والكلمات الباقية على حالها هي الكلمات التي تؤدي معنى ثابتا أو كلمات معجمية طال اهمالها ، وهذه وتلك ليس لها من التأثير الاجتماعي الذي يخشاه علينا سلامه موسى ، بل اني تصفحت كل ماقاله في كتبه بحثا عن كلمة يمثل بها فلم أجد الا كلمتي العرض والدم ، وقد عجبت لأنه لم يفهم أن الدم بمعنى الثار لا وجود له الا في العامية التي يدعو اليها ، وأن كلمة عرض تمثل معنى انسانيا يضمن سلامة المجتمع من الأمراض والتفكك ، فحين يقول القائل : هذا الشخص يصون العرض ولا يتناول بلسانه أعراض الناس ، اكتسب الموصوف احتراما وتقديرا يدعو الى التأسي به ، واذا جاء الوصف عكس ذلك بتره الناس من بينهم حتى يعيش المجتمع معافى من بوادر التفكك ، والكلمة الموحية يلتمس تأثيرها عند التعبيرات الوجدانية لا في التراكيب المتداولة في شئون الناس اليومية ، والمخاطب وجدانيا له من ادراكه ما يعصمه من الانفعال الخاطيء بالكلمة المشتركة ، ثم هو يفترض أن الكاتب في العربية مقيد بالكلمات العاطفية الذاتية دون الكلمات الوجدانية الموضوعية لخلو لغتنا من هذه الأخيرة ، وهذا تخليط وزعم لا يستقيم مع اللغة التي كتب بها هو ، ونكتب بها نحن ، كل يوم ، بل ان هذا التقسيم الذي أجراه على الكلمات ليس عربي الوجه ولا يتلاءم بشروطه مع العربية ، فالكلمات الموضوعية التي يريد لنا تفضيلها هي مثل خمسة وشارع وكرسي ، والكلمات التي يريدنا على هجرها لأنها غير محددة ويسميها ذاتية هي مثل قبيح وجميل وشجاع وشريف ، ولا شك أن اللغة تتعرى من جمالها اذا أهملت الجمال والشجاعة والشرف وما الى ذلك . ويومىء بعد هذا الى أن البلاغة العربية لا تستطيع شيئا سوى التعبير عن العاطفة والانفعال وهذا لا يخدم التفكير العلمي أو الفلسفي ، وقد نسي أن الناس في كل أمة يعبرون بلغاتهم في أساليب أدبية او علمية حسبما يقتضيه المقام ، وليست العربية الا واحدة من هذه اللغات وان كان قد جردها من أسلوبها العلمي متجاهلا تراث علماء العرب الذي لا يزال موضوع دراسات أجنبية عند من استناروا به في أوروبا.ولكن الأمر لايقف عند هذا الحد.فلسلامة موسى جولات يهدف من ورائها الى «تلتين» الخط ، ونبذ الفصحى ، وهجر التأليف بالعربية ، فضلا عن انه هاجم كل القيم المقدسة لهذه اللغة ودعا الى تقديس كل مغاير لها لمجرد المغايرة .

« فيصل موسى خضر »

رأى فى كتاب :

النثر الفنى فى القرن الرابع

بقلم : عبد المعطى المسيرى

الاديب الراحل الدكتور « زكى مبارك » من كتابنا المبرزين فى الربع الثانى من هذا القرن ... وقد صدرت له عشرات الكتب فى مختلف الفنون الادبية، كادب الرحلات والنقد والتصوف والشعر ، هذا بالاضافة الى الفصول الادبية التى كان ينشرها فى الصحف والمجلات ... ولكن أخطر مؤلفاته واهمها كتاب « النثر الفنى فى القرن الرابع » فهو من المصادر الادبية التى تبقى على الزمن تنير الطريق للباحثين ، وتعين الشباب على الدرس النافع ، وتوضح لهم معالم التراث العربى فى أسلوب ممتع، ومنهج جديد .

والمتتبع لحياة زكى مبارك يرى انه كان يعيش فى صراع متصل مع نفسه ، ومع عصره وكتاب عصره ... صادف من المتاعب وهو يشق طريقه فى الحياة والادب ما أورثه ازمة نفسية حادة انعكست مؤثراتها على ادبه على نحو جعله يبدو فى اكثر الاحيان منفعلا ثائر الاعصاب ، وفى ذلك يقول المرحوم الدكتور « احمد امين » : يظفر فيحتك بعالم أو كاتب ، فلا ينقده نقد عالم لعالم ، وانما نقد مصارع لعالم » .

***

ويبدو ان اديبنا الراحل وضع كتابه هذا ـ النثر الفنى ـ وهو فى قمة أزمته العصبية ، ومن ثم جاءت بعض تعقيباته على من تعرض لهم من اعلام العرب منافية لمناهج البحث الحديثة ... فعند مناقشته لهم نراه يعطف على الذين تشابهت ظروفهم وظروفه ، بينما يلح على غيرهم ممن نالوا حظا من الجاه والسلطان فيعلق على آرائهم بمثل هذه الكلمات «رأى مثقل بأوزار الضلال والخطأ » وكقوله « رأى فاسد » و « خطأ فاحش » ..

وقد غلبت عليه النزعة الوجدانية حتى لفتت نظر رجال الامتحان ـ كان الكتاب موضوع رسالة للدكتوراه ـ مما اضطره للاعتذار بشاعريته !!

ناقش المؤلف « الباقلانى » فى اعجاز القرآن فكاد يوفق فى نقض ادلة الباقلانى ... ولكنه افسد هذا التوفيق بالتزامه طريقة « نقد المصارع للعالم » !!

يقول عند ما تعرض للباقلانى : « وانا من اعرف الناس بالالفاظ والاساليب ، ثم لا يلبث أن تغلبه نزعته فيعقب « والخيل هى الخيل ولكن الجواد لا يكون جوادا الا اذا اعتلى صهوته فارس مغوار ، وهو تحت الرجل الرخو اشبه بالحمار تحت الفلاح العبيط .

وهكذا نرى نصف الجملة الاول من وثبات الخيال ، ونصفها الآخر من سقط المتاع !

***

وعندما تحدث المؤلف عن « اخوان الصفا » لم يظفروا منه باكثر من هامشة قصيرة لا تغنى ، على مالهم من الاثر البين فى الدين والادب ، وكانت حجته فى هذا الاقتضاب الملحوظ أن الكتاب افاضوا فى الحديث عنهم ، كأن هؤلاء الكتاب لم يتحدثوا بافاضة عن الخوارزمى والجرجانى وابن عباد !!

وكذلك كان يلجأ فى بعض الأحيان الى طريقة واضعى « دوائر المعارف » ... ففلان ولد سنة كذا .. واشتغل بكذا ، ومن أحسن قوله .. وهو، وكان .. ثم مات سنة كذا !! وهذه الاشارات الخاطفة تجوز وتستحسن فى دوائر المعارف فعندها تقف مهمتها ... ولكن هذا الايجاز لا ينتظر من كاتب تعرض للبحث ، ويتوقع منه القراء المزيد من الابانة والتحليل والاستقصاء ليضيف الى المعلومات والمراجع العربية جديدا ينفع الادباء والمتأدبين .

***

وقد تحدث المؤلف عن أثر الشاعر فى جيله وفى الاجيال التى تلى ظهوره .. ومن رأيه انه بمقدار ذلك الاثر .. اثر حظ الشاعر فى تطوير حياة قومه يكون الحكم له أو عليه ... ومن ثم كان خليقا بأديبنا الراحل الا يتورط فى احكامه عندما يتعرض لأثر الدين فى الحياة والاحياء ...

اذا كان الشاعر مسئولا عن تطور حياة قومه ، وبقدر احساسه بهذه المسئولية والقيام بفرائضها نقيم أثره ووزنه ، فكيف يستكثر على رسالة سماوية أثرت لا فى المجتمع العربى وحده ، بل فى العالم

باسره ان يرد ما احدثته من تغيير وتطوير الى مبادئها واهدافها ؟!.

يقرر المؤلف ان النحو كان من قديم الزمان ، وانه كان للعرب من العلوم والاخلاق ، وما الى ذلك ما يؤهلهم لتلك النهضة التى ادهشت التاريخ بعد الاسلام ، ولم يدعم قوله هذا بما يؤكده بل لم يزد على الكلام التقريرى وعلى التعميم ... ومن ثم جاز لمن ينقده ان يطلب منه الدليل والبرهان وان يسأله اية علوم واية اخلاق او قيم لمن كانوا يقطعون او يقطع عليهم الطريق ؟!

لقد كانوا يعبدون الاصنام ، ويئدون البنات ، ويخافون ان يتخطفهم الناس .. ثم اى مجتمع كان لهم وقتذاك ؟! اى نظام كان يحكمه ، واى ضعف وتخلف كان يطبعه تجاه المجتمعات المعاصرة التى كانت تعيش فى ذلك الوقت ، مجتمعات القياصرة والاكاسرة .. ثم كيف اتيح لهم وهم ماهم ان يفتحوا البلدان ، ويقيموا الدولة ، ويؤثروا فى العلوم والآداب وينتشروا فى الارض بهذه السرعة السريعة !! .

لاشك ان مرد كل ذلك للدعوة المحمدية الكريمة التى هدمت كل أوضاع حياتهم ، واقامت بناءها الجديد على أسس جديدة لم تاخذ من الماضى شيئا لا كما زعم وجارى فى ذلك بعض المستشرقين بأن ازدهار الادب العربي خاصة ، والنهضة العربية بوجه عام كان يمكن ان يتم على اى نحو بفضل ما كان للعرب من علوم واخلاق وقيم !!

وعلى النقيض من ذلك كان موقف معاصره الدكتور أحمد امين ، ففى كتابه : « ضحى الاسلام » تحدث عن اثر الرسالة المحمدية فى تطور الحياة ودفعها ... وذلك فى تصويره للجهاد العنيف الذى دار بين العلم والجهل ، والدين والالحاد حتى استقام للاسلام ان يرسى قواعد الحياة الجديدة .

يقول المرحوم أحمد أمين :

« فى اقل من خمسين عاما من آخر الدولة الاموية الى صدر الدولة العباسية كانت اغلب العلوم قد وضعت ودونت ونظمت سواء فى ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن الكريم والحديث والفقه واصوله ، وعلوم اللغة والادب على اختلافها ، والعلوم العقلية من علوم الرياضة والمنطق والفلسفة والكلام .

وكان نشاط المسلمين فى ذلك يسترعى الانظار ، ويستخرج العجب ، وليس هناك من نشاط يشبهه الا نشاط العرب فى فتوح البلدان .

وقد نظم العلماء انفسهم فرقا كفرق الجيش ، كل فرقة تغزو الجهل او الفوضى من ناحيتها حتى تخضعها لنظامها ، ففرقة للغة ، وفرقة للحديث ، وفرقة للنحو ، وفرقة للكلام ، وفرقة للرياضات وهكذا يتسابقون فى تدوين العلم وتنظيمه تسابق قبائل العرب فى الفتوح والغزوات ، كل قبيلة تود ان تكون السابقة فى الميدان .

ووجد فى ساحة الميدان العلمى قواد بارزون يتنافسون فى الابتكار ... فاذا فاز أبو حنيفة بوضع الفقه ، ثارت حماسة الخليل بن أحمد فيضع العروض ، ويرسم المنهج لمعجم اللغة ، وهكذا فى سائر الفروع .

***

على هذا النحو يصور « ضحى الاسلام » كفاح الذين جاء الدين فتاثروا به واثر فيهم ودفعهم للعمل والابتكار حتى انه ليسجل بعد ذلك أن المسلمين ظلوا طول حياتهم العلمية يعيشون على هذا التراث بلا ابتكار ولا زيادة .

وايا ما كان فالنشر الفنى جهد مضن مشكور اثرى المكتبة العربية، وقدم للدارسين ، ولشبابنا المتأدبين عملا ينفعهم ويعين على ارتياد الطريق - طريق البحث والدراسة لمعالم التراث العربى ، مما يسلك صاحبه فى صفوف الكتاب المجتهدين والمجاهدين .

« عبد المعطى المسيرى »

قضية الموروث في الشعر

بقلم : محمد ابراهيم ابوسنه

عندما قال هيراقليطس « ان الانسان لا يستطيع أن ينزل النهر الواحد مرتين » لم يكن يعني أن نهرا جديدا يحل محل النهر القديم وانما كان يعني أن مياها جديدة تتدفق دائما في نفس النهر . لقد كشف هذه الكلمة عن قانون اعتمدته الفلسفة العلمية بعد ذلك أساسا من أهم اسسها وهو قانون الحركة الشاملة التي تخضع لها المادة والفكر معا . والحركة تعني التطور المستمر وتعني كذلك وجود صراع بين متناقضات تجد حلولها في الحركة الجدلية. وبدون هذه الحركة المستمرة يفقد الزمان دلالته فالاختلاف بين الشاب والشيخ هو اختلاف يعكس الامتداد الزمني لحركة الخلايا داخل جسم الشيخ والشاب معا . وعندما نقف عند تعريف « قدامة بن جعفر للشعر مثلا بقوله « الشعر كلام موزون مقفى يدل على معنى » ثم نطالع قول الكاتب المسرحي الفرنسي جان انوى « الشعر سمكة من سمكات القيعان الزرقاء مضيئة وعمياء » لانجد الا الحركة ملاذا لادراك هذا التباين الهائل بين الحدين وان كان قول جان انوى ليس تعريفا علميا مثل تعريف قدامة .

لقد استخدم قدامة في تعريفه للشعر وسائل عصره ، اللفظ والوزن والقافية والمعنى ، واخضع هذه الوسائل لمعيار المنطق الشكلي . هذا المنطق الذي شاع استعماله في كافة العلوم العربية والشرعية عقب اكتشافه بعد ترجمته الى اللغة العربية ، وتدخل هذا المنطق في الفقه والبلاغة حتى أفسد كثيرا من هذه العلوم لعدم مراعاة طبيعتها الخاصة ، وقد أقبل قدامة بن جعفر على موضوع الشعر مسلحا بهذه العقلية المنطقية التي تكاد تتنافى تنافيا كاملا مع طبيعة الشعر كفن . واذا اجزنا تطفل المنطق على مناهج بعض العلوم فان الفن يحتفظ بأقل درجة من الاستعداد لتطفل المنطق الشكلي عليه . وربما كان هذا هو السر في أن الشعر في العصر الحديث قد افلت من التعريفات الصارمة اللهم الا بعض الاقوال التي تقترب من جوهر الشعر ولا تحدده كتعبير جمالي عن الحقيقة . واذا كان تعريف قدامه قد افسح السبل أمام ماليس بشعر ليكون شعرا كالمنظومات العلمية مثلا فانه لم يقترب من جوهر الشعر . اما جان انوى فقد اشار في قوله « مضيئة وعمياء » الى دور الشعر في التعبير عن الحقيقة الشعرية خلال عبورها في اللاوعي. يشير انوى الى استفادته من الدراسات المعاصرة كعلم النفس الذي ينظر الى الفن على انه تعبير عن الرغبات المكبوته .

ان الشعر كظاهرة خاضع لقانون هيراقليطس وخاضع بابعاده الكثيرة للحركة سواء في الرؤية الشعرية للعالم او في بناء التجربة الشعرية او اللغة التي يستخدمها او النظرة النقدية له .

ان النظرة لدور الشاعر في العصر الجاهلي تتسم بهذا الطابع القبلي حيث كل فرد يصادر لحساب الجماعة . ويتحتم أن يأخذ التعبير عن العواطف الفردية كالحب مثلا في اعتباره القيم الاجتماعية والاخلاقية للقبيلة حيث لا توجد تجربة معزولة عن الاطار الذي تصممه الجماعة . وعندما تتنافى ظروف تجربة معينة مع التقاليد القبلية فان هذه التجربة تصطدم بالصخور كما حدث في تجربة عنترة العبسي . وهذا الاحساس الذي كانت القبائل تتقاسم الشعور به عندما يولد فيها شاعر فتذهب القبائل للتهنئة يحدد لنا دور الشاعر في هذا المجتمع وكان الشعر وظيفة ذات حدود معروفة . فعلى الشاعر أن يفخر بأمجاد القبيلة ويدافع عنها ويهجو أعداءها ويرثي شهداءها ويشيد بأبطالها . ان هذه النظرة تتطور في ضوء الحركة الاجتماعية وتغييرها حتى نلاحظ ظهور الشاعر المستقل بعواطفه والذي لا يلتزم بدور في القبيلة ، وذلك في مطلع الدولة الاموية عندما اتاح الترف وشرف المنصب لابناء الاغنياء والامراء من العرب ان يستقلوا بحياتهم الخاصة كعمر بن أبي ربيعة والاحوص وغيرهم . ومع نشوء الغناء في ساحات الامراء وجدت النزعة الفردية سبيلها الى النمو ، وعبر الشعراء عن عميق عواطفهم الخاصة . وهكذا مر الشعر بحلقات من التطور الخاضعة لتطور العلاقات في المجتمع نفسه ، فنرى الشعراء يلتحقون بخدمة الخلفاء في عصر النشاط السياسي للدولة العباسية ، وتظل النظرة النقدية والرؤية الشعرية للعالم مثقلة بهموم عصرها حتى العصر الحديث . وفي أوربا اختلفت نظرة الشاعر للعالم

فالشاعر الكلاسيكي كان يرى مجده الشعري في تطبيق التقليد الادبي . وكان الاحساس بالاخلاق والواجب يشرع له منهجه الادبي والفني .

وعندما جاء الرومانتيكيون تحررت أرواحهم من التقاليد وانطلق بيرون يبني تاريخا كاملا في اشعاره للغزوات الغرامية ، وتردد في كل نشيد من اناشيده هذا الحزن العميق الذي يتراوح بين احتقاره للعالم ورثائه لنفسه . لقد حمل بيرون في اشعاره مسئولية التعبير عن العذاب الارستقراطي الذي كان يعانيه . هذا العذاب الذي يرى بيرون أنه الميراث الوحيد لحياة هؤلاء الذين يضنيهم الطموح والتعلق بالمخاطر والمجد. يقول عن نابليون .

« لكن الهدوء جحيم بالنسبة الى النفوس المتوثبة وهذا كان سبب شقائك وبلائك. ان ثمة نارا وحركة في النفوس التي تأبى أن تنحصر في دائرة وجودها الضيقة ، بل تصبو الى ماوراء حدود الرغبة المعتدلة المتوسطة . انها حين تشتعل مرة بهذه النار العسيرة الاطفاء لتتحرق عطشا الى المخاطر العالية ولا تتعب من شيء الا الراحة . هذه النار حمى في القلوب قاسية على كل من يحملها وكل من اصيبوا بها . انها هي التي تصنع هؤلاء المجانين الذين ينقلون جنونهم بالعدوى الى بقية الناس من فاتحين غزاة وملوك ومؤسسي شيع ومذاهب ، يضاف اليهم السوفسطائيون والشعراء والساسة ومن اليهم من كائنات يعذبها القلق » .

أما شيلي فيعلن :

« ارجو أن يؤذن لي بان اعترف باني أحمل بين جوانحي شهوة لاصلاح العالم » .

ويقول كيتس :

«أنا جامع الياقوت الازرق ، وهي مهنة محفوفة بالمهالك وصخرة القريض تقف فوق راسي كالبرج المنيف » .

ولا شك أن التطور في الرؤية الشعرية للعالم قد جعل هذه الرؤية تتبنى تعبيرا جديدا فرضته ظروف القرن التاسع عشر والقرن العشرين وفي القرن العشرين حرر اليوت وازرا باوند وبيتس وثيقة الشعر الحديث وفسح أودن وأراجون واليوار وناظم حكمت وبابلو نيرودا باشعارهم طابعا مميزا للعصر .

لكن مامعنى ان تكون هناك رؤية معاصرة في الفن ؟ .

ان كل عصر من العصور يكافح من أجل الاعتراف بذاته ، وهذا الاعتراف يكشف عن حقيقة هذا العصر من ناحية وما يمكن أن يضيفه ذلك العصر الى التراث البشري من ناحية ثانية .

والذاتية معناها الجدة والاصالة والانسان الذي يفنى في تقليد ما أو يتبع في فنه أثر فنان عظيم معين يفقد ذاته وبالتالي اصالته ، وهذا ما يوضحه وليام كارلوس في كتابه : مقالات مختارة اذ يقول :

« ان من يعرف ويفيد من معرفة العظماء لابد وان يحيا حياة من التضاد العنيف ، فهو كلما ازداد عمقه في فهم أعمالهم في لحظات توغله في دراسة هذه الاعمال وجد نفسه في لحظات اخرى اكثر ميلا لان ينأى بنفسه عنهم لكي يظل هو نفسه انسانا ، ولكن اذا ما اراد هو نفسه القيام بعمل عظيم فلن يتمكن من الاستفادة من العناصر التي تكونت منها عظمتهم الا عن طريق هذا العنف وهذا الانعتاق من السيطرة » .

فالى جانب مايضيفه العصر الى الوعي الانساني من عناصر قد تكون مضادة لعصر سابق فان هناك الحاحا دائما من العصر على الاعتراف بذاته . هذا الاعتراف هو دلالة الصدق الوحيده في التعبير عن العصر.ولكن هذا لايعني ان الاجناس الادبية تقطع صلتها بالتقاليد الادبية السابقة ، بل انها تظل على صلة قوية بأي تقليد قادر على التشكل بأسلوب العصر .

ان الناقد الامريكي م.ل. روزنتال في كتابه « شعراء المدرسة الحديثة » يعطي مفهوما واضحا لبقاء الموروث حيا في الجديد عندما يقول :

« وكما أن أول معرفة لنا بالشعر تعود الى الانطباعات الدفينة الاولى التي تتكون فينا في عهد الطفولة ، والى أغاني العاب الصغر فان الفن نفسه يستجمع تاريخه بأسره في كل قصيدة شعرية ، فالقصيدة الواحدة تجمع بين نوعي الذاكرة التاريخية والشخصية في بؤرة واحدة ،والماضي والحاضر ينير كل واحد منهما الآخر وكأنما ثمة مؤلف واحد يعمل خارج الزمن . ان تاريخ الشعر حي ماثل في قصيدة كل شاعر وكذلك الانغام والالحان التي يتردد صداها في سنواته المبكرة الاولى » .

ورغم ذلك فان مشكلة الشكل في الشعر تظل مشكلة جوهرية ، ذلك أن الشكل دائما هو الوسيط الطبيعي لتجربة المجتمع الذي يعيش فيه الفنان ومدى خضوع هذا الوسيط لأسلوب عصره هو الذي يحدد

قدرته على التعبير عن حقائق العصر الذى يولد فيه .. ان الشيخوخة والعقم للشكل الذى تحجر من طول الاستخدام تصل به الى حد العجز الكامل عن اداء وظيفته ، ولذلك تنشأ الحاجة باستمرار الى تحطيم هذه الاشكال كما يقول اليوت : «ان الاشكال تحتاج الى ان تحطم ويعاد صنعها من جديد » ذلك ان العصر يطرح قضيته فى الفن ودون أن تتجسد هذه القضية محافظة على ملامح عصرها فى الشـكل الفنى فانه يتحتم تدميره واستبداله .

ويقول ت س اليوت : « هناك اشكال تناسب بعض اللغات ولا تناسب لغات أخرى وجميع الاشكال فى عصور اكثر مناسبة من عصور منها فى عصور أخرى . فالشكل الذى يتبع نظاما معينا فى الايقاع والتقفية يناسب مرحلة معينة ويكون فيها تشكيلا طبيعيا مشروعا للغة الكلام فى نمط شعرى ، ولكن هذا الشكل معرض لخطر الجمود فى الاسلوب الذى كان شائعا فى وقت ان بلغ كماله . وهذا خطر يزداد كلما ازداد الشكل تعقيدا وكثرت القواعد التى يلزم ان تتبع فى تاليفه تاليفا صحيحا فيفقد الشـكل بسرعة صلته بلغة الحديث الدارجة المسـتمدة فى التعبير ، لأن الشكل المعين تطغى عليه النظرة الفكرية المعينة لجيل سابق » .

وهكذا يصبح النضال من أجل اكتشاف شكل جديد هو فى ذاته نضال من أجل اكتشاف العصر ذاته للتعبير عنه تعبيرا صادقا ، ويؤكد روزنتال فى كتابه السالف الذكر ان ليس كل جديد أصيل « فالطرافة فى القصيدة ليست وحدها التى تحدد مدى اصالة الشاعر وانما تحددها كذلك قدرته على الافادة من التراث الشعرى » .

ومن هنا نرى أن النظرة الجامدة التى تدافع عن التخلف تحت راية التراث لاتعى معنى الحداثة فى الفن . انها ليست مطلقا الانفصـال عن التراث ولا انكاره ، انها الحاجة اللازمة للتعبير عن حقـائق العصر والوسيلة الوحيدة للاعتراف به حتى يستطيع الفن فى عصر معين أن يضيف جـديدا الى التراث البشرى . وحتى يظل التاريخ حيا ولا يكف الفن عن التطور كالمياه الجديدة دائما فى نهر هيراقليطس .

« محمد ابراهيم ابو سنه »

إلى ولدى علاء

فى عيد الثورة الثانى عشر

الشاعر: عبد المنعم عواد يوسف .

من وحى عينيك اللتين تفجران لنا الضيـاء
من وحى ثغرك وابتسامتـه التى توحى الصفاء
اشدو بشعرى ، يامنى عمرى ، وآمال الوضاء
وابوح بالنغم الشفيف ، وبالنشيد ، وبالغناء
واحسه وحى السماء ، وانه وحى السماء
شعر سرى من ذوب روحك انت ياولدى علاء

***

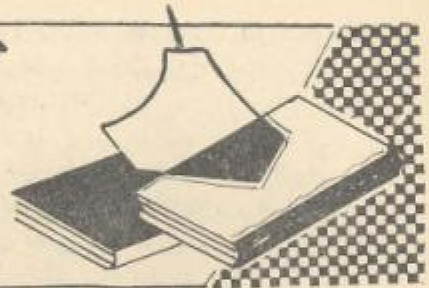
ولدى علاء وسوف تكبر ذات يوم ، ياصغيرى
ولسوف تدرك اى ظلم كنت فيه ، واى نير
أنا واحد من ذلك الجيل المردى فى السعير
جيـل اضـاعوه بعهد غـاشم الرؤيا ضرير
جيـل المآسى والعـذاب وصولة الظلم المثير
حكامه القوه للاهـوال فى حقـد حقـير
ورموه بالأرزاء والآلام ، فى سود العصـور

***

لا ، لا تروع يا علاء ، فكل هذا الليل راح
واطل فجر عاطر الأضـواء ، بسام الصباح !
الثورة الكبرى اماطت عن سنا النصر الوشاح
فاهنـا بنى بعهدك الوضاح واضحك فى مراح
واغنـم ثمار جهـادنا الدامى وأيام الكفاح
فالليل ، ليل الظلم راح ، وضم واديك الصباح

***

ولدى علاء واقبل الميثاق ، اقبـال الربيع
فتبسمت كل الزهـور ، وانبعث كل الزروع
لا ، لن تضل ، ولن تذل ، ولن تشرد ، لن تجوع
فالخبز حق للجميع
والعدل حق للجميع
فابعث بيسمك الشكور لرمز وثبتنا : جمال
اشكره من عمق الضلوع ، فباسمه طرح النضال



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

أصالتنا الفكرية ومنجزاتها .. هي العازل الحقيقي للشيوعية

«ان المجتمع المصرى الذى يقود عملية التطور العربى كلها وتجاربها الفنية الرائعة ـ يقدر الآن على نظرة عادية الى موضوع الشيوعية والشيوعيين» .

هذا الذى قاله الاستاذ «محمد حسنين هيكل» (ملحق الاهرام ١٩٦٥/١/٢٩) حق لاشك فيه . وكذلك قوله : **«انني لا ارى للشيوعية او للشيوعيين مستقبلا في مصر ، ولا في العالم العربي»** .

كيف وصلنا ـ فى مصر وفي العالم العربى ـ الى هذه الحال الرائعة ؟

بنى الأستاذ هيكل رأيه ذاك على أسباب تاريخية تلخص مراحل الحركة الشيوعية فى مصر ، فقال ان الفكر اليسارى تأخر وصوله الى مصر حتى الحرب العالمية الثانية بسبب ظروف اجتماعية وسياسية يطول شرحها . **وكان مؤسسو الحركة الشيوعية بمصر فى ظروف الحرب العالمية الثانية من الاجانب عموما ومن اليهود بالذات** ، وكانت هذه بداية منفرة ، نفرت التيار الوطنى منها ، فكانت ابعد ماتكون عن حركة النضال الوطنى المصرى ، وكانت مشاركتها في هذا النضال او في بعض أدواره من عمليات التاكتيك لا اكثر ولا اقل . **وكانت مجموعة من الافكار المائعة والعائمة تعتمد فى الجذب اليها على الاغراء بالجنس والمال** ، ولهذا سادت جوها حزازات وانقسامات واحقاد دون أن يصدر عنها جميعا فكر واحد يعالج واقع المجتمع ومشاكله .

وقاد الخطأ الوطنى الى الخطأ القومى ، اذ لم تستطع الحركة الشيوعية في مصر ـ وفي غيرها من بلاد العالم العربى ـ ان تستكشف حقيقة التاريخ العربى الواحدة ، والنضال العربى الواحد ، والمصير العربى الواحد ، وتصورت القومية تصورا عنصريا شعوبيا فوقفت من الوحدة موقفا عدائيا ، وقاومت منجزات الثورة العربية لأنها تتم بدون قيادة شيوعية .

وذلك كله حق لاشك فيه ، ولكنه ليس كل شيء ولا اهم شيء فى نفى مستقبل الشيوعية والشيوعيين فى مصر وفى العالم العربى . انها اسباب واخطاء تاريخية لاتتغلب وحدها على الحاضر والمستقبل وان كانت لها فاعلية فيهما .

يمكن ان يقال ان الاخطاء الماضية ليست حجة على الفكرة الثابتة ، او بعبارة اخرى **ان التطبيق الخاطيء لايدحض النظرية** ، وان ماوقع فيه الشيوعيون فى الماضى ، أو ما لابس الشيوعية فى الظروف الماضية ، يمكن ان يتغير على يد جيل آخر وفي ظروف اخرى قد تكون موانية .

يمكن ان يقال ذلك ، وهو منطق مقبول من

الوجهة الجدلية ، فلابد ان ننظر في الامر على ضوء آخر ، تتبين منه الحقيقة الثابتة في الواقع الذي لايقبل الجدل ، وخاصة في هذه الحال التي قال عنها بحق الاستاذ هيكل :

«ولقد تجاوز المجتمع المصري ـ يقينا ـ هذه المرحلة (يقصد المرحلة التي كان المجتمع فيها لايملك مقاومة الشيوعية الا بالوسائل البوليسية) ووصل في تجربته الذاتية ونضجه السياسي نتيجة لها الى الحد الذي يجعله قادرا على مناقشة كل فكر ، قادرا على فهم العقائد وفرزها قادرا على ان يقبل مايريد ، ويرفض ـ او يلفظ ـ مالايريد وعيا واقتناعا في الحالين !»

والواقع ان فترة مابين الحرب العالمية الثانية وبين قيام ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ـ وهي الفترة التي تسربت فيها الافكار الشيوعية الى مصر ـ كانت صالحة لاستنبات هذه الافكار ونموها ، لولا الأسباب التي بينها الاستاذ محمد حسنين هيكل ، ولعل اهمها تزعم الاجانب لها وخاصة اليهود ، والمسلك الخلقي للشيوعيين من ناحية الاغراء بالفتيات اليهوديات ، فقد كان من السهل ان يقع شاب في حبائلهن ، ولكن هذا الاغراء نفسه كان منفرا للشاب نفسه .. الشاب الذي يبحث عن العدالة الاجتماعية ، فيجد في طريقه تلك «المساخر» التي قد تنجح في مخاطبة غريزته ، ولكنها تخفق كل الاخفاق في اقناعه بأن هذا «الجو» هو الوسيلة الى الغاية البعيدة التي يتطلع اليها .

كنا حائرين في تلك الفترة ، نخبط في ظلام دامس ، ونحاول ان نتبين الطريق . وكانت الشيوعية من المعالم التي تتراءى لنا على انها بارومل ! » ولم نكن نحب ان تقدم الينا جيوش سبيل للخلاص . لقد هتف بعضنا : «الى الامام المحور ولا راغبين في استبدال اجنبي مستعمر باجنبي مستعمر .. **انما كنا نتلمس اى طريق الخلاص ، ولو على يد رومل .. او الشيوعية !**

ولعل من المفيد هنا ـ من ناحية الدلالة العامة ـ ان اعترف الآن بان فكرة الشيوعية قد راودتني في تلك الظروف .. واستجبت لها فكريا .. واقتنعت في وقت من الأوقات ـ كأي شاب حائر في ذلك الوقت ـ انها السبيل الوحيد الى التحرر مما كنا فيه .

كنت شيوعيا من غير «ملف» عند البوليس .. لأني لم اتصل بحبال «الخلايا» .. انما كان ذلك بيني وبين نفسي فقط ، وربما جادلت فيه من خالفني في الرأي ، او تبادلت فيه الاماني مع من كان مثلي .. شيوعيا «مفلسا» ومن غير «بنت» يهودية .. ومن غير «ملف» عند البوليس !

وانفجرت ثورة ٢٣ يولية ، وآمنت باننا ـ نحن انفسنا ـ نستطيع ان نزرع الحياة في ارضنا ببذور من عندنا ..

وقد كان !

فما حاجتنا الى الشيوعية ؟

وتوالت الانتصارات الثورية في الداخل والخارج ، في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، صانعة لنا اشتراكية خاصة ، اشتراكية عربية نابتة في ارض عربية ، لاتجنح الى «اليسار» ، ولا تقف جامدة في «اليمين» وصارت لها منجزات ، وتكامل لها كيان خاص ، وتكونت لها فلسفة معينة .

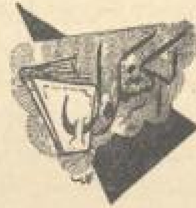
واذا كنا قد استطعنا في الظروف العصيبة التي مررنا بها أن نصنع لأنفسنا اكتفاء ذاتيا في الميدان المادي الصناعي ، فكذلك صنعنا مثل هذا الاكتفاء في ميدان الفكر . وليس معنى هذا أو ذاك أننا نرفض ما يعزز صناعتنا أو فكرنا وينميهما من الخارج ، وانما معناه ان لنا مجرى رئيسيا يستقبل الروافد .

ونستطيع أن نقول بعد ان المجتمع المصري أولا قد صارت له خطة ثورية متكاملة ، ان لم تكن قد حققت كل مايصبو اليه ، فهو في الطريق الى أهدافه في ضوء كاشف .

أما ثانيا فان المجتمع العربي العام أصبح يتطلع الى الشقيقة العربية : مصر ، ليسير في الطريق الذي سارت وتسير فيه .

والذى نراه بعد ان أصالتنا الفكرية ، وما حققته، وما هى فى الطريق الى تحقيقه فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع، هى العازل الحقيقى للشيوعية، وهى التى تصهر أو لابد أن تصهر مواطنينا الذين كان لهم ماض فى الشيوعية . وقد عادوا الينا فعلا بأفكارهم ومشاعرهم الوطنية ، ومن لايزال منهم فى غربته الفكرية فلا بد أن سيعود .

واعتقد أن ما دعا اليه الأستاذ محمد حسنين هيكل من الافساح لمواطنينا « الشيوعيين » أن يقولوا ما عندهم ، استنادا الى الواقع الملموس من بلوغ مجتمعنا من الرشد ووصوله فى تجربته الذاتية ونضجه السياسى نتيجة لها الى الحد الذى يجعله قادرا على فهم العقائد والتمييز بين الصالح وغير الصالح منها . **اعتقد أن هذا نفسه ، لا الاجراءات البوليسية ، هو الذى سيجعل اخواننا الشيوعيين أو الذين كانوا شيوعيين ، سيجدون شيوعيتهم لا موضوع لها ، وسيجدون انفسهم منصهرين فى كيان المجتمع الاشتراكى العربى ، وليس لديهم ما يقولونه مخالفا او حتى شبه مخالف .**



● مسرحية « سكة السلامة » للأستاذ سعد الدين وهبة ، فيها صحفى يضلل سائق السيارة التى تحمل « مجتمعا » من مختلف الأفراد والأعمال . كانوا جميعا يريدون الاسكندرية ، أما الصحفى فكان يريد مرسى مطروح ، فأشار الصحفى الى السائق أن يسلك الطريق الى الغاية التى يبغيها موهما السائق أنه طريق الاسكندرية ، فضلوا جميعا .. يبدو لى أن المسرحية ترمى الى نقد الصحافة المنحرفة وتصوير مدى جنايتها على المجتمع . الى ما فيها من نقد فى زوايا أخرى من المجتمع الجديد . وهى مسرحية جيدة ، ولعلها أحسن ما ألف سعد الدين وهبة .

وبرغم ذلك لم تهتم الصحافة بالكتابة عنها كما كانت تهتم بمسرحيات المؤلف الماضية .. لأنه الآن بعيد عن العمل الصحفى ! وهذا نقد آخر للصحافة .

وفى القليل الذى كتب عنها لم يشر أحد الى ما ترمى اليه من تصوير ما تفعله الصحافة المنحرفة من التضليل على الرغم من أنه موضوع المسرحية كما بدا لى من بنائها العام ومن لمحات أخرى .

ان « سكة السلامة » من الادب الذى ندعو اليه لنقد مجتمعنا الحاضر وما يجرى فيه من صراعات بين القيم الجديدة وبين مخلفات الماضى .

● من محنة الأدب أن الأديب اذا عمل فى الصحافة كسب شهرة واسعة وشبع تقديرا .. واذا عكف على تجويد الانتاج الأدبى بعيدا عن الصحافة أهمل هو وانتاجه .. وقد لحظت ذلك أيضا فى الفترة التى نشأ فيها الجيل الماضى ، وذلك فى أثناء دراستى لتلك الفترة ، فجل الذين لمعوا سلكوا طريق الصحافة ، وتخلف عن ركبهم من لم يسلكوا هذا السبيل مع أن بواكير انتاج الآخرين كانت أجود من بواكير الأولين .

● قال الأستاذ خالد محيى الدين فى مقاله بالعدد الماضى من أخبار اليوم :

« **ان عددا ممن يتولون قيادة الفكر اليوم لايرتبطون بالرأسمالية على أساس من مصلحة ، ولكنهم ارتبطوا بها فى نفوسهم وعقولهم ، وتأثروا بأفكارها خلال الدراسة والتحصيل فى مدارسها ، وخلال قراءاتهم واطلاعهم طوال سنوات وسنوات ، بحيث لم يعد سهلا عليهم أن يغيروا مواقفهم ، ومع ذلك لا بد من السعى الدائب لتغيير نظرتهم، والعمل المستمر من أجل كسبهم الى صفوف الاشتراكية** »

أننا نعانى من هؤلاء أكثر مما نعانى من غيرهم ، لأنهم حسنو النية ، وودنا لهم يمنعنا أن نستبيح معهم ما نستبيحه مع غيرهم .

عباس خضر

حول الأدب

الشرقي

بقلم عبده بدوي

حول قضية النكبة

كل من يتجول فيما كتبه **الدكتور صالح الأشتر، والدكتور ناصر الدين الأسد وكامل السوافيري وغيرهم** عن أثر المأساة الفلسطينية فى الشعر ، يخرج هو الآخر بمأساة من نوع جديد هى أن الشعر — رغم كثرته — وقف بعيـــدا عن وهج هـــذه القضية ، صحيح أن صوته قد بح من الصياح ، ولكنه لم يكن الصوت الذى سحبت من تحته الارض ، ومن نفسه الحياة، ومن حاضره النضارة ، ومن عينيه الدموع !

فالحزن فى هذه الفترة لم تتشربه النفس العربية شيئا فشيئا ، والمأساة التى مازالت قائمة لم تتجاوز اللحم الى العظم ، ومن هنا فقد أصبح ما يقال صرخة بلهاء ، أو حنينا الى بيارة ، أو سأما ساذجا من الحياة أو طرح رموز مفتعلة على القضية من الدين ، أوحشوا يكمل به الشاعر رحلته لكى يصل الى نهاية البيت ، أو الى الدمعة الساذجة الاخيرة فى القصيدة !

ثم تطل مأساة صغيرة برأسها حين يحس القارىء أن ما يقال من شعر فى نكبة فلســطين ، يمكن أن يقال فى أية قضية أخرى ، لانه فى حقيقـــة الامر لايحمل وجها عربيا .. لايحمل حزن الارض، ورعب الاطفال ، وانكسار الشيوخ ، وهذه الهزيمة التى تطل من صوت يابس، أو شجرة محاصرة بالمتسلقات أو منزل يجاور فيه الصمت الموت ، أو عشية تطل ورقة منها على وطن مذبوح ، بينما تطل الاخرى على ارض معتدية ، أو خط وهمى كنت أرجو كما شرخ الارض العربية أن يشرخ النفس العربية ، وان يظل هذا الشرخ مشاهدا ومتواصل الأنين فى بذرة الكلمة، فى ساق الكلمة ، فى صراخ الكلمة وهى فى الهواء بين العواصف والطيور والشمس والظـــلام والموت والصمت !

ولكن الذى حدث الآن انه — **فى ميدان الشعر** — قد قنع كل بحدوده ، بحيث رأينا الشـــاعر اما أن يتجول فى نفسه ثم يفرز لنا أشياء غريبة على الحياة واما أن يثرثر عن البيت الذى اغتصب ، والزيتونة التى تجف ، والملل الذى يغدو ويروح فى نفسه ،

ثم نراه يقفز فى نهاية القصيدة قفزة بهلوانية مفتعلة ثم يقول سأعود الى هذه الارض !

ولعل هذا يسوقنا الى المأساة الكبرى التى تتمثل فى ان المأساة لم تتحول الى قيم كبيرة يتمثل بعضها فى الانتظـــار ، والنفى ، والوطن ، والحرية ، وأزمة الانسان فى هذا العصر ، فالذى يحدث اننا نستعمل هذه القيم كألفاظ ، أما ان نحس بها كقضايا كبيرة تشغل حروف الشاعر وكل ظلال هذه الحروف ، بحيث يمكن أن نقول ان هذا الشاعر يعطينا عذاب الانتظار ، ويجعل هذا الانتظار يضغط على اعصابنا بثقله وبرودته بل يتعدى أعصابنا الى الاحساس بالحياة نفسها ، أو أن نحس هذا الشاعر الذى نفته طروقه عن الحياة ، ثم نراه لا يستسلم لليأس ولكنه يظل - من الخارج - يضرب ثم يضرب بأزميله حتى يعود ثانية الى ماسة الوجود ثم يلتحم بها من جديد خيطا من وهج ، وبريقا من تألق ٠٠ أما ان نجد شيئا من هذا أو شيئا قريبا من ذاك فشىء أشك فى الاهتداء اليه ، ولعل هذا هو الذى جعل أديبـــة - **كقادة السمان** - تقول بموت مأساة فلسطين فى ضمير الفرد العربى ٠

اننا لن نذهب بعيدا كما ذهب - **جبرا ابراهيم جبرا** - حين ذكر أن حركة التجديد فى الشعر والقصص والرموز والاساطير فى العالم العربى كانت من نتائج النكبة ، لسبب واحد هو أن هذه الحركات لو كانت نتيجة للنكبة لاستطاعت الارتفاع أو الاقتراب من قضية النكبة ، ولكانت الحروف التى تكتب - بالاضافة الى الرموز والاساطير - مغموسة تماما فى مـــداد النكبة ، وفى الجرح الذى لا يزال الى الآن مفتوحا فى الوجود العربى ؛ بل لعاش دائما شىء حزين مقلق يشغل فكر الانسان العربى حتى وهو يضحك ، حتى وهو يمرح ٠٠ حتى وهو يبكى ، ولكن الذى لا شك فيه أن الضحك الذى نضحكه ، والدموع التى نذرفها ليس فيها شىء لفلسطين !

ونحن حين نحدق فى وجه هذه المأساة نجد أن هناك من خانوا هذه القضية - على الصعيد العربى - بل نستطيع أن نلمس هذه الخيانة فى بعض صفوف الشـــيوعيين الذين رأوا فى الوقوف الى جانب هذه القضية تعارضا مع الأيديولوجية التى يأخذون بها ، فاذا أضفنا الى هذا بعض المفكرين الذين يخاصمون كل شىء تشتم منه رائحة العروبة ، أو الذين يمولون من جهات تتعاطف مع الصهيونية ٠٠ اذا أضفنا هذا أدركنا السر الحقيقى للعقم الذى أصاب حبة قلب هذه القضية !

بل أستطيع ان أقول ان الصخور التى ترمى بين الحين والحين أمام الحضارة العربية كقضية القوميات المنقرضة ، وكقضايا العامية وقصيدة النثر وتزحيف التفعيلة وتعليلها ، وتبنى أقوال المستشرقين المناوئين للحضارة العربية ، ووضع الالغام تحت كل ما هو شامخ ومضىء فى الفكر العربى ، وحصار كل الذين يهتمون بالحضارة العربية الاسلامية ٠٠ أستطيع أن أقول ان هذا وغيره يكمن وراءه كل الجوانب العقيمة فى حياتنا الفكرية ، وفى مقدمة هذه الجوانب قضـــية فلسطين !



ولعل جريمة قتـــل الحضارة العربية لا تظهر بشاعتها الا حين نرى الجانب الآخر من قضية فلسطين ، فنظرة واحدة الى ما يفعله اليهود تؤكد اننا نقتـــل أنفسنا مرتين لا مرة واحدة ، وبخاصة حين ندرك أن اللغة العبرية القديمة قد جفت فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وانها انزوت تماما ابتداء من هذه الفترة الى المعابد ، ثم كان أخذهم بعد ذلك باللغة الآرامية ، حتى انهم فى عهد المسيح كانوا يتكلمون الآرامية بل ان بعض أسفار العهد القديم مكتوب بالآرامى ، ثم كانت تبعيتهم بعد ذلك للثقافة الرومانية ، ثم بعد فترة نراهم يستعملون لغة الييدش (ترجع فى أصولها الى الالمانية فى العصور الوسطى) ولغـــة اللادينو (لغة اليهود المهاجرين من اسبانيا والمتأثرة بثقافة المسلمين هناك) ٠

وحين يظلهم القرن التاسع عشر نراهم فى كل مؤتمر يؤكدون انه لا وجود لوطن بدون لغة ، وفى ضوء هذا كان بعث اللغة العبرية ، وكانت التراجم التى لاتكف عنها واليها ، وكان الجيل الجديد الذى أصبح يتقنها بالرغم من أن آباءه لايتكلمون الآن هذه اللغة ، وكان اهتمام كثير من دول العـــالم بكل من ترتفع قامته من خلال هذه اللغة ، ولعـــل آخر من سمعنا عنهم الآن شاعر تضرب حوله الطبول يسمى «بياليق» ٠٠

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فاننا نراهم ٠٠ يحركون كل الشعراء الذين يمتون اليهم بصـــلة

ليعبروا معهم عن قضيتهم وعن آمالهم .ولعل فى مقدمة الذين تحركوا معهم الشاعر الروسى (افتشنكو) الذى قدمنا له أخيرا فى مجلاتنا وصحفنا مهرجانا ضخما للتعريف بعبقريته ، بل ولتعريف ، ولترجمة قصيدة (بابى يار) التى يدافع فيها عن اليهود ، ويدين كل الذين يعادونهم ، ثم التركيز على طريقة نشره لهذه القصيدة ، وتبادله العناق مع كثير من الرفاق بعد نشرها ، ونفاد كل النسخ من جريدة (ليترارى جازيت) لانها تحمست لهذه القصيدة .

ومع انى لست ضد اقامة مهرجان لهذا الشاعر ، ولكنى كنت أحب أن يناقش عدد من الكتاب هذه القصيدة فى ضوء ما فعله شاعر روسى يسمى : (الكسى ماركوف) فقد رد على قصيدة «بابى يار ، (لافتشنكو) بقصيدة وصفه فيها بانه قزم قد نسى الشعب الذى ينتمى اليه !

ولكنا فى شغل عن المعاول التى تنهال على قضايانا، لان فى يد بعضنا معاول أشد جراة ، وأكثر حقدا من المعاول التى تنهال علينا من الخارج !

ومهما يكن من شىء فالذى نريد أن نصل اليه هو أن ضرب الحضارة العربية ، والافتراء عليها ظلما وبدون دليل غير هذه الادلة الحاقدة التى يروجها بعض المستشرقين ومريديهم شىء لا وجود له الآن فى غير هذه المنطقة العربية ، فالشعوب كما تبنى نفسها اقتصاديا تبنى نفسها فكريا ، ولكنا لانريد أن نبنى الافكار الجديدة على الارض الخالية ، ولا نريد أن نزيد طابقا على المعمار الصامد الذى يحمل لبنات البقاء فى الحاضر والمستقبل .. لانريد شيئا من هذا ولا شيئا قريبا من هذا ؛ لأننا مشغولون تماما بهؤلاء الذين لاهم لهم الا أن ينسفوا فى ميادين الفكر هذه الحضارة ولقد كان هؤلاء من المهارة والحماس للعمل وللحقد فى الوقت نفسه ، بحيث استطاعوا أن يعقدوا ألسنة الكثيرين من الدهشة ، وان يجعلوا منهم مجرد متفرجين ، أو مصفقين ، أو لامباليين .

وعلى كل فان أى انسان يريد أن يطل اطلالة كبيرة على حصاد الشعر فى هذا الحقل الحزين المصفر الجذور والاوراق ، فانه لابد أن يعبره سريعا — فى الغالب — لانه لاتوجد ورقة تشد الهدب ، أو زهرة تجذب البريق ، أو ثمرة يقف عندها ميناء النور فلا يتحرك ، ومن هنا نرى القارىء يلم ياسه وعجبه فى الوقت نفسه ، ثم يهاجر بشوق الى هؤلاء الشعراء الذين صهرتهم النكبة ، والذين نتفت من أجنحتهم الريش ، وعصرت قلوبهم داخل صدورهم ، ثم شردتهم فى أكثر من بلد عربى أو على حدود المأساة ذاتها .

والنظرة الاولى ترينا عددا من الشعراء فى مقدمتهم أبو سلمى ، وعلى هاشم رشيد ، وكمال ناصر ، وعيسى الناعورى ، ومحمود الحوت، ومحمد العدنانى ودعد الكيالى ، وعصام حماد . وهؤلاء يقومون بعملية رثاء للحياة ، ويتوعدون فى جهارة اليهود ، ويستنهضون العرب ، ويؤكدون فيما يشبه الصراخ انه لابد من العودة ، وشعر كل واحد منهم لايختلف عن شعر الآخر من حيث التصميم، والحدة والارتباط بالتقاليد القديمة للقصيدة العربية .

والى جانب هؤلاء بعض الشعراء الذين ترق عندهم التجربة وتصفو وتشبه بحيرة صغيرة من الدموع ، لا تتحرك الا حين تهب نسمة أو ينكسر غصن ، أو يشرب عصفور ، ومن هنا يحس الشاعر أن ماساة فلسطين هى ماساته الشخصية ، وان أقل بادرة تجعله فى حاجة الى أن يبكى لنفسه قبل أن يبكى للناس ، وأن يتذكر انه هو الذى ضاع ، وانه فى حاجة الى شىء ليذكره بهذا الشىء الذى ضاع .

وقد يكون هذا الشىء هو تذكر جبل النار حيث تقيم «رقية» ، وقد يكون اقبال العيد على لاجئة ، وقد يكون احساس ثقيل بالزمن حين تقبل الاعوام الجديدة وقد يكون الوقوف بدموع عند فكرة تقول ان غناء البجعة يشتد اذا جرحت ، وقد يكون تذكر شاعر مغترب ، وقد يكون أخيرا أشواقا تائهة محبطة كما يظهر واضحا فى ديوانى وحدى مع الايام واعطنا حبا للشاعرة **فدوى طوقان** ، والذى يمكن أن نهتدى الى شىء من هذا الشجن فى الابيات التى تختم بها ديوان اعطنا حبا حيث تقول :

● انتهينا يا رفيقى

حبنا كان استغاثات غريق بغريق

لم تكن تملك لى شيئا ولا كان لدى

لك شىء

وتلاشى صوتنا

فى اصطخاب الموج ، فى غور بحار الظلمات

عبثا كنا نريد الحب أن يمنحنا خيط الحياة
أنت تدرى : لا تسل عن حبنا
نحن حاولنا ولكنا فشلنا
أسفا ،ماذا غنمنا ؟
غير غصات أسانا وجراح الأغنيات ؟

● وتفس هذا الشجن والاقتراب من جوهرالحزن نحسه عند الشاعر **هارون هاشم رشيد** فى ديوانه : أرض الثورات حين يبتعد عن الخطابية ويقترب من الاشياء الصغيرة من حوله كما فى قصيدة مكتبتى ، وكما فى تلك اللحظة الشعرية التى وجد فيها طائرا يقبل من الشمال ثم يصطدم ـ من الشوق ـ بنافذة للشاعر فى غزة ، فهو يقول :

● **حط على نافذتى طير جريح اخضر**
دماه من جناحه على الحديد تقطر
من الشمال حيث اطياف المنى تخطر
وحيث احشاء الصخور بالحنين تزهر
حيث الربا تحكى الروايات ويشد وعنتر
حيث المواويل التى يضوع منها العنبر
من الشمال ٠٠ من ذرا تاقت اليها الأنسر
من الشمال ٠٠ حط هذا الطائر المعفر
الريح من ورائه والعاصفات تزار
والموت والليل الرهيب والأذى والعسكر
مشرد مثلى ومثل والدى محير
يا طائرا يزقو على نافذتى ويزفر
ويضرب الحديد من آلامه وينقر
الليل مهما امتد لابد العذاب يقهر
وانت أنت من جديد فى الفضا تصفر
وتلتقى بالعش حيث لا باغ ولا مستهتر
وحيث تزقو الزغب فى أحضانه وتكبر
الفجر من جناحك الدامى غدا سيظهر !

● وتجربة الطائر هذه نجدها متكررة فى الشعر الفلسطينى الحديث ، ومن أنضرها تلك التجربةالتى قدمت فى ديوان «عائدون» للشاعر **يوسف الخطيب** تحت عنوان العندليب المهاجر ، فمن أبياتها :

اتراك مثلى يا رفيق تمر فى الزمن
عبر المهالك والليالى السود والمحن
لا صاحب يرخى عليك غلالة الكفن
أتراك مثلى تغتدى خمارة الشجن
تذرو بقية عمرك الصادى بلا ثمن
لكأن فى عينيك بعض اللمح من وطنى
لو قشة مما يرف ببيدر البلد
حباتها بين الجناح وخفقة الكبد
لو رملتان من المثلث أوربى صفد
لو عشبة بيد ومزقة سوسن بيد
اين الهدايا مذ برحت مرابع الرغد
ام جئت مثلى بالحنين وسورة الكمد ؟

***

أتراك مثلى يا رفيق فنحن سيان
أشجانك الكثر الكئيبة ذات أشجانى
اتراك أقسمت المعاد بمثل ايمانى
فى ضحوة البعث الملوح يا رفيق الحورة الثانى
قم داو جرحك يا رفيق الحورة الثانى
انا هاهنا فى كل يوم شئت تلقانى :

***

والى جانب هؤلاء وهؤلاء نجد طائفة أخرى من الشعراء تقترب من المفاهيم الكبيرة للقضية كالحرية والنفى ، والانتظار والغربة، مثل **أمين شنار، وراضى** صدوق، وفائز صياغ ، وكلثوم مالك عرابى ، وجبرا ابراهيم جبرا لولا انه يحول دائما قضيته الى قضية رموز مسيحية زاعقة لاتستدعيها التجربة ، بل ان كل تجاربه تموت تحت هذه الضغوط التى يقصم بها كاهل أعمال الشعرية ، ولعل الفرق بينه وبين الشاعر معين بسيسو أن «معين»يجعل الرموز فى خدمةالشعر وعنده دائما اللمسة السحرية التى تحول كل شىء الى شعر سواء اكان هذا الشىء رمزا ، أو فكرة ، او حرفا من الحروف ، فكل هذه الاشياء وغيرها قد تحولت فى دواوينه الثلاثة الى شعر كاعمق مايكون الشعر٠ ولتوضيح هذا نقدم نصا لجبرا ابراهيم جبرا بعنوان : خرزة البئر ، يقول فيه :

● خرزة البئر
ملتقى أيدى الصبايا العابثات
بالدلاء الساكبات
ينبوعا فى الجرار
بين ضحك وغناء
أفم الرمس أضحت ،
افم الغناء ، يلقم بالصبايا
بالحبالى الساكبات
الدم الملوث بالرصاص
والعناقيد هل يبست من حولها
واحترق القمح واندلقت
قراب الزيت على بديد الحجارة ؟
وعليها صلب عيسى من جديد ؟

خرزة البئر لنا جلجلة ثانية
من ثغرها الخصيب غدا
ستنطلق الحمم السوداء
لاهبة لاظية

بينما يقول جبرا ابراهيم جبرا هذا نجد معين بسيسو يقول مثلا فى قصيدة بعنوان : الى طفلتى دالية :

● **وكمصلوب يحلم**
لو تلمس قدماه ..
الارض الثانية كنجم
لو يمشى ،
لو يسمع وقع خطاه ..
أنا احلم بشتاء ،
أنا احلم أن نمشى ،
كفك شعلة برق
فى كفى شعلة نار
تحت الامطار
وورائى أعلام الدمية
أمراس جليد
تتلوى فوق الأسوار
مائة شتاء قد مر وما زال
مصلوبك يا وطنى يحلم
لو تلمس قدماه
الارض الثانية كنجم
لو يمشى
لو يسمع وقع خطاه

وفى ضوء هذا نرى أن هذه «القطعة من النار» قد أخذت تبرد فى كف الشاعر العربى وفى قلبه ، ولكن وميضا من الوهج لا يزال يبرق فى نفوس الشعراء الفلسطينيين ، وقد يلهب هذا الوميض الأيدى والوجوه ، ولكنه لن يصل الى النفس والى صهرها وتحويلها الى ما يشبه الدموع الا اذا تحول الى معان كبيرة تتخطى القصيدة الغنائية الى أشكال أخرى تستطيع أن تستوعب الاحزان الكبيرة والعميقة التى تتعلق بمصير الانسان وضياعه ونفيه فى هذا العصر أكثر مما تتعلق بالحنين الى زيتونة فى وسط دار ، أورابية متوجة بالبرتقال ، أو طفلة تتجول داخل ملجأ من الملاجىء .

وليس معنى هذا ان العبء الشعرى ـ ان صح هذا التعبير ـ يقع على أحزان الفلسطينيين وحدهم ، وليس معناه أن نرفع شاعريتنا عن كل ما يتصل بقضايا الانسان العربى فى المنطقة تمسحا فى الشيوعية ، أو اقترابا من هؤلاء الذين يصرخون فى بعض مجلات بيروت من أن هموم الانسان العربى الآن تكاد تنحصر فى السأم والملل والتمزق ورفض كل ماله وجه عربى !

ولقد وصل الحد الى أن بعض الفلسطينيين يتبنون هذه الشعارات ، ويضعون أيامهم فى خدمتها، ولكن نظرة من جديد الى القضية من خلال الواقع العربى المعاصر ، ومن خلال الرؤية التى تؤمن بالانسان وحقوقه فى الارض والذكريات والتاريخ ، تؤكد أنه لابد من الالتقاء الجديد الواعى حول قضية فلسطين لا الى حد حمل القلم فقط ، ولكن الى حد حمل القلم بيد والسلاح بيد .

ان البعض يهرب من هذه القضية ، والبعض يخمد أصواتها التى تطل كالرؤوس الصغيرة فى نفسه .. ولكنها فى الواقع قضية كل قلم عربى ، وما لم تحل هذه القضية ، وما لم تغمس الأقلام فى مدادها ، فان أشياء كثيرة ستظل تافهة وعقيمة فى نفس الانسان العربى ، وفى فكر الانسان العربى .

انه لابد من عودة بالاقلام الى هذه الارض ، ولا بد من دخول بالاقلام الى حبة قلب كل انسان فى هذا العالم باسم هذه القضية ، تحت كلمات كبيرة كالحرية واحترام الانسان والحياة .

وما لم نفعل هذا فسيكون هذا العصر مدينا .. واجوف ، وهزيلا ، ومصابا بالعقم .

صحيح انه لابد من التخلص من أشجار اللبلاب التى تغطى وجه الحقيقة ، ولا بد من القاء الضوء على القتلة الذين لايكفون عن صرع الانسان العربى .. والحضارة العربية ، ولا بد من اكتشاف الزيف الذى يكسو وجه البعض .. ومع أن هذه المهمة ليست سهلة ، الا انه لابد من الاقدام على هذه المعارك بجسارة وضراوة ، مادامت هناك الأيدى التى تشل الفكر ، وما دامت هناك الاقلام التى تفرز السم .. وما دام هناك الأمل فى انتظار فجر جديد ينتزع انتزاعا فى أول الامر من أفق هذا البلد المغتصب ، ثم ينتشر ويمتد فى أفق كل بلد عربى ، ثم يمكن للعالم أن يقول من جديد .. ان الاوان قد آن ليعيش العالم مرة ثانية فى ظل الحضارة العربية بعد أن أصبحت الحاجة الى مفاهيمها وانسانيتها واضحة للعالم ، وبعد ان ظهر افلاس بعض الأيديولوجيات التى تحكم العالم .

« **عبده بدوى** »

سكة السلامة

رحلة الاختبار والاختيار

بقلم : جلال العشرى

من المؤلفين من يبدأ بداية قوية يمضى بعدها فى خط صاعد ، ومنهم من يبدأ نفس البداية ولكنه يمضى فى خط هابط ، ومنهم من يمضى فى خط متعرج يبدأ قويا ثم يهبط ثم يعود ليصعد من جديد . والامر فى النوعين الاول والثانى واضح لاحيرة فيه لان المؤلف صاعدا أو هابطا انما يمضى فى خط مستقيم .. فهو اما فنان كبير قال ما عنده ثم استدار ليقول ما عند الآخرين واما فنان ذو تجربة قالها ولم يعد عنده ما يقوله . ولكن الذى يدعو الى الحيرة حقا هو النوع الثالث ، ومصدر الحيرة فيه انك لا تدرى أتحكم على الفنان من خلال عمله الفنى أم تحكم على العمل الفنى من خلال الفنان ؟ .

وسعد الدين وهبه فنان من النوع المحير ، محير لأنه يجبرك دائما على الاعتراف بموهبته ولكنه لا يجبرك فى كل الأحيان على الاعتراف بفنه .. فمسرحيته « **المحروسة** » عمل فنى ممتاز ولكن « **السبنسة** » دونها بكثير ، و « **كوبرى الناموس** » مسرحية نادرة ولكن « **سكة السلامة** » اقل منها بكثير .. وبكثير جدا .. وسبب ذلك أن الكاتب فى مسرحياته الثلاث الاولى صدر عن خبراته الوجودية بعد أن مزجها بموهبته الفنية فوضعنا أمام عمل ناجح يعبر عن « الذات » من ناحية ويتمثل فيه التكامل الفنى من ناحية أخرى . فثلاثيته الريفية بحق أشبه بسيمفونية متكاملة الاجزاء رغم ضعف الحركة الثانية أما مسرحيته الاخيرة فالامر فيها يختلف كل الاختلاف لان الكاتب هنا ينتقل من مرحلة التعبير الذاتى الى مرحلة التناول الموضوعى ، أو هو يتخذ من تجاربه الذاتية نقطة ارتحال لانقطة انطلاق .. وهنا المغامرة وهنا أيضا البطولة ، فالكاتب بعد أن نجح فى تأكيد موهبته يحاول الآن أن يؤكد فنه . والنجاح فى تأكيد الموهبة مرهون بالتجربة ولكنه فى حالة تأكيد الفن مرهون بالثقافة . فهل نجح سعد الدين وهبه فى تأكيد فنه ؟ الجواب : ليس بعد !

فهنا مسرحية متصدعة البناء تكاد تخلو من الحدث الدرامى ، صحيح أن الكاتب وفق فى التقاط اللحظة الدرامية الفاصلة التى قذف فيها بشخصياته الى خشبة المسرح . ولكنه لم يوفق فى رفعها الى مستوى الحدث الدرامى الذى ينمو ويتطور حتى يصل الى الذروة ، جماعة من المسافرين وضعهم الكاتب فى احدى عربات البولمان واطلقهم فى الطريق الصحراوى من مصر الى الاسكندرية ، وفى الطريق يتوه السائق أو يخدعه أحد المسافرين ممن تراءى لهم أن يوجه السائق الى طريق مرسى مطروح بدلا من طريق الاسكندرية اختصارا لرحلته . وتكون النتيجة أن يتوه السائق تماما وتغرس العربة فى الرمل ... لقد ضل السائق الطريق وغرست العربة فى الرمل وضاع المسافرون فى مكان ما بالصحراء . وعلى لحظة الضياع يرفع الستار ويأخذ المؤلف فى تقديم أشخاص المسرحية واحدا بعد الآخر .

وهكذا ترى الكاتب يبهرك بموهبته الفنية فى الوقت الذى تضيع فيه خيوط المسرحية ، فبدلا من أن يرفع الستار عن المأزق نفسه وعن الممثلين وهم فى قلب المأزق مما يساعد اللحظة الدرامية على الارتفاع الى مستوى الحدث والحدث نفسه على النمو والتطور ، رفع الستار عن الممثلين يقدمون أنفسهم على المسرح واحدا بعد الآخر مما أعطاهم فرصة الاحساس بأنفسهم أكثر من احساسهم بالحدث بل فرصة الاحساس بجمهورهم أكثر من الاحساس بالمؤلف ، خاصة وأنهم ليسوا مجرد ممثلين بل هم عمالقة المسرح القومى كل منهم له اسمه وكل منهم له جمهوره .

فاذا فرغ الممثلون من تقديم أنفسهم وراحوا يتعرفون على بعضهم وعلى حقيقة المحنة التى هم فيها ، وجدنا أنفسنا ازاء مجموعة متنافرة من الأشخاص كل منهم يلف ويدور حول نفسه ، ومع

أن الكاتب لجأ الى شخصية الصحفي الفضولى بمهنته الذى يستجوب كلا منهم على حدة ، الا أننا لا نلبث أن نعود الى عملية تقديم من نوع آخر ، ساعد عليها فى هذه المرة أن الكاتب اختار ممثليه قبل أن يختار شخصياته أو هـو اختار الممثلين الذين يريدهم ثم راح يبحث لهم عن الأدوار التى تناسبهم ٠٠ الغ توفيق الدقن فلن تجد من يقوم بدوره ، الغ شفيق نور الدين فلن تجد من يقوم بدوره ، الغ سميحة أيوب فلن تجد من يقوم بدورها ، وهكذا منذ اللحظة الأولى وكل ممثل يمثل لحسابه الخاص لا لحساب المسرحية لأن الممثلين لا يستمدون قوتهم من النص وانما النص هو الذى يستمد قوته من الممثلين ٠

ثم **لماذا اثنى عشر شخصا او زيادة ؟** صحيح أنهم شخصيات متنافرة جمع بينهم مكان واحد وظرف واحد كما جاء فى مقال الصحفى الذى وقع فى أيدى المسافرين ٠ ولكن « التنافر » وحده لا يكفى ان لم يكن هناك « تمايز » بين الاشخاص يجعل كلا منهم نمطا فنيا قائما بذاته بحيث يكون استدعاؤه الى خشبة المسرح نتيجة للحتمية الفنية التى يقتضيها تكامل العمل كله ، أما اذا تشابهت الشخصيات من الداخل ٠٠ من حيث الانفعال ونوعية الانفعال من حيث التفكير وحركة التفكير فهم جميعا نموذج فنى واحد رغم اختلاف الأسماء واختلاف الشكل التشريحى واختلاف المركز الاجتماعى ٠٠٠ ضع الصحفى فوق المحامى فوق رئيس مجلس الادارة تخرج فى الآخر بنموذج فنى واحد هو نموذج المثقف الذى يحتل مركزا اجتماعيا مرموقا ولكنه لا يعبأ بقيم ولا يهتم بمبادىء ، فالصحفى يخدع السائق المسكين لكى يختصر رحلته والمحامى يغش القرعة لكى يقضى على حياة السائق الآخر ورئيس مجلس الادارة يرشوه لكى ينجو بنفسه فهم جميعا متشابهون رغم ما بينهم من اختلاف او هم فى آخر الأمر نموذج فنى واحد ٠ ثم ضع « الأرتيست » فوق الزوجة الشابة الخائنة فوق الأرملة التى مات زوجها يطلع لك نموذج المرأة التى تبحث عن الارتواء الجنسى ، الأخيرة تجده فى شخصية العمدة والثانية تجده فى شخصية الموظف وتجده الأولى فى شخصية الثلاثة الأول مجتمعين ٠فهن جميعا متشابهات رغم ما بينهن من اختلاف لأنهن فى الحقيقة نموذج فنى واحد ٠ تبقى بعد ذلك شخصية « الريجيسير » التى وفق سعد الدين وهبة فى تحضيرها واطلاقها على خشبة المسرح فكانت بحق أكمل الشخصيات وأروع الشخصيات سواء عندما كانت صدى لشخصية الأرتيست أو عندما كانت شخصية طريفة تبعث على الضحك أو عندما كانت شخصية تائبة تتوجه الى الله بالضراعة والابتهال ٠ وكان يمكن الاكتفاء بشخصية الريجسير ليتم التلوين الدرامى ولكن المؤلف شاء أن يصنع مما تبقى من شخصية أخرى جديدة هى شخصية « المومس الشاب » التى جاءت فجة ممجوجة فضلا عن أنها ليست الشخصية الملحة الصارخة فى واقعنا الاجتماعى وخاصة واقعنا الجديد الذى يحفل بنموذج الشاب « المتاورب » او «المتأمرك» الذى يتأثر بنجوم السينما ويقف على ناصية الأمريكيين ٠

اقول كما انه لم يكن هناك داع لكثير من الشخصيات المتكررة ولا أقول المتكاملة ، لم يكن هناك داع أيضا لكل هذه المناظر التى حفلت بها المسرحية ٠٠ ستة مناظر وخاتمة ٠٠ لماذا ؟ لأن المسرحية تفتقر الى مقومات الشكل المنطقى الذى يتطور فيه الموقف من مرحلة الى المرحلة التى تليها بالضرورة والحتمية الى أن تتم تصفية الموقف الدرامى فهل حدث شىء من هذا ؟ بالطبع لا ٠٠ لم يحدث شىء من هذا وانما الذى حدث ان المؤلف لجأ فى بعض الأحيان الى مبررات خارجية لاسدال الستار ٠٠ كسماع أزيز طائرة فى المنظر الاول من الفصل الأول فاذا ما رفع الستار عن المنظر الثانى من نفس الفصل وجدنا أن الحدث لم يتقدم خطوة واحدة ذالصحفى لا يزال يستكمل التعرف على بقية المسافرين ٠ وبماذا ينتهى الفصل الأول ؟ باكتشاف أحد المسافرين أنهم ضائعون فى مكان ما بالصحراء ! لذلك كان من الأفضل أن يقع الفصل الاول فى منظر واحد ينتهى بما حدث فى منتصف المنظر الأول من الفصل الثانى ٠٠ أعنى بمجىء سائق السيارة الأخرى ٠ وهكذا ينتهى الفصل الأول بانتهاء مرحلة درامية ليبدأ الفصل الثانى بمرحلة أخرى جديدة ٠

اقول ان شيئا من هذا لم يقع لأن المسرحية تكاد تخلو من الحدث الدرامى الذى ينمو ويتطور حتى يصل الى الذروة فيتحكم تبعا لهذا كله فى رفع واسدال الستار ٠ وقبل أن اغادر هذه النقطة أبادر فاقول انه ليس لأحد أن يحتج بأن المؤلف لم يأخذ بالبناء التقليدى للمسرحية وانما هو يساير الموجات

الجديدة • ذلك لأن مسرحيات الموجة الجديدة اذ تتمرد على حتمية البناء الكلاسيكي تستبدلهـا بحتمية من نوع آخر ، فبدلا من حتمية المسرحية محكمة الصنع هناك حتمية الترابط في الحوار وحتمية التكامل بين الأشـخاص وأمامك مسرحيات اللا معقول فهل تستطيع أن تحذف شخصا واحدا بل فقرة واحدة من مسرحية « في انتظار جودو » مثلا دون أن يختل العمل كله ، أو هل تستطيع أن تتخيل المسرحية في أكثر أو أقل من فصلين اثنين ؟

اما هنا فنحن بازاء عمل لا يضره ان تحذف فقرة او أكثر ، بل ان تحذف شخصية او أكثر • فماذا لو حذفنا شخصية التاجر الراسـمالي الذى كان وجوده كعدمه • وماذا لو اكتفينا بشخصية الصحفي واستغنينا عن زميليه المحامي ورئيس مجلس الادارة، وماذا اخيرا لو حذفنا بعض « النكت » الفجة من قبيل ان « هملت » سمي هذا الاسـم لأن امه هملت في تربيته ، وأن « حسونة » مخرج واقعي لأنه كلما خرج من مصيبة وقع في مصـيبة ، وان عبـارة « فيفازاباتا » أصلهـا ان فيفا (اسـم الدلع من مصطفى) ضبطته زوجته مع امراة أخرى فانقضت عليه وهي تصرخ : « فيفا •• ظبطك » •

واذا تركنا المسرحية بمناظرها الستة وانتقلنا الى الخاتمة وجدنا أنفسنا مرة أخرى أمام عملية تقديم جديدة ، فالممثلون بعد أن قدموا أنفسـهم في أول المسرحية للجمهور يقدمون أنفسهم في آخر المسرحية لله ، فهم جميعا مخطئـون آثمون يطلبـون من الله الصفح والغفران ، فاذا ما استجاب الله لدعـائهم وابان لهم طريق النجاة وجدنا البعض يختار سكة السلامة والبعض الآخر يختار سـكة الندامة ، ولكن لماذا ؟ لماذا رضي المؤلف عن قرني وسوسو ومحمد ولم يرض عن الباقين مع أنهم جميعا كما قال أحدهم « في الهوا سوا » •• لا أدري !

اما عن الاخراج فمع اعجـابي بموهبة **سـعد اردش** وتقديري لثقافته أقول انه لم يكن في أسعد حالاته باخراج هذه المسرحية ، وربما لأنه لم يستطع أن يذيب ثقافته في فنه فبقي الفن فيه والثقـافة وكأنهما شيئان اثنان لا شيء واحد ، فمنذ اللحظة الأولى وأنت تحس « باللاتجـانس » بين اتجـاه المؤلف وأسلوب المخرج ، المسرحية واقعية فاقعة، جماعة من المسافرين تعطل بهم « الأوتوبيس » في الطريق الصحراوي فوجدوا أنفسهم فجأة في مكان ما بالصحراء ، مهددين بالموت جوعا وعطشـا ، ضائعين لا يعرفون سكة السلامة من سكة الندامة لأنه ليست أمامهم سكة على الاطلاق ،فبماذا استقبل المخرج خيوط هذه المحنة التي كان لا بد لهـا من أن تتعقد حتى تستحيل الى مأساة يحسها الممثلون فضلا عن الجمهور ؟ بديكور تعبيري فاقع تفوح منه الشاعرية والخيال،ديكور يصلح لاستقبال قيس وليلى أو فاطمة وامرىء القيس ولا يصلح لاستقبال جماعة في مأزق يتحول الى محنة ثم الى مأساة مما سـاعد الممثلين على عدم التعايش مع روح الحدث •• فالتنافي بينهم يزداد بدلا من التآزر ، والنكت والقفشـات « على ودنه » والبطلة في المنظر الاول تناجي الليل والنجوم ، والعاشقة في المنظر الثالث تنسى المحنة وتنسى ما يمكن أن تؤدي اليه من فضيحة ولا تبحث الا عن الغرام ، بل ان العمـدة في المنظر الأخير لا يرى في المقابر الا أنها « حتة شرحة وجوهـا جميل » • وكذلك الجمهور لم يحس بمحنة هؤلاء الناس ولا بمأساتهم وانما أحس بمتعتهموسعادتهم وكأنهم شلة من الأصدقاء يقضون يوم شم النسيم في الفيوم أو القناطر الخيرية •

واذا كانت الشخصيات هي الأخرى شخصيات واقعية فاقعة •• عمدة ، أرتيست ، ريجسير ، رئيس مجلس ادارة •• الخ • فلا أدري لماذا بالغ المخرج في تلوينها فلجأ الى الموسيقى يرسم بهـا صورة تعبيرية لكل شـخصية أو يضع بها خطا كاريكاتيريا تحت كل اسم • وأي نوع من الموسيقى؟ موسيقى أشبه بموسيقى « حسب الله » ، أو هي على أي حال ليست الموسيقى التي أسماها فاجنر باللحن الدال « لاتيموتيف » وقصد بها أن تكون رمزا على كل شخص من أشخاص أوبراه حتى يتم الايحاء وتكتمل الصورة الموسيقية •

وبعد الديكور والموسيقى تجيء التكوينـات التي رسمها المخرج واستعان في رسمهـا بثقافته في الفن التشكيلي ، تكوينات ممتازة بلا شك •• تجمع بين المدرك البصري الجميل والمعطى الجمالي الرائع ولكن على حساب ماذا ؟ على حساب الفعل والحركة في المسرحية • خذ مثلا شخصية التاجر الراسمالي في المنظر الاول ، صحيح أن المؤلف لم يجعل له دورا فعالا في المسرحية ولكن المخرج كان يستطيع أن يبقيه عند السيارة ولا يسـتدعيه الا وقت

اللزوم ، كان يمكنه أن يفعل ذلك كما تقتضى تقاليد الدخول والخروج فى المسرح ، ولـكنه رأى فيـه قطعة بشرية تصلح لتجميل الديكور فوضعه صامتا فى أعلى الربوة . خذ أيضا التكوينات الثنائية فى المنظر الثالث حيث يدخل الموظف وعشيقته فلا يخرجان بعد أن يؤديا دورهما ولكن المخرج يبقيهما عند أسفل الربوة ليبدأ الثنائى الآخر (العمدة وجلنار) فى الكلام ، وما أن يفرغا ويظلا فى مكانهما عند رأس الربوة حتى تظهر الأرتيست ورئيس مجلس الادارة فى أعلى الربوة وبذلك تكتمل عناصر اللوحة التشكيلية مع مراعاة التناسب فى المساحات . ثم خذ بعد ذلك المشهد الذى يتجه فيه الجميع لاستقبال السائق الآخر فيقفون فوق الربوة وظهورهم للجمهور .. تكوينات استاطيقية بارعة ولوحات تشكيلية ممتازة ولكنها لا تتناسب على الاطلاق مع ناس فى مأزق ، ناس فى مصيبة ، ناس فى قلق وتوتر واضطراب . ان عبقرية الفن التشكيلى شىء وعبقرية الفن الدرامى شىء آخر ، عبقرية الفن التشكيلى فى تجميد الرؤية الفنية فى المكان ، وعبقرية الفن الدرامى فى طرح هذه الرؤية على امتداد الزمان ، الفن التشكيلى روحه النحت والفن الدرامى روحه الشعر .

يبقى اخيرا الممثلون الذين تفوقوا جميعا فى التمثيل ولا أقول فى أداء الأدوار ، فى طليعتهم سميحة أيوب عملاقة المسرح المصرى التى استطاعت بسلوكها اللفظى والحركى أن تكون مركز الثقل فى المسرحية كلها ، ثم توفيق الدقن الممثل الداعية الذى أثبت قوة عضلاته فى الامساك بكل دور أداه حتى الآن ، وشفيق نور الدين الذى احتفظ بمستواه الفنى الرفيع فى الأداء المسرحى ، وأحمد الجزيرى الذى أثبت قدرته الفائقة على التشكل الكوميدى ، وبين هؤلاء العمالقة يقف عبد السلام محمد قزما فى عمره وحجمه عملاقا فى فنه وكفاءته .

« **جلال العشرى** »

قريبـــــاً

ستنشر « الرسالة » مسرحية « حبل الغسيل » للاستاذ على أحمد باكثير ، وهى كوميديا فى ثلاثة فصول ، تعالج مشكلة الشعوبية الجديدة من الملابسات التى يمر بهـا المسرح العربى اليوم ومايعج به من متناقضات .

الكتب تقرأ وتعرف

رجال حول الرسول

تأليف: خالد محمد خالد
نقد: محمد عبد الله السمان

في السنوات الأخيرة اتجه الاستاذ خالد محمد خالد اتجاها جديدا في التأليف ، فبعد ان كان في مؤلفاته الأولى عالما متحررا جريئا يشهر عصاه في وجه الجمود الفكري ، والتزمت الديني ، ويثير مع الجامدين والمتزمتين معارك تتسم بالعنف ، والتراشق بحدة اللسان ، صار في مؤلفاته الجديدة بحاثة في أعماق الاسلام وتاريخه ، يلتقط المعاني المجهولة فيبعث فيها الحياة من جديد ، بعد أن يزيح عنهما غشاوة النسيان ، كما يلتقط المعاني المعروفة ، فيصوغ منها القضايا الحية لتعيش معنا في حياتنا ، وهو في كلتا المرحلتين يتميز بأسلوب الأديب الذواقة ، الذي يسلسل المعاني في رقة وعذوبة وسهولة ويسر ، لا يحمل القارىء على المشقة في القراءة ، ولا يورده موارد العنت في استيعاب المعاني .

واذا كانت المرحلة الأولى للاستاذ خالد مرحلة الجدل والعنف ، قد صب فيها كل طاقات عنفه في عدد من مؤلفاته : من هنا نبدأ ، مواطنون لا رعايا ، هذا او الطوفان ، لكي لا تحرثوا في البحر ، وغيرها ، فان المرحلة الثانية له هي مرحلة الاستقرار الذهني ، والاستتباب الفكري ، بذل فيها كثيرا من الجهد لاستخلاص المعاني الحية من الاسلام وسيرة ابطاله ، في مؤلفاته : اله الانسان ، انسانيات محمد ، الوصايا العشر ، بين يدي عمر ، كما تحدث الرسول ، وجاء ابو بكر ، ثم رجال حول الرسول .

وهذا الكتاب الجديد : « رجال حول الرسول » اعده المؤلف ليكون موسوعة تظهر تباعا في حلقات ، وقد صدر منها في الشهور الأخيرة حلقتان ، اختار للحلقة الأولى عشرة من أصحاب محمد :

مصعب بن عمير : أول سفراء الاسلام ، غرة فتيان قريش ، وأوفاهم بهاء وجمالا وشبابا ، اختاره الرسول لاعظم مهمة في حياته ، هي أن يكون سفيره الى المدينة يفقه الأنصار في الدين ، ويهيىء المدينة ليوم الهجرة .

وسليمان الفارسي : الباحث عن الحقيقة الذي قام بمغامرة نبيلة في سبيل بحثه عن الحقيقة الدينية ، التي تصله بالله وترسم له دوره في الحياة حتى اهتدى الى الاسلام .

وابو ذر الغفاري : زعيم المعارضة ، وعدو الثروات الفاحشة ، والذي صاح أول صيحة بالاسلام ، تحدت كبرياء قريش وقرعت اسماعها .

وبلال بن رباح : الساخر من الأهوال ، مؤذن الاسلام ، ومزعج الاصنام ، واحدى معجزات الايمان والصدق ، التي أثارت الدهشة وعمق التفكير .

وعبد الله بن عمر : المثابر الأواب ، الذي بدأت علاقته بالاسلام وبالرسول وهو في الثالثة عشرة من عمره ، والذي كان أخا الليل يقومه مصليا ، وصديق السحر يقطعه مستغفرا وباكيا .

وسعد بن ابي وقاص : الأسد في براثنه اول من رمى في الاسلام بسهم في سبيل الله .

وصهيب بن سنان : الذي أخذ مكانه في قافلة المؤمنين ، وصفوف المضطهدين ، وصفوف الباذلين المفتدين .

ومعاذ بن جبل : أعلمهم بالحلال والحرام ، وشبيه عمر بن الخطاب في استنارة عقله وشجاعة ذكائه .

والمقداد بن عمرو : اول فرسان الاسلام ، ومن المبكرين به وسابع سبعة جاهروا به عنفوان قريش وطغيانها .

ثم سعيد بن عامر : العظمة تحت الأسمال ، واحد من كبار الأتقياء الأخفياء ، والذي منذ عانق الاسلام ، وبايع الرسول ، أعطاهما كل حياته ووجوده ومصيره .

اما الحلقة الثانية ، فقد اختار المؤلف لها أحد عشر صحابيا جليلا ، ممن صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وكانوا مع اخوانهم بايمانهم وثباتهم وبذلهم شرفا — اي شرف — للحياة وللانسان :

حمزة بن عبد المطلب : أسد الله ، وسيد الشهداء ، الذي كان اسلامه وقاية ودرعا ، كما كان اغراء ناجحا لكثير من القبائل التي قادها اسلام حمزة أولا ، ثم اسلام عمر بن الخطاب ثانيا بعد ذلك —

الى الاسلام فدخلت فيه افواجا ، ومنذ أسلم حمزة نذر كل عافيته ، وبأسه ، وحياته لله ولدينه ، حتى خلع النبى عليه هذا اللقب العظيم : اسد الله واسد رسوله .

وعبد الله بن مسعود : اول صادح بالقرآن وسادس ستة بادروا بالاسلام ، والذى صدقت فيه نبوءة الرسول : « انك غلام معلم » فقد علمه ربه حتى صار فقيه الامة ، وعميد حفظة القرآن جميعا ، واخذ من فم الرسول سبعين سورة لاينازعه فيها احد .

وحذيفة بن اليمان : عدو النفاق ، صديق الوضوح ، الذى جاء الى الحياة مزودا بطبيعة فريدة تتسم ببغض النفاق ، وبالقدرة الخارقة على رؤيته فى مكامنه البعيدة ، وقد زاد الاسلام موهبته هذه مضاء وصقلا .

وعمار بن ياسر : رجل من الجنة ، كان من الثلة المباركة العظيمة (آل ياسر) التى اختارتها مقادير الاسلام ، لتصوغ من تضحياتها وثباتها واصرارها وثيقة عظمته وخلوده .

وعبادة بن الصامت : نقيب فى حزب الله ، وواحد من زعماء الأنصار الذين اتخذهم الرسول نقباء على اهليهم وعشائرهم ، والذى اصبح رائدا من رواد الاسلام ، واماما من أئمة المسلمين .

وخباب بن الارت : أستاذ فن الفداء ، والذى اخذ مكانه بين المعذبين والمضطهدين ، بين الذين وقفوا برغم فقرهم وضعفهم يواجهون بايمانهم كبرياء قريش وعتفها وجنونها .

وأبو عبيدة بن الجراح : أمين هذه الأمة ، والذى كان أول من لقب بـ « أمير الأمراء » والذى قال عنه عمر بن الخطاب وهو يجود بأنفاسه: لو كان ابوعبيدة حيا لاستخلفته ، فان سألنى ربى عنه ، قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله » .

وعثمان بن مظعون : راهب ، صومعته الحياة ، كان راهبا عظيما ، لا من رهبان الصوامع ، بل من رهبان الحياة ، وكانت رهبانيته عملا دائبا فى سبيل الحق ، وتفانيا مثابرا فى سبيل الخير والصلاح .

وزيد بن حارثة : لم يحب حبه احد ، الذى حمل دون سواه لقب « الحب » ، حب رسول الله ، والذى قيل : انه ثانى المسلمين ، احبه الرسول حبا عظيما، وكان بهذا الحب خليقا ، لعظمة روحه وعفة ضميره ولسانه ويده .

وجعفر بن أبى طالب : اشبه الناس بالرسول خلقا وخلقا ، والذى كان أول المهاجرين الى الحبشة والمتحدث اللبق الموفق باسم الاسلام ورسوله .

ثم عبد الله بن رواحة : واحد من هؤلاء النقباء ، حملة الاسلام الى المدينة ، ومن أكثر الانصار عملا لنصرة الدين ودعم بنائه ، ومن اكثرهم يقظة لمكايد عبد الله بن ابى ، حتى اقسد عليه اكثر مناوراته .

وبعد فقد قدم الاستاذ خالد فى حلقتيه واحدا وعشرين انموذجا من صحابة الرسول ، وجعل لكل منهم سمة مميزة ،تلقى اضواء على الجوانب المشرقة من حياته ، وتبرز مميزات عظمته ، وهدف المؤلف ان يرسم لهؤلاء صورا صادقة وسريعة ، صورا لانها ليست تاريخا يفيض فى ذكر أخبارهم ، ويتتبع وقائع حياتهم وآثارهم ، وصادقة لأن التاريخ الانسانى من بدء الخليقة الى عصورنا الحديثة لم يظفر بما ظفر به العصر الاسلامى الأول من اهتمام وفحص وتوثيق ، وسريعة : لأنها لا تقف طويلا أمام التفاصيل الكثيرة لحياة هذا النفر العظيم الشاهق من الرجال الابرار ، انما تواجه السمات الباهرة لأصالتهم المتفوقة وعظمتهم السامقة .. أو كما يقول المؤلف .

والحق : ان عمل الاستاذ خالد في كتابه : رجال حول الرسول ، لا يمكن اعتباره عملا دراسيا بالمعنى المفهوم للدراسة ، فهو لم يدرس هذه النماذج دراسة متكاملة ، ولم يتعمق فى اغوار حياتها كلها، ولم يقدمها بمالها وبما عليها ، وهذا ما تقتضيه الدراسة المتكاملة عن اية شخصية عظيمة ..

وكان هم المؤلف ان يلتقط المعانى انى كان مصدر الرواية التاريخية لها ، لأنه لم يكن هدفه تمحيص التاريخ ، بل التقاط المعانى ليسلطها اشعة تضيء بعض الجوانب ، لا الجوانب كلها فى الشخصية التى اختارها ، وبذلك لا يمكن اعتبار الكتاب مرجعا الا فى التعرف على بعض السمات فى نماذجه التى قدمها ، وحتى هذه السمات لم يكن جميعها محتاجا الى اجهاد ذهن أو اعمال فكر .

والمؤلف حين اختار النماذج التى اختارها ، انما بدا بنماذج من اصحاب الرسول غير مجهولة لمسلم مثقف أو حتى نصف مثقف، ولو اتجه الى المغمورين وهم كثيرون ـ فبعث فى تاريخهم الحياة لكان أجدى واهم ، وان كان من المنتظر ان تستوعب الحلقات القادمة بعض النماذج المغمورة من أصحاب الرسول، ليكون عمل المؤلف عملا جديدا .

ومع هذا ، فقد امتعنا الاستاذ خالد بالمعانى الحية الخالدة ، التى عاشت نابضة بالقوة والحياة ، مع رجال حول الرسول ..

محمد عبد الله السمان

كتب جديدة

تقديم : أحمد الصادق عبد الصمد
وتحسين عبد الحى

● **تاريخ اندونيسيا**
الأدبى والتحريرى والاسلامى
تاليف : د . فؤاد محمد فخر الدين
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر

يقع الكتاب فى مائة وثلاثين صفحة من القطع الكبير . وقد تناول المؤلف فيه بالدراسة تاريخ الأدب الأندونيسى ، واللغة الأندونيسية ، ثم الشعر الأندونيسى .

فالأدب الاندونيسى يمكن تقسيمه من حيث أزمنته الى خمسة عصور متباينة هى : عصر ما قبل الاسلام ويشمل عهدى ديانة الأنيميسم والديانة الهندوكية ، وعصر الاسلام الذى يبدأ حوالى عام ١٤٠٠ م .وعصر الاستعمار الهولندى (١٥٩٦ - ١٩٤١) وعصر الاحتلال اليابانى (١٩٤٢ - ١٩٤٥) ثم عصر الحرية والاستقلال من عام ١٩٤٥ الى ...

واللغة الاندونيسية ، تناولها المؤلف من زوايا أصلها ، وتأثير الأديان فيها وخاصة الاسلام ، ثم طريقة كتابتها وعوامل تقدمها .

وقدم نماذج متباينة منه ، وفى نهاية الكتاب عدة لوحات فنية لمعالم اندونيسيا وآثارها التاريخية .

● **مدخل الفقه الاسلامى**
تاليف : د. محمد سلام مدكور
الناشر : الدار القومية

هذا الكتاب أحد أعداد السلسلة التى تصدرها المكتبة العربية ، ويقع فى ١٣٦ صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف رئيس قسم الشريعة بكلية حقوق القاهرة ، وقد أورد فى دراسته الموجزة مدخلا للفقه الاسلامى يوضح تاريخه ومزاياه ، والاطوار التى مر بها ، ومصادره وتكوين مذاهبه واتجاهات هذه المذاهب ، وقسم البحث الى أربعة فصول ، عرض فى الفصل الاول لمزايا الشريعة الاسلامية ، وفى الثانى للفقه فى عصور الرسول والصحابة وتكوين المذاهب والتقليد والنهضة ، وفى الثالث ، لمصادر الأحكام وطرق الاستنباط منها ، وفى الرابع لارتباط الأحكام الشرعية بالمصالح الانسانية والمصالح المعتبرة .

● **الأدب الصوفى فى مفهوم جديد**
تاليف : عبد الكريم الخطيب
الناشر : سلسلة الثقافة الاسلامية

بهذا الكتاب بدأت عامها السابع سلسلة الثقافة الاسلامية التى يصدرها بالقاهرة محمد عبدالله السمان ويقع فى ٩٦ صفحة من القطع المتوسط .

تناول المؤلف فى فصلين كبيرين الأدب الصوفى دراسة ومنهجا ، ثم الخصائص الفنية للأدب الصوفى والحق ان هذه الدراسة تميزت بالنزاهة فى الرأى والدقة فى البحث ، دون أن تمس الجانب العقدى من التصوف ، أو تمسه الا بالقدر الذى استدعاه الكشف عن مضمون عبارة أو كلمة ، فجاءت الدراسة بحثا خالصا للأدب الصوفى ، يراد به كشف سماته التى تلحقه بالأدب العربى وتفسح له مكانا فيه .

● **دفاع عن الزنوج**
تاليف : أحمد محمد عطية
الناشر : الدار القومية

الكتاب زهاء مائة صفحة من القطع الكبير ، وهو يتناول بالدراسة هذه القضية الانسانية الشائكة ، التى تقف فيها الحضارة الغربية موقف العداء والمناوشة ، كما يوضح نضال الزنوج من أجل قضيتهم العادلة التى لم تنصف بعد ، فيتحدث عن زحف نصف مليون زنجى فى أغسطس من عام ١٩٦٣ على العاصمة الامريكية ، هذا الزحف السلمى ذو الهدفين : مشكلة العمل ، وثورة الزنوج الامريكيين ، ويتحدث عن قضية الزنوج فى جنوبى افريقيا وأنجولا ، ثم قانون الحقوق المدنية وهل يضع نهاية لمأساة الزنوج الامريكية ؟

● **العبادات**
تاليف : الامام المهدى
الناشر : مكتبة الكاملابى بالقاهرة

يقع الكتاب فى ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط وهو مجموعة من التعاليم التى أصدرها لأتباعه الامام المهدى قائد الثورة المهدية السودانية ، ضمنت منشورات العقيدة والمصافاة والصيام وتضمنت جميع الأحكام المتعلقة بها واجبا وسنة ليسهل للمسلم العمل بها من غير شك أو خلاف .

هذا وقد قدم للكتاب السيد الصديق المهدى الخليفة الحالى بمقدمة مسهبة تناولت الدين

والانسان ، والدين والآمال والآلام ، والدين والأخلاق والمعاملات والاسلام والحضارة الانسانية والحياة المادية ثم لماذا أصبح الاسلام غريبا .

● **الحلى فى التاريخ والفن**
تاليف : د . عبد الرحمن زكى
الناشر : المكتبة الثقافية

هذا الكتيب هو العدد السادس والعشرون بعد المائة من سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد ، وهو يقع فى أكثر من مائة واثنين وخمسين صفحة من القطع الصغير .

وفى دراسة مستفيضة عرض المؤلف للذهب فى صناعة الحلى والاحجار الكريمة فى الحلى المصرية القديمة فى شتى عصورها ، وللحلى فى العصور الاسلامية المتعاقبة منذ عهد آل طولون والفاطميين وللحلى فى الهند فى عصر المغول والهند المعاصرة ، وفى بعض بلدان الشرق الأوسط كسورية ، وفى المغرب ، ثم فى فارس .

اسرائيل الزائفة
تاليف فريد عبد الله جورجى

يبحث الكتاب فى دور الصهيونية العالمية بعنصريتها البغيضة فى اقامة اسرائيل .. ويبين كيف استغلت المنظمات الصهيونية الاوضاع السائدة فى العالم فى الفترة مابين الحرب العالمية الاولى والثانية وبعد الحرب العالمية الثانية الى يومنا هذا فى خلق دولتها الزائفة فى مشرقنا العربى .. وتدعيمها ويقدم الكتاب كذلك دراسة وافية للكتب المقدسة اليهودية التى زورت بحيث تخدم أهداف الحركة الصهيونية العدوانية التى تحاول أن تظهر نفسها كمنقذة لتعاليم مقدسة هى فى الاساس من صنعها .

ويقع الكتاب فى ١٤٧ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ضمن سلسلة كتب قومية .

علم الطيران
تاليف : أ٠ج٠ ستن
ترجمة : دكتور أسامة الخولى
مراجعة : دكتور محمد مصطفى العلايلى

يعرض الكتاب قصة تطور الايروديناميكا (علم حركة الهواء) من عصور التاريخ الغابرة حتى يومنا هذا ، منتقيا من الاحداث والاشخاص أكثرها مغزى . والكتاب يتحدث عن الجوانب النظرية للطيران ولا يبحث مسالة تصميم الطائرات التى هى من اختصاص المهندس ، ولا يتعرض كذلك لفن قيادة الطائرات . وهو باختصار ــ محاولة أن يقف القارىء العادى على شىء ما فى فرع من فروع الرياضة التطبيقية بصورة مبسطة .

ويقع الكتاب فى ١٤٧ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار النهضة العربية .

نساء القرن العشرين
او من يدرى
للكاتب الايرلندى : برناردشو
تعريب : الدكتور جمال الدين الرمادى

يحتوى الكتاب تعريبا كاملا لمسرحية (من يدرى) أو « نساء القرن العشرين ــ كما اطلق عليها لبرناردشو ــ وهى تدور حول قصة طبيب شاب يعالج الاسنان ويصادف ألوانا مختلفة من النساء ، وبين من يقابلهن الفتاة « دولى » وهى فتاة مرحة منطلقة تاخذ الحياة ماخذ السخرية والعبث وهى على النقيض من شقيقتها جلوريا التى تحمل راية الاصلاح فى القرن العشرين ، وتحاول أن توضح منزلة المرأة فى المجتمع الجديد ، وقد تاثرت بمجموعة من الكتب التى نشرت حول حرية المرأة ومكانتها الاجتماعية.. ولذلك فهى تحاول أن تدلى برأيها فى الحياة والزواج بصراحة ووضوح وتطالب بتحرير المرأة من عبودية الرجل . الى آخر شخصيات المسرحية وابطالها بافكارهم واتجاهاتهم المتباينة .

ويقع الكتاب فى ١٨١ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية للطباعة والنشر ضمن سلسلة كتب من الشرق والغرب .

العدوان الثلاثى والضمير العالمى
تاليف : وفيق عبد العزيز فهمى

يحتوى الكتاب على دراسة للنواحى السياسية والعسكرية التى مر بها العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ والكتاب كما يقول المؤلف : محاولة لفهم ماهية الضمير العالمى وقوة أثره فى تصريف الشئون الدولية . وقد كان لمصر الفضل العظيم فى كشف مدى قوة الضمير العالمى وأثره داخل الأمم المتحدة وخارجها .

واوضح الكتاب كذلك دور اسرائيل الدنىء فى العدوان الثلاثى ودور البطولات العربية الرائدة التى وقفت بقوة وحزم على جميع المستويات السياسية منها والعسكرية لدحر العدوان وهزيمته مدعمة تدعيما كاملا بتأييد الشعوب العربية وشعوب العالم أجمع .

ويقع الكتاب فى ١٩٧ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ضمن سلسلة كتب قومية .

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى



● الشيوعية فى مصر والعالم العربى

أحدث المقال الذى كتبه « محمد حسنين هيكل » رئيس تحرير « الأهرام » فى ملحق الأهرام الأسبوعى الصادر فى يوم الجمعة ٢٩ يناير (كانون ثان) ١٩٦٥ أثرا كبيرا فى الأوساط الادبية ، فقد عالج فيه موضوع « الشيوعية ، والشيوعيون فى مصر وفى العالم العربى » بما عرف عنه من صراحة وبما قدمه من تحليل موضوعى استطاع خلاله أن يضع كثيرا من النقاط فوق الحروف فقد جاء فى مقاله « انه قد جاء الوقت فى ظنى لكى نتركهم يقولون ما عندهم ، وليستمع المجتمع بقدر مايريد ، وليرفض ، وليلفظ كل مايجده متعارضا مع ارادته .

وفوق ذلك ، فانه مازالت هناك حالات يتحتم فيها على القانون وعلى البوليس اذا اقتضى الأمر — ضرب الشيوعية والشيوعيين اذا ما أقدموا على عمل يتعارض مع المبادىء الأساسية التى أعلنها النضال الوطنى ميثاقا له .

من ذلك — مثلا — أن تحاول الشيوعية والشيوعيون تكوين حزب سياسى علنى أو سرى فى مصر ، فان ذلك مخالف لاجماع الارادة الوطنية الحرة ، على أن العمل السياسى فى المرحلة الحاضرة يكون كله تحت قيادة تحالف قوى الشعب العاملة وداخل منظمتها القائدة وحدها ، وهى الاتحاد الاشتراكى .

مثل هذه الحالة خروج على الميثاق ، وعلى الدستور ، وبالتالى يحق — بل لابد — للقانون أن يتدخل وأن يضرب .

ومن ذلك أيضا أن تحاول الشيوعية والشيوعيون أن يمسوا الدين رسالة وجوهرا ، فان ذلك أيضا ، مخالف للعقيدة الانسانية والأساسية الأولى التى يؤمن بها مجتمعنا الذى يقدس أديانه ويتمسك — قبل أى شىء — بقيمها الروحية ، ويحميها بكل قوانينه ، بل ويفتديها بما هو أقوى من القانون وأحكامه » .

ثم يرى « هيكل » أنه لامستقبل للشيوعية والشيوعيين فى مصر وأيضا فى العالم العربى ، ويستدل على ذلك بأكثر من دليل ، من ذلك قوله « ان النشأة الأولى المحركة للشيوعية فى مصر — وسيطرة اليهود الأجانب عليها — سببت لها بعدا عن التيار الوطنى المتدفق فى ظروف مابعد الحرب العالمية الثانية فى مصر ، وأكاد أقول عزلة عن هذا التيار الوطنى » .

ثم يضيف أنه « نتيجة للبداية التى وصفتها بعد النشأة — والتى اعتمدت على مجموعة من الأفكار المائعة والعائمة والربط بها عن طريق الغواية بالجنس والمال ، فان الجو الذى ساد الحركة الشيوعية فى مصر كان جو انقسامات وحزازات تحولت بها الحركة الشيوعية الى مجرد حلقات تدور حول نفسها ، وتجتر كل منها أحقادها ضد غيرها ، دون أن يصدر

عنها جميعا فكر واحد يعالج واقع المجتمع الذى تعيش فيه وتهتم بمشاكله » .

ويمضى قائلا « ان الخطأ الوطنى قاد الى الخطأ القومى ، فان الحركة الشيوعية فى مصر - وفى غيرها من بلاد العالم العربى - لم تستطع ان تستكشف حقيقة التاريخ العربى الواحد ، والنضال العربى الواحد ، والمصير العربى الواحد .

وقعت فى خطأ تصور القومية ، وكانها دعوة عنصرية ، بل وصلت الى أبعد من ذلك - فى متاهات الضياع - الى تصويرها وكانها نزعة من نزعات استعمار جديد ، تريد دولة من الدول العربية ان تفرضه على غيرها سيطرة واستغلالا .

وأشهر نموذج لهذا الخطأ فى تحليل الواقع القومى ، هو خطأ الحزب الشيوعى السورى وموقفه من الوحدة وتجربتها الأولى بين مصر وسوريا » .

وقد تناول هذا المقال موقف الحزب الشيوعى الجزائرى ومعارضته لحركة القتال المسلح ضد فرنسا واعتباره أن ذلك القتال فى غير ميدانه الصحيح ، لأن الحزب كان يعتقد « أن مصير الجزائر يتقرر ضمن مصير فرنسا » والحزب الشيوعى الجزائرى بذلك الخطأ « كان يتبنى تماما وجهة نظر الاستعمار الفرنسى ولا يرى زيفها وخطرها » .

ويذكر المقال سلسلة من المواقف الخاطئة التى اتخذتها الحركة الشيوعية المصرية تجاه الثورة موقفا بعد موقف ، وسنة بعد سنة .

● « سنة ١٩٥٢ : موقف خاطئ لا يرى فى حركة الطليعة من القوات المسلحة ليلة ٢٣ يوليو بداية ومقدمة لعملية ثورية عميقة ، وانما يراها فاشيستية عسكرية ، لانها بدأت من الجيش ، والجيش بطبيعته فى خدمة الأمر الواقع وضد تغييره ، وكذلك لأنها لم تسمح بالاحزاب ، وبينها حزب شيوعى .. وبغير حزب شيوعى لا تكون ثورة » .

● « سنة ١٩٥٤ : موقف خاطئ فى الصراع بين الطليعة الثورية وبين محاولة الارتداد بالثورة الى الوراء وتسليمها الى الاحزاب القديمة ، القائمة على التركيب الاجتماعى القديم المستند على تحالف الرجعية والاستعمار .

والمدهش أن هذا الخطأ كان تحت شعار الديمقراطية وعودة الحياة النيابية كانما التغيير الثورى مجرد خدش على سطح المجتمع ، وليس قلبا من الداخل لكل علاقات القوى الاقتصادية فيه » .

● «سنة ١٩٥٧ : بعد مهادنة مع الثورة خلال عملية كسر احتكار السلاح وخلال حرب السويس موقف خاطئ، يستند الى أن الثورة الوطنية أدت دورها ، واستنفدته فى الحصول على الاستقلال ، وأن الوقت قد جاء اذن لتسليمها الى الحزب الشيوعى الذى يقدر وحده على العمل الاجتماعى » .

● سنة ١٩٥٨ : موقف خاطئ وقفت فيه الحركة الشيوعية المصرية والعربية مع عبد الكريم قاسم ضد جمال عبد الناصر ، مع دعوة الانفصال وضد أمل الوحدة تحت وهم أنها تستطيع أن تتسلم من يد عبد الكريم قاسم ما عجزت عن تسلمه من يد جمال عبد الناصر ، وكانت فجائع كركوك التى كانت شبه محاولة انتحار يائسة قامت بها الحركة الشيوعية تحت شعار : كل شئ أولا شئ .. كانت النتيجة لا شئ » .

● « سنة ١٩٥٩ : موقف خاطئ تجاه عملية تأميم بنك مصر والبنك الأهلى التى لم تجد فيها الحركة الشيوعية المصرية - فى غالبها - الا صراعا بين جماعتين من البورجوازية المصرية : جماعة بنك مصر وجماعة عبود ، وكان تأميم البنكين نصرا لجماعة عبود على جماعة بنك مصر هكذا جاء فى التحليلات الشيوعية يومها .

● « سنة ١٩٦١ : موقف خاطئ تجاه قوانين يوليو الاشتراكية ليس فيها على ما ظنت الحركة الشيوعية المصرية ، الا رأسمالية للدولة فى أحسن الأحوال ، هكذا قيل فى المنشورات يومها »

● سنة ١٩٦١ موقف خاطئ ثان تجاه الوحدة، فان الاحزاب الشيوعية العربية عموما أيدت الانفصال ، ووقفت بذلك فى معسكر الاستعمار الرسمى ، وجنبا الى جنب مع الرجعية ، ضد القوى القومية التقدمية العربية التى كانت قبل الانفصال بأسابيع قد فجرت ثورة قوانين يوليو الاشتراكية العظيمة » .

هكذا سلسلة من الأخطاء نبعت وتفرعت من خطايا البداية وتطوراتها » .

وينتهى المقال مبينا « أن الحقيقة الوطنية اليوم فى مصر هى الحقيقة الثورية الوحيدة ، وبهذه القوة فانها تكون فى المركز الذى يسمح لها بأن تترك لكل قائل أن يقول ما يريد .

أقول بذلك مقتنعا به ومؤمنا ، لا أقول به عن يقين بأن المنظمات الشيوعية لا مستقبل لها فى مصر وفى العالم العربى - فقط . ولكنى أقوله عن يقين بأن الديمقراطية لها المستقبل كله فى مصر وفى العالم العربى أولا وآخرا » .

« محمد العواتى »



رجل وفاس

للدكتور محمد سعاد جلال

الليل قاتم ، والظلام معربد ، ومصابيح السماء منطفئة ، والريح تصفر وتسكت ، كشيطان سكران ، ينفخ فى صور ، فتسمع له حشرجة رهيبة ، واشباح غامضة تنوء ، تروح وتجيء وتدمدم ، ملتفة فى الظلام الحقود ، وضجة وصراخ وثار ، غارقة فى الصمت العميق ، ورجل جالس ، تلمع جراحه ، وتنزف دماؤه ، فى وجهه بشر ، وعلى فمه ابتسام ، وفى قلبه حب ، والى جواره فاس ، سالت الرجل ، من تكون يا رجل ، حطاب وهذه فاسى ، اقتلع الجذور العفنة ، واشق الأرض المريضة ، واكشف الديدان المختبئة ، واقط رؤوس الأفاعى .

وانفجر الرعد ، وبرق البرق ، وسالت الرجل ، من تكون يا رجل ، حفار وهذه فاسى ، احفر القبور فى الصحراء ، وادفن فيها موتى الأحياء ، واهيل عليهم التراب والحصى ، واضع على قبرهم شاهدا .

وانفجر الرعد ، وبرق البرق ، وسالت الرجل ، من تكون يا رجل ، هدام وهذه فاسى ، اهدم الصروح المزيفة ، واكشط الطلاء المكذوب ، واحطم التماثيل الجوفاء ، وادع الأرض مسواة بيضاء .

وانفجر الرعد ، وبرق البرق ، وسالت الرجل ، من تكون يا رجل ، عاشق فى حكم معشوقه ، ومعشوقى متاله جبار ، وصله فداء ، وقربانه دم الشهداء .

وانفجر الرعد ، وبرق البرق ، وبحثت عن الرجل ، فلم اجد الرجل .

حول

الشاعر « أبو سلمى »

بقلم : محمد عز الدين المناصرة

فى العدد ٧٧ من مجلة «الرسالة» الغراء كتب الاستاذ محمد نصر مقالا عن الشاعر الفلسطينى عبد الكريم الكرمى ابى سلمى ومع شكرى العميق للاستاذ لتعريفه بشاعرنا الكبير الا ان عندى ملاحظات ارجو ان يتقبلها :

اولا ـ لم يكن مقال الاستاذ يحمل صفة المقال أو البحث بل هو ـ على ما ارى ـ ريبورتاج صحفى ليس الا .. وهناك فرق بين الصحفى والاديب .

ثانيا ـ الاستاذ لم يحلل شعر الشاعر ولا تحدث عن ادبه حديثا علميا ولم يعطنا فكرة عن الشاعر ، فالقارىء لأول وهلة يظن أن ابا سلمى من خلال المقال هو انسان مجهول يريد الكاتب التعريف به مع ان الشاعر ابا سلمى هو فى نظرى اكبر شاعر عربى كتب فى شعر الوطنية واعتقد ان حسنين هيكل لا يكتب ولا يستشهد الا بعباقرة الشعراء ومنهم ابو سلمى .

ثالثا ـ الاستاذ يقول ان احدهم طلب منه ان يكتب عن ابى سلمى فكيف لو لم يوصه احد ان يكتب .

رابعا ـ انا شاكر جدا ومن اعماق قلبى للاستاذ نصر مع علمى انه مخلص كل الاخلاص ولكنى اطلب منه ان كان يملك ديوانى الشاعر «المشرد» و «اغنيات بلادى» ان يطلع قراء العربية على اروع الاشعار وقد يعجب الاستاذ كيف لم نكتب عنه نحن ابناء فلسطين ولكننى اقول اننا لانعرف عن شعره الذى نعتقد انه اروع الشعر

الا ما تسرب لنا من القليل من شعره . فالمعروف ان ديواني الشاعر «الأول والثاني» كانا وما يزالان ممنوعين من دخول بعض الاقطار العربية وكم بحثت عن ديوانيه دون جدوى ولكن هناك قصائد معروفة لم يتعرض لها الاستاذ منها على سبيل المثال قصيدته . مصرع ثائر . منها :

جناح النسر حطمه الصعود وعاينه العواصف والرعود
بكى جبل (الخليل) على فتاه ورددت الشدائد النجود
اراتب ان تعرض اجنبي وهم ابدا على اهلي اسود
وما أرض العروبة لي بارض اذا سلبت فلسطين اليهود

وقصيدته (الدم العربي المطلول) :

كلما قلت اطل الفجر غابا
اترى تغدو فلسطين سرابا

وقصيدته . اطياف الوطن » :

اطل الفجر من عينيك ما اروعها طله
ارى فيها خيال الكرمل واللد والرمله
وموج الشاطئ الغربي من عكا ارى ظله
لقد حملت لي العينان ما لم استطع حمله

وقصيدته بقايا أهل :

قبل الترب لا تقل انا حالم
هذه غزة العلا والمكارم

وقصيدته (اغنية الموج) التي أهداها للشهيد العربي جول جمال . وقصيدته «التربة السمراء » :

اخاه لا تبكي على اوطاننا
فالتربة السمراء في انتظارنا

وقصيدته «المشرد» :

فلسطين الحبيبة كيف احيا بعيدا عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات وفي الآفاق آثار الخضاب
تناديني مدائنك اليتامى تناديني قراك مع القباب
ويسألني الصحاب الا لقاء وهل من عودة بعد الغياب
اجل ستعود الاف الضحايا ضحايا الظلم تفتح كل باب

وهناك كثير من شعراء النكبة كتبوا الشعر الجميل من امثال : فدوى طوقان وسلمى الجيوشي واسمى طوبى ومعين بسيسو وأمين شنار والافغاني شاعر الشباب وهارون هاشم رشيد وخليل زقطان واحمد عبد احمد وسميرة أبو غزاله ودعد الكيال وعبدالرحمن بارود وعلي هاشم رشيد وعبد الرحيم محمود وابراهيم طاقان وراضي صدوق وعيسى الناعوري والدكتور الكيلاني ولريا ملحس وعبد الرحيم عمر واحمد ابو عرقوب وجميل علوش ويوسف الخطيب واسكندر خوري ومحمد سليم الرشدان .

ولكن ابرزهم على الاطلاق : ابو سلمى ـ هارون هاشم رشيد ـ فدوى طوقان .

كما اسهم في شعر النكبة شعراء عرب من امثال :

محمد التهامي وانس داود وعبده بدوي ومحمد العزب ومحمد رجب البيومي من مصر وعبد القادر الناصري من العراق وطلعة الرفاعي من سوريا وفاضل خلف من الكويت .

الساقية

للشاعر احمد عمر هاشم

تغيا ساعاته الثاغية بظل خمائلها الحانيه
وعايشها في صباه القرير .. شغوفا لأنتها الباكيه
فكم سهرت في دجاها تدور ، تنبه ادواحه الغافيه
ومر عليها «الزمان العنيد» . بكل عذاباته القاسيه
وساع الظهيرة قد شده حنين لترعتها الجاريه
فجمع ابناءه : يا بني . تعالوا . تعالوا الى الساقيه
وراحوا الى جدول حالم قد اعشوشبت ارضه الزاهيه
وقال : «هنا ـ آه باكم هنا سهرنا لياليتا الداجيه
ولفح الشتاء . وثلج السماء . يصب قساوته الهاميه
على كتفي فراشي غطاء ومن تحته مزق باليه
ولملمت الأم . قشا . وراحت . تجمع كومتها النادبه
وتشعل نارا .. بها تتقي من البرد لذعته الضاريه،
وعاد . وعادوا الى بيتهم بنفس مصابرة راضيه
وعاد وفي قلبه الذكريات . وفي وجهه راحة حاليه
وراح لبرئ عهدا مضى وقد ودعت يومه الساقيه
وقالت : . مضى عهدي المدلهم .. وايامه المرة الخاليه
واقبل عهدك . عهد الطلاق برود فضاء السما العاليه
وولت ليالي الدجى المثقلات بكل ضراوتها العاتيه
فدمت وولى زماني . وحصحص فجر صناعتك النامية
تثابر وصابر وشد قواك . فلم تبق لي بعد من باقيه
سوى ذكريات حفرن هناك . تثير الحنين لأياميه
فمن عاش ذاق صفاء الحياة وذاق مرارتها القاسيه
ومن يصطبر للظلام . اطل له الفجر في طلعة حانيه

أمين الريحاني
الثائر العربي

بقلم خميس سلمونه

ان الاعمال المجيدة التي يقدمها ابناء الأمة المخلصون هي التراث الانساني الذي يرود المستقبل ويحدد معالم الطريق ولكي تستمر الأمة في نهضتها عليها ان تتبصر من حولها هذه المعالم وان تفيد من هؤلاء الرواد حتى يستمر طريق التطور مستقيما واضحا والأمة العربية وقد خطت خطواتها الموفقة المباركة وابرزت

العزة الكريمة التي انطوت عليها نفوس ابنائها وقد اصبح واجبا عليها ان تعتز بتراثها وباعمالها المجيدة وبروادها الاعلام الذين فتحوا مغاليق الفكر امام الناشئين .

وقد كان « امين الريحاني » وليد لبنان عام ١٨٧٦ احد رواد الفكر الانساني الذين رفعوا لواء الثورة على الصعيد العربي كله – صاحب مبدأ ورسالة وكان من اعداء نظرية «الفن للفن» في الادب ودعا الادباء والكتاب في كل مكان ان يجندوا اقلامهم خدمة للشعب وان يتركوا الأبراج العاجية ويحطموها ووضع المسئولية كاملة على كاهل رجال الادب والفكر وناشدهم قائلا : « الثورة الروحية قبل الثورة الاجتماعية » فلو احــدث كل النفوس لنالت الافراد اقصى امانيها في الحرية والعدالة والمساواة» ومن لا يثور لا ينجو من العبودية ولا حق له ان يشكو العبودية وكره « الريحاني » الاستعمار وشن عليه الحملة تلو الحمــلة قائلا : « انا عربي شرقي .. ثوري .. عربي يكره الترك ، وشرقي لا يزدرى العرب ، ثورى تهمه الكعبة مثلما يهمه الدستور» وقد اعطى للدين حرمته وقدسيته وجلاله وللوطن حقه وكيــانه واخذ على عاتقه عبء الدفاع عن قضية فلسطين العربية الجريحة وتطوع بالسفر مرارا الى امريكا ليعلن على العالم من هناك حق عرب فلسطين في وطنهم السليب الضائع بين انياب الصــهيونية الغادرة وكانت سلسلة ثوراته متصلة لم تنفصم فثار على رجال الدين ثورة عارمة حارب فيها التزمت الذى سيطر على الافكار والمعتقدات مناديا بالتسامح والاخاء فتصدى له دعاة الرجعيــة وحاربوه فخرج على العالم العربي بكتابه (المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية) وفيه يسخر من رجال الدين الذين شــوهوا معالم الدين بتزمتهم واجرى فيه الحوار على لسان الحيوانات على غرار «كليلة ودمنة» ثم طلع مرة اخرى بكتاب قيم في ذات الصدد بعنوان « المكارى والكاهن » يحارب به الجمود الديني والبــدع والخرافات التي سيطرت على العامة من ابناء الشعب وحمل رجال الدين مسئولية تربية النشء وما يترتب على تخلف هذا النشء من انحدار في الاخلاق والقيم وضعف في النفوس والافئدة .

وثار كذلك على التقاليد والعادات التي انتشرت كالوباء في المجتمع العربي آنذاك فقيدت خطواته وعاقت سيره .. ووقفت حجر عثرة في طريق طموحه وآماله ومثله وان انتشار هــذه العادات البذيئة المستوردة نتاج الحكم الاستعماري البغيض الذى ولد في نفسية المجتمع العربي الخوف والجهل الذى استشرى كالفناء الوبيل (الخوف والجهل توأمان امهما العبودية وابوهما الظلم وان عقلية الأسرة لعقلية العبيد انها لتبدو في الســيد وفي المسود وفي الوزير وفي الحقير وفي المؤمن اللابس العمامة او البرنيطة وفي رئيــسه الرافل في الدمقس والارجوان انا سيدك وهذا سيفي على رقبتك ثم يقول لمن هو ارفع منه انت ســيدى وهذا سيفك على رقبتي فسبحان من جعل السيف رمز المساواة ومرحبا بمن جاء يحطم السيوف ويحرر العبيد) .

وشــغلت الثورة عند الريحــاني الشعراء وهم اخوانه واصدقاؤه الا انه ناصبهم العداء لوقوفهم مكتوفي الايدى حيال قضايا بلادهم وقرضهم الشعر في الاخوانيات والرثاء والمدح المبتذل وبعدهم عن التعبير به في الميادين الصادقة («نحن في زمن الحديد والكهرباء وان حاملي هذه القلوب بقصيد الشعراء

لاعجز في المحن والنكبات من فراخ القطا ولاجبن من صــغار الارانب وما اسرعنا وهذه قلوبنا الى الشكوى والانين ، والى التأوه والتلهف والنواح وما اسرعنا واشد صراخنا في ميدان النحيب والندب وكاننا في مندب دائم) وكان جل همه جمع الشمل العربي فقال في احدى خطبه (ان خلاص الانسان بيده .. انهضوا ينهض الله معكم والآن الأمة التي يكثر فيها الطفيليات لا تعيش طويلا فكروا في الانتاج قبل ان يهلككم الاستهلاك وجارك القريب خير من اخيك البعيد بل خير من امك الحنون البعيدة) .

وبكل هذه الاسلحة حارب الاستعمار وقاوم الحضارة الغربية التي (تؤثر العرض على الجوهر وترفع الاحتيال على الصــدق والسياسة على العلم والجمال على الحقيقة والمال على العــدل) وسيطرت زخارف الحضارة على كل شيء حتى توصلت الى السيطرة على القيم والتراث واصبح الناس لا يأملون الخير في مستقبلهم وكانهم في عهد قياصرة الرومان واكتشف ببصيرته النافذة ان الديمقراطية قد انحرفت عن مبادئها التي قامت عليها من حــرية وعدالة ومساواة (تغيرت القيود وتنوعت السلاسل واســتبدل النخاسون بغيرهم) .

وانتقد الريحاني السياسة الاقتصادية التي يطبقهــا الغرب الاستعماري والتي تؤيد الاحتكار والاستثمار والجوع (هنــاك جبال من الدقيق تطلب من يأخذها ويوزعها على العالم وهنــاك الوف وملايين من المساكين يشترون رغيف الخبز بدمهم ودم بنيهم الصغار فمحا ينتظر الطاحن وطحينا يلتمس الخباز والألوف من البشر يطلبون خبزا والمحتكرون يقولون .. لا .. ولماذا ؟ لان الاسعار هابطة ولا ربح في البيع للافراد والمحتكرين) .

وقد ارهص الريحاني للثورة الاشتراكية في العالم العربي في قوله متمنيا :

(متى يارب .. تتساوى الاعضاء وتتوازن فتظهر على الهيئة علائم الجمال ودلائل الكمال ولا اظن ذلك اليوم يرانى ويراك ايها القارىء .. ولكن اؤكد لك انه آت .. وكل آت قريب) .

ودعا الى اتحاد العلم والدين (اريد ان ارى في بلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلم على شجرة واحدة) ..

وهكذا بالجهد والعرق والكفاح وبالنفي والتشريد والغــربة بكل هذه الوسائل قاوم الريحاني الحضارة الغربية العابثة بحرية الانسان وقيمه وتراثه ومعتقداته قاومها بالعقل والمنطق الواضح واصبح ادبه الحي تعبيرا عن خلجة نفس ثائرة تعاف الظلم وتاباه مجسدة نقمة الجماعة والافراد على أوضاع قائمة جائرة سواء اكان القابض على ناصيتها من ابناء البلاد او من خارجها ..

وفي عام ١٩٤٠ لقي كاتبنا العملاق ربه اثر حادث اليم بعد ان ترك ثمار قريحته النبيلة في صورة كتب اصــلاحية رائدة (التطرف والاصلاح – انتم الشعراء – الريحانيات – المغرب الاقصى) ولكنه سيظل قمة سامقة في عالم الفكر فقد كان بحق سرحة يانعة في روضة لبنان .. وعلما شامخا من اعلام الفكر والشعور جميعا .. وذخيرة حية باقية في التراث العربي الخالد .

القاع ...

قصة بقلم : أحمد أحمد حريب

بحر الصمت عميق .. غرقت فيه هذه الرءوس الثلاثه .. والألسنة تتمدد بلا حراك فى القاع المظلم .. وسطح البحر ساكن . لا همسة تنساب فوقه فتصنع شيئا .. تجعل الرءوس ترى بعضها .. والألسنة تتشابك .. والكلمات تشق لنفسها طريقا بين الشفاه . البحر عميق !! ظلامه يبدد كل خلجه ...

احد الثلاثه ينتحى بنفسه ركنا من القهوة . خده يستند الى راحته .. راحته تستند الى كوعه .. كوعه يستند الى المنضدة . والمنضدة .. وخامها بارد سميك .. يشده الى القاع !!..

اما الآخر فيداه تنشران جريدة مفتوحة . نصفها يتدلى على حجره .. ونقطة ما . ليست كلمة . ولا سطرا تشد انظاره اليها .. فيحدق فيها بلا سبب .. سوى انها تشده الى القاع !!

الثالث .. يتكىء بذراعيه على المنضده .. ينحنى كاهله الى الامام انحناءة خفيفه . وذراعاه تمتدان ... ثم تلتقيان ... ليصنعا حلقة حول فنجان من القهوه .. فوق سطحه ترجرج طبقة كثيفه من السائل ... هى « وش » القهوه . وهو ... يشتهى ان يسكب ذلك السائل فى جوفه .. لكنه لايفعل . لانه يريد ان يعرف ماذا تحت « الوش » فالاعماق المنطوية تحت سطح الطبقة الكثيفه تستهويه . بهذا .. ظل يحدق فى البحر البنى الداكن اللون . وترك نداء القاع يشده الى الاعماق!.

فجاة .. يتصاعد جو من الضجيج والصخب فى ثناياه صراخ آلة موسيقية وطبلة تدق فى سماجة والحاح ..

وينتصب التوتر بين الرءوس الثلاثه ، وتتطاير بينهم نظرات . وتختمر فى كل راس فكره .. أن يبدأ الآخر بالكلام !! لكن القبس الصغير لا يضىء القاع المظلم ... ويموت فيه !..

« حاوى !! » قالها الرجل الجالس فى الركن لنفسه كانت راسه لاتزال تستند الى راحته . ولم يفعل شيئا سوى ان فتح عينيه . ومضى .. ووجهه يميل للارض .. وعيناه ترتفعان الى آخر مدى حدقتيهما .. مضى يحدق فى رجل يرتدى بالطوا اصفر . شعره منفوش ..ذقنه طويله ... وشعاع من العصبية يطل من عينيه .. والى جانبه وقف طفل صغير ... برعم يتفتح على الشقاء .. فوق ظهره حقيبة سوداء ضخمة .. ويداه تصنعان الضجيج على طبلة كالحة ..

تجاوزت أنظار الرجل كل شىء . ثم همت ان تنسحب . تعود الى داخل القوقعه المغلقه . لكنها فى هذه اللحظة التقت بوجه الطفل الصغير ، ويداه الضعيفتان ترتفعان ثم تهبطان فوق الطبلة الكالحة . وتوقفت أنظار الرجل تماما ... ارتمت على الوجه الطفولى وتسمرت فوق قسماته وصرخ صوت فى اعماقه ... ياسلام !! سمير .. تماما .. سمير .. ابنى .. هذه الخصلة خصلته .. العينان البريئتان الصافيتان عيناه .. الانف الدقيق المرسوم أنفه .. ملامحه كلها .. كلها ... ياابنى ياحبيبى !! »

اما الآخر .. فقد طبق الجريده . ثم ارهف سمعه للكلمات المحمومة المتلاحقة . كان صاحب المعطف الاصفر يقف فوق صندوق خشبى . صوته ينبعث من اغوار سحيقه .. احدى يديه تتحرك الى فوق والى تحت .. وكل الاتجاهات . قابضة على زجاجة بها سائل أصفر . واليد الأخرى تتابعها فى تحركاتها .. مضمومة الاصابع الا اصبعا انفرد كالسهم ليوجه الانظار الى زجاجة السائل الاصفر .

لم يكن يعنيه شىء .. كان يرقب الرجل وكفى !! اما كلماته المحمومة عن السائل العجيب الذى يجعل ابن الشعين ينجب من يوحد الله . فلم يهتم بها . فلديه فى المنزل خمسة يوحدون الله .. ياكلون .. ويشربون ، ويلبسون . حقا لم يكن من المناسب له ان ينجب خمسة .. لكن ماحدث قد حدث .

فجاة .. وجد نفسه ابا لخمسة . يوحدون الله .. ويحتار هو كيف يدبر نفقاتهم . فكل شيء يكبر بسرعة .. الفم الذى ياكل لقمة ، يكبر ليبتلع رغيفا . الجسد الذى كان يكفيه نصف متر للبنطلون أصبح لا يغطيه الا متر ونصف متر . هكذا .. كل شيء ينمو من حوله ليلقى ظله في رأسه أفكارا وصداعا وقلقا .

وتلفت حوله . القهوة خاليه الا من رجلين صامتين . وشده صمتهما فأخذ يرقبهما . هذا الرجل المسن يبدو في بحبوحة من العيش .. في اصبعه خاتم يكفى ثمنه لأن ياكلوا لحما طوال الشهر . لكن .. ما باله صامتا هكذا ؟! انه ينظر الى الطفل !! ربما .. ليس لديه واحد منهم .. آه .. تعال خذ من عندى ماتشاء من الصداع والاولاد والمشاكل . اف لهذه الافكار !! الا ليت واحدا منكما يتكلم ! فينتشلنى من القاع .. ولم يتكلم احد !! ..

كان الرجل الثالث لا يزال يحدق في فنجان القهوه فنجان القهوه أصبح دنيا كاملة تمتصه .. فتذوبه في البحيرة الداكنة . لكنه لم يشرب القهوه .. انه يخشى أن يزول « وش » الفنجان فيكشف عما تحته .. تحته وجه بهيجه يحملق فيه .. وفي عينيها سؤال يطل كالثعبان ... ويوما .. سيخرج الثعبان ويلدغه . وسحقته الافكار فعاد يهرب الى وجوه من حوله . هذا الرجل الصامت صمت القبور .. لماذا يبدو حزينا هكذا ؟! لديه مشكله ؟!! مهما يكن ... فاضحك ياصديقى .. اضحك .. فلا يجب أن يحزن الا الشخص العقيم .. اضحك .. أو قل لى كلمة .. اى كلمه .. تشق هذا الستار الكثيف وتجعلنى ارى ما تحته .. وما يرقد في القاع .. حسبك اى كلمة .. الا ان تكون كلمة غراء .. فحذار .. والا حطمت راسك الطيب الفارق في الجريده .. ولم يتكلم احد !! .

الرجل المسن يرفع رأسه عن راحته ويتململ .. لماذا ينظرون اليه هكذا ؟! الانه يتأمل الصبى !! انهم لا يعلمون .. وكيف يعلمون وهم لم يروا سميرا ؟! سمير ابنه كان طفلا رائعا .. حصاد عمره العجوز .. ماذا اقول لكم عنه .. فقط لو سألتمونى لوصفته لكم . لكنكم لاتكلمونني !! من يأبه لعجوز احمق يجتر صمته في ركن ما !! . اذن .. ساصفه لنفسى .. سمير كان في السابعة من عمره ... كنقطه ندى ... غنية فجر وليد .. هل احكى لكما عن عينيه السوداوتين ؟! ما أحلاهما ... لم ار في حياتى مثلهما .. ولا أنتما أيضا .. كانت عيناه تتكلمان اذا ما صمت لسانه .. شقاوته كلها في عينيه .. اذا مارفضت له طلبا لم يكن يحتج .. بل تحس بنظراته تتمسح بك .. وتقفز على كتفيك ... وتتعلق في رقبتك وينبعث منهما وميض خبيث حبيب يعلم جيدا انك لن تعود فترفض طلبه . وعندئذ ... اذا كنت طيبا ... فقد يعطيك قبلة .. والقبلة بشلن . هذه سعيرته التى لا تقبل مساومة ولا فصالا .. وكان طفلى الوحيد ، فقد تزوجت اخيرا . حياة العمل الشاق امتصت شبابى . وكانت أيامى تمر بلا طعم حتى تزوجت .. وجاء سمير . اوه .. أن صراخ الرجل يتعالى .. وهذا يقطع افكارى ... فمعذرة ، معذرة حتى يصمت الرجل ، ان سمير ابنى لايحب الضوضاء .

ــ أنا قلت بعشرة .. عشره صاغ بس .. الشراب العجيب ياساده .. ومد الرجل البدين يده ثانية فتناول الجريدة الملقاة على حجره . كان يشعر بمقت شديد لصاحب المعطف الاصفر . ماذا يبيع للناس ؟! دسته اولاد بعشرة قروش ؟!! يالها من صفقة خاسره !! هو وامثاله فقط يعلمون انها خاسره نتيجتها باقات قمصان ممزقة .. وبنطلونات قديمة .. واحذية مرتفعة .. أجل .. كان يشترى له شرابا .. فيفاجأ بان نجله الكبير الطالب في الجامعه كان يلبس شرابا ممزقا طوال الاسبوعين الماضيين . أما القمصان .. فقد اقترحت امهم حلا وسطا .. يلبسون القميص الجديد بالتناوب .. ولم يكن يقول شيئا .. فهو يحبهم طبعا .. لقد كانوا بذورا وسقاهم وكبروا وانتهى الامر . لكنه في احيان كثيرة .. عندما يرى واحدا من اولئك الناس الذين يبيعون الشراب الاصفر .. لم يكن يستطيع ان يمنع نفسه من الاحساس بالاضطهاد والظلم .. وعندئذ ... كانت تقفز الى ذهنه صورة عنايات هانم .. جارتهم الارملة العجوز التى ورثت عن زوجها ثروة لا بأس بها . وليس لها أولاد . والتى قالت له يوما .. وقد تحينت ما حسبته فرصة .. انها تحتاج لزوج .. ولو صوريا .. يرعى مصالحها ..

ولم يستطع ان يبت في الامر . واخفاه عن زوجته وكانت السخرية . عندما فاتحته زوجته بنفسها في الامر .. والحت عليه ان يقبل .. لأجل خاطر الاولاد !! ..

وعاد يتامل صاحب المعطف الاصفر في ندائه المحموم . واخذت صورة الرجل تبهت أمام عينيه . واخذ خياله يذوب . ثم ظهرت عنايات هائم في المعطف الاصفر .. تمسك الزجاجة ويداها تخبطان الهواء .. فنظر مستغيثا الى زميليه .. لكن نظراته ضاعت في الهواء ... ولم يتكلم أحد !! ...

لقد برد فنجان القهوه .. وتحللت هذه الطبقة الكثيفة على سطح السائل .. اصبحت رقعا يفصل بينهما اللون البني الداكن .. اخيرا تمزق القناع !! وصرخت بهيجة في وجهه :

انت عاوز تتحكم فيه ؟! ياأخي لما تبقى راجل ..

***

لدغه الثعبان !! كان يعرف انها يوما ماستقول له هذه الكلمات . وهذا حقها ... لكن ليس من حقها ان تحكي للناس .. وليس من حق الناس ان يخنقوه بنظراتهم الرائبه .. حتى صاحب المعطف الاصفر عندما اشترى منه زجاجة من شرابه ذات مرة . نظر اليه أولا في شك .. ثم لما تأكد من العشرة قروش في يده .. عاد ينظر اليه مرة اخرى .. لم يقل شيئا .. ولا كلمه .. لكنه أحس أنه قد فهم .. وانه يتالم لاجله . وماهمه ان يفهم بقدر ماهمه انه يتالم لاجله . فهو منذ زمن قد عرف النتيجه مقدما .. لن ينجب شيئا .. هكذا قال الاطباء له في صراحة .. وهم يتاملون بنيانه الرائع القوي وشبابه الغض ..

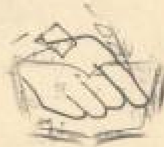
ـ انا قلت يسبعه .. مين قال هات ؟! الاكسير العجيب ..

وظلت الرءوس تحدق . نظراتها تنقر الزجاجة الصفراء .. ثم تعود فتتلاشى في الصمت . وهدأت حماسة الرجل .. ثم صمت ، وحمل الطفل بضع زجاجات اخذ يدور بها على الناس . وجاء الى القهوة . وتردد لما وجد ان مابداخلها ثلاثة رءوس صامته . لكنه اقترب من الرجل اليدين الممسك بالجريدة في يده . ووقف أمامه كالطيف . ثم خرج صوته الرفيع يتعثر ..

ـ هنا الاكسير العجيب يا أفندى ..

لكن الرجل لم يرد . كان بصره مشدودا الى الصفحه في تقطعها .. لا هي كلمة .. ولا هي سطر .. وعاد الطفل يتوقف أمام الشباب المنكفيء على المنضدة وفنجان القهوه . لكن الشاب لم يحول بصره عن السطح الداكن .. لماذا !! وقد طلق بهجة بالأمس .. ورمقه الطفل لبرهة قبل أن يمضى عنه . واحد فقط انحنى على الطفل . ثم أمسك بكتفيه واخذ يتامله مغرقا لثوان قبل ان ياخذ منه كل الزجاجات الصفراء ثم يضع في يده ورقة مالية خضراء . وذهل الطفل . ثم أسرع يقفز متواثبا عائدا نحو أبيه . بينما كان الشيخ يدمدم لنفسه «الله يرحمك يابنى .. الله يرحمك يابنى .. » وتفرقت جموع الناس .. وذاب الزحام .. وعاد الشارع كما كان .. وعادت الرءوس الثلاثة تغرق في بحر الصمت العميق .. والقاع .. القاع الرهيب يشد الألسنة اليه .

« احمد احمد فريد »






العدد ٨٢

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

حسام عبالا

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١١٠١ ـ الخميس ١٧ شوال ١٣٨٤ هـ
١٨ فبراير ١٩٦٥ م السنة الثانية والعشرون

.. نار حامية !!

بقلم : محمود محمد شاكر

ـ ١٣ ـ

حين شرعت أكتب المقالة الســالفة ، كنت بين أمرين : اما أن أكتب عن العبث الذى يتولى الاشراف على نشره فى صحيفة الأهرام مستشارها الثقافى لويس عوض ، واما أن أكتب عن كتاب وقع لى ، رأيته يسلك نفس المسلك الذى اتخذه لويس عوض فيما كتبه عن شيخ المعرة ورسالة الغفران . فآثرت الأول ، لأنه متصل كل الاتصال بوسائل «التبشير» واهدافه ،ومتصل أيضاً بالذى نحن فيه من أمر هذه الفئة التى تتحرك تحت ظلال المستشار الثقــافى وبمشورته واختياره . وكان الموضــوع الذى سلف عن نبى الله يعقوب عليه الســلام ، وكيف سولت لكاتب مسلم نفسه أن يجعل هذا النبى الكريم بن الكريم بن الكريم ، يعقوب بن اسحق بن ابراهيسم عليهم السلام ، كاهنا من الكهنة ، وحالما من الحالمين، يرى رؤيا كما يرى الناس الرؤى ، ولكنه « يعدها وحيا من السماء » ، كما قال هذا الكاتب، ثم لا يزيد فيما كتب على أن خلط فى سيرة يعقوب عليه السلام وأتى فيها بما يناقض نص القرآن مناقضة ظاهرة ، فضلا عن سلبه صفة النبوة ، كما نعرفها نحن ، عن نبى من الرسل الكرام صلوات الله عليهم .

فالآن أقضى أربى من الكتاب الذى وقع لى ، لأن الأمر فيه يتعلق بنبى آخر من أنبياء الله ، وهــو **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم** . نعم ، ليس للويس عوض ذنب فى هذا الكتاب ، فأنا لا أحب الافتيات على الناس ، ولكن الذى أدهشــنى أن الأسلوبين ، أسلوب كاتبه ، وأسلوب لويس عوض، **واحد فى أصوله وفى تصاريفه . ولولا أن هــذا** الكاتب يتحلى بالرزانة ، ويحاول أن يراه الرائى متئدا خفى الخطو ، بلا عجلة ولا تهور ، لظننت أن هناك عجيبة وقعت ، فغيرت اسم « الدكتور لويس عوض » الى « الدكتور زاهر رياض » !!

وانى لمحدثك بالخبر ، دون مقدمات ، فان كان فى الكلام فضل ، اثبت ما كان حقه أن يكون مقدمة فى آخرالكلام ، وان كان الاستغناء عن المقدمات والمؤخرات فى هذا الأمر أولى وأجمل . وعنوان هــذا الكتاب : **« الاسلام فى اتيوبيا ، فى العصــور الوسطى ، مع الاهتمام بوجه خاص بعلاقة المسلمين بالمسيحيين »** . وهو عنوان حسن ، فى موضوع حسن . ويبدأ الباب الأول بدءا كريما ، فيقول مانصه :

« جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة ، فوجد فيهــا العرب هدما لـما ألفوه من معتقدات ، وخروجا عما اعتادوا أن يعبدوه . ولكن هذا لايقاس بمـا وجده أغنياء قريش من تقويض لســلطانهم ، ومنصرف عن لذاتهم التى اعتادوها ، فناصبوه العداء وأجمعوا على محاربته والقضاء على دعوته » .

وأدع ما فى هذا الكلام من تظاهر المرء بما لا يعتقده حقا ويقينا ، وهو أمر غير محمود ، وان كنت أرجو أن لا يكون عليــه بأس من ذلك ان شــاء الله ، وعسى ولعل . ولكن بقية الكلام ، كلام فيه تظاهر من نوع آخر ، وهو التفلسف فى علل التــاريخ . وذلك أنه زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جهر بالدعوة ، أنكرت العرب ذلك ، لخلافه لما اعتقدوه وما عبدوه ، ثم استثنى منهم أغنياء قريش ، وعلل عداوتهم له بأنهم خافوا أن يقوض سلطانهم ، ويحول بينهم وبين لذاتهم التى اعتادوها ! وهــذا عجب .

لأن الأمر اما أن يكون مأخوذا من السير الموثوق برواياتها ، أو يكون منزوعا من التوهم والتخرص ٠ والسير باجماعها لاتقول شيئا من هذا ، ولا تدل عليه ٠ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث ، ظل يدعو مستخفيا ثلاثسنين أو أربع ، الى أن أمره الله باظهار الدعوة بقوله : « وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ٠ فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » فاسلم فى فترة اخفاء الدعوة عدد قليل جدا ، جلهم من قريش ، فلما أعلن الدعوة ودعا قريشا ! وهم عشيرتهالاقربون ، ترددت قريش فى أمرها ، وراعهم ما يدعوهم اليه ، ولكنهم لم ينكروا عليه شيئا من ذلك ، حتى عاب آلهتهم ، وسفه أحلامهم ، وذم ما كان عليه آباؤهم وأخبرهم ان آباءهم فى النار ٠ فعند ذلكأبغضته قريش غضبا وحمية، فعادوه ، وأخذوا من آمن به بالأذى والعقوبة والنكال ٠ وظل الأمر على ذلك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو قومه قريشا الى الايمان بالله ، وينذرهم بالنار ان كذبوه ٠ ويبشرهم بالجنة ان أطاعوه واتبعوه ٠ فهذا هو ظاهر ما فى السير جميعا ، وهو الذى يدل عليه تنزيل القرآن منجما على أحيانه التى نزل فيها ٠ فان جله فى الدعاء الى توحيد الله سبحانه ، ونبذ الأوثان ، وخلع الأنداد التى اتخذوها لله شركاء ، والاحتجاج عليهم فى ذلك كله بالحجج البينات ، وما يتخلل ذلك من الدعوة الى مكارم الأخلاق ، من بذل المال ، واكرام اليتيم ، واتقاء الفواحش ، وحفظ الفروج ، وسائر المكارم التى دعا الله اليها عباده ، والتى كانت العرب تتخلق ، أو تحب أن تتخلق بها فى جاهليتها ، من ارث أبيها اسماعيل ، وهى الحنيفية دين ابراهيم عليهما السلام ٠ أما ما كان يحول بين قريش ولذاتها ، كالخمر ، والميسر ، وأشباهها ، فان تحريمها لم ينزل الا بالمدينة ، بعد الهجرة ٠ وما فيه تكليف يشق من الزكاة والصدقات وسائر الأحكام ، فكل ذلك أيضا كان مما نزل بالمدينة لا مما نزل بمكة ٠ فهذا التعليل الذى ذكره الأستاذ لما كان من عداوة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باطل ، وهو متابع فيه لكثير من سخفاء المستشرقين وأشباههم ، بما فى ذلك تقويض السلطان ، لأن الأمر لم يكن بهذا الوضوح يومئذ ٠ وانما يقوله من أخطأ النظر ، وسحب ما صار اليه أمر الاسلام من الظهور والغلبة بعد زمان طويل جدا ، على ماكان فى نأنأة الاسلام (أى فى أوله ، قبل أن يقوى ، ويكثر أهله وناصروه ، والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف) ٠ وأنى لقريش أن تعرف ، على كثرتها وغلبتها وخيلائها ، أن نفرا لا يعدون أربعين رجلا أن تكون لهم الغلبة فى الأرض ، فيقوضوا سلطانهم ؟ هذا عجيب ولا ريب ٠

وظل أمر الدعوة محصورا ، أو يكاد يكون محصورا فى قريش ، الى أن كانت سنة سبع من النبوة ، فائتمرت قريش وكتبوا كتابا يتعاقدون فيه أن لا يناكحوا بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، رهط رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وكتبوا الصحيفة ، وعلقوها فى الكعبة ، وانحازت بنو هاشم ، مؤمنهم وكافرهم سنة سبع فى شعب أبى طالب ، وبقوا فى الشعب محصورين لا يخرجون الا من موسم الى موسم ثلاث سنين ، أى الى سنة عشر من النبوة حتى نقضت الصحيفة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعب ، فكان أول خروجه بعد ذلك فى الدعوة الى دين الله ، الى الطائف فى شوال سنة عشر ، ثم كان بعد ذلك بمدة ، أن ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب أيام الموسم ، ويدعوهم الى الاسلام ، ويخرج وراءه أبو لهب تبت يده ، وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه يقول لقبيلة قبيلة فى الموسم : « من رجل يحملنى الى قومه فيمنعنى حتى أبلغ رسالة ربى ، فان قريشا قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى » ، فيقول أبو لهب تبت يده : « لا تسمعوا منه فانه كذاب » ٠ فكانت أحياء العرب تتحاماه لما تسمع من قول أبى لهب تبت يده ، ولما كانوا يسمعونه من قريش من قولهم فيه : كاذب ، وساحر ، وكاهن ، وشاعر ٠

واذن ، فتقديم الأستاذ ذكر العرب فى انكار دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذكر قريش ، لا يطابق شيئا من السير ، وخصه قريشا فى انكار الدعوة بما خصها به ، وتأخير ذكرها بعد ذكر « العرب » ، وهو اللفظ الجامع الذى تدخل فيه قريش وغير قريش ، لا يطابق أيضا شيئا من السير ٠ واذن فهو كما قلت لا ينتهى الا الى التوهم والتخرص واظهار التفلسف فى التاريخ بلا أصل

من منطق قويم . والقاء هذا الكلام القاء مجردا كأنه شيء مسلم مقطوع به ، هو داء لويس عوض، الذي ظهرت أعراضه فيما كتبه عن شيخ المعرة ، كما أسلفت بيان ذلك . ومهما يكن من شيء ، فان الأمر لو قد بلغ هذه الغاية ووقف عندها ، لما كان على الأستاذ الفاضل بأس ، بل يقال له ما كان يقال في المثل : « ليس بعشك فادرجي » (أي ليس هذا من الأمر الذي لك به علم ، فدعه) . وأيضا ، عسى أن يكون معذورا ، فان هذا الخلط متفش عند جمهرة من أدعياء الكتاب في زماننا ، نقلا عن المرض المتفشي في كتب الذين طمس الله على عيونهم وعقولهم اذا ذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستشرقين أو المبشرين !! وهم في الحقيقة جماعة لم يصلوا لشيء ، أو لم يطيقوا أن يكونوا شيئا مذكورا ، فيسرهم الله لما يسرهم له من الاستشراق أو التبشير . ولو أن أحدهم كتب كتابا في تاريخ أمته ، بمثل العقل والمنطق اللذين يكتب بهما في تاريخ الاسلام ، لكان مصير ما يطبع منه أن يظل مطروحا عند ناشره ، حتى يفتح الله عليه فيبيعه بالجملة لمن يستعمله لشيء غير القراءة !

هذا ما قاله في ص : ١٥ من كتابه ، فلا نكاد نصل الى ص : ٣٠ وما بعدها حتى نكون قد قطعنا شوطا بعيدا جدا في ضروب من العلم تقول فيها : نعم ، يا سيدي ، ولا يا سيدي ! ثم نتتهي الى قوله: « وتقول المصادر العربية ان ملك اثيوبيا (يعني الحبشة ، كما سأذكر ذلك فيما سيأتي) كان يسمى الأصحم ، أو أصحمة . وهو اسم لا نجده في كبرانجست الذي يحوي أسماء ملوكهم، مما يدعونا الى الاعتقاد أن الذي استقبل المسلمين وأكرمهم ومنحهم حمايته ، لم يكن غير البحر نجش ، أي حاكم الولاية الاثيوبية البحرية » .

ولا أدري ، على التحقيق ، ما هي هذه « **المصادر العربية** » التي يشير اليها الأستاذ ، ولا أدري لماذا أبهمها كل هذا الابهام ؟ بل أنا أدري ، ولكن لعل القراء لا يدرون . فاسم « أصحمة » الذي لم يجده الأستاذ في « كبرانجست » ، تجده نحن فيما هو أصدق من «كبرانجست» ، ففي الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال النبي صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي : مات اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة » ، هذا لفظ أبي عبد الله البخاري في صحيحه ، في كتابه مناقب الأنصار ، باب موت النجاشي . ورواه مسلم في صحيحه عن جابر : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مات اليوم عبد لله صالح ، أصحمة ، فقام فأمنا وصلى عليه » . وحسبك بهذين مما فيه ذكر «أصحمة» من الحديث الصحيح ، أما ما فيه ذكر «النجاشي» ، دون تعيين الاسم ، فكثير ، وكلها دال على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه «أخا» للمسلمين ، وصلى عليه صلاة الغائب. والذي لا ريب فيه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يصل قط على غير مؤمن بالله ورسوله، لايهودي ولا نصراني ولا منافق . فهذا النجاشي الذي نزل عنده المسلمون ، كان قد أسلم ولا شك ، ومات في رجب سنة تسع ، كما قال الطبري وغيره ، أو قبل الفتح كما قال بعضهم . وليس معقولا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سماه «أصحمة» من عند نفسه ، وهو غني عن أن يذكره اذا لم يكن هذا اسمه الذي عرفه به الناس ، ولا سيما المهاجرون الى الحبشة ، وقد عادوا الى المدينة سنة سبع بعد الهجرة ، بعد أن أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي أصحمة كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ، مع عمرو بن أمية الضمري ، فأسلم ، وكتب اليه أيضا أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت فيمن هاجر الى الحبشة، فزوجه اياها . فهل هناك طريق الى معرفة اسم النجاشي، هو أوثق من هذا الطريق ، الذي تدل عليه كل هذه الروابط والصلات ؟ لا أظن ، وان رغم أنف « كبرانجست » . واذا كان « كبرانجست » قد أغفل اسم هذا النجاشي ، فأولى أن يقال ان اغفاله انما جاء من قبل أن الرجل أسلم ، قبل وفاته بنحو سنة أو سنتين ، فحذف اسمه من جريدة ملوكهم، وهم الملوك الذين يدينون بالنصرانية، أليس كذلك؟ أو على الأقل ، أليس هذا رأيا أشبه بالصواب ؟

ولكن الأستاذ الذي عنى في هذا الموضع (ص : ٣٠) بابهام «المصادر العربية» ، عنى في ص : ٤٦. بالاشارة الى تاريخ الطبري في حوادث سنة ست من الهجرة ، وفصل بين الموضوع الأول ، وهو ذكر «أصحمة» باسمه، وبين موضوع اسلامه الذي دللنا عليه آنفا فقال : « وفي سنة ست أرسل النبي عليه الصلاة والسلام (هذه من المؤلف نفسه) الى

النجاشي كتابا يدعوه الى الاســلام ، فاستقبله النجاشي استقبالا حسنا ، ووضعه على راسه وأسلم على ما تقول المصادر الاسلامية وان كنا لا نجد لهذا سندا مطلقا في المصادر الاثيوبية (يعني الحبشية)، ولكن ما عرف عن الاثيوبيين (يعني اهل الحبشة) من تمسك بدينهم ، يلقي ظلا من الشك على هــذه الرواية ، كما أن الرواية توحي بالتكذيب ، اكثر مما توحي بالتصديق ، فقد ذكرت أنه أرسل رده مع ابنه (أريحا) ، ومعه ستون رجلا ركبوا البحر، وسارت بهم السفينة ، حتى اذا توسطت البحر ، هاج عليها ريح فاغرقها ومن فيها • ويظهر أن المؤرخين المسلمين عنوا بانقاذ الكتاب ، فاتوا لنا بنصه ، اكثر مما عنــوا بانقاذ أصحابه » انتهى الأستاذ الفاضل من سخريته بالمؤرخين المسلمين !! وهــذا بلا شك شيء غير لائق ، أن يوهم القارىء أنه رجع الى تاريخ الطبرى ، وقرأه بعينيه اللتين يبصر بهما. ثم يقول ما قال عن « المؤرخين المسلمين » بهــذا التعميم المستشنع • ولو حدث ما قاله ، وكان هذا أو مثله عند « المؤرخين المسلمين » ، لنفضنا أيدينا منهم منذ زمان ، من قبل أن يستطيع مثل الأستاذ زاهر رياض أن يخط حــرفا على ورق !! وهــذا الأسلوب ، هو نفس أسلوب المسمى لويس عوض، أو كأنهما ينبعان معا من منبع واحد •

ولو تركنا كل كتـــاب ، ولم نعد الا الى كتب التاريخ ، لرأينا ابن سعد في طبقـــاته الكبرى (١٥/٢/١ ، ١٦) حين ذكر بعثة رســول الله ، بابي هو وامي ، بكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام. يقول : « فكان أول رسول بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمــرو بن أميــة الضمرى الى النجاشي وكتب اليه كتابين ، يدعوه في أحدهما الى الاسلام ، ويتلو عليه القرآن • فاخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وســـلم فوضعه على عينيــه ، ونزل من سريره على الارض تواضعا ، ثم أسلم ، وشـــهد شهادة الحق ، وقال : لو كنت استطيع أن آتيــه لاتيته . وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باجابته وتصديقه واسلامه ، على يدى جعفر بن أبي طالب لله رب العالمين • وفي الكتاب الآخر يامره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت قد هاجرت الى أرض الحبشة ، مع زوجها عبيد الله ابن جحش الاسدى ، فتنصر هنــاك ومات • وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في الـــكتاب أن يبعث اليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم • ففعل؛ فزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأصدق عنــه أربعمئة دينار ، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أميــه الضمرى ، ودعا بحق من عاج ، فجعل فيه كتــابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لن تزال الحبشة بخير، ما كان هذان الكتابان بين اظهـــــرها » فهــذا قول محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ من الهجرة (وانظر أيضا ابن سعد ١٣٩/١/١ مثله)

ثم ياتي ابو جعفر الطبرى ، المؤرخ الثـــاني ، المتوفى ســـنة ٣١٠ من الهجرة ، فيذكر في حوادث سنة ست من الهجرة ، ناقلا باسناده عن محمد بن اسحق صاحب الســيرة (المتوفي ســنة ١٥١ من الهجرة) قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجـــاشي ، في شان جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معـــه كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ، ملك الحبشة : سـلم أنت ، فاني أحمد الله اليك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، واشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصـــينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كمـــا خلق آدم بيده ونفخه • واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وان تتبعني وتؤمن بالذى جاءني ، فاني رسول الله ، وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين ، فاذا جاءك فاقرهم (أى أحسن اليهـم) ، ودع التجبر ، فاني أدعوك وجنودك الى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلـــوا نصحي والسلام على من اتبـــع الهدى = فكتب النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من النجاشي الأصحم بن أبجر ، سلام عليك يا نبي الله ورحمــة الله وبركاته ، من الله الذى لا اله الا هو ، الذى هداني الى الاســلام • أما بعد ، فقــد بلغني كتابك يارسول الله ، فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض ان عيسى مايزيد على ماذكرت ثفروقا انه كما قلت (والثفروق : هو العلاقة التي تتعلق بها نواة التمرة الى قمعها) • وقد عرفنا ما بعثت به الينا ، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه ، فاشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ،وأسلمت على يديه لله رب العالمين• وقد بعثت اليك ، بابني أرها بن الاصحم بن أبجر ،

فانى لا أملك الا نفسى . وان شئت أن آتيك فعلت يارسول الله . فانى أشهد ان ماتقـــول حق . والسلام عليك يارسول الله » ثم يقول ابن اسحق فى اثر ذلك : « وذكر لى أن النجاشى بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة ، فاذا كانوا فى وسط البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا » .

وهذا كلام واضح لمن يحسن ان يقرأ بالعربية ، ومن لاتعبث بعقله او نفسه عوابث التهييج الدفين، فبعثة النجاشى ولده فى ستين من الحبشة ، التى ذكرها ابن اسحق بصيغةالتمريض والتضعيف وهى « وذكر لى » لا علاقة لها بالخبر المذكور قبلها البتة ، هذا ، على أنه ليس بمعقول أن يرسل نبى أو ملك او سلطان الى ملك أو سلطان رســـولا معه كتاب ، فيجعل الرد مع غير الرسول الذى حمـــل اليـــه الرسالة ، هكذا المعهود فى آداب السفارة والرسالة والبعثة ، هذه واحدة . وأما الاخرى ، فان « مؤرخى المسلمين » الذين يتلعب الاستاذ بهم ويســـخر ، ويحاول أن يضحكنا منهم بخفة دمه يعلمون أن عمرو ابن أميه الضمرى رسول رسول الله الى اصحمة ، عاد الى المدينة ومعه جعفر بن أبى طالب واصحابه ، كما قال الطبرى وسائر المؤرخين ، وأنه بقى حيا الى أن مات فى زمان معاوية رضى الله عنه سنة ستين من الهجرة ، فهو الخليق بأن يعرف نص ما أرسل به الى النجاشى ، وما أرسله النجاشى معه ، ومن طريقه روى الرواة الكتابين المذكورين ، فانقاذ كتاب النجاشى (!!) جاء عن هذا الطريق ، لا عن طريق ما خلط فيه الاستاذ الجامعى (أيضا !!) ، وهو يقرأ هذه النصوص . وخبر بعثة النجاشى ولده مع ستين رجلا من الحبشة ، جائز جدا ، وغرق السفينة بهم ، جائز جدا ، ولكن العبث بالنصوص ، ثم السخرية بمؤرخى المسلمين بعد نسبة هذا العبث اليهم ، ليس بجائز أبدا .

وأغرب ما فى تمام هذا الكلام ، انه بعد أن أثبت بطلان اسلام النجاشى فى ص : ٤٦ ، قال فى ص : ٤٧ « ومات النجاشى سنة تســـع من الهجرة ، فسرعان ما علم النبى بالخبر ، فدعا أصحابه وصفهم خلفه ، وصلى بهم عليه ، وهذا هو الاصـــل فى صلاة الجنازة على الغائب » . فبـــالذمة (وان لم يكن هذا من أيماننا التى نقسم بها .) ، هل يعقل انسان أن نبيا جاء بدين يخالف الدين الذى عليه جماعة من الناس ، يمكن أن يقيم صلاة الجنازة على رجل منهم هو عنده فى دينه ضال عن الحق الذى بعث ليدعوه الى اتباعه ، ومجانبة ما كان مقيما عليه من الدين الاول ، ليكون هذا أصلا فى شرع صلاة الجنازة على الغائب ؟ ألم يجد سوى هذا يشرع به الصلاة على الغائب ! من الذى علم الاستاذ هذا الفقه فى دين المسلمين ؟ ليكن من يكون ، فانه ليس أمرا ذا بال ، بعد هذا اللف الطويل فى السراديب ،حتى يبلغ فى تكذيب الاخبار التى رويت بالاســـانيد الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وعن عمله الذى هو جزء من ديننا ! وتعود مرة أخرى الى حيث ابتدأنا ، بلا محاولة فى تشقيق الامر بأكثر من هذه الدلالة على خبث المقصد .

فهذا الاستاذ روى فى ص ١٩ ما كان من امر الهجرة الى الحبشة ، فقال : « فلما رأى الرســـول عليه السلام (هذا من عند الاســـتاذ) ذلك ، رق قلبه لانصـــاره ، وخاف عليهـم أن يفتنوا (يعنى تعذيب المشركين للمسلمين) ، فأشـــار عليهم أن يفروا بايمانهم ويهاجروا الى بلاد (الحبشة) ، فان بها ملكا لايظلم عنده أحد » ، ثم عاد فى ص : ٣٠ ، التى كنا قد نقلنا منها النص السالف فقال : « يقول النبى صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم الى أرض (الحبشة) ، فان بها ملكا لايظلم عنـــده أحد » ، وهو يصر على وضع (الحبشة) بين قوسين ، لانه كان يريد أن تكون (اثيوبيا) فعفا عنها فى هذه المواضع . ثم يقول فى ص : ٣١ : « أما أن ملك (الحبشة) ، لا يظلم عنده أحـــد ، فهذا حق » ، ويظل يأتى بالادلة على صـــدق هذه المقـــالة ، الى ان يقول فى ص : ٣٣ : « فالمتتبع اذن لتاريخ اثيوبيا منذ أقدم العصور ، حتى القرن الرابع عشر الميلادى (بهـذا التحديد البديع ، لســـبب يتبين من قراءة كتابه ، ليس من شأنى هنا ان أفصله) ، لايجـد مكانا للعداوة الدينية وما يتبعهـــا من جدل دينى وحروب دينية ، تقوم على أساس فرض ديانة بعينها، او ارغام فريق من الناس على اعتنـــاق أو ترك أى مذهب من المذاهب ، وهذا هو ما عناه النبى عليـــه السلام بقوله : ان ملك (الحبشـــة) ملك لايظلم عنده أحد » وهذا كلام حسن ، أو نصف حسن ، او ربع حسن او دون ذلك فصبـــا (نقيض قولك فصاعدا) . وهو كلام كان يحسن السكوت عليه ، بيد أن الاستاذ لم يرد ان يسكت . فقال بعد ذلك

مباشرة : « ولكن من أين عرف النبي ذلك ؟» سؤال مهم جدا ، لا يستغنى عنه كتابه الفريد في نوعه !

وفي الجواب عنه يسلك نفس السلوك الذي سلكه لويس عوض في أمر شيخ المعرة ، والقارىء يذكر أنه كان يسوق الكلام عن شيخ المعرة كأنه بديهية من المسلمات ، وقد فرغ العلم كله من تمحيصها ، كما ذكرته في أول المقالة الأولى حيث قال : « وقد تعلم المعري فياللاذقية ، كما تعلم في أنطاكية ·· » الى آخر هذه القصة المملولة·فيقول الاستاذ رياض ، فيجواب سؤال نفسه !! : « أرى أن هذه المعرفة ترجع الى مصادر ثلاثة وهي : أولا : من كان بمكة من أتيوبيين (أي أحباش) ، فجميع المصادر تجمع على أن العلاقات بين أتيوبيا (ويعني الحبشة أيضا) والحجاز في ذلك الوقت ، كانت وثيقة مستمرة ، وعاش بمكة كثير من التجار الأتيوبيين (أظن القارىء عرف من هم !) الذين استطاعوا أن يؤسسوا تجارة ناجحة· وكان النبي عليه السلام (من المؤلف) في شبابه عازفا عن معاشرة لداته من العرب ، ومشاركتهم فيما هم فيه من لهو ومتعة ، بل كان يعاشر أهل الكتاب، ويسمع منهم ويتعلم (هكذا بصريح العبارة ، كما يقولون !) · فهل نستبعد (حاشى لله يا عزيزي) أن يكون النبي عليه السلام قد اختلط بمن اختلط بهم من الكتابيين اتيوبيين عرف منهم أمر اتيوبيا وحالها؟ هذا الى أن استمرار العلاقة بين اتيوبيا والحجاز وسرعتها ، حملت الى تلك البلاد أنباء الدعوة الجديدة، فأتى منهم كثيرون يبحثون عن هذا النبي الجديد ليسمعوا منه ويؤمنوا به » ·

وكان الأمر واضحا لو اقتصر هذا الكاتب على أن يذكر ما زعم من وجود تجار الحبشة بمكة ، وأن عسى أن تكون أخبار أصحمة الملك النجاشي في عدله وحكمته قد كانت معروفة في مكة · ولا يرتاب احد، أن ذلك ممكن عندئذ أن يكون كما قال الكاتب ، سواء أكان الدليل موجودا على وجه القطع ، أم مستظهرا من بعض القرائن · ولكن ليس شرطا أن يكون تجار الحبشة من الكتابيين ، لأن التاريخ الذي يشهد هو على صدقه في كتابه ، يدل على أن أهل الحبشة كانوا على ديانات مختلفة ، منها اليهودية ، ومنها النصرانية ، ومنها سائر الوثنيات المختلطة ، ولايستطيع هو ، ولا أحد غيره أن يقطع بان اليهودية والنصرانية كانت يومئذ هي الغالبة على الحبشة ، فربما كان الأرجح أن يكون الأمر يومئذ كان على خلاف ذلك ، أعني أن اليهودية والنصرانية كانت قلة في تعداد سكان أرض الحبشة · ومع ذلك ، فهذا أمر لا يعنيني الآن في شيء · ولكن الذي يعنيني ويعني كل مسلم ، ثم كل امرىء لا يخالط ضميره الهوى من غير المسلمين ، هو هذه العبارة التي أقحمها الكاتب، بلا مسوغ معقول ، وهو قوله : « كان النبي عليه السلام في شبابه عازفا عن معاشرةلداته من العرب، ومشاركتهم فيما هم فيه من لهو ومتعة » هذه الأولى، والثانية : « بل كان يعاشر أهل الكتاب ويسمعمنهم ويتعلم » · ما هذه المسلمات البديهية !! من أين يأتي بها هذا الظريف الجديد ؟

من قال له ان النبي صلى الله عليه وسلم فيشبابه، كان عازفا عن معاشرة لداته من العرب ؟ أنا أعلم بلا شك من أين أتى بهذا الكلام · هذا شيء قديم كنا نسمعه ونحن أطفال من القسيس زويمر وأشباهه من المبشرين المتسكعين في طرقات الأرض ، وهو كلام كانوا يخايلون به الأطفال والعوام ، لما أتاح لهم سلطان الاستعمار أن يتجولوا في بلادنا كما شاءوا ، بلا أحد يدفع عن الناس هذا السخف الساخف (هكذا جرت الكلمة ، والأمر لله) · أو تدري منأين كان يستخرجه هذا القسيس المريض ؟ من حديث محمد بن اسحق ، عن محمد بن عبد الله بن قيس ابن مخرمة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبيطالب عن أبيه ، عن جده علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به الا ليلتين ، كلتاهما عصمني الله فيهما · قلت ليلة لبعض فتيان مكة ، ونحن في رعاء غنم أهلها : أبصر غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان · فقال : بلى ، قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة، سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني الا مس الشمس » ، وذكر المرة الأخرى مثلها ، واسناد الحديث فيه نظر، وهو عند المحدثين غريب·ومع كل ذلك ، فليس فيه شيء يدل على أنه كان عازفا عن « معاشرة لداته من العرب » ، وأي امرىء يعقل هذا أن يكون ! الم يكن للداته عمل الا اللهو والمتعة بالليل والنهار حتى يعزف عن معاشرتهم ! بأي عقول يفكر هؤلاء الناس؟

ولكن هكذا يريدون . فاذا كان كل لداته من أهل مكة لا عمل لهم الا اللهو والمتعة ، والحديث دال على أنه لم يهم بشيء من ذلك الا مرتين ، فهو اذن لم يكن يعاشر لداته. واذا لم يكن يعاشر لداته، فمن يعاشر؟ يعاشر أهل الكتاب . لماذا ؟ لأن أهل الكتاب من الأحباش وغير الأحباش ، ممن كان بمكة ، لا يمكن أن يكون من أهل اللهو والمتعة . ولماذا ؟ لأنهم أهل الكتاب !! وبهذا المنطق السليم الذى لا عيب فيه الا أنه منطق مبشرين ومن كان على شاكلتهم قديما أو حديثا ، فى اضطراب موازين الادراك الانسانى ، يستطيعون أن يصلوا الى النتيجة التى يطلبونها ، وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم : « كان يعاشر أهل الكتاب ويسمع منهم ويتعلم » . وهذه بلا ريب بديهيات ينبغى أن يقرأها شباب المسلمين وشيوخهم، ويستفيدوها من القسيس زويمر ، ومن الاستاذ زاهر رياض ، بلا اعتراض ولا ارتياب . فهى مسلمات لا يستطيع العقل أن ينقضها، والا فمن أين تعلم هذا العربى الاسماعيلى الذى لم ينحدر من رحم سارة امرأة ابراهيم عليه السلام ، بل من رحم الجارية هاجر المصرية التى وهبتها له سارة ، فلما حملت باسمعيل صغرت مولاتها فى عينيها ، فشكت ذلك الى ابراهيم ، فردها اليها وقال لها : افعلى بها ما شئت، فأذلتها سارة حتى هربت هاجر من وجهها ؟

ولكن الأستاذ لا يقتصر على هذا القدر ، فانه لا يشفى غليلا ، كما لم يشف غليلا للويس عوض أن يتعلم شيخ المعرة فى اللاذقية وأنطاكية ، فأضاف اليهما راهب دير الفاروس . وذلك أن القارىء قد يظن أن أهل الكتاب هم الذين ذكرهم وحسب ، أى « التجار الاثيوبيين » فهؤلاء قد يكونون جهلة ، لا يكادون يعرفون من أمور الدين والدنيا شيئا يمكن أن يتعلمه أحد ، وهم كذلك بلا ريب عندى أنا على الأقل . **فماذا يفعل** ؟ يمضى من ص : ٣٤ ، فى خلط كثير لا أحب ان أقف عنده ، حتى يصل الى ص : ٣٨ فيقول : « فاذا نزل بالنبى عليه السلام وأصحابه مما كانت تمطرهم به قريش من اضطهاد وتعذيب ، تذكر ما كانت ترويه له أم أيمن من أخبار وطنها (وهذا اكتشاف ذكى انفرد الاستاذ ببيانه فى ص ٣٧) ، واضافة الى ما عرفه من الموالى الاثيوبيين، وزاد عليه ما عرفه من تجارهم وقساوسهم الذين اختلط بهم بمكة فيما سبق من حياته » . وهذه مهارة وحسن تصرف ، فانه لم يرد أن يضع « القساوسة » فى المادة الأولى من مواد الاتهام الثلاث ، فأجلهم حتى انتهى ، ثم جاء يذكرهم عرضا ، كأنه لا يعنى شيئا، وكأن هذا الأمر مسلم لا غبار عليه ، تنطق به كتب « المؤرخين المسلمين » ، بلا حاجة الى دلالة على موضعه ، كما فعل فى أمر اسلام أصحمة النجاشى الذى آذاه كل الأذى أن يكون قول « المؤرخين المسلمين » فيه قد بلغ هذه الدرجة المنكرة من السوء ، ونسبة هذه الشناعة اليه !!

وأنا بلا ريب ، لا أبالى بما يقوله هذا الأستاذ الجامعى الآخر ، فى مثل هذا الشأن ، وأظن أنى لم أبال بمثل ذلك قليلا ولا كثيرا ، حين نقلت فى المقالة الخامسة ، عن عبد المسيح بن اسحق الكندى ما جاء فى كتابه الذى طبعه المبشرون طبعات كثيرة ووزعوه فى كل مكان ، وعسى أن تكون عند الأستاذ منه نسخة ، والا فانى أتبرع باهدائه نسخة نفيسة منه. وقد زعم عبد المسيح بأصرح من هذا الكلام الملفف فى الألفاظ ، وفى كثرة الصلاة والسلام على نبينا صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انما هو تلميذ لسرجيوس الراهب ، الذى أنكرته الكنيسة وطردته ، فانتهى الى مكة ، وتلطف برسول الله ، بأبى هو وأمى ، حتى استماله ، وتسمى عنده نسطوريوس ، وأزاله عن عبادة الأوثان ، ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس . وأنا لا أقول انى لم أبال بهذا ولم أحفل به ، لأنه أمر هين ، كلا ، بل لأن الذى يقرأ القرآن ويسمع ماقاله المشركون وغير المشركين ، للنبى صلى الله عليه وسلم ، ويتلو ذلك مرة بعد مرة الى آلاف المرات ، يجد أن هذا السخف الذى جرى على لسان عبدالمسيح وورثته من بعده ، لا يعد سوء أدب ، بل هو سوء عقل . ومن كلف نفسه تتبع سوءات العقول التى تشبه عقل عبد المسيح ، أضنى نفسه فى غير طائل. والله تعالى يقول فى سورة النحل : « ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » ، فلم يتردد أحد من المسلمين فى أن يذكر الأقوال المختلفة فى اسم هذا المشار اليه ، قيل اسمه : « بلعام » ، وقيل «يعيش»، وقيل « جبر ، غلام نصرانى » ويقال بل « جبر » وآخر اسمه « يسار » كانا يقرآن التوراة ، وقيل « سلمان الفارسى » . وظاهر بلاريب ، عند المسلمين

ان القرآن لا يمكن ان يكون كلام بشر اعجمي أو غير أعجمي ، وظاهر أيضا بدليل العقل والبصر ان ما في القرآن من القصص الذي يدعي بعض الناس فيه ما يدعون ، مخالف كل المخالفة لما في التوراة والانجيل، لا في سياقه فحسب ، بل في العقائد المتصلة به التي ترفض ما لا يقبله العقل ، كما أسلفت في المقالة الماضية .

وقد يظن الاستاذ الظنون فيلتمس المخارج ، لانه يتوهم انه بهذا الاسلوب المتداخل الموحي بلا تصريح، يستطيع أن يقول مبتسما : ولكني لم أرد ان أذهب هذا المذهب في تعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين من تجار الاحباش وقساوسة الاحباش ، بل أردت هذه الاخبار العامة عن أحوال الناس والدنيا. فيقال له : فما الذي حملك اذن على أن تكتب : « كان يعاشر أهل الكتاب ويسمع منهم ويتعلم» ، ثم حملك على أن تزيد الامر وضوحا بالتكرار الملفف فتقول في اثرها : « فهل تستبعد أن يكون عليه السلام قد اختلط بمن أختلط بهم من الكتابيين أثيوبيين » ؟ فهذا واضح جدا في أن أصناف الكتابيين الذين كان قد اختلط بهم كانوا أحباشا وغير أحباش ، وهم الأكثر . واذا كان الامر أمر أخبار عن ملك عادل في الحبشة ، كتابيا كان أو غير كتابي ، فما الضرر في أن يكون حامل الخبر أيضا كتابيا أو غير كتابي؟ ما معنى هذا النص والتكرار والتشدق باللفظ والتلمظ بذكره ؟ واذا كان هذا الرجل الذي تصلي عليه وتسلم نبيا يأتيه الخبر من السماء بأخبار الماضين على قصها ، ناعيا على أهل الكتاب تبديلهم لكتابهم ، فما الذي يمنع أن يأتيه الخبر من السماء أيضا بأمر الملك العادل أصحمة النجاشي رضي الله عنه ؟ وانا لا الزمك بهذه الحجة ، ولكني كرهت التهويل الذي هولته في جواب سؤال ، لا معنى له في الحقيقة عندنا نحن ، ولا عندك ان كنت صادقا في انك تريد الاخبار لا الدين ، وكان من بديهة العقل السليم أن تقول عندئذ : انك تظن انه سمع هذا ممن كان من الاحباش بمكة ، وممن كان يتردد عليها منهم وممن دخل بلاد الحبشة ، وكفى الله المؤمنين القتال ! وخرجت بذلك من كل ما دخلت فيه المعرة والعيب والتواء القصد .

ومع ذلك ، فانت ان قلت ذلك غير صادق فيما تقول ، لاني أستطيع أن أستخرج لك الدليل بعد الدليل على اتجاه الكتاب كله ، لا في هذا الموضع فحسب . وسأزيد الامر بيانا باكتشافك العجيب الذي ادعيت أن المؤرخين لم يعنوا به ، وهو مسألة «ام أيمن» ، رضي الله عنها . ولا أحب أن أصف فعلتك التي فعلت ، ولكني سأدع الامور تسير بك وبالقارىء الى غاياتها . زعم كتابك (لا انت!) أن ام أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان لها تأثير عليه ، لبعض كلمات حبشية كان يقولها صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فام أيمن عندك « لم تكن صغيرة السن يوم جاءت الى جزيرة العرب، والا كانت قد نسيت لغتها » . وهذا كله تخرص عجيب ، فانك قطعت بأن هذه الكلمات انما جاءته من « أم أيمن » ، بلا دليل ، ثم جعلت الشيء المجهول عن « أم أيمن » دليلا على صدق ما تذهب اليه . والا فحدثني من الذي حدثك أن أم أيمن كانت تتكلم الحبشية أو تعرفها ؟ وأنت نفسك تقول : « ان المصادر تجهل كل شيء عن ام ايمن قبل ان تكون جارية لعبد الله بن عبد المطلب » (والد رسول الله) ، أفتريد أنت ايضا ان تقف تتنبأ ، كما وقف لويس عوض يتنبأ بان شيخ المعرة قصد أنطاكية : « وتعلم بها وهو صبي » ؟ ورسول الله قد ورث ام أيمن عن أبيه عبد الله ، فما الذي يمنع ان يكون عبد الله قد وهب له جده عبد المطلب أم « أم أيمن »، و « أم أيمن » نفسها في حياته ، وأن يكون عبدالمطلب، قد ورث « أم ايمن » ، عن أبيه هاشم ، وهلم جرا ؟ فتكون اذن من « القن » ، وهو الرقيق الذي آباؤه مماليك .

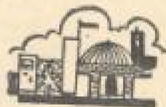
وساعلمك ما لم تكن تعلم ، لتعلم أن المؤرخين لم يقولوا شيئا مما قلت ، لانه باطل من كل نواحيه .

فأم أيمن رضي الله عنها ماتت في أول خلافة عثمان رضي الله عنه ، أي في نحو سنة ٢٤ من الهجرة ، وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو أربع عشرة سنة تقريبا . فاذا كان رسول الله قد عاش ثلاثا وستين سنة ، فهذه سبع وسبعون سنة . فهب أنها كانت كما تقول ، في نحو الخامسة عشرة من عمرها يوم ولد رسول الله، فكأنها عاشت اثنتين وتسعين سنة . أليس كذلك ؟ فأعود فانظر، فاذا ولدها أسامة بن زيد حب رسول الله ، كان يوم توفي رسول الله في الثامنة عشرة الى العشرين من عمره ، فيكون أقصى مولده سنة تسع قبل الهجرة ، اي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم بأربع سنوات ، اليس كذلك ؟ فاذا كانت أم أيمن حضنته ، بأبي هو

وأمى ، وهى فى الخامســـة عشرة ، وبقيت الى ان كرمه الله بالنبوة فى الأربعين وولد أسامة بعد ذلك بأربع سنوات فكأنها ولدته وهى فى التاسعة والخمسين من عمرها ؟ أتظن أن أم أيمن ولدته فى هذه السن ؟ فاذا كان هـذا أمرا مرغوبا عنه لغرابته وبعده عن المعهود من الولادات ، أليس من الاوفق أن يقال أن أم أيمن كانت فى نحو الخامسة من عمرها يوم ولد صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون قوله « أم أيمن أمى بعد أمى » ، و « وبقية أهل بيتى » انما يريد به انها كانت تحـوطه وترعاه حيـــاطة الأم ، دون نظر الى السن ؟ أعلمت الآن لماذا لم يعن المؤرخون بهذا الامر عنايتك أنت به ، ولا سيما المؤرخون المســلمون ؟ لانهم يكرهون الدعوى العريضة ، والتعـــالم الذى لا يقوم على أصل ، ولم يكن عند أحد منهم نية أن يقول : « ان هذه السيدة الاتيوبية (الحبشية مرة أخرى) ، لا يســتبعد ان تكون قد وعت كثيرا من أخبار وطنها ، لتلقنه الى هذا الصبى ، اذا ماسكن اليها ليلا ، أو جلس اليها نهارا ، لتقص عليه مايألفه الصبيان من قصص تؤثر فيهم ، وتطبعهم بطابعها» ، كما قلت أنت وأنا أسألك : مادخل «القصص» فى خبر عن ملك عادل من ملوك الحبشة ؟ وماذا يعنى الصبى من مثل هذا الخبر ؟ وأى طابع يطبع به الخبر صبيا مثله ؟ وما هذه الاشـــارة الى «تطبعهم بطابعها» ؟ وكم كان عمر هذه الفتاة حين جاءت من الحبشة ، وبقيت عند عبد الله ؟ ومن عاصرت من الملوك ؟ وهل هذا الملك الذى عرفت خبره هو أصحمة النجاشى ؟ وهل بقى أصحمة أو غيره فى الملك الى ان جاوز رســول الله الرابعة والاربعين من عمره ؟ كل هذه أسئلة محيرة ، لا يجد أحد عنها جوابا ســهلا لطيفا كالذى وجدته أنت عن سؤالك ، ولا عن طريق التنبؤ ؟ واعلم أن مؤرخى المسلمين كانت لهم عقـــول غير عقول الذين كتبوا «كبر الجست» الذى أردت أن تكذب به حديث نبينا صلى الله عليه وسلم ·

ان هذا المسلك المعيب الملفف الملتوى ، فى تكذيب الحديث الصحيح ، وفى بث الالفاظ الموحية هنـا وهناك ، وفى القاء الاقوال الكاذبة المخترعة القبيحة كأنها أخبـــار صادقة مسلمة لا يرتاب فى صحتها احد ، وفى ترك المجـاهرة بأسلوب صريح دال على شرف العقل والنفس ، كل ذلك لايليق برجل يكتب كتابا ينشره على الناس ، وهو منتسب الى جامعة ، ويتولى التدريس فى أخطر معهد شأنا ، وهو «معهد الدراسات الافريقية» ، والموضـوع الذى يكتبه فى صميم الدراسات الافريقية ، وهو موضوع محفوف بالامور الشائكة ، لان كل كتـاب أوربى ينشر أو نشر فعلا ، لا يكف عن الاشارة الى أن المعركة فى افريقية آتية لامحالة بين الاسلام والمسيحية الاوربية ، أى بين الاسلام والتبشير · فمن اللعب بالنار أن يدخل الاستاذ الجامعى ثيابه كلها فى هذه النار · وهذا أمر أدعه لمن ينبغى أن ينظر فى هذا الامر · ولكنى أحذر أن تستمرىء هـذه الفئة التى ضللت عقولها وسائل المبشرين هذا الاسلوب ، فلا تبالى أن تعرض بأسـلوبهم لتـــاريخ المسلمين والعرب فى الحبشة وغير الحبشة ، ثم لا تتـــورع أن تتطاول بالتعريض والتلميح على رسول الله بهـذا الاسلوب المستشنع ، لأن سـلوك هذا الطريق مفض الى نار حامية فى الدنيا ، ونار حامية فى الآخرة · وعسى أن تكون هذه الكلمة قاطعة لكل متناج فى السر ، لانى لم أمس من هذا الكتـــاب الا صـفحات قلائل ، أما سائره ، فعسى أن يعيد فيه صاحبه النظر ، ويتبرأ من جرائره التى انســـاحت فيه بلا حذر ، كمـــا انساحت فى كتب له أخرى ، لم أحاول ان أذكر منها شيئا ، لان القصد لم يكن اليه ، بل الى الكشف عن هذه المشابه المريبة بين كتابه هذا ، ومايكتبه الآخر الذى حملنا على هذا المركب الوعر ·

« محمود محمد شاكر »



كلمات في كلمات

بحوث لغوية تاريخية

بقلم: حامد عبد القادر

- ١ -

طلب الى صديق عزيز على أن اكتب فى مجلة الرسالة الغراء . فقلت : لقد ذكرتنى أيها الأخ الصديق بعهد الشباب والنشاط ، واثرت فى نفسى رغبة أثيرة لدى ، طالما حرصت على تنفيذها ، ولكن حالت ظروف خاصة دون تحقيقها . ومن ثم تجدنى مستعدا لتلبية طلبك ، شاكرا لك كريم ثقتك ، ومستمدا من الله تعالى المعونة على المشاركة الصادقة فى تثقيف الجيل الصاعد ، وتبصيره بما قد يخفى عليه من ماضيه المجيد ، وحاضره السعيد ، الذى أشرقت عليه شمس الحرية ، وشملته نعمة الاشتراكية ، وعمته المحبة الصادقة بين الرؤساء والمرؤوسين ، وساد فيه التعاون بين الحكام والمحكومين . وامحت منه آثار الاستعمار والاستعباد وتقلص ظل الاستغلال والرجعية أو كاد .

والآن أيها الأخ الصديق . فى أى الموضوعات اكتب ؟ وبأيها أبدأ ؟ اقترح على من الموضوعات ما قد يتقبله القراء بقبول حسن ، ويقبلون عليه بنفس راضية وقلوب مطمئنة .

قال الصديق – فى حياء رفيع ، وتواضع جم ، وهما حياء وتواضع عهدتهما فيه ، ولا يخفى شئ منهما على من عرفوه كما عرفته ، وان من يقرأ شعره يكاد يلمسهما فيه ، ويلمس معهما رقة الالفاظ وعذوبة الأساليب ، ودقة المعانى ، وسمو الأغراض .

لست أريد بذلك أن اطرى هذا الصديق فهو فى غنى عن اطرائى ، بل أريد أن أعبر عن شعورى نحوه حينما قال لى ردا على سؤالى : « اكتب ما تشاء ان تكتب فى أى موضوع تشاء » .

قلت : امهلنى قليلا حتى أفكر وأتأهب ولكنه لم يلبث أن خاطبنى يطالبنى بالاعراب عن نتيجة تفكيرى . فقلت : لقد وصلت الى عنوان لبحوث مختلفة لست أشك أنك ستضحك حينما تسمعه « قال : هاته » قلت : « **كلمات فى كلمات** » .

وخشيت أن يقول معقبا :اذن هو «تربيع كلمات» أو كلمات تربيع كما يقول علماء الحساب ، فأسرعت الى شرح المراد من هذا العنوان ، فقلت ان المقصود هو : « بحوث موجزة لغوية تاريخية » يدور كل بحث منها حول كلمة واحدة ، ويشمل كل ما هو معروف عنها من الناحيتين اللغوية والتاريخية فالمقصود من « كلمات » الأولى غير المقصود من « كلمات » الثانية ، ومن ثم لا يصح أن يكون معنى هذا العنوان : « تربيع كلمات » ، لأن مربع العدد هو العدد مضروبا فى نفسه ، فالمضروب والمضروب فيه متساويان . وليس الأمر هنا كذلك كما لا يخفى . ويبدو أن الصديق العزيز ارتاح الى هذا الكلام .

- ٢ -

وقد جعلت من مقدمة هذه البحوث بحوثا خاصة ببعض الأعلام الاجنبية الواردة فى القرآن .

وهنا نسأل : كيف يشتمل القرآن الكريم على أعلام أو كلمات أجنبية ليست عربية والله تعالى يقول فى عشرين من آى الذكر الحكيم ما يفيد أنه أنزل بلسان عربى مبين ؟ .

لقد اختلف العلماء فى الجواب عن هذا السؤال فقال أبو عبيدة : ليس فى القرآن لسان سوى العربية ، ومن زعم خلافه فقد أعظم على الله حجته . قال تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا –٣/الزخرف. وذهب أبو عبيدة الى أن ماوقع فى القرآن الكريم من أعجمى فانما هو من اتفاق اللغتين .

وروى عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد ـ وهم من أجلاء المفسرين ، ان القرآن يشتمل على أحرف كثيرة غير عربية كسجيل ،ومشكاة ، وأباريق ،واستبرق، ويم ، وطور ٠

ووفق أبو منصور الثعالبى بين الرايين فقال : ان هذه الاحرف اعجمية بحسب الأصل،ولكنها لما عربت صارت من اللسان العربى فهى أعجمية أصلا عربية حالا ٠

اى ان هذه الأعجمية الأصل قد اخذها العرب عن العجم لسبب ما واستعملوها قبل نزول القرآن الكريم ، وشاع استعمالها فيما بينهم ، ولاكتها السنتهم فصقلتها واخضعتها لأساليبهم من تكوين الكلمات ، وطرائقهم فى النطق بها ، وبذلك دخلت فى كيان اللغة العربية ، وجاء القرآن الكريم فاستعملها ، لا على أنها كلمات أعجمية بل على أنها عربية ، فصح أن يقال ان القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ٠

ولعمرى ان هذا راى تطمئن اليه وتقول مثله فى آلاف الألفاظ الأعجمية ، التى تعرب وتصقل وتهذب، وتدخل اللغة العربية فى عصرنا الحاضر ، اى أننا نعدها بعد صقلها وتهذيبها كلمات عربية نجرى عليها ما نجرى على الالفاظ العربية الأصيلة من اعراب ،وتثنية وجمع ، وتصغير ونسب ، ونحوها ، ونشتق منها أفعالا ، ونكون منها كلمات أو أسماء اخرى بطريق التركيب المزجى او النحت كلما دعت الحاجة الى ذلك ٠

- ٣ -

هذا وان من يتتبع الأعلام أو الألفاظ الأجنبية الأصل سواء ما ذكر منها فى القرآن الكريم وما لم يذكر ـ يجد انها مركبة أو غير مركبة ٠ ويجد ان المركبة أربعة أنواع هى :

(أ) مركب وصفى ٠
(ب) مركب اضافى ٠
(جـ) مركب اسنادى ٠
(د) مركب مزجى ٠

وسنرى فيما يلى توضيحا لذلك التقسيم والتمثيل لكل قسم ٠

وان الترتيب الهجائى يقضى بأن نجعل :

ابراهيم

وفى مقدمة ما نتحدث عنه من الأعلام ، « ابراهيم » لانه بدىء بالالف أو الهمزة أول الحروف الأبجدية العربية ، وجاء بعد الألف الحرف باء وهو الحرف الثانى من هذه الأبجدية ٠

هذا الى أن ابراهيم عليه السلام جد العرب واليهود ويسميه القرآن الكريم أبا المسلمين ، ويقول عن الاسلام انه ملة ابراهيم ٠

يقول تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ٠ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل : ٧٨ / الحج ٠

لهذا وذاك كان العلم ابراهيم أولى بالتقديم ونتحدث عن هذا العلم :

من الناحية اللغوية ، فنقول ان له فى القرآن الكريم صورة واحدة هى ابراهيم ، وقد حذفت منه الف المد لأنها لا وجود لها فى العبرية ، واستعيض عنها بالف قصيرة توضع فوق الراء كما ترى ٠

اما فى التوراة فله صورتان هما :ـ

١ ـ אַבְרָם = أبرام ٠ وهى مركب وصفى يتكون من كلمتين الاولى : اب ؛ والثانية : رام ٠ بمعنى سام او رفيع وفى العربية : الريم : الفضل والزيادة ، فمعنى المركب هو أب رفيع ، وقد سمى بذلك خليل الله تعظيما له ٠ وكان ذكره لأول مرة فى التوراة فى الفقرة السادسة عشرة من الفصل الحادى عشر من سفر التكوين ، وهو أول أسفار التوراة :

٢ ـ אַבְרָהָם أبراهام ٠ وقد سمى بذلك لما بلغ التاسعة والتسعين من عمره ، وعظم شأنه ٠

وهذه الصورة مركب اضافى من كلمتين ٠ الاولى אַב بمعنى أب ، وهى مضاف والثانية רָהָם = راهام ، بمعنى جمهور (من الأمم أو الشعوب) وهى مضاف اليه ٠ وفى العربية الرهام كغراب : العدد

الكبير ، فمعنى التركيب : أبو جمهور (من الامم او الشعوب) ٠

وقد فسرت التوراة هذا الاسم فى الفقرة الخامسة من الفصل السابع عشر من سفر التكوين ، فقد ذكر فيها ما ترجمته : « وتكون أبا لجمهور من الأمم٠ فلا تسمى بعد أبرام ، بل يكون اسمك « ابراهام » ، لأنى أجعلك أبا لجمهور من الامم ٠ » وهذا خطاب من الله تعالى لابراهيم عليه السلام ٠

ومن بين هذه الامم ! اليهود ، وعرب الشمال ، وعرب الجنوب ، والايدوميون ، والانباط وغيرهم ٠

ولما عرب هذا العلم جعل « ابراهيم » (١) بكسر الهمزة وجعـــل الفتحة الطويلة الثانيـة ياء مد ٠ وكان ينبغى أن تثبت الالف الاولى فيكتب العلم هكذا ابراهيم ولكن الرسم العثمانى لا يثبتها ٠ والسبب فى ذلك ـ فى رأيى ـ هو أن هذه الالف التى تمثل الفتحة الطويلة لا وجود لها فى العبرية، وانما تمثل الفتحة الطويلة لا وجود لها فى العبرية ، وانما تمثل هذه الحركة علامة خاصة توضع تحت الحرف كمـا ترى ٠ وقد اســتمرت العربية تحاكى العبرية فى ذلك حتى جاء الخليل ابن أحمد فوضع الألف لتكون علامة لمد الفتحة ، وقد اتبع هذا النظام فى الكتابة العادية ، وبقى النظام القديم متبعا فى كتابة المصحف العثمانى ولا يزال متبعا فيه حتى الآن ٠

ولا يزال النظام القديم متبعا فى رسم بعض كلمات منها : هذا ، وهذان ، وهؤلاء وأولئك ، ولكن وهأنتم وهؤلاء ، واسحق ، واسمعيل ، والسموات ، هكذا ٠

وفى رأيى أنه قد آن الأوان للتحرر من هذا النظام المزدوج ، والتمشى مع روح اللغة العربية ، وذلك بأن نــكتب كما ننطق ، فنكتب الكلمات السابق ذكرها هكذا : هاذا ، هاذان ، هاالاء ، آلائك ، لاكن ، ها أنتم ، ها ألاء ، اسحاق ، اسماعيل ، السماوات، هاكذا ، اننا اذا فعلنا ذالك خلصنا العربيـــة من الشوائب الأجنبية ، ويسرنا على تلاميــذنا تعليم اللغة العربية ، فانهم لايزالون يضجون بالشــكوى من صعوبة تعلمها ٠

---

(١) يقول الفيروزبادى فى مادة رهم : وابراهام وابراهوم وابراهم مثلثة الهاء وابرهم بفتح الهاء بلا ألف اسم أعجمى ٠

- ٤ -

ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن ابراهيم عليـه السلام :

من الناحية التاريخية :

ليس بخاف عليك أيها القارىء الكريم ان تاريخ ابراهيم عليه السلام جزء من التاريخ القديم الذى تعد الكتب المقدسة أهم مصادره ، ولذا يغلو فريق من الذين يميلون الى الشك فى كل شىء فيقولون ان هذا التاريخ من قبيل الاساطير الموضـــوعة ، التى لا تستند الى أدلة واقعية يقينية ، ولكن هذا راى بعيد عن الصواب، يستنكره معظم المؤرخين، ويقررون أن ابراهيم شخصية تاريخية ، فلا ينبغى أن يشك أحد فى أنه وجد ، ولا فى أن له تاريخا مجيدا روته لنا الكتب المقدسة ، وفى مقدمتها التوراة والقرآن الكريم ٠

ويرى المحققون من المؤرخين استنادا الى بعض أدلة علمية أن ابراهيم هاجر مع أبيه من « أور » الكلدانية التى كانت تقع جنوبى العراق وان هذه الهجرة كانت فى حدود القرن العشرين قبل الميلاد ، أى منذ مايقرب من اربعة آلاف سنة ٠

ومما هو جدير بالذكر أن التوراة لاتذكر الاسباب التى دعت ابراهيم الى أن يهجر وطنه ومسقط رأسه ويهاجر الى حاران فى أعالى الجهات الغربية من حوض الفرات ، ومن ثم الى كنعان ٠ وكل ما أثر عن سبب هذه الهجرة ماذكر فى مستهل الفصل الثانى عشر من سفر التكوين وهو أنها كانت تلبية لامر من الله تعالى ، وماذكر فى الفقرة الثانية من الفصل الحادى والخمسين من سفر أشــعيا ، حيث يقــول الرب ما ترجمته : « انظروا الى ابراهيم أبيكم ، والى سارة التى ولدتكم ، لأنى دعوته وهـــو واحد وباركته وأكثرته ٠

وتفيض التوراة فى سرد قصة ابراهيم بعــد أن ترك مع أبيه آذر الذى تسميه التوراة تارح ، ولوط ابن أخيه هاران ، وساراى امرأة ابراهيم وتستتمر فى

سرد القصة بشيء من التفصيل الى أن تذكر تزوج ابراهيم من هاجر أم اسماعيل ابنه ، ثم ولادة سارة لاسحق بن ابراهيم ، ثم ولادة يعقوب وعيسو ابنى اسحق ٠

كل ذلك تسرده بأسلوب سردى عادى جاف خال من الاشعاع الوجدانى الذى من شأنه أن يؤثر فى التكهن ويثير وجدانه ، ويحرك عاطفته الدينية ٠

والتوراة مع ذلك لاتعرض قليلا ولا كثيرا مما فعله ابراهيم عليه السلام حتى يستحق أن يكرمه الله ويرعاه ، ويغدق عليه نعمه ، ويعده عدة مرات بأنه سيكثر ذريته ، ويهب له ولذريته أرضا بعيدة الاطراف فسيحة الارجاء ٠

والحق أنه مما يدعو الى العجب أن تخلو التوراةمن حديث الوثنية التى قاومها ابراهيم ، وضحى بنفسه فى سبيل استنكارها ودعوة قومه الى نبذها وعبادة الله وحده ٠

هذا فى حين أن القرآن الكريم يعنى اشد عناية بقصة الوثنية وعبادة الاوثان التى درج عليها قوم ابراهيم ، ويصور أحسن تصويرذلك الصراع العنيف بين التوحيد والوثنية ، وما كان من مناوأة ابراهيم للأصنام ، واستهزائه بها وبما يعبدونها ، ويبين أجلى بيان كيف تطورت حياة ابراهيم الدينية ، وكيف هداه الله الى النظر فى السموات وما فيها من بدائع خلق الله وعجائب صنعه التى تدله على عظمته ووحدانيته ٠

كل ذلك بأسلوب رائع قوى مؤثر يفيض عاطفة ووجدانا ، ويوقظ فى النفس شعورا دينيا صادقا٠ اقرأ قوله تعالى : « واذ قال ابراهيم لأبيه آذر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ٠ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ٠ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين : ٧٤ ـ ٧٩/ الانعام ٠

ثم اقرأ قوله سبحانه : ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ٠ الآيات ـ ٥١ ـ ٦٩/الانبياء

الحق أن هذه الوثنية المقـوتة هى التى جعلت ابراهيم عليه السلام يزهد فى الاقامة فى وطنه ومسقط رأسه ويجد فى المهاجرة الى ربه ٠

وهذا عينه هو ما حدث للرسول الكريم محمد ابن عبد الله ، فما أشبه قصة هذا الرسول الكريم بقصة أبيه ابراهيم ، فكلاهما استنكر الوثنية ، وكلاهما سار فى طريقه غير آبه بما يلقى من عذاب بل يستعذبه ، وكلاهما صبر وصابر حتى اضطر الى أن يهجر وطنه ، ويترك قومه وعشيرته ، ويهاجر الى مكان آخر حيث يتسع أمامه مجال الدعوة الى الدين الحق فى حرية واطمئنان ٠

حركتان مباركتان صدرتا عن مبدأ واحدا هو مبدأ التنزيه والتوحيد ، ومبدآن قويمان نبعا من معين واحد هو الفيض الالهى منبع الهداية والتأييد.

ـ ٥ ـ

مما تقدم تدرك مابين التوراة والقرآن الكريم من فروق فى عرض قصة الخليل ابراهيم ٠

بيد أننا نقرأ فى التوراة مالانجده فى القرآن الكريم وهو أن الله تعالى يعد ابراهيم عدة مرات أن يهب له ولذريتهأرضا بعيدة الاطراف فسيحة الارجاء وهى وعود تختلف قوة وضعفا وتتفاوت غموضا ووضوحا ٠

وهذا هو ما سنتحدث عنه فى عدد تال من أعداد هذه المجلة ان شاء الله ٠٠

« **حامد عبد القادر** »

دراسة وجودية فى ٤ مقالات :

فلوبير .. مثلا !

بقلم : انيس منصور

(٣) النقد المعاصر

أى المعاصر لفلوبير نفسه ، والمعاصر لنا ..

وقبل ان أنقل رأى النقاد فى قصة مدام بوفارى ومن المؤلف أبادر وأنقل سطورا من خطاب بعث به فلوبير بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٥٣ الى عشيقته الشاعرة لويز كوليه :

انه لشىء رائع أن يكتب الانسان ، انه يصبح انسانا آخر ، لأنه يرتاد هذا العالم الغريب الذى حوله والذى خلقه لنفسه . فاليوم ، مثلا ، خرجت رجلا وامرأة ، عاشقا وعشيقة فى نفس الوقت ، على ظهر حصان ، فى غابة ، فى خريف يوم ، تحت الأوراق الصفراء .. وكنت أنا الحصان والأوراق الذابلة والمديح والكلمات المتبادلة والشمس ، والكل قد أغمض عينيه فى نشوة الحب .. »

والعبارة السابقة ليس فيها أى غموض فالمؤلف يريد أن يقول انه هو كل شىء .. كل شىء يراه . وكل شىء يكتبه . وكل شىء يحسه ، وهو فى نفس الوقت مدام بوفارى بكل احساساتها .

ولم يعش فلوبير ليقرأ ما كتبه الشاعر الفريد دى فينى فى « **يوميات شاعر** » ان الكاتب الأسبانى سرفانتس وهو على فراشه سألوه : ومن الذى تقصده بدون كيخوته بطل قصتك الرائعة ؟ فأجاب سرفانتس : لاأقصد أحدا سواى !

وفلوبير كمعظم أدباء فرنسا وفنانيها بعد الثورة الفرنسية من أبناء الطبقة المتوسطة . أى الطبقة التى خرج منها والطبقة التى يلغيها عادة .

وهو من ابناء نورماندیا مثل مالرب وكورنى وموباسان وجين ..

وفلوبير يدين بالكثير لابناء عصره ايضا .

وقد ولد فلوبير فى أوقات متقاربة جدا مع بودلير ورينان وجونكور ، ومع الفنانين شاسريو وكوربيه دمريون وجونو وسيزار فرانك ..

وكل هؤلاء قد تأثروا بالحركة الرومانسية التى سبقت مولدهم بربع قرن ..

وكل هؤلاء كان أقل عظمة من العمالقة الكبار الذين سبقوهم من مثل : بلزاك وهيجو وميشليه وبرليوز ودلكروا ..

ولكنهم جميعا كانوا ساخطين على دنياهم ، حالمين بعوالم جديدة غريبة مثيرة وراء النهر .. أو على الشاطىء الآخر من أوروبا .

واذا كان الرومانسيون قد حرصوا على ان يستغرقهم العالم الخارجى لكى يغيروه ويبدلوه ، فان فلوبير والشاعر بودلير وغيرهما ، قد استغرقتهم

المشاكل النفسية .. فهم انطووا على كتبهم ، وراحوا يراقبون المجتمع والناس من الداخل ، تماما كما فعلت مدام بوفاري .. ولم يفلح فلوبير ابدا ان يفلت من روح التشاؤم الذى كان يسود العصر .
وقصة « مدام بوفاري » لا شك متشائمة ، مثل كثير من القصص التى ظهرت فى العالم حوله ، وفى نفس الوقت عند ادباء كبار من مثل هوثورن وملفيل وترجنيف وفيما بعد عند زولا وهاردى .

ويبدو أن قصة « **مدام بوفاري** » قد اتخذت دلالة جديدة ابتداء من القرن العشرين .. لقد وجد النقاد ان فلوبير ما يزال عملاقا . وان قصته هذه من الممكن ان نجد ابطالها فى كل مكان .. وان نجد مدام بوفاري بالذات فى الترام وفى الاتوبيس وفى السينما ، على الشاشة ، وبين المتفرجين ، وانها ليست قصة فتاة واحدة ، ولكن قصة كثير جدا من الفتيان ايضا .

الكاتب الفرنسى « **اندريه موروا** » يرى ان مدام بوفاري هذه لا بد ان يكون قد صادفها فى حياته . ليس من أول حياته ، ولكن أخيرا جدا . ولا بد ان الفتاة التى غمزت له فى احدى المكتبات ، رغم شعره الابيض وشيخوخته الواضحة ، لا بد ان تكون هذه الفتاة هى « الطبعة الجديدة المنقحة » لمدام بوفاري..

الكاتب العظيم « مارسيل بروست » وصف فلوبير بانه قد اعتنى بالاسلوب اكثر من اى شىء آخر ..

الكاتب العظيم « آندريه مالرو » وصفه بانه كاتب انعزالى انفصالى وانه رفض أن يلتزم لمشاكل عصره وانه وضع كل أبطاله فى الوحل بدلا من أن يتسامى بهم عن طريقة الرجولة المتاخية ..

والشاعر « فاليرى » كان يسخر من انكار فلوبير ومن قصد القديس انطون ذلك الراهب الهارب .. وكان يسخر من فلوبير نفسه الذى لايعدو ان يكون صورة اخرى من القديس انطون الذى اقفل الابواب على نفسه واغرق نفسه فى قراءة كتب لا اول لها ولا آخر استعداد لخلق شخصيات هزيلة منحطة مثل مدام بوفاري ..

ولكن يبدو ان هذه الموجة قد اخفت موجة اخرى ترى فى فلوبير رائدا « عظيما » لاسلوب جديد فى الكتابة ومنهج فى الفهم .

فبعد ان اغرقت فرنسا موجة دستويفسكى فى عشرينات هذا القرن ، وموجة بلزاك فى اربعينات هذا القرن ، ظهرت موجة واقعية جديدة فتحمس لفلوبير ، ولقصة مدام بوفاري بالذات .

فقد كتب آلن تيت فى مجلة « سوانيه ريفيو » يقول : لقد ابتدع فلوبير الرواية الحديثة » .

وقال أيضا : ان كافكا وجويس يدينان ولا شك لفلوبير بكل شىء . بل اننى أرى بصماته على كل صفحة من كتب هذين العملاقين .. وفلوبير هو الذى غير ملامح القصة الطويلة الى الأبد .

أما أرنست همنجواى الكاتب الامريكى فكان اذا مر فى حدائق لوكسمبورج فى باريس ورأى التمثال النصفى لفلوبير . رفع قبعته قائلا : انه رجل نحبه جميعا .. لأنه هز أعماقنا .

وفى ١٢ ابريل سنة ١٩٥٧ نشر الملحق الأدبى لصحيفة التيمس مقالا عن مؤلف مدام بوفاري بمناسبة مرور مائة سنة على ظهورها جاء فيه : انه أعظم من كتب القصة الطويلة .. انه خالق القصة الحديثة ، التى هى ينبوع كل تقدم هام منذ منتصف القرن الماضى » .

ويقول « **سومرست موم** » فى كتابه « الروائيون العظام والرواية الجديدة » : لا أقول انه عبقرى ، وانما أقول انه انسان غير عادى وانسان موهوب . والشىء المؤكد الذى لا شك فيه هو أن فلوبير قد خلق ، مباشرة أو بشكل غير مباشر ، الرواية الواقعية ، وانه أثر فى كل مؤلفيها منذ صدرت مدام بوفاري . فهو الذى أثرفى «توماس مان» عندما أصدر قصة بودنبروك ، وأثر فى أرنولد بنيت عندما كتب « قصة الزوجات العجوزات » وأثر فى تيودور دريزر عندما كتب « الأخت كارى » .. وأثر فى عدد كبير جدا من المؤلفين منذ ذلك اليوم .. ولم يحدث أن كاتبا قد وهب نفسه وبهذه الصورة العنيفة لصناعة الأدب .. ولم يكن يتصور فلوبير أن معنى الحياة هى أن يعيش الانسان . وانما معنى الحياة هو أن يكتب . ولم يحدث أن راهبا فى صومعته ، قد ضن عن طيب خاطر بحياته ولذاته الحيوية من أجل محبة الله ، كما فعل فلوبير بقوة وعنف من أجل أن يخلق عملا أدبيا باقيا .. »

ويقول « **موم** » : ان فلوبير كان من المؤمنين بالعبارة المعروفة التى تقول : لكى تكتب جيدا يجب أن تحس جيدا وأن تفكر جيدا ، وأن تقول جيدا وقد فعل فلوبير هذا كله ، وباصرار لانظير له فى الأدب العالمى ! » .

وآراء كثيرة ترددت في كتب تاريخ الأدب وكتب النقد الأدبي في خلال مائة عام · وكلما ظهر منهج جديد استخدمه المؤرخون والنقاد في اعادة تقديم الآثار الأدبية للقرون الماضية · وتكون قصة « مدام بوفاري » ضمن أو في مقدمة القصص التي يتناولها النقاد والعبارات التي تقلها على السنة النقاد والأدباء تتناول حياة فلوبير ، وتتناول أسلوبه في الكتابة ، وتتناول قصة مدام بوفاري ·

وبعض النقاد يقف عند حد الكلام عن « الآلة الانسانية » ـ أي الفنان ـ التي صنعت قصة مدام بوفاري نفسها · لأن الأعمال الأدبية انما نفهمها عن طريق أصحابها ، وفلوبير نفسه يقول : انه هو كل مخلوقاته ·· ويقول أيضا : ان الفنان يجب أن يحاكي الله ، لكن الله موجود في كل شيء ، ولا يبدو لأحد كذلك الفنان يجب أن يكون وراء وفي كل مخلوقاته ، ولكن دون أن يراه أحد ·

وعيب هذه النظرة الى العمل الادبي ، أنها تعزل الفنان عن الدنيا ، وتراه وحده فقط ، فهو الذي كتب وهو الذي عاش وقاسى ولذلك يجب أن يوجه الاهتمام اليه · ومعنى ذلك أن العمل الأدبي نفهمه من خلال الفنان ··

ولا أحد معزول عن عالمه أو بيئته ··

وهناك نقاد يرون أن الفنان هو العمل الأدبي نفسه · فالفنان يساوي ما كتبت يداه ، فقد قال كل ما يريد ولم يقل ما يريد فنحن يجب أن نأخذه بقلمه · والانسان لا يساوي الا ما يفعله · ولذلك فقصة مدام بوفاري هي قصة حياة المؤلف · ومدام بوفاري هي المؤلف نفسه ·· واذا كانت مدام بوفاري فيها رجولة صارخة فهو تعويض عن الأنوثة الموجودة في المؤلف ·

لقد كان فلوبير واضح الأنوثة ، وكان يعرض هذه الأنوثة بمظهر غليظ بشوارب غليظة وصوت غليظ ، ولكن هذا المظهر لم يخف على الأطباء عندما ترددوا على بيته لعلاجه لقد صارحه أحد الأطباء بقوله : انك كعجوز شمطاء ··

وقد ردد فلوبير نفسه هذه العبارة ··

ومدام بوفاري تصور حياة فلوبير ذلك الانسان الغارق في الكتب المنعزل عن الناس وعن الحياة تماما ·

ومأساة مدام بوفاري هي أنها امرأة حالمة قررت شيئا خطيرا هو أن تفرض أحلامها على الواقع ·· أو بعبارة أخرى : انها امرأة ظلت تحلم وتحلم حتى أصبحت عاجزة عن أن تصحو · فهي تعيش حالمة ، وكما عاشت حالمة ماتت أيضا حالمة ·· انها تشبه انسانا استبد به حلم ، وكان الحلم طويلا وجميلا ، فلما صحا من نومه ، أصر على أن يستأنف الحلم من جديد ·· فعاد الى فراشه وأغمض عينيه بالقوة لكي يرى نفس الحلم ··

لقد حاولت مدام بوفاري أن تعيش أحلامها ، أن تعيش بطولات القصص التي قرأتها ·· ولم تفلح ·· وطبيعي ألا تفلح ·· وكان لا بد أن تموت ··

وهناك نقاد يقفون عند النص الأدبي فقط ·· وأقول النص ولا أقول « العمل » الأدبي ·· لأن العمل الأدبي هو النص الأدبي ، وظروف المؤلف عند كتابته وحياة المؤلف ، والأحداث التي تأثر بها المؤلف وهو يكتب هذا النص ·

أما النص الأدبي فهو مجرد الجوانب الفنية والبلاغية والشكل والمضمون والتشخيص والتحليل والسيال الداخلي للقصة وللأحداث ، والنهاية والبداية ·· وقمة الأحداث ، وعقدها وتناسب أجزائها ، وتناسب أشخاصها ومكان المؤلف من هذا كله ··

فالنص الأدبي هو ما جاء في الكتاب ··

ولكن النص الأدبي ليس هو العمل « الأدبي » ·· وانما العمل الأدبي وقد حذفنا منه عنصر التاريخ ·· تاريخ التجربة الحية للمؤلف ولتجارب المؤلف أيضا ··

فالنص ليس دليلا ماديا على أن هذا المؤلف قد عاش وألف شيئا · فالنص الادبي هو وثيقة خطية ·· هو بصمات المؤلف ·· هو شهادة ميلاد ·· النص الادبي هو « مستند تاريخي » بأن جوستاف فلوبير قد عاش في زمن معين ، وكتب هذه التجربة المعينة ، وأن وجودها دليل على وجوده ·

ولكن ليس معنى ذلك أن النص لا قيمة له طبعا هذا سخف · فلا أدب بغير معنى ·· ولكن عيب هذه النظرة أنها تتناول فقط جانبا واحدا ، على الرغم من أنه جانب هام ·· فهو هام ·· ولكن في نفس الوقت هو جانب واحد ·· وهذا هو عيب هذه النظرة الجزئية ··

وهناك نقاد ينظرون الى قصة « **مدام بوفاري** » نفسها باعتبارها كائنا منفصلا عن المؤلف .. فهم يطلقون على سلوكها النفسي والاجتماعي اسم المذهب البوفاري

٠٠ او البوفارية ٠٠ ويرون أن مدام بوفاري هي نموذج لنوع من السلوك الهجرى ٠٠ أو انها شخصية هاربة ، فهى تهرب من الحياة ، أو تهرب من الحب بالحياة ، فهى تحب وتستغرق فى الحب لكى تهرب من مواجهة الواقع ٠٠ وتستانف احلامها الأدبية ٠٠ أو هى تعربد فى الحياة الأدبية كما تراها لأنها مصدومة فى حياتها وفى عشقها ، وهى لم تجد الحب الذى تريد ، فهى لأنها لم تجد ما تحب ٠٠ تحاول أن تحب ما تجده ٠

والنقاد يتحدثون عن شخصية « **مدام بوفاري** » كأنها سيدة مدحورة بالفعل وكأنها هى التى أملت اعترافاتها على المؤلف ٠٠ والمؤلف لم يضف الى كلامها حرفا واحدا ٠

وهذه النظرة التعيسة الانعزالية الى هذا العمل الأدبى ، تسعد المؤلف ولا شك ٠

فهو يرى ان ابطاله لهم وجود حقيقى ٠ وان وجودهم أقوى من وجوده ، وهذه تحية مباشرة الى قدرته على الخلق والابداع ٠

وكثيرا ما أحس المؤلفون بان ابطالهم اقوياء ، وأنهم حقيقة وأنهم يضطهدون المؤلفين ـ اى يضطهدون خالقيهم ٠

والشاعر الالمانى شيلر فى قصة « الحب والدسيسة » يقول : ان أعظم تحية يمكنك أن توجهها الى الله أن تنشغل بمخلوقاته عنه ٠٠ اى تنشغل عنه به ٠٠ اى تنشغل بالعمل الأدبى عن الفنان نفسه ٠

ولكن هذا الانشغال بمخلوقات الفنان ونسيان الفنان نفسه ، ليس الا نوعا من الوقوف الى جوار الفنان أو وراءه والتطلع الى نفس الشىء ، ولكن الناقد يجب أن يرى أشياء اخرى لم يرها الفنان ٠٠ يجب أن يتساءل لماذا اختار الفنان هذه الشخصية ، وما هى مقدمات ظهورها ٠ ويجب ان يحاسب الفنان بما قال وبما لم يقل ٠ وخصوصا بما لم يقل ٠٠ بما اخفى عنا وعن نفسه ٠٠ وربما كانت العبارة الوحيدة التى تلفت الأنظار هى التى قالها مالرو عن فلوبير فهو يتهمه بأنه قد وضع أبطاله فى الداخل ، وكان فى استطاعته ان يقسهم ٠٠ ان يطهرهم ٠٠ أن يسمو بهم أن يجد لهم حلا » ٠

وهذه نظرة أخلاقية اجتماعية ٠

اى أن الفنان كما يقول الشاعر « اليوت » : ان عظمة الأدب لا يمكن أن تتحدد فقط بالمقاييس الأدبية ، على الرغم من أننا يجب أن ندرك انه سواء كانت الأعمال أدبية او غير ادبية فلابد من تقييمها وفقا للمقاييس الادبية ايضا ٠ اى لا بد ان تكون هناك مقاييس ادبية لوزن العمل الأدبى ، وفى نفس الوقت لا بد ان تكون هناك مقاييس أخلاقية ايضا.. ولكن لا بد أن يكون هناك هذا العمل الذى نناقشه عملا ادبيا ٠٠

ويقول اليوت ايضا : وليس معنى ذلك أن العمل الأدبى سيتم تقييمه ، وقد تم تقييمه وفقا لقواعد اخلاقية ٠ ولكن الأحكام الاخلاقية على الأعمال الأدبية لا تصدرها الا وفقا للقانون الأخلاقى الذى يقره جيل من الأجيال سواء كان يطبق هذا القانون او لا يطبقه ٠

ويقول اليوت ايضا : ان النقد الأدبى يجب ان يكمله نقد يستند الى وجهة نظر أخلاقية او دينية ٠٠ وقصة مدام بوفارى يجب أن تتناولها أيضا على هذا الأساس ٠ تطبق عليها الاحكام الأدبية ، وفى نفس الوقت تطبق عليها قوانين العصر ٠٠ قوانين عصرها الأخلاقية والدينية ٠٠ ولكن لايغيب عن البال أبدا أن نضعها فى الميزان الأدبى ٠

واشارة الفيلسوف مالرو هذه تعيب على فلوبير انه اكتفى بان رفع شعار الأدب للأدب ، او الفن للفن ، دون أن يهتم بالنتائج الاجتماعية والأخلاقية لهذا العمل ٠

ومن رأى **مالرو** طبعا ان الفنان يجب الا يتعزل، وانما يجب ان يرتبط ٠٠ ان يلتزم ٠٠ فليس مهمة الفنان أن يكتب ما يعجبه شخصيا ،وان كان الفنان لا يكتب الا ما يعجبه وما يمتعه ٠٠ ولكن لا بد ان يكون اهتمام الناس ومتاعب الناس ومشاكل الناس مما يهمه ، ولابد أن تكون اهتمامات الناس مما يعجبه ٠

ولم يحدث أن تلقى فلوبير نقدا عميقا فى كل العصور كما حدث فى السنوات الأخيرة ٠

فقد اتخذه الفيلسوف الوجودى «سارتر» نموذجا لأديب لا يلتزم ، وقد تناوله سارتر فى أكثر من مقال ، ثم عاد وتناوله بالتشريح والتجريح فى كتابه « نقد العقل الديالكتيكى » ٠

وكما اشرت من قبل فسارتر هو الذى اختار فلوبير ، وفلوبير هو الذى اختار مدام بوفارى ، وانا الذى اخترت وارتضيت بنهج سارتر الوجودى فى دراسة هذا الرجل وأعماله الأدبية ٠

« **أنيس منصور** »

نيكولاى جوجول

للدكتور رشاد رشدى

احن هذه الايام الى صديق من اصدقاء الصبا هو الكاتب الروسى « نيكولاى جوجول » ، كنت اجد فيه الكثير من المتعة لانه كان يصور الكثير مما اعانيه ، وما اراه حولى ، وترجع كتاباته اصداء كثيرة من الحياة والادب ، وكنت اقراه بنهم فى هذه الايام البعيدة .. احس به اكثر مما ادركه بعقلى .. لان الذى بينى وبينه كان حبا اكثر من رغبة فى الدراسة ، ولذلك لم اجد ما افعله فى هذه الايام بالنسبة لهذا الروح الصديق سوى ان انقل بعض ماكتب الى لغتنا العربية ، فمصرت مسرحيته (الزواج) تحت اسم (شروع فى جواز) ، وكنت حينذاك طالبا بالجامعة ، ومثلت فى الاذاعة عدة مرات فى فترات متفاوته ، ثم اخذتها فرقة الطليعة ضمن ما اخذت ، وتنقلت بها بين مختلف المسارح ومختلف البلاد العربية ، وبعد ذلك ترجمت مسرحيته الكبرى « المفتش العام » وقدمتها ايضا فرقة الطليعة مرات عديدة . واذكر انى وانا طالب بالجامعة وفدت الى مصر فرقة « الدبلن جيت » وهى احدى الفرق المسرحية التى قامت على اكتافها النهضة المسرحية فى اوربا فى هذا القرن ، فاردنا ان نحييها فقدمنا لها فصلا من مسرحية جوجول الزواج بالانجليزيه وفصلا من ترجمتى لها بالعربية ، وقمت فى الاثنين بتمثيل بعض الادوار ..

هذه بعض ذكرياتى عن الكاتب الكبير جوجول الذى كنت احبه بحبى اكثر مما ادركه بعقلى .. ومرت الايام وجوجول ـ مثل تشيكوف ـ قريب الى قلبى ، بل ويزداد قربا يوما بعد يوم ، وكذلك يزداد عقلى ادراكا له .. وكثيرا ما كنت اتذكر عبارة تشيكوف الخالدة « اننا جميعا قد خرجنا من عباءة جوجول » ولكنى لم اكن ادرك نحواها ادراكا كاملا .. والعباءة قصة قصيرة من قصص جوجول .

وتشيكوف يعنى انه وزملاءه من الكتاب الروس قد نهجوا على نهج جوجول فى كتاباتهم القصصية التى استغرقت الجزء الاكبر من القرن التاسع عشر والتى اثرت فى الادب العالمى تاثيرا مازلنا نحس به للآن .. ولكن المعنى الاوسع لعبارة تشيكوف قد اضافه التاريخ او حققه .. فسمات الفن القصصى الحديث سواء فى المسرح او فى القصة هى فى الواقع امتداد لسمات فن جوجول .. الذى شهده العالم فى النصف الاول من القرن الماضى .. ومن هذه السمات الكوميديا القاتمة ، التراجى كوميدى ، أو الضحك خلال الدموع ·· والاهتمام بالشخصيات وتصويرها حتى على حساب الحبكة القصصية او المسرحية ، وكذلك الاهتمام بتصوير الشخص العادى واحداث الحياة العادية التى تبدو للعين المجردة تافهة لا معنى لها .. وربط الادب بالحياة مما يجعل الادب قوة اخلاقية واجتماعية فعالة ·· وكل هذا من دعائم اركان الواقعية كما يعرفها الأدب منذ جوجول للآن ·· واهم من هذا كله سمة تميز بها جوجول ويتميز بها الادب الحديث ، وهى سمة العطف على جميع الشخوص التى يعالجها الكاتب فلا وجود للشر المطلق ولا للخير المطلق لأن ادراك الكاتب للانسانية وتعاطفه معها يمنعه من ان يدين أو أن يبرىء ·· لأن الحقيقة فى الواقع دائما نسبية ... « نيكولاى جوجول » ولد فى اوكرانيا فى عام ١٨٠٩ وهو ينتمى الى القوازق ، واشتغل مدرسا ولكنه لم يفلح واستاذا للتاريخ فى الجامعة ولكنه ايضا لم يفلح .

وحاول أن يحترف التمثيل ولكنه فشل ونشر بعض الاشعار فى الصحف ، ولكنها لم تجد استجابة ، ثم نشر بعض القصص وتعرف الى الشاعر بوشكين الذى نصحه بان يكرس حياته للادب .

ونشر اول مجموعة قصصية بعنوان « أمسيات فى مزرعة قرب دنكانكا » فى عام ١٨٣٢ ، ولاقت نجاحا كبيرا . وهى قصص قصيرة يرويها نحال .. وفيها يظهر فن جوجول الذى يتركز حول الفانتازى وما وراء الطبيعة ، والى جانب هذا روح الدعابة

الساخرة ، وهو يذكرنا فى هذه المجموعة بهوفمان وادجار الان بو .. ويعتقد بعض النقاد أن الدعابة الصاخبة التى تميز هذه المجموعة القصصية انما ترجع الى ان جوجول كان يجد فى الفكاهة ملجأ من تعاسة الحياة ودواء يعالج به نفسه العليلة .. ويؤيد هذا الرأى جوجول نفسه ، اذ كتب يقول عن هذه القصص « السبب فى الفكاهة الصاخبة فى هذه القصص كان حاجة داخلية فى نفسى .. فقد أصبحت ضحية لنوبات من الكآبة لا افهم لها سببا .. ولكى اتخلص منها ابتكرت شخصيات فكهة ومواقف فكهة الى ابعد حدود الفكاهة .. » .

وفى عام ١٨٣٥ نشر جوجول مجموعته القصصية الثانية باسم « ميرجورود » وتتالف من اربع قصص منها قصة تاراس بولبا « المشهورة وقصة « فيى » .. وكلاهما تعالج أساطير قوزاقية اما على النطاق الواقعى او على النطاق اللاوقعى .. وفى هذه المجموعة نلمح لاول مرة سمة رئيسية من سمات فن جوجول وهى « الضحك خلال الدموع» فى قصته المعروفة باسم « كيف تشاجر ايفان مع ايفان » ، وهى تصور صديقين حميمين تشاجرا وبدآ سلسلة من المشاحنات والقضايا والاتهامات تنتهى بهما الى الخراب ، وتنتهى القصة بهذا الوصف » ومرة أخرى نفس الحقول ، سوداء فى مواضع الحرث . تميل الى الاخضرار فى مواضع أخرى ، أشجار يكسوها البلل .. مطر لا ينقطع .. سماء تبكى .. لا اثر فيها لومضة ضوء .. مكان كثيف هذه الدنيا ياسادة ! » .

ويلازم هذا الوصف للدنيا كل كتابات جوجول بعد ذلك . وهو يحاول أن يهرب من الكآبة او على الأقل أن يقتعها بسيل من الضحك والفكاهة . وهنا يدخل جوجول المرحلة الواقعية فى حياته التى يعبر عنها فى وضوح فى مجموعة من القصص نشرها عام ١٨٣٦ تحت اسم (أرابسكات) ثم فى قصة «أنف» التى كتبها حوالى ذلك الوقت وقصته المعروفة المعطف أو العباءة التى نشرها بعد ذلك بحوالى اربع او خمس سنوات .. وهى تصور موظفا بائسا، باشكاتب ، يعيش طول عمره يشتهى معطفا ثم يحصل عليه ولكنه يسرق منه ، ويموت نتيجة لذلك وتحوم روحه فى شوارع بطرسبرج حائرة ، تعيسة كما كانت فى الحياة ..

والقصة تصور المظالم التى يتعرض لها البسطاء والضعفاء فى المجتمع ، وبها شخصيات كوميدية بائسة وبها الكثير من التراجيديا .. وفى هذه القصة يقدم جوجول الى الأدب الروسى بل والعالمى كثيرا من الموضوعات ومن السمات التى أصبحت فيما بعد من مميزات الأدب الحديث ، ومن هذه القلق النفسى الذى لا حدود له والظلم الاجتماعى .. والاهتمام بالرجل العادى ، بل والاقل من العادى ..

وفى عام ١٨٣٦ كتب جوجول مسرحيته المشهورة « المفتش العام » وقصة المسرحية ــ مثل أكثر اعمال جوجول ــ ماخوذة من الحياة مباشرة ، فقد حكاها له الشاعر بوشكين .. وكان امل جوجول دائما أن يكتب للمسرح ، فقد كان يعتقد ان المسرح هو أحسن الوسائل للاتصال بالجماهير ، وقد كتب يقول : « تصور ان مجموعة من الناس ألف أوعدة آلاف يختلفون طبعا عن بعض ، ومع ذلك عندما يجلسون فى المسرح يضحكون معا ويبكون معا ويصفقون معا .. ماذا يمكن ان يكون أوقع واجمل من هذا ؟ .. ان المسرح منبر فعال » .

وقد قرأ جوجول مسرحية المفتش العام فى حفل ادبى فى بيت احد اصدقائه وكان بوشكين بين الحاضرين وسر بها كثيرا ،ولكن الرقيب لم يصرح بها لجراتها . وتوسط لجوجول احد اصدقائه لدى القيصر فسمح له بقراءتها عليه فى البلاط الملكى ، وسر بها القيصر كثيرا وسمح بتمثيلها » وعرضت فى بطرسبرج فى ١٩ ابريل سنة ١٨٣٦ . وكانت المسرحية جديدة على الجمهور ، حتى انه نسى ان يصفق » .

وبعد نزول الستار ابتدا الخلاف .. فبدأ المحافظون يهاجمونها على انها خطرة وانها تمارس سخيفة بينما أخذ يدافع عنها الاحرار ، وتناقلت الصحافة الخلاف ووسعته .

وذهل جوجول للهجوم الذى شنه عليه كثيرون من النقاد والناس ، وتألم فلم يكن يتوقع شيئا من هذا ؛ كان هدفه كما قال : « أن يجمع كل ماهو ردىء فى روسيا ويضحك منه ، ولذلك لم يكن يفهم سر غضب الكثيرين من الناس . وكتب يقول : « الكل ضدى ــ افراد وجماعات بأسرها ــ التجار والموظفون حتى البوليس .. لقد كنت فى أعمالى

السابقة اضحك ، ولكن بدون هدف ـ بدون فائدة ـ وبدون معنى .. ولكن مادمنا نضحك فلم لانضحك مما يستحق الضحك منا جميعا .. ولذلك ففى « المفتش العام » جمعت كل ماهو مضحك فى روسيا ، لأنه مبكى ، وقررت أن أضحك منه ويضحك معى الناس جميعا » .

واثر الهجوم فى صحة جوجول وكانت دائما ضعيفة . وكتب عدة مقالات يدافع عن نفسه ويشرح فلسفته فى المسرحية ، ولكن هذا كله لم يجد نفعا .. فاضطر الى ان يغادر روسيا ، واستقر فى روما الى عام ١٨٤٨ حيث كتب مسرحيتين قصيرتين هما : (زواج) و (المقامرون)

ومهد جوجول للمفتش العام بمثل روسى يقول : لا تؤنب المراة اذا كان وجهك قبيحا .. والمسرحية تصور فساد البيروقراطية والجهل والتفاهة والفظاظة التى كانت تلج فيها الحياة الروسية فى ذلك الوقت ، وخاصة فى الاقاليم .. والشخصيات رغم غرابتها تنبع كلها من الحياة .. الشخصية الرئيسية « هستاكوف » شخصية شاب تافه كذاب بطبعه ، متقلب ، عابث ، شرير ولكنه لا يقصد الشر وهو كما يقول احد النقاد « من أروع الكذابين فى الادب العالمى » وكما يصفه جوجول فى المسرحية « يتكلم ويتصرف بدون تفكير ، لا يقدر على التفكير او تركيز انتباهه فى شىء اكثر من لحظات قليلة .. وكان جوجول يعتقد ان كل الناس هستاكوف ولو لفترات قليلة ، بل انه من الصعب الا يتحول الانسان الى هستاكوف ولو مرة واحدة فى حياته .

وقد اقترن اسم هستاكوف سنين طويلة بعد موت جوجول بالرغبة فى الكذب والتفاهة والعبث ، وكما أن هستاكوف تافه متقلب عابث ، عديم الاحساس بالمسئولية ، كذلك كان الجمهور الذى يتفرج على المسرحية فى راى جوجول ، وعندما تتكشف الحيلة فى آخر المسرحية ويبدأ الجمهور يضحك ساخرا من العمدة ، يلتفت العمدة الى الجمهور ويقول حانقا : « مم تضحكون ! .. انكم تضحكون من انفسكم » .

وروسيا التى يضحك منها جوجول فى المفتش العام هى التى كان يعرفها جيدا ، والتى كان يعرفها كل روسى فى ذلك الوقت ، ولا يجرؤ على الاعتراف بانه يعرفها .

والمسرحية تنتمى الى المدرسة الطبيعية « وهى تمثل الواقعية النقدية فى اول صورها ، حتى انه عندما كان النقاد يتحدثون عن المدرسة الروسية فى المسرح كانوا يعنون واقعية المفتش العام النقدية»

وبناء المسرحية محكم للغاية ، فحكاية صغيرة تتحول الى صورة اجتماعية كبيرة ، وكل حوار ينبع من الشخصية ، ولذلك فكل ما فيها مقنع وحتمى . وقد اعترض معاصرو جوجول على نهاية المسرحية ، فالشر لا يعاقب ـ والشر هنا يعنى هستاكوف ـ النصاب . ولكن الحقيقة ان الشر فى المجتمع نفسه الذى سخر منه هستاكوف النصاب المثل التافه .. ومازالت المفتش العام للآن من المسرحيات المحبوبة ، لا فى روسيا وحدها، بل فى كل بلاد العالم ..

وفى روما ايضا فى حوالى عام ١٨٤٢ كتب جوجول روايته المشهورة « أرواح ميتة » وهى تصور أحد المزارعين يتاجر بارواح فلاحين ماتوا ، والقصة كلها سخرية لاذعة من التفاهة والفظاظة التى كان يراها جوجول جزءا لا يتجزأ من الحياة ، وقد وصلنا منها الجزء الاول فقط ، اما الجزء الباقى ، فقد دمره جوجول نفسه عندما وقع فى اواخر حياته تحت تأثير قس روسى جاهل ، اسمه « كونستانتينو فسكى » ففى ليلة ١١ فبراير عام ١٨٥٢ صلى جوجول بمرارة ، ثم نادى خادمه الصليب فى كل حجرة يدخلها ، ثم اخرج الجزء واخذ يتجول فى حجرات منزله وهى يرسم علامة من قصة أرواح ميتة فرماه فى المدفأة ، واشعل النار فيها .. وعندما احتج الخادم قال له جوجول: ليس هذا من شأنى .. صل معى ، وبعد أن احترقت الرواية ، رسم جوجول علامة الصليب على نفسه وقبل خادمه ، ومضى الى حجرة نومه ، ورقد على سريره واخذ يبكى .. وبعد أيام قليلة .. فى يوم ٢١ فبراير مات ، ومشى فى جنازته عدد كبير من الناس ، وسألت احدى النساء :

« من الذى مات ! هل كل هؤلاء الناس أقاربه ؟»

واجابها أحد الحاضرين : « اسمه جوجول » وكل الروس أقاربه .

« د. رشاد رشدى »

الكلمة المعجزة

بقلم : عبد الكريم الخطيب

ينفرد القرآن الكريم من بين الرسالات السماوية بأمرين بارزين :

اولهما : انه يحمل معجزة الرسالة الاسلامية فى كيانه ، وان معجزته هى «الكلمة» التى يعرف الناس مدلولها ، ويأخذون ويعطون بمفهومها ، وان الاعجاز سر مضمر فيها ، تتهدى اليه العقول ، وتتعرف عليه البصائر .. وليس في المعجزات التى سلفت ماجاء على هذه الصفة ، اذ كانت كلها معجزات حسية يراها الناس رأى العين ، فى صور من الاحداث الكونية ، التى لاتقع في قدرة البشر ، ولاتجىء الا بدعوة نبى او رسول .. متحديا بها ، او مستجيبا لدعوة تتحداه !

وثانيهما : ان القرآن الكريم قد تولى بهذه «الكلمة» الدفاع عن دعوته ، واقامة الحجة لها ، وانه بهذه الكلمة قد اشتبك فى حرب طاحنة مع اعداء الدعوة والمتربصين بها ، وانه اقام من تلك الكلمة سيوفا مصلتة ، ورماحا مشرعة ، وسهاما مرسلة ، تضرب فتقطع ، وتطعن فتفرى ، وترمى فتبيد وتبير :

وقبل القرآن لم ير الناس الكلمة تلقاهم محاربة مقاتلة ، فتنهزم امامها الجحافل ، وتستسلم لها الشعوب والامم ، وتسجد بين يديها الجبابرة والفراعنة .

نعم ، مارأى الناس قبل القرآن «الكلمة» تجلى الناس عن عقائدهم الموروثة ، وتخرجهم عن عاداتهم المألوفة ، ثم تقودهم الى حيث تشاء فينقادون وتدعوهم الى حيث تشير فيستجيبون

والحقيقة التى لاجدال فيها هى ان «الكلمة» القرآنية قد اخذت من فم العرب ، وصيغت صياغة جارية على الاسلوب العربى ، فلم يخرج بها القرآن عن مدلولها الذى يعرفه لها اهلها ، ولم يغير شيئا من وجوه اعرابها ، على ماجرى عليه اللسان العربى في شعره ونثره .. ولهذا لم ينكر العرب شيئا من القرآن من هذا الوجه ، ولم يروا فيه الا انه كلام عربى مبين ، وان عجزوا عن مساماته ، وقصروا عن اللحاق به .. فقالوا فيه ماقالوا من مقولات تكشف عن بهرهم به ، ودهشهم منه ، فمن قولهم ماحكاه القرآن عنهم : «ان هذا الا سحر يؤثر .. ان هذا الا قول البشر» وقولهم «لو نشاء لقلنا مثل هذا» .. واذ هم يرون في القرآن مايعرفون من وجوه محاوراتهم ، ومخاطباتهم ، ومجادلاتهم ، يخيل اليهم انهم قادرون على ان يقولوا مثل قوله . ولكنهم لم يقولوا ، ولن يقولوا .. وقد تحداهم القرآن ، وآذنهم يقطع الخلاف بينهم وبينه ان هم جاءوا بسورة من مثله ، ولو انهم فعلوا لما تعرضوا لهذا الذى تعرضوا له فيما بعد ، من ازهاق أرواح ، وايراقة دماء ، واستباحة ديار ، وقطع أرحام .

فماذا في كلمات القرآن هذه من قوى قاهرة ، تأخذ على الناس كل سبيل للافلات من بين يديها الا ان يذعنوا لها ، ويسلموا وجودهم اليها ؟

ولا يعنينا هنا الجواب على هذا السؤال .. وحسبنا ان التاريخ قد سجل على الامة العربية عجزها عن مواجهة التحدى الذى دعاها القرآن اليه ، فلم يقم من شعرائها او خطبائها من يرد على القرآن دعوته تلك المتحدية ، ولم يأتمر الخطباء والشعراء فيما بينهم على ان يظاهر بعضهم بعضا فى لقاء القرآن والوقوف له ــ حسبنا هذا شاهدا قائما يشهد للكلمة القرآنية بالاعجاز المتحدى ابد الدهر .

ولكن الذى يعنينا هنا هو هذه الصلة التى بين الكلمة العربية ، والكلمة القرآنية ، تلك الصلة التى جعلت الدين الاسلامى واللغة العربية كيانا واحدا بحيث لو وقع اى ضيم على احدهما اخذ الآخر نصيبه منه ، واقتسمه معه ، والعكس صحيح كذلك .

والسؤال هو : على اى اساس اختيرت الكلمة العربية لتكون آية من آيات الله ، تتجلى فيها معجزة سماوية خالدة ، تكون على فم نبى كريم قرآنا يتلى ، فتستمع اليه الجن ، وتسكن اليه ، وتخشع بين يديه : «استمع نفر من الجن ، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا احدا» .

فماذا في الكلمة العربية من اسرار ليس فى غيرها من كلام الناس ، حتى تختارها السماء لهذا الامر العظيم ، الذى لم يقع على تلك الصورة الا مرة واحدة في هذه الحياة ، هى هذه المرة شهدها الناس فى كتاب الله ، وعلى فم رسول الله ؟

والحق اننا اذ نتلو قوله تعالى : «الله اعلم حيث يجعل رسالته» ونفتح قلوبنا لكلمات الله هذه نجد أن الرسالة الاسلامية قد تخير لها الله سبحانه وتعالى اعدل وضع واحكمه ، واكرمه ، في كل ماتصل بها من مكان ، وزمان ، واشخاص ، واحوال .. وانه اذا كان شخص النبى الكريم هو بالمكان الاول من هذا الاصطفاء الالهى .. فان الجزيرة العربية ، واهلها ، ولغةاهلها ، وزمانهم ، واحوالهم كلها واقع في مجال هذا الاصطفاء ، وبهذا تتم النعمة ، وتقع رحمة الله موقعها في الحياة ، فيدخل الناس فى دين الله افواجا ، وتنتكس اعلام الضلال وتنطوى معالم الشرك والالحاد !

ولانتحدث هنا عن أهلية الرسول الكريم لهذا الاصطفاء الالهى ، ووقوعه موقعه منه ، كما لانتحدث عن الزمان ولا المكان اللذين اختارهما الله مطلعا للرسالة الاسلامية ، ولا عن الامة العربية وحملها للدعوة الاسلامية وقيامها عليها .. فهذا كله مما تحدث التاريخ به حديثا مبينا متصلا ، لاينقطع ابدا ، ومع هذا الحديث مئات من ملايين البشر تشهد شهادة الاسلام ، وتدين لله الواحد القهار .

والحديث انما يدور حول اللغة العربية ، ومكانها من الدعوة الاسلامية ، وحملها المعجزة التى قدمها الرسول بين يدى دعوته ..

فهل لهذه اللغة نصيب من قوله تعالى : «الله اعلم حيث يجعل رسالته» ؟ وهل ادت الدورالذى يجعلها اهلا لان تكون فيمن اصطفى الله للرسالة الاسلامية ؟ او بمعنى آخر : هل صادفتها الرسالة الاسلامية على الصحة والسلامة بحيث يمكن ان تصنع منها معجزة ، ويكون بها اعجاز ؟

ونقول : ان الذى كان يرصد مجرى الحياة العربية قبل الدعوة الاسلامية ، كان يرى ان اوضح ظاهرة فى الامة العربية ، واقوى قوة عاملة فيها هى «الكلمة» !

«فالكلمة» في حياة الامة العربية هى تاريخ امة بأسرها .. هى عقلها المدرك المفكر ، وهى قلبها النابض الشاعر ، وهى مشاعرها القوية المتدفقة ، وهى خيالها السابح المنطلق .. هى كل شيء تدور عليه حياتها .. انها تمسك بوجودها كله ، وتستولى على كل حركة او سكون لها .

فما عرفت الحياة امة من الامم كانت «الكلمة» مالكة زمامها ، ومصرفة أمرها ، ومنطلق حياتها ، ومسبع آمالها وآلامها ، كالامة العربية ، منذ جاهليتها الاولى الى ان طلع فيها الاسلام ، ونزل عليها القرآن !

وماذا كان يكون شأن الامة العربية ، وكيف يكون موقفها في الحياة لو لم تكن «الكلمة» معها ، وعلى لسانها ، فى هذه المرحلة الطويلة الشاقة عبر تلك الحياة الغليظة الجافة الجافية ؟

ونستطيع ان نقول في غير تردد انه لولا «الكلمة» لما كان للعرب قدرة على احتمال الحياة في الجزيرة العربية ، ولما وجدوا صبرا على الاقامة في هذا الجدب الذى يملأ وجوه الأرض ، ولما قام لهم وجود فيها على تلك الصورة التى جعلت منهم قبائل وعشائر ، ثم جمعتهم اخيرا فى امة واحدة اصبحت كما يصفها القرآن «خير امة اخرجت للناس» .

وقد يبدو هذا الكلام غريبا عند بعض الناس ، حيث يرون ان «الكلمة» — ونعنى بها اللغة — ليست مقصورة على العرب وحدهم ، بل ان الناس جميعا شركاء لهم فى هذه الظاهرة الطبيعية .. حيث لكل امة لغتها التى تعيش بها ، وتنتقل بها الآراء ، والافكار بين افرادها !

فكيف ينفرد العرب بهذا الوضع الخاص فى تلك الظاهرة العامة ، وكيف يكون للكلمة عندهم شان غير شانها حيث تكون على لسان الأمم والشعوب ؟

وهذا اعتراض له وجهه ووجاهته .

ولكن لنا ان نقول : ان ظروف الحياة التى فرضتها الطبيعة على العرب في هذه الصحراء القاحلة — المقفرة ، العابسة المكفهرة — قد جعلت للكلمة فى افواههم طعما لم يكن لها على اى فم فى اى مكان غير هذا المكان !

فالحياة في هذا الوطن الجديد الكئيب حياة لاتحتملها النفس البشرية الا اذا دخل عليها عنصر جديد من شانه ان يمد الناس هناك بقوى تشد عزائمهم ، وتربط على قلوبهم ، وتوثق عرى الالف بينهم وبين وجوه هذه الارض المنكرة ، فتتحول دمامتها — في ظل هذا الاحساس — حسنا مقبولا بعض الشىء ، يمكن ان يعاش به ، ويسكن اليه ، وربما قد يحب ويؤلف .. انه لابد من شىء يتعلق به الناس فى هذا الصراع المرير بينهم وبين الحياة فى هذا المنقطع من الارض ، والا ذهبوا بددا ، او ماتوا حسرة وكمدا .

ولم يكن بين يدى العرب في موطنهم هذا شىء يصلهم بالحياة ، ويجعل بينها وبين عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم ، وخيالاتهم طريقا اليها غير «الكلمة» والكلمة وحدها ، دون اية وسيلة اخرى من تلك الوسائل الكثيرة التى تعرفها الامم ، والتى تصل بين الناس وبين الحياة !

في الامم الاخرى — غير امة العرب — وجد الناس الى جانب الكلمة وسائل كثيرة يصورون بها افكارهم وآراءهم ، ويحشدون بها خواطرهم ومشاعرهم واحلامهم .. فعرفت الامم — فيما عرفت من هذه الوسائل — « الخط » ، فسجلت به آراءها وافكارها ، وعرضت هذه الافكار والآراء في مجال التعامل بين افرادها ، فتبادلوها فيما بينهم ، واخذوا بها واعطوا ، كما يأخذون ويعطون فى الاسواق التجارية ، فكان لهم من هذا متنفس رحب يتنفسون فيه ، ويعيشون به .. كذلك عرفت الامم — غير الامة العربية — فيما عرفت — النحت ، والتصوير ، والرسم ، والموسيقى ، والرقص ، والتمثيل ، واقامت منها فنونا تخضع لاصول وقواعد ، وشكلت منها صورا ومشاهد تنبض فيها خلجات المشاعر ، وتطل منها وجوه الآمال والآلام ، فيرى الناس كل هذه المجالات مسارح فسيحة ، تتحرك فيها عقولهم ، ويسبح فيها خيالهم ، وتخطر عليها مشاعرهم ونزعاتهم هذا الى جانب ماعندهم من اللغة التى ينظمون من الفاظها وعباراتها ماتستطيع الكلمة حمله من معطيات عقولهم وقلوبهم .

وهذا كله الى جانب ماعند الامم — غير العرب — من وجوه كثيرة للسعى في الحياة ، والتنافس في وجوه العمل ، والتقلب فى الوان اللذاذات والمتع ، بما تفيض به الارض من خيرات موفورة ، ورزق غدق .

اما الامة العربية — فى هذا الوطن الجديب — فلاشىء عندها يستجيب لها في يسر ، ويصحبها في المكره والمنشط ، وفي الحل والارتحال — الا الكلمة دون غيرها مما تهيأ للامم والشعوب الاخرى ان يصطنعوه ، ويستخدموه ، ويشغلوا به ، من الوان الفنون وشئون الحياة !

ان حياة البادية فى صحراء العرب قد فرضت على العرب ان يعيشوا في فراغ ثقيل موحش ، اذ لامجال للنشاط الانسانى هناك غير تربية الحيوان ، او بمعنى اصدق اقتناؤه ، من غير ان

يتكلف له صاحبه الا حمايته من الحيوانات المفترسة ، او من عدوان المغيرين من صعاليك العرب وفتاكها .. ثم ارساله بعد ذلك هملا يرعى حيث يوجد العشب والكلأ .. وكان امر ذلك موكولا الى الصبيان والنساء والعبيد . اما الرجال ففى فراغ ثقيل يلتمس له اصحابه متنفسا من اى وجه يكون .

ثم ان حياة البادية ، وجفاف جوها ، وتقلب هذا الجو بين السموم المحرق والنسيم العليل فيما بين الضحوات والاصائل ـ هذه الحياة من شأنها ان تبعث فى الانسان حيوية فى الجسم ، ويقظة في المشاعر ، ورقاعة في الحس ، وحدة في الذكاء ، وخفة فى الحركة !

فالعربى في حياته الفارغة المملة مع تلك الحيوية العارمة المتدفقة في كيانه ، ومع حسه المرهف وذكائه المتوقد فى حاجة ملحة الى متنفس تتنفس فيه طاقاته تلك الثائرة الفائرة ، وبغير هذاالمتنفس يحترق هذا الانسان احتراقا داخليا ، ثم لايلبث ان يتحول الى رماد .

فكانت الحروب والثارات المتصلة مما فرضت الحياة الصحراوية على الناس هناك ليلتمسوا فى شرها متنفسا لهم ، ومنطلقا للقوى الصارخة فى كيانهم .

على ان هذا المنطلق لم يكن يتسع للنشاط الانسانى كله فى هذا الوطن ، فهو بغيض كريه الى النفوس ، لا تقبل عليه الا متكرهة له ، وقد تسكن دواعيه واسبابه ، فكان لابد ان يزهد الناس فيه لفترة من حياتهم ، قد تطول وقد تقصر ، فيفيئون الى السلم ، ثم يعودون الى هذا الفراغ البليد .. من جديد !

وهنا يأتى دور « الكلمة » ، فتؤدى رسالتها العظيمة فى هذا المجال .. اذ لا يملك العربى شيئا غيرها ، فلا رسم ، ولا نحت ، ولا تصوير ، ولا تمثيل .. مما تسمح به الحياة المستقرة المطمئنة ، الامر الذى لم يكن ليتاح لأهل البادية وسكان الصحراء .

أليس غير « الكلمة » اذن شىء فى يد العربى يمكن أن يصـور مـا يجول في ضميره من خواطر ونوازع ، وما يختلج فى صدره من آمال وآلام ، وليس غير الكلمة شىء يملأ هذا الفراغ ، ويمتص جانبا كبيرا من الحيوية والنشاط الانسانى .

والحاجة كما يقولون تفتق الحيلة !

فهل استطاعت «**الكلمة**» ان تسد هذا الفراغ، وان تفتق الحيلة منها شيئا يجد فيه العربى حاجة العقل والقلب والروح ؟ ونستطيع ان نقول فى توكيد حازم : ان العرب وحدهم من بين سائر الأمم ، قد استطاعوا ان يروضوا « الكلمة » رياضة حكيمة ، وان يصوغوها صياغة عبقرية بحيث تصبح قادرة على انتلقى النشاط الانسانى كله ، وان تمسك به في امانة ودقة ، وان تعرضه في براعة وحذق ، عرضا تتجلى فيه آيات الفنون كلها مجتمعة !فالموسيقى بألوانها وانغامها ومقاماتها قد حواها الشعر العربى في تفاعيله ، وبحوره ، وقوافيه .

والتصوير قد تكفل به البيان العربى فى براعة ولطف ، حيث تبدو الصورة الكلامية في معرض هذا البيان أوضح واجمل من اية صورة أبدعتها يد فنان صناع ، وضع الوانها وظلالها بيد عبقرى حكيم .

والنحت .. قد ضمنته البلاغة العربية،فاقامت من الكلمات شخوصا ماثلة ، بكل مشخصاتها ، واصباغها والوانها . والتمثيل .. له فى الكلمة العربية مكانه ، ومقامه .. فلقد كانت البلاغة العربية ، والبيان العربى مسرحا حيا ، قامت فيه الكلمات والعبارات مقام الشخوص ، تحاور ، وتجادل ، وتغدو وتروح ، واذ انت منها بمشهد من مشاهد التمثيل لأعظم الروايات ، وعلى أعظم المسارح !

ولسنا نقول ذلك متأثرين بعاطفتنا للغة القرآن، وان كانت هذه العاطفة ـ تملأ صدورنا وقلوبنا ، وانما نقوله لانه الحق قبل ان يكون عاطفة ، ولانه الواقع الذى تقوم له الادلة والشواهد الناطقة !

فالشعر الجاهلى الذى ادرك الاسلام او ادركه

الاسلام هو الصورة الكاملة للبيان العربى ، في حدود الطاقة البشرية ، وهو الشهادة القاطعة لما بلغته الكلمة فى اللسان العربى من امتلاكها كل ما يمكن من قدرة على الابانة عن أدق المشاعر الانسانية ، واعمق الاحاسيس ، بما لا تقدر عليه وسائل الابانة كلها مجتمعة .. من لغة ، ورسم ، ونحت ، وتصوير وتمثيل !

ثم مالنا والشعر الجاهلى والادب العربى وفنونه كلها ؟.

وهذا القرآن الكريم .. المعجزة الخالدة .. معجزة الكلمة العربية .. قد صاغ من اللغة العربية في هذا النظم المعجز ماملك العقول ،واخذ بالألباب ، من فنون القول ، وآيات البيان .. ثم هو لا يبلى له جديد ، ولا يخبو له حسن ، وانما هو ابدا وضىء مشرق ، يملأ العين جمالا وجلالا ، ويعمر القلب محبة ومسرة . .وان الاية منه لتجىء فيمعارض الكلام فترفع خسيسه ،وتغلى رخيصه، وتبدو ابلغ كلام معها كأنه الحصا فى مواجهة درة يتيمة ! فهل تقوم مع هذا دعوى بأن اللغة العربية لغة بادية ، ونبت صحراء ، لا تصلح للحياة العصرية، ولا تسكن الى حياة الحضارة والمدنية ؟ وهل يقال مثل هذا القول فى لغة وسعت كتاب الله ، وحملت معجزة البلاغة والبيان .. ثم لا يدع قائله دعا ، ولا يتهم فى عقله وعلمه ان لم يتهم في مروءته ودينه ؟

ليس العيب عيب اللغة العربية ، وانها لغة أعراب ، ونبت صحراء .. وانما هو داء أصاب القلوب والعقول والالسنة ، فلم تحسن التلقى عن هذه اللغة، ولم تتعرف الى شىء من اسرارها، ولم تطعم شهى بيانها ، فكانت هذه الجفوة لها ، وهذا السفه عليها ــ ومن جهل شيئا عاداه !

ولم تكن اللغة العربية وحدها هى التى ترمى بهذه التهم عند اولئك الجهلاء السفهاء ، وانما الدين الاسلامى كذلك مأخوذ بهذه التهم جميعها ، فهو ــ عند هؤلاء ــ الرقعاء ــ دين صحراوى ، لا يصلح عليه ابناء المدنية والحضارة ، وان من اراد ان تكون انسانا وابن عصره فليتخلع عن هذا الدين والا كان عليه ان يحيا حياة البادية ، ويعتزل حياة هذا العصر .. كما ان من احب ان يكون أديبا مشهورا ، او قصصيا معروفا ، او شاعرا مقروءا فليحرر عقله ، وقلبه ، ولسانه ، وقلمه ، من قيود هذه اللغة الصحراوية ، وليتخفف منها ما امكن .. فانه على قدر ما يحمل منها بقدر ما تكون خسارته وتخلفه !

وخسئوا هم وخسروا !

فما الحياة في اكرم منازلها ، وانضر وجوهها ، واسعد احوالها الا مع هذا الدين .. دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وان الذى لا يجد لهذا الدين مساغا في عقله وقلبه فليعلم انه انسان معطوب ، فقد جوهر بشريته ، وملاك انسانيته وكذلك الذى لا يجد للكلمة العربية ، وللغة العربية شهوة في عقله ، وحبا فيقلبه، وسلاسة على لسانه وقلمه فهو دخيل على العرب ، دعى النسب فيهم ثم هو مع هذا انسان مهزوم في الحياة ، يتصيد سقط الكلام من كل لغة ، ثم يلوكه على لسانه ، ليصنع منه ادبا عربيا، وما هوبالعربى ولا الاعجمى ولا بالذى يستقيم مع اية لغة من لغات الناس ، ولكنه العبث الذى يفسد ولا يصلح ، وهو الباطل الذى يعدو على الحق ويريد ان يجليه عن مكانه .

وهيهات ! هيهات ..

فان الله سبحانه قد ضمن حفظ كتابه الكريم ولا حفظ لهذا الكتاب الكريم الا بحفظ لغته ، ومعجزته . وما كان فى ضمان الله فلن تنال منه الاحداث ، ولن تغيره الغير ، « والله غالب على امره ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون »

عبد الكريم الخطيب

القومية العربية .. بين الترك والاستعمار

بقلم: محمد جلال كشك

كان دخول العرب فى الدولة العثمانيه فى مطلع القرن السادس عشر ، ضرورة تاريخية ، وعلى العكس من ذلك كان خروجهم من هذه الدولة ، ابتداء من سقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسى ١٨٣٠ .. الى تصفية الدولة العثمانية على يد جيوش الاحتلال الانجليزى والفرنسى ، وعصابات عودة أبوتان ولورنس من ناحية ، ونشاط الغازى اتاتورك من ناحية اخرى فى مطلع القرن العشرين .. فلم تكن ثمة ضرورة تاريخية تحتم هذاالخروج ولا نتيجة سعيدة تبرر وقوعه ..

لقد كان قيام الدولة العثمانية كما رأينا فى المقال السابق ، ضرورة تاريخية حتمت انتقال السلطة فى الوطن الاسلامى ، وخاصة فى اسيا الغربية وشمال افريقيا ، الى اكبر قوة عسكرية من أبناء الاسلام ، لصد خطر الافناء الصليبى الذى صاحب نهضة الفرنج واكتشاف رأس الرجاء الصالح وبداية عصر الكشوف الاستعمارية ..

وكان للترك تخلفهم وجرائمهم وظلمهم ، ولكن احدا لم ينظر اليهم كمحتل أجنبى ، وقد رأينا كيف دخلت الجزائر باختيارها فى الدولة العثمانية وكذلك امراء لبنان وشريف مكه .. وكيف رفض المغاربة فى مصر التجنيد فى جيش المماليك لمقاتلة السلطان سليم **« لاننا لا نقاتل الا الفرنج »** وقد استطاع الترك أن يصدوا الخطر عن العالم العربى ، واخروا احتلاله اربعة قرون ، ولهم بذلك فى ذمة الاسلام والمسلمين دين لا ينقض ولا تنقصه جرائم حكوماتهم منذ اتاتورك. ·فنحن نتحدث عن الشعوب لأنها هى الباقية ، والحكومات الى زوال ·· وخاصة من تنكر منها لدينه وشعبه وتاريخه ··

صدت المواقع التركية سفن المستعمرين الجدد عن العالم العربى فانطلقت تعيث فسادا بعيدا عن ترابها ، فاكتشفت ونهبت وأبادت شواطىء افريقيا الغربية والجنوبية ، ثم سلبت من الحكم الاسلامى الشرق الاقصى .. الهند واندونيسيا والفلبين والملايو والولايات الاسلامية فيما بين روسيا القيصرية والصين وايران .. كلها خضعت لابشع استعمار عرفته البشرية ..

لقد كان ملك الهكسوس مضطرا لادعاء ازعاج فرس النهر لنومه تبرر لمقاتلة امراء طيبة .. اما الاستعمار الاوروبى فكان من البجاحة والتوقح الى حدالمباهاة والمجاهرة باهدافه اللصوصية الصريحة، والتداعى الى اقتسام بلاد الآخرين ، دونما اعتبار لسكانها كانها سائمة أو جماد لا يحسب حسابه ..

وما أن اطل القرن التاسع عشر حتى جاء الدور علينا .. وجاءت جيوش نابليون ممثل الثورة الفرنسية ، أو الاستعمار الأوروبى فى أكثر صوره خداعا وفحشا .. جاءت تطرق ابوابنا ، ولتذهب الى الابد بنعاس الطمأنينة الكاذبة التى استسلمنا لها .. الا ان جلاء نابليون السريع ، والنهضة الكاذبة التى ابتعثها محمد على ، ثم شغله للمسلمين والعرب بحربه تارة مع الدولة ضد الثائرين عليها، وتارة بحربه ضدها ..

قد ضيعت فرصة التنبه الجدى على العرب .. بل بالعكس غررت بهم نهضة محمد على فحسبوا ان كل ما يحتاجونه هو جيش على الطراز الأوربى.!

ومهما يكن حكمنا على « محمد على » فان حروبه ضد السلطان، قد كشفت أن أوربا لاتؤيد «تحررنا» من الحكم العثمانى ، كما يزعم البعض ، فهى التى وقفت الى جانب السلطان، بما فيها روسيا العدو الالد لتركيا ·· وأجبرت أوربا « محمد على » على العودة الى افريقيا ، مجرد باشا تركى ، تابعا للسلطان ، منفذا لمعاهداته التى تفتح اسواق مصر للراسمالية الأوروبية ..

كشفت حروب محمد على ، ان استراتيجية أوروبا ، ازاء الفريسة التى يجرى الاستعداد لتمزيقها والتهامها ، هى ابقاء الرابطة العثمانية

فى الحدود التى تضمن تسلل النفوذ الغربى ، واضعاف الدولة حتى يسهل ابتلاعها جميعا،وحتى تامن مخاطر نمو أحد الأطراف اذا ما استقل ، أو حتى وقوعه بين انياب غير التى خصص لها فى مؤتمرات الذئاب ..

وايضا تحطيم هذه الرابطة اذا كانت ستشكل سدا ولو قانونيا ضد الابتلاع ، او ستؤدى الى قيام حركة بعث ، تنظم مقاومة عامة للغزو الأوروبى ..

وهذا يفسر كيف انزلت بريطانيا جيوشها لتعيد محمد على الى طاعة السلطان ، وكيف انذرت السلطان آلا يحاول المساس بامتيازات الخديوية فى مصر بعد عزل اسماعيل ، ثم كيف استصدرت منشورا من السلطان بعصيان عرابى ، ثم منعت هذا السلطان بعد ذلك من ممارسة أى حق فى مصر وجندت له من يزعمون الكفاح من أجل الاستقلال عن تركيا !!

.. واصرار المفاوض الايطالى على اعلان السلطان استقلال طرابلس الغرب .. بعد ان احتلتها ايطاليا!

وفى الجانب الآخر ، أفاق المسلمون على الخطر المميت الذى تبيته لهم أوروبا الحرية والمساواة والاخاء ، وبدت لهم العلاقة العثمانية كحقيقة من شقين متناقضين ، ومتلازمين فى نفس الوقت .

* فهى أولا تشكل منفذا للسيطرة الأجنبية فى طريق تخلف السلطة العثمانية ، وبتغلغل العملاء فيها على نحو لم تعرفه دولة قبلها ولا بعدها من اعلى المناصب الى ادناها وبتدبير وتحويل .. أقوى الدول واضخم المؤسسات الاستعمارية والماسونية والصهيونية والتبشيرية والصليبية وكلها كانت تعمل بهمة وحقد لا يفتران لتمزيق آخر سد اسلامى وتسليمه أو اعداده للابتلاع ..

*وهى أيضا تشكل سدا قانونيا ضد أطماع هذه الدول .. بمعنى أن احتلال احدى الولايات يعنى الاصطدام بالدولة العثمانية صاحبة السيادة الرسمية والشكلية غالبا ،وهذه الدولة هى بالحتمية أقوى من الاجزاء كل على حدة ، وهى أقدر بحكم اتصالاتها فى المجال الدولى وارتباطها ، على المناورة ولو بما يكفى لتأجيل هذا الغزو ..

ولكن هذا السد القانونى امام الاطماع الأوروبية، اصبح يمثل أمام الثوريين من منتصف القرن التاسع عشر ، امكانية اثارة حركة جهاد ، أو مقاومة وطنية، باسم الاسلام وتحت رايته وفى ظل الوحدة العثمانية وامكانياتها لصد الغزو الاوربى .. وهو ما عرف بعد ذلك بالجامعة الاسلامية ، أو الرابطة العثمانية. اى التفاف المسلمين حول رمز الخلافة لمواجهة اوربا فى جبهة مقدمتها الدولة العثمانية واطرافها تمتد الى داخل الامبراطوريات الثلاث المتآمرة على الاسلام .. البريطانية .. والروسية .. والفرنسية حيث يعيش ملايين المسلمين ..

فالجامعة الاسلامية لم تكن دعوة عنصرية ولا مجرد تعصب دينى ، أو حركة رجعية ، بل حركة وطنية تحررية ، امتدحها « انجلز » والتى عليها « لنين » فى عصرهما ..

وهكذا فهمها زعماء الاصلاح والتحرر ،ولايعيبها استعانة السلطان عبد الحميد بها ، فمهما قيل فى هذا السلطان فقد كان بحكم مركزه يدرك ولو بغريزته نوايا أوربا الشريرة ، ويحاول بقدر مايسعه أن يواجه هذه النوايا مستندا الى القوة الوحيدة التى يستطيع تعبئتها بعد أن جردته قرون التخلف واعمال المستشارين والعملاء المندسين ، من التفوق العسكرى .. لم يكن امام السلطان لحماية مملكته الا التهديد «بالجهاد» .. ولم يكن امام المسلمين الا رابطة الاسلام تجمعهم لمواجهة اللصوص الذين يتقاسمونهم علنا ..

كانت الجامعة الاسلامية دعوة لحركة تحريرية فيها من المنطق ولها من المقومات اضعاف ما لحركة التضامن الآسيوى - الافريقى ، أو منظمة الوحدة الافريقية .. اليوم ..

ويقول العقاد فى كتابه عن الكواكب « فكان من رعاة الاصلاح من يرى أن الجامعة الاسلامية بزعامة الدولة الاسلامية الكبرى هى القوة التى بقيت لأمم الاسلام فى عصر الاضمحلال ، وقد اعوزتها قوة المال والعتاد ، وقوة العلم والصناعة وقوة السياسة والسيطرة الدولية ، فلا أقل من قوة التضامن والاتحاد »

« ونشطت دعوة الجامعة الاسلامية بعد ولاية عبد الحميد بسنوات قليلة وعلى أثر انعقاد مؤتمر برلين وافتضاح مؤامرات التقسيم التى اتفقت على الدول

الكبرى لانتزاع بلاد الدولة العثمانية من سيادتها بغير فارق بين الاسلامية منها وغير الاسلامية »

ويفسر موقف السلطان عبد الحميد بقوله «فغاية الامر فيما قصد اليه السلطان عبد الحميد من دعوته الى الجامعة الاسلامية باسم الخلافة ان يحتمى بعطف العالم الاسلامى فى وجه التعصب الاوربى المطبق عليه من كل جانب ، وان يستمع العالم الاسلامى اليه حين يناديه بتلك الصفة لان اكبر ولاة الامر فيه واعظمهم مركزا فى مراسم السياسية الدولية ، ولم يكن يخفى عليه أن العالم الاسلامى لا يقارع المستعمرين سلاحا بسلاح . ولا ثروة بثروة ولا نفوذا بنفوذ ، ولكنه كان يقنع منه بما يستطيعه فى كفاح الاستعمار ، ويعلم انه يستطيع الكثير مما يخشاه المستعمرون »

وقد اقترح الافغانى على السلطان عبد الحميد حكومة فدرالية ، أو حتى كونفدرالية فسأله السلطان « وما أبقيت أيها السيد لتحدث آل عثمان ؟» فرد عليه الافغانى «يبقى مولاى السلطان ملك اولئك الملوك ، فاذا فوبت هذه الخديويات ، فانه سرعان ما تنتظم ايران وافغانستان والهند ويصبح الاسلام قوة عتيدة يرهب الغرب جانبها وتهدأ ثائرته على الاسلام »

فالجامعة الاسلامية لم تكن مؤامرة تركية ، حتى وان رفع شعارها السلطان عبد الحميد بدافع من مصالحه ، بل حركة ثورية ، وشعار تحررى حاول المخلصون من أبناء الشرق أن يثيروا به حركة مقاومة فى وجه الغزو الاوروبى ، بل وكان هؤلاء الثوار الذين تركز نشاطهم فى البلاد العربية يدركون أن مكان الصدارة فى مثل هذا التجمع سيكون للعرب الى حد أن الافغانى ورشيد رضا كانا يدعوان الترك للتعرب واحلال اللغة العربية محل اللغة التركية .. وسنرى بعد ذلك كيف تنقلب الآية فيدعو العربيان المسميان شبلى شميل وسليمان البستانى لفرض اللغة التركية تحقيقا للوحدة ويقول شبلى شميل انها اكثر قابلية للتطور من العربية !..

وماذا كان موقف الغرب من الجامعة الاسلامية ، بعد أن قسم الأسلاب فى مؤتمر برلين ؟ ..

يقول « توفيق برو » فى رسالته القيمة « العرب والترك » : شعر الاوروبيون بخطر هذه السياسة على نفوذهم وانبرى رجال لهم شأن فى تاريخ الاستعمار كالمسيو هانوتو واللورد كرومر ، واللورد غراى الى مهاجمة الجامعة الاسلامية واعتبارها بؤرة للتعصب الدينى ، وأن ليس القصد منها سوى تحدى قوات الدول المسيحية ، ودعوا الامم الاوروبية الى مراقبتها مراقبة دقيقة والحذر منها » .

وبالطبع لم تكن أوروبا غاضبة من تعصب المسلمين حبا فى التسامح الدينى ، الذى لم تعرفه الحضارة الغربية أبدا ، بشهادة توينبى ، وبواقع تجربتنا المريرة معها ، وهى التى حاولت تنصير البربر فى المغرب العربى فى القرن العشرين والتى حاربت تركيا باسم حرية الاديان فى الولايات الاوروبية ، وما أن استقلت هذه الولايات باسم العرب والبلغار حتى تولوا «ذبح المسلمين بالجملةوسلب ونهبوحرق منازل وهتك أعراض وسبى للفتيات الأبكار » تحت سمع وبصر الدول العظمى وحمايتها ..

لم يكن ثمة شريف عاقل يصدق ان أوروبا قد تخلت عن صليبيتها ، أو أنها تطلب الخير للعرب والمسلمين بعدائها لدعوة الجامعة الاسلامية ، وهم يسمعون صرير انيابها فى انتظار ساعة التهام الفريسة .. حتى ان اللورد سالزبورى وزير خارجية بريطانيا ينصح ايطاليا بالتريث فى احتلال طرابلس التى اعطيت لها فى قسمة اللصوص عام ١٩٠٤ حتى « تكون الفريسة سهلة الاقتناص »

لم يكن ثمة شريف أو عاقل يصدق نوايا أوروبا، ولكن أوروبا وهى تعد الفريسة للاقتناص لم تكن تعتمد على الشرفاء أو العقلاء ، بل على المأجورين والمخبولين .. وقد بدأت عملية غزو واسعة النطاق ، ربما منذ أيام محمد على للعالم العربى وفى داخل تركيا لتفتيت المقاومة الوطنية ، ثم جاء الاحتلال الفرنسى للجزائر وتونس ثم البريطانى لمصر مدعما لسياسة التخريب هذه ..

وقد تعددت ضروب التخريب الداخلى الى ما لايمكن حصره ولا يتفتق الا عن ذهن اجرامى استهان بكل التقدم الحضارى لا ليأخذ بيد المتخلف بل ليورده موارد الابادة والمذلة .. ولعل أهم ملامح المخطط الغربى لابادة الدولة العثمانية هى :

* محاربة الرابطة الاسلامية بالدعوة الى الدولة العلمانية ومعنى ذلك تمزيق الوحدة الاسلامية وتفتيت مقاومة المسلمين ، والقضاء حتى على ما هذا

الاحتمال الذى يعترض الاطماع الاوروبية .. ولما كان الدين الاسلامى ليس فيه كنيسة ولا كهنوت ، فان شعار فصل الدين عن الدولة لا يفضى فى النهاية او فى التطبيق الا الى اضطهاد الاسلام والمسلمين كما حدث فى تركيا الكمالية .

※ اثارة النعرة القومية بتمزيق الدولة الى ترك وعرب واكراد وارمن وشركس وبربر .. الخ ثم تمزيق كل من هؤلاء الى مذاهب وطوائف .. والمتتبع لبذور هذه الحركات يجدها كلها قد ولدت فى حضانة الاحتلال الاوروبى وبرعايته ، بل أن أشد الدعاة للقومية التركية (مع منافاة ذلك تماما حتى للمصالح العنصرية للترك كحكام امبراطورية يهمهم اخماد النعرة القومية فيها) كان روسى متجنس بالجنسية التركية كان اسمه أحمد أغايف وغير اسمه الى أحمد أغا أو غلى .. وكانت استفزازاته للعرب تبعث على الريبة حقا .. وكذلك يوسف آقجورة « من غلاة المتعصبين للقومية التركية وهو روسى درس فى روسيا ثم باريس ولم يدخل تركيا الا بعد الانقلاب الدستورى !! .. وأول ناد تركى فرق بين الترك والعرب « ترل درنكى » قام بمعاونة المستشرقين ، الذين كما كانوا يبذلون جهودا فائقة فى الكشف عن خصائص القومية المصرية، واللغة العامية ، واثبات انفصال البربر عن العرب ، كانوا على الجانب الآخر يثبتون عراقة القومية التركية وخصائصها .. !! .. (عرب وترك .. توفيق برو) .

ذلك أن خبرة اللصوص تثبت ان النقب فى اتجاهين متقابلين أسرع فى الوصول الى الغنيمة ..

وفى الوقت الذى كان يجرى فيه تأليب الترك على العرب ، والعرب على الترك ، كان يجرى تقسيم العرب .. وتظهر دعوة مثل مصر للمصريين ، فى حماية المحتل ورعايته ، مدعية أن هناك صراعا بين تركيا وانجلترا على مصر .. وان الوطنية السليمة هى لا الى هذا ولا الى ذاك ولكن الى مصرية خالصة ، ومن هذا تكتفى بطلب الدستور خوفا من استبداد السراى ! ناسية أن السراى لا تقوم الا بحماية الانجليز ، ولا يسندها الا الانجليز الذين فرضوها على الشعب المصرى بعد أن اسقطها فى ثورة عرابى .. ثم لا يتعاونون مع حركة مصطفى كامل خوفا من عودة الاحتلال التركى !.. وكانت تركيا تخشى ارسال جيش الى مصر فى عصر اسماعيل حتى لا يتأثر الجنود بتقدم مصر وحضارتها فتفسد أخلاقهم على دولتهم !

لم يكن ثمة شريف غرب خليج العقبة يصدق حكاية التعاون مع الغرب خوفا من عودة « الاستعمار التركى » !.. وها هو توفيق الحكيم يقول فى كتابه « سجن العمر » :

« كنا طوال مدة الحرب نتطلع الى ناحية القناة ننتظر مجىء الاتراك والالمان لينقذونا من الاحتلال البريطانى . بهذا الامل كنا نعيش طول الحرب الأولى » .

هذه هى الفطرة السليمة .. ولكن ذوى الأغراض، من أجل مقاومة هذا الخيط الرمزى، شكلوا الأحزاب واخترعوا النظريات وتهاونوا مع جيش الاحتلال ، ودار المعتمد البريطانى !

أما شرق خليج العقبة فقد بدأ انقلاب العرب على الترك بسبب أنهم يسلمونهم لأوربا ، وليس لأنهم يتنازعونهم مع أوربا ..

● كذلك شملت خطة التخريب شراء رجال الدولة مثلا كان الصدر الأعظم حقى باشا الذى تم على يده تسليم طرابلس الغرب لايطاليا ، عميلا ايطاليا ،وله زوجة ايطالية .

● احتضان الحركات والجمعيات والأحزاب وتشويه تطورها وفرض الجواسيس عليها ، وتلك فى الأصل خطة بريطانية اتبعتها المخابرات البريطانية طوال عمر الامبراطورية الأسود ، وهى التنبؤ بمجريات التطور ثم التعجيل به أو اجهاضه بمسخ مشوه ، يجنبها مخاطر المولود السوى ، ويبعث اليأس فى نفوس الساعين اليه ، المتطلعين له .. ولعل أقرب مثال لذلك هو أن الحركة الشيوعية فى البلاد العربية قد نشأت فى المرتين عقب الحرب العالمية الاولى والثانية على يد رجال المخابرات البريطانية .. بل كان جل زعمائها فى المرة الثانية من موظفى مكاتب الاستعلامات البريطانية والأمريكية خلال الحرب ، وكانوا يتقاضون مرتبات من بنك باركليز .

لذلك عندما دعا السلطان عبد الحميد الى الجامعة الاسلامية واصطدم مع الدول الاوربية، وقررت هذه خلعه.. كان من الواضح أن حركة اصلاحية دستورية تتجمع فى الدولة العثمانية ، تضم شتى العناصر

والأديان ·· تؤمن بالرابطة العثمانية ، وتحاول أن تقيم دولة ديموقراطيـة عصرية قادرة على النهـوض بشعوبها ومواجهة أطماع الدول ، ربما لو قدر لهذه الحركة النجاح لكنا قد رأينا دولة اتحادية ، قبل ، وعلى غرار الاتحاد السوفيتي، واذا كانت «السوفيتية» قد اسـتطاعت أن توحد بين روسـيا ومستعمراتها السابقة ، فى آسيا ، فما كان ذلك بمستحيل على « العثمانية » على الأقل بين الترك والعرب والمناطق الاسلامية فى أوربا ·· أو حتى بين الترك والعرب وحدهما وليس فى تاريخهما قبل القرن العشرين ، ما كان بين روسـيا القيصرية ومسـتعمراتهـا من ذكريات مريرة ·

ولا شك أن هذه الدولة الاتحادية كما دعا العقلاء من العرب فى عشـيه الحرب العـالميه الاولى كانت ستشكل قوة تقدمية قادرة على أن تحمى عرب اسيا من الاحتلال الغربى، بل وعلى تحرير عرب افريقيا .. ربما كانت خريطة العالم قد تغيرت ·

ولكن المخابرات البريطانية والفرنسية ما كانت لتغفل عن هذا ·· لذلك نشطت الى افساد الحركات الدستورية ·

ولا شك أن تاريخ هـذه الحركات يحتـاج لبحث منفصـل ، ويمـكن الرجوع الى الوثائق التى تؤيد رأينا فى رسالة السيد « توفيق على برو » « العرب والترك » ·· الا أن سلوك حزب الاتحاد والترقى، ثم الائتلافيين ·· وأخيرا جماعة اتاتورك ·· يؤكد أن اصابع الاستعمار كانت تحرك اكثر من خيط ، وتشد أكثر من زعيم ، وتحكم أكثر من تصرف ·

لقد سلم الدستوريون للأطماع الاوربية فى شتى أنحـاء الدولة من الخليـج العربى الى المغرب العربى باعترافهم بالحمـاية البريطانية على الـكويت وقطر والبحـرين ثم فى امتيـازات بريطانيـا بالبصرة ، وسكوتهم على الاحتلال البريطانى لمصر ، وتغاضيهم بل حتى اعترافهم بالتسـلل الفرنسى للشـــام ، وأخيرا بتبديد قوى الدولة فى مقاومة العرب، وسحب الجنود والسلاح من طرابلس الغرب لتحتلها ايطاليا، بل قرروا فى احـدى اجتمـاعاتهم انهـا لا تستحق القتال ، بينما كانت الحرب الطرابلسية، هى البوتقة التى جمعت ارادة العرب والمسلمين وقاتل فيها كل قادر شريف·· بينما كان صاحب دعوة مصر للمصريين ينـادى بالحيـاد !! بين الشعب العربى فى ليبيـا والاحتـلال الايطالى ، وكان آخر هو جورج سـحنة لبنانى متجنس بالجنسية الفرنسـية يحرض ايطاليا على احتـلال طرابلس ، ويسمى ذلك اكمـال الحلقة واتمام احكامها «وتكون بين الاهل الاقربين والاصدقاء المخلصـين» أى الانجليز والايطاليين باعتباره فرنسيا !

ولكن التخريب الأكبر الذى شنه الدستوريون هو اضطهادهم للعرب ودفعهم دفعا الى الانفصال ·· وقد يبدو ذلك متناقضا حتى للمصلحة الذاتية، باعتبارهم حزب حاكم ، وان العرب أصبحوا بعد حرب البلقان الاغلبية فى الدولة ·· ولـكن هذا يثبت ليس فقط الغباء التركى، بل أيضا الذكاء الاستعمارى والنشاط الاستخبارى ·

كان الاتحـاديون يرفضون أن يضموا عربيـا الى قيـادة حزبهم ، بل وتخلو وزارتهم من وزير عربى وتضم ثلاثة من اليهود !· وفى احسن الأحوال يكون الوزير العربى اليتيم للأوقاف ·· ولا تكف صحفهم عن التشـهير بالعرب والهجـوم عليهم ·· فى وقت تنشط فيه المخابرات الانجلو ـ فرنسية ، وبعثات التبشير ، والصحف سواء فى الوطن العربى أو فى أوربا فى تحريض العرب وتغذية الدعوة الانفصالية بينهم ·· وقـد رفض الدستوريون الأتراك كل يد امتدت لهم من العرب وواصلوا عملية تسليم الدولة للاحتـلال الأوربى ·· حتى أحس العـرب بخطـر الاستمرار فى هـذه العـلاقة مع الترك ·· وبدأت تتجمع حركة عربية تحاول أن تنجو بآسيا العربية من المصير المحتوم·· وكانت الاستخبارات البريطانية والفرنسـية بالمرصـاد ، فـكما أجهضـت الثورة الديموقراطية على نطاق الدولة العثمـانية وقضت على حلم قيـام دولة اتحادية ديموقراطية بين العرب والترك ·· كذلك بدأت تعد العـدة لاجهاض الثورة العربية ·· وذلك حديثنا المقبل ·

« **محمد جلال كشك** »

أقبل الليل

للشاعر: أحمد رامى

يا حبيبى اقبل الليل ونادانى حنينى
وسرت ذكراك طيفا جال فى بحر ظنونى
ينشر الماضى ظلالا كن انسا وجمالا
فاذا قلبى قد حن الى عهد شجونى
واذا دمعى ينهل على رجع انينى

لو ترانى فى الدجى وحدى دمعتى تجرى على خدى
اذن اشفقت من وجدى عليا وطالعك الأسى من ناظريا
فعلمت اى ضنى اعانى فى هواك ورايت كيف تهيم روحى فى نواك
النوم ودع مقلتى والليل ردد انتى

والعيش من غير الحديث اليك ضيع بسمتى

ايها الطائر فى مسرى المنى عد الى مغناك فى الظل الظليل
اينع الغصن وطاب المجتنى وهفا الدوح الى رجع الهديل

يا هدى الحيران فى ليل الضنى
اين انت الآن بل اين انا ؟
انا قلب خفاق فى كف الأشواق
انا روح هيمان فى وادى الأشجان

لو عدت لى رد الزمان الى سالف بهجتى
ونشرت من روحى عليك غلالة من رحمتى

يا ايها الليل طال بى سهرى وساءلتنى النجوم عن خبرى
ما زلت فى وحدتى اسامرها حتى سرت فيك نسمة السحر

عسى يعود حبيبى مع النهار المطل
ويستقى منه عودى وينتشى منه ظلى
فترقص الأغصان من فرحة القرب
ويرتوى الظمآن من منهل الحب

يا حبيبى عد فقد طال مع الليل حنينى
وانا دمعى ينهل على رجع انينى

« احمد رامى »

أغنية للشلال الأعمى

للشاعر: محمد أحمد العزب

من فوق الفوق • ومن خلف الأبعـاد الزرقاء تحدر
حطم «نطلقاتك •• حطم مجراك •• ودمر •• وتدمر
انا نرجوك •• نصلي فيك لوجه الأخصب والأنضر
يا قلب الشـلال الأعمى مزق خلجـانك وتجبر

واعزف من طميك سيمفونية حب للفصـل الأخضر
فالأرض العاقر سـيقان جرداء وتابوت أصـفر
ونشـيد جنازات يعلو •• يتلوى في الأفق ويزأر
يا وجه الشلال الأعمى •• عربيا •• عربيا •• لا تتدثر

كل الأطفـال على الأهراء يتامى في العيد الأكبر
زغرد يا حاطم كل جبال الثلج بمجراك الأسـمر
فوراء الصحراء ملايين الأنجم عمياء •• وتسـهر
تغزل اكفانا للموتى •• وتموت على الخيط الأشقر

يا وجه الشلال الأعمى •• يا قدرا من غدنا اقـدر
أذرعنـا صفصـاف ممتـد عبر فضـاء يتقهقر
حتى ليلامس عنـد مـدار الأفق جناحـا يتكسر
وعيون عذارانا مـلاح ودع طفليـه وأبحـر

نسـيته الأعوام • وكادت أحداق الشاطئ تتحجر
لم لا تصغي يا قلب الشلال الأعمى ؟ انت مخـدر
لكن الصحو يموج على رئتيك •• يموج •• ويتحور
فارفع عن ساعدك الوشم المبصـوق زمانا وتحرر

واعبر للفردوس الأعلى في ثقة أبهـاء المطهـر
هانحن هنا ـ جيل المأساة •• رعايا الطوفان •• تدور
واسحق منطلقاتك •• حطم مجراك •• ودمر وتدمر
انا نرجوك •• نصلي فيك لوجه الأخصب والأنضر

محمد أحمد العزب

حبل الغسيل..

كوميديا في ثلاثة فصول

بقلم: على أحمد باكثير

تجرى حوادث هذه القصة فى ربع قديم بحى (معروف) فى القاهرة يشترك فى الاقامة به محرم ابو الديوك مدير مسرح النهضة وعبد الواسع بلعوم مدير احدى الجمعيات الاستهلاكية والمكوجى ابو حنفى الذى يتخذ من الوحش الملحق بالربع منتشرا لغسيله .

الفصل الأول

المنظر

ربع قديم يظهر على المسرح منه :

١ ـ فى ادنى المسرح جزء من حوش واسع.

٢ ـ فى اقصى اليسار وعلى ارتفاع قليل من الارض الفراندة التابعة لبيت ابى الديوك .

٣ ـ فى اقصى اليمين وعلى نفس الارتفاع جانب من الفراندة التابعة لبيت عبد الواسع بلعوم .

٤ ـ لكل من الفرندتين درج نازلة الى الحوش.

٥ ـ فى ادنى يمين المسرح يرى باب البدروم الذى يقيم فيه ابو حنفى المكوجى واسرته وهو متصل بدكانه الذى يقع بابه على الحارة فى الجهة المقابلة .

٦ ـ فى الحوش حبال منصوبة عليها بعض الثياب التى ينشرها ابو حنفى وعلى ارض الحوش بعض الصفائح وبوابير الجاز والطشوت الكبيرة وغيرها من ادوات غسل الملابس .

الوقت قبيل العصر

يرفع الستار عن حنفى واقفا فى الحوش على البسطة الأخيرة من الدرج النازلة من بيت ابى الديوك وهو مستغرق فى دور تمثيل يقوم به على طريقة البانتومايم وهو يتخيل وجود جمهور كبير يتفرج عليه حتى اذا أنهى القطعة خيل اليه أن الجمهور يصفق استحسانا له فينحنى للجمهور مرة بعد مرة ثم يلتفت الى بيت ابى الديوك وهو يقول :

حنفى : سامع يا أبا الديوك ؟ التصفيق والتهليل ؟ يا ناس كلموا أبا الديوك . لا يصح أن يهملنى هكذا ثلاثة شهور كاملة دون عمل وأنا طاقة كبيرة لو مثلت فساهز البلد ! لأنى لست ديكا من ديوكك ؟ يا أخى اجعلنى ديكا من ديوكك.

ام حنفى : (صوتها من البدروم) حنفى ! حنفى ! (تظهر) يا الهى ! ماذا تعمل فى نفسك ؟

ابو حنفى : (يظهر من خلفها) انه يمثل يا أم حنفى . ابنك صار ممثلا !

ام حنفى : يمثل وحده ؟ انا خائفة على عقل هذا الشاب .

ابو حنفى : كلا لا تخافى. هؤلاء الممثلون لا يصيبهم شىء . حتى الذى يموت منهم على المسرح لا يلبث أن تعود اليه الحياة . الحكاية كلها تمثيل فى تمثيل . مسكين ! ماذا يصنع ؟ لم يعطوه فرصة للتمثيل على المسرح فأخذ يمثل عندنا فى الحوش . خذ يا حنفى يابنى ساعدنى فى نشر هذه الهدوم (يناوله بعض الثياب) .

حنـــفى : فى امكانك يا ابى ان تساعدنى لو اردت

(يبدأ الثلاثة فى نشر الثياب على الحبال)

ابو حنـــفى : أتسمى هذا الذى تطلبه منى مساعدة ؟ هـــذا حكم على بيتى بالخراب !

حنـــفى : يا ابى كل شىء سيعوض ·

ابو حنـــفى : كيف ؟

حنـــفى : حينما أصير نجما كبيرا فى المسرح والسينما واكسب الألوف ·

ابو حنـــفى : فلننتظر حتى تصير نجما !

حنـــفى : وكيف أصير نجما دون أن يعطونى فرصة ؟

ابو حنـــفى : فليعطوك الفرصة · منذا متعهم ؟

حنـــفى : أنت ·

ابو حنـــفى : أنا متعتهم ؟

حنـــفى : نعم ·

ابو حنـــفى : أعلى أن أنطرد من بيتى ودكانى ليتركوك تمثل؟

حنـــفى : ما حيلتى ؟ هذه مشيئة الاستاذ أبى الديوك ·

ابو حنـــفى : الهى ينتف ريشه

حنـــفى : رويدك يا أبى ·

ابو حنـــفى : المفترى الظالم !

حنـــفى : هو الذى عيننى ممثلا فى مسرح النهضة ·

ابو حنـــفى : أتظنه فعل ذلك لوجه الله ؟ انه أراد أن يثيرك على لتساعده فى طردى من هذا الحوش · يريد ان يجعله حديقة لمزاجه الخاص ومزاج صاحبه عبد الواسع بلعوم حسبى الله منه ومن صاحبه!

(يفرغ من نشر ما فى يده من الثياب فينسحب نحو البدروم ويختفى)

حنـــفى : (يحنان ورقة) أنت يا امه الا تستطيعين ان تكلميه ؟

ام حنـــفى : أكلمه ؟ ماذا أقول له يا بنى ؟ اقول له اترك المحل الذى تعمل فيه من ثلاثين سنة ؟ أين نجد محلا مثله ؟

حنـــفى : ما حاجتنا الى محل مثله ؟ انى سأنقذكم من شر هذه المهنة ·

ام حنـــفى : هذه المهنة هى التى ربت لحم أكتافك وصرفت على تعليمك أتستنكف منها يا حنفى ؟

حنـــفى : أبدا أبدا يااماه الا انها مهنة متعبة وقد تقدمت بكما السن فأنتما محتاجان الى الراحة ·

ام حنـــفى : انقعد من غير عمل ؟ كيف نعيش اذن ؟ على مرتبك فى التمثيل ؟ على الخمسة عشر جنيها التى تذهب كلها فى القمصان والكرافتات ؟

حنـــفى : كلها سنة أو سنتان وأصير نجما مشهورا واكسب المئات · أنا كنت الاول فى المعهد والاساتذة كلهم يتوقعون لى مستقبلا رائعا فى التمثيل ·

ام حنـــفى : وفى خلال هذه المدة · فى السنة أو السنتين ماذا نعمل ؟

حنـــفى : ستجد لنا مكانا على قد حالنا نقيم فيه ·

ام حنـــفى : بكم ؟

حنـــفى : بتسعة أو عشرة ·

ام حنـــفى : له حوش مثل هذا ؟

حنـــفى : طبعا لا ·· مثل هذا لن تجديه ولا بعشرين جنيها اليوم ·

ام حنـــفى : وهذا بثلاثة فقط ·

حنـــفى : لأنه ايجار قديم ؟

ام حنـــفى : فكيف نتركه ؟

حنـــفى : أوه ! انك لا تريدين أن تفهمى كلامى · انكم لن تعيشوا طول عمركم فى بدروم · سأسكنكم فى قصر · سأبنى لكم فيللا · ياناس اعطونى الفرصة ! انى سأجن !

ام حنـــفى : كفى الله الشر ! طيب يا ولدى خليها على الله وعلى · سأكلمه اليوم من أجلك ·

حنـــفى : ممنون يا امه · ربنا يبقيك لى ويحميك !

(يتوجهان ناحية البدروم)

ام حنـــفى : بس يا اخواتى ماذا أقول لأبى حنفى ؟

(يخرجان)

(تظهر سعدية فى الفرندة اليمنى وكأنها تهم بالقاء الكناسة التى فى يدها على الثياب المنشورة فى الحوش وهى تتلفت يمنة ويسرة خشية أن يراها أحد واذا ابنتها زينات تظهر من خلفها وتمسك بيدها تمنعها من القاء الكناسة على الثياب)

زينـــات : ماهذا يا ماما ؟ ماذا أنت صانعة ؟

ســـعدية : دعينى يابنت · لا شأن لك ·

زينـــات : حرام يا ماما أن تقطعى عيش الرجل المسكين · هذا مورد رزقه ·

ســـعدية : نحن لا نريد قطع عيشه · كل ما نريده منه ان يفارقنا !

زينـــات : دبرى له مكانا آخر له حوش كهذا يغسل فيه وينشر ولك على أن يفارقنا فى الحال

ســـعدية : أنا أدبر له ؟ لم لا يدبر هو لنفسه ؟

زينـــات : لن يجد مثل هذا الحوش أبدا اليوم · مستحيل

ســـعدية : نحن أولى بالحوش منه · نحن نسكن شقتين فى الربع وهو يسكن البدروم ·

زينـــات : الحوش أساس عمله الذى يعيش منه · أما أنتم فتريدون أن تجعلوه جنينة !

سعدية: نعم هذا من حقنا .

زينات: سبحان الله أنسيتم أنه معكم على هذه الحال منذ خمس وعشرين سنة ؟

سعدية: يكفي أننا صبرنا له كل هذه المدة !

زينات: يا ناس ! انه هو الذي جاء بكم الى هذا الربع لتقيموا معه فيه ويكون جزاؤه أن تسعوا لاخراجه وطرده ؟

سعدية: ما شاء الله ما شاء الله ! من أين استقيت هذه المعلومات من الست أم الديوك التي ستكون حماتك .

زينات: أرجوك ياماما حسنى ملافظك . الست محسنة لم تسىء اليك !

سعدية: وهل قلت فيها كلمة سوء ؟ امرأة أبي الديوك تكون أم ماذا ؟

زينات: أم عصام . ابنها الذي سيتزوج ابنتك اسمه عصام .

سعدية: معلوم . أنت في صفها من الآن . ماذا يكون حالك غدا اذا انتقلت الى بيتها ؟ لو قالت لك اذبحي أمك لأطعتها !

زينات: ماهذا الذي تقولينه ياماما !

سعدية: أصبحت تجادليني وترفعين صوتك على ؟ هو التي علمتك وأفسدتك !

زينات: لا هي علمتني ولا أفسدتني .

سعدية: انك لتقلدينها حتى في تسريحة شعرك .

زينات: وأى بأس في ذلك ؟ ان تسريحتها لطيفة وذوق !

سعدية: وفي حبها لأبي حنفي وأم حنفي وحنفي أيضا !

زينات: أهي المسؤولة أيضا عن حبنا لهؤلاء ؟ ألم نكن طول عمرنا نحبهم ؟ لقد تربينا على يد أبي حنفي ويا طالما خدمنا أبو حنفي وللفعا !

سعدية: لقد كان هذا فيما مضى . أما اليوم فقد أصبح عدونا اللدود .

زينات: أنتم الذين عاديتموه . تريدون أن تطردوه من الربع ليتسنى لكم أن تجعلوا الحوش جنينة .

سعدية: نعم من حقنا ذلك .

زينات: يا ماما لقد عشنا طول عمرنا من غير جنينة أفمن أجلها تخربون بيت الرجل ؟

سعدية: كلا يا بنتي ليس من أجل الجنينة فقط .

زينات: من أجل ماذا أيضا ؟

سعدية: لن نصبح من الأكابر أبدا ما دام هذا الرجل يعيش معنا في مكان واحد !

زينات: لم يا ماما ؟ لأنه يعرف أصلنا وفصلنا ؟

سعدية: لقد يجب يا بنتي أن أصارحك بالحقيقة .. انظرى الى خالتك سميحة مثلا .. ان زوجها ليس أغنى اليوم من أبيك . ومع ذلك أين نحن وأين هم ؟ نحن تحت وهم فوق !

زينات: تحبين يا ماما أن تكوني مثلهم ؟

سعدية: وأعلى منهم ما المانع ؟

زينات: اذن فاتركوا حي معروف هذا واسكنوا مثلهم في الزمالك .. في العمارة التي بناها بابا هناك .

سعدية: أبوك غير موافق . قال ان سكان العمارة سيزعجونه ليل نهار .

زينات: فلنترك عمارته ولنسكن في عمارة أخرى .

سعدية: (كأن الفكرة أعجبتها) تعتقدين يا زينات أننا سننبسط هناك في الزمالك ؟

زينات: من غير شك . حى راقى .. حى الأكابر !

سعدية: لكن أبوك لن يرضى .

زينات: حاولى اقناعه لعله يرضى .

سعدية: وأنت تساعديني ؟

زينات: نعم انت من ناحية وانا من ناحية .

سعدية: والله انها لفكرة ! نرتاح من جيرة أبي الديوك وأم الديوك !

زينات: أم عصام من فضلك !

سعدية: أم عصام هه !

زينات: وتريدين أن ترتاحى من جيرتهم لماذا ؟

سعدية: عجبا أفتريدين أن نخرجهم معنا الى الزمالك ؟ وراءنا وراءنا في كل مكان ؟

زينات: وأى ضرر في ذلك ؟

سعدية: وأى ضرر ؟! الغرامات يا حبيبتي .. الغرامات التي تقع على رؤوسنا منهم في كل حين .

زينات: أى غرامات ؟

سعدية: لا تعد ولا تحصى ! خذى مثلا الحفلة التي ستقام اليوم في بيتهم . أتدرين على حساب من ؟

زينات: على حساب من ؟

سعدية: على حساب أبيك .

زينات: وكيف عرفت يا ماما ؟

سعدية: كيف عرفت ؟ منذ قليل قام أبوك من عز النوم وانطلق الى الجمعية ليأتى لهم بمستلزمات الحفلة .

زينات: من الجائز يا ماما أن يحسبها عليهم .

سعدية: يا عبيطة ! هؤلاء يعز عليهم أن يصرفوا المليم الواحد ومع ذلك يحبون أن يقيموا الحفلات في بيتهم ! لكى تتشامخ علينا الست أم ... أم عصام !

زينـــات (تلحظ حركة فى البرندة الأخرى) صه .. هلمى بنا ندخل يا ماما لئلا يسمعنا أحد .

(تخرج سعدية وزينات)

(يظهر أبو الديوك فى البرندة اليسرى)

ابو الديوك (يلقى نظرة الى الحوش فيتأفف) أبا حنفى .. أبا حنفى .

ابو حنفى (صوته) نعم يا أستاذ !

ابو الديوك تسمح !

ابو حنفى (يظهر فى الحوش) مساء الخير يا أستاذ محرم .. أى خدمة ؟

ابو الديوك عندنا الليلة حفلة . تسمح تشيل هذه الهدوم ؟

ابو حنفى الى اين أشيلها يا أستاذ ؟

ابو الديوك الى اين ؟ الى البدروم عندك .

ابو حنفى انها مبلولة بعد يا أستاذ . ما نشرتها الا منذ دقائق .

ابو الديوك هل ترى أن نؤجل حفلتنا من أجل الهدوم ؟

ابو حنفى يكون أحسن يا أستاذ .

ابو الديوك أحسن ؟ ماذا تقول يا رجل ؟ المدعوون فى طريقهم الينا الآن .

ابو حنفى اذن فلتبق الهدوم فى مكانها انها هدوم نظيفة

ابو الديوك كلا لايصح ان يروا عندنا هذه المناظر . عيب

ابو حنفى (يزفر زفرة حرى) لا حول ولاقوة الا بالله . أم حنفى ! أم حنفى !

(تدخل أم حنفى وخلفها حنفى)

ام حنفى نعم يا أبا حنفى

ابو حنفى تعال لنشيل هذه الهدوم (يبدأ فى رفع الثياب بعصبية)

ام حنفى نشيل هذه الهدوم ؟

ابو حنفى نعم

ام حنفى وهى مبلولة ؟

ابو حنفى لاباس

ام حنفى كيف ؟ سنضطر غداً ان نغسلها مرة ثانية

ابو حنفى سنغسلها ياستى مرة ثانية ! لقد أصبحنا اليوم أغنياء ونستنكف من هذه الأشياء ان تبدو أمام الضيوف

ابو الديوك لا لزوم يا أبا حنفى لهذا الكلام !

(تظهر محسنة خلف زوجها)

محسنة دعه يتكلم يا محرم .. من حقه أن يتكلم

ابو الديوك (ينهرها) اسكتى انت عن فضلك .

ام حنفى الله يعمر بيتك يا ست محسنة يا أصيلة بنت الأصول

ابو الديوك اسكتى يا ولية . لى الهدوم وانت ساكتة

ام حنفى الله يسامحك يا أستاذ . حاضر يا سيدى

(تحمل الهدوم هى وحنفى الى البدروم)

ابو حنفى حاجة ثانية يا أستاذ ؟

ابو الديوك هذه الحبال

ابو حنفى ما لها ؟

ابو الديوك تشيلها أيضا .

ابو حنفى الا نتركها مكانها يا أستاذ ؟ سيصعب علينا أن نربطها مرة ثانية .

ابو الديوك كلا .. كما ربطتها فى الأولى ستربطها فى الثانية .

ابو حنفى مجهدون يا سيدى .. فى عملنا هذا الشاق من مطلع الفجر !

حنفى : لا عليك ياأبه . دعنى أتول هذا الأمر . سأحل أنا الحبال ثم اربطها من جديد .

(يبدأ فى حل الحبال بهمة ونشاط)

ابو حنفى أجل . مثل يا أخى مثل !

ابو الديوك وهذه البلاوى اتريدون ان تتركوها ؟

ابو حنفى أى بلاوى ؟

ابو الديوك هذه البوابير والطشوت والصفائح والكراكيب ؟

محسنة أين تريد ان تجلس ضيوفك ؟ فى البرندة أم فى الحوش ؟

ابو الديوك ما شأنك أنت ؟

محسنة يجب أن تجيب على سؤالى !

ابو الديوك كلا .. لن أجيب !

ابو حنفى لا لزوم لهذا التخاصم بينكما . سنرفع هذه البلاوى أيضا .

(ينحى هو وام حنفى تلك الأشياء الى داخل البدروم)

ابو حنفى حاجة أخرى يا أستاذ ؟

ابو الديوك (يظهر الاعتذار) شكرا يا أبا حنفى .. لا تؤاخذنى . ما كنت أريد أن أشق عليك لكن ماذا أصنع ؟ مضطر !

ابو حنفى فى خدمتك يا أستاذ هيا بنا يا أولاد ندخل بيتنا !

(يخرج أبو حنفى وأم حنفى وحنفى)

ابو الديوك (كالمعتذر) سامحينى يا محسنة ان كان فى كلامى شىء من الشدة .

محسنة — أنا امرأتك استطيع أن أحتملك لكن ما ذنب هؤلاء المساكين ؟

ابو الديوك — هؤلاء لا ينفع معهم الا هذا الأسلوب . انى أعرفهم جيدا .

محسنة — أوقد غرك أنهم سكتوا لك ؟ انمــا ذلك من طيبتهم والا لو رفض أبو حنفى ...

ابو الديوك — يجرؤ ؟!

محسنة — لم لا ؟ ماذا يخاف منك ؟

ابو الديوك — أنا قابض على رقبته . أنسيت ابنه حنفى ؟

محسنة — هــذا الشاب المسكين أليس حراما أن تقف في طريقه ؟

ابو الديوك — أنا لم أقف في طريقه . بالعكس أنا عينته في المحج .

محسنة — وما الفائدة ! الى الآن لم يعط له دور واحد !

ابو الديوك — لقد تلطفنا مع أبيه اذ عيناه أفلبس على أبيه أن يتلطف معنا ؟

محسنة — أتريد أن يتلطف معك أكثر مما فعل !

ابو الديوك — فلندعنا تعمل الجنينة التى تريد . يا ســلام يا محسنة لو تكون لنا جنينة خضراء تتوسطها فسقية جميلة !

محسنة — وهذا الكواء المسكين هل فكرت في مصيره ماذا يكون ؟

ابو الديوك — سيكون مصيره حسنا . سيستريح من هذه المهنة الحقيرة . أنا واثق ان ابنه حنفي سيكون ممثلا ذا شأن !

محسنة — اذن فاتح له فرصــة الظهور أولا فستجدهم يتركون الربع حينئذ من تلقاء أنفسهم .

ابو الديوك — كلا يا محسنة هذا غير مضـمون .

محسنة — لا يعقل أبدا أن يرضوا بسكنى البدروم بعد ذلك .

ابو الديوك — من يدرى ؟ ربما يعز عليهم أن يتركوا هــذا الايجار القديم ! ابن آدم طماع ولا يملأ عينه الا التراب !

محسنة — دعنى الآن من حكاية أبى حنفى . من المدعوون الى هذه الحفلة ؟

ابو الديوك — الا تعرفين من هم ؟ أصحابنا !

محسنة — الديوك ؟

ابو الديوك — نعم .

محسنة — أنا غير مستريحة الى هؤلاء .

ابو الديوك — فيم يا محسنة ؟ الم يكن يجمعنا واياهم مذهب واحد ؟

محسنة — بالأمس شيء واليوم شيء .

ابو الديوك — بالأمس كنا نهدم واليوم نبنى !

محسنة — بل بالأمس كنتم تبنون وأنتم اليوم تهدمون .

ابو الديوك — ماهذا ؟ لقد عكست الآية !

محسنة — كلا .. لقد كنتم فيما مضى تهدمون نظاما فاسدا لتبنوا نظاما صالحا مكانه وهذا يسمى بناء أما اليــوم فانتم تريدون أن تهـدموا نظاما صالحا لتبنوا انفسكم على أنقاضه !

ابو الديوك — أوه .. دعينى يا حبيبتى من فلسفتك هذه .

محسنة — اصغ الى جيدا يا محرم . أنا لا أتفلسف . أنا اليوم أم قبل كل شيء وربة بيت ولا أرضى لبيتى أن يخرب !

ابو الديوك — يا حبيبتى كفى الله الشر !

محسنة — بالصراحة أنا خائفة عليك !

ابو الديوك — على أنا ؟ اطمئنى . نحن في أمان . لا خــوف علينا اليوم بتاتا .

محسنة — بل الخوف عليكم اليوم أشد . كان الخوف عليكم فيما مضى من أعداء الشعب أما اليــوم فمن الشعب .

ابو الديوك — من الشعب ؟ وهل أسأنا الى الشعب في شيء ؟

محسنة — نعم . انكم تعملون في هدم كيانه وتسرقــونه وتستغفلونه .

ابو الديوك — كيف ؟

محسنة — بانكم تتكتلون فيما بينكم من دونه ونحن نعيش اليــوم في مجتمع اشتراكي لا يقبــل التكتلات والشلل .

ابو الديوك — انما نتكتل هكذا لنحمى الاشتراكية من أعداء الاشتراكية .

محسنة — أرجوك . لا تحاول أن تغالطنى . أنا أدرك كل شيء . ان أعداء الاشتراكية الذين تشير اليهم ليسوا بأخطر عليها من السوس الذى ينخر في عظمها من الداخل . أتدرى هذا السوس من هو ؟

ابو الديوك — من ؟

محسنة — انتم !

ابو الديوك — (يتكلف الضحك) أوه .. انت دائما مثالية يا محســنة . ينبغى أن يكون لديك شيء من المرونة .

محسنة — كلا لست مثالية . أنا اليوم عملية واقعيــة . خائفة على زوجى وبيتى وأولادى ! وبقى عليــك أن تكون واقعيا مثلى .

ابو الديوك — كيف ؟

محسنة — المركز الذى كنت تطمع فيه نلته وزيادة . سيارة وملكتها . عمارة وبنيتها . عزبة واشــتريتها وعشة في مرسى مطروح فماذا تريد بعد ؟

ابو الديوك — وماذا تريدين منى أن أعمل ؟

محسنة : اعمل على حل هذه العصابة !

ابو الديوك : العصابة ؟!

محسنة : نعم ما أنتم الا عصابة .

ابو الديوك : وكيف أحلهم ؟

محسنة : واجههم بالحقيقة .. قل لهم يكفوا عن تكتلهم هذا قبل أن يمسكهم الشعب ويعاقبهم

ابو الديوك : يمسكنا كيف ويعاقبنا كيف ؟ اطمئنى . لن يمسنا سوء أتدرين لماذا نقيم هذه الحفلة ؟

محسنة : من أين لى ان أعرف ؟ هل اخبرتنى ؟

ابو الديوك : ماذا أصنع يا محسنة ؟ رأيتك تكرهين أصحابنا هؤلاء ولا تطيقين ذكرهم . هذه الحفلة يا ستى نقيمها ابتهاجا بسقوط منصب هام جديد فى أيدينا. ظللنا تجرى وراءه وراءه حتى استولينا عليه .

محسنة : تعنى أن الزحف مستمر ؟

ابو الديوك : نعم .

محسنة : والعاقبة ؟

ابو الديوك : سليمة . لا خوف علينا بالمرة . كل شيء فى حدود النظام . اطمئنى يا حبيبتى نحن أنصار الاشتراكية وحماة مكاسب الشعب .

محسنة : مكاسب الشعب أم مكاسبكم أنتم ؟

ابو الديوك : يا حبيبتى أولسنا نحن من الشعب ؟ فمكاسبنا هى من مكاسب الشعب .

محسنة : أعوذ بالله . أتدرى ما معنى هذا الذى تقوله ؟

ابو الديوك : ما معناه ؟

محسنة : معناه أنكم منذ الآن قد أصبحتم أعداء الشعب .

ابو الديوك : أعداء الشعب ! أنصار الشعب ! بينى وبينك يا محسنة : هل تظنين هذا الشعب يميز أنصاره من أعدائه ؟ هو اليوم خلطبيس !

محسنة : انت مخطىء . هذا الشعب لا يمكن لأحد ان يستغفله . لعله يعرف أعداءه من اليوم ولكنه لا يريد أن يكشفهم الى أن ينفد صبره فينقض عليهم ويستأصلهم ان شاء الله !

ابو الديوك : تبا لك يا محسنة لا حق لك أن تدعى عليهم .

محسنة : الدعاء سلاح العاجز . هؤلاء يجب كفاحهم لا الدعاء عليهم . آه ليت عندى حماسة الشباب وقوته !

ابو الديوك : ماذا كنت تصنعين ؟

محسنة : كنت أشهر بهم فى الصحف . كنت أكشف وصوليتهم وانتهازيتهم !

ابو الديوك : فى الصحف ؟ تقولين فى الصحف ؟

محسنة : نعم فى الصحف والمجلات اليومية والاسبوعية والشهرية !

ابو الديوك : (يضحك) وتظنين انك تقدرين أن تنشرى فيها ؟

محسنة : لم لا ؟ الآن ديوككم منبثون فى الصحف ولهم عليها السيطرة ؟ أنا أعرفهم جيدا . لو ووجهوا بقليل من الشجاعة وقليل من الايمان لكشفوا مثل الأرانب !

ابو الديوك : لا لا ، لاحق لك فى هذا القول . انهم أصحابك وزملاؤك فى الكفاح ، وما تعارفنا أنا وأنت وأحب أحدنا الآخر الا عن طريقهم .

محسنة : اسمع يا محرم . ان كان لوجودهم مبرر فى العهد البائد فلا مبرر لوجودهم اليوم .

عصام : (يسمع صوته من بعيد) بابا ماما أين أنتما ؟

ابو الديوك : عصام نحن هنا فى البرندة !

عصام : بابا ، عمى عبد الواسع جاء .

ابو الديوك : (يقترب من عصام ليهمس له) وجاء بشيء معه ؟

عصام : نعم جاء بفراخ مشوية وتفاح و .. حاجات أخرى !

ابو الديوك : صه لا ترفع صوتك ! (بصوت عال) أهلا وسهلا .. دعه يدخل يا ولد ! تفضل يا عبد الواسع !

عصام : لقد خرج يا بابا .. وضع هذه الحاجات فى الصالة وخرج . قال انه سيغسل وجهه ويلبس ثم يعود للحفلة (يخرج) .

ابو الديوك : هيا اذن يا محسنة الى العمل ! أعدى البوفيه .

محسنة : وبعد يا محرم ؟ الى متى يقيم عبد الواسع هذا حفلاته فى بيتنا ؟

ابو الديوك : هذه ليست حفلته . هذه حفلتنا جميعا .

محسنة : وهذه الحاجات أليست منه ؟ أليست على حسابه؟

ابو الديوك : على حسابه أحسن من ان تكون على حسابنا !

محسنة : لكى تعيرنا الست سعدية امرأته وتتبط علينا !

ابو الديوك : تجرؤ ؟ دعيها تتفوه بكلمة واحدة ! ماذا تظنين ؟ اتظنين ان زوجها لا مصلحة له فى ذلك ؟

محسنة : أى مصلحة ؟

ابو الديوك : المسرحية التى ألفها .

محســـنة : أهو أيضا يؤلف مسرحيات ؟ مدير تموين يصبح من المؤلفين ؟

ابو الديوك : وما المانع ما دام من شلتنا ؟

محســـنة : ويا ترى هذه المسرحية ماذا يكون شكلها ؟

ابو الديوك : ليس هذا هو المهم . المهم أنها ستقبل منه وتمثل على المسرح !

محســـنة : اذن فلماذا لا يقيم الحفلة في بيته ؟

ابو الديوك : يا عبيطة ! في بيتنا أفضل ! على الاقل ينسب الجميل الينا .

محســـنة : أوتظن الضيوف لا يعرفون الحقيقة ؟

ابو الديوك : يعرفون أو لا يعرفون . لا يهم . يكفى أن فائض الحفلة سيبقى فى بيتنا !

محســـنة : دعنى من هذا . القصد كله أن تقعـــد الست سعدية رجلا على رجل وأنا التى أتعب وأدوخ !

ابو الديوك : ياستى شغليها معك .

محسنة : أشغلها ؟ أوترضى هذه أن تتعب نفسها الا فى استقبال النسوان ؟

ابو الديوك : النسوان ؟

محســـنة : ألا تعرف ؟ نسوان تجار الفاكهة والطيور اللاتى تستقبلهن فى بيتها صباح مساء لتقعـــد معهن الصفقات وزوجهـــا يورد لأزواجهن من تمـــوين الشعب !

عصـــام : (يدخل) الضيوف يا بابا !

علي احمد باكثير

محافظة الاسكندرية
مديرية الشئون الصحية
ادارة شئون العاملين

الاعلان رقم ٦٥

اعــــلان

تعلن مديرية الشئون الصحية عن حاجتها الى شغل الوظائف التالية :

الوظيفة	الدرجة	الخبرة المطلوبة
مبخرو اوبئة	التاسعة	الالمام باعمال التطهير والتعفير والتبخير
مبخرون	العاشرة	الالمام باعمال التطهير والتعفير والتبخير
مراقب ملاريا	التاسعة	الالمام باعمال مقاومة الملاريا
رئيس ملاحظين	العاشرة	الالمام باعمال الصحة الوقائية
مساعد اشعة	الحادية عشر	الالمام باعمال التصوير وتحميض الافلام

ويشترط فى المتقدمين لشغل هذه الوظائف الآتى :

١ ـ الالمام التام بالقراءة والكتابة .

٢ ـ اجتياز الامتحان الذى سيجرى للمتقدمين .

فعلى من يرغب شغل احدى هذه الوظائف التقدم بطلب مدمغ برسم السيد الدكتور وكيل الوزارة للشئون الصحية بمحافظة الاسكندرية ٩٧ طريق الحرية (ادارة شئون العاملين) مرفقا به الآتى :

١ ـ عدد ٤ صور فوتوغرافية .

٢ ـ صورة معتمدة للبطاقة الشخصية او العائلية .

٣ ـ شهادة معتمدة موضح بها نوع الخبرة ومدتها فى الوظيفة المعلن عنها .

وقد تحددت مدة شهر من تاريخه لتقديم الطلبات ولن يلتفت الى الطلبات التى سترد بعد الميعاد او الغير مستوفاة الشروط .

وكيل الوزارة للشئون الصحية
باسكندرية
دكتور
(محمد العروسى)

إغنية صوفية

للشاعر: إبراهيم محمد نجا

لانك في قلبي ، وملء مشاعري	اراك ، وان طوفت بين الدياجر
اراك بقلبي ، وهو ظمآن للسنا	وانت سناه .. بل سنا كل حائر
اراك بفكري نور معنى مقدس	يلوح بعيدا عن مدى كل خاطر
وارنو الى كل الوجود ، فلا ارى	سواك ، فانت الكل في كل ناظر
بعيد عن الافهام انت ، وان تكن	قريبا الى قلب المحب المثابر
احبك قلبي حين ادرك نبضه	بانك سر النبض .. سر السرائر
احبك فوق الحب .. والحب فوقه	فناء الندى في قلب ضوء مباكر
فيا اولا من غير بدء ، وآخرا	بغير انتهاء او حدود لآخر
انلني وجودا بدؤه الحب ساميا	وغايته في الحب اسمى المظاهر
ويا باعث الانوار في كل ظلمة	فتسفر عن صبح من الحب زاهر
اعني على هذا الظلام بقبسة	من النور تدعو كل نور مهاجر
ويا عالم الاسرار تعلم انني	انوء بسر ما له من نظائر
حملت اساه ملء نفسي زوابعا	من النار تشقى في لظاها مشاعري
فضيعني حتى تمنيت صادقا	خريفا به افنى ، وتفنى ازاهري
وعذبني حتى احال ترنمي	انين الثكالى ، او نواح المزاهر
احاول ان انساه في كل لحظة	فيدعو الى ذكراه كل خواطري
يلازمني مثل المصير ، وان يكن	على النفس اقسى من جميع المصائر
هو اللفظ والمعنى ، هو الصوت والصدى	هو الظاهر المحجوب خلف الستائر
الم يان لي ان يترك السر عالمي	فيخضر عمري كالمروج النواضر !
ويا عالم الاسرار تعلم انني	صبرت ، فلم اترك مجالا لصابر
وتعلم اني حينما ثرت ، لم اكن	اثور على ما شئت لي من مقادر
هو الالم الطاغي يزلزل هداتي	فتنبض اعماقي بصرخة ثائر
وتعلم اني حين قصرت ، قدمت	دموعي نداماتي وشتى معاذري
وهانذا قد جئت ارفع توبتي	اليك ، فادركني برحمة غافر

***

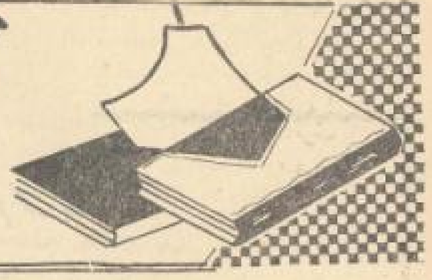
تغنيت يا ربي بنورك ظامئا	اليه ، فبشرني باحلى البشائر

كركوك — العراق

ابراهيم محمد نجا

تعقيبات

بقلم : عباس خضر



خواطر في عيد ميلاد يحيى حقي

بلغ الأستاذ يحيى حقى الستين من عمره الخصب في شهر يناير الماضى ، وقد شغلتنى بعض الأمور التى عقبت عليها فى الأسابيع الفائتة عن كتابة كلمة حب في ذكرى مولد هذا الرجل الذى ظل نحو اربعين عاما يعمل فى حديقة الأدب العربى الحديث دائبا كالنحلة العاملة .. يرتاد ويجمع الرحيق من هنا وهناك ويخرج من الانتاج الأدبى الوانا مختلفة لها مذاق شهى خاص وفيها غذاء مرىء .

فى الأسابيع الماضية قلت كلاما كثيرا اضطرتنى ظروف المناقشة ورصد الحركة الفكرية ان احمل فيه واخشوشن على بعض الزملاء ، **فلا اقل من ان اكفر عنه بكلمات طيبات اقولها في رجل كيحيى حقى عطر حياتنا الادبية بنفحات قلمه الذى يستمد معينا عميقا من الفن والجد فيه .**

لم يذهب شهر يناير بالمناسبة التى اعتادت الحركة الصحفية او الفن الصحفى ان يلتزمها ، بل ظلت تذكر بها عدة اشياء تشد اليها وتستحث خشية أن يفلت منها شهر آخر : فبراير .

من تلك الأشياء كتاب الاستاذ **«فجر القصة المصرية»** الذى قرأته أخيرا للمرة الثالثة ، والذى كان هاديا لى فيما اضطلعت به من دراسة فى تاريخ أدبنا الحديث والذى ينقصه – تاريخيا – يحيى حقى نفسه ، وان كان – أدبيا – هو يحيى حقى نفسه ..

فقد كتب عن زملاء له في ريادة فن القصة الحديث فى ادبنا ، ولم يكتب – بطبيعة الحال – عن نفسه كواحد منهم .

وجاءت كتابته في هذا الكتاب كسائر كتابته مركزة كالشراب المركز الذى يحل قليل منه فى كثير من الماء ..

ليلة أمس وضعت كتاب « فجر القصة » جانبا ، ورقدت في طلب النوم ، وطبقا لعادتى جعلت استجلب النعاس مستعينا «بالراديو الترانزستر» الصغير .. العب بمفتاحه وبمحرك المحطات .. وبدى مستدفئة بالغطاء .. فسمعت الاستاذ يحيى حقى يتحدث فى «مجلة الهواء» بمناسبة عيد ميلاده فيعبر عن حرجه من الحديث عن سنه بين السبعين والستين .. السبعين التى اوهمها ما كتبه « كمال الملاخ » فى الاهرام من انه دخل في الدورة السبعين .. والستين التى هى حقيقة عمره والتى كانت الدقة اللغوية – التى لا تفوت يحيى حقى – تقضى بأن يقال «الحلقة السبعين» بدل الدورة السبعين .

وكان التعبير عن الحرج لفتة من اللفتات النقدية التى لا يخلو منها كلام الاستاذ كتابة او (دردشة) .. اذ قال انه يأسف باضطراره الى تصحيح ما تبادر الى بعض الاذهان من انه بلغ السبعين .. لانه لا يحب بل يتأذى مما جرى عليه بعض «الرجال» من المزاح بالسن وما يتخلله من التصاغر كما تفعل النساء ..وما يكون فيه من الوصف بالكبر والتنصل منه .. كأنه عيب !

ومما قاله يحيى حقى في الحديث الهوائى ردا على سؤال المذيع عن أسباب تعلقه بالأدب فى نشأته – انه ورث الميل الى الادب والالتفات اليه من افراد فى أسرته ، وانه نشأ فى بيت حفل بكتب الأدب .

كثيرا ما يقال مثل ذلك في نشأة الادباء وغيرهم ،

تدليلا على المؤثرات الاولى في تكوين الشخصية . ولا انكر ذلك ، ولكن ذهني سرح في مقارنة عجيبة اسلمتني الى النوم .. مقارنة بين نشاة الاستاذ وبين نشاتي .. ان كانت نشاتي شيئا يستحق

ولكن المقارنة لا تخلو من الدلالة الموضوعية على اى حال .

لم أجد في بيتنا عندما تفتحت للقراءة كتبا تغني او ترشد الى الادب غير المصحف الشريف ودلائل الخيرات وما اليهما .. ورحت ابحث عن الكتب بوسائل مختلفة ، كان اضعفها الشراء لفقد قوته .. وكان اقواها الاستعارة الداخلية والخارجية من دار الكتب ، وكان بين بين .. الاستعارة من الاصدقاء والزملاء وماقد يصحب ذلك من (الصهينة) وعدم رد الكتاب ..

وليس في اسرتي أدباء ، ولا حتى عشاق للقراءة الأدبية، سواء في ذلك الاصول والفروع ومن بينهما، ولي خمسة اولاد .. ولوا جميعا وجوههم شطر اشياء اخرى غير الادب .

ومما يذكر في هذا الصدد ما قاله المرحوم العقاد في ندوة تليفزيونية قبيل وفاته ، وقد سألته المذيعة عن رأيه في ظاهرة ملحوظة هي ان الادباء لا يعقبون غالبا ادباء ـ قال ان هذا يرجع الى « اقتصاد الطبيعة » .

ويظهر ان دافعا خفيا في نفسي يريد ـ في غفلة مني ـ ان يحملني على الغرور .. اذ يحاول ان يطبق نظرية « اقتصاد الطبيعة » وقلة ميلها الى السخاء في انجاب المواهب من ذوى المواهب .. يحاول ذلك الدافع ان يطبق هذا على حالي .. وما انا الا رجل في حالي ..

فلنعد الى يحيى حقي :

هذا الجيل الذي يبذل ليحيى حقي ما هو اهل له من التقدير لحاضره ، لا يعرف كثيرا عن ماضيه، واقصد نشاته ، واذ يعرف يزداد تقديرا للرجل الذي لم يتخذ الأدب لهوا وزينة ، يتحلى به الى جانب مناصبه في السلك السياسي مثلا ، او يلهو به في وقت فراغه ، **انما كان، كما ظل وكما لايزال، مهموما به كاداة للتعبير عما يعتمل في نفسه وما يشاغله من اهتمامات جادة يسوقها احيانا مساق الفكاهة فلايخفى عليك ما في طياتها من التالم الجراح ليست ذاتية خاصة بمقدار ما هي موضوعية عامة.**

بدأ الأديب الشاب يحيى حقي (في نحو العشرين من عمره) بدءا حائرا : حاول أولا أن يعرف طريقه هل هو طريق الواقعية التي كانت الجديد في عصره، او هو طريق آخر غيرها ؟

هذه قصة «**فلة ـ مشمش ـ لولو**» **نشرت** لأديبنا الناشيء بجريدة « الفجر » في ٣ ابريل سنة ١٩٢٥ ، تجري حادثتها في منزل يتكون من ثلاثة طوابق . في الأول امرأة تركية نظيفة وحيدة تبتعد عن جيرانها لقذارتهم ، تربي قطة اسمها « فلة» وترعاها بحنان . وفي الطابق الثاني اسرة موظف فيها ولد صغير مدلل ، له قط اسمه «المشمش» قذر عربيد على خلاف « فلة» الوادعة . وفي الطابق الثالث امرأة رومية لها كلب اسمه «لولو».

يهجم مشمش على اولاد فلة ، ويأخذ باسنانه واحدا منها، وتجري وراءه فلة لانقاذ ولدها. وينزل لولو الى الميدان ، ويعلو صوت المعركة بنباحه .. وتنجلي المعركة عن قتيل صغير وفرار القاتل الى الشارع ورجوع الأم حزينة ، ويعود لولو فخورا رافعا ذيله .

وخرجت التركية تشتم، فخرجت زوجة الموظف ترد عليها :

« **يا سرنديل هانم .. حقه مالكيش حق ، طب حنعمل ايه للقطط كمان ؟** » **فتقول لها سرنديل هانم : « انت يا هانم متعرفيش تربي قطة ! »**

وقصص اخرى على هذا النهج الواقعي ، ثم نرى الكاتب الشاب يضيق بالواقعية التي كانت هم انداده وشغلهم الشاغل ، ويحاول ان يصنع شيئا آخر ، فيكتب قصة «**السخرية او الرجل ذو الوجه الاسود**» ـ الفجر ١٦ سبتمبر ١٩٢٦ ـ كتب تحت العنوان : « **بعد قراءة ادجار الان بو » وقدم لها بمقدمة قال فيها كلاما يدلنا على ان ما يقال الآن من مثله ليس جديدا .. قال ان الكاتب يشعر احيانا باسرار غريبة « لن يجد في المذهب الواقعي بغيته اذا احب ان يعبر عنها » وقال انه يريد ان يرتفع عن الواقع الى « حيث لا يقيده سوى اوضاع اللغة ومعلومات البشر العامة »**

والقصة تبدأ بوصف نشأة الراوي ـ فيه ملامح

من الكتاب – فى كنفوالد تركى شديدكثير الأوامر التى لا بد من تنفيذها ، ولهذا نشأ ضعيفا قزما لا ينمو جسمه ، ويحلم احلاما في اليقظة بعيدة عن الواقع تتهيأ فيها أشباح مختلفة · وتشتمل القصة على عدة حوادث من هذا القبيل وحادث آخر مع شاب سخر منه لقصره ، ويعبر الراوى عن مشاعره ازاء هذه السخرية التى اثارته وبعثت فيه الكبرياء.

وهذه القصة وقصة اخرى بعنوان « الموت والتفكير » – الفجر ١١ اغسطس ١٩٢٦ – تشبهان « التجارب الجديدة » التى يزاولها الآن بعض كتاب القصة القصيرة على انها ثورة على الشكل التقليدى!

ولم المح علاقة بين قصة « السخرية أو الرجل ذو الوجه الأسود » وبين قصص « بو » · وقد يكون الشاب يحيى حقى أراد أن يعطى قصته اعتبارا من ناحية كاتب غربى كبير ، حتى لا ينقده احد ويرميه بالهذيان ..

ويعود يحيى حقى الى المذهب الواقعى فيكتب على مقتضاه . ومن القصص الواقعية التى كتبها فى الفترة الأولى ولم يجمعها بعد ذلك قصة « حياة لص» يرسم فيها شخصية خفير اصله قروى جاء الى القاهرة وراء فتاة بغى يحبها ، برغم أنه متزوج ، ويميل الكاتب هنا الى النقد الاجتماعى فيقول :

« وأى عجب فى أن يعشق حسنين ابراهيم امراة وهو متزوج من اخرى ؟ اليست زوجته نوعا من المتاع لا قيمة له ولا تدخل في حسابه ؟ »

مرتب « حسنين » جنيهان فى الشهر وله اولاد، يخفر شارعا تجاريا كبيرا ، يشعر بالملل ويحاول ان يقتله .. يتعرف على كل شىء في الشارع ، ولكن الملل يطعنه بقرنيه .. لاحظ ذات ليلة باردة رجلا فى الشارع ارتاب فيه ، ورآه فى اليوم التالى بقهوة ، وتحدث معه ، وحدثه الرجل عن مغامراته النسائية ، وعرف منه أنه « فتوة » وزاره في منزله فرأى به بضائع مختلفة ، ورأى أشخاصا مختلفين يأخذون هذه البضائع وقطعا حديدية تفتح بها الأبواب وتذاكر صفراء (كوكايين) ، ويعرض اللص على الخفير ان يذهب معه ليلة .. فيذهب بملابسه العادية ويأخذ نصيبه من المسروقات مبررا ذلك بأنه « شخصيا » لم يسرق ، وانما وقف بعيدا يرقب الطريق !

المهم ان الكاتب يسير مع « حسنين ابراهيم » بطريقة تحليلية حتى يصل به الى ان يصبح لصا ·

ومن تلك القصص التى اهملها « **قهوة ديمترى** » – السياسة ٢١ ديسمبر ١٩٢٦ – ونرى الكاتب الصغير هنا في الفن القصصى الثانى – الصور واللوحات – الذى ما زال يكتبه حتى اليوم – يقدم لنا لوحة لمكان وشخص ، المكان هو قهوة ديمترى في بلد من بلاد « الغربية » يصف القهوة وروادها ومنهم « الشخص » الذى يرسمه ، وهو « الأبونيه » الذى يسافر كل يوم الى المدينة القريبة او القاهرة لشراء ما يحتاج اليه اهل بلده مقابل اجر معلوم ·

ونرى فى هذه القصة أوائل من تجارب يحيى حقى كموظف فى الأقاليم ·

ونرى يحيى حقى الناقد المبتدىء على عكسه قصصيا مبتدئا .. كتب نقدا لمجموعة « سخرية الناى» لمحمود طاهر لاشين –كوكب الشرق– فبراير ١٩٢٩ – وهو نقد قصصى رائد ، القى فيه نظرة فاحصة على الخطوات الأولى في القصة المصرية ، ثم تناول قصص لا شين بنقد موضوعى تجنب فيه ما كان متبعا فى النقد الادبى على وجه عام من تتبع الأخطاء او الثناء والتقريظ ، بل عنى بالتحليل وبيان مدى توفيق الكاتب فيما قصد اليه من التعبير والتصوير ·

من ذلك النقد نرى يحيى حقى يبدأ موقفا مجيدا فى نقده أكثر مما قدر له فى اول كتابته للقصة · ومرد ذلك الى انه لم يعجل في النقد كما فعل بالنسبة للقصة، اذ بدأ الكتابةالنقدية بعد انْاكتمل له حظ لا باس به من الاطلاع والتجارب الادبية . وقد والى هذه الكتابة بعد ذلك بتوفيق كبير واكب توفيقه في كتابة القصة .

ذلك هو كفاح الشاب الاديب الناشىء يحيى حقى الذى نحتفل الآن ، او بتعبير اصدق لا نحتفل .. بعيد ميلاده الستين · وارجو ان نكون اكثر وفاء له فى الاعياد القادمة ·

عباس خضر

حول الأدب



بقلم عبده بدوى

لا تكذبى .. وقضية التفعيلة

الذين يحاولون أن يؤكدوا أن الشعر الذى يقال الآن لا يخرج فى معماره عن الشعر القديم، ولا يبعد بكثير عن المضامين البعيدة يسيئون الى أنفسهم قبل أن يسيئوا الى قضية الشعر ، ذلك لأنهم يحكمون بعض المفاهيم السياسية التى تقول أولا بالنسف ، ثم البناء ، ولعل هذا ان صح أنه ينطبق على شىء فانه لن ينطبق بوجه من الوجوه على قضية الشعر ، ولعل هذا يرجع الى أن الشاعر يتعامل مع جوهر كل شىء حين يتكلم عن الطبيعة ، أو الحب ، أو الحرية ، أو الزمن ، أو الموت .. فكيف ننسف هذه الأشياء ثم نعود الى البحث عنها من جديد ، اننا قد نشاهدها برؤية جديدة ، ولكن تبقى دائما عملية الوصول الى جوهر الشعر التى يطالب بها كل شاعر فى كل زمان ومكان ، والتى لن يصبح بدونها الشعر شعرا ، فاذا أضفنا الى ذلك أنه لا بد أن يصل اليها من خلال وجدانه هو ، وأنه فى عملية وصوله هذه لا يكون واعيا تماما بحركة الحياة ونظامها من حوله .. اذا أضفنا ذلك وأضفنا أن الشعر – على مر العصور – قد نما وتطور من داخله وانه لا يصبح أداة عاجزة الا فى يد الشاعر العاجز أدركنا أن شقة الخلاف بين الشعر والتفعيلة ليست كبيرة ، بل انى أزعم أنها تكاد تكون معدومة !

فهناك من البحور ما يعتمد على تفعيلة واحدة ، فاذا أخذنا بحرا من هذه البحور وأردنا أن نطبق ما يقال عليه من شعر التفعيلة الآن أمكن ادراك ما أحب اثباته هنا .

ولعل من المفيد هنا أن أسارع الى الاثبات أن الجهارة والرتابة النغمية لاتنطبق على الشعر المتجدد، بقدر ما تنطبق على شعر التفعيلة ، ذلك لأنه فى الشكل الأول يمكن التلوين بوساطة الستة عشر بحرا ، وبالستة المولدة ،وبالأشكال التى استحدثتها الحضارة العربية فى الأندلس ، وبتلك الثروة التى تصل الى حد المائة من الأعاريض والأضرب ، فى الوقت الذى تصدر فيه دواوين كاملة لا تكاد تحيد الا قليلا عن تفعيلة واحدة هى « مستفعلن » .

ومهما يكن من شىء فالذى أريد أن أصل اليه

أن الشعر القديم لظروف الحيــاة التي أحاطت به لا يخلو من الجهارة ، وأن الشاعر القـديم كان من الجفوة وامتلاء النفس (بفتح الفـاء) بحيث يلقي قصيدته شطرا شطرا ، أو بيتا بيتا ، ولكن الشاعر الحديث الآن يكتب ويقف تنفسه في الشطر او البيت اكثر من مرة ، بحيث لو حصرنا الوقفات ونثرنا البيت على طريقتها لما اختلفت هذه الطريقة كثيرا عن الطريقة التي يقال بها الآن شعر التفعيلة ، الى حد يمكن القول فيه أن قضية الشعر الآن لا تخرج في جوهرها عن أن تكون قضية قراءة .

ومع أن هذه الفكرة شغلتني فترة من الزمن الا انى وجدتها تشغلنى بحدة أكثر ، وبعمق أكثر ، حين رجعت الى قراءة ديوان « لا تكذبى » للشاعر **كامل الشنـــــاوى** وللتطبيق عليها يمكن أن أقـدم هذه الأبيات من قصيدة انا الشعب ، ومن قصيدة جميلة ، فمع انهما من الشعر المتجدد ، الا أنه يمكن قراءتهما بالطريقة التى يوزع بهـا شعر التفعيلة ، وبالطريقة التى تتفق مع حركة التنفس ، وبالطريقة التى يقرأ بها كامل الشناوى نفسه ، بل وبالطريقة التى يغنى بها شعر هذا الشاعر .

● على باب مصر تدق الأكف
ويعلو الضجيج
جبال تدور
رياح تثور
وتصغى
وتصغى

● **الليل والقضبان**
والجدران والسجان
والقيد الحديد
وصرير أبواب
ووقع خطى
وابواق تدوى
من بعيد
وجميلة عذراء
انسانه
القوا بها فى ارض زنزانه
عريانه !
والأرض عريانه !!

ومع أن هذه الظاهرة موجودة فى كافة الشعـر المتجدد ، الا أنهـا تكاد تصرخ فى شــــعر كامل الشناوى ، وبخاصة اذا أدركنا أن الشاعر لا يقف عند التفعيلة ككتلة صوتية ، وانما يدمجها ادماجا صوتيا وفنيا مع الكتلة المجاورة ، بحيث لا تتحكم فى كل ذلك الا الشحنة الانفعالية التى تتحكم هى الأخرى فى مساحة الكلمة من حيث هى كلمة تتسع لا من حيث هى تفعيلة توزن :

فاذا تركنا هذه الظاهـرة وتوغلنـا فى الديوان وجدنا أن القصيدة عنده لا تشغل الانســـان من الخارج ، وانما تشده برفق الى الداخل ، ولكنــه من داخلها يجد نفســه يعدو بسرعة بعينيه وقلبـه خلف حلقات فى سلسلة ذهبية أنيقة .. حلقـات حين ينتهى الانسان الى نضارتهـا المشرقة الأخيرة يحس أن روحـه لم تتشرب الحـزن حتى ولو كان الشاعر يتكلم عن الحزن ، ولم ترتعد بالأسى حتى ولو كان الشاعر يتعامل مع الأسى نفســـه ، ذلك لان الايقاع المتوثب ، ونقاء اللغة ، وعشق الشاعر للحياة يكسر الاحســـاس بالحزن ، ويحوله الى نوع هش قد يبهر العين ، ولكنه لا يكسر القلب !

صحيح أن الشاعر يفطن الى « نمو القصـيدة » ويصل بالقارىء فى النبضة الأخيرة الى « مرحـــلة الاشباع » ولكن عملية النمو المتوتر التى يفترض أن تشد الانسان شدا متواصلا وعنيفا فى الوقت نفسه ، سرعان ما تهدأ بعض الشيء ،وتثقل حركتها، حين يضطر الشاعر الى القاء شحنة أكثر فى جوانب القصيدة تضطر القارىء الى أن يهدىء من رحلته ، ثم يواصل السير ، ان القارىء لا يكف عن السير مع الشاعر وهو يقول مثلا :

● **كيف السكوت لحسنك الثرثار**

● **ايكم من رأى ابتساما حزينا**

● **فتركتها لكن قلبى لم يزل**
طفلا يعاوده الحنين الى الرجوع
واذا مررت ـ وكم مررت ببيتها ـ
تبكى الخطى منى وترتعد الدموع !

ولكن القارىء قد يتمهل ـ بسبب كثافة الشحنة الجمالية ـ فى رحلته مع الشاعر حين يقول :

● ففدا القرب ستارا

يا حبيبي بل جدارا
حائلا بيني وبينك

● **لا تثر لي ذكرياتي انها**
شيبتني · شيبت حتى صبايا !

صحيح أن اللقطة هنا مأخوذة « بالكاميرا البطيئة » ، وان هذا قد يكون مطلوبا في بعض الصور ، ولكن اى ضير في الا تمتصنا « اللحظة الجمالية » ليتحقق ما نفتقده غالبا في القصيدة المعاصرة من ضرورة النمو الدرامي المتتابع ، بحيث لا يأخذ الانسان نفسه وراحته ومتعته وتذوقه العميق الا في نهاية القصيدة ·

ومهما يكن من شيء فان شعر « **كامل الشناوي** » يعطينا عالما من الألفة ، فانت لا تحس بالغربة حين تقرؤه ، ولكن تحس انك مع صديق ، قد لا يقوم بعمل يشتتك وانت تقول هذا الشعر الا أن يقوم في هدوء ، ثم يجلس الى « البيانو » ثم يصاحب ما تقرأ ، ليتداخل الشعر مع الموسيقى، ثم ليستحيلا شيئا واحدا من المتعة ، واللذة ، والانبهار !

ان الشعر اذا كان يتحول على يد كثير من الشعراء الى نوع من الدهشة والدوار والغموض والرموز فان شعر كامل الشناوى يعطي الانسان المعاصر الشفافية والحلم والاخضرار والمتعة والصبوة ، بحيث يحس الانسان أنه يقبل على صديق ، يقدم الى جانب هزة اليد ·· الابتسامة وفنجان القهوة والحديث المبهر الذى يدور عن نبضات الخنجر الذى يعيش به في جنبه ، وعن النار التي يحس فيها في دائرة الظل ، والى انه أصبح بقايا وشظايا ، والى أنه لا يعيش بقلبه وانما بقلبها ، وقد يتحدث عن الغدر، والخداع ، ولكن حين يصفر وجه السامع ويشفق على الشاعر ، يأتيه صوت يقول :

● **لا وعينيك ما سلوتك عمري**
فاستريحى ·· وحاذرى أن تريحى !

● **سألت عقلي فاصغى**
وقال : لا ، لن تراها
وقال قلبي : أراها
ولن احب سواها
ما انت يا قلب قل لي :
اانت لعنة حبي ؟!
اانت نقمة ربي ؟!
الى متى انت انت قلبي ؟!

ولعل هذا هو السر الذى يجعله دائما عميق الصلة بقارئه ، فعلاقة الشاعر بقارئه قد تقوم على الخوف والرهبة والقلق ، ولكن علاقة كامل بقارئه لا تتعدى دائرة الحب ، فهو لا يصك القارئ، ولكن يتسلل الى نفسه ، وهو لا يتحدث اليه من مناطق غريبة ولكن من منطقة يحس أن القارئ يعيش داخلها ، وهو لا يشعوذ بالرموز الجاهزة لأنه غير حريص أن يرضى شيئا غير الفن ، ولعل هذا يوضح ان الشاعر حين يتكلم يتسلل الى القارئ شعور مريح بأن نفسه هي التي تتكلم ، ولعل خوف الشاعر من الأحاسيس المباشرة هو الذى يجعله « **يلفت** » القارئ ليفكر معه برهة في الخيال الكسيح ، وشيب الصبا ، وسرقة اليقظة بلا مقابل، وحفر القلب بالسكين ، وتحدى الشوق بالقبلات !

والشاعر يتعامل مع الجنس بمعناه الجمالي ، فهو يقف طويلا عند عينين جنتين ، وهو يقنع من الوصل بالأماني ·

يا حبيبي حسبي من الوصل انى
بالأماني القاك حينا فحينا !

والمرأة عنده ليست رعبا وجسدا وعاصفة ، ولكنها آنية جميلة وفرحة ما يكاد يمر أمام البيت التي تستقر فيه حتى تبكي خطاه ، وترتعد دموعه، وهي شيء يخشى عليه من الضياع ، ولكنه دائما يضيع ، فاذا استوثق من هذا الضياع دعا نفسه الى « ترك الهوان » ، وذكر ان له روحا عنيدة ، ثم ترك صرخة جريحة تقول :

كوني الجحيم سعيرا فلن اكون وقوده !

والشاعر هنا لا يجرى وراء المرأة ، ولكنه ينتظرها ، فاذا حضرت وقالت له ماذا تريد قال لها « أنت » ، ولن يقنعنا أن يقول لها انه شاعر هرم قد حضر لاصطياد الالهام « بقدر ما ينظم القصيدة » فالشاعر هنا يمثل « الفخ » المسلح بالكلمة الحلوة النشوانة في انتظار نوع خاص من العصافير ، ولكنه لا يمثل النسر الجسور الذى يفرض منقاره وجناحيه على الريح وعلى نوع الفريسة ، ولعل هذا هو الذى يجعله يحول الجنس الى نوع من الترف ، والى طريقة خاصة في فترات الحب تتمثل في أن حبيبته تريح بعد العناق رأسها على كتفه ، ثم تبعد وتدنو « كاصبعين بكف » ، وهو يبدأ — حتى في

حلم من الأحلام ـ فيضم الى الصدر ، ثم يمد يده الى الشعر ، ثم يقوم بحركة ثالثة ـ محسوبة ومقدرة ـ وهى الارتشاف من القبل ، فى الوقت الذى يعقد قلبه من حولها وثاقا ترخيه يداه ! فالحب عنده لا يتحول الى عاصفة تزلزل الوجود ، ولكنه يظل دائما شيئا واضحا يعرف أوله من آخره ، وربما تعرف ـ مسبقا ـ كل كلمة ستقال فيه ! لأن المقصود منه قد لا يخرج عن التعبد فى محراب الجمال .

ولعل هذا يجعلنا نحدق فى وجه من يحب ،وهو نفسه يساعدنا حين يقف بنا وقفة طويلة عند صاحبة صوت جميل ، ولكن لا يلبث أن يذكر لنا بعد ذلك أن ما يبحث عنه هو الجمال .

● **افديك شادية فصوتك فتنة**
قهارة .. كجمالك القهار
تترنح الألفاظ فى شفتيك سكرى
.. منهما وتفوح كالازهار
ولها بسمعى مثل أصداء المنى
ولها بقلبى مثل لذع النار !

● **يافتنتى انت شعر**
الله صاغ قصيده
وأنت فى الأذن لحن
وفى فمى تغريده !

● **ايها اللائمون قلبى على الحب**
رويدا .. فما عسى تبتغونا
اسلوا عن الجمال وقلبى
عاش للحسن عاشقا مفتونا !
انا أهوى الجمال فى حيثما كان
حييا ، أو ثائرا ، أو رزينا

فالشاعر يدخل فى تجارب لينتهى الى جوهر الجمال ، ومن هنا يستساغ ضعفه ، وقابليته للتدمير والتحطيم .

● **دمرتنى لأننى كنت يوما احبها**

● **حطمتنى مثلما حطمتها**

والشاعر محب لوطنه وعروبته ، ولعل قدرته الخارقة لا تظهر الا فى هذا المجال ، ذلك لأن الشاعر هنا يجد موضوعا كبيرا يحاصره ويدق عليه قلبه ، فمع أن الشاعر يذود عن نفسه الشعر فى كثير من الاحيان ، وينتظر حتى يأتى اليه الجمال فى « الكافيتريا » مثلا الا أن بعض الموضوعات الوطنية يفرض نفسها عليه ، كما فى بعض المقاطع التى أوردها فى الديوان من أوبريت جميلة التى تصور بطولة المرأة فى كفاح الجزائر ، صحيح أنه اختار « المرأة » لتكون البطلة ، ولكن المرأة تختفى فى القراءة لتظهر حقيقة واحدة هى حقيقة الجزائر .

وهو يتحول فى أول الأمر الى « مهندس ديكور »

● **الليل ، والقضبان ، والجدران ، والسجان ، والقيد الحديد**

ثم يقدم لنا « الموسيقى المصاحبة »

● **وصرير أبواب ، ووقع خطا ، وابواق تدوى من بعيد**

ثم يعطينا الشخصية وينميها من داخل الحدث :

● **وجميلة علراء انسانه**
القوا بها فى ارض زنزانه
عريانة ، والأرض عريانه
الراس محنى على الصدر
والصدر منتفض بلا ذعر
وتكومت فى الركن صاعقة
محمومة بالويل متقضه
كيد تلوت كفها غضبا
وتقوست ، فتحولت قبضه !

وهو من خلال هذا يتحول الى نحات يرينا الخامة، ثم يحول الرأس الى حركة حين يميله الى الصدر ، ثم يصنع أمام أعيننا الصدر ، ثم يحولها الى كيان منتفض حزين ، ثم يجعل هذا الكيان يصغى ، ثم يستمر الاصغاء ، واذا بها تدرك المأساة التى تعيش فيها حين تتحسس ما يجرى فى السجن ، وكأنه ينفذ من جديد ليساعدها على خلق نفسها ، وعلى ادراك نفسها ، ثم يستمر العذاب ، وتتوهم أن « باسل » أمامها يناجيها ، ثم ينتهى المشهد بأن تطلب هى منه أن يغفر لها ذنوبه هو !

❋ ❋ ❋

والشاعر قد يحتك بالكون ، وببعض القضايا الميتافيزيقية الكبيرة ، ولكن امكانياته تظل دائما ضاربة فى منطقة الادراك الحسى للحياة ، وفى التجارب الغرامية المحبطة ، والشاعر يبعد عن الموضوعات المجردة ، ولا يكتب الا ما ينفذ ـ عنده ـ من اللحم الى العظم ، ثم انه يملك رصيدا ضخما مما يمكن أن يطلق عليه «اللغة النقية» ، ثم ان بناءه بالصور يضيف الى معماره الشعرى نوعا من الزهو، بل لا أبالغ اذا قلت نوعا من السعادة ، ونوعا من الطفولة ، يظهر فى تناول الحرف بعد الحرف والكلمة بعد الكلمة ، ولعل هذا يذكرنا بما قيل عن الشاعر « بيتس » من أنه كان كثيرا ما كان يرتد

الى ألفاظ وقواف صبيانية ، فانه يخيل الى الانسان أن كامل الشناوى فى شعره ينط الحبل ، ويقفز ، ويثرثر باخضرار عمر ، وزهوة صبى !

ثم ان بعض الأدوات عنده كالتشبيه والاستعارة تعتمدان على الحس ومع أنه يرتكز فى هـــذا على التراث العربى ، الا أنه ينظر الى الأشــياء نظرة عصرية ، انه يقيم بناءه من مكعبات صغيرة ولكنه يعطينا دائما شيئا كبيرا يظهر نقصــانه اذا اختل واحد من هذه المكعبات ، صحيح أنه يجهد نفســه الى حد الوصول الى ما يمكن تسميته أعماق الصورة كما فى الحب حين يحفر القلب بالنار وبالسكين ، ولكنه يعطى دائما شيئا جديدا ، ولقطة غنية ، ولن يقلل هذا من انسابية التداعى ، وابراز كافة الطاقة الشعرية التى أزعم أنها لن تظهر كماسة باهرة الا فى عمل درامى كبير ، ذلك لأن **كامل الشناوى** الى جانب أنه يذود الشعر أحيانا عن نفسه ، يبـــدو وكأنه فى بعض القصائد يعانى من الشعر ، ومن البقاء كثيرا فى دائرة النار !

* * *

ومهما يكن من شىء فنحن نجد أنفسنا أمام شاعر ممتلىء بالامكانيات الضخمة ، وقادر على أن يكون تيارا يحفر طابعه على العصر « بالنار بالسكين ٠٠ » شاعر يستطيع أن يخلق فى المكان الأول الأوبريت والأوبرا – لارتباطه بالغنــائية – ، ويستطيع أن يكون دليـلا على أن الجـــديد ، ليس جمع زهـور غريبة ثم الصاقها بشجرة ، وانما هو قبل كل شىء نمو طبيعى على شــجرة تضرب فى أرض محلية ، وتستقبل من كل مكان أسباب الحياة !

ولعل ما يصيب الانسان بالمرارة ، أن الشــاعر غير متحمس للقيام بهذا الدور ، بل يمكن القول بأنه قد باع هذا الدور للصحافة ، ولعلنــا حين نقف الآن وقفة صــغيرة ثم نوازن بين دوره فى الصحافة – وهو دور ضخم – وبين دوره فى الشعر لوجدنا ديوان « لا تكذبى » لا يمكن أن يقف خلف هذا العمر الطويل الذى أكد دور الصحافة فى بلدنا ٠٠ بل أستطيع أن أقول انه المأساة التى لن ينفـد بريقها أبدا ، والتى لم تأخذ من ازميله الا زمنــا ضئيلا قد لا يذكره هو لضــآلته ، ولكن لعل له رجعة تعوض الخسارة الحقيقية على القارىء العربى ، وعلى الشعر والشاعر نفسه !

« **عبده بدوى** »

حنين

للشاعر : عمر الدسوقى

ان تسالوا عن حالتى فالشوق أحرق مهجتى
من بعد أن غادرت عش حبيبتى وبنيتى
ماذا أفدت من المجىء سوى شعور الوحشة
الناس حولى كثرة لكننى فى عزلة
هذا هو « البرنيتش » يحفل باللهى والمتعة
واعيش فيه منغصا ، وكأننى فى قفرة
ويقول اصحابى حنانك لاتعش فى حسرة
وافتح فؤادك للحياة وخذ سبيل السلوة

فامامك البحر الجميل يذوب فرط الرقة
ويداعب « البرنيتش » بالنسم الرقيق النسمة
والشرفة الفناء ترفل فى ثياب البهجة
والبحر يرمقها بنظرة وامق ذى غيرة
وتراه يسجد تحت رجليها سجود الذلة
لكنها لا تستجيب له بغير النظرة
عشاقها لايتركون لها سبيل الخلوة
يتزاحمون من الصباح على جميل الجلسة

فاهنأ بشرفتك الجميلة وانس ذكر الغربة
وانعم بصحبة فتية كالزهر وسط الظلمة
يتالقون من الذكاء ومن عميق الخبرة
من كل أروع ماجد فهم خيار الصفوة
فاجبت حقا ماسمعت ، وان يزد فى محنتى
هذا النعيم يشوبه أنى تركت أحبتى
من لى ببسمة زوجتى من لى بضحك بنيتى
هب أننى فى جنة لا شىء يعدل جنتى
صفوة الحياة بغير من تهوى سبيل الشقوة



محمود حمدي الفلكي

بقلم : أحمد سعيد الدمرداش



تمهيـد :

لقد كان العصر الذى عاشاه محمود الفلكى ، هـو عصر اليقظة الفكرية للشرق العربي ، وما أشبهه بمطلع الفجر الصادق بعد ساعة الهزيع الأخير من الليل وهو أسود غربيب ، استحكمت فيه الجهالة والجمود . واستغلقت الأفهام نتيجة الرجعية الصماء التى سببها الحكم التركي والمملوكى ، فكان القرن الثامن عشر أحلك ساعات الليل قبل مطلع الفجر ، فلما بزغ الفجر على صدى حملة نابليون التى استصحبت السلاح والعلم والفن معها، واشرق بعده النهار ، تيسرت الرؤية لمن يستطيعها ..

نفث الشيخ حسن العطار (١٧٧٦ - ١٨٣٥) الذى شهد حملة نابليون نفثته منذ تولى مشيخة الجامع الازهر ، فاخـذ يعيب على القوم اهمالهم العلوم العصرية ، والالمام بمؤلفـاتها المترجمة عن اللغات الأوربية فيقول « لعمرى لقد تساوى الفطن، والأبله الأفن ، واستنسر البغاث ، وسد طريق النظر على الناظر البحاث » .

رفاعة الطهطاوى ، محمود الفلكى ، على مبارك ، الشـيخ محمد عبده ، أحمد عرابى ، كل هؤلاء قد قذفت بهم القـرية المصرية الى صميم العمل الايجابى فى المدينة ، بعد ان تفاعلت صيحات الشيخ العطار فى جوانب الوادى ، كرد فعل عقب طغيان الولاة واستحكام الجهالة والفقر والاستعباد ، يستبقـون أبواب العلم والمعرفة ، وتحصيل ما فات روح اليقظة المصرية ، واستعادة بذور التراث العربى المجيـد ، فنبغوا كل فى مهنته ، ولم ينبغ امثالهم فى بلاد الشرق الأخرى مع مماثلة الظروف ومشـابهة الأحوال ، ذلك لان حيوية القرية المصرية كانت لا تزال تتدفق فى عروقهم ، وتنبض بالفوقية ، لعلهم يصيبون هدفا يرفعهم عند النسب !!

لقد كان هذا شعور كل مصرى وكل عربى يسـافر الى أوربا لتلقى العلم ، يبغى شرف الانتساب الى مصريته وعروبته.

تاريخ محمود الفلكى :

ولد محمود أحمد عام ١٨١٥ فى قرية الحصة من أعمال مديرية الغربية ، وتلقى العلم بالكتاب حتى بلغ العاشرة ، فاخذه شقيقه الاكبر معه الى الاسكندرية ليلحقه عام ١٨٢٤ بالمدرسـة البحرية ، وكانت تسمى دار الصناعة (الترسانة) ، وتلاميذها جمعوا من مكاتب البنادر والقرى ممن تتراوح أعمارهم بين العاشرة والعشرين ، يتعلمون فيها فن بناء السفن والعلوم المتصلة به ، وقد تخرج اخوه الاكبر ضابطا بحريا من هذه المدرسة ، وكان التلاميذ المصريون البحريون هم وحدهم الذين أشرفوا على بنـاء السفن الحربية عام ١٨٣٣ تحت اشراف فنيين من الفرنسة ، وهى السنة التى تخرج فيها محمود الفلكى برتبة البلوك امين .

لم يقف طموحه عند هذا الحد ، سيما وكانت النية متجهة الى الغاء المدرسة البحرية وتخريج الضباط البحريين من مدرسة العمليات او المهندسخانة ، ثم كانت نكبة الاسكندرية بانتشار مرض الطاعـون فيها ، فانتقل الى القـاهرة والتحق بمدرسة البوليتكنيك ببولاق ، وكان وكيلها أرمنى يدعى يوسف حاكيكيان والأرمن طائفة كان يفضلها الوالى محمد على عن المصريين ، ثم انقسمت المدرسة الى قسمين : الأول مدرسة الفنون والحرف وقد بقى فيها حاكيكيان ناظرا لها ، والقسم الثانى اصبح مدرسـة

للمهندسخانة ، والتحت الدراسة بها في قصر اسماعيل بن محمد على الذى مات في حرب السودان ، ثم ضمت لها مدرسة المهندسين بالقناطر الخيرية ، وكان بها ثلاثون تلميذا ، ومدرسة المعدنين التي كانت بمصر القديمة ، وقد نظمت الدراسة بها تحت اشراف المهندس الفرنسي لا مبير (بك) على غرار مدرسة الهندسة بباريس، والغرض منها تخريج ضباط للخدمة في المدفعية برا وبحرا ، ومهندسين للاشغال العامة واعمال المناجم .

وفي نهاية عام ١٨٣٩ تخرج محمود احمد فكان اول دفعته ، ومنح رتبة الاسبران (ملازم) وعين معيدا بالمدرسة ، وفي هذا العام تتلمذ على يديه على مبارك ، وكان يقوم بتدريس علم الجبر ، غير ان طموحه جعله يتقن اللغة الفرنسية والعلوم الرياضية كحساب المثلثات المستوية والكروية ، والهندسة التحليلية ، وعلم التفاضل والتكامل ، فاصبح مدرسا للعلم الاخير وترجم له اول كتاب من اللغة الفرنسية الى العربية .

وفي عام ١٨٤٢ حصل على رتبة النقيب (اليوزباشي) وتحول الى دراسة علم الفلك حيث اولع به ، عندما كان يقوم باعمال الرصد في الرصدخانة ، التى انشئت عام ١٨٣٩ في البرج الذى انشاه الفرنسيون ببولاق بجانب مدرسة المهندسخانة تحت ادارة يوسف حاكيكيان ايضا ، والغرض من انشاء هذا المرصد «تجربة الحركات المغناطيسية بهذا القطر (المصرى) وتطبيقها على الجارى برصدخانة بلاد اوروبا» كما جاء بمرسوم الوالى عندئذ .

وفي هذه المدة وضع مخطوطا عنوانه « نبذة مختصرة في تعيين عروض البلاد واطوالها واحوالها المتحيرة ، وذوات الاذناب واللحى » لمترجمها المرحوم محمود احمد مدرس العلوم الفلكية بمدرسة المهندسخانة المصرية .

والى هنا تنتهي الفترة الاولى من حياة محمود احمد كما كان يسمى حينذاك ، واستمر فيها مدرسا بالمهندسخانة للرياضيات وبالرصدخانة للعلوم الفلكية ، وفي عام ١٨٤٨ انعم عليه برتبة الصاغقول اغاسى وكانلهذه الرتبة شان يذكر ، وهنا يلعب القدر دورا في توجيه مستقبل محمود احمد حيث يرشحه على مبارك الذى عاد من فرنسا حديثا مع بعثة الانجال : انجال محمد على وحفيده اسماعيل الذى اصبح خديويا على مصر بعد ذلك .

طلب الوالىعباس الاول تخفيضالاعتمادات المالية المخصصة للتعليم حتى يتفرغ للصرف على البدو تحقيقا للحلم الذى كان يراوده بالاستعانة بهم للانفصال عن الحكم العثمانى والاستقلال بمصر ، فطاوعه على مبارك بتقديم ميزانية مخفضة من (١٠٠٠٠٠ ج) الى (٥٠٠٠ ج) ، باسقاط الرصدخانة والغاء كثير من المدارس ، وترشيح محمود احمد لبعثة الفلك بفرنسا تمهيدا للاستغناء عن الفنيين الفرنسيين ، فارتاح الوالى عباس لهذا التخفيض المروع في ميزانية التعليم ، وكافا على مبارك بترقيته من رتبة اليوزباشي الى رتبة الاميرالاى دفعة واحدة ، مع تعيينه ناظرا لمدرسة المهندسخانة التى انصرف عنها لامبير (بك) الفرنسي نتيجة لذلك .

وسافر محمود احمد الى فرنسا عام ١٨٥٠ براتب شهرى قدره ٧٥٠ قرشا مع زميلين معه ، ومكث بباريس تسع سنوات اتم فيها دراسته ، وجال في اثنائها في كثير من انحاء اوروبا وقدم تاليفه لمجامعها العلمية ، ثم عاد الى مصر عام ١٨٥٩ في عهد الوالى سعيد ومنح الرتبة الثانية . وتسمى بعد ذلك باسم محمود حمدى الفلكى .

«ابحاث محمود الفلكى باوروبا»

سافر محمود الفلكى الى فرنسا وهو في سن النضوج فكان عمره يقرب من اربع وثلاثين سنة ، والتنافس العلمى قد بلغ ذروته بينفرنسا وانجلترا والمانيا ، والثورات الصناعية والتحررية على اشدها في فرنسا وايطاليا وبقية البلاد في اوربا فانطلق يدرس بامعان ويبحث بعمق حتى تقدم بالبحوث التالية :

١ ـ رسالة في التقاويم الاسرائيلية طبعها في بروكسل عام ١٨٥٥ وقدمها للمجمع العلمى في بلجيكا .

٢ ـ رسالة في الحالة الحاضرة للمواد المغناطيسية الارضية بباريس وخواصها ، تلاها على المجمع العلمى الفرنسى عام ١٨٥٦ وكان قد قام في صيف عام ١٨٥٥ بقيس العناصر المغناطيسية في ٤٥ مكانا مختلفا بانجلتراوارلندا واسكتلندا وهولندا وبلجيكا والمانيا ، ورسم الخطوط المتساوية الشدة ، والمتساويةالانحراف في منطقة تمتد ١٤ درجة طولية من دبلن الى نهر الرين ، ٧ درجات عرضية من باريس الى ادنبرا ، وقارن هذه الارصاد بخريطة الكولونيل « سابينك » التى تمت عام ١٨٣٧ واقتصرت على الجزائر البريطانية فقط .

وللمغناطيسية الارضية اهمية في الملاحة البحرية ، وابحاث الفلكى فيها تدل على انه كان يتصف بالجلد والصبر ، منافسا اقرانه من علماء اوروبا .

٣ ـ نشر في سنة ١٨٥٦ بحثا آخر عن شدة المجال المغناطيسي للارض في بلجيكا والمانيا وفرنسا وقدمه للاكاديمية الملكية ببلجيكا في ٨ نوفمبر مشفوعا بتقرير من الكاتبين «لياجر» والعالم «كوتيليت» برفعان محمود الفلكى الى مصاف علماء اوروبا ، وفي بحوثه استنتج من ذلك ان المركبة الافقية للمجال المغناطيسي قد زادت في المدة مابين القياسين وخاصة في منطقة النمسا .

رجع محمود الفلكى الى مصر وعمره ٤٤ عاما ، وانتخب عضوا بالمجمع العلمى المصرى الذى انشاه نابليون ، ثم عهدت اليه وكالته سنة ١٨٨٠ ، كما انتخب وكيلا للجمعية الجغرافية منذ انشائها ، ثم رئيسا لها في اواخر حياته .

ولما طلب علماء فرنسا من الوالى سعيد رصد كسوف الشمس ، كلفه الوالى بتسجيل هذا الكسوف ، وكانت منطقة الكسوف الكلى تبدا من كاليفورنيا ، وتمتد عبر المحيط الاطلسي الى اسبانيا ، ثم جنوبا الى افريقيا ، مارة بالصحراء الغربية، وتنتهى عند الحبشة ، ولم تكن مدة الكسوف الكلى تزيد عادةعن دقيقة واحدة ، وقد تكون السماء مغطاة بالغيوم هذه اللحظة، ولذلك كلما انتشرت بعثات الارصاد في مختلف الجهات قل احتمال الفشل في رصد الكسوف .

لذلك اختار محمود الفلكي مديرية دنقلة في شمال السودان مكانا للرصد ، فسافر اليها عن طريق النيل ، وحط رحاله في بلدة المراغة بعد رحلة عشرة ايام على ظهور الجمال بين وادى حلفا ودنقلة تحت شمس يونيو المحرقة ، فوصل الى المكان قبل ميعاد الكسوف بخمسة عشر يوما ، وطفق يقيس ويوالي الأرصاد تحقيقا لقرارات الساعة الفلكية . وتعيينا لخط عرض المكان .

شاهد الفلكي كسوف الشمس ، وعين زمن ابتداء الكسوف الجزئي ، وابتداء الكسوف الكل وانتهائه ، وكذلك لحظة اختفاء ٩ نقط كلفية على قرص الشمس ، ووقت ظهور ثلاث منها ، وكانت قراءاته لاقرب عشر ثانية زمنية ، ورفع تقريرا باللغة الفرنسية الى اكاديمية العلوم بباريس ، وقد وافقت الاكاديمية على القرار بشكره على هذا المجهود الفنى الدقيق.

وتعتبر أرصاد كسوف الشمس من احسن وأتم الاعمال الفلكية التى قام بها محمود الفلكي ، وقد حازت اعجاب العالم الرياضي البكر مسيو دولاناي الذى كان قد اتم فى نفس السنة جزءا من نظرية كاملة عن حركات القمر اتمها سنة ١٨٦٧ وحسب خلالها (عام ١٨٦٥) تأثير احتكاك موجات المد والجزر مع سطح المحيط على معدل دوران الأرض ، وكيف ان هذا التأثير يمكن ان يظهر في حركة القمر على شكل إطالة طول اليوم بمقدار ثانية واحدة كل مائة الف عام .

ثم كلفه الوالي سعيد برسم خريطة للوجه البحرى ، فرسم له خريطة غاية في الدقة والصحة ، وطبعتها الحكومة على نفقتها ، ثم عممتها في كراريس تلاميذ المدارس ، ولازالت هذه الخريطة مرجعا تاريخيا للباحثين ، وتعتبر هذه الخريطة الطبوغرافية عملا علميا من الدرجة الأولى بل يعتبر الاول من نوعه في مصر دقة واحكاما .

لقد كان محمود الفلكي علما موسوعيا بمعنى الكلمة ، وحركة دائبة في البحث في شتى انواع المعرفة حتى انه الف رسالة في اعمار الاهرامات عام ١٨٦٥ ، ورسالة أخرى في التنبؤ عن مقدار فيضان النيل قبل فيضانه ، ورسالة ثالثة في بيان المزايا التى تترتب على انشاء مرصد فلكي للحوادث الجوية فى الديار المصرية ، ورسالة رابعة في وصف مدينة الاسكندرية القديمة وضواحيها ، كتبها بعد ماكشف بنفسه شوارعها وصهاريجها ومراسيها وابنيتها وشواطئها منذ عصر الاسكندر والعصر الروماني، وقد صور ذلك في خريطة ضمن هذه الرسالة الحاملة طبعت فى كوبنهاجن بالدانيمارك عام ١٨٧٢ .

لم يقتصر محمود الفلكي في ابحاثه على الانماط الغربية في العلوم ، بل دلا دلوه فى التراث الاسلامى ، ففى عام ١٨٥٨ كتب رسالة في تحقيق تاريخ ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وتاريخ الهجرة وتاريخ وفاة إبراهيم بن محمد عليه الصلاة والسلام بالاستناد الى بعض الظواهر الفلكية ، ونشر هذا البحث باللغة الفرنسية في المجلة الاسيوية حتى يطلع عليها علماء اوروبا ، ثم ترجم الرسالة الى اللغة العربية تحت عنوان «نتائج الافهام في تقويم العرب قبل الاسلام» نقتطف منها احد الادلة .

كسوف الشمس يوم وفاة ابراهيم بن محمد عليه الصلاة والسلام من مارية القبطية ، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال . كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم ، فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الشمس والقمر لاينكسفان لموت احد ولا لحياته » . والمتواتر ان وفاة ابراهيم حدثت فى السنة العاشرة من الهجرة ، وقد حسب محمود الفلكي بالرجوع الى الجداول الخاصة بحركات الشمس والقمر التاريخ الذى حدث فيه هذا الكسوف فى المدينة ، فوجد بالحساب ان هناك كسوفا للشمس فى منتصف التاسعة من صباح ٢٧ يناير سنة ٦٣٢ ميلادية ، وهذا يقابل ٢٩ من شوال سنة عشرة هجرية .

ثم دلا دلوه مرة ثانية في المواصفات القياسية للمكاييل والموازين والمقاييس بالاستناد الى التراث الاسلامى ، ثم مقابلة ذلك بالاقيسة الفرنسية وطبعت هذه الرسالة في كوبنهاجن ايضا عام ١٨٧٣ ، واستنتج فيها ان الدرهم هو اساس الوزن مربوطا بالذراع البلدى وبالأردب الذى هو اساس المكاييل ، كما اثبت ان وزن الدرهم يعادل ٣٫٠٩٨ جراما .

فنى محمود الفلكى اكثر مدة الخديوى اسماعيل فى نظارة الرصد الفلكي والتعليم والتاليف وندب لمأموريات كثيرة ، منها انه باشر ترميم مقياس النيل باسوان ، ثم ناب عن الحكومة المصرية فى المؤتمر الجغرافى الذى عقد فى باريس ١٨٧٥ ، كما ناب عن الحكومة ايضا فى المؤتمر الجغرافى الثانى الذى عقد في البندقية عام ١٨٨١ ، وعين وزيرا للاشغال العمومية في ٢١ يونيو عام ١٨٨٢ ، عند قيام الثورة العرابية ، وفى وزارة نوبار التى تالفت عام ١٨٨٤ عين ناظرا للمعارف العمومية ، وبقى فيها حتى ١٩ يوليو ١٨٨٥ حيث ادركته الوفاة فجاة بعد حياة علمية حافلة مشرفة لروح اليقظة المصرية فى عصر متوتر شديد الاعصار .

لم يترك محمود الفلكي مدرسة علمية للجيل الذى اعقبه ، حيث انتهت بموته المدرسة الفرنسية فيالبحث العلمى واستولى الاستعمار الانجليزى على مقاليد الامور ، وانقلب العلم الى تعليم لتخريج طائفة من الموظفين بعيدين عن روح البحث العلمى الصحيح .

«أحمد سعيد الدمرداش»

المجتمع العربي

تأليف : الدكتور محمد كامل ليلة
نقد : محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب دراسة في أكثر من خمسمائة صفحة عن المجتمع العربي :

الأصول العامة والخطوط الرئيسية له، والجغرافية والتاريخية ، ثم القومية كمذهب عام، ومكان القومية العربية من حيث المنهج المذهبي ، وأسسها ، والعقبات التي تعترض طريقها ، والحركات الحديثة لتوحيد المجتمع العربي عن طريقها .

يحاول المؤلف أن يؤكد أن للمجتمع العربي سمات ومقومات أساسية جوهرية توحد وتربط بين أجزائه برباط قوي متين العرى، ويتركز هذا الرباط في فكرة عميقة الجذور ، أصيلة تنبع من قلوب العرب وضمائرهم ، وهي فكرة القومية العربية .

وهذه القومية العربية ليست فكرة طارئة ، ولا مذهبا حديث العهد في الظهور ، ولا دعوة شخصية يعتنقها فرد وينادي بها ، وانما هي حقيقة قديمة واقعة ، سواء من الناحية الجغرافية أو التاريخية لها مضمونها ومقوماتها ، ولها مذهبها في الحياة ومنهجها .

واضح ان المؤلف لا يعتبر القومية العربية مادية محسوسة ، صهرت مادتها ظروف العرب السياسية فحسب ، بل أيضا رباط معنوي صنعته احساسات العرب ومشاعرهم منذ قرون بعيدة ، وهذا الاتجاه في حاجة الى مناقشة بعد قليل .

تحدث المؤلف في الباب الأول من أبواب الكتاب الثلاثة عن الأسس الجغرافية الثلاثة للمجتمع العربي وهي الموقع الجغرافي ، والجنس العربي ، وأصل الجنس العربي ، فرقعة الوطن العربي الكبير تمتد من الخليج العربي شرقا الى المحيط الاطلسي غربا ، ومن البحر المتوسط وجبال طوروس في جنوبي تركيا شمالا ،الى المحيط الهندي ومنابع النيل والصحراء الكبرى جنوبا . اما مساحة الوطن العربي فتبلغ ما يقرب من اثنى عشر مليونا من الكيلو مترات المربعة ، وهي مساحة تفوق مساحة القارة الأوربية التي تزيد مساحتها على عشرة ملايين كيلو متر مربع، وأما عدد السكان في الوطن العربي فيصل الى حوالي تسعين مليونا .

وعند الحديث عن الجنس العربي وأصله ، يستعرض المؤلف الآراء الأجنبية ، فبرنارد لويس في كتابه « العرب والتاريخ » يرى أن مدلول كلمة « العرب » تغير باختلاف العصور ، وتميز كل عصر بمفهوم مستقل لهذه الكلمة . كان يوصف البدو بها قبل الاسلام ، وخص بها الاغريق والرومان العرب الرحل والمقيمين حول الواحات والقاطنين باليمن ، واصبحت تطلق بعد الفتح العربي على العرب الفاتحين أما «نولدكه » في كتابه : « المؤرخون وتاريخ العالم» فيرى أن المعنى الحقيقي للفظ « عرب » هو صحراء ، وأما أصل الجنس العربي فيرى معظم المؤرخين الاوربيين أن العرب والساميين شيء واحد ، أي أن جميع الساميين عرب ، ويستندون الى أن الاقوام التي تنسب الى العرق السامي مثل الآشوريين والبابليين والآراميين والفينيقيين والعبرانيين وغيرهم ، كانوا يهاجرون من جزيرة العرب ، ولكن بعض المستشرقين يعتقد أن مهد الساميين هو جزيرة العرب ، ومنها تفرقوا وانتشروا في الأرض ، ويعقب الدكتور كامل ليلة بقوله : «ومهما اختلفت آراء الباحثين في أصل نشأة الجنس العربي قبل وجوده في جزيرة العرب، فان الغالبية منهم متفقة على ان هذه الجزيرة منذ بدء التاريخ الانساني القديم ، كانت مليئة وآهلة بجماعات من البشر متشابهة الملامح والطابع ، وتتكلم لغة واحدة وان كانت لهجاتها متعددة »

وعند بحث الأصول التاريخية للمجتمع العربي عرض المؤلف لتاريخ العرب قبل الاسلام ، وأشار الى أن الغموض كان يكتنفه ، وهذا ما أدى الى عدم ايفائه حقه من البحث ، وقد اصطلح مؤرخو العرب على تقسيم تاريخ العرب قبل الاسلام الى قسمين : العرب البائدة أو عرب الشمال ، وهي تلك القبائل التي بادت قبل الاسلام ، والعرب الباقية ، ويراد بهم العرب القحطانيون من حمير وغيرها من أهل اليمن وغيرها ، والعرب العدنانيون في الحجاز وما يليها، هذا وقد مر العرب حتى ظهور الاسلام بمراحل ثلاث ، حيث كانت السيادة لعرب الشمال تارة ، ولعرب الجنوب تارة ثانية ثم عادت السيادة لعرب الشمال مرة أخرى ، كما عرض المؤلف لتاريخ العرب بعد الاسلام منذ عهد الرسول والخلفاء الراشدين الى عهد الدولة العثمانية ، ثم عرض لتاريخ الدول العربية

فى العصر الحديث ، وقسمها الى مناطق ثلاث ، تضم الأولى : مصر وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق وفلسطين والسودان، وتضم الثانية : المملكة العربية السعودية واليمن وعدن والمحميات وامارات الخليج ، وتضم المنطقة الثالثة : ليبيا والجزائر وتونس ومراكش ٠

وفى الباب الثانى : تعرض المؤلف للقومية كمذهب عام ، وانها ليست فكرة حديثة ، وانما عرفت من قديم الزمان منذ أن عرف البشر الحياة ، وتعرض « للامة » وانها من حيث تعريفها وتحديد معناها ، تعتبر من المسائل غير المحددة ، التى اكتنفها شىء من الغموض عند الباحثين ، وهذا راجع الى اختلاف ظروفهم وأوضاع بلادهم ، ثم عرض المؤلف مذهب القومية فى أوربا ولا سيما فى القرن التاسع عشر ، الذى عرف بعصر القوميات نظرا للأحداث السياسية المهمة التى تمت خلاله وكانت سببا فى تغيير الأوضاع فى أوربا ، هذا وقد تعددت النظريات فى هذه المسالة ، كالنظرية الالمانية التى ظهرت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ويعتبر « فيخست » اشهر القائلين بها ، وكالنظرية الفرنسية التى نشأت كرد فعل للنظرية الالمانية ، واشهر القائلين بها « رينان » ، ثم نظرية الوحدة الاقتصادية ، وتعرف بنظرية الماركسيين الروس ٠

وفى الفصل الثانى من هذا الباب عرض المؤلف للقومية العربية وعرفها بانها الشعور الذى يجمع شمل الشعوب التى تسكن الوطن العربى الكبير ، وقد توافر لها الأساسان اللذان لا توجد القومية الا بهما ، وهما وحدة اللغة والتاريخ المشترك ٠ والى جانب هذين الاساسين الاصليين ، وجدت عوامل أخرى تزيدهما قوة ومتانة مثل :

الدين ، وهو القوة الروحية ، وهنا أشار المؤلف الى أن البعض يرى أن الدين من عوامل القومية ومن أسس قيام الأمم، ولكنه هو يرى أن قوميات كثيرة نشأت دون أن تتقيد بالأديان والمذاهب ، ولذلك يرى ايضا أن الوحدة الدينية قد لا تكون ضرورة فى العصر الحديث لقيام الوحدة السياسية ، حيث تتوطد الآن هذه الوحدة فى كثير من البلاد التى تتعدد فيها الأديان والمذاهب الدينية مما يدل على أن الدين لا يعد ركنا أساسيا فى نشوء هذه الوحدة ٠

ولا أظن أن الأستاذ الدكتور كامل ليلة ينسى أن الوحدة السياسية قامت وازدهرت فى الدولة الاسلامية عدة قرون، ولولا أهواء الساسة والشهوات القبلية ، لظلت الوحدة السياسية للدول الاسلامية قائمة الى اليوم ، وليس المهم فى مقومات القومية أو الوحدة السياسية فكرة الشمول ، وانما المهم قوة المقوم نفسه ، ولا أعتقد أن المؤلف ينكر أن العامل الدينى أقوى من أى عامل آخر ، وأبعد أثرا فى بناء الوحدة ، يقول الدكتور فؤاد العطار فى كتابه « النظم السياسية والقانون الدستورى » :

« ولا ريب فى أن وحدة العقيدة كانت العامل الأول فى تحقيق الوحدة لأمم متعددة قديما ، كما أن العالم الاسلامى بوجه عام والعالم العربى بوجه خاص، يدين بوجوده الى الاسلام الذى وحد بين أجزائه ، وجعل له طابعه الخاص الذى يتميز به عن سائر المجتمعات الأخرى ، فمن ذلك أن وحدة العرب تدين باصولها للاسلام ، لأنه دين عالمى لا قومى ، كما استهدف هذا الدين انماء العالم العربى عن طريق تعريب المجتمعات ، فظهور الاسلام وانتشاره يعد حدثا هاما اذ جمع شمل الأمة العربية تحت لواء واحد هو ذلك الدين الجديد » ٠

وفى الباب الثالث والأخير : عرض المؤلف للحركات الحديثة لتوحيد المجتمع العربى ، وقد بدأت هذه الحركات التحريرية الفكرية والثورية منذ نهاية عهد الدولة العثمانية ، وأشار الى النزعات السياسية فى العالم العربى أواخر العهد العثمانى ، ويمكن اجمالها فى السعى لاقامة خلافة عربية تقوم مقام الخلافة العثمانية ، والمطالبة باصلاحات خاصة بالبلاد العربية ، والاسهام مع أحرار الاتراك للمطالبة باصلاحات عامة تشمل الولايات العثمانية ، والدعوة الى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية لتاسيس دولة عربية مستقلة ثم طلب الحماية من دول أوربية ، ثم أشار الى حركات الثورة العربية الكبرى ، والجامعة العربية ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاتحاد العربى الهاشمى ثم اتفاق الوحدة فى ١٧ أبريل سنة ١٩٦٣ ٠

وبعد ـ فهذا الكتاب دراسة مستفيضة عن المجتمع العربى ، لولا أن هذه الدراسة لم يتوافر لها البحث المقارن بين النظريات الاوربية فى فكرة القومية ، وبين النظرية الاسلامية من جانب والنظرية العربية من جانب آخر ، كما خلت من وضوح أثر الدين الاسلامى فى اشعال الحركات التحريرية فى العالم العربى منذ قبيل انتهاء الدولة العثمانية الى أيامنا هذه ٠٠

« **محمد عبد الله السمان** »

كتب جديدة

يقدمها: تحسين عبد الحي

« مقدمة ابن خلدون »

« الجزء الأول » الطبعة الثانية »

تاليف العلامة : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

مهد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها ، وحققها ، وضبط كلماتها ، وشرحها ، وعلق عليها ، وعمل فهارسها :

« الدكتور على عبد الواحد وافى »

مهد المؤلف لهذا البحث بتعريف تاريخى بحياة ابن خلدون ، وما اكتنفه من ظروف ، واضطلع به من أعمال · ويقول المؤلف فى مقدمة الكتاب :

« ولن تقتصر فائدة هذا التعريف على الوقوف على تاريخ ابن خلدون ومختلف العوامل التى كان لها أثر فى تكوينه العقلى والعلمى ـ بل سيبدو لنا منه ـ بجانب ذلك ـ شاهد آخر على عبقريته · فسيظهر منه أن حياة ابن خلدون لم تكن حياة هدوء ولا استقرار ، بل كانت حياة صاخبة مضطربة تفيض بما كان يخوضه من مغامرات ، ويصيبه من كوارث ، ويواجهه من خصومه وحساده من مكايد ومؤامرات ، وأن الوظائف الديوانية والسياسية والقضائية قد استأثرت بمعظم وقته وجهوده فى معظم مراحل حياته ، فقد نهض فيها وما بلغ العشرين ، وظل يحمل أعباءها الى أن نيف على السبعين ـ فلا يتاح لرجل عاش هذه الحياة أن يصل فى ميادين المعرفة الى ما وصل اليه ابن خلدون ، ويخلف ما خلفه من آثار ، الا اذا كان نسيج وحده فى عالم العبقريات ·

ومن مسائل هذا التعريف التاريخى يتألف الباب الأول من هذا التمهيد · فجميع أبواب هذا التمهيد تكشف اذن فى صورة مباشرة أو غير مباشرة عن عبقرية ابن خلدون ومظاهر عظمته ، وبعد التمهيد لمقدمة ابن خلدون يعالج الكتاب مرحلة النشأة والتلمذة والتحصيل العلمى عند ابن خلدون ومرحلة الوظائف الديوانية والسياسية فى المغرب والأندلس ثم مرحلة التفرغ للتاليف ، ومرحلة وظائف التدريس والقضاء فى مصر ، ثم ابن خلدون وفروع العلم والفنون الأخرى الى غير ذلك من أبواب وفصول كثيرة يحتويها الكتاب الذى يقع فى ـ ٥٧٠ صفحة من القطع الكبير ونشرته لجنة البيان العربى ·

الدفاع الاقتصادى

ضد الأطماع الاستغلالية الاسرائيلية

تاليف : محمد عبد العزيز احمد ومحمد الجبالى

يقدم الكتاب الوضع فى فلسطين المحتلة من خلال قيام دولة الاستعمار والصهيونية « اسرائيل » والأطوار التى مرت بها خطوات انشاء الدولة المزعومة · الوليد غير الشرعى لقوى الاستعمار العالمى ـ ويبين الكتاب كيف تفكر اسرائيل ـ أو كيف يفكرون لها ـ فى اقامة امبراطوريتها المزعومة من دجلة الى وادى النيل · ووسائلها فى ذلك · فالى جانب الخطط العسكرية والهجمات العدوانية ـ ترسم اسرائيل لنفسها سياسة اقتصادية عدوانية فى الداخل والخارج فى مجالات الاستثمار والانتاج ـ سواء منها ما كان على طول الجبهة الافريقية ـ أو بالتعاون مع دول السوق الأوربية المشتركة التى تحاول الارتباط به · ويخلص الكتاب الى القول بأن التكتل الاقتصادى العربى · أو السوق العربية المشتركة هى المجال الذى لا بد منه للدفاع الاقتصادى ضد الأطماع الاستغلالية الاسرائيلية ·

ويقع الكتاب فى ١٤٨ صفحة من القطع المتوسط ونشرته الدار القومية ضمن سلسلة كتب قومية ·

المجتمع العربى

تاليف : مجموعة من أساتذة كليتى الآداب والاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ·

اذا كانت نتائج الحرب العالمية الاولى قد فرضت على الوطن العربى التجزئة السياسية والتبعية الاقتصادية للاستعمار الغربى فان نتائج الحرب العالمية الثانية قد فتحت امام الوطن العربى الآفاق للتخلص من كلا

التجزئة والتبعيـــة اما فكريا فكل من فى الوطن العربى يتحدث فى هذا الأمر ويناقش هذا الموضوع بحيث يمكن القول أن الدعوة الفكرية للتخلص من التجزئة والتبعية قد لاقت النجاح الكامل ، واما عمليا فان خطوات مبـاركة قد تمت بالفعل وأن خطوات اخرى فى سبيلها الى التحقيق فى الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية • وموضوع هذا الكتاب محاولة لفهم المجتمع العربى على حقيقته ثم تتبعه فى تطوره من الناحيتين الفكرية والتطبيقية فقد تحدث فيه الدكتور محمد صـفى الدين عن الاطار الجغرافى للوطن العربى وبحث الدكتور محمد لبيب شقير والدكتـــور رفعت المحجوب فى الخصـــائص الاقتصادية للوطن العربى وبحث الدكتور محمد أنيس والدكتور حراز موضوع حركة القومية العربيـة حتى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هذا الى جانب الموضوعات الكثيرة التى يقدمها الكتاب مثل : نصيب العرب فى تقدم العلم والحضارة والاصول التاريخية للقوميـة العربية ، والوحدة العربية من الناحية السياســية والوحدة العربية من الناحية الثقافية والمجتمع العربى فى تطوره •

ويقع الكتاب فى ٤٢٦ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار النهضة العربية •

الحدود بين الهند والصين

أصل ومنشأ الحدود المتنازع عليها

تاليف : السترلامب

اعداد : لجنة كتب سياسية

أصبحت الخطوط والحدود القـائمة بين الهـنـد والصين التى كانت مثارا للجدل والمناقشــة خلال عشرات السنين • تشكل فى الســنوات الاخيرة مشكلة كبرى فى المجال الدولى • ويحتوى الكتاب على دراسة للنزاع الهندى الصـينى على الحـدود القائمة بينهما • قبل وبعد انتقال السلطة فى الهند الى الهنود عام ١٩٤٧ وقد استند المؤلف فى ذلك الى جميع المواد التى نشرت والتى لم تنشر ، بمـا فى ذلك السجلات البريطانية الرسمية •

ويتناول الكتاب بالبحث طبيعة النزاع الصينى الهندى ، ثم وضع الصين ومقاطعة سنكيانج والتبت ودول الهملايا فى التاريخ ، وحدود لاداخ والتبت عام ١٨٦٤ ، وحدود اكساى شهيد فى عام ١٨٧٥ هذا بالاضافة الى تحديد خط ماكماهون ١٨٢٦ ـ ١٩١٤ وادارة هذا الخط

ويقع الكتاب فى ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط ونشرته الدار القومية فى سلسلة كتب سياسية •

سد أسوان العالى

تاليف : ايفان كومزين

ترجمة : عصمت عبد الحميد

مراجعة : مصطفى الشهابى

يقدم الكتاب مشروع سد أسوان كامل مشرق يتطلع اليه الشعب المصرى • والخطوات التى تمت قبل وبعـد البـدء فى تنفيذ المشروع وكيف تقوم الجمهورية العربية المتحدة اليوم بمحض ارادتهـا ورغبتها بالاشتراك مع الاتحاد السوفييتى فى بناء السد العـالى كاكبر مشروع يتعلق بالهندسـة الكهربية فى القارة الافريقية • والكتاب عبـارة عن مذكرات خاصة بالمؤلف ـ كأحد الذين ساهموا بالعمل فى مشروع السـد العالى •

ويقع فى ٩٩ صـفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ضمن سلسلة كتب من الشرق والغرب

سباق التسلح

تاليف : فيليب نويل بيكر

ترجمة وتعليق : حمدى حافظ

يبين الكتاب خطورة التسابق على التسلح وأهميـة نزع السلاح فى السياسات الوطنية والدوليـة فى الوقت الحاضر موضحا المشاكل الفنية والسياسية التى تنشأ حينما تفكر الحـكومات فى بحث تخفيض تسليحها ويكشف الكتاب كذلك عن المشاكل التى تنشأ عن وضع اتفاقية دولية ، لتخفيض عام متبادل وتحديد للتسليح الوطنى وقد تعرضت الفصول الاولى من الجزء الثانى من الكتاب الى الحقائق المبدئية الخاصة بالاسلحة الذرية هذا بالاضافة الى موضوعات كثيرة تناولها المؤلف بالبحث مثل :التسليح النووى وتاريخ المفاوضات من أجل نزع السلاح النووى ، والمقترحات العملية الخاصة بنزع السلاح التقليدى ـ وأبواب أخرى فى معاهدة نزع السلاح تؤثر على جميع أنواع الاسلحة والقوات المسلحة •

ويقع الكتاب فى ٥٩٥ صفحة من القطع الـكبير ونشرته الدار القومية فى سلسلة كتب جائزة نوبل •



قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى

● الحضارة الاسلامية في الهند

يتابع الدكتور عبد الرحمن بدوى فى مجلة الثقافة سلسلة مقالاته عن «روائع الاسلام في الهند» وهو فى الحلقة الثالثة من هذه السلسلة ، يتحدث يقول بأن اليوم الذى قضاه فى (اجرا) كان يوما مشهودا ، انثالت عليه فيه عظمة الاسلام فى الهند . فقد شاهد هناك روائع من الفن الاسلامي لا نظير لها فى ديار الاسلام .

ثم يذكر أن من هذه الروائع «تاج محل» أعجوبة المعمار في العالم : فأجمل قصيدة حب ووفاء صاغها الانسان من المرمر الناصع . كما أن هناك أيضا «حصن أجرا» الذى يرف بحمرته الزاهية قويا على نهر «يامونا» وقد تجلت روائع هذا الفن الاسلامى فى نفس الدكتور بدوى حتى لنجده يتساءل : «كم يخطئ ابناء هذا الجانب من العالم الاسلامى ، حين يحسبون ان الحضارة الاسلامية قد زالت بعد سقوط بغداد فى (٦٥٦ هـ ١٢٥٨م) أو بعدزوال دولة الاسلام في الاندلس سنة ١٤٩٢ او بعد استيلاء العثمانيين على مصر في سنة ١٥١٧ . اى عمى فى المنظور وجهل فاضح بدار الاسلام ، ألا فليأتوا اذن الى بلاد الهند حتى يروا للاسلام مجدا لا يعدله مجده فى الاندلس ، بل ولا في دار السلام ابان العباسيين .

ثم يضيف الدكتور : ان هذه المجموعة وحدها (أجرا وما حولها) لأقوى شاهد على أن الحضارة الاسلامية استمرت فى تقدمها العظيم المتواصل ، حتى نهاية القرن السابع عشر على أقل تقدير .

● ذكريات كبير فلاسفة العصر

ويعرفنا علي أدهم رئيس تحرير مجلة « الكتاب العربى » ببرتراند راسل فيعده فيلسوفا حكيما ذلك أن رسل عرف الدنيا وخبر الناس وعركته الأيام وصقلته الحوادث والتجارب وتعرض للنجاح والاخفاق وتنكر له قومه واضطهدوه تارة ، وعرفوا له قدره وأجلوه تارة أخرى . ثم يذكر أن حكمته قامت على العطف على بني الانسان ومحاولة توفير الحياة السعيدة لهم ما وسعه الامكان ، وانه قد شارك الانسانية فى أفراحها ومباهجها وشاطرها همومها وأحزانها ،وناصر الحرية والعدالة، كما أنه كان يمقت من أعماق نفسه الظلم والطغيان ، وقد صارح أمته بآرائه في مواقف كثيرة ، ولم يضن عليها بنصائحه وتوجيهاته ، لذا تعرض للسجن وغضب الشعب فى هذا السبيل .

ويعرض المقال الكثير من آراء ومواقف راسل التى استغرقت تفكيره فى مستقبل الانسانية .

● روح الاسلام

وعرض الدكتور « محمد عبد الله ماضى » فى نفس هذه المجلة كتاب « روح الاسلام » الذى ترجمه أمين محمود الشريف وقد استشهد الدكتور ماضى بنماذج من الترجمة ان دلت على شيء فانما تدل على أن هذا الكتاب يعتبر من الكتب الهامة التى تبين حقيقة الاسلام وتعطى الفكرة الصحيحة عن رسالته الخالدة .

وينقل الدكتور ماضى نصا مما جاء فى هذا الكتاب خاصا بقرابة الرسول وعشيرته الأقربين حيث يقول « ومن الظواهر الكريمة التى تلفت النظر فى

تاريخ هذا النبى العربى وتشهد بصدق اخلاصه ، وطهارة تعاليمه وقوة ايمانه وثقته بربه ، انك تجد اشد الناس ايمانا به ، هم عشيرته الأقربون وزوجته وابن عمه ، وأصدقاؤه المخلصون ، ... ولو أن هؤلاء الرجال والنساء الذين كانوا يتحلون بالفضل والذكاء ، آنسوا منه أقل بادرة توحى بأنه يبغى عرض الحياة الدنيا ، أو أنه يريد التغرير بهم ، أو أنه لا يؤمن بما يقول لهم ، لانهار فى الحال صرح آماله فى تحقيق أى اصلاح دينى أو اجتماعى » .

● **السياب ... بين المجلات الأدبية**

ونشرت مجلة « الآداب » اللبنانية ثلاث مقالات عن الشاعر المرحوم بدر شاكر السياب ، يقول الدكتور « خليل حاوى » فى احدى هذه المقالات ، ان ذروات نتاج الشاعر فى المرحلة الأولى من تطوره تنهض الى مرتبة الشعر العظيم ، وتمثل الكثير من صفاته فقد كان فى هذه المرحلة « يعبر عن تراث عريق ونزعة أصيلة فى النفس العربية » . على أن المرحلة الثانية من هذا النتاج ، وان تمسك الشاعر فيها بأصالته العربية والتشديد على صفاء اللغة من العجمة، لكن شيئاقد تهدم منهذا التراث الذىبنته تجارب العمر فى نفسه ، فارتجت خطوطه وتزلزل عالمه ، فاصبحت تجاربه آنية ، واصبح شاعر صنعة يحتفل بالرصف والصقل والترنح ، « وكأنه يحاول أن يخفى فقر المضمون فى شعره بتألق الشكل وبريقه » ، غير أنه فى المرحلة الأخيرة أحس بأنه « يقف على أرض بلاده وتاريخها » فاسترد اصالته.

وعن صلة الشاعر وارتباطه بجماعة « شعر » فان الدكتور حاوى يصرح بأن السياب وان خالط هذه الجماعة « لكنه لم يندمج بهم ولم يعرف عنه الاتصال بالسفارات ، وخدمة الأغراض المشبوهة وقد انفصل عنهم ، وثار عليهم يوم تكشفت له نياتهم ومخازيهم . وقد منع السياب طيب سجيته أن يسلك مع « الجماعة » جانب الحذر والاحتراس فاستغلوا عروبته ليجعلوا منها جوازات سفر الى الأسواق العربية » .

وننتقل الى مجلة « الشعر » القاهرية فنجد أنها تقول عن السياب بأنه « يجىء فى مقدمة الشعراء الذى أثروا الحركة الشعرية الأخيرة ، والذين أدخلوا على القصيدة العربية مذاقا جديدا ، يتمثل بعضه فى الأخذ بالمنهج الاسطورى ، ويدخل فى استعمال الرموز استعمالا يدخل فى صميم التجربة ، كما يتمثل فى الاهتداء الى الحقائق الكونية الكبيرة ، والاحتكاك بها مثل حقيقة الموت » ..

وتناولت نفس هذه المجلة ما نشرته للسياب على صفحاتها من انتاج شعرى فتبين ان هذا الشعر ظهر بعد أن دخل فى عدة تجارب ، وتوغل فى عدة أيديولوجيات ، ثم ظهر أخيرا كجوهر الشعر نفسه شفافا متوهجا مليئا بالحياة والموت معا .. ولكن الموت غلبه حين امتص نضارته قطرة قطرة وشعاعا شعاعا ، ثم أطفأ أخيرا شعاعا كان يضىء - على امتداد الرقعة العربية - فى كل بيت ، فى كل قلب ، فى كل ضمير .

● **جوته والمعلقات**

وفى مقال نشرته مجلة « المجلة » للدكتورة «نبيلة ابراهيم سالم » بينت فيه أن جوته دفعه حبه للعرب الى قراءة تاريخهم وادبهم ، فقد عكف على دراسة المعلقات عن طريق الترجمات المختلفة ، بل ان هذا الحب دفعه الى المزيد من الاطلاع على الأدب العربى والى تعلم اللغة العربية ، ومما يدل على اهتمام جوته بالمعلقات قوله فى « الديوان الشرقى للشاعر الغربى» ان «العرب يمتلكون كنزا أدبيا رائعا يتمثل فى المعلقات . وهى أشعار ألفت قبل عصر محمد وكتبت بحروف من الذهب ، وعلقت على أبواب الكعبة ، وهى تكشف عن حياة - العرب الرحل - الذين طالما نشأت بينهم الحروب نتيجة الصراع المتبادل بين القبائل . وأما الموضوعات التى تتحدث عنها ، فهى التغنى بمجد القبيلة ومجد أجدادها وبشجاعتها والدعوة الى الأخذ بالثار من أعدائها، تلك الدعوة التى كان يلطفها شعر النسيب والتغنى بالكرم والاخلاق الحميدة ، على أن هذه القصائد نادرا ماتكشف القناع عن ديانة واضحة فى الوقت الذى تكشف فيه القناع عن أحوال العرب الأخرى .

وتذكر الدكتورة نماذج من شعر جوته كان للأدب العربى فيها تأثير كبير من ذلك قصيدة « دعنى أبك » و « الهجرة » و « القافلة » .

وجوته استطاع من قراءته الفاحصة لشعر المعلقات أن يدون الخصائص الفنية لكل معلقة كما أحسها ، كما أن حبه للشعر الجاهلى دفعه الى استنكار كلمة « الجاهلى » فعبارة « الشعر الجاهلى » لا تتفق - من وجهة نظره - بحال من الأحوال - مع هذا التراث الأدبى الصادق الفنى بالتعبيرات والصور الفنية . والذى يفيض بالعواطف والاحساسات الصادقة .

« **محمد العوانى** »



لقاؤنا
أحمد عمر هاشم

مازلت اذكر ليلة بيضاء . في جوف الظلام
والليل مكتحل الصبابة .. والزمان بها غلام
وحديثنا غدق . يرف على مسافات الهيام
لا نعرف الدنيا سوى قيثارة تحكى الغرام
امل تململ في ضحى الاشواق مشبوب الحنين
حفرت معانيه سطورا في فؤادى لاتبين
والقلب مسوار الاماني منه تياه الانين
والامس يطفو بالرؤى السكرى على طول السنين
واليوم . ان هب النسيم الحلو رفاف النداء
واخضوضرت ساع السعادة والهناءة والرجاء
وتفيات ايامنا الخضراء ـ في ظل المساء
فلقاؤنا ـ دنيا السعادة .. آه ما احلى اللقاء

ليسكت الشعراء ... ليتكلم النقاد ...

بقلم اخلاص حسنى

احتدم الصراع في الفترة الاخيرة بين انصار الشعر الحديث وانصار الشعر القديم وتحول الى معركة أدبية هائلة لا شك انه سيفيد منها الشعر فالفائدة عظمى فيما لو نظمت المعركة بحيث تعطى كل القوى المشتركة فيها الفني طاقة ممكنة في مجال تخصصها .

وكنا نود لو اقتنع شعراؤنا الافذاذ من كل فريق عن مهاجمة الفريق الآخر وكرسوا كل طاقاتهم في ابراز قدرة اللون الشعري لكل فريق منهم على صور حياتنا واحداثنا من خلال الأسلوب الشعرى الذي يمارسون الكتابة به و ..

واذا قيل ان الشعراء يخوضون المعركة مسلحين بخاصية التذوق التى يتميزون بها فالرد على ذلك ان تلك الخاصية متوفرة ايضا لدى نقاد الشعر كما انه من غير الممكن لشاعر لم يمارس الا كتابة الشعر الحديث ان يصدر احكامه على الشعر العمودى بما فيه من جزالة وتمكن .

اما نقد تجربة والدفاع عنها او مهاجمتها بناء على دراسة متمكنة واعية مبنية على المنطق الأدبي السليم ومؤيدة بالبراهين فيجب ان يترك امر ذلك للمشتغلين اساسا بالنقد لان ذلك يعد من صميم النقد الادبي وعلى هذا فانه يبدو واضحا ومحتما ان يسير المعركة ، شعراء يصبون صور حياتنا واحداثنا باسلوب شعرى قصائدى ونقاد يرقبون التطور الشعرى في قصائد الفريقين بنظرتهم الموضوعية ويحللون اتجاهاتها ومدى تمكنها منها من قطاعات الحياة والتعبير عنها بصور اشمل وشكل ادق ويتناولونها بالنقد الفني الأدبي الهادف .

قصيدة بحيرة ناصر

للشاعرة : عفيفة محمد الحصنى

١ ـ عرض الحوار وكانه فقرة واحدة

٢ ـ حذفت فقرة شوهت المعنى وجعلته غامضا . وهى الفقرة التى كانت بعد صياح النوبى :

صاح فى أسوان فاهتز الهرم .
« أين حبى أين ولى وانطوى ؟
هاهنا كانت تناجينى الهوى
يا لقلب ذاب حزنا واكتوى »
وبعد ذلك يأتى جواب حبيبته الميتة :
لم أمت ياصاح .

٣ ـ استبدل بكلمة (صرح) فى المقطع الاخير ـ كلمة (عرم) وبذلك انكسر الوزن .

٤ ـ استبدل بكلمة (نوبى) ـ فى المقطع الخامس ـ كلمة نولى .

الفنان الشعبي الراحل
الأستاذ محمود بيرم التونسي
بقلم حسنى امين على

احتفل الأدباء في الجمهورية العربية المتحدة من الشعراء والزجالين والكتاب والفنانين مع أفراد الشعب من محبي الفنون الشعبية بذكرى وفاة الفنان الشعبي الأصيل وأمير الزجالين الشاعر الصحفي الثائر المصلح الاجتماعي الناقد والفيلسوف الذي برع في كتابة القصة والمسرحية والاوبريت والموال والملحمة والأغنية وعلى الأرغول وعلى الربابة والفزورة: المرحوم الأستاذ محمود محمد مصطفى بيرم الذي اشتهر باسم محمود بيرم التونسي نسبة الى جنسيته التونسية (منحته الثورة الجنسية المصرية عام ١٩٥٤) . لقد عاش هذا الفنان الشعبي حياته لفنه الاصيل وبلغ القمة في الأجادة في كل ماكتبه عنه مصورا بكلماته الرقيقة الصادقة حياة الشعب بما فيها من ضنك وترف وشقاء ومرح ولهو وتصوف مصورا لما يمر به من أحداث وما يتمثل أمامه من مرئيات تصويرا بارعا ، يسخر منه تارة بغية اصلاحه ، ومدافعا عن حقوقه تارة أخرى لا يمنعه عن قول الحق لومة لائم أو سلطة حاكم مهاجما لقصور الرجعية وأعداء الوطن العربي في كل مكان حتى من داخل فرنسا ولم يرهبه السجن والتشريد والنفي .

لقد عاش هذا الفنان حياته في ضنك وفاقة وذاق الأمرين ونفي الى تونس ثم الى فرنسا ثم الىالسنغال لكشفه عن فضائح أسرة محمد على المالكة وقذفها قذفا مقذعا ومهاجمته لأعوانهم وأعداء الوطن العربي في كل مكان .

وقد عاد من منفاه فواصل كفاحه ضد الأوضاع الملكية الطاغية بما يكتبه عنها في جريدة الشباب وغيرها من الجرائد مثل الكشكول والامام والمطرقة والنيل وابولو وروزاليوسف وغيرها .

لقد جمع هذا الفنان الشعبي في نفسه خلاصة كثير من مذاهب رجال الاصلاح الذين ظهروا على مسرح الانسانية من أمثال دانتي ومارتن لوثر ووليم شكسبير وجان موليير وجان جاك روسو وجان جيته وآرثر شوبنهور وليوتلستوى ورابيدرانات طاغور وبرنارد شو ، وزاد على ذلك خلاصة من آراء شعراء الحكمة والفلسفة من العرب من أمثال البحترى وأبي تمام وابن الرومي وأبي العلاء ، وتجول بفنه ولقطاته البارعة في دروب الشعب الأصيل لينقل احاسيسه ويعبر عن خوالجه وكوامنه في صور زجلية بارعة تخاطب العقل والوجدان وتهز المشاعر الانسانية .

لقد مات محمود بيرم التونسي ليحيى في نفوسنا ذكرى عزيزة تذكرنا بابائه وشاعريته الصادقة الصائبة وفلسفته العميقة ولمحاته الفنية الخالدة من شعر ونثر وزجل .

لقد مرت بنا ذكراه ولم نر ما كنا نود أن نراه من تكريم له واحياء لتراثه الغزير . كنت آمل ان يكرمه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ويصدر له كتابا يسطر فيه سيرته العطرة وكفاحه ضد أعداء العروبة في كل مكان . كنت آمل ان أرى ديوان بيرم التونسي وقد أعيد طبعه خصوصا وان طبعته الأولى نفدت منذ صدورها .

ان أملي كبير في السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومي أن ينظر سيادته في اصدار مجلة الزجل لتقف بجانب زميلتيها (مجلة الشعر ـ مجلة الفنون) لتعطى الفرصة لفناني الشعب كي يؤدوا دورهم في مجتمعنا الاشتراكي الجديد ، كما انني أعتقد أن اصدار مجلة للزجل سيكون له اثر كبير في حسم النزاع القائم بين شعراء القديم والحديث لاننا سوف نتيح بذلك الفرصة أمام شعراء الجديد ليتجهوا نحو قرض الزجل دون الهرب من قيود الشعر القديم وأوزانه وقوافيه ولغته العربية الفصحى الى ما يسمونه بالشعر الجديد .

وأخيرا دعواتي الخالصة الصادقة الى الفنان الشعبي الراحل الاستاذ محمود بيرم التونسي أسكنه الله فسيح جناته ورجائي وندائي وأملي الكبير للقلب الكبير السيد الدكتور عبد القادر حاتم والسادة أعضاء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب احياء تراث هذا الفنان الشعبي الراحل وتخصيص جزء من أجزاء سلسلة اعلام العرب له والتكريم بالنظر في اصدار (مجلة الزجل) .

والله يوفقنا الى خدمة مجتمعنا الاشتراكي العربي في ظل رائد النهضة العربية الزعيم البطل جمال عبد الناصر .

شربة ماء

قصة بقلم : محمد الشناوى

« ماء » :

وانطبقت الشفاه المحمومة من جديد ، فلم تعد تنطق ، وهو نفسه لم يسمع الكلمة بوضوح ، فقد نطقت بها فى شبه زفرة ضعيفة ، نفثتها مع انفاسها التى تتردد بصعوبة بين الصدر المهزول والحجرة الرطبة المظلمة التى احتوتهما معا ، واذا كان هو ... قد التقط الكلمة بسرعة ، فقد أحس بها بقلبه اكثر مما سمعها باذنيه ، واستقبلتها الاشعة غير المنظورة التى ربطت بين القلبين ، قلب اليتيمة و ... قلب الأعمى ..

واسرع يلبى نداء المريضة ، وقف بسرعة فاصطدم راسه بالحبل المعلق بعرض الحجرة يحمل الخرق الباليه ، التى لم يات عليها الدور لتحتل مكانها من جسديهما اللذين لم يعرفا جديد الثياب منذ زمان طويل ، و .. انقطع الحبل ، وتكومت الخرق التى يصعب عليك مهما كانت خبرتك بالالوان - أن تنسبها الى لون معين ، تكومت فوق المريضة ، فتململت فى رقدتها ، وأحس «الاعمى» بالموقف .. اذ لم يره .. فقاوم كل ما فعلته السنين بظهره وانحنى بسرعة فوقها ، ويداه تروح وتجىء فى عصبية بالغه ، تدفع عن النائمة هذه الخرق التى تكومت فوقها ، كانما يدفع عنها شرا يراد بها ، أو يحول بين القدر المتربص وبين بلوغ ما يريد منها ..

زين ... هل أصابك مكروه يابنتى ...

ولم يكن بوسع الخرق الساقطة ، ان تصنع باليتيمة زين ، أكثر مما تصنع بها الحمى الآن ، ولم تكن هى نفسها بحالة من الوعى تستطيع معها ان تزن ما أصابها بسقوط ما سقط فوقها من بالى ثيابهما ، فجاء سؤال الاب لا معنى له ، لأنه تردد فى جنبات الحجرة المظلمة بلا هدف ، وظل بلا جواب ... وكانما تحرك شعور المريضة ، اشفاقا على هذا الذى يجلس معها وحيدا ، لا يربطه بالاحياء الا عيناها اللتان لم تعودا قادرتين على رفع الجفون الثقيلة المسبلة ، فانطلق صوتها الواهن من جديد ، بشىء اى شىء يذكره بأنها ما تزال تعانى مثله من الحياة ، وانها لا تزال كما هى لم يصبها مكروه ، ان كان من الممكن أن يوجد مكروه أكثر مما هما فيه .

● ماء ..

● **حاضر يازين ... حاضر يابنتى ...**

قاتل الله ذاكرتك الضعيفة ياعبد الرازق ... اين وضعت « القلة » ؟ اهدا بالله عليك ، ودعك من هذا الاضطراب ، فحبة القلب « زين » ، ونور العين .. « زين » عطشى ، ويجب أن تشرب ، ولكن ... أين « القلة » ؟ حسنا ... هانت تتذكر لعلها الى اليمين من باب الحجرة حيث تجلس مع الغالية زين فوق المصطبة .. ولكن يديك لم تمسكا بها حتى الآن ، وهاهى « الحصيرة » خالية تماما من اى أثر «للقلة» ولا يوجد فوق المصطبة سواك أنت وهى ... حبة القلب . تحرك « ياعبد الرازق » الى الجدار المواجه للباب ، فقد تكون نسيتها هناك ، ويتحسس « الاعمى » طريقه ، ويقطع الحجرة التى تنوء بحمل احزانهما الطويله ، فلا تعثر يداه بغير « الماجور » الفخارى القديم ، الذى تحول منذ سنوات ، الى قطعة أثرية من ماضى « عبد الرازق » أيام أن كانت له امراة ترعاه ، ككل رجال القرية ، وكانت تعجن فيه دقيق الذرة الذى يجود عليهما به «ناظر العزبه» بل ان المرحومه كانت تفاجئه احيانا بفطيرة من القمح « ليصلب حيله » وتعد عجينتها فى هذا الماجور ... ياسلام يا « عبد الرازق » ؟ .. انت طمعك غريب .. وهل هذا وقته ؟ لقد ماتت « خضرة » وتركت أنت العزبة وناظر العزبة وتحولت بعد أن فقدت بصرك ... من فلاح ممتاز الى .. « هيه » ما علينا ، اين « القله » ؟ البنت عطشى ، والحمى تحرق بدنها .. ويجب أن تشرب ...

● ماء ...

● حاضر يازين ... اننى أبحث عن «القلة»
● ماء ...
● قلت لك حاضر .. الله يلعن ...

يلعن ماذا ياعبد الرازق ؟ ... هل جننت ؟ تلعن من ؟ ... المريضة الغالية أم .. ؟ .. لا .. مستحيل ، لا المريضة ، ولا هى ... فقد كانت نعم الزوجة ، فعلا ياعبد الرازق لقد كانت « خضرة » نعم الشريك لحياتك ، وكانت خير الرفاق فى رحلة عمرك الشاقة ، ويحك ياعبد الرازق .. تثور على ابنة الغالية ... لمجرد انها عطشى تطلب جرعة ماء؟ ... وهى ... المريضة العزيزة ... هل ثارت عليك مرة واحدة عبر هذه السنوات التى قطعتكما معا فى مرورها البطىء الثقيل ؟ ... هل سمعت من زين الغالية شكوى واحدة ، منذ أسلمت الحياة كليكما للآخر ، أنت ببصرك الذاهب وهى بيتمها المقبل الحزين ؟ ... أنت « مفترى » ياعبد الرازق، تصرخ فى المريضة التى لجأت اليك فى طلب جرعة ماء ، وهى التى حملت على كاهلها الغض .. منذ الطفوله .. كل الظلام الثقيل الذى لف حياتك ... هل نسيت صنيع امها من اجلك يوم شاء القدر أن ينتزعك من عالم النور ، الى حيث انت الآن ؟ الا تذكر أن الكل تخلى عنك منذ اول يوم حلت بك المحنة ؟ ... « ناظر العزبة » الذى انتزع منك أرض « الباشا » ليسلمها الى غيرك ، واولاد عمومتك الذين ازوروا عنك واحدا اثر واحد ، بعد أن طال بك المرض ولم تلح معه تباشير امل ، وحتى الطبيب الذى تولى أمر عينيك منذ البداية حتى أسلمهما للظلام شعرت بأنه بدأ يضيق بك ... احساسا بالخجل من فشله فى علاجك ، أو رغبة عنك بعد أن نضب معين جيبك .. الكل ياعبد الرازق ... الكل تخلى عنك ، ونفض يديه منك مستريح النفس، الا هى ... أم الغاليه ، لم يهدأ لها بال ... ووقفت معك موقف شجعان الرجال كنت تجلس بعيدا عن الناس ، عازفا عن الاختلاط بهم ، راغبا عن معايشتهم ، منزويا فى دارك .. اذ كانت لك دار .. ثم فى هذه الحجرة الوحيدة ... بعد أن ذهبت دارك وفاء لديون المرض وكانت وهى المعتزة بنفسها ابدا ، تعمل فى الصباح الباكر فى نقل الماء بجرتها الى بيوت الاثرياء من أهل القرية ، فاذا انتظم الفلاحون فى عملهم بالحقول ،كانت هى معهم ... فاذا جاءت الظهيرة لم تخلد الى الراحة كما يخلدون، بل سارعت بالعودة اليك لتطعمك وتسقيك وتقضى لك من حوائجك ما تريد ، ثم تتركك عائدة لرفاق الحقل ، عاملة معهم حتى تقارب الشمس الغروب فتعود مع العائدين ، يذهبون هم الى مضاجعهم أو سمرهم ، أما هى فتجلس اليك فى حنو وتعاطف تقص عليك من امرها مايروح عنك ، وتسمع منك ما يخفف كربك حتى ولو آذاها فى سمعها أو عزة نفسها ... ابدا لم تشك ، ولم تسخط ، وبالغت فى هذا الرضا بالواقع ، وبالغت أيضا فى تخفيف هذا الواقع عنك حتى انتصر حلمها على نفاد صبرك ، وتغلب حبها لك وللحياة معك على ضيقك بهذه الحياة ... وحتى عندما قسى عليها المرض لأنها قست على جسدها ولم تأخذه برفق فى سعيها على رزقك ورزقها ، لم تستسلم له ، ولم تتم الا الساعات القلائل التى سبقت رحيلها عن هذه الدنيا لتتركك وحيدا مع زين ، وتترك زين وحيدة معك .. أنسيت «ياعبد الرازق» يدها المعروقة وهى تجمع بين يديك المرتجفتين .. من وطأة الموقف ساعة احتضارها ... ويدى زين الحبيبة ، فى وصية صامتة ، تلففا قلبك المحزون من قلبها الذى كان يعانى آخر نبضاته فى الحياة .. ؟ .. أم نسيت الكلمات المحزونة التى لفظتها انت ممزوجة بدموعك ، وانت تحاول فى يأس أن تعيد الى قلب الذاهبة طمانينتها على فلذة كبدها «لاتخافى عليها ياخضرة ، انها بنتى » ؟ ..

● ماء ...

● من عينى يازين ...

أسرع ياعبد الرازق ، لا بد أن « القلة » بجوار « المشنة » ، مؤكد أنها هناك .. وتمتد اليدان المعروقتان فى لهفة واجفة ، وتصطدمان بها ... الحمد لله ، هاهى أخيرا .. ستشرب العزيزة الغالية، ستشرب زين .. ياساتر ، ياساتر ... لا حول ولا قوة الا بالله ، وأسرع يخلص قدميه من الحبل المعلق الذى قطعه فى سقوطه الاول ، باسلام ياعبد الرازق .. انت هكذا ، دائما تسرع وتسرع ، والنتيجة انك تتأخر وتتأخر ... الحمد لله ، أخيرا تحررت قدماه من الحبل الملتف حولهما ، ولكن ... أين القلة .. ؟ .. أين تراها سقطت منه ؟ .. ابحث بسرعة ياعبد الرازق ... صحيح أن رأسك تؤلك من أثر اصطدامها بالجدار ساعة أن سقطت ، ولكن لابأس، ابحث عن «القلة» أولا . فليس لديك وقت لاجترار الالم الذى يمزق رأسك «القلة» أولا وبعدها تألم كما

تشاء . ولن يضير الالم ان يتأخر احتفاؤك به حتى تشرب الغالية ، فانت متفرغ له منذ زمن طويل ... القلة .. أين هي ؟

● ماء ...

● صبرا يازين ، انني ابحث عنها ...

ما هذا .. ؟ وامسكت يده بشظية من الفخار ، كانت القلة قد تناثرت اشلاء عندما تعثرت قدماه في الحبـل المقطوع ، وجن « الاعمى » اشفاقا على اليتيمة ، وكاد قلبه يتمزق لاحساسه بأنهـا ترقد عطشى ، وهو عاجز عن تقديم جرعة ماء لها ، يجب ان تشرب « زين » ولو دفع حياته ثمنـا لهذا ، ان بقاءه حيا حتى الآن ، ثمرة لكفاح المريضة من اجله، وكفاح امها من قبلها ، فهل يكون جزاؤها ، ان يمنع عنها شربة ماء تطفىء بها لهيب الحمى التي تحرق شبابها ، مستحيل ... يجب ان تشرب « زين » ، يجب ان يرد لها بعض جميلها وجميل المرحومة عليه ... لقد استطاعت اليتيمة الصـغيرة ان تملأ حياة الارمل ، كما تملأه ، امرأة مكتملة ، كانت معجزة ، ولكن حبة القلب « زين » صـنعتها ، قامت على خـدمته ، ورعاية امره ، متحدية عوامل السـن والخبرة ، وانتزعت نفسهـا انتزاعا مبكرا من حياة الطفولة ، وعبثها الحلو البريء ، لتخلص لخدمة ابيها المحتاج لها، صحيح ان طبعالطفولة كان يغلبها احيانا فتنطلق مع لداتها من الاطفـال في اللعب ، ولكنها تثوب الى رشدها ، أو يعيدها هو الى واقعهما الصلد ، بندائه « زين .. يازين » .. الذي تحول في افواه الصغار الى أغنية جماعية عابثة ، يغيظـون بها « زين » كلما حاولت التطفل على عالمهم الصغير ، الذي حرمه عليهـا .. قبـل الاوان .. موت الأم واحتياج الأب الضرير لرعايتها ، وهي لما تزل بعد في حاجة لمن يرعاها .

● ماء ...

● يا حبيبتي ...

واسرع يتحسس طريقه الى «العكاز» ، لقد اهمله طويلا ، لم يكن في حاجة اليه ، كانت « زين » «عكازه» الذي يرتكز عليه في ذهابه وجيئته ، بل كانت المحور الذي « ترتكز » عليه حياته كلها ، اما الليلة ، وقد نام « عكاز » حياته تحت ضربات الحمى ، فقد أحس بالحاجة الى « عكازه » الخشبي ، اين هو .. ؟ .. اين وضعته لآخر مرة ياعبد الرازق ؟ . انت لا تذكر طبعا ،لأنك لم تضعه بنفسك ،بل لأنك لم تكن تصنع شيئا بيديك ، كانت العزيزة الغالية تصنع لك كل شيء ، وترى لك كل شيء ، وتحس معك ومن اجلك بكل شيء ، حلو الحياة تقدمه لك سعيدة راضيه ، ومرها تذوده عنك جاهده ، مهما قاست ومهما لقيت، لم تأخذ لنفسها شيئا، بل لم تشعريوما بأن لها ذاتا مستقلة عنك ، وحتى عندما عرف الصبا طريقه اليها،وشقت الانوثة حجب الفقر والبؤس الذي ترزح تحت وطأته حبة القلب « زين » ، وتقدم لخطبتها خاطب وفوضـت انت لهـا الامر لترى فيـه رايها ، اشفاقا عليها ، من أن يحول احتياجك اليها بينهـا وبين حقها الطبيعي في الحياة المشروعة لكل انثى ، حياة الزوجة والأم ، رفضت هي هذا الخطيب المقبل عليها العاشق لحسنها ، الذي لم تسـعد برؤيتـه عيناك المظلمتان ، لانه ابى عليها أن تقوم على خدمتك حتى بعد أن تنتقـل الى بيت الزوجيـة ، وذهب العاشـق الخطيب ، ولم يعد ، ولم تعد هي الى الحديث في امره ، واذ كنت .. تحت احساسك بالذنب لأنك كنت السبب في ذهابه .. تحاول ان تجرها الى الحديث عنه لتحاول اصلاح ما افسده وفاؤها لك واستغراقها في حبك ، كانت تبعـد بك عن الموضـوع بلباقة ورثتها عن المرحومة ، بنكتة ترويها .. عن طيش الشبان في هذه الايام .. أو خبر جديد تحاول أن تبهرك به ، أو قصـة لطيفة سمعتها فتعيد روايتها لك ، وتمضي سهرتكما حلوة ، هنية رغم بساطتها وشظفها ...

● ماء ...

● يالي من غبي ... استرسـل مع نفسي ، وانسى حبة القلب .. حاضر يازين ..

وماذا يضيرك يا « عبد الرازق » لو خرجت بدون « عكاز » ؟.. يالي من أناني استكثر على الغالية ، ان اخرج لأحضر لها الماء بدون عكاز ؟ .. ساصطدم مرة أو مرتين ، وقد تخدش يدي او رجلي او حتى تدمى راسي من اجلها ، فهل هذا كثير على زين .. الم تخدش حياتها عشرات المرات من اجلي ؟ ... الم تتحمل مشاق العمل ، بل مهانته احيانا لكي توفر لي لقمة العيش بدون حاجة الى مذلة السـؤال ... تجلد ياعبد الرازق ... هاهو الباب ، صحيح

انها المرة الاولى التى تخرج فيها وحدك ، ولكنها زين ...

● ماء ...

● **ساعود سريعا يابنتى ... ساعود بالماء حالا ...**

أنت الآن في الحارة ، فاين بيت « أم محمد » ؟.. على يمينك ؟ ... أجل تماما ، اتجه اليها ، انها امرأة خير ، لقد كانت صديقة المرحومة ، وكانت تعطف على زين باستمرار ، وزين نفسها تانس اليها وهى لن تبخل على ابنتك بشربة ماء ، بل انها لم تتردد صباح اليوم عندما عجزت زين عن الخروج فى ان تقودك .. الى دار « الجمعية » لتقابل هذا « الافندى » الذى قالوا انه قادم من « البندر » ليفحص حالتك ، آه لو صدق الكلام الذى سمعته من « الافندى » ياعبد الرازق ؟ ... ماذا ستصنع بأول مبلغ تقبضه من هذا « المعاش » الذى زعموا أن « الحكومة » ستصرفه لك ؟ ثوب جديد لزين ؟ ... أجل ... ثوب جديد احمر ... لا انها أصبحت عروسة ملء العين ... الثوب الاحمر للفتيات الصغيرات ، ياسلام ياعبد الرازق ... انت « مفترى » والله ... ان البنت لم تفرح مرة واحدة فى حياتها ، فهل تستكثر عليها ثوبا احمر مرة فى العمر ؟ ... آه ... هاهو الباب ...

من عينى ياعبد الرازق .. انتظر .. سآتى معك لأطمئن على زين ...

جزاك الله عنى وعن العزيزة الغالية خيرا ... انك لا تتصورين كم هى غالية عندى يا أم «محمد»؟ وبدونها لم اكن لاستطيع الحياة ، ماذا .. ؟ .. طبعا، وساريحها منذ اليوم ، ساعطيها المعاش الذى قال « الافندى » « ان الحكومة » ستصرفه لى ، اجل ... كله ، وسأجعلها عزيزة مكرمة وسأعوضها عن كل ماقاسته فى حياتها ، منذ ماتت المرحومة ...

اشهد الا اله الا الله .. انا لله وانا اليه راجعون البقية فى حياتك ياعبد الرازق ... البقية فى حياته .. وهل لحياته بقية ، بعد أن ماتت زين قبل ان تشرب ؟ هل لحياته بقية بعد حبة القلب ... زين .. نور العين .. زين .. عكاز الاعمى زين ..

« محمد الشناوى »

من أغانى العودة .. الى فلسطين

للشاعر : محمد مصطفى المليجى

اقسمت بربى وسلاحى
ساعود لأرضى بكفاحى
كالليث وفى عزم صلاح

لن يهدا ثارى بدمائى
فالحر شجاع وفدائى
لا يرهب كيد الأعداء

وطنى لن يهدا لى بال
وفداك شباب ورجال
ناديت فايقظنا جمال

يا وطنى يا أرض جدودى
يا مهد العزة والجود
سنعود ولن يبقى يهودى

سنعود كريح الأعصار
نرمى بقذائف من نار
ونخط بدم الأحرار

سيعود الشيخ باحفاده
ليعيش عزيزا ببلاده
حرا يعتز بامجاده

سنعود لأرض الزيتون
للكرم وطلع الليمون
لن يبقى ابدا صهيونى

اقسمت بربى وسلاحى
ساعود لأرضى بكفاحى



الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)

القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)

مجلاتى

الثقافة والارشاد القومى

العدد ٨٣

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الصفحة

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١٠٢ - الخميس ٢٤ شوال ١٣٨٤ هـ - ٢٥ فبراير ١٩٦٥ م - السنة الثانية والعشرون

طرائق التعبير في العربية الفصحى وفي العامية

للدكتور : على عبد الواحد وافى

تنوعت طرائق التعبير فى العربية الفصحى ، ووصلت فى سموها ، وبلاغتها ، ودقتها فى الابانة عن حقائق الادراك والوجدان ، وقوة تأثيرها فى النفوس ، وحسن تعبيرها عن مختلف فنون القول ـ وصلت فى كل ذلك الى شأو لم تكد تصل الى مثله لغة أخرى من لغات العالم .

وكما وفق علماء النحو فى رجع مسائل الاعراب الى قواعد محكمة مطردة ، قليلة العدد ، منقطعة النظير فى أحكامها واطرادها وقلة عددها ، كما بينا ذلك فى مقال سابق ، وفق كذلك علماء البلاغة ايما توفيق فى حصر طرائق التعبير فى العربية الفصحى ، ورجعها الى قواعد محكمة ، وبيان ما لكل طريقة منها من أثر فى بلاغة القول ، وروعة العبارة ، وايصال الحقائق الى الأذهان .

* * *

١ ـ **فمن هذه الطرائق** ما يرجع الى استخدام المفردات والعبارات فى غير ما وضعت له لتحقيق غرض بلاغى ، وما يرجع الى تشبيه المفردات والعبارات بمفردات وعبارات أخرى لتقوية مدلولها وتوضيحه ، وقد رجع علماء البلاغة هذه الطرائق جميعا الى تسع الطرائق الآتية :

(ا) فقد يستخدم اللفظ فى غيرمدلوله الأصلى لتشبيه أمر بأمر فى صفة ما ، كتشبيه الهدى بالنور والضلال بالظلمات فى قوله تعالى : «يخرجهم من الظلمات الى النور » ، وتشبيه الكريم فى شدة سخائه بالبحر فى قولك « يغمر كرمه المعوزين » .

(ب) وقد يستخدم اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة أخرى غير المشابهة بين المعنيين ، كعلاقة السببية والمجاورة والكلية والجزئية واعتبار ما كان عليه الشىء أو ما سيؤول اليه ، نحو « له على يد » أى نعمة سببها الاعطاء باليد ، و « ينزل لكم من السماء رزقا » أى مطرا يتسبب عنه الرزق ، و « انى أرانى أعصر خمرا » اى عنبا يؤول الى الخمر .

(حـ) وقد يغلب استخدام اللفظ فى غير ماوضع له على طريق من الطرق السابقة حتى ينسلخ عن معناه الأصلى أو يكاد ، ولا ينصرف الذهن عند اطلاقه الا الى هذا المعنى الجديد . وذلك : ككلمة « الفصاحة » المستخدمة فى صفاء القول وحسن بيانه ،فان معناها الأصلى صفاء اللبن وذهاب رغوته، وكلمة « الرث » المستخدمة فى الخسيس مما يلبس ويفرش ، فان معناها الاصلى الخسيس من كل شىء، وكلمة « الباس » المستخدمة فى معنى الشدة ، فان معناها الأصلى الحرب ، وكلمتى «الصلاة» و «الزكاة» المستخدمتين فى الشعيرتين الاسلاميتين الخاصتين ، فان معناهما فى الأصل الدعاء والطهارة . .

(د) وتستخدم الجملة كلها أحيانا فى غير مدلولها الأصلى لتشبيه حالة بحالة كان تقول : « رمى عصفورين بحجر واحد » قاصدا التعبير عن تحقيقه غرضين بعمل واحد ، و « هو يقدم رجلا ويؤخر أخرى»قاصدا التعبير عن تردده بين الاقدام والاحجام فى أمر ما .

(هـ) وتطلق العبارة أحيانا ويراد بها ما يترتب على مدلولها ويلزمه ، وذلك كقولك : فى التعبير عن الرقة وشدة التأثر « مس الحرير يدمى بنانه » ، وعن الترف « نؤوم الضحى » ، وعن الكرم « اليمن يتبع ظله » ، وعن الفاقة « يفترش الغبراء ويلتحف السماء » ، وعن الندم « يقلب كفيه » .

(و) وكثيرا ما تتحول الجمل عن أبوابها الاصلية لأغراض بلاغية ، فتستخدم الجمل الاخبارية فى أمور أخرى غير الاخبار : كالالتماس أو الأمر فى نحو « تجيئنى غدا » ، أو العتاب والتأنيب فى نحو « عبس وتولى أن جاءه الأعمى» ، أو التحسر أو الفخر أو المدح أو الاسترحام... الخ . ـ وتتحول جمل الأمر والنهى عن ابوابها فتستخدم مثلا فى الدعاء

او التهديد او التعجيز وما الى ذلك : كقوله تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطانا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا » ، و « اعملوا ما شئتم » ، و « ايتوني بكتاب من قبل هـــذا أو اثارة من علم ان كنتم صـــادقين » . — وتتحول جمل الاستفهام عن بابها ، فتستخدم في الأمر او التهـديد أو الاســـتبطاء او الانكار أو التعجب او التهكم أو الفخر او المدح أو تقرير المعنى وتوكيده ... وما الى ذلك : كقوله تعالى « فهـل أنتم منتهون ؟! » ، و « اذا قيل لهم اســـجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟! » ، و « أصطفى البنات على البنين ؟! » ، وكقول الشاعر : « وهل بفتي مثل على حاله نكر ؟! » . — وتتحول الجمل الدعائيـــة عن بابها ، فتستخدم للدلالة على التعجب او زيادة التنبيه او توكيد الكلام والعناية بالحقيقة التي يراد تقريرها وما الى ذلك نحو : « قاتله الله ما أذكاه !»، و « من يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسام » ، وقوله عليه السلام في جواب من قال له أو نحن محاسبون على ما نقول « ثكلتك امك ! وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ؟ ! » ، وقوله « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ! » .

(ز) وقد يسند الفعل الى غير محدثه الحقيقي لغرض بلاغى كقولك « بنى الأمير المدينـــة » ، و « قتل القائد خمسين الفا من الأعداء » .

(ح) وقد يســتخدم المفرد في مدلوله الأصـــلى ولكن يشبه بمدلول مفرد آخر مع ذكر أداة التشبيه أو حذفها ، كقولك « محمد كدائرة المعـــارف في علمه » أو « محمد دائرة معارف في علمه » .

(ط) وقد تستخدم العبارة في مدلولها الاصلى ، ولكن تذكر بعدها عبارة أخرى لتشبيههـــا بها في مدلولها ، كقولك « مثل الذى يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذى يضيء للناس ويحرق نفسه » ، وقد يكتفى بالعبارة الثانية في اثبات الحقيقة التي يراد اثباتها كقول المتنبى :

ومن يك ذا فـم مر مريض
يجد مرا به المـــاء الزلالا

وقد جمع علماء البلاغة هذه الطرائق جميعـــا في علم واحد ســـموه « علم البيان » ، وأعطوا كل طريقة منها اسما خاصا لتميز بعضها عن بعض فاعطوها بحسب ترتيبها السابق أسماء الاستعارة والمجاز المرسل والنقل والاستعارة التمثيلية والكناية وتحول الجمل عن أبوابها والمجاز العقلى والتشبيه والتمثيل ، ووضحوا القواعد التي ســـارت عليها العربية الفصحى في كل طريقة منها ، وضربوا لها مئات الامثلة من القرآن والحديث وكلام العرب شعره ونثره في مختلف العصور ، وبينوا ما لكل طريقة منها من أثر في بلاغة القول ، وروعة العبـــارة ، وايصال الحقائق الى الاذهان .

وفي توضيح هذه الآثار يقول عميد علماء البلاغة عبد القاهر الجرجاني في كتابيه « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » :

« قد أجمع الجميع على ان الكناية أبلغ من الافصاح والتعريض أوقع من التصريح ، وأن للاستعارة مزية وفضلا ، وان المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة ... وقد جاءت بلاغة هذه الاوضاع من طرائق اثبات الحقائق وتقريرها ومن تضمنها اقامة الدليل على صحتها . — اما الكناية فان السبب في ان كان للاثبـات بهـا مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم اذا رجع الى نفسه ان اثبات الصفة باثبات دليلها وايجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من ان تجيء اليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا ، وذلك انك لا تدعى شاهد الصفة ودليلها الا والأمر ظاهر معروف ، وبحيث لا يشـــك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط ... فاذا أردت وصف شـــخص بالكرم والسخاء في قرى الضيوف فكنيت عن ذلك بقولك « انه جم الرمـــاد » ، فانت بذلك تكون قد اثبت له الكرم والسخاء في القرى من وجه هـو أبلغ ، واوجبته ايجابا هو أشد ، وادعيته دعـوى أنت بها أنطق ، وبصحتها أوثق ، لاقامتك الدليل عليها بكثرة الرماد المتخلف عن شواء الذبائح المقدمة الى الضيفان . — وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة انك اذا قلت « رأيت أسدا » كنت قد تلطفت لما أردت اثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذى يجب له الثبوت والحصول، وكالأمر الذى نصب له دليـــل يقطع بوجوده . وذلك أنه اذا كان أسدا فواجب أن تكون له الشجاعة العظيمة ، وكالمستحيل او الممتنع أن يعرى عنها . واذا صرحت بالتشبيه فقلت « رأيت رجلا كالأسد » كنت قد اثبتها اثبات الشيء يتارجح بين ان يكون وبين ان لا يكون ، ولم يكن من حديث الوجوب في شيء . — وحكم الاستعارة التمثيلية حكم الاستعارة في المفردات سواء بسواء . فانك اذا قلت « أراك تقدم رجـــلا وتؤخر اخرى » تكون قد أوجبت له

الصورة التى يقطع معها بالتحير والتردد ، فكأنك أقمت الدليل على تحيره وتردده • _ وكذلك الشأن فى التمثيل اذا جاء فى أعقاب المعانى أو برزت هى باختصار فى معرضه • فانه اذ ينقلها من صورها الأصلية الى صورته يكسوها أبهة ، ويكسبها منقبة، ويرفع من أقدارها ، ويضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ودعوة القلوب اليها • فان كان مدحا كان أبهى وأفخم ، وأنبل فى النفوس وأعظم ، وان كان ذما كان مسه أوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه أشد ، وحده أحد • وان كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر • وان كان افتخارا كان شأوه أبعد ، وشرفه أجد ، ولسانه ألد • وان كان اعتذارا كان الى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل ، ولغرب الغضب أفل • وان كان وعظا كان أشفى للصدور ، وأدعى الى الفكر ، وأبلغ فى التنبيه والزجر • وهكذا الحكم اذا استقريت فنون القول وضروبه ، وتتبعت أبوابه وشعوبه • فانظر مثلا الى نحو قول البحترى :

دان على أيدى العفاة وشاسع
عن كل ند فى الندى وضريب
كالبدر افرط فى العلو وضوؤه
للعصبة السارين جد قريب

(والعفاة جمع عاف وهو طالب الفضل والاحسان) •

وفكر فى حالك وحال المعنى معك وأنت فى البيت الأول لم تنته الى الثانى ولم تتدبر نصرته اياه وتمثيله له فيما تملى على الانسان عيناه ، ويؤدى اليه ناظراه ، ثم قسهما على الحال وقد وقفت عليه ، وتأملت طرفيه ، فانك تعلم بعد ما بين حالتيك ، وشدة تفاوتهما فى تمكن المعنى لديك ، وتحببه اليك ، ونبله فى نفسك • وهكذا ، فتأمل بيت أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعا عن البيت الذى يليه ، والتمثيل الذى يؤديه ، واستقص فى تعرف قيمته على وضوح معناه وحسن مزيته ، ثم أتبعه اياه :

لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وانظر هل نشر المعنى تمام حلته ، وأظهر المكنون من حسنه وزينته ، وعطرك بعرف عوده ، واستكمل فضله فى النفس ، ونبله ، الا بالبيت الأخير ، وما فيه من التمثيل والتصوير » •

« واذا بحثنا عن العلة والسبب لم كان للتمثيل هذا التأثير وجدنا له أسبابا وعللا كل منها يقتضى أن يفخم المعنى بالتمثيل وينبل ، ويشرف ويكمل • فاول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفى الى جلى ، وتأتيها بصريح بعد مكنى ، وأن تردها فى الشىء تعلمها اياه الى شىء آخر هى بشأنه أعلم ، وثقتها به فى المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل الى المحس ، وعما يفهم بالفكر الى مايعلم بالاضطرار والطبع • لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر فى القوة والاستحكام • ومعلوم أن العلم الأول اتى للنفس أولا من طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النظر والروية ، فهو اذن أمس بها رحما ، وأقوى لديها ذمما ، وأقدم لها صحبة ، وآكد عندها حرمة • فاذا نقلتها فى الشىء بمثله عن المدرك بالعقل المحض وبالفكرة فى القلب الى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع وعلى حد الضرورة ، فأنت كمن يتوسل اليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم • فأنت اذن مع الشاعر وغير الشاعر اذا وقع المعنى فى نفسك غير ممثل ، ثم مثله كمن يخبر عن شىء من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ، ويقول ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت » (بتصرف من أسرار البلاغة ٨٦ _ ٩٦ ، ودلائل الاعجاز ٥١ _ ٥٦) •

ومن أجل ذلك كان للطرائق السابقة جميعا فضل كبير فى سمو أساليب العربية الفصحى ، وشدة تأثيرها فى النفوس ، وقوة بلاغتها ، وحسن بيانها ، ومرونة تعبيرها ، وما وصلت اليه من مكانة منقطعة النظير فى ميادين الشعر والخطابة والرسائل والتوقيعات والقصص والنثر الفنى ومختلف فروع الآداب •

وللمجاز والنقل على الأخص أثر جليل فى اتساع العربية الفصحى ونموها وقدرتها على التعبير عن المعقولات المحضة ومعنويات الأمور ، فكثير من الألفاظ العربية الدالة على المعانى الكلية والظواهر النفسية منقولة فى الأصل من الامور الحسية عن طريق المجاز ، ثم شاع استعمالها فى معانيها الجديدة حتى أصبح اطلاقها عليها من قبيل الحقيقة اللغوية •

وبفضل المجاز والنقل اتسعت العربية الفصحى

للعلوم والفنون ومصطلحاتهما على اختلاف أنواعهما ، وللحضارة على كثرة مظاهرها ، فنهضت بالعلوم الشرعية واللغـوية والطبيعيـة والرياضية وعلوم النفس والاجتماع ، وصـارت لسان الفلسـفة والسياسة والقصص والصـناعة والفن ومختلف ضروب المعاملات • وبالجملة لم تقف أمام أى مظهر من مظاهر العلم أو الحضارة وقفة المتعثر الحائر ، بل خاضت في مختلف مناحي القول ، وقويت على التعبير عن شتى مظاهر التفكير •

٢ - ومن طرائق التعبير في العربية الفصـحى ما يتعلق بمطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال ، وهي القواعد التي يسير عليها الاسلوب العربي بصـدد توكيد الكلام واطلاقـه ، والاطنـاب في القول والايجاز فيه ومساواته لما يراد التعبير عنه ، وفصل الجمل بعضها عن بعض أو وصلها ، وقصر الحكم وتخصيصه ، وذكر جميع عناصر العبارة وحـذف بعضها ، وتقديم بعض هذه العناصر على بعض ، وتعريفها وتنكيرها •• وهلم جرا • ولشرح هـذه القواعد ومدى تحقيقها لبلاغة الكلام ومطابقته لمقتضى الحال أنشىء علم خاص ، هو « علم المعاني » ووفق علماؤه أيما توفيق في حصر قـواعده وطرائقه ، وبيان ما لكل طريقة منها من أثر في تحقيق هـذه الأغراض •

وان الملمة بمسائل هذا العلم لكافية في الدلالة على سمو الاساليب العربية ، ودقتها في الافادة ، ومرونتها في التعبير ، وحرصها على بلاغة القول ، ومطابقته لمقتضيات الأحوال ، وتوخيهـا الوصول الى الغرض عن أقرب الطرق وأكثرها اقتصادا في الكلمات ، حتى ان حرفا واحدا ليكفي في العربية الفصحى لتحقيق طائفة كبيرة من هذه الاغراض • وفي هذا يقول عميد علمـاء البلاغة عبد القاهر الجرجاني :

« روى عن ابن الانبـارى انه قال : ركب الكندى الفيلسوف الى أبي العباس (يقصد المبرد أو ثعلب فكلاهما كانت له هذه الكنية وكانا معاصرين) وقال له : انى لأجد في كلام العـرب حشوا • فقال له أبو العباس في أى موضوع وجدت ذلك • قال أجد العرب يقولون عبد الله قائم ، ثم يقولون ان عبد الله قائم ، ثم يقولون ان عبد الله لقائم • فالألفاظ متكررة والمعنى واحد (يقصد أن حرفي ان واللام الداخلين على الجملة هنا من قبيل الحشو الذى لا يفيد معنى زائدا في الجملة) • فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة باختلاف الألفاظ • فقولهم عبـد الله قائم اخبار عن مجرد قيامه (أى اذا كان المخاطب خالي الذهن) ، وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل • وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه (أى ان حـرفي ان واللام افادا زيادة التوكيد والرد على الانكار) • فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني • - واذا كان قد ثبت ذلك فاذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظن في خلافه البته فانت لا تحتاج هناك الى « ان » ، وانمـا تحتاج اليها اذا كان له ظن في الخلاف ••• ولذلك تراهـا تزداد حسنا اذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن وشيء قد جرت عادة الناس بخلافه ، كقول ابى نواس :

عليك باليأس من النـاس

ان غنى نفسـك باليـاس

فقد ترى حسن موقعها وقبول النفس لها •وليس ذلك الا لأن الغـالب على الناس أنهم لا يحملون أنفسهم على اليأس ولا يدعون الرجاء والطمع ولا يعترف كل أحد ولا يسلم أن الغنى في اليأس ، فكلما كان كذلك كان الموضع موضع فقر الى التأكيد فلذلك كان من حسنها ماترى » •

« واعلم أن هنا دقـائق لو أن الكندى استقرى وتصفح لعلم علم الضرورة أن ليس سواء دخولهـا (أى دخول ان) وأن لا تدخل • فانظر في بيت بشار :

بكرا صاحبي قبـل الهجير

ان ذاك النجـاح في التبكير

وذلك أنه هل شيء أبين في الفائدة ، وأدل على أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل أنك ترى الجملة اذا دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به ، حتى كأن الكلامين قد أفرغا افراغا واحدا ، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر ، حتى اذا جئت الى ان واسقطتها رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول ، وتجافي معناه عن معناه ، ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل ، حتى تجيء بالفاء فتقول : بكرا صاحبي قبل الهجير ، فذاك النجاح في التبكير • ثم لا ترى الفاء تعيد الجملتين الى ماكانتا عليه من الألفة ، وترد عليـك الذى كنت تجـد في « ان » من المعنى • وهذا الضرب كثير في التنزيل • فمن ذلك قوله تعـالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة السـاعة شيء عظيم » ، وقوله عز اسـمه : « يا بني أقم الصـلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصـابك ان ذلك من عـزم

الأمور » ، وقوله سبحانه : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » (دلائل الاعجاز ٢٢٦ ـ ٢٣٤ بتلخيص وتصرف) .

بل ان الغرض البلاغي ليتحقق أحيانا في العربية الفصحى بمجرد تغيير حركة من حركات الكلمة . فمن ذلك قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » . ففي تغيير حركة « الصابرين » من الرفع الذي يقتضيه العطف على كلمة « الموفون » الى النصب دلالة على مزيد اهتمام بصفة الصبر في البأساء والضراء وفضلها على سائر الاعمال ، كأنه قد قيل قبلها وأخص بالمدح وأخص بصفة البر الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس .

بل ان الغرض البلاغي ليتحقق أحيانا في العربية الفصحى بحذف كلمة يقتضي التركيب العادى ذكرها . وقد أشار الى ذلك العلامة عبد القاهر الجرجاني في أسلوب رائع اذ يقول :

« ان الحذف باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر . فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ماتكون اذا لم تنطق ، وأتم ماتكون بيانا اذا لم تبن . تأمل قول الأقيشر في ابن عم له موسر سأله فمنعه ، وقال كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فيما لا ينفع ، والله لا أعطيك ، فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهم وهو فيهم فشكاه الى القوم وذمه ، فوثب اليه ابن عمه فلطمه ، فأنشأ يقول :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه
وليس الى داعى الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه
وليس لما في بيته بمضيع

(الأصل : هو سريع الى ابن العم ، وهو حريص على الدنيا .. الخ) .

فانظر ماتجده من اللطف والظرف اذا أنت مررت بموضع الحذف في هذين البيتين ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ، وأن تخرجه الى لفظك ، ترى ثقل وقعه على سمعك ، وتعلم أن رب حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد ، وأن نصبة الكلام وهيأته تروم منك أن تنسى هذا المبتدأ (كلمة هو) وتباعده عن وهمك ، وتجتهد الا يدور في خلدك ، ولا يعرض لخاطرك ، وتراك كأنك تتوقاه توقى الشيء يكره مكانة والثقيل يخشى هجومه » . (دلائل الاعجاز ١٠٥ ـ ١١٩ بتلخيص وتصرف) .

هذا ويبدو قصور العامية أوضح مايكون بالموازنة بينها وبين العربية الفصحى في هذين النوعين من طرائق التعبير (موضوع علم البيان وموضوع علم المعاني) . وذلك أن العامية فقيرة فقرا مدقعا في جميع هذه الميادين . فليس لها في هذا الصدد الا طرائق بدائية ساذجة محدودة .

فهي لا تستخدم من ضروب البيان الا التشبيه المقترن بالأداة والمجرد منها ، فيقال : « دى زى الأمر » (هذه كالقمر) ، أو « دى بدر ليلة أربعتاشر » هى بدر ليلة الرابع عشر) ، والتمثيل الساذج وضرب الامثلة : « دا عامل زى اللى رأس على السلم لا اللى فوه شافوه ولا اللى تحت شافوه » (كمن رقص في وسط الدرج فلم يره من هم أعلى منه ولا من هم أسفل منه) ، و « أردب ما هولك ما تحضر كيلو ، تتغبر دأنك وتتعب فشيلو » (لا تحضر كيل اردب ليس لك ، فانه لا يصيبك منه الا ما يلحق لحيتك من غبار ترابه وتعبك في حمله » .

وليس في العامية قواعد مطردة مضبوطة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وليس فيها أدوات دقيقة للابانة عن المقاصد البلاغية المتعلقة بالتوكيد والاطلاق والاطناب والايجاز والمساواة والفصل والوصل والقصر والتخصيص والذكر والحذف ... وما الى ذلك ، وهى تلجأ في الغالب الى حشو من الألفاظ والجمل للتعبير عن مقصد من هذه المقاصد ، ولا تكاد مع ذلك تحسن الابانة عنه .

وغنى عن البيان أن لغة هذا مبلغ قصورها واضطرابها وفقرها المدقع في طرائق التعبير لا تصلح أن تكون أداة لشعر ولا نثر فنى ولا خطابة ولا رواية ولا أى فرع من فروع الآداب .

واذا كان الشعوبيون من المبشرين والمستعمرين وعملائهم وأذنابهم يلحون في الدعوة الى هجر العربية الفصحى واستخدام العامية ، فانهم لايقصدون بذلك الا تحقيق مآربهم الآثمة في القضاء على أهم دعامة من دعائم ثقافتنا وآدابنا ، وردنا الى الأوضاع البدائية في التفكير والتعبير .

« د . على عبد الواحد وافى »

.. أم على قلوب أقفالها !

بقلم : محمود محمد شاكر

- ١٤ -

هذه أول مرة أستبيح لنفسي أن أجعل ما تسمعه أذناي مادة لبعض حديثي الى الناس بالكتابة . فذلك ليس من شيمتي ولا خلقي ، لأني أعد اللجوء الى هذا النمط ، ولا سيما حين أتناول أمرا من أمور الأدب أو العلم أو السياسة أو غيرها ، خروجا على ما أدبني به طول اعتزالي الناس من ترك المبالاة بما تتلاغط به جماهير من الخلق تعد خطأ في «المثقفين» وليسوا بهم، ولكنهم، اذا حصلت مافي صدورهم وقلوبهم وعقولهم، أصحاب ثرثرة وترترة وبربرة (وهي ثلاثة ألفاظ متقاربة في معاني اللغط والاكثار والهذر . بيد أن الفروق بين ثلاثتها ، تدل على أن هذه اللغة الشريفة غاية في براعة التصوير بألفاظها الجامعة) . وهم ، أيضا ، في حقيقة أمرهم ، مزامير مزعجة مختلطة الأصوات في المجالس ، أو شجر مر الثمر مزروع على قوارع الطرق ، أو أحلاس مرذولة لكهوف المقاهي المظلمة أو المضيئة ، ولكنها على ذلك كله أحلاس ذات فحيح أو ذات جعجعة . ثم لا شيء وراء ذلك الا ما قدر المقدر من تكاثرها وانتشارها وشيوعها في حياتنا ، بأسباب يعجب المرء كيف جاءت ، ولم اتفقت ؟ فاذا هي في زي أستاذ ، أو مفكر ، أو فيلسوف ، أو أديب ، أو شاعر ، أو كاتب ، أو فنان ، أو ما شئت مما ترى وتسمع ! وقد أجاءتني طول اختباري لها وتجربتي (أي اضطرني الى أضيق الطرق) ، أن أعتزل عشرتها ومصاحبتها منذ زمان وان انفض ثوبي من ثيابها ، وان اقنع بعشرة أهل الفضل من قليل الناس ، حتى خلتني قد دخلت مع شيخ المعرة ، رحمه الله ، فيما دخل فيه ، حيث وعظ نفسه وقال :

لم يبق في العالمين من ذهب
وانما جل من ترى شبه

دعهم ، فكم قطعت رقابهم
جدعا ، ولم يشعروا ولا أبهوا
قد مزجوا بالنفاق فامتزجوا
والتبسوا في العيان واشتبهوا
وما لأقوالهم اذا كشفت
حقائق ، بل جميعها شبه

وقد حملني على استباحة ما أنا مستبيحه ، هذا الباغي السليط اللسان ، الوالغ في آداب العرب وتاريخها ، العابث في جهله بلغتها ، وبقرآنها ، وبحديث نبيها صلى الله عليه وسلم ، وبشعر شعرائها ممكنا من كل ذلك بفضل مؤسسة الاهرام التي اتخذته لها مستشارا ثقافيا ، وتركت له الحبل على الغارب يسرح ويمرح ، ويرتع ويلعب ، وكأنها هي لا تدري من هو ، ولا من يكون ؟ فصار هو لا يبالي من القراء ، ولا من يكونون ؟ وبعقله ظن أنهم جميعا بله لا يعقلون !!

وسأحسم هذه المادة الخبيثة ببيان واضح ، لأني منذ كنت على هذه الارض ، لا أطيق أن أسلك الا السبل الواضحة البارزة ، ولا ألوذ بالظلال المظلمة متخفيا الى غاية أريدها ، فذلك شيء أعافه وأنزه نفسي عنه في خاص أموري وعامها . هكذا عشت ، وأسأل الله أن يسددني على ذلك ما بقي في نفس يتردد . ومنذ شهور جاء ما لا صبر عليه ، وخرجت من معتزلي ، حيث أحببت أن أقضي نحبي غير مذكور ولا معروف ، وحملت القلم الذي كرم الله به عباده حيث قال لنبيه في تنزيله : « اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » ، وذلك بعد أن نحيته عن أناملي دهرا ، مخافة أن أعجز فلا أطيق أن أقوم بأمانته ، وهي أشرف أمانة استودعها

الله حمله الاقلام من عباده ، خرجت يومئذ وخلعته ، لا لشيء الا لأداء هذه الامانة ، لأني أحسست أن النكوص عن أدائها خيانة لأمانة الله سبحانه ، وخيانة للعلم الذي علمنيه ربي ، وخيانة للماضين من آبائي ، وللحاضرين من أهلي وعشيرتي ، وللآتين من ذرية وارثة نحن الأمناء على تبليغها وأداء الامانات كلها اليها . وهذا أمر جد كلـه ، لا يخالطه عندي هزل ، لأنه دين أنا مسئول عنه بين يدي رب العالمين وليس مغالبة ولا حمية جاهلية .

وعسير جدا على خلق كثير ، أن يدرك اليوم معنى هذا اللفظ « دين » عندنا نحن المسلمين ، لأن المسلمين منذ غلبوا على أمرهم بغلبة هذه الحضارة الأوربية على الارض ، مسلمها وكافرها ، تلجلجت ألسنتهم بالغرق والذعر لهول المفاجأة . فصار لسان أحدهم أحيانا كأنه مضغة لحم مطروحة في جوبة الحنك ، ليس من عملها البيان !! فمن يومئذ خفي على الناس معنى « الدين » ، اذ لا مبين عن معناه ، وذاع في الارض معنى « الدين » ، كما يراه سائر أصحاب « الديانات » سوى الاسلام . و«الدين» عندنا اسم جامع لكل تصرف يتصرفه المرء المسلم في حياته ، منذ يستيقظ من نومه ، الى أن يؤوب الى فراشه ، وفي كل عمل يعمله ، مهما اختلفت هذه الاعمال ، من أحقرها وأدناها ، الى اشرفها وأعلاها ، كل ذلك هو مسئول عنه يوم القيامة ، كما يسأل عن صلاته وصيامه وزكاته وحجه ، وان كان في بعض ذلك على بعض فضل . فالدين عندنا هو الحياة كلها ، فحق الله على العباد ، وحق العباد على العباد وحق بدن العبد على العبد نفسه ، كل ذلك دين هو مسئول عنه ، في الصغير والكبير ، وفي أمر الدنيا وأمر الآخرة . وهذا فرق ما بيننا وبين سائر أصحاب الأديان في معنى « الدين » بلا مثنوية (أي بلا استثناء) .

فمن ظن اني حين احمل القلم ، احمله وانا مستخف بهذه الأمانة أو مداهن في طريق أدائها ، فقد أخطأ . ومن ظن اني أفكر حين افكر لاكتب ، وأنا مسقط عن نفسي وعن كاهلي عبء هذه الأمانة، فقد أخطأ . ومن ظن اني حين أكتب في أدب ، أو نقد ، أو تاريخ ، أو سياسة ، أو ما كان من أبواب القول لا ارى شيئا من هذا أمانة ينبغي ان أؤديها على وجهها وبحقها ، فقد أخطأ . وكيف ؟ وأنا أخاف أن ألقى الله ربي يوم القيامة فيناقشني الحساب ، و « انه من نوقش الحساب عذب » وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولن يحول بيني وبين أداء هذه الأمانة ان شاء الله ، الا عذر قاهر يغلبني ، أو حتف دائر يقبضني .

وهذا أمر لا أظن لويس عوض وأشباه لويس عوض ، قادرين على ادراكه حق الادراك ، ولا أبالي أن يدركوه ، لا لأني أكره لهم الخير ، بل لأني أرى نفوسا قد مردت على الهوى والمكر والتناجي بالاثم، فهي لا تكاد تنقاد الا لما مردت عليه . فهذا المرء لا يزال يدور على الآذان يزمزم فيها (والزمزمة تراطن علوج الفرس بصوت تديره في حلوقها وخياشيمها ، فيفهم بعضها عن بعض) ، ليشيع عني اني عمدت فيما أكتب الى «التجريح الشخصي» والى «التعصب» على أهل دين من الأديان ، والى « بعث فتنة قومية ودينية » ، الى سائر ما يوسوس به ، مما أعف عن التصريح به من افك يتمرغ فيه اللسان . ولقد كنت أشرت الى بعض ذلك في المقالة الثامنة ، ثم زدته بيانا في المقالة التاسعة . بعد أن فوجئت بما أذهلني ، حيث ردد هذا الكلام نفسه مكتوبا ، زميلي القديم الدكتور محمد مندور . وقد مضى على ما كتبت شهر او أكثر ، ولكن هذا الغلام لا يريد أن ينتهي ، ويأتيني الخبر بعد الخبر، فأجده لم يزل على العهد مقيما هو وشيعته ، فيدور هو ، ويديرهم هو أيضا ، على الناس ، ليصبوا في الآذان التي شقها الله للسمع ، ما لا يجرؤ هو ولا احد منهم أن يكتبه معلنا به . ويفعلون ذلك ويلحون عليه ، اذ هم صموت لا يردون على شيئا مما أقول ، لتلبس وسوستهم ثياب الشكوى ، فتكون في استغفال عقول السامعين أسرع ، وفي اشاعة قالة السوء عني أمضى ، وفي اقناع الغافل بأن ذلك كائن وبأنه صحيح أفعل ، على طول الترداد لهذه الألفاظ المبهمة المعاني ، المعجوجة المباني ، السخيفة جيئة وذهوبا حيث سارت في الطروس والآذان . وأنا لايسوءني ذلك من فعلهم ، فهي شنشنة قديمة توارث داءها طوائف من أبناء آدم منذ كانوا على الارض ، بيد أن العاقل من تادب بادب أخي سلول حين لقي من هذا الداء القديم ما لقي ، فذكر قصته فقال :

ولقد امر على اللئيم يسبني
فمضيت ثمت قلت : لا يعنيني

غضبان ممتلئا على اهابه
اني ، وحقك ، سخطه يرضيني

انه فعل لايسوءنى قلامة ظفر، ولكنى اذا سمعت خبره من سائل او مستفهم ، ساءنى ان ارد ، لانه مما يؤذينى ان اكون كمثلهم مستخفيا بحديث أسره ، فمن أجل ذلك عزمت على ان اكوى هذا القرح المد بكلمات لا تتلفع بالظلماء ، ولا تدب الى احد بالمكر الخفى ٠

وما يذيع به هذا الانسان وشيعته المبثوثون بين الناس ، من أنى عمدت فى مقالاتى الى « التجريح الشخصى » فهو شىء من الباطل يلجأ اليه العاجز يتخذه درعا لعجزه ، فيستخدم شناعة هذا اللفظ المبهم ، وسيلة الى اقناع السامع بانه لم يتوقف عن الرد عجزا ، بل تنزها وترفعا عن التورط فى ارتكاب مثله ، مما تكرهه النفوس وتعافه ٠ ونعم ، فانا لم أحبس قلمى عن تسطير كلمة بعد كلمة فيها وصف له يسوءه هو ان يسمعه ، لانه شىء يخفيه أو يضمره او يعرفه عن نفسه ويتظاهر للناس بغيره ويؤذيه أن يسمعه الناس أو يعرفوه ، لأنه كان يتمنى أن يظل مكنونا مضمرا ٠ ولكنى لم آت فى كلامى بصفة واحدة من صفاته ، الا ولها دليل ظاهر من نفس كلامه ، لا فيما ذكرته من كلماته المقتبسة من مقالاته وكتبه وحسب ، بل فيما لم أذكره بعد ، وسأذكره بدليل قاطع ان شاء الله ٠

فليس « تجريحا شخصيا » ، أن ادرس ما كتب عن شيخ المعرة ، فأجده قد تنفخ متطاولا ، طولا وعرضا ، واذا هو بعد الفحص عن حقيقة تنفخه وتطاوله ، لا يحسن أن يقرأ كتابا ، ولا يحسن أن يستقيم على منهج أدبى فى الدراسة ، ولا يحسن أن يفهم شعرا ، فاذا قلت انه « شرلتان » ، وهى كلمة معروفة المعانى عند أصحابها ، وفى استطاعته أن يقرأ شرحها فى أى معجم ، فيجد هذا الشرح مطابقا لما كان من فعله فى دراسة رسالة الغفران وفى تاريخ شيخ المعرة ، فهل يكون هذا « تجريحا شخصيا»؟ واذا رأيته قد أقر على نفسه انه مبغض للغة العرب « فكسر رقبة بلاغتها » ، وأن احساسه بها ضعيف بالفطرة ، وأنه اعترف لنفسه « بانه لم يقرأ حرفا واحدا بالعربية بين سن العشرين وسن الثانية والثلاثين » (وهى سن التكوين ، كما يقول فى معرض ذكره لأبى العلاء) ، ثم رأيته يتهجم على أعظم اثر ادبى واوعره مسلكا فى لغة العرب ، فيحاول أن يفسره ويكشف غوامضه ، فهل يعد « تجريحا شخصيا » ، أن اقول له : انك مجترىء دعى ؟ فاذا لم يقتصر على هذا ، حتى عمد الى شعر الشيخ يشرحه بجهالته فى العربية ، ثم سولت له نفسه أن يفسر أيضا آية من **القرآن العظيم** بلا تحرج ، ومدعيا انه قد قرأ تفاسير القرآن وموهما قراءه ان هذا التفسير الفاسد مأخوذ منها ، فهل يكون « تجريحا شخصيا » اذا قلت له انك جاهل جدا ، وجرىء لا تستحى ؟ هل أقص القصة كلها ، من هذا الموضع الى أن كان ما كان منى ، اذ سلكته بالدليل من قوله وفعله ، مع صبيان المبشرين الذين عرفتهم وخبرتهم واكتويت بنارهم منذ أكثر من اربعين سنة ؟

ما الذى يريد هذا الانسان منى أن اقوله ؟ أيريدنى على أن ادعه يتكلم ويفعل ، ثم أكتب لأحاوره وأداوره وامسه باطراف البنان ، لأنه عند نفسه انسان مثقف ، ينبغى أن يخاطب مخاطبة الانسان المثقف ؟ وماذا أفعل ياسيدى ، اذا كنت أجدك انسانا غير مثقف ، لأنى لست ممن يغررهم هذا الضرب من « الثقافة » ؟ هل تظن انى قادر على أن انخدع لك عن عقل ، فانسى كل ما قرأت بالعربية وغير العربية ، لا لشىء الا لأعترف لك بهذا الضرب من « الثقافة » ، وان خالف ما اعرفه من معنى «الثقافة» عند العرب والأعاجم ، على اختلاف أجناسهم ومللهم ونحلهم ؟ دع ذا ، فانه لايغنى عنك فتيلا ، ولا تحملنى على أوعر مما حملتنى عليه بتهجمك على ما لاتعرف وما لا تحسن ٠ واذا كنت قد كرهت شيئا ، فاشد ما كرهت أن غمست قلمى فى صفاتك ، ولولا أداء الأمانة على وجهها وبحقها ، لأعفيته مما اكره ويكره ٠

اما «التعصب» على اهل دين من الاديان ، و « ارادة بعث فتنة قومية ودينية » فلا ادرى ماذا اقول ! اقول مايقال فى المثل : «رمتنى بدائها

واسلت» ؟ ام اقول ماعندى خبره ، فاروى للناس اقوالا واعمالا تدل على المخبوء تحت اردية الثقافة» وتحت طيلسان «الاستاذية» ؟ كلا ، فانه معيب ، ولكن حسبى ماكشفت عنه فى سالف مقالاتى ، وفيما سيأتى منها ، ليكون اللفظ المكتوب هو البرهان الفاصل ، لاالدعوى والشكوى والتباكى ، واستغلال الدين الذى تنتسب اليه استغلالا مشينا ، حين تلوح به فى وجوه الناس ، كانك أنت الدين نفسه ، وكانك انت وحدك الامة التى تدين به ، فكل مايقال لك مما يكشف عن سوء طويتك ، فهو مراد به هذا الدين واهله . انه لقبيح بك ان تفعل ذلك ، ولكن مالى اعظك ، اذ كنت امرءا لايبالى ؟

وهذا المسكين قد استمرا هذه الالفاظ المنكرة لعلة ، فانه لما خرج على الناس يتبجح بدراسة رسالة الغفران ، وضع فى راس مقالته الرابعة بيتا من شعر أبى العلاء ، زعم هو انه قاله فى حلب ، وهو فى وصف ناقة !! وقرا فيه «الصلبان» ، وهو نبت ترعاه الابل «الصلبان» ، وهو جمع «صليب» ، انبرى له الاخ الاستاذ عبده بدوى فى عدد الرسالة (١٠٨٧ ، ٨ رجب سنة ١٣٨٤) فكشف عن جهله وغروره وتسرعه وسوء مقاصده ، وتسامع الناس بما فى هذه المقالة قبل ان تنشر ، ووقع الى المسكين خبرها ، فبادر فى وسط المقالة الخامسة (الاهرام ٩ رجب سنة ١٣٨٤) فاقحم فيهـا ، مربعا ، فيه تصويب ، وقال فى آخره : «وقد نبه الى هـذا الاستاذ الشيخ شاكر ، المحقق المعروف» . وهذا هذر وادعاء ، لأنى بلاشك غير معروف عنده على الاقل ، لانى يوم كنت اكتب ، كان هو لايقرا شيئا بالعربية ، او كما قال . ثم لو انه عرفنى ، لعرف انى لست «الشيخ شاكر» لان ذلك معروف به ابى واخى الاكبر رحمهما الله ، اما انا ، فكل من يعرفنى يعرفنى على حقيقتى . وحسبك بهذا ادعاء وتنفخا . ولما استقر فى نفس هـذا الذكى المدقق ، المثقف ايضا ، انى «الشيخ شاكر» فنشرت مقالتى الاولى بعد ذلك باسبوعين ، فى عدد الرسالة (١٠٨٩ ، ٢٢ رجب سنة ١٣٨٤) ، ذهب يدور على الناس زاعما ان تعرضى للكتابة فى شانه وشان شيخ المعرة ، معناه انى اريد ان اجعلها **«معركة دينية»** !! وكل امرىء يعلم ، انى لم اذكر فى مقـالاتى كلها ، لا المقـالة الاولى وحدها شيئا عن الدين ، ولا عن التبشير . فمن اين جاءه علم هذا ؟ من ان اسمى كان عنده «الشيخ شاكر» !! وبلا ريب هـذا ذكاء خارق ، لانه ذكاء مثقف من كبار مثقفينا ، كما قال الدكتور محمد مندور ! والحقيقة ان الامر لم يات على هذه الصورة وحدها ، بل اتى ايضا من انه يعرف نفسه على حقيقتها ، ويعلم ماوراء «الخلوة المشهودة بين اشجار الدردار عند الشلال بكامبردج» ، ويعلم انه كتب ما كتب عن شيخ المعرة ، وعن غير شيخ المعرة ، بوحى من «الخلوة المشهودة» ، وانه قد وهب نفسه لهذه الخلوة منذ قديم . فلما جئته انا فى صورة «شيخ» انشق فؤاده عن مكنونه ، وذعر وطافت به سماديره وجرى اللفظ على لسـانه من فرط الرعب وهو لايدرى . فلما رآنى قد شققت عنه ماكان يتخفى فيه من طيلسان الاستاذ الجامعى كان ، سقط فى يده ، واخذته «الجـذبة» ، وظل يهدر «التعصب» ، «الفتنة القومية» ، «الفتنة الدينية » !! واستحلى هذه الكلمات . ولـكن هذه الحيلة لاتجـوز على مثلى ، وان كانت قد جازت على زميلى القديم الدكتور مندور . هذا هو السبب واذا عرف السبب ، بطل العجب . اليس ذلك مما يقال فى المثل ؟ واسوا شىء أن يضطر المرء الى تحليل السخف الذى ينحل من العقول ، ليرده الى أصوله ومنابعه ، ولكن هكذا قدر الله على ان القى ، وابتلى القراء بى وبما اكتب .

ولو كان هذا المسكين كاتب مقـالة كتبها ثم انتهى ، او قائل كلمة نفس بها عن نفسه ثم سكت لتركته حيث هو فى سكراته وغمراته ، ولكن البلوى انه صبى مبشر ، ثم اندس حتى صار بغتة مستشارا ثقافيا لمؤسسة الاهرام ، بعد جهـالة امره وخمول ذكره ، فاحدث لهـذه الصحيفة العظيمة القدر فى بلاد العرب وبلاد المسلمين ، بيلواه بلوى لايدرى المرء كيف يصفها ؟ ونظـام « التبشير » معروف ، وقيـاداته فى بلاد الغرب معروفة ، وهى ظاهـرة علانيـة فى مؤسساته ، وباطنة خفية فى الجامعات وفى وزارات الاستعمار ومن ظن أن «التبشير» ، كما أوضحت ذلك مرارا ، يعمل ظاهرا مكشوف الستر عن اصحابه ورؤوسه واعوانه وصبيانه ، فقد ظن خيرا !! ومن ظن ان « التبشير » يلجا الى الصراحة فى الدعوة الى ديانته ونقد الديانات الأخرى التى يباغيها ، فقد ظن به شيئا شريفا !! بل هو حليف السراديب المظلمة حيث نشا ، فاساليبه مظلمة ملتـوية غامضـة

مداهنة منافقة ! فمن أجل هـذا الذى أعلمه ، والذى خبرته بنفسى لا بالسماع والقـراءة ، لم اتردد لحظة فى مباغتة هذا العابث بالكشف عن حقيقـة أمره ، وباستخراج الدليل المبين عن مقاصده ومراميه ، ثم حاولت فى خلال ذلك أن ابين لمؤسسة الاهرام اى بلاء أنزله هذا اللاهى بمنزلتها عند الناس . ومع ذلك ، فقد اردت أن اكون فى محاولتى رفيقا ، ولكن كلمات هذا المسكين التى يبرطم بها فى الخلوات ، ويوسوس بهـا فى الآذان ، تحملنى آسفا على أن ازيد هذا الامـر وضوحا وانكشافا .

فانا أقرأ صحيفة الاهرام منذ وعيت وقرأت ، على ماكان من فساد أمرها أيام كانت فى أيد غير أمينة ولا مخلصة ، ومع ذلك فانى لم ارها قط كانت فى مثل هذه الحالة التى صارت اليها ، منذ أصبح ، او أمسى ، هذا الانسان مستشارا ثقافيا لمؤسساتها . فان « التعصب » (أى الانحياز الى عصابة من الناس لها هدف ظاهر او خفى) ، لم يكن قديما عما تراه العين فيها يوما بعد يوم لاتكاد تخطئه . ولكن منذ انحط عليها هذا الانسان، انحطت معه ظواهر كثيرة، حتى صارت صحيفة الأهرام ، هى الصـحيفة التى كادت تكون متفردة بهذه الألوان الفاقعة ، الدالة على اتجاه بعينه ، سواء فى مادتها ، أو فى كتـاب هذه المادة . وأحسست يومئذ أن الجهاز كله بدأ يتحرك ، وقد كان ، فبعد قليل أصبح الأمر لا خفاء به ، وعلى مر الايام صار للمستشار الثقافى سلطان ظاهر ، وفائض من هذا السلطان يستطيع أن يخضع له بعض أدوات الاعلام الأخرى . وظهرت الأعراض فى بعض المجلات واستشرت فيها استشراء مبينا ، وتتابـع المدد ، واذا كل شىء يدور فى فلكه . وتظن أنى اغالى ، وارفع شأن من أصفه بما وصفته به ، وكأنه تناقض أقع فيه ، ولكنى اقول مرة أخرى ، ان جهاز «التبشير» فى العالم كله كأنه جهاز واحد ، والتكافل بين مؤسساته شديد العرى ، وحسبك ما أسـلفت من ذكر مؤتمراتهم فى المقالة السادسة وما بعدها . فالعامل فى هذا الجهاز لا يقتصر أمر قوته على نفسه او على منزلته ، بل على التدبير المحكم ، والسياسة البصيرة ، والأعوان المدربين . وعسى ان يكون أظهر عماله اسما ، وابينهم سلطانا ، هو اقلهم شأنا ، وابعدهم عن مواطن الريب . فليس فى الأمر اذن غلو ولا تناقض . ومؤسسات « التبشير » فى مصر معروفة الأسماء والأعلام ، ونشؤها الذى كفلته ورعته ونشأته لا ارتياب فيه ، هذا فضلا عن جمهـرة من المخدوعين تعمل فى ميدانه ، وهى لاتدرى أنها تعمل لهدم أمتها وبلادها ، لأنهم قد أخذوا من المأخـذ السهل الذى كشفت عنه كلمات نقلتهـا آنفا فى مقالاتى ، وهو التعليم الذى تتولاه معاهد هى فى ظاهرها للعلم ، وباطنها « للتبشير » المجرد .

وبعد سنة ١٩٥٦ ، وهى سنة العدوان الثلاثى الذى تجمعت له دول الاستعمار والتبشير الكبرى ، بدأت جرثومة ذات نشاط مفرط ، كان من عقابيلها المستشار الثقافى لمؤسسات الأهرام ، وأخذ الاتجاه يستبين شيئا فشيئا ، حتى أصبحت الأسماء التى تدل على أصحابها ، والأساليب التى تنم عن مكنون ضمائرهم ، والغايات التى تترامى اليها مقاصدهم ، هى الغالبة على جميع أبواب صحيفة الأهرام ، وان اتخذت أحيانا سمت البحث المجرد فى مصالح الأمة، ووجوه الاصلاح ، مع النغمة العالية فى الاهتمام بالأهداف التى صحبت انتفاضة القومية العربية ، وهى القومية الجامعة لمئة وعشرين مليونا من العرب، ثلاثة وتسعون فى المئة منهم مسلمون على الاقل ، لا يظن أحد أنه سهل اذا افاقوا ، ان يحذفوا تاريخ اربعة عشر قرنا من حياتهم ، بجرة قلم من مؤسسات « التبشير » .

وهذا الضجيج العالى ، وهذه الأسماء التى انبثت فجاة فاصبحت تخايل عيون الناس يوما بعد يوم ، فى هذه الصحيفة ، وفى غيرها من المجلات التى كان لجهاز المستشار تأثير ظاهر عليها ، عادة قديمة جدا ، ارتكبها « التبشير » ، أو « الاستعمار » مرات فى مواضع كثيرة من الأرض العربية ، وأقـربها مثالا صحيفة الأهرام نفسها ، وصحيفة المقطم ، والهلال ، والمقتطف ، وعشرات من المجلات والصحف فى بلادنا وغير بلادنا . هذا ، الى الأبواق التى انطلقت معها ، لتعلى من ذكر جماعات من الكتاب ، والشعراء ، والعلماء ، والأدباء ، حتى جـاء يوم فـلان وفـلان من المستشرقين المحدثين ، وتابعتهم فئات من «المثقفين»، معلنين أن النهضة الادبية فى بلاد العرب ، انما هى عالة كلها على « نصارى لبنان » هكذا قالوها بصريح العبارة ، وهي كلمة لاتزال تقال الى اليوم ، يقولها

ذو الآفة متعمدا ، والبرىء مقلدا ، وهى مقالة باطلة من جميع نواحيها، ليس هذا مكان الابانة عن بطلانها، لانى انما اردت ان ادل على ان هذه الطريقة قديمة مألوفة ، لجأوا اليها قديما لأغراض ارجو أن أكشف عنها فى مقالة مما سيأتى ان شاء الله ٠

وهذا الأسلوب الذى استحدثه المستشار الثقافى لصحيفة الأهرام ، وهذا الجهاز الذى أداره فى داخلها وخارجها ، أدى الى التساؤل فى بلاد كثيرة من بلاد العرب والمسلمين ، وهو شىء أقوله بعلمى ، لأنى أتلقى السؤال عنه من كل مقيم ووافد، ما بين الهند الى المغرب ، وهو سؤال يحرج المرء أن يجيب ،ولكن ماذا يملك الناس الا أن يسألوا ، وهم انما يعدون هذه الصحيفة صحيفتهم الأولى ؟ سواء صدقت مشاعرهم مؤسسة الاهرام أم كذبت بها ٠ وبالطبع لا يستطيع أحد منهم أن يحصل على هذا الكتاب النفيس المطروح على الأرصفة ، فيعلم أن مصر قد انقلب الأمر فيها فجأة ، فصارت نسبة عدد السكان اليوم : ٦٦ فى المئة مسلمون ، و ٣٣ فى المئة غير مسلمين ، بعد أن كانت النسبة منذ سنة ١٩١٧ . الى سنة ١٩٤٧ فى أربع احصاءات : ٩٢ فى المئة مسلمون ، و ٧ فى المئة غير مسلمين ، وذلك لأن أستاذا فاضلا كان « مهندس آثار ، وخريج جامعة بنسلفانيا بأمريكا » ، وهو مؤلفه ، يقول بلا تحرج : « وتعداد الأقباط الحالى يربو على الثمانية ملايين ، ويدينون بالمسيحية ، ويؤدون شعائرهم الدينية باللغة القبطية ، رغم أن الغالبية العظمى لا تتكلم بها ٠ ويحافظون على كثير من عاداتهم وتقاليدهم ، رغم مشاركتهم المسلمين فى التكلم بالعربية ، ورغم وقوعهم تحت الحكم الاسلامى مدة ١٣ قرنا » ٠ وأنا أترك للقارىء التأمل فى الدافع الذى يدفع الى مثل هذا الكلام ، والنظر فى الشعور الذى تحمله هذه الكلمات الأخيرة ، وبالطبع ليس هذا تعصبا أو بعث فتنة قومية ودينية ، ولكن نقل اياه هنا ، هو « التعصب » ، وهو « الفتنة » ٠ أليس كذلك ؟

وأحب أن أكون بينا عند هذا الموضع ، فان القبط الذين يسكنون مصر ، منتشرون فى أرجائها من حدود البحر المتوسط الى أقصى الصعيد ، وآلاف مؤلفة منهم تعمل فى أعمالها دائبة ، لا تبالى ما يقول هؤلاء « المثقفون » خريجو جامعات كامبردج ، وبنسلفانيا وغيرهما ، ولا تفقه شيئا مما يزمزمون به هم وأشياعهم ، وقد عاشوا ثلاثة عشر قرنا أو تزيد ، لايحملون هذا الذى يحمله أصحاب الألسنة الفصيحة التى تتفلسف ، وتتأدب ، وتؤرخ ، وتعبث ما شاء لها العبث ، وتعطى مقادتها لمستعمر لايريد بها ولا بسائر العرب والمسلمين خيرا ٠ والظن بهم ، وهم سواد القبط ، أن لا يمكنوا هذه الفئة الجاهلة من أسماعهم ، فانها اذ تمكنت منها أضلتهم ، فاذا ضلوا بضلالها أساءوا اساءة لا يمحوها عذر ٠

ان هذا الجهاز ، جهاز التبشير ، الذى يعمل بلا ملل ولا كلال ، والذى يجدد أساليبه مع كل زمان ، وعند المخافة من انكشافها ، ينبغى أن يتوقف ، وكهوف السرار والدس والتخابث ، التى عندها مفاتح حركته ، ينبغى أن تكف ٠ فالعالم العربى الذى بدأ يتحرك بملايينه ، فيدخلون هم خفية فى حركته ليوقعوا فيها الاضطراب والحيرة والبلبلة ، يوشك أن ينتبه فجأة ، فمن يعصمهم يومئذ اذا أخذهم أخذة رابية ؟ ان هذا الأمر الواضح العواقب، لا يستغلق الا على مثل عقول المبشرين المغلقة ، وعلى مثل قلوبهم الغلف ، وعلى مثل ذكائهم الذى لايحسن الا المكر والخديعة ٠ واذا ظن هؤلاء البله أن ما مر بنا من مكرهم فى استعمارهم الماضى ، وفى تخابثهم بعد زواله عن أرضنا ، سوف ينتهى الى أن يتحول الاسلام الى صورة جديدة فى العقيدة ، وصورة جديدة فى الحياة ، وعندئذ تكون نهايته وتبتلعه النصرانية ، كما زعم لهم القسيس ينج فى بعض تقاريره ، فانهم ليظنون ، ولكن هلا ظنوا أيضا أن الظنون وحدها ترمى فى المتالف ؟

هذه كلمة كنت أحب أن لا أكتبها ، ولكنى لن أعرض لشىء عما اثارنى اليها مرة أخرى ، ولو ظل هذا الانسان واقفا على أفواه الطرق ، يتلقى السابلة بالصياح والشكوى والتباكى ، ويلج بأمثال هذه الكلمات التى لا تغنى عنه شيئا ، ولا تنال منى كبير نيل ٠ وليس على الأرض أجهل من قوم يستعرضون الناس بالأذى ، فينالون من آدابهم ، ولغتهم ، وتاريخهم ، ودينهم ، وأنبيائهم ، فاذا زجرهم زاجر وانتهرهم ، راحوا يعولون ويضرعون ، ليسترقوا القلوب بالاعوال والضراعة ، كأنهم مظلومون قد اعتدى عليهم زاجرهم عن هذا الأذى الممقوت ٠ ولا احد فيما أعلم سيرة هى أولى بالمقت من هذه السيرة٠

« **محمود محمد شاكر** »

القراءون

الدكتور : فؤاد حسنين على

تحدثنا المصادر التاريخية ان هدم المعبد الاول على يد نبوخذنصر عام ٥٨٦ ق.م. وانقضاضه انقضاض الباز على اورشليم وسبى اهلها اوقع الرعب فيمن نجوا من السبى من اليهود فهربوا الى داخل الجزيرة العربية ملتمسين السلامة . وقد تكررت هذه الاحداث طيلة الحروب اليهودية الرومانية وبخاصة بعد هدم (تيتوس) للمعبد الثانى عام ٧٠م وضياع اورشليم وتحريم الاقامة فيها على اليهود .

ومن هؤلاء اليهود الاخيرين تكونت القبائل المعروفة باسم بنى النضير وبنى قريظة وبنى بهدل. اما بنو النضير وبنو قريظة فيعتقدون انهم من نسل (هرون) عليه السلام لذلك يعرفون باسم الكهنة . وهناك قبيلة يهودية أخرى تخالف القبيلتين السابقتين عادات وتقاليد وهى المعروفة باسم بنى قينقاع .

فهذه القبائل وغيرها كانت تنزل يثرب وخيبر ووادى القرى وتطبع افرادها بالاخلاق العربية شهامة وكرامة وشعرا ونثرا . ففى يثرب كانت لهم مدارس واحبار ، واليهود هم الذين ذكروا العرب بالقرابة بينهما ، كما جاء فى سفر التكوين فهم اقارب من ناحيتين ، اما من ناحية (يقطان) واما من ناحية (اسماعيل) ويقطان هو قحطان ومن نسله العرب الجنوبيون كما ان الشماليين انحدروا من نسل سيدنا اسماعيل لذلك انقسم العرب الى قحطانيين واسماعيليين ، فلا غرابة اذا وجدت اليهودية طريقها الى بعض العرب مثل الحارث بن عمرو الكندى وذى نواس .

لكن تنوع العقائد الواحدة قد يؤدى الى الخصومات والمنازعات نوقع منها فى جنوب بلاد العرب ما سجلته لنا المراجع التاريخية والقرآن الكريم وما وقع فى الجنوب تكرر فى الشمال ، وفى يثرب بصفة خاصة بين اليهودية وغيرها ، فنحن نقرا عن امير غسانى هو الحارث بن ابى شمر وقد اقبل على يثرب وقتل عددا كبيرا من يهودها انتصارا لاصحاب العقيدة العربية قبل مجىء الوحى المحمدى .

واستمر النزاع بين اليهود وغيرهم حتى جاء الاسلام فهادنوه علانية ودسوا له سرا فنجد امثال (بنحاس) الذى اشتهر بنكاته اللاذعة والسخرية القاصمة ، وكعب بن الاشرف وغيرهما من اليهود الذين كانوا يسخرون من النبى العربى ويلوون السنتهم بآى الذكر الحكيم ويؤولونها تأويلا خاطئا

وقد قابل رسول الله صلى الله عليه وسلم سخريتهم هذه بالتسامح الا ان هذا الخلق الاسلامى لم يردعهم مما اضطر المسلمين الى اجلائهم من ارض الحجاز منعا لبعث الفتن وحقنا للدماء . وما خشاه الرسول ومن جاءوا بعده من الخلفاء الراشدين قد وقع فعلا ، وفى بلاد العراق . فقد استغل اليهودى الاصل « عبد الله بن سبا » اختلاف الرأى بين على ومعاوية وخلق من هذا الخلاف فتنة جارفة عوقت المسلمين واضرت بهم فقد تشيع ابن سبا لعلى كرم الله وجهه ودعا له بانه بانتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى انتقلت شخصيته الى (على) كرم الله وجهه كما انتقلت شخصية موسى الى فتاه يوشع .

وتحدثنا الروايات اليهودية ايضا ان اكثر من تسعين الف يهودى قدموا على امير المؤمنين على ابن أبى طالب تحت زعامة مدير جامعة (سوار) واسمه (مار اسحق) وبايعوه ، وحذا حذو (مار اسحق) مدير جامعة (بوم باديثا) اى الانبار . ومنذ ذلك العصر دخل التاريخ اليهودى مرحلة جديدة وقام نوع من التعاون بين السلطتين الادارية والتشريعية فى العراق فالحاكم الادارى كان يمثل

اليهود امام الخليفة والولاة ، وكان يقوم على جباية الاموال وتسليمها لبيت المال .

اما السلطات الدينية للطائفة اليهودية فكانت فى يد رجال ، جامعتى سورا وبوم باديثا ، فقد اهتم اساتذتهما بالتلمود وشرحه كما انهم كانوا يصدرون القوانين المتعلقة بالاحوال الشخصية ويقومون على تنفيذها .

ويحدثنا التاريخ اليهودى ايضا ان دستور يهود العراق وفارس تحت راية الاسلام كاد يكون دستور اليهود قاطبة ، وكان يشرف على تنفيذه واحترام نصوصه مجلس الجامعة الاعلى الذى كان يحاكم كل فرد يحاول تحدى هذا الدستور بالجلد أو بالحرمان الدينى . وكان سائر اليهود سواء فى العالم الاسلامى أو خارجه يعطفون على يهود العراق ويرسلون اليهم والى جامعتيهم كثيرا من التبرعات والهدايا لعلمهم أن على ضفاف دجلة والفرات وفى هاتين الجامعتين ، توجه عناية كبرى الى الشريعة اليهودية وتحت رعاية الاسلام .

ولا عجب فى بعث هذه النهضة العلمية الادبية فى العراق، فسكانه من اليهود مثلهم مثل غيرهم من ابناء ملتهم فى مختلف البلاد العربية تقبلوا اللغة العربية مختارين ، واقبلوا على تعلمها مغتبطين ، فالصلة بين اللغتين العربية والعبرية قوية جدا كما ان اعجاب العرب بالعربية وعنايتهم بها نثرا وشعرا وحرصهم على المحافظة عليها فصيحة نقية كل ذلك أثر فيمن خالطهم من اليهود سواء فى الحجاز أو فى غيره ، وبخاصة فان القرون الستة التى مرت على اليهود منذ طردهم من فلسطين على يد الرومان افقدتهم تذوق العبرية وتجويدها حتى أصبح من المألوف لدى اليهود أن يعبروا عن أفكارهم وشعورهم فى لغة ركيكة هى خليط من العبرية والكلدانية واليونانية كما ان حالتهم هذه حالت دون خلق آداب عبرية ، ومن باب اولى ماكانوا بمستطيعين قول الشعر او اجادة النثر ، الا ان نزولهم بين العرب غير هذه الاوضاع فقد اخذوا عنا فن الكلام والنطق الصحيح وفصاحة التعبير، فالقبائل اليهودية مثل بنى قينقاع والنضير وقريظة ويهود خيبر ووادى القرى وغيرهم جاءوا الى اخوانهم فى العراق والشام وفلسطين بعد ان اجلاهم المسلمون من الحجاز وهم يتحدثون لغة عربية ويتأدبون بأدب عربى ويتطبعون بطباع عربية كلها شجاعة ووفاء وكرم واباء . يقولون الشعر فى مختلف فنونه ويعبرون عن خواطرهم فى لغة هى لغة أهل الحجاز وقت نزول القرآن الكريم . نزل أولئك اليهود فى أوطانهم الجديدة فاثروا فى ابناء دينهم تأثيرا قويا، فلم يكد يمضى نصف قرن على تحرير العرب لفلسطين والعراق وغيرهما حتى اصبح فى استطاعة اليهودى التحرير فى اللغة العربية واستطاع الطبيب اليهودى (ماسرجويه) وهو احد ابناء البصرة ترجمة كتاب فى الطب من السريانية الى العربية ، وفى سهولة ترجم كثيرون من اليهود امهات المراجع فى اللغة السريانية الى العربية .

ولم يقف أثر العرب والعربية فى اليهود عند اللغة وآدابها بل تعدى العربية الادبية الى العربية الدينية الى عربية القرآن الكريم والحرص على المحافظة على كتاب الله، وهذه ظاهرة جديدة لفتت نظر اليهود ودفعتهم الى التتلمذ على العرب ومجاراتهم فى قراءة اسفارهم المقدسة والحرص على نطقها النطق الصحيح الذى يمكنهم من فهمها حق الفهم ، لذلك وجدت الاشارات الدالة على الحركات فى اللغة العبرية حرصا على صيانة متن كتبهم المقدسة من التحريف . واليهود فى كل هذه الخطوات كانوا متأثرين بالعرب .

لكن حياة اليهود العرب لم تكن كلها محاطة بالزهور والرياحين فى اوطانهم الجديدة ، فهم فى العراق والشام وفلسطين يخضعون دينيا لنظام تلمودى شديد يقيد من حريتهم الدينية وتقاليدهم القبلية ، فهم الآن بين امرين اما ان يغيروا من انفسهم وعاداتهم وطباعهم ويروضوا انفسهم على حياة جديدة تتفق والمجتمع اليهودى الدينى الجديد ، واما تتغير احكام التلمود وبخاصة ما يتعارض منها والحياة الاجتماعية للمجتمع العربى الاسلامى . قديما كانت يهودية ووثنية واليوم يهودية واسلام، واذا ذكرنا الاسلام فانما نعنى دينا فتيا لم يتأثر بعد بفقه الفقهاء وتأويلات المتأولين . الاسلام دين التسامح ، ويقدس حرية العقيدة **لاكراه فى الدين «و» قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر «و» انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا «و» ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها «و» قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها ..**

واذا تركنا العقيدة الى الاحوال الشخصية وجدنا القرآن الكريم يعنى بهذه الناحية الانسانية عناية كبرى فينظم المجتمع الاسلامى تنظيما لم

تات الشرائع الحديثة بخير منـه . فالمراة تتبوا مكانا رفيعا فيوحى اليها كما يوحى الى الرجل «اذ أوحينا الى امك ما يوحى » و « أوحينا الى ام موسى ان أرضعيه .. » .

وفى آيات اخرى يقرر الاسلام المساواة التامة بين الرجل والمراة « فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض » و « من عمـل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةطيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » .

فمن هذه الآيات وغيرها يتضـح لنا ان المراة والرجل سيان امام الله وسيان فى الحياة الدنيوية فلها الحق فى الميراث والملكية وتتصرف فيما تملك تصرف الرجل « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » و « للرجال نصـيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنسـاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصـيبا مفروضا » و « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسـاء نصيب مما اكتسبن».

واذا قابلنا بين المراة المسـلمة وبين اليهودية وجدنا الاخيرة تخضع لتعاليم وشرائع ليست من التوراة فى شيء وانما هى من وضع ربانيى اليهود وصـمنوها التلمود . وهـذه التعاليم التلمودية وضعت المراة اليهـودية فى منزلة دون منزلة المراة المسلمة سواء فى الزواج او عند وفاة زوجها او فى حالة الطـلاق وغيرها ، لذلك نجـد كثيرات من اليهوديات يفضـلن الالتجاء الى المحاكم الشرعية الاسلامية للفصل فى القضايا التى تتصل باحوالهن الشخصـية . فادرك مديرا جامعتى سـورا وبوم باديثا عظم الخطر الذى يتهدد المجتمع اليهودى والذى قد يؤدى الى انهيار الاسرة اليهودية وتفككها فقررا عام (٧٠٩ م) تغيير تلك الاحكام التلمودية ومجاراة الشريعة الاسلامية ، وهكذا تمت المساواة بين الرجل والمراة بفضل الشريعة السمحاء والمكانة التى تتمتع بها المراة المسلمة .

لكن تغيير احكام التلمود لم يقف عند هذا بل زعزع العقيدة فى قدسيته وصحة ما جاء فيه وبخاصـة تلك الاحكام التى لا تستند الى نص قوى فى الكتاب المقدس . كذلك تسرب الشـك أيضـا الى نفوس كثيرين من اليهود فيمـا تصـدره الجامعتـان اليهوديتان من تشريعات . وكانت النتيجة المحتومة لهـذه الحركة الاصـلاحية ان ظهرت فى سـوريا جماعة ناهضت التلمود ونادت بعدم الاخذ باحكامه ووجوب التمسـك بالعهد القديم فقط . وزعيم هذه الحركه يهودى سـورى يدعى (سيرينوس) ، ولم يقف عند هذا بل اعلن نفسه انه المسيح المنتظر ، وكان ذلك حوالى عام ٧٢٠ م فجمع (سيرينوس) اعوانه وكتب على رايته « اتركوا تعاليم التلمود » كما الغى لتانى يومى العطلة ونصـوص الصـلوات وسائر تعاليم التلمود الخاصة بالطعام وصرح بشرب النبيذ من غير اليهود .

فهذ الموقف من التلمود الذى وقفه (سيرينوس) اكسـبه عددا كبيرا من الانصـار الا انه كاد يحدث فتنـة فقبض عليـه المسـلمون وقدموه الى الخليفـة يزيد بن عبد الملك فوجه اليه عدة اسـئلة عجز عن الاجابة عليها . ويقال انه انكر امام الخليفـة ادعـاء انه المسيح المنتظر وان ما سبق له ان ادعاه كان من قبيل السـخرية من اليهود لذلك آثر الخليفة ان يسلمه الى اليهود انفسهم ليتولوا هم معاقبته .

ولم يكد يمضى ثلاثون عاما على هذا الحادث حتى ظهر دعى آخر يدعى (عويديا ابن عيسى) وهو يهودى من أصفهان هاجم التلمـود والغى الطلاق وفروض الصلاة الثلاثة وجعلها اربعة فروض يوميا كما حرم اكل اللحـوم وشرب الخمـور وقرر نشر وفرض ارآئه بالقوة فهزم هو وانصاره .

ولعل مذهب القرائين هو من اهم المذاهب التى ظهرت فى اليهودية واثرت تاثيرا عظيمـا ، فالمذهب القرائى هو ولا شـك وليد الاسـلام والمجتمع الاسلامى ، وقد رأينا فيما مضى كيف ان التفرقة بين المسلمة واليهودية فى احكام الاحوال الشخصية واضـطرار علماء التلمود الى تهذيبـه وتنقيحـه تمشيا مع روح القرآن الكريم والشريعة السمحاء، ادى الىظهور امثال (سيرينوس) و (عويديا بن عيسى) اولا ثم عنـان ابن داود احـد افراد اسرة بستانى ثانيـا . فعنـان هذا هو المؤسس الحقيقى لفرقة القرائين التى احدث ظهورها انقسـاما كبيرا فى الطائفـة اليهـودية لذلك اختلفت الآراء حـوله فتلاميذه ومريدوه يعتبرونه بطلا من ابطال اليهود ولو ظهر ابان قيام المعبد لاعتبره القوم نبيا . اما خصومه فقد هجـوه هجـاء مرا وان اعترفوا له بمقدرته والمامه بالتلمود ، وبذل اعـداؤه جهـدهم لاسقاطه فى انتخابات رياسة اليهود فدسـوا بينـه

وبين الخليفة ابي جعفر المنصور فاضطر عنان الى ترك وطنه والرحيل الى فلسطين . ولا شك فى ان عنان اكتسب هذه الفكرة من النزاع الذى كان محتدما بين اهل السنة الذين يؤمنون بالقرآن الكريم والحديث وبين اهل الشيعة الذين لايؤمنون الا بالقرآن فقط ، فعنان بن داود يطالب بالعودة الى المكتوب فقط وهو (مقرا) ومنه اسم جماعته (قراءون) • وقد الف عنان تفسيرا للتوراة فقط ووضع تشريعا للواجبات الدينية وهذه فى مجموعها تخالف لحد ما الديانة اليهودية التلمودية، فالقراءون يخالفون الربانيين فى اشياء كثيرة اهمها اوقات الاعياد والسبت والزواج ثم الطعام . ففيما يتصل بمواقيت الاعياد الغى عنان التقويم الذى كان معمولا به منذ منتصف القرن الرابع الميلادى واكتفى عند الغائه بالاعتماد على العادة التى كانت سائدة فى عصر المعبد الثانى والتنائين (طائفة معلمى الشريعة) كما رجع الى التاريخ بالشهور القمريه كما جرت العادة بذلك قديما • أما عيد (شبعوث) فقد جعله كما كان أيام الصدوقين اى بعد خمسين يوما من السبت الذى يلى عيد الفصح• وفيما يتعلق بالاحتفال بالسبت اهمل عنان كل احكام التلمود بخصوصه وقرر الآتى :

(١) عدم تناول الدواء مهما كانت خطورة حالة المريض • (٢) عدم اختتان • (٣) عدم مغادره المنزل فى المدينه التى يختلط فيها اليهود بغيرهم (٤) عدم تناول اى شيء ساخن • (٥) عدم اشعال نار او اضاءه مصباح حتى ولو كان ذلك فى يوم سابق للسبت ، كما لا يسمح لآخر باشعال النار او النور• (٦) قرر عنان ان يمضى القراءون السبت فى ظلام •

وقد اصدر عنان هذه التشريعات وغيرها معتمدا فيما يعتقد على بعض الاحكام الواردة فى العهد القديم ، اما فيما يتعلق بالطعام فقد تشدد فيه عنان كثيرا كما حرم الزواج بين الاقارب حتى درجة قربى خاصة ابعد من تلك التى اباحها التلمود . فحرم عنان زواج العم او الخال من ابنة الاخ او الاخت ، كما حرم زواج الاخ او الاخت غير الشقيقين ، وذهب هذا الزعيم القرائى بعيدا فالغى استخدام التفلين (عصائب من الجلد الاسوه بها علبتان بداخلهما بعض آيات العهد القديم) عند الصلاة .

والواقع أن عنان بتشريعاته هذه قد اوجد تلمودا جديدا أكثر تعقيدا وصعوبة وقد خالف التوراة فى بعض احكامه فساوى بين الاخ والاخت فى الميراث وحرم على الزوج ان يرث امرأته وقد تسمى انصار عنان باسم « عنانيين » أو « قرائين » واطلقوا على خصومهم « ربانيين » اى اولئك الذين يؤمنون بالسلطات ، وهذه ولا شك سبة لهم •

وكانت النتيجة المنتظرة لهذا التصرف من عنان وانصاره ان اجتمع رجال جامعتى سورا وبوم باديثا وطردوا القرائين من اليهودية كما قرر القراءون الانفصال عن الربانيين وحرموا على انفسهم التزاوج او تناول الطعام معهم • وذهب القراءون بعيدا فحرموا على انفسهم دخول بيت يقطن فيه ربانى يوم السبت اذا كان به نور لاعتقادهم أن هذا النور يجرد السبت من قدسيته .

اما الربانيون فقد شنوا حربا عنيفة على القرائين ونادوا بتحقيرهم ولم يسمحوا لهم بالصلاة فى معابدهم • فلم تثن هذه التهم وتلك الاجراءات القرائين عن مهاجمة الربانيين ونعتهم باسنع السباب والتهم فشبهوا جامعتى سورا وبوم باديثا بامرأتين جاء ذكرهما فى سفر زكريا وهكذا نجد الطائفة اليهودية تنقسم مرة ثالثة الى فريقين متناحرين اولا الى اسرائيل ويهوذا وثانيا ابان المعبد الثانى الى فريسيين وصدوقيين وثالثا الى ربانيين وقرائين .

ولما كان قيام المذاهب الدينية المختلفة ، والتى تعتمد على كتاب مقدس يتطلب قبل كل شيء العناية بنص الكتاب وفهمه ، فقد أوجدت الاشارات الدالة على الحركات ، ومن ثم الف القراءون الكتب فى القواعد . وظل علماء هذه الطائفة زهاء قرن يهتمون بقواعد اللغة العبرية ونحوها بينما انصرف الربانيون عنها الى التلمود ، لكن الشيء الذى يؤسف له ان هذه العناية اللغوية جاءت متأخرة وما كان لها ان تسبق هذا الدفع العلمى الاسلامى خصوصا أنها ثمرة من ثمراته • واذا اضفنا الى هذا الحروب والاضطرابات التى تعرضت لها فلسطين وغيرها من مناطق الشرق العربى فاثرت فى نص الكتاب المقدس تأثيرا عظيما اذ مزقت الكتب المقدسة وانتهكت حرمتها وجعلتها طعما رخيصا للنيران ، وظل الحال كذلك فترة طويلة من الزمن حتى استقرت الاحوال السياسية فانصرف بعض العلماء الى جمع ما تبقى من نصوص العهد القديم

واخيرا استطاعوا نسخ نسخة لانستطيع الجزم بمطابقتها للنسخة الاصلية وان كانت اقرب اليها من غيرها . فالنسخة الاصلية الرسمية ، التى كانت محفوظة فى المعبد نقلت الى روما ، وحفظت ضمن الاسلاب التى جاء بها (تيتوس) . والذى حدث انه ابان الحروب التى اندلعت بين روما واعدائها سرقت هذه النسخة ثانية واختفت . واذا اضفنا الى ذلك ان النسخة التى نسخت من بقايا بعض النسخ لم تسلم من اخطاء النساخ ادركنا مدى النقص الموجود فى نسخة العهد القديم وبخاصة ان عناية ما لم توجه اليه لانصراف رؤساء الدين اليهودى فى العراق وفلسطين الى التلمود .

لكن حدثا هاما ظهر فى ذلك العصر ، هو تثقيف الشباب اليهودى ثقافة عربية اسلامية استطاع المثقفون اليهود بفضلها الارتقاء باليهودية فى العصور الوسطى .. عصور الجهالة والظلام . فالاساتذة العرب هذبوهم ، وخلقوا منهم اساتذة يجلس بين ايديهم طلاب العلم فى مختلف العقائد والمذاهب . ففى عهد خلافة هرون الرشيد وابنه المامون كانت الحياة العلمية العربية قد بلغت شأوا عظيما وازدهرت معاهد العلم فى بغداد والقاهرة والقيروان فى شمال افريقية ، ومرو فى بلاد التركمان . وقد اصبحت جميعها مراكز الاشعاع العلمى لا فى العالم الاسلامى فقط ، بل فى مختلف انحاء العالم ، ولم تبلغ أوربا هذه المكانة الا بعد عدة قرون وبفضل اتصالها بالعالم الاسلامى .

لقد تعرضت اوربا قديما وبخاصة البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط لأحداث كثيرة فهناك هجرة الجرمان الذين وفدوا من الشمال وانقضوا على الامبراطورية الرومانية فدحروها هل نجحوا فى بعث ثقافة جديدة او خلق حضارة رفيعة ؟ هل استطاعوا التبشير بدين جديد ينهض بالبشرية من كبوة الوثنية البدائية التى كانت اوربا وقتذاك مترديه فيها ؟ ثم تعرضت أوربا لأحداث أخرى لم تنقل المرأة من مستواها كمتاع للرجل يباع ويشترى فضلا عن وأد الاطفال فى غاباتها .

ان الدولة العربية العالمية الجديدة فرضت نفسها للمرة الاولى كشرق وواجهت الغرب وردته مهزوما مدحورا منطويا على نفسه كسيرا ذليلا ، ومن ثم مزق العرب هذا الستار المضروب على اوربا منذ آلاف السنين ولم يستطع الجرمان تمزيقه وادخلوا اليها العلم والنور ولولا (تور) لما تخلفت عن اللحاق بركب الحضارة العربية هذه القرون الطويلة .

وبديهى ان الأمة التى يقول نبيها صلوات الله عليه « ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب ، ولمداد ما جرت به اقلام العلماء خير من دماء فى سبيل الله » لن توصد أبواب العلم فى وجه قاصديه مهما اختلفت الأجناس والملل والنحل ، لذلك لن يستولى علينا العجب اذا خرجنا عددا من مشاهير اليهود امثال (ما شاء الله) الفلكى و (سهل الطبرى) الطبيب الرياضى الذى اشتهر بترجمة الماجسطى لبطلميوس شهرة ابن سهل بالصيدلة .

واخذ اليهود عن العرب علاوة على الصيدلة والفلك والرياضيات (علم الكلام) فنحن نجد فرقة المعتزلة تنادى بفكرة الله الذى له صفات هى عينه ، كما قالت بحرية الفرد ، وذلك لأن العدالة الالهية تقتضى ان يثاب الاخيار ويعاقب الاشرار ، وهذا يتطلب وجود حرية ارادة الفرد . كذلك فسرت هذه الفرقة القرآن الكريم تفسيرا رمزيا لذلك نعتهم خصومهم بالاعتزال . وكانت مدرستا بغداد والبصرة تأخذان بتعاليمهم وآمن بها الخليفة المامون واتخذها مذهبا للقصر .

وقد اثرت فلسفة المعتزلة فى اليهودية فوسعت شقة الخلاف بين القرائين والربانيين وبعثت فى الفكر اليهودى الحياة . فنجد القرائين يذهبون مذهب المعتزلة فى اليهودية ويسيرون فى ركابهم بخلاف الربانيين الذين تمسكوا بالتلمود بالرغم مما فيه من عبارات متناقضة حول الذات العلية .

ولم يقف الأمر عند ذلك بل نجد القرائين ينادون **بالاجتهاد وفتح بابه** أمام المجتهدين فظهرت بينهم فرق اخرى . والذى حدث ان اليهودى القراء « بنيامين بن موسى » نهاوندى الفارسى (حوالى ٨٠٠ — ٨٢٠ م) ادخل تعاليم المعتزلة على مذهب القرائين فارتفعت مكانة هذا القراء المجتهد بين ابناء عقيدته فبلغ مرتبة تدانى مرتبة عنان . فقد اعترض بنيامين على تصوير العهد القديم لله ، كما اعترض على الوحى الاسرائيلى وخالق الكون وانكر خلق الروح للمادة واتصالها بها . فكيف يتجلى الله فى سيناء فيتحدد مكانه جغرافيا ، ومن لم يتكلم كما يتكلم الانسان . لذلك حاول بنيامين تبرير خلق الكون وصحة التوراة ، فقال ان الله خالق الملائكة وهم أرواح وهذه الأرواح

هي التي خلقت العالم والكون . فالله لم يخلق الكون مباشرة بل بواسطة الملائكة . كذلك الحال مع الوحي الذي جاء الى سيناء والى سائر الانبياء انما جاء عن طريق الملائكة . وقد آمن برأي نهاوند عدد كبير من المريدين الذين انتسبوا اليه .

وكان بنيامين ينادي بالرأي القائل بانه ليس على الفرد أن يؤمن بكل ما يقوله رجل الدين بل عليه ان يفكر ويقتنع والا فله الحق في مخالفتـه ، ليس على الابن ان يطيع والده دائما ولا المريد استاذه ، البحث واجب والخطا في البحث ليس خطيئة ،

وخرج من بين القرائين مفكرون آخرون اسسوا فرقا لعبت دورا خطيرا في تاريخ العقائد اليهودية من بينها طائفة الأكبرية ، وقد اسسها موسى واسماعيل وهما من مدينة (أكبـر) بالقرب من بغداد ، وكان ذلك حوالي عام ٨٤٠ م ومذهب هذه الطائفة قريب جدا الى مذهب السامريين الذين لا يؤمنون الا باسفار موسى الخمسة فقط وينكرون باقي أسفار العهد القديم والتلمود . وقد نادت طائفة الاكبرية باباحة اكل بعض الاجزاء السمينة من الحيوان .

ثم نجد طائفة التفيليين وقد أسسها أبو عمرو موسى من (صـفران) بفارس وافرادها يحرمون الزواج بين ابناء الأخوة والأخوات وهم يعيدون في اوقات تخالف أوقات القرائين الآخرين والربانيين . وهناك طائفة اخرى تعرف باسم الطائفة البعلبكية نسبة الى مؤسسها ويعتقد افرادها ان عيد الفصح يجب ان يقع في يوم خميس والغفران يوم سبت لأن هذا اليوم يعتبر في الكتاب المقدس وكانه سبتان .

فهذه الخلافات وغيرها بين القرائين والربانيين لفتت نظر علماء المسلمين وقربت بين وجهات نظر القرائين والمسلمين وبخاصة بعد ان رفض القراءون العمل بالتقويم الرباني وقرروا العودة الى التقويم القمري الذي يتفق والتقويم الاسلامي .

وقد وقعت ايام الملك الظاهر (٤١١ - ٤٢٧ هـ ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م) خصومات بين الربانيين والقرائين في مصر وذلك لان المشرف اليهودي على الاسواق كان من طائفة الربانيين ومذهبهم فيما يتعلق باللحم والطهارة يغاير مذهب القرائين الذين كانوا يحرمون ذبح الحيوان الحامل بخلاف الربانيين ، كما يحرم القراءون اكل اجزاء خاصة من الحيوان يجيزها الربانيون . لذلك نجد القرائين يطلبون السماح لهم بفتح حانوت قصاب في السوق لشراء ما يحتاجون اليه من لحوم وطيور كما ان الحانوت يجب الا يخضع لتفتيش المحتسب الرباني كما طالب القراءون بجواز فتح محالهم ابان اعياد الربانيين اذ ان لكل طائفة تقويمها الخاص بها ، وهكذا كثرت الخلافات بين الطائفتين مما اضطر الخليفة الظاهر الى اصدار امر في ١١ جمادى الاولى ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م يرمي الى اجابة القرائين الى مطالبهم واحلال السلام محل الخصام . ومن حسن الحظ ان هذا الامر جاءنا في وثيقة من وثائق الجنيزا (المحفوظات) وفي حالة تكاد تكون جيدة لولا ضياع مطلعه ، ونصه كما يلي :

« من تتبع عاداتكم واستمراركم في تقاليدكم التي اخذتموها عن دياناتكم بدون عائق يقوم من طائفة ضد الاخرى او قيام معاملة خشنة بينكما، فهذا يدعو الى السماح لكل طائفة ان تعيش وتعيد كما تهوى مع تمكين كل طائفة في بيع او شراء ما تشتهي ، وان تحتفل بعيدها كما تريد ، ومتى ترغب بكامل حريتها ومطلق ارادتها وأحذر الطائفتين من التدخل في شئون بعضهما أو احداث شغب او مضايقة بعضهما . ان الامان مكفول لكم جميعا وعليكم عدم تمكين شرير من بينكم من الاتيان بشيء ممنوع وعليكم تجنب المناقشات التي تؤدي الى سوء العاقبة ، وعليكم المحافظة على ذلك والعقوبة ستحل بكل فرد يتجاوز حدوده ويأتي بأعمال محرمة فمثل هذا الشخص سيعاقب عقوبة شديدة وسيكون مثالا لغيره حتى لايحتذيه احد ، كذلك يحرم التدخل في شئون طائفة القرائين في معابدهم الخاصة بهم وحدهم .

وهذا الأمر صادر من امير المؤمنين فعليكم العمل على تنفيذه واحترامه ، وعلى امير الجيوش، ساعده الله . ان يساعد على تنفيذه ، وعلى رؤساء الاقاليم العناية العادلة بالطائفتين وعلى الحكام اصدار الاوامر الخاصة بوجوب العناية والمحافظة على افراد الطائفتين والعمل على عدم اضطهادهم .

ليحترم هذا الامر بواسطة الذين كتب لهم ان شاء الله .

حرر في يوم الاربعاء ١١ جمادى الأولى عام ٤١٥ هـ .

فمن امر امير المؤمنين نتبين اجابته لمطالب القرائين وحرصه على اشاعة العدالة بين جميع رعاياه

« د . فؤاد حسنين علي »

دراسة وجودية فى ٤ مقالات :

فلوبير .. مثلا !

بقلم : انيس منصور

المنهج النقدى التراجعى

(٤)

من الممكن أن تكون المقالات الثلاث السابقة قد اعطت صورة عن الرجل فلوبير وعن المؤلف فلوبير ، وعن الصورة التى رآها بها النقاد فى عصره وفى العصور التالية .

وليس من الضرورى أن تكون هذه الصورة كافية فى الدلالة على هذا الأديب . فهى لا تزيد عن كونها وجهات نظر سريعة وغير مترابطة الى حد ما .

ولعل عدم الترابط هو الذى يعنينى هنا . لأن للنقاط جوانب مختلفة من صورة انسان واحد من الممكن ألا يؤدى ذلك الى خلق صورة كاملة فى النهاية . فى أكثر جوانب أى انسان . الجوانب التى نراها منه هو شخصيا ، اى جوانب سلوكه ، وجوانب اعماله . والذى نعرفه منه والذى نعرفه عنه والذى يخفيه عنا والأثر الذى يتركه فينا والأثر الذى يحرص على أن يتركه ..

والفيلسوف الوجودى **سارتر** قد تناول عددا من الأدباء بالنقد الأدبى . فمثلا درس الشاعر بودلير . واتخذه نموذجا للشخصية الوجودية . وطبق عليه منهجه الوجودى فى دراسة الشاعر والشعر والتاريخ الأدبى . ولكن سارتر رغم هذه الدراسة ، فانها كانت موجزة .

ولكن أعظم دراسة قام بها سارتر ، وربما قام بها فيلسوف اطلاقا ، هى كتابه عن الأدب الفرنسى جان جينيه بعنوان : «القديس جينيه كوميدى وشهيد» . وسارتر فى هذه الدراسة ، التى جاءت تعد بمثابة مقدمة لكل مؤلفات جينيه ، هى اكمل وأرق دراسة لأديب حى .

وفى هذه الدراسة الرائعة طبق سارتر الفلسفة الوجودية ومنهج الظاهريات (الفنمنولوجيا) على الأديب جينيه الذى هو لص ولقيط وشاذ جنسيا . وقد استطاع سارتر أن يلتقط كل صغيرة وكبيرة ، كل صغيرة جدا وكل فضيحة ، فى حياة هذا الأديب وان يصفها فى ٧٠٠ صفحة هى أروع ما ظهر من النقد الأدبى فى كل العصور .

وسارتر يبدأ عادة من نقطة تبدو بسيطة اول الأمر . فهو يتساءل أولا عن الاختيار الأساسى للاديب .. أو بعبارة اخرى يتساءل كيف يختار الأديب وجوده . اى كيف يختار نفسه . فكل انسان هو الذى يختار نفسه .. يختار سلوكه الاجتماعى والنفسى والفنى . وكل شىء يفعله هذا الأديب دليل عليه أو دليل ضده . ولذلك فالناقد يجب الا يترك شيئا فى حياة الأديب أو الفنان دون أن يحاسبه عليه أو دون أن يلتفت اليه .

فالانسان ـ عموما ـ هو الذى يختار نفسه ...

والانسان ـ عموما ـ هو الذى يجعل من حياته « خطة » ويظل يدرسها ويفكر فيها وينتقدها . ويخطىء فى التفنيد . ويصلح الخطأ أو يصر عليه . فالانسان هو الذى يختار صورته التى يبدو بها أمام الناس . سواء كانت حسنة أو قبيحة . وهو يختار المجالات التى يرتادها . وكل هذا يدل على هذا الانسان . ولا توجد عندنا طريقة اخرى لمعرفة انسان حى أو ميت الا بمعرفة اختياره الأساسى ، اختياره الاولى للواقع الوجودى الذى يكون عليه ..

وليست شخصية أى انسان ـ عموما ـ الا تبلورا

مستمرا لواقع النفس . لموقفه الوجودى من نفسه ومن العالم حوله ..

وهذا يجب أن يكون دليلنا البسيط جدا في دراسة أى أديب .. فلوبير مثلا ..

هذا الرجل فلوبير يجب أن نناقش رجولته هذه رغم الأكاذيب التى أفاض فى الكلام عنها فى رسائله. يجب أن نناقش لماذا يحرص على ذكر ما فعله مع عشيقاته ولماذا يبعث بذلك الى عشيقته لويز كوليه. يجب أن نناقش المرات القليلة التى التقى بهذه المعشوقة . لماذا زعم أنه كان شابا ؟ يجب أن نناقش مع رسائله الملتهبة التى يغلب عليها طابع المراهق الهارب .. أو المراهق الذى تسعده أحلامه أكثر من الواقع .

يجب أن نناقش طفولة هذا الأديب وان نعرف من هى أمه .. ومن هو أبوه .. وأقاربه وظروف أسرته وعصره والأمراض التى انتشرت فى هذه الأسرة . وكيف تركت أثرها فى نفسه . يجب أن نعرف البيت والبيئة التى عاشها ، يجب الا نترك صغيرة فى حياته . يجب أن نتساءل لماذا كان يحرص على أن يتناول طعامه بملابسه كاملة . لماذا يكتب بملابسه كاملة . لماذا لا يستطيع أن يجلس الى أصدقائه بملابس النوم العادية .

يجب أن نناقش خطابات عشيقته التى تصفه بأنه انسان مجنون نفسه .

يجب أن نلتفت كثيرا جدا الى اختياره لقصة « مدام بوفارى » ، ولماذا اختار امرأة ليقف وراءها . امرأة من نوع غريب وصفها الشاعر بودلير بانها : ليس الا رجلا عنيدا ..

نحن ما نزال نناقش الاختيار الأول لوجوده .. حتى موقف الأديب من أبويه هو جزء من شخصيته أيضا . فهو الذى اختار العلاقة التى تربطه بهما . وهو الذى اختار التأثر بهما أو التأثير منهما . وهو الذى اختار أن يعيش على ثروة أبيه بلا عمل. وهو الذى اختار الاقامة فى المستشفى . وهو الذى اختار أن يبقى لصيقا بالمستشفى وبالطب والتشريح وأسلوب الأطباء ، وباصدقاء من ابناء الاطباء ايضا..

واذا نحن رجعنا الى تاريخ حياة فلوبير من أولها لآخرها نجده انسانا مطيعا . وفى نفس الوقت ليس له وجود مستقل . بل انه وجود نسبى . فهو يعتمد على غيره فى كل شىء . انه يبعث بعشيقته للسؤال عن عشيقاته . وهو فى نفس الوقت يعتمد على ثروة أبيه وعلى أبيه ولم يقم بأى عمل فى حياته. وأنوثته تؤكد هذا الموقف غير الاستقلالى وغير الرجولى فى حياته . وعندما أفلس فى آخر حياته أحس لأول مرة أنه قد واجه نفسه . وأنه لأول مرة فى حياته مضطر الى أن يعتمد على نفسه ، مضطر الى أن يقف على ساقيه . لقد باع الأرض وأهدى البيت لاحدى قريباته . ولم يعد له به شىء . وأخذ يشكو من الأرض لم تعد تدر عليه شيئا ، ولو كان لديه مصنع لربح أكثر .. ربما كانت هذه الشكوى هى بداية الشعور بضغط العصر الصناعى على أبناء الريف والاقطاعيين الصغار .

واذا نحن عدنا الى قصة « **مدام بوفارى** » يجب أن ندرس العبارات التى يستخدمها والألفاظ التى يكثر منها رغم حرصه الشديد على عدم التكرار . ويجب أن ندرس أسلوبه فى تصوير الشخصيات وفى علاقاتها بعضها ببعض .

ويجب أن ندرس أيضا قصة « اغراء القديس **انطون** » وكيف استخدمه فلوبير لمناقشة مصير الانسان والحياة والموت والله **والعدم** . وهذه القصة هى بالضبط قصة مدام بوفارى بشكل آخر ومعنى ذلك أن هذه المعانى تلح على رأس المؤلف وانه اختار التعبير عنها مرتين . مرة فى صورة رجل راهب ، ومرة فى صورة امرأة فيها رجولية . أى بصورة واحدة لرجل واحد .. مرة يكون اسمه القديس أنطون ، ومرة يكون اسمه مدام بوفارى .

ومعنى ذلك أيضا أن فلوبير قد اختار هذا الاطار، واختار هذه المعانى ، وانه هو أيضا هذا الاطار وهذه المعانى . ويجب أن نسأل لماذا ؟ يعبر عن نفسه على شكل راهب رجل ، ومرة على شكل فاجرة فيها رجولية ؟

وفى نفس الوقت يجب أن نعود الى عصره الى حياته فى ذلك العصر . وكيف كان يراه معاصروه . ماذا قالوا عنه . وماذا قال عنهم . من هم أصدقاؤه ولماذا اختارهم . ولكى نعرف لماذا اختارهم ، يجب أن نعرفهم هم أيضا باعتبارها « فعلا » من أفعاله.. أى صورة من الصور التى يعلقها على حياته. والانسان عندما يختار أصدقاءه ، يختار علاقات مريحة له .. أى أنه يختار نفسه فى أصدقائه .

وبعد هذه التحليلات الطويلة فى حياة فلوبير أو أى أديب آخر — ننتقل الى مرحلة تركيب هذه التحليلات . وبلورة عامة له . أى أننا ننتقل الى

« تشبيبى » هذه المعانى والحوادث والعلاقات • أى تحويلها الى شىء يمكن رؤيته ولمسه •• كتمثال على أرض واضحة •

ولكن هذا وحده ليس حلا سعيدا ولا نهاية الدراسة لهذا الرجل • وانما هو بداية مشاكل جديدة لنا • فكل نتيجة وصلت اليها يجب أن تعود بها الى طفولته والى حياته الاجتماعية وظروفه الاقتصادية • فاذا عدنا الى ماضيه البعيد انتقلت الى حاضره والى أيامه الأخيرة •• ومن الممكن أن يستعيد بما أحدثه من أثر بعد مماته لفهم ظروفه • باعتبار هذا الأثر ظلا له القاه على السنوات التى بعده ••

وبعبارة أخرى : يجب أن نتراجع الى طفولته ، وان نتقدم الى رجولته ••

يجب أن نخلق حركة فى حياته • يجب أن نهز حياته ونثير فيها حركة تتراجع الى طفولته وأسرته وبيئته وظروفه الاجتماعية والاقتصادية ، وأن نتقدم بها مرة أخرى الى رجولته والىحياته الأدبية وعلاقاته الانسانية والى أسرار حياته ••

هذا المنهج يسميه سارتر : **المنهج التراجعى التقدمى** ••

ونحن بهذا المنهج نتخذ من كل شىء فى حياة الأديب خيطا هاديا لنا •• يوجهنا ، ويوجه الحركة الداخلية لهذا الفنان • كل هذا فى داخل الفنان نفسه ، وفى داخل بيئته •

فنحن نأخذ من حياته أدلة علىظروفه الاجتماعية، ونأخذ من ظروفه الاجتماعية أدلة على حياته• ونربط بين الاثنين ربطا عضويا حيا • فلا أحد منفصل عن ظروفه • حتى لو اختار ذلك • فهو لا يستطيع • ولكنه يجعلنا نتساءل :

ولماذا ؟! ما هو المرض الذى أصابه ؟

ان فلوبير قد اختار أن ينعزل ••

وساعدته ظروفه المادية من ناحية ، وارغمته على ذلك ظروفه النفسية والجسمية •• فهو ثرى ، معتمد على ما يملك ، وهو فى نفس الوقت حساس وخجول ويخشى أن تباغته نوبة الصرع وهو فى الطريق •• وهو فى نفس الوقت أنثوى فى تركيبه •• وهو قادر على أن يعتزل العالم وأن يتفرغ للقراءة الطويلة والكتابة على مهل ••

ولذلك لم يستطع فلوبير أن يشارك فى قضايا العصر • ولا أن يكون له رأى فى التطور الاجتماعى والاقتصادى فى عصره • هذا الموقف يجب أن يكون البداية فى دراسة فلوبير وأى أديب آخر ••

ومهما كانت صورة مدام بوفارى رائعة ، ومهما كانت مثيرة ، ومهما كانت تصرفاتها منطقية ومهما حرص المؤلف على أن يقول على لسانها أى كلام أو يجعلها تقول على لسانه أى كلام ، فان هذا لن يشغلنا عن التساؤل : من هذه السيدة ؟ أى مخلوق هى ؟ أى مجتمع تعيش فيه ؟ ما صفاته ؟ ما مشاكله؟ اين يوجد كل هؤلاء الناس الذين ارتبطت بهم ؟ ولماذا هم جميعا منحلون هكذا ؟ ولماذا اختار المؤلف كل هذه النماذج ؟ لماذا حكم على نفسه بهم ؟ ما الذى يريد أن يقوله بهذا الحكم ؟ ما الذى يريد أن يمعن فى أخطائه ؟

ان كل مؤلف يختار نفسه من كل ما يفعله ••

وعلينا أن نعرف معنى اختياره وحرصه عليه ، وأسباب هذا الاختيار • انه حر فى أن يفعل مايشاء ولكن لايمكن أن يكون حرا تماما بالنسبة لمقاييس الأدب • وما دام قد ارتضاها • فقد اختارها وفى نفس الوقت استسلم لها • وهو حر فى أن يختار من الناس مايعجبه • ولكنه ليس حرا فى ألا يكون حرا •• أى أن الانسان حر رغم أنفه • لايستطيع أن يتحرر من حريته •• وهذا الأديب حر تماما ولأنه حر فهو مسئول عن كل مايختار • ومسئول ايضا أمام ضميره • وضميره ليس الا صوتا للخير •• لخير الناس • ولا يمكن أن يكون الأديب ضارا ولا خائنا• فاذا أصر على أن يكون ضارا سالناه ، واذا اختار الخيانة ، فقد اختار فى نفس الوقت حكمنا عليه •• وحكم الاجيال القادمة •

وليس هذا تطبيقا لمنهج سارتر « **التقدمى التراجعى** » ولكنه اشارة اليه • وليس هذا عرضا لأدب فلوبير أو لقصته الرائعة ، وانما « مناسبة » فقط لعرض وجهات نظر الى أديب والى عمل من أعماله • ولعلى أعود الى مناقشة المنهج الوجودى فى النقد الأدبى قريبا ••

وقبل أن أنهى مقالى أشير الى سارتر قد وعد من قبل بأن يؤلف دراسة كاملة عن « جوستاف فلوبير » : باعتباره نموذجا للرجل الذى احتقره من كل أدبى ! فقد أدار ظهره لعصره وكتب عن عالم حكم فيه بالاعدام على معنى المسئولية والالتزام • وتمسك فيه بحرية زائفة • لأنه لاحرية بغير مسئولية • وقد اختار هو الحرية ، وجاء دورنا لنقول له : لماذا ؟ والجواب هو : انه لم يجد عنده الرجولة الكافية ليكون مسئولا !

« **أنيس منصور** »

هتاف الشعر الحديث
بوحدة الدم العربي

للدكتور : أحمد محمد الحوفي

طالما هتف الشعراء بوحدة العرب في العنصر ، وأقاموا الدعوة الى التعاطف والتآلف والاتحاد على صلات ، منها القرابة الدموية والاشتراك في النسب .

وطالما خايل الشعراء بنسب العرب العريق ، وبمجد آبائهم الأولين ، لا فرق في ذلك بين شعب وشعب ، ولا بين اقليم واقليم .

وانه ليسترعي النظر أننا لا نجد شاعرا واحدا انفرد بدعوة معارضة ، أو تنصل من هذا النسب المجيد .

فقد صور الشاعر المصري **حافظ ابراهيم** ما بين مصر والشام من روابط بأنهما شقيقتان متساويتان في العلا والمجد ، وفي توطيد صرح العروبة — التي عبر عنها بالشرق على طريقة الشعراء حينئذ — وفي الحفاظ على اللغة العربية التي هي أم لهما ، والاعتزاز بتراث العرب الذين ينتسب اليهم المصريون والشاميون ، واستبعد أن يرتق ما بينهم من حب عارض من العوارض ، لأن ما بينهم من صلات الحب أقوى من أي عارض ، وحسبهم أنهم أشقاء ، أمهم اللغة العربية وأبوهم يعرب ، ولهذا يشتركون في الأسى الذي يصيب أحد البلدين اشتراكا قلبيا حقيقيا . وأراد حافظ أن يصور عمق هذه المشاركة في النفوس ، فقال ان القاطنين في أعالي لبنان ينتحبون اذا تألم اخوتهم المصريون ،وتخيل الجمادات نفسها تتبادل الآلام ، فجبال الشام تضطرب اشفاقا على مصر اذا نزلت محنة بمصر .

قال في حفل تكريم السوريين له سنة ١٩٠٨ م

لمصر أم لربوع الشام تنتسب
هنا العلا وهناك المجد والحسب ؟
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما
قلب الهلال عليها خافق يجب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما
ولا تحول عن مغناهما الأدب
أم اللغات غداة الفخر أمهما
وان سألت عن الآباء فالعرب
أيرغبان عن الحسنى وبينهما
في رائعات المعالي ذلك النسب ؟
ولا يمتان بالقربى وبينهما
تلك القرابة لم يقطع لها سبب
اذا ألمت بوادي النيل نازلة
باتت لها راسيات الشام تضطرب
وان دعا في ثرى الأهرام ذو ألم
أجابه في ذرا لبنان منتحب

***

وتفجع الشاعر المصري **أحمد محرم** على العرب القتلى في فلسطين ، معبرا عن حزن العرب جميعا على اخوتهم الذين تربطهم بهم صلات القربى من جهة الأب أو من جهة الأم ، وكان بارعا في تصوير عظم فجيعته بأنه فقد أعزاء عليه ، بعضهم بمثابة الابن البار ، وآخرون بمثابة أبناء العم :

كم صريع لك في أحشائه
مصرع القربى وأشلاء الرحم
فجعوني فيه بابن صالح
وأخ حر السجايا وابن عم

ونوه الشاعر المصرى **على الجارم** بالقرابة الدموية ووحدة التاريخ والوطن ، وهى وشائج من صنع الله تعالى مركوزة فى النفوس ، لن يستطيع الاستعمار أن يقطعها ، ولن يرتضى العرب التهاون فيها :

بنى العروبة ان الله يجمعنا
فلا يفرقنا فى الأرض انسان
لنا بها وطن حر نلوذ به
اذا تناءت مسافات وأوطان
أواصر الدم والتاريخ تجمعنا
وكلنا فى رحاب الشرق أوطان

وذكر قرابة الدم فى تحيته لبغداد ، وربطها بوشائج أخرى من الحضارة والثقافة المشتركة ، وأضفى مظاهر الود الأخوى المتبادل على الأنهار وعلى الآثار ، دلالة على قدمه وعراقته واتساع مظاهره وعمق تأثيره فى النفوس ، فقال :

بغداد يا بلد الرشيد
ومنارة المجد التليد
يا سطر مجد للعرو
بة خط فى لوح الوجود
اهلوك اهلونا وأبنا
ء العشيرة والجدود
شطت منازلنا وما أحـ
ـتاج الفؤاد الى بريد
الرقدان تمازجا
فى الحب بالنيل السعيد
وتعانق الظلان ظل
الطاق والهرم المشيد

ونوه بوحدة الجنس واعتز بحماية العرب لمجد آبائهم وبحرصهم على أنسابهم فى قوله :

اذا البيد لم تنبت نباتا فحسبها
فقد أنبتت فينا كريم الشمائل
السنا الكرام الغر من آل يعرب
لدى الروع أو عند التفاف المحافل ؟
حمينا بحمد الله أنساب قومنا
وصنا على الايام مجد الأوائل

وما خلقت الا لعزم نفوسنا
كأنا خلقنا من غبار الجحافل

وأرجع ما بين مصر والعراق من حب الى عدة بواعث منها وحدة النسب فى قوله :

لنا فى صميم المجد خير أبوة
زهينا بها أصلا وتاهت بنا ولدا

وأحزنته نكبة فلسطين حزنا أسال دمعه وهز قلبه ، ورأى العدوان عليها خطيرا كالعدوان على الأندلس ، ونادى بأن فلسطين بلد عربى عريق العروبة ، ورثه العرب عن آبائهم ، وتحسر على عهد صلاح الدين ، ثم أنذر اليهود بالثأر القريب ، لأن العرب لن يطيقوا صبرا على انتهاب تراثهم :

قلبى وفيض دموعى كلما خطرت
ذكرى فلسطين خفاق وهتان
لقد أعاد بها التاريخ أندلسا
أخرى وطاف بها للشر طوفان
ميراثنا فى فتى حطين أين مضى
وهل نهايتنا يتم وحرمان ؟
ردوا تراث أبينا ما لكم صلة
به ، ولا لكم فى أمرنا شان
مصيبة برم الصبر الجميل بها
وعز فيها على السلوان سلوان

***

وقد نوه الشاعر المصرى **محمد عبد الغنى حسن** فى رثائه لاسعاف النشاشيبى ــ الأديب الراوية الكبير ــ بجهاده فى احياء التراث العربى ، والدفاع عن آبائه العرب ، وحرصه على اللغة واعتزازه بالأدب ، ثم نوه باعتزازه بقوميته العربية فى قوله :

لغة الضاد روعت فيك لما
فقدت فيك واحد الأدباء
كانت العرب كلها لك قوما
تنتمى عندها أعز انتماء
لم تكاثر الا بهم أو تفاخر
لم تكاثر فى مجلس بثراء

ولما قدم الى مصر وفد من لبنان سنة ١٩٤٤ حياهم الشاعر نفسه ، وذكرهم بالنسب الموحد الذى يجمع بين العرب ، ودعا الى الوحـــدة دعوة صريحة فى قوله :

قل للعروبة قد ظفرت بعروة
موصـــولة وبموثق متاكد

جمعت على الحب القديم قلوبهـــا
وتالفته بحبها المتجـدد

قل للأماجد من سلالة يعرب
من لم يمجد نفســـه لا يمجد

أو مالكم بين الممالك أسـوة
للمؤتســـين وقدوة للمقتدى ؟

يا شعب لبنان الأشـــم تحية
تهدى لوافدك الكريم الموفـد

لما نزلت بمصر أكرم منزل
قد صـــافحتك قلوبنا قبل اليد

يا شرق قد دار الزمان ولم يعــد
للمرء فخر فى فخـــار المولد

فانهض كما نهض الرجال فلم يعد
للحى فخر فى جـلال المرقد

واجعل جهودك وحدة مرهـوبة
فالمجد فى مجهـــودك المتوحـد

وذكر فى قصيدة أخرى وحـــدة الدم فى روابط الأمة العربية ، فقال سنة ١٩٤٣ م :

هم أمة لغة القرآن تربطها
والمجد يجمعها والأصل والحسب

فهم غطارفة صــيد اذا افتخروا
وهم غساسنة بيض اذا انتسبوا

وهم اذا ما رضـــوا كانوا مناذرة
وهاشميون أحرار اذا غضـــبوا

هى العروبة قربى بيننـــا وكفى
أنا الى العرب الأحرار ننتســـب

وفى تحية الشاعرالمصرى **على الجندى** لدمشق شوق الى أهلها ، وفرحة بلقائهم ، وشعور بأنهم أبناء عمه الأقربون ، وعشيرته التى يباهى بهـــا ، ويحتفل بمجدها ومآثرها ، وقد أراد أن ينوه بما بين الشعبين من حب عميق أصيل متبادل ، فصـــوره فى عناق ريحان دمشق لزنبق القاهرة :

دمشق جنة عدن قد فتنت بهـــا
سمعا ، وشاقتنى الأسحار والأصل

حملت من روضـــة المقياس زنبقة
لها ، فعانقها ريحانهـــا الخضــل

لى من أمية فيها فتية طبعـــوا
على الندى،وعلى صدق الهوى جبلوا

أبناء عمى دنيا حين تنسبهم
وعترتى بهم أزهى واحتفــل

قد كان لى أمل أنى أشـــاهدهم
شـــكرا لربى أن قد حقق الأمل

ويقول فى قصيدة أخرى انه هزار يغرد فى سماء مصر ، ويحتسى من نيلها ، ويطوف فى ربوعهـــا ، ولكنه لا يلبث أن ينفى هذه الفكرة ، ويؤكد صادقا انه عربى ، عشيرته العرب من نسل يعرب ونزار :

وأنا الهزار ســـماء مصر مسرحى
والنيل وردى والكنـــانة دارى

لا ، بل أقول ـ وما كذبت ـ عشـ
ـــيرتى أبنـــاء يعـرب كلهم ونزار

ولما نكل جنود فرنسا بلبنان بعد الحرب العالمية الثانية ، تفجع على اخوته العرب هنـــاك وغضب لما أصابهم ، معبرا عن شعور المصريين نحو أشـــقائهم المجاهدين الصناديد ، لأنهم من أر واحد :

انا غضـــبنا للبنان وســـاكنه
والأرز شـــاطره أحـزانه النيل

كلا الشقيقين ـ صان الله حوزته ـ
آباؤه العـــرب الغر البهـــاليل

وردد الاخوة والقرابة فى مناجاته للجزائر بقوله :

فى حمى أوراس اخوان لنـا غر وضاء
كل فرد منهم رمح وســيف ولـــواء
موقع الجمر عـــلى أكبـــادهم زهر وماء
وهزيم المدفع الجبـــار تراجيع غنـــاء
يا بنى الأعمام والأخوال اصـغوا للنداء

انتم للوطن المسلوب سلوى وعزاء
انتم للمغرب المكدود روح وهناء
انتم للعرب العرباء حمد وثناء
لا تراعوا فجمال هو فى الجلى الرجاء
ليس ينساكم على البعد،وهل ينسى الاخاء؟

ونادى الشاعر المصرى **العوضى الوكيل** عرب فلسطين بانهم اخوتنا بنو أبينا ، وبأن العرب لن يتخلوا عن مناصرة اخوتهم ، ولن يرتضوا مذلة تنزل بهم ، وانذر العرب انهم ان تهاونوا فى نجدة اخوتهم بفلسطين ، اهاب بهم الدم العربى والاصل المشترك والحسب التليد :

بنى أبينا حملناها مقاسمة
وسوف تنشق عن فجر لياليناً
راموا بنا الهون والاذلال ويحهم
لا تقبل العرب اذلالا ولا هونا
لئن مضينا فلم نسمع لهاتفها
مضت دماء وأعراق تنادينا

وتلقى الشاعر المصرى **محمد التهامى** نبأ الثورة اليمنية بالابتهاج ، وآزر الثوار ثم ربط نسبه بنسبهم فى قوله :

ان رحت بين صفوفهم مستشهدا
فلأنهم منى وانى منهم
انى هناك لأننى من يعرب
أهلى هناك وقد نزلت عليهم
ان كان فرقنا العدو فاننا
رغم العدو لقاؤنا يتحتم

واقام الشاعر المصرى **على عبد العظيم** وحدة العرب على عدة أسس ، منها الرابطة الدموية فى قوله :

الله ألف بيننا بكتابه
والعرف وحد شملنا والضاد
ووشائج الدم والوراثة وطدت
اركانها الآباء والأجداد

وفى تحية الشاعر المصرى **عامر محمد بحيرى** لسورية سنة ١٩٤٩ م دعوة صريحة الى الوحدة قبل ان تظهر الدعوة فى مظهرها الشعبى والرسمى الذى تحقق ، وتعزيز لهذه الدعوة بأن المصريين والسوريين اخوة لأب واحد :

أسوريون قد ثاروا لمجد
ومصريون ؟ لا ، بل قلت عربا
فنحن كمنطق الأحداث اهل
وبين بلادنا نسب وقربى
نظرت فلم أجد الا اخاء
يوحد بيننا روحا وقلبا

وناجى الشاعر المصرى **عبده بدوى** أخاه السودانى فصدر المناجاة بانه أخوه فى الوطن العربى وفى التاريخ وفى النيل ينبوع الحياة للاقليمين معا ، وصور وحدة الاقليمين بأن المصرى اذ يحدب على مستقبله المرموق فيحتضنه كما يحتضن الاب الرحيم ابنه ، يلثم هذا الامل ممثلا فى أخيه السودانى ، لأنه فجر هذا الامل وبشيره :

أخى فى الشرق والتاريخ
والنهر الذى يجرى
أضم غدى والثمه
على أهدابك السمر
حملت بقلبى السودا
ن حين بسمت عن مصر
فمن يلقاك يلق الفجـ
ـر ملتفا على عمرى

هذه نغمات من شعراء مصر فى التغنى بوحدة الجنس ، فماذا كانت نغمات الشعراء فى بقية الوطن العربى ؟ ذلك موضوع الحديث القادم .

« د . **احمد الحوفى** »

في ذكرى مصطفى عبد الرازق

بقلم : محمود الشرقاوي

في اليوم الخامس عشر من فبراير لسنة ١٩٤٧ مات **مصطفى عبد الرازق** ، بعد يوم قضاه يعمل في مكتبه بمشيخة الأزهر .

ومصطفى عبد الرازق رجل وهبه الله أجل هباته من المال ، والعلم ، والجاه ، والجد ، ووهبه أجمل هباته من الخلق الطيب والحياء الجميل ، الذي يزيد صاحبه رفعة ومهابة ومحبة . وجعل حياته كلها مثلا كريما للعمل الخير الدءوب الذي يصدق ان يقال في صاحبه ان يسراه لا تعرف ما تقدمه يمناه .

كيف عرفته :

التحقت بعملي في جريدة « البلاغ » في يونيو من سنة ١٩٣٥ وبدأت - بحكم هذا العمل - توجد لي صلاة شخصية مع كبار الرجال من الساسة والمفكرين والأدباء ، بعد ان كانت صلاتي بهم صلة مناصرة أو معارضة في السياسة ، وصلة مطالعات ومراجعات في الادب والفكر . وكان من أوائل الرجال الذين عرفتهم يوم ذاك الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وكان اذ ذاك أستاذا في كلية الآداب بجامعة القاهرة .

بدأت زياراتي له في « بيت عبد الرازق » الذي كان يقع خلف سراي عابدين في مواجهة الباب الذي كان يعرف « بباب باريس » والذي لم يكن يجهله أديب ولا مفكر ولا عظيم من عظماء مصر . وكنت اقدم نفسي لموظفي البيت أو السكرتير الخاص بوصفي : « مندوب البلاغ » فكان يلقاني في كل مرة بلطفه العجيب وأدبه النادر وبشاشته وحيائه ، وكان في ذلك كله مضرب المثل .

وفي يوم من أيام نوفمبر من تلك السنة قصدت «بيت عبد الرازق» وقدمت لمن لقيني فيه بطاقة بيضاء كتبت فيها اسمي وعملي ، فلما قابلني بدأني باعلان دهشته وعجبه وهو يقول : اني لم اكن اعرفك ، مع اني قرأت لك كثيرا واعجبت بمقالاتك وبحوثك ، وكنت أتمنى أن اعرفك وسألت عنك كثيرا ، وقد تلاقينا منذ شهور كثيرا وحدثتني بالتليفون باسم « البلاغ » ولكني لم أكن أعرفك ، ثم سكت قليلا وتلطف فقال : كان يجب ان اعرف انك انت صاحب هذه المقالات لأن اسلوبك في الحديث ليس عاديا . ولم يترك لي خجلي ولا ادبه يوم ذاك فرصة لشكره ، بل استأنف حديثه يقول: اننا اصدقاء قبل ان اعرفك : صداقة صحفي ناجح لرجل يحب الصحافة ويقدرها ، ولكن من الآن نحن اصدقاء لذواتنا ، صداقة اديب لأديب وانسان لانسان يحب كلاهما الآخر ويستريح كلاهما لصاحبه ، ارجوك ان تزورني وتتصل بي بصرف النظر عن عملك في «البلاغ» .

ومن ذلك اليوم تمكنت صلتي بالشيخ مصطفى عبد الرازق ، وعرفت من خلقه وقصص حياته ما اسجل بعضه في هذه الصفحات تذكرة وتحية واعتبارا وقدوة ، وبقيت صلتي به قوية متصلة الى آخر يوم من عمره ، وسيبقى صدى هذا الخلق وهذه الشمائل والقصص في نفسي وضميري باقيا الى آخر يوم من عمري .

تواضع وكرم :

كانت ابرز صفات مصطفى عبد الرازق : رقة العاطفة ، والتواضع ، وحب الخير ، والاعتداد بالنفس .

تحدث بعض تلاميذه - وقد تولى مناصب جليلة في القضاء والجامعة - فقال : كان الشيخ مصطفى عبد الرازق يدرس لنا في الازهر مادة «الانشاء» ، فوجد يوما واحدا من طلبته زري الهندام ، ولاحظ أن بعض اخوانه يكاد يعيره بذلك ، وظن طلبة الشيخ انه غير ملتفت لما يجرى بين هذا الطالب وزميله ، ولكنه في أثناء الدرس تطرق الى موضوع القيمة الذاتية للفرد ، وانها لاتخضع

لقياس الثروة والجاه ، وان المال والثياب لايجعلان الرجل عظيما ، وانما قيمة الرجل في علمه وآدابه وفضائله ، قال ذلك كانه فى ضمن درسه .

وكان ليقظة الشيخ ولطف توجيهه لأبنائه وعدم اشارته اي اشارة للطالب الفقير ، اكبر الأثر في تقويم تلاميذه وادراكهم مايقصد ، واستقامة نفوسهم بعد ذلك ، وصدق مودة بعضهم لبعض .

وقص تلميذ الشيخ فقال : وشكا واحد من طلبة الشيخ مصطفى الى صديق له سوء حاله وقلة ماله ، وانه يخشى ان تقطعه الحاجة عن طلب العلم ، واستشاره ما يفعل . فقال له صاحبه ، بعد تفكير ، ليس لك الا استاذنا الشيخ مصطفى ، فقصد الطالب المحتاج ، بعد تردد ، بيت شيخه ، وكان لايزوره ، فلما اقبل على الشيخ ، وكان في مجلسه جمع كبير من العظماء واهل المكانة كان لايخلو بيته من امثالهم ، قام الشيخ لاستقباله مرحبا ، ومشى «الصالة» الكبرى كلها ليلقاه في اولها ، وامسك بيده وسار به فقدمه الى ضيوفه مادحا له ، ذاكرا نبوغه في الطلب وحسن استعداده وذكائه ، ثم ادرك الشيخ بعد قليل ـ من حياء تلميذه وتهيبه ـ انه يعالج فى نفسه شيئا ، فاستأذن ضيوفه ليختلى بتلميذه ، فلما اختليا وسمع منه قصته وشكواه قال له : امهلنى اسبوعا ثم عد الى بعده ، ولاتجزع .

وبعد أسبوع عاد الطالب الى شيخه فوجده قد وفق لتعيينه في وظيفة اعانته على مواصلة الطلب ، وابلغه ذلك مستحييا كانه يعتذر من تقصيره .

الفتى الازهرى البائس :

وفى شهر فبراير من سنة ١٩٢٧ قرا الشيخ مصطفى في «السياسة الاسبوعية» قصيدة عنوانها «الشيخ المنتحر» ـ وكان صاحبها طالبا بائسا من طلبة الأزهر ـ يقول فيها انه حمل الفقر فتيا وكان حمله ثقيلا حتى هوى تحت ثقله ، وانه سئم العيش وكره الحياة لما يلقى من الفقر والعدم ، وان دنياه اقفرت من كل خير ومن كل معنى حتى أصبح الموت له امنية ومطلبا .. وقد رأى النهر والانتحار فيه سبيلا للراحة «فمشى يسعى له مستبشرا» .

قرا الشيخ هذه القصيدة للأزهرى البائس فكتب مقالا فى السياسة الأسبوعية عن الانتحار ، ذكر فيها هذا الشاعر ومدح شعره واستشهد بشيء منه . وكان الشاعر المنتحر بين اليأس والفقر وضعف الشهرة بحيث لا يمر بخاطره ان يقرأ شعره من كان في منزلة مصطفى عبد الرازق ، فكيف به وهو يذكره ويكتب عنه ويمدحه ويستشهد به .. ! وذهب الأزهرى البائس الى «بيت عبد الرازق» فقابل الشيخ مصطفى شاكرا .

وكانت هذه المقابلة بدء حياة جديدة للفتى الأزهرى الشقى البائس ، فقد رعاه الشيخ وشجعه واكرمه وتولاه بالعطف والبر والمعونة ، كانما هو أحد الأبرار من أولاده . تلقف مصطفى عبد الرازق هذا الشاعر الفقير الذى اوشك ان يقتل نفسه فاستطاع كما يقول هو ان يصوغ منه « فتى يبتسم للحياة ويمضي متفائلا الى غايته » واصبح هذا الفتى الأزهري البائس بعد سنوات قليلة : « الشاعر محمد الأسمر » ، الذى ظل مصطفى عبد الرازق بعد ذلك طول حياته يرعاه ويبره ويكرمه وينزله اعز منزلة .

وقد رعى شاعرنا الأسمر هذا الفضل للشيخ مصطفى ، وقال فيه كثيرا من شعره ، وخصص فصلا من ديوانه سماه « الرازقيات » ، جمع فيه ما قاله من الشعر في ايادي الشيخ عليه ومنه هذا الشعر الجميل الصادق :

صدق الظن (مصطفى) فى زمان
لم يصدق فيه سواه الظنونا
بت دهرا ولى أمانى شتى
ثم يممته فصارت يقينا
رب يوم عضضت فيه بنانى
وتمنيت لو هززت الوتينا
ثم اعددت للمنية حبلا
مثل ما شاء (الانتحار) متينـ
ورأيت الحمام أقرب للعة ..
..ـل وان عده اناس جنونا
روعتنى صروف دهرى حتى
شمت فى «مصطفى» المكان الامينا
كنت اسعى للموت وجها لوجه
فاذا بى احل حصنا حصينا

وكان الشيخ مصطفى ، تواضعا منه وتفضلا ، يزور الأسمر فى مكان عمله ويستقبله فى « بيت عبد الرازق » أكرم استقبال ، وهو طالب صغير فقير ، ويثنى على شعره فى الحضور والغيبة ، ويرعاه فى كل وقت وفى كل مناسبة ، حتى انطق لسان الأسمر وقلبه بهذا الشعر الصادق :

وما زال ذكرى كل حين لفضلكم
مدامة نفسى لو تدار مدام
وحبكم فى الروح والقلب كامن
اذا لاح حب الناس وهو كلام
وانت الذى اشرقت كالبدر ساطعا
على وعيشى وحشة وظلام
فبددت من خوفى، واوضحت مذهبى
فابصرت دنيا الناس وهى سلام

وقد صدق الأسمر فى كل كلمة قالها من هذا الشعر .

الشيوخ المفصولون :

وفى عهد وزارة اسماعيل صدقى باشا غضب الملك فؤاد على طائفة من علماء الازهر ففصلت وزارته اكثر من سبعين عالما ، ووقع بعض هؤلاء المغضوب عليهم فى كرب شديد بسبب هذا الفصل وكان معاش بعضهم خمسة جنيهات ولهم اسر كبيرة واولاد . فكان «بيت عبد الرازق» مفتوحا لهم فى كل حين ، ومعونة الشيخ مصطفى لذوى الحاجة منهم لا تنقطع ولا تنقص ، على مدى سنوات اربع او خمس ، حتى اعيدوا لعملهم .

كان يفعل ذلك وهو يعلم ان الملك فؤاد يكرههم وهو الذى أمر بفصلهم ، كان يفعل ذلك بفطرته الطيبة الخيرة البارة العطوف التى لا تنسى صديقا وقت العسرة والشدة ، وكيدا واغاظة فى فؤاد الذى كان يكره بيت عبد الرازق كله كما كان اهل هذا البيت يكرهونه ايضا ولا يخفون ذلك .

وكان اشد هؤلاء العلماء المفصولين حاجة وفقرا شيخ كبير عرف بالعلم والشجاعة ، كثير الأولاد وكلهم بنات . فكان الشيخ مصطفى يستضيفه الأيام ، والاسابيع ، فى القاهرة و«أبو جرج» — بلدة الأسرة فى المنيا — وفى فترة هذه الاستضافة تحمل الى بيت هذا الشيخ مؤونة أولاده من الدقيق والرز والسمن والطير وخراف العيد ، فى أيامه ، فاذا عاد الى بيته وولده عرف خبر ذلك منهم ولم يكن سمع من الشيخ مصطفى عن ذلك خبرا ولا اشارة . ودام ذلك سنوات الفصل كلها ، ولعله دام بعدها أيضا .

الملك فؤاد وبيت عبد الرازق :

كان بيت عبد الرازق واحدا من «بيوت العز» الكبيرة فى القاهرة :

واسع فسيح ولكنه غير مرتفع ، يصعد الداخل سلما قصيرا ثم يجد الى يساره «صالة» كبيرة يجلس فيها اهل البيت من الرجال مع ضيوفهم ؛ وخلف الصالة حجرة يستقبل فيها الشيخ خاصة اصدقائه ، وبعدها حجرة المكتبة ، ولعلها حجرات وكان لهذه المكتبة «امين» خاص يشرف عليها ، ونظام «للاستعارة الخارجية» بعض أصدقاء الشيخ وتلاميذه يأخذون منها ما يحتاجون اليه من الكتب الى خارج الدار « يملأون » الاستعارة ثم يوقعون عليها ويحفظها الامين ، وكم من كتب خرجت منها فلم تعد ، وتبقى الاستعارة لدى الأمين حتى يامره الشيخ بتمزيقها وشراء الكتاب مرة اخرى .

وكان بيت عبد الرازق هذا يقع — كما قلنا — الى شرقى قصر عابدين ، بينهما شارع غير فسيح ، وكان «بيت عبد الرازق» من عمد حزب الاحرار الدستوريين منذ نشأ الحزب ولم يتحول عن مناصرته يوما .

وطغى يوما حقد فؤاد على هذه الأسرة ولم يعد يطيق جوار بيتهم الى بيته ، فطلب الى رئيس حكومته أن يهدم بيتهم ويتحيل فى ذلك حيلة ، وكانت حيلة الحكومة أن أعلن أن حكومته قررت انشاء متنزه عام فى ذلك الحى الوطنى الذى يزدحم بالسكان خلف قصر عابدين ، وانها — لهذه الغاية الشريفة — قررت شراء البيوت التى تقع خلف القصر وهدمها واقامة هذا المتنزه مكانها ، تفريجا عن سكان الحى وتنفيسا عن أطفاله ونسائه . ولم يكن الغرض من ذلك كله خافيا على مصطفى عبد الرازق واسرته فرفض أن يبيع البيت بأى ثمن . وعرضت الحكومة عليهم يوم ذاك اضعاف ثمنه فرفض ، حتى أيقنت الحكومة وأيقن الملك فؤاد انهم لن يبيعوه مهما بذل لهم فيه . وبقى البيت حتى مات فؤاد فباعوه ، وانتقل الشيخ مصطفى الى منشية البكرى .

الوزارة ذل :

ثم جاء فاروق وكانت سياسته فى أول عهده ان يترضى ويتالف ، فاختار الشيخ مصطفى وزيرا للاوقاف .

وقد لقى الشيخ فى هذه الوزارة بلاء كثيرا لم يكن ينتظره ولا يتوقعه ، فقد كان جو الوزارات وملابسات السياسة والحكم وتقاليد القصور لا تواثم خلقه ولاحياءه ولا طبيعته ولا كبرياءه .

ثم اختاره فاروق بعد ذلك شيخا للازهر ، ليغيظ به النحاس وحزبه ، فكانت تلك محنته الكبرى التى قضت على هدوء نفسه ثم على حياته .

« محمود الشرقاوى »

من مغالطات المثقفات

بقلم : عبد الجليل شلبي

قضية الرجل والمراة فى حياتنا الشرقية عامة وحياتنا المصرية خاصة قضية بعيدة المدى فى التاريخ عميقة الاثر فى النفوس شديدة التقارب فى رأس الرجل والمرأة على السواء .

كانت هذه القضية فى فجر الدعوة الاسلامية أثرا من رواسب العهد الجاهلى وما اصاب المرأة خلاله من ظلم وما عانته عند كثير من القبائل من مهانة واحتقار . وكانت فى حياتنا المصرية نتيجة لسنى الركود الطويلة وعهود الجهل القائمة وما الفته المرأة خلالها من تبعة وسلبية واهمال .

وتلمح أثارا لهذه المنافسة فى حياة الرسول (ص) اذ يقول له نساء الانصار غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما تعظنا فيه ... » كما نجد الموازنة والرضا بالتبعية فى قول هند بنت عتبة له وهو يبايع النساء على الا يشركن بالله شيئا : « ما كنت لترضى منا ما لم ترضه من الرجال » . وهند زعيمة بنت زعيم وزوج زعيم ولكنها قطعت أطماعها فى الوثنية اذ رأت الرجال قطعوا أطماعهم فيها .

وقد أعاد الاسلام للمرأة حقها فى الحياة وكانت توءد خشية الفقر - وقرر نصيبها فى الميراث وكانت تهمل اهمال الموتى - وقرر مكانتها فى الانسانية وكانت تسام سوم العجماوات - واكد اصالتها فى المجتمع وكانت تعامل معاملة الرقيق .

ولما ران على حياتنا ما ران من ليل الجهل المظلم ومنيت بما منيت به من بغى المستعمر المستبد جحد حق المراة فى التعليم وتضاءلت مكانتها فى المجتمع وجهلت لذلك وظيفة البيت وحسن القيام على تربية الولد وحرمنا من نعمة البيت المنظم والحياة الزوجية الرتيبة والتنشئة الصالحة القويمة . واتهم الاسلام بهذا كله وهو مما اتهم به برىء !! .

وبفضل المدارس والجامعات استعادت المرأة الشرقية مكانتها فى المجتمع معتمدة على العقلية الناضجة والثقافة الواسعة والفهم العميق ، فهل اقامها هذا على الحجة الواضحة وفهمت ، ما عليها وما لها .

أكبر الظن أن رواسب الماضى مازالت تعمل فى نفسها من وراء حجاب وتدفعها الى الانتقام والمنافسة بغير وعى ولا شعور - وأخشى أن تكون ما ظفرت به فى عهد الثورة من كرسى الوزارة ومقعد البرلمان ورآسة المكتب ووكالة النيابة ... الخ أغراها بالمزيد مما يناسب وما لا يناسب ودفعها الى المزاحمة بحق وبغير حق ..

ولا أوجه هذا الحديث لقليلات الحظ من الثقافة وانما أوجهه لكبار المثقفات اللائى يقفن موقف الزعامة ويقمن مقام القائدات فى المطالبة بحقوق النساء .

كتبت السيدة « نائلة العلايلى » بمجلة المصور بتاريخ ٢٢/١/١٩٦٥ مقالا تطلب فيه أن ترث الانثى اذا انفردت كل ما يترك والدها ولا يشاركها الأقارب العصبة فى شىء ، منه أسوة بما يحدث للولد الذكر اذا لم يلد أبوه غيره فانه حينئذ يرث التركة ويحجب من يقبل الحجب من الأقارب .

هذا رأيها وقد فصلت بعض التفصيل لان السيدة فيما يبدو غير ملمة بأحكام المواريث ، والسيدة لاتمنع أن يرث الذكر مثل حظ الانثيين فى حال وجودهما عملا بنص القرآن لانها ترى أن هذا نوع من الاجتهاد ويعتمد على النصوص ولا يخالفها وهى تسند هذا الرأى الاجتهادى بعدة أمور .

منها أنه لا نص فى القرآن يعارض هذا الرأى ، ومنها ان البنت أكثر حاجة الى ميراث الاب من الابن ومنها أن باب الاجتهاد مفتوح فى الميراث لآراء المجتهدين كأى باب آخر من أبواب الفقه الأخرى فهو « يتقبل المزيد من الشرح والقياس من غير مساس بالاصل أو نسخ له وقد واجهه الشراح ومازالوا

يجتهدون في تفسير أحكام المواريث ، كأحكام الدين الواجبة والاذن للمورث في ثلث ما له بعد وفاته دون تعليق على أجازة الورثة » وقد « ذخرت الفتاوى بالاجتهاد والمؤلفات والدراسات الفقهية طوال أربعة قرون الى أن قفل باب الاجتهاد » (كذا) .

ومنها أن « المذهب الشيعي وصل في فقهه الى القول بأن البنت اذا انفردت أو انفردت البنات استأثرت بتركة المتوفى دون غيرهم » (كذا) .

ولا يقف الأمر عند هذا بل « أوصت بذلك لجنة مركز المرأة في المؤتمر الاخير للاسرة الذى عقدته وزارة الشئون الاجتماعية على نحو ما هو ثابت في محاضره » .

وهذه خلاصة أدلتها .

ونرى أن الأمر كان أهون من أن تقوم له ضجة أو يعرض على الوزارة وتشغل به لجنة ـ وأمام اللجنة ولا ريب شئون أهم وميادين افسح لترقية الانثى ورفع مركزها ومستواها . بل لعله كان أهون من أن ينشر في صحيفة .

أن السيدة الكاتبة لا ترى مخالفة النصوص ولا تطالب بنسخها ولا مسها بأى تغيير . والآية صريحة في تحديد نصيب البنات واحدة أو أكثر ونصها « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف... الخ » (سورة النساء آية ١١) .

واذن فقد كان يكفى أن تقرأ السيدة هذه الآية وبقية آيات المواريث وكفى ، والآيات الأخريات فيها أنصبة الاناث الوارثات وبيان ما فرض لكل منهن . وهناك أيضا الحديث الشريف : « الحقوا الفرائض بأصحابها فما بقى فلاولى عصبة ذكر» واذن فالسيدة لا تخالف الآية فقط وانما تخالف الآية والحديث .

ونود أن نسأل السيدة الباحثة ـ لماذا ترى أن البنت أكثر حاجة الى ميراث أبيها من الابن ؟ انها في الوقت الحاضر تتعلم كما يتعلم وتلى من الوظائف مايلى

ومع هذا فهو المسئول قانونا وعرفا عن نفقتها . ومع أن الشرع حمل الزوج هذه النفقة مهما كان فقيرا أعفى الزوجة من الانفاق عليه مهما كانت غنية . والسيدة نائلة تعرف هذا ولا ريب . فما وجه حاجة البنت دون الولد لهذا الميراث ؟

أما رد المال الباقى بعد نصيب البنت أو البنات على العصبة فقد تحدث الناس فيه كثيرا وبينوا حكمته وهى الابقاء على روابط الأسرة اذ تقتضى صلات الدم بين الأقارب الأدنين أن يتعاونوا على دفع المضرة وهم لهذا شركاء في بعض المنافع والأنثى مفروض أنها في نفقة زوجها ، وأيضا في رعاية أقاربها فليكن لهم ـ بحكم صلتهم ما يزيد عن فرض الاناث ـ وهؤلاء العصبة الذكور هم الذين يتحملون دون الاناث غرم مايرتكب من جنايات توجب العقل ـ ويكون وهو الجاني كواحد منهم فقط ـ وتعفى النساء من هذا الغرم .

فاذا انفردت البنت التى لا تحمل شيئا مع عاقلة المتوفى فلا بأس أن يرد ما زاد من فرضها على هؤلاء الذين يغرمون .

أما أن باب الاجتهاد في المواريث كبقية أبواب الفقه ظل مفتوحا للاجتهاد طوال أربعة قرون فهذا ما لم يصح لأن الميراث كله قام على النصوص . وليس للفقهاء أكثر من فهمها وحسن تطبيقها ـ فعمل عمر ابن الخطاب في المسألة « الحجرية » أو « المشتركة » ليس الا تطبيقا للنص ـ وليست المسائل التى ذكرتها السيدة من الميراث وانما هى من الوصية والوصية شىء غير الميراث . وأيضا من الحق أن الشراح لا يزالون يكتبون في توضيح مسائل الميراث ولكن الشروح أعمال مدرسية فلاصلة لها بالاجتهاد .

وأحسب أن هذا كله مفهوم او كان يجب أن يكون مفهوما لدى المثقفات .

أليست هذه مغالطات ؟

أما ما استندت اليه السيدة الكاتبة من أن هذا الحكم في الفقه الشيعى وأنه في مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية فهذا ما لا أعلمه ولم أر مطبوعا

لوزارتنا غير كتاب « المختصر النافع » وليس فيه بحث فى المواريث ، واذا صح ما ذكرته السيدة فلا يصح لها هى أن تتجه اليه لانها لا ترى مخالفة القرآن ٠

ونحن حقا بصدد التقريب بين المذاهب ولكن فى هذا نختار الرأى الأوضح دليلا والأقوى حجة ٠

هذه مغالطات لاحدى مثقفاتنا ٠

والمثقفة الثانية هى الدكتورة « بنت الشاطىء »

فى ندوة من ندوات الدكتورة عائشة ذهب بها التعصب للجنس الى انكار الحديث الشريف « استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان اعوج شىء فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء خيرا » والحديث معروف ووارد فى الكتب الصحيحة٠ وليت السيدة ضعفت سنده أو تحدثت عن رواته ولكنها نفته نفيا باتا ٠

وأظن أن هذه أكبر من مغالطة !

وأمام رغبتها فى التسوية بين الرجل والمرأة فى كل شىء راحت تضطرب فى تفسير الآية الكريمة : واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ٠٠ »

وقصارى ما هداها اليه الجهد أن الله تعالى قال لنبيه (ص) : ووجدك ضالا فهدى » ٠ واذن فالمرأة ما وصفت الابما وصف به الرسول (ص) فهو ضلال فيما رأت لا ينزل بها الى نصف الرجل فى الشهادة ولا يجعلها أقل منه فى الشهادة على الدين !

هكذا ترى صاحبة التفسير البيانى ٠

فهل من الحق أن الضلال بمعنى واحد فى الآيتين ؟

او هكذا يكون جزاء القرآن الذى قرر حقوق المرأة بالقانون وجزاء النبى الذى أنصف النساء بالفعل ؟٠

ان الضلال فى آية الشهادة بمعنى النسيان او بمعنى الخطأ ــ بدليل الحاجة الى التذكر « فتذكر احداهما الأخرى » أما أن الله تعالى وجد نبيه ضالا فهداه ــ فهو يعنى أنه كان قبل البعثة بعيدا عن الشرع السماوى فهداه الله اليه وجعله نبيا ــ كما قال له « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان » وأكثر من مفسر قالوا انه كان فى صغره (ص) ضل فى بعض الشعاب ولم يعرف الطريق ٠

ولم هذا كله ؟٠ ألسنا نعرف أن الطبيعة هيأت كلا من الجنسين لوظيفته ؟ خلقت الانثى لتكون اما واودعتها غداء مولودها رضيعا وزودتها بالرقة والعطف والمزيد من الحنان ومن شان هذه الصفات أن يكون صاحبها رخو الاعصاب فاتر القوة قليل المقاومة ــ ولو كانت انثى قويه الاعصاب شديدة الاسر ضئيله العاطفة والحنان ما صلحت أن تكون اما ولا انثى ــ وانما هى من شواذ النساء ٠ وليس من فخر المرأة ان تكون رجلا أو ان تتوفر لها صفات الرجوله فلا داعى اذن لمزاحمة الرجل فى وظائفه التى هيىء لها بالطبع وهى تتطلب منه القوة التى ليست للنساء ٠

حسب المرأة أنها تضع ولدها صغيرا ــ ونجاحها هو أن تهيئه لما خلق له تهيىء الذكر لاعمال الذكورة وتكمله بصفات الرجولة وتهيىء الانثى أيضا لوظيفتها فتوفر لها صفات الانوثة ــ وليس من نجاحها أن تجعلها ذكرا تتحلى أو تمسخ بصفات الرجال ٠

ان الاسلام ــ كما نعرف ــ دين الفطرة ٠ وهو قسم الوظائف والاعمال وأيضا المواريث والأموال بما يناسب فطرة كل نوع ويجارى طبيعته ــ فلا داعى اذن لانكار حديث ثابت أو تاويل آية قرآنية تأويلا شاذا متعسفا ، فهذا كله لا يغير من الواقع شيئا والطبيعة لا تعترف بالمغالطات حتى ولو كانت مغالطات المثقفات ٠

« **عبد الجليل شلبى** »

بغداد

للشاعر: محمود غنيم

القصيدة التي انشأها الشاعر لتلقى في مهرجان الشعر بمدينة بغداد بناء على دعوة وجهت اليه من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

بغداد قرة عين الشرق بغداد لحن تغنى به الاسلام والضاد
الدهر يعرفها للكون عاصمة تقوده كيفما شاءت فينقاد
ان تبتسم تشرق الدنيا وان غضبت ففى السموات ابراق وارعاد
تزهى الحواضر ما شاءت بحاضرها وكلها لك يا بغداد اولاد

***

الغرب ان ينكر ما ادى بنوك له والكتب تنطق والأقلام شهاد
بنى عمومة طه ما اقول لكم ؟ وانتمو لبنى العباس احفاد ؟
تدرى العروبة يوم الروع انكمو لولا سواعد في الجلى واعضاد
ترتم على البغى والباغى ولا عجب فالشعب للحاكم الجلاد جلاد

***

ما في العراق افتراق بعد ثورته اكراده عرب والعرب اكراد
ما قاسم بغداد في الأفواه اغنية ولا كامجادكم يا قوم امجاد
قل للالى طاف حول النجم طائفهم وارتاد منهم طباق الجو مرتاد
ان تفعلوا فبنو العباس من قدم تناولوا بالاكف النجم او كادوا

***

ايام ملك بنى العباس مزدهر له من الشمس والأفلاك حساد
عروشهم فوق ظهر الأرض راسخة كانها فوق ظهر الأرض اوتاد
لم ادر كانوا ملوكا ام فلاسفة عليهمو من نسيج العلم ابراد ؟
العالم حليتهم ما منهمو ملك الا فقيه ونحوى ونقاد

***

فاض الفرات حضارات فكان له بها مع الماء ارغاء وازباد
وسال دجلة قبل الماء معرفة منها ارتوت مهج ظمأى واكباد
ما كان للشعر في بدو وحاضرة لولا رواتك يا بغداد انشاد
الشعر انت التي علمت وازنه ان الموازين اسباب واوتاد

دونت ما نظم الأسلاف من درر لولاك بادت غواليها كما بادوا
كم من معارف قد احييت دائرها وكم لعلم جديد فيك ميلاد
لولاك ما كان للفصحى مذاهبها وللحديث روايات واسناد
بغداد حسبك من دنياك اربعة هم في الشريعة للأجيال رواد
مدينة للنواسيين ركنهمو فيها وللعلم والآداب قصاد
العيش فيها كموج البحر مصطخب فيه تلاقت من الألوان اضداد

***

للهو فيها حوانيت واندية وللصلاة محاريب وعباد
والثقافة تأليف وترجمة وللغناء مزامير واعواد
يارب كنز حوته دار حكمتها تحصى النجوم ولا يحصيه تعداد
كنز من الفكر فيه كل مبتكر املاه ذهن كومض البرق وقاد
يارب شعر عراقى هتفت به كأنه لى في الأسحار اوراد
مازلت أتلوه حتى لم يعد ابدا بينى وبين الألى قالوه ابعاد

***

الوهم مثّلهم لى في الكتاب فهم فوق الصحائف ارواح واجساد
هذا ابن هانى على يمناى ينشدنى وعن يسارى بشار وحماد
وأين منك عهود رحت تنشرها مرت بها عقب الآماد آماد ؟
دعنى اسرح في آثارها نظرى آثارها عظة كبرى وارشاد
دعنى اعيش مع الماضين في حلم ان الهموم على اليقظان تزداد
عل الرشيد اذا انشدت يسمعنى ان الرشيد كريم الكف جواد

***

وما الرشيد سوى لحن يردده فم الزمان والالحان ترداد
حصاد هام العدا في كل معركة وللسنابل يوم السلم حصاد
ينهى ويامر في الدنيا وفي يده بعد المقادير اشقاء واسعاد
ترجى اليه هدايا الروم لا كرما ان الضعيف لمن يخشاه وداد
اهاب بالسحب انى شئت فانسكبي فكل نبتك لى يا سحب ايراد
رب القصور قصور العز باذخة كأنها في نطاح السحب اطواد

***

رب الجوارى اللواتى ما لهن سوى عواهل الفرس والرومان اجداد
من كل جارية للشعر راوية كأنها غصن في الروض مياد
لنا اوائل سنوا كل مكرمة شم الأنوف اباة الضيم انجاد
شادوا المعاقل والاطام شامخة لله والمجد والعمران ما شادوا
ان يسألوا مالهم في السلم ما بخلوا او يسألوا في الوغى ارواحهم جادوا
لهم سيوف على الأغماد ثائرة لكن لها قلل الأبطال اغماد

هم في رءوس اعاديهم ذوو طمع ... وفي الغنائم بعد النصر زهاد
ينقض كالصقر فوق المدن جيشهمو ... كأنما هي صيد وهو صياد
في السلم ان عاهدوا والحرب ان ظفروا ... عن شرعة العدل والاسلام ما حادوا
لا تلمس الأرض منهم بيض أوجههم ... الا وهم لجناب الله سجاد
ابناء يعرب لنا من سلالتهم ... ان نحن لم نسد الدنيا كما سادوا
تكتلت امم الدنيا باجمعها ... وانت يا امة التوحيد آحاد

***

اني لأوشك ان اعتد وحدتنا ... دينا وان افتراق الشمل إلحاد
بالأمس كنا وكان الشرق اجمعه ... ان قام تقعده اغلال واصفاد
في كل واد للاستعمار قاعدة ... لها اساسان تخريب وافساد
واليوم لا عيش للمحتل في بلد ... حر ولن تلبس الأطواق اجياد
قد بات مارد الاستعمار محتضرا ... يبكيه من عصبة السكسون عواد
ما عذرنا ان بقينا امة شيعا ... لكل جيش بها جند وقواد !

***

كاد الأعادي لنا يوم اللقاء ولو ... انا وقفنا لهم صفا لما كادوا
لا يحرز النصر جيش غير متسق ... تباينت فيه اجناد وابناد
عجائب الدهر لا تحصى واعجبها ... ان يخلي الغاب للذؤبان آساد
البغي اوجد اسرائيل من عدم ... ولن يدوم لاسرائيل ايجاد
وانما القدر المحتوم لاحقهم ... يوما وللقدر المحتوم ميعاد
فليعلم الغرب ان الشرق لافظهم ... وان اتتهم من الشيطان امداد

***

اني اسيء الى الأوغاد قاطبة ... ان قلت عن عصبة الصهيون أوغاد
هم احرزوا النقص حتى ما لغيرهمو ... في النقص نون ولا قاف ولا صاد
ابناء يعرب ذودوا عن محارمكم ... ان الكريم عن الأعراض ذواد
اللاجئون جراح في جوانحنا ... تدمى فهل لجراح العرب ضماد
اللاجئون سقام في مفاصلنا ... ولا شفاء له الا اذا عادوا
القوا بصهيون في عرض الفلاة فهم ... من عهد فرعون الافاقون شراد

***

تعودوا النفي والتشريد من قدم ... وكل ما عود الانسان يعتاد
سل « سر من را » اباق في مرابضها ... من جيشها الباسل المغوار افراد ؟
هل ثم معتصم ثان نهيب به ... نادوه يا اهل يافا جهرة نادوا
قولوا لمنقذ عمورية اغتصبت ... منا الديار فلا ماء ولا زاد
يا يوم رد فلسطين الشهيدة ما ... للعرب غيرك في الأيام اعياد
لا يحسب القوم ان العرب قد عقموا ... شعب العروبة للأبطال ولاد
ما زال فينا لعمرو وابن حارثة ... وخالد وصلاح الدين انداد

كوميديا في ثلاثة فصول

بقلم: على احمد باكثير

الفصل الأول

- ٢ -

ملخص مانشر

تحرم ابو الديوك مدير مسرح النهضة وعبدالواسع بلعوم مدير احدى الجمعيات الاستهلاكية اتفقا على ان يطردا جارهما الاسطى ابا حنفى الكوجى من مسكنه ليستوليا على الحوش الملحق بالربع ويتخذاه حديقة خاصة لهما فقد اصبحا اليوم من الأثرياء فلايليق بهما ان يقيم بجوارهما هذا الكوجى الذى يتخذ الحوش منشرا لغسيله . وقد استعملا كل وسيلة للوصول الى هذا الهدف فابو الديوك اضطهد الممثل الشاب حنفى ابن ابى حنفى الذى يعمل فى مسرح النهضة ليحمل والده بذلك على اخلاء مسكنه فى الربع ، وسعدية زوجة بلعوم تهم بتلطيخ الثياب التى ينشرها ابو حنفى فى الحوش نكاية به لولا أن ابنتها زينات اعترضت دون ذلك ، ولكن ابا حنفى وقف ثابتا يدافع عن مورد رزقه الوحيد . وتعطف عليه السيدة محسنة زوجة ابى الديوك التى تعارض زوجها سواء فى موقفه من ابى حنفى او فى بقائه مندمجا فى شلة ذات اتجاه خاص اصبح فى رأى محسنة بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو مضرا بمصلحة البلد .

وقد تهيأ ابو الديوك لاقامة حفلة فى بيته يدعو اليها اعضاء شلته فهو يامر ابا حنفى برفع الهدوم المنشورة فى الحوش حتى لا يراها الضيوف ويضطر ابو حنفى الى النزول على ارادته تحت الحاح ابنه حنفى عليه .

محسنة : جاءوا ؟

عصام : نعم .

ابو الديوك : هيا يا محسنة أعدى البوفيه .. اسرعى .. قل لهم يتفضلوا يا عصام .

عصام : هنا فى البرندة ؟

ابو الديوك : نعم .

(يخرج عصام وتخرج محسنة)

ابو الديوك : تفضلوا يا جماعة . دكتور نجم أهلا وسهلا .. مدام نجم أتشانتيه مدام

(يدخل نجم ومعه ليليان زوجته والشاعر نهاوند)

نجم : شكرا يا أستاذ أبو الديوك . اسمح لى أن اقدم اليك شاعر العراق الاستاذ بحر العلوم نهاوند !

ابو الديوك : مرحبا بالأستاذ نهاوند . تشرفنا يا أستاذ تفضلوا تفضلوا .

نجم : طبعا تسمع عن الاستاذ نهاوند ؟

ابو الديوك : طبعا وهل يخفى القمر ؟

نجم : لا تخف ولا تتحفظ فالشاعر نهاوند منا ، وفى وسعك أن تعتبره ديكا من الديوك .

ابو الديوك : البيت بيته على كل حال .

نجم : أترانا جئنا قبل حلول الموعد ؟

ابو الديوك : بل جئتم فى الموعد وانما نحن الذين سرقنا الوقت . معذرة .. هل لكم أن تجلسوا هنا قليلا ريثما يتم اعداد البوفيه ؟

نجم : بل هنا فى البرندة أحسن . الدنيا حر !

ليليـــــان : هل تأذن لي يا أستاذ أن أدخل وأساعد المدام في اعداد البوفيه ؟

ابو الديوك : لكنا لا نريد أن نتعبك

ليليـــــان : لا تعب بتاتا .

ابو الديوك : تفضل اذن يا مدام .. بكل سرور .

(تخرج ليليان)

ابو الديوك : (ينظر ناحية الباب) تفضل يا أستاذ عبد الواسع تفضل ياسعدية هانم !

(يدخل عبد الواسع بلعوم وسعدية امرأته)

نجـــــم : أهلا . كيف حالك يا أستاذ بلعوم ـ أوه سوري ليدز فيرست .. كيف حالك أنت يا مدام بلعوم.

ســـعدية : أوه .. مرسي .. كيف حالك أنت يا أستاذ نجم الدين ؟

نجـــــم : نجم فقط يامدام من غير الدين !

ســـعدية : آسفة يادكتور . دائما أغلط في اسمك . كيف حالك يا دكتور نجم الدين . بردون يا دكتور نجم .

نجـــــم : خذي هذه البطاقة يامدام لئلا تغلطي في اسمي مرة أخرى (يناولها بطاقة)

ســـعدية : الله !! هاتتذا اثبت الدين ! دكتور معـــروف نجم الدين .

نجـــــم : لكن تأمل جيدا يامدام تجدي الدين عليه كروس!

ســـعدية : صحيح .. لكن الم يكن أفضل لو أنك حذفته من الاصل ؟

نجـــــم : لا يامدام .. هكذا أحسن .

ســـعدية : كما تحب يادكتور نجم الدين ـ أوه ! يادكتور نجم من غير دين .

بلعــــوم : سعدية دعيني أحيي الدكتور !

ســـعدية : حيه يا أخي منذ منعك ؟ لكن حذار أن تغلط ؟

بلعــــوم : كيف حالك يا دكتور نجم ..

ســـعدية : (تضع يدها على فمه) حاسب !

بلعــــوم : (غاضبا) ماهذا ؟

ســـعدية : لئلا تغلط في اسمه !

ابو الديوك : (ينظر ناحية الباب) أهلا بالأستاذ محبـــوب نادر ! أهلا بعريس الحفلة !

(يدخل محبوب نادر فيحيي الحاضرين)

نـــادر : كيف حالكم يا أصدقاء ؟

نهاوند : الأستاذ نادر المحتفل بتكريمه ؟

ابو الديوك : نعم نعم . هذا شاعر العراق الأستاذ نهاوند يا أستاذ نادر جاء من لبنان ليشترك في تهنئتك وتكريمك .

نجـــــم : كن دقيقا في كلامك ارجوك . التكريم للاستاذ نادر لكن التهنئة لنا جميعا

ابو الديوك : حلوه يادكتور نجم !

نـــادر : شكرا شكرا لكم جميعا .. معذرة . الشـــاعر نهاوند من العراق أو من لبنان ؟

نهاوند : من العراق ياسيدي لكن مقيم في لبنان .

بلعـــوم : لا بد أنه كان من أنصار ع.ق .

نجـــــم : مضبوط .

ســـعدية : و ع.ق. هذه ما معناها ؟

بلعـــوم : (متأففا) عبد الكريم قاسم ياستي .. الزعيم الأوحد .

ســـعدية : هلا قلت هكذا من الاول .. أمن الضروري أن تقول ع.ق ؟

بلعـــوم : أوه .. لن تنتهي !

ســـعدية : وهذا العين قاف اليس قد مات يأستاذ نهاوند ؟

نهاوند : (في استياء) لا يا مدام مامات .

ســـعدية : مامات ؟ اليس هو الذي سحلوه ؟

نهاوند : بل .. سحلوه لكن مامات .

ســـعدية : مثل القطط بسبعة أرواح ؟

نجـــــم : لا يامدام بلعوم . هو يقصد أن الزعيم الأوحد حي في قلوبنا حتى بعد موته .

ســـعدية : في قلوبنا نحن ؟

نجـــــم : نعم .

ســـعدية : ونحن مالنا وماله ؟

نجـــــم : ماذا تقولين ؟ هذا زعيم من زعمائنا العظام . اه لو كان يطلع في كل بلد عربي زعيم مثله لكنا حققنا أمانينا من زمن بعيد !

(يدخل زيد)

ابو الديوك : أهلا بالأستاذ زيد

نجـــــم : مرحبا بكاتبنا المسرحي الكبير !

زيد : العفو يا دكتور

بلعوم : اقدم اليك الشاعر نهاوند

زيد : اهلا وسهلا تشرفنا

(يدخل عمرو فيحيي الحضور)

ابو الديوك : اهلا بالاستاذ عمرو . الاستاذ عمرو ناقدنا المسرحي الكبير . الاستاذ نهاوند شاعر العراق

عمرو : اهلا وسهلا .. سبق لي ان تشرفت بمعرفته

ابو الديوك : مرحبا بالاستاذ ميرغني ! تفضل تفضل !

(يدخل ميرغني)

ميرغني : معذرة يا اصدقاء ان تأخرت قليلا

ابو الديوك : الاستاذ ميرغني مخرجنا المسرحي الكبير .. الاستاذ نهاوند شاعر العراق

الاثنان : تشرفنا تشرفنا

نجم : اظن ان عدد المدعوين اكتمل الآن ؟

ابو الديوك : لا . الاستاذ باهي صلصل لم يحضر بعد

نجم : اتريدون ان تنتظروه ؟

ابو الديوك : واجب يادكتور

نجم : واجب علينا ان ننتظره وليس واجبا عليه ان يحافظ على مواعيده ؟!

ابو الديوك : ها هوذا الاستاذ صلصل قد جاء ! تفضل يا استاذ صلصل

(يدخل صلصل فيحيي الحاضرين)

ابو الديوك : اقدم اليك الشاعر نهاوند شاعر العراق

صلصل : اهلا وسهلا .. سمعت عنك الكثير يا استاذ نهاوند .

نهاوند : تشرفنا يا استاذ

ابو الديوك : (كانه يسر لنهاوند) اسمع . الاستاذ صلصل هذا رأسنا ورئيسنا الحقيقي .

نهاوند : (كالمتعجب) والدكتور نجم ؟

ابو الديوك : هذا من الصفة الثانية !

(تدخل محسنة وليليان)

محسنة : اهلا بكم جميعا ياجماعة

سعدية : برذون يا محسنة هانم . هل تم اعداد البوفيه ؟

محسنة : نعم ياسعدية هانم تفضلي

سعدية : اهلا مدام نجم الدين .. آسفة مدام نجم .. مدام نجم .. اين كنت يامدام ؟

محسنة : كانت تساعدني في اعداد البوفيه

سعدية : هذه ضيفة يامحسنة هانم . لو كلمتني انا لسرني ان اساعدك . هيا بنا ياجماعة الى البوفيه لناكل

بلعوم : انتظري قليلا ياسعدية

نجم : يمكن فيما اظن ان نفتتح الحفلة بقصيدة يلقيها علينا الشاعر نهاوند

سعدية : الا تتركونه ياكل اولا لعله جوعان !

نجم : القصيدة ليست طويلة على كل حال . هات يا استاذ نهاوند

(ينهض نهاوند ويصفق له الحاضرون)

نهاوند : (ينغم الكلام على مثال حركة القطار)

نادرنا المحبوب في هذا الزمان
قطار اكسبريس
قد انبرى قد انبرى قد انبرى في الريس
حتى انتهى الى محطة الامان
قبقب قبقب قبقب قبل الاوان !
اذ جاء من عاصمة الالمان
من بعد ما تعلم الذرة
وسرها الهائل ذا القدر
في مدة وجيزة كادت تعد بالثوان
ففاز فاز فاز فاز بالرهان
اليوم قام للديوك في البلاد مهرجان !
وفي غد يكون في ايدي الديوك الصولجان !

(يصفق الحاضرون تصفيقا حادا)

الجماعة : يعلقون مبدين اعجابهم) هذا شعر معبر جدا ! يا سلام !

ـ كأننا كنا في القطر والقطر يذهب بنا الارض !
ـ يا سلام على الشعر الحلو !
ـ هكذا الشعر والا فلا !
ـ أليس هذا هو الشعر التفعيلي كما يقولون ؟

ابو الديوك : استاذنا الدكتور نجم هو الذي يستطيع ان يشرح لنا هذا الموضوع

نجم : هذا طبعا من الشعر التفعيلي والا لما هزكم هذا الهز ! الشعر العمودي قد مات من زمن !

زيد : لكنا يادكتور نسمع كثيرا من هذا الشعر التفعيلي دون ان نجد فيه هذا التعبير الناطق الذي نجده في هذه القصيدة التي سمعناها الآن

نجم : اتدرون لماذا ؟ لان هذه القصيدة ليست شعرا تفعيليا فقط . بل فيها يتأثر الاتجاه الى شعر النبر !

الجماعة : شعر النبر ؟!

سعدية : وهذا النبر ماذا يكون ؟

بلعوم : يا شيخة ! أوقد عرفت العمودى والتفعيل حتى تريدى أن تعرفى النبر ؟

سعدية : وانت اتعرف هذه الانواع ؟

بلعوم : أنا لا أعرف غير العمودى الذى قالوا انه مات من زمن !

سعدية : اذن فاتركنا نسأل الدكتور نجم مادام هنا .. لن نخسر شيئا

بلعوم : يا عزيزتى لا تسأل عما لا يعنيك . دعى الآخرين هم الذين يسألون

نجم : أعتقد انه لا يوجد الآن بيننا شاعر غير الاستاذ نهاوند فلا داعى اذن لأن اشرح لكم هذه الالفاظ الاصطلاحية . يكفى ان تعرفوا ان تحطيم الشعر العمودى بالشعر التفعيل ليس كافيا اذ لو وقفنا عند هذا الحد لخدمنا الشعر العربى خدمة كبيرة. كلا انما هذه خطوة نحو الهدف الاكبر الذى نسعى اليه . اتعرفون ماذا تكون الخطوة الثانية؟

الجماعة : هيه؟

نجم : تحطيم الشعر التفعيل بشعر النبر

الجماعة : وما هو شعر النبر هذا ؟

سعدية : (لزوجها) ارأيت ؟ نفس السؤال الذى سألته انا من قبل !

نجم : شعر النبر ياجماعة هو شعر غير موزون الا بالفم .. موزون فى النطق فقط لا فى الكتابة كما هو الشأن فى الشعر الانجليزى

صلصل : (فى خبث وهو يبتسم) كأنك تعنى ان هدفنا هو ان نرقى الشعر العربى الى مستوى الشعر الانجليزى ؟!

نجم : كلا كلا لو وقع هذا لكانت كارثة

صلصل : كارثة ؟ أى كارثة ؟

نجم : حين نرقى الشعر العربى الى مستوى الشعر الانجليزى

الجماعة : كيف ذلك يادكتور ؟

نجم : يا اصدقائى .. ارجو ان تفهموا جيدا ان النبر ايضا ليس كافيا وانما هو خطوة ثانية نحو الهدف

الجماعة : وما هو الهدف يادكتور ؟

نجم : بذمتكم الا تعرفون الهدف الذى نسعى اليه ؟

الجماعة : بل نعرف قليلا ولكنا نريد منك المزيد من الايضاح

نجم : ما هى لغتنا الاصلية ؟

الجماعة : اللغة العامية

نجم : كلا .. اللغة العامية ماهى الا صورة مشوهة من اللغة الفصحى

الجماعة : عجبا لقد كنت تدعو الى اللغة العامية يادكتور ؟!

نجم : نعم على انها خطوة أيضا نحو الهدف

الجماعة : وما هو الهدف ؟

نجم : اللغة التى كان أجدادنا القدماء يتكلمون بها . تعرفون ما هى ؟

الجماعة : الهيروغليفية

نجم : برافو

نهاوند : هذا فى مصر يادكتور . لكن عندنا فى العراق اللغة البابلية

نجم : مضبوط .. وفى سوريا ولبنان ؟

نهاوند : الفينيقية

نجم : وفى شمال افريقيا ؟

نهاوند : البربرية

نجم : آه .. يا سلام لو اتفقت شعوب هذه البلاد واتحدت كلمتها !

صلصل : (كأنه يريد اثارته) ماذا تقول يادكتور ؟ هل انقلبت تدعونا الى الايمان بالوحدة العربية ؟

نجم : معاذ الله معاذ الله بل نريد ان نقضى على هذه الوحدة ونستأصلها من جذورها

صلصل : اذن فما شأننا وشأن هذه الشعوب العربية ؟

نجم : يجب أن نتعاون معها على التحرر من الاغلال العبودية المشتركة

صلص : أولسنا قد تحررنا يادكتور ؟

نجم : تلك الحرية الصغرى وما تزال امامنا الحرية الكبرى يوم نتخلص من رياح الصحراء

صلصل : تعنى السموم التى تشوينا فى الصيف ؟

نجم : بل السموم التى تشوينا فى الصيف وفى الشتاء وفى كل وقت ؟

سعدية : فى كل وقت ؟ كيف ؟

نجم : هذه رموز يامدام

سعدية : لا يادكتور لا نريد الرموز وضحها لنا من فضلك

نجم : سأشرحها لكم ونحن على البوفيه لأن الجوع فيما يظهر قد أثر فى أذهان بعضنا فصاروا لا يعون ولا يفهمون !.
البوفيه جاهز يا محسنة ؟

محسنة : جاهز من ساعتها

ابو الدبوك : تفضلو ياجماعة تفضلوا

نجم : هيا بنا ياجماعة .

(يخرج الجميع)

(يظهر عصام متسللا كأنه يخشى أن يلحظه احد حتى يقف فى الطرف الايمن من البرندة قريبا من برندة بيت عبد الواسع فيصفر صفيرا خاصا)

(تظهر زينات فى برندتها على صفير عصام)

عصام : مساء الخير يا زينات

زينات : مساء الخير ماذا تريد ياعصام اسرع لئلا يرانا أحد

عصام : لا تخافى كلهم الآن على البوفيه .. خبرينى يا زينات هل تحبينى حقا ؟

زينات : تبا لك يا عصام أهذا سؤال تسألنى اياه ؟

عصام : اجيبى يازينات أرجوك

زينات : (فى دلال) لا . لست أحبك !

عصام : لا اريد المزاح ولا الدلال أجيبى بصراحة

زينات : ان كنت تريد أن تقول لى شيئا فقله رأسا وبلا مقدمات

عصام : نعم انا قررت أن أنفذ المشروع

زينات : اى مشروع ؟

عصام : مشروع الدكتوراه فى الموضوع الذى حدثتك عنه

زينات : تريد أن تسافر الى الخارج ؟

عصام : نعم

زينات : ووالدك موافق ؟

عصام : لا .. ما رضى أن يوافق

زينات : فكيف اذن تسافر ؟

عصام : المهم ان اعرف هل تنتظريننى يازينات حتى أعود ؟

زينات : خبرنى أولا كيف تسافر ؟

عصام : على حساب والدتى .. مما بقى لها من ميراث أبيها !

زينات : اليس أبوك أولى بالانفاق عليك ؟

عصام : والدى معذور . يريد هذه الايام أن يبنى عمارة جديدة . انتظريننى يا زينات حتى أعود ؟

زينات : مدة طويلة ؟ كم سنة ؟

عصام : مابين أربع وخمس سنين

زينات : أنا من جهتى سأنتظرك يا عصام ولو مدة أطول لكن ماما

عصام : مالها ؟

زينات : لن ترضى منى ان انتظرك . ولن تتركنى حتى تزوجنى لغيرك !

عصام : على غير ارادتك ؟

زينات : من يدرى ؟ ربما

عصام : كلا يا زينات يجب أن تكون لك ارادة

زينات : وهل يجب على ان اخاصم أبى وأمى ؟

عصام : فى وسعك أن تحتال عليهما باللين والحسنى . قولى لهما انك تريدين أن تكملى تعليمك ؟

زينات : لن تجوز عليهما هذه الحيلة . سيدركان على الفور ان هذا كله من اجلك !

عصام : فليكن ذلك . لست اول فتاة تنتظر خطيبها حتى يعود من دراسته فى الخارج

زينات : انك لا تعرف يا عصام كم تكره والدتى والدك ؟

عصام : وما شأننا نحن ؟

زينات : الود ود امى لو تزوجنى لغيرك من أسرة أخرى أرقى فى زعمها من أسرتك

عصام : ومع ذلك لا يستطيع أحد يا زينات ان يزوجك بالاكراه ! اسمعى يا زينات . هل تعجبك تصرفات والدك ؟

زينات : لا

عصام : وهل تتمنين أن تكونى مثلها ؟

زينات : لا

عصام : انا أيضا لا اريد ان اكون مثل أبى . نحن جيل وهم جيل . يجب ان نكون خيرا منهم فى كل شئ . لايصح أن نجعلهم يسيطرون علينا. يجب أن تكون عندنا ارادة مستقلة

زينات : صه انهم عائدون الى البرندة

عصام : نكمل الحديث فيما بعد

على احمد باكثير

أبو الحسين الجزار

٦٠٣ - ٦٧٩ هـ

بقلم: محمد جاد البنا

- ١ -

يتميز الأدب المصرى فى العصرين الأيوبى والمملوكى بوفرة شعراء الصنعة حتى أن مدرسة البديع التى طورها - ولا نقول ابتدعها - القاضى الفاضل ابان العصر الأيوبى الأول امتدت بأصولها العريقة فى أعصاب الأدب المصرى لعصر المماليك وما بعده مما جعل مؤرخى الأدب لهـذه الفترة يقولون ان العصر الأيوبى والمملوكى عصر العناية بالألفاظ بل عصر العبث بها . ونحن وان كنا لا ننكر انقياد الشعراء وانصيـاع الأدباء للطريقة الفاضلية وتعصبهم لها وانجذابهم نحوها حتى التزموها فى التأليف والنقد جميعا فاننا لانشك فى أن مدرسة البديع هذه مهدت وأرهصت لقيام مدرسة جديدة استطاع ان يلتقطها الشاعر المصرى الذى نترجم له « أبو الحسين الجزار » وزملاء له من يد أستاذهم البهاء زهير وصديقه جمال الدين بن مطروح تلك هى مدرسة المعانى والتى كان ظهورها بمثـابة ثورة جديدة فى الأدب المصرى الذى ظل خاضعا لعبودية اللفظ وألوان البديع من تورية وجناس وسجع لمدة غير قليلة من الزمن . كذلك فاننا لا ننكر الشبه القوى الذى يكاد يصل الى حد المزج والخلط بين المدرستين «مدرسة الألفاظ ومدرسة المعـانى » وقد يكون مرد ذلك الى تسلل البـديع الى مدرسة البهاء وصديقه وتلاميذه فيما بعد . الا ان هذه المدرسة تميزت بأنهـا لم تسرف على نفسها فى التزام البديع المصنوع ولم تتكلفه تكلفا كما صنعت المدرسة الفاضلية بل استطاعت أن تنهج طريقا وسطا بين المعانى المستملحة الجيدة والبديع المعتدل المقبول - من أجل ذلك كان رواد هذه المدرسة وتلاميذها أقرب الى نفوس الشعب المصرى الذى جبل على حب الصراحة والوضوح - ومن هنا كانت لهم منزلة رفيعة بين كل الطبقات ولا سيما طبقة أصحاب الحرف الدنيا والتى كان يتألف منها سواد الشعب المصرى فى ذلك الحين . ولعل الدارس لأدب هذه الفترة تأخذه الدهشة حينما يرى من بين تلاميذ مدرسة المعانى هذه أصحاب الحرف البسيطة . فمن رجالها الجزار « شاعرنا » والوراق والخيـاط والدهان والكحال والحمامى وهكذا .

كان على شعراء هذه المدرسـة اذن وهم من سواد عين الشعب وحبة القلب فيـه وواسطة العقد منه ان يعبروا عن حاجاته ومطالبه وأن يشعروا بآلامه وآماله فأذاعوا شعر الفكاهة والنكتة وأدب المجون والألفاظ ولا ننسى ان الفكاهة والنكتة من أهم مميزات الشعب المصرى وبخاصة فى ذلك العهد الذى ذاق فيه صنوفا من التعـذيب والوانا من الظلم فاراد أن يسرى عن نفسه بفكاهاته وملحه ومجونه وألغازه ومن ثمة عبر عنه شعراء الشعب التعبير الذى يوائم طبعه ويناسب روحه ولا غرو فقـد كان الشعراء - وما زالوا - خير السنة لشعوبهم واصدق ترجمان لعواطف امتهم .

على اننا نحب أن نقول - فى هذه العجالة - ان شعراء هذه المدرسة وغيرهم من شعراء هذا العصر وان استطاعوا أن يعطونا الصورة الواضحة الحية للحالة الاجتماعية والنفسية لهـذا العصر الا أنهم عجزوا أو - غفلوا - عن اعطائنا المفهوم الثورى لنفسية الشعب المصرى الذى كان ولا بد فى ثورة نفسية والذى كان ولا بد يتطلع الى الخلاص من أيدى ظالميه .

كان فى اسـتطاعتهم - لو فعـلوا - أن يحـركوا

النفوس الى الاصلاح الاجتماعي وأن يصفوا أمراض الشعب وأن يطبوا لهذه الأمراض ـ ولكن يبدو أن سوط المماليك كان قاسيا وعنيفا مما جعل الشعراء يؤثرون السلامة ويفضلون جانب العيش اللين السهل حينا والقاسي الشديد أحيانا على أعماق السجون أو متاهات المقابر أو ذل النفي والتشريد .

قلنا انه كان من بين شعراء هذه المدرسة ـ مدرسة المعاني ـ شاعر كان الفسطاط موضع مولده ومدرج نشأته وكان الفسطاط مرتع حياته ومكان موته . بين صوت الساطور يتنزل على الوضم فيفصل العظام عن اللحم وفي بحار من تناثر الدم القانى يضمخ جدران المذابح وتساقط الدهن على أكتاف أهله وذويه . ولد أبو الحسين (جمال الدين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى المصرى الشاعر) عام ٦٠٣ هـ في زمن احتضار دولة الأيوبيين وانتقالها الى المماليك. ولندع صاحب المنهل الصافي «جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى» يحدثنا عن ظروف نشأته وتفجر أول ينابيع شعره العذب. «لما كان صغيرا نظم أبياتا قلائل وكان أديب الزمان اذ ذاك ابن أبى الأصبع فأخذه أبوه وتوجه اليه وقال : ـ ياسيدى قد نظم هذا الولد شعرا واشتهى أن يعرضه عليك .. فقال «قل» فلما أنشده قال : ـ «أحسنت والله انك عوام مليح» وبعد أيام عمل والده طعاما وحمله الى ابن الاصبع فقال : ـ « لأى شيء فعلت ؟ » فقال «لشكرك ولد المملوك » فقال « أنا ما شكرته » فقال « ألم تقل أنك عوام مليح » فقال : ـ « ما اريد بذلك الا أنه خرج من بحر الى بحر » ـ ولكن هذا لم يثن عزيمة الشاعر الشاب فانطلق يبارز الأوزان ويغوص في البحور حتى استقام له القصيد وطاوعته القافية الى أن عد بين شعراء مدرسة المعاني بالفرد العلم وما نحسب أنه ذهب بعدها الى معلم أو كتاب ولا نظن أنه تنقل بين «خانقات» عصره بل هو قد تلقى العلم مشافهة وسماعا من أصحابه الادباء والعلماء والشعراء حتى صار بينهم العلم الذى اليه الاشارة كما يقول « ابن سعيد » ولقد حدثنا هو عن هذا الطور من حياته في قصيدة يمدح بها برهان الدين بن الفقيه نصر .

وان الشعر دون علاه قدرا
ولا سيما اذا ما كان شعرى

لأنى ما قرأت نه صحاحا
ولا نحوا على الشيخ ابن برى

وقد شاركت في لغة ونحو
بلا علم وشاع بذاك ذكرى

وعيشك لست أدرى ما طحاها
وقد اقررت أنى لست أدرى

لأنى مثل بعض الناس لما
تعلم آيتين فصار مقرى

وهذا رأيه في نفسه وتصويره لعلمه على أنى اعتقد أنه يغالى في هذا التصوير من باب الظرف والفكاهة كما كان يغالى في وصف بؤسه وشقائه .. مما ستتعرض له في موطنه الا أن الذى نحب أن ننبه اليه أنه كان على قدر لا ينكر من ثقافة عصره حتى أنه يتعرض لدقائق من الثقافات تدل على غزير اطلاعه، واتساع افقه فهو يقول من قصيدة يصف فيها حاله اذا أقبل الشتاء :

شنع الناس أننى جاهل
مانوى وما لهم أهواء

أخذونى بظاهرى اذ رأونى
عبد شمس تسوؤه الظلماء

والمانويه ـ كما هو معلوم ـ مذهب منسوب الى مانى، يقول أصحابه ان الخير من النهار والشر من الليل وقد تحدى هذا المذهب أبو الطيب المتنبى بقوله :

وكم لظلام الليل عندى من يد
تخبر أن المانوية تكذب

لم يكن أبو الحسين الجزار هو أول «حرفى» اجتذبه الأدب الى رحابه أو ضمه الشعر الى هيكله . فذلك هو سحر الفن في كل زمن وفي كل وطن فمن قبل أخذ الأدب الى رحابه الملك والوزير والأمير ومن بعد ضم الشعر الى لوائه القائد والمهندس والطبيب ولكن البدع في ذلك أن يجذب الشعر أبا الحسين من بين

الجزارين ثم يظل متعلقا بمهنته هذه يحن اليها من حين الى حين بل ويجعلها قوالب يصوغ فيها أغلب شعره مفتخرا بها منتصرا لها .

أعجب العجب فى ذلك أن يبرز شاعر رقيق يمتاز بالشاعرية الأصيلة والدقة البالغة والسهولة الرائعة وسط بحار الدماء التى تموج حوله متفجرة من وجق ضحيته التى يعمل فى أعضائها السكين وكأنه مبضع الجراح لاقلم الشاعر .

ولو حدثنا رواة التاريخ والسير فقالوا انه استبدل مبضع الجراح بالساطور فاتخذ مقعد الطبيب الحاذق بدلا من الوضم ومجموعة المدى . لما اخذتنا الدهشة ولما ملكنا العجب . أما أننا نستمع اليه ملء سمع الزمان والتاريخ يردد فى حنن عجيب يقول :

سر القلوب تذيعه الأجفان
هيهات ينفع مغرما كتمان

طرف المحب فم يذاع به الهوى
والدمع ان صمت اللسان لسان

تبكى الجفون على الكرى فاعجب لمن
تبكى عليه اذا نأى الأوطان

فهذا ما نعجب له لأنه يأخذ بالدهشة من البابها . ما علاقة الأدب بالدماء القانية ؟ وما صلة الشعر بالجزارة وحز العظام ؟ وكلاهما فى تناقض غريب وتباين قوى - ورغم ذلك العجب فاننا لا نزعم أن ملكة الشعر وشياطين الفن وقف على من ثقفوا الأدب ودرسوا التاريخ وفقهوا اللغة وحدهم وانما هى ارث مشاع بين من هضم اللغة وأسرارها وتفهم الأدب ومذاهبه وبين العوام الذين لم يتلقوا علما ولم ينالوا ثقافة . ففى كل عصر نستمع الى المعانى البكر بين المواويل والأزجال التى توفر على صنعها شعراء مجهولون أغلب الظن أنهم من أبناء العوام الا أن التاريخ الأدبى لم يع فى خزائنه - على تنوعها - أمثال هذه الخرائد الرقيقات التى وعاها لشاعرنا الجزار . أليس هو القائل :

كيف حالت بعد الوفاء عهوده
وتمادى هجرانه وصدوده

وإمالته للوشاة ظنون
يبدىء العذر وهمها ويعيده

الى آخر هذه القصيدة الرائعة الممتعة . وفيها اشارة الى شكواه من الزمن :

لا تسلنى عن الزمان فانى
قد بدت لى أضغانه وحقوده

زمن لان عطفه عند غيرى
وهو عندى صعب المراس شديده

على أننا لا نجد مفرا من العودة الى عبد الملك ابن سعيد ذلكم الرحالة الذى جاب الآفاق بحثا عن تلقى الحقيقة من مظانها الاصلية . يقول فى ترجمته لأبى الحسين الجزار فى مطلع الجزء الرابع الذى انفرد بوصفه من كتاب « المغرب فى حلى أهل المغرب » .

« ختمت به شعراء الفسطاط ليكون الختام بمسك وان كان بينهم فى هذا العصر بمنزلة الواسطة من العقد . كان ابوه وأقاربه جزارين بالفسطاط .. دكاكينهم بها الى الان (٦٤٦ هـ) وقد عاينتها وأبصرته معهم بها . وكان فى أول أمره قصابا مثل أبيه وقومه فحام على الأدب وأكثر حوله من حومه فرفعت له فى القريض راية تقدم بها جماعة من أهل عصره . ورزق من حسن الاهتداء لغرائب المعانى وبدائع الألفاظ مايدل على غوص فكره . وطريقه من أسهل الطرق التى يميل اليها العامة ولا ينكرها الخاصة لقرب مأخذها وحسن منزعها . وقد اجتمعت به غير مرة فى أماكن اضطرته الى الارتجال فالفيته متعلقا بأزرار الفنون - غير راض الا بأرفعها يفيض خاطره كالعارض المتراكم ويطلع فكره من غرر المعانى بما يطلع به الصباح القادم ولم يزل ذلك دأبه فى فى بلده حتى أخذ علو الطبقة بيده فصار العلم الذى اليه الاشارة » .

ومن هنا نرى أن أبا الحسين صار بعد مدة وجيزة الشاعر الذى يشار اليه وينظر نحوه من بين شعراء عصره . حتى شغف به العامة والخاصة على السواء اما شغف العامة به فلذلك موضعه من الدراسة . واما شغف الخاصة به فمرد ذلك لحسن حديثه وخفة روحه وجميل نكتته وظريف نادرته وطيبة قلبه وسماحته وعفوه وفيض يده . مما جعل أكثرهم يساجله الحديث ويناقله النادرة ويناظره النكتة . وكان بينه وبين كثيرمنهم مناظرات ومساجلات حفلت بها كتب الأدب ووعت لنا منها بين بطونها الكثير .

قالوا .. كان الصاحب كمال الدين عمر بن العديم

اذا قدم مصر تردد اليه أبو الحسين وتردد هو الى أبي الحسين ولازمه فحسده بعض أعدائه على ذلك وقال فيه بعضهم :

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة
وغدوت تحمل راية الادبار

ما أن رأيت ولا سمعت بمثلها
تيسا يلوذ بصحبة الجزار

كذلك كان مما قربه اليهم وجذبهم نحوه أنه كان عفيفا مترفعا عن الهجاء على كثرة حساده وشانئيه وما بانهم لا يغبطونه بل يحسدونه ويضمرون له السوء ولم يكن بينهم من يقاربه في جودة النظم وتدفق الشاعرية وجمال المعنى واناقة اللفظ ويكفيه أن أحد مؤرخيه ــ « ابن تغرى بردى » في النجوم الزاهرة يقول عنه (أنه كان من محاسن الدنيا) تقول ــ على الرغم من حسدهم له وتقلبهم عليه كان يفيض عليهم من كرمه ويبذل لهم من نواله مما جعلهم يلقون اليه بالمودة عن يد وهم صاغرون ــ ولقد تتبعت شعره ــ الذى أورده ابن سعيد فلم أوفق في الحصول على ديوانه المخطوط ــ في الهجاء فوجدته نادرا بجانب شعره في الأغراض الأخرى كالمديح والشكوى والدعابة والفكاهة . وبعد . فقد عاش الجزار ومات وهو حر التفكير والرأى منطلق الضمير والوجدان يوجه أدبه حيث يريد ويمنحه من يشاء كيف شاء . لم يستغل موهبته الأدبية أمير أو وزير أو سلطان بل كان الطائر الفريد فليس له من المناصب ما يخشى عليه أو يخاف من أجله من ثمة لم يتضاءل بشاعريته أمام هيكل من الهياكل التي كان غيره من الشعراء يتضاءلون أمامها .

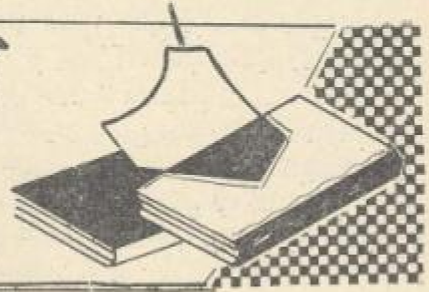
فلقد خلق شاعرا بالطبع لا بالصنعة وأديبا بالفعل لا بالقوة . لم يلق بالا للألقاب العلمية ولا للشارات الرسمية بل حاول ما استطاع ان يسد حاجته وان يطلب لقمة العيش بدموع قلمه وأنات ساطوره بعيدا عن زيف التهريج ودجل السياسة ولو طلبها لتوفرت له . فلقد عاش في زمن يتطلع فيه أغلب أهل الأدب ــ كل على شاكلته ــ الى لقب براق أو جاه خفاق أو ثروة يحتسب من أهلها .

ولكن أبا الحسين عاش ومات وليس له من اللقب نصيب ولا من الجاه ذكر ولم يكن كذلك من الثروة المادية ما يجعلنا نحتسبه من أهلها وانما عاش فقيرا في عفاف أو عفيفا في فقر ، ولا يعيبه أنه طلب التكسب بشعره فذلك ارتفاع بقدر فنه وسمو رسالته معتبرا الشعر والأدب رسالة لا يعيب أصحابها أن يطلبوا العيش الرغيد والحياة الطليقة ما داموا هيئوا بفطرتهم لذلك . بل لقد خلص أبو الحسين بأدبه للأدب فمنح شعره من أراد كيف أراد حتى ولو كان حماره فلقد حدثنا الصفدى في « شرح لامية العجم » فقال « حكى لى بعض الأفاضل أنه جمع في مراثي حمار أبي الحسين مجلدة ضخمة » .

ولا شك أن شاعرا كهذا يمنح شعره لحماره ــ في حين يبخل به على غير أهله ــ يجعلنا نطمئن الى العراقة في الذاتية وبعده البعد كله عن التكلف الممقوت والتهريج الرخيص .

« محمد جاد البنا »





تعقيبات

بقلم : عباس خضر

خطاب مفتوح الى الزميل عباس خضر

تلقيت الرسالة الآتية بهذا العنوان ، وانشرها بنصها كاملا ، تحقيقا لحرية النقد ، ثم اعقب عليها :

عزيزي الاستاذ عباس خضر .. تحية وبعد

فقد قرات مقالك عن «الفلاح في القصة» ـ (الرسالة ٧٤) فاعجبني كثيرا ، غير اني اثناء مطالعتي المقال وقفت عند بعض الفقرات فخيل الى انني قراتها من قبل ، وحاولت ان اتذكر اين قراتها فحملتني ذاكرتي الى كتاب الاستاذ يحيى حقي «فجر القصة المصرية» وعندما رجعت اليه وقارنت ماجاء عندك في بعض الفقرات بما كتبه الاستاذ يحي حقي وجدت انك احيانا كنت تنقل عنه المضمون مع الالتزام بترتيب الافكار كما هي عنده دون تقديم او تأخير او تغيير مع استبدال بعض الكلمات بمرادفات لها نفس مدلول الكلمات التي استبدلت ، كما وجدت انك احيانا اخرى كنت تنقل عنه نقلا حرفيا دون تحريف او تبديل ـ ولست ارى في هذا مايشين باحثا عندما يعتمد على من سبقه من كبار الادباء والنقاد بل اني احترم كل كاتب يحاول ان يدعم رأيه بآراء غيره او ان يبدأ من حيث انتهوا فيجعل من اراء الآخرين دعامة يستند اليها في انطلاقاته الى آفاق ابعد ولكن على ان يلتزم في ذلك الامانة الادبية التي تحتم على الكاتب ان يشير الى مواضع النقل وان ينسب كل راى الى صاحبه لا ان ينسبه الى نفسه باغفاله الاشارة الى انه راى منقول عن كاتب معين . صدقني انني تملكتني الدهشة عندما وجدت انك قد نقلت عن الاستاذ يحي حقي نقلا حرفيا دون ان تشير الى ذلك خاصة واني عندما رجعت الى بعض كتاباتك السابقة وجدت انك كثيرا ماتنصب نقادا من شبان مبتدئين لاتعرف عن معظمهم شيئا بينما ـ لسبب يعلمه الله ـ تتجاهل الاستاذ يحي حقي وتتغافله تماما سواء في مجال الادب او النقد ، فهل لي ان ازعم ان هذا الامر جاء عفو الخاطر ام ان وراء ذلك اسبابا نجهلها ؟! ارجو ان تعلل لنا هذا الامر ولك جزيل شكري ولكي اكفيك عناء البحث من جديد اسوق اليك بعض الفقرات التي وجدت انك قد التزمت فيها المضمون التزاما دقيقا مع المحافظة على ترتيب الافكار دون تقديم او تأخير مع تغيير في بعض الالفاظ ، وبعض الفقرات الاخرى التي وجدت انك قد نقلتها نقلا حرفيا كما هي .

جاء في مقالك (ص ٣) عن قصة «مأساة قروية» لعيسى عبيد :

«وتدور على حادث فتاة من القرية كانت تحب ابن عمها وهو يحبها ، ثم تعلقت بابن الباشا مالك الارض واحبته واعرضت عن ابن عمها ، اذ جذبها في الفتى الارستقراطي رقة حديثه وتلطفه معها ، وظنت انه سينقذها من حياة الفقر التي تعيشها مع اهلها ، اما هو فلم يكن الا طامعا في جسدها» .

وجاء في كتاب يحي حقي ص ١١٠

«وهي تحكي ايضا قصة فتاة قروية يحبها ابن عمها ، ولكنها تبتعد عنه وتستسلم مختارة الى ابن صاحب الارض ، كانت قد وجدت عنده في طفولتها شيئا لم تألفه ، هو رقة الحديث والتودد اليها . ثم خالت فيما بعد انها تجد بين احضانه خلاصا من حياتها الضائعة في الفقر والمهانة . اما الشاب فلا يدفعه نحوها سوى شهوته البهيمية» .

كذلك جاء في مقالك ص ٤

«ولعل عيسى عبيد اول من استخدم الرمز

عندنا في القصص لتصوير الحادث الذى يعالجه بطريقة واقعية وتعزيز التعبير عنها ، ذلك انه عندما كان ابن الباشا يفرس الفتاة هبطت حداة بقوة على شجرة التوت التى تظللهما حاملة بين مخالبها كتكوتا يحتضر وكان يسمع له انين ضعيف مختوق ولم تكد تستقر على احد اغصانها حتى لحق بها غراب منقادا بحاسة الشم القوية الخاصة بالطيور الجارحة فتعلق على غصن يحاذيه ولبث فى مكانه يراقبها بخوف وجبن وهو ينعق بكل قواه وكان الحداة كانت واثقة من قوتها وتفوقها على خصمها فلم تعره أدنى أهمية وواصلت ببطء فى التهام فريستها الصغيرة ... الخ» .

وقد وجدت في كتاب الاستاذ يحى حقى ص ١١٣

«وازعم ايضا ان هذه القصة هى من اوائل القصص المصرية التى عمد المؤلف فيها الى استغلال رمز خارجي لاضفاء قوة على التعبير عن الحادثة ، ففي الوقت الذى يفترس فيه الشاب ضحيته اذا بحداة هبطت بقوة على شجرة التوت التى تظللها حاملة بين مخالبها كتكوتا يحتضر ، وكان يسمع له انين ضعيف مختوق ولم تكد تستقر على احد اغصانها حتى لحق بها غراب منقادا بحاسة الشم القوية الخاصة بالطيور الجارحة فتعلق على غصن يحاذيها ولبث في مكانه يراقبها بخوف وجبن وهو ينعق بكل قواه وكان الحداة كانت واثقة من قوتها وتفوقها على خصمها ، فلم تعره ادنى اهمية وواصلت فى بطء التهام فريستها الصغيرة .

كذلك وجدت نقلا بارعا فيه محاولة لاخفاء هذا النقل فى الفقرة التى كتبتها عن محمود طاهر لاشين فى مجموعته «يحكى ان» عندما قلت عن قصة (حديث القرية) انها :

«قصة جيدة تهدف الى تصوير حال القرية المصرية وما يعيش فيه اهلها من فقر وما هم عليه من جهل ، والى ان الطريق الى تخلصهم مما هم فيه هو ان يتسلحوا بالارادة والعمل ، وأن يشعروا بوجودهم ويصروا على تحقيق هذا الوجود . قدم لنا فيها شخصية «مأذون القرية» الذى يضلل القوم ويبث فيهم افكارا مختلفة لاتتفق مع حقائق الدين ، ويناقشه راوى القصة ويتحدث الى القوم فيصارحهم بشظف عيشهم ، ويبين لهم طريق الاصلاح . ولكن حين يتاهب المأذون للقيام بدعوى ان حضرة العمدة وكثيرا من الاعيان في انتظاره يقبل عليه — على المأذون — الفلاحون بنفوس مطمئنة راضية يقبلون يده ويحمدون الله على نعمة الستر ...» وتختتم القصة بهذا الختام الرمزى الذى يعبر عن الموقف كله اذ يقول الراوى: «وآثرنا البقاء — صديقى وانا — فتركوا لنا المصباح وقنعوا بان يتبعوا فقيههم فى الظلام» .

وقد وجدت عن محمود طاهر لاشين عند يحى حقى ص ٩٣ ، ٩٨

« فاندفع الرواى الى دحض ترهاته وتهشيم اباطيله فصارح الفلاحين بحقارة شأنهم وشظف عيشهم ، وذكر لهم نساءهم واولادهم واكواخهم ورسم لهم طريق الصلاح اذا ارادوا ، وذلك بخلق الارادة والعمل ، وانهم يستطيعون ان يأتوا العجب العجاب اذا شعروا بوجودهم وصمموا على تبرير هذا الوجود .... وتأهب (المأذون) للقيام بدعوى ان حضرة العمدة وكثيرا من الاعيان فى انتظاره ؛

فاقبل عليه الفلاحون بنفوس مطمئنة راضية يقبلون يده ويحمدون الله على نعمة الستر . وبقى الراوى وصديقه ، تركوا لهما المصباح وقنعوا بان يتبعوا فقيههم في الظلام ... ثم انظر ايضا الى التجاء الكاتب الى الرمز فى ربطه بين ضوء القمر وانكشاف بصيرة الرجل ، والرمز البارع فى نهاية القصة حين ترك الفلاحين يسيرون وراء فقيههم في الظلام انه كلام مادى وروحى معا ..»

❋ ❋ ❋

واخيرا فليس فى النقل مايشين الكاتب ولكن على ان ينبه القارىء الى ذلك ، فاذا تركنا مسألة النقل جانبا وجدنا ان ثمة حقيقة هى ان يحى حقى كان اول من اماط اللثام عن استخدام محمود طاهر لاشين وعيسى عبيد للرمز في قصصهم وان الامانة الادبية كانت تحتم عليك ان تشير الى ذلك عندما تحدثت عن الرمز .

املى ان تبرر لنا هذا التصرف وان تنشر هذه الكلمة فى مجلتكم الغراء وتقبل تحياتى .

« كما ممدوح حمدى »

نقل الكاتب من مقالي الفقرة الخاصة بالحديث عن قصة عيسى عبيد ، وقارنها بما جاء في كتاب «فجر القصة المصرية» عن هذه القصة ، ولم يرجع الى القصة نفسها **ولو فعل لوجد اننا يحيى**

حقي وانا — نقلنا عنها النص الخاص بالحادثة الرمزية الخاصة بالحداة والكتكوت . نقل كلانا النص بحذافيره ، فاشتبه الامر على الاستاذ كمال محمود حمدى ، فزعم انى نقلت عن الاستاذ يحى حقى نقلا حرفيا ..

اما الفقرتان الخاصتان بتلخيص القصة فطبيعى ان تجيئا متشابهتين ، على ان فيهما ايضا كلمات من أصل القصة .

وكذلك الحديث عن موضوع قصة طاهر لاشين وتلخيص حوادثها فليس فى الامر «براعة» .. انما هو كما يقول احد : طلعت الشمس ، ثم يرى آخر نفس المنظر فيقول : بزغت الشمس ..

واضرب مثلا مشابها ، قال الاستاذ يحى حقى في كتاب «فجر القصة المصرية» — ص ٦٩ — بصدد الحديث عن الشقيقين محمد تيمور ومحمود تيمور : «**وحمل محمود تيمور المشعل الذى سقط من يد اخيه ، وسار على نهجه**».

وقال الدكتور شوقى ضيف فى نفس الصدد بكتابه «الادب العربى المعاصر في مصر» — ص ٣٠١ — «ويموت محمد فى شرخ شبابه سنة ١٩٢١ فلا **تهوى الراية من يده ، بل يتسلمها منه محمود ، ليتم ما بداه**».

فلو جرينا على نهج الاخ كمال محمود حمدى لقلنا ان احد المؤلفين نقل عن الآخر ببراعة ، فالدكتور شوقى ضيف مثلا استبدل بالمشعل الراية .. او ان الاستاذ يحيى حقى فعل العكس .. على حسب السبق بينهما فى الزمن ..

والمحقق ان احدا منهما لم ينقل عن الآخر ، انما هو تعبير عن مضمون واحد لابد ان يشتبه في الشكل .

متى يجب على الباحث ان يذكر او يشير الى ماكتب قبله في الموضوع ؟ اذا نقل النص حرفيا ، او كان المضمون رأيا خاصا يتميز به الكاتب الاول ، وليس كلاما عاما يطرقه هذا وذاك ، كما فى كلام الاستاذ يحيى حقى وكلامى عن موضوع القصص التى تناولناها ، وتلخيص حوادثها . فليس ثمة افكار خاصة اخذتها من كتاب فجر القصة المصرية انما هى ملاحظ عامة يدركها قارىء القصص نفسها حتى مسألة الرمز ، فهى ظاهرة ، لاتحتاج الى ان يقال ان من اشار اليها اولا : انه «اول من 'ماط اللثام ... الخ» **على انني لا اغمط الاستاذ يحيى حقي في كشفه عن هذه الحقيقة ، وارى — مع ماذكرته من ظهورها لاى قارىء متفطن — انه كان يحسن بى ان اشير اليه فى هذه النقطة .**

وعلى ذلك ينهار **القصر الكبير** الذى بناه الاخ كمال محمود حمدى على رمل اتهامى بتجاهل الأستاذ يحيى حقي والتغافل عنه فى مجال الادب والنقد ، وليرح نفسه من عناء البحث عن اسباب لاوجود لها ، فانا من اكثر الناس تقديرا للاستاذ يحيى حقى ، واذكره واشير اليه كثيرا فيما اكتب ، سواء فى المقالات او فى بعض كتبى ، واعطيه ماهو اهل من التقدير ، واعتقد ان من تقديره ان اناقشه واخالفه الرأى كما فعلت في بعض ماكتبت وخاصة في كتابى «القصة القصيرة فى مصر» الذى يطبع الآن .

ولعل الاخ كمال محمود حمدى قرأ مقالى في العدد الماضى من الرسالة عن عيد ميلاد الاستاذ يحيى حقى . ولا اظنه قرأ المقدمة التى كتبتها لكتاب «احسان هانم» لعيسى عبيد ، الذى نشره المجلس الاعلى للفنون والآداب فى سلسلة «المكتبة العربية» .

قلت في تلك المقدمة : «**واية كتابة عن عيسى عبيد — ينبغى ان تبدأ من حيث ماكتب عنه يحيى حقى**» .

وبعد فاشكر الاستاذ كمال محمود حمدى لغيرته على الاستاذ يحيى حقى . **واذا كان قد تصدى للدفاع عنه ضدى فاني فى صف الدفاع لا فى صف الضد .. ولا اقل عنه حبا لاديبنا الكبير ، وتقديرا لدوره العظيم في حياتنا الادبية .**

عباس خضر



بقلم عبده بدوى

لقاء مع مفكر

لا أعرف مفكرا ينطبق ما يكتبه على سلوكه مثلما ينطبق عليه ، فانه اذا كان يجذب القارىء جذبا من المناطق الرخوة فى الفكر ، ثم يحاصره ، ويهزه ، ويزرع فى نفسه الفكرة بعد الفكرة والدليل بعد الدليل .. فانه لا يخرج فى هذا او فى كثير منه مع محدثه ، اذ يبدو قريبا منه ، وقد يأخذ معه فى الثرثرة ولكنه سرعان مايحول الثرثرة الى قضايا ، ويجعل فنجان القهوة يهتز فى يد الجالس اليه كأنه يفكر هو الآخر ، أو كأن حركة النشاط العقلى قد امتدت الى اليد التى تمسك به ، وفى ضوء هذا تتغير أشياء كثيرة فتذبل الابتسامات التقليدية ، وتتغير وظيفة الصالون بل قد تذكر تدريجيا بمدرج فى الجامعة ، وحتى الورود التى كانت تحلم فى الزهرية سرعان - فى وهج الحديث - ما تفيق وتمد اعناقها ولا تقدم هذا العبير الازرق او الابيض او الاصفر ، وانما تقدم شيئا جديدا لم تكن له تلك النعومة والشاعرية التى كانت تملأ المكان من قبل ..

فاذا ما أحب الانسان ان يريح فكره - ولو لحظة - على ستارة ، او تحفة ، أو على الرماد الطويل المحترق الذى مازال فى مقدمة السيجارة ، لم يستطع أو يخيل اليه أنه لا يستطيع لأن كل شىء من الاشياء التى حوله تعانى من نفس الاحساس الذى يعانى منه ، وتنتظر هى الاخرى لحظة لتستريح ، ولكن انتظارها طويل .. طويل !

ولعل هذا الشعور قد تملكنى لأن معرفتى الشخصية به قد تولدت من خلال اللجان الاولى للتفرغ والتحضير للائحته ، والتى كنت اسميها لجان الحرب ، لانه كانت لاتخلو جلسة من الصراع بين المدارس فى الفن الواحد ، وبين الفنون التعبيرية والتشكيلية ، ثم أخيرا بين افكار العقاد وطه حسين .

وفى هذه الجلسات ذهب عنى ماكان يتردد من أن الدكتور زكى نجيب محمود كان يوافق العقاد على « طول الخط » فالاقرب الى الصدق أن يقال ان منهج الدكتور زكى نجيب محمود ، كان اقرب الى منهج العقاد من غيره ، وانهما حين كانا يختلفان كان يبقى دائما « شىء » يمكن أن يتلاقيا عنده ، بل الى أذكر أنهما تلاحما مرة الى حد ضاق به العقاد حين دار الحديث حول تفرغ أحد أساتذة الفلسفة !

ومن هذه الجلسات العديدة عرفت فيه الحرص على

المواعيد ، والتتبع لكافة القضايا الفكرية ، وعدم الادلال بما يعرفه على أحد ، والامساك في أول الامر بخيط رفيع من المناقشة ثم الوصول منه الى كل ما يريد ، والبعد عن القضايا الصغيرة ، والشخصية، والاهتمام المغرض بالمسئولين ، وهكذا كان يمثل في نظري المثال الكامل للأستاذ الجامعي ، واذكر أنه في هذه الفترة عرض عليه منصب مغر في مقابل أن يترك وظيفة « الاستاذ المساعد » ولكنه رفض ، بل لقد انزعج حين حدث في هذا الشأن !

ومهما يكن من شيء فقد أتيح لي معه لقاء تحدثنا فيه كثيرا هذا الحديث الذي سبق أن تكلمت عنه ، ولكن حين طلبت منه الحديث عن نفسه أصابه شيء من الحرج ، وقبل أن يرفع وجهه من اطراقة قصيرة كنت أقول له :

« ما قصتك مع الفكر ؟ »

ولم يضيع وقتا ، وانما خيل الى انه يبتسم ثم قال لي :

لقد لبثت أعواما طوالا احس الرغبة في التعبير بغض النظر عن الموضوع الذي اتخذه مادة للعبارة كأنما كنت اشعر بالنشوة لمجرد أني قادر على الكتابة واني لأذكر موقفا في طفولتي الباكرة ، وما احسبني عندئذ كنت قد جاوزت العاشرة ، حين دعيت الاسرة الى « فرح » فطلبت من أبي أن يتوسط لي عند أهل العروسين أن يتيحوا لي فرصة القول لألقي فيهم خطبة أعددتها لتلك المناسبة ، وهكذا بدا حب الكتابة عندي منذ سن باكرة ، ونترك الاعوام تمضي بأحداثها الثقافية الصغيرة لنصل الى أيام الشباب ، وها هنا كانت تشغل اذهاننا كتابات طه حسين والعقاد وهيكل والمازني وبقية هذه الفئة الرائدة ، ولو لخصت لك مدار حبي أو نفوري مما كنت اقرؤه لهؤلاء وغيرهم ، لقلت ان ذلك المدار هو الرغبة في العثور على الافكار الثورية التي تغير الاوضاع التي كانت قائمة عندئذ تغييرا كاملا شاملا : فيكفي أن تكون الفكرة « جديدة » لتلقى عندي كل قبول وترحاب .

ثم نترك السنوات تمضي الى ما بعد التخرج ، وتصدر مجلة الرسالة القديمة وبعدها بسنوات قلائل تصدر شقيقتها مجلة الثقافة القديمة ، وكان ذلك في الثلاثينات — فالقيت بنفسي في ميدان الكتابة حبا في الكتابة لذاتها ، لاني لاذكر اني عندئذ كنت قد اتخذت لنفسي عقيدة فكرية تحدد اتجاهي ، فكل فكرة وأي فكرة صالحة عندي للقبول والعرض ، ولما كانت مصادري جميعها أوروبية ، فقد جاءت الافكار كلها التي عرضتها في مقالاتي عندئذ أفكارا مستمدة من الثقافة الاوروبية .

وحين يصل الى هذا أراني أذكر تلك « الشركة الثقافية » التي تمت بينه وبين الاستاذ أحمد أمين ، فأقول له .

« ما قصتك مع أحمد أمين » ؟

وقبل أن التقط نفسي رأيته يكمل :

في سنة ١٩٣٤ تشرفت بلقاء المرحوم الاستاذ أحمد أمين ، وكان ذلك على اثر مقالات كثيرة نشرتها في مجلة الرسالة ، فعرض علي أن نتعاون في اخراج سلسلة في تاريخ الفلسفة من اليونان الى المحدثين ، فماذا تكون الوسيلة الى التنفيذ أمام كاتب شاب مازال في مرحلة حب الكتابة لذاتها سوى أن يقع على كتابين : أحدهما في الفلسفة اليونانية والآخر في الفلسفة الحديثة ، فيجعل من مادتهما مصدره الذي ينقل عنه . يضيف اليه جزءا هنا أو جزءا هناك من مصادر أخرى ، لكنهما كانا هما المصدر . ومدى القدرة عند الكاتب الشاب هو ان يحسن الفهم ثم يحسن العرض ، واحب للقارىء اليوم أن يتنبه الى أن « قصة الفلسفة اليونانية » (١٩٣٥) وقصة الفلسفة الحديثة (١٩٣٦) كادا أن يكونا أول كتب تصدر في ميدان الفلسفة بالعربية الحديثة واني لأقول الآن بالفخر، ان ذلك الكاتب الشاب قد كان له الفضل في صياغة عشرات من المصطلحات الفلسفية الحديثة لاول مرة في اللغة العربية المعاصرة وقد أصبحت هذه المصطلحات مادة جارية على أقلام المشتغلين بالفلسفة الآن ، دون أن يذكر لصاحبها لأول فضل صياغتها .

وقد جاء هذان الكتابان أول ما أخرجت من كتب ولقيا من حسن القبول وسعة الانتشار ما شجع الاستاذ احمد امين على أن يمضي معي في هذه الشركة الثقافية — كما تقول — فأخرجنا معا « قصة الادب في العالم » ، وها هنا وجد الكاتب الذي خرج من سن الشباب عندئذ الى مابعدها ، لكن المزاج والتكوين كانا ما يزالان على حالهما القديم ، أعني أن يكون مدى قدرته هو أن يكتب حبا في الكتابة ذاتها ، أقول ان في « قصة الأدب في العالم » — وهو أربعة أجزاء — وجد الكاتب مجالا أوسع من المجال في « قصة الفلسفة » أن يصوغ عبارته صياغة أدبية تناسب الموضوع ، والله يعلم كم قضيت في هذا الكتاب من جهود ، لأنني وان كنت هنا كذلك قد اتخذت كتابين أساسيين لأجعلهما مصدرا التزمه في خطة السير ، الا انني كنت أرجع كذلك الى كتب أخرى كثيرة ، وبخاصة كتب الآثار الأدبية نفسها ، لأختار القطع التي أترجمها الى العربية بحيث تحتفظ

بجمالها فى الترجمة العربية ، اذ ما كل قطعة أدبية تصلح لذلك .

وحين التفت الى وجهه وصوته معا ، يحس انى أريد أن أقول شيئا فيتوقف ، وأراني أقول له :

« ما قصتك مع الوضعية المنطقية التى أصبحت علما عليها فى بلادنا ؟ »

ويخيل الى أن شيئا من الرضا قد كسا وجهه ويكمل من نفس «الطبقة الصوتية» وكأنى لم اقاطعه:

بينما أنا فى غمرة هذا الكتاب الذى حدثتك عنه سافرت الى انجلترا لأدرس الفلسفة فى جامعة لندن، وهنا ، وبمحض المصادفة ، لا نتيجة مترتبة على الدراسة نفسها ، وقعت على بعض ما يكتبه رجال الوضعية المنطقية ، فما كدت اقرأ حتى وجدت طبيعتى كلها قد تعلقت بها كأنها ظلت قبل ذلك تبحث عن هذا الغذاء الفكرى الذى يلائم كيانها .

وتستطيع أن تقول ان الوضعية المنطقية ليست «فلسفة» بالمعنى الايجابى لهذه الكلمة، لكنها «منهج» فى « فهم العبارات اللغوية » بغض النظر عن «مادة» تلك العبارات ، فكيف « أفهم » العبارة المعينة بحيث احكم عليها بقيام معنى لها أو بخلوها من المعنى ؟ .. ان مهمتها هى كمهمة « الصيرفى » فى المصارف ، لا يملك المال ، ولكنه خبير فى تمييز الاصيل من الزائف .

وسرعان ما تبين لى أنه اذا كانت الدنيا كلها تحتاج الى هذا الضابط المنطقى فى كلامها ، فنحن احوج اليه من سوانا ، لأننى كنت ادرك دائما مدى الاستهانة بالضبط فى كلامنا ، حتى الكلام العلمى نفسه ، وكنت أقيس ذلك بمقياس بسيط ، وهو صعوبة أن نترجم ما يكتبه كاتبونا الى اللغات الاوروبية، لكون هؤلاء الكتاب يكتبون الفاظا لاتحمل معنى فى كثير من الاحيان .

فلما عدت الى مصر ، وبدأت عملى بالجامعة ، شاءت المصادفات أيضا أن يقال لى : ليس عندنا «مادة فلسفية خالية من أستاذ يتولاها الا مادة المنطق ، وهى مادة - كما قد يعلم القارىء - يفر منها كثيرون حتى من أساتذة الفلسفة ، فقبلت بالطبع ما فرض على ، ولم البث أن وجدتها فرصة سانحة لأبدأ بتطبيق ذلك « المنهج المنطقى » الذى سرى فى دمائى اثناء مقامى فى انجلترا (ولم يكن يومها بين أساتذة الفلسفة فى انجلترا نفسها من يشغل نفسه به) ثم ما هو الا ان الفت كتابى «المنطق الوضعى» الذى أردت به أن انظر الى موضوعات المنطق هذه النظرة التى تستخدم التحليلات الجديدة فى فهم الكلام العلمى ، واظنها محاولة اولى لم يسبقنى اليها أحد فى العالم الاوروبى أو الامريكى ، وانا اقول ذلك ردا على كثيرين ممن يسرعون الى اتهامنا بالنقل الاعمى عن سوانا ، لاؤكد لهم ان النقل هنا كان نقلا بصيرا واعيا .

والحق انى لأعجب عجبا شديدا اليوم كلما قرأت شيئا لمن يعارضنى فى اتخاذ هذا « المنهج » أداة للفهم ، لاننى الاحظ أن هؤلاء المعارضين يحسبون انه منهج يؤيد أو يعارض قضية بعينها من الناحية الفلسفية ، فى حين انه لا يؤيد ولا يعارض الا على أساس التحليل « اللغوى » للعبارات التى تعرض سائر القضايا والافكار ! أليس من عجب أن ترى الناس لا يتعاملون فى حياتهم اليومية الا على أساس ما تمكن ترجمته الى « تجربة فعلية » حتى اذا ما جاءوا الى المجالات الهامة فى دنيا الفكر ، غضبوا ممن يدعوهم الى التزام مقياس « التجربة الفعلية » فيما يقولون ؟

انه لا ضير عندى فى أن يقول من شاء ما شاء ، على شرط أن يفرق لنفسه وللناس ما هو « خاص بمشاعره » وما هو « مشترك عام فى دنيا الواقع الخارجى » ، وفى القسم الاول يقع كل تعبير أدبى ، وفى القسم الثانى تقع كل قضية علمية ، وللكاتب بعد ذلك أن يختار أى العالمين يريد ان يكتب فيه ، لأن لكل من العالمين معياره الخاص ، فلا يجوز مثلا أن يعبر عن مشاعره بكلمات يحبها لجرسها ، ثم ينسى ذلك ويدعى أنه انما قال ما قاله ليصف الأمر الواقع .

وليختر من شاء من المذاهب الفلسفية ما شاء ، فلا اعتراض عندنا عليه ، لكنا كذلك أحرار فى « المنهج » الذى نفهم به كلامه ، لنحكم بعد الفهم ان كان كلامه هذا أدخل فى باب الأدب الخاص ، أم كان أدخل فى باب العلم العام .

ولننظر بعد ذلك الى ما قد صنعه الفلاسفة العرب الأولون ، فماذا صنعوا ؟ درسوا الفلسفة اليونانية ليستخدموها فى تحليل مفاهيمهم الدينية ، وانى لأصنع اليوم مثل صنيعهم تماما : أدرس الفلسفة العصرية لأستخدمها فى تحليل مفاهيمى الاجتماعية والسياسية ، والذى يعارض فى تطبيق هذا التحليل المنطقى العقلى على مفاهيمنا الاجتماعية والسياسية هو رجل يريد أن يقول ان مفاهيمنا هذه لا منطق فيها ولا عقل ، لكننى لا أقول ذلك ، لأننى أطبق منهجى هذا عليها فأجد طائفة كبيرة منها «تنجح فى الامتحان» العقلى المنطقى .

ويصمت لحظة ، ثم يقول: انا اعرف السؤال الذى تهم به الآن ، ولكنى افضل عدم الاجابة عنه فى هذا الجو العاصف الذى يحيط بقضية الشعر الآن ،وحين يحس فى صوتى شيئا من الضيق يقول :

سأحدثك عن نظرية الشعر عند الفارابى فهى تكاد تكون حديثة وغير متداولة فى حياتنا ثم يكمل : تدور هذه النظرية حول أن الغاية التى يحققها الشعر ، هو ان الشاعر يوحي لقارئه بوقفة سلوكية بل انه يريدها له ـ وهذه الوقفة السلوكية لا يعبر عنها بالقول المباشر ، وانما برسم صورة يكون بينها وبين السلوك المرتجى علاقة الاشارة الموحية ، ولو صدق هذا المذهب كانت لنا به ثلاثة معايير يكمل بعضها بعضا ، وفى الوقت نفسه نستطيع أن نميز بها جيد الشعر من رديئه ، فالمعيار الاول أن ترسم القصيدة صورة أوصورا تتكامل أجزاؤها بحيثيمكن تصورها ، والمعيار الثانى أن يكون للصورة المرسومة من قوة التداعي ما تستجلب به الى الذهن شبيها لها من الخبرة المخزونة عند القارىء ، والمعيار الثالث ان تكون الصورة المستدعاة مدعاة لصاحبها على اصطناع وجهة نظر خاصة ينظر بها الى العالم ، وفى الوقت نفسه يصطبغ بها السلوك اجمالا .

وتنهال على افكار الدكتور زكي نجيب محمود التى تدور حول أن الشعر كسائر الفنون يجيء الجديد ليضاف الى القديم اضافة الشقيق الىالشقيق في الأسرة الواحدة، وأن المتنبي لا يلغى امرأ القيس، ولعل هذا يوضح تساؤل الشاعر روبرت جريفز « هل استطاع شيكسبير أن ينقص شيئا من مكانة تشوسر ؟ » فأصحاب القديم والجديد يتوهمون دائما أن بقاء أحدهما مرهون بزوال الآخر ، وفى ضوء هذا لابد من وضع مبدأين هامين فى قبول الشعر الجديد وهما : اولا ان يكون قد جاء ليصوغ حالات لم تخرج من قبل الى عالم الصياغة اللفظية ، وثانيا الا تكون هناك وسيلة أخرى غير الشعر لقيد تلك الحالات الجديدة ، ذلك لأنه لا داعى لأن نفرض على أنفسنا قيود الصياغة الشعرية فى حالات يكفيها النثر .

واعود ثانية الى التحديق فى وجهه ثم اقول له :

« ما حصيلة هذه الحياة الفكرية التى عشتها ؟

ويتململ فى مقعده ، ثم يطرق بوجهه الأسمر قليلا ، ولكنه لا يكمل الاطراقة ، لأن صوته سرعان ما يعود نقيا ، وبطيئا أكثر من قبل ليقول :

حصيلة هذه الحياة الفكرية التى عشتها هيمركب ثقافى من فلسفة تجريبية علمية ، وأدب ونقد ، ولا تناقض بين أن يجتمع الجانبان فى رجل واحد ، مادام يطبق القسم الأول فى مجاله العلمى ، والقسم الثانى فى مجاله الأدبى والفنى ، دون أن يخلط بين القسمين .

فان بى لشغفا شديدا بالادب نثرا وشعرا ، واذا ما وقفت من قطعة أدبية ـ نثرا كانت أو شعرا .. موقف الناقد ، لم أطالب صاحبها بما أطالب به الكاتب العلمى ، بل جعلت مقياسى هنا هو : الى أى حد تجيء القطعة الادبية كيانا قائما بذاته ، له قوانينه الخاصة ، أعنى أننى اذا ما دخلت قصيدة من الشعر ، فاننى أريدها أن تطوف بى فى عالمها الخاص الذى يتسق فيما بينه وبين نفسه ، ومهما جاءت فيها من غرابات الخيال ، فهى مقبولة ما دامت تتمشى مع « القوانين الخاصة » التى تحكم عالمها ، انني اذا قرأت حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة فانا لا أعترض على « بساط الريح » لأنه سيجيء فى الحكاية متسقا مع قوانين عالمها ... وهذا هو الخلق الأدبى الصحيح ، فاذا سألتني : وماذا تكون علاقة الأدب المستقل بنفسه هذا ؟ بالواقع وحوادثه قلت : تكون هذه العلاقة علاقة «موازاة» اذ أنني حين أنظر الى الموقف بعين فاحصة نافذة ، أجد هناك موازاة بين « عالم » القطعة الادبية و « عالم » الواقع ، ولهذا كله ترانى اقبل الشاعر والقصصى وسائر رجال الادب دون أن اتنكر مبدئيا لفكرة بعينها أو لمذهب بعينه ، لأن خالق الادب هو خالق عالمه الخاص ، وكل ما عليه هو أن يضبط قوانين ذلك العالم الخاص ضبطا لاتخبط بين أجزائه ، ثم أن « يوازى » بين بناء عالمه الخاص من ناحية وبناء العالم الواقع من ناحية أخرى .



وكما يصبح للوقت جناحان حينما يقبل انسان على لون من ألوان المرح ، فان الوقت يمكن أن ينمو له جناحان ، ويمكن أن يسرعا بالانسان وهويستمع الى الوجه الجاد الحاسم فى حقل الفكر .. ولقد احسست بهذا وأنا أنصت الى الدكتور زكى نجيب محمود ، ولا أدرى لماذا وفدت على عينى صورة الشمس فى الصور التى خلفها قدماء المصريين ، فهم يحشدون الحياة فى اللوحة ، ثم يعلقون كل جانب منها بخيط من خيوط الشمس المطلة ، وما احسب احدا من مثقفى هذا الجيل الا وقد انتفع بما كتب الدكتور زكى نجيب محمود .. الا وقد تلقى شعاعا ار أكثر من هذه العين السخية التى تسمى شمس الفكر .

« عبده بدوى »

مأساة تشيكوف على مسرح الجيب

بقلم : جلال العشرى

ان تقدم تشيكوف بالعربية عمل رائع ومحاولة عملاقة ان لم اقل فريضة درامية ، اما ان نقدمه بحيث نجعله فرجة للناس بدلا من ان يكون متعة للجمهور فعمل غير رائع ومحاولة غير عملاقة ان لم اقل خطيئة درامية ، خطيئة درامية لانها تؤذى احساسنا بالجمال وتعطل اعجابنا بالاشياء وتعوق خطة التنمية الدرامية التى ناخذ بها انفسنا وناخذ بها الجمهور . ولا اكون مبالغا اذا قلت ان هذا بعينه هو ماحدث على مسرح الجيب ولكن لماذا يحدث على مسرح الجيب ؟ لاندرى ، ومادمنا لاندرى فمن حقنا بل من واجبنا ان نعيد النظر في رسالة مسرح الجيب فنسال عن حقيقة الوظيفة التى يشغلها ومدى مشروعية هذه الوظيفة فالقضية هنا ليست قضية تشيكوف بقدر ماهى قضية مسرح الجيب .

اما ان مسرح الجيب ضرورة تقتضيها نهضتنا المسرحية ويستلزمها نضجنا الدرامى فهذا امر مفروغ منه ، لأن المسارح التجريبية فى العالم كله انما تنشا استجابة لحاجة الأفكار الطليعية الجديدة الى النشر ، ولمخاطبة الجانب المنتقى من الجمهور الذى يمكن الاعتماد عليه فى التأثير على جمهور المسرح العام ، وأخيرا لوصل مسرحنا العربى بالتيارات الابداعية العالمية الجديدة . هذه جميعا هى مبررات انشاء مسرح الجيب فاذا ماانحرف عن اداء هذه الرسالة واصبحت رسالته تقديم مايمكن تقديمه على المسرح القومى أو المسرح العالمى انتفى الباعث على وجوده وتناقض مع ماجاء فى وثيقة اعلانه : « ان حركة المسرح الصغير فى قرننا او فى اى بلد آخر ليست صراعا بين مسرح حديث والمسرح التقليدى . انها حركة أخلاقية فنية أكثر منها جمالية . انها محاولة لدفع دم جديد فى المسرح » .

فاذا بحثنا فى ضوء هذه الاعتبارات عن الدم الجديد الذى دفع الى تقديم تشيكوف على مسرح الجيب لم نكد نعثر على قطرة واحدة ، فالمسرحية كتبت عام ١٩٠٣ وتعتبر الآن فى عداد المسرح الكلاسيكى او المسرح «النيوكلاسيك» على اكثر تقدير ، والاخراج لم يات برؤية جديدة عن تشيكوف ولا بتاويل خاص للنص ، والاداء مرتبط بالاخراج بطبيعة الحال ، واذن فالجديد الوحيد فى المسرحيه هو ترجمتها عن الروسيه ، ولكن هل الترجمة وحدها تكفى ! صحيح ان ترجمة اى عمل من الأعمال الروائع يجب ان تكون عن اللغه الاصلية مباشرة والى لغتنا الفصحى لا العامية ولكن الترجمة اذا لم يكن فيها الكفاية لم يعد هناك مايبرر تقديم العمل اصلا ، لان العبرة ليست بالترجمة عن اللغه الاصلية وانما بالترجمة الاكثر اقترابا من النص والأكثر صلاحية للاداء المسرحى ، وفي رأيى ان ترجمة نجيب سرور لم تف بهذا كله ، ولم تكن موفقة الى حد كبير والى حد كبير جدا ... فاكثر العبارات ركيكة التركيب مضطربة البناء مما يسلبها نغمية العبارة ويفقدها رنين الاداء المسرحى ، من ذلك مثلا قول دنياشا «لكنه فقط غير مفهوم» وقول لوباخين «فقط يجب اعداد الارض» وقوله ايضا : «فقط يتناول الشاى» وقول فاريا «فقط اذا لم يفتنى القطار» وقول مدام رانيفسكايا «فقط عليك ياعزيزى أن تجد فى الدرس» الى آخر هذه العبارات التى تبدا بكلمة فقط . فاذا فرغنا منها ارتطمنا بنوع آخر من العبارات كما فى قول آنيا «يحبنى بشدة» وقول لوباخين : «اشكرك بعنف» وقول جاييف : «أنا متعب بفظاعة» ، وقول فاريا « الا تذهب فى النهاية» . ونوع ثالث من العبارات لاتكاد تخرج منه بمعنى كما فى قول آنيا : « مرة اخرى ثمة شىء» وقول جايف : «فجاة اصبحنا غير

ضروريين» وقول مدام رانيفسكايا ! «من الذى يدخن هذا النوع المقرف من السيجار» وكنت افضل عليها .. هذا النوع الردىء من السيجار .. وقول جاييف « هذا الدولاب عمره مائة سنة بالضبط» والاصح « مائة سنة كاملة» وقول فيرسى ! «كارثة العتق» والافضل «كارثة تحرير العبيد» .

صحيح ان الترجمة لا تخلو من عبارات شاعرية **رنانة كما فى رثاء جاييف الدولاب وكما فى مناجاته للطبيعة ولا تخلو أيضا من تعاطف عميق مع الكاتب كما فى كلام بتيا عن المثقفين ، ولكنها فى عمومها ليست مبررا كافيا لتقديم تشيكوف على مسرح الجيب ، فاذا تركنا الترجمة وذهبنا الى الاخراج وما يرتبط به من تمثيل وجدنا انفسنا بازاء مستوى لا يرتفع كثيرا على مستوى الترجمة .**

ولكن الكلام عن الاخراج والتمثيل يقودنا بالضرورة الى تذكير القارىء بخطوط العرض فى هذه المسرحية النادرة التى تجلت فيها براعة تشيكوف فى نظم الاشخاص ورسم الحوار ، واخيرا فى صناعة ما يمكن تسميته بالتصيد المسرحى .

فهنا مسرحية لا تحتوى على عقدة من اى نوع لأنها لا تخاطب العقل المنطقى وانما تخاطب الحساسية التمثيلية الشعرية . ولا تقصد أساسا الى المعنى الايديولوجى بقدر ما تؤكد الدافع الوجدانى الذى موضوعه معاناة التغير . فها هى ذى مدام رانيفسكايا تعود الى وطنها بعد ان اضاعت كل اموالها على عشيقها فى باريس ، تعود هى واخوها جاييف وابنتها آنيا لتجد الضيعة القديمة التى تسمى باسم البستان المشهورمثقلة بالديون وقد حدد يوم ٢٢ اغسطس يوما تباع فيه فى المزاد .

والمشكلة الآن هى ايجاد الوسيلة التى يمتنع بها المحضرون من بيع البستان لسداد الديون . اما لوباخن ذلك التاجر الثرى الذى كان آباؤه واجداده يعملون ارقاء فى الأرض فيعرض عليهم مشروعا ينقذهم به من الدمار ، ومشروعه أن تقطع أشجار البستان وتقسم أرض الضيعة وتقام الفيلات ضاحية سكنية للمدينة الصناعية النامية ولكن الاسرة كلها لاتطيق هذه الفكرة ، فكرة تقطيع أشجار البستان ، فالبستان عند مدام رانيفسكايا هو ضريح الذكريات وعند جاييف مادة من مواد القاموس الموسوعى وعند فاريا عز الماضى وشرف الاسرة وعند آنيا مرتع الصبا ونضارة الشباب وحتى فيرسى الخادم العجوز يأسى على ضياع حبات الكرز . ولكن .. ماذا يهم ؟ البستان يباع فى المزاد ، والمزاد يرسو على لوباخن ، ولوباخن يأمر باخلاء البيت وتقطيع أشجار البستان . ويرحل افراد الاسرة واحدا بعد الآخر ، يرحلون على أشلاء البستان .. مدام رانيفسكايا تعود الى باريس ، وجاييف يعمل موظفا فى البنك ، وفاريا تعمل مديرة لأحد البيوت ، وآنيا تتهيأ لاجتياز الامتحان الذى تحصل بعده على شهادة تتوظف بها لتعول امها . وما ان يتم رحيل الأسرة حتى نرى فيرسى الخادم العجوز .. لقد نسوه ، اهملوه تركوه يعانى حزنا جليلا ويأسا رائعا فكل ضربة تهوى على اشجار الكرز يدوى صداها فى أعماق روحه واغوار ضميره واخيرا يموت ، يموت آخر من بقى من عهد مضى ، وبموته يتلاشى بستان الكرز يتلاشى تماما ولكن روسيا كلها تبقى بستانا للجميع .

فالفعل المسرحى الذى يلف الكاتب ويدورحوله ابدا هو المحاولة الفاشلة لانقاذ بستان الكرز ، فالشخصيات جميعا تأسى على ضياع البستان كل بطريقته الخاصة والشخصيات جميعا تحاول انقاذ البستان كل بطريقته الخاصة ، لذلك فان تشيكوف ينتقى من الأحداث واللحظات فى حياة اشخاصه تلك التى يشعرون فيها بموقفهم ومصيرهم من البستان كاتم ما يكون الشعور ما دامت كل شخصية ترى فيه شيئا من القيمة .. قيمة اقتصادية او قيمة عاطفية أو قيمة اجتماعية او قيمة ثقافية او اية قيمة اخرى . ومعنى هذا ان تشيكوف يستخدم عدة عاكسات مختلفة يلقى منها الضوء على الفعل الرئيسى فى مسرحيته . ولكن المخرج اضاع كل هذه العاكسات واكتفىمنها بعاكسين اثنين هما اللذان يبرزان المضمون الايديولوجى فى المسرحية ... غروب شمس الاقطاع وبزوغ نجم البورجوازية ، فمدام رانيفسكايا تقف فى مواجهة لوباخن ، وآنيا تواجه بتيا ، ودنياشا تواجه ياشا وكلهم ليسوا اكثر من عاكسين اثنين رغمما بينهما من اختلاف فىالتشابه او رغم ما بينهما من تشابه فى الاختلاف .

ونتناول فصول المسرحية فصلا فصلا : **الفصل الاول** عبارة عن مقدمة .. فهو يمثل عودة مدام رانيفسكايا كاسفة البال مخيبة الرجاء بعد ان انفقت كل اموالها على عشيقها فى باريس ، فهو اذن ليس «العود السعيد» الذى يستقبل بديكور تعبيرى فاقع ولا بالفرح المتطرف او الابتهاج المبالغ فيه ، فضلا عن التحركات الفيزيقية الكثيرة من دخول وخروج وضحك وبكاء ووقوع واصطدام وقبلات يتبادلها الجميع بما فيهم فاريا التى تدخل من نفس الباب الذى يدخل منه افراد الاسرة حتى يظن المتفرج انها كانت معهم فى باريس . وهذا كله دخيل على روح النص التشيكوفى الذى يحتاج فى هذا الفصل الى شيوع معانى الفرح الحزين والسرور المتوجس والصمت الدفين الذى ينذر بقرب وقوع الكارثة ، وبدلا من اللجوء الى العامل الموسيقى للايحاء بهذا كله استعان المخرج بشخير « بيشيك » الهزلى الذى يتصاعد من حين لآخر كان هذا بالطبع على حساب وظيفة الفصل الاول وهى ان نرى من خلال عينى مدام رانيفسكايا وعينى ابنتها آنيا ومن خلال نظرات لوباخن وبتيا المكملة ايضا ، ان نرى البستان بما كان عليه وأن نتخيله أيضا بما سيصير اليه .

فاذا انتقلنا الى **الفصل الثانى** حيث القيم المتصارعة فى نفوس الاشخاص ، وحيث المحاولات التى يبذلها كل منهم لانقاذ «بستانه» ، وحيث المصير المحتوم الذى يخيم على الجميع .. وهو ضياع البستان . فوجئنا بديكور ساذج ومسطح الى اقصى حد ، ديكور لا هو واقعى ولا هو تعبيرى ولا هو اى شىء على الاطلاق .. لوحة كبيرة تمثل طريقا زراعيا ينتهى بضيعة جاييف ، اللوحة موضوعة وضعا فى خلفية المسرح وجانباها مفتوحان بحيث يمكن رؤية كل من يعبر من خلفها ، أما اعمدة التلغراف فشىء يغرى بالضحك . فاذا سألنا واين الكنيسة القديمة المهجورة ، أين البئر والاحجار التى تبدو كأنها شواهد القبور ، اين بقية المواصفات التى نص عليها تشيكوف فى الترجمة الانجليزية ؟ لم نسمع جوابا .. ربما لم تكن موجودة فى الاصل الروسى ! المهم ان المخرج هنا لا يزال يستخدم التحركات الفيزيقية الكثيرة فها هى ذى شارلوتا المربية ودنياشا الخادمة وياشا تابع مدام رانيفسكايا وبيبخوروف عازف الماندولين ها هم جميعا يقعون على الارض ويقومون ليقعوا من جديد . والمخرج هنا يستبدل القبلات المتبادلة فى الفصل الاول بالبصقات المتبادلة بين كل هؤلاء فما لا يقل عن عشر بصقات تبودلت فى هذا المشهد ، ولا يزال أيضا يحصر نفسه فى المستوى الفيزيقى دون ان يعبره الى المستوى الروحى او الميتافيزيقى . فقرب نهاية هذا الفصل يوحى تشيكوف بان البستان قد ضاع تماما لكنه لا يستخدم لهذا الغرض خطة الزمن الواقعية وحدها ... غروب الشمس وبزوغ القمر ... وهى ما وقف عندها المخرج . واعتمد فيها على تغيير الاضاءة وانما يستخدم آنيا وبتيا نفسيهما على انهما عاكسان يشربان . فعندما تقول له آنيا انها لم تعد ترى فى بستان الكرز « هذا » أجمل مكان فى العالم يرد عليها بتيا لأن روسيا كلها اصبحت بستانا للجميع .

وبعد ذلك يجىء **الفصل الثالث** حيث التناقض على اشده والمأساة قد بلغت الذروة .. حفل صاخب فى البيت ومزاد قائم فى المدينة ، مدام رانيفسكايا تشرب وترقص . ولوباخن يكد ويعرق . هى تهوى الى مستوى الرقص مع موظف البريد وهو يصعد حتى يصبح مالكا للبيت والضيعة والبستان .. اجل لقد رسى عليه المزاد وها هو يعود ليعلن ذلك على الجميع . ولقد وفق المخرج الى حد كبير فى ادارة كل خيوط هذا الفصل ، فالديكور معقول جدا ، والشخصيات متجانسة ومتوافقة سواء فى الدخول والخروج او فى الحوار واللقاء . وابرز معالم هذا الفصل لحن الفالس الذى جسد كل ممكنات هذه المرحلة من مراحل التطور الدرامى .. حزن وشجن ، نصر وهزيمة رتابة وتقطع هما اشبه بالنواح وايقاع عميق هادر يئز فى الأعماق .

واخيرا يجىء الفصل الاخير .. لقد انتهت اسطورة البستان ، تلاشت كما يتلاشى شعاع الشمس حين يسطع على جناح طائر ، وها هى ذى « الرغبة فى انقاذ البستان قد تمخضت فى الحقيقة عن

ائتلافه ، واجتماع أهله تمخض عن فرقتهم ، والعودة الى الوطن تمخضت عن الرحيل كما جاء فى عبارة فرجسون • وكان رائعا من المخرج أن أسدل ستار المسرح الداخلى على البستان وحده وترك المسرح خاليا الا من فيرسى فى اضاءة خافتة معتمة يئن ويتوجع وأخيرا يموت ، يموت آخر من بقى من أسرة رانيفسكايا رمز الاقطاع الروسى المتلاشى الى الأبد .

تبقى كلمة أخيرة تقال فى الممثلين الذين بذلوا جهدا كبيرا فى النهوض بأعباء هذا النص غير العادى رغم ما فيه من رهافة وشفافية ، ورغم ما يتطلبه من حساسية تمثيلية ونبض درامى. والحق ان **محمد الطوخى** كان وفيا بكل هذه المواصفات وزيادة ، فقد أدى دور لوباخن الفلاح الروسى الذى يمثل البورجوازية الصاعدة ، اداء بفهم عميق وبراعة حقيقية ، وكان متمشيا بشكل يدعو الى الاعجاب مع كل تموجات هذا الدور • وكذلك **أمينة رزق** بذلت جهدا جبارا فى القبض على دور مدام رانيفسكايا وطرحه بكل أنغامه الحادة وتلوينه الدرامى ولو أنها فى بعض الأحيان كانت تطعم الدور بشحنات مليودرامية بعيدة عن روح النص • أما **نادية السبع** فقد كانت دنياشا حقا .. الخادمة الروسية التى تستمتع بكل رخاصة المرأة وتستمتع ايضا بكل رسم الخادمة الساذجة البلهاء ، ولو أنها كانت تبالغ قليلا فى تحركاتها السريعة الخاطفة وفى هيامها بياشا تابع مدام رانيفسكايا، وهو الدور الذى أداه الممثل الواعد **أحمد كامل** اداء طبيعيا جيدا . اما **سهير المرشدى** فكانت أكثر من رائعة فى تمثلها وتمثيلها لدور فاريا •• استطعمت الدور وهضمته فحافظت على كل أبعاده الحقيقية ، وادته بطريقة انسيابية بارعة بل انها كانت تغطى ماقى دور آنيا من ثغرات وهو الدور الذى قامت به **نوال ابو الفتوح** فكانت دون مستوى اختها بكثير •

وأخيرا لا يفوتنا فيرسى وهو الدور الذى أداه **رشدى المهدى** فوفق فى أدائه كل التوفيق واستحق منا كل الاعجاب .

« **جلال العشرى** »

الكتب تقدم وتعرف

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية

تأليف : محمد الراوي
نقد : محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الذي يقع في أكثر من خمسمائة وثلاثين صفحة دراسة واسعة للاستاذ محمد الراوى المفتش العام للشئون الدينية بوزارة الأوقاف ، يعرض فيها دعوة الاسلام كدعوة عالمية فى جانبيها الروحى والمادى .

وقد قسم المؤلف هذه الدراسة الى خمسة أبواب :

تناول فى الباب الأول ، التعريف بالاسلام وروحه العالمية ، فالدعوة الاسلامية هى دين الله الذى بعث به الانبياء جميعا ، تجدد على يد محمد خاتم الأنبياء ، كاملا وافيا لصلاح الدنيا والآخرة ، وهى انما تستمد بقاءها من أمرين : **كونها** من عند الله ، **وصلاحيتها** لكل زمان ومكان ، **كما** تناول الخصائص التى يجب أن يشتمل عليها الاسلام ليكون عالميا وصالحا لكل زمان ومكان ، وقد أجملها فى ثلاث :

١ ـ **وفاؤه** بحاجة الانسانية جمعاء ، فيما يصون وحدتها ، ويرعى انسانيتها .

٢ ـ **تشريعاته** التى تضمن قيام الانسانية كلها فى محيط واحد ، لا تنزع معه الى عصبية دم ، أو اختلاف لون ، أو فرقة جنس .

٣ ـ **اتساقه** مع حقائق الكون وخصائص الوجود بحيث لا يتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم ، أو يختلف مع منطق الفكر ..

* * *

وفى الباب الثانى : تناول عموم الدعوة الاسلامية ، من مدلول الكلمة ، ومن وحى الفطرة ، وفى حقيقة القرآن ، وشخص الرسول ، **فنحن** اذا تأملنا كلمة (**اسلام**) وجدناها تعنى الانقياد والامتثال لأمر الله بلا اعتراض ، وبهذا المعنى يمكن اطلاق كلمة (**مسلم**) على كل من خضع لله وأطاع أى نبى من الأنبياء .

والاسلام هو الفطرة التى لازمت الانسان من بدايته ، لأن الانسان بطبيعته ، ينعطف الى قوة أعلى يركن اليها ، ويؤمن بها ، على أن الانسانية فى استجابتها لهذه النزعة قد تضل فتخضع أمام شجر أو حجر أو أى كائن حى ، وقد تهتدى الى الحق فتكشف بذلك عن خصائص انسانيتها ، على أن الله لم يترك الناس ينحرفون بفطرتهم فيهيمون بين خلائق الأرض يطلبونها لشفاعة السماء ، بل هداهم الى استقامة الفطرة ، وارشدهم الى سلامتها ، هذا وقد قصر المؤلف حديثه عن القرآن على جانبين : أحدهما علاقة القرآن بالانسان ، ثم علاقته بالكون ، ثم أشار الى حقيقتين : الأولى ، تساءل : من أين لمحمد وهو الأمى الذى لم يتل من قبل من كتاب ولم يخطه بيمينه ، من أين له هذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ ومن أين للعرب جميعا بأصول هذه العلوم ومعارفها ، وهى تتعرض لأدق ما يمكن ان يكتشف عنه العلم فى الأجيال المتعاقبة ؟

والحقيقة الأخرى : أن العلوم التجريبية وهى تمضى فى مدار التجربة والملاحظة ، وتمتد فى باب الكشف والتعرف على أسرار الكون تجد نفسها فى ساحة القرآن تدين له بالفضل طوعا وكرها . وقد أخرج العقل من ظلام الوهم والحيرة .

ثم تحدث المؤلف عن الرسول الكريم ، كأكمل دليل على أن دعوة الاسلام رحمة للعالمين ، فرسالته مزيج من رسالات الأنبياء جميعا ، وسيرته لم يخف على الناس شىء منها حتى تعدم القدوة فى أى أمر ، وذلك شرط أساسى فيمن تجب القدوة به أن تكون حياته كلها معلومة للناس ، فما علمنا من سيرته وسلوكه يمكن ـ دون ريب ـ ان يكون نبراسا للخلق فى كل زمان ومكان .

وفى الباب الثالث ، تناول المؤلف العالمية فى

الدعوة الاسلامية ، وأنها سارية في فرائض الاسلام وتعاليمه ، **سارية** في الايمان بالله واليوم الآخر ، فاذا تأملنا هذه العقيدة راعنا من أول وهلة اتصال حياتين : مؤقتة نعرف أمرها ، وأخرى باقية خالدة تبنى على سلوك الانسان فى الدنيا ، واتصالهما يهذب الأولى ويضمن السلام والاستقرار فى الأخرى، وانفصالهما يشيع الفساد فى الأولى ويذهب بأمن الأخرى واستقرارها . **وسارية** فى الصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتملأ النفس بالعزم والثقة ، وتحوطها بشرف القصد وبر اليقين ، **وسارية** فى الزكاة ، لأنها منهج انسانى فطرى فى خدمة الانسان بفضائله وأخلاقه وروحه وجسده ، **وسارية** فى الصوم ، لأنه منهج للروح والجسد ، وللفرد والجماعة ، يمدنا بالعزيمة المتجردة ، والارادة الحرة ، **وسارية** فى الحج ، لأنه وحدة فى الاتجاه ، فالقبلة واحدة ، ووحدة فى الزمان ، فالحج أشهر معلومات ، ووحدة فى المكان ، فالطواف والسعى والوقوف ورمى الجمار والنحر والتلبية لها أماكنها المخصوصة ، ثم أخيرا **سارية** فى الآداب والأخلاق، لأن أخلاق هذا الدين مستمدة من عقيدته ، وهى ليست نظريات فلسفية ، أو مصطلحات علمية ، بل هى نور ، تحيا مع الوجدان ، كما تلتقى مع منطق الفكر وسماحة الفطرة .



وفى الباب الرابع : تناول المؤلف الطابع العالمى فى علاج الاسلام للمشاكل الفردية والجماعية ، **فالاسلام** ينظر الى الفرد نظرة كاملة ، تتفق مع واقع الفطرة ، وحقيقة الخلق ، وواقع الفطرة روح وجسد ، وحقيقة الخلق : الانسان مخلوق والله خالق ، والتربية الصادقة هى التى تهدف الى العناية بالانسان كله ، وتقيم العدل داخله ، وتعطى فى اعتدال كل جانب حقه ، **والاسلام** أيضا ينظر الى المجتمع فى أفراده ، والمجتمع الكريم أو المهين ، انما هو صورة منعكسة لكرامة الافراد أو مهانتهم ، وحقيقة المجتمع فى أفراده ، فاذا أنت أهملت شأن الأفراد فقد ذهبت بحقيقة المجتمع ، واذن فمدار الأمر على الفرد الذى هو أساس المجتمع .

والاسلام كرم العلم ، ويكفى أنه طلب الايمان بالله لا عن طريق التقليد والمحاكاة ، بل عن طريق النظر والتأمل ، **وكما** أن الانسان روح وجسد ورعايته لأحد الجانبين منافية للفطرة ، كذلك الحياة مادة وروح ، والعلم الذى يرعى أحد الجانبين دون الآخر يقيم معركة صاخبة فى ذات الانسان أولا ، لا تلبث أن تتحرك منه الى خارجه فى أنانية جشعة، وهذا ما انتهت اليه حضارة المادة حين تحيزت لغرائز الانسان فلم تلبث أن انتكست على نفسها ، فحطمت أو كادت تحطم ما صنعت وتدمر ما أقامت .

والاسلام يقرر الأخوة العامة ويقيمها على أساس من الود والتعارف ، والسلم والمسالمة ، والتعاون والوفاء بالعهد ، وازاء هذه المبادىء ، فان قضايا العالم كله تجد من رحابة الاسلام وعدالة حكمه ، ونزاهة تقديره وصدق غايته ، ما يصون للانسانية ودها .



أما الباب الخامس والأخير : فقد تناول المؤلف فيه حاجة الانسان الى دعوة الاسلام ، وهل يمكن للانسانية أن تحيا بدونها ؟ وهل أوفت الأنظمة القائمة بحاجة الانسان ؟ والاجابة عن هذين السؤالين تتمثل فى واقع الحياة اليوم ، وتجربة الاسلام ، قبل أن تشوبه الشوائب ، وتتضاءل شعوبه وهى منصرفة عنه .



وبعد ـ فالحق أن الأستاذ الراوى قد ألهم التوفيق فى أجزاء كثيرة من هذه الدراسة الجادة الواعية ، الا أن هناك وقفات محدودة فى حاجة الى النظر .

أول هذه الوقفات : فقر الدراسة الى البحث المقارن ولا سيما فى علاج الاسلام لمشاكل الحياة، والى مناقشة الآراء الحديثة فى التربية والسلوك الانسانى على العموم .

والوقفة الثانية : اسراف المؤلف فى التمهيد لبعض الموضوعات الدقيقة التى طرقها ، حتى كادت معالمها تضيع ، ثم اضطراره أحيانا الى الاسلوب الانشائى الذى ساعد كثيرا على تمييع المعانى .

والوقفة الثالثة : وضوح العاطفة الدينية فى بعض ما تناول ، فاذا سلمنا بعالمية الدعوة فى العقيدة الاسلامية ، وسلوك المسلم وأخلاقه مثلا ، فالتسليم بهذه العالمية فى العبادات أمر يحتاج الى توقف ، ولا سيما أن العبادات الاسلامية خاصة بالمسلم ولا تمتد الى غيره .

هذه وقفات سريعة لا تقلل كثيرا من أهمية الدراسة الواسعة الشاملة ، التى بذل المؤلف فيها جهدا مشكورا يسجل له بكل تقدير .

« **محمد عبد الله السمان** »

كتب جديدة

● **ماذا حدث فى السنة الجغرافية الدولية ؟**
تاليف : فرانك روجى
ترجمة : عبد المنعم ابو السعود
الناشر : عالم الكتب ــ القاهرة

يقع الكتاب فى ١٨٠ ص من القطع الكبير . وتقع دراسته في فصول سبعة ، تناول فيها المؤلف تاريخ السنة الجغرافية الدولية وتنظيمها ، وهى السنة التى بدأت فى أول يوليو عام ١٩٥٧ وانتهت فى آخر ديسمبر ١٩٥٨ وكانت أكبر برنامج للبحث الجماعى قام به العلماء لدراسة الارض على نطاق واسع ، كما تناول الارض الصلبة وسطح الارض والغلاف الجوى لها ، والشمس ، والمنطقتين القطبيتين : الجنوبية والشمالية ، ثم ادوات البحث في السنة الجغرافية الدولية ، كالصواريخ والأقمار الصناعية ومراكب الفضاء .

● **الدين وتنظيم الأسرة .**
تاليف : أحمد الشرباصى
الناشر : وزارة الشئون الاجتماعية

صفحات الكتاب ١٦٠ من القطع الكبير . وهو دراسة تهدف الى التماس هدى الاسلام فيما يتعلق بتنظيم الاسرة ورعايته لها ، وناقش المؤلف قضايا الأسرة ومشكلاتها وابرزها تحديد النسل . فاستعرض آراء المؤيدين والمعارضين من العلماء القدامى كالامامين : الغزالى وابن القيم ، والمحدثين كالمغفور لهما : الشيخين : محمود شلتوت وعبد المجيد سليم ، والامام الأكبر الشيخ حسن مأمون .

● **ابو العلاء المعرى**
تاليف : الدكتورة عائشة عبد الرحمن
الناشر : المؤسسة المصرية العامة

يقع الكتاب فى ٢٥٢ صفحة من القطع المتوسط، وهو ضمن اعداد سلسلة أعلام العرب التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ، وقد قسمت الدكتورة بنت الشاطىء ترجمتها لأبى العلاء الى خمسة أبواب ، قبل المولد (الوراثة) ورحلة حياة (معركة التحدى والطموح) وفي مفترق الطرق (رحلة الى بغداد ، ومعركه المجاهدة ثم نهاية المطاف حيث عرضت المؤلفه تراث ابى العلاء وآثاره الخالدة على الزمن .

● **النقائص والنجاح**
تاليف : ضياء الدين ابو الحب
الناشر : دار المعارف بمصر

هذا الكتيب الذى يقع في ١٦٠ ص من القطع الصغير هو العدد الاخير من سلسلة (اقرا) المعروفة ، يتضمن تسجيلا لانواع شتى مما تهجس به الخواطر المضطربة . والنفوس المرهقة من دواعى الشك والقلق ، ومن الموضوعات التى طرقها الكاتب ، النقائص وكيف تعين على الفوز ، لماذا ينتابنا الهم والاكتئاب وكيف تكون صفة الثقة بالنفس ونتغلب على القلق ، ومشكلة الارض ، وكيف نفيد من الايحاء الذاتى فى شفاء النفس ، ثم كيف نستخدم ذكاءنا استخداما مفيدا .

● **نافذة على الكون**
تاليف : د . امام ابراهيم احمد
الناشر المكتبة الثقافية

هذا الكتيب الذى يقع في ١٤٤ ص من القطع الصغير احد اعداد سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى .

والكتيب على صغر حجمه يتناول موضوعا على جانب كبير من الاهمية، اذ يتعرض لجهود الانسان فى اكتشاف الكون ، واول نافذة اطل منها الانسان على الكون ترجع الى قدماء المصريين والبابليين ،لاعتبارهم أول من وجدوا الأجرام السماوية ، ولكن حضارتهم اقدم حضارة بقيت آثارها حتى اليوم . وعرض الكتيب لارصاد العرب ، وجهود علمائهم في هذاالمجال ثم للمنظار الفلكى، والرادار واللاسلكى والصواريخ .

● **الامام الممتحن : احمد بن حنبل**
تاليف : البهى الخولى
الناشر : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

عدد صفحات الكتاب ٧٠ من القطع الصغير . وهو دراسة مركزة عن احد ائمة المذاهب من خلال محنته تلك التى اشعل نيرانها المعتزلة وتعنى بها قضية (خلق القرآن) والمؤلف يعرض الامام الممتحن من زوايا عقله النقى ، وهمته المتقدة بآثار رسول الله ، وصبره الذى لا يغيض له معين ولا تهن له قوة ، ولا تبلى له جدة .

« **احمد عبد الصمد دياب** »

الشعر السياسي العراقي

في القرن التاسع عشر

تاليف : ابراهيم الوائل

حمل الاسلام الى أرض الوافدين حضارة جديدة في العلم والعمل فأسست الكوفة والبصرة وسار العلم والعمل في تلك المعاهد والضفاف جنبا الى جنب ثم أسست مدينة واسط بين الكوفة والبصرة لتسهم بنصيب من العلم والعمل ثم قامت بغداد على دجلة فشغلت التاريخ وماجت بالعقول المبدعة المنشئة ونشطت المدرسة الاسلامية العربية وظلت تعطي وتاخذ وتمد أشعتها في مسافات بعيدة من دنيا المسلمين ، ودونت الكتب في الدين والعقائد والمناظرات والفلسفة والادب والتاريخ واللغة ، وتعددت دواوين الشعراء ومجاميع النثر ، وألف للجسم ما ألف للعقول والقلوب وبقي كل شيء من ذلك ميراثا للاجيال يتحدث به الغادي والرائح والمقيم والراحل والعربي والاعجمي .

وقد عالج المؤلف موضوع الشعر السياسي العراقي فاوضح الحالة السياسية والادبية في العراق قبل القرن التاسع عشر ثم الحالة السياسية في الدولة العثمانية وكذلك الحالة العلمية في العراق والمدارس العثمانية .

وبعد أن فسر المؤلف دور الشعر السياسي ومعناه وتطوره وطرق التعبير فيه من فخر وحماسة وشكوى من الحياة ، وصل بنا الى ما أسماه بالشعر في ركاب الدولة - أو في موكب السلاطين ، مثل السلطان محمود الثاني - والسلطان عبد المجيد الاول ، والسلطان عبد العزيز - والسلطان عبد الحميد الثاني - وما في هذا الشعر من قيم فنية وموضوعية ومن أهم فصول الشعر ما تناوله الكتاب في الجانب القومي والوطني من حيث دراسته لمفهوم القومية في العراق ابان القرن التاسع عشر ومدى صلة الشعراء بها وما قيل فيها من شعر .

ويقع الكتاب في ٣٠٥ صفحة من القطع الكبير ونشرته مطبعة العاني - ببغداد بالاشتراك مع جامعة بغداد .

اللغات الاجنبية

دورها الثقافي في المجتمع الجديد

تاليف : الدكتورة نعيمة محمد عيد

لا شك أن العلم والفن والادب لا وطن لهم ، بل تتسابق كل الشعوب بالاسهام في كل منها بنصيب تتحرى أن يكون غنيا عظيما .

والعصر الذى نعيش فيه يتميز باتجاهين ، فهو من ناحية يشجع التعاون الدولي هادفا الى التقريب بين الشعوب ، وان تعددت الاسباب والاسس التى يتخذ منها قواعد لهذا التقارب . ونجده من ناحية أخرى يتميز بابراز اتجاهات تشجع تشبث الفرد بموطنه وموطن أجداده ، وتنادي بالاستمساك بالوطنيات الخاصة المستقلة وما يستتبعها من اعتزاز بلغة البلاد القومية وتراثها الادبي والعلمي .

وعن طريق اللغة تستوعب ما تحتويه الكتب والصحف والمجلات ، وبها ننصت الى مختلف الوان الاحاديث والبرامج في الاذاعة والسينما والتليفزيون ففى كل هذه المجالات تتجلى أهمية اللغة في حياتنا اليومية ، فهي وسيلتنا الاولى كمستمعين ، أو قراء ، أو كتاب ، أو متحدثين .

ويبين لنا الكتاب ضرورة اهتمامنا بتعلم اللغات الاجنبية واجادتها .

ومحاربة ذلك الهبوط المخيف في عدد من يتعلمون هذه اللغات ويجيدونها ويعرض لأهم اللغات الاجنبية التي عرفت في مصر خلال القرن التاسع عشر ودور اللغات الاجنبية في المجتمع الاشتراكي الجديد ، ثم تطور أهداف ووسائل تدريس اللغات الاجنبية في التعليم القومي مع نقد لبعض الطرق المتبعة في تعليم اللغات الاجنبية ، وبعد ان يبحث الكتاب في أثر اللغات الاجنبية على الثقافة القومية ، والدور الحضاري للغات الاجنبية في المجتمعات الحديثة تتساءل المؤلفة في الفصل الثامن والاخير من الكتاب عن أى اللغات الاجنبية تختار؟ مع اقتراحاتها الخاصة بتحسين المستوى العلمي القائم .

ويقع الكتاب في ٢٥٣ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار النهضة العربية .

« تحسين عبد الحي »

قراءات في المجلات العربية



يقدمه: محمد العوانى

● **أدب العصابات :**

قدمت مجلة الثقافة في عددها الثالث والثمانين مقالا لرئيس التحرير عنوانه « ظلام وبرد » عقد فيه مقارنة بين الأدب في الماضي والأدب في الوقت الحاضر. ففي رأيه أن الأول كان مفهوما واضحا يؤدي وظيفته وعلى العكس من ذلك أدبنا الحاضر فاننا «نقرأ ونقرأ وقلما نخرج مما نقرأ بمعنى نأتنس به ، أو معنى يشعرنا بالدفء في تأمله أو مناقشته أو مراجعة أنفسنا به». ويلقى فريد أبوحديدتبعة هذا الانحطاط في الأدب الحديث على الاعتماد على النقل من الأدب الجديد في أوربا وأمريكا ذلك الذي لايمت بصلة الينا ولايساير تطورنا، اذ أن «الأدب في أوربا وامريكالم يعد نقدا للحياة بل أصبح منقطعا كل الانقطاع عن الحياة ، وقد أصبح أدبا أنانيا لا ينظر الى طبيعة الانسان . ولا ينظر الى صلة الانسان بالمجتمع بل يتصل بالاديب نفسه ليكشف عما في داخله .. فاذا كان مريضا نفسانيا أطلع الناس على أحاسيس المريض النفساني ، واذا كان مائلا ميلا اجراميا صور للناس أحاسيس الفرد ذي الميل الاجرامي ، واذا كان شاذا في خلقته صور للناس أحاسيس الفرد الشاذ في خلقته » .

ويتحدث المقال عن العصابات الأدبية التي تريد أن تفرض افكارها على غيرها، فقد أصبح هناك «أدب عصابات من مجموعات متفرقة من الأدباء تجمع بينهم علاقة التعصب لاتجاه أدبي واحد فكل واحد من أفراد العصابة الادبية يشعر بأنه ملتزم أولا بالاعجاب المتبادل بما يصدر عن الآخرين من الانتاج ، وهذا نوع من النرجسية ، لأن الاعجاب المتبادل بين أفراد العصابة الادبية ما هو سوى نوع من الاعجاب بالنفس » .

ويمضي أبو حديد متسائلا : ماذا يكون عذرنا اذا تغافلنا عن ذلك التزييف الأدبي الذي يقنع فيه الاديب برجمنا ورجم مجتمعنا باكوام من أحاسيس مفتعلة وأفكار مزورة قائلا لنا كلمة واحدة « هكذا أنا أفكر وهكذا أنا أشعر ، وليس ما أقوله لكم من شأنكم أنتم » .

ويضيف الى ذلك قوله « اننا في حاجة الى معرفة ما يجرى في العالم في ميادين الفنون والآداب ولكن العلم بما يجرى في العالم لا يكون على حساب أنفسنا واحساساتنا وأفكارنا ، ولا يكون على حساب مصلحة مجتمعنا » ويننتهي المقال ليؤكد ان الدعوة الى فتح النوافذ التي تطلعنا على ما يجرى في العالم ، قد اتضح انها دعوة أسيء اليها اساءة كبرى ومن أجل هذا وجه لومه الى أدبائنا لأنهم « لم يفتحوا لنا النوافذ التي تجدد لنا الهواء وتسمح لأشعة الشمس أن تدخل الى أدبنا والى مجتمعنا بل فتحوا لنا بعض النوافذ التي لا تطل الا على خربات مملوءة ببقايا محطمة من الزجاج والفخار وقطع من الهلاهيل القديمة ومصاصة القصب » .

وعلقت على هذا المقال مجلة الاذاعة والتليفزيون راجية الى فريد أبو حديد أن يقدم لنا دراسة عن هؤلاء الأدباء الذين فتحوا النوافذ التي لا تطل الا على الخربات .

وهــذا اقتراح وجيه نرجو من الــكاتب الكبير «أبو حديد» أن يستجيب له . ونقول أخيرا لهؤلاء الذين يقلدون وينقلون ان الواجب يتطلب منهم أن يراعوا تقـاليدنا الموروثة وامكانياتنا الفــكرية والاجتماعية حتى يكون عملهم الذى يقومون به متفاعلا مع مجتمعنا وعاملا خصبا لاستمرار النهوض بأدبنا.

● **الموشحات فى الأدب العربى :**

وجاء فى مجلة «الأديب» اللبنانية بحث كتبه محمد رجب البيومى تحدث فيه عن ضعف تأثير الموشحات فى الأدب العربى ، فبين أن الباحثين يختلفون فى نشأة الموشحات الى فريقين : فريق يرى أن الموشحات نشأت استجابة لرغبة شعرية فى الانطلاق من القيود والتحليق بالمعانى فى أفق رحيب ، والآخر يرى أنها نشأت لرغبة غنـائية فى مجتمع يحتفل بالشـدو والترجيع الذى تضج به الأوتار والعيدان. ثم يذكر الباحث أن الجو الغنائى الذى ساد فى الاندلس «هو الذى أوحى للشعراء أن يبتدعوا الموشحات فيشبعوا حاجة فنية لم تكن قائمة لدى مجالس الطرب ببغداد» ويقرر ان الثورة على القافية قد بدأت قبل ظهـور الموشح وفى مكان غير مكانه «فمنذ جاء العهد العباسى ومسلم بن الوليــد وابان اللاحقى ، وبشــار وأبو العتاهية ينظمون الرجز فى القافية المزدوجة .. كما نظمت المربعات والمخمسات والمسمطات وهى كلهـا ثورة على القـافية فى الصــميم وعودة الى الانطلاق الفنى . أما فى الاندلس فقد ذاعت فيها المزدوجات والمربعات والمخمسات التى نظم فيها كثير من الشعراء لكنهم قد أحجموا عن القول فى هذه الألوان الجديدة خوفا من أن يتهموا بالعجز عن امتلاك القافية والاقتدار عليها » فهم – مع اتجاههم الى الجديد يرتدون ثانية الى عمود الشعر وما أكثر عشاقه ومريديه » .

ويستمر الباحث فى عرض آرائه ويدعمهـا بما يسوقه من النماذج المختلفة ويستشهد بأقوال كثير من الباحثين .

● **خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية :**

تناولت مجلة « الكتاب العربى » كتاب القــائد العربى عبد الله التل بالعرض والدراسة ويذكـر طاهر الطناحى ان المؤلف سمى كتابه «خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » ولم يسمه كما فعل بعض المؤلفين « خطر الصــهيونية العـالمية » لأن الصهيونية كالماسونية واللاسامية ، أداة من أدوات التنفيذ لليهودية العالمية التى تعمل قبل الصـهيونية منذ القدم للسيطرة على العالم .. وقبل أن ينتهى الطناحى من عرضه للكتاب يشير الى أن سبل النجاة من الاخطبوط اليهودى هو خوض معركة فلسطين على أساس الجهاد الدينى ، وأن يتعاون المسـلمون والعرب فى هــذه المعركة الدينية ، ويجـدد العرب الصلة بالشعوب الاسلامية ، ويقوا الروابط بينهم » وأن نعمــل نحن العـرب على اقنــاع الأوربيين والامريكان بشتى الوسائل بما أصابهم ويصـيبهم من السيطرة اليهودية على مرافقهم واقتصادياتهم، وأن نحارب الدعاية اليهـودية فى أمريكا وأوروبا التى تصورنا امة متوحشة غير متمدينة ، وأن ننمى القوى المادية فى الوطن العربى ، وأن نضاعف ونوحد قوانا الحربية ، وأن نؤمن بأن الغزو الثقافى ووسـائل الاعلام فى الدول العربية والاسلامية من أهم مايعتمد عليه فى مكافحة اليهودية » .

● **البيعة الجامعة :**

وفى عدد فبراير من مجلة القصة تحت عنــوان « البيعة الجامعة » بقلم رئيس التحرير محمود تيمور، بمناسبة بيعة الشعب للرئيس جمال عبــد الناصر يقول :

ان الرئيس « جمال عبد الناصر » هو البطل الذى حلم بالثورة ناشئا . وفكر فيها شابا واضرم جذوتها رجلا ، وتعهدها بعد ذلك فى شجاعة رأى وصــلابة عزم وصدق جهاد وعمق ايمان . وقد مر بمراحل العهد الثورى دقيقة بدقيقة ، واختلط بهــا قلبــا وقالبا ، وكانت بصيرته النيرة ونظرته الألمعية بمثابة الابرة المغنطيســية التى وجهت الســفينة وجهتهــا الراشدة ، كما كانت ارادته هى الدفة التى حمتهــا أن ترتطم فى مضــيق وعر ، أو تنســاق فى تيار جارف ، وهكذا مضت الســفينة تشق العبــاب فى سلامة وأمان .

ما كان لبطلنا الرائد العظيم أن يتخلى هــو عن مكانه من القيادة ، وما كان للشعب فى وعيه وحسن تقديره أن يخليه ، ومن ثم كانت البيعة الجامعة له. بيعة التقدير السليم ، بيعة الحب الصميم ، بيعـة عرفان الجميل لمن أسدى الجميل .

وان حمــلة الأقلام – الأدباء والــكتاب – وهم بطبيعة مهمتهم يرهفون شعورهم بالمجتمع ويتسمعون الى خوالجه ، ويستلهمون روحه ، ويصورون نزوعه الى الحياة ، وتطلعه الى الغد – ما أحراهم أن يعربوا فى اخلاص عن مشاركتهم الصادقة للرأى العــربى العام فى بيعته الجامعة للرئيس «جمال عبد الناصر» .. بيعة الولاء والوفاء .

« **محمد العوانى** »



رأى للمناقشة

قوانين الاحوال الشخصية ومجلس الامة
للدكتور على عبد الواحد وافى

يفهم مما تذكره الصحف ان الأحكام التى انتهت اليها لجنة الأحوال الشخصية ستعرض على مجلس الأمة ، وان هذا المجلس يملك حيالها ما يملكه حيال ما يعرض عليه من مشروعات القوانين الأخرى : فله الحق فى ان يعدل بعض موادها ، وان يستبدل ببعض أحكامها احكاما اخرى فتصبح احكامه شريعة للبلاد .

ويبدو لى ان هذا الوضع لا يتفق مع هذا النوع من القوانين . وذلك اننا فيما يتعلق بما يسمونه الأحوال الشخصية ، وهى الأحكام الخاصة بالزواج والطلاق والحضانة والنفقة والقرابة والوصية والميراث ... وما الى ذلك من شئون الأسرة وما يربط افرادها بعضهم ببعض ويربطهم بالمجتمع العام من حقوق وواجبات، لسنا بصدد مسائل نتصرف فيها كما نشاء ، ويشاؤه لنا فهمنا وتقديرنا للأمور ، وانما نحن بصدد احكام قررتها شريعة الاسلام وبلغها الرسول الأمين عن الله تعالى ، ولا يجوز لمسلم تعدى حدودها ولا محاولة تعديلها .

صحيح انه قد عهد بالنظر فيها الى لجنة الأحوال الشخصية . ولكن هذه اللجنة قد الفت من طائفة من كبار فقهاء المسلمين المتخصصين فى دراسة الشريعة الاسلامية ، ولم يطلب اليها ان تحكم بالراى ، وانما طلب اليها ان تبين اصح المذاهب الاسلامية فى هذه الأمور واكثرها اتساقا مع اوضاعنا الحاضرة .

فاذا كان لا بد من اعادة النظر فى قراراتها ، فان ذلك لايكون الا على يد لجنة اخرى تتالف مثلها من كبار المتخصصين فى الشريعة الاسلامية ، وتكون اوسع نطاقا منها فى عدد اعضائها مثلا او فيما يتمثلونه من مذاهب فى الفقه الاسلامى .

ومن اجل ذلك يبدو لى ان مجلس الأمة ـ وهو ليس مفروضا فيه انه مؤلف من متخصصين فى الفقه الاسلامى ، وتقضى لوائحه ان تصدر قراراته باغلبية اعضائه او بنسبة معينة من جميع اعضائه ـ لا يملك حيال ما انتهت اليه لجنة الأحوال الشخصية الا احد امرين : فاما ان يقره على ما هو عليه فياخذ بذلك صفة القانون ، واما ان يتقدم باقتراحات لتعديل بعض مواده على الا تصبح اقتراحاته هذه نافذة الا اذا عرضت على اللجنة صاحبة المشروع الأول او على لجنة اخرى من فقهاء المسلمين ورات اتفاقها مع شريعة الاسلام .

مع الشعر ...
للدكتور أحمد كمال زكى

وصلت قصائد عدة لادارة المجلة بعضها يصل فى مستواه الى ماينشر عادة ، وهو لذلك سيجد مكانه فى الأعداد القادمة . وبعضها لايستطيع مطلقا ان يسمو الى طبيعة الشعر ولا الى تصميمه الفنى الممتاز ، وهذا يصعب ان ننوه باصحابه جميعا ، ومنهم عبد الرازق محمود الطائى وفوزى عرفه ومحمد عبد الفتاح الخطيب !

ولكن لفت نظرى نوع ثالث من الشعر ، يشترك اصحابه فى ظاهرة واحدة هى عدم تاهبهم الكامل للأدوات الشعرية المطلوبة . وفى مقدمة هذه الأدوات « العروض » او « الوزن » فضلا عن اللغة ونحوها .

واقدم مثلا صارخا على ذلك هو قصيدة « قتلة الأنبياء » لمحمد جلال الدين احمد . انه فى هذه القصيدة يخلط بين الرجز ووحدته « مستفعلن » وبين الكامل ووحدته « متفاعلن » ولكل زحاف لا يشارك فيه الآخر ، والى جانب ذلك يجور على التفعيلتين معا مما يخل بالوزن . ونصيحتى له ان يحفظ كثيرا من الأشعار القديمة ولاسيما مما اثر عن البحترى وبشار بن برد .

وقد وقع فى العيب نفسه ـ ولكن بدرجة اقل ـ الأخ احمد حسين هرماس ، وجاءت قصيدته « من وحى مؤتمر القمة العربى » من الوافر الذى وحدته « مفاعلتن » ومع ثراء هذا البحر فى الحركة فانه تردى فى سلسلة من الهنات العروضية فضلا عن اخطاء لغوية غير كثيرة . واحسب انه قادر على التخلص من كل ذلك .

واحسن ما قدم ـ دون ان يصل الى مستوى ما يجب ان ينشر ـ قصيدة للشاعر محمد شتا ابو سعد بعنوان « انت مبعثى » وقصيدة لشاعر العمال عبد العزيز محمد احمد الشامى يقول فى اولها :

احب الكفاح واهوى النضـــالا
ولــكن عدوي يهـــاب النزالا

والقصيدة في مجموعها لا باس بها ولاسيما من ناحية الصياغة ، الا اننا لا نرى فيها عمق التجربة ولا اتقاد الشعور ، وانما هي ثورات حماسية تحتاج من السهل ان تتفق في كل سوق الا سوق الشعر ، وفي رايي ان هذا الشاعر يحتاج الى ان يكون لديه رصيد فكري خصب ، فهو في هذه الحال يستكمل كل ما يحتاج اليه شاعر ليقول الشعر الجيد .

لن ينقضي .. !

بقلم : حلمي محمد القاعود

من حيث الهجوم المركز على «حوار» بالذات،احب ان اوضح انه من ناحيتين الأولى : تتصـــل بشخصية السيد / رئيس تحريرها الفلسطيني الأصل والمولد .. العائش في لبنان انتظارا للعودة التي يحلم بها اهل فلسطين .. وقد شد انتباهي في شخصية رئيس التحرير هذا انه لم يكتب عن فلسطين .. وطنه .. وبلده ومولده .. ومنشئه .. كلمة واحدة وكل ما يكتبه عن جائزة « حوار » ... وكأني به وهو يعلن عنها كأنه يعلن عن جائزة « نوبل » في بلاد العرب ، وتأخذ ذلك من لهجته وهو يقدم هذه الجائزة على صفحات حوار الأولى .. وكنت احسبها خدمة لفلسطين القضية .. او فلسطين النكبة .. او فلسطين المأساة الدموية .. ولكن رئيس التحرير المبجل يعلن انها ـ اى الجـــائزة ـ تحقق هدف « حوار » في خدمة الثقافة العربية الحية المتفتحة واقامة الحوار بينها وبين الثقافات الاخرى !! .. (ما هذا الذى طلع علينا به السيد المبجل رئيس التحرير وقد اعلن قبلا .. ان الجائزة قاصرة على الوطن العربي فقط !) ..

ومادمنا نعلم ان المطولات التي تكتب في حوار تترجم وتظهر في « أوراق سينت انطوني » وغيرها فلماذا لا يتطوع ـ وقد كان يجب عليه ـ رئيس التحرير الفلسطيني ومن اجل قضيته ان يكتب مطولة او مطولات تترجم وتظهر في اوربا .. ليعرف الرأى العام الأوربي ما هي القضية ؟؟ وما هي حقيقة النكبة ؟ وحقيقة الشرسة الغاصبين في الوطن السليب ؟؟ . ..اسألوه !! اســألوه !! ان العروبة لن تعدم رجالا ولن تنقص ابطالا يغنون لربيعهـا الأخضر .. ويتلقفون جوهرتهـــا الماسية .. وينبضون بحيـــاتها .. ويبذلون النفيس والرخيص في سبيل شرفهـــا وكرامتها ..

واذا كان السيد المبجل رئيس التحرير يريد دليلا على الخير الموجود عند ابناء فلسطين انفسهم ، فلست ذاهبا بعيـــدا .. وانما ارى ثلة من الرجال ينتهزون كل فرصة ليعرفوا بالقضية ... ويضعوا الحقيقة في موضعها الذى لا حيدة عنه .. منهم على سبيل المثال لا الحصر .. ناصر الدين النشاشيبي ، عميد الامام ، خيري حماد ، .. وغيرهم كثير .. كثير ..

هذه ناحية ، اما الناحية الثانية .. فتتمثل في ذلك النوع من البعد عن الوجود العربي فكرا وادبا .. فانا اراها قد حوت بين دفتيهـــا الـــوانا من البحوث المطولة ، والقصص المختلفة والمراسلات والمراجعات .. وكلها تتسم بطابع غير عربي في الغالب الأغلب ..

وكل هذه المواد يبرز فيها شيء يتردد كثيرا ، وفي البيان عن المجلة نفسها .. شيء اسمه « الاجرة » .. ولا أدرى ما الذى يحمل المجلة على ذكر الأجرة دائما .. تنقل مقالا .. مثلا .. تقول انها دفعت اجرته .. كذا .. في الصفحة الأولى تعلن ان كل ماينشر يكتب لها خصيصا او بالاتفاق مع مصدره الأصلي .. ونحن طوال عمرنا في عالم الصحافة والأدب لم نجد مجلة يملكها فرد او مؤسسة تعلن هذه الاعـــلانات عن الاجــرة .. فالمجلة الأصيلة ذات الهدف الأصيل .. ليس المال من عمدها التي تقام عليها .. بل اننا نرى الاصلاء من الكتاب يتعاونون مع المجلة الأصيلة ولو دهمها الفقر .. ولاحقها .. لا لشيء الا لأنهـــا اصيلة .. والذى يتحدث عن اجرة لا يهمه شيء سواها من عالم الأدب والفكر ، وفرق بين « حوار » ، و « الآداب » . !!

تعال وانظر معى شيئا مما بالداخل .. داخل حوار .. مثلا.. القصة التي نشرت في العدد ١٤ .. الذى نحن بصدد الحديث عنه .. اسمها السفينة .. مؤلفها .. جبرا ابراهيم جبرا .. وملخص القصة ، وبمعنى ادق المقاطع الثلاث من القصـــة التي نشرت في العدد اياه .. « البحر جسر الخلاص البحر الطرى الناعم الأشيب المعطوف . (هكذا تبدأ القصة ..) رجل يحب امرأة اسمها لمى وقد هجرت اهلها من اجله .. ولابد انهـــا ستكون في هذه السفينة المســـافرة الى اوربا .. ويتشوق الى رؤياها فيجدها مع زوجها الدكتور فالح حسيب .. بعد ذلك يلتقى برجل اسمه وديع عساف فلسطيني ـ وهذا ما يهمنا في القصة ـ يقص عليه قصة النكبة والضياع ولكنه يقول لنا ـ اى المؤلف ـ على لسان هذا الرجل « اما انا فاوثر الحياة البدائية ، لا اصدق احدا ، ولا ادعى الصدق لأحد . ابكي بعض الليالى ، ولكنني اضحك كثيرا ، واحب النساء من كل نوع . من كل لون وارفض البقاء السالب المنفعل . في تابوت سناخلد النساء بالجملة ، ولم اكتب كلمة واحدة . لان الكلمات تزيل حــدة انطلاقى .. هل قلت ان الفلسطينيين كلهم شعراء ؟ انهم في الواقع تجار . لقد اقفلوا قلوبهم على الشعر ، وانصرفوا الى التجارة في كل مكان ، وانا ، كما ترى ، واحد منهم اسعى في سبيل القرش الف ميل ، ولكنني ادوسه بقدمي في النهاية . المال على كندرتك ! . » .

اوصل الحال بالفلسطينيين الى هـــذا الحد من حب النساء واخذهم بالجملة ، وقلوبهم اصبحت مقفلة على الشعـــر ، ومنصرفين الى التجـــارة .. وساعين الى القـــرش ليدوسوه في النهاية ؟؟ احكموا ايها القراء .. وهذا المقطع الذى اوردته .. له كثير يشبهه بل ويزيد .. مما يصل به الى ما نعرفه بالأدب المكشوف !! . .والآن وقد رأيت نموذجا من نماذج ادب حوار لننتقل الى مثل آخر بعيد عن الأدب ـ الرسوم ـ نعم .. مجموعة من اللوحات لرسامة اسمها منيره القاضي لم افهم سوى لوحة واحدة .. اما الباقي فقـد عجز عن فهمه معي الفنانون الذين قابلتهم بنفسي . .وقد راحوا يئولون الرسوم ويجتهدون ولم افهم ، وهم بالطبع لم يفهموا سـلفا ! وقالوا انه نوع من الفن اللامعقول والذى يجب ان يبقى في حظــيرة مبدعه وخالقه .. والأعجب من هذا ان ـ دانييل نوبل ـ يرص مقاطع من الكلمات اشـبه شيء بما يسميه الشـعر الحر .. وتغلب فيـه كلمة « يا الهي » دلالة على عظمة فن هذه الفنانة .. وما هو من الفن بشيء !! ابعد هذا تكون حوار قد قدمت ثقافة عربية « منفتحة » .. اسألوها ..

قصة عربية

لمحة شباب

بقلم : حسين القباني

لو لم تكن سيارتي معطلة ، لما ركبت السيارة العامة في هذا اليوم من ايام الربيع الدافيء ولما رايت « احسان » في مقصورة الدرجة الاولى التي لم يكن بها احد سوانا خلال المحطات الثلاث المارة بجزيرة الروضة ..

كان في وجهها ، وفي عينيها خاصة ، ما جعلني اختلس النظر اليها — مرغما — وبقلب خافق .. فقد خيل الي فجاة انني ارتددت الى الوراء عشرين عاما .. الى عهد الشباب الثائر في سن الخامسة والعشرين ، الى ذلك الحب الاول الذي نعمت به عاما كاملا مع .. خيرية .

كان بينها وبين خيرية — حبيبة الصبا — شبه كبير ، وكان الشبه اوضح ما يكون في عينيها السوداوين ، وفي شعرها الذهبي الناعم ، وفي شفتيها الممتلئتين .. ولو امكن لانسان ان يطلق لغرائزه العنان في لحظة من لحظات العمر ، لما ملكت نفسي عن اخذ هذه الحسناء بين ذراعي ، لاهمس في شفتيها ، بعض ذكرياتي عن الحب الاول الذي كان بيني وبين خيرية ، في عهد الصبا والشباب

لقد احببت — مثل كل شاب — كثيرا في ايام صباي ، وكانت خيرية هي الحبيبة الاولى وكان طبيعيا ان تنحصر امالي يومذاك في عش سعيد ، انفرد فيه مع خيرية اهازيج الحب والحياة ، واتخذ من ضوء ابتسامتها شعاعا ينير طريق الكفاح نحو الرقي السريع في عالم الوظائف الحكومية .. وكانت هذه الاماني تحتم علي ان اقدس غرامي بها وارتفع به عن الاسفاف في قبلة او عناق ، قبل ان تصبح لي زوجة امام الله والناس ، وذلك رغم اني كنت اسخر من قبل مما يزعمه الكتاب الخياليون عن الحب الحق ، والغرام الصدق ، الذي تتعانق فيه الارواح ، وتتناجى به العيون ، وتتحدث عنه النظرات ، ويسعد به القلب ويهنا لمجرد النظر الى وجه الحبيب ، اما ما عدا هذا ، فهي غرائز مشبوبة ليس بينها وبين الحب ادنى سبب .

وافقت من هذه الاماني العذاب ذات يوم ، فاذا شقيق خيرية — وهو ولي امرها يزوجها من كهل ثري ، بعد ان رفض زواجها مني ، لاني موظف صغير فقير .. ولما لم يكن للفتاة في تلك الايام ، بل وفي هذه الايام احيانا — الا طاعة ولي امرها في شئون الزواج ، فقد ارتفعت خيرية من حياتي لتعيش في قصر .

وهكذا خرجت من غرامي الاول ، غرام العمر كله ، بقلب جريح ورغبة عنيفة نحو الثراء لالقي بذلك على شقيق خيرية درسا في ان المال عرض زائل ، يمكن لكل مجتهد ان يجمعه بوسائل مشروعة او ملتوية ، اما الشباب وما يفيض به من حب وهناء ، فهو جوهر لا يشترى باموال الدنيا جميعها ...

واستقلت من وظيفتي ، والقيت بنفسي في ميدان العمل الحر ، وتحقق ما كنت ارجوه فاذا انا على ثراء طائل بعد عشر سنوات بل اكثر ثراء من زوج خيرية الذي كان قد بلغ مرحلة الشيخوخة البغيضة ، ولولا براءة حبي لها ، لأغريتها بطلب الطلاق منه ، او — على الاقل — بالعمل على خيانته ، والسخرية منه ومن امواله ..

وتزوجت وانا في الخامسة والثلاثين فتاة تصغرني بسبعة اعوام ، اجمل بكثير من خيرية ومع هذا لم استطع — باية حال — ان احبها من قلبي وحبي بعض ما وهبته لحبيبة الصبا .. وانه ليخيل الي ان الحب الاول — كالشباب — لا يكون في حياة المرء الا مرة واحدة ..

ومرت السنوات مع زوجتي في حياة هادئة حينا ، صاخبة احيانا ، فانا سعيد دائما بابوتي لاولادي الثلاثة ، شقي احيانا بما القاه من زوجتي حين تخرجها الغيرة الحمقاء عن طورها ، كلما جرى على لساني اسم « خيرية » لاية مناسبة عادية . ولست ادري من اين عرفت امر غرامي الاول هذا ..

مرت هذه الذكريات السريعة من حياتي في خاطري ، وانا اختلس النظر الى هذه الحسناء ، شبيهة خيرية ، التي كانت في مقصورة الدرجة الاولى ، في هذا اليوم من ايام الربيع الدافيء ، والتي اعادتني عيناها وشفتاها الى ايام شبابي الدابر ، والى عهد غرامي الاول ..

ولست ادري كيف ومضت فكرة الزواج منها ، في خاطري فجاة .. ولكن الذي ادريه ، هو اني رحت اسائل نفسي : لماذا لا أتزوج — بدوري — فتاة كهذه ملؤها الصبا والجمال ؟ اليس من حقي في كهولتي ، ان استعيد — بالمال — لمحة من شبابي الاول ، ..

ان التقاليد لن تحول بيني وبين هذه الامنية .. وان عجز زوجتي عن توفير اسباب السعادة الشاملة ، يتيح لي الحق في البحث عن السعادة مع زوجة اخرى .. فلماذا .. نعم .. لماذا لا افعل ؟!

وعدت انظر الى الحسناء ، من زاوية جديدة ، جعلت — على

ما اظن – وجهى الكثيز يتوهج بلمحات من دماء الشبـــاب ، ولكني رايتها قد وقفت بقوامها المشيق ، وجسمها الملفوف تستعد للنزول فى اللحظة التى تقترب السيارة منها ..

والسر الى لمحتها – قبل ان تهبط – تلتفت نحوى فجاة ، ثم تومىء براسها باسمحولولا هذه الايماءة الباسمة ، لما قفزت من مقعدى فجاة ، كانى ارتددت حقا الى ايام الشباب ثم انطلقت من المقصورة والسيارة تتحرك ، ثم وثبت منها ، ومضيت سائرا فى جانب من الشارع متتبعا الحسناء من بعيد ، حتى رايتها تدخل بيتا صغيرا انيقا بالجزيرة ..

ووقفت عند بائع مرطبات قريب من البيت ، وشرعت سوانا اجزل له العطاء فيما اشرب – استدرجه – فى حرص ولباقة – ليثرثر عما يعرف عن جيرانه ، الاقربين .. وهكذا عرفت ان حسنائى تدعى « احسان » وانها تقيم فى ذلك المنزل الصغير الانيق مع ابيها المحال الى المعاش ، وانها – وهذا ابلغ ما فى الامر – لم تزل عذراء .

واخذت فكرة الزواج من شبيهة حبيبتى الاولى ، تستبد بى ، وتملأ ذهنى وتعبث بمحاولاتى فى التحرر منهـــا ، وتوقظ من مشاعرى ما كان غافيا ، وتلهب عواطفى وتثير دمائى حارة فى عروقى ، وتنسينى – الى حد ما – ذلك الحنان الطبيعى نحـــو اولادى ، وتوسع الهوة بينى وبين زوجتى حتى احسســت – بعد اربعة ايام – انى سافقد عقلى اذا لم احقق رغبتى ، وانى سافقد زوجتى فى كلا الحالين ..

وهكذا قررت اخيرا – انقاذا لنفسى واعصـــابى – ان اتخذ خطوات حاسمة ، للزواج من هذه الحسناء التى اعادتنى شفتاها وعيناها الى ايام شبابى الدابر ، والى عهد غرامى الاول .

وارسلت سكرتيرى الامين الى ابيهـا ، ليمهد لى الطريق الى زواجها ، لشد ما دهشت – وروعت – حين علمت من سكرتيرى ان اباها رحب بى ، زوجا لابنته اشد الترحيب ، فقد كنت ، حتى اللحظة الاخيرة اعتقد ان اباها سيرفض زواجهـا من كهل مثلى ، او ان الفتاة ستثور لهذا السبب . اليس لها حبيب ؟!

نعم .. كنت – فى اعماق نفسى – امل ان تقوم العراقيل امام هذه الفكرة المستبدة بى ، وبذلك اياس واستريح ، فان الياس – كما يقال – احدى الراحتين .. ولـــكن القدر الذى اعطب سيارتى فى ذلك اليوم الدافىء من ايام الربيع ، والذى جمعنى بحسناء السيارة العامة فى مقصورة الدرجة الاول ، لم يكن – كما بدا لى – عابثا او لاعبا .

وقدمت « الشبكة » الى احســـان ، وحددت موعد القــران – سرا – مع ابيها ، وذلك حتى لا يصل النبا الى زوجتى قبل الزفاف .. ومن ثم هدات نفسى ، وتطامن قلـــبى ، وبدات استمتع ببهجة الحياة ، وبلمحات هائلة من شبابى الدابر ، كلما ذهبت الى بيت « السيد رؤوف بك » فاجلس اليه ، والى ابنته احسان مستمتعا بحديثها الرقيق ، وبما بينها وبين حبيبتى الاولى من شبه عجيب ..

على انى كدت اجد احسان فى بعض الاحيان ، راضية ، باسمة، مقبلة فى حديثها على ، ثم اجدها فى احيان اخرى ، ساهمة ، واجمة ، متكلفة الابتسام ، مصطنعة الرضى ، ثقيلة الحديث ، حتى عادت الوساوس تتوشنى مرة اخرى ، وبدات الحياة تخفف بهجتها شيئا شيئا .

ثم اقبل الشاب عفت الى مكتبى ذات يوم .

حيانى فى ادب جم ، ثم راح يتحدث ، بعـــد ان اذنت له وشجعته ، وقد عرفت منه انه ابن خال احسان . وكان كلما امعن فى الحديث ، احســـت كانى فى يد ساحر ماهر ، يمسح على قلبى ، فيطرد منه هذه اللمحات من شبابى الذى بعثته عينا احسان وشفتاها ، ثم يعيدنى ، رويدا رويدا ، الى شيخوختى ، بل الى ما هو اكثر من الشيخوخة .

نعم كان حديث هذا الشـــاب ، قطرات باردة تتدفق فى دمى الثائر الفائر فتعيد اليه الهدوء والسكينة وكانت الحقائق المرسلة فى ثنايا الحديث ، كانها مراة سحرية ، ترينى لأول مرة حقائق الحيـــاة ...

لقد اخبرنى بصوت فيه حياء ورجاء وعزم ، انه كان مرشحا للزواج من احسان وانها تبادله الحب ، وانه بشهادته العـــالية فى منصب حكومى لا باس به ، وان اباها لم يكن يمانع فى زواجها منه ، بل قد حدد له موعد الخطبة ، لولا انى تقدمت فاثرنى عليه .. ثم ختم حديثه قائلا فى رجاء :

– لهذا تشرفت بالحضور اليك يا سيدى ولك الحرية التامة فى ان تحطم قلبينا بما وهبك الله من مال ، او ان تسعدنا ، فنبقى دائما – والى غاية العمر – نذكرك بالخير ..

واذا كان لكل قصة طريقة نهاية مفاجئة للقارىء او المستمع ، فان لقصتى ايضا نهايتها المفاجئة ، المفاجئة لابطالها ، قبـــل قرائها ومستمعيها ..

لقد فوجىء عفت حين وجدنى اتنازل – فورا – عن خطبتى لاحســــان .. ولقد عقدت المفاجاة لســـانه فلم يعرف كيف يشكرنى .

وفوجئت احسان حين جعلت « الشـــبكة » الثمينة هدية منى اليها بمناسبة زواجها من ابن خالها .

وفوجئت زوجتى ، حين وجدتنى منذ ذلك اليوم ، هادئا ، راضيا ، باسما للحياة قانعا بنصيبى منها ..

اما انا ، فقد فوجئت ايضا .. وذلك حين سالت عفت عن نوع الحب الذى يكنه لابنة عمه ، فاذا هو يندفع قائلا فى حماس وصدق .

– اقسم لك يا ســيدى انه حب عذرى .. حب شريف طاهر .. لم يكن فيه غير عناق برىء ، وقبلات بريئة ؟!

وعندئذ ارسلت من صميم قلبى ضحكة عريضــة ، اخفى بها دهشتى لهــذا الغرام الذى يســـميه شباب الجيل الجـــديد « الحب الشريف الطاهر » .. اوليس من حقى – على الاقل – ان اضحك .. ام .. ماذا ؟!

« حسين القبانى »



القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)

مجلات

الثقافة والإرشاد القومي

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٨٤

الثمن ٣



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
احمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١١٠٩ الخميس اول ذي القعدة ١٣٨٤هـ ـ ٤ مارس ١٩٦٥م السنة الثانية والعشرون

الاشتراكية حب ...

بقلم : أحمد حسن الزيات

الاشتراكية من كمال الايمان • ومن كمال الايمان أن تحب لأخيك ماتحب لنفسك وأن تكره له ماتكره لها • وهذه الحكمة النبوية المقررة جاءت على نهج الكلام الجامع من سنة الرسول صلوات الله عليه ، فتضمنت المعانى الكثيرة المختلفة التى تدخل فى بنية المجتمع المثالى الذى يامر به الاسلام وتدعو اليه الاشتراكية : تضمنت من هذه المعانى معنيين هما الأخوة والمحبة ، فالأخوة صفة الايمان ، والمحبة صفة الانسان • ولن يكون الاخاء الا مع المساواة والتكافل والعدل ، ولن يكون الحب الا مع الألفة والنصفة والايثار • وهذه هى الخلال التى تميز الاشتراكية من كل نظام ، وتفسر الانسانية على أشرف معنى ، وتبرز المجتمع فى أجمل صورة ، فاذا ابتلى الناس بأضداد هذه الخلال وما يجرى مجراها كانت الفردية ، ومعناها الأنانية والاقطاعية والطغيان والشح والتخاذل والتواكل والتباغض والتحاسد والتقاطع • ومحال أن يقوم على هذه المهلكات وطن ، وأن تجتمع على هذه المفرقات أمة •

لن يكون الأنانى اشتراكيا لأنه يعمل لنفسه ، ويستغل بنى جنسه • ولن يكون الاقطاعى اشتراكيا ، لأنه يجمع ولا يفرق ، ويستأثر ولا يشارك • ولن يكون الطامع اشتراكيا ، لأنه يمد عينيه الى وراء ما يملك ، ويبسط يديه لأكثر مما يحتاج • ولن يكون احد ممن يحسد أو يحقد أو يحتال أويغتال أو يبغض اشتراكيا ، لأنه لا يستشعر الوفاء لوطن ، ولا يستبطن الاخاء لمواطن •

ان المجتمع الراسمالى خلو من الحب ، لأنه قائم على جلب المنافع من اى طريق ، وباى وسيلة ، وعلى اى صورة ..... فالرحمة والعدل والمشاركة والايثار والاحسان والعطف ، الفاظ لا معنى لها فى لغته • أما ألفاظ العامل والفلاح والفقير والضعيف والعاجز فان الفروق بين معانيها فى الاشتراكية ومعانيها فى الراسمالية هى الفروق بين أعضاء الانسان وأجزاء الآلة ، أو هى الفروق بين الاصلاح الزراعى وما يدل عليه من التملك والتحرر والتعاون ، ودوائر الاقطاعيين من الأمراء والأغنياء وما كانت تدل عليه من الاستغلال والاستذلال والعبودية •

لو كان للحب مكان او سلطان فى مجتمع ما ، لانقلب هذا المجتمع بطبعه اشتراكيا ، يعمل فيه الفرد للكل والكل للفرد على النظام الطبيعى الذى قامت عليه الأسرة من اشتراكية الدم والعرق والجهد والرزق والمصير •

وما أفسد المجتمع العالمى الا تنافس أممه فى الاستعمار ، وتكالب أفراده على الاستئثار ، وتسابق هؤلاء واولئك الى استغلال الفقير ، واستعباد الضعيف باستنزاف دمه ، واستنفاد قوته •

فلو أن الحب الذى ألف بين قلوب الأسرة فطبع الوالدين على الايثار والمحبة ، وأنشأ الاخوة على المودة والرحمة ، وقسم بينهم الرزق على الكفاية والعدالة ، وكفل العيش للقاصر والعاجز بالعطف والشفقة ، لو أنه انتقل من حيزه الخاص الى حيزه العام

لما رأينا المجتمع على ما هو عليه اليوم من افتنان في وسائل القتل ، واختلاف على مواطن النفوذ ، واصطراع على مصادر الثروة ، واتفاق على طرد المتخلف !

تعال اذن اسألك بعض الأسئلة لتعرف من أجوبتها في سرك ان كنت اشتراكيا تتعامل مع الناس على مقتضى الميثاق أو انفراديا تتعامل مع نفسك على مقتضى الأثرة :

هل أنت رضي النفس عما اخذته الدولة من عفو ارضك ، وفضل رزقك لتضمن به للفلاح المعدم حق الحياة لنفسه وولده ؟ هل أنت مطمئن القلب لما خفضته الحكومة من اجرة عمارتك ، لتعاون مواطنك على ثقل عبئه وغلاء قوته ؟

هل أنت مقتنع الرأى بأنك تعمل لأمتك فى قطاعها العام ، مثل ما تعمل لأسرتك فى قطاعها الخاص ؟

هل أنت مخلص النية فى أن مال اخيك المواطن كمال اخيك القريب ، لا يجوز عليه الغش ولا الاختلاس ولا السرقة ؟

هل أنت قرير العين بالقوانين الاشتراكية التى غيرت وجه الحياة فجعلت ملامحها مصرية لاتستبهم ، ومعارفها عربية لاتستعجم ، ومخايلها دالة على سحنة واحدة لاتعرف بها المستغل ولا المتحيز ولا المتميز ولا المتعالى ؟

هل أنت سعيد الجد لأنك تشعر بخروجك من مجتمع جاهلى اقطـــاعى ، يؤثر الفردية على الجمعية ، والأنانية على الغيرية ، وتنعم قلته بخير البلد وتشقى كثرته بشر الأبد ، الى مجتمع اسلامى عائلى يعم فيه الرزق ، وتتـوزع الارض ، ويعيش المواطنون سواسية لا فضـــل لبعضهم على بعض الابالعمل والانتاج ؟ هل تشعر بهذه السعادة حتى ولو كنت من رءوس المجتمع القديم ؟

هل أنت قوى الرجاء فى أن النظام الاشتراكى يدوم مادامت الأمة ، ويقوم فى البلاد العربية مادامت العروبة ، ويقيه الله شر الرجعية والراسمالية والكراهية حتى يتاصل فى الأمة ويتوثق ، فيجرى فى القلوب مجرى الدم ، وفى النفوس مجـــرى العقيدة ، ويكون له من الايمان درع يقى ومن الاخلاص سلاح يدفع ؟

هل أنت مثلوج الصدر ، لأنك تشعر بالرغبة فى معونة كل محتاج ، وصـــلة كل مقطوع ومحبة كل مواطن ؟

فاذا كانت أجوبتك عن هذه الأسئلة بالايجاب كنت اشتراكيا بدمك وعضـلك وعصبك وهواك ، وان كانت أجوبتك عن أكثرها أو عن اقلها بالنفى ، فأنت اشتراكى مغلق فج تحتاج الى تفتح ونضج . فمبلغ علمك بالاشتراكية الحق كمبلغ علم المسلم الجاهل بالاسلام الحق ، لا تعرف أنت من النظام الاشتراكى الا الاصلاح الزراعى ، لأنك اخذت منه فدانين ، ولا يعرف هو من الدين الاسلامى الا المســـجد لأنه يخطف فيه ركعتين ! أما مايترتب على الاشتراكية والاسلام من قوانين المعاملة ، وقواعد السلوك ، ومبادىء الخلق ، فتلك اشياء لا تتضح فى وعيه ولا تدخل فى حسابه !

الاشتراكى الذى يقف أمام هذه الأسئلة صامتا مفحما لا يعوزه العـلم وانمـا يعوزه الحب . والحب قبس من شعلة الحياة يضعه الله فى القلب ، فيصدر عنه النور والحرارة ، وهما الايمان والهدى والجاذبية . فلا هو شىء يكتسب ولا معنى يعلم ، وانما هو روح نشا مع الروح ويجرى على سنن من الاعتياد والألفة والارتياض .

الحب هو روح الاشتراكية ، ولا تكون بدونه الا اسلاما بغير ايمان ، وجمادا بغير حس ، وعملا بلا نية ، واسما بلا مسمى . واصعب ما فى الأمر أن يخلق فى الاشتراكى هذا الحب ، ولن يخلق فيه على ما أعتقد الا بالوعى . فان الوعى البصير المستمر يكون العقيدة . والعقيدة الصحيحة متى رسخت تخلق فى النفس المطمئنة الايمان . والايمان هو القوة المعنوية التى تبدل الناس غير الناس ، والأرض غير الأرض ، والنظام غـير النظام . ولم تات مصر بمعجزتها الا بهذا الايمان الذى استولى على قلوب زعمائها ، فاستسهلوا الصعب ، واستجازوا المحال ، واستهدفوا الخطر . ولن تبلغ اشــتراكيتنا حد الكمال الا اذا كان فى قلب كل مواطن حب عبد الناصر الوثيق لعروبته وشعبه ، وايمانه العميق باشتراكيته وربه .

« أحمد حسن الزيات »

الأساس الروحي لاشتراكيتنا العربية

للدكتور محمد عبد الله العربي

كثر الجدل حول اشتراكيتنا العربية ، التي وضع دعائمها وسجل احكامها ميثاقنا الوطني • وتساءل البعض : هل هي بضاعة استوردناها من الشرق او استوردناها من الغرب ؟ وجاء البعض الآخر يستنبط من تسميتها اشتراكية » علمية » أنها لا شك اشتراكية ماركسية ، فهكذا سمى ماركس اشتراكيته •

والواقع غير هذا وذاك • فقد اتضحت معالم اشتراكيتنا العربية العلمية منذ فجر ثورتنا ، ولكن المجادلين مضوا فيجدلهم كأنما لاتستقيم لنا اشتراكية الا اذا استندت الى اشتراكية أجنبية •

الى أن جاء قائد الثورة فأكد أن اشتراكيتنا العربية انما تستمد أصولها من تعاليم تراثنا الروحي الذي نزلت به الاديان السماوية في أرضنا العربية المباركة ، لتكون هدى ورحمة وبشرى للناس كافة •

وأكد أن اشتراكيتنا العربية اشتراكية علمية لأنها انما تهتدى في تطبيقاتها بالعلم ، وتنتفع في انجازاتها بكل ما يكشف عنه العلم • وطلب العلم والاهتداء بالعلم فريضة مقدسة بحكم تعاليم تراثنا الروحي ، « وقل رب زدني علما » و « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » •

قد يكون في تطبيقاتنا لاشتراكيتنا العربية على ضوء ظروف هذا العصر ومقتضيات البيئة بعض المشابهة مع بعض الجوانب الخيرة في اشتراكيات أخرى معاصرة ، ولكن الأساس يختلف بيننا وبينهم فلدينا الأساس روحي ، وهناك الأساس مادي بحت• وفرق ما بين الأساسين هو فرق ما بين السماء والأرض •

اما التشابه الجزئي في بعض الجوانب الخيرة فهذا لا حرج فيه ، فحيثما تكون مصلحة الجماعة في نطاق الأحكام الكلية لتراثنا الروحي فثم وجه الحق وثم شرع الله •

ان ابراز هذا الجانب الروحي ركن أساسي في بعثنا القومي • انه هو الذي يغرس أحكام اشتراكيتنا فيوجدان الشعب حتىيكون تمسكه بها تمسكا تلقائيا عن عقيدة ويقين ، لا عن ارتياب أو نفاق أو رهبة ، وحتى يحرص عليها في أعماق ضميره • عن ايمان لا تزعزعه الصعاب التي تعترض طريقه ، وحتى تصل بذلك اشتراكيتنا الى أهدافها القومية الكبرى في يسر وثبات وصمود •

ان تعاليم تراثنا الروحي - في صيغتها الكلية الشاملة - وسعت كل جوانب الحياة ، ولكن بعضها حرف عن مواضعه في عصور الانحلال ، وأكثرها أهمل في زوايا النسيان ، فلم ينله من التطبيق العملي في كل عصر ما يكفل هداية كل جيل •

ان اشتراكيتنا العربية ليست الا سياسة المال كما رسمتها هذهالتعاليم في صيغةكلية بغير تفصيل• وذلك لأن حكمة الحكيم العليم التي شاءت لهذه التعاليم أن تكون خالدة الى أبد الدهر ، وأن تكون هي آخر هداية الهية للبشر ، اقتضت حكمته أن تكون هذه التعاليم في صيغة كلية ليكون تفصيلها من صنع البشر على ضوء سنة التطور الانساني وعلى ضوء مقتضيات كل عصر •

ان كل خطوة منخطوات اشتراكيتنا العربية ليست الا ترجمة أمينة لجانب من تعاليم تراثنا الروحي ، بل اذا أردنا الدقة في التعبير قلنا انها انما قاربت تحقيق هذه التعاليم •

ونبدأ بابراز المعالم الروحية العامة في اشتراكيتنا العربية :

ان ثورتنا من البداية جعلت القيم الروحية أساس نشاطها الثوري ، بل ان خطوتها الأولى عندما خرجت

طليعة الجيش تجابه الطاغوت ومن ورائه قوى المستعمر ، ووضعت رءوسها على أكفها ، انما كانت تنفذ تعاليم الله فى ابتغاء الاستشهاد فى سبيل رفع لواء الحق وتطهير الأرض من ظلم الظالمين ، ايمانا منها – كما يقرر الميثاق – بأن « القيم الروحية الخالدة ، النابعة من الأديان السماوية ، قادرة على هداية الانسان، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

وايمانا من هذه الطليعة بأن دفع الظلم والنضال فى سبيل دفعه قد فرضه الله على الانسان المؤمن بكرامته الآدمية، وانه واجب محتوم على الفئة القادرة فى المجتمع اذا لم تقم به أثم المجتمع كله .

بل ان رسالات رسل الله جميعا الى البشر كانت ثورات من كل رسول على الفساد والبغى القائم فى عصره ، وهذا ميثاقنا يبرز هذه الحقيقة عندما يقول :

« ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته، وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته .

« ان جوهر الرسالات الدينية لايتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية .

« لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية ارادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها فاقدمت على ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه مايتعارض مع روحه ذاتها لكى تقف تيار التقدم .

« ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان . ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم .

« ان الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا والحساب فى الآخرة » .

هكذا فهمت ثورتنا جوهر الدين وآمنت بقيمه الروحية عندما وضعت من البداية أهدافها الستة، وأبرزتها فى اشتراكية عربية وفى ديمقراطية سليمة .

واذا رجعنا الى السنوات الأولى للثورة رأينا قائد الثورة يقرر فى « فلسفة الثورة » عن الدائرة العربية التى يجب أن تشمل الشعب العربى فى كل أرجاء العالم العربى :

« انها امتزجت معنا بالتاريخ وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك .

«وامتزجت معنا بالدين فتنقلت الاشعاع الدينى فى حدود عواصمها من مكة الى الكوفة ثم الى القاهرة ثم جمعها الجوار فى اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية » .

ويصف الدائرة الاسلامية بأنها الدائرة التى تمتد عبر قارات ومحيطات ، دائرة اخوان العقيدة ، الذين يتجهون معنا اينما كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة ، وتهمس شفاهم الخاشعة بنفس الصلوات » .

واذا نظرنا الى أكبر جهاز فى تنظيمنا السياسى ، الجهاز الأم الذى تنبثق منه جميع تنظيماتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، جهاز الاتحاد الاشتراكى العربى ، رأينا أن أول واجب يفرضه قانونه على كل عضو عامل فيه هو « أن يكون متمسكا بالقيم الروحية » ورأيناه يضع فى مقدمة اختصاصات لجان الاتحاد : « العمل على تنمية المستوى الروحى للجماهير » .

واذا نظرنا الى الجهاز ذاته – فى كيانه العضوى – نجد أنه قد نجح فى تجميع قوى الشعب العاملة فى اطار واحد لا محل فيه لصراع طبقى أو تناحر أنانى، ثم نجح فى تأليف قلوبهم تأليفا حقق تعاليم الأخاء وتعاليم المساواة التى فرضها تراثنا الروحى ، وحقق ما فرضته هذه التعاليم على المواطنين الصالحين فى كل مجتمع أن يوالى بعضهم بعضا فى تحالف وثيق نحو بلوغ الأهداف القومية ، وان يكفوا عن موالاة أى مواطن يعبث بمصلحة الجماعة أو يسعى الى تفتيت وحدتها أو أى أجنبى يعادى مصلحة الأمة .

وبعد فهذا قليل من كثير من المعالم الروحية العامة التى رأينا ابرازها فى الأساس الجوهرى لاشتراكيتنا العربية ، قبل أن نمضى فى المطابقة التفصيلية بينها وبين تعاليم تراثنا الروحى .

قلنا اجمالا أن اشتراكيتنا العربيـة ليست الا سياسة المال كما رسمها تراثنا الروحى فى تعاليمه الكلية . كما قلنا أن اشتراكيتنا علميه ، لان طلب العلم وكل ما يكشف عنه العلم ليس الا تنفيذا لهذه التعاليم ، التى فرضت علينا ارتياد الكون الذى سخره الله لنا وكلفنا بكشف أسراره بمـا وهبنا من نعمة العقل .

وبعد هذا الاجمال نمضى الآن فى التفصيل .

واذا كنا نسترشد فىالتفصيل بوحىالقرآن فذلك لأنه خاتم الرســالات السماويه ، وخاتم الهـدايات الالهية . واذا كانت المسيحيه تحقر طلب المال ، لحكمة أرادها الله فى ردع بنى اسرائيل عن تكالبهم على المال بطريق مشروع وغـير مشروع ، فان القرآن اختار الوسطية لهدايه البشر الى الأبد ، فقال : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، ثم وجهـنا الى قيمة المال فى المجتمع لأنه تنبعث من حيازته فرائض كثيرة فرضت علينا فى سبيل الله ، وسبيل الله هو سبيل خير المجتمع .

وانك لتجد آيات قرآنية كثيرة تنسب ملكية المال الى الله ، وآيات قرآنية أخرى تنسب ملكية المال الى البشر . ونستطيع أن نتبين من هـذا الازدواج فى نسبة المال مقاصد ثلاثة :

المقصد الأول : هو أن اضافة ملكية المال الى خالقه جل شأنه ضمان وجدانى لتوجيه هـذا المال الى نفع عباده، وان اضافة ملكية المال الى البشر ضمان يماثله فى توجيه مالك المال الى الانتفاع بما لديه من مال فى الحدود التى رسمها الله .

المقصد الثانى : هو أن الاسلام دين المسئولية : « كل نفس بما كسبت رهينة » ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه » . لذلك كان الاسلام لا يقبل أن تكون مسئولية البشر عن المـال الذى سخره الله لهم وأودعه بين أيديهم مسئولية شائعة غير محدودة ، فعمد الى اقرار الملكية الفردية ليسأل كل فرد ـ فى الحصة التى بين يديه من مال الجماعة ـ عن حق الجماعة فيها ، ثم جعل ولى الأمر مسئولا عن حق الجمـاعة فيما خص الأفراد من هذا المال ليستعمل ولى الأمر حقـه هذا فيما تمليه مصلحة الجماعة، وما تفرضه ضرورات الحياة المشتركة فى كل عصر .

المقصد الثالث : هو أن الاسلام لما كان دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وكانت فطرة الانسان تتوق الى تملك المال ، كان لابد لشريعه الاسلام أن تقضى بربط بعض المال على احاد الناس، حتى تنطلق غريزتهم من لبت الحرمان وحتى يندفع نشاطهم الى استثمار المال الذى فى حوزتهم وتنميته . وفى هذا نفع مشترك لهم وللمجتمع على السواء . كمـا تقضى شريعه الاسلام فى اموال اخرى بعدم ربطها على آحاد النـاس ، لضروريات الحيـاة ـ « الناس شركاء فى ثلاثه : الماء والكلا والنار » ـ ويقاس عليها غيرها من ضروريات الحياة المشتركة .

ينتج من هذا الازدواج فىنسبة ملكية المال الى الله والى البشر ان تصـير ملكيه المـال وظيفة اجتمـاعية يؤديهـا مالك المال ، وان تقتـرن باداء هذه الوظيفة تكاليف كثيرة على مالك المال ، سواء أكان مالك المال من آحـاد النـاس ، أم كان المجتمع كله وذلك فى الأموال التى لا يجوز تمليكها لآحاد الناس .

ولن أمضى فى شرح هذه التكاليف جميعها ولكنى أخص بالذكر منها ما يتصل بما سميناه ـ اختصارا فى التعبير ـ باشتراكيتنا العربية .

أول هذه التـكاليف التى تفرضها تعـاليم تراثنا الروحى على مالك المال هو أن يوجه نشاطه وكفايته الى استثمار مـاله فى نطـاق الوجـوه المشروعة للاستثمار ، ثم مـداومة هذا الاستثمار ، لأن تعطيل استثمار المال يؤدى الى فقر صاحبه ، وبالتالى الى فقر المجتمع .

وقد صار تطبيق هـذا التكليف فى الصدر الأول من الاسلام عندما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: « ليس للمحتجر حق بعد ثلاث سنين » . والاحتجار هو وضع اليـد على الأرض الموات لمحـاولة احيائهـا وتعميرها . وقد طبق عمر رضى الله عنه هـذا المبدأ عندما قال على المنبر : « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين» . ثم عمم تطبيقه عندما قال : « من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له » . وكان رسول الله قد أعطى بلالا بن الحارث جميع أرض العقيق فلما كان زمن عمر قال لبلال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجره عن الناس ، انمـا أقطعك لتعمل فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى » .

وحكمة هذا التطبيق ظاهرة ، وهى حرص الشارع

على مداومة استثمار المالك للمال الذى بين يديه لأنه أصلا مال الله أى مال الجماعة ، ومداومة استثمار المالك له تعود بالنفع على ذاته أولا وعلى المجتمع ثانيا، باعتبار هذه الثمار زيادة فى الدخل القومى وفى الثروة القومية ، وباعتبار أن ما يخرجه المالك من ماله من الفرائض الاسلامية فى خدمة المجتمع ،وإذن يكون لولى الأمر النائب عن الجماعة حق التدخل بكل ما يكفل نفاذ هذا التكليف .

ويقاس على التكليف بمداومة الاستثمار التكليف باتباع أرشد السبل فى الاستثمار أولا لاشتراك العلة فيهما ، وثانيا لأن تعاليم الاسلام تفرض على كل من يباشر عملا أن يحسنه ويتقنه . فاذا عمد المالك الى أسلوب فى استثمار ماله يؤدى الى ضآلة الانتاج ، أو يؤدى الى تلف رأس المال، كان لولى الأمر أن يرده عن الأسلوب القديم الذى درج عليه الى الأسلوب الرشيد .

واذا عمد الناس الى تركيز أموالهم فى تملك الأرض الزراعية دون سواها من مصادر توظيف المال كالصناعة والتجارة كان لولى الأمر أن يتدخل بالاجراءات التى تكفل توزيع الناس أموالهم بين مصادر الانتاج المختلفة من صناعة أو تجارة أو تعدين أو غيرها . لأن مباشرة كل منها يدخل فى فروض الكفاية التى يأثم ولى الأمر — ويأثم معه المجتمع — اذا لم يقم بين الناس من ينهض بها ويتوافر عليها . وولى الأمر هو المسئول عن صلاح أحوال الرعية ودرء المفاسد عنهم وجلب المصالح .

واذا تضخمت الثروة فى أيدى فئة قليلة من الرعية ، وكانت هذه الثروة من مصادر الانتاج التى عليها قوام المجتمع ، ثم ثبت عجزهم عن استثمارها استثمارا رشيدا وأدى هذا العجز الى حرمان المجتمع من منافع هذا الاستثمار الرشيد ، كان لولى الأمر أن يتدخل بما يدرأ عن المجتمع هذا الضرر العام . وهذا تطبيقا للقواعد الشرعية : « التصرف على الرعية منوط بالمصلحة » و « يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام » .

وقد يكون تدخل ولى الأمر بالزام هؤلاء الملاك باتباع الأساليب الرشيدة فى استثمار مصادر الانتاج ، أو ابقاء بعضها بين أيديهم على قدر طاقتهم فى الاستثمار والاستيلاء على باقيها ليتولى استثمارها على النحو الذى يفى بمطالب الجماعة وفاء طيبا ، بعد تعويضهم عنها تعويضا يعادل قيمة رأس المال . هذا على افتراض أن كل هذه الثروة الضخمة قد آلت الى ملاكها بوسائل مشروعة أما اذا كان بعضها أو كلها قد آل اليهم بوسائل غير مشروعة ، فله ، بل يجب عليه الاستيلاء على هذا البعض أو الكل بغير تعويض. وهذا مافعله خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز عندما ولى الخلافة فوجد أن الكثير من أعضاء أسرته قد ملكوا الضياع والأموال بغير حق مشروع فنزعها منهم وردها الى ملكية الدولة لينتفع بها المسلمون جميعا .

هذه هى الآثار التى تترتب منطقيا على التكليف الأول الذى تفرضه تعاليم تراثنا الروحى على ملكية المال .

والحمد لله أننا قد ترجمناها — **على ضوء ظروف الزمان والمكان** — الى ما رسمته اشتراكيتنا العربية من تأميم، وانشاء قطاع عام الى جانب القطاع الخاص، وتخطيط اقتصادى شامل .

ان اشتراكيتنا العربية لم تفعل الا تطبيق هذا التكليف على ضوء ظروف هذا العصر .

فمصادر الانتاج التى عليها قوام المجتمع لا يصح أن تبقى محبوسة فى أيدى فئة قليلة تستأثر باستغلالها على حساب المجتمع واضرارا بالمجتمع بعد أن ثبت عجزهم عن استثمارها استثمارا رشيدا ، ومن هنا كان التأميم الاشتراكى حينما فرضت اشتراكيتنا هذا التأميم .

ووجوب اتباع أرشد السبل فى الاستثمار، ووجوب توزيع الناس أموالهم بين مصادر الانتاج المختلفة ، وواجب ولى الأمر فى معالجة التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى فرضه علينا الاستعمار ، ومن قبله عصور الانحلال — كل هذا فرض علينا سياسة التخطيط الاشتراكى فى كل صوره وأوضاعه ، وحماية للمجتمع من الأخطار التى أحدقت به من كل جانب .

هذا تطبيق ما فرضه الاسلام فى سياسة المال فى أول تكاليفه على ملكية المال ، وظاهر أن اشتراكيتنا العربية فى بعض جوانبها ليست الا ترجمة عملية لهذا التكليف الأول . وفى مقال تال نعرض سائر التكاليف التى فرضها تراثنا الروحى على ملكية المال لنستكمل المطابقة بينها وبين سائر جوانب اشتراكيتنا العربية ..

« **دكتور محمد عبد الله العربى** »

موقف الإسلام من الملكية الفردية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

الملكية الفردية هي التي يكون مالكها فردا معينا بذاته او افرادا معينين بذواتهم . وهذا النوع من الملكية يعطي مالكه – مبدئيا – حقوقا كثيرة يرجع أهمها الى حقين رئيسيين وهما حق الدوام ، وحق حرية التصرف .

أما حق الدوام فمعناه بقاء الملكية ما بقيت العين المملوكة ، وهذا الدوام يكون أحيانا دواما حقيقيا ، وأحيانا يكون دواما اعتباريا فيكون دواما حقيقيا اذا كانت العين المملوكة قابلة للاستهلاك وأتيح لصاحبها أن يستهلكها في حياته . ففي هذه الحالة يصدق على الملكية أن يد مالكها بقيت مسيطرة عليها طوال المدة التي استغرقها بقاؤها . ويكون الدوام اعتباريا اذا كانت العين المملوكة غير قابلة للاستهلاك كالاراضي والعقار فيموت صاحبها وهي لاتزال في حوزته ، أو قابلة للاستهلاك ولم يتح لصاحبها أن يستهلكها في حياته ففي هذه الأحوال يتحقق الدوام في صورة اعتبارية تواضعت عليها الشرائع التي تقرر الملكية الفردية . وذلك بأن تنتقل العين بعد وفاة مالكها الى من يوصي هو بانتقالها اليه أو الى من تقرر النظم الاجتماعية انتقالها اليهم من اقربائه عن طريق الميراث . ففي كلتا الحالتين لايعتبر هذا الانتقال تملكا جديدا من جميع الوجوه ، بل يعتبر بمثابة امتداد للتملك الأول ، لتحقيقه رغبة المتوفي في حالة الوصية ، ولتلعقه بأفراد يمتون للمالك الاصلي بلحمة قرابة قوية تجعلهم صورة متجددة منه في حالة الميراث . فكأن هؤلاء وأولئك ممثلون للمالك الاصلي ، وكأن الملكية الاولى نفسها لاتزال قائمة ، وان لبست ثوبا آخر غير ثوبها القديم .

واما الحق الثاني وهو حرية التصرف فمعناه ان يكون للمالك الحق في ان يفعل في ملكه ما يشاء وفي ان يهمله فلا يفعل فيه شيئا . فحرية التصرف لها وجهان : وجه ايجابي ، ووجه سلبي . ويتمثل وجهها الايجابي في امور كثيرة من اهمها استغلال المالك للشيء المملوك ، أي استخدامه في انتاج ثروة جديدة ، واستهلاكه وابادته وبيعه ورهنه وهبته بمقابل او بدون مقابل واعارته وتأجيره والوصية به ووقف غلته على فرد أو أفراد أو هيئة ما بعد الوفاة .

والاسلام يقر الملكية الفردية ، ويحيطها بسياج من الحماية ، كما تدل على ذلك الحدود والعقوبات الدنيوية والاخروية التي يقررها الاسلام لمختلف انواع الاعتداء على الملكية الفردية كالسرقة وقطع الطريق والغصب ونقل حدود الارض .. وما الى ذلك . . وفي هذا يقول الله تعالى : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » ، ويقول في قطع الطريق واغتصاب المال بالقوة المسلحة : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم» ، ويقول في النهي عن الحسد والنظرة النهمة الى ملكية الغير : «ولاتمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا» ، ويقول عليه السلام في نقل حدود الارض : «من اغتصب شبرا من ارض طوقه الله من سبع ارضين يوم القيامة» . ويجيز الاسلام للمالك ان يدفع عن ملكه بكل وسائل الدفاع حتى لو الجاه ذلك الى قتل المعتدى ، وفي هذه الحالة لاقصاص عليه ، واذا قتل هو يموت شهيدا لقوله عليه السلام : «من قتل دون ماله فهو شهيد» .

ولكن الاسلام ، مع اقراره للملكية الفردية

وحمايته لها يعمد الى حقوقها السابق ذكرها فيقيدها بقيود كثيرة ، ويضع على كاهل المالك في مقابل مابقى له من حقوق عدة واجبات يؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام . ويقصد الاسلام من وراء ما يضعه من قيود على حقوق هذه الملكية ومايقرره من واجبات على مالكها الى اغراض عمرانية سامية ، فبفضل هذه القيود وهذه الواجبات يكفل الاسلام تحقيق العدالة الاجتماعية واستقرار التوازن الاقتصادى ، وتقليل الفروق المالية بين الطبقات والأفراد ، وتقريب الملكيات الفردية بعضها من بعض ، ويحول دون تضخم الثروات ودون تجميعها في أيد قليلة ، ويقيم العلاقات الاقتصادية بين الناس على دعائم متينة من التكافل والتعاون والتواصى بالبر والخير والعدل والاحسان ويضع امثل نظام للضمان الاجتماعي ، ويجعل الملكية الفردية مجرد وظيفة يقوم صاحبها باداء خدمات للمجتمع ، ويجعل المالك مستخلفا على ثروته من قبل الله لانفاقها في سبيله .

١ - وتتمثل القيود التى قيد بها الاسلام الحق الأول من حقوق الملكية ، وهو حق الدوام ، في النظم التى وضعها لشئون الوصية والميراث .

فقد وضع الاسلام للميراث نظاما حكيما يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا ، ويحول دون تضخمها ودون تجمعها في أيد قليلة ، ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات . وذلك انه يقسم التركة على عدد كبير من اقرباء المتوفي ، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، ويحول من جهة اخرى دون تجمع ثروات كبيرة في يد فئة محدودة من الملاك ، ويقرب طبقات الناس بعضها من بعض . فهو يورث الابناء والبنات ، والآباء والامهات ، والاجدادوالجدات ، والازواج والزوجات والاخوة والاخوات ، والاعمام وأبناء الاعمام ، وأبناء الاخوة واولاد الابناء ، بل يورث ذوى الارحام انفسهم في بعض الاحوال ، فبفضل هذا النظام الحكيم لاتلبث الثروة الكبيرة التى يتفق تجمعها في يد بعض الناس ان تتوزع بعد بضعة اجيال على عدد كبير من الانفس ، وتستحيل الى ملكيات صغيرة . وهذه هى امثل طريقة لتقليل الفروق بين الطبقات وتحقيق التوازن الاقتصادى ، وعلاج ماعسى ان يطرأ على هذا التوازن من اضطراب .

ولحرص الاسلام على تحقيق هذه الاغراض حرم كل اجراء يؤدى الى الاخلال بقواعد الميراث، وتوعد من يتعدى حدودها باشد عقاب في الآخرة وفي هذا يقول الله تعالى بعد ان قرر هذه القواعد: «تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك هو الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين».

ومن اجل ذلك يرى معظم فقهاء المسلمين انه لاتجوز الوصية لوارث لما ينطوى عليه هذا الاجراء من تحايل على قواعد الميراث واعطاء بعض الورثة اكثر من نصيبه الشرعى ، وعملا بقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان نزلت آيات المواريث : «ان الله أعطى كل ذى حق حقه ، ألا لاوصية لوارث » وحتى الذين يجيزون منهم هذه الوصية يقيدونها في حدود الثلث من التركة . واما الوصية لغير القريب فجائزة باجماع الفقهاء تيسيرا لاعمال البر، ولكن في حدود ضيقة لاتكاد تتأثر بها قواعد الميراث وهى حدود الثلث من التركة . وقد توخت الشريعة الاسلامية من هذا وذاك حماية القواعد الاشتراكية السامية التى وضعتها للميراث ووقايتها عبث المورثين واهوائهم .

ومن اجل ذلك أيضا ذهب كثير من فقهاء المسلمين الى بطلان الوقف الأهلى ، وهو أن يحبس المالك غلة ملكه بعد وفاته على واحد أو أكثر من اقربائه أو غيرهم بشروط يعينها وفق مشيئته ، لما ينطوى عليه هذا التصرف من اخلال بقواعد الميراث ، وما يؤدى اليه من تجميد للثروة ، وحبس لها عن التداول الطبيعى . وممن ذهب هذا المذهب ابن عباس رضى الله عنهما ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بعد أن نزلت آيات المواريث : « لاحبس عن فرائض الله » ، اى لامال يحبس بعد موت صاحبه فلا يوزع على الورثة وفق فرائض الله . ومنهم كذلك القاضى شريح (وهو من كبار التابعين ، وقد ولاه عمر قضاء الكوفة ، وظل في منصب القضاء ستين سنة، وقيل اثنتين وسبعين سنة) فقد قال ببطلان الوقف الأهلى وقرر أن شريعة محمد في الميراث قد الغت هذا النظام . ومنهم كذلك اسماعيل بن الكندى الذى ولاه الخليفة المهدى قضاء مصر ، فقد ذهب الى ماذهب اليه القاضى شريح . بل ان منهم الامام الأعظم أبا حنيفة النعمان نفسه ، فقد

قرر أن الواقف اذا علق الوقف بموته ، بأن قال اذا مت فارضى وقف على فـلان مثلا ، فان ذلك يكـون وصية لا وقفا ، وتجرى عليه أحكام الوصية ، واذا لم يعلقه بموته لم يعمل بقوله وتجب قسمة تركته على ورثته كل بحسب فريضته . وقد اعتمد على هذه المذاهب القانون المصرى رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ الذى صدر بعد الثورة اذ الغى جميع أنواع الوقف الاهلى وحظر اجراءه ، وقرر أن كل وقف من هـذا القبيل يعد باطلا فى المستقبل ، وقبل صدور هذا القانون بنحو أسبوعين نشر لى بجريدة « الأهرام » (عدد ٢٨/٨/٥٢) تحت عنوان : « الوقف الأهلى نظام فاسد يجب الغاؤه » مقال طويل بينت فيه مبلغ مجافاة هذا النظام لمبادىء الاسلام وقواعد الاقتصاد السليم .

فاين من هـذا النظام الاشتراكى الحكيم الذى وضعه الاسلام للميراث واحاطه بسـياج قوى من الحماية ، اين منه نظم الغرب التى ينقل بعضـها معظم ثروة المتوفى الى أكبر أبنائه ، ويدع كثير منها المالك حرا فى أن يوصى بتركته لمن يشاء ، فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هـذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقـد على المجتمع ونظمـه ، فنشـأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، والاتجاهات الشيوعية الفاسدة، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية ايما اضطراب ، وأدى هذا الى معظم الانقلابات والثورات العنيفة التى تعرضت لها اوربا فى العصور الحديثة .

وقد جعـل الاسـلام نصيب الذكور فى الميراث ضعف نظير نظائرهم من الاناث فى معظم الأحوال . فللذكر مثل حظ الانثيين فى الأولاد والأخوة الاشقة او لأب مع أخواتهم ، وللزوجـة من زوجها المتوفى نصف نصيب الزوج من تركة زوجته ، ونصيب الأب من تركة ولده يبلغ فى معظم الاحوال ضعف نصيب الأم (انظر آيات ١١، ١٢، ١٧٦ من سورة النساء) .

وقد بنيت هذه التفرقة على أساس التفرقة بين اعباء الرجل الاقتصادية فى الحياة واعباء المرأة . فمسـئولية الرجل فى الحيـاة من الناحية المادية أوسع كثيرا فى الأوضاع الاسـلامية من مسئولية المرأة . فالرجل هو رب الأسرة وهو القوام عليها والمكلف الانفاق على أفرادها ، وعليه وحـده تقع نفقة الأقرباء . على حين أن المرأة لايكلفها الاسـلام حتى الانفـاق على نفسـها . فنفقتها واجبة على أصولها او فروعها او اقاربها بحسب ترتيب الفقـه الاسلامى لهم فى وجوب النفقة اذا لم تكن متزوجة ونفقتها ونفقة بيتها وأولادها واجبة على زوجها اذا كانت متزوجة لا فرق فى ذلك بين ان تكون موسرة او معسرة . فكان من العـدالة اذن ان يكون حظ الرجل من الميراث اكبر من حظ المراة حتى يكون فى ذلك ما يعينه على القيام بهذه الاعباء المالية التى وضعها الاسلام على كاهله واعفى منها المراة رحمة بها وحدبا عليها وضمانا لسعادة الأسرة . بل أن الاسلام قد بالغ فى رعايته للمراة اذ أعطاها نصف نصـيب نظائرها من الرجال فى الميراث مع اعفائه اياها من اعباء المعيشة والقائها جميعا على كاهل الرجال .

٢ ـ وكما قيـد الاسـلام الحق الأول من حقى الملكيـة الفردية ، وهـو حق الدوام ، بالقيود التى تكفل تحقيق العدالة الاجتماعية وتقليل الفروق بين الطبقات على النحو السـابق بيانه ، قيد كذلك الحق الثانى وهو حرية التصرف بقيود تكفل عدم الاضرار بحقوق الآخرين وبالصالح العام .

ولذلك حرم على المالك كل تصرف فى ملكه يؤدى الى ضرر عام أو خـاص او ينطوى على اعتداء على حرية الآخرين . ولقد ذهب الاسلام فى هذا السبيل الى حد أنه يجيز نزع الملكية من صاحبها اذا أساء استخدام حقه فيها ، ولم يكن ثمة وسيلة أخرى لمنعه من ذلك .

ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليـه هذا المبدا تطبيقا عمليا على سمرة بن جندب . فقد كان لسـمرة بن جندب نخل فى بسـتان رجل من الأنصار . فكان سمرة يكثر من دخول البستان هو وأهله ، فيؤذى ذلك صاحب البستان . فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستدعى سـمرة وقال له « بعه نخلك » ، فابى ، فقال « هبها لى ولك مثلها فى الجنة » ، فابى ، فقال عليه السـلام : « أنت مضار» اى تبتغى ضرر غيرك. ثم قال لمالك البستان « اذهب فاقلع نخله » . وروى يحيى بن آدم انـه كان للضحاك بن خليفة الانصارى أرض لا يصل اليها الماء الا اذا مر ببستان لمحمد بن مسلمة . فأبى محمد هذا ان يدع الماء يجرى بارضه . فشكاه الضحاك الى عمر بن الخطاب . فاستدعى عمر محمـد ابن مسلمة وقال له : أعليك ضرر فى أن يمر الماء ببستانك؟ قال لا . فقال له : « والله لو لم أجد له ممرا الا على بطنك لأمررته » .

ومن ذلك ايضا ما تقرره الشريعة الاسلامية من وجوب الحجر على الصبى والمجنون فيما يملكانه لأنهما لا يحسنان التصرف ، فيؤدى اعطاء الحرية لهما الى اضرار بهما وبورثتهما وبالشئون الاقتصادية العامة ، وتقرر كذلك لهذه الأسباب نفسها الحجر على السفيه ، وهو الذى يبدد ثروته ويتلف امواله فيما لا يجدى . غير أن الامام الأعظم ابا حنيفة النعمان يذهب الى عدم جواز الحجر على السفيه معللا مذهبه هذا بان فى الحجر عليه اهدارا لآدميته والحاقا له بالبهائم ، وان ضرر هذا الاهدار وهذا الالحاق يزيد كثيرا على الضرر المادى الذى يترتب على سوء تصرفه فى امواله . وهذا اتجاه اجتماعى جليل من الامام الأعظم ، وقد استوحاه من روح الاسلام وحرصه على احترام الحرية المدنية للعقلاء الراشدين من بنى الانسان .

٣ - ووضع الاسلام على كاهل المالك الفردى ، فى مقابل ما بقى له من حقوق ، واجبات واعباء كثيرة يؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام وللمعوزين من الناس ، كزكاة النقد والأنعام وعروض التجارة وحاصلات الزراعة والخراج والضرائب والكفارات المالية والصدقات الموسمية كزكاة الفطر وما ينحر من الهدى فى الحج ويطعم منه البائس الفقير والصدقات المستحبة التى لا تخلو سورة من سور القرآن من الحث عليها والاشادة بفاعلها وبيان عظيم اجرها : « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » . وبعض آيات القرآن تدل على أن الاسلام لا ينظر الى هذا النوع الأخير من الصدقات على أنه مجرد تصدق واحسان ، بل على انه حق للفقراء من مال الاغنياء . قال تعالى يصف المؤمنين : « والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقال : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون » . فوصف هذا النوع من الانفاق فى هذه الآيات بانه حق للفقراء لا مجرد احسان من الأغنياء .

وكثير من ايات القرآن تدل على ان الاسلام ينظر الى التملك على انه مجرد وظيفة يقوم صاحبها بانفاق المال على مستحقيه وينظر الى المالك على انه مستخلف على ثروته من قبل الله لانفاقها فى سبيله . وفى هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » .

د. على عبد الواحد وافى

حب ويأس وكرامة

للشاعر : شوقى هيكل

بالله يا حبيبى يا معقد الرجاء
يا بسمة الصباح يا صبابة المساء
ما اجمل اللقاء .. ما أثقل الجفاء
حياتنا بالهجر ياحبيبتى شقاء
نعيمنا فى الحب .. ان يظله الولاء
لا حب لا حياة ، لا وصال لا هناء
ما اقبح الحياة ان خلت من الوفاء
ما اجمل الوفاء ! ما اعذب الوفاء !

* * *

بالله يا حبيبى .. لو ضاق بى الفضاء
واطبقت على جفاف ارضنا السماء
وصوحت زهورها عواصف الشقاء
وقوضت وهادها معاول الفناء
وغامت الأرجاء لارجاء .. لا رجاء
وآذنت امامى الحياة بانتهاء
لما كتمت الشوق أو منعتك الوفاء
ولا رجعت عن هواك حيث لا غناء
فحبك الغناء والسلام والضياء
وانت لى الوجود لا يدركه الفناء

***

حبيبتى اذا حظيت منك بالرضاء
وان منحتنى الهوى وصادق الولاء
ولو وقفت جانبى وجدت بالوفاء
ستسعدين مهجة اذابها الشقاء
وترحمين والها يؤوده العناء
قد شفه العذاب واسترقه البلاء

***

لئن ظللت ترفضين الحب فى اباء
وتعزفين عن رضاى دون ما سخاء
فلن احيد عن هواك .. انه قضاء
ولن الوذ بالبكاء لست اعرف البكاء
لكننى باليأس سوف اقتل الرجاء
واجرع الحرمان ان يكن هو الجزاء
منعما بعزتى فانها العزاء

الاشتراكية في تفكير عمر

بقلم: محمد محمد المدنى

إن الاشتراكية في واقع أمرها هي نمط من السلوك الاجتماعي الراقي المنبعث عن أخلاق الرحمة والعدل والايثار وتوفية الحقوق لأصحابها والترفع عن الاستغلال والاثرة والطغيان بالقوة أو بالمال أو بالجاه والسلطان .

وهذه المعاني الانسانية الراقية ، هي المعاني التي كانت تسود المجتمع الاسلامي في عهده الاول يوم كان المسلمون كما يقول فيهم القرآن الكريم « أشداء على الكفار رحماء بينهم » « يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » وكما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » وكما يقول الشاعر :

على مكثريهم رزق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

وكلما قرأ قارىء ، أو بحث باحث ، في تاريخ هذا العهد الأول ، تجلت له المثل الرفيعة من سلوكهم الاجتماعي ، ونظامهم الحكمي ، واخلاقهم الكريمة في المحبة والتعاون والصبر والمرحمة والعدل ، واستطاع ان ينشر للناس صفحات مشرقات منها تكون لهم نبراسا يهتدون بنوره الذي هو من نور الله « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »

وفي تاريخ امير المؤمنين الاول **عمر بن الخطاب** الذي هو أحد الافذاذ العباقرة من خريجي مدرسة النبوة الخاتمة ، مايدل دلالة واضحة على ان هذه المعاني السامية التي اصطلحنا حديثا على ان نطلق عليها لفظ « الاشتراكية » كانت تجد في تفكيره وسلوكه الحكمي ، مجالا فسيحا ، وافقا رحيبا .

(١) فمن ذلك انه كان يؤمن بوجوب رعاية حقوق الفقراء في المجتمع حفظا للتوازن بينهم وبين الاغنياء ، وان المجتمع الذي يجد الغني فيه كل شيء ميسرا له ، بينما يحمل الفقير فيه كل ثقل ، وينوء تحت كل عبء ، ليس هو بالمجتمع الصالح ولا الراشد ، وليس هو بالمجتمع الذي يرضى الله ورسوله عنه .

لذلك كان يتجه الى الأخذ بأيدي الفقراء والضعفاء ، ويحرص على ان يوفر لهم من المزايا ما يقابل به قوة الاغنياء أصحاب الثروات الطائلة الذين يستطيعون بما أوتوا ان يحتفظوا لانفسهم بمستوى صالح وان لم يظفروا بتلك المزايا ، وكان هدفه من ذلك ان يحقق لونا من الوان التوازن الاجتماعي العادل الرحيم .

● فقد قرأنا فيما صح من تاريخه انه رضي الله عنه ، حمى قطعة واسعة من الارض العامة التي يرعى الناس فيها إبلهم وأغنامهم ، فخصصها بفقراء المسلمين لا يرعى فيها غيرهم من ارباب القطعان الكبيرة ، واستعمل على هذه الارض رجلا من خاصته يقال له « هنيء » — تصغير هانيء — واوصاه حين عهد اليه بها وصية ثمينة يقول فيها :

« ياهنيء : ضم جناحك عن الناس — أي لا تمد يدك الى أخذ شيء منهم كرشوة يرشونك بها — واتق دعوة المظلوم فانها مجابة ، وادخل رب الصريمة ورب الغنيمة — اي صاحب القطيع الصغير من الابل ، وصاحب العدد القليل من الغنم — واياي ونعم ابن عفان ،وابن عوف — اي انعامهما وماشيتهما الكثيرة العدد ، وكانا من كبار الاغنياء — فانهما ان تهلك ماشيتهما — اي من قلة الرعي — يرجعان الى زرع ونخل — أي يرجعان الى انواع اخرى من المال يملكانها من زرع ونخل — وان رب الصريمة والغنيمة ان تهلك ماشيته — اي لقلة الرعي — يأتني ببنيه فيقول : يا امير المؤمنين ! أفتاركه أنا لا أبالك ؟ ، فالماء والكلأ أيسر من الذهب والفضة — اي فالماء والكلأ اللذان نمنحهما الآن لرب الابل والغنم القليلة حين تدخل ابله وغنمه لترعى في هذه

الارض ، أيسر من الذهب والفضة اللذين نضطر الى انفاقهما عليه وعلى عياله اذا هلكت ماشيته جوعا وظمأ ثم جاءنا مستنجدا بنا » .

ثم قال عمر : « وايم الله انهم ـ اى الاغنياء امثال ابن عفان ، وابن عوف ـ ليرون انا ظلمناهم وان البلاد بلادهم ! والله لولا أن المال الذى أحمل عليه ـ اى أنتزعه ـ انما هو فى سبيل الله ـ اى فى المصالح ـ ماحميت على الناس من أرضهم شيئا » .

هذا هو نص الوصية التى أوصى بها عمر بن الخطاب من ولاه على هذه الارض ، ومنه يتبين ما يأتى :

١ ـ انه رضى الله عنه ، قد حمى أرضا عامة ، اى منعها من غير من خصصها لهم ، وهو قد خصصها لماشية الفقراء لتكون مرعى لها دون ماشية الأغنياء ، والغرض أنها أرض عامة لكل مواطن حق فيها بحكم هذا العموم وانها مملوكة للدولة .

٢ ـ وأنه على هذا التخصيص الذى أمر به ، بأن أهل الثراء لهم من أموالهم وثرائهم مايغنيهم عن هذه الارض ، اما الفقراء اصحاب الابل القليلة والغنم القليله ، فهم يعتمدون فى حياتهم على هذا المال القليل وحده ، وهو أدنى الكفاية ، فلو هلكت ماشيتهم لما وجدوا مالا غيرها يعيشون به هم وأولادهم .

٣ ـ وأنه كان يرى أن الدولة مسئولة عن الفقير الذى لا يجد ما يعيش به ، عليها أن تدبر له أمر معيشته هو وعياله . فلو جاءه أصحاب الابل والغنم القليلة التى هلكت لكان عليه أن يعطيهم من النقد مايكفيهم ، ويسد حاجتهم .

٤ ـ وأنه كان يعلم بما يتحدث به أهل الثراء من ان فى هذه المعاملة تفريقا بين المواطنين من اغنياء وفقراء ، وان الارض لهم جميعا ، فلا يجوز تخصيص فريق دون فريق بالرعى منها ـ كان يعلم ذلك ولكنه لا يراه حقا ، فانه انما يحمى هذه الارض ويخصصها لماشية الفقراء دون الاغنياء ، قصدا الى المصلحة العامة والى ماتقضى به الحكمة فى معالجة فقر الفقراء ببذل الاكل والماء لماشيتهم قبل أن يحوج الامر الى بذل الفضة والذهب لهم فيما لو هلكت تلك الماشية ، ومن المعروف أن اصحاب الثراء هم الذين سيحملون عبء ذلك لو دعت اليه الظروف ، فولى الامر انما يدفع لهم من الاموال العامة التى لو نفدت لكان على الاغنياء أن يبذلوا فى حال نفاذها مايكفى الفقراء ، واذا كان الامر كذلك فاحتمال الاكل والماء من المرعى الآن أيسر من احتمال الذهب والفضة فى المستقبل .

٥ ـ وأنه كان يرى صنيعه هذا من ايثار الفقراء على الاغنياء عملا صالحا فى سبيل الله ، وليس عملا استبداديا تحكميا .

ذلك هو التحليل العلمى الواقعى لهذه القصة الثابتة عن عمر بن الخطاب فيما روته كتب السير والطبقات والحديث ، ومنها صحيح البخارى ، وتلك هى روح الاشتراكية الحقة وان لم تسم باسمها .

٦ ـ ومن ذلك أنه كان يؤمن بوجوب رفع المستوى العام للشعب ، وذلك يتفق وما تدعو اليه الاشتراكية السليمة التى هدفها اسعاد الشعب ، والعمل على ان تكون العداله والتسوية فيه وتكافؤ الفرص بين اهله ، هادفه الى المستوى الرفيع ، لا الى التخفيض والتضييق ، وهذه السياسه الرحيمة العادله هى سياسه القرآن الكريم ، ويدل عليها قوله تعالى « قل من حرم زينه الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق » فانه تعالى يضيف الزينة اليه فيشرفها بهذه الاضافه ، ويؤيد هذا المعنى بالتصريح بانه اخرجها لعباده ليلفت الناس الى انها مقصوده لله تعالى ، ومقصود تيسيرها بخلق موادها ، والهداية الى طرق صناعتها ، ويذكر الطيبات من الرزق ايذانا بان طيبها هو سبب حلها ، وهذا كله يقتضى أن الاسلام يريد من الناس الا يكتفوا فى معيشتهم بمجرد ما يستر من اللباس ، وما يقيت من الطعام والشراب ، ولكنه يطلب منهم أن يتطلعوا الى مستوى فى المعيشة أرقى من ذلك ، بشرط عدم الاسراف ، وابتغاء مالا يخرج عن وصفه بانه «زينة الله» وبأنه « الطيبات من الرزق » .

● وفى ضوء هذا المبدأ الاسلامى الذى تأخذ به الاشتراكية السليمة نورد هذه القصة التى رواها ابن سعد فى الطبقات ، والبلاذرى فى فتوح البلدان :

« قدم خالد بن عرفطة العذرى على عمر رضى الله عنه فسأله عن أخبار ما وراءه من الناس ـ وكان على القادسية ـ فقال له :

ياأمير المؤمنين : تركت الناس يسألون الله أن يزيد فى عمرك من أعمارهم . ما وطىء احد القادسية الا وعطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة ـ اى الفا وخمسمائة ـ وما من مولود يولد الا الحق فى مائة وجريبين فى كل شهر ـ اى أن المولود الذى يولد يلحق بمن يأخذون مائة درهم وجريبين ، والجريب

مكيال معروف عندهم - ذكرا كان ام انثى ، ومايبلغ لنا ذكـر الا الحق على خمسمائة أو ستمائة ، فاذا خرج هذا لأهل بيت منهم من يأكل الطعام ، ومنهم من لا يأكل ، فماظنك به ؟ انه لينفقه فيما ينبغي له وفيما لا ينبغي ! قال عمر ! الله المستعان ، انما هو حقهم أعطوه ، وانا اسعد بادائه اليهم منهم باخذه ، فلا تحمدني عليه ، فانه لو كان من مال للخطاب ماأعطيتموه ، ولكنى قد علمت ان فيه فضلا - اى زيادة وسعة - ولا ينبغي أن أحبسه عنهم ، فلو أنه اذا خرج عطاء احد هؤلاء ، ابتاع منه غنما فجعله بسوادهم - وسواد البلدة هو ما حولها من الريف وارض الرعى - فاذا خرج عطاؤه المرة الثانية ابتاع الرأس والرأسين فجعله فيها ، فاني - ويحك ياخالد أخاف عليكم ان يليكم بعدى ولاة لا يعد العطاء في زمنهم مالا - أى من قلته - فان بقى احد منهم او احد من ولده ، كان لهم شيء قد اعتقدوه - أى ادخروه - فيتكئون عليه ! فان نصيحتى لك وانت عندى جالس كنصيحتى لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين ، وذلك لما طوقنى الله من امرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة » .

وهذا نص مبارك يتضمن أمورا تتفق وماتريده الاشتراكية السمحة الواعية ، فهو يفيد :

١ - أن عمر كان يغدق العطاء للصغير والكبير ، قصدا الى رفع مستوى المعيشة بين الناس .

٢ - وأن الناس كانوا يحمدون له ذلك ، ويدعون له بطول العمر ولو من أعمارهم .

٣ - وأن خالد بن عرفطة رأى عطاء عمر للناس كثيرا وقال له : انهم ينفقونه فيما ينبغي وفيما لا ينبغي لكثرته ، كأنه يريد منه أن يقلله ، ولكنه لم يقبل مشورة خالد معللا ذلك بأنه حقهم وقد أعطوه ، ولا يحب ان ينقصهم منه .

٤ - وأنه نصح خالدا - وجعل نصحه له منسحبا على جميع الناس - بأن يعملوا على الادخار من عطائهم على سنة التدرج ، لئلا يكونوا من المبذرين . اهتداء بقول الله عز وجل « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »

٥ - وأنه أشار في هذا بوضع الأموال المدخرة في وجه يؤدى الى نمائها عن طريق التثمير والتحريك وذكر في هذا بشراء الرأس من الماشية أو الرأسين والحاقهما بالمراعى ، احتياطا للزمان والحاجة ، وهى قاعدة اقتصادية سليمة ، فان التبذير والاسراف يضران بالفرد والمجتمع ، اما الادخار الذى يتسم بالوعي والبصيرة في الاستثمار من الوجوه المباحة ، فهو خير وبركة على صاحبه وعلى الناس .

٦ - وأنه كان يرى هذا كله واجبا عليه للرعية لا يسعه الا ان يقوم به لئلا يكون غاشا لها ، مقصرا فيما ندبه الله اليه .

● **ومن طريف ما يروى في ذلك** ، ويدل على ان عمر كان يعطى فيجزل - اذا كان العطاء لغيره ولغير أبنائه واهله - هذه القصة التى رواها ابو يوسف في كتابه : الخراج ، وابن سعد في كتابه : الطبقات : وذلك ان عمر أرسل الى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها ، بعطائها الذى قرره لها ، فلما جاءها العطاء وجدته كثيرا وحسبت أنه انما أرسله اليها لتقسمه بين الناس نيابة عنه ، فقالت : غفر الله لعمر ! غيرى من اخواتى - تقصد من أمهات المؤمنين - كان أقوى على قسم هذا منى ، فقالوا هذا كله لك ! قالت : سبحان الله ! صبوه واطرحوا عليه ثوبا ، ثم قالت لبرزة بنت رافع : ادخلى يدك فاقبضى منه قبضة فاذهبى بها الى بنى فلان وبنى فلان - من اهل رحمها وايتامها - فقسمته حتى بقيت بقية تحت الثوب ، فقالت برزة : غفر الله لك يا أم المؤمنين ! والله لقد كان لنا في هذا حق ، قالت: فلكم ماتحت هذا الثوب ، قالت برزة : فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهما ، ثم رفعت أم المؤمنين رضى الله عنها يديها الى السماء فقالت : اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا ، فماتت رضى الله عنها ، فكانت أول أزواج النبى صلى الله عليه وسلم لحوقا به ، وظهر أنها كانت المقصودة بما أنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم أزواجه حين قال « أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا » ، فكن يقسن أذرعهن بعضهن ببعض ليعلمن أيتهن أطول ذراعا ، ظنا منهن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد المعنى الحقيقى لطول الأيدى ، ولكنه كان يريد المجاز ، فعبر بطول اليد عن معانى البر والكرم ، وكانت زينب رضى الله عنها هى أجودهن وابرهن باليتامى والمساكين - وفى هذه القصة مثل من جودها وبرها بهم - حتى لقد كانت تعرف « بأم المساكين » ، فلما كانت أول أزواجه صلى الله عليه وسلم لحوقا به علمن أنه أراد معنى الجود والكرم فيها .

هكذا كان المجتمع الاول لأهل الاسلام ، وهكذا كانت روح عمر .

محمد محمد المدنى

اشتراكيتنا المثالية

بقلم : حامد عبد القادر

إننا اذا استقصينا نظم الحكم القديمة منها والحديثة تبين لنا أنها لا تعدو أن تكون ثلاث مجموعات من النظم .

الاولى : مجموعة النظم الفردية ، ونظام الحكم او نظام الحياة السياسية الفردى هو الذى يسيطر فيه على الجماعة فرد أو أفراد ، بحيث يكون على الجماعة المحكومة المغلوبة على أمرها أن تقوم بالواجبات كلها أو جلها ، تؤمر فتطيع ، فان عصت فعليها الغضب ولها العذاب الأليم . اما الأفراد الحاكمون فلهم أن يستمتعوا بالحقوق كلها أو جلها ، يأمرون فيطاعون ولا يسالون عما يفعلون .

الثانية : مجموعة النظم الجماعية أو الديمقراطية ، وهى على العكس من النظم السابقة ، لأنها هى التى تسيطر فيها الجماعة على شؤون الأمة ، اى أن الشعب تمثله هيئاته النيابية المختلفة هو الذى يحكم ولايكون لأى فرد أو أفراد معينين سلطة خاصة .

الثالثة : مجموعة النظم الجماعية المتوسطة ، التى يمكن أن نطلق عليها اسم « النظم الاشتراكية » ، لأن شؤون الدولة فيها مشتركة بين الشعب وهيئة حاكمة تختار من الشعب نفسه لتكون الهيئة المسؤولة مباشرة عن الأمور التشريعية والتنفيذية ، ولأن لكل من فريقى الحاكمين والمحكومين حقوقا وعليه واجبات.

ومن بين النظم الاشتراكية نظام معتدل يختلف اختلافا جوهريا عن كل من النظامين الفردى والجماعى المتطرفين ، ذلك هو النظام الذى يمكن أن نسميه النظام الاشتراكى المثالى .

والخلاصة أن نظم الحكم اما فردية واما جماعية واما مشتركة .

وقد يتطرف النظام الفردى فيصير نظاما استبداديا أو مطلقا ، ويتطرف النظام الجماعى فيصير نظاما شيوعيا أو بلشفيا . ويتوسط النظام الاشتراكى فيصير اشتراكيا معتدلا أو تعاونيا أو مثاليا .

ولا يخفى أن النظام الاستبدادى هو أسوأ نظم الحكم لما ينطوى عليه من مظالم ومفاسد تنشأ فى الغالب عن انحراف الفرد الحاكم عن جادة الصواب ، ومن شأن هذا أن يؤدى الى الاضطراب المدمر ، والفوضى المخربة التى قد تفضى الى ضعف الأمة ثم انهيارها .

والنظام الشيوعى أو البلشفى هو فى صورته المتطرفة نظام مادى لا يعترف بالأديان السماوية ، ولا يفكر فى الاهتداء بهديها ، بل انه قد يسخر منها ويستهزىء بها ، وهو مع ذلك لا يقر الملكية الشخصية ، ويوجب على الفرد أن يجد ويعمل فى حدود طاقته ، وعلى الدولة أن تحافظ على حياته وتمده بما يحتاج اليه من غذاء وكساء ومسكن وتعليم وترفيه .

وليس من شان هذا النظام فى صورته هذه أن يكتب له الاستقرار ، لأن الشعب ان قبله فلن يتقبله بقبول حسن ، ولن يخضع له فى رضا واطمئنان ، وانما يتقبله مغلوبا على أمره ، منتهزا الفرصة للخروج عليه ان لم يستطع تعديله ، وبخاصة فى الأوساط المتدينة التى تؤمن بالله تعالى وتهتدى بهديه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتدين بالحرية الفردية « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

هذا الى أن الهيئة المسيطرة سيطرة مباشرة على شؤون الشعب قد تنحرف أو ينحرف بعض أفرادها فتتسرب المطامع الشخصية الى نفوسهم ، أو يلحقهم الغرور فيسيئون التصرف فى شؤون الشعب ، ويكون حكمهم أشبه شىء بالحكم الاستبدادى المطلق.

فكلا الطرفين ذميم ، والنظام الوسط هو النظام المثالى ، وهو النظام الاشتراكى الذى وضع أسسه الاسلام ، وجاءت الثورة المباركة سنة ١٩٥٢ م فوضحت معالمه وبينت مفاهيمه ، وشرحته شرحا وافيا فى « الميثاق » .

أن النظام الاشتراكى ـ كما يفهم من اسمه ـ يقوم على الاشتراك أو المشاركة فى الواجبات والحقوق ·

ومعنى هذا أن النظام الاشتراكى يقوم على مبدأين اثنين هما :

١ ـ القيام بالواجبات ، أى أن يقوم كل مواطن ومواطنة بواجباتهم ·

٢ ـ الحصول على الحقوق : أى أن يحظى كل مواطن ومواطنة بحقوقهم ·

ويتضمن القيام بالواجبات أن يبذل كل فرد جميع ما لديه من طاقة جسمية وعقلية فى القيام بما يفرضه عليه وضعه الاجتماعى من واجبات مادية أو معنوية باخلاص ونشاط ·

ويتضمن الحصول على الحقوق أن يظفر كل مواطن ومواطنة بكل ما يستحقون من حقوق كاملة غير منقوصة مقابل ما يقومون به من واجبات ، دون تفرقة بين فرد ونظائره من المواطنين ·

وتشمل الواجبات ، بالاضافة الى ما يجب على المواطن بوصفه عاملا أو من أرباب المهن الخاصة ـ ما يجب عليه نحو خالقه جل وعلا ، ونحو أسرته ، ونحو مسقط رأسه والبيئة التى تجاورها ، ونحو بيئته العامة وهى الوطن العام الذى ينتمى اليه ، ثم نحو البيئات العامة المجاورة لوطنه، وبخاصة تلك التى تربطه بها علاقات خاصة ، واخيرا وليس آخرا نحو الانسانية بوجه عام ·

ولا يكفى فى عصرنا الحديث الناهض أن يقوم المواطن بما يجب عليه فقط ، بل لا بد أن يقبل على أداء واجباته راغبا فيها ، وأن يسير فى أدائها مهتما به مخلصا فيه ، ثم ينجزها على الوجه الأكمل الذى يرضى الله ويريح الضمير ·

وليس هذا فحسب بل لا بد أن يعاون المواطن زملاءه فى انجاز ما بين أيديهم من أعمال ، وبخاصة تلك الاعمال الضخمة التى تتعدد نواحيها وتحتاج الى تعاون العاملين تعاونا حقيقيا ·

كما يجب أن يتعاون المواطن وزملاؤه أرباب المهنة الواحدة على النهوض بمهنتهم ، والسير بها فى طريق التقدم المستمر المساير للتقدم المهنى العام الذى لا ينقطع تياره ·

ويقصد بالتعاون أن يساعد كل من يقدر كل من لا يقدر بكل ما يقدر عليه من أعمال الخير الكفيلة ببناء المجتمع والنهوض به ، والدفاع عنه ، والمحافظة على تماسكه ، وعلى كرامته ، وعلى تراثه العلمى والأدبى والفنى ، وعلى تقاليده الخاصة ومكاسبه التى حصل عليها الآباء والأجداد بجهادهم ومساعيهم ·

ـ ٣ ـ

وتشمل الحقوق :

١ ـ حق المواطن وأفراد أسرته فى حياة كريمة آمنة سعيدة ، وذلك بان تتخذ الدولة جميع الوسائل الكفيلة بحفظ حياته وأملاكه من الاعتداء ، ثم بامداده هو ومن يعولهم بما يحتاجون اليه من غذاء وكساء ومسكن وبما تصبو اليه نفوسهم من أسباب الترفيه.

ويتصل بحق المواطن فى الحياة الكريمة الامنة السعيدة حقه هو وأفراد أسرته فى المعالجة الكاملة وذلك برعايتهم الصحية ، وتقديم الأدوية الضرورية لهم اذا أصابهم مرض ·

وبدهى أن معالجة المرضى من المواطنين من الأمور الهامة التى يجب أن تعنى بها الدولة كما يعنى بها المصابون أنفسهم ، فان الامراض اذا انتشرت وفتكت بالمواطنين أعجزتهم وجعلتهم غير صالحين لأداء ماعليهم من واجبات ، وبذلك تقل الأيدى العاملة من الأمة وتضطرب امورها ·

٢ ـ بعد حق الحياة يأتى حق التملك ، وذلك بعدم حرمان المواطن أن يمتلك بالطرق المشروعة من الأراضى الزراعية والعقارات ونحوها ما تسمو به مقدرته المالية ، وتقره قوانين الملكية الخاصة التى تضعها الدولة للقضاء على الجشع الاقطاعى ، والحد من سيطرة رؤوس الأموال ، ومراعاة العدالة الاجتماعية فى توزيع الثروة على المواطنين ، وذلك كله ليكون المجتمع اشتراكيا تعاونيا ، تذوب فيه الفوارق الطائفية البارزة ، ولا تطغى طائفة على غيرها ·

٣ ـ ومن أهم الحقوق التى يجب أن يحظى بها المواطن حق التعلم ، وذلك بابراز مواهبه الجسمية والعقلية ، وتنميتها ، وتوجيهها ، وتدريبها حتى تبلغ أعلى درجات الكمال والكفاية ، ويصير المتعلم مواطنا صالحا ·

ومعنى هذا أن خطة الدولة فى تعليم المواطن وتربيته حتى يكون مواطنا صالحا يجب أن تقوم على:

(أ) الكشف عن مواهبه واستعداداته ·

(ب) ابراز هذه المواهب ·

(ج) تنميتها ·

(د) توجيهها توجيها صالحا ملائما لها فى كل دور من أدوار نموها ·

(هـ) امدادها بالغذاء المادى والروحى الملائم لها أيضا .

(و) تدريبها على أسس فنية دقيقة .

والمواطن لا يكون صالحا الا اذا توافرت فيه شروط خاصة أهمها أربع هى :

(أ) القوة ، وتتضمن القوة الجسمية ، ورجاحة العقل ، وسداد التفكير ، ومتانة الخلق ، وتهذيب السلوك ، ويقظة الضمير .

(ب) الايمان ، ويتضمن الايمان بالله ايمانا صادقا يدعو الى طاعته ، والاطمئنان الى تأييده ونصره فى أوقات المحنة ، والايمان بالنفس ، والثقة بها وبامكانياتها ، والاعتماد عليها ، فلا يتخاذل ، ولا يتواكل اذا ما جد الجد ودعا داعى العمل ، والايمان بالوطن وبحقوقه المقدسة، والاعتداد بحريته وعزته وكرامته .

(جـ) الحرية ، وتشمل حرية التفكير والقول والعمل فى حدود الطاقة الذاتية ، وفى حدود القوانين الشرعية والوضعية ، بحيث يستمتع المواطن بجميع ما له من حقوق مشروعة ، ولا يعتدى ـ باسم الحرية ـ على غيره بالسب أو النهب أو الاستهزاء أو السخرية ، ولا ينسى أن هناك أشخاصا آخرين لهم ما له من حقوق فى الحياة والحرية .

(د) الشعور الوطنى القوى ، وذلك بان يدرك المواطن أكمل ادراك ماضى وطنه المجيد ، ومنزلته الرفيعة فى التاريخ القديم والحديث ، وما كان له من مواقف شريفة فى النضال فى سبيل الحرية والعزة والكرامة .

ومن الضرورى فى اثناء قيامنا بتربية المواطنين الناشئين الا نغفل عن تعرف حاجات مجتمعنا الاشتراكى ، وذلك لكى نمده بما يحتاج اليه من أنواع المثقفين المعدين اعدادا نظريا وعمليا لأن يقوموا خير قيام بما يعهد به اليهم من أعمال بمهارة ونشاط واخلاص .

٤ـ بعد حق الحياة والتملك والتعلم يأتى حق الحرية . ويراد بحق الحرية أن يكون المواطن حرا طليقا فى أعماله وتصرفاته الخاصة وفى ابداء آرائه ، وفى اعتناق ما يرتضيه من الأديان .

فيتصرف فى أملاكه وشؤونه الخاصة كما يشاء بالطرق المشروعة ، من بيع أو استبدال أو هبة ، أو رهن ونحوها .

ويبدى ما يريد أن يبدى من آراء فى الحياة الاجتماعية ونظمها ما دامت آراؤه بناءة يترتب على اتباعها نهوض الشعب أو صلاح ما يكون قد فسد من أحواله . أما الآراء الهدامة لأى نظام من النظم القائمة التى ارتضاها الشعب بوجه عام فلا يصح ابداؤها . وكذلك الآراء الالحادية التى تسىء الى العقيدة الدينية التى يعتنقها السواد الأعظم من الشعب .

وللمواطن أن يعتنق ما يشاء من العقائد الدينية التى يهديه اليها تفكيره ويرتضيها ضميره ، ما دام لا يحاول أن يغرى غيره بأى وسيلة من وسائل الاغراء أو الاكراه أن يهجر عقيدته الدينية .

ويقال فى حرية الصحافة ما قيل فى حرية الفرد فى ابداء الآراء .

ـ ٤ ـ

هذا ومن الواجب أن تقوم الاشتراكية المثالية على المبادىء الآتية :

١ ـ الاهتداء بهدى الدين الحنيف ، فما فيه من قيم روحية أخاذة ، وتوجيهات ربانية خالدة نفاذة كفيلة بأن تضىء قلب المؤمن بنور اليقين ، وتكسب نفسه هدوءا واطمئنانا لا يضارعهما هدوء واطمئنان، وتمنح شخصيته قوة لا تساويها قوة ، وتهب له طاقة ذاتية تجعله قادرا على أن يحيا حياة سعيدة ، حياة حق وخير وجمال ، وان هذه القيم الروحية القيمة كفيلة أيضا بأن تحرر الفرد من ربقة الذلة والعبودية ، فاذا به شجاع مقدام لا يهاب الموت فى سبيل الدفاع عن الحق ، ولا يخشى أحدا غير الله ، ولا يحنى رأسه الا له تعالى الذى هو وحده صاحب السلطان المطلق ، المسيطر على جميع شئون الكون ، فليس لأحد من خلقه مهما تكن منزلته ، سلطان على غيره ، والكل أمامه سواء ، أكرمهم عنده أتقاهم .

٢ ـ العدل الاجتماعى ، وهو أن يعطى كل ذى حق حقه من أجر أو جزاء بقدر ما يقوم به من أعمال فى سبيل النهوض بالوطن ، وقضاء حاجاته المادية أو المعنوية .

فالعدل الاجتماعى يستدعى أن يحصل كل فرد على حقوقه المشروعة التى ذكرناها من قبل كاملة غير منقوصة .

٣ ـ ويتصل بمبدأ العدل الاجتماعى المساواة .

وليس معنى المساواة أن يكون جميع المواطنين سواء فى كل شىء بحيث لا يفضل أحد غيره فى مال أو جاه ، فالمساواة المطلقة تكاد تكون مستحيلة ، لأن الأفراد يختلف بعضهم عن بعض فى المواهب والميول والاستعدادات اختلافا فطريا يؤدى حتما الى اختلاف أحوالهم المادية وتفاوت مراكزهم الاجتماعية ومنازلهم فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

ومن فضل الله أن يوجد هذا الاختلاف ، فانه ضرورة لا بد منها لأن المجتمع المتعدد النواحي يتطلب فئات أو طبقات مختلفة من المواطنين تعنى كل منها بناحية من نواحي حياته المادية أو المعنوية ٠

ولو فرضنا اننا بدأنا حياتنا الاشتراكية بمساواة جميع المواطنين في كل شيء فان هذه المساواة لاتلبث أن تضطرب بعد مضي عدد كاف من السنين ٠

ولنضرب لذلك المثل الآتي :

هب أننا أتينا بثلاثة أفراد من أوساط مختلفة من الناس ، وأعطينا كلا منهم مئة جنيه مثلا ، ومنحناه الحرية التامة في التصرف فيها كما يشاء ، ثم رجعنا اليهم بعد ثلاثة أعوام مثلا لنتعرف أحوالهم، ترى ماذا تكون النتيجة ؟

لقد دلت التجارب على أن هؤلاء الأفراد لايسلكون مسالك متحدة من التصرف في مثل هذا المال ، بل ان النتيجة المتوقعة أن أحد الثلاثة قد يحرص على ذلك المال فلا يتصرف فيه ، بل يبقى عليه كما هو ، وقد يستغل ثانيهم هذا المال في التجارة مثلا فينميه فيتضاعف بعد الثلاث السنوات ، وقد يتصرف ثالثهم تصرفا أحمق ، فينفق ذلك المال في ارضاء شهواته الجامحة ، فلا يبقى منه ولا يذر ٠

فمهما يكن من أمر فان المساواة التامة أو المطلقة عرضة للتذبذب ، ثم الزوال ٠ والمساواة المرضية المعقولة ، هي المساواة بين المواطنين المتساوين في اقدارهم وواجباتهم ، بحيث لا يفضل أحد على زملائه من نظرائه الذين يقومون بواجبات مثل واجباته ، وكذلك المساواة بين الطوائف ، فانه يقصد بها أن يذوب ما قد يكون بينها من فوارق ، فلا تظفر طائفة دون غيرها بامتيازات خاصة ٠

فالمساواة المطلوبة اذن هي أن تتساوى الحقوق أو تتقارب حين تتساوى الواجبات أو تتقارب ، أو ان يظفر من يقومون بواجبات متحدة أو متقاربة بحقوق متحدة أو متقاربة ٠

وليست المساواة مقصورة على الحقوق ، بل أنها تشمل المسئوليات والعقوبات ، فكل مواطن لا بد أن يكون مسؤولا عن تقصيره اذا قصر في أداء شيء من واجباته مهما تكن منزلته الاجتماعية ٠

ويقضي مبدأ المساواة بالا تختلف العقوبة التي يفرضها القانون على ارتكاب جريمة ما باختلاف الأفراد حينما تتساوى ظروفهم وأحوالهم ٠

وانما قلنا : « حينما تتساوى ظروفهم وأحوالهم » لأن العقوبة الواجبة على ارتكاب جريمة ما كالقتل قد تختلف باختلاف حالات الجناة ، فالقتل قد يكون خطأ غير متعمد ، وقد يكون عمدا ، والقتل العمد قد يكون للدفاع عن النفس وقد يكون للأخذ بالثأر ، وقد يقع القتل من عاقل مسؤول ، وقد يقع من مجنون غير مسؤول عن تصرفاته ٠

ومن مظاهر المساواة أن تتساوى الواجبات أو الأعمال التي يعهد بها الى ذوي المؤهلات المتحدة ، فالواجب أن تفتح الأبواب أمام ذوي المؤهلات المتحدة جميعهم على السواء ، كلما كان ذلك ممكنا ، وأن تتحد أو تتقارب الأعمال التي يعهد اليهم بها ، كلما كان ذلك ممكنا أيضا ٠

وهذا هو الذي تسير عليه اشتراكيتنا المثالية المباركة ، فالدولة لا تدخر وسعا في فتح أبواب العمل لجميع المواطنين على السواء ، وهي في الوقت نفسه تضع أسسا عادلة لتفضيل بعض المواطنين على بعض في هذه الناحية حين يزيد عدد المؤهلين على عدد الأماكن أو الوظائف الخالية ٠ ومن هذه الأسس امتحانات المسابقة ، والموازنة بين الدرجات التي يحصل عليها المتخرجون في معاهد التعليم ٠

بقي مبدأ هام يجب على كل مواطن أن يضعه نصب عينيه ، سواء عند قيامه بواجباته ، وعند أداء الحقوق لمستحقيها ، وعند معاملة الناس حين يخالطهم في المجتمعات العامة ٠ ذلك هو :

٤ ـ مبدأ الاخاء أو المحبة أو التعاطف بين جميع المواطنين ، فان ذلك كفيل بأن يوحد كلمتهم ، ويجمع صفوفهم ، ويوحد أهدافهم ، ويجعلهم يسيرون جنبا الى جنب متآخين متحابين متعاطفين نحو أهداف واحدة هي قوة الأمة ، وحريتها ، وسلامتها ، وسعادتها ٠

ولا ريب أن هذه تؤدي حتما الى قوة الفرد وحريته وسلامته وسعادته ، اذ أن ما يصيب المجتمع لا بد أن يصيب الأفراد ٠

ومن مظاهر الاخاء والمحبة أن يعطف الرؤساء على المرؤوسين ، وألا يستغل التجار المستهلكين ، ولا يتعاظم الأغنياء على الفقراء ، ولا يعتدي الأقوياء على الضعفاء ٠

هذه هي الأسس المتينة والمبادئ القويمة التي تقوم عليها اشتراكيتنا المثالية ، وقد وضحها « الميثاق » أتم توضيح ، ومن السهل الاستدلال على صحتها بآي الذكر الحكيم وأحاديث الرسول الكريم وسيرة الخلفاء الراشدين ، التي هي منابع الهداية السديدة ، ومصادر القيادة الرشيدة ، والله ولي التوفيق ٠

« حامد عبد القادر »

المجتمع الاشتراكي والتفرقة العنصرية

للدكتور عبد العزيز كامل

- ١ -

اود في هذا المقال أن أقصر القول على الاشتراكية العربية ، فهذه الاشتراكية تقوم على أساس عريض من القيم الاسلامية التي ورثناها وعشنا بها وجاهدنا من أجلها ، ووقفت بها بلادنا امام الغزو التتاري والصليبي والاستعماري الحديث حتى استطاعت أن تتحرر من هذه القوى الغازية وأن تثبت وجودها في المعترك العالمي بيضاء نقية .

وحين أقول القيم الاسلامية فاني أذكرها في شمولها الذي يقيم القيم الدينية كلها ويوضحها قول النبي عليه الصلاة والسلام « ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فحسنه وجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يلفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . فأنا هذه اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » (رواه الشيخان) .

وتجمع هذه الاشتراكية بين الاصول التي قامت عليها الحياة في مجتمعنا وبين التطورات العلمية التي استطاعت الانسانية بكفاحها الطويل أن تصل اليها . ومن هذه الزاوية نستطيع أن ندرك طبيعتها العلمية وتكاملها وتميزها في نفس الوقت عن الاشتراكيات المادية التي يموج بها العالم المعاصر . فقد تلتقي هذه الاشتراكيات مع اشتراكيتنا العربية في بعض التطبيقات ، ولكنها تختلف عنها اختلافا جوهريا في الأساس الذي تقوم عليه .. »

من أجل ذلك يمكن أن نعرض مشكلة التفرقة العنصرية من جانبين : **الاول** ما قاله الدين فيها **والثاني** ما قاله العلم الحديث وجاء - عمليا - مصدقا لما قاله الدين من قبل .

فعندما وصف الله الامة الاسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس ، لم يرد هذا الى أسباب عنصرية أو لونية وانما قال فيها ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، وجعل التفاضل بأعمال تكتسب من أمر بمعروف أو نهي عن منكر وايمان بالله . والطريق اليها مفتوح أمام الناس جميعا .

وكان الخلفاء الصالحون يجتهدون في نشر هذا الدين لتصبح هذه الأمة تشمل البشرية . وعندما زاد اقبال الناس على الاسلام في عهد الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدي بن أرطاة - عامله على العراق يقول « ان الناس قد كثروا في الاسلام حتى خفت أن يقل الخراج » ، فكتب اليه عمر بن عبد العزيز يقول ، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا » .

وهذا المعنى - معنى حب الخير للناس جميعا ودعوتهم الى التقوى والعمل الصالح واسقاط التفاخر بالآباء والسلالات يمكن أن نجده واضحا في قول الله تعالى « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

وجاء في سبب نزول هذه الآية أنه لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ، - وكان حبشيا - أن يؤذن على ظهر الكعبة . فقال عتاب بن أسيد ، وقد أسلم يوم الفتح واستعمله النبي عليه الصلاة والسلام على مكة حين انصرف عنها بعد الفتح وسنه يومئذ عشرون - قال عتاب «الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم»وقال الحارث بن هشام « أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ؟ » ، وقال سهيل بن عمرو « ان يرد الله شيئا يغيره » ، وقال أبو سفيان « اني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء » ، فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا ، فدعاهم وسألهم عما قالوا ، فأقروا ، فأنزل الله

تعالى هذه الآية ، وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء ٠

وكان عمر بن الخطاب يقول « ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا » يعنى بلالا مؤذن الرسول ٠

وعندما احتضر عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم صهيبا ـ وكان روميا ـ فصلى بالمهاجرين والانصار ٠

وقال عليه الصلاة والسلام « أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش » رواه الحاكم عن أنس ٠ والحديث يجمع بين هذه الباقة الانسانية على تباعد ديارها واختلاف ألوانها بعد أن جمع بينها الاسلام ٠

وعبر النبى عليه الصلاة والسلام عن هذا أوفى تعبير فى حجة الوداع فقال : « أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ٠ كلكم لآدم ، وآدم من تراب ٠ اكرمكم عند الله أتقاكم ٠ وليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى » ثم نظر الى الناس قائلا : وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ٠ فأشار باصبعه الى السماء والى الناس قائلا : اللهم ٠ أشهد ٠ اللهم اشهد ٠ اللهم اشهد ٠ »

وبهذا أعلن الاسلام حقوق الانسان منذ أربعة عشر قرنا وآخى بين الناس جميعا وجعل التفاضل بينهم بالعمل الصالح ٠

وجاءت حياة الصدر الأول من أصحاب نبينا تطبيقات عملية على هذه الاصول العريضة ٠ فعمر بن الخطاب يقول : والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فان من قصر به عمله ، لم يسرع به نسبه ٠وتزوجت اخت عبد الرحمن بن عوف ـ من اشراف قريش ـ من بلال بن رباح ٠ وكان رقيقا اشتراه ابوبكر ثم أعتقه ، وفى هذا يذكر الامام ابن حزم فى كتابه المحلى « وأهل الاسلام كلهم اخوة ٠ لايحرم على ابن من زنجية نكاح ابن الخليفة الهاشمى » ثم قال بعد أن عرض أقوال الفقهاء ، والحجة فى ذلك قول الله ٠٠ : « انما المؤمنون اخوة » ٠ وقال الامام مالك « الكفاءة فى الدين لا غير » ٠ والأئمة يستندون فى تكافؤ المسلمين الى أصول هذا الدين ومن هذا قول النبى عليه الصلاة والسلام « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» رواه الترمذى ٠ وقال الامام الشافعى : « لم يثبت فى اعتبار الكفاءة بالنسب حديث » ويمكن لمن شاء التوسع فى هذا الموضوع أن يرجع اليه فى أمهات كتب الفقه كالمحلى لابن حزم فى الجزء العاشر ، وفى نيل الأوطار للشوكانى فى الجزء السادس ٠

ودرس علماؤنا شروط الامامة العامة للمسلمين فذكروا منها أن العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر فى العمل والرأى واختلفوا فى شرط النسب القرشى ٠ أما النسب القرشى فلاجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك ٠ واحتجت قريش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة بقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » فحجبوا الانصار ٠

ويذكر الامام القرطبى فى تفسيره عند شرح قوله تعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » أن شرط القرشية مختلف فيه (١ : ٢٧٠) ويعقب ابن خلدون فى مقدمته على هذا الموقف بقوله « ونحن اذا بحثنا عن الحكمة فى اشتراط النسب القرشى ٠٠ لم نجدها الا فى اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمكالبة ، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة وأهلها ٠٠ ذلك لأن قريشا كانوا عصبية مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم ٠٠ فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك فاذا ثبت أن اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع ٠٠ وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة ، علمنا أن ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشترطنا فى القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها » ٠٠

(المقدمة ص ١٨١ ـ ١٨٥ ط الأميرية بالقاهرة)

والذى يهمنا من شرح ابن خلدون تفسيره لشرط القرشية واشتراطه فى القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها وقدرة رئيس الدولة على جمع الكلمة وأن يكون أنفع الناس للناس ٠

وبهذا تتحقق المساواة فى نظام الحكم كما تحققت فى نظام الأسرة وفى البناء الاجتماعى كما تحققت

– من قبل – بها كرامة الانسان كفرد فى أسلوب متطور نابع من أصول الدين غير متعارض معها .

ومجتمعنا الاشتراكي فى طريقه لتكوين جيل تتحقق به – فى صورة ملائمة لتطورنا – ماسماه ابن خلدون بعصبية القائم بأمر المجتمع..فهذه العصبية الواعية قد تكون فى صورة رأى عام له قاعدة شعبية منظمة فى كيان سياسى يجمع بين قوة الروح وقوة الفكر وينطلق على هدى وبصيرة لتحقيق أهدافه .

***

يبقى بعد هذا جانب من المشكلة العنصرية وهو **نظرة الدين الى اللون** . وسأقف قليلا عند كلمتين أو مادتين من كلمات القرآن الكريم : الأولى السواد والثانية البياض .

فلقد جاء ذكر السواد فى القرآن عشر مرات : ثلاث منها بمعنى السيادة الأولى فى وصف سيدنا يحيى (آل عمران : ٣٩) والثانية فى عزيز مصر فى قصة يوسف (يوسف : ٢٥) والثالثة فى قوله تعالى « وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » (الأحزاب : ٦٧) وفى هذه المواضع نجد السيادة مدحا أو ذما والثالثة فى عرض القصة دون مدح أو ذم .

وجاء السواد خمس مرات فى وصف حالة تعترى الوجه لا باعتبارها صفة لازمة له : منها موضعان فى سورة آل عمران عن اسوداد وجوه الكافرين يوم القيامة(آية : ١٠٦) ولهذا صلة بعذابهم . وموضع ثالث فى سورة الزمر لنفس الموقف (آية : ٦٠) ، ثم مرتان وصفا لحالة قوم تسود وجوههم اذا بشروا بالأنثى : مرة فى سورة النحل (آية : ٥٨) والثانية فى سورة الزخرف (آية : ١٧) .

يبقى بعد هذا موضعان جاء أولهما وصفا لقطع من الجبال فى قوله تعالى فى سورة فاطر (آية : ٢٧) « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود » فالوصف هنا اظهار لقدرة الله تعالى . وجاء مع ذكر الاجزاء البيض والحمر . والموضع العاشر فى وصف الليل فى سورة البقرة (آية ١٨٧) « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر » .

وصفوة القول أن مادة « سود » جاءت فى القرآن الكريم مبينة للسيادة وجاءت مدحا وذما وسردا ووصفا لظاهرات كونية كتعاقب الليل والنهار واختلاف ألوان الصخور ثم وصفا لبعض مشاهد القيامة . فلا نستطيع أن نقصرها على المدح أو الذم . واللون الأسود بهذا ليس له فى القرآن منزلة يختلف بها عن سائر الالوان .

فاذا انتقلنا الى اللون الأبيض وجدنا نفس الصورة : جاء فى القرآن فى أحد عشر موضعا . واذا شئنا تحديد الاشتقاقات نجدها سبعة ، بينما عدد الاشتقاقات التى جاءت من السواد تسعة .

جاء البياض فى سورة يوسف وصفا لأشد حالات الحزن فيما يخبرنا به ربنا عن يعقوب عليه السلام حينما بكى على ولده « وابيضت عيناه من الحزن » « يوسف : ٨٤ » . وجاء وصفا لوجوه المؤمنين فى الآخرة مرتين : فى سورة آل عمران (آيات : ١٠٦ ، ١٠٧) . وجاء وصفا لحور الجنة فى سورة الصافات ، «كأنهن بيض مكنون» (آية : ٤٩) .وجاء وصفا للفجر فى سورة البقرة « الخيط الأبيض » (آية ١٨٧) وجاء وصفا للجبال فى سورة فاطر « ومن الجبال جدد بيض وحمر » (آية : ٢٧) وجاء وصفا ليد سيدنا موسى . وربط البياض بأنه من غير سوء فى سورة الاعراف (آية : ١٠٨) وطه (آية ٢٢) والنمل (آية ١٢) والقصص (آية ٣٢) ثم وصفا لشراب الجنة فى الصافات (آية : ٤٦) .

فالأوصاف هنا أيضا قد تدل على الحزن الشديد أو على الجزاء الطيب ، وقد ترتبط بظاهرة صخرية أو كونية . وقد تكون وصفا للمرأة أو ليد الرجل ويقيد الوصف بأنه من غير سوء .. فشدة البياض مرض كما تعلم .

فهل البياض فى القرآن مدح أم ذم ؟ لا هذا ولا ذاك بنصوص الآيات . وكذلك الأمر فى السواد . والحجة الكبرى فى هذا قول الله تعالى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

هذا ما قاله الدين أما ما قاله العلم الحديث فموعدنا معه حديث مقبل .

د . عبد العزيز كامل

الإسلام وتطوير المجتمع

للدكتور : أحمد كمال أبو المجد

-١-

لا يملك المفكر العربى المعاصر ، كما لا تملك الجماهير العربية المؤمنة فى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل حياتها الا أن تواجه فى عقولها وفى وجدانها سؤالا كبيرا عن موقف الاسلام من التحول الثورى الكبير الذى ينتاب أنظمتها السياسية والاجتماعية انطلاقا فى طريق الاشتراكية العلمية وما ينطوى عليه هذا الطريق من تغيير جذرى فى أسس العلاقات الاجتماعية ، وفى كثير من المفاهيم والقيم التى تحدد هذه العلاقات ‥ ويستمد هذا السؤال الكبير دقته وحيويته من أمرين : **أولهما** : ما استقر فى فهم كثير من المسلمين من أن الدين بحكم خلوده وكماله يمثل معنى الثبات فى حياة البشرية ، وأنه يطالب أتباعه « بالوقوف » عندما جاءت به نصوصه من أحكام وتعاليم ، بحيث تغدو مسايرة التطور الاجتماعى تهديدا لجوهر الرسالة الدينية ، وانطلاقا وراء أهواء بشرية ، وحكما بغير ما أنزل الله على نبيه ‥ **والآخر** : ما تصوره كثير من دعاة الاشتراكية العلمية والمؤمنين بها من أن المنهج العلمى فى احداث التغييرات الاجتماعية يقتضى النزول المطلق عند حكم التجربة ومقتضى التطور دون التفات الى ما قد تتضمنه النصوص الدينية من أحكام وتعاليم ، ودون محاكمة للاوضاع الاجتماعية الجديدة وردها الى نصوص ومبادىء تقررت فى مراحل تاريخية سابقة ‥ ويرى أصحاب هذا النظر أن الدين ــ من هذه الزاوية ــ يعد عقبة فى وجه التطور بما يتخذه من مواقف ثابتة مسبقة من أمور وظواهر تخضع ــ بحكم المنهج العلمى وبدلالة التاريخ ــ للتطور والتغير المستمرين .

ولا شك عندنا فى أن وجود هذين التصورين واستمرارهما هكذا دون مناقشة أو تمحيص يشكل خطرا مزدوجا على حياتنا العامة فى هذه المرحلة ‥ فهو يهدد من ناحية بوقوع انقسام فكرى بين فئتين من الناس ، تصدر أولاهما فى حياتها وفى مواقفها الاجتماعية عن التصور الدينى الاول ‥ وتصدر الاخرى عن المفهوم العلمى الآخر ‥ وهو يهدد من ناحية أخرى بقيام نوع من الحيرة العقلية والنفسية عند جانب كبير من الناس نتيجة التقاء هذين الموقفين فى عقولهم ونفوسهم على صورة تمزق وحدة كيانهم النفسى ‥ وتلزمهم نوعا من السلبية والاحجام ‥ وتقعد بهم عن الانطلاق الايجابى الذى لا تقوم بغيره حضارة ، ولا تتم نهضة .

ولا نحب هنا أن نخدع أنفسنا عن حقيقة هذه المشكلة كما يفعل كثير من الناس فنراها على غير حقيقتها ‥ ونزعم أن موقف المعترضين على التغيير انما يصدر ــ فى حقيقته ــ عن بواعث واعتبارات مصلحية وأن الصراع بينهم وبين دعاة التغيير ،ليس فى جوهره ، وحين ينزع قناع الموضوعية الكاذب عنه الا صورة من صور الصراع الطبقى ‥ لا نفعل ذلك لأننا لا نحب أن نخدع أنفسنا أولا ، ولأننا لا نؤمن أن كل صراع فكرى لابد أن يعكس صراعا طبقيا كما تخيل هؤلاء ثانيا ‥ ولاننا فوق ذلك كله نعرف عن كثب كيف يعانى كثير من الناس هذه المشكلة وكيف يتخذون مواقفهم منها فى أمانة وشجاعة وصدق ‥ ونحن لانحب كذلك أن نخدع أنفسنا عن حقيقة موقف الفريق الآخر فنزعم أنهم بدعوتهم الى التغيير انما ينفذون مؤامرة محكمة دبرت بليل للقضاء عن الاسلام والكيد للمسلمين ‥ لأننا نعلم علم اليقين أن منهم ناسا لايكرهون الاسلام ولا يحملون لأهله كيدا ولا ضغنا ‥ وأن منهم طائفة أخرى لا يقع الدين بأكمله فى دائرة وعيها حتى يقوم

المبرر لتفسير مواقفها النظرية والعملية على أساس موقفها الاساسى من هذا الدين .

وأنا أعلم أننى بهذا التمهيد الذى دافعت فيه عن الفريقين قد أجلب على نفسى سخط الفريقين جميعا.. كما أعلم اننى أستفتح حديثا لا أدرى كيف ينتهى بى وبالقراء .. ولكننى أعلم حق العلم أنه حديث ينبغى أن يستفتح .. وأنها مشكلة لابد أن تثار .. لأنها قائمة فعلا فى عقول ونفوس كثيرة .. ولأن اثارتها فرض واجب فى منطق الدين ومنطق العلم على السواء .. وسيكون حظى من معالجة هذه المشكلة أن أقف مع القارىء وقفات هادئة عند بعض القضايا التى تتصل بالاسلام وبطبيعته ، وبتصوره الشامل للحياة وما فيها من المخلوقات .. والقيم .. والعلاقات.. ومع بعض القضايا الاخرى التى تتصل بالمجتمع وما يحكم علاقات الناس فى داخله من سنن وقوانين . وذلك ايمانا بأن كل جهد يبذل لتوضيح هذه القضايا وبالقاء المزيد من الضوء عليها يعد خطوة فى طريق المواجهة المباشرة للقضية الأساسية التى نطرحها وهى قضية «الاسلام وتغيير المجتمع» ..

١ ـ القضية الاولى : أن الاسلام ليس مجرد تراث لهذه الامة :

ان فريقا من الكتاب والمفكرين قد اعتادوا أن ينظروا الى الاسلام على أنه مجموعة من الأفكار والتعاليم والنظم عاشها جانب من المجتمع البشرى خلال فترة من تاريخه .. وأنه بهذه المثابة يكون جزءا من تاريخ هذه الامة العقلى والنفسى .. وقد يكون من أهم أجزاء تاريخها وقد يكون أهمها على الاطلاق ولكنه على أى حال جزء من التاريخ .. وأقصى ما يتصوره هذا الفريق من رعاية للاسلام أن يسلم فى موضوعية ـ لا تخلو فى تقديره من المجاملة ـ استمرار التاريخ البشرى واتصال أجزائه بعضها ببعض ، وأن يقرر فى ضوء هذا التسليم أن الاسلام لابد أن يؤثر بوعى أو بغير وعى فى عمل القادة والجماهير فى هذه المرحلة الحاضرة .. ولكنه يعامله بعد ذلك على أنه « تراث » يؤخذ منه ويترك كما يؤخذ ويترك من كل تراث .. والواقع أن موقف هذا الفريق مفهوم تماما اذا ذكرنا أنه يبدأ من موقف واحد محدد هو موقف المؤمن بتطور المجتمع الواثق من وجود قوانين حتمية تحكم هذا التطور وتحدد اتجاهه .. والمعتمد فى كشف هذه القوانين وتحليلها .. وفى ممارسة عملية تغيير المجتمع فى جوانبها كلها على العلم الذى تحكمه المشاهدة وتوجهه التجربة . وهذا الموقف الاساسى هو الذى يحدد نظرة هذا الفريق الى التراث وهو الذى يفسر موقفه منه .. فهو يسقط من هذا التراث ـ ولا يبالى ـ كل فكرة .. وكل قيمة .. وكل نظام .. يتعارض ـ فى تقديره ـ مع دفع حركة المجتمع فى الطريق الذى يشير اليه العلم .. وهو يستبقى من هذا التراث نفسه كل قيمة وكل نظام يدفع حركة المجتمع فى طريقها المحتوم أو لا يقف فى وجهها على اقل تقدير .

ونحن نقر هذا المسلك .. ونؤيده تماما حين يكون التراث شيئا غير الاسلام.. أما مع الاسلام فلا .. فان الاسلام فى أصوله العامة ، وقواعده الكلية ، وتشريعاته الاساسية ليس عرفا ولا تقليدا خلقته البيئة أو صنعه الرجال .. وعلى المفكرين الاشتراكيين اذا أرادوا أن يكونوا علميين ، أن يقفوا هنا اكثر مما أعتادوا أن يقفوا مع قضايا الدين ، وأن يلاحظوا ما تدل عليه الدراسة الموضوعية من أن الاسلام لم يكن مجرد تعبير عن مجموعة القيم والنظم والافكار التى ولدتها أو اقتضتها مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطور المجتمعات .. بل انه لو وضع اليوم فى الاطار التاريخى والبيئى الذى أحاط بظهوره لبدا خارجا على منطق التطور المألوف .. بما انطوت عليه تعاليمه وشرائعه من سبق بعيد لما أحاط بها من عناصر البيئة واوضاعها .. فهو بهذه التعاليم والشرائع لم يكن اذن مجرد حل لمتناقضات البيئة التى ظهر فيها .. وانما كان ـ فى الواقع ـ حلا لمتناقضات لم تقم أصلا فى الجزيرة العربية عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم .. مما يقطع بأنه لم يكن مجرد الانعكاس الطبيعى المألوف لصراع المتناقضات فى مرحلة محدودة من مراحل التاريخ . فالاسلام قد ظهر ـ من الناحية التاريخية ـ فى الفترة التى اصطلح عالميا على تسميتها بعصر العبودية أو مجمع أصحاب العبيد .. فكان الطبيعى اذن أن تكون تعاليمه ونظمه تعبيرا عن قيم هذا المجتمع ، أو تطلعا الى قيم المرحلة التاريخية التى تعقبه من مراحل تطور المجتمعات ، وهى مرحلة الاقطاع ، أو الراسمالية على أحسن الفروض .. بينما يكتشف

الباحث في تعاليم الاسلام وشرائعه في غير عناء أن هذه التعاليم وتلك الشرائع ، قد تخطت هذه المراحل وسبقتها جميعا الى حيث القيم التي تجاهد المجتمعات الاشتراكية الحديثة لاقرارها كأساس للعلاقات بين الناس .. وهي القيم التي ينتهي اليها مطاف البشرية في سعيها لتحقيق العدل الكامل في حدوده البشرية المحتمة ، والتي لا يتصور تخطيها الا بالخروج من اسار تلك الحدود .. وهذا الكمال هو الذي يفسر خلود الاسلام ، ويفسر ما تحقق به للبشرية من كمال الدين وتمام النعمة ، ويحدد علاقة هذه الصورة المكتملة بما سبقها من تقدم احرزته البشرية تحت رعاية السماء من عصر الى عصر ومن نظام الى نظام ، ولذلك جاء الاسلام متمما لحركة الحياة في سيرها نحو الكمال ومتوجا لها « مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » .

وعلى المفكرين الاشتراكيين كذلك ، اذا ارادوا أن يكونوا علميين ، أن يعلموا أنهم - بهذا التصور - يصفون الاسلام في غير الموضع الذي تصفه فيه الجماهير المؤمنة . فالجماهير لاترى في الدين قضية من قضايا الفكر أو قضايا التراث .. وانما كانت ولا تزال ترى فيه قضية حياتها كلها .. ولاتزال حريصة على أن تنجو به وأن تسعد في دنياها وآخرتها .. وكيف ترى فيه قضية من قضايا تراث فات وانقضى ، وهي لا تجد لحياتها الدنيا معنى الا حين تربطها باليوم البعيد الذي عرفت نبأه عن طريق هذا الدين « يوم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون » ؟ وكيف تاخذ الجماهير دينها هذا المأخذ الهين اليسير ، وهي تعلم أن الأمر جلل وخطير ، و « أنها لجنة أبدا أو لنار أبدا » على ما بشر به وانذر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

القضية الثانية : أن الاخذ بالاسلوب العلمي في تطوير المجتمع وعلاج مشاكله لا يقتضي التزام مذهب معين من المذاهب المعروفة ، ولايعني الانحياز لنموذج بعينه من نماذج العمل لتغيير المجتمع .. فالعلم في قضية تغيير المجتمع منهج للعمل وليس نظرية من النظريات .. واذا كانت الجمهورية العربية المتحدة قد اختارت الاشتراكية نظاما للحياة الاجتماعية والاقتصادية ، واعتبرتها الحل الحتمي لمشاكل التخلف الاقتصادي والظلم الاجتماعي فيها .. فان وصف هذه الاشتراكية بالعلمية لايعني - كما يتوهم بعض الناس وكما يوهم بعضهم - ان هذا الشعب قد ارتضى صورة بعينها من صور الاشتراكية المسماة بالعلمية وهي الصورة الماركسية .. كما أنه لايعني بحال من الاحوال أن هذا الشعب قد ارتضى المقررات النظرية الأساسية التي تبني عليها الماركسية وصف العلمية في أساسها الفكري .. بل انه لا يعني بالضرورة أن الشعب قد اتخذ موقفا من القضايا التي يثيرها هذا الاساس الفكري .. ومن الضروري أن تؤكد هذه الحقيقة في خصوص مسألتين من المسائل التي تكون - في الفكر الماركسي - حجر الاساس في النظرية العلمية كما يفهمونها :

(أ) **المسألة الاولى** .. مسألة الفكر والمادة .. وتحديد أيهما اسبق في الوجود وأرجح في التأثير .. وقد فصلت الماركسية في هذه القضية لصالح المادة على ما هو معروف (وموقف الماركسية في ذلك قاطع وواضح ومحقق بما لا موضع معه لتمحل أو اعتذار أو تأويل) .. أما نحن المؤمنين فلنا من هذه القضية موقف محدد ذو شقين : فان اريد بالفكر فكر الانسان .. فقد علمنا بطريقي العقل والنقل جميعا أن الانسان طارىء على هذا الوجود ، وان المادة « قد سبقته اليه » وان الانسان نفسه قد خلق من شيء ، هو المادة « في الأساس » « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » هو الذي أنشأكم من الارض واستعمركم فيها » أما ان أريد بالفكر الخلق والتأثير ، وقوة الهيمنة على المادة في مجموعها بايجادها ابتداء وتقرير مصيرها انتهاء ، وتوجيه حركتها بالسنة والنواميس بين الأزل والأبد فان لنا موقفنا الذي لا نكون مؤمنين الا به ، ولا نطمع في شيء من الخير الا اذا متنا عليه ، وهو موقف الايمان بالله الذي فطر السماوات والارض ، « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ، والقول بأن المادة هي الوجود الفلسفي الحقيقي الوحيد ، وانها السبب الباطني الأول والآخر ! لكل ما هو موجود ، يعتبر عندنا الحادا شنيعا ، وكفرا مضللا وبداية لا يستقيم عليها بنيان .. وليس في حقيقة العلم ما يقتضي ربطه بهذا المذهب العجيب .. ووضعه موضع التناقض والصدام مع حقيقة الايمان على هذا النحو .. ووصف هذا المذهب « بالعلم » لا يجوز الا عند اصحابه « فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ، ذلك

مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ·· ولله ما فى السموات وما فى الأرض » ·

أما حين يراد من قضية المادة والفكر تحديد أرجحها فى توجيه الحياة وتحريك المجتمعات فتلك حينئذ قضية لاخطر فيها ولا خوف منها ·· ولا تثريب فيها على أحد ـ من وجهة الدين ووجهة العلم على السواء ـ أن يأخذ برأى أو يميل الى سواه · وانما يرجع الشأن فيها الى تحديد خصائص كل من المادة وفكر الانسان ، وتسجيل تاريخ العلاقات المتبادلة بينهما على مر الازمان ·· واذا كان الفكر الماركسى ـ فى مجموعه ـ قد جعل المادة وتطورها وتغير أشكالها وتركيباتها أساس حركة الفكر الانسانى وحركة التاريخ على السواء ·· فان أقوالا عديدة فى ذلك المذهب ـ منسوبة الى ماركس والى سواه ـ لاتنى تؤكد دور الفرد وفكره فى التأثير على المادة وتغيير أشكالها والتأثير بذلك فى حركة المجتمعات ·· ولا يغير من وضع القضية على هذا النحو أن ينسب التأثير الى الفرد أو ينسب الى الجماهير ·

(ب) أما المسألة الاخرى فتتصل « بالغيب » « والغيبيات » ·· ذلك أن المنهج العلمى عند الماركسيين حين ارتبط ، فى غير ضرورة ، بالتفسير المادى المطلق للحياة ، أخذ ينظر الى الايمان بالغيب وما وراء المحسوس على أنه انعكاس طبيعى لجهل الانسان ـ فى مرحلة معينة من مراحل تطوره ـ بحقائق الوجود المادى الذى يحيط به ، وعجزه ـ تبعا لذلك ـ عن السيطرة على هذا الوجود ، فافترض لذلك قوة عليا تهيمن على هذا الوجود ، وتصور أنه بارضاء تلك القوة وعبادتها يستطيع أن يأمن قوى الطبيعة او أن يكسبها الى جانبه ·· ومن هذه النظرة التى تعتبر ـ كما يقول لينين ـ **حجر الزاوية فى موقف الماركسية من الاديان ، نبت فى الفكر الماركسى** عداء أساسى بين العلم « والغيبيات » على أساس أن الايمان بالغيبيات قد كان ـ من وجهة نظر الانسان ـ حلا مؤقتا لمعالجة الظواهر التى لم يسيطر عليها الانسان بالعلم ·· وأنه اذا دخل العلم ميدانا من ميادين الحياة كان طبيعيا أن يطرد « الغيب » و « الغيبيات » من هذا الميدان ·· وانكار الغيب على هذا النحو يسقط حتما ـ وبضربة واحدة ـ كل التصورات الدينية فى ميدان الطبيعة والانسان على السواء ·· ويجعل الارض تميد كذلك تحت كل الانظمة والشرائع ذات المصدر الدينى ·

اما نحن المؤمنين بالله ·· فليس هذا مفهوم العلم عندنا ولا مقتضاه ·· فنحن نؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ·· والايمان بالكتاب عندنا نتيجة منطقية للايمان بالغيب ·· وترتيبها على تلك المقدمة أمر يقرره الله تعالى فى مطلع كتابه بعد فاتحة ذلك الكتاب :

« الم ، **ذلك الكتاب لا ريب فيه** ، هدى للمتقين الذين **يؤمنون بالغيب** » ·

ومعنى هذا أن الايمان بالغيب عندنا لا يعارض منهج العلم ، وأن العلم فى مفهومنا لا يصادم هذا الايمان · وأساس مذهبنا فى العلم أن له طريقين : طريق العقل وطريق النقل ·· وعلماؤنا يعرفون التوافق الرائع بين ماجاء عن طريق العقل وما وصل عن طريق النقل ·· ويتاح لهم من المعرفة مالا يتاح لغيرهم حين يربطون حياة الانسان على هذه الارض بحياة أخرى فى الدار الآخرة يعرفون نبأها كما يعرفون ـ بعقولهم ـ نبأ هذه الحياة « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ·

« له بقية »

د · احمد كمال ابو المجد

أصول عربية للاشتراكية الحديثة

بقلم: محمد الغزالي

جرى في نفسي هذا التساؤل: لو كان ملوك فرنسا وروسيا احنى على الجماهير وارفق بالضعفاء وأدنى الى العدالة وأرضى لله. أكانت الثورات العاتية تثل عروشهم وتقض مضاجعهم ؟

ان جنوح هؤلاء الحكام الى العسف والفوضى اعقب آثاره المتفاوتة فكان رد الفعل مزيجا من الخير والشر والقسوة والرحمة. بل كان مزيجا من الكفر والايمان. فان الثائرين - الا من عصم ربك - مندفعون بمشاعر فيها من الغيظ المحبوس أضعاف ما فيها من احقاق الحق وابطال الباطل.

لكن عبث الحكام وقع في بلاد كثيرة. ومع ذلك فان رد الفعل لم يقترن بتلك الأحقاد الجامحة خصوصا في اقطار العروبة والاسلام. فما السر في هذا المسلك ؟

والجواب فيما نرى يرجع الى طبيعة الأمة العربية وتعاليم الاسلام الحنيف.

فان شبكة التقاليد التي تنسجها الطبيعتان في أرجاء المجتمع تحمي الأمة من الهزات الحانقة وتحصن كيانها من المبادىء المتطرفة والنزعات الكفور.

ولأمر ما لم تندلع في تاريخنا الطويل ثورة حمراء قط. ولن يقع ذلك أبدا.

لا لشيء الا لأن الثروة الغزيرة من المشاعر الحانية والسير الزاكية التي احتضنت ولا تزال تحتضن امتنا تحول دون هذا العوج.

في الجاهلية الأولى للعرب كان الناس أكثر تعاونا واطهر تراحما من روسيا القيصرية وفرنسا الملكية.

ربما هلك الفرد في زمهرير الشتاء هنالك دون أن يجد قوام حياته من غذاء ودفء. أما العرب في مجتمعهم القبلي فهم يوقدون النار في القمم والنجود لارشاد العافين واستقدام الأضياف. ولسان حالهم ما يقوله حاتم لغلامه:

اوقد فان الليل ليل قر
والريح يا غلام ريح صر
على نارك من يمر
ان جلبت ضيفا فانت حر

والواقع ان العرب أبعد عن الروح الفردية الجافة التي سادت بلادا أخرى وأقامت علاقاتها على الكزازة والانطواء.

وتأمل كيف تمنى عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الضخم أن يكون ابنا لعروة بن الورد الملقب بعروة الصعاليك!

ولماذا؟ لأبيات قالها عروة تشرح البناء النفسي لهذا الأعرابي الكبير القلب جاء فيها:

أتهزأ مني ان سمنت وأن بدا
بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
فاني امرؤ عافي انائي شركة
وانت امرؤ عافي انائك واحد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء والماء بارد

فالشركة التي وردت على لسان عروة أو الاشتراكية التي عاشت على لسان أهل العصر تعني أن المرء لا يعيش وحده. ولا يجعل نفسه محور نشاطه وخموله ورضاه وغضبه.

فهناك غيره من الصحب والاخوة والغرباء والطارئين

هناك عالم رحب وراء دائرة الاثرة الكنود . عالم تتعلق به الهمم الكبيرة والنفوس الطيبة وترتبط كرامتها ومكانتها بالرسوخ فيه .

ومراسم النبل التي يخطها هؤلاء الرجال هي التي جعلت حاتما يسدى هذا النصح :

اذا كنت ربا للقلوص فلا تدع
رفيقك يمشي خلفها غير راكب
انخها فاردفها فان حملتكما
فذاك وان كان العقاب فعاقب

والمجتمع الذى يخلط فقيره بغنيه فى وجبات الطعام وأدوات النقل لا يتصور أن تقطعه الثورات الحاقدة ولا أن تمزق ما أمر الله به أن يوصل .

فلما جاء الاسلام ترعرعت فى جوه السمح هذه المعانى العظيمة . لقد سحق جراثيم الأثرة سحقا . واشعر كل مؤمن بانه شريك فى الحياة مع غيره فما خلقت الدنيا له وحده وما تصلح به وحده يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .

قال راوى الحديث فذكر أصنافا من المال حتى راينا أن لا حق لأحد منا فى فضل .

فلما بنى أول مجتمع اسلامى فى المدينة سنحت الفرصة العملية لتحقيق هذه القاعدة . فكانت الأخوة المتكافلة فى السراء والضراء . المتقاسمة للخير والشر المتساوية فى نيل الفرص أو الحرمان منها : هى الدعامة المكينة التى قامت عليها هذه الأمة فى أنقى عصورها .

ولقد أراد النبى الغزو مرة فقال : « يا معشر المهاجرين والأنصار ان من اخوانكم من ليس له مال ولا عشيرة . فليضم أحدكم اليه الرجلين والثلاثة »

قال جابر بن عبد الله — راوى الحديث — فضممت الى اثنين أو ثلاثة وما الا عقبة كعقبة أحدهم من جملى ..

وكان الرسول يقول : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث . ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع . بخامس »

ولم يكن هذا الترغيب فى استنقاذ الناس من براثن الجوع والفاقة نافلة هينة بل كان الأمر متصلا بالايمان وصلب الدين .

ومن ثم قال الرسول : « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع الى جانبه وهو يعلم » .

كما روى أن رجلا جاء الى النبى وقال له : اكسنى يا رسول الله . فأعرض عنه — لعدم استطاعته — فعاد الرجل يقول : اكسنى يا رسول .

فقال له : أمالك جار له فضل ثوبين ؟

قال : بل غير واحد !

قال : فلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة » .

واصحاب الفضول الذين يبخلون بها ويترفون فيها لا يسالمهم الدين ولا يترفق فى معاملتهم .

فان الفساد الذى يثيرونه فى المجتمع غليظ وحماية الشعوب منه واجبة . والا ضاع الدين نفسه فى حريق مطامعهم .

فلا عجب اذا سمى الاسلام هؤلاء شياطين .

واعتبر بيوتهم التى يسكنونها بيوت الشياطين .

ومراكبهم التى يمتطونها مراكب الشياطين . فعن ابى هريرة قال : قال النبى صلوات الله وسلامه عليه :

« تكون ابل للشياطين وبيوت للشياطين .

فأما ابل الشياطين فقد رأيتها يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيرا منها . ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله .

وأما بيوت الشياطين فلا أراها الا هذه الأقفاص التى تستر الناس بالديباج » .

ومن الواضح أن بيوت الشياطين هذه هى التى هدمها الثوار الفرنسيون عندما انطلقوا يبحثون عن حقوق الانسان ويهدمون معاقل الظلم ويتخلصون من ضوائق الكبت والحرمان .

وهى كذلك البيوت التى هدمها الروس الحمر لما أعنتهم تفاوت الطبقات وامضهم الترف المضاعف فى ناحية والبؤس المضاعف فى ناحية أخرى .

وقد تكون هذه الثورات الدامية قد اقتربت بقليل او كثير من الاغراق والشطط .

ولكن هذه طبيعة الحياة قلما يتمحض فيها الخير والشر .

وعندما يكون الفعل منكرا يكون رد الفعل أشد نكرا :

والاسلام يصنع شيئا كثيرا حين يشعر كل مسلم ان الناس فى حق الحياة سواء وأن الغبن والافتيات لا تصح بهما دنيا ولا يصلح عليهما دين .

فهل هذا الاشعار غاية خلقية يكتفي الاسلام في غرسها بالوعظ والارشاد ؟

كلا · ان هناك ركائز اجتماعية واقتصادية مهمة أقامها الاسلام سياجا حول روح الجماعة حتى لاتضعف أمام وساوس الأثرة الطاغية ·

ولنتحدث عن مثال لمنهج الاسلام في هذه السبيل الأرض التي نحيا فوقها مرفق كبير لبني آدم جعله الله لهم مهادا ويسر لهم التقلب فيه والانتفاع به

« ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش »

ومن أفحش الظلم في نظر الاسلام أن يجور امرؤ في امتلاك شبر من هذه الأرض قال عليه الصلاة والسلام : « من غصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » وهذا وعيد حق ويخيل الى ان الوفا من الناس ستحشر يوم القيامة وهي تحمل أتربة زنة الجبال لأن تملك الأرض من غير طريق مشروع خطيئة شائعة ·

ولو تياسر الناس في استغلال الأرض المزروعة لاستراحوا من عنت كبير ·

لقد صح أن رسول الله قال : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فان أبى فليمسك أرضه »

وعن مجاهد قال : « لا يصلح من الزرع الا أرض تملك رقبتها أو أرض يمنحكها رجل » ·

وقد فهم ابن حزم من هذا ما فهمه رجال من السلف أن كراء الأرض حرام وأن الانسان يزرع فقط ما يطيق ويدع الباقي لغيره يزرعه وينتفع به دون أجر مقابل ·

ويرى فقهاء آخرون أن المنع من اجارة الأرض كان في صدر الاسلام للتوسعة على الفقراء ثم أبيح التأجير لما صلحت أحوال المجتمع الاسلامي ·

وأيا ماكان الأمر فان التشريع بالحظر والاباحة استهدف منفعة الجماعة واشاعة خير الله بين عباده وكبح بواعث الجشع من التحكم والانطلاق ·

والدولة ـ في نطاق الاسلام وحده ـ تستطيع تنظيم أوضاعها الاقتصادية دون أن تقرأ سطرا من مذهب اقتصادي أجنبي لما أغنى الاسلام بمبادىء الايثار والتراحم والعدل

على أن هناك ما يجب التنبيه اليه قبل هذا كله وهو أن الاسلام دين يغرس تقوى الله في الأفئدة وأن الشرائع المالية المختلفة جزء مسبوق وملحوق بشرائع اليقين والخلق ومراسم العبادة وأنواع الأمر والنهي ·

والحق أن الافكار الاقتصادية الشائعة في العالم تعتمد على أنظار فلسفية مختلفة القيمة العلمية ·

والبرامج اليسيرة ثمرة لنظرة مادية ملحدة تقترن بها دائما وقلما تنفك عنها الا زعما ·

وكذلك البرامج الرأسمالية فانها ثمرة مغالاة في تقرير مبدأ الحرية الانسانية للفرد ·

ومعنى ذلك أن الحياة العامة للأمم ليست تشكيلات مالية خالصة أو ارساء للعلاقة بين الاستهلاك والانتاج على نحو من الأنحاء · كلا · ان الأمم تصطبغ ظاهرا وباطنا بأفكار لها خطورتها النفسية والاجتماعية ·

ومن ثم أبينا أن نتصور الاسلام نزعة اشتراكية وحسب ·

انه دين للنفس والمجتمع والدولة ·وشعب الايمان الكثيرة تنتشر في كيان أمته انتشار العروق والأوعية الدموية في أي كائن حي ·

وهنا يتادى بنا الكلام عن حوافز العمل وحوافز العمل هي الأساس الأول لغزارة الانتاج أو ضآلته ولفشل الأمم أو نجاحها ·

ومعروف أن الاسلام أقر مبدأ الملكية وهو محق في ذلك كل الحق · فالضمان اعظم لكثرة الانتاج وجودته واستقامة الأعمال وضبطها جعلها في حضانة فرد حريص مسئول يرى كرامته الشخصية وسعادته الخاصة في نجاحها ونمائها لكن اقرار مبدأ الملكية لا يسوغ أن يكون ذريعة لاضاعة الصالح العام ولا لجعل طوائف كثيفة من الناس تحت وصاية فرد واسع الثراء يستطيع بجاهه المتاجرة في ضمائرهم ومصايرهم ·

من أجل ذلك يمكن أن توضع قيود شتى على هذا المبدأ بحيث تبقى الحوافز للعمل قائمة وتبقى معها حقوق الجماهير المادية والأدبية مصونة ·

والمتأمل في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده يرى بسهولة أن الاسلام منهج فريد في التنظيم الاجتماعي الواعي يمكن أن يوصف بأنه اشتراكية معتدلة أو مسلك وسط بين أقصى اليسار وأقصى اليمين ان صح التعبير ·

« محمد الغزالي »

الطريق إلى قصة اشتراكية

للدكتور : أحمد كمال زكى

كتبت مرة عن القصة القصيرة على هذه الصفحات ، وارجو ان يسمح لى مرة ثانية أن أكتب من جديد . لا عن النوع الادبى وحده وفى الحدود التى بينتها ، وانما عن الجنس كله ــ اى الفن القصصى بعامة ــ ومن زاوية اخرى تمس اكثر ماتمس المضمون .

ولقد كثر الكلام فى هذه الايام عن الدور الذى لعبه أو يجب ان يلعبه القاصون فى حركتنا الاشتراكية التى غيرت ملامح مجتمعنا العربى ، وتريد أن تضع ابناءه فى المستوى الذى يصون لهم آدميتهم ويحفظ حقهم فى حياة حرة رفيعة . الا أن أحدا لم يستطع ــ للاسف الشديد ــ ان يقول القولة التى ترضى الحقيقة أو التى تحسم الامر برأى يمكن الاطمئنان اليه والوثوق به . وفى رايى أن هذا راجع الى سبب خطير ، هو طبيعة الدور الذى يجب ان يؤديه الاديب فى الحياة .

أيكون الاديب داعية ومبشرا أم هو مجرد راصد لوقائع تجرى أمام ناظريه ؟ : هل تقتصر مهمة الاديب الحقيقى على أن يتغنى بتلك الحلول التى يسبقه اليها المصلحون من رجال المجتمع والسياسيون ومن يجرى فى فلكهم ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تلقى ضوءا كافيا على ماتريد ، وتوضح فى الوقت نفسه مهمة القاص الذى اصبح عليه ان يعترف بان اعماله فى جوهرها ليست الا وثيقة احتجاج ، ومن ثم تبعد كل البعد عن ان تكون محض حكاية يقصد بها الامتاع أو الاعلام أو ازجاء الفراغ .

واذ نقول ذلك لا نصادر أولا فى مهمة القاص ، ثم لا نريد من ورائه أن نفرض رأيا يلتزم به كل فنان . ولكن القول تكرر مئات المرات فى هذه القضية ، وظهر بما لا يدع أى مجال للشك أن الاديب لا يعيش متعزلا عن الحياة ولا ينطوى على نفسه فى برج عاجى ، بل هو فى بعض الاحيان يبدو مستشرفا الى اشياء لم تخطر على بال احد وتثير عليه نغرا ربما يتهمونه بالصبا او بالخروج على الاجماع مع انه لا يريد سوى الافضل لمجتمعه ، فى شكل يوطوبيا أو مدينة فاضلة .

ولكن يحدث فى الاحيان الاخرى أن يتم فجاة اكثر مما كان يطمح اليه الاديب . بل قد لا تصبح يوطوبياه فى هذه الحال اكثر من بداية الى شىء أكثر اراعة واكثر ايجابية . ولهذا يحتاج الى زمن طويل شيئا ليستيقظ او ليتمكن من أن يتمثل تماما ماسبق اليه . وفى الوقت الذى يتم فيه التلاقى يبدا فى ارتياد الآفاق الجديدة التى وجد نفسه يعيش فيها . ثم تغلبه روحه الناقدة فيتولى المناقشة ويعود الى الجدل فالاحتجاج ، وهكذا تدور الدائرة .

ومع ذلك فقد ينبغى أن نقدم ايضاحين : الاول اننى لا اتحدث الا عن الاديب الكبير ، وهو الذى يصدر عن فلسفة وموقف خاص ، والثانى ان هذا الاديب يكون أحيانا صانعا للكثير من الثورات الفكرية والاجتماعية ، فاذا وجد نفسه متخلفا عن الركب فى حالات تشبه حالة ثورتنا الاشتراكية التى نعيشها ، فانه يتعين عليه أن يمر أولا بمرحلة الارتياد ، ويكون فيها متوجسا قلقا محاولا أن يزيل ما امام عينيه من غشاوة .

انه لا يزال يستكنه ، فاذا انبرى من يتعجل الطبيعة ــ من حيث ان الاديب يحتاج الى مدة طويلة ليتمثل الطارىء وينقده ــ كان هذا الانتاج الذى يموت لحظة ميلاده . وهذا يفسر لنا سر اندثار كثير من الاعمال الادبية التى تخرج فى اثناء اشتعال الثورات وفى أعقابها مباشرة ، ويفسر لنا بالتالى معنى أصالة الاديب وصدقه .

وفى مجال الاستشهاد ــ ولا سيما فى القصة موضوع حديثنا ــ نقول ان ثمة من ناقش حياة مجتمع ما قبل ثورة عام ١٩٥٢ ونقده أيضا ، وظهرت اعمال قصصية تحمل هذا الطابع فى حين اولت اعمال أخرى تأويلا استهدف به الاشادة بأصحابها لسبب او لآخر ، وكانت النتيجة ان اصبحنا نمتلك بغتة انتاجا خاض مشكلات الاشتراكية مع اننا لم نمارسها ــ من حيث هى فكرة وروح ونظام ــ الا منذ قليل !

ماذا اقول ؟ بل بلغ الامر ببعض القاصين انفسهم ان زعموا انهم قاموا فعلا بما قام به ادباء الاتحاد السوفيتى ، وقد نسوا من ناحية ان تطبيق الآراء الموضوعة خارج بلادنا يطمس قوميتنا او يخنقها ، ومن ناحية أخرى ان هؤلاء الادباء الذين ارهصوا لثورة ماتوا كابطال واكثر من كتب بوقا لها يعانى سكرات الموت فى زوايا الاهمال والانكار !

وما دمنا استطردنا هذا الاستطراد فاننا نحيل الى مقال نشر فى مجلة « الادب السوفييتى » التى صدرت فى يونيو سنة ١٩٦٤ وفيه يقرر « فيتالى أوزيروف » ان القصص الحقيقى لم يكن له وجود ايام ستالين ، مع ان المبادىء الاشتراكية كانت تمارس على نطاق واسع ، وقد لاحظ ان اعمال الفنان السوفييتى الاخيرة تفيض بغنى لم تعرفه من قبل .

والواقع كما نراه نحن ان ادباء الاتحاد السوفيتى منذ بدىء فى تحويل روسيا الى جمهورية اشتراكية وفصلها عن النظام الراسمالى لم يكونوا مخلصين مع أنفسهم ، وانما جرفتهم حماسة النظام الجديد وأسرتهم شخصية لينين بصفة خاصة فلم يتأنوا حتى يقع التفاعل الأكيد بالبناء الذى أصبحت فيه كل وسائل الانتاج ملكا للمجتمع

كانوا فى واد ورجال النظام الجديد فى واد آخر ، وعندما جاء ستالين بايديولوجية عبادة الفرد طبلوا له فكان تعبيرهم فى حقيقته معوقا للفهم الاشتراكى من حيث كونه مضمونا فنيا ناجما عن فلسفة عميقة . والى هذا فطن « أوزيروف » فاعترف صراحة بأن « عبادة الفرد أيام ستالين كانت تقيد مبادىء الاشتراكية وتمنع تطورها » ولهذا فهو يرى ان قصص مابعد ستالين أكثر حياة واكثر تمشيا مع روح المجتمع ، اعنى اكثر تعبيرا عن آلامه وآماله !

واذا كان يرجو ان نغفر أخطاء هؤلاء القاصين فى عرض شخوصهم التى لا تصور الخصائص الروحية للانسان الجديد ، فانه يريد منا أن نمجد هؤلاء الذين رفضوا أن يستجيبوا للشعارات ويقدموا الانتاج الذى يستخدم للاستهلاك المحلى .

ومع ذلك فقد ظهر تماما أن المخلصين ضاعوا فى غمار الهتافين ، ولم يعد من السهل علينا ان نقبل على اكبر قصاصى الاتحاد السوفييتى اليوم ، بل نحن لا نزال وراء جوجول وتورجنيف وتولستوى ودوستويفسكى على الرغم من اننا قد نضحك لتكنيكهم الذى يشجبه اصحاب القصة الضد الذين سنقدم لهم بعض نماذج مدروسة فى عدد قادم .

وعندما قدم لنا باسترناك « دكتور زيفاجو » احسسنا أنها شىء آخر غير ما يقدمه « يورى تريفونوف » فى روايته « الظما الخامد » وما يقدمه نيحولاى تشوتوفسكى فى « حياة فتاة صغيرة » . ولعله من أجل ذلك ولما فى روايته من شاعرية وملحمية غنائية ــ اذا صح هذا ــ هوجم من قبل الحاكمين مع ان تلك الرواية اظفرته بجائزة نوبل التى اجبر على رفضها خصاما للمجتمع الرأسمالى الذى يقدمها .

واذن فليس عيبا الا يظهر بسرعة القاص الاشتراكى وان يتخلف قاصونا فى مجال التعبير عن اشتراكيتنا ، لان هذه تتطور بسرعة تفوق سرعة تمثل الاديب لها . ان الاتجاه نحو الهدف المادى لا يكون بحاجة الى قوى روحية كبيرة ، فى حين أن الهدف الفنى يبدو ابعد ما يكون عن الطاقات الانسانية ما لم تتسلح باكثر القوى الروحية قدرة على تذوق التجارب وتعمقها وتحديد أبعادها الجمالية .

فى ضوء هذه المسلمة نسال : هل يعنى ذلك ان قاصينا لم يعيشوا ثورتنا الاشتراكية ومن ثم افتقدنا القاص الاشتراكى المنشود ؟

ولكى نجيب عن ذلك السؤال يجب ان نضع امامنا أولا مفهوم اشتراكيتنا فى اطارها الانسانى والقومى وفى شكلها المادى الروحى وفى انكارها الشديد لكل النزعات الفاشية . هذا المفهوم الذى طالما اشاد به الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبه ، وطالب بتطبيقه ، وحث على أن يجعل به كل فرد منا مشاركا فى أدوات الانتاج ووسائله وفيما يغله فيفيد به .

لقد اصبحت الارض ومواردها وما عليهـــا من مصـــانع وانشـــاءات ملكا للشعب ، ولأفراد هذا الشعب حقوق متساوية على أساس أن لهم ذواتهم التي يجب الا تسحق باسم الملكية العامة .

وادب يصدر عن هذا الفهم يجب أن يتعمق أسبابه أولا ، أي يجب أن يرتاد مجالاته في محاولات للفهم والتذوق ، ويقف في ثبـات أمام المقـدرات الرجعية التي تريد باسم الموروث احيانا وباسم الفن والانسانية أحيانا أخرى وباسماء اخرى ان تاخذ من كل هذه شيئا او أشياء ، وترتدي مسوح الوجودية أو اللامعقول أو ما يجرى هذا المجرى .

والآن ماذا عن القاصين أنفسهم ؟

اخشى ان اقول ان بعضهم لم يعش هذه الثورة فنيا فعلا ، ولا يزال يصدر عن الانتاج الذي عرفته مصر ماقبل الثورة . وثمة بعض راح يندد بالاقطاع ويصرخ كمـا صرخ الادباء الستالينيون بلا موقف نابع عن معاناة أصيلة ، فكانت النتيجة اعمالا تبعد عن الفـلسفة الاشـتـراكية حتى وان كانت تنديدا بالطبقية مثلا أو تمجيدا للانتصارات التي ظفر بها اقتصادنا الموجه .

وفي الوقت نفســه نقـرا عن المعلم ابراهيم «الحمش» صاحب المقهى الذي تخدعه ابنته من وراء « الشبابيك المغلقة » ونقرأ عن الحاج رضوان تاجر العطارة الذي يتزوج نجوى الشابة الصـغيرة مع أنه جاوز الستين ، ونقـرأ عن الموظف الذي لا يملك ثمن الدواء لابنه المريض فيسرق ويسجن وينكره الجميع حتى ابنه ، كمانقرأ عن الفلاحة التي يغتصبها ابن صاحب العزبة أو صاحب العزبة نفسه ـ وهو صورة طبق الاصل للباشا الاقطاعي القديم طبعا ـ ثم تطرد لتعيش مصيرها الرهيب ، وهكذا

انني لا احدد اسماء بعينها لقاصين باعينهم ، فهم غالبيـة تعيش بيننا ، وتجر خلفها فئـة من الناشئة تجد راحة في أن تجتر شبقياتها واحلام يقظتها باسلوب ركيك وتكنيك أكثر ركاكـة ، بينما اختفت فئة أخرى زعمت ذات يوم انها من المنادين بالاشتراكية الواقعية او الاشـتـراكية الثورية ـ لست أدرى تماما ـ أو الواقعية الجديدة .

ولا أجد حرجا في ان اسرد اسماء بعض هذه الفئة الاخيرة لأن صحابها في نظرى يمكن أن يحملوا عبء الفهم الاشتراكي كموقف له ابعاده الروحية والمادية جميعا ، وهم يوسف ادريس وعبد الرحمن فهمى وعبد الرحمن الشرقاوى ومحمود السـعدني ، ومن بعد هؤلاء جيل أكثر شبابا ، اذكر منه فاروق منيب وأبو المعاطى أبو النجا وحافظ رجب ، على أن يجدوا طريقهم الذى ضاع منهـم في رحلة البحث عن بر الأمان .

انني لا احصر وانما اسـجل ماتسـعفني به الذاكرة ، وهذه الذاكرة نفسها تحاول الا تنسى لرواد العظام الذين تحول بعضهم الى مناقشـة القضايا الانسانية الكبيرة كنهاية لكل ماسجلوه في أعمالهم الرائعة .

ولكن هل الطريق قصير امام هؤلاء ؟

لا املك الاجابة الآن ، ولكنى أضع امامهم ـ بعد تحديدى لمفهوم اشتراكيتنا العربية ـ هذه المشكلات التي خلفتها متناقضات المرحلة السابقة وقد سماها الرئيس ناصر بمرحلة الانتقال أو مرحلة التحول من سيطرة الرجعية التي ساندها الاستعمار . ولقد صاحب التحول قيام علاقات من نوع جديد تقتضي بالضرورة طرح السلبية جانبا مع المواجهة الثورية على أسـس ديموقراطية مفهومة .

ولما كان اتساع طبقة العمال يكون في حد ذاته وضعا هو نتيجة طبيعية للتحول الاشتراكي فان من الضرورى أن تقدم مخططات ثقافية عمالية تلعب دورها الخطير في وجدان المجتمع كله وتذلل الصعاب امام جيـل يريد أن يقـود الثـورة في مجـالاتها الاقتصادية والفكرية ، ويرى آماله في ضرب من الانتاج يطرح كل عوامل الفسـاد والتهاون والشك والانحراف .

وربما كان من الضرورى هنا أن نؤكد أن التجربة الاشتراكية ـ بعد هذا أو قبل هذا ـ في حاجة الى قاعدة وطيدة تمارس السلوك الاشتراكي في صدق وايجابية مخلصة . وفي هـــذا الســلوك تتبلور كل المعاني الثورية لتطـــور صراع الانسـان وكفاحـه وحرصـه على أن يحقق لنفسـه كل ماينشد من عدل وحرية وامان . ومن الطبيعي الا يكون ثمة سبيل الى هذا كله الا باستقرار الوجدان الاشـتراكي متسلحا بالعلم ومهيئا كل الظروف ليظهـر من يانس في نفسـه القدرة على التفوق في مجال العمل .

البقية على صفحة ٣٤

أنا

من روائع الشعر الأسباني



أنا من أولئكم الذين وفدوا الى وطنى من بعيـد
أنا من الجنس العربى ، صديق الشمس من قديم.
أنا من أولئكم الذين ملكوا كل شىء ، وأضاعوا
كل شىء !
روحى زهرة ندية منبثقة من عرب الاندلس
عزيمتى ماتت فى ليلة قمراء
لا يحلو فيها تفكير ولا حب
مناى ... غفوة بلا شوق
ومن حين الى حين ... قبلة وطيف امرأة !

***

روحى ، أخت المســاء ، مرفرفة لا تعرف القيد
والوردة الرمزية لسورتى اليتيمة
هى الزهرة التى تنمو فى أراض مجهولة
عارية من العطر والشكل واللون

***

قبلات ، لكن لا أمنحها ... مجد لى به مدينون
وليات الى كل شىء هادئا كالنسيم
أمواج تحملنى بعيدا ، وأخرى تعود بى من جديد
لكن أحدا لن يرغمنى على اختيار الطريق .

***

طموح .. ليس عندى ، حب ... ما شعرت به
لم أنصهر قط فى نار الثقة أو عرفان الجميل
ولع مبهم بالفن كان عندى ، ولكنى فقدته
لا الرذيلة تغرينى ، ولا الفضيلة أعبدها
حسبى العريق لا يرتاب فيه أحد قط
والشمم والشرف انما يورثان . ولا يأتيان من
كسب !

عربى

للشاعر الأسبانى
منويل متشادو ١٨٧٤ – ١٩٤٧
ترجمه عن النص الأسبانى الدكتور الطاهر أحمد مكى



لكن عراقة حسبى ، وحكمة شعار بيتى
ليستا الا غمامة صيف ، ما تلبث أن تذيبهـــا الشمس !

***

لا أسالكم شيئا ... لا أحبكم ... لا أكرهكم
دعونى أعمل من أجلكم ... وحسبكم أن تعملوا من أجلى
فلتجهد الحياة نفسها لقتلى
اما أنا ، فلن أجهد نفسى لكى أعيش الحياة

***

عزيمتى ماتت فى ليلة قمراء
لا يحلو فيها تفكير ولا حب
ومن حين الى حين ... قبلة مقنعة
القبلة السخية التى لا مطمع وراءها !

***

كان منويل متشادو قد كتب هـذه القصيدة فى باريس عام ١٨٩٩ ، وهو فى ريعان شبابه وزهوة صباه ، يرد المباهج طلقا ، فلما تقدمت به السن ، وخبر الايام وخبرته ، استجمع تجاربه فى ابيـات قليلة اضافها الى هذه القصيدة عام ١٩٢٢ م.

ها قد اختار القلب الغليان طريقه ...
لم تعد تزعزعه العواصف ، ولم يعد يتراجع أمام الموج
لا المغامرة تثيره ، ولا القدر يرهبه
انه الآن يعرف كيف يحب ... ويحب ما استطاع
لقد نبذ المستحيل ، وحياة لا تعـرف العشق الالهى !

بقية المنشور على صفحة ٣١

ومن المؤكد ان الادب الاصيل ليس هو الذى يقف عند هذا السلوك فيكتفى بأن يشيد به فى ميادينه بالمصنع أو فى الحقل او حيث يبنى السد او فيما يكفل اتساع رقعة الانتاج باسلوب تقريرى جامد ، وانما الادب الاصيل هو الذى يتحمل صاحبه مسئولية الفهم ليعبر عن القضية بالصورة التى لا تناقض موقفه .

ومادام الفكر النظرى لا يعمق الا من خلال التمرس الواعى ، فان ميدان التعبير الادبى لايتسع ولا يعمق الا بعد أن تنتهى حالة الارتياد التى المعنا اليها ، فيصل الاديب الى تلك المرحلة التى يصبح فيها النظام الجديد جزءا من تكوينه الوجودى . تماما كالعين التى يرى بها ، وكالقلب الذى ينظم له حركة الدم فى عروقه ، وكاليد التى تتحرك تلقائيا ما اراد ان يسير أو يكتب او يصافح احدا .

ان القاص الاشتراكى هو الذى يتفهم تلك المشكلات ، ولكن غيرها فى شتى المستويات كثير ، وكلها بلا ادنى شك تضاعف من صعوبة المهمة الملقاة على عاتقه ، فاذا كنا لا نملك أن نجيب عن آخر سؤال طرحناه أمام القارىء ، فلاننا لا نملك حقيقة ان نتنبأ ، وكل مانستطيع ان نقرره هو ان الطريق صعب على أى حال .

وبعد ...

فانى لست متشائما ، واحس ان القاص الاشتراكى فى السبيل الينا ، أما متى ، فعلم ذلك عند الله وعند القاصين أنفسهم كل بحسب استعداده وذكائه ودرجة وعيه .

« د. احمد كمال زكى »

كوميديا في ثلاثة فصول

بقلم: علي أحمد باكثير

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مدير الجمعية الاستهلاكية حاولا بكل الوسائل طرد ابي حنفي المكوجي من مسكنه في الربع ليستوليا على الحوش ويتخذاه حديقة لهما ولكن ابا حنفي دافع بثبات عن مورد رزقه الوحيد وهو الحوش الذي يتخذه منشرا لغسيله ، وتعطف عليه محسنة زوجة ابي الديوك التي تنكر على زوجها اندماجه في شلة ذات نشاط في رايها غير مشروع ، وتقام حفلة في بيت ابي الديوك حضرها بعض اعضاء شلته فيهم الدكتور نجم الدين المعروف بميوله الشعوبية وصلصل عميد الشلة والشاعر العراقي نهاوند ومرغني المخرج وزيد المؤلف وعمرو الناقد ونادر المحتفل بتكريمه ويلقي الشاعر نهاوند قصيدة في التهنئة فتكون مثار تعليق من الدكتور نجم الذي شرح لهم ان تحطيم الشعر العمودي بالشعر التفعيل ليس هو الهدف ولا تحطيم الشعر التفعيل بشعر النبر ولا حتى استعمال العامية مكان الفصحى فما هذه الا خطوات نحو الهدف اما الهدف ذاته فهو التخلص من العربية والعروبة والرجوع الى الفرعونية في مصر والبابلية في العراق والفينيقية في سوريا ولبنان والبربرية في شمال افريقيا .

ويدعى الحاضرون الى البوفيه فينسحبون عن البرانده الى الداخل ويخلو المسرح لعصام وزينات فيدور بينهما حديث عن حبهما وعن امالهما في المستقبل وانهما يريدان بناء حياة افضل من حياة اهليهما .

الفصل الأول

(تنسحب زينات ويبتعد عصام عن مكانه الاول)

سعدية :(تدخل) ماذا تصنع هنا وحدك يا عصام ؟

عصام :لا شيء يا خالتي سعدية الجو هنا أحسن

سعدية :(تنظر ناحية برندتها) سمعت انك مسافر الى الخارج ؟ صحيح ياعصام !

عصام :لم يتقرر بعد بصفة أكيدة

سعدية :ليكن في علمك انا لن ننتظرك !

عصام :الزواج يا خالتي سعدية قسمة ونصيب ! (يخرج)

(يدخل بلعوم)

بلعوم :ماذا كان يقول لك عصام ؟

سعدية :يبدو انه لا يكترث لقول أحد (تخفض صوتها) أقول لك دعه يذهب عنا سنجد لها عريسا اوجه منه ومن أسرة أغنى وأرقى

(تدخل محسنة)

محسنة لماذا خرجتم يا جماعة ؟

بلعوم :الدنيا حر

محسنة :أفلا أخذتم أطباقكم معكم ؟

بلعوم :هل يجوز لنا ذلك يامحسنة هانم ؟

محسنة : لم لا ؟ سادخل للجماعة واقترح عليهم ذلك عن اذنكم (تخرج)

سعدية : ارايت ؟ تريد ان تؤكد للناس أنهم ياكلون ويشربون الآن على حساب زوجها وليس على حساب جاره المغفل !

بلعوم : مغفل ؟ انا مغفل ؟! انت يا سعدية المغفلة ! اتدرين كم ثمن المسرحية ! اربعمائة جنيه ؟

سعدية : او قد قبلوها منك بصفة قاطعة ؟

بلعوم : صه . انظري. الجماعة آتون الينا ومعهم طباقهم. هيا بنا ناخذ طباقنا معنا (يخرجان)

(يدخل نجم ونهاوند ثم يدخل الباقون وفي يد كل واحد منهم طبق وكاس فيجلس بعضهم ويبقى بعضهم واقفين)

نجم (كأنه في حديث متصل مع نهاوند) أجل اخترتها أولا لأنها ملحدة وثانيا لأنها تدرس الفيلولوجيا (يلتفت الى زوجته) ليليان دارلنج اقتربي قليلا لتشتركي معنا في الحديث

ليليان : (تقترب منهما) أنا سامعة

نهاوند : اخترتها لأنها ملحدة هذا مفهوم يادكتور . لكن حكاية الفيلولوجيا ما اهميتها ؟

نجم : ما اهميتها ؟! هذه أهم من الالحاد بكثير

نهاوند : كيف ؟

نجم : الالحاد اثره ذاتي خاص ولكن الفيلولوجيا اثرها موضوعي عام !

نهاوند : هل لك أن توضح قليلا يادكتور ؟

نجم : انها تقوم ببحث مؤيد بالأدلة والبراهين العلمية لتثبت ان اللغة العربية لغة متخلفة ولا تصلح لأمة تريد أن تأخذ مكانها في صفوف الأمم المتقدمة

نهاوند : عظيم عظيم ! حقا ان هذا لأمر عظيم ! ومتى يتم هذا البحث ؟

نجم : البحث قد تم ولكنه لم ينشر بعد

نهاوند : ومتى ينشر ؟

نجم : انها قد ارسلت الكتاب الى لندن ليطبع هناك

نهاوند : باللغة الانجليزية طبعا ؟

نجم : طبعا

نهاوند : ينبغي يادكتور أن تترجمه ليطلع العرب عليه

نجم : صدقت هذا الكتاب يجب أن يقرأه العرب ليعرفوا حقيقة لغتهم وليجدوا مخرجا منها

نهاوند : وكم قضيت في هذا البحث يامدام ؟

ليليان : حوالى سبع سنين

نهاوند : سبع سنين . لابد انها رسالة هائلة !

نجم : قنبلة هيدروجينية !

نهاوند : هل لك يامدام أن تلخصى لنا رأيك فى اللغة العربية ؟

ليليان : آسفة يا استاذ لا أستطيع

نهاوند : لماذا ؟

ليليان : فى وسع الدكتور أن يخبرك

نجم : انك لن تصدقنى ان اخبرتك ، أنها لاترضى أن يطلع على نتيجة بحثها أحد

نهاوند : لكنى أنا صديق مأمون الجانب

نجم : حتى أنا زوجها المقيم معها تحت سقف واحد لم تشأ ان تطلعنى على ذلك ؟

نهاوند : هذا عجيب حقا . لكن لماذا ؟

نجم : لو اخبرتك لماذا لوجدته أعجب وأغرب

نهاوند : كيف ؟

نجم : لأنها فيما تقول تخشى ان أغضب أنا لكرامة أمتى (يقهقه ضاحكا)تصور أنا أغضب لكرمة اللغة العربية !!

نهاوند : أحقا يامدام ؟ ان الدكتور لن يطربه شيء فى الدنيا كما يطربه أن تمرغ اللغة العربية فى التراب !

نجم : قل لها يااخى قل لها !

ليليان : انى لا احب ان يتدخل أحد فى بحثى أو يوجهنى بخير أو بشر

نهاوند : لكن البحث يعتبر الآن منتهيا يامدام

ليليان : كلا ياأستاذ لا يعتبر منتهيا الا بعد ماينشر بالفعل

نهاوند : ولو بصفة عامة يا مدام . نريد أن نعرف رأيك بصفة عامة

ليليان : لا أستطيع ياأستاذ

نجم : لا تخافى يا ليليان . ان الاستاذ نهاوند يعدل هؤلاء الجماعة كلهم فى جهاده . انه مجاهد طول عمره

نهاوند : العفو يادكتور . انت استاذ الجميع . انت معلم هذا الجيل الصاعد !

نجم : آه لو سمعك الاستاذ صلصل !!

نهاوند : الاستاذ صلصل .. ماله يا دكتور ؟

نجم : انه يغار منى ! استرق النظر اليه .. لاتدعه

يشعر أنني لمت‌نظرك اليه .. ستراه يتلصص علينا من بعيد

نهاوند : (يسترق النظر الى صلصل) انه يبتسم يادكتور!

نجم :هو هكذا طول عمره . الابتسامة لازقة بشفتيه

نهاوند : يظهر انه رجل بشوش

نجم :لكن حذار فتحت هذه الابتسامة الدواهي . انظر اليه كرة أخرى . تأمل قليلا في وجهه فسترى هذه الابتسامة تنتشر من وجهه كما تنتشر أطراف الأخطبوط وهو يتهيأ للوثوب على فريسة شهية !

نهاوند : يخيل الى يادكتور انك تبالغ قليلا في كلامك لأن ابتسامته هذه تذكرني بابتسامة الجوكوندا !

نجم :الجوكوندا ! مضبوط ! هكذا كان احساسي حين رأيته أول مرة وظللت أرى ابتسامة الجوكوندا في وجهه حتى كرهتها بعد ما كنت أحبها : كنت أعلق الصورة عندي في البيت فنزلتها !

نهاوند : (يضحك) نكتة والله !

نجم :كلا .. ليست نكتة . هذه حقيقة !

نهاوند : والصورة يا دكتور ماذنبها ؟

نجم :ذنبها ان صاحبنا استطاع أن يقلدها ويعلقها على شفتيه !

نهاوند : والأخطبوط الذى أشرت اليه ؟

نجم :المنة .. لمنة ما كنت أتخلص من الجوكوندا حتى حل محلها الاخطبوط !

نهاوند : وماذا أنت صانع به ؟

نجم :لا ادرى . ياليتنى استطيع أن أقتل الاخطبوطات كلها التى فى العالم !

(يتركز الضوء على صلصل وحوله نادر وزيد وعمرو)

صلصل : أترونه ؟ لابد انه الآن يبزق فى عرضى . هذا دأبه وخصوصا حين يجلس الى شخص غـريب لا يعرف عنا شيئا

نادر : وما يدفعه الى ذلك ؟

صلصل : يكرهني ويمقتني لأنى أكتب برامج خاصـة عن اعلام العرب

نادر : أهذا الذى يغيظه منك ؟ أو لا يعلم انك انما تجارى فيه التيار العام ؟

صلصل : يعلم يعلم ولكن الذى يغيظه منى اننى أكسب من تلك البرامج وهو لا يكسب شيئا

نادر : انى اذكر يا أستاذ صلصل قبل سفرى الى ألمانيا ان هذا الرجل ليس من جماعتنا . فما الذى خلطه بكم ؟

صلصل : انه كتب ذات مرة مقالات أعجبتنا جدا .. كتبها طبعا لحساب غيرنا ولكنها تخدم الهدف الذى نسعى اليه فاجتمعنا وقررنا بالاجماع أن نسعى لضمه الينا لنستخدمه فى تحقيق أغراضنا .

نادر : ألا تخشون منه على أسراركم ؟

صلصل : انا حتى اليوم لا نطلعه على أسرارنا الكبرى .

نادر : وماذا استفدتم من ضمه اليكم ؟

صلصل : اذا أردنا أن نثير قضية دون أن توجه الينـا الأنظار دفعناه هو فأثارها من دوننا وبذلك نتقى كثيرا من الأخطار . انظر حتى أكشفه لك (مناديا) يا دكتور نجم !

نجم :نعم يا أستاذ صلصل . ماذا تريد ؟

صلصل : هل تعرف ما أحسن عمل عملته فى حياتك ؟

نجم :هيه ؟

صلصل : انك تزوجت هذه السيدة .. السيدة ليليان ! . انها حقا هدية !

نجم : هدية ؟

صلصل : معلوم .. أحسن هدية أهديتها الى الأمة العربية!

نجم : (يزوم قليلا ثم يقول فى حقد) مثل سلة التين التى جيء بها الى كليوباترا داخلها حية رقطاء !

صلصل : لكنى اخشى يادكتور أن تصنع مثلك فينا بعد

نجم : ماذا تعنى ؟

صلصل : أن تتراجع هى كما تراجعت أنت .

نجم : كلا لا تخف عليها انها أثبت منى وأرسخ !

صلصل : وأنت ما الذى غيرك ؟

نجم : ماذا أصنع ؟ كتبت باللغة العامية برهة فوجدتها لا تحل المشكلة لأنها ناقصة ولأنها تدنو شـيئا فشيئا من اللغة المقدسة فتركتها وكتبت مثـل ما يكتب الناس .

صلصل : والحل فى رأيك هو الهيروغليفى ؟

نجم : نعم . هذا هو الحل الصحيح .

صلصل : انك حاولت قديما أن تتعلمه لتكتب به ؟

نجم : نعم وقطعت شوطا فيه

صلصل : لماذا انقطعت عن هذه المحاولة ولم تكملها ؟

نجم : مثلا يقرأ لى لو كتبت بالهيروغليفى ؟ علمـاء الهيرولوجيا ؟

صلصل : ما كنا نظن يادكتور انك ستيأس بهذه السرعة..

الا ترى الى اسرائيل ماذا فعلت ؟ لقد أحيت اللغة العبرية بعد ما كانت ميتة

نجـــم : لكن مهمتنـــا أكبر وأعسر من مهمة اسرائيـــل ، مهمتها احياء لغة ميتة . أما مهمتنا فمزدوجة : احياء لغة ميتة واماتة لغة حية !

صلصـــل : هذا لا يدعونا أبدا الى اليأس . لا تنس يادكتور ان شـــعبنا اذا وجد القيـــادة الحكيمة يقوم بالمعجزات !!

نجـــم : الامر حلو يا أستاذ صلصل ولكن دون عمل ! كل يوم تقذفنا ببرامجك الخاصة عن ابن خـــلدون وابن بطوطة وابن رشد وابن طباطبا وابن لا أدرى من من أصنام العرب !

صلصـــل : وأى بأس فى ذلك ؟ اليس لنا أن نجارى الاتجاه العام ؟

نجـــم : مفهوم يا أخى .. اكسب لك انت قرشين وارمنى أنا فى البـــلاوى الزرق ! تريد أن تعيش انت بالعربى وأتخبط أنا بالهيروغليفى !!

صلصـــل : قســـما بالـ .. لا توجد عندنا للوح بيضاء .. قســـما بالرمال الصـــفراء التى تحيط بوادينـــا الاخضر لو كان عندى أنا الاستعداد الكبير الذى عندك لكانت عندى الآن مؤلفات عديدة باللغـــة الهيروغليفية !

نجـــم : ومنذا الذى يقرؤها ؟

صلصـــل : ليس هذا بالمهم . المهم أن يؤدى أحدنا الواجب الذى عليه .

نهـــاوند : والله لقد لمختم فى اليوم قوة جديدة وحيـــاة جديدة . انى حين أغادر بلادكم سأقوم بدعاية فى البلاد العربية بالشعر تارة وبالنثر تارة أخـــرى لهذه القضية ، قضية اللغة حتى يهتموا باحياء لغاتهم الاصلية لغات أجدادهم العظام !

صلصـــل : سمعت يا دكتور ؟ رأيت الهمم القعساء ؟

نجـــم : انا مسرور منك يا أستاذ نهاوند واعاهدك ان نجحت فى مسعاك ان أدرس الهيروغليفى من جديد لأكتب به ولا أكتب الا به .

نهـــاوند : يدك يادكتور ! (يشد على يده بحرارة)

(يتركز الضوء على سعدية وأبى الديوك وبلعوم)

ســـــعدية : الى متى يأكلون ويشربون ؟ الا يبتون أولا فى أمر مسرحيتنا ؟ أم كل ما صرفناه على الحفلة يروح على فاشوش ؟

بلعـــــوم : صه ياسعدية لا يسمعك أحد

ابو الديوك : يادكتور نجم ويا أستاذ صلصل وياجماعة جميعا، أراكم خضتم اليوم فى كل شئ ونسيتم المسرح !

صلصـــل : صحيح . لولا المسرح ماكنا ذقنا هـــذه الحاجات الحلوة

نجـــم : الاستاذ ابو الديوك يستطيع ان يقول لنا لماذا تأخر افتتاح الموسم الجديد هذا العام وما الذى سنشاهده فى الموسم الجديد ؟

ابو الديوك : الواقع ان الافتتاح تأخر لأننا لم نستطع أن نستقر على رأى بعد فى المسرحية التى نفتتح بها الموسم .

صلصـــل : عجبا ! أين كتابنا الملاكى وأين مسرحياتهم ؟

ابو الديوك : كتابنا الملاكى لم يقدموا لنا شيئا بعد .

صلصـــل : ولا مسرحية واحدة ؟

ابو الديوك : ولا مسرحية واحدة ؟

نهـــاوند : معذرة يا اخوان ما معنى الكتاب الملاكى ؟

صلصـــل : نقصد بذلك كتابنا الذين هم من ديوكنا والمحجوز لمسرحياتهم مكان فى المسرح كل سنة .

نهـــاوند : ولماذا لم يقدموا شيئا حتى اليوم ؟

صلصـــل : لعلهم تكاسلوا لاتكال كل واحد منهم على أن مكان مسرحيته محجوز فهو يقدمها وقتما شاء .

عمـــرو : ما دام الامر هكذا فخذوا مسرحية من احد كتاب الأجرة .

زيـــــد : كلا .. لا ينبغى ان نخل بمبدئنا والا عرضنـــاه للخطر .

عمـــرو : وتعطيل الموسم الجديد أليس له اعتبار عندك ؟

صلصل : فى رأيى ان الموسم لا يصح أن يؤجـــل لأى سبب ، فانظروا الا توجد عندكم ولو مسرحيـــة قديمة ؟

ابو الديوك : توجد لدينا تلك المسرحية التى وافقت عليهـــا اللجنة من السنة الماضية .

نـــادر : ولماذا لم تقدموها السنة الماضية ؟

ابو الديوك : لأن المؤلفين الملاكى قدموا مسرحياتهم فكانوا أولى

نادر : الآن فقدموها هذه السنة واجعلوها رواية الافتتاح

ابو الديوك : هل تحرى عن هذا المؤلف أحد منكم ؟

زيـــــد : نعم أنا تحريت عنه

ابو الديوك : ماذا وجدت ؟

زيـــــد : سمعت أناسا يقولون أنهم سمعوه ذات يوم يقول ان موت الاستاذ العقاد خسارة كبيرة !

صلصل : هذا رجعي ولا يمكن أن نقبله

عمرو : لكني أنا تحريت عنه فعرفت انه كان يأكل كل يوم في رمضان من دكان الفول الذي في مصر شارع سليمان .

زيد : تقصد انه افطر في شهر رمضان ، وأي شيء في ذلك ؟

عمرو : هذا يدل على انه غير متعصب .

زيد : لا هذا غير صحيح فكم من رجل لا يصلي ولا يصوم ولجده مع ذلك يتعصب للاسلام أكثر من شيخ الاسلام نفسه . وكثير يصلون ويصومون ولا أثر لهم ولا نشعر لهم بوجود .

صلصل : دعونا اذن من هذه المسرحية . الا توجد عندكم مسرحية أخرى ؟

ابو الديوك : ما عندنا غير المسرحية التي قدمها زميلنا الاستاذ عبد الواسع بلعوم

زيد : (محتدا في حدة) يا ناس ! مالمدير التموين وكتابة المسرحيات ؟

عمرو :
وما المانع ؟
وابوالديوك :

زيد : غدا يكتبها الجزارون والنجارون ومساحو الاحذية !

ابو الديوك : وما المانع ؟ نحن في عهد الاشتراكية والمساواة بين الناس

زيد : وهل معنى الاشتراكية عندك أن يكون الناس جميعا كتاب مسرحيات ؟

صلصل : أليس هذا خيرا من أن تبقى أنت وحدك الكاتب اللوذعي ؟

زيد : وهل بقيت أنا وحدي الآن ؟ لقد أصبح عندنا خمسة أو ستة !

صلصل : وما المانع ؟ أليسوا جميعا من ديوكنا ؟

زيد : أوكل ديك من حقه ان يؤلف مسرحية ؟

صلصل : وما المانع ان كان يقدر ؟ المسرح في أيدينا اليوم ومن يدري لعله ينتقل غدا الى يد لا تأذن لديك واحد أن يؤذن على المسرح

زيد : هذا مصدر خوفي . اذا كنتم تقبلون المسرحيات من كل من هب ودب فستلفتون نظر الجمهور اليكم وتثيرون سخطه عليكم فيكون ذلك سببا لخروج المسرح من أيديكم .

بلعوم : من كل من هب ودب ؟ انا احتج على هذه الكلمة

سعدية : من كل من هب ودب . عيب يا افندي أن تقول

هذا عن زوجي . ان الفرخة التي أكلتها لا تزال تقوقئ في بطنك !

زيد : ليس قصدي يا مدام .. أنا قصدي ..

سعدية : ليس قصدي .. أنا قصدي .. ما هذا اللغو ؟ قل بصريح العبارة انك تخشى من بلعوم أن يبلعك !

زيد : ولماذا يبلعني هل أنا تموين !

ابو الديوك : (كأنه يتدخل لحسم الأمر) اسمع يا زيد . ان كنت تظن لنفسك شيئا كبيرا فأنت مخطئ . تقول مدير تموين ، فخبرني ماذا كنت أنت حين أخرجنا لك مسرحيتك الأولى ؟ اعرف اذن قدر نفسك . استرزق ودع غيرك يسترزق مثلك !

زيد : انا لم أقصد ان أطعن فيه . كل ما أردت قوله ان مسرحيته هذه لا ينبغي أن يفتتح بها الموسم.

ابو الديوك : بأي شيء نفتتح اذن ؟ بمسرحيتك ؟

زيد : نعم .

ابو الديوك : وأين هي ؟ ألم تقل انها لا تزال رؤيا في دماغك ؟

زيد : أجل . اني أعيش في نشوتها هذه الايام

ابو الديوك : لكن علينا أن نضع بروجرام الموسم من اليوم

زيد : ضعوا مسرحيتي في البروجرام

ابو الديوك : مكان مسرحيتك محجوز لكل سنة ولكنا لانستطيع أن نجعلها الاول في البروجرام ؟

زيد : ماذا يمنع ؟

ابو الديوك : الا يجوز أن تطير الرؤيا كلها من دماغك ؟

زيد : كلا أطمئن فاني قد سجلتها

ابو الديوك : سجلتها وهي رؤيا في دماغك ؟!

زيد : نعم

ابو الديوك : كيف ؟

زيد : بواسطة الأشعة . كلفت أحد رجالها فصور لي دماغي !

ابو الديوك : أتمزح بازيد ؟

زيد : كلا أفي مثل هذه الامور مزاح ؟ من حسن الحظ اني جئت بها اليوم معي انظر (يخرج صورة اشعة من بين ثيابه)

ابو الديوك : (ينظر في الصورة) أنا لا أدرى فيها شيئا . انظروا ياجماعة هل ترون فيها شيئا ؟

(يتداولها الحاضرون)

الجماعة : أبدا .. لانرى فيها شيئا

زيد : وأى شيء كنتم تريدون أن تروه ؟

الجماعة : الرؤيا التى فى دماغك

زيد : أنا أبصرها

الجماعة : مابالنا نحن لا نبصرها ؟

زيد : لا يمكن أن يبصرها الا مؤلف مثلى

سعدية : (تخطف الصورة وتدنيها من زوجها) انظر يا عبد الواسع . أترى الرؤيا التى يحكى عنها ؟

بلعوم : لا لا أرى شيئا .

سعدية : ها هو ذا مؤلف يا أستاذ زيد !

زيد : يا مدام ليس كل من ألف . انى قلت مثلى أعنى فى مستواى

سعدية : زوجى والله سيطلع خيرا منك

زيد : (فى تعال) خير منى لا يفيد .

سعدية : لم لا يفيد ؟

زيد : لأن الذى هو أحسن منى يا مدام لم يوجد بعد !

سعدية : ما هذا يا جماعة ، كيف تسكتون لهذا المتطاول ؟

زيد : يا مدام التموين شيء والفن شيء آخر ، التموين فى جمعية زوجك ولكن الفن فى دماغى أنا .

عمرو : مهلا مهلا لقد تجاوزت حدك ، لعلك قد غرك نجاح مسرحيتك فى السنة الماضية

زيد : لم يكتب مثلها أحد ولا فى أوروبا وأمريكا .

عمرو : رويدك رويدك فالفضل فى نجاحها يرجع الى غيرك .

زيد : لمن غيرى ؟

عمرو : الا تعرف لمن ؟ لى أنا .. للمقالات الأربع التى نشرتها تباعا ورفعتك فيها الى السماء وجعلت اسمك يدوى كالطبل !

زيد : تلك المقالات التى لم يقرأها أحد ؟

عمرو : لو صح ما تقول لما اشتهرت أنت . اربع مقالات فى جريدة يومية وبقلم أكبر ناقد فى البلد !

زيد : أكبر ناقد ؟ طز ! وما قيمة الناقد الى المؤلف ؟ الناقد كما هو معلوم ما هو الا امرؤ أراد أن يكون مؤلفا ففشل .

عمرو : أهذا جزائى اذ شهرتك ؟

زيد : أنت شهرتنى ؟

عمرو : بل خلقتك .

صلصل : (ينهرهما) صه .. لقد تجاوزتما كل حد

عمرو : ألم تسمعه كيف جحد فضلى بالكلية ؟

صلصل : يا أستاذ عمرو أو تظن أن مقالاتك الأربع هى التى أقامت تلك الضجة لمسرحية الأستاذ زيد ؟

عمرو : أجل يا أستاذ صلصل مافى ذلك شك

صلصل : هذا غرور منك أكبر من غرور الأستاذ زيد . ان الفضل لا يرجع الى عازف منفرد بل للأوركسترا كلها .. الأوركسترا التابعة لنا اذ قلنا لها اعزفى فانطلقت تعزف ألحان التمجيد فى كل مكان .

عمرو : انه لا يعترف بأى فضل لأحد

صلصل : ذلك هو الخطر ياجماعة . الخطر ان تنسوا ان قوتنا تكمن فى كوننا جماعة متحدة الهدف والخطة وان أحدنا لا قيمة له الا بجماعته . أنت يا أستاذ زيد مثلا ماقيمتك من دوننا ؟ ان خارج الدائرة لمؤلفين لا تعد أنت بجانبهم شيئا ولكنا منعناهم من الظهور ليتاح لك ولأصحابك من الديوك أن تظهروا وحدكم فى الميدان . عليكم أن تتذكروا هذه الحقيقة دائما حتى لا يتعالى بعضكم على بعض ! والآن دعونا نرجع الى حكاية المسرحية التى قدمها الأستاذ بلعوم .

سعدية : يسلم فمك يا أبا الصلاصيل .

نجم : بلغنى أن أحد أعضاء لجنة القراءة رفضها

زيد : نعم وظل يرفضها حتى عدلوها له مرارا كثيرة

سعدية : وما اسم هذا العضو ؟

ابو الديوك : لا داعى لذكر اسمه

عصام : واحد من ديوكنا ؟

ابو الديوك : لا ليس منهم

بلعوم : لا حق لك : أعضاء لجنة القراءة يجب أن يكونوا جميعا من ديوكنا . أليس كذلك يا أستاذ صلصل ؟

صلصل : صحيح . لكن ربما يكون للأستاذ أبى الديوك وجهة نظر فى ذلك

ابو الديوك : نعم . ليس من مصلحتنا أن نجعلهم جميعا من الديوك والا انكشفت خطتنا ، يجب أن نجعل فيهم من غير الديوك لذر الرماد فى الأعين

صلصل : أرأيتم كيف تكون السياسة ؟!

ابو الديوك : تلك سياستنا أيضا مع المؤلفين ، لا بد أن نضع مع مؤلفينا الديكيين مؤلفا لا ديكيا واحدا كل سنة حتى لا يستطيع أحد أن يفتح علينا فمه !

صلصل : سمعتم يا جماعة ؟

نجم : ارجعوا بنا الى مسرحية الأستاذ بلعوم . ماذا تصنعون فيها بعد ما رفضها عضو اللجنة ؟

علي أحمد باكثير

لماذا ليست ماركسية ؟ ...

بقلم : محمد جلال كشك

« احنا اشتراكيتنا هي اشتراكية علمية .. قايمة على العلم وليست قايمة على الفوضى .. مهياش أبدا اشتراكية مادية ما قلناش ان احنا اشتراكيتنا مادية .. وما قلناش ان احنا اشتراكيتنا ماركسية » .

جمال عبد الناصر

بهذه الكلمات الواضحة والصادقة ، كما عودنا دائما قائد الثورة ومعلم الشعب .. حسم هذا النقاش الذي كان يدور حول معنى « الاشتراكية العلمية » التي وردت في الميثاق .. وقد سميت الماركسية بالاشتراكية العلمية ، تمييزا لها عن الاشتراكيات المعاصرة التي كان عليه ، أي ماركس ، أن يصارع ضدها ، وأن يصرعها ، تلك الاشتراكيات التي كان ماركس يعاديهما ، لأنها تزعم أن النظم الاجتماعية تدين في وجودها لعبقرية الفيلسوف الذي يكتشف الحل الخالد للمشكلة الأزلية ، بينما نادى ماركس بأن الظروف الموضوعية هي التي تخلق الحل المرحلي للمشكلة الاجتماعية المرحلية ، وما للفيلسوف من دور ، الا فهم هذه الضرورة التاريخية وصياغتها في شكل حلول ومطالب سياسية .. ولكن الماركسية ، أو بمعنى أصح ورثة ماركس ، وقعوا في خطأ يتنافى مع العلم ، عندما زعموا أنهم هم وحدهم الذين أوتوا العلم .. فلا اشتراكية الا الاشتراكية العلمية ، ولا علم الا ما قال به ماركس، وعلمه للحواريين ثم التابعين .. مع ان العلم لايمكن أن يحتويه حزب أو تنفرد به حركة أو جماعة بعينها .. بل هو يحتوى الحركات والاحزاب أو يلفظها .

والعلمية..قضية نسبية ، فقد كانت الرأسمالية في مرحلة من التاريخ هي العلمية .. وحتى الدعوة الاشتراكية كانت في هذا الوقت ضربا من الخيال والتفكير غير العلمي ، بل ان بعض اتجاهاتها كانت رجعية .. ولكن التاريخ يتحرك ، وتصبح الرأسمالية نظاما غير علمي ، وتصبح الاشتراكية هي الدعوة العلمية .

ومأساة كل حركة سياسية أنها تتوهم الخلود ، وانها قد وصلت للحل الخالد ، وجاءت بالاجابة الشافية لكل سؤال ، ورغم سخرية ماركس وانجلز من هذا الزعم ، فقد سقطت فيه الماركسية الى حد نقلها الى مرتبة الغيبيات ، وكان الرفاق يقولون ان الشيوعي الصادق في بكين يستطيع على هدى الماركسية أن يصل الى حل مشكلة بعينها ، يطابق تماما ما يصل اليه الشيوعي الصادق في طنجة .. حذوك النعل بالنعل ! بل تأمل تعبير «مراجع» الذي يعد أخطر تهمة توجه لماركسي ، أي أنه يراجع الماركسية لينقحها ويصوبها .. وهي تهمة تساوى الكفر .. ان هذا التعبير ينبعث من ايمان ديني .. اذ ما الضير في مراجعة نظام سياسي أو نظرية من صنع البشر ؟

يقول لينين : « ان عبقرية ماركس تكمن بالتحديد في أنه قدم الردود على الأسئلة التي شغلت أذهان البشرية.. ان العقيدة الماركسية عقيدة جامعة مانعة لأنها صحيحة .. انها كاملة ومتجانسة وتزودالناس بمفهوم كامل عن العالم » .

وكل النظريات خلعت على نفسها هذه الصفات ٠٠ ومع التجوز الشديد تستطيع أن تقبل القول بأن ماركس قدم مفهوما كاملا عن أوربا الغربية فى منتصف القرن التاسع عشر ٠٠ ولكن من المستحيل أن نقول انه فسر العالم كله لا فى عصره فحسب ٠٠ بل بعد مائة عام من وفاته ٠٠ مائة عام فيها السيارة والطائرة والغواصةالذرية وسفنالفضاء والتليفزيون والراديو٠٠واستعمار أفريقيا وتحررها٠٠واستقلال الهند وسقوط روسيا المقدسة وقيام الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وظهور عالم عدم الانحياز ٠

لقد كان لينين يستدل من اكتشاف الراديوم على ثبوت صحة الماركسية ، ولكن اكتشاف الراديوم الآن يشبه اكتشاف الحديد بالنسبة لعصر ماركس!

غير علمى أن نقول ان نظريات وتفسيرات ماركس فى منتصف القرن التاسع عشر هى العلم وحده لمن أراد أن يبنى مجتمعه فى النصف الثانى من القرن العشرين ٠٠ ومن الحماس المؤثر حقا ، القول بجواز الاختلاف فى التطبيق بشرط التسليم بصحةالأسس الخالدة للماركسية ٠٠ اذ ما هى الأسس وما هى التطبيقات ؟ ٠٠

ان ماركس كان ثمرة الحضارة الغربية ، ولينين فى تعريفه بالماركسية الذى كتبه لدائرة المعارف البريطانية ، قال انها ثمرة الفلسفة الألمانية والاشتراكية الفرنسية والاقتصاد السياسى البريطانى ٠٠ أى بنت الحضارة الغربية فى قمة نموها ٠٠

ومأساة الحضارة الغربية ، التى اصابت الماركسيين ، هى توهمها أنها هى كل الدنيا ، مشاكلها هى مشاكل البشر ، وحلولها هى الدواء الناجع الصالح للتصدير لكل مكان ٠٠ تاريخ البشرية هو تاريخ الحضارة الأوروبية ٠٠ يبدأ بالاغريق الى أن يصل الى العصور الحديثة ، أى عصورهم ٠٠ علمهم بالشىء اكتشاف له ٠٠ فامريكا والهند وافريقيا كلها لم تكن موجودة ٠٠ قبل أن يصل اليها الأفاقون فيكتشفوها ! ٠٠ ومن ثم تصبح ملكا لهم ! ٠٠

لذلك فالقول بأن تحليل واقع المجتمع الرأسمالى فى أوروبا الغربية منذ مائة عام يغنى عن تحليل بقية العالم ولو بعد مائة عام٠٠ أو حتى القول بان مبادىء هذا التحليل وأسسه هى مفتاح كل الاجتهادات ولو فى افريقيا أو الصين ٠٠ هذا القول ينافى العلم ٠٠

صحيح ان تحليل أشعة الراديوم فى باريس لا يختلف كثيرا عن تحليله فى الكونغو ٠٠ ولكن الماركسية كان لها الفضل فى نقد المادية البدائية التى زعمت أن البشر والمجتمع يخضعان لقوانينالمادة وعلم الطبيعة ٠٠ قد يتشابه الحديد فى أوروبا وافريقيا ٠٠ ولكن الناس يختلفون ٠٠ وقد يغلى الماء فى درجة المائة تقريبا فى كل من آسيا وأوروبا ٠٠ ولكن الثورات لا تنفجر لأسباب واحدة ، ولا عند درجة متقاربة ٠٠ لأن هذا التباين هو طبيعة البشر وسر اختلاف الحضارات ٠٠ وقد أمكن « توحيد » المعايير والمقاييس فى الصناعة ولكن يستحيل أن تتوحد فى الحضارات والفلسفات والأديان والنظم الاجتماعية ٠٠ لأنه لم تخترع بعد الماكينة التى يدخل فيها الناس فيخرجون متشابهين فى العواطف والميول والآراء ٠

من هنا كانت الفرضية التى زعمت حتمية انتماء كل اشتراكية الى الماركسية ٠٠ والا تنافت مع العلم فرضية خاطئة ٠٠ بل متنافية مع العلم ٠

واذا كان حل متناقضات المجتمع الروسى ، أو الصينى ، مع الالتزام بالماركسية ولو من ناحية الانتماء الروحى ، قد احتاج لعبقرية فذة ٠٠ هى عبقرية لينين وماوتسى تونج ٠٠ فان هذه المهمة كانت مستحيلة فى مجتمع اسلامى ٠٠ لأن حضارتنا أكبر من الحضارة الغربية ، وتختلف جذريا معها ٠

خذ مثلا الملكية الفردية أو علاقة الفرد بالدولة ٠٠

لقد أفنى الاشتراكيون الغربيون عمرهم فى الاقناع بضرورة تملك المجتمع لمصادر الثروة ٠٠ بينما هذه القضية بديهية فى المجتمع الاسلامى ٠٠ حتى أن الدول البترولية العربية لم تثر فيها مشكلة على الاطلاق حول من يملك الحصة العربية فى البترول ٠٠ بل كانت منذ اللحظة الأولى للدولة ٠٠ بصرف النظر عن طبيعة الدولة او أوجه استفادتها من هذه الملكية ٠٠ ان اقناعنا بالملكية الفردية كان المهمة الأصعب منذ القرن التاسع عشر بينما كان تملك الدولة هو السلوك الطبيعى المقبول عندنا ٠٠

وقد وضعت الدواوين فى الدولة الاسلامية لأول

مرة في عهد عمر رضى الله عنه لا لقيد الضرائب على المواطنين .. بالعكس ، بل لتسجيل العطاء اى المرتبات التى التزمت بها الدولة ازاء جميع رعاياها منذ لحظة مولدهم ! وقبل أن يولد ماركس بثلاثة عشر قرنا .. بينما لا يزال يدور نقاش حاد حول اعانات العاطلين فى أوروبا وامريكا .. ومنافاة ذلك لأسس الحضارة الغربية ، وروح المجتمع الامريكى « العظيم » .. الخ ..

لذا فان البساطة التى تتم بها الاجراءات الاشتراكية عندنا تثير دهشة وريبة العقلية الغربية، والعقليات المتأثرة بالعقلية الغربية .. فما تكاد دولة عربية تتحرر من النفوذ الغربى حتى ترى ان الاشتراكية قضية بديهية .. الاشتراكية أعلنت فى الجزائر حتى قبل ان يتم جلاء قوات الاحتلال ، بمجرد قيام سلطة عربية مسلمة .. والقوائم التى كانت تنشر فى الصحف المصرية معلنة انتقال ملكية الراسمالية الى الدولة كانت تدير رءوس المتأثرين بالغرب .. كيف يمكن أن يحدث ذلك .. بلا حزب شيوعى .. بلا دماء وصراع .. ماذا ستفعل الرجعية؟ أين مقاومة المجتمع القديم .. وماذا تفعل الرجعية وقضيتها خاسرة بل لا قضية لها على الاطلاق .. فان حكاية تحكم الفرد فى أقوات وأرزاق الآخرين دخيلة على روحنا ، غريبة على حضارتنا ، زوالها هو الأقرب للمعقول لا دوامها .. وفى بعض البلدان العربية التى لم يطل عهدها بالاستعمار الغربى . ولم يعشش فيها كما فعل فى مصر والجزائر .. تصبح مشكلتها بعد التحرر هى التفتيش عن شىء يستحق التأميم ، ولقد حاول البعث فى سوريا أن يتفادى الاشتراكية نكاية فى الناصرية .. ثم اضطر فى النهاية الى التسليم بانه لا وجود للمجتمع العربى المستقل متنافيا مع الاشتراكية .

لهذا لم تكن اشتراكيتنا ماركسية ، ولا حاجة بها الى أن تنتسب لنظرية غربية ، ونسبها العربى اشرف ، واصولها الاسلامية أعز وأكرم ..

ولو ان الجهد الذى بذل فى التلفيق بين انجازات الناصرية الرائعة وبين مخلفات الماركسية .. قد بذل فى اكتشاف جذور اشتراكيتنا العربية الاسلامية .. لكنا قد قدمنا للبشرية كشفا رائعا.. على أية حال هذه مهمة لابد أن تجد رجالها .. الا أن ما نبحثه هنا هو الخطأ الذى تردى فيه الذين حاولوا أن يدخلوا اشتراكيتنا فى قمقم الماركسية ، فتحطم القمقم فى أيديهم .. فكانوا كاليهود الذين كفروا بالاسلام لأنه لا يجوز أن يرسل الله نبيا الا من بنى اسرائيل .. فخسروا الدنيا والآخرة ..

ولنبدا من ديكتاتورية البروليتاريا ..

لقد واجه ماركس مجتمعا يشكل العمال والرأسمالية فيه القوتين الرئيسيتين .. وهو صائر كما تنبأ ماركس خطأ، الى الاستقطاب عليهما وحدهما .. ولأن الاشتراكية تعنى زوال الراسمالية ، فهى نظرية الطبقة العاملة ، وعندما عدل لينين فى هذا التصور ، لأنه رأى أن تحول الموجيك الروسى الى بروليتارى .. عملية قد تستغرق عدة قرون .. فدعا الى محالفته فى الثورة ، الا أنه احتفظ بقيادة الطبقة العاملة .. ولما كانت فى روسيا اقلية ، فقد بشر بديكتاتورية البروليتاريا ، ودعاها الى فرض ديكتاتوريتها على باقى الطبقات ، وأن تتولى هى تصفية هذه الطبقات ، مساعدة للتاريخ على انجاز مهمته بالشرطة والسجون والمشانق ..

وبعد المؤتمر العشرين ، وانتشار روح التسامح بين الشيوعيين صدرت فتوى تبيح التحلل من ديكتاتورية البروليتاريا ، فانتقلت من دائرة الفرض الى السنة المستحبة .. ومع ذلك مازالت الماركسية مصرة على أولوية الطبقة العاملة ، وكل الذى حدث أن الطبقات الأخرى انتقلت من مرتبة المشركين الذين لا يقبل منهم الا السيف الى دائرة المؤلفة قلوبهم أو اهل الذمة ..

ولكن الاشتراكية العربية رفضت ديكتاتورية البروليتاريا ، لا استنادا الى هذا القرار المسكونى.. بل لأسباب موضوعية وتاريخية .. فالاشتراكية العربية تؤمن أن الاشتراكية قضية قومية ، قضية تعنى كل الطبقات الشعبية .. العمال والفلاحين والمثقفين والقوات المسلحة بل الراسمالية الوطنية .. ومن المؤكد أن حماس هذه الفئات يتفاوت ازاء القوانين والاجراءات الاشتراكية ، بل حتى فى نطاق الطبقة الواحدة تتفاوت المواقف وفقا للأوضاع والمصالح والأفكار والارتباطات .. ولكننا لا نذهب الى القول بان الصواب دائما فى جانب العمال والانحرافات تختص بها الطبقات الأخرى ، ولانربط ربطا ميتافيزيقيا بين الملكية والخطأ .. وهذا الربط هو المسئول عن السياسة اللاانسانية التى تعرض لها الفلاحون فى ظل ديكتاتورية البروليتاريا ، لأنها

اعتبرت الفلاحين أوسع الطبقات ارتباطا بالملكية الفردية ، ومن ثم فهم العقبة الكبرى فى طريق التحول الاشتراكى الكامل .

بينما ترى الاشتراكية العربية أن الفلاح الفقير الذى ملكته الثورة الاشتراكية هو قاعدة النظام الاشتراكى .

ونظرية ديكتاتورية البروليتاريا تعنى وصاية العمال على باقى الطبقات من أجل تصفية هذه الطبقات ، ثم عدلت فى المؤتمرات المسكونية الاخيرة الى رعاية الاخ الاكبر للاخوة الصغار .. وقد أفضت وصاية الطبقة العاملة الى ديكتاتورية حزبها ، وكتيبتها المنظمة ..

ولكن قيادة الحزب الشيوعى لا يشترط فيها أن تكون من أصل عمالى .. اذ أن الماركسية اكتشفت نظرية تجرد الانسان من طبقته وانتمائه لطبقة أخرى ، فالمثقف الذى اعتنق النظرية الماركسية اصبح اكثر تمثيلا لمصلحة العمال من العامل الذى لم يعتنق .. ولما كانت الماركسية قد طبقت حتى الآن فى البلدان المتخلفة حيث فرص الثقافة محدودة أمام العمال .. فقد ظهرت جماعات المثقفين الذين انتقلت لهم حقوق الطبقة العاملة بالوكالة .. وتولوا هم نيابة عنها ممارسة ديكتاتوريتها ..

وقد رفضت اشتراكيتنا نظرية ديكتاتورية البروليتاريا وبالتالى رفضت ديكتاتورية حزبها .. ورفضت وصاية القيادة النظرية ، فلا كهانة ولا كهان فى الاسلام وأيضا فى الاشتراكية العربية .

المتفقه فى الاشتراكية ليس له حق الوصاية بموجب فقهه .. وهذا الفقه ليس صناعة جماعة بعينها .. ان كل عامل أو فلاح يضيف جديدا لخبرتنا ويضاعف انتاجنا له مكان الصدارة فى اشتراكيتنا ولو لم يسمع بماركس أو جومولكا أما ذلك الذى يجيد الثرثرة بالمصطلحات النظرية ، ثم هو كل على مولاه ، أينما وجهه لا يأتى بخير .. يجيد قبض الأجر ، ويختفى عند العمل .. فلا يفيد اشتراكيتنا بشىء ، واستئصاله لا يضيرها ..

لذلك رفضت اشتراكيتنا ديكتاتورية الحزب الواحد ، ورفضت الحقوق المزعومة التى يمنحها الفقه الاشتراكى لدارسيه .. بل اشترطت فى تنظيم تحالف قوى الشعب ، وما يتفرع عنه من تنظيمات وتشكيلات التمثيل العضوى للعمال والفلاحين بنصف المقاعد .. لا لطليعة العمال ولا لقيادتها الواعية كما يدعى الشيوعيون لأنفسهم ..

وكان ستالين يقول : كلما اقتربنا من الاشتراكية كلما ازداد أعداؤنا .. أما نحن فنقول : ان مقاومة أعدائنا تشتد ولكن أصدقاءنا يتكاثرون ويزدادون لأن الاشتراكية كما قلنا هى قضية الشعب كله لا قضية الأقلية المرتبطة بأرقى أشكال الانتاج .. ولأننا عندما نبنى الاشتراكية لا نفعل ما يقوله الماركسيون ننسف المقدسات الموروثة ونتحدى تراث الاستغلال والطبقية التى عاشت آلاف السنين، بالعكس اننا نعيد الأمور الى نصابها الطبيعى ، المتفق مع تراثنا وحضارتنا الاسلامية العربية .. ان الطبقات والارستوقراطية والاستغلال البشع كلها ظواهر دخيلة على حضارتنا وروحنا الاسلامية ..



وفى بعض الأحيان يثنى الماركسيون على الاسلام، ويشيدون بأبى ذر رضى الله عنه ، ويعلنون دائما أن الماركسية لا تتعارض مع الدين ، بل يفتشون عن احاديث ومواقف تؤكد أن بذرة الماركسية موجودة فى الاسلام .. وليس ذلك هو ما تقصد اليه ، فذلك من قبيل الفتاوى التى كانت تستخرجها شركات التأمين ، وصندوق التوفير ، قبل مباشرة عملهم فى الجماهير المحافظة ..

ليس ذلك ما نعنيه .. انما نعنى أننا ونحن نبعث حضارتنا العربية الاسلامية تأتى الاشتراكية كنظام اقتصادى مجرد ظاهرة طبيعية وجزئية فى هذه الحضارة ..

من هنا كانت اشتراكيتنا ليست ماركسية، لأننا اكبر من ماركس ، وحضارتنا أشمل وأعظم .

وقد يعترض على استدلالنا بأصالة عروبتنا واشتراكيتنا من مجرد فشل الماركسية فى الوطن العربى ، وقد يقول المعترض ان هذا الفشل لايقتصر

على العرب ، بل يكاد يكون ظاهرة عالمية ، فالملاحظ انه منذ النصف الثانى من القرن العشرين ، لم يعد للاحزاب الشيوعية دور يوازى استمرارها ، لا فى الثورات الوطنية ولا فى التحول الاشتراكي ولا حتى فى اعتناق الشيوعية ٠٠ فالاشتراكية تقوم بمعزل عن الحزب الشيوعى ، واحيانا ضد كفاحه وجهوده ٠٠ وهاهو خالد بكداش يبرق مهنئا مرة بالغاء الاشتراكية ، ومرة أخرى باعلانها ٠٠ مؤكدا أن الشيوعيين قد أصبحوا كقبيلة «تيم» يقضى الأمر حين تغيب ولا يستشارون وهم قعود ! ٠٠ بل حتى فى حالة كوبا ، نرى أن اعتناق الشيوعية قد تم بمعزل عن الحزب الشيوعى ، بل بعد تصفيته ، ومن جانب السلطة ، وبدافع ظروفها الشائكة ، وهى بين فكى الاستعمار الامريكى الذى لا تردعه الا القوة ٠٠

فالتجربة العالمية تشير الى انه ليست الاشتراكية فقط هى التى يمكن أن تبنى بدون الشيوعيين ٠٠ بل حتى الانتماء الى المعسكر الشيوعى لا يحتاج الى ترخيص من الحزب الشيوعى ، بل يتم دونه ٠٠

هـــذا صحيح ٠٠ فظاهرة العـــزال الاحزاب الشـــيوعية عن التطور الثورى ، اصبحت ظاهرة عالمية ٠٠ ومع ذلك فان اعلانها كان فى القاهرة ، وعلى يد جمال عبدالناصر الذى منح البشرية الطريق اللاماركسى للتحرر الوطنى والاشـــتراكية ٠٠ لأن جمال عبد الناصر هو ابن الأمة العربية البكر ٠٠ ولأن العروبة أكبر من الماركسية ٠

« محمد جلال كشك »

قسماً بمن قسم الجمال

للشاعرة الدكتورة : عاتكة الخزرجي

متعت بالعام الجديـد وغدوت من عيـد لعيـد
يا سـيدى تفديـك روحى من قـريب او بعيـد
وتظل تـرعى وجهـك المعبـود مـن بين العبيـد
اهواك اهوى الحسـن اهوى الله في خلق جديد..!
في آيـة رفـرافة القسـمات مشرقـة الخـدود
هـذا فؤادى لم يحـد عن عهـد حبك او قصـيدى
قسـما بمن قسم الجمـال بوجنتيـك بلا حـدود
بالسـحر في عينيـك فى شـفتيك بالدر النضيـد
بالحب في جنبى رف بحـرمـة العهـد الاكيـد :
انى احبـك سـيدى أو بعـد هـذا من مزيد ؟

ثائر من غفار

بقلم : محمد عبد الله السمان

من كان يدرى أن أعرابيا من غفار قبيل الدعوة الاسلامية سيكون له شان وأى شان ؟

شان سيضعه فى مصاف عظماء التاريخ ، الذين أسسوا أجيالا ، وأقاموا دولا ، وانشأوا مجدا ٠

ان مثل هؤلاء العظماء قاموا بما قاموا به ، ومن خلفهم أتباع يأتمرون بامرهم ، وأشياع يستجيبون لاشاراتهم ،ولديهم امكانيات من القوة والمال ووسائل الاعلام ، ولكن أباذر الغفارى أو جندب بن جنادة ، تربع على قمة التاريخ ، بجهوده وحدها ، وبايمانه وحـــده ، امتزج العزم الصادق بجهوده كما امتزج الاخلاص العميق بايمانه ، فقاوم وحده حـــكما فى المدينة على رأسه ثالث الخلفاء الراشدين ، وحـــكما كذلك فى الشام ، وما قاوم الحكم الأول الا لأن فيه محاباة لذوى قرابة الخليفة وعصـــبيته ، وما قاوم الحـكم الآخر الا لأن فيه ترفا فى المال ، وضـــياعا لحقوق المسلمين ، ولم يـــكن النفى أو التشريد ، أو الاضطهاد ، ليثبط من عزيمة أبى ذر ، أو ليضعف من قوة ايمانه ، أو ليوهن من ثقته فى ربه ٠

***

ان لقب « ثائر » أوثق الألقاب صلة بأبى ذر ، فلم تكن الثورة فى نفسه وليدة الاســـلام ، ولا نتيجة لانحراف حكم عثمان ، ولا ثمرة لطغيان ملك معاوية، ولكنها كانت مستقرة فى نفســه قبل الاســـلام بسنوات ، كانت ثورة على «مناة» الالهة التى قدستها قبيلة غفار ، واعتمدت عليها فى حاضرها ومستقبلها، أو ثورة على الأصنام التى اريد لها أن تهيمن على حياة الناس ، وهى مغرقة فى بلهها ووجومها ٠٠

كان أبو ذر يحن دائمــا الى اليقين ، وقد ازداد حنينه الى اليقين منذ الساعة التى أمسك فيها حجرا ، ورمى به « منـــاة » وهو يقول لهـــا : « انك عاجزة لا قادرة ، مخلوقة لا خالق ، لا حول لك ولا قوة ، فعلام تعبـــدين ؟ ولم تنحر العقـــائر وتقدم اليك القرابين ؟ ان قومى فى ضلال مبين » ثم جلس يفكر فى مبدع السموات والأرض وخالق ســائر الكائنات الحية ، حتى أيقن بأن هناك الها قادرا أعظم من اللات والعزى ومناة ، واساف وسعد ونائلة ٠

ولم تكد تظهر طلائع النور المحمدى ، حتى بادر بارسال أخيه « أنيس » يستطلع الخبر من مكة ، ولما لم يشف أخوه غليله ، قصد الى مكة بنفسه ، والتقى هناك بمحمد ، صلى الله عليه وســـلم فلقنه عقيـــدة التوحيد ، وكان خامس خمسة فى الاسلام ، بعد خديجة وزيد ، وعلى وأبى بكر ٠٠

وهنا يعاود أباذر الحنين الى طبيعة الثورة التى ثارت فى نفسه ، فقد كانت الدعوة سرا ، والايمان بها مستورا ، وعلى الرغم من أن الرسول أوصاه بأن يكتم هذا الامر ، ويرجع الى بلده ، حتى اذا بلغه ظهور الدعوة أقبل ، الا أن أباذر صارح الرسول بقوله : « لا ٠٠ والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم » ثم قصد المسجد وقريش فيه ، وصـــاح بأعلى صوته : يا معشر قريش ، انى أشهد ان لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورســـوله ٠ ولم يفلته من أذى القوم الا صرخات العباس فيهم :«ويلكم تقتلون رجلا من غفار ، وتجركم وممركم على غفار ؟ »

هناك حادثة أثرت فى حياة أبى ذر ، وعقدت فى نفسه الايمان بالمساواة بين الناس فى مجالى الآدمية والانسانية ، لقد عير ذات يوم بلالا بأمه ، ولم يكد يبلغ النبى الخبر حتى قال له فى أول لقاء : « ياأباذر، بلغنى اليوم أنك عـــيرت أخاك بامه ، فقال : نعم ، فقال له الرسول : يا أباذر ، انك امرؤ فيك جاهلية ، يا أبا ذر ، ارفع رأسك ، فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود الا أن تفضله بعمل »

ولم يملك أبو ذر الا أن يطاطيء رأسه ، ويضطجع ويقول لبلال :

« قم ، فطا على خدى » فاسرع بلال اليه ، وعانقه وعفا عنه .

ان هذه الحادثة حولت مجرى حياة أبى ذر ، وغرست فى قلبه ايمانه بالانسان ، والهبت فيه الثورة فيما بعد ، حينما رأىعثمان يفاضل بين الناس ويؤثر عصبيته بالمال والجاه على غيرهم ، وحينما رأى معاوية فى الشام يأخذ بمظاهر الترف فى أحوال لاحق له فيها الا كواحد من عامة المسلمين .

❊ ❊ ❊

ان بعضا من الناس يأخذ على أبى ذر حدته فى ثورته ، دون مراعاة لما قد يترتب من وقوع فتنة تهز كيان الدولة الاسلامية الناشئة ، وهذا البعض يفوته أن أواخر حكم عثمان ، انحرف الحكم عن جادة طريق الاسلام ، بسبب المحاباة فى الجاه والمنصب ولو لم يوجد أبو ذر لقامت الثورة على عثمان وأودت بحياته ، وقد حدث ، كما يفوت هذا البعض أيضا ، ان حكم معاوية فى الشام أخذ بكل مظاهر الترف والسرف والفساد ، وبدت طلائع الطبقية والاقطاع تأخذ مكانا مرموقا فى المجتمع ، ولعل هذه القصة القصيرة تعطي الصورة الصادقة لما كانت عليه الحياة وقتئذ :

قال مروان بن الحكم لوكيله ـ وكان أحد الولاة ـ : انك تخوننى ، فأجابه وكيله : أجل ، أنا أخونك ، وانت تخون أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين يخون الله والمسلمين .

اذنفماذا كان يملك أبو ذر الا أن يثور على أوضاع لا تمت الى الاسلام بصلة ، ولم تكن ثورته لتشوبها شائبة ، لأنه لم يكن يطلب لنفسه شيئا ، وانما كان يطلب للفقراء حقهم الذى فرضه الله من أموال الأغنياء ، وايمانه بهذا الحق منحه عزيمة لا تهن ، وتصميما على السير فى ثورته ، لايهتز ، لقد نهاه الخليفة عثمان عن أن يختلط بالناس فى المسجد ، ولكنه جلس فى المسجد يفتى الناس ، وحين قال له قائل : ألم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا ؟ رفع رأسه ثم قال له : أرقيب أنت على ، لو وضعتم الصمصامة على هذه ـ وأشار الى قفاه ، ثم ظننت أننى أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله قبل أن تجيزوا على لانفذتها .

لم لم يثر أبو ذر فى عهدى الخليفتين الراشدين : أبى بكر وعمر ؟ ذلك لان العدل الاجتماعى كان قائما على قدم وساق ، فلما اهتز فى عهد الخليفة الثالث شهر أبو ذر ايمانه ليثبت دعائم العدل الاجتماعى .

❊ ❊ ❊

ان ثورة أبى ذر لم تكن دعوة جديدةالى الاشتراكية لان الاشتراكية مبدأ مقرر فى الاسلام ، تضمنتها روحه وأصوله ، ولكنها كانت دفاعا عن هذا المبدأ الانسانى المقرر ، ومساندة له من أن يهتز أويتقوض ولذلك قامت ثورته على دعامتين :

الاولى : تنمية احساسات الاغنياء عن طريق الوعد والوعيد ، والأخرى تنمية مشاعر الفقراء عن طريق بث الايمان بحقوقهم التى فرضها الله لهم .

واستطاع بذلك ـ مع ايمان قوى ، وعزيمةصادقة وشجاعة مستوفاة ، أن يقاوم الحكم وحده ، حين رآه يتغاضى عن العدل الاجتماعى وهو يترنح من ضربات الثراء الفاحش ، وصرخات العدم المترب .. !

رحم الله أبا ذر ، وصدق رسول الله :

« ما أقلت الغبراء ، ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبى ذر » .

« **محمد عبد الله السمان** »





تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الاشتراكية فى مؤتمر الأدباء العرب

جاء الى بغداد ممثلو الأدباء العرب فى جميع الوطن العربى ، ومن همهم أن يضموا طارفا الى تليد فيستأنفوا عهدا جديدا تعيش فيه بغداد الجديدة فى وجدانهم بمن فيها من ادباء واهل فكر معاصرين وما ينتجون من أدب تختلج به مشاعرهم الجديدة وحياتهم الجديدة ، كما كانت — بغداد — كذلك فى عهودها السالفة . **فما من اديب عربى اصيل فى ثقافته العربية الا قد عاشت فى وجدانه بغداد العباسية بما كانت تزخر به من فكر وحضارة هما تراثه الخالد والجذر الذى يتفرع منه — الأديب العربى المعاصر — ويورق ويزهر ويثمر .**

حتى المعالم المادية ما تزال قائمة ..

هذا مثلا قصر المتوكل فى سامراء (**سر من رأى**) لا يزال بعض بنيانه قائما يتحدى الزمن وبجواره « **البركة** » الخالدة فى شعر الشعراء ، تبخرت مياهها وذهبت ولكن ما قيل فيها من شعر لن يذهب أبدا .

جاء الأدباء العرب الى بغداد العربية العريقة **كى يستأنفوا عهدا جديدا يشعرون فيه بالامة العربية كلها ، الامة العربية التى تنبعث وتتوثب من جديد ، كى ينبض فى تعبير كل ما تنبض به الآن وما تتوثب اليه من تحرر وما تتطلع اليه من بناء .**

استيقظت الامة العربية وتحفزت للانطلاق يقودها الساسة والزعماء، فليس من طبيعة الامور أن يتخلف أدباؤها عن الركب ، بل عليهم أن يحملوا فى المقدمة مشاعل الفكر التى تنير السبيل وتوضح معالم الطريق .

ها هم اولاء قد لبوا ، انهم يجتمعون الآن كى ينطلقوا بالوطن العربى الكبير فى مجال الفكر والشعور . انهم أولا يتعارفون كى يترابطوا ويتجاوبوا ، بعد طول تباعد وتفرق ، وينظرون ثانيا فيما ينبغى عليهم أن يصنعوه لأمتهم فى هذه المرحلة من حياتها الخالدة ، **مرحلة التحرر والبناء** .

اقبلوا من كل بلد عربى وقد أخذوا على عواتقهم أن يبحثوا «**دور الادب فى معركة التحرر والبناء** »

هاهم اولا يلتقون ويتعارفون ... الواحد منهم يقول للآخر : **قرأت لك ، انى أعرفك من قبل ، انى الآن سعيد برؤيتك** . وفى نفس كل منهم أن يكون دائم الوجود فى خلده ، أخا كريما لأخ كريم ، وابنا بارا لأمة عظيمة تفتح ذراعيها لأبنائها المتوثبين لاعلائها واحلالها المكان الجديرة به فى العالم الذى صارت فيه الآن «**العالم الثالث**» بعد أن كانت شيئا مهملا بالنسبة الى العالمين الآخرين .

وكان فالا حسنا من اسم القاعة « قاعة الخلد » ببغداد التى احتفل فيها بافتتاح مؤتمر الادباء العرب الخامس يوم الاثنين الماضى (١٥ شباط — فبراير ١٩٦٥) حيث ألقى كلمة الافتتاح الرئيس **عبد السلام محمد عارف** ، وتوالى بعده ممثلو سبع عشرة دولة عربية وجامعة الدول العربية .

وتألفت اللجان بعد ذلك ، وانعقدت حلقاتها فى **قاعة الشعب** ، وهى قاعة أخرى غير قاعة الخلد ، وهما مخصصتان لمثل هذه الاجتماعات .

وكان موضوع المؤتمر الرئيسى كما ذكرت هو «دور الادب فى معركة التحرير والبناء » ، وقد تفرع الى اربعة موضوعات اختصت بكل منها لجنة وألقيت فيه

بحوث ودارت مناقشات فى اللجان وفى اجتماعات جمهورية عامة ، والموضوعات الاربعة هى : **الادب والثورة ، والادب والبناء ، والادب والتراث ، والادب وفلسطين** • والفت لجنتان أخريان ، احداهما لوضع **قانون اتحاد الادباء العرب** ، والاخرى لحقوق التاليف واتحاد الناشرين •

ولم تظفر الاشتراكية بلجنة خاصة ، وان كانت تدخل ضمن موضوع «الادب والبناء» ومع ذلك فقد ظفرت بثلاثة بحوث خاصة طبعت ووزعت على الاعضاء، أولها : « الجذور التاريخية للاشتراكية العربية » للدكتور عبد العزيز الدورى مدير جامعة بغداد ورئيس المؤتمر ، والثانى « المفاهيم القومية الاشتراكية » للدكتور ياسين خليل ، والثالث : « الأدب والاشتراكية » للأستاذ مصطفى الفارسى •

وظفرت الاشتراكية بكلمة طيبة من الرئيس عارف فى افتتاح المؤتمر اذ قال يخاطب الادباء : **افهموا أبناءنا أن اشتراكيتنا اشتراكية عربية اسلامية منتزعة من عقيدتنا وتقاليدنا وعاداتنا وتراثنا • انها عدل ومساواة ، انها تكافؤ فرص لأبنائنا كلهم ، انها تقضى على الاحتكار الممقوت والاستغلال المزرى ، وتفتح آفاقا لمواهب الفرد كى تظهر وكى يعمل ويعيش عيشة كريمة** •

وبحث الدكتور عبد العزيز الدورى هو بحث قيم ، ولست أدرى لماذا لم يلق فى الاجتماعات العامة ويناقش ، كما حدث بالنسبة للبحوث الاخرى التى هى دون مستواه وأقل منه جدوى •• قد يكون ذلك راجعا الى تواضع الرجل وعدم شهيته للتظاهر •• ولشمول الفائدة أذكر شيئا من هذا البحث :

بدأ الدكتور الدورى ببيان ضرورة **أن ينبثق الفكر الاشتراكى العربى من التراث والواقع وأن الفكرة لن تستقر وترسخ الا اذا انطلقت من الواقع ووجدت جذورها فى التراث ، والا اذا كانت تحقيقا لآمال الامة وتجسيدا لأمانيها** • وتساءل عن المفهوم الذى تنطوى عليه الاشتراكية العربية وعن سبب نعتها بأنها عربية •• هل نعتبر التطبيق أساسا للتسمية فتصف كل تطبيق اشتراكى باسم البلد الذى يطبقه؟ ان هذا الاتجاه يفترض أن الاشتراكية واحدة حيثما وجدت • وانتهى من هذا التساؤل الى رفض هذا المفهوم لأن الاشتراكية نظام كلى له قيمه ومفاهيمه النابعة من الارث الحضارى ومن الذات • **وقال ان الاشتراكية العربية ليست صورة أخرى للماركسية، وانما هى انبعثت من واقع الامة العربية ومن ارثها الحضارى** ، وهذا لا يعنى عزلتها ، بل فى الوقت نفسه تستفيد من خبرات الامم الاخرى ومن نتاج الفكر الانسانى لاغناء ذاتها ، فهى مع جذورها الماضية مفتوحة على خبرات العصر الحديث وعلمه •

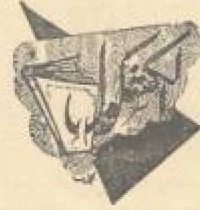
وبعد مقارنة بالماركسية ، وبحث متفطن لأدوار الصراع التاريخى فى المجتمع العربى بين القوى المستغلة والقوى المكافحة وما تخلل ذلك من اتجاهات شعوبية حاولت أن تأخذ دور الكفاح الشعبى على يد بعض الطوائف الدينية وغيرها ، وبعد القاء الضوء على ما عرفه المجتمع العربى فى بعض العهود من الخدمات التى كانت تقدمها الدولة لفئات الشعب كانشاء المستشفيات والعلاج المجانى ، والوقوف الخيرية الواسعة ، ومكافحة الغلاء وتخفيض الاسعار، وتسليف الزراع ، وتخفيض الضرائب على أنواع من البضائع المستوردة ، ومكافحة الاحتكار ، تحدث عن المفاهيم التى كانت وراء تلك الاعمال ، وهى المفاهيم العربية الاسلامية ، فأوضحها فى عدة أشياء : **انكار الاستغلال واكتناز الاموال ، وتحريم الربا باعتباره أبشع ضروب الاستغلال ، وتأكيد الاسلام لقيمة العمل والحث على الكسب بطرق شريفة ، وتقليل الفروق بين المرتبات ووضع حد أدنى لها يكفل الضرورى من العيش ، واعتبار الاسلام أن الموارد الطبيعية الرئيسية ملك مشترك للأمة ، وتركه الى جانب ذلك مجالا للنشاط الفردى ، وتقسيم الميراث وعدم حصره فى وارث واحد كما حصل فى المجتمعات الاخرى** •

واهتم الدكتور الدورى بايضاح أن ذلك لايعنى البحث عن مبررات الاشتراكية فى التراث أو فى أحداث التاريخ العربى الاسلامى ، وقال ان الحياة الجديدة لا تبنى بالتأملات النظرية ولا تقوم بالآراء المجردة ، بل هى عملية تجديد عضوى وبناء متصل ، انها تنبعث نتيجة تفاعل عاملين أساسيين ، **أولهما عامل الوعى الذاتى الذى لايخبو أبدا ، وثانيهما التحديات التى يتعرض لها الوعى** •

وختم الدكتور الدورى بحثه القيم بقوله :

ان العـــدالة الاجتماعية التى ننشدها تتمثل فى الاشتراكية العربية ، وهى حصيلة مثلنا وقيمنـــا ومبادئنا الانسانية فى تفاعلها الايجابى مع واقعنـا وفى سبيل المجتمع الجديد الذى نريد ، مستفيدةفى تطبيقاتها من تجارب البشرية وتطورها العلمى ٠

أما الموضـــوعات الاخرى التى بحثت فى المؤتمر فسنتناولها واحدا واحدا فى الاعداد القـــادمة ان شاء الله ٠



● برز من خـــلال المناقشـــات فى البحوث بالاجتماعات العـــامة **تياران تصارعا** ٠٠ أحدهما يرمى الى تصوير الذات العربية وارثها فى صـــورة مجملة مزينة ، والآخر يرى المواجهة الواقعية والنظرة الموضوعية ولو كان فيها تعرية وكشف للنقـــائص ٠ **وتطرف الطرفان أكثر من اللازم وافتقدنا الوسط ٠**

● **كانت اللغة العربية هى قوة الجذب السـحرية بين أبناء وبنات سبع عشرة دولة تمتد من الخليج الى المحيط** ، ماكان احد يشـــعر أنه غريب عن الآخر ٠ وبرغم ذلك ظهر الجهل بواقع الحياة الادبية بين البلاد المختلفة بل المتفقة ٠٠ وكان الجميع يرددون أن أهم ما يحققه المؤتمر هو التعارف والترابط ٠

● لذلك كان من أهم ما اتجه اليه المؤتمر وقرره، **مشروع قانون اتحـــاد الادباء العرب** ٠ وقد أوصى المؤتمر الامانة العامة لجامعة الدول العربيـــة بعرض قانون الاتحاد الذى وضعه المؤتمر على مجلس الجامعة لاقراره ٠

● أهم المثاليات الفكرية التى برزت فى المناقشات وضغط عليها وتحمسلها الجميع ، وأوصى بها المؤتمر **ان تظل جهودنا الادبية فى هذه الحقبة الثورية من حياتنا الحاضرة نابعة بالدرجة الاولى من وعى عميق بتراث الامة العربية وقيمها، حتىتظل لها شخصيتها المستقلة المتميزة ، التى تعينها على مواصلة ادائهـا لرسالتها الانسانية والحضارية** ٠ مع اغناء أدبنـــا فى نهضته الحديثة بالافادة من جميع التجــــارب الانسانية فى مضمار الادب والفن ، فيفتح لها نوافذه ليأخذ منها ما يثريه وما يساعده على تأصيل ذاته ٠

● فى مهرجان الشعر ألقيت قصائد جيـــدة من مختلف البلدان العربية ، وتميز العراق بمســـتواه العالى فى الشعر ٠

● ألقيت فى المهرجان **قصيدة من الشـــعر الحر** ، القاها الشاعر على صدقى عبد القادر (من ليبيا) وقد قدم لها برجاء أن يفسح المستمعون لها صدورهم ففعلوا وأحسنوا استقبالها ٠

● كانت بغـــداد والاشـــادة بعراقتهـا الأدبية وحاضرها المجيـــد قبلة الشـــعراء فيما ألقوه من قصائد ٠

● من أهم توصيات المؤتمر **ان يوجه الادباء عنايتهم الى القاعدة الشعبية وتعميق أغوارها من الناحيـــة الفكرية لايقاظ الوعى العربى على أوسع نطـــاق** ، حتى يواجه الشعب العربى مشكلاته بفهم وصـــدق تأكيدا للكيان العربى الاشتراكى الوحدوى الجديد ٠

● ومنهـــا ضرورة توضـــيح الاطـــار الفكـــرى للاشتراكية العربيـــة ، والتأكيد على التراث العربى والاسلامى فى بنائنا للاشتراكية العربية ، **والتمييز بين اشتراكيتنا والاشتراكيات الأخرى ٠**

● ومنهـــا أن يعنى رجال الفكر والادب بالادب العربى الذى يخدم فكرة القومية العربية والاشتراكية والوحدة فى كل عصر وفى كل قطر جمعا ودراسة٠

● ومنها تحاشى استعمال عبارة « **شعوب عربية** » فى الدلالة على الامة العربية أو الشعب العربى ٠

● ومنها تشجيع الانتاج الادبى والفنى الذىيتجه الى الشباب فى موضوع الاشتراكية العربية والوحدة العربية ٠

● ومنها تيسير تداول الكتاب العربى بين الدول العربية بمختلف الوسائل ٠

● ومنها ضمان حقوق مؤلفى النصوص الادبيـــة التى تستغل وتؤدى بالوسائل الفنية الاخرى كالغناء والتمثيل ، من الناحيتين المادية والادبية ٠

● ومنها اعفاء الانتاج الادبى من الضرائب بجميع اشكالها ٠

● فى اليوم الاخير من أيام مهرجان الشعر وردت رسالة من حكومة الكويت بأن الامير عبد الله السالم الصباح حاكم الكويت تبرع بثلاثة آلاف دينـــار لاتحاد الادباء العرب ٠

« **عباس خضر** »



حول طريقة جديدة للتصور

اذا كان يوجد عند الانسان الغربى تصور كامل للكون وحركة الانسان فى الحياة ، واذا كان هذا التصور يوجد عند الانسان فى المعسكر الشرقي، بل عند البلاد التى تتكىء على حضارات قديمة مثل الهند ·· فان من الواجب علينا أن نقف وقفة نمسح فيها المنطقة العربية ، وقد تمتد النظرة فتشمل المنطقة الاسلامية ، فاذا عرفنا أننا نريد أن نقف على وجهة نظر هذا الانسان فى الشعر أدركنا أننا ندخل غابة متشابكة ، وأننا قد نخرج من هذه الغابة دون أن ندرى عنها شيئا غير أنها مليئة بالأشجار !

ومع هذا فنحن نزعم أن هناك تصورا خاصا بالانسان الذى عاش فى هذه المنطقة ، وأن هذا التصور قد أثر على القصيدة العربية ·

فالانسان العربى كان يحس بالزمن ، ويطيل التأمل فى طبيعة الحياة من حوله ، ويريد أن يتعرف بحسه الأشياء ، وكان يبالغ فى بعض المثل والتقاليد التى كان يأخذ نفسه بها كالكرم والشجاعة والغضب ، كما أنه لم يعرف تماما الانانية والانغلاق.

·· فالصورة التقليدية للانسان العربى هى صورة الانسان التاجر الذى يعرف للاقتصاد قيمته ، والذى يعرف كيف يؤمن الطريق ويصل نفسه بالدول المجاورة ويتعاون مع الذين يقدمون على بلده ·· وبعبارة أخرى هى صورة الانسان المتحرك خارج اطاره ، والذى لم يكن يجلس ليأتيه الرزق ، وانما يضرب فى الأرض من خلال « رحلة الشتاء والصيف » فى كل عام ، وهو فى اثناء هذا يجد نفسه مضطرا الى الاحتكاك بالناس وبالأشياء خارج الوطن ، وهو عادة لا يضرب فى الأرض وحده ، وانما يكون معه فى الغالب صديقان أحدهما يقوم بحراسة القافلة من الخلف بالعينين المفتوحتين ، والثانى يحرسها من الأمام بالغناء ، ولعل هذا يوضح المطالع التى ترتكز على : « خليلى » و « قفانبك » ·

ثم انه وقد كتب عليه أن يعيش وسط الجدب ، وأنه لا بد له من السعى الى الرزق ، وأنه فى سعيه يضطر الى أن يغادر حبيبة وزوجة واولاداً وأبا وأما وأمكنة بعينها ، ورؤى كانت لاتكف عن التحديق فى عينيه ، ومن هنا نراه دفاق الحنين ، ومشبوب القلب ، وقادرا على أن يعطى فى شعره دائما الانتقالات السريعة ، والصور البصرية ، والاحساس بأنه يبحث

عن شيء ، ولعل هذا هو الذي جعله بعد ذلك يلتفت دائما الى هذا الشيء الذي يتصوره بكارة الحياة ونضارة العمر ، والذي يمكن أن يمثل الآن بالاخضرار الذي يلتفت اليه الشعراء الذين تركوا القرية الى المدينة ، والذي لا يزال يعتبر قوتا أصيلا في الأدب العالمي !

وعلى كل فالانسان العربي عرف كيف يستشرف الحياة من حوله ، وعرف كيف ينعم بالحرية ويتعامل معها بعيدا عن الخوف والتردد والملل والزهد وعشق الذات .

ثم جاء الاسلام فاذا الوطن لا يصبح مكانا بعينه، وانما يصبح الاسلام هو الوطن الحقيقي للمسلم ، واذا به ينعم عليه بجناحين يرفعانه عن الأرض ويجعلانه يحتك بالكون ، وبالقوى الكبيرة ، واذا به يرفع وصاية الحاكم والطبقة عن نفسه ، واذا به يجعل للسماء نصيبا في روحه ، واذا هذا التعادل الذي يوائم بين حاجات الروح والجسد ، والذي لا يجعله حيوانا أو ملاكا وانما يجعله انسانا يحقق انسانيته بكل مضيء وضروري في الحياة .

وما هو الا زمن قليل حتى يجد هذا الانسان نفسه يتعامل وجها لوجه مع الحضارات القديمة كالفارسية والرومانية والمصرية والبربرية والأسبانية، واذا بهذه الحضارات تحاول أن تستنفده لصالحها ، واذا بما يسمى بقانون التقاء المدنيات يأخذ شكلا حادا في هذه المنطقة ، ولكن هذا الانسان العربي - **في المنطقة** - « يبتلع » هذه الحضارات ، ثم يهضمها جميعا ، ثم يساعد على خلق الانسان الجديد الذي يتكلم لغته ، والذي يتنفس في مناخه الثقافي، ومعنى هذا أن الحضارة الاسلامية كانت تحمل معها معنى بقائها ، وأنها كانت تكون انسانا جديدا يستطيع أن يصمد لانه يضم بين جنبيه الانسانية بمعناها المتجدد ، ثم أنه اثبت في فترة من الفترات - وهو قريب عهد بالبداوة - انه الانسان الوحيد الذي يضم يده على حكمة الكون ، وأنه كان لا بد للغرب أن يأخذ منه كلمته ثم يمشي !

ثم توالت الاخطاء في التطبيق ، وظهرت فترات السقوط التي كانت تتبعها دائما فترات التعويض ، بظهور دمشق ، وبغداد ، والاندلس ، والقاهرة .

ثم بظهور الهند بعد هذا ، ومعنى هذا أنه كان هناك - على طول الرقعة الاسلامية - من يحمل الشعلة ، ثم يتركها ليد أخرى ، ومعنى هذا أيضا أن الحضارة الاسلامية قد استمرت متجددة حتى نهاية القرن السابع عشر .

ثم كان الليل الطويل ، وكان اتساع الشقة بين هذا الوطن الكبير ، وكان التقدم الأوربي على جثة الأتراك ، وكانت التصفية لصالح الغرب !

والانسان في هذه الفترة وما بعدها لا يعدم اللسان الرطب الذي كان يتردد من خلال الحضارة الاسلامية لا في المنطقة العربية فقط ، ولكن على طول المنطقة الاسلامية كما يوجد في شعر جلال الدين الرومي ، وفريد الدين العطار والفردوسي والسعدي وأنوري ، ثم أخيرا محمد اقبال ومحمد عاكف .

وليس لهذا من معنى غير أن اللسان العربي قد جف ، وأخذ يردد ما كان يقوله في الماضي ، ولكن ألسنة أخرى أخذت تردد أصواتا عميقة باسم الثقافة الاسلامية ، ومعنى هذا مرة ثانية أن هذه الحضارة قد وجدت دائما من يعبر عنها كأعمق ما يكون التعبير ، ومع أنا نخطيء حين ندير بأعيننا في المنطقة العربية لنبحث عن صوت عظيم في هذه الفترة الا أن مما لا شك فيه أنه كان يوجد دائما صوت عظيم يتكلم باسم هذه الثقافة الاسلامية في مكان ما على ظهر الأرض !



ثم يطل العصر الحديث على المنطقة العربية، وتعمل هذه المنطقة على عودة النقاء الى صوتها الأول ، وتجد نفسها متعثرة في أول الأمر ، ولكن هذه النضارة لا تلبث أن تشق طريقها في صوت البارودي وشوقي وحافظ ، ولكن البعض يحاول أن يخفي هذا الصوت بالحديث عن الفرعونية او العامية أو بعدم مد الاهداب الى الحدود العربية وما وراءها ، ولكن هذا الصوت يعرف كيف يشق طريقه ، وكيف يصبح صوتا ملحا على بعض المفكرين ، ولعل هذا يوضح كيف تحول العقاد وطه حسين وهيكل والزيات الى الكتابة عن الاسلام ، وعن الأدب العربي بصورة تكاد تكون واضحة وجريئة في الوقت نفسه بالاضافة الى الاسهام الذكي الذي قام به الرافعي وأحمد أمين في هذا

الميدان ، ذلك لأنهم كانوا يحسون ان هذا الطريق هو الطـريق الطبيعي لمصر ، وأن أى وقت تصرفه خارج هذا الطريق هو وقت ضائع • ومجهود عقيم !

ولعل سلامه موسى قد شدد الهجوم على أكثرهم، وأراد تقييمهم من خلال اسماء الكتب التى أصدروها لانه كان يدرك هذه الحقيقة ، التى لا تزال تخفى على الكثيرين اليوم ! ولانه قد أحس منهم هذه الالتفاته، فكان أن قال فيهم ما قال ، وكان أن ما زلـنـا نردد ما قاله فيهم بنفس الحماس الذى قال به •

***

ونحن لا نذهب بعيدا حين نزعم أننا فى موقف الآن يشـبـه فى بعض الوجوه هذا الموقف القـريـب الذىأشعر هؤلاء الكتاب بالتحدى ، وباننا يجب أن نقف الآن وقفة جديدة تتفق مع ظروف هذه الأيام ، وتنبع فى الوقت نفسه من الدوائر الثلاث التى حددت فى كتاب فلسفة الثورة للرئيس جمال عبد الناصر •

ومهما يكن من شىء فنحن الآن منقسمون فى ميدان الشـعـر ــ على الصعيد العـربى ــ كاعمق ما يكون الانقسام ، فهناك بعض الشعراء الذين يقفون عند الماركسية ، والذين يلونون شـعـرهم بمضامينها ، والذينيسمحون لأنفسهم أن يقفوا منقضية فلسطين موقفا معاديا ، فاذا ما كسر بعضهم الصمت وتكلم عن هذا الجرح كان كالسائح الذى لا يزيد عمله عن أن يلتقط صورة ، أو يلقى تعليقا سريعا أقرب الى الشماته منه الى الحزن !

وهناك البعض الذى لا تلتقط أذنه الا كل مايصك الأمة العربية أو يأخذ بخناقها ، أو يقدم الناس فيها فى صورة أغربة تنعق فى صحراء كبيرة ، على نحو ما يحب بعض الكتاب تقديم هذه الأمة •

ولقد شق **الفريق الاول ــ كالسكين ــ** طريقه فى الوجود العربى ، وكان أن رأينا شعرا جهيرا يتكلم عن الانسـانية العالمية والخنجر مغروس فى قلبه أو قلب أخيه، ثم رأينا هذا الشعر يحاكم الاله ويشنقه، ويسخر من الشخصيات المضيئة ، ومن الحضارة ، فاذا حدقنا أكثر فىحقيقة هذا الشعر وجدناه يخاصم القيم الكبيرة كالطبيعة ، والحب ، والدين ، والزمن، وفىالوقت نفسه نراه يتعامل مع الخونة، واللصوص، واللوطيين ، والمنحرفين ، أو نراه يرضع الفجور من ثدى أمه ، أو يتغذى من لبان الرذيلة على حد قول بعضهم مفتخرا ، ولقد وجد هذا الفريق من النقـاد المفسر ، والمهلل ، والمؤمر !

ثم كان الفـريق الثـانى الذى شق ــ **كالتيـار البارد** ــ طريقه فى عقول الناس ، والذى رأيناه ينزل المعركة بعدة أسلحة كان فى مقدمتها سلاح الدين ، واذا به يرفض كل ماله وجه عربى ، واذا به يحول الحيـاة الى مقبرة كبيرة تغص بالصلبـان ، واذا به يعانق السنام ، ويطالب بتعدد الآلهة ، ويجعل لكل شىء رمزا ، ولكل رمز رمزا !

ثم هناك فريق ثالث لا ينجو من اللوم ، بل ان عليه من اللوم أضعاف ما يقع على الفريقين السابقين، لأن الفريقين عـرفا كيف يلتزمان ، ويدافعان عـمـا يلتزمان به كما عرف أن يجندا وراءهما العدد الكبير من النقـاد •• ولكن هـذا الفريق الثـالث وقف مشـدوها امام الصراع الدائر ، ولقـد وصلت به الدهشة الى حد الصمت ، والى تقليب التراث بين الحين والحين ثم اجتراره ، واغماض العينين من فوقه، فاذا ما تنبه فلكى يتسلم بطاقة ليقول قصـيدة فى مهرجان ، أو فى ندوة •

ولعل الصراع كله لم يسـتـقر الا فى **جمـاعة من الشعراء** استطاعت أن تعبر هذه الحلقـات الثلاث ، أو تقف بعيدا بغنائها عن هذه الدوائر ، محـاولة ما امكن أن تصل الى استكشاف نفسها والتعبير عن هذه النفس وعن الحيـاة بصدق ، ولقـد عانت هذه الجماعة اكثر من غيرها لأنها أبعدت نفسها عن مناطق النور واستعراض العضلات ، ولأنها تتحرك بدون ضجة وبدون نقاد ، ولكن اليأس لا يلبث أن يعـرقل خطواتهـا ، وأن يمتص الوميض من بين عيونها !

والحقيقة التى لا بد أن تقال فى هذا المجـال أن الصريخ حول هذا ، والتركيز حول ذاك لن يمنع من حقيقة تقال ، وهى أن الشعر ليس فى مستوىالحياة التى نعيشها ، وانه متخلف كثيرا عن بعض الفنون والآداب ، وانه فى الجمهورية العربية المتحدة ــ رغم الصراخ ــ دون الشـعـر فى بعض البـلاد العـربية الأخرى •

وليس لهـــذا من سبب الا أننـا نصغى كثيرا الى اعدائنـا ، واننـا نقبل المغـامرة مع الغير ولا نقبل المغامرة مع النفس ، واننا نستعير ــ بكل اخلاص ــ

تصور الآخرين لانفسهم وللحياة ، وأن بعضنا يعادى البعض الآخر فى هذا الميدان بضراوة بحيث يعتقد أن وجوده متوقف على قتل الآخرين ، وخنق الكلمة فى نفوسهم ، وما أكثر عدد هذا الفريق !

ان هذه الحواجز يجب أن تزال ، اننا يجب قبل أن تكون تابعين لطريقة التصور الماركسية ، أو لطريقة التصور السائدة فى الغرب ٠٠ أن تكون تابعين أولا لأنفسنا ، وأن نعرف أنه يجب علينا أن نعيد بايدينا وبافكارنا صياغة أنفسنا ، وأن نفتح عيوننا على كل فكر فى العالم ، دون أن يمحو هذا من شخصيتنا العربية، ومن طريقة تصورنا للوجود، ومن هنا تكون شخصيتنا الجديدة شخصية ثرية ريانة وليست بجوفاء أو ممتلئة بقش وغبار !

ان ثقافتنا العربية تعتبر أكبر دليل على عدم التعصب ، فهى قد استطاعت - كما ذكرنا - أن تستوعب كافة الثقافات فى المنطقة ، وأن تحولها الى قوة دافعة ، والى نضارة دائمة الافترار ، فى الوقت الذى كانت فيه عباءتها لا زالت ممتلئة بالرمال ٠

وهى اليوم قد استوعبت الثقافات الكثيرة، والذى بقى عليها أن تتحرك وأن تعود الى العطاء بعد أن عاشت فترة كبيرة عالة على الانسانية !

***

ان هناك من يشكك دائما فى حضارة هذه الأمة وثقافتها ، ونحن نعرف أن هذا الصوت لم يهدأ أبدا على طول امتداد التاريخ ، بل لقد كان من دواعى تجمعها وتحديها كما حدث أكثر من مرة ٠

غير أننا نحب أن نقول لهؤلاء المشككين كلمة،وهى انهم على جانب من الحق ، ذلك لأنه لا يوجد الآن من عنده « الحس الثقافى » بهذه الأمة ، ان المواطن الانجليزى مثلا يتوفر عنده هذا الحس لأنه يمسك فى عقله بكافة الخيوط التى تكون ثقافة أمته ، فكل جوانب هذه الثقافة واضح ويستطيع أن يضع عليها يده وعقله فى قصيرة ، ولكن من منا يمسك بخيوط الثقافة العربية ؟ من منا يوجد عنده هذا الحس المرهف بثقافة هذه الأمة على المستويين العربى والاسلامى ؟

ان كلا منا يعيش داخل حدود ضيقة تتبع فى الغالب الحدود السياسية ، ومعنى هذا أن كلا منا يعيش بجزء من هذه الحضارة ، وأن ما يعيش به المواطن فى الجمهورية العربية المتحدة يختلف عما يعيش به المواطن فى العراق أو فى لبنان ، بل ان الكثيرين لا يعرفون حق المعرفة الجزء الذى يعيش داخل حدودهم ، ومن هنا تكون طريقة تصورهم للاشياء ناقصة وهزيلة ، بعكس تصورهم للحياة مثلا فى أمريكا أو روسيا :

وليس معنى هذا ان الأمة العربية « تراث فقط » ولكن معناه أنه حين توجد الأمة بمعناها الكبير توجد أيضا طريقة التصور الشاملة التى تشد المواطن شدا حين يهاجر ليملأ عقله هنا أو هناك ، ومعناه أيضا أن الحضارة العربيةوالثقافة العربية شىء ثابت وموجود على طول الرقعة العربية ، وانهما يمكن أن تثرى الانسان ، وتملأ عليه وجوده ، وتضيئه من كل الجوانب ، وأن على كل من يشك فيهما - بصدق أو بحقد - أن يحس على أى أرض صغيرة منها يقف !

٠٠ وفى ضوء هذا تصبح رسالة الشاعر العربى أن يتعلم الطير فى آفاقه أولا ، والا يصغى لهذه الاصوات الذهبية التى تأخذ عليه اتجاهه من الغرب والشرق ، وأن يمتلك بوجدانه هذه المنطقة الكبيرة بالرغم من الحدود السياسية ، وأن يتربى عنده الاحساس بان عليه مسئولية رفع هذه الحدود الخانقة ٠

وهو حين يفعل لن يضيره بعد ذلك أن يشرق او يغرب لأنه يكون قد عثر على طريقة جديدة فى تصور الاشياء نابعة من نفسه ، ولأنه يحس انه بها متكامل وانه يستطيع أن يقدمها بفخر الى كل مكان يذهب اليه !

اننا حين نفعل ذلك يكون قد وجد عندنا الشعر العظيم والشاعر العظيم ، ونكون قد وجدنا أنفسنا ، واهتدينا الى الجوهرة التى كانت بين أيدينا ونحن نبحث عنها ٠٠ ونكون قد وصلنا الى شىء يمكن أن نقول للعالم انه آن له أن يأخذ ، وأن يقتات من هذه الأرض العريقة ، ونكون قد اسكتنا صوت الحقد المستمر على الأمة العربية لفترة !

ونكون مرة أخيرة مستحقين للحياة بعد أن عشنا فترة كبيرة مستحقين للموت !

« عبده بدوى »



الاشتراكية والعلم

بقلم : أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

يطيب لى من حين الى حين اذا ما دعيت الى القاء محاضرة او كتابة مقال ما ، أن أثقب جدار التاريخ ، ثم أسبح فى الزمان الوجودى على جناح الأثير ، لعلى اجد على التراث هدى ، والاشتراكية هى جنين القرن العشرين ، خرج من صلب الثورة الصناعية كماء دافق ، وقام على تغذيته رجال من الفكر غلاظ شداد، امثال كارل ماركس وانجلز واللورد كينز وجوستاف لوبون ولينين وغيرهم ، ثم أخذ ينمو وينضج فوق الزمان خببا ، ولما اشتد ساعده رمى الراسمالية بسهام قاتلة ، فازاحها من بلاد فى الشرق كثيرة ..

يقولون أن العمالة هى ركيزة الاشتراكية، والعمل هو سلوك ظاهرى يجد جذوته المتقدة فى حرص الانسان على الحياة ، ومن ثم كان دافع العمل هو أقوى الدوافع النفسية وأولاها بالرعاية لانه من الفطرة ، والعمل ايضا هو كل اجهاد ذهنى أو عضلى يهدف الى ايجاد المنفعة ، واجهاد الذهن هو الذى يخلق العلم والثقافة والتكنولوجيا .

والانسان فى سعيه المتصل لتدبير معاشه واشباع حاجاته ، عرف أنماطا مختلفة من النظم ، كانت على تباينها شكلا واسلوبا ، تستهدف محاولة الوفاء بحاجاته غير المحدودة بموارد كانت دائما محدودة ، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف تباينت النظم فى نظرتها الى الانسان الفرد والى الجماعة ، هل يكون الفرد هو الركيزة التى ينطلق منها كل نشاط فى مجالى الاقتصاد والعلم ، أم هى الجماعة التى ينبغى أن تحل محل الفرد ، وتتولى قيادة النشاط الاقتصادى والتقدم العلمى تنظيما وتخطيطا ، ولا شك أن الثقافة لعبت دورها عبر الزمن ، باعتبارها الوعاء الذى يستوعب تاريخ الحياة العقلية والعلمية ، ومحاولات الانسان للبحث عن أفضل النظم التى يختارها لحياته وتدبير معاشه .

***

واذا كان ثمة اختيار لنظام بعينه ، فلا بد أن يسبقه تحول أصيل فى الاتجاه الفكرى ، وفى الاشتراكية بشكل عام – كما فى أى نظام آخر – لابد من هذا التحول الفكرى ، الذى يعنى أن النظرة الى الحياة والى قيمها ينبغى أن تكون وفقا لنظام جديد، بعلاقات اجتماعية واقتصادية ذات أبعاد معينة ، وهذا ما حدث بالنسبة لاشتراكيتنا العربية فى جمهوريتنا ، فقد كان للثقافة أهمية أكيدة لمراحل العمل الثورى، وهذه الاهمية تنبثق أساسا من نظرة الاشتراكية العربية للانسان ، الذى لا تعتبره مجرد كائن مادى تستهدف حاجاته ومتطلباته المادية والمعيشية فى الرخاء والرفاهية ، وانما تعالج على نفس المستوى ، طاقاته الروحية والمعنوية المبدعة ، القادرة على اذكاء مساهمته الايجابية الخلاقة فى ايجاد المجتمع المتحرر من كافة الرواسب القديمة ، والذى لايستغل فيه الانسان أخاه الانسان ، وكان لابد لهذا من تخطيط علمى هادف الى توسيع قاعدة الثقافة أفقيا ، ثم تعميق خطوط الثقافة رأسيا ورفع

مستواها ، على أساس احترام ملكية الفرد وهو ما يسمى القطاع الخاص ، وملكية الجماعة ، وهو ما يسمى القطاع العام .

التطور العلمي في التاريخ :

لم يكن العلم مباحا لجميع الأفراد في حضارتنا المصرية القديمة ، بل كان احتكارا لطبقة الكهنة يتوارثونه فيما بينهم في المعابد ، وكان هناك تحالف بين الفراعين القدامى والحكام ورجال الاقطاع كطرف أول ، وبين الكهنة وسدنة المعابد ، يغمر طبقة الكادحين والفلاحين في سيل من أساطير الدين ، فليس أمامهم من سبيل سوى الامتثال لخليقة آمون أو ايزيس وأوزوريس والتقرب الى هذه الآلهة عن طريق وساطة رجال الكهنوت ..

كان العلم اقطاعا كما كانت الأرض !! لذلك استمر محاطا بسياج من الكتمان ، وأصبح سرا مغلقا على الافهام ، وقبر معهم الا ما ظهر منقوشا لغرض من الأغراض فوق قطعة من رخام أو حجر ..

كذلك كان العلم في بابل وآشور !!

ثم جاء سقراط يعلم الناس في الأزقة والشوارع في ربيع الفكر اليوناني ، غير مفرق بين سادة أو عبيد ، ليجعله مباحا للجميع ، فلم يرق ذلك لحكام أثينا فاضطروه الى شرب السم ليتخلصوا من تفكيره المتحرر ، وفي القرن الرابع قبل الميلاد أنشأ أفلاطون أول جمعية علمية بالمعنى الصحيح ، نسبت الى موضع ظليل يسمى « أكاديميا » في الشمال الغربي من أثينا ، ابتاعه أفلاطون ، وجعل يلقي فيه طلابه ومريديه منذ سنة ٣٨٧ ق.م . وكانت رياسة هذه الجمعية بالانتخاب وظلت لأفلاطون طوال حياته ، كانت هذه الأكاديمية بمثابة نظام اشتراكي يتبع القطاع الخاص يتلقى فيه الطلاب دون العبيد شتى العلوم من فلسفة ورياضيات وفلك وطب ومنطق وغير ذلك ، وقد عاشت هذه الجمعية زهاء تسعمائة عام حتى أمر بغلقها الامبراطور الروماني جوستنيان.

وقد تتلمذ ارسطو على استاذه أفلاطون في أكاديميته ، ويظهر انه كان يطمع في أن تؤول اليه رياستها بعد وفاة استاذه ، ولكنها لم تؤل اليه ، فهجر أرسطو أثينا لينشيء جمعية أو معهدا آخر سماه « ليسيوم » .

وفي أوائل القرن الثالث قبل الميلاد ، في عهد بطليموس الاول ، أنشئت أكاديمية الاسكندرية تتبع القطاع العام واساتذتها علماء من الشرق والاغريق، وعلومها خلاصة الحضارات السابقة ، هيلينية الطابع، ومن اشهر رجالها أرشميدس وهيرون وجالينوس وفيلوبونوس المشهور بيحيى النحوى، وفيها أنشئت أكبر مكتبة في الشرق هي مكتبة الاسكندرية الشهيرة .

ولما دخلت المسيحية مصر ، ضاقت ذرعا بهذه العلوم التي سمتها وثنية ، فقام الغوغاء بالاعتداء على أكاديمية الاسكندرية واحرقوا « هيبيشيا » أكبر عالمة للرياضيات في ذلك العصر بالاسكندرية وابنة أمين المكتبه ، وكان عالما فذا .

لم يكن العلم حرا طليقا في جميع هذه الأحقاب سواء أكان تابعا للقاع الخاص في أكاديمية أفلاطون أم كان تابعا للقطاع العام في عصر البطالمة أو العصر الروماني ، بل كان ما يلقى فيه لابد ان يروق في أعين الحكام والأباطرة ، كل يعمل على شاكلته .

***

وفي غمرة هذه الأحداث أخذ يتبلور الفكر العربي الطليق في الجزيرة العربية ، ثم انطلق في الجاهلية ماردا يعبر عن الاحاسيس الوجدانية في تحرر وشمول ، وظهر الاسلام نورا ساطعا يحرم الاحتكار والطبقية أو الاقطاعية ، ويدعو الى العلم حيث يقول القرآن : « ويرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ويقول أيضا « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » كما يقول « وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

أراد الاسلام أن يجعل العلم مباحا للجميع لا فرق بين سادة وعبيد ، مباحا كالهواء والكلا ، روى عن الرسول «يوزن يوم القيامةمداد العلماء بدم الشهداء» ثم : «لموت قبيلة أيسر من موت عالم» وقوله « غدوة في طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة » وقوله « لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم » .

**

كانت حلقات العلم تعقد في المساجد وفي المنازل وفي الاسواق دون تفرقة ، اشتراكية صميمة تتبع

من القرآن والسنة ، والآيات تتلى تباعا وتلعن احتكار العلم «ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنــــون » وازدهر العلم فى العصر العباسى بعد أن بدأ خلفاء بنى أمية بفتح قصورهم للعلماء والدارسين •

وأنشأ هارون الرشيد بيت الحكمة وبلغ النشاط ذروته فى عهد المأمون ، لا فرق بين ذمى أو عربى أو أعجمى ، يقول ابن أبى أصيبعة : ان الرشيد ، قلد يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب القديمة ، مما وجده فى أنقرة ، وعمورية ، وسائر بلاد الروم حين غزاها المسلمون ، ويحدث « ابن نباته » أن المأمون عين « سهل بن هارون » كاتبا على خزانة الحكمة ، حيث كتب الفلاســـفة التى نقلت الى المأمون من جزيرة قبرص ، وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هــــذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وقد اغتبط بها المأمون ، ويروى ابن النديم أن مجموعة ثالثة جاءت من القسطنطينية الى خزانة الحــكمة ، طلبها المأمون من ملك الروم ، وبرز تراجمة وعلماء مسيحيون أمثال قسطا بن لوقا البعلبكى وأطباء مثل ابن بختيشوع من جند يشابور •

وفى عام ٣٩٥هـ فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى انشئت دار الحكمة بالقاهرة لتنافس المدرسة النظامية ببغداد ، وقد حملت اليها الكتب من خزائن القصور ، وأجريت الأرزاق على من فيها من العلماء أمثال الحسن ابن الهيثم وابن يونس وابن النفيس وهو من الأطباء يقــول « المقريزى » وابيح دخولهــا لسائر الناس ، فوفدوا اليها على اختلاف طبقاتهم ، فمنهم من يحضر للقراءة ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعليم ، كما أباح الحــاكم المناظرة بين المترددين الى دار الحكمة ، فيعقدون الاجتماعات والمناظرات ، وظلت دار الحــكمة مزدهرة حتى أوائل القرن الســــادس الهجرى •

اشتراكية فى العلم كان يتولاها القطاع العـــام : فى بغداد والقاهرة وقرطبة بالاندلس يهرع اليهـــا الطلاب من كل مكان ، كل سرب قد تلاقى واحتشد !!

اما فى مجال القطاع الخاص فكان العلماء الأفراد يفتحون أبوابهم لجميع الدارسين ، يقول الجوزجانى « كان يجتمع كل ليلة فى دار ابن سينا طلبة العلم ، وكنت اقرأ معه الشفاء ، وكان يقرىء غيرى من القانون نوبة ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للامير شمس الدولة ، وقضينا على ذلك زمنا ، كذلك كان منزل أبو سليمان السجستانى (محمد ابن طاهر بن بهرام) الذى توفى فى العقد الاخير للمائة الرابعة الهجرية ـ كان منزله مقيلا لأهــل العلوم القديمة تصدى لقراءتها ، وقصــده الرؤساء والأجلاء ••

نضجت العلوم فى شتى المجــالات ، بعد أن مرت بطور الترجمــة ، وأصبحت أصــيلة فى ابتكاراتها ، غامرة البلاد كالمزن يســـكب الغيث اذا ما هتن !!

وأخذت المذاهب الاســلامية المتنــابذة كالاشاعرة والمعتزلة والكيسانية والاباضية وغيرها تتصارع فى حرية وطلاقة، وكان التنافر على أشده بين أهل السنة والشيعة ، فازدهر علم الكلام ، واصطخبت الأمواج حينا ، وتهادنت أحيانا أخرى ، ولكن العلم الاسلامى فى جميع الحالات كان بحرا زاخرا ، يقذف الدر اذا ما سكن !!•

جامعة سمرقند :

أسسها السلطان أولوغ بيك حفيد تيمورلنك ، وكانت مشعلا للعلوم الاســلامية فى أواسط آسيا بجميع فروعهــا ، وكان يديرها صلاح الدين موسى العـــالم الكبير ، وكان يسمى قاضى زاده الرومى ، ويساعده علاء الدين على القشجى فى ادارة المرصد الكبير ، وكان هناك عالم ناشىء يدعى جمشيد غياث الدين الـكاشى من كاشــان أراد أن يلتحق بهيئــة العلماء الذين يحيطون بالسلطان اولوغ بك ، فلم يتقدم باستمارة التحاق لمكتب التنسيق كما يفعل أولادنا فى العصر الحاضر ، ولم يسأله العالم الكبير قاضى زاده عمــا اذا كان نجاحه فى بلده بكاشــان بدرجة مقبول أو جيد أو جيد جدا أو ممتاز كما تفعل جامعاتنا طبقا لقوانينهــا ولوائحها التى استوردتها من خارج الجمهورية، ولكنه قام برحلة طويلة أودعها فى خطاب أرسله لوالده عندما سافر قاصدا سمرقند ، كتبه بالفارسية ونشرته مجلة (آموزش وبرورش)

التي تصدر في ايران في العدد الثالث عام ١٣١٩هـ، وهاك ترجمته العربية لبعض فقرات تدل على حرية العلم ، ومناظرات العلماء :

« اجتمع فحول العلماء في سمرقند مع مدرسي جميع العلوم ، والطلبة من حولهم منهمكون في تحصيل فنون الرياضيات ، ومن جملتهم أربعة تخصصوا في شرح « أشكال التأسيس » وواحد في تفسير « تجنيس الحساب » وآخر كتب رسالة في البرهان الهندسي للمسائل الخاطئة ، وكان أعلم الموجودين قاضي زاده الرومي ، وكان قد كتب تعليقا في شرح «جغميني» وشرح أشكال التأسيس، وكان هناك جمع غفير من المنجمين والمستخرجين (الحساب) ، أما طلبة كل أرباب فن فقد كانوا مجتمعين حول أساتذتهم .

وبالاختصار لما جاء هذا العبد الخاشع لمثل هذا المكان تطلع اليه كل فرد ثم انصت اليه ، لكي يعرف أي نوع من الرجال هذا، وقد اعتاد المقام السلطاني الحضور الى حلقة الدرس كل بضعة أيام ، وعندما يعلن حضوره تتقدم دروس الرياضيات في الأولوية، وقد حضر هذا العبد الخاشع (يقصد نفسه) حلقة الدرس .

ومثل من أمثلة امتحانات الطلبة أن يواجه كل من يشترك في حلقة الدرس وهو غافل عن نوع المسألة التي تطرح ، وأصحاب المدرسة يقيمون البلاغة في البحوث المطالعة ، وعندما يعلن البحث كل مرة بعناية الله تعالى وبتوفيق الهامكم (يقصد والده) ، فان هذا العبد الفقير يدخل دخولا كاملا (في المواضيع) حيث يقوم بسرد أشياء كانت خافية بادىء ذي بدء ، داحضا الاعتراضات الموجهة ، ومبينا نقاطا دقاقات أذهلت الجميع » .

هذه هي روح الحضارة الاسلامية في البحوث العلمية ، لا تحتاج الى استمارات تنسيق من نسيج القوانين البائدة ، وليست هناك وصاية على العلم أو احتكار له من شلة من العلماء الذين رضعوا على اساتذة أجانب فاصبحوا لهم مقلدين ، وليست هنا لمبات حمراء واخرى خضراء معلقة على الباب الخارجي لحجرة شيخ العلماء قاضي زاده ، ولا سكرتيرة حسناء جالسة في المكتب المجاور، وهو مكتب المدير وعليه تليفون أو أكثر وبجانبه حفنة من موظفي المكتب يقرأون الجرائد والمجلات اليومية ويحتسون القهوة بين الفينة والفينة ، بل جامعة مفتوحة أبوابها ، تقبل الطلاب الجدد ، دون وضع قيود صارمة على أوراق التحاقهم ، ليواجهوا محافل العلم أمام الطلبة القدماء بايمان ثابت اليقين ، ومعهم السلطان وبقية رجال العلم ، حيث يجرب كل من الطلبة الجدد حظه ، وان تعثر فأمامه فرص أخرى . نبغ جمشيد الكاشي في هذه الجامعة ، واشترك مع السلطان اولوغ بيك عام ١٤٣٦ م في عمل الزيج الخاقاني الذي طبع في انجلترا عام ١٦٦٥ ، ونيوتن في ريعان شبابه ، وكان الزيج يدرس في انجلترا مع الجداول الحسابية التي وضعها جمشيد أيضا .

يا قوم !! افتحوا مراكز البحوث لكل طالب علم مستزيد ، واطرحوا اللوائح المستوردة من جامعات الخارج ، تلك اللوائح التي اشترك في وضعها اساتذة اجانب أو أساتذة مصريون كانوا أشد حماسة من الأجانب غرورا منهم وصلفا .

أما اللمبات الحمراء والخضراء فلا مكان لها في حرم العلم !!

اشتراكيتنا نابعة من تاريخ اسلامي مجيد ، وتقاليد عربية متواضعة ، ليس فيها صلف أو بيروقراطية ، لقد نجحت اشتراكيتنا في القضاء على سيطرة راس المال والاقطاع ، ولكن في مجال العلم والبحوث التكنولوجية ، ما زالت هناك جيوب ينبغي استئصالها حتى لا تزداد مع الزمن تورما .

اشتراكيتنا تؤمن بوحدة الجماعة في نطاق التعاون بين الافراد ، ولا تقر التناقض الطبقي أو تميز العلميين ببدلات مختلفة هي من رواسب الماضي، فهي تسعى الى اذابة الحواجز بين الطبقات في الوقت الذي يسعى فيه حفنة من العلماء ممن أشربوا النظام الاوروبي البغيض الى تكوين طبقية مصطنعة وتقييد فرص التكافؤ أمام طلاب البحوث العلمية والتكنولوجية .

أحمد سعيد الدمرداش

السياسة المالية في الإسلام

تأليف: عبد الكريم الخطيب

بقلم: محسن عبد الحي

تجتاح عالم النصف الثاني من القرن العشرين الكثير من الافكار المتضاربة التي تميز حركة الانسان المعاصر في اندفاعه اللانهائي تجاه طلب المزيد من التقدم العلمي والتكنولوجي . وتساعد حركة التقدم الانساني وتطورها على افراز العديد من الافكار والمبادىء النظرية - تلك المبادىء التي أصبحت عند تطبيقها تشكل بالنسبة لكثير من الشعوب عقائد وايديولوجيات مختلفة تحكم اهداف وسلوك مجتمعات باسرها .

ومجتمعنا العربي - كجزء - من المجتمع العالمى، يزخر هو ايضا بافكاره وتطلعاته المشروعة في سبيل وحدته وتقدمه مؤمنا بحتمية الحل الاشتراكي لمشاكله وقضاياه . ولعل اعظم ما في تجربتنا الاشتراكية الخاصة اننا لم ننهمك في النظريات بحثا عن حياتنا وانما انهمكنا في حياتنا ذاتها بحثا عن النظريات . اى اننا لم نلتزم بقوالب جاهزة لكى نصب فيها انفسنا فكريا ومعنويا وعمليا .. فعلى الرغم من اننا اشتراكيون مناضلون من اجل الحرية والعدالة الاجتماعية والسلام العالمى .. فاننا ايضا قبل كل شيء قوميون عرب نؤمن بالوحدة الشاملة بمحتوياتها الروحية والمادية العادلة .

ومن الناحية الروحية نود أن نقول - ان الاشتراكية والقومية الحقيقية لا يمكن بحال من الأحوال أن تناقض الدين الصحيح ، انها ليست في جوهرها - سوى حركة روحية ترمى الى بعث قوى الأمة الداخلية ، وتحقيق قابليتها العقلية والنفسية .. فلا بد لها اذن وهى حركة روحية من ان تلاقى الدين وأن تستمد منه القوة والحياة ، واذا عارضت الاشتراكية العربية شيئا فليس هو الروحية الدينية ، وانما هو العصبية الهدامة التى تجعل الرابطة الطائفية اقوى من الرابطة القومية ، وتأبى ان تذيب نفسها في بوتقة الوطن الجامعة .

وكتاب **السياسة المالية في الاسلام** يرد على استفسارات كثيرة ودروس موضوعات هامة .. وغاية هذا الكتاب كما يقول مؤلفه هى ان يذكر بأن الاسلام قد اقام بتعاليمه وتشريعاته دنيا قوية عزيزة الى جانب الدين الكريم الذى أقامه في قلوب اتباعه ، وان الاسلام لم يكن مجرد دعوة دينية تسوق الناس سوقا الى القبور وماوراء القبور من حساب وعقاب ، وجنة ونار حسب تلك التصورات المريضة الخاطئة التى عاش فيها المجتمع الاسلامى فترة طويلة من الزمن ، فقد وضعت الشريعة الاسلامية المبادىء العامة ، والأصول الأولى للحلال والحرام ، ثم تركت للناس مجال التحرك والعمل في ظل هذه المبادىء وعلى هديها وان اختلفت الصور والأشكال بين الأصول والفروع .

والدين الاسلامى قبل كل شيء هو دين اليسر والتخفيف : يقول سبحانه وتعالى « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ويقول جل شأنه « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ويقول « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ويقول سبحانه وقد جعله دعاء ندعوه به : « ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به » ويقول الرسول الكريم « عليكم من الأعمال ما تطيقون » ومن هذا الأساس السمح انطلق المؤلف يعرض لنا وجهة نظر الدين الحنيف في كثير من القضايا التى تهم عالمنا العربى المعاصر .. فعرض لنا قضايا التعامل المالى من جوانبها المختلفة .. من شركات وبنوك واعمال البورصة وسوق العقود المالية وغيرها من المعاملات الاقتصادية .. اذ ان الأساس فى كل هذه المعاملات هو الأرباح يقابلها فى الدين الاسلامى الربا ، وشرح لنا كيف أن الحكمة من تحريم الربا هى ما يخلقه من أضرار تنجم عن الاستغلال المشين لقيم الانسان الروحية والمادية .. ويخلص المؤلف الى هذا التساؤل : .. هل يحل التعامل بهذا الربا بعد أن يزول عنه ما تلبس به من شر وبعد أن خلص من الأسباب الموجبة لتحريمه ؟ على أساس أن التعامل بهذه الصورة يوجد المنفعة المتبادلة لكل من الأطراف المتعاقدة وليس الضرر المقصود . ويقول الكتاب فى صفحة ١٨١ ..

ان الجواب على هذا السؤال هو الجواب على السؤال الآتى :

الخمر حرام ، وهى ام الكبائر .. فاذا استطاع العلم الحديث ان يجيء بمادة تسلب الخمر مادة الاسكار ، وتبقى على لونها ، وطعمها ، وريحها، فهل

يظل شراب مثل هذا حلالا أم حراما ؟ انه خمر يسكر وقد تحول الى خمر لا يسكر ؟ فما الجواب ؟

الجواب ، لا شك انه حلال لا حرج من شربه فما الخمر بالخمر الا لأنها تخامر العقل وتغطيه بما فيها من مادة الاسكار ، فاذا ذهب عنهـا ذلك بوسيلة مضمونة محققة فلا حرمة فى شربها .

وكذلك هذه الصورة من الربا بعد أن ينزع عنها ما كان سببا فى تحريمها .

ويعرض لنا الكتاب موقف الشريعة الاسلاميةمن قضايا الاحتكار وتثبيت الأسعار فيقول في ص ١٩١ :

« وعملية الاحتكار هذه اعتداء على حق الجماعة، وتهديد لحياتها فقد تؤدىالى حبس اقوات الشعب والارتفاع بها عن متناول الفقراء ولهذا قال النبى الكريم « لا يحتكر الا خاطىء » وقد اباحت الشريعة الاسلامية لولى الأمر ان يضرب على يد المحتكر ، وان يبيع عليه ما احتكر بالسعر المناسب .

ويتحدث الكتاب عن الخراج والجزية والزكاة وغيرها من المصادر التى كانت تغذى بيت المال فى المجتمع الاسلامى ويورد موقفا لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ مبينا روحه العادلة أو ما يمكن أن نقول عنه اشتراكيته فيقول : ـ ص ١٩٤ ٠

ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حمل اليه أبو موسى الأشعرى أموال الخراج والصدقات وكانت الف الف ، فقال له عمر بكم قدمت ؟ قال بالف الف ، قال عمر : ان كنت صادقا ، فليأتين الراعى نصيبه من هذا المال وهو باليمن ، ودمه فى وجهه » اى من غير أن يريق ماء وجهه بالسؤال .

واذ كنا اليوم نطلق شعارات ـ العمل حق ـ العمل حياة ٠٠ ونحارب البطالة والكسل فان الشريعة الاسلامية تحض على العمل وتؤكد أهدافه الانسانية ٠

يقول الرسول الكريم : لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « انى لأرى الرجل فيعجبنى ، فاقول اله حرفة ـ اى عمل ـ ؟ فان قالوا لا ، سقط من عينى » والناظر فى الشريعة الاسلامية يرى فيها أن العمل ضرب من العبادة وأن الانسان ما خلق الا ليعمل ، فان عبد الله فهو عامل وان سعى فى رزقه فهو عابد ! ص٩٧ ، ٩٨

ويقول المؤلف :

ونستطيع أن نقرر فى اطمئنان وثقة أن الاسلام لا يضق بالجديد فى الحياة ولا يتنكر له مادام هذا الجديد يحقق نفعا ، ويسد مطلبا ، بل انه ليزكى هذا الجديد ويبارك عليه .

***

وبعد : فنحن لا نشك فى أن كل تفسير حقيقى للقرآن وللشريعه الاسلامية ـ تسوده روح الاجتهاد والمعاصرة ـ سوف يؤكد عدالة قضيتنا فى مطلبنا الخاص باقامة مجتمع اشتراكي اسلامى مزدهر ٠ وعلى الرغم من أن المؤلف قد عالج معظم موضوعاته ـ معالجة خارجية ـ فانه قد مهد الطريق لمزيد من الدراسات الجادة حول ما طرحه من قضايا ٠٠

ان السياسة المالية للمجتمعات لاتعنى فقط أعمال البورصة والمضاربة والسمسرة والمعاملات المصرفية من قروض وايداع أو شركات للتامين وشركات للانتاج الاستغلال ٠ ففضلا عن ان معظم هذه الأشكال الاقتصادية التى تعرض لها المؤلف بالبحث والدراسة هى فى الأساس اشكال ونظم راسمالية ٠٠ فان للمجتمع الاشتراكي مؤسساته الخاصة ابرزها القطاع العام ، وله مشاكله وقضاياه الحيوية مثل توسيع قاعدة العمالة ، والقروض ذات التسهيلات الائتمانية ، وخطط التنمية السريعة والبعيدة المدى ، وما يخدم هذه الأهداف من الحصول على عملات اجنبية وتشجيع لتجارة « الترانزيت » وغيرها من الاهداف والخطط الموصلة اليها ، ولقد أصبح من المحتم على معظم المفكرين الاسلاميين آن يلموا الماما كافيا بظروف مجتمعاتهم ، وباكبر قدر ممكن من العلوم والنظريات الفكرية الحديثة حتى اذا قدموا لنا دراساتهم قدموها متسمة بروح العصر الذى نعيش فيه ٠

ان اشهار سيف الحلال والحرام بلا اقناع أو دراسة موضوعية سوف يصرف البعض الى أن يبحثوا عن الاقناع والشرح والتحليل عند مصادر اخرى ٠ ولعل اعظم شىء يمكن أن تصل اليه تجربتنا الاشتراكية ـ هو أن توجد فى صلب تجربة الانسان العربى الفرد تلك القوى الروحية الدافعة لذاته نحو تحقيق أهداف مجتمعه فىالعدالة والمساواة، وتحقيق أهداف أمته فى الوحدة والتقدم ٠

تحسين عبد الحى

كتب جديدة

أحمد الصادق عبد الصمد

تقديم :

● **الاشتراكية العربية والتطور الاشتراكى**

تاليف : د • نظير حسان سعداوى

الناشر : مكتبة وهبة ــ عابدين

يقع الكتاب فى ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط ، تناول المؤلف فى القسم الأول منه التطور التاريخى للاشتراكية ، فى ستة فصول : الفكر الاشتراكى القديم ، الاشتراكية الاسلامية ، مجتمع العصور الوسطى ، فلسفات القرن الثامن عشر وثوراته ، اشتراكيات القرن التاسع عشر ، كما تناول فى القسم الثانى نظرية الاشتراكية العربية فى اربعة فصول : الوجه الفلسفى للاشتراكية العربية ،الوجه الاجتماعى لها ، الطريق الى الديمقراطية السليمة ثم التحليل العلمى والفلسفى لنظرية الاشتراكية العربية مدعما بالوثائق •

● **الملكية في الاسلام**

تاليف : السيد أبو النصر الحسينى

الناشر : دار الكتب الحديثة

يقع الكتاب فى ١٤٨ صفحة من القطع المتوسط ، وتناول المؤلف فيه الملكية فى الاسلام وفى الأديان الأخرى ، وتحديدها عند الاسلام والغرب ، ونظام ملكية الأرض فى الاسلام وموافقته بعض المذاهب الاقتصادية والغربية الحديثة ، ثم الفرق فى الاقطاع عند الاسلام والمذاهب الاقتصادية الغربية ، وغاية التشريع من الملك فى الاسلام •

المؤلف يقرر أن الاسلام يقر بالملكية ولكنه مع ذلك يسعى لتضييق نطاقها خشية أن تصرف سعتها صاحبها عن الرشد ، فيحيد عن طريق الصواب ، ويحيى فى المجتمع معالم الجور ، والى جانب هذا فان اكثر الأديان لا يسمح لأتباعها بالملكية ، فالبرهمية تعلن ان السعى لملك الثروة اثم ، والبوذية كانت تعد حياة المالكين أحط درجة ، ومما يلفت النظر أن فرقة (ديجمبرا) من الديانة الجينية الهندية تحرم حتى ملك الثياب الضرورية لستر العورة •

● **أضواء على التنمية الاقتصادية**

تاليف : محمد ماهر نور

الناشر : عالم الكتب بالقاهرة

يقع الكتاب فى تسعين صفحة من القطع المتوسط، وهو على صغره دراسة مركزة فى خمسة فصول : التنمية الاقتصادية فى أبعادها الحقيقية ، البلاد النامية والبلاد المتقدمة ، نظرية تخطيط التنمية ، التعليم والتنمية الاقتصادية ، ثم أداة الانتاج •

واذا كانت الفصول الأربعة الأولى محاولة لوضع عملية التنمية فى أبعاد بسيطة واضحة ، فقد كان الفصل الخامس والاخير أكثر تخصصا حيث انه متعلق بمشكلة مهمة ، هى كيفية استخدام الأداة الرئيسية للتنمية الصناعية الا وهى الشركة •

● **التعاون فى العالم**

تاليف : جمال رفاعى

الناشر : الدار القومية

يقع الكتاب فى ١١٦ صفحة من القطع الكبير ، وموضوع الكتاب يتناول نشأة الفكر التعاونى فى العالم ، وتطوره ، والخدمات التعاونية التى يؤديها ، كما يتعرض الكتاب لأصول الادارة وتنظيمها فى المؤسسات والشركات ، وفلسفة التعاون فى ضوء الاشتراكية التعاونية ، ثم دور التعاون فى مصر قبل عام ١٩٥٢ وبعده •

هذا وقد قسم المؤلف كتابه الى أبواب خمسة ، وعرض للثورة الصناعية وآثارها ، والتعاون فى انجلترا ، وتطور التعاون خارج بريطانيا ، والتعاون والنظام الرأسمالى الشيوعى ، كما عرض للرقابة الديمقراطية ، والمبادىء الادارية والنظم الادارية ،

وتقسيم الوظائف عند (فايول) ، وقد ختم المؤلف دراسته ببحث موجز أشار فيه الى أن النظام التعاونى هو السبيل الى تجديد المجتمع .

● نحو الطريق الجماهيرى

تاليف : عبد المنعم مغازى سرور

الناشر : الدار القومية

عدد صفحات الكتاب ١٢٨ صفحة من القطع الكبير، ويشير المؤلف فى تقديمه لكتابه الى انه أراد التعبير عن المتعة التى تستطيع جماهير الناس أن تجدها فى الاطلاع ، كما اختار المؤلف بعض القراءات لكتابه هذا فى أسمى موضوع فكر فيه الانسان وهو (الالهيات)

بدأ المؤلف كتابه ببحث عن المعرفة، وكيف تتفاوت بين الناس قوة وضعفا ، واستعرض عقائد الأقوام التى تقدمت فى عصور الحضارة فى كل من مصر والهند والصين واليابان وفارس وبابل واليونان ، ثم بنى اسرائيل، وفى الفصل الثانى تناول المؤلف طريق المشاهدة أو التصوف ، وفى الفصل الثالث ، ذكر المؤلف أن طريقى النظر والتصوف ليسا فى متناول الجماهير ، ولهذا فان الله ـ رحمة منه بنا ـ قد امدنا بطريق سهل للوصول الى معرفته الا وهو طريق القرآن .

● الأجور فى المجتمع الاشتراكى

تاليف : امين عز الدين

الناشر : الدار القومية

الكتاب هو العدد الخمسون من مجموعة اخترنا للفلاح والعامل ويقع فى ٩٨ صفحة من القطع الصغير وهو يوضح أهمية دراسة الاجور عند رجال الاقتصاد وخبراء التخطيط وعلماء الاجتماع والمشتغلين بشئون العمل والتامينات والقادة النقابيين وجماهير الشعب فى المدن والريف عند البحث فى نتائج التطبيق الاشتراكى وقياس نجاحه .

والكتاب مقسم الى ستة فصول : الأجور والحرية ، الحد الأدنى للأجور ، بناء الاجور ، نظم دفع الأجور ، النقابات والأجور ، الأجور فى خطة تنمية الدخل القومى .

● تحت الطبع

بدأت المذيعة سلوى حجازى تؤلف كتبا للصغار لتبسيط الاشتراكية لمن هم أقل من ثمانى سنوات ، يلحق كل من هذه الكتب باسطوانة تروى فيها المذيعة حكاية بصوتها مع مؤثرات موسيقية تعبر عن مفهوم الاشتراكية ، وقد انتهت من اعداد ثلاث كتب .

« **احمد عبد الصمد دياب** »

أخبار

● مقالات العقاد السياسية تصدر فى مجلدين عن دار سعد مصر للطباعة فى الذكرى السنوية الأولى .. جميع هذه المقالات عامر العقاد .

❋ ديوان « ما بعد البعد » لعباس محمود العقاد يصدر فى ١٥ مارس عن دار المعارف .

● « لحظة صدق » مجموعة قصصية جديدة صدرت فى سلسلة الكتاب الذهبى للدكتورة نوال السعداوى

❋ « الثقافة السكندرية » مجلة اسبوعية يصدرها الاتحاد المصرى بالاسكندرية

❋ سهول وهضاب اسم الديوان الجديد الذى يصدر قريبا للشاعر الدكتور محمد محمود الصياد

● تصدر قريبا مجموعة مسرحيات لشوقى عبد الحكيم باسم « ملك عجوز وناس اخرى » .

● يصدر قريبا عن الدار القومية للدكتور يوسف ابو الحجاج استاذ الجغرافيا بآداب عين شمس كتاب « وحدة الوطن العربى ».

● مشكلات شعر المتنبى ، او المشكل من شعر المتنبى لابن سيده اللغوى صاحب المحكم والمخصص ، ينشر لأول مرة ، قام بتحقيقه الاستاذ مصطفى السقا ـ والدكتور حامد عبد المجيد.

● تحتفل هيئة خريجى الجامعات بدارها ، شارع الألفى بالقاهرة، فى مساء السبت ٦ مارس سنة ١٩٦٥ بذكرى مرور العام الاول على وفاة الكاتب الكبير المرحوم « عباس محمود العقاد » يشترك فى هذه الذكرى الأدباء والشعراء مرتبة أسماؤهم على حسب الحروف الهجائية د. احمد محمد الحوفى ـ روحية القلينى ـ طاهر الجبلاوى ـ عامر بحيرى ـ عبد الفتاح الديدى ـ عبد القادر الشافعى ـ عبده بدوى ـ لورا الأسيوطى ـ محمود شاور .

قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



● الاشتراكية والدين

جاء في حديث الرئيس جمال عبد الناصر أمام الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي أن الاسلام دين اشتراكي وأن القوى الرجعية والاقطاعية كانت تحاول ان تستغل الدين لأغراضها ، لكن الدين يعارض الاستغلال ويرفضه ، وهو في حقيقة امره دعوة الله للحرية في كل معانيها الاجتماعية . وأوضح الرئيس ان الاشتراكية لا تساوى بين جميع الناس وانما هى تصفى الامتيازات الطبقية ، ثم يبقى لكل فرد أن يحدد مكانه في المجتمع وفقا لعمله ولقيمة هذا العمل في خدمة المجتمع ، وبهذا أكد الرئيس أننا نختلف في كثير من المسائل مع الشيوعية ، وخلافاتنا معها انما هي خلافات جذرية ، فنحن نؤمن بالدين أولا ونحن نرفض دكتاتورية اية طبقة من الطبقات ، ونحن نتطلع الى الوحدة القومية ، ونحن لا نصفى بالعنف أى طبقة ولكنا نصفى امتيازات الطبقة . هذه الاشتراكية التى نادت بها الجمهورية العربية المتحدة وطبقتها في مختلف النواحي لم تصبح الآن وقفا عليها ، بل سارع الى الأخذ بها والتطبيق لها كثير من البلاد العربية ، فالجزائر مثلا حينما أخذت بها نظرت اليها على أنها مما دعا اليه الاسلام الذى هو ثورة متواصلة ومستمرة ضد جميع أشكال العبودية والظلم الاجتماعي والاقتصادى ، فقد قال أحد وزراء الحكومة الجزائرية ، أحمد توفيق المدنى ، في حديث أدلى به الى صحيفة « لانيتا » الايطالية : « ان الاسلام يقر مبدأ الملكية الخاصة والوراثة ، وهذان المبدءان مقبولان في الحقيقة بالنسبة لكل الأموال الاستهلاكية حتى من طرف الاشتراكية الحديثة ، غير أن ميزة الاسلام في هذا الصدد أنه لايقف عند هذين المبدأين ، فهو يمثل أول دين أو مؤسسة دينية ومدنية ـ ان جاز هذا التعبير ـ نادت صراحة بالملكية الجماعية لوسائل الطاقة والانتاج الضرورين للحياة ، وهناك حديث شريف في هذا الموضوع بالذات « الناس شركاء في ثلاث : في الماء ، والكلأ والنار » فنص الحديث هنا يشير الى أن هذه الاشتراكية هى حق مشاع بين جميع الناس ، ولم يقل جميع المسلمين فقط ،ذلك أن هذه الاشياء كانت تمثل في ذلك العهد حاجيات العيش الضرورية في الجزيرة العربية ،وجميع الشراح مجمعون على أن قائمة الاملاك الجماعية هذه لا تختص بنوع معين من الاملاك ،وانما تشمل جميع أنواع الملكية التى تتعلق بها مصلحة الجماعة ، ويضيف الاستاذ توفيق المدنى أن الاسلام لم يكتف بالدعوة الى هذه المبادىء فقط ، بل انه طبقها بصورة عملية ، فالرسول عليه الصلاة والسلام أمم بنفسه المراعى ، وكذلك فعل عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء عندما أمموا عدة ملكيات خاصة لصالح الملكية الجماعية ..

والمذهب المالكي ، نادى باخضاع الملكية الخاصة لمقتضيات المصلحة العامة للمسلمين أو بالتالى تحديد الملكية الخاصة ، كما أنه يجب تأميمها اذا تعلقت بها مصلحة الجماعة ، وأول هذه الاملاك التى اتخذت مثلا المناجم ، ففقهاء المالكية يعتبرون هذه الاملاك

كباقي الأملاك المدفونة تحت الارض » . ثم يقول الأستاذ توفيق المدني عن اشتراكية الجزائر «انها نظام جزائري اسلامي محض ، جاء وفقا للمعطيات الجزائرية . ويستمد أصوله من القرآن والسنة ومن افعال وسيرة الخلفاء الراشدين والعلماء ، وهو فوق كل هذا صورة لثورتنا الشعبية . وحسب هذه الاعتبارات فان اشتراكيتنا تحترم دائما الملكية الخاصة التي هي ثمرة من عرق الجبين ، وما اكتسب بطريقة شريفة » .

● **الاشتراكية والمجتمع العربي :**

وجاء في مقال كتبه الدكتور سهيل ادريس رئيس تحرير مجلة «الآداب» اللبنانية : ان المجتمع العربي يسير اليوم سيرا واضحا في طريق الاشتراكية، تلك التي لم يكن يعيها أصلا من قبل ، أو كان يتنكبها عن وعي ، وليس بعض البلدان العربية التي ما تزال مترددة و متخلفة في هذا الميدان الا الاستثناء ، لأن المقياس والقاعدة هما هذه الدول العربية الاربع ، وهي كبرى الدول العربية ، التي تبنت النهج الاشتراكي ، وهي ماضية فيه بلا هوادة ، ولاعبرة في أنها تواجه مصاعب وعقبات ، فتلك عراقيل لابد أن تزاح ، وهي لن تقف المسيرة ، ولن تلغى الطريق بحال من الاحوال .

● **الاشتراكية بين النظرية والتطبيق**

ونشر عبد الهادي الفكيكي في عدد من مجلة «الادب» أن الحركة الاشتراكية العربية عندما سلكت سبيل التأميم ، فانها ادركت أن عليها أن تنطلق منه باعتباره من المبادىء الاولية في عملية التحويل الاشتراكي الذي يستند الى الشعب باعتباره صاحب الثروة القومية ، وقد جاء في الباب السادس من « الميثاق الوطني للقوى الشعبية » في الجمهورية العربية المتحدة تحت عنوان «حتمية الحل الاشتراكي» « ان سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج لاتستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ، ولا تلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق الارث الشرعي المترتب عليها ، وانما يمكن الوصول اليها بطريقين :

أولهما ـ خلق قطاع عام قادر على أن يقود التقدم في جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية في خطة التنمية .

ثانيهما ـ وجود قطاع خاص يشارك في التنمية في اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال على أن تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين مسيطرة عليهما» .

● **الاشتراكية وبناء الحضارة :**

وتحت عنوان « المجتمع والروابط المعنوية » قال الاستاذ محمد فريد أبو حديد في مقاله الافتتاحي لمجلة الثقافة المنشور في ٢٣ فبراير ١٩٦٥ «اننا في عصرنا الحاضر نقيم حضارة عربية جديدة على أسس جديدة ، وهي الاشتراكية والحرية والعدالة ، وهي مبادىء ليست بعيدة عن المبادىء الاولى التي أرادت الامة العربية أن تبني حضارتها السابقة عليها ، ونعتقد أن السر في عجز تلك الحضارة السابقة عن الاستمرار في السير وفق مبادىء الاشتراكية والعدالة والحرية هو هذا الداء الذي أصاب الامة العربية فيما مضى ـ أعني اختلاف الآراء والمذاهب واختلاف التيارات الفكرية الهادمة لوحدة الاتحاد الفكري والعاطفي في المجتمع العربي السابق » .

● **تونس والاشتراكية :**

والقى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة خطابا وطنيا أمام أعضاء مجلس الامة في جلسة خاصة عقدت بالمجلس أثناء زيارته للقاهرة ، شرح فيه معنى الاشتراكية قائلا : ان تونس والجمهورية العربية المتحدة الآن قد أنهتا تصفية الاستعمار ، وتخلصتا من جميع مخلفاته بصورة كاملة ونهائية ، وفي مقدور كل منهما أن تنهج طريقا مثاليا في هذا الكفاح الجديد الذي نخوضه من أجل الخروج من التخلف وتحقيق المناعة والمجد ، ويذكر الرئيس التونسي ان الوسائل التي تحقق هذه الاشتراكية هي رفع مستوى الانسان وتحقيق الازدهار ونشر الرفاهية في جميع الطبقات ، والاقتراب أكثر وأكثر من العدالة الاجتماعية . ثم ينتقل مبينا :« ان الاشتراكية خلق متواصل لايتوقف ولا يتحجر ، وبحث دائم دائب لا ينتهي ، اذ هو دوما يستفيد من التجارب ويتعظ بها ، سواء منها التي تجرى بداخل البلاد أو التي تجرى خارجها ، بشرط توخي الصدق والنزاهة والاخلاص ، واعتبار النجاعة والفعالية مع احترام القيم الانسانية العليا » وقد أجاب بورقيبه على سؤال وجهه اليه ممثل اذاعة صوت العرب حول الاشتراكية التونسية فيقول عنها « انها لا تختلف كثيرا عن تجربة الجمهورية العربية المتحدة فالأسباب واحدة والهدف واحد ، وان اختلفت الطرق الى تحقيقه .

« **محمد العواني** »



الثقافة والارشاد القومي

العدد ٨٥
الثمن ٣
الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

حسام عبانك

رئيس التحرير
احمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

فى هذا العدد

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١٠٤ الخميس ٩ من ذى القعدة ١٣٨٤ هـ - ١١ من مارس ١٩٦٥م السنة الثانية والعشرون

حقوق الإنسان في الشعر العربي

بقلم: عمر الدسوقي

أهل التاريخ على الأمة العربية فألفاها مرفوعة الهامة، موفورة الكرامة، تعتصم في صحرائها الواسعة في حصن منيع عز على الغزاة من الأمم المجاورة، فلم تطاطىء الهام يوما لدخيل يسومها الخسف، وينال من كرامتها، ويحد من حريتها. فعاشت ما عاشت في جاهليتها تتنفس الحرية مع الهواء وألفت الحياة في ذلك البيت الرحب المترامي الأطراف، الذي يرتد الطرف عن آفاقه حسيرا كليلا، لا يقف أمامه حائل، تتحرك فيه بإبلها ونعمها في اباء وعزة.

ومن ثم كانت الحرية، وهي أول حق طبيعي للانسان، اغلى لديهم من اى شيء في الحياة، بل كانت عدل الحياة، آمن بهذا الفرد في قبيلته، والقبيلة مجتمعة بين غيرها من القبائل، فلم يفرط اى عربي مهما رقت حاله، وآده الفقر وأعباء الحياة في كرامته او حريته، ولو ضحى بحياته في سبيل الحفاظ على هذه الحرية الغالية، فقد آمنوا بان الموت شيء مقدر على بني الانسان، وان الحياة مع الذل والضيم اشق على النفس من الموت، وفي ذلك يقول المتلمس:

ألم تر ان المرء رهن منية
صريع لعافي الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة
وموتن بها حرا وجلدك أملس
وما الناس الا ما رأوا وتحدثوا
وما العجز الا ان يموتوا فيجلسوا

وما اروع ما قال عنترة العبسي حيث آثر ان يشرب كأس الحنظل مع العزة والكرامة ولا يشرب ماء الحياة مع المذلة والمهانة ورأى أن الذل جهنم، بل انه ليرحب بجهنم اذا كان فيها عزه ويراها أكرم منزل:

لا تسقني ماء الحياة بذلة
بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم
وجهنم بالعز اكرم منزل

كان العربي البدوي في هذه المهامه الشاسعة يعرف لنفسه قدرها، ويدرك ان الرجال في ميزان الحياة ليسوا باموالهم أو جاههم وانما بحفاظهم على كرامتهم، والحفاظ على الكرامة يتطلب جهدا نفسيا في تجنب الصغائر والتدني لما يخدش الرجولة، او يعرض المرء للمهانة، وعدم التعدي على حقوق غيره من الناس. وبهذا فهم الحرية بمعناها الصحيح، وكان شعاره السلوكي في الحياة:

فنفسك أكرمها فانك ان تهن
عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

ومن الحفاظ على كرامة الرجل الا يتعدى على حرية جاره ويمد عينيه الى حرماته، ويقيد حريته في حركاته:

وما ضر جارا يا بنة القوم فاعلمي
يجاورني الا يكون له ستر
بعيني عن جارات قومي غفلة
وفي السمع مني عن حديثهم وقر

ويقول عنترة:

واغض طرفي ان بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

كانت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية لعرب البادية في جاهليتهم، وهي وحدة متماسكة لها عرفها وتقاليدها ورئيسها، ولم تكن الرياسة فيها متوارثة، فالوراثة نظام لم يعرفه العرب لأنها تأتي بالأحمق والرشيد والقوى والصالح، بل الرئيس هو من برهن بعمله على انه في خدمة قومه، ودل على انه أشجعهم جنانا وافصحهم لسانا وأوسعهم صدرا وأسخاهم يدا، يحمل الكل ويكرم الضيف ويفك العاني ويحمي الجار، ويذود عنهم بكل ما أوتي من مال وقوة، فاذا ركب يوما راسه او ادارها الغرور، والزهو، واستبد بهم أو جار عليهم أو آثر

نفسه بشيء دونهم ، ابوا ان يمتهنهم ، ويتمادى فى طيشته وظلمه :

فلا يقيم على ضيم يراد به
الا الأذلان عير الحى والوتد

ورياسته ليست ضربة لازب ، وانما كانت لمزايا اتسم بها ، فان هى زالت عنه لم يعد مراسا عليهم ، بل اذا بغى بغيه وسامهم الخسف لم يجدوا مندوحة عن قتله :

اذا ما الملك سام الناس خسفا
ابينا ان نقر الذل فينا

ومن ثم كانت مصانعة الرؤساء للأفراد لا تقل عن مصانعة الأفراد للرؤساء ، وهذا يرجع الى تأصل الحرية فى نفس العربى لا يرضى بها بدلا ولا يروم عنها حولا ، ولو زالت عنه النعمة ، ونكاه الزمن نكآت دامية ، فعزة نفسه ، واعتداده بحريته تابى عليه أن يذل أو يضعف أو يقبل المهانة :

فان تكن الأيام فينا تبدلت
ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة
ولاذللتنا للتى ليس تجمل

وهذا هو السر فى أن هذا الجنس العربى ، ربيب الصحراء ثبت على أحداث الزمان وكوارثه ، فقد توالت عليه فى خلال العصور كسف المصائب حتى اذا ظن الطغاة الذين رزىء بهم انهم تمكنوا منه واهدروا كرامته واستذلوه وحطموا كل قوى المقاومة لديه ، انتفض انتفاضة الأبى الكريم ، وغضب غضبة الحر الشريف ، والقى نيرهم عن كاهله ، وطوح بهم فى مهاوى الدمار والتهلكة واستعاد حريته السليبة

لقد كان التغنى بالحرية انشودة العربى فى كل زمان وصقع ، ورث حبها عن آبائه وصارت جزءا لا ينفصل عن كيانه ، ولا نجد فارقا كبيرا بين ما سمعناه من شعراء الجاهلية وبين شعراء العصر الحديث ، فهذا هو البارودى يهتف فى انفة وكبرياء متغنيا بالحرية غير حافل بالموت فى سبيلها :

فعلام يخشى المرء فرقة روحه
او ليس عاقبة الحياة فراق
لا خير فى عيش الجبان يحوطه
من جانبيه الذل والاملاق

وهذا هو اسماعيل صبرى يقول :

لكسرة من رغيف خبز
تؤدم بالملح والكرامة
اشهى الى الحر من طعام
يختم بالشهد والملامة

واذا كانت الشعوب العربية قد رزئت بالاستعمار فى شتى الوانه وضروبه ، فان الشعراء كانوا أشد الناس احساسا بمهانته ، ولم يعودوا يطلبون الحرية الفردية لأنفسهم فحسب ، ولكنهم يطلبونها كاملة لشعوبهم :

واذا قال البارودى :

اذا المرء لم يدفع يد الجور ان سطت
عليه فلا يأسف اذا ضاع مجده
ومن ذل خوف الموت كانت حياته
اضر عليه من حمام يؤده

فانه قال كذلك واصفا حال شعبه وما صار اليه على يد الأسرة الباغية التى عاثت فى مقدراته فسادا وامتصت ماء الحياة من ذلك الشعب الكريم ، وضربت عليه الضيم والمهانة بعد أن كان عزيز الجانب ، قوى الشكيمة ، وهذه حال ينفر منها الكريم الحر ، ومن ثم وجبت الثورة وتقويض هذا الحكم الفاسد الذى يليه من لاخلاق لهم :

من كل وغد يكاد الدست يدفعه
بغضا ويلفظه الديوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت
قواعد الملك حتى ظل فى خلل
واصبحت دولة الفسطاط خاضعة
بعد الاباء وكانت زهرة الدول
واصبح الناس فى عمياء مظلمة
لم يحظ فيها امرؤ الا على زلل
اصوحت شجرات المجد أم نضبت
غدر الحمية حتى ليس من رجل
فما لكم لا تعاف الضيم انفسكم
ولا تزول غواشيكم عن الكسل

انه يحرض على الثورة جهارا بعد ان استحكم الهول ، ولم يعد يجدى الصبر والتصبر :

فيا قوم هبوا انما العمر فرصة
وفى الدهر طرق جمة ومنافع
اصبرا على مس الهوان وانتم
عديد الحصى انى الى الله راجع
وكيف ترون الذل دار اقامة
وذلك فضل الله فى الأرض واسع

وكانت الثورة العرابية ، ثورة شعب قام يناهض الذل والفساد ، ويريد الحياة عزيزة كريمة ، ولكن هذا الشعب قد طعن من الخلف وتآمرت عليه الأسرة الحاكمة مع المستعمر ، واصطنعت لفيفا من الخونة الذين باعوا ضمائرهم للشيطان ، وكان ما كان ، ولكن الشعب لم يحد عن طلب الحرية ،

وتحطيم القيود التى كبل بها ، وكان الشعراء ترجمان مشاعره ، فهذا شوقى يقول :

يا قوم هـذا زمن قد رمى
بالقيد واستكبر عن سحبه
لو ان قيـدا جاءه من عل
خشيت ان يأبى على ربه

لقد ثارت الشعوب اليقظة على حكامها الذين يمتصون دماءها ، وعلى المحتلين الغاصبين الذين يبتزون خيراتها ويعوقون تقدمها ، ويسخرونها بمذلة ومهانة فى قضاء مآربهم الاستعمارية الدنيئة التى تهدر كرامة الانسان ، وتضعه فى مرتبة الحيوان الأعجم ، فالاستعمار رق جماعى ، وقتل الآلاف من الشعوب الثائرة لا يجرح ضمائر المستعمرين الميتة ، بينما لو قتل منهم شخص واحد لكان قتله جريمة نكراء وما احسن ماقاله أديب اسحق معبرا عن عقلية المستعمر :

قتل امرىء فى غابة
جريمـة لا تغتفر
وقتل شعب آمن
مسألة فيها نظر

وهاكم على محمود طه يتعجب من منطق المستعمر الذى يأبى على شعبنا ان ينال حريته فى حين أن شعوبا كثيرة قد تحررت ، ولم يعد الزمن يستسيغ هذا المنطق الذى يسوغ قانون الغابة :

تحررت الشعوب فكل شعب
طليق والمجـال اليوم رحب
وهبت فى نواحى الأرض دنيـا
لحق يجتبى ومنى تلب
فلا تقفوا بحريات شعب
وآمال له بالمجد تصبو

واذا اضطر هذا الشعب للحرب التى فرضت عليه دفاعا عن حريته السليبة ، وثأرا لكرامته المستضامة فبحسبه أن يخوض حربا شريفة ، وأن يعف فى حربه فلا يتجنى ولا يسلب غيره من الناس حقوقهم الطبيعية :

شرف المحارب أن يعف سلاحه
ان جارت الهيجاء وهو حريبها
ليحرر شعبا أو يحرر أمة
لا تستباح ولا يضام نجيبها

ان شعرنا الحديث يغص بالحديث عن الحرية تلك التى حرمتها شعوبنا ردحا من الزمن على يد المستعمرين الغاصبين ، ولا يسعنى فى هذه العجالة ان اتوه بكل ماقيل فى هذا الموضوع ولكنى أختم الحديث عن الحرية أول حق من حقوق الانسان الطبيعية ، التى بدونها يفقد انسانيته بابيات للمرحوم هاشم الرفاعى حيث يقول على لسان شهيد :

أنا لست أدرى هل ستذكر قصتى
أم سوف يعروها دجى النسيان
كل الذى أدريه أن تجرعى
كأس المذلة ليس فى امكانى
لو لم أكن فى ثورتى متطلبا
غير الضياء لأمتى لكفانى
أهوى الحياة كريمة لا قيد لا
ارهاب لا استخفاف بالانسان
فاذا سقطت سقطت احمل عزتى
يغلى دم الاحرار فى شريانى

أجل انه دم الاحرار تحدر فى أصلابنا منذ ذلك العصر السحيق الذى عاشت فيه امتنا العربية طليقة فى رحاب صحرائها ، وعاش معنا طوال هذه الآماد يتأبى على القيود والسدود ، وحفظ على هذه الامة حيويتها وقوتها فخرجت من كل المحن أصلب عودا وأقوى بأسا ، وأنقى معدنا .

أما الحق الثانى والثالث من حقوق الانسان فهما المساواة والاخاء . ولقد كان العرب فى صحرائهم لا يشعرون بهذه الفوارق الطبقية التى يستعلى بها انسان على أخيه فى مدنيتنا الحاضرة ، وانى لهم هذا الشعور وهم ليسوا أهل دور وقصور وضياع عامرة ورءوس اموال ضخمة ، وانما بيوتهم اخبية تقتحمها العين ويطوونها عند الرحلة ، وأموالهم شاء ونعم عرضة لان تجتاحها سنة مجدبة فتجتثها من اصولها ، فالتفاوت الشديد فى الثروة واقتناء متع الحياة هو الذى يولد فى النفس الشعور بعدم المساواة بين الناس واستعلاء بعضهم على بعضهم ثم انهم كانوا يعيشون فى نظام اجتماعى وحدته القبيلة والقبيلة تنتمى لأب واحد ، وبين أفرادها لحمة الدم وصلة القربى فمن عنده مال ومن هو حليف المتربة والفاقة تربطهما صلات ووشائج اقوى من أن يؤثر فيها هذا التفاوت ان وجد ، بل ان الغنى ذا الشاء والنعم يضع ثروته كلها فى خدمة القبيلة ، والا تنكرت له وتبرأت منه ، وهى وطنه وقوميته وكل ما له فى الحياة ، ومن ثم كان حتما عليه أن يواسى فقيرهم ، ويؤاخى ضعيفهم ، ويبذل ماله فى رفعة شئونهم عن سماحة وطواعية ويكون لهم كالأب:

نميل على جوانبه كأنا
نميل اذا نميل على ابينا

تقلبه لتخبر جانبيه
فتخبر منهما كرما ولينا

هو من هؤلاء الذين قال فيهم الحطيئة
أولئك آباء الغريب وغاثة الصـ
ـريخ ومأوى المرملين الدرادق

وليس معنى المساواة أن ينعدم الفقر بين الناس ، فالناس ليسوا سواء فى مواهبهم الطبيعية ، ففيهم القوى والضعيف ، والذكى والغبى ، والصحيح والمريض ، والعاقل والاحمق ، والمتأنى والمتهور الى غير ذلك من الصفات الخلقية والمواهب الربانية ومن الطبيعى أن يتفوق بعضهم على بعض فى ميدان العمل والرزق ولكن الفقر لا يحرم الانسان حقه فى الحياة ، والغنى لايجعل صاحبه يستأثر بكل شىء ، ومن حوله أناس لايجدون مايقيم أودهم ويموتون مسغبة وجوعا . بل ان الحياة شركة بين الاثنين ، والمال مال الله ، وهو عارية مستردة . هكذا فهم العرب فى جاهليتهم وظيفة المال ، وحق الفقراء عليهم :

اذا كان بعض المال ربا لاهله
فانى بحمد الله مالى معبد
يفك به العانى ويؤكل طيبا
ويعطى اذا من البخيل المصرد

لقد لقنتهم الصحراء درس المساواة الحقيقى فغنى اليوم قد يصبح فقيرا غدا ، وماله وهو الشاء والنعم، قد تجتاحه جائحة فيعود صفر اليدين حلس فاقة ومتربة ، ومن هنا يشعر شعورا حادا بقيمة المساواة والشركة فى الحياة بين الفقراء والأغنياء ، وقد عبر الشعر العربى الجاهلى أفصح تعبير عن هذا المعنى الكريم ، فتقول أم حاتم الطائى :

لعمرك قدما عضنى الجوع عضة
فآليت الا امنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليوم أعفنى
وان أنت لم تفعل فعض الاصابعا

ويقول عمرو بن الاطنابة الخزرجى مفتخرا بقومه وبنهجهم فى الحياة :

انى من القوم الذين اذا انتدوا
بدءوا بحق الله ثم النائل
والخالطين فقيرهم بغنيهم
والباذلين عطاءهم للسائل

وما أكثر ما قيل فى الاشتراكية الجاهلية .

يقول حاتم الطائى لزوجه :

اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له
أكيلا فانى لست آكله وحدى
أخا طارقا أو جار بيت فاننى
أخاف مذمات الأحاديث من بعدى

أجل انه يخاف مذمات الأحاديث لأنه لو لم يشاركه فى طعامه جاره أو ضيفه يكون قد اقترف اثما كبيرا ، وانتهك حرمة قانون الصحراء الذى يتعرض فيها كل امرىء لأن ينفد زاده أو يفقد ماله، ولابد من التعاون وفتح الابواب لكل طارق، والشركة فى المال .

وهذا هو الهذيل بن مشجعة يتكلم عن موقفه الكريم فى السنوات المجدبة حيث تشتد وطأة الجوع والفقر ويلتمس الفقراء الزاد فلا يجدونه ، وتهزل النعم ويصيبها الجرب لشدة القحط :

ومتى أجئه فى الشدائد مرملا
ألق الذى فى مزودى بوعائه
واذا تتبعت الجلائف ما لنا
خلطت صحيحتنا الى جربائه

ويقول زرعة بن عمرو حيث ينتشل الأرملة التى فقدت عائلها من غائلة الفقر وينزلها منزلة ولده فى كل ما يصيبهم من خير :

وأرملة تنشو على يديها
من الضراء أو قصص الهزال
خلطت بغثها سمنى فأضحت
شريكة من بعد من العيال

اما عروة بن الورد العبسى فان مشاركة الفقراء فى ماله وقيامه بحق الجار والأهل والفقراء قد أورثته الهزال والضعف ، حتى عيره بهزاله الشحيح الذى تنكر لانسانيته وآثر أن يأكل وحده دون أن يشرك فى طعامه سواه ، فى حين أن عروة قد كان يدعو لطعامه الصعاليك حتى سمى باسمهم ، وقسم ما اكتنزه جسمه من لحم وشحم على اخوانه هؤلاء فقال لصاحبه هذا الذى سخر منه :

أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى
بوجهى شحوب الحق والحق جاهد
وانى امرؤ عافى انائى شركة
وأنت امرؤ عافى انائك واحد
اقسم جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد

كانت هذه تقاليد عرب الجاهلية، ولما جاء الاسلام، لم يجعل حق الفقير على الغنى مكرمة وعطاء ، ولكنه جعله فرضا معلوما وحقا مقسوما ، وكان رسول الله عليه السلام أسوة حسنة فى تطبيق معنى المساواة الحقيقية التى يجب أن تسود بين الناس ، وكيف لا وقد أنزل الله تعالى عليه قوله الكريم : « يا أيها الناس انا

خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

فهنا مساواة في طريقة الخلقة والوجود الى الحياة، يشترك فيها الغني والفقير والأمير والحقير ، وما أبلغها من عبارة ، واكرم الناس عند الله ليس أكثرهم مالا او اشدهم سطوة أو أعظمهم جاها ، ولكنه أتقاهم ومن جعل بينه وبين الحرمات وايذاء الناس والتعدى على حقوقهم وقاية ، والدين الحق هو المعاملة

ولعل أبا العلاء المعرى كان يشير الى مستهل هذه الآية الكريمة بقوله :

لو عرف الانسان مقداره
لم يفخر المولى على عبده

وقد اجمل شوقي تعاليم الدين الاسلامي في المساواة والاخاء بقوله مادحا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام :

الله فوق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائه أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة
والأمر شورى والحقوق قضاء
الاشتراكيون أنت امامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئدا وداووا طفرة
وأخف من بعض الدواء الداء
والبر عندك ذمة وفريضة
لا منة ممنونة وجباء
جاءت فوحدت الزكاة سبيله
حتى التقى الكرماء والبخلاء
انصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل في حق الحياة سواء
فلو ان انسانا تخير ملة
ما اختار الا دينك الفقراء

وضرب شوقي مثلا على مساواة الناس في حق الحياة باشتراكهم في استنشاق الهواء وتمتعهم جميعا بالشمس تطلع على القصور الشاهقة كما تطلع على الأكواخ القميئة ، والصحراء المقفرة ، وبمساواتهم في الموت يتوسدون جميعا لحدا ضيقا :

يريد الخالق الرزق اشتراكا
وان يك خص أقواما وحابى
الم تر للهواء جرى فأفضى
الى الأكواخ واخترق القبابا
وأن الشمس في الآفاق تغشى
حمى كسرى كما تغشى اليبابا
وأن الماء تروى الأسد منه
ويشفي من تلعلعها الكلابا
وسوى الله بينكم المنايا
ووسدكم مع الرسل الترابا

لقد أكد الاسلام المساواة والاخاء بين الناس في تعاليمه جمعاء وعلى الأخص في الوقوف بين يديه سبحانه وتعالى في الصلاة حيث ينتظمون صفوفا يتلاصق فيها الغني والفقير والكبير والصغير والحاكم والمحكوم ، وفي الحج حيث يتعرى الناس عن ملابس الزهو والخيلاء ، فيتعرون عما يوحي بالتفاوت بينهم في الحياة ، ويقفون أمامه سبحانه جميعا على قدم المساواة ، وفي ذلك يقول شوقي :

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
اليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ولا الأقدار مختلفات

واذا كنا قد شغفنا بالحرية حبا كما أسلفنا وتغنينا بها خلال العصور ، فقد أولعنا بالمساواة التي مارسها أجدادنا في الجاهلية عملا ، وثبتها الاسلام عقيدة وشرعا ، وتغنى بها الشعراء كذلك في كل عصر فقال أبو العلاء المعرى :

ولو أني حبيت الخلد فردا
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

وقال في عصرنا الحديث الشاعر الشاب المرحوم هاشم الرفاعي ان كان هؤلاء الذين يبغون السلام في الأرض جادون حقا في دعواهم هذه فليأخذوا عن شرعنا وديننا ما أتى به من تعاليم :

او قام منهم بالاخاء مطالب
فحديثه للناس محض خداع
ليس الاخاء شريعة تملى ولا
عهدا يدبج قصة بيراع
لكنه ــ وكما رسمت خطوطه ــ
شيء يحس صداه في الأضلاع
وعلاقة يسمو بها الانسان لا
كعلاقة الأسياد بالأتباع

انه لحديث طويل حديث حقوق الانسان في الشعر العربي ، ومعذرة إذا أوجزته هذا الايجاز المخل ، وتخطيت عشرات الشعراء ممن أشادوا بهذه الحقوق في مختلف عصور العربية واقطارها » **عمر الدسوقي**

المجتمع الاشتراكي والتفرقة العنصرية

للدكتور : عبد العزيز كامل

(٢)

في المقال السابق ذكرت نصا عن ابن حزم من كتاب المحلى (١٠ : ٢٤) في موضوع الكفاءة ، سقط منه حرف لايستقيم به المعنى . وصحته « وأهل الاسلام كلهم أخوة ، لايحرم على ابن من زنجية لغية نكاح ابنة الخليفة الهاشمى » واللغية من لا يعتد بها . وكذلك حدث تحريف في اقتباس من ابن خلدون صحته « ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي .. لم نجدها الا في اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ... » ويلى هذا مناقشة لموضوع الامامة وشروطها وآراء الفقهاء فيها .

وقبل أن أنتقل الى ماقاله العلم في أمر التفرقة العنصرية ، ينبغى أن نذكر حقيقة كبيرة هى أن كلمة الاسلام واحدة لم تتبدل في أمر العنصرية ، بينما تغيرت كلمة العلم فيها . ومن هنا يأتي الفارق الكبير بين موقف الدين وموقف العلم الذى لايعتمد فيه الانسان الا على حواسه . وما أكثر ما يأتيه الهوى كما سنتبين بعد قليل .

من أجل ذلك حدد الاسلام مصادر المعرفة فلم يقصرها على الحواس وانما ضم فيها الجانبين المادى والروحى ، فقال تعالى « ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (الاسراء : ٣٦) واعتبر هذه الوسائل الثلاث نوافذ يطل بها الفرد على الوجود وعطايا الهية عليه أن يحسن الاستفادة منها ، وأن أى تقصير في استخدامها جحود بنعمة الله . وفى هذا يقول الله تعالى « الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » (السجدة : ٧ ـ ٩)

وليس هناك تقابل بين القلب والحس ، وانما هناك تكامل تتضح به الرؤية للفرد وتتحول المعرفة النظرية الى أسلوب عملى في الحياة . فهذا الصراع بين الروح والمادة والالحاح العقلى الدائم على المقابلة بين المحسوس والمعقول واهدار الواقع المشاهد في سبيل المجهول أو الغيبى أو اهدار الغيب في سبيل المشاهد .. كل هذه مشكلات لا أصل لها في التفكير الاسلامى ، ولا في تكوين الاسلام الفرد والجماعة . فنحن نؤمن أن الله « عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم » (السجدة : ٦) . وأن الانسان مطالب بالسعى والعمل والانتاج « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (الملك : ١٥) ، وهو مطالب في نفس الوقت بالايمان بالغيب ، يقرأ هذا في كثير من آيات القرآن الذى يصف المؤمنين بقوله « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (البقرة : ٣ ـ ٥)

واستطاع الاسلام بهذا الايمان بالغيب والشهادة، وبالنظرة الممتدة التى تجمع القلب والحواس، وتضم الوحى والعلم التجريبى الصحيح ، استطاع الاسلام بهذا أن يتخطى مشكلات لاتزال بعض المجتمعات المتقدمة تتعثر فيها حتى الآن . وعلى رأس هذه المشكلات التفرقة العنصرية .

والأمر في التفرقة العنصرية لايكفى فيه أن يقول العلم كلمته ، وانما كيف تتحول هذه الكلمة الى عمل وحياة ؟ لقد قال العلم كلمته في التفرقة العنصرية كما سنرى ، ولكن المشكلة لاتزال حية ساخنة في الولايات المتحدة الامريكية . ولا زال أفراد من هذا المجتمع المحموم يلقون مصارعهم في وضح النهار أو ظلمة الليل بأيدى الغدر والخيانة ولا ذنب لهم الا أنهم سود البشرة . ورغم أن العلم قد قال كلمة فان التفرقة العنصرية تمارس بأبشع صورها في أقصى جنوب افريقية حيث أقلية ظالمة

من البيض استولت على كل مقدرات المجتمع سياسيا واقتصاديا والجأت الافريقيين الى الضيق من الرزق والجدب من الارض والوبيء من السكن • وتلقى هذه الأقلية ـ رغم هـذا كله ـ تأييدا من بعض الدول الكبرى •

ومن هنا تبدو الحاجة الى كل من كلمتى الدين والعلم • بل يبـدو العلم وحده بمعناه المحدود ـ عاجزا عن أن يحل المشكلة • لابد من قوة تحـول هذه النتائج العلمية الى حقائق واقعية • وهنا تبدو مدى الحاجة الى الدين ويبدو سـلطانه على النفس وأثره فى تصحيح الأوضاع الفاسدة فى المجتمع •

واشتراكيتنا العربية تقوم على أساس من الدين، لا باعتباره تراثا منعزلا عن واقع الحيـاة ، وانـما باعتباره قوة دافعة للفرد والمجتمع ونورا يضيء طريق الحياة ويحدد مسالك الخير فيها •

وقـد تكون أهم المشكلات التى تقـابل المجتمع الاشتراكى هى « مشكلة الحافز » الذى يدفع الفرد الى العمل بحيث يصير المجتمع كله منطلقا الى أهدافه يمارس أفراده أداء الواجب كما يمارسون الحصـول على الحق • والعقيدة قوة تستطيع أن تفعل الكثير من بعد ، كما فعلت الكثير من قبل وتحول الفـكرة الى عمل والآمال الى حقائق •

ولعل أكبر هيئة علمية درست مشكلة التفـرقة العنصرية بكثير من التفصيل هى ، هيئة اليونسكو وأصدرت فى هذا الموضوع دراسات أهمها سلسلتان: الأولى عن المشكلة العنصرية فى نظر العلم الحديث ، والثانية عن المشـكلة العنصرية والتفـكير الحديث • وأصدرت تصريحين أو بيانين هامين أولهما عام ١٩٥٠ والثانى عام ١٩٥١ وقع على كل منهما صـفوة من العلماء المختصين فى مشكلات العنصرية على المستوى العالمى • وعادت هيئـة اليونسكو فأخذت فى جمع بعض هـذه الرسائل واصدارها فى مجمـوعات ، صدرت الأولى منها بالفرنسية عام ١٩٦٠ باسـم « المشكلة العنصرية فى نظر العلم » وتحوى أحد عشر بحثـا ، لا يخلو بعضها من تحيز تبدو فيه رائحة الصهيونية ، كبحث كتبه شابيرو عن «شعب أرض الميعاد » وهو البحث الوحيد من المجموعة المخصصة لدراسة اقليم معين هو فلسطين السليبة وذلك من زاوية أساسية هى علاقتها باليهود •

ويكفى هذا النموذج ليرينا كيف تستطيع الأهواء أن تلبس أردية العلم وأن تصب نفسها من جداول واحصاءات تحاول بها تزييف التاريخ والقاء أضواء ـ غير عادلة ـ على أخطر مشكلة يقابلها وطننا العربى فى تطوره المعـاصر •• بل تقـابلها الاشتراكية العربية فى هذه المرحلة الحرجة من زحفها الدائب نحو أهدافها •

والى جانب ذلك هناك ابحاث أصـلية فى هذه المجموعة تمتاز بالموضـوعية العلميـة وتنحو نحـوا انسانيا شاملا على أساس علمى وسنشير الى بعضها بعد قليل •

كما عنى بموضوع العنصرية عدد كبير من الباحثين يمثلون اتجـاهات متعـددة تدافع عن العنصرية أو تهاجمها ، وان كان الدفاع عنها قد أخذ يتضـاءل أمام اليقظة الجارفة التى تعم آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية فى الوقت الحاضر • واسـتطاع أن يدخل ميدان الدراسة باحثون جدد أعادوا الدراسـات التى سبق أن قام بها بيض متحيزون وأن يثبتوا بالدليل القاطع كيف عبث هؤلاء بقداسة العلم وزيفوا النتائج التجريبية ليبرهنوا على تفوق السلالات البيضـاء على السلالات الملونة بعامة والسوداء بخاصة •

والجانب الأصيل من الاشـتراكية العربية أنهـا تجمع بين الأصول الدينية والمنهج العلمى وتأتيهـا الكشوف العلمية ـ متى كانت على أساس سليم ـ مصدقة ومؤيدة لما تؤمن به من مساواة بين الناس، وتأثيرها بهذا لايقتصر على التطبيق المحلى وانما يقدم للعالم كله نموذجا حيا للنظرة الشاملة المتكاملة التى تستطيع أن تستفيد منها الانسانية مع حل مشكلة العنصرية • وتوضيح هـذه النظرة يقتضينا اجراء مقارنات بين مجتمعنا وغيره من المجتمعات، واشتراكيتنا وغيرها من الاشتراكيات ، كما يقتضينا أيضـا أن نتعمق البحث فى أعماق التاريخ حتى يبدو التطور الزمانى للمشكلة ـ وهو البعـد الرابع ـ فى أية دراسـة •

وقد عنى جوان كوماس بالتطور التاريخى لمشكلة العنصرية وذلك فى بحث عنوانه « خرافات عنصرية » نشرته هيئـة اليونسكو لأول مرة عام ١٩٥١ فى سلسلة «المشكلة العنصرية فى نظر العلم» ثم أعادت نشره فى صدر المجموعة التى تحمل نفس الاسم عام

١٩٦١ · وصـدرت لهذا البحث ترجمة عربية فى سلسلة الألف كتاب تحت عنـوان « خرافات عن الأجناس » ونقله الى العربية الدكتور محمد رياض ·

وقارن كوماس بين النصوص الواردة فى التوراة والانجيل عن العنصرية · وكيف يستند انصـار التفرقة الى نصوص فى سفر التكوين (٩:٢٥ ـ ٣٧) وهى نصوص تتعلق بكنعان بن حام بن نوح وعبوديته لأخويه سام ويافث · وآيات تتعلق بتفضيل بيت ابراهيم عليه السلام (١٢ : ١ ـ ٣) · وكيف أن بعض هذه الآيات لايمكن الاستناد اليه فى التفرقة · ثم عرض الآيات الدالة على المساواة فى الانجيل وأعمال الرسل ومن نماذجها رسالة بولس الى أهل رومية (٩ : ٨ ـ ٩) · وعهد النصوص التاريخية القديمة فى هذا حتى وصل الى مطلع العصور الحـديثة مع القرن السـابع عشر والثامن عشر وما بعد ذلك الى الوقت الحاضر · وكانت عنايته بالفلاسفة الأوربيين وتميز فيهم اتجاهان رئيسـيان الأول يذهب الى انى أميل الى الاعتقاد بأن الزنوج أحط بالطبيعة من العناصر البيضاء ·

فمن أيدوا الوحدة الجوهرية للطبيعـة الانسانية فولتير وجان جاك روسو فى القرن الثامن عشر · بينما نجد فيلسوف مثل هيوم فى القرن الثانى يقول : انى أميل الى الاعتقاد بأن الزنوج أحط بالطبيعة من العناصر البيضاء ·

ويذهب هذا الاتجاه الى آماد بعيدة من التعصب العنصرى عند **منتسكيو** صاحب روح القوانين ـ · فقـد حاول أن يربط بين المنـاخ والمجتمع ويبرر الاستعمار الاوربى للمناطق المهارية فى عبارات مثل قوله : « ان ساكنى البلاد الباردة يمتازون بـكثرة الفضائل وقلة المفاسد وشد الصراحة وقلة الأنانية · واننا كلما ابتعدنا عن الشمال عند الجنوب تكون قد ابتعدنا عن الأخـلاق ، فشاهدنا أمما تنقصها روح التطلع والاقدام والكرم ، ويزداد الكسـل والأنانية وتتفشى المفاسد والجرائم · ولذلك كله ، نجد ان امم الشمال تتغلب دائما على أمم الجنوب ، كما نجد أن الحرية والديموقراطية لا تتأصل الا عند أمم الشمال· أما أمم الجنوب فتتصف بالعبودية والاستسلام بعامة كما أن دولها لا تعرف معنى للحرية والديموقراطية بل تكون مستبدة وظالمة مع كل الأحوال ·

بل ان منتسكيو يربط بين المناخ الحار والرق وبين المناخ البارد والشجاعة والحرية · ويحاول ان يبرر تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسى وابادة الهنود الحمر بقوله : « اذا طلب منى أن أدافع عن حقنـا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدا ، فانى أقول ان شعوب اوربا بعد ان أفنت سكان أمريكا الاصليين ، لم تر بدا من ان تستعبد شعوب افريقية لكى تستخدمها فى استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة · والشعوب المذكورة ماهى الا جماعات سوداء البشرة من أخمص القـدم الى قمة الرأس ، وأنفها أفطس فطسا شنيعا بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن نرثى لها · ولايمكن للمرء أن يتصور أن اللهسبحانه وتعالىوهو ذو الحكمة السامية قد وضـع روحا ، وعلى الأخص روحا طيبة · فى جسم حالك السودا » ·

وهكذا سـار نفر من الفلاسـفة والعلماء باسم العلم فى مواكب الاستعمار يحاولون ان يضعوا قواعد علمية لعدوانهم · وباسم العلم بل وباسم الدين أحيانا حاولوا افناء الهنود الحمر فى أمريكا باعتبارهم من سلالة الشيطان ·

وعلى الرغـم من الاثر الادبى فى أوربا لبعض المفكرين فان التفرقة العنصرية تطورت الى نظام مذهبى خـلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر · ودعم التطور الصناعى والتوسع الاستعمارى هذا الاتجاه ، تحول الرق فى الولايات المتحدة الامريكية الى نظام مقدس فى منطقة القطن وصـحب هـذا ترحيب بنظرية دارون التى نادت بأن البقاء للاصلح واعتبرها انصار التفرقة العنصرية مؤيدة لمصالحهم، واتخذوها ، سـندا علميا لتبرير مظالمهم · فلا لوم عندهم على الابيض ـ وهو الاعلى ـ أن يستعبد الملون ـ وهو الادنى ـ أو يفنيه ·

وهنا ينبغى ان نفـرق بين الداروينية الاجتمـاعية والداروينية البيولوجية وهى التى نادى بها دارون · فالذى حدث عمليا ان الجمـاعات الملونة تطورت واصبحت ـ كما يرى البيض ـ منافسـا خطرا لهم فى ميادين العمل ، فضـلا عن مطالبتها بالميزات الاجتماعية التى تعتبرها الجماعات البيضاء حقا وراثيا لها دون غيرها من الاجناس · فاسـتغل البيض النظرية وأوجدوا « الداروينية الاجتماعية » وهى قناع علمى تخفى وراءه العناصر البيضـاء مطامعها الاقتصادية المادية التى دعتها الى انكار

حقوق الشعوب الملونة فى اى نصيب مما تتمتع به هى من مميزات ، واعتبروا استعباد او افناء المجموعات البشرية غير البيضاء بالرصاص الاوربى لا يخرج عن كونه تنفيذا لسياسة استبدال مجتمعات راقية بأخرى غير راقية ٠ وكانت النظرية تبريرا للعدوان ، لان المعتدين فى ظل الداروينية الاجتماعية وباسمها ـ تخلصوا من كل الاعتبارات الانسانية تجاه الاجانب الذين ينتمون الى ماأسموه بالاجناس المنحطة وكانوا يضعونها فى مصاف الحيوانات أو أعلى منها قليلا .

وافاد الاوربيون من تفوقهم العلمى ووفرة اسلحتهم ، مما جعل المعارك غير متكافئة بينهم وبين الشعوب الملونة فى آسيا وافريقية وامريكا . واشتعلت نيران حروب الابادة لاجناس لم يبق منها الا جماعات محدودة كمتاحف بشرية حية ، ثم تبع هذا حركات التهجير الضخمة من العالم القديم الى العالم الجديد . وعلى اكتاف الافريقيين وبجهودهم امكن استغلال الارض وانشاء المشروعات ومد الخطوط الحديدية وتعبيد الطرق ٠ واذا كان الفكر الاوربى له جانب من بناء هذه الحضارة ، فان هذا الفكر باتجاهاته الاستعلائية وباهداره كرامة الانسان قد حال بين قارات كاملة وبين التطور واتخذ ابناءها وثرواتها مادة لتكوين الحضارة الاوربية وحال بين ثلاثة ارباع العالم وبين التطور الطبيعى الذى اخذت تباشيره تبدو بعد كفاح الحرية الدامى .

فالداروينية الاجتماعية كانت الاساس العلمى الذى اتخذته الحضارة الاوربية عندما نادت بالبقاء للاصلح وبررت جبروتها وعدوانها على الملونين حيث كانوا . وكانت التفرقة العنصرية ـ ولا تزال ـ وسيلة لايجاد ضحايا او قرابين حين يتهدد الخطر مركز بعض الافراد أو تماسك بعض الجماعات أو الدول الاستعمارية .

وكان من المنطقى ، بعد أن مارس البيض التفرقة العنصرية بينهم وبين الملونين ، أن يبرز سؤال ليفرض نفسه على السلالات البيضاء نفسها : « ما هى السلالة المتفوقة من بين البيض ؟ » « وبعبارة أخرى من هو سيد السادة ؟ » لقد كانت التفرقة العنصرية مشكلة اصطلى بنارها الملونون ولكن لظاها امتد الى البيض عندما حاولوا أن يبحثوا بين سلالاتهم عن أرقاها واسماها .. وادى هذا الى نظريات أكثر تطرفا ٠٠ كانت من بين الأسباب التى أشعلت نيران الحرب العالمية الثانية ودفعت فيها الانسانية ثمنا جعلها تبحث عن « علم جديد » يستهدف العدالة والاخاء .. عدالة تمثلها الاشتراكية واخاء تمثله محاولات لنبذ التفرقة العنصرية . وموعدنا حديث مقبل لعرض هذه التيارات العالمية .

« د.عبد العزيز كامل »

« اعتـــذار »

يتابع الأستاذ محمود محمد شاكر سلســـلة مقالاته من العدد القادم .

ويأسف لانقطاعه عن الكتابة فى الأسبوعين الماضيين لمرض منعه عن الاستمرار .

هذا وسيكون مقاله القادم بعنوان « أباطيل وأسمار »

اشتراكيتنا قبل الإسلام

للدكتور : فؤاد حسنين على

إذا استثنينا الكتابات البابلية والاشورية والمعينية والسبائية واللحيانية والثمودية والنبطية والعربية الشمالية فان كتبا علمية حول تاريخ العرب القديم لم تصلنا ، نعم ان من بين هذه الكتابات تلك التى تحدثنا عن ملك من الملوك أو حرب من الحروب أو أسرة من الاسر الحاكمة الا ان مجموعة كاملة أو شبه كاملة تفتح عهدا وتختمه لامة من هذه الامم العربية لم تصلنا بعد وكل ما كتب عن تاريخ العرب شعوبا وبلادا لا يتعدى محاولات جاءتنا نتيجة مغامرات وجهد مضن لجماعة من رجالات الدراسات الشرقية فى العالمين القديم والحديث . وليس مرجع هذا النقص انعدام الكتابة وأدواتها بل يد العبث التى امتدت الى هذه الوثائق فابادتها وتركتنا نتخبط طويلا حتى نوفق الى الاهتداء الى الخطوط الرئيسية للتاريخ العربى قبل الاسلام .

الا ان بعدنا عن هذا التاريخ المكتوب اضطرنا الى التماسه فى الحياة العربية البدوية وهذه الحياة هى التى تربط حقا بين ماضى وحاضر أمتنا العربية فالبادية هى البادية والشعب هو الشعب واللغة هى اللغة والعادات بقيت العادات بالرغم من اختلاف العقائد أو بتعبير أدق تطورها وذلك لان ديننا ما لم ينجح فى اقتلاع الشعور الدينى المتوارث فى أمة من الامم . واذا أراد باحث اجتماعى استخلاص صورة لحياة مجتمعنا العربى فى كثير من أطواره فما عليه الا أن يقف عند العشيرة أو القبيلة وعاداتها وتقاليدها فتسجل حواسه بيئتنا العربية الذكية ويرى اشتراكيتنا ممثلة فى قول الشاعر :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

فالاشتراكية العربية هى أن يأخذ القوى بيد الضعيف والصحيح بيد المعتل والغنى بيد الفقير وبذلك فقط تسود هذه الاشتراكية الاجتماعية التى صورها شاعرنا . ان اشتراكيته اشتراكية مجتمع لا طائفة. انها اشتراكية الخدمة المتبادلة لا التربص والتشل . واذا أردنا صورة أخرى لاشتراكيتنا العربية تمثل اصالة هذه الحياة البدوية التى تنعدم فيها الفوارق الطبقية والمساواة التامة فى الحقوق والواجبات وجدناها فى مثل قصيدة (ميسون) :

لبيت تخفق الارواح فيه
أحب الى من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عينى
أحب الى من لبس الشفوف

واكل كسيرة فى كسر بيتى
أحب الى من اكل الرغيف

وأصوات الرياح بكل فج
أحب الى من نقر الدفوف

وكلب ينبح الطراق دونى
أحب الى من قط ألوف

وبكر يتبع الاظعان صعدا
أحب الى من بغل زفوف

وطرف من بنى عمى نحيف
أحب الى من علج عفوف

ولما بلغت معاوية هذه الابيات منح (ميسون) حريتها وعادت بنت الصحراء الى حياتها الاولى حياة المساواة فى المدر والوبر ولبس العباءة لا الشفوف وأكل الكسيرة لا الرغيف .

وحياة الصحراء هذه كما صورتها لنا (ميسون) وغيرها من الشعراء والشاعرات تفرض على العرب جميعهم اشتراكية سليمة حقا فالطعام واحد والشراب والكساء واحد والبيت واحد وعلاوة على ذلك فهناك الضمان الجماعى فالقبيلة رجل واحد فى السراء والضراء تقدس الحرية وتبغض الظلم وهما الركنان الاساسيان لبناء مجتمع اشتراكى سليم فلا اشتراكية

مع الظلم أو الاستعباد ، لذلك كان العرب أول من أسس فى تاريخ الانسانية نظاما لضمان العدالة ونصرة الضعيف المظلوم اعنى **(حلف الفضول)** وهو يفضل بكثير هيئة الامم المتحدة التى ظهرت الى الوجود فى القرن العشرين الميلادى ·

ويروى ان سبب قيام هذا الحلف هو رد العدوان ، وذلك ان رجلا من بني زبيد قدم مكة معتمرا فى الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه العاص بن وائل السلمى وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدى متاعه فلم يقدر عليه فجاء الى بنى سهم يستعديهم عليه فعرف ان لا سبيل الى ماله ··· فلما راى الزبيدى الشر اوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة فصاح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائى الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته
ياآل فهر وبين الحجر والحجر

اقائم من بني سهم بذمتهم
أم ذاهب فى ضلال مال معتمر

ان الحرام لمن تمت كرامته
ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفا بينه وبين بطون من قريش يمنعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال :

حلفت لنعقدن حلفا عليهم
وان كنا جميعا أهل دار

تسميه الفضول اذا عقدنا
يعز به الغريب لدى الجوار

ويعلم من حوالى البيت انا
اباة الضيم نمنع كل عار

وعن عائشة رضى الله عنها انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول اما لو دعيت اليه اليوم لاجبت ··· وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب ·

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا
الا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا
فالجار والمعتر فيهم سالم

ومن آثار هذا الحلف فى الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت فى غريب الحديث ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمى من يعديني على هذا الرجل؟ فقيل له : عليك بحلف الفضول · فوقف عند الكعبة ونادى ياالحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم يقولون : جاءك الغوث : فما لك ؟ فقال : ان نبيها ظلمنى فى ابنتى وانتزعها منى قسرا فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا : اخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه : فاخرجها اليهم ·

ويذكر صاحب الاغانى ان رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من أبى بن خلف الجمحى فظلمه وكان يسىء المخالطة فاتى الثمالى الى أهل حلف الفضول فاخبرهم فقالوا له اذهب فاخبره انك اتيتنا فان اعطاك حقك والا فارجع الينا فاتاه فاخبره بما قال له أهل حلف الفضول فاخرج له ماله واعطاه اياه بعينه وقال الثمالى فى ذلك :

ايأخذنى فى بطن مكة ظالما
ابى ولاقومى لدى ولا صحبى

وناديت قومى صارخا لتجيبنى
وكم دون قومى من فياف ومن سهب

ويابى لكم حلف الفضول ظلامتى
بنى جمح والحق يؤخذ بالغصب

واذا تركنا هذا العصر المطل على البعثة المحمدية والذى تجلت لنا فيه اشتراكية العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد القبيلة الواحدة من ناحية وبين العرب عامة من ناحية أخرى كما تبينا هذا فى حلف الفضول وعدنا ادراجنا عشرين قرنا ق·م· وجدنا صفحة وضاءة من صفحات الاشتراكية الانسانية التى ابتدعناها نحن العرب فكانت اشتراكية رائدة اقتبست بعضها يهودية العهدين القديم والجديد ثم جاء الاسلام فاتخذها بدلا تدل عليه ويدل عليها وهى ليست اشتراكية الحياة فحسب بل اشتراكية الموت أيضا فمن منا لا يقف والنعش يسير ولا يبادر ويؤاجر فى حمله الى مقره الاخير؟ انى الآن مع حمورابى أستعرض

ميثـاقه وأقابل بينه وبين قادة الفكر الاخرين من اغريق ورومان فأجد البون واسعا بيننا العرب وبينهم وحمورابي من أقدم الشخصيات العربية التي اقترن اسمها بالتشريع والتقنين وتركت لنا أقدم ميثـاق يعرفه العالم اليوم ويدين له بالشيء الكثير في تشريعه وتقنينه • واذا عرضت لميثاقه وتحدثت عنه فانمـا أرجو تصوير المدى الذي بلغه مجتمعنـا العربي في الالف الثاني ق•م• من نضج ، والبيئة من رقي • فميثاق حمورابي مرآة الحيـاة الاجتماعية العربية وقتذاك، وبقدر عناية المشرع بالفرد تدرك مكانة الفرد من المجتمع ، وكلما حرصت الشرائع والمواثيق على ضمان العدالة بين الرعية كلما كان الرأى العام قويا حساسا •

وحمورابي هو ذلك الملك العظيم الذي ينتمي الى الاسرة البابلية التي كونتها القبائل العربية القحطانية التي هاجرت من بـلاد اليمن ونزلت أرض الرافدين وأسست الاسرة المعروفة في التاريخ البابلي الاشوري والتي حكمت زهاء ثلاثة قرون •

ومن حسن الحظ انه عثر على كثـير من الكتابات والآثار التي ترجع الى عصر حمورابي العظيم ومن هذه الكتابات العقود التجـارية والنصـوص التشريعية والرسائل السياسية التي تضيء لنا تلك الايام الغابرة والعصور البائدة • ونحن وان كنا نعرف القليل عن طفولة حمورابي فلا نجهل الكثير عن حكمه وأعماله ولا سيما أنه امتد أكثر من نصف قرن كان فيه الراعي الشفوق على رعيته والاب الحنون على أطفاله :

« أنا حمورابي الملك القـوى ملك بابل مؤسس البلاد ملك شومر واكاد ، انا الذي جعلت أسـوار (سبار) أبراجا عالية ، أنا الذي أمر بكل ترعة تصل بين سبار والفرات ، أنا الذي كسبت بأعمالي رضـاء الالهـين (شمش ، ومردوك) • أنا الذي جعلت من (سبار ، وبابل) مدينتين صـالحتين للسكنى • حمورابي المقرب الى الاله شمش وحبيب مردوك» •

« أنا الذي أحمي الضعيف من بطش القوى وأذود عن الارامل واليتامى وأمرت بحفر ميثاقي على حجر ليبقى ، وأمام صورتي كملك يحمي العدالة ، وعلى المظلوم أن يأتي ويقرأ على نصبي «الحق» الذي يتعطش اليه والعدالة التي يرجوها ، حمورابي كالاب لرعيته وقد وضعت لها ميثاقهـا لأضمن لهـا سعادتهـا ورفاهيتها » •

وقد سعر حمورابي المواد الغذائية وفرض للعامل حدا أدنى للأجر • لذلك لا نعجب اذا اختاره (شمش) اله العدالة والقضاء ـ الاله الذي يبدد بنوره ظلمات التعسـف والاستبداد ويقشع سـحب الظـلم والمحسوبية ، الذي يجلو في النهـار ما يدبر في الظلام • هو القاضي الذي ينتقم للمظلوم ومن كل حانث بيمينه أو خائن لعهده أو مرتش أو مراب • وويل للمطففين ـ رسولا فأعطاه ميثاقه وكلفه ابلاغه وأنابه عنه على الارض ليجلس في كرسي القضاء •

ومن حسن الحظ أيضا أن عثرت جمعية أثرية كانت تنقب في الجزء المجاور لخليج العرب ونهر دجلة والذي كان يعرف قديما ببـلاد العيلم في عامي ١٩٠١ و ١٩٠٢ م على عمود مكون من ثلاث قطع ويبلغ ارتفاعه ٢٤٥ سم بما فيه قمته البـالغ ارتفـاعها ٦٥ سم ومحيطه ١٥٠ سم • وقـد أمر حمورابي باقامته في مدينة (سبار) ونقش عليه ميثاقه بلغة البلاد العربية• ويشتمل هذا الميثاق على ما يقرب من ٢٨٢ مادة كلها وصلتنا في حالة جيدة اذا ما استثنينا بعض المواضع التي أتلفها الملك العيلمي (شوتروك ناهونت) عندما سرق العمود عام ١١٠٠ق•م• تقريبـا ونصبه في مدينة سوسه • ويظهر أن هذه المواضع التي أتلفها كان يريد أن ينحت عليها اسمه وانتصاراته ، الا انه عدل عن ذلك فتركها• وقد عثر علماء الاشوريات أخيرا على بعض مواد هذا الميثاق وكانت قد نسخت منه قبل سرقته فساعدت على تكملة الجزء التالف •

وقد قدم حمورابي ميثاقه بمقدمة جاء فيها حديث عن أعماله والاسـباب التي حدت بالاله شمش الى منحه اياها كما انه ختمها بعبارات استنزل فيهـا اللعنات على من يغير في ميثاقه ويعدل •

ونستطيع أن نقسم هذه المواد الى اثنى عشر بابا:

الاول من مادة ١ ـ ٥ وهي مواد اهتمت باقامة الدعوى والشهود والقضاة

الثاني من مادة ٦ ـ ٢٥ السرقة والخيانة

الثالث من مادة ٢٦ ـ ٤١ الامور العسكرية

الرابع من مادة ٤٢ ـ ٩٩ الحقل والحديقة والمنزل (الاستئجار والاستثمار والري والرعي)

الخامس من مادة ١٠٠ ـ ١٠٧ المعاملات التجارية

السادس من مادة ١٠٨ ـ ١١١ المواخير

السابع من مادة ١١٢ ـ ١٢٦ الامانات

الثامن من مادة ١٢٧ ـ ١٩٥ الأسرة

التاسع من مادة ١٩٦ ـ ٢٢٧ العاهات والعقوبات

العاشر من مادة ٢٢٨ ـ ٢٤٠ الاسعار وتحديدها وامور اخرى تتعلق ببناء المنزل والسفن

الحادي عشر من مادة ٢٤١ ـ ٢٧٧ استخدام العمال والحيوان

الثاني عشر من مادة ٢٧٨ ـ ٢٨٢ الرق

فاذا القينا نظرة عاجلة على مواد هذا الميثاق وجدنا العائلة هي التي استرعت عنايته واستحقت اهتمامه فاحاطها بكل الضمانات التي تكفل لها السعادة والهناءة . وبعد العائلة تاتي الزراعة واستغلال الاراضي ثم استخدام العمال والحيوان.فالاسعار وتحديدها الى غير ذلك من الامور الضرورية لبناء مجتمع اشتراكي بالتعبير الحديث .

ففي الجزء الخاص بالاسرة نجد المواد من ١٢٧ ـ ١٣٢ تهتم بالخيانة الزوجية وتوقع اشد العقوبات على مرتكبها اما اذا كانت ظروف ترك بيت الزوجية غيبة الزوج المتقطعة كوقوعه في الاسر مثلا فقد اشترط الموثق خلو بيت الزوجية من المئونة الكافية للقيام باود الحياة ، فالمادة ١٣٣ نصها : اذا وقع زوج في الاسر ، وكان في بيته المئونة الكافية وهجرت امراته البيت والحقل ولجات الى بيت رجل اخر تقدم هذه الزوجة للمحاكمة وتعدم غرقا .

وتنص المادة ١٣٥ على : اذا اسر شخص ولم تكن في بيته مئونة وذهبت امراته الى منزل رجل آخر وولدت له اطفالا وعاد زوجها من الاسر وجب على الزوجة ان تعود الى زوجها وتتنازل عن الاطفال لوالدهم .

اما المادة ١٣٦فتختص بالرجل الذى يهجر بيته ويغيب عنه غيبة متقطعة مما يضطر امراته الى الحياة في بيت رجل آخر فان هذه الزوجة لا تعود الى زوجها الاول اذا ما عاد من غيبته وطلبها . اما المادة ١٣٧ ـ ١٤٩ فتهتم بالزواج والطلاق كما تقرر المادة ١٥٢ تضامن الزوج والزوجة في سداد الديون التي تمت بعد الزواج .

ولم يتهاون هذا الميثاق مع الزوجة او الزوج اذا ارتكب احدهما جريمة تهدم كيان الاسرة فمثلا تقرر المادة ١٥٣ ان الزوجة اذا قتلت زوجها بسبب رجل آخر اعدمت على الخازوق .

اما نظام المواريث في هذا الميثاق فيعتبر مثاليا حقا فالمادة ١٦٦ تنص على ان الرجل اذا زوج ابناءه ، الذين بلغوا سن الزواج ولم يزوج الابن الصغير ثم توفي الاب يستولى الابن الذى لم يتزوج على مبلغ من المال مهرا لعروسه ويقسم الميراث بعد ذلك بالتساوى .

مادة ١٦٨ اذا اراد الوالد ان يجرد احد ابنائه من الميراث عليه ان يتقدم الى القاضي ويدلى بالاسباب التي حملته على اتخاذ هذا الاجراء فان تبين للقاضي ان الأسباب غير وجيهة رفض طلب الوالد .

اما اجور العمال فقد حددها حسب الفئات فمثلا في المادة ٢٢٨ يقرر اذا بنى بناء بيتا على المالك ان يدفع له مثقالين من الفضة ، والمادة ٢٢٩ اذا تهدم البيت وسقط على صاحبه وقتله يجب اعدام البناء .

المادة ٢٣٠ لو توفي بسبب سقوط البيت ابن صاحبه اعدم ابن البناء.

٢٣٣ لو تهدم جزء من البيت وجب على البناء ان يعيد بناءه بدون مقابل

٢٣٤ اذا صنع نوتي فلكا لرجل على المالك ان يدفع مثقالين فضه .
٢٣٥ اذا تسرب الماء الى داخل السفينة في ظرف سنة من بنائها على النوتي ان يقدم لصاحبها اخرى .

٢٤١ اذا استاجر شخص ثورا لعمل ما ، عليه ان يدفع لصاحب الثور ثلث فضة

٢٤٢ اذا استاجر شخص ثورا لمدة عام في اعمال الزراعة يدفع لصاحبه ٤ وبات حنطه .

٢٤٤ اذا استاجر شخص ثورا او حمارا وافترسه وحش في الحقل فصاحبه هو الذى يتحمل الخسارة .

٢٤٥ اذا استاجر شخص حيوانا للحقل ومات بسبب الاهمال او سوء المعاملة عليه ان يعوض صاحبه ثورا بثور .

٢٤٧ اذا استاجر شخص ثورا واصيب بعاهة مستديمة وجب على المستاجر ان يدفع لصاحبه نصف ثمنه

٢٥٠ اذا حدث ان ثورا نطح شخصا في الطريق وتسبب في وفاته فليس لاهل المتوفى الحق في رفع الدعوى .

٢٥٣ اذا استاجر شخص عاملا لحقله وسرق هذا العامل بعض البذور (التقاوى) او علف الماشية ووجدت عنده المسروقات تقطع يده

٢٥٧ اذا استاجر مزارع عاملا يجب ان يدفع في نهاية العام ٨ وبات حنطة .

٢٦٠ اذا سرق شخص شادوفا او محراثا يجب ان يدفع لصاحبه ٣ مثاقيل فضة

٢٦١ اذا استاجر شخص راعيا للماشية يجب ان يدفع له سنويا ٨ وبات حنطة

٢٦٦ اذا انتشر وباء في حظيرة المواشي او سطا عليها وحش ونفق منها حيوان او اكثر على الراعي ان يثبت براءته بتادية القسم .



هذا هو عرض موجز لميثاق حمورابي ومنه نتبين الاشتراكية العربية الحقيقية فالعدالة مكفولة للجميع لا فرق بين غني وفقير وصاحب عمل وعامل. نعم فرض هذا الميثاق عقوبة قاسية على بعض الجرائم فقضت المادة ٢١٨ بقطع يد الطبيب الذى يتسبب في وفاة شخص نتيجة اجراء عملية جراحية له أو كان السبب في اتلاف عين مريض . وتقول المادة ١١٠ اذا ادارت

راهبة ماخورا أو دخلته لاحتساء الخمر وجب حرقها. كذلك قررت المادة ٢٥ حرق اللص الذي يسرق من بيت شب فيه حريق . واذا احصينا الحالات التي يجب فيها الاعدام وجدناها أربعا وعشرين حالة ينفذ فيها الاعدام طورا بقطع الرقبة وطورا بالحرق أو الاغراق أو الاعدام على الخازوق . وتشنيعا بالمجرم كان ينفذ فيه أحيانا حكم الاعدام في مكان ارتكاب الجريمة . ومن أنواع العقوبات التي نص عليها القسم الجنائي من ميثاق حمورابي غير الاعدام بتر أعضاء الجسم التي ارتكبت بواسطتها الجريمة كاليدين أو اللسان أو الاذن أو ثديي المرضع . لكن بالرغم من قسوة هذا القانون وشدته لم يثبت ان احكامه الصارمة قد نفذت كما هي ولدينا قضيةسرقة كان يجب حسب نص المادة قتل السارق الا انه اكتفى برد الارض المسروقة الى صاحبتها وكانت راهبة .

واذا كان ميثاقنا العربي الذي جمع سائر أحكامنا القبلية ونسقها قد قسا في بعض أحكامه الا انه نص في المادة الخامسة على عزل القاضي وطرده علانية من كرسي القضاء مع الزامه بدفع المبلغ المحكوم به في قضية ما اثني عشر مثلا اذا ثبت عليه أنه نسخ حكما كان قد أصدره من قبل في مثل هذه القضية . وتلزم المادة ٢٣ بلدية المدينة التي وقعت فيها سرقة بالتضامن مع رئيسها في دفع تعويض للشخص الذي سرق منه شيء ولم تهتد الحكومة الى السارق . كما تعفي المادة ٤٨ الفلاح من تسديد دينه ودفع فوائده في العام الذي يصاب فيه محصوله بتلف بسبب قلة المياه . وتلزم المادة ١٦١ والد الفتاة اذا فسخ عقد زواج ابنته بسبب وشاية واش ان يرد المهر الى الخطيب مثلين ، ولا يسمح له بعقد زواج ابنته على الواشي .

وغير هذه الامثلة يشتمل ميثاقنا العربي القديم على كثير من المواد التي تتمشى مع أرقى البيئات الاشتراكية في مختلف العصور .

هذا هو ميثاق حمورابي الذي تلقاه من الاله (شمش) في حوالي أواخر الالف الثالث ق.م. وفيه للمرة الاولى تشريع العقوبات بالقصاص من النفس بالنفس والعين بالعين والاذن بالاذن وفيه توكيد توزيع الثروات الطبيعية بين الصالحين القادرين على استغلالها لفائدة المجتمع العربي ، فاستحقت بذلك اشتراكيتنا العربية الخلود .

« د . فؤاد حسنين علي »

الفرح الكبير

للدكتورة : نعمات أحمد فؤاد

حب كبير جارف يهتز له كيان افريقيا
فينبع من قلبها باهرا كالنور
رائعا كالقوة الخارقة
ثم ينطلق كعنفوان الصبا
لايكبح جماحه أحد
وتهمس الأسئلة الى أين ؟
والحب الكبير الجارف
يهيم في الصحاري والقفار
في اصرار ليل نهار
يشق طريقه في الصخر بارادة صلبة وقلب ملهوف
وهوى مشوف
يلفحه الحر والشوق فيتصبب عرقا
ومن عرقه ندى الأزهار
ويغدو اسطورة على فم السمار
وكلما مر ببلد
أضاف الى الاسطورة
نادرة مأثورة
تسلم الليالي الى الأسمار
ولكن العاشق المفتون
في شغل عن الناس وما زعموا
بالسمراء الغالية
في عينيها وحدها سمر وسمار
وخمرتها دوار
ويطوي الحب الافريقي الكبير
السودان
فينبض قلبه نبضا راقصا
انه يستاف ريح الحبيب
وعند أم دنان
وافرحتاه
يلقى حبه
ويعانق قلبه قلبه
وفي موكب من الشعاع
وسجع الحمام
وتغريد البلابل
يزف « النيل » الى عروسه « مصر »

التكافل الاجتماعي في الزكاة

بقلم : عبد الكريم الخطيب

الاجتماع

البشرى سنة الحياة ، وداعية التطور والتقدم ، فما تطمئن لانسان حياة ، ولا يطيب له عيش الا اذا انضوى الى جماعة ، وسكن اليها فائتلف معها ، واندمج فيها ، فكان موضعه منهـا بموضع العضو من الجسد .

واذا كان من شأن الكائن الحى – حتى النبات – أن يتهدى الى التجمع مع فصائله وأجناسه بغريزة بقاء النوع وحفظه ، دون أن يكون ذلك عن وعى وادراك ، وعن حساب وتقدير – فان الانسان ، بما له من قوى عاقلة مدركة ، لا يقف عند هذه الغريزة ، ولا يستسلم لمعطياتها ، بل انه ليدعم تلك الغريزة بالعقـل ، ويحكمها بالرأى والنظر ، وبهذا يصبح الاجتماع البشرى عملا من أعمال الانسـان ، يقيمه بارادته ، وينظمه بعقله ، وبهذا كان له الحرية المطلقة فى تخير المكان المناسب له فى المجتمع ، وبذل جهده فى الوصول اليه .. ومن هنا اختلفت أوضاع الأفراد فى المجتمع الانسانى ، واختلفت حظوظهم فى الحياة المشتركة بينهم ، ثم لم يكن لهذه الأوضاع وتلك الحظوظ استقرار فى الافراد ، أو فى الجماعات ، اذ كان من شأنها أن تفسح للناس السبل الى تبادلها ، وتناوبها بما يقع بين النـاس والنـاس من تنافس وتدافع ، وليس كذلك الشأن فى عالم الحيوان الذى تحكم أجناسه وأنواعه غرائز موحدة ، فى فصائله ، وأجناسه ، وأنواعه ، فلا يتعدى أحد منها طوره .

***

وقد التقى الاسلام بالانسانية بعد أن جاوزت مراحل الطفولة والصبا ، وبلغت مرحلة النضج والرشد ، وتأهلت لحمل رسالة السماء الى الانسانية كلها ، فى مختلف أوطانها وأزمانها .

● والمجتمع الذى يقوم من مثل هذه الانسانية الناضجة الرشيدة مجتمع تتوازن فيه مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فلا يظل الفرد فى عزلة نفسية ، او عقلية او روحية عن جماعته ، ولا تستطيع الجماعة أن تذيب الفرد فيها ، وتفصله عن ذاته ، وتقطعه عن وجوده .. فهـو فرد فى جمـاعة ، وهى جماعة فى أفراد !

● ومجتمع كهذا ، ينبغى أن تكون الشريعة التى تحكمه – وضعية كانت أو سماوية – مقدرة بهـذا التقدير ، تجمع بين الفرد والجماعة ، بحيث تكون الغاية هى مصلحة الفرد أولا ، تلك المصلحة التى لا تقع على أتمها ، ولا تجىء على أيسرها وأحسنها الا فى بناء اجتماعى متماسك ، يقوم فيه الأفراد مقام اللبنات فى البنـاء ، وتقـوم عواطف الحب والمودة بينهم بمكان المادة التى تشد اللبنات بعضها الى بعض ، وتمسك بها فى كيان واحد .

***

والذى ينظر فى الشريعة الاسلامية يرى فى وضوح محكم مشرق أنها قد التفتت أول ما التفتت الى الفرد فى خاصة نفسه ، وفيما يتصل بعقله ، وقلبـه ، وروحه ووجدانه .. ثم كانت لفتتها بعد ذلك الى بناء الجماعة الاسلامية من هذا الفرد وأمثاله .. فقد كانت فترة الرسالة النبوية نحوا من ثلاث وعشرين سنة ، وكان دور الوحى فيها ، وعمـل الرسـول أثناءها موجها الى الفرد خاصـة ، مدة ثلاث عشرة سنة ، وهى مدة الوحى المكى ، حيث كانت تعاليم الدعوة فى هـذا الدور موجهـة الى تنقية الفرد من الشوائب العالقة بعقله وقلبه وضميره ، من الالحاد والشرك ، ومن الاستهلاك فى مطالب الحياة العاجلة ، دون نظر أو تقدير لماوراء هذه الحياة الدنيا ، ومايرجى فى الآخرة من ثواب ، وما يخشى من عقاب .

لقد أجلى الاسلام فى هذا الدور من دعوته غياهب

الشرك ، وظلمات الكفر عن مواطنها من قلوب كثير من الأفراد وعقولهم ، فعرفوا الله حق معرفته، وآمنوا به أوثق الايمان ، وعملوا حسابا للآخرة وللدنيا معا ٠

● وبهذا تهيأ للاسلام أن يقيم من هذا العدد القليل ـ نسبيا الى ما صارت اليه أعداد المسلمين فيما بعد ـ تهيأ له أن يقيم مجتمعه الأول على دعائم وطيدة ثابتة ، هي أعدل وأحكم ما يقوم عليه مجتمع بشرى فى أقصى الحدود التى تبلغها الطاقة الانسانية، ويصل اليها الانسان داخل المجتمع ٠

● وحين تم ذلك وجاء دور التشريع لهذا المجتمع الجديد كانت نظرة الشريعة الى الجماعة الاسلامية متجهة اليها من خلال الفرد ، حيث تقيم اتجاهه فى الحياة ، وتضبط سلوكه فى المجتمع على المبادىء والتعاليم التى غرستها فى كيانه من قبل ، وبهذا يتحرك الأفراد داخل المجتمع حركة متسقة متناغمة، تتردد فيها أصداء الحب ، والتراحم ، والتآخى ، والتساند ، بين الفرد وأفراد الجماعة كلها ، قريبهم وبعيدهم على السواء ٠٠ ومن أجل هذا صلح المجتمع الاسلامى بأن يوصف هذا الوصف الذى وصفه الله به فى قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » والذى يشبهه الرسول الكريم بهذا التشبيه الرائع المعجز: « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر »

وليس يكفى أن يتلقى الناس دعوات الخير ، وأن تتفتح لها عقولهم ، وتنطوى عليها صدورهم، فذلك وان يكن أمرا لا بد منه لوصل الناس بالخير ولفتهم اليه ، الا أنه لكى ينمو ، ويزهر ، ويثمر ويؤتى أكله ـ لا بد له من أن يمد بالغذاء الذى يمسك حياته ، ويحفظ وجوده ، والا جف وذبل ، وصار هشيما تذروه الرياح ٠

والاسلام اذا وصل الناس بمبادئه ، وأقامهم على تعاليمه وأحكامه لم يغفل أمر الغذاء الذى يحفظ على تلك المبادىء وهذه الأحكام والتعاليم حياتها، ويقيمها فى كيان الناس على الصحة والسلامة والقوة ، ليجدوا خيرها حاضرا عتيدا فى كل حين ، يتزودون منه ، ويحيون به ٠

والمواد التى يقدمها الاسلام لغذاء مغارسه وريها، كثيرة ، متعددة الألوان ، مختلفة الطعوم ٠٠ بعضها مادى وبعضها روحى ، ومنها ما هو عملى واقعى ، ومنها ما هو نظرى تأملى ، وجميعها تصب فى محيط الانسان ، وتنساب فى وجوده كله ٠

والعبادات من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج ، هى الأصول التى يعتمد عليها المسلم فى تثبيت مبادىء الاسلام وأحكامه فى كيانه ، وفى صيانتها وحفظها من العطب والتلف ، أو الضعف والموات ! هذا الى جانب كثير من الوصايا والآداب التى أدب بها الاسلام أتباعه ، وندبهم اليها ، لتفسح لهم مجال التحرك الى الخير عن طواعية واختيار مطلقين ٠

● والاحسان بجميع أشكاله وصوره هو ملاك كل أمر من أمر الاسلام ، وكل عبادة من عباداته ، ووصاة من وصاياه ، وانه بمقدار ما يكون حظ العمل من الاحسان يكون حظه من الثقل فى ميزان الثواب والنفع فى الدنيا والآخرة ، وفى هذا يقول الله تعالى : « وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » فالاحسان بانفاق المال فى سبيل الله يعادل الاحسان ببذل النفس فى ميدان الجهاد ، لنصرة دين الله ٠٠ ويستوفى الاحسان حقه فى جانب المال أو النفس حين يوضع كل منهما موضعه ، فى قصد واعتدال ، وفى تقدير وحساب ، فكما لا يلقى بالنفس الى التهلكة بلا ثمن ، كذلك لا يلقى بالمال فى وجوه الانفاق بلا عائدة !



والمال فى شريعة الاسلام مصدر غنى من مصادر الاحسان ، اذا هو صادف صاحبا يعرف كيف ينتفع به ، ويحسن التصرف فيه ، ويضعه حيث تقضى به الحقوق ، وتؤلف القلوب ، وتجنى الثمرات ، وتنال الطيبات ٠

وليس انفاق المال بالأمر الهين ، وان بدا لبعض الناس أن المشقة كلها فى الحصول عليه ، والتعرف على وسائل كسبه ، وطرق تثميره ٠ والحق أن عملية انفاق المال لا تقل ـ عند العقلاء ـ مشقة واحتياجا الى العقل والحكمة ، من معاناة اكتسابه وجمعه ٠٠

● وانه لمن اليسير أن ينفق المرء فى ساعات ألوفا من الجنيهات فى غير طائل ، اذا هو تخلى عن عقله ٠

وازدرى الحكمة ، ولبس ثوب المقامرين والمتحللين ، ولكن حين يكون للانسان عقل يعى ، وضمير يحس، وجد أن المال الذى بين يديه نعمة من نعم الله ، ومن حق هذه النعمة عليه أن يضعها الموضع الذى توضع فيه النعم ، بحيث تؤدى وظيفتها ، وتجود بخيرها، وهذا أمر ليس من اليسير ضبطه على ميزان العدل والخير والاحسان ٠

● فاذا التمس المرء كسب المال من طرق سليمة، وجاء اليه من وجوهه المشروعة ، كان من مقتضى الحق والحكمة أن ينفقه فى وجوه سليمة ، فينتفع حيث يقع ، والا كان حجة على صاحبه ، وديونة له ٠٠٠ يقول الحسن البصرى رضى الله عنه : « اذا أردتم أن تعرفوا من أين اكتسب الرجل ماله فانظروا فيم أنفقه »

● وكما رسم الاسلام الخطوط العامة لكسب المال من وجوهه المشروعة المستقيمة ، كذلك رسم الخطوط الأولى أيضا لانفاقه فى سبل مشروعة مستقيمة ، يؤدى فيها المال مطالب الحياة الطيبة الكريمة لأصحابه ، فيسعدهم ويسعد من حولهم ٠

وعن طريق انفاق المال ، والاحسان فى انفاقه وثق الاسلام عرى المودة وروابط الحب والأخوة بين أفراد المجتمع ، فجعل تبادل المنافع بينهم قائما على التراحم ، والتعاطف والايثار ، والاحسان ، حتى فى مقام البيع والشراء ٠٠ يقول النبى الكريم : « رحم الله رجلا سمحا اذا باع ، واذا اشترى ، واذا اقتضى » أى طلب قضاء دينه ٠

ولأن أكثر ما يقع بين الناس من بغضة وشحناء ، ومن حسد وبغى وعدوان ، انما يكون عن تحكم شهوة المال وتسلطها على الناس ، حتى لقد تتقطع بسببها علائق القربى ووشائج الرحم بين الأقارب وذوى الأرحام ، فقد نظر الاسلام الى المال نظرة متفحصة متعمقة ، حتى يعتدل ميزانه فى يد أصحابه، وحتى لا تتحول هذه النعمة الى نقمة تهلك الحرث والنسل ، وتأتى على أصحابها ، وتدمدم عليهم ، قبل غيرهم ٠٠ وكان من تدبير الاسلام فى هذا أنه حمل الى المؤمنين به وصاياه بالانفاق فى وجوه الخير والبر، وفتح لهم فى هذا المجال وجوها لا تكاد تحصر ، ولا يكاد أحد يعجز عن أن يكون فى المنفقين المحسنين فى أكثر من وجه من تلك الوجوه ! فأصحاب الثراء والغنى مدعوون فى شريعة الاسلام الى الانفاق فى كل وجه ، وعلى كل صورة ٠٠ بالمال ، وبالقول الطيب ٠٠ اذ المال الذى فى أيديهم هو مال الله وقد فرض الله عليهم زكاته وطهره ، التى هى زكاة وطهر لهم ، فقال تعالى مخاطبا نبيه الكريم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وصل عليهم انصلاتك سكن لهم » ٠٠ ثم ان هذا القدر المفروض من الزكاة فى أموال أصحاب المال هو حق لازم يجب أداؤه ، لا تبرأ ذمتهم الا اذا خرج من أيديهم ، ووقع موقعه من أهله المستحقين له ٠٠ فليس لمن وجبت عليه الزكاة فى ماله أن يخالطه شعور بالمن ، واحساس بالتفضل على غيره ، حين يؤدى هذا الحق المفروض، لأنه قد صار حقا مفروضا لم يعد ملكا له ، وانما هو أمانة فى يده ، وانه ليحسب فى الخائنين للأمانات ان هو دلس فيها أو تهرب منها ٠٠ ولولى الأمر الحق فى أن يطالبه بادائها ، ويرغمه على ذلك ان هو تلكأ أو أبى ، والدليل على هذا قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل » ففى الآية الكريمة مصرفان من مصارف الزكاة هما : « العاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم » يجعلان أمر الزكاة فى قبضها وجمعها الى ولى الأمر ، اذ لا يكون العامل عليها ـ أى القائم بأخذها من أربابها ـ الا عاملا لولى الأمر ، ومندوبا من جهته ، كما لا يكون مخرج الزكاة للمؤلفة قلوبهم الا عن يد ولى الأمر وتقديره ٠٠ وهذا دليل على أن الزكاة نظام اجتماعى ، ومورد من موارد الخير للجماعة ، تتولاه بنفسها ، وتقوم عليه بسلطانها ٠

● وبهذا المفهوم للزكاة ، وبهذا الوضع المكين لها ، ضمن الاسلام موردا من موارد الخير ، يمكن اذا أحسن ضبطه أن يكون قوة عاملة فى دعم المجتمع، وفى ترميم المواطن الضعيفة أو المتداعية فيه ٠٠ وهو مورد اذ يؤديه أصحابه طوعا أو كرها ، لا يخرج من أيديهم حتى يحل محله العوض الذى يذهب بما قد يعلق فى بعض النفوس من مرارة وألم حين يذكرون قول الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » فتزكية مال المزكى ونماؤه ، وتطهيره فى نفسه وروحه من الآثام والذنوب انما هو مما رصده الله له من جزاء حسن ، ومثوبة طيبة : « والله عنده حسن الثواب » ٠

ثم ان للأغنياء وأصحاب الثراء وجوها كثيرة أخرى للبذل والاحسان بعد أن يؤدوا ما على أموالهم من زكاة ٠٠ فهناك الانفاق على الوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وفى هذا يقول الله تعالى : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين ، والأقربين، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » والانفاق على الوالدين الفقيرين ، وعلى بعض الأقارب - فى درجات معينة من القرابة - حق واجب ، ثم هو مقدور بيسر المنفق ، وبدرجة يسره : « لا تكلف نفس الا وسعها » ، أما وجوه الانفاق الأخرى فهى مما ترك أمره لاستجابة المشاعر الطيبة الخيرة فى الانسان ، ولتلبية دواعى التعاطف والتراحم بينه وبين الناس ، وليس للاحسان هنا حد ينتهى اليه فى قلة أو كثرة : « ما على المحسنين من سبيل » ٠٠ انها صدقات مطلقة ، ينكشف بها معدن الانسان ، وتعرف بها خصائص انسانيته ، اذ يبذلها متطوعا غير محمول عليها الا بما فى نفسه من خير ، وما فى قلبه من مرحمة ، ليخفف بها آلام الانسانية ، وينال بها رضوان الله ٠٠ ولهذا فان الاسلام أطلق للناس المجال الفسيح فى هذا الباب ، وجعل اليهم جميعا الطريق اليه ، حتى لا يجد أحد مخرجا لأن يقول : لا أجد ما أتصدق به ، فكل شىء يقع من النفس موقعا حسنا هو صدقة مقبولة ، يحسب بها صاحبها فى عداد المتصدقين ٠

● روى عن عدى بن حاتم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (صحيح مسلم / ٣ ص ٨٦) ، وعن مالك بن أنس فى الموطأ قال :

« بلغنى أن مسكينا استطعم عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان : خذ حبة فأعطه اياها ، فجعل ينظر اليها ويعجب ! فقالت عائشة : أتعجب ؟ كم ترى فى هذه الحبة من مثقال ذرة ؟ » تشير بهذا الى قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » ٠٠ فمن لم يجد التمرة أو ما يشبهها - وهيهات - فان له الى التصدق بابا آخر ، هو الكلمة الطيبة ٠٠ ففى الحديث الشريف : « الكلمة الطيبة صدقة » ٠٠ فليس لمسلم بعد هذا عذر فى أن يعزل نفسه عن المجتمع الاسلامى ، وألا يكون فى المحسنين المتصدقين ٠٠ فيأخذ ويعطى ٠٠ وبهذا التدبير الحكيم لا يشعر الفقراء أنهم فى مكان الآخذ دائما ، وأن يدهم هى اليد السفلى أبدا ، وفى هذا ما فيه من رعاية لشعور الكرامة الانسانية عند الفقراء ، الى جانب ما فيه من تغذية مشاعر التراحم والتعاطف عند أفراد المجتمع جميعا ٠٠٠ أغنياؤهم وفقراؤهم على السواء ٠

● **ونود أن نلفت النظر هنا الى أمور ٠٠ منها :**

أن كلمات : الزكاة ، والاحسان ، والصدقة ٠٠ كلمات اسلامية محملة بأنبل العواطف الانسانية وأكرمها ، تشيع فى كيانها معانى الاخاء ، والتواصل، والتواد ، والتراحم ، وتشع منها معالم الايثار والتضحية والمواساة والمشاركة فى السراء والضراء ٠٠ وهذه كلها ينابيع ثرة عذبة ، ترتوى منها شجرة الانسانية ، وتسرى بها الحياة والقوة فى أوصالها ، وتمسك عليها التساند والتكافل بين أصولها وفروعها ٠

● ولقد فعل الزمن فعله بهذه الكلمات الانسانية النابضة بالحياة والقوة ، فعاشت فى المجتمع الاسلامى معزولة عن تلك المشاعر الطيبة والمعانى الكريمة المندسة فيها ، فبدت للناس أشباحا تتخايل منها صور الفقر ، والمسكنة ، والمذلة والضياع والهوان، وانتظم منها موكب طويل للفقراء والمعوزين والأذلاء والضائعين ! وحق للمجتمع الذى يعرف انسانيته وكرامته أن يلقى هذه الكلمات على حذر ، بعد أن انسلخت من معانيها الطيبة الكريمة التى كانت متلبسة بها ، وحق للمجتمع أيضا الا يهش لها ، وأن يحصرها فى أضيق مكان ، حتى لا تلتقى بأفراده ، ولا تشيع فيهم ٠

● والحق أنه ينبغى أن يصحح مفهوم هذه الكلمات وأن يعاد اليها اعتبارها ، وأن يتعامل بها المجتمع الاسلامى كما جاء بها الاسلام ، رسل مودة وتراحم وتآخ بين الناس ، وبهذا تزايلها هذه الوجوه البغيضة المنكرة التى يتأذى بها الناس ، وخاصة الطرف المستقبل لها ، وذلك حين يشعر الذين يبذلون أنهم ليسوا أصحاب فضل أو يد على الآخذين لأن ما بذلوه انما هو من فضل الله أولا ، ولأنه حق لله فى أموالهم ثانيا ، ثم لأنهم استوفوا جزاءهم من

الله ثالثا .. أما الذين هم أهل لأن يأخذوا من الزكاة والصدقات فليس عليهم من بأس لأنهم انما يأخذون حقا فرضه الله لهم ، وبهذا لا تنفصم مشاعر المودة .الأخوة بين المعطين والآخذين ..

« عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان معه فضل ظهر — أى دابة للركوب — فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له .. قال أبو سعيد : فذكر رسول الله من أصناف المال ماذكر، حتى رأينا انه لا حق لأحد منا في فضل »

● ومما ينبغي أن تلفت اليه النظر أيضا أن الاسلام مع دعوته الى التواصي برعاية الفقراء واعانة المساكين والمحتاجين لم يرد بهذا الا أن يسد تلك الثلمات التي تظهر في بناء المجتمع ، حتى يظل قائما متماسكا ، لا تنخر في كيانه عوامل التفتت والانحلال .. وفي الوقت نفسه دعا الاسلام الى العمل ، وهتف بالكسالى والمتخلفين أن يعملوا ، وأن يخرجوا بأنفسهم من دائرة السائلين والعالة على الناس .. فهم في هذا الوضع أيا كانوا ، وأيا كانت ظروفهم وأحوالهم في منزلة دون منزلة من يقومون بكفالتهم والانفاق عليهم .. يقول النبي الكريم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « يأتي السائل يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » ويقول : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود — عليه السلام — كان يأكل من عمل يده » .

● وبعد ، فان دعوة الاسلام الى الاحسان في مختلف صوره هي منهج تربوي حكيم في شد المجتمع بعضه الى بعض ، وربطه بروابط المودة والاخاء ، وفي محاربة سلطان المال على النفوس ، وتسلطه على الناس ، وملء قلوبهم بالأثرة والجشع ، والشره ، ثم التحاسد والتباغض ، ثم الحرب والقتال !

ان الاحسان في الاسلام — وعلى رأسه الزكاة — هو درس عملي للتخفف من حب المال ، والخروج عن سلطان شهوته ، التي تغتال أوثق الروابط بين الانسان والانسان ، فلا تبقى على مودة أو حب أو اخاء .

● والمادية التي استشرى شرها في الغرب قد أحالت الناس هناك الى آلات عاملة لحساب المال ، وللحصول عليه فوق أشلاء الضعاف ، والمرضى ، والبله والمجانين ، ومن اليهم ممن لا يقومون في الحياة الا بمن يسند ويعين .

ولقد تحولت هذه المادية الطاغية الى عقيدة ودين .. فقام لها من بين الناس دعاة ومبشرون ، تقدموا بها الى الناس في فلسفات تلبس ثوب العقل والمنطق والحكمة !

يقول الفيلسوف « نيتشه » : ان الرحمة ، والتعاون ، والحب وكافة الفضائل الدينية ، مجموعة من الدجل والخرافات ، تستهدف رعاية الغوغاء والدهماء والقطعان !.. وهؤلاء جميعا ، من فقراء ، ومرضى ، وضعفاء — يعوقون التطور الانساني ، في حين أننا يجب أن نخلص لنوعنا البشري ، بأن نبقي على الأقوياء في الذهن والجسم والروح ، وأن نعمل على افناء الآخرين ، حتى نحصل في النهاية على « السوبرمان » !!

هكذا يرتل هذا الفيلسوف الكبير أنشودة الحكم بالاعدام على عواطف الرحمة والتعاون والحب ، ثم بتنفيذ هذا الحكم فيمن يستأهلون الرحمة والعون والحب من المرضى والضعفاء ! انه يرتل هذا الحكم الأسود المشئوم وكأنه يوقع لحن السلام ببشرى انتهاء حرب عالمية !!

لمثل هذا الموقف الحرج المتأزم ، ولمثل هذا المصير الكريه البغيض الذي ينتظر الانسانية اذا هي آمنت بهذه الدعوة وما شاكلها — لمثل هذا رصد الاسلام — وكل دين سماوي — هذا الرصيد الضخم من عواطف التراحم والتعاطف والاخاء ، التي تنضح بها عوارف البر والاحسان والتي يذهب بها الاسلام مذهب الفرض المحكم اللازم ، الذي لا يعد المسلم مسلما الا اذا آمن به وأحسن أداءه ، ونعني به الركن الثالث من أركان الاسلام ، وهو الزكاة .

« عبد الكريم الخطيب »

هذه بعض النماذج

للدكتور : أحمد كمال زكى

في المقال الذى حددت به رأيى فى القصة القصيرة المعاصرة – وقد نشر **فى العدد ٨٣ من الرسالة** انتهيت الى أنها كالرواية الجديدة وكأجناس الادب الاخرى شجبت الأساليب التقليدية بحيث لم يعد من السهل أن نرى الاعمال التى تشبه أعمال موباسان لا من ناحية الصنعة والبناء الفنى ولا من ناحية المضمون .

***

واضيف هذه المرة اضافة ربما يراها كثيرون غريبة ، ولكنها على غرابتها تمثل واقعنا القصصى داخل جمهوريتنا بصفة خاصة . وتلك ان ميدان القصة القصيرة خلا – او كاد – من ابطاله الذين صالوا فيه وجالوا حتى الخمسينات من هذا القرن **فيوسف ادريس وسعد الدين وهبة** نزعا الى الدراما ونالا فيها مايبغيان ، **وامين يوسف غراب** سرقته اعمال المجلس الاعلى وتريد ان تسرق **حافظ رجب ، وفاروق خورشيد** – وهو احد القلة التى تفهم طبيعة القصة – شاء ان يجعلها قربانا على مذبح البحث فى قيمة السير الشعبية ، وعبد الرحمن فهمى صاحب «سوزى والذكريات» شغلته عنها اهتماماته الاذاعية وما يجرى مجراها .

***

رائد واحد ظل واقفا – مع ان الرواية مجال تخصصه – واعنى به **نجيب محفوظ** ، ومن ورائه جيل لااظن اننا سمعنا به كما كنا نسمع بادريس وغيره ، ويحاول هذا الجيل ان يواكب الحركة الجديدة على نحو مايفعل **فاروق منيب** فى مجموعته «زائر الصباح» فيعبر عن ازمة العصر ويكتب عن الضياع بلا اعتماد حقيقى على تطور الاحداث الخارجية .

واذا كان ثمة من يسرد اسماء يكتب اصحابها القصص القصيرة على صفحات الجرائد وفي المجلات التى تعنى بفن القصة ، فاننى احسبه على غير صواب لان هؤلاء لا يعيشون حقيقة التطور ولايفهمون تماما ان القصة عمل فنى قوامه الوعى الدقيق اليقظ بالحياة . **فليس هو شيئا عن بنت** الجيران الفنية وحبيبها الموظف الفقير ، ولا هو عن الزوجة التى تذهب الى الشاطىء فتستعيد ذكرى الحبيب الاول وقد تلقاه في نجوه عن الزوج الذى تضيع معه شبابها ، ولا هو كذلك عن الصراف الذى يختلس اموال الدولة من اجل راقصة ، وهكذا .

***

القصة الجديدة هى العمل الذى يهمل التسجيلية الدقيقة ويرفض التفصيلات فى حدود فهم التجربة على انها معاناة تشبه معاناة الشاعر فى قصيدته . لقد ذكرت ذلك قبل فيما ارى ، واليوم اسوق نموذجا لحافظ رجب بمثابة تطبيق لمن ينشد التطبيق ، وهو اذا لم يكن حقيقة ابرز النماذج في القصص العربى فانه اوضحها واجرؤها مع ان ثمة من يترصد له ويحاول ان يقضى على محاولاته المجدية .

هذا النموذج هو «الطيور الصغيرة» ويستطيع اى قارىء لتلك القصة ان يفطن بسرعة الى انها لاتخضع تماما الى مائؤخذ به القصة التقليدية . الحدث بسيط فى حد ذاته ، ويمكن تصويره بانه محاولة لاقتناص انثى من بعلها ، ولكن السياق الذى يجرى قفزا يمزج بين التصوير والتقرير وبين الواقع والخيال وبين الحقيقة والوهم . ولعلنا

نحس شيئا كثيرا من الانطلاق من ربقة المنطق ، وقد تغيم الرؤية احيانا ويتلاشى الزمن حتى تستحيل العملية القصصية مجرد تعبير انفعالي سيال . واما اللغة فهى فى رقتها وشاعريتها – احيانا – تخرج في جملتها على اللغة التى كانت تتخذ اداة مميزة للقصة الواقعية التى كان يكتب امثالها **يوسف ادريس وعبد الرحمن فهمى** ، بل تعمق او تزداد عمقا عندما يرمز بها رموزا حلوة عبر بها نطاق المحلية الى الآفاق الانسانية البعيدة.

ويفوقه توفيقا فى هذا الاتجاه قاص سورى يوضع اليوم في مقدمة قاصينا الذين ترفض اعمالهم المقاييس الموضوعة من قبل المدرسيين ، وهو اديب نحوى فى قصته المشهورة «ليلة الزفاف» والقراءة الاولى تكشف فورا عن انها ليست كأى قصة قصيرة تقرؤها فى مجموعة **نجيب الكيلانى** «العالم الضيق » وليست من قبيل «نعم عدت» التى كتبها **ثروت اباظة** بالمنهج الذى يضع القاعدة ويستهدف التطبيق الدقيق ، ثم هى لايمكن ان تقارن بقصة **صوفي عبد الله** «مذنب ام غير مذنب» التىتستجدى المنطق الشكلى فى رصد حوادث معقدة لامفرى وراءها الا بضرب من التأويل البعيد .

هى قصة يشترك فى بنائها اكثر من صوت ، وتصطنع اسلوبا مبتكرا في السرد من زوايا مختلفة وباثارات رشيقة وايماءات موحية لتناقش قضية الانفصال البغيض مناقشة رائعة ، وتبين صفحات بطولية للمكافحين في حلب . ومنهم احمد بن حسن بطل – بطل القصة – وبطل من ابطال المقاومةالذين يرفضون متاعهم الشخصى قبل ان تحل قضية الوحدة حلا نهائيا .

ويذكرنى **اديب نحوى** بدوره بقاص من غزة اسمه على **زين العابدين الحسينى** اسهم في حركة المقاومة بقصة « نبى بلا أحزان » وهى ايضا من النوع الذى لا يرضى المدرسيين لأنها تخرج على قواعدهم ولاتنهض بمقوماتهم . ويلاحظ لأول وهلة ان هذا القاص لايحاول ان يقدم البطل «الفرد» الذى يلوذ بالغابات كروبين هود ، او الذى يسرع الى سيفه وخنجره ككابتن بلود ، بل لم يحاول أن يستقطب فيه أشياء من « سيزيف » ! و « بروميثيوس » ، وانما جعله انسانا عاديا له مطامعه وطموحه وله اخطاؤه ومنطقه المعوج ، فهو قد يخطىء ويسقط ثم يحاول ان ينسى خطاه بالخمر ، ثم هو يلجأ الى قوى الظلام باعتبارها نهاية المصير.

السرد فى هذه القصة يقترب من السرد التقليدى وان يكن يشجبه احيانا ، الا ان الجديد هو عرض الموضوع ، وبرزت جدته بصفة خاصة عندما تمكن الحسينى من ان يجعل تاملات بطله متوالية، فعقد بين تمزقه النفسى وبين بعض اساليب القصة الضد ، واستطعنا ان نقف فى هذا على اكبر قدر من المعاناة – وهى معاناة التجربة لمحنة ضياع فلسطين – باقل قدر من التعبير . ولقد انتهى البطل الى مثل نهاية بطل كامى في « السقطة » التى المعنا اليها : يجمعهما الشعور بالألم وكذلك الجبن متكئين على نوع من الحوار الباطنى الذى يجنح الى تحليل الأفكار على طريقة جيمس جويس .

***

ويتبلور كل هذا فى قصة طويلة – وهى غير الرواية طبعا – لقاص ظهر فجاة فى العالم العربى اسمه **غسان كنفانى** ، وقصته بعنوان « رجال في الشمس » تعد فى رأيى احسن ما قدم فى أدب النكبة على الاطلاق ، وتستخدم عنصر الرحلة مع الاحساس بالغربة أو بالرغبة في التغرب لتكشف عن ضياع الانسان العربى – برغم تطلعه الى الخلاص – وتمزقه .

وصياغة القصة تخرج نهائيا عن الصياغة التى الفناها لدى كتاب القصص الواقعي والقصص الرومانسى والقصص التخييلي جميعا ، وتلجأ الى كل ما يبلور المشكلة فى كل ابعادها ويطرح العلل ويعرى عنها بلا خجل . ويعتبر بناء هذا الفنان اللغوى من أفخم الأبنية واصحها ، ولولا انه يراوح في السرد بين الانا والهو والانت – في آن واحد – لهلل له البلاغيون بما لم يهلل به لأحد . وقد استطاع بهذه الوسيلة ان يصل الى ما يريد من اقرب سبيل ، وكأنى به يتعثر فى الطريق لو انه جنح الى الاسلوب المألوف والصياغة المألوفة والشكل المحدد باكثر من حد .

***

تلك امثلة .. مجرد امثلة لا نرجو من التنبيه عليها سوى أن يعاد النظر فيما يصدر عنه أدباء

القصة في هذه الايام ، ولعله لم يغب عنا ان التغيير اصاب الشكل والمضمون معا . فكان القصة الضد بناء قلب فيه كل شيء وتغيرت ابعاده وآفاقه واضمحلت فيه القضايا المحدودة والموضوعات المبتذلة . بل يبدو ان اصحاب القصة الضد وجدوا ان «التكنيك» القديم لايسعفهم دائما في طرح التساؤلات الضخمة وفي حمل احتجاجهم والبحث عن مصيرهم ، ولهذا لا نعجب أن نراهم يستعينون بالاساطير — والاساطير عمدة الشعر المرسل اليوم — يجدون فيها — وقد علقوا حالاتهم عليها — ما يطمعون فيه من حلول .

***

واحسن مثل يحضرني في التدليل على ذلك « منزل على شاطىء البحر » للقاص الجزائري **دريس الشرايبي** — وهو يكتب بالفرنسية ويفكر كما يفكر العرب — الذى اعتمد اكثر من عمل اسطوري ليضع ايدينا على ازمة الانسان المعاصر في اكثر من وجه لها . وموضوع القصة هو الرحلة ، ولكنها رحلة وراء الراحة كأنما هي نهاية المطاف ، بعد حياة دائبة اصابت الجسم بالوهن .

وحتى نصل مع برتلمي — بطل القصة العجوز — الى نهاية المطاف على شاطىء بعيد جدا يبرز الخوف مقابلا للرجاء في رصد ذكي للمرور عبر الزمن . وبعبارة اخرى يبدو ان الكاتب بعد ان يبين «معنى» الحياة يستشعر قلق ان يدهمه الموت دون أن يتفقه هذا المعنى في عزلة عن حقول الناس ومنتدياتهم . ونحس من قريب ان « النفي » يلعب دوره في تحديد مصير كل انسان يرى انه غريب ، وعندما بدات الرحلة نرانا وجها لوجه امام سندباد جديد — وان يكن عجوزا في الستين — يصفى اعماله ويلتمس صخرة منعزلة على شاطىء هادىء يبني فوقها بيتا يعيش فيه بقية حياته متأملا ومستمعا الى الموسيقى !

وتطول الرحلة عبثا لانه لم يجد الصخرة الموعودة بحث عنها على كل شاطىء من شواطىء البحر المتوسط ، وبحث عنها على طول المناطق المشرفة على المحيط الاطلنطى . وبعد ثلاث سنوات يرحل الى جزر « يو » حيث يعثر على ضالته — أو هكذا يتوهم — وهناك يجلس ليدرس « حالة » البحر كل يوم ، ويتبين اخيرا انه يضيع عمره عبثا ، وفي منفاه يقرر انه يبدا حياته من جديد !

ان دريس الشرايبى فيما يبدو من قصته القصيرة تلك ، فنان يمزج عمله باكثر من قضية من قضايا عصره المربكة ، ويمكن وصف طريقته — من حيث هو قصاص — بالطريقة الاجودية . فهو يقف عند مشكلة الحياة كلها ، ويسير بها عن طريق السرد والتداعى الى حيث تفرض الحياة منطقها ، وفي أثناء ذلك يكون الاستكشاف المنشود .

وهو لايعرض فلسفة ولايفرض رايا ، ولكنه يدلل على ان المرء الذى يسعى ويسهل عليه ان يتقبل كل ما هو موجود يثور احيانا على ذلك المنطق الجبرى ، ويصل بالضرورة الى النقطة التى تجمعه ببعض فلاسفة الوجودية وهو يسال : ماهذا العالم ؟ وكيف يؤكد الانسان وجوده فيه ؟

***

وبعد فكم يقتضينا ان نسكت عن قضية القيم في القصة الضد ؟ ان هذا العمل الفريد ليس شعوذة وليس مجرد محاولة للتخلص من مشكلات الشكل الفنى ، وهو يحتاج من النقاد الى اكثر من مخلص والى اكثر من ذكى ، لانه لاشك يعطى كثيرا بل هو اكثر عطاء من ضريبه التقليدى والموروث .

« د . احمد كمال زكي »



القومية العربية .. ومؤامرات التخريب

بقلم : محمد جلال كشك

- ٤ -

فى عشية الحرب العالمية الاولى ، وبالذات خلال انعدوان الايطالى على طرابلس الغرب ، أيقن العرب انه لا أمل فى الترك .. بل ان استمرار ارتباطهم ، بالاتحاديين » (حكومة وجماعة الاتحاد والترقى الحاكمة فى الآستانه) يعنى تسليم آسيا العربية للاحتلال الاوروبى .

وهكذا تحقق العرب من ان هؤلاء الحكام الجدد ، الذين استقبلوا بأعظم الآمال وأصدق الاخلاص ، والذين خلعوا عبد الحميد ، وبدأوا لعبة البرلمان المسوخة والمشوهة .. اما عملاء صرحاء للاستعمار الغربى ، واما مرضى بهذا الاستعمار ، قد وصل سمه الى نخاعهم فشوه تكوينهم ، وأفسد تفكيرهم ، حتى أصبحوا يرون الترياق فى سمه ، والدواء فيما يرميهم به من داء وبيل .. وتمزقتهم العمالة أو التبعيه الروحيه ، ما بين محور المانيا ـ النمسا او بريطانيا ـ فرنسا ـ روسيا ، وبين الجماعات المعاديه للاسلام مثل الماسونية والصهيونية ويهود «الدونمه»

لقد كانت سلطنة عبد الحميد ، على تخلفه وظلمه واستبداده ـ الذى فاقه استبداد الاتحاديين ثم الكماليين ـ رغم ذلك كانت سلطنة عبد الحميد تقاوم ، ولو بالنيه ، الغزو الاستعمارى وترفض التفرقه بين عناصر الامة وخاصة بين الترك والعرب ، بل ان السلطان عبد الحميد قد نفى دعاة العصبية التركية وحرص على أن تضم حاشيته عددا كبيرا من العرب .. فلما جاء الدستوريون وضعوا فى وزارتهم ثلاثهمن اليهود ووزيرا عربيا واحدا ثم أبعدوا الوزير العربى .. وثاروا لانه عين أربعة موظفين فى وزارة الاوقاف من بين ٥٠٠ موظف ! .. وانقصوا عدد الموظفين العرب فى وزارة الخارجية عما كان عليه الحال أيام عبد الحميد ، ولأول مرة بدا تقسيم الناس وفقا لجنسياتهم ووضع رمز (ع) أمام العرب الذين اختصوا بكراهية عصابة «الاتحاد والترقى» .

وقد رفض عبد الحميد ان يبيع فلسطين لليهود ، ربما بسبب العصبية الدينية ، أو لمصلحة سياسية جعلته يفهم أن ذلك يفقده تأييد العرب والمسلمين فلما خلعه الدستوريون ، عاقبوه بان ارسلوا له نفس اليهودى الذى فاوضه فى بيع فلسطين وطرده السلطان .. وهو اليهودى عمانوئيل قرة صوافندى ، أرسلوه ليبلغ الخليفة قرار الخلع !.. لم يجدوا سواه (راجع كتاب المجاهد الاسلامى عبد الله التل) ولكى يبدو المرء متفقا عصريا يجب أن يرى فى ذلك مجرد مصادفة وليس مخططا صهيونيا عريقا ! .

وفتح الحكام الجدد أبواب فلسطين لليهود حتى ثار الممثلون العرب فى مجلس المبعوثان ..

وفتحوا أبواب الدولة للنفوذ الاوروبى ، وفرحت بهم أوروبا وعملاء أوروبا .. حتى قيصر روسيا .. سر جدا لسقوط الحكم الاستبدادى فى تركيا ، وقيام حكم الشورى !.. وكان الترجمان الاول فى السفارة الروسية فى الآستانه مسيو آندرى ماندلستام هو الناصح والمشير الرئيسى لرؤساء جمعية «الاتحاد والترقى» (العرب والترك .. توفيق برو) ..

ولا ندرى مادام هذا هو شعور القيصر نحو الحكم الدستورى فلماذا لم ينقذ عرشه وعنقه باقامته فى بلاده ؟!

وان كان القيصر قد عزز سروره هذا بالتآمر على اقتسام الدولة فى عهد « تركيا الفتاة » ..

فقد اورد سفير المانيا فى لندن انه قد تم الاتفاق على ان تكون « حصة روسيا هى الولايات الشرقية ، وحصة فرنسا: الولايات السورية ، وحصة بريطانيا العظمى العراق والمنطقة التى تجتازها سكة حديد أزمير ـ آيدين ، وحصة المانيا آسيا الصغرى ..»

وقام الحكم الدستورى فى تركيا بكل ما يمكنه

لاستفزاز العرب ، ودفعهم الى الانفصال أو اليأس والارتماء فى أحضان الحماية الاوربية .

وكانت هذه الحماية فى الانتظار .. كما تلقفوا الحركة الاصلاحية على نطاق الدولة العثمانية ، فشوهوها وأجهضوها، وسمموها بافكارهم، ودسوا فيها بعملائهم .. فقضوا على التطور الممكن ، الذى آمن به زعماء الاصلاح منذ الافغانى .. وهو قيام دولة عظمى عصرية اسلامية تضم العرب والترك تصد عن الشرق الزحف الاستعمارى ، وتحرر ماوقع منه فى شباكه .. فلما تحطم هذا الامل على يد الاتحاديين ، وبدا أن التطور الطبيعى هو خروج العرب بثورة عربية اسلامية تنقل الخلافة الى العرب ، وتوحد عرب آسيا فى دولة مستقلة مرتبطة تمام الارتباط بعرب افريقيا تحت الاحتلال ومن أجل تحريرهم ، يستدعم ويشد أزرهم المسلمون فى العالم أجمع ..

عندئذ نشطت المخابرات الاستعمارية لاجهاض هذا الاحتمال وافساد هذا التطور .. ليتحول الى مسخ يقود لورنس زحفه .. ليسلم الراية من بعده لعصابات انطون سعاده وأضرابه ..

كان المخطط الاستعمارى لافساد الثورة العربية واجهاضها ثم تشويه معنى القومية العربية يقوم على عدة أسس أهمها فى بحثنا هذا :

أولا : الفصل بين العروبة والاسلامية باختراع القومية العلمانية ، مستغلين تخريب الاتراك ، وتحويل الثورة ضد الاتحاديين الى ثورة ضد الدولة العثمانية ثم ضد الخلافة .. بل الانفصال عن الاسلام .. والزعم بأن هذه الثورة تطور طبيعى حتمه نمو القومية العربية وثورتها الوطنية ضد الاستعمار التركى .. مع العلم بأن أى محاولة لتطبيق تعريفات القومية أو الثورة الوطنية على العرب لا تفضى الى شىء .. ولكن قبل أن نناقش هذا .. انقل هنا حديثا نشر فى روزاليوسف اليومية سنة ١٩٣٠ .. جاء فيه :

« نشرت جريدة الطان الفرنسية حديثا لمكاتبها البيروتى عام ١٩١٣ مع احمد مختار بك عميد شباب بيروت المثقف جاء فيه : »

المكاتب : لا شك انكم تحتاجون فى صراعكم بطلب الحقوق العربية المهضومة الى تأييد الدول الاوروبية سياسيا لحركتكم والعطف عليها .

احمد بك : كلا ، اننا انما نطالب بحقوقنا الدولة العثمانية ، التى هى منا ونحن منها لنتقى هذا العطف الاوربى ، الذى نعلم كل العلم ماذا تقصد به الدول الاوربية . لاننا نعتقد أن أوربا ولا سيما فرنسا منذ الفتنة الماضية المعروفة بفتنة الستين تسعى جهدها للرجوع نهائيا الى سوريا ..

المكاتب الفاجر : يلوح لى انكم معاشر المسلمين ولاسيما من تعرفت اليهم حديثا فى بيروت والآستانه تكرهون فرنسا لأسباب دينية وكنت أظن الثقافة الحديثة عندكم تنبو عن مزالق التعصب الدينى ولا سيما فى هذا القرن ..

اوروبا كانت تريد أن تغمر بعطفها الحركة العربية ، أما اذا تنبه العرب لما يدبر لهم فهم متعصبون دينيا .. ولا يليق ان يتعصب المثقف وخاصة فى هذا القرن ! .. الأليق به هو التسامح فى دينه ووطنه وعرضه !!..

ثانيا ولخدمة أولا ! حصر الحركة العربية فى آسيا العربية، لسببين .. اولهما ان افريقيا العربية لم يكن من السهل أبدا فصل العروبة فيها عن الاسلام لا فى مصر قلعة الاسلام ولا فى المغرب العربى حيث الاستعمار الصليبى المفضوح لايستطيع ان يخفى طبيعته او أن يبشر بقومية علمانية مزعومة وهو يمارس الاهداف الصليبية بتعصب يفوق أحلام لويس القديس صاحب الحروب الصليبية ..

والسبب الثانى انهدف هذا النشاط الاستعمارى كان تقويض الدولة العثمانية فى آسيا العربية وتسليمها بالاحتلال الغربى ، أما افريقيا العربية فكان قد تم احتلالها بالفعل ، فلم تكن ثمة حاجة لتنظيم ثورة عربية بها .. وقد ورثت الحركات القومية منذ انطون سعادة هذا المخطط ، فنراها تقصر نشاطها فى ما يعرف بدائرة الهلال الخصيب.. او قد تتجاوزه ، ولكنها لا تتخطى قناة السويس الى أن قامت ثورتا ناصر والجزائر ، فالى ما قبلهما لا نجد نشاطا لهذه الحركات فى افريقيا العربية مع شديد حاجتها الى حركة عربية وحدوية .. وبعد قيام الثورتين كان وجود هذه المنظمات فى افريقيا ..

هو غالبا لمعارضتها وتخريب اتجاهاتها الاسلامية والوحدوية الصادقة ..

ولتحقيق هذا المخطط نشط الاستعمار الزاحف لتجنيد العملاء ، وافساد العقول ، في الداخل عن طريق القناصل والمبشرين والارساليات والمدارس ، والجرائد التي مولها او اصدرها ، بواسطة حملة جوازات السفارات او الحماية .. وبالمستشرقين الذين اندسوا يعدون التقارير باسم الدراسات عن كل شيء لتعبيد الطريق أمام الاساطيل ، وينبشون كل حجر باحثين عن بذور التفرقة فيثبتون ان البربر ليسوا من العرب ، وان اللهجة البربرية لا تنتمي للعربية .. ومن تم فان تنصير البربر ممكن وواجب ! وان الاسلام لا يصعد الجبال فهو دين السهول ومن تم فان جبل لبنان يجب أن ينفصل عن عرب الصحراء ! .. وأن الأذان عند الشيعة غيره عند السنة ومن ثم فان البصرة يجب أن تلحق بحكومة الهند ! وان اللغة العامية في مصر جذورها فرعونية ، وجنازة الأربعين عادة فرعونية ، لأن التحنيط كان يستغرق أربعين يوما .. (بالرغم من أن هذه العادة موجودة في العراق) !!) ومن ثم فمصر ليست عربية ، ويجب الا تشغل بالها بالعرب او فلسطين .. الخ الخ ..

هذا عن تخريب الداخل ، وفي الخارج بتكوين الجمعيات المشبوهة وبصفة خاصة في باريس التي كانت تعمل منذ سنوات لاحتلال سوريا .. وفي القاهرة حيث رأس الأفعى .. الاستعمار البريطاني، الذي تمرس في التخريب ، وعرف من أين يصاب القلب .

على انه قبل ان نستعرض هذا النشاط المشبوه ، يجب ان نقول ، ان حركة ثورية سليمة كانت تتجمع فعلا .. وان الثورة العربية لو قدر لها ان تتجنب تخريب وتشويه الاستعمار لكانت قد غيرت وجه المنطقة .. ولان حركة ثورية كانت تتجمع فان عددا هائلا من ذوى النوايا الطيبة ، انضموا اليها بل استجابوا وانخدعوا بتغرير المغررين والعملاء .. فبقى لهم حسن النية وان اخطاهم التوفيق .

ولان الظرف الذي تجمعت فيه هذه الثورة كان تعسا ، فقد تحالف عليهم جهل وارهاب واستفزاز الحكومة التركية ، ثم فاجاتهم الحرب العالمية الأولى، التي قلبت كل الخطط وقضت على اناة العقلاء .. لذا فان عددا كبيرا قد استفزه سلوك الترك الى حد مجافاة الاسلام ، وآخرون ،وقد اسقط في أيديهم وكان عليهم ان يقامروا قبل ان تنتهي الحرب ، وقد خيم عليهم الياس ازاء التفوق الساحق للحلفاء ، ثم اصرار الترك على رفض حتى مجرد اصدار وعد ولو مجرد وعد .. لذلك قبل هذا الفريق المقامرة على جواد الحلفاء، رغم معرفتهم بنياته الشريرة ولكن ما حيلتهم .. ؟ ! والمقامر اليائس يخسر دائما ..

كل هذا لايمنعنا من ان ندين العملاء الذين خربوا بوعي وبقصد ، لتسليم آسيا العربية للاستعمار وتخليده في افريقيا العربية .. ولا يمنعنا ايضا من ان نقوم الحركات التي قامت خلال الحرب العالمية الأولى ، والتي يسميها البعض الثورة العربية ..

على انه يجب أن نعرف ، انه الى ما قبيل اندفاع العرب الى الانفصال وبالذات في الأيام الأولى للحكم الدستوري ، كان العرب من المسلمين والمسيحيين ، يؤمنون بالوحدة العثمانية ، بل كان المسيحيون لا يخفون حماسهم لهذه الوحدة .. الا أن السياسة التركية والخبث الاستعماري قد استطاعا أن يتسللا عن طريق الدين بهدف التخريب .. ويقول الاستاذ « ادوارد عطيه » في كتابه « عربي يحكي قصته » كان ميل الروم الكاثوليك والموارنه الى الافرنسيين ، وميل الروم الارثوذكس متجها الى روسيا ، والبروتستنت الانجيلكان نحو انجلترا » .

ويقول الاستاذ ادوارد في كتابه « كان السوريون **المسيحيون يكرهون السيادة التركية ، ويتطلعون نحو التحرر منها ، لا بقصد تاليف دولة سورية مستقلة ، لانهم يكونون في مثل هذه الحالة مضطرين لان يخضعوا لحكم يشكل فيه المسلمون اكثرية ساحقة ، وعندئذ يتعرضون حسب اعتقادهم الى الاضطهاد والظلم .وعليه كانوا يتطلعون نحو التحرر من السيادة الاسلامية بمساعدة دولة اوربية تطرد الترك من البلاد وتحكم سوريا بدلا منهم . ان ذلك لم يكن يعد خضوعا لسيادة أجنبية ولم يكن الأمر كذلك مادامت الدولة الاوربية المسيحية هي من نفس الديانة التي يعتنقونها ؟ اليس اهلها اخوة لهم في المسيحية ؟ » .**

وهكذا كان الاستعمار يخدع المسلمين باسم القومية العلمانية والثقافة التي ترفض العصبية

الدينية ، ويخدع المسيحيين باسم الأخوة الدينية وهو عدو الجميع ..

ويقول ادوارد عطية انه «لما زارت المدرعة الفرنسية « جول فيرى » مرفأى بيروت وجونيه فى أواخر عام ١٩١٢ وعزف البحارة الافرنسيون نشيد « المارسيلييز » ، أخذ الحماس بمجامع القلوب ، وانطلقت الهتافات مدوية بحياة فرنسا حامية « المسيحيين » وفى عام ١٩٠٥ الف نجيب عازورى كتابا باسم « يقظة الأمة العربية فى آسيا التركية » دعا فيه لتوحيد الكنائس الكاثوليكية العربية وحدد الدولة العربية فى سوريا والعراق ولبنان ونجد واليمن والحجاز » أى أنه استبعد افريقيا العربية » . وقد قالت عنه مجلة المنار « ان دعوته لم تلق صداها فى البلاد العربية ، لأن نشاطها ومقرها فى باريس ولأن صاحبها كان داعية للدول الغربية فرنسا وانجلترا ، ولم يخل كتابه من تمجيد لهما فكان لذلك مجلبة للشك والشبهة » .

وظهرت فى باريس دعوة لاستقلال سوريا وحدها ممن سموا أنفسهم الجمعية السورية بزعامة نخلة ورشيد مطران ..

وعندما أرسل « بوانكاره » رئيس وزراء فرنسا المدرعة « جول فيرى » الى الشاطىء السورى ، وأعلن فى مجلس الشيوخ الفرنسى : « لا أرى لزوما لأن أذكر مجلس الشيوخ أن لنا فى لبنان وسوريا حقوقا تاريخية تقليدية ونحن نريد دائما أن تراعى منافعنا وحقوقنا .. أصوات استحسان » .

وصرح السير ادوارد غراى أمام مجلس العموم البريطانى بأن حكومته « تعترف بمصالح فرنسا فى سوريه » .

وأصدرت الجمعية الفرنسية لدراسات شئون البحرية والمستعمرات فى باريس فى نهاية عام ١٩١٢ قرارا حذرت فيه من « المطامع المصرية فى سوريا ! » وأكدت أنه فى حالة زوال ارتباط سوريا بالدولة العثمانية تؤكد الحكومة الافرنسية رغبتها بعدم السماح لأى سيادة أو حماية ، عدا سيادة وحماية فرنسا ، أن تحل فى هذه المنطقة محل السيادة العثمانية » .

فاجتمعت فى باريس ما تسمى « باللجنة اللبنانية » وقررت باسمها واسم لجان نيويورك وسان باولو ومصر .. وجوب توجيه كتاب الى مسيو « بوانكاره » تشكره فيه على التصريحات التى أدلى بها لدى مجلس الشيوخ الأفرنسى . !

وعندما بدأ العملاء الترك يسبون العرب لاستفزازهم انبرى للرد عليهم العملاء العرب فى باريس ولندن فتزداد الهوة اتساعا والجرح تقيحا ..

وعندما انعقدت « الجمعية العمومية الاصلاحية » فى النادى الاصلاحى فى بيروت وضعت مشروعا لادارة البلاد العربية ، واستطاع بعضهم أن يضعوا فيه بندا يطالب بخبراء ومستشارين أجانب لهم سلطات كاملة فى ادارة البلاد « يتصرفون بها تصرف الحاكم بامره ولا مثيل لذلك الا ما أصبح يتمتع به المستشارون الأجانب فى أزمة الانتداب (توفيق برو) .. وينقل توفيق برو عن احمد عزه الأعظمى أن هذه النصوص لم توضع فى اللائحة عبثا بل ان بعض العناصر الموالية لفرنسا فى بيروت أرادت استغلال الحركة الاصلاحية لخدمة هذه الحكومة ، لكى يضمنوا للدول الأوروبية مبدأ مراقبتها لكل فروع الادارة وكى يبرهنوا أن السكان باجمعهم لا يرون امكان الاصلاح الا بمساعدة أوربا » .

وفى المؤتمر العربى الأول بباريس استطاعت نفس العناصر ان تقرر « ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانية » اى الولايات الواقعة تحت نير الاستعمار الاوروبى !!

« وان الرابطة الدينية قد عجزت دائما عن ايجاد الوحدة السياسية » « وهم يودون اسماع مطالبهم وافهام رأيهم لاوروبا التى تزداد أهمية مصالحها فى البلاد العثمانية يوما بعد يوم » « وان الذين ينكرون فضل أوربا انما هم مدفوعون الى ذلك بالأنانية العمياء » وان الذين لا سياسة لهم سيعلمون ان أوروبا ليست هى الغول ، وان الغول هو سوء الادارة وفساد السياسة » .

بعد ست سنوات كان الغول قد التهم الدول العربية كلها ..

وقد رفض المؤتمر السماح لممثل مصر بالاشتراك فى المناقشات وذهب وفد المؤتمر يبلغ وزير خارجية فرنسا قرارات المؤتمر فرحب بهم وقال « ان فرنسا

تقبل بكل رضي وسرور أن تكون محامية سوريه لدي أوروبا » .

ولكن كما قلنا كانت فرنسا تدرك ان هذا التجمع الثورى له جذوره الحقيقية التى يمكن ان تقاوم الطفيليات السامة ، لذلك كتب وزير الخارجية الفرنسى الى قناصله يطالبهم«يجب عليكم ان تتظاهروا بمساعدة الحركة الاصلاحية العربيةلكي تكسبوا قلوب الأهلين على ان تسعوا فى الخفاء للقضاء عليها »ويقول الاستاذ توفيق برو « انه كان ثمة جماعة من المتفرنسين يحاولون ان يلعبوا فى المؤتمر دورا لمصلحة فرنسا ، وان فرنسا كانت تعلق آمالا جساما عليه » .

الا أن تخريب العملاء ما كان ليثمر لولا المناخ السياسى الذى هياه له الترك .. وكانت الحرب الطرابلسية هى التى فتحت أعين العرب .. فقد وقف المندوبون العرب فى مجلس المبعوثان يطالبون بتحصين الولاية ضد الغزو الايطالى المنتظر حتى أبكو المجلس ! .. وكانت ايطاليا بكل وقاحة وفجور الحضارة الغربية تستعد علنا لاحتلال الولاية العربية. ورغم ذلك رفض الاتحاديون حكام تركيا تكوين فرق حرس وطنى من أهالى طرابلس حتى لاتنفصل الولاية! فى نفس الوقت الذى قرروا فيه انها لاتستحق القتال لأنها لاتفيد الخزينة ، بل خفضوا عدد قواتهم هناك من أربعين ألفا الى أربعة آلاف ، وسحبوا سلاح الأهالى قبل الاحتلال .. وسلموا الولاية للنفوذ الايطالى فكانوا يعينون الولاة ويعزلونهم طبقا لطلبات ايطاليا قبل أن تحتلها جيوشها ، وكان الصدر الأعظم مقامرا عميلا لايطاليا متزوجا ايطالية ..

ومع ذلك فانهعندما بدأ الغزو الايطالى، هب العرب جميعا ومن خلفهم الوطن الاسلامى،وانهالت التبرعات من كل بلد اسلامى . وجاء المتطوعون من كل مكان، وكانت مصر هى اكثر البلدان تحمسا واحساسا بخطر الغزو الايطالى ، واندفاعا فى مقاومته ، ولم تغرمهم حكمة الفيلسوف لطفى السيد الذى دعاهم الى الحياد بين قنابل ايطاليا وصدور الليبيين العرب !

لقد كانت اول واوضح صيحة بالثورة على تركيا او بالذات على السلطة التركية التى يمثلها حكم الاتحاديين ، فى مواجهة تبعيتها وعمالتها للغزو الغربى .. فى محاولتها تسليم الوطن العربى لأوروبا .. عندما أعلن النائب العربى خالد البرازى ممثل حماه فى مجلس المبعوثان « أيها الاخوان شاع فى المحافل بأن الصلح سيعقد ، ومع أننى واثق بالحكومة وأمين من وجدان رجالها .. فلنفرض انها استحصلت على فرمان بالاعتراف بالحاق طرابلس الغرب بايطاليا .. فاننى أقول باسم « الأمة العربية» اننا نمسح هذا الفرمان بدمنا ولا نرضى بذلك ، ولو لم يبق عربى على وجه الأرض ..

«أيها الاخوان ان طرابلس الغرب قد فتحها عمرو ابن العاص عام ٢٣ هـ وقد مر عليها نيف و ١٣٠٠ سنة فى يد الأمة الاسلامية فهى اذا لنا بمثابة الروح من الجسد ، وعلى ذلك أختم قولى بان طرابلس باقية وستبقى بيد الأمة العثمانية الى الأبد »

وخطاب النائب العربي يلخص ما تريد أن نقوله : « الأمة العربية » هى « الأمة الاسلامية » والتفرقة دخيلة عليها ، وهى قد ارتفعت شعاراتها فى مقاومة الغزو الاوروبى الصليبى الاستعمارى ، وليس ضد الاستعمار التركى المزعوم بحماية أوروبا كما يقول البعض .. وهى اذ اصطدمت بتركيا فبسبب عمالة حكام تركيا لاوروباوليس منافسة هؤلاء لاوروبا على استعمارنا ..

وهكذا كان العرب يسعون الى انقاذ العروبة والاسلام من الاحتلال الاوروبى .. أولا بالوحدة مع الاتراك فى الجامعة الاسلامية العثمانية وأخيرا بالثورة على الترك ورفع شعار القومية العربية .

ولكن «الغول الاوربى» كان يدبر أهدافا أخرى ، أهدافا عمرها ألف عام ، وحقدا دفينا منذ أن ارتفع صوت بلال بالأذان فتردد من التركستان لشواطىء الأطلس ومن أسوار فينا الى أعماق القارة الافريقية.

يتحدث لورنس الباحث الانجليزى عن اللحظة التى رفع فيها فيصل راية الثورة فيقول : « وبذلك انهارت الدولة الاسلامية التى طالما عمل على تدعيمها السلطان » .. « كنت أرى فى الشعوب العربية من القوى المستترة ما يفى بغاياتنا »

وهو يؤمن بالحركة العربية « لقد كنت أومن بالحركة العربية ايمانا عميقا وكنت واثقا قبل أن أحضر الى الحجاز انها هىالفكرة التى ستمزق تركيا شذر مذر »

ويتحدث عن الوحدة العربية واعادة أمجادالعرب

فيقول « نحن نعلم أن هذا من عالم الاسلام » « بل حتى فكرة قيام حكومة عربية في سوريا يرفضه »٠ وحكومة عربية فى سورية أيا كانت الدوافع العربية الكامنة وراءها ستكون مفروضة فرضا تاما كأية حكومة تركية أو حماية أجنبية » ويرى السيد لورنس أن كلمة « سورية » لا وجود لها فى اللغة العربية »

وامعانا فى اذلالنا يكتب لورنس مذكراته ويعترف بتأنيب ضميره لانه خدع العرب وغرر بهم ! ٠٠ يقول لورنس ليذل أمتنا « هذه المتاعب ما كانت لتعني شيئا نظرا لعدم اكتراثي بما هو جسدى ، وانما هناك الخداع المرهق الذى اضطررت أن أحمل نفسى وزره وهو ادعاء قيادة ثورة وطنية لعنصر آخر مع يقيني التام بأن الوعود التى أطلقناها للعرب لن تكون لها أية قيمة » ٠

« كنت أستغل أثمن ما عند العرب ٠٠ حبهم للحرية كأداة من أجل نصرة انكلترا » ٠٠ «وبالرغم من أن العرب كانوا مخدوعين فقد كانوا يحاربون العدو بكل جوارحهم » « ان قصة الثورة العربية من أولها لآخرها ليست سوى قصة حياة أو موت بالنسبة للعرب ، أما نحن فقد تبنيناها حبا بأنفسنا»

فليهدأ ضميرك الدنس يا لورنس ٠٠ فانت لم تخدعنا الا بالمعنى الذى قاله معاوية رضى الله عنه « من تخادع لك حتى بلغت منه حاجتك فقد خدعته» لقد كانت الثورة العربية تتجمع حقا ولكنها اجهضت، ولم يكن أمام العرب خيار ٠٠ منهم من قامر على المانيا ، ومنهم من قامر على بريطانيا وفرنسا وخسر الجميع ٠

لم تخدعنا يا لورنس ، ولكن خدعنا أنفسنا عندما أحسنا الظن بالحضارة الغربية ٠٠ عندما نسينا أن هذا الأمر لايصلح آخره الا بما صلح أوله ٠٠ ونحن نعاهد الله ورسوله أن لا نخدع مرة أخرى ، ولن يزيغ أبصارنا بريق يأتى من الغرب ٠٠ عدونا الألد مهما تخفى وتنكر ٠٠

بقي سؤال ٠٠ لماذا القومية ٠ ٠ولماذا الاسلام٠٠ لماذا لا تندمج فى وحدة انسانية شاملة ٠٠ وهل توجد هذه الوحدة ؟!٠٠ والى حديث آخر ٠

محمد جلال كشك

لماذا التحامل على الدين ؟

بقلم : محمد عبد الله السمان

على الرغم من ان الكل يدرك اليوم أن هذا البلد لن يفرط فى دينه ، ولن يخذله او يسلمه ، الا انه لم تزل هناك خفافيش دفعتها الحماقة الى أن تخرج فى وضح النهار محاولة مناوشة الدين والاحتكاك به ، بشتى الاساليب الواضحة والملتوية على السواء .

ولو كان امر الاحتكاك قاصرا على مجرد اللغو فى الندوات الخاصة والمجالس المحدوده ، لهان الأمر ، ولكنه حين تتخذ الصحافة ـ وهى ملك هذا الشعب الذى يعتدى على اقدس مقدساته ـ وسيلة الى هذا الاحتكاك فلن يهون الأمر .

وليت هذه الصحافة تزن بميزان واحد ، وتكيل بكيل واحد ، فكما تسمح بنشر الترهات التى تنال من الدين ، تسمح ايضا للقادرين بالرد عليها لدحضها ، ولكنها لا تعمل شيئا من هذا .

فهذه الكاتبة التى تسرح وتمرح فى مجلة اسبوعية كبرى تدخل كل بيت ، تنفس احقادها على الدين فى معظم ما تكتب ، ثم تفرض سياجا من الحصانة حول ماتكتب ، ولا تسمح لانسان ـ كائنا من كان ـ ان يناقشها فيما كتبت .

كتبت مثلا تندد بقانون الاحوال الشخصية التى ـ على حد تعبيرها ـ وضعت فى عهود الجهالة والتاخر ، والتى استمدت سلطاتها من تفسيرات دينية ، وضعها اربعة من الأئمة ، آخرهم مات منذ الف سنة ـ أى فى العصور الوسطى ، ولم يكن هؤلاء الأئمة رسلا ولا ملائكة ولا قديسين .

ثم اخذت تستعدى السلطات قائلة : فهل ترضى حياتنا الجديدة القائمة على العدالة المطلقة ان يستمر هذا الحال ؟ كيف ننتظر أن نصنع شيئا سليما ، ولدينا التشريعات الظالمة تهدم كل خير يتحقق فى بلادنا ؟

ونفس الكاتبة ـ الحاكمة بأمرها ـ لم تتورع ان تهاجم فى تهكم وسخرية رئيس لجنة الاحوال الشخصية ، وهو عالم جليل ، وفقيه كبير ، ووزير سابق ، وممن يحظون بثقه المسئولين وتقديرهم ، والواقع انها لم تهاجمه فى شخصه ، وانما هاجمت التشريع الاسلامى وتهكمت عليه ، ورمته بالجمود والتاخر وعرقلة الاصلاح .

ومنذ ايام معدودة ، نشرت احدى الصحفيات ، على صفحات المجله نفسها حديثا أجرته مع الامام الاكبر شيخ الازهر ، وكان تعليلها مزيجا من التهكم والسخريه ، حتى ذكرت انها بعد هذا الحديث من مسئول كبير فقدت الأمل فى أى اصلاح لقوانين الاحوال الشخصية .

وكانى بهذه الصحفية لا ترغب الا فى دين يتمشى مع الاهواء ، ويرضى الرغبات ، ويهدم نفسه بنفسه ، والا فهو دين رجعى لا يساير الحياة ، ولا يشجع تطوراتها .

وفى جريدة يومية كبرى كتب أحد مندوبيها تحت عنوان : « يؤسفنى أن اصدر هذا الحكم .. الزوجة تتحمل مصاريف علاجها » قال :

« قدمت الزوجة فواتير المستشفى التى امضت بها فترة العلاج للمحكمة ، قالت للقاضى : انها دفعت ٤٠٠ جنيه على علاجها ، وان زوجها رفض أن يساهم بمليم واحد فى مصاريف العلاج . وبعد أن استمعت المحكمة لمأساة الزوجة قالت :

« انها تأسف وهى تساير نص الشرع والقانون ، ولا تلزم الزوج بمصاريف الدواء والاطباء ، ان على الزوج مصاريف الزينة فقط ، وطلبت المحكمة لجنة مراجعة قوانين الاحوال الشخصية بتغيير هذا النص الذى ينافى الانسانية »

ان مثل هذا الكلام ينشر فى الصحف ، موهما القارىء ان فى التشريع الاسلامى مايناق الانسانية ، ولسنا ندرى – على وجه الدقة – اذا كان المندوب الصحفى قد نقل الفاظ المحكمة بامانة ، أم ان هذه الالفاظ من نسج خياله ؟ والعجيب ان بقية ما نشر حول القصة يسجل أن المراة ثرية ولها اموال خاصة ، وعلى ذلك فأى منافاة للانسانية ان تنفق الزوجة على علاجها من أموالها ، ولا فرق بين مالها ومال زوجها ، مادام الزواج قبل كل شىء مودة ورحمة كما ذكرت المحكمة فى نهاية حكمها ؟

على أنه من العجيب حقا الا يكون هناك نص فى الشريعة الاسلامية يعفى الزوج من نفقات علاج زوجته ، ولا سيما ان على الزوج نفقات الزينة لزوجته ، وقد تتبعت كثيرا من كتب الفقه الاسلامى ، فلم أعثر الا على آراء بعض الفقهاء ، التى لا تعتمد على نص من كتاب الله او سنة رسوله .

ففى الجزء السابع من المغنى لابن قدامة ٠ ذكر ان نفقة الزوجة واجبة بالكتاب والسنة والاجماع ، واشار الى كلام الخرقى : « وعلى الزوج نفقة زوجته مالا غناء بها عنه وكسوتها » وبالطبع لا يمكن ان يستثنى العلاج والدواء للزوجة ، ثم يشير ابن قدامة الى أن على الزوج ما تحتاج اليه المراة من المشط والدهن لراسها والسدر او نحوه مما تغسل به رأسها ، وما يعود بنظافتها ، لان ذلك يراد للتنظيف ، فكان عليه كما أن على المستأجر كنس الدار وتنظيفها ، ثم قال – وللأسف – ولا يجب عليه شراء الادوية ولا أجرة الطبيب لانه يراد لاصلاح الجسم ، فلا يلزمه كما يلزم المستاجر بناء مايقع من الدار وحفظ اصولها .. »

وهذا كلام مضطرب غاية الاضطراب ، والمقارنة هنا سقيمة غاية السقم ، ولا تحتاج الى كثير تعقيب ، فاذا كان على الزوج نفقة الزينة لزوجته فهلا يكون من الاحق نفقة ما يحفظ لها صحتها وسلامة جسدها ؟

هذا وقد عاب ابن حزم على ابى يوسف القاضى صاحب ابى حنيفة ، الذى قال : فى المراة البالغة المريضة التى لم يدخل بها زوجها ؛ انه لانفقة لها عليه ، اذا كان مرضها يمنع من وطئها ، فان مرضت عنده بعد أن دخل بها صحيحة فعليه نفقتها ، وعقب ابن حزم بقوله : وهذه متناقضات طريفة فى السخافة جدا .. !

فابن حزم يرى : أن ينفق الرجل على امرأته من حين يعقد نكاحها ، دعى الى البناء او لم يدع ، ولو انها فى المهد ناشزا كانت او غير ناشز ، غنية كانت أو فقيرة ، ذات أب كانت أو يتيمة ، بكرا اوثيبا » .

وقد نقل الشيخ سيد سابق فى كتابه « فقه السنة » فى الجزء السابع ، عن صاحب الروضة الندية ، أن النفقة تشمل سائر الاشياء التى صارت مالوفة بالاستمرار عليها ، بحيث يحصل الضرر بمفارقتها او التضجر ، او التكدر ، وتدخل فيه الادوية وغيرها .

وبعد – فان هناك قواعد مقررة فى التشريع الاسلامى مصدرها الكتاب والسنة الصحيحة ، وهذه القواعد تحفظ للزوجة كافة حقوقها وتعترف لها بآدميتها كاملة ، ومدار هذه القواعد هو العدل وحده : « لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا »

وحسبنا أن رسول الله أوصى بالنساء خيرا فى اكبر مؤتمر عام شهده المسلمون ، وفى لحظاته الاخيرة وهو يجود بنفسه ، ثم لا يرحم التشريع الاسلامى بعد ذلك أناس طبعوا على الكيد له ، وعلى صفحات الصحف التى يملكها الشعب ، ثم لا تسمح هذه الصحف حتى بالرد على الغمز واللمز بدون ذرة من حياء او خجل . !!

« محمد عبد الله السمان »



منادي الضياء

للشاعر : محمود حسن اسماعيل

استوحى الشاعر هذه الأبيات من لحظات خاطفة فى زيارته لمدينة النجف الأشرف بالعراق يوم الثلاثاء ٢٣ فبراير ١٩٦٥ وقد شاهد فيها ضريح الامام علي رضى الله عنه . وأنشدها فى مهرجان الشعر الذى أقيم عصر ذلك اليوم بمدينة الكوفة الخالدة

ونادي منـــاد للضـــياء ، فكبرت … جفوني ، وصلت للنــداء خواطري
وذوبت قلبي في رحيق من الســـنا … وعطــرت من فجر الخـلود قياثري
واحـــرقت في اوتارها كل مازكت … به لصـــلاة الروح ، نار المبـــاخر
تسابيح من صلى ، واشواق من دعا … ورفــرق في كفيــه دمــع السرائر
غرفت عبير الطهر ، من كل ساجد … ومــن كل أواب ، ومن كل ذاكــر
ومن كل طـير ، مـر بالخـلد نايه … واصـغى لهمس الحور بين المخاضر
ومن كل فجــر ، كلم الله قلبــه … بآيات نور من يد الله غامر
ومن كل نبر للصـــدى ، من مرتل … بمصحفه رنت صلاة الشــاعر
ومن صــلوات النخيــل ، رايتهــا … ترنم للاضــواء قـدس الشعائر
تهلل بالاصغاء ، تائبة الضحى … كمستغفر لله ، ســاجي النواظر
وفي وجههــا صــوفية .. لو تكلمت … لكانت حـديث الطهر في كل خــاطر
حشــدت عبير المتقين ، وطهــرهم … واشعلته زاد الضحى بمجـــامري
وبــدلت نــايي ، من رباب مــرنم … لأنغــام نور ، خاشعات المزاهــر..
لأشـــدو بأرض كرم الله وجههــا … بوجه علي تاريخهـــا النفر عاطر
بسـيف ، براه الله عدلا ، وحـكمة … وشـق به الاسلام قلب الدياجــر
وشعت خطــا الدنيا ، بنــور محمد … ومن نــوره هــلت جميع المنائر !!
فيا «كوفة» الأمجاد ، حيتك وحدة … على فجـرها التفت جميع الأواصر
وعادت اليه الشمس ، يسطع نورها … كما كان ، في ماضي العصور الزواهر
خطا « عارف » شدت خطاها ونورت … دروب ليــاليها بعزمــة «ناصر»

حمامة !!

للشاعر: عفيفي محمود

دخل الشاعر المغترب أحد متاجر قيننا ليشتري لحما ... وكان بينه وبين البائعة الحسناء - بطلة هذه القصيدة - موقف وحوار !!



كما يطوف الحلم بالمقله   تطوف بالحانوت كالنحله !
قد شمرت نصفى ذراعيها   وكحلت بالبشر عينيها !
كأنها فى المعطف الناصع   وفى الجبين المشرق الساطع
حمامة بيضاء ... جذلانه   أو شمعة بالنور سكرانه !
قلت لها : ما أنت يا زهره ؟   فغمغمت باللحظ والنبره :
« كما ترى ... أقطع اللحما   وأفصل الأحشاء والعظما ! »
لكننى .. كذبت عينيا   فيها ... وما صدقت أذنيا !..

* * *

حورية ... تعمل قصابه ؟ !   هل أغفل الفردوس أبوابه ؟ !
لو كان لى فى شأنها أمر   لما جفا أصيصه الزهر !
والبست من عطرها حله   وباعت الأزهار فى سله
وألقت السكين لو تنصف   وكان يكفى لحظها المرهف !!
ولم أفق الا على كف   تمتد لى .. كحزمة الطيف
وبهرت بالنور عينيه   أنامل .. ملساء .. ورديه
بالصبغة الحمراء مطليه   بل من دم العشاق مرويه
وناولتنى « لفة اللحم »   وصوبت لى نظرة تصمى
قلت : « ألا ألقاك يا حلوه ؟   نزجى لمحراب الهوى غنوه ؟؟

* * *

وأدركت ما جال فى ظنى   من نظرة المبهور فى عينى
فهزت الرأس الذى يحمل   تاجا من اللؤلؤ والمخمل
قلت لها : « مالى من مأرب   فى غير أن نأكل أو نشرب
ما بعت لى أشهى من الشهد   فكيف لى أهنا به وحدى؟! »
فجلجلت تطرب الأذنيه   رنات أجراس سماويه ..
وقهقهت أجمل حوريه :   « يا صاحبى .. انى نباتيه !! »

كوميديا في ثلاثة فصول

(٤)

بقلم : علي احمد باكثير

الفصل الأول

ملخص مانشر

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مديرالجمعية الاستهلاكية حاولا بكل وسيلة طرد ابي حنفي المكوجي من مسكنه في الربع ومن الحوش الذي يتخذهابو حنفي منشرا لغسيله ليتخذاه حديقة لهما ولـكن ابا حنفي دافع بثبات عن مورد رزقه الوحيد وتعطفعليه محسنة زوجة ابي الديوك التي تنكر على زوجها اندماجه في شلة ذات نشاط في رايها غير مشروع .وتقام حفلة في بيت ابي الديوك حضرها بعض اعضاء الشلة فيدور الحديث بينهم عن الهدف الذي ينبغيعليهم ان يسعوا لتحقيقه وهو القضاء على العربية والعروبة والرجوع الى النعرات الاقليمية ونعـلم منجم الدين انه تزوج امراته الانجليزية ليليان لانها كانت متخصصة في الفيلولوجيا فوجهها لتقوم بعمـل بحث تثبت به ان اللغة العربية متخلفة لا تصلح لامة ناهضة ونعرف كذلك ان نجم الدين لم يكن في الأصلمن الشلة ولكنه انضم اليها ليوجهها الى الاتجـاهه الشعوبي كما ان الشلة تستخدمه لتحقيق مقاصدهاالمختلفة .

ويدور النقاش حول المسرح فنعلم انهم لايقبلونالمسرحيات الا من الكتاب الذين من شلتهم وانه يكفي لقبول المسرحية عندهم ان يكون صاحبها من الديوكاى من شلتهم فهذا بلعوم مدير التموين يصبح من المؤلفين واثار غضب المؤلف زيد واحتج على هـذاالوضع فاتهمه ابو الديوك بانه ليس خيرا من بلعوم ودارت بين زيد وبين عمرو الناقد معركة كلامية حاميةاذ ادعى عمرو انه هو الذي خلق زيدا واتهم زيد عمرا بالتملق والنفاق .

زيـــد : هذه مشكلة

صلصل : على الأستاذ أبي الديوك ان يحل هذه المشكلة

ابو الديوك : المشكلة محلولة

زيـــد : كيف ؟

ابو الديوك : كيف ؟ الا تعرف يا أستاذ زيد كيف ؟! نحولها الى لجنة أخرى من لجان القراءة كما فعلنا في مسرحيتك في السنة الماضية !

نجـــم : عظيم عظيم يا استاذ أبا الديوك

ابو الديوك : لقد أعددنا العدة لكل شيء فانشانا لجانا متعـددة للقراءة ليتسنى لنا ان نقبل ونرفض كما نريد. اطمئنوا يا جماعة . انا ابو الديوك والأجر على الله !

صلصل : لله درك يا أبا الديوك ! أنت حقـا حـلال المشكلات !

ابو الديوك : لكن المشكلة التي لم أجد لها حلا حتى الآن هي أننا لم نجد مخرجا واحدا يرضى ان يخرج هذه المسرحية وأن الممثلين رفضوا جميعا ان يمثـلوا فيها .

ســعدية : ما هـذا الكلام الفارغ . يجب ان تكرههم على تمثيلها بالقوة !

ابو الديوك : كلا يا ستي لا أستطيع

ســعدية : لماذا ؟ أليسوا موظفين عندك ؟

نجـــم : ان التمثيل لا يكون بالاكراه يامدام

صلصل : علينا أن نجد المخرج أولا فاذا وجدناه فـربما استطاع ان يقنع الممثلين بالتعاون معه

(تتجه العيون ناحية ميرغني الذي كان يتحدث مع محسنة في ناحية)

ميرغني : كلا . لا تنظـروا الى . أني قرأت المسرحية ويستحيل ان اخرجها .

صلصل . الواقع يا أستاذ ميرغني انها ليس لها غيرك . انت أستاذ المخرجين .

بلعـــوم : ارجوك يا أستاذ ميرغني اعمل المعروف من أجل

ميرغني : لا تؤاخذني يا أستاذ بلعوم انت تعرف مكانتك عندي لكن هذه المسرحية لا يمكن ان أخـرجها أبدا .

بلعـــوم : لم يا أستاذ ميرغني ؟ حرام عليك !

ســعدية : الا تحب يا أستاذ الفراخ الأمريكاني ؟

ميرغني : (في شيء من الغضب) لا يا مدام لا أحب الا الفراخ البلدي

ســعدية : موجودة يا أستاذ سنبعث لك البلدي كما تريد

ميرغني : (غاضبا) اسمعي يا مدام لقد كدت أميل الى القبول ولكن كلامك هذا قد جعلني أصر على الرفض . انى لست من اهل ذلك

سعدية : يا ويل .. أغضبت من كلامي ؟

بلعوم : اسكتي انت يا سعدية . ان الاستاذ ميرغني رجل حساس ذو شهامة وكرم وسيقبل رجاءنا والتماسنا ان شاء الله من غير شيء ، أليس كذلك يا أستاذ ميرغني ؟

(يسكت ميرغني كأنه يفكر في الامر)

ابو الديوك : هيه ماذا قلت يا أستاذ ميرغني ؟

ميرغني : انها سوف تسقط ياجماعة

ابو الديوك : سوف تسقط اذا أخرجها غيرك . انت الوحيد الذى تستطيع أن تنجحها !

ميرغني : يمكنني ان اقبل ولكن بشرط

الجميع : (بصوت واحد) الحمد لله

ميرغني : قلت لكم بشرط

ابو الديوك : ما هو ؟

ميرغني : انني غير مسئول اذا سقطت

ابو الديوك : على شرط أن تبذل جهدك كله

ميرغني : ان كنتم تشكون فى ذمتي وامانتي ....

ابو الديوك : كلا كلا نحن واثقون تمام الثقة

ميرغني : أنا غير مسئول عن النتيجة

ابو الديوك : لا بأس .. اخرجها وانت غير مسئول عن النتيجة

ميرغني : فيم هذا الاخراج ؟ اعفوني يا ناس . اعطوني مسرحية أخرى لأخرجها لكم

ابو الديوك : ماذا جرى يا أستاذ ميرغني ؟ أتريد أن ترجع فى كلامك ؟

محسنة : الاستاذ ميرغني فى نفسه شيء منك يا محرم

ابو الديوك : مني انا ؟ ماذا صنعت ؟

محسنة : من أجل تلميذه حنفي ، انه يهمه امره

ابو الديوك : وانا أيضا يهمني أمره .. ولذلك عينته عندنا فى المسرح

ميرغني : وما فائدة تعيينه اذا لم يعط له دور واحد حتى الآن منذ تسعة اشهر ؟

ابو الديوك : اوثق بالله . سيعطى لحنفي دور اكراما لك

ميرغني : متى ؟

ابو الديوك : من اليوم فى نفس المسرحية

ميرغني : كلا أعطوه دورا فى مسرحية أخرى . لا يصح أن تعطوه تسعة أشهر ثم تذبحوه

سعدية : ما هذا يا استاذ ميرغني ؟ أتجعل التمثيل فى مسرحية زوجي كالذبح ؟

ميرغني : أجل يا مدام بالنسبة لممثل مبتدىء مثل حنفي

صلصل : لا حق لك يا أستاذ ميرغني . انك بهذا تقف فى طريق حنفي ولا أدري كيف يقولون انك تحبه ؟

ابو الديوك : انا ذاهب لأجيء بحنفي الآن (ينزل من درج البرندة الى الحوش ثم يتوجه نحو باب البدروم ويختفي هنيهة)

ميرغني : (بصوت خافض) لا حول ولا قوة الا بالله . ماذا أصنع يا ست ام عصام ؟

محسنة : ما كان ينبغي أن تقبل اخراج المسرحية

ميرغني : كانوا جميعا يترجونني فلم أستطع أن أردهم . لكن حنفي المسكين ما ذنبه ؟

محسنة : ها هو ذا زوجي قد اقبل به !

(يظهر أبو الديوك ومعه حنفي ويصعدان الى البرندة)

ابو الديوك : هذا حنفي قد كلمته وقبل الدور

ميرغني : او قد صرت توزع الأدوار أيضا يا أستاذ أبا الديوك ؟

ابو الديوك : كلا يا أستاذ المخرجين . انا أردت أن أقول انه قبل أن يمثل فى المسرحية

ميرغني : صحيح يا حنفي ؟

حنفي : ما دمت أنت ستخرجها يا أستاذي

ميرغني : كلا لا شأن لك بي

سعدية : ماهذا يا أستاذ ؟ أتريد أن تكرهها اليه ؟

ميرغني : قرأتها قبلا يا حنفي ؟

حنفي : نعم .

ميرغني : وأعجبتك ؟

حنفي : كالمسرحيات التى كنا نؤلفها ونمثلها ونحن طلبة

ميرغني : فكيف اذن قبلت ؟

حنفي : ماذا أصنع ؟ هذه فرصتي الوحيدة

ميرغني : ألا تعلم ان فيها خطرا على مستقبلك ؟

حنفي : أنا يا سيدي كالمريض الذى يقبل أن يفتحوا بطنه أو يثقبوا جمجمته !

ميرغني : هذا المريض له أمل فى الشفاء

حنفي : وأنا لي أمل فى النجاح

ميرغني : فى هذه المسرحية ؟

حنفي : انهم سيعطونني أدوارا أخرى بعد ذلك

ميرغني : صحيح يا أستاذ أبا الديوك ؟

ابو الديوك : طبعا طبعا ستتوالى عليه الأدوار بعد ذلك .. هيا اذهب الآن يا حنفي فائتنا بوالدك . فهمه جيدا يا حنفي .

حنفي : حاضر (ينطلق الى البدروم)

بلعوم : لماذا أرسلت الى أبي حنفي ؟ ماذا تريد منه ؟

ابو الديوك : هذه فرصة ذهبية لنحل فيها المشكل

نجم : أي مشكل ؟

صلصل : لديك مشكلات أخرى بعد ؟

ابو الديوك : مشكلة المشكلات يا جماعة . مشكلة هذا الرجل

نجم : منذا تعني ؟

ابو الديوك : أبا حنفي

الجماعة : ما تقصد مشكلة الربع ؟

ابو الديوك : نحن نشتهي أن نجعل هذا الحوش حديقة نقعد فيها واياكم في امسيات الصيف

بلعـــوم : مخه ناشف .. لا يمكن أن يرضى أبدا

ابو الديوك : ساعدوني يا جماعة أرجوكم . كل منكم يبذل كل ما في وسعه ويترجاه

صلصل : تذكروا يا جماعة . هذا أبو حنفي رفيقنا القديم الكم تعرفون طباعه فلنلاينه ولنستدرجه بالحسنى الى ما نريد ، هذه هي الطريقة الوحيدة التي نستطيع بها ان نكسبه .

ابو الديوك : ها هو ذا قد جاء

(يدخل أبو حنفي وحنفي)

صلصل : أهلا أهلا أبا حنفي (يأخذه بالحضن)

ابو حنفي : أهلا بك يا أستاذ صلصل .

صلصل : (لا يكاد يرسل أبا حنفي حتى يأخذه بالحضن مرة ثانية) مرحبا يا سيدنا الاسطى ، عاش من شافك !

ابو حنفي : متشكر يا أستاذ صلصل

(يتكرر هذا الفعل من صلصل
ومن أبي حنفي بالتالي)

نجـــم : يا أخي حسبك ! الى متى تكتم انفاسه بتحياتك وابتساماتك هذه العريضة كأنها آذان الفيلة ؟

صلصل : (حانقا) أليس ذلك خيرا من تكشيرتك التي تشبه تكشيرة القرد ؟

نجـــم : دعنا نحيي أبا حنفي نحن أيضا (يأخذه بالحضن) كيف حالك يا أبا حنفي ؟ أتذكرني يا ترى ؟

ابو حنفي : نعم أذكرك جيدا ولكن اسمك .. اسـمك .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم – على طرف لساني ولكن ...

نجـــم : اسمي نجم

ابو حنفي : نجـــم الدين ! الآن تذكرت

نجـــم : لا ، نجم فقط ! اسمي نجم

ابو حنفي : (يحار قليلا) يجوز يا سيدي . انك كنت قليل التردد علينا .. جئتنا ثلاث أو أربع مرات ثم اختفيت .

نجـــم : اني سافرت الى أوروبا حيث حصلت على درجة دكتوره

ابو حنفي : مبارك يا دكتور .. ألف مبروك !

نجـــم : لا داعي يا أبا حنفي

ابو حنفي : لا بد أن نبارك لك ! هذه دكتوراه

نجم : قد حصلت عليها من سنتين

ابو حنفي : لا شأن لي .. ما رأيتك الا اليوم

ابو الديوك : والاستاذ نادر أتذكره يا أبا حنفي ؟

ابو حنفي : طبعا الاســتاذ محبوب نادر ! والاســتاذ زيد والاستاذ عمرو

زيـــد : (يأخذه بالحضن) كيف حالك يا أبا حنفي ؟

ابو حنفي : سلامات يا أستاذ زيد

عمـــرو : (يأخذه بالحضن) سلامات يا أبا حنفي

ابو حنفي : سلامات يا أستاذ عمرو .. الله يسلمك

عمرو : (يأخذه بالحضن) كيف أنت يا أبا حنفي .. كيف حالك ؟

ابو حنفي : الحمد لله . حالي كما ترى . لقد أصبحتم جميعا بين دكاترة ومديرين ومؤلفين ..

حنـــفي : ونقاد يا أبه

ابو حنفي : ونقاد

حنـــفي : ومخرجين

ابو حنفي : ومخرجين .. بالاختصار صرتم أصحاب مراكـز ومقامات عالية وأنا حيث كنت . الحمد لله

ســعدية : محسنة هانم الا تحضرين شيئا من الاكل للعم أبي حنفي ؟

محسنة : أظن انه لا داعي لذلك

ســعدية . لا داعي لذلك ! يجب أن يذوق من طعام الحفلة . سأحضر له أنا بنفسي (تخرج)

حنـــفي : (يشير الى ميرغني) الأستاذ ميرغني يا أبه .. أستاذي في المعهد

ميرغني : أهلا وسهلا يا أبا حنفي

ابو حنفي : أهلا بك يا أستاذ ميرغني . ابني حنفي طالمـا شكر فيك .

ســعدية : (تعود بطبق) خذ يا أبا حنفي كل

ابو حنفي : شكرا يا ست أم زينات . قد سبقت

ســعدية : لا بد أن تذوق من طعام الحفلة

ابو حنفي : قد ذقت منه يا ست هانم

ســعدية : أين ؟

ابو حنفي : في البيت . الست أم عصام جزاها الله خيرا بعثت لنا نصيبنا منه .

ســعدية : (تتمتم ساخطة) معلوم . الحفلة في بيتها !

بلعـــوم : بيتك وبيتها واحد .. خذ منها يا أبا حنـفي تذوق

أبو حنفي : هاتي ياست أم زينات .. من يد لا تمدمها (يأخذ منها الطبق)

نادر : والست أم حنفي كيف حالها ؟

أبو حنفي : سالت عنك العافية .. هي بخير

ابو الديوك : كانوا جميعا يسألون عنك وعن الست أم حنفي

ابو حنفي : سالت عنهم العافية

بلعوم : اي والله ما استطاعوا أن ينسوك يا ابا حنفي او ينسوا افضالك

ابو حنفي : اي افضال ؟ استغفر الله

نادر : منذا يستطيع أن ينسى كيف كان البوليس السياسي يبحث عنا

بلعوم : وكيف كنت تخبئنا في البدروم عندك

صلصل : وكيف كنت تنفق على أهلنا وأولادنا ونحن في السجن ؟

ابو حنفي : أرجوكم يا صحاب لا تخجلوني بكلامكم هذا . ان الناس بعضهم لبعض وأنا ما قمت الا ببعض الواجب .

نهاوند : ما شاء الله .. اكان أبو حنفي معكم ؟

ابو الديوك : نعم كان معنا (يلتفت الى أبي حنفي) الاستاذ نهاوند شاعر العراق

ابو حنفي : تشرفنا يا أستاذ

نهاوند : بك الشرف يا أبا حنفي .. ما شاء الله .. اذن كنت معهم في الحركة ؟

ابو حنفي : في الحركة ؟ لا يا إستاذ . خد الله بيني وبين الحركة . أنا طول عمري رجل مؤمن موحد .

صلصل : (لنهاوند) كان أبو حنفي يعاوننا ويساعدنا في الله ولله

نهاوند : طيب مليح . حياك الله يا أبا حنفي

ابو حنفي : متشكر يا أستاذ سيكا !

ابو الديوك : سيكا ! كذا يا أبا حنفي تغلط في اسم الاستاذ؟

ابو حنفي : وما اسمه اذن ؟

الجميع : نهاوند . نهاوند .

ابو حنفي : لا تؤاخذوني يا جماعة . على قدر حالي .. من أين لي أن افهم في الموسيقى ؟

(يضحك الجميع ثم يكفون ما عدا صلصل فقد استمر يقهقه)

صلصل : (ماضيا في القهقهة) سيكا قال !

ابو حنفي : اعذروني. غلطة مني.. انا رجل جاهل لا أعرف في الموسيقى شيئا

صلصل : (تعلو قهقهته) انت جاهل ؟ انت لا تعرف الموسيقى ؟ يا نمس ! انك حافظ المقامات الموسيقية كلها ! ينبغي أن يعينوك مدرسا في المعهد الموسيقي أو الكونسرفاتوار !

نجم : (غاضبا) وبعد يا جماعة ؟ أنا أحتج !

صلصل : تحتج على ماذا يادكتور ؟

نجم : ضيفنا وضيف بلدنا كيف تضحك عليه ؟

صلصل : يا لك من رجل عكر . أتريد أن تقطب في وجهه ؟ لم لا نضحك معه ؟ نحن في بساط أحمدي . هل زعلت حقا يا أستاذ نهاوند ؟

نهاوند : لا ماكو زعل

صلصل : سامع يادكتور ؟

ابو حنفي : انا آسف .. انا الذي كنت السبب . اسمحوا لي اذن ... (يهم بالخروج)

بلعوم : انتظر حتى نتفق أولا

ابو حنفي : نتفق على ماذا ؟

ابو الديوك : لا تتجاهل يا رجل انك تعلم ما نريد (يقبل رأسه) حقك علي ان كنت اغضبتك او اسأت اليك. نحن أسرة واحدة يا أبا الأحناف

ابو حنفي : اني لا أفهم شيئا

صلصل : أبعد كل هذه الأفضال التي لك علينا يا أبا حنفي وبعد هذه العشرة الطويلة والصداقة المتينة تبخل على أصحابك بحاجة بسيطة كهذه ؟

ابو حنفي : هذه ليست بسيطة يا ناس !

بلعوم : اننا سنتوسط لك في المساكن الشعبية .

ابو حنفي : هذه المساكن الشعبية لا تنفعني .

صلصل : هذا تعنت منك . الناس كلها تتمنى المساكن الشعبية

ابو حنفي : هل فيها حوش كهذا ؟

صلصل : انك لن تحتاج الى الحوش بعد ذلك ان شاء الله . سيكون ابنك حنفي ممثلا كبيرا سيصير نجما من نجوم السينما والمسرح

الجميع : اجل يا أبا حنفي . نحن جميعا نضم أصواتنا الى صوت الاستاذ صلصل

ابو حنفي : كلكم ضدي ؟

صلصل : بل كلنا معك يا أبا حنفي وفي صفك . من منا لا يتمنى الخير لحنفي ولأبي حنفي ! من منا لايتمنى أن يرى حنفي ممثلا عظيما يتردد اسمه كالطبل ؟ من منا لا يتمنى أن يرى حبيبنا أبي حنفي وقد تاب ربنا عليه من هذه المهنة الشاقة وأصبح يعيش عيشة مرفهة في كبره ؟

حنفي : (متوسلا) نعم يا أبه أرجوك

ابو حنفي : ومتى تريدون منا أن نخلي الربع ؟ أليس بعد أن نجد لنا مكانا مناسبا ؟

صلصل : طبعا طبعا ونحن جميعا سنساعدك في البحث عنه

ابو الديوك : وسنستخدم نفوذنا في الدوائر الخاصة بالاسكان

ميرغني : لن ننتقل من هنا الا بعد أن نرى اسم حنفي يلمع في كل مكان

حنفي : سمعت يا أبي ماذا يقول الاستاذ ميرغني ؟

ابو الديوك : المسرحية يا أستاذ صلصل (يناوله نسخة المسرحية)

صلصل : ها هي ذي المسرحية . سأسلمها لابنك حنفي أول ما تقول انك وافقت

ابو حنفي : وافقت وأمري الى الله

الجميع : (بصوت واحد) مبارك ! مبارك !

ابو حنفي : هات يا أستاذ صلصل !

صلصل : (يناوله المسرحية) خذ !

ستار الفصل الاول

علي أحمد باكثير

تشيخوف في الأدب العربي

تأليف : كراتشكوفسكي
ترجمة : محمد منير مرسي

بدا العرب يتعرفون بتشيخوف وهو ما يزال حيا وكان ذلك فى نفس الوقت الذى بدءوا فيه يترجمون المؤلفات الروسية الكلاسيكية • ففى نهاية القرن التاسع عشر فى سوريا وفلسطين تكونت مجموعة من المترجمين عن الروسية مباشرة • وتنتمى هذه المجموعة في دراستها وتعليمها الى مدارس الجمعية الفلسطينية وبصفة خاصة مدرسة الناصرة التى أسست سنة ١٨٨٦ ومدرسة أخرى أسست سنة ١٨٩٠ فى بيت جال قرب بيت لحم • فكانت اللغة الروسية مادة أساسية في كل مدارس هذه الجمعية • ولعل تصور الأدب الروسى المعاصر والتعريف به لم يأت نتيجة للبرنامج المدرسى بقدر ما كان نتيجة للمعلمين الروس الذين كانوا هناك ، بل ان كثيرا من خريجى هذه المدارس كانوا يواصلون تعليمهم فى روسيا •

وكان لروائع أدبنا الكلاسيكى انطباع قوى وتأثير واضح فى أعمالهم الفنية التى خلقوها • ونجد هذا بوضوح على سبيل المثال لدى أحد كبار الأدباء والنقاد العرب المعاصرين ، ونعنى به ميخائيل نعيمة (ولد سنة ١٨٨٩) : وهو ربيب لبنان ، بدأ أول تعليمه فى مدارس الجمعية الفلسطينية فى بلدته « بسكنته» ثم فى « الناصرة » • وبعد ذلك أمضى خمس سنوات (من سنة ١٩٠٦ — ١٩١١) في مدرسة «بلكافا» فى روسيا • وهناك قرأ الأدب الروسى وتعرف على ادب بوشكين وليرمانتوف وتورجنيف وجوجول وتولستوى ودستيوفسكى والمدرسة النقدية «لبلينسكى»• وقد بدأ العرب فى التعرف بتشيخوف وجوركى فى وقت واحد تقريبا • ونجد أن المعلمين والأطباء الذين تلقوا تعليمهم فى روسيا وكذلك الصحفيين من خريجى مدارس الجمعية الفلسطينية قد بدءوا عملهم كمترجمين فى مختلف المطبوعات الدورية فى فلسطين وسوريا خاصة ، وقد تجمعت هذه التراجم فى مجموعات فيما بعد • وكانت قصص تشيخوف أكثر سهولة بالنسبة لأغراض هؤلاء المترجمين ، اذ كان حجمها صغيرا يمكن نشره فى عدد واحد من المجلة او الجريدة • على أن شهرة تشيخوف جاءت نتيجة لعامل آخر • ففى الفترة من ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠١ كانت مؤلفاته تنشر فى مجلة روسية واسعة الانتشار هى مجلة « نيفا » ، وكانت منتشرة بين القراء بالروسية فى فلسطين بنوع خاص ، وبين العرب الذين كانوا في روسيا ، أو كانت لهم أية علاقة بها ، ومن هنا انتشرت مؤلفات تشيكوف بسرعة ، وترجمت منها مجموعة كبيرة • وفى سنة ١٩٠٥ قام بطبعها أحد معلمى الجمعية الفلسطينية فى شمال سوريا هو ابراهيم جابر الذى لم يكن فى روسيا فى يوم ما • وفى سنة ١٩١٣ قام أنطون بلان — وهو ممن تلقوا تعليمهم العالى فى روسيا — بطبع مجموعة تراجم فى سوريا وحمص • وهذه التراجم كانت حصيلة عمله مدة خمسة عشر عاما • وفيها حصل تشيخوف على مكان تال لتولستوى اذ طبعت له خمس قصص مترجمة •

وفى بداية القرن العشرين قبل الحرب العالمية الأولى توطدت مكانة تشيخوف فى هذا المجال من الأدب العربى الذى خلقه المثقفون العرب والمتطلعون الى روسيا • على انه ليس من الممكن الآن معرفة كل ما ترجم لتشيخوف طيلة هذه الفترة • ففى البلاد العربية لاتوجد هيئة تقوم بحصر كل الانتاج المطبوع، وليست هناك مكتبة اخذت على عاتقها جمع هذا الانتاج بتسلسل وانتظام •

بيد أن المادة الموجودة فى أيدينا تسمح بتشخيص ووصف ذلك الدور الكبير الذى لعبته هذه المجموعة من المترجمين • ومن المهم أن نشير قبل كل شىء الى أن هذه الترجمة قام بها أشخاص عرفوا روسيا جيدا بل زاروها أحيانا وعاشوا فيها • الا انه كان فى غير صالح هذه الترجمات من الناحية الشكلية انها كانت تطبع عادة فى دور طبع محلية صغيرة ليس لها

انتشار واسع خارج البلاد العربية . ولم تتمكن من التأثير على الأدب العربى فى تطوره . وكانت مصر تقوم بأهم دور قيادى فى هذه الناحية .

ومنذ العقد الثانى بعد الحرب العالمية الأولى تعرف العرب بتشيخوف لا عن طريق روسيا وانما عن طريق الغرب ، لا ككاتب روسى وانما ككاتب عالمى وقد حدث هذا فى نفس الوقت الذى ساد فيه عدم الرضا عن الأساليب الادبية القائمة ، ووجدت الحاجة الى البحث عن الأساليب والأشكال الأدبية الجديدة . واذا كان الأسلوب الرئيسى لمدرسة المهجر فى الفترة السابقة هو الشعر المنثور . فان الاسلوب الذى رسمته مصر لنفسها آنذاك هو القصة وبالذات القصة المصرية ، وكانت اذ ذاك القصة الصغيرة المستقاة من واقع الحياة المحيطة . ويرجع الفضل فى تطويرها الى الأخوين « **تيمور** » وبخاصة محمود تيمور الذى يعتبر فى الوقت الحاضر شيخ المدرسة المصرية لكتاب القصة ، وهى المدرسة التى اتسع تأثيرها الى جميع البلاد العربية .

وقد بدأ محمود تيمور نشاطه فى نهاية العقد الثانى مع أخيه محمد تيمور الذى مات قبل الأوان . وكان محمود تيمور متأثرا فى أولى خطواته الفنية بموباسان ، غير أنه سرعان ما اتجه الى القصة الروسية ، وبخاصة قصص تشيخوف . ويتحدث عن هذا لا مؤلفاته الكثيرة فحسب وانما اعترافه الذى كرره فى مؤلفاته اكثر من مرة .

ففى سنة ١٩٣٩ عندما تحدث عن تاريخ حياته الفنى اشار بصفة خاصة الى دور تشيخوف فى هذا التاريخ، فأشار الى أن القصة الروسية تتميز بصدقها وبساطتها كما لو كانت قطعة من نفس مؤلفها ونظرته يعرضها بدون تكلف أو صنعة . وعندما تقرأ احدى هذه القصص تحس بصفحات بسيطة من الحياة ،ولكن وراء هذه البساطة صفحات مأساة الانسان الحالى .

ويظهر هذا كيف نما فهم الأدب العربى لتشيخوف طيلة اربعين عاما منذ ظهور أول قصصه مترجمة .

وهو الآن يعتبر أستاذ الفن الرفيع حتى بالنسبة للحياة العربية التى تبدو أنها بعيدة عنه .

وهذا الاعتراف بتشيخوف كمؤلف لا يقتصر على الأدب الحديث فحسب وانما يتعداه الى الانسانية جمعاء .

وفى بداية سنة ١٩٤٤ احتفلت مجلة الهلال بمرور نصف قرن عليها . وظهر عدد خاص منها بمناسبة القصة القصيرة . ومن هذا العدد تنعكس **التيارات المعاصرة** . فالى جانب مؤلفات تيمور كانت هناك قصص أحد تابعيه وكانت هناك أيضا قصتان تاريخيتان عن الحياة العربية والبيزنطية ، وثلاث قصص عن الصراع ضد الفاشيين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مقتبسة من المؤلفات الانجليزية والألمانية المعاصرة . وفى هذه التشكيلة كان من غير المتوقع ظهور ترجمة قصة « الذئب » لتشيخوف . ولا ينبغى أن تعتبر ذلك صدفة .

فالمترجم زكى طليمات هو القائد الفنى لاتحاد المسرح والموسيقى المصرى . وهو رجل ذو اسم أدبى كبير،وقد ركز اهتمامه على تشيخوف فى مقدمة قصيرة، وأشار الى أن المسرح المصرى عرف حتى تلك اللحظة ثلاثة مؤلفات فقط من الأدب الروسى : «يوم الاحد» و «أنا كارنينا» لتولستوى و « الجريمة والعقاب » لدستوفسكى . والآن جاء دور التعرف بتشيخوف ثالث كاتب بين أعظم الكتاب الروس الذين يشغلون مكانا مرموقا فى عالم الفن المسرحى .

ويضيف الاستاذ طليمات أنه تكفى الاشارة الى أن المؤلف تناول فيها الحقيقة القديمة عن الحقد والكراهية وهما طرفا الحالة الداخلية وبينهما يتردد القلب بلا ارادة مع الاحتفاظ بالمخرج الدقيق . وفى نفس كلا البطلين ــ على حد كلماته ــ تجد صراعا بينهما كما لو كانا شخصين . وقد استطاع تشيخوف أن يصور هذه الارادة المزدوجة قبل أن يحللها العلم .

ومن المهم أن نشير الى مدى الجدية التى حظيت بها مؤلفات تشيخوف من جانب كبار رجال الأدب العربى المعاصر . فقد حاولوا أن يجدوا لديه اجابة للمسائل الخاصة بأصول الفن وتحليل حركة النفس الداخلية ، بل لتوضيح بعض المسائل الفنية المعاصرة وهذه العلاقة الجدية من جانب الكتاب العرب تغفر ما فى هذه التراجم من نقص ، فهى عادة ليست على درجة كبيرة من الجودة ، وعددها مع ذلك قليل ، أما المؤلفات الضخمة لا سيما الدرامية منها فما زالت غير مترجمة .

وبصرف النظر عن كل هذا فان الفخر يملأ قلوبنا عندما نسمع أن كبار الأدباء العرب فى هذه الأيام يعتبرون تشيخوف مثلا للأدب الذى يتجه الى الانسانية جمعاء . ونحن الى جانب هذا نشعر أيضا بان دراستنا الاستشراقية قد دخلت فى التراث العام للثقافة البشرية والانسانية .

« **محمد منير مرسى** »

شعراء من الشعب

أبو الحسين الجزار

٦٠٣ - ٦٧٩ هـ

بقلم: محمد جابر البنا

لفظ الحكم الأيوبى لمصر وبلاد الشـام أنفاسه الاخيرة فى الوقت الذى كان فيه أبو الحسين يعيش الاشعاعات الذابلة من حياته التى تسبق الخمود الأبدى، وكان وقتئذ شاعر الفسطاط بل شاعر مصر كلها • وبانتهاء الحكم الايوبى انتهى عصر الاغداق الوافر على الشعراء والعطف عليهم مما جعل الشعراء هؤلاء يعانون من كساد بضاعتهم ونفـاق أسواقهم بعد جفـاف الينـابيع التى كانت تفيض بالعطاء والرفد ، الامر الذى جعل الشكوى تبرز فى شعرهم وتسيطر على نتـاجهم • بل أن أغلبهم بدأ يفكر فى طرق أبواب جديدة من العمل أو يرتد الى ماكان فيه مادام السوق الادبى أغلقت أبوابه أو كادت • ولعلنا لا نجانب الصواب حينما نقـول أن السر فى قصور شعرهم مسامتة الحياة الاجتماعية والسياسية لتلك الفترة هو أنهم كانوا يعيشـون عصر احتضار دولة (الايوبية) ومولد (المملوكية) وعصور الانتقال دائما تصحبهـا هزة عنيفة فى آراء المفكرين والمصلحين وتذبذب فى أحكامهم وقيمهم الاجتماعية والفكرية •

كان على شاعرنا اذن والحال هكذا أن يعود من جديد الى سـاطوره ومديته ووضـمه لأنه كان من أسرة عريقة فى الجزارة ـ كمـا أسلفنا ـ وقد قال مفـاخرا براحة باله وعدم طلبه للمنصب ورضاه بعيشه وما قسم له :

أنا فى راحة من الآمال
أين من همتى بلوغ المعـالى
لى عجز أراح قلبى من الهـم
ومن طول فكرتى فى المحال
طاب عيشى والحمد لله اذ كنـ
ـت له حامـدا على كل حال
مالباس الحرير مما أرجيـ
ـه فيرجي ولا ركوب البغال

الا أنى ما أحسب عجزه أراح قلبه من الهم والفكر فى طلب المعالى ـ كمـا قال ـ بل يبدو أنه حاول الداب كله وسعى السـعى كله كى يتوفر له من المجـد ـ بعيدا عن المناصب ـ نصيب ومن الشهرة الادبية ـ بعيـدا عن الرتب ـ قسم ـ فلقد حاول ترك الجزارة الى التكسب بالشعر على عادة الشعراء فى وقته ـ وكان ذلك بالطبـع ابان العصر الايوبى وأواخره ـ الا أنه عاد من رحلته هذه عودة الكادح الذى خاب مامله والعازف الذى تحطم معزفه ـ مما جعله يصور لنا هذا الاخفاق وهذا اليأس فى شعره وهاك أبياته التى تنطق بالمرارة والألم مخاطبا بهما الفقيه ابن نصر :

بـك يا ابنَ نصر جئت أر
جو نصرة فانعم وبادر
وأجرنى من زمنى الذى
دارت على به الـدوائر
أضحيت فى أمرى ولا
أشـكو لغير الله حائر
واللحم يقبـح أن أعود
لبيعه والشـعر بائر
يا ليتنى لا كنـت جـزارا
ولا أصبحت شـاعر

ويبدو أن الضيق المادى بلغ به حدا جعله يشقى بالادب شقاء بعيدا مما جعله يعقد موازنة بين حاله وهو جزار وبينه وهو شاعر • انظر اليه يخاطب ـ من يسمى « شرف الدين » :

لا تلمنى ياسـيدى شرف الد
ين اذا ما رأيتنى قصابا
كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ
ـت حفاظا وأرفض الآدابا
وبهـا أضحت الكلاب ترجـ
ينى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

ثم يعلل لهذه الثورة بهذه الموازنة الطريفة التى يسخر فيها من العلم والشعر وصنعة الادب :

قطعت شبيبتي واضعت عمري
وقد أتعبت في الهذيان فكري
ومالي أجـرة فيـه ولالي
اذا مامت يوما بعض أجر
قرات النحو تبيانا وفهمـا
الى أن كعت فيه وضاق صدري
فما استنبطت منه سوى محال
يحال به على زيد وعمرو
وفي علم العروض دخلت مهلا
وعمت بخفتي في كل بحر ..
فذكرني به التفعيل بيتـا
تضمن نصفه الشـيخ المعري
مفاعلتن مفاعلتن فعـول
حـديث خرافة يا أم عمرو ..
وكم يوم ببيع الشـعر عندي
يعد من البوار بألف شهر
ولما آن غدا لا بيع فيه
مع الميزان اشـبه يـوم حشر
ودكاني جهنـم اذ زبوني
زبانية بهـم تعذيب سر

وعلى رغم ذلك لم يهجر الشـعر نفسه وان كان هجر التكسب به ومنذ ذلك الوقت ومذ أخفق في مسعاه وخاب في مأمله ظهرت أعراض الشكوى في شعره تضمخ كل بيت وتكسـو كل معنى حتى أنه خلط المديح والوصف بل والغزل والدعابة جميعـا بالوان من شكواه وجور الزمان عليه ... أنظر اليه يقول :

أدركوني فبي من البرد هـم
ليس ينسى وفي حشاي التهاب
ألبستني الاطماع همـا فهما
جسمي عار ولي فرى وثيـاب
كلما ازرق لون جسمي من الـ
ـبرد تخيلت انه سـنجاب

ويقول :

اعمل في اللحم للعشا ولا
أنال منه العشا فما ذنبي
خـلا فؤادي وفي فمي وسخ
كأنني في جـزارتي كلبي

وله في هذا المعنى :

اصـبحت لحاما وفي البيت لا
أعرف ما رائحة اللحـم

واعتضت من فقري ومن فاقتي
عن التلذاذ الطعم بالشـم
جهلتـه فقرا فكنت الذي
أضـله الله على عـلم

وهو هو يشـكو من الشتاء مر الشكوى وقد كان الشتاء دائما أقسى أعـداء أبي الحسين حتى ادركته رحمة الله ، ومما قاله فيه وهو من أطرف ما قيل في هذا الباب :

أتلقى الشتا بجلدي وغيري
يتلقـاه بالفرا السنجابي
وأود المشاق والقطن والصـو
ف وغيري لم يرض بالعتـابي
حسبي في الأمطار جلدي ولبـا
دي ثوبي ونعلتي قبقـابي
ونهار الشتاء أطول عندي
من نهار الصيام في شـهر آب
لو يراني عند الغدو عدوي
لرثى لي ورق مما يرى بي
أو يرى سـائر المفاصل مني
راقصـات اذ صفقت أنيـابي

ولا أدري كيف ينتظم هذا القول مع قوله في مطلع القصيدة :

ضحك الروض من بكاء السحاب
فاغتنم فرصة الصبا للتصـابي
واجن باكورة الزمان لشرب الر
اح فالدهر آيل للذهاب
وأدرها من عسـجد في لجين الـ
ـكاس قد رصعت بدر الحباب

ثم يصور فرحته بالشمس في نهـار الشتاء أبلغ تصوير وأدقه فيقول :

لي من الشمس خلعة صفراء
لا أبالي اذا أتاني الشـتاء
ومن الزمهرير ان حدث الغيـ
ـم ثيابي وطيلساني الهواء
بيتي الارض والفضاء به سو
ر مدار وسقف بيتي السـماء
لو تراني في الشمس والبرد قد انحـ
ـل جسمي لقلت اني هباء
لي من الليل والنهار على الطو
ل عزاء لا ينقضي ، وهنـاء

ويقول فيها بعد مواجع عدة :

أترى هل أعيش حتى يقول النـ
ـاس فيـه نزاهة واباء

يا فؤادى صبرا فمازالت الأيـ
ـام فيهـا السراء والضراء
ولكى تكتمل قصة الشتاء والشكوى منه فلامناص من التفاتنا الى هذين البيتين :
لبثت بيتى وقد زررت أبوابى
على جتى غسلت اليوم أثوابى
وقد أزال الشتا ماكان من حمقى
دعنى فمستوقد الحمام أولى بى
وعامى ملامح شـكواه تظهر فى مدحه للملك الناصر :
كيف يبقى الجزار فى عيد النـ
حر دهر الافلاس والعيد عيده
يتمنى لحم الاضاحى وعند النا
س متـه طريه وقديده
ولقد آن من لقائك أن تبيـ
ض أيامه ويخضر عوده
من هذا كله ندرك أن للشكوى مكانهـا البارز وظلالها الوارفة فى شعر الجزار ولعل هذا ما جعل أحد المؤرخين لأدب هذه الفترة يقول عنه : « أوشك أن يكون بعض شـعره نوعا من الشحاذه » وعندى أنه لون من الوان المرارة والالم وضرب من ضروب الفاقة والعوز التى كانت ترزح تحت وطاتها الطبقة الدنيا من الشعب وقتئذ والتى كان منها شـاعرنا على أننا لا ننكر أنه كان متلافا لاتكاد خلته تنسد وكان مسرفا على نفسه ـ سامحه الله ـ وتلك عبارة صاحب شذرات الذهب ·
على أن الجزار رغم شكواه المرة ولوعته الدائمـة فقد أثر عنه أنه كان يمزجها بخفة الروح وحـلاوة الدعابة وهادىء السخرية وان كانت سخريته تتميز بالظرف والخفة واللطافة ممـا جعله يستخدم حرفته فى معانيه وتورياته ، وسنعرض لهذا بمزيد تفصيل فيما بعد انشاء الله ـ استمع اليه يقول عن صناعته:
الا قل للذى يسـأ
ل عن قومى وعن اهلى
لقد تسأل عن قوم
كرام الفرع والاصـل
يريقون دم الأنعـا
م فى حزن وفى سهل
وما زالوا لـما يبدو
ن من يأس ومن بذل
ترجيهم بنـو كلب
وتخشـاهم بنو عجل

ويقول فى هذا المعنى أيضا :
انى لمن معشر سـفك الدماء لهم
دأب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصـهم
فـكل أيامهم أيام تشريق
ومما يدل على رقة حاله وحسن فكاهته ومرشكواه من الحياة وصفه لداره المهدمة فى الفسطاط :
ودار خراب بها قد نزلت
ولكن نزلت الى السابعـه
فلا فرق بين أنى أكون
بها أو أكون على القـارعه
تساورها هفوات النسـيم
فتصغى بلا اذن سـامعه
واخشى بها أن أقيم الصلاة
فتسجد حيطانها الراكعه
اذا ما قرأت (اذا زلزلت)
خشيت بأن تقرأ الواقعـه
ومن عجب أن يختلط الامر على أستاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجه فينسب هذه الابيات ـ رغم شهرتهاـ تارة الى نصير الدين الحمامى الشاعر المعاصر لابى الحسين والمتوفى سنة ٧١٢ هـ (كتاب قصة الادب فى مصر) الجزء الثانى ص ١٦٢ ـ ثم يعـود ـ فى المصدر نفسه ص ١٨١ فينسبها الى صاحبها الجزار ولا نستبعد أن يكون نصير الدين الحمامى أخذ الابيات هذه ونسبها لنفسه على عادة الشعراء وتفشى السرقة الأدبية بينهم فى ذلك الحين · فمن الشعراء من أغار على شعر غيره بدعوى التضمين بل ان منهم من اعترف بذلك وهذا مجير الدين بن تميم يقر هـذا ولا ينكره حينما يقول :
أطالع كل ديـوان أراه
ولم ازجر عن التضمين طيرى
اضمن كل بيت فيه معنى
فشعرى نصفه من شـعر غيرى
ولكن هل نحسب أن ابا الحسين استقرت نفسه وطابت عيشته ورضى عن عودته الى مصاحبة الساطور والوضم بعد هجره للقرطاس والقلم ؟
مانحسب ذلك ، فقد ناله من العودة الى الجزارة هم ثقيل وحزن طويل وفى هذه النكسة يقول أحد أدبائنا الظرفاء ان فى عودته هذه ـ الى حقل الادب ـ شهادة تدمغ الجزارين بأن صحائف أعمالهم كصحائف ثيابهم ومالهم لا يكونون كذلك وقد سـلطوا على الحيوان والانسان يريقون من دم هذا ويأخذون من دم ذاك »·

عاد الى حقل الشعر عودة الحبيب الهاجر الى محبه الوامق وما هجر أبو الحسين الشعر كما أسلفنا وانما هجر التكسب به .

وفي عودته هذه صار يجول في أنحاء مصر يطلب لقمة العيش: يمدح من يلمس فيه العطاء والبذل ويأنس منه المودة والكرم . وعن هذا يحدثنا الرحالة ابن سعيد فيقول « وأصبح جوالا في آفاق الديار المصرية جانيا لدانيات قطوفها وتازحا بها من كل عاص ومطيع حتى صارت له في اقطارها عدة رسوم يجتمع له فيها مالا يحصله في هذا العصر احد من أهل المنظوم

فهي تفرش له الآمال من جديد وتزين له الطريق تأخذ من هذا - على قدر - أن الحياة عادت رخاء معه تأخذ بيده الى دروب المطامع وها هو يذهب الى الاسكندرية ليمدح ناظرها « المحافظ » صدر الدين عبد الرحمن بن القرمسيني فيقول :

لى من جاهه واخلاقه عنـ
ـد هجير الخطوب ظل وماء
أيهذا الرئيس دعوة عبد
أصبح الحزن دأبه والبكاء
مات فقرا وكان ذلك اذما
تت من اللؤم أنفس أحياء

ثم عاد من عند محافظ الاسكندرية ليقول :

اشكر مولانا ونصيفتي
تشكر أكثر من شكرى
أراحها جدواه من كل ما
تشكو من دق ومن عصر
كل مرة كادت مع الماء اذ
يغسلها غسالها تجرى
تموت في الماجور لولا النشاء
يبعثها في ساعة النشر

• ولا ندرى قدر ما حباه به ابن القرمسيني (المحافظ) غير هذه النصيفه (الكسوه) التى ذكرها وفي تلك الابيات رقة وحلاوة وخيال بديع انظر الى خفة الروح المصرى في قوله :

كل مرة كادت مع الماء اذ
يغسلها غسالها تجرى

والى جمال التورية في قوله :

تموت في الماجور لولا النشاء
يبعثها في ساعة النشر

وقد رأينا مما سلف كيف أنه تذبذب في اخريات حياته بين عمله في الجزارة وصناعته في الشعر حتى يعود في نهاية المطاف فيودع هذه ويهجر تلك حتى أن أحد مؤرخيه «صلاح الدين الصفدى في المنهل الصافى» يقول انه استجدى في اخريات حياته بدون شعر وان كان في النفس من هذه الرواية شيء لان ابن سعيد الذى شغل نفسه به والحديث عنه لم يذكر ذلك ، كذا لم يذكره غيره . ولكن هذا لا يمنعنا من العودة الى النظر من جديد لنرى أن ابن سعيد هذا مات قبل صلاح الدين الصفدى بل مات قبل الشاعر الجزار نفسه بست سنوات مما يجعلنا نقول أن الظروف القاسية ولقمة العيش التى لاترحم اضطرت الرجل ان يستجدى الناس بغير شعر وان الشيخ الصفدى لاحظ مالم يتمكن من ملاحظته ابن سعيد لأنه عاش بعده وقد يكون شهد من أطوار حياة ابى الحسين الاخيرة مالم يتمكن من مشاهدته لابن سعيد وما الذى يدعونا الى الشك في أن الرجل استجدى الناس وطلب عونهم ؟ أليست هذه هى النهاية الطبيعية لكل فنان أسرف على نفسه وأسرف على فنه؟ ألم نحدث عن شاعر النيل والشعب - حافظ ابراهيم أنه مات وليس في بيته سوى مجلدة من كتاب الاغانى والعصر الذى عاشه حافظ ابراهيم هو بالقياس الى عصر ابى الحسين نهار مشرق الطلعة تفتحت عليه طاقات النور من كل حدب وصوب !

والتاريخ الادبى للعصر الحديث - ولكل عصر - مشحون بأمثال « امام العبد » و «عبد الحميد الديب» ممن لو ذهبنا نضرب لهم الامثال لخرج بنا عن طبيعة البحث واتجاهه .

لا . ليس غريبا - ولن يكون غريبا - أن تضطره لقمة العيش ومطالب الحياة أن يستمطر الناس العطاء وهو الذى عاش يعطيهم ويغدق عليهم في البذل .

وفي يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة خلون من شوال عام ٦٧٩هـ وبعد جهاد حافل في رياض الشعر والادب وعمل دائب في دنيا الساطور والوضم لقى شاعرنا ربه وعلى محياه ابتسامة الظفر والنصر وكأنه بموته عاد من معركة صراع عنيف انتهت بعد أن حقق نصرا كريما مع نفسه والناس حوله .

مات أبو الحسين في داره بالفسطاط وعلى شفتيه يتمثل ببيت من الشعر كان يؤثره ويحبه ويتمثل به دائما ويلخص فيه حياته المتعددة الجوانب فيقول :

فالظرف والسيف والاوجاق تشهد لى
والعود والنرد والشطرنج والقلم

رحم الله ابا الحسين - شاعر الفسطاط والشعب - وأثابه في آخرته بما لم يتمتع به في دنياه .

« محمد جاد البنا »



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الأدب والثورة
في مؤتمر الأدباء العرب

قدم في المؤتمر خمسة موضوعات عن الأدب والثورة ، أولها للأستاذ محمد المهدى المجذوب (السودان) ، وثانيها للاستاذين سعيد الشيبانى ومحمد شرف (اليمن) ، وثالثها للاستاذ على صدقى عبد القادر (ليبيا) ، والرابع للاستاذ صالح الخرفي (الجزائر) ، والخامس لعباس خضر (ج.ع.م)

والملحوظ في الموضوعات كلها انها تحدثت اكثر مما تحدثت عن الادب في البلد الذى ينتمى اليه الكاتب ، وافتقدت النظرة الشاملة للادب الثورى في الوطن العربى الكبير ، ولا استثنى من ذلك موضوعى .. واعتبر هذا نقدا ذاتيا ان شئت .

على ان ذلك وان كان يرجع الى التباعد بين الحركات الأدبية الحالية فى مختلف الاقطار العربية ذلك التباعد الذى نشكو منه والذى من اجل علاجه قام هذا المؤتمر ، الا ان الموضوعات فيجملتها تتكامل وتعطى صورة للادب الثورى فى عدة قطاعات من الوطن العربى الشامل .

تناول الاستاذ المجذوب في بحثه عدة نواح ، فتحدث اولا عن الناحية التاريخية من حيث استقرارالعرب وانتشار الثقافة العربية فيالسودان واطال في ذلك ، وتحدث سريعا عن الحاضر الثورى السودانى وتعبير الأدب عنه . وقد لاحظ عليه هذه الملاحظة الدكتور احسان عباس (لبنان)عندما عقب عليه ، وعلل ذلك تعليلا نوافقه عليه ، اذ قال ان الاستاذ المجذوب قد يعذر على الاطالة في الجانب التاريخى لأنه شاء ان يرسخ فى الأذهان حقيقة كبيرة لعله كان يحس أن اخوانه العرب في الأقطار العربية الاخرى بحاجة الى توكيدها ، **وتلك هى اصالة العروبة فى السودان وعمق الجذور الثقافية العربية فيه .**

ولمس الاستاذ المجذوب نقطة مهمة ، اذ قال ان الأدب الصوفي في السودان لم يكن ادبا فرديا أو انعزاليا ، بل كان يعبر عن معان موضوعية من صميم الحياة الشعبية ، فاستثار الهمم وحفزها الى البذل في سبيل الغايات الشريفة .

وتحدث الاستاذان الشيبانى وشرفي عن ادب الثورة فى اليمن ، فعرضاه من الناحية التاريخية حتى اليوم ، ولاحظ الدكتور احسان عباس بحق انهما اطالا في الجانب التاريخى وعرضا عدة ابحاث مجموعة فى نطاق واحد ، واكثرا من الشواهد ، فلم يات الموضوع راسخ الاسس مستكمل الصورة غير ان ماورد في بحثهما عن تاريخ الشعر اليمنى مفيد موضح قائم على معرفة الأحداث والبواعث والأسباب .

وكذلك يعد جيدا ماجاء في مقدمة البحث من قولهما ان أدب الثورة أدب ينطلق من التقوقع والانعزال ، وينزلالى الشعب وينير طريق المستقبل ويلهب جلود المتسلطين والمستعبدين ، وانه أدب انسانى يعبر عن الحقيقة المكظومة ، وان الثورة مصنع للجمال والحق والخير .

وتحدث الاستاذ على صدقي عبد القادر عنمعنى الثورية في الأدب وقال ان العمل الفنى التزامينطلق من رؤيا واضحة ، وانه في شكله الابداعى يمثل موقفا ، وأن طبيعته هى التاثير والتفسير والتغيير ، ودعا الادب العربى النضالى الى ان يستكشف كل

مدخرات الانسان العربي . ثم عرض نواحي وشواهد من أدب الثورة في ليبيا .

اما الاستاذ صالح الخرفي فقد درس فيموضوعه الشاعر الجزائري **((محمد العيد))** باعتباره مثالا لتطور الشعر الثوري في الجزائر ، فقال ان الشاعر مر بمرحلتين كبيرتين في حياته وشعره ، احداهما مرحلة اليأس والانعزال والتوجع ، والاخرى مرحلة الانطلاق والدعوة الى العمل وتفجير الذاتية الصحيحة في الناس . وأتى الاستاذ الخرفي بنماذج جيدة من شعر محمد العيد في مواضعها من البحث وحللها تحليلا علميا دقيقا .

وما صنعه الاستاذ صالح الخرفي من ايراد شعر الشاعر المدروس ، يختلف عما لوحظ فيالموضوعات السابقة من حشد الشواهد والاطالة بها دون ان يكون لكثير منها دلالة عميقة في الموضوع ، بل ان كثيرا من الشعر الذي استشهد به بعد من التعبير الحماسي المباشر الذي يفتقر الى القيمة الشعرية الفنية .

وكانت الموضوعات الأربعة كلها عن الشعر ، كان لانثر هناك قد عمل شيئا في الميدان الثوري ، **لاقصة ، لامسرحية ، لا مقال ، لا خطبة ، كأن لا شيء** من نثر شارك في شيء من ثورة .. وعذر الاديب الجزائري واضح من ناحية أن موضوعه عن شاعر والا ماكان يعفي من اهمال الحديث عن القصة الجزائرية الثورية .

ولعل ذلك يرجع الى طبيعة الانتاج الادبي في البلاد التي تحدث الزملاء عن الحركة الادبية الثورية فيها ، وذلك من حيث طغيان الانتاج الشعري فيها على غيره . **ولاشك أن الحال في الجمهورية العربية المتحدة يختلف ، فالقصة بانواعها المختلفة قامت بدور ثوري كبير** ، وهذا ماأهتم به كاتب هذه السطور في موضوعه ، اذ عني بالقصة مع الاشارة الى الشعر .

ماأصعب أن يتحدث الانسان عن عمل له . وخاصة في مجال الكتابة وفي صدد يجمع بينه وبين اعمال الاخرين ..

لذلك أشعر بان شهرزاد ادركها الصباح فسكتت عن الكلام المباح ..

والى اللقاء في العدد القادم حيث نستمر في تناول بقية الموضوعات التي بحثت في المؤتمر .

تحجبي وادخلي النجف

في مدخل مدينة «النجف» حيث يقوم ضريح الامام علي بن ابي طالب ـ علقت لافتة كبيرة تقول: **((تحجبي وادخلي النجف))**

وهناك عرفت السر ..

الزميلات المرافقات .. كانت كل واحدة منهن قد استطاعت أن تحصل على عباءة نسوية عراقية .. ودخلت فيها ..

ولكني مع ذلك لم ارهن قد تحجبن !

كانت العباءة تغطي الجسد .. اي نعم ..ولكن الوجه في اعلى الجسد كان مكشوفا مدهونا محمر الشفاه .. مزجج الحواجب !

وفي الطواف بالضريح لمحت الاخ المرح شاعرنا **صالح جودت** .. يدع الزملاء الى الزميلات .. تذكرت **((عمر بن ابي ربيعة))** فترحمت عليه .. كان معذورا . فما كان يتاح له اللقاء الا حيال الكعبة . اما الآن فهن «على اكتاف من يشيل !»

وبهذه المناسبة اذكر ان الاستاذ صالح جودت كان دائم العناية بالزميلات والمعجبات بشعره العاطفي الرقيق ، وقد سمعته مرة يقول لاحداهن ـ وقد شملها بعنايته ـ «انت زي بنتي !»

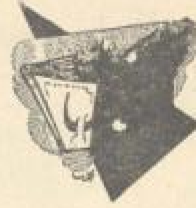
وكان الاستاذ صالح ـ بهذه المناسبة ايضا ـ يساعد الاستاذ رامي في العناية بمعجباته :معجبات رامي .. **وكان الاستاذ رامي محط الانظار من الجميع** ، ففي كل مكان تتحلق حوله حلقة ، حتى كنا نقول عندما نرى لمة من بعيد : **لابد أنها حلقة رامي ..**

وبما ان المناسبة متصلة فلابد من الاشارة الى **القلنسوة العراقية** التي استبدلها الاستاذ رامي **« بالبيريه » في رحلة النجف .. حتى لا يكون شكله** مثل «الخواجة» في حرم الامام علي ..

أما الدكتور محمد مندور فقد كان يلبس القلنسوة الروسية طول الوقت .

في النجف كل شيء بسيط ، ماعدا الضريح المزين بالسجاجيد الثمينة المفروشة والمعلقة بالجدران ، والمحلاة قبته من الداخل بالكريستال ومن الخارج بالذهب .

انه مهوى الأفئدة ومثوى الرجل الذي اجمع على حبه العرب والعجم : علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه .



● حمل الاستاذ سعيد الشيباني ممثل اليمن في حفل افتتاح المؤتمر على معارك المعقول واللا معقول والشعر العمودي وغير العمودي .. وقال انه من اللامعقول أن ينشغل الادباء العرب بهذا الكلام الفارغ في الوقت الذي يجرى فيه النضال في الجنوب العربي والعمل لاسترداد فلسطين ، واثار عاصفة من الضحك والاستحسان عندما قال :

يجب أن تتجه كل الطاقات الى التعبئة الشعورية والتعبير عن النضال وليكن الشعر بعد ذلك باعمدة أو بلا اعمدة ..

● كانت اللجنة المنظمة للمؤتمر تصدر صحيفة يومية ، كانت مجالا للمناقشات والتعقيبات والآراء الحرة ، وكان محرروها يتتبعون كل مايجرى ويكتبون عنه بطريقة ظريفة ، واشتملت على كثير من الطرائف . **فكانت من انجح الأشياء فى المؤتمر .**

● فى احد الاجتماعات العامة بقاعة الشعب استأذنت **الدكتورة بنت الشاطئ** ـ ولم يكن اسمها في جدول المتحدثين ـ في كلمة قصيرة ، ولكنها استرسلت في كلام طويل ، وقالت فى البدء انها لن تخطب ، ثم خطبت .. **وكانت حصيلة ذلك درسا** نقلتنا به ـ **كطلبة ـ الى حلقة من حلقات التفسير .. تفسير سورة الضحى .**

● كان بين المدعوين من الجمهورية العربية المتحدة الى مؤتمر الأدباء العرب ـ من ليسوا من الأدباء العرب ..

● كان معظم ماقيل عن الادب في المؤتمر متجها الى الشعر ومحصورا فى دائرة الشعر .. حتى قال كاتبنا القصصي الدكتور يوسف ادريس :
« ايه الحكاية .. هو كله شعر .. شعر .. هو مفيش في الادب غير الشعر ؟ »

● كانت احدى الشاعرات مهتمة جدا بالاستعداد لالقاء قصيدتها في مهرجان الشعر ، فتناولت قبيل القائها شايا بالزبدة .. حتى تنعم حنجرتها !

● ينص القانون الاساسي الذي وضع لمشروع اتحاد الادباء العرب على أن تعتبر وفود الادباء وممثلو الهيئات في الاقطار التالية مؤسسة لهذا الاتحاد :

الأردن ، تونس ، الجزائر ، السودان ، العربية السعودية ، العربية المتحدة ، العراق ، سوريا ، فلسطين ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، اليمن البحرين ، عمان ، قطر .

كما ينص على أن مركز الاتحاد الدائم مدينة القاهرة ، وينتقل هذا المركز أثناء انعقاد المؤتمر الدورى الى مكان انعقاده .

● لوحظ أنه لم يعلن عن مكان اجتماع المؤتمر القادم وزمانه .

● من توصيات المؤتمر أن يواصل الادباء تأييدهم لحركات التحرر في جميع اجزاء الوطن العربى ، **وبخاصة في الجنوب اليمنى المحتل وفى عمان والخليج العربى ، وتأييدهم لحركات التحرر العربية في الاجزاء السليبة من الوطن العربى** . وأن يولى الأدباء عنايتهم لحركات التحرر خارج الوطن العربى وبخاصة في افريقيا باعتبار أن قضية الحرية فى العالم كل لايتجزأ .

● ومنها : يؤيد المؤتمر رجال الفكر والادب الذين يدافعون عن القومية العربية وعن الوحدة العربية ، والذين يدحضون مايثار حولهما من شكوك واضاليل .

● وأوصى المؤتمر فيما يختص باتحاد الادباء العرب ان يكون من اهدافه الدعوة الفكرية لتحرير الوطن العربى وتحقيق اهدافه القومية ودعم تراثه الثقافي والعلمى وايضاح دوره فى بناء الحضارة الانسانية .

● يجرى برنامج **«مع النقاد»** بالاذاعة على قاعدة .. هى أن لايتعامل مع أى كاتب يكتب شيئا في نقده .. فلاتناقش مؤلفات الكاتب ولايشترك في ندوات البرنامج . **ومعنى هذا أن برنامج النقد** يحارب النقد !

« عباس خضر »

حول الأدب الشيوعي

بقلم عبده بدوى



مع الفكر المعاصر

أثبتت مجلة « الفكر المعاصر » أنها في الصورة التي رسمت لها تستطيع أن تكون مرتكزا فكريا لمناقشة قضايا الانسان الجديد ، وأنها تستطيع أن تضع يدها دائما على الأسس الفكرية لروح العصر ، بحيث يمكن أن يتربى عند القارىء العربي الوعى الفلسفي بالواقعية ، والبرجماتية ، والوضعية ، والوجودية ، والظاهراتية ، والكانتية الجديدة ، والمادية الجدلية ، والمثالية ،والطبيعية ، والشخصانية والحدسية ٠٠ الخ ٠

وفى ضوء هذا يمكن للقارىء أن يكون مفتوح القلب والعين على أشياء كثيرة وضرورية لانضاج الانسان العربي ، بعد أن أصبح يجد نفسه محاصرا أو كالمحاصر بالكثير من القضايا الماركسية ٠

ان أحدا لا ينكر ما للماركسية من ضرورة في تركيب الانسان المعاصر ، وبخاصة فيما يتصل باقتصاده ، اما أن تتدخل في كل صغيرة وكبيرة من سلوكه ، واما أن تصور على أنها الوجه الوحيد للتقدم فشىء تنكره حقيقة المنطقة العربية وماضيها وحاضرها ومستقبلها ، بل تنكره طبيعة تكوينها ، وطبيعة النظر اليها من خلال خريطة كبيرة تسمى العالم !

صحيح أنها تستهوى البعض لارتباطها أشد الارتباط بالوثوب الى الحكم ، وللوصول الى المكاسب بعد التصفية الدموية والنسف لكل القيم ، ولأنها لاتستغنى أبدا عن التنظيم المترابط سواء أكان ظاهرا أو مستترا وبخاصة فى المناطق « المفرغة » أو التى تعاد صياغتها ٠٠ ولكن كل هذا يختلف جوهريا عن أن يكون شبه ضرورة فى نفسية الانسان الذى يعيش فى المنطقة العربية ، ومن ورائها الخلفية الاسلامية ٠

ومن هنا كان من الضرورى أن نفتح صدورنا لكافة الثقافات لأنها جميعا قوى منشطة ، ولسان يمكن أن يتفاهم به كافة المثقفين ، ولعل نظرة سريعة للخلف تؤكد أن الحضارة العربية كانت تزدهر حينما كانت تصب فيها كافة الحضارات ، أما حين كانت تحاصر بالثقافة الواحدة التى كان يمثلها الغزاة فانها كانت تذبل وتتشقق وتنذر بالسقوط ، ويمكن أن

تتأكد من هذا حين تحدق في شريحة واحـدة من الجسم العربي وهي الجمهورية العربية المتحدة تحت ضغط الاتراك ، ثم الفرنسيين ، ثم الانجليز ، أما الآن فقرصتنا الوحيدة في أن يكون العالم كله قريتنا ، ولن يخشى أحد على حضارتنا لأنها استطاعت في الماضي – **وعليها رمل الصحراء وتاج الشمس** – أن تستوعب حضارة العالم القديم وتتمثله وتقدمه للعالم مرة أخرى ، وعلى كل من يشكك في الحضارة أن يفكر لحظة في المصادر التي أخذ عنها التشكيك ، ثم يفكر مرة ثانية فيما عرفه من « فتافيت » هذه الحضارة ، ثم ليفكر مرة ثالثة في أن كل ما حصله عن هذه الحضارة مغلوط وقابل للتعديل لأن أعداء هذه الحضارة كانوا أصحاب « الصوت العالي » في كافة المنطقة ، وأنهم قدموا كل شيء على غير صورته الحقيقية .

ومهما يكن من شيء فالذي نريد ونحن نستقبل « الفكر المعاصر » أن تكون « طموحين » فنتعدى دائرة التلقي الى محاولة الالحاح الدائم على جلاء واستتباب وجهة نظرنا نحن الى الأشياء ، والى الاهتداء الى الينابيع في المناخ الثقافي المعاصر ،والى عدم التحيز المفتعل لفلسفة على حساب الأخرى ، أو لمصادرة الكل لحساب فلسفة واحدة ، أو لأن المتكلمين باسم الفلسفات يجدون الآن فرصة الترويج عنها بطلاقة في كافة الصحف والمجلات ، كما يضعون في يدهم سيفا باسم الكلمة .

اننا لا نستطيع الحكم على هذه المجلة من خلال عدد واحد ، ولكنا سنضع دائما أمام عينينا كلمة رئيس التحرير الدكتور زكي نجيب محمود ، التي قال فيها :

« ان هذه المجلة لترجو بما تعرضه امام القارئ من ثمار الفكر المعاصر أن تمهد أمامه السبيل الى مسايرة الحركة الفكرية مسايرة لا يكتفي فيها بما يتناقله الناس من عبارات عنها قد لا تكون قريبة من الصورة الصحيحة الدقيقة ، وهي اذ تنشر ما تنشره تتوخى أن تختار ما يمثل روح العصر تمثيلا ظاهرا حتى تتكامل أمام القارئ على مر الشهور صورة يبنيها لنفسه جزءا جزءا » .

ان ما يوجه للمجلات الآن أنها تتعدد يوما بعد يوم ، ولكن الذي لاشك فيه أن المجلات الادبية عندنا لم تتعدد بما فيه الكفاية اذا وضعنا في تصورنا مسئوليتنا عن « الكلمة » في العالم العربي .

وأعتقد أن المجلات الموجودة يجب أن تفسح من صدرها مكانا لكل مجلة جديدة ، وذلك بأن تراجع دائما خطتها – عقب ظهور كل مجلة جديدة – وذلك بأن تتنازل عن بعض الأبواب والافكار ، ثم في الوقت نفسه تعمل على أن تشب المجلات الناشئة ، **وعلى أن تفسح لها مكانا بجوارها** .

واخيرا ونحن نستقبل هذه المجلة التي تمثل الفكر المفتوح لكل التجارب ، لا نقول ولا نتصايح كالبعض « يكفي ما عندنا » ، ولكن نقول اننا ما زلنا نطمع في الكثير .. لأنا مكلفون بمخاطبة الكثير على طول الجبهة العربية من الخليج الى المحيط .

الفكر العربي بالخرطوم

فى رسالة رقيقة وصلت الى من السودان ، تأكدت من جدية الحياة الفكرية هناك ، ومحاولتها الصادقة في ألا يقف النبض الفكري عند الحدود السودانية ، ذلك لأنها تدرك تمام الادراك أن الأدب العربي سيظل شاحبا ومتضائلا ومتعرضا للضربات الحاقدة ما دامت ستتعدد رءوسه فوق جسد الوجود العربي الواحد ، فأية نظرة اليه وهو في هذه الصورة توضح أنه قزم مضحك يمكن أن تنهال عليه الضربات داخل الحدود السياسية المقفلة .

اما حين يصبح للفكر العربي وجه واحد وشخصية واحدة ثرية ، فانه بلاشك سيستعصى على الضربات الحاقدة من الداخل، وسيقابل بالاحترام فى الخارج ذلك لانه سيكون حينئذ وعياذكيا ،ومذاقا جديدا ، وثمرة طبيعية لشجرة كبيرة تضرب جذورها في كافة البلاد العربية ، ووليدا شرعيا لحركة الحياة الفكرية من أسبق العصور .

ولعل التركيز على الفكر العربي لم يصبح قضية وجود كما هو الآن في السودان ، فهناك محاولة قديمة « لتعقيمه » ، خوفا من تأثيره على البلاد الافريقية التي تحيط به ، بل لقد وصل حد «التعقيم» الى احداث « شرخ » في الوطن الواحد ، واقامة أكثر من « حزام » في داخله أو في جنوبه أو بالقرب من جنوبه ، لأنه كان في نظرهم – الى جانب أنه يغلى دائما بطلب الحرية ويمكن الضغط منه على الشمال – يحمل وجها عربيا اسلاميا يجب عزله عن

افريقية التي كانت تعد في هـذه الفترة لتكون فيما وراء الصحراء ذات وجه مسيحي . وهكذا أدرك الغربيون من فترة كبيرة أن عملية التعريب والأسلمة لن يخشى منها في بلد افريقي مثلما يخشى منها في السودان ، ومن ثم كان التركيز على الجنوب بالعزل والتبشير وزراعة الكراهية مما نجد أثره الآن .

ومهما يكن من شيء فقضيةجنوب السودان قضية عربية في نسيجها الكبير ، وقضية الفكر العربيفي السودان قضية يجب ان تساند من كل مكان وبخاصة في الجمهورية العربية المتحدة ، ولعلنا نلمس هذا من المثقفين الذين أعلنوا قيام هذا المكتب في العاشر من شهر فبراير عام ١٩٦٤ لتحقيق الأهداف التي تتلخص فيما يلي :

١ ـ تعميق مفهوم الثقافة العربية والفكر العربي في نفوس السودانيين عامة والناشئة بصفة خاصة .

٢ ـ دراسة آثار الفكر العربي عبر التاريخ واعلاء شانه وابراز دوره في الحضارة الانسانية .

٣ ـ العمل على النهوض بالادب العربي والثقافة العربية السودانية حتى تضارع مثيلاتها في البلاد العربية الاخرى .

هذا وقد تم تكوين هذا المكتب من الأساتذة :

١ ـ ابو القاسم عثمان ـ رئيسا

٢ ـ مصطفى احمد سالم ـ سكرتيرا

٣ ـ حسين بيومي السايح ـ امينا للصندوق

٤ ـ محمود عثمان البارودي ـ مديرا للدعاية وعضوية كل من :

٥ ـ مختار محمد مختار

٦ ـ ابراهيم عبد القيوم

٧ ـ محجوب عمر باشري

٨ ـ الطيب شبشة

٩ ـ عبد الغني جوهر

١٠ ـ عبد الواحد لبيني

١١ ـ فيصل عبد الماجد قاسم

١٢ ـ خليل عبد الله الحاج

١٣ ـ محمد عثمان حسنين

١٤ ـ تاج السر الطيب .

هذا والمكتب يرحب بالاعضاء الذين يؤمنون باهدافه ويعملون لنشرها في السودان والبلاد العربية الاخرى .

هذا ويشرفني ان اكون أحد العاملين على تعميق دوره ، ويسعدني أن أضع عنوانه لكل الذين يحبون الاسهام فيه وهو « مكتب الفكر العربي ـ الخرطوم ـ صندوق البريد ٢٠٧١ » ولعل جمعياتنا الادبية تصل ما بينها وبين هذا المكتب بأكبر من سبب ، وتحية مخلصة وصادقة الى مكتب الفكر العربي بالخرطوم .

آخر الكلمات

الذي يطالع كتاب « **آخر كلمات العقاد** » الذي قدمه أخيرا للعربية عامر العقاد ، يصل الى سر أسرار العقاد ، ومع أني قد تعرضت من قبل لمادة هذا الكتاب في عددين من أعداد الرسالة ، الا أن هذا لا يمنعني من أن اقف وقفة سريعة ـ من خلال الكتاب ـ على محاولة العقاد المستمرة «**في احياء الثقة بالروح الانساني ، وصيانة هذا الروح الالهي الخالد من لوثة المادة ومهانة الانكار العقيم ، أو مهانة كل اعتقاد وخيم يغلب فيه عامل السلب والنفي على عامل الثبوت والايجاب** » .

واذا كان البعض قد حلا لهم وضع العقاد في اطار ثابت » ، والتغاضي عن المواقف الحركية التي تكفي جيلا من كتاب اليوم ، فانهم بلا شك كانوا يعتقدون انه كان « **يبني** » أو يعرض ما هو قائم وشامخ ، ولكنهم من وجهة نظرهم يؤمنون بالسير على الضحايا ، وفتح الصدر فوق المناطق المنسوفة ، والخالية تماما من كل قيمة أو اعتقاد .

ولاشك أن العقاد قد فعل هذا استجابة لتحديات في عصره الذي كان متآكلا ومملوءا بالتصدع والريب والاعتماد على القوى الدخيلة ، ولكن ما الذي يجعل البعض منا يتطوع الآن لنسف كل شيء، دون أن يقوم بعملية فرز بين ما هو صالح للبقاء ، وبين ما هو

ضار كالاعشاب ؟ وما الذى يجعل الانسان فى بعض الفضائل الأدبية يبدو الآن يائسا ومنهارا ورافضا وقوادا ولوطيا ؟ .

اننا لا نريد الانسان المثالى الذى يبدو فى نقاء الملائكة ، ولا نريد الانسان السفاح الذى يحمل بين جنبيه غاية الحقد ، ولكننا نريد الانسان الذى يخطىء ويصيب ، ويدور بأهدابه بين السماء والأرض ، ويبكى ويضحك ويزحزح التاريخ ، ويملأ وجه الحياة بالحب والابتسام والعزم ! ويكون دائما فى صف بناة الوجود .

ومهما يكن من شيء فسيظل العقاد دائما أحد البناة فى التاريخ ، وأحد الذين أعطوا الانسان فى الشرق الثقة فى نفسه ، والثقة فى مواجهة الذين يتحدونه .

ولنستمع الآن الى طرقات العقاد التى مازالت حية فى بنائنا الحضارى ، والتى لاتزال مسموعة رغم الذين تسمع لهم طرقات أخرى فى البناء الحضارى للانسان العربى ، بل انى اعتقد أنها تعلو على طرقاتهم وان كانت لا تغطيها .

يقول العقاد :

● من دان بعالم لاقداسة فيه ولا احترام ، من اين تأتيه المهابة ؟ ومن أين يأتيه الاحترام ؟

● نحن لانعلم من آثار الشرقيين الاقدمين أنهم تركوا « فلسفة » تبحث فى أصول الوجود بغير صبغتها الكهنوتية ، ولكننا لا نستطيع من أجل ذلك أن نجزم بانقطاع تفكيرهم فى مدة البحوث ولا بقصورهم عن ادراك مداها ، لانهم لم يتركوا لنا كذلك كتبا مفصلة عن علوم الفلك والرياضة والكيمياء التى لاشك فى اشتغالهم بها ، وتطبيقهم لها فى بناء الهياكل ونقش الجدران وتحنيط الموتى ورصد الكواكب وسياسة الانهار ، وكل مانستطيع أن نجزم به أنهم لايعلنون ماعرفوه ولا يدل كتمانهم له عن جهلهم اياه .. ولسنا نريد باثبات فضل الشرق ان نبخس فضل اليونان فى ترقية الفلسفة ولكننا نقرر الواقع حين نقول : ان الذين يتخذون الفلسفة اليونانية ذريعة الى اتهام الشرق بالقصور ينحرفون عن سنة الانصاف ، ويتورطون فى ادعاء لا دليل عليه .

● ان طابع الذوق العربى هو طابع النخلة العربية بقامتها الهيفاء ، وفروعها التى تتلاقى فى عقود المربعات كما تتلاقى الاركان والاعمدة فى هندسة البناء ، حينما طبعته بطابعها على الرغم من قيام البنائين أو المهندسين عليها من أبناء الامم الاخرى .

وليس أبعد من البعد بين البحر والصحراء ، ولكن العرب ركبوا البحر فقبضوا بأيديهم على زمام الملاحة بين الهند وفارس وسواحل افريقية الشرقية فسمى البحر كله باسم «**بحر العرب**» وسمى الشاطىء الشرقى من سواحل افريقية باسم السواحل حيث يتكلم الافريقيون الآن باللغة السواحلية كما يسميها الاوربيون .

والتجارة من اسباب المعيشة ، فمن الذى بلغ بها ما بلغه العرب فى الهند واندونيسيا وافريقية الوسطى ؟ .

انها بلغت على أيديهم ان تكون فتحا فى عالم الروح، ولم تكن فتحا فى عالم المال وكفى، اذ أصبح فى تلك البقاع قرابة مائتين من الملايين من المسلمين لم يعرفوا دينهم من غير اولئك التجار الناجحين .

● اننا نعلم من هذا الواقع اننا سبقنا السابقين الى ثقافة المعرفة وثقافة العقيدة قبل اربعين قرنا ، وأننا أعطينا العالم حظا منهما لايزول منذ اربعة عشر قرنا ، وأن ماكان فى ماضى الزمن غير مرة .. ليكونن غير مرة فى الزمن القريب ، وفى الزمن البعيد !

● اننى لا أقيس المدنية الغربية بعدد اختراعاتها ولكن بالملكات التى انتجتها ، فهل بين هذه الملكات ما هو أعظم وأجل وأرفع من الملكات التى ابدعت صناعات المدنيات الغابرة وعلومها وفنونها ؟ ان كان ثمة فرق فهو يسير جدا بالنسبة الى غطرسة المدنية الغربية ودعاواها ، وأنا أعتقد اعتقادا جازما أن القمة الروحية التى ارتقى اليها نساك الشرق وفلاسفته لم يبلغها غربى ممن نعرفهم ونقرأ كتاباتهم ، وان هذا التقصير عيب كمين فيهم ، ويكفى أن اوربا لم تنبت نبيا ، وانها عالة على الشرق فيما تدين به !

وتحية مخلصة للرجل فى أول الكلمات وفى آخر الكلمات .

« عبده بدوى »



مصير مصر صار..

.. أم مصير اللغة العربية؟

بقلم : هلال العشري

لا أدرى ما الحكمة فى اصرار مسرح الحكيم على تقديم مصنفاته باللهجة ولا أقول اللغة العامية ؟ ماسر كل هذا الحماس للهجة العامية وكل هذا العداء للغة الفصحى أو اللغة العربية ؟ ان اللهجة العامية قد تكون مستساغة فى ترجمة المسرح الكوميدى ولكن لا يمكن أن تستساغ فى ترجمة المسرح التراجيدى فضلا عن المسرحين .. الشعرى والتاريخى . ذلك لأن اللغة الفصحى قد تعجز عن نقل روح الفكاهة وهى الركيزة المحورية التى تدور عليها أحداث المسرحية الكوميدية تلك التى ترتكز على المفارقة اللفظية وتقصد أساسا الى اشاعة جو الضحك فى بيئة بعينها وبين جمهور بالذات . ولهذا السبب وحده دونما سبب سواه تصبح العامية لا مجرد قالب يصب فيه مضمون العمل الفنى بل جزء أصيل فى بنية المسرحية وعنصر داخل فى صميم البناء الدرامى ، أما اذا كانت المسرحية من غير النوع الكوميدى فلا يكون ثمة داع للعامية على الاطلاق لان اللغة العربية هنا تكون أكثر وفاء لكل ما يحمله النص من مضامين وأكثر صلاحية لتوصيل التيار الفنى الى الجمهور . فهى اذ يتلاقى فيها تعبير الحقيقة وتعبير المجاز على نحو لا نظير له فى العامية ، واذ تنفرد بفن العروض المحكم الذى يبرز جمال وقعها فى الاسماع ، واذ تقوم أساسا على عنصرى الوزن والحركة وهما قوام فن الشعر وفن الموسيقى فضلا عن الفن الدرامى ، انما تستطيع ان هى وقفت على خشبة المسرح أن تكشف عن ثرائها المذهل الذى تتعرى أمامه العامية فلا تبدو الا فقيرة مسطحة خالية من الدسم والظلال .

والغريب بعد هذا كله أننا نناقش قضية **العامية والفصحى** فى الوقت الذى نتكلم فيه عن احدى مسرحيات توفيق الحكيم . فربما كانت القيمة الفنية لهذا الكاتب بعد قيمته التاريخية هى فى احساسه الحاد بطول المسافة بين اللغتين وحاجة المسرح الى لغة ثالثة تلائمه وتصلح له فتكون بحق هى لغة التخاطب أو لغة المسرح . ومن هنا خرجت لغة الحكيم التى لا هى عامية ولا هى فصحى وانما هى عامية وفصحى فى وقت واحد ، أعنى أنها اذا قرئت مشكولة كانت فصحى واذا قرئت بلا تشكيل كانت عامية . المهم أن لغة الحكيم هذه هى أسعد المحاولات التى قدمت حتى الآن لحل المعادلة الصعبة التى يعانى منها مسرحنا العربى المعاصر . فاذا جئنا بعد ذلك ومسخنا هذه اللغة بنقلها الى العامية كنا كمن يقضى

على الأنفع والارفع فى فن الحكيم المسرحى بل كمن يقضى على الاصالة والطرافة فى مسرح الحكيم كله لأن القضية هنا لا تصبح قضية النزول الى الكثرة المتفرجة بل قضية النزول بفن الحكيم نفسه ، ذلك الفن الذى قاده الى محاولة وضع لغة خاصة به يمكن من ناحية ان تسمى باللغة الحكيمية وأن تكون من ناحية أخرى شيئا يضارع اللغة الهوميرية او اللغة الأليوتية أو لغة كزانتزاكيس أو غيرها من اللغـات الخاصة بكبار الكتاب ٠

واذا نحن تذكرنا صداقة الحكيم للشاعر الفرنسى جان كوكتو ومحاولة الاخير البحث عن الشـعر الصالح للتمثيل باعتباره المشكلة الحقيقيـة لمسرح منتصف القرن ٠ والتى لخصها الشاعر بقوله ٠٠ ليس المهم أن تضع الشعر فى المسرح ولكن المهم أن تنظم الشعر الصالح للمسرح ٠ استطعنا أن ندرك أهمية الجهد الذى يبذله كاتبنا المسرحى من أجل ابتداع هذه اللغة الخاصة ، وخطورة العمل الذى تقوم به الدكتورة لطيفة الزيات فى اطاحتهـا بهذه اللغة فى فورة الحماس للعامية والنفور من اللغـة الفصحى أو اللغة العربية ٠

ثم من قال ان هذه اللغة التى نقلت اليها مسرحية الحكيم هى العامية ، انها لا تزيد فى كثير أو قليل عن لهجة القاهرة المحليـة التى يلوكها المثقفـون وانصاف المثقفين ، لهجة نظيفة منتقاة ، كلماتهـا مطوطة ومستحدثة تكاد تقتصر على هذه الفئة دون غيرها من الفئات ، أما العامية بحق ، العامية التى نسمعها مع ضربات الفاس فى الحقل وهدير الماكينة فى المصنع وعراك النسوة فى الازقة والحوارى أو حتى فى قاع المدينة فشىء آخر غير العاميـة التى نسمعها على مسرح الحكيم او التى سمعناها من شاعر مثل بيرم التونسى وآخر مثل صلاح جاهين ٠

خذ مثلا هذه العبارات التى ترجمتها الدكتورة الى العامية وارجع الى النص الاصلى لترى انها لم تدخل الا تحريفات بسيطة كان من شانها أن ميعت نكهة الاسلوب فلا بقى على حالته الحكيمية ولا انتقل حقا الى العامية ، فعبارة سامية : « أسـكت من فضلك لا تزعجنى بهذا الدق» ترجمتها الدكتورة : «تخلينى اخرج عن طوقى ياحبيبى » ٠ وعبارة عادل : « انى ادللك لأنك امرأة ٠٠ امرأة ضـعيفة ٠٠ جنس ضعيف » ٠ جاءت فى الترجمة : « بدلعك لأنك جنس ضعيف ٠٠ جنس ضعيف يا هانم جنس ضعيف » ٠

وكلام سامية : « حضرته حابس نفسه فى الحمام » ترجم « قافل على نفسه فى الحمام » ، وقولها أيضا : « أعصابى تحطمت » ترجم « أعصابى خلصت » ٠ وشطرة « وما نيل المطالب بالتمنى » ترجمت هكذا : « وما نيل المطالب بالتمتو » وكذلك عبارة : «ناولنى البشكير » ترجمت ادينى البالتوه ، وعلبة البودروه بدلا من علبة البودرة ، والبـوتاجازوه بدلا من البوتاجاز ، والبانيوه بدلا من الحوض ٠ هـذا عدا كلمات كثيرة بدلت تبديلا لا معنى له مثل كلمة حنان التى استبدلت بكلمة حنية والحنان غير الحنية، وكلمة الملاسة التى استبدلت بكلمةالنعومة والنعومة لا تشترط فيهـا الملاسة ٠ ويتسلق حائط البانيو غير يطلع حائط البانيو ٠ والسقوط غير الوقوع ٠ والانزلاق غير التدحرج الى آخر هذه الكلمات التى فقدت شحنتها الايحـائية وأكثر ما فيهـا من رسم وتكوين بترجمتها الى هذه العامية ٠

صحيح أنالنص الاصلى لايعدم العبارات الركيكة صعبة الاداء من ذلك مثلا قول سامية : « لكنه كان شعر الصبح ببعض التوعك » ، وقول عادل : « الحق على ٠٠ أنا دائما الذى على الحق » ٠ وقوله أيضا : « انه جاء طبعا لان فى البيت يوجد مريض » وأيضا : « هل أنا غلطت فى شىء » ٠ الى آخر هذه العبارات التى لايمكن أن يكون وجودها مبررا كافيا لترجمة النص كله الى هذه العامية ٠ فالمعقول والمقبول أن يترجم توفيق الحكيم الى اللغات الاجنبيـة أما ان يترجم الى العامية فلا هو معقول ولا هو مقبول على الاطلاق ٠

ونترك حكاية الترجمة الى العاميـة وننتقل الى حكاية الاعداد المسرحى ، فالمعروف فى الدنيا كلها أن الاعداد المسرحى ماهو الا نقل عمل فنى من وسط الى وسط آخر ، من الوسط الروائى مثلا الى الوسط الدرامى ، ليست كل رواية بطبيعة الحال وانمـا الرواية التى تحتوى فى نسيج تكوينها على خيط درامى يجعلها صالحة للاعداد المسرحى ٠٠ صـالحة لأن تتحول الى عقدة وحركة ، الى سلوك وتصرف ، الى فعل وانفعال ٠ فاذا سالنا ومن الذى يقوم بهذا الاعداد ؟ كان الجواب الطبيعى هو الكاتب نفسه ان كان عنـده من الدراية الدرامية ما يمكنه من نقل عمله الروائى الى هذا الوسط الجديد ٠ هكذا فعل شتاينبك فى رواية « رجال وفيران » التى حولهـا

الى مسرحية تحمل نفس الاسم ، وهكذا أيضا فعل البير كامى فى رواية « الطاعون » التى مسرحهـا بعنوان « حالة الحصاد » . فان لم يكن الكاتب على استعداد للقيام بعملية التحويل هذه ، تصدى لمسرحية الرواية كاتب آخر على علم تام بفن الدراما بحيث يجيء جهده الاعدادى عملا فنيا قائما بذاته لا يقل عن العمل الأصلى فى درجات الخلق والابداع .. كما فعل كامى فى رواية «الممسوس» لدستوفسكى ورواية « الحرم » لوليم فوكنر ، وكما فعلت كيتى فرنجس فى مسرحية « الى البيت ياملاكى » التى اقامتها على رواية توماس دولف ، وكما فعل وليم أرشيبالد فى مسرحية « الأبرياء » التى أخذها عن قصة « دورة اللولب » لهنرى جيمس .

والغريب بعد هذا كله أن عكس هذا تماما هـو ما حدث فى مصير الصرصار ، فالمسرحية أصـلا مسرحية وكاتبهـا مؤلف مسرحى بل هو الاب البيولوجى للتاليف المسرحى عندنا ، ورغم هـذا تجيء الدكتورة لطيفة الزيات وهى أصـلا كاتبة روائية لتعد مسرحية توفيق الحكيم للمسرح !! فهل هذا معقول ؟ . الذى أفهمه ويفهمه كل انسان أن يقوم توفيق الحكيم مثلا باعداد رواية « البـاب المفتوح » للمسرح أما أن يحدث العكس فهذا غير معقول وأكثر منه لامعقولية أن تتدخل الدكتورة فى تغيير نهاية المسرحية تغييرا كاملا أفقد العمل كله دلالته ومعناه . فتوفيق الحكيم هنا يؤكد ضرورة البحث عن شكل جديد للمسرح ، كما أكد أن هناك ضرورة البحث عن اللغة الصالحة للمسرح ، اذ عمد الى التخفيف من حدة الدراما والاستعاضة عنهـا بالمادة السخية الرفيعة والحوار البسيط غير المتكلف والصور الفذة الموحية تمـاما كما فعل كوكتو فى « الآلة الجهنمية » التى خفف فيها من حدة التوتر وقلق الترقب حين جعل الكورس يروى القصـة كلها فى بدء المسرحية . وهذه جميعا أبعاد لا يقوى عليها الا الكاتب المتمكن من أصول فنه لانها سريعا ما تتحول فى يد غيره من الكتاب الى حدوتة بسيطة ساذجة لاتكاد تنطوى على شيء .

ولا شك أن هذا هو ما قصد اليه الحكيم بقوله فى مقدمة مسرحية « ياطالع الشجرة » : « وليس عجيبا أن تتغير بؤرة الحساسية الفنية هذا التغيير، فما دمنا فى صدد الفن الحديث ، فهـذه هى بؤرة الحساسية الفنية فيه » . ولا شك أيضا فى أن هذا هو المعنى المقصود من وراء تقديم مسرحية « مصير صرصار » بعد مسرحية « الجياع » اشارة الى تطور فن الحكيم المسرحى من اهتمام كامل بالمضمون الى اهتمام كامل بالشكل ، ولـكن الدكتـورة جاءت فاضاعت هذه الاشياء جميعا بتدخلها الـكامل فى تغيير نهاية المسرحية ، فبدلا من المحافظة على تموج شخصية البطلة ذلك التموج الذى قصد اليه الحكيم قصدا حين صورها قوية متسلطة واثقة من نفسها الى حد الغرور ثم عاد فصورها خاضعة تائبة مضحية بشخصيتها لانقاذ زوجها من المرض المفزع الذى حدثها عنه الدكتور ، مرض التشبه بالصرصار أو التحول الى صرصار تماما كما حاول بيرانجيه انقاذ صديقه جان من مرض التشبه بالخرتيت أو التحول الى خرتيت ، وأخيرا عاد فردها الى ماكانت عليه .. قوية متعجرفة تتكلم بلهجة آمرة ، تأمر زوجها أن يقعد ليرتب لها ملابسها وفساتينها حتى تعود من عملها فلا يملك الا أن يطيع مرتدا كل الارتداد الى طبيعته الحشرية متنازلا كل التنـازل عن طبيعته البشرية ، وهو ماعبر عنه الحكيم تعبيرا رائعا عـلى لسان عادل الذى يصيح فى حزن مأساوى جليل : « يا أم عطية .. هاتى الجردل والحرقة .. وأزيلينى من الوجود ! » .

اقول ان الدكتورة لطيفة الزيات أضاعت هذا كله بتدخلها فى تغيير نهاية المسرحيـة والوقوف بالحدث عند التحول الفجائى الذى طرأ على شخصية الزوجة تضحية منها فى انقاذ زوجهـا ، وبذلك تحولت مسرحية الحكيم من عمل أقل ما يقال فيه انه مسرحية الى عمل آخر أكثر مايقال فيه انه تمثيلية اذاعية أو تليفزيونية تعالج مشكلة من مشـاكل الحياة الزوجية .

ولا أدرى على عاتق من تقع مسئولية اختزال المسرحية الى فصل واحد بدلا من فصلين ، على عاتق المخرج أم على عاتق الدكتورة ، ان اسدال الستار على الفصل الاول ورفعه عن الفصل الثانى ليس معناه أجازة قصيرة تعطى للممثل ولا معناه استراحة قصيرة يدخن فيهـا المتفرج سيجارة أو يشرب كوكاكولا وانما معنـاه أن مرحلة معينة من تطور الحدث الدرامى قد انتهت وأن فاصلا دراميا يتحتم وقوعه هنا بين الفصلين . فاسدال الستار على خروج ورفعه بعد مرور أقل من دقيقة على انصراف الدكتور ذلك الانصراف السريع معناه الانتقال بالحدث الى

المرحلة التالية التي تتهيأ فيها البطلة لاستقبال التحول المفاجىء الذى سيطرأ على سلوكها فى الفصل الثانى ، المهم أن هذه المسئولية ان كانت تقع على عاتق المخرج فانها لاتقلل كثيرا من الجهد الممتاز الذى بذله فى اخراج هذه المسرحية وبخاصة فى ادارة الحوار وتحريك الاشخاص ، فاذا اضفنا الى جهده فى الاخراج توفيقه فى تصميم الديكور وبراعته فى تكوين الاضاءة استطعنا أن نقول ان حسين جمعة مخرج موهوب لم يصادف بعد العمل المسرحى الكبير الذى يفجر ممكناته الخلاقة ، ولا يمنعنا هذا بالطبع من ابداء بعض الملاحظات على الاضاءة التى رغم روعتها لم تكد تتغير طوال المسرحية وكان فى امكان المخرج استغلالها فى عمل تشكيلات تضفى على المواقف قيمة جمالية أغزر وخاصة مع الديكور الذى لايعيبه الا صغر مساحة الحمام بالقياس الى حجرة النوم . وكنت أفضل العكس لان الحمام فى الحقيقة هو مركز الثقل الذى تدور فيه معظم أحداث المسرحية أما عن اختياره لبطلى المسرحية .. سناء جميل وصلاح منصور فقد كان موفقا فيه كل التوفيق . بل لا أستطيع أن اتخيل امكان أداء هذه المسرحية بدون هذين الاثنين بالذات .

كانت **سناء جميل** ممتازة كعهدنا بها دائما .. ملأت المسرح وتشبعت بالدور واسقطته على الجمهور ببراعتها النادرة . ولكنها بدلا من أن تلتقط شخصية الزوجة الواثقة من نفسها المتحكمة فى زوجها مما يجعلها تتصرف بيقين ولا مبالاة كانت عصبية أكثر من اللازم وأدت بها هذه العصبية فى بعض الاحيان الى الدخول فى الكلام مع صلاح منصور والى الوقوع فى بعض الاخطاء الادائية كأن تقول : « قافل نفسه فى الحمام » بدلا من « قابل على نفسه الحمام » و «مش حاياخد حمام خالص لا سخن ولا دافى فتضطر الى الاستدراك ولا ساقع . كما أدت بها هذه العصبية الى التمادى فى (الريتم) السريع والاستمرار فى (التون) الواحد على العكس من **صلاح منصور** الذى تمكن من تلوين دوره والتحرك فى الأداء بحرية أكبر ولو انه عمد الى استخدام القفشات فعندما تقول له سناء « أصبح فى الحمام صرصار وبيغاء يرد عليها بقوله « أبو كى السقا مات » كما عمد الى التهريج مع الدكتور عندما كان يجرى الكشف عليه والى التنكيت أيضا عندما كانا يتفرجان سويا على مصير الصرصار .

جلال العشرى

همسة للزهرة

للشاعر : يس الفيل

كم بت بدمعى اورويك
وبماء وجودى اسقيك
فيتيه العطر على فيك
واذا بالقلب يحييك
ويمد شراعا يحميك
وهنا تمتد اياديك
فتعانق روحى يا زهرة
كم أيقظنى طيب العطر
كم أسكرنى تيه الثغر
كم مر الدهر ولا أدرى
مسحورا فى دنيا السحر
سكران الروح بلا خمر
وسنين مرت من عمرى
كم ضاعت قبلك يازهرة
كم غار البدر لمرآنا
كم راح يداعبنا آنا
والجدول يشدو نشوانا
وهوانا .. ماأحلى هوانا
كم بت أتيه زمانا
واليوم يولى يازهرة

الكتب نقد وتعريف

حول كتاب إعجاز القرآن للأستاذ عبد الكريم الخطيب

الدراسات القرآنية والتراث الإنسانى

بقلم : أحمد حسين

كتاب اعجاز القرآن المجلد ذو الجزءين الذين يربو عدد صفحاته على ثمانمائة وخمسين والذى أصدرته دار الفكر العربى للنشر ، هو آخر مؤلفات الأستاذ عبد الكريم الخطيب ، التى ناهزت الأربعة عشر كتابا، كلها تدور حول الدين والعقيدة والاسلامية والمباحث القرآنية ، مؤلفة بذلك موسوعة من أعظم موسوعات الفكر الاسلامى فى عصرنا الحديث ، مما يجعل الانسان يزداد ايمانا بصدق المثل السائر « رب ضارة نافعة » فما أكثر الذين يتساءلون ... أكان باستطاعة الأستاذ عبد الكريم الخطيب لو انه تابع عمله الحكومى الروتينى الذى يشغل وقته ، أن يضيف الى الفكر الانسانى بعامة ، والفكر الاسلامى بخاصة هذا الفيض من المعارف ، والفكر الرائق والأسلوب الجذاب والايمان العميق ؟

الحق ان دنيا التصوف والنهج الاسلامى المستنير قد كسب كسبا كبيرا بانضمام الأستاذ عبد الكريم الى صف العاملين تحت لوائه .

ولنعرض الآن لكتابه الأخير « اعجاز القرآن » .

موضوعات لا تبلى :

قديما عندما كنت شابا صغيرا كنت أتصور ان هناك من الموضوعات ما قتل بحثا وكثيرا ما تعيت على مؤلفين ألفوا فى موضوعات سبقت لعالجتها ، تصورا منى ان فى ذلك اضاعة للجهد ، وما أكثر ما أحس الآن بالخجل كلما عادت بى الذاكرة الى هذا التفكير الفج الغرير ، ولقد حرصت على أن أسجل هذا الانقلاب فى تفكيرى ليكون عبرة وعظة لكل شاب فى الجيل الحاضر يفكر مثل تفكيرى .

انه لاغنى لكل جيل من الأجيال أن يكتب بأسلوبه، وبطريقته الخاصة فى معالجة الابحاث ، وعلى ضوء التطورات العلمية والمفاهيم المتجددة، وكل الموضوعات والأبحاث التى طرقها القدماء من قبله ، فاذا هى تنبض من جديد بالحياة وتفيض بالفائدة لكل من يطالعها .

لقد كان القرآن وسيبقى هو نور الأمة التراث العربى والاسلامى القديم لمحض كونه مخطوطا فى أكثره ،وما طبع منه طبع على ورق أصفر وباسلوب يختلف عن أسلوب العصر فى طريقة العرض ، وقد اعتدنا أن نصف هذه الكتب بالصفراء ، وننفر منها أشد النفور .

واليوم لا تكاد وزارة الثقافة والارشاد تعلن عن طبع بعض كتب هذا التراث حتى يتهافت عليها الألوف من المثقفين ، لمجرد كونه قد طبع بطريقة عصرية ، على ورق أبيض وبحروف جميلة وباخراج حديث . واذا كان مجرد التغيير فى كيفية الطبع والاخراج يحدث كل هذا التبدل ، فباستطاعتنا أن نتصور ، أى تأثير لهذا التراث عندما يعالج بأسلوب العصر ومفاهيمه ، وكيف يكون هو الأساس المكين ونقطة الانطلاق لمستقبلنا العظيم .

اعجاز القرآن :

لقد كان القرآن وسيبقى هو نور الامة الاسلامية وامامها ومرشدها وعاصمها ومصدر قوتها وحيويتها ، ومميزها بين الشعوب والامم ·

ولقد اعتبر القرآن كتابا معجزا ، لم يسبقه او يلحقه كتاب فى اعجازه وانفراده بالثبات والخلود وعميق الأثر فى كل من اتصل به ·

ولقد حاول كثير من ائمة الفكر والبيان على مر القرون أن يناقشوا معجزة القرآن محاولين اكتناه سرها ، ووضع يدهم على مصدر الاعجاز ، ولعل الجاحظ كان أول من حاول هذه المحاولة ثم اعقبه عشرات من الفطاحل من امثال ابى بكر الباقلانى ، وعبد القاهر الجرجانى والقاضى عياض وابى حيان التوحيدى والراغب الاصفهانى والسكاكى والفخر الرازى والسيوطى وكثيرين غيرهم ممن عرض الاستاذ عبد الكريم لآرائهم واقوالهم فى الجزء الأول من كتابه ·

وغنى عن البيان ان كل واحد من هؤلاء قد كتب لعاصريه ، على ضوء ما يجرى حوله من احداث وتيارات ومفاهيم ، مستعملا السبل المعتادة فى عصره للعرض والنقد والتحليل ·

الجاحظ :

فحيث بلغت الفصاحة والبلاغة أوجها فى القرن الثانى من الهجرة ، ووصلت اللغة العربية الى ذروتها من حيث الغنى والاتساع والصقل والتشذيب ، وبلغ تذوق المتثقفين للبلاغة والبيان العربى منتهاه فى ظل دولة اسلامية هى أعظم من عرفت الدنيا حتى ذلك الوقت من القوة والاقتدار وسعة السلطان ، والايمان فان ذلك كله هو نفحة من نفحات القرآن ، فقد كان بحسب الجاحظ أن يلخص اعجاز القرآن فى «النظم» الذى انفرد به القرآن فى صياغة أساليبه ، صياغة تنتظم بها المعانى انتظام الروح فى الجسد حتى يؤمن كل مسلم بما يقول ، ويرتقى هذا الرأى عندهم الى مرتبة اليقين فيردده كل من لحقه من الكتاب والبلغاء ·

النظام والشريف الرضى :

وعندما تغشى العقول الاسلامية الفلسفة الاغريقية ، وينتهج المفكرون منهج الاغريق فى المنطق وطريقة التدليل والبرهان ، فلا تعود فكرة « النظم القرآنى » كافية لاقناعهم ، يلتمسون وجها آخر يرضى نهمهم العقلى الى تفسير اعجاز القرآن ·

فيقول النظام « ان العرب لم يعجزوا عن معارضة الله ، وانما صرفهم الله عن تلك المعارضة ، فمعجزة القرآن ليست فى بلاغته بقدر ما هى فى صرف العرب عن محاولة تقليده (مع قدرتهم على ذلك) » ·

ويتابع الشريف الرضى النظام على رأيه قائلا « بل صرفهم – أى الله – بأن سلبهم العلوم التى يحتاج اليها فى المعارضة ، فهذا الصرف خارق للعادة . فصار كسائر المعجزات » ·

ولا يرضى جمهرة من كتبوا فى اعجاز القرآن عن هذا الرأى بل يعتبرونه فسادا ومروقا ، فالقرآن معجز بنظمه ، بلفظه وصياغته ، بمعانيه ، مما عرضه بافاضة الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه ·

مصطفى صادق الرافعى :

وكان العصر الحديث ، عصر البخار والكهرباء والانتصارات العلمية ، وضياع سلطان المسلمين ، وحيرتهم فى أسباب نكبتهم ، وتطلعت العقول من جديد الى أدلة وبراهين تقضى على بذور الشك التى بدأت تخالج بعض النفوس ، فيجىء مصطفى صادق الرافعى ، ليتحدث عن اعجاز القرآن بروح عصره فلا يقف عند وجه محدد يحصر عنده اعجاز القرآن سواء كان هذا الوجه هو نظم القرآن ، أو معانيه ، أو الصرفة « فالاعجاز القرآنى أمر لا تبلغ فيه الفطرة الانسانية مبلغا ، وليس الى ذلك مأتى ولا جهة ، وانما هو كغيره من الآثار الالهية ، يشاركها فى اعجاز الصنعة وهيئة الوضع ، وينفرد عنها بان له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة افراغا من ذوب هذه المواد كلها · وما نظنه الا الصورة الروحية للانسان – اذ كأن الانسان فى تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله · فالقرآن معجز فى تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز فى أثره الانسانى ، ومعجز كذلك فى حقائقه ، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الانسانية فى شىء فهى باقية ما بقيت » ·

ويعلق الأستاذ عبد الكريم الخطيب على هذا الرأى بقوله :

« فأنت ترى أن الرافعي ، قد جعل وجوه اعجاز القرآن هي :

١ ـ تاريخه ٢ ـ أثره الانساني ٣ ـ حقائقه

ويرفض الاستاذ عبد الكريم الخطيب أن يكون ذلك هو موطن اعجاز القرآن .

« لأننا لو سلمنا بهذا القول الذي يقوله الرافعي، لما كان من وجوه اعجاز القرآن اذ لا يصح أن يكون شاهد المعجزة متراخيا في الزمن عنهـا واقعا في أعقابها فذلك وضع لا يستقيم أبدا ، وشاهد لا ينتفع به في المعجزة الا بعد أن تثبت أولا » .

فريد وجدي :

ويكتب فريد وجدي وهو علامة الجيل السابق في اعجاز القرآن ،وقد كان من أشد الحريصين على التوفيق بين روح الدين والعـلوم الحديثة ، فيقول « حصر المتكلمون في اعجاز القرآن كل عنايتهم في بيـان الاعجاز من جهة بلاغته ، فكتبوا في ذلك فصـولا ضافية ، وبعضهم خصها بالتأليف . واننا وان كنا نعتقد ان القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوجهة ، الا اننا نرى انها ليست هي الجهة الوحيدة لاعجازه ، بل ولا هي أكثر جهات اعجازه سلطانا على النفس ، فان للبلاغة على الشعور الانساني تسلطا محددا ، لايتعدى حد الاعجاب بالكلام والاقبال عليه ، ثم يأخذ هـذا الاعجاب والاقبال يضـعف شيئا فشيئا بتكرار سماعه ، حتى تستأنس به النفس ، فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدثه في مبدأ تـوارده عليها .

فالعلة في نظرنا واضحة لا تحتاج لكثير تأمل وهي أن القرآن « روح من أمر الله . نعم ان جهـة اعجاز الكتاب الالهي الأقدس هي تلك الروحانيـة العالية التي قلبت شـكل العالم ، وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد ، خلافة الله في أرضه وارغمت معاطس الجبابرة ... الخ » .

معجزة القرآن :

ولعلك واجد أيها القارىء الكريم من هذا العرض السريع ، الدليل على ما قدمناه من ان أهل كل عصر وجيل ، ينظرون الى الحقائق من وجهات نظر متباينة، ويعالجونها بأساليب وطرائق شتى تنبثق من روح عصرهم .

فالموضوع وهو « اعجاز القرآن » حقيقة ثابتة ، ولكن البحث عن سرها هو الذي يختلف ويتشكل تبعا لروح العصر وأساليب البحث .

فأما ان معجزة القرآن حقيقة ثابتة قد وقعت وتمت بالفعل ولم تعد في حاجة الى دليل جديد أو برهان ، فذلك متحقق في ان القرآن قد تحدى معاصريه من العرب ، وهم من هم تفوقا في البيان والبلاغة وقرض الشـعر ، فتحداهم أن يأتوا بقرآن مثله حتى ولو اتخذوا من أبناء الارض بل من الجن ظهيرا .

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ولم يدع العرب وسيلة أو سبيلا لمحاربة الرسول واتباعه الا وسلكوها فانكروا وشهروا وسـخروا وخربوا وأجاعوا وفتكوا ، ثم امتشقوا الحسام في خاتمة المطاف وحاربوا .

فما الذي جعلهم يعرضون عن هذا التحدي ، فلا يحاكون القرآن ولا يعارضونه وهم الذين اشتهروا بمعارضة الشعراء لبعضهم ؟

ومضى القرآن في تحدي العرب ، فاذا كان القرآن باكمله شيئا لا يحاكى .. فما عليهم الا ان يجتزئوا بعشر سور فقط من سوره .

« قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات »

ومضى العرب في عجزهم وصمتهم ونكولهم عن قبول التحدي .. فما كان من القرآن الا أن وصـل الى قمة التحدي وذروته .

« فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » .

واذا علمنا أن من بين سور القرآن ما لا يزيد عن بضع عشرة كلمة ومع ذلك فقد ظل العرب على عجزهم، ورضوا ان يهزموا ويغلبوا أو يموتوا ولا يقدمون على محاكاة القرآن ،استطعنا ان ندرك لماذا كان اعجـاز القرآن حقيقة ثابتة قد تمت وانتهت ولاتحتاج لمزيد .

اختلاف روح البحث :

هذا الموضوع الثابت هو الذي تختلف حوله الآراء كما قدمنا ، فيعالجه كل مفكر من وجهة نظره وبما يطمئن اليه .

فالرأى الذى ارتاح اليه شخصياوالذى استخلصته بعد مطالعة موسوعة الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى اعجاز القرآن ٠

ان عجز العرب عن محاكاة القرآن ، انما يرجع الى جوهر القضية التى جاء بها القرآن ، فالمسألة لم تكن مسألة الفاظ أو مجرد معان ، وانما مسألة هـــذه الرسالة الكبرى التى حملها القرآن وهى الدعـوة الى توحيد الله الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ٠

والتحدث عن هذا العلى القـــدير بما ينزهه عن الشبيه والتجسيد والحلول ٠ فلست أعرف اى كلام يمكن أن يقوله العرب نقضا لهذه الحقيقة يمكن أن تنفتح له القلوب وترهف له الاسماع ويزلزل النفوس ٠٠٠ كيف يمكن لأى كلام يقف فى جـــانب الظلام والباطل والانحلال أن يقف فى وجه كلام ينطق بالحق، ويشع بالنور وينضح بالهداية ؟ ٠

فالقضية التى كان يعالجها القرآن هى مصـــــدر قوته وموطن اعجازه وسر عجز العرب عن محاكاته ٠

وعندى قبل ذلك وبعد ذلك ، ان اعجاز القرآن شىء تدركه بالحدس وتحس آثاره وتلمسهـــــا وليس باستطاعتنا الذهاب الى ما وراء ذلك ، ان شأن القرآن هو شأن الله نفسه ، تدركه بالحدس والالهام ، ونرى آثاره ونلمسها ، ولكن عقولنا تحار فيما وراء ذلك ، فيما لو حاولنا أن نكشف عن ماهية الله ٠٠٠ بل ان موضوعات أبسط من موضوع الالوهية ، كموضـــوع الروح ، نقف أمامها عاجزين عن ادراك كنهها كذلك، وهذا هو شأن القرآن ٠

اننا نرى آثار اعجازه ، ونستطيع أن نرى نحن الذين يظلنا القرن الرابع عشر الهجرى ، ما لم يره الأولون ، ومع ذلك فان اى محاولة لتحديد موطن الاعجاز لا يمكن الا أن تبوء بالفشل ، خاصـــة وان القرآن الكريم نفسه لم يفصح عن هذا الوجه ويسفر عنه ٠

الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

ومع تسليم الاستاذ عبد الكريم الخطيب بهـــذه الحقيقة حيث يقرر « ان اعجاز القرآن ـ فى نظرنا ـ سر محجوب عن الانظـــار ، لا يقع موقع الحس ولا يســـتجيب لدواعى الحواس ، ولا يخضع للتحاليل الكيميائية » فان شديد حبه للقرآن وطول صحبته له وحرصه على هداية الجيل الجديد بهداية القرآن ، وحملهم على التعاطف مع آياته وحبهـا وتذوقهـــا لخيرهم فى الدنيا والآخرة ، قد جعله يلقى بدلوه فى الدلاء ويبسط القول فى اعجاز القرآن ، ولما كان يعالج أمرا مستعصيا على البحث العقلى ، فهو يقع فى كل ما أخذه على كل من عالج هذا الموضوع من قبله ، فهو يأخذ على الباقلانى انه « اذا عرض لآية من آيات الكتاب سال بيانه متدفقا بالمديح والثنـاء على كل حرف ، وكل كلمة وكل عبارة فى الآية ، فهى افصح كلام ، وأروع بيان ، وأحلى قول ،وأجمل صورة ٠ دون أن يشير الى موطن الفصاحة ولا الى مكان الروعة والجمال وهكذا يلقى كل آية بما لقى به غيرهـــا من تلك العبـــارات المحفـــوظة المرددة (ص ١٨٧ جزء١) ٠

والاستاذ عبد الكريم هنا يقسو على الباقلانى ، فينتقم الباقلانى لنفسه من عبد الكريم الخطيب عندما نراه ينهج نفس نهجه وأسلوبه بل يغرق فيه اغراقا لا اظن أن أحدا سبقه اليه ٠٠٠ عندما يطلب منا أن نقرأ آلم ٠٠ آلر ٠

ثم يقول هذه الحروف بدئت بها بعض السور فى القرآن الكريم ، فتالف من اجتماع الحرفين أو الثلاثة، او الأربعة ، أو الخمسة نغم موسيقى لم يكن لأىعبقرى من عباقرة الموسيقى أن يقع عليه ٠

اقراها هكذا الف ٠٠٠ لام ٠٠٠ ميم ٠

اقراها قرآنا يرتل ترتيلا ٠٠٠ لا كلاما يرســل ارسالا ٠

الا تجد الطرب يتادى اليك من كل نبرة ، من كل حرف ، ألا تجد هزة والتشاء ينتشر فى كل كيانك ؟ الا يهولك هــــذا المطلع وتعروك منه قشعريرة تهز كيانك كله ؟ ان لم تجد فاعد القراءة مرة ٠٠ ثم مرة والا فاعرض نفسك على طبيب ٠٠٠ طبيب آذان ، أو طبيب عقول ٠

وأنا أشاطر الاستاذ عبد الكريم الخطيب كل هذا الذى يقوله ، ومعنا مئات الملايين من المسلمين ،ولكن

هذا القول لا غناء فيه من ناحية التدليل والاثبات وهو لا يخرج عما نعاه على الباقلاني وكل من كتب عن اعجاز القرآن ·

وأبى الاستاذ عبد الكريم الخطيب الا أن يلخص وجوه الاعجاز في القرآن في أربع مسائل :

١ ـ الصدق المطلق الذي نزل به ·

٢ ـ علو الجهة المنزل منها ·

٣ ـ حسن الاداء : النظم والفاصلة ·

٤ ـ روحانية القرآن ·

وعندنا ان الوجهين الأولين من نوع المصادرة على المطلوب ، فالقول بأن سر الاعجاز هو علو الجهة المنزل منها ، هو عين القضية التي يراد اثباتها من خلال اعجاز القرآن ·

والقول بان القرآن معجز لانه من عند الله ، هو قلب للقضية التي تبدأ من التقرير بان القرآن معجز لينبني على ذلك انه من عند الله ·

وكذلك وصف القرآن بالصدق المطلق ،والاستدلال على ذلك بسرد الأحداث التي أعقبت هذا النزول هو ما نعاه على مصطفى صادق الرافعي من انه « لا يصح أن يكون شاهد المعجزة متراخيا في الزمن عنها ، واقعا في أعقابها ، فذلك وضع لا يستقيم أبدا ، وشاهد لا تنتفع به المعجزة الا بعد أن تثبت أولا » ·

ولا يبقى من مواطن الاعجاز في رأى الاستاذ عبد الكريم الخطيب الا روحانية القرآن وحسن الأداء : النظم والفاصلة ، وهو عود لما اتفق عليه كل من كتب في اعجاز القرآن ، ولا لوم ولا تثريب على الاستاذ الخطيب ، فهو نفسه قد قرر كما قدمنا « ان ذلك مطلب عزيز ، لا يمكن أن تناله الافهام أو تتصوره العقول » ·

فضل الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

وليس يعنى هذا الذى قدمناه ان العمل الجليل الذى اضطلع به الاستاذ عبد الكريم الخطيب قد جاء نافلة أو غير محقق لكل أغراضه ، بل انى أشهد أمام الله انه علمنى وسيعلم الكثيرين ما لم يكونوا يعلمون ، وما ينبغى أن يعلموه ·

لقد لخص لنا التراث الاسلامى في موضوع اعجاز القرآن بلسان عربى مبين ، وبعث لنا ولأبناء الجيل والأجيال القادمة ـ الى أن يتصدى مفكر جديد لعلاج ذات الموضوع ـ آراء جميع من سبق ، وهو اذ يعرض لهذه الآراء ، يعلم ويوضح ويؤصل بقواعد البيان وأسس البلاغة ، ويفعل ذلك كله فى أسلوب قد استضاء بنور القرآن ، وناله شذى من عطره واريجه بحيث أجبرنى ويجبر كل قارىء على مطالعة صفحاته الثمانمائة ، وما كان لأى كاتب أن يبلغ هذا المبلغ الا اذا بلغ أسلوبه الذروة فى حسن الأداء ،والانسياب والسلاسة والشفافية ، والحق انى لا أعرف بالضبط اذا كان هذا الاسلوب هو أحد حسنات الكتاب أم بعض ما يؤخذ عليه ، فان الانسان يتساءل ، أما كان من الممكن ، لولا هذا الترسل الذى ينساق اليه المؤلف انسياقا بحكم اقتداره على التعبير والتدفق ان يجىء الكتاب أقل حجما وأكثر تركيزا · هذه قضية لا أستطيع أنا ان أحكم فيها وأدع للمؤلف نفسه ولبقية القراء الحكم عليها ، أما أنا فاشهد انى استمتعت بهذا الأسلوب أعظم استمتاع ·

عتاب :

وقد بقى ان أعتب على ناشر الكتاب الحاج عبد المنعم الخضرى صاحب دار الفكر العربى وعلى الأخ الاستاذ حلمى المنياوى طابع الكتاب ، فانه كان يتحتم على الرجلين وهما من نعرف فى الفضل ـ الا يلقيا عبء التصحيح المطبعى على المؤلف، بل يجب أن يكون لهما رجالهما المتخصصون فى هذه المهنة ، ذلك ان المؤلف مهما كان ضليعا ومتمكنا وغزيرا ، فانه قد يمر على الخطأ المطبعى فيقرؤه صوابا بحكم عقله الباطن ·

والمصحح المحترف وحده هو الذى يمكن أن يتفادى كثيرا من هذه الاخطاء المطبعية التى وردت فى الكتاب وخاصة ما كان منها فى آيات الكتاب الكريم ·

« أحمد حسين »

كتب جديدة

أحمد الصادق عبد الصمد

● الخيال الحركى فى الادب النقدى

تاليف : عبد الفتاح الديدى

الناشر : دار المعرفة ـ القاهرة

يقع الكتاب فى ١٦٤ صفحة من القطع الكبير ، ويتناول بالدراسة موضوعا على جانب من الأهمية ، فيعرض لنظرية الخيال اللعوب ، وهذه التسمية عنده مرتبطة ارتباطا وثيقا محكما بالتعبير الادبى تمييزا له عن كل أنواع التعبيرات الاخرى ، ثم يعرض للنقد الادبى عند كتاب الغرب ، ويرى أن الركن الاساسى الوصفى له يرتكز الى أمرين : نظرية فى الجمال ونظرية فى الخيال ، وهاتان النظريتان يكونان المحور الاصلى الذى تدور حوله الاقوال وتنبعث الاحكام فى النقد الادبى ، كما يعرض للمعنى الادبى ، وأن القدماء كانوا يستعملون كلمتى اللفظ والمعنى للتعبير عن جانبى الاداء الفنى فى العمل الادبى ·

وتناول المؤلف فى دراسة عميقة النزعة النفسية فى الادب ، والاسطورة فى الادب العربى واستيحاء الادب القديم ، وهاملت بين الحقيقة والخيال ، ومشكلة التعبير ، والشعر بين القديم والجديد ، وصناعة الشعر وأبعاده ·

وهناك عبارة وردت فى ص ٥٠ كنت أود أن يتنزه عنها قلم الاديب المؤلف ، هى قوله : « وقد دخلت الاسطورة الفارسية فى الادب العربى القديم ، ولكن مصيرها لم يكن أفضل من مصير الاسطورة القرآنية » فالقرآن ليس فيه أسطورة وانما فيه قصص واقعى ·· والله تعالى يقول : ان هذا لهو القصص الحق » ويقول : نحن نقص عليك نبأهم بالحق ·

● الاشتراكية العربية والوحدة

تاليف : محمد نعش

الناشر : الدار القومية

صفحات الكتاب ٦٨ صفحة من القطع المتوسط ، فى ثلاثة فصول :

الفصل الاول : « الاشتراكية العربية فى مجال التطبيق العملى » عرض فيه المؤلف لمراحل التنظيم السياسى فى الجمهورية العربية المتحدة ، مشيرا الى الانتفاضات الشعبية قبل الثورة ، التى توجت بثورة عام ١٩٥٢ ·

والفصل الثانى : « الوحدة العربية فى الميثاق » محاولة لشرح الباب التاسع من الميثاق ، والخاص بالوحدة العربية ، وبيان الروابط المتينة التى تربط اجزاء الوطن العربى ·

والفصل الثالث : « الشعوب العربية الحرة تطالب بالوحدة » ، تسجيل صفحات مشرقة من موقف الشعوب العربية فى سبيل تحقيق وحدة عربية شاملة ·

● كيف تكون خطيبا

تاليف : على رفاعى

الناشر : مكتبة صبيح بالازهر

يقع الكتاب فى ٢٧٢ صفحة من القطع المتوسط والمؤلف مفتش عام الوعظ بالازهر ، وله مؤلفات عديدة فى مجال الوعظ ، وهذه هى الطبعة الخامسة من هذا الكتاب ·

وقد عرض المؤلف لمكانة الخطابة ، وصفات الخطيب واقسام الخطابة ومشاهير الخطباء ، ثم عرض نماذج من خطب الرسول والخلفاء الراشدين ، وخطباء العرب وعباقرة المسلمين فى شتى العصور الاسلامية ثم قدم مجموعة من الخطب تناولت شتى الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والاخلاقية ، فى اسلوب عصرى تميز بالمرونة والعذوبة معا ·

● الفلاح فى الادب العربى

تاليف : محمد عبد الغنى حسن

الناشر : دار القلم

هذا الكتيب الذى يقع فى ١٥٦ ص من القطع الصغير هو العدد الثامن والعشرين بعد المائة من سلسلة كتب ثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة الارشاد القومى • وأشار المؤلف فى مقدمته : أن مما لفت نظره وهو يقلب صفحات التاريخ العربى الاسلامى فى امهات كتبه وقديم مصادره ، ان « الفلاح » مهمل الذكر ، كما أن موضوع « الفلاح فى الادب العربى » موضوع بكر لم ينفرد به بحث قائم ولا ظهر فيه كتاب مستقل •

وفى خمسة فصول تناول المؤلف لفظة فلاح من القديم الى الحديث ، والفلاح فى الشعر العربى ، والفلاح فى القصة العربية ، والفلاح فى أدب المقالة والفلاح فى مجال الدراسة والبحث الاجتماعى •

والحق أن الكاتب الكبير الاستاذ عبد الغنى حسن قد انصف الفلاح فى الادب العربى ، وسد بكتابه الصغير فراغا كبيرا فى المكتبة العربية •

● دورنا الجديد فى الحضارة الانسانية

تاليف : أنور الجندى

الناشر : الدار القومية

هذه دراسة موجزة فى ٣٨ ص من القطع المتوسط •

يذكر المؤلف فى تقديمه للكتاب ان هناك حقيقة واضحة لاسبيل الى انكارها ماأحوجنا الى أن نذكرها دائما ، هى ان لنا شخصية واضحة الملامح عميقة الجذور ، تكونت منذ عهد بعيد ، وكان قوامها الفكر الواضح والتراث الذى لم يزل حيا يتفاعل وينمو •

ويتساءل المؤلف : كيف حافظنا على طابعنا ازاء النظريات والتيارات الجديدة الواردة من الشرق أو الغرب ؟ ويجيب : بأن السر هو ان لنا ينابيع فكرية خالصة لها ملامحها وطابعها وجوهرها ، هى التى كانت تعطينا دائما وحدة الفكر ، وهذه الينابيع لم تزل حية تنبض بالحياة •

ثم ختم المؤلف بحثـه ، بأن عشرات المنصفين تنبأوا بأن دورنا فى القيادة الفكرية للانسانية قادم لا محالة ، ويرى أنه لن يتحقق لنا ذلك الا باسترداد ثقتنا بعظمة ينابيع فكرنا وعظمة تاريخنا وقوة شخصيتنا •

● عروبة مصر من قبائلها

تاليف : مصطفى كامل شملول الشريف

الناشر : المطبعة العالمية

يقع الكتاب فى ١٧٢ صفحة من القطع الكبير

ويثبت اصالة العروبة فى مصر عرقا ودما الى جانب عروبة الفكر والثقافة بحديثه عن الهجرات العربية الى أرض الكنانة منذ أقدم العصور ، كما اثبت أن وجود هذه القبائل فى مصر يؤكد وحدة الامة العربية فى كافة أقطارها ، كما أثبت أن كثيرا من هذه القبائل التى هبطت أرض الكنانة لها فروع وأقارب فى شبه الجزيرة العربية أوفى بلاد الشام أو فى العراق أو ليبيا أو المغرب العربى أو السودان •

وقد هاجم المؤلف فكرة الشعوبية والانفصال التى تفرق بين الاقطار العربية ، والتى تنعت مصر بالفرعونية ولبنان بالفينيقية •

ومما يذكر له أنه دعا الى الاعتزاز بالاصول العربية والمحافظة على الانساب ولكن بغير تعصب أو جاهلية ، كما دعا الى ضرورة اجتماع كلمة القبائل من أجل المساهمة فى احياء التراث العربى ، وأمجاد العروبة الخالدة ، وأنكر التعصب ، ودعا الى سلام وأمان يسود الجميع مصداقا لقول الرسول عليه صلوات الله « الا ان دماء الجاهلية موضوعة » •

« أحمد عبد الصمد دياب »

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والارشاد القومى

١٩٦٥



بمدينة المنصورة من ٧ الى ١٣ مارس ١٩٦٥

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



الفكر المعاصر :

صدرت هذا الشهر مجلة « الفكر المعاصر » عن الدار المصرية للتأليف والترجمة وتولى رياسة تحريرها المفكر الكبير الدكتور زكى نجيب محمود ، وبينت كلمة الدكتور **عبد القادر حاتم** التى تصدرت صفحاتها الاولى ان مبدا هذه المجلة مستمد من ميثاقنا الوطنى ، وهدفها مستوحى من تقاليدنا الثقافية التى استقرت على مدى التاريخ ، ذلك ان الميثاق يذكر ان من الركائز الاساسية فى بناء مجتمعنا الجديد أن يكون لنا « فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية على اختلاف نزعاتها ، ياخذ منها ويعطيها ، لا يصدها عنه بالتعصب ، ولا يصد نفسه عنها بالعقد » ، ووضح الدكتور حاتم ماكان لنا من دور حضارى هام فى الازمان البعيدة ومثل لذلك بما قامت به الاسكندرية والقاهرة فى هذا الدور « فالاسكندرية بجامعتها كانت ملاذا للثقافة اليونانية حين لم تعد أثينا تقوى على حمايتها ، فكان لها فى هذه الحالة شخصية فريدة متميزة ، كذلك كانت القاهرة بعدئذ ـ بفضل جامعتها الازهرية على وجه الخصوص ـ بالنسبة الى الثقافة الاسلامية العربية ، لا سيما عندما نزلت النوازل بهذه الثقافة فى شرق وغرب ، ففى الشرق تقوضت اركانها على ايدى التتار ، وفى الغرب أصابتها المحنة بزوال الاندلس المسلمة » .

كيف جاءت الحضارة

وفى نفس هذه المجلة قدم على ادهم عرضا لكتاب جديد الفه البحاثة الانجليزى « اللورد راجلان » هو كتاب « كيف جاءت الحضارة » وقد بين هذا المقال أن هناك فرقا بين الثقافة والحضارة ، فالثقافة عند « راجلان » هى السلوك المكتسب بالتلقين والتدريب ، أما السلوك الغريزى الفطرى فليس جزءا من الثقافة ، لانه عام بين البشر ، فاذا سجلت هذه الثقافة تسجيلا مكتوبا سمى هذا « حضارة » ذلك لان الحضارة فى راى « راجلان » هى الثقافة المكتوبة وينبنى على هذا أن الحضارة مرهونة بالقراءة والكتابة ، والعلم والادب يصبحان اذن ابرز العناصر الحضارية ومعنى هذا أن التقدم الحضارى هو زيادة الحصيلة من ادب وعلم ، والتخلف الحضارى معناه نقص أو ضياع تلك الحصيلة الادبية والعلمية . و « رجلان » صاحب هذه الآراء عرفه لنا الباحث من خلال حياته واعماله، فقد ولد فى سنة ١٨٨٥ وتعلم فى ايتون وساندهرست والتحق بفرقة الحرس المشاة سنة ١٩٠٥ وضم للجيش المصرى سنة ١٩١٣ وعمل فى السودان وفلسطين والاردن ، ثم اعتزل الخدمة حتى اختير رئيسا لقسم الانثروبولوجيا فى المجمع العلمى البريطانى ، ومن أهم مؤلفاته التى تمتاز باستقلال الرأى واصالة التفكير ودقة البحث « جريمة جوكاستا » و « اصول الدين » و « الموت والميلاد الثانى » و « البطل » .

وليس يسعنا ازاء هذا المجهود الذى قدمته لنا مجلة « الفكر المعاصر » من علاج لكثير من القضايا

الفكرية التي هي أهم مايحتاج اليه القارئ العربي في هذه الآونة ـ الا ان نتمنى لهذه المجلة الوليدة كل تقدم وازدهار .

الادب العربي المعاصر

في العدد الممتاز من مجلة المعرفة السورية كلمة يختم بها « سليمان الخشن » وزير الثقافة والارشاد القومي السنة الثالثة من عمر هذه المجلة وقد تناولت هذه الكلمة عرضا سريعا لدور الادب العربي في الماضي والحاضر كما تحدثت عن التجارب التي مرت بها هذه المجلة ويقول « الخشن » ان الجدل طال في قطرنا العربي ، وفي غيره من اقطار العروبة حول طبيعة الادب العربي المعاصر وكيف يجب ان يكون .

وما من شك في ان أفكارا جديدة قد اجتاحت الوطن العربي ، وتغلغلت في حشاياه ، منذ اليوم الذي بدأت فيه الثقافة الاوروبية تغزو بلاد العرب والعالم ، وما من شك ايضا في أن كثيرا من هذه الافكار ، يجب أن تكون موضع عناية المهتمين بالادب والفكر ، ومحلا لدراستهم ، كما أن هناك كثيرا من الافكار، يجب أن يتجاوزها الانسان العربي، بشيء من الثقة بالنفس ، وبالماضي العظيم الذي ينحدر منه ..

ويقول اننا كعرب ـ مدعوون في ايامنا هذه ، للنظر في كل القيم الوافدة علينا من الغرب ، صحيح اننا فوجئنا بالحضارة الغربية المتفوقه ، وبالادب الغربي المتفوق ، في حين كنا نرزخ تحت أعباء الحياة القاسية التي وضعنا فيها العثمانيون . وصحيح ان الادب الغربي من القوة والسعة بحيث تجاوز المرحلة التي كان قد وصل اليها العرب في ايام عزهم ، ولكن ليس صحيحا ابدا أن الادب العربي يجب أن يكون صورة للادب الغربي ، أو يمكن ان يكون صورة للادب الغربي .

ان هذا « التشكل الكاذب » للادب العربي المعاصر لن يكون ابعد جذورا في تربة الوطن العربي من الادب العربي الذي ظهر ايام الاحتلال الروماني لبلاد العرب .

التنظيم الايديولوجي العربي المعاصر :

ويوسف الحوراني في نفس هذه المجلة يتحدث عن المثقفين ومجتمعات الثورة ، فيبين أننا حين ننظر الى تاريخ الفكر العربي نرى كثيرا من الغرباء برزوا باسم الفكر واللغة العربيين قبل ان يبرز قادة عسكريون من غير العرب ، ويبني على هذا القول انحلال المجتمع وسقوط قياداته ، فالذين تسلموا المراكز القيادية في عالم الثقافة منذ الدولة العباسية لم يكونوا من العرب المخلصين لقوميتهم ومن هنا كان تسلم هؤلاء الغرباء لهذه المراكز جعلهم يساندون ابناء قوميتهم ، ويعطيهم ثقة بانفسهم وطاقة دفعتهم الى ايديولوجية عظيمة لم تكن تواتيهم لولا قادة الذهن الذين ينتمون لهم ، ولذا يطالب الحوراني أن تنمى ايديولوجيتنا ونخطط لها ونعمل على نشرها « من قبل المؤسسات الرسمية والمنظمات الاهلية الواعية ، وبهذا لا تكون قد خططنا لأفراد أو لفئة معينة من فئات المجتمع ، بل تكون اعددنا قاعدة ثابتة راسخة لاية فلسفة او نظرية عملية تنشأ من داخل المجتمع الى عالم الغد » ويضيف الحوراني الى ذلك ان هذه التنمية هي اسلم الطرق لابراز شخصية المجتمع في المجال العالمي ، والوصول به الى مستوى حضاري يسهم في مصير العالم المقبل

لمحة

في اللمحات التي يكتبها « عامر بحيري » في مجلة الثقافة لمحة كتبها في العدد الخامس والثمانين وهي تعد قطعة أدبية فنية يقول فيها « عامر » :

ـ قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :

ـ مامثقفون .. عدتهم سبعون .. وقيل ثمانون .. كخلية النحل يطنون .. يقولون ان دولتهم قادمة وان موعدهم الجولة القادمة .

ـ قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

ـ واين يابني يقطنون ؟

ـ قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :

ـ انهم يقيمون في القاهرة .. عيونهم ساهرة .. اسماؤهم ظاهرة .. ودنياهم آخرة .

ـ فضحك الاستاذ الشيخ وقال لتلميذه الفتى:

ـ قل لهم : فلينزلوا الى الريف .. من أجل الرغيف .. وليقابلوا بدعواهم الآل .. من أعمام واخوال .. ان كانوا حقا من الابطال .

ـ قال التلميذ استاذه الشيخ :

ـ ولكن من اي شيء يخافون ؟

ـ واجاب الاستاذ الشيخ ، وكانه ينهي الحديث :

ـ اما سمعتك تذكر ان عدتهم بين السبعين والثمانين ؟ فماذا يصنعون امام الملايين .. من العمال والفلاحين .. اصحاب الثورة الحقيقيين؟؟

« محمد العواني »



العدد ٨٦

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

حسام

رئيس التحرير
احمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٣٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

الفارس



والمنطقة

بقلم : عبده بدوى

اذا كان هناك اجماع يوصل الى رياسة الجمهورية عددا من السنوات ، فان الاجماع على انتخاب « جمال عبد الناصر لا يعطى الثقة فى الرجل فقط بقدر ما يعطيها فى الشعب نفسه ، ذلك لأنه يكون فى ضوء هذا الاختيار شعبا ذكيا ـ كما كان طوال حياته ـ يعرف كيف يجسد آماله فى رجل ، ثم يمضى مع هذا الرجل فى أحضان الحياة ، وفى دفع حركة التاريخ ، وفى زحزحة أحجار الظلام عن ملامح الفجر الذى لم ييأس فى سمائنا ، والذى كان ينتظر دائما اليد القوية التى تشق الطريق امام موكبه ، وتربت على سنابل النور فى جبينه ، ثم تمسح عن وجهه النسيان وتسقط من نفسه الحزن ، ثم تقدم من جديد حضارة تلف العالم بذراعيها ، وثقافة تحترم الانسان كما تحترم الحياة .

ولقد كان وجود « جمال عبد الناصر » فى هذه الفترة ضرورة حتمية بعد جفاف قلب مصر ، وانكسار قامة العرب ، وبعد انحسار النفوذ الغربى وظهور التشقق العظيم فى المنطقة « الآفراسيوية » .

ذلك لأن أحدا لا ينكر ان هذه المنطقة عرفت التخلخل ، والتصدع ، والفراغ ، واستحالت الى منطقة كبيرة من التيه .

ومن هنا كان لابد من ظهور صوت تتردد من خلاله أشواق المنطقة ، وكان لابد من وجود قلب جسور يغطى على عملية الانكسار القريبة ، ويصل ما بينه وبين ينابيع الأمجاد العريقة ، ويعمل على اعادة الصبوة للانسان العربى ، ولقد كان هذا الصوت هو صوت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكان هذا القلب الجسور هو قلب جمال عبد الناصر .

واذا مددنا أعيننا فى التاريخ ، وعرفنا ـ فى دائرة ضوء كبيرة ـ كيف نربط بين القلب والخفقة والجذر والثمرة ، أدركنا ان الثورة وجمال عبد الناصر يمتان بأوثق الصلات وأعمقها الى قيم المنطقة ، فهذه المنطقة لم تعرف الجدب الا على أيدى الغزاة ، وهذه المنطقة لم تعرف التصفيات الدموية لأنها تتعامل مع الحب ، ولم تعرف التعصب لأنها عرفت التسامح .. ثم أخيرا لم تعرف الحدود السياسية لأنها كانت دائما فى عينيها وقلبها شيئا جديدا ومضيئا تتخطى به الحدود السياسية التى كانت تفرض عليها .. صحيح أن هذه الحدود العقائدية كانت تبدو قصيرة فى بعض

الأوقات ولكن « الغزاة الأجانب » هم الذين كانوايعملون على تقصيرها ، وشدها من قلوب الناس وعقولهم داخل الأمة العربية وخارجها ، ولكن ما انيستيقظ الشعب حتى يعود عنيفا في عطائه ، سخيا في مد يده ، كأنما يريد أن يعوض مافات من فترات الضياع ، وكأنما يريد ان يقول انه كان يعمل دائما للأمة العربيـــة حتى فى فترات ضعفه ، حتى فى تساقط أوراقه وتعرضها للعاصفة •



واليوم ونحن نرى «جمال عبد الناصر» يكسو الأرض بالاخضرار ، ويطارد النفوذ الأجنبي من كل القواعد ، ويهز المنطقة هزا عنيفا لتستيقظ بعض أجزائها النائمة ، ويقدم نظرية جديدة للحياة من خلال عروبة هــذه الأمة واســلامها ، وتطلعاتها ، واحساسها بدورها الريادى على مر التاريخ •• ثم أخيرا نراه يلقى ظله وطموحه ويقينه وحيويته على افريقية ، وآسيا •

اليوم ونحن نرى هذا لا يكفى اننا أعطينا أصواتنا لجمال عبد الناصر ، ولا يكفى ان نبح أصواتنا وأصوات قلوبنا له ، ذلك لأن المكافأة الحقيقية التى يستحقها ، هى أن نسير فى هذه الفترة « بسرعتين » لا سرعة واحــدة ، وأن نعمــل على أن تكون بلادنا جديرة بزعامته ، وأن نرفع من اجله شعارا يقول : « من أجل جمال عبد الناصر » وفى ظلال هــذا الشعار يجب أن نختصر الخطط الانتاجية ، ويجب أن نتحدى الحياة ونعوض فترات الضعف التى لحقت بنا ، ونعمل ـ الى حــد الضراوة ـ على تحقيق الوحــدة العربيـــة ، ونســكت فى أنفس البعض الأصوات التى تحقد على العرب والتى تريد أن تشدنا الى المعســكرين اللذين يمزقان الآن العالم •• وفى الوقت نفسه لا ننسى انه كان عندنا ما أعطيناه للعالم ، وأن عندنا ما نقدمه الآن لهذا العالم من السلام والرفاهية واحترام الانسان ، وأن كل هــذا لابد أن يقدم فى عهد جمال عبد الناصر •

ان جمال عبد الناصر ليس ملكا لطائفة دون أخــرى ، وليس قريبـــا من الذين يحترفون الصياح ، بقدر ماهو ملك لجبهة الأمة العريضـــة التى تضرب الأرض ، وتثقب الصخر ، وتحلق فى الأفق ، وتتعامل مع الحرف واللون والصــوت والصورة ، مادامت جميعها تخلق وتبدع وتحرك التاريخ فى المنطقة •• فما يقرب منه ليس الصوت الجهــير الخشن الذى يستعرض عضــلاته الصوتية ، ولــكن كل ما يدفع النماء فى الشجر ، وكل مايدفع النضارة فى العروق ، وكل مايقرب الثمرة من كف طفل ، ومن شوق شاب ، ومن طمأنينة شيخ ، ومن عزم حياة •• ســواء أكانت هــذه الثمرة مما يقبض عليها بالكف ، أو ما تحتضن بالقلب أو بالعقل ، أو بالقلب والعقل معا !

ان عبد النــاصر هو الأمــل المجســد للشعوب العربيــة ، وهو مستقر عقلا فى قلوب سكان الظهير الاسلامى الذى يحيط بالشـــعوب العربية ، وهو يتخطى هاتين الدائرتين الى دائرة الانسان الذى يتصبب بالعرق وبالدم وبالعزم فى أى مــكان لم تتوهج من فوقه ماسة الحرية !

ولعل من الوفاء لعبــد الناصر أن نعمق صلاتنا بهذه الدوائر ، وأن نسيج بالزهور الميدان الكبير الذى يتحرك فيه الفـــارس داخل حبات القلوب وحبات الأعين ، ذلك لأن له أملا فينا ولنا أمل فيه ، وما نحسب الا أن هذه الآمال ستتحقق ، بل ستختصر فترة تحقيقها ، لما نعرفه من ايمان جمال عبد الناصر بالأمة العربية ، وما نعرفه من ايمان الأمة العربية بجمال عبد الناصر •

ثم ان أحدا لا ينسى أنه صديق «للكلمة»، فقد عرف كيف ينسجها من وهج القلب ونور العين ، ولعل « الكلمة المسموعة » حين تؤرخ في هذا العصر ــ على مستوى العالم ــ لابد أن تبدأ به ، فهو يرسلها نابضة خضراء متوترة ، فاذا هي في قلب الأمة أمل ، وفي قبضتها عزم ، وفي جبهتها فكر !

فالذي يسمعه يخيل اليه أن كلمة واحدة لو افلتت من آذان المستمعين ــ وهي لاتفلت أبدا ــ ثم مست الأرض فانها لابد أن تنبض في جذر ، وتعلو في ساق ، وتتألق في ثمرة ، فاذا تركت الأرض الى الأفق فهي نجم ثابت مضيء سخي الضياء !

وكل الذين اتصلوا به يؤكدون انه من عشاق «الكلمة» ، وان كتبا كثيرة مرت على اهدابه ، بالاضافة الى أنه يرعى حق الذين يحترفون بها لتكون نورا في قلب ، أو ثورة في نفس ، أو اقتحاما في معركة !

بل ان الجميع يدركون أن الكلمة من قبله كانت رخوة وهشة وضائعة وبائسة وزهرة جافة ، ولكن انتصاراته ، واقتحاماته ، جعلت الكلمة لا تترنح كالسكارى ، أو تتمايل كالبائسين .. فهي اليوم تتربص ، وتقاتل ، وتنسف ، وتفيء في أكثر الميادين !

فالذي لا شك فيه أنه دخل بالكلمة عصر انتصار الانسان ، وأعطى حيوية للشخصية داخل الحدث ، وما أكثر النماذج التي تمت اليه بصلة في الفضائل الأدبية ، ولعل أعمق دراسة توجه في الأدب المعاصر اليوم هي دراسة « البطل » في الأعماق الأدبية ، أما أنا فقد ركزت عيني من فترة على الشعر فاذا بي ألمح داخله صورة «الفارس الأسمر» الذي يحقق الأمل للانسان بصورة لم تحدث من قبل ، ومهما يكن من شيء فالذي يقرب عينيه وقلبه من هذا « الفارس الاسمر » يجد شيئا من ملامح هذا البطل الاسمر ومن شخصيته التي تتمثل فيها تماما شخصية المنطقة العربية .

وحين تذكر « الكلمة » في الأمة العربية لابد أن تذكر « مجلة الرسالة » في حياة الأمة العربية ، فقد عاشت أبدا شعلة فكر ، وثورة ضمير ، وغناء واعيا للأمة العربية ، وهي اليوم « باستاذيتها » تعتبر من اخلص « السفارات » لك على الجبهة العربية والاسلامية ، فهي الصوت « الرائق » للوجود العربي ، وهي الشعاع النقي الذي عاش وسيعيش من أجل الأمة العربية ..

وهي بعد ذلك

وهي قبل ذلك

تشد على يد الفارس

وتحرس رسالته في المنطقة

« عبده بدوي »

وأقول.. نعم!

بقلم: محمود محمد شاكر

لعل القارىء كان يتوقع أن يرى عنوان هذه الكلمة كما قرأه في العدد السالف من الرسالة : « **اباطيل وأسمار** » . ولكن المرء لايستطيع أن يخرج من وعكة الحمى بارادته ، كما لايستطيع الناس في بلاد العرب والمسلمين أن يخرجوا بإرادتهم من هبوة الوباء المنتشر في صحيفة الأهرام . وقد وعدت الرسالة قراءها في الأسبوع الماضي اني سوف أتابع سلسلة مقالاتي بها ابتداء من هذا العدد ، فاحببت أن أصدق بعض كلماتها بالكتابة في حاشية من حواشي السلسلة ما دمت غير قادر على أن أصدق كلمتها كلها في هذا الأسبوع ، شاكرا لها ولقرائها ما لقيت من مشاركة ومواساة .

يقول أحمد عرابي في حديثه عما لقي في سجنه بعد هزيمته : « **وبعد ساعة جاء ليزورني بشارة تقلا ، محرر جريدة الأهرام ، وظننت أنه قدم ليعزيني ، ويبدي عواطفه نحوي ، وقد كان ممن يدينون بمبدئنا قبل الحرب ، وقد اقسم بدينه وشرفه أنه واحد منا ، وانه يعمل لحرية وطننا ، وقد عددناه في الحق من الوطنيين ، ولكنه لما دخل علي توقع اشد التوقع ، ثم قال : اي عرابي ، ماذا صنعت ؟ وماذا حل بك ؟ ورايت ان الرجل خائن ولا شرف له** » . هكذا روى عرابي بأدبه الجم ، ولكن يقول بعض الناس ان بشارة تقلا **بصق في وجهه** ، شامتا ، وطالبا لشفاء ما في صدره !

والظاهر أن بشارة تقلا هذا قد عاد حيا مرة أخرى ، واستوى في صحيفة الاهرام يحررها ويديرها بمكره وكيده وغشه ، كما كان يفعل في زمن عرابي وبعد زمن عرابي . فالا يكن قد عاد ، فقد قام مقامه المستشار الثقافي لصحيفة الأهرام ، حيث عاد بعد غيبة وقامت قيامته ! عاد المستشار في يوم الجمعة ، حاملا معه الساعة المشهورة عند العامة ، وناعيا جرائيمه المعهودة . واذا كان الشاعر « **بدر شاكر السياب** » الذي بدأ بالكتابة عنه ، قد ابتلي ، كما يقول : « دون أكثر الشعراء بداءين عجيبين غامضين وبيلين مبرحين في وقت واحد ، هما داء العظام الذي رمي به في جسده ، وداء الشعر الذي يرمى به أرواح عامة الشعراء » !! (وهذا شيء مكتوب بفن !) — فقد ابتلى المستشار الثقافي بداءين أخبث من هذين الداءين في وقت واحد ، وهما الحقد الدفين الذي لا تهدأ مدته ، والمكر السوقي المبتذل الذي يجلب الغثيان . واذا كان بشارة تقلا كان يتظاهر بأنه يعمل لحرية وطننا ، ويقسم على ذلك بدينه وشرفه ، فالمستشار الثقافي أيضا يتظاهر بتمام الحب للأدب والوطن ، وبالحرص على رفعتهما ، ولكنه في الحقيقة ، لا يفعل الا ما فعل بشارة تقلا ، بعد قسمه بدينه وشرفه ، من التوقح على مجاهد عربي صادق ، باللفظ القبيح والفعل المستشنع .

ونحن لا نسأل صحيفة الأهرام لم عاد ؟ لأنا نعلم أنه لم يغب عن العمل ، فان آثاره ظلت باقية طول هذه المدة ، فلا تكاد الصحيفة تخلو من دلالة على وجوده ، وعلى رقابته التامة على المادة الثقافية التي ترفع قدر صحيفة الأهرام بما تتضمن من العلم والدقة والأمانة ! واذا كان هذا المستشار قد غاب ، فكيف يمكن أن تنشر صحيفة الأهرام خمسة أعمدة في الثناء على كتاب عظيم القدر جدا ، يعد فتحا من الفتوح ، وان كانت صفحاته لا تزيد على الستين ، ومحصل ما كتبه كاتبه من انشائه في هذا الكتاب ، لا يزيد على عمود أو عمودين في الأهرام !! كيف يتم هذا ، الا اذا كان هذا المستشار حاضرا بمستشاريته ؟ ثم تسأل بعد ذلك ، لم هذا ؟ ومن الذي كتب هذا ؟ ومن الذي أبت عليه أمانته أن يضيع على صحيفة

الأهرام السبق الى التنويه بهذا الكتاب الخالد فيقال لك : انه المستشار وأعوانه بلا ريب ·

واذا كان المستشار قد غاب ، فكيف كان يمكن مثلا أن ينشر تحقيق صحفي يملأ صحيفة ، وفيه من المعلومات الوثيقة عن المخطوطات العربية (الانجليزية أو البيزنطية) ، هذا القدر الهائل من التحقيق عن الكتب واسمائها وأسماء مؤلفيها ؟ وحسبك من التحقيق مثلا أن صحيفة الأهرام الخاضعة للمستشار الثقافي الجليل القدر، قد عرفتنا أنه كان يوجد رجل عربي يقال له « **ابن السكيت** » ألف كتابا مهما في علم « المنطق » ؟ واذا غاب المستشار الثقافي ، فليت شعري من كان يستطيع أن يمدنا بمثل هذه المادة من المعارف ، وأن يرفع قدر صحيفة الأهرام ، بهذه الفرائد البهية (!!) التي تحسدها على مثلها سائر الصحف ! ولكن ما لنا ولهذا ، فان الله الذي أنبت في الأرض العشب ، خلق له من خلقه ما شاء !

ونعود الى المستشار الذي بدأ مقالاته عن « **بدر شاكر السياب** » منتفخا كعادته، ثم موزعا الصدقات على فقراء أهل العلم الواقفين ببابه ، كما يتوهم هو بالطبع ، فيكرم رجاء النقاش ، واحمد عبد المعطى حجازى بذكرهما في صدر مقالته ، ليصف الأول بأنه « الناقد الشاب » ، وليقف من الثاني موقف المعلم العظيم الذي يكفكف من غلوائه وينهاه عن الاسراف · ولا يفعل كل ذلك الا بأنه يعد نفسه مرجعا يصار اليه، ومجربا عظيما قد صار الى ماقال الفرزدق : « أحلامنا تزن الجبال رزانة » !! ثم يبدأ هذا المسكين المستشار في بث أحقاده التي استودعها «بلوتولند» ، ولكن يتعالى ويتشامخ ، ويضرب بهامته رأس جبل الأولمب ، ويسخر من شعر بدر شاكر السياب الذي التزم فيه نهج الشعر المألوف قبل أن يبدأ في التحول ، ويأخذ يملأ فمه بالقدماء ، (مقلدا الدكتور طه بطبيعة الحال ! لأنه انسان لا أصالة فيه اطلاقا) · فيقول « بلاغة القدماء » ، « موسيقى القدماء » ، وتدور حلقة الذكر ، من اول المقال الى آخره على النفث المتواصل في تحقير لغة العرب ، وشعر كل شاعر التزم بعض الالتزام بالعبارة الصحيحة الخالية من ركاكة بعض الكتب المشهورة ، ولكنه لا يفصح عن نفسه كل الافصاح ، ولا ينفس عنها كل التنفيس الا في أول المقالة الثانية ، حيث يبدأ في استعمال الألفاظ التي لا تنبع الا من عند مثله ، كقوله : « بعد عشرين عاما قضتها مدرسة المهجر ، ومدرسة أبولو ، في مكافحة شوقي وحافظ والكلاسيكية العربية » ، وبالطبع هذا غث، ولايعني بالكلاسيكية العربية ، سوى الآثار الخالدة على وجه الدهر برغم أنفه وأنف العالم المسيحي الأوربي كله، وأولها كتاب الله الذي أنزله الله اعجازا للجن والانس جميعا ·

ولا يكاد يمضي قليلا حتى يكشف عن دفين حقده الذي كان قد استودعه « بلوتولند » ، فيذكر الفترة التي عاش فيها جيل السياب في صدر شبابهم ، فيقول : « فلم يكن بد من أن يتأثر تكوينهم الفني بهذا القلق الاعظم، فتمردوا على الفن الموروث صورة ومادة . ولم يكن أمامهم الامعمار شوقي والكلاسيكيين من ناحية ، وأحلام علي محمود طه والرومانسيين من ناحية أخرى · ثم يكن أمامهم الا : « رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا » ـ ثم يقول أيضا : « فاذا ما التفتوا الى الكلاسيكية العربية الأصيلة ، وجدوا من يقول لهم : « السيف أصدق أنباء من الكتب » ، دون أن يقول لهم كيف ؟ ولماذا ؟ وعلى هذا حق في شريعة الأخلاق ، أم هو قدر أسيف كتب على بني الانسان منذ عهد قابيل ؟ وما الرأى في كل هذا البارود الذي لطخ وجه الأرض بين ١٩٣٩و١٩٤٥ · فاذا ما التفتوا الى الرومانسية العربية الأصيلة ، وجدوا من يقول لهم : « لم يكن وصلك الا حلما في الكرى أو خلسة المختلس » ، وهو شيء لا يقرأون له نظيرا في البلاغات الحربية التي كانوا يطالعونها كل يوم (!!) ولا ··· » ويعطف على ذلك هلوسات كثيرة ·

وفي هذا الذي نقلت كفاية وفوق الكفاية ، لمن يعرف كيف يميز طبائع الكتاب ، ولكن المهم أن «**رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا**» ، الذي ذكره هنا، وذكره في بلوتولند أيضا في التجربة السادسة ، وهي تجربة «كسر رقبة البلاغة» والتي اعترف فيها بأنه بقي ما بين العشرين الى الثلاثين لم يقرأ حرفا بالعربية !! وبأنه ضعيف فيها بالفطرة ، وأن احساسه باللغة العربية أجنبي جدا على كل حال ـ هذا الشطر من شعر شوقي ، وهو من قصيدة التزم فيها ما لم يلتزمه في غيرها من شعره ، لغرض واحد ، هو « المعارضة » ، لأنه من قصيدته المعروفة « نهج البردة » التي عارض بها القصيدة الرائعة

« البردة » ، للبوصيري • وهذا شيء لا يغيب شوقي أن يفعله ، ولكن هذا المسكين ، لم يجد عند شوقي ما يستنكر سوى هذا البيت ، وكأنه هو عمود شعر شوقي وأجوده وأتقنه وأدله على أسلوبه ونهجه • وهذا باطل بالطبع . فاهتمامه بذكر هذا الشطر ـجعله دلالة على شعر شوقي كله ، ضرب من السخف والجهل والمغالطة ، **ولكن الدافع اليه هو أن « نهج البردة » ، هو في مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم،** فأراد هذا المأفون، بمافى قلبه منالعداوة والبغضاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، أن يجعل هذا الشطر وحده ، هو المتضمن لمذهب شوقي فى شعره، وهذا عبث ، وهى طريقة فى التعريض بما تكنه النفوس، فاشية عند المستشرقين والمبشرين، وفاشية عند المستشار الثقافى ، وعند ساحبه من عنقه سلامه موسى ، وعند ذيله وحامل حقيبته غالى شكرى •

واما شطر « **السيف أصدق أنباء من الكتب** » ، فهو ايضا مطروح على لسانه وعلى لسان قائده من عنقه سلامة موسى ، كلاهما ذكره ، وكلاهما شرح معناه هذا الشرح المدهش ، لأنهما لم يفهما شيئا ، ولا قرءا شيئا ، ولا أظن أحدهما كان قادرا على أن يفهم الا بمفهم ، ولا أن يقرأ الا بمقرىء ، لأنهما جميعا من معدن واحد ، لا علاقة له ، بالأدب والفن، لا فى العربية ولا فى غير العربية • وقصة البيت ، أو قصة القصيدة كلها ، مشهورة ، فاذا جهلها هذان الخلقان ، فانما جهلاها بطبيعة النفور من العرب ، والبغضاء لهم ، لأنهما يعلمان أن هذه القصيدة احدى روائع الشعر العربى ، صور فيها أبو تمام ملحمة من ملاحم الثغور العظمى ، فى فتح عمورية ، ووطء المعتصم جباه البطارقة وجيوشهم من الروم وطأة المتثاقل ، فمن أجل هذا زال عقل سلامة موسى ، وهاجت سمادير لويس عوض ، على هذا البيت ، فظنا أن أبا تمام أراد تفضيل السيف على الكتاب ، « دون أن يقول لماذا ؟ وهل هذا حق فى شريعة الأخلاق » ؟ أو كما قال المسكين ، وأى أخلاق يعرفها ، حتى يهدى الناس اليها ؟ ولكن لما كانت القصة تزرى بالروم والبيزنطيين ، فانهما هاجا ودمدما • وأصل القصة أن المعتصم الخليفة ، كان فى مجلسه ، وفى يده قدح يهم أن يشرب ما فيه ، فجاءه رسول يبلغه أن الروم فتحت « زبطرة » ، وأخذوا النساء سبايا ، وأن امرأة منهم صرخت : « وامعتصماه ! » ، فوضع المعتصم القدح من يده ، وأمر بأن يحفظ حتى يؤوب من فتح « عموريه » ، وخرج بجيشه من فوره يقصدهما ، فراسلته الروم بأنهم يجدون فى كتب رهبانهم ومنجميهم : « أن لاتفتح مدينة عمورية الا فى وقت ادراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقت شهور ، يمنعك من المقام بها البرد والثلج » ، فهزىء المعتصم بجهل الروم ، وأوقد عليهم نار الحرب ، فأكلت من صناديدهم تسعين الفا ، ذكرهم أبو تمام فى رائعته فقال :

تسعون الفا كآساد الشرى نضجت
جلودهم ، قبل نضج التين والعنب

وأكب المعتصم على عمورية حتى فتحها ، فابطل بنصر الله اياه ما قالت كتب البطارقة والمنجمين • فهذا كما ترى ، فأين منه سخف ما قاله المستشار ، وساحبه من قبله سلامه موسى ، ولكنه الحقد يعمى ويصم •

وليت الأمر يقتصر فى جهل هذا المسكين بالشعر القديم وحده ، بل هو أجهل شيء فى فهم الشعر الحديث الذى يكتب عنه ، فبدر شاكر السياب ، يقول فى قصيدة له سماها « المبغى » ، يقول فيها : بغداد ؟ مبغى كبير (لواحظ المغنية كساعة تتك فى الجدار ، فى غرفة الجلوس فى محطة القطار) ، ياجثة على الثرى مستلقية ، الدود فيها موجة من اللهيب والحرير • بغداد كابوس : (ردىء فاسد ، يجرعه الراقد ، ساعاته الأيام ، أيامه الأعوام ، والعام نير ! العام جرح ناغر فى الضمير) » •

فجاء هذا المسكين ليفسر طريقة « الأسموز » !! (ياللشرلتة الظاهرة ! مصدر « شرلتان ») ، أى الانتشار الغشائى (كما قال هو) ، فقال : « فهذه المغنية أو القينة المستلقية فى المبغى ، ليست جثة هامدة ، أو جثة عفنة ، ولكن **لواحظها** تتك كساعة الحائط ، تحصى الثوانى والدقائق فى انتظار شيء رهيب يوشك أن يقع ، يسميه السياب : وصول القطار ، أو انطلاقه ، ولكن الصورة التى رسمها حقا ، هى صورة قنبلة زمنية هائلة راقدة تتك فى الصمت الرهيب ، تحت هذا المبغى الكبير ، وتوشك أن تنفجر وتنسف كل شيء » الى آخر هذه الفكاهات!

و « **لواحظ** » المذكورة فى شعر السياب ، اسم مغنية بغدادية ولاشك ، أما « اللواحظ » بمعنى « الألحاظ » فاظن السياب كان يشم من العربية قدرا ، لا يملك منه لويس عوض شيئا بالطبع ، يمنعه أن يعنى باللواحظ ، الألحاظ •

ولا أظن السياب أيضا تبلغ به ملكة الانحدار

الى أسفل ، أن يجعل العيون « تتك كساعة فى الجدار » ، ولا يملك هذه القدرة الا هذا المسكين المعذب بوساوسه ، فهو جعل « لواحظ المغنية » ، بمعنى عيون المغنية، ليستقيم له التشبيه، بالقنبلة الزمنية ، ولينسف بغداد ، ثم تتولى صحيفة الاهرام بعد ذلك نسف نفوس الناس وعقولهم بخواطر السوء وسمادير المخمورين ، بعد أن تنهار الحواجز التى كانت تحجز هذا الوباء وتمنعه أن ينتشر . والعقل الذى أخرج هذا ، هو العقل الذى تصور ان « **وردة كالدهان** » هى « روزا مسكيتا »، وانها وردت فى القرآن بهذا المعنى ، وكذلك فى شعر أبى العلاء ، وأنها بمعنى « الوردة » ، الزهرة المعروفة ! وهو نفس العقل الذى يجعل النبت المسمى « بالصليان » « صلبانا » تغص بها حلب !! عقل أديب مثقف كبير جدا ، ينشر له فى كل شهر شىء يؤجر عليه فى صورة مقالات ، ويأكل ثمنه مجموعا فى كتاب ، وتتولى اطعامه فى الحالين مؤسسات الاتحاد الاشتراكى ، كصحيفة الاهرام ، ومطبعة دار المعارف (وهما مما يدخل فى نطاق مستشاريته !) ودار الهلال ، بحكم « التعصب » الذى شرحته فيما سلف من مقالاتى .

انى لم أكتب هذا لأنقد هذا الغر ، بل لأنبه الى هذه الآفة التى أخذت تستشرى استشراء دودة القطن ، لتهلك تراثا ماضيا ، وتعبث بعقول جيل آت . واذا كان من يتولى هذه المؤسسات يظن أنه يدفع الأموال من جيبه لمثل هذه الأوبئة المهلكة ، فليعلم أنه يظن خطأ ، لأن هذه المؤسسات يملكها الاتحاد الاشتراكى نيابة عن الأمة ، وهذه الأمة لا ترضى أن تلعب بأموالها عصابة من الناس ، بلا رعاية لحرمة ، ولا ادراك لتبعة ، ولا حياطة لثقافة، ولا حمل لأمانة الدفاع عن كيان العقل ، أن تنخر فيه جراثيم الفتك المسلطة على عقول الناشئة . ان الأمة لم تملك الاتحاد الاشتراكى هذه المؤسسات، لتكون ألعوبة فى يد المستشار الثقافى وذيوله ، باسم « الثقافة » ، والتى هى فى حقيقتها ضروب من مخاريق الشرلتانات التى شرحت أمرها فيما سلف .

ومقالات هذا المسكين عن بدر شاكر السياب ، فيها هراء فظيع رهيب (وهى اللفظة التى كررها فى احدى مقالتيه أكثر من عشر مرات) ، وفيها من المغالطات والأكاذيب والأباطيل والعبث ، ومحاولة اقناع الناشئة بأنهم ليسوا شيئا اذا لم يعيشوا بقلوبهم ونفوسهم وأهوائهم وعواطفهم ، مع العالم الأوربى المسيحى ، ثم لايجدون فى بلادهم شيئا يحركهم ، لا عروبة بلادهم ، ولا وحدتها ، ولا فلسطينها ، ولا لغتها ، ولا دينها ، الا هذا الذى يحرك ، من صراع العالم المسيحى وصراع أممه . وأما الماضى ، فهو أيضا ينبغى أن يمحق ، واذا أرادوا لأنفسهم ماضيا ، فانما هو الماضى المنحدر من وثنية اليونان الى صليبية القرون الوسطى ، الى « اليوتية » العصر الحديث ، التى تعد الثقافة ، هى الدين ، أى الدين المسيحى الكاثوليكى !! كما يريد أن يفهم ذلك لويس عوض وشيعته ، لا كما أراده صاحبه اليوت ، وهم أجهل الناس بحقيقة رأيه . ولا أدرى بعد ذلك ما الذى تريده مؤسسة الاهرام ، من نشر هذه البلايا على الناس ، بلا توقف ، وبلا مراجعة . ومع ذلك ، فان كل هذا شىء معاد مكرر ، منذ سلامة موسى ، الى لويس عوض ، الى غالى شكرى ، الى سائر التوابع . وربما كان من الخير ، أن تنفى الاهرام عنا هذا التكرار الممل ، بأن تأخذ مستشارها هذا وتوابعه ، وترسلهم فى بعثة الى كمبردج ، حيث الخلوات المشهورة تحت أشجار الدردار ، أو الى برنستون، (وما أدراك مابرنستون) ، فعسى أن يعاد تدريبهم فيأتى وقت نقرأ لهم فيه شيئا جديدا على الأقل ، مكان هذا المكرر المملول .

ان الحياة لاتحتمل هذا الهراء كله ، ولكن من لمؤسسة الاهرام ولتوابعها وللسالكين على دربها ، أن يعرفوا أن الامر ليس لهوا ، بل جدا ، وأن عاقبة العبث بثقافة أمة وبعقولها ، وبنفوسها ، وبتاريخها ، وبماضيها ، وبحاضرها ، عاقبة مخوفة، وقد خلت من قبلهم المثلات ! واذا كانت هذه المؤسسات قد خلت من القدرة على فهم هذه البسائط ، فليت شعرى ماذا بقى لها مما يوجب لها البقاء والاستمرار . لا تقل : **أكل هذا من أجل هذا المستشار الثقافى ؟** وأقول : نعم ، لا لأنه هو فى ذاته شىء ، بل لأن السلطان الذى يملكه هو الشىء الذى ينبغى علينا أن نحوطه بالرعاية ، وأن نطلب له البراءة من الآفات ، ونلتمس له تمام الصحة والعافية ، ومن جهل خطر هذا السلطان فى الصحافة ، فقد جهل شيئا كثيرا ، بل لقد جهل كل شىء .

« **محمود محمد شاكر** »

اللغة .. الفصعمية

للدكتور : على عبد الواحد وافى

بالتأمل فيما يكتبه انصار العامية مما يزعمون انه شعر او نثر فنى او قصص او رسائل ، وفيما يلقونه من خطب عامة ومحاضرات ودروس فى الجامعات والمعاهد والمدارس ، يتبين لنا مايلى :

١ — انهم لايجدون في المفردات العامية المتداولة مايكفى للتعبير عما يريدون التعبير عنه . فالعامية فقيرة كل الفقر في مفرداتها ، لايشتمل متنها على اكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادى ، وتكاد تكون مجردة من المترادفات . ولذلك يلجئون الى العربية الفصحى يقتبسون منها فيما يكتبون ومايقولون مفردات كثيرة لاتستخدمها لهجات المحادثة .

٢ — انهم لايجدون في طرائق التعبير فى العامية مايضفى على كتاباتهم واقوالهم اية مسحة من صفات الانتاج الادبى . ولذلك يلجئون الى العربية الفصحى يقتبسون منها طرائق تعبيرها في الاستعارة والمجاز والكناية والتمثيل وتحويل الجمل عن أبوابها .... وما الى ذلك من فنون البيان التى لاوجود لكثير منها فى لهجات المحادثة ، ومايوجد منها في هذه اللهجات يتمثل فى صور بدائية ساذجة لاتكسب القول روعة ، ولاتكاد تترك اثرا في النفوس .

٣ — تكاد تعرو كتاباتهم واقوالهم من قواعد المطابقة لمقتضى الحال ، كالقواعد الخاصة بتوكيد الكلام واطلاقه ، وفصل الجمل بعضها عن بعض ، أو وصلها وذكر جميع عناصر العبارة وحذف بعضها وتقديم بعض هذه العناصر على بعض ، وتعريفها وتنكيرها ، وقصر الحكم وتخصيصه ، والاطناب فى القول والايجاز فيه ومساواته لما يراد التعبير عنه .. وما الى ذلك من القواعد الدقيقة التى تسير عليها العربية الفصحى لتحقيق بلاغة القول ومطابقته لمقتضيات الاحوال . وهم فى ذلك يحافظون على أوضاع اللهجة العامية . فليس فى العامية قواعد مطردة مضبوطة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وليس فيها أدوات دقيقة للابانة عن المقاصد البلاغية التى تتوخاها هذه القواعد ، واذا أرادت العامية الابانة عن مقصد من هذه المقاصد فانها تلجأ فى الغالب الى حشو من الالفاظ والجمل ، ولا تكاد مع ذلك تحسن الابانة عنه . فليس فى العامية مثلا أدوات دقيقة لتوكيد الكلام كحروف ان واللام ونون التوكيد الثقيلة والخفيفة .. وما الى ذلك من الادوات التى تستخدم لهذا الغرض فى العربية الفصحى ، واذا أرادت العامية التوكيد أو اقناع المخاطب فانها تلجأ الى جملة طويلة من جمل القسم بالله أو بمن له مكانة عند المتكلم أو المخاطب أو كليهما . وانصار العامية يترسمونها ، حذوك النعل بالنعل ، فى قصورها هذا فيما يكتبون ومايقولون .

٤ — انهم يسيرون كذلك على طرائق العامية في الاعراب ، فيلتزمون تسكين أواخر الكلمات المعربة بالحركات ، ويستخدمون الكلمات المعربة بالحروف في صورة واحدة لاتتغير (اخوك راجل طيب ، شفت أخوك امبارح ، جانى جواب من اخوك) . ويستدل فى كتاباتهم واقوالهم على وظيفة الكلمة فى الجملة من السياق أو من ترتيب وضعها فى العبارة .

٥ — انهم يقتبسون جميع مايستخدمونه من مفردات عامية من الكلمات المستعملة في لهجة معينة من لهجات المحادثة ، فالمصريون منهم مثلا يقتبسون هذه المفردات من لهجة القاهرة وضواحيها ، واللبنانيون من لهجة بيروت ، والعراقيون من لهجة بغداد .. وهكذا .

٦ — انهم يسيرون على طرائق لهجة معينة من لهجات المحادثة فى الأصوات وأوزان الكلمات وقواعد التركيب . فالمصريون منهم مثلا يتبعون في ذلك طرائق لهجة المحادثة فى منطقة القاهرة وضواحيها . فمن ذلك انهم يسيرون على غرارها

في قلب صوت القاف الى همزة والثاء الى تاء والجيم المعطشة الى جاف والذال الى دال والظاء الى ضاد (الت ، تعبان ، ديب ، ضهر — بدلا من : قلت ، ثعبان ، ذئب ، ظهر) . وقد يخرجون احيانا على طرائق العامية في ذلك فيستخدمون اصواتا لاوجود لها في العامية وخاصة صوت القاف . ومن ذلك انهم ينطقون ويكتبون الحروف والافعال والاسماء الجامدة والمشتقة وفق أوزانها في لهجة اهل هذه المنطقة . ومن ذلك انهم يحاكونهم في طرائق التركيب التي يتبعونها في النفي والاشارة والتسويف والتصغير والتثنيه والتأنيث واستخدام الجمل الاسمية وما الى ذلك ، فيحصرون مثلا الاسم والضمير والفعل في حالة النفي بين علامتي نفي وهما ما والشين (ماحدش أحسن من حد ، منش رايح ، ماجتش امبارح ليه ؟) وينفون الصفة بوضع العلامتين قبلها (مش كويس كده) ، ويضعون اسم الاشارة بعد المشار اليه (الراجل ده ، الست دى) ، ويستخدمون للتسويف كلمة : ها ، أو راح ، (هاييجى ، أو راح ييجى بكرة) ، ويصغرون الاسم الذى يدل بطبعه على التصغير أو القلة او القرب (طفل صغير ، شيء اليل ، مكان أريب = طفل صغير ، شيء قليل ، مكان قريب) ، ويعاملون المثنى معاملة الجمع ، وجمع المؤنث معاملة جمع المذكر فى وصفهما والاشارة اليهما ووجوع الضمائر عليهما (دول ولدين كويسين ، الولدين راحو فين ، الستات دول طيبين ، الستات جم) ، ويكادون يلتزمون استخدام الجمل الاسمية حتى فى المواطن التى تقتضى استخدام الجمل الفعلية (الراجل جه ، محمد بيزاكر = جاء الرجل ، يذاكر محمد) . وهذه كلها طرائق مقصورة على عامية القاهرة وضواحيها ، وتختلف اختلافا غير يسير عن الطرائق المستخدمة فيما عدا هذه المنطقة من بلاد الصعيد والوجه البحرى، وتختلف كل الاختلاف عن الطرائق المستخدمة فى البلاد الاخرى .

* * *

ومن هذا يتبين أن اللغة التى يستخدمها انصار العامية فيها نصيب من الفصحى ونصيب من العامية . ولذلك سميناها اللغة «الفصعمية» بنحت هذه الكلمة من كلمتى (الفصحى) و (العامية) .

* * *

وغنى عن البيان ان لغة هذا شأنها ، حتى مع تحككها بالعربية الفصحى ومع مااقتبسته منها من مفردات وطرائق تعبير ، لاتصلح أن تكون لغة كتابة ولا تصلح لأى فرع من فروع الآداب ولا العلوم . ويرجع عدم صلاحيتها لذلك الى اعتبارات كثيرة من اهمها مايلى :

١ — انها تسير على غرار لهجة معينة من لهجات المحادثة فى المفردات والاصوات واوزان الكلمات وقواعد التركيب . وهى بذلك لاتكون مفهومة حق الفهم الا لأهل المنطقة التى تسير على غرار لهجتها ، بينما تكون غريبة بعض الغرابة على غير اهل هذه المنطقة من الدولة نفسها ، وغريبة كل الغرابة على اهل البلاد العربية الاخرى . فاللهجة التى يستخدمها المتعصبون للعامية من المصريين مثلا فيما يكتبون ومايقولون ، وهى لهجة القاهرة وضواحيها ، لاتفهم حق الفهم الا لأهل هذه المنطقة بينما تبدو غريبة في كثير من الأمور امام عدد كبير من اهل الصعيد والوجه البحرى ، وتبدو غريبة كل الغرابة على غير المصريين من العرب ، وخاصة اهل البلاد الذين تبعد عاميتهم عن عامية اهل القاهرة كالمغرب والعراق . — وقد كتب احد المتعصبين للعامية من رجال الصحافة المصريين رسائل بعث بها من امريكا الى صديقه «درش» يصف فيها الولايات المتحدة : بلادها ومظاهرها المادية واهلها واخلاقها ونظمها ، وحررها باللهجة العامية المستخدمة فى القاهرة وضواحيها ، ونشرها في اوسع صحفنا انتشارا — ومااوسع الحرية المعطاة اليوم لهؤلاء !! — فجاءت رسائله ، فوق ركاكتها وتفككها وثقلها وخلوها من صفات البلاغة وصعوبة قراءتها ، غير مفهومة لأهل أى بلد عربى آخر ، بل غير مفهومة لكثير من سكان الجمهورية العربية نفسها . فاستبدال العامية بالفصحى في الكتابة والآداب والعلوم يقتضينا اذن ، حتى يكون مانكتبه وما نقوله مفهوما لمن نكتب لهم ومن نتحدث معهم ، ان نصطنع لكل منطقة ، بل لكل مدينة بل لكل قرية ، لغة كتابة وآداب وعلوم تتفق مع لهجة حديثها ، وبذلك يصبح فى البلاد العربية آلاف من لغات الكتابة والآداب والعلوم بمقدار ما فيها من مناطق ومدن وقرى . وتصبح اللغة المستخدمة فى الكتابة والآداب والعلوم فى بلد ما غير مفهومة الا لأهل هذه البلد . ولعل هذه الفوضى هى التى يريد خصوم العرب من الشعوبيين والمستعمرين وعملائهم أن تتحقق فى البلاد العربية

بما يدعون اليه من احلال العامية محل العربية الفصحى .

٢ ـ أن اللهجة العامية المستخدمة في بلد ما غير ثابتة على حال واحدة ، بل هي عرضة للتطور في أصواتها ودلالاتها ومفرداتها وقواعدها . وتطورها هذا سريع جدا ، حتى اننا لنجد في العصر الواحد فروقا غير يسيرة بين عامية الشبان وعامية الشيوخ. وتتسع هذه الفروق كلما تقادم العهد ، فكثير من الكلمات والعبارات العامية التي استخدمها الجبرتي مثلا في تاريخه والتي كانت متفقة مع لهجة القاهرة في عهده قد أصبحت غريبة علينا في العصر الحاضر، مع أنه لا يفصلنا عن عصره الا زهاء قرن واحد . فاذا فرضنا أننا اصطنعنا في الكتابة والآداب والعلوم اللهجة العامية التي نستخدمها الآن فاننا لانلبث ، بعد وقت غير طويل ، أن نرى لغة الكتابة غريبة علينا ، وذلك أن لغة الحديث سوف تتطور وسوف ينالها كثير من التغير في أصواتها ودلالاتها وقواعدها واساليبها ، ولن تزال كذلك حتى تبعد بعدا كبيرا عن لغة الكتابة ، فنصبح واذا بنا نكتب بلغة ونتخاطب بلغة أخرى ، فنضطر حينئذ ، وفقا لمنطق المتعصبين للعامية وهو تحقيق الوحدة بين لغة الحديث ولغة الكتابة ، أن نصطنع لغة كتابة تتفق مع آخر وضع للهجة حديثنا ، وهكذا دواليك نضطر على رأس كل خمسين سنة أو كل قرن ـ على أبعد تقدير ـ الى تغيير لغة الكتابة والآداب والعلوم بلغة أخرى في كل منطقة من مناطق الوطن العربي ـ ولعل هذه الفوضى هي التي يريد خصوم العرب من الشعوبيين والمستعمرين وعملائهم أن تتحقق في البلاد العربية بما يدعون اليه من احلال العامية محل الفصحى .

٢ ـ أن تجرد اللغة « **الفصعمية** » من علامات الاعراب يجعلها قاصرة كل القصور عن الابانة عن وظيفة الكلمة في الجملة . وذلك أن وظيفة الكلمة في الجملة ـ أي كون مدلولها فاعلا أو مفعولا أو حالا أو تمييزا أو مضافا اليه أو خبرا أو شرطا أو جوابا .. الخ ..

كل ذلك يستبين في العربية الفصحى بعلامات تلحق الكلمة نفسها وتكون جزءا منها . وهي علامات الاعراب ، وبذلك تظهر في صورة واضحة دقيقة وظائف الكلمات وعلاقاتها بعضها ببعض ومدلول العبارة في جملتها ، ويظهر هذا كله بدون حشو ولا اقحام كلمات ولا اعتماد على ايحاء السياق أو على قرائن خارجة أو على الحدس والتخمين . وهذه سمة من أبرز السمات التي تمتاز بها اللغات الراقية . على حين أن « الفصعمية » ، لتجردها من علامات الاعراب لاتفهم من عباراتها هذه الامور الا عن طريق ترتيب الكلمات في الجمل ، وتطويل الجملة باقحام كلمات منها ، والاعتماد على ما يوحى به السياق ، وتهدى اليه القرائن الخارجة ، ويرشد اليه الظن والاجتهاد . وأداة هذا شأنها لاتقوى مطلقا على التعبير عن المعاني الدقيقة ولا عن حقائق الآداب والعلوم والانتاج الفكري المنظم ، ولا تستطيع سبيلا الى ايصال الحقائق الى الاذهان في وضع واضح مبين .

٤ ـ أن تجرد اللغة «**الفصعمية**» من قواعد البلاغة الخاصة بمطابقة الكلام لمقتضى الحال ومن أدوات تحقيق هذه المطابقة يجعلها غير صالحة لان تكون أداة لشعر ولا نثر فني ولا خطابة ولا رواية ولا أي فرع من فروع الآداب ، فان قوام هذه الفروع كلها يتمثل في بلاغة القول ، وروعة التعبير ، وقوة التأثير في النفوس ، وحسن الابانة عن المقاصد . ولا يتحقق شيء من هذا كله الا بوجود قواعد تكفل مطابقة الكلام لما تقتضيه أحوال التعبير ووجود أدوات تستخدم لتحقيق هذه المطابقة .

٥ ـ أن «**الفصعميين**» يقيمون ، هم انفسهم ، فيما يكتبون ، وما يقولون بهذه اللغة أقطع دليل على قصور العامية ، وفقرها المدقع ، وعجزها عن أن تكون أداة صالحة حتى لأحط مستوى في التعبير الادبي ، كالمستوى الذي يهبطون اليه في كتاباتهم . وذلك أنهم لا يجدون في المفردات العامية المتداولة ما يكفي للتعبير عما يريدون التعبير عنه ، فيلجئون الى العربية الفصحى يقتبسون منها مفردات كثيرة لاتستخدمها لهجات المحادثة ، ولا يجدون في طرائق التعبير العامية ما يضفي على كتاباتهم واقوالهم اية مسحة من صفات الانتاج الادبي ، فيلجئون كذلك الى العربية الفصحى يقتبسون منها طرائق تعبيرها في الاستعارة والمجاز والكناية والتمثيل وما الى ذلك فمع عداوتهم للعربية الفصحى لايجدون مناصا من مد أيديهم اليها واستدرار احسانها . ولولا ماتجود عليهم به من فتات موائدها لتقطعت بهم الاسباب وضاقت عليهم سبل التعبير .

« **د . على عبد الواحد وافي** »

الاسلام وتطوير المجتمع

للدكتور: أحمد كمال ابو المجد

-٢-

ذكرنا في مقالنا السابق ان حظنا من معالجة موضوع الاسلام وتطوير المجتمع - يقتصر على الوقوف بالقارىء وقفات هادئة عند بعض القضايا التى تتصل بالاسلام وبطبيعته وتصوره الشامل للحياة .. ومع بعض القضايا الأخرى التى تتصل بالمجتمع وما يحكم علاقات الناس فيه من سنن وقوانين ، وذلكا يمانا بأن كل جهد يبذل لتوضيح هذه القضايا والقاء المزيد من الضوء عليها يعد خطوة في طريق المواجهة المباشرة للقضية الاساسية التى نطرحها وهى قضية الاسلام وتغيير المجتمع .

ووقفنا بالقارىء فعلا - عند قضيتين : قررنا فى الأولى منهما ان الاسلام ليس مجرد تراث لهذه الامة ، وبينا في الاخرى ان الاخذ بالاسلوب العلمى فى تطوير المجتمع وعلاج مشاكله لايقتضى التزام مذهب معين من المذاهب المعروفة ، ولا يعنى الانحياز لنموذج بعينه من نماذج العمل لتغيير المجتمع .

واليوم نعرض لقضيتين تتمان هذا الحديث المجمل الذى أردنا به ان نضع المشكلة فى مكانها الصحيح وأن نحدد زواياها وابعادها التى ينبغى - فى تقديرنا - ان تكون حدودا للمناقشة الجادة والبحث الموضوعى الامين .

القضية الثالثة : ان مفهوم التقدم فى التصور الاسلامى مفهوم أصيل ومركب فى نفس الوقت .

(أ) فهو أصيل بمعنى ان التسليم بحركة المجتمع وتطوره لا يعنى بذاته ان هذه الحركة تحقق وحدها تقدما للمجتمع .. واذا كان المنهج الديالكتكى فى تصوير حركة المجتمع يفترض ان خداع المتناقضات فى الجماعة يؤدى بالضرورة الى خلق أوضاع جديدة تعتبر تحسينا للظواهر المتناقضة ، بحيث تكون حركة المجتمع - من هذه الناحية حركة تقدمية على طول الخط ، وبحيث تكون التركيبات الاجتماعية والاقتصادية الجديدة أكثر توافقا مع الظروف الجديدة للمجتمع ، وهى الظروف التى صاغها صراع المتناقضات فيه ، نقول انه اذا كان هذا هو مفهوم التقدم كما يتصوره المنهج ، الديالكيتكى ، فاننا - نحن المؤمنين - لا نستطيع أن نعتنق هذا التصوير على اطلاقه لانه ينزع من حركة المجتمع كل مضمون داخلى ، ويجرد القيم السائدة فيه من كل وجود ذاتى .

ان حركة المجتمع لايمكن - وفقا للتصور الاسلامى - ان تعتبر تقدما الا اذا كانت تقترب بهذا المجتمع من غاية معينة ، وهذه الغاية فى مفهوم الاسلام هى توكيد القيم الانسانية المطلقة التى جاء لتوكيدها فى حياة الناس. ان انزال الكتب وارسال الرسل انما جاء كما يقول الله تعالى «ليقوم الناس بالقسط» ، ودين الله جاء كما يقول الله «دينا قيما» ، ومعنى هذا كله - فى ايجاز - ان دين الله هو الذى يحدد - فى الاساس - الاتجاه العام الذى تقاس اليه حركة المجتمع فى تطوره ، والذى توصف على اساسه بالتقدم أو بالرجعية . ومن العسير بل من التناقض الذى يكلف الاشياء ضد طبائعها ان يطالب المؤمنون بفهم غير هذا الفهم لحقيقة التقدم ومعناه . ان مفهوم التقدم من وجهة النظر الاسلامية لابد اذن ان يتحدد فى ضوء التصور الاسلامى العام للحياة ، وللانسان ، ولمصالحه وعلاقاته . وكل تغير للمجتمع فى اتجاه مضاد لمقتضيات هذا التصور لايمكن ان يكون فى المفهوم الاسلامى غير ردة وانتكاس ورجعية ، او هو

ـ بالتعبير الاسلامي ـ رجوع الى الجاهلية «أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

(ب) ثم ان مدلول التقدم في الاسلام فوق ذلك مدلول مركب وشمولي لأنه لا يقوم على قياس حركة المجتمع من زاوية تركيباته السياسية والاقتصادية وحدها ، وانما هو يزن تلك الحركة من زاويةموقف شمولي مستمد من النظر الى حياة الانسان نظرة شمولية مستغرقة تستوعب من هذه الحياة جوانبها المادية والاقتصادية ، وجوانبها المعنوية على حد سواء ، ومعنى هذا أيضا ان التقدم بمدلوله المادى وحده قد لايكون تقدما اذا قيس بمقياس هذه النظرة الشمولية .. فالخروج بحياة الناس من صورها البدائية التى وقف الانسان فيها عاجزا ازاء كثير مما يحيط به ، الى صور جديدة مركبة يسخر الانسان فيها الطبيعة ويتحكم فيها ٠٠ لا يعتبر تقدما فى مفهوم نظرة الاسلام الشمولية ـ الا بقدر ما فيه من توجيه هذا التسخير الى حيث القيم التى يريدها الاسلام ويدعو الى توكيدها . ان حركة المجتمع بعبارة اخرى ـ لاتكون تقدما ـ الا بقدر ماتنطوى عليه من رشد .. والتقدم المادى بمظاهره كلها ـ ليس في ذاته دليلا على هذا الرشد .. يقول تعالى : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، واذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله واطيعون ، واتقوا الذى امدكم بما تعلمون » وظاهر من سياق الآية انها لا تعترض على البناء والتعمير ، وانما تعترض على البطش والتجبر بغير الحق ... كما تكشف عن حقيقة المفهوم الاسلامي للتقدم ، وهو المفهوم الذى يقيم حركة المجتمع بقدر ما فيها من رشد ، وهذا ـ فى يقينى ـ هو المفهوم الشمولى الذى اهتدى اليه ـ فى الجمهورية العربية المتحدة ـ ميثاق العمل الوطنى حين قرر أنه « اذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فان الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد » .

القضية الرابعة : ان ربط حقيقة التقدم بالتصور الاسلامي على النحو المتقدم ، لا يعنى ـ كما يتوهم البعض ، ان يكون الدين ـ بما فيه من نصوص قطعية فى أمور محددة على الأقل ، عقبة فى وجه تطور المجتمعات ، وقيدا على حقيقتها . ونلاحظ ـ قبل الدخول في موضوع هذه القضية الرابعة ـ أن هذا الوهم يعكس فى حقيقته أمرين :

(أ) فهو يعكس أولا مفهوما آليا للتقدم الذى يرى في كل تطور تقدما أو يؤمن بوجود قانون حتمى الى يحكم حركة المجتمع بحيث تجرى دائما في اتجاه تقدمى .

(ب) وهو قد يعكس ثانيا تصورا معاديا للدين أو منكرا لوظائفه الاجتماعية الحيوية على أقل تقدير ، بحيث لايرى فيه الا نظاما تاريخيا خادما لأهداف وضعية تاريخية معينة ، بحيث ينبغى ان يزول بزوالها ، وان يتنحى تماما عن محاولة التدخل فى مشاكل المرحلة التاريخية التالية .

واذا كنا قد نقضنا هذه التصورات فيماقدمناه عن حقيقة التقدم وعن مدى جواز النظر الى الاسلام على انه «تراث» ٠٠ فان مما يعين على وضوح الرؤية فى هذه القضية أن نلقى بعض الضوء على حقيقة معنى الثبات فى الاسلام وعلى حقيقة نظرته الى « التطور » ، فالاسلام لا يقف من التطور موقفا عاما معاديا ، كما يتوهم الكثيرون وانما يحتاج الأمر الى شيء من الضبط ومن التحديد عند الكلام على قضية التطور ٠٠ ان الاسلام بمفهومه الكامل هو اقامة نظام الكون كله وفق سنن الله وأوامره ٠٠٠ واذا كانت « الحركة » هى سنة الله فى كونه فان من مظاهر موافقة الاسلام لسنة الكون أن يلاقى هذه الحركة الكونية بحركة تنظيمية وتشريعية ٠ فاذا كانت الأفلاك « تجرى لمستقر لها » ، واذا كان « الشمس والقمر دائبين » واذا كان من آياته انك « ترى الأرض تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » واذا كانت حياة الناس وعلاقاتهم هى الاخرى حركة وتطورا فقد كان من الطبيعى أن يعالج الاسلام المجتمع على انه هيكل يتطور بتطور مكوناته المادية والبشرية ، وبتدافع القوى المختلفة القائمة فيه ، وهو تدافع يشير اليه قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » وتحكمه سنة جارية تنقل بها السيادة من فريق الى فريق : « ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » « وتلك الأيام نداولها بين الناس » بل ان تعدد

رسالات الله تعالى ، واختلاف تفصيلات الشرائع التى جاء بها رسل الله عليهم صلواته ليكشف في ذاته عن ضرورة ملاقاة الحياة المتجددة بتنظيمات وتشريعات متجددة .

على ان الايمان بتطور المجتمع يفتح الباب فكريا وعمليا أمام سؤال خطير ، وهو : كيف يتأتى لنصوص الاسلام الثابتة ان تلاقى حركة المجتمع المتطور المتغير ، واين يذهب المؤمن المخلص بقوله تعالى :

«لامبدل لكلماته» وقوله تعالى : «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » ..

وتلك قضية نرجو أن نفرد لها بحثا مستقلا ..

ولكن حسبنا هنا أن نشير الى ان الاسلام كان هنا كذلك موافقا لسنن الكون فلاقى بمرونة مصادره حركة المجتمع في تطوره .. وذلك في الوقت الذى مثلت فيه بعض النصوص عنصر الثبات الذى يلاقى الجوانب الثابتة من خلق الله ومن فطرة الله التى فطر الناس عليها ، « لا تبديل لخلق الله » فالى جوار نصوص الكتاب ونصوص السنة الثابتة الواردة فى امور التشريع فتح الاسلام منافذ تشريعية متعددة يمكن من خلالها للفقه الاسلامى ـ بمعناه الاعم الاشمل ـ ان يتطور وان يستمر موجها للمجتمع المتطور ..

وفي مقدمة هذه المصادر اجماع العلماء .. والقياس .. والتشريع بالمصلحة المرسلة ... على ما نرجو ان نفصله فى البحث القادم .. وانما نحب أن نشير هنا الى حقيقتين خطيرتين :

الاولى : ان مرونة الاسلام ليست مطلقة ... ولو كان فى وسع المجتهدين أن يطوعوا نصوص الاسلام واصوله لكل تطور واقع في المجتمع .. لما كان لنزول الشرائع السماوية معنى على الاطلاق ولما كانت تلك الشرائع غير دعوة عامة الى الخير والصلاح .. ولكان التطور ـ فى الحقيقة ـ متحكما فى الشريعة .. ولكان الأمر تحكما للهوى فى دين الله. «ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض» .. ومن هنا يسقط العقل كما يسقط النقل الثابت مذهب الذين ينحون الدين ـ جملة واحدة ـ عن حياة المجتمع ، ويحرفون الكلم عن مواضعه متعللين بقول الرسول (ص) : « أنتم اعلم بأمور دنياكم » .

الاخرى : ان نصوص الاسلام ليست سواء فيما تقوم به من عملية « تثبيت » بعض القيم والاوضاع فى حياة المجتمع .. ذلك ان من الثابت بالمشاهدة والتأمل في نصوص الكتاب والسنة ان منها نصوصا تجمل القول وتقرر مبادىء عامة تتسع فى داخلها لاستيعاب أوضاع متفاوتة ، ومثل هذه النصوص تفسح بذاتها مجالا لحركة المجتمع وتطوره فى اتجاه الرشد الذى حدده الاطار الثابت فيها . ومنها نصوص أخرى محددة مفصلة بحيث تمثل على نحو مطلق او شبه مطلق عملية (التثبيت) في المجتمع . وهذه النصوص لاتخرج عن ان تمثل احد فرضين :

(أ) الفرض الاول . ان تكون معبرة عن أوضاع او متطلبة لأوضاع يمكن أن يلحقها الثبات رغم تطور المجتمع .. فالنصوص التى تحدد عدد ركعات الصلاة مثلا .. او مدة عدة المطلقة من زوجها ... تعالج ـ فى حقيقتها ـ امورا يعلم الشارع سبحانه وتعالى انها ليست مما يحتاج الى التغيير بتغير التركيبات المادية للمجتمع .

(ب) الفرض الثانى : ان تكون متصلة بأمور مما يتصور أن تخضع للتبديل والتغيير مع تغير أوضاع الناس . ولكن الشارع سبحانه وتعالى قدر أنها ترتبط ارتباطا أساسيا بالقيم التى جاءت الشريعة كلها بتوكيدها ، وبذلك يكون تثبيتها جزءا أساسيا من وظيفة الدين فى ترشيد حركة المجتمع .

وهذا النوع من التكاليف هو الذى يردفه الشارع سبحانه في كثير من الآيات بقوله : « والله يعلم وانتم لا تعلمون » أو بمثل قوله : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » .

وهذا النوع ـ فى الحقيقة ـ قليل اذا قورن بالنوع الاول ، وهو يمثل « النصوص الدستورية الجامدة فى نظام الاسلام» على مايقول التعبير الحديث ... وهو ما يسميه الله تعالى حدود الله باعتبارها الضمانات الثابتة لا لتزام حركة المجتمع بعقيدة الاسلام وشريعته .

د. احمد كمال أبو المجد

المجتمع الاشتراكي والتفرقة العنصرية

للدكتور عبد العزيز كامل

(٢)

في **القرنين السابع عشر** والثامن عشر ظهر في الفكر الاوربي اتجاهان ينادي اولهما بالمساواة بين الناس ويؤيد الوحدة الجوهرية للانسان . وبدا هذا في كتابات فولتير وجان جاك روسو . واتجاه ثان ينادي بعدم المساواة بين الناس . والى هذا ذهب هيوم ومنتسكيو . وكان من المنطقي بعد ان فضل البيض انفسهم على سائر الناس ان يبحثوا عن العنصر السيد بينهم .. وان يحاولوا معرفة سيد السادة .

وظهرت الدعوة الى القول بتفوق الجنس الآرى او النوردى (الشمالي) أو الهندي الاوربي . وكان الاصطلاح لغويا فتحول الى عنصرى على يد ماكس ميلر وعاد فجعله لغويا . وهناك خلاف بين الذين عرضوا لهذا الموضوع على مدلول الآرية ووطنها وانتشارها .

ولعل **جوبينو الفرنسي** كان من ابرز من نادوا بها في القرن التاسع عشر (١٨١٦ ــ ١٨٨٢) فقد نشر بحثا عن عدم المساواة بين العناصر البشرية ذهب فيه الى أن الاختلاط بين العناصر له نتائج مفزعة . وحصر الحضارات البشرية في عشر ست منها من انتاج العنصر الآرى وهو العنصر او السلالة الأكثر رقيا ، وهذه الحضارات هي الهندية والمصرية والآشورية والاغريقية والرومانية والجرمانية ، اما الاربع الباقيات فهي الصينية والمكسيكية وحضارتا بيرو في امريكا الجنوبية والمايا في شبه جزيرة يوكاتان في امريكا الوسطى ، فهذه من انتاج الجنس الابيض بعد اختلاطه بسلالات ادنى منه . ويختتم جوبينو رايه هذا بقوله : أن من بين علامات الانهيار في الاجناس الخليطة ظهور وانتشار فكرة المساواة والحركات الديموقراطية وغيرها . كما يرى أن الاختلاط تتولد عنه مخلوقات ثانوية لا اهمية لها بين البشر .. رجال يتميزون بعقلية القطيع وشعوب استكانت لنوم مهلك .

واعتنق الالمان هذه النظرية وكانت دوافع جوبينو طبقية ضد العمال . وحاولت الارستقراطية في كل مجتمع أن تنتسب الى الآرية وتعسفوا في اثبات ذلك تاريخيا .

ولم يكن جوبينو واضحا في تحديد الآرية . وقام بذلك تلاميذه مثل هستون تشمبرلن . وكان انجليزيا ، ومن أشد الناس تحمسا للعنصر الألماني وبالتالي تأييدا لنظرية تفوق العنصر النوردى الاشقر ذى الراس الطويل واستخدم اصطلاح العنصر التيوتونى والدم التيوتونى لهذا العنصر المتفوق . وحول مذهب جوبينو الخاص برقى وتفوق طبقة اجتماعية الى مذهب صريح ينادى بتفوق شعب معين . وسار في هذا شوطا بعيدا فافترض أن الله اختص النوردى برسالة عليه أن يؤديها . وبذلك أصبح التيوتون ارستقراطية الاجناس البشرية على حين أصبح العنصر اللاتيني عنده مجموعة بشرية متدهورة ، وخلص الى القول بأن الحضارة الاوربية حتى في البلاد التي تسكنها الشعوب السلافية واللاتين هي من عمل العنصر التيوتوني . ويشتد في مذهبه فيقول « انه مالم تتسرب الدماء التيوتونية فلن تنشأ حضارة بمعناها الذي نفهمه » .

ونستطيع أن نتابع دراسة هذه الآراء الشاردة في كتاب « جوان كوماس » الذي أشرنا اليه في المقال السابق وكتاب هرتس عن العنصر والحضارة ، وكيف تعسف تشمبرلن في نظريته وتفسيره التاريخ وكيف ان نفرا من كبار الشخصيات في التاريخ عنده لا تعدو اختلاط الدماء التيوتونية بالدماء الداكنة للأجناس الجنوبية !! وهذه الطبقة من أعلام

التاريخ تضم أمثال : دانتي ورفائيل ميكائيل انجلو وشكسبير . وتصفهم النظرية بأنهم عباقرة لا بسبب اختلاطهم ، ولكن بالرغم من اختلاطهم ، وان مواهبهم الطبيعية تمثل ما ورثوه عن الدماء التيوتونية التي تجرى في عروقهم . حتى بولس الرسول أدخلوا في عروقه دماء تيوتونية وأن أحد أبويه لابد أن يكون يونانيا . وامتد هذا الى سكان جبل الجليل ومريم البتول عليا السلام .

وتمشى القول بالتفوق العنصرى فى القرن التاسع عشر مع العدوان الاستعمارى الذى بلغ ذروته فى مؤتمر برلين ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ وبدء الفترة التى عرفها التاريخ الاستعمارى باسم « التكالب على افريقية » والتى امتدت فيها المطامع من شواطىء القارة الى قلبها بعد أن مهدت لها الكشوف الجغرافية والشركات التجارية والبعثات التبشيرية وبعد أن كان الافريقيون يباعون رقيقا فى أسواق العالم الجديد ، جاءت مرحلة استرقت فيها اوربا القارة بما فيها ومن فيها ، ولم تستطع افريقية أن تستعيد استقلالها السياسى الا بعد منتصف القرن العشرين . ذلك لان القول بتفوق العنصر الآرى أو النوردى والمناداة باستعلاء شعب على الدنيا أو لون على لون كان مما زاد حدة التوتر الدولى ، ولم يكن من مظاهره الصراع الاستعمارى فوق ارض افريقية فقط ، وانما كانت أوربا التى نادت بالتفوق العنصرى ميدانا من ميادين الصراع الكبرى حين حاولت العناصر التى آمنت انها متفوقة أن تمارس تفوقها عمليا وبقوة السلاح .

وبعد الحرب العالمية الاولى ورغم مادفعته البشرية فيها من ثمن وماسال فيها من دماء ، رفعت نظريات العنصرية رأسها ، واشتد هذا فى ألمانيا ، وذهب «دايمر» الى اقامة نظام طبقى مبنى على نسبة الدم الجرمانى . واقترح ثلاث طبقات : طبقة عليا تتمثل فيها الدماء التيوتونية النقية وتتمتع بكل المزايا السياسية والاجتماعية ، وطبقة وسطى فيها بعض الدم الالمانى ، وهذه تتمتع بحقوق وامتيازات محدودة ، وطبقة غير الالمان ، وهذه يجب أن تحرم من كل الحقوق السياسية . واقترح دايمر ابادتهم بتعقيمهم فلا يلدون ، وذلك لتأمين الدولة وضمان استمرار الحضارة الالمانية .

وحمل جاوخ ـ فى ألمانيا ـ لواء هذا التعصب العنصرى ، فذكر عام ١٩٣٣ فى كتاب له أن الاختلافات التشريحية والهستولوجية (مايتعلق بالشعر والعظام والاسنان والجلد) بين الانسان والحيوان أقل مما عليه بين العنصر النوردى وبقية أجناس العالم . ولم يطلق جاوخ هذا القول دون أن يحاول اثباته «علميا» فهو يقول : ان النورديين وحدهم هم الذين يمتلكون القدرة على الكلام بطريقة صحيحة ، وهم وحدهم القادرون على الوقوف فى الوضع الصحيح .

والى جانب نظريات تمجيد التيوتون ظهرت فى أوربا نظريات تنادى بتمجيد الانجليز السكسون ونظريات تنادى بتمجيد الكلتيين ، وهذه النظريات الاخيرة فروع من النظرية الآرية العامة ظهرت فى فرنسا بعد حرب السبعين فى أواخر القرن التاسع عشر ، وحاولت أن ترفع فرنسا الى منزلة فوق العناصر البيضاء جميعا ..

وامتدت هذه الرياح المسمومة الى العالم الجديد ، وظهر فى امريكا كتاب لايقلون تعصبا عمن رأينا فى أوربا . من هؤلاء ماديسون جرانت فى كتابه عن العنصر العظيم (١٩١٦) وكان من الاسباب التى أدت الى تعديل نظم الهجرة الى الولايات المتحدة ابعاد العناصر غير المرغوب فيها . ويعلو جرانت فى كتابه هذا بالعنصر النوردى الى أعلى المنازل ويرى أن اختلاطه بأى عنصر اخر ينتج نتائج سيئة بالنسبة الى العنصر الاعلى . ويعزز جرانت رأيه فى تفضيل الجنس العظيم بأن النورديين من أشد الناس بلاء فى الحروب ويبنى رأيه على تحليل صفات الالمان الذين ساهموا فى حرب التحرير الامريكية .

ودعا ستوددرد (١٩٢٢) فى كتابه « ثورة ضد الحضارة» الى تدعيم نظرية التفوق الشمالى قائلا « ان نسبة الدم النوردى فى أمة مقياس صادق لقوتها فى الحرب ومكانتها فى الحضارة .

نستطيع الآن أن ندرك التمزق الذى تسببه نظريات التفوق العنصرى للمجتمعات البشرية . وكيف أن لهب هذه النظريات لم يقتصر على قارة دون قارة وانما امتد فشمل العالم وكان من الاسباب التى أدت الى الحروب العالمية والمحلية ، وفيها دفعت الانسانية ثمن أخطاء نشأت فى عقول نفر من العلماء والفلاسفة البيض ، واعتنقتها دول حاولت أن تفرض نفسها على الحياة والتاريخ .

وبالرغم من أن العصبية العنصرية ، لا تقوم على أساس علمي ــ وسنناقش ذلك فيما بعد بشيء من التفصيل ــ فان المشكلة لاتزال قائمة تحمل الينا الصحف والاذاعات أخبارها وبخاصة من الولايات المتحدة الامريكية وجمهورية جنوب افريقية والمستعمرات البرتغالية .

ففي الولايات المتحدة يوصف الشخص بأنه زنجي اذا كان احد أجداده الثواني ــ وعددهم ستة عشر ــ زنجيا . هذا دون نظر الى صفاته الجسدية فقد يكون الفرد في الولايات المتحدة اشقر ، ازرق العينين ، رقيق الشفتين ، وهو مع هذا زنجي . فكلمة زنجي بهذا المفهوم ليس لها اية دلالة بيولوجية ، ولكن تطلق على كل فرد هناك له مميزات اجتماعية معينة . ويذكر أرنولد روز (١٩٥٧) في كتابه «الزنجي في امريكا» أن البيض في أمريكا هم الذين يحددون مدلول الزنجي . فاي اثر من دم زنجي انحدر الى فرد من أسلافه يكفي لاثبات انه زنجي .. اما الابيض فلابد أن تكون دماؤه «بيضاء» ١٠٠٪ . وهذا التحديد يختلف في امريكا التيوتونية عما في بقية امريكا . ففي أمريكا اللاتينية يعتبر ابيض من ليس بأسود . أما في الاقطار التي كانت خاضعة للنفوذ البريطاني فان الفرد الخلاسي (الذي ينحدر من أبوين أحدهما ابيض) له منزلة بين المنزلتين ، ويمثل جماعة توضع في السلم اجتماعي بين السود والبيض ، وبهذا يختلف تحديد الزنجي في الولايات المتحدة اختلافا واضحا عن بقية أجزاء العالم ، فاذا ضممنا الى ذلك نظريات الاستعلاء العنصري التي ظهرت في كتابات جرانت وستوردر ــ على سبيل المثال ــ استطعنا أن ندرك جانبا ما حدة المعركة التي قامت ولازالت مستمرة من أجل اثبات كرامة الانسان في الولايات المتحدة . ويسوق ارنولد روز هذه الاختلافات في تحديد مدلول الزنجي ليدلل بها على أن التحديد لا يستند الى اى اساس بيولوجي وانما هو تحديد اجتماعي وضعي . وقد فقد مفهوم « العنصر » في الدراسات البيولوجية والانثوجرافية الحديثة حدته القديمة وبدأ يختفي من الدراسات الجادة ، ولا يكاد يستخدم الا في دراسات الجماعات البشرية الشديدة العزلة والتخلف ، والتي يظن أن بها نقاء جنسيا . وبعبارة اخرى فان المدلول العلمي للعنصر لا يمكن تطبيقه في الاقطار التي تثور فيها مشكلات العنصرية ولايمكن في مجال البحث العلمي ان يقبل القول بوجود عنصر امريكي أبيض او جرماني أو انجليزي سكسوني .. بل ان اصطلاح العنصر الامريكي الابيض أصبح ــ كما يذكر ارنولد روز ــ اضحوكة حتى عند الذين لم يحصلوا الا على قدر قليل من التعليم وان كانت حدته لاتزال قائمة في جنوب الولايات المتحدة . ولكن هناك فرقا كبيرا بين أن يقتنع الانسان أو المجتمع «عقليا» بامر ، وان يتحول هذا الاقتناع الى اسلوب في الحياة .

واذا ما انتقلنا الى الجانب العلمي للموضوع وجدنا ان النقاط التي يستند اليها مؤيدو الاستعلاء العنصري هي الادعاءات الآتية :

١ ــ الصغر النسبي لحجم مخ الزنجي عن الاوربي

٢ ــ رائحة الجسم عند الزنجي

٣ ــ ظاهرة بروز الفك الأعلى

وواضح أن الادعاء الاول مرتبط بالذكاء ، اى أن البيض يذهبون الى انهم اشد ذكاء من السود . وما دام ذلك كذلك فان السود لن يستطيعوا أن يرتفعوا الى مستواهم ، ولابد اذن من وجود نوع من السيادة او القوامة على الاجناس الملونة . وقد يتمثل ذلك في حرمانهم من مناصب أو مسئوليات خاصة بحيث تظل ادارة دفة الدولة في يد البيض . وبذلك تهدر الدولة التي تتبع التفرقة العنصرية النظام الديموقراطي عمليا وان نادت به نظريا ونص قانونها على المساواة الكاملة بين المواطنين . ومع اهدار الديموقراطية السياسية تهدر معها أيضا الديموقراطية الاجتماعية حين تضيق عمليا فرص الحياة أمام الفرد بسبب لونه .

ويذكر رنولد روز تجربة عملية تبين كيف يعبث بعض العلماء بكرامة العلم من أجل تأكيد التفرقة العنصرية ويزيفون الحقائق والنتائج . وهذه التجربة نشرت في المجلة الامريكية للتشريح (فبراير ١٩٠٩) . فقد كان للاستاذ فرانكلين مول طالب من الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة يعمل معه في جامعة جون هوبكنز وقام هذا الطالب ــ هو روبرت بين ــ بدراسة قال فيها : ان حجوم الجمجمة والمخ عند الزنوج أصغر من نظائرها عند البيض وأقل قدرة وبعد أن نشر « روبرت بين »

نتائج بحثه ، اعاد فرانكلين مول قياس العينات التى درسـها تلميذه فوجد ان المقاييس غير صحيحة ومحرفة وبالتالى كانت نتائجها خاطئة .

وقد دلت أبحاث ليكى فى افريقية وشتيجردا فى زنوج جزيرة جمايكا – من جزر الهند الغربية – على أن تجويف جمجمة الزنجى ليست اقل اتساعا من تجويف الجمجمة عند الابيض وانها اكبر فى بعض الحالات .

ويلخص جوان كوماس النتائج التى وصل اليها الاستاذ كولبر وجى فى أبحاثه عن تكوين المخ وفيها استفاد من نتائج أبحاث أخرى قام بها نفر من كبار علماء السلالات البشرية فيقول :

١ – ان ثقل الجزء الامامى من المخ الذى يعد مركز الذكاء هو ٤٤٪ من وزن المخ كله **بين النساء والرجال وبين البيض والسود**

٢ – لم تلاحظ اية اختلافات بين الأجناس والسلالات البشرية المختلفة فى وزن المخ ، ولكن لوحظت اختلافات فى وزن المخ بين افراد السلالة الواحدة

٣ – لم يثبت أن الافراد الذين اشتهروا بقوى عقلية ممتازة كانوا من ذوى الامخاخ الكبيرة الحجم أو الاثقل وزنا عن المعدل

٤ – لم يصل العلم الى كشف اختلافات فى لفائف المخ بين السلالات المختلفة ، وهذه نقطة هامة وكانت دعامة أساسية من دعامات التفرقة العنصرية فكل الاختلافات فى لفائف المخ وجدت فى كل السلالات والجماعات .

***

ويختتم كولبروجى بحثه بقوله : « لو خلطت مجموعة من الامخاخ التى درست بعضها مع بعض ، لما أمكن لاحد تحديد مخ الاسترالى (الاصلى) وتمييزه عن مخ الاوربى ولا تمييز أمخاخ الاذكياء عن امخاخ متوسطى الذكاء »

وتتفق هذه النتائج مع ماتوصل اليه باحثون آخرون كانت دراساتهم على الزنوج والمغول . وتهدم هذه النتائج التى يوثق بعضها بعضا ماذهب اليه المنادون بالاستعلاء العنصرى من ان امخاخ العناصر الملونة اصغر فى الحجم واقل تجعيدا فى لفائفها من أمخاخ العناصر البيضاء .

واذا ماانهارت هذه الحجج «العلمية» التى نادى بها انصار التفرقة العنصرية كان من الواجب ان تتاح الفرصة للفرد فى مجتمعه – دون نظر الى سلالته وعنصره – من ان يمارس حقه وان يؤدى واجبه ، وان تسود المجتمع ديموقراطية سياسية واجتماعية لا يمكن أن تتحققا عمليا الا فى ظل نظام اشتراكى .

د.عبد العزيز كامل

« له بقية »

دق

للشاعر عباس محمود العقاد

لا يحزننك على بابك طرق — ودع الهاتف ما شاء يدق
ما وراء الباب لى من امل — فى طلاب المجد أولى فيه عشق
هانت الدنيا فما فى خلقها — شاهد أو غائب يحدوه صدق
من دنا فليدن اومن .. يبتعد — فليفرق بيننا غرب وشرق
رحم الله زمانا كان فى — كل سلك لى من الهاتف عرق
دق يا هاتف واخفق ساعة — أيها الباب ولا يكرثك خفق
ليس لى خلفكما من عنده — نبأ يعجب أو لى منه رزق

من ديوان « مابعد البعد » تحت الطبع

فلسفة الجمال عند العقاد

للدكتور: أحمد الحوفي

كان العقاد – طيب الله ثراه – نهما الى القراءة ، متنوع الاطلاع ، ذكيا عميق الفكر ، وكان صاحب شخصية بارزة المعالم ، واضحة السمات ، وصاحب آراء ونظريات عقب بها على كثير من نظريات العباقرة وأصحاب الآراء ، مهما يبلغوا من العظمة والشهرة وذيوع الأفكار .

وانه ليسترعى نظرنا ، ويستوجب تقديرنا العظيم للراحل الكريم أنه كان يعز آراءه ، ويعتز بها ، ولا يفتأ يتبناها ويرعاها ويتابعها بالتأكيد والتأييد ، فلم يتنكر لبعضها ،ولم يتهرب من أحدها منذ أمسك القلم الى أن ودع القرطاس والقلم .

وفي رأيي أن مرد هذا ليس راجعا الى التعصب أو الغرور أو التأبى على الفيئة الى حق كان قد خفى عليه ، بل ان مرده الى أنه كان لا يعلن رأيه الا بعد تفكير طويل ، وتقليب لوجهات النظر وتمحيص لما قرأ ، واطمئنان الى ما اختار وارتضاه .

وساكتفى في هذا المقال بتلخيص رأيه فى الجمال، ليكون نموذجا من متحف حافل بروائع الفن والجمال.

١ – ينبوع الاحساس بالجمال

الجميل محبوب ، والجمال مرغوب ، ما فى ذلك شك . ولكن لماذا نحب الجميل ، ونتعلق بالجمال ؟ وما ذلك الينبوع الذى ينبثق منه احساسنا بالجمال وتذوقنا له ؟

أما النشوئيون وغيرهم من الدعاة الى مذهب العقل الباطن فانهم يردون الاحساس بالجمال الى الغريزة الجنسية ،وقد عرض العقاد لهذا الرأى ،وفنده تفنيدا بكثير من الأدلة ، وذهب الى أن العكس أقرب الى الصواب ، لأن الغريزة الجنسية نفسها قد تكون وسيلة تنهض بالناس الى طلب الكمال والجمال .

ولو أن المقام يتسع لشيء من التفصيل لذكرت ردود العقاد على هذه النظرية ، لتتضح طريقته فى التفكير والمحاجة وعمق الفكر وسداد النظر .

ثم انتقل الى البحث فيما يعجبنا من الجميل ،فهل نعجب بالجميل لذاته ، فيروقنا من الزهرة لونها وتناسقها كما يعجبنا التناسق فى كل شيء ؟ وأجاب على هذا بأن الذى يعجبنا هو الدلالة التى يرمز اليها الشيء الجميل ، لا التنسيق الظاهر الذى قد يتفق لبعض الأزهار دون بعض .

فعلام تدل الزهرة ؟ انها تدل على النضارة ، ثم على اللهفة التى ترافق فى الذهن ذكرى زوالها السريع ، فكأنما هى بشكلها النضير الرقيق رمز الى فرصة العيش التى تنادى الناس باغتنامها ، وتذكرهم بسرعة فراقها ، ولهذا كانت فى شعر الأمم كلها رمزا الى الشباب ، والى كل أمل جميل نتلهف عليه .

واستنبط من هذا أن الجمال فى الفن والطبيعة معنوى لا شكلى أو الاشكال .لا تعجبنا ولا تجمل فى نفوسنا الا لمعنى تحركه أو لمعنى توحى به ، ولاقيمة للأعضاء بغير الفكرة التى تعبر عنها ، وبغير الوظيفة التى تؤديها .

ثم ضرب على ذلك أمثلة من بروز الحدبة على ظهر الأحدب ، وبروز النهد على صدر الكعاب ، وقال ان الحدبة معيبة والنهد مستجمل مرغوب ، وما ذلك الا لاختلاف المعنى ، لا لاختلاف الشكل والصورة ، ولتباين الوظيفة التى يمثلها كل منهما ، لا لتباين الحجم والبروز . على أن بروز النهد قد يعاب كما يعاب بروز الحدبة اذا أخل شكله بمعنى الصحة والشباب الذى يستجمل لأجله .

وكذلك الضمور واليبس معيبان فى عامة الأحياء ، ولكنهما غير معيبين فى كلب الصيد الهزيل الضامر الدقيق الأطراف ، لأننا ننظر ما وراء هذه الصفات

من خفة الحركة ، وسهولة العدو ، ورشاقة الخطوات

٢ ـ الجمال هو الحرية

قبل أن أعرض نظرية العقاد في حقيقة الجمال أشير اشارة موجزة الى اختلاف الآراء في هذه الحقيقة.

فهل الجمال صفة في الجميل نفسه ؟ أو هو شعور خارجي ينبع من المدرك للجمال ؟

أتتصف المرأة والروضة والقصيدة واللحن بالجمال، لأن فيها خصائص جعلتها جميلة حقا ؟

أم تتصف بالجمال ، لأن الشخص المدرك لها أحس هذا الاحساس نحوها ، فوصفها بأنها جميلة ؟

رأى بعض الباحثين أن سر الجمال راجع الى روعة الشيء نفسه ، وهذا يستدعي وضع القوانين المرتبطة بقيم الأشياء والحكم عليها على اساس خصائصها الخارجية .

ورأى بعضهم أن الجمال ينبع من نفس المدرك ، ويرجع الى ظروفه النفسية ، لأن الأشياء التي تظهر جميلة في نظر بعض الناس قد تظهر قبيحة في نظر آخرين ، وليس من الضروري أن يكون الشيء الجميل في طفولتنا جميلا في تقديرنا اذا كبرنا . ومعنى هذا ان الشيء الذي نصفه بالجمال يثير فينا تجارب لها قيمة في نظرنا ، وأن الجمال ينبع من داخل نفوسنا ومن تجاربنا والأثر النفسي الذي تحدثه فينا رؤيته أو سماعه .

ويضرب (جاريت) مثالا على هذا من أن صورة العذراء وطفلها تثير في نفوس المسيحيين مالا تثيره في نفوس المسلمين والمنبوذين ، وأنها تثير مشاعر في المرأة تغاير المشاعر التي تثيرها في الرجل، وأن تماثيل الأجسام العارية التي رسمها تنتان وروبنس ورنوار تبدو سمينة سمنا معيبا في نظر المتشبعين بالذوق الاغريقي البحت .

وهناك فريق ثالث ذهب الى أن الجمال صفة في الأشياء نفسها ، ولكنه راجع الى ما بينها وبين نفسية المدرك من تجارب وتفاعل ، أي أن الجمال يتطلب أن تكون في الأشياء مزايا تكسبها جمالا ، ويتطلب استجابة من المدرك لها تشعره بهذا الجمال ، كالحلوى فيها صفة الحلاوة ، ولكن الاحساس بحلاوتها متوقف الى حد كبير على تذوق الشخص نفسه .

فما رأي العقاد في حقيقة الجمال ؟

انه يرى أن الجمال صفة في الجميل نفسه ، ولكنه يستكنه السر في الجمال ، فيذهب الى أنه الحرية ، فالجميل يوصف بالجمال لأنه حر ، اذ أن الحرية والجمال معنيان لا ينفصلان ، ولا يتم أحدهما بمعزل عن الآخر .

واذ كان هذا الرأي جديدا والعقاد صاحبه جعل يدلل على صحته بأدلة عدة ، وجعل يطبقه على كل شيء جميل ، وقد استقام له التدليل والتطبيق .

وذلك أن الحرية هي العنصر الذي لا يخلو منه جمال في عالم الحياة أو عالم الفنون ، وانا مهما نبحث عن مزية تتفاضل بها مراتب الجمال في الحياة لا نجد الا مزية حرية الاختيار التي يفضل بها الانسان الكامل سواه من المرجوحين في صفات النفوس وسمات الأجسام ، ثم يفضل بها الناس عامة الأحياء ، ثم يفضل بها الأحياء طبقات النبات، ثم يتميز بها النبات على الجماد وحتى الجمادات نفسها والمادة الصماء تتفاضل في الجمال بحسب ما يبدو لها من حرية الحركة ومشابهة الارادة ، فالرياح والنيران والمياه تروقنا ، وتعاطيها عطفا لا تعاطيه غير الأحياء ، وليس لها فضل ظاهر على عامة الجماد الا ما تخيله للناظر من حرية الارادة ومحاكاة الحياة .

والجسم الجميل هو الحر الطليق ، سواء نظرنا اليه في جملته أم نظرنا الى كل عضو منه على حدة ، فيعاب الجسم اذا عطلت احدى وظائفه ، ويعاب العضو اذا زاد أو نقص عن حد حريته ، والوجه الذي تنكر منه وصفا من الدمامة لا بد أن نحس بعد تأمله أن مانعا يمنع وظائف الحياة فيه عن حرية الحركة ، فيزيد أو ينقص في لمحة من ملامحه أو قسمة من قسماته ، بل قد يتم تناسب الشكل في وجه قسيم صحيح ثم لا يعجبنا ولا نستخفه ، لأننا لا نحس فيه بما يدل على حركة الحياة في نفس صاحبه ، وهذا هو ما يسمى بثقل الروح . ويتنبه العقاد الى أن عضوا قد يضخم في بعض الاحياء ، ويستدق في احياء أخرى، ويطول في نوع ويقصر في آخر ، فيرجع الاستحسان الى حرية الوظيفة في هذا العضو ، لا الى الضخامة والدقة أو الطول والقصر ، فالغزال أو العصفور لا تعيبهما دقة الساق ، ولكنها تعيب الانسان اذا نمت فيه عن الاعياء واختلال وظائف الاعضاء .

وينتقل العقاد الى التجمل فيرى أنه يظهر في هيئة واحدة ، هي الا يكون المرء مغلوبا على أمره في حركة من حركاته ، أو كلمة من كلماته ، (وسجية من سجاياه) ، فيكون حزينا موجعا ولا يظهر الحزن والتوجع ، ويكون مريضا مدنفا ولا يئن أو يتململ، ويكون غاضبا مهتاجا ولا يصخب أو يتقزز ، فاذا

اضطر الى التخفيف عن نفسه بحركة أو اشارة حاول أن يكسوها من الاختيار والتأنق ما يخفي الاضطرار والاندفاع ، فتلوح للناظر كأنها مقصودة مرسومة، وتعبر عن نفس لا تضيق بأمرها ، ولا تضعف قبضتها على زمام مشيئتها .

ثم عرج بنظريته على الفنون الجميلة ، فنفى أن يكون من الحرية الفوضى ، لأن الفوضى لا قانون لها ولا نظام ، وأكد أنه لا فن بغير تطلع ، ولا تطلع بغير حرية ، وأن الفن نظام وأمل ، وكأن الانسان قد اراد بالفن أن يتمم حرية الحياة ، فخلق للانسان اجنحة قبل ان يطير في الهواء ، وانشأ في الشعر ابطالا هزموا نواميس الكون ، وارسل أحلامنا في سماوات من البهجة والكمال لا تفتح لأبناء الفناء وجمع في جسم واحد من رشاقة الأعضاء وملاحة القسمات ما تضن به الحياة على كثير من الأجسام ، فكملت بالفن آمال الحياة ، وأصبنا في عالم الفنون حرية لا نصيبها في عالم الحاجة والاضطرار وطبق العقاد نظريته على الفضائل والأخلاق ، فراى أن كل خصلة محمودة فيها معنى من غلبة الحرية على الضرورة، وحكم الارادة الباطنة على البواعث الخارجية ، فالشجاعة والأنفة والصبر والعفة وما شاكلها من المناقب لا تجمد في الانسان الا لأنها دليل على أنه مالك لحريته ، يقود البواعث الخارجية ولا ينقاد لها .

وبعد هذا عقب على النظرية بان الجمال ليس محصورا في صفة ، بل هو صفات كثيرة متنوعة تتراءى في الأشكال والألوان والأصوات والمعاني، وبأن ثمة فرقا بين الاحساس بالجمال والرغبة في الاستيلاء على الجميل ، لأن الاحساس بالجمال يطلق النفس من اسارها ، ما الرغبة في الاستيلاء عليه فقد توقع في اسر الحاجة ، فاذا سلب العشق حرية العاشق فليس ذلك حجة على أن الجمال ينافي الحرية في صاحبه أو في الناظر اليه .

٣ ـ جمال المرأة

حينما ننتقل الى رأى العقاد في تعليقه على ذوق العرب في جمال المرأة نستطيع أن نطبق نظريته في أن الجمال هو الحرية ، بمعنى أن كل عضو من الجسم ، وكل جزء من العضو قد استكمل من الحرية نصيبه في حدود وظيفته ، وفي نطاق التناسب والتناسق والانسجام .

فقد وصف العقاد ذوق العرب في الجمال بانه ذوق الفطرة السليمة ، التي لم يفسدها الترف ، ولم يغيرها بدع الحضارة ، اذ كانوا يستحسنون من جمال المرأة الوضاحة والهيف والرشاقة والخفر ، وينوهون بهذه الصفات فيما روى عنهم من غزل البداوة .

وكانوا يحبون مع هذه الصفات أن تكون المرأة بارزة النهدين ، ممتلئة الردفين ، وهو ذوق لايخرج بهم عن سواء الفطرة ، وهم في هذا أصح أذواقا من أساتذة التجميل المعاصرين الذين أوشكوا ان يسووا بين قامة المرأة الجميلة وقامة الرجل الجميل .

وكان من عيوب المرأة في نظرهم أن تكون رسحاء ضئيلة الردفين ، لأنها مخلوقة بحوض عريض ملحوظ فيه تكون الجنين ، ولهذا فان المرأة السوية الخلقة يجب أن تكتسي عظام فخذيها وعجيزتها ، وأن يمتلىء منها هذا الجانب من جسدها ، والا أشار هزاله الى آفة في الخلقة لا توافق الجمال . كذلك يستحسن في المرأة الخصر الدقيق ، لان ضخامة المعدة قد تؤذي الجنين وتضغط عليه ، ولأنها تشير الى تزيد في الطعام فوق ما تستدعيه وظائف الحياة في جسم الانسان .

واستحسن العقاد قول كعب بن زهير :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة
لا يشتكى قصر منها ولا طول

وقول عمر بن أبي ربيعة :

أبت الروادف والثدى لقمصها
مس البطون وأن تمس ظهورا

وقوله :

فيهن طاوية الحشا
جيداء واضحة الجبين
بيضاء ناصعة البيا
ض كدرة الصدف الكنين

وقوله في الاشادة بحياء المرأة مع معاشرته للمتبرجات :

غراء في غرة الشباب من الحو
ر اللواتي يزينها خفر

ثم تنبه الى أن الذوق العربي العام طرأ عليه في شعر عمر عارضان انحرفا به عن قصده ، هما حياة الحضارة ، وبيئة الترف والنعمة والرخاء ، فظهر هذا الانحراف في وصف عمر للمرأة بالكسل والنوم الى الضحا ، ووصفها بفرط الغضارة ، لأن هذا عنوان الغنى والدلال على الرجال ، فاذا ذكر عمر الهيف خيل الينا أنه يتابع العرف العام ، وأنه يناقض نفسه

حين يذكر مع الهيف مالا يجتمع معه من البدانة التي توشك أن تقعد عن الحركة ، كقوله :

قطوف من الحور الأوانس بالضحا
متى تمش قيس الباع من بهرها تربو

٤ ـ جمال الأسلوب

وقد عرض العقاد لرأى أناتول فرانس في جمال الأسلوب ، وفنده وخالفه .

وملخص رأى الكاتب الفرنسى انه لا جميل الا السهل ، وأن الشاعر أو القاص الذى لا يعاب هو الذى لا يتعب القارىء أى أتعاب ، وخير للأديب أن يستديم انتباه القارىء ، وألا ينتزعه منه ، وعليه أن يحذر التعويل على صبر القراء ، وأن يعتقد أنه لا يقرأ الا اذا كان سهلا . وذلك أن للعلوم حق التامل والانتباه ، أما الفنون فليس لها هذا الحق لأنها بطبيعتها تسر ولا تفيد ، ووظيفتها أن تثير الاعجاب فحسب ، والفرق كبير بين قصيدة تغنى ، ومقالة تكتب في الهندسة .

رد العقاد على هذه الفكرة بالسخرية منها وبالتهكم بالمستسهلين ، ثم فندها من عدة وجوه فعجب من أن يقال ان مسرات الفنون والآداب لا تحتاج الى التامل والانتباه وانها مطالبة بأن تعرض نفسها على الناس ليلتفتوا اليها حين يشاءون بلا جهد ولا استعداد .

وأى ان الجمال سهل معجب ، ولكن على الذين يقدرونه ويحبونه بعد الخبرة والتذوق والممارسة .

وليس معنى السهولة في هذا الجمال أنه رخيص مباح لكل من يرمقه بجانب عينه ، ولا أنه في غنى عن التامل والتفكير ، بل معناه أنه سائغ لمن يستعد له ، فهو كالثمرة الشهية سهلة سائغة لمن يشتريها ويغرسها ، وليس معنى ذلك أنها تنمو كما ينمو نبات لا يتعهد ولا يسقى ولا يراعى بالمعرفة والخبرة .

ومن هنا كانت سهولة الفنون غالية صعبة على من يريد الابتكار ، وعلى من يريد أن يجنى الثمار ، ولقد تغلو وتصعب حتى تستدعى من التامل والانتباه مالا تستدعيه الهندسة وما هو أعضل منها .

ثم لجأ العقاد الى رد عملى واقعى هو أنه لو كان الغرض من اشتراط السهولة في الجمال أن يكون سهلا على كل من يطلبه بغير تفاوت في المواهب ما وجدنا في الشعر كله قصيدة جميلة ، فشعر شكسبير سهل على بعض القراء شديد الغموض على آخرين ، والذين لا يفهمون شعر شكسبير قد يطيب لهم شعر بيرون ، وهو اذا قرىء على من دونهم فى الفطنة والشعور عابوه واستثقلوه أو كابدوا فى فهمه الصعوبة التى تنفى عنه صفة الجمال .

وكذلك الحال فى الشعر العربى ، فالمتنبى صعب على من يستسهل البحترى ، والبحترى صعب على من يستريح الى البهاء زهير ، وهكذا الى آن نهبط الى طبقة تستصعب شعر هؤلاء جميعا ، ولا تجد السهولة الجميلة الا فى الزجل الغث وما أشبهه من الشعر المبتذل الركيك .

ومن مناقشة العقاد لأناتول فرانس تتضح عدة نتائج .

الأولى اننا اذا جعلنا السهولة ميزان الفنون ، وجعلنا الشيوع دليلا على السهولة ، فاننا قد نتمادى حتى يصير لثغ الاطفال نماذج البلاغة العليا ، ثم تنحدر البلاغة سفلا حتى تنتهى الى فحول الشعراء وائمة الكتاب والخطباء .

الثانية أن كثيرا من ألوان الأدب قد يوصف بالجمال وهو صعب على طبقات كثيرة من الناس ، واذا كان بعض الشعر السهل أشيع فانه لا يلزم من ذلك انه الأبلغ .

الثالثة أن المعانى العامة الشائعة ليست أصدق المعانى ، والا لحكمنا على كل شعور رفيع يختص به العلية المثقفون بأنه شعور كاذب ومعنى غير صحيح .

الرابعة أن السهولة فى الأدب ممدوحة ، ودليل على المقدرة ، اذا أدى بها الأديب المعانى التى يؤديها غيره بمشقة واعتساف .

أما اذا أعرض عن هذه المعانى ، وتعداها الى غيرها مما لا يصعب نظمه وتصويره فانه لا فضل له فى هذا التسهيل ، لأنه كالرجل الهزيل الذى يرى القوى يرفع الصخرة ويسير بها وهو يتصبب عرقا ، ويتماسك جهدا ، فيقول : لا ، لن أتصبب مثله عرقا ، لأننى أربأ بنفسى عن ذلك ، اننى قدير على رفع هذه الحصاة والجرى بها أمامه ، وأنا منتصب القامة خفيف القدمين ،وهو محنى الظهر بطىء المشية

ولا شك أن هذا المذهب الذى دان به العقاد كان نابعا من أعماق نفسه ، وكان عظيم التأثير فيما أنتج طوال حياته .

أما الموازنة بين فلسفة الجمال عنده وعند شوبنهور فانها تحتاج الى بحث خاص .

« د . أحمد الحوفى »

النهضة المسرحية والترجمة في ظل الاشتراكية

بقلم: سمير سرحان

من المسلمات النقدية انه لا يمكن انتاج الفن العظيم الا اذا توفر عاملان : الموهبة الفردية لدى الفنان ، والتراث الذى يستمد منه الفنان صنعته الفنية ويضيف اليه أو يعدل فيه · ونحن لا نستطيع أن نحدد قيمة العمل الفنى الجديد الا اذا قارناه بأعمال التراث العظيمة من نفس النوع سواء أكان قصة أو مسرحية أو قصيدة · وفى الفن المسرحى بوجه خاص نجد ان الالمام بالتراث المسرحى الممتد على مدى العصور منذ الاغريق حتى مسرح اللامعقول ، هو أمر جوهرى بالنسبة للكاتب والجمهور معا · فالمسرح كما هو معروف فن مركب يقوم أساسا على لقاء عدة فنون منفردة كالأدب والفن التشكيلى والموسيقى الى جانب ايقاع الحركة وايقاع التطور المضطرد للمسرحية كلها حتى تصل الى نهايتها الحتمية · وكل هذه العناصر تكون فى النهاية كلمة مسرحية ، مما لا يعتمد فقط على الموهبة الفردية وانما على امتزاج هذه العناصر جميعا من ناحية، وعلى احكام الصنعة الفنية من ناحية أخرى حتى يمكن فى النهاية احداث الأثر الكلى المطلوب من المسرحية ·

وكما لا يتم العمل المسرحى بدون المؤلف والممثل والمخرج ، فانه لا يتم أيضا بدون الجمهور ، فالدراما كما يقول الناقد « **تيودور هاتلن** » هى حاصل جمع الحوار المكتوب الذى ينطقه الممثلون على خشبة المسرح وحركات الممثل فى مسرح معين وأمام جمهور من النظارة · وهكذا يمكن أن نقسم العمل المسرحى الى شقين أساسيين هما : المسرحية ذاتها وهى تؤدى على خشبة المسرح ، والجمهور الذى يتلقاها · وكما لابد ان يقف فنان المسرح سواء كان كاتبا أم مخرجا أم ممثلا على أعمال التراث ليستمد منها صنعته الفنية ، لابد أيضا لجمهور النظارة أن يربى الحاسة المسرحية التى تمكنه من الرؤيا السليمة الى الفن المسرحى وذلك عن طريق الاحتكاك المباشر المستمر بأعمال

وقد تنبهنا فى النهضة المسرحية التى نعيشها الآن الى هذه الحقيقة وشرعنا فى ارساء دعائم « التربية » المسرحية عن طريق ترجمة بعض روائع الفن المسرحى فى العالم ، وتقديمها الى جمهورنا فى صورة أقرب ما تكون الى الدقة ، وهو اتجاه جوهرى وحتمى فى المرحلة الهامة التى يعيشها مسرحنا الآن ، لانه هو الطريق الوحيد لاعطائنا المؤلف المسرحى المصرى والجمهور المصرى المدرب · وهذه «التربية» المسرحية بالنسبة للمؤلف وبالنسبة للجمهور ، تستطيع أن تفعل الكثير ، ببساطة لان الكاتب المسرحى المصرى يستطيع بملامسته للتجربة المسرحية المتكاملة عندما يشاهد عملا من الاعمال العالمية يعرض على المسرح ، يستطيع أن يكتسب ذلك الاحساس بالتقاليد الفنية المسرحية أو بالأحرى يكتسب الشكل، ويستطيع فيما بعد أن يخلق من خلال الشكل تلك الرؤيا المسرحية المصرية الصميمة الخاصة بنا نحن كشعب له خصائصه المميزة ، ويستطيع أيضا أن يعدل فى هذه التقاليد ويضيف اليها · ولا يمكن أن يعدل الكاتب الجديد فى التقاليد أو فى الشكل الا اذا اكتسبه أولا ولامسه ملامسة التجربة الحية · ومن هنا فقط تنبع اصالته ككاتب ، ومن هنا فقط يستطيع مؤلفونا المسرحيون أن يضيفوا الى التراث المسرحى العالمى شيئا ذا قيمة ·· ونفس المنطق يسرى على الجمهور ·· فهو بملامسته للتجارب المسرحية العالمية المتكاملة ذات المستوى الجيد ، يستطيع أن يكتسب احساسا بالحقيقة ·· حقيقة الفن المسرحى والتقاليد التى قام عليها منذ نشأته حتى الآن ·· وبالتالى يكون مايسميه الناقد آرنولد « **بالمقياس الحقيقى** » أى المستوى المعين الذى يقيس به الاعمال المسرحية والذى يحدد به جودة المسرحية من سوئها وبالتالى يقبل على الاعمال ذات

المستوى الجيد ولا يقبل على الاعمال التى لا يجب أن تنتمى الى الفن المسرحى وانما تنتمى الى فنون أخرى قد تخلطها بالمسرح ولكنها بالتأكيد ليست هى المسرح كالاستعراضات الفكاهية مثلا ·· والقضية كلها يحسمها عامل واحد ·· هو الشكل ·· الذى يكتسبه المؤلف والجمهور معا من خلال العلاقة المباشرة للاعمال المسرحية المعترف بها عالميا ··

ورغم حتمية هذا الاتجاه وضرورته فى المرحلة الهامة التى يعيشها مسرحنا اليوم ، فانه قد ينطوى على بعض الخطورة التى تنشأ أساسا من مشكلة اللغة التى نترجم بها هذه المسرحيات العالمية ·· فنحن لا نستطيع حتى الآن ـ نظرا لحداثة عهدنا بالفن المسرحى ـ أن نحدد بوضوح الفرق بين لغة الحوار الادبى المكتوب خصيصا للقراءة ، ولغة الحوار المسرحى المكتوب خصيصا للتمثيل ولاحداث ماأسميناه بايقاع الحركة وايقاع الحدث فى المسرحية بشكل عام · فالحوار فى المسرحية هو شكل من اشكال التعبير عن الحدث ، وهو بالتأكيد ليس الشكل الوحيد اذ أن هناك مسرحيات كاملة تعتمد على الحركة الصامتة وهو النوع المسمى بالمايم، واذا وجد الحوار فهو وسيلة للتعبير عن الحركة المتطورة داخل المسرحية الى ذروة معينة · وهو بهذا المعنى مجرد وسيلة وليس غاية ·

وقبل أن نناقش هذه الامور بالتفصيل يحسن بنا اولا أن نناقش وظيفة اللغة فى العمل الادبى خاصة وفى العمل المسرحى عامة فى مقال هام بعنوان « اللغة بوصفها اشارة » يقول الناقد ريتشارد بلاكمور :

« ان الكلمات مصنوعة من الحركة ، مصنوعة من الفعل او الاستجابة ، ·· والاشارة مصنوعة من اللغة ـ مصنوعة من لغة ترقد تحت لغة الكلمات او تكمن وراءها او تسير معها جنبا الى جنب · فعندما تخوننا لغة الكلمات نلجأ الى لغة الاشارة ··· فاذا مضينا الى القول بان لغة الكلمات عندما تبلغ أقصى درجات النجاح تصبح «اشارة» فى كلماتها ، فاننا عندئذ نحل لغز اللغة الذى بدأنا به لاكتشاف مفهوم معين لذلك اللغز الغامض وهو التعبير المحمل بالمعنى فى لغة الفنون » ·

وحسب نظرية الاستاذ بلاكمور فان اللغة فى الفن ليست الا رمزا للتعبير عن الحركة ·· او بمعنى آخر فانها تبلغ أقصى درجات النجاح عندما تصبح كذلك ·· ويترتب على هذا أن اللغة نفسها ـ فى المسرح خاصة وفى جميع فنون الادب الاخرى عامة ـ ليست مقصودة لذاتها وانما للتعبير عن الحركة المتطورة للعمل الفنى ·· وهى بالتالى أيضا جانب من جوانب الشكل ولكنها ليست كل جوانبه فهى تساعد مع الجوانب الاخرى من شخصية وحدث وبناء ـ فى المسرح مثلا ـ على اعطائنا الصورة المتكاملة للمسرحية· والاستاذ **بلاكمور** يضرب مثلا على هذا النوع من النجاح الذى تبلغه اللغة عندما تصل الى حد أن تصبح «اشارة» الى حركة ما خارجية او باطنية ، يضرب مثلا بالبيتين التاليين من مسرحية عطيل حين يقول عطيل لياجو :

« احس فى كلماتك غضبا

لا تحمله الكلمات نفسها »

والكلمة لا تتحول الى اشارة الا اذا استخدمها الكاتب استخداما معينا ، أى انها لا ترتبط بمعناها القاموسى بقدر ما يتحدد معناها داخل السياق الذى وردت فيه ·· فاذا كان استخدام الكلمة داخل السياق ، قد يبعدها عن معناها القاموسى ويكسبها ظلالا أخرى كثيرة فانها تصبح غير محددة الدلالة ، وتتعدى أيضا دلالتها الحرفية لتكتسب دلالة حركية، بمعنى أنها تشير الى شىء أو أشياء أكثر كثيرا مما قد تشير اليه لو فصلناها عن السياق الذى وردت به فى العمل الفنى ·· فمثلا فى الابيات التالية فى مونولوج هاملت الشهير ·

الموت ، النوم ،

كفى ، وبالنوم نعنى أن نضع حدا

لآلام القلب ، وآلاف المتاعب التى

يتعرض لها الجسد بطبيعته ··

او فى البيت الشهير من ماكبث الذى يقول فيه شكسبير ان ماكبث قد « **قتل النوم** » بقتله للملك دنكان الذى كان ينام فى غرفته نوما بريئا هادئا ··

في هذين المثالين تكتسب كلمة النــوم معنى الموت والبراءة والطهر والراحة من الآلام الجسدية والمعنوية معا ، كما تصبح ذات ظلال لا حد لها بما تثيره من المعاني داخل الموقف المسرحي المحــدد ٠٠ فهي بهذا المعنى لا تقف وحدها أو بظلالها فقط داخل الجملة او الفقرة وانما تلعب أيضا دورها في تفسير الحدث

الدرامي وتوضيحه وتطويره في الوقت نفسه٠٠ فما نبث مثلا بقتله للنوم٠٠ (أى لدنكان النائم) قد قتل البراءة الى الابد٠٠ ومن ثم ترهص هذه الكلمة الموجهة لـــا سيكون عليه تطور الموقف الدرامي من فقــدان

ماكبث نفســه لبراءته وتكامله النفسي وانغماسه في القتــل والشر بعد ذلك ٠٠ حتى يصل الى نهـــايته

الحتمية ٠ أى تنهى مرحلة درامية وتبدأ أخرى ٠٠ وكذلك الحال في الابيات التي اوردناها في هاملت فهو في مرحلة تشككه وتأمله ٠٠ يعتبر النوم (النوم الحقيقي والرمزى أى المـــوت) هو وحــده الوسيلة لاستعادة البراءة ٠٠ وهكذا ٠٠ وهناك من قال من النقاد ـ وهم قطعا على حق ـ مثل الاستاذ ستيان في كتابه الشهير «عناصر الدراما» ان الكلمة في المسرحية تكتسب معناها فقط داخــل جملة الحوار ٠٠ وجملة الحـــوار تلعب عدة أدوار في وقت واحد فهي تلقى الضوء على المتكلم كما تلقى الضوء على المخاطب ٠٠ وتشير في نفس الوقت الى حدث ما ٠٠ ولا يجب أن تتوقف عند ذلك بل توحي أيضا بتطور معين في هذا الحـــدث ٠ كل هذه الوظائف المتعددة والمعقدة التي تؤديها الكلمة وجملة الحوار في المسرحية ، هي التي تساهم شيئا فشيئا في استكمال البناء المسرحي ، أو بالاحرى في اكساب المادة المسرحية الشكل ٠ ومن هنا نستطيع أن نتبين الفرق بين لغة السرد في الرواية او حتى لغة الحوار الادبي المكتوب خصيصـــا للقراءة ولغة المسرح ٠٠ فرغم ان استخدام اللغــة في الادب بشكل عام لابد أن يكون استخداما معينا وخاصـــا بحيث تكتسب اللغة أبعادا ودلالات وظلالا لا نجدها في العلم مثلا ، الا أن اســتخدام اللغـــة في المسرح خاصة أخطر كثيرا وأشق نظرا لما قد تقوم به الكلمة الواحدة من عدة وظائف في وقت واحد ٠٠ ومن هنا يمكن أن نناقش قضية الترجمــــة للمسرح ٠٠ فهذه

القضية ذات شقين ٠٠ اولهما المحافظة قدر الامكان على حركة المسرحية المتطورة من خـــلال الصراع الى معنى معين ٠٠ وكلمة «حركة» هنا بالغة الاهمية٠ وثانيهما: عدم أي جدار قد يقوم بين المسرحية ذاتها والجمهور المتلقي بسبب اللغة ٠ أما بالنسبة للشق الاول فاننا عندما نختار من الالفاظ ما يمـــكن ان يؤدى المعنى القاموسي للكلمة الأجنبية ولكن لا يساهم في رفع حركة المسرحية الى الأمام ولا يتيح للكلمة ان تلعب أدوارها

المتعددة المعقدة في البناء العام للمسرحية فاننا نكون بذلك قد ألحقنا الكثير من الضرر بالنص الذى نترجمه. فقــد تكون الكلمة بليغة أو قــد يكون التعبير بليغا ،

ولكنه لا يصبح مسرحيـــا الا اذا أدى هذه الاغراض المشار اليها آنفا ٠٠

ولا مجال هنا لمناقشة العربية والعـــامية كوسط لغــوى للترجمة ـ فهذه القضية تصبح منتهية من اساسها اذا آمنا بان اللغة الوحيدة المناسبة لترجمة اى مسرحية هي اللغة التي تنبع من داخل المسرحية ذاتها ومن داخل حركتها وايقاعها وبنائهـــا ، سواء اكانت لغة عربية فصحى ام لهجة عامية ٠

وكذلك الحال بالنسبة للشق الثاني من القضية ، فان اللغة غير المسرحية ـ بالمعنى الذى انتهينا اليه ـ اذا ترجمت اليها اية مسرحية فانها بذلك تصبح جدارا يحول بين الجمهور وبين المسرحية من ناحية، وتصبح عائقا للحركة المتدفقة التي تقوم عليها المسرحية ذاتها من ناحية أخرى ٠٠ والنتيجة ان الجمهور المتلقي قد يرى شـــيئا آخر يشبه المسرحية ولــكنه ليس هو المسرحية ، لانه فقد أهم عنـاصرها ٠٠ وهو الحركة الدرامية المتدفقة ٠

وفي النهضة المسرحية التي نعيشها الآن يجب أن نتنبه الى هذه الحقيقة ٠٠ لانها هي السبيل الوحيد الى نقل التراث العالمي باكبر قدر ممكن من الامانة ٠٠ فلا يمكن أن يقوم العرض المسرحي الذى نتوقع منه أن يخلق التربية المسرحية سواء للمؤلف أو للجمهور ـ الا اذا كنا نشاهد المسرحية كما هي على حقيقتها ٠٠ دون أن نفرض عليها لغة ليست تابعة منها ٠٠ بل تعوقها أحيانا عن ايصال معناها الكلي ٠٠

« **سمير سرحان** »

أساليب كتابة الرحلات في القديم والحديث

بقلم : محمد عبد الغني حسن

- ٢ -

منذ قرابة اربعين عاما فطن ناقد الى أساليب الكتاب في كتابة الرحلات ، ووجدها فرصة مواتية وهو يعرف بكتاب جديد في أدب الرحلات عنوانه « مشاهد العالم الجديد » للكاتب فؤاد صروف الذي تولى رياسة تحرير « المقتطف » بعد وفاة عمه الدكتور يعقوب صروف سنة ١٩٢٧ . ولقد ظهر هذا الكتاب في عام ١٩٢٥ حينما كان صروف يساعد في تحرير تلك المجلة الراقية ، وتناوله الناقد بالتعريف في عدد شهر نوفمبر من تلك السنة . وقد ذكر الناقد أن من كتاب الرحلات (من يصف كل دقيقة يمر بها ، ويدون كل شعور يختلج فيه ، فتأتي كتابته وصفا مسهبا لكل خطوة يخطوها أو مشهد يراه . ومنهم من يدون الملاحظات والحقائق ثم يجمعها ويبوبها تحت مباحثها المختلفة ، ويكتب في كل مبحث منها مستقلا عن غيره . وهذا الأسلوب يختلف عن الأسلوب السابق في أن القارىء يرى الأمور بكلياتها ، ويقف على النتائج التي وصل اليها الكاتب ، بدلا من أن يرافقه في مشاهدة كل الأمور الجزئية ، ثم يتركه في آخر السفر ليستنتج منها ما يريد) . كما ذكر أن مؤلف كتاب « مشاهد العالم الجديد » جرى على الأسلوب الثاني .

والحق أن الأستاذ فؤاد صروف لم يدون في كتابه يوميات ، ولا مذكرات اللحظة العابرة ، ولكنه جمع المشاهد الكبرى في العالم الجديد في الصحافة ، وفي موضوع السوريين في أمريكا — وهي ظاهرة تلفت النظر وخاصة نظر الزائر العربي — ومكتبة الكونجرس ، وهنري فورد ومعامله ، والمعارف والمدارس في الولايات المتحدة ، والراديو والسينما الناطقة . وهي موضوعات كانت مثار اهتمام المؤلف قبل سفره . وهذا يؤكد لنا الحقيقة التي نقررها هنا ، وهي أن كل كاتب رحلات يهتم في رحلته بمشارات اهتمامه قبل الرحلة . فالرحالة المهتم بالصناعات وتطورها يهمه في تدوين رحلته الحديث عنها ، والصحافي يهمه من رحلته كل ناحية من نواحي مهنته ، والمشتغل بالتربية والتعليم تقع عينه أول وهلة في خلال رحلته على ما يتصل بموضوع التربية والتعليم وهكذا . ومن هنا كان اهتمام الرحالة فؤاد صروف بالصحافة والمكتبة والمدارس والمصانع ، فهو صحافي مشارك في تحرير المقتطف أول الأمر ومستقل برياسة تحريره بعد ذلك ، وهو معلم اشتغل بالتربية ناظرا لاحدى المدارس الثانوية في لبنان قبل أن يفد الى مصر ، وهو رجل فكر وثقافة يهتم بالتاليف الذي أسهم فيه بعد ذلك بجهد عظيم ، وهو رجل علم يتابع تقدمه في مجال التطبيق الصناعي .

وكذلك نجد الرحالة فتح الله الصقال يزور في أوربا وأمريكا دور العجزة والملاجىء والمستشفيات ليدخل على مشروعاته الانسانية في حلب ما تنجح به رسالة الخير التي ينهض بها فوق عمله في المحاماة ، وكذلك نجد الرحالة العربي فيلسوف الفريكة « أمين الريحاني » حين قام برحلتيه الكبيرتين الى بلاد العرب ، والى بلاد المغرب ، كتب عنهما كتابيه العظيمين : « ملوك العرب » و « المغرب الأقصى » .

ولعل كثيرا من قراء الشباب العربي اليوم لا يعلمون أن رحلة أمين الريحاني الى بلاد العرب هي التي من أجلها كرمته مصر عن بكرة أبيها ، وأقيمت له من أجلها حفلات التكريم ، وكان منها حفل سفح الأهرام الذي اقامه له شيخ العروبة احمد زكي باشا ، والقيت فيه قصيدة أحمد شوقي التي يقول فيها :

قف تاج أهرام الجلال وناد
هل من بناتك مجلس أو نادي ؟

ايه أمين ! لمست كل محجب
في الحسن من أثر العقول وبادي

قم قبل الأحجار والأيدي التي
أخذت لها عهدا من الآباد

وخذ النبوغ عن الكنانة . انها
مهد الشموس ، ومسقط الآراد

ولقد كان الريحاني مشتغلا بقضايا الأوطان العربية السياسية والحضارية ، فلا عجب أن كان كتاب رحلتيه يفيض بأحاديث السياسة والدفاع عن العروبة ورد هجمات أعدائها ، حتى لنجده في كتاب « المغرب الأقصى » يدفع اتهامات ساسة أوربا الاستعماريين وأنصارهم من رجال الدين والمال والاقتصاد للمغاربة بل للعرب اجمالا ، وهي أقوال (أقرب الى الغرض والتحامل منها الى الحق والانصاف ، من تلك الأقوال التي تقول : ان المغاربة متقهقرون منحطون ، وأنهم سيغرقون حتما ويفنون في أمواج التمدن الأوربي .. قيل ذلك في مطلع هذا القرن ، يوم كانت الدول الأوربية العظمى تمهد لنفسها سبل الاستيلاء على المغرب ، وها هم أولاء المغاربة العرب — بعد ربع قرن — ينهضون من سباتهم ، وينفضون عن مناكبهم غبار الخمول والذل ..)

وقل أن تجد رحالة — عربيا أو غير عربي — لايصور عادات البلد الذي ينزل فيه ولايصف طبائع أهله ، ولا مختلف طقوسهم في أفراحهم ومآتمهم ، وفي جدهم ولهوهم ، فابن بطوطة — مثلا — يذكر من فضائل أهل مكة — في عصره — أن الأيتام الصغار يقعدون بالسوق ، ومع كل واحد منهم قفتان : كبرى وصغرى — وهم يسمون القفه مكتلا ، فيأتي الرجل من أهل مكة الى السوق ، فيشتري الحبوب واللحم والخضر ، ويعطي ذلك الصبي ، فيجعل الحبوب في احدى قفتيه ، واللحم والخضر في الأخرى ، ويوصل ذلك الى دار الرجل ليهيأ له طعامه منها ، ويذهب الرجل الى طوافه وحاجته ، فلايذكر أن أحدا من الصبيان خان الأمانة في ذلك قط ، بل يؤدي ما حمل على أتم الوجوه ، ولهم على ذلك أجرة معلومة . كما يذكر لنا ابن بطوطة مثلا عادات أهل مكة في صلواتهم وفي استهلال الشهور وفي الاحتفال بعمرة رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وشهر رمضان المكرم .

وللرحالة ابن جبير الاندلسي من ذلك وأشباهه ملاحظة كثيرة ، وكذلك عبد اللطيف البغدادي ، والمقدسي البشاري صاحب كتاب « أحسن التقاسيم » ولا نعدم في الرحالة العرب المحدثين مثل هذه الملاحظ على العادات والطباع .

وللشيخين الكبيرين رفاعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق في هذا الباب ملاحظ كثيرة واعية . فقد لاحظ رفاعة الطهطاوي « قلة عفاف كثير من نساء باريس » ، كما لاحظ — في الثلث الأول من القرن التاسع عشر — كثرة اهتمام الفرنساوية بقراءة الكتب ، فهي أنسهم ، حتى أنها تلقى على نضد في أيام الزيارة بالبيوت (لتسلية من أراد من الضيوف أن يسرح ناظره ، وينزه خاطره) ..

الا أن ملاحظ أحمد فارس الشدياق على العادات والطباع في البلاد التي زارها أكثر وأعمق وأذكى .. فقد لاحظ مثلا ما عند الانجليز من التطير والتفاؤل الى حد يفوق نظيره عند أهل الشرق ، فهم يتطيرون من لقاء المرأة الحولاء ، ما لم تبادر بالكلام ، فحينئذ تزول الطيرة ، كما يتطيرون من السفر يوم الجمعة ، ويرمون بنعلين باليتين خلف من خرج من المنزل لمصلحة يرومها ، فان ذلك يعد فألا بنجاحه وتوفيقه ويتطيرون من رؤية الهلال من شباك أو زجاج ونحوه ، فاذا رأيته في الفضاء فاقلب ما في جيبك من الدراهم أو الفلوس ، وتمن خيرا في الشهر القابل تنله .

ولاحظ الشدياق تزمت الأنجليز وتحذلقهم على الموائد وخاصة في الضيافة ، وشدة عنايتهم بالصحاف والمفارش حتى ولو كان الطعام تافها ..! فقد رآهم يضعون البطاطس في صحاف مفضضة وتحتها فوط من الكتان الرفيع (فلم أدر ما المراد بهذا الاحتفال والتنطس ، فان الخسيس خسيس حيثما كان ، والكلب كلب وان طوقته ذهبا) ! يقصد الشدياق طبعا أن البطاطس هي البطاطس ، وهي الطعام الخسيس مهما وضعته في صحاف مفضضة أو على مفارش ثمينة !

ومن ملاحظه الدقيقة فى مقاهى عاصمة مالطه أن الساقى ـ أو الجرسون ـ اذا استطال وقت جلوسك واراد أن يصرفك جاءك ومسح المائدة أمامك (اشارة الى أنه ينتظر غيرك ، أو كأنه يقول بلسان الحال : لقد أبرمت بى ، فمتى تفارق ؟)

ومن ملاحظ فارس الشدياق الذكية على سحنة الانجليز ما لاحظه على وجوه أهل الريف من الكلوح والعبوس ، على حين تكون وجوه أهل المدن أقل عبوسا . ولقد رد ذلك الى ما تأخذ به الأم طفلها فى المدينة من سماع الموسيقى ، فمتى سمعت الام فى المدينة موسيقى أخذت طفلها ورقصته عليها او غنت له ، فيدرب بذلك ، فيغرس فيه حب الطرب والخفة والبشاشة ، فأما فى القرى وهى خالية من ذلك فلا بد أن ترى الوجوه عابسة باسرة .. وهو تعليل دقيق لطيف ..

وأكثر كتاب أدب الرحلات الموفقين لا تفوتهم الموازنة الدقيقة ، بين شىء وشىء ، أو بين شىء ونظيره فى بلد آخر . فالأستاذ فتح الله الصقال يوازن بين ملجأ فى بلد وملجا فى بلد آخر ويقارن بين غابة بولونيا فى باريس وهايد بارك فى لندن . وأحمد فارس الشدياق يوازن بين نساء انجلترا ونساء فرنسا ، ويلاحظ أن نساء الفرنسيس أكثر تكيسا وتظرفا فى الظاهر من نساء الانجليز . والأستاذ فؤاد صروف يوازن بين العاصمتين نيويورك وباريس .. وباريس متحف ؟ ونيويورك متجر (وبين المتحف الفخم البديع والمتجر الفنى المتقن تتلون الحياة بمئات الالوان ، وتتشكل وسائل العمران بالف شكل وشكل) . وباريس مدينة الأبهة والمجد ، ومدينة الادب والشعر ، وهى المدينة الساحرة ، فالسحر يملأ جوها فى الليل والنهار (أما نيويورك فصحيفة مهندس رسم عليها بدقته الرياضية خطوطا متوازية ومتقاطعة ، وجعل من الخطوط شوارع مستقيمة ، وزوايا قائمة ، وأقام على مربعاتها مبانى شاهقة ، جعلها عاطلة الا من حلى العمل ، والعزيمة الراسخة، والعقل المبتكر) .

ورفاعة رافع الطهطاوى يوازن فى رحلته الى باريس بين الرقص فى مصر والرقص فى باريس ...

(ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة لا من الفسق ، فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء ، بخلاف الرقص فى أرض مصر ، فانه من خصوصيات النساء ، لأنه لتهييج الشهوات .. وأما فى باريس فانه نط مخصوص لا تشم منه رائحة العهر أبدا) .

ومن دوافع المقارنة بين بلد الرحالة والبلد الذى يزوره ، هذا الحنين الذى يعاود المسافر دائما حتى يئوب الى وطنه ، فهنا يرى الرحالة وطنه أجمل الأوطان ، حتى ولو جار عليه أهله . كما يقول الشاعر القديم :

بلادى وأن جارت على عزيزة
وأهلى وأن ضنوا على كرام

وقد كان رفاعة الطهطاوى يرى مصر جميلة على ما فيها من عدم استكمال وسائل العمران ، ويقول فى ذلك (لو تعهدت مصر ، وتوفرت فيها أدوات العمران ، لكانت سلطانة المدن ، ورئيسة بلاد الدنيا ، كما هو شائع على لسان الناس من قولهم : مصر أم الدنيا) .

« **محمد عبد الغنى حسن** »



الاشتراكية في إطار الإسلام

بقلم : عبد الرحيم فوده

على كثرة ما قرأت من بحوث وكتب في الاشتراكية لم أظفر بتعريف واحد يحدد معناها ، لأن مفهومها قد اتسع لكثير من المذاهب الاقتصادية المختلفة التى ترمى الى تنظيم المجتمع ، وتهدف الى تحقيق ما يمكن تحقيقه من المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين الأفراد الذين يعيشون فيه ، وقد نبتت هذه المذاهب فى بيئات مختلفة ، وتأثرت بواعثها وأهدافها وبرامجها ومناهجها بظروف هذه البيئات ، وبخاصة الأوضاع الاقتصادية الجائرة التى سادت القارة الأوربية في أوائل القرن التاسع عشر ، ومع ذلك أطلق على كل مذهب من هذه المذاهب اسم « الاشتراكية » أو الكلمة التى ترجمت بهذا الاسم ، ومن ثم كان من الصعب أن يخرج الباحث بتعريف جامع مانع لهذه الكلمة التى أصبح لها رنين سحرى فى نفوس الجماهير الكادحة والقوى العاملة ، اللهم الا أن يلجأ الى التعميم ، ويرتفع الى ما ارتفع اليه علماء المنطق حين عرفوا الانسان بأنه حيوان ناطق أو مفكر ، فيقول في تعريف الاشتراكية : انها القواعد والنظم والقوانين التى يتمكن بها الأفراد من الاشتراك فى موارد الدولة أو المجتمع ، وبذلك تدخل كل هذه المذاهب الاشتراكية — مع اختلافها — فى عموم هذا التعريف ، كما يدخل الناس من مختلف الشعوب والأمم والأجناس فى عموم تعريف الانسان بأنه حيوان ناطق أو مفكر .

والواقع الذى لا سبيل الى الشك فيه عند من يؤمنون بالاسلام . ويدينون بنظامه . ويلمون بجملة أصوله وأحكامه أن هذا الدين القيم لو عرفه على حقيقته الباحثون عن الحرية . والظامئون الى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية ، لوجدوا فيه ما يغنيهم عن كل هذه المذاهب .. ويقيهم ما اقترن بها وبالنظم الرأسمالية من مآثم ومظالم ، فانه — وهو تنزيل من حكيم عليم — قد سوى بين الناس فى الحقوق والواجبات ، وجعلهم — على اختلاف ألسنتهم وألوانهم — أسرة واحدة ، لا فضل فيها لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وفرض لفقرائهم حقا معلوما فى أموال أغنيائهم . وليس فى طبيعته . ولا فى شريعة كتابه ما يسمح بقيام الأوضاع الجائرة التى قامت فى المجتمعات الاوربية وغيرها ، ونشأ عنها النزاع الحاد والصراع الدموى بين الطبقات الظالمة والطبقات المظلومة . أو الهيئات الحاكمة والشعوب المحكومة . واذا كان المجتمع العربى والاسلامى قد وقع فيما وقعت فيه من ظروف ، ونشأ فيه ما نشأ فيها من اقطاع ظالم . ورأسمالية طاغية ، وحكومات فاسدة . وعروش مستبدة . وامتيازات طبقية . فان مرد ذلك كله الى ميله عن الاسلام ، وبعده عن صراطه . وتأثره بالتبعية للدول الأوربية ، ومن هنا كان القضاء على الاستعمار . وظلم الاقطاع . وطغيان رأس المال . وفساد الحكم والامتيازات الطبقية عملا اسلاميا من صميم الاسلام ، فاذا أطلق على هذا العمل وما اليه من الأعمال الانشائية . والمشروعات العامة التى قامت بها الثورة اسم « اشتراكية ديمقراطية تعاونية » فان هذه التسمية لا تبعد بها عن اطار الاسلام ، لأن فيه ما فى الاشتراكية من تضامن ، وما فى الديمقراطية من شورى ، وما فى التعاون من خير وبر ، فالمسلمون « تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم فى كل ما يهمهم كما يقول الله فيهم « وأمرهم شورى بينهم » ، وعملهم جميعا يهدف الى تحقيق البر — وهو سعة الخير — كما يفهم من قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، والحاكم والمحكوم فيهم كلاهما محكوم بما أنزل الله ، مأمور بأن يؤدى الأمانات الى أهلها ، والحكم بما أنزل الله أساس الحق والعدل ،

وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدو الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » فقد فسرت الامانات بكل الحقوق التي أوجب الله اداءها ، وفسر العدل بالمساواة والانصاف .. وتوخي القصد في الأمور ، والمثل والنظير ، والجزاء والفداء ، فالعدل في الحكم ،والعدل في القضاء ، والعدل في الجزاء . والعدل في تقدير الأجور ، والعدل في تكافؤ الفرص ، كل ذلك حق يجب أن يتبع وأمر يجب أن يطاع .

هذا الى أن المؤمنين كما يقول الله فيهم : « انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم » ، وكما يقول فيهم « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض » وهم كما يصفهم القران « رحماء بينهم » فالاخاء والولاء ، والرحمة ، والتعاون على البر والتقوى ، يجعلهم « كالبنيان يشد بعضه بعضا » وكالجسد « اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ولا اعرف ـ ولا يعرف أحد من الناس ـ اشتراكية في السراء والضراء ترتفع بالمجتمع الى هذا المستوى الرفيع ، لأن الأساس الذي تقوم عليه الاشتراكية في المجتمع الاسلامي يختلف اختلافا جذريا ـ كما يقال ـ عن الأساس الذي قامت وتقوم عليه الاشتراكية في غيره من المجتمعات كما قلت في بعض ما كتبت :

انها فيه ثمرة طيبة لشجرة طيبة « اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها »

وفي غيره ثمرة مرة لنزاع مرير ، وصراع طال مداه بين العمال وأصحاب رأس المال

انها فيه تعبير عن شعور كل فرد فيه بحق أخيه، وعبارة مالية لا يكمل ايمان المؤمن بدونها ولا يسلم اسلامه بغيرها .

انها فيه تقوم على الايمان بالله خالق الجميع ورازق الجميع ، وعلى أن المال مال الله فيجب أن يوجه لخير الجميع ومصلحة الجميع ، وعلى أن المؤمنين أخوة فيجب أن يسودهم التضامن والتعاون ، وأن يشد بعضهم أزر بعض ، لأن بعضهم أولياء بعض .

هذا هو الأساس الذي تقوم عليه الاشتراكية في المجتمع العربي الاسلامي ، بل في ضمير كل فرد في المجتمع العربي الاسلامي ، يؤكده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يسلمه ، وقوله : لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وقوله : ما آمن بي من بات شبعان وجاره الى جانبه طاو (جائع) وقوله اى رجل مات ضياعا بين أغنياء فقد برىء منهم الله ورسوله .

وهذا الاساس هو ـ وحده ـ الذى تقوم عليه الحياة الطيبة للفرد والجماعة والأمة ، فليس المال ملكا خالصا للدولة حتى تجور على الافراد فتاكل جهودهم . وتلغي وجودهم . كما هو الشأن في الشيوعية ، وليس ملكا خالصا للأفراد حتى يحق لهم احتجانه واختزانه . أو استغلاله بطرق آثمة ، ووسائل ظالمة كما هو الشأن في الراسمالية ، انما هو ملك لله يأخذ منه الانسان بالوسائل التي شرعها الله . كالعمل الصالح المثمر ، والارث . والهبة والوصية ، وتأخذ منه الدولة بمقدار ما يعينها على تأمين حدودها . وتاكيد وجودها . وتيسير أسباب الخير والحياة الطيبة لبنيها .

فالملكية مشروعة في الاسلام على أساس أنها ملكية نسبية ناقصة . لا ملكية حقيقية تامة ، والضرر الخاص الذى يقع على بعض الأشخاص يجب أن يتحمل في سبيل رفع الضرر العام كما هي القاعدة الشرعية .

هذا الى أن التعامل بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب يقوم على أساس : أن لهم ما لنا وعليهم ماعلينا ، بل انه لا حرج على المسلمين في أن يبروهم ويقسطوا اليهم كما يفهم من قوله تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين .

فالاشتراكية في اطار الاسلام على هذه الأسس والأصول التى أشرنا اليها خير لا يشوبه أى شر ، وعدل لا يعيبه اى جور ، لأنها كما يقول الله «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وكما يقول : ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .

وقد نظر اليها الرئيس **جمال عبد الناصر** هذه النظرة السليمة المؤمنة فقال في بعض ما كتب عن مشكلة الفرد والمجتمع : (.. وتتعارض المذاهب . وتصطرع العقول والقلوب ،وتنشأ الجماعات المختلفة،

تدعو كل جماعة منها الى مذهب ، ويشغل الفلاسفة وأهل الفكر فى كل أمة ليخترعوا « نظاما » يفض المشكلة ويحل العقدة ، ثم نسمع عن الرأسمالية والاشتراكية والنازية · والفاشية · والشيوعية · والفوضوية · وعن نظم أخرى لا يكاد يبلغها الاحصاء وليس في واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع لأن مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة انسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل الى حلها الا بتربية الشعور الانسانى فى نفوس الجماهير ، وتوثيق أواصر الأخوة الانسانية بين البشر ·

ونقف نحن العرب والمسلمين فى هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذى يدور بين هذه المذاهب المادية المبتدعة ، ونرقب المعارك الناشبة بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب، فنعجب اشد العجب من تلك المذاهب والذاهبين فى سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء ، لأن مشكلة الفرد والجماعة التى حيرت كل المفكرين والفلاسفة فى أوربا منذ قرنين أو منذ قرون قد وجدت الحل الصحيح فى بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة .. منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو الى الأخوة الانسانية ، ويفصل مبادىء العدالة الاجتماعية ، من غير طغيان على حرية الفرد · ولا اذلال له ، ولا انكار لذاتيته ·· « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ·

ذلك هو النظام ·· فليكتف المفكرون والفلاسفة بما بذلوا من جهد ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع ·

ان عندنا الحل ·· الحل الأول الذى نزل به الوحى على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة هو الحل الأخير لمشكلة الانسانية ·

حفظه الله · وسدد على طريق الخير خطاه ··

« عبد الرحيم فودة »

قولى مع السلامة

للشاعر : عباس محمود العقاد

نعم مع السلامة — والحب والكرامة
حديثك الممتع لى — من ثغرك المقبل
وانت لى فى منزلى — وشيكة ان تخجلى
من قبلة حر الى — لغو الى ابتسامة
ولا تقول عندها — لا · لا · مع السلامة

حتى الى يوم القيامة

اما اذا سرتى — نادتك يا حبيبتى
فاستمعى تحيتى — ثم « اسالى عن ليلتى ! »
ثم اضحكى وسلسلى — ضحكتك النغامة
فان أطلت بعدها — فهذه علامة

قولى مع السلامة

من ديوان « مابعد البعد » تحت الطبع

مبايعة البطل

للشاعر: حسن جاد

يا خالد الذكر يفنى الدهر والحقبا
غنى بمجدك شعب أنت منقذه
ودولة من قيود الذل قد نهضت
طرقتها ساريا والليل معتكر
تعدو الذئاب على قطعانه شرها
مخالب ونيوب راح يشرعها
ورجمة من رجوم الغرب يقذفها
والظلم قد مد فى الآفاق أروقة
والحكم فى يد أذناب لمغتصب
والأرض والمال للاقطاع متخمة
فلوحت يدك البيضاء فى غسق
وكنت فجر الحيارى فى مفازتهم
بدلت خوفهمو امنا ، وذلهمو
ورحت تنصف أهل الفقر من نفر
فى ثورة حطم الاقطاع جحفلها
(جمال) يا رائد الأحرار أى فتى
فى كل يوم ترينا سحر معجزة
تلك القناة ، وقد عادت لمن فقدوا
والسد قد رفعت يمناك شامخه
يا رافعا مشعل الأخلاق فى بلد
وموقظا أمة من بعد رقدتها
حتى غدت قبلة الأحرار ، مشعلها
واصبحت فى فم الأيام أغنية
رمز العروبة فى أسمى مطامحها
القت اليك بآمال لها عظمت
هتفت بالوحدة الكبرى ، فرايتها
وصحت فى كل شعب نائم فصحا
أعد لأرض فلسطين عروبتها
واحشد على الزحف جيش العرب متحدا
واضرب عصابة صهيون وصولتها
غدا يرون من المحمود عاقبة
لا زلت للشرق فى أمجاده بطلا

أعيت بطولتك الأشعار والخطبا
من غاشم عاث أو من فاتك سلبا
على يديك تبارى النجم والشهبا
أمسى حماها به للفتك منتهبا
فمن يفز بقطيع مفرد وثبا
على الكنانة غاب شرعه غلبا
على البلاد جحيم ينفث اللهبا
ترى المفاسد والفوضى لها طنبا
ما ان يحكم الا الخادم الذنبا
والشعب جوعان يشكو الفقر والسغبا
فمزقت كبد الظلماء والحجبا
وكنت صبحا من الآمال مرتقبا
عزا ، ويأسهمو من نجدة رغبا
بغوا ، قد احتكروا الأموال والنشبا
وزلزلت صرح الاستعمار فانقلبا
سواك أعيا المعالى والمنى طلبا ؟
عملاقة تتحدى الشك والريبا
من الضحايا بها جدا لهم وأبا
رمزا تحدى أراجيف العدا وأبى
ما كان يعهد الا الزيف والكذبا
بعزمة تصدع الأحداث والنوبا
لكل شعب يفئ النهج والشعبا
تهتز أسماع دنيانا بها طربا
وسيفها العضب لا يتبو اذا ضربا
أعظم بمن كان للآمال منتدبا
عما قريب تظل الشرق والعربا
ليسترد بكم ما كان مغتصبا
فكم غضبت لها ، والحر من غضبا
واردد لأبنائها الأحرار ما سلبا
واشعل النار واجعلهم لها حطبا
من يعبد الله أم من يعبد الذهبا ؟
وللعروبة من آمالها الأربا

إلى صديقي العقاد

في ذكرى يوم وفاته

للشاعر: محمد طاهر الجبلاوي

عند هـذا الملتقى كنا نسير
ولنا من كل بستان عبير

انا منـه ذرة باسمة
ضمها في فلكه قلب كبير

جمع الغبطة والحب لمن
يصطفيه فهو ريحان ونور

نصنع الدنيا بأيدينا وما
تصنع الدنيا لأهليها قشور

هى دنيا في الضمير ارتسمت
فسلكناها كما يهوى الضمير

***

الليالي الملهمات ائتلقت
بسنا الفكر تاهت في حلاه

اهي أعراس جمال زينت
أم أفانين خيال من رؤاه ؟

عبقرى الفن في أخلاده
ابدع الصورة من وحي نهاه

فتلاقينا على أضوائها
حقبة نحسو أفاويق الحياة

وانتهينا في دجى من يومنا
حين أصبحنا ولم نبصر سناه

اى أخي العقاد ما زلت هنا
ملء عيني وسمعي وجناني

أحفظ الود الذى أوليتني
وأناجي فيه أشتات المعاني

***

عالم أنت فهل يخفى اذا
غالك الموت ويفنى غير فاني

ولك المجد الذى شيدته
خالد الذكر على مر الزمان

كذب الموت اذا قيل مضى
بثراء الروح من هذا الكيان !!

ناسك الفكر على محرابه
صفحة الكون وأقلام الغيوب

خط منها في جنى قرطاسه
كلمات الحق تستهوى القلوب

في بيان مشرق الطلعة فيه
بسمة الفجر على الروض الخصيب

وهدير البحر في غضبته
مزبدا بالهول في الوقت العصيب

***

وهو في الحالين جبار الحجا
يأخذ الألباب بالرأى المصيب

نم قرير العين بأخدان النهى
وارقب الدنيا بدار الأكرمين

كنت فيها رائد الفكر الى
أمة تعرف قدر العاملين

مخلصا للحق تعليه فها
هي ترعى فيك حق المخلصين

كل من فوق ثراها زائل
ليس يبقى غير ذكرى المحسنين

آية العرفان تحييها لمن
عاش للعرفان ، من دنيا ودين



كوميديا فى ثلاثة فصول

حبل الغسيل

بقلم: على أحمد باكثير

ملخص ما نشر

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مدير الجمعية الاستهلاكية حاولا طرد ابى حنفى المكوجى من مسكنه فى الربع ومن الحوش الذى يتخذه منشرا لغسيله ليتخذاه حديقة لهما ولكن ابا حنفى دافع بثبات عن مورد رزقه الوحيد ، وتعطف عليه محسنة زوجة ابى الديوك التى تنكر على زوجها اندماجه فى شلة ذات نشاط فى رايها غير مشروع وتقام حفلة فى بيت ابى الديوك حضرها بعض اعضاء الشلة وفيهم الشعوبى الدكتور نجم الدين ويدور النقاش حول المسرح فتعلم انهم لا يقبلون المسرحيات الا من شلتهم فهذا بلعوم مدير التموين يصبح عندهم من المؤلفين وتقبل له مسرحية عنوانها (مسرحية الموسم) ولكن لم يقبل احد من الممثلين أو المخرجين ان يمثلها او يخرجها فتوسلوا الى المخرج ميرغنى وما زالوا به حتى قبل اخراجها على مضض واسند الدور الرئيسى فيها الى حنفى الذى كان يتحرق على اتاحة الفرصة له لكى يمثل بعد أن اخذوا على ابى حنفى عهدا ان يترك لهم الربع وهكذا اصطاد ابو الديوك عصفورين بحجر واحد .

الفصل الثانى

المنظر : نفس المنظر كما فى الفصل الاول
الوقت : قبيل العصر

(يرفع الستار فنرى أم حنفى واقفة أمام باب اليدروم وهى تنظر ناحية الشمال ـ الى جزء غير مرئى فى الحوش ـ فى اشمئزاز وغضب وأسى)

ام حنفى : أعوذ بالله . اليوم أيضا القوا الماء القذر فى الحوش ! يا حنفى .. يا حنفى ..

حنفى : (صوته) نعم يا أمه

ام حنفى : تعال يا ابنى

حنفى : ماذا تريدين ؟ الا تتركيننى فى شغل ؟ (يدخل حاملا فى يده كراسة الدور الذى يتحفظه)

ام حنفى : دع هذه الكراسة الآن . تعال انظر !

حنفى : الله .. متى ألقوا هذا الماء ؟ ما كان موجودا حين رجعت منذ قليل .

ام حنفى : ساعة ما استرحنا بعد الغداء . الله يجازيهم أولاد الحرام .

حنفى : ولا يهمك يا أمه . سننتصر باذن الله . ان هذا الدور الذى أعطوه لى فى مسرح النجوم ...

ام حنفى : (مقاطعة) مالنا ولهذا الدور . أهذا وقته ؟ الا ترى ما نحن فيه ؟

حنفى : سيكون قنبلة الموسم

ام حنفى : على غرار (مسرحية الموسم) التى كانت القاضية عليك ؟

حنفى : كلا يا أمه . هذه مسرحية يحق الفها أستاذ فى فنه لا بلعوم او أبو الديوك !

ام حنفى : طيب طيب وماذا تعمل الآن فى هذه القذارة التى القوها فى الحوش ؟

حنفى : ماذا نعمل فيها ؟ نتركها حتى تنشف

ام حنفى : والشاويش الا تخشى منه أن يعمل لنا مخالفة .

حنفي : الشاويش لا مفر من مجيئه يا امه . لا بد ان الجناة قد بلغوه فهو فى طريقه الينا الآن .

ام حنفي : كأننا سنغرم أيضا اليوم . كل يوم يؤخذ منا جنيه كأنما فلوسنا حرام . يارب انك تعلم كم نشقى حتى نحصل على القرش !

حنفي : صبرك يا امه صبرك . سيأتي الفرج باذن الله

ام حنفي : من أين يا ابني من أين ؟ وانت ترى البؤس الذى نحن فيه . !

حنفي : لا ينبغى أن تشكي فى ذلك . نحن نعيش فى مجتمع اشتراكى لا يمكن أن يعيش فيه الظلم . الظالم فيه لا بد ان يكشف . والمظلوم فيه لابد أن ينصف

ام حنفي : ما هذا يا حنفى ؟ أهذا جزء من الدور الذى ستمثله فى الرواية ؟

حنفي : الله الله ! انك لتجيدين التنكيت يا امه !

ام حنفي : اى تنكيت يا ابني ؟ أنما أمرخ من الى !

حنفي : لا بأس انما هى أيام وسترين

ام حنفي : سأرى ماذا ؟

حنفي : سترين ميلاد نجم كبير فى سماء المسرح ثم التليفزيون ثم الشاشة البيضاء !

ام حنفي : ما بقى هؤلاء الظلام يا ابني فلا أمل ولا رجاء

حنفي : سوف ترين يا امه كيف أكسوهم الخـــزى والهوان

ام حنفي : كيف ؟ ماذا تستطيع أن تصنع ؟

حنفي : سوف أثبت للجمهور الذى ضللوه بدعاياتهم الكاذبة فى الصحف ان الممثل حنفى سالم لم يسقط مسرحيتهم كما زعموا بل هى أسقطته والصقت أنفه بالرغام ، انها مسرحية تسقط القارات الخمس ! والله لو كنت حتى لورانس أوليفيه !

ام حنفي : ومن هذا الرولانص أوفيليه ؟

الشاويش : (صوته من الخارج) يا أبا حنفى !. يا اسطى أبا حنفى ؟

حنفي : الشاويش يا أمه !

ام حنفي : لا حول ولا قوة الا بالله

حنفي : ألم اقل لك ؟

الشاويش : (يقرع الباب) أبا حنفى ! .. افتح !

ام حنفي : افتح له يا ابني وأنا سأصحي والدك . مسكين. لم يكد يضع جنبه على الارض ! (تخرج) .

(يذهب حنفى ليفتح للشاويش ثم يعود ومعه الشاويش)

الشاويش : اين أبوك يا ولد ؟

حنفي : احترم نفسك . أنا اسمى حنفى

الشاويش : طيب يا سيد حنفى أين ابوك ؟

ابو حنفي : (يظهر) هاأنذا يا شاويش

(تظهر سعدية على برندتها وفى وجهها السرور كأنها تشفى ثم تظهر محسنة فى برندتها وفى وجهها الأسى والتوجع)

الشاويش : فلوسك كثير يا اسطى فيما أظن . كل يوم عندك مخالفة

ابو حنفي : صدقنا يا شاويش : ليس هذا من فعلنا والله .

الشاويش : من فعل من اذن ؟

ابو حنفي : من فعلهم هم .

الشاويش : ما شاء الله .. الهؤلاء السكان المحترمين مزاج فى هذا الماء القذر ؟

ابو حنفي : تعال انظر اليه انه يختلف عن مـاء غسـيل الهدوم !

الشاويش : ما شاء الله أتريدنى ان اذوقه لأعرف أهو من غسيل الهدوم أم لا ؟

ابو حنفي : ثم خبرنى كيف لا تجيء عندى الا فى اليوم الذى يلقى فيه الماء القذر فى الحوش كأنك على ميعاد معه . كيف تعلل ذلك ؟

الشاويش : كيف أعلل ذلك ؟ أنا من رجال البوليس اعرف مواعيدك ومواعيد الغسيل عندك .

ابو حنفي : اليوم ليس عندنا غسيل . عندنا مكوى فقط . ماذا تقول فى هذا ؟

الشاويش : اتريدنى ان اكذب عينى ؟ من أين اذن جاءت هذه البركة من الماء الوسخ ؟

ابو حنفي : وحياة المصحف الشريف .

الشاويش : وتحلف بالمصحف الشريف أيضا يا ضلال ؟ أأنت من اهل المصحف أنت ؟

ابو حنفي : أوتعتقد انهم هم من أهل المصحف ؟ انك لسليم النية يا شاويش لا تعرف عن هـؤلاء الجماعة شيئا !

الشاويش : اعرف انهم ناس محترمون وعلى غير شاكلتك

ابو حنفي : اقسم لك بدينى انهم هم الذين يرمون الماء فى الحوش

الشاويش : ماشاء الله ما صدقتك اذ اقسمت بالمصـحف الشريف أأصدقك اذا تقسم بدينك ؟

ابو حنفي : واذا أوضحت لك انهم كانوا يغسلون ويمسحون البيت كله اليوم أتكذبنى ؟

الشاويش : ولماذا أكذبك ؟ هذا دليل على حبهم للنظافة

ابو حنفي : فهذا من الماء الذى غسلوا به البلاط !

الشاويش : ما شاء الله .. أتريد أن تستغفلنى يارجل ؟ امن الضرورى أن يلقوا ذلك الماء فى الحوش ؟ أليست عندهم مجارى ؟

ابو حنفي : عندهم المجارى يا شاويش ، ولكنهم يريدون أن يطردونى من هذا الربع · قلت لك هذا أكثر من عشرين مرة !

الشاويش : دعنى من هذا الكلام فانه لا يسوغ لى فى حلق ·· هيا لا تعطلنى ··· يدك على جنيه وقرش صاغ

ابو حنفي الأمر لله · خذ (يناوله الجنيه ويأخذ منه الايصال)

الشاويش : هلا كان هذا من الأول ! اذن لأرحتنى وأرحت نفسك : (يكتب فى أوراق معه)

ابو حنفي : ماذا تكتب بعد ؟

الشاويش : الم تفهم بعد ؟ أعلى أن أعلمك كل يوم ؟ هذه مخالفة اليوم اكتبها عليك لتستعد لدفع غرامتها غدا ·

ابو حنفي : لا حول ولا قوة الا بالله

الشاويش : اسمع ·· عليكم أن تنشفوا هذه البركة · ان جئت غدا فوجدتها كما هى كتبت عليكم مخالفة جديدة ·· مفهوم ؟

حنفي : (كانه لم يستطع السكوت) اسمع يا شاويش ·· هل لك عندنا شيء غير الغرامة ؟

الشاويش : لا

حنفي : أرنا اذن عرض أكتافك

الشاويش : (فى تهديد مستتر) طيب ! (يخرج)

ام حنفي : (بصوت خافض) انظر الى الست سعدية ؟ انها تتشفى فينا !

ابو حنفي : لا باس يا ستى · لنا رب · هيا بنا نغتسل (يخرج هو وحنفى وأم حنفى)

(ترن ضحكة من سعدية)

محسنة : (لا تطيق السكوت) حرام عليكم يا ناس اما عندكم رحمة ؟

سعدية : اعجبك يا ست محسنة أن يربى لنا الناموس والبلاء الازرق فى الحوش ؟

محسنة : هذا افتراء يا ناس والا فاين كانت تذهب مياه ابى حنفى من قبل ؟ لماذا لم تظهر الا فى هذه الايام ؟

سعدية : ما يدرينا نحن ! اساليه هو

محسنة : وعلام اساله وانا اعرف الحقيقة ؟

سعدية : اذن فما لزوم الكلام ؟

محسنة : حرام والله ·· كفر

سعدية : فليترك الربع ونحن نتركه

محسنة : يا ناس ! كيف يترك الربع ؟

سعدية : مثلما وعدهم ليلة الحفلة · الم يقل لهم ليلتها انه سيترك الربع ؟

محسنة : وهل نفذوا هم ما وعدوه به ؟ هل أعطوا ابنه حنفى أدوارا أخرى ليمثلها ؟

سعدية : بعد ما قتل المسرحية التى ألفها زوجى ؟

محسنة : اوقد صدقت يا ست سعدية انه هو الذى قتلها ؟

سعدية : فمن اذن ؟

محسنة : هى التى قتلت نفسها ·· انتحرت !!

سعدية : اتسخرين يا ست محسنة ؟

محسنة : ابدا ·· هذه هى الحقيقة

سعدية : عندك انت

محسنة : وعند غيرى

سعدية : حتى ابو عصام زوجك يرى غير هذا الرأى

محسنة : أبو عصام لا يعرف شيئا فى المسرح

سعدية : لا يعرف شيئا فى المسرح ؟! فكيف اذن جعلوه مديرا لمسرح النهضة ؟

محسنة : لجهله التام بالمسرح

سعدية : هذا كلام لا يقبله العقل

محسنة : هذا الذى حصل قالوا انهم فى حاجة الى مدير محايد

سعدية : محايد ؟ كيف ؟

محسنة : لا له شأن بالمسرح ولا له الاضيش فيه

سعدية : الاستاذ ابو الديوك ليس له الاضيش ؟!

محسنة : اول ما عينوه ما كان له احد ولكن لسنا نمكن بعد ذلك لم ديوكه وجعلهم مؤلفين وقلب الحياد الذى عينوه من اجله الى انحياز واضح مثل الشفق الاحمر

سعدية : احمر او اصفر قد فهمت قصدك · كل هذا اللف والدوران لكى تثبتى أن مسرحية زوجى تافهة ليس لها قيمة

محسنة : لا والله ·· ان هذا الرأى ليس من عندى · انه من رأى استاذ يعتبر حجة فى المسرح

سعدية : من هو ؟

محسنة : الاستاذ ميرغنى

سعدية : يغور ! انما يقول ذلك ليدافع عن نفسه ويلقى خيبته الراكبة على جمل ؟ يجعل الذنب على المسرحية والذنب فى الحقيقة ذنبه هو وذنب تلميذه الخايب حنفى ابن ام حنفى امراة ابى حنفى · هل يعقل أن مخلوقا اسمه حنفى يكون فنانا قط ؟ هذا الاسم البلدى !

محسنة : أتسخرين من أسماء الناس ؟ ماذا تقولين اذن فى اسم أبو الديوك وأبو البلاعيم !

سعدية : قال يا ست محسنة ! ما بقى الا أن تسخرى من اسم زوجى

محسنة : أنا لم اذكر زوجك وحده انا ذكرت معه زوجي .

سعدية : اسمعي يا ام عصام اسخري من زوجك كيف تشائين .. أما زوجي فلا . ان عبلة بقعوم عبلة مؤصلة في الصعيد . اسألي عنها يخبروك .

محسنة : أنا لم اقصد ان أسخر من أحد وانما أردت إن أنهاك عن السخرية بأسماء الناس

عصام : (يظهــر خلف امه في البرندة) رويدكما . لا ينبغي أن تتشاجرا . اننا أسرة واحدة ويجمعنا بيت واحد

سعدية : اسالها يا عصام .. امثال والدتك

(تظهر زينات خلف والدتها)

زينــات : النسوان يا ماما .. هل ادخلهن هنا ؟

سعدية : كلا كلا .. أنا داخلة اليهن (تنسحب)

عصام : الحمد لله اذ انسحبت

محسنة : من اجل عميلاتها زوجات تجار الفاكهة والفراخ لتعقد معهن صفقات جديدة

عصام : لا شأن لنا بها يا ماما . عن اذنك أنا داخل .

محسنة : انتظر يا عصام خذ اعط هذا لعمك ابى حنفى

عصام : خمسة جنيهات مرة واحدة ؟

محسنة : لندفع الغرامات التي عليـــه . ماذا جرى لك يا ابنى ؟ ألا تحب عمك أبا حنفى ؟

عصام : احبه يا ماما ولكني أخشى أن تنفد نقودك فلا تقدرى أن تسفريني الى الخارج .

محسنة : لا تخف خير ربنا كثير ثم انها قرض على ابىحنفى سيردها لنا بالكامل .

عصام : صدق الذي سماك محسنة . حقا انت محسنة

محسنة : ان الذي يجرح ويداوي لا يستحق أن يوصــف بالاحسان

عصام : انك يا ماما تداوين ولا تجرحين

محسنة : ابوك يا عصام هو الذي يجرح وانا وهو شيء واحد . هيا انطلق الى عمك أبى حنفى

عصام : عن عينى يا ماما (يتوجه نحو البدروم ثم يعود ومعه أبو حنفى)

ابو حنفى : ما هذا ياست محسنة ؟ هذا كثير يكفينى جنيه واحد .

محسنة : والشاويش يا أبا حنفى أظنه لا يعود اليك ؟

ابو حنفى : حن. يعود يحلها حلال

محسنة : غدا سيعود لك فخل المبلغ معك

ابو حنفى : طيب احفظيه لى عندك حتى لا يضيع

محسنة : كما تحب البنت يا أبا حنفى لا تدعهم يغلبوك

ابو حنفى : جزاك الله خيرا يا ست محسنة . والله لا ادرى كيف أرد جميلك (يخرج)

عصام : (ينظر في ساعته) يا ترى ماذا أخرها ؟

محسنة : من ؟ مدام نجم ؟

عصام : نعم

محسنة : قالت لى في التليفون انها ستجيء الساعة الرابعة كم الساعة الآن ؟

عصام : اربعة وربع

محسنة : ربع ساعة ليس بشيء .. المواصلات كما تعرف

عصام : لكن ليس من عادتها أن تتاخر يا ماما

محسنة : انت قلق عليها يا عصام . هذا كل ما في الامر ؟

عصام : أجل يا ماما . انى اشعر نحوها برثاء شديد

محسنة : وانا كذلك يا عصام . مسكينة . ليس لها غيرنا في هذا البلد .

عصام : والله ان زوجها هذا لا يستحقها

محسنة : حكمة ربنا يا ابنى . لو لم يتزوجها الدكتور نجم لما أبدت هذا الاهتمام الكبير باللغة العربية ولما كتبت عنها هذا البحث العظيم

عصام : الدكتور حسنى المؤيد كم فرح ببحثها هذا

محسنة : لكنى خائفة ياعصام

عصام : لماذا

محسنة : من أستاذك هذا أن يحكى امرها أوامر بحثها هذا لأحد

عصام : كلا يا ماما انه يدرك جيدا أن عليه أن يكتم هذا السر

سعدية : هو قال لك ذلك

عصام : بل عاهدنى على ذلك

(يسمع دق الجرس)

محسنة : لا بد انها هى

(يخرجان ثم يعودان ومعهما ليليان)

محسنة : تعالى نقعد هنا حيث لا يرانا أحد

ليليـــان : أجل هنا ركن مستور . ماذا نصنع ؟ أصبحنا نتخفى كاللصوص

محسنة : أهلا وسهلا .. كيف حالك ؟

ليليـــان : حال كما تعرفين .. الخوف يملأ قلبى . أتوقع في كل لحظة ان يظهر كتابى في لندن فيقرأ عنه زوجي في الصحف فيكتشف حقيقته . انه كل يوم يتصفح الصحف التي تجيء من لندن لعله يجد شيئا عن الكتاب

محسنة : اعتقد ان ميعاد نشره لم يحن بعد

ليليـــان : كلا يا محسنة الكتاب عند الناشر منذ ستة اشهر وهى مدة كافية . أنا خائفة يا محسنة . لا ادرى ماذا يصنع بى زوجي حينما يظهر الكتاب

محسنة : لا يجرؤ أن يمسك بسوء

ليليــــان : ليس ببعيد أن يضربني أو يقتلني

محسنة : غير معقول

ليليــــان : أنك لا تعرفين مقدار ما يحمله للغتكم من بغض فكثيرا ما يعمد الى القلم الذى يكتب به فيحطمه!

محسنة : عمدا ؟

ليليــــان : عمدا • وربما مزق الرسائل التى يكتبها أيضــا فكثيرا ما يعمد الى القلم الذى يكتب به فيحطمه ! غيظه يشد شعره ويقطع هدومه !

محسنة : هذا جنون

ليليــــان : أجل انه مجنون تماما

محسنة : اطمئنى •• ستكونى دائما فى خدمتك • هــذا عصام عنده لك خبر طيب

ليليــــان : صحيح يا عصام ؟ ما هو

عصام : الدكتور حسنى المؤيد مسرور جــدا من بحثك وقال انه سيثير ضجة كبيرة اذا نشر

ليليــــان : لا بد أنه وجد فيه أخطاء كثيرة فى النحــو واللغة

عصام : نعم وسيقوم باصلاحها ويصقل أسلوب الكتاب

ليليــــان : يشكر والله على ذلك •• الواقع أن لغتكم هذه صعبة جدا ولكنها عظيمة •• أعظم من أى لغة أخرى حديثة أو قديمة •• وقد أعددت اقتراحا لو تفضل أستاذك الدكتور فرفعه الى المسئولين لربما كان ذا فائدة كبيرة

محسنة : ماهو الاقتراح يا ليليان ؟

ليليــــان : بخصوص اشاعة اللغة الفصحى فى الجماهير حتى تصبح لغة الحديث فلا تبقى حينئذ لغة صعبة

محسنة : وتظنين ان هذا ممكن ؟

ليليــــان : يمكن اذا وضع له تخطيط فى الاجهزة الاذاعية والتليفزيونية الضخمة

محسنة : كيف ؟

ليليــــان : بوضع مشروع لمدة عشر سنوات مثلا أو عشرين سنة تتناقص فى أثنائها نسبة ما يذاع باللغــة العامية سنة بعد سنة

محسنة : اللغة أيضا يوضع لها تخطيط ؟

ليليــــان : اللغة قبل اى شىء آخر لأنها عنوان النهضة الجديدة فى البلاد العربية ومظهر الوحــدة بين شعوبها •

عصام : اقتراح عظيم والله يامدام نجم

ليليــــان : المهم هو التنفيذ يا عصام •• متى تقابل الدكتور المؤيد ؟

عصام : غدا ان شاء الله

ليليــــان : خذه الان معك وقدمه اليه (تناوله أوراقا)

عصام : بكل سرور يا مدام نجم

ليليــــان : على أن يكون هذا أيضا فى السر

عصام : اطمئنى يا مدام

ابو الديوك : (صوته) هل عندك أحد يا محسنة ؟

محسنة : مدام نجم يا محرم

(تسمع حركة فى الداخل فيبادر عصام الى اخفاء الأوراق تحت ثيابه وينهض)

ابو الديوك : (يدخل مرتديا الروب دى شمبر) أهــلا أهلا كيف حالك يا مدام نجم ؟

(يصافحها)

ليليــــان : الحمد لله

ابو الديوك : وأين هو الدكتور ؟

ليليــــان : ذهب ليمر على المكتبة أولا ثم يجىء هنا

ابو الديوك : ليتصفح الصحف لعله يجد فيها خبرا عن كتابك! آه متى يطلع كتابك هذا يا مدام ليروق بال الدكتور ويرتاح

ليليــــان : من يدرى يا أستاذ محرم لعل باله لا يروق ولا يرتاح !

ابو الديوك : لماذا ؟ أيريد أن يفعل فى اللغة العربية أكثر مما فعــــل ؟ ألقد جاء بك خصيصا من انجلترا لتجهزى له عليها !

(يضحك فتتضاحك المرأتان)

عصام : (يدخل) عمى الدكتور نجم

ابو الديوك : اهلا وسهلا (يدخل نجم) كنا الآن فى سيرتك يا دكتور

نجــــم : ترى ماذا كنتم تقولون ؟

ابو الديوك : كنت أقول لمدام نجم انك جئت بها خصيصا من انجلترا لكى تتولى هى الاجهاز على اللغة العربية

(يتضاحك نجم وأبو الديوك)

نجــــم : ثم تدفنها أيضا من غير كفن

ابو الديوك : مثل الشهداء ؟

نجــــم : بل مثل البعداء (يلتفت الى محسنة) كيف حالك يا مدام ؟

محسنة : بخير والحمد لله كيف انت يا دكتور ؟ هــل وجدت اليوم شيئا عن الكتاب ؟

نجــــم : هى أخبرتك ؟

محسنة : نعم

نجــــم تصفحت كل الصحف فلم أجد كلمة عن الكتاب ولا اشارة اليه

ابو الديوك : تنتظر ظهور الكتاب بفارغ الصبر !

نجــــم : لأشفى غليل • انه كتاب العمر • الكتاب الذى ظللت انتظره سبع سنين (ينظر الى عصام) خبرنى يا عصام •• أحقا تقرر ســفرك الى باريس

عصام : ان شاء الله يا دكتور
نجم : لتحضر للماجستير ؟
عصام : بل للدكتوراه ان شاء الله
نجم : عال عال يا عصام
ابو الديوك : يريد يا سيدى أن يكون مثلك !
نجم : اخترت الموضوع ؟
عصام : نعم
نجم : ترى ماهو ؟
عصام : موضوع عن الشريعة الاسلامية
نجم : الشريعة الاسلامية ! (فى شىء من خيبة الأمل) الشريعة الاسلامية !
(ثم يستدرك كأنه يجد المبرر لهذا الاختيار)
اختيار موفق يا عصام !
أجل ادرس الشريعة الاسلامية فى باريس لتعرفها على حقيقتها !
عصام : غرضى أن أعمل مقارنة بينها وبين القانون الرومانى .
نجم : ها .. هذا موضوع حى فعلا سيكون توفيقا عظيما لو استطعت أن تثبت أن الشريعة الاسلامية مأخوذة بحذافيرها من القانون الرومانى
عصام : ربما تكون نتيجة البحث مغايرة لهذا تماما يا دكتور
نجم : ماذا تعنى
عصام : ربما يثبت البحث أن الشريعة الاسلامية لها خصائصها الاصيلة ولا صلة بينها وبين القانون الرومانى
نجم : القانون الرومانى يا ابنى سابق للشريعة الاسلامية
عصام : وهل يعتبر السبق الزمنى دليلا كافيا على انها مأخوذة منه أم لا بد من أدلة وبراهين علمية تثبت ذلك ؟
نجم : طبعا لا بد من أدلة وبراهين علمية تثبت ذلك
عصام : لا يصح لنا اذن أن نسبق النتائج والا فلا داعى لعمل البحث
نجم : (يعتريه الخجل) برافو يا عصام . انك لقوى الحجة والمنطق وأنا قوى الأمل أن رسالتك ستكون ذات مضمون تقدمى يساعد بلادنا على التحرر من القيود التى ترسف فيها منذ أكثر من الف عام
عصام : أظنك يا دكتور تقصد منذ الف وأربعمائة سنة؟
نجم : (مرتبكا) لا .. نعم .. حوالى هذا التاريخ

عصام : كأنك تعتقد يا دكتور ان الاضطهاد الدينى الذى كان المصريون يعانونه من الروم فى ذلك العهد افضل من الحرية التى تتمتع بها اليوم ؟
نجم : (يزداد ارتباكا) كلا كلا يا عصام من قال ذلك؟
ابو الديوك : ما هذا يا ولد ؟ أتريد ان تدعى انك اعلم من الدكتور نجم ؟
عصام : انما كنا نتناقش يا أبى
ابو الديوك : أليس من الواجب أن يكون عندك ذوق ؟
نجم : دعه يا أستاذ محرم . أنا مسرور منه جدا
ابو الديوك : كلا .. هذا الولد عنده ميول رجعية . لو كنت اعلم لما ادخلته كلية الحقوق
عصام : وما ذنب كلية الحقوق يا بابا ؟
ابو الديوك : يكفى أن فيها استاذك أستاذ الشريعة !
نجم : ما اسم هذا الاستاذ ؟
ابو الديوك : لا ادرى ما اسمه .. اسأل التلميذ
عصام : انك تعرفه جيدا يا بابا .. اسمه الدكتور حسنى المؤيد
نجم : هذا أستاذ عظيم .. لولا شىء من الحنبلية فيه
ابو الديوك : شىء من الحنبلية ؟ هذا حنبل أكثر من ابن حنبل نفسه !
عصام : انه متخرج من السوربون
ابو الديوك : سوربون ؟ هذا غير معقول !
عصام : الدكتوراه التى عنده من السوربون
ابو الديوك : لا يظهر عليه ذلك !
نجم : تريد أن تقول لا أثر للسوربون فيه ؟
ابو الديوك : تمام
عصام : ذلك لأنه أصيل فى ثقافته وراسخ فى علمه
ابو الديوك : أظنك تريد أن تكون رجعيا مثله ؟
عصام : ياليت !
ابو الديوك : سمعت يادكتور نجم ؟؟ سمعت ماذا يقول ؟ لهذا لم اوافق انا على سفره فاياكم أن تلومونى على ذلك انت واصحابك .. يريد أن يدخل السوربون ليكون رجعيا مثل أستاذه !
محسنة : انما هذه تعلة تعتذر بها اما السبب الحقيقى فشىء آخر
ابو الديوك : ما هو ؟
محسنة : لا داعى لذكره

ابو الديوك : حاشى عن ابنك .. ولكنه كعادتك .. والله مااحسده غيرك

محسنة : غيرك كان يعتز بابن مثل عصام ناجح ممتاز . يطمح ان يكون استاذا كبيرا يخدم وطنه وامته

ابو الديوك : فى وسعه ان يكون استاذا كبيرا وهو هنا . ليس من الضرورى أن يضيع فلوسنا فى الخارج

محسنة : انها ليست فلوسك على كل حال

ابو الديوك : اعلى ان فلوسك كثير ولا باس عندك ان تبدديها هنا وهناك . ورثتيها من ابيك الاقطاعى الذى لم يتعب فى جمعها

محسنة : وهل تعبت أنت فى جمع فلوسك ؟ ربما يخيل لك الوظيفة والجاه والنفوذ !

ابو الديوك : الجاه والنفوذ هما من اسلحة أبيك الباشـــا فى العهد البائد

محسنة : (غاضبة) لا تتعرض لسيرة أبى من فضلك !

ابو الديوك : لم لا ؟ أليس من الاقطاعيين الظلمة ؟

محسنة : أيهما أبشع واشنع ؟ الذى استغل نفوذه فى عهد الفساد امس أم الذى يستغل نفوذه فى هـــذا العهد النظيف اليوم ؟

ليليـــان : كلا يا جماعة .. ان كان وجودنا يثير بينكم هذا الشجار فالأفضل أن ننصرف (تنهض) هيـــا بنا يا دكتور (ينهض نجم أيضا)

محسنة : (تقعدها) اقعدى اقعدى لن نتشاجر

ابو الديوك : أقعد يادكتور نجم !

نجـــم : حصلت البركة كما يقولون ونستأذن

ابو الديوك : كيف هذا ؟ أنسيت اجتماعنا اليوم مع اخواننا رجال المسرح ؟

نجـــم : كلا ما نسيت ولكن فيكم الكفاية

ابو الديوك : كلا .. انت استاذنا ومستشارنا لا نستغنى عنك أبدا .

(يجلس نجم وليليان)

نجـــم : والأستاذ صلصل سيجئ ؟

ابو الديوك : طبعا يا دكتور .. الا تحب أن يجئ ؟ انه يحبك كثيرا يادكتور . يحبك الى حد الموت !

نجـــم : (فى حقد يكتمه) وأنا أحبه كذلك الى حد الموت ولذلك سألت عنه

(يرن جرس الباب فيخرج عصام ليفتح)

ابو الديوك : من يا عصام ؟

عصـام : (صوته) الاستاذ صلصل

ابو الديوك : حبيبك يا دكتور !

نجـــم : (على حده) ذكرنا سيرة القط جاء ينط !

ابو الديوك : ادخل يا أستاذ صلصل

صلصل : (صوته) لحظة يا أستاذ محترم .. فى انتظـــار اخواننا .. انهم مقبلون

ابو الديوك : اذهب يا عصام قل لعمك عبد الوانيس الجماعة وصلوا

عصـام : (صوته من الداخل) حاضر يا بابا .

على احمد باكثير

هو تنتوت

للشاعر : عباس محمود العقاد

ربة الحسن احفظيه واحفظي — عزة الحسن فللحسن خطر
واسألى الزهرة من صاحبهـــا — ولمن فى كل روض تدخر ؟
ليست الزهـــرة للجانى ، ولا — زارع الروض،ولا شارى الزهر
انما الزهرة للقلب الـذى — فتنتـــه بشـــميم ونظـر
انت لى وحدى ، وان نازعنى — فيك بالمـــال وبالبغى زمـر
انت بالمـــال حطام ، ولمن — يطلب الغى طعـــام ووطر
ما الهتنتوت .. كما قد زعموا — وحدهـــا آكلة لحم البشر ؟!

من ديوان « مابعد البعد » تحت الطبع

استراتيجيات الحرب عند العقاد

بقلم: عبد الفتاح الديدى

يتهيب الكتاب عادة تناول موضوعات استراتيجيات الحرب . ولكن الكاتب اذا نشأ نشأة صحفية سليمة واشتغل بتحرير الموضوعات فى أزمنة الحرب والسلم وجد نفسه قادرا على تناول الموضوعات العسكرية بنفس السهولة التى يتناول بها الموضوعات المدنية . واشتغال الصحفيين بالتحرير العسكرى هو الذى يؤهلهم لمعالجة الموضوعات العسكرية فى شجاعة وفهم .

وكان العقاد كاتبا فذا فى تناول استراتيجيات الحرب بالتحليل والتفسير كما كان فذا فى تناول جملة ابواب الفكر والأدب والفن والشعر والسياسة والتاريخ والدين . وقد تأهب لأعمال الصحافة والدعاية تأهبا جادا مكنه من معالجة الخطط العسكرية ابان الحرب العالمية الثانية معالجة العارف الخبير . ويحسن بنا أن ننظر فى هذه التحليلات العقادية لاستراتيجيات الحرب لندرك كيف بنى ايمانه بانهزام بعض الجيوش وانتصار بعضها الآخر على حقائق مستنبطة من الخطط الموضوعة لدى هذه الجيوش . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى يمكننا ان نجد فى هذه الكتابات التى حلل فيها العقاد مشاكل الحرب وجهة النظر التى تتكون لدى المدنيين عن أعمال العسكريين .

والواقع أن دراسات العقاد عن الخطط الحربية وامعانه فى قراءة بحوثها وتنظيماتها هى التى أهلته فيما بعد للكتابة عن النواحى العسكرية فى شخصية النبى محمد عليه السلام وخلفاء الاسلام وقادته . وكان ادراك العقاد للمسائل الحربية واضحا سليما حتى ملك ناصية قلمه حين سرد كل الأحداث المتصلة بشئون الاسلام العسكرية ومشاكل الفتوحات والغزوات التى واجهها المسلمون . ومناقشته للمعارك الحربية والخطط الموضوعة من كلا الجانبين قبل القتال وأثناءه هى مناقشة رجل أمعن النظر طويلا فى كل الدقائق والتفاصيل العسكرية . ولا شك أن العقاد استفاد من منطقه الخصب فى حساب درجات الاحتمال فى كل حدث وعند كل مظنة ازاء المواقف المختلفة .

ولكن لا شك أيضا فى أنه كان يشعر فى قلبه بجدية الحياة ومسئوليتها ويحس فى داخلية نفسه ونظامه بصرامة الجندى . وعاش العقاد حياته كلها داخل اطار من النظام الدقيق المحسوب بالساعات والدقائق . ويحسب المرء لذلك أنه ورث الجندية أو تمنى الاشتغال بالعسكرية فى حياته . ويقول هو نفسه فى حياة قلم (ص ٣٢) : « بل تمنيت حينا أن أكون جنديا . وتمنيت حينا آخر أن أكون عاملا زراعيا . وهما فيما يبدو صناعتان . ولكننى لم ألبث أن علمت أننى تعلقت بالجندية لأننى أريد صناعة القلم وتعلقت بالعلوم الزراعية لأننى أريد صناعة القلم . وان صناعة القلم كانت تلمحنى بعينيها الساحرتين من وراء النقاب وانا احسبنى أغازل صناعة السيف أو أغازل صناعة المنجل والمحراث » .

ولم تخيب صناعة القلم ظنه حين خاض معارك الجيوش على الخرائط وفى بطون الكتب فالهمته البراعة فى التخمين والشجاعة فى الاستطلاع والصواب فى التقدير والحكم وقياس الاحتمال . كان على أهبة لقياس كل خطوة مستمدة من تقدير قائد حربي كما كان بارعا فى اقتناص العيوب والمزايا من كل خطة ونظام . لذلك يقول فى كتابه عن **هتلر فى الميزان** وهو بصدد الكلام عن دانزيج كسبب الحرب المباشر : « فليست دانزيج هى بيت القصيد » انما بيت القصيد هو خنق بولونيا وما يجاورها من أمم أوربا الوسطى . فلا تجد تلك البلاد منفذا لتجارتها فى غير الأرض الألمانية من الشمال أو الجنوب . ففى الشمال دانزيج وفى الجنوب النمسا ولن يدخل الى تلك البلاد أو يخرج منها شيء الا باذن النازيين . وحتى استعبدت أوربا الوسطى للنازيين هذا الاستعباد فمصير أوربا الشرقية وما وراءها معروف . ومصير الخطط النازية كذلك معروف . فهى خطط تجتمع فى خطة واحدة وهى

استعباد كل من يبتلى لهم بجوار او يقف لهم فى طريق » (ص ٦١) .

كذلك يجد العقاد غرابة فى أن يجهل رجل شبيه بهتلر مسائل الحساب والتقدير اللازمة للقيادة العسكرية . فمن أخص خصائص القائد العسكرى أن يحسب مواقيت الهجوم وترتيب الهجمات فى أدق صورة يتخيلها العقل البشرى . وينبغى أن ترتبط تقديرات السلاح بتقديرات السياسة حتى يضمن النجاح فى المهمة التى يود تحقيقها . ويتساءل العقاد : « لماذا لم يضرب هتلر دانزيج بدلا من ضرب التشك قبل مؤتمر ميونيخ ! » ويجيب العقاد على هذا السؤال بقوله : « لم يكن لبولونيا ضمان من دفاع فرنسا وبريطانيا فى تلك الآونة ولم تكن على استعداد للقتال وحدها كما ظهر بعد ذلك فى الحرب الحاضرة (العالمية الثانية) .

« فاذا ضرب دانزيج واتفقت الدول على خطة مثل خطة ميونيخ فانه لقابض اذن على زمام بولونيا وبلاد التشك وجاراتها جميعا فى مرافق التجارة والصناعة والاقتصاد فلا تقوى احداهن على رد كلمة ولا على رفض اقتراح » .

هكذا يحسب العقاد مسالة توقيت الهجمات التى سددها هتلر الى الأراضى المجاورة قبيل الحرب. ويعيب على هتلر تلك المآخذ التى جعلته يتورط فى حرب كان فى غنى عن التورط فيها لو استفاد من الظروف . ثم يسال العقاد : « ثم لماذا لم يقبل هتلر ما اقترحه الرئيس روزفلت وارتضاه ساسة الحلفاء من عقد المؤتمر الدولى الذى يفصل فى جميع مسائل الخلاف ؟ » .

وهنا تبزغ فى ذهن العقاد تلك الاحتمالات التى كان على القائد العسكرى أن يحسب حسابها فى حينها من أجل الاستفادة من الظروف وتقدير المنافع حينما تأتى بها المناسبات . ويقول العقاد : « الا يجوز أن تختلف الدول فى ذلك المؤتمر فيواجهها مختلفات بدلا من مواجهتها متفقات ؟

« الا يجوز أن ينتزع من أنصار التسليح فى الدول الديمقراطية حجتهم الكبرى التى أقاموها على رفضه التحكيم فلا سبيل الى معاملته اذن بغير التسليح ؟

« الا يجوز أن يعذره الرأى العام فى الدنيا باسرها اذا لجا الى الحرب لأنه قد أكره عليها اكراها بعد أن جرب وسائل الاقناع فلم يبلغ بها ما أراد ! »

كل هذه الاحتمالات فى رأى العقاد كانت أكبر مشجع لهتلر على حسن التصرف فى مثل هذه الظروف . فقد كانت كل هذه الاحتمالات مرجحة وجائزة الوقوع وأفضل بكثير من الوضع الذى اختاره . وهتلر لم يكن قويا يوم احجمت الدول عن حربه . فليست القوة اذن هى التى أكرهت الدول على تركه وشانه يفعل فى البلاد المجاورة ما يريد . انما كانت هناك حالة اغضاء فغيرها هتلر بحالة المقاومة والعداء ثم بالحرب الشاملة .

ويختم العقاد صفحات كتابه عن هتلر فى الميزان وهتلر ماض فى مغامراته الجديدة التى يقامر فيها بارواح الملايين . ويعنى العقاد بمغامرته هجومه العنيف على شمال فرنسا من طريق هولنده وبلجيكا ولو كسمبرج . ويفسر العقاد هذه الهجمة بانها دليل على الاستيئاس وعلى أنه يضيق ذرعا بالحصار . وهذا كما يقول العقاد هو ما قدرناه من بداية الحرب ولولا أنه منهوك مضطر فى نهاية الشوط الى التسليم لما جازف بهذه الهجمة . وتلك علامة خير . وان حبوط هذه التجربة النازية لهو أصدق نذير بحبوط الدولة النازية وان تطل الأيام .. ولعلها لا تطول . وكان كلام العقاد هنا بمثابة النبوءة عن الدولة النازية فى سياستها بناء على وقائع وشواهد من ميادين الحرب والقتال ذاتها . وكان العقاد مستندا فى تنبؤاته المتعلقة بمستقبل هتلر على عناصر جوهرية فى الحرب والمعارك وفنون القتال .

وقد تنبا العقاد أيضا فى نهاية يوليو سنة ١٩٤٠ بأن هجوم ألمانيا العام على الجزر البريطانية لن يقع. فقال فى مقال اذاعى : « كان منتصف يوليو موعد الهجوم الألمانى على الجزر البريطانية وأوشك يوليو أن ينتهى ولم يبدأ الهجوم ولا بدأت مقدماته. وبقى أن نترقب شهر اغسطس بعد أن فرغ شهر يوليو . فاذا جاء اغسطس فاكبر الظن أنه سيثبت فى أيامه نبوءة واحدة . وهى أن الهجوم خرافة من الخرافات »

ولم يقل العقاد ذلك الا بعد أن بحث أمر الهجوم الهتلرى من جميع وجوهه العسكرية . فتبين له :

(١) أن هتلر كان يرجو أن يعتقل الحملة البريطانية باسرها فى الأرض البلجيكية .

(٢) كان هتلر يرجو أن يسوق الانجليز الى شرك كبير ينصبه لهم فى الارض الفرنسية فاذا وقعوا فيه خلت الجزر البريطانية من حاميتها الكبرى ، ولم يبق فيها من تلك الحامية الا القليل الذى لايدفع القاتلة .

(٣) والشعب البريطاني يكون يومئذ على الحالة التي يبتلى بها شعب توالت عليه الضربات فلا يصبر على المقاومة .

ويضيف العقاد الى ذلك قوله : « كان جائزا أن يدخل هذا وأشباهه في تقدير هتلر لو صح حسابه . ولكن الحساب المرجو قد اختل من جميع نواحيه .. فاذا كان هتلر اعتزم الهجوم من قبل حقا وصدقا ففي هذه التقديرات التي اختلت وفي هذه العوارض التي عرضت مدعاة للتردد ومراجعة الحساب » .

وكثرت التحركات العسكرية النازية في بلاد البلقان في مارس سنة ١٩٤١ . وساور القلق الكثيرين من نوايا هتلر في مناطق الشرق الأوسط . وعالج العقاد الموضوع كمعلق عسكري ملم بشئون المعارك واحتمالات الحرب . ويحدد العقاد جملة التكهنات الشائعة في عدد من الأسئلة بقوله : « لماذا يحتل النازيون بلغاريا ؟ ولماذا يزحفون على تركيا ان أرادوا الزحف عليها ؟ ولماذا يعبرون يوغوسلافيا ان لاح لهم أن يعبروها ؟ » .

ثم يجيب على الظنون التي تظهر في جملة الأقاويل بتفسير في هذه العبارة : « من الجائز أنهم (أي النازيين) يحذرون اتفاق البلقانيين عليهم بعد هزيمة ايطاليا في اليونان ونجاح المقاومة اليونانية . فحركة النازيين في بلغاريا هي من قبيل تخويف الخائف . وليست الحاجة الى المدد التجاري أو المدد العسكري هي التي تلجيء النازيين الى الاغارة على البلاد البلغارية . وان قيل انهم يتجاوزون بلغاريا الى تركيا فماذا يغنمون من هذه الحركة التي لاتؤمن عقباها ؟ ان عبور المضائق التركية ليس بأسهل من عبور المضائق الانجليزية عند فرنسا وبلجيكا .

« وهبهم مهدوا طريقهم في الأرض التركية عنوة أو طوعا كما يحبون . فالى أين يذهبون من هذه الطريق ؟ أينحدرون الى العراق فايران فالأفغان فالهند ليضربوا الدولة البريطانية هناك ؟ أم تراهم ينحدرون من تركيا الى سوريا الى فلسطين الى صحراء سيناء الى قناة السويس ؟

« والأرجح أن هتلر يتوسط في الأمر فلا يزحف الى سالونيك ولا ينفض يديه من بلغاريا ويوغوسلافيا . وانما ترجح اكتفاء هتلر بالتوسط بين الزحف والتراجع لأن هذا التوسط كاف فعلا للحيطة الضرورية في الموقف الحاضر . بل هو أسلم من التوغل ولو تأتي الوصول الى سالونيك لأن التوغل يثير عليه المشاكل والمساومات ويشتت جيوشه ويقربه من غارات أعدائه الهوائية والبحرية ولا يفيده وراء ذلك بفائدة تساوي هذه المغامرات » .

ثم يعلل العقاد ذلك كله في عبارة وجيزة بقوله : « تلك أمثلة من الأسباب الكثيرة التي يعللون بها حركات النازيين في البلقان . وما من سبب منها الا وهو دليل على انفلات الزمام من أيدي النازيين وأنهم لا يفعلون ما يشاءون ولا يوجهون خطط السياسة والقتال مختارين » .

وتلك نظرة فاحصة عميقة يذهب فيها الكاتب الى أعماق المواقف الحربية فيستخرج منها العبر والدروس النافعة في أبواب الاستراتيجيات الحربية

وقد أفادته هذه الخبرات وهذه الالمامات بشئون المواقع الحربية لأنها جعلته أقدر على وزن الأمور وفهم الأحداث كلما تعرض لاحدى شخصيات القادة المسلمين الذين أرخ لهم .

بل ان وعي العقاد العسكري هو الذي جعله يفطن الى مواضع القوة والجلال والفن في تحركات الجيوش العربية الاسلامية . والصورة الشائعة في خيال أكثر القارئين عن البادية أن حروب الصحراء لم تكن الا مشاجرات بالسيوف والرماح أو بالقسي والمقاليع ولا ترجع الى نظام ولا تنهج على خطة . وتلك في رأي العقاد (**راجع كتاب عبقرية خالد**) صورة مضللة لمن يسترشد بها في اختبار قدرة البادية على الحروب الكبيرة والمناوشات الصغيرة .

وينتهي العقاد من ذلك كله الى رأي في موضوع القدرة العسكرية لدى الغزاة من العرب مؤداه أن المسلمين كانوا أيضا أخبر بالفنون العسكرية من أهل فارس والروم . وكانوا أقدر على تنفيذ الخطط العسكرية التي تنفعهم من قواد هاتيك الدولتين . وان البادية العربية سواء في عصور الجاهلية أو صدر الاسلام لم تكن من الجهل بفن الحرب بتلك الحالة التي توهمها المؤرخون الأوربيون بل معظم المؤرخين عامة ولا نحاشي منهم العرب والمسلمين .

وهكذا أدى اهتمام العقاد بالمعارك الحربية المعاصرة الى الالمام بمواقع الجيوش وخطط القتال . وكان المامه بهذا الموضوعات مقدمة لتصحيح مفهومات كثيرة عن خبرات العرب العسكرية وعن أساليبهم في القتال . ولأول مرة قرأنا في عبقريات العقاد كلاما عربيا سليما في موضوعات الحروب التي واجهها المسلمون . وانصف العقاد العرب من هذه الناحية أيضا أضعاف ما أنصفهم في الجوانب الأخرى . وهذا فضل يضاف الى أفضاله الكثار

« **عبد الفتاح الديدي** »

مواقف إنسانية في حياة العقاد

بقلم: عامر العقاد

طلبت الرسالة أن نتناول العقاد ـ رحمه الله ـ بمناسبة ذكراه من جانب لم يتناوله أحد من قبلنا، وليس معنى ذلك سوء تقدير منا لمن تناولوا بعض جوانب الرجل المتعددة فى كتاباتهم سواء الكتب منها أو البحوث أو المقالات انمـا لأن ذلك الجانب فيه لا يعرفه عنه الا من يلازمه ملازمة قريبة ، وقد سعدت بتلك الملازمة زمنا طويلا فرايت ان ذلك الجانب الانسانى فى العقاد كان آية الآيات فيه .. وقد رحبت باقتراح الرسالة لنستطيع به ان نزيل فكرة ، بل أفـكاراً رانت على عقول بعض القراء الا وهى ان العقاد له من اسمه نصيب ... وانه من أصحاب القلوب المتحجرة الفظة ، وانه من اقل مايوصف به الشدة والعنف والبطش وغير ذلك من الصفات التى الصقها به بعض الصحافيين من انصار المذاهب الهدامة والمتجردين من العقيدة والتى جعل العقاد نفسه حارسا من اجلها ومدافعا غيورا عنها ضد أولئك الادعياء من حملة الاقلام الذين منيت بهم صحافتنا العربية الى وقت قريب .

لقد مضى على وفاة العقاد عام ، وهو اليوم حى اكثر منه يوم كان يمشى ويتنفس ، ويكتب ويؤلف ويأكل ويشرب ويضحك ويثور .

ذلك لأن الموت لا وجود له فى قاموس العبقرية فـكان الحياة التى يحيـاها العبقرى على الارض ليست سوى الفاتحة فى سـفر حافل بالفصـول والمشاهد هو سفر حياة العبقرى بعد الموت .

فالعقاد من بعد أن عقل الموت لسانه ، واختطف النور من عينيه ، واسترق النبض من عروقه ، أصبح قوة تحرك ملايين الالسن ، ونورا يتدفق من ملايين العيون ، ونبضـا يختلج فى القلوب ، وذلك فوق ما استطاع بلوغه فى حياته بدرجات .

ولقد عاش العقاد على الارض عشر سبعات او يزيد من السنين .. كان خلال حيـاته « اشبه بالورقة النقدية ذات المائة جنيه التى كانت باقية فى مصرفنا الادبى وبذهابها يذهب كل شيء » كما قال انيس منصور يوما عن العقاد فى أحد اعياد ميلاده الاخيرة .

لقد كانت السنون التى عاشها العقاد بيننا نفحة قصيرة من الزمان ولكنها فى حياة رجل كالعقاد تكاد تكون سلسلة متواصلة من الاشعاع والبريق تتخللها حلقات من الكآبة والمرارة . فالعقاد قد عرف طريقه منذ صباه الباكر فما حاد عنه حتى آخر حيـاته . وذلك شأن العباقرة الذين تحملهم الحياة رسالة فيدركون أهميتها وينصرفون اليها بكل قواهم ، ثم ينصرفون بها ، عن كل شيء عداها ولا ينفكون يغالبون الايام .. فآنا يماطلون ، وآونة يهاجمون حتى يتغلبوا فى النهـاية على الايام . ويؤدوا رسالتهم على خير وجه مستطاع .

لقد أدى العقاد رسالته . وماهى رسالته ؟!

هى رسـالة التحرر الادبى والروحى من القيود القديمة البالية ، رسالة الفـكر العميق التى تجعل من الانسان أخا لكل الناس ومن كل الناس اخوة لـكل ما فى الـكون ، ومن كل ما فى الكون وحدة متماسكة فى الله .

لقد مثـل العقاد العزم الذى استقاه من اثر البيئة فى كتاباته ، ومثـل النبل فى ارتفاع ذلك الاقليم من اقاليم مصر العليا التى ترعرع شبابا تحت سمائها ، ومثل الاريحية التى عرفها كل من

اتصل به من اصدقائه ومحبيه فى كل عمل من الاعمال التى قام بها او تصدى للقيام بها فى امانة وثقة منقطعة النظير .

لقد كان العقاد فى حياته ، ولا يزال فى مماته مائدة سخية ممدودة لكل قارىء عربى حصيف وذلك هو الاجر الاكبر الذى كان يرجوه ذلك العملاق الجبار ومابرح يترجاه .. اذ لازالت كتبه تعاد طبعاتها بشكل لافت وتلاقى من القراء أكثر مما كانت تلاقى فى حياته من اهتمام ... ولا سيما اولئك الذين كانوا لا يقرءون له فى حياته دون سبب وجيه يبدونه .

لقد حاولت ان استرجع ذكرياتى عن بعض المواقف الانسانية التى لمستها فى حياة ذلك الرجل العظيم والفيتها كثيرة متعددة يحتاج سردها الى مقالات عديدة ، او الى كتاب مستقل يتناول الرجل من ذلك الجانب دون سواه ، وهو من الجوانب المهمة فى دراسة حياة العباقرة والعظماء على السواء .

لقد آمن العقاد بالانسانية ليس فى ذلك شك .

وعاش بقلمه وبقلبه معا من أجل الانسان ليس فى ذلك شك أيضا .

فلو ذهبنا نستقصى المواقف الانسانية التى عشتها بمفردى معه ، ورأيت التأثر الذى كان يبدو عليه فى كل منها لما استطعنا أن نتقصاها جميعها ، فالبحث فيها طويل متشعب ، والمجال بالنسبة للمقال لا يساعد ، فحسبنا ما سنقول وهو قليل من كثير فى ذلك الخضم الرحب المتعدد الجوانب .

وان انس لا انسى ذلك اللمعان الذى كنت اشاهده فى تينك العينين ، ولا تلك الدمعة الحائرة تترقرق فيهما وهو يغالبها فى كل موقف من تلك المواقف الانسانية الخالدة من مواقفه .

ففى ظهر يوم من ايام صيف عام ١٩٥٨ والعقاد فى صومعته بمصر الجديدة ، دق جرس باب شقته ، وكان الطارق سيدة تحمل باليسرى وليدتها وبجوارها ولدان آخران ، ويومها فتح العقاد الباب لها بنفسه حيث كنت أعمل فى ترتيب بعض كتبه بحجرة المكتب ، وما ان رات تلك السيدة العقاد امامها حتى اعتذرت له عن ازعاجها له بالحضور لمقابلته دون موعد سابق أو معرفة سابقة . واستطردت فى قولها أن الامر الذى دفعها للحضور اليه هو ماسمعته عنه من بعض الناس الذين التقوا بها فى مدخل شارع السلطان سليم حيث يسكن العقاد منذ مدة طويلة ... فقادها العقاد الى حجرة استقباله ليسمع بقية حديثها .

وجلست السيدة وشفتاها ترتجفان قبل خروج الكلمات الدفينة التى تلخص قصتها ... فقالت والدموع تسح على خديها انها من مدينة الاسكندرية وزوجها يعمل فى احد المصانع بالقاهرة .. ولسوء تفاهم نشب بينهما صباح ذلك اليوم طردها ذلك الزوج واقسم الا تمكث بين جدران ذلك البيت لحظات ، وخرجت دون وجهة تعرفها .. وانها لاتعرف أحدا فى هذه المدينة الكبيرة ، فأخذت تسأل كل من يلقاها أن يتصدق عليها بقروشه حتى تجمع اجرة سفرها وأولادها الى الاسكندرية اذا ما تيسرت لها تلك القيمة ، فقام العقاد بعد أن هدا من الهها ومنحها مبلغا من المال ليس بالقليل وأمر سائقه وخادمه بأن يقدما لها ولأولادها طعام الغداء وان يوصلها السائق الى محطة العاصمة ويظل بصحبتها حتى تركب القطار .

وذات مساء هناك بالاسكندرية صحبت العقاد لشارع سعد زغلول لشراء بعض حاجات تلزمه اثناء مدة المصيف ، ودخلنا أحد المحلات التجارية هناك فاستقبلنا شاب فى الخامسة والثلاثين من عمره تقريبا مرحبا بالعقاد ترحيبا غريبا ظننت فى بادىء الأمر أن ذلك الشاب احد قرائه أو المعجبين به وما اكثرهم بحمد الله .

وحينما قدم العقاد قيمة مااشتراه استأذنه ذلك الشاب فى أن يجرى له خصما بنسبة ٥٠٪ من قيمة ما اشتريناه ، فتعجب العقاد لذلك وسأل الشاب عن سبب ذلك .. فقال ذلك الشاب للعقاد : ياأستاذ هذا جزء من جميل لك علينا أسديته الى دون معرفة سابقه ، فسأله العقاد اى جميل هذا ياسيد ؟! فرد ذلك الشاب قائلا : لابد أنك تذكر تلك السيدة التى قصدتك بالقاهرة منذ شهر تقريبا عقب غضب زوجها عليها ومنحتها سيادتكم فى ذلك اليوم قيمة سفرها وأولادها من القاهرة الى الاسكندرية فحضرت الينا ولولاك لحدث لها أمر قد لا تحمد عقباه اذ انها كانت لا تعرف أحدا فى تلك المدينة الصاخبة ..

لقد كانت تلك السيدة ايها الاستاذ العظيم ،

هى شقيقتى الوحيدة ، وقد قصت علينا قصتها معكم عقب عودتها ولسانها ووالدتى المسنة لهثا لك بالدعاء وطول العمر . وخرجت مع العقاد يومذاك وبعد خطوات وقف ليقول لى : صدفة عجيبة يامولانا .. تلك هى السيدة التى جاءت الينا ظهر ذلك اليوم الا تذكرها !! قلت : نعم .

ومما اذكره مرة من المرات أن العقاد كان يمر بازمة مالية فى سنة من السنين التى قضيتها معه ، وكانت احدى مؤسسات النشر قد اشترت منه منذ سنوات أحد مؤلفاته عن « القصة الامريكية القصيرة » بثمن قليل فى بداية انشائها بالقاهرة .. وقبل وفاته بسنتين تقريبا أعادت تلك المؤسسة طبع ذلك الكتاب فى طبعة فاخرة لنفاده من السوق فرأى مديرها أن يعطى العقاد مبلغا من المال كحق له عن هذه الطبعة .. ويومها استدعانى ذلك المدير ليسلمنى شيكا بثلثمائة جنيه وطلب منى تسليمه للعقاد مع خطاب شكر له عن جهوده مع تلك المؤسسة .. وطوال الطريق كنت ابتسم فى سر وهدوء ، لان الرجل العملاق جاءته تلك القيمة فى موعدها ودون انتظار . وبعد أن قابلته عصر ذلك اليوم وقصصت عليه قصة ذلك الشيك صمت ـ رحمه الله ـ بعض الوقت . وقام الى اوراقه الخاصة يستخرج منها عقد ذلك الكتاب ، ليرى بنفسه قيمة حقه المالى فى اعادة طبعته ، ويومها وجد انه قد باع حقوق الكتاب جميعها لتلك المؤسسة ، فمن ثم لا يحق له ان يتقاضى ذلك المبلغ ، وطلب منى أن أعيده شاكرا لتلك المؤسسة نيابة عنه .

وهناك سؤال يتبادر الى الاذهان : أليس ذلك التقدير من تلك المؤسسة جدير به العقاد وان لم ينص عليه فى عقد التاليف !!

وجوابنا على ذلك السؤال أنه أقل تقدير لكاتب مثل العقاد ، تقوم به تلك المؤسسة ولكن العقاد من معدن عجيب فى بنى الانسان . عاش طوال حياته للحق مؤمنا به حتى فى ساعات الضيق التى مرت به أثناء المحاربات السياسية لقلمه فى ابان معاركه مع الحزبية البغيضة .

وحدث مرة أن جاءه احد سائقى التاكسى بمصر الجديدة ومعه « حجة » بيت يملكه ليسلمها له نظير مبلغ من المال كان لازما له ليقوم بتجديد رخصة سيارته . فأعطاه العقاد ـ رحمة الله ـ القيمة التى طلبها ورد اليه تلك الوثيقة التى هى منه أعز ما يعتز به ذلك الانسان . وبعد شهور قليلة زاره ذلك السائق ليعتذر له عن تأخيره فى سداد دينه ويومها ضحك العقاد وقال له : مين قال لك اننى منتظر ذلك الدين !؟ وقال له أيضا : أنا لا اطلب منك ارجاعه لى ، واعتبره هدية منى لك ولاولادك الصغار .

وما دمنا نتحدث عن بعض مواقف العقاد الخالدة فجدير بنا أن نقص موقفه ذات يوم من هذه « المجلة » الغراء فى ابان نشأتها ، فقد كان يخصها بمعظم ابحاثه ومقالاته فى الادب والنقد الى جوار غيرها من الصحف والمجلات التى قلما خلت صفحاتها من مقال العقاد ، فى تلك الفترة تعاقدت معه « أخبار اليوم » على الكتابة فى صحفها دون غيرها لمدة سنوات . ولكن العقاد يومذاك اشترط عليهم استثناء مجلة واحدة هى « **الرسالة** » دون سواها مع أن المكافاة التى كان يتقاضاها منها فى ذلك الحين هى بضع جنيهات تتقاضى نحن تلاميذ تلاميذه الآن مايساويها بل يزيد عنها قليلا .

وغير ذلك الكثير من المواقف الخالدة فى حياته .. وهكذا كان العقاد انسانا بمعنى الكلمة .. عاش محبا للانسانية ، يهزه الضعف الانسانى مثلما تهزه كوارث الزمن واحداثه . وتهزه قسوة الانسان على أخيه الانسان ويؤلمه القدر القاسى على بنى الانسان فى مختلف العصور والازمان فكان اشبه بمن عناه المتنبى بقوله :

وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى
ان النفيس غريب حيثما كانا

وجدير بنا ، نحن ابناء هذا الشرق العربى الاسلامى الذى أهدى العقاد لنا منذ مطالع هذا القرن ، الا نكتفى باحياء ذكراه مرة أو مرات فى السنة ، بل نستمتع معا بالأدب الثمين الذى تركه لنا وللعالم الاسلامى فى كل لحظة وكل آن ... وليس هذا بكثير منا على مفكر مثله عاش للفكر . وبالقلم شق طريقه وما أصعبه من طريق !!

وسلام يومئذ على ذلك العملاق الذى تضم رفاته الآن رمال أسوان منذ عام ٠٠ وستمر الأعوام والعقاد أبدا قمة خالدة .

« عامر العقاد »

العقاد ومكانه في الدفاع عن الإسلام

بقلم: محمد عبد الله السمان

ان مكان العقاد فى مجال الفكر الاسلامى ، لا يقوى انسان ـ كائنا من كان ـ على انكاره ، أو تجاهله ، أو الغمط من قدره ، أو التهوين من شأنه ، ولو لم يقدر للعقاد أن يتجه الى الاسلام فى الخمسة عشر عاما الاخيرة من عمره ، لظلت عبقريات محمد ـ صلوات الله عليه ـ والصديق عمر وعلى وخالد مودعة فى طيات التاريخ الى ما شاء الله ، ولظل المثقفون من المسلمين مقتنعين بما استوعبته كتب السيرة والتاريخ من قصص وروايات عن أولئك العباقرة ، جافة كما وردت ، متحفظة كما رويت ، وكان دور العقاد على جانب كبير من الاهمية ، لأنه بعث الحياة من جديد فيما ثبت لديه من تلك القصص والروايات ، واستوحى منه جوانب العظمة فى الاسلام وبعض ابطاله وعظمائه الأول .

ولو لم يقدر للعقاد أيضا ، أن يتجه الى الاسلام فى الخمسة عشر عاما الاخيرة من عمره ، لظل الاسلام فى أشد الحاجة الى مفكر كالعقاد ، وقلم كقلمه يذود عنه أباطيل خصومه ، ويدحض شبهات أعدائه والحاقدين عليه ..

* * *

ولا أقصد أولا ، أن العقاد وحده كان يحمل الراية لاجتذاب المثقفين الى الاسلام ، وبث بذور الاهتمام به فى عقولهم وقلوبهم معا ..

فالمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل فى مؤلفاته : حياة محمد ، وفى منزل الوحى ، وحياتى أبى بكر وعمر ، **والمرحوم** الدكتور أحمد أمين فى مؤلفاته : فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام ، ويوم الاسلام وغيرها هذان العلمان قد أسهما اسهاما كبيرا فى لفت انظار المثقفين الى الاسلام ، ولكن عنايتهما كانت أكبر ، بالتحقيق التاريخى لازالة الشبهات التى استغلها البعض للنيل من الاسلام ، والتى يسر الحصول عليها كتب السيرة ، وغيرها من المؤلفات التى لعبت فيها العاطفة الدينية دورا خطيرا .

والمرحوم مصطفى صادق الرافعى ، واستاذنا **الزيات** أمد الله فى حياته ، أسهما أيضا بنصيب وافر ـ بما كتبا فى الرسالة وغيرها عن الاسلام ـ فى تجلية معانى الاسلام الحية ، وابراز قيمه العظيمة ، **وكانا** أن أمدا الأدب العربى بصورة مشرقة عن الاسلام ، وبلوحات ناطقة عن أخطر جوانبه فى الحياة .

وفى ايجاز أقول : ان أحمد أمين وهيكل أديا واجبهما نحو الاسلام فى مجال التحقيق التاريخى ، وان الرافعى والزيات قد أديا ضريبة الاسلام عليهما فى مجال الادب العربى ، **وفى كلا المجالين** أنصف الجميع الاسلام مجردين عن العاطفة التى تختفى الحقيقة تحت جناحيها ، ومتحررين من التعصب الذى يتعثر التفكير الحر بين قدميه ومتسامين عن التزمت الذى لا يمبا بحقيقة ولا يجيد التعامل مع فكر حر .

أما دور العقاد فى هذا الصدد ، فقد افاض فى مجالى التحقيق التاريخى ، والأدب العربى ، الا أن له منهجا يكاد يكون منفردا به ، فهو حيال قضايا الاسلام أشبه بالعالم الكيميائى الذى يعتمد على نتائج التحليل ، والعالم الرياضى الذى يعتمد على مقايسات لا تحتمل مناقشة ، والعالم الفيلسوف الذى يعتمد على مسلمات المنطق ، والمقارنة الدقيقة القائمة على الاقناع بعد ذلك ، أساس ثابت لدى العقاد حين يكيف قضية من قضايا الاسلام ، أو حين يعالج أمرا من أموره .

ولا أقصد ثانيا : أن العقاد وحده قد حمل الراية للدفاع عن الاسلام ، فقد سبقه **الامام : محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا** ، وقد كانت مجلتا العروة الوثقى والمنار ميدانا فسيحا للذب عن الاسلام وقضاياه وشعوبه ، وقد ظلت المنار أكثر من ربع قرن تتولى الدفاع عن الاسلام ودحض شبهاته ، ورد كيد أعدائه ، ولم يزل كثير من الكتاب الاسلاميين يشهرون أقلامهم للدفاع عن الاسلام ، ولكن جهاد الامام وتلميذه ، استنفد النصيب الاكبر منه تخليص العقائد مما شابها من شوائب ، وتخليص العقليات مما أصابها من تزمت وركود ، واستنفد النصيب الأصغر من جهادهما الرد على بعض كتابات المستشرقين عن الاسلام ، التي بلغتهما ، وقد ضم جميع ردود الامام في هذا المضمار كتاب صغير هو : « الاسلام والرد على منتقديه » أما الكتاب الاسلاميون المعاصرون الدائبون على الدفاع عن الاسلام ، فان معظم كتاباتهم يعتورها القصور ، لأنها تعالج القضايا من شكلياتها لا من جذورها ، وفي سرعة وعجلة ، لا بطاقة كبرى من الدرس والأناة والصبر ، وكأن مقياس العلم هو الكتابة وليس القراءة .

أما دور العقاد في مجال الدفاع عن الاسلام ، فيتخذ طريقا آخر ، يكاد يكون منفردا به أيضا فمؤلفاته التي ترجم فيها عن كثير من الشخصيات الاسلامية ، لم تكن وحسب ، تحليلا دقيقا لها لابراز جوانب العظمة فيها ، بقدر ما كانت دفاعا عن الاسلام وقضاياه ، وأوضح مثل : كتابه عن بلال، فقد أثار فيه قضيتي العنصرية والرق ، وموقف الاسلام منهما ، ومؤلفاته الأخرى أيضا ، وأوضح مثال منها كتابه ، الاسلام في القرن العشرين ، حيث تعرض لموقف الاسلام من قضايا العالم المعاصر ومشكلاته .

ومن أوضح ما تميز به العقاد ، متابعة ما يكتب عن الاسلام في الغرب والشرق ، فلم يكن ينتظر في عقر داره حتى يبعث اليه القدر بكتاب تناول الاسلام بالخير أو بالشر ، حتى يتهيأ لمناقشته ، وانما كانت له صلات بمعظم دور النشر في العالم المتحضر وغير المتحضر ، تمده بكل جديد ، وهذا ما لم يتوافر لكاتب غير العقاد .

وقد ظهر له كتابان جديران بالاشارة :

١ ـ « **حقائق الاسلام وأباطيل خصومه** » أصدره المؤتمر الاسلامي بالقاهرة عام ١٩٥٧ م .

٢ ـ « **ما يقال عن الاسلام** » أصدرته دار العروبة بالقاهرة عام ١٩٦٤ وهو مجموعة من المقالات كتبها تباعا في مجلة الازهر منذ أن تولى رياسة تحريرها أستاذنا الزيات ، وفتح له هذا الباب ، فأسدى خدمة لا لمجلة الأزهر وحسب ، ولكن للأزهر والاسلام معا .

وعلى ضوء هذين الكتابين ، يتضح مكان العقاد في موقف الدفاع عن الاسلام ، وأن هذا المكان لم يزل شاغرا ، وأخشى ما أخشاه الا يوجد بعده من يشغله ، وهذا ما سيتناوله المقال التالي ان شاء الله .

يتبع ـ « محمد عبد الله السمان »

تربصي

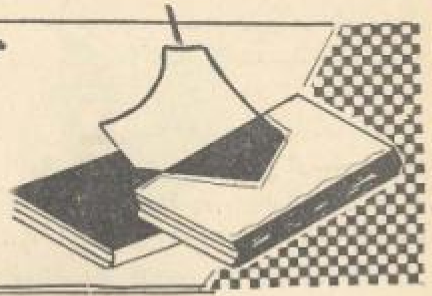
للشاعر عباس محمود العقاد

اذا احتواك قفصي
سرى الفتور في جناحيك وان لم تنقصي
وغرد الطير وضاعت في الفناء فرصي
وخفت في سجنك الا ترقصي
وان ملكت الأفقا
حيرني رحب الفضاء مهبطا ومرتقى
واوشك الصدر لفرط الضيق الا يخفقا
وطار في اثرك لبي قلقا
تربصي تربصي
ما حيلتي ؟ ما مهربي ؟ ما مخلصي !
الموت قناص الابابيل وحلال العصي
يقنصني ويحك ان لم تقنصي

من ديوان « مابعد البعد » تحت الطبع

تعقيبات

بقلم: عباس خضر



الأدب والوحدة في مؤتمر الأدباء العرب

ظفر موضوع الأدب والوحدة في مؤتمر الأدباء العرب بثلاثة أبحاث،عالجه كل منها من ناحية مختلفة عن أخرى ، فجاءت الثلاثة بمثابة موضوع متكامل •

كان البحث الأول « **الأدب والوحدة العربية** » **للدكتورة سهير القلماوى** ، وقد تناولت الموضوع من الناحية التاريخية ، وبدأت من حيث احتكاك العروبة بالخلافة العثمانية ، فقالت ان العرب فى أول الأمر نظروا الى آل عثمان على أنهم مثلهم مسلمون ، وتداخل الدين فى مفهوم العروبة • فلما انحرف الحكم التركى عن الاسلام ، واستبد وبطش ، وترك بلاد المسلمين نهبا لقوى الاستعمار الغازية ، تنبه العرب على الخطر المحيق بهم فبدءوا عملية التجمع ، ولم يفرق هذا التجمع بين مسلم وغير مسلم •

على أن الأمر لم يكن فى المجال الفكرى والعقائدى خالصا متفقا عليه ، بل اختلفت الآراء واختلطت الأفكار ، وأحيطت القومية العربية بظلام كثيف •

وكان من نتيجة ذلك أن الدين أخر ميلاد القومية العربية قرنا أو يزيد •

وأثارت هذه العبارة مناقشة حامية فى قاعة المؤتمر •• اذ وقف أحد الأعضاء بعد انتهاء المحاضرة، وتساءل فى استنكار : **كيف يكون الدين معوقا للقومية العربية؟** وحسمت الدكتورة الأمر برد موفق، اذ قالت : **ان الدين نفسه لم يكن معوقا ، ولم أقل هذا ، انما تعلق العرب بالخلافة العثمانية بدافع العاطفة الدينية واختلافهم فى شأن هذه الخلافة زمنا طويلا ، هو الذى أخر ميلاد القومية العربية •**

والواقع أن تعبيرات الدكتورة سهير القلماوى فى بحثها كان يظهر عليها أن البحث أعد فى عجلة ، فلم يمهلها الوقت لكى تدقق فيها • وقد أثار ذلك عليها عدة أسئلة واعتراضات ، ولكنها وفقت فى الردود بلباقة أخرجتها من المأزق •

وقد علق على ذلك أحد الأعضاء – فى الصحيفة القومية التى كانت تصدر خاصة بالمؤتمر – فقال : **ان الدكتورة سهير كانت رائعة فى ردودها ومناقشتها أكثر منها فى البحث •**

والواقع أن الموضوع كانت تغلب عليه المسحة التاريخية والتحليل السياسى ، وأن الأدب جاء على الهامش ، اذ كانت تعقب على الأحداث بمثل قولها :

« **وكان الأدب والشعر خاصة أصدق رؤية وأوضح نظرة من حيث مايجمع العرب ويجعلهم أمة فريدة هى خير أمة أخرجت للناس ، خيرها فى أنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر** » •

الى آخر كلام مماثل ليس له محصول من الناحية الأدبية •

حتى عندما قالت ان مرحلة الأدب القومى فى مقاومة آل عثمان وابان الحرب العالمية الأولى تتسم بخصائص فنية وموضوعية واضحة ، بينما مرحلة الأدب القومى فى مقاومة الاستعمار منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى الى فجر التحرير والوحدة تمتاز بدورها بخصائص أخرى فنية وموضوعية مغايرة • وقالت : وسنقف ببعض هذه الخصائص لأننا لانملك فى هذه العجالة أكثر من مجرد الوقوف وبالبعض • **حتى عندما قالت ذلك لم تقف الوقفة التى وعدت بها ، وكل ماذكرته من الخصائص كان عن اللغة والتاريخ من حيث ان العرب يتكلمون لغة واحدة**

ولهم تاريخ واحد. وهذا كلام عام لا يعد من الخصائص الفنية ولا يميز مرحلة عن أخرى .

وأخذ الاستاذ **عبدالرازق البصير** (الكويت) وجهة أخرى فى بحث الموضوع ، قامت على اعتبار المؤلفات الفكرية التى تسلك سبيل البرهنة والاستدلال من الأدب . وهو اعتبار لا أقول انه خطأ ، بل ان فيه تجوزا ، فاننا نصنف هـذه المؤلفات عادة فى باب السياسة ، ولا نعدها من التأليف الأدبى لأنها تعتمد على العقل والمنطق ، والأدب يعتمد فى الدرجة الأولى - كما يعبر الاخوة فى العراق - على الصور المؤثرة فى المشاعر .

تساءل الاستاذ البصير : كيف تمكن أعداء الأمة العربية من انتهاك حقوقها وهدر كرامتها واغتصاب قطع عزيزة من بلادها ؟ وأجاب بانه جواب واحد على ذلك ، هو : « **التجزئة العميقة التى صورت لبعضنا أننا شعوب مختلفة أشد الاختلاف مما يجعل وحدتنا من الأمور التى تكتنفها العقبات حتى كادت أن تصبح من الأمور المحالة** » .

ثم تساءل : أين يقف الأدب من الصراع بين الأمة العربية وأعدائها ؟ وأجاب بانه جواب واحد على ذلك . هو « **التجزئة العميقة التى صورت لبعضنا أننا شعوب مختلفة أشد الاختلاف مما يجعل وحدتنا من الأمور التى تكتنفها العقبات حتى كادت أن تصبح من الأمور المحالة » . ثم تساءل : اين يقف الأدب من الصراع بين الامة العربية واعدائها ؟ وأجاب قائلا:** من الملاحظ أن كتابنا قد رأوا من الأجدى لقضيتنا أن يسلكوا سبيل التوضيح والنقاش فى كتاباتهم لما يعرفونه من أن التجزئة قد أخذت طريقها الى الناس فى كثير من العمق . وحرر قوله بانه لايعنى أن الأدباء لم يقولوا شيئا فى الدعوة الى الوحدة والتشويق اليها . وانما يعنى أن معظم الجهد الفكرى قد سلك طريق المناقشة العقلية .

وركز الأستاذ على أهمية هذا المسلك فى دحض الأفكار الشعوبية واثبات حتمية الوحدة . ثم عرج على الشعر فاورد بعض ماقيل عنه فى التعبير عما يجيش فى ضمير الانسان العربى فى مختلف المناسبات والأحداث .

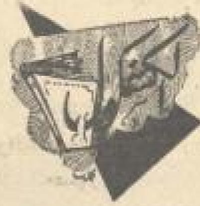
أما الأستاذ **محمد خلف الله أحمد** (مدير معهد الدراسات العربية العالية الآن ووكيل جامعة عين شمس سابقا) فقد واجه الموضوع مواجهة فنية مباشرة ، بناها على أربع نقط ، الأولى أن الأدب الحق هو ما كان فيض الاحساس الصادق والتجربة العميقة ، والثانية أن الأديب مواطن لا يتخلف عن الصفوف حين تخوض أمته معركة من معاركها الشاملة الحاسمة ، **والثالثة أن الأديب العربى ارتبط بحياة مجتمعه خلال العصور الماضية ، والرابعة أن الأدباء العرب قاموا بدورهم فى كفاح أمتهم منذ بدء النهضة العربية الحديثة، وعلى الأخص بعد قيام ثورات التحرير العربية .**

وفى بيان دقيق نظر الاستاذ خلف الله الى تطور الفكرة الادبية الملتزمة منذ نشأ النقاش بين أدباء الغرب حول مهمة الاديب ،وعلى هو يعبر تعبيرا جميلا بصرف النظر عن اثر هذا التعبير فى مجتمعه ، أو أن مهمة الاديب أن يبلغ الناس من حوله ما يحس به نحو اهتمامات المجتمع .

ثم قال ان القرن الحاضر جلب معه ظاهرة أصبح لها تأثيرها على تحويل مجرى النقاش فى طبيعة الادب ووظيفته وجهة جديدة ، **وذلك أن التطور الحديث فى النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية عمل على توثيق الصلة بين الفرد والمجموع** ، وعلى ضرورة أن يقوم كل مواطن - حسب تخصصه وقدراته - بنصيب فى الجهود الجماعى المشترك ، ومن هنا برزت أهمية الاديب بصفة كونه مواطنا يملك أداة ذات قيمة وفاعلية كبيرة فى اصلاح حياة الجماعة ، وفى زيادة رصيدها من الثروة الروحية والنفسية ، فى معالجة قضاياها الكبرى ، والتوعية بفلسفتها فى الحياة ، وفى تعبئة قواها لتحقيق أهدافها التى تتطلب صراعا ونضالا . ولم تعد المجتمعات تستسيغ السلبية أو الأنانية الفردية أو الانعزالية من جانب الأديب أو الفنان .

وكان بحث الاستاذ خلف الله هذا ، من البحوث القيمة التى اكتفى بطبعها وتوزيعها فى المؤتمر ، ولم تلق وتناقش فى الاجتماعات العامة .

وقد كان سبب ذلك ضرورة التنسيق بين الوفود الممثلة للدول العربية بحيث تمثل كلها فى أوجه النشاط بالمؤتمر بطريقة موزعة شاملة . وكان هناك دخل فى ذلك لوصول بعض الاعضاء - الذين أعدوا بحوثا - متأخرين عن بدء المؤتمر واعداد البرنامج . وفى العدد القادم - ان شاء الله نتناول موضوع « الغزو الفكرى » فى مؤتمر الأدباء العرب .



● ظفرت أخيرا بنسختي من المجموعة القصصية التي أصدرها أخيرا الاستاذ **نجيب محفوظ** باسم « بيت سيء السمعة » . **وذلك بعد ان ضن على بها « البريد » اذ اعادها الى المؤلف لأن « المذكور لا يوجد بهذا العنوان »** .

قرأت بعض قصص المجموعة ، فبعثت في نفسى الحنين الى استئناف كتابة القصة القصيرة التي شغلت **عنها في السنتين الأخيرتين بدراسات وكتابات أخرى، وخير الفن ما يثير الشهية والرغبة في انتاج مثله** .

والمشاغل تشدني اليها ، فاضطر الى تأجيل اتمام القراءة ، على عزيمة أن أعود اليها فيما بعد .

وعبارة «المذكور لا يوجد بهذا العنوان» يخطر لى بازائها ما يقال من أن القصة القصيرة عندنا الآن في أزمة .. فكلا القولين يصدر على ما يبدو لى - عن كسل وتهاون .. الاول لا يريد أن يتعب نفسه بالبحث عن « **المذكور** » .. والقائل الثاني لا يريد أن يقرأ ويستقرئ ، ولا يريد أن يسكت ..

لا ينبغي أن يتخذ ما ينشر من الرديء ذريعة الى **الحكم على الجيد بالعدم .. وفى كل مكان وزمان يوجد هذا وذاك . والتاريخ ينخل !**

● ذهب أحد الادباء من عندنا الى مؤتمر الادباء العرب ببغداد ، وعاد ، صامتا في الذهاب والاياب والاقامة .. وأخيرا نطق فى احدى المجلات .. يقول ان المؤتمر كان « سلفيا » قصر همه على التراث **وأغلق النوافذ وتقوقع ، ولم يختط للمستقبل !**

والواقع أن المؤتمر اهتم بالتراث فعلا ، وما كان ينبغى الا أن يفعل ، ولكنه اهتم الى جانب ذلك بالبناء وبالمستقبل ، وتوصياته تعكس هذا الاهتمام ، وقد نشرت فى هذا المكان بالعددين الماضيين جانبا منها .

● استهل المؤتمر توصياته بقوله :

« يرى المؤتمر أن تظل جهودنا الادبية فى هذه الحقبة الثورية من حياتنا الحاضرة تابعة بالدرجة الاولى من وعى عميق بتراث الامة العربية وقيمها ، حتى تظل لها شخصيتها المستقلة المتميزة ، التي تعينها على مواصلة أدائها لرسالتها الانسانية والحضارية .

كما يرى المؤتمر الا غناء لادبنا فى نهضته الحديثة عن الافادة من جميع التجارب الانسانية فى مضمار الأدب والفن ، فيفتح لها نوافذه (سامع ؟!) لياخذ منها ما يثريه وما يساعده على تاصيل ذاته »

يظهر أن كلمة « **التراث** » تقف شجى فى حلق بعض الناس عندنا .. « **شنشنة اعرفها من اخزم** » وهذا مثل من تراثنا العربى لا أظنه يعجب «أخزم»!

● كان الدكتور **محمد مندور** قد حضر الى ادارة الرسالة ، على أثر ما كتبته عن علاقته بمجلة **حوار** الصهيونية ، وقال **انه سيتحداني ويكتب فى حوار !**

وقد كان .. اذ نشرت «حوار» فى عددها الاخير مقالا للدكتور مندور عن اللغة العامية ..

ويطيب لى أن أستعمل هنا بعض تعبيرات الفقه الاسلامى - وهو من التراث العربى الذى لا يعجب السيد أخزم - فأقول ان التحدى ينقسم الى قسمين: الاول تحد بنائى كالذى يصنعه الشعب العربى الآن أمام الاستعمار ، والثانى تحد غير بنائى كالذى فعله الأخ مندور فى العدد الأخير من مجلة حوار .. **ربنا يهديه !**

● « عودة الفراشة » مجموعة قصص قصيرة للاديب الشاب **سيد عويس** ، كتبها باسلوب عربى جيد ، واتجه فيها اتجاها انسانيا شاعرا رقيقا .

● **الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين** عضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقية ، يعد بحثا عن المرحوم « اسماعيل أحمد أدهم » أحد كتاب الرسالة الأوائل ، وهو يرجو من الزملاء بالجمهورية العربية المتحدة الذين كان لهم صلة بالفقيد أن يكتبوا اليه ويدلوه على المصادر المتصلة به . عنوان الأخ وحيد الدين : جمعية المؤلفين والكتاب - الأعظمية ببغداد .

● كان الدكتور زكى مبارك صادق النبوءة حين كتب فى كتابه « ليلى المريضة فى العراق » منذ ٢٦ سنة يقول :

«اسمعى ياليل . ان أهل بلدكم يقولون ان زكى مبارك لا يزال يحافظ على مصريته ، وهذا حق ولكننى أتشبث بمصر فى سبيل اللغة العربية ، فاللغة العربية هى الرباط الوثيق الذى سيكون فى المستقبل أساس ماسيعرف الشرق العربى من قوة البنيان » .

عباس خضر



كيف يعد البن الأخضر بعد جمعه من الأشجار

بقلم : نبيلة محمد عطية الأبراشي

- ٢ -

يقطف البن عادة بقشوره من الأشجار . ولازالة تلك القشور واستخلاص حبوب البن الأخضر منها طريقتان :

الطريقة الاولى هى : التجفيف ، بان يضع الزارع المحصول على الحصر فى الشمس عدة اسابيع ، او فى مكان به هواء ساخن ، حتى تجف القشور الخارجية وتتشقق ، ثم توضع الثمار فى طاحونة خشبية لتقشيرها ونزع القشور التى تغطيها ، ثم تذرى فى الهواء لتكون القشور فى ناحية ، والحبوب فى ناحية اخرى . وحينئذ تغسل حبوب البن بالماء ، حتى تصير نظيفة ثم تترك حتى تجف ، وتسمى البن المجفف .

الطريقة الثانية : هى طريقة البل ، وتحتاج الى كثير من الماء بالقرب من المزرعة . بان يوضع المحصول فى احواض كبيرة خاصة مبطنة بالملاط (الاسمنت) ، مملوءة بالماء ، فتتخمر الثمار ويكسبها التخمر جمالا فى الطعم والرائحة .

وبعد اخراجها من الاحواض يسلط عليها هواء ساخن آلى ، فتشقق القشور الخارجية ، ثم تنقل الى آلة خاصة لتقشيرها ، ونزع القشور الخارجية السميكة ، والقشور الفضية الداخلية منها . وبآلة اخرى يهب عليها هواء متحرك فيذرى جميع القشور ، وتجعل القشور فى ناحية ، والحبوب فى ناحية اخرى .

وهناك آلات بها غرابيل ذات عيون وفتحات مختلفة السعة . فتغربل الحبوب وبجعل كل نوع من البن على حدة ، فيكون البن السليم وحده ، والمكسور والتالف وحده . والحبوب الكبيرة فى جهة ، والصغيرة فى جهة اخرى .

وتسمى هذه العملية عملية ترتيب البن وفيها يجعل البن فى درجات ، وتوضع كل درجة وحدها . وتعد عملية الترتيب هامة جدا فى اعداد البن وتجهيزه .

ومن الواجب ان يكون حجم البن واحدا سواء اكان كبيرا ام صغيرا ، حتى اذا قلى كانت درجة القلى واحدة . اما اذا اختلط بعضه ببعض ، واختلف حجمه ، وكان بعضه صغيرا ، وبعضه كبيرا لم يمكن قليه بدرجة واحدة .

وبعد ان يجعل كل نوع من البن وحده فى كومة ، يمكن تعبئته فى اكياس . ويسمى هذا « البن الأخضر » .

وتنظف حبوب البن الأخضر مرتين : الاول حينما يغسل البن ويجف . والثانية حينما يغربل بالغرابيل بعد تجفيفه ، او يوضع فى انابيب عمودية لتنظيفه وتنقيته من المواد الغريبة العالقة به ، ويسلط الهواء المتحرك على الأنابيب من الثلث الأسفل منها ، فيطرد الهواء التراب والغبار والخيوط والريش والاوراق وغيرها — الى اعلى الانابيب فتخرج منها . ثم يغربل البن بالايدى او بالآلات لتنظيفه من المواد الغريبة الثقيلة كالحجارة والحصى والمسامير ، حتى يكون نظيفا جدا ، خاليا من كل شئ .

كيف يخزن البن ؟

ان البن الأخضر لا يصح خزنه فى الجهات الحارة الرطبة التى يزرع بها ، خوفا من فساد طعمه ورائحته الجميلة . ولهذا يصدره المزارعون المنتجون له فى الحال بعد الانتهاء من تذريته ، وينقلونه الى الموانى لتصديره فى البواخر التجارية الى الجهات التى تحتاج اليه وتستورده .

والمعادن تتلف البن الاخضر ، ولهذا يلاحظ عند نقله الى البواخر الا يمس البن اى شئ مصنوع من المعدن ، وان تكون هناك تهوية كثيرة بآلات خاصة بين الاكياس المملوءة بالبن الاخضر ، كى لا يعرق البن ، فيفسد طعمه . وهذا هو السبب فى تعبئته فى اكياس او مقاطف ذات فتحات تسمح بالتهوية الكثيرة ، ووضع آلات التهوية بين الأكياس (الأجولة) .

ماذا يفعل فى معمل البن ؟

تنقل السفن التجارية البن الى المعمل . وهناك يبدأ الباحثون فى عمل اختبارات لفحصه ، فياخذون ست اوقيات ويتفقونها لقليها فى القلاة وطحنها ، وعمل قهوة منها ، وشربها للحكم على طعمها ورائحتها . ويثبتون مايلحظونه من التغيرات ، فيقولون مثلا ان البن حينما يقلى تكبر حبوبه (تنتفش) ويصير لونها بنيا فاتحا ثم بنيا مائلا الى السواد ، وتكون رائحته قوية جميلة ، ويخف وزن البن المقلى عن وزن البن الاخضر . ويثبتون بالدقائق المدة التى يحتاجون اليها فى قلى البن ، ثم يطحنون البن ، ويعملون منه قهوة بالطريقة الآتية :

وهى : غلى الماء ، ثم وضع البن فوق الماء المغلى ، ثم شم رائحة القهوة ، ثم تذوق طعمها . وبهذه الوسيلة يمكنهم ان يحكموا

حكما دقيقا على نوع البن ، وطعمه ، ورائحته ومقدار جودته ، ويذكروا مافيه من عيوب ان وجدت عيوب ، ويبينوا لمدير المصنع عدد الدقائق التي احتاج اليها البن في قليه ، ويعرفوا كيف يخلطون هذه الأكياس من البن باكياس اخرى ، والنسبة التي يخلطونه بها ، وعدد الأكياس التي تؤخذ من كل مجموعة لتخلط مع الأكياس التي في التعبئة الأخرى ، والمقدار الذي يضاف من كل نوع من البن الى النوع الآخر ، كي يتأكدوا ان يكون طعم البن لذيذا ، ورائحته جميلة . وتسمى هذه العملية عملية خلط البن بعضه ببعض . وهناك آلات خاصة بخلطه .

وبعد الانتهاء من تجربة البن وفحصه وخلط الأخضر المعبأ في الأكياس ، ينظف البن من الأشياء الغريبة التي فيه بآلات خاصة تنشره ، وتنقله بدقة وعناية في انابيب عمودية يسلط عليهـا هواء متحرك الى اعلى ، فيطرد الهواء المواد الغريبة الخفيفة العالقة به الى اعلى كالغبار ، والورق والخيوط والريش . ويســقط في قاع الانبوبة من اسفل ــ الحبوب الثقيلة ، والحصى والحجـارة والمسامير ، ويتنظف البن من جميع الأشياء الغريبة التي فيه ، حتى تنتهي عملية التنظيف ، كما قلنا من قبل .

وحينما ينتهي فحص البن واختياره ، وخلط بعضه ببعض ، وتنظيفه من المواد الغريبة يعبا في اكياس بالمصنع ، ويوضـع في المخزن ، ويعد للبيع .

وهناك آلات كثيرة خاصة بقلي البن ، منها الرخيص والغالي . وفي استطاعة العامل الواحد في المصنع ان يشتغل على اربع مقليات او اربعة افران لقلي البن ، ولديه ملعقة طويلة اليد يقلب بهـا البن . ويكون طعم البن لذيذا حينما يقلى في وقت قصير ، على اقل حرارة ممكنة .

وان العامل المختص بقلي البن في المصنع الذي قلاه مرات كثيرة من قبل ، واشتغل في هذا العمل عدة سنوات ، وكسب خبرة كبيرة في قليه ، يعـرف متى يتم قليه ، ومتى يطفىء نار المقلاة او الفرن ، ومتى يخرج البن منهما .

ويضع العامل البن على (صينية) ، وينشره عليها ، ويقلبه بسرعة بشوكة كبيرة معدنية ، حتى يبرد .

وهناك آلة لتبريد البن يخرج منها هواء بارد قوي يسلط على البن ، ويهب قوقه ليبرد بسرعة .

ويلاحظ ان البن المقلي اخـف وزنا من البن الأخضـــر .

كيف يطحن البن ؟ وكيف يحفظ في البيت ؟

ان الناس الذين يشترون البن لعمل القهــوة يختلفون في امزجتهم وميولهم ، فمنهم من يحبون شراء البن الأخضر من البدال ، وقليه وطحنه في البيت على حسب رغبتهم . ومنهم من يشترونه مطحونا جاهزا معدا لعمل القهوة منه مباشرة ، وهم قليلون عندنا ، كثيرون في اوربة والولايات المتحدة الأمريكية .

وهناك آلات متنوعة لطحن البن ، ففي حوانيت (دكاكين) البن تجد آلة كبيرة دائرة باستمرار لطحن البن المقلي . وفي البيوت طاحونات صغيرة تدار باليد لطحنه . وبعض الناس الذين يقلونه ويطحنونه في بيوتهم يضعون عليه قليلا من (حب الهال) ، لتكون رائحته جميلة .

وان ترك البن معرضا للهواء بعد طحنه يتلفه . ولهذا يوزن بعد طحنه مباشرة ، ويوضع في صفائح صغيرة او أوان زجاجية سميكة غليظة ، ثم يغطى البن غطاء محكما ، كي لا يعرض للهواء، فتذهب رائحته ، ويصير طعمه رديئا . واحيانا يوضع البن المطحون في اكياس صغيرة من الورق ، وتثنى حروفها ، فيمتص الورق المادة التي تكسبه لذة في الطعم .

وكلما اراد العرب شرب القهوة قلوا البن ، وطحنوه في مصحن من الفخار بعد قليه مباشرة ، وعملوا القهوة من البن الطازج في الحال . ولذا تجد القهوة العربية لذيذة الطعم ، ذات رائحة جميلة، صافية نقية ، وهم يحبون شرب القهوة (السادة) الخـالية من السكر .

كيف تعمل القهوة ؟

هناك طرق مختلفة لعمل القهوة ، منها الطريقة العربية ، وقد ذكرناها في آخر السؤال السابق ، ومنها الطريقة المصرية ، وهي: ان نغلي الماء في اناء خاص بعمل القهوة (الكنكة) ، ثم نأتي بالبن المطحون ، ونضع منه قدرا يناسب ما نريده من الفناجين . فاذا اردنا فنجانا واحدا وضعنا من البن مقدارا يناسب الفنجان ، واذا اردنا فنجانين وضعنا مايناسبهما ، وهكذا ، وحركنا البن بالملعقة في الماء المغلي ، وابقينا (الكنكة) على نار هادئة حتى تعلو رغوة القهوة ، مرة او مرتين ، ثم نأخذ القهوة ونصبها في الفناجين بوضع جزء من الرغـــوة في كل فنجان . ثم تكمـل الفناجين .

وهذه هي القهوة المصرية التي تسمى (بالسادة) . وهي الخالية من السكر . واذا اراد احد القهوة بسكر قليل او كثير وضع المقدار المطلوب من السكر على الماء وهو يغلي قبل وضـع البن ، وتسمى قهوة بسكر .

والطريقة الانجليزية في عمل القهوة ان يؤتى ببن مطحـون خشن غير ناعم . ثم يؤتى باناء يوضـع فيه مقدار الماء الذي نريده من الفناجين ، بشرط ان يكون نصفه من اللبن . ونصفه من الماء . ثم يغلى على النار . ونضع ملعقة صغيرة من البن الخشن لكل فنجان نريده . فاذا اردنا فنجانين من القهوة وضعنا ملعقتين من ذلك البن وهكذا . ونترك القهوة حتى تغلي ، فنأخذها ونصفيها بالمصفاة . ويوضع من السكر على كل فنجان مقدار قليل او كثير بحسب رغبة الشارب . وتسمى هذه قهوة بيضاء . وهي القهوة المخلوطة باللبن . واذا كان البن ناعما كالبن المصري ، فاننـا لانحتاج في عمل القهوة البيضاء الى تصفيتها بالمصفاة او بقطعـة من الشاش .

وهناك القهوة الفرنسية وهي القهوة السوداء ، التي يغلى فيها الماء ، ثم يوضع عليه البن المطحون الناعم ، ثم تغلي القهــوة ، وهي قهوة خفيفة مرة خالية من السكر ، ويوضـع السـكر لمن يريد .

ويختلف الناس في نوع القهوة التي يشربونها . فمنهـم من يحبها ثقيلة ، ومنهم من يحبها خفيفة ، ومنهم من يفضـلها باللبن والسكر ، ومنهم من يطلبها خالية من اللبن والسكر .

لماذا يشرب الناس القهوة ؟

ان الناس يشربون القهوة اذا احسوا بشيء من التعب ، لأنها منعشة ، منبهة للأعصاب ، مجددة للنشاط . والسبب في ذلك ان البن يحتوي على مادة تسمى (كافين) وهي مادة منبهة .

ويحب الكبار شربها لأنها لذيذة الطعم ، جميلة الرائحة . ويقبل عليها الطلبة اذا احسوا بالنعاس ، كي يستيقظوا ويتمكنوا من متابعة استذكار دروسهم . والقهوة باللبن مغـذية ، تصـلح للكبار والصغار .

نبيلة محمد عطية الابراشي

الاتحاد الاشتراكي العربي وعاء الديموقراطية

تأليف: محمود متولى

بقلم تحسين عبد الحى



اتجهت جماهير الاتحاد الاشتراكى العربى يوم الاثنين الماضى الى صناديق الاقتراع لتجديد بيعتها لقائدها المناضل **جمال عبد الناصر** ..

وتؤمن جماهير شعبنا بأن تجديد بيعتها للمناضل جمال عبد الناصر يعنى بالنسبة لها مزيدا من النضال الثورى الشجاع ضد قوى التخلف الداخلى ـ وضد كل أنواع الضغوط الخارجية التى بدأت بمهزلة القمح الامريكى فى صورة مناقشات ومناورات سياسية ودعائية ضد جماهير شعبنا ـ واذا كانت مهزلة القمح الامريكى كخطة مدروسة من خطط الضغط التى يمارسها ضدنا المعسكر الاستعمارى قد عبرت الاطلنطى لتستقر فى بون التى تشكل الجناح الأوربى فى خطط الاستعمار العالمى فان المناضل جمال عبد الناصر قد استطاع أن يشن هجومه السياسى الخاطف على طول الجبهة الألمانية ـ ليكسب لشعبنا جولة رائعة من جولاته النضالية الرائدة ..

ان جماهيرنا وهى تضع يدها فى يد عبد الناصر القوية .. انما تعبر له عن ايمانها بانه القائد الشجاع الذى سوف يقودها الى طريق المستقبل الحافل بالانتصارات المتتالية على طول الجبهة الاستعمارية الصهيونية .. وكذلك على طول الجبهة العربية الوحدوية ـ ان المواطن العربى الفرد ـ وهو يسلم قيادته الى رجل العصر العظيم ـ جمال عبد الناصر ـ يعلم تماما أنه هو الذى أنهى بقوانينه الاشتراكية تقسيم المجتمع الى كادحين ومترفين ـ تلك القوانين التى أخفت الانفصال بين العمل الذهنى والعمل اليدوى بحيث لم يصبح الأول وقفا على أقلية ولن يصبح الثانى قدرا رهيبا ولعنة على الغالبية العظمى من العمال ..

والمواطن العربى الذى رسف فترة طويلة فى أغلال الاستعمار ووقع تحت ضغط الأجنبى الباغى سنين طوالا . هذا المواطن الذى ظل يعانى من الاستعمار التركى الى الاستعمار الانجليزى وفقد انسانيته تحت حكم أسرة محمد على ـ هذا المواطن لم يشعر بنفسه يوما من الايام حين كان يجبر على منح صوته بالسوط لسيده وولى نعمته فى الحقل أو المصنع أو الشركة ـ هذا المواطن الذى فقد اعتباره وانكر كيانه من أجل لقمة العيش ـ هذا المواطن الذى كان يعتبر خروج الانجليز كما لو كان أشبه بالوصول الى القمر حلما بعيد المنال . هذا المواطن الذى عاش أياما طوالا والدموع غذاؤه والخوف حياته .. هذا المواطن جاء له اليوم ليمنح كل ما فقده ـ أعاد اليه عبد الناصر انسانيته ـ وأعاد اليه كرامته وآدميته ... ويعلم المواطن العربى فى الجمهورية العربية المتحدة انه يتحمل مسئولية انجاح ومبايعة المناضل عبد الناصر بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن كل مواطنى الوطن العربى الكبير ـ بل ونيابة عن كل المهضومين والمغلوبين على أمرهم فى العالم .. لكى يواصل رجل العصر العظيم وتحقيق مابداه على طول الجبهة الوطنية ـ والقومية ـ والعالمية .. ونحن هنا لن نعدد هذا الرصيد الضخم من العمل السياسى والاقتصادى والاجتماعى للمناضل جمال عبدالناصر ولكننا سوف نعرض فقط لاحدى اعماله ومنجزاته الانسانية الرائدة ـ من الناحية التنظيمية وهو الاتحاد

الاشتراكي العربي ـ موضوع كتاب اليوم ..

وقد بدأت الحاجة الملحة لتنظيم سياسي كالاتحاد الاشتراكي العربي تفرض نفسها بعد صدور قوانين يوليو الاشتراكية .. اذ انه لولا هذه القوانين ماكان لثورتنا أية قدرات على الحياة . فكثير من الثورات تفقد قدرتها على الاندفاع بين ذراعي تنفس « الواقع القديم » الذي بدأت بالثورة عليه ـ وثورات أخرى يكون نجاحها هو في ذاته عدو استمرارها وانطلاقها الجديد .. اذ يكون هذا النجاح أشبه بالرمال الواسعة المسام التي تمتص ماء الثورة الهادر فيهدأ ويسكن « وذلك كثورة عبدالكريم قاسم التي جمدت الوضع في العراق الى حين قيام ثورة ١٤ رمضان.» ولقد كان مهما لثورتنا لتضمن استمرارها في الحياة أن تحكم بمنطق العدل والمساواة حاملة على عاتقها كل المهمات التي يمكن أن تقع على مرمى الفكر والبصر. فكانت قوانين يوليو الاشتراكية وقد عبر عن ذلك المناضل جمال عبد الناصر بقوله :

« ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في مصر وصولا ثوريا الى التقدم لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختياري وانما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين » ويقول الكتاب عن الاشتراكية العربية في صفحة « ٦٨ » .

اننا نؤمن بالاشتراكية على أساس أنها اشتراكية للرفاهية والثراء لا اشتراكية للفقر والجوع ، والاشتراكية العربية منبثقة من صميم حياتنا وتاريخنا وثقافتنا وتراثنا الديني والروحي فهي وليدة المجتمع العربي ذاته .

ان الاشتراكية ليست ديننا كما يعتقد البعض نحن اذا كنا نؤمن بالاشتراكية فاننا نؤمن بها لا بوصفها دينا جديدا ولكننا نؤمن بها بوصفها نظاما اجتماعيا واقتصاديا يستمد أصوله من الأديان السماوية .. ومن ثم فان الذين ينادون بأن نطبق الماركسية في بلادنا هم ضحايا المراهقة السياسية والكسل العقلي والتبعية النفسية . ص ٦٦ ، ٦٧ . ويقول الميثاق الوطني ..

« ان رسالات السماوات كلها في جوهرها انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته » .

فالدين في نظرنا هو صمام ضد التقهقر ودافع للتقدم هو وسيلة ضد التعصب وحافز على النهضة في كل مجالات حياتنا .. ويتضح جليا بذلك أن الاشتراكية العربية تختلف عن غيرها من الاشتراكيات التي ترتبط بولاء دولي وتسير وفقا لمبدأ اللاقومية واللادينية . ومن ثم تعتبر الاشتراكية العربية ثورة جديدة في العلاقات الانسانية وثورة جديدة لخلق المواطن العربي المتحرر الذي يعرف واجباته ويعرف حقوقه ويؤدي تلك الواجبات بنفس الروح والجد والاجتهاد التي يطالب بها تلك الحقوق. وكيف اذن تنظم هذه الحقوق والواجبات ، وهنا تنبع الحاجة الى التنظيم السياسي . يقول الكتاب ص١٥٣

« لقد مرت ثورة ٢٣ يوليو بعدة مراحل وكل مرحلة تستلزم شكلا معينا من التنظيمات الشعبية تدعم بها الوضع الجديد .فكانت هيئة التحرير التي استطاعت مجابهة التكتلات الرجعية في مرحلة معينة، ثم جاءت مرحلة أخرى هي مرحلة الثورة السياسية التي تستلزم تجميع قوى الشعب الوطنية لمجابهة الاستعمار وعملائه فكان الاتحاد القومي وبالرغم من المتناقضات التي كانت تحدث في الاتحاد القومي فقد ساهم واستطاع أن يثبت وجوده في مرحلة تحدي الاستعمار والقوى الاستعمارية ليس فقط في مصر بل وفي العالم العربي ـ وحين بدأت المبادئ الاشتراكية تأخذ طريقها ازداد التناقض عمقا داخل الاتحاد القومي وازدادت القوى المعادية للشعب حيث جمدت الاتحاد القومي كتنظيم شعبي وقادت في ذلك قطعته من الخلف، والاتحاد الاشتراكي العربي الذي سبقه كل من التنظيمين السابقين .. يعتبر تنظيمها جماهيريا وثوريا ينظم ويعبىء الجماهير في مرحلة بناء الاشتراكية .

وتعتمد العلاقة بين القاعدة والقيادة في الاتحاد الاشتراكي على ما يسمى باللامركزية الديمقراطية. فان الاتحاد بهذا التنظيم يعتبر وسيلة لتحريك الجماهير ولذا كان لابد أن يتم التجاوب بين القاعدة والقيادة بدون حواجز بيروقراطية أو تعقيدات ادارية أو عدم ثقة في قدرة الجماهير على تحمل المسئولية . ان الغرض من هذا التنظيم ليس هو جمع الأنصار ـ فمن الخطر أن نتهاون في مصير هذا الجهاز السياسي الضخم الذي رسمت له الثورة ثوريته ومنحته أفضلية القيادة وأعطته حق الاستعلاء على قوة السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية . لأن المرحلة القادمة

ليست فقط مرحلة التجمع الثورى لشعب مصر بل مرحلة التجمع والكفاح الثورى من أجل الشعب العربى . (ص ١٦٨) "

ولابد للاتحاد الاشتراكى من قيادات ثورية على كل المستويات . فيذكر الكتاب فى ص ١٨٨ :

« ان اقامة المجتمع الاشتراكى الكامل تتطلب مستوى مرتفعا من القيادات فى الادارة السياسية والتنظيمية ومساهمة القوى الشعبية بتنظيماتها المختلفة ، واستعمال طاقاتها الخلاقة فى ادارة شئون الدولة فى الانتاج .

ان القائد الصالح هو الذى يستطيع ان يقنع الجماهير بما يريد وان القائد الصالح هو الذى لا يخدع الشعب ص ١٨٩ .

والقائد الذى يفتقد صلته بالجمهور يجب أن يفقد صلته فى نفس الوقت بمنصبه لأنه كممثل لهذه الجماهير يجب أن يكون منها معبرا عن آمالها حاسا بآلامها مترجما لصرخاتها منفذا لأمانيها ، معها فى محنتها وفى أفراحها ص ١٩٦ . وبعد أن يستعرض الكتاب الدور الحقيقى لكل فئات تحالف قوى الشعب العاملة فى نطاق الاتحاد الاشتراكى العربى يخلص الى القول ص ٢٦١ .

« من كل ما مضى يمكننا القول أن الاتحاد الاشتراكى العربى هو الصورة الجديدة لتنظيمنا الشعبى التى استطعنا عن طريقها أن ننقل الديمقراطية من حيز الشعار اللفظى الى حيز التنفيذ المباشر ومن حيز التطبيق الزائف الى حيز التطبيق المتكامل الذى يجسد وحدة الشعب ، ويمنحه السلطة والقدرة والتأثير على رسم خطوط مستقبله ومراقبة تنفيذها .

وبعد :

فعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد خطا خطوة رائعة فى عرضه لقضية التنظيم السياسى الداخلى فى صورة متطورة الا أنه يقدم لنا فى معظم فصوله – عموميات – أو قضايا عامة .

ونحن نعتقد أن الفترة التنظيمية التى يمر بها الاتحاد الاشتراكى العربى الآن فى حاجة الى بحث ودراسة لجزئيات هذا التنظيم بحثا مطولا مفيدا .. ولا نريد من الأبحاث الجديدة أن تعرض لنا المشاكل والقضايا فقط ولكننا نريدها أن تدخل فى صلب التجربة التنظيمية لكى تقدم لنا حلولا مرضية . ان كثيرا من القضايا تفرض نفسها – مثل قضايا المهنيين – ودور المثقفين فى الجهاز السياسى وطبيعة العلاقات بين النقابيين والاتحاد الاشتراكى – فهل تشكل النقابات العمالية مثلا تكتلا ما داخل الاتحاد الاشتراكى ؟ . وهل يعنى طبيعة الكادر الثورى داخل التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى العربى – أولئك المثقفون « الثوريون » المتخمون بعديد من المناصب – وهل أصبحت الثورية عندنا تعنى افراز العديد من الأفكار الملتوية علامة على النبوغ والعمق الثورى !! .. الخ .. الخ .

شئ آخر اود ان اقوله هنا :

ان جبهة التحرير الوطنية الجزائرية – بتنظيماتها المنبثقة من واقع شعبنا فى الجزائر ، تشكل الأساس الثورى المنظم لوحدة العمل القومى على المستوى الاقليمى والقومى والعالمى . وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية بمحتوياتها ودعائمها ومنجزاتها انما تمثل جزءا من الحركة العربية الواحدة ، وكذلك الاتحاد الاشتراكى العربى فى العراق .. كل هذه المؤسسات الجماهيرية تخص شعبنا العربى فهل يكون من المفيد حقا أن نركز كل أبحاثنا على الاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة فقط ؟ أم أنه قد أصبح محتما على مفكرينا أن يبذلوا جهدهم وطاقتهم فى ربط هذه التجارب بعضها ببعض – مكملين أوجه النقص من هنا وهناك حتى لا نستطيع أن نكون اقليميين فى تفكيرنا منغلقين على أنفسنا لا نستطيع أن نرسل بصرنا الى ما بعد حدودنا الاقليمية !!

اننا نعتقد أن تلاحم هذه التجارب الثورية والمؤسسات الجماهيرية العربية . سوف يكون من شأنه أن يدعم جبهتنا التنظيمية فى الداخل بالقدر الذى يساعدها على استيعاب تجربة العمل العربى الموحد وكيف يكون على المستوى الجماهيرى .

« تحسين عبد الحى »

كتب جديدة

تقديم **أحمد الصادق عبد الصمد**

● **مع العقاد**

تاليف : د . شوقى ضيف

الناشر : دار المعارف بالقاهرة

هذا هو أحد أعداد سلسلة (اقرأ) يقع فى ١٧٦ ص من القطع الصغير ، وهو كما يقول المؤلف دراسة مركزة ، تصور فى اجمال سيرة العقاد ومراحلها وما اختلف عليه من مؤثرات ، وما تمتاز به شخصيته من مقومات مادية ونفسية وعقلية وروحية .

هذا وقد قسم المؤلف دراسته على أربعة فصول :

تناول فى الفصل الأول سيرة العقاد ، وفى الثانى العقاد الكاتب ، وفى الفصل الثالث العقاد الناقد ، وفى الفصل الرابع العقاد الشاعر

● **الذين يحترقون :**

المؤلف : نجيب الكيلانى

الناشر : الشركة العربية

الكتاب رقم ٣٢ للمؤلف وهو رواية تدور أحداثها فى احدى الوحدات المجمعة بالريف ، والرواية تعطى قطاعا عرضيا لمشاكل الريف وصراعاته الاجتماعية والسياسية والعاطفية ، كما تصور تطور القرية من عهد الى عهد وما يصاحب الصبغة الحضارية الجديدة والقيم الاشتراكية من انفعالات ومعارك .

● **سجن العمر :**

تاليف : توفيق الحكيم

الناشر : مكتبة الآداب

لا يزال توفيق الحكيم .. فى الحقل الأدبى يمثل الدوحة الكبيرة الدائمة الاخضرار ، والذى لا يخلف القراء موعدهم معها ، أو التى لا تخلف هى موعدها معهم، ولقد كانت آخر زهرة تفتحت على هذه الشجرة الخصبة هى كتاب « سجن العمر » ولندعه الآن يتكلم، فتوفيق الحكيم أعظم من يتكلم للقارىء — على ورقة — فى هذا العصر ، يقول :

« هذه الصفحات ليست مجرد سرد وتاريخ لحياة، انها تعليل وتفسير لحياة ، انى أرفع فيها الغطاء عن جهازى الآدمى لأفحص تركيب ذلك « المحرك » الذى نسميه الطبيعة أو الطبع ، هذا المحرك المتحكم فى قدرتى ، الموجه لمصيرى .

من أى شىء صنع ؟

من أى الأجزاء شكل وركب ؟

هذا هو موضوع الكتاب الذى أهداه أخيرا للقراء توفيق الحكيم .

● **لحظة صدق :**

تاليف : الدكتورة نوال السعداوى

الكتاب الذهبى

الكتاب يقدم مجموعة من القصص من خلال العلاقة الأبدية بين الرجل والمرأة ، ولعل هذا يؤكد ما قاله الدكتور يوسف ادريس فى المقدمة من أنها مشغولة بعلاقة بعض أنواع النساء ببعض أنواع الرجال . وكما يقول : « ورجلها فى الغالب رجل ذئب ، جرب وذاق ، وسيدتها المفضلة امرأة خاضت التجربة الى درجة الترفع ، الى درجة الانتقاء ، الى درجة لم يعد تصلح معها اى علاقة لتملأ الفراغ ، وانما لابد من رجل بطل مخصوص ليكون « استسلامه » نصرا تستطيع أن تفخر به أمام نفسها دقيقة .

والحقيقة تؤكد أننا أمام قصصية بارعة ، تنسج قصصها ببراعة ، وأناة ، وصبر ، والتزام .. ولعل حقيقة هذا الالتزام أن المرأة أصبح لها عالمها وواقعها، وفكرها المستقل عن الرجل .

● أحمد لطفى السيد :

تاليف : د . حسين فوزى النجار

الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة

الكتاب أحد أعداد سلسلة أعلام العرب التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ، وهو يقع فى ٣٠٠ص من القطع المتوسط ، وقد جاءت الدراسة فيه ترجمة وافية عن أستاذ الجيل المرحوم أحمد لطفي السيد ، وقد قسم المؤلف دراسته الى أبواب ثلاثة ، عرض فى الباب الأول تحت عنوان (الزمان والمكان) لحيوية التغير ، منذ بداية الثورة العرابية لتؤكد حق المصريين من ضباط الجيش فى المساواة باندادهم من الجركس والترك ، كما عرض لأحمد لطفى كرجل عاش فكرة تجسدت فى ضمير جيله وعصره ، وفى الباب الثانى عرض المؤلف لأستاذية أحمد لطفى للجيل ، وفى الباب الثالث عرض المؤلف لمواقف مصر الثائرة ، ووضع أحمد لطفى بين السياسة والفكر ، وبين الجامعة والوزارة، وحكم التاريخ على مكانة أحمد لطفى فى تاريخ مصر الحديثة ، ودوره القيادى فى مجال الفكر .

● معارك اسلامية من أمجادنا العربية :

تاليف : أ . ح . محمد جمال الدين على محفوظ

الناشر : الدار القومية

تناول المؤلف فى حلقة سابقة غزوة بدر ، وفى هذا الكتاب عرض فى دراسة مركزة لغزوة أحد ، مبرزا الدروس المستفادة من هذه المعركة ، وكيف طبق الرسول — صلوات الله عليه — مبدأ الوقاية والمبادأة بعد غزوة أحد ، وكيف استطاع المسلمون استعادة هيبتهم عن طريق غزوة بدر الآخرة التى حدثت فى شعبان من السنة الرابعة .

● الدعوة الى الاسلام :

تاليف : عبد الرزاق نوفل

الناشر : مكتبة الوعى العربى

هذا الكتيب هو الحلقة الأولى من سلسلة المعرفة الاسلامية ، تهدف كما يقول المؤلف الى بيان حقائق الاسلام وما تحققه عباداته وتكاليفه للفرد والمجتمع، وتتخذ الطابع العلمى فى معالجتها لأمور الاسلام لأن العلم هو طابع هذا العصر ولغته العالمية .

وأبواب الكتيب : الدين والانسان، تتابع الاديان، الاسلام دين عام ، ثم تبليغ الدعوة الاسلامية ، ويقع فى ٨٠ صفحة من القطع المتوسط .

● الامامة فى التشريع الاسلامى :

تاليف : محمد مهدى الآصفى

الناشر : مكتبة النجاح — النجف بالعراق

يقع الكتاب فى ١٣٨ صفحة من القطع المتوسط، وهو محاولة لتبسيط مفهوم الامامة وعرضها بشكل جديد على ضوء العلوم البشرية الحديثة .

وتجديد فى بحث الامامة يلائم الذوق العلمى الحديث ، والكتاب محاولة أيضا للتقريب بين المذاهب الاسلامية فى فهم معنى الامامة والبحث عن جذور الاختلاف بين المذاهب الاسلامية فى هذه المسألة ، كما ناقش الكتاب الاسباب المؤدية الى فشل الاتجاهات السياسية والادارية التى لا تتصل بالمبدأ الأعلى وموقف الامامة من مناهج الحكم والسياسة .

عبقرية العقاد

بقلم : عبد الفتاح الديدى

يصدر فى الأسبوع القادم كتاب عبقرية العقاد من تاليف الاستاذ عبد الفتاح الديدى . وهو كتاب يبحث فى جميع نواحى العبقرية العقادية . ويقوم الكتاب بدراسة العقاد الشاعر والفيلسوف والكاتب والباحث اللغوى والمفكر والصحفى والانسان . يحاول هذا الكتاب أن يضع يد القارىء على المعطيات الأساسية ونقط الارتكاز الأصلية التى يستند اليها فكر العقاد فى هذه الأبواب جميعها . وأهم شىء هو أن نلمس جوانب الجدة والابتكار فى كل هذه النواحى .

« أحمد عبد الصمد دياب »

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



● فى ذكرى العقاد :

فى مثل هذا الشهر من العام الماضى منيت مصر والأدب العربى فى كل مكان بخسارة فادحة هى وفاة المفكر الكبير عباس محمود العقاد ، بعد أن ترك وراءه ثروة ضخمة شملت هذه المؤلفات العديدة التى أضافها الى العلوم والفنون والآداب ، وعلى الرغم من أنه لم يحمل شهادة عليا من جامعة ، لكنه حمل خير شهادات مدرسة الحياة التى نالها من جامعته هو .

مضى - رحمه الله - فى كفاح طويل يهدف فيه الى تحقيق مجد فكرى شامخ ، فأنتج فى عمر كفاحه ثمانين كتابا تعليه على الزمن ، وتمد الاجيال العربية المنطلقة بغذاء دسم ، يمثل اصالة العقلية العربية فى غناها وعمقها ، وتفتحها للحياة والنماء .

وبمناسبة الذكرى السنوية الأولى لوفاة الأستاذ الكبير عباس العقاد ، كتبت عنه كثير من المجلات ، فالدكتور « عثمان أمين » تحت عنوان « العقاد الفيلسوف » يقول عنه فى مجلة « العربى » :

« انه فى تاريخ هذه الأمة « معلمة » عربية ضافية ، لم ينقطع يوما فى حياته الزاخرة عن اعمال ذهنه تطلعا الى المعرفة ، وتأملا فى رحاب الكون ، وتقصيا لأسرار النفس ، فهو شاعر ، وناقد ، وصحفى ، وقاص ، وهو كاتب سياسى ، ومترجم سير ، ومؤرخ مذاهب ، وناظر فى الجمال » .

ويستشهد الدكتور بنماذج من قول العقاد ضد أدعياء النظر الوضعى واشباههم من الماركسيين الذين استبد بهم الزيغ والتيه ، فانكروا كل حقيقة روحية باسم العلم ، ويبين العقاد لهؤلاء « أن التاريخ لم يستقم قط فى اتجاه واحد ، كما استقام فى اتجاه الحرية الفردية ، أو فى اتجاه النهوض بالتبعة والأخلاق ، فمنذ آمن الانسان بروحه ، وعلم أنه مثاب على عمله ، لم يكن له تقدم قط الا فى هذا الاتجاه ، ولم تقم على غير هذا الطريق قائمة من الأديان والأخلاق والحركات الاجتماعية فى كل مكان ، وفى كل قبيل » .

ونشرت مجلة « الكتاب العربى » الصادرة فى ١٠ مارس ١٩٦٥ مقالا لرئيس التحرير عنوانها « المامة بآراء العقاد فى البطولة والعظمة والتاريخ » ، ويوضح الأستاذ على أدهم فى هذه المقالة رأيه قائلا عن العقاد انه « من كتاب العروبة وشعرائها الذين تحمل آثارهم الأدبية طابع الخلود ، لأنها ثمرة طبيعية سرية موهوبة ، ونتاج ملكات أصيلة متنوعة ، وثقافة شاملة مستوعبة ، وسيكون أدب العقاد على الدوام موردا عذبا لا ينضب للمتأدبين ، وموضوع دراسة خصبة للباحثين والدارسين » .

تلك المامة موجزة بما كتبته بعض المجلات العربية عن العقاد ، أما ماكتب عنه فى بعضها الآخر فانه يفوق الحصر . فهناك مقالة فى مجلة « الفكر المعاصر » عن « فلسفة الفن عند العقاد » ، ومجلة « الثقافة » فى عددها الذى صدر هذا الأسبوع خصصت عددا من مقالاتها عن العقاد فكتب فيها

الدكتور زكي نجيب محمود ، وعامر بحيري ، وعامر العقاد وعبدالفتاح الديدي ومحمد الخضري عبدالحميد ، وطاهر الجبلاوي ٠

ونحن اليوم في ساحات نضالنا الفكري بعد أن افتقدنا العقاد أصبحنا بحاجة الى من يتلقف مصباح الفكر من يده ، وينير به وهاجا طريقنا الطويل ، المحفوف بالمكاره المرصوف بالأشواك ، لنسابق الحضارات ، ونبلغ امتنا العربية منزلتها التي كانت لها في مقدمة ركب الحضارة العالمي ٠

٠ قضية الدين والاشتراكية :

في مجلة الثقافة كتب « يحيى ابو بكر » مقالا عنوانه « مشكلات وحلول على الطريق الاشتراكي » وقد جاء في المقال أن « من المشكلات التي قد تحمل في بعض الاذهان تناقضا ظاهريا : قضية « الدين » وهي قضية يجب أن نناقشها بمنتهى ما نستطيع من حرية وسعة افق بعيدين كل البعد عن الجمود والتعصب والارهاب الفكري ، دون أن نوغل في تفاصيل النزعات اللادينية ، وفي الأضرار المحققة التي تصيب اى مجتمع اذا انتزع من أعماقه جذور الايمان بالله أو الانحلال الذي يهدم المجتمع أو يمزقه اذا تنكر للقيم الروحية واستبدل بها قيما مادية تحوي من الدجل قدر ما يحويه استغلال الدين في خدمة الاغراض غير المشروعة لأفراد او فئات أو طبقات » ٠

٠ الأدب والغزو الفكري :

تحت عنوان « الأدب والغزو الفكري » كتبت الشاعرة نازك الملائكة مقالا في نفس هذه المجلة ، تقول فيها :

« كان لاقبالنا الشديد على قراءة آداب الغرب ونقلها الى لغتنا أثر سيء في حياتنا العقلية الحديثة فما لبث أن أصابها الانحراف ، فلقد أخذنا عنهم فيما أخذنا موقفهم من الدين ، والتقطنا نظرتهم المادية الى الحياة ، وموقفهم من الدين يختلف اختلافا جسيما عن موقفنا نحن ، فان الدين الاسلامي يرتبط كل الارتباط بالفكر ، وقد قامت حول القرآن أركان اللغة والأدب والفقه والمنطق والتصوف والفلسفة جميعا بحيث تعد هذه العلوم كلها تفريعات لعلم القرآن ترتكز اليه وتدور حوله ٠٠ ثم تمضي نازك مبينة أن الدين في اوربا « يتصف بشيء من الانعزال عن الحياة فلا يرتبط بالأدب والفكر الا من بعيد ، فالغربي يعد الدين لله والأدب للحياة وكان الحياة نفسها ليست لله ، كما يعتقد العربي » ، وتعلل نازك أن لذلك الموقف سببين اثنين :

(**الأول**) أن المسيحية ـ بتقريرها لقيام الخطيئة الأولى ، وبدعوتها الى التكفير بالرهبنة والامتناع عن الزواج ـ قد احتفظت بنظرة مثالية لها جمالها غير أنها عسيرة التطبيق ، ولذلك بعد الدين عن الحياة بعدا طبيعيا ، وهو أمر لم يعرفه المجتمع المسلم حيث الدين يجعل الزواج سنة مفروضة ٠

(**الثاني**) أن المسيحية التي نزلت في بلاد العرب قد فشلت في تحويل الغربي تحويلا كاملا عن وثنية آبائه ، فبقي ثنائي المعتقد ، يصلي لله ، ويؤمن ـ رغما عنه ـ بآلهة الاغريق ، حتى انه يقسم في حياته اليومية بجوبيتر ، كبير آلهة الاغريق ، وهو يذهب يوم الأحد الى الكنيسة للصلاة ، ولا يلبث أن يرجع الى منزله ليقرأ الفلسفات اليونانية ويكتب أدبا طابعه وثني تتردد فيه أسماء الآلهة الشريرة التي كان يعبدها اليونان والرومان ٠٠ وبسبب هذه الوثنية الغربية بقي المسيحيون العرب متصلين أوثق صلة بالمسيحية الحقة من مسيحيي الغرب » ٠ وتمضي الشاعرة نازك في هذا البحث تبين أن من عظمة الدين الاسلامي أنه لا يفصل بين الدين والحياة فيه ، فتقول انه دين الهي وثورة سياسية وفكرية واجتماعية معا ، ولذلك اهتزت له الارض العربية اهتزازا خصبا ، وأحدث انقلابا عميقا في مناحي الحياة كلها ، ولم يترك الاسلام في حياة العربي شاردة ولا واردة الا ضبطها وأحصاها » ثم تبين أن القرآن باعتباره كتاب الدين الاسلامي والثقافة معا « سيبقى أبدا كتاب كل عربي مهما كان دينه ، وفي رأيها أن المسيحي العربي « لايستطيع أن ينزع من نفسه وذهنه آثار القرآن الكبرى للعربي » وتستدل على هذا بأنهم « يحققون غير قليل من كتب التراث الاسلامي في اخلاص يثبت ما نقول أجمل اثبات » ٠

وقد رد على هذه الآراء الدكتور « سهيل ادريس » في نفس هذا العدد من « الآداب » ولنا عودة الى استيفاء عرض هذا الموضوع من آراء الدكتور سهيل في عدد مقبل ٠

« **محمد العواني** »

زيارة

بقلم: أبو المعاطي أبو النجا

لم يتخلف مرة واحدة عن زيارته في مثل هذا اليوم ، الذي أصبح كل معناه بالنسبة له أنه اليوم الذي يراه فيه ، ولقد كان يزوره في أيام أخرى خلال العام ، ولكن تلك الزيارات لم تكن تخضع لموعد ، اما هذا اليوم فقد كان أصدقاؤه يعرفون أنه سيسافر فيه الى القرية فلا يسأل أحد عنه ، وكان اقاربه في القرية يعرفون أنه قادم ليراه فيكونون في انتظاره ، ومع أنه كان يمضي هناك أكثر من يوم يلتقي خلاله بناس كثيرين ، فقد كان الجميع يحسون انه انما جاء من أجل زيارته وأن كل ما يفعله انما هو جزء من هذه الزيارة ... !

وفي هذا اليوم سافر الى القرية كما تعود أن يفعل منذ سنين ، وقبله بأيام قال لأصدقائه : سأسافر لزيارته ! فاطرقوا جميعا وكتب لأقاربه ، سأكون عندكم في نفس الموعد ، فكتبوا له **سنكون في انتظارك !!**

في الصباح الباكر كانت سيارة تقطع الى قريته نفس الطريق الذي يحفظ كل معالمه ، مداخل المدن والقرى ، والحقول الغارقة في الضباب ، والمسافرون بعيونهم القلقة ، والباعة على جانبي الطريق والكباري التي تربط البلاد والناس ... كل هذه الأشياء كانت دائما جزءا من لقائه معه ، جزءا من بداية هذا اللقاء ، يشهد شوقه وحنينه ولهفته ، وكانت أيضا جزءا من نهايته ، يشهد الشوق والحنين ، وقد ذاب فيهما أسى رقيق غامض ... مصدره ذلك الشعور بأن كل شيء يمضي ، وينفلت من أصابعنا مهما اشتدت قبضتنا عليه ، وحبنا له ، وأن المكان عاجز دائما عن أن يضم كل ما يتسع له القلب ، وأن الزمن ينزلق في هدوء مثير كسكين تذبح دون ألم ، فلا تحس بحركته الا حين نلتقي بهذه الوجوه التي لا نراها دائما ، فتبدو كأنها تتغير فجأة أمام أعيننا !!

ودائما تصبح تلك المعالم قطعة من قلبه ومن مشاعره !!

أما في هذا الصباح فقد بدت له تلك المعالم – وكأن لها وجودا مستقلا – غريبة ونائية ومهجورة ، وعاجزة عن أن تكون جزءا من أي شيء حتى من الأرض التي تقف عليها ، كل شيء متفرد ولا معنى له ، والغربة وحدها تندفع في هذا الفراغ كأنها صرخة مجنون ، وهو بداخلها قابع مستسلم في انتظار تلك اللحظة الغريبة التي سيلتقي فيها به !

لا يزال يذكر آخر لقاء معه ، كان منذ شهور قليلة ، لم يكن هناك موعد ، ليلتها كانت القرية غارقة في الظلام والسكون ، لم يطرق الباب كعادته، بل وجده مفتوحا ، وجد صالة البيت مليئة بالرجال الذين لم يسمع سوى تردد أنفاسهم ، أقدامهم فقط هي التي كانت تتحرك كثيرا دون سبب واضح ، فوجئوا بوجوده ، قالوا له :

– كنا سنرسل لك !

– لماذا ؟

فلم يجب أحد ، وجوههم بدت كلها في ضوء المصباح المعلق على الحائط ، وكأنها توشك أن تعتذر له عن شيء ... شيء لا تستطيع التعبير عنه .. عبثا حاول أن يلمح بين الوجوه الكثيرة ... الوجه الذي يجيء من أجله ، كان دائما يخف للقائه حين يسمع صوته ، ولم يجرؤ على السؤال عنه ... شق طريقه الى حجرته ... في اندفاع ...

حاولت الأيدي الكثيرة الممتدة أن تخفف منه .. !

قالوا له : – لقد نام منذ قليل .. !

رفع الغطاء الأبيض عن وجهه ... لم يفكر أبدا في أن يوقظه ، كان غارقا في نوم عميق وغريب ... وكأنه قد سئم كل حركة حتى تلك الحركة التي كان يضمه فيها الى صدره ، والتي كانت تطول كثيرا قبل أن يصبح قادرا على أن يقول كلمة واحدة ؟!

لم يحتمل رؤية الوجه ، وقد سكنت ملامحه ذلك السكون الغريب ، ارتفعت كفاه تغطيان عينيه، قادته بعض الأيدي الى خارج الحجرة ، لم تنجح الكفان

لحظة واحدة فى ابعاد الملامح الساكنة عن عينيه ، لا يدرى متى تركهما يسقطان الى جانبيه !! وحين فتح عينيه وجد صورة الوجه الساكن تكبر وتغطى كل ما تقع عليه عيناه .. سكون الوجه يتسلل الى كل شيء وينفذ الى قلب العالم فيحس ان الكون سيلفظ أنفاسه .. ويسود عالم السكون ، ويسيطر عليه احساس غريب ، احساس بأنه لا جدوى من أى شيء ، ولا معنى لأية حركة ، ما دام ذلك السكون ينتظر فى نهاية الأمر ، ينتظر الفرح والألم ، ينتظر الأمل واليأس ، ينتظر الراحة والشقاء !! كان ذلك السكون العميق الذى يلغى الشعور بأى شيء حتى بالألم ، هو الوجه الآخر الذى لم يره من قبل لهذا العالم . واستراح لهذا الوجه كما لم يسترح لشيء فى تلك الليلة ..! انه الوجه الحقيقى لهذا العالم ..! والملاذ الوحيد الذى سيحتمى به من العذاب ..! ومن الزيف .. !

لا يدرى متى بدأ هذا الوجه ـ الذى كان يظنه الوجه الحقيقى للأشياء يتخلى عنه ويخذله !!

لقد فتح عينيه ذات صباح فلم يبصر الملامح الساكنة التى كانت تغطى كل ما تقع عليه عيناه . !

أبصرها فى ذلك الصباح تنبض وتتحرك نفس الحركة التى كانت تطالعه كلما طرق باب بيته فى القرية .. !

حركة الشوق والحنين .. ! والذراعين المفتوحين!

ـ أهلا أهلا ... دعنا منك .. أنت ولد سيء !

وترتعش ملامح الوجه ، وتزحف التجاعيد حول العينين اللامعتين فى الأحداق

ـ كيف تقول هذا الكلام ؟؟ أقسم لك اننى لا أترك أى فرصة تسنح لزيارتك ؟

ـ حين كانت صحتى تحتمل السفر ، كنت لا أنتظر قدومك !

ويجلسان معا على الكنبة فى صالة البيت ..

ـ لكن قل لى أولا كيف حالك ؟ لم تكتب لى منذ وقت طويل .

ـ لأنى كنت معتزما أن أحضر لأراك !

ـ يا له من سبب مضحك ! هل أفهم من هذا انك ظللت ثلاثة أشهر تفكر فى زيارتى .. !! ماذا تكلفك كتابة رسالة ؟ حين كانت عيناى سليمتان كنت أكتب لك كل أسبوع !

ـ فى الحقيقة المشاغل تملأ الوقت وحده ولكن قلبى لا يشغله شيء عنك !

ـ متى تعلمت الكذب ؟ لا تصدق أننى أريد أن تشغل نفسك بى أكثر من اللازم ، لكن حين يكون الأمر مجرد رسالة ؟

ـ أعدك الا أتأخر فى الكتابة اليك !

ـ لم انس بعد وعودك السابقة ... لا تكذب من أجل ارضائى . فكر فى طريقة تطمئننى عليك غير الرسائل ، اعفيك من كتابتها !

ـ ثق أننى أجد سعادة فى الكتابة اليك فلماذا ؟

ـ ها أنت تعود مرة أخرى للكذب !

ـ الحقيقة أننى واثق من أنك ستغفر لى مالا يغفره الناس ولذلك أجعل تقصيرى من نصيبك !

ـ هذا كلام فيه رائحة الصدق ... لكنك لم تحدثنى عن أحوالك

ويحس بيده تربت كتفيه فى حنان وكأنه يتلمس بيده اجابة لسؤاله

« هذه اليد النحيلة التى صحبته فى رحلة حياته تعيده بلمستها الساحرة مجرد طفل كان يتوهم أن حاجته اليها ستنقضى حين يشتد ساعده ، ولكنه يحس وهو فى قلب المدينة الكبيرة حيث تبدو الأيدى كلها وكأنما خلقت لتخوض صراعا من أجل شيء أو ضده ... أنه لاتزال هناك فى قريته يدان رقيقتان سوف تلمسانه كما تلمس أعز الأشياء ، يدان مفتوحتان دائما فى انتظار أن يطرق الباب فى أى ساعة من النهار أو الليل ، لتعيداه فى لحظة الى عالم سحرى ناعم ورقيق .. ! »

ـ لماذا تصمت حين أسألك عن أحوالك ؟ هل تظن اننى لم أعد قادرا على أن أصنع لك شيئا ؟

ـ لا يا أبى ولكنى أشعر وأنا معك أنه لا شيء ينقصنى !

ـ الم اقل لك دعك من هذا الكلام ؟ انا أعرف الأشياء التى تحبها ابنتك وقد أعددتها لها ...

« الى متى يظل هذا الرجل يعتقد انه مسئول عنى ؟ ومع ذلك فما أشد ما كان يريحه ذلك الشعور الكامن فى الأعماق بأنه يوجد فى قريته النائية شخص يفكر فيه دائما ، ويحس بأنه مسئول عنه، شخص يمكنه أن يتحرك رغم أعوامه السبعين مدفوعا بقوة هائلة لو أن مكروها الم به ، وما أكثر ما استقر فى أعماقه ان هذا المسئول لن يتخلى عنه أبدا وأنه سيبقى هناك دائما فى انتظاره . وما أكثر ما كانت تريحه تلك اللحظات التى يشعر فيها ان الحدود التى تفصل بين أى شخصين فى العالم تتلاشى بينهما ... وتنعدم ... تلك اللحظات التى كان يلمح فيها

افراحه وهى تشرق فى وجـــه أبيه وأحزانه وهى تسكن عميقة فى تجاعيد وجهه !

فى طفولته وصباه كانت تلك اللحظات هى كل الوقت ··· كانت أحاديثه معه تبدو نوعا من حديث النفس ··· لا يذكر بالتحـــديد متى بدأ حديث النفس يصبح حوارا بين اثنين ·· !

متى بدأت الحدود بينهما ترتفع وتعمق ؟ ربمـــا حدث ذلك فى نفس اللحظة التى تعلم فيهـا الكذب كما يقول أبوه ، حين بدأ يشعر بأن فى رأســـه افكارا لا يمكنه أن يقولها له ، وأن له مسرات قد لا تسعده ، وأحزانا ربما لا تهز قلبه !! منذ تلك اللحظة أصبح العالم الواحد الذى كان يضمهما عالمين وارتفعت الحدود راسخة وشامخة ، ورغم ذلك فمـا كان أشد حنينه الى تلك اللحظات الرقيقة التى تتلاشى فيها الحدود ··· لحظات اللقاء فى كل زيارة ·

وفى تلك الليلة الغريبة التى بدا فيهـــا السكون العميق ، وكأنه الوجه الحقيقى للأشياء ، أحس أنه ليس ثمة غير عالم واحد ، وأن الحـــدود التى كان يتوهمها مجرد خداع !

وحين دبت الحياة ذات صباح فى الملامح الساكنة ··· أحس أنه فى أعمـــاقه فى مكان ما من تلك الأعماق ، سيتم لقاء لا يدرك كنهه ··· ولا غايته !

بين ذلك الســـكون العميق المطلق الذى أصبح جزءا من نفســـه ، والذى وقف به ذات ليلة على حدود ذلك الجزء المجهول من العالم ، وبين تلك الحياة النابضـــة التى لا يزال أبوه يعيشهـــا فى تلك النفس !!

وفى كل ليلة كان يتم هذا اللقاء الغريب ··· كان يبصر الملامح الدقيقة وهى تنفعـل فتهتز تلك الخطوط التى يحفظ مكانها فى الوجه ويسمع نفس الصوت الواهن المرتعش ، يردد نفس الكلمات ·· !

وعادت أحاديثه معـه تصـــبح نوعا من حديث النفس !!

ذات ليلة ، فى الوقت الذى اعتاد أن يلتقى فيـه معه ، والظلام يغمر حجرته ، والسكون يغرق البيت كله ، انتظره ··· فلم يجىء ··· كانت ملامحه تبدو بعيدة وشاحبة ، ولم يســـمع له صوت ··· وغمره الخجل ، وامتدت يده تنير الحجرة ، وامتدت عيناه الى ركن تطل منه الصورة التى ندت ملامحها عن رأسه !

كانت صورة الحائط بدورها ساكنة الملامح ··· وعبثا حاول أن يدفع فيها نبض الحياة ، أن يسمعها تنطق بكلمة واحدة ··· كانت ساكنة ذلك السكون العميق المطلق ··· بجوارها أبصر نتيجة حائط ظل يحدق فى تاريخها ··· رأى هذا التاريخ فى صباح اليوم فلم يفهم له معنى ··· الآن فقط تذكر أنه بعد أيام قليلة سيحل موعد الزيارة ··· كاد ينسى ذلك الموعد !!

ها قد بدأت الخيانة ··· دائما تبدأ الخيـانات صغيرة وتافهة وكأن لم يكن ثمة لقاء بين الســكون والحركة ·· !

كانت موجة السكون قد انحسرت ذات صـــباح ··· أتراها تعاود المد ؟ ورغم ذلك فهناك أشـياء لم تفرق بعد ··· ربما لأنها لا تفرق أبدا هنــــاك تلك الصورة المعلقة ، والنتيجـــة التى لا تخطىء الوقت ، ومكان فى قريته ينتظر الزيارة ·

من بعيد لاحت قريته ··· لا شىء قد تغير ··· مئذنة المسجد ترتفع شامخة فوق النخيل الذى يكاد يخفى القرية ، الجسر الذى لم يعبد بعد ، والمقهى الذى ينتظر فيه المسافرون ·· ! والعيـون التى تفحص كل قـادم ولو كانت تراه كل يوم ·· ! والرجال الذين لا يكتفون بالتحية من بعيــد ·· ! والأطفال الذين يرونه دائما شخصا غريبا فيتبعونه ويختلفون فى شأن البيت الذى ســيدخله ، ولا يتركونه الا أمام داره ·· !

أمام داره ··· كان ينتظر اقاربه ·

ــ كل سنة وانتم طيبون ·

ــ كل سنة وانت طيب ·· البركة فيك ·· !

وتتصافح الأيدى ، وتبتسم العيون فى فتور ، ويثقل الصمت وتقال كلمات قليلة لا يسمعها بوضوح ··· وفجأة يرتفع صوت أحد أقاربه ···

ــ البلد كلها تزور الآن ··· بعد أن تستريح قليلا نذهب كلنا للزيارة ·· !

كانت الجماعة الصغيرة التى بدأت سيرهـــا من أمام بيته ، تجتذب من كل شارع تمر به عـــددا جديدا من الناس ·· يبدءون بالسلام ثم يواصلون السير ··· مع الجماعة ، وحين غادرت الجمـــاعة القرية وانحصرت فى الشريط الضيق الذى يشق الأرض الزراعية صنعت طابورا طويلا يسير وســط سحابة من الغبار تمتد بطوله ·· !

من بعيد لاحت الهضبة الرملية التي اختارتها القرية لتنام فيها نومها الطويل ... وكلما اقتربت الهضبة مالت الخطوات الى البطء ، وهدأ اللغط ، ورقت سحابة الغبار ، واختفت الضحكات التي كانت تصدر أحيانا من الطابور .. !

وحين بدا رأس الطابور يرتفع قليلا في طريقه الى الهضبة ، والأقدام تغوص في الرمل الناعم، كف اللغط ، وساد المكان سكون لا يتضح فيه سوى حفق الأقدام وهي تنتزع من الارض ، وكاد يسمع صوت قلبه وهو يخفق. هضبة السكون تبتلع الطابور في طرقاتها المتعددة ، وتوشك رءوس الناس ان تختلط برءوس المقابر ... وتلوح أشجار الصبار التي يعجز الهواء عن تحريكها ... بعد لحظات سيلتقي به ... في احدى الطرقات تقدم أحد أقاربه ... لاحت لعينيه قطعة الرخام الناصعة التي حفر فيها الاسم بلون أسود ... بدا له الاسم غريبا في هذا المكان ... الاسم الذي لا يزال يعيش معه ... يكتبه في أوراقه ، ويسمعه في فم الأصدقاء، وينادي به .. ! الاسم والصورة والنتيجة التي لا تخطىء الوقت وموعد الزيارة ... واخيرا هذا المكان ...! في هذه الاشياء التي لا تفرق ... يجب أن يودع ثقته .. !

توقفت قدماه أمام قطعة الرخام الناصعة وتمتمت شفتاه بدعاء ثم ساد السكون ...

« ها قد جئت في الموعد ... الموعد الذي كدت أنساه ... لن أكذب عليك هذه المرة فأنت تعرف الآن كل شيء ... تعرف نبأ خيانتي لك وربما تعرف أكثر لماذا تحدث تلك الخيانات .. ؟

كنت دائما تكره الكذب فهل عرفت أكاذيبي كلها؟ هل عرفت كل ما كنت أخفيه عنك حين كنا شخصان لابد لكي نتفاهم من أن يدور بيننا حوار ؟ ها قد أصبح ما بيننا مجرد نجوى خفية .. !

فهل أصبحنا أكثر تفاهما ؟

واذا كنت عرفت ذلك كله ؟ فلماذا لم تصنع شيئا من أجلي ؟ أي شيء ؟

ألم تكن تضيق بصمتي حين تسالني عن حالي فلا أرد لهفتك ؟ وكنت تقول لي معاتبا : هل تظنني لم أعد قادرا على أن أصنع لك شيئا ؟

لماذا وأنت تعرف الآن كل شيء تواصل الصمت ؟

هل أدركت الآن أن ما كنت تقدمه لي لم يكن هو كل ما أحتاج اليه ؟

لماذا تصمت وأنت هناك في هذا الجزء من العالم الذي لم أتعذب بشيء مثلما أتعذب بالرغبة في أن أعرف لمحة عنه !

ذلك الجزء الذي ظللت طوال حياتك تتحدث عنه وتحلم به وتصلي من أجله وتصفه كأنك تراه .. !

لماذا تصمت الآن كل هذا الصمت بعد أن أصبحت جزءا منه !

هل أصبحت مثله ؟

حين كنت معي ... كنت أعتقد أنه لا بد أن يأتي يوم يصبح لي فيه مثل يقينك الرائع الذي كنت أحسدك عليه ... قد أصل من طريق آخر ولكني حتما سالتقي بك ... سالتقي بذلك السلام العميق الذي كنت تنعم به .. ! سيأتي يوم يتبدى لي فيه ذلك الجزء من العالم كاشفا عن سره ... قد يحدث ذلك فجأة ولكنه سيكون رائعا مثل شروق الشمس ... ذلك الجزء الذي يسوده السكون والصمت لا بد أن يخرق قانونه ويهمس لي بشيء .. !

وفي تلك الليلة الغريبة وجدتني أقف معك على حدود هذا الجزء من العالم ، وخيل الي وقد دنوت منه ذلك الدنو المهلك انني سالمس كل شيء ، ستحدث المعجزة ... سيهمس السكون الأبدي بسره .. ! وفي ذلك الصباح الذي نبضت فيه ملامحك وارتعش صوتك ... لم أسمع غير صوت عالمنا ولم أبصر غير صورته .. !

وكان ذلك كله لم يكن سوى مجرد خداع .. ! قاس رهيب !! وها نحن نتبادل الخيانات يا من كنت تحبني !! ولم نزل شخصين !

وما زال الحوار الأخرس لغة الكون ... ولكني لن أتخلف أبدا عن زيارتك ... ولن أيأس من صمتك ... فقد تحدث المعجزة يوما وما بيننا من الحب كبير وعميق ... !

أحس بيد تلمس يده ... كان أقاربه في انتظاره ... وكان الطابور قد بدأ يصنع سحابة جديدة من الغبار تتجه الى القرية وتعلن انتهاء الزيارة .. !

« **ابو المعاطي ابو النجا** »

الثقافة
اسبوعية
تصدر كل ثلاثاء

الرسالة
اسبوعية
تصدر كل خميس

المجلة
شهرية
تصدر يوم (٥)

الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)

القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)

مجلاتى

الثقافة والارشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٨٧
الثمن ٣

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠ ٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد – القاهرة .

العدد ١١٠٦ – الخميس ٢٣ من ذى القعدة ١٣٨٤ هـ – ٢٥ من مارس ١٩٦٥ م – السنة الثانية والعشرون

القرية السعيدة

بقلم عبده بدوى



بينما كانت العربة تخطف الطريق ، وتبعد عن المدينة لتقرب من القرية.. كان هناك شعور بالارتياح يغمر نفسى . وظلال من السكينة تهدىء من هذا التوتر الذى يكسو ايامنا فى المدينة ، وما هى الا دقائق حتى احسست بهذه الرائحة الخضراء التى لا تخطئنى ابدا ، وبهذا الامتداد الذى سقطت من جوانبه الجدران السميكة ، فالطريق كله « زقاق » جانباه الأفق ، والنسائم كلها أبكار لم تتسكع من قبل عند انسان ، والحرير الأخضر يكسو الأرض ، ثم يتجاوزها فيكسو النفوس ، واذا بالانسان يحس أنه « يتعاطى » الحياة ، وانه يشعر بالنبض من كل شىء فيها .. ثم يعقب هذا الاحساس « بوحدة الكون الشاملة » فالانسان والحقل والقرية والسماء تبدو كشىء واحد ، بخلاف الانسان فى المدينة ، فهو نفسه قد يبدو اشياء كثيرة متناقضة ، ومنقسم بعضها على البعض الآخر !

وعلى كل فان هذا الشعور تقلنى ــ والسيارة تختصر الطريق ــ **الى قرية اخرى بعيدة تسمى الدفراوى بمركز شبراخيت** ــ ففى هذه القرية احسسنا بقسوة الحياة وتشققها وضراوتها ، فالقرية تعتمد على الأرض والأرض فى أيدى القلة ، والقلة تقيم سورا بينها وبين الحياة الميتة ، وهكذا كنا نحس ان عدة « بقع » تغلى بالحياة ، وأن الحياة من خارجها « منفية » وحزينة ، ومشروخة ، ومطرقة ، فاذا أطلت زهرة من على السور ثم حدقت فينا خيل الينا أنها لا تتعاطف معنا ولكنها تسخر منا ، سواء أكانت هذه الوردة متفتحة أم ما زالت ترضع العبير ، وتمص ثدى الشمس،فحتى الزهور الصغيرة كان يخيل الينا انها تسخر منا ، وأنها تمتنع عن أيدينا ، وعن أنوفنا ، وعن أنفسنا !

واذا أطلت من وراء الأسلاك الشائكة بعض عناقيد العنب ، او أشياء أخرى مستديرة وحمراء ومترفة ، احسسنا بأن هذه الأشياء التى نعرف اسمها والأشياء التى نجهل اسمها لا تنتمى الى عالمنا ، ويدور هذا الخاطر فى أنفسنا فنستريح ونحن نلوى وجوهنا وعقولنا ونواصل الرحلة الى الأزقة الضيقة ، وقد يغلى هذا الخاطر فى أنفسنا فاذا بنا جماعة غاضبة تقفز السور ، وتقتحم الاسلاك الشائكة ، وما هى الالحظات تحلم فيها بطوننا ، وأيدينا بهذا الشىء الذى نعرف اسمه والشىء الذى لانعرف



اسمه حتى تفاجأ «بعصا الخفير» الغليظة ـ التى ربما كانت تحلم هى الأخرى بظهورنا ـ تنهال علينا ، واذا هناك من يفر وأصابعه على قيد أمل من ثمرة ، ومن يضرب فتقذف يداه بما امتلأتا ، ومن يفزعه الصياح فاذا به يترك بقية من ثوبه ودمه وحزنه على الاسلاك الشائكة ، ومن لم يكن يطمع فى شىء ولكن عملية الاقتحام كانت تغريه فقد ذهل عن الصياح ، وعن تواثب الصبية ، وعن الغضب الذى يقرب منه فى وجه الغفير وفى عصاه ، ومن ثم يكون الطعام الدسم للغضب الذى فى وجه هذا الغفير وفى عصاه ، فاذا اشتعل صياحه ، وانهمرت دموعه ، وجد العصا تتحول عنه الى قلب الشجرة ، واذا شىء يسقط ، واذا يد تمتد ، واذا الوجه الذى كان يمتلىء بالغضب يزدحم بالرحمة والعطف والأسف ، واذا الطفل غاضب لا يقبل هذا الشىء الذى تمتد به اليد التى ضربته ، ولكن وجه الرجل يرق وتصفو ملامحه ثم يتحول الى ابتسامة كبيرة ، الى حد تصور فيه الطفل ان الابتسامة ـ لا الرجل ـ هى التى تمتد اليه ، ويتناول الصبى من الابتسامة هذا الشىء المكور المكسو بالحمرة ، ويتخطى السور ، فيجد كل زملائه ينتظرونه ، ويمد اليهم يده الممتلئة ، فاذا به يحس أن عيونهم لا تستقر عليها وانما تستقر على وجهه ، وعلى صوته ، ويبتسم فيبتسمون ، ثم يميل بعينيه الى هذا الشىء الذى يملأ كفه فتميل اعينهم كذلك الى هذا الشىء ، ويختلفون على الاسم ، ولكنهم لا يختلفون على القسمة ، وبينما هم يضعون نصيبهم بين أفواههم ، يقول واحد « ما أطيب عم الحاج أحمد » ، ويقول آخر « ولكن لماذا يضربنا وبيته فى شارعنا » ؟!



ويهتف آخر « انه الجناينى » وتدور أفواههم فترة ، وحين يقول أحدهم : « ولكن آباءنا هم الذين زرعوها واخوتنا هم الذين يجمعون المحصاد » ، حين يقول أحدهم هذا يحسون أن أجزاء الثمرة التى بين أيديهم قد أصابتها المرارة ، وأن هذه المرارة تترك أفواههم لتستقر بعيدا فى قلوبهم وعقولهم !

.. وتظل العربة تختصر المسافة ، وتتجاوز الطريق المرصوف الى طريق آخر لم يرصف ، وحين تستقر العربة عليه ويستنشق أنفى رائحة التراب المختلط برائحة الحقول ، أجدنى أعود مرة ثانية الى تلك القرية البعيدة التى تعشش فى محافظة البحيرة ، وأجد أنى وكثيرين عشنا طفولة قاسية مهملة ، ومحرومة من كل ما يعطى للحياة معنى ، فقد كانت حياتنا يوما واحدا طويلا ورتيبا نصحو فيه ببطء ، ونعيش فيه ببطء ، وننام فيه كذلك ببطء .. ولكن هذا البطء كان يسرع بعض الشىء حين يتعطل جزء من الحياة ، أو يزدهر جزء آخر ، ومعنى هذا أنا لم نكن نحس اننا « نعيش » الا حينما يموت انسان فتجتمع الاحزان ثم تطل برءوسها الصغيرة المدببة من خلال نفوسنا ودموعنا ، او حينما يتزوج انسان فنحس احساسا خفيا بأن هذا الزواج يعنى خصب الحياة ، وديمومة استمرارها وبهجتها فى وقت واحد !

ومن خلال هذين « الموقفين » كنا نشعر بجزء من حركة الحياة ، ذلك لأنه سيحضر الى القرية مقرىء وأناس آخرون من القرى المجاورة ، ولأنه سيحضر الى القرية كذلك « الطبل » وكلمة الطبل

فى قريتى تغنى فرقة « عشيبة » التى تلف البلد بأبواقها النحاسية ، وبراقصة تستعرض فنها على جمل يمشى ومن أمامه المحطبون ، فاذا هبط الليل كان « السامر » وكان الباعة الذين يحضرون معهم أصنافا من الحلوى ، وكان القمر الذى يبدو للأعين كما لم يبد من قبل ، وكان هـذا اللون من الفرح الخشن الذى يتألق فى العيون ، وفى النفوس ، والذى لا يعود الا حين يتزوج أحد الميسورين ، او الذين يقل نصيبهم من اليسر فيكتفون بقضاء سهرتهم مع « مغناوى » جافى الصوت ، ومع « ارغول » طويل يصاحبه ويرسل صوته المصرى الغليظ فى جفاء وفى رتابة محببة . صحيح أن « عم محمد غنيم » كان يحضر « شاعرا » فى كل عام ليقص على القرية قصة « أبو زيد الهلالى ودياب ابن غانم » ، وأن القرية كانت تتنازع فيما بينها لتفضيل أحد البطلين على الآخر ... ولكن كل هذا كان يبدو غريبا على القرية ، ذلك لأن كل هذه الأشياء لم تكن قانون الحياة فيها ، فلقد كان القانون الذى يحكم القرية هو العمل الشاق المضنى ، الذى يحول البشر الى أشباح تستند الى الجدران ، وترسل بين الحين والآخر زفرة ، ما تكاد تنتهى حتى تتبعها زفرة أخرى . ومن خلال هذا الشقاء لم تكن أذرع الآباء تقوى على حملنا ، ولم يكن فى صوتهم هذا الحنان الذى يزهر الايام ، ولم يكن فى صوتهم هذا البريق الذى يوجد فى أعين الآباء عادة ، ومن هنا فالانسان الآن يجهد نفسه لكى يتذكر ابتسامة ، أو تربيتة ، أو ضمة الى صدر ، أو مسحة على الشعر ، ذلك لأنهم كانوا دائما مجهدين ومحزونين وغاضبين !



وتزيد السيارة فى سرعتها ، فتتضاعف سرعة شريط الذكريات ، وفى هذه السرعة يتذكر الانسان ان طفولته مرت دون أن يحدق فى نور الكهرباء ، ومن غير أن يشرب من ماء غير محمل باشياء كثيرة منها الجراثيم ، وانه كان عليه ان يقاوم كل الأمراض تلقائيا ليثبت أنه جدير بالحياة ، وانه لم يحدث أبدا أن مد أذنه الى الراديو ، أو مد عينيه وأذنه الى التليفزيون والسينما ، أو شرع حواسه أمام لوحة أو تمثال أو قطعة موسيقية !

وتقف السيارة فجاة وأحس انى انصرفت فى جفوة عن الذين كانوا يركبون معى ، وبخاصة زميلى مصطفى فودة الذى كان يجاورنى فى العربة ، ثم ارانى أقف أمام الوحدة الثقافية لكفر الشرفا ، التى تستلقى على شريط يمتد نحو كيلو متر بين الرياح التوفيقى شرقا وترعة الساحل غربا ، وتضم حوالى أربعة آلاف نسمة .

ويأخذنى من مبنى الوحدة أن معماره نابع من البيئة ، وان طابع « النخلة العربية » يتحرك بين جوانبه ، وان وظيفة الوحدة مغايرة تماما للمدرسة فهى صورة مصغرة وجانبية « لوزارة الثقافة » ففيها المكتبة ، والمسرح ، واحياء الحرف ، وفيها قاعة الموسيقى ، وقاعة للتلفزيون ، كما توجد بها الوان من الفن التشكيلى .. ولم يسترعنى كل هذا بقدر ما استرعانى الفرح الذى يملأ حدقتى الانسان هناك .

ففى المسرح كانت تمثل مسرحية قصيرة بعنوان « أرضنا الطيبة » بحنان عاطفى وبعفوية لا تمكن الانسان من تحريك هدبيه على العينين ، وفى قاعة الموسيقى كانوا يعزفون قطعا تعتمد على الآلات الايقاعية ، الى حد تصورت فيه أن قلوب هؤلاء الأطفال هى التى كانت ترقرق كل هذا النهر الكبير من الموسيقى .

وفى حجرة الرسم رأيت اعطاء الحرية الكاملة للاطفال ، ورأيت المدرس لا يتدخل الا فى حدود بقاء هذه العفوية ، وفى هذه الحجرة استرعى انتباهى ان طفلا يرسم شخصياته بدون ذراعين ، أو بذراعين

قصيرين الى حد لايتناسب حجم الجسم ، ويبتسم المدرس ثم يقول لى : انا أعرف ما تريد أن تقول ، فوالد هذا الطفل مقطوع الذراعين ، وكل شخصياته يشكلها بهذه الطريقة .

وفى حجرة المكتبة رأيت رجلا يدخل وهو يحمل بعض المجلات والكتب ، وفى بساطة أراه يشد انتباهى ، ثم يقول : رأيت أنه لا فائدة لهذه الأشياء فى بيتى فأحضرتها الى هنا ، فهذه الوحدة من الآن هى بيتنا كلنا .

وعلى نول صغير وجدت صبيا يملك أنامل بليغة تذكرنى بأنامل الكاتب الماهر ، فقد كان يتحكم فى حركة « المكوك » ليكمل حرفا من كلمة ، ولينعطف بعد ذلك الى جانب من صورة ، وتتحرك عيناى من يديه الى عينيه فاذا بى لا أعثر على تلك البلاهة التى توجد أحيانا فى صبية القرية ، ولكنى وجدت شيئا من هذا الذكاء الذى تتمتع به الآن شخصية المنطقة العربية .

وغير بعيد رأيت المسجد الذى يقوم بعنصر تشكيلى فى مبنى الوحدة ، واسترعى انتباهى أن على وجوه الداخلين - وربما على نفوسهم - شيئا من الاجهاد والعرق ، بينما يلمع فى وجوه الخارجين الرضا والحب والاقبال على الحياة ، أما نفوسهم فقد كان يخيل الى انى لو كشفت الستر عنهما لوجدت الكثير من نور الله !

وفى قاعة التليفزيون سمعت الأستاذ يحيى ابو بكر يذكر أن هذه التجربة بدأت فى ٢٣ من فبراير عام ١٩٦٤ لتوفر للقرية القوت الثقافى لتكشف عن المواهب وتنميها ، وأن اختيار هذه « القرية السعيدة » لم يجئ عبثا ، فقد كان وراء اختيارها أن هذه القرية كانت جزءا من ممتلكات الخاصة الملكية ، وأن نسبة الأمية فيها مرتفعة ، وأنها محرومة تماما من الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية ، ومن هنا كان تجنيد أربعين باحثا وباحثة للعمل على تغيير الحياة بالقرية ، ولتنفيذ برنامج يقوم على محو الأمية اللغوية فى أربعة شهور ، ثم لاقامة مشروع الوحدة وربطها باحتياجاتهم وظروفهم المعيشية ، وقد تم كل هذا بنجاح يغرى بعملية تعميم هذا المشروع فى أربعة آلاف قرية .

ولقد أعجبتنى هذه الطلاقة فى المناقشة ، فقد رأيت فلاحين لا يتمتمون ولا يحركون أيديهم بصعوبة للاستعانة بها فى الافهام ، ولا تظهر فى وجوههم الذلة حين يناقشون المسئولين ، ولقد بهرنى حقا فلاح أخذ يطالب بعودة المثقفين الى القرية ، وبين الحين والحين كان « يغمز » مثقفى قريته الذين يسكنون فى القاهرة أو فى القناطر ، ويكتفون بأن يعيشوا لأنفسهم دون أن يحسوا أن وراءهم آباء واخوة يحتاجون الى ضرورة وضعهم فى « القرن العشرين » .

« وحين ينفض « الجمع السعيد » ، وتنطلق بى السيارة الى القاهرة أرى كل شئ فى قريتى يعود الى ثم يحاصرنى ، ففيها فتيات يحلمن بماكينات للخياطة ، وأطفال ينتظرون حقيبة من القماش تتدلى من أكتافهم ، وألسنة تريد أن تكف عن التلعثم ، ورجال فى انتظار صيحة « أبو زيد العصر » الذى سينتزعهم من قراهم ثم ينثرهم على آسيا وافريقية وهو يرتجل الشعر ويغنى به للحب وللحياة :

وتسرع السيارة ، فتتخلخل الصور ، ثم تبعد ، ثم تضيع تماما فى الوقت الذى تكون فيه قد وصلت الى المدينة ، ومن جديد فى المدينة - يقضى الانسان وقته - فى مدافعة القلق والخوف ، والموت ، وهبوط الظلام فى الليل وفى قلب النهار !

« عبده بدوى »

كاد النعام يطير

بقلم : محمود محمد شاكر

- ١٦ -

لا بأس اذا أنا استمرأت الراحة ، وجعلت هذه الكلمة أيضا جماما من تعب ، فان الحمى قد أضرعتني للملل ، فوق الملل الذى كنت أجده من مدارسة تاريخ العصر القريب ، منذ عهد نابليون ومحمد على الى أيامنا هذه ، لكى أعد المقالة التى وعدت القراء بها ، وجعلت عنوانها « **اباطيل واسمار** » . وأنا مفطور على الملل من السخف المتشابه ، وأشد مللا من الغفلة عن ادراك هذا التشابه المتتابع ، فاجتمع على من الملل ، ما آثرت معه أن أتخفف من الضيق والجد وضراعة الحمى ببعض الباطل . أليس من حقى أن أستلقى على ظهرى ، وأضع ساقا على ساق ، وأجمع كفى مشبكة أصابعهما من وراء رأسى ، وأخلع نظارتى وأغمض عينى ، وأتحدث على السجية غير متكلف ولا محتشم ؟ انه من حقى أن أفعله ، بين أهلى وزوارى وأصحابى ، بلا ريب . فاذا كان ذلك ، فينسحب عليه أنه من حقى أيضا أن أفعله على الورق ! بين قرائى وأهل مودتى ممن يقرأ الرسالة ! أليس كذلك ! وهكذا الدنيا ! والا فمعذرة ، فهكذا أنا ، رضى القراء ذلك منى أو كرهوه !

وخطر لى أن أقول للناس : « **كاد النعام يطير** » ، بل قد طار ، ثم أقص قصة وقعت ورأيتها بعينى ، على أن أرويها ، وعليهم أن يصدقوها . ولم لا ؟ أليس النعام طائرا ذا جناحين ؟ فما يمنعه أن يطير ؟ ومن الذى يملك أن يكذبنى فيما أقول ؟ ومعى هذا الصدق ، وهذا المنطق ؟ وقد وجب ذلك ، لأنه زمان عجيب ، ولأنى لو حدثتك أن انسانا نظر فى المرآة فلم تعجبه سحنته ، فانطلق عامدا الى أقرب دار للتجميل ، فدخل وخرج بعد ساعة وسيما وضيئا راضيا عن نفسه ، قد عاد مسنون الوجه بعد استدارة منفرة ، أحور العينين بعد جحوظ وحول ، أشم العرنين بعد الفطس ، أظمى الشفتين (أى رقيقهما) بعد الهدل (أى بعد غلظهما واسترخائهما كشفاه الزنج) ـ لو حدثتك بهذا ، وأنى رأيته كذلك ورأى نفسه كذلك ، لما كان شيئا عجيبا ، ولوجب عليك أن تصدقنى ، لأن الزمن الذى كان يقال فيه : ان « الخبر » هو الكلام الذى يحتمل الصدق والكذب ، زمان قديم كان يحتمل « اللت والعجن » . ونحن فى زمان الى التبسيط ما هو ، والى السرعة ما هو ، فمن التعقيد واتلاف الوقت أن تجلس مجلس القنابلة ، لا عمل لك الا ابتغاء تكذيبى ، والا استهلاك نفسك وعقلك وزمانك فى تقليب الكلام وتشقيقه وتفصيصه ، تزعم أنك تريد أن تميز الصدق من الكذب ، والخبيث من الطيب ! أليس كذلك ؟ نعم ! هو ذاك ورب الكعبة ! لا ولا تنس أيضا أن الذى يحدثك بهذا رجل **مذكور** غير مغمور ، وهو عند الناس رفيع القدر ، مشهود له بالعلم وصدق الكلمة ، وهو أيضا متقادم الميلاد ، قد حلب الدهر أشطره ، عرف وجرب ، فمن سفه الرأى أن تلجأ الى المماحكة طلبا لتفنيد مايقول ، فصدق ، وتوكل على الله !

أوه ! ضاق صدرى بهذا الكلام ! وندع هذا لنتحدث فى ضرب آخر ، ولا أجد شيئا يمدنى بما أريد (فى مثل هذا الموقف !!) سوى صحيفة الأهرام . ولاسيما اذا كان يوم جمعة ، فان بركة المستشار الثقافى شاملة غامرة . قد عمت وطمت !! وقرأت فيها كلمة عليها توقيع الأستاذ الكبير **توفيق الحكيم** بخط يده محفورا على الزنك ، وجعلها مقدمة للورطة . وان كنت لا أدرى : ألورطة ، هى المسرحية ذات الفصول الخمسة ، أم هذه المقدمة ؟ وصدقنى اذا قلت لك : **لا أدرى** ، فان الأمر قد

اختلط على اختلاطا شديدا . لا أملك معه سوى التوقف ، والتماس المعونة من معين . وبالطبع أنا لا أملك شيئا سوى عقلى ، وعليه اعتمادى فى الملمات . قرأت كلمة الاستاذ الكبير بعناية فائقة ، ولا داعى للقسم ، وحاولت أن أعتمد على « عقلى » مرات ، مرة بعد مرة بعد مرة ، حتى تعبت ، وكدت استعفى من اصرارى على استخدام « العقل » ، وراودتنى نفسى أن أقوم فأذهب الى لويس عوض ، وأسأله أن يرفدنى ويعيننى ببعض هذا « السائل » الذى أغلقت عليه جمجمته ، فانى رأيته نافعا للفهم ، ميسرا للطبيعة ، صالحا معينا على ادراك الخوافى والغوامض ، (مجرب) ، كما يقول الطبيب ابن البيطار فى مفردات الأدوية ! اذا وصف للمرضى دواء ناجعا شافيا ! ومرة أخرى : أوه ضاق صدرى بهذا الكلام !

على رأس « ستين مسرحية » ، كتبها « **توفيق الحكيم** » ، لم يزل يحاول ويبحث عن حل «لمشكلة اللغة المناسبة للتمثيلية العصرية فى بلادنا » ! مع الرجاء « من كل صاحب رأى فى المشكلة ، ايجاد حل عملى ، لا أن يكتفى بالاعتراض الكلامى ، فالآراء السلبية لن تقدمنا خطوة . نحن الآن أحوج ما نكون الى الحلول الايجابية التى تقترن بمشروع بناء ، ومحاولة فعلية للمعاونة على ايجاد مخرج لما يواجهنا من مشاكل » . وهذا نص كلامه . ولا أدرى علام كل هذا ؟ أليس الأستاذ قد وضع الحل ، قبل أن يختم كلمته بهذا الرجاء ؟ والمسألة سهلة جدا ، لا أدرى كيف غابت عن الناس منذ تكلم بها المبشرون الاوائل ، من سبيتا ، الى ويلككس ، الى لطفى السيد ، الى سلامة موسى ، الى لويس عوض ، وذيول بعد ذلك ، وفى خلال ذلك ، كثيرة !

مسألة بسيطة ! فان أهل اللغات الحية ، كما يقول الأستاذ ، (وهم بالطبع أذكياء جدا ، وذوو بصر ومعرفة) طالما عيرونا بأن لغتنا العربية صائرة الى زوال ، لأن الناس فى تخاطبهم لا يتكلمونها ! وهذا انذار أشرنا اليه آنفا أنذرنا به المبشرون مثل سبيتا ولاسيما ويلككس المبشر ، محافظة على حياتنا وحياة اللغة العربية ! ويقول أيضا ان أهل المصلحة منهم (يعنى ذوى الأغراض السيئة) يمعنون فى ايهامنا بعمق الهوة بين الفصحى والعامية . وهذا - أيضا مما قالوه جميعا وأشرنا اليه آنفا !

ولكن الاستاذ الجليل فكر كثيرا ، وانتهى الى أن الواقع الذى لاحظه اليوم ، ولاحظه كثيرون ، هو عكس هذا الزعم ، فالعامية هى المقضى عليها بالزوال ، والفارق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد يوم ! وكفى الله المؤمنين القتال ! ثم أخذ يدلل على ذلك بادلته الكثيرة ، بمهارة وحذق واتقان ، ليزيل الوهم ، كما قال ، « بوجود لغتين منفصلتين تقوم بينهما هوة سحيقة ، فان هذا الاعتقاد هو الذى جعل كثيرا من كتابنا يمعنون فى تعميق الهوة بدون مبرر أحيانا ، لا لشىء الا لتأكيد انفصال العامية واظهارها بمظهر اللغة المستقلة » . وخلص الى شىء سهل جدا هو : « أنه يرفض الاعتراف بوجود لغة منفصلة مستقلة اسمها العامية ، نترجم اليها العربية ، كما لو كانت لغة أجنبية ، فى حين أن الموجود هو مجرد لهجة تخاطب عربية ، استخدم فيها بعض الرخص ، والاختزالات ، والاستبدالات ، كاستعمال الحاء بدل السين فى الفعل المستقبل ، فتنطق : حاكتب ، بدل ساكتب ، والحاق الباء بالفعل المضارع تأكيدا للحاضر ، مثل : بيكتب ... وهى على كل حال ليست من الضخامة التى تبيح الزعم والاعتقاد بوجود لغة مستقلة منفصلة عن العربية ... وانى كلما شغلت نفسى بملاحظة بعض المتكلمين عندنا ، وجدتهم على غير وعى منهم (هكذا والله العظيم) ، قد نطقوا لغة عربية سليمة ، تكاد تقترب من لغة الكتابة ، فيما عدا ترك الاعراب ، ونطق القاف فى قال ، ويقول ، بالهمزة ، أو الجيم، حسب المنشأ والمنطقة ... فالهوة اذن ليست سحيقة الى هذا الحد الذى يبيح العمل على تعميقها ، وشطر اللغة الواحدة شطرين ، وجعلها لغتين ، وقسم الشعب شعبين .. » .

ولا أدرى ، مرة أخرى ، ماذا أقول ! فمنذ أكثر من خمسين سنة ، كتب المبشرون مثل هذا الكلام ، وأعاد ترديده فى سنة ١٩١٣ لطفى السيد ، وسماه « عقد الصلح بين العامية والفصحى » ، ولم يزد عليه الاستاذ الكبير قلامة ظفر ، فاذا كنا بعد خمسين سنة لانزال نردد أقوالا ، ونضع مشروعات ، قد أكل الدهر عليها وشرب ، وتكلم فيها الناس كلاما كثيرا ، فماذا يعنى هذا ؟ يعنى أننا نتوارث ألفاظا نديرها فى حلوقنا ، ثم نرجعها على الآذان أو فى الورق ، بلا أدنى محاولة للنظر والتفكير والاحاطة والاستيعاب . ولم يزد عمل الاستاذ ، على أن جلس

ساعة وفكر ، ثم أرسل اللغة العامية الى دار التجميل، فلما عادت قال لنفسه هذه هى الفصحى ! وقال لنا : هذه هى الفصحى، ولا تجادلوا لأن الأمر لا يحتمل الجدال ، وقد جئتكم بالأدلة ، « ونحن اليوم بسبيل بناء أمة موحدة فى التفكير والعمل ، وتتحدث عن اذابة الفوارق بين الطبقات (الله ، الله) ، فكيف يتم ذلك بغير اذابة الفوارق فى لغة التخاطب » !! وللتدليل أيضا أنشأ « الورطة » مسرحية فى ٥ فصول » ، فاذا هى أشبه شىء ، بالفصحى ، (وان كانت بصريح العامية) ، وينبغى أن نصدق ذلك ، اولا لأن العامية لغة عربية ، والفصحى لغة عربية ، كما أن النعامة طائر ، والعقاب طائر ! هذا له جناحان ، ولها هى أيضا جناحان ، واذن فهما شىء واحد أيضا • فما هذه المشاكل التى ينشئها الراغبون فى اقامة الحواجز ، وفى القضاء على كل تشابه بينهما ، وفى تشويه معالم اللغة العربية ! كما ينشئها أيضا هؤلاء «المتقعرون» ممن يحلو لهم تجنب الشائع الصحيح ، لمجرد ان العامة عرفته ! مسألة بسيطة !

وليس من همى الآن أن أناقش فى بيان فضيلة هذا المشروع الجليل ، وليس هذا أوانه ، وسيأتى أوانه فى بعض المقالات ان شاء الله ، وان كان الأستاذ الدكتور **على عبد الواحد وافى** ، قد أكثر وأجاد فيما كتب عن هذه الفروق التى يزعمها الناس بين العامية والفصحى ، ولايزال يعمل ، ولكن الأستاذ الحكيم ، غير مكلف بالاطلاع على شىء من ذلك ، لأنه كاتب عظيم القدر ، رفيع الذكر ، قد مارس هذا الأمر دهرا طويلا استغرق ستين مسرحية ! هذا فضلا عن كونه عضوا فى المجمع اللغوى ، فليس عليه أن يطلع على مايكتبه عامة الناس ، وليس من حق أحد أن يستدرك عليه مايتكلم به فى اللغة !

ولكن بسوء خلقى ، وبما فطرت عليه من العناد والمماحكة ، وبما آتانى الله من الغرور والجرأة ، وبطبيعة مولدى من أبوين صعيديين ، وبالجذور الممتدة الى « عرق الثرى » ، وهو أبى اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن عليهما السلام ، أحب أن أناقش الأستاذ الكبير ، لا فى مشروعه العظيم ، ولا فى الفروق بين العامية والفصحى ، بل فى أدلته التى جاء بها • وان كنت ، بلا شك أيضا ، ممن يعترف على نفسه (والأمر لله) بانه يحب أن يتكلم فيما لا يعلم قوة واقتدارا ! وسأتخير بعض هذه الأدلة ، لا على وجه الاستقصاء ، ولا على الترتيب المنطقى البديع المتقن ، الذى هو أحسن بدعا وأشد اتقانا ، من « حوار الحكيم » الذى اشتهر به عند الناس •

فمثلا ، يقول الأستاذ الكبير فى بعض أدلته على جواز الغاء الاعراب فى الحوار التمثيلى العصرى المنطوق والمكتوب : « وتسكين الأواخر ، أى الوقف بالسكون وعدم الاعراب (وهذا أسلوب فصيح جدا)، هو أيضا من صفات لغة التخاطب السريعة فى كل أمة عربية (شىء عظيم أيضا !) ، ولعل الأمر كان كذلك أيام العرب القدامى (خذ بالك) ، فى أوج حضارتهم • فقد كان يقال : « **سكن تسلم** » • وما نحسب الكلام والتخاطب فى الاسواق فى أيامهم كان باعراب أواخر الكلمات • فالتسامح اذن ، (وهى نتيجة منطقية ، ولا يؤاخذنى القارىء فى اقحام نفسى فهذه شيمتى كما وصفتها) ، فى الوقف فى الحوار التمثيلى العصرى المنطوق والمكتوب ، يجب أن لايقدح فى عربية اللغة وسلامتها (بالطبع ، وكيف لا يكون ذلك كذلك) ، وقد قال ابن الاثير فى كتابه « أسد الغابة » : ان اللحن لا يقدح فى بلاغة أو فصاحة » •

وليس أحد ، بالطبع ، أيضا ، أعلم بأخبار قدامى العرب من أستاذنا الجليل ، الا يكن لطول تحصيله ، فلكونه عضوا فى المجمع اللغوى ، فهو بلا شك يعلم مايقول ، وان كان أمثالنا لم يعرفوا لم قيل « سكن تسلم » ، فاتانا بالأمر من فصه ، ودلنا على أن هذه الكلمة ، قيلت لتكون منهاجا يسير عليه المتكلمون ، والكاتبون أيضا ، وكنا نظن ظنا ، والظن فى هذا الأمر ، لا يغنى من الحق شيئا : انها قيلت فى رجل قرأ كتابا فظل يلحن ، فيراجع ، فيلحن على وجه آخر ، فلما ضاق سامعه به قال له : «سكن تسلم» ، يعنى ، باللغة العامية : (ريحنا ، يا أخى !) ، ولكن هذا ظن ، والعلم غير العلم ، هو الذى جاءنا به الأستاذ ، فحق علينا أن نترك الظن المتوهم ، الى اليقين الثابت ، وقد فعلنا ان شاء الله ، ورضى الله عن الأستاذ •

أما الدليل الآخر ، فهو كلام ابن الأثير ، وهو حجة قاطعة فى هذا الأمر • وبخاصة أن كتاب « أسد

الغابة » ، الذى ذكره الأستاذ ، كتاب عظيم جدا درس فيه صاحبه مسائل اللغة والفصاحة والبيان . وقد كنا نسمع من شيوخنا ، رحمهم الله وغفر لهم ما أساءوا من تربيتنا على الجهل ، أن هذا الكتاب الجليل ، هو للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزرى ، ألفه في ذكر الصحابة وتراجمهم وأخبارهم (ولد سنة ٥٥٥ ، وتوفى سنة ٦٠٣) ، كان هذا ما علمناه سماعا ، فالآن ينبغي أن نصير الى قول الثقات ، لنعلم أن شيوخنا قد ضللونا عن الحق ، استهانة منهم بالعلم . ولولا أن الاستاذ ، أبقاه الله ، أراد لنا أن نصحح أخطاء شيوخنا ، لما ذكر اسم الكتاب نصا ، ولاقتصر فقال : « وقد قال ابن الأثير: ان اللحن ... » ، دون أن ينص . وهل يعقل أن يكتب احد أعضاء المجمع اللغوى شيئا الا لهدف ، من اصلاح خطأ شائع ، أو ازالة وهم سابق ، أو اذابة فوارق يمليها الجهل والتقعر ؟

ومن جهل شيوخنا ، غفر الله لهم ، أنهم حين علمونا ، زعموا أنه كان لعز الدين أبي الحسن علي ابن محمد ، هذا أخ آخر يقال : « ضياء الدين ابو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني » ، ويعرف أيضا بابن الاثير الجزرى ، وزعموا أنه ولد سنة ٥٥٨ ، وتوفى سنة ٦٣٧ ، وانه الف كتابا يقال له : « المثل السائر » ، في أدب الكاتب والشاعر ، وهذا خلط قبيح ، فليس هذا الكتاب في أدب الكاتب والشاعر ، كما عرفنا اليوم ، بل هو في موضوع آخر ، لعله علم التاريخ ، ولعل صوابه « المثل السائر ، في أخبار الاوائل والاواخر» ! هذا أكبر ظني ، لأنه ينبغي أن نتعلم كيف نحسن الظن ، وكيف لا ، والظن أعلى مراتب اليقين ، اذا أحسن الانسان كيف يظن ، ويقول « لعل الامر كان كذا وكذا » ، وحسبك ما قاله أوس بن حجر في رثاء صديق له من الاذكياء :

الألمعى الذى يظن بك الظن ، كان قد رأى وقد سمعا

ومن سوء تربية هؤلاء الشيوخ ، ولا ندرى أنستغفر لهم أم ننسىء القالة فيهم ، أنهم زعموا أن ابن الاثير هذا ، قال: ان النحو يقع فيه الخطأ كثيرا ، لا في الذى يخفى منه ، بل في الظاهر المشهور ، وضرب على ذلك مثلا ببيت المتنبى في صفة ناقة :

وتكرمت ركباتها عن مبرك
تقعان فيه وليس مسكا اذفرا

فجمع في حال التثنية ، لان الناقة ليس لها الا ركبتان ، فقال : « ركبات » ، وهذا من أظهر ظواهر النحو ، وقد خفي على مثل المتنبى . وقد كنا نجادلهم في هذا الذى قاله ابن الاثير ، ونقول لهم : ان الله تعالى يقول في سورة التحريم : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » ، فجاء الجمع ، في حال التثنية ، وندعى أن هذا الذي قاله المتنبى هو الصواب المحض، لان المثنى أكثر من واحد ، فهو بمنزلة الجمع ، وما دامت الناقة ليس لها الا ركبتان ، ولا يتوهم ان يكون لها أكثر من ركبتين ، فاستعمال الجمع مراد به التثنية بلا ريب ولا اشتباه ، كما في الآية .

ثم ان ابن الاثير هذا ، فيما زعموا ، عقب على ذلك فقال : « ومع هذا ينبغي أن تعلم ان الجهل بالنحو ، (بهذا النص ، والعمدة عليهم) لايقدح في فصاحة ولا بلاغة ، ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه ، لأنه رسوم قوم تواضعوا عليها ، وهم الناطقون باللغة ، فوجب اتباعهم » .

ولا ندرى كيف علمنا هؤلاء الشيوخ مثل هذا الكلام الفارغ؟ ولا كيف نسبوا مثل هذا الهراء الى ابن الاثير ؟ وأوهمونا أن الخطأ في النحو « جهل » ، وأن هذا المخطىء في النحو « جاهل » يقدح فيه خطؤه ! انهم قوم متقعرون ، لان الاستاذ الحكيم قد روى لنا حقيقة ما قال ابن الاثير على وجهه فقال ما نصه : « ان اللحن لايقدح في بلاغة أو فصاحة » ، ومعنى ذلك أن الكلام الذى ترفع فيه المفعول وتنصب الفاعل ، وتنطق فيه الاعراب سكونا ، وتقلب الذال فيه دالا ، وتجعل « الذى » (اللى) ، وتقول فيه « ليه » ، مكان (لماذا) أو « لم » على الاصح) ، وتجعل الثاء مرة تاء ، ومرة سينا ، فتقول « تالت » في « ثالث » ، و (سابت) في « ثابت » الى آخر هذا، كله فصيح قاعد على يافوخ اللغة ، أو ناشىء في حضنها ، ولا ينبغي التخلي عنه لجهل هؤلاء الشيوخ الجهلة . ولولا أن هؤلاء جميعا جهلة ، ضربة لازب ، لصححوا أولا الكلمة على ماروها لنا الاستاذ توفيق

الحكيم ، لأنها هى المنطق الصريح المعقول ، ولاستدلوا بها على أن هذا الذى يدعيه المدعون من الأخطاء النحوية فى كلام بعض الشعراء والكتاب ، ليس خطأ، بل هو اذابة للفوارق بين لغة التخاطب ، ولغة الكتابة والشعر ، سبقوا به الاشتراكية بدهور طوال ، فى « اذابة الفوارق بين الطبقات » !!

وأما ما حدثونا به عن الشىء الذى كتبه ابن الاثير، عن التفريق بين مفهوم معنى لفظ « الفصاحة » ولفظ « البلاغة » ، وجعله (الفصاحة) أمرا متعلقابالالفاظ من حيث الحسن والقبح ، و «البلاغة» متعلقة بتركيب هذه الالفاظ الحسنة ، لبلوغ اقصى غاية المعنى المطلوب ، وأنه من أجل هذه المسالة فى التفريق قال: ان الخطأ فى بعض النحو ، لا مدخل له فى «الفصاحة» أو فى « البلاغة » من هذا الوجه ، لانه مقحم على المسالة الى كلام كثير قالوه .

ـ أقول : هذا كلهعبثمنهم ، غرروا بنا وأضلونا وأدخلونا مداخل تضيع الوقت وتستهلك العقول ، بلا محصل يرجو الانسان من الالحاح عليه خيرا لاقليلا ولا كثيرا .

وكذلك تكون النتيجة المنطقية أن هذا « **اللت والعجن** » فى مسالة العامية والفصحى ، انما هو مضغ للالفاظ بلا فائدة ، وأن العامية التى يزعمون ، ليست الا الفصحى نفسها ، سليمة صحيحة لا عيب فيها . وكل ما فى الامر أننا أخذنا ببعض « الرخص، والاختزالات ، والاستبدالات ، وعدم الاعراب » ، وفتحنا ما ينطق مضموما فى الفصحى ، وكسرنا ماهو مفتوح ، وضممنا ما هو مفتوح أو مكسور ، وان استغرق ذلك كل كلمة فى العبارة التى تلقى فى المسرح ، أو فى المدرسة ، وبذلك زالت الفجوات ، وذابت الفوارق ، ، وعاد ما يسمونه عاميا سوقيا مبتذلا ، فصيحا معرقا فى الفصاحة ! وانتهى الامر. ولا يضر أبدا أن يختلف الناس فى ذلك أيضا ماشاء لهم الاختلاف ، وأن يتكلم المصرى ، غير ما يتكلمه الشامى ، غير ما يتكلمه أهل الجزيرة ، غير ما يتكلمه المغربى ، غير ما يتكلمه السودانى ، غير ما يتكلمه العراقى ، ما داموا جميعا عربا قد اتحدوا ، أو هم فى طريقهم الى الوحدة ، فكل ما يتكلم به المتكلمون من هؤلاء وغيرهم جائز ، وهو فصيح لا شك فى فصاحته ، وكيفَ لا ، وهم جميعا عرب . فاذا

قلنا : لا ، ليس الامر كذلك ، كان ذلك حجة على خيانتنا للمبادىء ، وانكارنا للوحدة العربية ، لان معنى ذلك أننا ما دمنا نقول ان اللغة التى يتكلم بها الشعب ، ليست من العربية الفصحى ، فالشعب المصرى اذن ليس بعربى ، والسودانى ليس بعربى ، والعراقى ليس بعربى ، والمغربى ليس بعربى . فهذا من أظهر الادلة على أن الذين ينفون عن عامية هذه الامم جميعا أنها عربية ، انما يخونون قضية الوحدة العربية ، وينسفونها من جذورها !!

كيف لا وهؤلاء الذين يدعون أنهم يدافعون عن الفصحى ، قد خانوا الامانة ، وكتموا العلم ، وتجاهلوا ان الامر منذ قديم كان كذلك ، وكان على هذا الوجه نفسه ، وانما هم أحدهم أن يجلس على الكرسى ، ويضع ساقا على ساق ، ويتكىء على عصاه ، ويسرح فى ملكوت الله ، ثم يأتى يعترض الناس بمثل هذا التظاهر بالدفاع عن الفصحى ، وهو لايريد الا توسيع هوة الخلاف ، مع تمام علمه بالدليل القاطع ، الدال على فساد رأيه ، ولكنه يكتم هذا الدليل ، مع وضوحه ، وقرعه أسماعنا بالليل والنهار ، فى التلفزيون ، وفى الراديو ، وفى الموالد ، والمآتم ، والافراح ، حيث يقرأ القراء القرآن بالقراءات السبع ، وفى ذلك أوضح الدليل على أن « لغتنا العربية من قديم ، كان المنطوق فيها المخالف للمكتوب ، أمرا شائعا » ! وهذا أمر يعرفه الذى دارس « الاحرف السبعة » التى نزل بها القرآن ، ولكن المستخفين المستهينين العابثين ، الذين لايرعون لشىء حرمة، يتغاضون عن هذه الدراسة ، ويتكلمون بما يفضى الى ايجاد مشكلة لا أصل لها ، فيها تفريق قبيح يجعل الشعب الواحد شعبين ، بل شعوبا لا عد لها ، بقدر ما فى الشعوب العربية من الاختلاف فى نطق الالفاظ وتركيبها .

وماذا يريد هؤلاء المفسدون ؟ أيريدون أن تبقى العربية ، دون لغات الناس جميعا ، (وهذا شىء لا شك فيه ، وان خالفه الواقع فى كل أمة عند هؤلاء المفسدين) ، لغة مكتوبة ومنطوقة أحيانا على هيئة عند «المثقفين» ، ومنطوقة على هيئة اخرى عند غير « المثقفين » ؟ وما معنى أن تبقى « الثاء » ، و « الظاء » و « الذال » التى تخرج فيها اللسان ، وقد بادت من لغات الدنيا جميعا فالانجليزى الآن لا يقول « ذى » ولكن « زى » ، ولا يخرج للناس لسانه ! وما معنى

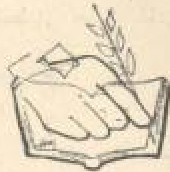
الفرق بين الجيم المعطشة وغير المعطشة ؟ الى آخر هذا الهراء كله ، وقد مضى المثل ، فان « المؤلفين المسرحيين فى أوربا فى العصور الماضية ، كان لهم فضل الارتفاع بلغة التخاطب فوق المسارح ، مما جعل الناس يحاكونها فى حياتهم اليومية » ! وكانت وسيلتهم الى ذلك أنهم استعملوا « الرخص والاختزالات ، والاستبدالات ، وطرح تكاليف قواعد لغتهم » ، وجعلوا لغة العوام غير المتعلمين ، هى اللغة التى يمثل بها ، ويكتب بها ، ويدرس بها فى المدارس . وهذا شيء يعرفه كل من سافر الى أوربا ، ودرس لغة كل قوم من أقوامها ، واطلع على الطريقة التى تدرس بها جميع العلوم . فالقوم هناك متساهلون ، لايلزمون أحدا ، لابنحو ، ولا بصرف ، ولا بمخارج الفاظ ، ولا بكل هذا الهراء الذى يتبجح به المتصدرون للفتوى ، المدعون أنهم انما يدافعون عن الفصحى ، وعن كيان الامة العربية ، وهم فى كل ذلك كذبة مبطلون !

واذن ، فعلينا هنا ان نفعل كفعلهم ، حتى تكون لغتنا كلغتهم لغة حية ، فنقذف بكل هذا الذى ادعوه من النحو ، منذ سيبويه ، الى الاشمونى ، وبكل هذا الالتزام الكاذب بالذى يسمونه « مخارج الالفاظ » ، ونلزم الناس بان يقرأوا المكتوب ، بلا جيم معطشة ، وبلا اخراج لسان فى الثاء والظاء والذال ، وبلا مبالاة بمرفوع أو منصوب ، وبلا نظر الى ما يقولون فى كتب اللغة ، كذا على وزن كذا ، فان هذا التقييد ضار أشد الضرر ، متلف للوقت ، مضيع للجهد ، بل هو أحيانا سوء أدب ، فكيف تخرج لسانك للناس مثلا ؟ أهذا أدب ! ولماذا تتقعر فى نطق القاف مثلا فتقول : (قرأ) ، والاسهل والاحسن (أرا) وتقول (الحقائق) والجيد فى لغة التخاطب (الحائق) . الى أشياء لاتزال باقية ، ينبغى أن تتناصر جميع وسائل الاعلام على ازالتها لاذابة الفوارق بين طبقات الناس من ناحية ، وطبقات كلمات اللغة من ناحية أخرى ! والا بقيت لغة طبقية، فيها ما ينطق مرة بالقاف ، ومرة بالهمزة ، ومرة بالتاء ، ومرة بالسين! هذا هو المنهج ، ومن ظن أنه يريد الاعتراض ، فهو « اعتراض كلامى » ، و« رأى سلبى » ، مع وجود هذا « الحل الايجابى » !

يؤسفنى ان اذهب هذا المذهب ، ولكن ماذا أفعل، اذا كنت لاأزال رجلا ممن يعد نفسه مدافعا عن اللغة ، ولا أجد مناصا من الزام نفسى باتباع طريقة الاستاذ ، مع بعض التصرف ، لانى أعد عضوية المجمع اللغوى ، صفة ملزمة لى باتباع سبيله ، وهو قد كتب ما كتب دفاعا عن اللغة ، فلا أقل من أن أكون له ناصرا فى هذا الذى « حارت البرية فيه » !! وأنا امرؤ أكره التساهل لنفسى ، وأكره الاستخفاف ، فلذلك تناولت حله لهذه المشكلة بلا استخفاف وبلا استهانة ، بل بجد واقتناع ومدارسة ومذاكرة ، لكى تنقشع عنى هذه الغمامة التى طمست عقل ، بسوء تربية هؤلاء الشيوخ القدماء ، الذين حرفوا الكتب، وأفسدوا النقول ، وزادوا فيها ونقصوا ، وحرفوا وبدلوا ، ولم يبالوا بالامانة ، ولم يعلموا أن المعلم مؤتمن ، وأنه ينبغى أن يؤدى الامانة على وجهها الى الجيل الذى يليه ، بلا تلعب بالنصوص ، ولا نقل لها عن مواضعها التى قيلت فيها . لان هذا المسلك قبيح جدا ، وكان لا يليق بهم ، ان كانوا حقا من أهل العلم ، ومن محبى الحق ، ومن الداعين الى الاصلاح.
ورحم الله شيخ المعرة اذ يقول :

من يبغ عندى نحوا أو يرد لغة
فما يساعف من هذا ولا هذى
يكفيك شرا من الدنيا ومنقصة
أن لا يبين لك الهادى من الهاذى

« **محمود محمد شاكر** »



البيعة

للشاعر: محمود حسن اسماعيل



بايعت فجرا .. شع فى جبينى
ومزق الاطراق من جفونى
وشل خطو الذل فى يقينى
وكنت فى ذاتى كالسجين
ادور فى دوامة الأنين
والقيد من صريره يسقينى

***

شع السنا .. واضرم النواظر
فاحرقت خطاه كل جائر
ونورت طريق كل حائر
وحررت جبين كل صاغر
من ساق هذا النور للمحاجر ؟؟
سل جبهتى «واسمع..ضياء»ناصر»

***

بايعت خطوا .. شق ليل قريتى
وفاسها حيران حول زهرتى
يسالها جوعان : أين لقمتى ؟
وكل عطر فيك ، كان دمعتى
وكان صبرى ، وانتظار تقرتى
فى الأرض ، تعطينى حصاد غلتى ؟

***

وظل يرنو ليد البيادر
وهى ترد الفاس للحفائر

لتتخم القصور والحظائر
فصاح فيها صيحة المقادر
ردى لساقيك جنى الأزاهر
فدوت الحقول ، والمخاضر
والفاس ، والفلاح ، والمعابر
قالت من السارى ؟ فقلت : « ناصر »

***

بايعت نارا .. وهجها خلود
ترنمت ترويه « بر سعيد »
على سناها كبر الشهيد
وانتحرت من يأسها القيود
ومن صداها ارتعد الوجود
وانسحق المستعمر العنيد ...

***

وسبحت بنصرها المنائر
وصيحت بصيتها المنابر
وأصبحت أيامها شعائر
يشدو بها التاريخ فى المفاخر
وللبالى يشعل المباخر
وكلما اشتاقت بها المجامر
رش لها اللهيب قلب « ناصر »

***

بايعت طودا .. فى ربى « أسوان

معجزة الاصرار للانسان
وشمخة الأقدار ، فى بنيان
دك صروح البغى والطغيان
وقام كانتفاضة الزمان
كفارس فى حومة الطعان

***

لم يبق للامان وجه غادر
ولم يبال دورة المصائر
داس اللظى وانقض فى الدياجر
على قوى الشر العتى الفاجر
كفنها فى غزوها المقامر
وردها تطحنها الدوائر ...
وقبلة الشمس . تحيى الظافر
بجبهة السد ، بفرحة « ناصر »

***

بايعت حقا .. عاد للأنامل
وهى تذيب الظلم فى المراجل
من كف صناع ، وكف عامل
تشق درب النور بالمعاول
وتحصد الظلام بالمناجل
وتسكب الروح على المشاعل

***

زيتا يضىء درب كل سائر
وانجما تهدى لكل حائر
من سيد الآلة وهو ساهر
يجنى قطاف النور للنواظر
ذاب الأسى واخضرت المشاعر
ورفرف الحق لكل عائر
لبيك عادت نجدتى « بناصر »

* * *

بايعت كل نبضة فى بدنى
وكل نور فى دروب وطنى
وكل زحف للضحى قربنى
وكل صحو رد كبر زمنى
وكل عهد من يقين مؤمن ...

* * *

فكلها .. من كل حر ثائر
وكلها للغد .. روض عاطر
وكلها للشعب .. نبع زاخر
وكلها للعرب .. فجر هادر ..
على فلسطين له بشائر
مهما تغب .. لا بد أن تبادر
وكلها عهد لعهد ناصر
بايعتها للحق .. باسم « ناصر »



دور الأديب العربي

في دعم القومية والوحدة العربية

بقلم: محمد خلف الله أحمد

عضو مجمع اللغة العربية

حين يثار النقاش في دور الاديب العربي في كفاح امته ، تقفز الى الذهن بضعة أسئلة تتطلب البحث والمعالجة :

أولها : ان الأدب الحق هو ما كان فيض الاحساس الصادق والتجربة العميقة. فهل للاديب دور غير أن يحس وينفعل ، فيعبر تعبيرا حرا صادقا جميلا ؟

الثاني : ان الأديب مواطن ، وليس لاى مواطن أن يتخلف عن الصفوف حين تخوض أمته معركة من معاركها الشاملة الحاسمة ، فماذا يستطيع الأديب بصفة كونه أديبا ان يساهم به في معركة الوحدة والقومية العربية ؟ واذا كان هناك دور يجب أن يقوم به وقصر فيه ، فهل للمجتمع ان يلزمه بادائه ؟ وهل يمكن التوفيق بين حرية الأديب وهذا الالزام من جانب المجتمع ؟

الثالث : ما مدى ارتباط الأديب العربي بحياة مجتمعه خلال العصور ؟

الرابع : ما الدور الذى قام به الأدباء العرب في كفاح امتهم منذ بدء النهضة العربية الحديثة ، وعلى الاخص بعد قيام ثورات التحرير العربية ؟ وما الذى يستطيعون أن يقوموا به في دعم بناء الوحدة والقومية العربية ؟

وسأحاول في الكلمة القصيرة التالية ان أرسم الخطوط الاساسية لبحث هذه النقط كما أتصورها.

ان الخلاف حول مهمة الأديب قديم : وقد ظل النقاش حينا بين نقاد الغرب وعلى الاخص في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين يدور حول فكرتين رئيسيتين في الموضوع : **أولاهما** ان مهمة الأديب أن يعبر تعبيرا قوليا جميلا بصرف النظر عن اثر هذا التعبير في مجتمعه أو وقعه عنده ؟ **والثانية** ان مهمة الأديب أن يبلغ الناس من حوله ما يحس به. وكلتا الفكرتين تثير خلافا داخليا بين القائلين بهما : فاذا كانت مهمة الأديب ان يعبر ، فعم يعبر ؟ عن نفسه ام المجتمع من حوله ؟ ام الطبيعة ؟ ام الكون ؟ واذا كانت التبليغ ، فماذا يبلغ ؟ أيصف للناس احاسيسه الذاتية ؟ ام يقصد الى ان يوجههم وينقدهم ويعلمهم ؟ وكان هناك — ولا يزال — نقاش من واد آخر : هل الأديب مقيد بمواضعات مجتمعة ؟ أم أنه حر في تناول اى موضوع على الطريقة التى يراها، والتى تناسب فنه وطبيعته ؟

كان هذا النقاش صدى لمراحل من تطور التفكير الانسانى ،وتطور البحث فيطبيعة النفس الانسانية، وفي فلسفة الفن وفلسفة الحياة بوجه عام . وكان مما يثيره أحيانا ظهور عبقريات فذة في الفن والأدب تؤثر بروائع اعمالها على المفاهيم الانسانية وتثير التساؤل الذى اشرنا اليه .

ويبدو ان حكمة الله اقتضت ان يخلق الناس مختلفين في امزجتهم ، وفي نواحى الحياة التى تجذب انتباههم ، وتنبه قواهم المبدعة : فهذا الأديب او الفنان أو الفيلسوف من النوع المنطوى ، وذاك من المنبسط ، وهذا واقعى ، وذاك مثالى ، وهذا ينحو بطبعه نحو الوضوح ، وذاك نحو الرمز والغموض ، وهذا يستمد مادته من الطبيعة ، وذاك من الاجتماع الانسانى ، وهذا يعتمد على خواطره

الشعورية وتفكيره الواعى ، وذلك يمنع من عقله الباطن .

وفى رأينا ان حياة الجماعة تتسع لكل هؤلاء : انها تتطلب أن يكون فيها الأديب العاطفى مبدع الأغنية الرومانسية ، الى جانب الأديب الثائر خالق النشيد الهادر ، والقاص الذى يدير قصصه حول أحداث الحياة ومواقفها ، والروائي الذى يتخذ من ظواهر المجتمع وقضايا الحياة وصراع النفوس نسيجا لحبكة روايته ، وشاعر الملاحم الذى يصور البطولة والكفاح في أروع صورهما ، وكاتب الرسالة أو المقال الذى يبنى أسلوبه على الحجة والاقناع ، أو على التحميس والهاب عواطف الجماهير . وكل هؤلاء مواطنون تصب روافد أدبهم في تيار الجهد المشترك للأمة ، وفى اشباع ذوقها ، واغناء حياتها ، والعمل على تحقيق أهدافها .

على أن القرن الحاضر جلب معه ظاهرة اصبح لها تأثيرها على تحويل مجرى النقاش فى طبيعة الادب ووظيفة الأدب وجهة جديدة : ذلك أن التطور الحديث فى النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى كثير من البيئات الانسانية ، عمل على توثيق الصلة بين الفرد والمجموع ، وعلى ضرورة ان يقوم كل مواطن ـ حسب تخصصه وقدراته ـ بنصيب في المجهود الجماعى المشترك . ومن هنا برزت أهمية الأدب . والفنان ـ بصفة كونه مواطنا ـ يملك اداة ذات قيمة وفعالية كبيرة فى اصلاح حياة الجماعة ، وفي زيادة رصيدها من الثروة الروحية والنفسية ، فى معالجة قضاياها الكبرى ، والتوعية بفلسفتها في الحياة ، وفى تعبئة قواها لتحقيق أهدافها التى تتطلب صراعا ونضالا . وقد اصبحت تلك المجتمعات تتطلب من أدبائها أن يشاركوا بادبهم في النضال ، وان يوجهوا نشاطهم الخلاق لا نحو الذات وعواطفها وحياتها الفردية ، ولا نحو الطبيعة وجمالها ورومانسيتها ، ولكن نحو المجتمع وكفاحه ومعاركه وقيمه ، ولم تعد تلك البيئات تستسيغ السلبية أو الانانية او الانعزالية من جانب الأديب او الفنان .

ولهذا التطور منطق يقوم على أساس من طبيعة الفن والأدب ، وتأثر النفس الانسانية بهما . ذلك ان الفنون عامة ـ والآداب خاصة ـ حين يتوافر لها الصدق وعمق التجربة وحرارة الايمان ـ تجد طريقها الى النفوس سهلا ميسرا ، وتعمل عملها فى العواطف والمشاعر ، وتخلق من الصلات الوجدانية بين الناس مالا تقوى العوامل المصطنعة على اضعافه أو هزيمته ، وبذلك تكون ذات أثر فعال في توجيه مجتمعها الى مقاصد متماثلة فى الخلق وفلسفة الحياة ، والى وحدة شاملة في الوسائل والغايات .

ان للكلمة المقروءة او المسموعة تأثيرا قويا فى النفس البشرية ، واذا ما أخذت الكلمة شكلا فنيا متكاملا : قصيدة ملهمة ، أو خطبة مؤثرة ، أو رسالة مبينة ، أو قصة محبوكة أو تمثيلية من صميم الحياة ، كان تأثيرها فى النفوس بالغا وعميقا ، فاذا ما كان موضوع الاثر الأدبى بطلا من أبطال الامة ، او ملحمة من ملاحمها الخالدة ، أو أزمة من أزمات كفاحها ، أو تخليدا لسيرة مصلح من مصلحيها ، أو استنهاضا لهمم أبنائها الى جلائل الأعمال ، أصبح ذلك الأدب سلاحا نضاليا ماضيا ، وكانت له فى الجهد الجماعى للأمة آثار قوية ، وعمل عمله فى الوحدة المنشودة بين المواطنين ، حتى ولو لم يقصد منشئه حين انشاه الى غرض آخر وراء الابداع والتعبير الفنى .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول ان الأدب ليس تعبيرا فقط ، وليس تبليغا فقط ولكنه الاثنان معا : فكل فرد عضو فى مجتمع ، واللغة اداة الاتصال الاجتماعى ، والفكرى بين أفراد المجتمع ، والادب هو لغة التواصل الوجدانى والنفسى لاولئكم الافراد وكل تعبير ادبى فهو فى الوقت ذاته اداء وتبليغ . ومـا دام للأدب تأثيره الذى اشرنا اليه سابقا ، فان من طبيعة الحياة الاجتماعية للانسان أن تفسح للأدب مكانا فى تجاربها وآدابها ، وأن تنشد عونه فى تحقيق أهدافها وغاياتها . واذا تراخت فى طلب هذا العون فى أوقات الرخاء والاستقرار ، فانها لن تتوانى عن افتقاده فى أوقات الكفاح والازمات . واذن فمن الطبيعى أن يشتد الالحاح على قيام الأديب بوظيفته فى مراحل الانتقال الكبرى فى حياة الأمم ، كأن تكون الأمة مشغولة بثورة على ظلم خيم عليها طويلا ، أو معركة تحرير ضد غاصب اعتدى على مقدساتها ، أو نهضة اجتماعية أو صناعية او اقتصادية تقيم أركانها ، او رابطة قومية تحاول أن تبنيها وتدعمها ، أو دعوة انسانية تتبناها فى سبيل الاخاء والعدالة والسلام البشرى .

ولكى يقوم الأديب بوظيفته هذه لابد ان يتوافر فيه شرط أساسى هو الايمان الصادق بما يعبر عنه ويدعو اليه . ولا جدوى من مطالبة الأديب بالقيام

بدوره اذا لم يكن مؤمنـــا بذلك الدور فى قرارة وجدانه . وهو اذا آمن لا محـالة منفعل بايمانه ، صادر عنه فى ادبه . تلك سنة الفطرة وهذه طبيعة الفن والحياة .

واذا انتقلنا من التعميم الى التخصيص ، ونظرنا الى ادبنا العربى فى ضوء الرأى الذى انتهينا اليه من تحليلنا السـابق ، وجدناه ادبا خصـبا ، ارتبط منذ نشأته بحياة مجتمعه ، فتطور بتطوره ، واتسع باتساعه ، وتلون بألوان تفكيره السياسى والاجتماعى، وكان صدى له فى حالى قوته وضـعفه ، وتحركه وجموده ، واصالته وتقاليده . والذين نشأوا منا على حب الأدب العـربى الأصـيل وحفظ روائعـه ونماذجه الخـالدة يدركون ما لذلك الأدب من تأثير وتوجيه للوجدان ، ومن اثارة الحنين الى مفاخــر الآباء والأجداد والاعتزاز بها ، حتى ليصـل الأمر بالمتأثر به الى درجة التعلق الروحى بالمواطن التى عاش فيها الأسلاف ، والأماكن التى ردد شعراؤهم اسماءها ، والشخصيات الحقيقية او المتخيلة التى تحدثوا عنها .

لقـد كان الشـاعر العربى فى الجاهلية لسـان قبيلته ، المدافـع عن حوزتها والمحـامى عن شرفها واعراضـها . وقام الشعر والخطابة بدورهمـا فى المراحل الأولى من الدعوة الاسلامية ، وفى معارك العصـبيات والاحزاب السياسـية والمذهبية ، وفى تخليد البطولات العربيـة فى حروب المسلمين ضـد الروم ، وفى حروب الشرق الاسلامى ضد الصليبيين، كما قام الأدب بدوره فى تسـجيل صور الحضــارة العربية الزاهرة ونتاج عقول ابنائها ، والتعبير عن خلجات النفوس مما زودتها به الفطرة من عواطف واحاسيس . وفى عصور التأخر والركود كان الأدب العربى صدى لحياة مجتمعه الراكدة يعبر عنهما فى مناسباتها وظواهرها العادية .

فلما جاءت النهضة الحديثة ، وقف ادباء البلاد العربية صفا فى معارك القومية والتضامن العربى ، فصور كثير منهم آلام امتهم وآمالها ، واحســاس كل جزء منها بمشاركته للاجزاء الاخرى فى السراء والضراء . وحفلت قصائد شعرائنا ومقالات كتابنا بنقد الحياة العربية وتوجيهها نحو اهدافها . وقد امتدت هذه المرحلة من اواخر القرن الماضى الى قرب منتصـف القرن الحاضر ، وكان فى ادبها كثير من الارهاصات بالوثبة الكبرى التى وثبها العرب فى ثوراتهم التحريرية فى المرحلة التى نعيش أمجادها الان . وفى هذه المرحلة الحاضرة عرف الادباء العرب مكانهم فى الصـفوف الاولى من كتائب الثورة بين شـاعر خطيب ، وكاتب مقـال ، ومذيع حديث ، ومنشىء قصة أو رواية أو مسرحية ، ودارس لأدب الكفاح ، ومؤرخ لتطوره ، وداع الى الحفاظ عـلى الفصحى — وهى الدعامة الكبرى للقومية والوحدة العربية ، وعامل على رقيهـا واتساعها ووفائهـا بمطالب الحياة الجـديدة . ومن شـواهد هـذا الاحساس من جانب ادبائنا بمسئولياتهم فى الكفاح، ودورهم فى العمل لتحقيـق الوحدة العربية هـذا الربـط الذى ربطـوه بين دورات مؤتمرهم وبين موضـوعات القوميـة والوحـدة . وهاهم اولاء فى مؤتمرهم الخامس ، فى بغداد عاصـمة الحضـارة العربية الاسلامية فى عصرها الذهبى ، والقلعـة الشرقية للزحـف العربى الحـديث نحو الحـرية والاشتراكية والوحدة — يجتمعون — كما يجتمع المحاربون — بعد سلسلة من الانتصارات فى المعركة — يراجعون خططهم وينظمون صفوفهم ويستجمعون قوتهم للجـولة التالية من الزحف المقـدس . وان ايمانهم بأهداف الكفاح العربى الحاضر — فى القومية والوحدة والاشتراكية وتحرير جميع اجزاء الوطن العربى واسـترداد الجزء السـليب منه — ليفتح امامهم الى جـانب الآفاق التى جـابوها فى الأدب الثورى آفاقا جديدة يوجهون فيها مواهبهم الخلاقة لتنمية الوعى بمفاهيم الثـورة فى الحرية والعدالة والكرامـة والكفاية ، وتوضـيح أصـول القومية وعوامل وحدة الوطن العربى الاكبر ، والربط بين مثل الحياة التى ننشـدها ، والتقاليـد والتعاليم العربية الاسلامية التى صنعت تاريخنا ، والمجادات التى خلدها أسلافنا فى معارك الكفاح وميادين المعرفة، ونجاح قادة ثوراتنا فى توجيه السـياسة العربية الحاضرة فى المجال الدولى ، ونصيب امتنا فى العمل من أجـل سـعادة الجنس البشرى وسلامه . وان ادبنـا العربى وقد استكمل فنونه ، وعرف بين الآداب الخصبة الحديثة — كما عرف فى القديم مكانه بين الآداب الكلاسيكية الكبرى — لكفيل بأن يكون اللسـان الناطق بآمال الأمـة والمترجم الأمين عن مشاعر جماهيرها ، والدليل الحادى لركب العروبة نحو الغايات والأهداف المنشودة .

« محمد خلف الله أحمد »

بحوث لغوية تاريخية

بقلم : حامد عبد القادر

كلمات في كلمات

– ٥ –

يدعي الصهاينة الأفاكون فيما يدعون. وما أكثر دعاواهم الباطلة ، بل ما أشنع ادعاءاتهم الكاذبة – ان الله تعالى قد وعدهم ، بل أخذ على نفسه العهد أن يجعل أرض فلسطين ملكا خالصا لهم دون غيرهم أبد الآبدين – « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا » ٠ ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده »

وكثيرا ما نسمع هؤلاء الافاقين يفترون على الله الكذب ويقولون ان نصوصا معينة في كتابهم المقدس تبرهن على صحة دعواهم ٠ ولا شك أن التوراة هي الدعامة الكبرى التي يستندون اليها في ترويج هذه الفرية العظمى ، التي لم يسمع التاريخ أبعد منها عن الحقيقة ٠

أما ما عدا التوراة من كتبهم الدينية كالتلمود فلا يعتد به ، لان التوراة هي الأصل أو المصدر الاول الذي يستقون منه تاريخهم وشرائعهم ٠

وقد قلت في مقال سابق نشر بهذه المجلة الغراء بالعدد رقم ١١٠١ بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٦٥ ان ذلك الوعد أو العهد المشار اليه من الأمور التي لم تذكر في القرآن الكريم في أثناء الكلام على ابراهيم الخليل ، مع أنها ذكرت في التوراة العبرية التي بين أيدينا ٠

وعلينا الآن أن نتتبع النصوص الواردة في التوراة في هذا الموضوع ونناقشها واحدا واحدا ، مع توخي جانب الصدق والحق فيما نقول ٠

يقول النص الاول ما ترجمته :

وسار ابراهيم في الأرض حتى مكان شكيم ثم الى حيث أشجار بلوط مورة والكنعانيون (كانوا) حينئذ في الأرض ٠ وظهر (تراءى) الرب لابراهيم وقال : لنسلك أعطي هذه الأرض (تكوين : ١٢ – ٦ – ٧) ٠

هذه هي ترجمة صحيحة للنص الأول ٠ وان نظرة فاحصة فيه تجعلنا على يقين من أنه لا يؤيد دعوى هؤلاء المدعين من قريب أو من بعيد ، للأسباب الجوهرية الآتية :

١ – ان الأرض الموعود بها ليست محدودة المعالم ، ولا معروفة الحدود ، فالنص يقول : « أعطي هذه الأرض » وهذه عبارة مبهمة لا تدل على شيء معين ٠

٢ – ان النص يقول : لنسلك أعطي هذه الأرض ، ونسل ابراهيم أو ذريته هم أبناء ولديه اسماعيل واسحق ، لا أبناء اسحق وحدهم ٠ فليس من الحق في شيء ان يفهم هؤلاء الناس ان أبناء يعقوب بن اسحق هم الذين يقصدهم هذا النص ٠

٣ – انه ليس في هذا النص ما يدل على أن ملكية بني اسرائيل لهذه الارض ملكية أبدية لا نهاية لها ٠

٤ – ان الكلمة العبرية التي معناها « يتراءى أو يظهر » ، كثيرا ما يقصد بها الظهور في النوم ٠ ومن ثم يمكن أن نفهم من هذا النص ان الرب تعالى ظهر لابراهيم في حلم او رؤيا رآها وهو نائم ٠ ويجوز أن يكون هذا من قبيل احلام اليقظة ٠

واحلام النوم او اليقظة لها غرض حيوي هو – كما يقول فرويد – ان تتحقق في اثناء الحلم الاماني او الآمال التي لا تتحقق في حياة اليقظة العادية ٠

فليس ببعيد أن ابراهيم الخليل الذي هاجر من بلاده الى بلاد اخرى لا يمتلك فيها أرضا ، ورأى كثيرا من الملوك يمتلكون أراضي واسعة – أقول : ليس ببعيد أن يكون الغرض من هذه الرؤيا جعل هذا النبي الكريم يطمئن على ذريته ٠

ومهما يكن من أمر هذا النص فاننا نجزم بانه لا يدل على

شيء يحتج به هؤلاء الصهاينة الباغون . ذلك اننا اذا فرضنا ان ابراهيم عليه السلام رأى الله تعالى رؤية حقيقية ، وان الارض الموعود بها هي فلسطين المعروفة فانه يبقى بعد ذلك ان الموعودين بامتلاك هـذه الأرض هم بنى اسرائيل ـ الذى هو يعقوب ـ وحدهم ، وانما هم ذرية ابراهيم جميعهم وفي مقدمتهم العرب ابناء اسماعيل اكبر ابناء ابراهيم .

- ٦ -

ننتقل الى النص الثاني وترجمته :

«وقال الرب لابراهيم بعد أن اعتزله لوط : ارفع عينيك وانظر من المكان الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . لأني ساعطى كل هذه الأرض التي ترى لك ولذريتك الى الأبد» (تكوين ١٣ : ١٤ ـ ١٥) .

وننظر في هذا النص فنجد :

١ ـ ان الأرض التي كان بها ابراهيم حين قال له الرب ذلك كانت ارض شكيم ، وهي جزء صغير من فلسطين كان يقيم به بعض القبائل الكنعانية وكان على مقربة من البحر المتوسط كما يؤخذ من هذا النص والنص السابق .

٢ ـ ان النص يحدد الارض الموعود بها بحدود مدى الابصار شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . فليت شعري هل كان بصر ابراهيم الخليل يمتد الى الجهات الاربع فيستطيع ان يرى فلسطين كلها من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ومن اقصى الشمال الى اقصى الجنوب ؟

هذا سؤال نوجهه الى علماء البصريات من الصهاينة ومن لف لفهم .

٣ ـ ان تمليك هذه الأرض على حسب هذا النص ايضا ليس مقصورا على بني اسرائيل ، وانما يشمل ذرية ابراهيم جميعهم وفي مقدمتهم ذرية ابنه الاكبر اسماعيل كما قلنا من قبل .

٤ ـ ان هذا النص يقدم كلمة « لك » على كلمة « اعطى » ، وهذا الاسلوب يفيد القصر ، كأن الله تعالى يخاطب ابراهيم عليه السلام ويقول له : « اني ساعطيك وحدك هذه الأرض ، لم اعطيها لذريتك من بعـدك » . والمعروف ان ابراهيم الخليل لم يمتلك فلسطين قبل وفاته ، بل لم يمتلكها أحـد من ابنائه حتى جاء موسى ، وخلص بني اسرائيل من أسر المصريين .

٥ ـ ان عبارة « الى الأبد » التي نجدها في آخر هذا النص لا نجدها الا في نص آخر ، هو النص الخامس ، ولذا ارجح ان النساخ قد اضافوها ، كما اضافوا عبارات غيرها في مواضع أخرى سنشير اليها فيما بعد . ويجوز ان بعض النساخ كان قد كتبها على هامش الأصل ، وعلى مر الزمن نقلت من الهامش الى الصلب، وجعلت جزءا من النص ، كما حدث في حالات اخرى .

ففي ضوء هذا كله نستطيع ان نقرر انه ليس في هذا النص ما يؤيد دعوى الصهاينة : ذلك اننا اذا سلمنا جدلا ان هـذا النص صحيح لا اضافة فيه فاننا نقول ايضـا انه يدل على ان الارض الموعود بها ستكون ملكا لابراهيم ولذريته من بعده . اما امتلاك ابراهيم لها فامر لم يثبته التاريخ ، ولم يرد به نص مطلقا لا في التوراة ولا في غيرها .

واما ان هذه الأرض المحدودة بتلك الحدود الضيقة سـتكون ملكا لذرية ابراهيم فهو حكم عام يتضمن بدون أدنى شـك ان يكون ابناء اسماعيل من الورثة الذين يرثون تلك الارض ، وذلك ما لم تذكره التوراة ، او على الأصح ـ لم يذكره من كتبوها ، بل انهم اهملوه لاغراض في انفسهم ستنكشف لنا عما قريب .

واما عبارة « الى الأبد » فقد كذبها التاريخ ، لأن فلسطين لم تكن دائما ملكا لبني اسرائيل ، بل ان كل دولة ظهرت في العالم القديم او المتوسط او الحديث قد استولت عليها ، وكثيرا ما كان الفاتحون يجلون اليهود عنها لما درجوا عليه ، بل طبعوا عليه من المكر والخديعة ، وتدبير المؤامرات ، وشق عصا الطاعة ، والغدر والخيانة والافساد في الارض .

بعد وفاة سليمان بن داود عليهما السلام في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد تقـريبا انقسمت فلسـطين فصارت دولتين احداهما اسرائيل في الشمال والاخرى يهوذا في الجنوب . وفي سنة ٧٢٢ ق.م سقطت اسرائيل في ايدي الأشوريين ، وفي سنة ٥٨٦ ق.م سقطت يهوذا في يد بختنصر البابلي . وجاء الفرس فاستولوا على الدولتين معا ، وجاء من بعدهم الاسـكندر الاكبر المقدوني فاكتسح البلاد وما حولها الى اقصى الشرق ، وخلفـه السلوقيون فامتلكوها ، وجاء من بعدهم الرومان فقضوا على اليهود القضاء المبرم سنة ٧٠ م . وحينئذ (اى منذ ما يقرب من تسعة عشر قرنا) بدأ عصر التشتت الذى يحاول الصهاينة ان يضعوا حدا له ـ ظلما وعدوانا ـ والله من ورائهم محيط .

فليست فلسطين بدعا من البلاد ولم تحل دعاوى اليهـود الصهاينة بين اية دولة تنهض وبين الاستيلاء عليها . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

- ٧ -

ننظر بعد ذلك في النص الثالث وترجمته :

«وقال له (اى الرب لابراهيم) أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين لأهب لك هذه الأرض ميراثا لك» (تكوين ١٥ ـ ٧)

وهذا ـ كما ترى ـ نص لا قيمة له ؟ اذ انه ـ على الراجح ـ جزء من رؤيا رآها ابراهيم ، وهو مع ذلك يجعل ابراهيم وحده هو الوارث الوحيد للارض الموعود بها . وليس من شان هذا الكلام ان يتخذه اعداء الحق واعداء الانسانية بل اعداء الله دليلا على صحة دعواهم الكاذبة .

فلندع هذا النص ، ولنقرأ ترجمة النص الرابع وهي :

« في ذلك اليوم أبرم الرب مع ابراهيم ميثاقا قائلا لذريتك أعطيت هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » تكوين (١٥ ـ ١٨) نقرأ ترجمة هذا النص في ضوء النصوص التي قبله في الفصل نفسه وهو الفصل الخامس عشر من سفر التكوين فيتضح لنا :

١ ـ ان السياق يدل على ان الميثاق المشار اليه في هذا النص قد ابرم مع ابراهيم في رؤيا رآها وهو نائم ، ومن لم يمكن ان نقول في تاويل هذه الرؤيا ما قيل في تاويل النص الاول الذى رجحنا ان يكون تعبيرا عن رؤيا رآها ابراهيم في نومه .

٢ ـ ان هذا النص يمتاز :

اولا : بان الارض الموعود بها « قد وهبها » او « سيهبها » قطعا لذرية ابراهيم لا له ، ولا داعي لتكرار القول بان اسـماعيل وذريته من ذرية ابراهيم .

ثانيا : بانه قد حدد تلك الارض بحدين يبدو انهما ثابتان ، هما نهر الفرات العظيم من الشرق ، ونهر مصر من الغرب .

وليس من المعروف بالضبط المراد من « نهر مصر » فمن الجائز ان يكون المراد منه نهر النيل . ولكني ارجح ان يكون نهرا آخر غير نهر النيل كنهر اليرموك او نهر الاردن ، فان امتلاك مصر في

تلك العصور الغابرة كانت تمتد شرقا الى ما وراء شبه جزيرة طور سينا ، وكانت احيانا تشمل فلسطين كلها .

فقد ورد في بعض رسائل تل العمارنة التي كتبت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد تقريبا في عهد الملك امون حوطب ان قوما يسمون هبيري او هبيروس كانوا يغيرون على كنعان او جنوبي فلسطين التي كانت خاضعة لحكم المصريين في عهد اخناتون.والمراد بهبيري او هبيروس هم العبرانيون . وربما يرجع ان المراد بنهر مصر نهر اخر غير نهر النيل امران هامان : الأول وصف نهر الفرات بانه النهر العظيم ، اذ لو كان الكاتب يقصد بنهر مصر نهر النيل ما اختص نهر الفرات بهذا الوصف . الثاني انه ذكر بعد هذا النص مباشرة القبائل التي تقيم بارض الميعاد وكلها قبائل كنعانية ليس من بينها احد من المصريين ولا من التابعين لهم .

وليس ببعيد ان تكون هذه العبارة المحددة لأرض الميعاد قد اقحمت اقحاما ، شانها في ذلك شان غيرها وهو كثير .

واذا تذكرنا ان التوراة العبرية التي بين ايدينا لم يبدا تدوينها الا في اواخر القرن التاسع او اوائل القرن الثامن تقريبا قبل الميلاد ، اى بعد هجرة ابراهيم الخليل بنحو الف ومئتي سنة . او بعد ان كانت الدولة اليهودية قد بلغت اوج عظمتها في عهد داود وسليمان عليهما السلام بنحو مئتي سنة - اقول اذا تذكر ذلك تسنى لنا ان نقرر ان هذا النص بمثابة نص تاريخي لايتحدث عن المستقبل وانما يتحدث عن امر وقع بالفعل وهو اتساع املاك داود وابنه سليمان من بعده وامتدادها من نهر الفرات الى حدود مصر .

ويشبه النص الرابع نص آخر ترجمته :

« واعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك : أرض كنعان ملكا أبديا » (تكوين ١٧ - ٨)

هذه هي ترجمة النص الخامس نثبتها ، ونكتفي في التعليق عليه بما ذكرنا من قبل في التعليق على النصوص السابقة اذ انه لم يذكر فيه جديد يعتد به . ومع ذلك نود ان نقرر ان السياق هنا ايضا يسوغ لنا ان نفهم ان ظهور الله تعالى لابراهيم ومخاطبته بهذا الكلام كانا في اثناء رؤيا نوم او يقظة ، او اثناء يقظة كاملة .

- ٨ -

هذه هي النصوص الواردة في التوراة التي بين ايدينا متضمنة الوعود او العهود الخاصة بتمليك ابراهيم عليه السلام هو وذريته من بعده ارض فلسطين ، التي تطلق عليها التوراة اسم « أرض كنعان » .

وهي - كما ترى - خمسة نصوص مختلفة ، كل منها يخالف غيره ، اما في تحديد الارض الموعود بها ، واما في المدى الزمني لامتلاكها ، واما فيمن يمتلكها .

فمع اتفاقها في ان الله تعالى هو الذي خاطب ابراهيم عليه السلام في امر الامتلاك ، فانها قد اختلفت في كنه هذا التخاطب او في طريقته ، فالنص الرابع يقرر ان ذلك كان في أثناء النوم ، واني ارجح ان تكون هذه هي الحال بالنسبة للنصين الأول والخامس .

ومما يلفت النظر ان كلا من النصين الاول والرابع يجعل ذرية ابراهيم هم الذين ستؤول اليهم ملكية تلك الارض ، وان النصين الثاني والخامس يجعلان هذه الملكية لابراهيم وذريته ، وان النص الثالث ينفرد بان يجعل هذه الملكية لابراهيم وحده .

والنصان الثاني والخامس يجعلان امتلاك تلك الارض ابديا ، والنصان الرابع والخامس يعينان حدود الارض فيجعلها الرابع من نهر الفرات الى نهر مصر ، ويجعلها الخامس ارض كنعان .

ترى ، امستقلة تلك الوعود ؟ ام مختلفة ؟ ام هي متكاملة يكمل بعضها بعضا ؟. لست ادري.غير ان ما بينها من اختلافات جوهرية يدعونا الى الجزم بانها ليست من وحى الله تعالى ، واننا لنلمح من خلال هذه الاختلافات اضطراب الكاتب وتردده في الأمر، ونرجح ان نظرته الى شعبه نظرة محاباة وتحيز هى التى جعلته يختتم هذه الوعود بتحديد الارض الموعود بها ، ويجعل ذرية ابراهيم هم الوارثين لها ، وبالنص على ان امتلاكها سيكون ابديا. وقد كفانا التاريخ مؤونة الرد على هذا كله بتكذيبه كله .

ومن الحوادث التي لم تذكر في القرآن الكريم ، ولكنها ذكرت في التوراة التي بايدينا معزوة الى ابراهيم الخليل عليه السلام حوادث نمسك عن الخوض في بيان تفصيلاتها مكتفين بالاشارة اليها .

لا شــك انك ايها القارىء الكريم سوف تعجب ويشتد بك العجب حين يقع نظرك على ما ينسبه كاتب السفر الاول من اسفار التوراة الى ابراهيم خليل الله ابي الأنبياء . فكيف تسمح لهذا الكاتب نفسه ان ينسب الى هذا النبي الكريم من الاعمال ما تشمئز منه نفس الشخص العادى ؟ وهل يستطيع الضمير البشرى السليم او الشعور الخلقي المهذب ان يرضى عن شخص يتخذ زوجته درعا يقى بها نفسه من خطر الموت ؟ فيخفى انها زوجته ويظهر انها اخته ، ويبيح للمصريين ان يتحدثوا عن جمالها المفرط امام فرعون فيؤديها اليه ويعاملها معاملة الازواج للزوجات . ثم ينتبه الى خطيئته فيندم ويلوم ابراهيم على خداعه ويهب له كثيرا من الغنم والبقر والحمير والعبيد ، كانه يكفر عن خطيئته (تكوين ١٢-١٦) انى لا استنكر مايقوله الكاتب من ان ابراهيم قال عن سارة انها اخته فقد كانت في الواقع اخته لأبيه (تكوين ٢٠ - ١٢) ولكن الذى استنكره اشد الاستنكار ان يضحى رجل عظيم وصل الى القمة بين الأنبياء بعرض زوجه ليحافظ على حياته .

ولا يصح ان نقول ان روح العصر لم تكن تستنكر مثل هذه الفعلة ، لان فرعون نفسه يندم على ما فعل ، ويلوم ابراهيم على انه خدعه ولم يقل له ان سارة هي زوجته .

ولا يصح ايضا ان يقال ان ما نسب الى ابراهيم قد فعله وهو حسن النية لم يتوقع ما حدث ، لان هذه الفعلة نفسها قد نسبت اليه مرة اخرى وذلك حين قال لأبى ميلك ، ملك جرار ، احد الملوك الاثرياء في عصره ، مثل ما قال للمصريين ، ولكن ابيميلك لم يفعل بسارة كما فعل فرعون ، فقد راى رؤيا اخبره الله فيها بحقيقة الامر ، فاستدعى ابراهيم ولامه على ما فرط منه ، ورد اليه زوجه وقال له : ها هى ذى ارضي امامك فاقم حيث تحب . وقال لسارة : انى قد اعطيت اخاك الفا من الفضة (تكوين ٢٠)

الا ترى معى ايها القارىء الكريم ان هذه الفعلة لا تليق بمقام نبي كريم يجعله الله قدوة حسنة للناس ؟ ثم الا ترى معى ايضا ان هذا كلام مصنوع موضوع ليس من كلام الله في شيء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

هذا واننا لنجد في التوراة التي بين ايدينا كثيرا من مثل هذا

الكلام الذي لا يمكن صدوره من الله تعالى ، وذلك نحو ما نسب لابنتي لوط عليه السلام (تكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨)

– ٩ –

ونتتبع سيرة ابراهيم عليه السلام كما تقصها علينا التوراة العبرية التي بين ايدينا ، فنقرأ في الفصل السادس عشر من سفر التكوين مايفيد ان سارة زوجة ابراهيم لما ايقنت أنها عاقر، ويئست من ان تلد ، عرضت على زوجها ان يتخذ جاريتها هاجر المصرية زوجا له راجية بذلك ان يشد الله ازرها بأن يهب لابراهيم ابنا من هاجر جاريتها .

ويستمع ابراهيم الى نصيحة سارة ، وتتضرع هاجر الى الله ان يهب لها ابنا من ابراهيم ، ويجيب الله دعوتها فتلد ولدا ذكرا وتسميه « اسماعيل » .

وتقول التوراة : ان هاجر سمت ابنها كذلك لأن الله تعالى قد استمع الى تضرعها (تكوين ١٦ – ١١) .

واسماعيل بالعبرية هو

יִשְׁמָעֵאל

= يشماعيل .

وهو مركب اسنادي يتكون من كلمتين الاولى فعل مضارع وهي יִשְׁמַע اي يسمع والثانية فاعل هذا الفعل وهي اي الرب ومن ثم يكون معنى هذا التركيب يسمع الله . ولما عرب جعل حرف المضارعة الفا لكراهية بدء الاسماء العربية بياء ، ونجد هذا القلب في اسحاق واسرائيل كما سنرى .. ويبدو ان هذه الياء قد بقيت في يعقوب ويعرب مثلا لكراهية توالي حرفين من حروف الحلق في اول الكلمة ، وشذ عن هذه القاعدة يشجب .

والفعل العبري يقابله في العربية الفعل « يسمع » فالشين في العبرية كثيرا ما تقابلها السين في العربية . والأصل في حركة المقطع الاخير من هذا الفعل ان تكون فتحة قصيرة كما ترى . فلما تكون منه ومن

יִצְחק

كلمة واحدة مدت هذه الحركة فجعلت فتحة طويلة ،

وكان ينبغي ان تثبت هذه الفتحة الطويلة في الرسم العربي ، ولكن لما رأى العرب ان هذه الفتحة الطويلة لا تمثلها في العبرية الف ، بل تمثلها حركة هي فتحة طويلة توضع تحت الميم كما هو ظاهر فقد حاكى الرسم العبري وحذف الالف من الرسم العربي فكتبه هكذا (اسمعيل) وفي رأيي ان يكتب هذا الاسم او غيره كما ينطق به هكذا اسماعيل ، كيلا يبقى الرسم العربي متأثرا بالرسم العبري .

هذا هو ما قلته من قبل عدة مرات ، وسأظل اقوله حتى يحظى الرسم العربي بالاستقلال التام ، ويتخلص من البقية الباقية من النفوذ الاجنبي الذي ظل جاثما على صدره مسيطرا عليه ما يقرب من اربعة عشر قرنا .

– ١٠ –

نعود مرة أخرى الى متابعة النظر في قصة ابراهيم بعد ان ولد له اسماعيل فنقرأ في الفقرة الخامسة عشرة وما بعدها من الفصل السابع عشر من سفر التكوين ان الله تعالى يرفع منزلة سارة زوج ابراهيم ويبشره بانها ستلد ايضا ولدا ذكرا تسميه : « اسحاق » .

ويقول الرب لابراهيم انه سيجعل عهده مع اسحاق عهدا ابديا لنسله من بعده . ويطمئنه على ابنه اسماعيل فيقول انه سيباركه ويكثر نسله فينجب اثني عشر رئيسا وتكون منه امة عظيمة . ويعود الرب فيقول :« ولكن عهدي اقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة » . (التكوين ١٧ : ١٨ – ٢١)

ولما عرب اسم اسحق جعل حرف المضارعة الفا للسبب الذي من اجله جعل هذا الحرف الفا في اسماعيل . وجعلت الصاد سينا للتخفيف . وقد ورد هذا العلم بالسين في مواضع اخرى من العهد القديم العبري .

وكانت حركة المقطع الاخير من هذه الكلمة في الأصل الفعل فتحة قصيرة هكذا :

יִצְחַק فلما جعل الفعل علما منقولا

وقع النبر على هذا المقطع الاخير فطالت حركته وجعلت فتحة طويلة وللسبب السابق ذكره لم تظهر الفتحة الطويلة اى الألف في الرسم العربي . وهنا اقرر ما سبق ان قررته من قبل ، وهو انه يجب ان تكتب هذا الاسم هكذا « اسحاق » ليكون الرسم مطابقا للنطق .

وقد ذكر في التوراة ما يفيد ان الابن الثاني لابراهيم قد اطلق عليه هذا الاسم اما لان سارة ضحكت حينما بشرت بانها ستلد ، واما لأن ابراهيم قد سر حينما بشر به ، واما لأن الناس قد ضحكوا عجبا من ان تلد عجوز وشيخ بلغ من العمر مائة عام .

ويرجح بعض الباحثين ان السبب في اطلاق هذا الاسم على ذلك الوليد هو ما شعر به والداه من الفرح والسرور عند ولادته (التكوين ١٨ – ٦)

ونتابع النظر في قصة اسماعيل واخيه اسحاق فنجد ان كاتب التوراة يحابي اسحق ، وينحاز الى جانبه انحيازا مكشوفا ، فينسب الى الرب انه يقيم عهده مع اسحاق وحده ، ويترك اسماعيل ، ويحاول ان يخفي هذه المحاباة فينسب الى الرب ذلك الكلام الذي قيل عن اسماعيل ورؤيته .

وليس من الصعب ان تدرك السر في هذه المحاباة المكشوفة ، فانها صادرة من اسرائيلي من نسل اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق !

لعلك تقول : « ومن يحابي جده فما ظلم » . فاقول انما يكون ذلك مقبولا الى حد ما اذا كان المتكلم شخصا عاديا يتحدث في امور عادية ، اما اذا كان رجلا مسئولا امام الله وامام ضميره وامام التاريخ عن كل ما يقول او يكتب فمن الواجب عليه ان يكون نزيها ، وان يتوخى الصواب فيما يكتب خشية ان تكشف الايام عن محاباته فينفضح امره ، وتضعف ثقة الناس به بل تنعدم .

وسنزيد هذا الامر وضوحا في عدد تال من اعداد هذه المجلة القراء ان شاء الله . « حامد عبد القادر »



التاريخ الاسلامي

الجمل ء

والمذهب المادى فى التفسير

بقلم : فتحى عثمان

(١)

منذ يناير ١٩٦٥ تتابعت أعداد مجلة « **الكاتب** » تحمل لرئيس تحريرها الأستاذ أحمد عباس صالح حلقات متصلة تتناول أحداث التاريخ الاسلامى فى عهد رسول الاسلام والخلفاء الراشدين تحت عنوان « الصراع بين اليمين واليسار فى الاسلام » وقد نهجت هذه المقالات أن تعرض لهذه الفترة من تاريخ الاسلام من وجهة نظر معينة يجليها فى المقالة الأولى كما يلى :

« فاذا كان القرآن الكريم قد حرم الأعمال المصرفية ، وهى الضربة القاصمة لراسماليى مكة ، كما وضع قواعد للتجارة لا تعرف الاحتكار او التحكم فى سعر السلعة ، وجعل لولى الأمر أن يتدخل فى البيع والشراء فيحدد السعر ويعاقب المخالف ، فكل ذلك هو ما كانت تأباه قريش ، وهو الذى جمع سراة قريش ووحدهم لقتال الاسلام والقضاء عليه ، وهو نفسه الذى حدد من اللحظات الأولى موقف الكتل السياسية ، ومختلف الطبقات الاجتماعية المؤيدة والمعارضة له » .

والاهتمام بالعامل الاقتصادى وتقديمه فى النظر الى أحداث التاريخ أمر لم يعد محل خلاف فى ذاته ... فنحن نقرأ لابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ ـ ١٤٠٦ م) قوله :

« فالقانون فى تمييز الحق من الباطل فى الأخبار بالامكان والاستحالة ، ان ننظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضا لا يعتد به ، وما لا يمكن أن يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهانى لا مدخل للشك فيه » .

والقوانين الاقتصادية من نواميس العمران بغير جدال ، وينقل ابن خلدون عن رجال من الفرس فى ختام هذا الفصل هذه الكلمات :

« ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة ، ولا قوام للشريعة الا بالملك ، ولا عز للملك الا بالرجال ، **ولا قوام للرجال الا بالمال ، ولا سبيل الى المال الا بالعمارة** ، ولا سبيل للعمارة الا بالعدل .. » .

« الملك بالجند ، والجند بالمال ، والمال بالخراج والخراج بالعمارة ، والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال » .

ويقدم ابن خلدون فى مقدمته مبحثا « **فى اختلاف أحوال العمران فى الخصب والجوع ، وما ينشأ عن ذلك من الآثار فى أبدان البشر وأخلاقهم** » وصل فيها الى القول بأن « أثر الخصب فى البدن وأحواله يظهر فى حال الدين والعبادة » ، وأننا « نجد حال أهل المدينة الواحدة مختلفا باختلاف حالها فى الترف والخصب »

كذلك عقد ابن خلدون فصلا فى « **أن تفاضل الأمصار والمدن فى كثرة الرفه لأهلها ، ونفاق**

الأسواق انما هو فى تفاضل عمرانهـــا فى الكثر والقلة » • كما توصل الى أن العمل هو أســـاس القيمة » **فلا بد من الأعمال الانسانية فى كل مكسوب ومتمول** ، لأنه ان كان عملا بنفسه مثـــل الصنائع فظاهـــــر ، وان كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانسانى كما تراه ، والا لم يحصل به انتفاع ••• واذا تقرر هـــذا فاعلم أن ما يفيده الانسان ويقتنيه من المتمولات : ان كان من الصنائع فالمفاد المقتنى منه قيمة عمله وهو القصد بالقنية ، وقد يكون مع الصـــنائع فى بعضها غيرها مثل النجارة والحياكة معهما الخشب والغزل ، الا أن العمل فيهما أكثر ، فقيمته أكثر ، وان كان من غير الصنائع فلابد فى قيمة ذلك المفاد والقنية من دخول قيمة العمل الذى حصلت به وقد تخفى ملاحظة العمل ، كما فى أسعار الأقوات بين الناس فى الأقطار التى علاج الفلح فيها ومئونته يسيرة ، فقد تبين **أن المفادات والمكتسبات كلهـــا أو أكثرها انما هى قيم الأعمال الانســـانية** • • واعلم انه اذا فقدت الاعمال أو قلت بانتقاص العمران تأذن الله برفع الكســـب » (مقـــدمة ابن خلدون ـ بتحقيق الدكتور وافى حـ ١ ص ٢٦٥ و٢٦٧ ـ ٨، ٣٣٨ ، ٣٤ ، حـ ٣ ص ٨٥٩ ، ٨٩٦ ـ ٧) •

ولا نظن ان ثمة غضاضة فى النظر الى التـــاريخ الاسلامى من شتى الزوايا ، ولا فى الذهـــاب فى تفسيره مع مختلف مذاهب التفسير •

ولكن حتى لا يطغى حماس (المذهب) على دقة (المنهاج) ـ وهو أصل العلم الأصيل ، ينبغى أن تتوافر فى التفسير ضمانات مثل :

• ان يأتى التفســـير تاليـــا **لثبوت الواقعة التاريخية ، ومع الطابع العـــام للمجتمع فى العصر والبيئة اللذين تدرس فيهمـــا الواقعة ومع ظروفه ككل ، والا يكون متعارضا مع واقعة او وقائع تاريخية اخرى ثابتة** •

• **الا يبلغ بنا الحماس المذهبى درجة ان نمنح التفسير (يقين) الثبوت التاريخى نفسه ••• ان التفسير رأى فى نطاق (الذهن) لاحدث فى مجال (الواقع)** •• انه لا يعدو أن يكون (فرضـــا) أو (نظرية) تعرض (احتمالا) من الاحتمالات ، أو على أحسن الاحتمالات (ترجيحا) من الترجيحات ، واذا كان العلم فى مجالات الطبيعة والحياة لا يعرف الكلمة النهائية ، وهو يفرق بين الغرض والنظرية والقانون ، فأولى أن يكون ذلك فى مجالات الدراسات الانسانية ، وبخاصـــة فى مجال تفســـير الوقائع لا تحقيقها •

وحين تراعى الضمانات •• فان التاريخ الاسلامى يثرى كثيرا عن تسليط الاضـــواء على أحداثه من شتى الاتجاهات ، وفقا لاختلاف مذاهب التفسير . من جغرافى ـ ومناخى أحيانا على وجه التخصيص (نظرية هانتنجتون فى دورات الجفاف مثلا) ، الى سلالى ، الى اقتصادى الخ الخ ••

فلننتظر اذن الى **الصراع بين اليمين واليســـار** فى هذه الأضواء •

الصراع بين اليمين واليسار فى الاسلام :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ **أحمد عباس صالح** مقالات ••• تناول فيهـــا الاحداث التاريخية فى صدر الاسلام : فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين•

ويثور تســـاؤل مبدئى : أى (**يمين**) ؟؟ وأى (يسار) ؟؟

ما هو ذلك (اليمين) وذلك (اليسار) بالنسبة لتلك الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام ؟؟

اليمين ••• يمين بالنسبة لماذا ؟ واليسار ••• يسار بالنسبة لماذا ؟

ان الأســـتاذ ديفيرجيه يعرف « اليمين » فى محاضراته لقســم الدكتوراه بجامعـــة باريس بأنه الاتجاه الى المحافظة على الوضع القائم ، أما اليسار فهو يدل على النزوع الى التغيير ••• ودائرة معارف كولومبيا تصف اليمين بأنه محافظ نسبيا واليسار بأنه نزاع الى الجذرية فى النظر الى الوضع ومحاولة علاجه •

فما هو الوضع القائم فى صدر الاسلام الذى أراد (اليمينيون) المحافظة عليه ؟؟

هل هو وضع (الجاهلية) السابقة على الاسلام •• أم هو الوضع الذى دعا اليه وأقامه الرسول عليه الصلاة والسلام ؟؟

ان الأستاذ عباس صالح يجعل رسول الاسلام على رأس (اليسار) فهو « ••• زعيمه وواضع

مبادئه الأساسية (ص ٤٥ – ع ٤٦) ، فهل يكون المسلمون (اليمينيون) هم الخارجين على سنة رسول الاسلام ؟؟

لعل الاستاذ الكاتب يقصد مايعبر عنه فيمصطلح الأحزاب الأوربية بـ (يمين اليسار) ••• وعلى كل حال لنترك الاستاذ عباس صالح نفسه يشرح لنا مدلول اليمين واليسار عنده بالنسبة لهذه الفترة من تاريخ الاسلام :

وكما يحدث في أي ثورة فاننا نرى فيالطليعة المؤمنة بالدين الجديد ثلاثة تيارات : احدها يسار ثوري ، والثاني وسط معتدل ، والثالث يمينمحافظ ومن البديهي أن **اليسار الثوري يتكون من المعدمين والموالي والعبيد وهم الذين وضحت رؤيتهم للاسلام بسبب تحررهم من أي ملكية ، أما الوسط فمنهؤلاء الرجال العمليين** الذين كان عليهم انقاذ الاسلام بعد وفاة النبي من الصراع الذي يوشك أن يحتدم بين اليسار الذي يفسر الاسلام تفسيرا يحقق العدل على أوسع نطاق ، واليمين الذي يرى أن الاسلام لم **يرم الى الغاء الامتيازات الطبقية** لم يقصد الى تحقيق العدل الاجتماعي على هذا النطاق الواسع (ص ٤٢ – ع ٤٦) •

ولكن كيف قبل الرسول (اليساري) هؤلاء اليمينيين في صفوف الاسلام وكيف اثنى عليهم وبشرهم بالجنة ؟؟

لقد كان بين السابقين الى الاسلام ابو بكر وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله ••• كما كان في مقدمة المسلمين على بن أبي طالب وزيد بن حارثة ، وأسلم بعد ذلك خباب بن الأرت وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ••• الخ وهكذا سبق الى الاسلام أغنياء وفقراء ، أقوياء وضعفاء ،أحرار وموالي ، عرب وعجم تجار رأسماليون وعمال محترفون •••

فاين كان (اليمين) في هؤلاء ••• وأين (الوسط) ••• وأين (اليسار) ؟؟

وكيف أغضى زعيم اليسار عن (وصولية) اليمينيين ؟؟ أو تقبل اليمينيين (ثورية) اليسار؟؟

في عهد رسول الاسلام
(زعيم اليسار وواضع مبادئه)

لنقرأ معا عن (كتب السيرة) : انها « للأسف لا تحاول أن تتعمق أسباب الصراع الى أبعد من المظاهر الدينية ، ولكنها على كل حال تقدم لنا المادة التي نستطيع منها ان نضع أيدينا على الأسباب المادية في الصراع ضد الاسلام ••• » (ص ٤١ : ع ٤٦) •

وليس في الأمر ما يوجب الأسف ••• فالتاريخ انما يعرض الوقائع أما تفسير الوقائع فشيء متروك لـ (فلسفة التاريخ) وهي تتضمن الكثير من المنازع والاتجاهات !

التشريع الاقتصادي في الاسلام :

يقول الكاتب : « انه حرم الربا ، وبالتالي الغى جميع العمليات المصرفية التي كانت عماد الحركة الاقتصادية في مكة ، والاسلام يصدر تشريعات **بعدم دخول المشركين مكة** وهم عندئذ غالبية العرب، وما كان العرب يحضرون الى مكة الا لأنها سوق يبيعون ويشترون فيها ، ولذلك ثار التجار وتخوفوا لن تبور تجارتهم •• ونفذ هذا الحكم بالتحريم وصار للتجارة مركز ثانوي • وجاء ايضا في الكتاب الكريم ما يؤكد ثانوية التجارة (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) فاذا كان القرآن الكريم قد حرم الاعمال المصرفية وهي الضربةالقاصمة لرأسماليي مكة ، كما وضع قواعد للتجارة لا تعرف الاحتكار أو التحكم في سعر السلعة ، وجعل لولي الأمر أن يتدخل في البيع والشراء فيحدد السعر ويعاقب المخالف ، **فكل ذلك هو ماكانت تاباهقريش وهو الذي جمع سراة قريش ووحدهم لقتال الاسلام والقضاء عليه ، وهو نفسه الذي حدد من اللحظات الأولى موقف الكتل السياسية المختلفة منه وموقف الطبقات الاجتماعية المؤيدة والمعارضة له ••• » (ص ٤٠ – ١ ع ٤٦) •**

ومن قبل أشار الدكتور **طه حسين** الى مثل ذلك في حرص ذاكرا أن هذا مجرد رأي شخصي (يكاد) يعتقده « ••• حتى لأكاد أعتقد أنه لو دعاها الى التوحيد دون أن يعرض للنظام الاجتماعيوالاقتصادي ودون أن يسوي بين الحر والعبد وبين الغني والفقير

وبين القوي والضعيف ودون أن يلغي ما ألغي من الربا ودون أن يأخذ من الاغنياء ليرد على الفقراء . أقول لو دعاهم النبي الى التوحيد وحده دون أن يمس نظامهم الاجتماعي والاقتصادي لاجابه كثرتهم في غير مشقة ولا جهد ، فما كانت قريش مؤمنة ايمانا صادقا ، وما كانت قريش الا شاكة ساخرة تتخذ الأوثان وسيلة لا غاية ، وسيلة الى استهواء العرب واستغلالها (كتاب الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين ، ج ١ عثمان ص ١١) .

ولسنا ننكر بالطبع أهمية العامل الاقتصادي بالنسبة لقيام المعارضة ضد الاسلام ... ولكن ينبغي الا تطغى (المذهبية) على (المنهجية) ...

فالتشريعات المذكورة كلها متأخرة الحدوث ... تحريم الربا ، وعدم دخول المشركين مكة ، والتشريع بوجه عام مدني وتجاري ، كل هذا حدث بعد الهجرة الى المدينة ، ومنه ما حدث في أواخر حياة الرسول ، فكيف يكون «هو نفسه الذي حدد من اللحظات الأولى موقف الكتل السياسية منه ، وموقف الطبقات الاجتماعية المؤيدة والمعارضة له ... » !!

ان عقيدة **(لا اله الا الله)** نفسها هي صيحة تحرير .. ولقد أقبل المستضعفون على دعوة المسيح عليه السلام وهي لم تتضمن برنامجا تشريعيا اصلاحيا كان أو ثوريا ... ولكن هذا التحرير يستهل من (أعماق) النفس ، وتثمر هذه الحرية ثمارها في شتى مظاهر السلوك ومختلف مجالات الحياة ، لكن ينبغي ان توضع القضية وضعها الصحيح ، ولا تصير النتائج مقدمات ، ولا تعتسف الوقائع التاريخية للتدليل ، بتقديمها سنوات وسنوات !!

ويكفي شاهدا على الاعتساف والاستدلال بالآية : « واذا رأوا تجارة أو لهوا ... » الخ على ثانوية التجارة ، فهل عطف التجارة على اللهو يشعر أنهما بمنزلة سواء ؟ وأين اذن كل النصوص التي وردت في التجارة والتشريع للتجارة ؟ « الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح الا تكتبوها ... » الى غير ذلك من النصوص !! ومنها ما وضعه الكاتب في مستهل مقالاته منسوبا الى علي بن أبي طالب « ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا .. فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق **وجلابها من المباعد والمطارح** في برك وبحرك وسهلك وجبلك .. » !

والكاتب يتجاهل نصوصا وردت عن النبي رفض فيها أن يحدد الأسعار ، لسبب من الاسباب !

وهل من أصول **(التفسير المادي)** نفسه ، أن يفترض في الاسلام أن يطفر ليقفز فوق مراحل وأطوار سلكتها الانسانية واستغرقت قرونا ، ليقرر (ثانوية) التجارة ، في بيئة تعيش على التجارة ، وعصر لايستطيع أن يعيش بغير تجارة ؟ هل ينسى الكاتب أن نزعة (التجاريين) كانت هي السائدة في مطالع عصرنا الحديث ذاته ، وكانت الصيحة الغالبة « دعه يعمل ، دعه يمر » .

« **فتحي عثمان** »

يتابع الأستاذ علي أحمد باكثير نشر مسرحيته

الكوميدية «حبل الغسيل» ابتداء من العدد القادم

نظرات

الجمل

للدكتور أحمد كمال زكى

حول مؤتمر بغداد

ماذا فعلوا فى بغداد ؟

أنا أسأل عن الأدباء والعلماء الذين أوفدوا الى بغداد باسم الفن اولا ، عندما يكون عملا انشائيا وعندما يكون تخطيطا مدروسا من اجل مستقبل اكثر جدة وجدية واسأل باسم البلد الذى مثلوه ثانيا لانهم – وقد اختيروا من قبل مسئولين – الصفوة التى تستطيع أن تقدم ما يعجز عنه غير الصفوة .

فى هذه الحدود اسأل ، وليس يعنينى اذا جرى قلمى الى ما قد يفسر بأنه غمز أو لمز أن يقال : موتور ! فانا اعترف بأنى دهشت وتألمت عندما لم يخترنى المسئولون مع ان بين ايديهم ان الرسالة التى اظفرتنى بالدكتوراه كانت عن ادب البصرة قديما ، وان كتابين آخرين ناقشت فيهما حياة بغداد وتاريخ بغداد صدرا لى مؤخرا واحدهما فاز بجائزة الدولة لعام ١٩٦٤ ، الاول عن الاصمعى والثانى عن ابن المعتز .

وكانت دهشتى أكبر عندما رأيت فى الموجودين عددا اعتاد غشيان المهرجانات الأدبية حتى كأنما اصبحت حكرا له ، او حتى كأنه هو القادر – وحده – على أن يمثل الفن والعلم ويحمل ودودا غصن الزيتون يلوح به فتهش له كل الوجوه .

برغم هذا فان سؤالى يقف عند الحد الذى يقصد به الحقيقة فقط ، وفى داخل الاطار الذى رسم للمؤتمرين سواء اكان الاختيار دعوة مقدمة من حكومةالعراق الشقيق ام قاعدة وضعها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة .

على انى احسب أن المناقشة تكون أجدى لو وضعنا هذه الحقائق التالية أمامنا .

اولا – هناك ادباء وعلماء دعوا للسفر فاستعدوا بالشعر والأبحاث العلمية ، ولم يسافروا .

ثانيا – هناك أدباء وعلماء وصلوا الى بغداد واسهموا فعلا فى نشاطه بامكانياتهم التى لايمكن نكرانها .

ثالثا – وجود محصلات فكرية فنية تتوزع بين الشعر والبحث والاقتراح .

***

وعلى الرغم من خطورة كل من البحث ومااقترح فى المؤتمر فاننى سأبدأ بالشعر محاولا تقييمه – من وجهة نظرى الخاصة – لأضع اجابة عما سألت عنه ، ولأبين موضوعيا حقيقة من حمل غصن الزيتون فى بلد الرشيد ، وسيكون من الضرورى مناقشة هؤلاء الشعراء الذين لم يظفروا بشرف تمثيلنا مع انهم دعوا للسفر بطريقة او بأخرى ،

فنتاجهم من غير شك يلقى مزيدا من الضوء على معنى ان نمثل في الخارج اى تمثيل .

واحب ان ابدأ هنا بشاعر كبير يريد ان يعيش في الظل وهو نور ، ويلقى على عاتقه معظم ما أصاب القصيدة الحديثة من تجديد مضمونا كان او شكلا، ويدلل دائما على ان القصيدة قوة كامنة وراء « هندسة » الأبيات وان كان ثمة ما يميزها فالطاقة التى تجمع أسباب الحياة . لا كما نعيشها وانما كما تبدو من خلال لحظات التأمل .

اريد ان ابدا **بمحمود حسن اسماعيل** وقد القى قصيدتين احداهما بعنوان «بغداد» وهى التى تعنينى لانها اعدت اعدادا متانيا للمهرجان ، وفى اثناء وجوده بالكوفة انشد «نادى الضياء» التى نشرت بالرسالة شبه مرتجل وكان فيها كأى شاعر يصدر عن « الجماعية » التى لا يعنيها الا « خلق » النغمة الشائعة .

اما «بغداد» فأحسب انها لفتت المتمهرجين بايقاعاتها وتوزيع انغامهـا توزيعا معقدا خرج به - فى رايى - عن نوتة الخليل الصارمة . ولقد استخدم الرجز ، ولكنه استخدام تفعيلة كما يفعل اصحاب الشعر المرسل وليس استخدام بيت . ولو ذكرنا ان هذا البحر الذى يأتى فى خمسة اضرب باربع اعاريض منها المنهوك المتضمن تفعيلة واحدة فى كل شطر ، والمشطور فى ثلاث ، والمجزوء المتضمن تفعيلتين فى كل شطر .. اذن لعرفنا كيف خالف محمود حسن اسماعيل هذا النظام المقرر أولا فى استخدامه تفعيلات خمسا بقافية ذات روى موحد ، وثانيا فى استخدامه مجزوءه بعروض وضرب لم ينص الخليل على شكلهما وكان بعض ابتكارات العباسيين ، فهو ينشد :

لو اننى ملاح بحر الحدث تحت الدجى رياحه
واصبحت قلوعه جنائزا شلت بها جراحه
وسمرت آفاقه وارتد موءود الصدى نواحه

ويتبع بالمجزوء فى اربع تفعيلات تقليدية ؛ ليعقب ثانية بالبيت ذى التفعيلات الخمس قبل ان ينشد :

فنهرها ملاح
فى لجة الحياه
فى كفه مصباح
عب الدجى سناه
ورفة الرياح
تجرى على مداه
والعاصف المجتاح
تغدو به صلاه

ويختم المقطع كله - والقصيدة ذات ثمانية مقاطع تجرى على هذا النسق بصرامة والتزام مخلص - ببيتين خماسيين . وليس من شك فى ان تكرار المقاطع على هذا النحو يشكل توزيعا اوركستراليا مركبا ، ولكنه محير يقتلع الشعور اقتلاعا ولاسيما بما يزجيه من صور لاتوجد الا عند محمود حسن اسماعيل .

لقد قيل لى ان بعض من حضروا المهرجان تخبط فى الحكم على قصيدة بغداد ووصفها بالغموض ، فمتى كان الجمهور وحده محك التقدير ؟ ان شاعرا كابى تمام او كابى العلاء - ولم يذع شعره بين العامة - لغموضه وتعقيده - ظل دائما حيث وضع نفسه على القمة .

وادع محمود حسن اسماعيل فى قمته لالتقى بشاعر الشباب الشيخ ، الذى تخصص فى البحر «الخفيف» مشرقا ومغربا ثم عائدا كما يعود السندباد !

انه **احمد رامى** فى سينية عجيبة المنشورة بهذا العدد ، وجد فيها بعدا جديدا يؤدى الى المزيد من درايته بدنيا العباسيين ، وعندما اراد ان يتمثل ما تمثله فى « الخيام » لم ينس « أبا نواس » و (العباس بن الأحنف) فكانت سينيته امشاجا خيامية ونواسية وأحنفية ، يقول :

فى هوى بابل وحب النواسى
جئت اسرى على هدى احساسى
املا العين من مباهج بغدا
د واسعى الى حمى العباسى

ولما كان تكنيك الشاعر فى تلك القصيدة لايخرج عن تكنيك العموديين فاننى اتركه الى المضمون ، حيث يبدو نطاق المشاعر التى يلتقى فيها الشاعر بمستمعيه محدودا . ولكنه لايلبث ان يتسع - ولا سيما عندما تخدر الاذن - بايقاع السين المسبوقة بمد الالف ، مع اشباع الايقاع نفسه بياء طويلة . وتصبح التجربة بعد ذلك نغما ينتظم كل بغداد منذ كانت الى ماتكونه اليوم ، بغداد العلم وبغداد الفن وبغداد الجهاد وبغداد الوحدة !

واذا كان الرئيس عارف علما ، فأمس كانت اعلام · ولكن من ينسى حافظ الجميل ايضا ومحمد القبانجي الذى فتن به حتى انشد له ـ فى الخفيف ـ بعد ان استمع الى غنائه ونظمه :

صادح دمعه على شفتيه
نغم تخشـع القلوب لديه

ويصر الشـاعر بعـد ذلك او قبل ذلك على ان يتحدث عن ام كلثوم وهو يريد أن يتحدث عن دنانير مغنية العباسيين المشهورة ، وتسعفه مودة سمحة وخبرة لا يسبر غورها سوى عاشق مدنف مثله :

هى قلبى يذوب فى اللحـن وجـدا
ودمـوعى جـرت على قـرطاسى
انا أودعتهـا حنينى الى بغـ
ـداد فى عهدها الجليل المـاسى

ثم لا نجد شيئا اكثر من هذا .. قفزات رشيقة وايماءات تثير الخواطر أو تنبهها فى دعة الى شيء كالحلم .. بلا رؤية محددة ، وان يكن لا ينقصها قط جرس موسـيقى ولا ايقاع عاطفة ! وتصبح القصيدة كلها بذلك متعة حسية ـ كما متع النواسى بكاسه ـ تملؤنا بالبهجة والرضى والأمان ·

والشـاعر الثالث ممن اختيروا للمهرجـان هو **صالح جودت** ، شـاعر الغزل الذى طالما حفظنا غزله ـ العمرى ـ فى سنى شبابنا المبكر ، وكان مع محمود حسن اسماعيل واحمد رامى مكونا من مكونات فن الشعر كله ·

وهو كالشاعرين زميليه لعب دورا فى حياتنا الأدبية ، فترجم للمسرح ، ونقـد ، وقص ، وشتم خصوم العرب فى شكل الشعر المرسل ·

وكانت قصيدته « تحيـة الى بغداد » من النوع الهين البين الذى لا يتعب خاطرا ولا يشيم طائرا ، ووقوعها فى « المتقارب » سهل لها أن تقع فى أخطر ما يهاجم به الشـعر العمودى واعنى « صخبيتـه » التى تقف عند شد الأذن ، مع أن صالح جودت ممن يعلمون قيمة البحر من حيث هو ايقاع ومؤثرات صوتية قائمة على مقاييس لها ما يبررها فى الداخل لحظة البزوغ والميلاد !

وانا لا افترض مطلقا أن الشاعر يجب أن يعرف طبيعة الأبحر كتفاعيل لهـا أبعاد وقوانين تنظم الزحافات والعلل ـ فمثـل ذلك كمن يطلب من العصفور أن يحفظ النوتة الموسـيقية ـ ولكنى افترض أن الشاعر كنصف عصفور يجب أن يصدر عن تلقائية تنتفض فى اللاوعى قبل أن تبدأ عملية التنظيم فى الوعى المثقف الذكى ·

ومعنى هذا ـ وان أكن استطردت شـيئا أن الشعر الكبير أو الشعر العظيم كما يسمى عند بعض النقاد هو الذى يستمد كيانه من بداهة اللاشعور وحصافة العقل · فهـو عفوية ومحاولات تنظيم ! والشاعر الشاعر من يجعله فيضا وجهدا وارادة ، على أن يبدأ به من حيث تكون تاراته مما يسرع فيه أتيه ويسـمح أبيه لا مما يبعد فيه قريبه ويستصعب ريضه كما يقول ابن قتيبة !

وتهيىء لنا تلك القالة الصـائبة أن نثير فى « تحية الى بغداد » قضية الأصالة كلها فنسـال : هل وفق صالح جودت فى الوصول الى الحالة الشعرية التى ينقاد فيها الصعب بحيث لا يبدو عمله كما لو كان صادرا عن ارتجال ؟

فى تصورى أنا أنه لم يوفق ، لأن المسالة كانت فى نظره أى شيء لأنه صالح جودت ! وباسـمه العريض والقائه الموفق ـ وهو كالشناوى من ابرز منشدى القصيد ـ يستطيع بايقاعات المتقارب البارزة المواتية أن يشغل مستمعيه عن المعاناة النفسية ·· عن التجربة ·· عن الفكرة التى لا تقنع بالانتقال من صورة الى صورة حتى ليقول :

اسـائل أين ليـالى الرشيد
وأين ملاعبـه الزاهـره
وأيـن النـدامى وأين العبيـد
يطوفـون بالكأس والنـادره

ثم يقول :

دعـانى اليكم بنى الرافـدين
هـواى بداركم العـامره
يسـائلكم عن مضـارب ليـلى
وطلعتهـا السـمحة الباهره

وبين القولين اقسام وتقريرات وهتافات تبرز من خلالها شهر زاد الجديدة التى تنبىء بأن عهـد الرشيد راح ، وكان الرشيد كان عربيد الف ليلة وليلة فقط وليس أعظم خلفاء العباسيين ـ باستثناء المأمون ـ علما وثقافة وتشجيعا للعلماء وعكوفا على البحث وقدرة على مصانعة أمثال الأصمعى والكسائى والمفضل الضبى والنظام !

بل وكان بغداد فى التصور الفنى ليست الا حانة كبيرة تعج بالجوارى ـ المدافىء فى الزمهرير والمراوح فى الهاجرة ـ وتصبح علما عليها شهر زاد ، ويصول فيها من يقتنى العبيد ويجلس الى الندامى حتى اذا عن لهذا الجبار أن يفكر فكر فى ليلى السقيمة الشاحبة الضامرة ٠

كلا ٠٠٠

واذا كانت المسألة مجرد نظم وصالح جودت قادر عليه بل هو من الذين يقدرون على المزج بين القوالب البلاغية المتداولة وما توحى به ألفاظ الخيال والهيام والدفء والكأس ونحوها ، فهو من هذه الناحية قد وفق وان يكن لا يخرج عن فلك على محمود طه ومن لف لفه ٠ وأما اذا كانت معاناة صادقة وتحديد رؤية أو رؤيا ، فليس من شك أنه فى ذيل التقليديين ، لأن صياغته لم تصل الى مستوى العظام منهم ٠

ومع ذلك فقد يجب أن أقول انه نجح نجاحا محدودا فى استغلال « تيمة » شهر زاد اذا صحت نظرته الفنية الى الرشيد وبغداد ، وانتهى الى أن العراق اليوم ـ وهو عراق الثورة ـ لم يعد طوعا للملوك بل طوعا لأبنائه فان الشعوب هى الآمرة ٠ وما آخذه هو لينه بعد أن نفخ فى الصور وغرس الكرامة والعزم ، وذلك باستعباره على ليلى الشاحبة المهجورة مع أنه الصيدلى ـ يريد الطبيب ـ الذى يصف الدواء وياله من دواء :

أنا الصيدلى وعندى الشفاء
وفى جعبتى الحكمة الماهره
دواؤك ليلى دعاء الى الله
يسرى الى السدرة العامره

وبعد ، فقد قرأت لهذا الشاعر الذى ضل فى المتقارب عدة أبيات كتبها لليلى أمية وهو فى الطائرة الى دمشق ٠ وفى رأيى أن هذه الأبيات أبرع وأروع من « تحية الى بغداد » كلها ، بل لعلها أروع شعره الأخير كله ، ولا أريد أن يسأل أحد : كيف ؟ ففيها النبض الدافىء والمعاناة الرشيدة !

وانتقل الى قصيدة **روحية القلينى** فى « حنين الى العراق » وهى من البسيط الفخم الضخم لألتقى بمن يريد ان يطاول السماء جاهدا ، ويذكرنى مطلعها :

نادى لهيف الهوى بغداد ناديني
من ماء دجلة يا بغداد روينى

بطبيعة بنائه ـ وليس عطاءه ـ بمطلع أكرم أحمد شاعر العراق الذى أنشد فى المهرجان :

سلسل غناءك طاب الليل والسهر
والأنس والكأس والأنغام والوتر

ولكن المقارنة تنعدم اطلاقا ٠ فبين روحية القلينى وأكرم مثل ما بين الشابى ومحمود حسن اسماعيل، دون أن يكون بين الشابى وشاعرتنا الجريئة أى تلاق على شيء ٠

ولقد كنت أظن ـ والبحر مسعف حقا ـ أن تضع روحية القلينى صورها قبالة « معنى » الرحلة لا سيما وقد راحت تحدد بالطريقة التقليدية حدود الوطن العربى :

فى الشام فى مصر فى بغداد فى يمن
هوى العروبة فى روحى وتكوينى

غير أنها برغم مقدرتها التعبيرية لم تنقل تجربتها الى الوقائع التى تضىء لنا أبعادها ٠ ان الأنماط التعبيرية التى ازدحمت بها قصيدتها لم تكن الا صورا يوحى بها التداعى ، ويساعد على رصدها خبرتان : رحلة قديمة فى بلد الرشيد وفكرة وحدوية ، وكلتاهما قائمة على ضرب من ضروب الأحلام ٠

والموصل الحرة الفيحاء عشت بها
بالعطر تصبحنى بالحب تمسينى
قولى لهم سنقيم المهرجان غدا
فى القدس قولى سنمحو كل صهيونى

ملحوظة : كان من الممكن استغلال مذبحة الموصل كفكرة شعرية رائعة ! وعلى الرغم من أن الشوق قاسم مشترك بين الخبرتين ـ مع فارق اساسى هو أن حلم النصر ليس مجرد كلام ـ فان الشاعرة لم تستطع أن تخرج من عزلة نفسية جعلتها تطفو على الأحداث ٠ فمن هؤلاء الصديقات اللائى كن يسهرن معها ؟ وكيف نقدر ليلة الوصل التى أذاقتهن المنى ألقا ـ كذا ـ على أن تصون الهوى بحق الوحدة ؟ بل ما علاقة « الصبر » بالحزن :

ما دمت ألقى جنود النصر تحمينى

وعندى أن روحيــة القلينى قد وقعت فى كل أخطاء العموديين عندما يعتمدون ايقاع الوزن وتوالى القوافى فقط ، وهى فى ترددها بين النغمية المطلقة ومحاولة البحث عن « مضمون » أو « موضــوع » على قاعدة الاثارة الأخلاقية بدرت امكانياتها كشاعرة من الممكن أن تقول شيئا له مغزاه ٠

ولا مجال هنا للاستعلاء على قيمة ما قدمته ـ فقد كان نظما على أقل تقدير ـ ولكننا لا نريد للشعر أن يكون مجرد قوالب تستغل فيه الاخلاق والمواقف السياسية مهما يكن لونها ٠ وانه ليصبح من السهل على أى بادىء أن يزعم أنه شاعر ما دام يستطيع أن يرجع الى كتاب فى العروض ثم يختار كليشهات حسب الطلب » ٠

ان روحية القلينى مجتهدة من غير شك ولهـا من الشعر ما ترتفع به على بنات جنسها ـ ولا أذكر الجنس الآخر ـ ولكنها يجب أن تعلم أننا كمتلقين نمقت شعر القوالب الجاهزة ، لأننا نحس بغريزتنا أن وظيفة القصيدة الجيدة ليست أن تقرر وتتصيد الصور بلا معاناة الا معاناة الرصف والتنظيم ٠

وبعد ، فقد سألتنى الشاعرة روحية قبل سفرها لماذا لم أختر فيمن وقع عليهم الاختيار ، وعندما قلت لها «لم أجد من أكلمه حتى أسافر» قالت ما معناه : ان شعرى وجد من يكلمه !

وأختم بشاعرة ناشئة أكبر الظن أنها وجدت من تكلمه، وهى **كريمة زكى مبارك** بنت الأديب الراحل الذى علمنا يافعين ونريد أن نفى له كهولا ، والذى كانت له فى العراق صولات تحدث فيها عن ليلى المريضة المدنفة ٠ لقد اختارت كريمة البحر الكامل لترحل فيه أو تعزف عليه ، وجاءت داليته « تحيتى الى بغداد » تبعا لذلك عامرة بالحركة ٠ واحسب أن ايثارها العروض التامة الصحيحة مع الضرب المقطوع « متفاعل » قد هيأ لها فرصة لا تعوض فى اقتناص النغمة الآسرة ٠ ولكن الشعر ـ كما قلت قبل ـ ليس مجرد أنغام ، كما أنه ليس صــورا مرصوفة مرصوصة ، واذا زدنا قلنا انه ليس كنزا لا ينضب من المعطيات اللغوية والبلاغية ٠ الشعر معاناة من أجل أن تضاف احدى الخبرات الفنية الى الحياة ، والشعر موسيقى لمعنى انسانى كبير !

ويؤسفنى أن أبدأ هــذه البداية وأنا بصــدد قصيدة كريمة ، الا أنه يشفع لى ما اعتزمته من طرح المجاملة من ناحية وضعف الصـــياغة الفنية فى القصيدة من ناحية ثانية ٠

والصياغة الفنية فى رأيى معناها بناء « المعانى الجدية » بكل أدوات البناء الرفيعة ، حتى الخبرة يجب أن تكون فى مستوى الجدية المنشودة ، ولكنها تقول :

يا مزمعـــا ســـفرا الى بغــداد
بلد الســلام وموطن الأمجــاد
ان جئت قلبك بالمحبـــة مفعم
ورأيت نهــر الخــير والاســعاد
فهنا العراق منـــابع العلم الذى
قـــد خلد الماضـــين من أجدادى
أنا لا أردد ما أقـــول تباهيـــا
فحوادث التاريخ من أشـــهادى
ان العراق نضــاله أنشـــودة
أشـــدو بهـــا لحنا الى أولادى
ســـبحانه القهـــار كرم عبده
عبد الســلام فكان فخر الوادى
عبد الســلام وناصر أهداهمـــا
للعـــرب ربى خـــيرة للرواد

المعنى الجدى ـ واريد به الذى يرتفع فـــوق الجزئيات المتداولة ـ معقود ، والأدوات التى تربط بين أجزائه واهنة ، والصور التى قد تثيرنا ـ على الرغم من نغمها المواتى ـ لا تثير الا كما يمكن أن تثير قراءة صحيفة من صحف الاقاليم ٠

لقد قرأت ذات يوم قصيدة للشاعرة نفسهـــا ونقدتها فى أحد أبواب هذه المجلة ، وقد نصحتها بشىء لا ازال أنصحها به ٠ ولكن هذا لا يعنى أن « تحيتى الى العراق » فى مســـتوى قصيدتهـــا الأولى ـ وانما يعنى أنها لا تزال فى أول الطريق ٠

واخيرا فقد بلغنى أن **شريفة فتحى** أنشـــدت قصيدة أيضا ، وأنشد مع المنشدين محمد التهامى ٠ ولقد كنت أرجو أن تكون قصيدتاهما أمامى وأنا أكتب هذا العرض ، اذن لأعطيت القارىء كل معالم صورتنا فى المهرجان ٠ واذ أقف أرجو أن أعـود الى حديث الشعر فى المرة القادمة ، مقدما هــذه القصائد التى أعدت للمهرجان ولم يهيأ لأصحابها أن يســـافروا ، فتركت من أجل أن تنسى وكيف ـ بالله ـ يطويها النسيان ؟

« د ٠ احمد كمال زكى »

التجاوب

بقلم : إبراهيم الإبياري

أما عن الدلالة اللغوية لهـذه الكلمة فما أظن أن عندي جديدا أضيفه الى ما حملته اياها كتب اللغة ، فهى تشرك فى مدلول الكلمة طرفين يأخذان ويعطيان فى الحديث ، يجيب هذا ذاك وذاك هذا .

وهى كما تدل على هذا الفعل بين الناس تدل على ما يقوم مقـامه بين الطير والحيوان ، يقـول الشاعر :

وممـا زادنى فاهتجت شـوقا
غنـاء حمـامتين تجـاوبان

أى : تتجاوبان

تجاوبتـا بلحـن اعجمى
على غصـنين من غرب وبان

الغرب والبان : ضربان من الشجر

ويقول شاعر آخر :

تنادوا باعلى سـحرة وتجـاوبت
هـوادر فى حـافاتهم وصهيل

فهو يصف ابلا تهدر وخيلا تصهل ، جاعلا ترجيع الابل لهديرها والخيل لصهيلها تجاوبا بينهـا ، يجيب الفحل الفحل والفرس الفرس .

وهذه الدلالة الحسية أفضت الى دلالة معنوية ، هى من الدلالة الأولى دون خروج على المعنى العام .

ولقد أصبحت الكلمة تدل على المشاركة والمشاكلة فى أمر من الأمور ، فاذا ما كان بين طرفين مشاركة على شىء أو مشاكلة فى شىء قيل : ان بينهما تجاوبا، يستجيب أولهـمـا لثانيهما كما يستجيب ثانيهما لأولهما . وكما تجاوز المعنى الأول الانسان الى غيره تجاوز هذا المعنى الثانى الانسان الى غيره ، فأصبح التجاوب يطوى فى ظله بهذا المعنى اللاحق ما قد يكون بين الطير والحيوان مما تجمع بين طرفين منه الفة ، ثم ما كان من المواد التى يكون فى احداها تقبل لآثار أخرى .

ونحن اذا قلنا ان ثمة تجاوبا ثقافيا او علميا او فنيا او أدبيا أو اجتماعيا ، نريد أن ثمة الفة بين ثقافة وثقافة أو علم وعلم ، او فن وفن ، او ادب وأدب ، أو فكرة اجتماعية وأخرى ، ولن نكون قد أبعدنا عن دلالة الكلمة بمعناها الجديد .

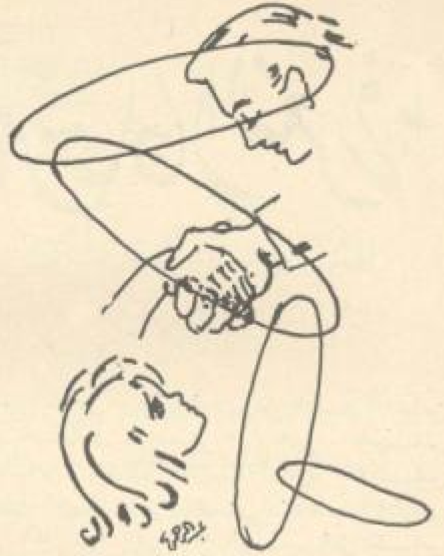
والتجاوب بهذا المعنى الاصطلاحى الذى انتهيت بك اليه هو سر النجح لكل ما فى الحياة من نجح ، تحس ذلك فى حياة الناس منذ خلق الناس ، فحين يكون التجاوب تكون الألفة والوفاق ، ويكون الأخذ والاعطاء ، ثم يكون الراى الذى يجمع الشـتات ويمضى الى السداد .

وما خالفت مملكة الحيـوان مملكة الانسان الا بعوزها الى هذا التجـاوب ، والأمم حين تنحط الى درك الحيوان فتخرج أمة على أمة ، تكون قد فقدت التجاوب .

ولا أحب أن أضيف الى مـا قلت التجاوب بين المواد الذى هو سر الوجود وسر بقائه ، فذلك أمر تغنينى عنه الاشارة ، وما هو من حديثى .

ولست أحب فى حديثى هذا أن أتناول التجاوب بمعناه العام ، بل قصدى أن أتناوله بمعناه الخاص، أتناوله فى بيئة معينة ، وأتناوله فى ناحية من نواحى الحياة بعينها .

قصدى ان أتناول التجاوب فى البيئة العربية ، وأن أتناوله فى ناحيـة الثقافة ، فأنا من الذين يؤمنون بأنه اذا لم يكن ثمة تجاوب ثقافى فى البيئة العربية فلن تكون وحدة ثقافية ، ولن يكون بعـد هذا ذلك الطابع المميز الذى تمتاز به أمة ، ولسوف تتفرق بها السبيل فاذا هى أشتات لا يدفع بعضها عن بعض ، وسرعان ما تتخطفها ثقافات مختلفة ،



فاذا الأمة القوية المجتمعة افراد فى أمم ، واذا هم قد ماعوا فى غيرهم بعد أن فقدوا كيانهم المتماسك ٠

وهذا التجاوب الثقافى الذى أنشده للبيئة العربية ليس فى كلمات تقال ، بل هو وعى بمقوماتنا كامل يجب أن نوقظه ونمكن له ونسهر على الذياد عنه ، لا نفرط فى القليل فنتدل الى التفريط فى الكثير ٠

وليست مقوماتنا كأمة عربية هى الشىء الذى أحب أن أعرف به أو أشير اليه ، فليس فينا بحمد الله من يجهل هـــذه المقومات التى تعبر عنها أول ما تعبر اللغة ، ثم أدبنا وعلمنا وفننا التى يحكيها تراثنا الخالد ٠

وانما الشىء الذى أحب أن أتحدث عنه هو هذا التجاوب الذى قصدت اليه فى هذا المقال ٠

فنحن اذا أجزنا للغة مثلا أن تعيش على السنة فئة وتموت على السنة فئات لم تحقق لها هـــذا التجاوب الذى هو سر بقائها وشيوعها وتدرجها ثم اتساعها وغنائها ٠ فاللغات لاتكتب لها الحياة النامية المطردة الا اذا شاعت لتأخذ من الكل وتعطى الكل وتكون لغة الكل أو ان هى عاشت قاصر لم تستوعب الحياة وفقدت قدرتهـــا على أن تجتمع الأمة كلهـــا عليها ٠

ولكى نحقق للغة شيوعها الذى اليه نهضتها يجب أن نحقق لها أولا التجاوب ، وهذا التجاوب لن يكون الا اذا جمعنا الفئات المختلفة عليها ٠

ولن يقعدنا عن هـــذا التجاوب أن اللغة جمدت لهجرنا اياهـــا حقبا ، فالاستسلام لليأس افلاس وتفريط ، وليس هو خلق ثورتنا على الجمود والخمود وهبتنا لما سيكون ٠

اذن فنحن ملزمون بهذا التجاوب ، ملزمون بأن نمكن له وندعو اليه ونؤاخذ على التفريط فيه ليكون تجاوبا كاملا نسمع صداه فى كل مكان ، لا تجاوبا ناقصا نسمع صداه فى ركن ونفقد صداه فى ركن آخر ، فنحن اذا ارتضينا هذا التجاوب الناقص لن نبلغ ما نريد من شـــيوع اللغة الذى سوف يقفها بعد قليل لغة كاملة تملى فى كل شىء ولا يعز عليها شىء ٠

وحالنا مع أدبنـــا ومع علمنـــا ومع فننا ليست تخالف حالنا مع لغتنا ، فالتجاوب فى هذه كلهـــا يكاد يكون مفقودا لا تحســـه الا فى أركان محدودة وفى محيطات معينة من أجل ذلك عاش الأدب كما عاش الفن ، وكما عاش العلم لا شيوع لواحد منهـــا هذا الشـــيوع الذى يظل الناس كافة فيأخذون ويعطون فى ظله ، فاذا الأدب والعلم والفن قد أخذ كل طريقه الى التجدد والتدرج والسعة والنمو ٠

وسوف يكفينا التجاوب هذه الدعوات الهادمة التى جاءت عن قصد حينا وعن ضعف حينا آخر ، فنحن اليوم بفقدان هذا التجاوب بين طامع فى النيل من مقوماتنا مقوما بعد مقوم ، وبين متســـهل يلين به تسهله الى أن يخلع عنه هذه المقومات مقوما بعد مقوم فاذا مكنا للتجاوب فوتنا على القاصـــد قصـــده ، ورددنا المتسهل الى التشدد ، ومضينا بكل مقوماتنا الى الأمام ، تشارك فيها الأمة العربية كلهـــا أخذا واعطاء ، واذا هى قد عادت اليهـــا الحياة ، واذا اللغة التى تستعصى اليوم على الحياة ســـوف تلين للحياة ، واذا أدبنا الذى جمد عن أن يثب ســـوف ينطلق ٠ وقل مثل هذا عن كل ما يتصل بمقوماتنـــا فنا وعلما وخلقا ٠

« **ابراهيم الابيارى** »



مهرجان الشعر في بغداد

في هـوى بابل وحب النواسي   جئت أسرى على هـدى احساسي
املأ العـين من مباهج بغـداد   وأسعى الى حمى العباس
وأرى دجـلة الذى فـاض بالخير عليهـا وماج بالايناس
ورفاقـا الى فـؤادى احبـاء   على العـين ودهـم والراس
جمعتنى بهم ديارى فكانـوا   فى مراح الصبى أعز الناس
فيهم « حـافظ الجميل » وفيهم صادح (١) فوق غصنه المياس
ذاك يلقى البيان سـحرا وهـذا   يزن المشـجيات بالقسطاس

***

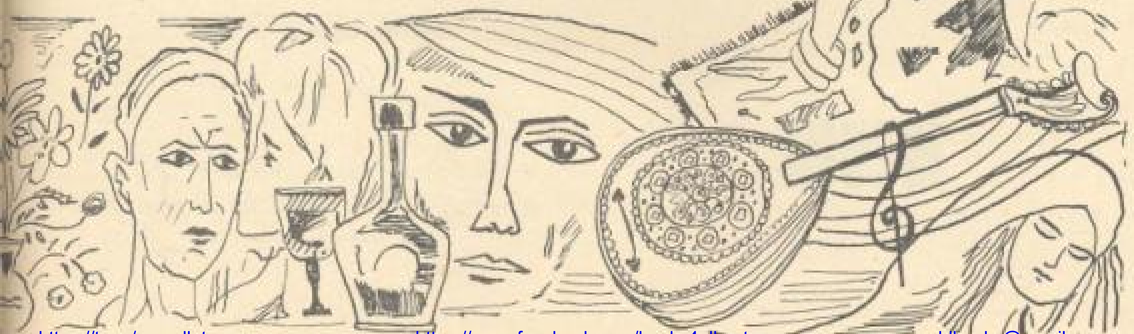
لم أزركم من قبل هـذى ولكن   سـبقتنى اليكم انفاسى
رددتهـا صـداحة الشرق انغامـا عـذابا ندية الأجراس
هى قلبى يذوب فى اللحن وجـدا   ودموعى جرت على قرطاسى
انا أودعتهـا حنينى الى بغـداد فى عهدهـا الجليـل الماسى
حيث هارون فى سـنى عـلاه   سيد الشرق فى الندى والبـاس
ودنانير فى المقاصير تشـدو   بالنسيب الشـهى من عباس (٢)

***

والجوارى يرسـلن وسوسـة الحلى ويرفلن فى بهى اللبـاس
يتهـادين فى الغلائل أطيـافا ترائى لسـابح فى نعـاس
ويرددن سـاحرات الأغاريد   على وقع مزهـر ونحـاس

---

(١) الموسيقار محمد القبانجى (٢) ابن الاحنف



للشاعر: أحمد رامي

هن في الروض بلبل يبعث الشجو وفي الخدر شادن في كناس
ايه بغداد والليالي كتاب ضم أفراحنا وضم المآسي
عبث الدهر في بساتينك الغناء والدهر حين يعبث قاسي
ودهاك المغول بالطلعة النكراء يبغون قطف ذاك الغراس
فتصديت للغزاة وجابهت أذاهم مثل الجبال الرواسي
ثم نافحت عن حمى الحق والشرق واصبحت شعلة النبراس
يقبس القابسون منك سنى العلم فتعطيهم بلا مقياس
وتديرين في الوجود منارا ثابت الركن مستقر الأواسي

***

يا بني العم آن ان نجمع الشمل ونبني على متين الأساس
ولنا بين (عارف) و (جمال) مستتب على المودة راسي
فاصنعوا المعجزات من عزمنا الماضي ومن صبرنا وطول المراس
وصلوا الحبل واستقلوا سفين النصر تبلغ بها امن المراسي
ثم نعلي للعرب أعلام مجد ونحيي معالم الاعراس
وانا بينكم اردد شعري وعلى ذكركم اشعشع كاسي

إميل جرجس

ولا استالينية أيضاً..

بقلم: محمد جلال كشك

يظن البعض ان المكارثية هي وحدها التي تضطهد الفكر وتطارد المفكرين ، وانها لذلك هي وحدها التي تستحق مقاومتنا، وتختص بلعناتنا .. وهم بذلك ينسون مبدءا هاما من مبادىء الجدلية . فالمكارثية لا يمكن أن توجد الا مع نقيضها ، وقد زالت بزوال هذا النقيض .. ونقيض المكارثية هو الاستالينية.. فعندما كان الناس يطاردون باسم مكافحة الشيوعية في امريكا ، وتفسر كل مواقفهم على اساس الولاء للحزب الشيوعي ، والعمالة لدولة اجنبية ، لمجرد انهم يعترضون على سياسة الاحتكارات الامريكية .. وعرف ذلك اللون من الارهاب الفكرى باسم المكارثية نسبة الى مخترعها وبطلها مكارثى الذى ثبت بعد ذلك انه منحل ومرتش .. بل لا يؤمن بحرف مما كان يقوله .. وعلى الجانب الآخر كان الناس يشنقون ، والفكر يطارد أو يصفع بسيور حديدية من التعريفات فى اعنف صور الحكم الارهابى المعروف باسم الاستالينية ، تحت ستار مكافحة الاستعمار والرجعية وحماية مصالح الجماهير الكادحة والخوف على الحزب الشيوعى والحركة الشيوعية الدولية .. ثم تبين أن ستالين قد قتل من أعضاء الحزب الشيوعى ، اضعاف ما فعلت به القيصرية ، وان ما من احد قد اضر الشعب السوفيتى والحركة الدولية مثلما اضرها ستالين ..



وخرجت البشرية بتجربة مريرة وغنية فى نفس الوقت ، هى ان المكارثية والاستالينية وجهان لعملة واحدة ، ونقيضان يعيشان معا ويسقطان معا ..

واشتراكيتنا ترفض المكارثية والاستالينية ، ترفض مطاردة الفكر ، وهى ايضا ترفض المخاتلة والمخادعة وان يعلن المرء غير ما ينوى ، وان يستغل مركزه وسلطته فى ان يسرب من الآراء غير ما اؤتمن عليه ورفع به .. ترفض ان يقول البعض ، ويأبون على الناس ان يردوا عليهم .. فالكلمة تواجه الكلمة والشيء يسمى باسمه ما دام الدليل يدعم هذه التسمية .. ولكن البعض الذى يصرخ مستعديا من المكارثية له منطق عجيب وغريب.

مثلا :

اذا قالت مجلة « الطليعة » ان الجامعة العربية منظمة سياسية تعدت « الحدود القومية الضيقة » ، وسلكتها ضمن منظمات مثل « مؤتمر الشعوب الافريقية الآسيوية » و « ومؤتمر الشعوب الافريقية » .

فلا يجب أن تعترض دفاعا عن قوميتنا العربية الواحدة ولا يجوز أن نقول ان هذا الكلام يعد اعترافا وتسليما بالتقسيم المصطنع بين الدول العربية .

واذا قلنا ان الميثاق والدستور قد نصا على انها امة واحدة وقومية واحدة ، وبالتالى فان هذا التعريف فى مجلة الطليعة يبتعد عن راى الميثاق والدستور .. اذا قلنا ذلك فنحن ارهابيون مكارثيون .. نستعدى الشرطة ونرعب المفكرين !

واذا كتبت « الطليعة » بحوثا تدعو لالغاء الملكية الفردية فى الارض ، فلا يجوز ان نعترض ، أو ان نستشهد بالميثاق والدستور ، وتصريحات قائد الثورة ومعلمها .. والا فنحن نرفع راية الارهاب وتخوف من الشيوعية !

واذا كنا نعلم ان معرف الجامعة العربية ، شيوعى بحكم القضاء ، وان للشيوعية والشيوعيين آراء ومواقف فى القومية العربية والوحدة العربية ، كلفتنا تجربة وحدوية ، وما لا يقل عن ثلاثين الف شهيد فى العراق .. فلا يجوز ان تقول ذلك ، لأن الذين يتحدثون عن الشيوعيين هم الرجعيون .. الذين اضيروا بالقرارات الاشتراكية ، ويفزعهم التطور الاشتراكى !

ونحن لم تصبنا القرارات الاشتراكية الا بالخير .. رفعت دخولنا ، وخفضت تبعاتنا ، وامنتنا من الخوف والجــوع .. ونتطلع الى المزيد من الاجراءات الاشتراكية ، فنحن كنا وسنظل دائما فى الجانب الذى يأخذ كلما أعيد توزيع الثروة .. بينما نعرف ويعــرف الناس ان معظم نجوم الفكر الماركسى ، اما قد مستهم الاجراءات الاشتراكية فى ثرواتهم ، او فى امالهم عن طريق المصاهرات ومع ذلك فنحن الذين لم تتملك لا نحن ولا آباؤنا منذ قرون ، رجعيون لأننا ندافع عن عروبتنا وعن ديننا.. عن المفاهيم التى حددتها اشتراكيتنا ونص عليها الميثاق ، والتزم بها الدستور ! ..

والنغمة المعيبة عند الذين يتحدثون عن اليمين والرجعية ، هى الزعم بان مهاجمة الشيوعية مبعثها الغيرة من الشيوعيين لأنهم السابقون بالدعوة الى الاشتراكية ..



ولعل هذا الزعم الذى يروجونه الآن انما يتكىء على عبارة وردت فى مقال الاستاذ « احمد بهاء الدين » عن قصة الشيوعية فى مصر .. عندما قال ان الذين آمنوا بالاشتراكية ايمانا متأخرا طارئا ، واكاد اقول منافقا ، بعد ان تحول الموج ، يهمهم جدا ان يتهموا كل من دعوا الى الاشتراكية منذ زمن بأنهم شيوعيون » ..

والحديث عن الذين دعوا الى الاشتراكية منذ زمن ، لا يمتد الى الشيوعيين بحال من الاحوال ..

الشيوعيون لم يدعوا للاشتراكية فى الوطن العربى .. لا قبل عبد الناصر ولا فى ظله .. بل عارضوا كل دعوة لها باعتبار ان مثل هذه الدعوة السابقة لأوانها تضليل ، لأن الاشتراكية لهـا ميقات معلوم ، بعد اتمام الثورة البورجوازية الديموقراطية ولها رجال موسومون ، هم الحزب الشيوعى ..

والشيوعيون كما قسمهم الاستاذ احمد بهاء الدين فريقان : « فريق مازال عند موقفه » .. اى اعداء للثورة والاشتراكية ، ورفض الميثاق والقوانين التى تمنع قيام تنظيم خارج الاتحـــاد الاشتراكى .. وفريق « اقتنع بعقم موقفه القديم » ..

واولئك هم الذين قال عنهم الرئيس انهم قد منحوا فرصـــة لعل « حالهم ينصلح » .. فهم ما زالوا تحت التجربة لم يثبت ايمانهم بعد .. او على افضل تقدير اول من كفر وآخر من آمن..

كذلك اشار الاستاذ محمد حسنين هيكل الى موقف الشيوعيين بعــد اعتراف خروشـــوف باشتراكيتنا بقــوله : انقسم معظم الشيوعيين العرب الى قسمين : قسم وافق طاعة وامتثالا .. وربما اقتناعا .. وقسم صعب عليه ان يتخلى عن المسلمات القـــديمة واعتبر ان خروشوف قد طعنه فى ظهره » .

فعلى احسن الفروض مرة اخرى ، ان ذلك القسم الأول ربما يكون قد اقتنع ابتداء من مايو ١٩٦٤ وهو كما ترى اقتناع اخير جدا .. وبعد ان اغرقهم الموج .. كما امن فرعون بعـــد ان انطبق عليه البحر ..

وذلك ينهى خرافة القول بأن الشيوعيين او الماركسيين هم الاشتراكيون الاصلاء ، لهم سبق الدعوة وفضـــل الارتياد ، وان الافراج عنهم كان اقتناعا بصحة ما دعوا اليه .. لا فان الافراج عنهم كما اعلن ، كان خطوة طبيعية مصاحبة لصــورة الحيـاة الدستورية وانتهاء القوانين الاستثنائية .. ولعل «حالهم ينصلح» فليس لهم بيننا مكان القائد ولا المعلم بل على احسن الفروض مكان التائب وندعو لهم بتوبة نصوح !

ثم يدور السؤال حول موقف اليمين .. يقال انه مذعور من الشـيوعية والشيوعيين ؟ .. غير صحيح .. فمتى كان اليمين يخشى الشيوعية فى مصر ؟ وماذا بقى لليمين ليخشى عليــه من الشيوعية ؟ بعد ان قصمت اشتراكيتنا ظهره وجردته من كل ما جمعه من استغلال الجماهير .. بل استطيع القول ان اليمين برغم كل ما يشيعه ويروجه فى خبث ـ اخر من يصـــدق ان بلادنا شيوعية او تسير نحو الشيوعية ..

الاشتراكيون هم الذين يقلقهم النشاط الشيوعى ، ولا اقول يتملكهم الذعر ، فما دام فينا عبد الناصر ، نفـديه بارواحنا واولادنا ، فلن يعرف الذعر سبيله الى قلب عربى ..

وقد اعترف كل من كتب فى موضوع الشـــيوعية حتى الآن بوجود فريق شيوعى ما يزال مصرا على موقفه متمسكا بتنظيمه ، معارضا حله .. فنحن لا نحارب اشباحا ولا نتخيل اوهاما ، ولما لم يكن فى سلطتنا او فى امكاننا معرفة من الذى حل نفسه ومن الذى « يتشرنق » .. فان حسبنا ان نناقش المواقف ..

والاشتراكيون يوقنون ان بلادهم ليست شيوعية ، ولن تكون لا لأنها محروسة بالاولياء ، بل ثقة بالزعيم ، وايمانا بالشعب ، ومن ثقتهم وايمانهم تصديهم للفكر الماركسى ومقاومتهم للتخريب الشيوعى حيثما كان ..

الاشتراكيون يؤمنون بدينهم وقوميتهم ، ويحرصون على المكاسب الاقتصادية التى منحتها لهم اشتراكية ناصر ، وبالنظام الديمقراطى الذى اقامته اشتراكية عبد الناصر .. والشيوعية ضد ذلك كله ..

قال الاستاذ احمد بهاء الدين فى تحديد الخلاف بين الشيوعيين والاشتراكيين :

« ان الشيوعى يرفض وجود الدين ويحارب العاطفة الدينية » « بينما الاشتراكى يعترف بالدين ويحترم الحرية الدينية » .

فهل يخاف اليمين على الدين ؟ ومتى كان لليمين دين ؟ .. وهو المتحلل الفاسق عدو الدين نصا وروحا !

اليمين ليس مذعورا .. بل لعله يسر اذا ما حاول الشيوعيون المساس بالدين او زعزعة فيه ..

والقلق انما ينتاب الاشتراكيين الذين يؤمنون بالدين .. ومن حقهم ان يعترضوا اذا وقف محاضر فى نادى الوافدين يقول انه لا يعتقد بالاشتراكية الاسلامية ، وان اشتراكيتنا تعترف بالدين حتى لا تلقى متاعب فى افريقيا .. ولا يغفر له ان يقول ان هذا رايه الشخصى ، فالراى الشخصى ليس مكانه نادى الوافدين ..

وقال الاستاذ محمد حسنين هيكل فى مقاله التاريخى عن خطايا الشيوعيين : « ان النشاة الاولى للحركة الشيوعية فى مصر وسيطرة اليهود الاجانب عليها ، سببت لها بعدا عن التيار الوطنى المتدفق .. واكاد اقول عزلة عن هذا التيار الوطنى » . « لم تستطع الحركة الوطنية ان تستكشف حقيقة التاريخ العربى الواحد ، والنضال العربى الواحد ، والمصير العربى الواحد » .

وقال الاستاذ احمد بهاء الدين ان الشيوعيين انكروا الاعماق الحقيقة للقومية العربية وعجزوا عن فهمها فى الوقت المناسب .

فلماذا يخاف اليمين على قوميته ؟ .. ومتى كان لليمين قومية؟! وقد باع بلادنا فى سوق الأحلاف والتبعية ، بل لم يتورع عن ضرب الوحدة دفاعا عن مصالحه ..

اليمين العميل يتمنى ان تصبح العمالة منطق الجميع .. فلماذا يخاف ولماذا يذعر ؟

الشيوعيون يؤمنون بديكتاتورية الطبقة ، وديكتاتورية الحزب الواحد .. فهل لهذا يخاف اليمين ؟ .. هل يتمتع اليمين بالسلطة ليخاف عليها ، الم يجرده تحالف قوى الشعب من سلطاته ونفوذه ؟ .. الأعقل ان تحالف قوى الشعب هو الذى يعارض ديكتاتورية الحزب الواحد .. اما اليمين فهو يتطلع الى هزيمة هذا التحالف . .

ام يخاف اليمين على ملكيته ؟ .. الشعب نزع هذه الملكية ، وتحالف قوى الشعب يسحق آمال واحلام اليمين فى استعادتها والهمسات الشيوعية ، والتفسيرات الماركسية انما تدور حول ملكية الشعب لا ملكية اليمين ..

الأقرب للاحتمال هو التقاء اليمين مع الشيوعية ، ولو بالأعمال دون الاتفاق المباشر ، فرصة الرجعية الوحيدة الآن هى التخريب والتشكيك فى طبيعة اشتراكيتنا ، والنشاط الشيوعى يعطيه المناخ المناسب لنشر تشكيكه ..

والتقاء اليمين والشيوعية ليس مستحيلا ، فقد رايناه اكثر من مرة ، وقد شهد بذلك الاستاذ احمد بهاء الدين عندما قال « ولما كان الاستعمار الاجنبى واليمين الرجعى فى المنطقة العربية كلها حريصا فى ذلك الوقت على تحطيم الوحدة ، فقد وقف الكل فى صف واحد مع الشيوعيين » (المصور ٤ مارس ١٩٦٥) .

اذن فقد تحالف الشيوعيون مع اليمين الرجعى والاستعمار الاجنبى .. وبديهية ان الرجعية هى التى تعادى الشيوعية بديهية فاسدة .. وقد حاربنا الشيوعية والشيوعيين فى معركة العروبة ١٩٥٩ ولم نسقط فى احضان الرجعية ، بل هم الذين سقطوا ..

ثم كيف ثار حديث الشيوعية والشيوعيين ؟! .. اذا لم تخنى الذاكرة كان اهم حديث هو مقال الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام ، الذى استعرض فيه بداية الشيوعية واستعانتها بالجنس والمال ، ونشاتها على يد اليهود الاجانب ، وعزلتها عن الحركةالوطنية واصطدامها بالثورة فى سنوات ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ .. اى جميع سنواتها الحاسمة ؟ واشار الى احتمال مساسهم بالدين او محاولة الانتشار الى حيز اكبر من حجمهم الحقيقى ..

ثم نوقش الامر فى اجتماع الرئيس مع الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى ، معقلنا الحصين ضد اليمين والرجعية ، وجاءت توضيحات الرئيس الحاسمة ..

وعلى اثر ذلك كتب الاستاذ احمد بهاء الدين قصة الشيوعية فى مصر ، معيدا للاذهان تحالفهم مع الاستعمار البريطانى والرجعية العربية وتامرهم على الوحدة ..

اذن فحديث الشيوعية قد نوقش من قبل مصادر لا تاتيها شبهة اليمينية او الرجعية .. والذين دافعوا عنهم اعترفوا جميعا بوجود فريق متمسك بالتنظيم الشيوعى ..

وقد سلمنا بان استمرار النشاط الشيوعى ، فضلا عن مخالفته لميثاق العمل الوطنى ، وتحالف قوى الشعب ، فهو ايضا يعطى اليمين فرصة التشويه والتشنيع والدس ..

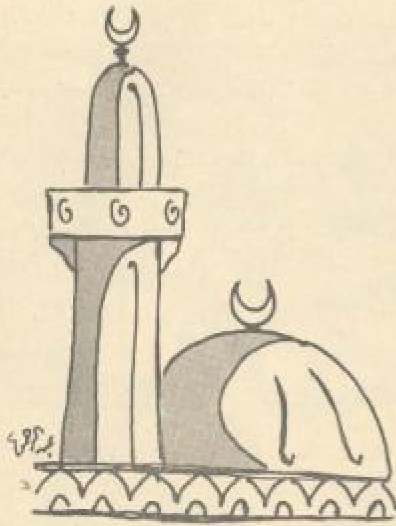
ولا شك ان مما يفسد دعايات اليمينيين وجود فكر اشتراكى معارض للشيوعية واضح فى معارضته اصيل فى خلافه مع الشيوعيين .

وكما ان اشتراكيتنا تتمدد وتقوى خلال صراعها مع اليمين فهى ايضا تكتمل ملامحها ويكتمل نموها خلال صراعها مع اليسار الماركسى وبالنسبة للشيوعيين .. ونعنى اولئك الذين اعلنوا ايمانهم بالاشتراكية العربية والميثاق والقانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى .. ان هذا الفريق مطالب بالتخلى تماما عن محاولة التميز .. محاولة ادعاء حق لنفسه باسم « الاشتراكيين الأصلاء » او توهم ان المجتمع مطالب بتعويضه ماديا عن سنوات الابعاد التى كفر بها عن موقفه الخاطىء والمنحرف فى فلة من احرج لحظات الأمة العربية .. وبقدر مابتجح فى جعل الأمة تنسى انه كان ماركسيا وعاش فترة الفتنة القاسمية ، بقدر ماتكون فرصته فى الخدمة اكبر .. فالتنظيم قد يكون مجرد شلة تحاول ان تنال وضعا خاصا بغير مؤهلات الا الحلقية والادعاء والتعصب ضد الآخرين والزعم بان دور الذين بنوا الاشتراكية قد انتهى بخروج اصحابها الشرعين من السجون والمعتقلات !

بذلك نقطع الطريق على اليمين الرجعى .. ونسحق المكارثية والاستالينية أيضا

محمد جلال كشك





العقاد وموقفه.. في الدفاع عن الإسلام

بقلم: محمد عبد الله السمان

(٢)

كلما قرأت للعقاد شيئا في الاسلام تمثلته مرابطا في سبيل الله ، والفرق بينه وبين المرابطين المسلمين على الحدود ، هو أن هؤلاء يحملون سلاحهم ، والعقاد يحمل قلمه ، وثمة فرق آخر جدير بالاشارة ، هو أنه من اليسير أن يوجد الأبطال والسلاح ليذودوا عن حدود الوطن الاسلامي اغارات الأعداء ، ويصدوا مناورات المتربصين بديار الاسلام ، ولكنه من العسير أن يوجد مفكرون كالعقاد ، وأقلام كقلمه ، تدفع عن الاسلام مناوشات المناوشين له ، وتذيب أحقاد الحاقدين عليه .

ان أبرز كتب العقاد التي كانت ميدانه في الدفاع عن الاسلام ، كتاباه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » و « ما يقال عن الاسلام » وليس له هذان الكتابان وحدهما ، فهناك كتب أخرى ، ومقالات عديدة لم تنشر بعد ، ولكني أقصد أهمية الكتابين في هذا المجال ، وأنهما ضروريان لكل مثقف يحسن الظن بالاسلام ، ولكل منحرف لديه استعداد للوصول الى الحق .

الكتاب الأول أصدره المؤتمر الاسلامي ، وربما كان في تقديم السيد **أنور السادات** للكتاب ما يلفت النظر الى أهمية الهدف منه ، فهو يقول :

« ... فقد طال التصدي للأديان بقصد النيل منها ، وبغير قصد ، واستمرأ الكثيرون التخفف من أحكامها ، بدعوى يدعونها وبغير دعوى ، وهان على بعض الهيئات أن تشكك فيما فرغ منه العلم ، وحار بين هؤلاء وهؤلاء كثيرون ، حتى أصبح الدين شكا وتظنينا ، وهذه ظاهرة من شأنها أن تشغل بال المؤتمر الاسلامي ، وتبلغ من عنايته واهتمامه مبلغا بعيدا » .

« **وها هو** ذا كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » يخرجه المؤتمر الاسلامي لكل معنى بالثقافة راغب في تمييز الحق من الباطل ، راج أن يقف على أصول الاسلام ومبادئه ، ليحقق المؤتمر غرضا من أغراضه ، هو نشر الثقافة الدينية خالصة مما يشوبها من شبهات ويعلق بها من ريب » .

اذن فمنهج العقاد في هذا الكتاب يقوم على تقديم ثقافة اسلامية خالصة ، متضمنة دحض الشبهات ، وازهاق المفتريات ، واسكان نوازع القلق ودوافع الحيرة ، وعلى الرغم من أن صفحات الكتاب لا تعدو الثلاثمائة صفحة ، الا أن العقاد قد استوعب في هذه الصفحات دراسة متكاملة عن الاسلام ، في جوانب العقائد ، والمعاملات والحقوق ثم الأخلاق والآداب ، وكان هدف العقاد أن يعرض البناء الاسلامي راسخا على قواعد متينة ، لا تهزه أعنف عواصف الشبهات والمفتريات ، ولا ترجه مناوءات

المتسلطين عليه من الجبهات التي قامت رسالتها على الكيد له ، والنيل من أصوله وفروعه على السواء .

يخصص العقاد في فاتحة الكتاب خمسا وعشرين صفحة للدفاع عن الدين كله ، فهو يرى أنه لا محل للكلام على فضل دين من الأديان ما لم يكن أمر الدين كله حقيقة مقررة ، أو ضرورة واضحة ، ثم يجعل القضية جوابا عن سؤالين :

هل للدين حقيقة قائمة ؟ وهل للدين ضرورة لازمة ؟

سؤالان متشابهان ، بل سؤال واحد في صورتين مختلفتين ، وفي الاجابة عليهما يشير الى شبهتين من اكبر الشبهات التي تعترض عقول المتشككين والمنكرين ، هما شبهة الشر في العالم ، وشبهة الخرافة في كثير من العقائد الدينية . وخلاصة شبهة الشر أنهم لا يستطيعون التوفيق بين وجود الشر في العالم وبين الايمان باله قدير كامل في جميع الصفات ، وخلاصة شبهة الخرافة أنهم لا يستطيعون التوفيق بين العقائد وبين المحسوسات والمعقولات التي تتكشف عنها معارف البشر كلما تقدموا في معارج الرقي والادراك .

***

في مجال العقائد يعرض العقاد للعقيدة الالهية ، فالاسلام جاء من جوف الصحراء العربية باسمى عقيدة في الاله الواحد الأحد ، صححت فكرة الفلسفة النظرية كما صححت فكرة العقائد الدينية فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين في جانب النقص منها – أعظم المعجزات التي أثبتت له في حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة أنه وحي من عند الله .

فارسطو – الذي أجمع على أن صفات الاله عنده قد ارتفعت الى ذروتها العليا من التنزيه والتجريد ، يرى في الاله كائنا ازليا أبديا مطلق الكمال ، لأول له ولا آخر ، ولا عمل له ولا ارادة ، كمال مطلق لا يعمل ولا يريد ، أو كمال مطلق يوشك أن يكون هو والعدم على حد سواء ، هذا أرسطو ذلك العقل الهائل الذي يهابه من يحس قدرته فلا يجترىء عليه بالنقد ، قبل أن يفرغ جهده في التماس المعذرة له من جهل عصره وقصور الأفكار حوله لا من جهله هو أو قصور تفكيره ، فقد عاش في زمان لم تتكشف فيه المعرفة عن خصائص هذه الكائنات الأرضية السفلى التي نحسها ونعيش بينها .

وبعد أن يستعرض العقاد تنزيه الفكرة الالهية عند الأقدمين ، هذا التنزيه الخاص المقصور على الفئة القليلة من المفكرين ، والذي لم يسلم في كل آونة من ضعف يعيبه عقلا ، يقرر أن هذا التنزيه لا يبلغ بالتنزيه الالهي مبلغه الذي جاءت به الديانة الاسلامية صالحا للايمان به في العقيدة الدينية ، وصالحا للاخذ به في مذاهب التفكير .

ويتعرض العقاد لبعض كتابات الغربيين الذين لا يتورعون من حسبان الاسلام نسخة مشوهة او محرفة من المسيحية أو الموسوية ، فيذكر أن المسالة مسالة نصوص محفوظة وشعائر ملحوظة ، لا تحتمل الجدل الطويل في ميزان النقد والمقارنة ، فصورة الاله في مراجع العبريين هي صورة « يهوا » اله شعب اسرائيل ، وهي صورة بعيدة عن الوحدانية يشترك معها آلهه كثيرون تعبدها الأمم التي جاورت العبريين ، ثم تطورت هذه العقيدة بعد ظهور المسيحية فانتقلت من الايمان بالاله لأبناء ابراهيم في الجسد الى الاله لأبناء ابراهيم بالروح . وظهر الاسلام وفحوى العقيدة الالهية كما تطورت بها الديانة المسيحية أن الله الاله واحد من أقانيم ثلاثة : الأب والابن والروح القدس ، وأن المسيح هو الابن من هذه الاقانيم ، ومن البديهي أن الباحث الذي يريد تطبيق علم المقارنة على المسيحية والاسلام مطالب بالرجوع الى حالة الديانة المسيحية حيث ظهرت دعوة الاسلام في الجزيرة العربية ، فلا يجوز لأحد من هؤلاء الباحثين أن يزعم أن الاسلام نسخة محرفة من المسيحية .

ويتعرض العقاد بعد ذلك للنبوة ، ويشير الى أن فكرتها نمت في الاسلام كما نمت فيها الفكرة الالهية ، فبرأت هذه الرسالة السماوية من شوائبها الغليظة التي لصقت بها في عقائد الأقدمين من اتباع الديانات الوثنية والديانات الكتابية ، وخلصت من بقايا السحر والكهانة كما خلصت من شعوذة الايهام الخيالي وبدوات الجنون الذي كانوا يسمونه قديما بالجنون المقدس ، وتمت نبوة الاسلام نماءها الأوفى حين خلصت من دعوى الخوارق والمغيبات ، وهي آية النبوة الكبرى في عرف الأقدمين .

***

وفي مجال المعاملات ، يناقش العقاد أولئك الذين

« البقية على صفحة ٤٩ »

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي

١٩٦٥



من ٢٣ مارس الى ٢٩ مارس ١٩٦٥ بمحافظة دمياط بمبنى مجلس المدينة

من روائع الشعر الأسباني

حكاية قزم أسود

للشاعر: نيكولاس جيين

ترجمة: د. الطاهر أحمد مكى

حتى تحين الفرصة لتقديم اعلام الشعر الاسبانى فى دراسة واعية، والتعريف بادب مجهول لنا تماما على نحو علمى، قد يكون من المفيد القاء بعض الضوء على هؤلاء الشعراء الذين نترجم بعض ثمارهم الى القارىء العربى، ولو فى سطور قليلة، يستطيع على هداها المحدود ان يعرف لمن يقرأ:

* نيكولاس جيين، كوبى من دم افريقى، ولد فى مقاطعة كما جوبى عام ١٩٠٢.

* فى سن مبكرة ساءه الانحدار المادى والخلقى الذى تتردى فيه كوبا بعامة، والاضطهاد الذى يعانيه سكانها السود بخاصة، فاسهم فى تكوين جماعة «صحيفة التقدم» وجعل منها منبره فى مهاجمة الاستعمار بوصفه مصدر كل هذه الشرور.

* قاتل خلال الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩) ضد الفاشية الاسبانية، الى جانب الجمهوريين كبقية رجال الفكر المتحرر فى العالم اذ ذاك، وكان من رفاقه فى السلاح مالرو، وبابلو نيرودا، وغيرهما، وعنها أصدر ديوانه «اسبانيا» عام ١٩٣٧.

* يعتبر أبو الشعراء فى كوبا الآن، وهو قمة الشعر الاسود المناضل ذى المضمون الاجتماعى فى القارة الامريكية، باللغة الاسبانية، ولو ان ذلك لايعنى انه قصر شعره كله، او حياته كلها، على الجانب السياسى وحده، فان له قصائد جميلة يتغنى فيها بالطبيعة، أشعارا بلهجة ذات نغم راقص، يجرى مع الموسيقى الأفرو امريكية.

* أسس «جمعية الدراسات الافريقية الكوبية» لتعنى بالفولكلور الافريقى فى منطقة بحر الكاريبى، والحق ان أروع قصائد نيكولاس هى تلك التى اهتم فيها بحكايات البسطاء من الناس فى وطنه، ومايجرى فى حياتهم اليومية. وبالاساطير الافريقية التى عبرت المحيط مع أجداده، عندما ساقهم الرجل الابيض الى هناك، صيدا قنصه فى الغابة، او رقيقا اشتراه من السوق بابخس الاثمان.

* صدرت له ثمانية دواوين، ويرأس الآن اتحاد الكتاب فى كوبا.

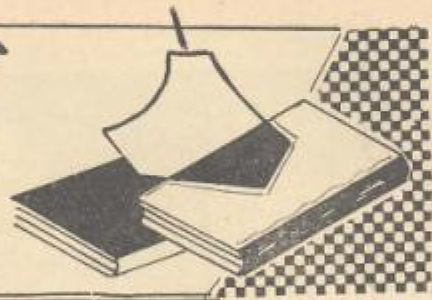
شبح ، لتبعد ايها الشبح !
قزم ، لتذهب أيها القزم !
مياه النهر العكرة
عميقة وبها موتى ،
واصداف سلاحف ،
ورءوس اطفال سود .
في الليل يمد النهر ساعديه
ويمزق الهدوء
باظافره
اظافر تمساح مجنون .
وبين صياح النجوم ،
وتحت قمر مشتعل ،
يعوى النهر بين الصخور .
وباصابع خفية ،
يهدم عقد الجسر
ويخنق المارة .
شبح ، لتبعد ايها الشبح !
قزم ، لتذهب ايها القزم !
اقزام لهم سرر ضخمة
يسكنون المياه الهادرة ،
سيقانهم القصيرة مفتولة ،
وآذانهم الطويلة منصوبة .
آه ، سوف يأكلون ولدى ،
ذا اللحم الأسود النقي ،
ويشربون دمه ،
ويمتصون عروقه ،
ويغمضون عينيه ،





عينيه الواسعتين اللؤلؤيتين !
اهرب ، سوف يقتلك الغول ،
اهرب ، قبل أن يأتي الغول !
يا صغيرى الحبيب ، يا محبوبى الصغير ،
لتغرسك قلادتك ...
شبح ، لتبعد ايها الشبح !
قزم ، لتذهب أيها القزم !
لكن « شانجو » لا يريد ان يذهب .
ومن الماء خرجت يد
لتمسك به ... كان قزما أسود صغيرا .
شق جمجمته ،
واطفأ عينيه الواسعتين ،
واقتلع أسنانه البيضاء ،
وصنع من سيقانه عشا
وعشا آخر من سواعده .
يا صغيرى الحبيب ، يا محبوبى الصغير ،
مع بسمة على شفاهك الغليظة ،
مع عمق نهرك
حزنى يحلم
ومع عروقك الجافة
وقلبك المبلول ....
شبح ، لتبعد أيها الشبح !
قزم ، لتذهب أيها القزم !
آه ، يا صغيرى الحبيب ، يا محبوبى الصغير
لقد حدث ما قلت لك !

« د . الطاهر احمد مكى »



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الغزو الفكري

في مؤتمر الأدباء العرب

كان هناك بحثان في موضوع « الغزو الفكرى » : الاول منهما « الادب والغزو الفكرى » للاستاذة **نازك الملائكة** (العراق) والثانى للاستاذ عبد الله عبد الجبار (من السعودية ومقيم بالقاهرة) . والبحثان يتكاملان كسائر ما ألقى وقدم فى المؤتمر من البحوث في موضوعاته .

نحا الاستاذ عبد الجبار أولا منحى تاريخيا ، من حيث **محاولات الاستعمار تخريب الثقافة العربية فى** بلاد الوطن العربي وخاصة فى الجزائر ، **وبين كيف** استطاعت الاصالة العربية مقاومة تلك المحاولات . وثانيا القى نظرة عامة على مظاهر الغزو القائمة من آثار الاستعمار ، وفرق بين الغزو المخرب وبين التأثر الثقافى ودعا الى ضرورة « **الاحساس بالفصحى** » وتذوق أسرار بلاغتها ، واحلال التفكير العلمى محل التفكير الوهمى الخرافى فى دنياالعروبة، ذاهبا الى أن هذا التفكير استعمار من الداخل تجب مقاومته وتطهير الرقعة العربية منه .

اما بحث الاستاذة نازك الملائكة فقد كان اكثر الموضوعات اثارة للنقاش في المؤتمر . وأحب - قبل المضى فى الحديث عنه - أن أشير الى حقيقة حاول أن يلبسها بالباطل بعض الزملاء الذين أرادوا أن يأخذوا موقفا «**تقدميا**» مستغلين المغالاة والتطرف فى الاشادة بكل ما هو عربى ومقابلته بالملعون من ثقافة الغرب الغازية ..

لقد راح أولئك الزملاء يضربون على نغمة التقوقع والعزلة ، وضرورة المشاركة فى الثقافة العالمية وفتح النوافذ لاستقبال الجديد الوافد ... الخ .

والواقع أن أحدا لم يدع الى عزلة أو تقوقع أو اى شىء من هذا القبيل . فالجميع متفقون على وجوب الاتصال بالثقافات الاجنبية والاستفادة منها بما يثرى حياتنا الفكرية ويجدد فيها ألوان الادب والفن .

وكان الدكتور ناصر الاسدى موفقا كل التوفيق فى تعبيره عن الموقف فى ذلك ، اذ قال : **يجب أن نفتح نوافذنا بانفسنا وبارادتنا لا بارادة غيرنا ، ونستنشق الهواء برئتنا لا برئات الآخرين** .

ولا بد أن نسأل فى هذا الصدد : هل هذا موقف تأخرى وذاك موقف تقدمى ؟ .

وقبل ذلك : ما التأخر وما التقدم ؟ .

هل التأخر هو مجرد النظر فى الماضى ، والتقدم مجرد الجرى مع كل جديد ؟ .

ان المفهوم الذى ينبغى ابرازه هو أن التأخر هو كل اتجاه يؤخر الجماعة القومية أو الانسانية ويعوق تقدمها وارتقاءها ولو كان جديدا .

والتقدم على العكس ، هو الارتقاء ولو كان عن طريق الانطلاق من الماضى والتمسك بالصالح من قيمه ومثالياته .

وعلى أساس هذا المفهوم يجب أن يقيم ما قيل بمؤتمر الادباء العرب فى موضوع الغزو الفكرى والتراث العربى .

وثمة ملحظ أساسى فى الموضوع ، **هو أن هذا الصراع نفسه جديد فى حياتنا الفكرية** .. انه ليس من قبيل ما كان من الازدواج الفكرى المأثور

من ماضينا القريب ، الذى نشأ ونما من ازدواجية التعليم والثقافة المعروفة ، وكان يقوم بين طرفين أحدهما جامد عاكف على القديم يأبى أن يتزحزح عنـــه ويرفض كل جديد ، بل يرفض مجرد النظر فيه ، والآخر يثور على الاول وينعى عليه جموده ، ويصحب ثورته تطرف ، ويصـــنع صنيع الجامد فيرفض هو أيضا كل قديم .

والذى نلحظه الآن شىء آخر مختلف عن تلك الازدواجية المعوقة المتأخرة فى طرفيها ..

هو ان الذين يدقون الاجراس للتنبيه الى خطر الغزو الفكرى والمنادين بالانطلاق من نقطة التراث والقيم الاصيلة ، او هم بالتحديد الذين فعلوا ذلك فى مؤتمر الادباء العرب ، انما هم من ذوى الثقافة الحديثة ، وهجومهم ودعوتهم انما يقومان على الدراسة والتمييز بين ما يلائمنا من جديد الغرب وما يضر بنا ويخرب حياتنا منه .

ولنعد بعد الى بحث الاستاذة نازك الملائكة لنرى ماذا قالت ، وننظر فيه .

بعد مقدمة عن الفرق بين الغزو العســـكرى والغزو الفكرى من حيث ان الاول محسوس تسـهل حربه والثانى معنوى تصعبمقاومته عرضت للظاهرة العامة لهذا الغزو فيما يلاحظ **من أن تفكيرنا بات منحصرا فى آداب الغرب فلا نتحدث الا عنهم وكان ليس لنا أدب على الاطلاق ، يضاف الى ذلك أن الكتاب المغرقين فى ذلك لا يتخذون موقفا عربيا لما يكتبون عنه من أدب الغرب ، وانما يصدرون فى تعليقاتهم عن عين الموقف الذى يصدر عنه الكاتب الغربى .**
ثم قالت انها تأملت مظاهر الغزو فى أدبنا الحديث طويلا فوجدتها تكمن فى أربع جهات :

١ ــ موقفنـــا من الاخلاق : اذ أننا فقدنا اللمسة الاخلاقية فيما نكتب ، فمن سمات الفـــكر العربى الحق أنه فكر أخلاقى يدعو الى ارتقاء العقل الانسانى الى مراتب الخير والكمال . ولم تفقد كلمة « أدب » مدلولها الاخلاقى الا فى عصرنا ، اذ صرنا نصدر اليوم فيما نكتب عن المفهوم الغربى للكلمة ، الذى يرجع أصله الى ما قال به « أرسطو » من أن جمال الادب لا يستند الى الاخلاقية . وظل أدباء الغرب يفصلون بين الادب والاخلاق فى مختلف العصور ، حتى بالغ فى هذا الفصل انصارالمذهب الطبيعى فى القرن التاسع عشر . واقتبس أدباؤنا العرب هذه النظرة الى الادب فى اتجاهيها السلوكى والجنسى ، حتى صرنا نرى الانسان العربى ــ فى كثير من الانتاج الادبى ــ وكأنه قد تحول الى حيوان أعجم لا يرتفع الى أعلى الجسد والحواس .

وقالت ان هذا الادب المتحلل ، الذى يهدم الاخلاق والمجتمع ، يتعارض مع الدعوة القومية التى يعيش لها المجتمع العربى اليوم ، فالقومية بناء وحياة ، بينما ذلك الادب هدم وانتحار .

٢ ــ موقفنا من الدين : فقد أخذنا عن أدباء الغرب موقفهم من الدين ، والتقطنا نظرتهم المادية الى الحياة وموقفهـم يختلف عن موقفنـــا من حيث أن الدين الاسلامى يرتبط كل الارتباط بالفكر ، أما فى أوربا فان الدين يتصف بشىء من الانعزال عن الحياة فلا يرتبط بالادب والفكر الا من بعيد .

٣ ــ موقفنا من اللغة العربية : اذ حرصت بعض المؤسسات المشبوهة والجماعات المغرضة على أن تعهد بترجمة امهات الكتب الغربية الى كتاب ضعاف غير متمكنين من العربية ، فصاغوا تلك الكتب العظيمة صياغة حرفية ركيكة . **ونجحت هذه الترجمات فى تحويل الركاكة الى مذهب فى التعبير** ، وحرمتنا هذه الترجمة الركيكة فرصة تكسب فيها لغتنا تعبيرات عربية جديدة لها الفصاحة والجدة معا .

ومن مظاهر تلك الركاكة اســتعمال قواعد النحو اللاتينى مع أنهـــا تعد فى مقاييسنا النحوية غلطا ، مثل تعدد المضافات الى مضاف اليه واحد ، ومثـل تتابع الاضافات ، ومنهـــا استعمال أساليب بنـاء العبارة اللاتينية التى تخالفأساليبنا مخالفة مرجعها الى الفروق بين طبيعة اللغات ، مثل تأخير الفعل فى الجملة فلا يرد الا بعد أن يتقدم عليه سطران كاملان من الظـروف والمجرورات والمعطوفات ، كقـولهم « **بعناية شديدة واهتمام ، ومن دون أن يتحدثوا فى الموضوع مباشرة ، او يثيروه ، على نطاق عام ، وبعد أن فرغوا من دراسة التقرير ، اشتغلوا فى توزيع الملابس على سكان الحى** » .

وقالت الأستاذة نازك الملائكة ان العربيـــة قد

ابتليت فى هذا القرن بكثير من الدعوات المشبوهة التى نادى بهـــا مغرضون يضمرون الشر للعروبة ولغتها ، فرددها من العرب طائفتان: طائفة الشعوبيين الذين يقصدون اضعاف العربية ، وطائفة البسطاء الذين تخدعهم الفاظ الحرية والتجديد فيسيئون دون قصد .

٤ ـ موقفنا من المعنوية العربية : اذ يحرص الغزاة وأعوانهم من الشـــعوبيين على قتل المعنوية العربية واحلال المعنوية الغربية محلها، ويكادون اليوم ينجحون فى ذلك ، **فقد طلع فى السنوات الأخيرة أدب عربى جديد تنعكس فيه سمات النفسية الاوربية ومظاهر الأدب الغربى** . ومن وسائل الغزاة فى ذلك الايحاء الى اليافعين ان هناك أدبا عالميا يتخطى الحدود ويعبر عن نفسية الشعوب أجمعين ، بمعزل عن ظروفهـــا وشخصيتها ، وان هذا الادب لا يناقش وانما يقبل فى كل مكان ، فمن لم يقبله كان جامدا او رجعيا أو جاهلا . وهم يضعون على عرش العالمية مجموعة من الأسماء الغربية فى الغـالب ويسالون الشبان ان يعجبوا بكل حرف يقوله أصحابهـــا ، وأبرز هذه الأسماء تأثيرا فى حياتنا **«جان بول سارتر» الأديب** والفيلسوف الفرنسى اليهودى . وسارتر من الناحية الادبية ذو فكر مبدع يسمو الى الذرى العالية ، وانما يقع الانحراف المغرض فى فرض آرائه على القـارىء الصـــاعد . **وهى آراء لا تتفق مع مطاليب حياتنـــا الاجتماعية والفــكرية ، بل هى تناقض روحيتنا وحضارتنا** ، مثل « فلسفة الغثيان » التى تقول بأن المجتمع بغيض ، وان وجود الناس حولنا هو الجحيم وان الاخلاق والمثل والتقاليد سخافات يتلهى بهـــا السطحيون ، وان الحياة خواء فارغ لايستحق الاهتمام فيها الا الجسد والجنس .

وقد أثارت محاضرة نازك الملائكة مناقشة حادة ، وتصدى لمعارضتهـا بشدة الدكتور سهيل ادريس ، ودافع عن سارتر ونفى أنه يهودى ، وأشاد بموقفه فى نصرة الجزائر .

وعلى الرغم من اختلافنا مع الأسـتاذة نازك ، اذ نراها تبالغ فى موقف أدبنا وموقف أدب الغرب من الاخلاق والدين ، نرى أن الأمر ليس بالمثابة التى صورتها ، فعندنا ما عندهم من الانحراف فى الادب عن الاخلاق والدين ، وعندهم ما عندنا من الاستقامة فيهما ، ونوافق سهيل ادريس فى أنها حملت بشدة أكثر من اللازم على أدبنا الحديث ، فان الادب المتحلل والفاقد للشخصية القومية لا يمثل الا جانبـا منه ، وقد سالها « سهيل » عن رايها فى نتـاج **الرافعى والزيات واحمد امين ونجيب محفوظ والعقاد وميخائيل نعيمة والحـكيم وشوقى وحافظ ومطران والشبيبى** وو .. الا يستحق واحد من هؤلاء وأمثالهم كلمة عطف واحدة ؟ أصحيح أن بعض الانتـاج السطحى المتحلل اليوم يحجب جميع تلك الآثار القيمة ؟ .

على الرغم من ذلك نرى نازك الملائكة موفقة كـل التوفيـق فى الموقف من اللغـــة العربية والمعنوية العربية .

كانت « نازك » رائعة وعميقة كل العمق فى نظرتها النافذة البصيرة الى ما فى أدبنا اليوم من اندفاع وانقياد أعمى للتيـــارات الاجنبيـة المؤذية للمعنوية العربيـــة ، سواء ما كان من تلك التيارات مغرضا بقصد التخريب ، أو ما كان منها موافقا لبيئته وغير ملائم لبيئتنا. ومن ذلك قولها بأن ترديد آراء الغربيين واخذها مسلمة **أدى الى انشار روح التشـاؤم فى ادبنا والاحساس بان الحياة عبث ، وأن ذلك لا يتفق مع الحياة العربية التى تمر الآن بفترة خصيبة رائعة** ، فنحن اليوم نعيش فترة انتصارات باهرة تحققهـا القومية العربية ، وتكاد أعيننا تكتحل بفجر الوحدة، ونحن الآن نختلف عن الغرب فى الظروف التاريخية التى نمر بها **والمعروف عند علماء النفس أن المشغولين لا يجدون وقتا للقلق واليأس والاحساس بالفراغ ، ونحن الآن لا نجـد هذا الوقت ، وفى مقابلنا ، يجد الغربى نفسه فارغا لديه كثير من الوقت وقليل من الاهداف .**

وما أصدق ماقالته من أن الغربى يرى غذاءه يصل اليه عن طريق استعمار الأمم وسرقة قوتها ، **ومن ثم فهو يحس قلقا غامضا لا يعرفه العربى الذى يأكل القليل الحلال ويحمد الله وينهض الى عمله .** وهذه الفروق بيننا وبين الغرب تجعل نقلنا لموقف اليأس والعدمية والفراغ أمرا لا معنى له سوى تخلينا عن كرامتنا ومصلحتنا وشخصيتنا ، **فكأننا نبـكى فى** يوم عيدنا .

« عباس خضر »



سلام على العقاد

لا أعرف كاتبا معاصرا ظلم في الفترة الأخيرة كما ظلم العقاد، فقد كان عرضة للذين يتعجلون الظهور، والذين خلفهموراءه من جيله، والذين كانوا يكرهون منه دفاعه عن الاسلام ، والذين يحبون الانطلاق من القيم والأنظمة ‥ فكتبه التي كانت تتوالى لم يكن يكتب عنهـــا ، بل كان يعرقل ظهـورها فى بعض الأحيان ، فاذا أضفنا الى هذا الصحافة وجدنا أنها كانت تقدمه في الفترة الأخيرة في صورة من يعرقل التطور ، وكأنه لم يفتح للتطور طريقا في رأس ملك وعدد من الزعماء ، وكأنه لم يعتصر شجرة الفكر في العالم ثم يقدمها في العربية ، وكأنه لم يجعل من حامل القلم سلطة بعد أن كان قد انحدر الى «**أدباتى**» وسمير يفاكه الخلان ، ويضحك المسئولين ، ويقنع دائما بأن يكون فى آخر الصف .

واعترف انى ترددت على بيته مرتين أو ثلاث ، وأنى اصطدمت بأشـياء كثيرة منهـا كبرياؤه ، فقد راعنى فى أول الأمر أن من يجلسون اليه يبدون فى صورة المستسلمين الوادعين الذين لايحدثونه الا فيما يوافق ما يأخذ به من الآراء ، فاذا جاء غريب وتحرر فى المناقشة ضاق صدرهم بقدر ما يتسع صدره ، ثم انى كنت حدثته مرة فى أن يكتب مقدمة لديوانى « **باقة نور** » فوافق وطلب احضار المخطوط ، فلمـا أحضرته رأى أن يطلع على الملازم بعد أن يدفع به الى المطبعة ، فلما ذكرته بوعده فى كتابة المقدمة ، ذكر أنه مشغول بأحد كتبه . ولا أدرى لماذا قلت له انى أعتقد أن الوعد يجب الوفاء به فقد رد بأن الوعد يتجدد بتجدد ظروفه ، وظهر الضيق فى صـوته ، مما جعل الشاعر العوضى الوكيل يضغط على يدى ، وجعل عددا من الزملاء يضيق بالمناقشة ‥ وأذكر انى لم أكره العقاد كما كرهته فى هذا اليوم ، وانى كنت أسخر من الزملاء المقربين الذين كانوا يترددون عليه ، ثم كان التقائى المتـكرر به فى لجان وزارة الثقافة والارشاد القومى، وأنى تعمدت عدم التسليم عليه أكثر من مرة ، وفى احدى اللجـان التى كانت تضم وجوه الفنانين التشكيليين والتعبيريين ، رأيت ما بهرنى من الرجل ، فقد كان حريصـا على ألا يكون أول المتكلمين ، وعلى الايقاطع أى متحدث، فلما أثيرت مسألة رياسة اللجنة وتوقعنا ثورته ، وجدناه يبتسم ثم يطلق ضحكة عالية يقول فيها « **على كل الدكتور**

طه حسين اكبر مني بشهرين ! » ومرت العاصفة ، وفي هذه الجلسات رأيت أحد المشتغلين بالموسيقى يذكر نظرية ثم يقول في زهو انها في كتاب صدر من عدة سنوات ، واذا بالعقاد يذكر له ما طرأ على هذه النظرية من تعديل ، ثم يتكلم في جزئيات عجز الكثيرون عن متابعتها ، واذكر أن هذا حدث بالنسبة للفنون التشكيلية بعد أن تكلم احد الممثلين لها .. وبعد هاتين « الصدمتين » كنت أحس أن المناقشين كانوا يمثلون أوركسترا باهر الأداء ، ثم ان هذا الاوركسترا سرعان ما يهدأ ويكون في خدمة صوتي العقاد وطه حسين ، ثم بعد فترة يصبح العقاد هو « العازف المنفرد » .

وفي هذه الجلسات عرفت العقاد لا يغمط حق أعدائه ، ولم ينس أن يقول مرة ان فلانا هذا قد عاش يلاحقه بالهجوم ، ومع ذلك فهو يرى أنه جدير بمنحة التفرغ ، وكان أن « استخلصه » من الايدي التي كانت تعتصره، وفيها أيضا رأيته يحول الاجتماع الى « **حلقة بحث** » ويضيق الحصار على « الظرفاء » ، ويجعل الكثيرون يخرجون رءوسهم مائلة من كثرة ما أدارها !. ثم كانت ثقته بي في قراءة انتاج المتقدمين واعطاء تقرير عنهم .

وقد أحس بهذا بعض المسئولين فكانوا يجعلوني الحلقة التي تربط بينه وبينهم ، وقد وفقت في أشياء وفشلت في أشياء .. وفقت حين جعلته يفتتح بعض سلاسل الوزارة ، وحين جعلته يكتب سلسلة من المقالات في مجلة المجلة ، وبعض المقالات لمجلة نهضة أفريقيا ، وأذكر أنه أرسل الى مقالا مرة عن موسيقى الشعر العربي لنشره في نهضة افريقيا واسقط في يدي لأن الموضوع كان بعيدا عن خط المجلة ، وكان أن دفعت به الى الاستاذ محمد صفوت لترجمته الى الانجليزية ثم نشرته فيالقسم الانجليزي واذكر انه أبدى سروره من ترجمة هذا المقال ، كما اذكر انى حين كلمته عن مكافأة مقالاته اشترط أن يدفع المبلغ عقب تسليم المقال، واضاف انه لنيضيره أن يأخذ عنالمقال ستة جنيهات اذا كان لا يوجد من يتعدى هذا المبلغ بمليم واحد .

وأرجو الا يتبادر الى الأذهان أن العقاد كان حريصا على الكتابة للمجلات ، ذلك لأنه راوغني أكثر من مرة ، ورغبة مني في تحقيق رغبة الاستاذ يحيى حقي ، رايتني اقول له بعد أن لمحت عدم رغبته في الكتابة « **على كل أنا أرى انك تحقق ما يتهامس به من انك حبست في مجلتي الأزهر ومنبر الاسلام**» ودون أن يهتز صوته أخذ يتحدث في أشياء كثيرة، ثم حين هممت بالانصراف والضيق يملأ نفسي قال لي : سارسل اليك المقالة الأولى ، ثم أضاف أن أمر هؤلاء المتهامسين لا يعنيه ، وانه حين يرد لا يرد عليهم وانما يمسك ماركس من ذقنه ثم يهزها هزا يزعجهم !

ومن الأشياء التي فشلت فيها محاولتي اعادته الى حضور اللجنة الفرعية للأدب ، واللجنة العليا للتفرغ ، بعد أن رأى الوزارة لا تميل الى موافقة اللجنة موافقة تامة على ما أخذت به .

ومن الأشياء التي كدت انجح فيها معه اقناعه هو يأخذ منحة تفرغ في موضوع الجمال والحرية الذى كان يحب أن يقدمه في كتاب ، ومع أني ذهبت مع مسئولين كبيرين الىمنزله بعد ان وثقت من موافقته مبدئيا على الفكرة ، ومع أنه كان سيستتني من عدم الكتابة في الصحف والمجلات ، ومع أن المبلغ الذى كان سيستفيد من ورائه في مقابل كتاب واحد كان سيصل الى ثلاثة آلاف جنيه ، ومع أنه كان يقال انه كان يعاني من ازمة مالية في هذه الفترة .. مع كل هذا ، فانه ذكر أنه لن يكون أول من يطبق عليه قانون التفرغ من الرواد ، وبخاصة أنه يعمل في لجانه ، ثم ذكر عدة أسماء كان في مقدمتها اسم الدكتور طه حسين .

هذه بعض المواقف التي احتككت فيها بالرجل ، وجعلتني أنتقل من صف « المشوشين » عليه الى الصف الذى يقف به مع الحقيقة ، وقد كنا نتبادل أحيانا المراسلة بالشعر ، فقد كتبت اليه مرة في العيد أقول :

اذا كان هذا العيد فخرا لأمة
فانك عيد مشرق الوجه للفكر
وان قيل فاخر عالم الفكر كله
تلفت للعقاد ، وازددت في الكبر!

وقد رد على قائلا :

الى البدوى اليعربي تحيتي
وتهنئتي بالعيد يحدوهما شكرى
وياحبذا منه الثناء يزيده
على كرم في طبعه .. كرم الشعر

وكتبت اليه في عيد آخر :

الى قلبك الريان بالحب والسنا
ومن عاش عصرى تحت مصباحه السحرى
تمنيت لو اهديت عمرى جميعه
مقابل ما عمقت ما عشت من عمر

ورد رحمه الله بهذين البيتين ومشيرا الى مجلة « نهضة افريقية » التى كنت أشرف عليها :

أيا منهضا « افريقيا » ومحررا
قصائده : لكن بلا مذهب « حر »
هنيئا لك الأعياد نحرا لشانئ،
وفطرا على صوم ، وروضا من الشعر !

رحم الله العقاد الذى يعيش بيننا الآن ، واجزل ثوابنا فى الذين يموتون وهم على قيد الحياة ، والذين يتحركون بالحقد لهذه الأمة ، وبالكره لعباس محمود العقاد باعتباره فيلسوفها وأديبها ، واحد الباقين بها ابدا .

مع كتاب فى صحبة العقاد

هل كان يمكن للعقاد الذى قام جزء كبير من شخصيته على كتابة التراجم الا يكتب عن نفسه ؟ وبأية طريقة كان يكتب ؟ وللاجابة على هذا لا بد أن ندرك أن العقاد لم يكن ضد الرجوع الى الماضى ، وانه لم يكن يستطيع أن يقف بصرامة « ليحاكم » ماضيه كما فعل سارتر فى كتابه « الكلمات » ، ولم يكن يستطيع أن يقدم نفسه فى صورة الانسان الخارج من اطاره كما فى مذكرات شارلى شابلن مثلا ، ولم يكن يستطيع أن يقدم نفسه فى صورة « المتهم » أو صورة « الشخصية المعترفة » ، كما فى العديد من الكتب ... وفى الوقت نفسه لم يكن يستطيع الا يقدم نفسه ، وهو الذى تنبه من وقت بعيد الى ان الشاعر لا يعتبر شاعرا الا اذا عرفنا بنفسه أولا ، بحيث اذا استطعنا الوصول الى جوهره النفسى وخصائصه الاسلوبية قلنا اننا أمام شاعر .

فنحن نستطيع أن نتعرف على العقاد من خلال كل ما كتب بصفة عامة ، وبصفة خاصة من خلال كتاب «شخصيات عرفتها» الذى صدر من فترة ، ذلك لأنه يقدم هذه الشخصيات من خلال نفسه ، ومن خلال كتاب « انا » الذى صدر بعد وفاته ، والذى يحدد الأستاذ **طاهر الطناحى** منهجه بقوله ان كتابته فى هذا الكتاب « هى كتابه باحث عالم ، وفنان نابغ تعود النظر فى مسائل العلم ، وقضايا الفن والفكر ، وجال فى شئون الفلسفة وعلم النفس والادب والتربية والاجتماع ، وتمرس بتجارب الحياة ومارس حلوها ومرها ، خرج منها بخبرة العالم وعبرة المفكر وحكمة الفيلسوف » .

فالعقاد هنا يتحرك بتاريخه كله وهو يكتب عن نفسه ، وهو من خلال هذا التحرك لا يقدم الا الجوانب العامة الواضحة فى شخصيته ، حتى أنه حين يتعرض أكثر لحياته تحس أنه يدافع القارىء عن خصوصياته، وان يكون قريب الصلة منه كانسان لا يفكر ، فهو هنا يذكر القارىء بحاجز يسمى الفكر الصارم الدقيق .. ولعل هذا هو الذى جعله لا يقدم لنا لحظات كتلك اللحظات التى قدمها طه حسين فى كتابه الأيام ، أو التى قدمها أحمد امين وسلامه موسى حين كتبا عن نفسيهما .

وفى ضوء هذا نستطيع أن نقول ان كتاب « فى صحبة العقاد » قد أعطانا بعض الألوان الباقية فى لوحة العقاد ، بل نستطيع أن نقول ان هذا الكتاب فى أكثره لا يعدو ان يكون تاريخا « للعلاقة » التى كانت بين العقاد والمؤلف **طاهر الجبلاوى** .. ومما لا شك فيه أن تاريخ هذه « العلاقة » قد خفف من العبوس الذى كان يكسو وجه العقاد ، فنحن لن نرى فى هذا الكتاب العقاد المفكر السياسى الفيلسوف المقاتل فى بعض الأحيان .. وانما سنرى « الوجه الآخر » للعقاد ، سنرى التلاميذ يطلقون عليه اسم الكاهن « حرحور » .

ونراه يخرج بملابس النوم فى مصر الجديدة حين يقبل الليل ، ويجلس مع صاحبه على مقاعد البوابين (بل انه كان يجلس مع صاحبه على الرصيف) ولكن الاستاذ الجبلاوى لا يذكر هذا .

ونراه لا يجلس على مكتبه الا نادرا ، ويكتب مقالاته وهو مستلق على ظهره بحجرة نومه ، وحين يقال له أن مقالاته تحدث ضجيجا فى الحياة يقول « ألا يعلمون أنى أكتبها وأنا نائم » .

وحين يقرأ كتابا لا ينسى أن يضع على جوانبه ما يعن له من تعليق .

وهو لا يكتب على ورق « مسطر » لأنه يرى أن السطور الخفية على الورق تحد من تدفقه ·

وقد يضع فكرة صورة ليرسمها فنان تشكيلي ·

وهو يحاسب نفسه حسابا عسيرا في الطعام ·

وهو محب للفكاهة الى أبعد حد ، فقد كان يطلب من الاستاذ طاهر أن يطلب صديقا في التليفون ليلا ثم يسأله :

ـ هل قرأت صهاريج اللؤلؤ ·
ويجيب الصديق :

ـ نعم ، وماذا تريد منها
ويكون الجواب :

ـ اقرأها مرة ثانية ·

وقد ينظم زجلا يهجو به أحد معارفه ثم يتركه في صندوق بريده ، وقد يضع له في خطاب كسرة من الخبز ·

وهو يحتفظ بخادم يسمى الشيخ أحمـد لأنه يقوم بمفارقات تضحك وتبكي في آن واحد ·

والاستاذ طاهر يقول : « والفكاهة في كتابات العقاد السياسية أشد في قهر خصومه من قوارص الكلم ، وأبلغ في اثبات الرأي من كل حجة ، وهو يتعمد الفكاهة حين تتحرج الامور وتتأزم ، ويدب اليأس الى النفوس ، ويعم الخوف والارهاب أنحاء البلاد ، فتعود الى النفوس طمأنينتها وتتجدد فيها روح الامل ، وتجابه العنف بالسخرية والاستهزاء ، فلما تولت الحكم وزارة «اليد الحديدية» أعلن رئيسها محمد محمود باشا أنه «سيحكم البلاد بيد من حديد» وأخذ حزبه وأنصاره يتشدقون بهذه الكلمة حتى رددتها الصحف الانجليزية ، ووجد العقاد مجالا للفكاهة والتهكم ، ونشر مقاله الساخر تحت عنوان « يد من حديد في ذراع من جريد » ، وقد تداولته الالسن في كل مكان ، وأسقط في يد صاحب اليد الحديدية ، ولم يردد هذه الكلمة ·

وقس على ذلك تشبيهه رئيس احدى الوزارات المعادية في جبروته وسطوته بشارلي شابلن ، ومقارنته الطريفة بين الشخصيتين في وقت كان الارهاب فيه على أشده ، ومقاله بعنوان « علوية بكره الاوباش » و « حلمي عيسى على الربابة ·· الخ »

وهو يكثر من الفكاهة بالزجل ، فحين يؤلف المؤلف قصة عن الشاعر « ديك الجن » وحين يقوم العقاد بنشر الجزء الاول منها ، تغلق الجريدة التي كان يملكها توفيق دياب في اليوم الثاني ، ومن هنا يقول :

ديـك يا سي طاهر
من منظر يظهر
ستـرك يا ساتر
حلمـه بيتفسر
توفيق في سجنه
من صيحة ديكك
ابعـد بقى عنه
انت وتاليفك ! !

والعقاد يصل به الحد في الحب الى أن يسير في حديقة يتفقد فيها الوجوه ليتعرف مع صاحبه على سارة ، وحين يراهما ضابطان من الجيش يعرفانه ويتلمذان عليه ، ويسألانه عن الشيء الذي يبحث عنه ، نراه يقول وهو يشير الى الاستاذ الجبلاوي « ان صديقي هذا رجل طيب القلب ولكنه منكوب في زوجته ، وقد أخبره بعض الناس انها تغشى هذا المكان فجئنا نتحرى الامر » ·

وفي لحظات كان الاربعة رجال يواصلون رحلة البحث في الوجوه ، وعن الزوجة التي لم يعرفها أبدا الاستاذ طاهر :

والعقاد قد يبكي كطفل ، فحين دخل فيلما وصلت قمة التأزم فيه الى أن يسحب الغطاء على وجه طفله الميت ، ثم يذهب ليغني الاغنية التي كان قد نظمها ولحنها لهذا الطفل ·· حين يشاهد العقاد هذا الفيلم تراه لا يبكي مرة واحدة وانما مرتين ! بل انه يعود الى المنزل مهدما الى حد انه قد أصيب ـ من جراء هذا ـ باحتقان في رأسه احتاج علاجه الى بضعة أيام ·

والعقاد قد يدير اسطوانة ، واذا بها تقول :

نار الغرام لم تنطفي
ولا المحبـة بتختفي

فاذا به ـ وقد كان حديث الخروج من أزمة حب ـ يستغرق في بكاء عميق ···

والمؤلف يتعدى هذا الجانب الحميم الى القاء بعض

الأضواء التى لابد منها لمعرفة العقاد ، فهو يذكر السبب فى اقباله على الصحافة ، وفى نقل ندوته من جزيرة الشاى بحديقة الحيوان الى بيتـه ، وفى الذهاب الى السودان بعد أن أكدت الاذاعة النازية أنها أعدت لشنق العقاد حبلا أطول منه !

ومهما يكن من شىء فالمؤلف قد نقل الكاميرا قريبة من العقاد ، ولـكنه يتهم بانه لم يذكر « القتافيت الصغيرة » فى حياة العقاد ، فالعظيم له حالات ضعف وانهيار ، والعظيم لا يسير فى خط صـاعد أبدا .. ولاشك أن الاستاذ طاهر يعرف شيئا من هذا ،ولكنه آثر أن يقرب القارىء من العقاد دون أن يطلعه على شىء قد لا يخدش حياء القارىء ، وانما قد يخدش حياء العقاد .

ولـكنه بالرغم من هذا قربنا من العقاد ، وجعلنا نحبه كانسان بعد أن كـنا نحبه كفكر ، لقد كان العقاد يسمى « محامى العباقرة » وما أجدر الاستاذ طاهر الجبلاوى بأن يسمى بهذا الـكتاب « محامى العقاد » .

ولكن الذى لا شك فيه أن طاهر الجبلاوى بقدر ما انتفع فـكريا بصحبة العقـاد ، أصـابه شىء من الجحود ذلك لأن النـاس تعـودوا أن ينظروا اليـه بالمنظـار الذى ينظرون به الى العقـاد ، ولـكنا لو أخذنا طاهر الجبلاوى بعيدا عن دوحة العقاد الضخمة التى تغطيه لبدا لنـا أطول قامة مما هو عليـه اليوم فالرجل له أسهام حقيقى فى الشعر والترجمة وفى الـكتابة بوجه عام ، ولـكنه آثر أن يعيش فى الظل الوارف للرجل الكبير ، وما أحسبه الا سعيدا بموقفه من العقاد ومن الحياة ، فاذا كان وفاؤه للعقاد يجعله راضيا بنصيبه ، فانا نطالب له بنصيبه من الحياة ، ونرشد الى ترجمته الرائعة لبستان الكرز لتشيكوف، ولـكثير من روائع طاغور ، ولديوان جديد يظهر له بعنوان بقية الكأس .. ورحم الله العقاد فقد كان يقول عنه انه واحد من ثلاثة فى العالم اتسموا بطابع «الطيبة والوداعة» وهم : غاندى ، ورومان رولان.. وطاهر الجبلاوى .

« عبده بدوى »

« بقية المنشور على صفحة ٣٨ »

يعيبون على الاسلام أحكامه فى المعاملات ، مع أنه ليس فيهـا ما يعوقه عن أداء رسـالته العالمية الانسانية ، فما منع قط معاملة بين الناس تنفعهم وتخلو من الضرر بهـم والغبن على فريق منهم ، وأساس التحريم كله فى الاسلام أن يكون فى العمل المحرم ضرر أو اجحاف أو حطة فى العقل والخلق . ويختص العقاد مسألتى الربا والحدود ببحثين وافيين ليؤكد أن الربا محرم فى الشرائع الكتابية والفلسفات القديمة ، وأن الشريعة الاسلامية تدرأ الحـدود بالشبهات ، ومع ذلك فلم يفرض الاسلام على جريمة من الجرائم عقابا أقسى مما فرضته الأديان الكتابية قبله ، وما شرعته الشرائع الموضوعة فى أوانه ، ولا حجة لمن ينقد العقوبات لأنه يقارن بينها وبين عقوبات العصر الحـديث ، فان الحدود فى الاسـلام بينة لا تناقض مصلحة الجماعة فى زمن من الأزمان .

وفى مجال الحقوق ، يؤكد العقاد أن الديمقراطية الانسانية ليست مما يتصور بغير عناصره الثـلاثة التى لا انفصال بينها ، المساواة والمسئولية الفردية وقيام الحكم على الشورى وعلى دستور معلوم من الحدود والتبعات ، وهذه هى العناصر الثلاثة التى نادى بها الاسلام لأول مرة فى تاريخ الانسان .

ويدافع العقاد عن الاسلام فى شبهات دارت حوله فى مسائل الرق ، والطبقية وحقوق الحرب وزواج النبى وحق الامام ، وبعـد أن يعرض للنظريات الأخلاقية فى المذاهب الفلسفية ، يؤكد أن الأخلاق التى يهتدى اليها المسلم كثيرة وافية بخير مايتحراه الانسان فى مراتب الكمال المطلوبة لكمالها مع عموم نفعها فى حياة الفرد والجماعة .



وبعد ـ فاذا كان منهج العقاد فى هذا الكتـاب يقوم على عرض الاسلام من معينه الصافى متضمنا دحض الشبهات وازهاق المفتريات ، فان منهجه فى كتابه الآخر « ما يقال عن الاسـلام » يقوم على الايجابية حيث يناقش الشبهات والمفتريات المعاصرة ويتعقبها فى أعمق جذورها ، لتقويضها ، وهـذا ما سأتناوله فى المقال القادم ان شاء الله .

« محمد عبد الله السمان »



لماذا الندم وليس الذباب ؟

بقلم جلال العشرى

باريس سنة ١٩٤٣ يا لها من ذكريات !

عساكر الاحتلال النازى تجوب الشوارع والطرقات ، والناس فى بيوتهم لايتكلمون الا همسا، وكلمة قالها بائع الكتب على نهر السين أدت الى رميه بالرصاص ، فقد أطلقت حكومة فيشى ذبابها فى كل مكان وكست المدينة بسحابة من ندم وزعتها بالعدل على جميع المواطنين • أما سارتر •• جان بول سارتر ذلك الفيلسوف التائه فى ملكوت الفكر الذى خرج حديثا من الأسر معتل الصحة متهوك القوى فلا خوف منه على الاطلاق لذلك سمحوا له أن يكتب مسرحية وأن تعرض مسرحيته على الناس ، ولم يخطر على بال المحتل الغاصب مدى ما للفكر الدرامى من خطر ، لم يخطر على باله انه سيخسر المعركة بمجرد أن يسمح بعرض هذه المسرحية •

نعم فقد استطاع الفيلسوف أن يدير المعركة بحكمة ودهاء ، استطاع أن يجعل من مسرحيته لغما ينفجر فى جوف حكومة النازى ، ومنشورا ثوريا يوزع على جميع أهل باريس • وما أن يسدل الستار حتى تنطلق فى طول البلاد وعرضها نغمة جديدة تهيب بالانسان الفرنسى أن يخلع رداء الندم ويتخلص من الذباب ، أن يعتنق الحرية ويعمل على التحرر ، أن يردد فرحة البطل الوجودى أورست اذ يلتقى بأخته الكترا بعد غيبة خمسة عشر عاما لأنها فى الحقيقة فرحة الكاتب سارتر اذ يعود من الأسر ليرتمى على صدر معبودته باريس : « **لقد ولى الليل وهذا مطلع الفجر ، ونحن حران يا اليكترا• يلوح لى أنى وهبتك الميلاد وانى لم أولد الا معك ، انى احبك وانت لى • بالأمس كنت وحيدا واليوم انت لى • لقد ضاعف الدم توثيق عرانا ، لأننا من دم واحد وقد ارقنا دما** » •

ولكن ما الذى يقوله سارتر فى مسرحيته هذه ؟ يقول ما خلاصته أن الحرية هى الشىء الذى لانملك معه الحرية فى أن نتخلى عنه ، لأن الحرية هى الشىء الذى كتب علينا أن نحياه • وأنه اذا اصطدمت الحرية بالعائق تحولت الى قيمة بحيث لا يكفى الانسان ان يهتف باسم الحرية لكى يكون حرا بل لا بد له من أن يعمل على التحرر بالفعل •

ولكن الكاتب لم يقل كلماته هذه صراحة والا لما قالها أصلا وانما عمد الى الأسطورة الاغريقية القديمة يدس فيها أفكاره ويهرب عن طريقها أقواله ويتسرب منها الى أغوار الانسان الفرنسى ليلقنه ما يجب عليه أن يعمله من أجل مقاومة العدو •

وهكذا جاءت « **الذباب** » مسرحية فى ثلاثة فصول تدور حوادثها حول أورست وأخته الكترا والاله جوبيتر ، ويشرح لنا سارتر طبيعة الموقف الدرامى فى الفصل الأول ، فها هو أورست الذى تربى خارج موطنه ارجوس يعود اليه فجاة بصحبة مربيه ، يعود اليه شابا مكتمل الفتوة حرا من كل عبودية وكل اعتقاد •• لا أهل ولا وطن ولا دين ولا مهنة ، ولكنه يعود ليجد اهل ارجوس ملطخين بالندم متشحين بالعار يأخذون أنفسهم بكل قسوة وصرامة تكفيرا عن خطيئتهم فى قتل والده اجاممنون ، الملك الراحل الذى قتلته زوجته كليتمنستر بيد عشيقها ايجست الذى نصب نفسه ملكا على أهل أرجوس وراح يعمل على كسب محبة الشعب بتزعمه طقوس التكفير • فالفصل الأول اذن يعدنا لطقوس الاحتفال بالذكرى السنوية لجريمة القتل وفيه تتبين مجرى تيارين من الخصومة والعداء •• أحدهما بين الكترا والملكين وهو قديم ومرير ، والثانى بين جوبيتر وأورست وهو لا يزال بعد جنينا • والذى يؤكده سارتر فى هذا الفصل أن أورست لا يبدو بمظهر من يود الانتقام لأبيه ، بل يبدو بمظهر من لم يعد يعنى فى قليل أو كثير بشئون أرجوس ، فهو هادىء متزن يميل الى ترك شئون الموتى للموتى : « ولكن ماذا ؟ ما لهؤلاء القوم ومالى ؟ ولم أشهد ميلاد طفل من اطفالهم ، ولم

أشارك فى زفاف بناتهم ، ولست أشاطرهم ندمهم ، ولا أعرف اسما لواحد منهم . ان الحق ما قال ذو اللحية : على الملك أن يتسامح مع رعاياه فى عين الذكريات ، فلنخل سبيلهم أيها الرجل الطيب ولننطلق الى سبيلنا على أطراف الأصابع » ..

والفصل الثانى يشتمل على منظرين رائعين ... الأول لطقوس التوبة والتكفير وفيه نرى ايجست يزمع أن يطلق أرواح الموتى من العالم السفلى ويسمح لهم أن يغشوا مساكنهم ومنتدياتهم مثل ما كانوا يفعلون فى حياتهم الاولى لليلة واحدة فقط يعودون بعدها الى عالم الموتى . واذا بالكترا تقبل فى حلة بيضاء متحدية ما أمر الملك باقامته من طقوس وشعائر ، وترقص أمام الناس حرة النفس طليقة الذراعين معلنة أنها لن تكف عن الرقص الا اذا رأت من الأرباب ما ينم عن عدم رضاهم عن رقصها ، وهنا يتقدم جوبيتر مقسما أن يعصف بغرورها فيرسل البرق والرعد ويطلق الذباب كأنه السحب السوداء. ولكن الكترا كانت قد حركت فى نفس اورست أعمق الانفعالات فما أن ينتهى الحفل حتى يكشف لها عن شخصيته فيذهبان سويا ليرسما خطة الانتقام من الملك والملكة .

ويكشف لنا المنظر الثانى عن جانب من القصر حيث نرى جوبيتر يحذر ايجست بعد أن سمع الحديث الذى دار بين أورست والكترا ، وتتجلى فلسفة الحرية عند سارتر فى الحوار الذى يدور بين كبير الآلهة وملك أهل أرجوس ، فالاثنان يريدان أن يغسلا أيديهما من الاثم وأن يطهرا نفسيهما من الندم ولكنهما مهما فعلا فستظل أيديهما ملطخة بالدماء فها هو جوبيتر يعترف : « كلانا يسعى الى أن يسود النظام ، أنت فى أرجوس وأنا فى العالم ، والسر الذى يوقر قلبى هو عين السر الذى يوقر قلبك .. ذلك أن الناس أحرار ، أحرار يا ايجست . أنت تعلم وهم لا يعلمون » . ولكن الملك كانت قد أثقلت ضميره الخطيئة وسئم التوبة والتكفير ، بل سئم الحياة أيضا فلم يعد يهتم بالدفاع عن نفسه ، وما هو الا أن ينصرف جوبيتر حتى يسرع أورست الى الملك فيقتله ثم يهرع الى أمه الملكة فيقتلها هى الأخرى ويعود الى أخته يردد صيحة البطل الوجودى الجديد : « انى حر يا اليكترا .. انقضت على الحرية انقضاض الصاعقة » .

وترتفع ستار الفصل الثالث عن أورست والكترا نائمين فى معبد أبولو عند قدمى التمثال بينما التفت حولهما الايرنيات خادمات الجحيم ، التفت حولهما فى دائرة كأنها سرب من مالك الحزين . وهنا يصل جوبيتر فيعرض عليهما أن يحميهما من الجمهور الغاضب الذى ينتظرهما عند باب المعبد ويضمن لهما ارتقاء عرش أبويهما . وكانت الكترا قد هزها مقتل أمها هزا عنيفا فرضخت لكلمات جوبيتر وترغيبه ، أما أورست فرفض الاذعان له . وأمام رفض أورست يأمر جوبيتر جدران المعبد أن تنشق ليطلعه على معجزاته وعلى ما له من سلطان . ولكن ذلك كله لا يزحزح أورست عن موقفه فيدور بين البطل الوجودى وبين كبير الآلهة أروع وأعمق ما فى المسرحية من حوار لأنه الحوار الذى تخرج منه بعصارة فلسفة سارتر فى الحرية :

أورست : .. أنت ملك الآلهة يا جوبيتر ، وملك الصخور والكواكب ، وملك الأمواج فى كل البحار. ولكن لست ملك الانسان.

جوبيتر : لست مليكك أنت أيتها الدودة الخالية من كل فطنة. ولكن من ذا الذى خلقك؟

أورست : أنت .. ولكن كان يجب الا تخلقنى حرا .

جوبيتر : انما وهبتك الحرية لخدمتى .

أورست : هذا جائز ولكنها انقلبت ضدك، ولاحيلة لى ولا لك فى ذلك .

جوبيتر : وأخيرا هذا هو عذرك .

أورست : لست معتذرا .

جوبيتر : أهذا حق ؟ أتعرف أن هذه الحرية التى تزعم أنك عبد لها تشبه كل الشبه أن تكون اعتذارا ؟

أورست : لست السيد ولا العبد ، وانما أنا الحرية .

فاذا كان الانسان حرا هكذا وكان يجب الا يصدر فى أفعاله الا عن الحرية ، فها هو أورست وقد فرغ من كلامه يسارع الى مواجهة الجماهير فى جرأة وشجاعة ليخبرهم بأنهم فى حل من كل الالتزامات التى فرضت عليهم جزاء جرمهم ، وبأنه وحده سيحمل عن المدينة كلها خطيئة قتل والده الملك . وتفسير ذلك وجوديا أن الحرية التى عناها أورست بقوله : « ذاتى حريتى » انما تتألف من سيطرته على دخيلة نفسه ومن معرفته لنفسه فى وقت واحد ، وهاتان هما الدعامتان اللتان ترتبت عليهما المطالبة بالحرية السياسية فى صورة التحرر من المستعمر الغاصب .

وبعد أن يعفي أورست الناس من هذا الاثم ليضعه على كاهله هو يتلاشى الندم ويموت الذباب لأن حياة جديدة أشرقت في الضفة الأخرى من النهر وعلى الجانب الآخر من الجبال « وداعا أيها الناس وحاولوا أن تحيوا ، فكل ما هنا جديد ، وكل شيء قد بدأ منذ اليوم فحسب ، وحياتي أيضا قد بدأت ويا لها من حياة غريبة » .

هذه هي الأسطورة الاغريقية القديمة كما عالجها سارتر معالجة جديدة كل الجدة ، معالجة دس فيها عصارة فكره وأودعها قطرات ضميره ليخلق بها انسان القرن العشرين . وأقول جديدة كل الجدة لأن التعديل الذي أدخل على المسرحية كان حقا تعديلا عجيبا يختلف كل الاختلاف عن التعديلات المعتادة .. فمسرحية الذباب ليست مجرد ترديد للمسرحية القديمة بعد أن صبت في قالب عصري حساس وعولجت معالجة فنية حديثة كما فعل جان جيرودو في مسرحية « الكترا » ، ولا هي ترديد للقصة في وضع عصري جديد وبيئة سيكولوجية جديدة كما فعل أونيل في مسرحية « الحداد يليق بالكترا » ، ولا هي احلال لقصة قديمة في صياغة سريالية معاصرة كما فعل كوكتو في « أورفيه » أو « الآلهة الجهنمية » ، وانما هي شيء يختلف عن هذا كله ، شيء بلغ من الاتقان والاحكام ما اضطر معه سارتر الى اعادة بناء القصة في كثير من المواضع . وكم يحلو للانسان أن يقارن بين مسرحية « الذباب » لسارتر وبين « اجمونت » لجيته أو « وليم تل » لشيلر فهنا مسرحية تهيب بالانسان أن يواصل انتصاره من أجل الحرية ومن أجل مقاومة العدو ومن أجل الاطاحة بالمستعمر الأجنبي ، حقا ما أروع جرأة أورست الداعي الى التحرير .

وأيضا ما أروع جرأة الجهاز البشري الذي اقدم على عرض هذا العمل على مسرحنا القومي ، انها جرأة لا يقدم عليها الا كل متمكن من أصول فنه وكل قادر على الانفعال الحقيقي بالعمل الجاد وفي طليعة هؤلاء المتمكنين الدكتور **محمد القصاص** الذي ارتفع بترجمته الى مستوى النص فكانت ترجمته نقلا امينا لمكنون الروح السارترى وكانت لغته موصلا جيدا لأفكار سارتر . وفي رأيي أن هذه الترجمة اذ تعرض على المسرح في هذا الوقت الذي يصطرع فيه أنصار الترجمة الى الفصحى ودعاة الترجمة الى العامية انما تقيم الدليل على أن اللغة الفصحى وحدها هي الكفيلة بنقل مثل هذا النص ، والا حاول أن تستبدل سطرا واحدا من هذه الترجمة بسطر آخر من العامية دون أن تبتعد ابتعادا كاملا عن جو سارتر بل دون أن يختل في يدك العمل كله ، غير أني آخذ على الدكتور القصاص استبداله كلمة الذباب التي أرادها سارتر بكلمة الندم التي وضعها هو ، فكلمة الذباب ليست مجرد عنوان يوضع على غلاف المسرحية وانما هي رمز أراده سارتر ومغزى ضمنه بنية المسرحية .

وبعد ذلك يجيء المخرج المثقف والفنان الأصيل الأستاذ **سعد اردش** ليرتفع بالاخراج الى مستوى النص تأليفا وترجمة وليحقق هدفين يكفيه أحدهما ليكون مخرجا كبيرا .. الأول أنه قدم الكترا سارتر لا الكترا أحد غيره من الكتاب وذلك بالمعايشة داخل كل التفاصيل الواردة في النص والنابعة من روح الكاتب، فضلا عن التركيز على الكلمة أكثر من التركيز على الحركة ، وتأكيد الفعل أكثر من تأكيد الانفعال ومواجهة الجمهور بالمضمون أكثر من الانحصار داخل الشكل المسرحي . والهدف الثاني انه اقترب من تحقيق حلمه الكبير في تقديم عمل مسرحي تكون البطولة فيه للكورس ، فقد وفق في ادارة كورس الشعب وكورس الايرنيات توفيقا كبيرا بل وفق في جعلهما شخصيتين أساسيتين في المسرحية .

وبعد ذلك كله يجيء التمثيل الذي كنت أود أن يرتفع هو الآخر الى مستوى النص تأليفا وترجمة واخراجا ولكنه للأسف الشديد كان دون هذه المستويات بكثير ، والاستثناء الوحيد هنا هو **محمد السبع** « جوبيتر » الذي كان أفضل من غيره في اداء دوره . أما **طارق عبداللطيف** فكان نحيلا شاحبا في دور « أورست » كان يحتفظ دائما بالمسافة الطويلة التي تفصله عن الدور ، لم يحاول أن يضيق هذه المسافة ولم يحاول أن يرتدي الدور وكان في امكانه ان يفجر طاقاته الدفينة ليكون عند حسن ظن المخرج ولكنه آثر أن يكون اورست شكلا وليس أورست في المضمون . أما **سميحة أيوب** عملاقة المسرح العربي فلم تكن عملاقة في أداء دور الكترا ، والذي أعرفه أن الممثل الذي يأخذ على عاتقه أداء دور لسارتر لا بد أن يضع في ذهنه أن سارتر قبل أن يكون الكاتب والفيلسوف كان الانسان الذي انتصر على كافة المثبطات وقاوم كافة المغريات ، الانسان الذي يطلع علينا كل حين بموقف بطولي رائع وكان آخر مواقفه العظيمة رفضه لجائزة نوبل بكل ما تحمله من كسب أدبي ومادي ، وأخيرا الانسان الذي يمثل بحق ضمير القرن العشرين .

« **جلال العشري** »

الكتب نقد وتعريف

فلسطين

من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر

بقلم محيي عبد الحي

لا شك أن أحداث الفترة الأخيرة تدل على أن مصير الاغتصاب لأرض فلسطين قد تقرر ـ وظهرت علامات تحتمه نجدها فى هـذا الوعى القومى الذى استفزته النكبة فانطلق ثائرا مندفعا بقوة وتصميم وتأكدت هذه العلامات بانتصار هذا الوعى انتصارا ساحقا عندما قالت جماهير شعبنا للمناضل العربى جمال عبد الناصر «نعم» وبهذه الكلمات جددت جماهير شعبنا بيعتها لقائدها مكلفة اياه بأن يظل فى موقعه ـ القيادى ـ حيث تستمر به ومعه فى نضالها البطولى ضـد عوامل التخلف والتجزئة وضـد الوجود الصهيونى الغازى .. وتؤمن جماهير شعبنا بأن نضالها اليومى على كل المستويات والجبهات ـ فى المصانع والمدارس والحقول وغيرها انما هو جزء لا بد منه على الطريق الموصل الى استعادة الوطن السـليب . ان المواطن العربى الفرد وقد جـدد لعبد الناصر البيعة يؤمن تماما بأنه المناضل والزعيم والاخ ـ والانسان ـ الذى سوف يقوده بجدارة ومقدرة الى معركة المصير المرتقبة .. حيث يستعيد كرامته الضائعة وشرفه المرغ فى تراب فلسـطين الشـهيدة ..

ولقد تعـودت جماهير شعبنا أن تلتقى بقائدها عن طريق الحديث العلنى المباشر الذى يطرح فيه القائد على الجماهير ما يسمى بأسرار الحكم قبل وخلال وبعد كل معركة او ازمة او حدث كبير .. ولقد أصبح هذا اللقاء على مسمع من العالم كله . أحد قوانين ثورة يولية ١٩٥٢ التى استنها قائد الثورة وهو قانون يقضى ـ باذاعة أسرار معـارك التحرير ومعـارك الوحـدة ومعـارك التحـول الاشـتراكى ٠٠ وكتاب اليـوم : « **فلسطين من أقوال الرئيس جمـال عبد النـاصر** » هو احـدى ثمرات هـذه اللقاءات المبـاشرة بين القـائد



المناضل وجماهير شعبنا ٠٠ يقول الرئيس فى مقدمة الكتاب عن تجربته الشخصية على ارض فلسطين عندما كان محاصرا مع كتيبته فى عراق المنشـية « الفالوجا » :

« كانت شعوبنا جميعا تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة اخفت عنها عمدا مايجرى وضللتها حتى عن وجودها نفسـه .. واحيانا كنت اهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الارض فاحس اننى أدافع عن بيتى وعن أولادى ولا تعنينى أحلامى الموهومة والعواصم والدول والشـعوب والتاريخ .

وكان ذلك عندما التقى فى تجوالى فوق الاطـلال المحطمة ببعض أطفال اللاجئين الذين سقطوا فى براثن الحصـار بعد أن خربت بيوتهم وضاع كل مايملكون ، وأذكر بينهم طفلة صغيرة كانت فى مثل عمر ابنتى وكنت أراها وقد خرجت الى الخطـر والرصـاص الطائش مندفعة أمام سـياط الجوع والبرد تبحث عن لقمة عيش أو خرقة قماش .

وكنت دائما أقول لنفسى : ـ قد يحدث هذا لابنتى ، وكنت مؤمنا أن الذى يحدث لفلسـطين كان يمكن أن يحدث ، وما زال احتمال حدوثه قائما

لاى بلد فى هـــذه المنطقة مادام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الآن .

ولنبدا بعد ذلك فى استعراض اقوال الرئيس فى معـركة البطولة والشرف التى قادها ومـازال يقودها ضد الصهاينة المعتدين ، ويقول الرئيس فى خطاب له فى الجبهة الشرقية بتاريخ ٤ مايو سـنة ١٩٥٦ بعد أن اسـتعرض دور حلف الاطلنطى فى تزويد اسرائيل بالاسـلحة والطائرات الفرنسـية الصنع: « بالنسـبة لاسرائيل كلنا نعرف ما هى الاسباب التى من اجلها خلقت اسرائيل ، لا من اجل وطن قومى لليهود فحسب ، ولكنها خلقت لتكون عاملا من عوامل القضاء على القومية العربية الموجودة فى هذه المنطقة المتوسطة من العالم خلقت اسرائيل لاضعافنا واثارة المتاعب فى طريقنا .

ان دخان الغارة على غزة فى فبراير سنة ١٩٥٥ انجلى ليكشف عن حقيقة خطيرة تلك هى أن اسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة وانما اسرائيل فى حقيقة امرها راس حربة للاستعمار ومركز تجمع لقـوى أخطـر من اسرائيـــل ومن الاستعمار وهى الصهيونية العالمية ــ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٧

ان المشـكلة بين العرب واسرائيل كانت أولا حقوق شـعب فلسطين المنهوبة وقد اضافت اليهـا اسرائيل مطامعها التوسعية ، فهى تستقبل فى العام الواحد اكثر من مائة الف مهاجر ، فهل تسـتطيع اسرائيل بمواردها أن تستوعب هذا العدد ، ان نتيجة ذلك ستكون اعمالا عدوانية جـديدة تسـتهدف التوسع ــ ٦ ابريل سنة ١٩٥٨ .

ونحن افراد الجمهـورية العربية المتحدة علينا مسئولية كبرى ، علينا أن نحمى القومية العربية والوحدة العربيـة حتى لا تسقط القومية العربيـة تحت هجمات الصهيونية التى تمثل حربا صليبية جديدة ضـد القومية العربية وخلق ملك لاسرائيل من النيـل الى الفرات . وذلك على الطريقة التى اغتصبوا بها فلسطين والتى عاملوا بها فلسـطين ، مايو ١٩٥٩ » وهذا يعنى احتلالهم لجزء كبير من سوريا والاردن وجزء من العراق ومصر ومن لبنان والسعودية . وهذا يعنى أن الصهيونية ومن خلفها الاستعمار تسـعى لتقضى على القـومية العربية وعروبة المنطقـة قضـاء كاملا ــ فبراير ١٩٦٠

فعلينا أن نذكر دائما وجود اسرائيل وان ندرك دائما أن اسرائيل ليست أمامنا وحدها . وانما هى راس جسر للاسـتعمار ومركـز امامى لاطماع الصهيونية العالمية فى وطننا . وعلينا ان ندرك ان استعادة حقوق شعب فلسطين ليس مجرد أمنية قومية وانما هو ضرورة حيوية لسلامة الامة العربية كلها وهو الطـريق الوحيـد لقهر الخطط الصهيونية واحلامها التوسعية وانه لمن الحق علينا أن ندرك أن كل تقدم تحرزه الأمة العربية وكل فاعلية تعطيها من نفسـها لعقائدها سوف تجعلها فى المركز الاقوى وسـوف تجعلها اكثر قدرة وتمكنـا على مواجهة اسرائيـــل وما يسـندها من قـوى الاستعمار والصهيونية ــ « ٩ يوليو ١٩٦٠ » .

ولم يترك الرئيس المناضل جمال عبد الناصر مجالا واحدا سـواء على الجبهة الاقليمية أو الجبهـة القوميـة ، أو الجبهـة العـالمية الا ودعا فيـه الى استرداد الوطن السليب .

فمن خطابه فى الامم المتحدة :

« لابد أن تتحمل الامم المتحدة مسئولياتها تجاه فلسطين وشعبها العربى ، وذلك هو الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين من ابناء هذا الشعب وان الامم المتحدة تعلم من سوء أحوالهم ما يكفى لرسم صورة محزنة للظلام الذى يحيط بمليون من البشر طردوا من أراضيهم وديارهم وسلبوا كل ما كانوا يملكون . ولست اريد هنـا استدرار الدموع على أحوال اللاجئين من شـعب فلسطين وانما اريد لشـعب فلسطين حقوقه كاملة ولا أريد له الدموع . وان التعلل بالامر الواقع لخطيئة كبرى ترتكب فى حق المبادىء ، فلو قبلنا هـذا التعليل لما جاز مطـاردة السارق لنسترد منـه ما سرق ولنقتص منه بحـكم القانون . ذلك أن سرقته تصبح بعد اتمامها أمرا واقعا . ان الامر الواقع على غير أساس من العدل وحكم القانون اعوجاج يجب على المجتمع تقويمه وتلافيه .

وعن الأمر الواقع يقول الرئيس أمام مجلس الأمة فى أكتوبر ١٩٦٢ :

ان الأمـر الواقـع على الظـلم لا يسـتحق انفاس الحياة ، وان السلام الذى لا يقوم على العدل انما هو فى واقع الامر هدنة مسلحة ــ وكان ذلك بصدد التعرض لمشكلة فلسطين . تلك القطعة من الوطن العربى الغالى التى اراد الاستعمار بجريمته فيها أن يمزق الوحدة الجغرافية للعالم العربى ، ومن ناحية أخرى جعلها قاعدة يهدد منها الشـعوب العربية .

ومن خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الى رئيس الولايات المتحدة السابق ، يقول الرئيس :

« لقد أعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان « من لا يملك ومن لا يستحق » بالقوة والخديعة ان يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه وفيما يستحقه . تلك هى الصورة الحقيقية لوعد بلفور الذى قطعته بريطانيا على نفسها ، واعطت فيه من ارض لا تملكها وانما يملكها الشعب العربى ـ عهدا باقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين ، وعلى هذا المستوى الفردى فضلا عن المستوى الدولى تكون الصورة على هذا النحو تشكل قضية نصب واضحة تستطيع اى محكمة عادية أن تحكم بالادانة على المسئولين فيها .

ويقول فى نفس الخطاب :

« ان موقفنا من اسرائيل ليس عقدة مشحونة بالعواطف وانما هو عدوان تم فى الماضى واخطار تتحرك فى الحاضر ومستقبل غامض محفوف بأسباب التوتر والقلق معرض للانفجار فى أى وقت .

ومن حديث للرئيس مع رئيس تحرير مجلة ليتز الهندية بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٩٦٤ : يقول الرئيس « يبدو انه ليس هناك مفر من نشوب حرب ثانية فى فلسطين »

ان اسرائيل مصممة على أن تواصل التحدى ليس ضد العرب وحدهم وانما ضد الانسانية والمجتمع الدولى كله .

ومن خطاب للرئيس فى عيد الوحدة (٢٢ فبراير سنة ١٩٦٤) يقول الرئيس :

« اذا كانت اسرائيل بتقول انها لن تسمح لشعب فلسطين أن يعود ، كما قررت الأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٨ و سنة ١٩٦٣ وهذا الكلام لا يقبل عمليا إحنا بنقول انه لابد لشعب فلسطين ان يعود الى بلاده ويستعيد حقوقه كاملة غير منقوصة ، اذن إحتمالات المستقبل حرب مع اسرائيل .. واحنا اللى نفرض وقتها واحنا اللى نفرض مكانها . يجب ان نكون قادرين على ردع اسرائيل حتى يستعيد شعب فلسطين حقوقه »

« ان اصرار شعبنا على تصفية العدوان الاسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى هو تصميم على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب . وليس تعقب سياستنا للتسلل الاسرائيلى فى افريقيا غير محاولة لحصر انتشار سرطان استعمارى مدمر « الميثاق ـ مايو سنة ١٩٦٢ » .

***

وبعد : فمن كل ماتقدم يتضح لنا أن صراعنا مع العدو ليس صراعا على حدود . بل هو صراع من أجل البقاء والوجود . ولن يستطيع العدو ان يرهبنا بعد الآن ـ اذا حافظنا على هذا المستوى الرائع من التصميم والثبات ضد كل أنواع التآمر الخارجى وضد كل دعاوى الانهزاميين فى داخل الحركة العربية الواحدة . اولئك الذين مازالوا يؤمنون بالحلول الوسط ـ مستخدمين الطرق والأساليب الديبلوماسية العتيقة فى قضايا تهم شئون امتهم المصيرية ـ ان التحفظ فى عرف شعبنا من المحيط الى الخليج ـ يعنى الرفض والرفض يعنى التقوقع داخل حدود اقليمية متهالكة تصلح لكى تكون سلعة رخيصة فى سوق المضاربات المالية سواء بالدولار الامريكى أو بالمارك الالمانى . ومع هذا فلن يرهبنا غدر العدو اذا بقينا يقظين واعين لما يراد بنا ، ولن تخيفنا اساليبه او اساليب سادته اذا القنا تجنيد كفاياتنا وامكانياتنا للمعركة التى يجب ان نعد لها وكأنها واقعة اليوم . ان المصير قد بات واضحا اذا استمر نضالنا على روحيته وحميته واندفاعه ، وكل شىء يؤكد انه لن يبقى كذلك فحسب ، بل سيزداد حدة وعنفا وتصميما وكل شىء يقطع بأن الفجر قد لاح وما علينا الا المثابرة والاستمرار وكما تردد كتب التاريخ فى هذه الايام قصة الصليبيين وزوال ملكهم ، واندثار حكمهم ، كذلك ستتردد فى الغد القريب أصداء الثأر العظيم .

قصة تروى لاجيالنا العربية الصاعدة .

قصة بدات فصولها بقول جماهير شعبنا للمناضل جمال عبد الناصر « **نعم** » وانتهت بدولة عربية واحدة تؤمن بالسلام القائم على العدل وتدفع بالتقدم البشرى والانسانى الى الأمام محققة وجودها ، باذلة اقصى جهود أبناء شعبها لخدمة قضية الانسان فى كل مكان

« **تحسين عبد الحى** »

كتب جديدة

تقـــديم أحمد الصاوى عبد الصمد

● **مطلع النور**

تاليف : المرحوم عباس محمود العقاد
الناشر : دار العروبة بالقاهرة

يقع الكتاب فى أكثر من ٢٥٠ من القطع المتوسط

وهو دراسة على جانب من الدقة والأهمية ، يدور البحث فيها – كما يشير المؤلف فى مقدمتـه – على نوعين من المقدمات : مقدمات تمهـد لنتائج البعثـة المحمدية ، وتفضى اليها •

ومقدمات تأتى النتائج بعدها – كأنها رد فعـل لها ، وعلاج لأسبابها وعواقبها •

وفى هذه الدراسة قدم استاذنا العقاد أبحاثا فى الطوالع والنبوات ، والاحوال العالمية قبل الدعوة المحمدية ، والنبوة المحمدية ، والرسول سيد الأنبياء والاسلام دين الانســانية ، والكعبــة بيت الله ، ثم أسرة النبى صلوات الله عليه •

● **الفرق بين الفرق**

تاليف : العلامة الاسفرائينى
تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد
الناشر : مكتبة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر

الكتـاب يقـع فى ٣٦٨ ص من القطع الكبير ، والطبعة التى بين أيدينا هى الطبعة الثالثة ، والمؤلف من العلمــاء الأعلام ، فهـو الامــام الحجة أبو المظفر الاسفرائينى المتوفى عام ٤٢٩ هـ وكتابه كما يذكر المؤلف من خير ما ألف فى هذا الموضوع ، موضوع اختلاف المسلمين وتعدد فرقهم ، وقد تناول المؤلف هذه الفرق جميعا ، كالقدرية ، والخوارج ، والروافض ، والمعتزلة ، والمرجئة ، وغيرها ، كما تناول بالتفصيل الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة ، وهى خمسة عشر ركنا ، وآراء أهل السنة فى سلف الأمة •

وفى ايجاز هـذا الكتـاب مرجع أصيل فى تقييم الفرق الاسلامية التى انتسبت الى الاسـلام ، وقد كان لتحقيق الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد تقدير آخر لهذا المرجع الأصيل •

● **تحرير التحبير**

تاليف : ابن ابى الاصبع المصرى
تحقيق د • حفنى محمد شرف

الناشر : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية •

هذا الكتاب يقع فى ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير والمؤلف من علماء القرن السابع توفى عام ٦٥٤ هـ

وهو فى صناعة الشعر والنثروبيان اعجاز القرآن ويعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما للدراسات البيانية ومصدرا قيما لها من الناحيتين التاريخية والادبية •

وقد بذل المحقق الدكتور حفنى محمـــد شرف مجهودا مشكورا فى اخراج الكتاب وتحقيقه التحقيق العلمى •

● **الاسلام والتطور الاجتماعى**

تاليف : عبد العالى المظفر

الناشر : مطبعة الآداب – النجف

يقع هذا الكتاب فى ١٢٤ صفحة من القطع المتوسط والهدف من دراسته الاطلاع على قدرة ذلك التشريع الاسلامى بما يملك من أساليب وأحكام واهداف على التغلغل فى كافة هذه المجـالات المتنوعة واستيعاب أبعادها •

عرض الكتاب لدور العقيدة فى تطور الانســان والحياة ، والعقيدة فى مجالات الحياة المتنوعة ، وتاريخ الدعوة ، ثم بعض أسباب نجاح التشريع الاسلامى فى العمل والتطبيق ، وهذا مضمون الجزء الاول من الكتاب وأما الجزء الثانى فسيصدر عما قريب •

● ثروتنا المائية

تاليف : د. انور عبد العليم

الناشر : دار القلم

هذا الكتاب الذى يقع فى زهاء ١٥٠ صفحة من القطع الصغير هو العدد الاخير من سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها الثقافة والارشاد ، عرض فيه المؤلف لتاريخ الصيد والمصايد فى مصر القديمة ، والبيئة البحرية والاتجاهات الحديثة فى ابحاث الصيد، ومصادر ثروتنا المائية ، والمزارع السمكية ، ثم صناعة السمك .

والكتاب على صغر حجمه دراسة مستوفاة فى موضوعها .

● احلام شهر زاد

تاليف : د. طه حسين

الناشر : دار المعارف

سلسلة اقرأ من السلاسل القيمة المعروفة التى اصدرتها دار المعارف منذ عام ١٩٤٢ ، وهذا الكتيب هو العدد الأول منها ، طبع الطبعة الثانية عام ١٩٥٤ وهذه هى الطبعة الثالثة ، والقصة استوحاها كاتبنا الكبير من القصة المشهورة الف ليلة وليلة ، وقد اضفى عليها من اسلوبه الأدبى الرفيع .

● الصراع الأدبى بين القديم والجديد

تاليف : على العمارى

الناشر : دار الكتب الحديثة

يقع الكتاب فى ٣٢٠ صفحة من القطع المتوسط وعرض المؤلف فيه لحركات التجديد فى الأدب العربى وأبان عن مظاهره فى العصور المختلفة .

ثم عرض للخصومات الأدبية التى احتدمت بين أنصار القديم وأنصار الجديد منذ عهد الرواة فى القرن الثانى الهجرى الى عهد المجددين الاوائل فى هذا القرن ، وخصومهم من المحافظين على القديم ، ثم خصومهم من دعاة التجديد الحديث .

وابرز بصفة خاصة الخصومة حول تجديد الالفاظ ، وتجديد العبارة ، وتجديد معانى الشعر، وتجديد الأوزان والقوافى ، وناقش آراء خصوم الأدب البيانى ودافع عن كتابنا الكبار من أمثال طه حسين ، والعقاد ، والرافعى ، والزيات .

وتحدث عن مستقبل الشعر وأوضح أسباب تخلفه بعد عهد شوقى ، وحافظ ، ومطران .

وعرض لقضية الدعوة الى العامية وابان عن الأغراض الخبيثة التى يستهدفها أصحابها .

وقد قدم له الكاتب الكبير أستاذنا احمد حسن الزيات ، وجاء فى تقديمه بعد أن بين الحدود التى يصح فيها التجديد فى الأدب ، قوله : (اما الضلال والانحلال ، والتعسف ، والشطط ، والشعوبية التى تجافى اللغة ، والشيوعية التى تنافى الدين ، والاقليمية التى تحاصر الأدب ، فقد كفانى أمرها الاستاذ الصديق على العمارى فى هذا الكتاب، الذى عرض قضية الصراع الأدبى فى خلال القرون ، منذ تجهم النقاد الأولون لشعر عدى بن زيد الى ان نشبت فى العهد الأخير معركة (الديوان) .

ثم تكلم على نزعات التجديد فى القدامى والمحدثين، وكشف عن الاعتدال ، والقصد ، أو الاسراف ، والغلو ، فى أولئك ، وهؤلاء . وأبان عن الزيغ ، والزيف فى أقوال المنحرفين المعاصرين ممن أضلهم الله على علم، وضرب لهم مثلين : شيخا أحمق ، يزعم أن تراثنا منذ القرن الثالث للهجرة ينبغى أن يلقى فى المحيط !

وناقد اخرق ، يدعى أن الشكل القديم للشعر العربى هو علة ما أصابنا من فساد فى الأدب ، والخلق ، والسياسة !

ثم قطع ألسنة المتطاولين على شيوخ الأدب فى مصر من سفهاء لبنان ، بالحجة الناهضة ، والمنطق السليم.

وحمل على دعاة العامية حملة ، فضحت المخبوء فى سرائرهم ، من كيد للاسلام ، وحقد على العروبة .

وعلى الجملة فقد عالج فى الوقت المناسب ،وبالرأى الصائب ، وجوه هذا الصراع الأدبى ، الذى يتجدد على تعاقب العصور ، ويتولد من اختلاف الظروف ، ويقف الناس منه موقف الجامد ، الذى يعارض ولا يغير ، والمعتدل الذى يقبل ، ولا يسرف ، والمتطرف الذى يميع ، ولا يتماسك . ثم يحتاج هؤلاء جميعا الى كتاب لهذا الكتاب ، ليبعث الحركة فى الجامد ، والقوة فى المعتدل ، والبصيرة فى المتطرف .

« احمد عبد الصمد دياب »

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



× **الوحدة الثقافية فى كفر الشرفا :**

افتتحت ظهر السبت ٢٠ من مارس ١٩٦٥ أول وحدة ثقافية فى قرية كفر الشرفا بمحافظة القليوبية ، وحضر حفل الافتتاح الأستاذ يحيى ابو بكر نائبا عن د. «عبد القادر حاتم» وقد بين «يحيى ابو بكر» ان «الوحدة الثقافية فى كفر الشرفا ليست الا بداية الانطلاق نحو آفاق اوسع للثورة الثقافية فى ارجاء الريف ، الذى يضم السواد الاعظم من السكان ، وانه بعد ان تم تنفيذ التجربة التى وضع الدكتور عبد القادر حاتم خطوطها ورسم للقائمين بها أهدافها وابعادها ، فان وزارة الثقافة تضع نتائج هذه التجربة تحت تصرف المحافظين وجميع الهيئات والتنظيمات المعنية بالنهوض بالريف ، بحيث يمكن ان يشهد المستقبل القريب انشاء مثل هذه الوحدة فى جميع قرى الجمهورية العربية المتحدة ، لتؤدى رسالة الثورة الثقافية ، وتؤدى دورها كخلية حية فى المجتمع الاشتراكى .

× **السلوك الاشتراكى :**

ويتابع «**يحيى أبو بكر**» مقالاته في مجلة «**الثقافة**» وعنون لمقاله الثانى بـ« مشكلات وحلول على الطريق الاشتراكى » بين فيه أن السلوك الاشتراكى فلسفة منبثقة اساسا من كرامة الانسان ، ومن احترام العمل ، ومن التضامن بين أفراد المجتمع ، بل بين أجياله المتعاقبة ، ومن الاحساس بمسئولية مشتركة فى حماية الحرية والتقدم ثم اوضح أن هذه الفلسفة لابد ان تزداد عمقا وان تلتقى بتراث عظيم من القيم ، حتى تتجلى عنها أنواع من الحجب ، والوان من التزييف فرضتها الرجعية وقوى التخلف والاستغلال ، ثم يضيف «ان على القوى المتحررة المنطلقة ثوريا نحو البناء فى هذه المنطقة من العالم تجد لزاما عليها ان تعمل يدا فى يد مع جميع الشعوب ، لتصفية الاستعمار والاستعمار الجديد ، ولتحمى انجازاتها الثورية من العدوان ومن محاولات التخريب ... واشتراكيتنا ليست اشتراكية تعيش فى عزلة عن العالم ، وحتى لو أرادت ذلك فلن تستطيع ، فالتيارات العالمية فى النصف الثانى من القرن العشرين تقتضيها ان تكون فى منتهى اليقظة وان تواجه مسئولياتها على المستوى العالمى بنفس القدرة التى تواجه بها مسئولياتها فى الداخل ؛ والتى تواجه بها مسئولياتها على الصعيد العربى .

× **سارتر فى مؤتمر الادباء العرب ببغداد :**

سبق ان اشرنا فى العدد الماضى الى ما قالته «نازك الملائكة» فى مؤتمر الادباء العرب بالعراق حول الاقبال الشديد على قراءة أدب الغرب ، وما نتج عن ترجمته الى اللغة العربية فى رأيها من اثر سيىء على الحياة العقلية حتى أصيبت بالانحراف ، كما رات نازك أننا اخذنا عن الغرب فيما اخذنا موقفهم من الدين .. الخ .

ونضيف هنا رأيها فى سارتر الذى مهدت للحديث عنه بأن القراء واعوانهم من الشعوبيين يوحون لليافعين بأن هناك ادبا عالميا يتخطى الحدود ويعبر عن نفسية الشعوب اجمعين ، وان هذا الادب يقبل فى كل مكان دون نقاش كما يوحون اليهم بأن من لم يقبل هذا الادب فهو اما جامد او رجعى او جاهل ووسيلتهم فى ذلك هى اتخاذ بعض الاسماء الغربية ـ تحت شعارى الانسانية والحرية ـ لكى يضعوهم على عرش هذه العالمية .

وتقول «نازك» : ان ابرز هذه الاسماء تأثيرا فى حياتنا هو « بول سارتر » الاديب والفيلسوف الفرنسى اليهودى ..ثم ان اغلب آراء سارتر تناقض روحانيتنا وحضارتنا ، ومن هنا ترى انه « لا مصلحة لنا فى اعتناقها الا اذا اردنا ان نهدم انفسنا»

كما اشارت ايضا الى ان «سارتر» هو ناشر «فلسفة الغثيان» ومضمونها أن المجتمع بغيض ، وان وجود الناس حولنا هو الجحيم ، وان الاخلاق والمثل والتقاليد سخافات يتلهى بها السطحيون ، .. وان «الانسان غير مسئول لا امام الله ، ولا امام الضمير ، ولا امام المجتمع».

وقد اختلف مع «نازك» فى بعض آرائها الدكتور « سهيل ادريس » ودافع عن سارتر فنفى عنه ان اصله يهودى او انه يؤيد الصهيونية او اسرائيل، واستدل على ان اصله غير يهودى ما أوضحه سارتر فى كتابه «الكلمات»من أن امه بروتستانتينية، واباه كاثوليكى وانه يرجع الى اصل المانى من اسرة شويتزر ، ويمضى الدكتور سهيل مبينا ان سارتر اذا درس دراسة عميقة موضوعية متكاملة فاننا نجده « كاتب اخلاقى فى الدرجة الأولى » .

وفى معرض الدفاع عن كل من الفكر والادب الغربيين فان سهيل قد اوضح ان نازك شوهت جميع اعمال المترجمين المحدثين ، واهملت واقع الفكر العربى وطبيعة نتاجنا الحديث .. ويقول الدكتور سهيل « لقد سبق للغرب ان اقتبس طوال قرون من نور الحضارة العربية فى القرون الوسطى، وتأثر بها حتى اندرج هذا التأثر فى كيان فكره ذاته فليس من عيب ولا عار علينا أن نتأثر ونقتبس، ونحن فى طريقنا الى خلق حضارتنا وفكرنا الجديدين، اننا حين نقتبس اليوم من الغرب ، نقتبس بعض آثار فكرنا وماضينا وعراقتنا ونسترد بعض فضلنا » .

× المخطوطات العربية فى الاتحاد السوفييتى !

وفى مجلة «المعرفة» السورية مقال للمستشرق السوفييتى رستم عليف عن المخطوطات العربية الموجودة فى الاتحاد السوفيتى ، تبين الاماكن التى تحتوى عليها ، اما كيف وصلت هذه المخطوطات الى الاتحاد السوفيتى فان هذا المستشرق أوضح أن تاريخ شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ العرب ،فالعرب قدموا لهذه الشعوب الدين الاسلامى ، كما قدموا ايضا اليها تقاليدهم العلمية والثقافية واللغوية ، ثم يمضى المستشرق عليف موضحا انه منذ بدء انتشار الاسلام فى هذه المناطق «اصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة والدين وظلت اللغة العربية على هذه الحال حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، ثم يذكر ان كثيرا من العلماء العرب حين سافروا الى روسيا لتدريس اللغة العربية فى معاهدها العالية حملوا معهم مكتباتهم التى حوت هذه المخطوطات وباعها ابناؤهم واحفادهم بعد وفاتهم .

ويبين المقال ان اللغة العربية كانت فى بلدة «داغستان» حتى اواخر القرن الماضى ، لغة العلم والثقافة والادب ، وكان الداغستانيون يكتبون مؤلفاتهم وأبحاثهم بها ، مما أدى الى وجود عدد ضخم من المؤلفات والمخطوطات العربية فى هذا البلد ، وقد اشار المقال ايضا الى أن اقدم مخطوطة موجودة فى الاتحاد السوفيتى يرجع تاريخها الى اواخر القرن الأول الهجرى اى (٧٢١ م) ، وتتضمن هذه المخطوطة رسالة من «ديفاستيش» والى ناحية قرب بخارى الى حاكم خراسان الذى ولى بعده قتيبة بن مسلم وكان لاكتشاف هذه المخطوطة ما جعل كثيرا من المؤرخين الاوربيين امثال «جب» و « ماسينيون » يعدلون عما قرروه فى كتبهم من ان المعلومات التاريخية الموجودة فى المصادر العربية ليست صحيحة كليا .

اننا فى هذه المرحلة محتاجون الى الكشف عن كنوزنا المبعثرة ، وان نوجه اليها عناية كبيرة حتى تكون فى متناول ايدينا ، اذ ان هذه المخطوطات لن تفيدنا وحدنا وتبرز لنا جوانب مشرقة من تاريخنا القديم ، بل ان ما فيهم من المحتوى العظيم ماتعود فائدته بلا شك على العالم اجمع .

« محمد الغوانى »

وجها لوجه

قصة بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

كانت تحاول جاهدة ان تتفاهم مع هذا الذى غشها . انها تعرفه منذ سكنت فى هذا الحى . بائع اللبن .. هذا الطيب ... الذى تفوح من دكانه روائح تشتهيها النفس .. وفى واجهة محله الزجاجية اطباق القشدة المسكرة والمهلبية باستمرار وكل الناس يثقون فيه . ولكن ... لماذا غشها ؟! هى بالذات . والمؤلم فى الموقف أن أحدا لن يصدقها. وهى الآن تعذب نفسها الى درجة لا تحتمل فهمها للموقف وحدها دون الناس جميعا وهو انه تستر بثقة الناس فيه وغشها هذا الغش الفادح .

شعرت انها جائعة متعبة ساعة استيقظت من النوم . عظامها تؤلها حتى النخاع : « يا الهى .. لم اكن كذلك ليلة امس فقد عدت من عملى آخر الليل وأنا فى غاية من الصحة والبهجة كذلك . فقد شهدت فيلما أنا وحبيبى .. أضحكنا حتى دمعت عيوننا ... لكن ... ما هذا العناء ؟! » .

واتجهت الى المطبخ المظلم – ولو ان الوقت صباح – واشعلت النور ووابور الجاز . وضعت اللبن على النار حتى غلى ثم أخذته وجلست وحيدة فى الشقة الصغيرة المعزولة وجلست تشرب . وعند الجرعة الاولى احست ان التعب غير كل طعم فى فمها . نعم . لكنها عاودت الأمر . فما لبثت أن اكتشفت ان الرجل لم يبع لها لبنا بل نوعا من الجير مذابا فى الماء لسع فمها واحرق لسانها فاسرعت تهبط السلم اليه وغضبها يغلى . على جسمها (روب) والحر شديد وهى تشعر بالبرودة والعرق يتصبب من جبينها واطرافها ترتعش . والمرئيات أمامها مهزوزة وهى فى طريقها الى اللبان .

وعندما وصلت الى باب دكانه الفت امامه عددا من الزبائن وهو واقف فى جلباب ابيض تبدو على وجهه طمانينة من لم يعرف الاثم . فزاد ذلك من حدة غضبها . ووقفت تصرخ باعلى صوتها وريقها جاف والعرق على جبينها بارد :

– انت غشاش . انت غشاش ... ليس هذ لبنا ؟!

ونظر اليها الناس فى ذهول . ان احدا لا يصدق هذه التهمة . ولوى بعض الواقفين شفته وربتت امراة على كتفها وهى تقول لها :

– التعب ظاهر عليك ..

فصرخت الفتاة :

– لا .. انه باع لى بدل اللبن جيرا . انظروا ... الى فمى الملتهب .. شفتى السفلى قد تورمت آه ... والعليا بدات كذلك .. هل خدعكم وجهه الطيب .. ان ... آه ...

وتهالكت على كرسى بلا مسند امام الدكان . وقد بلغ الظما حد من ضل فى الصحراء . واسندت راسها الى الحائط واخذت تبكى . وكانت بين الوهلة والوهلة ترى منظر البائع من بين اهدابها وهو يرسل اليها نظرة شماتة . شماتة من غشها وحدها دون الناس فكسب الناس فى صفه . وبلغ بها الغيظ حدا دفعها الى الانتقام فتحاملت على نفسها وهجمت عليه . تريد ان تشفى غليلها وتضربه بشىء ما . وقع بصرها على وعاء نحاسى كبير فامسكت به فاذا بها تصرخ . كان نازلا من على النار لتوه وافرغ منه اللبن فأحرق اصابعها . وندت من البائع ضحكة صغيرة نصفها شامت ونصفها مثير وضحك منها الناس : «على الباغى تدور الدوائر»

وزاد من عذابها ان احدا لا يصدق ما بها . لا المها النفسي ولا المها الجسمي . فخرجت تتعثر في الروب وصعدت السلم تلهث . ولما دلفت الى الصالة وجدت كوب اللبن لا يزال في مكانه فضربته بكفها فاراقته على الارض ثم اطرقت على المائدة ... شعرت ان رأسها ملىء بالرصاص ... وان «هرقل» نفسه لا يقوى على حمله بهذه الصورة . لكنها أحسست بالجوع ... جوع والم في آن واحد ... ان معدتها تعبر عن وجهي الحياة ، فهي تحس بالشهية ودبيب المغص . وعادت اليها لقطة من الفيلم المضحك الذي شاهدته مع حبيبها ...

« زوجان يتعاركان وهما ياكلان ... وكانت المرأة تاكل ودموعها على خدها . وقال لها حبيبها ساعتئذ : انها تركت اسنانها تؤدي وظيفتها كما تركت عينها تؤدي وظيفتها » .

وهكذا هي الآن . وتأوهت . ورفعت رأسها ومدت يدها الى الخبز . وقطعت منه قطعة . اخذت تلوكها في هدوء كمن يفتش عن فكره . عيناها شاردتان والصداع يدق ... لكنها سرعان ما اكتشفت شيئا اثارها ... ان الخبز مغشوش ... انه ليس دقيق ذرة ولا قمحا ولا ارزا .. وبصرف النظر عن الدقيق فان اسنانها كلها اخذت تنبح ... لقد مضغت رملا ، وطعم التراب يملأ فمها .

ووقفت تفكر . لم تستطع ان تفصل بين الحادثتين ... حادثة اللبن وحادثة الخبز . لان الطاقة الانسانية لا تستقبل الحادثة الثانية بنفس اكتمالها الاول ، وشعرت كأنها مضطهدة . أو على الاقل غير موضع احترام أو كأنها ليست أهلا لأن تنال الحق العادي الذي يناله كل مواطن ...

واستحضرت صورة بائع الخبز . ذلك الرجل الذي يكتسي ملابس الريف وملامحه في المدينة . الذي لم يغير لهجته ولا فطرته ولا تقاليده . ذو الوشم على المعصم والصدغين . المستقيم مثل شعاع الشمس على الحقول ... يغشها هي ؟! .

وكشراع ملأه الهواء تحركت نازلة فالرجل على مقربة من الباب ، ومشت تتعثر ، اطرافها باردة وريقها جاف ورأسها في ثقل كرة من الرصاص . حتى اذا ما وصلت الى دكانه الفته واقفا خلف « البنك » يبيع في هدوء فطري سليم . لم تزوده الطبيعة باحدى علامات المراوغة والناس أمام الدكان يأخذون ويعطون . لكنها وقفت وصرخت فيه :

ــ انت غشاش .. انت غشاش ... كيف تبيع لي رملا بدل الخبز .. ان اسناني ... آه .

ووضعت يدها على فمها كأنها تحول بين نفسها وبين الالم . ونظر اليها الناس في ذهول . ان احدا لايصدق هذه التهمة . ولوى بعض الواقفين شفته وربتت امرأة على كتفها وهي تقول لها :

ــ التعب ظاهر عليك .

فصرخت الفتاة :

ــ لا .. انه باع لي رملا ... انظروا ... ان اضراسي تكاد تسقط ولثتي ملتهبة وشفتي السفلى قد تورمت ... اللبان وبائع الخبز .. معا ... آه ... اي ...

وتهالكت على كرسي بلا مسند امام الدكان وقد بلغ بها الظما حد من ضل في الصحراء .. واسندت رأسها الى الحائط واخذت تبكي . وكانت بين الوهلة والوهلة ترى ذلك الرجل الريفي الطيب ذا الوشم على المعصم والصدغين ينظر اليها من بين اهدابه نظرة شماتة . شماتة من غشها وحدها دون الناس فكسب الناس في صفه . وبلغ بها الغيظ حدا دفعها الى الانتقام فتحاملت على نفسها وهجمت عليه تريد أن تشفي غليلها وتضربه بشيء ما ، ووقع بصرها على السكين الذي يقطع به الخبز لمن يريد نصف رغيف فامسكت به فاذا بها تصرخ . فقد قبضت على نصله بدلا من ان تقبض على يده فشاص في كفها . وندت من البائع ضحكة صغيرة نصفها شامت ونصفها مثير وضحك منها الناس : « على الباغي تدور الدوائر » وزاد من عذابها أن احدا لا يصدق مابها . لا المها النفسي ولا المها الجسمي . فخرجت تتعثر في الروب بكف محروقة من النحاس ومجروحة من السكين ، وصعدت سلم بيتها تلهث . ولما دلفت الى الصالة وجدت الرغيف لايزال في مكانه على المائدة فامسكته وفتتته .. مزقته كأنه جلباب ذلك البائع ورمت به الى الارض فاذا به يتناثر في اللبن المراق ... وبعد قليل سمعت مواء قطة عبرت اليها من شباك الحمام عن طريق المسقط وتسللت بخفة في خطواتها

المخملية ونظراتها الكهرمانية ثم أخذت تأكل الخبز باللبن .

كانت مستندة رأسها الى المائدة وصوت لعقات القطة الرتيب المتلذذ يصل الى اذنها كأنه صوت شماتة . فأخذت تتساءل : « وهل تأكل القطة الجبن ؟ » .

أخذت الحيرة تدور بها .. كفراشة مرهفة امام زجاج مقفل . لكنها ... مالبثت أن احست بالجوع جوع وألم فى آن واحد . معدتها تعبر عن وجهى الحياة فهى تحس بالشهية ودبيب المغص . وعادت اليها اللقطة السابقة من الفيلم الذى شهدته هى وحبيبها ليلة أمس .. ثم احست كأن يده تدب الى فخذها فى الظلام ...

بادرتها رائحة لذيذة . وصلت اليها ... صافحت انفها ثم غابت . كبقية عطر فى منديل مغسول .

ثم ما لبثت ان انغمست فى آلامها ... ان معدتها تتقلص ... كل شىء يؤذنها بالخطر . وهى وحيدة فى الشقة . وكان عليها أن تبلغ رئيستها فى المستشفى الحكومى الذى تعمل حكيمة فيه .. عليها أن تبلغها أنها مريضة . هناك اشياء لا تقبل التأجيل . لكن لم يعد فى استطاعتها أن تنزل حتى لتتصل بها بالتليفون ...

وتذكرت علبة الدواء الذى تأخذه عادة عندما تهاجمها هذه النوبات فقامت اليها ... كانت جديدة . رفعت ورقها الشفاف ثم حركت الغطاء فانفتح فاذا بداخل العلبة شىء غريب . اقراص بدل الحبوب ... وهى لصلتها بالطب لا يمكن أن يغيب عنها هذا . وفاحت من العلبة رائحة نفاذة ... رائحة يعرفها الطفل ... انها رائحة نعناع ... ولكنها لم تصدق نفسها فقطمت وذاقت فاذا بالوهم حقيقة لا تقبل الجدل ...

عندئذ احست بقواها تخور : « حتى الدواء .. هذا مريع .. » كم تود أن تنزل الى ذلك الصيدلى لتفضحه على قارعة الطريق .. لكنها عاجزة تماما عن جر ساقيها . كان أولى من ذلك كله ان تعتذر للمستشفى عن الحضور ... رأسها من الرصاص ... وعرقها بارد ...

غير أن الغضب عصف بها فمنحها قوة عصبية.

فهبطت السلم وهى بنفس الملابس .. الروب يلف على ساقيها والحر شديد والمرئيات أمامها مهزوزة وهى فى طريقها الى الصيدلى .

وعندما وصلت الى هناك وجدته واقفا امام احد الدواليب فى معطف أبيض مثل ورقة السوسن . وعلى وجهه جد العلماء واستقامة من يأتمنه الناس على حياتهم . وناس يأخذون ويعطون . لكنها دلفت اليه وصرخت فيه :

ــ **انت غشاش ... انت غشاش ...**

تفرغ العلبة من الدواء وتضع فيها اقراصا من النعناع ؟

ونظر اليها الناس فى ذهول .. ان احدا لا يصدق هذه التهمة . ولوى بعض الواقفين شفته . وربتت امرأة على كتفها وهى تقول لها :

ــ التعب ظاهر عليك ..

فصرخت الفتاة :

ــ لا .. انه باع لى نعناعا .. بدل الدواء الغالى .. الغالى .. الغالى .. آه ...

شفتى ملتهبة .. ويدى محروقة ومجروحة.. واسنانى تؤلمنى .. هل خدعكم وجهه الطيب ... آه ... اى ...

وتهالكت على كرسى بلا مسند فى الصيدلية واسندت رأسها الى زجاج دولاب . وبين الوهلة والوهلة كانت ترى منظر الصيدلى وهو يرسل اليها نظرة شماته . شماته من غشها وحدها دون الناس فكسب الناس فى صفه .

وبلغ بها الغيظ حدا دفعها الى الانتقام فتحاملت على نفسها ودلفت الى الداخل ... حيث وجدت زجاجة مليئة بحامض ... كانت تريد أن تقذفه بها ... تريد أن تقتله ... انها لم تحتمل هذا النوع من الغش . كله الا الدواء ...

لكن الناس تجمهروا وامسكوا بيديها .. وقادوها الى الخارج حيث أجلسوها على كرسى وقدموا لها كوبا من الماء المثلج .

احست أن ريقها ابتل هذه المرة . كأنما تقعت هذه الشربة كل عطشها ... النار التى فى صدرها بدأت تبرد . وكانت مسبلة أجفانها فسمعت صوتا

تسويا عذبا هو صوت المرأة التى سقتها تقول لها :

ـ هنيئا ..

فتحت عينيها فاذا بها تعرفها ... انها زميلتها المرضة معها فى مستشفى الحميات حيث يعملان معا . لم تكن فى الصيدلية حيث خيل اليها ان هذه الحوادث تدور . بل كانت راقدة فى سرير المرض محمومة .

وابتسمت لزميلتها وردت بصوت واهن :

ـ هناك الله ... مالى بادرية ... آه .. انا نسيت .. نسيت اننى محمومة واننى هنا . فى المستشفى الذى أعمل فيه حكيمة .. آه ... ياله من عذاب ... الغش ... الغش ..

ضحكت زميلتها :

ـ اقسم لك بالله أننى ما غششتك .. لقد اعطيتك كل الادوية التى كتبها لك الاطباء ولذلك فقد تماثلت سريعا للشفاء . لم انقص ولم ابدل وليس هذا طبعى كما تعرفين ... تعرفين أننى اخاف الله ... وحتى على الاقل احترم ضعف الانسان ...

وعادت تضحك . شعرت المريضة انها كأنها مولودة ولم تسمع من قبل ضحكة على الأرض . هذه مرة . نظرت الى زميلتها وعادت تهمس :

ـ العطش .. عرفته .. قابلته وجها لوجه .. فى الخبز واللبن والدواء . وذقت بسببه العذاب . غشونى وحدى .. عرفت معنى ما فعلت .. معنى سلب الدواء من المريض وانا فى هذا الفراش يا صديقتى .. تبت ...

ردت زميلتها مداعبة :

ـ تبت عن الحب ؟

همست وكفها على راسها فى موضع الصداع :

ـ لا .. لو عرف قلبى طريق الحب ما فعلت كل هذا ... آه ... دعينى أنام ...

« **محمد عبد الحليم عبد الله** »



● من امثلة الركاكة المقلدة المخربة للغة العربية، التى أشارت اليها نازك الملائكة ، قول لويس عوض فى افتتاح مقال له أخير بالأهرام :

« **منذ صدر ديوانه الاول (ازهار ذابلة) عام ١٩٤٧ بدا بدر شاكر السياب يمر فى مرحلة القلق ...** »

❋ ❋ ❋

● فى حديث بالاذاعة (البرنامج الثانى ـ مجلة الأدب) نقد الزميل الدكتور أحمد كمال زكى نازك الملائكة نقدا يدل على أنه لم يقرأ بحثها ، أو قرأه متعجلا ، اذ نسب اليها أنها هاجمت الترجمة عامة ، وعلى هذا جعل يبين فائدة الترجمة الى العربية واثراءها لحياتنا الأدبية . **والواقع ـ كما رأينا ـ أنها نقدت نوعا معينا من الترجمة له أثر ضار باللغة العربية .**

❋ ❋ ❋

● استعمل الدكتور زكى فى حديثه ذاك عبارة « **الشعوب العربية** » وهو بصدد نقد توصيات مؤتمر الأدباء العرب ، وهذا أيضا يدل على انه لم يقرأ كل التوصيات ، أو قرأها متعجلا ، ولو تمهل لرأى فيها :

« **يوصى المؤتمر رجال الفكر والادب بتحاشى استعمال عبارة «شعوب عربية» فى الدلالة على الأمة العربية او على الشعب العربى** » .

❋ ❋ ❋

● وردت كذلك عبارة « **الشعوب العربية** » فى مقال **الدكتور محمد مندور** الأخير فى مجلة « حوار الصهيونية » .. وسيادته كان عضوا بمؤتمر الأدباء العرب !

« **عباس خضر** »



تقديم
اميل جرجس

« الحسين فوزى »



الفنان الحسين فوزى من الرواد الأوائل فى فن الحفر فى مطلع هذا القرن بالجمهورية العربية المتحدة .

وتاريخ حياة الفنان يعطى صورة واضحة للفنان الدارس الجاد الخلاق الذى ارتبطت موضوعات اعماله بحياتنا الاجتماعية فى الاربعين سنة الاخيرة مع تمكن من السيطرة على الاساليب الفنية المعاصرة ، وفضلا عن ذلك تميزت باساليب تكنيكية خاصة اوجدت لشخصيته طابعا مميزا استوحى من تراثنا القديم وآمالنا المستقبلة .

- ولد فى القاهرة ١٩٠٥
- دبلوم فى الفنون الجميلة بالقاهرة ١٩٢٨
- سافر الى باريس فى بعثة لمدة اربع سنوات من عام ١٩٢٩ الى ١٩٣٤
- درس فن التصوير الزيتى مع الاستاذ فوجيرا
- درس فن الحفر بمدرسة استين بباريس وكذلك الزخرفة بالمدرسة العليا للفنون الزخرفية بباريس
- اشترك فى صالون باريس عام ١٩٣٣
- أصبح استاذا فى الحفر بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة . واشترك فى كثير من المعارض الداخلية والخارجية
- نال الجائزة الاولى فى فن الحفر بمعرض بينالى بالاسكندرية .
- نال تقدير الدولة بمنحه وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى
- له مدرسة خاصة فى فن الصحافة
- قام بعمل رسومات ملونة داخل جوامع القاهرة طبعت فى مجلدين
- قدم اعماله عن البيئة خلال اربعين عاما فى معرض خاص خلال هذا الشهر بقاعة الفنون الجميلة بالقاهرة

ان العمل الفنى فى مجتمعنا الحديث اصبح ضرورة من الضروريات الثقافية الهامة المتشعبة الاطراف .. حيث يبدأ بوجود الفنان الخلاق المبدع فلا يمكن ان يستغنى أى مجتمع من مجتمعاتنا الحديثة عن هذا الفنان .

العمل الفنى مهما كان نوعه سواء فى الفن التشكيل او الأدب أو الشعر أو خلافه يمثل ذاتية صاحبه أصدق تمثيل ويعكس عالمه الذى عاش فيه تجارب حياته وأفكاره .

فان فنان هذا العصر يجب أن ينظر الى العالم نظرة جديدة وذاتية فى جوهرها ويجب أن يعرف كيف ينبغى ان يعبر عن هذه النظرة فى اعماله بامانة واخلاص .

ان العمل الفنى ليس اظهار الطبيعة مصورة كما هى فى الواقع وانما يجب استخدام الطبيعة استخداما جماليا حتى يتم تحويلها وابرازها فى تشكيل جديد يلائم تجارب الفنان النفسية ويصور حياته التى يعيشها .

فالتعبير فى اى صورة من صور الفن لا يكون الا بتحويل الواقع الطبيعى الى واقع فنى ذلك ان اللوحة الفنية او العمل الفنى ليس جزءا من الحياة وانما هو عالم قائم بذاته له لغته المستقلة التى يعبر بها عن نفسه وعن احاسيسه وعن عواطفه ورغباته بكل اوزانها وتطرياتها ، حيث يملء احساسا بالجو العام المحيط به ـ فالتعبير عن الشعور والافكار وجد فى نفس الانسان منذ بدء الحياة .. ولكن تتعلق الفترة التى يرغب فيها الفرد بالتعبير عن نفسه بالحاجة الى التصوير المطابق .. حتى يكون للشعور والأفكار المعنى الأكبر تطبيقا وحتى يصل المعنى الى فائدة عامة . فان رسالة الفن ان تقدم لنا التجارب النفسية والأشياء الجديدة التى تضيف الى خبرتنا فى العالم اكتمالا واثارة أكثر مما هى عليه .

واذن فالفنان ما هو الا خالق مبدع يقدم لنا اسمى آيات فنه فى الصورة التى يحس بها .

وبعد فاننا فى هذا الباب نقدم لمحات سريعة نريد أن نكشف بها عن نواحى الابداع فى العمل الفنى ..



العدد ٨٨
الثمن ٣
الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة.

لهجاتنا العامية ..

عوامل نشأتها وتطورها ومظاهر قصورها

للدكتور علي عبد الواحد وافي

تقتضي قوانين اللغات انه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الارض ، وتكلم بها طوائف مختلفات من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى امدا طويلا ، بل لا تلبث، في ميادين التخاطب العادي ، أن تتشعب الى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها ، متأثرة في ذلك بما يكتنف الناطقين بها من ظروف طبيعية واجتماعية خاصة . وبذلك يتولد عن اللغة الأولى شعبة من لهجات المحادثة يختلف بعضها عن بعض في بعض الوجوه ، ولكنها تظل مع ذلك متفقة في وجوه اخرى كثيرة ، اذ يترك الأصل الاول في كل منها آثارا تنطق بما بينها من صلات القرابة ولحمة النسب اللغوي .

ولهذا القانون خضعت الامات الانسانية من مبدأ نشأتها الى الوقت الحاضر . فاللغة اللاتينية مثلا قد اخذت في أواخر العصور القديمة وفي العصور الوسطى تتشعب الى عدد كبير من اللهجات ، واخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها ، حتى أصبح كل منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة الا لأهلها ولمن يتعلمها تعلما مقصودا . وقد بقيت اللاتينية مدة كبيرة لغة ادب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منها (الفرنسية، الإيطالية ، الأسبانية ، البرتغالية، لغة رومانيا ..) ، ولكنها تنحت عن هذه الوظيفة بعد ان اكتمل نمو هذه اللغات .

والعصر الحاضر نفسه يشهد كثيرا من آثار هذا القانون في اللغات الأوروبية الحديثة . فلانتشار اللغة الاسبانية في مناطق واسعة من الارض ، ولاختلاف الطوائف المتكلمة بها ، اخذت تفقد وحدتها ، فانشعب عنها في أمريكا الجنوبية لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض ويختلف كل منها عن الأسبانية الأصلية اختلافا غير يسير في كلماتها واصواتها ؛ بل ان بعض هذه اللهجات اخذ يختلف عن الأسبانية الأصلية في القواعد نفسها . وقد الف بعض العلماء كتبا في قواعد بعض هذه اللهجات ، منها كتاب الأستاذ « لنز » في قواعد لهجة شيلي . ومثل هذا حدث بين البرتغالية في البرتغال والبرتغالية في البرازيل ، فقد وصل الخلاف بينهما الى القواعد نفسها بل الى شكل الرسم كذلك . وهذا هو ما يحدث الآن للانجليزية ،

والألمانية . فقد أخذت انجليزية الولايات المتحدة بأمريكا تختلف عن انجليزية الجزر البريطانية في كثير من المفردات وأساليب النطق ، وأخذت ألمانية سويسرا تبتعد عن أصلها ويزداد تأثرها بجارتها الفرنسية ، حتى لتوشك أن تكون لهجة متميزة عن ألمانية الألمان .

ولم تفلت اللغة العربية — **وما كان يمكن أن تفلت** — من هذا المصير . فمنذ أن اتسع انتشارها ، أخذت تتشعب في شئون التخاطب والحديث العادى الى لهجات يختلف بعضها عن بعض وتختلف عن الأصل الأول الذى انشعبت عنه في كثير من مظاهر الصوت والقواعد والدلالة والمفردات ، وسلكت كل لهجة منها في تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها تحت تأثير ظروفها الخاصة .

ويرجع السبب في انشعاب هذه اللهجات عن العربية الفصحى وفي تطورها المطرد في نواحى الأصوات والقواعد والدلالة والمفردات الى عوامل كثيرة من أهمها ما يلى :

١ — انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان . فقد تغلبت اللغة العربية على اللهجات الآرامية في معظم بلاد العراق والشام وعلى الألسنة القبطية والبربرية والكوشيتية في مصر وشمال افريقيا وشرقها . ومن المقرر أن اللغة الغالبة ينالها كثير من التحريف في ألسنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغويا) تحت تأثير لهجاتهم القديمة وأصواتها ومفرداتها ؛ وما درجوا عليه من عادات في النطق ... وهلم جرا .

وقد كان لهذا العامل أثر واضح في اختلاف لهجات هذه المناطق الجديدة بعضها عن بعض واختلافها عن اللسان العربى الأول . فقد تأثرت اللغةالعربية في كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة وانحرفت في ألسنة أهلها انحرافا خاصا اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج ألسنتهم الأولى ، وتأثرت ألسنة الجاليات العربية نفسها في كل منطقة من هذه المناطق بألسنة أهلها ؛ فنشأ من جراء ذلك في كل بلد من هذه البلاد لهجة تخاطب عربية تختلف عن لهجة غيرها وتختلف عن اللغة العربية الأولى . فالعربية في الشام مثلا متأثرة بالألسنة الآرامية القديمة ، وفي المغرب باللهجات البربرية التى صرعتها العربية في هذه البلاد ... وهلم جرا .

٢ — عوامل اجتماعية سياسية ، كاستقلال البلاد العربية بعضها عن بعض ، وضعف السلطان المركزى الذى كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات . فمن الواضح أن انفصام الوحدة السياسية يؤدى الى انفصام في الوحدة الفكرية واللغوية .

٣ — عوامل اجتماعية نفسية ، تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحى التفكير والوجدان وما الى ذلك . فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التخاطب .

٤ — عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها ... وما الى ذلك ، وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وأنهار وبحرات ... وهلم جرا . فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدى — عاجلا أو آجلا — الى فروق وفواصل في اللغات .

٥ — اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب. فمن المقرر أن هذه الأعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتى تنتقل بطريق الوراثة من السلف الى الخلف . فلم يكن مناص اذن أن تختلف أصوات اللهجات العربية بعضها عن بعض باختلاف الشعوب التى انتشرت فيها ، وأن تتجه كل لهجة منها في تطورها من هذه الناحية الى منهج يختلف عن منهج غيرها .

٦ — التطور الطبيعى المطرد لأعضاء النطق واختلافها باختلاف الأجيال . فمن المقرر أن

اعضاء النطق فى الانسان فى تطور طبيعى مطرد فى بنيتها واستعدادها ومنهج ادائها لوظائفها وانها تختلف من جيل لجيل، فحناجرنا وحبالنا الصوتية والسنتنا وحلوقنا وسائر اعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين ، ان لم تكن فى بنيتها الطبيعية ، فعلى الاقل فى استعداداتها ، بل انها لتختلف فى ذلك عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين.

وغنى عن البيان ان كل تطور يحدث فى اعضاء النطق أو استعدادها يتبعه تطور فى أصوات الكلمات ، فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التى كانت عليها الى صورة اخرى اكثر منها اتساقا مع الحالة التى انتهت اليها اعضاء النطق. فكان من المستحيل اذن أن تجمد الفاظ اللغة العربية فى لهجات المحادثة على حالتها الأولى فى الأمم الناطقة بها ، ولم يكن مفر من ان ينالها كثير من التطور باختلاف العصور . ومن آثار هذا التطور ما حدث فى اللغة العربية بصدد أصوات الجيم والثاء والذال والظاء والقاف . فقد اصبحت هذه الأصوات ثقيلة على اللسان فى كثير من البلاد العربية ، واصبح لفظها على الوجه الصحيح يتطلب تلقينا خاصا ومجهودا اراديا وقيادة مقصودة لحركات المخارج. ولعدم اتساقها مع الحالة التى انتهت اليها اعضاء النطق فى هذه البلاد اخذت تتحرك منذ امد بعيد الى أصوات اخرى قريبة منها .

٧ – **موقع الصوت فى الكلمة** : وموقع الصوت فى الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف . واكثر ما يكون ذلك فى الأصوات الواقعة فى اواخر الكلمات سواء اكانت هذه الأصوات أصوات مد أم اصواتا ساكنة .

اما اصوات المد فقد لوحظ أن وقوعها فى آخر الكلمة يجعلها فى الغالب عرضة للسقوط . وقد كان لهذا العامل اثر كبير فى سقوط اصوات المد القصيرة المسماة بالحركات (التى يرمز اليها فى الرسم العربى بالفتحة والكسرة والضمة) التى تلحق اواخر الكلمات العربية. ففى جميع اللهجات العامية المتشعبة عن العربية قد انقرضت هذه الأصوات جميعا ، سواء فى ذلك ما كان منها علامة اعراب وما كان منها حركة بناء . ولعل هذا هو اكبر انقلاب حدث فى اللغة العربية ، فقد اتى جميع الكلمات فانتقصها من اطرافها ، وجردها من العلامات الدالة على وظائفها فى الجملة ، وقلب قواعدها القديمة رأسا على عقب .

ووقوع الصوت الساكن (ونعنى به ما يقابل صوت المد) فى آخر الكلمة يجعله كذلك عرضة للتحول او للسقوط . فمن ذلك ما حدث فى اللغة العربية بصدد التنوين ونون الأفعال الخمسة والهمزة والهاء المتطرفتين . فقد انقرضت هذه الأصوات فى معظم اللهجات العامية المتشعبة عن العربية .

٨ – تناوب الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج وحلول بعضها محل بعض . يتبين من ملاحظة ظواهر التطور فى مختلف اللغات الانسانية ان الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج تميل بطبعها الى التناوب وحلول بعضها محل بعض . فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت لين آخر ، وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت ساكن متحد معه فى مخرجه او قريب منه . وقد كان لهذا القانون آثار ذات بال فى انشعاب اللهجات العامية عن العربية وفى تطورها من ناحية الأصوات وقواعد الصرف ووزن الكلمات . فقد حدث فى هذه اللهجات تناوب واسع النطاق بين اصوات المد القصيرة التى يرمز اليها فى الرسم العربى بالفتحة والكسرة والضمة . ويمثل هذا التناوب انقلابا من اهم الانقلابات التى اعتورت اللغة العربية . فقد كان من آثاره أن انحرفت أوزان الكلمات ، وانقلبت اشكالها رأسا على عقب ، حتى لا نكاد نجد فى اللهجات العامية كلمة واحدة باقية على وزنها العربى القديم . وكثير من الأصوات الساكنة المتحدة النوع او القريبة المخرج قد تناسخت كذلك فى اللهجات العامية وحل بعضها محل بعض . ففى كثير من المفردات العامية تحولت السين الى صاد والصاد الى سين والذال الى دال والضاد الى ظاء والعين الى نون واللام الى ميم والميم الى لام ... وهلم جرا .

٩ – يتغير مدلول الكلمات تبعا للحالات التى يكثر فيها استخدامها . فكثرة استخدام العام

مثلا فى بلد ما أو فى عصر ما فى بعض ما يدل عليه تزيل مع تقادم العهد عموم معناه وتقصر مدلوله على الحالات التى شاع فيها استعماله . وكثرة استخدام الخاص فى معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم . وكثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى تؤدى غالبا الى انقراض معناها الحقيقى وحلول هذا المعنى المجازى محله . واستخدام الكلمة فى فن او صناعة بمعنى خاص يجردها فى هذا الفن او فى هذه الصناعة من معناها اللغوى ويقصرها على مدلولها الاصطلاحى . والتطورات التى حدثت فى اللهجات العامية تحت تأثير هذا العامل تناولت آلافا من المفردات العربية ، حتى انه ليندر ان نجد مفردا عاميا مطابقا فى مدلوله كل المطابقة للمفرد العربى الذى انحدر منه .

١٠ ـ يتغير مدلول الكلمة أحيانا تحت تأثير القواعد . فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل الى انحراف معنى الكلمة وتساعد على توجيهه وجهة خاصة . فتذكير كلمة « ولد » مثلا فى العربية (ولد صغير) قد جعل معناها يرتبط فى الذهن بالمذكر ؟ ولذلك اخذ مدلولها يدنو شيئا فشيئا من هذا النوع ، حتى اصبحت لا تطلق فى كثير من اللهجات العامية الا على الولد من نوع الذكور .

١١ ـ وقد تغيرت فى اللهجات العامية مدلولات كثير من الكلمات لأن الشيء نفسه الذى تدلعليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفة او الشئون الاجتماعية المتصلة به وما الى ذلك .

١٢ ـ انتقال كلمات جديدة الى بعض اللهجات من اللغات الاجنبية التى احتكت بها . فقد انتقل الى كل بلد عربى اللسان كثير من كلمات اللغات التى أتيح له الاتصال بأهلها اتصالا ثقافيا أو سياسيا او اقتصاديا .

١٣ ـ انتقال اصوات جديدة الى بعض اللهجات العامية من اللغات الاجنبية التى احتكت بها . فمن ذلك مثلا صوت بين الشين والجيم المعطشة ينطق به فى عامية العراق فى مثل كلمة « عربنجى » (سائق العربة) : فمن المحتمل أن يكون هذا الصوت قد انتقل اليها من التركية .

١٤ ـ دخول قواعد جديدة فى بعض اللهجات العامية للحاجة اليها فى الكلام او عن طريق احتكاكها باللغات الاخرى . فقد انتقل مثلا الى المصرية والعراقية طريقة النسب التركية (بزيادة جيم وياء) فى بعض الكلمات وخاصة مايدل منها على الحرفة (عربجى ، طرشجى ، جزمجى) ، وطريقة الاضافة فى بعض الكلمات بتقديم المضاف اليه على المضاف (كتبخانة ، انتيكخانة ...) ، وانتقل الى اللهجة العراقية طريقة النعت الفارسية التى يقدم فيها احيانا النعت على المنعوت (فيقال « خوش ولد » : خوش كلمة فارسية معناها حسن ، ومعنى الجملة ولد حسن ، أو ما احسنه من ولد) ، وطريقة تنكير الاسم المفرد بذكر كلمة قبله تدل على الوحدة (« فرد رجل » « فرد مخالفة » ويقابل هذا فى الانجليزية a · an وفى الفرنسية un · une وانتقل الى معظم اللهجات العامية المتشعبة عن العربية طريقة الاضافة بتوسط كلمة تدل على الملك بين المضاف والمضاف اليه ، ففى مصر تتوسط غالبا كلمة « بتاع المحرفة عن متاع ، وفى تونس والجزائر كلمة «اتاع» او «تاع» المحرفة كذلك عن متاع ، وفى سوريا ولبنان كلمة « تبع » (الكتاب تبع محمد) ، وفى المغرب الأقصى كلمة « ديال » ، وفى العراق كلمة « مال » للمذكر و « مالة » للمؤنث (فيقال « الكتاب مال محمد» «الكراسة مالة محمد» اى كتاب محمد وكراسته) ، وفى نجد والحجاز كلمة « حق » للمذكر و « حقة » للمؤنث مع قلب القاف جيما (فيقال « الكتاب حج محمد» والكراسة حجة محمد» اى كتابه وكراسته)، ويقابل هذا فى الانجليزية حرف o F ·

وفى الفرنسية حرف de

١٥ ـ انقراض بعض الكلمات لانقراض مدلولها او قلة استخدامه . فقد انقرض فى اللهجات العامية كثير من الاسماء العربية الدالة على أمور بطل استعمالها . ويصدق هذا على اسماء الملابس والأثاث وعدد الحرب ووسائل النقل وآلات الصناعة والمقاييس والنقود ومظاهر النشاط والنظم الاجتماعية ... التى كانت سائدة عند العرب فى عصورهم الأولى ، ولكنها انقرضت او لم يعد لها

شأن فى عصورنا الحديثة ، فانقرضت معها الكلمات الداله عليها .

١٦ – انقراض بعض الكلمات لثقلها على اللسان او عدم تلاؤمها مع الحالة التى انتهت اليها اعضاء النطق .. وما الى ذلك . والى هـذا العامل يرجع السبب فى انقراض كثير من الكلمات العربيه من لغات التخاطب العامية فى العصر الحاضر .

١٧ – انقراض الكلمة لدقة مدلولها ، او لعدم الاحتياج اليه فى لهجات المحادثه العديدة ، أو قله دورانه فيها ، او وجود لفظ آخر مرادف له . فلهجات المحادثه تقتصر فى العاده على الضرورى ، وتنفر من الكمالى ، وتنأى عن مظاهر الترف . والى هذا العامل يرجع السبب فى انقراض الاف من الكلمات العربيه من لهجات المحادثه المحاضرة وفى تجرد هذه اللهجات من اهم خاصـة تمتاز بها العربيه الفصحى وهى سعه الثروة فى المفردات وكثره المترادفات .

ومع كثرة وجوه الخلاف بين اللهجات العربيه العاميه فان المتكلمين باحداها يستطيعون ، مع شىء من الانتباه ، ان يفهموا كثيرا من حديث اهل اللهجات الاخرى ، لاتفاقها فى معظم اصول المفردات والقواعد الأساسية ومنحى الأساليب .

غير أن مجموعتين اثنتين من هذه اللهجات قد بعدتا نوعا ما عن بقية أخواتهما وعن العربيـة الفصحى ، وهما مجموعة اللهجات العراقية ومجموعة اللهجات المغربية فى المغرب الاقصى والجزائر وتونس. اما العراقية فلشدة تأثرها بالآرامية والفارسية والتركية والكردية والانجليزية حتى ان قسما كبيرا من مفرداتها وبعض قواعدها غير عربى الاصل . واما المغربية فلشدة تأثرها باللهجات البربرية التى كان يتكلم بها معظم السكان قبل الفتح العربى ، ولا يزال يتكلم بها فى الوقت الحاضر بعض جماعات من سكان هذه البلاد ، هذا الى تأثرها بالفرنسية الحديثة طوال مدة النفوذ الفرنسى فى هذه البلاد .

وعلى الرغم من اختلاف هذه اللهجات فى ظروفها، فانها قد تأثرت فى بعض النواحى بعوامل متحدة ، فاتفقت فى خصائص كثيرة يرجع أهمها الى مايلى :

١ – تجردها من جميع الحركات التى تلحق آخر الكلمات فى العربية الفصحى ، سواء فى ذلك ما كان منها علامه اعراب وما كان منها حركه بناء ، فينطق فى جميع هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنه الاواخر ، وتلتزم حاله واحده فى الكلمات المعربة بالحروف ، ويعتمد فى فهم الامور التى ترشد اليها فى العربيه الفصحى علامات الاعراب (وظيفه الكلمه فى الجمله ، علاقه عناصر العباره بعضها ببعض ... الخ) على سياق الحديث او على كلمه مستقله تذكر فى الجمله او على اجتهاد المخاطب وذكائه .

٢ – استبدل فى هذه اللهجات بالطرق الدقيقة التى تسير عليها العربيه الفصحى فى ترتيب الجمل وترتيب عناصرها وصياغتها مقتضى الحال ، طرق بسيطه ساذجه واساليب حره طليقه .

٣ – لم تحتفظ هذه اللهجات الا بجزء يسير من تراث امها العربيه وثروتها العظيمه فى المفردات . ويتمثل هذا الجزء فى الكلمات الضروريه للحديث العادى .

هذا ، وان تعدد هذه اللهجات ، وعـدم ثبات ايه لهجة منها على حال واحده ، وفقرها المدقع فى المفردات والقواعد وطرائق التعبير ... كل ذلك يجعلها غير صالحه فى وضعها الحاضر لأكثر من الحديث العادى والتعبير عن ضرورات الحيـاه .

وليس من الممكن ان تصـل هـذه اللهجات فى المستقبل الى ما وصلت اليه اللهجات المتشعبه من اللاتينيه ، فتصبح كل لهجة منها لغة مستقلة مكتملة التكوين ، صالحه للاسـتخدام فى مختلف شئون التعبير والكتـابة . وذلك لأن اللهجات المتشعبة من اللاتينية قد سارت فى طريق النمو والرقى بفضل ما كانت تمتصه من امها اللاتينية من حين لآخر ، وما كان يبذله علماء الامم الناطقة بها طوال العصور الحديثة من جهود مقصودة لتوسيع نطاقهـا ، وتكملة نقصـها ، وتهذيبها من نواحى المفردات والقواعد والاساليب ، وتدوين آثارها ، واستخدامها فى الترجمة والتأليف الأدبى والعلمى، على حين ان لهجاتنا العامية قد جمدت على أوضاعها الساذجة ، ولم يبد على اية لهجة منها جنوح الى مفارقة هذه الأوضاع ، ووجد العالم العربى عامته وخاصته فى العربية الفصحى ما يغنيه عن بذل اى جهد للنهوض بلهجات الحديث .

« دكتور على عبد الواحد وافى »

بيرم .. والفصحى



بقلم محمود تيمور

أما صاحب هذه الرسالة ، الاديب « عبد الفتاح لبن » فقد عرفته منذ وقت بعيد ، عرفت فيه شغفا بالادب ، وتطلعا الى الفن ، وآنست منه حرصا على التعرف الى نخبة الادباء والفنانين ، قدامى ومحدثين، ممن أبلوا بلاء حسنا فى التعبير عن الحياة ، والاستجابة للمجتمع ، وكانت لهم عبقريات لامعة فى أدب أو تمثيل أو غناء . وانه ليعنى ما وسعته العناية بجمع ما تفرق من أعمالهم ، وما شرد من أخبارهم، وتصيد ذكرياتهم من هنا وهنالك، ليقدمها فى فصول ، أو يطبعها فى رسائل ، وهدفها الاول والاخير أن تكون تنبيها للاذهان الى ناحية مجهولةمن نواحى أولئك العباقرة والنوابغ ، أو اشادة بفضل لهم منكور ، أو احياء لذكراهم خشية ان تذهب بها ريح النسيان .

واما رسالته الجديدة « **بيرم والفصحى** » فهى-على وجازتها - تخدم أغراضا شتى متصلة بحياة أديبنا الشعبى الكبير « محمود بيرم التونسى » ونواحى تفننه، عليه رحمة من الله ورضوان .

ففى هذه الرسالة من أحاديث « بيرم » الخاصة ، ومما كتبه عنه اعلام المفكرين من معاصريه ، شذرات غالية القيمة ، بتوضيحها لزوايا خافية ، وتقييمها لاتجاهات أدبية وفنية تتنازع فيها الآراء .

كذلك تضمنت الرسالة من شعر « بيرم » ومقاماته صفوة لا أحسب أنها تلاقت فى غير هذه الرسالة ، فهى مبددة الشمل فى الصحف والمجلات ، يتيه الباحث فى ارتياد مواطنها لو شاء أن يعثر عليها . واشهد أنى على وثيق معرفتى « لبيرم » منذ أوليته طالعت فى هذه الرسالة ما فوجئت به ، ولعلى كنت أعلمه ثم أنسيته لطول العهد وتقادم الايام .

ولا شك أن فى ذلك كله ما يجعل من الرسالة مرجعا مفيدا للنقاد والباحثين حين تلزمهم مهمة النقد والبحث أن يطلبوا ذلك التراث فى مظانه ، فلا يتيسر لهم الحصول عليه الا بعد لأى وعناء تنقيب .

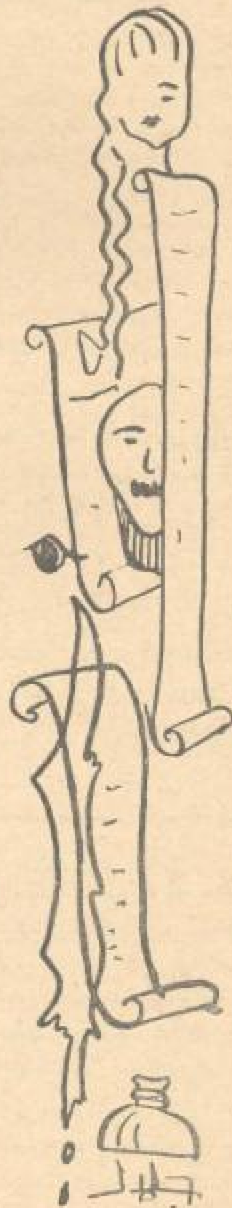
وثمة الغرض الذى اتخذه صاحب الرسالة عنوانا لرسالته ، ذلك هو مكان « بيرم » من الفصحى .وحق له أن يوجه الانظار الى هذه الناحية بوجه خاص ، فقد عرف «بيرم » بين معاصريه بأنه زجال ، والزجل هو الشعر باللغة العامية ، على حين أن « بيرم » كان له غير أزجاله من المنظوم بالفصحى قصائد عامرة ، ومقطعات بارعة ، وان حملت فى موضوعها وروحها سمات « بيرم » الاديب الاجتماعى الساخر فى ولعه بعرض الصور الطريفة من حياة الناس ، والتفاته الدقيق الى المشكلات التى يعانونها فى المحيط الشعبى الكبير .

والواقع أن « بيرم » لم يكن زجالا عامى الثقافة يستندى فطرته وموهبته فحسب ، ولكنه كان أديبا

البقية على صفحة ١٩

أين الشاعر الموهوب..؟!

للدكتور: عبد الرحمن عثمان



اجتازت الأمة العربية منذ نشأتها حتى اليوم مراحل تاريخية حافلة عرفت فيها السراء والضراء على السواء ، اذ اشتمل ماضيها على مجد لم يطاوله مجد ، وحاقت بها – حتى عهد قريب – محن نكر ، وأحداث جسام ، فقد بسطت سلطانها على ملك كسرى وقيصر ، وامتد نفوذها الى غرب أوربا حيث استحدثت هناك ثقافة كانت المنار للحضارة الاوربية الحديثة .

ولكنها ظلت فى أحوالها جميعا قوية البناء متماسكة القوى ، وضنينة بأصالتها التى لم تفارقها لحظة واحدة ، فما أطغاها مجد ، ولا أوهن عراها محنة ، فقد استعصت على الزوال حين اكتسحها البربر من التتار ، وحين حشد الصليبيون كل قواهم لتمزيقها وابادتها .

فى كل هذه الأطوار أثبتت النفس العربية أنها تحمل عنصر بقائها ، وسر وجودها حتى فى أحلك أوقات الشدة ، وأسوئها عبوسا ، فاذا ثارت حولها العواصف واعتكر أمامها جو الأحداث تجمعت منطوية على هذا العنصر الدفين فى أعماقها ، الذى تستمد منه حياتها وبقاءها فى كل دور من أدوار قوتها او ضعفها ، وهذه الحياة المتجددة فى النفس العربية تدين فى نشاطها الى أمرين هامين هما : « العقيدة ، واللغة » ، وكلما طالت المظالم صوابها رجعت تلتمس الرشد فى رحاب العقيدة ، وعطفت تبتغى الهدى والعزة فى لغتها التى حفظها القرآن الكريم ، وضمن لها البقاء والحياة على كل لسان عربى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، والفصحى بعد هذا الضمان الالهى باقية ما بقى كتابها المقدس ، فقد سامها العثمانيون خسفا ، وأذاقها المماليك ظلما وعسفا ، فما تصدع لها كيان ، وما احتبست على الألسنة ، ولم تذهب بددا فى أعاصير البغى وعواصف الطغيان ، والما تماسكت فى تجلد عجيب ، واستمسكت بحبل من العقيدة واللغة ، فبقيت بهما حية ، واستعصت على الفناء ، ولاذت بالصبر فى ليل المحن الطويل حتى وجدت فضلا من قوة انطلقت انطلاق المارد

الذى طال حبسه فى « القمقم » ، وذهب الركام ، وأخذ الجوهر الذى كان مطمورا يلمع ويتألق من جديد ، ومن ثم اندفعت الى ومضات العلم الذى حملته الحملة الفرنسية معها ، ثم تملأت بنوره فى عصر محمد على الكبير ، وحين أدركت ان العلم هو طريقها الوحيد الى الخلاص والرجعة الى الماضى العزيز مضت فى الاستزادة منه ، ولم تتوان فى تحصيله حتى فى عهد « النكسة العلمية » على عصر عباس الاول ، بل ظلت عاكفة عليه فى صدور أبنائها الذين حملوا لواءه فى اصرار وتصميم من امثال الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى ، والامام محمد عبده ، والشيخ حسن الطويل ، وعلى باشا مبارك ، فهؤلاء جميعا أخذوا فى عهد اسماعيل ينعشون النفس العربية بالمعرفة ، ويغرسون فيها أكرم المبادئ ، وأشرف المثل .

ولم ينس هؤلاء القادة الدرس الذى عرفوه من سياسة محمد على الكبير حين جند المواهب العربية ليبنى من مجهوداتها مجد اسرته ، فاخذوا يعملون على بعث النفوس باسلوب يحيى فيها الثقة ويثير لديها شعورا بالكرامة ، واحساسا بالنزوع الى الحرية والاستقلال ، فتأبت على قبول المهانة ، وارتفع صوتها فى وجه الدخيل الغاصب ، وحينئذ فقط بدات العوامل النفسية تنشط نشاطا عجيبا ، فقد توافرت البواعث ، وتهيات الدوافع بما يؤذن باليقظة ويشير الى ظهور فجر جديد .

ومما هو جدير بالملاحظة ان وقع المظالم كان شعورا صامتا احتضنته القرية العربية، وعملت على بعثه فى نفوس ابنائها الذين يدرجون فيها حفاة جياعا عراة الا مما يستر منهم العورة ، ولهذا كان جميع دعاة التحرر تقريبا من ابناء القرى ، وقل ان نجد رائدا حمل لواء الثورة على المظالم من سكان المدينة ، وتعليل هذا واضح لا يحتاج الى بيان طويل ، فقد فرض على القرية ان تشقى وتكدح ، وفرض عليها كذلك ان تقدم صاغرة الى الوالى ثمرات شقائها وعرقها ، على حين انها لا تكاد تعلم شيئا عن تصرفاته الا هذا الذى تعلمه من الكذب الجارى على السنة جباته وكشافه ، فانهم يؤكدون دائما ان الوالى - وهو ولى النعم - عادل رحيم بشعبه يؤمن بالله ورسوله ويعظم الشعائر الدينية !! ، وانه يحب من شعبه الامتثال لأوامره ، والمبادرة بدفع الضرائب وما يفرضه من « مكوس » فذلك خير ما يحبه من شعبه وما يحب شعبه من اجله !! على ان ولى النعم يبغض كل من تحدثه نفسه بالعصيان او التظاهر بالعجز عن دفع ما يطلب منه ، لان طاعته من طاعة الله تنزه عن الظلم والظالمين .

وبهذا الأسلوب الذى يصوغ البؤس والابتزاز فى عبارات تستعار من الدين وتعاليم الدين منها براء ، فهمت القرية العربية فى مصر انها البقرة الحلوب لأسرة محمد على ومن يناصرهم من مختلف الطوائف ، وكانت من قبل تعرف بهدى من الفطرة والمنطق البسيط ان ابناء القرية هم اصحاب هذا الخير ، وحقيقون به ، وان الوالى وجباته القساة مغتصبون لما هو من خالص حقهم ، وبهذا اصبحت القرية بيئة صالحة لنشأة المشاعر القومية التى كان من اجل نتائجها ايقاظ الحياة الادبية ، ولهذا كان دعاة هذه اليقظة من ابناء القرى التى بعثت بهم الى الأزهر حيث الثقافة والمعرفة ، ثم قذف بهم الازهر بدوره الى قيادة الشعب وتوجيهه .

قلت ان اللغة هى احد العنصرين اللذين ضمنا للنفس العربية حياتها فى تاريخها الطويل ، واللغة عنصر قوى فى اقامة مجتمع متماثل ، ودورها لا يمكن ان يجحد فى ارساء صرح القومية ، لانها الوسيلة الوحيدة التى تنقل المشاعر من نفس الى نفس ،وبها يتم الاجتماع على الوحدة ، والالتقاء على هدف مشترك ، وبغير اللغة تظل الأحلام القومية نهبا للتبدد والضياع ، ومن هنا نشعر ان الدعوة الى اطراح اللغة التى تستند على دستور العقيدة وهو القرآن الكريم دعوة بشعة يقصد منها تفريق الأمة العربية الواحدة، ودفعها فى سبل لا تلتقى من العامية ذات اللهجات المختلفة .

وبهذا تكون الفرقة التى لا لقاء معها ، والضيعة التى يذهب معها كل مجد مأمول لهذه الأمة ذات الطموح فى وقت وضعت نفسها على الطريق وبدات تخطو فى ثبات وعزم .

ومن هذا كله ندرك ان الطبع العربى يحيا دائما فى اطواء النفس العربية ، ويصاحبها عبر تخطيها العصور والأجيال ، فهى فى امساكها له ، وحرصها عليه اشبه ما تكون بالاسفنجة التى قد يجف سطحها بعد ان يمتص جوفها الماء ، فاذا عصرت انبثق الماء مؤكدا انها تحمل فى اعماقها عنصر الحياة .

وهكذا النفس العربية كلما اعتصرتها محنة او اجهدها حرور يجتر غذاءها من عناصر حية يعيش فى تجاويفها ، فهى مشدودة دائما الى ماضيها بخيوط غير منظورة ، ومن لم كانت رجعتها الى الطبع والأصالة من اهون الأمور لديها .

والتحرر القومى ظل املا عزيزا من آمالها التى لم تفارقها فى شتى مراحلها التاريخية وسار يصحبها فى ضمور ابان محنتها ولكنه سرعان ما يحس بالدفء الذى يسرى اليه من وقدة شعورها بالكرامة ، ومن حرارة النزوع الى الحياة الحرة الكريمة ، فلايلبث عندئذ ان يجتمع اليه نشاطه فينطلق هادرا فى اعماقها حتى يحيل كل شئ فيها الى حركة ونشاط ، شانه فى ذلك شان التيارات التى تتجمع فى اعماق المحيط ثم لا تلبث ان تندفع قوية الى سطحه فجأة لتصنع موجه العاتى الذى يهدر بالقوة ويمضى غضوبا الى غايته .

ان الأمة العربية التى رزحت تحت نير الاستبداد امدا طويلا لم تفقد مواهبها القديمة التى ورثتها من المدنيات المتعاقبة ، بل ان هذه المواهب كانت كامنة فى وجودها لا تمتد اليها يد البطش والجبروت لانه عنصر منيع ، ومعنى يستعصى على يد كل متناول وقد ظهر ذلك واضحا فى كفاح المصريين لحكم نابليون ، وما زال قويا فتيا متماسكا فى المراحل التى اعقبت احتلاله القصير ، ثم نراه ينطلق على اتم ما يكون الانطلاق فى ثورة عرابى ، ثم نجده يتجدد فى ثورة ١٩١٩ .

ولسنا نستطيع المضى فى الحديث دون ان نشير الى ان الأزهر كان بمثابة النواة الشعورية التى كانت تدور حولها المشاعر العربية والاسلامية فى مختلف الاحداث والعصور ، ولهذا كان من ابرز مفاخر ثورتنا الوطنية الحاضرة انها اعادت الى هذه القوة الدافقة نشاطها وشبابها حين قدمت اليه ما تساعده فى يقظته الجديدة ، فهذا القائد الفرنسى نابليون يسجل فى مذكراته التى املاها على الجنرال « برتران » فى سانت هيلين ما يرويه الجبرتى فى تاريخه من ان الشعب المصرى قد انتخب ديوانا للثورة ونظم المتطوعين للقتال واستخرج الاسلحة المخبوءة ، وان الشيخ السادات انتخب رئيسا له ، كما ذكر فى تقريره الى حكومة « الديركتوار » عن ثورة القاهرة : « ان لجنة الثورة كانت تنعقد فى الأزهر » .

(البقية على صفحة ٣٢)

الزواج والطلاق



على الطريقة الأوربية

هذه الضجة المفتعلة التى أثيرت ولم تزل ثائرة هذه الايام فى الصحافة والتليفزيون والاذاعة حول ما يسمونه « بقانون الاحوال الشخصية » ماسرها وما خبيئتها ؟ وهل غايتها هى مجرد انقاذ « ضحايا » التعدد والطلاق . أم أن الامر ابعد من ذلك وأعمق غورا ؟

ان آخر الاحصاءات الحكومية الرسمية الصحيحة ـ لا المزيفة التى تنشر فى بعض المجلات ـ تدل على أن نسبة عدد المتزوجين باثنتين هو ٣٫٥٪ وبثلاث ٣٫٠٪ . وان نسبة المطلقات هى ٢٪ (انظر احصاء مصلحة الاحصاء . القاهرة . ١٩٦٣) فليس فى الامر مشكلة . ولو كانت مشكلة فليس هذا وقت حلها . فنحن نواجه مشكلات شديدة الخطر مخوفة العواقب ، والاستعمار والصهيونية يتربصان بالعرب والمسلمين الدوائر . فالواجب علينا أن نتحد لمواجهة الخطر ، لا أن نتفرق ونختلف على أمور لا أهمية لها الا فى أوهام صانعيها ؟ . بل أكثر من ذلك أن الذى هو أحرى بالاهتمام وأجدر بالبحث ما نجده من عزوف الشباب عن الزواج اذ أن الاحصاءات تبين أن النسبة العددية لمن لم يتزوج من الذكور (فى سن الثامنة عشرة وما فوقها) هى ٢٤٪ ومن الاناث (فى سن السادسة عشرة وما فوقها) هى ١٢٪ ، وأما نسبة الأرامل من الذكور فهى ٢٪ ومن الاناث ١٧٪ . فكان الأولى بالمتباكيات على « ضحايا » التعدد والطلاق ان يفكرن فى حل مشكلة العانسات والأيامى اللواتى أفاض كتاب الغرب فى وصف العذاب الذى يلاقينه فى وحدتهن القاسية ، وكيف تمضى بهن السنون بغير مؤنس ولا رفيق حتى يذبل عودهن وتجف نضارتهن فيظللن بكهف مظلم من الحسرات والعذاب . وهذا فى الغرب حيث لا صعوبة فى مخادنة الرجال بغير زواج ، فما بالك بشرقنا الذى ما زال يتمسك « بالتقاليد » ؟ وهل يا ترى فكرت « المتباكيات » فيما يعقب الانصراف عن الزواج ، وفيما يصاحب هذا النمط الغربى (الشيوعى أو الرأسمالى فهما سواء) من الحياة الاجتماعية الذى يدعوننا اليه من كثرة العلاقات غير الشرعية وزيادة عدد الاولاد غير الشرعيين . وكيف يحيا هؤلاء الاولاد حياة كلها خزى ومذلة وهوان ؟!

للدكتور: محمد رشاد سالم

لقد ضاق الغرب بنظامه « الكنسى » فى الزواج والطلاق حتى صارت مهاجمة هذا النظام موضوعا رئيسيا فى الادب والفن الغربى . ولقد رأينا فى القاهرة فيلما ساخرا يهزأ بنظام الطلاق « الكاثوليكى » وفيه العبرة لنا كل العبرة . لقد اضطر الزوج الى كره زوجته ولم يجد وسيلة لفراقها الا أن يحضر فى داره عشيقا سابقا لزوجته ويفسح لهما المجال ليستأنفا علاقتهما الآثمة حتى يمكنه بذلك قتل زوجته دفاعا عن « شرفه » ولما تم له ذلك دخل السجن راضيا ليقضى مدة العقوبة المخففة فى مثل هذه الحالات ، ولما خرج تزوج بفتاة كان يحبها ، ولكن الفتاة المحبوبة عشقت فى مدة سجنه شابا جعلته « احتياطيا » الى جانب الزوج الكهل ! .

اما الزواج بأكثر من واحدة فقد رأى فيه بعض كتاب الغرب ومفكريه الحل الوحيد لمشكلة زيادة عدد الاناث على الذكور . فكتبت الصحف قديما وحديثا تدعو اليه . بل كادت حكومة المانيا تأخذ به فى وقت من الاوقات .

ومع هذا كله ، ومع ما فى الغرب من انحلال واباحية لاتحتاج الى اثبات ، فان دعاة « التجديد » لا يهدأ لهم بال حتى نحيا مثله ، ونأخذ بنظمه : حلوها ومرها ، خيرها وشرها .

ولكن هل الأمر امر تقليد الضعيف للقوى فحسب . او هو مجرد « معركة » تخوضها بعض طالبات الشهرة والمجد ؟ كلا . بل ان الأمر أعظم من ذلك وأخطر . ولولا ذلك ما كلفت نفسى كتابة ما اكتبه اليوم . انه امر دبر بليل . ليل حالك الظلام رهيب فظيع . ولهذا حديث طويل . وانى لمحدثك اليوم ببعضه وبالله تعالى أستعين . ومنه سبحانه أرجو التوفيق والهداية .

اما هذا الليل المخوف الذي لا قمر فيه يؤنس ، ولا نجم فيه يرسل بصيصا من الضوء ، والذي تخرج يدك فيــه فلا تكاد تراها ، فهو ليل التبشير والاستعمار • وهو ليل ظن الكثيرون منــا أنه قد انجلى ، وان شمس الحرية قد بددته ، وليس كما يظنون ، فما زالت أكثراطيافه لم تنحسر ، وأكثر سدوله مرخاة لم ترفع • ولقد حدثنا ببعضحديثه الاستاذ محمود شاكرفكشف اللثام عن بعض خباياه ، وبين بتوفيق عظيم من الله تعالى الكثير من مخازيه وخفاياه ، وأرجو بحديثى هذا أن أكشف عنجوانب أخرى منه ، وما أكثر جوانبه وأقبحها ؟

لقد بدأ الاستعمار التبشيرى أو التبشير الاستعمارى يتسلل الى العالم الاسلامى قبل قرن ونصف قرن وهو يهدف الى أمرين : الأول : هو القضــاء على هذا الدين الذى هــدد بلاده بالغزو وحضارته بالزوال والذى كان سر وحــدة المسلمين وقوتهم والثانى : هو أن يستحوذ على خيرات العالم الاسلامى الضعيف المتهالك ، وأن يستنزف دماء أهله لمصلحته ونفعه ومتعته •

وكان الارتباط بين الاستعمار والتبشير وثيقا . فكل منهما كان يسخر الآخر لخدمته ، حتى أصبحا شيئا واحــدا • ولذلك قال جلادستون رئيس وزراء بريطانيا انه لن يقر للغرب قرار ما لم يقض على هذا الكتاب ، يعنى كتاب الله • ثم قال أخ له من بعد حينما دخلوا فلسطين : « الآن انتهت الحروب الصليبية» وقال كرومر ، طاغية مصر ــ وكان صادقا فيما قال : « ان انجلترا لا تريد أن تحتل مصر احتلالا دائما ، وانما نريد أن تغادر مصر، وقد تركت فيها حكومة صديقة لمبادىء الحضارة المسيحية » • وهذا كلام له دلالته الواضحة ، فان قتل الأسد لا يفيد الصياد ، أما انتزاع أظافره واقتلاع أنيابه واستئناسه فهو الكفيلبتسخيره لمصلحته وفائدته • ولهذا فان الوجه التبشيرى من هذا المسخ بدأ عمله بمحاولات سافرة لرد المسلمين عن دينهم فلم ينجح ، بل أثار بذلك حفيظة المسلمين وكان سببا فى تماسكهم ، فتقدم الوجه الاستعمارى بطرق افتك واخطر اراد أن يزيل بها الجفوة بينه وبين المسلمين ، وأن يضمن بها ابعادهم عن حضــارتهم ودينهم واقترابهم من حضارته ودينه ، لا حبا فى المسيحية ، فهو بعيد عنها ، بل كراهية للاسلام وخوفا منه •

ولقد بين لنا الاستاذ محمود شاكر من هذه الوســائل أهمها وأخطرها ، وهو العمل على افساد لغة القرآن ، ولبه الى استيلائه على صــحافتنا استيلاء يكاد يكون كاملا ضــاعت معه أصوات المخلصين وسط نعيق دعاته وأعوانه •

واليك ما ذكره لنا عرابى عن منشىء أكبر جريدة فى العالم العربى والاسلامى ــ وذلك بعد الاحتلال ودخوله السجن ــ قال : « •• وبعد ساعة جاء ليزوروتى بشارة تكلا محرر جريدة الاهرام وظننت انه قدم ليعزينى وليبدى عواطفه نحوى ، وقد كان ممن يدينون بمبدئنا قبل الحرب ، وقد اقسم بدينه وشرفه أنه واحد منا وانه يعمل لحرية وطننا ، وقد عددناه فى الحق من الوطنيين ولكنه لما دخل على ترقع أشد الترقع ، ثم قال : أى عرابى ماذا صنعت وماذا حل بك ؟ ورأيت أن الرجل خائن ولا شرف له ، ولما لم أجبه أدار ظهره وانصرف » (أحمد عرابى لمحمود الخفيف، ص ٤٦٥) • وأما جورجى زيدان مؤسس دار الهلال فيكفى أن نذكر ما كتبه عن تاريخ الاسلام ــ وخاصة فى رواياته وقصصه ـ وكيف عمد الى ابرازه فى صورة مشوهة ، وخلط الحق فيــه بالباطل ، حتى انبرى الشيخ شبلى النعمانى من علماء الهند للرد عليه وألف كتابا فى نقد كتابه « تاريخ التمدن الاسلامى » •

ومع الاستيلاء على الصحافة هيمن الاستعمار علىالتعليم ووجهه الوجهة التى تحقق اهدافه ، ثم أرسل البعثات الى بلادهواستطاع أن يكون من بعض رجالها ونسائها جيلا بعد فى تفكيره وحياته بعدا كبيرا عن تعاليم الاسلام وآدابه ، وعلى أيدى هؤلاء استمر عمل الاستعمار فى هدم حضارة الاسلام وبناء حضارة هى صورة باهتة ضعيفة من حضارة الغرب •

وقد اهتم الاستعمار بوجه خاص بتعليم المرأة وأرسل بعثاته التبشيرية لكى تفتح المدارس لتعليم الفتيات خاصة • وكان فى هذه المدارس من الرعاية والعناية ما دفع بعض الآباء ــ وخاصة من الأغنياء ــ الى نسيان مافيها من خطر على دين بناتهن وقوميتهن فدفعوا بهن اليها ليخرجن منها وقــد اختلطت عقولهن وتسممت افكارهن وتبدلت عاداتهن وتكسرت لغتهن حتى لم يبق لهن من الاسلام الا الأسماء • وكان هذا الجيل من النســاء هو الجيل الذى تكون منه ما كان يسمى « بالطبقة الراقية » ومنها خرجت أكثر رائدات « الاصلاح » الاجتماعى والعاملات على « تحرير » المرأة • وكان أكثر هؤلاء وأبرزهن فى مصر مركز العالم العربى والاسلامى •

اما كيف نجح هذا الجيل من الرجال والنساء الذين صنعهم الاستعمار على عينه وأرضعهم من لبان حضارته فى تبديل حياتنا الاجتماعية تبديلا شاملا فان لهذا قصة طويلة تحتاج الى دراسة مستأنية فاحصة تكشف عن الجذور العميقة التى لا تظهــر على السطح • أما المختصر الشديد الايجاز لهذه القصة المحزنة فيذكر لنا ان الحملة بدأت اول الأمر على «الحجاب» وعلى نظام «الحريم» التركى ، وقالوا ان المرأة المسلمةكانت تخرج الى الاسواقوتحضر مجالس العلم وتشارك الرجال فى حربهم وسلمهم ، وهو كلام حق فى ذاته ولكن أريد به الباطل • ولو كانت الدعوة مخلصة ولم يكن الاستعمار هو المحرك للقائلين بها ــ من حيث يشعرون أو لا يشعرون ــ لانتهت الى اصلاح حال المرأة والمجتمع اصلاحا حقيقيا ينبنى على تقدم النساء فى العلم والعمل والاخلاق ، مع تمسكهن بآداب دينهن وفضائل قومهن ، ولكنها انتهت الى خروج المرأة المسلمة من حجابها القديم الى العرى الحديث حتى لبست « البكينى » و «بدلة» الرقص ، وأصبحنا فاذا بنا نراها عارية كل صباح فى « صحافتنا » وكل مساء فى دور السينما •

وهذا يقودنا الى الدور الخطير الذى لعبه « الفن » فى هــذه المأساة ، فقد جند الاستعمار رجاله ونساءه منالبهود مثل يعقوب صنوع وبعض المارونيين لكى يؤسسوا «عالم المسرح» ، ثم أرسل صنائعه من الاجانب لينشئوا شركات الانتاج السينمائى ، وكان الناتج من ذلك كله « فنا » عماده استغلال الغــرائز واستثارة الشهوات بدلا من أن يكون فنا يسمو بالنفوس ويهذب الأخلاق•

ثم جاءت السينما الامريكية اليهودية بافلامها فكانت أشد فتكا من السموم والقنابل ..

ولعب « العلم » دوره في المركة فقال « جهابذته » ان عزل الرجل عن المرأة عزلا تاما يفسد كليهما ، اذ يثير شوق كل منهما الى الآخر ويؤدى الى « الكبت » ويسبب « العقد النفسية » الى آخر ما قالوه من كلام أكثره باطل واقله حق . وزالت الموانع والسدود واختلط الشاب بالفتاة وفي قلب كل منهما ريح تعصف ونار تحرق . فلا هما اعتصما بآداب دينهما ، ولا هما أخذا بنظام الغرب حيث أصبحت العفة مسألة تاريخية قديمة لا علاقة لها بالعرض والشرف . وحيث يسافد الشاب العشرات من صديقاته سفاد البهائم حتى يجد من بينهن من يرتاح اليها ويجد عندها « الاكتفاء » الجنسي والنفسي فيتزوجها ولا بأس ان تكون قد عاشرت العشرات من قبله . على أن استمرار هذا الوضع مستحيل خاصة مع تأخر سن الزواج وكثرة نفقاته وزيادة أعبائه . فلا بد أن نصير الى ما انتهى اليه الغرب من انحلال وتهتك ، الا أن يتداركنا الله برحمته فنتنبه الى سوء العاقبة ونسلك طريق الاستقامة ..

على أن تغيير وجه الحياة الاجتماعية عند المسلمين لا يكفى المستعمر بل لابد ولا مناص من أن تتغير الشرائع التى تنظم هذه الحياة . ولذلك عيروا المسلمين قديما – وما زالوا يعيرونهم – بما لديهم من تعدد في الزوجات وتفش في الطلاق . وبرز بعض الرجال الذين اختلط اخلاصهم وحماستهم بالغفلة والضعف والافتتان بحضارة الغرب فقالوا ان الاسلام انما أباح التعدد والطلاق للضرورة ويجب تدخل الحكومات لتقييد أو منع هذه المباحات » . وكان هذا أول نصر للاستعمار في هذه القضية ولكنه نصر لم يبلغ مداه لأن الأمة الاسلامية كان فيها حينذاك من علماء الدين من لا تنقصه الشجاعة ولا الورع ولا الاعتزاز بدينهم ، فتصدوا لأولئك وألجموهم وكشفوا عن عوارهم وسوء مقالتهم .

ومع توالى السنين وازدياد جهل المسلمين بدينهم قويت الحملة وضعفت المقاومة شيئا بعد شيء حتى بلغنا يومنا هذا فاذا بنا تجاه هذه الضجة التى حدثتك عنها أول الامر . واليك نماذج مما نقرأه فى صحافتنا اليوم .

كتبت رئيسة تحرير مجلة « حواء » كلاما سبق لها ان رددته – في مجلة « المصور » (عدد ١٢ فبراير) قالت فيه : « أما لماذا يكون هذا الاصلاح الناقص اقصى ما يمكن ، فلأنهم فى رأيى يعتمدون فى أى خطوة يخطونها على ما جاء بالمذاهب التى وضعها علماء فى قديم زمن ، ولقد مات آخرهم منذ الف سنة ، أى عندما كان العالم يعيش فى قلب القرون الوسطى ، ورغم ان أولئك الفقهاء كانوا أعلم الناس بالدين فى عهدهم ، غير ان منطق الحياة التى عاشوا فيها لا يمكن أن يلبى مطالب القرن العشرين » .

أما جريدة الاخبار فقد طالعتنا فى عددها الصادر فى١٤فبراير بمقال عنوانه : « المرأة تعثر فى كتب الفقه على رأى يقول : تعدد الزوجات حرام فى الاسلام » ونقلت الصحيفة فى مقالها كلاما عن كتاب « نحن النساء المصريات » لمؤلفته انجى افلاطون جاء فيه : « ان أى اصلاح لا يجب أن ينصب على القوانين الوضعية القائمة فحسب ، بل يجب أن يمتد كذلك الى تطور الاخلاق القومية والقضاء على التقاليد القديمة التى ما زالت باقية منذ لاف السنين متحدية كل تقدم اجتماعى وثقافى » . ثم نقلت الجريدة عن بحث لعبد العزيز فهمى (باشا) – صاحب الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية – قوله : « ان عبارات : مثنى وثلاث ورباع لم يقصد بها التعدد ، والا كان العدد يصل الى تسع زوجات وثمانى عشرة زوجة لأن الأعداد معطوفة على بعضها بالواو اذا أريد فهم الآية فهما حرفيا !! » .

واذن فقد تحول الأمر من مجرد مهاجمة تعدد الزوجات والطلاق الى مهاجمة علماء الاسلام ، ثم الى تبديل معانى آيات كتاب الله . بل لقد تعدى الأمر ذلك كله الى مهاجمة صريحة لنصوص الشريعة فقد خصصت مجلة « الهلال » فى عددها الاخير (مارس ١٩٦٥) قسما كبيرا منها للكلام عن المرأة وبدأته بمقال عنوانه « هذا هو موقف المرأة فى العالم » (ص ٤٢ – ٤٣) : « .. قوة الفساد والافساد . من لا يلعنها مجنون . مصدر كل شر . روح الشيطان . حية رقطاء أكثر مرارة من الموت . حيوان جميل . ناقصة عقل ودين ... وأوصاف أخرى لا تقل بشاعة أسبغها الرجل متذ فجر التاريخ على المرأة » . ومن المعلوم أن عبارة : « ناقصات عقل ودين » التى وصفت بأنها من الاقوال البشعة قد جاءت فى حديث الرسول الصادق صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث صحيح جاء عن ابن مسعود وابن عمر وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهم ورونه الكتب الستة (البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجة) وأحمد فى مسنده . ووصف المرأة بنقصان العقل يعنى ضعف القدرة على ضبط العواطف والانفعالات وهذا ما لا يمكن انكاره ، ولا ينتقص من فضل المرأة ولا أجرها . ولفظ الحديث : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فانى أريتكن أكثر أهل النار فقلن : وبم يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن . قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلى . قال : فذلك من نقصان عقلها . أليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن : بلى . قال فذلك من نقصان دينها » .

أما التليفزيون فقد عقد عدة ندوات لمناقشة « المشكلة » دعا فيها مجموعة من المتحدثين عرف أغلب أعضائها بمهاجمته الصريحة لقوانين الاحوال الشخصية فى مجلات دار الهلال . ورأينا وسمعنا فى هذه الندوات الغرائب حتى أن السيد مقدم البرنامج وقف بعض صغار التلاميذ ليدلوا برأيهم فى « المشكلة » ثم انهى الندوات بدعوة الى « مناقشة » مفتوحة للمشكلة فى كافة المجالات؟

وهكذا تمضى الحملة الى غايتها ، وليست غايتها هى تعديل القوانين فما أظن ان هذا يمكن حدوثه ومجلس الأمة أغلبيه من

العمال والفلاحين الذين مازالت فطرتهم سليمة لم تفسد بعد، ولكن الغاية المقصودة هي أن يصبح الزواج بأكثر من واحدة ـ مهما كانت أسبابه ومبرراته ـ أمرا مقيتا مرذولا ، ويصير الطلاق ـ أيا كانت دوافعه وحوافزه ـ مما يشين الرجل ويعيبه ، وهكذا سيدفعنا العرف الجديد و « التقاليد » الاجتماعية الحديثة الى أن نحيا حياة مماثلة لحياة الغرب فيفضل الرجل عندها أن يقع في الحرام ويقترف الزنا مادام ذلك أهون عند الناس من التعدد أو الطلاق . وأما الغاية الأخيرة فهي التشكيك في صحة هذه الشريعة ، والاعتقاد بأن هذا الدين انما كان مناسبا للناس في القرون الوسطى ، ولكنه لايناسبنا في العصر الحديث .

ولذلك فان المبصر الصحيح بحقيقة مقاصد هذه الضجة المثارة وأهدافها يستلزم أن يعيد الشعب النظر في أمر وسائل الاعلام المختلفة حتى ينقيها من كل ماينأى بها عن بلوغ أهدافها الصحيحة ويطهرها من كل من يسير بها ـ سواء عن فهم أو عن جهل وغفلة ـ في الطريق الذى رسمه الاستعمار والتبشير بخبث ودهاء بالغين .. وليس هذا بكثير علينا وقد نجحنا في كثير من معاركنا السياسية ، وهو ممكن لنا يوم ندرك حقيقة الدور الذى يمكن لأمتنا العربية الاسلامية أن تقوم به في وسط أمم الغرب التي أوشكت حضارتها على الافلاس .

وبعد ، فهذا حديث عن جذور المشكلة وأسبابها ، لم أقصد به أن اشرح نظام الزواج والطلاق في الشريعة ، فقد عرضت لذلك كتب كثيرة وأساتذة عديدون أذكر منهم الشيخ احمد شاكر رحمه الله ، والاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي في كتابه « بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الاسلام » وغيرهما من افاضل العلماء والباحثين .

الا انني سأشير اشارات موجزة الى بعض الحقائق في هذا الموضوع ، فالزواج بأكثر من واحدة ـ الى أربع ـ هو « حلال » للمسلم وليس « مباحا » يمكن لانسان ـ كائنا من كان ـ أن يقيده الا أن يكون محرما لما أحل الله . وقد فهم الصحابة ـ وهم خير من يفهم الشريعة ـ هذا الأمر فتزوج معظمهم بأكثر من واحدة ، وجرى الامر على ذلك بين المسلمين جميعا طيلة القرون الماضية ، حتى أن أجدادنا كان أكثرهم يتزوجون بزوجتين أو أكثر ، ولم يقل مسلم أن هذا يجب تقييده ، حتى ابتلينا بالاستعمار فبدأت الفتاوى تظهر و « المجتهدون » ينبغون !!

وأما اشتراط العدل والضرورة فباطل . فان العدل معناه وجود زوجتين أو أكثر ليعدل بينهن ، فكيف نشترط العدل على رجل لم يتزوج بعد الزوجة الثانية ! وغلبة الظن هنا لاتنفع شيئا ، فان من يظن به العدل قد يظلم ومن يظن به الظلم قد يعدل ، وان الظن لايغني من الحق شيئا . وأما اذا ربطنا بين العدل وبين القدرة على الانفاق فاننا نكون بذلك قد أبحنا للغني ماحرمنا على الفقير ، وما أظن أحدا يقول بذلك اليوم . وأما اشتراط الضرورة فلا دليل ـ ولا شبهة دليل ـ عليه من الكتاب والسنة .

ومن الأمور العجيبة أن لجنة الاحوال الشخصية أخذت برأى مرجوح في مسألة التعدد وهو اعطاء حق طلب الطلاق للزوجة الاولى اذا تزوج زوجها بثانية . وقال الشيخ فرج السنهورى لمندوب « الاهرام » في تعليل سبب اخذ اللجنة بهذا الرأى مع عدم اقتناع أكثر اعضائها به هو أنهم فعلوا ذلك « **من اجل اسكات النابحات فقط !!** » . وقد استدل بعض أعضاء اللجنة على جواز ذلك بقصة على بن أبى طالب رضى الله عنه عندما رغب في زواج بنت أبى جهل في حياة فاطمة رضى الله عنها فلما استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قال : « فلا آذن ثم لاآذن ثم لاآذن ، الا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فانما هي بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها .. وقد عرض الشيخ أحمد شاكر لهذا الموضوع (ذيل عمدة التفسير ٣ـ١٠٦) فقال ان أصحاب هذا الرأى لم يذكروا بقية الحديث : « **واني لست احرم حلالا ، ولا احل حراما ،** ولكن والله لاتجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا . وهذه البقية في البخارى ومسلم .

وبين الشيخ أحمد رحمه الله سبب المنع فقال : « وانما منعه منعا شخصيا بوصفه رئيس الأسرة التي منها على بن أبى طالب وفاطمة ابنته ، بدلالة ان أسرة بنت أبى جهل هي التي جاءت تستأذنه فيما طلب اليهم على رضى الله عنه . وكلمة رئيس الأسرة مطاعة من غير شك ، خصوصا اذا كان ذلك الرئيس هو سيد قريش وسيد العرب وسيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم »

وأخيرا ، فان الحديث يحتاج الى مزيد بسط وتفصيل ولعل أعود اليه مرة أخرى ان شاء الله ، والله العون ومنه الهداية والسداد .

دكتور محمد رشاد سالم



رسول الاسلام ... بين اليسار واليمين

بقلم: فتحى عثمان

- ٢ -

سياسة رسول الاسلام فى دعوته وموقف الفئات الاجتماعية منها

«واول الذين دخلوا فى الاسلام من التجار كانوا يتميزون بطابع خاص ، فهم اما اصدقاء مقربون للنبى مثل ابى بكر ، واما اصدقاء مقربون لابى بكر مثل عثمان وغيره ممن اقنعهم ابو بكر بالاسلام ، وكل اولئك كانوا قلة ...» (ص ٤١ - ع ٤٦) .

والكاتب يمضى فى تلوين الوقائع ليؤكد (ثانوية التجارة) فى تابعى النبى ، كما اكدها بالنسبة للاسلام ... وهو ينسى أن المدينة كمكة كانتا محطتين على الطريق التجارى البرى ، وأن تجارا هنا وهناك آمنوا بالاسلام .. وأن ملاكا للأرض الزراعية آمنوا فى المدينة ، وملاكا زراعيين مثلهم حاربوا الاسلام فى الطائف .. وأن قبائل متعددة حاربت المسلمين فى غزوة (حنين) .. وأن (العصبية القبلية) كانت عاملا لا يمكن اغفاله بجانب العوامل الأخرى من اقتصادية وغيرها !

ونحن نجد فى دراسة الردة وادعاء النبوة هذه العوامل المتعددة متلاحمة متفاعلة .. حتى ان الذين منعوا الزكاة مثلا لم يمنعوها لأنها حق الفقير او لم يمنعوها فقط لهذا السبب على الاقل ، ولكنهم رأوها (أتاوة) تعتبر علامة خضوع واذعان !!

ولكن الكاتب يمضى فى الحديث عن اتباع الدين الجديد : « ... اما الكثرة الغالبة فكانوا من صغار الملاك او المعدمين او العبيد ، حتى ان المكيين كانوا يسخرون من النبى حين يجتمع بالموالى والعبيد والفقراء والمعدمين فيعظهم بالاسلام ويصلى بهم ، لان احدا من كبار القوم لم يدخل فى هذا الدين ، ولو ان الدين كان على صواب - فى رايهم - لآمن به كبارهم وسادتهم . وهذا منطق سطحى ، ولكنه يدل على عمق احساس كبار الماليين واصحاب السلطة بمناواة الاسلام لهم وتهديد مصالحهم .. ولقد كان النبى كصاحب دعوة يريد لها الانتشار يلجأ الى رؤساء القبائل والشخصيات ذوات الخطر ليقنعها بالاسلام ، حتى ان الاعمى ابن ام مكتوم حين جاءه يستفسر عن الاسلام وهو يحاول اقناع الوليد بن المغيرة بالاسلام أشاح عنه .. » (ص٤١ع٤٦) فكيف يقف زعيم (اليسار) هذا الموقف ؟!

ان الكاتب يمضى فى الشرح والتحليل «فالاسلام فى حاجة الى التأييد القوى وليس فى حاجة الى

تأييد الضعفاء . الا ان هذا الموقف كان مخطئا ، فالدين الجديد يحمل بذور الثورة الاجتماعية ، ورجاله الحقيقيون هم هؤلاء الضعفاء ، ولذلك سرعان مانزل القرآن يعتب على النبي هذا الموقف وينبهه الى مافيه من خطا .. وينتبه النبي عليه الصلاة والسلام الى هذا الموقف ، حتى يصبح صحابته المقربون هم صهيب وبلال وياسر وعمار وسلمان وأبو ذر وغيرهم من العبيد والضعفاء ، الذين كانوا يكونون بطانته الحقيقية والذين يعتبرون من اقوى واصلب جنود الاسلام .. الواقع ان العبيد والمستضعفين كانوا يعرفون ان الاسلام كثورة اجتماعية هو ثورتهم ، ولذلك انضووا تحت لوائه ، وابلوا فى سبيله احسن البلاء ، وكانوا خاصة النبي وموضع ثقته من بين هذه الطبقات .اما كبار الاثرياء ممن دخلوا فى الاسلام ، فقد ضمهم اليهم نزوع طيب فيهم ، الى جانب تاثير شخصية النبي عليهم بحكم الصداقة وادراكهم الموضوعى لصدقه فيما يدعو اليه ، ولكنهم برغم هذا كله محملون بآراء اجتماعية لم يستطيعوا التخلص منها رغم الاسلام» ص ٤١ ـ ٢ ع ٤٦) .

ولست ادرى : ماهو هذا (النزوع الطيب) من الاثرياء فى ميزان التفسير المادى للتاريخ ؟؟

وماهى هذه (الآراء الاجتماعية) التى كان يحملها هؤلاء الاثرياء مما يتناقض مع الاسلام ؟؟

ثم الم يكن ابو بكر مثلا ـ التاجر الثرى ـ مقربا الى الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الذى قال فيه (لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) !!

ومع ان محمدا كان ـ عند الكاتب ـ زعيم اليسار ، ومع أنه قد (تنبه) الى آن رجاله الحقيقيين هم الضعفاء ـ كما يقول الكاتب ـ ، الا انه حين انتصر وفتح مكة « اراد ان يؤلف قلوب القرشيين ويحضهم على دخول الاسلام ، آملا فى ان التعاليم الاسلامية سوف تؤثر فى قلوبهم وسوف تشدهم الى الايمان الحقيقى ؛ ولذلك ترك خصومه وأمن ابا سفيان على حياته .. لقد كانت الدعوة اكبر من خصومة ابى سفيان ، واكبر من خصومه اى فرد او جماعة داخل الامة الاسلامية الجديدة . وكانت الطليعة التى تعمل الى جانب النبى من القوة والايمان والثورية بحيث لا تستطيع اى داخلية رجعية أن تزحزحها عن مكانها او تفسد دعوة الاسلام فى جانبها الاجتماعى » . (ص ٤١ ـ ٢ع ٤٦) .

وكما اراد اليسار ان يهادن اليمين ـ فى تصور الكاتب ـ اراد اليمين أن يهادن اليسار « واستسلم عتاة رجال المال والطامعون فى السلطة للقوة الجديدة **ورأوا ان التسلل الى السلطة هو الطريق الاصوب والاسهل** ، فوجدنا معاوية يتقرب من الرسول ، وغيره كثيرون من امية ، ومن القبائل والاسر التي حاربت النبى والاسلام حربا شعواء » . (ص ٤٣ع ٤٦) .

ونجح معاوية بالطبع فى تقربه من الرسول ، فالتاريخ يروى انه قد اتخذه كاتبا له !! (١) .

والكاتب يقول « وقبل النبى اسلامهم بل مضى فى مجاملتهم الى حد بعيد ، حتى يؤلف قلوبهم ويكتسبهم ظاهرا وباطنا للاسلام . ولسنا نريد ان نذهب مذهب غلاة الشيعة فنزعم ان اسلام هؤلاء جميعا كان مدخولا ، وانه كان وسيلة انتهازية ليركبوا الموجة التى وقفوا ضدها ، فليس هناك شك فى ان الاسلام قد هيمن على الجميع .. » ومع هذا التحفظ المشكور الذى تحفظه الكاتب فقد اعقب ذلك مباشرة بقوله : « وقد اعتبرت القوى الرجعية فى قريش ان نجاح الدعوة فى الجزيرة العربية كلها واحتمالات امتدادها الى ابعد من ذلك فرصة مواتية لطموحهم ، وهكذا انخرطوا فى الدين الجديد بكل ثقلهم ، مكتفين من الاسلام بعباداته ، وربما فهموا الدين من هذا الجانب وحده ، وخاضوا المعارك واستبسلوا فيها، واصبحت لهم قوة يحسب حسابها ...» (ص ٤٣ ع ٤٦) .

واذن فقد نجح (التكتيك) المرسوم ... وانتهى (التسلل) بالوصول !!

واريد ان اسال الكاتب لماذا مضى (زعيم اليسار) فى مجاملة الخصوم الى هذا (الحد البعيد) !! تراه لم يكن قد تنبه بعد ـ وغزوة الفتح كانت قبل وفاته بعامين ، الى ان (رجاله الحقيقيين هم الضعفاء)!

والقرآن يخاطب محمدا : « فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون» !

— كما اريد ان اســـال الكاتب : كيف كان هؤلاء الداخلون في الاسلام «مكتفين من الاسلام بعباداته»؟؟ .. وكيف كانوا يتنكرون لما نزل من تشريع القرآن؟؟

وهل التفسير يخلق (الواقعة) التاريخية .. ام ان (الواقعة) هي التي توحي بما يدعمها من تفسير!

لقد كان الاسلام (دعوة) تعرض نفسها على كل (انسان) .. من يمين ويسار فاذا ملكت الانسان من الاعماق ، فهي تستفيد من كل الطاقات .. وتتدافع التيارات بين اهواء النفس في داخل الفرد، وتتدافع التيارات بين مختلف الفئات في احشاء المجتمع . ولا يطرد احد من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وينتهي التدافع الى التكامل والتكافل بهدى رب العالمين !

« ... وان تبتم فلكم رءوس اموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ».

«... فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ، واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين »!

ان بداية (التسلل) المزعوم ترجع الى **عهد الرسول** نفسه ، وما كان الرسول غافلا عن حقائق الامور!!

جعل الرسول عمرو بن سعيد بن العاص بن امية على تيماء وخيبر وتبوك وفدك، وبعث عمرو بن العاص الى تخوم الشام حيث ينزل أقوام من اقربائه : بلي وعذره في ارض جذام ، اذ كانت ام العاص بن وائل امراة من بلي ..

وولى ابو بكر وعمر قادة في جيوش فتوح الشام من بني اميه ، وابلى يزيد بن ابي سفيان واخوه معاويه بلاء حسنا وقيل «ما فتحت كوره من كور الشام الا وجد عندها رجل من بني سعيد ابن العاص ميتا » .

وقد حظى الامويون عند عمر بمكانة خاصة، فلقد ساله شرحبيل بن حسنة في زيارته للشام سنة ١٧هـ حين عزله وولى معاوية بدله » أعن سخطة عزلتني يا امير المؤمنين ؟ فاجاب : لا ، انكما لكما احب ، ولكني اريد رجلا اقوى من رجل» وعند وفاة عمر كان معاوية يتولى الاردن ودمشق ولقد انكر عليه عمر موكبه فقال له « انا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان ، فان امرتني بذلك اقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت » وروى ان عمر اجاب «لئن كان الذي تقول حقا فانه راى اريب ، وان كان باطلا فانها خدعة اديب ، وما آمرك ولا انهاك عنه » كما روى انه حين اثنى احدهم على معاوية لحسن رده قال: « من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه » !

وهكذا تتابع على استعمال بني امية : رسول الاسلام نفسه — وهو زعيم اليسار عند الاستاذ عباس صالح ، وابو بكر ، وعمر الذى يعده الكاتب اقرب الى اليسار !!

والمقريزي نفسه — على نزعته الهاشمية الواضحة — يقول « فانظر كيف لم يكن في عمال رسول الله ولا في عمال ابي بكر وعمر احد من بني هاشم فهذا وشبيهه هو الذى حد انياب بني امية وفتح ابوابهم واترع كاسهم وفتل امراسهم»!

فهل غفل الرسول ، ومن بعده ابو بكر وعمر ، عن هذا التسلل الخبيث ؟؟

ام انهم افادوا من تلك الطاقات والخبرات ، واطلقوها لتعمل في مجال الاسلام الذى يتفسح لكل الجهود البناءة ، ولا يؤيد الخصومات ويعمق العداوات بدعوى الصراع المحتوم !

لقد اشتهر بقيادة قوافل قريش الى الشام قبل الاسلام ابن جعدان وابو احيحة وابو سفيان وغالبيتهم من البيت الاموى : ويروى ان عثمان ابن عفان سفر لدى عمال الروم في بصرى ، ويروى البلاذرى «انه كانت لابي سفيان بن حرب ايام تجارته الى الشام في الجاهلية ضيعة بالبلقاء تدعى بقبش فصارت لمعاوية وولده ..» وهكذا لم يكن غريبا في فتوح الشام ان ينزل يزيد بن ابى سفيان البلقاء ويبلى هو واخوه معاوية احسن البلاء بل اننا نجد ابا سفيان الشيخ العجوز يسهم ونساء الامويين يسهمن أيضا في هذه الفتوح ...

للبحث بقية

فتحي عثمان

نعم .. إسرائيليات

بقلم : محمد جلال كشك

عندما نقول نحن العرب ، عن تفاسير وأساطير انها اسرائيليات .. فاننا نعني بذلك انها أباطيل مغشوشة وروايات مدسوسة .. تشوه جلال التعاليم الدينية وتنسب للأنبياء والرسل ، بل حتى لله سبحانه وتعالى ، ما لا يليق نسبته للناس الطيبين فضلا عن المعصومين .

ومن قبيل هذه الاسرائيليات ، وتحت عنوان : « **اسرائيليات** » هذا التعليق الذى أورده الأستاذ « **سعد كامل** » فى صحيفة أخبار اليوم .

فقد انتزع سطرين من كتاب عدد صفحاته ٢٥٧ صحيفة ..

وهو كتاب الأستاذ أحمد بهاء الدين ، الذى تناول فيه العدوان الصهيونى ، وأبعاد التحدى الاسرائيلى فى دراسة شاملة لعدد من المؤلفات .

الا أن الأستاذ سعد كامل قد أمسك فى لهفة بحكاية التفرقة بين اليهود والصهيونية ، وراح يؤنبنا ويقرعنا متهمنا ـ لماذا وكيف ؟ لست أدرى ـ بأن كتابنا لم يفرقوا .. بل « كانت مشكلة اسرائيل مرتعا خصبا لحماس بعض كتابنا » ..

وفى خضم هذه الموجات الاثارية ، خلطوا موقفنا من الصهيونية ، باليهودية .. ودولة اسرائيل . وقد جاء هذا الغموض الفكرى تارة من باب الاستسهال أو الكسل الفكرى ، وتارة نوعا من الانتهازية وكسبا للعواطف الرخيصة ، وهذا (التشويش) الفكرى يضر بمصالحنا القومية وقيمنا الاشتراكية فى الداخل لأنه يغرس فى نفوس الجماهير أفكارا خاطئة يصعب تغييرها ، وفى الخارج لأن أعداءنا يستخدمونه لتشويه أفكارنا ومبادئنا الاشتراكية .

وقد قرر بهاء (وقع الكلفة من جانب الأستاذ سعد كامل) فى كتابه بصراحة ـ اننا ضد الصهيونية ولكننا لسنا ضد اليهود ..

القضايا التى يثيرها الأستاذ « **سعد كامل** » هى ان مشكلة اسرائيل كانت مرتعا خصبا لحماس بعض كتابنا وقد عمد هؤلاء اما كسلا واما انتهازية للخلط بين الصهيونية واسرائيل وبين اليهود .. أى داعين لكراهية الجميع ومحاربة الكل .. الأمر الذى لايرضى الناقد الذى لا يخضع للحماس .. بل يفسره على انه كسب للعواطف الرخيصة ، وتشويش .. مما يغرس فى نفوس الجماهير أفكارا خاطئة (وهى كراهية اليهود) يصعب تغييرها !

هذه هى القضية التى يثيرها :

واذا التزمنا سوء الظن الماركسى .. لقلنا ان هذه الألفاظ « **الحماس** » .. « كسب العواطف الرخيصة » « الفرق بين اليهود واسرائيل » قد سمعناها حديثا جدا .. من مؤتمر صحفى فى بيروت ! .

ولو تمادينا مع سوء الظن الماركسى .. لافترضنا وجود مخطط ينطق أفواها فى وقت واحد .. بدأت بحديث عن اتحاد العرب واسرائيل فى مجلة تونسية .. ثم بمؤتمر صحفى يدعو فيه سى الحبيب .. الى التآخى بين العرب واسرائيل ثم يصحح الى التآخى بين العرب واليهود .. وأخيرا يؤنبنا كاتب فى صحيفة أخبار اليوم على حماس كتابنا ويقرعهم على الخلط فى عداوتهم بين اليهود واسرائيل .

الا أننا سنتسلح بحسن النية ، لأنها صفة المؤمن ..

ونقول ان تلك القضية تنبعث من جهل قديم وتحجر عند موقف عفى عليه الدهر وسحقته

الأحداث ، ولم يعد يستحق أن يناقش فضلا عن أن تثار حوله كل هذه الغضبة .. وهي حكاية الفرق بين اليهودي والصهيوني .. وسنقول مع افتراض حسن النية ، انها أيضا محاولة خجولة للنيل من مقال موجع .. أشار الى نشأة الحركة الشيوعية في مصر على يد اليهود !

ولنبدأ بالفكرة المتحجرة :

تلك التي تعد اثارتها هي « التشويش » عينه .. لأن العرب لا يعرفون التعصب أصلا ، والأصل في العربي المسلم أن يؤمن بنبوة موسى ، فالعصبية العمياء ليس لها جذور دينية ، والعرب ساميون ، فلا يمكن أن تقوم بينهم حركة لا سامية ، واذا كان ثمة نقد يوجه لنا ، فهو فرط تسامحنا ، الا أننا لا نملك أن نكون الا كذلك .. فهذه هي روح حضارتنا ، وطبيعة رسالتنا ..

ورغم التحدي الصهيوني ، والجرائم الاسرائيلية البشعة وخيانات اليهود العرب ، وموالاة عدد كبير منهم لاسرائيل على حساب الأوطان التي عاشوا فيها .. رغم ذلك ورغم حالة الحرب الدائمة مع اسرائيل، فاننا نتحدى اسرائيل وأبواق الصهيونية بل وكاتب أخبار اليوم أن يذكر لنا حادثة واحدة من المحيط الى الخليج .. تغلبت فيها العواطف الرخيصة واضطهدنا يهوديا .. لأنه يهودي .

وخلال الحرب العالمية الثانية اعتقلت أمريكا كل اليابانيين بل والأمريكيين من أصل ياباني .. ونفس الشيء فعلته روسيا مع الألمان رغم كل ما كتب عن الفرق بين الحرب ضد الاحتكارية الألمانية ، والأخوة مع الشعب الألماني .. لأن الحرب هي الحرب .. ومع ذلك فلم يحدث في بلد عربي أن اعتقل كل اليهود حتى واسرائيل ترتكب أبشع عدوان وأخس تآمر .

اذن فلماذا هذا الحديث ؟ .. ولمن يوجه هذا الكلام ؟! ومنذ متى كتب الأستاذ « **سعد كامل** » عن اضطهاد العرب في اسرائيل ؟

وهي أيضا حكاية قديمة :

يا ليت كاتب أخبار اليوم تابع تقليب كتاب الأستاذ بهاء بدلا من أن تغمره الفرحة للتفرقة بصراحة بين اليهودي والصهيوني .. لو انه تابع تقليب الكتاب ، لوجد ان اثارة الضجيج حول هذه التفرقة لا يساوي شيئا .. لأن اسرائيل للأسف ، قد استطاعت أن تربط بين يهود العالم وبينها كدولة رباطا لايمكن تجاهله ، ومن الخطأ الفادح التهوين من شأنه .. فضلا عن نفيه ، ولم تنجح اسرائيل أبدا بسبب « **العواطف الرخيصة** » عند العرب ، بل بسبب هذه العواطف الموجودة في الدين اليهودي ، وأيضا العواطف الرخيصة في الحضارة الأوربية التي اضطهدت اليهود .. الا أنها لم تعد الآن قضية اضطهاد اليهود .. لأن يهود أمريكا وهم أشد غلاة الصهيونية لايخشون اضطهادا .. ولايمكن الزعم بأن « **أنا بوكر** » الزعيمة الشيوعية كانت تخشى اضطهادا في دولة شيوعية ، عندما هربت شقيقها وأباها الى اسرائيل .. وإليا اهرنبورغ هل يؤيد اسرائيل لأنه مضطهد .. فالمشكلة الآن لم تعد ارتباط اليهود باسرائيل .. هذه مرحلة سابقة على ١٩٤٨ .. المشكلة الآن ، وأعني عند زعماء الصهيونية – هي درجة هذا الارتباط ، وهل يستمر اليهودي في البلد الذي يعيش فيه ويكتفي بمساعدة اسرائيل بالمال والسلاح والتجسس واستغلال النفوذ .. أم يحمل حقائبه ويعود لاسرائيل ؟!

جاء في كتاب الأستاذ بهاء .. على لسان جولدا مائير ، جميل جدا أن يعطينا اليهود في الغرب تأييدهم وحماسهم وأموالهم . ولكن هذا لا يكفي . هذه المشاركة من بعيد لا تكفي . فمن بعيد لايمكن أن تتم زراعة النقب ! انني كلما سمعت أغاني اسرائيل يرددها اليهود في نيويورك ولوس انجليس وشيكاغو ، رقص قلبي طربا ! .. ولكن ترديد الأغاني عن النقب في نيويورك أو بوسطن لا يعمر النقب » !

ويقول الأستاذ بهاء « كثير من المفكرين اليهود لا يقبلون القول بأن دولة اسرائيل هي المكان الطبيعي لكل اليهود.. بل كانوا يعارضون قيام دولة اسرائيل نفسها .. ولكن هذه الأصوات ضاعت أو اختفت تحت تأثير انتصار فكرة قيام الدولة سنة ١٩٤٨ » .

وعلى لسان المؤرخ الانجليزي الجنسية واليهودي رسميا « سيسيل روث » يورد الأستاذ بهاء : « ان هؤلاء اليهود الذين عارضوا قيام دولة اسرائيل يتمنون الآن نجاحها ولا شك ، بعد أن قامت بالفعل .. ثم انهم يعرفون أن فشلها سيكون ضربة معنوية هائلة لليهود في كل مكان من العالم . ولكنهم مع ذلك قلقون .. فهم يرون ان اليهود في كل دولة

أصبحوا لا يشاركون في أي مسألة تهم البلاد التي يحملون جنسيتها .. الا اذا كانت هـذه المسألة تتصل باسرائيل » .

المؤرخ **اليهودي** لم يستثن .. بل قال « اليهود في كل دولة » . **فلماذا يكون بعضهم ملكيا أكثر من الملك .**

وبدلا من التعسف في تفسير آراء الأستاذ أحمد بهاء الدين .. ما الذي كان يضير كاتب « أخبار اليوم » لو أنه وصل الى صفحة ٢١٥ حيث يقول الأستاذ بهاء « شيء هام يلوح في كل سطور القصة (خطف ايخمان) .. ولا يمكن تصورها بغيره هو : العدد الهائل من العملاء الذين يساعدون مخابرات اسرائيل ويعملون لها .. كلهم يهود مواطنون في بلاد أخرى .. يظهرون الولاء للبلاد التي تطعمهم وتؤويهم .. ولا يبطنون الا الولاء لاسرائيل » !

كنا نود لو أن كاتب « أخبار اليوم » قد ضرب أمثلة على حماس بعض كتابنا ، الذي لا يرضيه ، والعواطف الرخيصة التي أشار اليها ، لأن هـذا التعميم يحمل اتهاما عاما لا يليق » وتشـويشا » لا يقبل .

وكنا نود لو ضرب لنا أمثلة عن بعض اليهود الذين وقفوا في صف أوطانهم العربية .. من ؟ .. **هنري كوريل** زعيم « حدتو » المنحلة .. أم **ايلي شوارتز** ؟! أين هم الآن ؟ وكم ارتكبوا في حق الشعب العربي ؟

لقد نصحت الأهرام ، المتحدث في بيروت ، بأن يغير مستشـاره الانجليزي .. ونحن ننصح بعض الماركسيين بتغيير مستشاريهم من اليهود واليهوديات .. أو يتخلصوا من بقايا مشورتهن .

ونصيحة خاصة لكاتب « **أخبار اليوم** » ان كان حقا يريد أن يستمر هناك الى أن تصل طوابقها الى السبعين .. فليفهم ان اسرائيل ليست « مشكلة » كما يصفها يجوز فيها أي كلام .. لا .. اسرائيل ليست مشكلة — فما أدق هذا الوصف — اسرائيل كما وصفها الأستاذ بهاء هي « التحدي الحضاري » للعرب .

وفي التحديات الحضارية .. حضارة واحدة هي التي تبقى .. تلك التي تعرف كيف تكره .. وكيف تسلح كراهيتها بالعلم والفولاذ ..

« محمد جلال كشك »

بقية المنشور على صحيفة «٧»

مكينا ، بما اكتسب من ثقافة الشرق والغرب ، وبما اطلع عليه من الادب العربي والآداب الاجنبية عامة ، فهو بتكوينه الفكري كفء لتناول موضوعه في القالب والاسلوب الذي يعد به من الاعمال الادبية الممتازة . وهذا فوق ما أوتي من ملكة طيعة ، وقدرة باهرة ، في تزويده للموضوع الذي يتناوله بالخواطر والاوصاف والتعبيرات التي تفيض عليه الحيوية ، وتبث فيـه الحرارة ، وتشيع فيه نورانية الفن الرفيع .

واذا شئت أن تقصر معنى الفصاحة على اللفظ فان «لبيرم» من الشعر العربي الفصيح لفظه ما يشهد له بالاصالة والاجادة .. بيد أني أريد أن يتسـع نطاق مدلول الفصاحة في أدب «بيرم» لكي يستوعب صلة اديبنا الكبير بالفصحى ، أعني **باللغة نفسها** ، لا في مجرد لفظها ، بل فيما أثر عنهـا من أدب ، وبخاصة الشعر . وهنا نستطيع القول بأن «بيرم» ، حتى في أزجاله العامية العميقة ، كان يستوحي هذا الادب العربي الصميم ، ويتأثره في بلاغاته واساليبه .

انت اذا قصصت اثر «بيرم» في اخيلتـه ومعانيه وفي صوره التعبيرية ، تجلت لك بلاغة الأدب العربي وخصائص الشعر العربي أحسن ماتتجلى . فقد كان في بيانه وفيما يحلى به أسلوبه من اسـتعارات وتشابيه ، ومن مجـازات مختلفة الألوان ، ومن استخدام للفن البديعي كالتورية والجناس — أديبا عربيا بليغا كما يكون الاديب العربي البليغ في أوج اقتداره وافتنانه . وانك لواجد مصداق ذلك أيضا في تمرس « بيرم » بمعارضته القصائد العربيـة المشهورات ، وفيمـا تتفطن اليه حين تقرأ بعض قصائده وأزجاله من نزوعه الى محاكاة أنماط متوارثة في أبيات من الشعر العربي الرصين ، يجري بعضها مجرى الامثال .

واخيرا ، بل أولا .. أحيي الأديب « **عبد الفتاح غبن** » ، وفي مقدمة ما يحدوني الى هذه التحية روح الوفاء الذي أملى عليه اخراج هذه الرسالة الطريفة . وارجو أن يتاح له في طبعتها المقبلة تنمية ما حوت من شوارد الاحاديث والآثار .

« محمود تيمور »

نماذج بشرية

هل هو من تأليف الدكتور مندور ؟

بقلم
عبد المطلب صالح



للدكتور محمد مندور اياد بيض على الادب العربي فمازال منذ عودته من باريس سنة ١٩٣٩ يمد المكتبة العربية بنتاج ذهنه الخصب المثقف ثقافة اوربية حديثة ، ومازلنا نعيد قراءة مقالاته العميقة الاولى التى نشرها فى مجلة الثقافة حينذاك واحتواها بعد ذلك كتابه (فى الميزان الجديد) ٠

ولقد غنم الادب العربى الحديث عدة كتب ترجمها الدكتور محمد مندور عن الادب الفرنسى مثل : من الحكيم القديم الى المواطن الحديث لطائفة من المفكرين ومنهج البحث فى الادب واللغة لماييه وغوستاف لانسون ، واعلان حقوق الانسان لبابيه ، ودفاع عن الادب لجورج دوهامل ٠

ولقد افاد من هؤلاء المؤلفين الذين ترجم عنهم منهجا فى البحث وخطة فى العمل ، ولنا فى الاديبين (جورج دوهامل) و (غوستاف لانسون) خير مثالين على التاثير الذى خلفه الادب الفرنسى فى كتابات الدكتور محمد مندور ٠ لقد استفاد الدكتور مندور من (لانسون) روح العلم وصبر الباحث والاعتماد على فهم النصوص الادبية فهما داخليا مما يتضمنه المنهج التاريخى الذى اعتمده (لانسون) فى كتابه الكبير « تاريخ الادب الفرنسى » وكتاباته الاخرى عن كورنى ، وعن النثر الفرنسى وتاريخ المسرح الفرنسى ٠

وخير مصداق على ما نقول المقدمة البارعة التى صدر بها الدكتور مندور (منهج البحث فى الادب واللغة) ، وخطة البحث الممتازة التى وضعها اساسا لكتاب (النقد المنهجى عند العرب) ٠ تلك هى روح العلم وخلاصة البحث الدائب بين الوف الجذاذات التى لا تعتبر لذاتها كما يقول (لانسون) ولكنها الوسيلة الى غاية ابعد ، انها النبراس الذى يهدينا الى معرفة الحقيقة ، وبها وحدها نتلمس طريقنا ونتهجس دربنا لنثبت فى ميدان البحث الادبى شيئا جديدا يساعد العلم على المضى نحو المستقبل ٠

والى جانب (غوستاف لانسون) و (جورج دوهامل) نذكر اديبا فرنسيا آخر اسهم فى نشأة الدكتور محمدمندور الادبية هوالاستاذ **(جان كالفيه)** مؤلف (تاريخ الادب الفرنسى) وكتاب (النماذج العالمية فى الادب الفرنسى والأجنبى) الذى طبع فى باريس مرات عديدة وظهر فى ثلاثة اجزاء جزءان منها يحتويان على نماذج الادب الفرنسىوالجزء الثالث يحتوى على نماذج الادب الانكليزى والايطالى وغيرها ٠

والأستاذ (جان كالفيه) اقل حظا من زميليه (لانسون) و (دوهامل) اللذين يشير اليهما الدكتور مندور فى تضاعيف كتاباته بل ينادى باسميهما ٠ اما (جان كالفيه) فقد كان نصيبه النسيان فقد اهمله الدكتور مندر وهو يعلم جيدا اليد التى اسداها اليه هذا الاديب الفرنسى فى تهيئة كتاب (نماذج بشرية) ٠

ان اهمال الدكتور مندور للاستاذ (جان كالفيه) لايعدله اهمال او جحود فى تاريخ الفكر البشرى غير جحود الشاعر الايطالى العظيم (دانتى) حينما

الفي باستاذه (برنتو لاتيني) في مقر الجحيم في (الكوميديا الالهية) جاحدا ما اداه اليه هذا الاستاذ العلامة في حياته من دروس وارشادات !

(انظر : الاستاذ اندريه بللسور في : دراسات جديدة وصور اخرى ص ٤٥ ، سنة ١٩٢٣) .

ان كل المثقفين المطلعين على حركة الادب العربي الحديث يعلمون جيدا ان الدكتور محمد مندور قد « الف » كتابا اسمه (نماذج بشرية) قبل حوالى عشرين عاما وقد جمع الكتاب بين دفتيه نماذج ادبية مشهورة مثل : جفروش النموذج الذى خلقه الاديب الفرنسى الكبير (فكتور هوكو) في روايته «البؤساء» وفيجارو الذى خلقه اديب الثورة الفرنسية (بومارشيه) وغير ذلك .

يقول الدكتور مندور في الاهداء الذى صدر به (نماذج بشرية) ما يلى :

« اعتدت ان املى على زوجتى ما اكتب او اقرؤه عليها بعد الفراغ منه .. وانا شديد الثقة بذوقها الادبى .. ولقد كان هذا الذوق دائما خير عون لى على الرجوع عما قد تسوقنى اليه حرارة القلم عندما يتملكنى الموضوع فاندفع في اعقابه » .

(انظر : الدكتور محمد مندور ، نماذج بشرية ص ٥ الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ١٩٦١) .

ان الدكتور مندور يوحى في اهدائه السابق : انه املى على زوجته كتاب (نماذج بشرية) من جملة ماكان يمليه عليها من كتابات وان هذا الكتاب هو من صناعته الخاصة ، ولقد القى بهذا الانطباع بين جمهور القراء حتى ان دار المعرفة تعتقد ان كتاب « نماذج بشرية » ، قد كتبه الدكتور مندور في فورة الحماسة الاولى .. وحلل فيه شخصيات الادب العالمى » .

لقد كنا نحن كذلك نعتقد هذا الاعتقاد وتشعر ذلك الشعور الى ان ذهبنا الى باريس قبل عدة سنوات لتحصيل دكتوراه الدولة في الادب المقارن من السربون التى اوشكنا على انهاء اطروحتها فماذا حصل ؟ حصل ان وجدنا في احدى مكتبات باريس كتاب الاستاذ (جان كالفيه) وهو (النماذج العالمية في الادب الفرنسى والاجنبى) وقرأنا هذا الكتاب ثم انتهينا الى هذه النتيجة: ان الدكتور محمد مندور سرق مجهود الاستاذ (جان كالفيه) وان كتاب « نماذج بشرية » هو نفسه كتاب « النماذج العالمية في الادب الفرنسى والاجنبى » مترجم عنه ترجمة دقيقة مع قليل من الحذف والاضافات اليسيرة ، مثل نموذج (ابراهيم الكاتب) للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى ، الذى اضافه (مندور) على صلب الكتاب.

اما كان بوسع الدكتور مندور ان يترجم كتاب (جان كالفيه) من دون ان يدعيه لنفسه ؟ .

ولو فرضنا ان الدكتور مندور قد استوحى عنوان كتاب (جان كالفيه) أما كان الاجدر به ان يشير اليه مثلما فعل الدكتور طه حسين حينما اشار الى كتاب الناقد الفرنسى (جول ليتر) « على هامش الكتب » الذى اوحى اليه عنوان كتابه « على هامش السيرة » « انظر : طه حسين ، نزعات دينية في الادب المصرى الحديث في : الاسلام والغرب ص ٢٤٠ من منشورات كراريس الجنوب ١٩٤٧) .

ولكن الامر ، فضلا عن هذا ، يتجاوز العنوان الى محتوى الكتاب .

والطريقة التى اتبعها الدكتور مندور في اعداد كتاب « نماذج بشرية » هى انه يقدم للنموذج الادبى بنبذة تاريخية هى في الغالب تلخيص لتاريخ النموذج كما أورده « جان كالفيه » ، ثم يأتي الى النموذج نفسه ناقلا تحليل (جان كالفيه) أيضا بنصه . والغريب ان الدكتور مندور يعزز « شرحه للنموذج » بنصوص هى ذاتها التى اختارها المؤرخ الفرنسى (جان كالفيه) للتدليل على تحليل نموذجه .

وها نحن أولاء نورد بعض الامثلة مبتدئين بما جاء به « مندور » ثم نعقبه بالنص الفرنسى الذى ترجمناه ترجمة حرفية . ومن شاء الاستزادة فليرجع الى كتاب (النماذج العالية في الادب الفرنسى والاجنبى للاستاذ (جان كالفيه) وقد طبع في باريس عدة مرات ونشره (لانور) وآخر طبعة لهذا الكتاب كانت في سنة ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ .

ولنبدا بنموذج « السست » لموليير ·

يقول (منــدور) : « السست فى الخامســة والعشرين من عمره عندما تبدأ مأساة حياته · دلف الى الوجود بضمير نقى صلب · وقد وطد النفس على مطاردة الكذب انى كان ، وعلى الجهر بالحق فى كل مجال · ولم يغب عنه ان الــكذب ملأ الآفاق وان مهاجمته تتطلب جهدا لاينقضى » (انظر : نمــاذج بشرية ص ١٣٢ ، دار المعرفة ١٩٦١) ·

ويقول (جان كالفيه) : « السست فى الخامســة والعشرين من عمره ، انه شخص نبيل دخل الحياة بضمير طيب نقى صلب ، وقد صمم على ملاحقــة الكذب بكل اشكاله وان يقول الحق دائمــا ، وقد لاحظ ان الكذب قد ملأ الدنيا ، وان كشفه يتطلب جهدا لا ينتهى » ·

(انظر : جان كالفيه ، النماذج العالمية فى الادب الفرنسى ج ٢ ص ٢٣ ، لانور ١٩٦٤) ·

ويقول الدكتور مندور فى نموذج « فيجارو » : « هاهو حلاق اشبيلية يقفز الى المسرح وكأنمـا يعلو منبرا ، وها نحن نراه أول ما يبدو فى احد شوارع اشبيلية وقد علق فى ظهره قيثارته بشريط من الحرير ، وهاهو يوهم نفســه انه قادر على كتابة اغنية يشيد فيها بالخمر والكسل اللذين يقتسمان قلبه » · (انظر : نماذج بشرية ص ٤٦ دار المعرفة الطبعة الثالثة ١٩٦١)

ويقول الاســتاذ (جان كالفيه) فى النموذج نفسه :

« يمثل لنا فيجارو فى احد شوارع اشبيلية وقد علق بشريط كبــير قيثارة على ظهره · ويسره ان يكتب اغنية عن الخمر والكســل اللذين يقتسمان قلبه » · (انظر : جان كالفيه ، النماذج العالمية فى الادب الفرنسى ج أ ص ١٢١ ، لانور ١٩٦٣) ·

والاولى لنا يا دكتور مندور أن تتدبر الطريق التى تسلك فان طريق الفكر والثقافة الحقيقية وعر تغمره العقبــات مثلمــا بين (جورج دوهامل) ، ومعرفة النفس لاتأتى الابعد الجهد العنيف والصبر المتواصل، ان للفكر قدسيته ومامن أحد يستطيع الولوج من بابه سوى رجاله المخلصــين الذين آمنوا حقا بتلك القدسية ·

بغداد « عبد المطلب صالح »

« بقية المنشور على صفحة ٩ »

واذا كانت النفس العربية قد انتصرت على قاهر اوربا ومحطم تيجانها ، واذا كانت ثورة عرابى قد انتهت بالاحتلال البريطانى ، واذا انتهت ثورتنا عام ١٩١٩ بخديعة الشعب حين منحتــه قوة الاحتلال سلطات وهمية يخطط لها ، قصر الدوبارة » ، ويشرف على تنفيذها سلطان ثم ملك لا يملكان من امرهما شيئا ، ثم تصدر القرارات باسم الأمة ممثلة فى مجلسيه ـ النواب والشيوخ ـ وهما يضمان اعضاء ، لم تنس بعد حظهم من الوعى الوطنى والتثقيف المخجل ··! ، فان كل هذا الاخفاق فى المجال الوطنى لم يستطع ان يعبث بمشاعر الشعب الدفينة ، او يرقى الى التخفيف من حدة الطموح الى الحرية والاســتقلال الكامل فى النفس المصرية التى فطرت على الصمت الواعى ، والذكاء الأصيل ·

واذن ، فان ما ابتدأنا عن اليقظة الشعورية فى النفس العربية ليس من قبيل : التمهيد لموضوعنا الذى نحن بصدده ، وليس كذلك من قبيل : المقدمات التى تسبق الموضوعات غالبا ، وانما هو من صميم ما تساءلنا عنه فى عنوان هذا المقال ، لان الموهبة الشعرية تشحذها التيارات النفسية فى المجتمــع ، وبصقلها الطموح الى التحرر القومى الذى يحقق للشاعر حريته الفردية ، تلك الحرية التى تصنع الشاعر الموهوب ، وتفجر فيه الالهام ·

فالموهوبون والعباقرة من الشعراء والكتاب والخطباء يتصدرون الشعور العربى المناضل فى كل تلك الأطوار جميعا ، لان الأديب فى طبعه يشعر بحماسة شديدة تدفعه الى المشاركة الرائدة فى مثل هذه المعارك الوطنية · وينتهى به الحماس دائما الى انفعال عاطفى يفتق فى وجدانه براعم الفن ليقدم منها الى مجتمعه طاقات مختلفة من الألوان والعبير ، وذلك هو السبب الحقيقى الذى هيا لنا ان نظفر فى دولة الشعر بمثل رائد النهضة الشعرية الحديثة محمود سامى البارودى وامير الشعراء احمد شوقى ، ثم نظفر كذلك فى فترة القلق الذى كان يجتاح مجتمعنا فى الربع الثانى من القرن العشرين بامثال الشاعر البائس عبد الحميد الديب ، والشــاعر الوطنى الشابى ، والشاعر الموهوب التيجانى يوسف بشير ·

لقد مضى هؤلاء العباقرة من شعراء العربية فى فترة من فترات ثورة النفس العربية فى مصر وتونس والسودان ، وتحركها نحو تحقيق آمالها التى طالما نشدتها من حرية واستقلال ·

اما وقد ظفرنا اليوم باقامة مجتمع متمائل تقريبا تســوده العدالة الاجتماعية ، وترفرف عليه الحرية السياسية والاقتصادية على نحو لم تشهده الامة العربية من قبل ، فمن حقنا عندئذ ان نتساءل : متى يظهر الشاعر الموهوب ؟ فقد طال انتظارنا لهذا الشاعر ، فهل يطول ذلك الانتظار ؟ والى متى ؟ ··

وحديثنا فى المقال القادم متصل بهذا الموضوع ·

« عبد الرحمن عثمان »

العقاد وموقفه في الدفاع عن الاسلام

بقلم: محمد عبدالله السمان



– ٣ –

قلت فى المقال السابق: ان منهج العقاد فى كتابه: « ما يقال عن الاسلام » يقوم على الايجابية ، الايجابية المتحفزة التى توافرت فيها المتابعة لكل ما ينشر عن الاسلام فى صحف الغرب ومؤلفات كتابه على الاخص ، والرد عليه ردا مقنعا مفحما .

اما هؤلاء الكتاب فهم كما يشير العقاد فى مقدمته – يتفاوتون فى قيمة الكتابة ، **ولكن** تفاوتهم على حسب البواعث والنيات اضعاف تفاوتهم على حسب الدراية والمعرفة، **لانهم** طوائف مختلفة لاتتفق فى الوجهة ولا فى الخلق ولا الاستعداد . فمنهم المبشرون الذين ينحرفون عن الصواب اضطرارا واختيارا ، بباعث من التعصب وباعث من حكم الصناعة او الحرفة، **ومنهم** اناس يخدمون السياسة الغالبة على دولهم ، **ومنهم** طلاب المعرفة من المستشرقين الذين نشأوا بمعزل عن دوائر التبشير ودوائر السياسة ، **وفيهم** من ينشد الرأى خالصا لوجه الحقيقة العلمية، ولكنه مشوب بالقصور الذى لا مفر منه لمن يكتب عن الادب فى لغة غير لغته ، **ومنهم** اناس يتشيعون للاسلام بمقدار ثورتهم على سلطة الدين فى بلادهم ، ولا يندر فيهم من ينصف الاسلام ويهتدى الى محاسنه السمحة .

ويقسم العقاد هؤلاء الكتاب الى قسمين : مخلصين وغير مخلصين ، **والمخلصون فريقان** : طلاب المعرفة وطلاب العقيدة ، وهم زمرة الباحثين الذين داخلهم الشك فى عقائدهم التى ولدوا عليها ، وغلب عليهم الايمان بأن الشرق مصدر الاديان .

واما غير المخلصين ففرق كثيرة ، **المتعصبون** للغرب وطنيا او جنسيا ، **والماديون** الملحدون الذين يدعون الى هدم المجتمعات القائمة ويرون ان الاديان كافة عقبة تعترض الاصلاح الاجتماعى ، **وجماعة المؤمنين** المحترفين ، سماسرة التبشير، ثم **المغرضون** واخطرهم طائفتان تملكان من وسائل الدعاية ما ليس لطائفة اخرى ، **وهما** طائفة الصهيونية وطائفة الاستعمار .

* * *

لم يكن العقاد فى كتابه « ما يقال عن الاسلام مميزا وحسب – بالرد المقنع المفحم على الشبهات والمفتريات التى اثارها الكتاب الغربيون ، **ولكنه** تميز ايضا بالانصاف فى ادق مراتبه واسماها ، **فلم ينظر** – كما فعل ويفعل غيره – بمنظار اسود قاتم الى كل كتابات الغرب عن الاسلام ، فهو يعنى بالمنصفين عنايته بغير المنصفين من هؤلاء الكتاب ، بل التمس عذرا للقصور الذى شاب كتابات بعض المنصفين ، ولذلك بدأ كتابه بعرض لكتاباتهم ، كالكاتبة الالمانية فى كتابها « **الاسلام والعصر الحديث** » التى أقامت زهاء ثلاثين عاما فى بلاد الشرق الادنى والشرق الاوسط ، وتجنبت الاستخفاف فى كتاباتها ، هذا الاستخفاف الذى اشتهر به كتاب القرن التاسع عشر ، **ترفعا** منهم عن علاج موضوعات الاسلام على خطة المساواة بينها وبين موضوعات العقائد اوالمعارف التى تشيع بين الغربيين ، واعتزازا منهم بسيطرة الحاكم الذى يتحدث عن رعاياه ، **وتعصبا** منهم لعقيدة يؤمنون بحروفها ومعانيها كما يؤمنون ببطلان العقائد التى تخالفها . وهذه الكاتبة الالمانية « **الدكتورة السى ليختنستادتر** » تعرض لشئون الاسلام بما ينبغى من الادب والرعاية ، الا انها قلما تفهم حركات التجديد بفهمها للحقائق التى تدور عليها، وان كانت فى جملة آرائها تقوم فكرتها على اساس صحيح

يرتضيه المسلم ، وان لم يذهب مذهب الكاتبة في تفصيل تلك الاراء والاشارة الى اغراضها ومقاصدها.

وكذلك الكاتب الامريكي **«سدني فيشر»** استاذ التاريخ بجامعة «اهيو» الامريكية في كتابه **«الشرق الاوسط في العصر الاسلامي»** هذا الكاتب يدل اسلوبه في عرض الاراء والوقائع على تورع عن العصبية واجتناب التشهير ، **فهو** يروى مايفهمه من المتناقضات محاولا تجريدها من نزعات الاهواء ، ودسائس الاحقاد المذهبية والقومية .

والقس الامريكي **«اريك لنكولن»** في كتابه : **«المسلمون السود في امريكا»** ـ وهو من المنتمين الى الطائفة المسيحية التي تعرف باسم **المنهجيين او الميثوديين** ، ـ دلت طرقته في وصف حركة الدعوة الاسلامية بين السود الامريكيين على عنايته بالصدق في تحرى الوقائع والبحث عن مصادر الاخبار.

***

والعقاد يهدف من انصافه لهؤلاء الكتاب المنصفين الى غايتين :

اولاهما : الامانة العلمية .

واخراهما : انتزاع شهادة للاسلام من كتاب غربيين لا يقلون شأنا عن غيرهم من بني جنسهم ممن يحقدون على الاسلام ، وهذه الشهادة دليل قاطع على ان مطاعن الطاعنين على الاسلام مشوبة بالتعصب والهوى ، مريبة بالشهوة والغرض .

اما المنحرفون من كتاب الغرب ، فنرى العقاد يمسك بتلابيبهم ، ويضيق الخناق عليهم، فيتصدى للفرية التي تقول : « ان الاسلام نسخة مفضحة من اليهودية » او « نسخة مشوهة من اليهودية والمسيحية » ولم يبرأ من اعتناق مثل هذه الفرية امثال الدكتور « **شوبتزر»** وهو من هو في الثقافة والخلق ، كان من واجبه ان يعصم عقله امام اشاعة رائجة ، فكل قول لا يستند الى البحث ، ولا يستند البحث فيه الى الدليل ، فهو حديث من احاديث الاشاعات ان لم نقل احاديث الخرافات .

والبحث الذي كان من الواجب ان يستقصيه الباحث المقارن بين اليهودية والاسلام انما يقوم على دراسة الموضوع والامة ، لا على دراسة الرقم التاريخي وحده ، ولا يتم هذا البحث الا اذا تناول اصالة اليهود فيما نقلوه من العقائد والاخبار ، وتناول جوهر الدين ولم يقنع منه باسماء العناوين اما المقارنة في جوهر الدين فالمعول فيها على المقارنة بين الفكرة التي توجهها الديانة في العقائد الجوهرية وهي عقيدة الاله ، وعقيدة النبوة وعقيدة التكاليف، ولم يعرف النوع الانساني دينا رفع العقائد الى سماء من التنزية والرشد والصدق فوق تلك السماء العليا التي ارتفع اليها الاسلام .

ويتعقب استاذنا العقاد : **(د. هـ. ب. شرابي)** في كتابه : **(الحكومات والسياسة بالشرق الاوسط في القرن العشرين)** وهذا الكاتب لا يزن الموضوع الواحد بميزان واحد فيما يتعلق بالاسلام وغيره ، ومن مفترياته : أن الاسلام ليس فيه نظرية مستقلة للحكومة ، اذ كل ما يرتبط بالحكومة والدولة يدخل في نطاق الديانة، فلا فاصل بين الدينيات والدنيويات وان الشريعة ـ وهي جملة الاوامر الالهية ـ ليست قانونا بالمعنى المفهوم من القانون في العصر الحديث، ولكنها قضايا معصومة ترسم للمسلم احكام سلوكه في حياته كلها : دينيا وسياسيا واجتماعيا وفي الاسرة والبيت».

ويرد العقاد بأن اقدم الامم الديمقراطية عملا بالحكم النيابي هي بريطانيا ، ودستورها في اساسه قواعد لا تقبل التغيير ، ومنها : حرية الفرد ، وحرية الاعتقاد ، وحرمة المنزل ، ومبدأ المسئولية الوزارية ومبدأ السيادة البرلمانية في وضع القوانين ، وغيرها وليس مبدأ من هذه المبادىء غير منصوص عليه في الاسلام : ان الامام يتولى الحكم بالبيعة ، والاسلام يحتم وجود امة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، والسيادة التشريعية في الاسلام موزعة بين الامام واهل الرأى ، واجماع الامة .

ان احكام الشريعة الاسلامية تنفذ في كل زمان ومكان ، ولا يعلق تنفيذها اويؤجل الا وفاقا لسيادة التشريع .

ان الفرد حر مسئول ، وان مصلحة الامة اساس في تطبيق الشريعة وفي وضع الاحكام التي لم تذكر بتفصيلاتها وعوارضها في الكتاب والسنة .

وعلى الرغم من ان الاسلام هو الدين الذي شرع للارقاء شرعة لم يسبقه اليها دين من الاديان ، وان الحضارة الغربية لم تدرك بعد شأو الاسلام في انصافه لجميع الارقاء ، الا ان هذه المسألة هي هواية الماديين والمبشرين في النيل من الاسلام حين يوهمون

الافريقيين ان العرب المسلمين قد احتكروا النخاسة قديما وحديثا ، ودعاة المادة والتبشير هؤلاء اول من يعلم من تاريخ النخاسة انها كانت صناعة شركات اوربية وامريكية تعتمد على سماسرتها من غير العرب المسلمين .

ان الاديان جميعا ـ قبل الاسلام ـ اباحت الرق وجاء الاسلام فشرع العتق ولم يشرع الرق ، ولم يبق من قيود الرق الا ما هو باق الى اليوم باتفاق الدول ، وسيبقى بعد اليوم الى ان يشاء الله .

***

وبعد ...

فقد قلت فى المقال السابق : ان مكان العقاد فى الدفاع عن الاسلام هو مكان المرابط فى سبيل الله على الحدود . ولم يكن من المستطاع ان تستوعب هذه المقالات العاجلة كل حلقات الدور الذى قام به العقاد فى هذا الميدان من صولات ذادت عن حياض الاسلام مفتريات شنها ولم يزل يشنها كتاب الغرب والشرق من ماديين وصليبيين على السواء ، فبعض الكتب التى ناقشها العقاد بلغت صفحاته اكثر من الف صفحة ، وهناك جزء ثان من كتابه : « ما يقال عن الاسلام » لم ينشر بعد ، وارجو ان تتاح الفرصة لنشره قريبا ، ليتبين لنا مكان العقاد على حقيقته فى دفاعه عن الاسلام .

وليس مما يؤسف له ان تظل اقلام هزيلة تنهش سمعة العقاد ، حتى بعد ان افضى بما قدم الى خالقه لان هذه الاقلام لاتستطيع بصريرها ان تثير حوله الا غثاء كغثاء السيل .

ولكن الذى يؤسف له ابلغ الاسف : ان يتجاهل قدر العقاد وماضيه عربى واحد او مسلم واحد ، ولم تزل كلمات شيخ ـ قيل انه مدرس باحدى كليات الأزهر ـ ترن فى اذنى . لقد عتب على «الرسالة» عنايتها البالغة بالعقاد اثر وفاته ، **ولما سألته** : هل قرأ للعقاد شيئا من كتبه ؟ اجاب بامتعاض : لم اقرأ له كتابا واحدا لاعتقادى انه ملحد .. !!

ولم اعقب بعبارة واحدة ، فان مثل هذا التعالى القائم على اساس من الحماقة لايحتاج الى تعقيب..

ولو انصف الازهر لأنشأ للعقاد كرسيا بالدراسات العليا فيه ، فان مؤلفاته الاسلامية ومكانته العلمية جديرتان بهذا الشرف واكبر منه .

محمد عبد الله السمان

غريب

(١)

للشاعر : محمد عز الدين المناصره

ياباكيا عند الغروب	خل	النواح
فالشمس مهما تغب	يأت	الصباح
اشقاك ليل تدوم	فيه	النجوم
والشمس مهما تحم	تبقى	الهموم
يانائحا عند المساء	هذا	الزمن
يسقيك مر الدواء	والنوح	فن
يا من تركت البكاء	عد	للنحيب
هذا زمان الجفاء	متى	يغيب
انى وحيد حزين	هل	تعلمين
أماه انى غريب	لو	تعرفين
ما كنت انسى الوطن	لولا	الجفاء
هذا عبير الشجن	هل	من عزاء
الله يبنى القلوب	من	روحه
والله يشفى الغريب	من	نوحه
الا ترين الزمان	يا	امتاه
يجتاح ارضى سواد	يجفو	لقاه
فلا كنار هنا	ولا	حبيب
ولا هزار المنى	سوى	النحيب
اشتاق وقع المطر	عند	السحر
والطير فوق الشجر	يزجى	نداه
الى جبال « الخليل »	يحلو	الحنين
هذا الزمان العذول	متى	يلين
ذهبت عند الأصيل	وقت	البكاء
الى ضفاف النيل	اشكو	الزمان
فقال نح ياغريب	على	الزمن
ففى قريب تئوب	الى	الوطن

الأردن « محمد عز الدين المناصرة »



من الأدب السياسى

عنصر التشبيه فى الميثاق

بقلم : جمال الدين كفافى

لقد أجمع كافة الكتاب وأدباؤنا المعاصرون على الميثاق ـ بالاضافة الى ما يضمه بين غلافيه من ثروة فكرية ووطنية ـ جاء قطعة من الأدب الفريد الذى يتصف بصدق التعبير وقوته ، ورصانة الأسلوب وقدرته على إيضاح الفكرة وبلورة الهدف، ثم التسلسل بالاحداث التطبيقية للوصول الى النظرية الفكرية التى تربط بين هذه الاحداث برباط من العقيدة والمبدأ ، كل ذلك وهو يسير بالقارىء فى خطوات ثابتة على انغام وطنية تنبعث من بين السطور ، ويعيش بالقارىء فى ماضيه وحاضره ومستقبله فى جو من الحقيقة والصدق .

وقد أرادت الثورة أن تهب الميثاق كل صفات الكمال ، حتى ذلك الكمال اللفظى الذى لا يكترث به العمل السياسى والوطنى حينما يعبر عن نفسه ، ذلك لان العمل الوطنى غالبا ما يحتمى وراء القوة المؤثرة الكامنة فى معناه دون الاهتمام بالمنطق اللفظى للعمل نفسه ، ولكن الميثاق جاء قويا فيما ظهر من أسلوبه ، قويا فيما بطن فى معناه ، سريعا فى الوصول الى القلب والعقل معا وذلك خير شاهد على صدق الجوهر وأصالته .

.. ومن أبرز صفات أسلوب الميثاق ادخال عنصر التشبيه المعبر الذى يتصل بواقع الحياة العصرية التى نعيشها ، دون الالتزام بتلك التشبيهات التقليدية التى عرفها الادب العربى منذ أقدم العصور ، فقد استعمل الميثاق تشبيهات تتصل بالآلة وما يتفرع عنها من أجزاء الحركة كالتروس والصمامات وما تتصف به من حاجة للوقود كمصدر للطاقة المحركة ، ثم تشبيهات تتصل بأعمال البناء والهدم وما يدخل فى ميدانها من تصميمات هندسية ومواد للبناء وقوى عاملة ، وتشبيهات تتعلق بالتربة المصرية وما يتصل بها من زرع وحصاد ، كل ذلك وهو يضع التشبيه فى خير موضعه تأكيدا للمعنى وتجسيما للهدف المطلوب .

وفيما يلى بعض ماجاء فى الميثاق من أنواع التشبيه المختلفة :

ـ ان مشعل الحضارة انتقل من بلد الى بلد .. لكنه فى كل بلد كان يحصل على **زيت جديد يقوى به** ضوءه على امتداد الزمان .

ـ ان شباب مصر الرواد ممن ارسلوا ـ أيام الصحوة التى سبقت النكسة من حكم محمد على ـ الى اوربا ليتمكنوا من العلم الحديث ، استطاعوا بعد عودتهم الى الوطن أن يجلبوا معهم **بذورا صالحة ما لبثت التربة الثورية الخصبة لمصر ان احتضنتها لتخرج منها بشائر نبت ثقافى جديد راح ينشر الوانا رائعة من الازهار على ضفاف النيل الخالد .**

ـ ان القيادات الوطنية حين تخلع **جـذورها من التربة الشعبية تحكم على نفسها بالذبول وبالموت** ٠

ـ ان الشعب المعلم صانع الحضـارة راح يلقن طلائعه أسرار آماله الكبرى ٠ ومضى يحرك المبادىء الستة بالتجربة والخطأ نحو وضوح فكرى وصنع **التصميم الهندسى لبناء المجتمع الجديد** الذى يريده ، وراح الشعب الكادح **يكدس مواد البناء** ويكتل جميع القوى الثورية القادرة على الاسهام فيه من صفوف الجماهير ٠

ـ ان ارادة التغيير الاجتماعى فى بداية ممارستها لمسئولياتها تجتاز فترة اشبه **بالمراهقة الفكرية** تحتاج خلالها الى كل **زاد فكرى** ، لكنها فى حاجة الى **ان تهضم كل زاد تحصل عليه وان تمزجه بالعصارات الناتجة من خلاياها الحية** ٠

ـ ان الوعى الثورى استمد من حسه **الوطنى الصافى قدرته على الرؤيا الواضحة البعيدة المدى** ، وبذلك **امن اجتياز العقبات** التى كان يمكن ان تعترض على **طريق التغيير الثورى** فى مثل ظروف التجربة التى عاشتها مصر فى تلك الايام ٠

ـ ان الاستعمار ليس مجرد **نهش لموارد الشعوب** وانما هو عدوان على كرامتها وكبريائها ٠

ـ فى ثورة سنة ١٩١٩ ، كان المحرومون هم **وقود الثورة** وضحاياها ٠

ـ ان ارادة الثورة فى بدء قيامها لم تكن لديها من دليل للعمل غير المبادىء الستة المشهورة التى **نحتتهاارادة الثورة** من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته ٠

ـ لقد كانت هناك **انقاض النظام القديم وحطامه** تسد الطريق ٠

ـ ان المبادىء الستة كانت **أعلاما للثورة** وليست اسلوب عمل ثورى ومنهاج تغيير جذرى ٠

ـ ان قطعة من الارض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة او التاريخ لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون **عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى** للامة العربية تشغلها عن **حركة البناء الايجابى** ٠

ـ ان احتياجاتالوطن لم تكن تكتفى **بترميم البناء القديم المتداعى وصلبه بقوائم تسنده وتعيد طلاءه** ٠ وانما كانت احتياجات الوطن تتطلب **بناء جديدا ثابت الاساس صلبا شامخا** ٠

ـ ان الرجعية لم يكن يضيرها أن تفتح **متنفسا للسخط الشعبى** ما دامت تملك **صمامات التوجيه** وما دامت بيدها تحت كل الظروف أغلبيتها التى تمكن لديكتاتوريتها الطبقية وتحمى امتيازاتها ٠

ـ ان العمال لم يصبحوا بعد **سلعة فى عملية الانتاج** لقد أصبح العامل سيد الآلة ولم يعد أحد **التروس فى** جهاز الانتاج ٠

ـ ان الاشتراكية مع الديمقراطية هما **جناحا الحرية** وبهما معا تستطيع ان تحلق الى الآفاق العالية التى تتطلع اليها جماهير الشعب ٠

ـ ان العلم هو الطاقة القادرة على **تجديد شباب العمل الوطنى** واضافة افكار جديدة اليه كل يوم ٠

ـ ان الأسرة هى **الخلية** الاولى للمجتمع ، ولابد ان تتوافر لها كلاسباب الحماية التى تمكنها من ان تكون حافظة للتقليد الوطنى ، **مجددة لنسيجه** ، متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى ٠

ـ ليس هناك شعب يستطيع ان يبدأ تقدمه من **فراغ** والا كان يتقدم فى فراغ والى الفراغ ذاته ٠

ـ ان الثورة ليست عملية **هدم انقاض الماضى** ولكن الثورة هى عملية **بناء المستقبل** ٠

ـ ان الكلمة الحرة **ضوء كشاف** أمام الديمقراطية السليمة ٠

ـ ان التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات النقابية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السليمة ٠ ان هذه التنظيمات لابد أن تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى ، وأن نمو الحركة التعاونية والنقابية **معين لاينضب** للقيادات الواعية التى **تلمس باصابعها** مباشرة أعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها ٠

ـ ان العلم هو **السلاح** الحقيقى للارادة الثورية ٠

وبعد ٠٠٠ فتلك هى بعض الوان التشبيه التى احتواها ميثاقنا الوطنى ، وهى الوان تمتزج فيما بينها لتعطى صورة صادقة واضحة لمجتمع متطور جديد ، تماما كما تمتزج الوان الطيف لتعطى فى النهاية ضوءا شفافا واضحا لاخلاف عليه ٠٠ !! ٠٠

« **جمال الدين كفافي** »

كوميديا فى ثلاثة فصول

حبل الغسيل

بقلم: على أحمد باكثير

(٦)

ملخص ما نشر

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مديرالجمعية الاستهلاكية حاولا طرد ابى حنفى الكوجى من مسكنه فى الربع ومن الحوش الذى يتخذه ابو حنفىمنشرا لغسيله ولكن ابا حنفى قاوم هذه المحاولة بثبات . وتعطف عليه محسنة زوجة أبى الديوك التىتنكر على زوجها اندماجه فى شلة تعمل على احتكار المنافع فيما بينهم فى كل مرفق ففى المسرح لايقبلونالمسرحيات الا من شلتهم . وهذا بلعوم يقبل منه مسرحية عنوانها (مسرحية الوسم) بلغ من سوئهاان الممثلين والمخرجين رفضوها جميعا ولكن ابا الديوك فرض اخراجها على المخرج ميرغنى وتمثيل الدورالرئيسى فيها على حنفى بعد ان تعهد له ابو حنفى ان يترك له الربع .

وسقطت المسرحية سقوطا فاحشا فنسبوا سقوطهاالى المخرج ميرغنى والى الممثل حنفى مما اضطر حنفى الى ترك مسرح النهضة والالتحاق بمسرح النجوم. ومما جعل ابا حنفى فى حل من تعهده بترك الربع . ولذلك عمد ابو الديوك وبلعوم الى القاء القاذورات فى الحوش بدعوى ان ابا حنفى هو الذى يلقيها فياتى شاويش يكتب له محضر مخالفة كل يوم حتى يضيق صدرابى حنفى فيترك الربع . ونعلم كذلك ان ليليان زوجة الدكتور نجم قد اهتدت فى بحثها الى نتيجةتناقض راى زوجها الشعوبى ولذلك كتمته عنه فهى تخاف ان يقتلها اذا عرف الحقيقة لشدة تعصبه ضداللغة العربية ونرى كلا من محسنة وعصام يعطف على ليليان ويواسيها فى محنتها هذه .

الفصل الثانى

(يدخل صلصل وميرغنى وزيد وعمرو فيتبادلون التحية مع الحاضرين)

صلصل : لم أر شيئا فى الصالة .. أين البوفيه ؟

ابو الديوك : كل يوم بوفيه ؟ من أين ؟

صلصل : البركة فى الاستاذ عبد الواسع بلعوم

ابو الديوك : هذا لو كنتم تجحتم له مسرحيته !

صلصل : وما ذنبنا نحن ؟

ابو الديوك : الله يجازى الذى كان السبب !

(يتململ ميرغنى ولكنه لا يتكلم)

صلصل : بلغنى أنه قدم مسرحية جديدة

ابو الديوك : .. نعم هيا أرونا همتكم فيها ليعمل لكم حفلة معتبرة

(تنهض محسنة) الى أين يا محسنة ؟

محسنة : سأعمل الشاى

صلصل : شاى حاف يا ست أم عصام ؟

محسنة : خير من لا شىء يا أستاذ صلصل



ليليان : خذيني معك أساعدك

محسنة : تعال (تخرج المرأتان)

زبيدة : والأستاذ بلعوم أمكنه أن يؤلف مسرحية جديدة ؟

ابو الديوك : انه ليس كسلان مثلك

صلصل : ولكن يثبت لنا انه مؤلف ملآن

(يدخل بلعوم وخلفه سعدية وهى تحمل شيئا كالعلبة الكبيرة ملفوفا فى ورق)

ابو الديوك : حقا انه مؤلف ملآن !

بلعوم : عمن تتحدثون ؟

ابو الديوك : عنك يا أستاذ بلعوم

بلعوم : لكن هذا لقب جديد غير مألوف ·· انى أسمعهم يقولون مؤلف عبقرى ·· مؤلف نابغة ·· مؤلف أصيل ممتاز ·· أما مؤلف ملآن فهذا ···

عمرو : هذا لقب خاص بك أنت يا أستاذ بلعوم ·· أتدرى من أول من أطلقه عليك ؟

عمرو : من ؟

عمرو : أنا فى احدى المقالات التى كتبتها عن مسرحية الموسم

بلعوم : هل لك أن تسمعنى ماذا قلت فى تلك المقالة ؟

عمرو : يؤسفنى أننى لا أتذكر ما قلته بالضبط ·· أنت تعلم اننى كتبت كلاما كثيرا عنك

سعدية : انتظروا يا جماعة (تشرع فى فتح العلبة الملفوفة) انى قد جئت لكم بما تريدون

صلصل : أسمعتم يا جماعة ؟ هذه مدام بلعوم قد جاءتنا بالجاتوه والملبس ونحن لا ندرى !

ابو الديوك : الحمد لله ·· البوفيه الذى تشتهونه قد جاءت به سعدية هانم من بيتها !

سعدية : آسفة يا جماعة ·· هذه العلبة ليس فيها جاتوه أو ملبس كما تظنون

الجماعة : أى شىء فيها الآن ؟

سعدية : قصاصات الجرائد والمجلات التى كتبت عن مسرحية زوجى

زبيدة : يا خسارة !

ميرغنى : فرحة ما تمت

صلصل : كنا نظنها وليمة متحركة !

ميرغنى : فاذا هى قصاصات متحركة !

سعدية : هذه أهم من الجاتوه والملبس يا جماعة وأغلى ·

ميرغنى : كلا يا مدام الجاتوه أهم وأغلى

زبيدة : وأغلى

عمرو : لا لا هذه وقاحة ! سعدية هانم على حق · الجاتوه يؤكل فيتحول الى فضلات أما هذه المقالات فستبقى الى الأبد غذاء للذهن والعقل والروح ويضم الى التراث الانسانى فى النقد المسرحى

زبيدة : من أجل أن فيها مقالاتك ؟

عمرو : مقالاتى ومقالات غيرى من النقاد الكبار

سعدية : (تقلب الأضابير) ها هى ذى مقالاتك يا أستاذ عمرو من أولها الى آخرها

عمـــرو : عظيم جدا .. حينما أريد ان أنشر هذه المقالات في كتاب سأرجع الى مجموعتك

ســـعدية : دعني ابحث لزوجي عن المقالة التي يريدها .. أتذكر ما عنوانها ؟

عمـــرو : عنوانها .. عنوانها .. آسف يا مدام لا أذكر عنوانها

زيـــد : دائما لا تتذكر ؟ فماذا تتذكر اذن ؟

عمـــرو يجب أن تعـــلم أن الذي يكتب كثـــيرا مثلي لا يستطيع أن يتذكر كل ما كتب

ســـعدية : صدقت يا أستاذ عمرو .. دعني أقرأ لك عناوين مقالاتك لعلك تتذكر

عمـــرو : اقرئي يا مدام

ســـعدية : المسرحية لم تسقط . الجمهور هو الذي سقط

عمـــرو : لا .. ليست هذه المقالة

ســـعدية : ممثل صغير أسقط مسرحية كبيرة !

عمـــرو : ولا هذه

ســـعدية : الممثل الناشيء هو المسئول أم المخرج المتمرس ؟

عمـــرو : ولا هذه يا مدام

ســـعدية : تكنيك جديد في التأليف المسرحي

عمـــرو : غيرها غيرها

ســـعدية : هيئوا الأذهان أولا لاستقبال هذا العمل

عمـــرو : غيرها من فضلك .

ســـعدية : لو عرضت في باريس لكان لها شأن آخر

عمـــرو : (يتطرف في اعجاب بالنفس) كلا كلا يا مدام لا تذهبي بعيدا جدا هكذا

ســـعدية : مسئولية الاخراج

عمـــرو : لا ليست هذه

ســـعدية : الاخراج يجب أن يتكافأ مع التمثيل

ميرغني : وبعد ؟ أستغفر الله العظيم الى متى نسمع هذا الكلام الفارغ ؟

ســـعدية : كلام فارغ ؟ أهذا كلام فارغ يا أستاذ ؟

ميرغني : معلوم يا مدام .. كلام فارغ بالنسبة الى المؤلف الآن !

عمـــرو : لا بأس يا مدام .. سامحيه فانه لا يتحمل النقد

ميرغني : أهذا نقد ؟

عمـــرو : أي شيء هو اذن ؟

ميرغني : هذا يا أخي استجداء للنقود

زيـــد : (يضحك) حلوة يا أستاذ ميرغني !

عمـــرو : حلوة عندك طبعا . مسكين . ما زلت تعتبر النكتة هي النكتة اللفظية . هي التلاعب بالألفاظ. واحسرتاه .. كيف يمكن أن تكون لدينا نهضة مسرحية حقيقية اذا كان هذا مستوى مؤلفينـــا ومخرجينا في فهم الفكاهة والنكتة ؟

ميرغني : اذن فلنترك التلاعب بالألفـــاظ ولنقل كلاما جافا صريحا يااستاذ عمرو أن نقدك هذا نقد مأجور ؟

عمـــرو : انما قلت هذا لأني هاجمتك في هذه المرة وكان عليك أن تتســـاءل نفسك لماذا لم أهاجمـــك في المسرحيات التي أخرجتها قبل ذلك ؟

ميرغني : لقد سألت نفسي هذا السؤال فكان الجواب هـو النقد المأجور !

عمـــرو : أكنت تعطيني نقودا فيما مضى ؟

ميرغني : لا ينبغي عندي أن يكون الناقد شحاذا !

عمـــرو : (يتغير وجهه قليلا ولكنه يتجلد ويتماسك) مازال بعيدا عليك وعلى امثالك أن تعرفوا وظيفة النقد وتحترموها وتقبلوا ما يوجه اليكم من نقد بصدور رحبة

ميرغني : ربما نجهل حتى الآن وظيفة النقد عموما كما ذكرت ولكنا نعرف جيدا وظيفة النقد عندك ولا نستطيع ان نحترمها لأنها تتلخص في كلمتين اثنتين . ابتهاز وابتزاز

عمـــرو : (ينهار قليلا) أتسمعون يا جماعة ماذا يقول عني ؟

ابو الديوك : حقا لقد تجاوزت حدك يا أستاذ ميرغني الأننـــا سكتنا لك ؟

ميرغني : وعلام السكوت ؟ تكلموا

ابو الديوك : آثرنا السكوت لأننا لم نرد أن نقسو عليك في المحنة التي أنت فيها

ميرغني : أي محنة ؟

ابو الديوك : سقوط مسرحية الموسم

ميرغني : ما شأني بذلك ؟ أنا غير مسئول

ابو الديوك : عيب يارجل .. عيب عليك أن تقول هذا الكلام. ما من مخرج محترم يقول على نفسه أنه غيرمسئول عن عمله . لقد كنا نريد أن نتغاضى عنهاونسترها لك .

ميرغني : كلا لا تتغاضوا عنها ولا تستروها

ابو الديوك : اذن فخذها كلمة مدوية . لقد كنت متجنيا على الاستاذ عمرو فيما قلت . فليس الاستاذ عمرو وحده هو الذى نسب سقوط المسرحية الى سوء اخراجك . كل الاقلام التى كتبت عن المسرحية اجمعت على هذا الرأى

سعدية : (تحرك الأصابع بكلتا يديها) وعندى آلاف البراهين . يا سلام . ما كنت أعرف ان هذه القصاصات مهمة الى هذا الحد ؟ (تقبل الاصابع) عندى ما يزيد على سبعين أو ستين مقالة . مجلد بحاله !

ابو الديوك : لعلك تظن ان الاستاذ بلعوم وزع نقوده على هذه الاقلام كلها ؟ !

بلعوم : اذن اكون انا اغنى من بيت المال !

صلصل : (ساخرا) تبا لك يااستاذ بلعوم ! أيتدفق كرمك يمينا وشمالا على هذا الجيش العرمرم من الكتاب ثم تبخل علينا اليوم بعلبة جاتوه ؟

نجسم : ما هذا الذوق البلدى ؟ أكل شىء تقلبونه قافية ؟

صلصل : اوتكره انت القافية ؟ الا تعجبك الفنون الشعبية؟ تعجبنى حين تكون فى محلها . اننا نريد الآن أن نسمع رد الاستاذ ميرغنى !

زيد : أجل . هات ردك يا استاذ ميرغنى

ميرغنى : ما كنت أريد أن اقول هذا الذى سأقوله الآن لولا انه قد آن لى فيما يظهر أن أصارحكم بالحقيقة المؤلمة . الاقلام التى كتبت هذه المقالات ليست مأجورة . انها اسوأ من ذلك وأمر !

ابو الديوك : ماذا تقول ؟

ميرغنى : ان اصحابها لا يأخذون نقودا ولكنهم يأخذون أوامر من جماعة معينة ذات اتجاه خاص بصفة تآمرية على فرض اتجاهها بمختلف الوسائل وتحارب خصومها بالدس والوقيعة والارهاب الفكرى والمهاجمة فى الصحف والتجاهل والصمت

الجماعة : ما هذا الذى تقول ؟

ميرغنى : دعونى أكمل كلامى . وخطورة هذه الجماعة أن افرادها ابثوا فى الاجهزة الحساسة بطريقة منظمة وصلوا الى الصحف وهم يزحفون على وسائل الاعلام الاخرى .

صلصل : من ذا تقصد يا استاذ ؟

ميرغنى : الذين اقصدهم يعرفون أنفسهم . الذى برأسه اصابة يحسس عليها .

ابو الديوك : انه يكاد يجن من الكتاب الذين هاجموه .

ميرغنى : لاريب اننى آكاد أجن .. وكيف لا وهؤلاء الكتاب يسممون الجو الفنى فى البلد ويضللون الجماهير ويزورون تاريخ الفن . فالهلافيت الذين من عصابتهم يرفعونهم الى السماء السابعة والنوابغ الذين ليسوا من عصابتهم اما ان يخسفوا بهم الارض الارض ويهيلوا عليهم التراب واما ان يرموا عليهم ظلال النسيان والتجاهل والصمت

(ينظر بعضهم الى بعض ثم يتفاهمون كأنما اتفقوا على الاعراض عن هذا الموضوع الشائك والانتقال الى موضع آخر)

صلصل : يخيل الى يا استاذ ميرغنى انك ذهبت بعيدا جدا عن الاساس الذى دارت حوله المناقشة

ميرغنى : أبدا أبدا أنا فى صميم الموضوع

نجسم : ما رأيك اذن فى النجاح العظيم الذى نجحته المسرحية لما مثلتها الفرقة المحلية فى دمنهور ؟

ابو الديوك : واخرجها مخرج شاب كان من تلاميذك

زيد : (فى حدة) بودى والله ان اؤيدك واقف فى صفك لولا انك هاجمت الشلة كلها فلم أستطع ان اقول كلمة

صلصل : اليس هذا أكبر دليل على أنك كنت السبب فى سقوطها او على الأقل من أسباب سقوطها فى القاهرة ؟

ميرغنى : ومن قال لكم انها نجحت فى دمنهور ؟

سعدية : الجرايد كلها يا اخ . الا تقرأ انت الجرائد . من قال لكم قال !

عمرو : مكابرة وانكار للواقع

ميرغنى : أجل .. تنفس يا أخى تنفس من جديد !

ابو الديوك : لقد قال الأستاذ عمرو الحق . مكابرة وانكار للواقع

سعدية : دعوه يكابر كيف يشاء . من حسن الحظ انى جمعت أيضا المقالات التى كتبت عن نجاح مسرحية زوجى فى دمنهور . ها هى ذى معى . اقراها يا استاذ ان شئت . أتعرف القراءة أم لا ؟

ميرغنى : (يضحك) حقا شر البلية ما يضحك

سعدية : انت والله البلية لا بلية غيرك

ميرغنى : هذه القصاصات احفظيها يا ستى فى دار الكتب ليتسنى للأجيال القادمة ان ترى كيف استطاع بعض الذين لا ضمير لهم ان يزوروا تاريخ الفن فى البلد .

نجسم : هل ذهبت انت الى دمنهور يا استاذ ميرغنى وشاهدت المسرحية هناك ؟

ميرغنى : لا .

« البقية على صفحة ٣٤ »



هواك هواى الذى يعرفون   وسرك سرى فما ينكرون
احبك فوق الهوى والظنون   وفوق الذى يحسب العاشقون
هواك هواى ايا عالما   تقاصر عن وصفه الواصفون
تملكنى جملة جملة   وهان به كل مالا يهون
فبعضى وكل به موكل   تعاليت عما به يشركون
وفيك عشقت الجمال الرفيع   وأدركت سر ضياء العيون
جمالك يا خالقى آية   يضل باسرارها المهتدون !
احبك للحب لا رغبة   ولا رهبة بئس ما يافكون
هواك هوى لم تصفه اللغى   وأعيى النهى وتحدى الظنون
فانت بروحى رفيف السنى   وهمس المنى وابتسام الفتون
ونفح يشيع وروح يذيع   ووحى امين وحسن مصون
تعاليت سبحت ياصورة   تناهت وحار بها المبدعون
يكذب بالوهم منها اليقين   على انها مجتلى للعيون
اراها حوالى فى كل حين   ترف فانى بها يكفرون
احدث فى السر منك الفؤاد   فتعلم سرى وما يجهلون
واخلو فالقاك فى خلوتى   واغفو ورؤياك ملء الجفون .. !
تطالعنى فى ارتفاع الضحى   وتبسم لى فى ظلام الدجون
فانت معى فى مجالى اليقين   وأنت معى فى خبايا الظنون .. !



يسبحك الخلق فى كل آن   ويعنو لهيبتك القانتون
ويغدو على بابك الأقوياء   ويرجو مواساتك المتعبون
ويسالك الرحمة الأتقياء   ويأوى الى ظلك المذنبون
وتحنى الجباه لعز الآله   ويخضع للأكبر الكابرون !



تباركت سبحت ياذا الجلال   ويا من اليه غدا يرجعون
ويا مجرى الفلك فوق البحار   ومن باطن الصخر ثج العيون





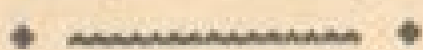




ويا مجرى الشمس فى افقها   وكل على فلك يسبحون
تباركت كيف سلخت النهار   من الليل كيف مسخت القرون !
وكيف بريتهم من رغام   وكل الى اجل سائرون
وسويت بينهم بالحمام   وروضت فيهم جماح الحرون



تباركت كيف قسمت الجدود   وكيف يقال بها العاثرون
وسعت بحلمك طيش الجهول   وغى الكفور ولؤم الخئون
ولم توصد الباب دون الجحود   ولا دون ما امل التائبون
حكمت فاقسطت فى العالمين   وبالعدل فليحكم الحاكمون
فنارك يصلى بها الكافرون   وجنات عدن بها المؤمنون !



تباركت يارب هذا الوجود   ومن باسمه سبح العالمون
ويا موقد النار من اخضر   ومعطى من الارض ما يشتهون
ويا مخرج الحى من ميت   ومن قال للشيء كن كي يكون !
تباركت يا فاطر الكائنات   ومن هم اليه غدا ينسلون
فزعت لبابك ارجو حمى   لضعفى فانت حماى المصون !
عبادك يارب ضلوا السبيل   وحار الدليل فما يهتدون
الشامخ فى ارضك الادنياء   فايان عن غيهم ينتهون
وجارت باحكامها الأقوياء   فسيم الضعيف عذابا وهون
ولم يعط من مالك الاغنياء   وراحوا على شحهم يحرصون
ولم يبق فى الناس معنى الحياء   فامسوا بآثامهم يفخرون
وضجت مواخيرهم بالحياة   وباتت محاريبهم فى سكون !
عبادك يارب ضلوا السبيل   فاين الدليل ؟ عسى يهتدون !
اخاف عليهم وأرجو لهم   فغفرا لهم .. انهم لايعون
وانت الغفور الودود العليم   بما قد يسرون أو يعلنون
وانت اللطيف الرءوف الرحيم   وانت الرفيق الشفيق الحنون ..!



« بقية المنشور على صفحة ٣١

نجم : فكيف تحكم عليها اذن ؟

ميرغني : انى اعرفها جيدا يا دكتور . هذه لا يمكن أن تنجح ابدا . مستحيل . ماذا تظنون أهل دمنهور ؟ أتظنون أنهم لا يفهمون الفن ؟

نجم : الا يجوز يا أستاذ ميرغني أن الشاب الذى أخرجها قد سلك فى اخراجها طريقة جديدة ليست تخطر على بالك ؟

ميرغني : ولو ! لا يمكن ان تنجح أبدا

نجم : كذا بغير برهان ولا دليل ؟

ميرغني : لو جاءوك بحمارة عرجاء وقالوا لك ان جوكيا يستطيع لو ركبها أن يسابق بها خيول السباق فيسبقها جميعا أكنت تصدق هذا الكلام يادكتور؟

نجم : التشبيه هنا مع الفارق وقد سمعت أن هذا المخرج كان تلميذا عندك فكان الواجب عليك يا أستاذ ميرغني أن تفرح لنجاحه وتفخر به

صلصل : يظهر ان الذى غاظه يا دكتور هو ان هذا المخرج كان تلميذا عنده

نجم : فليطلع مثله على الاتجاهات الحديثة فى الاخراج المسرحى

صلصل : ان هذا المخرج الشاب درس فى أوروبا يادكتور

نجم : فليسافر الاستاذ ميرغني الى أوروبا

صلصل : أبعد ما شاب أودخلوه الكتاب كما يقول المثل ؟

نجم : لا بأس . اطلب العلم من المهد الى اللحد !

سعدية : والآن اعترفت بخطئك ؟

ميرغني : حقا كنت مخطئا اذ رضيت أن أناقش معكم فى موضوع هذه المسرحية التافهة

سعدية : تافهة ؟ أهكذا تشتم المسرحية أمامى أنا وأمام زوجى ؟

ميرغني : يا مدام هذه ليست شتيمة . هذه حقيقة !

ابو الديوك : ان كنت لا تصدق المقالات التى نشرت فى الصحف فما تقول فى الخبر الذى نزل فى الجرائد كلها تالى يوم الافتتاح فى دمنهور . ان المشرفين اضطروا الى الاستعانة برجال الشرطة لحفظ النظام من شدة تزاحم الناس على شباك التذاكر ثم هجومهم على المسرح بعد ما نفدت التذاكر كلها ؟

ميرغني : يا جماعة . هذا كلام لا يمكن أن يصدقه أحد . من منكم حضر ليلة الافتتاح التى أشرتم اليها ؟

صلصل : ما من احد منا حضرها ولكن كثيرين ممن جاءوا من دمنهور أكدوا لنا أن هذا الحادث وقع فعلا

(يسكت ميرغني وهو يحرك رأسه فى سخرية)

الجميع : هيه .. لماذا سكت ؟ ألا تنطق ؟

ميرغني : دعونا من هذه المسرحية واتركونا فى المهم

الجميع : وما هو المهم ؟

ميرغني : هذا الوضع الغريب الذى نحن فيه . يخيل الى أن الصحافة قد دخلها جماعة من الناس أنشأوا فيما بينهم شبه حزب غير رسمي وغير مشروع فى بلد ليس فيه أحزاب وعن طريق الصحافة وتحت ستار الاشتراكية يمارسون نشاطهم الذى هو فى حقيقته ضد الاشتراكية العربية وضد المثل الادبية والقيم الروحية التى تدعو اليها الاشتراكية العربية !

صلصل : اين هؤلاء الجماعة ؟ لا وجود لهم الا فى خيالك المريض

ميرغني : رويدكم لا تقاطعونى حتى أتم كلامى . وفى مجال الفن وعن طريق الصحافة ذاتها يشنون حربا صليبية سرية على كل كاتب أو فنان ليس من حزبهم . اذا ظهر له كتاب أو أى عمل فنى قابلوه بالصمت والاعراض مهما كان عمله من روائع الادب أو الفن أما اذا ظهر لواحد من حزبهم أى كتاب ولو كان تافها أو أى عمل فنى ولو كان هزيلا فانهم يطبلون له ويزمرون ويكيلون له المدح والثناء فى كل جريدة ومجلة !

ابو الديوك : من هم هؤلاء ؟

ميرغني : عجبا .. الناس كلها عرفتهم أما هم فلم يعرفوا أنفسهم بعد . لكن صبرا صبرا . لأكشفنهم أكثر وأكثر بعد . انى كنت أصادقهم وأعمل معهم فى مجال الفن ظنا منى ان الفنان الحر يمكن أن يتعاون مع هؤلاء دون أن يفقد حريته .. وبقيت على هذا الوهم سنين ولكن اتضح لى فيما بعد ان هذا المطلب مستحيل لأنهم يرون حرية الفكر وحرية التعبير حلالا لهم وحدهم وحراما على غيرهم فأحسست أن روحى تظلم وعقلى يضيق ونفسى يختنق وحاولت مرارا أن أتركهم فلم أقدر الا عز على ان أخون العيش والملح . لكن اليوم تحررت منهم والحمد لله . تخلصت من ذلك الكابوس البغيض . أنا حر .. حر والحمد لله .. هيه .. هل عرفتهم الآن يا أبا الديوك أم لم تعرفهم بعد ؟

ابو الديوك : وماذا تنتظر ؟ ألا تفارقنا يا أخى ؟

ميرغني : غدا .. تفضل .. ها هى ذى الاستقالة قد كتبتها من السنة الماضية ! (يناولها له)

ابو الديوك : اشهدوا يا جماعة . ان لم يرجع لى ثانية فلست أنا أبا الديوك !

ميرغني : لماذا ؟ الا يوجد مسرح آخر غير مسرحك ؟

ابو الديوك : سترى . غدا ترجع لى وتترجانى أن اقبلك !

ميرغني : أبوس القدم وابدى الندم ؟ لا والله ولو مت من الجوع

ابو الديوك : انك حتما ستموت من الجوع

ميرغني : اذن فانظر . هذا عقد امضيته مع مسرح النجوم بضعف المرتب الذى آخذه من مسرحك

(يدهش أبو الديوك والآخرون)

ميرغني : الا تصدق يا أبا الديوك ؟ خذ اذن هذه صورة زائدة عندى من العقد خذها لك . بروزها وعلقها فوق رأسك . احملها منجلا فوق رقبتك ومطرقة فوق دماغك ! (يرمى له صورة من العقد) يا جماعة أنا رائح الى مسرح النجوم (يخرج)

(يسود الوجوم هنيهة)

(تدخل محسنة وليليان تحملان براد الشاى وصينية الفناجين)

محسنة : احب لكم الشاى يا جماعة ؟

ابو الديوك : ليس الآن يا محسنة

محسنة : متى اذن ؟

ابو الديوك : بعد قليل

محسنة : سيبرد

ابو الديوك : ليبرد !

سعدية : (محتجة) أمن أجل ان هذا المخرج الفاشل انفصل عنكم تبطلون شرب الشاى ؟ ليذهب الى الجحيم ! فى داهية ! دعوا مسرح النجوم يبل به ويتكب . سوف يسقط له مسرحياته ان شاء الله واحدة بعد واحدة !

بلعوم : رويدك يا سعدية دعيهم وشأنهم

زيد : اننا لن نشرب الشاى الا بعد أن تستقروا على رأى فى مسرح النجوم هذا . لا ينبغى ان كل من يتحدانا ويخرج عنا يجد ترحيبا هناك !

عمرو : صحيح . يجب ان تستولوا ايضا على مسرح النجوم حتى لا يستطيع أحد أن يتنفس الا اذا كان خاضعا لسلطاننا .

بلعوم : شك ان الاستاذ ميرغنى يشنع الآن على مسرحيتى هناك !

سعدية : وحنفى .. انسيت حنفى اللعين الذى اسقط مسرحيتك وفر الى هناك ؟

نجم : دعونا من حنفى فأمره يسير وانما الخطر هو خطر الاستاذ ميرغنى اذا تركتموه بعد الكلام الذى سمعناه منه اليوم

صلصل : اطمئنوا يا جماعة . الاستاذ ابو الديوك ليس بنائم فقد بدأ ينشر شباكه فعلا لبسط نفوذه على مسرح النجوم كذلك

زيد : ومتى يتم ذلك ؟

ابو الديوك : لا تستعجلوا فالأمر ليس بهين انه يحتاج الى مجهود كبير ووقت غير قصير .

عمرو : أتريدون أن تتركوا ميرغنى وحنفى يعملان ويتبجحان هناك الى أن يحين الأوان وتستولوا على مسرح النجوم ؟

بلعوم : حقا يجب أن تجدوا لنا حلا فى أمر هذين الأبقين !

صلصل : ماذا ترى يا أستاذ أبا الديوك ؟ ما أظن أن الحل يصعب عليك

ابو الديوك : أهذا كل ما تريدون ؟ يسير .. أنا أبو الديوك والأجر على الله !

صلصل : أعتقد يا جماعة اننا نستطيع أن نشرب الشاى الآن

(تصب محسنة الشاى وتقدمه للحاضرين فيشربون)

سعدية : والمسرحية الثانية التى قدمها لكم زوجى ماذا صنعتم فيها ؟

ابو الديوك : اعتبريها يا ستى فى حكم المنتهية

سعدية : ومتى يبدأ عرضها ؟

ابو الديوك : قريبا جدا سنبدأ فى توزيع أدوارها من الاسبوع القادم

زيد : الله ! ومسرحيتى أنا ؟ أنسيتموها ؟

ابو الديوك : انتهيت منها يا استاذ زيد ؟

زيد : انتهيت من الفصل الاول

عمرو : أتريد ان يبدأوا فى مسرحيتك وأنت لم تكملها بعد ؟

زيد : وما شأنك أنت ؟ هذه طريقتى أقدم لهم فصلا بعد فصل

ابو الديوك : كلا يا أستاذ زيد هذه المرة لن نقبل منك المسرحية الا كاملة !

عمرو : أحسنت يا أستاذ أبا الديوك أى تأليف هذا الذى يقدم قطعة قطعة ؟

زيـد : هذه عادة المؤلفين الكبار ان كنت لا تعرف !

عمـرو : لا عجب ان ركبك الغرور فطالما دللك الاستاذ ابو الديوك حتى أفسدك .

زيـد : قلت لك أسكت . لا شأن لك !

صلصل : ماذا جرى يا جماعة ؟ ألا تكفون عن الشجار ؟

سـعدية : اراك يا أستاذ زيد تقف دائما فى طريق زوجى ما حكايتك ؟

زيـد : لا والله يا مدام ولكن مسرحيته الاولى لم يمض عليها شهر بعد ؟

سـعدية : ولكنها لم تمكث على المسرح غير أسبوع واحد . لقد اتفق مرغلنى وحنفى على اسقاطها

زيـد : وما الضرر لو أجلنا الثانية قليلا يا مدام ؟

سـعدية : كلا يا أستاذ زيد يجب أن نتدارك خجلنا فى الحال

زيـد : وماذا يضمن لك أنها ... ؟

سـعدية : (فى غضب) انها ماذا ؟

زيـد : لا شيء لا شيء

سـعدية : لقد عرفتك الآن .. انت تغار من زوجى

زيـد : أغار من زوجك ؟

سـعدية : لا شك فى ذلك

زيـد : لماذا ؟ لأنى مغرم بالسقوط ؟

ابو الديوك : وبعد يا استاذ زيد

زيـد : انى خائف على سمعتك يا أستاذ أبا الديوك اذا عرضتم مسرحية ثانية لنفس المؤلف بعد سقوط مسرحيته الاولى بشهر واحد فماذا يقول الناس عنك ؟

سـعدية : ماذا يقولون عنه ؟

زيـد : لقد قالوا عنه ما قالوا !

سـعدية : ماذا قالوا ؟

زيـد : قالوا انه استغل نفوذه فقبل مسرحية لصديقه مدير التموين وفرضها على المسرح !

سـعدية : اين سمعت هذا الكلام ؟

زيـد : سمعته فى كل مكان وهناك اشاعة ثانية تقول ان الأستاذ أبا الديوك هو الذى ألف المسرحية وخاف أن يتهم باستغلال النفوذ فنسبها الى صديقه

نجـم : هذا كلام خطير يجب أن يوضع حد لهذه الاشاعات

ابو الديوك : ان كان هذا هو الذى يخيفكم فاطمئنوا . الدرون ماذا صنعت لكى اخرس ألسنة الجميع ؟

الجميـع : ماذا صنعت ؟

ابو الديوك : قدمت المسرحية الى لجنة القراءة باسم مستعار ولما وافقت اللجنة عليها البارحة أعلنت لهم اسم مؤلفها عبد الواسع بلعوم

زيـد : وأعضاء اللجنة أما كانوا يعرفون أنها لعبد الواسع بلعوم ؟

ابو الديوك : ياله من سؤال بارد ! بالطبع كانوا يعرفون !

زيـد : ما الفائدة اذن من وضع الاسم المستعار ؟

ابو الديوك : لنعمى عيون الناس ونسد أفواههم

زيـد : ومن أين يعرف الناس هذه الحكاية ؟

ابو الديوك : غدا ستجد الخبر فى الجرائد كلها بالتفصيل

عمـرو : ياسلام عليك يا أستاذ أبا الديوك ؟ تعجبنى والله !

زيـد : (فى احتجاج وأسى) خلاص .. لن أتم المسرحية !

ابو الديوك : ماذا تقول !

زيـد : انقطعت عن التأليف . بطلت التأليف .. تركت التأليف

ابو الديوك : يأأستاذ صلصل لقد غضب صاحبنا حقا !

صلصل : معذور يجب أن ترضيه يأأستاذ أبا الديوك . هذا كاتبنا الملاكى الذى نعتز به !

ابو الديوك : معلوم معلوم وهل مثله أو ربعه أحد مثلما ولكنه أنا وربيته ؟

صلصل : يجب أن ترضيه فى الحال

ابو الديوك : فى الحال يأأستاذ صلصل ! حقك على يأأستاذ زيود آه لو تعرف لماذا أخرت مسرحيتك لرقصت من الفرح !

زيـد : هيه .. لماذا ؟

ابو الديوك : لأننا سنبعث فى طلب مخرج أجنبى من روسيا او فرنسا او المانيا أو انجلترا ليقوم باخراج مسرحيتك

زيـد : صحيح يا أستاذى ؟

ابو الديوك : نعم .. أستقر الرأى على ذلك

زيـد : مخرج عالمى

ابو الديوك : لمؤلف عالمى .

زيـد : أرقص من الآن ؟

ابو الديوك : ارقص ! .

زيـــد : (يترقص من الفرح) مخرج عالمي لمؤلف عالمي ! مخرج عالمي لمؤلف عالمي ! مخرج عالمي لمؤلف عالمي ! قولوا للمؤلفين ليموتوا أجمعين !

عمـــرو : لا مؤاخذه ياجماعة .. كيف يستطيع المخـــرج الاجنبي أن يفهم كلامنا العربي ؟

ابو الديوك : أهذه مشكلة ياحضرة الناقد ؟ سنترجم له النص الى لغته

عمـــرو : لكن هذا سيكلفنا مبالغ ضخمة

زيـــد : شيء بارد ! أتدفعها أنت من جيبك ؟

عمـــرو : نعم من جيبي لأنى أنا من دافعي الضرائب لا من المتهربين مثلك !

زيـــد : دعنى من هذا . لقد عرفنا السبب . ما أثار ثائرتك الا انى سأتحول الى مؤلف عالمي

عمـــرو : مؤلف عالمي على وزن نصاب عالمي !

زيـــد : وأنت ستبقى طول عمرك مجرد ناقد محلي

عمـــرو : رويدك ياهذا أو قد صدقت هذه الحكاية ؟ حكاية المؤلف العالمي ؟

زيـــد : ان كان لقب الناقد المحلي لايعجبك فخذ لقب الناقد المأجور !

عمـــرو : (يستشيط غضبا) ماذا تقول ؟

زيـــد : الاستاذ ميرغني هو الذي أطلقه عليك .

عمـــرو : اسمع يامدلل يامريب الا تظن اذ سكت للاستاذ ميرغني انى سأســكت لك أنت ؟ والله لاكسرن دماغك ! (يشمر ساعده في تهديد)

ابو الديوك : (يدفعه عن زيد) حذار يا أستاذ عمرو . حـذار أن تمس دماغه !

عمـــرو : انت على حق . تخشى أن تفوح رائحة البيضـــة الفاسده !

ابو الديوك : (ينهره) كفى لا أريد أن أسمع أكثر مما سمعت!

(يسكت الجميع)

صلصل : قل لي يا أستاذ بلعوم ما هو الاسم المستعار الذي اخترته لنفسك ؟

بلعـــوم : والله لا أدرى ما هو !

ابو الديوك : أجل هو لا يدرى شيئا أنا الذي اخترته ووضعته على المسرحية

صلصل : ترى ما هو الاسم المختار ؟

ابو الديوك : اسم مضحك !

صلصل : لقد شوقتنا اليه ما هو ؟

ابو الديوك : حمار الوحش

ســعدية : حمار الوحش ؟ ما وجدت لزوجي غير هذا الاسم حمار الوحش ؟

بلعـــوم : (ممازحا) أنا أحتج على ذلك

نجـــم : (متعالما) لا ينبغي أن تغضب يا استاذ بلعوم .هذا الاسم مطابق للحقيقة تماما

بلعـــوم : (غاضبا) ما هذا يادكتور ؟ أتشتمني في وجهي؟!

نجـــم : ابدا والله . بل بالعكس .. اتعرف ما معنى كلمة الفنان في لغتكم العربية ؟

عمـــرو : ما معناها ؟

نجـــم : حمار الوحش

الجميع : أحقا ماتقول يادكتور ؟

نجـــم : ارجعوا الى القاموس ان شئتم

صلصل : الفنان حمار وحش ؟

ابو الديوك : وحمار الوحش فنان

الجميع : أمر عجب !!

نجـــم : وعلام تعجبون ؟ بدو متوحشون لايفرقون بين الفنان والحمار ولا يميزون

بلعـــوم : كأنك كنت تقصد هذا المعنى يا أستاذ أبا الديوك

ابو الديوك : لا والله ماخطر هذا على بالي .. أو تظنني يا أستاذ بلعوم لا أميز بين الفنان والحمار ؟

(يتضاحكون)

(يعود ميرغني ومعه ثلاثة رجال : كهل وشابان فينقطع الضحك فجأة)

ابو الديوك : لم رجعت يا أستاذ ؟

ميرغني : من أجل هؤلاء الأساتذة

ابو الديوك : ومن هؤلاء ؟

ميرغني : وفد من دمنهور يريدون أن يقابلوك

ابو الديوك : أوقد انضممت الى جماعة الأدلاء ؟

ميرغني : نعم

ابو الديوك : بهذه السرعة ؟

ميرغني : نعم

ابو الديوك : هانت ذا قد أديت المهمة . فهل لك أن تنصرف غير مطرود ؟

ميرغني : كلا .. كما رافقتهم في المجيء ســأرافقهم في الانصراف . رجل على رجلهم

ابو الديوك : (للوفد) حسنا ماذا تريدون ؟

الوفـــد : (بصوت واحد) ألا تعرف أنت ماذا نريد ؟ نريد ان نسألك لماذا وكستنا بتلك المسرحية التافهة التي سميتموها مسرحية الموسم ؟

ســعدية : تصيح في وجوههم) ما هذا ؟ أتشتمون مسرحية زوجي ؟

الوفـــد : أزوجك هو الذي ألفها ؟ والله لنخربن بيته كما خرب بيوتنا !

« البقية على صفحة ٤٧ »



تعقيبات

بقلم: عباس خضر

التراث والغزو القديم والجديد في مؤتمر الأدباء

البحث الذي القي عن التراث في مؤتمر الأدباء العرب ، كان من خير البحوث وأجداها. يربط الماضي بالحاضر ، ويستخلص من هذا الربط ما ينفع المجتمع العربي الجديد .

بدأ الدكتور ناصر الدين الأسد مدير جامعة الأردن (صاحب البحث) بتصوير الصراع بين الجديد والقديم في تراثنا العربي ، وقد نشب هذا الصراع بين طائفتين ، تتمثل الأولى في الرواة العلماء الذين كانوا لا يرون الأدب الحق الا في التراث القديم ، وانكروا انتاج من عاصرهم من الشعراء وعدوهم محدثين او مولدين لا يسمون الى طبقة السابقين.

واخذت الطائفة الثانية الطرف الآخر ، فتنكرت للتراث القديم ، بل سخرت منه وحاولت أن تهدمه هدما ، وتمثل هذا الموقف في اتجاهين ، أحدهما ما ذهبت اليه جماعة ساذجة من الوعاظ والزهاد خيل اليهم ان ينصروا الاسلام ويعلوا من شأنه بادعاء أن العرب كانوا في جاهليتهم امة جاهلة لا حظ لها من علم أو معرفة ولا من عمران أو رقي . والاتجاه الآخر هو اتجاه الشعوبيين الذين تملكهم الحقد واعمتهم العصبية ، فلم يروا في العرب الا انهم رعاة ابل وغنم لا فكر لهم ولا حكمة ولا أدب ولا علم ، وقالوا : **ما شعر العربي ؟ الم يكن عوجا على رسم يسائله وعلى طلل يبكيه ؟ ومن كان العرب ؟ الم يكونوا أعاريب ؟ ليس الأعاريب عند الله من أحد .. كيف نترك الحضارة لمثل هذه البداوة الجافة ؟**

وقال شاعرهم :

فلست بتارك ايوان كسرى
لتوضح او لحومل فالدخول

وضب في الفلا ساع وذئب
بها يعوى وليث وسط غيل

ولنستمهل الدكتور ناصر الدين الأسد قليلا لنعرج على ما يقال الآن من مثل ما قيل في ذلك الزمان والتاريخ يعيد نفسه كما يقولون .

نعرج على ما كتبه لويس عوض في الاهرام عن بدر شاكر السياب ، فقد انتهز فرصة الكتابة عن شاعر عربي ليثلب العرب ويحاول الازراء بموروثهم من الشعر عن طريق تصيد بعض الفقرات والكلمات وانتزاعها من سياقها وملابساتها . يقول عن السياب وزملائه فتمردوا على الفن الموروث صورة ومادة ، ولم يكن أمامهم الا معمار شوقي (والمعمار كلمة أخذها لويس عوض عن محمود امين العالم) والكلاسيكيين من ناحية ، وأحلام على محمود طه والرومانسيين من ناحية أخرى ، لم يكن أمامهم الا : « **رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا** » ولم يجدوا أمامهم الا من يقول لهم : « **السيف أصدق انباء من الكتب** » ومن يقول لهم

« لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس » .

أليس هذا مثل ذاك ؟ ألست ترى فى تصيد هذه الفقرات مثل صنيع الأول فى تصيد « توضح وحومل والدخول » ؟ **الا ترى النهج واحدا والقصد هو هو ؟. شيء واحد يختلف فيه الشعوبيون الحديثون عن أسلافهم** ، هو أن القدماء كانوا يجمعون - كما قال الدكتور الأسد - بين تسفيه تراث العرب والتثقف بهذا التراث ، فأبو نواس مثلا يقول عن نفسه : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهم الخنساء وليلى ، فما ظنك بالرجال » .

أما أصحابنا الآن فهم يجهلون التراث ومع هذا يخوضون فيه .. فلويس عوض مثلا ينقل الشعر محرفا ، لا يقيم له وزنا ولا يدرك له معنى ، وليته يلتزم الوقوف مع « **بكت** » فى انتظار « **جودو** » ولا يقحم نفسه فيما لا علم له ولا دراية به .

ونعود الى سياق الحديث عن الصراع بين القديم والجديد ، ذلك الصراع المتجدد دائما فى كل عصر والذى يصحبه التطرف من الناحيتين ، ويصحبه أو يعقبه تيار أهدى سبيلا ، وهو التطور الطبيعى الذى ينطلق من الجذور ويتفرع ويورق ويثمر وقد حدث هذا التطور السليم منذ بدء الاسلام ، فقد ندد الوحى - كما قال الدكتور ناصر الدين الأسد .. بالبالى من التقاليد الموروثة التى كانت تعوق التطور ولكنه لم يكن هدما للتراث والقيم القديمة كلها . **ولذلك كان الصحابة يجمعون فى حياتهم بين التطور والنمو فى المجتمع الجديد وقيمه وبين التمسك بالتراث الجاهلى والمحافظة عليه** ، فكانوا يرون مآثر العرب ويتذاكرون أخبارهم وينشدون أشعارهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنشد أصحابه الشعر الجاهلى ويسائلهم عنه ويبدى اعجابه ببعضه .

واستمر تيار التطور السليم الى جانب الصراع بين الطرفين المتطرفين ، يتمثل فى عباقرة الأمة العربية والتراث العربى ، مثل الجاحظ الذى أعلن رأيه قائلا :

وقد رأيت ناسا منهم يبهرجون أشعار المولدين ، ويستسقطون من رواها . ولم أر ذلك قط الا فى راوية الشعر غير بصير بجوهر ما يروى . ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفى أى زمان كان » .

ومثل ابن قتيبة القائل :

« **لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص بها قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده ، فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا فى عصره** » .

ومثل ابن رشيق الذى أوجز القضية بقوله :

« **كل قديم من الشعراء فهو محدث فى زمانه بالاضافة الى من كان قبله** » .

ومن النتائج التى انتهى اليها الدكتور الأسد فى بحثه ، أن التجديد فى الأدب خاصة ، وفى التراث الفنى والفكرى عامة ، أمر لا يجوز أن يكون مثار جدال ولا موضع انكار ، **حين تنتفى مظنة العداء لهذا التراث** ، وحين يقوم بالأمر أفراد من أنفسنا أحاطوا بتراثنا احاطة معرفة وفهم وتذوق ، وارتوت نفوسهم من معينه ومن قيمه ومثله ، ثم تفتحت على آفاق جديدة لم نعرفها فى التراث القديم ، ولكنها انحدرت من روحه ومن جوهر كيانه ، وتبعث من ذات الأمة ومشاعرها وحياتها وحاجاتها وآمالها .

واذا كان تراثنا فى الماضى لم يتردد فى الاسترفاد بضروب التراث المختلفة عند الأمم جميعها وامتص كثيرا منها وجعلها جزءا منه ، فاننا نقصر فى حق أنفسنا وكرامتنا الفكرية حين نغلق منافذ النور من حيث أتى ، فلا بد من أن نفتح النوافذ كلها لنستقبل النور والهواء ، **على ان نرى النور باعيننا لا باعين غيرنا ، وأن نتنفس الهواء برئتنا لا بالرئات التى تصنع لنا ، وأن نفتح النوافذ ونغلقها حين نريد نحن لا حين يراد لنا ، وعلى الصورة التى نختارها لا على الصورة التى تفرض علينا .**

وليس الأمر فى التجديد مقتصرا على ألفاظ أو أخيلة أو معان أو أوزان أو قواف ، بل هو أبعد وأعمق . ان أساس الأمر هو مدى انسجام المنهج النفسى والاحساس الفنى عند المجددين مع المنهج النفسى والاحساس الفنى للأمة وروح تراثها . وان السؤال الذى يجب أن يسأل دائما هو : **هل هذا**

التجديد تطور اصيل نابع من وجدان الفرد والأمة ، متجاوب مع طبيعة حياتها وجوهر كيانها ، مواكب للمرحلة التى تمر فيها ، متطلع الى المستقبل الذى ترنو اليه ، متسـق مع روح التراث ، معبر عن تجربة فنية ذاتية ؟ أو انه شيء لا تعرفه الأمة ، ولا تحس به ، ولا تتذوقه ، ولا تحتاج اليه ؟ شيء صنعه غيرها ، وكان عنده نتاجا طبيعيا فى بيئته لأنه نابع من ظروفه متطور عن مجتمعه ، فهو بذلك جزء من حضارته ، جزء من منهجه النفسى واحساسه الفنى ثم جاء منـا من يقلده ويجتذبه ، دون أن يتمثله ويهضمه ، ودون أن يصـبح جزءا من احسـاسه واحساس أمته .

وقد ختم الدكتور ناصر الدين الاسد بحثه القيم بقوله :

واذا كانت الصلة بين الأدب والحياة صلة وثيقة ، فان كل تجـديد فى الأدب والفن عامة ، يجب أن يكون متسقا مع طبيعة حياة الأمة وروحها ، فالتطور فى الأدب ينبع من تطور المجتمع ، وحين يكون كذلك يكون فى الوقت نفسه عاملا من عوامل تطوير هذا المجتمع تطويرا سليما دون أن يفصله عن جذوره ، ويقطعه عن أصوله ، ويعريه من اصالته .



● ديوان « **قاب قوسين** » الذى صدر أخـيرا للأستاذ **محمود حسن اسماعيل** ، من الاشياء القليلة التى تتصدى لنا فترغمنا على الاقرار بوجود الشعر فى حياتنا الحاضرة .. **الشعر الذى هو شعر ..** والذى يتمثل فى هذه الاشياء القليلة فقط .

ولى عودة الى الحديث عنه فى وقت أرجو أن يكون قريبا .

● دعت جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة الى ندوة موضوعها « **أدباؤنا فى مؤتمر الأدباء العرب** » حضرها أحمد رامى وصـالح جودت ومحمود حسن اسماعيل والدكتور احمـد الحوفى وروحية القلينى وشريفة فتحى وعباس خضر ، والقوا فيهـا قصائد وكلمات .

وقدم للندوة الاستاذ على الجمبـلاطى المشرف على الندوات بالجمعية ، فعتب على الصحافة أنها لم تشر الى هـذه الندوة برغم أنهم أرسلوا اليهـا بطاقة الدعوة .

ولو نظرنا الى اهتمام صحافة العراق بمؤتمـر بغداد وقرناه باهمال صحافة القاهرة مجرد الاشارة الى هذه الندوة .. لخرجنا بنتيجة مؤسفة ..

● نظرت لجنـة النثر بالمجلس الأعلى للفنـون والآداب فى رسـالة وردت من طالب مستشرق فى المانيا الشرقية يطلب فيهـا موافاته بمراجع عن « قاسم أمين » كى يستوفى دراسة عنه وعن دعوته الى تحرير المرأة يعدها للحصول على درجة جامعية . **وقد تطوع الأستاذ محمد المعلم مدير دار القلم للنشر ، باهداء الكتب الخاصة بقاسم أمين الى ذلك الطالب** . كانت هذه أول جلسة يحضرها المعلم بعد تعيينه عضو بلجنة النثر .

● سمعت نقدا وجه الى مهرجان الشعر من حيث ان كل القصائد التى قيلت فيه كانت عن بغداد .. وان الشعراء أهملوا قضايا المجتمع العربى ! .

وحقا ان كل القصائد كانت عن بغداد ، ولكنها فى الوقت نفسه تعبر عن المجتمع العربى .. من خـلال بغداد .. **كان ذلك اشارة الى الماضى واشادة بالحاضر ونشدانا للمستقبل .**

● استمعت صباح الخمس الماضى من اذاعة الشرق الأوسط برنامجا أطلق عليه « **اشتراكية الاسـلام** » وليس فيه عن الاشتراكية الا صوت أم كلثوم يشدو بقول شوقى :

الاشـتراكيون أنت امامهم
لولا دعـاوى القـوم والغلواء

وكل ما فى البرنامج عدا ذلك انما هو من موقف ابى بكر من تصديق رسول الله والمسارعة الى الايمان بما يقوله :

ان فى ذلك ـ الى ما فيه من تسمية الاشياء بغير أسمائها ـ دلالة على افتعال كان يمكن أن يحل محله الصدق بعرض مواقف اشتراكية حقيقية معروفة فى حياة ابى بكر .

« **عباس خضر** »



حول الأدب الأفريقي

كل عصر له فنه ..

واذا كان يقال ان هذا العصر هو عصر المسرحية او القصة، فان هذا لايمنع من القول بأن الافريقيين – على حد تعبير سارتر – من أهم العناصر التى تهتف بالشعر فى القرن العشرين .

وانا أعتقد أنا فى حاجة الآن الى شعر !!

فى حاجة الى أن نصغى – **وسط ضوضاء العصر** – الى قلب الانسان وهو يغنى بالنقاء والكمال على محور الكون ، وهو يتمزق ويقلق ويخاف على البشرية التى يحيطها بكل يديه ، وبكل نبضات قلبه وفنه .

واذا كنا قد اطلعنا على التجربة الشعرية للغرب، وانفعلنا بها الى حد القول بأنها شكلت بعضنا .. فانا بلا شك فى حاجة الآن الى تجربة جديدة فى الشعر .. فى حاجة الى « التجربة الافريقية » التى ستهز الانسان العربى ، لأنها تعاصر قضايا ومشكلات لم يفرغ منها بعد ، ولأنها لاتقدم البحيرات، والفرسان، والدوار والتمزق والغثيان.. وانما تقدم فيما تقدم حيرة الانسان البسيط الذى يواجه عالما غريبا عليه .

وأمل الانسان فى الوصول الى « جوهر نفسه » الحقيقى بعد أن غاب عنه هذا الجوهر فترة كبيرة من الزمن .

ثم ان الشعر الافريقى ليس هو التجارب الحاضرة فقط ، وانما هو الى جانب هذا « التذكر للوراثات » ، التى يقف الشاعر على قمتها بحيث تتكامل عضويا مع الحاضر .

ومهما يكن من شىء ، فالشعر الافريقى عالم كبير ، قد يشبه غابة من الغابات التى تعيش فى قلبه ، الا أنه يمكن تقريبه – فيما وراء الصحراء الكبرى – بوضع « **بطاقة** » صغيرة عليه تقول :

.. ان شعر الجنوب الافريقى يعتبر تسجيلا صادقا للحياة الافريقية ،التى يمارسها الافريقيون، وأنه يتميز بلون حاد يشبه نشيج الانسان حين ينخرط فى البكاء ، وحين يصل به القلق الى الخوف، ثم يتحول الخوف الى الحزن ، فالحزن قد يثرى النفس ، أما الخوف فيتركها أطلالا . واذا كان الخوف هو « الرحلة الرهيبة » ، فان الحزن هو

« عملية الوصول » وبين الرحلة والوصول تمزق الشعر الافريقي في مناطق الجنوب ·

اما الشعر في الشرق فيتلون بالأحداث السياسية، والظروف البيئية ، وفيه يبكي الشاعر « الأرض » المنتزعة منه ، وينتظر لحظة « الحصول » على هذه الارض ، كما ذكر الشاعر الكبير « **ادیامبو اوکیلو** »

« ·· كل سكانك يابلادى في قلق
كل أرضك يابلادى خصبة
فمتى أملأ أرضك بحبى الذى يشبه السحاب
متى ·· متى يا كينيا ! »
آه ياكينيا ؟
متى يصبح وجه الافريقي مضيئا كالياقوتة الحمراء
على أرض المعركة القادمة
متى ·· متى ياكينيا ؟

فاذا انتقلنا الى منطقة الغرب،وجدنا الشعر مزدهرا ومتكاثفا وملتفا كغابة كبيرة محتشدة بالخضرة والعصافير والينابيع والناس ··

وقد يكون الفرق بين هذه المناطق هو الفرق بين الثقافتين الانجليزية والفرنسية ، وقد يكون الفرق بين طبيعة الاستعمار هنا والاستعمار هناك ، ولكن الذى لاشك فيه أنافريقيا أعطتنا شعرا خصبا وغزيرا وبخاصة في منطقة الغرب ·

·· الذى يعنينا هنا في هذه العجالة هو أن تؤكد أن هذا الشعر قد التقط أنفاسه بعد الحرب العالمية الأولى ، واننا لكى نعطى لمسات سريعة عنه لابد من ترك القلم ، ثم الكتابة في هذا المجال « بالكاميرا » السريعة الخاطفة ، حتى يمكن التقاط بعض «النبض» الموجود في هذا الشعر ·

·· فافريقيا تظهر في شعر بعض الشعراء ·· « كفردوس مفقود » ، وكأغنية رومانسية تدور حول تذكر فترة مضيئة من العمر ، وحول عالم تطرزه أحلام الطيور ، وتضفره أشجار تفتح رموشها على ضوء يموت فوق النهر ، وحول تقاليد القبيلة ، وحول الطريق الذى يؤدى - مهما عاش الانسان في غربة - الى كوخ الوالد ، وروح الأسلاف ، ولعل « **ليوبولد سيدار سنغور** » رئيس جمهورية السنغال يوضح ما نريد أن توضحه ·

« أشعل أيتها المرأة مصباحك أمام الأسلاف
فقد ذهبت الأطفال الى أسرتهم
والآن دعينا نسمع أصوات آبائنا
دعينا نسمعهم فهم لايريدون - رغم موتهم - أن يموتوا
لايريدون أن يتحللوا في أتربة غريبة
وفي الكوخ الملىء بالدخان تهمس الأرواح التى ترجو لنا الخير
هانا أنصت - ورأسى مستندة الى صدرك -
وهانا أتنسم رائحة موتانا
وهانا أسمع أصواتهم الحية
ومنها أتعلم كيف أعيش قبل أن أتهاوى

·· والشعراء الافريقيون متعانقون مع الطبيعة الى حد القول بانهم قد استوعبوا كافة أنفاسها !! والى حد القول بأنهم مكونون من لحم وعظام ودم العالم الاخضر ، وأن الوجود ينتظمهم في دقاته ،كما ينتظم كل شيء فيه من حيوان ونبات وجماد ·

فكل شيء تستقر فيه « بذرة الكون » والبذرة الموجودة في قلب الانسان هي أعمق هذه البذور ، ومن هنا يمكن ان نضع أيدينا على هذه البذرة في شعر « **جولس من** »

« .. عند شجرة الليمون تضىء لى السماء
وأرى أكواخنا تعشش في حب
بين أشجار الموز المشمسة
وحول النيران التى نوقدها
فكل شيء هنا يستقبل الانسان
يستقبل الانسان ·· دائما ·· دائما !
كم من طريق هنا يحف بالحياة ؟
كم من طريق هنا يصل الى القلب ؟
فمن مكاننا هنا في القمم المتوهجة
نشاهد كل شيء
كل شيء
حتى الخواطر في النفوس »

والشعراء الافريقيون جاءت عليهم فترة في الثلاثينيات ، رأيناهم في ضوء المصطلح الذى أطلق في هذه الفترة وهو « **الزنجية** » يتمردون على الحياة من حولهم ، ويحاولون تأكيد أنفسهم ، وهز قامتهم في مواجهة الحضارة الفرنسية ، ذلك لأن هذه الحضارةركزت على عربهم الحضاري، ولم تنظر اليهم الا من طرف عينيها ، ثم انها انتهت الى تسميتهم « العدم المطلق تحت الجلد الأسود » ثم انها أخيرا شدتهم شدا الى عالم « المنفى »

وقد كان رد الفعل عن الافريقيين هو لحظة الرفض العميقة - كما سماها سارتر - وكان أن أخذوا في مقاومة هذه الموجة العاتية ، واخذوا يتجمعون كالقاف اللباب في مواجهة الرياح التى تهب عليهم ،

ومن خلال احساسهم بأنهم «بروليتاريا البروليتاريا» ـ ايضاهم يكونون ارادة صلبة في مواجهة الحضارة الفرنسية ، ورايناهم يعملون على اعادة « **الجوهر النقي للذات السوداء** » ويلحون على كل ما هو افريقي ، وقد يصرخون احيانا حين يجدون نبضاتهم الحارة تتمزق في كلمات فرنسا الباردة على حد تعبير احد شعرائهم .

وقد عبر « **سيزار** » عن مصطلح الزنجية بقوله :

« .. ان زنجيتي ليست صخرة ولكنها حمم
حمم اقذفه في وجه الصخب الذي يموج به النهار
ان زنجيتي ليست شريطا مصورا لمياه ميتة
أنشره أمام أعين الدنيا الميتة
ان زنجيتي ليست قلعة وليست كنيسة
ولكنها تتغلغل في طيات الأرض
وفي آفاق السماء الملتهبة ! »

وقريب من هذا قصيدة الشاعر « **اوماتو** » التي تتحدث عن « اله اسود » ، وتلك القصائد التي تتحدث عن ملائكة سود كالمداد الهندي ، وعن قديسين سود لايكفون هم الآخرون عن الترتيم !

والشعر الافريقي يهتم أشد الاهتمام « بالمادة الفولكلورية » ويطوعها لشعره ، فهو يتحدث عن القمر الذي يظهر في السماء مائلا ، ويتساءل عن البطل الذي في امكانه الذهاب الى السماء ووضعه ثابت بدون ميل ..

ويتحدث عن الصديق الذي حين دعاه صديقه لغسل ظهره خبأ في يده شوكة ، وعن الصديق الذي حين طلب منه أن ينفخ في عين صديقه ، وضع في فمه الفلفل الأسود .

ومما لاشك فيه أن الشعر قد احتضن قضايا القارة السياسية ، وعبر أعمق التعبير عن سقوطها ، وصراعها ، وأملها في المستقبل ، وهو لم يعد يحبها كرؤيا غائمة ، ولكن كحقيقة تضم بين جوانبها المتناقضات فالشاعر الفنانى « **ميشيل دى اثانج** » يقول

« أنا أحب افريقية كما هي
افريقية الملكة أحبها بلا مزوقات
ذلك لأنها لؤلؤة العالم اليتيمة
قد يكون جمالها ليس أروع جمال في العالم
وقد تقصر مفاتنها عن المفاتن الأخرى
ولكني أحبها
احبها كما هي ! »

وقد جاءت فترة تكلم عنها في صورة المستجدي كما في شعر (دى اثانج)

« رد الى افريقية مرة ثانية
بكل محاسنها
بكل مساوئها
ثم اتركني حرا اخطط لها مستقبلها من جديد
معتمدا على تراث الماضي العريق
واضواء العلم الحديث
اعطني هذه الأشياء
ومن افريقية التي ضاعت
ستنبثق افريقية ضخمة
افريقية العالم الجديد ! »

وقد نجد روح المطالبة بالثأر عند « باتكول ربنر » في قوله :

« عشرات من السنين وابناؤك ينزفون الدماء
يا افريقية
ان عليك هذا الدين للمستعمر
ولان من رسالتك أن تؤدى هذا الدين
تؤديه للوحش كاملا »

وقد وجدنا بعضهم اخيرا يحتضن القارة ويغنى لها في حب ، ويتمنى ان يبنى لها قصرا كبيرا بحجمها ، وبعضهم يحتضن القارة ويربت عليها كانها كانت في سفر ثم عادت !

.. وحين نتحدث عن الشعر الافريقي لا نغفل عناصر « التنغم والانسجام والايقاع » في هذا الشعر ، وبعبارة أخرى عن دور الموسيقى فيه !

وحين نرهف السمع نجد اعمال « سيزار » يتصاعد منها صوت الطبل الذي يستخدمه بوعى ، ولعل هذا يقرب لنا قول سنغور « ان الوزن هو هندسة الوجود ، والحركة الداخلية التي تمنح الشكل » وقول « بيتر جوبرينا » ان الشعر الافريقي في لغته الاصلية لا يخرج عن كونه شعرا يغنى بمصاحبة الآلات الموسيقية والطبول

فالافريقي في احتفالاته المتعددة ، وفي استقباله للحياة ، في عمله اليدوى .. لا ينسى الايقاع ، ومن هنا لا نراه ينتظر الآلة التي يعزف عليها ، وانما نراه يسارع فيحول كل شيء الى آلة ، بل ان المقياس الفني عندهم هو تحول « ضارب الطبل » الى « الطبل » نفسه .. وعلى كل فهم يقولون :

« انصت الى الشعر مرتين
مرة من الشفاه

ومرة من الطبول »

ويقولون :

« ان المعانى لا تزال فى فم الشـــاعر وفى ذهن قارع الطبل »

ومن هنا نرى الشـــاعر النيجرى « جابريل اوكارا » يؤكد ان الطبلة تدق فى داخله ، ويذهب الى ان الســمك والرجال والنساء ، قد رقصـــوا على دقات هذه الطبله ، ما عدا حبيبته التى تقف خلف الشجرة وتكتفى بالابتسام وهز الراس

بينما الطبـــلة التى كانت تدق بداخله ، كانت لا تسوق الاحياء الى الرقص فقط ، ولكن كانت تدفع الموتى كذلك الى الرقص !

والشاعر الافريقى يعبر بالصورة ، وان كان قد ذهب بعض النقاد الى ان هذه الصور بصرية ، ثم ان هناك اجماعا على انها نابعة من التجربة نفسها .

.. واخيرا قســـم « جورج سانتيانا » فى كتابه « الاحساس بالجمال » الشعراء الى طبقتين : الموسيقيين والسيكولوجيين ، ولا شك ان الشعراء الافريقيين يمثلون الطبقة الاولى ، وانهم من انقى العناصر الآن التى تهتف بالشعر فى القرن العشرين .

• وبعد ..

فهذه كلمات خطفت خطفا من حديقة الشـــعر الافريقى الكبيرة ، وما نريد ان نقوله هنا هو ان هذا الشعر منجم كبير يمكن ان يجد فيه الانسان العربى اشـــواقه واحلامه ، بل يمكن ان يضع مصطلح « العربية » فى مقابل مصطلح « **الزنجية** » باعتبار ان كلا منهما يعبر عن الاصطدام الحضارى ، ويحاول خلق اشكال ومضامين خاصة به ، ومعتمدة على تقاليده !

ان هناك من يقول بأن مدرسة « الزنجية » قد انتهت او خفتت ، ولكن هناك من يقول انها اسلوب حياة ، وقضية متجددة فى حياة الافريقيين ، ولعل هذا يسوقنا الى عملية الحصـــار التى تقوم بها الثقافة الاوربية ، وان هذا الحصار يجب ان يثقب بين الحين والحين بالثقافات الافرو اسيوية ، فلعل هذا يعين الكثير على « استنبات » كافة الفنون العربية الجديدة .

• لا صديق للزنوج :

مستوحاة من قصيدة للشاعر الافريقى ارمانو التى يقول فيها :

« لا اعلم صديقا للزنوج
سوى الأرض والسماء والعواصف
والامطار والبعوض !
ذلك لان الارض تراهم يسقطون كالتراب
ولان السماء تسمع صراخهم
وتنكر عليهم حقهم !
ولان العواصف تحمل انائهم
ولا تستطيع اخفاءها
ولان الامطار تمتزج بدموعهم المستمرة
ولان البعوض لا ينكر ما امتص من دمهم
.. ليس من صديق للزنوج
سوى الارض ، والسماء والعواصف
والامطار ، والبعوض !!

ما لنا من صـــديق فى ذلك العـــالم
غير الثرى والسماء وريحهـــا الظالم
وغير صوت البعوض واغنيـــات المطر

نقول .. لا مفـــر !
لا مفر ! لا مفر ! »

فالارض تعرف دفئنـــا ، ووجوهنا المستفهمه
والنـــار فى اعماقنـــا المنزوعه المتألمه
هو قد اقام بوجهنـــا فى غير رفق مرسمه
ومضى يدحرج يومنـــا بين العجاج المظلمه !
والافق ثم رنت به اصـــداؤنا المتناغمه
دفت عليـــه دموعنـــا ، ودماؤنا المترحمه
فدنا به فى صـــمته تدفير يحرس جمجمه
اراه ينكر ان نسائل ربنا فى مظلمه !
والريح ليست تنكر العشش الرطاب المعتمه
تمشى .. فتخشى أن تضل على اجروح المضرمه
هبت ، وجاشت ، ثم زلزلت العرى المتهدمه
لكنها رقت امام عيون طفل حالمه !
بينا نجوع نرى البعوض يهز فينا موســـمه
ما جاء من عـــرق الحيـــاة يريقه فى غمغمه
يمتصـــه فى خطفة ، فى نقرة فى دمدمه
فنرى به ايامنا ، وحيـــاتنا المتلعثمه
ونحس فى المطر الحياة تضىء .. تورق تمتمه
ونحبه فعليه دمع حيـــاتنا المتهـدمه
يهتز بالحـزن العميق الى المراعى القـــاتمه
فاذا بهذا الحزن اخضر .. فى الروابى الملهمه
واذا بنا ـ والصمت يفرقنا ـ ذرى مستسلمه

ما لنـــا من صديق فى ذلك العـــالم
غير الثرى والسماء وريحهـــا الظـــالم
وغير صوت البعوض واغنيـــات المطر

نقول .. لا مفر !
لا مفر ! لا مفر ! »

« عبده بدوى »



بين إسحق نيوتن وأبى البركات هبة الله بن ملكا

بقلم : أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد : استطاع الاستعمار لمدى قرون طويلة ان يغزو الشرق ثقافيا ، لكى يبتره عن ماضيه ، ويقصيه عن امجاده الفكرية والعلمية ، فما زالت مدارسنا ومعاهدنا تعيش فى عزلة رهيبة عن تراثنا العلمى ، بل فى جامعاتنا من يتنكر بهذا التراث ، كأنه جدث من الأجداث ، تنفيذا غير مباشر لسياسة بعيدة المدى كان قد رسم خطوطها دنلوب البريطانى مستشار وزارة المعارف منذ خمسين عاما ، حيث ارسل البعوث الى انجلترا ليرتشف الدارسون حساء بريطانيا لايحتوى على عناصر شرقية اسلامية ، بل سداه اغفال التراث العلمى العربى ، وتشويه مفاهيمه ان كانت بهم حاجة الى ذكره .

ثم عاد الدارسون وهم انصاف علماء ، يلقنون النشء فى تعاقب زمنى ماحفظوه عنالك من سوءات ، وتكون لدينا جيل يمسك بيده مقاليد التعليم ، بل هو الذى يضع مناهج العلم وأبوابه ، وهو الذى يطرحها فى مسابقات ، بل هو الذى يبت فى صلاحية الكتب التى تؤلف طبقا لهذه المناهج .

جريرة علماء العرب الأقدمين انهم ماكانت لهم فئة ينصرونهم من دون علماء اوروبا ، والقائمون على التعليم عندنا يترجمون كتب الغرب دون سابق الملم بالتيارات الحضارية فى شتى العلوم، ودون وعى قومى للحضارة العربية ومدى ما اضافته الى العرفان المتراكم ،وجريرة علماء العرب ايضا ان الذين يقررون صلاحية هذه الكتب المدرسية يحملون القابا حصلوا عليها من جامعات الغرب فى سهولة ويسر ، ليكونوا لها عونا غير مباشر لنشر الافكار التى تنكر تأثير التراث الاسلامى فى نهضة اوروبا ، القابا تنضخم حين تعود الى ارض الوطن ، ولكنها فى نظر جامعات الغرب كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد !!

وبين ايدينا كتاب ال.....الذى توزعه وزارة التربيةوالتعليم على تلاميذها فى الصف الثالث الثانوى ، الفه حفنة من اساتذة الجامعات بمصر ، يذكرون فى مقدمته مايلى :ـ

« ولقد ادرك الأغريق منذ القرن الثالث قبل الميلاد قانون الرافعة ، وقاعدة الاجسام الطافية المسماة بقاعدة ارشميدس ، ولكن الفضل الاكبر فى تقدم علم الميكانيكا يعود فى الحقيقة الى عالمين كبيرين ، احدهما هو جاليليو جاليل (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) الذى بين ان التجربة هى الأساس الذى يجب ان ترسى عليه القواعد العلمية ، وصحح بالتجربة الاعتقاد الذى ساد منذ ايام ارسطو من أن الاجسام الثقيلة تكون اسرع فى سقوطها نحو الارض من الاجسام الخفيفة ، كما حقق بالمنظار الذى اخترعه ، مانادى به كوبرنيكس من قبله من ان الشمس هى مركز المجموعة الشمسية ، وان الارض والكواكب تدور حولها .

أما العالم الثانى فهو السير « اسحاق نيوتن » (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) الذى يعود اليه الفضل فى لم شعث القواعد التى تخضع لها الأجسام فى حركتها ، فصاغها فى قوانين ثلاثة ، سميت بقوانين الحركة لنيوتن ، وظلت هذه القوانين اساسا لعلم الميكانيكا حتى عهد قريب » .

هذه المقدمة لاتفترق فى شىء عن اى مقدمة اخرى يستهل بها مؤلف اوروبى كتابا او مقالا ، بل قد يوجد من بين هؤلاء الكتاب فريق لديه مسحة من ضمير ، فيشير الى العلم العربى فى بضعة من سطور ، اما اساتذتنا سامحهم الله ، فاقلامهم يتعثر مدادها عند ذكر تراث العرب العلمى،تعاليا ، بل تغافلا متعمدا : اعن جهل يالقوم ؟ ام على قلوب اقفالها !

الم يصل الى اسماعهم كتاب المعتبر الذى الفه العالم العراقى اوحد الزمان هبة الله بن على بن ملكا ، ابو البركات (١٠٨٧ ـ ١١٦٥ م) ، طبيب من سكان العراق ، عرفه الظهير البيهقى فيلسوف العراقيين ، وقال : ادعى انه نال رتبة ارسطو ، وكان يهوديا ثم اسلم فى آخر عهده ، وكان فى خدمة المستنجد بالله العباسى ، وحظى عنده ، واتهمه السلطان محمد بن ملكشاه انه اساء علاجه فحبسه مدة ، وتوفى بهمزان عن نحو ثمانين سنة !

لقد سبق هذا العالم العراقى العالم الايطالى جاليليو فخر النهضة الاوروبية بخمسمائة عام ، علما وزمنا وتجربة ، ففى الفصل الرابع عشر من كتابه المعتبر يقول بلفظه مانصه : ـ

« لو تحركت الأجسام فى الخلاء لتساوت حركة الثقيل والخفيف

والكبير والصغير ، والمخروط المتحرك على رأسه الحاد ، والمخروط المتحرك على قاعدته الواسعة فى السرعة والبطء ، لأنها انما تختلف فى الملاء بهذه الأشياء بسهولة خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق ، كالماء والهواء وغيره ، فان المخروط المتحرك على رأسه يخرق اسهل من المتحرك على قاعدته ، ولا مخروق فى الخلاء ، ولا مقاوم فتتساوى الحركات فيه فى الزمان »

وابن سينا قد درس الحركة من اسفل الى اعلا فيقول :

« واما مايعترى الاجسام الصغيرة مثل الخردلة ومثل التبنة ، ومثل نحاتة الخشب من انها لاتنفذ عند الرمي فى الهواء نفوذ الثقيل ، فليس السبب فيه ان الأثقل اقبل للرمى والجر ، بل لان بعض هذه لصغرها لاتقبل من الدافع قوة محركة لها ، ولما يليها تبلغ من شدتها انها تقدر بها على خرق الهواء ، ومع ذلك فتكون ، اى قوة حركتها ، سريعة الاستحالة الى البطلان من السبب الذى يعرف فى موضعه » ثم يستطرد

« وبعضها (اى بعض تلك الأجسام) يكون متخلخلا لايقدر على خرق الهواء ، بل يداخله الهواء الذى ينفذ فيه ، ويكون سببا لابطال قوته المستفادة ، فانك ستعلم ان مقاومة النفوذ فيه هو المبطل للقوة المحركة » ثم قال

« لو كان السبب فى قبول الرمى الانفذ هو الكبر ، وزيادة الثقل لكان كلما ازداد ثقلا وكبرا كان اقبل للرمى ، والأمر بخلاف ذلك ، بل لو اعتبر الثقل والخفة ، ولم تعتبر اسباب اخرى كان الاقل مقدارا اقبل للتحريك واسرع حركة ، فتكون نسبة مساواة المتحركات بالقسر ولها ميل طبيعى ، ونسبة ازمنتها على نسب الميل الى الميل ، لكن النسبة فى المسافات بعكس النسبة فى الأزمنة ، اما فى المسافات فيكون الأقل ميلا اطول مسافة ، واما فى الزمان فيكون ذلك اقصر زمانا »

يا قوم !! لماذا تهملون كل هذه الحقائق ، ولا تلفتون النشء هذه الأصول ولو باشارة عابرة حتى لا تتكون عقدا فى نفوسهم ؟ تبتدئون بالاغريق كما يفعل كتاب الغرب ، ثم تقفزون الى عصر التنوير بأوروبا ، كأن هناك فجوة من ظلام دامس قد غلفت العصر الاسلامى برمته ،منذ ان ابتدا الى ان احتضر فى عصر النهضة ؟

نيوتن وقوانين الحركة :

يقولون ان الاغريق لم يدرسوا من علم الميكانيكا سوى قوانين الروافع ، وقاعدة الأجسام الطافية ، ولكنهم مادروا ان ارسطو قد عنى فى دراسته لعلم الطبيعة بالحركة حيث عرفها بانها كمال اول لما بالقوة من جهة ماهو بالقوة ، تجدون ذلك فى كتابه لعلم الطبيعة الذى ترجمه من الاغريقية الى الفرنسية العالم بارتلمى سانتهلير ، ثم عربه المرحوم احمد لطفى السيد ، وتجدون ايضا انه درس الحركة المكانية او حركة النقلة ، وهى التى ينتقل بها المتحرك من مكان الى مكان ، ومنها الحركة الوضعية وهى التى تتبدل بها اوضاع المتحرك وتنتقل اجزاؤه فى اجزاء مكانه ولا تخرطه عن جملة مكانه .

ثم درس العلماء العرب نظرية الحركة بكافة أنواعها وزاد عليها ابن سينا الحركة الدورانية ، اما ابو البركات هبة الله فيقول عنها فى كتابه المعتبر ما نصه :

« واعلم ان الحركة تتم بستة اشياء ، وهى المحرك والمتحرك ، وما منه ، وما اليه ، وما فيه كالمسافة التى فيها الحركة والزمان ، فاما مامنه وما اليه وما فيه فهو من مقومات المفهوم والزمان لازم فى الذهن او داخل فى تقويم المفهوم ، وكذلك المتحرك ، واما المحرك وانه غير المتحرك فانه يفتقر الى بيان »

ثم اثبت بعد ذلك ان المحرك لكل متحرك غير المتحرك ، بمعنى ان المتحرك هو جسم او جوهر لايتحرك من تلقاء نفسه ، بل يلزمه محرك او قوة قسرية تدافعه فى زمان ، ثم ينتقل الى الحركة فى الخلاء حيث لاتوجد مقاومة تعوق الحركة الجسمانية فيقول :

« وان كانت (اى حركة الجسم المقذوف فى الخلاء) فلا يقف المتحرك ابدا لانه لايكون اولى بالوقوف فى موضع منه دون موضع ، واذا كانت الحركة فى الخلاء لم تبطل القوة المكتسبة فى الرمى ، التى حلقت قوة الرامى ، لانها تبطل فى الملاء بما يلقاها من مقاومة المخروق فيضعفها اولا فاولا ، حتى يبطلها ، واذن لامقاومة فى الخلاء فالرمى فيه لاتلقى قوته مايبطلها ، وهى فلا تبطل بنفسها لان الشيء لايبطل ذاته ، واذ لامقاومة فى الخلاء فالرمى فيه يتحرك ابدا »

كلام واضح لا لبس فيه ، ولكنه باسلوب الفيلسوف المتعمق ، اخرجه اسحاق نيوتن باسلوب مغاير حيث صاغه فى قانون كالآتى :

«كل جسم يحتفظ بحالته من سكون او حركةمنتظمة فى خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية » .

اودعه نيوتن كتابه « البرنسيبيا » على انه لفتة من عبقريته وسماه القانون الاول للحركة .

قال ابو البركات ان المتحرك يبقى ساكنا ما لم يصادفه محرك ، وان المتحرك فى الخلاء يبقى دائما متحركا لعدم وجود قوة قسرية خارجية ، وتفكيره يتحقق الآن فى السفينة التى يحاول علماء القرن العشرين الآن بناءها للسفر الى المريخ وغيره من الكواكب اذا بعدت عن نطاق الجاذبية .

والذى اضافه نيوتن الى العلم الغربى فى الحركة ، انها تسير منتظمة فى خط مستقيم

وينتقل ابو البركات الى اثبات ان بين كل حركتين متضادتين سكونا ، فقال فى الفصل الرابع والعشرين من كتابه المعتبر ما نصه :

« قال افلاطون من توهم ان بين حركة الحجر علوا ، المستكرهة بالتحليق وبين انحطاطه وقفة فقد اخطا ، وانما تضعف القوة المستكرهة له ، وتقوى قوة ثقله ، فتصغر الحركة ، وتخفى حركته على الطرف ، فيتوهم انه ساكن ، واقول انه لما صار القول بالسكون بين الحركتين المتضادتين لهذا السبب المتوهم رايا لقائل لم يذكر حجته وسمعه من غيره مع ما غيره واوهمه حسن رايه ، فى ذلك القائل فاراد اتباعه ونصرة قوله تحمل له حججا، ولفق له ادلة وطول الكلام فيها ودققه حتى ضجر السامعون مع حسن ظنهم فلم يتبعوه .

ثم اخذ يتابع الشرح فى الميل القسرى الثانى، من حركةالقذف

الى اعلا ، والميل الطبيعى الثانى، من الجاذبية الارضية ، فعند تعادل الميلين تقف حركة المقذوف ، والميلين موجـــودان فعـــلا ويتعادلان عند نقطة السكون ، وهو يشبه ذلك بالحلقة التجاذبة بين المصارعين فيقول :

« الا ترى ان الحلقة التجاذبة بين المصارعين لكل واحد من المتجاذبين فى جذبها قوة مقاومة بقوة الآخـــر ، وليس اذا غلب احدهما فجذبها نحوه تكون قد خلت منه قوة جذب الآخر ، بل تلك القوة موجودة مقهورة ، فلولاها لما احتاج الآخر الى كل ذلك الجذب ، فكذلك الحجر المقذوف فيه ميل مقاوم للميل القاذف ، الا انه مقهور بقوة القاذف ، ولان القوة القاسرة عرضية فيه فهى تضعف لمقاومة هذه القوة » .

بديهيات نادى بها ابو البركات فى القرن الثانى عشر الميلادى، وقام اسحق نيوتن بتخريجها فى القرن الثامن عشر باسم القانون الثالث هكذا :

« لكل فعل رد فعل يساويه فى المقدار ويضاده فى الاتجاه » .

والمقصود الذى اراده بكلمة الفعل هنا هو القوة التى يؤثر بها جسم على جسم اخر ، فاذا اثر احدهما على الآخر بقوة ما ، فان الجسم الآخر يؤثر بدوره على الجسم الاول بقوة تساوى القوة الاولى فى المقدار وتضادها فى الاتجاه ، وتسمى هذه القوة « رد الفعل » تماما كما حدث فى مثال الحلقة التى يجذبها المصارعون والتى ذكرها ابو البركات العالم العراقى .

يا قوم !! ان كل حضارة ظهرت على مسرح الزمان الوجودى قد اضافت لبنات الى العرفان المتراكم ، ولم يظهر نيوتن فجأة كنبى ملهم تفيض عليه المعرفة عن طريق الاشراق كما يقـــول المتصوفة ، بل سبقته حضارات وعلوم نقلت الى اللاتينية وكانت تدرس فى جامعة كمبردج التى كان نيوتن طالبا بها ، وكان يقوم بتدريسها له الاستاذ « باروز » ، كانت تدرس علوم العـــرب كنقطة انطلاق لعصر التنوير الفكرى فى نهضة اوروبا ، ومنهـــا مسالة الحسن بن الهيثم أو كما كانوا يقـــولون « الهـــازن » تدرس ضمن علوم الطبيعيات .

عيب علماء العرب انهم كانوا يفلسفون الطبيعيات على غرار علماء الكلام . وقد شبكوها معا ، وميزة علماء النهضة امثـــال ديكارت ونيوتن وليبتز انهم اخرجوها بطرق رياضية مبسطة ، وجعلوا منها علوما متفرعة قائمة بذاتها ، ان الحقائق العلميـــة لا تخرج من الذهن البشرى تباعا فى زمن ما ، ولا تســـتخلص صرفة نقية ، بل تستغرق قرونا وحقبا تتضافر فى اكتشافها على التعاقب عقول صفوة المفكرين من بنى البشر .

انطلق علماء العـــرب فى الطبيعيـــات من حيث انتهى علماء الاغريق ، وحدثت يقظة الفكر الاوروبى من حيث انتهى مجهود انطلاقة الفكر العربى ، فكفاهم بذلك قرونا .

لقد احسنت وزارة العلاقات الخارجية حين ازمعت انشاء معهد يتلقى فيه المدرسون المبعوثون الى البلاد العربية لتدريس العلوم الحديثة ، يتلقون فيه تدريبا على يد الاخصائيين فى التراث العلمى العربى ، وانا لنرجو ان يكون اختيارها لاساتذة هذا المعهد ممن اشربوا هذا التراث عن ايمان وعقيدة .

أحمد سعيد الدمرداش

« بقية المنشورة على صفحة ٣٧ »

سعدية : ومن تكونون حتى تخربوا بيت الاستاذ عبد الواسع بلعوم كله !

ابو الديوك : هل لكم ان تخبرونى بأى صفة جئتم ؟

الكهل : بصفتنا اعضاء فى مجلس ادارة الفرقة المسرحية بدمنهور ...

سعدية : لاتصدقهم . انهم ليسوا من دمنهور . لقد لمهم الاستاذ ميرغنى من قدام المحكمة وجاء بهم

الوفد : من قدام المحكمة ؟! .

سعدية : كل واحد بنصف ريال

الوفد : (فى غضب) أتسكتون هذه السيدة أم نسكتها نحن ؟

ابو الديوك : من فضلك يامدام . دعينا نتكلم . أهلا وســـهلا ياجماعة . قولوا الآن ماعندكم

الكهل : كيف تبعثون الينا تلك المسرحية الساقطة ؟ بأى حق تقتلون فرقتنا الناشئة ؟

ابو الديوك : ولماذا قبلتموها ؟ لم لم ترفضوها ؟

الكهل : ماكنا ندرى أنها بهذه الدرجة من السوء . لقد سميتموها مسرحية الموسم وأرسلتموها الينا من القاهرة وأرسلتم معها المخرج وكانت الصـــحف تطنطن بمدحها ومدح مؤلفها العبقرى الجـــديد فانى يخطر على بالنا أنها بهذه التفاهة ؟

سعدية : تفاهة ؟ كيف اذن نجحت عندكم ذلك النجـــاح الهائل فى دمنهور ؟

الوفد : نجاح ؟ أى نجاح

ابو الديوك : الصحف كلها نوهت بالنجاح الكبير ليلة الافتتاح

الوفد : ليلة الافتتاح ؟ هذه كانت ليلة الافتضاح !

ابو الديوك : كل الصحف قالت ان المشرفين على الحفلة اضطروا الى الاستعانة برجال الشرطة لحفظ النظام لأن الناس تزاحموا على شباك التذاكر ثم هجموا على الصالة بعدما نفذت التذاكر من الشباك .

الكهل : هذا هو التهويش والتضليل . اننا ما جئنا برجال الشرطة لهذا السبب

ابو الديوك : فلأى شىء اذن ؟

الكهل : جئنا بهم لكى يهددوا المتفرجين فى الصـــالة الا يتحركوا من مقاعدهم فيها والا فلا يلومون الا أنفسهم .

ميرغنى : وياترى قعد المتفرجون الى النهاية ؟

الكهل : معلوم قعدوا خوفا على حياتهـــم ولكنهم اداروا وجوههم الى باب الصالة وظهورهم الى خشـــبة المسرح وهم يرددون . عيس . عيس . عيس

ميرغنى : (يصيح فى جزل وهو يقهقه قهقهة عالية) عظيم عظيم عظيم

« ستار »

(الفصل الثانى)

« على احمد باكثير »

وإذا كانت حركتنا العربية الواحدة ـ تدعو الى وحدة عربية شاملة ـ فهى لاتعنى اطلاقا وحدة عنصرية ـ او ارستقراطية عربية منعزلة عن حركة العالم الاسلامى . وحركتنا العربية الواحدة ، بمضمونها الانسانى وتركيزها على الدعوة والعمل من اجل تشييد عالم يسوده سلام قائم على العدل تشجب كل محاولة للضغط أو النيل من حركة اى شعب يناضل من اجل استقلاله وحريته .. ماوسعها السبيل الى ذلك سواء بالتأييد المادى او المعنوى ..

اما عن نوع الايديولوجية العقائدية التى تحكم سلوك المواطن العربى الفرد فى وطننا العربى الموحد .. فلا يسعنا هنا الا ان نستعير رأى المؤلف فى هذا الشأن ..

يقول الكتاب صفحة ١٦ ، ١٧ :

«لابد من تقديم «ايديولوجية اسلامية معاصرة» فالعالم اليوم تسوده حرب الافكار . ولابد من ان تكون لهذه الايديولوجية المرونة التى تستطيع أن تعطى حلولا اسلامية لكافة مايدور فى العصر ، كما انه لابد ان تبدو «مقنعة» للذين يعتنقونها . ومعنى هذا مضاعفة الجهد ، والنزول بالدين الى الحياة بعد ان تنحى الكل ، وعدم النزول به فى معارك العقل والاجتهاد من الذين ينطقون باسمه .

والاسلام لايعارض فى اقامة الدولة العلمانية ، بل انه يدعو اليها ، ثم انه لايفصل الحياة عن الدين وهو اخيرا يستطيع ان يقدم ، وجهة نظر عصرية ، فى كافة مايجد على الحياة ، فقد نظر للانسان على انه حارس للحياة ، وأنه مطالب بالعمل ، وانه محتاج الى المتعة ، وان الحرية قوته ، والاندماج فى الجماعة سلاحه .

ويقول المؤلف :

ولعل هذا يلقى علينا العبء فى استخراج كنوزه ، وفى البحث الذكى الدائم فى حركة الحياة وحركة الدين .

انه اذا كان هناك عيب فسيكون فينا نحن ، اما الاسلام فسيظل «جوهره الحق والسعادة» التى لا تنال بالدروشة ، والهمهمة ، والسطحية ، وانما بالمعاناة والتنقيب ، والربط الدائم بالحياة .

وقبل ان ندخل فى موضوع كتاب اليوم يجدر بنا ان نلقى نظرة عابرة على كتاب المؤلف « دول اسلامية فى الشمال الافريقى » .. لان حركة الاسلام الدينية والحضارية فى افريقيا كانت من التشابك والتلاقى فى بعض الاحيان بالدرجة التى يمكننا بها القول انها اتفقت جميعها فى نشر الاسلام وتدعيمه او كما يقول المؤلف : «ان احدا لاينكر تلك الوحدة» التى حققها الاسلام للقبائل ، وكيف انه احدث نوعا من الرخاء بسبب التجارة وفتح الأسواق ، ولقد اهتم فى كل مكان حل فيه بالقراءة والكتابة والنظافة النفسية والجسمية ، كما انه ابطل شرب الخمر ، وأكل لحوم البشر ، والاخذ بالثأر .. بالاضافة الى انه دعا الى احترام الذات واحترام الحياة ، وحقق نوعا من الانسجام بين الانسان ونفسه ، وبينه وبين مجتمعه ، وبين المجتمع والعالم لله . ومن هنا اعطى الافريقى الاحساس بالكرامة، وانه مسئول عن العالم .

فالرستميون فى المغرب الادنى « تونس » استطاعوا ان يعطوا الناس حق الاحتجاج على الدولة واعلنوا أن الحياة معركة متصلة ، وان على الانسان ان يدخل مع مجتمعه فى معارك حتى يتحقق ما تمكن تسميته بمصالحة الانسان مع مجتمعه وبهذا يمكن وضعهم فى صفوف «الثوريين» لا المصلحين بلغة العصر . ودولة الادارسة التى استطاعت ان توحد القبائل المتنافرة تحت رايتها واستطاعت ان ترجح قوى الشيعة وافكارها كما نجحت فى دفع الاسلام الى مساحات كبيرة من الشمال الافريقى وجنوبه ، وان تؤكد فى الوقت نفسه للعروبة فى هذه البلاد ـ والاغالبة الذين نشروا الاسلام فى صقلية والذين فرضوا وصايتهم على المنافسة التى كانت بين اللمبارديين فى ايطاليا عام ٨٣٧ هذا علاوة على نفوذهم فى جنوب ايطاليا مما حمل البابا يوحنا الثامن على ان يستمر فى دفع الجزية للمسلمين .

والمرابطين الذين لايقف دورهم الحقيقى عند حد توحيد المغرب ، وربط أسبانيا وكثير من المساحات الافريقية ، وانما يتعدى كل هذا الى شل نفوذ ايطاليا البحرى والى عدم قيام حروب صليبية فى المغرب كتلك التى قامت فى المشرق .

وإذا كان المرابطون قد وقفوا عند النصوص الاسلامية فى التشريع والتقاليد المتوارثة فى التصوف ، والاخذ بمذهب الامام مالك فان الموحدين كانوا يمثلون طبقة متحررة من طبقات التحرر فى الفكر الاسلامى وكان لهم دورهم المجيد فى خدمة الاسلام فى افريقيا واسبانيا . هذا خلاف المرنيين والحفصيين والصنهاجيين والمغراويين

والسعديين والعلويين أو الفلاليين ثم السنوسيين .. ولكل طائفة من هؤلاء ودولهم التى اقاموها دورها العظيم فى رفع راية الاسلام فى الشمال الافريقى ودفعه دفعا من الشمال الى الوسط والغرب . وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الرد على بعض الافتراءات التى يتقول بها البعض على طبيعة انتشار الاسلام فى افريقية فيقول فى كتاب « دول اسلامية فى افريقية» .

« لقد حاول البعض أن يربط بين ظاهرة الانتشار الاسلامى والسماح بالتزوج من اكثر من واحدة ، ولكن يرد عليه ان المسيحية فى بعض المناطق فى افريقية سمحت بهذا ، بل لم تقف بالعدد عند اربع، ومع هذا لم يتحقق ما تريده ! ومهما يكن من شئ فان عملية التقدم المستمر ترد على هؤلاء الذين حاولوا ان يضعوا على الاسلام «بطاقة» تقول انه دين تحل ، وانه دين سيف ، وانه دين الصحراء فى الاصل ، والسهول فى الفرع ، وانه من الاجهاد بحيث لا يستطيع التسلق بالمرتفعات فى اى مكان توجد فيه هذه المرتفعات ـ ناهيك عن مناطق «السفانا والغابة» .

ونحن نجد الحقائق تعارض كل هذه الدعاوى فنجد أن الاسلام فى افريقية قد اكتسح السهل ، وتعلق بالمرتفعات . صحيح ان تغطيته للصحراء والسهول كانت جارفة ، ولكن هذا يرجع الى تلك القبائل البدوية التى كانت تغطى هذه المناطق، والتى تمثل مثلا فى الشرق: البجة، والدناقلة والصوماليين والمهاجرين القدماء من الاسيويين .

وفى الوقت نفسه نرى الاسلام يتعلق بالمرتفعات فى اثيوبيا .

وفى ضوء هذا رأينا الوجه الصومالى، والزنجبارى مسلما تماما ، أما الحبشة وكينيا وتنجانيقا وكذلك اوغندا فى الداخل فلم تحتفظ الا ببعض الملامح الاسلامية ، ذلك لان القوى المسيحية فى المنطقة استندت على القوى البرتغالية المسلحة ، أما القوى المسلمة فقد استندت استنادا عاطفيا على مصر وتركيا .

ومع هذا فمن المقرر ان الاسلام لم ينتشر تماما حين شهر السيف ، ولكن حين رفرف السلام على المنطقة أخذ الاسلام يمد اجنحته على الشرق . ثم يتغلغل بهذه الاجنحة الى الداخل بحيث أصبح حقيقة مقررة تصل ما بين موزمبيق وسفاله ، ونياسالاند ، وهضبة البحيرات واوغنده ، وكينيا ، والكونغو ، بالاضافة الى تنجانيقا ، وهكذا كانت المساجد تلف هذه المناطق لفا فى القرن الثامن عشر .

بحيث اصبح مما لاشك فيه ان الاسلام قد انتشر بالسلام اكثر مما انتشر بالمعارك المتلاحمة خلال اربعة قرون، لفت المنطقة بغبارها وتوترها، بالصراع الذى لم يكن يهدأ ليثور من جديد .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الدراسة التطبيقية للدول الاسلامية فى افريقيا .

وبعد ان يذكر الهجرات العربية المتتالية الى شرق افريقيا مثل هجرة سليمان وسعيد ابنى عباد الجلندى عام ٦٩٥م وهجرة الطائفة الزيدية عام ٧٣٩م ـ ١٢٢هـ ثم هجرة بنى نبهان من عمان وغيرها من الهجرات ، وعن قبائل الفونج الذين ينتسبون الى بنى امية والذين استطاعوا ان يتجمعوا كظاهرة سياسية فى جنوب غرب اريتريا ـ يتحدث الكتاب فى ص ٢١ قائلا :

« على انهم بعد نزولهم الى السودان لم يقفوا كظاهرة منعزلة ، أو نطبعه تتعالى على الناس وانما نراهم يسارعون فيندمجون فى الوطنيين ، ثم يتحدثون اليهم فى حب عن الاسلام ويقدمون لهم سلوكا عمليا عن « المواطن المسلم الجديد » فى علاقاته بربه، وبالناس من حوله ، لم يتقدمون خطوة اخرى حين يطلبون منهم المصاهرة » .

وكنتيجة لاختلاط الدماء وعمق الاحساس الدينى واعتداده بحقائقه التى عرفوا منها فى ضوء الاسلام ـ تامين الطرق التجارية الى حوض النيل الأزرق . وتجميع القوى المشتتة للعروبة التى تغطى مساحات كبيرة فى هذه المنطقة وعلى جوانبها حتى يستطيعوا تامين انفسهم من الحبشة ان أرادت بهم شرا ومن مملكة « علوة » السودانية ان ارادت أن تتحرك باسم المسيحية .

وقد ادى كل هذا الى الحلف الذى قام بين الفونج

بزعامة « عمارة دونقس » وبين « عبدالله جماع » شيخ العبدلاب الذى كان من ثمرته التحرك ثم الاصطدام باهل علوه فى موقعة « اربجى » ثم دخول العاصمة « سوبا » ثم الاستيلاء على عاصمة مملكة المقرة المسيحية واقامة العبدلاب بها ٠

ومن الدول الاسلامية التى كان لها دور كبير فى نشر الاسلام فى السودان دولة « الفور » التى تطلق الآن على مديرية دارفور . ونتيجة لهجرة قبائل التنجور الى هذه المنطقة من تونس تحت ضغط زحف الهلالية وحلفائها فى الشمال ومعهم الداعية العربى الاسلامى الكبير « احمد المعقور » انتشر الاسلام فى هذه المنطقة وتدعم وجوده وانتشاره بتوافد قبائل عربية كبيرة مثل الهبانية والرزيقات، والمسيرية ، و لتعايشية ، والمعالبة ، والحمر ، والزيادية والماهرية ، والحاميد ، وبنى حميد ٠٠ وقد اهتمت دولة دارفور الاسلامية بالتعليم فارسلت ابناءها الى مصر لتلقى العلم فى الأزهر ، حتى لقد اصبح لهم لكثرة عددهم رواق يسمى روق « دارفور » ٠٠ ص ٣١

وتعتبر تقلى احد زوايا المثلث الاسلامى الذى قام فى السودان ٠ ويرجع الفضل فى ذلك الى هجرة ـ زاهد جعلى حوالى ١٥٢٠ الى ربوعها ، وفى عهد ابنه « جيلى أبو جريدة » انتشر الاسلام الى ما وراء جبال النوبة ، وذلك بعد زحوف كبيرة من القبائل العربية الى هذه المنطقة التى تتكون من الجعليين ، والبديرية ، والجوامعة ، والكواهلة ، وكنانة . ص ٣٤ وشهد القرن الثامن الميلادى ميلاد دولة قوية فى منطقة المراعى بين النيل والنيجر وتقع تماما فى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد٠٠ وعلى الرغم من هجرة كثير من القبائل العربية الى هذه البقعة فان قمة هذه الهجرات كانت هجرة الأسر السيفية التى تنتسب الى « سيف بن ذى يزن » واستطاعت الوقوف على قمة الأحداث هناك ، وان تنتهج اسلوبا جديدا من اساليب الحكم ، يتمثل فى تجميع الحكم فى يد مجلس شورى مكون من اثنى عشر شخصا من الأسرة الحاكمة، ثم يرفع المجلس هذه القضايا بدوره الى السلطان ص ٤١ ٠

وقد استطاع الداعية الاسلامى « عبدالله بن ياسين » ان ينشر الاسلام فى الممالك الزنجية وخاصة منطقة غانة التى تقع بين اعالى نهر النيجر ونهر السنغال . وأقبل الوطنيون على الدخول فى الاسلام وأصبحت المساجد كالأعلام التى تتقدم دائماً والتى تمثل فى الوقت ذاته الحدود السياسية لتقدم الاسلام فى افريقية . وما أسرع ما كان يحتل الاسلام النفوس قبل الأرض بسماحته وبساطته وملاءمته لاحتياجات الانسان الافريقى ص ٤٨ ٠

وبعد أن يشرح المؤلف كيفية انتشار الاسلام فى «مالى» يخرج الى القول بأن البربر قد أدوا للاسلام خدمات جليلة حيث قاموا بنشر الاسلام واوصلوه الى قلوب الافريقيين على الضفة اليسرى لنهر النيجر حيث اسسوا لأنفسهم دولتهم الاسلامية المعروفة باسم « صنغاى » ثم يتحدث الكتاب بعد ذلك عن انتشار الاسلام فى الهوصة جزء من « نيجريا الحالية »ثم عن دولة الفلانى التى يقال عن اهلها أنهم من صعيد مصر وصلوا الى « نهر الجمبيا » فى نيجريا الشمالية الآن ثم دولة « اليوروبا » التى تنتسب الى صعيد مصر أيضا ، والتى استطاعت تثبيت الحدود الاسلامية بذكاء عند داهومى غربا ص ٧١ ٠

وعن دولة « التوكولور » يتحدث الكتاب ص ٧٧ و ٩٧ عن دور الحاج عمر بن أدريس فى نشر الاسلام وتدعيمه فى عدة مناطق مما استقر الأمر على تسميتها الآن باسم ـ غينيا، وجابون وشمال النيجر ووسطه ، وبما اصطلح على تسميته بامبراطورية «التوكولور» التى كانت تعمر تلك المناطق الشاسعة من فوتا الى « تمبكتو »



وبعد : فمن كل ماتقدم نستطيع أن نشعر بعمق التغيير الانسانى والحضارى الذى قامت به الحضارة العربية الاسلامية فى افريقيا واذا نظرنا الى الاحصائيات الحديثة لمسلمى افريقيا نجد أن عددهم اليوم يتراوح بين ٨٥ و ٩٥ مليونا من المسلمين اى بنسبة ٣٤ او ٣٥٪ تلك النسبة التى تكاد على وجه التقريب تبلغ حوالى ثلث سكان القارة ٠ والدول الاسلامية التى يتخذ فيها الاسلام طابع الأغلبية المطلقة والذى يصبح فيها تلقائيا ـ الدين القومى ـ كثيرة تبلغ اثنتى عشرة دولة مستقلة فى افريقيا الشمالية ، هى الدول العربية الست ثم دول الصحراء والساحل مثل ـ موريتانيا ، ومالى ، والنيجر ، والصومال ، والسنغال ، وغينيا ٠ ومن

الملاحظ انها جميعا ـ عد الصومال ـ تمثل كتلة واحدة متصلة ، مشتركة الحدود ، والصومال تنفرد بميزة خاصة هي أن ٩٩ ٪ من سكانها مسلمون ، وفي نيجيريا الشمالية ٠ حوالي ٨٠٪ مسلمون ويبلغ المسلمون نصف سكان أثيوبيا ٠ وفي شرق افريقيا ، وفي موزمبيق ما يقرب من ثلاثة ملايين مسلم .

***

انني أريد هنا أن أقول ٠٠

انه على الرغم من ضخامة هذا العدد من الدول والنسبة العددية للسكان فان الاسلام وقيم الانسان الافريقي النضالية والحضارية مهددة الآن أكثر من اى وقت مضى بفعل الطرق المتعددة لأنواع التآمر الاستعماري على شعوب القارة التي تأخذ من شبكات التبشير المنتشرة في جميع انحاء القارة وسائل دنيئة للتفرقة بين ابناء الشعب الواحد .. ولعل الذي دفعني الى قول ذلك هو تلك الأصوات المريضة العميلة التي تحاول تجزئة جزء حيوى وهام من أجزاء وطننا وهو السودان ٠٠ بدعوى أن شعب السودان في الشمال تقوم وحدته أساسا على عنصرية عربية واسلامية ٠٠ ولا نستطيع هنا الا أن ننقل لأولئك الذين جعلوا من انفسهم عملاء غير شرفاء للقوى التبشيرية الاستعمارية في جنوب السودان ووسط افريقيا قول « جريشفل » وزير الدولة في حكومة الشهيد باتريس لومومبا مما يؤكد القيم العربية الانسانية ، حيث قال في تصريح له : (نشر قبل ذلك في كتاب شخصيات افريقية للشاعر عبده بدوى) يقول :

« لقد زور البلجيكيون كل شيء في الكونغو ، فليست مدينة « ستانلى فيل » سوى مدينة « تيبوتيب » الذي اقام هذه المدينة قبل قدوم الرحالة « ستانلى » وليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق . وانما هم تلك الموجة الانسانية التي اختلطت بنا ، وصاهرتنا وتركوا لنا لغة متولدة من لغتهم ، ودينا وحضارة وسماحة تسوى بين الناس كما تركوا على ارضنا دماءهم والبلجيكيون يحصدونهم بالأسلحة الحديثة . وليس شيء أمر علينا من هذا الدم العربي الذي سال في الماضي كما سال ويسيل دمنا الآن في بلادنا على أيدى أعداء العرب في القرن الماضي انفسهم » ان الحضارة العربية الاسلامية بمحتوياتها الانسانية التقدمية المعاصرة أبعد ما تكون عن العنصرية التي يتشدق بها عملاء الاستعمار في جنوب السودان ، ونحن نعتقد أن المشاركة الايجابية لحركتنا العربية الواحدة في دعم قضية النضال المشترك ضد الاستعمار ومخلفاته في افريقيا ـ تحتم على كل من يهمه امر القضاء على الاستعمار واعوانه في قلب قارتنا أن يسارع فورا لوقف هذا التآمر المقنع تحت ستار ارساليات التبشير المدمرة للوحدة الافريقية والوحدة العربية ـ الظهير القوى لكفاح الشعوب في كل مكان ٠ اننا لسنا ضد المسيحية ولكننا ضد اولئك الذين يستخدمونها لأغراض استعمارية تخدم مخطط السيطرة الاقتصادية للاستعمار العالمى .. ضد اولئك المبشرين الذين يقرون اعمال القتل بالجملة وذبح النساء والأطفال عن طريق مرتزقتهم في الكونغو ، وضد أولئك المبشرين الذين يحاولون تمزيق الوطن الواحد لصالح قوى الاحتكار العالمى.. ونحن نعتقد أن الدين المسيحى ليس هو هؤلاء الخارجون عليه من المبشرين في افريقيا وانما نعتقد أنهم مجرد دمى تتحرك تحت ستار الدين لصالح أسيادهم المستعمرين ، ونقول هذا الآن لنؤكد أنه قد اصبح ضروريا للحركة العربية الواحدة ان تنظر بعين الاعتبار والأهمية الى كل محاولات التجزئة والتفتيت سواء ما يبرز منها الآن على السطح وما هو منتظر لأوامر قوى خارجية تحركه بل أدعو أن تتقدم الحركة العربية الواحدة بقدرتها الذاتية وبما تملكه من مقدرة تفوق كثيرا مقدرة الجزء الواحد على الحركة الفعالة لتأخذ زمام المبادأة لاسكات مثل هذه الحركات الانفصالية الصغيرة ، حتى لا تكون جبهات جاهزة لفتحها ضد حركة شعبنا ونضاله في اى وقت يشاؤه لها أسيادها الاستعماريون ٠

تحسين عبد الحى

كتب جديدة

يقدمها: أحمد عبد الصمد دياب

تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة
تاليف : عبد الرحمن الرافعى

لقد غطى الاستاذ عبد الرحمن الرافعى الفترة الحديثة بكتبه التاريخية ، مما تعتبر معه مرجعا لا يستطيع اى باحث الاستغناء عنه ، وبعد أن قام بهذه التغطية نراه يقفز قفزة كبيرة عبر التاريخ فيقدم لنا هذا الكتاب ذاكرا أن عظمة مصر القديمة هى التى دفعت به دفعا الى أن يقف عندها هذه الوقفة ، ثم نراه يقول :

« ان الحركة القومية كما قصدتها وعنيتها هى الجهود التى بذلها الشعب المصرى بمختلف طبقاته فى سبيل تكوين مصر الحرة المستقلة والذود عن كيانها والدفاع عن استقلالها والثورة على كل من يعتدى على هذا الاستقلال ومقاومته».

وهكذا يثبت المؤرخ الكبير ان تاريخ مصر كله مشرق ومضىء ، وممتلىء دائما بالحرية ، او البحث عن الحرية .

« فى مرقص الظلال »
تاليف : كامل سعفان
الناشر : دار الهلال

يعرفنا الشاعر نفسه فى لمحات سريعة بكتابه فيذكر انه صورة صادقة لأحاسيسه التى استطاع أن يلتقط من خلالها نسيج وجوده ، بالاضافة الى اثر المشاكل الاجتماعية التى كان لها أثر كبير على نفس الشاعر ، وقد قال كلمة ذكية هى :

«انه ليس الهدف من نشر هذه المجموعة مجرد اعلان ميلاد شاعر ، وانما هو الاتصال بالنقاد فى صورة تمكنهم من ان يقولوا اين تقف قدماى »

ترى هل يستجيب النقاد لهذه الدعوة من الشاعر الذى يقول فى قصيدة « يا بنى العزيز » :

نحن شعب يهز راحتنا المجد
ونصبو الحياة حين نسود

صراع فى سبيل القومية العربية
تاليف : سامى الكيالى
مطبعة الشرق بحلب

يحدد المؤلف ماهية الكتاب فى مقدمته التى يقول فيها «ان هذه الكلمات فى السياسة القومية كتبت فى مناسبات مختلفة ، تقوم بنشرها لا لأنها تصور الأحداث التى مرت بالوطن العربى خلال صراعه الطويل مع الاستعمار ، ولكن لانها تصور الكثير من الهواجس القومية ، وترمز الى الكثير من الانتفاضات والثورات والانتصارات التى انتهت بنا الى خلق «الكيان العربى».

والكتاب يركز على قضية فلسطين تركيزا كبيرا ، ويرى انه قد مضى الكثير من الوقت دون النزول الى معركة فلسطين ، وبخاصة بعد ان رفع الرئيس «جمال عبد الناصر» علما فوق هذه القضية .

تاريخ العلم الحديث
تاليف : روبرت . ر . بالمر
ترجمة : د . محمود حسن الأمين
د . حسن على الذنوب
الناشر : مكتبة الوفاء بالموصل

الكتاب جزءآن فى أكثر من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير ، يتناول الجزء الأول تاريخ أوربا منذ القرون الأولى الى عام ١٧٤٠ م . وهو خمسة فصول يعرض فيها لنهوض أوربا والثورة فى الكنيسة المسيحية ، والحروب الدينية الصليبية ، وتأسيس قيادة أوربا الشرقية .

اما الجزء الثانى فيتناول تاريخ أوربا من ١٧٤١ م الى ١٨١٥ م فى خمسة فصول أخرى يعرض فيها

للصراع من أجل الثروة والامبراطورية والنظرة العلمية الى العالم ، وعصر الاستنارة ، والثورة الفرنسية ، ثم أوربا ونابليون .

والمؤلف أستاذ التاريخ الأوربي في جامعة برنستن بالولايات المتحدة ، والكتاب له أهمية ملموسة ، فقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٠ وأعيدت في الويات المتحدة وحدها سبع عشرة مرة ، وترجم الى العربية أواخر عام ١٩٦٤ .

• الاحوال الشخصية

تاليف : محمد الحسيني حنفي

الناشر : دار النهضة العربية ـ بالقاهرة

الكتاب يقع في ٣٦٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو خاص بحقوق الاولاد والاقارب .

وهو مقسم الى ستة فصول تناول المؤلف فيها بالدراسة ، النسب واسباب ثبوته ، وطرق اثباته ، ونفيه ، واحكام اللقيط ، كما تناول الرضاع ، والحضانة ، والولاية على النفس ، واقسام هذه الولاية ثم نفقة الأولاد والأقارب ، واحكام المفقود ، وآراء بعض المذاهب الفقهية فيه .

• تاريخ الفكر الاجتماعي

تاليف : د حسن شحاته سعفان

الناشر : دار النهضة العربية

يقع الكتاب في زهاء الـ ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وقد قسم المؤلف هذه الدراسة الى قسمين : تاريخ الفكر الاجتماعي ، وعلم الاجتماع ومدارسه ، وفي القسم الأول تناول الفكر الاجتماعي في العصور القديمة ، وعند الشرقيين القدامى ، وعند اليونان القدامى ، وعند الرومان ، وفي العصور الوسطى ، والاسلامية ، وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر ، والنظريات والمذاهب فيها .

أما القسم الثاني ، فقد تناول المؤلف فيه تاريخ علم الاجتماع في فرنسا ، ومدارس أوجست كونت ، ولوبون ، وأميل دوركايم ، كما تناول ايضا علم الاجتماع في انجلترا : المدارس التطورية والنفسية ومدارس البحث الاجتماعي ، ودراسة الاجناس والثقافات ، وعلم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي المانيا والشعوب الجرمانية ، والمدارس الاجتماعية الألمانية الحديثة والمعاصرة ، ثم علم الاجتماع في الدول الأخرى ، وفي ايطاليا وبلجيكا ومصر .

احمد الصادق عبد الصمد

أخبار

● مجلة الرسالة دراسة تاريخية وفنية ، من عام ١٩٣٢ الى ١٩٥٢ موضوع رسالة ماجستير يعدها الزميل الصحفي محمد سيد محمد ، يشرف على الرسالة الدكتور عبد اللطيف حمزة استاذ الصحافة بجامعة القاهرة ، يشمل البحث الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي عاصرتها مجلة الرسالة ودراسة الناحية الفنية الصحفية من طباعة واخراج وتحرير واعلان وفصل عن سيرة الاستاذ الزيات صاحب الرسالة ورئيس تحريرها ثم فصل عن الدور الذي لعبته مجلة الرسالة في الفكر العربي من ادب وفنون وعلوم .

● يصدر قريبا وفي مجلد واحد شعر المرحوم عباس محمود العقاد الذي نشر في عدة دواوين منفصلة ـ سيصدر ـ المجلد على نفقة الأستاذ عامر العقاد .

● تسلم الأديب فاروق منيب ـ كاس القباني للقصة ـ عن مجموعته القصصية زائر الصباح . وكان ضمن برنامج تسليم الكاس القاء تقرير مفصل عن نشاط الندوة في العام الماضي .

● يصدر العدد الاول من مجلة «الوعي الاسلامي» التي تصدرها وزارة الأوقاف بدولة الكويت في أول العام الهجري القادم ـ يراس تحريرها الاستاذ **عبد المنعم النمر** المفتش بالازهر .

والهدف من هذه المجلة ان تقف الى جانب شقيقتها «العربي» ولكن في المحيط الاسلامي ، وان تقدم زادا طيبا خصبا من الثقافة الاسلامية الناضجة مع اختيار الاقلام النظيفة الواعية ، وان تجابه التيارات المنحرفة التي تتربص بالفكر الاسلامي في كل مكان .

هذا وقد اختارت وزارة اوقاف الكويت الاستاذ **محمد عبد الله السمان** ليكون وكيلا عنها بالقاهرة . لمدها بالمقالات الاسلامية من الكتاب المعروفين في المحيط الاسلامي .

والرسالة : تتمنى للزميلة القادمة توفيقا في مهمتها وهديا في رسالتها .

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر



الدار المصرية للتأليف والترجمة

خلال شهر إبريل ١٩٦٥ السلاسل الآتية

المكتبة الثقافية
العدد ١٣٠
١٩٦٥/٤/١

التفكير عند الإنسان

تأليف: الدكتور أحمد فائق

الثمن قرشان

تطلب من الباعة ومن دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ١٩ – ٢٦ يوليو ت { ٥٥٠٣٢ ٧٧٧٤١

مجلة الفكر المعاصر
العدد الثاني
١٩٦٥/٤/٣

فكر مفتوح لكل التجارب

تلاحق اتجاهات الفكر في العالم وتضع القارئ في تيار عصره ....

رئيس التحرير: د. زكي نجيب محمود

الثمن ٥ قروش

تطلب من باعة الصحف ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي ت: ٤٦٣٨٣

روائع المسرح العالمي
العدد ٦٠
١٩٦٥/٤/٤

مينا فون بارنهلم

تأليف: جوتهولد افرايم ليسنج

ترجمة وتقديم: د. مصطفى ماهر مراجعة: د. محمد محمد القصاص

الثمن ٥ قروش

تطلب من الباعة - ملتزمي التوزيع في الداخل والخارج (مكتبة الخانجي) ت { ٩١٥١٤٨ ٩٠٦١٤٨

تراث الإنسانية
العدد ٤ من المجلد الثالث
١٩٦٥/٤/٥

سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الانسانية

الثمن ٥ قروش

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي ت: ٤٦٣٨٣

أعلام العرب
العدد ٤٠
١٩٦٥/٤/٧

الجويني إمام الحرمين

للدكتورة: فوقية حسين محمود

الثمن ٥ قروش

يطلب من الباعة ومن مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي بالفجالة ت { ٩٠٨٩٢٠ ٩٠٥١٤٧

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى



قد تناول هذا الموضوع الدكتور « ناصر الدين الاسد » فى مجلة «الآداب» فبين ان الامم كلها ، مهما تكن فلسفتها الاجتماعية والاقتصادية تحرص اشد الحرص على تراثها وتبذل جهودا كبيرة لاحيائه ونشره وبثه فى نفوس ابنائها ، بل ان بعض الامم الحديثة تفتعل لنفسها تراثا تجمع اجزاءه تجميعا وتنفخ فيه لتتم له صورة تفىء اليها الامة ، وتنطلق منها ثم يشير الدكتور «الاسد» فى نفس الوقت الى انه لا بد لنا من ان نفتح النوافذ كلها كلها لتستقبل النور والهواء ، على ان نرى النور باعيننا لا باعين غيرنا وان نتنفس الهواء برئاتنا لا بالرئات التى تصنع لنا ، كما ان علينا كذلك ان نفتح هذه النوافذ ونغلقها حين نريد لا حين يراد لنا .

ومن اجل هذا يؤكد أن كل تجديد فى الأدب والفن عامة يجب أن يكون متسقا مع طبيعة حياة الامة وروحها ، اذ أن التطور فى الادب ينبع من تطور المجتمع وفى نفس الوقت يكون عاملا من عوامل تطور المجتمع تطويرا سليما ، دون ان يفصله عن جذوره ويقطعه عن اصوله ويعريه عن اصالته .

● **شعر الملاحم**

وكتبت مجلة « الاقلام » العراقية بحثا عن شعر الملاحم كتبه « جمال الدين الآلوسى » تناول فيه شعراء الملاحم وعد من هؤلاء الشعراء «اسعدى الشيرازى» الذى نظم مطولة نشرت فى مجلة القبس ١٩٢٢ ، تصف ما اصاب بغداد واهلها من قتل وتشريد اثناء هجوم التتار عليها بقيادة «هولاكو» ومضى الباحث متحدثا عن نكبة فلسطين التى هزت الامة العربية هزا عنيفا وتجاوب لها الشعر وتفاعل مع احداثها الشعراء حتى نتج عنها كثير من الملاحم واشار الى أن من أروع ما قاله الشعراء عن حرب

● **الأدب والوحدة العربية :**

نشرت الدكتورة « سهير القلماوى فى العدد الممتاز من مجلة «الآداب» مقالا تحدثت فيه عن دور الادب فى معركة التحرر والبناء فأشارت الى أن الادباء يتطلعون ، الى دور الأمة الواحدة وقد اطلقت طاقاتها الحرة لتؤدى مرة أخرى رسالتها الفريدة فى تقدم الانسانية ، فيؤلفون بوحى من هذا شعرا ونثرا ، هذه الآفاق لا تشغلهم عن تصوير الواقع القريب لهذا الاتجاه الواقعى الذى فرضته النكبة ، والذى مازال سائدا يصور الواقع الداخلى لكل قطر ويحدد مراحل البناء ويركز بطبيعة الحال على الفرد العربى اينما يكون على الأرض العربية ، ليعرف ماذا هو ، والى اين يسير ؟

لقد فتح الفرد العربى نوافذ الثقافة كلها على مصراعيها وراح ينهل بنهم من قد حرم طويلا فاحس كيانه احساسا جديدا ، ويرى فى نفسه صفات الانسان العربى القديم ، بكل ما فيها من طاقة وقوة مذكرة اياه بأجداده الذين فتحوا ليعمروا ولينشروا السلم والأمن والحضارة والرخاء ، وفتحوا قلوبهم وعقولهم للانسانية كلها دون تعصب أو تحزب ليبلغوا أقدس رسالة وليحيوا وليحيا معهم الجميع دون تمييز نحو أرفع المثل الانسانية وأسماها .

● **التراث والمجتمع الجديد**

كانت مسألة التراث من المسائل الهامة التى لقيت عناية كبيرة فى مؤتمر الادباء العرب بالعراق

فلسطين تلك «الملحمة» التى أصدرها الشاعر الفلسطينى محمود الحوت ١٩٥١ ، وقد استشهد الباحث بنماذج مما هذا الشاعر متددا بخيانات الحكام والمؤامرات التى حيكت حول هذه القضية، يقول الشاعر :

فى الحرب تفنى جماعات مقاتلة
فما لآلافنا فى السلم قد هلكوا
ضاعت فلسطين و (السبع) ليس لها
الا البهارج فى الاقوال معترك
يا امة فى ظلام الليل هاجعة
قد طال ليلك فليهنا بك الحلك

ويمضى الباحث مبينا ان من الشعراء الذين نظموا الملاحم فى نكبة فلسطين الشاعر السورى بولس سلامه الذى نظم ملحمة طويلة عن فلسطين سنة ١٩٤٨ عنوانها « فلسطين واخواتها » ، كما أصدر الشاعر اللبنانى محمد شمس الدين ملحمة سنة ١٩٥٠ بعنوان «النازحة» ، كما ان الشاعر البحرانى «ابراهيم العريض» نظم ملحمةبعنوان ارض الشهداء ثم يكمل المقال بالحديث عن هذا النوع من الشعر فى الجمهورية العربية المتحدة . التى ظهرت فيها ملاحم بعد ـ محرم ـ منها ما هو سياسى ومنها ما هو دينى ، ومنها ما هو اجتماعى .

ويقول الباحث ان من أجود هذه الملاحم ملحمة «أمير الأنبياء» للشاعر عامر محمد بحيرى التى نشرت عام ١٩٥٤ وتتناول حياة الرسول من مولده الى انتقاله الى الرفيق الاعلى فى ١٢٠٠ بيت سار فيها على بحر الوافر والتزم فى كل عشرة ابيات رويا واحدا ، كما ظهرت لنفس الشاعر ايضا ملحمة تقع فى ٢٤٠٠ بيت بعنوان «ملحمة الجلاء» سنة ١٩٦٣ صور فيها الاحداث السياسية التى مرت بها مصر من ثورة ٢٣ يوليو الى انتصار العروبة على الغزاة المجرمين .

ومع ان هذا البحث من أمتع البحوث التى تناولتها مجلة «الاقلام» الا انه كان فى حاجة الى ذكر نماذج ولو يسيرة للاحم هؤلاء الشعراء الذين تعرض الباحث للحديث عنهم . ولعل اعتذاره عن ذلك بطول البحث يرينا مبلغ الفائدة التى تعود على القارىء من ذكر هذه النماذج وقد كان من الاجدر به بدلا من ان يستشهد لشاعر واحد بنماذج كثيرة ان يعطى هؤلاء الشعراء حقهم بالتعرض لنماذج من شعرهم لتتم الفائدة من البحث ويعظم به النفع .

● هزل مجلة «حوار»

لا تزال مجلة «حوار» بين حين وآخر تنشر مقالات غير جادة . وفى العدد الأخير منها مقال وصف فيه نابه « القاهره »، ونشير هنا الى بعض الفاظ وردت فى المقال لنبين الى اى مدى تهدف هذه المجلة من اغراض خبيثة خاصه وانها تصدر عن «المنظمة العالمية لحرية الثقافة» ومما جاء فى هذا المقال عبارة تقول « ولا تزال رقصات البطن ممكنة ، لا فى نادى الهيلتون الليلى ، ولكن فى الأعراس المحلية حيث تهتز ابطون العاريه ، وحيث لا تزال الحرئت على ما هى عليه دائما ، ولايزال بالامكان استئجار الراقصين الذكور الذين يرتدون اثوابا نسائية ، ولهم شوارب مثلما لهم جدائل شعر طويلة ، وحواجب مزججه.

وكما أعطى «الفوازى والحولات» مكانهم فى الباليه الشعبى كذلك طور قراقوز الى مسرح للعرائس».

ماذا تقصد هذه المجلة بنشر هذه السفاسف ، ولعل فى هذا ما يؤكد حقيقة اتصالها بالاستعمار والصهيونية خاصة وان المقال لكاتب انجليزى هو « ديزموند ستيوارت » . وأخيرا : ما رأى كتابنا الافاضل الذين لا يزالون يصرون على التعامل مع « حوار » ؟

● الميثاق ودعوة .. الاسلام :

وفى مقال كتبه حسنى عبد المجيد فى مجلة « منبر الاسلام » عنوانه « دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام » بين فيه أن رسالة الاسلام لا تفرق على الاطلاق فى شمولها بين شئون الدين والدنيا ، اى ان اصلاح سبل معايشتنا فى اطار فلسفة الدين الاسلامى ومن روحه ، تمنحنا طاقات روحية كفيلة بان تدفعنا للارتفاع الى مستوى المسئولية الملقاة علينا تجاه مشاكلنا الداخلية وازاء العدو المتربص بنا وبمصيرنا . ثم يشير الى أن من مزايا الاسلام أنه يستهدف العدالة السياسية والاجتماعية .. ويترك وسائل تحقيق هذه العدالة وفق اطوار الزمان ومصالح الناس ، والاسلام هو الذى وضع القواعد الثابتة لكل مسائل المعاملات فى كل زمان ومكان ، فهو الدين العملى الذى يكفل النجاح المادى والروحى معا لبظل الجماهير المسلمة بالعدالة الاجتماعية بالديمقراطية الحقة . فى الوقت الذى لا يحتمل الاسلام الرجعية على اطلاقها ، فشعاره دائما هو الرقى والتقدم والعمل الخلاق

« محمد العوانى »



رأى للمناقشة

أيهما أفضل فى نشر الخطب الهامة بالصحف تدوينها بالعربية الفصحى أم تدوينها كما ألقيت ؟

للدكتور علي عبد الواحد وافي

كثيرا ما يؤثر بعض زعمائنا السياسيين القاء كلماتهم العامية باللهجة العامية ، حينما يكونون فى موقف شعبى لايحسن فيه اصطناع الخطابة التقليدية ولا استخدام أدواتها الفصحى ، وحينما يريدون أن تكون كلماتهم أدنى الى الحديث العادى الذى يجرى به التخاطب بين الناس بعضهم مع بعض ، وان تكون خالية من جميع سمات الاعداد والتزويق ومحاولات التأثير فى الوجدان ببلاغة التراكيب . ولا تثريب عليهم فى مثل هذه الأحوال فى التحدث بالعامية ، بل لعل ذلك هو ما يقتضيه المقام ويحسن به حينئذ ايصال الحقائق الى الأذهان .

غير أن جميع صحفنا اليومية المصرية تحرص على تدوين كلماتهم وجملهم بصورها العامية التى صدرت عنهم . ولا شك أن فى ذلك مزية تسجيلها حرفيا بالصورة التى ألقيت بها ، فلا يكون ثمة مجال للتزيد ولا للتاويل . ولكن مزايا هذه الطريقة — على ما يبدو لى — ليست شيئا مذكورا بجانب ما تنطوى عليه من مثالب :

فمن أهم مثالبها أنها تسىء اساءة كبيرة الى مقومات الكتابة والى جمهور القارئين من المصريين ، وتحدث أمام الناطقين بالعربية فى بقية أرجاء الوطن العربى صعوبات كثيرة تحول دون فهمهم لكلام هؤلاء الزعماء فهما كاملا صحيحا ، وتمكن العامية فى ميادين الادب والثقافة .

وذلك أن أعيننا قد اعتادت صور الكلمات العربية الفصحى فى الكتابة ، ومن ثم لا نجد صعوبة فى قراءتها وفهمها ولا نقضى فى ذلك وقتا طويلا . فلايلافنا هذه الصور نعرف الكلمة بل الجملة بمجرد وقوع أبصارنا على بعض أجزائها ، بدون حاجة الى استقراء جميع هذه الأجزاء . وفى ذلك اقتصاد كبير فى الوقت والمجهود . ولكننا غير معتادين النظر الى صورها مكتوبة باللغة العامية ، فنحتاج حينئذ الى قراءة جميع حروف الكلمة وجميع أجزاء الجملة حتى نقف على مدلولها . وفى ذلك اسراف كبير فى الوقت والمجهود . وهذا فيما يتعلق بالقارىء المصرى فى المنطقة التى يتكلم بلغتها العامية . أما فى بقية بلاد الوطن العربى فان القارىء بعد أن يجهد نفسه فى قراءة هذه الكلمات قد يصعب عليه فهم مدلولها ومدلول جملها ، لأنه لايستخدمها فى لهجته العامية . فالعراقى والمغربى مثلا حينما يقرآن جملة كهذه : « وكمان أنا بدى برضه أأولكو والله حاجه » ، لايفهمان منها شيئا ، لغرابة كلماتها عن عاميتهم . على حين أننا حينما نكتب العبارة السابقة فى هذه الصورة : « واننى لأحب كذلك أن أتحدث اليكم فى أمر آخر » ، يفهم مدلولها جميع أهل البلاد العربية ، ويقضى القارىء فى قراءتها نحو نصف الوقت الذى يقضيه فى قراءة الجملة الأولى اذا كان مصريا ، وأقل من ربع هذا الوقت اذا كان غير مصرى ، ويكون لها من

الروعة وحسن الوقع عندهم جميعا ما لا يكون شيء منه لمرادفها من العامية . ومثل هذا يقال في خطبة زعيم عراقي مثلا يلقيها باللهجة العامية العراقية أو زعيم مغربي يلقيها باللهجة العامية المغربية — وفضلا عن هذا كله فان الصحف باستخدامها العامية في كتابة هذه الخطب الهامة تعمل من حيث لا تشعر على زحزحة العربية الفصحى عن أهم مواطنها ، وتمكين العامية في ميادين الأدب والثقافة ، وتيسير الوسائل لتحقيق تلك الاتجاهات الشعوبية الآثمة التي ترمي الى احلال العامية محل العربية الفصحى .

« دكتور على عبد الواحد وافى »

رسول السلام والحرية
اسماعيل محمد الجوهرى

أرسل الينا الاديب اسماعيل محمد الجوهري رسالة عن قصيدة للشاعر عفيفي محمود ، تقول الرسالة ان .

● « رسول السلام والحرية » اسم القصيدة التي نظمها الدكتور عفيفي محمود وسلمها لجريدة الأهرام لكي تنشر يوم الاستفتاء على رئاسة الجمهورية .. الغريب في الموضوع ان القصيدة ألغيت بعد جمعها .. !!

وفي مطلع القصيدة يقول الشاعر :

التحيات عاطرات زكية   لرسول السلام والحرية
من احلته في الحنايا بلادي   بالقرته في العيون الرضية
بوأته القلوب صرحا منيعا   رب صرح من القلوب الأبية
قد سرت فرحة الملايين من اسوان   تطوى المدى الى اللاذقية

● يؤكد الكثيرون ان اللعنة لم ترفع عن الشعر الأصيل في الأهرام ، وان قصيدة صالح جودت كانت ذرا للرماد ، ولعل الجديد ان قصيدة صالح قد شوهت وحذف منها ما يقرب من عشرين بيتا في اكثر من مكان .

باعث الشرق

للشاعر محمد عبد المنعم سالم

اقم للشرق حصنا لا يسامى   واحكم في قيادته الزماما
وكن في يوم عسرته اباه   فقبلك عد في سلك اليتامى
وقدما كانت العلياء تعنو   لعزته وتحتشم احتشاما
ومرت حقبة جمعت عليه   جنود الشر تحتدم احتداما
فعاثوا فيه افسادا وبغيا   ولم يرعوا لحرمته ذماما
فكم مستعمر اشقى بنيه   وسدد في قلوبهم السهاما
ومهما امتص من دمهم سقاهم   من الاذلال جاما ثم جاما
وما زالت به الظلمات حتى   طلعت بافقه بدرا تماما
فلما جئت جاءهم بشير   فبدد من طريقهم الظلاما
جمعت العرب في صف قوى   تجاوز مصر والتطم الشاما
واضحى في العراق له امتداد   وفي اقصى عروبتنا استقاما
وفي سورية زارت اسود   وفي يمن تباح البغي ناما
وفي قلب الجزائر هب قوم   ازالوا عن عروبتنا السقاما
جمعتهم على حق صراح   وقدتهم فكنت لهم اماما
وكم بين الائمة حين ضحوا   وبين ائمة كانوا لئاما
مضوا يعطون صبحا ثم امسوا   احتلوا البغي واقترفوا الحراما
فحلت لعنة الدنيا عليهم   وكان رحيلهم عنها لزاما
صنعت الدولة الكبرى بعزم   وقمت بها فاحسنت القياما
فلا خوف عليك ولا عليها   فبالايمان تحيوها الوئاما
فما قصف المدافع منك اقوى   ولا تلقى كعزمتك الحساما
فان يكن السلام تكن سلاما   وعند الحرب تضرمها ضراما
احب الشعب حكمك اذ رآه   بنور الحق ينتظم انتظاما

فيم الاستفتاء

للشاعر فرحات عبد الخالق

قل لي — بربك — فيم الاستفتاء
الشمس تسطع ، والضحى وضاء
العرب تعرف : من هو الرجل الذى
يحمى لواء العرب ، وهو لواء
العرب تعرف : من هو الرجل الذى
من كفه تتدفق النعماء
بطل القناة ، وما روت من قبلها
او بعدها للعالم الأنباء
انباء (عبد الناصر) البطل الذى
تجرى الأمور ، كما يرى ويشاء
هو ملهم : حتى كأن فعاله
وحى السماء ، وانهن قضاء



الوحدة العربية انبثقت هدى
من اصغريه ، وكلها اضواء
الوحدة العربية انهمرت ندى
من راحتيه ، فاهلها سعداء
هو باعث الايمان بين قلوبهم
ومحقق الآمال ، وهى هباء
ومؤجج النيران ، في وثباتهم
ولعزمهم ولمجدهم بناء
ولطالما كشف الغطاء عن التى
في طيها ما تنفث الرقطاء
خدع تحاك لكيدها ، لكنها
عين الرئيس بصيرة نجلاء
اختاره شعب العروبة ، قائدا
لصفوفهم ، وجميعهم نصراء

قروية في روما

قصة من تأليف البرتو مورافيا

ترجمة الدكتور: الطاهر أحمد مكي

... وازاء اصراره قلت له :

ـ كن على حذر يا استاذ ، انهن فتيات ساذجات من القرى ... كن على حذر مما تفعل ، من الخير ان تبحث عن واحدة من روما ، فتيات مقاطعة « شيو شياريا » ريفيات ، فلاحات ، جاهلات !

وقعت منه الكلمة الاخيرة موقع الرضا فامسك بها :

ـ جاهلة ! ... ذلك ما اريده ، لن تقرا على الاقل قصصا ، اريدها جاهلة !

كان الاستاذ رجلا شيخا ، أشيب الشارب واللحية ، يعمل في مدرسة ثانوية ، لكن دراسة الآثار تاتي في المقام الاول من اهتمامه، كل يوم أحد، وفي الايام الاخرى متى وجد الى ذلك سبيلا ، يذهب الى شارع «أبيا» ، او المنار الروماني ، او منطقة « تيرماس دى كراكلا » ، يدرس آثار روما ، وفي داره تتراكم المؤلفات عنها ، كما لو كانت مكتبة ، تبدأ من الصالة حيث يوجد عدد كبير منها ، مخبأ وراء الستائر الخضراء ، ثم تتوالى تملأ البيت كله، في الممرات وفي الحجرات ، لا يخلو منها مكان غير المطبخ والحمام . وكان يحافظ عليها اكثر من انسان عينيه ، ومسكين ذلك الذي يجرؤ على مساسها ! ؛ ومن الصعب أن يعتقد المرء انه قرأها كلها ، على اى حال كما نقول نحن في« شيو شياريا » انه لم يشبع نهمه منها بعد ، وعند ما لا يعمل في المدرسة، او يعلم في البيت ، او يدرس الآثار الرومانية ، يذهب الى حوانيت الكتب القديمة ، ثم يعود وتحت ابطه ربطة منها ، كان يجمع الكتب كما يجمع الغلمان طوابع البريد ، وكان تلهفه للحصول على فتاة من قريتي لتخدمه يبدو لي غامضا ، كان يقول : انهن اكثر شرفا ، واقل أحلاما ، وان الفلاحات يفتنه بوجناتهن التي في لون التفاح الأحمر ، وأنهن يجدن الطبخ ، ولم يكن يمضي يوم دون ان يطل براسه في حجرتي سائلا عن تلك الفتاة ، من «شيوشياريا» وجاهلة ، فلم أجد بدا من الكتابة الى صديق لي في القرية ، فرد على بان لديه بالدقة ما اريده ، فتاة من « فاليكروسا » تدعى « تودا » لم تتجاوز العشرين عاما ، لكن الصديق حذر في رسالته قائلا: ان لتودا هذه عيبا : انها لا تعرف القراءة والكتابة ، فاجبته : ذلك عين مايريده الاستاذ ، فتاة جاهلة !

ذات ليلة وصلت « تودا » الى روما في رفقة صديق ،وقد ذهبت الى المحطة لاستقبالها ، وفهمت للنظرة الاولى أنها « شيوشيارية » أصيلة ، واحدة من أولئك الفتيات القادرات على العمل في الحقل طوال يوم كامل دون ان يتوقفن لحظة واحدة لاسترجاع قواهن ، او السير في الطرق الجبلية يحملن فوق رءوسهن سلة زنتها خمسون كيلو ، موردة الوجنتين ، كما يحب الاستاذ ، شقراء شعرها مسدلة على صدرها ، سوداء الحواجب ، مقرونة، مدورة الوجه، تبدو أسنانها عندما تضحك بيضاء ملتصقة، كانت بلا شك تسوكها، كما تعودت النساء في «شيوشياريا» ، بورق الخبيز ، لم تكن ترتدى نفس زى النساء هناك ، لكن كان لها طريقتهن في المشي ، تدوس الارض بشكل باطن قدميها ، لا تستخدم احذية ذات كعب عال ، ولها سيقان قوية تبدو جميلة وقد احاطت بها الشرائط التي تشد صندلها ، من ذلك النوع الذى تلبسه الفلاحات في قريتها .

كانت تحمل سلة قالت لي : انها خاصة بي ، فيها شيء من البيض الطازج ، مسند على قش ، ومغطى بورق التين ، فرددت عليها بأن من الافضل أن تعطيها للاستاذ لتدخل البهجة على نفسه ، فاجابت :

انها لم تفكر فيه ، لانها ـ تتصوره نبيلا ـ يملك بلا شك مزرعة دجاج في بيته . فضحكت كما كنت افعل ذلك بين كل سؤال لها وآخر ، وفي الترام الذي حملنا الى البيت ادركت انها بدائية حقا ، لم تر في حياتها قطارا أو تراما أو بيتا ذا طوابق ستة ... جاهلة تماما كما يريدها الاستاذ !

وصلنا البيت ، فصحبتها اولا الى حجرتي لكي اقدمها الى زوجتي ، ثم اخذنا المصعد سويا الى شقة الاستاذ ، ففتح لنا الباب بنفسه ، فلم يكن لديه خدم ، وكانت زوجتي في العادة تذهب لتنظف له الشقة ، وتعد له القليل من الطعام الذي يأكله ، ولم تكد تدخل حتى غمزته « تودا » بالسلة في يده قائلة :

ـ خذ يا أستاذ ، لقد أحضرت لك بعض البيض الطازج !

فقلت لها :

ـ لا تخاطبيه بضمير المفرد ، وانما بضمير الجمع.

لكن الاستاذ ، على العكس مني ، شجعها : يمكن أن تقولي لي : انت ، يا ابنتي ، وفي الحال توجه الى يشرح لي : كلمة « انت » قائلا انها هي الرومانية ، انها تعبير الرومانيين القدامى ، كانوا مثل فلاحي « شيوشياريا » يجهلون مخاطبة المفرد بلفظ الجمع، وينادون في طيبة بكلمة « انت » كل الناس ، كما لو كان الجمع يؤلفون اسرة واحدة . ثم قاد الاستاذ « تودا » الى المطبخ ، كان كبيرا ، يضم فرنا بالغاز، وأواني من الالمنيوم ، وهو في اختصار مزود بكل ماهو ضروري وشرح لها كيف يعمل الغاز، واستمعت له «تودا» صامتة جادة ، وأخيرا قالت في صوت جهوري :

ـ المشكلة انني لا اعرف كيف أطبخ !

وصاح الاستاذ مندهشا :

ـ كيف ذلك ؟ ... قالوا لي انك تعرفين كيف تطبخين !

وردت :

ـ في قريتي كنت اعمل في الحقل ، نعم كنا نطبخ ، لكن ما يكاد يكفي للاكل فقط ، أبدا لم يكن لدي مطبخ كهذا .

ـ اين تطبخين ؟

ـ في العشة .

وقال الأستاذ وقد امسك بلحيته :

ـ طيب ... هنا ايضا تطبخ ما يكفي للاكل بالكاد ، هب انك اردت ان تطبخي ما يكفي للاكل بالكاد ، ماذا تصنعين ؟

ابتسمت وقالت :

ـ اعمل لك شربة باللوبية والمكرونة ، وتشرب كأسا كاملة من النبيذ ، ثم تأكل بعض الجوز ، وقليلا من التين المجفف .

ـ وهذا كل شيء ؟ ، اليس هناك ثانيا ؟

ـ ثانيا ؟ ... ماذا تعني ؟!

ـ طبقا ثانيا بعد الشربة من سمك او لحم .

وضحكت «تودا» من اعماق قلبها :

ـ عندما تأكل طبقا طيبا من شربة المكرونة واللوبية وخبزا ، الا يكفيك هذا ؟ ماذا تريد اكثر من ذلك ؟ ، انا مع طبق من هذا الحساء وخبز أعمل في الحقل طول اليوم ، وانت لا تعمل ...

ـ ادرس ، اكتب ، انا اعمل ايضا !

ـ طيب ، تدرس ... لكن العمل الحقيقي هو مانقوم به نحن .

على اى حال لم ترد ان تقتنع بان من الضروري ان يكون هناك طبق ثان كما قال الاستاذ ، وبعد نقاش طويل انتهى الرأى الى ان تذهب الى زوجتي بعض الوقت ، لتعلمها طريقة استخدام المطبخ . ثم انتقلنا بعد ذلك الى حجرة الخادم ، كانت حجرة جميلة تطل على الفناء ، بها سرير الى جانبه نضد صغير ، وصوان للملابس ، وتطلعت « تودا » حولها وقالت :

ـ سأنام وحدي هنا ؟

ـ مع من تريدين أن تنامي ؟

ـ في القرية تنام كل خمسة في حجرة .

ـ هذه الحجرة لك وحدك .

ذهبت انا اخيرا بعد ان اوصيتها بالانتباه واللطف ، فقد كنت أشعر بانني مسئول عنها امام الاستاذ ، وامام الصديق الذي ارسل بها ، وانا خارج سمعت الاستاذ يشرح لها :

ـ اسمعى ، يجب ان تنفضى الغبار كل يوم من على هذه الكتب ، بهذه المنفضة من الريش ، وهذه الخرقة .

حينئذ سألته هى :

ـ ماذا تعمل بكل هذه الكتب ؟ ، فى اى شىء تنفعك ؟ اجاب :

ـ هذه الكتب بالنسبة لى ، كالفاس بالنسبة لك فى الحقل ، اعمل بها .

فردت :

ـ نعم ، لكن انا كانت معى فاس واحدة

وفيما تلا ذلك من ايام، كان الأستاذ يمر بحجرتى يقص لى اخبارها ، وفى الحق لم يكن رضى النفس بها ،وذات يوم قال لى :

ـ انها فلاحة ، فلاحة حقا ، هل تعرف ماذا فعلت امس ؟

أخذت من على مكتبى ورقة مكتوبة ، واجب أحد التلاميذ ، وغطت بها بعض زجاجات النبيذ .

فذكرته :

ـ أستاذ ، لقد قلت لك من قبل ، انها فلاحة !

فرد :

ـ نعم ، لكنها فتاة طيبة ، خدوم ، فتاة طيبة حقا .

لكن الفتاة الطيبة ، كما كان يدعوها ، لم يطل بها الزمن لتصبح كأية فتاة أخرى ، عند ما تلقت اول راتب لها اشترت حلة من قطعتين ، مما أعطاها مظهر آنسة ، ثم حذاء ذا كعب عال ، وشنطة يد من جلد تقليد جلد التمساح . وأيضا ، وهو مايدعو للأسف ، قصت شعرها ، ولو انها ما تزال بعد ذات خدين محمرين فى لون التفاح ، فقد أبطأ وجهها قبل أن يصبح مصفرا كبقية الفتيات اللاتى ولدن فى المدينة . وهذان الخدان المتوردان كن موضع الفتنة فيها لنا جميعا ، لا للاستاذ فحسب .

عندما رايتها للمرة الاولى مع ذلك الشقى «ماريو» سائق السيدة التى تقطن الطابق الثالث قلت لها :

ـ هذا الطراز من الرجال لم يخلق لك والاكاذيب التى يقصها عليك ، هى مما يقصه لجميع الفتيات !

اجابت :

ـ بالامس حملنى فى السيارة الى «مونت ماريو»

ـ طيب ، وماذا ؟

ـ انه لرائع أن يركب المرء سيارة ، وفضلا عن ذلك ، انظر ما اهداه الى ...

وارتنى اسورة من معدن أبيض لها شكل فيل ، مما يبيعه التجار فى « كامبو دى فيورى » فقلت لها :

ـ كونى على حذر ، انه يريد أن ينال منك ، ومن جانب آخر ، ليس من حقه أن يخرج معك فى السيارة لحسابه ، وسترين اذا علمت بذلك السنيورة ، مرة اخرى كونى على حذر .

ابتسمت «تودا» ، وظلت تخرج مع «ماريو» .

***

ومر اسبوعان ، وذات يوم أطل الاستاذ برأسه داخل «حجرتى» ، وفى صوت خفيض سألنى :

ـ اسمع يا جيوفانى ... هل هذه الفتاة شريفة ؟

أجبت :

ـ بلا شك يا أستاذ ، جاهلة لكنها شريفة .

فرد بلا اقتناع :

ـ جائز ، الواقع ان خمسة كتب ثمينة قد اختفت ، ولا اريد أن ...

قلت له : ليس من الممكن اتهام «تودا» ، وبدون شك ستعثر عليها ، لكنى اعترف بأن الأمر أهمنى، فعزمت على ان أفتح عينى جيدا ، وبعد ذلك بقليل، عصر ذات يوم رأيت «تودا» تدخل المصعد مع «ماريو»، الذى قال لى انه صاعد الى الطابق الثالث ليتلقى أوامر السنيورة ،وكان كاذبا ، لأن السنيورة كانت قد خرجت منذ أكثر من ساعة ، وهو يعرف ذلك . وتركتهما يصعدان، ثم أخذت المصعد بدورى بعدهم، وصعدت مباشرة الى شقة الاستاذ ، كان الباب مفتوحا فدخلت عبر الصالة ، وسمعت حديثهما فى المكتبة ، وادركت اننى لم اخطىء ، وانا مختف رأيت «ماريو» واقفا على مقعد ، ماذا يديه الى الكتب التى فى أعلى رفوف المكتبة ، وهى : القديسة ذات الوجنتين المتوردتين ، تسند له المقعد ، وتصيح به :

ذلك الذى فى أعلى

ذلك السمين ...

ذو الغلاف الجلدى ...

حينئذ اظهرت لهما شخصى ، وصحت فيهما :

ـ جميل ... جميل جدا لكما معا ، لقد

فاجانكما ، ولقد قال هذا لى الاستاذ ، لكنى لم اصدقه ...

هل رايتم قطا ينسحب وقد صب عليه كوز ماء من نافذة ؟ ... كذلك كان «ماريو» ، عندما سمع صوتى ، قفز من على المقعد وهرب ، تاركا اياى مع «تودا» ، وقد تحدثت اليها طويلا، ولو زدت كلمة واحدة على ماقلت لانفجرت باكية ، فان لفتيات «شيوشياريا» هذه الميزة ، استمعت الى مطاطاة الراس دون أن تتكلم ، واخيرا رفعت عينيها ، وكن جافتين ، وقالت :

ــ من الذى يسرقه ؟ انا دائما اعطيه الباقى من ثمن الشراء ولا افعل ما تصنع بقية الطباخات ، عندما يطلبن ضعف مايساويه ثمن مايشترين من الاشياء .

ــ تعسة ، الا تسرقين كتبه ، الا يسمى هذا سرقة ؟

ــ عنده كتب كثيرة !

ــ كثيرة او قليلة لا يجب ان تمسيها ، كونى على حذر ، اذا عدت الى السرقة فسوف تذهبين الى القرية راسا !

لا شىء ! ... لم تعطنى الحق ، ولم توافق على انها سرقت ، لكن بعد ذلك بايام رايتها تدخل حجرتى ، مع لفة طى جنبها :

ــ هذه هى كتب الأستاذ ، ساضعها الآن ف مكانها ، ولن يستطيع أن يشكو .

قلت لها :

ــ حسنا صنعت .

ودار بخلدى ، انها على الرغم من كل شىء فتاة طيبة ، وان الذنب يقع على « ماريو » ، ورافقتها فى المصعد ، ودخلت معها الشقة ، كى اساعدها على وضع الكتب فى امكنتها ، وماكدنا نفتح اللفة حتى دخل الاستاذ ، فقلت له :

ــ أستاذ ، هاهى الكتب ، لقد وجدتها «تودا»، كانت قد أعارتها الى صديقة لها ، لتتفرج على ما بها من رسوم .

ــ طيب ... طيب ، كفاية !

وقبل أن يخلع المعطف او القبعة القى نظرة فاحصة على الكتب ، اخذ منها واحدا وفتحه ، ومالبث أن صاح :

ــ هذه ليست كتبى !

ــ كيف ... كيف ذلك ؟

ــ كتبى فى الآثار !

(ثم تابع قوله وهو يتصفح الأجزاء الأخرى جزءا) وهذه على العكس ، كتب فى القانون !

وسالت «تودا» :

ــ اية مصيبة فعلت ؟

فى هذه المرة احتجت تودا بقوة :

ــ خمسة كتب اخذتها ، وخمسة كتب جئت بها ، ماذا تريدون منى ؟ ودفعت ثمنها غاليا ، دفعت فيها اكثر مما قبضت فى تلك التى بعتها .

كان الاستاذ مبلما ، ودون ان يستطيع الحديث كان ينظر الى كلانا ، فاغرافاه ، بينما تابعت « تودا » الكلام :

ــ انظر ، لهن نفس التجليد او احسن ، انظر ... ولهن نفس الوزن او أزيد ، لقد وزنوهن لى ، ووزنها اربعة كيلوجرامات و ٦٠٠ جرام ، نفس وزن كتبك .

ــ لكن الكتب لا تباع بالوزن كاللحم المجالى ، كل كتاب يختلف عن الآخر ، ماذا اصنع بهذه الكتب ؟ الا تفهمين ؟ كل كتاب يضم شيئا محددا لمؤلف مختلف .

كان من الواضح ان « تودا » لم تفهم ، اذ ردت فى اصرار :

ــ كانت خمسة كتب ، وهى الآن خمسة ، كن مجلدات ، وهذه كذلك ، انا لا افهم شيئا !

وحسما للأمر أرسل بها الأستاذ الى المطبخ قائلاً لها :

ــ اذهبى لتطبخى ، كفاية ... لا تمكننى دمى !

وعندما خرجت الفتاة قال لى :

ــ آسف ، انها فتاة طيبة ، لكنها مغرقة فى الجهل !

ــ كذلك اردتها يا أستاذ .

انها غلطتى !

وبقيت « تودا » فى منزل الاستاذ الوقت الضرورى لكى تجد لها عملا آخر ، ثم وجدته : غاسلة أطباق عند لبان فى الحى ، واحيانا تأتى لتزورنا ، لا تعرض لقصة الكتب ، لكنها قالت لى : انها بدات تتعلم القراءة والكتابة !

« د.الطاهر احمد مكى »



تقديم

اميل جرجس

العمل الفني ما هو الا عملية بناء وتكوين يتم عن طريق الخلق والاحساس الذي يحسه الفنان .. ثم عن مدى تذوق الجمهور لهذا العمل .

ونرى هذا واضحا في اعمال استاذي الكبير الفنان صلاح عبد الكريم .. واذا تكلمت عنه .. فلا يسعني الا ان اقدمه على انه المصور والمصمم والمزخرف والمثال والخزاف مجتمعا كل هذا في شخصيته المستقلة .. فهو يمارس تلك الفنون بطرائق تتجلى فيها البراعة والمقدرة واستيعاب الاساليب الحديثة والتوغل في أسرارها الحرفية .. واستخلاص عناصر التشكيل المناسبة منها .

فاذا اردت أن تتحدث عن جانب من جوانب هذا الفنان تحار عن أي الجوانب تتحدث فكل جانب منها عبقرية وموهبة ناضجة واعماله تمثل الدليل على ذكاء نظريته التشكيلية وقوة التعبير .. فهو يتأمل الطبيعة ويراها .. ثم يترجم عنها في بناء جديد وتشكيل رائع .. تحس بمقدرته من تأملك لهذه الاعمال .

فاذا تأملت تمثال الصناعة او اي عمل من اعماله فلا بد أن تتحدث عن براعته في استخدام أدوات الحياة الحديثة التي ينعكس فيها احساسه بمصدر الآلة في العصر الحديث فهو ينقل البنا افكاره عن طريق قطع الحديد الخردة بجمعها وبلحمها بالاكسوجين فيخلق منها تحفة رائعة حيث ارى كل قطعة تحتل مكانها بدقة وعناية لتؤدي وظيفة تشكيلية معينة .

ان تماثيله المشكلة من الحديد الخردة صامتة لكنها مليئة بالحركة والحيوية الداخلية التي تعتبر اشد تألقا وقوة من الحيوية الخارجية والحركة الظاهرية .

فهو تمثال ساكن لكنه يتحرك .. صامت لكنه يتكلم .

وبعد هذا هو احد فنانينا التي نفخر بهم حركتنا الفنية المعاصرة .. والذي يمثل اتجاها واضح المعالم بين اتجاهات فنانينا المعاصرين .



الاصلاح الزراعي . نحاس مطروق .



صلاح عبد الكريم

- ولد بمدينة الفيوم عام ١٩٢٥
- تخرج من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة بدرجة شرف عام ١٩٤٨
- حصل على جائزة الدولة . اسماعيل . للفنون الزخرفيه عام ١٩٥٢
- درس ديكور المسرح وفن التصوير بباريس من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٥٥
- درس ديكور السينما حيث حصل على دبلومها بدرجة امتياز من المعهد التجريبي للسينما بروما وفن الخزف من عام ١٩٥٥ الى ١٩٥٧
- حصل على جائزة سان فيتو رومانو الدولية للتصوير بروما عام ١٩٥٦
- حصل على ميدالية الشرف الدولية لفن النحت ببينالي سان باولو عامي ١٩٥٩ ، ١٩٦٣
- حصل على جائزة النحت الدولي في بينالي الاسكندرية عام ١٩٥٩
- حصل على جائزة التصوير الدولي لجوجنهايم عام ١٩٦٠
- مثل الجمهورية العربية المتحدة باعمال النحت والتصوير في بينالي فينسيا عام ١٩٥٦ - ١٩٦٠
- عرضت اعماله بايطاليا والمجر والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا وسويسرا ويوغوسلافيا
- اشترك في معرض خريجي كلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١
- اختيرت اعماله الفنية لتمثل الجمهورية العربية المتحدة في معرض سنالي الدول للقرن العشرين بالولايات المتحدة عام ٩٦٣
- يشغل وظيفة استاذ مساعد بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة واستاذ غير متفرغ بالمعهد العالي للفنون المسرحية ومعهد السينما .
- يستعد الآن لعمل معرضه الثاني الذي سيستهل به الموسم الفني في يناير سنة ١٩٦٦ .



الثقافة والارشاد القومى

العدد ٨٩

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج. ع. م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

كيف مهد الأدب للثورة

بقلم : أحمد حسن الزيات

حضارة الانسان منذ وعى ثورة مستمرة ، اذا خمدت فى مكان أو هدأت فى آخر ، فانها تظل مشبوبة فى اكثر بقاع الأرض ، بين القوة والضعف ، وبين الكمال والنقص ، وبين الجدة والقدم ، وبين الحياة والطبيعة . ففى ظهور كل دين ثورة ، وفى قيام كل دولة ثورة ، وفى نشوء كل مذهب ثورة ، وفى طموح كل نفس ثورة . ومظهر هذه الثورات جميعا فى شتى نواحيها ، وفى مختلف دواعيها هو الأدب . فحيثما نجد الأدب نجد الوعى كثيرا أو قليلا على قدره . وحيثما نجد الوعى نجد التقدم سريعا أو بطيئا على حسبه .



وفى ثلاثة ارباع القرن الماضى كان الأدب العربى خامدا لا روح فيه ، وكان الشعب المصرى تبعا لذلك غافلا لا وعى له . كان فى عهد محمد على طماح « قولة » الذى جلس بالخديعة على عرش صلاح الدين فى قلعة القاهرة اشبه بالدواب تساق بالكرباج فتسير ، وتسخر للانتاج فتذعن ، وتجازى بالحرمان فترضى . ذلك لأن ذلك الجندى التركى الأمى الحاكم كان قد قطع مابين قلبها والدين ، وما بين نفسها والأدب وما بين عقلها والعلم . ولم يكن همه الا اعداد الجيش ليملك ، والا جباية المال ليسود . وظل الشعب فى بلادة الحيوان الصابر حتى تفتحت فى الربع الأخير من ذلك القرن بواكير الوعى فى اذهان النابغين من رجال الدين فى الأزهر ، والعائدين من طلاب العلم فى فرنسا . فشعروا اول الناس بالأغشية التى تحجب الأبصار ، وبالعلل التى تخدر المشاعر ، فاشعلوا بعض الضوء فى الظلام الحالك ، وارسلوا بعض الصوت فى السبات العميق . وكان من اثر ما كتب رفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وعبد الله فكرى ، وجمال الدين ، ومحمد عبده ، وعبدالله النديم ، تلك الهزة النفسية التى ادركت بعض قادة الجيش فنهضوا يحاولون تحطيم ذلك النير الثقيل الذى بهظ كواهل الشعب

فرزح تحته ولم ينهض • ولكن ذلك النير او الناف كان فرعا غليظا من تلك الشجرة العلوية الملعونة صفحة الانجليز بالحديد واللهب فلم يستطع عرابى تحطيم توفيق •

خمدت اذن ثورة الجيش الأولى لأن الوعى الشعبى كان من الضعف بحيث لاينهض فضلا عن أن يثور • وظلت ثورة الأدب متقدة تبدد الظلام وتوقظ النيام وتهيىء العدة • فاستمر محمد عبده وهو فى منفاه يكتب فى مجلة « ثمرات الفنون » ببيروت ، ثم فى مجلة « العروة الوثقى » بباريس ، فصولا يعالج فيها تأخر المسلمين وأسبابه بالمنطق القوى والأسلوب البليغ • واستأنف عبد الله النديم جهاده الأدبى فى مجلته «الأستاذ» بأسلوبه العصبى اللاذع •



ثم امتدت ألسنة المستعمرين والمبشرين بالطعن فى مصر والشرق والاسلام فنهض جمال الدين لأرنست رينان ، ومحمد عبده لهانوتو ، وقاسم أمين لدوق داركور ، فدافعوا بالحجج الملزمة ما لفقوا من أباطيل وما شوهوا من حقائق • ثم حملتهم تلك الحملة الاستعمارية على النظر فى تطهير الشرق من هذه المآخذ بتصحيح الزائف ، وتقويم المعوج ، فمضى كل مصلح يتحرى وجوه الاصلاح والتحرير ، فى الوطن ، أو فى الفكر ، أو فى الأدب ، أو فى القضاء ، أو فى التعليم ، على حسب استعداد عقله وطبيعة نفسه • وكانت الأهرام والمؤيد ميدانا لهذه الثورة الأدبية على فساد الأخلاق وسوء العادات وانتشار الأمية وشيوع الجهالة وخمود الحواس ، فظهر فى تلك الحقبة كتاب « الاسلام والنصرانية» للامام ، وكتابا « تحرير المرأة» و « أسباب ونتائج » لقاسم •• ثم نقل احمد فتحى زغلول فى سنة ١٨٩٩ كتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » للكاتب الاجتماعى الفرنسى « ادمون ديمولان » فصادف هذا الكتاب القيم حاجة فى نفوس الأدباء فقرأوه ودرسوه ووازنوا بين مثله الأعلى ومثلنا الأدنى فى التربية والأخلاق والثقافة والحضارة والنظام ، فتمردت العقول على الجمود ، وهفت النفوس الى الرقى ، وتحركت الهمم للاصلاح • وهبت طائفة من الكتاب الثائرين يبحثون مشكلات الأمة ويطبون لأدواء المجتمع ، فظهر فى سنة ١٩٠٢ كتاب « حاضر المصريين وسر تأخرهم » لمحمد عمر ، عالج فى أقسامه الثلاثة رذائل الأغنياء ومعايب الأوساط ونقائص الفقراء بلسان صادق وبيان صريح • وفى سنة ١٩٠٧ أنشأ محمد المويلحى كتابه البليغ « حديث عيسى بن هشام » وصف فيه الأخلاق المصرية والمفاسد الاجتماعية أبلغ الوصف وأصدقه ، وعلى منواله نسج حافظ ابراهيم فى كتابه « ليالى سطيح » • ثم نشر مصطفى لطفى المنفلوطى نظراته الاجتماعية تباعا فى المؤيد تصف الآلام وتمثل العيوب • وكان مصطفى كامل فى تلك الفترة نفسها يرفع « اللواء » ويلهب الشعور الوطنى بخطبه ، ويكافح النفوذ الأجنبى بمقالاته • وانضوى الى لوائه الشاعر حافظ ابراهيم فنظم فى قصائده الغر أمانى البلاد ، وضرب على أوتار القلوب أناشيد الجهاد • ثم انطوى بالموت لواء مصطفى ، وخفت بالمرض صوت حافظ ، فاعتلى سعد المنبر ، وحمل شوقى القيثار ، ومثل مصطفى وسعد كل خطيب ، ومثل حافظ وشوقى كل شاعر • ومن

هذه الروح الالهية المنبثة فى الخطب والمقالات والقصائد والكتب انبعثت الحياة فى الجذوع الميتة ، وتدفقت الحساسية فى الأجساد الهامدة ، وتألف من الآراء الخاصة رأى عام ، وتكون من الطوائف المتفرقة شعب مجتمع • والمستذل يأنف حين يحس ، والمستغل يغضب حين يعى • والقطيع من البقر أو الغنم انما يظل قطيعا مادام لا يعرف الا العشب يأكله والا الراعي يطيعه ، فاذا ما أدرك يوما أن راعيه يأكل لحمه ويشرب لبنه ويستغل جهده ، وليس له عليه من فضل الا أن برأسه حيلة هى أضيق من قواه ، وأن فى يده عصا هى أضعف من قوته ، لم يعد قطيعا وانما يصبح أمة •



والأمة المصرية شعرت أخيرا بفضل ما وخزتها الاقلام ونبهتها الآلام أن لها وطنا يجب أن يستقل ، وأن لها عليه سلطانا يجب أن يسود ، وأن لها عدوا ثقيلا يجثم منذ سبع وثلاثين سنة على صدرها ، يستبد بأمرها ، ويستقل بخيرها ، فتعمل ولا تريد ، وتنتج ولا تستفيد ، ثارت فى وجه المحتل ثورتها الثانية سنة ١٩١٩ وكادت تظفر بحقها الطبيعي فى الحرية والاستقلال ، لولا أن ابتلاها الله بزعماء من طلاب المال والحكم فاضلوها السبيل ، وأوردوها السراب ، وعوقوها عن الغاية • وكان الوعى الأدبى والوعى القومى قد قاربا الادراك والنضج ، فنشبت فى العشرين سنة الأخيرة معركة شعواء بين المادية والروحية ، بين الأنانية والغيرية ، بين الاحتلال الباطل والاستقلال الحق ، بين الطغيان الفاجر والدستور الذليل ، بين الثراء الفاحش والفقر المدقع ، بين الترف المسرف والحرمان المهلك • وكان الملك والحاشية والاقطاعيون والسياسيون والانجليز فى جانب ، والدين والأدب والأخلاق والقيم والمثل فى جانب • والغلبة انما تكون أولا وظاهرا للشيطان لتحكم الغرائز وتسلط الشهوات • فطغى الفساد وتوقح البغي وحسب الناس أن الليل سرمد وأن الذل خلود ، « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » • نعم جاء نصر الله فاصطفى لاعلانه رهطا من رجال الجيش ، لأن رجال الجيش يتميزون على رجال السياسة ، بأن صناعتهم الدفاع ، ووسيلتهم القوة ، وطبيعتهم النظام ، وخلقهم الطاعة ، وعيشهم التقشف ، ومبدأهم التضحية • نعم جاء نصر الله فبات الشعب ذات ليلة من ليالى يوليو وهو مظلوم محروم ، ثم أصبح فاذا هو صاحب العرش وصاحب الجيش وصاحب الحكم وصاحب الثروة • نام وهو لا شىء ، ثم استيقظ وهو كل شىء ! وكان الأدب هو المهيىء لذلك كله • كان الحس فى خمود الشعب لأنه غذاء القلب • وكان الهدى فى ضلال الشعب لأنه شعاع الروح •

كان الأدب فى الربع الأخير من القرن الماضى ناشئا ضعيفا فثار الجيش وحده مع عرابى • وكان فى الربع الأول من القرن الحاضر بالغا فتيا فثار الشعب وحده مع سعد • ثم كان فى الربع الثانى منه قويا جارفا فثار الجيش والشعب جميعا مع جمال عبد الناصر •

فاذا كان من اعداد الجيش للجهاد أن تكون له موسيقى ، فان من اعداد الشعب للحياة أن يكون له أدب • واذا كانت مهمة الموسيقى أن تنشط وتنعش ، فان مهمة الأدب الحر أن يسوس ويقود •

« أحمد حسن الزيات »

بحوث لغوية تاريخية

بقلم : حامد عبد القادر

- ١١ -

بينا في مقال سابق أن التوراة العبرية التي بين أيدينا تفرق بين الأخوين فتحابي أحدهما وتنحاز اليه ، ولا تأبه بالآخر بل تكاد تتحامل عليه . وان هذه لبدعة سيئة قد توحي الى الآباء أن يفرقوا بين الأبناء ، فيفضلوا بعضهم على بعض في المعاملة أيا كان نوعها . وليس هذا من العدل في شيء ، وان ديننا الحنيف ليأمرنا بأن نلتزم جانب العدل والمساواة في معاملة أبنائنا وبناتنا كي ينشئوا متحابين متعاطفين .

ونستفتي القرآن الكريم في علاقة ابراهيم باسماعيل عليهما السلام فنجده يقول على لسان ابراهيم عليه السلام : ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء . الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء . رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء - ابراهيم : ٣٦ - ٣٨ .

ومن عجب أن هذه التوراة تنحاز الى جانب الابن الأصغر ولما يزل في عالم الغيب لم يولد بعد ، فتجعله قبل أن يولد ولي العهد والوارث الوحيد الذي ينتقل اليه الوعد بامتلاك الأرض الموعودة (تكوين ١٧ : ١٨ - ١٩ ، ٢١) .

وبعد فلماذا تحرم تلك التوراة اسماعيل وذريته من ولاية العهد والوعد بامتلاك الأرض الموعودة وتقصرهما على أخيه الأصغر اسحق وذريته ، ألم تقرر التوراة أن اسماعيل من ذرية ابراهيم (تكوين ٢١ : ١٢ - ١٣) ؟ والم تنص في عدة مواضع ذكرناها من قبل على أن ذرية ابراهيم ستئول اليهم ملكية أرض الميعاد ؟ وألا يقضي التفكير المنطقي السليم بأن يكون اسماعيل وذريته ممن تئول اليهم ملكية تلك الأرض ؟ .

الحق أن التوراة بين أيدينا قد جاوزت حدود التفكير المنطقي السليم حين أضفت على اسحاق وذريته عناية ورعاية لم تضفهما على اسماعيل وذريته .

وهذه التوراة تذر الرماد في العيون حين تحاول أن ترضي اسماعيل وذريته فتقول على لسان ملاك الرب لأمه هاجر ما يفيد أن الرب سوف يجعل نسلها من الكثرة بحيث لا يمكن احصاؤهم ، وأنها ستلد ابنا يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه (تكوين ١٦ : ١٠ - ١٢) وتقول في موضع آخر على لسان الرب ما يفيد أن الله تعالى سيستمع الى ابراهيم فيبارك على اسماعيل ويكثر من نسله ويجعله أبا لاثنى عشر رئيسا ، ويجعله أمة عظيمة (تكوين ١٧ - ٢٠) .

وتمضي التوراة في سرد قصة اسماعيل فلا تروى منها الا أنه نما في أرض غربته برية فاران ، وأن أمه اختارت له زوجة من أرض مصر (تكوين ٢٥ : ٢٠ - ٢١) ، وأن هذه الزوجة انجبت اثنى عشر ولدا ذكرا ، وأن اسماعيل قد قضى نحبه بعد أن عمر وعاش مئة وسبعا وثلاثين سنة (تكوين ٢٥ : ١٢ - ١٨) .

بعد ذلك لا نسمع شيئا يعتد به عن اسماعيل . ومن ثم نرى أن التوراة لم تكتف بمحاباة اسحاق ،

بل انها تلقى ظلالا كثيفة على حياة اســـــماعيل كي تحجبهـــــا عن أعين الناس ، وتحول بينهم وبين التفكير فيها ، وليخلو لها الجو فتنطلق الى التحدث عن اسحق أبي يعقوب ثم عن يعقوب وهو اسرائيل الذي ينتمي اليــه بنـــو اسرائيل ، والحديث عن بنى اسرائيل هو الغرض الأول من تاليف التوراة العبرية التى بين أيدينا .

اين هذا التحيز البـــارز المفتعل من تكريم الله تعالى لاسماعيل عليه السلام انه سبحانه يشـــير اشارة محبة وعطف الى ابعاده الى البرية فيقول على لسان أبيه : (ربنا انى أسكنت من ذريتى (الآيات) ويقول فى قصة الذبح والفداء : فبشرناه بغـــلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديـنـــاه ان ياابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ، وتركنـــا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ـ (الصافات : ١٠٠ ـ ١١١) .

ويقول : واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينــــا انك التـــــواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ـ (البقرة : ١٢٦ ـ ١٢٨) .

ويقول : واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر أهــله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ـ مريم٥٣ ـ ٥٤ .

اقول : اين من تلك الآيات البينات التى تشع نورا وايمانا يضيئان جوانب النفس ، وتفيض جمالا وجلالا يثيران المشـــاعر الانســـانية ، ويحركان العواطف البشرية ـ ثم أقول : أين من هذه الآيات الكريمة ذلك الحديث الفاتر المتهافت ، المضــطرب المتنـــاقض ، المعوج البنيان ، المتداعي الأركان ، الذى نجده فى التوراة عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ؟ ان هو الا حديث تافه يتعلق بامور الدنيا الفانية ، وحطامها الزائل ، من امتلاك الأراضى أو تمليكهـــــا ، واقتناء المواشى أو تربيتها ، وتزوج الزوجات ، والاكثار من الذريات .

ـ ١٢ ـ

وتمضى التوراة فى سرد قصـــة اسحاق عليـــه السلام فى شىء كثير من التفصــيل ، فتذكر فى قصة طويلة تصلح لأن تكون مسرحية ممتعة أن أباه ابراهيم اختار ان يخطب له فتاة من ابناء عمومته من الآراميين ، فارسل رسولا الى تلك البلاد لتحقيق هذا الغرض ، وينجح الرسول فيخطب لاسحاق ربقة بنت بتوئيل بن ناحور أخى ابراهيـــم عليه السلام . فهى بنت ابن عم اسحاق ، وبنى بهـــا اسحاق وحملت ثم وضعت توأمين الأول عيســـاو والثانى يعقوب (ـ تكوين ٢٤ ، ٢٥ ـ ٢٤) .

اما **عيساو**

فهـــو بالعبرية עֵשָׂו الأشعر او الكثير الشعر ، وســـمى كذلك لأنه كان حين ولد كثير الشعر (تكوين ٢٥ ـ ٢٥) ، وعيساو اسم مشتق من فعل عبرى معناه شعر أى كثر شعره . ولعيساو هذا اسم آخر هو :

ادوم

وهو بالعبرية אֱדוֹם الأحمر ، وســمى كذلك لأن لون بشرته كان يميل الى الحمرة (تكوين ٢٥ ـ ٢٥) أو لأنه راى أخاه يعقوب قد طبخ طعاما فيه لون الحمرة فقال له عيساو اطعمنى من هـــذا الأحمر (تكوين ٢٥ ـ ٣٠)

واما **يعقوب**

فهو بالعبرية יַעֲקֹב ، وهو فعــل مضارع بمعنى يعقب . سمى بذلك لأنه ولد عقب عيساو وكانت يده قابضة على عقب أخيه (تكوين ٢٥ ـ ٢٦) .

وقصة عيساو ويعقوب لا تقل فى غرابتها عن قصة اسماعيل واسحاق بل انها أغرب وأدعى الى العجب .

فمع ان ربقه كانت ام عيساو ويعقوب فقد كانت نظرتها الى الأول تختلف عن نظرتها الى الثاني كما اختلفت نظرة سارة الى اسماعيل بن هاجر عن نظرتها الى اسحاق ابنها ٠

وانا وان كنا نعذر سارة حين تفضل ابنها على ابن جاريتها وضرتها ، فاننا لا نفهم لماذا فضلت ربقة أحد ابنيها على الآخر ٠

انها كانت تحب يعقوب ابنها الأصغر ، وتفضله على ابنها الأكبر ٠ ولماذا ؟ يبدو أنها أحبت يعقوب لأنه كان وسيما أملس البشرة اما اسحاق فقد أحب عيساو لانه كان نشيطا مولعا بالصيد ٠

وقد ضعف بصر اسحاق فى آخريات أيامه ، وذات يوم استدعى عيساو ابنه وطلب اليه ان يخرج للصيد ويصيد له ما يأكله ليدعو له بالخير والبركة ٠

ولما كانت ربقة حريصة على أن يتحول حب اسحق من عيساو الى يعقوب الذى تحبه فقد دبرت مكيدة ضد عيساو كى يغضب عليه أبوه ٠ وقد نجحت فى مؤامرتها وكان لها اسوأ الآثار فى علاقة كل من الشقيقين بالآخر ٠

ـ ١٣ ـ

ذلك أن ربقة لما سمعت اسحاق يدعو عيساو الى الخروج للصيد أوعزت الى يعقوب أن يسرع فيأتى لها باثنين من أجود جدياتها كى تذبحهما وتطهو لحمهما ، ثم يقدمه يعقوب الى أبيه فيحظى برضاه وبركته ٠

وخشى يعقوب أن ينكشف لأبيه أمره ، لانه كان ـ كما قلنا ـ أملس البشرية فى حين أن أخاه عيساو كان اشعر قد انتشر الشعر الغزير على ذراعيه وساقيه وحول رقبته وغيرها ٠ ولكن ربقة تسير فى المؤامرة الى النهاية فتأتى بقطع من جلود المعز وتلفها حول ذراعى يعقوب وعنقه ٠ ويدخل يعقوب ويقدم لأبيه الطعام وهو على هذه الحال ٠ ويقول الأب : هل أنت عيساو ؟ فيقول نعم ويلمس يعقوب يد ابنه ويقول : « اليد يد عيساو ولكن الصوت صوت يعقوب » ٠ ثم يتناول الطعام وتنجح المؤامرة ، ويدعو اسحاق ليعقوب بالخير والبركة ٠

يا عجبا كل العجب ! انظر أيها القارىء بعينى بصيرتك وفكر معى فيما تنسبه التوراة الى ربقة جدة الأسباط !

ان هذه السيدة كانت السبب المباشر فى ابقاء العداوة والبغضاء بين ابنيها الأخوين الشقيقين ، وكانت عداوة مستحكمة الحلقات نشأت عنها خلافات بين الأخوين فى حياتهما ، وشقاق وأحقاد بين أبنائهما وأحفادهما بعد وفاتهما ٠ وكانت خلافات وأحقادا بعيدة المدى أفضت الى حروب دامية ٠ويذكر التاريخ أن بنى ادوم كانوا أعوانا لبختنصر على تدمير بيت المقدس وتخريب الهيكل الأول سنة ٥٨٦ ق‌م تقريبا ـ (مزمور ١٣٧ : ٧ ـ ٩) ٠

ولم يقف الأمر بجدة الأسباط الى هذا الحد بل انها ـ كما تقول التوراة ـ قد خدعت زوجها حتى جعلته يحب يعقوب ويباركه ويطرد عيساو وينهره ٠ ثم انها فى سبيل الوصول الى غرضها قد ارتكبت أعمالا شائنة لا تليق بجدة الأسباط فقد حرضت ابنها يعقوب على الكذب والخداع ٠ وتنسب اليها التوراة ما ذكرناه من قبل ، وهو أنها جاءت بقطع من جلد المعز ووضعتها حول ذراعى يعقوب ورقبته لتخفى أمره على أبيه ٠ وتوهمه انه هو ابنه المحبوب عيساو ٠

ويعقوب ابو الأسباط تنسب اليه التوراة المشاركة فى المؤامرة ، وأنه جارى امه فى الكيد لأخيه ، ولم يفلح فى اقناعها بالكف عن تلك المكيدة الشائنة ٠ وقد وصلت به رغبته فى التغلب على شقيقه وحصوله وحده على رضا أبيه وبركته أن يرتكب رذيلة الكذب فيخبر أباه الشيخ أنه هو عيساو الذى يحبه ٠

ثم ان هذه التوراة تضع اسحاق موضع الساذج الضعيف المستضعف الذى يصدق ما يقال له ٠ ولا يكشف الله له حقيقة الأمر ، وتمر عليه المؤامرة ، ويصدق ما قاله يعقوب ، ويصب عليه جميع بركاته الى آخر قطرة من قطراتها حتى انه لم يبق منها شيئا لأخيه المسكين ٠

ويأتى عيساو وقد حمل لأبيه الطعام الذى

اصطاده له كما أمره ، فيبهت اسحاق ، ويبلغ به الغضب مداه ، ولا يقبل من عيساو طعاما ولا يكتفي بحرمانه من بركته بل يرده ردا عنيفا • ويتضرع الصبي المظلوم الى أبيه المخدوع في تواضع بل ذلة فيقول : « اما أبقيت لي بركة ، فيرده ولا يبدى عطفا عليه ، ويعود الصبي فيقول : « الك بركة واحدة يا أبي ؟ » ويسرف الأب في قسوته على ابنه عيساو فيقول له فيما قال : لأخيك تستعبد ، وسيكون سيدا لك •

ويذهب باسحاق الغضب على يعقوب الى أبعد من هذا ، ذلك ان التوراة تنسب اليه انه يبدى رضاه التام عن يعقوب •

ويسرف في الرضا عنه والدعاء له ، والرجاء من الله أن يباركه ويكثر نسله فيكون ابا لمجموعة من الشعوب ، وأن يخلع عليه وعلى ذريته بركة ابراهيم ويورثه الأرض التي وعده بها « تكوين ٢٨ : ٣ ـ ٤) •

وتروى التوراة فيما تروى عن يعقوب أنه رأى رؤيا ظهر له فيها الرب ووعده بأنه سيمنحه هو وذريته الأرض التي ينام عليها ، وانه سيكثر من نسله حتى يكون كتراب الارض » ـ تكوين ٢٨ : ١٠ ـ ١٥) •

وليس لدينا ما نقوله في التعليق على هذا الوعد أكثر مما قلناه من قبل في التعليق على نظائره من الوعود فكلها تنبع من معين واحد ، وهنا أيضا تتخطى التوراة عيساو ، وتختص بهذا التكريم يعقوب ، من غير أن تذكر ما يستدعى هذا التكريم من جهة ، وذلك الحرمان من جهة أخرى •

وليس لدينا شك في ان السبب في هذا كله هو ما سبق أن أشرنا اليه عدة مرات وهو ان كاتب التوراة الاسرائيلي تعمد انه يصل في النهاية الى نتيجة يرتضيها هو ، وهي أن جده يعقوب دون سواه هو ولى العهد والمختص بالوعد بامتلاك ارض الميعاد • وليس يعنيه بعد ذلك أن يرتكب في سبيل الوصول الى هذا الغرض الشخصي كثيرا من المتناقضات وينسب الى أنبياء الله كثيرا من الشناعات •

وبعد فيايها القارىء الكريم ، هل تصدق أن التوراة التي تقص علينا هذه القصص هي التوراة التي أنزل الله على موسى عليه السلام ؟ أما أنا فأقول لا • وأعود فأقول ان التوراة العبرية التي بين أيدينا قد كتبها كتاب مختلفون في عصور مختلفة وأرجو أن تتاح لي الفرصة لبيان ذلك بالتفصيل •

ونختتم هذا المقال بأن نقول ان يعقوب قد سمى فيما بعد باسم آخر هو اسرائيل •

وهذا هو ما سنتحدث عنه في مقال تال ان شاء الله •

حامد عبد القادر

حول مؤتمر بغداد

للدكتور أحمد كمال زكي

- ٢ -

بلا أي تمهيد نعرض لهذا الشعر الذي رشح أصحابه للسفر الى بغداد ثم لم يسافروا ، نريد بذلك أن نقرنه بالشعر الذي ألقي هناك باسمنا نحن أدباء الجمهورية العربية المتحدة . والمقارنة في واقع الأمر تستهدف شيئين ، أولهما أن نكون على بينة مما يحدث عادة في عمليات الاختيار لأي مهرجان أدبي ، وثانيهما أن نزيل شبهة الشك في انتاج من لم يظفر بشرف تمثيلنا في الخارج .

ولقد رأينا في المقال السابق أن اثنين فقط من خمسة عرضت لهم استطاعا أن يقدما شيئا له قيمته ، في حين تورط الآخرون بين انتاج عادي جدا لا يمثلهم هم أنفسهم والنتاج كان يجب منع أصحابه من السفر نهائيا .

ولا أظن اني أتجنى او أجانب الحق ، فالله يعلم كم خسرنا في المهرجان على الرغم مما زعم لنا من الكفاءة في مجال الشعر .

وابدأ بشاعر طالما فاز بالجوائز التي توجت بجائزة الدولة التشجيعية ، واعتادت قصائده أن تصل الينا ونحن تلاميذ يراد لنا أن تنضج وتهذب أذواقنا وتتفهم شيئا اسمه الجمال . أبدا **بمحمود غنيم** في قصيدته « بغداد » التي نشرت في عدد ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٥ من مجلة الرسالة ومطلعها :

بغداد قرة عين الشرق بغداد
لحن تغنى به الاسلام والضاد

وأول ما نلحظه أن ذلك المطلع لا يمكن أن يدل على قصيدة تقع في نحو ثمانين بيتا من البحر البسيط ، ثم يصعب علينا أن نتبين فيه خطوطا دالة بل قد نفتقد فيه سحر المطالع التقليدية الجذابة ولقد كنت أرجو على الأقل أن يتجنب الشاعر هذه الألفاظ العامة التي طالما حذرنا منها القدماء وهم يناقشون شعر الفحول مناقشة بلاغية صائبة ، فقرة العين مثلا لا يمكن أن تكون ملمحا ذاتيا لبغداد، ويمكن في الوقت نفسه أن تنازعها فيه القاهرة أو مكة او الخرطوم أو اي بلد عربي آخر ، كذلك يكون من المؤكد أن مثل هذه البلاد شتى ألحان يتغنى بها الاسلام والضاد . وعلى ذلك يخطىء البيت في جملته الهدف ، ويسقط بمجرد وصوله الى آذاننا باردا لا روح فيه ، فان جاوزناه الى البيت التالي وهو الذي يقول فيه .

الدهر يعرفها للكون عاصمة
تقوده كيفما شاءت فينقاد

عجبنا لأنها وان سلمنا بأنها كانت ذات يوم عاصمة للكون — ربما من وجهة نظرنا — فقد عجزت حقيقة عن أن تقود الانسانية « كيفما شاءت » بل ربما لعبت البصرة دور القيادة خيرا منها اذا اخترنا مجالات الثقافة فقط ، وأما في غير ذلك فالمسألة فيها نظر .

هي احالة تتضخم في البيت الثالث بصورة بشعة ، أو لنقل انها من ضروب المبالغات التي يتردى فيها الشاعر على أساس أن أعذب الشعر أكذبه . ولكن هذه القاعدة — كما ينبغي أن نقرر — لم تكن معتمدة على طول الخط من قبل القدماء ، فضلا عن أن كثيرين منهم ونضيف اليهم المحدثين أصبحوا يرون أن القصد والاعتدال مع بساطة الكلمة محك دقيق للشاعرية الصادقة .

فان أصر فريق على أن « طبيعة » الأداء الشعري ان يكون كذلك ، سألنا : فماذا في الاستهلال كله مما يفرقه عن النثر الخطابي ، اننا نسلم دائما بأن الفرق الجوهري بين استعمال « الكلمات » في الشعر والنثر كامن في حيويتها أو فيما تضفيه علينا من نشاط ، ويوم تفتقد هذه القوة تفتقد روح الشعر

كله . وفى رايى انه كلما كان الشاعر مخلصا مع نفسه أفاض علينا من حيوية كلماته ما شاء من ايقاع ومعنى جدى وجدة توحى بمختلف الألوان والأضواء .

معذرة ...

ثما أريد أن أقف على القصيدة مثل هذه الوقفة الجزئية ، فان عدلنا الى النظرة الشاملة افتقدنا البناء العضوى المتماسك . وأول ما يدل على ذلك تردد الشاعر بين مختلف الضمائر لقفزاته التى لا ضابط لها إطلاقا ، فالأبيات الثلاثة الأولى ضميرها غائب ، يعقبها بيتان يخاطب فيهما بغداد ، فأبيات ثلاثة أخرى يعدل فيها الى خطاب الجماعة ، ثم عود الى الغائب وهكذا ...

وبوسعنا أن نستخلص من هذه المراوحة أشياء كثيرة ، الا أن أبرز هذه الأشياء جميعا ضياع الرؤية المحددة بين الماضى المجيد والحاضر الذى يريد أن يمزقه أشياع من ارتاد طباق الجو ، وعندما اراد أن يربط بينهما تلقفته تلك الاحالات التى اغرم بها حتى ليقول :

قل للألى طاف حول النجم طائفهم
وارتاد منهم طباق الجو مرتاد
ان تفعلوا فبنوا العباس من قدم
تناولوا بالأكف النجم أو كادوا

وتكون النظرة التاريخية بعد ذلك بداية استواء فى موضوع القصيدة ، لاسيما بعد أن يدلى برأيه فى طبيعة الشعر من حيث هو وزن قوامه « أسباب وأوتاد » ، وان كنت لا أزال آخذ عليه اخفاقه فى تطوير الفكر بطبعية وبمنطق معقول مقبول ، فمن الحديث النبوى والشريعة الى النواسية واللهو ، ومن دار الحكمة والرشيد الذى هو لحن يردده فم الزمان الى الجوارى اللائى مالهن أجداد « سوى عواهل الفرس والرومان » .

وهنا نقرر أن « العمودية » فرضت على شاعرنا ما اعتادت أن تفرضه على كبار شعرائنا الأولين ، حتى ان الشاعر ليعجز عن أن يرى الرشيد الا وهو يعطيه كما أعطى أبانواس وأبا العتاهية وابن الاحنف وغيرهم .

دعنى أعيش مع الماضين فى حلم
ان الهموم على اليقظان تزداد

عل الرشيد اذا أنشدت يسمعنى
ان الرشيد كريم الكف جواد

ملحوظة : الشطر الثانى من البيت الأول بعيدة صلته بالصدر الا بتأويل طويل !

وتهيأ للشاعر بعد ذلك أن يفخر فخرا عاليا فى أربعة أبيات يمهد بها للقضية التى تشغل الشعوب العربية اليوم ، وأعنى بها قضية الوحدة ، وكأن حديثه عنها هو لب القصيدة . فهو ثابت الخطى وقور ، وهو يحاول أن يناقش المشكلة ويحدد أبعادها فى كيد الأعادى واغتصاب آل صهيون واستفزاز أبناء يعرب مادام فيهم أمثال خالد ابن الوليد وصلاح الدين الأيوبى .

يا يوم رد فلسطين الشهيدة ما
للعرب غيرك فى الايام أعياد
لا يحسب القوم أن العرب قد عقموا
شعب العروبة للأبطال ولاد
مازال فينا لعمرو وابن حارثة
وخالد وصلاح الدين انداد

وانتقل الى الشاعر **عامر محمد بحيرى** وقد طالما جادلته فى « معنى الشعر » ، ووافقنى أو وافقته على أشياء أهمها أنه مهما يكن « شكله » يظل مرتبطا بالتقاليد والتراث فى المحل الأول . غير أن من الخطر على الشعراء أن يجوروا على صور الأولين ، وأن يخضعوا فى سبيل الوزن الى ما ينتقص معانيهم بحجة أن بحرا دون بحر يحتاج الى ألفاظ بعينها دون ألفاظ أخرى ، وأن « المباشرة » فى العطاء — على أساس أنها سهلة أو قريبة التصديق — خير من « اللامباشرة » ، لأنها تسلم الى الغموض أو الى التشويش أو الى التجريد أو الى أى شىء من هذا القبيل .

اننا لا نريد من الشاعر سوى أن يفكر ويشعر على نحو مقنع ولا يشاركه فيه غيره ، وهو متى فعل ذلك — فارضا على نفسه حدودا ذاتية — فلن يجد من يسائله : وأين أنت على الدرب فيما تقول ؟

وأرجو ألا يسىء الشاعر فى شخصى فان قصيدته « صرخة الوحدة » أعجبتنى ، ولكنى أصاب دائما بالذعر كلما بدت القصيدة أمامى مضيعة بين ما يرضى الجماهير بمباشرتها وما يوحى بأن صاحبها كان همه اقامة الوزن ما كان يأتى بتأليف مفيد بغض النظر عن أن يكون هذا التأليف شعرا .

والتأليف الشعرى — من وجهة نظرى — سر

الشاعر اولا وأخيرا ، ولكنه مع ذلك سر كامن فى اللغة عندما تغدو تصويرية مجازية تبعد عن التقريرية التى تقربها من لغة النثر حتى وان كانت ذات ايقاع مؤكد ٠

وعامر بحيرى — لحسن حظه او لذكائه — وضع فى حسابه هذا أو شيئا مثل هذا ٠ ولكن بعد استهلال فيه كل العيوب التى سقتها على هيئة مصادرة ، وهى فى الحقيقة أساس يجب أن يوضع لكل شاعر ٠ انه بدأ فأعلن دهشته أو عجبه من صوت العروبة الداعي — وكان للعروبة شتى أصوات — طالبا أن يصغى اليه الشعب فى جميع البقاع ، ثم تحرك الى البيت الثانى ليضيف شيئا فحدد مكان الصوت مع اعادة طلبه أن يقبل الشعب عليه بالاسماع ٠

اى صوت من العروبة داع
اصغ يا شعب فى جميع البقاع
قد اتاك النداء من قلب بغدا
د ، فاقبل عليه بالاسماع

ولست أحسب أن فى الاعادة هنا افادة ، كما لا أحسب أن ثمة فرقا بين « أصغ » و « فاقبل عليه بالاسماع » فضلا عن ان الأولى اقوى فى الدلالة وأوجز — والايجاز مما يستحب فى الشعر — مع ملاحظة أن التكرار كان يستلزم أن يكون «الاقبال» شيء أكبر من مجرد شد الأذن !

والأبيات السبعة التى أعقبت هذين البيتين تكشف بوضوح عن عقم « النظام البيتى » اذا افتقد طاقة الشاعر الكبير ، أو اذا ترك الشاعر نفسه لايقاع الوزن مضحيا بالمعنى ٠ فهو يستخدم «حالاء» من صاحب بعيد فصل بينها وبينه جلة «فاقبل٠٠٠» وهو يطلب من النداء أن يجمع الماضى مع الحاضر « ذكرى » مع أن الحاضر لا يكون كذلك حتى يغدو فى خبر الذاهبين ، وهو يشهر سيفه القديم جديدا — لا أدرى كيف — وصورة السيف أصبحت كصورة الناقة مما يجب اسقاطه من شعرنا الحديث كله ، ثم هو يقرر أننا ٠

نحن كالأولين بين كريم
شب نار القرى وبين شجاع

وهذا — على جمال تركيبه — مما لا يعطينا الفضل الذى نستحقه ، ولا ينطبق على تطلعاتنا من حيث اننا شعب يجب أن يقوم كرمه فى ضوء نار أخرى غير نار الضيفان التقليدية !

لعلنى شرحت ما أريد حين قررت أن شاعرنا لحسن حظه او لذكائه وضع فى حسابه — بعد هذا — معنى الشعر الذى نريده ، فقدم موضوعا له اول وله آخر ٠ فلم نضل فى المعانى الجزئية التى يمكن أن تكون بيتا ولا تكون قصيدة متماسكة ، وعندما أسقط أبياتا نشرها مستقلة فى عدد من أعداد الثقافة تحت عنوان « لمحات » نزولا على رغبة الأصدقاء، كان يحاول — فى واقع الأمر — أن يفى بالتزام الوحدة المطلوبة كأنما رآها اضافة لا غناء فيها ولا جمال ، ولولا هؤلاء الاصدقاء — سامحهم الله — لما علم بأمرها أحد ٠

أعود الى الموضوع — ويعجبنى من الشاعر أن يكون صدوره على أساس مهما يكن نوعه — فنرانا أمام المعنى الكبير الذى وضع له عنوان القصيدة « صرخة الوحدة » ٠

سبقت مصر فى النداء الى الثو
رة ، من بعد فرقة وضياع
خرجت من دجى الظلام الى النو
ر بعزم وقوة واندفاع

وعلى الرغم من عنات أصبح الجيش بها « فرقة استطلاع » وقرص الشمس « يراعى » مجد السد على الشاطئين فان الحركة الشعرية العاقلة تسير مستانية فى أخيلة تحط على أسلم وجه ممكن ، ويكون انتهاؤه الى بغداد بداية للغناء الذى يجب أن تظفر به ثورة العراق :

ايه بغداد قد اتيناك نبغى
آية الشعر والهوى والسماع
ما انتفاعى بنظمى الشعر ان لم
يك باللحن والغناء انتفاعى

ملحوظة أخرى : ليس هذا وحده غاية الشعر !

ولم يكن بد من أن تثار الفكر وتحرك الكوامن ، ولم يكن بد من أن تبسط مواقفنا ونحن نذود عن العروبة ولغتها ونكشف عن مكر الدخيل ، فهذه جميعا نتائج معقولة جدا لموضوع الوحدة الذى شرحه فى ثورتين رائدتين هما ثورة مصر ثم ثورة العراق ٠

واصل أخيرا — وليس آخرا — الى الشاعر **عبده بدوى** ، وهو حتى الآن يعرف برقيق القصيد ورهافة كلماته ٠ ولكنه يحاول بخياله النشيط أن يقتحم أرضا كان يبدو شعره فيها غريبا ، وتمكن أخيرا فى اضطراب التوازن الذى عصف بالفكر المعاصر أن يظهر محافظا حتى وهو يتمرد على العالم — فى بعض قصائد نشر قلة منها فى الآداب — ويسلم بأحقيته كشاعر فى أن يقبل بعض الفوضى ٠

وتبدو قصيدته « بغداد فى حلم » وهى التى نشرها فى العدد ٨٥ من الثقافة التى صدرت فى ٢ من مارس سنة ١٩٦٥ ـ أقول تبدو هذه القصيدة محصلة من محصلاته فى ضوء حفاظه وتوريته معا ، وأول ما يدهش له قارئها امتلاكه ناصية «البلاغة» عندما تكون هذه سلاسة وعذوبة · مما يذكرنا بانه ـ على النقيض من شعراء العمودية ـ يرفض أن تضرب كلماته وتركيباتها فى أرض التقاليد ·

لكن هذا الدهش لا يصرف الذهن قط عن التركيب المتين لهيكل القصيدة ، بل لأول مرة تقريبا يرى عملا كاملا فى موضوع واحد دون فضول ولا ذيول بعكس كل القصائد التى قصدت بها بغداد ·

واذن فالشاعر بين فى أدواته واستعمالاتها أى أنه محافظ على الشكل القديم وثائر على الصور التقليدية فضلا عن أنه يبعد عن العموديين فى صدوره عن موضوع يتضمن تجربة لها ضرب معين من المعاناة · أما البلاغة عند ما تكون سلاسة وعذوبة ، ففى مثل قوله :

فعقدت الجفون وانتفضت نف
ـسى وزقت أغنية محبوبة

وفى قفزاته وهو يحمل الورد والحب ويراقب النخل وتراقبه عيون العذارى والنواقير والقباب القشيبية · انها نمنمات شهر بها **عبده بدوى** ، بل لفتت اليه الأنظار مذ بدأنا ننشر شعرنا فى صحيفة « المصرى » القديمة ، وأظنه يشارك فى هذا أغلب من يرى فى الكلمة الشعرية خلقا كاملا وايقاعا يبنى تنظيما موسيقيا خاصا ·

وما دام يرى بغداد فى الحلم · والصور التى أتى بها كلها لا تكون الا فى الحلم ـ فثمة الورد يشرب الضوء من الأباريق ، والنخل يغزل صوتا كأنه الشهقة المسحوبة ، والنيل بيت شطرتاه القيثار والنوبة ، والنجوم والصحارى والراية المنصوبة كلها تغنى ـ فلا بد أن يتصل بالماضى ورموز الاحلام عادة لا تكون الا فيه ، هكذا يرى السيكولوجيون !

وكما أن الحلم ومضة مهما تطل رؤى النائم ، فكذلك كانت صور الشاعر · فبرىء من التكرار الأسطورة ـ ولكن دون تورط فى حمأة الجسد وسورة الكأس على نحو ما فعل غيره ـ وان لم يزور بها عن الرشيد وجه العروبة وصاحب الأرض التى امتلكنا نصيبه فيها من الحياة ·

انه هنا فى الواقع يلتقى مع أغلب الشعراء الذين أنشدوا لبغداد ، بغض النظر عن ريشته الذكية التى لعبت بالظلال فى جرأة ورشاقة · وربما يكون أفضل لنا لو قلنا انه فى هذه التفصيلات يعيد اعادة بارعة كل ما تورط فيه أكثر الشعراء الذين تمهرجوا فى بغداد ·

لم نقل كلمة فصبت شموس
فوقها ألف نجمة مغلوبه
واذا الفجر والنخيل صريع
وأبو نواس يعاود كوبه
اسكر النور والحياة بكاس
وبشعر وصدر بنت لعوبه

ويستمر الحلم ـ **ولكن فى تناسق فكرى** ـ فاذا الشمس تغيب فتنام ، ثم تنتبه على العقم والليالى الجديبة وفراغ الحياة والدجى والرطوبة · ومثلما يكون البعث فى النبات الذى يموت شتاء تندفع فى جذورنا نحن دماء الحياة · ان الشاعر يستمد عطاء أساطيرنا ـ فرعونية كانت أو أشورية ـ ويرى فى موتنا حياة أكثر جدوى وأكثر قدرة على البقاء يقول :

ثم عادت الى الجذور حياة
فارتعشنا مع الجذور الخصيبه
واذا العزم فى النفوس ، ونار
تحرق الضعف او تدق جيوبه
واذا الحب بيننا ، والليالى
دوحه الطير والأمانى الطروبه
واذا الله فى المآذن نور
واذا الليل حاضن عندليبه
واذا الأفق ربوة من حرير
والسموات من يدينا قريبه

وتنتهى الرؤى به وصوته «العربى» يطير بأغنيات « العروبة » ، واضعا اللمسات الأخيرة فى اطاره الجميل ، ومؤكدا من ناحية أخرى أنه حقق فى قصيدته تلك ما افتقدته قصائد الآخرين أو على الأقل أغلب قصائد الآخرين ، وأحسبه يقف فى جانب مع محمود حسن اسماعيل فى أنهما لم يدليا بدلوهما فى الانماط التى تلغى شخصيتهما ولم يلجئا الى « المباشرة » التى يصفق لها الجماهير ·

وبعد ، فهل نحن بحاجة الى أن نختم باجابة عن السؤال :

من كان أولى بالسفر الى مهرجان بغداد ؟ أظن لا ·· أظن لا ··!

د · احمد كمال زكى

المجتمع الاشتراكى والتفرقة العنصرية



للدكتور: عبد العزيز كامل

يذهب دعاة التفرقة العنصرية الى ربط الملكات العقلية والصفات البدنية ربطا طبيعيا أو وراثيا . وقد رأينا فى المقال الثالث كيف أن هذا الاتجاه ذهب ببعض العلماء المتعصبين للجنس النوردى الى تفضيله على العالمين باعتباره خالق الحضارة وسيد الشعوب ، وكان هذا ذروة من ذرى « التعصب الأبيض » ضد الأجناس الملونة باعتبارها ـ عند البيض ـ اقل منهم ذكاء وادنى فى سلم التطور وأقرب فى صفاتها الى القردة العليا . واتخذوا هذا ذريعة لاستعباد الأجناس الملونة فى أقطارها الأصلية او فى مهاجرها فى العالم الجديد .

ويذكر **ارنست كرتشر** ، ان الحضارة العالمية فى أبرز مظاهرها ، لم تظهر فى الشعب النوردى الا حيث تعرض هذا الشعب لاختلاط شديد بشعوب أخرى .. ومن المؤكد أن المناطق التى تسكنها سلالات نوردية خالصة فقيرة نسبيا فى العبقرية والانتاج الحضارى . ولم تكن مراكز أكثر الحضارات الأوربية تقدما فى اسكندناوة أو على سواحل ألمانيا الشمالية او فى اسكتلندة وانما كانت دائما فى مناطق حدث فيها اختلاط بين الشعوب ..

ويستدل « **هانتشيب هوايت** » بأدلة تاريخية يعزز بها الفصل بين العنصر والذكاء بقوله عن قدماء المصريين ودخول عدة عناصر فى تكوينهم « ان هذا الأصل لأصحاب هذه الحضارة التى لا تفوقها حضارة دليل كاف على ما ينطوى عليه الوهم بانفراد شعب واحد بالتفوق من خطاء ولو كان عند المصريين القدماء تعصب عنصرى وأخذوا فى تصنيف الشعوب وفتتذ على أساس من تطورها ـ لكان من المؤكد أن يضعوا السلالات النوردية من بين الشعوب المتخلفة » ولهذا تبدو رجاجة رأى «هوايت» حين يقول « ان الرخاء الطويل الأمد الذى تمتعت به مصر القديمة يرجع الى حد ليس بالضئيل الى التسامح المصرى التقليدى فى أمور الشعوب والأديان » .

ولقد بينت اختبارات الذكاء التى أجريت على اطفال من عناصر مختلفة ، أنه لا علاقة بين العنصر والذكاء .. من ذلك أنه فى مدينة نيويورك قرر القائمون بأمر التربية فيها أن ينشئوا مدرسة ، خاصة للأطفال النابهين . واختاروا خمسمائة طفل موهوب على أساس اختبارات الذكاء التى اجريت فى المدارس الأولية فى جميع أنحاء المدينة . وحين تم فحص هؤلاء الاطفال من حيث التبعية العنصرية والقومية والدينية ظهر أن النسب المئوية للتوزيع تمثل نفس توزيع سكان المدينة تقريبا . فقد كان ١٠٪ من الأطفال الموهوبين زنوجا وهى تقريبا نفس نسبة الزنوج فى مدينة نيويورك . الا أنه لوحظ أن الغالبية العظمى من الأطفال الموهوبين كانوا ـ بعامة ـ اثقل وزنا واكبر حجما من معدلات غيرهم من الأطفال فى نفس السن . وقد يدل هذا على

تأثير البيئة الملائمة على اتاحة الفرصة لنمو مواهب الأطفال .

وفي داخل كل مجموعة عنصرية واحدة - من الزنوج او الألمان أو البولنديين ... الذين يسكنون نيويورك - كان هناك تفاوت واضح بين مستويات الذكاء . بل ان بعض اختبارات الذكاء التي أجريت في أمريكا على المجندين في الحرب العالمية الأولى أثبتت أن بعض زنوج الشمال أعلى مستوى من بعض مجموعات البيض . ويبين هذا تأثير تحسين البيئة على نتائج الاختبارات . فهذه النتائج تميل الى الهبوط مع ظروف البيئة غير الملائمة ، وتميل الى الارتفاع مع ظروف البيئة الملائمة . وخاصة اذا علمنا أن بعض أسئلة اختبارات الذكاء تتعلق بالمعرفة العامة والقدرة على معرفة العلاقات والمتعلقات وجانب من هذا له تأثره بالظروف التي يحيا فيها الفرد .

ومن هنا يبدو جانب من واجب الدولة في رفع مستوى المعيشة لأفرادها واتاحة الفرصة لكل طفل أن تتفتح مواهبه والا يكون الفقر سببا من أسباب تعطيل نموه .

وما دامت للظروف غير الملائمة تأثيرها العميق على انتاج الفرد ، فان نتائج هذا التأثير - في شمولها أفراد الجماعة - تتجمع لتشكله وتحدد المستوى الثقافي العام لجيل من الأجيال .. ومع استمرار هذا المستوى تبدو آثاره على مستوى شعب من الشعوب أجيالا متلاحقة .

فهناك فرق كبير بين الذكاء باعتباره قوة ، وبين الثقافة باعتبارها تحصيلا وانتاجا وسلوكا .

واذا كانت الدراسات العلمية قد أثبتت أنه لا يمكن الربط بين الذكاء والعنصر ، فان التاريخ والواقع يؤكدان تباينا كبيرا في مستويات الثقافة بين الشعوب بل بين أجيال الشعب الواحد حين تتغير الظروف التي يعيشون فيها والقيم التي يؤمنون بها .

ولقد مرت على الانسانية مراحل كانت منارات الثقافة فيها عالية فوق الأودية الخصيبة في شمال افريقية وجنوب غرب آسيا وجنوبها حتى الصين في الشرق . ولا زالت بعض الجوانب العلمية من هذه الحضارات أسرارا لم يستطع العقل الحديث أن يصل الى أغوارها . والنظرة السابقة الى قلب افريقية باعتبارها القارة المظلمة قد أخذت تتبدل . فقد أثبتت الكشوف الأثرية الحديثة عراقة الانسان وحضاراته في افريقية . وهناك اتجاه بين الباحثين المحدثين يذهب الى القول بأن هضبة شرق افريقية يمكن اعتبارها موطن الانسان الأول . ذلك لأن أقدم الآثار الانسانية التي عثر عليها حتى الآن كانت هناك (يراجع الفصل الثاني من القسم الأول من المجلد الأول من كتاب : تاريخ الانسان باشراف هيئة اليونسكو .

وهذا القسم خاص بما قبل التاريخ وكتبته ج - هوكس . وكتب بدء الحضارة سير لنادر دولى - ١٩٦٢) .

وفي الماضي ازدهرت حضارات واضمحلت ، وليس هناك ما يحول دون ذلك في المستقبل . ويشاهد عصرنا الحاضر ثورة يطلق عليها اسم « ثورة الآمال الكبيرة » . وجاءت هذه الثورة لاحقة للثورة العلمية ، التي تعم آثارها العالم كله ، كما جاءت لاحقة للاستقلال السياسي الذي شمل معظم آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية وحصر الاستعمار في أركان ضيقة واضطره الى تغيير أساليبه فبدا في ثوب أصبح الآن يعرف « بالاستعمار الجديد » .

وهناك ارتباط عميق بين الاتجاهات الرأسمالية والاستعمارية من ناحية ، وبين التفرقة العنصرية من ناحية أخرى . واذا أخذنا الوجه الآخر وجدنا ارتباطا قويا بين سيادة الاشتراكية وأفول التفرقة العنصرية .

ذلك لأنه ما دامت التفرقة العنصرية لا تجد لها أساسا قويا - ولا ضعيفا - من العلم ولا من الدين فان علة وجودها ترتبط بالأنظمة الاقتصادية والسياسية والعلاقات بين الدول .

وقبل أن نبدأ في دراسة هذا الموضوع - وهو علاقة التفرقة العنصرية بالنظم التي تتبعها الدولة - يحسن أن نذكر خلاصة وثيقة اليونسكو عن التفرقة العنصرية ، باعتبارها من أفضل ما كتب في هذا الموضوع على أساس علمي :

يتفق العلماء على أن الناس الذين يعيشون اليوم يرجعون الى أصل واحد ويتحدرون من عنصر مشترك . ويجمع علماء الانثروبولوجيا على أن فكرة « العنصر » أداة تصنيفية تكفل اطارا يمكن أن ترتب في داخله المجموعات البشرية . وينبغي أن تقصر كلمة « عنصر » بمعناها الانثروبولوجي للدلالة على مجموعة من الناس تختلف عن غيرها من المجموعات في صفات جسمية واضحة ووراثية

فى المقام الأول • وترجع بعض الاختلافات الجسمية بين المجموعات البشرية الى التكوين الوراثى ،ويرجع بعضها الى اختلاف البيئات التى تعيش فيها ، وفى معظم الحالات عمل هـــذا المؤثران معا • وتختلف المميزات الوراثية التى ينبغى استخدامها فى تصنيف المجموعات البشرية كما يختلف تفاوتها فى داخــل هـــذه المجموعات ويبدو أثر ذلك فى الأقســـام التصنيفية التى تصطنع للغرض العلمى المقصود •

وليس من الضرورى أن تتفق المجموعات القومية والدينية والجغرافية واللغويةوالثقافية مع مجموعات عنصرية • وليست هناك أية صلة يمكن اثباتها بين الملامح الثقافية لمثل هذه المجموعات وملامحهـــا العنصرية • ولا يمكن أن تطلق لفظ « جنس » أو « عنصر » على الأمريكيين أو الفرنسيين أو الألمان، ولا على أية مجموعة قوميـــة أو دينية كالمســـلمين والمسيحيين واليهـــود ولا على المتكلمين بلغة من اللغات • وقد يكون استعمال لفظ « جنس » أو « عنصر » حين الكلام على مثل هذه المجموعات خطأ كبيرا • ولكنه خطأ يرتكب فى العادة •

ويستطيع الانتروبولوجيون أن يصنفوا الأجناس البشرية بطرق مختلفة• ومعظمهم يتفقون على تصنيف الشطر الأكبر من الناس اليوم فى ثلاث مجموعات كبرى • ولا يعتمد هذا التصنيف على أية صفة جسمية بمفردها •

ولون البشرة لا يميز بالضرورة مجموعـة كبرى عن مجموعة كبرى أخرى ، والاختلافات فى البنية الجسمية التى تميز مجموعة كبرى عن أخرى ، بقدر ما أمكن تحليلهـــا ، لا تؤيد الأفكار الشـائعة عن « اســـتعلاء » عـــام أو « نقص » عــــام مما تنطوى عليه الاشارة احيانا الى هذه المجموعات•

ويمكن القـــول بأن المجموعات الكبرى يتدرج بعضها نحـو البعض الآخر • وتتـداخل الصـفات الجسمية التى تميزها والعناصر فى داخلها تداخلا كبـــيرا • وأن الاختـلاف بين أفـــراد الســـلالة الواحدة ـ فى معظم الصـفات التى يمكن قياسـها أوسع من الاختلاف بين معدل سلالتين او اكثر من نفس الجماعة الكبيرة • وأن معظم علماء الأجناس لا يأخذون فى اعتبارهم الصفات العقلية عند تقسيم العناصر البشرية • وهناك دلائل قوية على أنه اذا عاشت جماعتان من بدء الطفولة فى نفس البيئـة الاجتماعية والثقـــافية كانت الاختلافات بينهمـــا ضئيلة • والى هذا الاتجاه عاد علماء النفس الذين ســــبق أن روجوا لاختلاف الذكاء بين العنــاصر المختلفة وأرجعوه الى الوراثة •

وتبرز المادة العلمية التى توفرت بين أيدى هذه الصفوة من العلماء، أن السبب الأول فى الاختلافات الرئيسية ليس الوراثة ، وانما التجارب الثقافية التى عاشتها كل جماعة بشرية • وليس هناك دليل على وجود جنس نقى ، ولا مبررات بيولوجية مؤكدة تدعو الى منع التزاوج بين افراد العناصر المختلفة ، وأن نتائج هـذا التزاوج تتأثر بالعوامل الاجتماعيــة ، وليســت هناك معـلومات تدعو الى الاعتقــاد بأن مجموعات النوع البشرى تختلف فى قدراتها الفطرية على التطور • وقد حدثت تغيرات اجتماعية هائلة لم تكن مرتبطة بأية صورة من الصور بتغيرات عنصرية• وهكذا كانت الدراسات التاريخية والاجتماعية تدعم الراى القائل بأن الاختلافات الفطرية قليلة الأهميـة فى تحديد الفروق الاجتماعية والثقافية بين مختلف المجموعات البشرية •

هذه خلاصة وافية للبيان الذى أصـدرته هيئـة اليونسكو فى ٢٨ يونيو ١٩٥١ عن المشكلة العنصرية، والذى وقعته صفوة من كبار العلماء العالميين وذكروا فيه كلمة العلم فى امر العنصرية وانتهوا فيـه الى ما سبق أن قررته الأديان من قبل ، مع فرق واضح: فكلمة الدين لها عمقها وتأثيرها فى النفس وايمـان الناس بها • ولقد جاءت كلمة هؤلاء العلماء بعد رحلة طويلة ، قطعتها الانسانية فى طريق الألم والاستعلاء والأحقاد العنصرية •• ودفعت فيها الثمن الغالى من دماء بنيها ومصائرهم ، واتخذت فيها العلم ذريعة لاستعباد شعوب وقارات كاملة •

ولقد كان لتذبذب كلمة العلم أثر كبير على موقف رجال بعض الأديان فى قلب افريقية • فقد جاء هؤلاء مع الاستعمار وارتبطت مصالحهم به ، بل انه هو الذى كان يمد الكثير من الارساليات بما تحتاج اليه من مال • ورأى الافريقيون الفرق الـكبير بين المبادىء الأصيلة التى تدعو اليها الأديان وما يجدونه فعلا من علاقات اجتماعية وسياسية مضطربة يتضح فيها الظلم ولا يتحرك رجال الدين لانقـــاذ هؤلاء المظلومين •• بل انهم كما يقـول بازيل دافيدسون فى كتابه « صحوة افريقيـــة » كانوا يـكتفون بأن يعدوهم بمملكة السماء وهم يساقون من مواطنهم فى افريقية الى العـــالم الجديد : عالم الرق والعبــودية والاضطهـــاد • وعاش الافريقيـــون بنفوس ممزقة لا تستطيع أن تدرك تكاملا حقيقيا فى هذه الحضارة الغربية ونظامها الاستعمارى الرأسمالى مما دعاها الى الثورة عليه ومرت مباشرة من النظام الاستعمـــارى الى الحرية الاشتراكية التى يحاول الانحراف بها الى الاستعمار الجديد » •

د• عبد العزيز كامل

الحلة السيراء لابن الأبار

بتحقيق الدكتور حسين مؤنس

بقلم
إبراهيم الأبياري

نظرات فى التراث

قلت ، ولا أزال أقول : اننا فى حاجة الى مزيد من الاتصال بتراثنا ، ننشره كاملا ليفيد منه الخاصة ومن اليهم ، وننشره ميسرا ليفيد منه غير الخاصة . فيجتمع هؤلاء وهؤلاء على ثقافة مشتركة تكون مقوما من مقومات قوميتنا العربية التى نحرص على الا نمنى فيها مع الايام التى تظلنا والايام التى تستقبلنا ، كما منينا فيها مع الغابر حين فرطنا شيئا فى التمكين لهذه الثقافة المشتركة . وكدنا نعيش بين ثقافات مختلفة أوشكت أن تبلبل على الاخوة فى اللسان السنتهم وأن تباعد بينهم وبين ثقافتهم العربية التى اليها وحدتهم .

وكم تمنيت مع ظهور كل كتاب من كتب التراث العربى ان يلم به غير المختصين مع المختصين المامة ما ، حتى يكون الحديث جامعا ، لايبدو غريبا على أهله ، يشارك فيه الكل على صور مختلفة .

غير أنى كم شكوت قبل ما تمنيت صدوف الكثرة من القارئين الذين يرتفعون الى مرتبة التخصص عن أن يثقفوا شيئا عن تراثهم ، وهم الفئة التى نامل أن نجمع الناس حولهم ، واذا كان هذا هو العهد بهم فما أصرف الناس عن دعوة لايقيم لها اصحابها وزنا .

ان ثمة تقصيرا فى حياتنا الدراسية على اختلاف مراتبها ، فليس فيها الافساح المرضى لتراثنا العربى ، لا أعنى حياتنا الدراسية الادبية وحدها بل أضيف اليها حياتنا الدراسية العلمية . والغريب المؤلم أنا لانجد لهذا الافساح الا ظلا خفيفا فى الدراسات الأدبية المتخصصة ، ثم نفقده جملة فيما بعد هذا .

فأنا كما لاأسيغ للدراسات الادبية المتخصصة أن تعرف القليل من تراثنا وتطرح الكثير الا أسيغ للدراسات الادبية الاخرى والدراسات العلمية والفنية الا تعى ما كان لأسلافنا من صلات بالعلوم والفنون فلا تاخذ الموضوعات قبل أن تمهد لها بما كان للسلف فيها والفرق كبير بين بدأين : هذا البدأ الذى نحن آخذون به وذاك البدء الذى أهملنا الأخذ به فنحن مع ما نحن عليه قاطعون حاضرنا عن ماضينا منتهون الى بينونة سوف لانحسها الا حين تعز العودة، ونحن مع ما لم نأخذ به واصلون الحاضر بالماضى مضيفون الى ماضينا من حاضرنا ، منتهون آخر المطاف الى ثقافة عربية متطورة وعلم عربى متطور وفن عربى متطور ، وبهذا نكون قد حفظنا مقوماتنا التى تحمى كياننا من أن ينهار وتحمى وجودنا من أن يشيع فى غيره والكتاب الذى بين يدى الآن من هذا التراث العربى الذى عرفت حرصى عليه ورأيى فيه ، وهو كتاب يعنى المدرسة الادبية المتخصصة ، ثم هو الى هذا يعنى المدارس الأخرى ، اذ هو من الثقافة العامة التى يجب ان يحرص عليها كل مثقف .

واحبك ان تعرف معى أشياء ثلاثة :

اولها : مؤلف هذا الكتاب ، وهو ابن الأبار

وثانيها : هذا الكتاب ، وهو الحلة السيراء

وثالثها : جهد جليل لمحقق جليل ، هو الدكتور حسين مؤنس .

وانا عن الاول لاأحب أن أطيل عليك الحديث فى موضوع كتب عنه الكثير بين مطول وقصير ، فلقد خص المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ابن الابار بكتاب مطول يقع فى نحو من أربع وثمانين وثلثمائة صفحة (٣٨٤) نال به جائزة السبق فى هذا الموضوع سنة ١٩٥٩ م . وقد نشر هذا الكتاب فى تطوان فى العام نفسه وفى سنة ١٩٥٧ م نشرت

انا « المقتضب » من كتاب « تحفة القادم » لابن الابار وافردت جزءا كبيرا من المقدمة للتعريف بابن الابار

وفي سنة ١٩٥٩ م كانت للسيد أنيس عبد الله الطباع رسالة عن ابن الابار تقدم بها الى جامعة مدريد للحصول على الدكتوراه • وقد طبعت الترجمة العربية لهذه الرسالة بعد ذلك ببيروت •

وفي سنة ١٩٦١ م نشر الدكتور صالح الاشتر كتاب « اعتاب الكتاب » لابن الابار وخص المؤلف بدراسة مستفيضة •

ومن قبل هؤلاء سبقت عناية المستشرقين بابن الابار وآثاره ، وكانت لهم حول ابن الابار ومؤلفاته كلمات ودراسات ، نذكر منهم : كوديرا ، وجنثالث بالنثيا ، وأماري ، وفرديناند فستنفلد •

ولعلك بهذا قد أحسست أنك مع واحد من أسلافك الذين تعتز بهم • وحياة الرجل مليئة وأسفاره كثيرة وحسبك أن تعرف عنه هنا أنه هو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المشهور بابن الابار • وأن مولده كان ببلنسية سنة ٥٩٥ هـ على الاصح • وكانت وفاته سنة ٦٥٨ هـ فعمر الرجل امتد ثلاثا وستين سنة هجرية ، عاش فيها اثنتين وأربعين سنة في الأندلس ، وسائرها ، وهو احدى وعشرون سنة في افريقية •

وتذكر كتب التراجم التي جمت له نحوا من خمسة وأربعين تأليفا في الحديث والادب والتاريخ• وليس بين أيدينا من هذه الكتب كلها غير ستة ، منها : المقتضب من تحفة القادم ، والتكملة والمعجم، ثم هذا الكتاب الذي أريد أن أحدثك عنه ، وهو الحلة السيراء •

ولقد كان من هذا الكتاب خطية وجيدة تنقص قليلا من أولها تحتفظ بها مكتبة الاسكريال وعنها استنسخت نسختان احتفظت مكتبة مدريد بواحدة واحتفظت مكتبة باريس بالاخرى •

وقد عنى بهذا الكتاب اثنان من المستشرقين هما دوزى ومولر فنشر أولهما منه جزءا كما نشر الثاني منه جزءا ، وبقي الكتاب لايبلغ المفيدون منه مايريدون الى ان أتاح الله للسيد الدكتور حسين مؤنس فنشره علينا في جزءين وقبل أن أحدثك عن جهد لاحق دعني أحدثك عن جهد سابق ، وأعني به جهد ابن الابار في كتابه الحلة السيراء •

لقد جمع ابن الأبار في كتابه هذا تراجم قرون سبعة ، بدأها بالقرن الاول الهجري وانتهى فيها الى منتصف القرن السابع الهجري •

وكان مجموع من ترجم لهم مائة وسبعين (١٧٠) تنضم اليها أحاديث مختصرة عن ست وأربعين (٤٦) لم يجد لهم ما يكمل أن يكون ترجمة •

ولقد شارك بن الابار بمثل هذا المجهود في عمل سابق مماثل ، هو المكتبة الأندلسية التي بدأها ابن الفرضي (٣٥١ هـ ـ ٤٠٣ هـ) بكتابه علماء الاندلس والذي وصله من بعده ابن بشكوال(٤٩٤هـ ـ ٥٧٨ هـ) بكتابه الصلة ، ثم جاء بن الأبار فوضع كتابه « التكملة » • ولقد جاء بعد ابن الابار رجلان وصلا هذا العمل الذي بداه ابن الفرضي وشارك فيه ابن الابار ، وهما ابن عبد الملك (٦٣٤ هـ ـ ٧٠٣هـ) وابن الخطيب (٦٢٧ هـ ـ ٧٠٨ هـ) •

ولعل هذه المشاركة أوحت الى ابن الابار ان يستقل بوضع كتاب شامل جمع فيها تراجم سبعة قرون كما حدثتك تنقص نصف قرن • ولقد جود ابن الأبار في هذا التأليف وكانت ميزته فيه الاستيعاب الممتع على حين كان أسلوب المكتبة الاندلسية يلتزم الاختصار الذي لا يتناول غير اسم المترجم له وبلده وميلاده ووفاته ثم شيوخه وتلاميذه وكان هذا الاسلوب أشبه بالسجل منه بالترجمة •

وبهذا الأسلوب الخصب الغنى بالحوادث والأخبار ترك لنا ابن الأبار كتابا لايستغنى عنه ناظر في تاريخ الاندلس •

غير ان هذا الجهد الجليل السابق الذي خطه ابن الابار بيمينه لم يكن من اليسير الافادة منه لولا جهد لاحق اضفاه الدكتور حسين مؤنس على هذه المخطوطة فقوم نصوصها واقام أبياتها وضبط أعلامها ضبطا لايقوى عليه الا من كانت ثقافته الاسبانية الى جانب ثقافته العربية •

وحسبي أن أحيلك الى الكتاب في طبعته الجديدة التي أخرجتها الشركة العربية للطباعة لتقع على هذا المجهود اللاحق بين ثنايا الصفحات وفي أذيالها ثم في تلك المقدمة الدارسة والفهارس المصنفة •

وبعد فما اجدر المختصين أن يضموا الى حصيلتهم حصيلة ، ثم ما أولاهم أن يقربوا هذا الكتاب للناس ليشاركوهم الرأى وليكونوا معهم على ثقافة مشتركة

ابراهيم الابياري

الإشهاد على المهادنات والمعاهدات
في تاريخ العرب والإسلام

بقلم : محمد عبد الغني حسن

يلاحظ ان « **صلح الحديبية** » هو أول وثيقة دبلوماسية فى الاسلام ، بل هو أول مهادنة فى التاريخ الحربى للامة العربية الاسلامية . وتعد من الناحية السياسية ربحا عظيما للدولة الاسلامية الناشئة . فقد كان عقد هذه المهادنة فى السنة السادسة من الهجرة ـ أى بعد بضع عشرة سنةمن تاريخ نشأة الاسلام والدعوة اليه ـ ولهذا كان ما حققته من مكاسب ـ على الرغم من استعلاء قريش فيها وفى املائها ـ نجاحا كبيرا للدعوة الاسلامية الناشئة ، وللدولة الاسلامية الجديدة ، التى نجح محمد عليه السلام فى جعل قريش تعترف بها وبكيانها الجديد .

ولقد قام بين العرب بعضهم بعضا فى الجاهلية مهادنات ومعاهدات وصلوح ، كما قام بينهم وبين غيرهم من الامم الاجنبية المجاورة ، الا أن مهادنة الحديبية ـ وهى هدنة بين فريقين من العرب ـ لا تدانيها مهادنة أخرى من حيث الاهمية والخطورة والنتائج العظيمة التى ترتبت عليها .

ولقد كان النبى عليه السلام وهو على رأس المسلمين المؤمنين برسالته الجديدة طرفا أولفى هدنة الحديبية ، كما كانت قريش المشركة وعلى رأسها سهيل بن عمرو ، طرفا ثانيا فى هذه المهادنة وكانت هذه المعاهدة الاولى فى الاسلام مكتوبة مدونة ، ولم تكن صلحا شفويا يتفق عليه الطرفان المتعاقدان باللسان .

وقد تولى كتابة مهادنة الحديبية « على بن أبى طالب » من معسكر المسلمين ، كما قام بالشهادةعلى هذه الوثيقة جماعة من المسلمينوجماعة من المشركين دونت أسماؤهم جميعا فى ذيل الصحيفة ، وأشير قبل ذكر اسمائهم الى أنهم الذين اشهدوا على هذا الصلح .

وكان شهود هدنة الحديبية من المسلمين : أبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بنعوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ومحمود بن مسلمة وكان بعض شهودها من مشركى قريش مكرز بن حفص .

وهكذا نرى فى أول وثيقة سياسية دبلوماسية فى الاسلام اسم كاتبها واسماء شهودها من الطرفين المتعاقدين ، مما عد تقليدا جرى عليه العمل بعد ذلك فى كتابة المعاهدات والمهادنات بين العرب وغيرهم ممن يتهادنون معهم ، أو بين فريقين منالعرب المسلمين اتفقوا على الصلح والمهادنة ، كما حدث بين الامام على بن أبى طالب وبين معاوية حين نوزع الخليفة الرابع على الخلافة .

وقد جعل كتاب الدواوين وشيوخ كتابة الوثائق الاشهاد على عقود الهدن وعهود المصالحات شرطا ضروريا فى كتابة عقد الهدنة ، ومن أول من دعا الى ذلك الكاتب الديوانى على بن خلف بن عبد الوهاب صاحب كتاب « موارد البيان » ـ وهو من كتاب القرن الثامن الهجرى ، ثم تابعه على هذا الكاتب المصرى القلقشندى صاحب « كتاب صبح الاعشى » الذى نقل كثيرا مما كتبه ابن خلف وصاحب كتاب « التعريف » فى هذا الشأن ، ويقول صاحب الصبح فى هذا : (ومنها ان يقع الاشهاد على كل منالمتعاقدين بذلك . ولا بأس باثبات ذلك . وقد جرت العادة انه يشهد على كل ملكجماعة من اهل دولته، ليقضى على ملكهم بقولهم ، وان كان مخالفا فى الدين . وقد ثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم اشهد على مصالحته مع قريش رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين) .

ويقصد صاحب صبح الاعشى بهذه المصالحة صلح

الحديبية ، فهى المصالحة الاولى والاخيرة مع المشركين، وان كان للنبى عليه السلام غير ذلك معـــاهدات ومصالحات مع اهل ايلة ، واهل اذرح ، واهل مقنا، ومع نصارى نجران ، ومع يهود خيبر ، ومع يهود المدينة ، ومع بنى عاديا من يهود تيماء وغيرهم .

وقد يكون الشهود على الصـــلح او المهادنة او المعاهدة أو صلح الامان من طرف واحد، وهو الطرف الذى أعطى العهد ، وأخذ على نفسه الموثق ، وتكون الشهادة هنـــا توكيدا للعهد وتوثيقا له . كما فى الرواية الاخرى لمعاهدة النبى مع اهل خيبر والمقناء فقد شهد عليها من جانب المسلمين عمار بن ياسر ، وسلمان الفارسى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو ذر الغفارى . ولم يذكر فى هذه الوثيقة شهادة واحد من الطرف الآخر غير المسلم .

والشهود عادة لا يقلون عن اثنين ، وقد يبلغـون العشرات كثرة . ولم نجد ـ فيما نعلم ـ صلحا او مهادنة اسلامية عربية شهد عليها شـــاهد واحد وحسب . فان الشهادة فى الاسلام لاتقوم الا على رجلين ، وفى بعض الاحوال ، على رجل وامراتين .

ومن المهادنات والصلوح العربية التى شهد عليها شاهدان اثنان : عهد النبى عليه السلام لوفد ثمالة من اهل عمان ، فقد كتب الصحيفة ثابت بن قيس، وشهد عليها اثنان هما : سعد بن عبادة ، ومحمـــد ابن مسلمة . وكذلك العهد الذى كتبه عمر بن الخطاب لاهل نجران فى خلافته حين اجلاهم عن أرضهم ، فقد شهد عليه اثنان : هما عثمان بن عفان ، ومعيقيب الذى كان كاتبا وشاهدا معا . وكذلك العهد الذى كتبه النبى عليـــه الســلام لأهل جرش ، فقد كان شاهداه اثنين : عمر بن الخطاب ، ومعاوية بن ابى سفيان ، الذى قام بدور الكتابة له والشهادة فيه .

اما المعاهدات الاسلامية التى شهد فيهـــا ثلاثة فمنها العهد الذى كتبه النبى عليه السلام للداريين ، وقد كان شهوده العباس بن عبد المطلب ، وخزيمة ابن قيس ، وشرحبيل بن حسـنة .

ومن العهود والوثائق الاسلامية التى شهد عليها اربعة ، العهد الذى كتبه النبى عليه السلام لبنى جعيل من قبيلة بلى ، فقد شهد عليه اربعة هم : العبـــاس ابن عبد المطلب ، وعلى بن ابى طالب ، وعثمان بن عفان وأبو سفيان بن حرب .

وتصادفنا وثيقة سياسية فى زمن النبى عليـــه السلام شهد عليها خمسة من الرجال ، وهى معاهدة النبى مع نصارى نجران ، فقد شهد عليها أبو سفيان ابن حرب ، وغيـلان بن عمرو ، ومالك بن عوف ، والاقرع بن حابس الحنظلى ، والمغيرة بن شعبة .

اما العهود الاسلامية لغير المسلمين التى شـهد عليها كثير من المسلمين فهو العهد الذى كتبه النبى عليه السلام للسيد بن الحارث بن كعب واهل ملته من النصارى ، وقد قام معاوية بن أبى سفيان بكتابته وشهد عليه أكثر من ثلاثين شاهدا من المسلمين .

وهم : ابو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وعمر ابن الخطاب ، وعلى ابن ابى طالب ، وابو ذر ، وابو الدرداء ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن مســـعود ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العبـــاس ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وثمامة بن قيس ، وزيد ابن ثابت ، وولده عبد الله ، وزيد بن ارقم ، واسامة ابن زيد ، وعمـار بن مظعون ، ومصعب بن جبير ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبو حذيفة ، وخوات ابن جبير ، وهاشم بن عتبه ، وعبد الله بن خفاف ، وكعـب بن مالك ، وحسـان بن ثابت وجعفر بن ابى طالب .

وفى بعض الوثائق والمعاهدات والهدن الاسلامية لا يدون الكاتب اسماء الشهود الحاضرين فى الوثيقة بل يكتفى بعبارة تدل على شهودهم وحضورهم فى المجلس دون ذكر لاسمائهم . وقد حدث هـذا فى العهد الذى كتبه النبى صلى الله عليه وسلم لقبيلة خثعم ، فقد جاء فى ذيله هذه العبارة : « شهد جدير ابن عبد الله ومن حضر » . كمـا حدث مرة أخرى فى العهد الذى كتبه عليه السلام لأكيدر واهل دومة الجندل ، فقد جاء فى آخره : « شهد الله ومن حضر من المسلمين » .

ويلاحظ هنا الاشهاد على العقد والعهـــد بالله ، والاشارة الى أن الله شاهده .. وحسبكم من عهـد يؤكده الله ويوثقه بشهادته التى لانقض لها ، ولامفر منها ! وفى هذا ابلغ توثيق لكتابة العهود والمهادنات فى الاسلام .

ولعل أكثر ما رأيناه من العهـــود والمهادنات الاسلامية عدد شهود هو ذلك العهد الذى وقع بين الامام على بن ابى طالب وبين معاوية بن أبى سفيان فى قضية التحكيم التى قامت بينهما لانهاء حالة الحرب التى وقعت بين فئتين من المسلمين . فقد كان لابن عم رسول الله وخليفته الرابع من بعده أنصـــاره ومؤيدوه ، وكان لمعاوية أنصاره من أهل الشـام . واشترك رجال من كل فريق من الفريقين فى الشهادة

على العهد الذى قام بين الطرفين للصلح . فكان من شهوده من أصحاب على كرم الله وجهه : الاشعث بن قيس ، وعبد الله بن عباس ، والاشتر بن الحارث ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، والمصين بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطفيل بن الحارث ، وابو اسيد بن ربيعة الانصارى ، وخباب بن الارت ، وسهل بن حنيف الانصارى ، وأبو اليسر بن عمرو الانصارى، ورفاعة بن رافع بن مالك وتسعة عشر شخصا غير هؤلاء لاداعى لذكر اسمائهم هنا لضيق المقام .

وكان من شهوده من أصحاب معاوية بن ابى سفيان واحد وثلاثون رجلا منهم : حبيب بن مسلمة ، ومعاويه بن حديج الكندى ، وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد المخزومى، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعلقمة بن يزيد الحضرمى، وعبد الله بن عامر القرشى، ومروان بن الحكم ، وعلقمة بن حكيم ، والوليد ابن عقبة القرشى ، وعقبة بن أبى سفيان ، ومحمد ابن عمرو بن العاص ، وبسر بن اطاة القرشى وغيرهم .

ونلاحظ فى المعاهدات والمهادنات الاسلامية الاولى تردد أسماء جماعة من شهود المسلمين على اكثر من عقد أو صلح أو معاهدة ، فمن أسماء الشهود التى تتردد : أبو بكر الصديق ، وعثمان ابن عفان ، والعباس بن عبد المطلب عم النبى عليه السلام ، وشرحبيل بن حسنة ، وعلى بن أبى طالب وعمر بن الخطاب ، ومحمد بن مسلمة الأنصارى ، والمغيرة بن شعبة .

كما نلاحظ ان من كتاب هذه العهود والمهادنات جماعة اسلامية عرفت بالكتابة واشتهرت بها ، منهم ، على بن أبى طالب ، ومعاوية ، وعبد الله بن أبى بكر الصديق ، والمغيرة بن شعبة ، وثابت بن قيس ، والعلاء بن عقبة ، والارقم ، وجهيم بن الصلت ومحمد بن مسلمة الانصارى .

« **محمد عبد الغنى حسن** »

ذكرى ابراهيم ناجى

للشاعر السودانى ابو القاسم عثمان

يا شعاعا تائها خلف الضباب ومنى ترتاح فى كف العدم
هرم الصبح وجافانا الشباب وزهقت آمالنا رغم الالم
لم نذق طعم الحياة المستطاب وشقينا بالتمادى فى الضرم
ونسينا كاسنا والحببا !

عطر الله ثراك الأنضرا كيف يحوى القبر احساس الحياه؟!
ضعت فى الترب شعاعا اخضرا وسرت فيه عيون ومياه ...
ذاك دفاق يمج الكوثرا فى ضريح سحب الذيل وتاه ...
نام فيه من اقام الأدبا

ناج اطيافا له تندبه فى الليالى فى (ليالى القاهره)
انها ما فتئت تطلبه تتسالى من رؤاه العاطره
سيظل الدهر يحدو ركبه بالأناشيد الرقاق الفاخره
ذاك دين رده قد وجبا

يا رياحا عذبة خلف (الغمام) اين بالله كنار صدحا
اين ابراهيم يشدو بالغرام غامض من سره ما وضحا !
اين تخفاق وشوق وهيام حلم لاح ووهم جنحا
بقى الشعر و « ناجى » ذهبا

"الشورى" ... وتطبيقاتها في صدر الاسلام

بقلم: فتحي عثمان

- ٣ -

نقرأ للاستاذ احمد عباس صالح في مجلة (الكاتب) عن الشورى في حياة رسول الاسلام : « وفي حياة النبي **كان رجاله المقربون هم المستضعفون** وعلى رأسهم علي بن أبي طالب الذي لم يفارق النبي لحظة من حياته ، الا أن **السياسة العليا لتثبيت دعائم الدولة الجديدة اقتضت الا يدخل في مجلس الشورى** ، الذي لانعرف **بالضبط ما هي الصورة الرسمية التي تشكل على اساسها** ، فكل ما نعرفه انهم كبار المسلمين من حيث مركزهم القبلي والسياسي والذين تسري كلمتهم بالنسبة لمن يمثلونهم ، ذلك أن الآثار القبلية لم تكن قد زالت تماما ، فليس العهد بينهم وبين الاسلام الا عشر سنوات لم تستطع أن تغير شيئا بعد في التقاليد القديمة الراسخة . **هذا المجلس لم يكن يضم من اليساريين الثوريين الا علي بن أبي طالب** ، اما بقية اليسار فكان من المستضعفين الذين لايملكون قوة من اي نوع الا ما امدهم به صدق اسلامهم ونضالهم من أجله ، وهؤلاء هم معلمو الاسلام الذين كان يوفدهم النبي للقبائل التي دخلت في الاسلام حديثا ليفقهوهم في الدين .. ومن هذه الناحية وحدها كانوا يستمدون مكانتهم ، وهي مكانة كانت كبيرة وتأثيرها كان خطيرا على المسلمين جميعا ، حتى على أعدائهم . **ولو تشكل مجلس الشورى ، او على الاصح لو كان ممكنا ان يتشكل المجلس ، منهم لسار الاسلام سيرة أخرى تماما . ولكن ما كان يمكن ان يتصدر مجلس الشورى رجال من امثال سلمان الفارسي أو أبي ذر الغفاري أو عمار بن ياسر أو صهيب الرومي ، والقبيلة ما زالت في عنفوانها** ، واغلب هؤلاء أما مستضعفون واما عبيد من بلاد اجنبية .. وقد اكتفوا بهذا اللقب الخطير وهو (صحابة النبي) هؤلاء لم يدخلوا مجلس الشورى ولم يكن منهم رجال الحل والعقد ، **بل لعل المجلس لم يتشكل تشكيلا رسميا في عهد النبي ، انما** استنبطت شروطه بطريقة اجتهادية لعبت فيها السياسة دورا كبيرا . والارجح أن النبي لم يشكل هذا المجلس ليفرضه على المسلمين ، **وليس هناك ما يؤكد ان اهل الحل والعقد هم هؤلاء الصحابة من كبار رجال المال مثل** طلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وغيرهم ممن كانت تعد ثرواتهم أيام عثمان بالملايين ، انما هم كانوا أكبر المسلمين سلطة على قبائلهم وبحكم مراكزهم الاجتماعية كان الرسول يقربهم **ويستشيرهم كما يستشير غيرهم ولو كان العمر قد امتد بالنبي لوجدنا نظاما ثابتا ومحددا للشورى من حيث التطبيق العملي** . أما النص على الشورى فثابت في القرآن كمبدأ عام من المبادىء الأساسية في الاسلام .... » (ص ٤٣ - ٤٤ ع ٤٦)

هنا يحدد الكاتب وجود مجلس للشورى اقتضت السياسة العليا الا يدخله علي بن أبي طالب ، وان كانت لاتعرف الصورة الرسمية لتشكيله .... ويعود بعد سطور قليلة فيشير الى دخول «علي» هذا المجلس دون غيره من اليساريين الثوريين ... ثم يأتي في النهاية على ماقدمه فيذكر انه ليس هناك مايؤكد أن أهل الحل والعقد هم هؤلاء الصحابة من كبار المال وأن النبي كان يستشيرهم كما يستشير غيرهم ، وأنه لم يكن في عهد النبي نظام ثابت محدد للشورى !!

وهو يؤكد أن الرجال المقربين لرسول الاسلام كانوا هم المستضعفون .. ولست أدري لماذا لم

يجعلهم اذن أهل شوراه ـ وفقا لمنطق الكاتب ، وما كان أحد من المسلمين ليجرؤ على مخالفته وهو يترا قول الله « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » !!

ورجل كأبي بكر مثلا ... ألم يكن مقربا الى رسول الله ؟؟

وسعد بن أبي وقاص الذي قال عنه النبي : هذا خالي ، ودعا له باجابة الدعوة ؟

وعثمان : « الذي تستحي منه الملائكة » ـ كما وصفه رسول الله ؟؟

كل هؤلاء ... وسائر العشرة المبشرين بالجنة .. وغيرهم من أقطاب العرب المبرزين الذين أسلموا ، من مهاجرين وأنصار ... ألم يكونوا مقربين الى رسول الله ؟؟

ولنحاول أن ندرس « **الشورى** » **في عهد رسول الاسلام** ...

● « ان دعائم الحكومة في الاسلام هي الشورى ومسئولية أولي الأمر واستمداد الرئاسة العليا من البيعة العامة ... وقد قضت الحكمة أن تقرر هذه الدعائم غير مفصلة، لأن تفصيلها مما يختلف باختلاف الأزمنة والبيئات ، فالله أمر بالشورى وسكت عن تفصيلها ليكون ولاة الأمر في كل أمة في سعة من وضع نظامها بما لا يلائم حالهم ... »
(عبدالوهاب خلاف : السياسة الشرعية ص ٢٨-٢٩)

هذه هي الحقيقة الأولى كما قررها الأستاذ عبد الوهاب خلاف رحمه الله .. وقد انتهى اليها الكاتب بعد لأي !!

● نأتي الى الصورة التطبيقية ... أورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى « وشاورهم في الأمر » من سورة آل عمران : **ان رسول الله كان يشاور أصحابه ، شاورهم يوم (بدر) في الذهاب الى العير ، وشاورهم أيضا أين يكون المنزل** حين أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم ، **وشاورهم في** (أحد) أن يقعد في المدينة أو يخرج الى الكفار المهاجمين فأشار جمهورهم بالخروج اليهم فخرج اليهم ، **وشاورهم يوم (الخندق)** في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ ، وأبى عليه سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة فترك ذلك ، **وشاورهم** يوم (**الحديبية**) في أن يميل على ذراري المشركين فقال له الصديق : انا لم نجيء لقتال وانما جئنا معتمرين فأجابه الى ماقال ، **وقال صلى الله عليه وسلم في (قصة الافك) أشيروا علي** معشر المسلمين في قوم أبنوا أهلي ورموهم ؟ **واستشار عليا وأسامة** في فراق عائشة . فكان صلى الله عليه وسلم **يشاور في الحروب ونحوها** .

وواضح من هذا أن الرسول لم تكن له (هيئة) شورية ثابتة ، **وانما كان يستشير وفقا للمناسبات من كان يحضره** من الصحابة دون استثناء !!

● ولنمض الى تفصيل أدق ، فنعرض لواقعة من وقائع مشاورة النبي لأصحابه :

في غزوة بدر « ..... أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم **فاستشار الناس** ، وأخبرهم عن قريش . فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام **المقداد بن عمرو فقال** : يارسول الله : امض لما أراك الله فنحن معك ... ثم قال رسول الله : أشيروا علي أيها الناس ، وانما يريد الأنصار ... وكان يتخوف الا تكون الأنصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله قال **سعد بن معاذ** : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ، قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك .. فسر رسول الله بقول سعد .... فخرج رسول الله يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به . قال ابن اسحق : فحدثت عن رجال من بني سلمة انهم ذكروا أن **الحباب بن المنذر بن الجموح قال** : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال رسول الله : لقد أشرت بالرأي ... « سيرة بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ماوراءه ، من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملوءه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله : لقد أشرت بالرأي ... » (سيرة ابن هشام ـ ٢ ص ٢٦٦ ـ ٧ ، ٢٧٢) .

وهكذا كان **يشاور رسول الله من حضره من**

صحابته وفقا للمناسبات ، وكان يتقدم بالمشورة اى شخص يجد لديه رايا يريد ان يتقدم به ، وكان الرسول يقبل الراى السديد ولا يسال عن منزلة صاحبه وطبقته الاجتماعية ...

وفى غزوة الأحزاب اشار **سلمان الفارسى** على رسول الله بحفر الخندق حول المدينة لتحصينها ، ولم يكن هذا الاسلوب فى الحرب من عادة العرب ، فاقر الرسول الراى وشرع فى انفاذه .

وفى الحديبيه ، شكا الرسول من تباطؤ المسلمين عن انفاذ أمره فى أداء المناسك من حلق ونحر ، فقالت له زوجته **أم سلمة** : يا رسول الله انهم رأوا أمرا فى الله فلم ينالوه ، فكان حزنهم لما فاتهم من امر الله ، فان اردت ان تحملهم على طاعة الله ورسوله فاخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك . فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا .

● واذا كان لم يوجد تشكيل (رسمى) - على حد تعبير الكاتب - لهيئة ثابتة محددة للشورى فى عهد الرسول ، وانما استنبطت شروطه بطريقة اجتهادية لعبت فيها السياسة دورا كبيرا - على حد تعبيره أيضا - فاننا لا نجد فى هذه الشروط ما يقيم اعتبارا للمركز الاجتماعى .

فالماوردى مثلا (٤٥٠ هـ) يذكر أن الامامة تنعقد باختيار أهل العقد والحل ، فاما أهل الاختيار فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة : أحدها العدالة الجامعة لشروطها ، والثانى العلم الذى يتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة على الشروط المعتبرة فيها ، والثالث **الراى والحكمة** المؤديان الى اختيار من هو للامامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف وليس لمن كان فى بلد الامام على غيره من أهل البلاد فضل مزية تقدم بها عليه ، وانما **صار من يحضر ببلد الامام متوليا لعقد الامامة عرفا لا شرعا ، لسبوق علمهم بموته ولأن من يصلح للخلافة فى الأغلب موجودون فى بلده** » (الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٦)

● هذه هى (الشورى) فى عهد رسول الله ... « زعيم اليسار وواضع مبادئه » .... كما يقول الكاتب !

ونحن نقرا مثلا للدكتور طه حسين أن عمر اتخذ من **خاصة أصحاب النبى** مجلسا **يوشك** أن يكون مجلس شوراه ، ولو قد مد له فى العيش لكان خليقا ان يضطرهم الى أن يرضوا بهذه المنزلة فيكونوا أصحاب الحل والعقد ، يشيرون على الخلفاء دون ان يدخلوا فى أمور الحكم التفصيلية من قريب أو بعيد (طه حسين : الفتنة الكبرى ص ٤٧) .

واذا كان مجلس الشورى كهيئة ثابتة محددة لم يتقرر فى عهد عمر ، فهو من باب أولى لم يتقرر فى عهد الرسول ...

وقد انتهى الكاتب الى شىء من ذلك بعد عناء... وبعد حديث عن المستضعفين واليساريين الثوريين.. ابرم فيه أمورا وأطلق دعاوى ، ثم عاد ينقض ماأبرمه ويقيد ما اطلقه ... فماذا يدعو الى تقديم القول عن « مجلس للشورى » يضم كبار المسلمين من حيث مركزهم القبلى والسياسى ، ذلك أن « الآثار القبلية لم تكن قد زالت تماما » ، ويستثنى الكاتب من عضويته تارة على بن ابى طالب اذ « أن السياسة العليا لتثبيت دعائم الدولة الجديدة اقتضت الا يدخل فى مجلس الشورى » وتارة أخرى يستثنى الكاتب من عضوية هذا المجلس « اليساريين الثوريين عدا على بن أبى طالب » !! ... ماذا يدعو الى تقديم هذا كله ، اذا كانت النهاية التى خلص اليها الكاتب انه « ليس هناك مايؤكد ان اهل الحل والعقد هم هؤلاء الصحابة من كبار رجال المال انما هم كانوا أكبر المسلمين سلطة على قبائلهم ، وبحكم مراكزهم الاجتماعية كان الرسول يقربهم ويستشيرهم كما يستشير غيرهم ، ولو كان العمر قد امتد بالنبى لوجدنا نظاما ثابتا ومحددا للشورى من حيث التطبيق العملى .. » !!

بل ان الكاتب قد انتهى الى ماهو اقطع واصرح فى الحلقة الثانية من مقاله حيث قال « ... وسنرجع أيضا لمجلس الشورى ، وهو **مجلس لم يكن موجودا بصفة رسمية ولا بصفة غير رسميه فى عهد الرسول ، انما هو مجلس اوجده عمر ليتولى ترشيح الخليفة** أو اختياره بصورة أدق . وقلنا ان هذا المجلس لم يكن فيه من يمثل اليسار الا عليا ولم يكن له وظيفة رسمية الا اختيار الخليفة فى مدة حددها عمر هى ثلاثة ايام ، اما فيما عدا ذلك فالخليفة يستشير فى أمور الدولة من يستشيرهم سواء من هذا المجلس أو من غيره ... ص ٢٥ - ع ٤٧ » !

« **فتحى عثمان** »

(**للبحث بقية**)



تفسيرات خاطئة لنصوص القرآن

لعل من الخير أن أتوج هذا البحث بكلمة السيد الرئيس الواردة فى الميثاق عن تكوين الأسرة بأنها - أساس المجتمع .

وفى هذه الصفحات المحدودة لن أناقش فيها « قضية المرأة والرجل » لأن المقام لا يسمح بمثل هذه المناقشة التى ربما يستغرق بحثها فصولا بل كتبا بأسرها .

ولقد دفعنى الى الكتابة فى هذا الموضوع ما عالجتنى قراءته فى زحمة الآراء التى تصدت لمعالجته باعتباره موضوعا خطيرا يمس كيان الناس وحياتهم ..

وقد دس أناس أنوفهم فى هذه القضية الحيوية دون تثبت أو فهم صادق لهذا الموضوع الخطير .... ولكن قبل أن نسترسل فى هذا البحث يجب أن نقرر أنه من الحقائق الثابته أن الاسلام احترم حرية الفرد وارادته بغض النظر عن نوعه .... ولكنه يعلن أيضا فى صراحة تامة أنه اذا كان هناك ثمة خلاف فى الرأى فتكون كلمة الفصل فيه لله ورسوله .

وحول هذه القضية التى أشرنا اليها نشطت أجهزة الاعلام بأنواعها - من اذاعة وصحافة - نشاطا محمودا يذكرلها بالفضل الجميل والثناء المحمود... وكان من مظاهر هذا النشاط أننا رأينا الندوات وقرأنا فى الصحف الكثيرة من آراء الرجال الفضلاء والسيدات الفضليات .

وكان من بين ما نشر فى الصحف اليومية ما قرأه الناس بجريدة الأخبار الغراء فى عددها الصادر بتاريخ ١٤/٢/١٩٦٥ على الصفحة الرابعة تحت هذا العنوان : « المرأة تعثر فى كتب الفقه على أن تعدد الزوجات حرام فى الاسلام » ، أقول : قرأ الناس العبارة السابقة : ولكن ما هى حقيقة المشكلة التى تواجهها المرأة ؟ لعلها مجرد نصوص جامدة لاتتفق مع التطور الموضوعى الذى حققته المرأة ؟ ... ثم تذكر الصحيفة آراء هؤلاء الثلاثة :

١ - انجى أفلاطون - مؤلفة كتاب « نحن النساء المصريات » .

٢ - فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى - عميد كلية الشريعة السابق .

٣ - الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله - الأستاذ بالجامعة .

وتنقل لنا الصحيفة رأى صاحبة كتاب « نحن النساء المصريات » ونصه : « ان الاسلام يدين تعدد الزوجات .... أو على الأقل هذا رأى فقهاء كثيرين، منهم المعتزلة قديما .. وكثير من الفقهاء المحدثين .

وتقول : ان المرحوم عبد العزيز « باشا » فهمى رئيس محكمة النقض الأسبق وأحد أساطين الفقه أعلن صراحة فى بحث قيم أن تعدد الزوجات حرام ، وأن تعدده محظور فى الاسلام ... ولكن كل قاعدة لها استثناء ، وكما تبيح الضروريات المحظورات فان قاعدة التحريم هذه يرد عليها استثناء ... ويقدر هذا الاستثناء الحاكم .. وأورد عبد العزيز فهمى أكثر من حجة لتدعيم رأيه ... ان الآية الكريمة التى تقول : « وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » . ان هذه الآية ليست واردة لتحديد عدد الزوجات بل قصد بها تقريع من يتزوجون باليتيمات اللاتى فى رعايتهم .

- ان تعدد الزوجات من الأمور الأساسية والقرآن أجل من أن يأتى بهذا الشأن الأساسى بصفة عرضية .

- ان القرآن استعمل كلمة « ما طاب لكم » ولم يستعمل كلمة « أحل لكم » .. والطيب قد يكون حلالا وقد يكون حراما .

- ان عبارة مثنى وثلاث ورباع ، لم يقصد بها التعدد ، والا كان التعدد يصل الى تسع زوجات و ١٨ زوجة ، لأن الأعداد معطوفة على بعضها بـ « الواو » ، اذا أريد بها فهم الآية فهما حرفيا ،وانما القصد بها هو الاستهزاء بالمتزوجين باليتيمات لتماديهم فى أكل أموالهم .

حول تنظيم قانون الأسرة



للدكتور جوده هلال

ـ ان القرآن أبقى على التعدد القائم بالنسبة للماضى ، اما بالنسبة للمستقبل فقد حرمه .. فالاصل فى الاسلام الزواج الفردى .

هـذا هو رأى انجى افلاطون نقلته بامانة عن الصحيفة اذ هو أخطر الآراء وأجدرها بالمناقشة ومبادلة الرأى .... وستكون مناقشتنا لهذا الموضوع مناقشة هادفة .. أساسها اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم والنصوص الصريحة والأحاديث النبوية الشريفة .

وبعد ـ فنقول : ان مؤلفة كتاب « نحن النساء المصريات » احتجت بالآية الكريمة : « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » وهى الآية رقم ٣ من سورة النساء ... ومعنى « انكحوا » أى تزوجوا .... يقول ابن منظور صاحب كتاب «لسان العرب» تحت مادة (نكح) لا يعرف شيء من كتاب الله تعالى فى ذكر النكاح الا على معنى التزوج ... يقول الله تعالى « وانكحوا الأيامى منكم » .. ويقول : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات » فهذا تزوج لا شك فيه .

ومعنى « ما طاب لكم » أى ماحل لكم من النساء كما يقول أعلام الفقهاء والمفسرين أمثال أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى صاحب التفسير المشهور المسمى « بالجامع لأحكام القرآن » .. وكما يقول أيضا جار الله الزمخشرى صاحب الكشاف ـ وهو من كبار رجال المعتزلة وشيوخهم ـ فى تفسيره لهذه الآية .

فاذا مارجعنا الى المعاجم اللغوية مثل « لسان العرب لابن منظور المصرى والقاموس المحيط للفيروزبادى لم نجد « الطائب » أبد لمعنى الحرام .. وانما الذى ذكرته هذه المعاجم تحت مادة « طيب » ان أكثر مايرد الطيب بمعنى الحلال كما ان الخبيث كناية عن الحرام .. وقد يرد الطيب بمعنى الطاهر .. ومنه الحديث الذى ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمار : مرحبا بالطيب المطيب ، أى الطاهر المطهر .. وتأتى بمعنى الحسن ، يقول الله تعالى : « وهدوا الى الطيب من القول » .. ويقول : « اليه يصعد الكلم الطيب » . وتأتى بمعنى الخير .. قال الله تعالى : « وبلدة طيبة » أى آمنة كثيرة الخير .. وأطاب الشيء وطيبه واستطابه : وجده طيبا .. وأطاب : تزوج حلالا .. هذا هو ماتذكره كتب اللغة ومعاجمها .. وهذه اللغة هى التى نزل بها القرآن الكريم .. يقول الله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » . فمن أين جاءوا بكلمة « الطائب » بمعنى حرام ، أو على حد قولهم : الطائب يكون حلالا ويكون حراما ؟

وقوله تعالى : « مثنى وثلاث ورباع »

فان الزمخشرى يحرر هذا المقام بقوله : ان مثنى وثلاث ورباع » معدولة عن أعداد مكررة ، والتقدير فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين ، وثلاثا ثلاثا ، واربعا اربعا .

ـ فاذا عن لمعترض هذا السؤال : ما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع ؟ فالجواب : أن الخطاب هنا للجميع ، فوجب التكرار ليصيب كل متزوج يريد الجمع بين العدد الذى أطلق له .. ومثال ذلك ان تقول للجماعة من الناس ؛ اقتسموا هذا المال بينكم قرشين قرشين ، وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ، ولو أفرد لم يكن لكلامه معنى .

ـ ويثير الزمخشرى سؤالا آخر .. فيما لوقال قائل : لماذا جاء العطف بـ « الواو » دون العطف بـ « أو » التى تفيد التخيير ؟

ـ والجواب : أنه لو جاء العطف بـ « أو » لذهب

معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه « الواو » .

وأما أبو عبد الله القرطبي فيزيد الامر وضوحا كعادته فيقول ما ملخصه : ان هذا العدد لا يدل على اباحة تسع نسوة ، أو ثمان عشرة امرأة - كما قاله من بعد فهمه للكتاب والسنة ، وأعرض عما كان عليه سلف هذه الأمة - وزعم أن « الواو » جامعة بين المعطوفات .. وأن من صار الى هذه الجهالة هم الرافضة .... - وهم كما يصفهم العلامة أبو محمد ابن حزم القرطبي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فيلسوف الأندلس ومؤسس المدرسة الظاهرية بها فى كتابه المعروف باسم « الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ٧٨ ، ص ٨٠ بقوله : والروافض ليسوا من المسلمين ، وانما هي فرقة حدثت بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - بخمس عشرة سنة ، ويزعمون أن على بن أبى طالب اله خالق ، وبعضهم يتنازل بعض الشيء ويدعى أنه نبي ناطق ، او على الأقل هو امام معصوم مفروضة طاعته ، وأن الشمس قد ردت عليه مرتين ، وهذا هو أقل مراتب درجاتهم فى الكذب .

هؤلاء الرافضة هم الذين جعلوا مثنى مثل اثنين ، وكذلك ثلاث ورباع ... وهذا جهل صريح باللغة ، وفهم خاطيء للسنة ، ومخالفة صريحة لاجماع الأمة ... اذ لم يسمع عن أحد من الصحابة - رضوان الله عليهم - ولا من التابعين أن جمع فى عصمته اكثر من أربع نسوة .

وهذا مالك بن انس امام اهل المدينة قد اخرج فى موطئه .. واتفق معه النسائي والدارقطني في سننهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لغيلان بن امية الثقفي وقد أسلم وتحته عشر نسوة : « اختر منهن أربعا وفارق سائرهن » ، وجاء في كتاب أبي داود عن الحارث بن قيس أنه قال: أسلمت وعندى ثماني نسوة ، فذكرت ذلك للنبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : « اختر منهن أربعا » .

وأما دعوى أن « الواو » جامعة بين المعطوفات .. فان الذوق العربي يأبى أن يقول : اثنين وثلاثة وأربعة ويقصد بذلك رقم «تسعة» دون التلفظ بهذا الرقم المقصود ... كما أن العرب كانت تستقبح أن تقول مثلا : اعط هذا الرجل أربعة ستة ثمانية ، اذا كان القصد اعطاء ثمانية عشر ، دون التلفظ بهذا الرقم المقصود وهو الرقم ١٨ .

ولكن الفهم الصحيح للعطف بـ « الواو » فى هذا الموطن أن تكون (بدلا) .. وعليه يكون المعنى : انكحوا ثلاثا بدلا من مثنى ، ورباعا بدلا من ثلاث . وهنا كانت نكتة العطف بـ « الواو » دون « أو » .

هـذا - واذا لم يكن فيما ذكرناه مقنع ، فاننا نلتمس أسباب نزول الآية الكريمة :« فانكحوا ماطاب لكن من النساء » ، علنا نجد فيها مايكشف الغمه ، ويزيل الصدأ ، ويعين على نوائب الدهر .

يقول الامام ابو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابوري فى كتابه « أسباب نزول القرآن » عن عائشة فى قوله تعالى : « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » قالت : انزلت هذه فى الرجل يكون له اليتيمة - وهو وليها - ولها مال ، وليس لها احد يخاصم دونها ، فلا ينكحها ، اي يزوجها - حبا لمالها ، ويضربها ويسيء صحبتها ، فقال الله تعالى : « وان خفتم » الآية ، اى ما أحللت لك ودع هذه . رواه مسلم عن أبى كريب عن أبى أسامة عن هشام .

وأخيرا ... فانه اذا كان تعدد الزوجات (حرام) فى الاسلام ، وأن كلمة « الطائب » قد يكون معناها الحلال كما قد يكون معناها الحزم على ما ذهب اليه المتفيهمقون والمتفيهقات وأرباب الأفكار الجديدة وادعياء التجديد فاننا نثير بعض الاسئلة :

أولا : ما هو الحال فى الزيجات التى وقعت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الشريعة ؟

ثانيا : ما هو الراى في عقود الزواج التى وقعت منذ عهد الرسول حتي اليوم - أهي عقود صحيحة أو باطلة ؟

ثالثا : ما هو الحكم في الأولاد الذين كانوا ثمرة لهذه العقود ؟

رابعا : والسؤال موجه الى الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله الأستاذ بالجامعة ، ما قولكم دام فضلكم فى المجتمعات التى لاتبيح التعدد ؟ أهى مجتمعات سليمة من الهزات الأخلاقية ؟ فهل ياقوم من جواب !

دكتور
جودة هلال



أين هدى الاسلام فى تقاليدنا ؟

بقلم : محمد عبد الله السمان

تحت عنوان : ماساة روميو وجوليت تتكرر فى طهطا ، كتبت المحررة الأستاذة نادية العسقلانى على صفحات اخبار اليوم ، قصة شاب وشابة حرمتهما التقاليد من الزواج ، وجمعهما قبر واحد .

وملخص القصة ان الفتى والفتاة ابنا عم ، عاشا فى بيت واحد ، وجمع الحب العف بينهما ، وكان كلاهما يكتم هذا الحب العف فى أعماق قلبه ، لان التقاليد الموروثة لا تسمح لمثله أن يبدو حتى على صفحات الوجوه ، وكانت أم الفتاة تعلم الحب المتبادل فى براءة بينهما وباركته حتى تسنح الفرصة لاتمام الزواج ، وفوجئت الاسرة بالاب يحمل اليها نبأ خطبة ابنته الى أحد الاثرياء ، وساد الوجوم ، ولكن احدا لم يجرؤ على المعارضة ، وكان النبأ صدمة للفتى والفتاة ، وكلما اقترب يوم الزفاف ازدادت الحسرة . وكانت العروس تذبل يوما بعد يوم ، ولم تجرؤ الام على مفاتحة الاب خشية بطشه ، وجاء اليوم الموعود ، وزفت الفتاة الى عريسها ، ولم يتحمل الشاب الصدمة فترك البلدة هائما على وجهه ، ولم تتحملها الفتاة أيضا فسقطت فريسة المرض . وعاد ابن عمها ليعيش فى ذهول ، ويقصد قبرها يوميا ويبقى بجوارها ساعات طوالا كرمز للوفاء ، وحتى هذا الوفاء اعتبره الاب خدشا لشرفه ، فحمل فأسه ، ولم يكن يرى ابن شقيقه الى جوار القبر يبكى ، حتى انهال بالفأس على رأسه حتى فارق الحياة .

هذه هى القصة أو قل ان شئت المأساة ، هذه المأساة : لو وقعت فى عصر الجاهلية الاولى لكان لها ما يبررها من بيئة العصر نفسه ، ولكن ان تقع فى القرن العشرين ، وفى بيئة مسلمة تدين بالاسلام لهو الخطب الاكبر ، وليس المؤلم وحسب أن تقع مثل هذه المأساة ، ولكن المؤلم ايضا ، أن هذه الفئة من النسوة اللائى يزعمن أن لهن رسالة فى الدفاع عن حقوق المراة ، ويوهمن انفسهن بأن الاسلام يعقد الامور ازاء هذه الحقوق ، وليس امامهن الا الطلاق وتعدد الزوجات ، فيصررن على الغائهما من التشريع ، مع أن الاسلام لا يراهما الا رخصتين يلجأ اليهما المضطر ، ولو عقلت هذه الفئة من المتزعمات ، لوجهت كل نشاطها الى الغاء ما تبقى فى العقول من تقاليد الجاهلية الاولى ، فلم تزل الفتاة فى نظر كثير من الاسر فى الصعيد ، سلعة يتصرف فيها الاب كيفما شاء ، وتكون آخر من يعلم بشأن مستقبلها ، وهناك ما هو أدهى وأمر ، فقد يتفق والدان على زواج طفل وطفلة فى المهد ، وينفذ الاتفاق قبل أن يبلغ الطفلان اشدهما .

أجل ، لو وجهت هذه الفئة من المتزعمات نشاطها الى تقاليد الجاهلية الاولى ، لانتصرت بحق للمراة ، وحررتها من الرق الذى فرضته عليها هذه التقاليد ، ولوجدت من الاسلام الصحيح سندا لها ، ومعاونا على رسالتها .

فالطريقة التى يتم بها الزواج على أساس من الاجبار والاكراه طريقة لايمكن أن يقرها الاسلام بحال من الاحوال ، لأن الفقهاء يرون أن الركن الحقيقى للزواج ، هو رضا الطرفين ، وتوافق ارادتهما فى الارتباط .

والامام الشوكانى فى « نيل الاوطار » يرى ضرورة اعتبار الرضا من المراة التى يراد تزويجها ، وانه لابد من صريح الاذن من الثيب ، ويكفى السكوت من البكر **ويقول ابن المنذر** الفقيه المجتهد صاحب « **المبسوط** » فى الفقه والمتوفى ٣١٩ هـ : يستحب أعلام البكر ان سكوتها اذن « وبعض المالكية يرى ابطال العقد لو قالت البكر بعد العقد : ما علمت ان صمتى اذن » ويقول ابن شعبان من المالكية : يقال لها ذلك ثلاثا : ان رضيت فاسكتى ، وان كرهت فانطلقى »

قد يقول قائل : ان الولى فى العقد شرط لصحته، ويملك ان يسوق الينا حديث الرسول : « لانكاح الا بولى » ، وحديثه ايضا : أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل فنكاحها باطل

وعلى فرض صحة الحديثين المذكورين وقد تكلم فيهما ، لا يفهم منهما الا ان رأى الولى استشارى ليس الا ، والا فالاحاديث الصحيحة الثابته ان الاعتماد على رضا المرأة بكرا كانت أم ثيبا ، ففى الصحيحين ان خنساء بنت خدام زوجها ابوهاوهى كارهة وكانت ثيبا ، فاتت رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ فرد نكاحها ، وفى السنن : ان جارية بكرا اتت النبى ، فذكرت ان اباها زوجها وهى كارهة فخيرها . وقد جاءت فتاة الى رسول الله فقالت : يارسول الله : ان ابى زوجنى ابن اخيه ليرفع بى خسيسته . فجعل الأمر اليها . فقالت : قد أجزت ما صنع بى ، ولكن اردت ان اعلم النساء ان ليس الى الآباء من الامر شىء .

ويقول الامام الغزالى : الاحتياط فى حقها ـ اى المراة المرغوب فى الزواج منها ـ اهم ، لانها رقيقة بالنكاح ، لا مخلص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال .. وان كان كلام الغزالى منصبا هنا على ضرورة تعرف المراة على خاطبها لتطمئن على مستقبل حياتها ، فان الاحتياط فى مسالة رضاها اهم واحق .

هـذا والامام ابن القيم الجوزية فى الجزء الرابع من « زاد المعاد » بعد أن ساق الحديثين الصحيحين : « لا تنكح البكر حتى تستاذن » و « البكر تستاذن فى نفسها واذنها صماتها » عقب بقوله : وموجب هذا الحكم انه لا تجبر البكر البالغ على النكاح ولا تزوج الا برضاها ، وهـذا قول جمهور السلف ، ومذهب ابى حنيفة واحمد فى احدى الروايات عنه ، وهو القول الذى ندين الله به ، ولا نعتقد سواه ، وهو الموافق لحكم رسول الله وأمره ونهيه وقواعد شريعته ، ومصالح امته» ثم قال : ان البكر البالغة العاقلة الرشيدة لايتصرف ابوها فى اقل شىء من ملكها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه بدون رضاها ، فكيف يجوز ان يرقها ويخرج بضعها منها بغير رضاها الى من يريده هو وهى من اكره الناس فيه ، وهو من ابغض شىء اليها ، ومع هذا فينكحها اياه قهرا بغير رضاها ؟ »

الحق ان التقاليد لم يزل لها اعتبارها ، لدى كثير من العقليات التى ترفض الاستجابة الى هدى الاسلام ، والاب الذى صنع المأساة بعقليته المتخلفة مسئول امام الله والمجتمع عن قتل نفسين بريئتين بغير حق ، وكوننا نكتفى بانالقضاء سيقتص منه لهذا المجتمع لا يحل المشكلة المستعصية التى تتمثل فى تقاليد الجاهلية الاولى ، فهذا الاب ليس آخر اب يتنكر لهدى الاسلام ويعتز بحماقته هو فهناك مئات الآباء بل آلاف منهم لم يزالوا فى حصانة من تقاليدهم الموروثة ، وقد شهدت بنفسى حادثة منذ اسابيع معدودة ، فقد خطبت فتاة فى السنة النهائية من الجامعة الى شاب دون ان تجرؤ حتى على السؤال عنه فضلا عن أن تراه فى جلسة عائلية لدقائق معدودة ، وحين طلبت شقيقتها وهى مدرسة ان تمكن من رؤيته لتطمئن شقيقتها ، ثار الاب ، وثار معه شقيقها وهو شاب جامعى لان التقاليد لا تسمح بمثل هذه الجراة ،

قال الشيخ سيد سابق فى الجزء السادس من فقه السنة :

« للمراة أن تنظر الى خاطبها ، فانه يعجبها منه مثل مايعجبه منها ، ثم ساق قول عمر :

« لاتزوجوا بناتكم من الرجل الدميم ، فانه يعجبهن منهم مايعجبهم منهن . »

وبعد ـ فان التقاليد الموروثة عن الجاهلية الاولى لم تزل فى حاجة الى اهتمام بالغ ، ولن يعين على ازالتها والغائها من بعض العقليات المتخلفة سوى هدى الاسلام ، واذا كانت وسائل الاعلام على تعددها يفوتها أن تؤدى دورها فى القضاء على هذه التقاليد المستهجنة ، فأى عذر لوسيلة من وسائل الاعلام ابلغ اثرا ، واشد تاثيرا ، واقوى نفاذا الى القلوب والعقول معا ، واقصد بالطبع خطبة الجمعة ورسالة الوعظ والارشاد ولا سيما فى بلاد الصعيد ، ومن يدرى فربما لم يسمع بهذه المأساة واعظ طهطا وائمة مساجدها ، واساتذة معهدها الدينى .

ان مهمة الواعظ الدينى يجب ألا تقف عند حد التبشير بالجنة والتخويف من النار ، بل يجب أن تتعمق فى مشكلات المجتمع المستعصية لتعالجها بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولو أحسن المسئولون الدينيون بمدينة طهطا ، لاتخذوا من المأساة مجالا فسيحا للتوعية الدينية ، فعقدوا الندوات فى كل قرية ، والهبوا مشاعر المصلين فى كل مسجد ، وحركوا أحاسيس المستمعين فى كل قاعة ..

ولو أحسنت وسائل الاعلام وعلى الاخص الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، لجعلت من المأساة قضية تشغل أذهان الرأى العام ، وينتصر فيها لهدى الاسلام الصحيح ..

ولا نملك بعد الا أن نقول للمتحذلقات الداعيات الى انصاف المرأة فى مجال المطالبة بتحريم ماأحله الله وحسب : انزلن الى الريف وبلدان الصعيد لتتعرفن اولا على حقوق المرأة المهضومة التى امتصتها التقاليد الموروثة عن الجاهلية الاولى ، وأقرها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ..

محمد عبد الله السمان

موطن الأصفياء

للشاعر : قاسم ظهر

لمحات من الشاعر الصوفى الكبير
جلال الدين الرومى

قل لمن طاف بالربى العذراء
يتملى الوجود فى استحياء

قل لمن عاش فى الطبيعة يرنو
فى خشوع للأوجه الحسناء

ويناجى الجمال فى كل شيء
علوى التكوين والانشاء

بين روض معشوشب ومروج
غزلت سحرها عيون السماء

بين نهر يصب فى مسمع الأرض
نشيدا مستعذب الايحاء

بين طير يغازل الزهر نشوان
بخمر قدسية الارداء

بين صبح والشمس قد هدهدته
بضياء مستتبع بضياء

ومساء أفضى اليه أصيل
لليال سحرية قمراء

وربيع يطوف بالكون مزهوا
بما فى يديه من اغراء

قل له اى موطن خلع الحسن
عليه مطارف الاضواء

سيجيب المفتون فى لهفة الشوق
ويغوى القلوب بالاصغاء

كل ما شمته على الأرض حلوا
مشرق الحسن خالد الأصداء
موطن فيه للرضا سبحات
موطن الحب موطن الأصفياء !

كوميديا فى ثلاثة فصول

حبل الغسيل

بقلم: على أحمد باكثير

ملخص ما نشر :

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مديرالجمعية الاستهلاكية حاولا طرد ابى حنفى الكوجى من مسكنه بالربع ومن الحوش الذى يتخذه ابو حنفى منشرالغسيله ولكن ابا حنفى قاوم هذه المحاولةبثبات، وتعطف عليه محسنة زوجة ابى الديوك التى تنكر علىزوجها اندماجه فى شلة تعمل على احتكار المنافع فيما بينهم فى كل مرفق. ففى المسرح لا يقبلون المسرحيات الا من شلتهم ولما سقطت المسرحية التى الفها بلعوم وفرضها ابو الديوك فرضا على المسرح نسبوا سقوطها الى الاستاذ مرغنى مخرجها والى حنفى ممثل الدور الاول فيها وقاموا بحملة صحفية ضدهما حتى اضطرحنفى الى ترك مسرح النهضة والالتحاق بمسرح النجوم .

واستمرا بلعوم التاليف للمسرح فقدم مسرحيةجديدة وضاق صدر مرغنى فصارحهم بالحقيقة واعلن براءته منهم وحمل على ذلك النوع من النقد الذى تمارسه الشلة لتفرض اتجاهها بالارهاب الفكرى ومختلف الوسائل . وكذبوا مرغنى وزعموا انمسرحية بلعوم قد نجحت نجاحا باهرا فى دمنهور حين قام باخراجها مخرج اخر لولا ان وفدا جاء من دمنهوروالبتوا ان المسرحية سقطت عندهم ايضا وقضت على فرقتهم الناشئة .

الفصل الثالث

المنظر : نفس المنظر كما فى الفصلين السابقين

يرفع الستار فترى زينات واقفة امام حبل الغسيل فى برندتها وهى تنشر بعض الثياب وكأنها ذاهلة عما حولها من شدة الحزن .

زينات : (تنشر بعض ثياب أبيها) واحسرتى عليك يا أبتاه ، هذه ثيابك وقمصانك باقية عندنا فى البيت وأنت ... انت فى السجن ! فى السجن يا أبى دفعة واحدة كاللصوص والمجرمين ! لهفى عليك يا أبتاه . ليتك كنت غائبا عنا فى سفر قريب او بعيد . اذن لصبرنا على غيابك ، ولكنا نفرح اذا جاءتنا رسائلك فنقرأها لذوى القربى والأصحاب ... لكن السجن يا أبى ما حيلتنا فى السجن ؟ اننا نتوارى من الناس خجلا ويخيل الينا أنهم يتغامزون علينا ويقول بعضهم لبعض كلما رأونى او رأوا أمى ، انظروا هذه الفتاة التى أبوها فى السجن ؟ أو هذه المرأة التى زوجها فى السجن !

(تسمع حسن قادم فتمسح الدمع من عينيها وتظهر التجلد والتماسك)

(تدخل سعدية)

سعدية : ماذا تصنعين هنا يا زينات ؟

زينات : أنشر هذا الغسيل يا ماما

سعدية : الم أقل لك اننا سنمضى الساعة ؟

زينات : ونترك هذا الغسيل مبلولا ؟

سعدية : ما كان ينبغى أن تغسل اليوم بالكلية

زينات : كنت قد نقعت هذه الثياب من الامس

سعدية : ما كان لك أن تنقعيها أمس

زينات : وعلام هذا العجل يا ماما ؟ على مهلنا

سعدية : قد عرفت ما ترمين اليه .. أن نبقى فى هذا المكان ولا ننتقل منه



زينات : أى والله يا ماما .. بقاؤنا هنا أحسن

سعدية : أيعجبك يا بنتى أن نبقى هنا وحدنا دون أن يكون معنا أبوك ؟

زينات : وفى الزمالك أيضا يا ماما لن يكون هو معنا

سعدية : يكفى هناك أننا سنغير المكان والسكان ، لن نرى هذه الوجوه التعسة . لن يعرفنا أحد فلن يشمت بنا أحد !

زينات : لم تميلين دائما الى سوء الظن بالناس ؟ لا أحد يشمت بنا أبدا ، ماذا يدعوه الى ذلك ؟

سعدية : أجل ، دافعى عنهم يابنت ! لعلك ما زلت تأملين أن يتزوجك ابنهم عصام

زينات : ما هذا الكلام الذى تقولينه يا ماما ؟

سعدية : أقول لك انه لن يرضى أن يتزوجك بعد الذى حصل .

زينات : لكنه هو قال لى نقيض هذا القول

سعدية : حتى لو رضى هو فلن يرضى أبوه ولا أمه

زينات : ان أردت الحق فأنت يا ماما التى تكرهينهم ولا تريدينهم .. أما هم فيحبوننا ويرثون فينا

سعدية : كان هذا فيما مضى حين كانوا يطمعون فى خير أبيك

زينات : وان أبى لم يمت .. فهو موجود

سعدية : موجود ؟ ان الموت يا بنتى كان أرحم

زينات : بعد الشر عنه يا ماما .. تفيها من فمك

سعدية : ما كان هذا على البال ، أصبحنا اليوم مهزأة عند من يسوى ومن لا يسوى

زينات : ما هذا يا ماما ؟ أوقد قطعت الأمل فيه ؟

سعدية : انها سبع سنين يا بنتى . يا ترى من يعيش . آه يا نارى ؟ الم يكونوا أولى منا ؟

زينات : من هم ؟

سعدية : عيلة أبى الديوك

زينات : أولى بماذا ؟

سعدية : بالسجن !

زينات : حرام عليك يا ماما

سعدية : لماذا ؟ ما كان أبو الديوك خيرا من أبيك فى شىء فكيف يقبضون على أبيك ولا يقبضون على أبى الديوك ؟

زينات : هذا صحيح يا ماما ولكن لا يصح لنا أن نشتمه ونشتم أهله ، انهم على أبى أمى حزن شديد

سعدية : فى حزن شديد ؟ تجدينهم مسرورين شامتين !

زينات : يا ماما حرام عليك

سعدية : أى حرام يا هذه ، من الذى خرب بيته ؟ نحن ام هم ؟

زينات : وما ذنبهم فى ذلك ؟

سعدية : لا يصح أن يخرب بيتنا دون بيتهم ، لا يصح أن نعيش فى هم وغم ويعيشوا هم فى سرور وسعادة

زينات : ولذلك كرهت أن تقيمى فى هذا البيت ؟

سعدية : طبعا يا بنتى . من الصبح وأنا أحاول أن أفهمك دون جدوى ! هيا الآن لمى هذه الهدوم

زينات : دعيها يا ماما حتى تنشف !

« البقية على صفحة ٣٤ »



تجلى الربيع بانواره   نضوع مجمر [illegible]اره
وزف المباهج للكائنات   تسيل على خفق أوتاره
حكيم الزمان أعاد الشباب   الى الارض فاعجب اعقاره
واضفى على الروض وشى العروس   ونضر أعواد أشجاره
امنا به من هزيم الرعود   وصر الشتاء وأعصاره
تقر العيون بآصاله   وتندى القلوب باسحاره
اديم الثرى مهرق ابيض   يخط به خضر أسطاره
ووشم الحقول وحلى الربا   عناوين شتى لأسفاره
وكل مطوقة في الغصون   تغنى على وحى قيثاره
به ضحك الدهر بعد القطوب   وراق لنا بعد أكداره
وراح يرنح اعطافنا   بصفو الغناء ومختاره



ربيع الزمان ، شباب الزمان   نقيس الحياة باشباره
يذكرنا بنعيم الجنان   فينعشنا عطر تذكاره
ويطربنا عذب الحانه   ويمتعنا حلو اسماره
به الشيخ راجع روق الصبا   وعاوده عهد تياره
وهز الهوى عطفه فانثنى   يجدد بالى أطماره
وراح الى الحسن يشكو الجوى   ويلقى اليه باعذاره



اتانا فتيا وضىء الشباب   على المركب الفائق الفاره
تردى الديابيج من حوكه   وكلل فوديه من غاره
اذا ما اجتلاه نجى الهموم   أفاض العزاء على ناره
أضاء سناه حداد الشتاء   وارقا ادمع أمطاره
كريم الخطا ينثر البشريات   تحايا حفى بزواره
عميم الندى أهل بيته   بحجاجه أو بعماره



للشاعر: علي الجندي

على بابه زحمة للوفود تقبل ضافى أستاره
يعيشون تحت « اشتراكية » بها يمرح الكل فى داره
تولى الشتاء ـ ذميم الذمام كريه المقام ـ بأصاره
فاهلا « بآذار » يمحو القتام ويجلو لنا حسن أقماره
وأهلا « بنيسان » يفشى الأقاح لنا مكنون أسراره
وأهلا « بأيار » تهفو الغصون طرابا الى لحن أطياره
ويهدى لنا الورد أنفاسه اذا حل معقود أزراره

***

عجبت لضيف يضيف الأنام ويقطعهم خير اقطاره
وينزلهم بين جناته ـ كراما عليه ـ وأنهاره
ويصدح فى عشه ذو الجناح ويهزج فى ظل اوكاره
ويغزو الهوى كل قلب طروب بعون الجمال وابكاره
فلست ترى غير عرس بهيج يدين الصباح لاسفاره
يقرط أسماعنا حليه ويبهج أعين نظاره
على الأفق منه صدى فرحة تشى للسماء بأخباره
نصوغ القوافى وصفا له وأشعارنا دون اشعاره
وننظم فيه عقود الثناء وبشارنا دون « بشاره »
وتزجى اليه طيوب المديح وليست سوى مسك عطاره

***

فليت الربيع يديم الثواء ويقصر عن طى مضماره
ويلقى عصاه فلا نصطلى لظى البين من طول أسفاره
وليت الفصول محاها الاله وأسقطها صرف مقداره
فما ان توازى ـ اذا عددت فضائلها ـ عشر معشاره
فلم يبق غير ربيع وسيم غزير حيا الخير مدراره
فنستاف عبقة ريحانه ونشتف زبدة خماره

« بقية المنشور على صفحة ٣١ »

سعدية : كلا .. قلت لك لميها فلميها !

زينات : رعى مبلولة ؟

سعدية : لا بأس ، سنضعها في بقجة وننشرها هنـــاك في بيتنا الجديد
(تبدأ سعدية في جمع الثياب فتضطر زينات الى معاونتها في ذلك)

زينات : طيب .. الا نذهب لنسلم عليهم ونودعهم قبل أن نمضي من هنا ؟

سعدية : أنا أذهب اليهم ؟ مستحيل !

زينات : ادعوهم فيجيئوا هم اليك ؟

سعدية : كلا لا اريد أن أرى وجه أحد منهم

زينات : تأذنين لي اذن أن أقوم بالواجب ؟

سعدية : كما تشائين لكن أسرعي .. نريد أن نمضي الآن
(تخرجان)
(يظهر عصام في البرانده)

عصـــام : (يتمتم) لا تريد أن تبقى ولا ليوم واحـــد : مسكينة زينات تعاني فوق مصيبة أبيها مضايقات امها !

محسنـــة : (صوتها) أهلا زينـــات .. كيف حالك وكيف حال والدتك ؟ هلمي بنا نقعد في البراندة (تظهر ومعها زينات) الله ! انت هنا يا عصام ؟ ماذا تصنع ؟

عصـــام : لا شيء يا ماما . كيف انت يا زينات ؟

زينات : الحمد لله

محسنـــة : اقعدي يا بنتي

زينات : شكرا يا خالة .. انا جئت لأسلم عليك قبل ان نمضي

محسنـــة : ما زلتم مصممين على ترك الربع ؟

زينات : نعم يا خالة . اليوم

محسنـــة : وجدتم لكم شقة في الزمالك ؟

زينات : الشـــقة الصغيرة التي حجزها ابي لنفســـه في عمارته

محسنـــة : الله يهديكم .. أتتركون بيتا كبيرا كهذا الى شقة صغيرة ليس فيها غير حجرة واحدة وفسحة ؟

زينات : لا بأس يا خالة .. مسكن موقت . سوف نعود هنا ان شاء الله . عن اذنك

محسنـــة : اجلسي قليلا . فيم هذا العجل ؟

زينات : اعذريني يا خالة ، انا سنمضي الآن ، ولكن لي رجاء اليك

محسنـــة : ما هو ؟

زينات : ان تسامحي امي فيما بدر منها ، ان اعصـــابها منهوكة هذه الايام

محسنـــة : قد سامحتها يا زينات،اني اعرف حالها وأعذرها، مسكينة ؟ كان الله في عونها !

زينات : شكرا يا خالة

عصـــام : (يقترب من زينات) لا تنسى الاتفاق الذي بيننا يا زينات

زينات : أنت الذي ستنساني يا عصام

عصـــام : مستحيل ان أنساك

زينات : ان لم تنسني وأنت في أوروبا فستنساني حين تعود

عصـــام : حين أعود ؟ كيف ؟

زينات : لن ترضى بي حينئذ .. ستتزوج فتاة أعلى ثقافة مني .

محسنـــة : أهذا ما تخافين منه ؟

زينات : نعم يا خالة

محسنـــة : حلها يســـير يا بنتي ، كمل انت تعليمك حتى يرجع عصام فلا يجد فتاة أعلى ثقافة منك

عصـــام : حلا .. هذا حل عظيم

زينات : ائذني لي الآن يا خالة . (تخرج ويخرج خلفها عصام)

محسنـــة : (تنظر ناحيةداخل الباب) ليليان . ليليان تعالى الآن . ما بقي عندي أحد .
(تدخل ليليان فتقف وراء البارافان في البراندة)

ليليـــان : (مكتئبة) يظهر انها رأتني يا محسنة .

محسنـــة : غير ممكن .. اني قدتها الى البرندة توا

ليليـــان : يظهر انها لمحتني عند مرورها بباب حجرتي

محسنـــة : على اي حال لا خوف من زينات ، اســـتطيع ان اعتمد عليها كما أعتمد على عصام ابني

ليليـــان : اخشى منها أن تخبر امها

محسنـــة : كلا أنها تختلف عن امها تمام الاختلاف . اطمئني يا ليليان

ليليـــان : كيف اطمئن يا محسنة وزوجي منتظر في كل لحظة أن يبلغه اختبائي عندكم . يا ويل جبلته منه ؟ ليس ببعيد أن يقتلني ويشرب من دمي !

محسنـــة : ومن أين يبلغه ذلك ؟

ليليـــان : لا يمكن أن يبقى مكتوما على الدوام . ان الشرطة يبحثون عني في كل مكان

محسنة : اذا عثرت عليك الشرطة فصارحيها بالحقيقة فانها حينئذ ستحميك ولن يقدر احد أن يمس شعرة واحدة من رأسك

ليليان : لست خائفة من الشرطة ، أنا خائفة من زوجي فقد صار مجنونا

محسنة : اطمئني على كل حال ، انك هنا فى أمان
(يسمع صوت سيارة وقفت خارج البيت)

ليليان : هذه سيارة زوجك الاستاذ محرم ؟

محسنة : أجل

ليليان : هذا الرجل يكرهنى يا محسنة ويكره بقائى عندك

محسنة : لا شأن لنا به

ليليان : هذا بيته يا محسنة

محسنة : وهل تقيمين فى بيته مجانا ؟ انك لتدفعين له مبلغا وقدره

ليليان : ومع ذلك أراه متضايقا من وجودى هنا بعد

محسنة : فليشرب من البحر

ليليان : الا يحتمل يوما أن يدل هو زوجى على مكانى

محسنة : كلا لا يجرؤ على ذلك لعلمه أن ذلك سيكون نهاية ما بينى وبينه

ليليان : أراه يلح على دائما ان أبلغ عن زوجى لكى يدخلوه مستشفى الامراض العقلية

محسنة : هذا فى الحقيقة يا ليليان اصلح لك ولزوجك

ليليان : لكن لا يصح أن أشهد عليه بالجنون قبل أن أتأكد انه مجنون حقا

محسنة : لا تخافى · انهم سيكشفون عليه فى أول الأمر ويضعونه تحت الاختبار

ليليان : واذا ثبت لهم أنه غير مجنون

محسنة : فسيطلقون سراحه

ليليان : وماذا يكون موقفى حينئذ ؟

محسنة : لن يكون أسوأ من موقفك الآن

ليليان : صه ، هذا زوجك قد طلع !

ابو الديوك : (صوته) محسنة ·· اين انت ؟ (يدخل) ها·· ··هنا فى الفراندة ؟ ألا تخشين يا مدام لجم أن يراك أحد من الجيران ؟

محسنة : لا ·· لا أحد يراها · هذا الساتر يحجبها

ابو الديوك : هيه ·· هل راجعت نفسك يا مدام لجم ؟

ليليان : فيماذا ؟

ابو الديوك : فى امر التبليغ عن زوجك · انه مجنون رسمى·· داير يشنع علينا فى كل مكان ·

ليليان : ماذا يقول عليكم ؟

ابو الديوك : وصوليون ·· انتهازيون ليس لنا مبدأ ·· الى آخر هذا الكلام الفارغ

ليليان : لكن هذا يا أستاذ لا يدل على أنه مجنون

ابو الديوك : عال والله ·· أتشتميننا انت أيضا يا مدام ؟

ليليان : لا والله ما قصدت أن أشتم أحدا··وانما أردت ان اقول ان هذا ليس بكلام رجل مجنون

ابو الديوك : فهذه هي الشتيمة يا مدام !

محسنة : أنت اذن الذى تشتم نفسك ، لانها لم تقصد الا ان تثبت لك ان زوجها الذى تتهمه بالجنون ليس بمجنون، أم تريد أن تتجنى عليها وتقولها ما لم تقل ؟

ابو الديوك : آسف يا مدام ·

ليليان : عن اذنكم ·· سأذهب الى حجرتى (تخرج)

محسنة : ماذا جرى لك يا رجل ؟ أهكذا تكون المعاملة ؟

ابو الديوك : قد اعتذرت اليها واعربت لها عن أسفى فماذا تريد بعد ؟

محسنة : انك دخلت دون أن تحييها ولو بكلمة !

ابو الديوك : اليس قد أصبحت واحدة من اهل البيت ؟

محسنة : لقد ساءها هذا منك

ابو الديوك : انا لم أسىء اليها فى شيء

محسنة : أنها تشعر انك متضايق منها ومن وجودها هنا فى البيت

ابو الديوك : هذا صحيح ولكن ماذا أصنع ؟

محسنة : لا حق لك·انها لا تقيم عندنا مجانا بل تدفع كل شهر مبلغا وقدره

ابو الديوك : وما قيمة هذا المبلغ فى هذه الايام ؟

محسنة : اياك ان تطالبها بالزيادة مرة اخرى ، لقد اخجلتنى المرة الماضية اذ طالبتها بثمن النور ·

ابو الديوك : وعلام الخجل ؟ اتخجلين من الحق ؟ انها تسهر طول الليل فى حجرتها تقرأ وتكتب ، والله لا تدرى كم سيكون حساب النور هذا الشهر ؟

محسنة : ألسنا قد اتفقنا على أن الزيادة فى حساب النور ستدفعها مدام لجم ؟

ابو الديوك : لم اذن تعودين الى حكاية النور ؟

محسنة : لأذكر انك قد أخذت منها حقك وزيادة فعليك أن تقابلها مقابلة طيبة

ابو الديوك : سأفعل ياستى من اجل خاطرك ولو أننى غير مطمئن من الناحية القانونية ، كيف أخبىء في بيتى شخصا يبحث عنه رجال الشرطة في كل مكان

محسنة : يا اخى انك تعلم انها لم ترتكب اى جرم وليس عليها اى مسئولية وكل ما هناك انها هربت من بيت زوجها بقميص النوم لانه كان يريد ان يقتلها

ابو الديوك : ألم يكن افضل لو تركتها فى بيت اخيك ؟

محسنة : والله لقد كان اخى مستعدا أن ينزلها فى سواد عينيه ولكنها هى التى استوحشت هناك وآثرت ان تقيم عندى لانى صاحبتها ، وعلى فكرة ماكان اخى لياخذ منها ولا نصف مليم

ابو الديوك : صحيح ؟

محسنة : لا تصدقنى ؟

ابو الديوك : لم لا أصدقك ؟ أليس أخوك هذا ابن أحد الاقطاعيين ؟

محسنة : هذه عادتكم ، تقلبون الأمور !

ابو الديوك : ماذا تعنين !

محسنة : من أولى بالمروءة والجميل والمعروف الاشتراكى أم الاقطاعى ؟

ابو الديوك : الاشتراكى طبعا

محسنة : وانت .. الاقطاعى انت ؟

ابو الديوك : معاذ الله ، انا اشتراكى قح على سن ورمح !

محسنة : علام اذن لا تعمل بهذه الاخلاق ؟

ابو الديوك : لست مغفلا فاضيع فلوسى على غير طائل

محسنة : أتعد ذلك اضاعة فلوس من غير طائل ؟

ابو الديوك : فأى شىء هو عندك ؟

محسنة : هكذا أنتم صنف لايحيط بعيوبهم الا الله تمدحون الاشتراكية وقلوبكم تلعنها وتلعنون الراسمالية وقلوبكم تعوم فى بالوعاتها ومجاريها !

ابو الديوك : اسمعى يا ست ليس عندى وقت لأستمع الى اسطواناتك هذه السخيفة (يهم بالخروج)

محسنة : (تستوقفه وتعترض طريقه) انظر ! أما آن لك أن ترجع عن غيك ؟ أتريد أن يصيبك مثل ما أصابه ؟ سبع سنين مع الاشغال الشاقة وعشرون ألف جنيه غرامة غير الاشياء التى صادروها عنده ؟

ابو الديوك : ما شأنى أنا بيلعوم ؟ أالتاجر أنا فى تموين الشعب مثله ؟

محسنة : يا محرم لا تحاول أن تخدعنى . انك تعرف ما أعنى !

ابو الديوك : أجل اعرف انك خائفة على

محسنة : على من أخاف اذا لم أخف على زوجى وأبى عيالى ؟

ابو الديوك : اطمئنى ولا تخافى .. أنا أبو الديوك !

محسنة : يا محرم لا تغتر بنفسك .. ستقع يوما على وجهك كما وقع غيرك

ابو الديوك : اطمئنى اطمئنى .. لا يمكن أن اقع أبدا. ان الذى يقع انما هو الذى تلفت أعصابه فينفعل من أقل شىء ويهتز من أقل صدمة اما انا فقد تعلمت اليوجا يا محسنة فأعصابى مثل الحديد .. انظرى (يقف على ام راسه فى الارض رافعا رجليه فى الفضاء) انظرى ! انظرى !

محسنة : قد رأيتك . مقلوبا على أم راسك !

ابو الديوك : (يعود الى وضعه الطبيعى) ان الذى يستطيع أن يقف مقلوبا هكذا لا يستطيع احد ان يقلبه أبدا. اسمعى يا محسنة ، عندى لك اليوم بشرى كبيرة

محسنة : أى بشرى ؟

ابو الديوك : لا تحبين أن تسمعيها ؟ هكذا أنت ما فرحت لى بشىء قط !

محسنة : يا أخى قلت لك اى بشرى يعنى أريد أن اسمعها منك

ابو الديوك : سوف أبنى لى عمارة جديدة .. ع . ة جـديدة (يترقص)

محسنة : (ببرود) مبارك

ابو الديوك : أتعلمين أين أبنيها ؟

محسنة : أين ؟

ابو الديوك : فى البقعة التى نحن فيها

محسنة : فى هذا الحى ؟

ابو الديوك : فى هذا الربع ! (يترقص)

محسنة : فى هذا الربع ؟

ابو الديوك : أى والله أى والله (يترقص)

محسنة : اشتريته ؟

ابو الديوك : أى والله اى والله (يترقص)

محسنة : وتريد أن تهدمه ؟

ابو الديوك : طبعا والا كيف أبنى ؟ (يترقص)

محسنة : ونحن أين نذهب ؟

ابو الديوك : الشهر القادم ستخلو شقة فى عمارتنا التى بالمنيل

محسنة : وعيلة بلعوم أين تذهب ؟

ابو الديوك : الى حيث تريد .. الى عمارتهم التى فى الزمالك، أهذه مشكلة ؟

محسنة : وأبو حنفى هذا الرجل المسكين أين يذهب ؟

ابو الديوك : هلا ذكرت اسمه من الأول ؟ انه هو وحده الذى يهمك أمره . كل لفك ودورانك هـذا كان من أجله !

محسنة : وماذا على اذا اهتممت برجل مسكين كهذا ؟

ابو الديوك : مسكين ؟ أهذا الذى ترجيناه عامين كاملين دون جدوى مسكين ؟

محسنة : ترجيتموه أن يخرب بيته بيده ليس فى الدنيا من يقبل ذلك على نفسه

ابو الديوك : سترين اليوم منذا ينفعه

محسنة : ما اشتريت الربع اذن الا لتطرد أبا حنفى منه ؟ يا ظالم لن يبارك الله لك فيه

ابو الديوك : (ساخرا) لن يبارك الله لك .. لن يخلف الله عليك .. يا شيخة ؟ لوكنت أسمع لدعواتك هذه لما استطعت ان أبنى لى ولا زريبة أرانب أو قفص فراخ ! هه .. هذا ابو حنفى فداقبل لعل الانذار قد وصله

محسنة : انذار ؟ أى انذار ؟

ابو الديوك : بالاخلاء
ابو حنفي : (يدلو من البرادة في الحوش) لا مؤاخذة يا جماعة .. نهاركم سعيد
محسنة : اهلا بك يا ابو حنفي .. هل من خدمة ؟
ابو حنفي : اشكرك يا ست هانم . الاستاذ محرم يعرف لماذا جئت
ابو الديوك : الانذار وصلك ؟
ابو حنفي : أفي الحق يا استاذ ان اليوم الذي تشتري فيه الربع تبعث لي فيه انذارا بالاخلاء ؟
ابو الديوك : ذلك لأني اشتريته لأهدمه وأبنيه عمارة .
ابو حنفي : الا تركتنا قليلا ريثما نبارك لك أو نهنيك ؟
ابو الديوك : آسف يا أبا حنفي نريد أن نهدمه في أسرع وقت ممكن
ابو حنفي : انك امهلتني ثلاثة أشهر وهذه مهلة غير كافية
ابو الديوك : هذا هو المعمول به بين الناس في حالة الاخلاء بالهدم
ابو حنفي : لكنا نحن يا استاذ محرم أليس لنا خاطر عندك ؟
ابو الديوك : ماذا تريد مني أن أعمل ؟ أعدل عن الهدم وعن البناء ؟
ابو حنفي : معاذ الله يا سيدي . انما اطمع منك في مهلة أطول
ابو الديوك : كم تريد ؟
ابو حنفي : ستة أشهر على الأقل ريثما نجد لنا مكانا ننتقل اليه
ابو الديوك : اسمع يا أبا حنفي خذها مني نصيحة ان كنت تطمع في مكان له حوش كهذا فارح نفسك . انك لن تجده ولو بحثت عنه ست سنين لا ست أشهر
ابو حنفي : دعني على الأقل أدبر حالي أو أبحث لي عن مخرج
ابو الديوك : كيف ؟ ماذا في وسعك أن تصنع ؟
ابو حنفي : (لا يحير جوابا)
محسنة : سبحان الله .. اعطه المهلة التي طلبها وليصنع بها ما يصنع !
ابو الديوك : كلا ليس له عندي غير المهلة القانونية
ابو حنفي : طيب طيب ، هل لك أن تسعى لي ليعطوني شقة في المساكن الشعبية التي يبنونها الآن هنا في معروف أو في المنيل ؟
ابو الديوك : انا أسعى لك ؟ لماذا ؟ أتظنني في وزارة الاسكان؟
ابو حنفي : تستطيع يا سيدي أن توصيهم علي . لقد وعدتني انت بذلك من قبل .. أوقد نسيت ؟
ابو الديوك : لا ما نسيت، كان الاستاذ عبد الواسع يومئذ معنا وكان هو يستطيع أن يسعى لك ويوصي عليك أصحابه
ابو حنفي : والآن ؟
ابو الديوك : لا أمل الآن الا اذا كنا سننتظره حتى يخرج بالسلامة ؟
ابو حنفي : أهي مسدودة من كل ناحية ؟
ابو الديوك : أنه كنت السبب ياما ترجيناك انا وهو يومئذ ورفضت حتى ضاعت الفرصة
ابو حنفي : لا بأس .. ما دام الأمر هكذا فما بقي لي غير طلب واحد .. آخر طلب لي عندك
ابو الديوك : ما هو ؟
ابو حنفي : ان تعيد لي ابني حنفي الى مسرح النجوم كما كان
ابو الديوك : انا مدير مسرح النهضة يا أبا حنفي ولمسرح النجوم مدير آخر
ابو حنفي : اعرف ذلك
ابو الديوك : فاذهب اليه لتترجاه
ابو حنفي : البركة فيك يا أستاذ .. تستطيع أن تتوسط لحنفي عنده
ابو الديوك : يا لك أبا حنفي من ساذج ، لا ينبغي أن يعرف مدير مسرح النجوم ان حنفي ممن يهمني امره والا كان ذلك أدعى له الى رفضه
ابو حنفي : كيف استطعت اذن ان تحمله على فصل حنفي من المسرح ؟
ابو الديوك : كلا . هذا غير صحيح ، حقا أنا فصلته من مسرح النهضة أما مسرح النجوم فلا شأن لي به
ابو حنفي : يا سيدي .. هدمت سكني في الربع وسأخليه لك، فماذا تريد مني بعد ؟
ابو الديوك : أنا لا أريد منك أي شيء
ابو حنفي : أترك ابني حنفي اذن يسترزق ! الى متى تحاربه؟
ابو الديوك : انا أحاربه ؟ أهو ند لي أو من أمثالي ؟
ابو حنفي : أستغفر الله انه في مكان ابنك على كل حال
ابو الديوك : فكيف تتهمني بأني أحاربه ؟
ابو حنفي : انا لا اتهمك معاذ الله انا اترجاك واتوسل اليك
ابو الديوك : عجيبة ؟ أتترجاني في شيء لا أملكه ؟
ابو حنفي : (فاقد الصبر) يا ناس ! ماذا ارتكبت في دنياي حتى تنهال هذه المصائب كلها على رأسي ؟
ابو الديوك : انت أعرف !
ابو حنفي : والله لا أعرف
ابو الديوك : ربك اذن هو العارف
ابو حنفي : يا رب ما أعظم حلمك . احلم عليهم يا رب كما تشاء . ولكن ارحمنا نحن ارحمنا يا رب !
ابو الديوك : اراك يا أبا حنفي قد شرعت في التلقيح . دعني اذن اترك لك المكان (يخرج)
محسنة : لا بأس يا اباحنفي اصبر، ان الله مع الصابرين
ابو حنفي : انا لا آسف يا ست محسنة الا على الغرامات التي كنت ادفعها للشاويش
محسنة : ما كان يخطر على البال يا أبا حنفي ان الربع سيباع
ابو حنفي : وليتها كانت من فلوسي انا لا من فلوس غيري !
محسنة : (تومىء له أن يخفض صوته حتى لا يسمع من في الداخل) النتيجة يا أبا حنفي واحدة .
ابو حنفي : لكن هذا دين علي ولا أدرى كيف أقضيه
محسنة : لا تبتئس انا على استعداد أن أقضي الدين الذي عليك

ابو حنفي : جزاك الله خيرا يا محسنة هانم . والله لا ادرى كيف أرد افضالك هذه كلها ؟

محسنة : العفو يا أبا حنفي،هذا لا يكافيء عشر ما اسديت الينا فيما مضى من أياد وافضال..والله لا أدرى كيف أدارى خجلى من اساءاتنا اليك

ابو حنفي : قد سامحته يا سيدتي من أجلك .. سامحته فى كل ما فعل

محسنة : انك بكلامك هذا لتضاعف خجلي

ابو حنفي : والله ما هذا قصدى ، اريد ان اقول ان السيئات التي ارتكبها ضدى ستنسى بعد قليل لكن حسناتك ستبقى محمولة على رأسي الى ان اموت

محسنة : اسمع يا أبا حنفي لماذا لم تطلب منه أن يرجع ابنك حنفي الى مسرح النهضة ؟

ابو حنفي : مسرح النهضة ؟

محسنة : نعم لانه هو مدير هذا المسرح فلا يبقى له عذر اذا رفض

ابو حنفي : اوتظنين انه سيقبل ؟

محسنة : سأحمله على القبول بالقوة

ابو حنفي : كما ترين يا محسنة هانم

محسنة : اترك هذه المسألة على انى سأكلمه واعرف شغل معه !

ابو حنفي : جزاك الله خيرا يا ست هانم ، الهى يعمر بيتك، افندى بالعافية

(تخرج هى ويتوجه هو نحو البدروم حتى يغيب فيه)

(يدخل حنفي ومعه ميرغني من باب الحوش)

حنفي : تفضل يا أستاذ ميرغني

ميرغني : لعلنا سنضايق والدك ووالدتك يا حنفي

حنفي : بالعكس يا أستاذ سيفرحون بك ، انهم يحبونك جدا لانك استاذى

ميرغني : حسبك الله يا حنفي انى اقصد تضايقهم فى المكان

حنفي : أبدا أبدا اننا سنجلس هنا قدام البيت
(يقفان امام البدروم فى الحوش)

حنفي : عندك مانع يا أستاذ ؟

ميرغني : لا أبدا هنا مكان جميل يشرح الصدر
(يفرش حنفي سجادة كليم فيجلس ميرغني)

ام حنفي : (صوتها) حنفي ! جئت يا حنفي ؟

حنفي : نعم يا أمة ومعى ضيف عزيز جدا ستفرحين به جدا

ابو حنفي : (من الخارج) من هو يابنى ؟ (يدخل) الاستاذ ميرغني ؟ أهلا وسهلا (يصافحه) الا تجيء له بكرسي يا حنفي ؟

ميرغني : كلا اريد ان اقعد هكذا على الارض

ابو حنفي : اهلا وسهلا زارنا النبى

حنفي : هاتى يا امه ! هذا الاستاذ ميرغني . أتريدين أن تحتجبي عليه ؟

ام حنفي : اهلا وسهلا .. كيف حالك يا سيدى (تصافحه)

ابو حنفي : هاتى الشاى هنا يا أم حنفي لنشربه مع الاستاذ
(تخرج أم حنفي)

ميرغني : كيف حالك يا عمى أبا حنفي

ابو حنفي : الحمد لله يا بنى ، الذى لايحمد على مكروه سواه

حنفي : (باحساسه الباطني) ماذا جرى أيضا يا أبه ؟

ابو حنفي : لا شيء يا بنى

حنفي : لا تخف يا أبه الاستاذ ميرغني منا وفينا

ابو حنفي : (يناوله صورة الانذار) خذ اقرأ

حنفي : (يتصفح الانذار) هو أيضا ؟ وراءنا وراءنا ؟

ميرغني : ماذا حدث ؟

حنفي : خذ اقرأ يا سيدى (يناوله لميرغني) أبو الديوك! الى متى ينقر فى الناس أبو الديوك هذا ولا ينقره احد ؟

ابو حنفي : صه اخفض صوتك لايسمعك

حنفي : ليسمع ! ماعدنا نخاف منه !

ابو حنفي : كلا يا ابنى ما زال لنا مطمع فيه

حنفي : أى مطمع ؟

ابو حنفي : أن يعيدك الى مسرح النهضة

حنفي : أرجى منه يا ابى مطمع ابليس فى الجنة ؟

ابو حنفي : كلا يا ولدى لقد وعدتنى الست محسنة بنفسها انها ستكلمه فى هذا الأمر وتضغط عليه

حنفي : يفتح الله يا ابه لن ارجع الى المسرح أبدا

ابو حنفي : وتبقى بغير عمل ؟

حنفي : سأبيع الترمس !

ابو حنفي : يا ولدى أطعنى .. لا يصح أن نكون نحن الاثنين عاطلين،يجب ان يكون عندك أمل فى المستقبل.

حنفي : اى امل واى مستقبل ما دام رجل مثل ابي الديوك جاثما على صدر المسرح ؟

ابو حنفي : كلمه يا أستاذ ميرغني لعله يسمع كلامك.. دعه يقبل أن يعود الى مسرح النهضة وغدا حين تتحسن الاحوال تأخذه معك الى مسرح النجوم

ميرغني : (يتضاحك فى أسى) آخذه معى الى مسرح النجوم؟!

ابو حنفي : ليس الآن يا أستاذ .. فيما بعد ان شاء الله

ميرغني : سمعت يا حنفي ؟ سمعت ماذا يقول أبوك ؟

حنفي : انه لا يعلم ماذا حصل

ابو حنفي : ماذا حصل كفى الله الشر ؟

حنفي : الاستاذ ميرغني قد ترك مسرح النجوم !

ابو حنفي : نهار أسود ! لماذا تركته ؟

حنفي : ظلوا يضايقونه الى أن ترك لهم المسرح

ابو حنفي : لا حول ولا قوة الا بالله .. سدوا فى وجوهنا كل الابواب !

على احمد باكثير



إلى شاعرة يابانية

للشاعر: محمد الجيار

كان ليل ساهم .. كالحزن في قلب الأزل ..
شدني فيه حنين غامض .. ان ارتحل ..
نحو ارض .. لا تحس النفس فيها بالملل ..
ما مشت فيها الخطايا .. او بكى فيها الأمل ..
لبلاد .. باركتها الشمس .. يوما .. بالقبل ..

***

وبلا وعد .. اتت عيناك من افق بعيد ..
كشعاع مقبل من كوكب .. خلف الظنون ..
قبل ميلاد الليالى .. منذ آلاف السنون
وهو يطوى رحلة النور الى هذا الوجود

***

اقبل الحب .. ودق الباب دقات حبيه ..
مرحبا يا طارق الفجر .. بدنياى الشقيه ..
زرتني .. بعد مغيب العمر .. والروح صديه ..
قلت : ما زلنا .. وعند الحب للعمر البقيه

***

جئت من « طوكيو » من الأرض التى تثرى الخيال ..
حيث يصحو الفجر كالطفل على مهد الظلال
حيث ينمو الحب .. كالزهرة .. فى اعلى الجبال ..
عطرها روح لهذا الفجر .. روح للجمال ..
ليتنى داع .. قضيت العمر فى خضر التلال ..
قانعا .. لا اعرف الآمال فى دنيا المحال ..

***

ذات ليل ضج فيه القلب من فرط السام ..
صاحت المرآة : قف .. وانظر الى الشيخ الهرم ..
التجاعيد .. غمزت خديك .. والشيب الملم ..
ندم الشيخ باعماقى .. وما جدوى الندم ؟
ناحت المرآة : يا فنان ... يا شادى النغم ..

كيف تحيا دون حب عبقرى .. بالألم ؟
ثم اقبلت .. وكان القلب يبكى فيه دم ..
قد تعرفت على عينيك فى صمت الألم ..
اسردى .. ما تفعل المأساة فى الليل الأصم ..
كيف طاف الموت حصادا بزيتون القمم ؟
فجروا الذرة .. فاهتز لها .. حتى العدم ..
كم ملايين من الأطفال غابت فى الخضم ..
وكان الموت فى بحر دماهم .. يستحم !!
قلت يوما .. ياله سحرا بليل القاهره ..
عبق التاريخ فيها .. والطيوف الساحره ..
وانا الشاعر اغفو بين كفى شاعره ..
وصدى اغرودة فى الليل تمضى عابره
سبحت فى ضوء عينيها لدنيا طاهره
لربى اليابان .. فى مرفا شمس ساعره ..
وانا ابصر فى عينيك نفسى الحائره

***

كلما جاء شتاء .. قلت : قد تاتى هنا ..
وبعينيها وشاح الشمس يطوى ارضنا ..
لا نخاف المطر البكاء يهمى حولنا
بل نغنى .. مثل طفلين .. نغنى سرنا ..
واغانينا مع الأمطار قطر من ندى ..
ها انا وحدى .. يناديني .. رفيق من صدى ..

***

اخت دمعى .. عشت كالسائح دنياه ارتحال ...
خيمة من اغنيات .. ودثار من ظلال ..
اننى طفل عجوز عاش حلما للجبال ..
يا ربيعى .. جاءت اليوم بوديانى .. الظلال ..

فى ندوة فلسطين

بقلم : تحسين عبد الحى

وقد شارك فى اعمال ندوة فلسطين العالمية العديد من الشخصيات العالمية ـ سياسيين وكتاب وادباء واساتذة جامعات الخ ..

وفى داخل الندوة التقيت بالكاتبة الانجليزية ايثيل مانين ـ التى سبق ان كتبت عنها فى مجلة الرسالة من خلال روايتها الشهيرة « الطريق الى بئر سبع » ويهمنى هنا ان انقل لقراء الرسالة مادار بيننا من حديث :

قلت لها ..

مس مانين .. اود اولا ان ارحب بك فى القاهرة باسم قراء الرسالة ـ وباسم جماهير شعبنا العربى ـ الذى يكن لك كل حب فى الوقت الذى يشعر فيه بعرفان فضلك ، لأنك ناصرت قضيته وكتبت عنها بروح الحب والتقدير له ، وخاصة قطاع اللاجئين منه .

واود هنا ان اسالك بعض الاسئلة ..

اولا : أود ان تشرحى لنا انطباعك الشخصى عن ندوة فلسطين العالمية التى ينظمها اللاجئون من شباب فلسطين السليبة ـ الذين غمرتهم بحبك ورعايتك فى قصتك الرائعة «الطريق الى بئر سبع» فردت مس مانين بقولها ..

انى اومن باهمية الندوة العالمية لشباب فلسطين ـ ذلك لأنها تعطى الفرصة المناسبة لمندوبى جميع شعوب العالم ـ باجناسهم المختلفة ولغاتهم المتعددة لكى يتناقشوا ويتبادلوا الراى فى هذه القضية الهامة « قضية فلسطين »

واذا كان الرأى العام العالمى يعطف على اسرائيل



(ايثيل مانين)

لقد كان عملا رائعا ومفيدا ذلك الذى حدث فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة .. ولعل أعظم شىء استطاعت هذه الندوة أن تحققه فى رأيى

ـ هو ذلك التلاقى بين وفود وقادة الحركات والمنظمات الطلابية فى جميع أنحاء العالم ـ كلهم متفقون بل متحمسون لمناصرة حقوق العرب فى الوطن السليب . والاكثر من ذلك أنهم واعون تماما لظروف القضية وملابساتها ويتفقون معنا فى وجهة نظرنا القائلة بأن « اسرائيل » خطر استعمارى مدمر تجب ازالته من قلب الأمة العربية .

فذلك لان العرب لم يعطوا الفرصة الكافية لابداء رأيهم فى قضية فلسطين . اما عن انطباعى ورايى الحقيقى فى هذا الصدد فهو ان اسرائيل ما هى الا من خلق الصهيونية العالمية والاستعمار الغربى .

فقلت لها مستدركا ..

الا ترين معنا أن كل من رايتهم هنا من الشباب العربى الفلسطينى يتمثلون فى بطل روايتك المناضل وليد حسين وزميله طالب حماد اللذين رمزت اليهما كنماذج مناضلة وقادرة على الاعداد المنظم للعودة الى وطنهم المغتصب ؟ فردت قائلة ..

بالنسبة لهذا التفسير لاشخاص روايتى فانا أوافق تماما عليه ــ اذ يوجد كثيرون من الشباب الفلسطينى يتميزون بالثقافة الحسنة والقدرة على الحركة الدائمة تماما مثل وليد حسين فى روايتى أما طالب حماد فانه شاب عربى مثل آلاف غيره ــ يسكن الخيام فى معسكرات اللاجئين وهو مثل صديقه وليد يعمل لاسترداد وطنه المغتصب ــ ولكننى اريد ان أضيف هنا ان معظم الشباب العربى فى كل البلاد العربية يحملون نفس الصفات والحماس فى العمل من أجل فلسطين مثل وليد حسين فى روايتى « الطريق الى بئر سبع » .

وبعد ذلك قلت لها ..

لقد صرح ليفى اشكول فى لندن منذ ثلاثة ايام بعد ازدرائه لكل مواثيق وقوانين وقرارات الامم المتحدة بانه يعارض بشدة توطين اللاجئين العرب فى ديارهم وارضهم ، لاننا ــ كما قال اشكول ــ لا نعيش فى عصر المجتمعات ذات الاجناس المتعددة » ! فما رايك فى هذا التصريح ؟

ومن الطريف انها قبل أن تجيب عن السؤال ــ وعند ذكر اسم ليفى اشكول .. نظرت الى قائلة .. انه رجل مخيف ويملك وجها جامدا بشعا .. فقلت لها ــ ما رأيك اذن فى بن جوريون ــ فانتفضت من مكانها قائلة ــ اوه .. ان وجهه مرعب .. واخذت تشبه وجهه وشعره بوجه حيوان تعرفه لم اتمكن من التقاط اسمه .

وكان ردها على سؤالى الثانى بقولها ..

اما عن تصريحات ليفى أشكول الاخيرة فى لندن ــ فهى تصريحات ليست جديدة بل كانت متوقعة منه .. ولم يكن هو أول من قال ذلك ــ فقد سبقته جولدا مائير ــ اكثر من مرة عندما قالت ــ انه من المستحيل أن ينزح لاجىء واحد الى اسرائيل وان السياسة فى كل من اسرائيل والبلاد العربية يجب ان تكون كما هى ولا يجب أن يدخل عليها اى تعديل .. وهذه التصريحات تجعلنى أشعر بالبغض والمقت والاشمئزاز من اسرائيل ..

واستطردت ايثيل مانين قائلة ..

وانا اتفق معك فى الراى .. اذ لا يوجد هناك فرق كبير بين اسرائيل فى عملياتها العنصرية المفزعة مع العرب وبين عصابة « كوكلوكس كلان » الامريكية ولكن الفرق الوحيد هو أن الاولى لها مرتع خصيب فى فلسطين بالنسبة للعرب أما الثانية فمرتعها الخصيب فى أمريكا .. ولكنهما يتفقان فى عدائهما الموحد ضد الانسان وقيمته ورغبته فى التحرر والمساواة سواء فى أمريكا او فى فلسطين ــ وكذلك يوجد تشابه كبير بين اسرائيل وحكومة جنوب افريقية وهذا التشابه من ناحية واحدة ولكنها اساسية ومهمة وهى التفرقة العنصرية .

وانتقلت بعد ذلك الى السؤال الثالث .. فقلت لها .. مس مانين .. يتضح من تصريحات مستر ويلسون الاخيرة ــ ان بريطانيا مازالت مصرة على موقفها من مناصرة العدوان الصهيونى على ارض فلسطين المحتلة ــ فما هو انطباعك الشخصى عن هذه التصريحات فردت بقولها ..

بالنسبة للتصريحات التى اعلنها مستر ويلسون رئيس وزراء بريطانيا .. فان السياسة البريطانية وخاصة سياسة حزب العمال البريطانى كما هى لم تتغير ولا يوجد هناك ادنى تفكير فى تغييرها ــ وخاصة تجاه الصهيونية العالمية واسرائيل اذ انها كانت فى الماضى سياسة عدوانية متآمرة على العرب ومازالت مستمرة كما هى حتى الآن . لقد صرح ويلسون قبل ان يصبح رئيسا للوزراء بقوله ..

« اذا انتخبت واصبحت رئيسا للوزراء فاننى

ســوف اســاعد اسرائيل وساعدها بالمعونات والمعلومات بكل ما استطيع » وهذا ما يجعلنى « أى مس ايثيل مانين » أبغض حزب العمال البريطانى وزيادة على ذلك فاننى اشتراكية - أى من الحزب الاشتراكى البريطانى ، وهذا مما يجعمنى أكره حزب العمال الذى يتمسح فى الاشتراكية ويعلن عن نفسه كحزب اشتراكى وقد سنحت لى فرص متعددة بالتحدث مع أعضاء كثيرين من حزب العمال على مختلف المستويات ، وكانوا يقولون جميعــا ان اسرائيل ولدت لتبقى ، ولذلك يجب ان تقبلها الدول العالمية وخاصة الدول العربية - والاكثر من ذلك انهم يدعون فى نفس الوقت انهم ليسوا أستعماريين وانهم يبغضون الاستعمار ، ولكن وجود اسرائيل يناقض ما يدعونه .. اذ ان احتلال الصهيونية العالمية لفلسطين بمساعدة بريطانيا فى أول الامر هو نفسه اســتعمار • هــذا عدا موقفهم المزرى فى الجنوب العربى وفى كل انحاء العالم - وهذا هو الوجه الاستعمارى الصحيح لحزب العمال فى الشرق الاوسط وفى العالم أجمع •

واخيرا قلت لها : هناك سؤال اخير •• أود أن أعبر لك فيه عن شكرى وشكر قراء المجلة التى اعمل بها ـ فهل تسمحين بتوجيه كلمة صغيرة بخط يدك الى اصدقائك من جماهير الشعب العربى عن رأيك فى القضية الفلسطينية فكتبت ايثيل مانين تقول :

« ان موقفى من القضية الفلسطينية يبقى كما هو دون تغيير - لان الموقف فى حد ذاته غير قابل للتغيير - وانا أرى هذه القضية قضية هجوم صهيونى فى قلب الوطن العربى - وهذا الهجوم يعتبر بلا شك هجوما استعماريا ، ولد فى البداية على ايدى الاستعمار البريطانى ، ودعم بالدولار الامريكى المستعمر . والمسألة ما زالت هى تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيونى وارجاع الملاك الشرعيين الى أرضهم وديارهم .

وانه لمن المحتمل ان تكون هذه السنة مهمة وحاسمة بالنسبة للأمة العربية عامة ولفلسطين بصفة خاصة .

وقد وقف العرب متحدين فى وجه المانيا الغربية وهدايا الاسلحة الى اسرائيل الامر الذى جعل القضية الفلسطينية من اهم الامور العالمية ..

وتزود امريكا اليوم اسرائيل بالسلاح لتستعمله ضد العرب مباشرة ، وهذا يؤكد الوجه الاستعمارى للولايات المتحدة .

ان العالم العربى يعرف الآن من هم أعداؤه ومن هم اصدقاؤه • اذ ان اسرائيل ليست العدو الوحيد للأمة العربية . فان الغرب الاستعمارى يدعم اسرائيل ويساعدها .

ولما سألتها عن كلمة صغيرة تخص بها قراء الرسالة كتبت تقول ••

انى اشكر العالم العربى واخص بالذكر مجلة الرسالة لاهتمامهم وتذوقهم لروايتى الفلسطينية « الطريق الى بئر سبع » التى كتبتها من قلبى بالحب الذى أكنه للعرب • انها قصة الخروج الثانى : خروج الفلسطينيين من أرضهم عام ١٩٤٨ م •

ولعل فيما قالته الكاتبة الانجليزية ايثيل مانين مايكفى عن هذه الحلقة الاولى من سلسلة المقابلات التى سنحاول أن نقدم المزيد منها فى العدد القادم .

« تحسين عبد الحى »

نص الكلمة بخطها

I am grateful to the Arab world, and in particular the readers of Al-Risala, for appreciating my Palestine novel, 'The Road to Beersheba', which I wrote from my heart — in love and anger — the story of the other exodus — the Palestinian exodus of 1948.

E Mannin



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

فلسطين
في مؤتمر الأدباء العرب

كان موضوع فلسطين أكثر الموضوعات اهتماما به في مؤتمر الأدباء العرب ، ففي الكلمة التي افتتح بها المؤتمر **الرئيس عبد السلام عارف** حث سيادته الأدباء على أن يعمقوا الشعور بالمأساة لدى الشباب ويعبئوا المشاعر للمعركة ، ولم تكد تخلو كلمة من كلمات رؤساء الوفود في حفل الافتتاح من هذا الموضوع الخطير .

وظفرت فلسطين بأكبر عدد من البحوث التي ألقيت والتي طبعت ووزعت .

ومع ذلك فانها لم تظفر كثيرا – من الناحية الأدبية الفنية – بجهد يبين خصائص التعبير الأدبي عنها ، ومدى عمقه واستيفائه ، وما ينبغي أن يكون لهذا التعميق والاستيفاء .

الدكتور اسحق الحسيني (من فلسطين) ألقى بحثها جيدا عرض فيه القضية من ناحيتيها التاريخية والسياسية ، وأفاض في بيان الأدلة التي تثبت عروبتها وأحقية أهلها المطرودين منها بها ، ولكنه لم يعرج كثيرا على الناحية الأدبية .

والاستاذ عبد الله بن خميس (من السعودية) شغل جزءا كبيرا من بحثه بمقدمة طويلة عن دور الأدب في كفاح الأمم على وجه عام ، والأدب العربي في كفاح الامة العربية على وجه خاص ، فلما وصل الى فلسطين كان معظم الطاقة قد استنفد ، ويتميز موضوع ابن خميس بالتعبير الأدبي الأنيق في غير لجوء الى الخطابة السطحية .

والدكتور جميل سعيد (من العراق) أعد بحثا كبيرا وجه فيه معظم اهتمامه الى تاريخ فلسطين منذ القديم ، وموقعها الجغرافي مستشهدا بكثير من نصوص المؤلفين القدامى عنها ، ثم تحدث في أثر مأساة فلسطين في شعر أهل فلسطين أنفسهم ، وفي أثر المأساة في شعر الشعراء العرب عامة ، وفي أدب الأدباء من المسلمين غير العرب من الفرس والترك والهنود وغيرهم ، ولكنه مر بذلك كله مرور تجميع وايراد نصوص في مناسباتها التاريخية .

وقد استرعى انتباهي في بحث الدكتور جميل سعيد أنه قال في المقدمة : « **ورحت أبحث عن هذا الشعر (الذى قيل في فلسطين) وعن دواوين الشعراء ، وعجبت الا اجد شيئا منها في أسواق الوراقين في بغداد ، واتجهت الى المكتبات العامة والخاصة فلم أجد فيها الا القليل ، وبعثت اطلبه من مكتبات الأردن والقاهرة فلم أحصل على بغيتي منه** » .

ومع ذلك فقد أورد كثيرا من هذا الشعر في البحث وتعرض بالمناقشة لما جاء في كتابين يحتويان على كثير جدا من الشعر المعاصر الذى قيل في فلسطين ، وهما كتاب « **الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين** » للاستاذ كامل السوافيرى ، وكتاب « **مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر** » للدكتور صالح الأشتر .

وكان موضوع « دور الأدب في معركة فلسطين » للأستاذة سميرة عزام (من فلسطين) ، هو الموضوع الوحيد الذى تعمق الموضوع – من الناحية الأدبية

الفنية – وباشر علاجه بطريقة صريحة جريئة انتهت الى رسم خطة بنائية في الموضوع .

لم تهتم سميرة عزام بايراد نصوص مما قيل ، كما فعل غيرها كثيرا ، بل عنيت بالفكرة المجدية ، والنظرة المتفحصة الناقدة . وان كنت أراها قد بالغت في النقد ، مبالغة المعافى المكتوى والحب في بيان التقصير حتى جارت على الواقع في بعض المواضع .

قالت : « **لو رجعنا للمظاهر الكبرى التي تناولها الأدب منذ النكبة حتى اليوم لرأينا ان الحصيلة عموما هامشية تترنح في الظلال ، او تترجم فورات** آنية تقول مالديها ثم تنطفيء . فكاني بصاحب **الأثر لا يرمي الا الى التدليل مرة او مرتين على انه ليس غائبا عن قضية من قضايا العصر الكبرى ، وليس حظ لون ادبي بافضل من حظ لون آخر ، فما يثبت من مئات القصائد لاينهض شاهدا على فضل الشعر ، وما يصح اعتباره رواية بالمفهوم الجدي للكلمة يضيع في ثنايا روايات وقعت في مفازات التسطح ، ولا ندري بماذا يمكن ان نعتذر عن القصة القصيرة ، اما البحوث فاننا لو اسقطنا من الحساب تلك الابحاث التي توسل بها اصحابها لنيل درجة علمية ، او التي قامت اصلا غاية دعاوية لرأينا ان الفكر كان شبه غائب عن هذه القضية**» .

وتحس سميرة بجور تعميمها ، فتستدرك قائلة: « نقول ذلك ونحن نعلم أن التعميم قد جار على بعض الأعمال الأصيلة وفوت علينا فرصة التنويه بكتاب وشعراء عاشت القضية في وجدانهم ووسمت اكثر انتاجهم بميسمها . ولكن النسبة تظل في النتيجة دون هذه القضية بابعادها السياسية والانسانية الخطيرة » .

ويبدو لي ان هذا الحكم العام بعيد عما تقتضيه نظرة التتبع والتأمل فيما كتب وألف عن فلسطين منذ النكبة حتى اليوم . فلو صرفنا النظر عن الشعر الكثير الذي قيل ، فقد يكون ثمة مجال لنقد نوعيته ، ولو صرفنا النظر كذلك عن الروايات الجيدة التي تضيع في غمار الروايات السطحية ، فانه لايسعنا ان نمر ساكتين باشارتها الى القصة القصيرة والبحوث . وهي نفسها (سميرة عزام)من كتابها أو كاتباتها ، وهي الى هذا تعيش في اعماق المأساة ، واحسب انها عبرت بالقصة القصيرة في هذا المجال .

ويخيل الى انها تطلق ذلك الحكم دون ان تطلع على ماكتب من قصص قصيرة عن حياة اللاجئين . لأذكر مثلا مجموعة قصصية كاملة لكاتب من الجمهورية العربية المتحدة ، اسمها **«وجوه جديدة» وهي للاستاذ عزمي لبيب** . واذكر كذلك مجموعة أخرى لكاتب آخر من سوريا لاأذكر اسمها وان كان لايغيب عني اسم صاحبها وهو **الدكتور بديع حقي** كلها ايضا عن حياة اللاجئين ، وقد نالت جائزة الدولة التشجيعية من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

فاذا عرجنا على البحوث والمؤلفات وجدنا منها مالايحصى . نعم قد يتوه الجيد منها في زحمة غيره ، ولكن المحصول يدل على ان الفكر لم يشب عن القضية كما قالت سميرة .

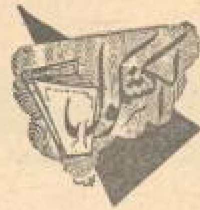
وهي قد كتبت موضوعها بطبيعة الحال قبل انعقاد المؤتمر ، واظن انه قد داخلها شيء من التردد فيما قالت به . بعد أن سمعت ماقيل عن فلسطين من شعر ونثر في المؤتمر والمهرجان .

على انني لااريد ان اقول بان كل شيء على مايرام وليس في الامكان ابدع مما كان .. ولكن لعلنا نكون أقرب الى الانصاف اذا نظرنا نظرة عامة الى موقف الادب من قضايانا القومية بل حياتنا الاجتماعية الجديدة على وجه عام ، **وهو موقف يلحظ فيه تخلف التعبير الأدبي عن المنجزات العظيمة السريعة التي تسبقه ويقف هو دونها مبهورا ..** وقد كتبت في ذلك غير مرة وبينت ماعن لي فيه من اسباب وملابسات .

وذلك لايمنع من موافقة الاستاذة سميرة عزام على ما رأته من أن التفاعل الحقيقي بين القضية وبين الأديب العربي لايتم – على الوجه الامثل ، وهذه من عندي – الا في ظروف اهم نقاطها : تبصر الاديب العربي بنواحي النكبة وابعادها والتفاعل معها بشكل أوثق ، واتاحة المجال له لمشاهدة آثار النكبة ، وارتفاع الأديب العربي فوق الاحداث الصغيرة التي يتأثر بها من تصرفات فلسطينية فردية ، وعدم الاقتصار على مناسبات معينة ، بل تكون القضية معايشة يومية ، واعادة الايمان الى النفوس بجدوى الادب وقيمته كعامل من عوامل قضية يبدو ان القوة هي الحل الامثل والوحيد لها ، في حين ان طرح اى عمل ادبي يجعل المشاعر متوفزة بشكل يسهل تعبئتها وتوجيهها في طريق الحل الذي تبدو القوة عامله الوحيد ، وان يكون

للاديب العربي وضع المفكر بحيث يستشرف ويوجه ويحمل في تضاعيف ادبه ايحاء بما يجب ان تكون عليه المعارك السياسية .

ونوافقهما كذلك على ان ذلك التفاعل في نفس الاديب لايكفي وحده ، بل يجب ان تتهيأ له الى جانب تلك الظروف وسائل اخرى تملكها الحكومات والمؤسسات الرسمية والاهلية كوسائل الاعلام والنشر ، **وان هذه الهيئات مدعوة الى الشعور بضرورة استخدام هذه الوسائل وكل الامكانيات في عملية تعبئة فكرية وروحية واسعة النطاق ، فدرك الاخطار التى تهدد الوجود العربي من اساسه مالم تكن الجماهير العربية على مستوى الشعور بمسئولية الدفاع عن هذا الوجود .**



● اوصى مؤتمر الادباء العرب - فيما يختص بفلسطين - بتهيئة الوسائل العملية الفعالة من رصد للاموال اللازمة وتعيين اللجان المختصة الكفيلة بتحقيق اغراض منها :

١ - ان تؤرخ فلسطين من جميع النواحي السياسية والفكرية والادبية والروحية والاثرية لاثبات عراقة العروبة في هذه البقعة المقدسة وابراز شخصيتها من خلال الحضارة العربية .

٢ - نشر النتاج الادبي لأبناء فلسطين منذ بداية النهضة .

٣ - جمع التراث الشعبي (الفولكلور) الفلسطيني .

٥ - دراسة النتاج الادبي الذى وضعه ادباء العالم العربي في موضوع فلسطين .

٦ - اختيار أجود مافي نتاج النكبة الشعرى وترجمة الانساني منه الى اللغات العالمية .

٧ - تشجيع التاليف في قضية فلسطين للقراء العرب ، وللأجانب من شرقيين وغربيين باللغات الاجنبية .

٨ - دعم الادباء والمفكرين والصحفيين الاجانب المتعاطفين مع القضية الفلسطينية .

٩ - انتاج الأفلام السينمائية والتليفزيونية التى تدور موضوعاتها حول النواحى الانسانية لقضية فلسطين .

١٠ - اصدارمجلة خاصة بفلسطين على مستوى عربي عال .

١١ - ادخال موضوع فلسطين في صلب المناهج التعليمية في جميع المدارس والمعاهد العالية .

● **اعتذر « جان بول سارتر »** عن حضور الندوة العالمية التى اقيمت اخيرا في القاهرة لمناقشة قضية فلسطين . وعلل ذلك بوجوده الآن في الولايات المتحدة ..

ويلاحظ ان «سارتر» لم يكتب كلمة في تأييد قضية فلسطين العربية برغم كتاباته المعروفة في مناصرة قضايا التحرر في العالم . وهذا مما يعزز الاتهام الذى وجهته اليه **«نازك الملائكة»** في مؤتمر الادباء العرب . وقد دافع عنه **الدكتور سهيل ادريس** ، وكان من دفاعه انه -اى سهيل ادريس- دعا سارتر الى زيارة اللاجئين في خيامهم كى يطلع على احوالهم ويدافع عن قضيتهم الانسانية ..

أيتهما المسالة .. ؟ الدعوة .. ام الاستجابة..؟

ومسالة وجود سارتر الآن في الولايات المتحدة عذر غريب .. ففى الندوة الآن اثنان جاءا من الولايات المتحدة .

● استمعت في برنامج **«زوجك في الطريق»** بالاذاعة ، الى حوار بين زوج وزوجة موظفة ،قالت له وقد لامها على عدم اعداد الطعام :

انا موظفة اعمل في الخارج مثلك ، وموقفي هو موقفك ، فاذا كنت تلومني على اهمال العمل في المنزل فاني كذلك الومك ، لماذا لاتكون مسئوليتك في البيت كمسئوليتى ؟

منطق سليم لم تؤثر فيه ولم تدحضه الخطبة التى خطبها «الناصح» في الاذاعة والتى قالت لهما. عيب ! هذا لايليق منك في حق زوجك !

وانا - مع الزوجة - لاادرى لماذا هو عيب ولماذا هو غير لائق !

لى قصة تعرض هذه الوجهة من النظر عنوانها «زوج المدرسة» ضمن مجموعة «مذبحة» .

● **مسرحية «خيال الظل» للدكتور رشاد رشدى** التى عرضت اخيرا على مسرح الحكيم - تعتبر مثالا ناجحا لتطبيق راى المؤلف - كناقد - في الفن الذى يقول مايقول من داخل بنيته الحية .

« عباس خضر »



وهذا هو الطريق

يؤكد المؤرخون المحدثون ان عام ١٨٧٧ كان عاما حاسما بالنسبة للمصريين لا بسبب ما يجرى فى الداخل فقط، وانما - ولعل هذا فى المقدمة - لادراكهم حقيقة الصراع فى العالم وبخاصة هذا الصراع المسلح بين تركيا وروسيا ، فقد التفت الكثيرون الى داخل انفسهم بعد أن سحبوا عيونهم المشدودة والمبهورة معا من الاستانة ، وكان أن أدركوا أنه اذا كان الأتراك يزعمون أن لهم الحق فى الحكم باسم الاسلام ، فانهم هم الجديرون بأن يقولوا هذه الكلمة باعتبارهم « المادة الصلبة » للاسلام ٠

وفى ضوء هذه الالتفاتة النفسية سمع هذا الشعار الذى يقول « مصر للمصريين » وسواء كان أول من اطلق هذه الكلمة سليم النقاش أو « أبو نضارة » ، ثم كان ان أكدها عرابى وعبدالله النديم واحمد لطفى السيد ، سواء أكان هذا أو ذاك ، فان مما لا شك فيه أن مصر فى هذه الفترة تحسست نفسها ، واصبحت تملك رؤية جديدة للحياة ٠

وقد أكد هذا الامام محمد عبده فى وثيقة جاء فيها عن أهل مصر « ٠٠ ولا يرى أحد منهم لنفسه رأيا يحق له أن يبديه فى ادارة بلاده ، أو ارادة يتقدم بها الى عمل من الأعمال يرى فيه صلاحا لأمته ، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى أنهم محكومون مصرفون فيما تكلفهم الحكومة به وتضربهم عليه ، وكانوا فى غاية البعد عن معرفة ما عليه الأمم الأخرى سواء أكانت اسلامية أو أوربية ، ومع كثرة من ذهب منهم الى أوربا وتعلم فيها من عهد محمد على باشا الكبير الى ذلك التاريخ الذى ذكرناه (١٨٧٧) ٠٠ لم يشعر الأهالى بشىء من ثمرات تلك الاسفار ، ولا فوائد تلك المعارف التى اكتسبت بها ٠٠ الخ »

ثم مرت الأيام وتأكد تماما أن مصر لا بد أن تنهض اذا أرادت ، وأن تلك القوى المتصارعة فيها هى التى شلت من حركتها ، وهى التى عوقتها عن الحركة وصيرتها أجزاء متصارعة يأخذ بعضها بحركة البعض الآخر ، ولعل الدكتور محمد حسين هيكل قد شخص هذا فى « تراجم شرقية وغربية » بقوله :

« ان المصريين قد رأوا فشل السياسة الأولى التى جروا عليها ، وهى سياسة الاعتماد على فرنسا ، ثم

على أوربا ، ثم على الباب العالى ، وقدر جماعة منهم ان لا بد من الأخذ بسياسة أخرى ، هى اعداد الأمة بأدوات الاستقلال من علم وأخلاق ، وغرس الايمان بنفسها لا لمجرد كراهية الانجليز ، ولا حبا فى الباب العالى ومقام الخليفة ، ولكن حبا فى الاستقلال والحرية لذاتهما » .

وتمر الأيام واذا بوجه مصر العربى يتأكد – بعد الثورة – كما لم يتأكد من قبل ، واذا بالشعب يدرك – بعد فترات التيه – أن بلاده لا تنتسب الى « مصرائيم » ، ولا الى تلك الحضارة القديمة الا باعتبارها «جدا اعلى» يمكن أن ينظر اليه فى احترام ومودة من فترة البدء الى فترة الختام ، وباعتباره « مرحلة تاريخية » تشد القامة ، وتزيد اللمعان فى العين ، وتجعل الأرض التى تقف عليها البلاد صلبة وعنيدة .

صحيح أن هذا الوجه العربى قد أصيب «بالتعتيم» المملوكى والتركى والفرنسى والانجليزى، وأنه اختنق فترة بهؤلاء الذين جاهروا بالعداء حين تحرك للوحدة ، وحاولوا أن يصوروا الاسلام على أنه تراث ، والقومية العربية على أنها تفرقة عنصرية ، والاشتراكية على أنها مزيفة ما لم تسر فى خط التنبؤ الماركسى ، والذين سمح لهم ضميرهم أن يعاكسوا تيار الثورة فى الجزائر ، وأن يرتضوا كل حل لقضية فلسطين ما عدا الحل العربى ..

ثم اختنق بهؤلاء الذين يشككون فى الحضارة العربية قبل الاسلام ، وفى الحضارة العربية الاسلامية بعد ظهور الاسلام . ومهما شكك هؤلاء – عن قصد أو غير قصد – فى هذه الحضارة ، ووضعوها على المسرح فيما بين القرن الثامن والرابع عشر الميلادى ثم أسدلوا الستار بحركة مضحكة فان مما لا شك فيه أن حضارة العرب لم تكن حضارة رمل ، وأنها عرفت دولا متحضرة – ويتعمد الآن عدم التركيز عليها – مثل الدولة السبئية ، والمعينية ، والحميرية الأولى والثانية ، كما عرفت امارات الانباط والغساسنة ، واللخميون ، وكنده ، وأنهم وصلوا الى الرنقية قبل العيسوية والموسوية ، والى هؤلاء الذين يصرون على تصوير العرب بأنهم كانوا قبائل تائهة فى فراغ كبير ، ثم يذكرون هذا على أنه حقيقة .. على هؤلاء أن يفتحوا أى كتاب عربى قديم أو ليأخذوا مثلا كتاب تاريخ العرب للدكتور فيليب حورى ليتأكدوا ان بلاد العرب كانت «كخزان ماء ضخم هائل لا يجد محيصا عن الفاضة ما يزيد عن سعته » ، وأن هجراتهم القديمة تشبه – فى الوقت الحديث – هجرات الاوربيين الى أمريكا .

صحيح ان الجزيرة العربية كانت تشبه – كما قيل – وتدا دق بين ثقافتى مصر وبابل ، وأن حضارة الهند لم تكن بمنأى عنهم ، وأن أرض الرافد الواحد وكذلك أرض الرافدين لم تستطيعا استيعابها سياسيا ولكن ثقافتها يمكن الحكم عليها بأنها كانت « ثقافة بحرية » ، لأنها لم تكن أبدا ضد كل ما هو جديد ، ولعل هذا سر من أسرار بقائها .

ثم ان على هؤلاء المشككين أن يدركوا أن هؤلاء العرب حملوا الاسلام فى مدى قرن واحد من المحيط الاطلسى الى تخوم الصين،وأنهم ورثوا – وهم يتقدمون – حضارات دجلة والفرات والنيل وشواطىء البحر الأبيض الشرقية والحضارات اليونانية والرومانية والفارسية دون ان تستطيع اية حضارة من هذه الحضارات التى كانت راسخة فى زمانها أن تستوعب هذه القوة الجديدة التى تضم اردانها على جوهرة نقية من السماء !

ومما يجب التنبيه اليه ان هذه الجوهرة النقية لم تفقد أبدا لمعانها ، والذين يذكرون أن بريقها جف بعد سقوط الأندلس ، وبغداد ، ينسون المدن التى تخطفتها بعد ذلك فى المغرب ومصر وتركيا والهند والسودان ، بل فى عشر دول افريقية جنوب الصحراء ، ودراسة التاريخ دون النظر الى المنطقة الافروآسيوية ككل تقصر الرؤية، وتربى فى الضمير عدم الثقة لان الحضارة التى حملها هؤلاء العرب على طول هذه الرقعة الافروآسيوية – بل أوربا – كانت توجد دائما قوية وعميقة بصورة ما ، وفى ضوء هذا يكون الوقوف بهذه الحضارة عند القرن الرابع عشر شيئا مشكوكا فيه وغير علمى ، ويكون القول « بالانحطاط » – وهذه النغمة تردد كثيرا – غير مقبول فى ضوء النظر العلمى حين تأخذ هذه الحضارة ككل . وكجذور لا تقف عند حد الحدود العربية ! ثم أخيرا كضوء باهر يستعصى دائما – رغم العواصف – على الانطفاء .

ومهما يكن من شىء فالذى نريد أن نؤكده ان العروبة ليست التفافا وفخرا بالماضى ، لانها قبل شىء نظرية متكاملة تحترم الحياة وتصر على وضع

الانسان فى عصره، ولأن فيها دائما جوهرا سماويا ، يستعصى على عمليات الغزو البشرى ،ولعل الذين يحذرون من التقليد يكونون على حق حين يعتقدون أن التقليد لا يقتصر على ماضى الأمة ، وانما كذلك على النظريتين الجاهزتين للشرق والغرب ــ وهما فى تسيجهما امتداد لماضى هذين العالمين ــ وليس معنى هذا أن نقول « باسقاط » الأمة فى فراغ ، ولكن معناه أن نكون دائما أنفسنا ونحن نمد ذراعينا وعقلنا الى كل فكر فى العالم !

فهؤلاء الذين تشيع منهم رائحة الماضى ، لايفضلهم أبدا أولئك « المزجون » الذين لا يعترفون الا بأن يقذفوا بلادهم فى « المعدة الماركسية » أو فى نظرية الحكم التى تحكم العالم الغربى ، ذلك لأنه يوجد دائما عندنا هذا الشىء الذى يستعصى جوهره على وجهتى النظر هاتين ، والذى لا يرفض فى الوقت نفسه تجديد نفسه بهما !

فاذا انتقلنا من كل هذا الى التحديق فى وجوه الذين عليهم أن يؤكدوا الوحدة والعروبة وضم الصفوف ، وجدنا أن أكثر هؤلاء لا يشغلون أنفسهم بهذه القضايا ، ووجدنا أن الحرب فى فيتنام يهتم بها أكثر من الحرب فى الجنوب العربى والمنازعات فى أمريكا اللاتينية يهتم بل أكثر من الاهتمام بالدول الافريقية المجاورة وغير المجاورة ، ووجدنا من يتخصص فى الكلام عن السوق الاوروبية دون أن يشير الى امكانية السوق الافريقية والآسيوية وامكان التركيز على اقتصاد هاتين القارتين ، ومن يأسى دائما على الجدار القائم بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية دون أن يهتز ولو مرة واحدة على « خط الجير » الذى يفصل بين العرب وفلسطين ، ومن يركز على كوبا ويخطف الكلام خطفا عن الجزائر، ومن يفتك ببعض الدول المجاورة دون أن يترك مكانا لامكان العودة اليها عن طريق الكلمة ، فى الوقت الذى يبدو فيه مهذبا و « ظريفا » وهو يصك احدى الدول الاستعمارية التى لا تزال دماؤنا وأقواتنا بين يديها .

ان هذه الاقلام يجب أن تتحول سريعا لتكون فى خدمة القضايا العربية، ولتكون فى مستوى احساس الدولة بقضايا الوحدة والعروبة والاشتراكية العربية وقضايا افريقية .. اننا اذا كنا رفعنا فى الماضى شعارا يقول « مصر للمصريين » ، فان الشعار الذى يجب أن يرتفع الآن هو « مصر للعرب » ، بل يجب أن يكون « الجمهورية العربية المتحدة للعرب ! » .

.. وهذا هو الطريق !

رسالة الى تولستوى :

بهرنى وأنا أتصفح المصادر والمراجع التى كتبت عن الامام « محمد عبده » أنه كان مفتوح الذراعين لكل ما يصدر فى الشرق والغرب ، ولا شك أن هذا هو الذى أعطاه تلك الرحابة الفكرية ، وجعله فى الوقت نفسه شديد الايمان بحضارته العربية لأنه كان يدرك أسرارها ، وكان يعتصر نور عينيه وهو يعمل على استيعابها فى صبر وأناة ، بل انها هى التى دفعته دفعا ليعرف الحضارات الأخرى ويحتك بها ، فكل حياته ــ وحيات جيل كبير ممن جاءوا بعده ــ تؤكد أن من يستوعب الحضارة العربية ويقف على أسرارها يستطيع أن يقاوم التحديات من أية حضارة ، بل يستطيع أن يحب كل الحضارات ، ويقبل عليها بشغف ، ذلك لأنه يكون قد عرف نفسه ، ومن ثم فلا بد له من معرفة الآخرين .

واذا كنا نعرف الكثير عن معرفة الامام وكتاباته لعدد من مفكرى الغرب مثل جوستاف لوبون ، هوبرت سبنسر ، ادوارد براون ، والفرد بلنت وغيرهم .. فانه قد بهرنى برسالة رقيقة كان قد بعث بها الى « تولستوى » حين حكمت عليه الكنيسة القيصرية بالحرمان لنشره كتاب البعث .

وقد آثرت أن أنقل هذه الرسالة الى القارىء لاحثه على « عقد صداقة » بأحد وجوهنا الفكرية القريبة ، وليقف على الرحابة وسعة الفكر التى كان يتمتع به هؤلاء الذين تلوى عنهم الوجوه الآن .

« أيها الحكيم الجليل مسيو تولستوى

لم نحظ بمعرفة شخصك ، ولكنا لم نحرم التعارف مع روحك ، سطع علينا نور من افكارك ، واشرقت فى آفاقنا شموس من آرائك ، ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك .

هداك الله الى معرفة سر الفطرة التى فطر الناس عليها ، ووقفك على الغاية التى هدى البشر اليها ، فأدركت أن الانسان جاء الى هذا الوجود لينبت بالعلم، ويثمر بالعمل، ولأن تكون ثمرته تعبا ترتاح به نفسه ، وسعيا يبقى به ويربى جنسه . وشعرت

بالشقاء الذى نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطرة ، وبما استعملوا قواهم - التى لم يمنحوها الا ليسعدوا بها - فيما كدر راحتهم وزعزع طمانينتهم ٠

ونظرت نظرة فى الدين مزقت حجب التقاليد ، ووصلت بها الى حقيقة التوحيد ، ورفعت صوتك تدعو الناس الى ما هداك الله اليه ، وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه ٠

فكما كنت بقولك هاديا للعقول ، كنت بعملك حاثا للعزائم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياء يهتدى به الضالون ، كان مثالك فى العمل اماما يقتدى به المسترشدون ، وكما كان وجودك توبيخا من الله للاغنياء كان مددا من عنايته للضعفاء والفقراء وان أرفع مجد بلغته ، وأكبر جزاء نلته على متاعبك فى النصح والارشاد هو هذا الذى سماه الغافلون بالحرمان والابعاد ، فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس انك لست من القوم الضالين، فاحمد الله على أن فارقوك فى أقوالهم ، كما كنت فارقتهم فى عقائدهم وأعمالهم هذا وان نفوسنا لشيقة الى ما يتجدد من آثار قلمك، فيما تستقبل من أيام عمرك ، وأنا نسأل الله أن يمد فى حياتك ، ويحفظ عليك قواك ، ويفتح باب القلوب لفهم قولك ، ويسوق النفوس الى التأسى بك فى عملك والسلام ٠٠ » عن كتاب رائد الفكر المصرى للدكتور عثمان أمين »

« عبده بدوى »

وحى الربيع

للشاعر : يس الفيل

عد يا ربيع فان فيك شبابى
يجتر كاس الصفو دون حساب

عد بى الى مهد الحنان وخلنى
عند الطبيعة ألتقى بصحابى

دعنى هناك ٠٠ ففى الخلود عوالم
جذلى ٠٠ وفى الأفق البعيد رغابى

وعلى الجداول يا ربيع بقية
من أمسنا ترنو لطيف شبابى

وعلى الثرى تحت الظلال ملامح
لبراعم صلت بلا محراب

بنت القصور من الرمال واطلقت
فيها الأمانى فى حمى الحجاب

وغدت مع اللهو البرىء تحوطها
بحدائق من يابس الأعشاب

وتقيم عرسا فى الخلاء لدمية
هامت غراما بالفتى الخلاب

وتعود بعد الشوط باسمة المنى
للأم تحكى جولة الأتراب

أمس ندى لو رجعت بعطره
ما كنت تسمع يا ربيع عتابى

أنا يا ربيع أعيش وردى الرؤى
ان ضوعت كف الطيوب رحابى

ان جئتنى بالأمس ٠٠ أمس مراحنا
وأعدتنى للناى بعد غياب

فى رقصة الغدران تلمح قصتى
سكرانة فى جدول منساب

فى همسة الأغصان تقرأ بهجتى
عبر النسيم مواكب الأحباب

وفى وشوشات الطير تسمع معزفى
ذكرى ٠٠ تعيش بخيمة اللبلاب

عاد الربيع لها وبعثر عندها
عطر اللقاء على ثرى المحراب

فتوردت أعوادها ٠٠ وتعانقت
أغصانها ، فى مرتع الأتراب

يا كم تلوح مع البعاد بهية
كبهاء حسناء وراء نقاب

لكنها أبهى ٠٠ وكم لبهائها
ود الغريب العود ٠٠ دون اياب

ليداعب النسمات ، يحتضن الربى
يختال بين جداول وهضاب

ويصوغ من وحى الربيع قصيدة
فمن الربيع قصائدى وكتابى



خيال الظل
وموجة المسرح التعبيرى

بقلم : جلال العشرى

مهما اختلفت الآراء فى مسرح الدكتور **رشاد رشدى** فالذى لا اختلاف عليه أننا هنا بإزاء مسرح جديد يختلف اختلافا نوعيا عن كلا المسرحين .. التقليدى والواقعى . أعنى عن المسرح التقليدى الذى بدأه ومضى فيه توفيق الحكيم ، والمسرح الواقعى الذى بدأه نعمان عاشور ومضى فيه لطفى الخولى وبلغ غايته عند سعد الدين وهبه .

هذا المسرح الجديد هو المسرح التعبيرى .. تعبيرى لأنه يهتم بالواقع الداخلى أكثر من اهتمامه بالواقع الخارجى،وهواذيحاول تصويره بأنغامهالحادة وألوانه الصارخة ، ولا معقولية يتجه الى دراما العرض الذاتى لكى يتحرر من خطة الزمن الواقعية ومن التتابع المنطقى بين الأحداث ، ويستخدم المونولوج الداخلى لكى يعبر عن مجرى الشعور وتيار الوعى متخلصا من التطور التقليدى لمراحل الحدث، وأخيرا يلجأ الى الرمز ليعبر به عن المعانى والايحاءات دون لجوء الى تبريرات واقعية أو تقليدية . واذا اختلفت الوسيلة التى يلجأ اليها التعبيريون للتخلص من مقومات الشكل الواقعى ولتحقيق الاصالة المتبادلة بين الداخل والخارج أو بين الذات والموضوع وكانت هذه الوسيلة هى الأقنعة عند اونيل والجنون عند بيراندللو والتداعى النفسى عند آرثر ميللر فهى الحلم عند رشاد رشدى فى مسرحيته الأخيرة « **خيال الظل** » .

وقبل الكلام عن هذه المسرحية لا بد لنا من أن نضع فى أذهاننا هذه الاعتبارات مجتمعة والا وقعنا فى الخطأ الذى يقع فيه الكثيرون عندما يتصدون لنقد مسرحية تعبيرية بمفاهيم المسرح الواقعى فيبحثون عن أشياء لا وجود لها ويصدرون أحكاما غير مشروعة ولا متجانسة مع العمل لأن الكاتب لم يلتزم بها أصلا . فليس من المعقول فى الدراما كما فى الفلسفة أو فى الرياضة أن أجىء الى كاتب ماركسى وأنقده من وجهة نظر وجودية أو العكس لأن الماركسى يبدأ من نقطة غير التى يبدأ منها الوجودى أما أن نقطة البداية صحيحة أو غير صحيحة فموضوع آخر ، تماما كما أنه ليس من المعقول أن أجىء الى عالم مثل لوباشوفسكى يفترض أن المكان على شكل السطح الداخلى للاسطوانة وينتهى الى أن مجموع زوايا المثلث أقل من قائمتين أو أن انتقد الاثنين من وجهة نظر اقليدس الذى يفترض أن المكان مستو استواء أفقيا وينتهى الى أن مجموع زوايا المثلث تساوى قائمتين بلا زيادة ولا نقصان .

وهذا معناه أن النسق الدرامى كالنسق الفلسفى أو الرياضى على الناقد أن يلتزم بما التزم به الكاتب من مصادرات يسلم بصحتها منذ البداية ثم ينتقل بطريقة استنباطية الى ما يترتب عليها من نتائج

فتكون هذه النتائج هي النظريات . وهنا يجيء الناقد ليتاخذ أحد موقفين .. امـــا أن يرفض المصادرات التي بدأ بها الـــكاتب وبالتالي يرفض النسق كله ، أو يقبل هذه المصادرات ولو نظرا ثم ياخذ في نقد صحة استدلال النتائج من المقدمات او سلامة المنطق الداخلي بين أجزاء النسق . هذا هو النقد العلمي أو النقد بمعناه الصحيح لأن ما عداه ليس نقدا وانما هو شيء يتراوح بين الرأى الشخصي البحت أو الانطباع الذاتي الخالص أو الرغبة في التعبير لمجرد التعبير .

فاذا وقفنا فوق هذه القاعدة النقدية وحاولنـا أن نتعاطى مسرحية « **خيال الظل** » لوجدنا ان العين التشكيلية والأذن الموسيقيةهما المفتاحان الأساسيان لفهم هذه المسرحية . فالمسرحية يمكن النظر اليها على أنها عدة تجارب مركبة في وحدة تشـــكيلية واحدة أو أنها لوحة تشكيلية كبيرة تتكرر فيهـــا الاشارة الى الحوادث نفسها كأن كل حادثة «تيمة» في اللوحة تأخذ تنويعات مختلفة من حيث الظل واللون او مقابلاتمتنوعة من حيث العمق والتسطيح .. فالكاتب يعطيك « التيمة » صارخة في أمامية الصورة ثم يكررها خافتة في خلفية الصـــورة ثم يقابلها بتنويعات أخرى مختلفة حتى تتكامل عناصر الصورة وتصبح الصورة وحدها هي الكفيلة بنقل كل ما يقصده الكاتب دون حاجة الى مجاوزتهـــا لتقرير هدف او لابداء رأى . هذا هـــو الوجـــه التشكيلي للمسرحية أما الوجه الآخر فلا يعطينـــا تحليلا للعلاقات بقدر ما يعطينا هذه العلاقات نفسها مركبة تركيبا يتشابه أساسا مع تكنيك الموسيقى السيمفونية ، فهنا أيضا تتكرر الاشارة الى الحوادث نفسها كأن كل حادثة « موتيف » في السيمفونيـــة تعزفهـــا كل مـــرة أداة بشرية مختلفـــة أو وحـــدة أوركسترالية مغايرة ، والسيمفونية من بدئها حتى النهاية يتردد فيها هذيان « زوال » المجذوب كأنه نوح على الحاضر وهو يئن تحت وطأة الماضي أو كأنه بكاء على الماضي وهو يبعث طيفها أو خيالا من عالم الظل .

والبناء السيمفوني في المسرحية مقام على أربع حركات تختلف كل حركة عن الأخرى اختلافا أدائيا على الرغـم من أن « التيمة » الدراميـــة واحدة ، فالمسرحية كما قلنا تعتمد على مقومات الشكل الكيفي على المقابلة والمفارقة أو التشابه والاختلاف ...

فالوحدة المؤلفة من عادل (**كمال ياسين**) وسلوى (**سميحة أيوب**) وبينهما عايدة تتشابه مع الوحدة المؤلفة من زوال (**توفيق الدقن**) وعدية (**سميرة محسن**) وبينهما العروسة رغم وجود الاختلاف بين الوحدتين ، والوحدة المؤلفة من د . منصـــور (**عزت العلايلي**) ونوال (**تهاني راشد**) وبينهمـــا لوتا تختلف عن الوحدة المؤلفة من حسن (**عبدالمنعم عطا**) وسعاد (**بثينة حسن**) وبينهما ليلى رغم وجـــود التشـــابه بين الوحدتين . أمـــا التيمة الأساسية التي كون منها رشاد رشدى تشكيلاتـــه الدرامية فهي الحب .. الحب باعتبـــاره وســـيلة لتحقيق التكامل النفسي ومن ثم التكامل الاجتماعي وذلك بأن تخـــرج « الأنا » من عزلتهـــــا لتلتقي « بالهو » فيتم استعادة « النحن » . لهذا لم يكن عبثا أن جاءت المسرحية في ثلاثة فصول يقابل كل منهـــا حركة الحب في تطوره الديالكتيكي .. ففي الفصل الأول تخرج الأنا من عزلتها وهـــذه هي « الدعوة » وفي الفصل الثاني تلتقي بالهو وهذا هو « نقيض الدعوى » وفي الفصـــل الأخير يتم استعادة النحن وتلك هي النتيجة .

وحين تبدأ المسرحية نجد أن معظم الأحداث قد وقعت وأن الكاتب لا يستدعيها الا ليعرف عليها النظارة ، وهو لا يستدعيها كما وقعت بالفعـــل بل ليلقي عليها في كل مرة ضـــوءا جديدا ليرى أثرها في نفوس الابطال ، فالحوادث نفسها لا تهم وانما الذي يهم هو ما يحيط بها من ظروف ومـــا يتخلف عنها من وقع . فالفعل هنا هو البحث عن الحقيقة ومعرفة الحقيقة ليست ذكاء وانما هي موهبة .. حاســـة .. كما قال أحد أبطال المسرحيـــة . لهذا كان طبيعيا أن يأخذ الفعل في المسرحيةصورة التحقيق في جريمة قتل مضى عليها عام، وأن يرتكز أساسا على التحليل الذي يرتد بنا الى الوراء بقصد معرفة الجاني واكتشاف السر ، والبطل الرئيسيفي المسرحية (عادل) شـــخص غارق في الماضي ولا يعيش الا على أطراف الحاضر ، ولما كان الماضي غير موجود بالفعل وانما الموجود الحقيقي هـــو تذكر الماضي أصبح ماضيه هو حاضره كما أصبح الماضي ظلا والحاضر خيالا والحلم هو وسيلة الانتقـــال بين القطبين . وعادل هذا وكيل نيابة ذكي ممتاز تولى التحقيق في هذه القضية على أثر بلاغ تلقته النيابة يفيد أن الألفي بك المستشار السابق لم يمت ميتة

طبيعية وانما دس له السم فى الطعام . وعادل شخصية غير سوية فى هذه الأيام لاحساسه الحاد بأنه فقد القدرة على معرفة الحقيقة ، الحقيقة التي لم يكن الألفى بك يخطىء فى معرفتها أبدا . لذلك كانت صورة القتيل المعلقة في صالون الفيلا مرآة يرى فيها عادل صورة فشله بل صورة مصرعه ، ولذلك راهن على نجاحه فى هذه القضية بوجوده كله ... وهذا فظيع ، واللى افظع منه ان المحكمة دايما بتاخد بكلامى وتصدقنى ، طبعا ما أنا فى نظرهم لسه عادل بتاع زمان واللى عمره ما وجه اتهام غلط .. مش عارفين ان عادل مات وانتهى » . وعندما تسأله سلوى : « طب ليه ما بتستقيلش ؟ » .. يرد عليها عادل : « على أمل انى ارجع أعرف الحقيقة » .

واخيرا يعرف عادل الحقيقة ، يعرفها فى شخص سلوى أرملة الألفى بك التى يلتقى بها فى ظروف التحقيق فيرى فيها صورة حبه القديم ، صورة عايدة التى انفصل عنها وبانفصاله عنها فقد كل شيء ... مصدر وحيه وينبوع الهامه ورصيده فى معرفة الحقيقة . وعبثا يحاول ان يستبدل عايدة بسلوى او أن يحب سلوى فى شخص عايدة لأنه انما يزداد ابتعادا عن نفسه وعن الحقيقة ،فالحقيقة صادقة لا تعرف الزيف ، واحدة لا تعرف الازدواج . وهنا يدرك عادل ضرورة بذل الجهد النفسى والارادى للتخلص من الماضى بكل علائقه واستعادة الحاضر بكل ابعاده . وما أن يمنح ذاته لسلوى من حيث هى سلوى لا من حيث هى شبيهة عايدة حتى يسرى بينهما تيار الحب ويرى فى عينيها صورة ذاته الأصيلة ويحس بقدرته على معرفة الحقيقة . فهو قبل الحب لا شيء وعند الحب كل شيء لأن الحب هو الذى يخلع على وجودنا كل ما له من معنى .

هذا هو الوجه المشرق من الحب .. الحب عندما يكون مصدر وحى والهام . ولكن المؤلف لا يكتفى بهذا وانما يقدم لنا الوجه الآخر ، الوجه المعتم عندما يكون الحب أداة تدمير واهلاك . وتلك هى تجربة زوال المطرب البلدى المشهور الذى كان صديقا للألفى بك وزوجه من هدية الفتاة التى كانت تعمل عنده فى القصر . ويكتشف زوال ليلة زفافه أن عروسه ليست عذراء فلا يحتمل هذه الصدمة الأليمة التى يفقد على اثرها صوته ويقضى ايامه هاربا من الفتاة عاجزا عن مواجهة الحقيقة .

لقد اهتز كيانه النفسي واختلت أمامه قوى المجال الاجتماعى ففقد القدرة على العمل .. فهو هارب من ذاكرته ومن نفسه ومن هدية ، هارب من الحقيقة الى ظلها ومن الواقع الى خياله ، هارب من عروسته الآدمية الى حيث يبحث شاردا عن عروسة من عرائس المولد . وتحاول هدية أن تذكره بنفسها فتجسد أمامه ليلة الزفاف ولكن زوال يفقد سيطرته على نفسه تماما ويحطم صورة الماضى الذى ظل يهرب منه ويتناساه ، يقتل هدية وتتقطع أحباله الصوتية ويختفى عن الأنظار . لقد سحقه الماضى لأنه لم يقاومه بحب حقيقى ولم يواجهه بحب جديد . وعندما فقد القدرة على الحب فقد كل شيء ولم يعد شيئا على الاطلاق .

ولا يقف المؤلف عند الحب فى حالتى السلب والايجاب وهما النمطان الأساسيان لتجربة الحب فى حياة الانسان ، بل يقدم لنا الظل المصاحب لكل من النمطين أعنى الحب على مستوى الوعى والادراك وهو الذى يستمد قوته من ثقة الذات بنفسها وبموضوع حبها كما فى حب سعاد وحسن الذى لم يستطع وكيل النيابة أن يصدعه باقحام عنصر ثالث بينهما هو ليلى . فكلاهما يعرف كيف يحيا للآخر وكيف يلتمس من الآخر كل أسباب وجوده وكيف ينتظر من الآخر كل مقومات سعادته . فالحب هنا تجربة استيعابية شاملة . أما النمط الآخر فهو الحب على مستوى التملك أو الرغبة فى الامتلاك ، كما فى حب لوتا الفتاة المستهترة التى لا تعرف للحب معنى الا أن يكون معنى الغزو والسيطرة ، فهى لا تستقبل حبا جديدا لتضحى به حبها القديم بل لتضيفه الى ضريح الذكريات على أمل أن تحيا الماضى والحاضر معا ، ولكنها تفقد الاثنين بالاضافة الى نفسها وآخر مختاراتها وهو الدكتور منصور الذى يتخلى عنها ويتقدم لخطبة نوال ايمانا منه بأن الحب لا يمكن أن يكون تجربة ثانوية أو عرضية أو هامشية ، بل هو بالضرورة تجربة جوهرية أو جذرية أو أساسية .. يكمل الواحد فيها الآخر ويتكون من اتحادهما تكامل بشرى حقيقى .

هذه هى التيمة الأساسية فى مسرحية « **خيال الظل** » تيمة الحب بتنويعاتها المختلفة وممكناتها الوفيرة ، وقد استطاع رشاد رشدى أن يصوغ هذا التصميم الدرامى المعقد باستاذية كاملة وأن يضفى عليه من روح الفنان ولمساته الشيء الكثير، فالرموز

استخدمت بدرجة كبيرة من المهارة وبخاصة عرائس المولد فى مقابل العرائس الآدمية ، والغربال المعلق فى صدر زوال اشارة الى العار الذى يلازمه ويحيط به ، والجلاليب التى يضعها زوال فوق جسد هدية اشارة الى محاولته اللاواعية فى تغطية العار ،وشجرة الصفصاف التى يتمنى عادل أن يرقد عندها تشير الى الخصوبة الانثوية أو المرأة العامرة ·وكذلك الأسماء اختيرت بحيث تكون ذات دلالة : عادل استمد اسمه من منصبه كوكيل نيابة ، وسلوى كانت دواء للألفى بك وعزاء لعادل ، وعايدة هى الذكرى التى تروح وتجىء فى مخيلته ، وزوال كان طيفا فى عالم الواقع وظلا فى دنيا الحقيقة · ولا شك أن شخصية زوال كانت أمتع الشخصيات واروعها جميعا ، فقد وفق رشاد رشدى فى تفصيلها ونطاقها بأجمل ما فى المسرحية من حوار ، فكلامه فى بعض الأحيان أقرب الى لغة الشعر ولا يخلو من الفلسفة أو على الأقل من حكمة الحياة ·

فاذا انتقلنا من النص الى الاخراج استطعنا ان نقول ان كمال ياسين كان ممتازا بصفة عامة ، وكان يستطيع أن يرتفع بالاخراج الى مستوى النص لو أنه اقتصر على قيادة الحركة التمثيلية ولم يشترك فى التمثيل ، فالواضح أن موهبته الاخراجية أكبر بكثير من موهبته التمثيلية فضلا عن توزعه بين التمثيل والاخراج حتى يشعرك فى بعض الاحيان كأنه يدرب الممثل الذى أمامه على أداء دوره · والذى آخذه على الاخراج بعد الاشادة به بعامة وبخاصة مشهد اللقاء الرومانسى بين عادل وعايدة فى بيت الزوجية قرب نهاية الفصل الأول ، ومشهد الحوار المزدوج بين عادل ولونا فى الفصل الثالث وبينه وبين منصور فى نفس الفصل · هو الترابط الآلى بين اطفاء النور ووقوع الحلم فما أن يطفأ النور حتى يبدأ الحلم هكذا بطريقة آلية مباشرة وكأن الحلم فعل منعكس شرطى يبدأ بمجرد اطفاء النور · وكذلك التشابه بين حالات الحلم وحالات التذكر ، فليست كل حالات الاسترجاع تتم عن طريق الحلم ،ان بعضها يتم عن طريق التذكر، كما فى حالة اللقاء بين عادل وعايدة فى أثر خروج سلوى لاحضار الشاى قرب نهاية الفصل الاول · وكذلك الطريقة التى يصرف بها وكيل النيابة كاتب التحقيق لم تكن معقولة ولا مبررة خاصة وأن التحقيق سرعان ما يستأنف من جديد فى غير وجود الكاتب · وأخيرا الاكثار من دخول زوال وخروجه على نحو أساء الى بعض المواقف واستثار ضحك الجمهور ·

فاذا انتقلنا من الاخراج الى التمثيل كان أول ما نلاحظه هو براعة المخرج فى اختيار الأوركسترا التمثيلى الذى أجاد عزف هذه السيمفونية المسرحية المعقدة الالحان · على رأس هؤلاء الممثلين العملاق توفيق الدقن الذى استطاع أن يملأ المسرح بمفرده وأن يفجر كل ما فى دوره من طاقات درامية من غموض وشاعريه ومن دروشة وصوفية ومن قتامة واشراق ، اما مقطوعة البانتوميم فقد بلغ فيها الذروة ·· الفها وأخرجها وقام بتمثيلها فى وقت واحد · واستطاعت سميحة ايوب أن تحتفظ بمستواها الرفيع وأن تؤدى دورها المزدوج بلياقة وفهم كبيرين · أما الممثل الجديد الذى يستحق الاشارة اليه فهو **عزت العلايلى** ، ان دوره فى هذه المسرحية يشهد له بلياقته الفنية وكفاءته العالية ، كان يمثل دوره برشاقة وانسيابية وكأنه قضى على المسرح عشرات السنين ·

ولا انسى بطبيعة الحال الديكور والاضاءة اللذين كانا أكثر من الموسيقى وفاء للنص والاخراج ، فقد اسهمت الاضاءة بشكل واضح فى حالات الانتقال من الواقع الى الحلم وفى ابراز مواقف التناقض الكيفى بين الظل والخيال ·

« **جلال العشرى** »



الكتب نقد وتعريف

السلطان والشيطان

قصة «محمد عطا»

من اللحظة التى تسلم فيها الظاهر بيبرس مفاتيح قلعة الجبل بالقاهرة ايذانا بتوليه سلطنة مصر بعد مصرع سلطانها السابق قطز ، يبدأ الأستاذ « محمد عطا » قصته الطويلة الرابعة بعد قصصه الطوال : « حب وحرمان » و « هبوب العاصفة » و « المملوك العاشق » و « أرض الصبر » .

وفى الفصل الأول منها يصور المؤلف كيفية استيلاء بيبرس على السلطنة المصرية بعد ما تخلص بالقتل من سلفه ورفيق عمره قطز ، ويمهد لشخصيتين هامتين من أشخاص الرواية واحداهما شخصية الأسيرة المغولية « شيرين » التى جمع المؤلف بينها وبين بيبرس على مشاعر متعاطفة ، والثانية هى شخصية الشيخ خضر العابد الذى تحدثت عنه شيرين الى السلطان ومهدت لمكانته فى الرواية .

وفى الفصلين الثانى والثالث يصور المؤلف رد الفعل الذى أحدثه مصرع قطز فى نفوس المصريين ، وكيف برزت روح السخط على بيبرس ، وعلى المماليك الظلمة الغرباء الذين يجب الخلاص منهم ، وكيف تجسمت هذه الأفكار فيما أسماه المؤلف « ثورة الكورانى » التى باءت مع الأسف بالفشل .

ومن الفصل الرابع حتى الحادى عشر ، يدخل الشيخ خضر أو الشيطان الى مسرح الاحداث ، وينجح سريعا فى الاستيلاء على بيبرس ، ويحس المقربون الى السلطان بما للرجل من مكانة فتزداد سطوته ويعظم نفوذه ، ويتجه اليه طلاب الحاجات يتوسلون به لدى السلطان ويشركونه فى أمرهم ، الأمر الذى يثير حفيظة وزراء السلطان ورجاله فيكتمون حقدهم على الرجل ، ويتلمسون له السقطات ، وان كانوا بعد لم يجدوا اللحظة المواتية .

ومن الفصل الحادى عشر حتى ختام الرواية تبدأ الستور الزائفة التى كان الشيخ قد أرخاها من حواليه تنهار واحدة واحدة ، ويبدو على حقيقته للناس ، ثم للسلطان شيطانا مريدا ، بل شرا من الشيطان .

وحين تقترب الرواية من ختامها يوزع المؤلف على كل ذى دور مايستحقه من جزاء ، فيذهب بالشيخ الى اعماق السجن فى جب تحت الأرض حتى يموت

بقلم: عبد الصبور مرزوق

فيه ، ويذهب بالسلطان بيبرس الى الحدود الجنوبية للأناضول فيلاقى « المغول » هناك فى معركة قرب « اقسوس » يخرج منها منتصرا ، ولكنه لم يكن البطل ، وانما البطل الحقيقى هو «عبد الملك الأيوبى» الذى يحس السلطان بخطره على سلطنته فيدس له السم فى الشراب ثم ينسى فى نشوة السكر فيشرب بقية الكأس وتكون النهاية .

وبانتهاء القصة يكون المؤلف قد سلط كثيرا من الأضواء على فترة هامة من تاريخنا كان محور الصراع ومركز الحركة الفنية فيها هو البطل بيبرس البندقدارى صاحب الدور الكبير فى وقف الزحف المغولى المدمر صوب الشرق العربى والاسلامى ، والرجل الذى وضع فى نفس الزمن حدا لاحدى الموجات الصليبية العاتية التى قصدت الشرق العربى لتستعمره تحت ستار الدين .

ومع أن التاريخ هو عماد العرض القصصى فى الرواية فان المؤلف بما توفر له من ممارسة وبالثبات فى الخطا الذى استفاده من تجاربه القصصية السابقة ، لم يسق الوقائع بجمودها ، وحرفيتها ، وانما أبدع فى التقاط الزوايا الفنية التى أتاحت له فى مجال العرض والتحليل أن يشد اهتمام القارىء ويفرض عليه متابعة الأحداث مشهدا وراء الآخر .

فالسلطان بيبرس ليس كما يراه المؤرخون مجرد بطل قهار فى يده سيف يقطر المجد من ذبابه ، ويتعلق النصر بكل خطفة من ضوئه ، وليس فقط حامى حمى الاسلام ومنقذه كما صوروه .

ولكنه الى هذا انسان وبشر ، يخفق قلبه للحياة ، وتضطرب نفسه لما تضطرب له نفوس الآخرين ، من الرضا والغضب ، ومن الكراهية والحب ، ومن الانهيار والتماسك ومن معاناة وخز الضمير ، ومن السير على بقاياه .

ثم هو قبل هذا الانسان البشر بما يضم عليه أطواءه من تناقض ، فهو القهار الفاتح ، وهو فى اللحظة نفسها الرجل الذى تخلع فؤاده كلمات المنجمين ، وتذهب به الى المدى الذى تكون فيه ذات أثر على خططه وسياسته ، بل على طبيعته الحربية فى بعض الأحيان .

ثم هو بعد هذا كله واحد من المماليك الذين استقرت فى وجدانهم عقدة الاسترقاق وبقيت - حتى لو أصبحوا سلاطين - كالجرح ينبض بالالم بين بين الحين والحين ، وهو واحد من المماليك بكل أساليب عصرهم الذى يرى الوسيلة دائما فى خدمة الغاية ، حتى ولو كان التوسل بطعن الصديق وقطع اليد التى امتدت بالجميل والنعمة والحياة .

وبهذا التناول يكون المؤلف قد وفق الى أبعد مدى فى تصوير شخصية البطل واستبطان أغوارها، وتقديمها ، بل تقديم العصر كله فى أقرب صورة الى ذهن القارىء والى حسه وشعوره .



اما بقية الشخصيات فيضع المؤلف فى قمتها شخصية الشيطان الذى سماه الشيخ خضر ذلك الصوفى الذى كان عابدا أو على الأصح متظاهرا بالتعبد حتى تمكن من نفس السلطان وبدأ يعبث بتفكيره ما شاء ، حتى كان يوم سقط عنه القناع ونزل الى أعماق السجن ليواجه الموت فيه .

وبعد الشيطان تبرز شخصية « شيرين خاتون » الأسيرة المغولية التى فتن السلطان برجاحة عقلها ، وجمالها وفتنتها وقربه اليها ولاؤها للاسلام، وحسن رأيها فى مواجهة المصاعب ، وكانت هى بالاضافة الى شخصية الخادم عنبر تمثلان الواحة التى يفىء السلطان الى ظلها كلما أجهده السير فى حر المتاعب والهموم .

وثمة آخرون من بقية الركب السلطانى . بين حجاب ووزراء .

وعلى الجانب الآخر - جانب الشعب المصرى - تبرز شخصية الشيخ الكورانى الثائر على استبداد المماليك والذى يبدو كالرمز لروح المناضلة والقومية المصرية المتمردة على استبداد الغرباء .

ومن هذه المجموعة من الأبطال والشخصيات الثانوية تتحرك القصة منذ بدأت بتسلم بيبرس مفاتيح قلعة الجبل فى القاهرة حتى كانت نهايته وطويت صفحته .

وقبل أن أمضى فى متابعة العرض أقف قليلا أمام الاتجاه التاريخى الذى انتحاه الأستاذ عطا ، وأكثر فيه .

فقراء عطا قد طالعوا له من قبل عملين أدبيين هامين فى الاتجاه التحليلى والواقعى ، أولهما قصته القصيرة « هكذا عشنا » والتى ساقها مساق قصص الحياة على غرار أيام طه حسين وكان تحليله فيها أبرز وأوضح من مجرد تاريخ الحياة ، وكانت - وان لم يكتمل فيها الفن القصصى - تمثل بالنسبة للمؤلف فيما أرى مرتقى صعده منذ أول محاولة ، ودل فيه على استعداده الكبير للقصة الاجتماعية والتحليلية معا .

وكانت الثانية - فى نفس الاتجاه - هى قصته « هبوب العاصفة » التى شاكلت الواقع المعاصر وسجلت بعض نبضاته . ولكنه بعدهما قد ارتد صوب التاريخ وأخرج « المملوك العاشق » و « أرض الصبر » و « السلطان والشيطان » .

واذا كان كثيرون من الكتاب يتكئون على التاريخ فى صدر اتجاههم القصصى لأن فى الواقع الاجتماعى مايعوزهم ، أو مايكون أحيانا فوق مستوى تناولهم ، فلست أدرى ما الذى لوى قلم الأستاذ عطا ثانية نحو التاريخ ، وهو القادر على التحليق فى آفاق حياتنا وواقعنا ، والقادر أيضا على النفاذ الى أعماق نفوسنا وصميم مشاكلنا الاجتماعية ؟

ولقد يرتضى من المؤلف أن تكون لقلمه جولاته فى شتى الاتجاهات على أن يكون متجهه دائما هو حياة الناس ومتاعبهم .. لا صوب الماضى الذى اندثر .

اقول هذا ٠٠ لا تهوينا من قيمة الماضي ، فانه دائما دعامة الحاضر ، ولكن لأن المؤلف ـ من حيث الكم على الأقل ـ قد أشبع من قلمه هذا الماضي ، في الوقت الذي لا يزال خطوه على طريق الواقع المعاصر محدودا بقصته الأولى « هبوب العاصفة » ٠

***

ولقد اثبت الأستاذ **محمد عطا** بقصصه المختلفة نمو المقدرة القصصية عنده في كل قصة عن سابقتها ، ولقد حقق في هذه القصة تطورا ملحوظا في رسم الشخصيات بدقة تبرز خصائصها وملامحها، مع النفاذ الكاشف الى أعماق كل شخصية وتطويرها ، وابراز الدوافع المؤثرة فيها ٠

كما يتضح تمكنه من فنية العمل القصصي في الحبكة الفنية ، وتحديد دور كل شخصية حتى لا تجاوز مارسمه له ، بالاضافة الى مقدرة في نثر بواعث التشويق والاثارة ، واستخدام الأحداث الصغيرة لتكون في خدمة التحولات البارزة في المواقف ، أو في تصرفات الأبطال ٠

فحين يبدى السلطان مجرد اهتمام ببناء زاوية « الشيخ خضر » ، لا يمر هذا الاهتمام بما يساويه من بساطة لدى رجال السلطان ، وانما يعكس في نفوسهم الشعور المرير بخطر ذلك الشيخ الذى انتزع السلطان من أيديهم ، وتظل تلك المشاعر تنمو ، وتتجمع حتى تتحول الى مايشبه تنظيما لمحاربة الشيخ وتلمس سقطاته ، فاذا أتاح لهم « دانيال » أن يقفوا على بعض مخازيه كانوا أسرع الناس الى استخدامها واذاعتها وتبليغها مضخمة الى السلطان ٠

ولكن ثمة ملاحظات تستوقف النظر ، ولابد من الاشارة اليها ٠ فمع ان المؤلف قد اعتبر الشيخ خضر هذا هو البطل الثاني في القصة ، وقرن اسمه باسم السلطان وسماه الشيطان ، فما أبرزه المؤلف من « شيطنة » هذا الرجل يؤهله لأن يكون في هذه المنزلة ٠فمعظم المواقف التى رأيناه فيها ـ أو أراه المؤلف لنا ـ مع السلطان لم تكن تعدو تفسير أحلام، او تنبؤات ، أو مايشبه المواعظ الخفيفة ، صحيح انها كانت تنبؤات لها بعض الآثار على السلطان ، ولكنها في جملتها آثار هينة بحيث لا يستاهل الرجل أن يكون من السلطان في الموضع الذى كان فيه « راسبوتين » من القيصر أو « الشيخ الصيادى » من السلطان عبد الحميد ٠

وملاحظة اخرى قد يراها غيرى من توفيقات الأستاذ عطا ، ولكنى احذره واخشى عليه منها ، وهى أن الاتجاه التاريخى قد استحكم في فنه القصصى الى الحد الذى جعل القصة كلها تكاد تقوم على فكرة أن التاريخ يعيد نفسه ، فمن أبرز نقاطها أن الأزمة بين قطز وبيبرس نشأت بالتحديد في معركة « عين جالوت » ، التى كان الدور الحربى الأول والبطولة الرائعة فيها لبيبرس ، ولكن المؤرخين نسبوها الى السلطان لانه سلطان وقد أحس السلطان بالخطر فشرع في التخلص من بيبرس ، فتغدى به بيبرس قبل أن يتعشى به ٠

ونفس هذا الحدث هو الذى جعله المؤلف مركز الأزمة بين بيبرس وعبد الملك الأيوبى في معركة « افسين » والذى كان بداية النهاية لبيبرس كما كان بداية النهاية لسلفه قطز ٠

والذى أخشاه من وعي الأستاذ عطا بالتاريخ أن يستبد به التاريخ يوما فيفقده المقدرة على التحليق والتحليل بعيدا عن حتمية التاريخ ٠

أما الملاحظة الثالثة والأخيرة فهى ظهور شخصية المؤلف في الصفحة الثالثة عشرة ـ من القصة على لسان شيرين التى تقول للسلطان في حنان :

« يا للحرب من شيطان أعمى !!

« لماذا لا يحيا الناس في وئام وصفاء ؟ انه لا يحس بضراوة الحرب الا الأسرى ، ولا يقدر الحرية الا من يسترق من البشر » ٠

وبعد :

فلقد أخرجت المطابع للأستاذ عطا كثيرا من الكتب وعديدا من الأبحاث والدراسات في شتى الاتجاهات، كان فيها على نصيب كبير من التوفيق ٠

ولكن قصص الأستاذ عطا قد أثبتت بوضوح أن مجاله الذى لا ينبغى أن تكون عنه حيدة ، هو المجال القصصى ٠

على أن يظل معنا ٠٠ ولا يتركنا الى التاريخ ٠

« عبد الصبور مرزوق »

كتب جديدة

يقدمها : أحمد عبد الصمد دياب

الجغرافيا السياسية لافريقية

تاليف : د . فليب رفلة

الناشر : مكتبة الوعى العربى

الكتاب ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة شاملة للدول الافريقية سياسيا واقتصاديا وطبيعيا ، وأشرف على هذه الدراسة الدكتور عز الدين فريد عميد معهد الدراسات الافريقية سابقا .

قسم المؤلف الكتاب الى قسمين كبيرين :

فى الباب الأول خمسة فصول ، وهو دراسة عامة للقارة ، تناولت كشف القارة ، وظروفها السياسية، وبيئتها الطبيعية ، وسكانها ، والدراسة الاقتصادية لهـــا .

والباب الثانى خاص بدراســـة الدول من حيث الجغرافية السيـــاسية والطبيعية والاقتصادية لــكل دولة ، وفى خاتمة الكتاب دراسة عن الاستعمار فى أفريقيا والمنازعات بين الدول من أجلها ، ثم حصر شامل للجزر الافريقية .

***

• **مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية**

تاليف : الدكتور جلال يحيى

الناشر : منشاة المعارف ـ الاسكندرية

يقع الكتاب فى زهاء ثلاثمــائة صفحة من القطع الكبير .

المشكلة الفلسطينية من أعوص المشكلات كما يقول المؤلف ، وتعتبر قضية من أشهر القضايا التى رآها التاريخ فى العصر الحديث ، وهى مشـــكلة انسانية قبل كل شىء .

والكتاب فى فصـــوله الاثنى عشر الأطمـــاع الاستعمارية فى فلسطين وفلسطين وتسويات الحرب العالمية الأولى ، والعرب والانتداب ، وضعف المعسكر العربى وانقسامه ، وكفاح العرب ضد الصهيونية ، وبدء الكفاح ضد بريطانيا ، والثورة والأمم المتحدة والتقسيم ، والحرب والهدنة ، واسرائيل والعـــرب ، ومشروعات المياه ، ثم اسرائيل والمشكلات الدولية .

***

• **الأعلام الشرقية**

فى المائة الرابعة عشرة الهجرية .

تاليف : زكريا محمد مجاهد

الناشر : مكتبة مجاهد بالأزهر .

هذا الكتاب هو الجزء الرابع من السلســلة التى يخرجها المؤلف وهو من معاجم الأعلام ، وهى تشغل فراغا كان فى المكتبة العربية عن هذا القرن الرابع عشر بعد أن ظهرت معاجم الأعلام فى القرون السابقة فهو بهذا الوضع مكمل لها .

وقد تناول فيه بالترجمة للأعلام فى الأدب والعلم والطب والتصوف وســـائر الفنون فى جميـــع بلاد الشرق وهذا الجزء اختص بالكتاب والشعراء والرحالة والمؤرخين وقد ترجم ل ٣٣٥ علما منهم .

ويقع فى ٢٨٠ صفحة من القطع الكبير .

***

• **مواقع النجوم**

ومطالع أهلة الاسرار والعلوم

تاليف : ابن العربى

الناشر : مكتبة صبيح

هذا الكتاب العلم من أعلام الفكر الاسلامى ومن علماء القرن السادس الهجرى ، واسمه ومكانته فى

غنى عن التعريف والكتاب فى أدب السلوك التصوفى وقد قسمه المؤلف الى مراتب ثلاث ، فالمرتبة الأولى فى توفيق العناية والمرتبة الثانية فى علم الهداية وهى علم التحقيق والمرتبة الثالثة فى الولاية ، وهى العمل الموصل الى مقام الصديق وهو الذى يرفع الكلم الطيب الى المستوى الأعلى ٠

والحق أن آراء ابن العربى فى التصوف فى حاجة الى ذهن صاف ، وعقلية خصبة وفكر ثاقب ، ولذلك تعتبر معظم مؤلفاته للخاصة بل لخاصة الخاصة ٠

ويقع الكتاب فى ١٩٢ صفحة من القطع المتوسط ٠

***

• رجال من أفريقية

تأليف : عبد بدوى

تقديم : حبيب جاماتى

الناشر : الدار القومية

الكتاب يقع فى ١٠٠ صفحة من القطع الكبير ، والاستاذ عبده بدوى المؤلف – كما يقول الاستاذ جاماتى – يضع بكتابه هذا بين يدى القارىء سلسلة من اللوحات ، رسم فيها مجموعة من الشخصيات الافريقية بالشعر المنثور أو النثر الشعرى واختار تلك الشخصيات من مختلف البلدان والعصور قديما وحديثا ، فجعلها تنطق بلسانه وتعبر عن مشاعرها بقلمه ٠

من هذه الشخصيات :

ليوبولد سيد أرسنغور رئيس جمهورية السنغال ، ووليم بتمان رئيس جمهورية ليبيريا كواحد من الذين ذوبوا المتناقضات فى بلده ، ونيلسون مانديلا من خلال عذاب المواطنين ، فى جنوبى أفريقيا ، وكينيث كواندا رئيس وزراء زامبيا كرمز على الاصرار الذى يوصل دائما الى الغاية ٠

وبالاضافة الى الوجوه المألوفة قدم المؤلف وجوها قديمة لها فى الكفاح ضد الاستعمار ماض مجيد ومواقف بطولية ، وتضحيات من أجل حرية شعوبهم وحرياتها ٠

والحق أن المهمة التى قام بها الزميل المؤلف شاقة مضنية فالمراجع عن أفريقيا وزعمائها لم تزل من القلة بمكان ، وقد ألقى أضواء على شخصيات أفريقيا كشفت عما توافر لها من عناصر العظمة والبطولة وفى مقدمتها الملك تخاو وعمر مكرم وحميد المرجبى، ورابح فضل الله من الوجوه القديمة التى قدمها كدليل على أن التربة الافريقية كانت تبحث فى الماضى عن التلاقى فى القارة وكانت تقف فى صلابة بالسيف والكلمة فى وجه الدخلاء على أفريقيا سواء كانوا من الاوربيين أم من غير الأوربيين ٠

***

• المشكل من شعر المتنبى

تأليف : ابن سيده

تحقيق الاستاذين :

مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد

هذا الكتاب من التراث العربى القديم للعلامة أبى الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ هـ يعالج فيه مؤلفه جميع المشكل من شعر المتنبى وما أكثر مشكلات شعر المتنبى ٠

ولهذا الكتاب أهمية عظيمة من ناحية مؤلفه باعتباره صاحب أكبر معجمين فى اللغة العربية : المخصص والمحكم ، ومن ناحية مادته اذ انه يعد آخر الكتب التى عرضت لشعر المتنبى فى لغته ومعانيه بنوع خاص ، وهو بهذا الاعتبار يعد من أهم المراجع للأدباء والنقاد والباحثين فى تاريخ الأدب ٠

***

هذا وقد أتم المحققان تحقيق الكتاب ليصدر خلال الأيام القادمة ان شاء الله ٠

« احمد الصادق عبد الصمد »

قراءات فى المجلات العربية



يقدمه: محمد العزبى

● حول ندوة فلسطين

فى هذا الاسبوع اقيمت بجامعة القاهرة ندوة عالمية دعا اليها اتحاد الطلبة الفلسطينيين . وتناولت تلك القضية التى اصبحت اليوم تشغل الراى العام العالمى ، ويقف الى جوارها كثير من القوى التى تساندها وتدعمها كمجموعة دول عدم الانحياز وغيرها من الدول فى العالم .

وتعتبر هذه الندوة من اهم الندوات منذ انشاء اسرائيل الى اليوم فقد اهتمت بما دار فيها صحفنا ومجلاتنا ونشير هنا الى أهم ما جاء فى هذه الجلسات التى حضرها الكثير من الشباب والمفكرين فى العالم والقوا بحوثا على جانب كبير من الأهمية . فقد القى الدكتور سيد نوفل فى يوم الندوة الثالث بحثا عن « فلسطين فى الامم المتحدة » قال فيه : ان القوى الاستعمارية التى خلقت اسرائيل تعمل جاهدة على اضعاف الامم المتحدة، فقد وقعت اسرائيل بروتوكول لوزان متعهدة بتنفيذ قرار الامم المتحدة بعودة عرب فلسطين الى ارضهم ودخلت اسرائيل تبعا لهذا فى عضوية الامم المتحدة فى اليوم التالى لتوقيع الاتفاقية، ولكنها تنكرت لتوقيعها واحتلت المزيد من الاراضى العربية ولم تحاول الامم المتحدة ازاء تصرف اسرائيل ـ ان تتدخل او تحرمها من شرف العضوية والانتساب اليها .

وتحدث باسم الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية بالمغرب السيد المهدى بن بركة الذى خصص بحثه عن «اسرائيل فى افريقيا» فاكد ان دور اسرائيل فى افريقيا ذو شقين .

الاول مخطط استعمارى ضد الثورة العربية . والثانى مخطط قام لتنفيذ مطامع الاستعمار العالمى المشروط واللانهائى من اجل تحرير فلسطين .

ولهذا فان اسرائيل تعتبر دورها فى افريقيا دورا حيويا ورئيسيا ،ثم كشف حقيقة الوجه الاستعمارى لاسرائيل فى افريقيا بقوله : لقد اريد لها ان تكون بالنسبة لدول افريقيا النموذج المثالى للدولة التى تمنح الخبرة والمساعدات والمنح للدول المتخلفة والنامية التى تواجه مشكلات مابعد الاستقلال ومما ساقه الباحث من الادلة على نشاط اسرائيل فى افريقيا انه يوجد فيها الآن ٦١٦٥ طالبا من مختلف دول العالم يتعلمون تحت نظام المنح الدراسية الاسرائيلية من بينهم ٣٤٣١ طالبا افريقيا يمثلون ٣٦ دولة افريقية ثم يقول :

وكان للجهود العربية المتواصلة المتضامنة مع زعماء افريقيا المتحررين اثر فى وقف هذه الحركة الاستعمارية بتلك القارة اذ حدث فى ١٩٥٦ ان قدمت اسرائيل لغانا أول قرض تقدر قيمته بـ ٢٠ مليون دولار .. ولكننا اليوم نجد ان دور اسرائيل قد انتهى فى غانا .

وكانت ندوة السبت ١٩٦٥/٤/٣ من اهم الندوات الحاسمة فى المؤتمر، فقد احتدم فيها نقاش عنيف دار حول استعادة العرب لفلسطين ، وازداد النقاش حدة عندما اعلن انتونى ناتنج الوزير البريطانى السابق ان قضية فلسطين لا تحلها الحرب ، لان اسرائيل بدات تصفى نفسها تدريجيا، وانه يمكن حل القضية بالطرق السلمية ، والقى اللوم على العرب لتقصيرهم فى شرح قضيتهم .وقد رد على ناتنج الصحفى الفرنسى بيروس قائلا :

ان على العرب الا يعتمدوا على الغرب الذى يسيطر على الصهيونية ، والا يهتموا برأى الغرب فيهم ، وعليهم ان يفرضوا على الغرب آراءهم ، لأن قضيتهم لن تحل الا عن طريقهم هم انفسهم ، وان الحل الوحيد لهذه القضية هو القضاء على اسرائيل بالحرب .

ثم تقف الكاتبة البريطانية «ايثيل مانين» ترد على «ناتنج» فتبين ان هناك اسئلة اثيرت عن امكان وجود تسوية سلمية لاقامة فلسطين والحقيقة انه لاتوجد اية تسوية سلمية فقد مرت سنوات كثيرة ونحن ننتظر عودة الذين طردوا من ديارهم منذعام ١٩٤٨ . وتقول «مانين» انها لا توافق ناتنج فى قوله ان الحرب لاتحل المشاكل .. اذ الحرب حلت وستحل مشاكل كثيرة واسرائيل قد اقامتها الحرب واننى لا اعرف حلا آخر غير الحرب ، ولكنى لاستطيع ان احدد متى سيكون حمل السلاح فى هذه المنطقة .

وقد ردت على دعوى ناتنج بان اليهود لايسيطرون على بريطانيا بقولها : انهم يسيطرون على بريطانيا كما يسيطرون على امريكا ، وهذا هو سبب عدم سماع وجهة نظر العرب ، واضافت «مانين» الى ذلك قائلة : انه يكفى للدلالة على سيطرة اليهود على بريطانيا ان بعض وزرائها من اليهود ، وهذا ييسر لهم دائما السيطرة على الصحف والبرلمان البريطانى، كما اعلنت أيضا انها فشلت فى نشر مقالة عن فلسطين فى المانيا الغربية واخبرها الناشر بانه لن يجرؤ على نشر هذا المقال ، وتمضى الكاتبة البريطانية فى حديثها فتقول : « اننا اصدقاء العرب فى الغرب نواجه مشاكل كثيرة وقد بدات ادرك ان الغرب لم يعد يهتم بشىء بالنسبة لقضية العرب» وتمنت مانين فى ختام حديثها «قيام الدولة الموحدة كطريقة لاسترداد فلسطين» .

وعقب الدكتور برهان الدجانى على كلام الوزير البريطانى قائلا أن ناتنج عبر تعبيرا صادقا عن السياسة البريطانية التى اتبعتها بريطانيا فى فلسطين ، فقد كانت تعد العرب وتطلب منهم الصبر وتعطى لليهود بطريقةعملية مايساعدهم على تقوية مركزهم ، «وناتنج» - اذ يشير علينا بعدم الحرب - هل يضمن لنا انه سيمنع اسرائيل من العدوان علينا .. ان مايطلبه «ناتنج» هو ان نتوقف عن الرقى ، ونقف عمليات التنمية لكى نبقى متخلفين ، ثم نترك جيوشنا ضعيفة حتى اذا ضربتنا اسرائيل قال الغرب لنا : ماذا نفعل لكم، انكم ضعفاء

ويقف بعد ذلك «كريشنامينون» وزير الدفاع الهندى السابق فيعلن « ان بريطانيا تقع عليها مسئولية كبرى فى مشكلة فلسطين فلولا وعد بلفور ووجود الانتداب البريطانى فى فلسطين ماقامت دولة اسرائيل» فقد كان استخدام القوة بواسطة الشعب الذى وطنه الانتداب وفرض عليه حمايته هو سبب هذه المأساة ، لانه ماكاد الانتداب ينتهى فى فلسطين حتى بدأت المذابح التى قام بها اليهود ضد العرب، امابالنسبة للاجئين الفلسطينيين فيقول عنهم «مينون» انهم طردوا من ديارهم ولم يهربوا كما حاول البعض ان يصوروهم ثم قال انى اعتقد أننا هنا نتناول مشكلة خاصة بالكرامة الانسانية فان ماحدث فى فلسطين هو ان شعبا فرض على أرض بعد ان طرد منها اصحابها ، ويضيف الى ذلك قوله : ان دور اسرائيل قد برز عندما انضمت الى بريطانيا وفرنسا فى الهجوم على مصر ، هذا الهجوم الذى شكل جزءا من مؤامرة طويلة دبرها المستعمرون لاستعادة الامبراطورية .

وبدأت جلسة اليوم الرابع بكلمة القاها ممثل طلبة فيتنام الشمالية جاء فيها انه باسم طلبة وشعب فيتنام يعلن تأييده الكامل لشعب فلسطين الجريح الذى سلبته العصابات الصهيونية - بمساعدة الاستعمار الامريكى - ارضه ووطنه وتركته مشردا بلا مأوى ، وقال : ان كفاح اخواننا الفلسطينيين كفاح مشروع وضرورى ، من اجل استعادة حقوقهم المشروعة واسترداد وطنهم السليب . وتحدث بعد ذلك الكاتب الامريكى «نيفيربارير» الذى طالب فى خطابه بقيام حكومة مؤقتة فى فلسطين تنبثق عن منظمة التحرير الفلسطينية لتعمل على تصوير الشعب الفلسطينى امام العالم بانه الشعب الحقيقى الذى يعانى الظلم ، وليس الشعب اليهودى كما يحاول اليهود أن يوهموا الناس فى الغرب .

ثم تحدث ممثل اتحاد طلاب اندونيسيا فقال : اننا طالما انتظرنا مثل هذا الاجتماع الذى يضم الاحرار فى مختلف ارجاء العالم للتعرف على قضية الشعب الفلسطينى والوقوف معه ضد الصهيونية والامبريالية والاستعمار ، ثم أعلن أن اندونيسيا ترفض دائما انشاء أى علاقة مع اسرائيل وترفض حضورها الى أى مؤتمر يعقد على أرضها .

ولعلنا نستطيع ان نعود الى النتائج التى اسفرت عنها جلسات هذه الندوة فيما بعد .

«محمد العوانى»

أصوات على الشجر

بقلم نجيبة العسال

عندما أنذر باخلاء دكانه الصغير دارت الدنيا به ووقف حائرا يتلفت حوله لا يدرى ماذا يفعل .. فهولم يخطر بباله قط فى يوم من الايام ان يترك دكانه ولم يدر بخلده ان يطلب منه احد ان يغادر هذا المكان .. لقد نسى منذ زمن طويل ان يستاجر هذا الدكان .. حتى الايجار كان يحس وهو يدفعه كانه شىء عادى من مطالبه العادية وليس ايجارا لمكان لايملكه اومن الممكن ان يكون ملكا لغيره ..

عشرون عاما مضت وهو فى دكانه هذا لم يغادره يوما ولم يبتعد عنه اطلاقا فكيف يتركه الآن ..؟ ايبتعد عن كل هذا فى لحظة واحدة .. ؟ وراحت عيناه تحسسان الجدران شبه المتهالكة التى تنضح بالرطوبة بنظرة ملؤها العطف وفاضت نفسه حنانا .. تلك الجدران التى اصبحت وكانها قطعة منه وكذلك الأرض التى يدوس عليها .. كاقدامه تماما .. وتنهد الأسطى رجب وهو يغالب فيض الحنان قبل ان يغدو دموعا .. سيهدمون البيت القديم ليشيدوا عمارة كبيرة مكانه فماذا يفعل هو .. ؟ .. اين يذهب بعد كل هذه الأعوام الطويلة .. واشياؤه العتيقة اين يذهب بها .. بنك النجارة الذى تاكلت اركانه والفراة السوداء فى مكانها الدائم على الطوار .. الفاره العجوز والشاكوش الضخم وكل ما يملك من ادوات النجارة .. اين يذهب بها .. ؟الى دكان جديد .. ؟ فى حى اخر جديد .. ؟ ولم يستطع الاسطى رجب حبس دموعه اكثر من هذا .. دكان جديد فى حى جديد .. وهل تصلح فى الدكان الجديد تلك الأشياء القديمة .. ؟ ابدا .. سيطلبون منه استخراج رخصة جديدة بمواصفات جديدة .. لن تصلح تلك الأشياء القديمة .. وهو .. هو هل يصلح هو الآخر للدكان الجديد .. ؟ وابتسم ساخرا من دموعه ايضا اصبح مثل تلك الأشياء القديمة العتيقة بعد ان ودع اعوامه الأربعين منذ سنوات قليلة .. ايصلح وهو فى هذا العمر لمعاملة زبائن جدد .. ؟ وهل يعامله الجدد كما يعامله الآن كل زبائنه القدامى .. ؟ ان القدامى يعرفونه جيدا .. يعرفونه منذ كان شابا قويا يخترق صوته الجهورى سكون الشارع وتدق اقدامه الأرض فى نشاط ليلبى كل ما يطلب منه من اعمال سريعة وصبيه الصغير يهرول وراءه حاملا صندوق العدة .. الكل يثقون فيه ويلجاون اليه .. بل ينتظرونه اكثر الاحيان ان كان مشغولا دون ان يستبدلوه باخر .. كم كان يسعده هذا .. لكنه لم يشتغله اطلاقا .. فلم يحدث ابدا ان تظاهر بانه مشغول دون ان يكون مشغولا فعلا .. وزبائنه من سكان الحى الأصليين .. عاش بينهم سعيدا راضيا .. قانعا بما تدره عليه اعمالهم الصغيرة .. اين يذهب ويتركهم فى حيهم دكان واحد يصلح لسكناه .. ولابد من الانتقال الى حى آخر وتنهد الأسطى رجب واصابعه تنقر على حافة البنك المتداعى .. انه لم يكن يظن ان الحياة ستتوقف هكذا فجاة .. لم يضع فى حسبانه ابدا ان هذا سيحدث يوما .. ولكن .. ودرات الدنيا به اكثر .. وحتى لو ذهب الى حى آخر وعثر على دكان اخر ووجد زبائن جددا فمن اين له بمطالب الدكان الجديد .. ؟ انه لا يملك شيئا البتة فرزقه طول عمره .. يوم بيوم .. لم يتعود الادخار ولم يفكر يوما فى ان يقتر على زوجته .. انصاف نعم الصاف . واحس بقلبه ينعصر فى جوفه ، انها حبيبته التى ظل سنوات طويلة يسعى للزواج منهـا .. فهى جميلة ورقيقة وبنت ناس طيبين ولهـا اقارب موظفون واثرياء ، ولكن والدها كان عاملا مثله .. كان الأسطى الذى تعلم النجارة على يديه وكان يعلم مقدار حبه لابنته ففضله على كل من تقدم لها .. فكيف كان يتسنى له ان يقتر عليها وعلى أولاده ؛ انه مقتنع تماما بانه لم يكن يوما مبذرا .. لكنه كان زوجا وفيا وابا حريصا على توفير كل مطالب اولاده .. ولكن ماذا يفعل الآن ، ماذا يفعل الآن واين يذهب .. ؟واحس بطاقة كبيرة من الضوء تفتح داخل نفسه ومعها الجواب السريع الحازم .. اعمل كما فعل زملاؤك واصدقاؤك .. المصانع .. المصانع .. وردها لنفسه بصوت مسموع .. وكررها مرة ثانية .. المصانع .. وهز راسه فى شدة وهو يتصور نفسه كان قيدا من الحديد قد التف حوله .. لا .. لا .. لن اكون مرؤوسا لاحد انى حر طوال حياتى .. لن اكون عاملا بعد ان كنت صاحب عمل .. لن اكون واحدا فى مجموعة كبيرة تؤدى عملا واحدا وتاتمر بامر واحد .. انى حر طليق وسأظل طوال حياتى حرا طليقا لا آتمر الا بامر نفسى ولا اطيع احدا غيرى ... وفى غمرة الانفعال والثورة ..ترك رجب حافة البنك وسحب كرسيه العتيق وجلس على الطوار واضعا ساقا فوق ساق ولم يلبث ان سرح ببصره بعيدا تجوس عيناه خلال الأشجار العالية التى امامه .. لقد تعودت عيناه رؤية تلك الأشجار داخل سور حديقة البيت الكبير..بيت عثمان بك ولكنه لم يحس من قبل بمقدار تالفه معها مثلما يحس الآن .. هذه الأشجار العالية .. كيف يتركها ويذهب بعيدا وهو الذى يحلو له دائما أن يرقبها خاصة ساعة الغروب .. كم يحبها فى تلك اللحظة وكم يعشق أصوات العصافير وهى تتجمع على فروعها .. ان زقزقتها وهى تتجمع وأصواتها الصادرة فى نغمة واحدة تاسره وتظل ترن فى

الانيه بالحانها الموحدة حتى بعد ان تهدأ ويلتئم شملها وتخلد الى الراحة بعد يوم ملىء بالتحليق في الفضاء .. وكثيرا ما كانت تتملكه رغبة جارفة كي يذهب الى دكانه في الصباح الباكر وكان دائما يكتشف بعد فتح الدكان وجلوسه على الطوار وبعد ان يشرد مع نغمات العصافير ان هذه الرغبة لم تتملكه الا شوقا لسماع هذه الأصوات الموحدة وهي تملأ الفضاء الندى في باكورته المشعة بحنان الصباح .. وتزيده حنانا ويحس بنفسه ايضا وكأنها تذوب وتتلاشى في هذا الحنان المشع المتبخر في الفضاء .. ورجع الأسطى رجب الى نفسه وفاض قلبه حنانا وأسى حتى تجمعت الدموع في عينيه ايترك كل هذا ويصبح محكوما لا يستطيع ان يخلو الى نفسه دقائق مثل تلك التي يذوب فيها مع العصافير في الفضاء .. ؟ .. وترك الاسطى رجب مقعده العتيق في الحال الى داخل الدكان حتى لا يرى المارة دموعه واشتدت اصابعه في عصبية تقبض على اركان البنك المتداعي وهو يدق بقدمه الارض وسرعان ما غادر دكانه الصغير ليذهب الى بيته ويستلقى على فراشه دون ان ينطق بكلمة لاحد .. ماذا يقول لأنصاف .. هل يقول لها انه اصبح بلا دكان .. انه لا يدرى من اين ينفق عليها وعلى اولاده بعد اليوم .. هل يقول ان مكانه .. ضاع وانتهى .. ابات وغدا بلا مأوى .. ماذا يقول لاهله واصدقائه وجيرانه .. ايقول انه لا يملك ما يمكنه من فتح دكان جديد .. سيتبارون جميعا في اقراضه مايمكنه من ذلك .. وانصاف .. ؟ هل ستترك لأحد ان يقوم بذلك .. ابدا انها ستشرع ببيع مصاغها في الحال لاستئجار الدكان الجديد .. لكنه لن يرضى بهذا ولا بذاك .. ولزم رجب فراشه اياما طويله مريضا يظن ان لا احد يعرف سر مرضه .. ولكن كل من حوله كانوا يعرفون سر مرضه ويحترمون هذا السر .. يعرفون مقدار عذابه ومعاناته فهو معروف للجميع بالحرص على كرامته وكبريائه ولكن احدا البتة لم يكن يفطن الى مقدار تآلفه مع الاشجار العالية وسكانها الوافدين اليها ساعة الغروب المغردين عليها ساعة الشروق .. واستسلم رجب لفراشه لا يود ان يغادره .



وكان الفراش ملاذه الوحيد ومخرجه من تلك الحيرة والضياع .. لقد امتزج في نفسه حرصه على ان يظل حرا طليقا مع كل ارتباطاته الماضية فهو تارة يستسلم لصورته بين زبائنه وشروطه معهم واعجابه بدقة اصابعه عندما يقوم بعمل فيه فنية ويتطلب الاتقان وتارة في وقفته الصلبة داخل دكانه وصرخته في عماله وطاعتهم له وتارة اخرى مع تلك الصور التي تتراءى له دائما ولا تتركه ابدا .. البيت الكبير وسوره العتيق واقامة المقعد الحجرى الذى يربض عليه دائما .. عم عبده البواب بعمامته المستديرة وشيخوخته الوقور على وجهه اللامع الناطق بالصحة والحيوية رغم الكبر في نظرة عم عبده الشامخة واحساسه الدائم بأنه كان ابن ناس ومن عائلة كريمة كانت تجاور ارضها ارض صاحب البيت الكبير لولا اسراف والده لكان اليوم مثل اصحاب البيت تماما لكنه الزمن كل منا له دوره .. وهو .. هو رجب .. هل سيأتي عليه اليوم الذى يقول فيه .. كنت صاحب عمل واصبحت عاملا .. ويتقلب في فراشه وينظر من بعيد عبر النافذة بعد ان مالت الشمس للمغيب .. لقد بدأت العصافير الآن في العودة الى فروع الاشجار العالية .. ويسرح بعينيه في سقف الحجرة الساكن ليعيش مع العصافير في تجمعها ساعة الغروب . ان الحانها لا تغادر أذنيه اطلاقا ..

وتأتيه من بعيد أصوات الاولاد في الشارع ويستسلم لصورة اخرى .. صورة كانت تسعده دائما بقدر ما تشقيه .. الاولاد الصغار وهم يلعبون ساعة العصر امام باب دكانه وعراكه الدائم معهم عندما تصطدم الكرة بجسده واشيائه المتعبة .. انه يأخذها ويحرمهم لحظات من أجمل لعبة في حياة الصبية والفتيان ولكنه لم يكن يحتمل ابدا رجاءهم له فيفرج عن الكرة بعد لحظات وهو سعيد وكأنه قد عاد صبيا من جديد .. وكثيرا ما كان يشوطها هو بعد أن يفرج عنها .. أين كل هذا .. ذهب ولن يعود .. لن يعود .. وطلب من أصدقائه أن ينقلوا أشياءه القديمة القليلة الى منزله .. كيف يذهب الى دكانه .. انه لا يستطيع ابدا ان يرى أيامه الماضية وهى تذهب عنه .. أيام شبابه وقوته وفتوته .. أما أيامه القادمة فهو لا يعرف عنها شيئا .. ولا يود أن يعرف شيئا أيضا .. فيكفيه ما هو فيه الآن .. ومرت الايام فاترة باردة كئيبة . وفي يوم .. انتبه رجب لنفسه وبدأ يعود لحاضره ونظر حوله .. ان اطفاله لم يعودوا كما كانوا انهم ليسوا اولاده الذين

يعرفهم تماما .. ان الصفرة هي السمة الواضحة على محاجر .. و .. الحيرة .. والذلة .. الذلة ؟.. أيذل اولاده وهو على قيد الحياة ؟ لا..لا..والصاق ؟ الصاق ؟. حبيبه الرقيقة التي كانت تضج بالحياة والحب مالها .. هكذا .. انها شاحبة .. حزينة نحيلة تنظر اليه بعينين صامتتين مبتهلتين ترجوان وتتوسلان . وانتفض واقفا يتفقد سنه الخاوى ويتفقد أيضا ساعدى الصاق .. ساعداها لم يعودا يلمعان من بعيد أو من قريب .. لقد خليا تماما من كل ما كان يزينهما .. وتبخر من خياله كل ماضيه .. واندثر داخل وجدانه وانطوى أمام حاضره.. لقد مرت شهور وهو طريح الفراش غائب عن الوجود .. وهاله ذلك الهروب كي يتنصل من واجبه .. ان أولاده وزوجته هم أعظم ما في الوجود .. انهم ماضيه وحاضره ومستقبله .. واستنجد بكل ما فيه من قوة نفسية لكي يشفى..لن يقف المرض عقبة في سبيل واجبه الأول..سيشفى..لابد ان يشفى .. ان الحياة أمامه تفتح ذراعيها لاستقباله وشعر بالعمر أمامه فسيحا مديدا .. لابد أن يعوض أولاده كل ما عانوه وهو بعيد عنهم .. لقد تأكد الاسطى رجب أنه كان في تلك الفترة بعيدا عن أولاده لانه لم يفكر فيهم ولا في حبيبتهم الغالية وحبيبته الصاق .. انه لم يفكر الا في نفسه فقط وفي كيانه وحده وأحس بأنه غير جدير حتى بأولاده ما دام قد فضل نفسه عنهم .. تذكر رغما عنه تجمعات العصافير ساعة الغروب وأصواتها الموحدة المفردة في نغمة واحدة وأحس انه كان يراقبها فقط لكنه لم يتعلم منها ولم يفطن الى حقيقة الجمال المشحون في الحانها .. ان هذا نابع من النغمة الواحدة والتكتل الكامل في اخراج النغم الى الوجود .. كيف يزعم اخلاصه لماضي وجدانه وهو بعيد كل البعد عن حقيقة المصدر الذي أيقظ هذا الوجدان وأسره .. سيبدىء من الآن كماضيه ويتعلم منه .. سيثبت منذ الآن أنه فعلا قد أخذ درسا طويلا نافعا من أحياء كانوا يهبون له السعادة الكاملة طوال عشرين عاما .. انها العصافير المفردة في أصواتها الموحدة على الاشجار العالية .. وانطلق الاسطى رجب في عزم واصرار مع الاقدام الزاحفة في ثبات وقوة وايمان .. الاقدام التي عرفت طريقها وعرفت نداءه .. ومعنى خطواتها الواحدة في طريق صاعد الى الامام .. والامام دائما .. وهناك في أحد مصانعنا الكبيرة الجديدة .. كان يسرى طيف من الحنان في ملامح الاسطى رجب وهو يتذكر عم عبده البواب والسور العتيق وجدران دكانه الصغير التي تنضح بالرطوبة والبنك المتداعي وكل أشيائه العتيقة بما فيها المقراة السوداء على الطوار وترن في اذنيه أصوات العصافير على الشجر فيعود ببصره في الحال لتلتقي عيناه بتلك الجباه العريضة المندأة بالعرق التي تستقر نظراتها على السواعد القوية وهي تحرك الماكينات الضخمة اذ تصطك في اذنيه أصواتها الهادرة الصاعدة الى السماء في نغمة واحدة موحدة بقوة هائلة .. تزيد من عزمه واصراره وتوقظ في نفسه احساسا بالكيان الكلي..وتتوقف عيناه طويلا على كل الأيدي المتعاونة مع يده .. ويشعر بالقلوب المتعانقة مع قلبه والآمال المتحدة مع آماله فتشرق ابتسامة فتية متفائلة تملأنفسه وتظل معه حتى يعود مع الغروب .. الطريق ممتدة أمامه وكل الصبية والفتيان الذين يلقاهم في طريقه يمثلون له أولئك الذين كانوا يعاكسونه بالأمس بالكرة وكل الناس الطيبين يمثلون له عم عبده وكل الاشجار العالية تماثله وكل العصافير المتجمعة على الأشجار تغرد أصواتها فرحة بمقدمه وتتصاعد الحانها تزفه وتحنو عليه فقد أصبح صوته في الحياة واحدا من أصواتها يحلق معها عاليا . فوق الشجر .

« نجية العال »

مع فنان

تقديم

فاروق حافظ عمر

دعائم فن مختار

في ريعان العمر وازدهار الأمل وفي اقبال النجاح والمجد يخرج مختار من هذه الدنيا بما فيها من أمل ومن نجاح ومن مجد .

فلقد كان يوم السبت ٢٧ مارس ١٩٦٥ هو ذكرى وفاة (مختار) المثال الأول في العصر الحديث والذي عبر في اعماله عن روح بلده وتراثه ومقومات خلوده وهي جميعا تلتف في ثناياها سر هذه التربة الخالدة منذ توقف الفن المصري القديم صاحب اقدم حضارة عالمية والتي وصل فيها النحت الى أرقى القيم الفنية وبظهور مختار عاد فن النحت ثانيا الى مصر في نمط جديد معتزا بنفسه واصله العريق ليساير فن النحت في جميع البلاد .

واذا رأيت أعمال مختار فستري فيها القيم الثابتة،فلقد بدأ أعماله الأولى في ظل أستاذه الفرنسي (جيوم لابلانى) الذي علمه قواعد النحت الكلاسيكي وفق المذهب الاغريقي الروماني في الفن وعندما سافر الى باريس تتلمذ على يد أستاذيه (كوتان) و (مرسيه) ومضى مختار يتابع الاتجاهات الحديثة . ففي تماثيله (لقية وادى الملوك) و (كاتمة الأسرار) عبر عن التراث الفرعوني الذي ساد اكتشاف آثاره في مصر زهوا في ذلك الوقت ووجد في الفلاحة المصرية صورة رائعة للنحت فعبر من خلالها عن مشاعر الحب والفرح والحزن والراحة وكلها من خامات بلاده مثل الجرانيت والبازلت والحجر حتى منحوتاته الصغيرة لا تقل روعة وتعبيرا عن اعماله الكبيرة وفي اعماله (القيلولة) و (الخماسين) و (الحزن) و (حاملات الجرار) نرى قيما عالية تشترك مع الماضي في صفاته الثابتة المستمدة من الطبيعة المصرية وكذلك نرى تماثيل الاشخاص في فن مختار على نفس النهج من التطور فبعد التسجيل الواقعي والتفاصيل العابرة التي تبدو في أعمال المرحلة الأولى نراه يوغل في اعماق الشخصية وكأنه ينحت ملامحها من الداخل وينقلها من صورتها الفانية الى حقيقتها الخالدة في عالم النحت .



« ابن البلد » « الواحة » « رأس فتاة مصرية »

سطور من حياة مختار

- ولد في ١٠ مايو ١٨٩١ ببلدة طنبارة من قرى المحلة الكبرى وكان أبوه الشيخ ابراهيم العيسوى عمدة هذه القرية ثم هاجرها الى قرية (نشا) من قرى المنصورة وهناك بدات معالم مواهبه الفنية تتفتح ورحل الى القاهرة .
- التحق بمدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩٠٨ ، ثم سافر الى باريس ١٩١١ .
- عرض نموذج تمثاله (نهضة مصر) بمعرض الفنانين الفرنسيين سنة ١٩٢٠ ، ونال عليه شهادة شرف من المعرض .
- دعا بعض المفكرين الى اقامة تمثال (نهضة مصر) في احد ميادين القاهرة ونظم اكتتاب شعبي لاقامة التمثال ساهمت فيه الحكومة .
- انتهى من اقامة تمثال (نهضة مصر) سنة ١٩٢٨ .
- ساهم في هذه الأثناء في تنظيم الحركة الفنية وانشاء مدرسة الفنون الجميلة العليا وايفاد البعوث الفنية للخارج فضلا عن اشتراكه في عدة معارض خارجية بأعمال لقيت النجاح .
- اقام معرضا خاصا في باريس سنة ١٩٣٠ وبفضل هذا المعرض عرفت المدرسة المصرية الحديثة في الفن وسجلت ميلادها امام النقد الفني في العالم .
- اقام تمثال سعد زغلول في الفترة بين (١٩٣٠ - ١٩٣٢) .
- توفى في ٢٧ مارس ١٩٣٤ .

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٩٠

الثمن ٣

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

حسام عبالا

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٣٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد – القاهرة .

العدد ١١٠٩ – الخميس ١٣ من ذي الحجة ١٣٨٤هـ – ١٥ ابريل ١٩٦٥ م – السنة الثانية والعشرون

نظام الأضحية في الأديان

ومظاهر انحطاطه ووحشيته عند اليهود

للدكتور علي عبد الواحد وافي

يدلنا البحث في تاريخ الأديان على أن فكرة التقرب للمعبودات بتقديم الأضاحي والقرابين قد نشأت مع الانسانية ، وظلت ملازمة للتفكير الديني في مختلف مراحله . فلم يخل من هذه الشعيرة دين سماوي أو وضعي ، ولم تعر منها تقاليد شعب متحضر أو بدائي : جاءت في أديان الطوطميين والمجوس والوثنيين والصابئة والمانوية وعبدة الكواكب والحيوان والنبات ، كما جاءت في شرائع اليهود والمسيحيين والمسلمين . ولا أدل على قدمها وعموم انتشارها من الكلام عنها في جميع الأسفار المقدسة القديمة ، ومن أن القرآن يحدثنا عن شكل من أشكالها جرى العمل به في عهد آدم نفسه اذ يقول : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » .

ويظهر أن الضحايا في أقدم أشكالها كانت تقدم من بني الانسان على اختلاف في نوعها وسنها باختلاف الأمم والشرائع ، وتبعا للأحوال المحيطة بالأضحية والأسباب الداعية اليها .

وكان يعتقد قديما أن المتقرب اليهم يستفيدون ماديا من الضحايا والقرابين . فقد ساد الاعتقاد حينئذ أن الآلهة تنتفع في غذائها بلحوم الأضاحي أو بلحوم بعض أعضائها أو بدمائها . ولذلك كان يحرم أكل الناس منها جميعا أو من بعضها ، واعتقد بعض الشعوب التي كانت تقدم الضحايا الانسانية قربانا للآلهة أن المتقرب اليهم يتخذون من هذه الضحايا عبيدا وخدما يسخرونهم في قضاء حاجاتهم . ووصمت بعض الأمم آلهتها بصفات القسوة وحب الدماء والتلذذ بمنظر ازهاق الروح ، فكانوا يقدمون اليها الضحايا تهدئة لهذه الميول الدموية واتقاء لشرها وتأمينا على حياة الجماعات .

بيد أن ارتقاء التفكير الانساني ، واصلاح ما علق به في مراحله الأولى من خطأ في فهم الآلهة وصفاتهم وما يتطلبه رضاهم ، ونزعة المجتمعات الى تنزيه معبوداتها عن القسوة والتشفي وعن الحاجة الى ما يقدمه اليهم بنو الانسان ، وجعلهم أغنياء عن العالمين ، واتساع نطاق المعرفة ، وانتشار الشرائع السماوية والكتب المقدسة ... كل ذلك قد عمل على احترام الحياة الانسانية فقضى على نظام التضحية بالآدميين ، واستبدل بها أشكالا أخرى ، فظهرت حينئذ التضحية ببعض أنواع الحيوان كالابل والبقر والغنم ، وبعض أنواع الطيور كالأوز والبط والدجاج ، وظهرت أنواع أخرى من القربان لا تقتضي اهراقا لدم كالتقرب بما يستخرج من الحيوانات والتقرب بالنبات كالحنطة وسنابل القمح والدقيق الممزوج بالزيت ، والتقرب بما يصنع من النباتات كالخبز والفطائر ، وتهذب كذلك فهم الناس للغرض من الأضحية ، فأصبحت مجرد مظهر من مظاهر تقوى الله وامتثال أوامره وشكره على نعمائه .. وما الى ذلك .

غير أنه قد بقي في تقاليد بني اسرائيل وشرائعهم

كثير من مظاهر الانحراف والوحشية فى فهم الغرض من الأضحية وفى اختيار نوعها وطرائق تقديمها .

فمن ذلك أن كثيرا من فقرات « العهد القديم » نفسه تدل على أنهم كانوا يقدمون أولادهم ضحايا لالاههم . فقد ورد فى هذه الأسفار أن فرعون لم يسمح لبنى اسرائيل بالخروج من مصر . فأنزل الله نقمته على المصريين . فكان يهلك أول مولود لكل أبوين من المصريين وأول مولود لكل أنثى من الحيوان فى سائر بلاد مصر . ولما رأى فرعون وقومه ما حل بهم من العذاب استجابوا لرغبة بنى اسرائيل وأذنوا لهم بالخروج من مصر . وكان هذا الخروج أكبر حدث فى تاريخهم ، واليه يرجع الفضل فى تحريرهم من الاستعباد وفيما أصابوه من عز وسلطان فيما بعد . ولكى يظل بنو اسرائيل ذاكرين فضل الله عليهم فى هذا الحدث فرض عليهم أن يخصصوا للرب أول ما تلده كل أنثى من الانسان والحيوان ، أى أن يقدموه ضحية له . ولكن خفف عنهم فيما يتعلق بأول مولود من الآدميين ، فشرع لهم فداؤه بذبح من الضأن . وشرع لهم كذلك هذا الفداء فيما يتعلق بالحيوانات غير مأكولة اللحم (انظر تفصيل ذلك فى فقرات ٢ ، ١١ ـ ١٥ من اصحاح ١٣ من سفر الخروج) ـ واذا لاحظنا أن هذه الأسفار من صنعهم هم ، وليست هى التوراة التى أنزلها الله على موسى ، وأنها تعكس ما كانوا يسيرون عليه فى مختلف مراحل حياتهم ، أمكننا أن نستنبط مما ذكر فى هذه الفقرات أن نظام التضحية بأول مولود آدمى كان سائدا لديهم فى تاريخهم القديم .

ومن ذلك أيضا أن توراتهم المزعومة تنص على أن الضحايا « المحرقة » ، وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت اشراف أحد اللاويين يرتاح لها الاه اسرائيل ويفيد منها ويتنعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم اليه أو اذا قدمت اليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم نارا تحرقهم كما فعل مع ولدين من أبناء هارون لم يحسنا تقديم الأضحية له (الاصحاح العاشر من سفر اللاويين) . ومن ثم كانت طريقة حرق الأضحية وتصاعد دخانها هى الطريقة المقررة لديهم فى معظم أنواع الأضحية والقرابين ، حتى فى قرابين النبات وما يصنع منه كالفطائر وما اليها (انظر فى ذلك سفر اللاويين ، وبخاصة الاصحاحات الأول والثانى والسادس والسابع والعاشر ـ وقد خصصت معظم اصحاحات هذا السفر لبيان وظائف اللاويين وهم كهنة بنى اسرائيل وفقهاؤهم ، وكانوا يتألفون من نسل لاوى أو ليفى أحد أبناء يعقوب ، وقد تخصص منهم بذلك نسل هارون عليه السلام ، وكان أهم وظائفهم الاشراف على المذابح وتقديم الضحايا والقرابين) .

وأشنع من هذا كله وأشده دلالة على وحشيتهم ووحشية عقائدهم ومدى عداوتهم للأجناس الأخرى من بنى الانسان على العموم أن أسفار تلمودهم تحثهم على ذبح الآدميين من غير بنى اسرائيل وتقديمهم قربانا لالاههم ، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى أعيادهم وأفراحهم الدينية ، وبخاصة عيد الفصح وعيد استير ومراسم ختان الأطفال ، واستخدام هذه الدماء فى طقوس سحرهم وشعوذتهم .

أما عيد الفصح « فصح ، أى الفسح أو الخروج أو المرور) فيقيمه اليهود فى اليوم الرابع عشر من الشهر القمرى الأول من سنتهم الدينية ، وهو شهر نيسان (ويقع ذلك فى شهر ابريل) . ويحتفلون فيه بنجاة موسى وبنى اسرائيل من فرعون وقومه وخروجهم من مصر (أنظر فقرات ٥ ـ ٩ من اصحاح ٢٣ من سفر اللاويين) .

وأما عيد استير أو البوريم فيقع فى شهر فبراير أو شهر مارس من كل سنة ، ويحتفل فيه اليهود بذكرى نجاتهم من مذبحة تذكر أسفار العهد القديم أنها كانت تتهددهم وأنهم قد نجوا منها بفضل امرأة اسرائيلية تسمى استير . فتروى هذه الأسفار أن استير كانت زوجة لأحد ملوك الفرس وكان لهذا الملك وزير يسمى هامان ، وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من الملك بقتل اليهود ، فأحبطت استير كيده ، ودبرت مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره ومكنت اليهود من ذبح عشرات الألوف من بنى قومه بما فيهم الأطفال والنساء (انظر سفر استير ، وهو أحد الأسفار التاريخية من أسفار العهد القديم) .

وأما مراسيم ختان الأطفال فهى مراسيم معقدة يقيمها اليهود بمناسبة ختان أطفالهم ، وهو من أهم

شعائر دينهم ، بل انهم يعتبرونه أكبر مميز بين اليهودى وغير اليهودى (انظر مثلا الاصحاح الخامس من سفر التثنية) .

وأما طقوس السحر والشعوذة لدى اليهود فقد أفرد لها التلمود أبوابا كثيرة ، بل لقد اعترفت أسفار العهد القديم نفسها بمزاولة اليهود لها (انظر مثلا اصحاح ٥٧ من سفر أشعياء) .

وتختار ذبائح عيد الفصح من الأطفال الذين لا تتجاوز سنهم العاشرة أو تزيد عنها قليلا ، ويمزج دم الضحية بعجين الفطائر قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه . وتختار ذبائح عيد البوريم أو استير من الشباب البالغين ، ويؤخذ دم الضحية ويجفف على صورة حبوب تمزج بعجين الفطائر . وأما ضحايا أفراح الختان فيظهر أنها كانت تختار من الأطفال ، وكذلك ضحايا السحر والشعوذة بدليل ما ورد بصددها فى سفر أشعياء اذ يقول فى اصحاحه السابع والخمسين مخاطبا بنى اسرائيل : « أقبلوا يا بنى الساحرة ... ألستم أنتم الذين يذبحون الأطفال فى الوديان وتحت شقوق الصخور » ؟! أى لاتمام عمليات السحر التى ورثتموها من آبائكم وأمهاتكم .

ويستنزف اليهود دم ضحاياهم هذه بطرائق كثيرة . فأحيانا يتم ذلك عن طريق ما يسمى « **البرميل الابرى** » وهو برميل مثبت على جوانبه من الداخل ابر حادة توضع فيه الضحية حية ، فتنغرز هذه الابر فى جسمها ، وتسيل الدماء ببطء من مختلف أعضائها ، وتظل كذلك فى عذاب اليم بطىء حتى تفيض روحها ، بينما يكون اليهود الملتفون حول هذا البرميل فى أكبر نشوة بما يبعثه هذا المنظر فى نفوسهم من لذة وسرور . وينحدر الدم الى قاع البرميل ، ثم يصب فى اناء معد لجمعه . وأحيانا تذبح الضحية ذبحا كما تذبح الشاة ، ويصفى دمها فى وعاء . وأحيانا تقطع شرايينها فى عدة مواضع ليتدفق الدم من جروحها - وبعد أن تجمع الدماء بطريقة من الطرق السابقة أو غيرها تسلم الى الحاخام أو الكاهن أو الساحر الذى يقوم باستخدامها فى اعداد الفطائر المقدسة أو فى عمليات السحر .

وتدل شواهد كثيرة على أنهم لم ينفكوا منذ أقدم مراحلهم ، ولا ينفكون فى الوقت الحاضر ، يزاولون هذه الجرائم فى كثير من بلاد العالم باسم دينهم ووصايا تلمودهم .

فقد تعددت جرائمهم هذه فى فرنسا فى القرن الثالث عشر . فألف الملك لويس التاسع محكمة برياسة الملكة بلانش لتحقيق هذه الجرائم ومعاقبة مقترفيها ، وعقدت هذه المحكمة جلستها الأولى فى ٢٤ يونيو سنة ١٢٤٠ ، وقد اعترف اليهود أمام هذه المحكمة بما نسب اليهم وقرروا أنهم فعلوا ذلك امتثالا لوصايا تلمودهم . وعلى الرغم من ذلك فان الحكومة الفرنسية لم تسلك حيالهم مسلكا حازما ، بل اكتفت بأن أحرقت جميع ما عثرت عليه من نسخ التلمود .

وقد عنى الأستاذ أرنولد ليز بجمع أهم ما ثبت اقتراف اليهود له من هذه الجرائم فى مختلف بلاد أوربا وآسيا منذ منتصف القرن الثانى عشر الى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين ، ودونها فى كتاب نشره سنة ١٩٣٨ تحت عنوان طقوس الاغتيال اليهودية تذكر نحو ستين حادثا ثبتت الجريمة فى كثير منها بأدلة قاطعة وباعتراف المتهمين أنفسهم أمام القضاء ، وحكم فى بعضها بالاعدام على المجرمين ، ونفذ فيهم الحكم .

وقد نقل صديقنا الأستاذ عبد الله التل فى كتابه القيم « خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية » عن الأستاذ ليز هذه الحوادث بتفاصيلها ، وعلق عليها بأن هذه الجرائم التى عرفت فى التاريخ ووصلت الى المحاكم وجرى فيها تحقيق ليست شيئا مذكورا اذا قيست بالجرائم التى ارتكبها اليهود من هذا القبيل ولم يصل علمها الى أحد أو لم تصل الى المحاكم ، وأن آلاف الأطفال وغير الأطفال الذين يختفون فى جميع أنحاء العالم هم فى الغالب ضحايا الطقوس الدينية اليهودية ، ولابد أن تكون دماؤهم قد استقرت فى بطون اليهود مع الفطائر القذرة التى يتناولونها فى أعيادهم .

ومن أشنع هذه الحوادث حادثة دمشق سنة ١٨٤٠ ، التى راح ضحيتها الأب توما وخادمه ابراهيم عمار . وقد قصها الأستاذ عبد الله التل فى العبارات الآتية :

« الأب فرنسوا أنطوان توما قسيس ايطالى انتقل

الى دمشق للخدمة في اديرتها . وعمل طوال ٣٣ سنة باخلاص وغيرة وحنان خادما لجميع الطوائف ، لايفرق بين دين ودين ، يعالج المرضى مجانا ، ويطعم الناس ضد الأوبئة . وعرف في دمشق مثالا للنبل والخلق الكريم . وفي يوم الأربعاء ٢ ذى الحجة ١٢٥٥ الموافق ٥ فبراير ١٨٤٠ ميلادية ، طلب الأب توما لحارة اليهود لتطعيم طفل ضد الجدرى . وفي عودته مر بصديقه اليهودى داود هرارى . فاستدعاه الى داره ، فلبى الدعوة . وكان في الدار شقيقان لداود هرارى وعمه واثنان من حاخامات اليهود . وثمة انقض هؤلاء جميعا على الأب توما وقيدوه من قدميه ويديه ، ووضعوا منديلا على فمه . وبعد غروب الشمس استدعوا حلاقا يهوديا اسمه سليمان وأمروه بذبح القسيس ، فخاف وتردد . فما كان من داود هرارى صديق الأب توما الا أن تناول السكين بنفسه ونحر الضحية . ثم جاء أخوه هارون هرارى وأتم عملية الذبح ، وجمعوا الدم في وعاء ثم نقلوه الى قارورة كبيرة ، وسلموه الى حاخام باشا يعقوب العنتابى الذى تمت العملية بناء على أوامره ، نظرا لحاجته الى الدم لاستعماله في فطائر عيد البوريم « استير » الذى كان يقع في ذلك العام في ١٤ فبراير . وقطعوا جثة الضحية اربا اربا ، ووضعوها في أكياس قذفوا بها في مصرف قريب من دارهم . ولم يكتفوا بالقسيس ، بل انتظروا مجيء خادمه ابراهيم عمار للبحث عنه ، فأدخلوه الى منزل اليهودى يحيى ماهر فارحى وذبحوه وأخذو دمه الى الحاخام باشا — وفي أثناء التحقيق قدم جميع المتهمين في تلك المذبحة اعترافات كاملة مذهلة . وعثرت السلطات على جثتى القسيس وخادمه — وقد نشرت التحقيقات والمحاكمة في عدة كتب أوربية ، ومازالت محفوظة في سجلات وزارة العدل بدمشق . ونشرت بالتفصيل في كتاب للدكتور روهلنج ترجمه الى العربية الدكتور يوسف نصر الله سنة ١٨٩٩ ميلادية تحت عنوان « الكنز المرصود في قواعد التلمود » .

بل لقد شهد شاهد من أهلهم ، ومؤرخ من أقدم مؤرخيهم وأشهرهم ، وهو المؤرخ اليهودى يوسيفوس (فلافيوس يوسيفوس المولود سنة ٣٧ ميلادية والمتوفى سنة ٩٥) بأنهم ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم ومزجها بعجين فطائرهم ، بل كانوا ياكلون كذلك قطعا من لحومهم . فقد ذكر هذا المؤرخ أن ملك اليونان انطونيوس الرابع الذى تبوأ العرش سنة ١٧٤ قبل الميلاد وفتح مدينة أورشليم ، حينما دخل هذه المدينة وجد في أنحاء الهيكل رجلا يونانيا كان اليهود قد حبسوه في هذا المكان ، وكانوا يقدمون له أحسن الأطعمة ليسمن ويزكو لحمه ، حتى يأتى يوم يخرجون به لاحدى الغابات، فيذبحونه ويشربون دمه ويأكلون شيئا من لحمه ، ويحرقون باقيه ، وينثرون رماده في الصحراء ، وأن ذلك كان تطبيقا لوصية دينية لا تسعهم مخالفتها . وانهم كانوا يكررون فعلتهم هذه كل عام مع واحد من اليونان ، وأن هذا السجين قد استرحم الملك أن ينقذه فأنقذه .

والديانة المسيحية الحاضرة تقوم على عقيدة الفداء ، أو تضحية الاله بنفسه . وذلك أنهم يعتقدون أن الاله المسيح قد قدم نفسه للصلب ليفدى الآدميين ويكفر بدمه الخطيئة الأزلية وهى الخطيئة التى ارتكبها أبوهم آدم اذ أكل من الشجرة ، والتى انتقل اثمها الى جميع نسله ، وكان سيظل عالقا بهم الى يوم يبعثون لولا هذه التضحية وهذا الفداء .

ويحرص المسيحيون في الوقت الحاضر على الرمز الى هذه التضحية وهذا **الفداء** في بعض أعيادهم واجتماعاتهم الدينية محاكين ما حدث فيما يسمونه العشاء الربانى ، وهو الذى ورد ذكره في الاصحاح السادس والعشرين من انجيل متى اذ يقول : «وبينما هم يأكلون أخذ يسوع قطعة خبز ، وبعد أن باركها، كسرها وأعطاها لتلاميذه ، وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى . ثم أخذ كأسا « من الخمر » وبعد أن باركها ، أعطاها لهم وقال اشربوا جميعا من هذه الكأس ، فهذا هو دمى دم العهد الذى يسفك من أجل كثيرين لمحو الخطايا » (فقرات ٢٦ — ٢٨ من اصحاح ٢٦ من انجيل متى) . فقد جرى المسيحيون على محاكاة هذا العشاء في بعض أعيادهم واجتماعاتهم الدينية ، ويعتبرون ذلك من أهم عباداتهم . وجرت العادة أن تعد الكنائس خبزا وخمرا . بطقوس خاصة ليتناولهما المصلون . ويعتقدون أن الخبز والخمر قد أصبحا بعد اعدادهما على هذه الصورة أجزاء من جسد المسيح ودمه ، فالخبز أصبح قطعة من جسده ، والخمر أصبح قطرات من دمه . وبذلك يمتزج لحم « **المخلص** » (المسيح) ودمه بلحم من يتناولهما وبدمه . ويدعو تناولهما الى تذكر الرب وتقديم نفسه ضحية لتخليص الانسانية من خطيئتها الأزلية . فكأنهم يأكلون لحم الضحية نفسها ويشربون

دمها ، أي يأكلون لحم الرب نفسه ويشربون دمه ـ وبذلك يصرح القرار الذي صدر عن مجمعي ترنت المنعقدين سنتي ١٥٤٥ و ١٥٦٣ اذ يقول : « قد اعتقدت كنيسة الله دائما بانه بعد التقديس يوجد ربنا الحقيقي مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر .. لأن يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخبز وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل ، كما أنه هو أيضا تحت شكل الخمر وجميع اجزائه . وقد اعتقدت الكنيسة أيضا اعتقادا ثابتا بانه بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز الى جوهر جسد ربنا وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه » .

وقد قضى الاسلام على جميع مظاهر الانحراف في نظم الأضحية وما اتصل بها من عقائد في الشرائع السابقة له . فجعل الأضحية مقصورة على الأنعام مأكولة اللحم ، وجعلها مجرد مظهر من مظاهر تقوى الله ، وامتثال أوامره ، وشكره على نعمائه التي أسبغها على عباده ، وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، وفرصة للاحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين . وقرر أن الله تعالى لا يناله شيء من لحوم الأضاحي ولا من دمائها . وفي هذا يقول الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم ، وبشر المحسنين » ، وفي هذا رد صريح على ما كان يزعمه اليهود من أن الرب يفيد من هذه الضحايا وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها . ويقول الله تعالى في هدى الحج من الأنعام : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » . ويقول : « فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر » ، والقانع هو السائل والمعتر هو الذي يطيف ولا يسأل « كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » ـ ويقرر الاسلام أن المسيح ابن مريم ليس الا بشرا رسولا أرسله الله الى بني اسرائيل كما أرسل اليهم من قبله كثيرا من الرسل ، وأنه لم يقتل ولم يصلب ، وأن اثم المعصية لا يحتمله الا مقترفها فلا تنتقل الى غيره ، وأن آدم قد استغفر ربه من خطيئته فغفرها له . وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه الكريم: «ماالمسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » ، ويقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ، ويقول : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، ويقول : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » . صدق الله العظيم .

دكتور علي عبدالواحد وافي

« عابر السبيل والأعاصير »

للشاعر سعد دعيبس

مهداة الى « عباس محمود العقاد »

وقف الموت خاشعا عند بابه ... ورنا للضياء في محرابه
حائرا ، شاردا الرؤى .. يتلقى ... باعاصير صمته وعذابه
عاصف الصمت ، واجما كغريب ... ضل في ليله طريق مآبه !
صارخا كالغريق لحظة يأس : ... يا الهي اين الطريق لبابه ؟
غارس الفجر .. ما اليه سبيل ... كيف ادنو لساحه ورحابه ؟
كلما حاولت يدى منه قربا ... شابها الضوء فانثنت عن طلابه
مر في الفجر لامسا بعدما ساد ... ما بناه الردى بنود كتابه
فاذا بالظلام يجفل منه ... خائفا ناكصا على اعقابه
انما « عابر السبيل » تهادى ... في الأعاصير ساخرا بعذابه !
أغنيات « الاولمب » شاقت رؤاه ... ودموع الحنين من احبابه !
فمضى يعبر الطريق صفاء ... « وأبوللو » يسير بين ركابه
وعذارى الاولمب طارت خفافا ... ناثرات زهورها في شعابه !
للذي عاد للاولمب ليهدى ... « عبقرياته » الى اربابه !
وعلى جانب الطريق جموع ... زاحفات على طريق ايابه !
من « ابى بكر الحبيب » هتاف : ... مرحبا بالصديق بين صحابه
« وعلى » يقرى الضيوف ويهدى ... « عمرا » والرفاق حلو شرابه
وقريبا منه مضى « ابن الرومى » ... شاردا عن شعوره وصوابه
فاذا بالخلود يسرى اليه ... وتضيء الحياة ليل ترابه

هتاف الشعر الحديث
بوحدة الدم العربي

للدكتور: أحمد محمد الحوفي

عرضت في مقال سابق طرفا من الشعر الحديث الهاتف بوحدة الجنس العربي . واليوم أعرض طرفا آخر .

ذكر «الرصافي» الشاعر العراقي ما بين العراق وتونس من أخوة قائمة على وحدة النسب ووحدة اللغة ووحدة الدين في قصيدته التي رحب فيها بمقدم الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي الى بغداد سنة ١٩٢٥ م فقال :

أتونس ان في بغداد قوما
ترف قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم وإياك انتساب
الى من خص منطقهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلا
تواضع آيه سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قربى
وان قضت السياسة بالبعاد

وأهاب « خير الدين الزركلي » الشاعر السوري بالعرب ، أن يتسلحوا ويجاهدوا أعداءهم . وذكرهم بأنهم نسل يعرب وعدنان ، وليسوا أهلا لهذا النسب العظيم ان لم يكونوا أعزة كآبائهم . قال في سنة ١٩١٩ :

يا راقدين على الهوان تأهبوا
وتجلببوا الأدراع والأكفانا
هذي بلادكم تباح ودوركم
تجتاح فابغوا غيرها أوطانا
أسليل يعرب طال منك تريث
حتام تلبث لاهيا حيرانا ؟
هلا امتطيت من الجياد عتاقها
وجلوت عنك العار والخذلانا
ان كنت من عدنان فاسلك نهجه
واذا جبنت فلست من عدنانا

وأحزنه أن العرب لا يحققون وحدتهم ، مع أنهم اخوة في الدم ، ومتحدون في اللغة . على حين أن الامم الاخرى أقامت وحدتها على النسب واللغة :

نزلوا بكل تنوفة وتفرقوا
شيعا وأحزابا على احزاب
أيام حام الناس في وحداتهم
حول الدم الموروث والأصلاب
أيام قدست اللغات وأصبحت
هي مرجع الأنسال والانساب
أيام ألف كل شعب وحدة
موصولة الأسباب بالأسباب

وحيا الشاعر السوري « محمد البزم » سلطان باشا الأطرش زعيم ثورة الدروز التي كانت وقودا لثورة سورية على فرنسا سنة ١٩٢٥ . ووصفه بأنه فتى العروبة ، وبأنه ثار على أعداء العروبة ، وعاهده نيابة عن العرب ابناء قحطان على النصرة !

غادر دمشق ويمم دار سلطانا
على السويداء . لا تحفل بمن مانا
فتى العروبة دفاع الكتيبة قد
أضحت أشاويش وضاحين غرانا
وجل بعترة معروف واخوتهم
تلق الاباء وتلق الأسد فرسانا
يا آل معروف هذى ذمتى ويدى
رهينة الود عن أبناء قحطانا
لما رأيتم عدو العرب يعتنكم
طرتم اليه زرافات ووحدانا

والشاعر السوري « محمد الشريقي » يشيد بشباب الثورة ويصفهم هذا الوصف الرائع ، وهو أنهم ثملوا بكئوس العروبة حتى انتشوا ، فتسابقوا الى الجهاد ، ليعيدوا الحياة والمجد الى أمتهم العربية :

هم الشباب ربيع الدهر رنحهم
من العروبة كأسا ملؤها الشمم

تعهـــدتهم بآمـــال مقدســـــة
لا لذة العيش تغنيها ولا الألم
وعلمتهـــم بأن الله أرســـلهم
ليبعثوا أمة أودى بهـــا العدم

وارجع الشـــاعر السوداني « ادريس محمد » تعـاطف العـــرب ، ومؤازرتهم مصر فى العدوان الثلاثى الى وحدة مشـــاعرهم ووحدة أصلهم فى قوله :

كل العروبة لما مس اخوتهم
بأس المغير سعوا فى نخوة العرب
عروبة وحدة الاحساس تجمعها
كما التقت فى اتحاد الأصل والنسب

وقد ذكر الشاعر الليبى « أمين الحافى » هذه القرابة الدموية ، وعبر عنها بالعمومة والخئولة فى قصيدة يشكر فيهـــا للمصريين أنهم ناصروا ليبيا بأنفسهم وأموالهم فى جهـــادها ضد ايطاليا سنة ١٩١٥ ، ورحبوا بكثير منهم حينما هـــاجروا الى مصر :

حلوا من الشـــعب الكريم منازلا
نعـــم الـكرام عمـــومة وخئولا
ان الكنـــانة للعـــروبة مهجر
بعد الجزيرة ان أردت رحيـــلا

وردد وحدة الاصل الشاعر الليبى « أحمد الفقيه» فى المناسبة نفسها اذ قال :

انا بنى العـــرب الكرام لمعشر
تأبى الهـــوان وللكرامة تغضب
لا نستكين لغاصـــب يومـــا ولا
نرضى بحـــق من حمانا يسلب
ضحت طرابلس وقد أضحى بهـا
مثـل البطولة فى البرية يضرب
وطن الى جذم العروبة ينتمى
وطـــن الى تحـــريره يتـــوثب

ودعا الشاعر الجزائرى « عبد الكريم العقون » شعبه الى مؤازرة الجامعة العربية ، لان العرب جميعا ينتسبون الى جد أعلى هو يعرب وبنوه فقال :

ويا شعب ول الشرق وجهك واعتبر
بجامعـــة العـــرب الموحدة الركب
فأيد مباديهـــا وكن من جنودهـــا
وخض معهـا الأحداث جنبا الى جنب
وما نحـــن الا من ســـلالة يعـــرب
وعبـــد منـــاف جدنا وبنو كعب

ولام الشاعر المهجرى « رشيد سليم الخورى » وطنه لبنان على أنه لم يناصر ثورة سورية سنة ١٩٢٥ م ، وعجب من تجاهل اللبنانيين ما يجب عليهم لاخـــوتهم الســـوريين وبينهم من الأواصر مابينهم من وحدة الثقافة والتراث والجنس فقال :

لبنـــان لبنـــان ما ضرنى
لو قلت : يا بلـدا بلا ســـكان
خفضت جبالك شامخات رءوسها
بالعـــار واندكت الى الأركان
ان كان للدين الدروز تعصـــبوا
أرنا التعصـــب أنت للأوطـــان
أوليس فى لبنـــان عرق نابض
أوليس فى لبنـــان من متفان ؟
أين التراث تراث أبطـــال الحمى
أين البقية من بنى غســـان ؟
لا تنكروها فالدم العـــربى قد
جلت أصـــالته عن التنكـــران

واذا كان الشاعر قد قسا على بلده لبنان ، فان هذه القسوة دليل على ما يكنه لاخوته السوريين من حب ، وما تقتضيهم الأخوة من نجدة ، ولهذا يتحسر على أن اللبنانيين قد تناسوا بطولة آبائهم العرب ، وتناسوا عظمة الغساسنة ، وتغاضوا عما يربطهم باخوتهم السوريين من قـــرابة دموية لا سبيل الى انكارها .

واقسم الشاعر المهجرى « الياس فرحات » بالأمة العربية التى ترجع الى أب واحد هو يعرب ، وبالتربة التى تضم رفات البطل خالد بن الوليد أنه لم يمكن للاستعمار فى الوطن العربى الا كيد بعض بنيه لبعض فقال :

قســـما بأمة يعـــرب وبتربة
فيهـــا أبو الجمرات يعرب خالد
لولا مـــكائد بعضـــنا للبعض لم
تنجح لأعـــداء الجميع مـــكائد
هذى الدويلات المبعثرة القـــوى
عمـــد يقـــوم بهـــن بيت واحد

وهكذا يتردد فى الشعر العربى الحديث الجهر بما يربط العرب من صلات القرابة والجنس والدم ، والفخار بهذه القرابة الدموية ، والتداعى الى الألفة والوئام والاتحاد والتعاطف بسببها .

« د . أحمد الحوفى »

ليالى الشتاء الباردة

للشاعرة روساليا كاسترو

ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى

× بلا أب تعرفه جاءت الى الحياة ، وبلا أم واجهت وحيدة مشاكل الوجود الانسانى ، منذ اللحظة الأولى ، داخل لفافة من قماش وجدوها ، فى شارع مهجور من شوارع مدينة « شنت ياقب » ، فى الشمال الغربى لاسبانيا ، فى الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٨٣٧ .

× حملها عابر سبيل فى ليلة غزيرة المطر لافحة البرد الى مستشفى المدينة ، فهز حالها مشاعر الراهب الذى تلقاها ، حتى انه أخطأ فى تسجيل تاريخ ميلادها ، بعد أن عمدها ، أنقصه عاما كاملا ، فكتبه ١٨٣٦ !

× وهكذا عاشت حياتها التى امتدت حتى عام ١٨٨٥ لا تعرف لها أبا ، ولو أنها تزوجت وأنجبت وقد ترك ذلك جرحا عميقا فى مشاعرها ، واحساسا صارخا بالغربة ، أكسب شعرها نغمة حزينة لم تفارقه أبدا ، ولقد أمضت حياتها تفتش ، بلا أمل ، عن شيء غامض تحبه ، وتؤمن بوجوده ، وتطلبه ، لكنها لا تلقاه .

× شعرها مزدوج اللغة ، بعضه بلهجة « غاليسية » نسبة الى المقاطعة التى أمضت فيها جل حياتها ، وهى لهجة رومانسية أقرب الى البرتغالية منها الى الاسبانية ، وجزء منه باللغة الاسبانية نفسها ، الى جانب عدد من القصص الطويل ، والأقاصيص والأساطير .

× لحقها سوء الحظ كشاعرة ، فلم ينتبه اليها النقد الاسبانى فى حياتها ، وكان تقديره لها مترددا فاترا ، اذ كانت تقيم بعيدا عن العاصمة ، ولم تكن تنتمى الى الطبقة العالية ، فى بلد طبقى التكوين ، ومع النهضة الاسبانية المعاصرة احتلت مكانتها الحقيقية ، كأحسن شاعرة فى الأدب الاسبانى بلا استثناء .

الهواء ملتهب الحرارة ،
والثعلب يرتاد الطريق القفر ،
والماء البلوري ، من الجدول النزاف
يعود وخيما .
واشجار الصنوبر تحفظ ساكنة
قبلات النسيم القلب
وهدوء مهيب
يفجر الحقل ،
فلا يسمع غير طنين فراش
في ظلال الغابات الرطبة الوسيعة ،
رتابة واصرار
كحشرجة الموت الصماء .
كهاجرة نهار صيف
تمر ليلة ، رجل الكفاح فيها متعب ،
اكثر من اى وقت مضى ، لتريه :
من المادة سطوة مرعبة
ومن الروح هموم لا تنتهى .
ارجعى ، يا ليال الشتاء الباردة ،
عشاقنا القدامى فى ايام خلت !
عودى بثلوجك وقسوتك
لتنعشى دما اعاجه
صيف حزين لا يطاق ...
حزين ... طافح باوراق الكروم والاشواك !
برد وحر ، خريف او ربيع
اين ... اين توجد السعادة ؟
جميلة كلها فصول العام



لن يختزن السعادة فى نفسه
اما للروح الوحش اليتيم
فلن يكون اى من الفصول بهجا ولا رقيقا .
فى دقات القلب او فى حفيف الريح ،
فى بريق النجم ، او فى رذاذ المطر ،
فى كل شىء اتخيلك ، وفى كل شىء بحثت عنك ،
دون ان القاك ابدا .
ربما القاك يوما ، القاك وافتقدك ،
مرة اخرى ، مع الحياة فى معركة قاسية ،
لأنى ابحث عنك ، واتخيلك فى كل شىء ،
دون ان القاك ابدا .
لكنى اعلم انك توجد ولست حلما ضائعا ،
جمال بلا اسم ، مثال وفريد ،
ولهذا اعيش حزينة لأنى ابحث عنك دائما ،
ولا القاك ابدا .
لست ادرى ما الذى ابحث عنه ابدا
فى الأرض ، وفى الهواء ، وفى السماء ،
لست ادرى ما الذى ابحث عنه ، لكنه شىء ما
افتقدته ، لا اعلم متى ، وما وجدته ،
حتى عند ما احلم انه يوجد خفيا
فى كل ما المس ، وكل ما ارى .
ايتها السعادة ، لن اجدك ابدا
فى الأرض ، او فى الهواء ، او فى السماء ،
حتى عندما اومن انك توجدين
ولست حلما ضائعا !



د. الطاهر احمد مكى

بين مؤتمرين

للدكتور ماهر حسن فهمي

من ابرز القضايا التي عولجت في مؤتمر الأدباء الخامس ، المنعقد في بغداد خلال الشهر الماضي ، قضية التراث العربي والاهتمام به في مواجهة الغزو الفكري الاوربي . هذه الحقيقة في ذاتها مظهر من مظاهر استقلال الشخصية العربية ، تلك الشخصية التي برزت بروزا واضحا بعد حرب فلسطين ، فكانت الثورات العسكرية هي التعبير السياسي عنها ، والاتجاه الى الاشتراكية هو التعبير الاجتماعي ، والتصنيع هو التعبير السياسي، والحرية المسئولة هي محور الاتجاه الفكري .

ولكن العجيب ان تضيع هذه الحقيقة في مؤتمر روما المنعقد عام ١٩٦١ وان يصور بعض ادباء العرب في ذلك المؤتمر – وعلى راسهم ادونيس القومي السوري – انهيارا كاملا في مقومات الشخصية ، وانحرافا تاما بالحرية المسئولة التي يحملها ، حين يدعو الى تمزيق التراث القومي ، والذوبان في القيم الاوربية لكي نصبح مجددين . وهو قد ناقض نفسه في هذا لانه قد التزم الدعوة للاقليمية الفينيقية وتسمى بادونيس (اله الخصب) . وهذا يتعارض مع الدعوة للقيم الغربية ولكنه لا يابه لذلك كثيرا ما دام يرضي المستشرقين الذين دعوه ويظهر امامهم حاملا معول الهدامين . وفي ذلك يقول في تلك المحاضرة التي القاها في المؤتمر :

« ان الثقافة العربية في جوهرها ، ثقافة دينية ذات بعد مدني، اي انها نشأت في احضان الدين وتحت راية الدولة التي تحميه وتحكم باسمه ، وتاريخ الفكر العربي يرينا الى اي حد كانت السيطرة الدينية قوية وحاسمة على المفكرين والفلاسفة ، مما اضطرهم الى توجيه ما يكتبونه في اتجاه التوفيق بين العقل والدين ، بحيث جاءت الفلسفة العربية الاسلامية بعيدة عن الدين والفلسفة في آن معا ، واقتصر دور الفلاسفة على ان يكون دور وساطة ونقل . هذه الثقافة كما اشرنا ، تعليمية ، لذلك كانت هي ثقافة غير شخصية ، اي انها لا ترتكز على تجربة شخصية ، بل على افكار مجردة . انها طاعة لا حرية ، وتلق لا اكتشاف، من هنا تتضح دلالة البعد المدني في هذه الثقافة وتتضح خطره ايضا لا حرية – هذه هي البداهة الاولى في حياة الشاعر العربي، ليس على صعيد التجربة الشعرية فحسب ، بل ايضا على صعيد التجربة الميتافيزيقية – ومن ثم في الحياة التي يحياها . فاي شاعر عربي يجرؤ ان يضع هذه الثقافة باصولها الدينية والالهية موضع تساؤل أو شك او رفض ، كما فعل نيتشه مثلا ، وغيره في اوربا بالنسبة للمسيحية ، حضارة ودينا ؟ الثقافة العربية والحالة هذه ، عالم منغلق لا معنى فيه للزمان . فالعربي من الناحية الحياتية يتطور وفق حركة لا نهاية لها ، في حين انه مرتبط من الناحية الثقافية بقيم ثابتة يعتبرها صالحة لكل زمان ومكان ، وفي هذا تناقض فاجع يعيشه كل منا .

واذا كانت الثقافة العربية ثقافة دينية ، فمن المؤكد ان بقية الثقافات العالمية كانت ثقافات دينية ايضا ، كذلك كانت الحضارة اليونانية والشعر اليوناني القديم ، وكذلك كانت الحضارة الرومانية حتى لقد تحول فن التراجم والسير الى الشخصيات المقدسة وحدها . وتلك حقيقة او بديهة يعرفها ادونيس ،ولكنه يريد ان يخلص من ذلك الى اتهام الثقافة العربية بالنقل كما يقول وانعدام الشخصية لقلة السيطرة الدينية . ومن الواضح انه قد نقل هذا الاتهام عن « رينان » حين اتهم الفلاسفةالمسلمين بانهم مجرد نقلة للفكرة اليونانية ، وسبق ان رد عليه جمال الدين الافغاني لان فكرته لا ترتكز الى اي اساس علمي .

وما دام الكاتب قد نفى الحرية عن الفكر العربي ، فهو ينفيها عن الفن ايضا ممثلا في الشعر ، وقد تغافل عن كل حركات التجديد والهدم التي عرفها الادب العربي . فكل حركاتالتجديد المعاصرة في الشعر لها اسسها في الادب العربي . والباحث يجد في الشعر العربي شعراء اعتمدوا على التعقيد كما يقولالسيوطي وشعراء اكبر من العروض كما كان يصرح ابو العتاهية ، وشعراء غيرهم عجزوا القافية كما يقول الباقلاني في اعجاز القرآن . اما محاولات هدم التراث والدين معا كما يبغي ادونيس فله اساتذة في ذلك من الشعوبيين كابي نواس وغيره .

والفرد المعاصر صنيعة اجيال متعاقبة فلا يمكن بتره عن تراثه ليصبح مخلوقا جديدا ، والكاتب لن يقوى على هدم هذا التراث بقلمه المسموم ولكنه يبغي فتح ثغرة بمعوله ينفذ منها الهدامون، ومن اجل ذلك كانت سخريته الواضحة بما نعتبره صالحا لكل زمان ومكان .

وينتقل الكاتب للحديث عن شعر اليوم قائلا : « تستندالحركة الحديثة في الشعر العربي الى التمرد على الذهنية التقليدية ، دون اي نوع من انواع الخضوع للتقليد . فلا يتم التجديد بالعودة الى التقليد او بالتلاؤم مع اشكاله الشعرية . ان في مثل هذه العودة انفصالا عن الحاضر ، وتقييدا للحساسية ، وخيانة للواقع . التقليد ثبات والحياة حركة . فمن يبقى في التقليد يبقى خارج الحياة . وكما ان الامانة للتقليد نفي للحياة ، فان الامانة لاشكاله واساليبه الشعرية نفي للشعر . وكم يتحتم على هذا التمرد ان يكون جذريا وقاطعا ، اذا تذكرنا ان التقليد في بلادنا ليس مجرد ايمان واقتناع ، وانما هو نظام حياة ونظام فهم للحياة ايضا ... لا يستطيع الشاعر ان يبني مفهوما شعريا جديدا الا اذا عاش اولا في داخله انهيار المفاهيم السابقة ، ولا يستطيع ان يجدد الحياة والفكر اذا لم يكن عاش التجدد ، قصفا من التقليدية ، وانفتحت في اعماقه الشقوق والمهاوي التي تتردد فيها نداءات الحياة الجديدة ، فمن المستحيل الدخول في العالم الآخر ، الكامن وراء العالم الذي نثور عليه ، دون الهبوط في هاوية الفوضى والتصدع والنفي » .

وهكذا تكون الفوضى التي يدعو اليها هي النظام الجديد ، والتصدع هو البناء الذي يهدف اليه ، متصورا ان بامكانه جلب ارض غريبة ليقيم عليها بناءه الجديد المتصدع . وسواء اشرب الشاعر العربي المعاصر من نبع الشعر العربي ام شرب من نبع الشعر الغربي فانه مقلد في كلا العالمين ، لا يرتقي الى عالم الخلق والابداع . ولكن الابداع الحق لابد له ان يكون مبنيا على الاحاطة التامة بتجربة شعرائنا العرب وتجربة غيرهم من شعراء الامم الاخرى ، لانه ان لم يستند الى هذه التجارب ظن نفسه مبتكرا وخالقا وهو في الحقيقة لا يكرر الا تجارب غيره واوهامهم . ولكنه اكثر احتياجا الى الاطارالثقافي العربي ، والشعري على وجه الخصوص حتى يستقيم اداؤه ويملك ناصية لغته .

ومن العجيب ان يثير ادونيس اعجاب بعض المتصفين من

المستشرقين ، مثل الشاعر الانجليزي استيفان سبندر الذي اخذ عليه اهماله المطلق للتراث الشعري العربي ورماه بالضياع حين انقطع عن اصله ، وبعدم الواقعية والتطرف الشديد في التحطيم . لم تبهه الى الشاعر الامريكي ت.س.اليوت والشاعر الانجليزي ماثيو ارنولد ، وكلاهما يعتبر من اكبر شعراء هذا العصر ، وهما في الوقت نفسه ناقدان اصيلان ، لم يهملا التراث الشعري القديم ، بل هضماه هضما وابقيا منه على ما هو جدير بالبقاء ثم زادا عليه ، فجاء الشعر عندهما مبنيا على اسس قوية وجذور عميقة .

واعقبه الكاتب الفرنسي رينيه تافرنيه فذكر ، ان ثمة شعراء كبارا مثل فاليري بالأمس واراغون اليوم ما زالوا يتقيدون بالقوافي والأوزان ، كما ان رسل السريالية مثل اندريه بريتون يكتبون بلغة القرن السابع عشر ، وثمة شعراء حديثون مثل فرنسيس بونج يتقيدون بالتقاليد الشعرية ، فهل يمكن القول بان لا علاقة بين بيان سان جون برس او بول كلوديل واستمرار التقاليد الأدبية الفرنسية ؟ ليس هناك تقاليد شكلية فقط بل تقاليد جمالية . ولدينا عدد كبير من الشعراء والشباب يتصلون بالحركة الشعرية في القرن السادس عشر . وهكذا نرى ان الشعر الفرنسي رغم تحرره من القيود الشكلية مازال متصلا بماضيه . وهنا تحضرني فكرة لاندريه مالرو هي : لا يخلق الشاعر عندما يتامل غياب الشمس بل يصبح شاعرا بعد ان يقرأ « بودلير » وهكذا اظهر المستشرقون جهل ادونيس بالثقافة الغربية التي يدعو اليها ، ولقنوه درسا في احترام التراث الذي ينبغي ان تقوم على اساسه كل حضارة نامية .

واحب ان انقل هنا نصا من محاضرة القاها الاستاذ عبد الله الجبار في مؤتمر الأدباء الخامس عن الغزو الفكري في البلاد العربية ، فهي وثيقة الصلة بموضوعنا ، تكشف عن اصابع الصهيونية العالمية في محاولات التدمير والهدم التي ينساق اليها بعض الغافلين وتجذبهم شعارات التجديد والانسانية والتحلل . « القى الحاخام (ريتشتون) خطبة في اجتماع سري عقده اليهود على قبر قديسهم (سيمون بن يهودا) وقد جاء فيها : اذا كان الذهب هو القوة الاولى فان الصحافة هي القوة الثانية ، فعلينا بواسطة الذهب ان نستولى على الصحافة ، وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين الى تحطيم الحياة العائلية والاخلاق والدين والفضائل . ان علينا ان نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ، وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر اهم مقومات الشعوب، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد » . وهكذا نرى ان الدعوات التي تحاول هدم القيم باسم التجديد واشاعة الفساد باسم ادب الجنس مهما كان مصدرها ، انما هي دعوات تجاهد الصهيونية العالمية في تصديرها الى الشرق العربي على الخصوص . ومن هنا كانت محاولة كشف الغزو الفكري جديرة بالاهتمام والتتبع ، لان الغزو العسكري اهون شأنا ، فهو اوضح واصرح ، اما الغزو الفكري فيتسلل وئيدا دون ان نشعر به ، ويتبناه بعضنا عن قصد او غفلة دون ان نلتفت اليه . والغزو العسكري يمكن ان يحمل عصاه ويرحل بعد حين ، ومن اجل ذلك لم يخلف كثير من الغزاة اثرا في البلاد التي فتحوها ، وكانوا اشبه بموجة لم تلبث ان انحسرت دون ان تترك اثرا ملحوظا ، ولكن الغزو الفكري اذا ما تشربته العقول وورثته الاجيال بدل نفسياتها واسلوب حياتها وتفكيرها وامتزج امتزاجا شديدا بكيانها واذواقها بحيث يصعب تتبعه او اتلافه .

د. ماهر حسن فهمي

تعالى

للشاعر: حسن توفيق

تعال خذيني ومدي اليدا
لاني حلمت باني غريق
يضيع ندائي وما من صدى
ويجذب روحي القرار العميق
تعال خذيني لاني غريب
احس كان مناي كسيحه
وان الفراغ بقلبي نحيب
وفيه رماد قفار فسيحه
تعال خذيني لأنسى الكدر
وانسى حياتي واني بشر
لؤرقني ضربات القدر
وتصفع روحي اكف الضجر

تعال خذيني لدنيا الصفاء
وبثي جمال الوجود بقلبي
وحين يرن الأسى في الدماء
احيل خنانك لحنا لحبي
تعال خذيني نمس القمر
فقلبي يحن لنسمة نور
وهذا اوان ذبول الشجر
يذكرني بظلام القبور
تعال خذيني نغن هوانا
ولا تتركيني لوحش الكآبة
يعضعض روحي فامشي مهانا
أذوب وابكي كأني سحابة

خلافة أبي بكر = استيلاء «الوسط» على الحكم !!

بقلم : فتحي عثمان

(٤)

يشير الاستاذ احمد عباس صالح الى اجتماع المسلمين لاختيار خليفة رسول الله بعد وفاته في سقيفة بني ساعدة ، والى تعدد وجهات النظر حول أجدر المرشحين للخلافة ، فالمهاجرون يرون انهم أحق بالخلافة لسبقهم الى الاسلام والأنصار يرون لأنفسهم هذا الحق لنصرتهم الرسول ، ويزيد الكاتب احتمال شمول المناقشات « أسرة النبي » أيضا .. على أن النزاع حسم ببراعة **دبلوماسية** من السفير القديم عمر بن الخطاب ، مستغلا رجلا لا يستطيع أحد أن يعترض عليه لقرابته الشديدة من النبي ولسبقه في الاسلام وجهاده الذي صاحب الدعوة من أيامها الاولى وهو أبو بكر الصديق . واختيار أبي بكر الصديق كان اختيارا موفقا أقصى غاية التوفيق ، فهو رجل يرضى عنه اليمين واليسار ولايستطيع أن يجادل فيه الأنصار » (ص ٤٤ع٤٦) .

فالمسألة اذن مسألة تكتيك سياسي ، وبراعة دبلوماسية ...

وأبو بكر وعمر يمثلان : (الوسط) في نظر الكاتب ، « ويتكون » من هؤلاء الرجال العمليين الذين كان عليهم انقاذ الاسلام بعد وفاة النبي من الصراع الذي يوشك أن يحتدم بين اليسار الذي يفسر الاسلام تفسيرا يحقق العدل الاجتماعي على أوسع نطاق ، واليمين الذي يرى أن الاسلام لم يرم الى الغاء الامتيازات الطبقية ولم يقصد الى تحقيق العدل الاجتماعي على هذا النطاق الواسع » (ص ٤٢ ع ٤٦) فماذا كان موقف (اليمين) و (اليسار) من خلافة أبي بكر الصديق ، ومن استيلاء (الوسط) على الحكم ؟؟

« ... **ان اليسار كان يقدر أبا بكر ، ولكن ليس الى الحد الذي يسلم له قيادة المسلمين** ، خاصة والتطبيقات الاجتماعية للاسلام لم يكن قد شرع فيها بعد .. لقد أنهى الرسول الكريم المبادىء العامة في خطبة الوداع المشهورة ، ولكن تحويل هذه المبادىء الى حقائق عملية وتطبيقات لم يكن قد ظهر الى الوجود . **ولذلك عارض علي بن أبي طالب والمجموعة التي تمثل اليسار من صحابه النبي في البيعة لأبي بكر** . بل ان علي بن أبي طالب اعتبر اجتماع السقيفة في غيبته تآمرا من جانب عمر ابن الخطاب حتى أن الخصام استمر بينهما فترة غير قصيرة ... واستمر علي وصحبه ممتنعين عن البيعة ستة شهور كاملة ! **ان اليمين كله قد رحب بخلافة ابي بكر بما فيه مجلس الشورى الذي لم يظهر كقوة هامة ذات طابع رسمي الا منذ تاريخ البيعة** واستمر بعد ذلك قائما الى أن **صفي المجلس كله ، اما بالوفاة واما بالاعتزال** واما بالقتل في الصراع الذي نشب بين أعضائه على الخلافة ، حتى استولى معاوية على السلطة من علي بن أبي طالب ووصل اليمين المتطرف الى الحكم واختفت نظرية الشورى هذه حتى العصور الحديثة أو عطلت عن العمل تعطيلا تاما . **وترحيب اليمين بهذه الخلافة والاسراع بتاييدها ليس له الا معنى واحد هو ان غالبية المسلمين كانوا مع الاتجاه اليساري الذي يمثله علي واصحابه** ، أعني أن جماهير المسلمين العريضة كانت مع هذا الاتجاه ، لان النبي نفسه كان زعيمه وواضع مبادئه الأساسية ، وأي اتجاه مضاد كان سيقابل بالعنف وكان سيقضى عليه في المهد . **ولذلك جاءت خلافة ابي بكر فرصة ليستجمع فيها اليمين قواه ويرتب للوثوب على الحكم** ، بعد أن قضى النبي الذي لم يجرؤ احد في حياته أن ينحرف بالدعوة الى اتجاه غير اتجاهها . **لهذا وافق اليمين على البيعة لأبي بكر** ، بل رحب بها وعمل على نجاحها ، بينما **عارض اليسار وعلى راسه علي بن ابي طالب معارضة صريحة** . وجاءت الحوادث بعد ذلك لتؤجل هذا الصراع الى حين اذ سرعان ما ارتدت القبائل خارج مكة والمدينة عن الاسلام ، وكان على المسلمين بمختلف اتجاهاتهم أن يتجمعوا للقضاء على الفتنة . **وهكذا استفاد الوسط الذي يمثله ابو بكر وعمر ابن الخطاب من الظروف التاريخية المواتية التي**

جعلت أيلولة الحكم اليه ضرورة لا مفر منها ... وكما ان اليمين كان يخشى هذا اليسار ، فان الوسط كان يخشاه أيضا » ص ٤٥ ـ ٦ ع ٤٦) .

ولست أدرى لماذا لم يستول (اليسار) اذن على الحكم ما دام يرى الا « يسلم لأبى بكر قيادة المسلمين » وما دامت « غالبية المسلمين مع الاتجاه اليسارى الذى يمثله على وأصحابه» ؟ وكيف فوت (اليسار) فترة ستة شهور كاملة وهو متمتع بهذه الغالبية تاركا خلافة أبى بكر « فرصة ليستجمع فيها اليمين قواه ويرتب للوثوب على الحكم » ؟ ... لقد ظن الكاتب انه قد حل الاشكال حين قال فى صفحة تالية « ان اليسار يفتقر دائما للمبادرة ... » (ص ٤٦ ع ٤٦) !!

وكيف تكون «أيلولة الحكم للوسط ضرورة لا مفر منها» نظرا لظروف الردة ، فى حين أن عليا قد امتنع فعلا عن البيعة طيلة شهور ستة ، وكان لليسار الغالبية فى جماهير المسلمين العريضة ؟ .

ولنصدق أن (اليسار) قد اعترض على استيلاء (الوسط) على الحكم لأسباب موضوعية ، لا كما «تلمح كتب السيرة من أن عليا كان يطمع فى الحكم ـ باعتباره أقرب الناس الى النبى وأحقهم بوراثته» وهو أمر يتواتر كثيرا ، ولكن هذه السيرة بل كل ما دون عن الاسلام دون فى عصر متأخر وفى ظل حكم يمينى ، السلطة العليا فيه تورث ، وكان من مصلحة المتربعين على السلطة أن يقضوا على ما عرف بعد ذلك بالفتنة الكبرى حين أسقطت الثورة المسلحة عثمان بن عفان فقتلته ... ويبدو على من هذا رجلا شخصيا يدافع عن طموحه الشخصى ورغباته الشخصية . وهذا الاتجاه الغريب الذى لم يبد فى تصرف على السياسى فى أى مرحلة من المراحل هو نفسه الذى احتضنته الشيعة فأصبحت كتاباتهم تدور حول أحقية على بالخلافة من حيث قرابته للنبى لا من حيث ما يمثله ... » (ص ٤٥ ـ ٤٦ ع ٤٦) ...

• فاذا صدقنا هذا كله كيف نفسر رواية عن موقف أبى سفيان ، تقول انه انكر ان يكون الخليفة من تيم ليس من بنى عبد مناف ولا من بنى قصى ـ وقد نسى الكاتب ذلك حين قال : ان عمر استغل ابا بكر اذ « لا يستطيع احد ان يعترض عليه لقرابته الشديدة من النبى ... ص ٤٤ ع ٤٦ » ! وهل ترى كان ابو سفيان من اليسار أيضا حين أخذته العصبية فقال : لئن شئت لأملان عليه الأرض خيلا ؟ فأين بنو عبد مناف ؟ ثم حاول ان يغرى عليا والعباس متمثلا بقول الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به
الا الأذلان عير الحى والوتد

• ثم كيف نفسر رواية عن موقف العباس ـ وكان ثريا ـ تقول انه قال لابن أخيه أبسط يدك أبايعك ؟ وهل كان العباس أيضا من اليسار الثورى الذين وضحت رؤيتهم للاسلام بسبب تحررهم من أى ملكية أو جذور طبقية تفسد الرؤية الصحيحة أو تعطلها » (ص ٤٢ ع ٤٦) !!

• ورواية أخرى تقول ان **طلحة والزبير** شاركا العباس وعليا موقفهما وهما « من هؤلاء الصحابة من كبار رجال المال ... » (ص ٤٤ ع ٤٦) !

• ورواية تقول ان **عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية** قد أبى وأبناؤه العمل لأبى بكر فى تبوك وفدك وما اليهما من الأراضى المتاخمة للشام وقالوا « نحن أبناء بنى احيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا » !

فهل كل هؤلاء كانوا من بين (اليسار الثورى) ؟

• **وسعد بن عبادة** زعيم الخزرج الذى تخلف عن بيعة أبى بكر ... هل كان هو الآخر يساريا ؟ لقد خطب الأنصار فقال « يا معشر الأنصار لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب . ان محمدا لبث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان فما آمن به من قومه الا رجال قليل ،وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به ، حتى اذا أراد بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة ... حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب . وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين . استبدوا بهذا الأمر دون الناس فانه لكم دون الناس » . فتخلف عن بيعة أبى بكر لأنهم كانوا قد عينوه للامارة ، فبقى فى نفسه ما يبقى فى نفوس البشر . ولكن هو مع هذا لم يعارض ولم يدفع حقا ولا أعان على باطل ... » !

• **والحباب بن المنذر** ـ من الأنصار ـ روى أنه قد اقترح أيضا : « فمنا أمير ومنكم أمير .. » !

ولكن الكاتب لا يأخذ من الروايات الا ما يوافق اللون الذى يرتضيه دون **تمحيص منهجى** ... فلا يذكر من المعترضين على خلافة أبى بكر الا على بن أبى طالب ، لأنه فى نظره ممثل اليسار !!

واذا كان هناك مدعاة للشك ، نظرا لاصطناع الروايات احتجاجا لمختلف الفرق ، فليكن الشك فى الروايات جميعا ... ونحن نقرأ للدكتور طه حسين مثلا : « والرواة يكثرون فى بعض الحديث

ويختلفون فيما يتكثرون فيه باختلاف نزعاتهم السياسية ··· ومهما يكن من شيء فقد قبض النبي ولم يوص لأحد ، لا لأبي بكر ولا لغيره · ولو قد اوصى لأبي بكر لما كانت سقيفة بني ساعدة ، ولما خالف الأنصار عن وصية رسول الله ، ولو قد اوصى لعلي لكان ابو بكر اسرع الناس الى بيعته · **فكيف وقد اجتمع المسلمون من المهاجرين والأنصار على بيعة ابي بكر** الا ماكان من سعد بن عبادة وامتناعه عن البيعة ؟ **وقد بايع على ابا بكر وعمر من بعده وعثمان من بعدهما** ، ولو علم ان النبي قد اوصى له لجاهد في انفاذ امر النبي ولآثر الموت على خلاف هذا الامر · والواقع فيما أرجح ان **الرواة قد اسرفوا على انفسهم وعلى الناس بعد انقسام المسلمين فيما اثر من الفتنة بقتل عثمان ،** فلم يخلصوا انفسهم للصدق في الرواية ولم يتحرجوا في أن يصوروا أمر المسلمين اثر وفاة النبي كما كان أمر المسلمين في أيامهم · وأيسر النظر في كتب التاريخ القديمة وفي كتب المتكلمين القدماء يبين لنا أن المسلمين انقسموا بآخرة ···· فقد اكثر المتكلمون الجدال في أمر أبي بكر وعلي · فكان البكريون يزعمون أن أبا بكر أفضل المسلمين وأحقهم بخلافة النبي ويلتمسون على ذلك الوانا من الحجج يكثر فيها التكلف والتزيد ، وكان المتشيعون لعلي يذهبون مذهب خصمهم فيتكلفون ويتزيدون ·· وفضل أبي بكر اظهر من أن يحتاج الى مثل هذا التكلف ، وفضل علي اظهر من ان يحتاج الى التكلف أيضا ·· وقصة أخرى ما اراها الا متكلفة أيضا (قصة أبي سفيان في استثارة علي وزجر علي اياه قائلا : طالما بغيت الاسلام شرا فلم تضره) ، وانما هي قصة تكلفها المتقربون الى بني العباس بالتشنيع على بني امية كما تكلفوا كثيرا من امثالها ··· والذي ارجحه واوشك أن اقطع به هو أن عليا والعباس كانا مشغولين بتجهيز النبي حين بويع لأبي بكر ··· وكذلك بدات بيعة أبي بكر وعلي والعباس مشغولان بامر النبي ··· ولست اطمئن الى اكثر ما يرويه الرواة من نصوص الحوار الذي كان بين ابي بكر وصاحبيه ـ عمر وأبي عبيدة ـ من جهة ، وبين الانصار أوسهم وخزرجهم من جهة أخرى ·· وما ينبغي ان ننسى ان من الرواة من كانوا من الموالي الذين لم تبرأ قلوبهم من الضغن على العرب لأنهم فتحوا بلادهم وازالوا سلطانهم ثم استأثروا من دونهم بالأمر أيام بني أمية ، وإذا كان الكذب قد كثر على رسول الله فأي غرابة في أن يكثر على المؤمنين من أصحابه · والذي استخلصه أنا من قصة السقيفة أيسر جدا مما صوره المؤرخون فقد أشفق الأنصار بعد وفاة النبي من أن يلي المهاجرون من قريش الخلافة فيصير هذا سنة وتستأثر قريش بالأمر ··· **والمهم ان ابا بكر وصاحبيه قد أقنعوا الأنصار في يسر ، فلم ينصرفوا عنهم الا وقد بايعوا لأبي بكر** ··· والرواة يتحدثون بأن سعد بن عبادة الذي رشحه الأنصار للخلافة ابى أن يبايع لأبي بكر ، ولكن رواة آخرين يتحدثون بأنه بايع كما بايع غيره من الناس ، وهذا عندي أدنى للصواب ··· وبيعة علي لأبي بكر يختلف فيها الرواة أشد الاختلاف ··· وما كان ابو بكر ليخلي بين عمر وبين العنف لعلي اثر وفاة رسول الله وزوجه فاطمة ما زالت حية ، وانما هذا الخبر متكلف اريد به الى اظهار أن عليا لو ترك وشأنه ما بايع أبا بكر ··· وما كان علي وبنو هاشم ليفارقوا جماعة المسلمين وليتلبثوا حتى تموت فاطمة ثم يكون اقبالهم على البيعة حين رأوا أن الناس قد انصرفوا عنهم بعد موت فاطمة ··· وانما خلط الرواة بين أمرين مختلفين أشد الاختلاف : أحدهما بيعة علي لأبي بكر ، والآخر ما كان من مغاضبة فاطمة لأبي بكر في ميراث النبي ، وكان عليا جفا أبا بكر لهجران فاطمة له ، وهذا لا شأن له بالبيعة **وانما بايع على حين بايع الناس** في غير سرع ولا اكراه · رأى أن كلمة المهاجرين والأنصار قد اجتمعت على ابي بكر فلم يخالف عما اجمع عليه المسلمون ·· **والمهم أن أحدا لم يخالف عن ابي بكر ، لا من بني هاشم ولا من غيرهم ، وكل ما يقال غير هذا انما تكلفه المتكلفون بآخرة حين افترق المسلمون شيعا وأحزابا** · ولا يستطيع أحد أن يقطع بأن عليا كان فيما بينه وبين نفسه يجد على ابي بكر أو على عمر ، لأنهما استأثرا بالخلافة من دونه ، ذلك بأنه لم يثبتنا بشيء من ذلك فيما نطمئن اليه من احاديث الرواة · وعلي أفضل في نفسه وأكرم عند الله من أن يبايع الشيخين بلسانه ويضمر في قلبه غير ما كان يظهر · ونحن نعلم أنه نصح للشيخين أثناء خلافتهما ، وأن عمر خاصة قد استعان به في غير موطن ، واستشاره في كل ما كان يستشير فيه أعلام المهاجرين والانصار ·

اما الأستاذ عباس صالح فهو يشك فيما يشاء من الروايات ، ليسقطها وليضيف ما يشاء من احتمالات !!

وحسب الكاتب أن يذكر ما يشاء مسبوقا بكلمة (لعل) ·· !!

(للبحث بقية)

« فتحي عثمان »

الغزو الفكري .. ودعاة الفتح

بقلم: محمد جلال كشك

من اجل ان تتفتح فى بلادنا مائة زهرة حقيقية .. لا كتلك الزهور الصناعية التى تلون فى المعامل وتؤمر بالازدهار فتطيع .. او ان تذوى وتذبل فتفعل ! .. بل من اجل مائة زهرة عربية اسلامية .. مائة زهرة فيهما عطر ماضينا ، ورحيق حاضرنا واشراقة مستقبلنا .

من اجل حضارتنا الاسلامية وازدهارها ، نرحب بلقاء الأفكار وصراعها ، شرط أن تكون الكلمة فى مواجهة الكلمة ، وأن تحارب الفكرة بالفكرة وحدها .. بلا تدليس ولا تزييف .

ونحن نلتزم أن نعرض وجهات نظرهم بأفضل مما يقدرون هم عليه ، وان نجمع لهم كل ما يعرف من الحجج ، بل وما تستنبطه لهم .. ثم نرد عليهم .. فنقبل منهم مايتفق مع الحق الذى ندعو له ونؤمن به .. وننبذ ما يثبت بطلانه بالدليل المتعارف عليه .

من أجل هذا نحن نرحب بهذه الهجمات على دعوتنا ، ونفرح بها لأنها تثبت ان المقاومة قد أفزعتهم ، وان ستار الصمت لم يعد يجدى .. وان الوقفة التلقائية التى انطلقت فى مواجهة الغزو الفكرى ، سواء أكان ذلك الغزو غربيا صليبيا ، أو ماركسيا شيوعيا ملحدا .. أقول هذه المقاومة التلقائية قد بثت الرعب فى معسكرهم ، وعلمتهم أن الأمر ليس هينا سهلا كما تصوروا .. وان ما توهموه فريسة أعدت للنهش والبلع .. ليست الا أسدا كاسرا ويل لمن يبدو له نابا أو ظفرا .

ولن نقف طويلا عند الدجل والتهويش ،والحديث عن الرجعية والجمود ، والافتراء المتهافت الذى يزعم اننا عندما نرفض الغزو الفكرى ، انما نرفض الاطلاع والعلم بالفكر الأجنبى والتكنولوجيا الغربية أو الحضارة الغربية عموما .. وهم يسودون الصحائف فى اقناعنا (!!) بضرورة معرفة الحضارة الغربية ، وانه لا ضرر من ذلك ، وان العلم الحديث لا يتنافى مع الدين .. الخ .. الخ .

واذا كان شرف الكلمة عندهم ، يبيح لهم أن يسخروا من قرائهم على هذا النحو ، وأن يفندوا مالا وجود له الا فى مخيلتهم .. فانا نقول اننا أكثر منهم حرصا على معرفة أسرار الحضارة الغربية .. واتقان علومها وكل اوجه تفوقها .. فهم يتتلمذون على هذه الحضارة ويطمئنون اليها اطمئنان الصبى لمعلمه أو أبيه .. أما نحن فنعاديها ، ونوقن ان بينها وبين حضارتنا الاسلامية صراع بقاء ..

وليس أحرص من العدو المقاتل على معرفة دقائق قوة خصمه وادراك سر تفوقه ، والعلم بنقط ضعفه وهذه أول بديهيات الحرب .

صحيح أننا نهتم بما يكتبون ، ولو انه لا يزيد عن كونه الافراز الصديدى لحضارة الغرب .. الا اننا نحاول جهد طاقتنا ، سائلين الله ان يكون لنا اضعاف أعمارنا ، وان يضاعف عددنا بالملايين .. حتى نستوعب كل أسرار التقدم العلمى عند العدو

لقد جاء الأوروبى فى أعقاب الحرب الصليبية ، وخلالها ، الى الشرق الاسلامى ، معاديا ، مبغضا ، ومتعلما فى نفس الوقت ، ثم عاد بعد أن الم بكل تفوقنا الحضارى ، وهناك فى أوربا أعاد صياغة ما جمع فى شخصيته الغربية الصليبية .. ثم جاءنا غازيا متفوقا .. وهكذا نحن نبغض الحضارة الغربية بغض الطاعون .. ذلك البغض الذى يجبرنا على معرفة كل تفصيلية عنها .. فبذلك نقهرها ونبنى حضارتنا .

تقول مجلة « **الطليعة** » ان العزف على نغمة الأفكار المستوردة قد عاد .. وان كانت بأصوات خافتة ضعيفة .

الحمد لله ! .. فان كانت هذه الاصوات الخافتة والضعيفة ، قد أجبرت جماعة رؤساء التحرير على ان يتركوا « الانفع واستنقع » كما يقول **السعدنى** واضطروا الى الرد على هذه الاصوات الخافتة .. فماذا تراهم يفعلون عندما يسمعونها كقصف الرعد ؟!

وتقول « الطليعة » ان اعداء الافكار المستورده ، يدعون الى الحكمة والتعقل ٠

وهذا صحيح ٠٠ نقر ونعترف ٠٠ ولا عيب في الحكمة ولا التعقل الا ان كان الجنون قد أصبح سمة العصر ، ومطلبا يسعى اليه ٠

٠٠ فقط ٠٠ ان مفهومنا عن الحكمة والعقل ، غير ما تستخرجه مجلة « الطليعة » ٠٠ فنحن والحمد لله ندعو لحرب نعرف مداها ، ونعرف ان الغرب الصليبي لايرضى الا بافناء الشرق الاسلامي او استذلاله ٠٠ ونعرف أن العداء هو العلاقة الأبدية بيننا وبين أوربا وامريكا ٠٠ نحن مثلا نقول ان اسرائيل لا تأخذ السلاح من الغرب لمجرد انها عميلة للغرب ٠٠ فقد كان في العرب من هو أشد ذلة في عمالتـه للغرب من اسرائيل ولم يعطهم الغرب سلاحا ٠

ان اسرائيل هي ربيبة الحضارة الغربية ، والعداء بيننا وبين الغرب عداء صليبي ، مهما كان له بيننا من عملاء أو موالين فالكراهية هي هي ٠

نحن ندعو الى مخاصمة الحضارة الغربية كلها ، وبشقيها ٠٠ ولا نؤمن الا بالاعتماد على النفس ، وبالدم والعرق والايمان ٠٠ نؤمن بقدرتنا على انتزاع حق البقاء من العالم ٠

اهذه دعوة للتعقل كما تفسرها الطليعة ؟ ٠٠ أم دعوة لحرب الاصفر والاحمر ٠٠ دعوة لثورة شاملة تغير وجه الدنيا ٠٠ وتحرر ستمائة مليون من المسلمين !

وهل تظن مجلة « الطليعة » ان الجامدين يوجدون حول الاضرحة فقط ؟ ٠٠ لا ٠٠ هؤلاء أمرهم هين٠٠ الجامدون ايضا في الكافيتريا ٠٠ يسهرون الليل في الأذكار ، وترديد « الورد » الماركسي واجترار نفايات الثقافة الغربية ٠٠ وليس كل التقاليد بالية ولا كل التراث رجعيـة ٠٠ ولا كل قادم من الغرب يسر القلب ٠٠ فدعونا من الصفات والنعوت ٠٠ ولنناقش الافكار ٠٠ فذلك اجدى من التهويش المسرحي ٠٠ كان تقول تلك المجلة ٠٠ اننا ندعو الى الجهل والتخلف والاختناق ، والغاء الكم الأكبر من الدراسات الجامعية والابحاث والبعثات العلمية ٠٠ ووقف دعوة الفرق الفنية لعرض فنونها ببلادنا ، وتوزيع الكتب والمجلات الاجنبية في بلادنا ، وتجميد حركة الترجمة والغاء المعاهدات الثقافية (!!) واتفاقيات تبادل الخبرة المعقودة بيننا وبين البلاد الاخرى » ٠

وفي محاولة متواضعة الذكاء ٠٠ فرقت المجلة بين « الفكر الانساني عامة والاشتراكي خاصة ٠٠ وبين النظم والاشكال الاجتماعية سـواء الاشتراكية او الشيوعية في البلاد الاجنبية ٠

وقررت ان الفكر الانسـاني عامة والاشتراكي خاصة ليس ملكا لأحد ، بل هو ملك للبشرية كلها ٠٠ ومن ثم فاستيراده مباح بل ضروري (أحل لكم صيد البر والبحر) أما ما يعيب استيراده ، فهو « النظم الاجتماعية والسياسية كالنظم السوفيتية ، أو اليوغوسلافية او الامريكية مثلا ٠٠ » ثم صب جام غضبه على الذين يستوردون هذه النظم ٠٠ لعنهم الله ورسوله ٠

ولكي تزداد دهشته ٠٠ نحن نخالفه الرأى تماما ٠٠فاعتراضنا الاساسي هو على استيراد الفكر لا النظم! الفكر هو الذى لايجب استيراده (بلغة التجار هذه) ولا ضير أبدا من استيراد نظام سياسي او اقتصادي فمادام فكرنا أصيل فهذا النظام السـياسي اما ان يتشكل على النحو الذى يخدم الفكر العربي ، واما ان يتمزق بفعل مقاومة الفكر العربي له ٠

النظم تختلف لان الافكار تختلف ٠٠ و «الطريق المصري العربي » للاشتراكية متميز عن غـيره لان الفكر العربي متميز عن غيره ٠٠ ولا يستقيم قولنا اننا نقيم نظما سياسية مختلفة ، ومن ثم تختلف افكارنا ٠٠ فلو شئنا ان نكسر الحلقـة المفرغة ٠٠ لكان علينا ان نبدأ من اختلاف الافكار ٠٠ اما اذا كان السؤال هو ٠٠ ولماذا تختلف الافكار فالاجابة سهلة ٠٠ لان الامم تختلف في التراث القـومي ٠٠ تختلف في المكونات التاريخية للقيم والمثل ٠

٠٠ لذا فان اكبر خرافة واخبث خدعة هي الزعم بوحدة الفكر الانساني ، فما اختلف الناس منذ ان انقسموا الى أمم وحضارات الا حول الفكر الانساني ٠

وكل نزعة للامبراطورية العـالمية ، تتدثر دائما بالزعم بوحدة الفكر العالمي وشمولية مبادئهـا ٠٠ وأمكر الامبراطوريات تلك التى تزعم أن المبـادىء واحدة ٠٠ مع حرية الاجتهاد في التفسير بما يلائم اختلاف الزمان والمكان ٠

ولعل من عبقريات حضارتنا ، وصدقها ، أنهـا لم تخادع ، ولا ادعت انها تحاول توحيد العالم في فكرة واحدة ودولة واحدة وعقيدة واحدة ٠٠ بل هي وحدها من بين الحضارات التى تؤمن باستمرار الخلاف الابدي بين الناس ، وامكانية تعـايشهم في نفس الوقت ٠٠ فلو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ٠

اما الزعم بان مهاجمة الافكار المستوردة ، قد تشمل الاشتراكية .. فذلك تفكير ينبع من فهم خاطئ للاشتراكية ، واصرار على استيرادها .. اما نحن فنرفض الزعم بوحدة الفكر الاشتراكي في العالم ..

واسألوا أهل الصين .. وفي نفس الوقت نرى أن الاشتراكية نزعة أصيلة في الخلق العربي والتفكير الاسلامي ، وبديهية من بديهيات حضارتنا .. بل كما قلنا : لا تقوم لنا حضارة الا على المبادئ الاشتراكية .. ونحن نرى أن الرأسمالية لم تكن مرحلة من مراحل التطور على طريقنا العربي ، بل كانت نكسة للقيم العربية والمثل الاسلامية ، عجزت هي عن تشكيلنا ، ورفضنا نحن هضمها .. ثم ولت لتشرق شمس الحضارة الاسلامية من جديد على انقاض الرأسمالية ..

ودعنا من الطليعة لنسمع ماذا يقول **الدكتور مندور** .. فقد سافر الى بغداد وعاد ينصحنا بأن مانخشاه على حاضرنا ومستقبلنا هو « التخلف الفكري » لا الغزو الفكري .. وأخبرنا أن صدره قد ضاق بتلك الصيحات الهستيرية ضد ما يسمى « بالغزو الفكري » والدعوة الى التقوقع واقفال النوافذ والأبواب حتى لا تهب علينا أية نسمة أجنبية » .

ولولا أن الدكتور مندور كان هناك لقلت ان أحدهم قد حدثه كما هي العادة دائما .. واشهد أن الدكتور مندور من أشد أنصار « الفتح على البحري » فهو يرأس تحرير مجلة **الشرق** السوفيتية ، ويكتب في مجلة « **حوار** » .. وماذا أقول عن حوار .. انها على أرق وصف مجلة غربية الاتجاه معادية للسوفييت !

وقد قرأنا ما قيل في مؤتمر الادباء حول الغزو الفكري وليس فيه تقوقع ، وأحسب أن اللجوء للتقول على أعداء الغزو الفكري يؤكد ضعف حجة خصومهم .. فنحن مثلا لا نفترى عليهم حرفا لأننا نعرف أن منطقهم لا يقوى على مجابهة الحق الذى ندعو له .. فما حاجتنا الى الباطل ؟! .

وينصحنا الدكتور « مندور » أن لا ننسج حياتنا الحاضرة والمستقبلة من خيوط الماضي ، على نحو ما تنسج دودة القز ثم تفنى داخل نسيجها » .

وللعلم .. دودة القز لا تفنى داخل نسيجها .. بل تتحول الى طور جديد أرقى ، ثم تمزق ما نسجت وتنطلق فراشة تبيض وتبعث من جديد .. ولولا نسيجها لفنيت حقا ..

اما الذى يموت .. فهو الذباب تستهويه نعومة نسيج العنكبوت ، ولتفاهته وغفلته ، يظن أنه ملك للحيوانية جمعاء .. ثمرة جهدها المشترك .. فمن حقه أن يستلقى عليه لينعم بطراوته ونعومته .. فيهوى الذباب الى ما نسجت العنكبوت ، ويهوى العنكبوت الى دمها فيمتصه .. ضعف الطالب والمطلوب .. وهو ينصحنا أى الدكتور مندور « بنهب الثقافة الانسانية العالمية ما استطعنا الى ذلك سبيلا »

ونحن لا نؤمن بالنهب والسلب لأن بيت «النتاش مايعلاش » ، ونؤمن بالمعرفة الواعية الدقيقة للحضارة الغربية بشقيها : الرأسمالي الماركسي ..

كذلك ليس صحيحا أن يقول الدكتور مندور انه من الحمق ان نحاول اعادة قطع الطريق الذى سبقتنا الانسانية الى سلوكه باربعة قرون ، لا مفر ولا بد أن نقطعه بسرعة مضاعفة .. هكذا قالت ثورتنا .. والحق ما قالت ..

اما المقارنة بين الغزو .. والتخلف .. فهو اختيار سيء .. قد تجاوزناه والحمد لله .. لم يعد الاستعمار يعيرنا بتخلفنا ويمن علينا بقشور اصلاحاته .. نحن الآن بين اختيار « فتح » بلادنا للسيطرة الاستعمارية والاجنبية عن طريق الغزو الفكري ، باعتناق منطق الذبابة وهو الاندماج في حضارة العنكبوت ولو على حساب وجودها .. وبين منطق الاقوياء ، فنبنى حضارتنا نحن وندعم وجودنا مستعينين بكل تقدم علمى حققه الآخرون ..

ثم من أين استقى الدكتور «مندور» هذه المعلومات التى أفشى بها الى مجلة «**حوار**» والتى قال لها ان « الفلسفة الاشتراكية التى انتشرت فى العالم العربى ، بل الآخذة فى الانتشار فى العالم كله ، تقتضى مخاطبة الشعوب بلغات حياتها أى بلهجاتها العامية » !! .

من أين جاء بهذه المعلومات ، وهل يرضى دعاة الفلسفة الاشتراكية بهذا الاتهام .. ودعنا من الزعم بأن هناك شعوبا عربية لها لغات حياة .. من قال ان الاشتراكية تقتضى مخاطبة الشعوب باللهجات العامية .. ليقل لنا رئيس تحرير مجلة الشرق ، متى خاطبت الاشتراكية فى روسيا الشعب الروسى باللهجة العامية ؟ .. بل الا تدرس الروسية الآن فى كل الجمهوريات حتى التى لم تقرأ ولم تكتب فى حياتها الروسية ! ..

محمد جلال كشك

الشعر العربي في الأرجنتين

على ضريح سعاد

بقلم : أنس داود

(٣)

لا تزال هناك ورقة ناضرة في ديوان الشعر العربي في الأرجنتين فهو أقل المهاجر الامريكية في عمق الحركة الأدبية به ، وفي توفر الشعراء المبدعين ، فلن نجد فيه أمثال ايليا أبي ماضي ونسيب عريضة – من شعراء الشمال – أو الشاعر القروي وصاحب عبقر – من شعراء البرازيل ، فقد كانت الحركة الأدبية في نيويورك وفي البرازيل خصبة عميقة تجيش بها التيارات الرائدة ، وتزخر بالجهود الفائقة في ميدان الابداع الشعري والنقدي ·· مما يتضح معه فقر المهجر الأرجنتيني في المواهب الكبيرة ، وحرمانه من الشخصية الرائدة التي توجه تيارا أو تخلق منعطفا للشعر أوللنقد الأدبي أمثال الريحاني وجبران ونعيمة في الشمال ، والشاعر القروي والياس فرحات والمعاليف وغيرهم في البرازيل ··

ولوحة الشعر العربي في الأرجنتين تزدحم بالأسماء التي تشير اليها الدراسات التاريخية ، وتعرف بها وبمؤلفاتها ، وفي مقدمة تلك الدراسات الكتاب القيم الذي ألفه الشاعر المهجري جورج صيدح بعنوان « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية » ، والكتاب الجامع الذي ألفه الأديب الأردني عيسى الناعوري بعنوان « أدب المهجر » ·· ولكن حظ الكثرة من أصحاب هذه الأسماء دون حظ الشعراء الموهوبين ، أو حظ النقاد أصحاب الجهود الضخمة في الحركة الأدبية المعاصرة ·

ولنضرب المثل بالشاعر **الياس قنصل** – وهو ناقد ذكي – فقد أصدر مجموعة من الدواوين الشعرية ·· هي : « السهام » ، و « العبرات الملتهبة » ، و « على مذبح الوطنية » و « الأسلاك الشائكة » ، وبرغم هذا الفيض فالديوان الأول – مثلا مجموعة من قصائد المناسبات الوطنية ، وهو شعر مناسبات حقا بكل ما تشتمل عليه هذه الكلمة من تخصيص قيمته بالحدود الزمنية لتلك المناسبات ·· فموضوعاته هي الموضوعات المألوفة التي نظم فيها كبار شعراء المهجر القوميين أمثال الشاعر القروي والياس فرحات ، ولكن ثمة اختلاف كبير في الطريقة النظمية التي كتب بها الياس قنصل وفي الفيض العاطفي الذي يجرف القارىء معه فيما كتب القروي مثلا ·· القروي في كثير من قصائده القومية شاعر أمة يمتزج بها وتمتزج به ، ويهز أعماقها بقوة الأفكار التي تنطوي عليها قصيدته وعمقها ، أما الياس قنصل فليس أكثر من ناظم يسرع الى المناسبة بمنظومته دون رؤية خاصة أوطريقة جديدة في تناول الحادثة القومية ، أوجذور ثورية تتغلغل في صميم شعره ·· كما يتوافر ذلك في شعر القروي الذي ترجع قصائده القومية الى جذور ثورية تمتد الى أبعاد من المعاناة والتأمل ·· فالياس قنصل يقول مثلا من قصيدة بعنوان « أيها العرب » :

أيها العرب وحدوا رغبات
كثرت وانهجوا السبيل الركينا
وارفعوا للجهاد برجا منيفا
وضعوا للبناء أساسا متينا

ويقول في رثاء الملك فيصل :

صهرت دواعي الفخر حزني بعد أن
راجعت من صفحات مجدك أسطرا
من كان مثلك يا سليل محمد
عد البكاء عليه أمرا منكرا

وهو كما ترى نظم نثري الطابع ، يخلو من تلك الجزالة والفحولة التي تراها في أسلوب الكلاسيكيين ، كما يخلو من ذلك الرقيف الحلو ، وتلك الأنغام المتماوجة ، والتلاملات العميقة التي يحفل بها أسلوب الابتداعيين ·· وهو أولا وأخيرا يخلو من

معاناة الشاعر لتجربة نفسية على مستوى الذات او على مستوى المجموع فيفقد – بذلك – كل أسلحة الشعر .. فى مجال التجربة والتعبير .. وهذا أكثر وضوحا فى دواوينه الأخرى مع تفلت الأخطاء اللغوية والعروضية .. أما بقية شعراء المهجر الأرجنتينى ، فدون هذا المستوى بكثير باستثناء واحد هو الشاعر زكى قنصل الذى قدمنا له – من قبل – مجموعة قصائده الموسومة بـ « على قارعة الطريق » التى لاتزال رهن الطبع ، ونقدم له اليوم مجموعته الشاجنة « سعاد » .

وسعاد هى ابنة الشاعر التى طالما تشوف الى رؤيتها ، ثم تفتحت أمام عينيه كالحلم الناضر ، وسرعان ما ذوت بين يديه كما تذوى الزهور ، فتركت لوعة عميقة فى نفس الشاعر تدفقت شعرا حزينا رقيقا فى مجموعة كاملة .. ولعلها أول مجموعة فى الشعر العربى عن طفلة ، ولعلها أول مرثية مطولة فى شعرنا لطفلة ، ولعلها أول مجموعة فى الشعر العربى باسم طفلة ، وهى بهذا تسبق المجموعة الشعرية العذبة التى قدمها شاعرنا العوضى الوكيل باسم ابنته « شفق » ..

جديدة هذه المجموعة اذن على الشعر العربى فى موضوعها ، وفى اختيار عنوانها ، وجديدة فى تنوع مجالات الغناء بها ، وفى احتفاء الشاعر بالأشياء الصغيرة واللعب العديدة التى كانت تخص فقيدته.. فقد استقبل الشاعر طفلته بلحن مرح بشوش .. فيه حنان وفيه حب ، وفيه تطلع الى المستقبل ، وأمل حلو عريض :

نامى على أهداب عينى
ان بنابك مرقدى

افديك من نوب الزمان
بكل ما ملكت يدى

لولاك لم تحل الحياة
ولم يطب لى موردى

نضرت آمالى ، فبش
على طريقى الفدفد

* *

انى لأقرأ فى جبينك
سفر ماضى السعيد

وأرى على عينيك
بارقتين من حلمى الشديد

ضحكت لى الدنيا فوا
فرحى بمقدمك السعيد

ولكن الهجير عاجل البرعم الندى فى الشهر الثامن من عمره فاطفا نوره ، وأغمض جفنيه ، وها هو الشاعر الفجيع يقف على ضريح سعاد وحيدته وفى عينيه هذه الدمعة :

رفت رفيف الاقحوانة والطوت فى عمرها
ماذا جنت حتى تصيدها الردى فى فجرها
يارب لا تحبس فؤادى لحظة عن ذكرها
أنا قد عبدتك بسمة وضاءة فى ثغرها
وشممت أنفاس الجنان شذية فى شعرها
أسعاد جنتك لابشاشة فى العيون ولا بريق
النار ملء جوانحى والشوك فى عرض الطريق
دجت الحياة ، وشاه فى عينى محياها الأنيق
لا الروض زاه بعد زغلول ولا عودى وريق
ويحى .. الغرق فى الدموع ، وليس لى أمل الغريق
أما سرير سعاد فقد كان موضع مناجاة طويلة من الشاعر ، وقد راح يسائله :

يا جدولا لا ماء فيه ولا رواء ولا خرير
هل كنت تحلم أن تصير الى الهوان وأن تضير ؟

بيد أن سرير الفقيدة مع احساسه بالهوان لفراقها لم تجف له أمنية فى لقائها فترصد والدها يسائله عنها ، وصور الشاعر ذلك الالحاح بصورة موفقة حين قال :

يكاد يسائلنى كلما تلمس ظلى عن خدنه

وكانت أرجوحة الصغيرة المهجورة مثار شجن جديد فوقف الشاعر عليها أنشودة خاصة تفيض باللوعة والمرارة :

ارجوحة الكروان فى صمت الردى
سيان شانك فى الحياة وشانى

لم يبق من تضاحكنا الا صدى
واه كحشرجة العليل الفانى

ان الذى أعطى استرد عطاءه
ياليته استثنانى فيما أعطانى

واستدرجه التفكير في الذى اعطى ثم استرد عطاءه الى نوع من التمرد على الخالق جل شأنه ، وعلى خفى حكمته ‥ نوع من التمرد يعرفه المؤمنون حق الايمان وأعمقـــــه ، ولذلك سرعان ما يفيئون الى نوع من الاستغفار والانابة ، ويتجلى هذا التمرد المنبثق عن نفس مؤمنة ملتاعة في قول زكى قنصل :

ما أبخـــل الســـاقى تغص بكاسـه
وتعـــود منــــه بحرقة الظمـــآن
يارب حلمـك ان عثـرت بريبـــة
ذهب القنــوط بنعمــة الايمـــان
خيبت آمـــالى وكم مـــن خيبـــة
اقسى عـــلى الراجى من الحـــرمان
امن العدالة أن تصـــوح روضـــتى
في عنفـــوان ربيعهـــا الفـــتان
وتحيـــل عرسى مأتمـــا لا ينتهـــى
وتمـــد في عيـــد المنى اكفـــانى

فحيرة الشاعر واضحة بين ضيقه ببلواه ، ورغبته في التنفيس عنها ، ثم ايمانه بوجود الله ، الذى قد يصطدم التنفيس عن كرب النفس الشاعرة ببعض ما يجب نحوه من اجلال خالص ، وتســـليم تام ، فالشاعر يعبر عن مكنون غضبه بينما يستجدى رحمة الله وحلمه وغفرانه ‥ وهو موقف انسانى صادق تمر به النفوس المؤمنة عندما يحرجها الغضب وتضيق صدورها بنوازل القضاء ‥

وليست الارجوحة وحدها من لعب سعاد هى التى تجتذب اهتمام الشاعر وتثير لوعته ، فثمة دمى أخرى كانت تلهو بها الصغيرة ، يقربها الشاعر من نفسه ويندمج معها في لحظة تذكار لصغيرته الفقيدة ‥ الى أن يعبق الربيع ، وتتفتح كل الزهور الازهرة وحيدة تسى الربيع ان يمر برفاتها ‥ فيذهب الشـــاعر الفجيع الى ضريحها يبلله بالدمع ، ويريق عليه زاخر أشجانه :

تقدس هـــذا الـــكثيب
يضم رفات الحـــبيب
ارطبـــــه بالدموع
واونســـــه بالنحيب
سعاد أطـــل الربيـــع
ولـــكن بوجه كئيـــب
فاين عروس الزهـــور
يضاحـــكها العندليب ؟
كلانا غـــــريب الديار
فهل من لقـــاء قريب ؟

وهكذا ‥ كان في عذاب الشاعر **زكى قنصل** بفقده طفلته الصغيرة « سعاد » أحد أفراح الابداع الشعرى في الارجنتين ‥ فقد وهبت هذه المأساة الشعر العربى ديوانا رقيقا زاخرا بالاغانى الحزينة العذبة ‥ وقد نضجت على نار هذه المأســـــاة شاعرية صاحبها ، فاعطت عطاء طيبا خالصـــا ‥ وتفتحت على أبعاد في تلك الحادثة المألوفة ـ فقد انسان لطفلته ـ جعلت منها فاجعة انسانية ‥ في صدق اليف ، ولغة بسيطة هامسة ، وصور شفافة حزينة ‥ فلئن تندت عيوننا بالدمع أو استشعرنا الأسى أمام رجفة قلب أب شاعر ‥ فنحن ازاء أنضر ورقة في ديوان الشعر العربى بالارجنتين ‥ تركت مهدها في حمى « بردى » لتنشر اريجها في كل سماء

« انس داود »



كتاب باسم الإسلام يسخر من عقولنا

بقلم : محمد عبد الله السمان

كان من الممكن ان لا اعير مثل هذا الكتاب أدنى اهتمام ، فما أكثر الكتب التى تتطاول ضخامة فى الحجم وتتضاءل تفاهة فى القدر ، وهى فى كلا الحالين لا تستوعب الا غثا ، ولا تتضمن الا زيفا ، ولا تمد العقول الساذجة الا بمزيج من الحمق والهوس ، ولا تصلح للعقول المستنيرة الا مادة للفكاهة والترفيه .

أجل : كان من الممكن ان لا أعير مثل هـذا الكتاب أدنى اهتمام ، وأن استغفر الله من ليلتين كاملتين قضيتهما مع صفحاته التي بلغت ستين وخمسمائة ، لولا أن الذى دفع به الى والى صديقى العالم الأديب الأستاذ على العمارى ، عامل من عمال احدى المطابع ، كان ممن عمل فى طبع الكتاب ،واثاره ما فيه من هوس لم يحتمله عقله ، وأفزعه ما فيه من شعوذة لم يهضمها فكره ، وازعجه ما فيه من افتراء على رسول الله لم يطقه دينه ولا ضميره .

الكتاب عنوانه : « **كشف الحجاب ، عمن تلاقى مع الشيخ التجانى من الأصحاب** » للعلامة الأديب ، اللوذعى الأريب ، المشارك فى جملة من الفنون ، سيدى الحاج أحمد بن الحاج العياشى سكيرج ، القاضى بالمغرب الأقصى .

هذه الألقاب كلها ممايحتملها عقل أى عاقل الا كون المؤلف قاضيا بالمغرب الأقصى ، فهو مثار العجب العجاب .

واعجب من هذا ، انى عندما حاولت أن أعرف شيئا عن الشيخ التجانى شيخ الطريقة الصوفية المشهورة باسمه ، والمتوفى عام ١٢٣٠ هـ ، وجدت **الزركلى** فى مؤلفه « الأعلام » يقول عنه : « كان فقيها مالكيا ، عالما بالأصول والفروع ، ملما بالأدب » **وتلاشى** عجبى لأن مرجع الزركلى الأوحد ، كتاب « **جواهر المعانى** » للشيخ على حرازم ، من كبار تلامذة التجانى ، ولهذا الكتاب قصة مضحكة ، ففى كتابنا الذى بين أيدينا ، ان المؤلف تلاقى مع شمهروش الصحابى المعروف ، فهو من جملة التابعين حقيقة لاجتماعه بصحابى ، وانه الف كتابه باذن خاص من الرسول ، وأن الرسول ـ صلوات الله عليه ـ قال عنه : كتابى هو وأنا ألفته » .



ولنعد الى كتابنا « كشف الحجاب » فالمؤلف يورد فى مقدمته على لسان الشيخ التجانى :

« **ان** الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، تتلقاها ذوات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ، ومنى تتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النفخ فى الصور ، وخصصت بعلوم بينى وبينه ـ أى الرسول ـ منه الى مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل ، بلا واسطة » .

قال لى سيد الوجود : « أنت باب لنجاة كل عاص تعلق بك » .

ويعقب المؤلف بقوله : ان بعض أصحاب الشيخ تحاور مع بعض الناس فى قول الشيخ : كل الشيوخ أخذوا عنى فى الغيب ، **ولما** ذكر ذلك للشيخ أجاب مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى : روحى وروحه عليه السلام هكذا ، روحه تمد الرسل والأنبياء ، وروحى تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل الى الأبد » .

ويزعم مؤلف الكتاب أن الشيخ التجانى لما راى شدة محبة النبى له ، تذكر المتعلقين به والمنتسبين اليه بمحبة أو قرابة حسية او معنوية ، فكتب كتابا وطلب فيه من النبى ضمان مطالب شتى وجعله فى يد رسول الله حين تلاقى معه ، وذلك فى اليقظة لا فى المنام ، فأجابه صلوات الله عليه بضمانها ، أما المطالب ذاتها فيكفى للتعليق عليها أنها ضرب من ضروب الخبل والهوس .

ويقول المؤلف عن الزاوية التى دفن فيها الشيخ التجانى بفاس : « ان من خصائصها أن أرضها لا يدفن فيها أحد ، تطهيرا لها وتعظيما ، وقد شدد الشيخ فى ذلك حتى قال : من يدفن فى الزواية تأكله النار - لا محالة ، بوعد صادق من الرسول .



ويبدأ المؤلف فى الترجمة عن أصحاب الشيخ التجانى ، وعددهم نفس عدد أصحاب الرسول الذى توفى عنهم ، **ويذكر** فى مقدمتهم خليفة الشيخ الأكبر **على حرازم براده** ، كان يقول الشيخ التجانى فى حقه ، قال لى الرسول : هو منك بمنزلة أبى بكر منى .. وقد خاطبه الرسول مرة بقوله :

« **يا أحمد** - أى التجانى - استوص بخديمك الأكبر وحبيبك الأشهر على حرازم ، فانه منك بمنزلة هارون من موسى ، فالله أكبر وأجل واعظم ، ولا وصية اوصيك على خديمك أكبر من هذه الوصية والسلام».

وكتب له الشيخ التجانى بخط يده : « هو منى وانا منه ، ومن عظمه فقد عظمنى ، ومن اطاعه فقد اطاعنى ، ومن أطاعنى فقد أطاع الله ورسوله ، ومن خالفه فقد خالفنى ، ومن خالفنى فقد خالف الله ورسوله » .

ثم يتحدث المؤلف عن تابع كبير من اتباع الشيخ هو محمد بن العربى التازى الدمراوى ، من اكبر خاصة الخاصة ، كان واسطة بين الشيخ التجانى وبين النبى فيما لا يقدر أن يطلبه منه مشافهة لشدة الحياء ، كما هى عادة أكابر الافراد ، وكان الدمراوى هذا على صغر سنه كثير الاجتماع بالنبى يقظة . **ويذكر** المؤلف سر مقتله ،ويزعم أنه لما استوطن عين ماضى ظهرت له مناقب شتى ، حتى صار نساء الوطن كله يتحدثن بها ، ويعيرون رجالهن به ، فحصل من الحسد لبعض أعدائه أن اغروا عليه من يقتله . **وأعجب** كرامات الشيخ الدمراوى أنه كان السحاب فى بعض الأيام اذا احتاج الزرع الى ماء ، يأتى ويمطر زرعه خاصة ، وما حوله لا ينزل عليه .

وهكذا واصل المؤلف الترجمة عن زعماء ثلاثمائة من أتباع أو أصحاب الشيخ التجانى ، ليس فيهم فقيه له أثر فى الفقه ، ولا مفسر له مكان فى التفسير، ولا محدث له جهود فى الحديث ، فكلهم عاشوا فى دنيا الدجل والشعوذة ، ولم يتركوا الا عشرات الألوف من قصص الخوارق المفتعلة ، واحاديث الفيوضات المفتراة ..

هذا والمعروف أن الطريقة التجانية نشأت فى المغرب ، وتسللت الى السودان ومعظم بلاد أفريقيا ، **ونحن** اذا تتبعنا صفحات التاريخ لم نعثر لها على خبر الا فى عالم الشعوذة ، **اما** الجهاد ضد المستعمر الذى امتص دماء المسلمين فى مراكش وتونس والجزائر ، فلم يجد معينا له فى مهمته غير أدعياء الطرق الصوفية وفى مقدمتها الطريقة التجانية ، وبينما كانت **جمعية العلماء وعلى رأسها ابن باديس** التى أسست عام ١٩٢٨ تدعو الى الاصلاح الدينى ، والى مكافحة الاستعمار ، والى الحفاظ على تراث الاسلام ، **كانت الطرق الصوفية** تقاوم هذه الحركة الاصلاحية ، وتمد أيديها الى المستعمر الكافر ، يذكر علال الفاسى فى كتابه « **حركات الاستقلال فى المغرب العربى** » أن الجنرال جوان المقيم الفرنسى بالمغرب ، عمد الى محاولة احياء الطرق الصوفية التى قضت عليها حركة الاصلاح الدينى ، فقرب اليه الشيخ عبد الحى الكتانى الذى كانت خيانته الكبيرة لأمته ، وبلاده ودينه من الأسباب الكبرى لفشل الدعوات الطرقية كلها .

ويذكر : ف.و. فرنو فى الجزء الأول من كتابه « **يقظة العالم الاسلامى** » ، أن الطريقة التجانية نشأت بالمغرب ، وانتشرت فى قلب السودان الغربى حيث اضطرت السلطات الاستعمارية الفرنسية الى أن تطلب معونتها .



وبعد .. فالذى أقصده من عرض مثل هذا الكتاب هو أننا لم نزل عاجزين عن وقف طبع الكتب المخرفة التى تسىء الى الاسلام باسم الاسلام ، والتى تمتص قدرا من كميات الورق ، كان أحق به غيرها من الكتب النافعة ..

صحيح أن مثل هذا الكتاب المخرف قد لا يقرأ منه هنا الا أقل القليل ، **ولكن** كيف تسمح القاهرة **بتصدير الدجل والشعوذة والخرافة والافتراء على الاسلام الى أشقاء العروبة والاسلام ، وهى اليوم مركز الاشعاع الفكرى ، ومقر الأزهر الشريف ، ومحط أنظار المسلمين فى كل مكان ؟ ..**

« **محمد عبد الله السمان** »

الحنين في الشعر الفلسطيني الحديث

بقلم: أحمد الهواري

وربما كان « الوطن » بحدوده الجغرافية هو الذي يجسد ظاهرة الحنين ، الحنين الى الطفولة التي مضت بأحلامها الجميلة ، وأحلام الصبا ، وكذلك الغربة عن الوطن، والهجرة تخلق احساسا بالحنين الى الوطن الام ، ولذا يفزع الشاعر الى الطبيعة ليجد فيها متنفسا لما يعتمل في صدره من الم الفراق ، ولوعة الذكرى ، ومهجة لحنين والعودة .

ومن هنا اتسم شعر الحنين بحرارة العاطفة وصدقها ليشف عن جوهر النفس الانسانية ،ويكشف ابعادها ، فضلا عما ترتبط به ظاهرة الحنين بما يعايشه الانسان من رؤى وتجارب ، اذ أن الاحساس بالضياع والغربة في عالمنا المعاصر ، يكشف في مضمونه عن الحنين الى الذات التي أصبح الانسان غريبا عنها .. وبالتالي غريبا عن مجتمعه ، كما أنه خلق احساسا بالحنين الى الماضي ، الى الطفولة .. طفولة الانسانية .. الى الأساطير يحملها مضمونا جديدا .

واذا كان الشاعر الرومانتيكي يشعر بحاجته الى الفرار من بيئته ، فيختار لنفسه بيئة أخرى يحيا فيها بروحه ويحلق فيها بخياله ، ويجد في عالمه المتخيل صورة لما في نفسه ويصور البيئة التي هام بها ، فان هذا التصوير يأتي « مثاليا » لا يهمه أن يتحرى الواقع بقدر حرصه على تصوير مواطن الجمال التي يحلم بها .

أما الشاعر الفلسطيني ، فليس بحاجة الى خلق هذا العالم المتخيل ، فهو يستمد تعبيره من واقعه الملح ، وهو قد طرد من دياره وشرد تحت كل كوكب — كما يقول الشاعر أبو سلمى — ومن هنا كانت المادة التي يستخدمها الشاعر الفلسطيني قد قدت من نار المأساة ، فلا عجب أن جاء هذا النتاج الفني رومانتيكيا في روحه وثورته .

واذا كان الأدب الرومانتيكي — كما يقول د . غنيمي هلال — أصدق ما يوصف به أنه أدب الثورة ، فالثورة هي الموجهة به والمسيطرة عليه ، والرومانتيكيون هم أبناء الثورة ، شبوا في حجرها، ورويت أفكارهم بدمائها والهب عزائمهم ما انتجته من صراع بين قوى الشعب أفرادا وطبقات ، وممثلي الاستبداد من الملوك وأنصارهم ، فان الشعر الفلسطيني هو شعر ثوري ، والنكبة هي التي حركت شعورهم وفجرت مواهبهم ، ولذا جاء هذا الشعر ثوريا في روحه ، وسخطه على الملوك والخونة الذين كانت لهم اليد الطولى في نسج نهاية المأساة ،بالضبط كما كان الرومانتيكيون في الغرب يثورون على سلطة الملك ويمجدون مبادىء حقوق الانسان وما جاء في العقد الاجتماعي لروسو .. رومانتيكيا في تعبيره الرمزي وما يقلقه من أحلام وقصص .

وربما أمكننا أن نقول ان شعر الحنين للوطن العربي « فلسطين » قد مر أولا بمرحلة رومانتيكية خالصة ، يشيع فيها الحزن ، ويسودها السخط على الملوك والحكام ، كما تدمج فيها القاء تبعة المأساة على هؤلاء الحكام الخونة ، ووصفا للأوضاع السياسية والاجتماعية التي اجتازها البلد العربي ونلمح فيها السخرية ممن يحاولون التخلص من التزاماتهم ازاء القضية بينما هم يتلاعبون بها . ثم تلتها مرحلة يمتزج فيها الحنين بوضوح الرؤية وتحديد الهدف والامل والتفاؤل ، ونستطيع ادراك ذلك في تأييد كثير من الشعراء الفلسطينيين لكل اتجاه يهدف الى الوحدة العربية ايمانا منهم بأن هذا هو السبيل الذي يسهم في تدعيم كفاحهم لاسترداد الوطن السليب ، كما أن التغير الكبير الذي يشهده العالم العربي في المجالات التحريرية والايديولوجية، وما يتجم عنه من وحدة فكرية تجعلنا نتطلع بأمل الى اشراقة يوم جديد على الارض المقدسة .

وقد لاحظ الدكتور « صالح الأشتر » أن غنى

العنصر الانفعالي قد طغى على العنصر الفكري في شعر المأساة ، فبدا هزيلا فقيرا ، ذلك أن شعراء النكبة لم يستطيعوا أن يعكسوا المعنى الايجابي للمأساة القومية الكبرى ، المعنى البناء الذي يحدد الهدف ويرسم الطريق . كما أنهم لم يعنوا بتزويد الضمير العربي بالسند الجدلي لحق الأمة العربية في فلسطين وبطلان مزاعم الصهيونية فيها .

ومن المتصور أن الشعر الغنائي انما هو تعبير عن لباب الأشياء وجوهرها ، وعن التجارب الوجدانية الصادقة من خلال الشعور الذاتي الذي يتجلى من خلال الصور التي تكشف عن الخلجات النفسية ، والشاعر الفلسطيني لم يقتصر على مناجاة ذاته ، بل انه من خلال تنفيسه عما احتبس في نفسه من مشاعر اتخذ ، وطنه ، موضوعا يستمد منه مادته ويصبها فيه ويحملها كل ما في نفسه من مرارة وألم وأمل توحي بدورها ايحاء ربما كان أكثر خصوبة من التصريح خاصة في مأساة أضحت حقيقتها أغرب من الخيال . ثم ان ضحالة العنصر الفكري - ان وجد - عند هؤلاء الشعراء لا تعيبهم ، بل هي من خصائص هذا اللون من الشعر الذي يعتمد على العاطفة الصارخة نظرا لطبيعته ولطبيعة المأساة ذاتها ، كما أن الشاعر الفلسطيني لم يكن لديه الوقت الكافي كي يستبطن ذاته ويصدر عنها في شعر يعبر في مضمونه عن موقف ينبض بالحياة ، ويدعونا أن نقف لحظة ونتأمل المأساة باعتبارها - من الناحية الانسانية - أزمة ضمير ، خاصة أثناء النكبة وفي أعقابها ، وربما توافر ذلك لشعراء العربية غير الفلسطينيين . وليس من مهمة الشاعر أن يأتي بالسند الجدلي في مثل موقف هؤلاء الشعراء ، ولعلها اقرب الى مهمة الساسة ، حسب الشاعر الفلسطيني أن يوحي الى القارىء - بوسائله الفنية من رمز .. وصورة .. وقصة شعرية ذات طابع حلمي - بأبعاد المأساة ، أما ماعدا ذلك فالجانب الايجابي - فيما أتصور - يقوم أساسا على استرداد الارض السليبة بالقوة المسلحة، ويكون الشعر هو الطاقة المعنوية للامة العربية . أليس كذلك ؟

وهذه القضية تثير تساؤلا عن وظيفة الشعر ،وهل هو غاية في نفسه ، أم أن مهمة الشعر هي التأثير في الغير وأن له وظيفة اجتماعية يقصد اليها الشاعر قصدا !؟

ولا نستطيع في هذا المجال الفصل بترجيح رأي،

وانما نقول ان الشعر المعبر عن « وجدان الجماعة » والذي يرصد نبضاتها ، ويتغنى آلامها ، ويعبر عن آمالها من خلال تعبيره عن ذات صاحبه . لا شك أنه بهذا يعبر عن غاية معينة يستجيب فيها الشاعر لواقعه .

ان القارىء للشعر الفلسطيني في حاجة الى ادراك طبيعة المأساة وملابساتها وتمثل الموقف الانساني الذي يعيشه هذا الشعب العربي حتى يستطيع أن يزن هذا الشعر بمقاييس لا تغفل الواقع الاجتماعي والتاريخي وان كانت تنصب أساسا على تفهم النص وتحليله واستبطان أسراره الجمالية .

واذا كان الشاعر الغنائي يفكر ويطيل التفكير لينقل الى الآخرين مشاعره بالطرق الفنية ، دون أن يعبر مباشرة عنها ، فان الشاعر الفلسطيني خاصة، انما يعبر عن مشاعر شعب يحس افراده بالحنين الى العودة كما يحس هو ، ومن هنا اكتسب تعبيره صفة « الموضوعية » ، ثم ان هؤلاء الشعراء يحاولون أن يستخدموا الرمز أو القصة الشعرية لتحقيق هذه الموضوعية ، وربما كانت هذه الموضوعية التي يضفيها الشاعر على ذاته أكثر اثارة للفكر والشعور من الحجة المنطقية التي تغلب على الجانب الفكري المجرد .

ومن المفيد أن نورد أمثلة تطبيقية تلقي أبعادا على المأساة وتصور مدى تمثل الشاعر الفلسطيني لموقفه وادراكه له وتعبيره عنه .

يقول الشاعر « يوسف الخطيب » في قصيدته « العندليب المهاجر » وكان لاجئا في دمشق عندما رأى عندليبا مقبلا من الجنوب ، مهاجرا مثله من فلسطين :

أتراك مثلي يا رفيق تمر في الزمن
عبر المهالك والليالي السود والمحن
لكأن في عينيك بعض اللمح من وطني

ومن هذه الصورة الرمزية نستطيع أن نفرق بين الذاتية المباشرة والدلالة الايحائية عن طريق «الصورة الشعرية » .

وعيسى الناعوري يقول :

كان لي موطن يرف هناء
في ضلوعي ونشوة في وجيبي

لى فى كل خطوة منه ذكرى
وعناق مع الضحى والمغيب
وحديث الى الرمال ونجوى
للأصيل الملون المخضوب

وكان الشاعر يشيع بين جوانحنا عاطفة عادئة ، ينفثها من روحه فتنساب فى حرارة وعمق يغلفهـا حزن لذيذ ، وأسى عميق ، ومناجاة .. للوطن السليب .

وهناك شاعر آخر هو « كمال ناصر » ـ يقول فى مقدمة قصيدته « قصة برتقالة » « كان الشاعر فى بلد أجنبى عندما وقعت عيناه على برتقالة ، فأحس كأنها تنظر اليه ، وكأنما تعرفه وعندما تعرف اليها وادرك قصتها كانت هذه القصيدة » ، وربما كانت من أروع القصائد التى تعبر عن الحنين الى الوطن فى صورة رمزية ، فقد لجأ الشاعر الى الطبيعة يستمد منها مادته ، واقتطف برتقالة . رمزا للأرض السليب ومضى فى مناجاتها ، وخلع عليها الحياة ، ثم كشفت عن صدرها فاذا هى رمز للمأساة ، واذا هى جرح ينزف دما من أثر جرح الصبا ، وملاعب الطفولة ، من أثر فقد الأهل ، من أثر دماء الشهداء ، واذا بنا نتذكر مدينة « يافا » .. مدينة البرتقال .

وأبو سلمى «عبد الكريم الكرمى» : شعره كما يقول الدكتور ناصر الدين الأسد يقوم على التعبير غير المباشر والتداخل المتجاوب فى نفس شاعرنا بين حبه لفتاته ، وحبه لوطنه . فكل ما يذكره به يذكره بها وكل جمال فيها جمال فيه ، وأيام هواه انمـا قضاها فى وطنه ومرتع صباه ، ومغـانى لهوه ، انما هى بلاده السليب وليالى الوصال انما كانت فى أحضان سفوح وطنه ومروجه وعلى ربواته وبين جناته ، ولذلك لا عجب أن تكون قصيدته الواحدة « لقاء على الطريق » غزلية وطنية معـا ، وان تثور لواعج الحنين فى نفسه الى حبيبته وصباه ووطنه فى آن واحد :

يسمعك القلب اغنيات هوى
لولاك لم يبق من رمق
يروى لعينيك عند خفقته
تاريخ حبى والدمع والأرق

العمر مثل الربيع فى وطنى
لا تقطعيه بالهجر والحنق
هواك فى ذمتى وفى عنقى
ونلتقى .. هكذا .. على الطرق

فالشاعر لا ينسى وطنه ، بل ثمة تجاوب بين الحبين فى وجدانه .

أما الشاعر « هارون هاشم رشيد » فقد اتخذناه مثالا يعبر عن المرحلة التالية من شعر الحنين ، ولا شك أن هنـاك تداخلا لا يمكن الفصل فيه بين المرحلتين ، وانما السمة الغالبة هى التى تحدد هذا التقسيم ، وشعر « هارون » يتميز بالحياة والامل والقوة والدعوة الى الثار والعودة .

فهو يقول :

من الكهف والخيمة الباليه
ساجمع للثار اشلائيه
ساجمع اهلى واصحابيه
واصرخ من اعماقيه
وارسلها صيحة داويه
وادعو الى الجولة الثانيه

لقد لاحظنا من خلال الأمثلة السابقة ، أن قصيدة الحنين لا بد أن تتوافر لها عناصر البساطة والصدق فضلا عن عنصر هام هو التخيل الحلمى ، حيث يمحى الشعور بالزمن وبالمسـافات ، وحيث يعبر الشعراء فى صفاء عن صورة النفس الانسانية ، وما يعتورها من هموم وما تقاسيه من محن وما تتطلع اليه من آمال ، وهم فى اتخاذهم « الحلم » أداة فنية ، انما يهدفون من ذلك أن يتوصلوا بتجاربهم النفسية الى التحرر من الواقع المادى الذى يعيشون فيه بعيدا عن وطنهم الأم ، واستبطان ما يعانون من رؤى .

ان الشعر الفلسطينى قد عبر عن صدى المأساة ووقعها على النفوس العربية ، وان كان الشعراء قد اختلفت أساليبهم فى التعبير بين الرمز ، والقصـة الشعرية ، والرومانسية المحمومة ، فان ثمة تيارا نفسيا يسرى فى نسيج هذا الشعر يئن من آلم الغربة ويتشوق ليوم العودة .

« احمد الهوارى »

فى ندوة فلسطين

بقلم : محسن عبد الحى

لقاء مع عميد جامعة كراتشى

اذاقلت عن ندوة فلسطين العالمية انها قد نجحت ـ فهذا تعبير ربما يتسم بالقصور لان الندوة حققت اكثر من نجاح ، بل فاقت درجة نجاحها كل ماكان منتظرا منها وفى مناقشاتى الخاصة مع كل من التقيت بهم من اعضاء ورؤساء الوفود المشتركة فى الندوة ـ كانت النتيجة دائما انهم استفادوا تماما من حضور هذه الندوة سواء بالاستماع الى الابحاث القيمة التى القيت فيها او بالمناقشات البناءة التى تمت خلال جلساتها ـ حتى عندما كانت التيارات المذهبية العالمية التى تسيطر دائما على مثل هذه الندوات العالمية تطفو على سطح المناقشات ـ كان وعى الوفود المشتركة وتحمسها الواعى للقضية يقف حائلا دون انتشار هذه التيارات ـ ويطالب الجميع فورا بجعل القضية الفلسطينية وحدها مجال البحث والمناقشة ـ مثال ذلك ماتم بين الوفد السوفيتى وبعض الامريكيين ، او بين الوفد الصينى والوفد الهندى وهلم جرا ..

ولقد كان اسلوب المصارحة غالبا على الجميع لدرجة ان رئيس الوفد الامريكى قال لى انه يأسف فعلا على موقف بلاده ـ ولكننى وزملائى ـ كما قال هو ـ نعد بان ننشر الحقائق التى عرفناها هنا على الرأى العام فى الولايات المتحدة . وبنفس الاسلوب تحدث معى مندوب المانيا الغربية . ولكن الشىء الذى كان يستلفت النظر فعلا ـ هو ذلك الحماس الرائع المدعم بالوعى الكامل للقضية وحلولها من جانب الوفود الافريقية والآسيوية .. واخص بالذكر منهم مندوب اوغنده وغانا ومندوب الاتحاد العام لطلبة افريقيا الغربية ومندوب نيجريا ـ ولقد كان مندوب اندونيسيا رائعا حقا فى فهمه القضية وجزئياتها البسيطة منها والمعقدة ..

واذا كنت هنا لست فى مجال تلخيص الندوة او تقييمها ـ الا اننى لااستطيع ان اخفى اعجابى وتقديرى ـ بل وتقدير كل الوفود المشتركة فى الندوة لذلك الدور الرائع الذى لعبه الشباب العربى الفلسطينى من المرافقين الوفود ـ لاننى اعتقد ان المناقشات الفردية العادية التى كانت تتم قبل وبعد انعقاد الجلسات الرسمية للندوة ـ قد اعطت الندوة اهم واعظم عوامل نجاحها ؛ لقد كان المرافقون والمرافقات على درجة كبيرة من الوعى وحسن الادراك والمعاملة ـ متفهمين تماما لدورهم الخطير فى شرح جوانب القضية وظروفها ـ بروح ملؤها الاخلاص والحماس الهادىء الرزين .

اذكر منهم هنا على سبيل المثال لا الحصر الزميل رفيق دجانى ـ ومرافقة « مستر انتونى ناتنج ومرافقة البروفسير ابو بكر احمد حليم » الخ ..

واذا كنا قد ابحنا لانفسنا هنا ان نذكر بعض الاسماء فلايسعنا الا ان نشيد بذلك الدور الرائع الذى قام به المجاهد العربى الكبير الاستاذ مهدى بن بركة الذى اختير لعضوية مجلس رياسة الندوة ـ فادى واجبه بحماس المناضل الحركى الذى يعرف كيف يسأل وكيف يجيب ـ وكان دائما يجيب ويشرح للجميع من خلال ثقافة واسعة وتمكن لاحد له باللغة العربية والفرنسية .. والذى سوف نلتقى به هنا قريبا على هذه الصفحات ..

ولنبدأ الآن فى عرض المقابلة التى تمت بينى وبين «البروفسير ابوبكر احمد حليم» عميد جامعة كراتشى ـ الذى يعمل فى نفس الوقت مساعدا لرئيس مجلس الشورى الرئيس الباكستانى محمد ايوب خان ..

وسالت البروفسير ابو بكر بعد الترحيب به السؤال التالى .. بروفسير ابو بكر ..



هل نستطيع ان نعرف الى اى مدى وصلت درجة الوعى بقضايا العرب القومية بين القطاعات المختلفة للشعب الباكستانى ـ وخاصة القضية الفلسطينية ؟

فرد بقوله : اود ان اوضح اولا اننا نهتم كثيرا بكل ما يدور فى البلاد العربية ، وشعب باكستان على علم تام بالقضايا والمشاكل التى تواجه العالم العربى .. ونحن فى الباكستان نشعر بالأسى والألم عندما نقرأ عن الخلافات القائمة بين بعض البلاد لاننا نعتقد بضرورة قيام الوحدة بين العرب ـ لكى يستطيعوا مواجهة العدو المشترك «اسرائيل» وانا لا اريد ان انصح بكيفية قيام الوحدة ، سواء اكانت وحدة او اتحاد فيدرالى او اى شكل من اشكال الوحدة او الاتحاد ولكن المهم فى رأيى ان يتم ذلك فورا وبدون تأخير .

ويعتبر الباكستانيون قضية فلسطين ـ **قضية اسلامية ـ الى جانب كونها قضية عربية** ـ وعالمية واود ان اشرح الجانب الاسلامى فى القضية كما نفهمه فى باكستان ..

ان القدس هى قبلتنا الاولى ، حيث اعتاد المسلمون فى البداية ان يتجهوا اليها فى صلاتهم ـ وقد اصبحت الكعبة بعد ذلك هى القبلة ـ وقد ظهرت معجزة المعراج مقترنة بالمسجد الاقصى ـ مما يجعله مسجدا مقدسا بالنسبة لنا . بالاضافة الى ذلك فان اسرائيل تدعى ملكية خيبر فى الحجاز وهى ارض اسلامية .. ولهذا فاننا فى الباكستان ننظر الى القضية الفلسطينية كقضية اسلامية . والى اسرائيل كخنجر موجه الى قلب العالم الاسلامى .

واضاف البروفسير ابو بكر قائلا :

اننا لم نعترف باسرائيل ولن نعترف بها ، ورفضنا كثيرا من المؤتمرات الدولية ومنعنا عقدها فى الباكستان لكى نمنع دخول المندوبين الاسرائيليين الى بلادنا بحجة الاشتراك فى مثل هذه المؤتمرات .

«ان جواز سفرى يتيح لى ان ازور جميع دول العالم ما عدا اسرائيل كما هو مكتوب فيه ..

وبعد ذلك قلت البروفسير ابو بكر ..

ـ لقد حرفت اسرائيل ومازالت تحرف القرآن الكريم وتقوم من جانبها بتوزيع النسخ المحرفة فى

آسيا وافريقيا .. فهل هناك احساس بهذه الجرائم بين مسلمي باكستان ؟ وهل هناك خطوات من جانب القادة الاسلاميين في الباكستان لمقاومة هذا الخطر .. ؟

فرد بقوله ..

لقد قرأنا في الباكستان عن هذا العمل المشين من جانب اسرائيل في تزوير بعض سور وآيات من القرآن الكريم .. ولا يوجد في الباكستان اى سور مزورة من القرآن بل توجد لدينا طبعات جميلة من القرآن طبعت في مطابع باكستانية .. وهذا العمل الجنوني من جانب اسرائيل مصيره الفشل وعندنا مئات بل آلاف من المقرئين للقرآن واعتقد انه اذا وجدت آية نسخ محرفة تكون في اغلب الاحيان مهربة فاننا نكشفها فورا .. وسوف نقاوم في المستقبل بكل اخلاص وايمان مثل هذه الاعمال التخريبية للعقيدة الاسلامية .

ثم سالته ..

ماهي الخطوات الملائمة التي تراها سيادتكم لخلق نوع من التقارب الذى يمكن ان يتطور في المستقبل الى تضامن حقيقي بين شعوب العالم الاسلامي .؟

فقال «يجب ان نحاول انشاء علاقات اخوية بين البلاد الاسلامية في ظل ظروف افضل وهذه العلاقات الأخوية يجب ان تبدأ اولا باقامة العلاقات الثقافية والتعليمية وتدعيمها ثم توطيد العلاقات التجارية وفي كل الاوقات وتحت مختلف الظروف يجب ان نضع نصب اعيننا جعل الدول الاسلامية دول متعاونة مشتركة في الأهداف والنظم السياسية

وسالته بعد ذلك ..

ان مجلة الرسالة ــ مجلة اسبوعية تحصر اهتمامها في نطاق العالم العربي والاسلامي ــ فهل نطمع في القاء بعض الاضواء على حالة اشقائنا مسلمي باكستان واتجاهاتهم الفكرية .؟

فاجاب بلباقة ..

«انني سعيد جدا لمناقشة القضايا العربية والاسلامية وقد خلقت باكستان الاتجاهات الفكرية الاسلامية وتعلقت بها والشعب في باكستان يتطلع الى اليوم الذى يستطيع فيه ان يضع فكرة اقامة مجتمع اسلامي متطور ــ موضع التنفيذ» .

ولما رجعنا في مناقشتنا الى القضية الفلسطينية مرة اخرى .. اخذ البروفسير ابو بكر يشرح لي كيف بلغت العنصرية الصهيونية من القسوة والعنف الى الدرجة التي تمارس بها وضعها الاستعماري العدواني في قلب الامة العربية .. وقال .. انني بطبيعتي رجل سلام واكره العنف ــ ولكنني ازاء هذا الوضع العدواني لاسرائيل ادعو الى الحرب والحرب فقط هي التي تحل القضية في رأيي «لأن اسرائيل كالطفل الصغير ــ كلما ينمو فهو في حاجة الى ان يصنع لنفسه ملابس جديدة تناسبه .. وهذه الملابس الجديدة التي تناسب العدو الاسرائيلي الغاصب ــ هي ارض العرب في المستقبل ــ وذلك كنتيجة طبيعية لهجرة اليهود الغاصبين من جميع انحاء العالم الى اسرائيل . ولن يقف هذا الزحف اليهودى الى اراضينا المقدسة الا وحدة العرب وتآزرهم لتصفية الكيان العدواني الاسرائيلي ..

وتأكدوا انه عندما تحين اللحظة الحاسمة فستجدون الآلاف من الباكستانيين يحاربون الى جانبكم .

وهكذا كانت ندوة فلسطين العالمية مجالا واسعا للقاءات كثيرة ومتعددة ــ وامثل هذه اللقاءات والمناقشات الكثير من وجهات النظر التي قد تبدو مختلفة الى حد ما في بعض القضايا السياسية والارتباطات الدولية ــ الا انها كانت تتفق في رأى واحد هو ضرورة عودة اللاجئين الى ديارهم ، وضرورة القضاء على اسرائيل ــ كقاعدة استعمارية عدوانية تهدد العالم العربي وتهدد السلام العالمي .

والى لقاء آخر مع ندوة فلسطين العالمية .

«الحسين عبد الحى»

اقبال
شاعر مسلم وفيلسوف مصلح

(بمناسبة ذكراه)

بقلم: عبد المنعم السكري

عاش اقبال فى دولة تعددت دياناتها وعقائدها والغالبية فيها تدين بالبرهمية او البوذية او الهندوكية ، وكان العالم مضطربا تتنازعه الانقسامات والاستعمار يجثو على العالم الاسلامى والمادية الملحدة تنشر مبادئها ، « وعاث الاوربيون فى الارض وافسدوا فيها بعد اصلاحها ، وخربوا العالم وملأوه ظلما وظلمات ، وشرورا وويلات وليست هذه الارض الا بيتا من بيوت الله جعلها مسجدا وطهورا واذن ان ترفع ويذكر فيها اسمه . ولكن الاوربيين قد حولوه الى خمارة وبيت فسق ودعارة ومكان نهب وغارة . وقد آن لبانى البيت الحرام ، وحامل رسالة الاسلام أن يقوم ويصلح ما افسده الاوربيون » .

والتصوف الفارسى قد شاع تاثيره فى الناس فدعاهم الى الكسل وترك العمل .

فى هذه البيئة ولد اقبال . ولكن ابويه كانا صالحين ، فنشأة تنشئة دينية ، ورباه تربية صالحة ، فنشأ مطبوعا على حب الخير عارفا بالاسلام ، رافعا رايته ، مدافعا عنه ، داعيا الى السير فى ظله ، محذرا من اعدائه الذين فرقوا بين اهله فحل بهم الضعف بعد القوة وهو يقول معاتبا العرب «اسفا على الخمود والجمود ، ايها العرب، الا ترون الى الامم الاخرى ، كيف تقدمت وسبقت ؟ اما انتم فما قدرتم قدر هذه الصحراء التى نشأتم فيها ، وهذه الحرية التى ورثتموها ؛ كنتم امة واحدة ، امة الاسلام ، فصرتم اليوم امماء وكنتم حزبا واحدا ، حزب الله فاصبحتم احزابا لقد فرقتم جمعكم ، ومزقتم شملكم » .

اتم اقبال دراسته بمعاهد الهند ، وتعلم على اساتذة قدروه واحبوه ، بل اختاره استاذه توماس آرنولد ليحل محله بالجامعة فترة غيابه عنها . وارتحل اقبال الى اوربا فالتحق بجامعاتها :كمبردج وميونخ ، ودرس القانون والفلسفة فتفتحت امامه آفاق من التفكير ، ولم تبهره حضارة الغرب ولا فلسفته ، فطلع على العالم الاسلامى بفلسفة جديدة هزت المشاعر والقلوب تدعو الى عالم جديد دعامته الاخاء الانسانى و «الاخوة التى دعا اليها الاسلام ، على ان تكون اخوة بين احرار ، وان القوة هى التى تجعل لهذه الاخوة قيمة ، وهى التى تقر السلام بين المؤمنين بالذاتية كما يصورها . اما ان تكون اخوة بين احرار وعبيد فاسطورة اثبت التاريخ غير مرة انها لن تصدق فى الواقع ابدا» .

عاد اقبال الى الهند بعد ان اتم دراسته وزار كثيرا من البلاد الاسلامية وشاهد آثار المسلمين فى قرطبة ، وصقلية وبيت المقدس وغيرها فاخذ يذكر المسلمين بمجدهم وقوتهم وفتوحاتهم والدماء التى بذلها اجدادهم فى اقامة حضارة الاسلام ويبدو هذا فى قصيدته «الشكوى» حيث يقول :

بمعابد الافرنج كان اذاننا
قبل الكتائب يفتح الامصارا
لم تنس افريقيا ولا صحراؤها
سجداتنا والارض تقذف نارا

كنا نقدم للسيوف صدورنا
لم نخش يوما غاشما جبارا
وكأن ظل السيف ظل حديقة
خضراء تنبت حولنا الازهارا

عاد اقبال يوقظ قومه ، وينافح المستعمر ، ويكافح اعداء الاسلام .

ودعا قومه الى ترك الكسل ، وبث فيهم روح العمل . وشن حربا لا هوادة فيها على تصوف العجم ، ونادى بفلسفة جديدة على خلاف ما تعارف عليه قومه . دعا الى تربية الذات بالطاعة وضبط النفس والتخلى عن المعاصى ، وتادية الفرائض ليصل الانسان الى مرتبة الكمال . والامة التى يربى كل فرد فيها ذاته تكمل ذاتيتها وتقوى على الجهاد والكفاح ، يخشاها العدو ويخطب ودها الصديق . يقول اقبال : « اذا أحسن المؤمن تربية شخصيته وعرف قيمة نفسه ، لم يقع فى العالم الا مايرضاه ويحبه» ويقول : «ان المؤمن اذا نادى الافاق باذانه ، اشرق العالم واستيقظ الكون» .

لم يقصر اقبال رسالته على ابناء الهند ، بل

جهـــاد المؤمنين لهم حيـــاة
الا ان الحيـــاة هى الجهـــاد

عقـــائدهم ســـواعد ناطقـــات
وبالاعمـــال يثبت الاعتقـــاد

وخـــوف الموت للاحيـــاء قبر
وخـــوف الله للاحـــرار زاد

ان صوت اقبال يدوى فى كل وقت وآن يحض المسلمين على العمل والكفاح حتى يوجد المجتمع الذى يريده ، مجتمع الاخـــوة الاسلامية الذى لايحده مكان «ان المسلم لاتعرف ارضه الحدود ، ولايعـرف افقـه الثغور . ليست دجلة والنيل ودانوب الا امواجا صغيرة فى بحره المتلاطم . عصوره عجيبة ، واخباره غريبة . نسج العهـد العتيق ، وغير مجرى التاريخ . هو فى كل عصر ساقى اهل الذوق ، وفى كل مكان فارس ميـدان الشوق . شرابه رحيق دائما وسيفه ماض فى كل معركة» .

ويقول للمسلم فى احدى قصائده .

فى العـــالم الأول من
مطـــالع الأنوار كنت
والناطق الأخـــير فى
رســـالة الرحمن انت
قم وانشر التوحيد فى
الدنيـــا ووحـد الأمم
فانت خـير من دعـــا
وانت خـير من حـــكم

نكتب هذه السطور فى ذكرى اقبال وفاء له فقد كان لنا وفيا ، وتذكيرا برسـالته ، فكان برســالة الاسلام حفيا ، واعترافا بفضله ، لانه كان بفضل العـرب والمسلمين ذاكـرا ومن الوفاء ان نذكـر للمرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام فضله ، فقد عرفنا باقبال منذ اكثر من ربع قرن نقل لنا خلالها كثيرا من دواوينه وآثاره ، ومن الجدير بالذكر فى هذه المناسبة أن نشير الى الجهـود المشكورة التى بذلها الأساتذة : أبو الحسن الندوى . محمد حسن الأعظمى . الشيخ الصاوى شعلان . فى التعريف باقبال وترجمة بعض آثاره . جزاهم الله وجزى كل من شارك فى هذا العمل خير الجزاء . رحم الله اقبالا ورحم الله عزاما واسكنهما فسيح جناته . وأثابهما على ما أسديا للاسلام والمسلمين والانسانية كلها .

«عبد المنعم الدكرمى»



محمد اقبال

وجهها الى المسلمين فى كل مكان ويرى ان العـالم كله وطن للمسلم «ان المسلم كالشمس اذا غربت فى جهة طلعت فى جهة اخرى» و «المسلم الربانى ليس بشرقى ولا غربى ــ ليس وطنى دهلى ولا اصفهان ولا سمرقند انما وطنى العالم كله» .

فهم اقبال الاسلام على حقيقته ، وتبدو فلسفته التى تقوم اساس بعث الفكر الاسلامى الاصيل فى كتابه «تجديد التفكير الدينى فى الاسـلام» يكشف فيه الفرق الشاسع بين تعاليم الفلسـفة الغربيـة وتعاليم الاسلام حيث يقول «ان الانسانية لفى حاجة اليوم الى ثلاثة امور : اولها تفسير روحى لحقيقة العلم ، وثانيها تحرير روحى لذات الفرد وثالثهـا ايجاد نظام من المبادىء العالمية توجه تطور المجتمع الانسانى على صـعيد روحى . ان فلسـفة اوربا المثالية لم تصبح يوما عاملا فعالا فى حياتها العملية فاسفرت عن ذاتية منحرفة ، تحاول تحقيق نفسها عن طريق ديمقراطيات متنـافرة متباغضـة ... صـدقونى ان اوربا اليوم لهى اكبر عقبة فى سـبيل التقدم الاخلاقى فى حياة الانسان» .

ان الحياة عند اقبال جهاد متصل ، فالاسـلام لايدعـو الى الاستسلام والمؤمن الحق هو القـوى الذى يكابد الحياة ويحتمل أعباءه ولا يخاف الموت :

نداء القوة فى الإسلام

إلى روح إقبال «شاعر القوة فى الإسلام»

للشاعر : محمد عبد الغنى حسن

ايهـا المسـلم القـوى النضـال
ايهـا المسـلم الرفيع المثـال

يا أخا الفضـل يا ابا الاقبـال
لك منـا تحيـة الاسـلام !

لك صـوفية القـوى العـامل
هل رأيت الحياة يوما لغافل ؟

أو لـدرويش قـومه المتواكل
لم تسـخر حيـاتنا للنيـام ..

انمـا العيش قـوة وارادة
لم يمكن رب العبـاد عبـاده

من حيـاة مملوءة بالزهـاده
لذة العيش فى اقتحام الزحـام

يا مثـالا للمسـلم المتفوق
فى بيـان ومنطق متـدفق

عرف الحـق بالخيـال المحلق
ماوراء الذرا ، وخلف الغمام ...

كنت صوتا للمسلمين قويا
مـلأ الأرض رجفـة ودويـا

وبيـانا عـذبا وشـعرا وضيا
سـائغا فى القـول والأفهـام

صـوتك العـذب لايزال يرن
تتملى به على الحـق اذن

وبه كـل حـائر يطمئن
فى الطـريق المحفـوف بالآلام

شـعرك العـذب نفحة من نبوة
فائض مـاؤه بكل فتـوة

وهو يدعـو الى الحيـاة بقوة
لم تهن مـرة الى استسـلام

لثم الشـعر قبلك النـوارا
يرشف الراح من ثغور العذارى !

خالعا فى رحابهن العـذارا ...
معرضـا عن ملامة اللوام ...

يجـد العيش فى رنين الكئوس
وافتـداء الهـوى بكل نفيس

من ملاح يفضن مثل الشموس
فيحلن الظـلام غـير ظـلام

ذاك شـعر الأزهـار والأقداح
وخـدود كالـورد والتفاح

وعيـون كالنرجس الفضـاح
وثغـور كالزنبق البسام .. !

أين تلك الاشعار من روح شعرك ؟
أين أزهارها بجـانب زهرك ؟

أين خمر الكئوس من طهر خمرك ؟
يا نقى الشعور والالهـام ؟ !

ما عرفنا فى الشعر منك ضلالة
أو عهـدنا عليه غير النبـاله

فهو فى شرعك المتين رسـاله
لمـرام أعظـم به من مـرام

هو شعر الحيـاة ينبض عزما
هو شـعر الاشراق ينطق حكما

هو شعر الاسـلام يقطر سلما
هو شـعر على المدى المترامى

عذاب

للشاعر: محمد احمد العرب

عذاب .. اذا انت في ساعدي
نوشوش كل ضحى راقد
عذاب .. اذا احرقين المدى
بصمت رهيب الأسى .. واقد
عذاب .. اذا تهمسين الحروف
بنصف صدى شارد .. شارد
عذاب .. هو الرفض .. لاخافقي
يطيق .. ولا الجوع في ساعدي
انا سحبة من شعاع طري
اذا دغدغت شفتاك النداء
والف هتاف عل شفتي
اذا انهار خلفك لهث الفراء
اجدف خلف تخوم الخيال
بعينيك بالفضة الكبرياء
عرفت عذابي ؟ لا تطفئي
عيونن المسافات يا فتنتي
انا فارس .. مزقتني الرياح
وانت على شفتي وحدتي
حصاني ضاع .. وحتى الطريق ..
تلفع الف دجى ميت
مشيت على جبهة الدرب عصير
الى اللا قرار .. الى غربتي
جوارك .. احسو عبير الضياع
وان اغرقتني عيونك فيه
واصحو عل نبضة للشراع
الجريح .. فاصرخ .. لا تجرحيه
وأنت .. كما يشتهي العنفوان
تقولين : يا شاعري .. تفتديه ؟
فداه السنا .. والصدى .. والحرير
وابيات شعري .. وما احتويه
اذا قلت اني احبك
هذا عذاب يغمغم في احرفي
فلمي شباكك .. اني غزلت
بكفي الشباك عل موقفي
وموعدنا .. غيمة قد تجيء
وقد لا !! فيا قدري انصفي



جاسم الدين .. شاعر الطبيعة والقرية والاشتراكية

للكاتب الباكستاني : محمد حسين

ترجمة : عبد الله حسين

« هذه قوة جديدة ـ قوة طاغية ـ في الأدب البنغالي ، تمنح التعبير للملايين الصامتة في القرى » .

بهذه الكلمات حيا الشاعر الخالد طاغور جاسم الدين .

ولد جاسم الدين عام ١٩٠٧ في احدى قرى (فاريد بور) بشرقي باكستان وهو ينتمي الى جماعة الشعراء المسلمين التي تكونت في العشرينات ، اخذة على عاتقها بعث الهيبة التي كانت من سمات القرائح الاسلامية الخلاقة في عوالم الفن والادب .

وكانت هذه الجماعة تضم ، بطبيعة الحال ، الشاعر البنجالي العظيم نصر الاسلام . على انه بينما كان (نصر الاسلام) يستوحي اعماله من ذكريات الامجاد الاسلامية التليدة ، فان شاعرنا جاسم الدين يستلهم الحاضر المتمثل في جماهير الريف ، وعواطفهم ، واحزانهم ، وامالهم .

ولقد كان جاسم الدين ،بطبعه ، واحدا من الريفيين الذين صورهم : فيه كل وداعتهم وبساطتهم وانطوائهم . درس حياتهم عن كثب ، واشربت عواطفه بحبهم والحماس لهم . ولم تزده زياراته لاوروبا وامريكا الا قربا من ابن القرية في بلاده .

ولقد زار جاسم الدين يوغوسلافيا منذ بضع سنوات ممثلا باكستان في المؤتمر الدولي للادب الشعبي . فاغتنم تلك الفرصة ليقوم بجولة واسعة لبعض المناطق الريفية بشرق اوروبا . وكان يهدف من الجولة ان يقف على معيشة القرويين في اوروبا ويتعرف على مشاكلهم .

وقد استطاع جاسم الدين ان يقدر بدقة مركز القرويين ببلاده ـ وان يضع اصبعه على قيم حياتهم والصعوبات التي تكتنفهم . ولذلك نجد في اعماله البكرة مثل « حقل اللحاف المطرز » و «الراعية» و «الشاطئ» و «الجمال» و«الغجرية» و«حقل الحنطة» مقطوعات عاطفية تمثل واجهات متباينة للحياة في الريف .

وكان تناوله لموضوعاته في مبدا حياته الأدبية تناولا فنيا مطلقا، الأمر الذي نتج عنه ان الأوضاع البغيضة قد بدت من وراء تلك الستر الفنية الشفافة صورا نبيلة . بيد ان تدارك ذلك في اعماله المتاخرة مثل «صرخة الأرض» و «الجولة في امريكا» التي اعتمدت على تناول عقلي لموضوعاته عامة،اكثر من التناول العاطفي الذي اتسمت به اعماله الاولى .

وتعكس قصائد جاسم الدين المتاخرة عقيدته الاشتراكية .

ولقد استخدم في هذه القصائد الأشكال الغنائية التقليدية في شعر منطلق ، مبشرا بان المجتمع المزيف قد تقوض بنيانه ، ومعلنا عن قدوم عصر الخلاص المتمثل في قيام المجتمع الاشتراكي. وتتسم اعماله الأولى بالوضوح الفني والعنف الانفعالي الذي تتسم به اعمال (سبنسر) و (داي لويس) ، كما تبدو في اعماله المتاخرة الساخرة التي نراها في اشعار (اودن) و (ت. س اليوت) .

ان اسلوبه في رسم الحياة القروية ، هو اسلوب رسام ذكي اريب خبير ببواطن النفس البشرية فهو مثلا يميط اللثام عن كوامن قلب الراعية ، ورجل القارب والصياد والغجرية ، ثم يرسم خلجات افئدتهم باناة وتفصيل يثيران الاعجاب .

وفي شعر جاسم الدين نجد مزجا واضحا بين العنصرين الادبي والشعبي ، وينبع العنصر الشعبي عند جاسم الدين من الاشعار الغنائية والمواويل الشعبية التي تتوارثها مجتمعاتنا الريفية . من هذا النبع الخصب استقى جاسم الدين اشعارا تصور اصدق تصوير الحياة التقليدية لريفنا ، مما يندر وجود قرين له في اي ادب اخر .

واهم ما يتميز به جاسم الدين هو عين يقظة لادق التفاصيل. فالطريقة التي رسم بها الحياة والمناظر الطبيعية حول نهر البنغال الشرقي ، وحقول الحنطة ، والشواطئ ، هذه الطريقة يمكن ان تقف على قدم المقارنة مع اسلوب المصورين الانجليز الشاعريين مثل (ترنر) و (كونستابل) ، والمصورين الهولنديين المحدثين مثل (رولوف) و (موفا) وغيرهما .

وثمة عنصر درامي في تصويره للقرية ، يشد اليه الخيال الشعبي ، ومما يزيد من قوة ذلك التصوير استخدامه الحاذق للون . ويبدو من قصيدته « سوجان باديارجات » ان جاسم الدين قد كرس نفسه لتصوير جمال المناظر الطبيعية لشرقي باكستان ببساطتها وعذريتها .

كما ينطوي تصويره « لرجل القارب » و « جمال القرية » على حيوية ، وانطلاق ، وتوقد ، وهي صفات مكفولة لهذا الفنان الخلاق ، تلميذ الطبيعة البشرية الاكبر ، بما لتلك الطبيعة من صدق وبعد عن الزيف .

وتمنحنا قصيدته « الغجرية » صورة بارعة لفتاة صغيرة ، وهي في الوقت نفسه تقدم لنا تاويلا لحالات القلق المشتاق والهواجس الشاردة سواء في الطبيعة او لدى البشر .

وفي « حقل الحنطة » نجد صورة تمثل احساسه الشعري ، مع التزامه بالأساليب الكلاسيكية لقرض الشعر . والقصيدة تقدم لنا ايضا احساسا بالارتياح على بساط من الهدوء الاخضر . وهي كذلك مثال على شفافية اخلاصه للطبيعة ، وعلى جمال نورانيته التالقة .

وبعض مقطوعاته تصور احزان الفقراء ، بما في هذه الاحزان من عمق يضاهي عمق الأقدار المأساوية التي جابهت ابطال الأساطير . والشاعر هنا يكشف عن احساس عميق للمأساة اليومية لحياة القرويين . وفي تصويره لبحار « قارب قوس قزح » مثال دقيق على حيويته الفائقة في معالجته لحياة الأمواج وحركاتها ، وعلى مهارته في تسجيل تفاصيل الحياة في النهر ، حتى ان الصورة لتبدو في غاية الطبيعية ، وهي في نفس الوقت صورة زخرفية رائعة .

اما تصويره للفلاحين اثناء عملهم في الحقول ، ولعواطفهم ، فربما يكون خير مثل على معالجته الرقيقة للاحداث الواقعية في الحياة اليومية بشرقي باكستان ، مما يستولى على لب القارىء ، لبساطتها الجذابة ، وصدقها المطلق ، وبما تضفيه على النفس من هجوع وراحة بال .

ان معالجته كاملة ، وغنائية ، وتصويره لعاشقي القرية ـ الراعي والراعية ـ يتصف بالصفاء والدماثة في تناوله للعواطف الكامنة وجوانحهما ، ولقناعتهما المطمئنة . وانه ليكمل الصورة ، في مهارة فائقة ، باضافة التفاصيل الدقيقة التي لا تفوت عينه اليقظى ، مما يضفي على الأثر العام جلالا وصدقا .

ان جاسم الدين ، من وجهة نظر التاريخ الأدبي ، هو في الواقع قوة جديدة في الادب البنغالي . فلقد ادخل في مجاله قدرا هائلا من المادة الجديدة ، وفتح على المصراعين ابوابا لم تكن مطروقة قبله .

فالمعتقد بين المريفين من الخلق ان رجل القرية ليس انسانا بمعنى هذه الكلمة . فكثيرا ما نسمع قول قائل منهم : « لاتبال ، انهم لا يشعرون كما تشعر » او « انهم لا يفهمون الحب كما نفعل نحن ـ فليس الحب بالنسبة لهم الا متعة حيوانية » او « كل همهم في الحياة لقمة وقرش » .

وثمة نوعان من الجهد يساعدان على تبديد مثل هذه الفكرة : اولهما هو البحث الانثولوجي (دراسة اصول السلالات البشرية او اجناس الامم واصولها ومميزاتها الخ) ، وثانيهما عن طريق المعالجة الفنية ، وهذه اقرب الى النفوس واوسع مجالا . والأغنيات الشعبية تساعد في فتح باب مباشر على عقول الناس . وذلك هو ما كرس له جاسم الدين جل وقته ونشاطه ـ جمع الأغنية الشعبية .

فلكم جال بالأشهر قرية الى قرية يلتقط الأغنيات الشعبية التي تكشف ما يهم القرويين خاصة . او كما يقول جاسم الدين :

ما الذي يمكن ان تدريه عن الأحزان الخفية

لراع يبيس في الحقل ؟

عبثا ما نبحث في بهجتنا والمنا

عن اكتناه خفي اسراره .

فاحزاننا مدونة في الأشعار والكتب .

يمكن ان يعرفها اولئك الذين يقراون .

ولكنها خرساء ، احزان الراعي الصغير

لا تفصح عنها الا انات الناي .

ان عددا كبيرا من الأغاني الشعبية التي جمعها من فتيات القرية وعجائزها ، ومن رجال القوارب ، ورعاة البقر ، والفلاحين ومن اليهم ، اثناء رحلاته على طول البلاد وعرضها ـ هذه الاغنيات قد ساعدته في عمله الخلاق « حقل اللحاف المطرز » ، الذي ترجم الى الانجليزية ونشرته جامعة اكسفورد ، فاكسب الشاعر شهرة عالية .

ففي هذه القصيدة القوية يجد القارىء صورة تفصيلية دقيقة ، وقصة خلابة تاخذ في كل لفتة منها بلبه وتستولى على مشاعره . فمن المستحيل ان تقرا هذه الحكاية المثيرة ، ثم لا تكف عن احساسك بالتعالي ، او حتى اللامبالاة ، ازاء القروي القادر على مثل هذا الحب المشبوب ، ومثل هذا الحزن الدفين .

ان القرويين عند جاسم الدين يبتهجون ويقاسون ، يريدون او يرادون ، يكرهون وياسون من اعماق ارواحهم ، ليس ثمة ما هو تافه او سطحي في عالمهم ، انهم ، وما حولهم ، حق وصدق .

ويا لها من صور رائعة تلك التي تتضمنها القصيدة ! ان القارىء ليرى فيها كل صغيرة وكبيرة بينما « روبا » يقطع عيدان الخيزران ، ويراه عاشقا يحضر لحبوبته ، في خفر ، الحلوى والحلى ، وعقله مضطرب ، مثل ناي الآفاق » .

.... والقارب العاجز يتقاذفه الموج .

يدفعه في بطء الى الأمام .

ليجره مع التيار الى ميناء مجهول .

وثمة شيء سحري عن موسيقى الحصاد التي لايستطيع احد ان يشعر بها وينقلها الا جاسم الدين ـ كما لو ان التربة ذاتها ، والنبات قد بعثا الى الحياة من جديد .

طوال المساء ، وعبر القرية كلها

تعزف موسيقى الحصاد .

ويغنى الفلاحون بحناجر جديدة .

يغنون من فرط البهجة .

ويعزفون الناي فيكتشفون

معنى جديدا لليل .

ان الريف باكمله ينطلق مغنيا عبر شعر جاسم الدين .

ثم ان الجزء الاخير لقصيدة « حقل اللحاف المطرز » تعبير

محتمل تقريبا ، بعد ذلك ، ولكن ذلك هو ما كان ينبغي ان يحدث . انه دليل على المهارة التي سلب بها المؤلف اهتمام قرائه . فهذه ليست تراجيديا شيكسبيرية - حيث تخلق الشخصيات التراجيدية لغاية تراجيدية ، وحيث التدبير القدري الرهيب يجرهم الى نهايتهم البائسة .

انها ماساة لا يتعرف عليها جيدا الا كل من له دراية بالقرية البنجالية - والقرية الباكستانية ايضا - ماساة الضياع الذي لا معنى له ، والياس اليائس ، والكارثة الطبقة التي يقف تجاهها الانسان عاجزا .

كما تفعل الكوليرا اذ تغزو واديا او مجموعة من القرى ، وكما بجتاح الطقس السيء الحقول فياتي على كل عود قائم فيها ، او كما تتسلل الضواري الى حظائر الماشية لتقضي عليها . ومع ذلك ففي وسط هذا الخواء الذي لا معنى له ، وذلك الضياع والياس ، والجوع والفشل والهبوط ، فان القروي كما يرسمه جاسم الدين يحقق اسمى النتائج . ان قيمه هي قيم الشجاعة والنضال ، قيم الحب والامل .

فلو اننا قسنا اولئك الناس بقيمة حبهم ، وقسنا هذه القصيدة بقوتها في وصف ذلك الحب ، فان كلا من الناس والقصيدة لا بد ان يحتلا من عواطفنا مكان الصدارة .

ان اوزان القصيدة ذاتها تصور روح الريف بالبنجال ، فبساطة ايقاعها وسحرها توحي بالاهتمام بالعمق الانساني الذي تتردد اصداؤه في القصيدة .

وان العنف الانفعال والالفة الساخرة اللذين يتمثلان في قصيدته « صرخة الارض » يعكسان عقيدته الاشتراكية . فمن اهم الملامح التي تتسم بها مرحلته الشعرية الاخيرة هي الاحساس الحاد بالخيبة والاشمئزاز ازاء الحافز المادي لعالمنا المعاصر .

فهو في هذه القصيدة ينثر على الملا قضية الملايين الخرساء ، ويمنح التعبير للاحاسيس الخبيئة في صدور المضطهدين ، ثم يصرخ مذكرا العالم المنهار بالحقيقة الخالدة ، وهي ان الانسان هو تاج المخلوقات جميعا وانه حقيقة كل الحقائق .

لقد بلغت هذه القصيدة ، من ناحية روحها ، ذروة عالية سامية . انه يسمع صيحة الارض ، وتتردد اصداؤها بين النجوم .

هل سمعت صرخة الارض ؟
لقد بلغت سمعي في عمق الليل
انات هذه الارض الخرساء .
ان النجوم تحملق بعيون لا حصر لها
عبر السماء الشاسعة .
وتمزقت سجف الليل كانما مزقتها ضربات طيور قلقة .
وبالاف النغمات عبر اصوات صراري الليل
تصرخ التربة الصامتة ،
ويتفرج السكون بالموجات الايقاعية
التي دفعتها صيحة الارض الخرساء .
وفي سراديب البيوت الارضية ،
وقد غاصت بالنائمين
احزان ممعنة في القدم
الى الاعماق ،
يهب هؤلاء باناشيدهم مع الارض المتوجعة .

وتتردد صرخاتهم عبر العالم
صاعدة من عوالم سماوية .
افي مقدور احد ان يسمع صرخات الارض المعذبة ؟
ان مغالقها المظلمة تتفتح
تصرخ الارض
« واحسرتاه ! »
تصرخ الارض ، وانا
وحدي الذي يسمع
صرختها الحزينة .
واظل مؤرقا اسمع دقات قلبها المثقلة
حتى تخبو اضواء الليل .
ان الارض لتصرخ من اجل الذين
لا يحسنون الصراخ ،
بابدانهم المرقة المهلهلة الخرساء
الشاهدة على وخزات حراب السيد .
الارض الخرساء ، وقد غمرتها اليقظة والحياة ،

تصرخ في اعماق الليل ،
تمزق بمخالب متشنجة
صدرها في شجن عميق -
وتحمل من القبور
اجداث البررة من ابنائها ،
وعلى الضوء المنبعث من الحباحب نقرا
صفحة من تاريخ كل حياة ،
« وا اسفاه من اجلك ايها البرعم المحتضر في المهد
وا اسفاه على موتك قبل الاوان ! »
وترتخي قبضة الذراعين المحبوبتين ،
وتنوح الام في اسى كظيم :
« الفاكهة التي جمعتها انت ما زالت مختزنة
يتمتع بها غيرك ،
لقد رحلت بكبرياء جريحة محروما
من حقك ومن الراحات . »
في اعماق الليل تصرخ الارض الخرساء
بلا صدى ،
حتى لتنحرف النجوم عن مداراتها ،
من عنف صرختها .
وفي المغاور تفح الثعابين غاضبة
رافعة رؤوسها ،
ويتدفق على صدرها السم المختزن من عهود سحيقة
وتنهض الزواحف رافعة رؤوسها
كثبات الشوكران .
وترعد السماء من الرعب
وتتراقص الافاعي في نشوة هوجاء ،
ويومض البرق من انفاسها
وينطلق ، على اثر احتكاك ،
خوف رهيب
في شرارات نارية .

عبد الله حسين

كوميديا في ثلاثة فصول

حبل الغسيل

بقلم: علي أحمد باكثير

(٨)

ملخص ما نشر :

ابو الدبول مدير مسرح النهضة وبلعوم مدير الجمعية الاستهلاكية حاولا طرد ابي حنفي المكوجي من مسكنه بالربع ومن الحوش الذي يتخذه ابو حنفي منشرا لغسيله ولكن ابا حنفي قاوم هذه المحاولة بثبات وتعطف عليه محسنة زوجة ابي الدبول التي تنكر على زوجها اندماجه في شلة تعمل على احتكار النافع فيما بينهم في كل مرفق. ففي المسرح لا يقبلون المسرحيات الا من شلتهم ولما سقطت المسرحية التي الفها بلعوم وفرضها ابو الدبول فرضا على المسرح نسبوا سقوطها الى الاستاذ مرغني مخرجها والى حنفي ممثل الدور الاول فيها وقاموا بحملة صحفية ضدهما حتى اضطرا الى ترك مسرح النهضة والالتحاق بمسرح النجوم .

ومن المتصلين بالشلة الدكتور نجم وهو شعوبي يبلغ من كراهيته للعروبة ان وجه زوجته الاجنبية ليليان الى القيام ببحث فيلولوجي تثبت به ان اللغة العربية لغة متخلفة لا تصلح لامة ناهضة ولكن ليليان هداها البحث الى نقيض هذه النتيجة فكتمت ذلك عن زوجها برهة الى ان علم بالحقيقة فاراد قتلها فهربت منه ولجأت الى السيدة محسنة فحمتها وخبأتها في بيتها .

وانكشفت خيانة بلعوم وتلاعبه في شؤون التموين فحكم عليه بالسجن سبع سنين ولم تطق زوجته البقاء في الربع فانتقلت الى الزمالك ولكن ابا الدبول ما لبث ان فاجأ ابا حنفي بانه اشترى الربع وانذره بالاخلاء للهدم ففوض ابو حنفي امره الى الله .

الفصل الثالث

(تدخل ام حنفي بالشاي)

مرغني : اجل يا ابا حنفي ما بقي لنا اي امل !

ابو حنفي : كلا لا تقل كذلك يا استاذ لابد ان تفرج باذن الله

مرغني : كيف تفرج يا ابا حنفي وهذا الكابوس جاثم على المسرح منذ اكثر من سبع سنين ؟

ابو حنفي : مصير الكابوس ان ينزاح يا استاذ فالكابوس لا يدوم

مرغني : الا اذا أصاب الانسان وهو صاح تماما

ابو حنفي : لم افهم ماذا تريد أن تقول !

مرغني : العادة أن الكابوس يجيء للنائم وينزاح عنه حين يصحو من نومه اما اذا جاء المصاحي فكيف ينزاح عنه ؟

ابو حنفي : لا تؤاخذني يا أستاذ اني ما فهمت بعد

مرغني : ان المسرح عندنا يا ابا حنفي لم يسبق له قط أن صحا مثل هذه الصحوة التي هو فيها اليوم ومع ذلك فالكابوس جاثم عليه فكيف ينزاح عنه ؟

ابو حنفي : هل تسمح لي يا استاذ ان أرد عليك ؟

مرغني : تفضل يا ابا حنفي

ابو حنفي : من اين جاءت هذه الصحوة الكبيرة للمسرح ؟

مرغني : من أين جاءت .. من ثورة ٢٣ يوليو طبعا

ابو حنفي : جميل فهذه الثورة نفسها هي التي ستزيح هذا الكابوس عنه .. معقول أم لا ؟

مرغني : معقول لكن متى يكون ذلك ؟ متى ؟

ابو حنفي : حينما يأتي الأوان يا بني .. كل شيء بأوانه .

خذ مثلا بلعوم صاحبك



ميرغني : صاحبي ؟ صاحبي من أين ؟

ابو حنفي : اعني صاحب المسرحية التي اخرجتها له

ميرغني : قطع الله دابره ودابر مسرحيته !

ابو حنفي : لقد ظل زمنا يعبث في تموين اهل الحي حتى جاء الأوان فأزاحه الله

ام حنفي : وكذلك امرأته السيدة سعدية التي كانت تلقي المياه القذرة في الحوش ازاحت هي ايضا وتركت الربع والحمد لله

حنفي : متى يا أمه ؟

ام حنفي : اليوم .. راحت تسكن في الزمالك

حنفي : صحيح يا امه ؟

ابو حنفي : انا رأيتها بعيني خارجة هي وابنتها ومعهما عصام

حنفي : عصام ؟

ام حنفي : كان يوصلهما الى هناك

حنفي : الحمد لله والله ان سرك يا أبي باتع !

ابو حنفي : السر سر الله يا ابني

ميرغني : تعني أن الأمل موجود يا أبا حنفي ؟

ابو حنفي : ربك كبير يا أستاذ ميرغني والأمل فيه كبير

ميرغني : من فمك الى باب السماء يا أبا حنفي

حنفي : آمين يا رب !

ميرغني : الواقع أن هناك اشاعة قوية تقول ان أبا الديوك سيتنحى عن المسرح

حنفي : أحقا يا أستاذ انها اذن لبشرى كبيرة فما منعك أن تخبرني بها من أول الصباح ؟

ميرغني : انها ليست الا اشاعة يا حنفي لا ندري أتصدق أم لا

ابو حنفي : سوف تصدق باذن الله .. سيزاح هذا الكابوس ان شاء الله .. صبي يا أم حنفي صبي الشاي!

حنفي : أجل سيكون للشاي اليوم طعم !

(تصب أم حنفي الشاي وتقدمه لهم ويسود السكون قليلا وهم يشربون الشاي)

ابو حنفي : ما هذا يا أستاذ ميرغني ؟ مهموم بعد ؟ ابتسم يا رجل وابتهج ! سيزاح باذن الله

ميرغني : ربما يزاح يا أبا حنفي ولكن الكابوس سيبقى مكانه كما هو

ابو حنفي : ما هذا الذي تقوله يا أستاذ ؟ كيف يزاح هو ويبقى الكابوس ؟

ميرغني : أبو الديوك يا أباحنفي ليس وحده وما بقي ديوكه جاثمين على المسرح فهو جاثم معهم عليه

ابو حنفي : سيزاحون هم أيضا معه ان شاء الله

ميرغني : لا أظن يا أبا حنفي انهم منتشرون في كل مكان

ابو حنفي : طيب اشرب الشاي أولا لا يبرد

صوت : (بلكنة انجليزية من خارج سور الحوش) أسطى أبو حنفي أسطى أبو حنفي !

حنفي : الله ! هذا صوت الدكتور نجم !

ابو حنفي : مسكين .. ما زال يبحث عن امرأته !

حنفي : مسكين ؟! هذا كان يريد أن يقتلها فهربت منه بقميص النوم

ابو حنفي : أومن هذا حاله يا ولدي ليس بمسكين ؟

الصوت : أسطى أبو حنفي ! أوبن ذا دور ! أوبن ذا دور !

ام حنفى : دا يرطن بالفرنساوى

حنفى : لا يا امه بالانجليزى !

ام حنفى : اسخم !

حنفى : الحمد لله اذ اغلقنا الباب وراءنا والا دخل

ام حنفى : ولولا ان الدكان مصكوك اليوم يوم الاثنين لدخل من باب الدكان ورعبنا كما فعل ذلك اليوم

ميرغنى : اجل لقد حكى لى حنفى انه فعل الافاعيل يومذاك

ام حنفى : اى والله يا استاذ لا ادرى كيف يتركون مثله هكذا وهو مجنون شرس

ابو حنفى : ياستى ربما يعود له عقله لو عادت اليه امرأته

ام حنفى : واين إمرأته الآن ؟ لا أحد يعرف طريقها

حنفى : لابد انك تعرف طريقها يا أبه !

ابو حنفى : ماذا تقول يا حنفى ؟

حنفى : الست ام عصام لا تكتم عنك شيئا فلابد انهما اخبرتك بمكانها

ام حنفى : صحيح يا ابا حنفى ؟ الا تخبرنا يا رجل ؟

حنفى : لا تخف يا أبى اننا أمناء على السر

ميرغنى : لا حق لك يا حنفى أن تحرج والدك هذا الاحراج قريبا ...

ابو حنفى : كلا لا احراج بتاتا يا أستاذ ميرغنى .. سأخبركم بكل شيء انها الآن فى جاردن سيتى حيث أنزلتها الست محسنة فى منزل شقيقها هناك

حنفى : وماذا تقول يا أبى ان قلت لها انى رأيتها فى مكان آخر ؟

ابو حنفى : أين ؟

حنفى : عند الست محسنة هنا فى هذا البيت

ابو حنفى : عند الست محسنة هنا فى هذا البيت

ابو حنفى : متى رأيت ؟

حنفى : اليوم صباحا وانا خارج !

ابو حنفى : اكتم هذا الخبر اذن ولا تحكه لأحد وانت ايضا يا ام لسان اياك أن تغضبى الست محسنة على

ام حنفى : يا خرابى ! أليس هو ذاك الواقف هنـاك على السور ؟

حنفى : يخرب بيته ! كيف نط ؟! انه قادم الينا !

ام حنفى : وماذا نصنع الآن ؟ أنا خائفة

ابو حنفى : لا تخافى لن يمسنا بسوء اذا لاينّاه وأخـذنا بخاطره

ابو حنفى : انظروا .. باب البرندة تغلق .. لابد انهم رأوه حين نط من السور

(يظهر الدكتور نجم وهو فى هيئة رثة أشعث الغبر سيء الهندام ويقترب من الجلوس)

نجم : لماذا لم تفتحوا لى الباب ؟

ابو حنفى : ما كنا نعلم انك تريد أن تدخل

نجم : كيف هـذا ؟ لقد كنت انادى باعلى صوتى يا اسطى حنفى .. اسطى حنفى !

ابو حنفى : هل فيكم يا جماعة من سمع صوته ؟

الجميع : لا لا أحد منا سمع

نجم : الم تسمعوا اوبن ذى دور ! اوبن ذى دور ؟

ابو حنفى : ها صحت انت بالانجليزية يا دكتور فلم يفهمك أحد

نجم : باد باد باد كواء محترم مثلك لايعرف الانجليزية؟ مخرج محترم مثلك لا يعرف الانجليزية ! ممثل محترم مثلك لا يعرف الانجليزية ام حنفى محترمة مثلك لا تعرف الانجليزية ؟ مصيبة كارثة..لكن الذنب ليس ذنبكم .. هذا ذنب الانجليز انفسهم .. الله يخرب بيتهم البعداء .. قولوا معى الله يخرب بيتهم !

الجميع : الله يخرب بيتهم !

نجم : الخائبين المغفلين الهبل !

ميرغنى : الانجليز هبل ؟

نجم : أكبر هبل فى الدنيا

ميرغنى : كلا يا دكتـور . نحن فى هـذا مختلفون معك الانجليز ليسـوا هبلا انهم أكبر مكارين فى الارض

نجم : لو لم يكونوا هبلا لما كانوا رحماء بهذه الدرجة

الجميع : رحماء ؟ الانجليز رحماء ؟

نجم : معلوم انظروا الى الفرق بين الفتح الانجليزى والغزو العربى لمصر

ميرغنى : انت عكست الآية يا دكتور . قصدك الغـزو الانجليزى والفتح العربى

نجم : (فى تحمس شديد) كلا .. انا ما عكست الآية لهـذا اسمى مجيء العرب الى مصر غزوا لانهم فرضوا لغتهم عليها واسمى مجيء الانجليز فتحا لأنهم لم يفرضوا لغتهم عليها بل تركوا لغتها كما هى .. الله يخرب بيوتهم ! لولا هبلهم هـذا لكانوا خلصونا من هذه المصيبة التى نحن فيها والآن لكنا اليوم ضمن أمم الكومنولث !!

ميرغنى : اوتظن يا دكتور انهم كانوا يقدرون أن يفرضوا لغتهم علينا ؟

نجم : ولم لا ؟ لقد كانوا اقوياء وكانت امبراطوريتهم لا تغرب عنها الشمس ومكثوا فى مصر لا سنة او سنتين بل سبعين سنة !

(يهم ميرغنى ان يشتد عليه فرشير له ابو حنفى أن يرفق به)

ابو حنفى : طيب اقعد يا دكتور . خذ اشرب الشاى

نجـــم : (يجلس ويحتسي الشاي) خبرني لماذا تسقيني الشاي ؟

ابو حنـــفي : لأني احبك يا دكتور

نجـــم : لا تضحك على عقلي اني اعرفك جيدا انك تحبنها على !

ابو حنـــفي : أحبيء من يا دكتور ؟

نجـــم : الخائنة

ابو حنـــفي : تعني من ؟

نجـــم : أتريد ان تتغابي ؟ الا تعرفها ؟ امرأتي ليليان.. مدام نجم

ابو حنـــفي : استغفر الله لماذا اخبئها عليك يا دكتور ؟

نجـــم : ألست انت بعربي ؟

ابو حنـــفي : الحمد لله .. عربي ومسلم

نجـــم : لابد اذن أن كلامها اعجبك .. انها تزعم أن اللغة العربية هي أكمل اللغات كلها على الاطلاق

ابو حنـــفي : أليست هي انجليزية يا دكتور ؟

نجـــم : انجليزية فقط ؟ ابوها انجليزي وامها فرنسية وجدتها ايطالية واعمامها امريكان اين أجد اكثر منها بعدا عن جنس العرب ؟

ابو حنـــفي : اذن فغير معقول يا دكتور ان يكون رأيها جديدا في لغتنا العربية

نجـــم : غير معقول ولكن هذا الذي حصل . لقد الفت كتابا في هذا الموضوع ونشرته في لندن

ابو حنـــفي : الآن استطيع ان افسر ذلك

نجـــم : كيف ؟

ابو حنـــفي : انها احبتك يا دكتور فاحبت لغتك !

نجـــم : (يستشيط غضبا) من قال لك انها لغتي ؟ انها ليست لغتي .. انا منها غريب وهي عني غريبة!

ابو حنـــفي : طيب طيب لا تغضب

نجـــم : حذار أن تعود لمثلها ! سامع ؟

ابو حنـــفي : سامع يا دكتور

نجـــم : قل لي أين هي الآن ؟

ابو حنـــفي : من أين اعرف يا دكتور ؟

نجـــم : يا خبيث ! الك تعرف انها في بيت ابي الديوك اليس كذلك ؟

ابو حنـــفي : الم يجيء رجال الشرطة يوما وفتشوا بيت ابي الديوك والربع كله ؟

نجـــم : لكني سمعت اليوم انها موجودة في بيت ابي الديوك .. اخبرني بذلك أحد أصدقاء أبي الديوك نفسه

مـــيرغني : وما دخلنا نحن في هذا الموضوع يا دكتور ؟

نجـــم : اريد ان اتأكد منكم لعلكم تحتبزها وحده في البرندة او مطلة من الشباك

ابو حنـــفي : كلا لا احد منا لمحها يا دكتور

نجـــم : انت لم ترها يا ابا حنفي ؟

ابو حنـــفي : لا

نجـــم : (لحنفي) وانت ؟

حنـــفي : ولا انا

نجـــم : ولا انت يا استاذ ميرغني ؟

مـــيرغني : ولا انا

نجـــم : ولا انت يا ام حنفي ؟

ام حنـــفي : ولا انا يا دكتور

نجـــم : (يعتريه اسى شديد وكأنه نسي ما حوله ومن حوله فسار ناحية البراندة وهو يقول بصوت يخالطه البكاء) أين اذن ذلك يا ليليان ؟ أين ياحبيبتي اراضيك ؟ لماذا هربت مني ؟ اني احبك اني اعبدك .. امن جراء السكين التي شهرتها عليك تلك الليلة ؟.. كان ذلك على سبيل المزاح. قسما بحياتك اني لأذبح نفسي قبل ان اذبحك (يصعد الى البرندة) يا سلام ! كنت جالسا معها في هذه البرندة .. انا هنا وهي هنا .. كنا في منتهى السعادة . (كأنه ينتبه من غفلته) الله ؟ لماذا تركتهم هناك وجئت هنا ؟ ماذا عساهم يقولون عني ؟ مجنون ؟ (يعود الى حيث كان مع ابي حنفي ورفاقه) حذار ان تظنوا بي الظنون يا جماعة ! انما سرح بي الخيال قليلا فتذكرت جلستي مع ليليان ذات ليلة في هذه البرندة .. كانت جلسة حلوة في حفلة رائعة ! اظن انك كنت معنا يا استاذ ميرغني تلك الليلة؟ سمعت ماذا قلت لك ؟

مـــيرغني : اجل يا دكتور

نجـــم : اتذكر اذ اعطوك تلك المسرحية التافهة التي سموها مسرحية الموسم ؟ (يضحك)

مـــيرغني : تلك بلية لا يمكن ان تنسى

نجـــم : افرح اليوم وانبسط .. ها هو ذا ربنا قد انتقم لك منهم .. هذا بلغوم قد انبلع (يضحك ضحكة عالية ويضحك الآخرون)

(ينفتح باب البرندة ويظهر عصام ومعه ليليان وتظهر محسنة كأنها تريد أن تثنيها عن الذهاب ولكن ليليان تصر عليه فتتركها محسنة وتومىء لابنها عصام كأنها توصيه أن يحافظ على ليليان)

(يتطلع نجم كالذاهل وترتسم في وجهه مشاعر متضاربة ويستولي الدهش على الآخرين كأنهم لا يصدقون ما يرون)

ابو حنـــفي : (يقطع الصمت) الحمد لله .. ها هي ذي قد جاءت الى حيث تكون يا دكتور نجم .. سيعود احدكما الى الآخر كما كنتما من قبل واحسن اتسمعني يا دكتور ؟

نجـــم : (كأنما ينتبه من غفلته) هه

ابو حنـــفي : سمعت ماذا قلت لك ؟

نجـــم : نعم نعم

ابو حنـــفي : انها مسكينة يا دكتور .. غريبة ليس لها غيرك

نجـــم : الدكتور حسني المؤيد ترجم كتابها ! وقد ظهر الكتاب في السوق . (يحملق نحوها وهي مقبلة مع عصام) ترى متى رأى الكتاب ومتى رآها هي؟

ليليـــان : (على كتب منـــه) هالو دارلنج .. هاو آر يو دارلنج .

نجـــم : (ساخرا) هالو دارلنج .. هاو آر يو دارلنج؟

ليليـــان : يوبترلاو ؟

نجـــم : أين كنت ؟ عند الدكتور حسني المؤيد ؟

ليليـــان : ان كنت تريد أن تعـــود لجنونك فاني ساعطى واتركك

نجـــم : لكني لن أدعك تمضين يا خائنة ! (يخرج خنجرا من وسطه ويحاول الانقضاض عليها فيدفعه عصام عنها ويحيط به حنفي ومبرغتي وأبوحنفي فينتزعون منه الخنجر ويمسكونه وهو يحاول التملص منهم) دعوني دعوني أقضي عليها !

(يطلقونه حينما رأوا عصام وليليان قد دخلا باب البرندة وأغلقاه . ينطلق حتى يصـــعد البرندة ويهز الباب هزا بكل قوته)

نجـــم : أفتحوا الباب والا كسرته .. أفتحوا خيرا لكم . يا أبا الديوك ! يا أبا الديوك ! بأي حق تأخذ امرأتي ؟ ما شأنك بها ؟ كيف تخبئها في بيتك ، (يبرز وجها أبي الديوك وصلصل من شـــباك فوق البرندة)

ابو الديوك : الا تكف عن الصياح والسباب ؟

نجـــم : افتح يا ضلال .. اعطني امرأتي !

ابو الديوك : كفى يا مجرم !

نجـــم : أنت المجرم !

ابو الديوك : لأسوقنك الى السجن ! لأدعون لك البوليس !

نجـــم : دع البوليس يحضر ليقبض على امرأتي النـــاشز الهاربة من بيت الزوجية . لن اعاملها كزوجة بعد اليوم .. لأعاملنها كجارية لأحبسنها في البيت ولا أدعها تخرج أبدا .. اين تظن نفســها ؟ في بيكاديلي ؟!

ابو الديوك : كفى يا مجنون .. سأجعلهم يسوقونك الى المستشفى المجانين

نجـــم : (يستشيط غضبا فيهبط الى الحوش لكي يرى الشباك الذي يطل منه أبوالديوك) أنت وصلصل؟! الأخطبوط عندك ؟ طيب خذ أنت وهو (يلتقط بعض الطوب فيقذف به الشباك) لأريحن البلد منكم يا كذابون .. يا نصابون .. خذوا خذوا (يغلق أبو الديوك الشباك ولكن نجم استمر في قذفه بالطوب) كذابون نصابون ظللتم تتاجرون بالمبادىء حتى افلستم وبنيتم العمارات .. سميتم أنفسكم شيوعيين .. كذب .. شعوبيين كذب .. اشتراكيين كذب .. تقدميين كذب .. يساريين كذب كذب .. أنتم تجار فشاشـــون .. أنتم مؤســـة احتكارية قانونها سرى له جلد أحمر !

(يقترب منه أبو حنفي فيلاطفه حتى استطاع أن يعود الى مجلسه أمام البدروم)

نجـــم : (وقد هدأ واستكان) خلاص .. يا أبا حنفي .. ما بقي لنا عيش في هذا البلد !

ابو حنـــفي : لم يا دكتور ؟

نجـــم : كلهم متواطئون علي

ابو حنـــفي : من تعني ؟

نجـــم : امرأتي وأبو الديوك وصلصل وحسني المؤيد كلهم كلهم

ابو حنـــفي : وما الذي يدعوهم الى التواطؤ عليك ؟

نجـــم : الم تقرأوا الجرائد اليوم ؟

مـــبرغتي : بلى قرأناها

نجـــم : أرأيتم كيف وافقت الحكومة على ذلك المشروع الهدام

حنـــفي : أي مشروع يا دكتور ؟

نجـــم : المشروع الذي قدمه حسني المؤيد

مـــبرغتي : هذا المشروع عظيم جدا يادكتور من أجل أن تتنور الجماهير وترقى ويتوحد اللسان في البلادالعربية بقميص النوم

نجـــم : ومن قال لك اننا نريد لساننا أن يتوحد ؟ كلا بل نريد أن نكون مثل الشعوب الاوربية الراقية .. فرنسا لها لغة واسبانيا لها لغة وايطاليا لها لغة فلم لا تكون للمصريين لغة ؟ وللسوريين لغة وللعراقيين لغة ولكل بلد في البلاد العربية لغة

مـــبرغتي : ان معنى هذا يا دكتور أن اللغة العربية تموت

نجـــم : لتمت يا أخي .. ما يمنعها ان تموت ؟ ليست خيرا من اللغة اللاتينية .. يكفيها ما عاشت . لقد عاشت أكثر من ألف وخمسمائة عام . أتريد أن تنهب ؟ دعها يا أخي تغور لنتخذ لنـــا لغة أخرى جديدة !

حنـــفي : لكنا يا دكتور لا نريد بلغتنا بديلا

نجـــم : عبيد عبيد لم ينضجوا بعد لتحطيم أغلالهم !

مـــبرغتي : يخيل الي يا دكتور انك لم تقرأ البحث الذي كتبه الدكتور حسني المؤيد في هذا الموضوع

نجـــم : ولماذا أقرؤه ؟ ان فكرته مسروقة من الكتاب الذي ألفته امرأتي الخائنة ! هو الذي ترجم لها هـــذا الكتاب من الانجليزية الى العربية . أواه .. أنا كنت السبب .. أنا الذي جلبت لنفسي هـــذه

الصبية · كنت أريد أن الخبط اليقبقان فيفبقت اللخيطان

ميرغني : ماذا تقصد يا دكتور ؟

نجم : كنت أريد أن أبقبق اللخيطان فلخبطت اليقبقان

حنفي : انت قلبتها يا دكتور

نجم : كنت أريد أن الخبط اليقبقان فيقبقت اللخيطان

ميرغني : هذا كلام غير مفهوم يا دكتور

نجم : كنت أريد أن أبقبق اللخيطان فلخبطت اليقبقان

حنفي : الله ! قلبتها مرة أخرى يا دكتور

نجم : كنت أريد أن الخبط اليقبقان فيقبقت اللخيطان (يتداعى باكيا)

ابو حنفي : (يتلقى رأسه في حجره ويواسيه) خلاص · فهمنا يا دكتور · فهمنا يا سيدي · اهدأ الآن واسترح · صبي له فنجان شاي يا أم حنفي (يشير الى ميرغني وحنفي أن يتركاه ولا يزعجاه) خذ يا حبيبي اشرب الشاي

(يشرب نجم الشاي وأبو حنفي يجفف دموعه بمنديله)

نجم : متشكر يا أبا حنفي ·· أنت الوحيد الذي أستطيع أن أثق به في هذا البلد ·· لا شك أن أصلك من بلد آخر ·

ابو حنفي : من بلد آخر ؟ كلا اني من هذا البلد أبا عن جد

نجم : اذن فمثلك لا يستحقه هذا البلد بل لا تستحقه هذه المنطقة كلها من الخليج الى المحيط كما يقولون

ابو حنفي : لماذا يا دكتور ؟ لماذا ؟

نجم : لأنها منطقة موبوءة

ابو حنفي : موبوءة ؟

نجم : أجل لقد سرى فيها الوباء وتغلغل حتى أصبح خلاصها منه مستحيلا أو كالمستحيل · حتى ماضيها تلطخ وتدنس !

ابو حنفي : ماضيها تلطخ وتدنس ؟ كيف يا دكتور ؟

نجم : أتعرف رمسيس الثاني ؟

ابو حنفي : (كالمتعجب) رمسيس الثاني ؟

نجم : نعم الفرعون المشهور

ابو حنفي : الذي تمثاله في ميدان المحطة ؟

نجم : هو بعينه ·· والبلاد · لو لم يرني ذلك الشرطي تلك الليلة لحطمته تحطيما !

ابو حنفي : لم افهم ماذا تريد أن تقول

نجم : ان رمسيس هذا الذي كنا نبلغ به السماء ونفاخر به أمم الغبراء اتضح أنه خاين غشاش حقير لا قيمة له

ابو حنفي : ما هذا الذي تقول ؟

ميرغني : لعل الدكتور يقصد أنه كان كما يقول بعض المؤرخين ـ يسطو على آثار غيره من الفراعنة السابقين فينسبها الى نفسه بأن يمحوا أسماءهم منها ويضع مكانها اسمه

نجم : لا لا يا أستاذ ·· تلك سرقة صغيرة أمرها هين

ميرغني : فماذا تقصد اذن ؟

نجم : جريمة أكبر من ذلك بكثير ·· الخيانة الكبرى !

الثلاثة : ما هي ؟

نجم : لقد استعرب هو الآخر !

ابو حنفي : استعرب ؟ ماذا تعني ؟

نجم : انتسب الى العرب !

ميرغني : أين وجدت ذلك يا دكتور ·· في أي كتاب ؟

نجم : كتاب ؟ هو الذي قال لي ذلك بنفسه !

الثلاثة : من هو ؟

نجم : رمسيس الثاني

(يحركون رؤوسهم متعجبين في شفقة ورثاء)

نجم : ما خطبكم ؟ لم تصدقوني ؟

ابو حنفي : بل يا دكتور أنت عندنا مصدق ولكن ماذا قال لك رمسيس ؟

نجم : سأقص عليكم حكايتي معه · اشتركت مع بعض أصحابي ليلة رأس السنة في الحفلة التنكرية التي أقيمت في قاعة أخناتون يهلعون واذا نحن برمسيس الثاني وحمورابي وفينيق وهانيبال وأبطال آخرين من كل مكان وكل زمان وكان معي من الرفاق نهاوند من العراق وأدونيس من سوريا وسعيد عقل من لبنان ويوسف الصايغ من فلسطين فقلنا هذه فرصة ذهبية أتيحت لنا لنقابل آباءنا الحقيقيين عسى أن يباركوا حركتنا ويخرجوا معنا للجهاد في شعوبنا وبلادنا ·· فذهبت أنا لرمسيس وذهب أدونيس وسعيد عقل لفينيق وذهب نهاوند لحمورابي

ميرغني : جميل جميل ·· كل واحد منكم راح لجده

نجم : نعم ولكن (يلطم خديه بأصابع كفيه كما تفعل النادبات)

الثلاثة : لكن ماذا ؟

نجم : أتدرون ماذا حصل ؟

الثلاثة : ماذا حصل ؟

نجم : ماكدنا نحدثهم عن فكرتنا حتى هاجوا وماجوا وتفلوا في وجوهنا وأوسعونا ضربا بالأيدي وركلا بالأرجل وهم يصيحون لنذبحنكم يا شعوبيون ! لنشربن من دمكم ! فما أنجانا منهم الا الفرار أتعرفون لم كل هذا ؟

الثلاثة : لم ؟

نجم : لأنهم قد أصابتهم العدوى ·· أصبحوا عربا مثلنا فقدوا كينونتهم كما فقدنا كينونتنا ·· لقد سمونا شعوبيين ·· تصوروا ·· حتى كلمة الشعوبيين عرفوها ·· انتقلت اليهم كالوباء · أين تروح

الآن ؟ ماذا نصنع ؟ ما بقى لنا أمل لا فى الماضى ولا فى الحاضر ولا فى المستقبل !

(ينفتح باب البرندة فيظهر أبو الديوك وصلصل وثلاثة من رجال الشرطة)

نجــم : (ينهض فى قوة) اعطنى سكينتى ! اعطنى السكين .. لابد لى أن أقتلها .. أن أشرب من دمها !

ابو حنــفى : صه لايسمعوك

نجــم : فليسمعوا ما شانهم وشانها ؟ انها امراتى وانا حر فيها .

(يقترب الرجال الخمسة)

احد الشرطة : أهذا هو ؟

ابو الديوك : نعم هو هذا

ثانيهم : انى رأيت هذا الشخص من قبل .. ابراهيم . انظر ! هذا الذى تسلمناه انا وأنت من قسم الازبكية

ثالثهم : أجل المجنون الذى عمل له محضر محاولة اعتداء على تمثال رمسيس فى ميدان محطة مصر

ثانيهم : وضمنه شيخ الحارة وطلع ؟

الاول : خيبك الله . الم يعد اليك عقلك بعد !

نجــم : نعم لقد اردت أن اوشوشه . ما شأنكم انتم وشانه ؟ تف فى وجهى ام تف فى وجوهكم ؟ ضربنى وركلنى أم ضربكم وركلكم ؟

الاول : البسوه القميص

(يمسكه الثانى وهو يقاوم حتى يتمكن من الباسه القميص ثم يسوقونه بشىء من العنف نحو باب الخروج من الحوش)

نجــم : اترانى قتلتها وانا لا أشعر ؟ اذن فمرحى يانجم! براڤو عليك ! (تقع عينه على أبى الديوك) كل هـذا بسببك أنت يا رمسيس النحس ! والله ما أنا تاركك لتكونن على يدى أجلك

ابو حنــفى : رح واياهم يا حنفى لعل الدكتور يحتاج الى شىء

مــرغنى : أنا معك يا حنفى . هيا بنا (يخرج هو وحنفى وراء القوم)

(تظهر ليليان على البرندة وهى حزينة والى جانبها محسنة وعصام يواسيانها)

ابو حنــفى : مسكين . عقله راح!

ام حنفى : ومسكينة امرأته

ابو حنــفى : صحيح . ربنا يكون فى عونها !

(يعود أبو الديوك وصلصل متوجهين ناحيــة البرندة فتنسحب ليليان ومحسنة)

ام حنفى : وأبو الديوك هذا ما من شىء يصيبه ؟!

ابو حنــفى : غدا يا أم حنفى يجىء دوره .. أين يروح من عاقبة الظلم ؟

ام حنفى : لكن متى يا سالم متى ؟ بعدما نطرد من الربع ؟

ابو حنــفى : بعد ما نطرد او قبل ما نطرد هذا شىء علمه عند الله يا عنيه

(يختفيان داخل البدروم)

صلصل : ما بالك حزينا هكذا . آسف لما حل بنجم ؟

ابو الديوك : أبدا .. لقد استرحنا منه ومن بلاويه

صلصل : لم اذن هذا التقطيب ؟ أتراك تفكر فى ربع آخر تشتريه !

ابو الديوك : يا أخى انى لم أسدد بعد ثمن هذا الربع

صلصل : اذن فما الذى يشغل بالك ؟

ابو الديوك سيخرجوننى من المسرح يا صلصل !

صلصل : هذه مجرد اشاعة ربما لا يكون لها أصـل ولا فصل

ابو الديوك : أخشى أن تتحقق يا صلصل !

صلصل : افرض انها تحققت البركة فى ديوكنا المنتشرين اليوم فى كل مكان . ان هؤلاء سيجعلونك كأنك ما تزال مسيطرا على المسرح

ابو الديوك : هذا صحيح ولكنى لا أدرى لماذا اشعر بشىء من الخوف الخفى ومن التشاؤم العميق خشية أن يجىء دورى بعد بلعوم والدكتور نجم

صلصل : دع عنك هذا يا محرم .. لا كنت مدير جمعيـة استهلاكية مثل بلعوم . ولا كنت صاحب مبـدأ مثل المجنون نجم .. لا تموين ولا مبـدأ فمم تخاف ؟ هيـا هيـا أرنى ابتسامتك الحلوة (يدغدغه) هيا يا رجل

ابو الديوك : (يتمايل من الدغدغة) أرجوك يا صلصل .. وبعد ياصلصل ؟

صلصل : لابد لى أن أدغدغك !

ابو الديوك : طيب طيب سأبتسم يا صلصل (يبتسم)

صلصل : أجل أجل هكذا يجب أن تكون . هذه الابتسامة الجوكندوية هى سلاحنا فى الأزمات وكذلك اليوجا أوقد نسيت اليوجا ؟ فيم اذن اتعبنا أنفسنا فى تعلمها ؟ (يأخذ بيده فينهض)

ابو الديوك : صلصل .. ماذا تريد ياصلصل ؟

صلصل : هيا بنا نقلب أنفسنا حتى لا يقلبنا أحد !

ابو الديوك : ولكن لنتعود الوقوف على رءوسنا من اليوم

(يضعان رأسيهما على الأرض رافعين رجليهما فى الهواء)

ام حنفى : (تظهر) يا سالم . يا أبا حنفى تعال انظر حالا

ابو حنــفى : (صوته) أنظر ماذا ؟

ام حنفى : يظهر ان أبا الديوك قد جاء دوره .. لقد جن هو وصاحبه !

ابو حنــفى : (يظهر) هذا ليس بجنون يا عنية . هذه هى الشوطة التى تصيب الفراخ !

ام حنفى : الشوطة ؟! الحمد لله . ياما أنت كريم يا رب

صلصل : (يستوى واقفا هو وأبو الديوك) لقد تشقلبنا

ابو الديوك : لن يشقلبنا أحد .

ام حنفى : الله !.. لقد عادت اليهم الروح ؟

ابو حنــفى : كلا كلا . هذه حلاوة روح !

صلصل : هيا بنا نعيدها مرة أخرى

ابو الديوك : مرة أخرى ! (يتقلبان مرة أخرى)

ام حنفى : أى والله صحيح . دى كانت حلاوة روح

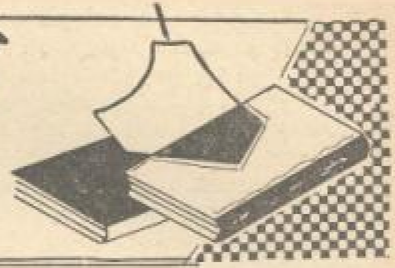
ابو حنفى : الم اقل لك

ام حنفى : (تزغرد)

« ســتار الختام »

« على احمد باكثير »

تعقيبات



بقلم : عباس خضر

مفهوم الأدب الثورى

للثورة فى الادب مفهومان رئيسيان :

أحدهما ثورة الادب على الادب حينما يرى حاملو لوائها عقم الالوان الادبية السائدة وسوء اتجاهها ، أو ركودها وقصورها فى التعبير عن اهتمامات العصر ، واستهلاك طاقتها اما فى الزينة الشكلية والجرى وراء الخيالات البعيدة عن الواقع ، واما فى مواكبة القوى المسيطرة المعادية للتحرر والتقدم .

والمفهوم الآخر للثورة فى الادب هو التعبير عن الثورة السياسية سواء فى التمهيدلها واثارتها ، أو فى تعزيزها ومتابعة خطواتها فى تحقيق ما قامت له من أهداف قومية واجتماعية واضاءة طريقها وتعميقها فى النفوس .

ولننظر بعد فى المفهوم الاول ، لنرى هل نشأ أدب ثورى على مقتضاه فى حياة العرب الثورية التحررية التى كان فجرها يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ والتى لاتزال فى نموها المطرد ؟

أو نسأل بشكل آخر : هل لابست هذه الثورة أسباب فنية تدعو الى أن يثور أدب جديد على الادب السائد ، أو أن ما حدث انما هو تطور اقتضته طبيعة الاحداث والتحولات فى الحياة العربية الجديدة ؟

لكى ندرك ذلك ، أو لكى نسلط عليه ضوءا كاشفا نستطيع أن نتبين على هداه حقيقة الامر ، يحسن أن نعود قليلا الى أوائل النهضة الادبية العربية فى العصر الحديث .

كان الادب غارقا فى الحلى وأثواب الزينة وكان هم الادباء وقصاراهم أن يحاكوا القدماء لافى تعبيراتهم وتراكيبهم اللغوية فحسب ، بل كذلك فى معانيهم وخواطرهم ، وكانت أثقال الزينة والتقليد تعوق الادباء عن الحركة فى الحياة الواقعة والتعبير عنها بجد وصدق .

وثارت على ذلك الاتجاه (الكلاسيكى) مدرسة أخرى هى ما سميت بمدرسة الابتداع (الرومانسية) تأثرا بالاصل فى أدب الغرب

وكان مبعث هذه الثورة الرومانسية شعور الفرد بالتميز مع شعوره بالضياع والغربة ازاء مجتمع غارق فى الظلام مغلوب على أمره ، لا يرى الاديب فيه متنفسا الا فى الخيالات واجترار الآلام الفردية ، فيدفعه اليأس منه الى أجواء بعيدة عنه ، **لم يستطع ان يتلاءم معه فاغترب عنه .**

ولكن فريقا آخر ثار ثورة أخرى ، تأثرت هى ايضا بالاتجاهات الغربية ، ولكن فى الشكل دون المضمون . أحس هذا الفريق بعوامل الضياع فى البيئة كما أحس بها فى نفسه ، فلم يفصل بين آلامه وجروح المجتمع ، ورأى فى الوقت نفسه ألوانا من الآداب الاجنبية تدنبط ببيئتها وتلتصق بانسانها العادى فتصور وتعبر عن الواقع الملموس ويأتى تعبيرها نابضا بما فى صميم الحياة من انتفاض أو ثورة على الركود .

هذا الفريق هو فريق الواقعية الادبية ، وهو ما سمى فى النصف الاول من القرن العشرين بالمدرسة الحديثة ، **ويتلخص مذهب هذه المدرسة فى استعارة الشكل الادبى الغربى لمضمون عربى قومى** ، وكان الشكل هو البناء القصصى بأنواعه ... القصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية . **والمضمون يتركز**

عند ابراز الشخصية العربية وتصوير البيئة العربية، والتعبير عن الانسان العربي بمشكلاته وتطلعاته ، ولم يظفر الشعر بتصيب كبير من هذا الاتجاه لافي الشكل ولا في المضمون .

كانت الواقعية اذن في نهضتنا الادبية الاولى أوائل هذا القرن هي الثورة الادبية المغيرة (بتشديد الياء وكسرها) التي ثارت على الكلاسيكية متمثلة في العكوف على القديم واستهلاك الطاقة في محاكاة أساليبه وزخارفه وتراكيبه ، وعلى الرومانسية متمثلة في سوء اختيار ما يترجم الى العربية وفي ما يحاكي نماذجها الغربية المتقهقرة أمام زحف الواقعية في مواطنها ، وكانت تلك الثورة اساس التغيرات التي استمرت واتصلت بوقتنا الحاضر ، وان كانت قد تعرضت في سيرها الطويل لموجات من المد والجزر ، كان ابرزها عودة الرومانسية الى الظهور أو الاستشراء ، فانها لم تختف تماما في الفترة التي اعقبت الانتكاسات الوطنية وطغيان المستبدين من أنصار الغزاة المحتلين ، مما جعل بعض الادباء يستأنفون الهرب من الواقع المؤلم الى الخيالات البعيدة ، وبعضهم وجد في التاريخ ملاذا اما للاستيحاء المطلق أو محاولة الربط بالحاضر والايماء اليه .

فلما كانت الثورة الاخيرة ـ سواء بعد انفجارها في ٢٣ يوليو او في حالة كونها جنينا قبل ذلك ـ اتسعت رقعة الواقع وانحسرت موجة الهرب والخشية منه .

وهذا يصلنا الى المفهوم الثاني للادب الثوري وهو ـ كما سبق ـ التعبير عن الثورة السياسية وما يلابسها من اهداف قومية واجتماعية واضاءة طريقها وتعميقها في النفوس .

لما كانت الثورة جنينا لم يتخل الادب عن رعاية الجنين بل غذاه بوسائل مختلفة ، منها اعمال تشريحية تومىء مثل قصص نجيب محفوظ التي تنتهي بالثلاثية المشهورة ، ومنها نقد صريح في بناء أدبي مثل الذي كتبه يوسف السباعي في قصة « أرض النفاق » ومسرحية « وراء الستار » وقصص قصيرة كثيرة ، وصور فيه بصفة خاصة مهازل الاحزاب السياسية والانتخابات والصحافة . وفعل عبد الرحمن الشرقاوي مثل ذلك في رواية «الارض» ولجأ علي احمد باكثير الى الرمز في مسرحية « مسمار جحا » اذ شبه بهذا المسمار ما كان يتذرع به الاستعمار في البقاء .

وشارك الشعر بكثير من القصائد ، ونجد التزام الشعر بالاهداف القومية في العراق أقوى وأغزر .

وفي أعقاب انفجار الثورة انطلق الادب من عقاله، وشارك في الثورة على الاوضاع القديمة وظفر باعمال كبيرة عنيت بتصوير الجو الذي نبتت فيه الثورة وبيان حتميتها عن طريق التجسيد الادبي .

من تلك الاعمال رواية « انا الشعب » لفريد ابو حديد ، ورواية « الشارع الجديد » لعبد الحميد جودة السحار ، ورواية (رد قلبي) ليوسف السباعي ، ورواية (شيء في صدري) لاحسان عبد القدوس ، ومسرحية (الصفقة) لتوفيق الحكيم ، و (المزيفون) لمحمود تيمور .

والواقع أن الكتاب القصصيين عنوا بتصوير ما كان قبل الثورة من آثار الاستعمار في فساد الحكم واستغلال النفوذ وسوء التوزيع اكثر مما اهتموا بما بعدها من انجازات قومية واجتماعية ومن تأثير هذه الانجازات في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وصراعاتها وتطوراتها .

ومن القصص التي تناولت أحداث ما بعد الثورة او ما بعد انفجارها ـ فالثورة متجددة ولا تزال قائمة ـ عدد من الروايات ليوسف السباعي عنى فيها بتاريخ مراحلها ، منها (نادية) و (جفت الدموع) و (ليل له آخر) ، ورواية نجيب محفوظ « السمان والخريف » ورواية « لاشيء يهم » لاحسان عبدالقدوس ورواية « أصابعنا التي تحترق » للدكتور سهيل ادريس .

ولعل مشاركة الشعر في هذا المجال أكبر وخاصة شعر الاغاني ، فقد دخلت الاغنية المعركة بشكل ناضج في كثير مما قبل ، فحققت ارتقاء مستوى الاغاني الى جانب الوفاء بالاهداف القومية .

وظفرت الثورة من أجل فلسطين وأبنائها المشردين بحظ كبير من اهتمام الشعراء في مختلف البلاد العربية ، سواء منهم من كان من فلسطين أو من سائر بلدان الوطن العربي .

كما ظفرت بورسعيد باهتمام كبير كذلك من جانب الشعراء .

ونستطيع القول بأن محصول الشعر الثوري فيما تلا انفجار الثورة وجهد الشعراء في هذا الميدان أوفر من المحصول القصصي . اما النقد فانه مع الاسف متخلف عن ركب الشعر والقصة لم يستطع ان ينشط بجد واخلاص للاحقته وتتبعه . ومما يلاحظ في هذا الصدد أن اتجاه معظم النقاد في الصحف الى

الكتابة عن العروض المسرحية أكثر من عنايتهم بتناول الكتابة والعمل الادبي المقروء على وجه عام . حتى لقد غدا الكتاب بالنسبة للمسرح شيئا مهملا يولد ولا يحتفى به من جانب النقد ، وان كان يشق طريقه الى القراء دون أن يعوقه اهمال النقاد .

مما تقدم تتبين ان معنى ثورية الادب في هـذه المرحلة الثورية من الحياة العربية يتحقق بالنسبة للمفهوم الثاني للادب الثوري وهو التعبير عن الثورة والمشاركة في تغيير الاوضاع السياسية والاجتماعية، يتحقق في هذا بشكل واضح يرجى أن يتسع ويكون اكثر وفاء بالاهداف والتطلعات اكثر مما فعل حتى الآن .

وفي الاسبوع القادم ـ ان شاء الله ـ نتابع النظر في موقف أدبنا الحاضر من المفهـوم الاول للادب الثوري .



● أعلن **الاستاذ توفيق الحكيم** استنكاره لعملية « ترجمة » مسرحياته ـ عند التمثيل ـ من اللغة العربية الفصيحة الى اللغة العامية . وكتب مسرحيته الجديدة « الورطة » بلغة قال انه حاول بها التقريب بين العامية والفصحى .. الخ .

وتتحرك ازاء ذلك علامات استفهام كي تقف وراء الاسئلة الآتية :

لماذا يوافق الأستاذ على تلك الترجمة ما دام غير راض عنها ؟ هل يرى حقا ان اللغة التي كتب بهـا « الورطة » تحل مشكلة ازدواج اللغة ؟

اذا كانت « دا ودي وده » تصح بدل «دا وذي وذه» فالى اى اصل في الفصحى ترجع كلمة (يوه !) التي تكررت في المسرحية على لسان (شوشو) في مثل قولها : يوه ! دا قعد الليلة يبيع فينا ويشترينا .. ؟

هل مثل هذا التعبير « من الرجـل دا ؟ » يقبله ذوق عامي أو عربي ؟ أليس الذوق اللغوي من دعائم التعبير الفني ؟

اذا سلمنا بان هذه اللغة « الثالثة » حل لمشكلة الازدواج في (ج.ع.م) فماذا عن المشكلة في بقية الوطن العربي ؟

اني لأرى الاستاذ توفيق الحكيم عمل شيئا أكثر من أنه « وفر المبلغ » الذي كان سيأخذه المترجم من الفصحى الى العامية ..

● قرأت أنه تقرر منع استعمال الالفاظ الاجنبية في أي مادة مذاعة وراء الميكرفون أو معروضـة على شاشة التليفزيون ، وجاء في القرار أن في غنى اللغة العربية وثرائها ما يغني عن استعمال الالفـاظ الاجنبية الى جانب أن من مهمة هذين الجهازين اثراء حصيلة المستمع والمشاهد من الفاظ لغة بلاده .

عظيم جدا .. ولكني سمعت بعد ذلك في برنامج « مع النقاد » وهو البرنامج الموجه أو المفروض أنه موجه للادب والادباء ـ سمعت بعض النقاد يردد كلمة « التكنيك » أكثر من مرة ..

اقترح ان ينشيء البرنامج الثاني للاذاعة فصلا لتعليم نقاده اللغة العربيـة .. أو تنشيء الدولة للبرنامج نفسه فصلا يتعلم فيه لغة البلاد التي يمثل فيها قمة ثقافية !

❊ سكتت صحافتنا عن مؤتمر الادباء العرب الذي عقد ببغداد في الشهر الماضي ، ومما جـرى « وراء الكواليس » أن محررا باحدى الصـحف الكبيرة أعد تحقيقا عن المؤتمر ، وعرضه على المشرف على المـادة الثقافية في الصحيفة ، فقال المشرف للمحرر :

اكتبه من جديد . هاجم المؤتمر ..

ـ لماذا ؟

ـ لأنه لم يمثل أدباء البلد ..

سكت المحرر الشاب وعلى وجهه علامة استفهام ، فقال المشرف :

ـ الست انا من أدباء البلد .. ؟ لماذا لم ادع ؟!

ولم ينشر التحقيق ..

هل كان معقـولا ان يذهب كل ادباء البلد الى المؤتمر ؟ .

● في الوقت الذي ترفض فيه الصحف أن تنشر شيئا عن مؤتمر الادباء نراها تخصص أربع صفحات للالعاب الرياضية في العدد الواحد .. ونرى كتابها مشغولين جدا .. بالمقـارنة بين « انت عمري » و « أنت الحب » ولكل من الاغنيتين أنصار يدافعون عنها ويحمون حماها ..

● قال سكرتير اتحاد الطلاب العـالمي في ندوة فلسطين العالمية : ان اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلاب قررت اعتبار يوم ٢١ فبراير من كل عام عيدا عالميا للطلاب ، مشاركة منه لكفاح الطلبة المصريين الذين ناضلوا في هذا اليوم ضد معاهدة صدقي ـ بيفن .

« **عباس خضر** »

حول الأدب الزنجى



بقلم عبده بدوى

حول شعر السود فى امريكا

يحس الشاعر الاسود فى امريكا بالتفرقة العنصرية احساسا حادا لانه يرى نفسه محاصرا بعالم يضغط عليه ، ويحملق فيه باحتقار .. وهو يرى هذا الاحتقار فى كل مكان يتوجه اليه ، فللبيض حق الاعتداء عليه ، وحق طرده من اى مكان لا يرغبون فيه أن يروا وجهه ، وحق حصاره فى أماكن بعينها للسكنى ، ثم أخيرا حق اهدار انسانيته فى بعض المناطق باللافتات التى يكتب عليها أن الزنجى والكلب يحرم عليهما دخول هذا المكان .

فالشاعر هناك لايسند حزنه الى أغلبية سوداء ، ويرى نفسه مضطرا الى أن يكون على خلاف مع الحضارة الامريكية ، والى أن يحس بالمتناقضات — احساسا مرهفا — التى تسود المجتمع هناك ، والتى يرى نفسه صريعا لبعض هذه المتناقضات ، ويرى انه يحملها كلها على ظهره حتى ولو ضحك أو غنى أو لامس النجوم .

ولعل هذا هو الذى يحزنه ، ويصرفه الى التأمل فى أعماقه ، والى التنقيب فى ماضيه ، ثم يجعله فى الغالب صورة ملموسة للقلق والتمزق والغضب .

فهو قد يتأمل حياته كما فعل « **جورج هورتون** » فيرى انه عاش حياة ذليلة مجروحة ، وحينئذ لايملك الا أن يتوجه بالعتاب الى السماء ، ثم يتمنى الموت لانه لن يعانق اطمئنانه النفسى الا فى القبر .

وقد يقدم للقارىء صفحته كما فعل « **جوزيف سيمون كوتر** » فيذكر انه لا يعتدى على احد ومع ذلك يعتدى الناس عليه ، ثم يذرف فى نهاية القصيدة دمعة تقول :

وأنت يا أخى ماذا تقول للاله ؟

وقد يقارن الشاعر بين أيام الانسان فى افريقية وبين الايام التى يعيشها فى امريكا مصورا الطريقة التى انتزع بها من صدر أمه الافريقية ، ومع أن السلاسل رفعت من يديه الا تلك الرائحة القديمة ما زالت تقيده هى الاخرى بالحب .

وقد يتحدث عن الحرية حديثا حزينا يكسر القلب، ويرهق الروح كما فى شعر الشاعرة «**فرانسس الن هارير**» التى تقول :

« احفر لى قبرا فى اى مكان شئت
فى السهل الممتد أو فوق الربوة المرتفعة
احفره فى أية أرض حقيرة
ولكن لا تحفره فى أرض تحمل عبيدا
فلن تكون لى راحة فى قبرى

اذا كنت ساسمع خطى لعبيد مذعورين
فان الظل اذا ارتسم لواحد منهم على قبرى
سيحوله الى مكان مخيف !

وقد يذكر الشاعر أنه يحس انه يعيش مرتين : مرة لنفسه ، ومرة للبيض من حوله لان الحياة تجبره على مثل هذا السلوك ٠

وقد يتحول الى انسان حاقد يتمنى حين يرى القطار ذاهبا الى الشرق ، ان ينقلب هذا القطار ، وان يموت السائق ٠

وقد يرد على تجمع البيض بتجمع السود هادفا من وراء هذا الى أنه يجب أن يكون هناك تضامن عام بين السود كما فى قول الشاعر « **كارلوس سانت لوبس** » :

انا أحب الزنجى
فكل ما هو زنجى هو قطعة منى
فانه وان يكن حمال أثقال
وانه وان يكن من العبيد
الا انى أحبه ٠ أحب كل زنجى
ففى عذابه عذابى

وقد ينقد الشاعر وضعا اجتماعيا فيرد على القوانين التى تحتم بالا يستخدام واحد منهم فى سلك الطيران والبحرية ، الا فى وضع الخادم ، ومن هنا تكون تلك الصرخة التى تقول بأن من حق كل الناس ان يطيروا وان يحدقوا فى أمواج البحر ، ما عدا الاسود ، ومن الطبيعى ان نظرة الخادم الى الجو والى البحر تختلف تماما عن نظرة السيد ٠:

ورغم كل هذا الحزن فاننا نعثر بجهد على بعض الشعراء الذين تصالحوا مع مجتمعهم ، والذين ارتفعوا بالمشكلة الى آفاق انسانية رحبة ، كما فى قصيدة الحرية والسلام للشاعرة « **فيليس ويتلى** » التى تقول فيها :

ها هى الحرية قد أقبلت
اقبلت كما تنبأت آلهة الشعر الواثقة
أقبلت تمشى فى جمال ووقار
يكلل شعرها الذهبى الزيتون وورق الغار

كما نرى هذا السلام النفسى فى قول **ويتشاورد رايت** ٠

اننى أسود
وقد رأيت قبضات سودا
ترتفع ثائرة وقوية
الى جانب قبضات أخرى لعمال بيض
وسيأتى يوم
هو كل ما أعيش لأجله
يوم تلتقى فيه الملايين بالملايين
من خلال هذه القبضات السود

والى جانب هذا نرى بعض الشعراء تتمثل ماساتهم فى التعبير عن الانحلال الجنسى ، أو التحمس الهستيرى للدين ٠

ومهما يكن من شىء فالنقطة المضيئة فى هذا الشعر هى روح المقاومة العنيدة لبقاء الانسان الاسود رغم ما يلاقى من هوان ، فهم على حد تعبير « **جان تومر** » كالخوخ الناضج قد يسقط كله ويضيع ، ولكن لا بد أن تبقى «نواة» ، واحدة من كل هذا الخوخ تستعصى على الموت والنسيان ،ومن ثم تعود من جديدجذرا وساقا وأوراقا وثمارا ٠

٠٠ ان بعض النقاد يؤكد أن هذه المرارة من الشعر ستختفى ، بل انها آخذة فى الاختفاء ، ولكن الذى لا شك فيه انها عبرت بصدق عن أزمة الانسان الأسود ، وعن تحدى الحضارة البيضاء له ، وعن أن هذا الانسان قد سجل هو الآخر تحديه لهذه الحضارة ، وأنه ــ وعيناه على افريقية ــ يطمع فى أن ينطلق برؤية جديدة ترتكز فى أول الأمر على الحضارة الافريقية ، التى شوهت فى الماضى ، والتى تقدم الآن بحذر وخوف ، كان فى اضافة حضارة جديدة مايؤرق الحضارتين اللتين تتنازعان العالم اليوم ٠

حول التراث العربى

لو سالنى أحد لماذا وقع قلمك على هذه المختارات لما ترددت فى أن أقول : ان مابهرنى منها هو أنى لم اسمع فيها صوتا ناحلا وحيدا هو صوت الشاعر فقط ، وانما سمعت عدة أصوات متداخلة ، لعل صورة « العازف المنفرد » تقربها منا ، فهو وان كان يعزف وحدة على آلة منفردة الا انخلفية الأوركسترا تظل دائما فى خدمته ٠

ولعل « الخلفية » هنا فى الأبيات المختارة للأعشى هم الناس الكثيرون الذين أشركهم معه فى معاناة الليل ٠٠ وفى أبيات عمر بن أبى ربيعة هما الفتاتان اللتان أعطتا للقصيدة نكهة لا تقل عن النكهة التى أحدثتها البطلة الرئيسية ٠٠ وفى أبيات ابن الرومى هما الخليلان اللذان حرص الشاعر على الا يسرق منهما « الكاميرا » فى المناظر التى أخذت فى منطقة الصيد :

ولعل الخلفية ـ كذلك ـ فى أبيات مهيار عن هؤلاء البدويات اللاتى يشاركن حبيبته ـ التى ينادمها والخوف ـ فى كثير من الملامح والصفات !

هل ترانى اريد ان اقول ان الشعر الذى يقرب من التركيبة القصصية ومن التركيبة الموسيقية الحديثة هو الذى يبهرنى ؟ ان كان هذا هو ما حاولت الاقتراب منه .. فما أحسبنى ـ فى نظرى ـ قد اخطات .

ميمون بن قيس بن جندل (الأعشى) والليل

وليل يقول القوم من ظلماته
« سواء بصيرات العيون وعورها
كان لنا منه بيوتا حصينة
مسوحا أعاليها . وساجا كسورها ! »
.. تجاوزته حتى مضى مدلهمه
ولاح من الشمس المضيئة نورها

عمر بن ابى ربيعة والمجاهرة

قالت لتربيها يعمركما
« هل تطمعان بان نرى عمرا؟
انى كان النفس موجسة
ولذاك اطمع أنه حضرا »
فاجابتاها فى مهازلة
واسرتا من قولها سخرا
« انا لعمرك ما نخاف وما
نرجو زيارة زائر ظهرا
لو كان ياتينا مجاهرة
فيمن ترين اذن لقد شهرا »
قالت لها الصغرى وقد حلفت
بالله « لا ياتيكما شهرا »
فتنفست صعدا لحلفتها
وهوت فشقت جيبها فطرا
وجرت مآقيها بادمعها
جزعا وقالت «حب من ذكرا
يارب انى قد شغفت به
أعقب فؤادى منهم صبرا »
« بينا تحاورهن قمت الى
أقفائهن لأسمع الحورا
فأراب احداهن .. فالتفتت
وطنى .. فلما أثبتت نظرا
قالت لهن « أخو مجاهرة
قد جاءنا يمشى وما استتر »
فيهن خود لست ناسيها
حتى تجاوز حفرتى حفرا !

ابن الرومى وصيد الطير

وقد اغتدى للطير والطير هجع
ولو أوجست مغداى ما بتن هجعا
بخلين تمابى ثلاثة اخوة
جسومهم شتى وأرواحهم معا
مطيعين اهواء توافت على هوى
فلو أرسلت كالنبل لم تعد موقعا
اذا ما دعا منا خليل خليله
« بافديك » لباه مجيبا فاسرعا
كان له فى كل عضو ومفصل
وجارحة .. قلبا من الجمر اصمعا
فثاروا الى آلاتهم فتقلدوا
خرايط حمرا تحمل السم منقعا
محملة زادا خفيفا مناطه
من البندق الموزون قل واقنعنا
وقد وقفوا للحائنات وشمروا
لهن الى الأنصاف ساقا واذرعا
وجدت قسى القوم فى الطير جدها
فظلت سجودا للرماة وركعا
فظل صحابى ناعمين ببؤسها
وظلت على حوض المنية شرعا
طرايح من سود ، وبيض نواصع
تخال اديم الأرض منهن ابقعا
تؤلف منها بين شتى ، وانما
تشتت من الافها ما تجمعا
فكم طاعن منهن مزمع رحلة
قصرنا نواه دون ما كان أزمعا
وكم قادم منهن مرتاد منزل
أناخ به منا منيخ فجعجعا
كان بنات الماء فى صرح متنه
اذا ما علا روق الضحى فترفعا
زرابى كسرى بثها فى صحانه
ليحضر وفدا ، أو ليجمع مجمعا

مهيار الديلمى
والحب والشيب والمرارة

مهيار الديلمى
والحب والشيب والمرارة

اذا نهض الجـــارات أبطا دعصهـــا
بنهضتهـــا ، حتى يخف قضيبهـــا

تبسم عن بيض صـــوادع فى الدجى
رقـــاق ثناياها ، عـــذاب غروبهـــا

اذا عـــادت المســـواك كان تحيـــة
كأن الذى مس المســـاويك طيبهـــا

وكم دون هنـــد رضت من ظهر ليـــلة
أشـــد من الأخطار فيها .. ركوبهـــا

فنادمتهـــا والخوف .. تروى عظامهـــا
ـــا المدام .. ويروى بالبكاء شريبها

اذا شربت كاســـا : سقتنى بمثلهـــا
من الدمع ، حتى غاض دمعى وكوبهـــا

حمى الله بالوادى وجوهـــا كواسيا
اذا أوجـــه لم يكس حســـنا سليبها

بوادى .. ود الحاضرون لو انهـــا
مواقـــع مـــا ألقت عليـــه طنوبهـــا

اذا وصف الحسن البيـــاض تطلعت
سواهم . يفدى بالبياض شحوبهـــا

ولله نفس . من نهـــاها عذولهـــا
ومن صـــوتها ـ يوم العذيب ـ رقيبهـا

لـــكل محـــب يـــوم يظفر ريبـــة
فسل خلواتى : هل رأت ما يريبها ؟

اذا اختلطت لـــذات حـــب بعـــاره
فانهمـــا عندى الذى لا اصيبهـــا

وســـاء الفـــوانى اليوم اخـــلاق ولمتى
فهـــل كان ممـــا سرهن قشـــيبها ؟

ســـواء عليها كنهـــا ونـــسيلها
وناصلها من عفتى وخضـــيبها

وتعجب ان حصـــت قـــوادم مفرق
واكثر افعـــال الزمـــان عجيبهـــا !

ومن لم تغـــيره الليـــالى بعـــده
طوال سنيهـــا غيرته خطوبهـــا

اذا ســـل سيف الدهـــر والمرء حاسر
فاهـــون ما يلقى الرؤوس مشيبهـــا

يعـــدد اقـــوام ذنوب زمانهم
فمن لى بأيام تعـــد ذنوبهـــا

يقولون : دار النـــاس ترطب اكفهم
ومن ذا يدارى صـــخرة ويذيبهـــا ؟

وما اطمعتنى أوجـــه بابتســـامها
فيؤيسنى ممـــا لديه قطوبهـــا

وفى الأرض أوراق الغنى لـــو جذبتها
لرف على أيدى النـــوال رطيبهـــا

اذا أبى امســـت بعـــاطل رعيهـــا
فهـــل ينفعنى من بلاد خصيبهـــا ؟

والآن

لعل سائلا يسأل ما الذى عاد بك الى افريقية ؟ وهل ما تقـــول الآن هو نوع من الحنـــين لأيام ودراسات بذلت فى هذا المجال ؟ وليس هناك من جواب الا أن افريقية كانت دائما فى حبة قلبى ، وانها كما تعانى من التحديات الحضارية تذكرنى بالعالم العربى اليوم الذى يقتله البعض عن طريق الكلمة ، ويدمـــره عن طريق الحمـــاس لبعض الايديولوجيات التى لا تصلح تماما او لا يصلح الا جانب منها لحياتنا المعاصرة .

ومن هنا يجب أن يتعـــارف العـــالمان الآسيوى والافريقى ، وأن يفتح كل منهما نوافذه على الآخر بدون حدود ، وأن تكون عند كل منهـــما الصبوة والحماس والرغبة فى العثور على مرتكزات فكرية جديدة ، ليعيش الانسان فى هذين العالمين حيـــاته بدلا من أن يعيش حيـــاة المواطن فى أمريكا او روسيا ، ثم يمضى بدون أثر وبدون دموع .. ففى حياتنا الآن من يتحـــدث عن المسيسبى والفولجا ، ومن يقلد الحياة حول هذين الرافدين دون أن يعرف أسرار النيل والنيجر ، بل لو حدثته عن حياة الناس حول هذين النهرين للوى وجهـــه عنك ، أو لظل يصغى بوجهه ، أما قلبه فبعيد .. بعيد !

ولكن الأمل كبير فى الذين يثقون فى حضاراتهم ، والذين يفضلون العطاء على الأخذ ، والذين يكثرون يوما بعد يوم .

« عبده بدوى »

علوم

البحث العلمي ... بين غزو الفضاء وأعذاب ماء البحر

للدكتور عبد الحليم منتصر

يتساءل كثير من الناس لم هذا الجهد ، الذي يبذله العلماء في سبيل ارتياد الفضاء ، وفيم هذا الانفاق الهائل ، الذي تنفقه الدولتان اللتان تستبقان في غزو الفضاء ، واكتشاف حجبه ، وكشف اسراره ، وفيم هذا التصعيد في الطبقات العليا للفضاء العريض ، وماذا بعد اقامة محطات الفضاء ، والوصول الى القمر او المريخ ؟ وايهما اجدى على الانسانية : أن يتجه البحث العلمي ، نحو اعذاب ماء البحر ، حتى يروى الصحارى ، فتزرع ملايين الافدنة ، لتنتج المحاصيل من غلات وخضروات وفاكهة ، فتطعم هذه الاعداد المتزايدة من السكان ، او ان نتابع بحوث الفضاء الباهظة النفقات خاصة وانه من المشكوك فيه ان نصل في امرها الى نتائج مرضية قريبة .

ويتساءل كثير من الناس ، هل يستطيع الانسان ان يقيم حضارة على القمر او المريخ ، كتلك التي اقامها على الارض ، ان العلماء انفسهم ليقولون ، ان حياة كتلك التي نحياها على سطح الارض تبدو مستحيلة على القمر او المريخ ، لأسباب كثيرة يذكرونها ، من ارتفاع أو انخفاض في درجات الحرارة عن الحد الذي تحتمله الكائنات الحية التي نعرفها على الأرض من نبات او انسان او حيوان ، او من انعدام او قلة في الماء او الهواء ، او وفرة او نقص شديد في غاز ثاني اكسيد الكربون او ندرة غازات ضرورية ، او وفرة غازات ضارة ، الى غير ذلك من أسباب ليس الى حصرها من سبيل . وذلك فضلا عن صعوبة السفر ، وكثرة التكاليف ، وتعرض المسافر في مراكب الفضاء الى اخطار كثيرة ، منها ما قد يتعرض له من درجات حرارة مسرفة في الارتفاع ، فضلا عن اختراق طبقات الفراغ المطلق وانعدام الوزن ، واحتمال تغير المركبة مدارها فتتعرض للاحتراق . ولا شك ان الاحتراز من هذه الاخطار جميعا ، هو ما يسعى العلم جاهدا الى تحقيقه لتأمين السفر ، وان ذلك ليحتاج الى نفقات باهظة جدا .

والذي لا مراء فيه ان بحوث الفضاء باهظة النفقة كثيرة الكلفة ، وتقدر نفقات هذه البحوث بألوف الملايين من الجنيهات ، منذ أطلقت روسيا قمرها الصناعي الاول في اكتوبر سنة ١٩٥٧ ، وان روسيا السوفيتية والولايات المتحدة الامريكية ، لتتباريان في اطلاق الاقمار والصواريخ وسفن الفضاء ومراكبه كأنهما فرسا رهان ، وانهما ينفقان على بحوث الفضاء في سبيل تأمين اسفاره ، وخفض نفقاته ، وتحسين وسائله ، وتجديد وقوده ، وزيادة سرعته ، والحفاظ على سلامة ركابه ، وتجميع المعلومات والبيانات عن الطبقات المتباينة والاشعاعات المختلفة التي تزخر بها طبقات الفضاء ، كما يأخذ العلماء آلاف الصور والرسوم لسطح القمر ، أو الزهرة او المريخ من الكواكب التي تحوم حولها سفن الفضاء وأقماره لتلتقط الصور وتسجل البيانات والرصدات المختلفة قبل أن تحط عليها .

ومنذ صعد يوري جاجارين بسفينته في الثاني

عشر من ابريل سنة ١٩٦١ ، وطوافه حول الأرض ، وسفن الفضاء يتزايد عددها ، ويتضاعف حجمها ووزنها كما يتضاعف عدد ركابها ، ثم كانت تجربة روسيا الاخيرة فى الثامن عشر من مارس سنة ١٩٦٥ حين صعد رجلان فى مركبة واحدة الى ارتفاع نحو خمسمائة كيلو متر ثم خرج احدهما من المركبة ليسبح فى الفضاء العريض ، حيث الفراغ المطلق ، وحيث منطقة انعدام الوزن وانه ليبقى كذلك نحو عشر دقائق ، ثم يعود الى مركبته، ويغلق بابها من خلفه ، ثم ينزل وزميله سالمين الى سطح الأرض ، مما اثار دهشة العالم اجمع ، ومما استحق العلماء الروس التهنئة والتقدير من أجله، لما لهذا النجاح المنقطع النظير من اثر ، ولما له من دلالة اكيدة على تقدم بحوث الفضاء نحو تحقيق الهدف المنشود من الوصول الى القمر أو الكواكب، ومن زيادة معلوماتنا عن الأجواء العليا ، ومن تصحيح ما لدينا من معارف عن شئون الفضاء تمهيدا لغزوه ولبسط سلطان الانسان عليه .

ولننظر الآن ماذا عسى أن تكون البحوث العلمية الخاصة باعذاب الماء أو تعذيبه اى تحويل ماء البحر الملح ، الاجاج ، الى ماء عذب يروى الزرع ويسقى الضرع .

ولا مراء فى أن توفير الماء العذب لرى الأرض لحاجات الزراعة وانتاج المحاصيل من أهم المشاكل التى تواجه الانسان فى العصر الحاضر ، خاصة وأن عدد السكان يتزايد بدرجة مخيفة ، ولذلك تستبق الدول الى حل هذه المشكلة ، وتوجيه البحث العلمى نحو تحويل الماء الملح فى البحار والمحيطات الى ماء عذب . وتختص الدول والحكومات مثل هذه البحوث ، وتنفق عليها بسخاء ، ولعل النجاح فى مثل هذه البحوث يكون أجدى على الانسانية من النجاح فى بحوث الفضاء ، ومحاولة الوصول الى القمر والمريخ ، واقامة حياة هناك ، ان صح أن العلم سينجح فى اقامة حياة على الكواكب والأقمار ، اذ الواقع أن نسبة كبيرة من الاراضى ما تزال صحارى لا تستغل بسبب عدم توافر ماء الرى .

وان نظرة الى وطننا الممتد من الخليج الى المحيط ، لتبين أن أكثر من تسعة اعشار مساحته ، صحارى قاحلة ، اذ أننا فى الواقع سكان صحراء ، وانما تقل الأرض الزراعية مساحات قليلة تمتد على ضفافى الأنهر وفى دلتاها ، فماذا لو اتجهت الهيئات العلمية فى الدول العربية ، نحو تمويل مشروعات البحث العلمى فى اعذاب ماء البحر .

ولتحويل ماء البحر الى ماء عذب طرائق معروفة ، لعل أكثرها استعمالا ، يكون بالتقطير العادى . وقد اشتهرت بلاد كثيرة باقامة محطات تقطير ضخمة لعل اضخمها ما اقامته دولة الكويت فى عاصمتها الكويت ، اذ أنها تقطر يوميا ما مقداره نحو ستة ملايين جالون ، عدا محطة أخرى فى « الأحمدى » ، تقطر نحو مليونى جالون يوميا . وهى تستعمل لذلك الوقود العادى وهو باهظ النفقة ما يزال . وتستعمل الكويت هذا الماء المقطر للشرب فقط أغلب الأمر .

وهناك طريقة استغلال الطاقة الشمسية فى تبخير ماء البحر وتكثيفه ، وتبنى لذلك أحواض خاصة تغطى بطريقة معينة ، بشرط أن تجمع الأشعة الشمسية جمعا يرفع من حرارة الماء ، فيتبخر ليتكاثف على سطح الغطاء المائل ، وانه ليتجمع فى أحواض خاصة ، ماء عذب ، صالح للشرب والاستغلال ولكن الكمية المقطرة بهذه الطريقة ليست كبيرة ، ومن هنا كان استغلالها محدودا وللضرورة القصوى . وهى على كل حال تستعمل فى الهند فى الوقت الحاضر .

اما استغلال الطاقة الذرية فى اعذاب ماء البحر ، فتعتبر احدث هذه الطرائق وان كانت باهظة النفقة ، وتقام من أجل ذلك مفاعلات القوى ، التى يستخدم فيها الوقود الذرى ، لتبخير الماء وتكثيفه .

وقد شرعت الجمهورية العربية المتحدة فى تنفيذ هذه الطريقة ، وطرحت فعلا مناقصة اقامة مفاعل قوى فى منطقة برج العرب وسيوفر هذا المفاعل الماء العذب لرى ألوف من الأفدنة فى هذه المنطقة. ولعل متابعة البحث فى هذا السبيل تقلل من نفقات هذا الاعذاب الذرى ، وأن يتوافر لها الوقود النووى ومن الاهمية بمكان تدريب جيل من الباحثين للعمل فى هذا المجال يكتسب خبرة

ومرانة على استعمال الوقود النووي والأجهزة الذرية . وقد يغدو في الامكان استعمال مثل هذا المفاعل لأغراض اخرى كانتاج الكهرباء ، وبذلك تقل النفقات المحسوبة للاعذاب .

وهناك بحوث اخرى تجري في هذا المجال ، وانها لتهدف أيضا الى اعذاب ماء البحر بطريقة كيميائية ، وذلك بطريقة تشبه ما يجري داخل الخلايا والانسجة الحية وما يسمى عادة بالاسموز، فتستعمل أغشية تنفذ الماء وحده دون ما هو ذائب فيه من أملاح وتعرضه لضغط يساوي أربعة وعشرين ضغطا جويا . وقد حسب نظريا أنه يمكن الحصول على متر مكعب من الماء العذب من ماء البحر . ببذل طاقة تساوي ٧و ٠٠ ك ٠ و ٠ س واختير لذلك غشاء من خلات السليلوز ، وان يكن ليس وافيا بالغرض تماما ، كما حسب أنه يلزم نحو مائة ضغط جوي لانتاج ٣٧٠ لترا من الماء العذب خلال غشاء مساحته متر مربع في اليوم ، ومع ذلك فان الماء الناتج ليس خاليا من الأملاح تماما ، ثم ان الأغشية لا تتحمل العمل لأكثر من أسابيع قليلة .

وهناك بحوث تستهدف استخدام مركبات خاصة ، فان « البروبان » اذا دفع تحت ضغط يساوي ثلاثة ضغوط جوية في الماء الملح ، وفي درجة حرارة ٦٫٥ م فوق درجة التجمد فانه يتكون جسم صلب به ١٧ جزيئا من الماء وجزء واحد من البروبان وينفصل الملح ، ويمكن الحصول على الماء العذب من الجسم الصلب ، وتحتاج هذه العملية الى طاقة تساوي من ٣ ــ ١٢٫٥ ك ٠ و ٠ س . لكل متر مكعب من الماء العذب ، فهي باهظة النفقة كذلك

وهناك طريقة تبدو غير عملية نوعا **هي التجميد،** وذلك لان الحرارة الكامنة صغيرة ويلاحظ ان العمليات التي تستلزم درجات حرارة منخفضة لا تعاني من مشكلات التآكل وقد قدرت الطاقة اللازمة لعملية التجميد بما يساوي ١٢ ك.و.س. لكل متر مكعب من الماء العذب .

واذا لم ندخل في حسابنا التبادل الحراري ، فان الطاقة اللازمة للماء المقطر تساوي ٧٠٠ ك.و.س. لكل متر مكعب من الماء العذب ، اما اذا ادخل التبادل الحراري في الحساب فان هذا الرقم يهبط الى ٧٠ ك.و.س. ويمكن ان يهبط الى ما دون ذلك بتحسين المعدات والأجهزة وهي نفقات باهظة جدا مازال .

ومن ذلك نرى ان تحويل الماء الملح الى ماء عذب يتوقف الى حد كبير على ماينفق على الطاقة اللازمة لهذا التحويل ، وقد ادخلت تحسينات كثيرة على مفاعلات القوى فاذا زيدت طاقتها قلت النفقات ، واذا امكن الحصول على كهرباء بالاضافة الى اعذاب الماء ، فان نفقات التحويل تقل كثيرا ، وقد تهبط نفقات المتر المكعب من الماء العذب الى نحو خمسة وعشرين مليما واذا عرفنا ان النفقات المعقولة لانتاج المتر المكعب من الماء العذب انما هي بضعة ملاليم ، كان علينا ان نتابع البحث لخفض نفقات الاعذاب . لنبلغ هذا المستوى ، وبذلك يمكن ان نزيد في مساحة الأرض المنزرعة باضافة ملايين من الأفدنة من الأراضي الصحراوية . تحل مشكلة تغذية السكان الذين يتزايد عددهم كل يوم .

ومع هذه الفوائد الملموسة لاعذاب ماء البحر ، ارجو ألا تتوقف بحوث غزو الفضاء كذلك لما في ذلك من اثراء للمعرفة البشرية عن هذا الكون العريض الذي أبدعه الباري سبحانه وحضنا على التفكير فيه ، ولعله سبحانه ان يهدينا الى كشف مزيد من المعارف عنه ، وان يوفقنا في الوقت نفسه الى حل مشكلة اعذاب ماء البحر ، وعلى الله قصد السبيل .

د. عبد الحليم منتصر

الكتب تقرؤ تعرف

أنغام حالمة

ديوان روحية القليني

بقلم: العوضي الوكيل

هذا ديوان جديد للشاعرة « روحية القليني » تقدمه الأميرة الأديبة « دينا عبد الحميد » فتقول في التقديم بعد سطور :

« والمرء عندما يستعرض تاريخ الشعر العربي ، ويتطلع الى مستقبله يرى أن شعر روحية القليني ومعاصراتها من أديباتنا في البلاد العربية سوف يستشهد به كأنموذج حي للفكر العربي في أيامنا ولموقف المرأة العربية وروحها المتوثبة » والأميرة الأديبة تؤكد بهذا ما قررته في مقالات كتبتها أنا في « الرسالة » وفي كتابي « قيم ومعايير » من أن المرأة الحديثة قد أخذت مكانهـا في ديوان الشعر العربي الحديث بغير منازعة ، وأنها قررت وجودها في المجال الشعري تقريرا لا مجال للمحاجة فيه .

وحديثي اليوم عن هـذا الديوان حديث موجز ، وأريد به أن أتناول السمات العامة في شعر روحية القليني ، وأولها « المصارحة » ، فروحية لا تلبث أن تأنس بقارئها وتشعر بالمشاركة الوجدانية بينها وبينه فتفتح له نفسها ثم تأخذ في الحديث معه بلا حرج ، ولمـاذا تتحرج ؟ وقارئها صديق مؤنس أو حبيب ودود ...

اني أعيش بأفـكاري وعاطفتي
في زورق الحب في بحر المتاهات
العقـل يدفعني للشط آمنة
والحـب يغري فؤادي باندفاعاتي

من ذا الذي لدموع العين يفهمها
أمن حناني جرت أم من صباباتي
والسر في الصمت اعراضا سيحسبه
أم من حياء وشت بالسر وجناتي
وقلبـه لي أنا وحدي فيسـعدني
أم هل ينقله بين الجميلات
وهـل يبادلني حبـا كعاطفة
قد صنتها للذي يرعى المصونات
اذا ما سـهرت الليـالي وحيـده
وليـلي بذكراك يتلو نشـيده
فـآهة قلبي تهـز كيـاني
وحبي يصـارع روحي العنيـده
سألقاك أبسم رغم احتمالي
وحسبي ظنـك أني سـعيده

وثاني سمات الديوان « الانتظار » ، والتفـكير في النائي الذي سـيعود أو المجهول الـذي سيعلم أو الغائب الذي سيحضر ، وقد ملأ الانتظار ما بين دفتي الديوان حتى أوشك أن يقف مع المصارحة جنبا الى جنب في معظم صفحاته .

انها في قصيدتهـا الموسيقية المترنمـة « موعد » تتحـدث عن الغـائب الذي واعدها ثم لم يأت في موعده ، تقول :

انا يا حبيبي هنـا أنتظر
ولم تأت في الموعد المنتظر
ومن شرفتي أرقب العائدين
يدق فؤادي ، أطيل النظر
لعـلك تخطـر في طلعـة
كضوء الصباح اذا ما سفر؟
وفي لهفة من شعور المحب
يموج خيالي بشتى الصور
تطـول الهواجس في حيرة
أقول ترى حبه قد فتر ؟

ومن شرفتي أرقب العائدين
لعل برؤيا حبيبي أقر ؟

ثم يجيء المنتظر ، ويصدق الأمل
وبينا أنا في زحام الهواجس
رأسي يكاد أسى ينفجر
أطل الحبيب على حيننا
بوجه جميل المحيا أغر
فتحت له الباب في لهفة
ولم أدر كيف وماذا أسر
وقبل كفي في نشوة
وقال أجل غبت ثم اعتذر
على الرغم مني تأخرت عنك
وعندك يحلو الهوى والسهر

وفي قصيدتها « قبل الموعد » تحدث صديقتها فتسألها عن أحسن ثوب ترتديه وهي في انتظار الحبيب ، ذلك الثوب الذي سيظهر فتنتها فتجذبه اليها — وهذا تعبيرها :

أختاه قولي أي ثو
ب من ثيابي ارتدي
ماذا سيظهر فتنتي
لما أروح واغتدي
أنت الخبيرة بالهوى
وأنا بذوقك اهتدي
ماذا بحقك قد صنع
ت لتجذبيه فأقتدي
قد حان موعده .... الخ .

ثم يلبس الانتظار صورة أخرى في قصيدة « الربيع » فتقول :
كل الف لأليف قد عفا
وارتدى في الروض فتان الحلل
ومضى الالفان في روض الهوى
وأنا في وحدتي حيرى أضل
آه من قلبي وقد عز اللقا
آه من جفني فبالسهد اكتحل
عشت بين الناس فكرا حائرا
وطيوفا تتراءى في المقل
التي قيثارة أوتارها
عازف اللحن طواها وارتحل
وقصيد شاعر أطب بها
ترك الأبيات لما تكتمل

عاد للناس ربيع حافل
وربيعي بالأماني لم يطل
وطويت الليل سهدا وأسى
أسأل النجم متى يأتي ؟ لعل !

وها هو ذا الانتظار يأخذ صورة جديدة في قصيدتها « ساصغي لقلبي » :

أعيش بقلبي على ضفة
وأنت على الضفة الثانية
فهل نلتقي بعد طول الغياب
وتجمعنا اللهفة الحانيه
وبيني وبينك بحر عميق
وليل بلا أنجم هاديه

ثم يجيء الحديث عن سمة الديباجة العربية المشرقة والأسلوب العربي الرصين وروحية تحتفل باختيار كلماتها احتفالا ، ولكنها مع هذا تسهو أحيانا ، فتدخل على الأسلوب العربي والألفاظ العربية ما ليس منها ، ولكن ذلك يقع نادرا حتى يوشك أن يعز التمثيل له ، ويبقى التمثيل لحسن الديباجة وصفاء الأسلوب واجبا ، وليكن التمثيل هنا لجانب القومية والوطنية وهو ما لم نتحدث عنه من قبل :

قالت تحت عنوان « في ظل الاشتراكية ، وعادت الأرض » :

حتى اذا طالع الدنيا صباح منى
وانهل غيث على جدب برويه
والاشتراكية « السمحاء » قد بعثت
سخية الكف فاخضرت مراعيه
والشعب في موكب التحرير تحكمه
روح العدالة والقرآن هاديه
لا فرق بين فقير أو ربيب غنى
لا شيء غير كفاح المرء يعليه
والمرأة اشتركت ترسي قواعدنا
مع الرجال بصف عاش راعيه
ولفظ « السمحاء » لا تعرفه الفصيحة .

خلاصة الرأي أن هذا الديوان قد صدق في التعبير عن صاحبته ونقل عن وجدانها نقلا صحيحا مؤديا أمانته في تصوير مشاعرها وذلك في صور من البلاغة العربية صحيحة .

العوضي الوكيل

كتب جديدة

يقدمها: أحمد عبد الصمد دياب

● **التخلف والاشتراكية فى العالم العربى**

تاليف : د. جلال يحيى

الناشر : دار المعارف ـ القاهرة

المؤلف فى هذا الكتاب يحاول تاكيد معنى أن النهضة الحديثة والحركات الثورية فى كثير من بقاع العالم العربى دلت على وعى الشعوب العربية بسوء أحوالها وتصميمها على التخلص من الامراض الاجتماعية ، ورغبتها فى العمل من أجل رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى ، وازاء تحررها سياسيا ، وجدت نفسها مضطرة الى التحرر اقتصاديا لتصل الى التحرر الاجتماعى ، مستعدة للتخلص من الراسمالية التى تقف عقبة فى سبيل تطوير المجتمع العربى ووصوله الى مرحلة التصنيع ، وليس معنى التخلى عن النظام الرأسمالى ارتماء العالم العربى بين أحضان الاشتراكية المادية ، فان هناك قيما معنوية ودينية لها عمقها واحترامها ، وهناك قيمة الفرد ، كفرد وبشر وانسان ، ولم يقتنع بعد بانه آلة أو جزء من آلة .

هذا وقد قسم المؤلف دراسته التى وقعت فى ثلثمائة واربعين صفحة من القطع الكبير الى قسمين: القسم الأول هو التخلف ، وجاء فى اربعة فصول ، التخلف فى المشرق العربى (اليمن ، العراق ، سوريا ، فلسطين والاردن) ، والتخلف فى المغرب العربى (ليبيا . تونس الجزائر . مراكش) . والتخلف فى وادى النيل (مصر . السودان) ثم النظم الاقتصادية فى البلاد العربية وموقف الاستعمار من نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

أما فى القسم الثانى فقد تناول الحلول الممكنة ، وقد جاءت فى أربعة فصول أيضا : الراسمالية ، نشأتها وخصائصها واخفاقها ، والاشتراكية واصولها ومدارسها ، ورواد الفكر الاشتراكى ، والاشتراكية المادية ، ثم الاشتراكية كبديل للراسمالية .

● **حقائق الاسلام واباطيل خصومه**

تاليف : المرحوم عباس محمود العقاد

الناشر : دار الهلال

هذه طبعة جديدة قدمتها أخيرا دار الهلال بالقاهرة فى سلسلة كتاب الهلال، بعد أن نفدت طبعات المؤتمر الاسلامى ، وقد جاء الكتاب فى هذه الطبعة فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الصغير ، بمقدمة السيد أنور السادات .

وقد تناول المرحوم الاستاذ العقاد فى فاتحته لكتابه شبهتى الشر والخرافة ، ثم قسم دراسته التى هى على جانب من الاهمية ـ الى أربعة فصول :

العقائد ، حيث تناول العقيدة الالهية ، وعقيدة النبوة ، والانسان والشيطان والعبادات، والمعاملات، والحقوق ، حيث تناول الحرية الاسلامية ، والامة والاسرة وزواج النبى والطبقة، والرق وحقوق الحرب وحق الامام ، أما الفصل الرابع ، فقد تناول العقاد فيه الاخلاق والآداب ، ورد الشبهات التى أثارها الحاقدون على الاسلام حول النقائض المزعومة فى الاخلاق والآداب الاسلامية .

هذا وكتاب العقاد عرض للاسلام فى حقيقته الخالصة الصافية ، ، ثم دفاع عنه فيما أثير حوله من غبار المتشككين والمبشرين والمستشرقين الذين تحركهم الأهواء .

***

● **تاريخ مسلمى اسبانيا**

تاليف : ر. دوزى

ترجمة د. حسن حبشى

الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومى

هذا هو الجزء الاول من أجزاء الكتاب الاربعة ،

والمؤلف هو المستشرق الهولندى رينهرت دوزى الذى ولع بدراسة العرب والمسلمين فى أسبانيا على وجه الخصوص .



وهذا الجزء تناول المؤلف فيه الحروب الأهلية فى أسبانيا ، فعرض للعرب فى الجاهلية ، وطبيعتها ، وحرب الخلافة ، والعصبية القبلية ، واستقرار العرب فى أسبانيا ، وحركات عبد الرحمن الداخل .

الحق أن المؤلف - كما أشار فى مقدمته - قدم دراسة دقيقة عميقة ، ولم يكن كل همه أن يصحح بعض الحوادث المشوهة هنا وهناك فى أعمال من تقدمه ، ولكنه أخذ الأشياء من جذورها ، وأحيا تاريخ المسلمين بالاندلس لاول مرة ، فقد درس الموضوع من جميع نواحيه ، ولم يدخر وسعا فى اكساب تاريخ المسلمين بالأندلس درجة من الثقة التى عمل على توفيرها له .

ويقع هذا الجزء فى مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير .



● **التفكير عند الانسان**

الناشر : المكتبة الثقافية

تأليف : د. احمد فائق

هذا الكتيب الذى يقع فى زهاء مائة وثلاثين صفحة من القطع الصغير ، هو حلقة من سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها الدار المصرية للتأليف والترجمة بوزارة الثقافة والارشاد القومى ، وأرادتها أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة .

يناقش المؤلف معنى التفكير ، فالتفكير كلمة تدل على أكثر من قصد ، فأحيانا نستعملها لتدل على كل ما يدور فى الذهن ، وأحيانا أخرى تستعمل فى حدود ضيقة .

ثم يعرض المؤلف للوجدان والتفكير ، وكيف أنه يعرض لنا خاصية عامة فى التفكير الانسانى السوى ، وربما أوضحت لنا بصورة أضخم الفرق بين السواء والمرض فى نطاق أعم ، والتعرض لهذا الجانب يفيدنا فى تمييز أنواع من المرض النفسى تختلف فيما بينها بصورة لاتقل وضوحا عن اختلاف المريض عن السليم . وقد تناول المؤلف تفكير الطفل فى سنته الثانية وفى سنته الثالثة « عقدة أوديب » وتفكيرنا وكيف يسلم من المرض .

ثم عرض المؤلف للتفكير والاحلام ، فتناول الحلم والمرض النفسى ، وكيف يمرض تفكيرنا ، والعقدة النفسية ، وطبيعة المفاهيم فى المرض النفسى .



● **رسالة الاسلام الى الشباب**
محمد عبدالرءوف بهنس
المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

ذكر المؤلف أن ما دفعه الى تأليف هذا الكتاب أن بعض زملائه قدموا له شيئا من عناصر العقيدة ، ثم طلبوا اليه الادلاء برأيه فى هذه العناصر ، ومن ثم كان هذا الكتاب ، الذى تعرض لحرية الفكر والرأى والعقيدة فى الدين ، كما تعرض للاسلام والعلم .

وكيف أن الاسلام لا يقبل شيئا الا ببرهان ، وكيف أن العمل ينمى العلم ، وأخيرا تعرض للتكاليف الاسلامية .

والكتاب بهذه الصورة يقدم جوانب من حقيقة الاسلام ، ويستطيع أن يخدم الناشئة عن طريق تحريك عقولهم .



● **لا تقول وداعا**
للشاعر رفعت الشيخ
مطابع ابن زيدون بدمشق

يهدى الشاعر كتابه الى الذين يرتلون أغنية الحب الأبدية فى معبد الحرمان ، والذين يهيمون فى فيافى الضياع ، ويحتضر فى أعصابهم الأمل ، وكما يقول عنه محمد كناكرى .. « واستهوته حرفة الحرف فاوغل فى مجاهل دروبها ، تارة تتنكر له نفسه فيتكر عليها حقيقتها التى تعكسها له صفحة العطاء ، وطورا يرسم دون عناء ظلا حالما للشفق ، تصبو اليه العيون والظماء للجمال .. والشاعر من الشعراء الشبان الذين يغنون للحب وللحياة ، ولكل شىء من حولهم .

« **احمد الصادق عبد الصمد** »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العواني



● مشكلات وحلول على الطريق الاشتراكي

تحت هذا العنوان يتابع الأستاذ «يحيى ابو بكر» مقالاته المسلسلة فى مجلة الثقافة وقد بين فى مقاله المنشور فى العدد التاسع والثمانين منها «أن الاشتراكية كما دعا اليها جمال عبد الناصر لا بد أن تكون ثورية، والدافع اليها لا يكمن فى التناقضات التى عانى منها الشعب المصرى، وفى مقدمتها سوء توزيع الثروة وقصور الموارد المستثمرة عن الوفاء بالاحتياجات الأساسية لجميع أفراد المجتمع فى مصر، ولكن فى التناقضات والفروق الهائلة على الصعيد العالمى، وفى مجموعة الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى سيطرت على العالم وقسمته الى شعوب غنية غاية فى الغنى أو متقدمة غاية فى التقدم، وشعوب فقيرة غاية الفقر أو متخلفة غاية التخلف» ويضيف الى ذلك قوله: «ان الثورية فى هذه الظروف المحلية والعالمية مرادفة للبقاء بالنسبة لجماهير الشعب، والتطور الهادىء البطىء ليس من شأنه على المدى القريب أو البعيد وتحت وطأة الدوافع والضغوط المختلفة الا أن يزيد الفقراء الضعفاء فقرا وضعفا، والأغنياء الأقوياء ثراء وسيطرة».

ويمضى المقال موضحا أن عنصر الايمان فى الاشتراكية العربية عنصر جوهرى وأنه ميزة لها على الفلسفات المادية التى رفضت الاهتداء بنوره ومن هنا أشار الأستاذ «يحيى أبو بكر» الى ما صرح به الرئيس جمال عبد الناصر فى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى من أن «اشتراكيتنا ليست مادية ملحدة وليست مادية ولا روحية، وهى أيضا ليست روحية فقط بمعنى روحانية. ولكنها اشتراكية روحية مادية معا، وهو فارق جوهرى بينها وبين الشيوعية».

● دوافع التطبيق الاشتراكى

وكتب الدكتور «ياسين خليل» فى مجلة «الأقلام» العراقية بحثا عن «دوافع التطبيق الاشتراكى» فوضح أن الاشتراكية العربية مادامت تنبع من واقع الأمة العربية وتراثها الاسلامى وأهدافها القومية، فاننا نضع نصب أعيننا الاختلافات الواضحة بينها وبين الاشتراكيات الأخرى.

ويرى الباحث ضرورة اتصال الفكر القومى الاشتراكى العربى المعاصر بالفكر العربى الاسلامى، ثم يعلن «أن أى اختلاف يقع بين الفكرين من شأنه أن يقود الأمة العربية الى الانزلاق فى فكر شعوبى يهدف للقضاء على العروبة والاسلام» مما يؤدى الى فقدان الأمة العربية مقوماتها الحضارية والثقافية، فضلا عن وقوع الشعب العربى فى أزمة فكرية وحضارية تظهر فيها متناقضات واختلافات تعرقل سير التطور فى مجتمعنا العربى.

ويقف الباحث عند الحضارة العربية فيبرز مزاياها ويؤكد أنها حضارة متكاملة تجسدت فيها المثل والقيم العربية والاسلامية ، وتجلت فيها النزعة الانسانية بكل مظاهرها ، على أن امتزاج المادة والروح فيها جعلها موافقة لطبيعة الانسان ، ونابعة منه ، وأنها فى الوقت نفسه تربط الانسان العربى باخيه العربى ، كما تربط العربى بغير العربى برباط من الأخوة والمساواة والعدل .

● الجذور التاريخية للاشتراكية العربية

ونشرت مجلة « الآداب » اللبنانية نص المحاضرة التى القاها الدكتور عبد العزيز الدورى فى مؤتمر الأدباء العرب بالعراق واستهلها بقوله :

ان المجتمع العربى يمر الآن بثورة شاملة تهدف الى تحقيق حريته ، وضمان وحدته ، واطلاق امكانياته ، وبناء مجتمع تسوده العدالة ويعمه الرخاء.

واذا كان للفكر دوره الكبير فى التوعية والتمهيد لهذه الثورة فانه لا بد أن يكون له كذلك دوره الأساسى فى البناء ، وأن ينبثق من التراث والواقع ، ويتفاعل معهما باستمرار ، ويعلن الدكتور « الدورى » أن محتوى الثورة العربية فى الحقل الاجتماعى الاقتصادى يمثل جانبا حيويا لهذه الثورة ، وهذا المحتوى يتمثل فى الاشتراكية العربية ، لأنها تمثل مفهوم العدالة الاجتماعية بمعناها الواسع فى المجتمع العربى الجديد .

وينتقل المقال موضحا أن المجتمع العربى قد تعرض من جديد — مع التجزئة القائمة — الى اقسى أنواع التحديات الغربية فى كارثة فلسطين .. لقد تجلت فى هذه الكارثة طاقة الأمة العربية ووجودها ودفعت بها فى طريق الكفاح الجديد طريق الثورة العربية .

ويختم الدكتور الدورى بحثه القيم بقوله :

« ان العدالة الاجتماعية التى ننشد تتمثل فى الاشتراكية العربية ، وهى حصيلة مثلنا وقيمنا ومبادئنا الانسانية ، فى تفاعلها الايجابى مع واقعنا، وفى سبيل المجتمع الجديد الذى نريد مستفيدة فى تطبيقاتها من تجارب البشرية وتطورها العلمى » .

● صدى « الرسالة » فى العالم العربى

لقد كانت (الرسالة) منذ نشأتها حتى اليوم هى المجلة المتفردة التى تبنت قضايا الاسلام والعروبة، وقد سارت فى طريقها الذى عرفت به منذ وجودها تحمل على عاتقها فيما حملت مسئولية الدفاع عن القضايا الهامة فى مجتمعنا ، ووقفت فى وجوه من يأكل قلبهم الحقد ضغنا على الاسلام والعروبة، وعبثت تكشف عن نيات هؤلاء ، وتفضح زيفهم ومايتسترون وراءه من الأفكار الجاهزة التى يريدون بواسطتها ان يهدموا كياننا ويمحوا شخصيتنا .

وكان للرسالة بفضل هذا الخط الذى التزمت نفسها به شهرة واسعة ، حتى صارت تفضل الكثير من المجلات التى تصدر فى عالمنا العربى .

ولقد سبق أن بينا ما كتبته مجلة « الأقلام » العراقية التى أشارت الى أن مجلة الرسالة هاجمت بعنف شعراء (الرفض) الذين اصطنعوا رموزا فى الشعر الحديث عبروا بواسطتها عن قيم لا تمت الى مجتمعنا ومثلنا وديننا بأى صلة .

ومما يؤكد هذه الشهرة أيضا ما جاء فى خطاب من السودان أرسله الشاعر سعد دعبيس يقول فيه ان جريدة (الرأى العام) نشرت مقالا للأستاذ محمد الأمين دياب أشاد فيه بالدور الذى قامت به الرسالة فى رد هجمات الشعوبيين على الثقافة العربية على أننا لو تصفحنا العدد الثانى من مجلة « الرواد » التى تصدر فى ليبيا عن وزارة الارشاد والأنباء لوجدنا فيها مقالا كتبه « على فهمى خشيم » أشار فيه الى معارك الرسالة وما ينشر على صفحاتها من المقالات التى يرد بها الاستاذ محمود شاكر ، على د. لويس عوض وما نشرته كذلك من تصحيح الاستاذ عبده بدوى لبيت أبى العلاء القائل :

صليت جمرة الهجير نهارا
ثم بانت تغص « بالصليان »

فكلمة « بالصليان » جعلها الدكتور — لغرض فى نفسه — « بالصلبان » ويقول المقال ان الدكتور ادعى فى العدد التالى من ملحق الأهرام أن الذى صحح له البيت هو الشاعر صلاح عبد الصبور ، دون أن يشير الى « عبده بدوى » الذى صحح له البيت فى مقال كتبه فى الرسالة .

هذه صورة سريعة عما يكتب عن الرسالة ولا شك فى أن هذا يدل دلالة قاطعة على مدى اهتمام القراء بها وعلى تتبعهم لكل ما تثيره من المعارك الفكرية المتعددة .

« **محمد العوانى** »

ولد خام

قصة بقلم محمد الشناوى



كان « بدوى » سعيدا .. وله فى الحق عذر ... فقد جاءته الفرصة النادرة التي طال شوقه لها ، ورغم ان « فنجى » لم تتوقف فى مواجهته سوى بضع ثوان ألقت اليه خلالها بالنظرة التي طمأنته الى ان كل شيء يسير على ما يرام ، طبقا لاتفاقهما فى الليلة الماضية .. لم يرها ، خالتى « سالمين » ووراءها ، تتقدمها معا فى الزحام الذى لاقى هذه الاخرين منذ الصباح الباكر ... الا انه شعر بالراحة تسرى من القلب الذى عذبه القلق واشتد وساوس الانتظار ساعات طوالا ... الى جسده كله ، فتخلع عليه رزانة الشعور بالاستقرار والامان وتفسح لحظات ، احس بعدها بانه يجب ان يصنع شيئا فى فترة غيابها ، فهو لن يستطيع الوقوف .. بالباب هكذا .. بلا نهاية ، واذا كان قد القى فى مرافقة عيش ... الجاويش ذى الشوارب المتدلية التي تلف عليها الصقر ... طوال هذا الوقت ، انتظارا لوصول فنجى عامدا الى التحرك خارج الباب قليلا مع الخارجين او التراجع الى داخل السوق قليلا أيضا .. مع الداخلين ، بحيث لا تبتعد عيناه ابدا عن الفتحة الواسعة ، التي ابتلعت منذ الصباح بضعة الآف من الوافدين الى السوق المزدحم فى هذا الموسم ، فانه لن يستطيع الوقوف الى ما شاء الله ، وقد تسول للجاويش نفسه ان يتحرش به محتجا بوقفة بدوى التي تثير الشبهات فى انه ولد ملعب ... ؟ .. ولكن على مين ، كما سمعه يقول اكثر من مرة ، لاكثر من واحد لو بقلشنا من بين يديه الا بعد ان قدم كل منهم للجاويش ، الحشيش ، ما يثبت انه ولد ملعب !

لم ما حاجة بدوى للوقوف بالباب وقد اطمأن الى وصول فنجى ؟ ... الحكاية لن تستغرق ساعة او بعض الساعة وينتهى الأمر ، وتبيع خالتى سالمين كيلة الغلة التي حملتها فنجى على رأسها الى القطاف من البلد ، حيث حضرتا سائرتين على الاقدام مثله فى الطريق الزراعي المزدحم ، وخصوصا فى الموسم بالقادمين الى السوق ، صباح الخير يا ولاد يا ابراهيم ، صباح الفل يا خالتى سالمين او يامير على او يا بنت بالزتوبة وكلمة تجر كلمة ، ويحلو الحديث ... وينقضى المشوار بسلام ، وكثر الله القادمين الى السوق ثم انتظار سيارة الشركة التي تأتى فى مثل هذه الساعات مزدحمة من اول الخط وكلاهم ايضا ثم تحكم ، عم حسنين ، سائق السيارة الاجرة العجوز .. التي تعمل على الخط منذ زمان بعيد (مايوعاش عليه) بدوى ...

يا خبر يا بدوى .. الضحك من غير سبب قلة أدب .... هكذا يقول الناس عنك وهم يرونك تضحك بلا سبب ...؟ هيا تحرك الى الداخل ، قبل ان يتجمع الناس للفرجة عليك ، وحتى لو قلت لهم السبب الذي ضحكت من اجله ، فلن يعتبروا بك..

بل لن يلتمسوا لك عذرا في هذا الهلس .. ! (كان منظره يموت من الضحك) وهو يحاول ان يضع الجدى في الشنطة، وثار الجدى على هذا السجن القريب ، ولم يستسلم لمحاولات عم حسنين وهو مصر على تكتيفه في الشنطة . وعمد الجدى الخبيث الى حيلة ماكرة .. جعلت السائق العجوز يسيبك ويلعنك يا بدوى انت وجديك .. و « العنز وابو العنز » . فقد اخرج الجدى لسانه الدافئ في هذا الصباح البارد ... واخذ يلعق به وجه عم حسنين وصرخ الرجل وافلتت يداه قدمي الجدى الشاقي .. ! الذى عاجل الرجل برفسة حادة من قدميه الى بطنه ، اوقعت العجوز المنهك على الارض ، بينما اطلق «العفريت» ساقيه للريح... وكنت محظوظا يا بدوى اذ اتجه الجدى الهارب عفوا او ربما استجابة مقصودة لنظرات معزة صغيرة .. ! كان صاحبها يحملها امامه على حمارة الى السوق ... وهكذا عوض الجدى في محاولته اللحاق بالمعزة المحمولة على ظهر الحمار (الذى يسبق الريح) الوقت الذى ضاع منك في محاولة حبسه في سيارة عم حسنين لكى تصل سريعا ، قبلها ... حتى لاتضيع الموعد الذى فزت به بصعوبة ، وبعد محاولات ومحاولات لاستمالة البنت الحلوة ذات الوجه الحلو .

فعلا يا بدوى البنت وجهها حلو عليك .. فمنذ قابلتها ليلة الأمس وهى عائدة من دكان متولى بعد ان اشترت لابيها الشاى والسكر والعسل . ومنذ اعطتك العهد بان تقابلك في السوق ، بعد ان تبيع امها كيلة الحلبة التى اخذتها للزمن خالتي سالمين الواعية من ايراد الجمل الذى يحمل على ظهره الى جانب قمح البلد وارزها ومحصوله كله . تقل العائلة التى لا مصدر لرزقها سواه .. ومنذ السمت لك برحمة اخوتها الذين ماتوا جميعا ، فلم يبق منهم ذرية خالتي سالمين .. وزوجها عمى ابراهيم الجمال سوى الحلوة ذات الوجه الحلو ـ بانها ستنتهز فرصة جلوس امها بجوار سوق الواتى في مقهى المعلم بندق الذى اشتهر في المنطقة كلها بانه اعظم من يصنع البوظة ويقدمها لزبائنه من الفلاحين ـ ستنتهز الفرصة وتترك الام تنعم بتناول البوظة التى تحبها ، والتى تخلق الأسباب للذهاب الى السوق من اجلها .. ثم تاتى لتقابلك في سوق الخيط بشرط الا يطول غيابها عن خالتي سالمين الواعية التى تشك في نفسها وتغار على البنت من ثوبها الذى فوق بدنها ، منذ اخذت منها الموعد ، و « الخير نازل عليك » يا بدوى .. ! وبدا الخير بموافقة امك على بيع الجدى في السوق بعد طول معارضة في مرات سابقة ..!

صحيح ان الجدى جديك وصحيح انك اشتريته بدم قلبك وانك وفرت ثمنه بالعافية ... قرش من هنا وقرش من هناك مرة تسهر طول الليل في تقطيع الحطب عند اولاد الشهيدى رغم عملك نهارا مع الانفار في ضم الارز عند من يملكون ارضا يزرعونها ارزا ... ومرة تعمل خفيرا لليلة او ليلتين ، في حراسة اكياس القطن التى يشتريها « الافندى » من الفلاحين ، ويكومها عند دكان الحاج انتظارا لمجئ قطار الدلتا ليشحنها الى المنصورة، حيث يسلمها للبنك وياخذ بدلا منها حزمة ضخمة من الاوراق الحمراء التى تحلم بواحدة منها فقط تطير بها الى بيت عمى ابراهيم لكى يجهز البنت الحلوة ... وصحيح يابدوى انك عملت المستحيل لكى تضع القرش على القرش ليكون لك في النهاية «جدى» تربيه وتكسب من ورائه ، فحرمت نفسك من كل المتع التى يقبل عليها رفاقك في العمل ، فلم تعرف قهوة دار الشيخ احمد كما يعرفون ، ولم تعد منها مطفرا كما يعودون ، ولم تمتد يدك الى دكان الحاج لتاخذ من ثلاثاته صندوق العسل واوقية الشاى كما ياخذون ... كل هذا صحيح واكثر منه ونسيها انك ذات المر ، في نوابر « العلف » للجدى الاكول ؛ وانك قاسيت الكثير من « اصحاب الارض » الذين كنت تتسلل عندهم ، متنقلا من حقل الى حقل ، حسب « التساهيل » ، لانك كنت تصر دائما على سحب الجدى لكى ياكل على المصارف ، ولكن الشقى لم يكن مؤدبا دائما .. ! ولم تكن عينه ملأى دائما ، فكان « يزوغ » على الزرع الذى تعب اصحابه في تربيته ، وكنت انت ايضا تتعب في استرضائهم ، حتى لا يذهبوا بك وبجديك العفريت الى دوار العمدة لأنك تعلم جيدا انك لا تملك ثمن رضاء العمدة ، وليس في جيبك التكاليف التى تخفف من ثورة « حضرة العمدة » وتعيد الى نفسه الاطمئنان على الامن والنظام ..! وكانت امك تعلم كل هذا ، ولكنها كانت ترفض دائما بيع الجدى ويشتد رفضها اكثر واكثر ، كلما حضر « ابو حسين » ليجلس جلسته التى لا تتغير كل ليلة بجوارها وعيناه على « الختك عوانم » وهى تتحرك في الدار ذاهبة وآيبة في همة ونشاط يؤكدان للعريس انه كان موفقا في اختياره ، وانه لم يكن مخطئا عندما قرأ الفاتحة مع خالته زينب امك ، لان البنت خفيفة وعينها على الحاجة وقلبها على المعيشة وتطول «القعدة» ، ويحلو السهر ويجر بعض الكلام بعضه وتعيد امك تاكيدها لأبو حسين بان المسالة قربت « اصبر شوية يا بنى » ويصبر ابو حسين ، ويخرج تاركا « خالته زينب » تستعرض ما اعدته من جهاز العروسة بالمهر المتواضع الذى « قدر عليه الجدع » ثم تضع عينها المؤملة على الجدى في حساب صامت ... للثمن المنتظر ، وهل يفى بشراء ما تبقى من جهاز العروسة ام انه يتحتم على «ابو حسين» ان يتحامل على نفسه و « يصبر شوية » اخرى ، حتى يسمن الجدى ويفى ثمنه بالمطلوب ..! ومن هنا كانت تعارض في بيع الجدى قبل الأوان ، لا لانها كانت تخشى ان يستولى بدوى على ثمنه او حتى يفكر مجرد تفكير ، في اقتطاع جزء من هذا الثمن لنفسه يقضى به بعض مطالبه ، فهى تعلم قبل غيرها من اهل البلد ان بدوى ابن حلال ويحب اخته اكثر من عينيه ..! بل يحب اخوته جميعا ، عوانم الخطوبة ... وامنة التى ما زالت تحت بلوغ ... وحسن الطيب المسالم ، و « آخر العنقود » عبد الغنى ، الذى يتمرد دائما على قيود الفقر التى تمنع الأسرة من تلبية طلباته التى اعتاد تلبيتها ايام ابيه ... ولكن الام كانت ترفض بيع الجدى العزيز املا في زيادة ترجوها في ثمنه لكى يفى بحاجة العروس ، التى طالت خطبتها بما حرك السنة البعض بالكلام ... والناس لا تترك بعضها ابدا واافقت الام مرغمة على البيع ... حتى « تجهز البنت » وتقطع الالسنة ، وكانت موافقتها اول خير اصابه بدوى ، بعد ان رضيت عنه البنت الحلوة ذات الوجه الحلو ولم يكذب بدوى الخبر .. ! وحمل الجدى.. الى المعلم عبد الله الجزار وتحسست اليد الخبيرة جسد الجدى المكتنز باللحم ، نتيجة لعناية بدوى وامه والاخوة جميعا وخصوصا العروس المنتظرة .

ثم ارتفعت يد « المعلم » في اناة ماكرة ، و « برمت الشوارب

الطويلة . وصمت لحظة كادت تحطم اعصاب بدوى قلقا .. رغم انها لم تطل ... ثم قال كلمته ..

ـ خمسة ...

ـ يفتح الله يا عم ... !

ـ طيب ... نقول ... وربع .

ـ ولا ستة .. الا تراه جيدا .. انه جدى .. وليس قطة .. !

وحمل الجدى على كتفيه فى سرعة غاضبة ، لم يتوقف معها، حتى عندما ناداه المعلم عبد الله وهو يجتاز عتبة الدار الى الشارع المظلم ، الذى لم تقو الاشعة المتسللة على استحياء من ابواب البيوت التى لم تغلق بعد ، على تخفيف حدة الظلام فيه .. !

ـ اقول لك .. كلمة واحدة .. ستة يا بدوى .

اللص .. ! كان يريد ان يسرقنى علنا .. تصور يا بدوى انك كنت مستعدا ان تبيعه له بسبعة جنيهات ، لو انه عرض عليك هذا الثمن ، لكى تشترى لهوانم . الطشت النحاس والحلق الذهب والثوب الحريرى الاحمر .. ؟ الذى كان تلبسها فيه . ليلة الدخلة . وبعد هذا سيبقى معك جنيه كامل ... ! .جنيه اخضر يا ولد . تشترى منه جورب . لم الهوانم . لاختك امنه . ومنديل راس . لامك لم يتبقى معك ما يكفى لشراء . محفظة بثلاثة ازرار . لحسن . و . حلوى شعر البنات . للعفريت الشقى ... عبد الغنى . وهذا طبعا لن يذهب بالجنيه كله . ومن لم تستطيع ان تفى بوعدك للبنت الحلوة فتقابلها فى سوق الخيط لكى تشترى لها ... ماذا يابدوى .. ؟ لقد سمعتها مرة تقول ـ عفوا طبعا وبلا قصد ـ انها تشتهى ان تجرب .ريحة الحبايب. التى تستعملها دائما الست عطيات الخياطة وسيكون باستطاعتك بباقى الجنيه ان تحقق للبنت الحلوة المؤدبة .. ! التى لا تطلب شيئا بنفسها من الشبان .. ! هذه الرغبة . وستكون زجاجة ريحة الحبايب التى تشتريها لها . بداية للحلم الذى عشت تتمناه طويلا . بان تصبح . ضحى . عروسا لك .. تقرا الفاتحة مع ابيها وتطرد من حولها العيون الجائعة وتعرف .البلد. كلها انك عريسها ، فيكف الشبان عن مغازلتها . و .تشد حيلك. وتحضر المهر . وتزف اليها . وتعيشان معا فى نبات ونبات . وتخلفان صبيان وبنات ... تصور يا بدوى ان هذا كله . كان سيتحقق بسبعة جنيهات . لو ان المعلم عبد الله دفعها لك . وكنت ستبيع الجدى بهذا المبلغ سعيدا راضيا ... ولكن البنت وجهها حلو .. والله العظيم . وجهها كله خير . لقد رفضت ان تبيع الجدى فى البلد لانك تعلم ان المعلم عبد الله وكل الجزارين فى الكفر يعيشون القالطة .. ! ولا يكفيهم الرزق الحلال . فيسرقون امثالك .. ! كلهم لصوص يا بدوى . ولكن البنت وجهها كله خير وانت ايضا مفتح ! ولم تعطهم الفرصة لكى يضحكوا عليك . !

يا فرحتك يا امى .. ثمان ورقات خضر ..! ثمانية جنيهات كاملة . قبضتها بيدك من ذلك الجزار . الذى اشترى الجدى ليذبحه فى السوق .. ثمانية جنيهات يا بدوى ستحضر المطلوب وزيادة .. الطشت والحلق والثوب الاحمر للعروس المنتظرة.. . ستفرح والله . ... يتيمة مسكينة . ليس لها احد غيرك يا بدوى ... ربنا يرزقك برزقها .. ! لكن . ضحى . وجهها كله خير .. ! .. ساشترى المطلوب كله .. حتى طلبات الاولاد ... و . ريحة الحبايب . . وسيبقى معى جنيه آخر ... والله فكرة .. ! لماذا لا تشترى لحمة الوسم من هنا يا بدوى .. ؟

هل نسيت الجزارين فى . الكفر . وجشعهم .. ؟ .. ان الذى يشترى منك الجدى باقل من ثمنه . سيبيعك اللحم ـ بلا شك ـ باكثر واكثر .. ! .. توكل على الله . واشتر لاخوتك لحمة الوسم من السوق . ويوم من يوم قريب .. ! .. وامك بارعة فى كل شئ ..! ولن تعجز عن الاحتفاظ باللحم بطريقة ما يوما واحدا . مهلا يا بدوى ... كم ستشترى ؟ كيلوا واحد يكفى .. ؟ .. يا رجل .. ! .. انه يوم موسم ..! وسع على اخوتك لكى يوسعها الله عليك .. اثنى كيلو ونصف .. ولا هذا يكفى . انسيت شقاوة عبد الغنى . انه لن يرى اللحم حتى يسيل لعابه . ويصرخ مصمما على ان . تحمر . له امه قطعة ياكلها فى رغيف . والام لا ترفض طلبا لاخر العنقود .. ! وقطعة لعبد الغنى . تتبعها قطعة لحسن . واخرى لك يا بدوى ـ فامك يدها فى فمك دائما . وعلى قدر استطاعتها ـ لانك رجل البيت . ومن يبقى بعد هذا .. ؟! امك التى تخرج اللقمة من فمها لاولادها .. ؟ .. والبنتان .. هوانم وامنة ؟! ... هل ترضى بهذا .. ؟!

تاكل انت وهن لا ياكلن .. ؟ .. عيب يا بدوى .. ضع فى عينك حصوة ملح .. كيلو ونصف لن يكفى .. سيضيع نصف كيلو الليلة ـ على الاقل ـ توكل على الله .. ! لا تتردد الموعد . البنت الحلوة . قد اقترب . ولعلها الآن فى انتظارك . بسوق الخيط . وانت واقف هنا ياكلك التردد ... ما هذا يا بدوى ؟ لقد ضيعت وقتا طويلا فى شراء . لحمة الوسم . فكم يكفيك من الوقت لكى تشترى طلبات العروس . وطلبات اخوتك و .. . ريحة الحبايب . ؟! الم تثر فى امك ـ ربما لاول مرة ـ لانها طلبت ان تحضر معك للسوق لكى تشترى الطلبات بنفسها؟ الم تصرخ فيها بانك لم تعد صغيرا وانك صرت رجلا يستطيع ان يقوم ـ وحده ـ بالبيع والشراء . . كالمرحوم . وزيادة ... !

هيا يا بدوى .. تحرك.. فالعيون تحاصرك . والجزار تبرم بصمتك . وترددك يكاد يشى بانك . ولد خام . تاتى الى السوق لاول مرة .. قل شيئا .. يفتح الله عليك ..

ـ كيلو ونصف مشفى ! لا لا .. اثنان مشفى .. .سمين. وحياتك .. واحس بان العيون المحدقة به تعريه . بل تحرقه . واحس بالقلق يمزقه خوفا من ان تذهب . البنت الحلوة . الى سوق الخيط فلا تجده . فتعود غاضبة عليه . وتودع كل شئ . ولا يعود هنالك معنى لجيئه الى السوق لكى يشترى جهاز العروسة و .. . ريحة الحبايب . . واسرع يخرج النقود من جيبه حيث وضعها فيه منذ باع الجدى ... وطالت غيبة اليد المرتعشة فى الجيب . واخذ العرق يتساقط . لا من وجهه فحسب بل من جسده كله . واخذت الصفرة تكسو الوجه الطيب ... مستحيل ان يحدث هذا .. ؟ ولكنه حدث ..!

وارتاب الجزار من وقفة الفتى القروى التى طالت امامه بلا معنى ... فهو لا يشترى ولا يذهب لحاله ... ولم تطل ريبة المعلم فقد قطعها بدوى بصوت متخاذل ..

ـ لا يا معلم .. لا اريد لحما .

وصرخ المعلم وهو يلوح فى وجه بدوى بساطوره الملوث بالدم ..

ـ اكنت تعبث بى يا ولد ..!

وخرجت من شفتيه المرتعشين كلمات متكمشة كانما بللتها دموع الغيظ والكمد التى تزاحمت فى عينيه .

ـ لا يا معلم والله ... لم اكن اعبث .. ولكن .. نقودى ضاعت .. نشلها ابن حرام . !

محمد الشناوى

الثقافة والإرشاد القومي

صدر العدد الثاني

من مجلة

الفنون الشعبية

اطلب نسختك من الباعة

قريباً
رسالة الثقافة



تقديم
اميل جرجس

اذا رأيتها تجد نفسك أمام انسانة رقيقة تحمل قلبا نقيا بين جنبيها .. وديعة كالحمل ـ معتدة بنفسها الى حد كبير .

لا ترى منها ذلك الغرور الأجوف بل ترى فيها امتدادا من علم وفن ومعرفة . ولقد عشت لحظات وأنا غارق في تأملاتي . أمام أعمالها الكثيرة المليئة بالاحساس والقدرة . فأحسست بأن كل أعمالها . صلوات في عالم الخيال .. وافكار واحاسيس متقدة تنفذ الى مخيلتك بدون الفاظ .

فالفنانة جاذبية سرى شغوفة بالتصوير المتشخص وتستوحى موضوعاتها من البيئة والواقع الذي تحياه وتحس به .

ولقد مرت هذه الفنانة بثلاث مراحل مختلفة الاولى من ١٩٥٠ : ١٩٥٥ ، والثانية من ١٩٥٦ ، ١٩٥٩ بفترة التفرغ، والثالثة ١٩٦٠ الى وقتنا هذا . ولكنك اذا تتبعتها ، تحس بأنها تقدم لك أحداثا هامة تعيشها وتخوض غمارها بنفسها فتقدمها لك متكاملة وقوية .

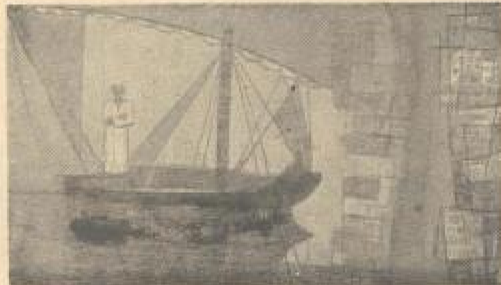
فأم عنتر وأم رتيبة وكوبرى امبابة والنيل . كل هذه موضوعات فرضتها عليها البيئة التي تعيش فيها وتتفاعل معها وتتأثر بها .

ان كل عمل من أعمالها يجذبك اليه لتتأمله فتشعر بأنه ليس غريبا عنك لأنه عمل مرتبط بواقعنا ومجتمعنا .

وقد استوحت ألوان وجوهها .. من طمى النيل الدافىء السخى ...ومن سياهة السمراء المتدفقة ... فتحس بمدى احترامها للرائى أو المشاهد . اهتمامها بمزج العلاقات الجمالية بالواقع ... كما أنها مغرمة بالطولة وأفراحها وأتراحها .

فلو تأملت اللاجئات ... لشعرت فيها بالمأساة التي تكمن خلال تلك الوجوه السمراء المستديرة والوجنات التي جعدتها الحياة فملأتها جفافا مريرا ... تحس بمأساة الطفولة التي تحلم بالدفء وبالعودة وطرف الحنين الى الارض الطيبة .

وبعد ... هذه هي الفنانة جاذبية سرى التي تشهد الاسكندرية أعمالها خلال هذا الاسبوع .



لوحة من أعمالها



« جاذبية سرى »

- تخرجت من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة وحصلت على اجازة التصوير من المعهد العالي لمعلمات الفنون الجميلة .
- قامت بدراسات في باريس وايطاليا
- حصلت على دبلوم في فن التصوير الزيتي من كلية سليد بجامعة لندن
- حصلت مرتين على جائزة روما للتصوير من ايطاليا
- حصلت على جائزة شرفية من البندقية في التصوير عام ١٩٥٦
- حصلت على جائزة شرفية بمسابقة الانتاج الفنى عام ١٩٥٧ فى التصوير
- حصلت على جائزة ثانية فى الحفر عن قسم الجمهورية العربية المتحدة فى بينالى الاسكندرية عام ١٩٥٩
- حصلت على جائزة اولى فى فن التصوير بمعرض صالون القاهرة لجمعية محبى الفنون الجميلة عام ١٩٦٠
- حصلت على جائزة اولى فى التصوير فى بينالى الاسكندرية عام ١٩٦٣
- حصلت على تفرغ الفنانين للدولة من وزارة الثقافة والارشاد القومى لمدة ثلاث سنوات متتابعة منذ ١٩٦٠
- اول مصرية حصلت على زمالة من مؤسسة هانتجتون هارتفورد بكاليفورنيا بالولايات المتحدة لمدة ستة شهور
- لها أعمال فى متاحف الفن الحديث بالقاهرة ـ ومتحف الناسترلى ـ ومتحف الفنون الجميلة ـ ومتحف ايتانسفيل بولاية انديانا بالولايات المتحدة الامريكية
- لها اعمال خاصة ضمن مجموعات خاصة بالقاهرة ولندن وباريس واستوكهولم وبكين والولايات المتحدة ودمشق والجزائر

الثقافة
اسبوعية
تصدر كل ثلاثاء

الرسالة
اسبوعية
تصدر كل خميس

المجلة
شهرية
تصدر يوم (٥)

الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)

القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)

مجلات

الثقافة والارشاد القومي

العدد ٩١
الثمن ٣
الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد – القاهرة .

عوائق الماضى ومعالم الحاضر وبشائر المستقبل

للدكتور : محمد عبدالله العربي

كلنا نلمس اليوم ظاهرة تسود عالمنا العربى ،وهى نضج وعى الشعوب العربية بآلام ماضيها واهداف حاضرها ، ولا شك أن نضج الوعى هو بشير العمل الخلاق ٠

ان كل مواطن عربى فى المشرق والمغرب أصبح يحس اليوم احساسا جارفا بان أمته العربية توشك أن تنتقل الى مرحلة جديدة ، وكأنما التاريخ وقف يومىء اليها ويناديها : هلم الى عهد جديد ٠

ذلك لأن الشعوب العربية قد عرفت مواطن الداء الذى هد كيانها هذه القرون الطوال ، وعرفت المعوقات التى كبتت طاقاتها وشلت نشاطها فاقعدتها عن قيادة ركب الحضارة الانسانية بل أعجزتها عن اللحاق بهذا الركب ، وآمنت بان الفرقة التى فرضت عليها فجعلتها هدفا لكل عدوان كانت مصدر ما اصابها ومصدر المعوقات جميعا ٠

ونحن اليوم ، اذ نتطلع الى المستقبل ونستوضح معالم الحاضر ، يحسن بنا أن نقف قليلا عند عوائق الماضى ، لنعيها حق الوعى ، لئلا ننتكس فيها مرة أخرى ، وان نقف قليلا عند معالم الحاضر وبشائر المستقبل ، حتى نسير على هديها فى ثبات لا انحراف فيه ، ويقين لا يخالطه تردد ٠

أول هذه العوائق وأجدرها بالحسرة هو هذه الفرقة التى قامت بين أقطار العالم العربى ، الفرقة التى شلت طاقاته المادية والمعنوية ٠ هذه الفرقة التى ان كان الاستعمار الاجنبى قد فرضها على الاقطار العربية منذ بداية القرن التاسع عشر ،فلا نستطيع ان ننكر أن الطغيان العربى الداخلى قد أجازها من قبل ، ثم ارتضاها وايدها بعد سيطرة الاستعمار ٠

لقد استيقظت الشعوب العربية بعد رقدتها الطويلة فوجدت وطنها العربى ممزقا الى وحدات جزئية ، تفصل بينها حدود لاتمت بصلة الى مواقعها الجغرافية ، ولا تستقيم مع اشتراكها جميعا فى روابط الوحدة القومية ٠

فاذا فحصنا العوامل التى أدت الى هذا التمزيق رأيناها كثيرة ، وتختلف من عصر الى عصر ٠ ويمكن من باب الاجمال أن نقسم هذه العصور المتعاقبة الى فترتين : الفترة الأولى فترة الحكم العربى ، والفترة الثانية فترة الاستعمار الاجنبى ٠

ففى الفترة الاولى التى امتدت نحـو قرنين من الزمان كانت الامة العربية فى البداية كتلة واحدة تمتد من المحيـط الأطلسى الى الخليج العربى ، بل امتدت شرقا الى اعماق الهند والصين ، وغربا الى جنوب اوربا .

ولو ان هذه الفترة امتدت فى صفائها ومثاليتها قرونا اخرى لكانت الثقافة العربية والايديولوجيـة العربية والهداية الاسلامية قد غمرت العـالم كله بنورها الى اليوم ، وعصمته من المحن والـكوارث التى لازمت البشرية الى اليوم .

ولكن صفاءها ومثاليتها لم يطل بهما العهد ، بل تسربت خلال هذه الفترة المجيدة الى كيان العـالم العربى علل وآفات كثيرة ، أنسته التعـاليم التى اهتدى بها فى مطلع هذه الفترة .

نظام الحكم الذى كان قائما على الشورى ومبايعة رئيس الدولة انقلب شيئا فشيئا الى ملك عضوض، تزيفه مبايعة صورية ، ومضت فتنة السلطان فى طريقها المدمر حتى أحالت ديمقراطيتنا الاصيلة الى اوتقراطية مستبدة .

ثم ساندتها فتنة المال فسولت لطبقة محدودة ان تقبض وحدها على مقاليد الثروة القومية ، وتستعبد سواد الشعب بسيطرتها على موارد الرزق . وهكذا تآمرت فتنة السلطان مع فتنة المال على كيان هـذه الامة .

اما فتنة السلطان فقد نجحت فى ابقاء تعـاليم دستورنا الروحى فيما امرت به من اجراء الشورى بين الشعب وحكامه فى شئون الحكم ، وفيما امرت به من اقامة موازين القسط والعدل الاجتماعى فى تنظيم المجتمع ، ونجحت فى ابقاء هذه التعاليم فى صبغتها اللفظية المجردة ، بغير تفصيل فى مقتضياتها حتى فقدت تأثيرها فى وجدان الشعب ، واستطاع الحكام ان يفتنوه عنها بالخداع تارة وبالبطش تارة اخرى .

واما فتنة المال فقد استطاعت فئة قليلة – متحالفة مع الحكام – أن تستحوذ على خيرات البلاد وتسخر جماهير الشعب فى ابتغـاء المزيد . ونسيت هذه الفئة ما فرضه الله عليها من توجيه المال فى خدمة المجتمع . ونسيت نهيه عن تركيز المـال فى أيدى قلة من الناس .

هنا بدا التفكك الداخلى فى كيان كل شعب الى طبقة مترفة ، تحقد عليها سائر الطبقات الكادحة. ومتى تصدعت وحدة الشعب على هـذا النحو بدأ الضعف يدب فى كيانه .

هذا التحالف الاثيم بين ذوى السـلطان وذوى المال – فى أكثر الاقطار العربية – لم تظهر أوزاره فى كياننا القومى دفعة واحدة ، بل تغلغلت فيـه رويدا رويدا ، وجيلا بعد جيل . وكانت تصد تياره بين الحين والحين نزعات مثـالية تحاول تصحيح الاوضاع وانقاذ السفينة ، ولكن كانت الغلبة دائما لعوامل الهدم .

وهنا بدأت الوحدة العربية يهتز بنيانهـا ، وتتصدع لبناتها ، الى دويلات يحكمها حكام اغتصبوا الولاية بغير ارادة الشعب . ثم لم يعد سواد الشعب وهو كادح ليله ونهاره لاقتناص لقمة العيش ، لم يعد يعنيه مصير وطنه الذى استأثر حكامه ومترفوه بكل خيراته ، ولم يعد الحكام يثقون بتأييد شعوبهم فاستعانوا بالجند الاجنبى يسـتأجرونه لحمـاية عروشهم ، واكثروا منهم حتى انتقلت السلطة الفعلية الى هذا الجند المأجور .

ثم لم يلبث طمع الولاة ان امتد الى الاستيلاء على ما فى أيدى زملائهم من الولايات ، فقامت الحروب بين هذه الدويلات العربية فى المشرق والمغرب . وكتب التاريخ حافلة بانباء هذا الصراع المرير الذى أدى الى تجزئة جسم الأمة العربية الى اشلاء متناثرة لا قدرة لها على الصمود امام اغارات العدو الخارجى .

تنتقل من هذه الفترة التى بدأت بداية مجيدة ، ثم زلزلت دعائمها بعد بضعة قرون ، حتى احدقت بها الفترة الثانية ، فترة الاستعمار الاجنبى الذى تقلب فى دورين :

الدور الاول لم يكن استعمارا بالمعنى الحديث ولكنه كان استعمارا بالفعل ، وعندى ان كل حكم يلى أمر شعب بغير ارادته واختياره الحر ، ويحرص على استغلال الشعب وايثار مصلحة الحاكم على مصلحة المحكومين ، هو استعمار لا يختلف عن الاستعمار الاجنبى الا فى المظهر .

وقد شهدت الشعوب العربية الوانا كثيرة من هذا الاستعمار الدخيل ، كان آخرها الاستعمار التركى .

هذا الاستعمار التركى أحسنت الشعوب العربية الظن به فى البداية ، ولم تعتبره دخيلا عليها لاشتراكها معه فى التعاليم الروحية . ولكنه لم يلبث أن انحرف كما انحرف الحكم العربى من قبل . وزاد طغيانه وفساده حتى انعكس هذا الفساد على كيانه هو بالذات ، فتقوضت أركان سلطانه ، الامر الذى أغرى الاستعمار الاوروبى بانتزاع الاقطار العربية من قبضته واستئثاره باستغلالها . فلم يكد يكتمل القرن التاسع عشر حتى كانت أكثر الاقطار العربية موزعة بين بعض الدول الاوروبية .

ثم بدأ الدور الثانى ، دور الاستعمار الاوروبى . وقد حرص على المحافظة على نفس العوامل التى أدت الى تفتيت الكيان العربى ، بل أمعن فيها ، فحيثما وجد رقعة متماسكة بعض الشىء - كالديار الشامية التى كانت ولاية واحدة فى عهد الاستعمار التركى - عمد الى تفتيتها الى جزيئات متناثرة ، وعمد الى تغذية العصبيات الاقليمية ليحول دون ائتلافها فى كيان متحد . وحيثما وجد حكما اوتقراطيا محليا أيده وأيد من يلوذ به من فئة المترفين ، ليجعل منهم سندا له فى تكبيل الشعب واعجازه عن مناهضته .

واستيقظت الشعوب العربية فاذا هى واقعة بين شقى الرحى : بين طغيان داخلى وبين استعمار أجنبى والضغط اذا بلغ أقصاه آل الى الانفجار . فقامت الثورات العربية هنا وهناك . فكان يواجهها المستعمر متحالفا مع أعوانه من الفئة التى تحرص على ابقاء الوضع الاستغلالى القائم .

حتى اذا آذنت الظروف العالمية والحربان العالميتان بضعضعة قوى المستعمر فى أرجاء الارض ، ودقت ساعة تصفية الاستعمار ، انحسر الاستعمار الاوروبى عن أكثر الاقطار العربية فى شكله المكشوف ، ولكن بقى له أعوانه من العملاء ، وبعض أوضاع اجتماعية تعرقل نهضة الشعوب العربية ، وأخيرا دق اسفينا فى قلب العالم العربى ليحول دون توحيده ، وليكون قاعدة العدوان اذا تهيأت له ظروف عدوان جديد .

وهنا أدركت الشعوب العربية مدى الخطر الذى يحيط بها من كل جانب وتذكرت تعاليم تراثها الروحى الذى غفلت عنه فى عصور الانحلال ، وأهملت تفصيل هدايته الكلية بما يلبى مطالب كل زمان .

ولما كانت سنة الله فى خلقه انه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فقد أخذت الشعوب العربية تطهر نفسها من العلل التى لابستها فى عصور الانحلال ، وأخذت تحطم العوائق التى هدت كيانها ، وترتاد المستقبل بقلوب مؤمنة نحو الوحدة القومية التى افتقدتها طويلا ، ونحو تطوير شامل فى اقتصادها القومى وفى تنظيمها السياسى والاجتماعى . .

وبعد فهذا بيان موجز للعائق الاول بل العلة الكبرى التى تغلغلت مدى قرون متعاقبة فى كيان الامة العربية ، وسنعود الى تفصيل فيه ، ثم نشرف على معالم الحاضر فيما ظهر من خطوات البرء من هذه العلة ومن علل أخرى ، ثم نتطلع الى المستقبل الذى أشرقت بشائره .

دكتور . محمد عبد الله العربى



نحو أدب قومي صميم في الجزائر

الدكتور : محمد عبد الباري شعيرة

انتصرت الجزائر واستعادت حريتها ، وهب رجالها المناضلون في ظل السلام يسعون في عزم واصرار الى حماية مكاسبهم وممارسة مسئولياتهم في معركة البناء • وهم في هـذه السنين الأولى من عهد الاستقلال يبنون حياتهم الاقتصادية والسياسة والاجتماعية والقومية • وهم أشد حماسة لبناء حياتهم الثقافية العربية لأن حرمانهم من هذه الحرية الثقافية كان أقسى على نفوسهم من أي شيء آخر • ويحس رجال الفكر الناطقون بالعربية أو الفرنسية على السواء بانهم هنا أمام مسئولية كبرى •

ونحن نحاول في هذا المقال أن نصور حركة رجال الادب في الجزائر • هنا في الجزائر دعوة الى خلق أدب قومي معبر عن الذات القومية يتنافس الناطقون بالفرنسية والعربية على السواء في تلبية ندائها • أما الأدباء المغاربة الناطقون بالفرنسية فانهم يؤمنون بقدرتهم على التعبير عن الذات القومية ويفاخرون بما كان لهم من انتاج واشتراك في نضال التحرير • وهم مصممون على أن يواصلوا طريقهم القومي معبرين باللغة الفرنسية دون أن يروا بأسا من أن يكون للجزائر أدب مزدوج • أما الأدباء العرب فان دعوتهم الى الأدب القومي دعوة أخرى لاتقبل الاشراك اللغوى، وهم يحسون اليوم بقيمة التحرر من أغلال أثقلت خطوهم حتى عطلت قدراتهم الطبيعية اللغوية والادبية•

وأعرض هنا لموقف الادباء الناطقين بالعربية خاصة، انهم اليوم يتعرفون على آفاقهم الجديدة ويلقون على الماضي نظرة ناقدة شاملة ويحاولون تقييم الانتاج الأدبي الناطق بالفرنسية في جرأة وثبات •

فمنهم فريق يعتبر هـذا الأدب القيم الناطق بالفرنسية أدبا ــ دخيلا ، وفرعا غير شرعي لأنه نبت في ظروف تاريخية غيرشرعية ،واقترن بآثم الاستعمار، فهو لا يمت شرعا الى الادب المغربي العربي بأية صلة من الصلات وان أملته الروح القومية • وقد قال أحد أفراد هذا الفريق « ان الأدب الجزائرى الناطق باللغة الفرنسية لا يمكن ان يعتبر أدبا جزائريا ، ولو كان كذلك حقا لما خصصت له الدولة الفرنسية منحا » •• ووراء هـذا الانكار لمزايا الأدب الناطق بالفرنسية دعوة الى التزام طريق التعريب دون غيره ، ودعوة الى استلهام التراث العربي والى استرداد الطبيعة العربية •

والفريق الثاني من الأدباء يهمل شأن هذا الأدب الناطق بالفرنسية دون أن يستنكره ، ويذهب الى انه طرفة اقليمية من طرائف الأدب الفرنسي ، ومجرد فرع ريفي هين الشأن الى جانب الأدب الفرنسي ، كما يذهبون الى انه نبت لابد أن ينقطع أصله ، والى ان مصيره الزوال المحتوم بزوال الاسباب التي انتجته

فأيامه معدودة بعقود السنين على الأكثر · وهو صورة لمرحلة من مراحل التاريخ ذات محن وذكريات اليمة ·

والفريق الثالث من الأدباء يذهبون الى أن الأدب الناطق بالفرنسية أدب مهجن يصور عصرا سجله التاريخ بما في هذا العصر من ضعف وقوة ، وبما فيه من اهتمام باستعارة الثقافة الأجنبية والانتفاع بها وتوجيهها نحو التعبير عن القومية المناضلة المعادية للمستعمر

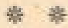
وهذه الفرق كلها تدعو الى العودة للأصل ، الى التعريب وان احتاجوا في سبيل هذا الهدف الى مالاطاقة لهم به ، انهم يريدون وصل الحاضر بالماضي · وآمالهم هي آمال زعيم العروبة في الجزائر « ابن باديس » في خلق أدب كامل لا يقتصر على التعبير عن الذات القومية بل يتجاوز هذا النطاق الفني الخالص الى اتخاذ اطار عربي تتجلى فيه الذات وتمارس قدراتها الفنية والجمالية · ووراء هذه الدعوة توجس من الاستمرار في الأدب الناطق بالفرنسية ، ووراءها أيضا ايمان بان الادب الناطق بالفرنسية في بلد عربي فخور بعروبته من شأنه أن يكون أدبا منعزلا عن جمهورهالطبيعي

والواقع ان الادباء يخوضون معركة شعارها واحد وهو نحو أدب قومي ، والمنتظر هو أن تنجلي المعركة اما عن ادب مزدوج ناطق بالفرنسية والعربية على حد سواء ، أو عن انفراد الأدب الناطق بالعربية بكل المجال ·

ولا يهمنا أن نتنبأ ، وانما يهمنا أن نقرر أن تاريخ الجزائر الحديث يدل فيما نرى على أن الملكة الأدبية الجزائرية خاصة والمغربية عامة ملكة قوية بلغت قدراتها حد تحطيم الحواجز اللغوية ، وبلغت قدراتها حدا سايرت فيه الأدب الفرنسي سير الند للند ، وهذه الملكة الفنية القوية الأمينة تقف اليوم عند مرحلة الانطلاق في آفاق جديدة · وكل الدلائل تدل على أن الانطلاق لابد ان يكون قويا · أم ترى الملكة قويت عندما تحدتها الصعوبات بحيث اذا زال التحدي سكنت الملكة واعتراها الخمول ؟ أما أنا فاني متفائل ·

واذا انتقلنا الى التنبؤ ، فان خيره ما يستند الى التجربة التاريخية · وكل الدلائل تدل على أن عصرنا هذا بما فيه من نهضة سياسية واقتصادية واجتماعية تبلغ حد الثورة لابد أن يقترن بنهضة ادبية على قياس التحول السريع الذي نلمسه اليوم في ظروفنا العامة · ونحن نؤمن بان الحاجة الى التعبير الفني عن الذات القومية لا تقل في حياة أي شعب عن حاجته الى اقتصاد سليم متين والى ديمقراطية جماهيرية مستنيرة ·

نتوقع أن يظهر امثال أبي فراس والمتنبي وابن هانيء عندما استقرت أوضاع الدول الاسلامية المفوضة (أو الاقليمية) الموحدة · وتقارب أوضاعنا أن تستقر ، وتقارب نهضتنا مرحلة الخلق · ونتوقع أن تنطلق قدراتنا الفنية الخالقة ، وقدراتنا العقلية المبتكرة ، وقدراتنا على اكتساب الخبرة العمالية الحاذقة ، وهذا هو منطق التطور في ظل الحرية والا تحولت الحرية التي جاهدنا في سبيلها الى عبودية العجز ، والى التماس مبتكرات الغير ، والى التبعية الجديرة بقتل امكانياتنا ·



لاتبعية ولا تقليد في الادب ، هذا هو الشعار الذي نتوقع أن يطبقه أشقاؤنا المغاربة شأنهم في هذا شأن المشارقة ، وهذا الشعار كفيل بان يخلق الأدب القومي الصميم المنشود ·

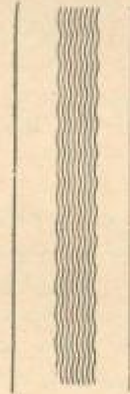
الجزائر

« محمد عبد الهادي شعيرة »

(للمقال بقية)



القصة العربية القديمة



لدكتور: أحمد كمال زكي

شيئان يجعلانني أتحدث عن القصة العربية القديمة ، أولهما أن فهم القصة المعاصرة مرتبط بمعرفة ماضيها في ضوء من نظرية الأجناس الأدبية التي وضعها برونتيير وطبقت من بعده بنجاح كبير ، وثانيهما أن أزيل شبهة الشك في معرفة العرب لهذا الفن !

ولا أستطيع – في الواقع – أن أقوم القصة تقويما دقيقا ، على الرغم من اتفاقي مع بعض الدارسين حول امتداد وجودها الى أيام الجاهليين . وقد كان استخدام القرآن الكريم لها ردا عمليا على من حاول انكارها ، وحكى الرسول عليه السلام بنفسه خبر « تميم الداري » الذي خرج من فلسطين مهاجرا وضل في البحر – مع أصحابه – وقابل الجساسة والمسيح قبل اتصاله به صلى الله عليه وسلم وقبول اسلامه .

ويبدو أن الرسول كان يقص أو يفسر باسهاب ما جاء في كتاب الله من قصص لأن النضر بن الحارث القرشي – وهو ممن آذوه – كان يخلفه في مجلسه ويقول : أنا يا معشر قريش أحسن حديثا منه ! ثم يروح يحكي للعرب حكايات عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ، وقد نقل ابن هشام عنه أنه قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك العجم . ومثله كان جماعة ، حتى روى الهمداني في كتابه « الوشي المرقوم » أنه لم يصل الى أحد خبر عن الملوك الأولين الا عن طريق العرب ، لأن منهم من سكن الحيرة – والشام والبحرين وجاور الأعاجم واحاط بأخبارهم احاطته بأيام حمير وأساطيرها وأقاصيص بني اسرائيل واليونان والهند والسند .

كل هذا – ومثله كثير يصعب استقصاؤه هنا – يعني أن العرب منذ أشرق نور الاسلام وهم يأخذون بالقصة أخذا ملحا . ولكنه أبا طالب المكي صاحب « **قوت القلوب في معاملة المحبوب** » يحكي خبرا يبين فيه ان الرسول كان – مع ذلك – يرى القصة علما لايضر الجهل به ، كما يحكي خبرا آخر مؤداه أن علي بن ابي طالب رآها أيام الفتنة احدى البدع فناهضها وطرد من المسجد الجامع بالبصرة كل القاصين ماعدا الحسن البصري ، والمعروف أن هذا العالم الجليل كان يقص القصص الديني الى جانب ما يزجيه من مواعظ في عبارات تشبه عبارات الكتاب المقدس من بعض الوجوه .

ويمكن أن تجعل صورة القصة العربية خلال القرن الاول الهجري هي تلك الصورة التي ترسمها الكتب القديمة لمجالس الذكر . وفي هذه المجالس الدينية كان يجتمع رهط من النساء والزهاد والعباد أشهرهم عامر بن قيس ، وصلة بن أشيم ، ومورق العجلي ، ومالك بن دينار ، وثابت البناني ، وأيوب السختياني ، ومحمد بن واسع ، وفرقد السنجي ، وعبد الواحد ابن زيد . واجتماع هؤلاء كان يتم في بيت أحدهم او في المسجد الجامع للمدينة أو في أي مسجد من مساجد القبائل – وكان لكل قبيلة مسجد كمسجد تميم ومسجد هذيل – وتدور فيه الاحاديث عن الامم البائدة والنبيين من امثال صالح وهود وعن يأجوج ومأجوج ، ولم يكن هناك ما يمنع دخول العامة للاصغاء والمشاركة بالأسئلة .

ومن الطرائف او العجائب التي تروى في هذا الباب أن موسى بن سيار الأسواري لم يكن يكتفي

باللسان العربي يقص به وحده ، وانما كان يقص بالفارسية ايضا حتى يفهم عنه الموالى ، وكان عامة الناس يحبونه لحسن قراءته وجمال صوته • وجاء من بعده عمرو بن فائد الذى جلس فى جامع البصرة يقص مدى ست وثلاثين سنة ، فى فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيبا بعد ذلك ، كما يقول الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين »

ويقابل هذا النوع من قصص الزهاد والعباد ضرب آخر لعب فيه خيال القاصين دورا بعد به عن مجال الدين ، ونحن نعثر احيانا فى كتب التاريخ التى صنعت بعد القرن الأول الهجرى اشياء من هذا القصص ، الا اننا لا نستطيع أن نطمئن الى انها بصورتها الأولى التى سمعت بها •

ويلفتنا قبل كل شيء كتاب يجمع صنوفا من القصص تضاف الى وهب بن منبه وعبيد بن شريه ، وكلها تدل على أن صاحبيها ـ وهما مخضرمان ومعمران يمانيان ـ لم يقصدا بها « **مجالس الذكر** » بل ان بعضها او أغلبها كان يقصد بها معاوية بن ابى سفيان فى مجالس سمره ، فهذا الخليفة الاموى يسأل القاص اليمانى عن «رجم البيت الحرام» مثلا فيخوض فيه خوضا متسقا له بداية ممعنة فى القدم ، وبعد أن يفرغ مما يريد ـ أو يخيل اليه أنه فرغ ـ يعود فيسأل « فحدثنى يا عبيد عن هلاك عاد وكيف كان هلاكهم » فيتحرك القاص فى جو خيالى آسر دون أن يستهدف سوى الاثارة والمتعة والتسلية ••

ومع ذلك لانزعم أن هذه القصص فى هذا الكتاب ـ واسمه كتاب التيجان ، المطبوع فى الهند ـ تمثل تماما صورة القصة العربية خلال القرن الأول ، ففيه عدة روايات يدخل فى سندها رجال عاشوا فى القرنين الثانى والثالث ويرويها غير عبيد بن شريه ، نقرأ مثلا العبارة التالية : « و ذكر محمد بن اسحاق من غير رواية عبيد بن شريه أنهم•• » فاذا انتهى ابن اسحاق ـ وقد مات سنة ١٥٠ وذابت آثاره عند الطبرى وابن هشام ـ يقول مصنف الكتاب « رجع الحديث الى عبيد بن شريه ، قال عبيد »

اذن فالمشكلة معقدة ، بل لا يغنى فيها أن نرى وهب بن منبه ينقل قصص ابن عباس عن قابيل وهابيل وذى القرنين وهود ، فسياق هذا القصص لا يدل الا على أن الفكرة العامة هى وحدها لابن عباس ، والصياغة لوهب او لمن يحكى لوهب •

ويعنينا من هذا أن القصة كانت تعمل جاهدة على أن تتخلص من وعظ القصص التقليدى • بمعنى أنه كان لابد للعامة ـ قبل أن يحتشدوا للاستماع ـ أن يعرفوا ماذا يحكى لهم « الزاهد » و « القاص » فيقصدون الى ما يحبون ، وكان على الدارسين بعد ذلك أن يفرقوا بين النوعين من القاصين بعد أن استمروا طويلا ـ ومنهم الجاحظ ـ فى الخلط بينهما، وفى هذه الدائرة وردت فى « البيان والتبيين » قوائم بأسماء قاصين مختلطة بأهل الزهد والفصاحة والبيان •

وقد أقبل القرن الثانى الهجرى وفن القصة العربى يخطو بقوة وجرأة ، ولم يعد ثمة من يقف فى سبيله كما وقف من قبل على بن على بن طالب ، ولم يكن هناك من يخاف فتنة العامة به ، بل لعل اولى الأمر من العباسيين رأوا فى انصراف الناس الى القصة مايصرفهم عن متابعة أعمالهم وحسابهم، والنظر فيما يصدرون عنه • وأذيعت من ثم حكايات المردة والشياطين وأساطير الجن العجيبة فى ثوبها الفارسى والهندى ، كما اذيعت حكايات الحيوان على ما بلورها كتاب « كليلة ودمنة » وهو صياغة عربية لحكايات عرفها اقليم العراق ، ولا سيما البصرة التى كانت تسمى أرض الهند ، وورد بعضها فى السنسكريتية ولكن بصورة تخالف صورتها العربية •

وفى نهاية هذا القرن تقريبا ترجمت من الفارسية « **الف ليلة وليلة** » وكانت باسم « هزار أفسانه » قال محمد بن اسحاق على ما رصد ابن النديم فى فهرسته : « أول من صنف الخرافات وجعل لها كتبا وجعل بعض ذلك على السنة الحيوان الفرس الاول •• ونقلته العرب الى اللغة العربية وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنفوا ما يشبهه ، فأول كتاب عمل فى هذا المعنى كتاب « هزار أفسانه » ومعناه ألف خرافة • وكان السبب فى ذلك أن ملكا من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها شهر زاد ، فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها •• »

ان ابن النديم الذى ألف كتابه فى منتصف القرن الرابع لم يذكر لنا من أول المترجمين لهزار افسانه، كذلك لم يحدد تاريخ تداولها بالعربية فى الاقطار الاسلامية ، غير أننا نرجح أن يكون زمنها هو زمن صدور « كليلة ودمنه » وقد اشتدت العناية بها فى القرن الثالث ، وراحت تروى فى كل مكان ، بل ان الرواة يجمعون على أن قصور الخلافة فى أيام سيطرة « الحريم » كانت أكثر ما تكون احتفالا بالف ليلة وليلة ونحوها ٠

ومع ذلك فقد ظل أمر القصة كما كان من قبل، حتى ليمكن ان نقول ان الصورة العامة لها لم تختلف كثيرا عن صورتها فى القرن الاول الا باتساع رقعتها ٠ فبينا نرى من القصاصين من يعظ فيصدق فى وعظه ومن يتكلم فى الزهد فيجيد الكلام نرى من لا يحاول أن « ينهى عن ذنب » ويزوق عباراته عن زليخا ويوسف ونحو ذلك ٠ فلا عجب أن تثور ثائرة نفر ، روى ان الأعمش « دخل البصرة وكان فيها غريبا فنظر الى قاص فى الجامع وهو يقول : حدثنا الأعمش عن أبى اسحاق ، وحدثنا الأعمش عن أبى وائل ، فتوسط الاعمش الحلقة ورفع يده وجعل ينتف شعر ابطه فبصر به القاص فقال : ياشيخ : ألا تستحى ، نحن فى علم وأنت تفعل هذا ؟ فقال له الأعمش : الذى أنا فيه أفضل من الذى انت فيه ؟ قال : كيف ؟ قال : لأنى فى سنة وأنت فى كذب ، أنا الأعمش وما حدثتك شيئا » ٠

ولمثل هذا ، ولاجتماع النسوة والغلمان والجهال حول القاص بدات موجة سخط عليها تكتسحها ، ولكن من جانب العلماء وحدهم ، يحكى ان سفيان ابن حبيب لما دخل البصرة وتوارى عند « مرحوم العطار » قال له مرحوم : هل لك أن تاتى قاصا عندنا فتتفرج بالخروج والنظر الى الناس والاستماع منه ! فخرج معه الى صالح المرى على تكره ـ كما يقول الجاحظ فى البيان والتبيين ـ كانه ظنه كبعض من يبلغه شانه !

والرواية على اى حال تقرر ان سفيان لم يجد فى صالح المرى الا خيرا حتى قال : هذا ليس قاصا ، هذا نذير ! غير انها لا تعنينا الا من حيث اشارتها الى كره العلماء لها، وقد انتهى امرها على أيام الجاحظ فى النصف الاول من القرن الثالث الهجرى الى حال من الزراية جعلت ذلك الأديب الكبير يقرن القصاص بمن أصيب بعته أو خسة ٠ وعقب تعرضه لما كان يرويه المسجديون والمربديون من أشعار المجانين ولصوص الأعراب قال « وكان عندنا قاص يقال له أبو موسى كوش ، فاخذ يوما فى ذكر قصر الدنيا وطول أيام الآخرة وتصغير شان الدنيا وتعظيم شان الآخرة فقال : ان الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيئا وعليه فضل سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : خمسا وعشرين سنة ليل هو فيها لا يعقل قليلا ولا كثيرا ، وخمس سنين قائلة ، وعشرين سنة اما أن يكون صبيا واما أن يكون معه سكر الشباب فهو لا يعقل ، ولا بد من صبحة بالغداة ونعسة بين المغرب والعشاء ، وكالغشى الذى يصيب الانسان مرارا فى دهره وغير ذلك من الآفات ، فاذا حصلنا ذلك فقد صح أن الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيئا وعليه فضل سنتين »

اننا بطبيعة الحال لا نريد أن ننظر الى امثال أبى موسى كوش نظرة الجاحظ اليه ، لانه فى حقيقة الامر يؤكد أن الحقيقة العلمية أو الحقيقة التاريخية لم يعد مجالها القصص وأن المرء الذى يقصده ـ وقد تزيى بزى خاص وراح يسرح بخياله ويشد آذان الصغار والنساء اليه ـ لا بد واجد عنده كل ما يثير المشاعر ويوقظ الوجدان ٠

واما ما حدث بعد ذلك مما يحفظه التاريخ وتقرره الدراسات الأدبية عند الغربيين بصفة خاصة ، فموكول لبحث آخر نرجو أن نوفيه حقه من العناية فى عدد قادم ان شاء الله ٠

« د ٠ احمد كمال زكى »



أين الشاعر الموهوب ؟

للدكتور عبد الرحمن عثمان

— ٢ —

لا ريب ان اختفاء الشاعر الموهوب في بيئتنا الحاضرة امر يدعو الى التساؤل ، بل انه يثير في النفس شعورا قويا هو مزيج من العجب والحيرة . فالعوامل كلها مواتية ، والمجتمع العربي في نشاط وحركة ، والوعي في جيلنا يبلغ الذروة ، وهذا يدعو حقا الى اصاخة السامع نحو صوت الشاعر العربي الذي يغني لها في هذا الزحف الدائب باحلى الالحان وانبل النغم، لان حلاوة اللحن تمسح على متاعبها وتهون عليها مشقة الكفاح، ونبل النغمة يشد من عزماتها للمضي نحو الامل المرتقب والمستقبل العزيز .

وكنا في مقالنا السابق قد عرضنا لاطراف من نوافر البيئة وتهيؤ العوامل التي تحتضن الموهبة الشعرية ، ولكننا نشعر ان هذا التناول يحتاج منا الى نوع ايضاح يكشف عن كثير من الامور التي تزيد القضية بيانا ، ونعرضها عرضا علميا دقيقا يسهل معه الوصول الى النتائج الحاسمة التي لا تخطئ مقدماتها .

والذي نحب ان نعرض له يدور حول شعور النفس العربية بكرامتها ، وحاجتها الى قوميتها التي هي طريق احراز الاماني من حرية تبني بها مستقبلها على نحو عزيز كريم . كما يدور كذلك حول ارتباطها بادبها القديم ثقة منها بانه هو وحده الذي يتجدد به نشاطها ويورق عودها .

فان الحركة الشعرية — في مرحلة البعث الحديث — لم تبدا بدءا حقيقيا الا حينما استيقظت المشاعر العربية على نداء الاماني الوطنية ، وفي كنف الاحساس بحقها المشروع في الحياة الحرة الكريمة ، وهي كما نعلم مرحلة استغرقت حوالى تسعين عاما ، فكان من ثمراتها نجاح الشعب العربي في الالتفاف حول امنيته التي طالما كافح من اجلها كفاحا مريرا ، وهذه الامنية هي الدعوة الى الوحدة الشاملة التي بشرت بها ثورة عام ١٩٥٢ في مصر .

❊ ❊

ولست ازعم ان البواعث الاجتماعية هي التي تحمل الفنان الموهوب على الابتكار والخلق الفني ، لانها بعض البواعث الدافعة وليست كل البواعث ، فنحن ندرك ان الانفعال الذاتي اساس في كل نتاج فني ، فهو بمثابة القوة الدافعة التي تولد الحركة في الآلة البخارية وبغير تلك القوة لن تكون حركة ، ولا ابداع في اى لون من الوان الفنون ، وعلى هذا فالانفعال الذاتي يمثل اول خطوة في عمل الفنان الذى يتكئ على نفسه ، ويمتح من خالص مشاعره واحاسيسه .

ولكن هذه الذاتية الفنية قد تذاع في المشاعر الاجتماعية لتؤلف ذاتية فنية اخرى اجل واخلد من الفردية التي كانت للفنان وحده . فقد اتصلت بالقومية ووثقت عراها بالذاتية الاجتماعية ، ومن هنا يقوى الاتصال بين الفنان ومجتمعه ، ويحس جمهوره ان مشاعره على اختلافها مخبوءة في وجدان ذلك الفنان،

وهذا هو المعنى الدقيق الذى تحققه المشاركة الوجدانية في الفنون الجميلة .

والموهوب الناجح هو الذى يوائم بين شعوره وشعور قرائه، وهذا يحتاج الى مجتمع عادل تسوده المساواة والايثار ، ليتنزل الفنان عن ذاتيته راضيا كل الرضا ، وليستخدم فنه فيما يرى انه يسعده حين يسعد به قومه ووطنه .

على ان المسالة هنا تتعلق بالحرية القومية لشعب يحس احساس الشاعر ، ويشعر شعوره ، اذ لم تعد هناك فجوات تفصل بينه وبينهم ، وانما التقاء في كل شيء ، واتفاق متجانس على كل شيء . وما دام الامر كذلك ، فليس من حق الشاعر مثلا ان يتجه بشعره الاتجاه كله او اكثره الى خواطر تند عن ارتياد الطريق لقومه ، كما انه ليس من حقه ان يستسلم لآراء الا اذا كانت تدور في فلك الحرية القومية التي احتشد لها الشعب ، وجند من اجلها قواه ، لان الآمال قد نيطت به ، والقراء ينتظرون منه الامتاع والتوجيه ، وقد يتطلبه ذلك ان يضحي بشيء من سعادته ، فما انبل التضحية واهونها عند القادة الموجهين .

فالشعر في حقيقته تصوير جميل لما يجد من احوال النفس والمجتمع يوما بعد يوم ، واخلد الشعر ماهز الشاعر وارشد الى الطريق ، واحق الشعراء بالتقدير من قدم لقرائه ما افادهم وامتعهم ، ولهذا كان العامل النفسي من اقوى منشطات الشعر ، وصنع الشاعر الموهوب .

وطبيعي ايضا ان المواهب الفنية وحدها لا تحقق غاية من غايات النهضة الشعرية الا اذا ظاهرتها ، ثقافة شعورية ، واعانها احسان بارع لآلات البيان على اتم وجه واشمله ، كالموهبة الطاغية ، والشعور الجياش ، والحذق الكامل لآلات الفن الشعري ، امور لا بد لها من ان تمتزج في وعي ذوى الملكات ، حتى تصوغ البراعة في الشعر والعبقرية فيه ، فهي مجتمعة تعني ظهور الشاعر الموهوب ، وتجيب على ما يتساءل عنه المفكرون في كل اقليم عربي ، وبغير هذا الامتزاج ، الثلاثي ، لن تظفر اللغة العربية بشاعر معاصر يعيد الينا فخامة شعر البارودى ، وحلاوة نهج شوقي ، وحرارة قصيد ابي القاسم الشابي وعبد الحميد الديب والتيجاني بشير .

فقد دب النشاط في الحياة القومية في الوطن العربي كله، واخذت المشاعر الحية تعرف به سبيلها الى ما تطمح اليه ، وتفتحت العيون على اساليب البلغاء من متقدمي هذه الامة ، اعرف الجيل الماضي النسق الجليل عند شيخ البيان ابي عثمان الجاحظ ، واستمتعوا بطلاوة القول واطراده فيما كتبه عبد الله ابن المقفع ومن اليهما في فن الكتابة ، واتصل كذلك بروائع الشعر عند الجاهليين ، والاسلاميين ، والعباسيين ، فاستقام له من كل ذلك ذوق ادبي له طابعه العربي الاصيل ، وتهيات له الوسيلة الادبية ليفلت من قبضة التقليد والاسفاف ، وكان طبيعيا ان يستتبع هذا الاتجاه الثقافة قوية في كل جانب من جوانب

الفكر والعواطف . وان نعم الوجه العالم العربى فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر . ففى مصر قامت مطالبة بالحياة الدستورية، ثم ثورة وطنية ، ثم مقاومة للاحتلال البريطانى . وفى دمشق وبيروت صيحات عنيفة ضد الغاصب المستبد . وفى السودان وعى قومى انتهى الى ثورة . وفى بغداد محاولات جادة لاحلال اللغة العربية محل اللغة التركية فى المحاكم ودور التعليم . وكل تلكم الصور نعرفها فى ماضيها القريب حين كانت تقل فى الوطن العربى كله . حتى بلغ من غرائبها وحدتها ان تحولت فى نثرها وشعرها الى كلمات مثيرة يختلط فيها الغضب بالامل ، ويلتقى بها الرجاء بالعمل . ومن ثم توحد الشعور العربى فى ليل المحنة . واجتمع الشعب الكبير يزحف الى مصير واحد .

وفى هذا الموكب الوطنى الرائع يتقدم الشاعر محمود سامى البارودى بهمة الجندى وطموح العبقرى لياخذ بيد الفن الشعرى، وليسلك به مسالك غامت امام ناظريه قرابة خمسمائة عام . وما هى الا جولات صادقة حتى اعاد صحة الاسلوب . وفخامة العبارة، وروعة التصوير . وسمو الخيال . وكانها هى من انامله لمسة الساحر . او اشارة عيسى بن مريم حين احيا الموتى باذن الله . ولا احب ان يحمل حديثى هنا محمل المبالغة او التهويل . لان ما اشعر به نحو قدرة البارودى فى وثبته بالشعر تلك الوثبة الهائلة . هو فى نفسى اكبر من كل مبالغة او تهويل . فلقد كانت البواعث المادية فى عصره هى نفس البواعث عند غيره من الشعراء . ومع ذلك لم تصادف ملكة اصيلة . او عبقرية ـ كعبقرية صاحبنا ـ تكاد تستشف الحجب المستور خلف اسوار الزمن . تلك التى استطاعت ان ترجع به فى فترة وجيزة الى عهود : امرئ القيس . وجرير . وبشار . والمتنبى . وابى فراس الحمدانى . فانه حينما عارضهم فى بعض قصائدهم كان كمن يشافههم ويتحدث اليهم حديث القرين العاشر . او الصديق الذى طالت معهم صحبته !!

والذى اراه عند شاعرنا الموهوب اشبه ما يكون بالحدث الكونى الذى يقع فجاة وعلى غير ارتقاب . ومهما حاولنا تعليله . او جهدنا فى رده الى الباعث النفسى او التفتح الثقافى . فان شيئا هاما سيبقى فى الموضوع دون تعليل او تفسير . كانما هو ضرب من ضروب المعجزات التى تظاهرها قوى خفية لا يملك المرء امامها شرحا او ايضاحا . وذلك الشئ الهام وثيق الصلة بعبقرية البارودى وموهبته الخارقة .

وينبغى الا ننسى ان هناك فرقا بين خلق الات البيان وبين توافر الملكات والابتكار الادبى . فرب عالم ضليع يشار اليه فى استيعاب فنون العربية من : نحو . وتصريف . وبلاغة . وعروض. يعجز عن ابتداع فن من فنون الشعر . لان دراسة علوم العربية شئ . والاستعانة بها فى ايقاظ الموهبة الشعرية شئ اخر . وذلك من الوضوح بحيث لا يحتاج الى بيان .

واتصال الموهوبين وذوى الملكات الشعرية بالتراث القديم لا يحقق لهم ابداعا وابتكارا دون التدرج فى ترويض ملكاتهم بعرضها على ضروب البراعة التى امتاز بها الادب الاصيل مرة بعد اخرى . فلقد طال عليها الامد وهى تتخبط فى ظلمات العجمة والجهل . ومحال ـ كما يقول استاذنا العقاد ـ ان يتناولها التغيير بين يوم وليلة . ولهذا كان الشاعر العاصر فى حاجة الى التدرج من مدارج القريض . والتمرس باساليبه . والتعرف على مسالك اخيلته وتصاويره .

واذا كانت الموهبة لا تستقل بتقديم الشاعر لمجتمعنا الا اذا امدتها الثقافة بروافد من القوة والجمال . واعانها امتلاء شعورى بالغ الغناء . فان الشاعر الذى ننتظره وشيك الظهور فى عصرنا المتلف الذى يموج بالاحداث الكبرى . ويزخر بكل ما يحرك النفس ويهز الوجدان . فالفحولة الشعرية لا تعدو ان تكون عبقرية مضيفة الى الالهام الذى يفد من داخل النفس او من خارجها . ثم هى بعد ذلك : طبع مواث . وملكة خلاقة . ومفهومها هذا لا يتغير فى جميع العصور . وسيظل كذلك لدى كل امة درجت او تدرج على الارض .

وانفصال الشاعر عن شعور مواطنيه وقرائه يسلمه الى العزلة . وينتهى به الى جهل مزر بما يجرى حوله من صروف الحياة واحوال الناس . فالميزة الكبرى للشعر الخالد كما قلنا . تجديده للحياة التى يحياها الشاعر على هدى مما يرى او يحس يلمسه للمشاكل الاجتماعية . ومحاولة ايجاد حلول لها او المشاركة فى مواجهتها مشاركة تخلط الشاعر بمن حوله .

وهذا الاتجاه ضرورى فى الشعر الحديث استجابة لقضية الالهام التى عرضنا لها . ومهما يكن من امر هذا الالهام فانه يدخل فى تاليف الصورة الشعرية حتى كانه جزء من اجزائها . وهذا التلاحم بين المواهب الفنية ومصادر الهامها هو الذى يوفر للشعر صدقه الفنى . ويحقق له من القراء قبولا واستجابة .

ولست اعنى هنا تقييد الحرية الفنية . او الحد منها . فيما اكدت من خضوع الشاعر لمجتمعه . وارتباطه الوثيق بمصادر الهامه . فاننى اعتقد اعتقادا لا يخالطه ريب ان الحرية من طبيعة الفنون . وان المساس بها يخنق المواهب . ويذبل الملكات . وانما الذى اعنيه هو : قيام الشاعر بواجباته نحو قومه ومجتمعه الذى اندمج شعوره فى مشاعره . خضوعا لطبيعة رسالة الشعر . وقياما باعبائها والتزاماتها . وعندما يؤدى الشاعر واجبه على هذا النحو كاملا سيشعر بالرضا عن نفسه . ويجد السعادة تلف وجوده كله . لانه قد ادى ما ادى بوحى من ضميره الانسانى كان فيه مختارا غير مكره . وذلك ـ لعمرى ـ اسمى مرتبة نعرفها من مراتب الحرية التى يعشقها الكبار من الشعراء الخالدين .

فاما حين يراد الشاعر على امر غريب عنه . او يقهر على اتجاه تقلق فيه افكاره . وتستوحش منه عواطفه . فذلك هو القيد الذى يمسك الشاعر عن الانطلاق فى افاق الخير والجمال . وهو الخيط الحريرى الذى يعتصر لهاة البلبل .

ولم يكن من فضول القول اننا عطفنا الحديث الى البحث عن العوامل التى تقوم بها شخصية الشاعر الموهوب ومضينا نلتمسها فى عصر النهضة القريب . لان ذلك يعيننا على التعرف الواعى للبواعث التى تنجب شاعرنا العبقرى المنتظر .

وبعد . فنحن فى مجال البحث عن الشاعر الفحل الذى طال انتظار الشرق العربى له قرابة عشرين عاما . حاولنا الالمام بخصائص العبقرية . وما عسى ان تلتق الموهبة وتحتشد الهمة النفوس الظماى للشعر تهفو اليه فى شوق .

فهل كان احتجاب الشاعر طوال هذه الفترة : نتيجة ضمور فى المواهب . وتخلف فى المجال الثقافى . ونقص فى الشعور الدافع الى التبريز فى مضمار القريض ؟ . واذا لم يكن كل ذلك او بعضه هو السبب . فما هو السبب الحقيقى الذى احدث هذا الفراغ فى دولة القريض ؟

د. عبد الرحمن عثمان

من روائع الشعر الأسباني

ترجمة د. الطاهر أحمد مكي



شعر : فيسنت الكسندر

● شاعر معاصر ، ولد فى اشبيلية عام ١٨٩٨ ، لم قضى شطرا من صباه فى مدينة مالقة ، واستقر المقام باسرته اخيرا فى مدريد ، حيث انتسب الى كلية الحقوق فى جامعتها ، وحصل على شهادتها فى القانون .

● بدات شهرته كشاعر متاخرة بالنسبة الى رفاقه ، فقد دخل ميدان الأدب هاويا ، فكتب قصائد كثيرة لنفسه ، حتى اذا اصابته آلام مبرحة ، تركت آثارها واضحة فى بدنه وفى روحه استحالت قصائده العاطفية الرقيقة الصامتة الى هدير حزين صاخب مرتفع حتى أن الناقد الاسبانى « دماسو الونسو » اختار أن يطلق عليه اسم النيل ، لأنه متدفق وهادىء وخير ، لكنه لا يتدفق فى البحر ، وانما فى عمق ليلة مظلمة ساطعة النجوم .

● ظهر ديوانه الأول « الدائرة » عام ١٩٢٨ . ثم اروع دواوينه واكثرها شهرة «ظهور كالشفاه» الذى صدر عام ١٩٣٢ ، وديوان « الدمار او الحب » ، الذى صدر عام ١٩٣٥ ، وعنه نال جائزة الدولة الاسبانية للاداب ، وديوان « ظل الجنة » وصدر عام ١٩٤٤ و «تاريخ قلب» الذى صدر عام ١٩٥٤ ثم ديوان شعر منثور ـ منثور وليس حرا ولا جديدا هكذا يسمونه فى اسبانيا ـ وهو « شهوة الأرض » ؛ نحا فيه منحى « فوق الواقعية » ، وقد كتبه بين عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ونشر فى المكسيك عام ١٩٣٥ .

● اختير فى ٢٢ يناير ١٩٥٠ عضوا فى المجمع الملكى الاسبانى .

● موضوع اشعاره هو الحياة والأحلام والناس والموت والطبيعة والحب ، ويرسم هذا الأخير قويا كالخالق ، جميلا وغضا كالطفولة ، ثم ابان عمن يكتب لهم ، فى سؤال وجهه لنفسه ورد عليه : « لمن اكتب ؟ انى اكتب للجميع ، وبخاصة لأولئك الذين لا يقرءون لى ، اكتب لهم فردا فردا ، اكتب للجماهير ، وللقلوب ، وللأفواه ، وللأسماع حيث توجد كلماتى ، حتى عند اولئك الذين لا يستمعون لى » . لكن كتابته للجميع لا تعنى فى مذهبه تحللا من فنية الشعر ، او تضحية بجمال اللفظ وما التزم به فى قسوة ودقة من اعطاء معانيه شكلا عاليا من التعبير .

● فى ديوانه الأخير « تاريخ القلب » عرض الشاعر ، كما كان يتصوره وكما يراه الآن : « فى اشعارى الأولى كنت ارى الشاعر على قدميه ، فوق الأرض ، تعبيرا عن القوى التى ألقت به من افلاكها ، وفى المرحلة الأخيرة رايته تعبيرا عن صعوبة الحياة الانسانية ، وعن الواجب المضنى ، والشجاع » !

- ١ -

عاش طويلا .

كان يستند هناك ، عجوز ، الى جدار ، جدار ضخيم ،

فى امسيات كثيرة عندما تغرب الشمس ،

وكنت امر من هناك فى تلك الساعات ، واتانى لارقبه .

كان عجوزا ، مجعد الوجه ، عيناه منطفئتان اكثر مما هما حزينتان .

يستند الى الجدار ، والشمس تقترب منه اولا ، ثم تقرض اقدامه فى نعومة .

وهناك يبقى لحظات منكمشا .
ثم ترتفع ، وتغمره ، وتغرقه

وترتمى فوقه فى نعومة ، تمزجه بنورها الحلو
باللعجوز الحى الباقى ، كيف ذاب !
الحريق ، وتاريخ الحزن ، وبقايا التجاعيد ، وشقاء البشرة .

كيف تمضى بطيئة تبرد نفسها متلاشية !
كصخرة تتفتت فى حلاوة وسط سيل مدمر
مستسلمة لحب قوى الصدى .





- ٢ -

هكذا ، فى ذلك الصمت ، يتلاشى العجوز شيئا فشيئا ، مستسلما فى بطء .

وكنت ارى الشمس القوية تقرصه بهدوء ، فى حب جارف وتنيمه ،

لتستولى عليه شيئا فشيئا ، كى تذيبه فى نورها قليلا قليلا ،

كام تريح طفلها فى حلاوة بالفة على صدرها .

كنت امر ، واراه ، واحيانا لا ارى غير وجه بالغ الشفافية ،

ملامح خيط رقيق جدا من الوجود

ما بقى بعد ان اصبح العجوز العاشق ، العجوز الحلو ، نورا

وفى هدوء غامر حمل فى شعاع الشمس الأخير كاشياء اخرى كثيرة ، وخفية ، فى العالم .

« الدكتور الطاهر احمد مكى »

أبو بكر... في وجه العواصف

بقلم: فتحي عثمان

ـ ٥ ـ

يقول الأستاذ احمد عباس صالح مثلا عن الروايات التي تعرض لاجتماع السقيفة :

« ان كتب السيرة لم تسجل المناقشات التي دارت في هذا الاجتماع الا في شكل سريع ، حتى أننا لانكاد نعرف ما دار الا تخمينا ٠٠ » !!

وهنا يضيف الكاتب ما يرتئيه ٠٠٠ على درجات بين تأكيدات واحتمالات :

« ومن المؤكد ايضا ان حججا كثيرة أثيرت في هذا الاجتماع الخطير ، منها أن الاسلام لا يعرف العصبية القبلية ٠٠٠ ولعله قد اثير مبدأ المساواة على أوسع مدى ، ومسالة الوراثة وغيرها من المسائل الهامة التي نتجت عن حدث وفاة النبي الكريم ٠٠٠ ولعل المناقشات شملت أسرة النبي ، ثم انتقلت الى تحديد أوسع : هو المهاجرون في مقابل الأنصار » !! (٤٤ ع ٤٦) ٠

لكن الدكتور طه حسين يشك في روايات السقيفة لأسباب هي عكس ما ذكره الكاتب تماما :

« ولست أطمئن الى أكثر ما يرويه الرواة من نصوص الحوار الذي كان بين أبي بكر وصاحبيه من جهة وبين الأنصار أوسهم وخزرجهم ـ من جهة أخرى ٠ فهم يروون هذا الحوار رواية من شهد اجتماع القوم وسمع ما كان فيه من الأحاديث والخطب ، ثم لم يكتف بالسماع وانما سجل ما قيل حرفا حرفا ، بل سجل حركات القوم واشاراتهم ، ولو قد استطاع لسجل نبرات الأصوات ! مع ان هذا الحوار وأمثاله لم يدون الا بأخرة بعد انقضاء عصر الخلفاء الراشدين وصدر من ملك بني أمية ٠ ولم ينقل هذا الحوار وأمثاله الى القصاص والمؤرخين مكتوبا وانما نقل اليهم مشافهة ، وصنعت فيه الذاكرة صنيعها وتعرض بعضه للنسيان وبعضه لتغيير اللفظ ، وصنعت فيه الاهواء السياسية صنيعها أيضا » !! (١)

وسواء أكانت روايات السقيفة محل شك لاجمالها أو لتفصيلها ، فانه ينبغي للباحث اذا شك في رواية من الروايات **ان يشك على اساس منهجي سليم ٠٠ فاذا استقام له النهج فعليه ان يسقط الرواية ٠٠٠ لكنه لا يتقدم ليقيم بدلها مايحسبه الواقع الصحيح ، وهو اذا فعل فانما يكون ذلك على سبيل الفرض الذي يتطلب الاثبات ، ويبقى بعد الاثبات مجرد احتمال قوى لكن لا يصل الى مرتبة القطع واليقين** ، الذي تترتب عليه النتائج ويتأسس عليه التفسير !!

والحافظ ابن كثير يروى أخبار اجتماع السقيفة ويروى خطبة أبي بكر من حديث الامام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ٠٠٠ كما يرويها الطبري في تاريخه ٠٠٠ وكلا الرجلين من رواة الحديث ومن مفسري القرآن بالمأثور !

وتذكر الروايات انه كان بين السابقين الى بيعة ابي بكر مثلا سالم مولى أبي حذيفة ، الى جانب أسيد بن حضير وبشير بن سعد وعمر وأبي عبيدة ٠٠٠

ترى هل يمكن أن يعد سالم من حزب (اليمين)؟

يقول الدكتور طه حسين عن سالم مولى أبي‌حذيفة « وسالم لم يكن قرشيا ، بل لم يكن له نسب في العرب ، وانما جلب صبيا من اصطخر ، فأعتقته امرأة من الأنصار كانت تملكه ٠ ونحن نعلم أن الولاء على ما كان يعقد بين الموالي من الصلات لم يكن ليرفع الموالي الى طبقة الذين يتولونهم من الاحرار » (٢)

---

(١) طه حسين : الشيخان ص ٣٨

(٢) طه حسين : الفتنة الكبرى جـ ١ عثمان ص ٢٧

ثم ان الكاتب يشير اشارة خاطفة الى أحداث الردة « اذ سرعان ما ارتدت القبائل خارج مكة والمدينة عن الاسلام ، وكان على المسلمين بمختلف اتجاهاتهم أن يتجمعوا للقضاء على الفتنة وقمعها ٠٠ » (ص ٤٥ ع ٤٦) ٠

فماذا كان موقف أبي بكر من أحداث الردة ؟؟

وهل يستقيم موقفه التاريخي الجليل مع ادراجه في نطاق (الرجال العمليين) من أهل الوسط « الذي يمثله أبو بكر وعمر والذي استفاد من الظروف التاريخية الموائية التي جعلت أيلولة الحكم اليه ضرورة لا مفر منها – ص ٤٥ ع ٤٦ » !

أنفذ أبو بكر جيش اسامة الذي كان قد أعده رسول الله للسير الى مشارف الشام فقال عمر : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك؟ وقال اصحاب رسول الله : توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة !! فاصر خليفة رسول الله على متابعة خطة رسول الله وأمره فجعل الجيش لا يمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم !! وجعلت وفود القبائل – أسد وغطفان وطيء الذين تابعوا طليحة الأسدي – تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة ومنهم من احتج بقوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » قالوا : « فلسنا ندفع زكاتنا الا الى من صلاته سكن لنا » و قال عمر وغيره لأبي بكر : اذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم ، فأبى الصديق وأنكر على عمر قائلا : أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام ، والله لو منعوني عقالا – أو عناقا – كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ، **والله لاقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة » !!**

يقول عمر : ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال ، حتى عرفت أنه الحق ! (١) ٠

وهكذا وقف أبو بكر وقفته التاريخية ، **ليحمى الاسلام ٠٠ دعوة ، ودولة**

يحميه دعوة : اذ يعلن اقتران الصلاة والزكاة في الاسلام ، ويعلن الحرب على من فرق بين الصلاة والزكاة ٠

ويحميه دولة : اذ يأبى الانتكاس والارتكاس الى عصبية القبيلة ، وحكم القبيلة ، بعد أن قامت (أمة) تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله !!

وأشفق عمر من الصراع المرير الذي يواجهه أبو بكر ، والمعركة التي أعلنها في سبيل حقوق الانسان الاجتماعية ، وأبو بكر يمضي في طريقه لا يبالي ٠٠

ولكن الكاتب لا يأبه لهذا الكفاح التاريخي النبيل، ويجعل أبا بكر وعمر من اهل (الوسط) كما وصفهم ، ثم يشير الى أن عمر قد تحول الى اليسار، اما أبو بكر فهو لا يذكر له مثل هذا التحول !

وهو هو أبو بكر يوصي عمر حين يستخلفه ، فيحذره قائلا : « واحذر هذا النفر من أصحاب رسول الله الذين قد انتفخت أجوافهم وطمحت أبصارهم وأحب كل امرىء منهم لنفسه ، وان لهم لحيرة عند زلة أحدهم فاياك أن تكون ، واعلم أنهم لن يزالوا منك خائفين ما خفت الله ولك مستقيمين ما استقامت طريقتك » (١) ٠٠ ثم ترى هل كان أبو بكر يحذر عمر هنا من (اليسار) أو من (اليمين) اذا صح هذا التقسيم ؟

ويروي ابن سعد باسناده أن أبا بكر كان قبل وفاة النبي يحلب للحي الذي كان يقيم فيه بالسنح من الأنصار ابلهم وغنمهم ، فلما استخلف سمع جارية تقول : الآن لا تحلب لنا منائحنا فقال : والله لاحلبن لكم ، واني لارجو الا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله من قبل ! وظل على حاله تلك حتى ترك السنح ، ونزل الى داره التي كان النبي قد أقطعه اياها في المدينة فأقام فيها حتى قبض ٠ وقد هم بعد استخلافه أن يباشر تجارته كما كان يفعل أيام النبي ولكن أمور المسلمين شغلته عن تجارته ، ففرض له المسلمون ما يقوته ويقوت أهله ٠ يقول بعض الرواة انهم فرضوا له الفي درهم في العام فقال زيدوا لي : فزادوه خمسمائة درهم ، ويقول بعضهم انهم فرضوا له الفين وخمسمائة فلما قال زيدوني بلغوا ثلاثة آلاف ٠ على أنه حين أحس الموت رد على المسلمين ما استنفق من مالهم ، ووهب لهم بهذا المال أرضا كان يملكها ٠ واتفق الرواة على أنه

---

(١) الجماعة سوى ابن ماجة ، راجع مثلا مسند أحمد وصحيح البخاري ، كما روى أيضا في كتب التاريخ ، راجع مثلا تاريخ الطبري ، ابن كثير ، البداية والنهاية

(١) أبو يوسف ، الخراج ص ١١ ، ١٢

كان عنده غلام يخدمه ولقحة يسقى لبنها وقطيفة قيمتها خمسة دارهم ، وكان هذا كله من بيت مال المسلمين ، فلما عرف انه ميت في مرضه ذاك أمر أن يرد هذا كله على الخليفة من بعده . فلما رد هذا على عمر قال وهو يبكى : رحم الله ابا بكر ، لقد أتعب من بعده (١)

اما عمر بن الخطاب ، فهو عند الكاتب مع أبى بكر من الوسط الذى يتالف من ، هؤلاء الرجال العمليين الذى كان عليهم انقاذ الاسلام بعد وفاة النبى من الصراع الذى يوشك ان يحتدم بين اليسار واليمين ص ٤٢ ع ٤٦ »

لنقرأ معا ..

« وكما ان اليمين كان يخشى اليسار فان الوسط كان يخشاه أيضا ، ولذلك حين حضرت الوفاة أبا بكر الصديق **كان اهم ما حرص عليه هو أن تتم البيعة لعمر بن الخطاب ، وكانت وصايته للجميع بذلك وخاصة مجلس الشورى ، وهو امر لم يفعله النبى** عن عمد ليرسخ فى الاذهان كمبدأ أن يكون للمسلمين وحدهم حق اختيار الرجل الذى يحكمهم، واليسار دائما يفتقر الى المبادرة ، لأنه غالبا يؤمن بالمثل العليا والميل الى المهادنة خاصة اذا تعرضت الثورة للهزات ، **وهكذا وقف اليسار موقفا غريبا ، موقف المقاطعة ثم موقف المسالمة ثم الموافقة** حتى تتخطى الثورة كل مايتهددها من أخطار.. واختيار أبى بكر لعمر وحرصه على أن تقع البيعة له ـ وهو على فراش الموت ـ ليس معناه أنه يحارب اليسار ويرمى الى إبعاده عن الحكم . **ولكنه كان يرى أن الصراع المتوقع ينبغى أن يؤجل حتى تثبت دعائم الاسلام ، ولعله ايضا كان يرى فى اليسار تطرفا لا يحتمله التجار والكبار من الذين كان له هو شخصيا فضل دخولهم فى الاسلام ..** » (ص ٤٦ ع ٤٦) .

والثابت ان ابا بكر شاور أهل الرأى من المسلمين فى استخلاف عمر ، شاور عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وأسيد بن حضير وسعد بن زيد صاحب قضاء مصر ، وغير هؤلاء من المهاجرين والانصار ، وقد انتهوا الى تزكيته وجدارته بالخلافة. ولقد أبدى عبدالرحمن بن عوف (اليمينى) تحفظا فقال « .. ولكن فيه غلظة » ، وكانت وجهة نظر أبى بكر « ذلك لأنه يرانى رقيقا ، ولو أفضى الامر اليه لترك كثيرا مما هو عليه » . ويروى ان أبا بكر بعد أن أملى كتاب عهده لعمر **اشرف على الناس وهو** فى شدة المرض ليقول : « **اترضون عمن استخلف عليكم** ، فانى والله ما الوت من جهد الرأى ولا وليت ذا قرابة ، وانى قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ، **فقالوا : « سمعنا واطعنا »** وهكذا لم يقنع أبو بكر حتى حصل على تأييد جمهور المسلمين لعمر ، وعلق أبو بكر خلافة عمر على رضا الناس .. » ـ على حد تعبير الأستاذين الدكتورين حسن ابراهيم وعلى ابراهيم (١) .

وكثير من فقهاء الاسلام قد صرحوا **باشتراط** الرضا العام حين ترشيح الخليفة لواحد يعهد اليه بالخلافة من بعده . نقل الماوردى « فذهب بعض علماء أهل البصرة الى أن رضا أهل الاختيار لبيعته شرط **فى لزومها للأمة ، لأنها حق يتعلق بهم فلم تلزمهم الا برضا أهل الاختيار منهم** ، وذكر القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ، رأى الحنابلة فقال : « وهل يجوز للخليفة أن ينص على أهل الاختيار كما ينص على أهل العهد ؟ .. وقياس مذهبنا انه لا يجوز لوجهين : احدهما انها تقف على اختيار **جميع** أهل الحل والعقد ، والثانى ان امامة المعهود اليه تنعقد بعد موته **باختيار أهل الوقت** » ويشير فى موضع آخر اشارة ذات معنى « .. **ولأن عهده بالامامة ـ الى غيره ليس بعقد للامامة ، بدليل انه لو كان عقدا لها لأفضى ذلك الى اجتماع امامين فى عصر واحد وهذا غير جائز**، واذا لم يكن عقدا لم يعتبر حضورهم ـ أهل الحل والعقد ـ **وكان معتبرا بعد موت العاقد »** وللامام ابن تيمية اشارة أوضح وأصرح بالنسبة لخلافة عمر بن الخطاب « .. وكذلك عمر لما عهد اليه أبو بكر ، **انما صار اماما لما بايعوه واطاعوه ، ولو قدر انهم لم ينفذوا عهد أبى بكر ولم يبايعوه لم يصر اماما** .. ولو قدر أن عمر وطائفة معه بايعوه ـ أبا بكر ، وامتنع سائر الصحابة عن البيعة لم يصر اماما بذلك ، وانما صار اماما **بمبايعة جمهور الصحابة** الذين هم أهل القدرة والشوكة ، ولهذا لم يضر تخلف سعد بن عبادة .. وأما عمر فان ابا بكر عهد اليه وبايعه المسلمون بعد موت أبى بكر ، فصار اماما لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم

(١) طه حسين ، الشيخان ص ١٠٩ و ١١٠ أيضا فيليب حتى ، تاريخ العرب ترجمة تابع ج ١ ص ٢١٥ نقلا عن ابن سعد : الطبقات ـ وابن الأثير : أسد الغابة ، والطبرى ج ٢ ص ٤٣١ ـ ٢ (طبعة دار المعارف)

(١) الطبرى ج ٤ الطبعة الحسينية : اخبار سنة ١٣ هـ خلافة عمر ، الدكتوران حسن وعلى ابراهيم ، النظم الاسلامية ، الطبعة المفصلة ص ٣٦ : ٨

له » (١) . وتابع فقهاؤنا المحدثون هذا الاتجاه ، فكتب الأستاذ عبد الوهاب خلاف على الرغم من أن كتابه كان في عهد الحكم الملكي بمصر ، ومن استجمع الشروط المتفق عليها **لا يصير اماما له على الناس حق الطاعة الا اذا بايعه اهل الحل والعقد الذين تختارهم الأمة** من اهل العدالة والعلم والرأى وتتبعهم فى امورها العامة واهمها اختيار الخليفة ومبايعته ، وقد ذكر العلماء أن الامام كما يصير أماما بالبيعة يصير اماما بالاستخلاف وبولاية العهد ، وهذا القول ظاهره ليس صوابا ، **فان الاستخلاف والعهد ان لم يقره اهل الحل والعقد لا يكون المستخلف به اماما ، ولا يجب له حق الطاعة ، فالعمدة على بيعة اهل الحل والعقد لا على الاستخلاف والعهد ، ولو ان المسلمين رأوا بعد وفاة ابى بكر خيرا من عمر وبايعوه مارعاضهم معارض ، ولا كان عهد ابى بكر حجة عليهم** ، وكذلك لو بايع المسلمون واحدا غير الذى جعل عمر الشورى بينهم . **فالعهد أو الاستخلاف لايعدو ان يكون ترشيحا من السلف للخلف ، والامة صاحبة القول الفصل فيمن تختاره اماما** ، كما أن لها الحق فى الاشراف على سياسته فى عهد امامته ، ولها الحق فى عزله اذا لم يقم بماعاهدهم عليه فى بيعته » (١) .

فاختيار ابى بكر لعمر لا يعدو أن يكون فى ضوء الوقائع التاريخية والآراء الفقهية مجرد ترشيح ، وقد اخذ على هذا الترشيح رأى أهل الرأى ، ثم طرح بعد ذلك للاستفتاء العام .

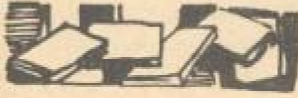
« للبحث بقية »

فتحى عثمان

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٠ ابو يعلى الاحكام السلطانية ص ٩ ، ١٠ ، وابن تيمية : منهاج السنة ج ١ ص ٣٦٧ ، ٣٦٩

(١) خلاف : السياسة الشرعية ص ٥٥ : ٧

كتب الطبقات



بقلم: إبراهيم الأبيارى

كسب اى كسب أن تضم الى المكتبة العربية كتابا محققا ، يستحيل مطبوعا بعد ان كان مخطوطا ، او يخرج من طبعته الغفل الى طبعة محشاة ، فنحن بالاولى نضيف الى علم الناس بتراثهم مزيدا ، ونحن بالثانية نخفف عنهم الكثير من مشقات عانوها صابرين مع الافادة من هذه الكتب .

وقد نظن أننا بهذه وتلك قد أدينا واجبنا فى خدمة تراثنا ، وأننا قد حملنا عبئنا فى احيائه ، وأننا قد قربنا تراثنا الى ورثته صحيحا مقروءا .

ولكنا قد انسينا أننا نواجه مخلفات قرون تجاوز العشرة، وأن القليل من هذه المخلفات قد طبع طبعات سقيمة ، وان الكثير لا يزال ينتظر زمنه ليخرج الى الناس فى طبعات سليمة ، وأن ما طبع وما سوف يطبع كثيرا ما يعز اقتناؤه لنفاد نسخه بل لغلو ثمنه .

وبعد هذا فالمكتبة العربية بحر لا ساحل له ، تعد فى كل فرع من فروعها مئات الكتب فى عشرات المجلدات ، ولو أن لك أن تزود مكتبتك بما كتب فى كل فرع ما وسعت ذلك قدرتك ، وأنت اذا حاولت أن تستوعب ما كتب فى فرع تتبع مظانه ما اتسع لذلك وقتك .

وانى لأعرف للعلماء المختصين كفايتهم قدرة ووقتا، وهم مع ذلك يتمنون أن لو كان بين ايديهم جوامع أشبه بالموسوعات ، فتكون :

ثمة موسوعة للتاريخ تضم كتبه كلها وتسلسل أحداثه ، تخلص من المكرر ، وتثبت المطول دون المختصر . اذ هى كثرة كثيرة ، وحين اراد حاجى خليفة أن يستصفيها اذا هو يبلغ ألفا وثلثمائة كتاب ، منها ما هو فى مجلدات كثيرة ، كما ذكرت لك .

وكتب التاريخ التى تتناول التاريخ العام لم يأخذ بعضها بذيل بعض ، اعنى أن اللاحق لم يبدأ من حيث انتهى السابق ، بل نراه يعيد ما ذكره الأول، واذا نحن مع هذا التكرار فى كل كتاب من كتب التاريخ العام ، لا نحس جديدا ، اللهم الا اذا عددنا تلوين اللفظ شيئا جديدا .

وثمة موسوعة لرجال التاريخ تستصفى ما فى المظان الكثيرة جملة ، فاذا نحن أردنا التعرف على رجل ما ، كنا بين يدى صفحات محدودة فى كتاب بعينه بدلا من أن نتوزع بين صفحات كثيرة فى كتب كثيرة، وقد فضل أكثرها. **وثمة موسوعة للشعراء** تجمع لك هذا الشتات المشتت الذى لا زلنا نغرق فيه الى الاذقان ، ولا زلنا يملك بعضه القليل المختصون ويجهل سائره الكثير غير المختصين .

وما نقوله مع هذه الفروع الثلاثة نقوله مع غيرها ، واعنى أن احياء تراثنا لن يغنى فيه اليوم كتاب يعاد فى طبعة سليمة ، ولا مخطوط يخرج الى النور ، بل هو فى حاجة الى جهد شاق اذا شئنا حقا البعث الحق لهذا التراث ، واذا شئنا حقا ان تجمع الامة عليه ، وتعرفهم به، وتصلهم بما كان لهم ليمضوا فيما سيكون لهم ، دون أن يخرج الخلف عن خطا السلف ومن قبلنا عرف القدماء أن العلم الذى هو عزيز على الخاصة ، أعز على العامة ، فاذا نحن نراهم يضعون الى جوانب تواليف المؤلفين مختصرات وميسرات وجوامع تجمع من الكتب المختلفة كتابا واحدا توفر به الكثير من جهد ووقت .

وكانت من هذه الكتب الجوامع كتب الطبقات ، فكان للشعراء طبقات ، وللنحاة طبقات ، وللأدباء

طبقات، وللأطباء طبقات، وللفقهاء طبقات، وللمفسرين طبقات ٠

ولقد عنى السلف الى وقتهم بهذه الكتب التى انتظم كل كتاب منها طبقات خاصة بفرع خاص ٠ ولا احب هنا أن أعرض لنهج هذه الكتب فى تفصيل، ولكن حسبى أن اشير الى انها نظمت من ترجمت لهم على السنين جاعلة لكل حقبة زمنية رجالها ، وهم الذين سمتهم طبقة (١) ٠ ولكن الذى احب ان أقوله ان هذه الكتب الخاصة بطبقات العلماء والادباء كانت هذا اللون من التأليف الذى نريده لعصرنا ، والذى نريده لتراثنا ، لكى نخرج به من الخصوص الى العموم ، ومن الانزواء الى الشيوع ، ومن الحياة الضيقة الى الحياة الواسعة ، ولكى تحمل الكثرة الكثيرة على الافادة من تراثهم ٠

غير ان الذى وقع فيه المؤرخون ومن اليهم من التكرار وقع فى مثله مؤلفو الطبقات ، ثم ان هذه الكتب على ما فيها قد انتهت الى عصور سابقة بفترات طويلة ، فهى لهذا وذاك تضم قصورا الى جانب ما فيها من نفع ٠

ولقد شمر لمثل ما ندعو اليه اليوم مؤلفون نذكر لك منهم على سبيل المثال: السيوطى عبد الرحمن ابن أبى بكر (٩١١ هـ) ٠ فبمثل ما نحس اليوم أحس السيوطى منذ نحو من أربعة قرون ، وكما نرى نحن اليوم من توزع الجهد ، وقصور الناس عن أن يستوعبوا ، قصورا لا جريرة لهم فيه ، رأى السيوطى ، فاذا هو يفرغ لفروع من كتب الطبقات ينظر فى كتب كل فرع ، ليجمع من هذا كله كتابا واحدا يغنى عن كتب كثيرة ، وذلك مثل ما فعله فى كتب طبقات النحاة ، فلقد ألف فيها أول ما ألف : المبرد (٢٨٥ هـ) ثم أبو جعفر النحاس (٣٣٨ هـ) وأبو الطيب اللغوى (٣٣٨ هـ) ثم ابن درستويه (٣٤٧ هـ) ثم السيرافى (٣٦٨ هـ) ثم الزبيدى (٣٧٩ هـ) ثم محمد بن الحسين اليمنى (٤٠٠ هـ) ثم التنوخى (٤٤٢ هـ) ثم مفضل بن محمد البصرى (٤٤٣ هـ) ثم القفطى (٦٤٦ هـ) ثم تاج الدين المكى (٧٤٣ هـ) ثم أبو حيان الأندلسى (٧٤٥ هـ) ثم الصفدى (٧٦٤ هـ) ثم ابن قاضى شهبة (٨٥١ هـ) ٠

فقد كانت هذه الكتب الخاصة بالنحاة – أو قل بعضها – بين يدى السيوطى ، هذا اذا استثنينا كتبا أخرى جمعت بين النحاة وغيرهم، فاذا نظرة السيوطى الى هذا التراث الموزع لا تقل عن نظرتنا نحن اليه اليوم

(١) راجع مقال عن « كتاب الطبقات الكبرى » لابن سعد فى مجلة تراث الانسانية – السنة الثانية

هولا وفرعا ، فاذا هو يجمع بين هذه المظان كلها فى كتاب يقع فى مجلدات سبعة ، لا شك أنها حوت لبها وتخففت من تكرارها ، ثم اذا هو يرى أن دون الخاصة أوساطا ، وأن دون الأوساط بادئين ، فنراه يضع للأوساط كتابا يلخص فيه هذه المجلدات السبعة ، ثم يضع للبادئين كتابا يختصر فيه هذا الملخص ، وهذا المختصر الذى وضعه السيوطى هو الذى نعرفه اليوم باسم « بغية الوعاة » ، وهو مرجع الكثرة منا مع النظرة السريعة والالمامة القصيرة ٠

ولكن اين نحن من سائر ما لنا فى فروع أخرى كثيرة ؟

اللهم ان جهودنا عندما نحقق من مخطوطات ، تقصير كبير ، ونحن اذا أردنا حقا أن نصل الناس بتراثهم كان علينا ان نيسر لهم مداخله، علينا أن ننظر نظرة السيوطى فيما فعل مع النحاة والقراء والمفسرين وفقهاء الشافعية ، وعلينا ان تكون نظرتنا أبعد مدى من نظرة السيوطى وامثاله ممن نهجوا نهجه ، نعم علينا ان نهيىء للناس من تراثهم كتبا ملخصة على درجات متفاوتة من التلخيص تجمع لهم ما كان كله فرعا فرعا ، فاذا هم بين أيديهم فى كل فرع كتاب جامع ، واذا هم قد عرفوا الكثير من هذا القليل ، واذا هم قد عرفوا شيئا ليعرفوا أشياء ٠

نرجو أن نرى بين أيدينا هذه الكتب التى تجمع لنا الشعراء كلهم فى كتاب ، والأدباء فى كتاب ، والأطباء فى كتاب ، والقراء فى كتاب ، والمفسرين فى كتاب ، الى غير ذلك من كتب كثيرة فى فروع كثيرة ٠

ولعلنا نجد بعد هذا فى وضع تلك الموسوعات التى لا بد لنا منها ، فنرى موسوعة فى التاريخ ، على النحو الذى أشرت اليه ، تغنى عن كتب وكتب ، وموسوعة فى التفسير ، تغنى عن كتب وكتب ، ثم موسوعات أخرى لكل فرع ، موسوعة تغنى عن كتب وكتب ٠

هذا هو الخط المستقيم اذا أردنا أن نبلغ الغاية على أقرب الطرق ، واذا أردنا أن نخرج من هذه البلبلة ، وأردنا أن نحمل رسالة حقة لعمل حق نفيد به لغتنا وعلمنا وأدبنا وفننا ، وأردنا أن نتخفف من عناء الماضى الذى طال بنا حمله ، لنحمل عناء المستقبل ، الذى يتطلب جهودا مؤيدة بزاد الماضى وسلاحه ، حتى لا نخسره وتضل فى متاهاته ، وأكاد أقول : حتى لا تفقد مقوماتها فتشيع فى غيرها ٠

« ابراهيم الابيارى »

أوله جهل ... وآخره خيانة

بقلم : محمد جلال كشك

من أين نبدأ الحديث

والحق انه كحديث الافاعي طويل المدى.. حديث ما كنا نحب الخوض فيه ، فنحن نعلم خبيثه ونعلم من كتبه وحرص عليه .. ولولا أننا نطمع في توضيح مفاهيم ، وكشف الستار عن الادعياء ، الانتهازيين الذين يحاولون « الانتفاخ ليشغلوا حيزا اكبر من حقيقتهم » . اولئك الذين يتظاهرون بالمسئولية والتوجيه .. اقول لولا هذا ، لما شغلنا بالنا ، وبال القارىء بالرد على « الشكوى الكيدية » التى نشرتها مجلة روز اليوسف ضد مجلتي الرسالة والثقافة ، وفهرس العدد ١٤ من مجلة القصة !!

ومن اين تبدأ ؟!

امن ذلك العنوان الاستفزازى .. الأسود ..؟!.. وحسبك بمجلة تصدر في القاهرة صبيحة عيد الأضحى ،تحمل عنوانا للسخرية والتشهير ،العنوان يقول: «مجلة الرسالة تدافع عن الجن وتهاجم العلم!» ولا عذر لكاتب المقال .. فهو بحكم تدريسه للقرآن في المدارس الالزامية فترة من الزمن ، يعلم أن الجن والجان والجنة .. قد ذكرت في القرآن ٣٤ مرة ، وان الايمان بخلق الله للجن جزء من العقيدة الاسلامية .. فباى حق ، ولاى هدف، تهاجم معتقدات المسلمين هكذا ، ويسخر منها بمانشتات سوداء تعقبها علامات تعجب .. ومتى كان العلم يتنافى مع ديننا ؟!.. ولسوء حظهم جاء النبأ من موسكو أنهم قد ايقنوا بأن الانسان ليس الكائن العاقل الوحيد في هذا الكون !

ولماذا هذه الغضبة ؟

أكتابة مقال عن اثبات جزء من عقيدة المسلمين ، أجدى أم نشر مسلسلة عن الحياة في كلوت بك ، ودرب طياب ، ووجه البركة .. ثم تفاصيل المأبون الذى هو « صياد الخواجات » .. واللوطى الذى يعاشر عجوزا .. أو الآخر الذى يتخفى في زى النساء (مسلسلة في روز اليوسف) ..

أليس لديكم حياء ؟!

ثم العنوان الأحمر : « ماذا تقول مجلات وزارة الثقافة ؟ » ولا ندرى لماذا استعمل صيغة الجمع .. ولا لماذا الحرص على النسبة .. ونحن عندما انتقدنا مجلة « روز اليوسف » النقد الذى أورث الحقد في قلوب بعضهم .. عندما انتقدناها لأنها فتحت صفحاتها « لمناضل » قديم ضد العروبة ، جند شعره للهجوم عليها .. ودفع الى السجن والمشنقة بمئات من الشباب العربى المسلم في العراق .. فتحت له « روز اليوسف » صدرها ليبصق فيه وفى وجه الله !.

أم كانت تظن « **روز اليوسف** » أنها ستفتح صدرها للباصقين ثم لا تجد من يصدها في قاهرة المعز .. وصلاح الدين .. وعبد الناصر ؟!

أتضيق هى بهجومنا على لورنس عميل المخابرات البريطانية ، ونقدنا للورنس الآخر (الذى لا ندرى اين قرا له كاتب المقال وهو لا يعرف الانجليزية ؟!) وهجومنا على عوده ابو تايه .. وانطون سعاده وميشيل عفلق .. ويبلغ من غضبها أن تطلب فرض الوصاية والاغلاق .. ثم تعجب لغضبنا نحن ، اذا بصقوا في وجه الله ..؟!.. وشوهوا قيمنا العربية، وحاربوا تراثنا الاسلامى ؟

اننا نعرف أى حقد أسود يفرى قلوب بعضهم . من التيار الفكرى الذى تعبر عنه مجلات وزارة

الثقافة .. ذلك الذى عرى مفاهيمهم ، وفضح تخريبهم .. وعمق المضمون العربى والاسلامى لثورتنا .. تلك الدوائر التى كان لرئيسنا فضل اعلانها فى أول كلمات الثورة ..

يغيظهم أن ذلك التيار العربى .. قد اتاح للناس كتب التراث ، قد خلف فى كل بيت نسخة من الاغانى ، تفضح أى زيف وجهل كان يروجه فقيدهم واستاذهم سلامة موسى ، الذى علمهم أن كتاب الاغانى « كتاب رجعى وضع لتسلية الملوك فهو كتاب اقطاعى » !

وسلامه موسى هو استاذهم الذى بلغ من ايمان بعضهم به ، أنه يلبس قبعة تنفيذا لوصاياه !.. اى والله ! مصرى يلبس قبعة ! مما كان مثار دهشة الوفود العربية فى مؤتمر عدم الانحياز .. وانقلبت الدهشة الى أسى لما عرفوا المركز الذى يشغله لابس القبعة !

ومرة أخرى .. لماذا « **مجلات** » وزارة الثقافة .. و « الشكوى الكيدية » أو التحقيق ، لم يتناول الا مجلتى الرسالة والثقافة ، وفهرس العدد ١٤ من مجلة القصة ، بعد اجراء تزوير فيه وتبديل للاسماء، واستبعاد بعضها ، والاحتجاج على أن الاسماء غير مشهورة (!) وان باكثير ومحمود البدوى يمكن التعرف عليهما (لغة حفر المركز) .. ثم موافقة على بحثين بالعدد يستحقان القراءة ، احدهما لغالى شكرى .. وتأنيب للذين أصدروا مجلة القصة لأنهم عهدوا بها لغير « يوسف الشارونى » الذى هو أحد أساتذة القصة القصيرة فى مصر .. وأديب يمارس وظيفة الناقد المسئول » !

هذا عن العنوان ..

فماذا عن المقال .. من ناحية الشكل ؟!.. الحكاية تبدأ بزيارة مفاجئة من كاتبه لدار الرسالة يطلب المجموعة .. وذلك صبيحة الليلة التى انطلقت فيها الأبواق الحاقدة تفسر على هواها ، فكرة دمج مجلتى الرسالة والثقافة بدمجهما معا .. لتواصلا تلك الرسالة التى عبرت عن احتياج حقيقى فى بلادنا ، وكشفت عن تجاوب عميق مع اتجاهات امتنا العربية .. الا أن الذين عرتهم مجلتى الرسالة والثقافة ، راحوا يفسرون ذلك بأنه مصادرة للمجلتين !..

وعندما جاء « هو » بالذات ، ابتسمنا فى رثاء .. فنحن نعرف أى مهمة اختارها لنفسه.. منذ أن عمل مع « الاخوان المسلمين » الى أن صدر قرار حلهم ، فانكرهم ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك .. وفر الى حزب البعث ليجند قلمه فى الدفاع عن العفلقية، والهجوم الحاد على الشيوعية والماركسيين .. فلما آذن حزب البعث بالافول .. قال انى لا « احب الآفلين » .. وراى خلف الشعوبية ، فقال : هذا ربى .. هذا أكبر .. وانقلب فجأة من قومى متحرف الى لا قومى .. أممى .. تقدمى ! .

الا أننا ـ والحق يقال ـ لم نتصور أن تبلغ به الجرأة والافتراء حد الزعم بأن اقتراح الضم ، هو من بنات أفكاره ، فى محاولة مفضوحة لايهام الناس انه يفكر للدولة ! وانه يشير عليها فتلبى !.. وتسارع المجلة لتغطيته ، وقد ذاع خبر الدمج وشاع .. فتعلن « والجريدة ماثلة للطبع ! » ان هذا الاقتراح بالدمج قد سجل وطبع قبل أن يعلن القرار .. وعلى أية حال فمادام قد طبع ، وبدلا من القائه حيث يستحق ، تقترح المجلة أن ينتفع به « كحيثيات للحكم » للحكم بضم المجلتين معا ، وتغيير الفكر الذى يحركهما » .

لتطمئن **روز اليوسف** ، ومفتيها ، أن « التحقيق » المذكور لا يصلح حيثيات .. انه ليس أكثر من شكوى كيدية من موتورين .. ولم تعودنا ثورتنا أن تتسمع للوشايات .. وفى تراثنا أن أمير المؤمنين سأل واليه على مصر ، عن أسباب صلاحها ، فعدد له برنامجا ومبادىء .. منها « الا يسمع لحسيسها فى رئيسها .. » .

وكاتب « التحقيق » ذهب الى بغداد ، غير مدعو ، ونزل فى فندق متواضع لأنه غير مدعو ! (هكذا قال) .. وعندما علم أن صلاح عبد الصبور أيضا لم يحضر « تساءل من الذى حضر اذن؟ ».. ورغم أنهم اخبروه بأسماء عشرات الكتاب والادباء والشعراء .. فقد اصر على أن يحاسب الحكومة العراقية على دعوة أزواج بعض الاديبات المشتركات فى الحفل .. واغفالها دعوته هو .. والاستاذ صلاح عبد الصبور !..

وافزعه أن يجد الفكر الذى يحرك مجلتى الرسالة والثقافة ، هو الرائد فى مؤتمر الادباء العرب.. حتى لقد أدرجت الموضوعات بالفاظ بحوث المجلتين ومناقشتهما .. ولو أن أحدا منهما لم يذهب الى المؤتمر .. مما ضاعف حقده ، واثبت له أن هذا الزيف الذى يكتبونه هم ، لا اثر له خارج حلقاتهم.. وان هذه الشهرة التى يحلمون بها ليست الا السمعة

السيئة .. ومن ثم استحق المؤتمر العربي الكبير أن تكون « صورته سوداء » .. ولا يشفع للمؤتمر «التوصيات التقدمية التي ظهرت في نهاية المؤتمر..» ـ هكذا يقول ـ لأن المهم توصيات أخرى كان يجب أن تصدر قبل بداية المؤتمر ..لا في نهايته !..

هل يكفي هذا من ناحية الشكل والتعريف بكاتب التحقيق ودوافع الجريمة ؟!.

اذن ننتقل الى الموضوع ..

انه يبدأ بالكذب .. يزعم انه « عندما أعلنت وزارة الثقافة أنها ستعيد اصدار مجلتي الرسالة والثقافة بعد احتجابهما الطويل.. فرحنا وخفنا ».

غير صحيح !.. والحمد لله اننا ما زلنا احياء .. هم حقا خافوا .. لكنهم لم يفرحوا .. وما زالت الصحف موجودة .. التي اثاروا فيها أعنف حملة جابهت مجلة جديدة في تاريخ الصحافة.. بالمقالات والتعليقات والكاريكاتير .. حتى كتب الاستاذ **عباس الاسواني** يتساءل عن السر الذي جعل هؤلاء يفقدون حتى اعتبار المجاملة لزميلة جديدة ! .

ثم سكتوا حينا ..

حتى اذا استقام « الفكر المحرك للمجلتين » وفتح عليهم نيران العروبة ونور الاسلام ، معمقا المفاهيم الاشتراكية البناءة .. عاودهم الجنون من جديد ..

وبعد كلمة تأبين فارغة للمجلتين يعلن أنه « اذا كان الزيات وأحمد أمين ، وفريد أبو حديد وزكي نجيب محمود يمثلون قبل عشرين سنة تيارات نشطة متقدمة فهم الآن لا يمثلون ذلك » ..

وهو لا يعرف أن « أحمد أمين » رحمه الله مات من عدة سنوات .. ما علينا ، فليس كل من يكتب في هذه الايام .. يعلم .. والحمد لله ان أحدا لايلتمس الاحكام على رواد الفكر العربي من «كاتب التحقيق» لان هؤلاء الذين ذكرهم كرمتهم الدولة بأرفع الجوائز الفكرية ..

ثم يبدأ النقد بتزييف رخيص :

تعليق كتبه في مجلة الرسالة ناقد ينتقد كتاب « الغزو الفكري » ونقل عنه كاتب التحقيق قوله «وتبلغ الثورة الطائشة ذروتها عندما ترفض الاصلاح وسيلة لتغيير الواقع الفاسد ، ولا ترضى بغير الانقلاب » « وان الرجعية والصراع الطبقي والثورة مصطلحات يعرفها القائلون بالمادية التاريخية » .

ويسكت « كاتب التحقيق » مما يؤكد انه شاهد زور .. فهو لا يبلغ أنه بالمراجعة تبين أن مجلة « **الرسالة** » قد فندت هذه الافكار في أعنف مقال كتب فيها متضمنا الرد على الباصق في وجه الله !.. وذلك في مقال تحت عنوان « مفاهيمنا الاسلامية ثورية » لا نظن أنه بقادر على أن ينقد حرفا منه ..

ماذا قالت الرسالة ، واخفى «كاتب التحقيق»؟.

قالت : حركة البعث الاسلامي .. لاتهدف الى الرجوع الى الوراء ، الى التخلف الفكري والاجتماعي، ولا الى الدروشة والفلسفة التبريرية التي كانت تفتي بشرعية الفسق والظلم باسم الدين زورا وبهتانا ». « اذ لا بد أن تتطهر المؤخرة من جيوب التخلف والتشنج ومحاولات اقحام مفاهيم رجعية على الدين السمح الثوري .. دين تغيير المنكر باليد ابتداء .. وتقويم الخليفة الصديق بالسيف »..

ثم شرحت الرسالة في نفس مقالها هذا معنى « الاصلاحية » ونرجو أن يكون قد تعلمه كاتب التحقيق .. قالت : « اذا كان النظام مرفوضا وضد ارادة الامة ، معطل لامكانياتها مناقض لاهدافها ، حرب على وجودها وازدهارها .. فالحل هو الثورة التي تقوضه فوق رأس الحاكمين .. وعندما يحس أعداء الامة بتجمع الثورة ويحاولون تفتيت وحدة الجماهير وبث الفرقة بينهم ، بتضليل جانب منهم وخداعهم ، وشغلهم بالجزئيات عن الكليات ، فيلقون لهم بعض الفتات يسمونها الاصلاحات ، ودعاتها بالاصلاحيين..فالثوري هنا ـ تقول مجلة الرسالة ـ يكشف زيف هذه الاصلاحات.. لا لانه شرير يتلذذ بعذاب الجماهير.. بل لانه يعرف أن الخلاص الحقيقي للجماهير هو في الثورة وتقويض النظام الذي لا أمل فيه .. »

وتقول مجلة الرسالة ولا سبيل للقول بان الاسلام يتعارض مع الثورة .. فثورة الجزائر هي أعظم جهاد اسلامي معاصر ، والقول بان الاسلام لا يؤمن بالصراع الطبقي تطاول على الاسلام ممن لا يعلم ، وقول لا يخدم المسلمين .. الصراع الطبقي مستبعد داخل المجتمع الاسلامي ، حيث الحكم والحكام والمحكومون تظلهم راية الاسلام .. أما في ظل الاحتلال الغربي للعالم الاسلامي .. فالثورة حق.. وتحريض الجماهير فريضة، والصراع الطبقي مشروع .. »

هذا ما كتبته مجلة **الرسالة** في العدد ١٠٩٤ وقبل نشر التحقيق الذي هو « حيثيات الحكم بدمج المجلتين » ... بأربعة شهور ! .. فلماذا يتقول كاتب التحقيق : « بل ان مجلة الرسالة ترفض الثورة وتنادي بالاصلاح ! » ان كان الجهل مباحا .. فهل يباح الكذب والتدليس أيضا .. أليس ذلك التزوير يحتاج لنظر من مجلس نقابة الصحفيين.. الا ان كاتبه للأسف ليس نقابيا ..

اما قول روز اليوسف أن «مجلة الرسالة لاتنشر الا مايعبر عن وجهة نظرها » فمجرد افتراء .. بكل بساطة .. رغم أنه يضع هذه المجلة بين قوسين ليوحي أنها اقتباس !.. الرسالة مفتوحة لكل رأى .. بل الحقيقة الموجعة لهم .. ان حكاية الدفاع عن الجن التي يرفعها كوثيقة على تخلفنا .. قد بدأت بمقال في مجلة الرسالة يشكك في وجود الجن ضمن بحث عن الجانب الفنى من القرآن .. فرد عليه كاتبان يفندان قوله .. ان الفكر المحرك للمجلتين هو ذلك الشعار الخالد « الفكرة تواجه الفكرة والكلمة للكلمة » وقد فتحت صدرها لكل صاحب قلم .. حتى الذين يكتبون في روز اليوسف .. بينما رفضت روز اليوسف أن تنشر رد الاستاذ الكبير محمود شاكر ، على كلام الدكتور مندور ، وهو الحق المعترف به في كل صحافة العالم ..

وينسى الكاتب ، انه الآن يقوم بدور التقدمى الأممى .. فيعاوده الحنين للبعثية العفلقية .. وتثيره الدراسة التى قدمتها مجلة « الرسالة » عن « القومية العربية والاسلام » اذ ليس ثمة ما يثير العفلقى مثل ربط القومية العربية بالاسلام ..

هو يقول ان الرسالة تعمل منذ عودة ظهورها حتى الآن على مهاجمة الأفكار القومية باسم الدين ، واحلال فكرة الدولة الدينية محل الدولة القومية لدرجة الدفاع عن الاستعمار التركى ولوم العرب على انفصالهم من تركيا فالحركة القومية العربية التى اندلعت في القرن الماضى ، والتى تحرك الثورة **العربية الآن ، وتحاول تجميع العرب فى ظل** الاشتراكية والوحدة ليست ضرورة تاريخية وليس لها نتيجة سعيدة ! »

لو أنه قرأ ليتعلم ، لا ليزور ويشى .. لعرف أننا فى دراستنا للدولة العثمانية وتطور الحركة **العربية قلنا :**

« الاسلام هو تراث العرب المكون والمتمم لقوميتهم .. هو تاريخهم وثقافتهم ووجدانهم القومى . هو رسالتهم فى هذا العالم وروح حضارتهم ان كان مقدرا لهم أن يقدموا حلقة جديدة فى تاريخ الحضارة » .

ولعل حقده قد اثاره قولنا : « بالاسلام يبدأ التاريخ العربى . وليس الاسلام احدى قمم العروبة كما يقول بعضهم » (الرسالة ٨١) ومعروف أن بعضهم هذا هو نبيه السابق ميشيل عفلق ..

اما عن الترك فقد قلنا : « لماذا كان الترك قدرا محتوما على العالم الاسلامى (تماما كما نقول كان الموت قدرا محتوما) والعرب بالذات ؟ ولماذا انتهى الصراع فى سنواته الاخيرة ، فوضع القومية فى مواجهة الدين ، لينتهى الصراع باستبعاد الدين فى تركيا ، وتنكر الحركات القومية له فى دائرة الهلال الخصيب » .. صحيح أن هذا الرأى يثير كاتب التحقيق ولكن ما حقه فى ان يجرجر خلفه مجلة روز اليوسف ؟!

ونحن ايضا الذين قلنا : « فكثيرا ما يقال ان الدولة العثمانية كانت دولة دينية ، وان جميع الارتباطات بها هى ثمرة العصبية الدينية .. والحق ان هذا غير صحيح .. فان العثمانية كانت فى بدايتها ونهايتها قضية سياسية وقومية .. فمنذ بداية هذه الدولة ورعاياها لا يحملون لها ذرة من من الاحترام الدينى .. وابن اياس يصف مواخير ، وليست معسكرات ، الجيش العثمانى .. حيث اجفان الحشيش وقصاع البوظه .. وخيام الغلمان كفتيات الجيشا » (الرسالة ٨١) ..

اهذا دفاع عن الترك ؟!.. أما القول بالاستعمار التركى فكلمة استعمار هنا غير علمية ، ويبدو أنه لم يتم دراسة دوره الجديد بعد ..

وقلنا : « كان خروج العرب من هذه الدولة ابتداء من سقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسى ١٨٣٠ الى تصفية الدولة العثمانية على يد جيوش الاحتلال الانجليزى والفرنسى ، وعصابات عودة أبو تايه ولورنس من ناحية ، ونشاط الغازى اتاتورك من ناحية أخرى فى مطلع القرن العشرين ، فلم تكن ثمة ضرورة تاريخية تحتم هذا الخروج ولا نتيجة سعيدة تبرر وقوعه » .

فهل ياترى يعتبر احتلال فرنسا وانجلترا للعالم العربي.. نتيجة سعيدة ؟!. أو يعتبر هذا الاحتلال جزء من الثورة العربية ؟!

وهل نحن حقا نلوم العرب على الانفصال .؟! لقد قلنا : « ولكن التخريب الاكبر الذى شنه الدستوريون (الترك) هو اضطهادهم للعرب ودفعهم دفعا الى الانفصال .. وهذا يثبت ليس فقط الغباء التركى بل أيضا الذكاء الاستعمارى والنشاط الاستخبارى .. وكان الاتحاديون يرفضون أن يضموا عربيا الى قيادة حزبهم ، بل وتخلو وزاراتهم من وزير عربي ، وتضم ثلاثة من اليهود !.. وفى أحسن الأحوال يكون الوزير العربى ايتيم للاوقاف .. ولا تكف صحفهم عن التشهير بالعرب والهجوم عليهم .. وقد رفض الدستوريون الاتراك كل يد امتدت لهم من العرب، وواصلوا عمليةتسليم الدولة للاحتلال الأوربى .. حتى أحس العرب بخطر الاستمرار فى هذه العلاقة مع الترك .. وبدأت تتجمع حركة عربية تحاول أن تنجو بآسيا العربية من المصير المحتوم .. » « وقام الحكم الدستورى فى تركيا بكل ما يمكنه لاستفزاز العرب ودفعهم الى الانفصال أو اليأس والارتماء فى أحضان الحماية الاوربية » (الرسالة ٨٣) .

اهذا دفاع عن الترك ولوم للعرب ؟! حقا اذا لم تستح فانقد كما شئت !

أما عن الثورة العربية فقد كتبت الرسالة : « يجب أن نقول ، ان حركة ثورية سليمة كانت تتجمع فعلا .. وان الثورة العربية لو قدر لها ان تتجنب تخريب وتشويه الاستعمار لكانت قد غيرت وجه المنطقة .. ولأن حركة ثورية كانت تتجمع فان عددا هائلا من ذوى النيات الطيبة ، انضموا اليها ، بل استجابوا وانخدعوا بتغرير المغررين والعملاء.. فيبقى لهم حسن النية وان اخطاهم التوفيق » .

هذا ما قلناه .. فلماذا التدليس والتزييف .؟! ولكن ما دام رب البيت يبيح لنفسه أن يراجع مسرحية عن الاسبانية ، التى لا يعرف منها شيئا .. فشيمة أهل البيت كلهم ، نقد ما لا يعرفون .. والرد على ما يفترون هم !

ونقطة الخلاف الاساسى بيننا وبين تلميذ عفلق ، حول القومية العربية ، هو اننا لا نرى فى الثورة العربية المعاصرة التى يقودها عبد الناصر ، امتدادا بالتحركات التى قادها الشريف حسين بمساعدة لورنس .. ولا للتخريب الذى احدثته المخابرات الاستعمارية فى الثورة العربية التى تجمعت قبيل الحرب العالمية الاولى وخلالها .. وبالتالى فالثورة العربية المعاصرة ليست امتدادا للاحزاب والحركات التى ورثت المفاهيم اللورنسية وفى مقدمتها حزب البعث ، الذىفصل بين العروبة والاسلام.. وحصر نشاطه فى آسيا العربية ، ولم يمد هذا النشاط الى افريقيا الا لتخريب الثورة العربية .. واتى بمفهوم عنصرى للقومية العربية .. اننا نرى أن الناصرية او القومية العربية المنتصرة الآن ، هى الامتداد الطبيعى للثورة العربية بلا تخريب ولا تشويه ، وهى أيضا النفى الثورى لمفاهيم البعث ..

وذلك خلاف قديم بيننا وبين الكاتب العفلقى ..

وعلى تفسير الرسالة « الطريف » ترد « روز » ردا جاهلا ومزورا .. فهى تنسب لنا رغم أننا لانكتب بالاسبانية بل بالعربية ، اننا قلنا «أن التقدم كان معناه أن ينتهى عصر الاقطاع ، ويدخل المجتمع الاسلامى فى عهد الرأسمالية ! » هذا من عنده .. ثم يكمل من عندنا « فهل يمكن للخلق الاسلامى والفكر الاسلامى والتشريع الاسلامى أن يسمح بقيام نظام استغلال رأس المال ؟ » الا يمكن القول بأن ما تم كان دورة طبيعية تحتم فيها على المسلمين أن يتراجعوا بدينهم الى أن تنهار الحضارة الرأسمالية ليعودوا بعدلهم وتكافلهم الى مسرح الحضارة من جديد » .

ما الذى يغضبه .. دفاعنا عن الاسلام .. أم هجومنا على الرأسمالية واثبات منافاتها للخلق الاسلامى ؟..

هو يستخرج لنا : « تقول هذا وكأنها تريد أن توهم قراءها ــ ومعظمهم من الريف ــ (يشرفنا أن يكون قراؤنا من الريف وان تعيرنا أنت بالذات بذلك) ان الخلق الاسلامى يسمح باستغلال الفلاحين الاجراء فى أراضى الاقطاعيين ، ولا يسمح باستغلال العمال فى مصانع الرأسماليين » .

أولا .. (وعلى الماشى) فى ظل الاقطاع .. الفلاحون ليس اجراء ..

ثانيا .. كيف تفهم هذا ؟!. من قال لك أننا نقبل القول بأن الاسلام يحتوى الاقطاع ؟!. نحن

الذين فضحنا تزييف الرجعية التي تزعم أن الاسلام يتعارض مع الاشتراكية .. فأثبتنا أن « الاسلام يتنافى مع الاستغلال » .. وانه « لا يتصور قيام مجتمع اسلامي الا على أساس الاشتراكية .. »

ثم يهوى كاتب التحقيق ، فيعلن « أن العقاد لم يحقد على الانجليز والملك كما حقد على الثورة .. » **لماذا هذا الزج بالثورة وادعاء التكلم باسمها ؟..** ولو كنا نقبل أن نهوى الى حيث هويت .. لقلنا ان العقاد كرمته الثورة بأرفع الجوائز الفكرية.. وأنت معزول سياسي .. معترض عليك في انتخابات الاتحاد الاشتراكي ملغى انتخابك في اللجنة النقابية .. أهذا أسلوب في النقد ؟.. ولمصلحة من والأمة العربية ، بل والدول الاسلامية تتسابق بعد على تكريم العقاد .. تأتي أنت فتشوه علاقة العقاد بالثورة ؟!

أما تلخيصك لمقالة تحديد النسل .. فشكرا .. هو بالضبط كما قلت ، فان كان لديك حرف تنقض به ما قلناه فتفضل .. وان كنت تظن أن للدولة وجهة نظر رسمية في تحديد النسل ، وانك تشي بنا اليها.. فهون عليك .. ولا تشوه ديمقراطيتنا.

أما الاسلوب الذي اخترته للتعليق على دراستنا بالاشتراكية في تونس ، فهو لا يعاب عليك أو منك ..

لما جاء بورقيبة الى القاهرة يعلن ايمانه بالاشتراكية والعروبة .. تناولته مجلة الثقافة في مقال تحليلي بدأته بالقول «بان التجربة العربية التي نبعت من القاهرة ، واكتشفها ابن العروبة البكر .. جمال عبد الناصر ، ستتعدد صورها ، وتختلف تطبيقاتها على نطاق الدول العربية ، ولكنها ستبقى كلها في اطار ما نسميه بالاشتراكية العربية » .. لعل ذلك ما أثارهم !

وهو ينقل عنا : « دراسة التجربة التونسية من واقع خطاب الرئيس التونسي ستساعدنا ، لا على فهم الواقع التونسي وحده ، بل على تفهم الاشتراكية العربية كلها » .. ثم يسكت شأن المدلسين .. ولا يكمل السطر حيث نقول : « فما التجربة التونسية الا احدى ثمراتها، ونحن في غمرة انتصاراتنا تغيب عنا التفاصيل ، كما أنه لا يمكن فهم الظاهرة تماما الا برؤيتها من الخارج .. وأقل الناس وعيا بالمعجزة التاريخية هم صانعوها .. »

ورغم وجود بورقيبه ضيفا على بلادنا ، وما احيط به من مظاهر التكريم لم تمنعنا الامانة العلمية من أن نقول ان بورقيبة حاول أن يبني مجتمعا رأسماليا معاديا للاسلام ، وذكرنا محاربة الصوم والحج واستصدار الفتاوى ضد ذبح الخراف في عيد الأضحى .. ثم كيف « اثبتت التجربة التونسية أن الاشتراكية لا تتعارض مع العروبة والاسلام ، بل بالعكس انها تفضي الى الاصالة والدين ، بينما يفضي كل تطلع الى الغرب وتبعية للحضارة الغربية الى التنكر لعروبتنا والتبرؤ من ديننا » هذا ما قلناه بالحرف الواحد .. فلما خرج بورقيبة على العرب بتصريحاته في بيروت .. كانت مجلة الرسالة هي اول من هاجمه في مقال « نعم .. اسرائيليات ! »

فان أردت أن تنقد فلا تتقول ، لأننا أقوى عليك بالحق ، منك بالباطل ..

ويبدو أن تعاطي هذه الافكار .. يتلف العقل تماما .. لذا نرى كاتب التحقيق ، رغبة في ارضاء الفكر الذي يحركه ، يفقد الرشد في نهاية تحقيقه فيمدح مجلة « **الكاتب المصرى** » الصهيونية ، ويبلغ من الصفاقة حد القول: « ونحن نتذكر مجلة الكاتب المصري » التي كان يصدرها الدكتور طه حسين منذ أكثر من عشرين سنة ، ونتذكر الدور الذي استطاع أن يؤديه هذا المشروع الفردي.. ومدى الخدمة التي أداها لجيل كامل من الادباء والفنانين .. »

نعم !.. تحيا المشروعات الفردية .. ولتسقط الملكية العامة للمحلات !. أليست هذه خلاصة البحث التي يختم بها تقريره ؟!. وفي سبيل الدفاع عن المشروعات الفردية يستخدم الفعل « يصدر » بدلا من يحرر .. والحقيقة التي يعرفها جيدا أن هذه المجلة لم يكن يصدرها طه حسين ، بل سبعة ملايين **جنيه رصدتها لها الأنظمات والهيئات الصهيونية في مصر ، وان هذه المجلة الصهيونية قد ظهرت بالذات كجزء من مؤامرة التخريب التي كانت تمهد لمأساة فلسطين، واضطرت الى الاختفاء بعد افتضاح أمرها.** حتى جاء اليوم من يترحم عليها .. في مجلة روز اليوسف .. ويشيد بما أدته لجيل من الفنانين والأدباء بأموال موصري الفردية !.

الم نقل لكم ان الطريق الذي تسير فيه اقلامهم .. أوله جهل .. وآخره خيانة ؟!

محمد جلال كشك

محمد إقبال

شاعر البناء والنهضة

« اني احترق بنار شوقي وحبي ، واستغرب اني خلقت في عصر لا يعرف الاخلاص ، ولا يعرف سوى المادة والأعراض . في الشرق والغرب ، اعيش وحدي ، واغني وحدي ، وتد انحدث الى نفسي ، واخفف من اشجاني وآلامي .

« اليك يا سيد الأمم اشكو من اناس لا ينظرون الى الا كشاعر او متغزل .

« لقد امرتني يا رسول الله ان ابلغ اليهم رسالة الحياة والخلود ، وانشدهم بما ينفخ فيهم .. النشاط والروح ، ولكن هؤلاء القساة يقترحون على أن انوح على الاموات في الشعر ، وانظم تاريخ الوفاة . فاين هذا مما امرتني به .. ؟ » .

هذه السطور تحكي قصة فنان مرهف الحس ، وفيلسوف مشتعل الوجدان ، لم يصرفه ايمانه بالله وتصوفه الفريد ، عن ماساة الرقعة الكبيرة من الارض التي ينتسب اليها . لقد عاش شاعر الهند ـ محمد اقبال ـ ماساة امته في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر والثلث الاول من القرن العشرين ، وشهد مصرع الحرية في بلاده على ايدي الغزاة القادمين من الغرب ، متوسلين بما احرزوه من تفوق تكنولوجي ، ومهارة دبلوماسية خبيثة ، واخذ ينظر بعين دامعة الى امته العريقة تتقاسمها الاهواء وتدب بينها الشقاق ، وتقع فريسة في يد الدهاء الاستعماري .

للدكتور نجيب الكيلاني

منابع فلسفته :

ولذا كانت فلسفة اقبال فلسفة يتجلى فيها الصدق مع نفسه ، والصدق مع طبيعة عصره ..

● اما صدقه مع نفسه فقد بدا واضحا في انكبابه على التراث الاسلامي بكل صوره والوانه ، لقد نشا في بيت مسلم ، يعطره الله شذى التصوف ، ولهذا استمد الكثير من اصول فلسفته من منابع الفكر الاسلامي ، ولا يفهم من ذلك انه تقوقع على المفاهيم التي ورثها ، وانصاع لها يجهله بغيرها ، فقد كان اوسع ابناء عصره الماما بفلسفة نيتشة وبرجسون وماركس وغيرها ودرس الكثير عن فلاسفة الشرق والغرب ، وكان متمكنا من اللغات الفارسية والأوردية والسنسكريتية والانجليزية ، ملما بالعربية والألمانية .

وكانت خلاصة رايه في الفلسفات عامة : « ان الفلسفة التي لم تكتب بدم القلب فلسفة ميتة او محتضرة » .

● وكان اقبال صادقا مع عصره ، حينما تمعن في الحضارة الأوربية الحديثة ومقاييسها وأبدى اعجابه بنهضتها العلمية ، ودعا الى الاخذ منها بحذر ، لانها كما يعتقد ، حضارة آمن قلبها وكفر عقلها .. ولأن هذه الحضارة التي صنعت الأعاجيب في الفكر والفن والعلم ، هي نفسها التي صنعت هذا الجيل ... من المستعمرين القساة ، ومن ثم يقول :

« لا بد ان يعيش العقل والعلم والقلب في حضارة الحب واشراقه وتوجيهه ، ولا بد ان تسند الدين وتغذيه عاطفة قوية وحب منبعه القلب المؤمن الحنون ، فاذا تجرد الدين عن العاطفة والحب ، اصبح مجموعة من طقوس واوضاع واحكام لا حياة فيها ولا روح ، ولا حماسة فيها ولا قوة ، هذا الحب الذي صنع المعجزات ... » .

ويقول : « ... قد سالت في شعري دموعي ودمائي ، وفاضت فيه مهجتي ، ودمائي : الا يخفف الله من هذا الجوى ، بل اسال الله المزيد ... والجديد » .



وكان بديهيا ان يفكر اقبال في الطريقة المثلى التي تستطيع ان تقيل امته عثارها ، وكان امامه التجربة الكبرى التي ملأت راسه وخياله ، وملكت اعجابه ، تجربة الأمة المشتتة الممزقة في عرض الصحراء ، والتي استطاعت ان تقف على قدميها ، وتنشر نور حضارة جديدة ايقظت العالم كله ، وما زال ذكرها يملأ الآفاق » .

وكانت فلسفة اقبال ـ فلسفة « خودى » ـ او الذات ـ هي الخطة المثلى التي رآها متفقة مع التاريخ والواقع الحاضر ، وخلاصة هذه الفلسفة هي الاهتمام باللبنة الواحدة ، بالفرد الذي سيتآزر مع غيره من الآحاد او الأفراد لبناء المجتمع الكبير السليم من العلل والانحرافات .... وقد وضع اقبال لهذه الفلسفة (التربوية) عدة مراحل ، تنتهي بالصورة المثلى ، التي يقترب فيها الانسان ـ بطول المراناة والرياضة النفسية ـ من الصفات الالهية او ما يقارب الكمال ، وعند هذه المرحلة الأخيرة يعطينا اقبال صورة لنموذج فذ من البشر ، ضخم الطاقات ، يستطيع ان يصنع المستحيل ، ويحقق المعجزات او ما يشبه المعجزات . وطوال الرحلة من البداية الى النهاية يخوض الانسان المؤمن الوانا شتى من الصراعات العنيفة ، ضد الطبيعة الداخلية

والخارجية . وفي النهاية يمكن ان يسمى الانسان «بخليفة الله» في الأرض ، وان يكون «ربانيا» (يا عبدي اطعني تكن ربانيا، تقول للشيء : كن فيكون) .

« ان هذا الكون الذي يتركب من لون وصوت ، والذي هو خاضع لناموس الموت ، والذي تسرح فيه العين ، وتتمتع فيه الأذن ، وليست الحياة فيه ـ عند اكثر الناس ـ الا الأكل والشرب ، ليس هذا الكون الفسيح الجميل ، هو المرحلة الأولى لمن عرف قيمته ، انه ليس وكرك الذي تستريح فيه ، والغاية التي تنتهي اليها ، ليست هذه الأرض التي مادتها التراب ، مصدر روحك المتوقدة الوثابة ، وعاطفتك الملتهبة ، انت مادة الكون ، وليس الكون مادتك ، كن في تقدم دائم ، ورحلة دائمة، وحطم هذا الجبل الأصم ، الذي يعترض طريقك ، وتمرد على هذا الزمان والمكان ، وتحرر من قيودهما ، وانطلق من حدودهما لأن المؤمن اذا عرف قيمة نفسه اقتنص هذا العالم ، واقتنص هذه الأرض والسماء في بعض ما يقتنص .. » .

وكثير من شعر اقبال يتغنى بجمال الصراع ، وروعة الألم، وعظمة القلق ، وجلال العشق والتفاني في المحبوب ، وجمال الصراع يكمن في انه نضال الانسان واستماتته من اجل بلوغ غاياته النظيفة ، والتغلب على كل ما يعترضه من عقبات وصعاب، وروعة الألم ليست مجرد احاسيس مريضة ، او انهيار نفسي كما يظهر عند الرومانسيين ، وانما الألم في نظره قوة خالقة ، وجلاء لمعدن الانسان الأصيل ، وارهاف لمشاعره ووجدانه ، والقلق لدى اقبال ليس دافعا من دوافع اليأس والملل والموت ، بل نشوة فكرية ، وبحث عن الحقيقة الخالدة واشتياق لعالم افضل يسود فيه الحب والرخاء والأخوة الانسانية ، اما عشقه فهو عاطفة صوفية جياشة لا ارتباط بينها وبين نزوات الجسد الفانية .

ومن صفات المثال او النموذج الانساني الذي يشارف الكمال : الحرية .. فالأحرار وحدهم هم الذين يبدعون ويبتكرون ، ويحققون اروع الأمجاد الانسانية . ان المحكوم الرقيق لا يوثق باحكامه ولا يعتمد على استحسانه واستهجانه ، وانما الميزان هو الرجل الحر ، والشعب الحر الذي يعيش حرا كريما ، مستقلا بتفكيره وميوله ، فان الاحرار هم وحدهم أصحاب الفراسة الصادقة ، والبصيرة النافذة وان رجل الساعة هو الذي شق بهمته الطريق الى المستقبل ، ولم يقتنع بالحاضر ... » .

ويتحدث اقبال كثيرا عن عاطفة الحب ، الحب بمعناه الواسع الكبير ، وهو تعبير عن الروح الانسانية الشفافة ، التي لم يخالطها زيغ او يلابسها اثم ، او يشوهها تعصب اعمى ، والحب كما يعتقد : « يبعث في الرجل الاعتداد بالنفس ، والاحتفاظ بالكرامة ، ويمنع من الوقوف على ابواب الملوك والخضوع للمادة والسلطان » ، ويحمل اقبال على الجفاف الذي ينتاب العلاقات والسلوك الانساني ، ويردد : « ان العالم الديني لا يحمل حبا ، ان عينه بصيرة ، ولكنها جافة لا تدمع ، لقد زهدت في صحبته لأنه علم ولا حب ، وارض مقدسة ولا «زمزم» » .

وكغيره من زعماء الاصلاح في العالم الاسلامي ـ ابان الركود والضعف ـ يناضل من اجل تنقية الدين من الخرافات والأكاذيب التي الصقت به الصاقا، ويحاول ان يقدم الدين ورجل الدين في ثوب حقيقي اصيل جدير بالاعجاب والاقتداء ، فيناقش مشاكل التواكل والاعتذار بالقضاء والقدر ، ويصرخ في الم « المسلم الضعيف يعتذر دائما بالقضاء والقدر ، اما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد .. » .

« ان نظرة المؤمن تغير الأقدار » .

ولقد كان اقبال واحدا من كبار ثوار امته ، بل ثوار عصره ، لم يقدس قديما لقدمه ، ولم يطرب لجديد لمجرد جدته ، بل كان يعيش بقلب شاعر فيلسوف ، وروح شابة متوقدة ، فينعى على قومه جمودهم ، وتمزقهم ويسخر من فناني عصره الذين لا يمثلون روح الثورة الواجبة :

يئست فلا ارجى في اناس لهم فن كفن السامري
سقاة في ربوع الشرق طافوا على الندماء بالكأس الخلي
سحاب ماحوى برقا قديما وليس لديه من برق فتي

وثار اقبال على الرأسمالية « لقد انتهى دور الرأسمالية ، والثراء الفاحش ، وانتهت هذه المسرحية التي مثلها الملوك وابطال الف ليلة .. » .

وثار على نظام الملكيات الفاسدة : « ... صدرها خاو ، ليس فيها قلب خفاق ، انها كالنحلة تجلس على كل زهرة وتشرب منها الرضاب ، وتغادرها الى زهرة أخرى ، وتبقى هذه الزهرات بلونها وشكلها ورائحتها ، ولكنها اوراق بالية وحشائش ذاوية .. » .

ويثور على الفنون الخليعة التي ترضي النزوات ، وتحطم معنويات الشعوب ، وتكون اداة هدم لا بناء ، ويعتبرها داء عضالا ، ومشكلة من اهم المشاكل التي تستلزم المعالجة او التقويم :

ان سرت في اللحون دعوة موت
حرم الناي عندنا والرباب

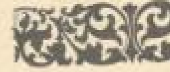
ويقول : « ان كل مأثرة وكل انتاج ، لم تذب فيه حشاشة النفس .. ناقص ، وجدير بالفناء والزوال السريع ، وكل رنة او نشيد لم يدم له القلب ، ولم تتألم له النفس قبل ان يصدر .. ضرب من العبث والتسلية ، ولا مستقبل له في المجتمع وعالم الأفكار .. » .

هذا قليل جدا .. من كثير جدا عن شاعرنا الفيلسوف المؤمن محمد اقبال ، الذي دعا الى انشاء دولة باكستان ، والذي كان الاستاذ المعلم للملايين من ابناء شعبه وابناء الشرق قاطبة، والذي تحدى الاستعمار والفلسفات الجامحة ... بقلب فنان ، وروح مؤمن ، والذي ترك تراثا غاليا في دواوينه : « رسالة الشرق » و « ضرب الكليم » و « صلصلة الجرس » و «ارمغان حجاز» وغيرها ، عدا دراساته في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع ... ولم يزل كثيرون من ابناء الشرق العربي خاصة يجهلون الكثير من ثمار فكره ، ونضاله المشرف من اجل الانسانية عامة ، ليس وطني دهلي ولا أصفهان ولا سمرقند ، انما وطني العالم كله » .

هذا هو اقبال الذي يرى حلما لذيذا .. يرى في مرآة المستقبل عصرا لا يزال في طيات الغيب ، يرى عصرا قد بدت تباشيره ، وظهرت طلائعه لعينه ، ولكنها لا تزال محجوبة عن اعين الناس ، « لو كشفت الغطاء عن وجه هذا العالم الجديد ، وبحت بما في صدري من افكار واسرار لشق ذلك على اوربا ، وفقدت رشدها وجن جنونها .. » .

رحم الله اقبالا ... كان ترجمانا امينا لقضايا عصره .. وكان امينا مع نفسه .. وفنه .. وعصره .

« د . نجيب الكيلاني »



تتميز قصة (الجلد المحبب) للكاتب الفرنسي « اونوريه دى بلزاك» (٢٠ مايو سنة ١٧٩٩ – ٢٠ اغسطس سنة ١٨٥٠) بانها تتضمن نصا عربيا ، مع ترجمته الى الفرنسية . ومن الغريب أن بلزاك وصف هذا النص العربى بانه مكتوب باللغة السنسكريتية .

وقصة (الجلد المحبب) التى نشرها « بلزاك » فى اغسطس من سنة ١٨٣١ تروى حياة شاب يسمى « روفاييل دى فالنتين » الذى نشا فى يسر ونعمة ولكن والده اضاع كل ماله وافلس فاضطر الشاب الى بيع جميع ماورثه عن والدته لوفاء دين والده. وبعد ان توفى الوالد كمدا وحزنا بيع اثاث المنزل ولم يتبق له سوى بعض مئات من الفرنكات تكفيه ليعيش ٣ سنين حياة فقر وحرمان وتقتير ، على ان يؤلف فى هذه الفترة كتابا يدر عليه بعض الربح ويكون له شهرة تمكنه من كسب وفير فى المستقبل، وكان على جانب كبير من الثقافة ، درس اللغات الشرقية وتبحر فى مختلف العلوم والفنون ، فاستاجر غرفة ضيقة فى بنسيون حقير تديره سيدة وابنتها • وقد درستا اخلاقه فوجدتاه جادا مستقيما وصار يعلم الفتاة الموسيقى والرسم حتى اجادتهما.

والى جانب ابنةصاحبةالبنسيون واسمها «بولين» التى كانت تواسيه فى محنته بما تمده به من مال قليل من حيث لا يدرى ، تعرف « رفايل » بآنسة ثرية اسمها « فيدورا » كانت تعيش وحدها فى قصر منيف ، وقد حاول ان يتودد اليها ، وبذل فى سبيل ذلك جميع ما اوتى من لباقة ودراية وعلم وفن حتى انست به ولكنها فهمته انها لن تسلس قيادها لاى رجل من الرجال ؛ فخاصمها وانقطع عن زياراتها . ولقيها مرة بعد ان اخرى فلم يعرها التفاتا .

وتقلبت الاحوال على « رفايل » بين يسر وعسر حتى انفق جميع ما لديه واعتزم الانتحار • على انه قبل ان ينفذ عزمه بالقاء نفسه فى نهر السين طاف بالشوارع المحاذية للنهر ، وقاده طالعه الى مخزن آثار قديمة راح يستعرض محتوياته .

كان بين تلك الاشياء التى عرضها عليه صاحب المخزن ــ وكان شيخا يبدو كأنه ساحر قديم ــ قطعة من الجلد المحبب معلقة فى احد جدران المخزن وقد ركبت فيها الحبوب الناتئة من الجلد بحيث يشع منها بريق عجيب ، وكان حجمها يقارب حجم جلد الذئاب . وقلب «روفايل» قطعة الجلد فرأى على ظهرها مايلى مكتوبا على الشكل التالى :

نص عربى

لو ملكتنى ملكت الكل
ولكن عمرك ملكى
واراد الله هكذا
اطلب وستنال مطالبك
ولكن قس مطالبك على عمرك
وهى هاهنا
فبكل مرامك ستنزل ايامك
اتريدنى
الله يجيبك
امين

واعجب التاجر الشيخ بقراءة «رفايل» لهذا النص وقال له : «اراك تقرأ السنسكريتية فى سهولة» .

وروى الشاب للتاجر قصته وكيف اعتزم الانتحار فاهداه قطعة الجلد المحبب بعد ان شرح له خصائصها وهى ان ايامه ستكون معلقة بحجم القطعة ، وهى ستحقق له جميع امانيه ولكنها عند كل امنية ستضيق دائرتها ، وكلما ضاقت الدائرة قصرت حياته •• وقال التاجر الشيخ ان الساحر الهندى الذى اعطاه هذه التميمة شرح له ان هناك علاقة عجيبة بين مصير صاحب قطعة الجلد وبين الامانى التى تراود نفسه •

وهكذا كان. فقداخذ «رفايل» قطعة الجلدوخرج من مخزن تاجر الآثار فاذا هى قد اصبحت ملساء ناعمة فطواها ووضعها فى جيبه •

كان رفايل يطمع فى الحب والمال ، وقد حقق له

هذا الجلد المجيب ما كان يطمع فيه ولكن على حساب حياته . وكانت قطعة الجلد تضيق عند كل امنية . وقد التقى ببولين ، وكانت قد اثرت لأن والدها عاد من رحلة طويلة جمع فيها المال الوفير فتبدلت حالها وحال والدتها ، وتبادل الشابان الحب وتواعدا على الزواج .. ولكن الجلد يضيق ، فعرضه رفايل على بعض العلماء فلم يفهموا شيئا ، وحاول ضغطه

غرفة صغيرة على سطح احد الابنية «الحياة التى وصفتها فى الجلد المجيب» ويقول : «جابتانوبيكون» ان احدا من ابطال قصص بلزاك لايمثله فى صباه كما مثله رفايل بطفولته المعذبة واطماحه فى طور الشباب وآماله وشكوكه وبطولته فى طلب العلم وهو فقير واللذة الفكرية التى كان يشعر بها ، ويجد الناقد الفرنسى ايضا ان بلزاك مثل رفايل ـ لم يعمر طويلا

فى إحدى قصص بلزاك

بواسطة آلة قوية فانكسرت الآلة وظل الجلد على ماهو عليه . يضيق عند كل امنية . واصيب رفايل بمرض لم يفهمه الاطباء ، وابعد بولين عن نفسه ليضمن فسحة من الاجل وفى احدى زياراتها له اطلعها على سره فشاءت أن تنتحر لعلها بذلك تضمن له فسحة من الحياة ، ولكنه ، لم يطق صبرا عنها ولفظ نفسه الاخير بينما كان يقبل جيدها .

وقد قال بلزاك فى نهاية القصة انه مثل فى شخص «بولين» المعانى السامية فى الحياة كما مثل فى شخصية « فيدورا » المجتمع نفسه .

ويرى النقاد انه مثل نفسه فى «رفايل» لانه فى مطالع حياته اختلف مع والده بشان مستقبله، وكان قد اختار مهنة الكتابة وعاش ثلاث سنين ـ ١٨١٨ و ١٨١٩ و ١٨٢٠ ـ فى غرفة ضيقة على سطح عمارة قريبة من مكتبة « لرسنال » ، وكان يقضى نهاره فى المكتبة يطالع ، وليله فى الغرفة يدرس ويكتب . وقد عانى من الفقر والحرمان الشىء الكثير كما عاش رفايل فى قصة « الجلد المجيب » .

والغريب انه بينما نجد بلزاك يؤكد فى مقدمة هذه القصة ، وكذلك فى مقدمة قصص غيرها انه لم يصور نفسه فى واحدة من قصصه وان مادة الخلق هى التى تسيطر على كتاباته ،عاد فاعترف فى رسالة الى « مدام هانسكا » ، وهو يروى لها العذاب الذى لقيه من امه ، وكيف غادر منزل والده وعاش فى

بقلم : صديق شيبوب

وانه مثله ايضا لم ينعم بالزواج ممن أحب . فرفايل يموت قبل الزواج بقليل ، وبلزاك يموت بعد زواجه بشهور . وهو الذى انتظر ثمانية عشر عاما لاتمام هذا الزواج . والغريب ان تشاؤم بلزاك جعله فى اغلب الاحيان يختم قصص الغرام ختاما حزينا مؤلما ..

هذا وتمثل قصة « الجلد المجيب » جانبا من أدب بلزاك لم يعره النقاد التفاتا كبيرا ، وهو طموحه الى أن يكون مفكرا فوق أنه قاص ، كان يبحث علوم ما وراء الطبيعة ويهتم باسرارها وظواهرها العجيبة كما يهتم بالسحر وما اليه .

وتعد هذه القصة الناجحة من الناحية الرومانسية بداية فى تأليف القصص التى تمثل هذه الشئون قبل أن يبلغ بلزاك شأوا بعيدا فى هذا الباب فى قصتى « لوى لمبر » و « سيرافيتا » ..



يتصل النص العربى فى قصة « الجلد المجيب » بالعلاقة الغرامية التى تمكنت بين بلزاك والبولندية الحسناء مدام هنسكا ، تلك العلاقة التى انتهت بزواجهما قبل وفاة القاص الكبير بشهور . فقد تم الزواج فى مارس سنة ١٨٥٠ وتوفى فى اغسطس من هذه السنة نفسها .

وكانت مدام هنسكا سيدة شابة تعيش فى الريف باكرانيا مع زوج يكبرها باكثر من ربع قرن، وكانت تزجى وقتها بالمطالعة ، فقرات الكثير مماكان ينشر وقتئذ ، اى فى نحو سنة ١٨٣٢ ، وخاصة قصص بلزاك فاعجبت به وكتبت اليه وتبادلا رسائل لم تلبث انأخذت طابعا غراميا وتواعدا على ان يلتقيا على ضفاف بحيرة نوشاتيل فى شهر سبتمبر سنة ١٨٣٣ . وقد التقيا ، وكان الزوج الشيخ لا يترك لهما المجال لكى يجتمعا على انفراد على انهما تقابلا بعد ذلك فى كثير من مدن اوربا وخاصة فى فينا سنة ١٨٣٥ . وهذه الرحلة التى قام بها بلزاك الى عاصمة النمسا ليلقى صديقته البولندية الحسناء ، والتى استمرت من يوم السبت ١٦ مايو الى يوم الخميس ٤ يوليو سنة ١٨٣٥ ، هى التى تهمنا فى هذا الحديث .

وقد لاحظ مؤرخو بلزاك ان الطبعات الاولى من هذه القصة ظهرت خالية من النص العربى وانما اكتفى القاص بالنص الفرنسى كأنه ترجمة لما كان مكتوبا بالسنسكريتية على قطعة الجلد ، وكان هذا النص مطبوعا ، كما لا يزال يطبع حتى اليوم ، فى شكل مثلث قاعدته السطر الاول وينتهى بكلمة واحدة . والظاهر ان بلزاك اخذ هذا الشكل من احدى طبعات الترجمة الفرنسية لاقاصيص الف ليلة وليلة . وقد نظم فيها مطلع الرحلة السادسة للسندباد البحرى على هذا الشكل .

ولم يكتب النص العربى فى قصة « بلزاك » الافى الطبعة التى ظهرت فى شهر يوليو سنة ١٨٣٨ واهمل « بلزاك » تصحيح وصفه للكتابة على الجلد المحبب بانها بالعربية وظل الاصل يقول انها باللغة السنسكريتية .

ولكن كيف جاء بلزاك بهذا النص العربى ؟

كان من الطبيعى ان يتعرف القاص الكبير عند وصوله الى فينا باصدقاء مدام هنسكا وزوجها الشيخ ، بل كان من الطبيعى ان يسعى الذى سمعوا بوصوله الى فينا لتحيته والترحيب به .

وكان بين اولئك الاصدقاء البارون جوزيف دى هامر بورجيشتال ، وكان من كبار المستشرقين . ولد فى جراتس سنة ١٧٧٤ وتلقى علومه فى كلية فينا فاتقن العربية والفارسية والتركية وهو لم يتجاوز العشرين من عمره ، وعين بعد ذلك فى السلك الدبلوماسى وعاش مدة غير قصيرة فى سوريا ومصر ثم انقطع الى التأليف فكتب عددا من المؤلفات منها تاريخ الآداب العربية فى سبعة مجلدت ضخمة من الجاهلية الى آخر الدولة العباسية ، ونقل الى الالمانية كتاب « ايها الولد » للغزالى ، و « قلائد الذهب » للزمخشرى و «تائية» ابن الفارض الى غير ذلك . وساهم فى تحرير المجلة الاسيوية . وقد كوفىءعلى هذا العمل الضخم بالقاب الشرف ، وعين عضوا فى مجلس شورى الدولة ، وانتخب عضوا فى اكاديميا الآثار بباريس وفى الجمعية الآسيوية ، واشترك فى عدد من الجمعيات العلمية . وقد عمر البارون الى سنة ١٨٥٦ فتوفى فى الثانية والثمانين من عمره .

وكان عند زيارة «بلزاك» لفينا معروفا فى مجتمعها بانه ثقيل الظل فى احاديثه ، يرجع كل شىء الى العرب ويستشهد باقوالهم ويروى تاريخهم . وقد وصفته الاميرة دى ميترنيخ فى كتاب ذكرياتها كيف كان يبدأ حديثه فيقول : « للعرب لغة مليئة بالصور والمجازات ، ولكل الاشياء الوف من الاسماء — هذا الجمل مثلا له اربعة آلاف اسم للتعبير عنه اولها سفينة الصحراء » .. وتقول بعد ذلك انه كان لايكاد يبدأ حديثه حتى ينفض السامعون من حوله فلايبقى غير جدها الوزير الكبير ميترنيخ .

وكان العالم المستشرق يود ان يجتمع ببلزاك منذ وصوله الى فينا وان يحتفى بالضيف حفاوة كبيرة ولكن مرض ابنه حال دون ذلك . ولم يستطع الاجتماع به الا بعد وصوله بعشرة أيام . ويقول مؤرخو بلزاك اعتمادا على رسالتين تبادلهما فيما بعد القاص الفرنسى والمستشرق النمساوى انهما اتفقا فى تلك المقابلة على كتابة النص الذى جاء فى قصة « الجلد المحبب » انه مكتوب على قطعة الجلد المسحور بالسنسكريتية ، باللغة العربية . ووعد بلزاك المستشرق دى هامربورجشتال ان يزوره بمنزله يوم ٢٨ مايو وان يتناول عنده طعام العشاء يوم ٣١ مايو ولكن امورا عارضة اضطرت بلزاك الى الاعتذار عن الزيارة وعن تناول طعام العشاء .

فرد عليه المستشرق بخطاب كان يظهر انه ضاع ولكنه اكتشف سنة ١٩٣١ . وقد ذكر فيه كاتبه

انه ترجم ما كان مكتوبا على قطعة الجلد ، وان النص العربي جاء حسن الجرس مع ايجاز وبلاغة ، وانه ارسله لمن يكتبه بخط جميل ، وانه سيقدمه له عندما يلتقيان صباح يوم الاحد ·

وهكذا ظهرت في سنة ١٨٣٨ طبعة جديدة لقصة « الجلد المحبب » وفيها لاول مرة النص العربي الذي ذكرناه ·

على أن حفاوة دي هامر بورجشتال ببلزاك لم تقف عند هذا الحد ·

اذ يجد مطالع الرسائل التي كتبها بلزاك الى مدام هنسكا – وهي عديدة بلغ مجموعها ثلاثة آلاف رسالة نشر معظمها في جزءين – ولم يصل الى علمي ان الجزء الثالث قد نشر – رسالة بتاريخ ١١ اغسطس سنة ١٨٣٥ جاء فيها ما يلي : « لقد تغلبت على كثير من الناس والاشياء بواسطة (بدوك) · وكتب اليها بتاريخ ١٨ ديسمبر من السنة نفسها : « ليس (بدوك) تميمة لامفعول لها في نظري» وقال في رسالة بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٨٣٦ « (بدوك) يجعلني لا انسى شيئا يجب عمله » ·

ولكن ما هو (بدوك) هذا ؟ روى « جزلان » في كتابه « بلزاك في مباذله » ان بلزاك عاد بهذه التميمة من النمسا في شهر يونيه سنة ١٩٣٥ ، وانه كان خاتما جميلا غالي الثمن خليقا بأن ينيل صاحبه ثروة عظيمة ·

وذكر جزلان كيف ذهب بلزاك بعد منتصف الليل الى منزل صديقه « لوران جان » وايقظه من نومه ليروي له انه تلقى هذا الخاتم هدية عندما كان في فينا من صديقه مسيو دي هامر الذي تبسم عندما اعطاه اياه وقال له : « ستعلم في احد الايام خطر هذه الهدية » واضاف بلزاك انه كان في تلك الليلة التي زار فيها صديقه « لوران جان » يشهد حفلة في سفارة دولة نابولي ، فشاء ان يستفهم من سفير الباب العالي عن قيمة الخاتم وعن معنى الحروف المحفورة عليه ، فلم يكد يقع نظر السفير العثماني عليه حتى صرخ صرخة اضطرب لها جميع الحاضرين وانحنى حتى كاد يلمس رأسه الارض · ثم قال : انك تلبس خاتما يتحدر من النبي · وقد لبسه النبي واسمه محفور عليه · وكان الانجليز قد سرقوه من كبير بلاد المغول منذ مائة سنة وباعوه لاحد الامراء من الالمان ·· ولكن بلزاك اخبر السفير انه تلقاه هدية عندما كان في فينا · فقال له السفير : سافر في الحال الى بلاد المغول الكبير لانه وعد بمنح اطنان من الذهب والجواهر الكريمة لمن يعود اليه بخاتم النبي ··· وستعود من عنده حاملا الاطنان منها ·

والحقيقة ان ما اسماه بلزاك في رسائله (بدوك) ليس سوى كلمة (بدوح) المعروفة في مصر والتي كانت تكتب على الرسائل لضمان وصولها وكثيرا ما كانوا يلحقون بها رقم ٢٤٦٨ وهو قيمة حروفها بحساب الجمل ·

وكان دي هامر بورجشتال قد كتب في المجلة الآسيوية سنة ١٨٣٠ يقول : ان بدوح من اسماء الله وان معنى هذه الكلمة (سامسير سيرا موفقا) وقال « ان السير يوازي الطبيعة وخالقها · وقد عبر عنه بارقام الحروف الاربعة التي تتالف منها كلمة بدوح بحساب الجمل ·· »

ولكن المستشرق كان واهما من حيث ارتباط كلمة بدوح بالدين · ولعلها كانت اقرب الى الالفاظ التي تستعمل في كتابة التمائم والتعاويذ لبعض خصائصها الحسابية من ناحية الاوراق والجداول · وقد ورد ذكرها فيما كتب البيروني والسيوطي في هذا الباب وذكرا من خصائصها انها تشفي من المرض والحب ·

ولعل الامر اختلط على صاحبنا المستشرق جوزيف دي هامر بورجشتال فحمل كلمة بدوح من المعاني مالا تحتمله · ولكنه كان مخلصا في هديته الخاتم لبلزاك منقوشا عليه لفظة «بدوح» لان هذه الهدية تتمشى مع فكرة « الجلد المحبب » ·

وقد رد له بلزاك هذا الجميل فاهداه قصته (غرفة القدماء) التي صدرها بأنها مهداة للبارون دي هامر بورجشتال ·

صديق شيبوب

هل تأذنين ؟

للشاعر : إبراهيم محمد نجا

سيدتي .. هل تأذنين لي   في كلمة صريحة حاسمه ؟
أنا فتى مغترب .. شاعر   يهيم مثل الموجة الهائمه
لا بر يدعوني الى حضنه   فانتهي من رحلتي الدائمه
اظل وحدي في الدجى ، بينما   حمامتي في ليلها نائمه
حمامتي هناك في عشها   على ضفاف الجنة الحالمه
النيل يرعاها ، فلا تنثني   في دوحه صداحة ناغمه

❊ ❊

الماء ، والحب ، وكل المنى   في كفه المخضرة الناعمه
حمامتي قد عشت في ظلها   أجمل أيام الهوى الباسمه
في دوحها عرفت طيب الجنى   أثماره .. أزهاره الفاغمه
أخونها ؟ كيف أخون التي   تظل روحي حولها حائمه
مهما أغب عنها تجد صورتي   في قلبها مرسومة راسمه
الومها - ان لمتها - ظالما   ولا أراها أبدا لائمه

❊❊❊

لو خنتها أضعت عش الهوى   فلم تقم لي بعده قائمه
سيدتي .. لا .. لن أرى دمعة   تحار في مقلتها الساهمه
ولن أرى القلب الذي صانني   تدوسه نزوتنا الظالمه
لو كان حبا ما تريدينه   أضاء حبي الوحشة القاتمه
أنت رماد يبتغي جذوة   تنساب في اطوائه عارمه
ونار حبي قبس طاهر   لم ينبعث من جذوة آثمه

❊❊❊

سيدتي .. شكرا لما أعلنت   رسالة ملتاعة نادمه
نادمة اذ ضيعت عمرها   في قبضة غبية غاشمه
رسالة تلثمني حرقة   فيالها من حرقة لائمه !
أواه مما جاء في بدئها   وآه مما جاء في الخاتمه
قرأت ديواني فأحببته   فغازليه .. واتركي ناظمه
سيدتي .. عذرا .. ولا تغضبي   من كلمة صريحة حاسمه

قصيدتان

للشاعر : حسن جاد

فلسفة الصبر

أقل من الشكوى فلست بظافر ... من الناس الا بالشماتة والعتب
أتلجأ ملهوفا الى غير سامع ؟ ... وتفزع مجروحا الى غير ذى قلب ؟
ولست اذا افضيت بالشكو للورى ... سوى حمل بث الشكاة الى الذئب
ولما رأيت الناس : لا ذو مروءة ... يواسى ، ولا مصغ بسمع ولا لب
ولم ألقهم عند التفجع والأسى ... سوى شامت جذلان او خادع خب
كتمت شكاتى لى فؤادى وصنتها ... فما جاوزت صدرى ولا فارقت جنبى
وقلت لمن يرثى لكربى ومحنتى : ... رويدك انى ما شكوت من الكرب
ألفت وقوع الخطب حتى عشقته ... فلو ملنى خطب سعيت الى خطب
وأتعبت دهرى فى احتمال صروفه ... فصار كهاما بعدما فله عضبى
وألفيت مر الصبر شهدا بالله ... فلم يبق لى فيه ثواب لدى ربى
أؤمل فى سلم الليالى مثوبة ... ولا أرتجى منها ثوابا على الحرب
ولم أر كالتسليم لله راحة ... تحول بغض النائبات الى حب

قسمة الأرزاق

وأحمق مغرور يتيه بماله ... ويسعفه فى الجهل حظ محالف
يرى لذة النعمى بحرمان غيره ... ويؤذيه غيث يغمر الناس ، واكف
اذا نال خيرا راح يسأل ملحفا : ... أأدرك غيرى مثله ؟ وهو لاهف
ينغصه حق يصادف أهله ... وتشغله — مما يود — المخاوف
أصون جلال الشعر عن لؤم جهله ... وما أنا ذو عى ، ولا أنا خائف
ولكننى أبصرته .. فوجدته ... هباء ، وهل تشجى الهباء المعازف ؟
ولو كان شيئا قلت فيه مغاضبا ... ولكنه فى الآدميين زائف
اذا قلته مدحا فما هو فاهم ... وان قلته ذما فما هو عارف
وهبت لحظ الجاهلين غروره ... وقد يصرف الانسان للصمت صارف
وآمنت بالأرزاق تخطئ ذا الحجى ... فيرزق معلوف ، ويحرم عالف

حول المؤتمر الثانى لعلماء المسلمين

مسئوليات وتبعات لا توصيات وقرارات

بقلم: محمد عبدالله السمان

فى اليوم التاسع والعشرين من هذا الشهر ، سيعقد المؤتمر الثانى لعلماء المسلمين بالقاهرة ، بدعوة من الامانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وسيحضره من العلماء ـ عدا الشخصيات الاسلامية الكبيرة ـ ممثلون عن أربعين دولة اسلامية منها خمس عشرة دولة افريقية وتسع عشرة دولة آسيوية .

ولابد من لمحة خاطفة عن المؤتمر الاول الذى عقد فى العام الماضى بالقاهرة أيضا ، وبدعوة من الامانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وحضره ممثلون عن اثنتين واربعين دولة ، منها خمس عشرة افريقية ، وسبع عشرة آسيوية ، كما حضره ممثلون مسلمون عن يوغسلافيا ، والمجر ، وهولندة ، وانجلترا ، وروسيا ، واليونان، ثم جزيرة موريشيس والارجنتين .

وقد القيت دراسات فى جلسات المؤتمر من بعض اعضائه عن عوامل انتشار الاسلام ، والاجتهاد فى حاضره وماضيه ، وفلسفة الحرية فى الاسلام ، وقضية الاجتهاد ، والتلفيق بين أحكام المذاهب ، ونظام الحسبة فى الاسلام ، والاسلام والعلاقات الدولية ، وملكية الافراد للارض ومنافعها فى الاسلام، ثم الملكية الفردية وتحديدها فى الاسلام .

ومما يلاحظ هنا ، أن بحثا واحدا لم يلق فى جلسات المؤتمر ، عن الشعوب المسلمة وقضاياها السياسية وغير السياسية ،وفى مقدمتها الاجتماعية والاقتصادية ، وهى مما كان يتوقعه ملايين المسلمين فى العالم الاسلامى .

ومما أوصى به المؤتمر الاول أن يخص مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، المسائل الآتية بمزيد من العناية والبحث فى أعماله المقبلة :

أولا : وضع خطة ايجابية لتكوين الشخصية المسلمة على أساس من المبادى الاسلامية التى تدعو الى العزة والحرية والكرامة وتمكن المسلمين من مواجهة قضاياهم ، ورد أى عدوان على حقوقهم فى أى قطر من الاقطار .

ثانيا : تعريف المسلمين فى مختلف انحاء العالم بخطر اسرائيل على الاسلام والمسلمين ، ودعوتهم الى مؤازرة شعب فلسطين فى حقه فى العودة الى وطنه السليب باعتبار ذلك كله واجبا دينيا مقدسا .

ثالثا : وضع خطة حكيمة للدعوة الى سبيل الله ومقاومة التحديات التى تواجه الاسلام ، ودحض الشبهات التى تثار حوله .

رابعا : تشخيص مواطن الضعف فى المجتمعات الاسلامية والعمل على علاجها .

خامسا : العمل على اصدار الفتاوى المستمرة من أصول الاسلام وتعاليمه فى المشكلات التى جدت وتجد فى حياة المسلمين .

سادسا : اتخاذ الوسائل الكفيلة بزيادة عناية المسلمين جميعا باللغة العربية لغة القرآن ، عناية تيسر لهم فهم القرآن والسنة .

سابعا : العمل على دعم الروابط بين المسلمين ، وتوثيق صلاتهم بمجمع البحوث الاسلامية الذى انشىء ليكون ملتقى لقادة الفكر الاسلامى ، ولينهض بمهمة التوجيه فى نشر الدعوة واعداد الدعاة المستنيرين .

وعلى ضوء جلسات المؤتمر وتوصيات ممثلى الدول الاسلامية ، رأى المجتمعون أن أهم المشكلات التى تواجه المجتمع الاسلامى المعاصر هى أربعة عناصر رئيسية هى :

- مقاومة العدو المشترك للاسلام والمسلمين .
- تجريد الاسلام مما علق به من الفضول والشوائب .
- تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين .

● العمل على توحيد كلمة المسلمين ، ومحو أسباب التقاطع بينهم .

مما لا ريب فيه أن هذه التوصيات وتلك القرارات على جانب من الأهمية والخطورة ، وليست الأهمية والخطورة كامنتين في مجرد اصدار توصيات وقرارات ، وانما في العمل الايجابي لتحقيقها أو على الأقل في البدء في تحقيقها ، ونحن لا نسبق الزمن ، حتى يلقى مجمع البحوث تقريره عن خطواته العملية فيما أوصى به ، ويتحدث الممثلون عن جهودهم في سبيل تحقيق قرارات المؤتمر الأول وتوصياته ، فاذا عقد المؤتمر الثاني ولم يذكر شيء عن توصياته وقراراته الماضية ، فلن تكون الشعوب الاسلامية على استعداد لمجرد العلم بتوصيات وقرارات جديدة ، لن يكون نصيبها الا الاهمال .

فالمؤتمر في حد ذاته فكرة لها قدرها ، ولها خطورتها ، لماذا انحصرت كل أعماله في مجرد توصيات وقرارات اصبحت خطورته حبرا على ورق كما يقولون ، ويمكن للمؤتمر أن يكون خطيرا ، اذا ادرك أنه امام مسئوليات وتبعات جسام . فالاستعمار لم يزل قابعا في عديد من الدولة الاسلامية ، اما بجيوشه ومعداته ، واما بأذنابه وأدواته من المسلمين أنفسهم ، ولم يزل الاسلام نفسه في محنة في عديد من البلاد الاسلامية وفي مقدمتها ايران وتركيا .

ولست أدري كيف أغفل المؤتمر الاول – واخشى ما أخشاه أن يغفله المؤتمر الثاني – كيف أغفل قضيتين من أهم القضايا التي تعوق سير الاسلام ، فالقضية الأولى هي التبشير الصليبي في العالم الاسلامي ، ولا سيما في أرجاء كثيرة من أفريقيا ، هذا التبشير الذي يعمل جاهدا منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على زعزعة الاسلام عقيدة ونظاما .

فلا أظن أن علماء المسلمين ممثلي الدول الاسلامية في المؤتمر يتجاهلون ان أعمال التبشير في العالم الاسلامي مدونة في عشرات المجلدات ، وحسبهم أن يتذكروا أن « شترايت ودندنغر » قد أصدرا من عام ١٩١٦ الى عام ١٩٣١ سبعة مجلدات ذكرا فيها – وحسب – أسماء المصادر والمراجع التي تدور حول التبشير وجهود المبشرين ، وأن الرسائل التي كتبها المبشرون من سوريا والشرق الأدنى فقط الى زملائهم من سنة ١٨٣٠ – ١٨٤٢ طبعت في ثلاثة عشر مجلدا من أصل ثمانية وثلاثين مجلدا وأن مؤتمر التبشير الذي عقد في أدنبره باسكوتلندة عام ١٩١٠ أصدر تقريره عن النواحي المختلفة التي يجب أن يهتم بها المبشرون في عشرة مجلدات ، وان مؤتمر التبشير الذي عقد في القدس عام ١٩٢٨ اصدر تقريره في ثمانية مجلدات ، وان أعمال مدارس التبشير الفرنسية صدرت عام ١٨٦٩ في أربعة مجلدات استوعبت ١٥٥٠ صفحه ، كما أن أعمال مدارس التبشير الانجليزية صدرت عن عامين في مجلد كامل عام ١٨٦٨ .

أما القضية الأخرى فهي قضية الالحاد بنوعيه السلبي والايجابي ، هذا الالحاد المتفشي في شباب العالم الاسلامي ولا سيما طلبة الجامعات ، وهو – دون شك – يباشر الآن لونا من التحدي للاسلام في شتى وسائل الاعلام ، وفي مقدمتها الصحافة والتأليف .

واكتفي هنا بأن أذكر ممثلي الشعوب المسلمة في المؤتمر الثاني بما نشرته الصحف أخيرا ، فقد صرحت المصادر المطلعة في الفاتيكان بأن البابا بولس السادس سيعلن قريبا عن انشاء سكرتيرية جديدة للفاتيكان تقوم بجمع معلومات عن جميع الملحدين في العالم ، وتعمل على الاتصال بهم .

ولا شك أن العالم الاسلامي يقف اليوم من قضية الالحاد موقفا سلبيا ، فانه على الرغم من مئات الكتب الالحادية التي تغزو الاسلام ، لم توضع خطة ايجابية تعمل على قمع هذه الحركة الخطيرة ، بل لا أبالغ في القول اذا قلت ، ان الجهات الدينية الاسلامية لا تكاد تحس بها ولا بخطورتها .

بقي أن نقول :

ان وجود الوحدة الروحية على الأقل في الدول الاسلامية ، أمر يجب أن يعمل له المؤتمر الثاني لعلماء المسلمين ، ولا يمكن لهذه الوحدة أن تقوم لها قائمة الا اذا أجرينا تصفية نهائية للخلافات الطائفية والمذهبية بين المسلمين وللشوائب التي شابت الاسلام في عقيدته ونظامه من جراء الجمود الفكري والتزمت الديني وآفاق العقبات الضيقة ، فقد نص قانون مجمع البحوث الاسلامية على أنه هيئة تعمل على تجريد الثقافة الاسلامية من الفضول والشوائب وآثار التعصب المذهبي ، وتجلية هذه الثقافة في جوهرها الأصيل الخالص .

اذن فهذه الوحدة الروحية للمسلمين ضرورة تقتضيها ظروفهم الراهنة ، فالاسلام – كما يقول فرنو في كتابه «يقظة العالم الاسلامي» ليس آسيويا ولا افريقيا ، ولذلك يمكنه ان يؤثر بشكل حاسم في وجه العالم في المستقبل .

« محمد عبد الله السمان »

اللغة "الهندية" وآدابها

بقلم: محيي الدين الألوائي

استقلت الهند في عام ١٩٤٧ من الحكم الانجليزي ، واصبحت دولة ذات سيادة كاملة ، وفي عام ١٩٥٠ أعلنت أنها جمهورية ديمقراطية برلمانية ، ونص الدستور الهندي على أن تكون اللغة الهندية هي اللغة الرسمية للدولة ، بدلا من الانجليزية ، التي كانت تسود البلاد طوال حكم الاستعمار الانجليزي ، والى جانب الهندية ، اعترف الدستور بجميع اللغات الاقليمية ، في الاتحاد الهندي ، كلغات وطنية ، تقف الهندية الآن في مقدمة كبريات اللغات العالمية ، بصفة كونها اللغة الرسمية لدولة تضم اربعمائة مليون نسمة ، او نحو سدس سكان العالم ، ففيما يلي بعض النواحي لهذه اللغة وآدابها المتطورة :

نشأت « الهندية » في جو شعبي سليم ، وتكونت اجزاؤها من السنسكريتية واللغات المحلية الاخرى السائدة في الهند الوسطى المعروفة من قبل باسم (مدهيابهارت) وتكتب بحروف (ديوناجرى) المعروفة . ومنذ بدء الحركة الابداعية في الهند نزل الكاتب الهندي الى ميدان تحرير المجتمع من الاوضاع الفاسدة سواء في الميادين الاجتماعية ، والاقتصادية ، وكان الكاتب من قبل يتناول الطرق والوسائل المادية ، أو بعبارة أخرى وسائل علمانية ، للتحرر الاجتماعي والاقتصادي ، وما كان يعالج هذا الموضوع الحساس من الناحية الروحية والاخلاقية ، ولكن هذه الحركة قد استهدفت الى اتجاه ذهني تقدمي متحرر كامل ، كما كانت تهدف اليه حركة « براجاتي وادا » التي كان يتزعمها الكاتب الهندي الشهير « بريم جاند » .

وان حركة « براجاتي وادا » ما كانت الا حركة تقدمية هندية خالصة ، تهدف الى تحرير المجتمع من الاوضاع البالية ، وتنبيه الوعي القومي نحو ما تفشى في المجتمع من الفقر والجهل والمرض ، كما أنها نقطة التقاء بين الابداعية الاخيرة والفلسفة الماركسية ، وفي الوقت ذاته نشأت في بعض الدوائر الادبية حركة ابداعية هندية مبنية على فكرة ربوبية خفية ، وعلى رحمة الطبيعة وجمالها بدون المساس بالشخصيات المشئومة والمنكوبة ، كما هو الشائع في الروايات والقصص الابداعية الاخرى ، وعرفت هذه الحركة باسم : « تشايا وادا » وهي بمثابة نقطة التقاء بين الابداعية الاولى والفلسفة « الويدية » الهندية القديمة .

وتحولت هذه الحركة من بدايتها الشائكة كنشاط أدبي لتوسيع نطاق المشاركة الوجدانية الاجتماعية للكتاب ، وتقدير أهمية الآداب والدور الذي ينبغي ان تلعبه في الميادين الاصلاحية الشعبية الى نظرية قريبة للفلسفة الشيوعية الكاملة مستنكرة جميع طبقات كتاب التقاليد الديمقراطية المتحررة الذين ساهموا وأيدوا هذه الحركة في مهدها في مختلف مراحلها ، وكلما تزداد ارتباطا بالشيوعية بدأت الحركة أن تكون أدبية سياسية فوق الاعتبارات الاخرى ، وصارت أفكار الحركات الابداعية الاخرى في منأى عنهما بحكم العرف السياسي الذي يسيطر عليها ، وما كان روادها الكبار بعيدين عن الشائبة « الصادية » قبل أن تصير تحت وطأة التصلب الكامل في الميدان الفكري التقدمي ، وفي مقدمة هؤلاء الرواد « ياشبال » (١٩٠٤ م) و « ناجارجن » (١٩١١ م) و « راميشوارسكلا » (١٩١٥ م) و « نريش مهتا » (١٩٢٤ م) ، واذا أردنا الشاهد من خارج دائرة

الأدب الهندى على المظاهر التقدمية فى اللغات الشقيقة ، فان مقالات ومؤلفات « كريشان جندار » و « خواجه أحمد عباسى » لشائعة ومعروفة فى ميدان الانشراح الصادى .

عصر التجديد

ان الحركتين السابقتين والنهضات العامة ، التى حدثت فى الميدان الادبى فى الهند وخارجها ، ونشاط حركة الآداب الاجنبية وتبادل الزيارات والبعثات الثقافية بين البلدان المختلفة هو ما دفع الكتاب فى اللغة الهندية أيضا الى دراسة أحوال المجتمع والوقوف على طرق حياته ، وتناولها فى أعمالهم الادبية بحثا ونقدا وتحقيقا وتشدادا للعلاج الناجع لما أصابه من علل وأمراض ، وطلبا للوسائل الكافية لمحو الامية وازالة الفقر من الطبقات المختلفة التى كانت تكابد الآلام والعناء تحت وطأة التعقيدات الاجتماعية البالية ، والعرف البالى الذى تسرب اليه الوهن والضعف حسب تقلبات الزمن ، وتطورات العالم ، ولعب الشعر دورا هاما فى هذا العصر ، مع أنه كان يتمسك بأسلوبه التقليدى القديم ، ويدور حول الأخيلة والتشبيهات القديمة . وان الشاعر الشهير حينذاك « ما يتلى شران جبتا » كان من اتباع تلك المدرسة وأبدى مرونة فكرية وفطانة فنية فى التمسك بالمبادىء الانسانية ، والدعوة الى المثل العليا فى الحياة ، بينما كان الشاعران « مكهن لال جترويدى » (١٨٨٨م) و (بالاكريشنا شرما) (١٩٠٨ م) المعروف بلقب (ناوين) من الشعراء الوطنيين الخياليين الميالين الى فن التلميح والرموز .

وكان الشاعر الغزلى « بالاكريشنا راو » (١٩١١ م) الذى ينتمى الى مدرسة « تشايا وادا » قد أسدى خدمات جليلة فى ميدان القصائد الغزلية ، كما امتاز اسلوبه بالبساطة والسهولة بحيث يقرب شعره الى القلوب .

ان التقدم العام فى الفكر العلمى والنظرية الفلسفية ترك أثرا فعالا فى القصص الخيالية فى الأدب الهندى ، وقد استهدف كتاب ذلك العصر الى تصوير حياة الشعب كما هى لتكون نبراسا للمصلحين الذين يعملون لرفع مستوى مرافق حياة المجتمع ، وقد نشطت فيه أيضا القصص التاريخية التى توضح الوقائع القديمة ، وتصور الاساطير الشهيرة ، ومن الذين أحرزوا قصب السبق فى هذا المضمار ، « بهكوات شرن أباد هيايا » (١٩١٠ م) اذ كان يصور المناظر العامة لتطورات المجتمع من العصر « الويدى » الى العصور الوسطى ، واما « راهول سنكرتيانا » (١٨٩٥ م) فكان يحاول توضيح طرق الحياة فى الجمهوريات القديمة ، بينما كان « رنجايا راكهوا » (١٩٢٢ م) يهتم بمدينة « موهن جودارو » .

الروايات

وانتقلت الروايات الهندية بيد الكاتب الاديب «بريم جاند» من الاعتقاد الشائع الخاطىء من أن الكتابة التقدمية يجب ان تدور حول العمال الكادحين والفلاحين فى الحقول ، الى شخصيات أصيلة فى الحالات الراهنة فى المجتمع ، واتسمت رواياته باتزان طبقى بعيد عن الورطة التى وقع فيها بعض دعاة حركة « براجاتى وادا » فى عصره ، وبناء على كون معظم كتاب هذه المدرسة منتمين الى طبقة مدنية لم يكترثوا بعقلية الشعب الذى يريدون تصويره ومعالجة قضاياه وحل مشاكله وادى هذا الموقف الى وجود كمية وافرة من النقد المتحيز مدفوعا بقصر النظر والتطرف الفكرى ، وهؤلاء الكتاب لم يصرفوا اهتماما بالغا نحو الاعمال الادبية « لبريم جاند » الذى اعتبروه رائد الادب الهندى الحديث وقائده .

واختار « بريم جاند » كأول روائى منظم فى الهندية شخصيات من الطبقات السفلى ومن جماعة الفلاحين الذين اختلطوا به او اختلط بهم ، وما كان يفلت من قلبه المتوقد النظام الاقطاعى الارستقراطى المنهار ، والوعى الاجتماعى العام فى أوساط طبقات الامة ، وكان يصور الحياة الريفية ، وحالات العمال والفلاحين بكل أمانة واخلاص ، وفى غاية العطف والحنان ، وامتازت رواياته دائما بحسن اختيار المواضيع الحساسة ، والفصول الواقعية المحكمة ، وكانت الادوار فى غاية الدقة والاتقان ، وحسن التصوير والتوضيح للوقائع ، وهكذا لمست

كتاباته مضمار الاصلاح الريفي والفكري والاجتماعي في أوسع معانيها وادقها .

التحول العصري

امتازت النزعة المعاصرة في الادب الهندي بعدم الميل الى الابطال وان لم تكن معادية له ، وان الكاتب الهندي الحديث لايرى فرقا في الشعور وادراك الامور في الشرق والغرب ، وانهما يسيران في صوب واحد في آمال البشرية وآلامها . ويهتم الأدب الهندي المعاصر وكتابه بالرجل العادي وقضاياه ومشاكله ، ويفتخر بعاديته وبساطته في الحب، والفرح والسراء والضراء والمطامح والأماني ولايرى تضادا في بساطة الادب وجودته ، ولايعترف بتناقض بين ميزته وشعبيته ، لان الادب الحي الخالد هو الادب الشعبي ، أو ادب الشعب ؛ ان الانسان لعادي وفريد في وقت واحد وهما صفتان متلازمتان تميزانه عن سائر الكائنات الارضية والسماوية ، وعليهما يتوقف نظام الكون ورفاهية البشر بحذافيره ، وعلى هذا الاساس يستوحي الكاتب الهندي مواهبه الادبية ، يعلق عليه آمال الافراد والجماعات ؛ وان القيم الانسانية الحقيقية هي التي تصدر من انسان عادي ، لا من بطل روائي أو نظري .

النثر في الادب الهندي

اذا كانت مهمة الشعر تصوير الامور بطريقة جذابة خيالية ، بحيث تحبب الى القلوب وتقرب الى الاذهان بطريق الامثلة والتشبيهات الحسنة ، فان النثر يهدف الى توضيح الامور كما هي بدون افراط ولا تفريط ، ورائده العدل وقائده المنطق ويتطلب تفكيرا عميقا وبحثا دقيقا مع الادلة القاطعة والبراهين الساطعة ، وان النثر الذي في صورة الشعر ـ ما يقال بالنثر الشعري ـ لا يتمشى مع التطور الحديث في الادب العالمي ، مهما كان نوعه وموضوعه ، ونظرا لاهمية النثر العادي وللهجات الشعبية في التمثيليات والقصص والمقالات والرسائل ، فقد انصرف الكاتب المعاصر عن تقليد الماضي في اختيار الأساليب المعقدة والتشبيهات العويصة ، والمعاني الصعبة في أذهان عامة القراء .

ومنذ عام ١٩٤٦ صدرت مجلة ادبية هندية من « اله آباد » باسم « براتيكا » ، وبعد سنتين انتقلت الى دلهي ومع قصر حياتها فقد تركت اثرا خالدا في التطور الحديث للادب الهندي ، ونشأت في البلاد حينذاك طائفة من الكتاب في اللغة الهندية يعرفون باسم « باري مالا » ساهموا مساهمة فعالة في تحرير وتزويد « براتيكا » ، وكان كلهم أو جلهم منتمين الى المذهب « التجريبي » وقد استحقت الحركة الجديدة هذا الاسم ؛ لأن زعماءها كانوا يقومون ببحث عن القيم الانسانية وتجربة مع الاخلاق البشرية في مختلف ادوارها واطوارها ورجع شعراء هذه المدرسة أن تدعى اشعارهم اشعارا حديثة تجريبية .

وتبرعت مدرسة « برايوجاوادا » باعمال ادبية قيمة الى مكتبة الأدب الهندي ، مع أن الوهن قد تسرب الى جدرانها لعدم وجود معارضة منظمة لها كما كانت من قبل الحركة التقدمية المنظمة، واصدرت هذه المدرسة عدة مؤلفات ومنشورات دورية قيمة، واعمالا ادبية اخرى نشطة . ومما هو جدير بالذكر ان كتاب هذه المدرسة قد عرفوا باصحاب المذهب الفردي ، لانهم كانوا يعطون اهمية خاصة لقيم الافراد ، والميزات الشخصية ، والى هذا التنديد من قبل التقدميين الذين لهم مارب ما في ذلك ؛ مع ان هؤلاء يعترفون كل الاعتراف بالحريات الشخصية والكلامية والفكرية ، وما الى ذلك من مقتضيات القيم الانسانية الاساسية ؛ وان كل تطور حديث لا يخلو من الخلل ومحل الانتقاد لسبب أو لآخر ، وما كنا مبالغين اذا قلنا ان الكاتب المعاصر أكثر تحققا وتفهما وتوسعا في العلوم والمدارك من سابقه لان المجال الذي امامه أوسع والفرص السانحة له اكثر ، والوسائل التي أتيحت أمامه اسهل وايسر ؛ وهو اقرب الى الدقة في اختيار الاساليب وتدقيق المعاني ممن كان قبله ؛ وان قيل عكس هذا ؛ مع ان الشعر الحديث يهتم بقضايا المجتمع الحاضر ويبحث حول السجايا الانسانية الماثلة أمام اعيننا بطريقة انشائية عصرية .

في فترة الحرب

حدث تطور خطير في فترة الحرب ايضا فلم يكن الأدب ذهنيا مثل « تشايا واد » ، او موضوعيا مثل ادب « براجاتي واد » ، بل كان تحولا اساسيا نحو تقويم الانسان وتهذيبه ، وهو نشدان حقيقي

لشخصية الانسان وكرامته وذاتيته ، نتيجة للوعي الواسع والشعور المعنوى الهام ، فكانت الحركتان المذكورتان في الواقع امواجا طافحة لهذا الفيضان المتصاعد ، لأن « براجاتي وادا » كانت مظهرا لرد الفعل الناتج من العاطفية المتضخمة ، وتخيلات « تشايا وادا » كما كانت الاخيرة رد فعل ضد المذاهب التربوية الجافة والزاهدة التي كانت تسود العصر الذي سبقها • وبعبارة أدق فكل هذا وذلك ما هو الا آثار لتيار تطور جدير هام يدعي ـ قديما ـ نشدان الذاتية أو الوجود الشخصي ، ولم يكن هذا الوعي الانساني وليد لغة أو بلد أو شعب بمفرده ، بل كان نتيجة للتطورات العصرية في الغرب ، وللروحيات المتطورة في الشرق. وهذا التحول الجديد قد رفض القيم التي كانت تعتبر من قبل مقدسة ذات حرمة خاصة ، وكذلك تغاضى عن تقديس الاشخاص وعن منحهم مكانة فوق الطاقة البشرية واعطى الأرجحية للتقدم الصناعي والعلمي ، واستنكر المذاهب التقليدية الوضعية التي تعرقل تقدم الانسان في مرافق الحياة المختلفة . ولكن هذا القول لا ينطبق تماما على حالات بلد واسع عريق مثل الهند ، لاننا لا نزال نرى مئات المذاهب والآراء الأسطورية تحث على تقديس مالا يستحق التقديس ، وتكبير مالا يستحقه من الاشخاص والظواهر الكونية الاخرى مع وفرتها وكثرتها. وانعكست تلك الآراء في الادب الهندى الشائع اذ ذاك في مناطق « مدهياديش » الواسعة الارجاء.

القصة الشعبية

ان القصص الشعبية الهندية مخازن كبرى لعادات الشعب ومعتقداته ووجهة نظره نحو الحياة ، فلا تخلو لغة من اللغات المحلية في الهند من قصص شعبية مليئة بمختلف مظاهر الحياة للطبقات العديدة ، والطوائف المختلفة في البلاد ، وبسبب اختلاط الحضارات والمدنيات الآرية والدراويدية القديمة وغيرهما من الحضارات الواردة والناشئة انتشرت سلسلة من القصص في طول البلاد وعرضها ، متشابهة بعضها بعضا في الافكار الكامنة فيها ، ومتقاربة في أساليبها ونسقها ، وان اختلفت اللغات واللهجات . ونجد فيها قصصا تدور حول المواضيع المختلفة مثل المعتقدات والطقوس والاجتماعيات والاقتصاديات والانظمة السياسية والدينية وغيرها، وان الادب الهندى ـ كسائر الآداب الحية الاخرى في العالم ـ يعطي اهمية كبرى للقصص الشعبية لأنها تضع صورة صحيحة واضحة للحياة الشعبية امام القارىء الذكي ، وان الهند كانت توجه ـ منذ القدم ـ اهتماما بالغا نحو هذا النوع من القصص، وتتجلى فيها مظاهر الحزن والسرور والحب والعشق ، والمودة والعداوة ، والسعادة والشقاوة، ومع انها تفتح أمام الناس ابواب المعلومات عن الاجيال الماضية والدروس القيمة التي تعتبر نبراسا في حياتهم ، وتساعد أيضا على ادخال السرور والبهجة في القلوب بمعرفة الطقوس والمراسيم العديدة لأهالي القبائل والقرى النائية عن العمران، فلهذه الاسباب وغيرها احتلت مكانة مرموقة في الادب الراقي ، وامتلأت المكتبات العلمية والادبية بهذا النوع الشيق من الكتب التي تسلي القلوب ، وتشحذ الاذهان ، وتزودها بما يغنيها ويمتع .

الشعر الهندى المعاصر

ان الشعر المعاصر الهندى لينبني على فكرة الانسان العادى ، وان عناصره مشتقة من افكاره وطرق حياته واخلاقه ، بعيدا عن الآمال المعلقة في صرح السماء ، وعن التشاؤم أو التزهد المتفشى في الآداب القديمة .

وكما يعترف بكرامة الانسان وميزاته ومواهبه الفذة ، لا ينسى صغر مركزه وقلة اهميته في هذا الكون الهائل الذى قد ترك هذا الانسان المتفاخر المتفاهم ، كائنا حيا في غاية البساطة وصغر الحجم يدب فوق حفنة من التراب البالي في الكون الذي يحتاج بعض كواكبه الى ملايين السنين لكي يصل ضوؤه الى هذه الكرة الأرضية ، مع كون سرعة الضوء أسرع الأشياء في الكون الى يومنا هذا .

وان مواهب الانسان لعظيمة وهائلة ، وهو مخزن القوى والمقدرات ، ويستطيع أن يشحذها ويصقلها حتى يصل الى مكانة مرموقة في الحياة بشرط أن يدرك تماما ضعفه ومجال وهنه وامكانية اخطائه وولائه في الخطوات التي تخطوها الى الأمام بسرعة فائقة . ولهذا كله يهتم الشعر الحديث بترقية القيم الأخلاقية للانسان بدون أن يخادعه بآمال كاذبة ويكاشفه بما هو ليس في متناول يده •

« محيي الدين الالوائي »

عبد الله كنون يتحدث

بقلم : محمد الدسوقي

عن الحياة الأدبية والفكرية في المغرب العربي

١ ـ الاستاذ عبد الله كنون علم بارز من أعلام النهضة الفكرية والوطنية في المغرب العربي ، ولد بمدينة فاس سنة ١٣٢٦ هـ ونشأ بمدينة طنجة حيث حفظ القرآن الكريم وزاول قراءة العلم على والده وغيره من العلماء ، ودرس في جامعة القرويين ـ مصدر الاشعاع الفكرى العربي في المغرب ـ وقد أبلى في ميدان الجهاد الوطني بلاء طيبا ، فشارك في نشاط الهيئات الوطنية التي حملت راية الثورة والكفاح من أجل الحرية والاستقلال ، وقد اضطهده المستعمرون كثيرا، ولكن ذلك لم يفت في عضده ، وزاده اصرارا على مواصلة العمل في مجالات السياسة والتربية ـ حيث أنشأ المدارس والمعاهد القومية ـ ليحمي وطنه من مؤامرات الاستعمار التي كانت تسعى لمسخ عروبته ، وتمزيق وحدته ، و « فرنسة » أهله .

٢ ـ وهو مع هذا مفكر عربي أصيل ، له نشاط جم في الدراسات الاسلامية والمباحث اللغوية ، وهو في ميدان الادب والنقد أستاذ مدرسة وتلاميذ ، وكتبه تربى على العشرين، اهمها « النبوغ المغربي » في الأدب العربي » في ثلاثة أجزاء ، وهو تاريخ للحركة الفكرية في المغرب منذ دخله الاسلام حتى الآن و « دراسات في الأدب المغربي المعاصر » و « مفاهيم اسلامية » ، وتحقيق كتاب « مجالة المبتدى وفضالة المنتهي للحازمي » ، وتحقيق « ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث » .

وفضلا عن كل ذلك فهو عضو في مجمع اللغة العربية ومجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، وقد انتهزت فرصة حضوره مؤتمر المجمع اللغوى في الدورة الحادية والثلاثين ، ورغبت اليه في أن يحدث قراء الرسالة عن الحياة الفكرية والادبية في المغرب الشقيق ، فأبدى سروره لتحقيق هذه الرغبة ، خصوصا وان الرسالة مجلة أثيرة لديه ، وكان من كتابها في سنواتها الاولى .

٣ ـ وفي مكان جميل بالقاهرة جلست مع المفكر والمجاهد العربي الكبير زهاء ساعتين ، وحدثني حديثا موجزا جامعا ، استهله بالكلام عن النهضة الادبية الحديثة في المغرب ومتى قامت فقال :

بدأت النهضة الادبية المعاصرة في المغرب العربي بعد الحرب العالمية الاولى ، وكان للنهضة الادبية التي قامت في المشرق أعظم الأثر في ذلك ، فان الطليعة الاولى من أدباء المغرب المحدثين ، انما تخرجوا على أيدي أعلام النهضة الفكرية والادبية في العالم العربي ، اذ كانت الصحافة العربية والكتب الصادرة في البلاد العربية ، وخاصة في مصر ، ترد الى المغرب ، وكان الشباب يتلقف تلك الصحف وهذه الكتب ويعكف على قراءتها ودراستها باعجاب وشوق .

لقد كان لأشعار شوقي وحافظ ، وكتابات المنفلوطي وزيدان وأضرابهم ممن عاصروا هذا الجيل من الشعراء والكتاب ، آثرها النافذ في نفوس كتاب المغرب وشعرائه ، فقد أخذوا يقلدون أدباء المشرق ، وينسجون على منوالهم ويهجرون الاساليب العتيقة ، والموضوعات البالية فيما يكتبون وينظمون .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان الدعوات الاصلاحية التي ظهرت في المشرق مثل دعوة السيد جمال الدين الافغاني ورفيقه الشيخ محمد عبده كان لها صدى كبير في المغرب ، ظهر أثره في تحرر الافكار من قيود التخلف والجهالة ، وتطلعها الى التجديد والمعرفة الحقة ، والآراء الحية النافعة .

٤ ـ وعن أثر الأدب الفرنسي في الأدب المغربي المعاصر قال الاستاذ كنون :

ليس للأدب الفرنسي كبير أثر في الأدب المغربي ، فالنهضة الادبية بدأت عندنا عربية كما رأينا ، وفي أيام الحماية الفرنسية كان التيار الفكرى في المغرب ينفر من الاتجاهات الفكرية الأجنبية ، وعلى العكس مما حصل في الجزائر ، فان المغرب لم يتخذ الفرنسية أداة تعبير عن أفكاره الا في حالة الضرورة ، ثم بعد قيام الحركة التحريرية ، وتضامن جمهرة من قادة الفكر في فرنسا معنا ضد حكومتهم، بدأ شبابنا يتطلع الى دنيا الأدب الفرنسي ، ويعجب بكبار كتاب فرنسا ، « كفرنسوا موریاك » و « البير كامو » و « بول سارتر»، ويحاول تفهمهم وتمثل مذاهبهم ، وان كان ذلك مايزال غير ذى نتائج محسوسة وتجارب مثلية .

٥ ـ وقلت للاستاذ عبد الله كنون : الى أي مدى تطور الأدب المغربي بعد النهضة ، وهل لحركة الشعر الجديد صدى في الشعر المغربي وما رأيك في هذا اللون المستحدث من الشعر ؟ فقال :

لقد تطور الأدب في المغرب شكلا وموضوعا عما كان عليه من قبل ، واستحدثت فيه الفنون الجديدة التي لم تكن في الأدب العربي قبل عصر النهضة ، وأصبح الأديب صاحب رسالة سامية ، ومكانة مرموقة في المجتمع ، لأنه أحد قادة الفكر ، ورائد من رواد النهضة والتقدم ، ولم يبق الأدب فنا مسخرا لخدمة الرؤساء والملوك ، ولا تزجية للوقت عند من

لم ينزل بأدبه الى مستوى الشعراء المادحين والكتاب اللاهين، بل صار دعوة ومذهبا وتعبيرا صادقا عن الحياة والواقع الاجتماعي . وقد شارك في معركة التحرير مشاركة كبيرة كان لها أثرها العظيم في اثارة الحماس ، وايقاظ الهمم ، ومواصلة النضال من أجل الحرية والاستقلال . فالشعر رفع راية الثورة ضد الاستعمار، وكانت القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية التي نظمها الشعراء في مرحلة حرب التحرير على كل لسان . والخطابة والمقالة والقصة التي ضربت الأمثلة الحية للمواطنين في الفداء والتضحية . كانت اعمالا ادبية رائعة . شتان بينها وبين ماكان الأدباء يكتبون في القديم من مقامات ، ورسائل . انما يقصد بها المتعة الذهنية والتسلية الوقتية . ويسير الأدباء في الطليعة مرتبطين بقضايا بلادهم ملتزمين بالمثل . والقيم التي تحقق لمواطنيهم غدا افضل ومستقبلا لائقا بماضيهم العريق . وأكثر الشعر الحديث مايزال متفرقا في الصحف والمجلات ومن أعلامه « علال الفاسي » و « محمد الحلوى » و « المختار السوسي » و « عبد الكريم بن ثابت » .

وأما القصة فمن أشهر كتابها « عبد المجيد ابن جلون » و « عبد الكريم غلاب » ومن الشباب « محمد البرقيني » و « ابراهيم أبو علو » وأيضا فان كثيرا من الاعمال القصصية مازال موزعا في المجلات والصحف ، ولم ينشر الا القليل من هؤلاء الكتاب مجموعات قصصية وروايات . والشعر الجديد له رواده في المغرب وهو — اذا كان له عمود موسيقى — لا يعدو ان يكون فنا من فنون النظم كالموشح الذى احدثه الأندلسيون من قبل ، ولكن الواغلين عليه كثير فلذلك تهافت ، ولا يستطيع النقد النزيه أن ينكر روائع بعض اعلامه المعروفين

٦ ــ وسألت الاستاذ عبد الله كنون عن مشكلة الفصحى والعامية وصداها في الأدب المغربي المعاصر فقال :

لايوجد لمشكلة الفصحى والعامية صدى في الأدب المغربي الآن ، ولئن كان بعض فنانينا يقدمون الى الجمهور اعمالا فنية بلغة عامية فانهم انما يقصدون الى الافهام والبلوغ الى الغاية المتوخاة من أداء رسالة الفن الى جميع الطبقات الشعبية ، فالامر اذن لايعدو مراعاة المستوى الثقافي واللغوى المنخفض لدى طبقة خاصة من الشعب ، وهذا لايعني انشاء أدب عامي ، ولا اتهام الفصحى بما يتهمها به الشعوبيون وأعداء العروبة والاسلام من عجز وقصور .

٧ ــ وعن أثر نكبة فلسطين في الأدب المغربي المعاصر تحدث الاستاذ كنون قائلا :

ان مأساة فلسطين مأساة عربية وقد تركت في الأدب العربي المعاصر أثرا كبيرا ملحوظا منذ وعد « بلفور » بانشاء وطن قومي لليهود في الارض المقدسة حتى الآن والأدب العربي يهتم بهذه المأساة اهتماما عظيما ، ويجسم تلك الجريمة التي اقترفتها دول تزعم أنها تحمي الحريات وتناصر الضعفاء وتنصف المظلوم .

والأدب المغربي — وهو جزء من الادب العربي — قد تأثر بهذه المأساة ، وانفعل بها وسجل أحداثها ، وآثارها ، واستنهض همم العرب والمسلمين الى القيام بعمل حاسم لاسترجاع الأرض المقدسة ، وطرد المعتدين منها ، فالشعراء المغاربة نظموا القصائد المؤثرة في هذه النكبة العربية ، وكتبت الدراسات والأبحاث عنها كما كتبت المسرحيات التي قدمت للجمهور من بعض الفرق القومية في مناسبات مختلفة .

٨ ــ وقلت للأستاذ كنون : ان الاستعمار اذا حل في مكان سعى للقضاء على تراثه العقائدي والفكري ، وفرض عليه لغة أجنبية وثقافة دخيلة ، لينسى تاريخه وينسلخ من قوميته ويخضع لمستعمريه ومغتصبيه ، فالى أي مدى سعى الاستعمار الفرنسي الى فصل المغرب العربي عن تراثه القومي ، وما الدور الذي قام به المفكرون المغاربة لحماية وطنهم من الغزو الفكري ليظل جزءا لا يتجزأ من الامة العربية ؟

وابتسم الكاتب الكبير ابتسامة خفيفة ، وصمت برهة وكأنه يسترجع ذكريات عزيزة ثم قال :

لم يقصر الاستعمار الفرنسي في القضاء على تراث المغرب العقائدي والفكري منذ وصول ركابه الى بلادنا ، ولعلكم سمعتم عن « الظهير البربري » الذي أصدره الفرنسيون سنة ١٩٣٠ وهو مرسوم يقضي بفصل السكان الذين هم من أصل بربري عن العرب ، واقامة محاكم خاصة بهم تستمد من الأعراف الجاهلية والقانون الفرنسي تمهيدا لفصلهم عن الاسلام . وقد أقام هذا المنشور الدنيا على فرنسا لانه اعتبر من جهة سياسية نقضا لعهد الحماية ، ومن وجهة دينية محاولة لتنصير البربر مما لا يتوافق وما تدعي فرنسا من أنها دولة علمانية لادينية وقد كان هذا الظهير سببا في تأليب كل من العرب والبربر على فرنسا ، واتحادهم ضد سياستها ، وتشهيرهم بها في جميع أقطار الدنيا حتى اضطر كثير من كبار ساستها الى استنكاره ، ونصح حكومتهم بالعدول عنه

وفي مجال محاربة التراث الفكري عمدت فرنسا الى نشر لغتها بين المواطنين على أوسع نطاق ، وكادت تقصر التعليم عليها ، وقاومت اللغة العربية أشد مقاومة ، ووقفت في وجه كل اصلاح كان يراد ادخاله على جامعة القرويين العتيقة ــ وهي مصدر الاشعاع الفكري العربي في البلاد ــ وكانت فرنسا تارة تعمل على احياء اللغة البربرية ، وتارة أخرى تعمل على تشجيع انتشار اللغة العامية ، وفي كل الاوقات تفرض لغتها على الدولة والشعب ، وتحاول أن تجعلها اللغة الرسمية للبلاد ، وقد وقف الشعب كله في وجه الفرنسيين محبطا هذه المحاولات ، وأسس أهل الغيرة والحفاظ على اللغة العربية من أبناء البلاد ، مدارس للتعليم باللغة العربية في كل مدينة وقرية،وأقبل المواطنون على هذه المدارس اقبالا عجيبا بحيث لم يأت الاستقلال حتى كان عدد ما في هذه المدارس الحرة من الطلبة أكثر مما فيمدارس الحكومة الفرنسية اللغة ،وهكذا فان معركة ضد الغزو الفكرى الفرنسي لم تكن بأقل من معركة التحرر من السيطرة الاستعمارية وبذلك حفظالمغرب تراثه العقائدى وصبغته العربية المجيدة وبقى كما هو جزءا لا يتجزأ من الامة العربية الخالدة .

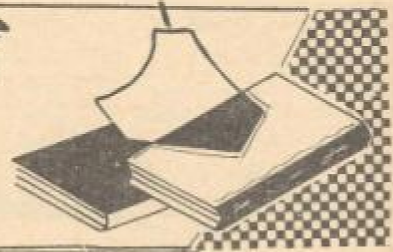
٩ ــ وسألت الأستاذ كنون عن دور الأدب في قضية الوحدة العربية فقال :

ان دور الادب في قضية الوحدة العربية دور عظيم ، فهو الذى يوحد مشاعر العرب ويربط بين قلوبهم برباط التعاطف ويوجههم الوجهة الكفيلة بتحقيق مطامحهم وبلوغ آمالهم في السيادة والحياة الكريمة ، ولقدكان للأدباء العرب منذ فجر النهضة الأثر المحمود في اذكاء روح الحمية والحفاظ لدى شعوبهم ، والتنديد بالاستعمار والتدخل الاجنبي حتى انتهى الأمر بتحرير البلاد العربية من السيطرة الاجنبية ، وما يزال الأدب يواصل عمله في معركة البناء ، واقامة الكيان العربي على أسس متينة من التفاهم والوحدة بين الاقطار العربية ، وان مهمته هذه لأعظم من مهمته في الحركة التحريرية وسوف ينتصر فيها باذن الله كما انتصر في تلك .

١٠ ــ وبعد فاني اقدم للكاتب الكبير والمجاهد العربي الأستاذ عبد الله كنون اعمق الشكر علىحديثه القيم الذى ألقى بعض الضوء على الحياة الأدبية والفكرية في المغرب الشقيق، وأرجو أن تتاح فرصة أخرى للحديث عن آثار الأستاذ كنون فهي تمثل انتفاضة الفكر المعاصر في جزء عزيز من الوطن العربي ؟

« محمد الدسوقي »

تعقيبات



بقلم : عباس خضر

تطور الأدب والمرحلة البنائية

بينت في الاسبوع الماضي معنى ثورية الادب ، وقلت ان للادب الثورى مفهومين : أحدهما ثورة الادب على الادب ، والآخر هو التعبير عن الثورة السياسية . ووصلت في الجزء الاول من البحث الذى قدمته لمؤتمر الادباء العرب ببغداد .. **الى أن معنى ثورية الادب فى هذه المرحلة الثورية من الحياة العربية يتحقق بالنسبة للمفهوم الثانى للادب الثورى .**

واليوم أكمل الحديث :

كان تأثير الثورة فى الادب من ناحيتين : الاول انطلاقه وحريته فى تناول ما كان محظورا قبلها مما يمس المصالح الاقطاعية والاستغلالية والاستعمارية ، والناحية الثانية هى أن الادب وجد مجالا واسعا فى التغييرات الاجتماعية والاقتصادية ، فخاض فيه وان كانت التطورات والانجازات تسبقه وهو لايزال يقف حيالها مشدوها أو يسير خلفها مبهور الانفاس . وهذه الحقيقة سجلتها اللجنة الثقافية فى مجلس الامة فى الجمهورية العربية المتحدة ، اذ قالت فى تقرير لها :

« وتلاحظ اللجنة انه على الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلت خلال الاثنى عشر عاما الماضية ، فان التحول الفكرى الذى ينبغى ان يصاحب التحول الاشتراكى ويسبقه ويبشر به ، فى حاجة الى مزيد من الجهد ، حتى يسير التحول الفكرى ــ جنبا الى جنب ــ مع التحول المادى فى مرحلة الانطلاق القادمة » .

على أنه ينبغى ألا نسقط من الاعتبار أن الادب يحتاج الى فترة يعايش فيها الاحداث حتى تنضج وتختمر فى وجدان الادباء وتفكيرهم . وهناك الى جانب هذا عوائق من مخلفات الماضى مصيرها الزوال المحتوم .

فاذا عدنا الى المفهوم الاول للأدب الثورى ، وهو ثورة الادب على الادب والى التساؤل عن طبيعة التغييرات الفنية الملحوظة : هل هى ثورية أو تطورية ، فاننا اذا نظرنا الى معنى الثورة المقرر وهو ازالة أوضاع غير مرضى عنها واحلال أوضاع وقيم أخرى محلها ، **فاننا نجد صفة التطور أليق بما فى المجال الادبى من تغيرات فنية** لعل أبرزها شكل الشعر ، فان ما يأخذ به أصحاب الشعر الجديد وما يقول به مناصروهم المعتدلون لايعدو تطوير الاوزان العربية نفسها لمقتضيات فى التعبير الشعرى عن الحياة المتجددة .

وفيما دون ذلك نرى الاتجاه الواقعى هو هو ، **مع التطور الذى يتمثل فى الاقتراب من المجتمع والارتباط به أكثر من ذى قبل والتخلص من هيبة الاوضاع الادبية الآتية من الخارج والهجوم عليها بجراة تهدف الى التحرر مما لايلائم البيئة العربية وموروثها والرجوع الى اصول هذه البيئة فى تراثها وفنونها الشعبية والاتجاه الى دراستها واستيحائها .**

ويتمثل التطور الادبى ــ من الناحية الفنية ــ كذلك فى محاربة فلول الثورة الادبية الاولى التى لم يقض عليها تماما فى الماضى ، وخاصة الجمود التقليدى الذى يرمى الى اتخاذ الادب مجرد حلية شكلية ومتعة عقلية شعورية ، وقد استطاع الكفاح **الجديد أن يحصر هذا الاتجاه فى مجالات ضيقة لافعالية لها فى الاتجاه العام .**

وانى اذ أقول ذلك لاأغفل عن محاولات لاتتجه

الى الاهداف التحررية البنائية بل تحيد عنها الى التسكع في دروب ملتوية ، وتحاول ان تستنبت في الارض العربية مالا ينبت فيها من الوان ادبية غربية كان يمكن ان تروج قبل ذلك ايام الهرب من التبعة القومية . **اما الآن وقد وضع الاديب العربي قدميه على ارضه الصلبة فانه في مكانه يشارك في صنع الحياة الجديدة على هدى الاشتراكية العربية التي تستنبط مثاليتها من صميم البيئة واحتياجاتها .**

ان المجتمع العربي الذي يعمل الآن جادا في سبيل التقدم الاجتماعي والتحرر السياسي والتكتل القومي لاينبغي ان يشعر فيه الاديب بالغربة وعدم الانتماء اليه ، وليس فيه الآن مجال للاهواء او النمزقات الفردية التي يعلو صراخها في بلاد اخرى وفي ظروف مختلفة عن ظروفنا .

المجتمع العربي يجتاز الآن مرحلة تحررية وبنائية تختلط فيها المفاهيم وتلابسها رسوبيات من الماضي المتخلف ، وتحاول ان تعوقها عناصر ترى صالحها الخاص في استمرار العفن ، او تحاول ان تلبس للحال الجديدة لبوسها لتحصل على نفس المكاسب ان لم تضف اليها جديدا من الحرام .

واننا نرى ان اهم ما يجب ان تتذرع به ثورتنا هو الفنون التي تجسد التجربة وتبث فيها الدلالات ، واهم هذه الفنون وأبلغها تاثيرا هو الادب ، ومفهوم ان الادب ليس مقصورا على ما يقرأ ، بل هو يشمل التمثيليات في المسرح والاذاعة والتليفزيون والسينما ، وكذلك الاغاني والاناشيد ، واذا كانت الرسائل الاخيرة كالمسرح والاذاعة ... الخ تعمل في نطاق واسع فان القراءة تعمل في قطاع اعمق وان كان اقل سعة ، وهي التي تخرج القادة المفكرين .

يقول ميثاق الجمهورية العربية المتحدة في بيان الدور الثوري للادب والثقافة « ان العمل الديموقراطي سوف يتيح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة ، عميقة في احساسها بالانسان ، صادقة في تعبيرها عنه ، قادرة بعد ذلك كله على اضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة في اعماقه ، خلاقة ومبدعة ، ينعكس اثرها بدوره على ممارسته للديموقراطية ، وفهمه اصولها ، وكشفه لجوهرها الصافي النقي » .

واذ كان معظم انتاجنا الادبي قد اتجه الى تصوير الماضي السيء ونقد الاوضاع التي كانت سائدة فيما قبل الثورة ، وكان ذلك ضروريا في وقته ، **فاننا نرى الآن انه يجب ان ينتقل الى مرحلة البناء ويصور صراعاتها وتطلعاتها ، ويتامل ما حدث من تغيير ثوري شامل وماجد من قيم ومثاليات .**

ويتبادر الى بعض الاذهان ان وسيلة ذلك مقصورة على البحث عن النواحي الايجابية والنماذج البنائية .

ويتفرع عن هذا رأيان : احدهما يتحمس للقيم والنماذج الايجابية ويدعو الى ان يقصر الادب تناوله عليها ويسمي هذا « واقعية بنائية » يرى احلالها محل « الواقعية النقدية » .

والآخر يبدي تخوفه على الادب من ان يجره التمسك بالنواحي الايجابية دون غيرها الى التخلي عن وظيفته النقدية التي تكسبه القوة .

ونقول لهؤلاء وهؤلاء : **ان الواقعية النقدية ليست شيئا مغايرا للواقعية البناءة** ، فالنقد المخلص البصير حين يلقي الضوء على المفاسد او الاخطاء انما يرمي الى البناء عن طريق تبين الاخطاء فيما وقع وتجنبها فيما يأتي ، فالواقعية النقدية حين تسلك السبيل الذي يسلك في هدم المباني الآيلة للسقوط على ساكنيها كي تبنى في اماكنها بيوت جديدة لاتكون الا واقعية نقدية بناءة في وقت واحد .

على ان الرواسب المتخلفة عن العهد البائد لاتزال تعيش بيننا ، وكثيرا ما تصطدم بالعناصر التقدمية ، **واني اعتقد ان الرسالة العظمى للادب العربي الثوري في الوقت الحاضر هي تصوير الصراع بين القيم الايجابية والقيم السلبية التي تصطرع الآن في حياتنا ، اذ تجاهد الاولى كي تتخلق وتكتمل ، وتحاول الثانية ان تعوقها ، بل هي تتغلب عليها في بعض الزوايا المعتمة ، ومهمة الادب ان يسلط الضوء على هذه الزوايا ويكشف ما يجري فيها .**

وليس من شان الادب ولا مما يليق به ان يتخلى عن النقد ، لان النقد هو عمله بطريقته الخاصة ، والادب كله نقد في نقد . فهو اما نقد للحياة ، واما نقد « لنقد الحياة » ، الاول هو الادب الابداعي ، والثاني هو ما يسمى بالنقد الادبي .

والادب كذلك في كل زمان ومكان ، اعني ان وظيفته هي النقد دائما ، ولم تخل الحياة قط ، ولن تخلو أبدا ، من عنصري الخير والشر ، والايجاب

والسلب ، والتقدم والتأخر ، وكل ما هنالك أن يغلب أحد المتصارعين الآخر . فليس اذن هناك فترات تستدعى أدبا ينقد فسادا ، وأخرى تقتضى بحثا عن مواطن الثقة والامل ، ففى أشد الاحوال سوءا ترى الادب الناجح الناقد للسوء لايخلو من عنصر ايجابى يبعث الامل ، وفى أكثر الاحوال استقامة واتجاها الى القيم الايجابية لاينبغى أن يخلو كذلك من تناول العناصر المعوقة عن مواصلة التقدم .

هذا وقد لاحظنا فيما تقدم أن الادب الثورى لايزال حتى الآن متخلفا عن ركب الاحداث الثورية وأضيف الى ذلك ملاحظة مؤسفة أخرى ، هى أن العلاقة بين الادباء العرب والتجاوب بين الانتاج الادبى فى مختلف بلاد الوطن العربى أو بتعبير واحد هو «الحركة الادبية العربية الواحدة » لاتزال هى الاخرى متخلفة عن ركب الحركة العربية العامة الواحدة ، ففى الوقت الذى نرى فيه القادة السياسيين على اتصال دائم ، والعمل القومى العام يتسق ويتقدم بخطا كبيرة وسريعة ، لا نرى مثل ذلك وعلى نفس المستوى فى المجال الادبى ، **فلا يزال الادباء متقوقعين فى بيئاتهم المحلية ، وتكاد الحركة الادبية فى كل بلد عربى تنعزل عن مثيلاتها فى باقى البلاد .** ولعل من ظواهر التباعد بين الادباء العرب فى الفترة الماضية القريبة أن مؤتمرهم نفسه ظل معطلا نحو سبع سنين ، بعد انعقاد دورته الرابعة فى الكويت سنة ١٩٥٨ **ونحن لانفقد أبدا روح التفاؤل ، كما اعتقد أن البذرة حية دائما فى الحقل العربى ، فان طرا ما يعوقها عن النمو فانها لاتموت** ، وهاهى ذى الآن تنبت نباتا حسنا فى بغداد العربية العريقة اذ يجتمع بها هذا المؤتمر ، ومما يدعو الى مزيد من التفاؤل أن مؤتمر الادباء يجتمع على أثر **الخطوات** الكبيرة السريعة التى تمت فى الميدان القومى العام .

لذلك انتهز هذه الفرصة السعيدة **فاقترح تكوين اتحاد عام للادباء العرب** يكون شعاره « الحركة الادبية العربية الواحدة » التى تسير جنبا الى جنب مع الحركة العربية القومية العامة ، وتعبر عنها ، بل تتولى قيادتها الفكرية ، فتعمق الاحساس بأهدافها ، وتحرك الطاقات الكامنة فى الوطن العربى الكبير .

الكشكول

● فى الاسبوع الماضى وجهت السؤال التالى الى **الاستاذ توفيق الحكيم** تعقيبا على استنكاره نقل حوار مسرحياته من الفصحى الى العامية عند تمثيلها :

لماذا يوافق على هذا النقل ما دام يستنكره ؟

وبعد ذلك كتبت **الدكتور لطيفة الزيات** كلمة فى « الاهرام » قالت فيها :

« ما من أحد دفع بنصوص الحكيم لتحول الى العامية ، ولكنه هو الذى دفع بها اعتقادا منه أن تحويل الحوار الى العامية يجعل النص أقرب الى المشاهد المسرحى .

« ومسرحيات الحكيم التى حولت الى العامية فى الفترة الاخيرة عديدة ولكنى استطيع أن أتكلم فى ثقة عن حالتين : مسرحية العش الهادى» التى حول حوارها الى العامية الدكتور يوسف ادريس وأعدها لمسرح التليفزيون ، و « مصير صرصار » التى قمت شخصيا باعدادها لمسرح الحكيم ، **ففى كلتا الحالتين جاء هذا الاعداد بناء على طلب من الاستاذ توفيق الحكيم** » .

واذا وضعنا هذا الكلام الى جانب ما كتبه الحكيم نفسه فى مقدمة « الورطة » والذى قال فيه : «وعلى الرغم من اصطناعى لغة عربية مبسطة غاية التبسيط ، الا انى أجد عند التمثيل أنه قد دفع بها الى من يحولها أو يترجمها الى اللغة العامية وهذا وضع عجيب » .

فاننا نرى أن الوضع العجيب حقا هو ان يطلب الاستاذ شيئا ثم يعجب من تنفيذ طلبه !

● **نشر اعلان عن مجلة المصور يقوم على التنويه بموضوعات هامة يتضمنها العدد .. أحدها :**

« أين عبد الحليم حافظ ! »

وفى العدد كتابات أدبية لمحمود أمين العالم وصالح جودت لم يشر اليها الاعلان لانها ليست هامة ..

● من المفارقات التى تسترعى الانتباه ، أن فهمى عمر يعلق على مباريات الكرة فى البرنامج العام للاذاعة بلغة عربية فصيحة ممتازة وأداء سليم خال من اللحن ، على حين نسمع بعض الادباء والنقاد فى البرنامج الثانى للاذاعة يتحدثون عن الادب بلغة لايمكن أن تكون لغة أدب .. ونطق لايصح ان يكون نطق أدباء ..

عباس خضر

حول الأدب في الشرق



بقلم عبده بدوى

كشف حساب

قد يعجب الكثيرون حين يرون الاقلام – **في الحقل الادبي** – يجامل بعضها بعضا، وحين يرون التعاطف والصداقة المفقودة بين المجلات . ولكن درجة الاعجاب قد تصل الى حد المرارة حين يرى الانسان أن مجلة الرسالة تقابل بتقطيبة في الوجه ، وربما في القلب أيضا عند بعض الذين يحملون القلم ، والذين توكل اليهم مسئولية الكلمة ·

ويكفى أن يلتفت الانسان التفاتة قصيرة لتمتلىء روحه بالشجن ، وليحس أن هناك من يتلاعبون بالكلمة كما يتلاعبون بالنار ، وانها اذا كانت عند البعض مقدسة ، فانها عند البعض الآخر مزيفة وجوفاء وكاذبة ·· فهناك أصوات لم تهدأ ، وصدور ما زالت أنفاسها متلاحقة ، منذ أعلن أن « الرسالة» ستعود . ولقد كان من المحزن حقا أن بعض الاقلام قد هاجمت المجلة قبل أن تأخذ طريقها الى النور ، وحين ارتفع صوت يصك هؤلاء المتعجلين ، ويعرض عليهم « **هدنة انتظار** » حتى تظهر المجلة ، رأينا البعض ينكس قلمه في خجل ، ورأينا البعض الآخر لا يستطيع أن يهدىء بركان الحقد في نفسه ، ومن هنا نراه يهاجر بقلمه الى بعض المجلات في لبنان – وبخاصة حوار – ويظل يواصل الهجوم ، وحين يفاجئ في هذا نراه يتستر وراء أسماء مستعارة ثم يواصل رحلة دس السم في طعام هذه الامة وشرابها ·

وقد وقفت وراء هذه الفرقة الشاحبة الوجوه ، فرقة أخرى تتصور نفسها الممثلة الحقيقية للفكر ، وقد كان من أهدافها ألا تشترك بالكتابة . وأن تنظر بغضب الى من يحاول أن يضعف ثم يشترك بمقال او مقالين ، ثم أخيرا أن تغرى بعض الاقلام التى تثرى المجلة بالكتابة في مكان آخر ·

وحين يتم لهم هذا نراهم يهدأون ، ويتحدثون عن «**النزيف**» الذى أصاب المجلة، وكيف استطاعوا بعديد من الطرق أن يمتصوا الحيوية التى كان يمكن أن تنطلق بها ، وفي ضوء هذا نراهم يحولون وجوههم عنها وفي عملية التحول هذه تحدثهم أنفسهم انهم نجحوا فيقتل الخط الذى كان يمكن أن تمثله ، وقد يصل بهم الوهم الى حد أن يتصوروا أن على أيديهم بقعا من الدم لن تغسلها مياه المحيطات ·

وتمر الايام واذا بالرسالة تجد نفسها بين عاملين : اما أن تنعم بهذه «**الهدنة**» المفروضة عليها ،

واما أن تتحرك باسم هذه الامة وتاريخها وقيمها، وتعيد تلك الصلة الحميمة بين الانسان العربي وتاريخه، بعد أن جفت هذه الصلة تحت الضغوط التركية والفرنسية والانجليزية، وبعد أن أصبح الانسان في المنطقة من الهلامية والاجهاد بحيث أصبح من اليسير عليه أن يأخذ شكلا من الاشكال الجاهزة من الغرب والشرق، ثم يتحرك في أدق دقائق نفسه بهذا الشكل أو ذاك.

ولقد كان الطريق الاول مأمون العواقب، ومفروشا بالصمت تظلله اشجار ذات ثمار غريبة، وكان الثمن الذي يمكن أن يدفع مقابل مواصلة السير فيه، هو المزيد من الخوف والمزيد من القبول، بالاضافة الى عملية «الاجترار» الهادئة التي تذكر بالحياة وبالموت معا.

أما الطريق الثاني فكان لا بد للمجلة اذا سارت فيه أن تتسلح بالصبوة، وبالتاريخ، وبالصبر، وبالفدائية، وبتلقى أمواج عديدة من بحر الكراهية. ولم تقف المجلة طويلا في اختيارها الطريق الثاني، وكان وجود هذا الصوت الجديد الذي دوى في حياتنا.



ولقد كان الميدان الاول الذي حاربت فيه المجلة هو ميدان الشعر، باعتباره الجوهر المشع الذي احتفظ بنقائه على طوال العصور، والذي اعتبره البعض حومة للصراع، وكان مما شجعهم على هذا انه «فخر العرب»، واحدى مناطق نفوذهم على امتداد التاريخ .. ولا يظن احد أن المقصود بعملية التحرك هذه كان ضرب حركة الشعر الحر، ففي المجلة مقالات صريحة للدفاع عن الجيد من هذا الشعر، وترويج لأن يأخذ هذا الشعر دوره في المسرح وفي القصة، ذلك لان الذي اهتمت له المجلة هو عملية التخريب التي قامت فيه، فاذا استثنينا التفعيلة الصحيحة، وجدنا زحف شعر العامية من المناطق التي تخصص فيها الى الحديث حتى عن الفلسفة، ووجدنا الدعوة الى الترحيف والتعليل، والى ارجاع عالم العروض الرحب الى «تم» و «تتم» والى تداخل البحور، والى الأخذ بقضية النبر، والى قصيدة النثر، والى حركة تسمى «نثر بشعر»، ومع أن بعض حركات التجديد هذه كان الدافع اليها هو الرغبة في ازهار الحركة الشعرية، الا انه كان يوجد الى جانب هذا الدافع دافع الى النسف، والى تعرية هذه الامة، وفصلها تماما عن تاريخ الكلمة الشعرية فيها.

والى جانب هذه القضية نرى الرسالة تلقي الضوء على «شعراء الرفض» فاذا بها تجد أن هؤلاء الشعراء في الأصل يمثلون كتيبة من القوميين السوريين، ومن الذين تركوا سوريا بعد انضمامها الى الوحدة، واذا بهم – **من خلال النماذج التي قدمت لهم** – يرفضون الوحدة، والقومية، والاشتراكية، والزعامات الضيقة في المنطقة، وكل ما يحمل وجها عربيا، واذا بهم يضعون أنفسهم في خدمة السفارات الاجنبية، واذا العرب عندهم رعل وأغربة، واذا عصر الوحدة في سوريا «عصر الحذاء الذهبي»، واذا المصريون العرب فراعنة يحملون الخراب في كل مكان يتوجهون اليه، واذا التاريخ العربي مضمخ بمسك العواهر .. ثم اخيرا اذا بهم واقفون عند الفينيقية والاشورية والفرعونية والبربرية!

والرسالة لم تكن تريد أن تضربهم في صدورهم، ولكنها كانت تحمل دائما راية السلام، والرغبة في الالتقاء على طول المنطقة العربية، الى حد أنها سمحت بمقالات تدافع دفاعا صريحا عن شعراء الرفض، والى حد أن هذه المقالات أعطت لهم الحق في رفض الدين والاخلاق والقومية، ومن هنا كانت حريصة على عرض افكارهم بنزاهة، وعلى أن تترك المجال مفتوحا لمن يحب الدفاع عنهم، للوصول من كل هذا الى هز هؤلاء الذين يواصلون الرحلة في الظلام!

ومن الطبيعي أن المجلة تعرضت لحقد هذه الكتيبة التي تملك كثيرا من الصحف والمجلات والأقلام في خارج الجمهورية العربية المتحدة والتي استطاعت أن تفتح صفحاتها، وكفها لبعض الادباء الذين تكلموا باسمهم في الداخل وفي الخارج وقد تسلحت المجلة بالامانة والدقة العلمية وهي تدرس الظواهر الجديدة في الشعر – **على الصعيد العربي** – وحين وجدت أن بعض الشعراء يقصر شعره على الترجمة المباشرة من الانجيل، ومن يجهد شعره بحمل الرموز المسيحية، ومن يدخل بالشعر الحرب الباردة بين الاديان .. حين وجدنا هذا بادرنا بالقول ان الرموز المسيحية لا ينكر احد سخاءها، وليس هناك

من ينكر على الشاعر حقه في جلب رموزه من المكان الذى يريد ، ولكنا اقترحنا على الشعراء ان يحاولوا النظر في تاريخهم العربى والاسلامى ، وفصلنا القول فى استيحاء الرموز الافريقية وبخاصة الوثنية مثل صلاة المطر ، وأعياد الحصاد ، وقلنا ان هناك أساطير يمكن الالتفات اليها فى افريقية ، وضربنا مثلا على ذلك بقصة الخلق عند قبيلة « الكيكويو » فى كينيا ، كما قلنا ان الديانة اليهودية يمكن أن يلتفت اليها الشاعر .. وقلنا ان التجربة هنا لا بد أن يتوفر لها شرطان **اولهما** ان تتحول الى شكل شعرى بمعنى أن تصبح خلفية فى الصورة ، ومجرد خيط فى نسيج كبير هو نسيج الحياة ، **والثانى** انه يجب حين ينصهر الشاعر فى التجربة أن يتعدى الاشكال الطقسية للدين المستوحى ، الى الجوهر المشع للدين نفسه !

ولقد كنا جادين كل الجد فى أن نحول الشاعر المعاصر عن منطقة الدين الى منطقة الحياة ، الى حد رفع شعار يقول «**ارفعوا وصاية الدين عن الشعر**» ، كما قلنا « ان الالحاح على دين من الاديان بهذه الصورة فى هذا العصر يحمل على الريبة والشك ، وان هموم العربى المعاصر لم تعد ميتافيزيقية الى حد القول بأن افراز هذا اللون من الشعر يعتبر أمرا ضروريا .. ان الصوت الصادق فى هذه الفترة هو الغناء للانسان ومباركته وهو يشكل نفسه فى المنطقة العربية » .

ومع أن فى هذا القول جرأة يعجز عنها «**المتمركسون**» الا انها قوبلت بالصمت لانها تصدر عن الرسالة، بل ان البعض قد شوهها فى مجالسه، وصورها بأنها غيرة على الشعراء الذين استوعبتهم المسيحية ، وأصبحوا ينسون الحياة نفسها ويتغمسون فى رموزها وأساطيرها .

وكان من الطبيعى أن ينفس البعض هذا الموقف على الرسالة ، وأن ينظروا الى ما قيل فيها على أنه هو الذى دفع لجنة الشعر الى كتابة مذكرتها ، وكان قيام حملة أخرى على لجنة الشعر .

ولو سألت عن حصاد هذه المعركة لوجدت الاجابة فى افحام هؤلاء الذين كانوا ينادون بأن الشعر المتجدد قد فقد دوره تماما ، وانه لا بد من الاجهاز عليه اذا أريد لشعر التفعيلة البقاء ، ولوجدت هذا النور القوى الذى سقطت من دونه حركات التخريب مثل حركة قصيدة النثر ، وحركة «نثر بشعره» .

وقد ظهر من خلال المعركة أن تهمة الرتابة ، ووحدة الموسيقى ــ للاعتماد فى الغالب على تفعيلة واحدة ــ والنثرية ، والغموض ، والتركيز على الجنس ، والاعتماد على الرموز والاساطير الجاهزة، والتكرار ، والتقليد ، وعدم الاقتراب من الحياة ، وعدم وجود الفاصل الذى يحجز بين الشاعر وغير الشاعر .. هذه الاشياء وغيرها تعتبر فى أكثر الامر من عيوب شكل التفعيلة ، ولعل هذا هو الذى دعا بعض النقاد الى أن يطلبوا من بعض الشعراء ــ **الذين جرفتهم الموجة** ــ أن يرجعوا الى الشعر المتجدد ، لان امكانياتهم لا تظهر فيه ، والى أن يؤكدوا أن هذا الشكل لا يلغى الآخر ، وان على الشاعر أن يتحسس أدواته فى كل من الشعر المتجدد والتفعيلة ، وهكذا انتهى الحديث الغاضب عن قتل الشعر المتجدد .

وفى ضوء هذا نستطيع أن نقول ان الشعراء وقفوا وقفة ليتعرفوا على الطريق الذى يسيرون فيه، وان الشعر قد كسب من وراء هذا النضارة والرفيف ! وفى الوقت نفسه نرى الذين سقطوا من خلال الشكلين ، والذين احسوا بعملية الاحتكاك تقرب من أجسامهم يغضبون ، ويشيرون باصابعهم المتشنجة الى الرسالة ..

ثم كان لا بد أن يرفع الظلم عن التراث العربى ، ولا بد ان يعرف أنه لا يقارن به تراث العالم القديم، وبخاصة التراث اليونانى والرومانى كما ذكرت سيجريد هونكه ، وكان لا بد أن ترفع التهمة عن العربى القديم بأنه مجرد انسان قبلى ينزف الدم والغيظ من سيفه ونفسه ، فقد عرف حضارات ذكية كالسبئية والمعينية والحميرية ، وفرض نفسه على البر والبحر ، وعرف افريقية قبل الموسوية ، ثم ان هجراته القديمة كانت ــ على حد تعبير فيليب حتى ــ تشبه هجرات الاوربيين الى أمريكا .

ثم كان ظهور الاسلام الذى مد جناحه الى آسيا وافريقية وأوربا والى عدد آخر من القارات ، وكان

أن فتتت الجمود الذي فرضه البحر الابيض المتوسط على المنطقة ، ونحى كل العالم القديم عن طريقه ، وظل له دائما مكانا رائقا ونقيا يتنفس منه في فترة الاغارة على العالم الافراسيوى ، ثم كان هذا الجلال الذى يتمتع به الآن في المنطقة ، وكانت مضاعفته نفسه في السنين الاخيرة في افريقية، وكانت مبادئه التى تتكسر من دونها مبادىء البشر ، وقد وجدت الرسالة نفسها تملك الدليل القوى المقنع وتواجه به هؤلاء الذين يعتبرون الاسلام مرحلة ، وتراثا ، وحلا لمتناقضات البيئة ، ومنافسا مرهوبا للأديان الاخرى ، كما وجدت نفسها في مواجهة هؤلاء الذين يظنون انهم يحدثون الثقوب فى جسم هذه الامة حين يقولون بفصل الحاضر عن الماضى، ويعتبرون التراث القديم لاتينيا ، والعامية هي لغة الشعب ، ويرددون اللمعان الذى فى بعض افكار الفلاسفة الى الفرس وكان الفرس قبل الاسلام وبعده كانت لهم فلسفة فى مستوى ما جاءوا به أو اقل ، أو يقولون ان بعض هؤلاء اللامعين قد اطلعوا على التراث اللاتينى ، ثم يظهر من خلال المناقشات انهم متعصبون وبعيدون كل البعد عن الحقائق العلمية ، ومن هنا كان سقوطهم المدوى فى حقل الفكر .

وقد درجت الرسالة على احترام الاديان ، وعلى عدم الدخول بها فى حروب باردة أو ساخنة ، ففى الوقت الذى تراها تقتحم بضراوة ـ باسم الاسلام ـ معركة التجديد الدينى فى عديد من المقالات، وتراها تناقش بعض الشعراء باسم الدين والفن حين يتهجمون على الله ، ويعلنون موته ، ويذكرون أن الشرطى واللوطى والقواد يبصقون فى عينيه .. حين تناقش الرسالة هؤلاء الشعراء المسلمين لا باسم الدين فقط وانما باسم الفن كذلك .. تراها تناقش شاعرا مسيحيا فى الجمهورية العربية المتحدة ـ أشد من مناقشة الشعراء المسلمين ـ وشاعرا مسيحيا من لبنان ، حين ترى أن « الرب » فى هذا الشعر يتحول الى مهرج ، وحين يطالب الشاعر فى هذا الشعر بأن يكون الرب عشرة أرباب « ليؤنس بعضهم بعضا وتحلو العزلة المرة » ، وقد استنكرت أن يقوم هذا الرب بالبصق فى وجه أحد أنبيائه ، بل فى نفسه ، الى حد أن هذا النبى حين يجد استمرار عملية البصق تراه «يبول» على الخلق من الغيظ . .. وكما استنكرنا هذا على « الرب » استنكرنا أن يكون الرب على حد تعبير هذا الشعر ماكرا وعنكبوتا ! بل ان الاستنكار قد زادت نغمته حين ذكر أن السيدة العذراء مريم قد أخصبت «بالآلة» ثم كان أن هتفت بعد الاخصاب بالآلة بكلمة «فذقت حلاوة الوتد !»

وكان من الطبيعى أن تنضم طائفة اخرى الى المقطبين فى وجه الرسالة .

***

ثم كان أن تتبعت **الرسالة** هؤلاء الكتاب الذين يهاجرون بأقلامهم الى بعض المجلات والصحف فى لبنان ، وكان أن وضعتهم فى مواجهة أقوالهم هناك، ففى الوقت الذى كانوا يهاجمون فيه شعب الجمهورية العربية المتحدة ويتهمونه بالغفلة ، ويعتبرون أن الاسلام قد أصاب المنطقة بالعقم فى الماضى ، وبالحكام الظلمة فى الحاضر ، ويؤكدون أن مسرحية الراهب للدكتور لويس عوض تحمل لواء قضية قومية قديمة فى مواجهة القومية العربية الحديثة .. الخ ماقالوه، وعلى كل فقد كانت نظرة الرسالة الى هؤلاء نظرة رحبة فقد ذكرت أن لهم أن يقولوا ما يشاءون من آراء ، ولكن عليهم فقط أن تكون آراؤهم فى الداخل هى نفس آرائهم فى الخارج ، وبخاصة تلك الآراء التى نشرت فى مجلتى «أدب» و «شعر» البيروتيتين .

ثم كان لا بد لهذه المجلة من وقفة مع مجلة «حوار» لأنها هوجمت فى أول الامر على صفحاتها باسم سيدة ظهر اسمها فجاة ، ثم ظهر اسمها على باب من الابواب فى مجلة زميلة ، ثم ظهر انها رجل ، ثم ظهر أن بعض المقالات التى كتبت فى هذا الباب كتبت من قبل فى مجلتى الشهر وحوار ، وانها بدورها منقولة من كتاب مترجم ، وكان لا بد من التعرض لهذا الزيف ، وكانت عملية تحديق فى وجه «حوار» التى تصدرها المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، ولقد كان المقصود بعملية رد الهجوم هو هذه المنظمة التى تصدر عددا من المجلات احداها فى اسرائيل ، وكيف أن جريدة «الشعب» قد ترجمت ما يصدر عن بعض مجلات هذه المنظمة فاذا به ضد فلسطين واذا به فى صالح اسرائيل ، واذا بحملة عاتية يقوم بها ـ وعلى هذا التيار الخبيث ـ عدد من

المجلات في مقدمتها مجلة الحوادث ، ومجلة الحرية ، واذا بعدد من الكتاب في الجمهورية العربية المتحدة يمتنعون عن الكتابة لحوار ، ويذكرون حقائق مروعة عنها في مجلة « الآداب » ببيروت ، وقد كانت هذه الحقائق تلتقي جميعها عند دور المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، صحيح أن حوار تنتقي ـ مما يصدر عن المنظمة ـ مالا يمسك الانســان العربي ، ولكن يبقى دائما دور هذه المنظمة في خدمة اسرائيل ، والانسان لا يعدم فيما يقدم غمزا ذكيا حين يراها تنصف في مقال كل السـود في أمريكا الا السـود المسلمين ، وحين يراها تربط بين شبوب العاطفة الاسلامية في الســودان وبين التخلف ، وتذكر أن السودانيين كانوا يرون أن « كتشـنر » بوجهه الاحمر وعينيه الزرقاوين هو المسيح الدجال ! ثم حين تذكر أن المقصود من الشعر الآن أن تعاد كتابته من جديد من وجهة نظر مسيحية ، وتذكر في مقال أن فيالقاهرة عالما غربيا تغزوه «الغوازى» و «الخولات» ... الخ .

وقد طالبت الرسالة بالكف عن العبث الذى يرسل به البعض بأسماء مستعارة الى باب رسالة القاهرة بهذه المجلة ، وذكرت أن هـذه البهلوانية تضع من قدرهم ، وتصور أنهم يفرون بهذه الكلمات من رقابة أو ضغط في الداخل ، ولقد تأكد هذا حين تناول البعض الفكر في الجمهورية العربية المتحدة بسخرية ، وكان مقال في جريدة « النهار » تنـاول فيه رئيس تحريرها الادباء بخفـة وسـخرية ، وذكر أن مصر مسـئولة عن تفشى « السطحية والتفاهة والسخف والمغالطة والاستهتار وسـوء النية والديكتاتورية » في عالم الفكر ، ولولا تهافت هؤلاء الكتاب لما استطاع أحد أن يتهجم على الفكر في الجمهورية العربية بهذه الصورة ..

وكان من الطبيعي أن يزيد عدد الساخطين على مجلة الرسالة ، وأن يروها دائمـا عينا مفتوحة على ما يكتبون في الداخل والخارج .

ومجلة الرسالة لا يمكن أن يرضى عنهـا الذين يريدون أن يسلموا بلادهم تسليما كاملا للنظريتين اللتين تحكمان الشرق والغرب ، فهي تؤكد دائما أنه يمكن الانتفاع بهـاتين النظريتين ، وان الحضـارة العربية المسلمة تستطيع هضم كل جديد في العالم ، ولكنها تستعصى على ان يهضمها أى نظرية من النظريات لانها أكبر من هذه النظريات ، وانه يوجد في ماضيها وحاضرها ما يجعلها قادرة على تقديم وجهـة نظر جديدة وعصرية تسير الحياة في ظلالها ، وانه يجب ان نعـاني ونحن نستثبت الخطوط التي يجب أن نسير عليهـا حياتنـا ، والتي يجب أن تنبثق عن حضارتنا وظروفنـا ، وفي الوقت نفسه يجب أن نكون حريصين على الا يسرقنا الشرق أو الغرب !

وكان من الطبيعي كذلك ان ينضم صفان طويلان الى الصفوف التي ترى في **الرسالة** صوتا نقيا نابعا من قلب هذه الامه ، وان هذا الصوت لابد أن يشوش نفوسهم ، ويجعلهم يحسون أن هنـاك من لا تطرف عيونهم في النظـر اليهـم ، وان هؤلاء الآخرين هم الجحيم نفسه !

والرسالة في ظل شعـارها ـ العروبة والشرق والاسلام ـ قامت بسفارات موفقة في المنطقة العربية ، واصبحت مقروءة الى حد أن درجة توزيعها في الخارج تقارب التوزيع في الداخل ، وان هناك طلبات دائمة في زيادة المرسل منها الى هذه البلاد ، وفي رفع نسبة المطبوع ، بالاضافة الى أن ما كتب كان دائما محل الرضى والتعليق على طول المنطقة العربية ، ولا توجد مجلة عربية حظيت بالاهتمام والمناقشة مثلما حظيت هذه المجلة في السودان والعراق ولبنان والاردن وفي الشمال الافريقي .



والرسالة تقدم طعمـا جديدا في الثقافة وذلك باهتمامها بالآداب الشرقية ، وبخـاصة آداب الامم الاسلامية في آسيا وافريقية ، ثم انها لا تدافع عن الاسلام لأن الاسلام لا يحتاج الى دفاع ، وانمـا كل ما تقوم به يدور حول تصحيح المفاهيم الخاطئة حول هذا الدين تحت ضغط عمليات التزييف والتشويه التي تصدر من الحاقدين في الداخل والخارج ، ومن هنا يكون موقفها منه هو موقف العلم نفسه ، الذى لا يرضى بتزييف الحقيقة ، او اخفائهـا تحت أى ضغط من الضغوط !

والآن ..

ونحن نعرض جانبا من الجوانب التى تعرضت لها الرسالة ــ **وهو الجانب الذى اسهمت فيه بقلمى** ــ نرى أنه ليس من الغريب أن تتكون جبهة ضارية من حملة الاقلام المحترفين ضد هذه المجلة . ونرى انعدم المجلة لن تتراجع أمام ضغط الغاضبين من الكتاب عنا أو المهاجرين باقلامهم الى بعض البلاد العربية . ونرى أنهما ستعمل على تعميق هذا الخط . ولن تتراجع خطوة واحدة عن كل ما يثرى الوجدان العربى . ويهزه . ويجعله دائما فى حالة مشبعة من اليقظة .

والمجلة فى الوقت الذى لاتحمل فيه كراهية لهؤلاء الذين يتصايحون حولها . والذين يريدون منها أن تكون «**مستأنسة**» .. لابد أن توجه التحية لسياسة الدولة التى تضع الكلمة فى مواجهة الكلمة . والتى تبارك الكلمات الواعية والمخلصة . وتؤيد الذين يتحركون من أجل شىء كبير جدا . هو الوطن العربى وتطلعاته وبحثه عن نفسه فى خضم الايديولوجيات .. ولقد أثبتت الرسالة ــ **وهى تهز الكثيرين** ــ أن ماضيها كان قوة ولم يكن ضعفا . وان الكلمة الطيبة يمكن أن تقال رغم الاغراء والغضب والمساومات ورغم التقطيب فى كل ما يتصل بالعالم العربى والظهير الاسلامى فى ميدان الفكر .

وستظل الرسالة تقول دائما الكلمة الطيبة

فهى الشجرة المباركة فى هذا العصر

كلمة أصلها ثابت رغم كل الحاقدين

وكلمة فرعها فى السماء .. لانها تمت بأكثر من نسب الى السماء وبأكثر من نسب الى كل ما هو مضىء وانسانى فى الحياة !

وستبقى الرسالة أبدا ! « عبده بدوى »

ألوان

للشاعر : كمال نشأت

١ ــ حنان

ان كنت أنسى لست أنسى «حنان» — وكفها الوردى فوق البيان
وضحكة تسحب مقطوعة — ايقاعها موسق صمت المكان
تخطرت فى السمع عريانة — شفافة .. كالطل فى الأقحوان
ولثغة فى «الرا» مخطوفة — دفيئة .. فيها حنان الحنان
كثيرة «شقرا» محمومة — بحت بها الأوتار فوق الكمان
مرت علينا فانثنى عمرنا — وخيم الوجد .. ونام الزمان

٢ ــ عابد الأوهام

أيهذا الخفاق يا عابد الأوهام هل تذكر الحبيب القديما ؟
أنت صورته نعيم الفراديس ولكن لقيت فيه الجحيما
وعجيب لخالق يعبد المخلوق غرا ــ وان تناسى ــ عليما
أنت يا من عبدت نفسك شعرا — وشعورا على الحياة يتيما
التجاريب فى حياتك لا تهديك — فاتبع سرابك المحموما
وستبقى على الحياة غريرا — فوته الوهم راحلا ومقيما
فاذا بدد الظلام «ضيا» — علمتك الخطوب الا تلوما
انت سويته وزخرفت معناه — فهلا عبدت معنى كريما
أنت قوضته فأمسى هشيما — أنت حطمته فعاد حطيما
تضحك اليوم ساخرا حينما تلقاه — خلوا من الجمال دميما
تضحك اليوم ساخرا وصدى — ضحكك ينزو على الفؤاد كلوما
انها قصة القلوب التى تخلق من حمأة التراب النجوما
انها قصة القلوب التى تبذر — فرحا تجنيه بعد هموما

فى الطريق الى ايجاد مسرح متكامل

بقلم : حسين جمعه

● ان للمسرح جيشا لابد من وجوده ، وهو جيش المتعلمين المثقفين الطليعين

● ان جيش المسرح جناح من أجنحة الثورة يجب علينا ان نحميه من معضـــــات الرجعية وتكتل البيروقراطية ضده

ان أول شيء نبحث عنه لاستغلال الميزة التى وفرتها الدولة للمسرح ، هو القوة البشرية المتعلمة الرائدة المثقفة ، التى لا تقف عند حد علمى أو عند حد زمنى والتى لا تجمد متمسكة بأسلوب معين او مدرســـة أو عهـــــد ماض منقرض تتعلق به دون السير المتدفع فى طريق التجديد المبنى على البحث والعلم والتطلع الى ما هو أرقى وأفضل فى فنون المسرح وعلومه وامكانياته الكثيرة ..

واننا اذا نظرنا نظرة دراسة الى الدول والشعوب التى تقدمت فى مجال المسرح والتى نتخذها مثالا لنا نجد أنها اهتمت أولا بالقوى البشرية الخلاقة المبتكرة التى بنت نفسها وقوتها بدعائم من العلوم والفنون التى تكون الركيزة الاساسية للمسرح .

واننا اذ نبدأ هذه السلسلة من الابحاث الخاصة بايجاد مسرح متكامل لابد لنا من بدايتها بالانسان وقيمته الفعالة المجدية فى عالم المسرح . واذا كان الانسان هو الدعامة الأولى قبل الجماد والآلة وقبـل الموجودات الأخرى فى هذا العصر بالذات فان انسان المسرح الحديث أو رجل المسرح هو موضوع دراستنا هذه . من هو ، وما هى مواصفاته ، وما مدى فاعليته بالنسبة للمسرح ، وما هى ثقافته ، وما هى تجاربه ... الخ ..

يقول **جاك كوبو** : رائد المسرح الفرنسى الحديث فى احدى محاضراته ابان انشائه لمسرحه الشهير :

انقل الممثل الى أعلا المسرح يعمل ويشد ويربط فى حبال المناظر وانقل عامل المناظر الى خشـــبة المسرح يقرأ ويناقش ويمثل بعض الادوار ، وانقل الممثلة الى أتليه التفصيل لتبدع وتتفنن فى اخراج ملابسها وملابس زميلاتها وانقل الاديب الكاتب الى خشبة المسرح ليؤدى بعض ماكتبه حيا فيتحرك على المسرح ، واعط المخرج المنشار والفرشـــــاة ليقطع الاخشاب ويرسم المناظر ويصمم وينفذ الابواب .. لماذا .. ؟! ســــؤال طرح فاجاب عنه جاك كوبو (اذا لم تعرف كل صغيرة وكبيرة فى عالم مسرحك فانت غريب عنه دخيل عليــــه ومن ثم فانت غير متعاطف معه ، بل تبحث عن كســب كبير او صغير من وراء عملك بالمسرح دون الاهتمـــام بكــل احتياجاته) .

واذا ما ناقشنا كلام الرجل وجدنا أننا فى حاجة الى تربية رجل المسرح تربية خاصة تبدأ بدراسته لفنون المسرح كلها من آدابه الى تاريخه وتراجمه وحرفياته . وتاريخ الفنون عامة والفنون التشكيلية والتطبيقية خاصة وعلاقتها بالمسرح . والموسيقى والرسم والنحت والالقاء والتمثيل . والابتكار فى خلق وتكوين اللوحات المسرحية الحية ، والالعــــاب الرياضية . ووسائل التنكر وكذلك الأعمال الحرفية الكثيرة الملحقة بالمسرح . كمـا أنه لا بد من دراسة هندسة خشبة المسرح دراســـة عميقة ودراسة ما يسمى بعلم التأثيث المسرحى وعلم التكوين الهندسى الجمالى والهندسى العملى ، والهندسى الديناميكى الذى تحتاجه اليه خشبة المسرح والذى لاغنى لأى مسرح حديث عنه .

وقد وفق جاك كوبو فى أن يخرج لنا من تلاميذ مدرسته رجال مسرح حقيقيين منهم **«لويس جوفيه»** الذى تدرج من ممثل ومساعد مخـــرج ومهندس ديكور ومصمم أزياء واكســـسوار الى مخرج ومدير فرقة ومدير عام لاكـــبر مسرح حديث فى باريس (مسرح الشانزليزيه) وكذلك أحد مديرى ومخرجى الكوميدى فرانسيس .

لقـــد كان « لويس جوفيه » خير مثل لرجـــل

المسرح المتكامل الذى أراده كوبو والذى يريده كل رائد مسرحي حديث . كان يبحث عن النص المكتوب ليفنده شرحا ونقدا من الناحية الادبية والسياسية والاجتماعية ثم بعد ذلك يبحث عن مجموعة الممثلين الذين يمكنهم القيام بادوار هذاالنص بناء على دراسته المستفيضة وبناء على معرفته التامه لزملائه الممثلين الذين هم فى نفس الوقت من تلاميذه واتباعه . ثم ياخذ فى تدريبهم على الالقاء والاداء الصوتى مستغلا معرفته وحاستهم الموسيقية التى نتجت عن تربية الذوق والحاسة الجمالية السماعيه فيهم للمحافظه على ما يسمى بالموسيقى الصوتيه الناتجه عن التوافق (الهارمونى) فى الاداء المسرحى ثم بعد ذلك ياخذ فى رسم الحركه المسرحية التى تاخذ خطا متوازيا مجاورا لخط التوافق الصوتى فيحدث ما يسمى بالتوافق الصوتى الحركى على خشبه المسرح . ثم بعد ذلك يأخذ فى رسم الملابس والمناظر ووضع الاضاءة النابعة عن دراسته الدرامية والنفسيه والجمالية للنص . والنابعة عن التوافق الصوتى والحركى للممثلين حتى ينتج اخيرا ما يسمى بالرتم المسرحى الذى يبحث عنه رجل المسرح الدارس المتعمق ، أو ينتج ما يسمى بموسيقى المسرح (لا الموسيقى المسرحية) وهى موسيقى الأداء المسرحيوالتوافق الصوتى والحركى والضوئى واللونى على خشبة المسرح والتى تشعر المتفرج أنه أما سيمفونية وضعت لفن الحياة المسرحية المتكاملة ..

لويس جوفيه هذا طاقة بشرية لها كل القدرات على الخلق والابداع والتكوين والاخراج بعد البحث والدراسة والتحليل والتفرغ والتعمق بين صفحات الكتبوالمراجع وأخذ الامر بجدية وتفان،وحقيقة من الحقائق التى تذكر لجوفيه هو أنه لا يسمح بمرور منظر للتنفيذ الا بعد دراسته فى مراحل عديدة تبدأ برسمه للمخطط الاول ثم المنظور الابيض والاسود ثم المنظور الملون المزود بالاشخاص وبقع الاضاءة ثم الماكيت المجسم بكل محتوياته .

وعندما أراد جاك كوبو افتتاح مسرح (الفيوكلومبيبيه) انبرى لويس جوفيه وصمم ماكيت خشبة المسرح والهيكل المسرحي المجسم الثابت الذى ذاعت شهرته ونفذ فى أمريكا ، وقام بتنفيذه مع مجموعة العمال المنفذين والفنانين الذين هم فى نفس الوقت من مدرسته ومدرسة جاك كوبو كما قام بتصميم أجهزة الاضاءة ووضعها فى أماكنها المطلوبة لامكان استغلالها واستعمالها فى كل الاغراض المسرحية لا فى مسرحية واحدة فقط .

واننا اذا بحثنا عن غير جوفيه لوجدنا جان لوى بارون ، وجان فيلار وكلهم رجال مسرح تخرجوا فى مدرسة كوبو التى دعت الى تكوين رجل المسرح اذا ما سعينا لاحداث نهضة مسرحية حقيقية .

من هذين المثلين نحدد مواصفات رجل المسرح .

والمتابع لمدرسة « جان لوى بارون » واعماله الكثيرة المتفرعه يجد انه فعلا رجل مسرح متخصص متفرغ لايدع صغيرة ولا كبيرة فى عالم مسرحيته الا وله فيها نشاط وابداع ، يكتب ويترجم ويصمم الملابس والاقنعة والمناظر ويصمم الرقصات وحركات السلاح ، ويصمم مجموعات المالئين والمنشدين والمحاربين على خشبة المسرح ، كل هذا أولا بالدراسة والبحث والتاصيل ثم بالرسم علىشكل ماكتتات على الورق وعلى شكل مجسمات ملونة مضاءة كاملة ... ربما من كتاب نشر فى عالم المسرح من ناحية الاضاءة او الماكياج أو التصوير او الرسم او الالقاء أو الرقص او غير ذلك الا وكان لجان لوى فيه أثر من تقريظ أو تقديم أو نقد او تحليل أو تعليق أو ما شابه ذلك .. وكل هذا لانه رجل مسرح يفهم المسرح ويعيشه عن عقيدة و صدق لا عن انتهاز ومركز ، عن فن وعلم لا عن خداع وادعاء .

من هذين المثلين نحدد مواصفات رجل المسرح المتخصص الخبير فى كل ماله صلة بالمسرح والحياة المسرحية .. الناقد الموضوعى القانونى لا العاطفى الذاتى المأجور . ان امثلة التاريخ الغريب كثيرة جدا ونماذج رجال المسرح كثيرة منها جريج ، وأبيا ، وفريتز، ورينهارد، ورايموند وكوبو وستانسلافسكى وفيلادر ، وجوفيه واستليز ، وجواس ، وغيرهم وغيرهم ممن نحن فى حاجة الى القليل من أمثالهم ، نحن فى حاجة الى الشباب المثقف المتعلم الطليعى الذى يبنى بالعلم والعمل ، وبالثقافة وبالجهد وبالدم وبالعرق ويقف فى وجه أعدائه من المدعين الرجعيين الذين يحاربون الثورة متخفين فى درع وقناع نقش عليهما اسم البيروقراطية .

حسين جمعة

الكتب نقد وتعريف

بقلم : تحسين عبد الحى

اضواء على الثورة في جنوب اليمن المحتل ..

تاليف : فيصل عبد اللطيف

تواجه جماهير شعبنا العربي في هذه الفترة الحاسمة من نضالها الكثير من التحديات المباشرة والمدبرة بذكاء مدروس من جانب القوى الاستعمارية العالمية .. تلك التحديات التي اتخذت اسلوب فتح الجبهات الجانبية لامتصاص اكبر قدر ممكن من طاقات شعبنا النضالية .. ان نظرة خاطفة على ارجاء المنطقة العربية تؤكد ان كل هذه التحركات العميلة المشبوهة تعمل وفق مخطط واحد ينتمي حركة وتمويلا الى الجبهة الاستعمارية العالمية .. ان مشكلة جنوب السودان والتحركات الكردية في العراق وصيحات شاه ايران الهستيرية ضد الوجود العربي بالاضافة الى اطماعه المعروفة في بعض امارات الخليج العربي ومساعداته العلنية للامامية المتخاذلة على حدود شعبنا في اليمن من داخل السعودية يضاف الى ذلك ما تقترفه بريطانيا من اعمال وحشية ضد جماهيرنا في الجنوب اليمني المحتل ثم تلك المناورات المطوطة التي تقوم بها المانيا الغربية على طول الجبهة العربية سواء في صورة مبعوثين رسميين او في شخص رئيس برلمانها الذي سوف يزور المغرب قريبا .. تلك المناورات التي يقصد من ورائها وبالدرجة الاولى ما يمكن تسميته ـ بجذب الانتباه والترقب ـ من جانب الحركة الثورية العربية في الوقت الذي يتم انجاز الكثير من الخطوات في الظلام .

واذا اضفنا الى الصورة اتفاق كل من جونسون وويلسون على العمل متضامنين في كل ما يتعلق بالعمليات البريطانية شرقي السويس عدا اتفاقهم المعروف على مناصرة وتدعيم العدوان الصهيوني على ارض فلسطين المحتلة استطعنا ان نرى الى اى حد بلغت ضراوة المخططات الاستعمارية في اتفاقها وحركتها .. عملا وتوقيتا .. واذا وضعنا في اعتبارنا دعاوى التحفظ الانهزامية من جانب بعض الحكومات العربية في مواجهة هذه المخططات الى جانب ما يسمى بروح مؤتمرات القمة العربية .. التي تحكم سلوك حركة شعبنا الثورية لتحد من اندفاعها النضالي في مواجهة هذه التحديات استطعنا ان نخرج بنتيجة مؤكدة .. وهي انه على الرغم من كل ما تقدم نستطيع ان نجزم بان زمام المبادأة ما زال ـ حتى الآن ـ في ايدى جماهيرنا الثورية بقياداتها الواعية .. الا اننا نؤمن بضرورة طرح قضايا شعبنا المصيرية بصورة اكثر وضوحا على الصعيد الشعبي بغض النظر عن اية ارتباطات رسمية او حكومية ـ لكي تستطيع مواجهة احتمالات المستقبل بتفهم عميق وثورى لكي نضمن في النهاية انتصارنا الحتمي على كل مخططات الاستعمار ومناوراته المرتبطة بمصالح بعض الحكام العملاء في بعض الجيوب الانهزامية في وطننا . اقول ذلك وفي هذه الفترة بالذات لكي لا تؤخذ جماهير شعبنا على غرة من امرها .. ولكي نكون على درجة كافية من

الوعي بظروف المرحلة التي نمر بها ـ ونحن هنـا لا نشك لحظة واحدة في ان وضوح الرؤية الثـورية بمختلف ابعادها ـ تساعد حركة شعبنا النضالية في اندفاعها المستمر نحو تدعيم مقدرتها في كشف وتحطيم كل ما يحيط بوطننا من مؤامرات انفصالية رخيصة ومناورات استعمارية محمومة ٠

وكتاب اليوم ـ أضواء على الثورة في جنوب اليمن المحتل ـ يلقى الضوء على معركة قائمة بالفعل بين قوى غير متكافئة احد طرفيها جماهيرنا في الجنوب اليمنى المحتل بايمانها المطلق بعدالة قضيتها والنزر اليسير من السلاح في ايديها والطرف الآخر بريطانيا بطائراتها وجنودها البالغ عددهم خمســة وأربعين الفا المزودين في نفس الوقت بمعدات حلف شمال الاطلنطي ـ تساندهم الجبهة الاستعمارية العالميــة ماديا ودعائيا ٠٠

واختياري لهذا الكتاب رغم صغر حجمه ينبـع أساسا من شعوري الشخصي بان معركة شـــعبنا في الجنوب العربي لم تأخذ نصيبهـــا العـادل من التعبئة الشعبية على مـــستوى الوطن العربي الكبير بالاضافة الى انه ســــيتحدد على نتيجة هذه المعركة الشيء الكثير بالنسبة للحركة العربية الواحدة ـ كما ونوعا وارتباطا ٠

فالجنوب اليمنى المحتل يعيش واقعا سياســـيا واقتصاديا واجتماعيا سيئا ـ ساهم الاستعمار والحكم الرجعي العميل على خلقه وتثبيته ـ وتحكم بريطانيا الاستعمارية هذه المنطقة منذ ١٢٦ عاما ـ بعد أن جزاتها الى اكثر من عشرين امارة وسلطنة ـ وتعتبر عدن مركزا تجاريا نشـــطا في الجزيرة العربية في الوقت الذي تعتبر فيه ثالث ميناء هام في العالم حيث تمر بها شهريا اكثر من ستمائة سفينة كبيرة ـ تتجمع فيهـا البضائع الانجليزية ثم يعاد توزيعها بعد ذلك على انحاء الجزيرة العربية وعلى شرق افريقية ٠

والسيطرة التجارية في عدن تكاد تكون مركزة في أيدى الأجانب ـ فالشركات التجارية الكبرى مثل « البس » و « لوك توماس » و « ســيفون رايز » و « ميتشل كوتس » وغيرها من الشركات الأوربية تحتكر جميع التوكيلات التجـــارية الكبرى ـ ويلى هذه الشركات الأوربية الكبرى التجار من أبنـــاء الكومنولث البريطاني ٠٠ اما التاجر العربي فليس له دور يذكر بالنسبة للاجانب ٠٠ ويعتمد الاقتصاد في بقية الامارات على الزراعة ـ بالوسائل البدائيةـ ولقد وجد الاقطاع مع وجود الاستعمار ، اذ أخذ السلاطين في انتزاع أملاك المواطنين بالقوة معتمدين على حماية الاستعمار لهم ـ ويتركز الاقطاع في العائلة الحاكمة في كل من لحج ـ والفضلى ـ ويافع السفلى ـ والعواذل ـ ويبلغ الوضع الاجتماعي في كل امارات وسلطنات الجنوب أقصى حدود التخلف ـ فالجهـــل يضرب اطنابه في كل جزء ـ عـدا عدن التي رسمت لها السياسة الاستعمارية ســـياسة تعليمية تلبى احتياجات الدوائر الحكومية والشركات من الكتبة ٠ والتعليم الثـانوى في الامارات معدوم ٠٠ ولم تنشأ منذ سنتين الا مدرسة وحيدة في عدن يقتصر القبول فيها على بعثات حكومات الامارات في المرحلة الثانوية وتنعدم الرعاية الصحية تماما في الجنوب المحتل ٠٠ فبعد ١٢٦ عاما من وجود الاســــتعمار البريطاني لا يوجد في المنطقة كلها سوى مستشفى واحد في عدن ٠

ويتحدث المؤلف بعد ذلك في هـــذا الكتاب وفي كتابه الآخر « مؤتمر لندن للخيانة » عن المراحل التي مرت بها حركة المقاومة الباسلة لأبناء الجنوب المحتل ضد الاســــتعمار البريطاني ٠ وكيف تطورت من العمل الســـياسي الســـلمي الذي تمثله الأحزاب السياسية في عدن التي تتميز بعدم حديتها وضعف مستواها التنظيمي بل وانعدامه أحيانا حيث اقتصر عملهـا على الأســاليب الســياسية التقليدية مبتدئة بالمذكرات وبرقيات الاحتجاج والاضرابات والمظاهرات والدعاية على المستوى العربي والانتهاء برفع القضية الى الأمم المتحدة ـ ولم تحاول هذه الاحزاب أن تخرج بعملها عن اطار عدن ٠٠ وتركت القبائل في الامارات دون توعية ودون قيادة سياسية قادرة على انتشالها من التفكير المرتبط بالقبيلة ـ وكانت التجربة الوحيدة التي حاولت ان تخرج عن اطار عـدن هي تجـربة رابطة أبنـاء الجنوب العربي ٠٠ الا أنهـــا سلكت الطريق الخاطيء في ذلك اذ حاولت أن تدخل العمل الوطني الى الامارات بواسطة الأمراء والسلاطين ٠٠ الأمر الذي نفر منها الشعب في الوقت الذي أخذ ينظر اليهـــا على أنها القناع الشعبي الذي تستتر وراءه أطماع الـ[illegible]لاطين ٠ وعلى الرغم من أن حـزب

الشعب فى عدن كانت تتوفر له امكانيات العمل داخل الامارات وخاصة أن له سمعة طيبة فى المحيط العربى الا أنه ظل قاصرا على عدن ـ وينادى قادته باستمرار بانهم ضد العنف وضد الثورة المسلحة . وعندما بدأ الاستعماريون يشعرون بضغط التيار العربى التحررى من حولهم وخاصة بعد قيام الثورة التحررية فى الشمال وقيام الجمهورية اليمنية أخذوا فى تنظيم ما أسموه بمهزلة اتحاد الجنوب العربى وما صاحب ذلك من مؤتمرات فى لندن فشلت فشلا ذريعا تحت ضغط القوى الشعبية فى داخل الامارات .. وامتدادا لحركة شعبنا العربى التحررية فى كل جزء من أجزاء الوطن العربى انصهرت سبع منظمات ثورية مكونة من تشكيلاتها المختلفة الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل الذى يقود الآن حركة الكفاح المسلحة ضد القــوى الاستعمارية فى الجنوب . وبقيـــام الجبهة القــومية توفر للشـــعب فى الجنوب تنظيم جماهيرى ثورى على امتداد الجنوب كلــه ينتظم فى صفوفه الفلاح ، والقبلى ، والعـــامل ، والطالب ـ والمثقف ـ والجندى ، تنظيم جمـــاهيرى يستند الى ابقاء الشعب صاحب المصلحة الحقيقية فى احداث تغيير جذرى فى الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى الجنوب . ويعتبر قيام الجبهة وتبنيها لأسلوب النضال المسلح ـ وممارستها الفعلية لهذا النضال احدى العلامات المميزة لمرحلة الكفاح الحالية لانتزاع الحرية المغتصبة من الحكم الاستعمارى والسلاطينى الرجعى .

وكانت بداية المعركة فى ردفان ـ واســـتطاعت قوات الجبهة أن تجبر بريطانيا على الاعتراف بانها تواجه جيشا من الثوار المدربين المنظمين .. وامتدت الثورة بعد ذلك الى دثينة ـ ثم الضالع ، والشعيب ، وحالمين .. والحواشب ولحج والصبيحة وعدن وبيحان ويقوم السلاح الجوى البريطانى فى الوقت الحـــاضر بقصف القرى الآمنة بالقنــــابل الثقيلة زنة الألف رطل ـ كما يستخدم ضد الثوار أبشع جرائم القسوة والعنف مستخدما قنابل النابالم المحرمة دوليا .. وقد دمرت بريطانيا اكثر من ٨٥٪ من قرى ردفان ودكت قرى بكاملها فى الضالع وحالمين والشعيب كقرى القضاة والجرمل وعسقة .

والى جانب هذا تقوم السلطات الاستعمارية فى الجنوب بالقاء العلبات والسجائر والاقلام المعبــأة بالمتفجرات مستغلة بذلك حاجة المنكوبين والمعوزين ليلتقطوها فتنفجر فيهم .. ولقد بلغ عدد المشردين من جراء الغارات الوحشية أكثر من ٧٠٫٠٠٠ مواطن يزدادون يوما بعد يوم بلا مأوى ولا طعام ـ كمـــا ان هناك فى ســـجون الامارات مالا يقل عن ١٧٠٠ معتقل فى طريقهم الى الازدياد معظمهم من اقارب جنود جيش التحرير ـ ويلقى المعتقلون ألوانا شتى من التعذيب الوحشى وصل الى حد اطفاء اعقاب السجائر فى عيونهم وشق باطن القدم بالموسى وتركهم واقفين لمدة ٤٨ ساعة هذا بالاضافة الى التعذيب بواسطة الماس الكهربائى وخلع الأظافر الخ ..

ورغم كل هذا فان شعبنا البطل الصـــامد فى الجنوب المحتل يخوض الثورة منذ أكثر من عـــام ويقف من محاولات الاســـتعمار ومؤامراته وعنفه الدموى ـ موقف الواثق من نفسه ومن مقدراته فقد تسلح بتجربة العمل النضـــالى المسلح وتصلب بممارسة النضال ـ وارتفع بمستوى نضاله لدرجة جاوز فيها حدود ومستوى العمل الاقليمى الذى ظلت منطقة جنوب اليمن أسيرته طوال سنوات الاحتلال. وتوفر له التنظيم الثورى الذى استطاع أن يضـــم بين صفوفه مختلف قطاعات الشعب .. ونجح شعبنا فى الجنوب حيث فشلت الأحزاب السياسية فربط بين نضال المدن والجبال وأوجد التحامـــا قويا بين العامل والفلاح والقبلى والطالب والمثقف ـ لكى ينضم فى القريب الى اخوته الذين ناضلوا قبله على قمم اوراس فى الجزائر والى اخوته الذين يناضلون اليوم فى سبيل عودتهم الى أرضهم السليبة .. لتكون فى النهـــاية المرتقبة أمة عربية واحـــدة ـ رغم أنف الاستعمار وعملائه الخونة .

« تحسين عبد الحى »

كتب جديدة

يقدمها : أحمد عبد الصمد دياب

شرح الأصول الخمسة

تاليف : القاضي عبد الجبار
تحقيق : د . عبد الكريم عثمان
الناشر : مكتبة وهبة ـ القاهرة

هذا الكتاب الضخم الذي يقع في أكثر من ثمانمائة صفحة من القطع الكبير ، احد كتب التراث الفكري الاسلامي ، ولا سيما أن المؤلف وهو قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد المتوفي عام ٤١٥ هـ من كبار فقهاء المعتزلة ومفكريها ، مشهور بكثرة مؤلفاته وفي مقدمتها « المغني » في عشرين جزءا ، وتضطلع بنشره الآن وزارة الثقافة والارشاد ، وكتابه هذا هو « شرح الأصول الخمسة » .

اما الأصول الخمسة التي شرحها القاضي عبد الجبار فهي الأصول العقائدية التي يجتمع حولها سائر المعتزلة ، والتي لا يوصف المتكلم بأنه معتزلي الا اذا قال بها واعتنقها وآمن بها ودافع عنها ، وهذه الأصول الخمسة هي :

التوحيد والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

هذا وقد بذل المحقق الدكتور عبد الكريم عثمان الأديب السوري جهدا قيما في اخراج الكتاب اخراجا فنيا ، وتحقيقه تحقيقا علميا ، واعتمد في ذلك على تعليق الامام أحمد ابن الحسين المعروف بمانكديم لشرح الأصول في نسختين : نسخة احمد الثالث باستانبول ونسخة صنعاء وهي من مصورات دار الكتب وجدت بمكتبة الامام عبد الله بن حمزة أحد ائمة الزيدية .

***

● **الجويني : امام الحرمين**
تاليف الدكتورة فوقية حسين
الناشر : مكتبة مصر بالفجالة

هذا الكتاب الذي يقع في زهاء مائتين وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، هو احد اعداد سلسلة اعلام العرب التي تصدرها الثقافة والارشاد .

والمؤلفة وهي استاذة بكلية البنات في جامعة عين شمس تذكر في مقدمتها : انها بترجمتها امام الحرمين لا تكشف عن شخصية اسلامية لها مكانتها واثرها الطيب في النفوس وحسب ، وانما تعرف ايضا بفكر عربي اصيل ، ساهم في بناء صرح الحضارة العربية التي كانت مصدرا من مصادر نهضة العلم في العالم الأوربي الحديث .

وامام الحرمين هو عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف ، نسب الى جوين ونيسابور من بلاد فارس وولد في حوالي عام ٤١٩ هـ وتوفي عام ٤٧٨ هـ ، وهو مفكر اسلامي كبير ، وصاحب مذهب في الحدوث ، ومؤلفاته عديدة لها شهرتها ، الا ان اكثرها لم يزل مبعثرا هنا وهناك في انحاء البلاد الاسلامية والأوربية ، كما ان اكثرها لم يزل مخطوطا ،ولم يطبع منها الا اربعة كتب ومناظرتان .

وقد تناولت المؤلفة هذه الشخصية الاسلامية الكبيرة في عدة جوانب ، جاءت في قسمين : القسم الأول سيرته وانتاجه ، والقسم الآخر مذهبه في الحدوث ومكانته في المعرفة واهل الحق ، ووضعه بين علم الكلام والتصوف .

***

● **المساواة في الاسلام**
تاليف : د . علي عبد الواحد وافي
الناشر : دار المعارف ـ القاهرة

هذا الكتيب يقع في اكثر من مائة وعشرين صفحة من القطع الصغير ، وهو أحد أعداد سلسلة « اقرأ » وقد قسم الدكتور دراسته له على ثلاثة ابواب :

الباب الأول تناول فيه : مساواة الاسلام بين الناس في القيمة، والباب الثاني تناول فيه مساواة الاسلام بين الناس في الحقوق المدنية والحقوق العامة وشئون المسئولية والجزاء ، والباب الثالث ، مساواة الاسلام بين الناس في شئون الاقتصاد ، فعرض للنظم الاقتصادية ، وحقوق الملكية الفردية ، والدعائم التي أقام عليها الاسلام نظامه الاقتصادي ، ثم نظم التكافل الاجتماعي في الاسلام .

الشعر الحديث فى السودان

بقلم : عبده بدوى

الناشر : مكتبة وهبه

صدر هذا الكتاب فى سلسلة « الرسائل الجامعية » التى يشرف عليها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وهو يكشف بجلاء ظهور وحدة تاريخية تربط بين ظهور السودان فى التاريخ وبين نيله الاستقلال عام ١٩٥٦ ، ويوضح أن الانسان القديم فى هذه البلاد كان يسهم بقدر فى تطوير الحياة ، ويفند بالأدلة الرأى الذى يقول ان الحضارة تقتصر على « المناطق الباردة » أو شبه الباردة .

وقد رصد الكتاب التقدم العربى قبل الاسلام ، والتقدم الاسلامى من الشرق والغرب والشمال ، ثم كيف عاش السودان فى ظلال ثلاث دول اسلامية ، ثم فى ظلال الثورة المهدية ، ثم يتابع الخط السياسى والعقلى والاجتماعى ، وظلال هذه الخطوط على حركة الشعر .. والمؤلف يضيف بكتابه فى كل صفحة جديدا ، ومن هذا الجديد ربطه بين فكرة المهدية والشيعة وبهذا يضيف دولة ثالثة لها خطرها فى افريقية بعد أن كان المعروف أن هناك دولتين فقط، هما الفاطمية والموحدية ، ثم نراه يضع مقاييس جديدة لامتداد موجة الثقافة المصرية ، وكما درس السودان فى ظل أصالته فقد درسه فى ظل الظواهر الافريقية ، والمصرية ، والعربية بوجه خاص من حيث اللغة ، وألوان الحياة ، والنوازع الى الشعور بالافريقية ، ثم نراه أخيرا يضع يده على مكونات الشخصية السودانية .. وفى ضوء هذا يقدم خصائص الشعر فى السودان ويجلوه لأول مرة محققا ، ويضع كل شاعر فى مدرسته وفى مرتبته الحقيقية .

فاذا أضفنا الى هذا أن الكتاب يصحح كثيرا من الآراء الخاطئة فى هذا الميدان ، وأن صفحاته تزيد على السبعمائة ، أدركنا أن الشعر السودانى والشخصية السودانية لأول مرة وجدت من يقدمها فى ضوء العلم والخبرة .

العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث « من ثورة ١٩١٩ ــ الى ثورة ١٩٥٢ » .

للدكتور سعد الدين محمد الجيزاوى

الناشر

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

هذا الكتاب هو الرسالة التى تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه ، وقد تضمن هذا البحث ــ بعد التمهيد ــ ثلاثة أبواب ، تناول الباب الأول التصوير العام للفترة التى خصص لها سياسيا وفكريا واجتماعيا ، وفى الباب الثانى تناول موقف الشعراء فى ظلال العامل الدينى ، وفى الباب الثالث تناول بوجه خاص الشاعر « أحمد محرم » صاحب الالياذه الاسلامية . وقد جاء فى مقدمة مؤلفه قوله : « لقد كان الأدب الدينى فى هذه الحقبة ذا مظاهر شتى ، وكله يصدر عن عاطفة قوية حارة ، فكان فى معظمه من أصدق الآداب وأنفذها الى القلوب » .



الظما والينبوع

بقلم : فاضل السباعى

منشورات دار الآداب البيروتية

الاستاذ فاضل السباعى من الكتاب العرب المبرزين الذين أسهموا اسهاما حقيقيا فى القصة القصيرة وفى الرواية ، بل فى الدراسات ، ولا زلنا نذكر كتابه « الزعيم ابراهيم هنانو » الذى صدر عن الدار القومية بالقاهرة ، وقد ذكر الكاتب أن الذى أوحى اليه بهذه القصة اثنان جمعت بينهما المصادفة الطريفة فى حلب : شاب ألمانى حل بها فى رحلة عابرة ، وفتى عربى اتصلت أسبابه بالسائح الغربى فتعارفا ، حتى اذا أتيح للشاب العربى أن يذهب الى ألمانيا ، وجد أن قلب صديقه وبيته مفتوحان له ، ثم كان هذا الصراع الذى قالت عنه « الفه الأدلبى » لقد ظل بطل القصة كما يجب أن يكون ، ذلك الفتى العربى الألوف الذى استطاع أن يعطى من صميم خلقه الشرقى درسا فى العفة والتسامى ، كما قال عنها «عيسى الناعورى» انها عمل فنى فى القمة .

« أحمد الصادق عبد الصمد »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى



● الجيل الجديد الذى يقود الثورة

تحت هذا العنوان نشر الدكتور « احمد كمال ابو المجد » مقالا فى جريدة « المساء » الصادرة فى ١٥ ابريل ١٩٦٥ ، استهله بما ذكره الرئيس جمال عبد الناصر من انه يجب فى المرحلة القادمة « ان نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية » ، ويتناول الدكتور خصائص هذا الجيل ، وما يجب ان يتوافر له من القدرة على احداث التغيير الاجتماعى ودفعه الى الامام ، ويبين ان توفير هذه القدرة يحتاج الى تزويد طلائع هذا الجيل بأمرين لابد منهما هما «الايمان والعلم» ويرى الدكتور ان المقصود بالايمان هو ما يتمثل فى ايمان الجيل بتجربته وبالعمل الذى يقوم به ايمانا حقيقيا قائما على الاقتناع الذاتى بالعقل والتجربة ، ولا يقوم على الاندفاع وراء الشعارات أو العموميات الغامضة ، على انه فى الوقت نفسه يتمثل فى ايمان الجيل بنفسه وبقدرته على اعادة الحياة على ارضه متخطيا ما يصادفه من التحديات والعقبات ومتخلصا من كل ما ادخل على حياته النفسية من اوهام العجز والقصور والشعور بالعجز .

ويمضى الدكتور موضحا أن مما يقصد بالعلم ما يتمثل فى توسيع أفق « الرؤية الثقافية » للجيل الجديد ، بحيث يطل على ثقافات العالم المختلفة ، ويستفيد من تجارب الاخرين ، دون أن يفقد نفسه او ينسى حقيقة رسالته ، ومن هنا يتحدث الدكتور « أبو المجد » عن طبيعة الثورة القائمة الآن فى مجتمعنا فيقرر أنها تمتاز بالاصالة والتميز وأنها تحتفظ بخصائصنا الذاتية ، فنحن « شعب عربى مؤمن له تراثه الفنى » انه « تراث الاسلام بما يقوم عليه من « تصور شمولى » للحياة ، وما فيها من العلاقات والقيم والمصالح » .

ويقف الدكتور عند من يحلو لهم ان يثيروا الغبار حول كل دعوة الى الاصالة والتميز وماينتج عن ذلك من المبارزات الجدلية التى يستعمل فيها الارهاب الفكرى فيوضح ان هؤلاء « اذا كانوا يزعمون فى غمار هذه المبارزات أن كل دعوة للأصالة والاحتفاظ بمقومات الأمة وتراثها تعكس عداء مستورا للاشتراكية ورغبة ملتوية فى تعويق سيرها وتقدمها ، فان هذا يتبدد تماما اذا اتفقنا على تحديد الاصالة والتميز .. ثم يضيف الى ذلك قوله : اننا ندعو فى بساطة الى أن يظل الجيل الجديد وقياداته بصفة خاصة ملتزما بالقيم الاساسية التى تميز الحضارة العربية ، لا من حيث مواقفها الجزئية أو حلولها التطبيقية لكثير من المشاكل . وانما من حيث نظرتها الكلية الشمولية للحياة .. وهى نظرة مؤمنة بالله اولا ونظرة انسانية ثانيا ونظرة عقلية وعلمية ثالثا .. وبغير الحرص على استمرار الالتزام بهذه القيم يخشى فى النهاية ان تعجز أجيالنا القادمة عن القيام بأى اسهام ذاتى حقيقى فى تقدم الانسانية وسعادتها .

● الملحمة العربية الجديدة :

يصدر العدد الثاني من مجلة «الفنون الشعبية» وتحت هذا العنوان يذكر الدكتور عبد الحميد يونس ان الانواع الادبية على اختلافها اصبحت كلها تقريبا ذات طابع ملحمي ، فالشعر والنثر الفني بمضامينهما الانسانية ، انما يصوران بطولة من نوع جديد ، لا تحكي الصراع بين الفرد المنعزل وبين مجتمعه ، كما انها ليست انعكاسا لصراع الفرد مع القدر ، ولكنها محاولة جادة لابراز التوازن والتكامل بين الفرد والمجتمع من ناحية ، وبين الفرد وحركة التاريخ الانساني من ناحية اخرى .

وينتقل الدكتور « يونس » ليوضح ان الملحمة العربية الجديدة مستقبلية .. تساير اتجاهات التاريخ المعاصر مسايرة كاملة على ان الشعب كما يقول لا يقرأ المستقبل من صفحة الرمال او حركات النجوم ، ولكنه يقيم حياته على التخطيط العلمي وهو على بصر كامل بالهدف الذي يجاهد في سبيل تحقيقه في فترة معينة مضبوطة .. فحل بذلك التنبؤ العلمي في « الملحمة العربية الجديدة » محل الرجم بالغيب وانتظار الصدفة في الملاحم القديمة .. واضاف الى ذلك ان ابرز حقيقة اثمرها هذا التحول العظيم في فلسفة الفن والحياة ، هو ان الشعب ينتخب بنفسه البطل الذي عايشه وعرفه وقدر جهاده ، وخاض معه غمرات الكفاح ، وذاق واياه حلاوة النصر ، ثم قال ان الملحمة العربية الجديدة لن تكون زاد العرب وحدهم ، بما تحمل من مقومات انسانية .. انها بهذه الفضيلة تحطم الحصار الثقافي كما حطمت ارادة الانسان العربي ضروب الحصار السياسي والاقتصادي .. ان مضامينها ستكون قادرة على ان تفرض نفسها على اللغات الاخرى ، والشعوب الاخرى .

وينص الدكتور « يونس » في ختام مقاله على ان « كل واحد منا بطل .. ما دام يسهم في نسيج هذه الملحمة عملا وتعبيرا .. والقائد الذي فجر هذه الطاقات فينا منا ولنا .. ان ما بيننا وبينه .. ليس مجرد عقد اجتماعي .. انه معنا .. اننا معه .. على طريق واحد .. الى هدف واحد .. بفكر واحد .. وارادة واحدة » .

● « الرسالة » و « الثقافة » في مجلات العالم العربي :

نشرنا في العدد الماضي ان عددا كثيرا من المجلات التي تصدر في العالم العربي تتابع باهتمام انباء هذه المعارك التي تخوضها كل من « الرسالة » و « الثقافة » .

ونعود هنا الى مجلة « الرواد » الليبية التي اشارت الى ان الصراع الذي يدور الآن هو بين الاتجاه العربي الاسلامي ، وبين الاتجاه المضاد المطعم بالافكار الغربية والشرقية الخارجية ، ويستدل كاتب المقال على هذا الرأي بما لا حظه من عرض كتب كثيرة تدور اغلبها حول الاسلام وهي في الوقت نفسه رد فعل قوي لمجموعة من الكتب المضادة التي طبعت وعرضت لتبث سمومها باسم الكفاح الهادف . ثم اشار الى ان اهم الكتب التي عرضت لتصد هذه التيارات الخفية المنحرفة وتناولتها بالدراسة الموضوعية — كتاب « الغزو الفكري » الذي قام بتأليفه « محمد جلال كشك »

ويقف المقال عند مجلة « الثقافة » فيشير الى ما اثارته من المعارك وبخاصة بعد نشرها مذكرة لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب حول الشعر الجديد ، وما نتج عن ذلك من قضية اخرى هي كتابة الشعر بالعامية .

وبعد أن تحدث عن دور « الرسالة » وكشفها لحقيقة مجلة « حوار » يخلص الى أن هذه التيارات المضادة قد جاءت « نتيجة مخطط استعماري وصهيوني شرير ، رسم بدقة وأحكام لعشرات بل مئات من السنين لتسميم الفكر العربي وابعاده عن منبعه الاصيل المتمثل في تراثه العريق المرتبط بالاسلام وجودا واستمرارا ثم اضاف الى ذلك ان الدعوات الى نبذ القافية والوزن في الشعر ، والى استعمال اللاتينية في الكتابة ، واستخدام اللهجات العامية بدل الفصحى ما هي الا حلقات في سلسلة ، تهدف الى قطع الصلة بين مستقبل العرب وماضيهم .

وبعد فان الرسالة والثقافة يكفيهما فخرا مايقال عنهما على صفحات هذه المجلات الجادة ، ومضيان في طريقهما رغم هذه الحملات الحاقدة ضدهما سواء منها ما كتب في حوار ، وما كتبته اخيرا « روزاليوسف » .

محمد العواني



مع الناقد الدكتور احمد كمال زكى

رسالة رقيقة وصلتنى من الأخ الشـــاعر الملوك زكى ومعها قصيدة بعنوان « الشاعر والمرأة » وهى مقفاة ، وكان من الممـكن ادراجهـــا ضمن الشعر العمودى لولا خروجها على النسق التقليدى من حيث الـــكم الذى ارتضته الاذن العربية منـــذ قديم ، لنسمعه ينشد مستهلا :

ما عشقت الجنس للجنس فما أقذى لفكرى من رؤاه
بل عشقت ؟؟ الجنس بالقلبى روحا واختلاجات شفاه
كلما أبصرت عــذراء تهـادى كملاك فى ســماه
عانقت نفسى خطاها .. عربد القلب لرؤياها و(١)

وأنا شخصيا أحببت الايقاع ، وربـــما لأننى من الذين يقولون الشعر المرسل ، ولكنه بالقياس الى العموديين ـ وهم من غير شك اجدر الناس بالحكم على النسق الموروث ـ يبدو غريبا . ولعل هذا هو الذى حدا بالناقد الكبير الذى ذكر اسمه تاج الملوك فى رسالته الى ان يسأله التزام ما التزمه الأولون وهو :

اما البحر كامــلا وهو فى مثل « الرمل » ســـت تفعيلات ، واما مجـزوءا وهو أربع تفعيلات ،واما منهوكا ـ ان كان يمكن أن يرد المنهوك فى الرمل ـ وهو تفعيلتان .

أما وروده فى خمس تفعيلات فهنا موضع الخلاف ، غير ان شاعرا عضوا فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنـون والآداب اجترأ على مثـــل ذلك فى مطولة له من ألفى بيت اسمها « ملحمة الجلاء » وهو الشاعر الصديق عامر محمد بحيرى ، وقد قال فيما قال مصطلما البحر الكامل ووحدته « متفاعلن » .

جلس المسافر فى القطار وصافحت يمناه كل مودع
وجرى به عجـــلا واسرعت الخواطر كالقطار المسرع

ولست ادرى ماذا قال عنها زملاؤه ، واكبر الظن أن الناقد الذى ذكره الشاعر رآها وقرأها وربمـــا ناقشها أيضا ، الا أننى أرجو أن اتعرف الى وجهة نظره الحقيقية فيها .

المهم أن تاج الملوك فى رأيى لم يكن أقل تورطا من أصحاب الشعر المرسل وقد داروا حول خمس تفعيلات رفضتها نازك الملائكة فى كتابهـــا « قضايا الشعر المعاصر » مع انها سمحت بسبع وواحدة .

دكتور احمد كمال زكى



حول رأى الدكتور على عبدالواحد وافى

بقلم مصطفى محمود مصطفى

ان الدكتور على عبدالواحد وافى على حق فى لفته لنظر الصحافة الى وجوب كتابتها للخطب السياسية بالفصحى لأن حـرص الصحـــافة على تسجيل هذه الخطب باللغة العـامية قد انتقل بالضرورة الى اللغة العربية داخل المدارس ، وأنا كمدرس عربى يحرص على أهمية هذه الخطب الحية التى تعبر تعبيرا صادقا عن تطورنا الحقيقى ، والتى تعتبر مرآة لامعة تتراءى فيهـــا صور المستقبل بوضوح ، أطلب من طلبتى فى

بعض الأحيان التى تجىء فيها هذه الخطب أن يلخصوها من الصحف ويحللوها ثم يقدموها الى فى موضوع انشائى .

ولما كان الغرض من حصـة الانشـاء هو تحرير الأسلوب العـربى باللغة العربية السليمة لتصحيحه وتقـويمه من الأخطاء ، فكثيرا ما اقـوم بلفت نظر الطلبة الى ضرورة نقل العبـارات التى يستشهدون بها من هذه الخطب الى الكراسـات باللغة العـربية بعد مالاحظت تعودهم على نقلها حرفيا — أى بعباراتها العامية ، لأن ذلك حتما سيؤدى الى تقليل المجهـود الذى يبذلونه فى سبيل العبارة العـربية الفصيحة التى هى الهدف نطقا وكتابة من تعليم اللغة العربية بالمدارس .

وقد لقيت معارضة شديدة منهم ، لأنهم ظنوا أن تبديل بعض الكلمات بأخـرى يجعل الكلام كأنه غير مقتبس من قول الخطيب ، فأفهمتهم بأن الخطيب فى حاجة الى العبارات العـامية يخلط بها كلامه مراعاة لحال السـامعين المكونين من قارئين وغيرهم ، أما بعد الالقاء فالخطبـة من حق القـارىء فقط الذى يقـرأ بالعربية الصرفة فلا ضير من التبديل مع المحافظة على المعنى .



كان .. وسيكون خالدا

حلمى محمد القاعود

كان الفراغ الذى حدث بوفاة الاستاذ المرحوم عباس محمود العقاد ، خسـارة احس بها العرب جميعا ، فقد كان ركنا من اركان العروبة ، وحصنا من حصونها ، وعلما من اعلامها .. وحسبك أن تعـرف انه بذل حياته من اجـل الوجه العربى والاسلامى ..

دافع عن الدين الاسلامى عن عقيدة وايمان لا يتزعزع ، وكان كاشد ما يكون المسلم الغيور على دينه الحريص على عقيدته فى الدفاع عنهما ، ولو استهدف الدفاع حياته . فلم يقتصر على محاربة الشعوبية المعاصرة فى حدود الوطن العربى بل تعداها الى ما يقال عن الدين الحنيف لدى امم اوربة وامريكا وغيرها والرد صفحات يناقش عليها الوطن العربى بل تعداها الى ما يقال عن صفحات يناقش عليها الطيب والخبيث من الاقاويل حتى تظهر الصورة واضحة بكل خطوطها وابعادها .

ولم يكن دفاعه عن القومية العربية والوجه العربى بأقل من دفاعه عن دينه ودين قومه ، بل راح يكرس الأمل فى حياة افضل للعرب جميعا . فكافح من اجل القومية العربية العـدو الغاصب ، ولم يسكت بقلمه ولسانه عن فضحه وكشف أساليبه الخادعة ، حتى تآمر العدو والقصر وادخلاه السجن مظلوما !

ولم ينس انه يعيش ، عالم الجمال والمثالية .. فعبر فى شعره الفيـاض .. الدافق بالحيوية .. النـابض بالشخصية المستقلة .. عن المثالية والجمال .. وشعوره الانسـانى الرقيق . ولعل الأيام تظهرنا على دراسـة متزنة ورزينة لشعره الذى ملأ ثلاثة عشر ديوانا .. كلها حياة ..

وكان فضله كبيرا فى خـدمة التراث العربى واحيائه فى ترجماته وسيره التى بلغت حدا من الكمال عظيما .. واللغة التى كان لا يعدله فى التضلع فيها الا قلائل مخلصون ، حظيت باهتمام كبير رفعها الى مرتبة نابضة بالحيوية .. وتقف موقف الند للند من لغات العالم فى شتى الميادين . ولعل هنا اجد نفسى مدفوعا لأن اثبت بعض ابيات قالها فى زميله وصديقه «لطفى السيد» رحمه الله .. وهى من اجل الحق تصدق فى وصف نفسه .. ولو انه لم يصف نفسه بها ، يقول :

والقول عندك تشريع تعززه   بلاغة الفـن من ذوالة لسن
وانت فى مجمع للضاد تبعثها   من جاهليتها للقائل الفطن
وعيت ما قال باديها وحاضرها   وذو الكفاية من مستعرب يقن
فانت كالمتنبى ان اردت لها   غير العرب..لم تغدو على اللحن

وبنى منهجه النقدى على اساس نفسى تبرز القيمة الجمالية من خلاله لم يتوان فى الدفاع عنه .. وتفسيره .. وتدعيمه بالحجج والادلة والبراهين ، وهكذا كان دائما فى عرض افكاره غير ان هناك الكثيرين ممن هاجموه — سواء بعد مماته او قبله — لم يملكوا من وسائل الدفاع والمناقشـة الموضوعية شيئا .. واقرب رسائلهم واسهلها هى رميه بانه لم يكتب حرفا واحدا عن الاشتراكية .. وانه لم يدافع عن الدستور الا لأنه كان وفديا !! وفاتهم انه هو الذى ارهص بالاشتراكية ..ورفض الشيوعية مبدءا والراسمالية هدفا .. ولم ير فيهما خيرا ولا نفعا .. وانه كان فى الوفد ذا مبادىء عقائدية الجوهر والعرض !! وراجعوا كتبه التى تربو على السبعين ! فستجدون فيها كل شىء .. لا يخرج عن مبادىء عباس العقاد التى رسمها لنفسه .. وهـذه شهادة نثبتها لله وللتاريخ وللرجل !

وعرف الحب الانسانى كافضل ما يكون عليه الحب الانسـانى .. فكان المحب الوفى المخلص .. يحمـل قلبا طاهرا كقلوب الأطفال الأطهار .. وهذه ميزة قلما تجدها بين الناس الذين ستزهقهم المادية وتميتهم كمدا ! .

ولعلنى لم استطع ان ارثى العقاد الخالد .. وسيكون دائما خالدا — لأن ملاك الشعر لم يسعفنى ، وهنا اسمح لنفسى بأن استعير بعض ابيات للاستاذ الصديق « عبده بدوى » من قصيدة فى رثائه :

.. واذا بالعقاد يملأ عمرى   حين قلبت فى يدى كتابه
قد تعمقت فكره فاذا بى   احضن العالم العظيم الرحابه
الرك القرية التى سجنتنى   لأطوف الوجود فوق سحابه

قصة قصيرة

حافة الأمل

بقلم: أحمد ماهر الزفتاوى

في الطريق الممتد الطويل .. وفي الزحام المتصارع .. ومع الناس . كل الناس .. كانا يسيران .. اما هو فلم يكن طريقه معبدا بالورد .. كان قليل الغيم ليس تائها ولا موحشا .. وكان يعد خطوه بالواحدة او بالاثنتين . وليأت الغد .. وعلى الله التدبير .. واما هي فكانت ثابتة واثقة متزنة . تسير خلف اشارة كبيرة . وكانت تتعثر .. احيانا في الورد واحيانا في الوثوق والثبات . وتفكر .. تفكر في نطاق محدود . وبالقدر الذي يسمح به الطريق .. واما الغد . فليأت . او لا يأت .. كله سواء ما دامت تعيش . وما دامت تسير خلف اشارة كبيرة . وان كانت من بنان دقيق .

والطريق ممتد طويل .. وهما يسيران كل منهما في اتجاه . او كلاهما في اتجاه .. كل يحمل املا يفتقده مرة في الزحام . او يتدحرج منه مرات بين المناكب المشدودة التي تسرع .. فيشد قبضته على امله ويغلق قلبه على ضالته ويدفع عن كنزه مجهولا يحاول العبث به .. ويضرب اديم الارض في اعتداد .. فلابد من الوصول .. لابد من غد .

ويخلو الطريق مرات ليزدحم مرات .. وهكذا يطفو الاحساس بالأمل حتى يصير كالسحب . متعانقة مصفوفة مشدودة ملونة تملأ صفحة السماء .. ثم تذوب كالنسمات .. امل يعلو كاللهب . ثم يتبدد كالدخان .. يتلظى كالجذوة ويخبو كالرماد .. والدنيا تسير .. وهما مشدودان الى القافلة .. وفي الرقاب امل معلق يدق في رتابة صدرا متحفزا يضيع في جنبات الطريق .

ولابد لهما من لقاء .. هو وهي .. لان القصة لابد لها من نهاية .. فيلتقيان .. هو يحمل تحت ابطه كتيبات واقلاما ومحابر وافكارا .. وهي تسيل عملا متواصلا دائبا حول امنية براقة لحياة انسان .. هو يصور الناس في احاسيس . وهي تصوغ هذه الاحاسيس في الناس سواء .. هو يرسم بريشة تهتز وتضطرب وتخاف . وهي تجمع هذا الخوف والاضطراب والهزات وتصبها في قوالب مستقيمة نابضة .. هو يفكر . وهي تنفذ افكارا .. هو دائب كالحطاب يجمع الاشياء ويحزمها في كومات من ورق . بحبال من مداد . وهي تفك هذه الاربطة وتعبث بالاحمال والكومات وتبعثر مجاميع الورق لتصنع من هذا المزيج املا يحكي قصة الكومة والاحمال .. وكل ما يجمع الحطاب .

والتقيا مرة في تحية .. في لمحة صفاء .. في كف خجول مهتز حيي وكف جسور واثق معتد .. التقيا في سلام .. في بسمة .. في عناق .. ووقعا عقد وفاق .. تعاهدا ان يقطعا الطريق معا . كل في ساعد الآخر .. في ضميره وفي الهامه .. ولم يكونا يتوقعان مشقة .. لان الطريق ممتد قليل الغيم . ليس تائها ولا موحشا .. وكانا يخشيان .. كانا يخشيان المجهول . الذي يفك قبضات اليدين وينزع الواحد من الهام صاحبه . ومن ضميره .. وبدات الخطوات تتحسس الطريق . وتتعثر في الورد .. واحيانا في الخوف . من الطريق والناس والأمل .. خافا على الطريق ان يضيق وينتهي .. خافا على الهام الناس ان تغطيها السحب . خافا على الامل ان يقفز بهما قفزات رعناء مجنونة لتعثر معهما في الورد .

كان هو يجمع ويكوم ويحزم ويدون . لعله يصل .. وكانت هي تبني وتخلق وتشكل لتؤكد معرفة مستقرة . وكان الواقع في نفوس الآخرين .. ولم يكونا يعرفان .. لانهما يعيشان للناس .. للآخرين . ورضا الآخرين عزيز عنيد لان الناس يأخذون . وهما يعطيان .. وحاجة الناس لا تقف عند شبع .. والعطية مهما كانت محدودة . فانها محدودة .. ولهذا تعثرا في الطريق .. احسا بالتعب وداهمهما الخوف . وهما يسيران .. يسعيان صوب المعرفة .. صوب الغد .

« احبك » .. قالها هو او قالتها هي . ليؤكدا ما هما فيه من خوف . ظنا منهما انها تدفع عنهما الخوف .. او ربما ليمنعا موجات السأم من ان تدق دفوف الشاطئ .. الشاطئ الاخضر .

« احبك » .. قالها مرة اخرى .. لانه كان يسبح في عينيها الواسعتين العميقتين الصافيتين الممتدتين امتداد الامل .. كان يؤكد واقعه ولهذا قالها .. « احبك » . بكل ما تعني الكلمة الاصيلة من حقيقة .. وردت عليه .. اجابته .. تطلعت اليه .. ضغطت يده الحبيبة المهتزة .. عصرتها في جسارة .. مست شغاف قلبه باناملها تعانق اصابعه .. وكانت عاشقة .. كانت تحبه .. احبته من زمن بعيد .. وفتحت ثغرها الجميل تلقف كلماته بين شفتيها .

« حبيبي » .. سمعها وهي تهز عليه اطباق نوم .. « حبيبي » . قالتها بلهفة . والليل داج يلفه في دثار عميق . « حبيبي » .. ويحسها تدق حافة فراشه .. فيصحو ويضمها الى صدره .. ويلف حول خيالها حلاوة حلم .. ويدعوها الى الدفء والراحة وسكرات نوم .. ولكنها تفلتت من راحته المتراخية . وتروح تدق ارض حجرته بقدميها في عصبية لتدفع عنه اعقاب نوم .. ليفيق . ليصحو فيقوم .. لانها ولابد تريده لامر . او هي في حاجة لعون . ويجيبها : اني صحوت .. قمت .. لست نائما .. وهي لابد سامعة . لانها كانت هذه اللحظة تدق حافة فراشه .. وكانت هي التي لفها بساعده . وضمها الى صدره .. كانت هي التي افلتت من راحته المتراخية .. ويعيش معها الساعات الطوال . حتى يسفر الليل عن وجه صبوح .. فيسارع للقياها . ليعرف .. ليسأل . لماذا نادته في اعماق ليل ؟؟ لماذا دقت عليه مغاليق نوم .. لماذا اصرت على ان يصحو ؟ ... وتجيبه : « لقد صحوت » ؟ لقد كنت في حاجة اليك .. ناديتك .. اسمعتني ؟ .. لقد كنت خائفة .. كنت مذعورة .. كنت اريدك الى جانبي .

« حبيبتي » .. لقد كنت بجانبك .. لاني سمعتك .. رأيتك .. ضممتك الى صدري .. عشت معك .. لبيت نداءك .. ولكن لم كان هذا القلق وتلك اللهفة ؟

« مش عارفه » .. تقولها متفوهة سكرى ساحرة .. تقولها برغم نغمها وسحرها

وسكرتها ، واقفة عارفة متيقنة .. ثم تعيدها .. « مش عارفه » .. لقد احسست انى فى حاجة اليك .. حاجة ملحة .. فناديتك .. الححت عليك لتصحو .. هززت فراشك .. دققت الارض بقدمى .. انا آسفة لزعوتى .. اسفة الا حرمتك حلاوة النوم .. لم استطع ان اخفى حبى .. « مش عارفه » .

لا .. هى عارفه .. نعم .. هى تعرف .. هى تعلم ، ولكنها تضن بما تعرف .. لانه نداء الروح .. لانه روح ..ولانه يهفو الى امتداد .. الى حياة .. الى كمال .. وهى حياته وكماله وامتداده .. وهى تعرف .

ويلتقيان على الطريق .. يلتقيان كثيرا .. والطريق ممتد ساحر .. ويسيران معا ..مع الدنيا والزحام والناس والمركبات..ويتعانقان فى لمسات الأكف ، واختلاط الأنفس بانفاس الليل .. وتتوهج افكارهما مع ومضات البروق وانوار الطريق وارتعاشـــات النجـــوم .. ويلتصقان فى دفء الليل ، وفى بســـمة ، ويصعدان الى امل .. وهما يسيران .. فى الزحام ، وسط الدنيا .. ويصلان الى الحافة .. الى ملتقى الارض بمصاعد السماء...ويقفان .. يتطلعان .. ثم يعودان مع نسمات الصبح واهداب الفجر وضفائر النور .. مع الحياة والرغبة .. يعودان كل الى داره لتدق حافة فراشه من جديد .. ليصحو .. لانها تريده الى جانبها .. لماذا ؟؟ « مش عارفه » .

ايام يا رب مع هذا النعيم .. اســـبوع يا رب .. كانت هذه صلاتها الى الله .. كانت امنيتها .. كانت حلمها .. وحسبت ابواب السماء مغلقة ، فصلت .. تعبدت .. وهى طاهرة طيبة قديســـة .. وكانت السماء منصتة .. كانت سامعة .. فعاشت ايامها الســـبع واكثر .. ونسيت .. وصلت .. وتطلعت الى السماء من جديد .. والناس فى الطريق .. كانوا يرونها .. وكانوا يسدون الطريق .. ولكنها ما زالت تسير .. برغم الرماد .. والشقة ، وهى رقيقة دقيقة طرية .. قلبها الصغير يئن بما تحمله من مشاعر .. وتصرعها الرغبة المجنونة .. فتبيت امرا .. انها تعرف الطريق .. وهى قد اخـــذت الكثير ولا تطمع فى المزيد .. ولتصل مرة اخيرة .. فى نفس الطريق .. وسارت حيث لا يستطيع الواقفون فى الطريق ان يمنعوها .. لانها حرة .. وكانت وحـــدها ، وكان حبيبها ينتظر .. كان وحده هو الآخر .. انه يباركها ويحس بها بلا شك.. وتسير مسبلة العين مغلقة القلب .. ومن حولها الناس ، والطريق والنهاية المترامية ، والمجهول .

وتفيق لتناديه : يا حبيبى .. انى راحلة .. مودعة ، يا رفيق الحياة وزميل الطريق .. انك تعرف ولابد .. تسمع .. تحس.. وانك ترانى .. وتراه .. كان مقبلا بملؤه الفزع .. والطريق مزدحم بالناس والمركبات والخطر والرماد .. وهو مقبل .. وهى واقفة عند الحافة .. انه هو بقامته وخوفه ولهفته .. هو بزلوقه وابتســـاماته واندفاعه .. انه يناديها .. يمنعها .. ياخذها بيده ، ويعود .. يعود معها وتعود اليه .. تعود وحدها .

كانت خائفة من النهاية الواسعة المجهولة .. فعادت .. اعادها هو الى نفسها..واليه، ولكن كيف ؟ انها .. « مش عارفه » .

ويتطلعان الى السماء .. الى الناس ..الى الواقفين فى الطريق .. الى المترددين الذين يعيشون بلا امل .. وبلا غـــد .. وتلتقى اكفهما من جديد .. تتعانق .. ويسيران معا .. جنبا الى جنب..يرسمان المستقبل بالأمل وبالبسمات .

« حبيبتى » .. لم تنته القصة بعـــد .. لاننا ما زلنا نسير .. نسير نحو الغد .

احمد ماهر الزفتاوى



مع فنان

تقديم

فاروق حفظ عمر

الفن يعتمد على الموهبة على ان تدعم وتصقل بالدراسة والمرانة . ولقد ظهرت في السنوات الأخيرة بعض المواهب التي سلكت الطريق السليم لتتبلور وتحاول أن تقدم جديدا الى الفن المعاصر .

فنجد الفنان الشاب عمر النجدي ، رغم صغر سنه فانه ضرب بالقواعد القديمة عرض الحائط بعد أن درس الفن على أيدي رواده الأول سواء في مصر أو في الخارج ، فتعلم منهم الكثير واتاحت له دراساته الفنية الكثيرة اتباع اكثر من أسلوب . بيد أن الفنان لا يستطيع اخفاء احساسه وشخصيته التي ظهرت واضحة في اعمال الفنان « عمر النجدى » رغم اختلاف الأساليب والخامات التي يحاول أن تكون معظمها من البيئة .

واذا سألت الفنان « النجدى » عن رأيه في الفن الحديث : اجاب ببساطة انه يرى الفن الحديث في سيزان وجوجان وفان جوخ ، فانه تاثر بالتركيب في الشكل الفنى من سيزان واللون من جوجان والأثير من فان جوخ ، وهو بذلك يؤيد راى المفكر الكبير والناقد العالمى « هربرت ريد » ويوافقه في أن الفن الحديث قد ضل الطريق وعلى الفنان أن يتعمق في دراساته ويتمسك بالعناصر الروحية ويبحث في الجوهر مع عدم اغفال الشكل دون السطحية مع ضمان شمول العمل الفنى ، على أن يحترم كل فنان عمله ويعتبره جنينا في داخله لا يمكن أن يولد ويرى النور ناقصا والا فلن يعيش .

وتحدث الناقد العالمى « ارك نيوتن » عن عمر فيقول : ان أعماله مزيج من الصوفية والانسانية وهو يتمتع بقوة الخيال ، وقد نال الجائزة الأولى عن لوحة الحلم في معرض البندقية .

ومن الحديث مع الفنان عمر تشعر بمدى ايمانه بسيزان وجوجان وفان جوخ من كثرة ترديده لأسمائهم ، وهو يعتز بانضمامه لأسرة « كلية الفنون التطبيقية » .



- ولد الفنان عمر النجدى بالقاهرة عام ١٩٣١
- اتم دراسة القسم الحر بالفنون الجميلة عام ١٩٥٢
- حصل على الجائزة الاول لعضوية مرسم الفنون الجميلة عام ١٩٥٣
- اشترك مع الفنانين العرب في معرض فيينا - وارسو - الافريقى الأسيوى عام١٩٥٦
- اتم دراسة كلية الفنون التطبيقية بدرجة الاول امتياز على جميع اقسام الكلية عام ١٩٥٧
- اقام معرضا خاصا في متحف الفن الحديث بالقاهرة ، كما اشترك في معرض بينالى الاسكندرية
- اقام معرضا خاصا في صالة اتحاد خريجي الفنون التطبيقية عام ١٩٥٨ وعام ١٩٥٩
- اشترك في معارض جماعية في اليابان - موسكو - لينين جراد في عام ١٩٥٩
- اشترك في معرض ايطاليا الكبير بفيلاكوا - فينسيا عام ١٩٦٠
- تخرج من اكاديمية فينسيا بايطاليا سنة ١٩٦١
- اقام عدة معارض خاصة في صالة التورشيو - فينسيا وصالة انبليه القاهرة - فيرونا - رافنا - وود ستك جالرى
- خريج اكاديمية رافنا بايطاليا سنة ١٩٦٢ كما اشترك في معرض بينالى فينسيا رقم ٣١
- تخرج من معهد راسكن للنقد الفنى بلندن عام ١٩٦٣
- بالاضافة الى اقامته معرضين احدهما بصالة سان استيفانو بفينسيا والآخر بصالة وود ستك جالرى
- اقام معرضه الاخير بصالة الغرفة التجارية بالقاهرة عام ١٩٦٥
- نال الجائزة الثانية لصالون القاهرة عام ١٩٦٥

العدد ٩٢
الثمن ٣



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج. ع. م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد — القاهرة .

الأدب الحرام !!

بقلم: أحمد حسن الزيات

الأدب عطر النفس الزكية وشعاع الروح اللطيف : ينفح الحس فيزكيه ، ويضيء العقل فيهديه • وهو الجزء الروحي من كل نفس ، والقبس الالهي في كل قلب ، والخصيصة الانسانية التي تميز بها آدم من كل حي •• بلغت رسالات الله الى خلقه بلسانه • وانجلت عمايات النفوس بنوره ، وهدهدت آلام الخليقة بانغامه ، ورسمت المثل العليا للناس بوساوس احلامه •

ولولا خلال سنها الشعر مادرى
بناة المعالي كيف تبنى المكارم

على أن هذه الملكة اللطيفة قد تنحرف باختلال العقل او انحلال الخلق فتصبح فنا لا أدبا ، وهوى لا عقلا وغريزة لا خلقا ، وصناعة لا طبيعة •• وحينئذ تنزل الى دنيا الواقع ، فتصور المباذل بريشة الفنان ، وتصف الرذائل بقلم الأديب ، ولا يبتغي الفنان أو الأديب من وراء ذلك الا لذة القارىء لا افادته ، واثارة السامع لا انارته

هذا الانحراف الأدبي قد فشا في اوربا بعد الحربين العالميتين فنشأ عنه نوعان من الأدب احدهما أدب اللذة وامره يسير ، والآخر أدب المجون واثره خطير • فاما ادب اللذة وهو ما يسميه الفرنسيون اليوم : « اللذة الأدبية » « لادلكتاسيون ليترير » فهو أدب يلذ ولا يفيد ، ويسوغ ولا يغذي ، ويشغل ولا ينبه ، كالذي تقرأه في أكثر الصحف وبعض القصص مما يجذبك عرضه ويلذك تصويره ويلهيك موضوعه فاذا فرغت من قراءته لاتجد له رجعا في نفسك ولا حاصلا في ذهنك ••

طغى هذا الأدب على الاقلام فى اوربا بعد الحرب فهزم الكتاب النافع ، وطـرد البحث المفيد ، فثارت ثائرة اقطاب الكتابة وانحو بالنكر على معـــالجيه ومروجيه ، وحاولوا أن يفتحوا أعين الناس على أخطاره بما نشروا وأذاعوا ، ولكن العلة كانت أفدح مما ظنوا • فان الاعصاب التى أوهنتها الحرب بفظائعها وفواجعها وتوابعهـا لم تعد قادرة على معاناة الجد واحتمال التقصى • فرجعوا يتحاورون ويتشـــاورون ويطلب بعضهم الى بعض أن يمسوا الفائدة فى اللذة ، ويمزجوا المرارة بالحلاوة تهوينا على الأعصاب المنهكة وتسكينا للنفوس القلقة •

ذلك هناك • أما هنا فالأمر مختلف : لاأعصابنا موهونة من حرب ولا نفوسنا قلقة من ضيق • انما هى الثقافة الضحلة والأمية الفاشية والتربية المهملة والصبر الفارغ والطبع السئوم والوقت المضيع ، والحياة الهازلة •

خير ما فى المدرسة الألعاب ، وخير ما فى المجلس النكت ، وخير ما فى الكتاب الافاكيه ، وخير ما فى الصحيفة الصور ، وخير ما فى النزهة التهريج !

فاذا كان الناس فى اوربا قد انصرفوا بعد الحرب عن ادب المنفعة الى ادب اللذة فان ذلك وان طال عرض سيزول ، لان ثقافة النفس فى الغرب اصيلة وحب المعرفة فى اهله طبيعة •

اما عندنا فان القراء يعكفون على هذا الأدب لأنه رضا السطحية الغالبة وهوى العامية العريقة ، فهو الأصل ، وما جاء على اصله لايســـأل عن علته ولا يتعجب من وجوده •

وأما أدب المجون او الفحش فيختلف عن أدب اللذة فى الدواعى التى تدعو اليه ، وفى الدواهى التى تنجم عنه ، فمن دواعى أدب اللذة عامية الذهن او سطحية الفكر أو سآمة الجد ، وهى اعراض طارئة مصيرها الى الزوال ، وانحراف عن الطبيعة مآله الى الاعتدال ، ومن دواهيه انه يلفظ أهله على ساحل الحياة فلا يخوضون العبــاب ولا يغوصون على الجوهر ، ويدفعهم الى هامش الوجود فلا يكون لهـم فى متنه مكان يرمق ولا شأن يذكر •

ولكن دواعى أدب المجون التنفيس عن رغبة مكظومة او التعبير عن عاطفة جائشة والتحرر من التزامات مقيدة • وهى خواص فى طبع الانســـان تلزم لزوم البكاء والضحك ، وتدوم دوام الهزل والجد • واقل دواهيه ان تزول الحدود بين المعروف والمنكر • فلا يكون فارق بين حلال وحرام ولا بين نظام وفوضى ولا بين انســـان وحيوان •

أدب المجون اذن خاصة تلزم لا عرض ينفك • ذلك لأن حياة الانسان من لوازمها الحياء والوقاحة والعفة والفجور والاحتشام والتبسط والتصون والتبذل ، والأدب المطلق صورة لهذه المتناقضات جميعا فالفنان الشاعر او الكاتب او المصور لابد ان يعبر بطريقته الخاصة عن كل ما يجول فى نفسه او يقع تحت حسه • وكلما كان هذا التعبير صادقا كان ادخل فى باب الفن وأوغل فى طريق الكمال • من أجل ذلك كان أدب المجون ثابت الوجود فى أدب العالم كله • وهو فى الادب العربى عريق الاصل •

ظهر منذ قال العرب الشعر ورووامنه لامية امرىء القيس ودالية النابغة ورائية بشار(١) وغزوات ابن ابي ربيعة وفواحش أبي نواس ومنديات ابن اياس ومخازي ابن سكرة وأحماض ابن حجاج ، وظل الادباء في كل زمان ومكان ينظمون المجون وينثرونه ٠ ولا تزال ذواكر المعاصرين تعي ما تلقفته الافواه من مجون حافظ والرصافي وامام العبد والهراوى مما لم تسجله صحيفة أو يدونه كتاب ٠

على أن هؤلاء جميعا كانوا ينشئونه لانفسهم لا للناس ، ويتناقلونه في السر لافي العلن ، ويتفكهون به في المجالس الخاصة لافي المجامع العامة ٠ ولو كان لهم مالنـا اليوم من طباعة تنشر وصحافة تذيع وجمهور يقرأ لتحرجوا من أكثر ما قالوه ٠ فان الناس منذ بث الله في أبويهم آدم وحواء فخصفا على جسديهما ، العاريين من ورق الجنة شعروا أن للجسم عورات لايجوز أن تظهر ٠ ولما هذبهم الدين وثقفهم العلم وصقلهم التحضر شعروا كذلك أن للفكر عورات لايليق أن تنشر ٠ فهم بحكم الحرية والاستقلال والانطلاق يقولون ويفعلون في خلواتهم ومباذلهم ماشاءوا ولكنهم بحكم الدين والقانون والعرف يسترون سوءاتهم ونزواتهم ما استطاعوا ، فلا يقولون كل حق ولا يصورون كل حالة ولا يظهرون كل مضمر ، مراعاة لشـــعور الجماعة ومحـافظة على كرامة الانسان ٠

ادب المجون يجوز اذن أن يقال ، ولكن لايجوز أبدا أن يعلن ٠ والرقيب على هذا الادب ضمير الكاتب وكرامة القارىء ٠ فما دام للـكاتب ضمير يحييه الدين القويم والخلق الكريم فانه يتكرم عن الهبوط الى حضيض القوادين الذين يزينون الفحش ٠ والمهربين الذين يروجون المخدر ٠ وما دام للقارىء كرامة يقويها الحس الصـادق والطبع السليم فانه يتنزه عن سماع الهجر ورؤية المنكر ٠ والناس في الشـرق والغرب ، وفي القديم والحديث كانوا كذلك قبل أن تقوم قيامة الحرب العامة التي اهلكت فيما اهلكت تراث الانسانية والمدنية من كريم الشمائل وحر الخلال ٠

هتك بشار في بعض شعره ستر الحشمة فنقم الناس منه ذلك وتمنوا موته صونا للعذارى وغيرة على المخدرات ، حتى قال مالك بن دينار : « ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة الى الفسق من أشعار هذا الاعمى الملحد » وانتهى المجون ببشار الى أن أمر به الخليفة المهدي فضرب بالسوط حتى هلك ! واستهتر أبو نواس في الغزل واسترسل في الفجور حتى حبسه الخليفة الامين ، ولم يكد يخرج من ظلام الحبس ، حتى دخل في ظلام الرمس !

وألف الشاعر الروماني « أوفيد » كتابه (فن الحب) فرأى فيه القيصر أغسطس افسادا للناس فنفى المؤلف الى (سرماسيا) وقال لطيباريوس حين سأله العفو عنه : « لا أنكر أن أوفيد شاعر ميزته الآلهة بالذكاء البارع والقريحة النافذة ، ولكنه افسد بكتابه شباب روما فحق عليه أن يموت في سجن سرماسيا »

وكتب فلوبير القصصي الفرنسي قصة (مدام بوفاري) فوجد النـــاس في اسلوبها خروجا عن مذهب الحياء فرفعوا أمره الى القضاء فحكم عليه بالكف عن معالجة هذا النوع من القصص ٠

ونظم (بودلير) الشاعر الفرنسي ديوانه (أزهار الشر) فثار على جراءته أهل

---

(١) من هذه القصيدة التي قالها بشار في مراهقة خلا بها هذان البيتان :

ماذا بأمي اذا رأت شـفتي ... أوكان منك الحـديث ينتشر
قول لهـا : بقة لها ظفر ... ان كان في البق ماله ظفـر

والبقة من أسماء البعوض ٠

الحفاظ والنخوة وساقوه الى القضاء فحكم عليه بغرامة قدرها ثلثمائة فرنك واعدام ست قصائد من مطولاته .

فلما زلزل الله اركان الارض بالحربين العالميتين كما قلت انقلبت الاوضاع وتغيرت الطباع واختلت المقاييس وبرد الدم الحار وبلد الحس المرهف وغلظ الجلد الرقيق فشاع الافضاء وساغ البذاء وقلت المبالاة وسكنت الحمية حتى صار الفجور دينا له انبياؤه ومبشروه . فمن انبيائه فرويد وجيد وسارتر ، ومن مبشريه لورنس وفكتور مرجريت . اما الاتباع فهم عبيد التقليد ومسوخ الفن ومشوهو الخلق من امثال فلانة فى فرنسا وفلانة فى لبنان وفلان فى مصر .

ومن كبار الادباء الذين راعهم هذا الدين فرنسوا مورياك فقد حزبه الامر واحزنته الحال حتى القى ثلاثة اسئلة على صفوة من رجال العلم والادب فى أوربا يرجو ان يجد فى الاجوبة عنها طبا لهذا الداء وتشفا لهذا البلاء . قال :

١ - « هل نجد فى انصراف الادب الى التعبير عن شهوات الجسد العارمة خطرا على الفرد وعلى الجماعة وعلى الادب نفسه ؟

٢ - من هم الادباء الذين تقع عليهم التبعة فى انحطاط الادب الحديث ؟

٣ - أى المذاهب قد ساعد على هذا الانحطاط ؟

فاذا فرضنا ان هذه الاسئلة القيت علينا كما القيت عليهم فبماذا نجيب عنها ؟

يسأل مورياك ثلاثة أسئلة عن ادب الفحش ، اولها عن نتائجه ، وثانيها وثالثها عن اسبابه . فاما سؤاله عن نتائجه فما اظن جوابنا عنه يختلف عن جواب زملائه الاوربيين فى شيء ، لان خطر الادب الفاضح على الفرد والجماعة وعلى الادب فى نفسه لايمارى احد فيه لامنا ولا منهم . وهل يمارى احد فى ان البهيم الذى يساكن الانسان فى جسد واحد انما يروضه ويكبحه الادب القائم على العقل والدين والعلم ، تارة بالعظام واللجام ، وتارة بالسياسة والملاينة . فاذا فسدت طبيعة هذا الادب فانقلب القيد سوطا يلهب ، والشكيمة مهمازا يحث ، افلت البهيم من ربقته فافترس الانسان الذى يعيش معه ، وحطم المجتمع الذى يضطرب فيه . والادب الذى اطلق هذا البهيم بتمليق غرائزه وتحريض شهواته سينتهى أمره لامحالة الى أن يصير آفة تتقى وجرثومة تحارب ، لان فى ابن آدم محكمة داخلية تسميها الضمير اذا تعطلت حينا فلن تتعطل أبد الدهر .

واما سؤالاه عن اسبابه فالامر بيننا وبينهم فى جوابيهما جد مختلف . ان اسبابه عندهم هى المرض وان اسبابه عندنا هى العدوى . ولا اقصد بالعدوى عدوى حدوث المجون فان المجون كما قلت أصيل فى كل نفس ، عريق فى كل أدب ، انما اقصد بالعدوى عدوى نشره فى الصحف والكتب والتمثيل بنوعيه المحقق والمصور .

ليس على المرء من حرج أن يماجن صحبه الادنين فى مجلسه الخاص . وليس عليه من حرج ان يعرى فى غرفة نومه أو فى حمام بيته ، انما الحرج كله أن يماجن فى ملأ او يعرى فى شارع . والذين يسمعونه مفحشا ولا يعترضون ، أو يرونه عاريا ولا يعرضون لايقلون مجونا ولا جنونا عنه .

فالمسألة فى ادب المجون مسألة ضمير فى الكاتب والناشر ، وكرامة فى القارئ والناظر . فى وجودهما عدمه ، وفى عدمهما وجوده .

احمد حسن الزيات

عود إلى مشكلات الرسم العربي

للدكتور علي عبد الواحد وافي

كثر الحديث في العقد الخامس من هذا القرن عن الرسم العربي وعيوبه ووجوه اصلاحه ، وتقدم كثير من الباحثين بمقترحاتهم في هذا الصدد ، وشغل الناس أمدا طويلا بمناقشة مقترح جرىء من هذه المقترحات ، وهو مقترح باستخدام الحروف اللاتينية في رسم اللغة العربية تقدم به الى المجمع اللغوى في أوائل سنة ١٩٤٤ المغفور له عبد العزيز فهمي (باشا) ، وعنى المجمع بطبعه وطبع ردود الأعضاء عليه وتعقيب صاحبه على هذه الردود في كتيب خاص ظهر سنة ١٩٤٦ تحت عنوان « **تيسير الكتابة العربية** » وعنى صاحب الاقتراح نفسه باخراج كتاب باسمه في نحو مائتي صفحة من القطع الكبير بعنوان « الحروف اللاتينية في الكتابة العربية » ضمنه تفاصيل اقتراحه ، ووجوه تطبيقه ، وردوده على المعارضين له ، ولم يأخذ المجمع بهذا المقترح ولا بغيره من المقترحات التي قدمت اليه من أعضائه . ورأى من الأمثل أن ينظم لعلاج هذه المشكلة مسابقة عامة يخصص فيها جائزة كبيرة لمن يقبل اقتراحه . فتقدم الى هذه المسابقة عدد كبير لم يتقبل المجمع اقتراح أحد منهم بقبول حسن . ثم وقفت المسألة عند هذا الحد ، فيما عدا بعض اصلاحات يسيرة طبقت في ميادين الطباعة ، وخاصة في صحيفة الأهرام ، لتوحيد صورة الحرف في حالتي انفراده ووصله بما بعده أو بما قبله ، واصلاحات أخرى يسيرة كذلك لاتمس جوهر المشكلة في شيء أخذ بها المجمع اللغوى نفسه فيما بعد . وانقضى الآن زهاء خمسة عشر عاما لم تثر في أثنائها هذه المشكلة في صورة جدية ، مع أنها خليقة أن تثار في كل وقت ، وأن تتوفر على حلها جهود الهيئات والعلماء في مختلف بلاد الوطن العربي ، لعلاقتها الوثيقة بمستقبل الثقافة العربية ومستقبل اللغة الفصحى .

ولذلك رأينا من الخير أن نعيد فتح باب المناقشة في هذه المشكلة ، وآثرنا فتحها على صفحات «الرسالة» لاختصاصها بمثل هذه البحوث ولأنها كانت طوال الفترة التي عولج في أثنائها هذا الموضوع أهم حلبة التقت فيها آراء الباحثين ومناقشاتهم .

ولن نحاول التقدم بأى اقتراح ، وانما نقتصر على رسم أبعاد المشكلة ، ورجع المقترحات التي قدمت بشأنها الى طوائف ، وبيان ما تنطوى عليه كل طائفة منها محاسن ومثالب ، تاركين الباب مفتوحا لكل من لديه اقتراحات أخرى لعلاج هذا الموضوع ، على أن تكون اقتراحات بناءة ، تدرأ عيوب الرسم العربي ، وتبرأ من جميع ما وجه الى الاقتراحات السابقة من مآخذ .

ونرى من الواجب قبل أن نبدأ هذا العرض أن نرد على مغالطة واهية يلجأ اليها خصوم العربية الفصحى من الشعوبيين وعملائهم ، اذ ينتقصون من قيمة اللغة نفسها ومن كفايتها لوجود بعض عيوب في رسمها . نقول انها مغالطة واهية، لأن اللغة شيء ورسمها شيء آخر . فقد تكون اللغة نفسها في أرقى درجة من السمو والكفاية بمفرداتها وقواعدها وأساليبها وطرائق تعبيرها ، ويكون رسمها مع ذلك معيبا من عدة وجوه ، وقد تكون اللغة بدائية منحطة في جميع عناصرها ويكون رسمها معبرا تعبيرا دقيقا عن جميع ما تشتمل عليه كلماتها من أصوات ، وقد يقتبس

أهل اللغة حروف رسمهم من أبجدية مستخدمة في لغة أخرى كما اقتبست الابجدية العربية من رسم اللغات الفارسية والاردية والتركية والسواحلية . بل ان الرسم العربي نفسه قد اقتبس من رسم لغات أخرى : فاقتبس في أول الأمر من الخط المسند الذي كان يستخدم في رسم اللغة اليمنية القديمة ، ثم اقتبس بعد ذلك من الرسم النبطي الذي كان يستخدم في رسم لهجة من اللهجات الآرامية وهي اللهجة النبطية ، ثم تأثر فيما بعد بالرسم الكوفي والسرياني وأدخلت فيه بعض تعديلات حتى انتهى به الأمر الى الوضع الحالي . فلا يضير اذن اللغة العربية نفسها في شيء أن يقصر رسمها عن درجة الكمال ، كما أنه لا ينتقص من تكوين غادة جميلة أن ينتاب صورتها الشمسية بعض اهتزازات أو يخطيء الرسام في ابراز ملامحها وحسن تقويمها في لوحته .

وليس معنى ذلك أنه يصح السكوت على عيوب الرسم العربي . فالرسم هو أداة تعلم اللغة، ووسيلة الثقافة في جميع ما يكتب بها . فبمقدار كماله ودقته يسهل تعلمها ، وتثبيت ملكتها في النفوس ، واشاعة ثقافتها ، وانطباعها انطباعا سليما في ألسنة أهلها وأقلامهم .



ترجع أهم عيوب الرسم العربي الى اغفاله الاشارة الى الحركات . فهو يدون الكلمات عارية عن حركات حروفها، أي مجردة من الرمز الى أصوات المد القصيرة (الفتحة ، الكسرة ، الضمة) التي تلحق الأصوات المقطعية في الكلمة .

وقد ترتب على هذا العيب أضرار كثيرة يرجع أهمها الى ما يلي :

١ ــ أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصا عربيا قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلا صحيحا الا اذا كان ملما بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها الماما تاما ، وكان فاهما من قبل معنى ما يقرؤه . ففي معظم اللغات الأوربية ، كما يقول قاسم أمين ، يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم وتتخذ القراءة وسيلة للفهم ، أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة الا اذا فهمنا أولا ما نريد قراءته .

٢ ــ أن النص العربي الواحد عرضة لأن يقرأ قراءات مختلفة بعيدة عن اللغة الفصحى . وذلك لأنه قد حدث تناوب واسع النطاق في أصوات المد القصيرة في اللهجات العامية ، حتى اننا لانكاد نجد كلمة باقية في هذه اللهجات على وزنها العربي الصحيح ، كما أشرنا الى ذلك في مقال سابق (انظر عدد أول أبريل ١٩٦٥) . فالنص العربي المجرد من الشكل عرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهجهم في وزن الكلمات .

٣ ــ انه من المتعذر في هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام (أسماء الامكنة والبلاد والجبال والبحار والأناسي .. الخ) قراءة صحيحة الا اذا كان القارىء يحفظ الكلمة وضبطها من قبل . ولذلك تضطر بعض المعجمات الى تهجي حروف الكلمات التي من هذا القبيل والنص على حركة كل حرف منها . فيقول مثلا « صفين » بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء الموحدة بالكسر .

٤ ــ أن رسما كهذا من شأنه أن يشيع اللحن ، ويعمل على انحلال العربية الفصحى ، ويحول دون تثبيت ملكتها في النفوس ، ويحمل على الاستهانة بقواعدها ، ويصرف كثيرا من خاصة الناس أنفسهم عن الالمام بضوابطها النحوية والصرفية ، لأن في استطاعتهم بفضل هذا الرسم المعيب أن يكتبوا ويؤلفوا بدون أن يكونوا ملمين بأصول هذه اللغة ولا مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر في كتاباتهم أي أثر لقصورهم هذا .



ولا يكاد يخلو من مثل هذه العيوب ، بل مما هو أشد منها أي نوع من أنواع الرسم . فاللبس الذي يحدثه أحيانا الرسم العربي ليس شيئا مذكورا بجانب اللبس الذي يحدثه الرسم الانجليزي مثلا ، وخاصة في النطق بأصوات المد
a, e, i, ou, ie, io,ei ea, ee, etc
فكثيرا ما يختلف النطق بالصوت الواحد من هذا النوع وغيره تبعا لاختلاف الكلمات التي يرد فيها ، حتى انه لا يستطاع قراءة معظم الكلمات الانجليزية قراءة صحيحة بمجرد النظر الى حروفها ، بل لا بد في ذلك أن يكون القارىء قد عرف نطق الكلمة من قبل عن طريق سماعها من انجليزي ، كما انه لا يستطيع كتابتها كتابة صحيحة بمجرد سماعها ، بل لا بد في ذلك، أن يكون قد حفظ حروفها من قبل عن ظهر قلب . واذا كان الأوروبيون يقرءون قراءة صحيحة فليس سبب ذلك راجعا الى أن رسمهم يعبر

تعبيرا دقيقا عن أصوات الكلمة ، وانما هو راجع الى ان لغة كتابتهم لاتـــكاد تختلف عن لغة حديثهم فيكفى أن يرمز للكلمة على أية صـورة لينطق بهـا الواحد منهم على وجهها الصحيح .

ولكن وجود هذه العيوب أو ما يشبهها فى الرسم الأوروبى أو غيره لا يبرر اغفـال علاجهـا فى الرسم العربى، وخاصة لأن اتفاق لغة الحديث مع لغة الكتابة عند الأوروبيين يخفف كثيرا من آثار هذه العيوب فى رسمهم ، على حين أنهـا تنطوى على أضرار بليغة فى الرسم العربى فى العصر الحاضر الذى انحرفت فيـه اللهجات العامية أو لهجات الحديث انحرافا كبيرا عن اللغة الفصحى التى نستخدمها فى الكتابة .

***

هـذا ، وقد قدمت عدة اقتراحات لســد مواطن النقص السابق ذكرها . وترجع هذه الاقتراحات الى طائفتين رئيسيتين : يكتفى أصـحاب الطائفة الأولى منهما باصـلاحات شكلية لا تمس جوهر اللغـة ولا صورة الرسم الحاضر ، بينما يرمى أصحاب الطائفة الثانية الى ادخال تغيير جوهرى فى اللغة نفسها أو فى صورة رسمها .

***

اما اقتراحات الطائفة الأولى فمن اهمها ما يلى :

١ ـ أن يلتزم شكل الكلمة التى من شأنها أن تثير اللبس عند أوساط المتعلمين اذا تركت من غير شكل أما الكلمات التى يدل السياق على شكلها ، أو يكفى الالمام بمبادىء القواعد العربية للنطق بها على وجهها الصحيح ، أو لا يمكن أن ينطق بها فى صورة أخرى، فتترك بدون شكل .

وغنى عن البيان أن هذا الاقتراح لاتـكاد تظهر ثمرته الا لدى الملمين بقواعد اللغـة العربية وأوزان مفرداتها .

٢ ـ أن يلتزم شـكل جميع الحروف فى المطبـوع والمكتوب ، فتوضع فوق كل حرف أو تحته الحركة التى تدل على صوت المـد القصير الذى يلحقه ، كما يتبع ذلك فى تعليم النشء مبادىء القراءة والكتابة .

ولا يخفى ما يترتب على الأخذ بهـذا الاقتراح من الاسراف فى نفقات المطابع والورق وجهود القائمين على شئون الطبع وارهاق الكاتب والقارىء من أمرهما عسرا . وفضلا عن هـذا كله فان رسم الشكل فوق الحرف أو تحتـه مع اتصـال الحروف بعضها ببعض وضيق الحيز الذى يشغله كل حرف منها يجعل هذا الشكل عرضة للانحراف فيحدث الارتباك ، ويوقع فى الخطأ والحيرة . على أن التجارب قـد دلت على أن القلم كثيرا ما يزل فى تدوين هذه العلاقات الخارجة عن هيكل الـكلمة وأن النظر كثيرا ما يتخطاها عنـد القراءة فلا تكاد تؤدى الغرض المقصود منها .

***

واما اقتراحات الطائفة الثانية وهى التى ترمى الى ادخال تغييرات جوهرية فى اللغة نفسها أو فى صورة رسمها فيرجع اهمها الى ما يلى :

١ ـ اقتراح المغفور له عبد العزيز فهمى (باشا) الذى أشرنا اليه فى صدر مقالنا ، وهو أن تستبدل الحروف اللاتينيـة ومناهج الرسـم اللاتينى (التى ترمز الى أصوات المد القصيرة بحروف تدون فى صلب الكلمة) بالحروف العربية ومناهج الرسم العربى .

ولا شـك أن تطبيق هذا الاقتراح بعد تنقيح فى بعض التفاصيل التى ذهب اليهـا القائلون به كفيل بالقضاء على جميع عيوب الرسم العربى واتقاء أضرارها السابق ذكرها .

غير أنه ينطوى على ضرر آخر بليغ . وذلك أن من شأنه أن يحول ، عاجلا أو آجلا ، بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى المدون برسمنا الحـاضر . صحيح انه يمكن اتقاء ذلك بالالتجاء الى احـــدى محاولتين، ولكن كلتيهما توقع فى صعوبة تزيد كثيرا على الصعوبة التى نعمل على ازالتها . أما احداهما فان يتعلم كل فرد نوعين من الرسم العربى : الرسم القديم الذى يتيح له الانتفاع بنتاج الفكر العربى من النشأة الى العصر الحاضر ، والرسم الحديث الذى يقرأ به ما يدور بعد هذا الاصلاح ويستخدمه فى كتابته. ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الارتبـاك ، واطـالة الزمن الذى تعلم فيه القراءة والكتابة ، وانفرادنا من بين سائر الأمم بأعجوبة فى ميادين الرسم والتعليم. وأما الأخرى فأن يعمـد الى جميع ما كتب أو طبـع بالرسم العربى فى مختلف أنحاء العالم فيعاد تدوينه أو طبعـه وفق هـذا الرسم الحديث . ولا يخفى أن مشروعا كهذا تنوء به الجهود الانسانية وتعجز الخزائن عن تمويله .

هذا الى ما يترتب على اصطناع الطريقـة اللاتينية من كثرة حروف الكلمة، اذ تصل بحسب هذا الرسم الى ما يقرب من ضعفى عددها فى الرسم الحـاضر . فكلمة « كتب » مثـلا التى نرسمها الآن ثلاثة أحرف تصبح ستة أحرف بحسب الرسم اللاتينى .

٢ ـ واقترح آخرون أن يكون لـــكل حرف من حروف الهجاء العربى أربع صور مختلفة : صورة

فى حالة تحركه بالفتح ، وأخرى فى حالة تحركه بالكسر ، وثالثة فى حالة تحركه بالضم ، ورابعة فى حالة تسكينه . وهذا فى مجمله هو المنهج الذى يسير عليه الرسم الحبشى .

وتفضل هذه الطريقة الطريقة السابقة بأنها تحقق الغرض المنشود مع ابقاء عدد حروف الكلمة على ما هى عليه . فتوفر بذلك قسطا كبيرا من الوقت والمجهود والنفقات المادية فى الورق وأجور العمال ... وما الى ذلك من الأمور التى تقتضيها الطريقة السابقة . فكلمة « كتب » مثلا ترسم ثلاثة أحرف حسب هذه الطريقة على حين أنها ترسم ستة أحرف حسب الطريقة السابقة .

ولكنها تشتمل على الضرر البليغ نفسه الذى أشرنا اليه فى نقدنا للاقتراح السابق ، وهو قطع الصلة بين الماضى والحاضر وتعويق الاجيال القادمة عن الانتفاع بالتراث العربى المدون بالرسم الحالى . هذا الى أن عدد حروف الهجاء يصبح بحسب هذه الطريقة اربعة اضعاف عددها الحاضر . ولا يخفى ان ذلك يكلف المطابع نفقات باهظة ، ويرهق العمال القائمين على صف الحروف ، ويجعل عملهم عرضة للزلل ، ويشيع الأخطاء المطبعية ، ويحدث الارتباك والحيرة عند المبتدئين من المتعلمين ، ويطيل زمن تعلمهم للهجاء .

٣ ـ واقترح بعضهم ادخال الشكل فى بنية الكلمة حتى لايتخطاه نظر القارىء . وذلك بأن تخترع حروف للرمز الى أصوات المد القصيرة (التى يرمز اليها الآن بالفتحة والكسرة والضمة) وتدون هذه الحروف فى صلب الكلمة فى مواضعها . فلتدوين كلمة « كتب » مثلا يرسم بعد كل من الكاف والتاء والباء الحرف الذى سيخترع للاشارة الى ما تشير اليه الفتحة فى رسمنا الحاضر . وهذا هو المنهج الذى يسير عليه الرسم الاوروبى . وقد انتصر لهذا الاقتراح جماعة من الباحثين على رأسهم المغفور له أحمد لطفى السيد (باشا) . فقد نشر هذا الرأى فى مجلة «**الموسوعات**» سنة ١٨٩٨ ، ثم عاد فأشار اليه فى مجلة « الشئون الاجتماعية » بعدد فبراير سنة ١٩٤١ . غير أنه عقب عليه فى صفحة ١١ من هذه المجلة الأخيرة بما نصه : « ولست متمسكا بالطريقة التى اقترحتها منذ زمان بعيد . ولكنى راض بأى طريقة تؤدى الى الغاية التى تنشدها من توحيد لغة الكتابة ولغة الكلام فى الجملة ليسهل تعليمها من ناحية وليوجد حد مشترك من اللغة بين المتعلمين وغير المتعلمين » .

غير أنه يظهر لنا أن هذه الغاية التى يبغيها لايكاد يتحقق شىء منها بما تضمنه اقتراحه من ادخال الشكل فى رسم الكلمة . وذلك ان الفائدة التى يحققها هذا الاصلاح لاتكاد تعدو تسهيل القراءة واتقاء الخطأ فى ضبط الكلمة حسب وزنها فى اللغة الفصحى ، ولا تؤدى الى توحيد لغة الكتابة ولغة التخاطب .

هذا الى أنه يوجه الى طريقته جميع المآخذ التى وجهناها الى الطريقتين السابقتين . فهى تخلق لنا رسما يختلف فى كثير من الوجوه عن رسمنا الحاضر ، فتقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا . وهى من جهة اخرى تطيل رسم الكلمة فتصل بحروفها الى نحو ضعفى عددها فى الرسم الحاضر .

٤ ـ واقترح بعضهم الغاء الاعراب والزام السكون أواخر الكلمات حتى تضيق مسافة الخلف بين رسم الكلمة ونطقها فى اللهجات العامية المستخدمة فى المحادثة ، فتسهل على الناس القراءة ، ويتخلص الرسم من بعض عيوبه ، وقد جنح الى هذا الرأى كثير من السابقين ، وجنح اليه فى الوقت الحاضر الأستاذ **توفيق الحكيم** فيما كتبه أخيرا فى جريدة الأهرام فى مقدمة مسرحيته «الورطة» ، وفى خاتمتها .

وقد كفانا المغفور له **أحمد لطفى السيد (باشا)** مئونة الرد على هذا الاقتراح بما عقب به عليه فى مجلة الشئون الاجتماعية (عدد فبراير سنة ١٩٤١) اذ يقول : « وهذا الرأى مطعون فيه من وجهين : أما الأول فانه لا يحل من المسألة الا بعضها دون البعض الآخر ، لأن ضبط حركات الحروف ليس ضروريا فى الاعراب فحسب ، بل هو أشد ضرورة فى بنية الكلمة . وهذا الضبط من جوهر اللغة ، فاذا أهملنا الشكل ولم نأت بطريقة تقوم مقامه ظل الناس يلفظون الكلمات على غير وجهها الصحيح كما هم الآن يفعلون . وأما الوجه الثانى فان فى هذا الرأى اهدارا لصورة اللغة العربية وقضاء على اهم مميزاتها ، وذلك ما لاأظن أحدا يرضاه متى أمكن تسهيل اللغة وشيوعها من غير الالتجاء الى العبث بسلامتها ومميزاتها » .

هذا ، وكنا نود لو اقتصر المغفور له **أحمد لطفى السيد** على ما تقدم ولم يعقب عليه بما قد يفهم منه بعض الناس أن مثل هذه الاعتبارات لا ينبغى أن تحول دون تحقيق التيسير الذى يتضمنه هذا الاقتراح ، ولكن يؤسفنا كثيرا أنه كان يسلك فى مذاهبه الاجتماعية والاصلاحية الطريقة المرنة اللولبية نفسها التى كان يسلكها فى مذاهبه السياسية .

« **دكتور على عبد الواحد وافى** »

كلمات في كلمات

بحوث لغوية وتاريخية

بقلم : حامد عبد القادر

- ١٤ -

قبل أن نستأنف الحديث عن يعقوب نعود الى سيرة اسحاق فنعرض ثلاثة من أهم الامور الخاصة بحياته .

الاول : وعد أمه له بأن يرث الارض التي وعد اباه ابراهيم بامتلاكها . وفيما يلي ترجمة للنص الذي تضمن هذا الوعد :

« وظهر له (أي الرب لاسحاق) وقال : لاتنزل الى أرض مصر ، بل اسكن الارض التي أعينها لك . تغرب في هذه الارض (أرض جرار بفلسطين) فساكون معك وأباركك لاني لك ولنسلك أعطي جميع هذه الارض ، وأفي بالقسم الذي أقسمت لابراهيم ابيك وأكثر نسلك (حتى يكون) كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد »
(تكوين ٢٦ : ٢ ـ ٥)

وأنت ترى أنه ليس في هذا جديد يعتد به ، فمثله مثل غيره من النصوص التي تنطوي على شيء من الاضطراب والغموض والمحاباة ، أما الاضطراب فلانه يقول : «لك ولنسلك أعطي جميع هذه الارض» ثم يقول : « وأعطي نسلك جميع هذه البلاد » .

وأما الغموض فلان النص لم يحدد البلاد الموعود بامتلاكها . وأما المحاباة فواضحة من جعل اسحاق الوارث الوحيد لابراهيم دون أخيه اسماعيل مع ان كلا منهما من ذرية ابراهيم .

هذا وان من يبحث في مدى تحقيق هذا الوعد يجد أن امتلاك تلك الارض لم يكن لاسحاق في حياته، ولم يكن لجميع نسله بعد وفاته ، بل ان الذين امتلكوها أو استولوا عليها عنوة بحد السيف هم أبناء يعقوب أو ذريات أبنائه الذين دخلوا فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد تقريبا كما يقول بعض المؤرخين .

هذا هو الامر الاول .

اما الثاني فهو ماروته التوراة عن اسحاق خاصا بزوجته ، فقد قال ـ محاكيا أباه ـ انها أخته خشية أن يقتله الناس بسببها ، فقد كانت جميلة أيضا وينكشف أمره فيقول له أبيمالك ملك فلسطين : ما هذا الذي صنعت بنا ؟ لقد أوشك أحد الناس أن يضطجع مع امرأتك ، فتكون سببا في ارتكابنا آثما . ثم أنذر أبيمالك شعبه ، وتوعد بالقتل من يمس اسحاق أو امرأته بسوء . (تكوين ٢٦ : ٧ ـ ١١)

هذه قصة نرويها ونترك للقارىء الكريم التعليق عليها .

وأما الامر الثالث فهو قصة الذبح والفداء : يؤخذ مما ورد في الفصل الثاني والعشرين من سفر التكوين أن اسحاق كان هو الذى أمر الله ابراهيم أن يقدمه قربانا • وقد اختلف الباحثون في هذا الموضوع ، ففريق يرون أن اسماعيل كان هو الذي أمر ابراهيم أن يقدمه ضحية • وفريق آخر يرون أن ذلك كان اسحق •

وفي وجه هذا الاختلاف أرجح بل أكاد أؤكد أن اسماعيل كان هو الضحية المفدى• ولى على ذلك دليلان أحدهما من القرآن الكريم ، والآخر من التوراة العبرية نفسها •

اما الدليل المستقى من القرآن الكريم فهو قوله تعالى ، بعد أن أكمل قصة الذبح والفداء : «وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ، ذلك أن التبشير بولادة اسحاق بعد الانتهاء من الكلام على الفداء يدل دلالة تكاد تكون قاطعة على أن المفدى كان اسماعيل لأنه كان هو الذى ولد قبل اسحق كما هو معروف •

وأما الدليل المستقى من التوراة فهو كلمة واحدة ذكرت ثلاث مرات في الفصل المشار اليه تلك هى كلمة יְחִידְךָ يحيدك اى وحيدك التى اراد الله أن يظهر بها الحق فاجرى بها قلم كاتب هذا الفصل دون أن يدرى ما يترتب على ذكرها من نتائج •

تقول التوراة : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق (تكوين ٢٢-٢) ثم تقول : لانى قد علمت الآن انك تخاف الرب فلم تمسك ابنك وحيدك عنى (تكوين ٢٢ - ١٢) ثم تقول : من أجل انك فعلت هذا الامر ولم تمسك ابنك وحيدك (تكوين ٢٢ - ١٦) •

ان كلمة وحيدك كافية للدلالة على أن المقصود هو اسماعيل ، لأنه لم يكن كلابراهيم ابن وحيد غيره ، اما اسحق فلم يكن وحيدا ، لأن اسماعيل قد ولد من عنى (تكوين ٢٢ - ١٢) ثم تقول : من أجل انك الاول فيكاد يكون من المؤكد انه من اضافة بعض النساخ • بدليل أنه من الممكن حذفه والاستغناء عنه دون أن يحدث تغير ما في المعنى • كما يمكن الاستغناء عنه في ثلاثة مواضع أخرى ذكر فيها وذكر بعده مباشرة كلمة « ابنك » وذلك في الفقرات الثالثة والسادسة والتاسعة من الفصل نفسه •

ونجد الاسم « اسحاق » في العبارة المثيرة الآتية « وكلم اسحاق ابراهيم أباه وقال له يا أبي فقال هانذا يابني ، فقال : ها هي ذي النار ، وها هو ذا الحطب فأين شاه القربان ؟ » •

فنحن أمام هذا النص بين اثنين فاما أن نقول ان العبارة برمتها من اضافات النساخ ، واما ان نقول ان الاسم « اسحاق » قد استبدل بكلمة أخرى ربما تكون « الصبي » أو « الغلام » •

وقد يرجح ما نقوله اننا لانجد نظيرا لهذه العبارة في قصة الذبح والفداء التي يقصها علينا القرآن الكريم ، بل نجد أن ابراهيم عليه السلام يصرح لابنه بالامر ، ويقول له : يابنى انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى » •

ويجيب الصبي فيقول : « يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين» والقرآن كتاب الله الصادق الامين الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • والخلاصة ان القرآن الكريم وروح نصوص التوراة العبرية التي بين أيدينا تؤيد القول بان الذبيح المفدى كان اسماعيل عليه السلام • يضاف الى هذا وذاك ما أثر عن الرسول الكريم وهو قوله : « أنا ابن الذبيحين » • والذبيحان هما عبدالله ابن عبد المطلب أبو الرسول الكريم ، واسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام •

- ١٥ -

نعود الى قصة عيسى ويعقوب فنذكر أن التوراة قد سكتت سكوتا يكاد يكون تاما عن قصة عيساو اخى يعقوب ، فلا تحدثنا بشيء عن نسله وما كان من امرهم ،وتكتفي بأن تروى أن عيساو ذهب الى عمه اسماعيل وطلب اليه أن يزوجه من ابنته محلة اخت ابنه نبايوت ، وان اسماعيل قد قبل ان تنضم ابنته الى نساء عيساو •

اما يعقوب فان التوراة تفيض في سرد قصته فتروى فيما تروى عنه انه نهج منهج أبيه في زواجه، وتقص في ذلك قصة تشبه قصة زواج اسحاق من ناحية ، وقصة زواج موسى عليه السلام من ناحية أخرى •

تقول التوراة فى الفصل التاسع والعشرين من سفر التكوين فى هذا الموضـــوع ما خلاصته : ان اسحاق رغب أن يتزوج من احدى بنات عمومته فى بلاد آرام ، فذهب الى بلاد المشرق ولقى فى طريق رحلته فتاة اسمها راحيل البنت الصغرى للابان بن تبوئيل بن ناحور أخى جده ابراهيم ، وكانت بنت خاله فاعجب بها ووقع حبها فى قلبه وقبلهـــا ، واسرع فخطبها من أبيها لابان . ووافق الاب ، وكان المهر أن يخدم يعقوب لابان سبع ســـنين ، وقضى يعقوب الاجل ، ولكن لابان لم يزف اليه راحيل بل زف اليه أختها الكبيرة وهى ليئة .

ولما أصبح الصباح رأى يعقوب أن من زفت اليـــه ليست هى راحيل التى خطبها ،فاشتد به الغضـــب وأخذ منه العجب كل مأخذ ، فذهب الى ختنه وخاطبه فى الامر ، فقال لابان : انه ليس من تقـــاليدنا أن نزوج الصغيرة قبل البكر . أكمل اسبوع عروسك وسأعطيك راحيل على أن تاجرنى سبع حجج أخر . ورضى يعقوب وقضى الاجل الثـــانى ، وأوفى لابان بالوعد فدخل يعقوب على راحيل أخت ليئة . وبذلك جمع بين الاختين . وكان هذا جائزا عندهم فى تلك العصور ، كما كان من الجائز أن يتزوج الرجل أخته، أو ابنة أخيه .

وليئة بالعبرية هى [illegible] اى المتعبة او المكدودة الذهن .

وفى العربية : اللأى : المشقة والتعب . أما راحيل فهو بالعبرية [illegible] وهو اسم مؤنث معناه « الشاه الرضيع » .

وحملت ليئة ووضعت أربع مرات فانجبت اربعة بنين هم رءوبين ثم شمعون ، ثم لاوى ، ثم يهوذا . وتذكر التوراة كما هى عادتها السبب فى تسمية كل واحد من هؤلاء باسمه .

ولما رأت راحيل أنها عاقر عرضت على يعقوب أن يتخذ بلهة جاريتها زوجة له ليكون له منهـــا بنون كما فعلت سارة من قبل حين عرضت على ابراهيم ان يتزوج جاريتها هاجر .

ودخل يعقوب على بلهة فولدت له ابنين هما :دانا ثم نفتالى .

ولما رأت ليئة انها توقفت عن الحمل عرضت هى الاخرى على يعقوب أن يتخذ زلفة جاريتها زوجة له ففعل ودخل عليها فولدت له ابنين هما :جاد ثم أشير .

ثم حملت ليئة وولدت مرتين وأنجبت ابنين هما : يساكر ثم زبولون . واخيرا ولدت بنتا سمتها دينة .

وأكرم الله راحيل فحملت وولدت ابنا سمته .

يوسف

وهو بالعبرية [illegible] يوسيف اى يضيف أو يزيد .وقالت راحيل فى سبب هذه التسمية:«يزيدنى الله ابنا آخر » تكوين ٣٠ ــ ٢٤

ثم ولدت فيما بعد ابنا ثانيـــا كانت ولادته عسرة توفيت بعدها راحيل . ومن ثم سمته « ابن أونى» = [illegible] = ابن تعبى أو مشقتى لأنهـا قاست الشدائد فى ولادته .أما أبوه يعقوب فقد سماه بنيامين [illegible] = ابن اليمن أو البركة او السعادة (تكوين ٣٥ ــ ١٨)

وبذلك كان ليعقوب اثنا عشر ولدا ذكرا ستة من ليئة ، واثنان من راحيل ، واثنان من بلهـــة جارية راحيل ، واثنان من زلفة جارية ليئة .

ــ ١٦ ــ

وتروى التوراة وعدا آخر ليعقوب بامتـــلاك ارض الميعـــاد فتقـــول ما ترجمته : « انا الله القدير . اثمره واكثر ، امة وجماعة امم تكون منك . وملوك يخرجون من صلبك ، والارض التى أعطيت ابراهيـم واسحق لك اعطيها ،ولنسلك من بعدك أعطى الارض» (تكوين ٣٥ : ١١ ــ ١٢)

وربما يكون هذا الوعد أسخى الوعود وأوفاها

فقد تضمن بالاضافة الى الوعد بامتلاك أرض الميعاد الدعاء ليعقوب بان يكثر نسله حتى تكون منه امة وجماعة امم ، وتبشيره بان ملوكا سيخرجون من صلبه » .

ومع ذلك فان أرض الميعاد ليست محددة المعالم فى هذا النص ، ولا ما فيه احالة على شىء لم يتحقق، فاننا اذا سألنا : ما الارض التى أعطيت لابراهيم واسحاق فاننا لانظفر باجابة سديدة . ومن المؤكد اننا لن نظفر بتلك الاجابة ، ذلك ان التاريخ يثبت أنه ابراهيم واسحاق لم يمتلكا شيئا من الارض .

ونتتبع قصة يعقوب فنجد أن الرب يطلق عليه اسما آخر هو : اسرائيل

وهو بالعبرية יִשְׂרָאֵל اى يغلب الرب او يصارع الرب ، فهو مركب اسنادى يتكون من كلمتين: الاولى יִשְׂרָה يسره ومعنى يغلب أو يصارع ، والثانية אֵל ايل اى الرب ، والكلمة الثانية هى نفسها التى تأتى فى آخر كثير من الاسماء ذكرنا منها اسماعيل ، ومنها جبرائيل وميكائيل .

فلما اندمجت الكلمتان حدثت بعض تغيرات حرفية وصارتا يسرائيل . ولما عرب الاسم جعلت الياء الاولى همزة للسبب الذى ذكرناه من قبل

وتذكر التوراة فى تعليل هذه التسمية « ان الرب ظهر ليعقوب فى احدى الليالى فى صورة انسان ، وقامت بينهما مصارعة انتهت عند الفجر بتغلب يعقوب . وحينئذ قيل ليعقوب ما معناه : ان اسمك لن يكون يعقوب بل انه سيكون من الآن فصاعدا اسرائيل ، لأنك قد صارعت الله والناس فغلبت » .

هكذا تروى التوراة ولعلها تشير بذلك الى أن الانسان الذى صارع يعقوب لم يكن انسانا ، وانما كان الرب فى صدره ، وأن تغلب يعقوب كان بمعونة الله .

ومن ذلك ترى أن التوراة تنظر الى الله تعالى نظرة بدائية فتجيز عليه أن يتصور بصورة انسان ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وكما أن « اسرائيل » علم شخص سمى به كثير من الناس أولهم يعقوب ابن اسحق عليهما السلام نجد انه يستعمل اسما لبنى اسرائيل جميعهم . كما يطلق فى العربية اسم قيس أو تميم أو قريش مثلا ويراد به القبيلة جميعها .

وقد استعمل اسرائيل بهذا المعنى فى عدة مواضع من العهد القديم فتجده مثلا فى سفر الخروج ٥ ــ ٢ مرتين بهذا المعنى ، وذلك حيث يقول النص : « فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق اسرائيل لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه » ومثل هذا فى سفر العدد ٢١ ــ ١ ، وفى سفر يوشع ٤ ــ ٢٢ ، وفى غيرهما .

وقد أطلق اسم اسرائيل أيضا على احدى الدويلتين اليهوديتين اللتين قامتا بعد وفاة سليمان بن داود عليهما السلام .

وسنتحدث عن هذا الموضوع فى عدد تال من أعداد هذه المجلة الغراء ان شاء الله .

« حامد عبد القادر »

رد على نقد

كيف نفهم الحقائق الشعرية..؟

بقلم: محمود غنيم

تعودت أن ألقى ما يوجه الى من نقد وتجريح بابتسامة عادية ، هذه الابتسامة قد تكون ابتسامة راضية اذا كان في النقد والتجريح ما يشير الى توجيه صحيح ، وقد تكون ابتسامة ساخرة اذا كانا صادرين عن هوى في النفس ، أو قصور في الادراك ، وكنت في الحالة الثانية كثيرا ما أردف هذه الابتسامة الساخرة بقول كثير :

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من اعراضنا ما استحلت

وعلى كل من يتصدى لقرض الشعر أن يحفظ هذا البيت ليتمثل به عند اللزوم ، فقد هان أمر النقد ، **وكثر النقاد في هذا الزمن ، حتى أصبح من الأمور** العادية أن يتخذ أحدهم من الصحيفة أو المجلة مشرحة يضع عليها جسدا من الانتاج الادبي لكي يجرب فيه مبضعه الكليل .

كنت أكتفي باحدى الابتسامتين عند النقد ، ولا أنشط للرد عليه ، ولكن ليسمح لى الدكتور أحمد كمال زكي أن أخرق عادتي هذه المرة بعد قراءتي لما كتبه عن قصيدتي « تحية بغداد » في عدد ٨ ابريل من مجلة الرسالة الغراء ، فقد عرفت أن السيد الناقد ممن يزاولون تدريس آداب اللغة العربية في بعض الكليات ، وربما كان من وراء ردي عليه ما يحمله على تغيير أو تحوير في معاييره الأدبية التي يطبقها على انتاج الأدباء ، فيكون في هذا مكسب للطلبة الأبرياء .

تسألني بعد ذلك بأية الابتسامتين قابلت مقال الدكتور زكي ؟ واليك الجواب فيما يلي :

١ ـ أول نقد وجهه سيادته الى القصيدة كان منصبا على مطلعها :

بغداد قرة عين الشرق بغداد
لحن تغنى به الاسلام والضاد

يقول ما نصه : « أول ما نلحظه أن هذا المطلع لا يمكن أن يدل على قصيدة تقع في نحو ثمانين بيتا » فهل مطلع القصائد في نظره أشبه بموازين الحرارة يسجل عليها عدد ما يتلوها من الأبيات ؟ أنا أعلم أن سيادته من أنصار ما يسمونه «الشعر الحر» وكم كنت أود أن أحفظ من هذا الشعر قدرا أتخذ منه شواهد لاقناعه ، ولكن هذا النوع لا يخف على ألسنة الرواة ، ولا تتداوله الشفاه، وأنا أشك في مبلغ اقتناعه اذا انتزعت هذه الشواهد من أشعار المتنبي وابن الرومي وشوقي وأمثال هؤلاء ، لاني ـ فيما أرجح ـ أعتقد أنه ضعيف الايمان بهؤلاء الشعراء العموديين .

اذن فلنلجأ الى أبلغ كتاب عرفته الانسانية ، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فنراه مثلا يفتتح سورتين بحمد الله : احداهما سورة الفاتحة وهي بضع آيات ، والثانية سورة الكهف وهي تنيف على المائة عدا . اذن فليس ثمة علاقة بين مطالع القصائد وأحجامها ، فان قال : ان هذا المطلع لا يتحمل ثمانين بيتا ، قلنا له : ولم لا يتحمل ثمانين ناطحة من ناطحات السحاب ؟ كان الأصوب أن يعقد مثلا موازنة بين هذا المطلع ومطلع شوقي في قصيدته عن دمشق :

لم ناد جلق واندب رسم من بانوا
آتت على الرسم اجيال وازمان

٢ ـ النقد الثاني الذي وجهه أنه لم تعجبه كلمة « قرة عين الشرق » حيث يقول : « كنت أرجو أن يتجنب الشاعر هذه الألفاظ العامية التي طالما حذرنا منها القدماء وهم يناقشون شعر الفحول» ، اذن فكلمة

« قرة العين » لا تعجبه، وهذا يشككني في مبلغ علمه بماتاها . فليعـلم الاستاذ أن « القرة » من « القر » وهو البرد ، والعبارة كلها كناية عن السرور ، لأنهم يقـولون : ان للحزن دمعـة حارة ،وللسرور دمعـة باردة ، ومن هنا كان هـذا التعبير أكثر ما يستعمل في منزلة الابناء من نفوس الآباء ، ثم نعود مرة أخرى الى القرآن الكريم ، فنجده استعمل هذا التعبير أكثر من مرة في هذا المعرض « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين » ، « قرة عين لي ولك » ، اذن فالتعبير غير مستهجن ، ولو فطن سيادته لوجد أنه هنا مستعمل في أخص استـعمالاته به ، فان البيت يشـعر بان حواضر الشرق أشبه ببناته ، وأن بغداد من بينهن مبعث سروره وموضـع اعزازه ، وكنـا نستطيع أن نقول بدل « قرة عين الشرق » ، « انسان عين الشرق » أو « درة تاج الشرق » ، ولـكن في هذه الحالة كانت تلزمنا الحجة، لأنه لاسند لنا من القرآن في التعبيرين، اذ هما لم يردا فيه . فكيف كنا نرد عليه ؟

٣ ـ النقد الثالث ما أشار اليه من أن وصف بغداد في المطلع لا يعتبر من الملامح الذاتية لمدينة بغداد ، بل تنازعهـا فيـه الخرطوم ــ هكذا يقـول ــ ومكة والقاهرة ، أو أي بلد عربي آخر .

ونحن نسأل الاستاذ : أجاد هو فيما يقول ؟ ومن قال : ان كل صفة ـ في ذاتها ـ يجب أن تكون من ملامح الموصوف الذاتيـة الخاصـة به ؟ أئذا قال الله تعالى لنبيه الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » كان لنا أن نقول : ان هـذا الوصف ليس من الملامح الذاتية لمحمد ، لأن موسى على خلق عظيم ، ولأن عيسى أيضا على خلق عظيم ؟ أئذا وصـف المتنبي سـيف الدولة بالكرم قلنا له : هذا الوصف مردود عليك لأن حاتما الطائي كان كريما أيضا ، فهو ليس من الملامح الذاتية لسيف الدولة ؟ ونستطيع أن نقيس على صفة الكرم غيرها من صـفات الشجاعة والذكاء والحلم الى آخر ما نعت به الشعراء الأمراء . أقول : اذا صح مايقوله كمقياس أدبي من مقاييس النقـد فسلام على كل ما تناوله شعراء الشرق والغرب قديما وحديثا وقصاصو الشرق والغرب قديما وحديثا من أوصاف لايعتبر كل منها ـ على حدة ـ ملمحا ذاتيا للموصوف، بل يشاركه فيه سواه .

ونعود ، فنقول للسـيد الناقد بملء الفم : ان ما وصفنا به بغداد في المطلع الذي وقف في زوره ، فلم يسعفه انما هو من قبيل الملامح الشخصية لبغداد التي تنفرد بها أو تكاد . فنحن حين نقول عن بغداد « لحن تغني به الاسلام والضاد » نعني بذلك ما لا ينكر من فضلها على علوم الشريعة الاسلامية ، وفروع اللغة العربية ، وبغـداد تنفرد أو تكاد بتقنين قوانين هذه العلوم ، وتقعيد قواعدها ، والتغلغل في أعماقها ، حتى خلقت من علم الـكلام فلسفة ، ومن علم النحو فلسفة أخرى ، ومن الفقه الاسلامي فلسـفة ثالثة ، فكل مدينة أخرى أسهمت في هذه العلوم ، وكان لها على الدين والضـاد أياد فهي عالة على بغداد ــ رضي الاستاذ أو أبى ــ فهذا الفضل العظيم لا تقابله الا المبالغة الواردة في البيت من جعل بغداد بكرية الشرق، وتدويها على شفتي الاسلام والضاد لحنا يتغنيان به اعترافا بفضلها عليهما . أليس ذلك من قبيل الملامح الشخصية ؟

لا أحسب السيد النـاقد كان يريد مني أن أودع مطلع القصيدة بصمة بغداد الشخصية ، أو أحددها فيه تحديدا جغرافيـا ، حتى تتحقق الملامح الذاتيـة التي يملأ فمه بها ، ثم لنا أن نسائله : ما باله يتشدق بمقاييس النقد الحديث، على حين يستعمل معنا مقاييس النقد في العصور الحجرية؟ ان النقد الحديث لايتناول القصيدة بيتا بيتا ، بل يعتبرها كلا لا يتجزأ ، يكمل بعضها بعضـا ، ولو سلك معنا هـذه الطريقة لوجد القصيدة في مجموعها تحدد بغداد تحديدا هو أشبه ما يكون بالتحديد الجغرافي الذي يطالبنا به . واليك بعض هذه الملامح :

سال الفرات حضارات فكان له
بهـا مع المـاء ارغاء وازباد

وفاض دجـلة قبـل المـاء معرفة
منهـا ارتوت مهج حـرى واكبـاد

ما كان للشـعر في بدو وحاضرة
لولا رواتك يا بغداد انشاد

بغـداد يكفيـك من دنيـاك أربعة
هم في الشريعـة للأجيـال رواد

الى غير ذلك من الابيـات التي لو وضعت ضمن قصيدة تصف بلدا أخرى لكانت نشازا ، ولانطبق عليها المثل القائل : « حن قدح ليس منها » .

٤ ـ انتقل السيد الناقد الى البيت الثاني :

الدهـر يعرفهـا للـكون عاصـمة
تقوده كيفما شاءت فينقـاد

فوقف هـذا البيت أيضـا فى زوره حيث يقـول ما نصه « فاذا انتقلنا الى البيت الثانى عجبنا لأنهـا « بغداد » وان سلمنا بأنهـا كانت ذات يوم عاصـمة للكون فقد عجزت حقيقة عن أن تقود الانسانية كيفما شاءت ، بل ربما لعبت البصرة دور القيادة خيرا منها الى آخر ما قال » ٠

وقد يكون من حقنا أن نتناول هذه العبارة بالنقد شكلا قبل أن نتناولهـا بالنقـد موضوعا ، فالعبارة ينقصها خبر « لأنها » فليبحث الأستاذ عنه فيهـا بمجهر ، فلن يرى له وجودا ، وربمـا كانت العبارة تستقيم لو حذف الواو من قوله : « وان سلمنا » ٠

ثم نعود الى الموضـوع ، فنقـول : ومن قال : ان بغداد كانت عاصمة الكون ، ثم ظلت كذلك، وستظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؟ أيفهم هذا من لفظ البيت ؟ ان صبية المدارس يعرفون أن الدنيا دول ، وأن بغـداد سقطت على أيدى التتـار ، وانتابها ما ينتاب العواصم من عهـد « منفيس » و « وأثينا » الى عهد « لندن » و « وباريس » ، فهل كان واجبا علينا ـ ونحن فى مقام الاشـادة ببغداد ـ أن نشير الى العهد الذى وطئها فيه التتار بالاقدام ؟ أيها الناقد البصير ، ما هكذا تفهم الحقـائق الشعرية ، يجب قبل أن تتصدى للنقد أن تفهم الفرق بين الشـاعر ومدرس التاريخ ٠

والعجب كل العجب من اقحام البصرة هنا ٠ أيريد جنابه أن يسوى بين البصرة وبغداد ، أو يرجح كفة الأولى على الثانية ؟ ومع ذلك فسنكذب على الله وعلى التاريخ ، ونسلم له بذلك ، أراد أم لم يرد ، فما دخل هذا فى الموضوع ؟ أواجب على من يشيد بمدينة فى قصـيدة شعرية الا يغفل غيرها من المدن ذوات الفضل على الحضارة والمعارف والا كان هدفا لنقد الأستاذ اللاذع من قلمه المرعف السيال ؟

أئذا وقف سيادته خطيبا فى حفل اقيم لتكريم احد زملائه كان عليه أن يتناول أنداد هذا الزميل فردا فردا بالتكريم ، بله عميد كليته ، ومدير الجامعة التى ينتسب اليها ؟

أئذا أنشد شاعر « كشيلى » قصيدة فى وصف القبرة قلنا له : ولماذا تترك الخفاش ؟ أو لماذا لاتترك كليهما ، وتجعل النسر أو العقاب موضوع قصيدتك؟

أئذا وصف شوقى النحلة قلنا له : ولماذا تترك النملة مع أنها لاتقل عنها دأبا ؟

أو لمـاذا لا تترك كلتا الحشرتين : لأنهما تعمـلان بالغريزة ، وتصف الانسان ؛ لأنه يعمل بالعقل ؟

الحق أننا فى حيرة من أمر هذا المنطق الأعرج ، بل الكسيح ، والذى لاشك فيه أننا لو كيفنا القصيدة على النحو الذى يريده الاستاذ لكانت مسخا عجيبا كفيلا باضحاك الثكالى ٠

يبدو لنا ان الأستاذ أراد أن يتعالم فى التاريخ ، فبرهن على أنه ليس فيه بارسخ قدما منه فى قواعد النحو ٠

٥ ـ انتقل سيادته بعد ذلك الى البيت الثالث من القصيدة :

ان تبتسم تشرق الدنيا وان غضبت
ففى السمـوات ابراق وارعـاد

وهنا اتهمنـا بالمبالغة ، والقى علينـا وعلى القراء درسا قيما فى فضل الحقيقة وروعتها ، وعدم الاغراق فى الخيال ، ولا نطيل معـه الوقوف فى مسـألة المبالغة ، بل نقول فى ايجاز : انها من أخص التعبيرات الشعرية ، فضلا عن أن كتاب الله أيضا يعترف بها ، وحسبه أن يقرأ قوله تعالى : « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبـال هـدا أن دعوا للرحمن ولدا » ٠

٦ ـ أخذ الأستاذ علينا أننا استعملنـا ضمير الغائب فى أبيات من القصيدة ، ثم انتقلنا الى ضمير المخاطب ، ونحن نحيله أيضا ـ وأمرنا لله ـ الى فاتحة الكتاب التى يقرؤها فى اليوم الواحد عدة مرات فى الصلوات المكتوبة « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبـد » ألا يرى أن الحديث انتقل من الغائب الى المخاطب ، والا لكان السياق « اياه نعبد » ؟ فان لم يقتنع بهـذا فليقرأ قوله تعالى ، وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخـذوا من دونى وكيـلا » ففى الآية انتقال من ضـمير الغائب الى ضمير المخـاطب ، بل المخاطبين ٠ ومن بعد هذا ليسمح لى أسأله : ألم يمر به فى أبواب البلاغة باب يقال له « الالتفات » ؟ ثم نسأله مرة أخرى : كيف درس هذا الباب لتلاميذه ؟

وعلى أي نحو فهمه هو ؟ وعلى أي نحو أفهمهم اياه ؟ . يظهر ان للبلاغة ومبلغ فهم الأستاذ لها دورا آخر لا يقل عن دور التاريخ ودور قواعد اللغة .

٧ ـ لانريد أن نتعقب الاستاذ في كل ماكتب ، بيد أننا نوجه نظره الى أنه لم يحسن فهم البيت الآتي على وجهه الصحيح ، والخطاب فيه لبغداد :

الشـــعر أنت التى عرفت وازنه
ان القـوافي اسـباب واوتـاد

فقد فهم من البيت أننا نعبر عن رأينا في ضرورة الموازين للشعر بدليل قوله : « ولا سيما بعد أن يدلى برأيه في الشعر من حيث هو وزن قوامه اسباب واوتاد » وليس المعنى كما فهم ، وانما البيت صريح يشير باصابعه الخمس الى الخليل بن احمد واضع علم العروض ، وهو بغدادي لحما ودما . نعم نحن ندين كل الدينونة بان الوزن من العناصر المكونة للشعر ، ولكن هذا ليس منطوق البيت ولا مفهومه ، فهل علة الخطأ في فهم المراد من البيت قصور جديد في تاريخ آداب اللغة العربية ؟ نرجو الا يكون ذلك .

٨ ـ بعد هذا لا يسعنا الا شكر السيد الناقد على ما أبداه من استحسان لعدة أبيات وردت في القصيدة مبدوءها :

يا يوم رد فلســطين الشهيدة ما
للعرب غـيرك في الأيام اعياد

غير ان شكرنا له لا يمنعنا أن نخطئه في استحسان هذا البيت ، فلو كان من رواة الشعر الحديث الذي يتصدى لنقده لعرف أن هذا البيت ماخوذ من قول شوقي :

والله مادون الجـــلاء ويومه
يوم تســميه الكنانة عيـدا

ونتمادى في الشجاعة الأدبية فنقول : ان شوقي كان أصوغ ، واقل ما في بيته انه سلم من تتابع الاضافات التي في قولنا بـ « يوم رد فلسطين » . ولو أن الأستاذ ذكر ذلك في نقده لألزمنا الحجة ، فلم نحر جوابا . ولكن ما حيلتنا فيه وهو مغرم بقلب الاوضاع : يهجن المستحسن ، ويحسن المستهجن ؟ وبعد : ألم يكن أجدر بالأستاذ أن يسلك سبيل القصد والانصاف في نقده ؟ انه لو أنصفنا لانصف نفسه ونفسه فقط ، فقد يعلم جنايته أننا في غنى عن اشادته بنا في كل ماقرضناه من شعر ، وبصفة خاصة في هذه القصيدة بالذات ، فان اراد برهانا ماديا على ذلك فنحن نتناسى فضيلة التواضع فترة من الزمن ، ونســوق للأستاذ نص التقدمة التى قدمت بها هذه القصيدة في صحف بغداد :

قالت جريدة « البلد » اليومية التي تصدر في بغداد في عددها الصادر في ٢٣ فبراير سنة ١٩٦٥ وهي تقدم القصيدة لقرائها ما نصه :

« الاستاذ محمود غنيم أديب موهوب لامع ، ومن كبار أدباء البلاد العربية ، وله في ميادين الادب والشعر جولات هي مصدر اعجاب هذا الجمهــور الكبير الواعي من قراء العربية به ، وهو من ألمع أعضاء المجلس الأعلى لرعاية العــلوم والفنون والآداب في الجمهورية العربيــة المتحدة (كـذا) وكان قد وقع عليه الاختيار كعضو في تمثيل الادب والشعر في مؤتمرالأدباء ببغداد ، وقد اعد للمهرجان هذه الرائعة النفيسة التي طوق بها جيد الشعر ، وطوق بها بغدادنا بالجميل المشكور ، ثم حالت دون حضوره حوائل ، وفاته القاؤها من منبر المؤتمر فخص بها منبر « البلد » و « البلد » تعتز بهذه المفخرة الادبية وبهذه الهدية النفيسة من أديب كبير وشاعر موهوب ، وتشكر له شعوره الفياض نحو العراق باسم بغداد » .

ونقولها نحن قبل أن يقولها سوانا : لعل في هذه التقدمة كثيرا من المجاملة ورد التحية باحسن منها .

وقبل أن نختم هذا المقال لا يسعنا الا أن نطلب من الله الرحمة بالشعراء مادام النقد على هذا المنوال بل نطلب منه الرحمة بالنقاد أنفسهم ، كما نسأله الا يجعل الدكتور احمد كمال زكي ممن ينطبق عليهم قول شوقي :

من كل هدام ويبنى نفســه
بكـرائم الانقـاض والأشــلاء

ومنى عليه السلام .

« محمود غنيم »

الشعر
والشعر الحديث

بقلم: عبد الكريم الخطيب

كنت على نية الا أعود الى الحديث فى هذا البدع الذى يسميه أصحابه « الشعر الجديد » .. لأنه فى تقديرى ضروب من العبث ، وصور شائهة من الكلام .. فلا منظر ، ولا مخبر !

كنت على هذه النية المنعقدة على ألا أقف عند هذا الباطل ، لأن الحديث عن الباطل قد يحدث له ذكرا ، ويقيم له مكانا فى النفوس ، حيث يعلق فيها فى غفلة من أهلها كما تعلق جراثيم الأمراض الخبيثة بالأجسام السليمة ، ويكون الحديث فى أمر هذا الباطل مشاركة غير مقصودة فى اذاعته والترويج له ! .

ولكن غلبنى على هذه النية المنعقدة ما أراه من انتشار عدوى هذا الداء ، واستشراء شره ، حتى لقد كاد يفسد أذواق الناس ، ويقطعهم عن الاتصال بالأدب العربى ، ويقيمهم على هذا الزاد الخبيث ، الذى يذهب بكل مقومات الانسان العربى المسلم .

لقد كاد يعلق هذا الذى يسميه أصحابه شعرا بأذهان كثير من ناشئة المثقفين ومن فى حكمهم ممن لم يكن لهم صلات وثيقة بالأدب العربى السليم ، فى الجاهلية أو الاسلام .. فهم اذن معذورون اذا انخدعوا لهــذا الزور من القول ، ووقعوا تحت سلطانه ، اذ لم يعرفوا غيره من وجوه الأدب العربى فخيل اليهم أن هذا الهذر الذى يقدم اليهم كل يوم فى أمكنة بارزة من الصحف والمجلات هو الشعر العربى فى صورته الأخيرة التى انتهى اليهـا على يد المجتهدين والمجددين من أرباب الشعر ، وأعلامه !

وتسأل : لماذا أخلى الشعر العربى الأصيل مكانه فى الدراسات الأدبية فى الجامعات ، والمعاهد ،وفى الكتب ، والمجلات والصحف ؟ وكيف لهذا المخلوق الهزيل من الشعر الجديد ــ كما تقول ــ أن يجلى الشعر العربى عن مكانه ، ويصبح هو وحده فى الميدان ، يصول ، ويجول ؟ أفليس هذا لأن الشعر العربى الذى تتحدث عنه ، قد جمدت الدماء فى عروقه ، بعد أن شاخ ، ودب الموات فى كيانه ، وأن هذا الشعر الجديد هو أقرب شىء الى متطلبات العصر ، وحاجات أهله من هذا الفن الجميل ؟

والداء انما يكمن فى مثل هــذه الأسئلة التى تكشف عن المعانى الخبيثة التى دسها الدخلاء من المستعمرين وأشباه المستعمرين فى عقولنا ، وفى وجداننا ، من أننا شعوب متخلفة بطبيعتها ، وأن ميراثنا من الدين واللغة انما هو نتاج هذا التخلف ثم انه بدوره هو الذى يغذى هذه الطبيعة المتخلفة، ويعمل على تأصيلها فى كياننا ، وأنه لا مخرج لنا ــ أفرادا وجماعات ــ من هــذا التخلف ، الا اذا خلعنا هذه الأثواب الرثة البالية من مخلفــات الدين واللغة ، ثم اصطنعنا لنا دينا ولغة من نسج الحياة التى تحياها الأمم والشعوب المتحضرة ! ثم انه على قدر ما يتخفف المرء من ميراث دينه ولغتــه يكون اتساع خطوه فى طريق المدنية ، ويكون مبلغ مكانته بين أهل المدنية والحضارة !

ولقد ذهبت هذه الايحاءات المضللة بالناس مذاهب شتى .. فتلقاها بعضهم قضايا مسلمة ، وأخذها دعوة الى البر والخير ، فانخلع عن قومه انخلاعـــا كاملا ، فى ظاهر أمره وباطنه جميعا ، وعمل جاهدا على أن يقطع كل ما بينه وبين مجتمعه العــــربى

والاسلامي من روابط وصلات ، وحرص الحرص كله على الا يبدو منه شيء ينم عن انه عربي او مسلم .. فاذا تحدث اليه أحد باللسان العربي ، زم شفتيه، يلوى بها لســــانه ، كما يفعل بعض المستشرقين والمستغربين ، وكأنه يورى بهذه اللكنة المصطنعة عن اتصال نسبه بأوربا وامريكا ، وأن ما بينه وبين العرب لايعدو ان يكون اقامة مؤقتة لظروف خاصة .

وقد كان هذا الفريق من الناس يكاد يغطي مجتمع المدن في مصر ، وفي معظم البلاد العربية ، الى وقت قريب .. فلما كانت الثورة ، وظهر وجـــه الأمة العربية ، وبرزت معالم العروبة ، ورد الى العربي اعتباره ـ أخذت هذه التصورات المريضة تطير من تلك الرءوس الفارغة التي عششت فيها زمنـــا ، وملكت عليها كل تفكير وتقدير ، ثم جعل كثير من اصحاب هذه الرطانات يهجرونها الى لغة الفلاحين واشباه الفلاحين ، مبالغة منهم في اظهار نسبهم العريق الضـــارب في أعمـــاق الريف عن الآباء والأجداد .. !

وتلك الظاهرة يعرفها كل من قرأ أو عاصر أحداث الحياة في مصر والشام بنوع خاص ، منذ مطلع القرن العشرين الى منتصفه تقريبا ، ثم ما حدث في أعقاب الثورة الى اليوم ، وما ينتظر فيما بعــد اليوم من تحول كثير من تلك الألسنة التي كاد لها اصحابها وعالجوها بالليّ والكي حتى اعوجت ورطنت، ثم ها هم أولاء قد اداروها على القبلة العربيــة الاسلامية ، وانتظموا في الركب العربي ، ليســلم لهم وجودهم فيه ، وليطمئن بهم المقام بين أهله !

وكثير من هؤلاء العائدين بأشكالهم ،والسنتهم، وانماط حياتهم الى اوطانهم وأهليهم ، قد عادوا في صدق وايمان ، فأخلصوا نياتهم ، وأسلموا للعروبة عقولهم وقلوبهم !

وقلة قليلة من هؤلاء العائدين قد غلبت عليهـم شـــقوتهم ، أو غلبتهم عادة المحاكاة والتقليد على الطبيعة والفطرة ، وتلبست بعقولهم ومشاعرهم تلك الصور المريضة التي غذوا بلبانها اطفالا .. وانهم لموزعون في وجوه الحياة في الوطن العربي ، في دواوين الحكومة ، وفي المرافق العامة ، واكثرهم العاطلون الذين لا يعملون شيئا يسد حاجة من حاجات الحياة لهم أو لغيرهم .

ولست ازعم ان أصحاب الشعر الجديد كلهـم من هذه الفئة الأخيرة ، اذ انى لم التفت كثيرا الى وجوه أصحاب هذا الشعر ، ولم يعلق بخاطرى ان أتمثل صورة لأى منهم ، الأمر الذى يتطلب دراسة، او الماما بالحياة التي يحياها ، وبالعمل الذى يتوفر عليه .. لم أعن بشيء من هـذا ، ومع ذلك فاني اسمح لنفسى بان اطمئن الى القول بان اكثر هؤلاء الشعراء من الفئة الأخيرة الموصوفة بالبطالة والتعطل ومعى على هذا أكثر من شاهد :

فأولا : هذا المحصول الوفير مما تلوكه السنتهم، وتسود به صفحات كثيرة في الصحف والمجلات ، والدواوين ـ هذا المحصول لا يمكن أن يشـــغل به انســـان جاد في الحياة ، لأنه أقرب الى العبث واللهو منه الى اى شيء آخر . وحسبك دليلا على هذا انك لا تجد شيئا من هذا « الشعر » جاريا على لسان انسان من المتصلين بهذا الشعر ، قائلين أو معجبين بالقائلين .. انه كلام لا مفهوم .. وليس اشد عسرا ، ولا أكثر تفلتا من كلام لا يكشف عن معنى ، ولا يبين عن قصد !

وثانيا : هذا الشــعر يكاد يكون كله مقطعات مترجمة ترجمة فاسدة عن الشعر الغربي ، ومن هنا جاء مخرجها على تلك الصور المشوهة التي التزم فيها اصحابهـــا حدود القوالب اللفظية في الصـــياغة الأجنبية ، دون أن يأخذوا المعاني التي تحملها ، ثم يخلطوها بمشاعرهم ووجداناتهم .. ولهذا فانك ترى في هذا « الشعر » المترجم من الصور والمعاني والأخيلة مالا تراه في بيئتنـــا العربيـــة الشرقية المسلمة .

فمن شعراء الجديد في مصر مثلا تسمع كلمـــات الموقد ، والنار ، والدفء في مقطوعة استوحاهـــا الشاعر « الملهم » من رحلة الى السد العالي .. ومن مقطعات هؤلاء الشعراء تسمع العواصف المزمجرة، والزلازل المدمرة ، والأمواج الثائرة ، والثلوج التي تدق في اصرار وعنف النوافذ والأبواب .. ذلك والشاعر يحدثك عن ليل من ليالي همومه في ليلة صيف قمراء !

وعلى ذكر الهموم ـ والشيء بالشيء يذكر ـ فان الظاهرة المتحكمة في هذا « الشعر » هي الشـــؤم الأسود ، الذى لا ترى فيه بارقة أمل ، أو بسمة رجاء ، بل هو هموم وأحزان ، ومواجع ، لا يصل

الى سمعك منها غير الأنين ، والآهات ، والزفرات ، ولا يطل عليك منها الا وجوه البوم والغربان تنعب بالخراب ، وتنعق بالبين المشتت لكل جماعة ،والمحوم فوق كل ساحة !

وقد تلتمس لهذا وجها او وجوها من العذر ، فتقول ان الشاعر بطبعه مرهف الحس ، يقظ المشاعر ، تقع فى نفسه الهنات من صور الألم والحزن ، والتى تمر بالانسان ـ غير الشاعر ـ فلا تثير منه مثارا ـ فتزلزل كيان الشاعر ، وتبيته على هم مقيم مقعد ! واقول : نعم ، ان هذا صحيح ، ولكن ليست الحياة هى هذا الوجه المظلم الكئيب ، ولكنها كما تلقى الناس بهذا الوجه تلقاهم فى كثير من الأحيان بوجه طلق ضاحك ! والشاعر الذى تتضخم فى مشاعره صور الآلام والأحزان ، تتضخم فى مشاعره كذلك صور المباهج والمسرات ، وكما يسمعنا أنينه متفجرا محترقا ، كذلك يسمعنا فرحته مزغردة مرنانة ! ثم انه اذا غلب على شاعر لبس السواد وطول البكاء والتوجع ، فانه يغلب على شاعر آخر المرح ، والانطلاق ، والبهجة ·· ومن هذا وذاك نرى الحياة بوجهيها معا فى هذا الفن الجميل الذى عرفه الناس باسم الشعر !

ولكن الأمر مختلف أشد الاختلاف مع شعراء الجديد ، والشعر الجديد ·· انهم فى مأتم متصل لا ينفض أبدا ، أحزان ، ومواجع ، ودموع ، تجرى بلا حساب ، وعلى غير شعور ·

والحق انه اذا كان لشعراء الغرب ان ينظروا الى الحياة هذه النظرة السوداء المتشائمة ، وان يغلب عليهم الهم واليأس ، فان لهم عذرهم فى هذا ، اذ كانت أوطانهم قد وقعت فريسة لحربين عالميتين فى فترتين متقاربتين ، لا يفصل بينهما الا ربع قرن تقريبا ، وقد شهد هؤلاء القوم الوانا من الفواجع والمآسى ، وصورا من التخريب والتدمير ، لايستطيع أن يتصورها ، ولا يعرف مدى آثارها ووقعها على الكيان الانسانى الا من رآها رأى العين ، ولفه ليلها الدامس الطويل ·· فهذه النزعة التشاؤمية التى تطوف بالمجتمعات الأوربية ، وتنطبع بها صور الحياة الفنية بصفة خاصة ـ هى أثر من آثار هذه الحروب المدمرة ، التى غيرت وجوه الحياة هناك ، وقلبت معالمها ، وأتت على مدن ودول بأسرها ·

واذن فهذا الأدب المتشائم الأسود الذى تعيش فيه أوربا هو شىء طبيعى ، يتجاوب مع مشاعر الناس وأحاسيسهم · ويمثل الواقع الذى يعيش فيه القوم هناك ، ذلك الواقع القلق المضطرب ، الذى يشرف بهم على مستقبل أشد قلقا وأكثر وضطرابا ·

ذلك فى الغرب ، وعند شعراء الغرب !

فما لشعراء الجديد عندنا وهذا البكاء والنحيب؟ وما لهم ولهذا التشنيج والنعيب ؟ ولم لا يفتح الله على أحد منهم بكلمة باسمة ، أو عبارة ضاحكة ؟

ما لهؤلاء الشعراء وهذا الاغراق فى التشاؤم واليأس ؟ مالهم وهذا السواد يدرجون منه اكفانا لكل بارقة من أمل أو رجاء ، تبزغ فى مجتمعنا المتطلع الى مستقبل مزهر سعيد ؟

ان واقعنا ، وموقع أوطاننا فى هذه المنطقة من الدنيا لأبعد شىء عن موارد التشاؤم واليأس ·· حيث جنب الله هذه المواطن غوائل الحروب المبيدة المبيرة ، فأبقى على أهلها الأمن والسلامة ، كما دفع الله عنها شر غضبات الطبيعة وثوراتها ، فلا زلازل ، ولا أعاصير ، ولا طوفانات ، ولا شىء من هذه الضربات التى تفجأ بها الطبيعة كثيرا من الأوطان ، وتحيل عمرانها خرابا ، وأنسها وحشة وظلاما ! ·

ثم ان شعراء الجديد هؤلاء يعيشون فى رحاب الشرق ، مطلع النور والهدى ، وموطن النبوات ، ومتنزل الرحمات والبركات ·· وكل هذا قد ملأ القلوب ايمانا ، وسكب فى النفوس السكينة والطمأنينة ، حتى اننا فى أشد الأزمات ، وأحرج المواقف ، وحين تنطمس معالم الطريق ، ويستحكم اليأس ، لا نعدم بسمة الأمل ، ولا نفقد شعاعة الايمان ، وسرعان ما تتسع فرجات هذا الأمل ، وتتداح شعاعات الايمان ، واذا الغمرة قد انجلت، وولت جحافلها منهزمة بين يدى هذا الأمل القوى المتدفق من ايماننا بالخير ، وثقتنا فى انتصاره على الشر ، وان ملأ وجوه الأرض !

والسؤال هنا : لماذا يلبس شعراء الجديد هذه المسوح السود · ثم ينتظمون فى مناحة يطوفون بها على الناس ، ويقفون بها عند كل معلم من معالم البهجة والمسرة فيحولونه مأتما ، لا تسمع فيه الا أنينا ونحيبا ، ولا ترى منه الا خدودا تلطم ، ووجوها تخدش ، وشعورا تشد وتقطع ؟

وليس هذا الا جواب واحد لا اختلاف عليه ، ولا امتراء فيه ٠٠ وهو أن هذا الشعر الجديد ليس من مواليد بيئتنا ، ولا من نبت أوطاننا ، وانما هو ــ كما قلت من قبل ــ مترجمات من الشعر الغربي ، لم يحسن ناقلوه تسوية وجهه على الصورة التي يمكن ان يقبل معها على أنه كلام له وجه يفهم عليه ، بل انهم نقلوا كلمات هذه المقطعات من الشعر الغربي الى كلمات عربية ٠ كما تنقل أرقام الحساب من الانجليزية الى العربية ، دون تغيير أو تبديل في ترتيب الكلمات ، أو الأرقام !

أرأيت اذن أنه كان لا بد لي من معاودة الحديث في هذا « الشعر » الذي هو اكبر أكذوبة ظهرت في مجتمعنا ٠ وكادت تكون بباطلها قوة تجلي الشعر العربي عن مكانه من حياتنا العقلية والنفسية والروحية !؟

اننا لا نخاف على موروثنا من الشعر العربي الذي خلد على الزمن ، وتخطى رقاب المحن ، فهذا الميراث العظيم الذي خلفه لنا الآباء والأجداد باق ولن يضيع ابدا ، وان لهونا عنه اليوم فسنلقاه غدا ، وان زهد فيه هذا الجيل فستحيا به وفيه الأجيال المقبلة ، لأنه شعر انساني ، يعيش في أجيال الانسانية كلها ، ويلتقي بالناس حيث يكون الناس !

نحن لا نخاف على شعرنا العربي الموروث من هذا الوباء المسمى شعرا جديدا ، وانما نخاف على شيئين :

أولهما : افساد الذوق الأدبي في ناشئة الجيل ، الذين لا يلقاهم من الشعر الا هذا المسخ من الكلام ٠٠ وهذا من شأنه ان يقطع شباب الجيل عن أصفى موارد الأدب العربي ، ويجعل بينهم وبين الشعر العربي سدا قد لا يمكن مجازه ان دعت الدواعي يوما الى دراسة هذا الشعر ، أو الاتصال به ٠

وثانيهما : اخفات صوت الشعراء المعاصرين ، الذين هم صوت هذا العصر ، وترجمان مشاهده واحداثه ٠٠ فكما لكل عصر شعراؤه الذين يضمهم التاريخ الى ديوان الشعر العربي ، فكذلك لعصرنا هذا شعراؤه الكثيرون ، وفيهم خير كثير لو أنهم وثقوا في أنفسهم ، واطمأنوا الى موقفهم من الحياة، ولم يزلزل أقدامهم هذا النفير المزعج الذي ترسله أبواق الشعر الجديد ، والذي تملأ به دعاياتها كل وجوه الاذاعة والاعلام ! فهناك ندوات صاخبة ينشد فيها هذا الشعر تحت أضواء المصابيح الملونة الخابية ، وهناك دراسات لهذا الشعر ، تحشد لها طوائف مختلفة من المثقفين ، وفي تلك الدراسات تثار قضايا أدبية ومذاهب فلسفية ، ومصطلحات فنية ، وهي كلها مستجلبة من الخارج ، حيث يبدو لشهود هذه الدراسات أنهم امام قضية من قضايا الساعة التي يتقرر بها مصير العالم ، على حين أنهم في الواقع امام جثة متحللة متعفنة ، لا يعمل فيها مشرط التشريح !

وهذه المظاهر الجوفاء وأشباهها قد خدعت كثيرا من شعرائنا المعاصرين عن أنفسهم ، وكاد بعضهم يتحول الى زمرة الشعر الجديد ، ليحتفي به وبشعره في أوساط هذا الشعر ، وليلقى من التنويه به وبشعره في المحافل والمجالس ، وفي الصحف والمجلات ما يلقى الشعر الجديد وأصحابه !

ان خوفنا على الشعراء المعاصرين من أن يجرفهم تيار الشعر الجديد ليس مرده هذا الرواج المصطنع الذي يلقاه الشعر الجديد ، والذي تعمل من ورائه قوى خفية لحاجات في نفسها ، فذلك ان يكن من شأنه أن يكون باب فتنة واغراء لبعض الشعراء ، الا أن فريقا غير قليل منهم تأبى عليه طبيعته أن يتحول هذا التحول الممسوخ ٠٠ وانما خوفنا على هؤلاء الشعراء آت من أنهم ليسوا على المستوى العالي الذي يعطي المثل الواضح للشعر العربي الذي يفضح هذا الشعر الجديد ويخزيه على أعين الناس ٠٠ ومن هنا تموت في نفس هؤلاء الشعراء دواعي الشعر ، وتنصرف رغبتهم عنه ، حيث فاتهم حظ الشهرة الذي يحظى به اليوم شعراء الجديد ٠

ولكن حين خلا ميدان الشعر العربي من فحول الشعراء امتلأت ساحته بالادعياء والعابثين واللاهين، وأصبحت سوق الشعر مباحة لكل واغل ، يدخل فيها بأية بضاعة ، وبأي لسان :

نبئت ان النار بعدك اوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس

وتشاوروا في أمر كل عظيمة
لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

« عبد الكريم الخطيب »

ليست هذه آخر كلمات العقاد

بقلم عباس أبو سويلم

الكتاب الذى نشرته سلسلة « اقرأ » وأعده وكتب مقدمته الاستاذ عامر العقاد تحت عنوان «آخر كلمات العقاد » كتاب هام لأنه يتضمن خلاصة آراء استاذنا العقاد فى الناس والاخلاق والمجتمع والحكومات .

وهذه الخلاصة المركزة التى سجلت فى صورة « **اوابد وشوارد وحكم مأثورات** » ميزتها الأولى لدى الباحثين انها تعينهم على معرفة آراء العقاد فى يسر دون حاجة الى تكبد عناء البحث عنها واستخلاصها من ثنايا مؤلفاته العديدة عن مختلف الموضوعات والشخصيات .

وتسجيل الآراء فى صورة اوابد وحكم مأثورات عمل معروف فى معظم الآداب العالمية . وهناك مفكرون دخلوا التاريخ الفكرى والادبى بكتابة الحكم وحدها ولعل اشهرهم فى هذا المجال الكاتبان الفرنسيان « لاروشـيفوكولد ١٦١٣ ـ ١٦٨٠ و «لابريير ١٦٤٥ ـ ١٦٩٦ » واهم ما يلتزم به كاتب الحكم هو وجوب تحقيق التوازن الدقيق بين الشكل والمضمون . على أن يكون الطابع العام للشكل هو الايجاز الشديد بحيث يمكن أن تقول الكلمات ما يقال فى صفحات بل فى مجلدات كذلك لابد أن يكون اختيار الالفاظ دقيقا للغاية بحيث تتناسب مع المعانى التى تعبر عنها فلا تهبط عن مستواها ولا تعلو عليه .

ونحن نوافق الاستاذ عامر فى تعريفه الآبدة الذى ساقه فى مقدمة الكتاب « الآبدة فى صيغتها كالبنية الحية التى تكمل بانتهائها فلا تقبل المد والاطالة كما لا تقبل البنية الحية زيادة عضو أو اطالة تركيب » .. ولكننا نضيف أن دقة الصياغة وحدها ليست كافية .. فاذا لم تعبر الآبدة فى مضمونها عن حكمة عميقة أو تكشف عن ملاحظة بارعة ذكية ـ اصبحت لغوا وعناء تحمله الكاتب دون ضرورة . والمراجعة الدقيقة الواعية المتأنية هى وحدها الكفيلة بتهذيب الأبدة والارتقاء بها الى مستواها الرفيع أى الى مصاف الحكم المأثورات . وقد كان الكاتبان الفرنسيان يراجعان الكلمات مرات ومرات ، بل كانا يعدلان فيها بعد كل طبعة تصدر فى الأسواق ولكن « آخر كلمات العقاد » نشرت بدون مراجعة ، فقد حالت الوفاة دون أن يتمكن استاذنا العقاد من اعادة النظر فيها .. ويقول الاستاذ عامر « ان هذه الكلمات كتبها العقاد فى مفكرات صغيرة فوجئت بها بعد وفاته وتدل كتابتها على انه كان يكتبها على فترات متباعدة فبعضها حكم وبعضها الآخر مشروع لكتابة مقال أو تاليف كتاب ويبدو انه كان سينشرها يوما الا أن العمر لم يسعفه ليتمها أو لينشرها » .. فالثابت اذن أن هذه الكلمات ـ طبقا لرواية الاستاذ عامر ـ لم تكن معدة للنشر ، وبالتالى لا يمكن القطع بأنها الصورة النهائية للكلمات التى كان سينشرها استاذنا العقاد .. وما دام الاستاذ عامر قد نشرها فهو المسئول امامنا عن نشرها بصورتها الحالية ..

ونحن نعلن آسفين أن الاستاذ عامر لم يقم حتى بمجرد مطالعة الكلمات مطالعة واعية قبل نشرها والا لادرك على الفور ما فى بعضها من تناقض ظاهر كان ينبغى عليه ان يزيله .. ولتفادى الوقوع فى خطأ واضح لا يحتاج اثباته الى عناء ..

واول خطأ كان ينبغى على الاستاذ عامر ان يتداركه وقد اختار للكتاب اسم « آخر كلمات العقاد » ان يرفع الكلمات المشهورة التى قالها العقاد من سنوات طوال ونشرت مرارا فى الكتب والمجلات ..!.. ومن ذلك كلمته فى صفحة ٦١ التى يقول فيها «انت لاتعرف انك فى امة احرار

حقا كارهين للاستعباد حقا الا اذا رأيت بينهم لعظماء المطربين شانا لايقل عن شان اندادهم ذوى المواهب والاعمار والاقدار» . فهذه الكلمة قيلت بنصها فى رثاء الفنان سيد درويش ، وفى مقال نشرته جريدة « **البلاغ** » من اربعين عاما .. وظلت تتردد من هذا الزمن البعيد على السنة المحتفلين بذكرى سيد درويش كل عام ..

وكلمة العقاد فى صفحة ٨٥ التى يقول فيها عن نابليون «كان هذا الرجل يسبح فى لجة من الدم والناس تنظر اليه فلا يعنيهم من امره الا ان يشاهدوا براعته فى السباحة » . هذه الكلمة قالها العقاد من سنوات وحفظها عنه عامة الادباء وخاصة القراء واذا لم تخنا الذاكرة فقد حوتها مقدمة كتابه عن **«هتلر فى الميزان»** .

فكيف غاب عن الاستاذ عامر ان بعض «آخر كلمات العقاد» سبق ان نشرها استاذنا العقاد من سنوات طوال ؟ ..

اليس من حق البعض ان يتشككوا فى قصة المفكرات التى بعدها الاستاذ عامر والتى يقول انه اكتشفها فجاة بعد وفاة العقاد .. اليس من حقهم ان يظنوا – وبعض الظن اثم – ان الاخ عامر قدعثر على صفحات قلائل لاتطبع كتابا لسلسلة «اقرأ» فاكملها بكلمات قديمات .. ولم يشأ الافصاح عن اقحامها حتى لايؤثر على جدة الكتاب ويفسد تأثير العنوان ..؟!

ليظن من يشاء مايشاء .. فنحن نميل الى تصديق رواية الاخ عامر دون استناد الى الصورة التى نشرها لبعض كلمات العقاد بالزنكوغراف !! فقد يكون استاذنا العقاد قد رأى لسبب لاندريه ان يدون فى مفكرة ماسبق ان نشره فى الكتب والمجلات .. ولكننا نسجل على الاستاذ عامر الخطأ فى التوقيت .. فليست كل الكلمات التى نشرها هى آخر كلمات العقاد .. وكان ينبغى عليه وقد تولى مسئولية نشر الكتاب ان يبذل جهدا فى مطالعة ما حواه من كلمات ..

هذا عن الخطأ فى التوقيت .. اما التناقض الذى وقع فى الكلمات .. فقد كان من الهين الميسور على الاستاذ عامر ان يزيله دون خشية من ان يكون فى هذه الازالة اى افتئات على أستاذية العقاد .. لانها ازالة كان استاذنا العقاد سيجريها حتما لانها ترفع تناقضا لايخفى على القارىء الجاد .. ومعظم قراء العقاد من الجادين ..

فالمفروض فى هذه الكلمات انها تعبر بل لابد ان تعبر فى مجموعها عن رأى واحد ثابت للعقاد بحيث لايجوز ان يكون له رايان مختلفان فى موضوع واحد .. ولكن اهمال الاستاذ عامر للمراجعة ادى الى نشر آراء متناقضة للعقاد ازاء موضوع واحد .. من ذلك رأى العقاد فى «الحاسد» فهو يسوق فى صفحة ٩٣ رايا ينفيه فى صفحة ٩٦ .. اذ يبدأ العقاد فيعرف الحاسد بقوله «قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك .. ويعود بعد صفحات ثلاث لينفى هذا التعريف نفيا قاطعا ويقول «ليس الحاسد هو الذى يطمع ان يساويك بأن يرقى اليك بل هو يريد ان تساويه بان تنزل اليه» .. وهذا هو التعريف الصحيح للحسد ، لان الحسد هو تمنى زوال نعمة المحسود .. لا الطموح الى ادراك هذه النعمة .. والا اعتبرت المنافسة بين الناس والرغبة فى الوصول الى مراتب الناجحين رذيلة مستنكرة وعملا غير مشروع ..

وفى القران العربى المبين « ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ماتبين لهم الحق » .

ومن ذلك التناقض ايضا رأى العقاد فى بذل النصيحة فقد نشر الأخ عامر رأيا للعقاد يرى فيه أن بذل النصيحة واجب نحو من يثق برأيك .. وفى صفحة اخرى رأى ثان يقرر فيه ان فاقد العقل وحده هو الذى يبذل النصيحة لأى انسان ! . فقد جاء فى صفحة ٣١ من الكتاب ، انصح من يثق برأيك ويثق بقصدك » وفى صفحة ٩٠ « الناصح قد يعقل فى كل شىء الا فى اسدائه النصيحة » !!

واذا كنا لانعفى الاستاذ عامر من خطأ نشر كلمات معروفة على اساس انها كلمات كانت معدة للنشر لاول مرة كما لانغفر له عدم مطالعة الكلمات مطالعة شاملة لازالة مايعتور بعضها من التناقض على النحو الذى وضحناه فانه بلا جدال غير مسئول عن باقى الكلمات ، اذ ليس من حقه بطبيعة الحال ان يضيف اليها او يعدل فيها او يحذف منها .. فهى كلمات العقاد .. ولكن استاذنا مات قبل ان يراجعها وقبل ان يكرر نشرها بصورتها الحالية ومن هنا اصبح من واجب الوفاء علينا ان نناقش هذه الكلمات مؤمنين ان هذه المناقشة لايمكن ان تكون طعنا فى الكلمات لان استاذنا لايمكن ان يكون مسئولا عن خواطر كان من المؤكد انه سيعيد النظر فيها اذا نشرها .

والى مقال قادم حيث نستعرض بعض كلمات استاذنا العقاد التى نعتقد انها كانت فى حاجة الى مراجعة من حيث الشكل والمضمون جميعا .

« **عباس الأسوانى** »

التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير

عمر ... واليسار

بقلم: فتحي عثمان

(٦)

الحق أنني مع الاستاذ أحمد عباس صالح ، استغرب موقف (اليسار) الذي وقفه منذ خلافة أبي بكر ، في حدود تصويره لهذا الموقف ...

فقد امتنع علي عن بيعة أبي بكر طيلة ستة شهور، ثم عاد وبايع على الرغم من تأييد غالبية المسلمين له ـ كما قال الكاتب ، ولا يمكن تبرير ذلك بتقدير اليسار للصالح العام ، نظرا لاحداث الردة ، فهذه الاحداث كانت قائمة حين استهل عهد ابى بكر وامتنع علي عن البيعة ، ثم هاهو ذا الوسط يتحالف مع اليمين مرة أخرى لاختيار عمر ، تأجيلا للصراع المتوقع بين اليسار واليمين « ولعل أبا بكر كان يرى في اليسار تطرفا لايحتمله التجار والكبار من الذين كان له هو شخصيا فضل دخولهم في الاسلام .. ص ٤٦ ع ٤٦ » فلماذا ترى يسكت اليسار على خيانة الثورة المرة بعد المرة على هذا النحو ؟؟ ان موقف (اليسار) غريب ، ولكن وجه الغرابة هو في تسميته بـ (اليسار) والاصرار على هذه التسمية ، واعتساف التاريخ لتبرير تلك التسمية !!

على أن الكاتب يقدم تعليلا لهذا الموقف الغريب فيقول : « واليسار دائما يفتقر الى المبادرة ، لانه غالبا يؤمن بالمثل العليا ، ويميل الى المهادنة خاصة اذا تعرضت الثورة للهزات ... ص ٤٦ ع ٤٦ » ... ولست أدري هل كل (يسار) يفتقر الى المبادرة ، أم أن (يسار) الاسلام فقط هو الذي كان يعاني هذا الافتقار ؟؟ فان كانت الاولى : فأين اذن ثورية اليسار ، وراديكالية اليسار ، وان كانت الثانية : فلماذا تعتسف التسمية اذا كان المسمى بعيدا عنها ؟؟

ثم اذا كان اليسار قد ارتضى (هدنة) في عهد أبي بكر بسبب أحداث الردة ، فما وجه استمراره في سياسة المهادنة عند خلافة عمر ، وهو صاحب الغالبية ، وهو يرى مكاسب الثورة في خطر عظيم « استرضاء للتجار والكبار » ، وتأجيلا (للصراع) المحتوم ؟؟ .

فاذا انتقلنا من استخلاف عمر الى سياسته في الحكم قرأنا للكاتب :

« لقد سار عمر بن الخطاب في السياسة التي سار عليها أبو بكر ، وهي السياسة التي اختطها هو الى حد كبير : اذ كان المستشار الاول لابي بكر في كل أمر من الامور،على الرغم من خلافات جزئية لاتتعارض مع الاتفاق التام في التفكير الذي كان يربط بين الرجلين .. فهذا الرجل القوي الذي يملك المبادرة دائما استطاع أن يصل الى درجة من الحيدة والنزاهة الى مدى بعيد ، ومع ذلك **لم يخل عمر من نقد على وصحابته** ، الا أنه كان نقدا لم يصل أبدا الى حد المخاصمة النهائية ، أو الى حد أن يقوم اليسار بثورة!

فهناك واقعة عامة لها دلالتها · **وهى ان سلمان الفارسى كان عاملا على الكوفة فى عهد عمر ، واراد ان يسير فى العراق سيرة تتفق واتجاهه الفكرى واليسارى فكون نقابات للصناع** ، فالذى حدث ـ والمصادر هنا غامضة ايضا ـ ان التجار والاغنياء حاولوا استمالته اليهم فلم يوفقوا ، ثم بدأوا يحاربونه حربا صريحة لايعقل أن تحدث الا اذا كان هو من جانبه قد اتخذ من الاجراءات الادارية ماهدد مصالحهم فعلا · **ويبدو انه لم يكن من السهل اسقاطه محليا ، وليس لهذا تفسير ، الا انه كان يتمتع بشعبية واسعة فى ولايته ، اذ انهم ذهبوا وفدا الى مقر الخلافة فى المدينة فقابلوا عمر بن الخطاب ورفعوا اليه شكواهم وسردوا عليه الاجراءات التى اتخذها والتى كان فيها اضرار بمصالحهم ، وعلى الفور عزل عمر سلمان** من الكوفة ولم يوله منصبا رسميا بعد ذلك · **ومن المؤكد ان هذا العزل اثار جدلا عنيفا بين حزب اليسار وعمر ، ولكن عمر لم يغير موقفه ، ولم يتخذ اليسار اى خطوة عنيفة ليلغى هذا العزل ، لانه ماكان يمكن ان يعتبر عزل عامل من العمال سببا فى قيام ثورة تهدد الدولة الحديثة مهما تكن دلالة هذا العزل · وعلى كل حال كان عمر من العبقرية والطموح فى نفس الوقت بحيث شغل المسلمين جميعا بالفتوحات فى كل الجبهات ، وهو من البراعة بحيث لم يقف موقفا عدائيا صريحا من اليسار** ، اذ كان لهم هناوهناك بعض الحظ فى القليل من المناصب ، وعمر نفسه هو الذى عين سلمان من قبل عاملا على الكوفة بعد فتح العراق · ومن الغريب اننا سنجد ولاية سلمان وعزله **قليلة الورود فى كتب المؤرخين** ، ولن تجدها الا فى متفرقات قليلة ، **وكان هذا التجاهل قد حدث عن عمد وتدبير** ! (ص ٤٦ ـ ٧ ع ٤٦) ·

والكاتب هنا يذكر واقعة يرتب عليها كثيرا من الاستنتاجات ، ثم يقول فى النهاية : « ومن الغريب اننا سنجد ولاية سلمان وعزله قليلة الورود فى كتب المؤرخين ، ولن تجدها الا فى متفرقات قليلة، وهو يحاول أن يعزز موقفه فى الاعتماد على واقعة قليلة الورود كل هذا الاعتماد فيقول : « وكان هذا التجاهل قد حدث عن عمد وتدبير ! »

وايا كان نصيب الواقعة من الثبوت ـ وهى قليلة الورود فى كتب المؤرخين كما يقول الكاتب ـ فقد اعقبها الاستاذ احمد عباس صالح باستنتاجين يتعلقان بموقف اليسار وموقف اليمين من الواقعة·

* **اما بالنسبة لموقف اليسار** : « فمن المؤكد ان هذا العزل اثار جدلا عنيفا بين حزب اليسار وعمر ولكن عمر لم يغير موقفه ولم يتخذ اليسار اى خطوة عنيفة ليلغى هذا العزل » ·

* **واما بالنسبة لموقف اليمين** : فان عمر « لم يغير موقفه ·· وعلى كل حال كان عمر من العبقرية والطموح فى نفس الوقت بحيث شغل المسلمين جميعا بالفتوحات فى كل الجبهات ، وهو من البراعة بحيث لم يقف موقفا عدائيا صريحا من اليسار » ·

وعمر الذى يصور الكاتب موقفه من اليسار على هذا النحو ، يقول عنه الدكتور طه حسين :

« لم يكن فقيرا بل كان صاحب تجارة ، ولم تمنعه الخلافة على ثقل اعبائها من ممارسة تجارته · فكان قادرا على أن يعيش عيشة السعة ، وعلى أن ييسر لاهله وبنيه حياة لينة ، ولكنه اخذ نفسه بالشدة الشديدة وباغلظ ما يكون من العيش فكان يأكل أكل الفقراء ، ويلبس لباس الفقراء ، ويسير فى أمر نفسه سيرة الفقراء ، وكان يراقب أهله وبنيه أشد المراقبة ·· وكان عمر شديدا على نفسه كل الشدة وشديدا على غيره كل الشدة ايضا فى مال المسلمين، فكان يحاسب نفسه أشد الحساب على ما يأخذ من مال المسلمين لنفقته ونفقة اهله · وكان يقول : انى انزلت نفسى من هذا المال بمنزلة ولى اليتيم ثم يقرأ قول الله (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) ··· وهو مع ذلك قد استشار أصحاب النبى فيما يحل له من هذا المال ، فقال له بعضهم : يحل له منه ما يصلحك ويصلح أهلك ، وقال لهعلى بن أبى طالب : يحل له منه الغداء والعشاء ، فقبل رأى على ، فكان يأخذ من بيت المال ما يمكنه من ان يأكل ويطعم اهله طعام أوساط الناس من قريش ، وكان يستحل من بيت المال كسوة نفسه حلة فى الشتاء وأخرى فى الصيف ، على أنه كان يشتد فى ذلك فلم يكن يترك ازارا ولا رداء الا حين يبلغ منه البلى غايته ، وكان كثيرا مايرقع رداءه أو ازاره · وكان عمر ـ كما قلت آنفا ـ يستطيع أن يوسع على نفسه من صلب ماله، ولكنه فيما يظهر كان يكره ان يظن الناس أنه انما يوسع على نفسه من مال المسلمين فيضيق على نفسه كما كان يشدد على نفسه ايضا ايثارا للزهد ، ومخافة ان يحيا حياة الين من حياة النبى وحياة أبى بكر ، وكان يقول : ان لى صاحبين سلكا طريقا

واخشى ان خالفت سيرتهما ان يخالف بي عن طريقهما، وحين طعن عمر « .. امر ابنه عبد الله أن يحسب دينه لبيت المال ، فحسبه فقال له : اذا أنا مت فادها من مال آل عمر ، فان لم يف بها فسل فيها بني عدي ، فان لم تجد عندهم ما يفي بها فسل في قريش ولا تعدها ، وامر عبد الله أن يضمن هذا المقدار فضمنه . واعتقد انا ان في هذا الدين كل ما أخذ عمر لنفسه من بيت المال لقوته وقوت أهله ولكسوته ولبعض تجارته واعتقد ذلك لأن أبا بكر امر في مرضه الذي مات فيه أن يؤدي من ماله الى بيت المال كل ما أخذ منه لقوته وكسوته ، واعتقد أن عمر حرص كل الحرص على أن يصنع صنيع أبي بكر ، وهو الذي كان يقول دائما ولاسيما بعد أن طعن : وددت لو أخرج منها كفافا لا علي ولا بي (١) .

ويصف الدكتور فيليب حتى عمر بأنه بسيط متقشف نشط موهوب « وقد ظل على الأقل مدة من الزمن بعد أن أصبح خليفة يعول نفسه من التجارة وعاش طوال حياته عيشة ليس فيها كبرياء ولا تظاهر كما يعيش اي شيخ بدوي ... وقد ذكرت لنا الروايات أنه كان يملك قميصا واحدا وعباءة واحدة فقط كان يمتاز كل منهما بما فيه من رقع وكان ينام على فراش من سعف النخل .. » (٢) .

وعمر بن الخطاب ممثل الوسط المتحالف مع اليمين، هو الذي تؤثر عنه لوامع الكلم والمواقف التالية

ـ « عن السائب بن يزيد أن عمر قال : والله الذي لا اله الا هو ـ قالها ثلاثا ، .مامن أحد الا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه ، وما أحد أحق به من أحد ، وما أنا فيه الا كأحدهم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرجل وبلاؤه في الاسلام ، والرجل وقدمه في الاسلام ، والرجل وغناؤه في الاسلام ، والرجل وحاجته . والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه »

ـ وعن سلمان : أن عمر قال له : أملك أنا أم خليفة ؟ فقال : ان انت جبيت من أرض المسلمين

---

(١) طه حسين : الشيخان ص ١٤٤و١٥٣ ـ ٤ و ٢٤٣ راجع فيما أشار اليه المؤلف من وقائع : الطبري جـ ٣ ص ٦١٦ ـ ٧ . جـ ٤ ص ١٦ (طبعة دار المعارف) .

(٢) حتى .. تاريخ العرب . ترجمة نافع جـ ١ ص ٢١٦ . وينقل عن ابن سعد الطبقات .

درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة . فاستعبر عمر .

ـ وقال عمر : لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين (٣) .

ولنناقش سياسة عمر مع ولاته ، ثم سياسة عمر في الفتح ... لنتبين هل تستقيم دعوى عزل الولاة من حزب اليسار ارضاء لليمين ، وهل تستقيم دعوى اشغال الجماهير بالفتوح أو المشكلات الخارجية لينصرفوا عن شئون الداخل وصراع اليسار واليمين!!

اما سياسة عمر مع ولاته :

فنحن نقرأ كثيرا من روايات التاريخ التي تؤكد كيف كان عمر يستشعر مسئوليته تجاه الرعية ، حتى انه ليخشى أن يسأله الله « لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات » !! وكان عمر ويعس بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويتفقد أحوالهم « وكان يسأل وفد أي مصر يقدم اليه عن واليهم ، ويرسل أحيانا من يحقق شكاوى الناس من الولاة ، ويلتقي بولاته ورعيتهم في موسم الحج فيناقش هؤلاء وأولئك . ثم هو مع هذا كله يقول : « لئن عشت ان شاء الله لأسيرن في الرعية حولا ، فاني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني ، أما عمالهم فلا يرفعونها الي ، وأما هم فلا يصلون الي ، فاسير الى الشام فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الجزيرة فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى مصر فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البحرين فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الكوفة فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البصرة فاقيم بها شهرين والله لنعم الحول هذا » !

وعمر بن الخطاب كان يؤكد لولاته مسئوليتهم امامه عن الرعية ، فهو يقول « اللهم اني لم أبعثهم ليأخذوا اموالهم ولا ليضربوا أبشارهم ، **من ظلمه أميره فلا امرة له دوني** » « اللهم اني أشهدك على أمراء الأمصار اني انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم وأن يقسموا فيهم فيئهم وأن يعدلوا **فان أشكل عليهم شيء رفعوه الي** » .

للبحث بقية

« فتحي عثمان »

---

(٣) الطبري : نبذ من سيرة عمر واقواله واخباره في اخبار ٢٣ هـ بعد ذكر مقتل عمر .

ابن السبكي

علم وإصلاح

بقلم: محمود محمد الطناحي

عرف تاريخ الثقافة العربية كثيرا من البيوتات العلمية التى استفاض العلم فيها ، وكان ارثا طيبا يؤول الى الأبناء فيما يؤول اليهم من عقار وحطام، فكان علم الابناء امتدادا ناضجا لعلم الآباء . وقد صان هؤلاء الأبناء ذلك الموروث العلمى العظيم ، وعملوا على اثرائه واخصابه . وبحسبنا فى هذا المقام ان نذكر الامام أبا حاتم الرازى ، محمد بن ادريس بن المنذر ، المتوفى سنة ٢٧٧ هـ . وابنه عبد الرحمن بن ابى حاتم ، المتوفى سنة ٣٢٧ ، من ائمة علم الجرح والتعديل . والامام ضياء الدين خطيب الري ، عمر بن الحسين بن الحسن ، وابنه الفخر الرازى ، محمد بن عمر ، المتوفى سنة ٦٠٦هـ من فرسان علم الكلام .

على انه لم يستعلن تأثير والد فى ولده كما استعلن فى تاريخ الامام العلامة تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى ، المولود فى سنة ٦٨٣ هـ والمتوفى فى سنة ٧٥٦ هـ . وولده العلامة تاج الدين ابى نصر عبد الوهاب بن على ، المولود فى سنة ٧٢٧ هـ ، والمتوفى فى سنة ٧٧١ هـ .

وقد أجمع المؤرخون على فضل الوالد وسعة علمه ، فيقول عنه الذهبى ـ فيما ينقل عنه السبكى :

« القاضى الامام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء . كان صادقا ثبتا خيرا دينا . من أوعية العلم ، يدرى الفقه ويقرره ، وعلم الحديث ويحرره، والاصول ويقربها ، والعربية ويحققها » . ويكفى دليلا على علم هذا الرجل انه كان الوحيد من بين علماء عصره الذى تصدى لابن تيمية ـ على عنفه وشدته ـ ورد عليه فى « مسألتى الطلاق » ، « وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام » ، وهما المسألتان اللتان زعزع بهما ابن تيمية كيان العلماء فى عصره. فرد عليه الامام السبكى فى مسألة الطلاق برسالتين: رافع الشقاق فى مسألة الطلاق . والتحقيق فى مسألة التعليق . ورد عليه فى الزيارة برسالة :شفاء السقام فى زيارة خير الأنام . او شن الغارة على من انكر السفر للزيارة . ويقول فيه ابن تيمية : «لقد برز هذا على اقرانه » . وقد نبغ صاحبنا تاج الدين فى منتصف القرن الثامن الهجرى ـ عصر الموسوعات العلمية ، هذا العصر الذى كان بمثابة الصحوة الفارهة بعد النكسة التى اصابت العالم الاسلامى، والتى كادت تأتى على تراثه الضخم العريض ، ابان الغزو التترى الكاسح .

وقد **ولد تاج الدين** بالقاهرة ، وتنسب الى قرية سبك من اعمال المنوفية . ولم ينصرف الفتى فى صباه الى اللهو واللعب ، كما يفعل لداته واترابه، فقد هدهد سمعه فى سن تفتحه وفود العلماء ، تفد الى بيت أبيه ، تنشد العلم وتطلب الفتيا . فاقبل على الوان المعرفة يحصلها على مهل واتئاد، حتى اكتملت له ادوات العالم المجتهد . وكان مجلى هذه الثقافة الواسعة العريضة فى نهاية الشوط موسوعة علمية ضخمة ،لمت اطراف الثقافة العربية، وجلتها على نحو معجب خلاب ، على امتداد سبعة قرون فى كتابه الخالد «**طبقات الشافعية الكبرى**».

لقد انفسح هذا الكتاب العظيم من خلال ترجمته لرجال المذهب الشافعى ـ لكثير من المباحث الفقهية والفتاوى الشرعية ، والمقالات ، والمناظرات ، والنوادر والملح ، كما حفل بالضوابط اللغوية ومسائل علم الكلام والأصول . كما كان مصدرا ادبيا لكثير من الكتب التى عالجت شئون الحب .

وكان ايضا مرجعا أصيلا فى جمع أشعار الشعراء. على ان اهميته الكبرى بعد كل ذلك ترجع الى انه حفظ لنا كثيرا من النصوص التى ضاعت اصولها. كتاريخ نيسابور ، للحاكم النيسابورى محمد بن عبد الله ، المعروف بابن البيع ، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ وتاريخ مصر لابن يونس ، عبد الرحمن بن احمد المتوفى سنة ٣٤٧ هـ ، وغير هذين الكتابين كثير من هذه الأمهات التى عبث بها الزمان .

وقد عالج ابن السبكي في كتابه هذا ذلك المنهج العلمي ، الذي عرف فيما بعد ، ونسب الى ابن خلدون ، ذلك المنهج القائم على تمحيص الاخبار ، والتنبه لما تفعله المعاصره والعصبية في المذهب .

استمع اليه يقول في ترجمة أحمد بن صالح المصري ، في الطبقة الثانية : « ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد ، واختلافها بالنسبة الى الجارح والمجروح ، فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة ، فجرحه لذلك » . ولم تقف للمقالة للامام الذهبي حائلا دون نقده من النقد لمخالفته هذا المنهج القائم على الحيدة والتجرد ، فيقول عنه : « وهو شيخنا ومعلمنا ، غير أن الحق أحق أن يتبع ، وقد وصل من التعصب المفرط الى حد يسخر منه » .

ولكن هذه الحياة العلمية المخلصة لم تشغل صاحبنا عن أن يلمس مظاهر الضعف والعسف التي استفحلت في الحكم المملوكي الجائر . فظهرت دعواته الاصلاحية النقدية في كتابه القيم : « معيد النعم ومبيد النقم » . لقد كان هذا الكتاب ثورة عاتية على نظم الحكم ، واخلاق الناس فقد أتيح لابن السبكي من خلال مشاركته في الحياة العامة مدرسا وخطيبا وقاضيا - أن يرى ويحس مدى التمزق الذي شمل الأمة نتيجة للحكم المملوكي البغيض ، الذي نبتت فيه فكرة « تركي وفلاح » . والذي استأثر فيه المماليك بالمناصب الكبرى ، وتركوا أصحاب الارض الحقيقيين يشربون العرق ويقتاتون السهد . وقد وضع ابن السبكي كتابه هذا ردا على سؤال ورد عليه ، أو وضعه هو بين يدي كتابه ، موضوعه : « هل من طريق لمن سلب نعمة دينية أو دنيوية اذا سلكها عادت اليه ، وردت عليه » واجابة عن هذا السؤال راح ابن السبكي ينقد بقوة وصراحة طوائف الأمة ، ابتداء من السلطان الى أرباب الحرف ، آخذا في طريقه نواب السلطان والقضاة والمدرسين ورجال الدين من العلماء والصوفية .

استمع اليه يلخص رأيه في الاتراك عموما ، فيقول : « وقد اعتبرت كثيرا من الاتراك يميلون الى أول شاك ، وماذاك الا للغفلة المستولية على قلوبهم » لم يسخر من هؤلاء الاتراك وتعلقهم من الاسلام بالمظاهر الفارغة ، فيقول : « واما انك ترتكب مانهى الله عنه وتترك ما امر به ، ثم تريد أن تعمر الجوامع بأموال الرعايا ، ليقال : هذا جامع فلان ، فلا والله لن يتقبله الله تعالى ابدا » . ثم يتكلم عن السلطان ويحدد اختصاصاته فيقول : « ان الله لم يوله على المسلمين ليكون رئيسا آكلا شاربا مستريحا ، بل لينصر الدين ويعلي الكلمة » . وحين يتحدث عن العلماء والمفتين يأخذ على بعض هؤلاء واولئك تعصبهم لمذاهبهم ، واضاعتهم الوقت في الخلافيات ، فيقول مخاطبا العلماء : « لو أن الشافعي وابا حنيفة ومالكا واحمد أحياء يرزقون لشددوا النكير عليكم وتبرأوا منكم فيما تفعلون » ثم يأتي الى المفتين فيقول : « ومنهم طائفة تصلبت في أمر دينها ، فجزاها الله خيرا ، تنكر المنكر وتتشدد فيه ، وتأخذ بالأغلظ ، وتتوقى مظان التهم ، غير أنها تبالغ فلا تذكر لضعفة الايمان من الأمراء والعوام الا أغلظ المذاهب ، فيؤدي ذلك الى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم . فمن حق هذه الطائفة الملاطفة وتسهيل مافي تسهيله فائدة لمثل هؤلاء الى الخير ، اذا كان الشرع قد جعل لتسهيله طريقا ، كما أن من حقها التشديد فيما ترى أن في تسهيله ما يؤدي الى ارتكاب شيء من حرمات الله » .

ويرسم ابن السبكي المعلم للمدرس منهجا تربويا راشدا حين يقول : « وحق عليه أن يحسن القاء الدرس وتفهيمه للحاضرين ، ثم ان كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم مالا يناسبهم من المشكلات ، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون ، الى ان ينتهوا الى درجة التحقيق وان كانوا منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات ، بل يدخل بهم في المشكلات » . وتتجلى دعوة صاحبنا الاصلاحية في أبهى صورها حين يأسى للفلاح الذي يستهلك في السخرة والاقطاع . فحين يتكلم عن منصب ناظر الجيش وتحديد اختصاصاته يقول : « ومن قبائح ديوان الجيش الزامهم الفلاحين في الاقطاعات بالفلاحة . **والفلاح حر ، لا يد لآدمي عليه ، وهو امير نفسه** » .

وبعد ... الا تعتقد معي أيها القارىء الكريم أن هذا الرجل انما يتكلم بلغة عصرنا ، كمصلح اجتماعي ، وكعالم نفساني ، بصير بالنفس الانسانية ، عالم بضعفها .

وكان طبيعيا بعد هذا النقد المر الجارح لنظام الحكم واخلاق الناس أن تتعرض حياة الرجل ومصير

أسرته للزوابع والاعاصير . فيعزل عن منصب القضاء ، لأسباب واهية ذكرها الحافظ ابن حجر فى « الدرر الكامنة » وتجرى له محاكمة . يحكم عليه فيها بالحبس سنة . ولكن هل ضعف ابن السبكى ، او تخاذل ؟ استمع الى معاصره الحافظ ابن كثير يقول : « جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله . وحصل له من المناصب والرياسة ما لم يحصل لاحد قبله ، وابان فى أيام محنته عن شجاعة وقوة على المناظرة ، حتى افحم خصومه ، ثم لما عاد عفا عنهم . وصفح عمن قام عليه » .

وبعد هذه الحياة الخصبة الزاخرة بالعلم والاصلاح انطفأت هذه الشعلة التى توهجت عبر اربع واربعين سنة . وحق لابن السبكى ان يقول فى زهو ورضا ، فى ورقة كتبها الى نائب الشام : « وانا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق ، لا يقدر احد يرد على هذه الكلمة » .

توفى تاج الدين شهيدا بالطاعون (بالدهشة) ظاهر دمشق ، فى ذى الحجة . خطب يوم الجمعة ، وطعن ليلة السبت رابعه ، ومات ليلة الثلاثاء سابعه سنة ٧٧١ هـ ودفن بتربة السبكية بسفح قاسيون ، عن اربع واربعين سنة ، بعد ان جلا صفحة مشرقة فى تاريخ علماء المسلمين .

« محمود محمد الطناحى »

من ملحمة عمر

سر المقوقس

مسرحية بقلم: علي أحمد باكثير

المشهد الاول

في المسجد النبوي الشريف بالمدينة
عمر في جماعة الصحابة بينهم أهل الشورى
وهم ينصتون الى حديث عبد الله بن حذافة الذي
قدم من ارض الروم

ابن حذافة : وهكذا يا أمير المؤمنين اطلق هرقل سراحي وسراح اصحابي لنكون رسل خير وسلام اليك ..

عثمان : فقد وجب عليك يا أمير المؤمنين ان تجيبه الى ما طلب ..

عمر : ليت شعري ايريد هرقل السلام حقا ؟

ابن حذافة : ذلك الظن به يا أمير المؤمنين فقد كانت حملة الشام وبالا عليهم . وما اخاله كان يطلق سراحنا ونحن ثمانون اسيرا بغير فداء ولا مبادلة لو لم يكن يريد السلام حقا وصدقا ..

عثمان : فاكتب الى عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين ليعدل عن غزو مصر

الزبير : كلا لا تفعل يا أمير المؤمنين حتى تتأكد من صدق قيصر

عثمان : مر عمرا فلينتظر حتى يتبين لك صدق قيصر أو كذبه فليس ما يحمله على التسرع والتهور .

الزبير : أننتظر حتى يغزونا هرقل بسفنه من بحر القلزم ؟

عثمان : لو كان يريد ذلك حقا ما أطلق هؤلاء الأسرى تودداً الى أمير المؤمنين .

الزبير : ما يدريك لعله ما أطلقهم الا خديعة لأمير المؤمنين ..

طلحة : اجل يا أمير المؤمنين قد خدعك مرة من قبل فلا يخدعنك مرة أخرى .

عمر : ماذا ترى يا أبا الحسن ؟

علي : قال الله تبارك وتعالى لرسوله .. وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم .. وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله .

عمر : اصبت يا ابن أبي طالب .. والله لا أرد يدها مدها قيصر الى بسلم أبدا .. وان خان عهده مرة بعد مرة .. خبرني يا عبد الله بن حذافة هل لقيت ابن عمك عمرو بن العاص في طريقك ؟

ابن حذافة : نعم يا أمير المؤمنين .. لقيته بقيسارية ووجدته يحشد الجيش ويتأهب للمسير الى مصر ..

عمر : فهلا أخبرته ان قيصر يرغب في السلم وانه أطلق سراحكم من أجل ذلك ؟

ابن حذافة : قد فعلت يا أمير المؤمنين وقلت له لعل أمير المؤمنين يبدو له اذا ما بلغته رسالة قيصر فيكتب اليك بخلاف ما كتب من قبل ..

عمر : فماذا قال ؟

ابن حذافة : قال لأمضين كما امرني أمير المؤمنين حتى يجيئني منه كتاب آخر .

عثمان : فاكتب اليه يا أمير المؤمنين على الفور ..

عمر : اخشى الا يدركه كتابي الا وقد دخل في أرض مصر .. اني أعرف حرص عمرو على غزوها ..

عثمان : اكتب اليه ان يرتد عنها ولو كان قد دخل .

الزبير : كلا يا عثمان ان كان قد دخل في أرضها فليتوكل على الله . والا ظن الروم بنا الضعف فجرأهم ذلك علينا ..

علي : هذا هو الرأي يا أمير المؤمنين ..

عمر : فاكتب اليه يا علي بذلك وليمض به رسول جلد ..

علي : (يقوم من مكانه) سأفعل يا أمير المؤمنين ..

عثمان : على الفور يا أمير المؤمنين ..

عمر : أجل على الفور .. دونك خاتمي فخذه (يتناول عليا خاتمه فيخرج علي)

ابن حذافة : هذا حسان بن ثابت يا أمير المؤمنين ..
(يدخل حسان بن ثابت وهو أعمى يقوده صبي)

عمر : مرحبا بحسان .. هلم يا شاعر رسول الله اجلس قريبا مني .. اتدري لماذا بعثنا اليك من حائطك ؟

حسان : (يجلس بقرب عمر) يا أمير المؤمنين اني أشم من مجلسك هذا أنفاس الأحبة من آل جفنة ..

عمر : رحم الله يعقوب اذ وجد ريح يوسف .. هذا عبد الله ابن حذافة السهمي قد جاء بمعونة لك وهدية من جبلة ابن الأيهم .

ابن حذافة : (يدنو من حسان) خمسمائة دينار وكسوة خذها يا أبا عبد الرحمن (يضع الكيس والهدية بين يدي حسان)

حسان : (يتحسس الكيس والهدية) قد علمت انه لن ينساني هل لقيته يا أبا حذافة ؟

ابن حذافة : نعم .

حسان : فكيف وجدته ؟

ابن حذافة : وجدته قد تمجل قائية اشتراها بباقية .. ووجدته مع ذلك نادما على ما كان منه ويتمنى لو عاد الى الاسلام .

حسان : فما الذي يمنعه ؟

عمر : الشقوة التى غلبت عليه ..

حسان : (يبكى) وأسفاه على ابن الأيهم .

عمر : خفض عليك يا ابن الفريعة لقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : انك لا تهدي من أحببت .

ابن حذافة : يا أبا عبد الرحمن .. انما رضيت أن أحمل هذه الأمانة اليك لأراك تضحك لا لأراك تبكي .. هون عليك فانه يقيم في قصر أفخم وأجمل من القصر الذى يقيم فيه قيصر نفسه .

حسان : أحقا يا ابن حذافة ؟ حدثني ..

عمر : لو بكرت قليلا يا حسان لسمعته وهو يقص علينا عن جبلة وعن قيصر وعن أرض الروم ..

ابن حذافة : الا تحب يا أمير المؤمنين ان أكمل لكم حديثي عن أرض الروم ؟

عمر : وعندك ما تقصه بعد ؟ لقد حدثتنا منذ متع الضحى وها نحن أولاء قد قاربنا أذان الظهر .. فهلا كنت أوجزت ؟

ابن حذافة : لقد والله أوجزت يا أمير المؤمنين ..

عمر : أوجزت .. فكيف لو أسهبت .. ويلك ؟

ابن حذافة : لو أسهبت يا أمير المؤمنين لكبر الصغار .. قبل أن أفرغ من حديثي واكتهل الشبان ومات الشيوخ ..

(يضحك الحاضرون)

عمر : قاتلك الله .. ماتخليت عن دعابتك ..

ابن حذافة : وهل يتخلى أحد عن خير مافيه ؟

عمر : كلا ليس ذلك خير ما فيك يا أبا حذافة ..

ابن حذافة : بل يا أمير المؤمنين لولا هذه التي تنكرها علي لما أطقت الصبر على سجن ملك الروم وألوان عذابه ..

عمر : لكنها هي التي جعلتك تقول لرجال سريتك ذات يوم وقد أوقدوا نارا :

ادخلوا هذه النار .. أوقد نسيت ذلك يا ابن حذافة ؟

ابن حذافة : لا يا أمير المؤمنين ما نسيت .. لقد أردت يومئذ أن أختبر طاعتهم لي .

عمر : ويلك فلقد همرا أن يطيعوك اذ كنت أميرهم ..

ابن حذافة : لو فعلوا لظلوا فيها الى يوم القيامة .. انما الطاعة في المعروف .. هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أمرنا فلامهم هو ولم يلمني .

عمر : ويحك لقد حبست الناس عن أشغالهم وحبستني عن شغلي (ينهض) أيها المسلمون ان عبد الله بن حذافة كما سمعتم قد قبـــل رأس قيصر من أجل اخوانه من أسرى المسلمين في أرض الروم . فحق على كل مسلم أن يقبل رأسه وأنا أبدأ .

(يدنو من ابن حذافة فيقبل رأسه) .

« ينهض الحاضرون ويلتفون حول ابن حذافة ليقبلوا رأسه »

ابن حذافة : (يصيح) يا أمير المؤمنين أغثني !

عمر : ماخطبك ؟

ابن حذافة : هؤلاء ان تتابعوا على رأسي بشفاههم لا يدعونه حتى يحيلوه مثل رأسك !

عمر : (يضحك فيضحك الجميع) قاتلك الله يا ابن حذافة .. أيها المسلمون كفوا الان عن رأسه .. وليمض كل امرىء الى شغله .

(يخرج عمر وينفض الحاضرون)

حسان : (يستوقف ابن حذافة) على رسلك يا أبا حذافة .. هل خرج أمير المؤمنين ؟

ابن حذافة : نعم ..

حسان : اسمع رعاك الله ..

ان ابن جفنة من بقيـــة معشر
لم يغـــذهم آباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام اذ هو ربها
كلا ولا متنصرا بالـروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده
الا كبعض عطيـــة المذموم

ابن حذافة : (ممازحا) ان كنت تريد أن تكلفني بحمل هـذه الأبيات اليه فاني غير عائد الى القسطنطينية ..

حسان : كلا يا أبا حذافة . وانما هي أبيات هجمت علي فأحببت أن أسمعها لك . ان جبلة لخليق وما كان ليخل بي أقلم يقل لك شيئا حين سلمك الهدية ؟

ابن حذافة : بلى قال لي : ان وجدته حيا فادفعها اليه وان وجدته ميتا فاطرح الثيـــاب على قبره وابتع بهـــذه الدنانير بدنا فانحرها على قبره ..

حسان : ليتك وجدتني ميتا ففعلت ذلك ..

ابن حذافة : ويحك يا ابن الفريعة أتريد أن ترهقني نصبا ؟ أتراني فارغا فاشتري البدن ثم أنحرها على قبرك ؟

حسان : يا عبد الله ما كان ذلك ليتعبك ..

ابن حذافة : يا شاعر رسول الله اما والله لو سمعها ابن الخطاب لأوجعك بالدرة ..

حسان : انما قلتها لك خاصة يا أبا حذافة فاكتمها علي ..

ابن حذافة : أفكان يخفى على أمير المؤمنين لو اني نحرت البدن على قبرك ؟ يا ناكر الجميل أتريد أن تقع درة عمر على ظهري أنا من دونك ؟

حسان : الحمد لله اذ وجدتني حيا فكفيت ذلك ..

ابن حذافة : أجل الحمد لله ..

« **علي احمد باكثير** »

عروس .. وأطلال

للشاعرة : جليلة رضا

رفرف الليل علينا فى سكون كالملاك
دع يدينا يا قرينى فى انضمام واشتباك
فاذا شاهدت فى عينى شرودا وارتباك
فاغتفر لى سر حزنى ، من ترى يحنو سواك ؟
اننى فى حضنك الغالى ولكنى .... هناك

انه طفلى ينادينى بعيدا ... وبعيدا
« آه ماما .. آه ماما ، اننى اغفو وحيدا .. »
انه طفلى ينادى وانا اصغى شريده
« كيف ترضين فراقى ؟ كيف تحيين سعيده ؟
اننى اشعر جوعا وعراء وبروده

وارى فى حجرتى السوداء اشباحا مديده
وابى فى الحجرة الأخرى مع الزوج الجديدة .. ! »
انه طفلى ينادينى بعيدا ... وبعيدا
« آه ماما .. آه ماما . اننى اغفو وحيدا .. »
اننى اخطات فى حقك يا نور حياتى

كنت اطوى تحت ثوب العرس اطلال رفاتى
فاغتفر لى الآن وسط الليل عبء الذكريات
انما المأساة رغم الحب اقوى من ثباتى
ها انا فى حضنك الغالى ولكن ... اين ذاتى ؟
انها طفلى ينادينى بعيدا ... وبعيدا
« آه ماما آه ماما .. اننى اغفو وحيدا ... »

نجمة العشاق

للشاعر: فتحي سعيد

حدثيها يا نجمة العشاق ... عن ليالي البعاد والاشواق
تساقي ندى الحنين .. ونحكي ... عن هوانا .. فالعاشقون رفاقي.!
حدثيها عن رحلتي ·· وحنيني ... واغترابي .. وقلبي الخفاق
وسنى طلعة الحبيب وروح ... من نقاء .. وجدول رقراق
وجبين من الاشعة اسنى ... ان تمادى الشعاع في الاشراق !.
الهمتني الطريق بعد طواف ... واستفاقت بنورها اعماقي
وسقتني من الرحيق واحيت ... صحرائي ·· قدم لنا يا ساقي ··
ان يكن طائر الصباح تغنى ... بهوانا على ذرا الآفاق
فالاناشيد صغتها بشبابي ... وصلاتي .. ورعشتي وعناقي
بجراحي .. وقد ترامت جراحي ... باشتياقي .. ولامدى لاشتياقي.!
بالاماني الى انيس وهش ... بالمسرات ملهم الاذواق
فانتجى البدء قصة وسطورا ... تتناغى بصفحة الاوراق ..
واملئي روضة الغريب زهورا ... واسكبي العطر في ظلام رواقي
وارفعيني الى السماء لأدنو ... من سماوات نوره الدفاق .!
لم يكن ذلك الطريق طريقي ... فطواني .. وعدت احمل ساقي .!
فاتركيه على الشواطىء يسعى ... بشراع الى المنى مشتاق
بنضال من العواصف امضى ... ومزيد من الصراع يلاقي
يتلظى وكله صبوات ... لحياة رحيبة الاعماق ..
مل سجن التراب يااخت روحي ... وعذابات روحه العملاق
هكذا العمر .. والحياة سباق ... موجع الشوك .. رائع الارهاق .!
بالليالي الحبيب .. والعمر فيها ... قطرات من خمرة الترياق
كل درب وعى حكاية شوق ... جمعتنا على بساط التلاقي
فاحمليني على جناح الليالي ... لحبيبي .. يانجمة العشاق ..

ماذا يريدون ؟!

بقلم: محمد جلال كشك

أمسكت بالمجلة أقرؤها .. وأعيد القراءة ، وأقلبها .. أفتش عن تاريخها وأراجع نفسي ، وأسأل الناس من حولي .. أحقا كتب هذا في القاهرة وبعد ١٧ عاما من النكبة ؟!

لم يكن ثمة سبيل الى انكار التاريخ والمجلة .. فلا بد أن الفكر هو المستتكر زمانا ومكانا .. اذ ليس من المعقول أن تؤنب مجلة عربية ، الجيش المصرى على دخوله حرب فلسطين فى ١٩٤٨ . « والميثاق » يصف هذا الدخول بانه كان « للمحافظة على الحق العربى فيها » .

تقول مجلة « **آخر ساعة** » : « وتحت ظل هذا الوهم ترك الجيش المصرى الانجليز وراء ظهره فى السويس ، وذهب يقاتل دولة اقامها الانجليز والامريكان على أرض فلسطين ! » .

ومعنى الكلام .. ان الجيش المصرى كان عليه الا يدخل فلسطين ولا يذهب لمقاتلة « عصابات اليهود » بل ان مجرد اعتبار هذه العصابات عدوا .. كان خيانة !

كان على الجيوش العربية الا تحاول منع قيام دولة اسرائيل وانقاذ العرب من المذبحة الصهيونية وحماية فلسطين العربيه .. لأن الاجدى هو محاربة الانجليز فى السويس !

يعنى اننا عدنا للكلام القديم الذى روجته منظمات بعنيها ، اعلنت حل نفسها .. يوم قالت ان حرب فلسطين « دبرها الاستعمار وارادتها الرجعية » فهى حرب رجعية أرادوا بها الوقيعة بين العرب واليهود وصرف كفاح الشعبين !

كنا نظن ان هذا المنطق قد قبر الى الأبد .. بعد ما ثبت أن جريمة الرجعية العربية ، ليست فى انها دخلت حرب فلسطين .. بل فى انها لم تحارب .. ومؤامرة الاستعمار ليست فى انه دفعنا لمحاربة اليهود .. بل فى أنه شل يدنا عن النصر عليهم .. وتآمر علينا قبل اسرائيل ، وخلال الحرب ضدها ، وبعد فرض الهدنة علينا .

وصحيح انه لو لم يكن هناك استعمار فى البلاد العربية لانتصرنا على اسرائيل .. بل لما قامت أصلا .. ولكنه فرض لا يفضى الى شىء ..

والحقيقة ان الصهيونية سخرت الاستعمار بالاستيلاء على فلسطين ، والاستعمار أقام اسرائيل وحمى وجودها ، وما زال يحميه ، لأن ذلك الوجود يحقق مصالحه الاستعمارية ، ويخدم عداوته الأبدية للعرب .

تقول « آخر ساعة » : « ووجه الحق ان اليهود لم يستخدموا الاستعمار لاقامة دولة اسرائيل (!!) وانما الاستعمار هو الذى استخدم اليهود لاقامتها ، واقامها بالفعل لحسابه الخاص .. ونحن لا نخدع فى الواقع ، الا أنفسنا عندما نبالغ فى تصوير ما يسمى بالضغط اليهودى على الدول الاستعمارية ، فالحركة الصهيونية كلها أجيرة لدى هذه الدول وعندما يذهب قادة اسرائيل اليوم الى وشنجطن أو لندن فهم انما يذهبون لتلقى التعليمات لا أكثر . واذا كانت لهم مطالب ففى حدود ما يطلبه الأجير من سيده لكى يجيد خدمته .. الاستعمار اذن ، لا اليهود ، هو الأصل فى كارثة فلسطين » .

وقبل أن نرثى لليهود المساكين ضحايا الاستعمار اليهود السذج .. المغرر بهم .. قبل أن نذرف الدمع .. دعونا نسمع ماذا يقول الأستاذ أحمد بهاء الدين فى كتابه اسرائيليات :

« **ان مهارة الحركة الصهيونية ولا شك ، هى انها استطاعت من خلال هذه اليهودية العالمية ان تضغط وترجو وترشو وتلح ، وتنذر وتساوم وتضلل حتى تمكنت من تحويل الدول الكبرى الى موقف تبنى القضية الصهيونية** . » ويقول الاستاذ « بهاء » : « وهنا بالذات يبدو فشل العرب الحقيقى خلال تلك الفترة : فقد تمكنت الصهيونية من اقناع دول العالم انها قوة لها حسابها فى ميزان الصداقة ، أو العداء ، بينما أعطى العرب عن أنفسهم ، بحكم كل ظروف التخلف والاستعمار ، صورة الذى لا يكسب أحد من صداقته ولا يخشى من عداوته » .

وبدلا من التعلم « بفكر مفتوح » من هذا التحليل الواعى ، تثقفنا « آخر ساعة » : « وبلغت السذاجة ببعض القادة والمفكرين حد ايهام أنفسهم وايهام العرب

معهم بأن من الممكن كسب العواصم الاستعمارية الى صفنا ضد اسرائيل ..

وعاشت طويلا فى أذهان العرب هذه الفكرة ، وما زال يرددها فى العالم العربى كثيرون .. نصفهم بدافع السذاجة ونصفهم الآخر عملاء مباشرون للاستعمار مكلفون بان يعتذروا عن جريمته فى فلسطين وان يصوروه للعرب ملاكا بريئا ضحك عليه شيطان اليهود » .

ومن الممكن طبعــــا القول بان هذا الرأى يردده فليلون نصفهم سـذج ، ونصفهم عملاء مباشرون للصهيونية مكلفون بان يعتذروا عن جريمتهـــا فى فلسطين ، وتصويرها للعرب ملاكا بريئا ضحك عليه شيطان الاستعمار !

وسؤال ... ان لم يكن هناك ضغط يهودى ، ولا تخطيط صهيونى على نطاق العالم كله .. واذا كان تأييد اسرائيل ينبعث تلقائيا من مصلحة الاستعمار .. فهل لنا أن نسأل كيف اذن أيد الاتحاد السوفيتى اسرائيل عند اعلانها ؟! ألم يكن ذلك بفعل نشاط الصهيونية ، وعجز العرب عن شرح قضيتهم ؟! أم أن التأييد السوفيتى أيضا كان لأهداف استعمارية ؟ سؤال ! ..

وهل يعنى هـــذا التقسيم .. ان مؤتمر القمة العربى عندما أصدر قراره بسفر وزراء الخارجية الى عواصم العالم كله لشرح قضية فلسطين .. كان نصفه سذج ونصفه عملاء مباشرون للاستعمار ؟!

ماذا تريد ان تقول آخر ساعة ؟ .

تريد أن تقول : ان العرب واليهود معــا ضحايا الاستعمار .. غرر باليهود واستخدمهم فى سـلب الوطن العربى .. وان الحرب ضد اسرائيل وهــم وخـــداع للنفس .. لأن المهم هو الحرب ضـــد الاستعمار .. وبالتالى فلا معنى للقيادة العربيـــة الموحدة .. ومنظمة تحرير فلسطين خاطئة ... وكان الأحرى أن تســـمى منظمة تحرير موزمبيق وأنجولا وغينيا المســـماه بالبرتغالية .. فلو زال الاستعمار من هذا الكوكب لزالت بالحتمية أجيرته اسرائيل ! ..

وكثيرا ما تخفى الأهـداف الحقيقية ، عن طريق مضغ كلمات كبيرة .

والحقيقة فى موضوع اسرائيل هى ان الصهيونية حركة متميزة لها مصالحها المنفصلة وأهدافهـــا وخططها ومشاريعها .. وهى كحركة عنصرية وكجزء لا ينفصل من الغرب الاستعمارى ، تلتقى مصالحها مع مصالح الاستعمار ،وتلتقى اطماعها مع العداوة الأبدية للغرب ضد العرب .. وهى أيضا فى سبيل تحقيق مصالحها تستخدم أحط الأساليب واشرسها للضــغط على الدول الكبرى ، وتوجيه ســـياستها فى ما يخدم المصالح الصهيونية .

ان جريمة الوجـــود الاسرائيلى ، كجريمة الزنا لا يمكن اعفاء أحد الطرفين من العقوبة عليهـــا .. كلاهما يجب أن يرجم : الاستعمار والصهيونية .

الحركة الصهيونية التى نشــــــأت نتيجة عوامل تاريخية ، وظروف اجتماعية وسياسية فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر .. راحت تفتش عن حليف ينفذ لها أهدافها .. بدأت بتركيا .. ثم ألمانيا .. وأخيرا قامرت على بريطانيا .. واستطاعت أن تشترى الأعوان والمخلصين داخل ماكينة الحكم فى بريطانيا .. وفى نفس الوقت كان الاستعمار البريطانى بحاجة الى مثل هذا الحليف لخدمة مصالحه فى الشرق العربى .. والتقت الارادتان .. وتمت الجريمة .. فلمـــا انهار الاستعمار البريطانى .. لم تسقط الصهيونية تحت أنقاضه .. بل سرعان ما نقلت شباكهـــا الى أمريكا .

ويروى الأستاذ بهاء قصة هذا الانتقال :

« وفى غضـــــون الحرب العالمية الثانية أدركت الصهيونية العالمية انها لا بد أن تنقل مركز نشاطها الى أمريكا .. لـــــماذا .. لأن نجم انجلترا أخذ فى الأفول .. ولأنهم بعد أن كسبوا من وراء بريطانيا حق اقامة وطنهم القومى فى فلسطين ، آن الأوان للخطوة الثانية وهى : خطوة الدولة اليهودية المستقلة وهذه خطوة قد تعارضها بريطانيا، التى لم تفكر لحظة فى أن يكون مآل هذا « الكومنولث اليهودى » الى الاستقلال عنها . وفى هذه الحالة لن تقدر على الضغط على بريطانيا سوى أمريكا .

وكان عليهم أن يكسبوا فى أمريكا ثلاث قوى : الرأى العام ، والكونجرس ، والحكومة » .

ثم يحكى الأستاذ بها كيف مارست الصــهيونية الضغط على روزفلت « ولكن روزفلت لم يتزحزح . كان روزفلت يرى مصالح أمريكا البترولية البازغة فى الشرق العربى . وكان ذاهبا الى رحلة ســـوف يجتمع فيها مع الملك عبد العزيز آل سعود فبدأت النقمة الصهيونية تتحول ضـــده وفى ١٨ أغسطس ١٩٤٣ وصل الأمر الى تهـــديد روزفلت نفسه .. ولكن روزفلت مات ، وجاء ترومان ، الذى وضـــع البيت الأبيض فى يد الصهيونية ، بعد أن وضعت

الصهيونية يدها على الرأى العام ، وعلى الكونجرس» اذن ٠٠ فقول القائلين « اننا نخدع انفسنا عندما نبالغ فى تصوير ما يسمى « بالضغط اليهودى » ٠٠ هو جهل ٠٠ وتحيز فاضح ان نصف سلوك وتآمر الصهيونية خلال نصف قرن أو أكثر بأنه مجرد سلوك أجير يريد اتقان عمله ! ٠٠ انه طلب الرأفة لمجرم أصيل ، وفاعل وشريك لا تقل جريمته عن شريكه الآخر ٠٠ وهو الاستعمار .

وهل صحيح ان الصهيونية فى حد ذاتها ليست استعمارا ؟! ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ أليس الاستعمار ، حتى بالتعريف الماركسى ـ اللنينى ٠٠ هو أعلى مراحل الرأسمالية ٠٠ أو ليس اليهود هم جانب من الرأسمالية المالية للعالم كله ؟ ٠٠ ما الذى يمنع هذا الاستعمار الصهيونى من ممارسة اجرامه الاستعمارى لحسابه الخاص؟! لماذا لاتكون اسرائيل دولة استعمارية ٠٠ كالبرتغال مثلا تربطها علاقات تحالف وتبعية وسيطرة مع غيرها من الدول الاستعمارية وفقا لقانون الغاب الذى ينظم علاقة الرأسماليات ببعضها ٠٠ وهل نشاط اسرائيل الاقتصادى فى افريقيا وآسيا ٠٠ هو فقط لخدمة الاستعمار الامريكى ٠٠ وليس أيضا لخدمة الاستعمار الصهيونى ٠٠ والمصالح الاستعمارية لاسرائيل ؟ !

وهل صحيح ان كل ما كتب عن سيطرة الصهيونية على الصحافة والاذاعة والسينما فى الدول الاستعمارية ٠٠ سذاجة أو خيانة ؟! الا توجد منظمات صهيونية فى امريكا تستغل ملايين اليهود ، وأصواتهم فى توجيه السياسة الامريكية ٠٠ ؟!

ان آخر ساعة تقول : تراوحت أفكار العرب بين الدعوة الحمقاء الى الصلح مع اسرائيل والدعوة الاكثر حمقا الى ذبح كل يهودى على ظهر الأرض » .

نحن لم نسمع بمثل هذه الدعوة أبدا ٠٠ على الأقل من مصدر عربى ! ٠٠ انها مجرد افتراء وتشهير بالعرب ، واختلاق على موقفهم من قضية اسرائيل .

أما الدعوة الى الصلح مع اسرائيل فهى ليست حمقاء ٠٠ بل خيانة ٠٠ واسمحوا لنا أن نتساءل ان كان الاستعمار هو الذى غرر باليهود ويستخدمهم واستخدمهم فى اقامة اسرائيل ٠٠ اذن فالعداء بيننا وبين اسرائيل ليس أصيلا ٠٠ وبدلا من ضرب « البردعة » أليس الأفضل وفقا لهذا المنطق أن نتفرغ « للحمار » .

هذا المنطق يقود الى مزالق خطرة ٠٠ وعدونا هو الاستعمار والصهيونية معا ٠٠ الا أن العدو المباشر فى قضية فلسطين هو الصهيونية ، والعدو الذى يظاهرها ويساندها ويدعمها هو الاستعمار ٠٠ بينما العدو المباشر فى الجنوب العربى هو الاستعمار تؤازره وتعاونه الصهيونية ٠٠ فلا تفسدوا علينا تفكيرنا .

وينتقل بنا الحديث الى ذلك الذى كتب « **بروز اليوسف** » عن سارتر ٠٠ ففى نفس الوقت الذى رفض فيه سارتر ان يشترك فى ندوة فلسطين، مؤكدا بذلك انحيازه للصهيونية ، هذا الانحياز الذى أشار اليه الاستاذ أحمد بهاء الدين ، فى عرضه لكتاب سارتر « عدو السامية ٠٠ واليهودى » عندما قال : « ان سارتر يمر مرور الكرام على نقط الضعف الاساسية فى موقف اليهود » .

« انه لم يذكر الصهيونية الا فى سطور تعد على اصابع اليد الواحدة ومن المؤكد ان أى دراسة للمسألة اليهودية الآن لا تهتم بالدعوة الصهيونية فكريا وسياسيا وتاريخيا تكون دراسة ناقصة ومتحيزة الى حد كبير ٠٠ »

ولكن « روز اليوسف » تفرق لنا باسم « دراسة سوفيتية » بين سارتر المفكر وسارتر الانسان ٠٠٠ فهو كمفكر « صفر على عشرة » لأنه لم يفهم الماركسية الى الآن ٠٠ أما سارتر الانسان فهو مناضل عنيد فى سبيل الحرية والسلام » .

يا للعجب ! الى متى لا نضع قضايانا القومية فوق كل اعتبار ؟! الى متى يمكننا أن نصف منحازا للصهيونية واسرائيل بأنه مناضل عنيد فى سبيل الحرية والسلام ؟! وهل فى الدنيا وضع يعادى الحرية والسلام ، أفظع من وضع اسرائيل ؟! سارتر ضد غزو كوبا ٠٠ فهل هذا ينسينا موقفه من احتلال فلسطين ٠٠ ويغفر له رفضه الاشتراك فى ندوة فلسطين ، وتاليفه الكتب دفاعا عن اسرائيل ؟! سارتر ـ كما سيصيحون ـ أيد استقلال الجزائر ٠٠ نعم ٠٠ وكذلك ديجول ٠٠ لأن انهاء الحرب الخاسرة هناك كان لمصلحة فرنسا الحقيقية ٠٠ ولكن المحك الحقيقى لايمان أى انسان بالسلام والحرية هو موقفه من جريمة القرن العشرين ٠٠ ابادة شعب وسلب أرضه وطرد بنيه وتشريدهم .

وماذا يعنينا نحن من موقفه من الديالكتيك والميتافيزيق ٠٠ وهو يرفض الحضور فى ندوة فلسطين ٠٠ وينصب نفسه محاميا للأعداء ٠٠

أما آن ان تشغلنا قضايانا القومية ٠٠ فنعادى من يعاديها ونصادق من يصادقها .

« **محمد جلال كشك** »

شذوذ أبي نواس وحرب الأفيون في الصين

بقلم: عبد الصبور مرزوق

المناحة المفتعلة التي يتصببها بعض كتاب « **روز اليوسف** » يشقون فيها الجيوب كمدا على ما زعموا أن قد أصيبت به مجلات وزارة الثقافة من الجمود والتخلف والانحراف عن الخط والتقصير في مواكبة الركب الاشتراكي .. الخ .

هذه المناحة رغم تقديمها في اطار النقد والغيرة على سمعة الثقافة والفكر مناحة رخيصة ومفضوحة .

واحمد الله انى لست من الأسرة الرسمية لتحرير هذه المجلات حتى ليظن انى أبرر الخطأ ، او احمى نقط الضعف في موقف أنا مسئول عنه .

ولكني كمواطن لا يمنح ولاءه لغير بلده ولغير القيم الشريفة الجادة التى عاشها عمره ، وجعلت الثورة ايمانه بها بديل الحياة ، ازعجتني من « كتاب روز اليوسف » هذه المناحة المريبة التى ارى فيها دعوة الى الهدم لا الى البناء .

لقد كنت اعتقد أن عهد الاتجار بالكلمة والابتزاز الرخيص بالقلم قد بدأ يختفى باختفاء جريدة « الجمهور المصرى » ومثيلاتها ، واصبح مفروضا أن ينتهى تماما بأيلولة الاشراف على الصحافة الى الاتحاد الاشتراكى العربى كسلطة تمثله ارادة الشعب وتقود الرأى العام دائما صوب الطريق الصاعد .

ولكن يبدو أن اشراف الاتحاد الاشتراكى على الصحافة ، بل ان التحولات الهائلة التى صنعتها الثورة فى حياتنا لم تصاحبها تحولات فكرية مماثلة عند بعض السادة حملة الأقلام ، وأن بعضهم لايزالون يتصدرون الحاضر بكل ولائهم للماضى .

ولندخل فى الموضوع ..

السيدان أحمد عبد المعطى حجازى وعلاء الديب يثوران على مجلتى « الرسالة » و « الثقافة » لأن الأول جاء فيها مقال عن « الجن » والثانية قالت عن سلوك د. هـ لورنس انه شذوذ وفضائح جنسية .

ومن أجل هذا أعد السيدان المذكوران حيثيات الحكم ، وقررا اعدام المجلتين ، ثم ادماجهما معا فى مجلة واحدة ، تنتظرهما أو احدهما لينطلق بها على طريق التحرر الفكرى والمواكبة الاشتراكية !!

وانا على سبيل الرفق بالانسانية أحذر بقية المجلات التى تتبع وزارة الثقافة من المصير المحتوم الذى يعده لها السيدان الفاضلان لانهما فيما يبدو قد قررا أن يأخذا كل مجلات الوزارة ان شاء الله قطع مقص وسيفرغان من احالة أوراقهما جميعا على المانى .. حتى تتم تصفية كل الجيوب التى يوجد فيها كتاب أو مسئولون لا يسمحون بالحديث عن شذوذ أبى نواس ولا يمجدون فضائح لورانس !! ..

وعندما يتم هذا سيشرب السيدان الفاضلان ،

وسيشرب معهما السيد صلاح عبد الصبور نخب فك العقال عن لسان الانسان العربى وعن رغبته العارمة فى اعلان تمجيده لشذوذ أبى نواس وفضائح لورنس وغيرهم .

والسؤال الذى أتوجه به للسادة الأماثل : هل تمجيد شذوذ أبى نواس وفضائح لورنس من القضايا المقلقة لبال الانسان العربى والمؤرقة لمضاجعه ، والتى تحرم مجلات وزارة الثقافة من حرية التعبير عنها ؟!

وهل من صالح امتنا فى هذه الفترة التى نحن مقبلون فيها على نضال مرير أن تطلق الشهوات والنزعات الشاذة لتكون سلوكا يترسمه المجتمع ؟

وأى كسب تجنيه الجمهورية أو تجنيه امتنا الكبرى ، أو حتى تجنيه الانسانية من اطلاق الشذوذ وفتح الباب لوبائه على مصاريعه ؟

ان الشيء الحقيقى الذى يقلق الانسان العربى ويملأ صدره بالألم فعلا أنه يجد فى الوقت الذى يقاسى فيه مرارة النضال لاتزال توجد بعض الرجعيات المستبدة به تركب سيارات التكييف وتعيش عصر الحريم ، وتتعبد لها ليل نهار بشذوذ أبى نواس ، وفضائح لورنس هذا ماينبغى أن يقوله الانسان العربى بل هذا ما تعمل الثورة لانهائه وطى صفحته ، فمن هذا الانسان الذى يتصببون المناحة بكاء على صحته ؟

ثم اذا كان بيننا من تتجسد رغبة الانسان العربى فى الكلام عندهم فى الحديث عن الشذوذ والفضائح . فهل من الخير أن نجعل منهم أسوة وقدوة أم من الخير والاسلم للمبتلين أن يستتروا ، وأن يمضغوا وحدهم شذوذهم دون أن يجعلوا منه قيمة يدفعون الأمة اليها ؟

أما مسألة الحرية فإن من تكرار القول أنها غير الفوضوية وغير العودة الى أيام الغاب ، وهى كما يعرف الجميع مسألة نسبية مرتبطة دائما بالصالح العام للمجتمع الذى يحمى هذه الحرية . ويوم تجاوز حدودها تتحول الى تدمير تجب مصادرته والضرب بحزم على أيدى صانعيه .

وبعيدا عن مسألة مجلات وزارة الثقافة احب أن أتساءل : هل يعيش السادة الأكابر فى بلدنا ويحسون ما تواجهه اليوم من تبعات وما يتحمله جيلنا من مسئوليات تشيب لها النواصى ؟

ان امتنا اليوم فى أشد حاجتها الى بناء أجيالها بصلابة وبرجولة والى الايمان العتيد بالقيم النضالية الشامخة ، التى لا ترفع من قدر انسانيتها وتزيد فرصة مساهمتها فى خدمة الحضارة فحسب ، بل لأن هذا وحده هو سبيل امتنا الى صناعة القوة وتمكين الثورة من بلوغ مداها وطى صفحة الرجعية كلها بين المحيط والخليج .

لقد كانت الميزة الكبرى « **لجمال عبد الناصر** » أنه رجل ، وأنه صلب التكوين ، متين البناء النفسى ، وأن لديه مناعة رائعة ضد نوازع الضعف اياها .. الأمر الذى اعانه على أن يصنع المعجزة ، والذى جعله دائما يزداد صلابة كلما ازداد طوفان المعارك حوله .

وهذا وحده هو الذى جعله يصطفى للثورة جيشا من الأحرار يرتكز على صلابة التكوين والايمان بالقيم الشامخة ، مما قدر لهم الانتصار .

ولو كان الضباط الأحرار يتعبدون بشذوذ أبى نواس أو فضائح لورنس لكتبوا بدل المنشورات الثورية كلاما كهذا الذى تكتبون !

ومن هنا — لا من ناحية الحجر على حرياتكم — نختلف .

نختلف ونطلب اليكم فى تصميم أن تبتلعوا هذه الدعوات التى تنشر التخنث وتقتل الرجولة وتحلل البناء ، وتدمر كل ما ضحينا من أجل اعلائه .

وبهذا المفهوم أسالكم : أى الفريقين هو الذى يواكب الثورة ؟ ويدعم الاشتراكية : الذين يدعون الى تذويب الأفكار الجادة فى دومات الجنس والشذوذ والتحلل من القيم ، أم الذين يدفعون عن الاشتراكية هذا كله ، ويبنون لها قامات شامخة ونفوسا مؤهلة للنضال ؟ !

ان مهمة الطوابير الخامسة — وهذا للعلم لا للاتهام — هى العمل على تفتيت ايمان الشعب المطموع فيه بقوته ومقدرته وتمييع صلابته ، وأيسر السبل لهذا اغراقه فى الشهوات الدنيا ، ووضع الشذوذ دائما كمثال أمام عينيه .

وحضراتكم تعلمون ، — وان كنتم لا تعلمون فاعلموا — أن أخطر القرارات السرية التى دعا اليها المؤتمر الصهيونى العالمى الذى عقد فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ والذى تزعمه نبى الصهيونية الأول هرتزل .. هو القرار الخاص بزعزعة مقدسات

الشعوب المطموع فيها بوسائل الدعاية الخبيثه الماهرة التى تنشر الانحلال والتمييع وتصل بالشعب المطموع فيه الى مرحلة التارجح فى الفراغ · وساعتها يسهل الاجهاز عليه ·

بل ان حضراتكم تعلمون ـ وان كنتم لا تعلمون فاعلموا ـ أن حرب الأفيون كانت أخطر سلاح دمر به الاستعماريون قوة الشعب فى الصين عشرات السنين ، ولم تنقذه من بلائه سوى عزائم الثوار ·

وان سلاح المخدرات الذى يشرعه الاستعمار والصهيونيه فى حربنا يكلفنا الكثير من الجهد ومن التضحيات ، ويمتص جهودا نحن فى أشد الحاجة اليها ·

بل ان شجرة القات الشهيرة يتم تصديرها الى اشقائنا فى اليمن بتخطيط وتمويل ومساندة القوى الاستعمارية الطامعة ·

فهل من الخير للاشتراكية أن تنشر فيها شذوذ أبى نواس وفضائح لورنس ارضاء لبعض المشاعر المختتة ، ودون رعاية لخطر المرحلة الجليلة التى ينبغى تجييش كل الطاقات لها ؟

وعل هذه هى مواكبتكم للاشتراكية ؟!

ان الميثاق أيها السادة يحتاج منكم الى القراءة او اعادة المراجعة ، وستجدون تأكيداته الحاسمة فى كل فصل وفى كل فقرة على روح النضال وقهر نوازع الضعف ودعوته الدائمة الى بناء القوى المناضلة ·

اقرءوه ·· وحاولوا أن تجدوا فى كلام صانع التحول العظيم من الموضوعات الجادة ما فيه نفع لأمتنا ·

اما تخطيط الهجوم على مجلات وزارة الثقافة أو على غيرها وصولا لمآرب شخصية فهذا دون شك من مظاهر السلوك الرجعى البغيض الذى يعيد الينا عهد صحافة ابتزاز الاموال والعدوان الحقيقى على الحرية ·

وفى مجال البناء الشريف ، وفى ظل المرحلة التى نترقبها ينبغى أن تتحرر الاقلام وأن تلتزم أمانة الكلمة ·· لا أن تدعو الى الانحراف والزيغ ·

عبد الصبور مرزوق

عازفة «البيانو»



للشاعر: محمد هاشم عبد الدايم

لم انس يوما كنت فيه على « البيانو » تعزفين
باصابع سحرية تشدو بانغام الحنين
فكانما قد كنت فوق شغاف قلبى تنقرين
وسكبت فى اذنى لحنا أيقظ الشوق الدفين
فسبحت فى دنيا الخيال وهمت فى دنيا الفنون
وكان عمرى قد تجمع حين كنت توقعين
ما عشت الا يومها يا فتنة القلب الحزين



الشعر أسود فاحم متهدل فوق الجبين
فكانه أيام عمرى خانها الزمن اللعين
وكان وجهك تحته امل بدا لليائسين
عيناك مرفا حائر قد حطمت منه السفين
عصفت به ريح الحياة وصارع الموج الخئون
وصحا على عينيك يرقب شاطىء الحب الأمين
وهمست فى اذنى : لاجلك ما اوقع من لحون
فشربت خمر اللحن ممزوجا بحسنك والفتون
فى حجرة صارت بقربك جنة للعاشقين
ابصرت فيها الطير يشدو بالهوى للياسمين
والغصن ضم الغصن فى لهف وبادله الحنين
والزهر يرقص والمياه تزف افراح الغصون
فمتى يعود لى الربيع ويطلق اللحن السجين ؟
انت الربيع لقلبى المحروم ليتك تعطفين
انت الحياة لشاعر افنى الحياة بلا خدين
جفت اغانيه وصوح لحنه وبكى الرنين ··
عيناك الهام يهز كيانه لو تعلمين ···
الحانك الوحى الذى يسمو به فى الخالدين
فمتى أراك بجانبى وعلى « البيانو » تعزفين

محمد هاشم عبد الدايم

أدب المرأة في قديمه وحديثه

بقلم : وداد سكاكيني

يكاد يكون الحديث عن ادب المرأة لتكراره وسطحيته ، كالحديث عن المرأة نفسها شغل من لا موضوع لديه ، فمنذ ترددت الدعوة لتحرير المرأة العربية في مستهل هذا العصر اصبحت هذه الفكرة مجالا لبحث الكتاب والحاضرين .

وكان ادب المرأة وحده دليلا على وجودها ورقيها ، فاذا تكلم أي متكلم على نهضة المرأة فاننا نجده عائدا من فوره الى القديم مستشهدا بما كان للمرأة من مواهب فكرية وادبية وان قلت او فاتت خلال العصور .

ولئن كان الادب لا يفرق في صنعه وموضوعه بين أهله من الجنسين الا من حيث القيمة الفنية والجمالية ، ومدى الابداع فيه والاتقان ، فان الذي يعنيه الناس من الكلام على أدب المرأة هو ما قدمته هي من سليقتها وتحصيلها وعلى طريقتها ومزاجها ، فقديمه البعيد والقريب قد عبر عنها أصدق تعبير وان كان مقصورا على نطاق ضيق فبحسب بيئتها وآفاقها ، ومقدار وعيها وحريتها .

لقد بدأ تفكيرها الادبي منذ بدأ تاريخ ادبنا وتراثنا ، ففي الجاهلية ادارت (أم جندب) التي احبها الشاعر امرؤ القيس ميزان نقدها ورأيها في بعض قصائده ، ولما جاءها هو وصاحبه علقمة بن الفحل متناقرين في الشعر ومختصمين ، تحيزت أم جندب لعلقمة ، فغضب عليها امرؤ القيس وفارقها حاقدا ناقما .

وفي « عكاظ » كانت الشاعرة الخنساء ، تحاور الشعراء وتتحرى مواضع الزلل في قصائدهم ، وتفضل شعرا على شعر دون أن تعبأ بنفوذ قائليه .

ولما انحدر العصر بعد أم جندب والخنساء الشاعرة أم الشهداء الأربعة وجدنا شاعرات وخطيبات لا يحصى لهن عد ، قلن الشعر عفو الخاطر وارتجلن الكلام السديد بمجالس الحكام والخلفاء ولم يكن للظهور وانما تردد عن حاجة قومية وانسانية واخلاص للمسائل التي وقفن من أجلها ناقدات وواقدات .

ولم تنقطع في عصر من العصور مشاركة أدبية ضعيفة او قوية من موهوبات وملهمات انحسرت سجاياهن عن اصدق الشعر وأرقه حتى قال أبو نواس : ما نطقت بالشعر حتى حفظت لستين شاعرة ، كما ذكر ابن فياض في تاريخه عن أخبار قرطبة انه ظهر فيها مئات من الكاتبات بالخط الكوفي والمرتلات للقرآن الكريم .

وقد طوى تاريخ الادب أخبار المجالس النسائية القديمة التي امسكت بحلقاتها في هذه السلسلة الطويلة أديبات برزات ، ومن وراء حجاب أو ستار كان لهن تأثير في حياة الادب والمجتمع على اختلاف العصور والأجيال ، فكانت المرأة تتقاذفها أمواج التطور بين مد وجزر ، ولما تزحزحت عنها الأغلال أخذت ترفع صوتها وحجتها لتشعر الرجل الذي كان يستهين بها بأنها انسان مثله لا ألهية أو متاع .

وكان الأدب في خلال هذه النهضة المعاصرة التي ظهرت فيها المرأة متبينة مكانتها بين نساء العالم ساعية الى أخذ حقوقها وتعزيز حركاتها بالوعي والثقافة وخدمة المجتمع يتطرف على حساب الساعيات الى نهضة جادة شاملة ، وكانت بعض الأقلام القاسية تتناول نهضة المرأة بالزراية والاستهانة مشفقة من تورط المرأة على زعمها فيما لم تخلق له ولم يخلق لها ، فهي بادعائها من نزوات العصر ، لكن الزمن كان أقوى من النقاد والمستهزئين بوعي المرأة ونهضتها ، لأن المرأة نفسها كانت تساير التطور على اختلاف ألوانه وتمارس حياتها الجديدة بما يدل على جدارتها وتزودها بالعلم والشخصية الواعية وتقدير التكاليف والتبعات في وظيفتها الأساسية والطبيعية وفي القضايا الفكرية والخدمات العامة التي علقت فيها الآمال ، على أن ادب المرأة الذي كان في قديمها يعبر بشعره ونثره عن شعورها وتفكيرها ، لم يتقدم أدب الرجل وانما جاراه حينا وتخلف عنه أحيانا ، ففيه الرثاء والغزل وفيه الأمومة والحنين والحماسة وفيه التصوف والابتهال بحسب السلائق الموهوبة والبيئات المستنيرة ، وقد ضاع أكثره في تضاعيف الكتب والمخطوطات ، على أن ما وصل الينا منه يكفي للحكم عليه وتبيان قيمته وموضوعه ومقداره .

أما أدب المرأة في النهضة الحديثة ، فقد بدأ مقالات وقصائد في الصحافة الأدبية وكان لرائدات الوعي النسائي تأثير كبير في الدعوة لتحرير المرأة بتعليمها وإعدادها لحياة لائقة ، وأكثر الأديبات اللاتي برزن في هذا العصر مارسن الصحافة والتدريس وكانت صحفهن أشبه بالمدارس المتنقلة التي حملت المعرفة والتجديد الى القراء والقارئات .

وكان من الطبيعي أن يختلف أدب المرأة بعد تطورها باختلاف العصر والحياة ، فقد تعلمت وتقدمت في المجتمع ، وشاركت في الحياة الفكرية والأدبية ، وكان أدبها متجاوبا مع حضارة عصرها فاتبعت الأساليب الحديثة بالتعبير عن خواطرها وتصويرها للحياة التي تعيشها هي أو غيرها . ويلاحظ النقاد اتجاه الأدب النسائي في أيامنا الى الشعر والقصة أكثر من اتجاهه للدراسات الأدبية والتاريخ والمقالات . وكان حب الظهور حافزا لكثيرات مرتجلات برزن من غير ثقافة أو استعداد موهوب . وكان الأدب بلا حديثة أو تقليد متبع لابد أن تأخذ به كل هائمة في الشهرة ولو كانت زائفة .

ولابد لهذا الأدب في قديمه وحديثه من تأليف وتصنيف في دراسات متسلسلة نظامية لتنسيقه وجلاء ملابساته وزيوفه لتظهر حقيقته وما أدخل الاهمال على أصوله وفروعه .

ولئن كان أدب المرأة موضوع من لا موضوع لديه لتكراره من غير دراسة علمية ولا نقد صريح فان هذا الأدب بأشد الحاجة الى التحقيق فيه واظهاره بآثاره ومحتوياته ، لا بحشد مئات الأسماء دون الدليل على النتاج ، وهذه المهمة العلمية شاقة ودقيقة ، فالقدماء تركوا لنا تراثا مضطرب الروايات والشواهد والمعاصرون كرروا القديم على تشعبه وترامي أطرافه وألموا بالحديث دون تفرغ له في تأليف أو دراسة .

ولعل المرأة نفسها تتصدى لهذه المهمة المتصلة بها فتكتب تاريخ أدبها بعلمها وتحقيقها فقد كفاها حتى اليوم ما اتكلت فيه على الرجال الذين كانوا بين مجامل أو متحامل ، وقد أصبحت المرأة جديرة بهذا التأليف الحديث .

وداد سكاكيني

الى صورة

للشاعرة روحية القليني

على البعد صورتك الباسمة
تذكرني الليلة الحالمه
تقول أتنسين حلو اللقا
ء مع الشعر والأعين الهائمه
وكل يبث حديث الودا
د بألفاظه الحلوة الناعمه
سألت أتدرين ما في الفؤا
د أجبت أجل انني فاهمه
فهمت ولو لم تصرح لقلبي
فهمت بنظرتك الواجمه
فهمت وأخفيت طي الجفون
شجونا لفرقتنا قاتمه
على الرغم مني ساطوي الغما
م بطائرة في السما عائمه
تفرق قلبين في لمحة
فآه لأيامنا الظالمه
سأرحل لكن ساطوي معي
على البعد صورتك الباسمه

أراها بكل صباح جديد
وعند المساء معي نائمه
أحدثها عن هواي العميق
عن الشوق واللهفة العارمه
أقول الذي عنك أخفيته
فلست بشرح الهوى عالمه
***
وأخجل حين أبث الشجو
ن واحيا على الفكرة الواهمه
أقول لها انني ها هنا
أعيش لرؤيتك القادمه
وانك سلواي حين يغيب
أرى فيك بسمته الراحمه
أرى فيك كل حنان الوجود
أرى فيك لفتته الساهمه
***
أرى فيك يا صورة للحبيـ
ـب ملامحه الحلوة الباسمه

لقاء مع الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل

بقلم : تحسين عبد الحى

ما اروع ان يلتقى الانســـان بالمناضلين الحقيقين ـ اولئك الذين خلقت منهم التجربة النضالية والممارسة الفعلية لها ـ شخصيات فذة على درجة عالية من الوعى والقدرة .. ولقد كانت وما زالت تجربة شعبنا النضالية ضد الاستعمار وأعوانه .. هى المحك الاساسى فى ابراز العديد من القيادات الواعية ـ فى كل جزء من اجزاء وطننا العربى .. قيادات تنبت فى الجبهة وتتفرغ بثورية مسئولة لكى تغطى جميع اطراف المعركة وتساندها ـ سواء منها المساندة السياسية او الفعالية على المستوى القومى والعالمى .. عرف شعبنا مثل هذه التجارب فى حرب التحـــرير الجزائرية ويتلقها الآن لحرب التحرير الفلسطينية ـ ولتلتهب حاليا فى جنوب اليمن المحتل .. بقيادة الجبهة القومية ـ ويتتبع شعبنا هذه المعركة بنفس الروح التى كان يتابع بها حرب التحرير الجزائرية ـ روح التضامن والمساندة على كل الجبهات تحت كل الظروف واقساها .. ومن واقع التجربة بظروفها وملابســـاتها المتعددة التقيت بالمناضل العربى الثائر . قحطان الشـــعبى . ـ المسئول السياسى عن الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل .. ودار بيننا حديث طويل بعضه ليس للنشر .. ووجهت اليه بعض الاسئلة كان اولها :

● هل يستطيع قراء الرسالة أن يعرفوا المزيد من المعلومات عن الجبهة ، وعن طبيعة تكوينها التنظيمى ـ بما يسمح بنشره ـ وعن اهدافها المحددة ـ سواء من الناحية المرحلية ان وجدت ـ او اهدافها العامة ؟

فرد بقوله :

ـ لقد فشلت الأحزاب السياسية التقليدية التى كانت محصورة فى مدينة عدن فقط فى أن توجد لها قواعد فى بقية أنحـــاء الجنوب ـ مع العلم بأن مدينة عدن لا تزيد مساحتها عن ١٤٠ كم مربعا ـ بينما تبلغ مساحة جنوب اليمن المحتل ١٤٠٫٠٠٠كم مربع . وقد اتضح فى السنوات الاخيرة أن وجود أحزاب عديدة فى مدينة عدن بعضها أحزاب عميلة تسير فى الركب الاستعمارى والبعض الأخر أحزاب مصلحية ثم بعض الأحزاب الراديكالية التى اتضح أخيرا ـ وبكل أسف ـ انها انتهازية أكثر منها وطنية وان حاولت ان تتستر بالحركة الوطنية . ومن خلال أسلوبها فى العمـــل الوطنى ـ ومن خلال ميوعة أهدافها وبعدها عن أهداف الثـــورة العربية التحررية الوحدوية المعاصرة يتضـــح طبيعة وجـــودها الانتهازى .. ولهذا كله قامت تنظيمات سرية ثورية فى المنطقة وكان كل تنظيم من هذه التنظيمات قد وصل الى اقتناع كامل بأن قضية الاستعمار البريطانى فى جنوب اليمن المحتل لن تحل الا



قحطان الشعبى
(المسئول السياسى عن الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل)

بالنضال المسلح وتبنى أهداف الجماهير العربية فى الجنوب . وبدأت هذه التنظيمات السرية تنظم نفسها منذ أواخر عام ١٩٥٨ وأوائل عام ١٩٥٩ .. وبعد تفجر الثورة العربية فى شمال اليمن المستقل وازالة الحكم الرجعى الفاسد فى اليمن الذى كان يعيق تحرك قضية الجنوب بتحالفه مع الاستعمار . ووجود عامل ثورى أساسى فى المعركة وهو قرب قيادة الثورة العربيـــة من المنطقة والمتمثلة بطبيعة الحال فى الجمهورية العربية المتحدة ـ فلم تعد حـــينئذ القيادة بعيدة عن ساحة الجنوب .. تفصلها آلاف الكيلومترات اذ أصبحت قريبة جدا من هذه الساحة الهامة ـ فى تعز وصنعاء وفى البيضا وقعطبة وذلك نتيجة لتجسيد قيادة الثورة العربية المتمثلة فى الجمهورية العربية المتحدة لمفاهيم القوميـــة العربية حيث هبت للدفاع عن الثورة العربية فى اليمن وحمايتها من الرجعية والاستعمار التى تكالب عليها .. وهكذا وجـــدت التنظيمات الثورية السرية فى الجنوب المحتل نفسها أمام توافر عامل هام جديد تستعين به فى حركتها . وعندما هبت جماهير الشعب العربى فى الجنوب من قبائل ومثقفين وعمال للتطوع فى

معركة الشمال اليمني المستقل قام الاستعمار بضرب كثير من مناطق الجنوب بطائراته وجيشه البرى .. وتوصلت هذه التنظيمات السرية الثورية الى اقتناع مشترك بضرورة انصهارها جميعا في تنظيم ثورى موحد حتى تستطيع مقابلة العدو وتفجير الثورة - وهكذا وجدت الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل - وتتكون الجبهة من التنظيمات الثورية الآتية :

١ - حركة القوميين العرب في جنوب اليمن المحتل .

٢ - الجبهة الناصرية .

٣ - المنظمة الثورية لجنوب اليمن المحتل .

٤ - الجبهة الوطنية .

٥ - جبهة الاصلاح اليافعية .

٦ - التشكيل السرى للضباط والجنود الأحرار في جيش الاتحاد المزيف .

٧ - تشكيل القبائل .

٨ - منظمة الأحرار السرية في جنوب اليمن المحتل .

٩ - منظمة شباب المهرة .

١٠- الطلائع الثورية .

وقد بدأت الجبهة في تفجير الثورة في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٣ مبتدأة بمنطقة « ردفان » الاستراتيجية الهامة في الجنوب . ثم شملت مناطق أخرى للقتال مستهدفة بذلك .. القضاء على الوجود الاستعماري والقاعدة الاستعمارية الحربية وفروعها أينما وجدت في الجنوب . فتحت جبهة قتال أخرى في المنطقة الوسطى وفي الضالع حيث يوجد فرع للقاعدة البريطانية ثم جبهة أخرى في الحالمين وجبهة خامسة في الشعيب وسادسة في الحواشب وجبهة سابعة في لحج حيث يوجد فرع آخر للقاعدة الحربية البريطانية « في العند » ثم جبهة قتال ثامنة في الصبيحة وتاسعة في بيحان حيث يوجد فرع آخر للقاعدة البريطانية . ثم استطاعت الجبهة أن تنقل القتال الى قلب قاعدة المصالح البريطانية في عدن .. ويدور القتال الآن في عشر مناطق .. وتقوم الجبهة بتجهيز كل ما تبقى من مناطق الجنوب لتشمل المعركة كل أرجاء الجنوب .

وقد التفت الجماهير العربية في الجنوب حول الجبهة فأصبحت الجبهة تعتمد على قاعدة عريضة تشمل المثقفين والقبائل والعمال والمزارعين والجنود والضباط والطلبة وهي القطاعات الهامة من الشعب صاحبة المصلحة الحقيقية في ثورة التحرير .. هذه الجماهير التي تعتبر بحق جماهير كادحة ولا تمت الى أصحاب المصالح الطبقية الفوقية بأية صلة - وان كانت طبقة المصالح الفوقية من البرجوازية والاقطاع ورأسمالية قليلة جدا في الجنوب الا أنها تتمثل في بعض الاحزاب التقليدية وحتى المستترة منها وراء الحركة الوطنية مثل رابطة أبناء الجنوب - وحزب الشعب الاشتراكي .

أما عن طبيعة تكوين الجبهة التنظيمي - فقد أصبح للجبهة تنظيماتها الداخلية وقياداتها الجماعية وتعتمد على : -

١ - المكتب السياسي للجبهة .

٢ - المكتب العسكري .

٣ - المكتب المالي .

٤ - قيادات جبهات القتال .

وللجبهة تنظيمها الشعبي بين الجماهير .. وبطبيعة الحال لا يمكن لهذا التنظيم أن يمارس عمله رسميا لأن من البديهي ان الاستعمار البريطاني لن يسمح بذلك بل سيضرب كل من يتعرض للشبهة في أنه ينتمي الى هذا التنظيم .. ولهذا نجد سجون عدن والضالع وردفان ولحج والحواشب والصبيحة والمنطقة الوسطى وبيحان والواحدي وحضرموت مملوءة بالمعتقلين السياسيين لا لشيء الا للاشتباه في أنهم ينتمون الى الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل - وقد استطاعت الجبهة ان تكون نواة صلبة لجيش التحرير ويزداد هذا الجيش يوما بعد يوم وقد برهن المقاتلون على أنهم في مستوى معركة التحرير .

أما .. أهداف الجبهة .. فكما أعلنتها - في أول بيان لها بعد تكوينها .. وعند تفجير معركة التحرير .. وهي أهداف واضحة صريحة .. فالجبهة - أي الجماهير العربية في الجنوب تقاتل من أجل :

أولا : التحرر التام سياسيا واقتصاديا وعسكريا وهذا يعني تصفية الوجود الاستعماري بكل أشكاله وأنواعه بما في ذلك قاعدة عدن الحربية العدوانية وفروعها المختلفة . بغير قيد أو شرط .

ثانيا : تقاتل الجبهة بايمان راسخ من أجل تحقيق الوحدة العربية .. وهذا يعني أن الجبهة لا تقاتل من أجل مطالب اقليمية اطلاقا بل انها تعتبر نفسها وتعتبر ثورة الجنوب رافدا من روافد الثورة العربية المعاصرة .

ثالثا : وتقاتل الجبهة في ثورتها في الجنوب المحتل من أجل الوصول الى الهدف العربي الحقيقي - وهو حل قضية التخلف أي قضية الحياة نفسها - وكما أعلنتها الجبهة منذ البداية - ان هذه القضية لن تحل الا باتخاذ النظام الاشتراكي منهجا لشعبنا في الجنوب وفي كل أنحاء الوطن العربي . وهذا ما أعلنته أيضا القيادات الثورية التقدمية في القاهرة والجزائر وبغداد .والجبهة هنا مرة أخرى تجسد مفهوم الحركة التحررية الوحدوية الاشتراكية العربية المعاصرة . في اعلانها بأن الجماهير العربية لن تترك السلاح حتى تحقق كل هذه الأهداف لا في اقليم اليمن فقط بل في كل أنحاء الوطن العربي .. فقد ربطت الجبهة نفسها - منذ البداية بالثورة العربية الشاملة .. وقد تم ذلك عن وعي وايمان واقتناع نهائي .



وبعد ذلك سألت المناضل قحطان الشعبي :

● هل تستطيع ان تحدثنا عن رحلتك الاخيرة الى بيروت - وما حققته من نتائج .. وما يمكن ان تحققه من نتائج في المستقبل ..؟

فرد بقوله :

- بالنسبة لرحلتي الأخيرة الى بيروت فهي جزء من الزيارات التي قررت الجبهة أن تقوم بها في أنحاء الوطن العربي وفي دول عدم الانحياز ثم الدول العالمية الاخرى وذلك لشرح قضية الجنوب اليمني المحتل للرأى العام العربي والعالمي وحتى تترجم الجبهة من خلال وفودها المكلفة بهذه الزيارات والاتصالات حقيقة ما يدور في المنطقة من حرب استعمارية تشنها بريطانيا على جماهيرنا وعلى

المواطنين العزل ، وكذلك شرح المستوى الذي وصلت اليه ثورة التحرير ، وما تتطلبه الثورة من دعم مادي وعسكري وسياسي ، وما تتطلبه من الرأي العام العالمي من ضغوط على بريطانيا الاستعمارية لتترك أرض العرب للعرب ـ ولا شك أن زيارتي لبيروت ـ قد حققت الكثير مما يجب أن تحققه ـ فقد كانت وبالدرجة الاولى للاتصال باللجنةالشعبية لناصرة الثورة فيالجنوب المحتل ـ الموجودة في لبنان ـ ثم بالمؤسسات الصحفية والاعلامية والشخصيات التي أبدت استعدادها الكامل لنصرة قضية الجنوب ـ ولا شك أن مثل هذه الزياراتوالاتصالات علىمستوى المؤسسات الشعبية والرسمية تحقق غرضها في دعم قضيتنا العادلة ضد الاستعمار البريطاني .

❊❊❊

ثم سألته بعد ذلك :

● لاشك ان الجبهة تواجه نوعا فريدا من النضال ضد المستعمر .. لان النضال ضد الرجعية المستغلة يأتي عادة بعد طرد المستعمر .. كما حدث في التجربة العربية في مصر والعراق والجزائر وغيرها من اجزاء الوطن العربي ـ فهل نستطيع ان نعرف كيف تواجه الجبهة هذه المسئولية المزدوجة ؟ وهل لدى الجبهة خطة معينة لخلق الجو المناسب ـ لدفع بعض القوى الحزبية للانضمام اليها ؟ وخاصة ان النضال ضد الاستعمار يحتم تعبئة كل الطاقات الشعبية لضمان النصر المؤكد ؟

فرد بقوله :

ـ ان ثورة التحرير في الجنوب بقيادة الجبهة القومية ـ بقدر ما تستفيد من الثوراتالعربية وثورات التحرير العالمية وما خلفته من تراث الا أنها تدرك في الوقت نفسه أن أعداء الشعب من استعمار وعملاء وأصحاب مصالح طبقية قد استفادوا أيضا من نفس هذه التجارب ـ وهكذا وجدت الجبهة نفسها أمام معركة مزدوجة فهي من ناحية تواجه الاستعمار البريطاني بكل قواته وامكانياته المادية ومؤامراته السياسية الخ .. وهي من ناحية اخرى تواجه اعداء الشعب الذين وضعوا أنفسهم من البداية في خط معاكس للثورة وذلك لان مصالحهم الطبقية تصطدم أصلا بمصالح الجماهير .. فلا يتوقع اطلاقا من هؤلاء سواء كانوا حزبيين أم سلاطين أم مستوزرين أن يؤيدوا ثورة تحرير أعلنت منذ البداية أنها ثورة تحررية وحدوية تقدمية .. ولقد حاولت الجبهة أن تضم بعض الافراد وبعض الجماعات من الطبقة المتميزة في جماهير شعبنا وذلك بمناقشات دخلت الجبهة معهم ليتسلخوا عن طبقتهم المتميزة وينضموا الى الشعب في ثورته وأهدافه الجماهيرية .. وذلك ما حدث على وجه التحديد بالنسبة لحزب الأصنج الذي يسمى نفسه بحزب الشعب الاشتراكي في الوقت الذي يقف فيه بعيدا كل البعد عن الاشتراكية بمحتواها ومفاهيمها ـ ولكن بكل أسف رفضت هذه المجموعة الانضمام الى الثورة أو الى أداة الثورة ـ « أي الجبهة » .

أما فلول رابطة أبناء الجنوب ـ فللشعب وللجبهة موقفمحدد منها .. اذ أنها مجموعة الطائفية انتهازية استمرت فترة منالوقت تتاجر بالحركة الوطنية على حساب الجماهير ـ أما بقية الاحزاب الصغيرة في عدن كما أسلفنا كالحزب الاتحادي الوطني وغيره فهي أحزاب عميلة مائة في المائة ـ وعلى الرغم من ذلك كله فلقد أعلنت الجبهة من البداية أن باب الثورة مفتوح للجميع وأن الجبهة ترحب بكل مخلص .. الا أن الجبهة سجلت أيضا منذ البداية انها لن تترك أي شخص أو مجموعة تحاول التسلل الى الثورة أو الجبهة بقصد امالة الثورة عن مسيرتها أو تعويقها .. أما مسألة تعبئة كل الطاقات الشعبية لضمان النصر المؤكد فهذا ما نؤمن به الجبهة وهذا العنصر متوفر فعلا الآن اذ التحقت كل الطاقات الثورية الحقيقية بالجبهة وكل الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في معركة التحرير ـ وضمنت الجبهة بذلك تعبئةالطاقات الشعبية .. أما مجرد وجود فلول الاحزاب أو شخصيات أو مجموعات صغيرة خارج نطاق الثورة ـ فهذا شيء طبيعي في كل ثورات التحرير ـ ولعلنا نستعيد هنا معارك التحرير في جزائرنا العربية حيث قاومها أعداء الشعب في البداية من أبناء الشعب في الجزائر نفسها وفي نضال الحاج ـ والمصاليين أكبر دليل على ذلك .

والشيء الطبيعي هو أن توجد مجموعات باعت نفسها لمصالحها الطبقية وبالتالي تلتقي مع المصالح الاستعمارية لمحاولة ضربالثورة والدس عليها والطبقة في خلفها ـ ولكن من غير الطبيعي أن تتخلى هذه المجموعات والشخصيات عن مصالحها الطبقية .. المتميزة عن مصالح الشعب .

❊❊❊

ثم سألته :

● تستخدم بريطانيا امارات الجنوب اليمني المحتل ـ لتجميع المزيد من المرتزقة وتسليحهم ثم دفعهم الى أراضي الجمهورية العربية اليمنية ـ تحت ما يسمى بأنصار الامامية المتخاذلة .. واخص بالذكر امارة بيحان .

فهل لدى الجبهة التشكيلات الثورية اللازمة ـ في داخل بيحان ـ لتدمير مثل هذه المحاولات ؟ وهل هناك خطة لمثل ذلك فيالمستقبل القريب ؟

فرد بقوله :

ـ تحاول بريطانيا الاستعمارية منذ قيام الثورة في ٢٦سبتمبر سنة ١٩٦٢ في شمال اليمن المستقل أن تضرب هذه الثورةالعربية ـ لاعتقادها أن نجاح الثورة فيه القضاء المبرم على استعمارها لجنوب اليمن المحتل ـ وفي نجاح الثورة أيضا قضاء على مصالحها الاستعمارية في الوطن العربي ككل ـولم تقتصر مؤامرات الاستعمار البريطاني في التآمر على شمال اليمن المستقل على تزويد المرتزقة بالسلاح والاموال لاثارة القلاقل في الجمهورية العربية اليمنية تحت ما يسمى بأنصارالامامية المتخاذلة ـ بل وصل حقدالاستعمار على هذه الثورة الى درجة الاعتداء المباشر عليها ـ فقامت بريطانيا بالاعتداء المباشر جوا وبرا على منطقة حريب والبيضا وقعطبة وغيرها وكلها في أراضي الشمال اليمني المستقل ـ وقد جعلت من مناطق كثيرة في الجنوب نقاط ارتكاز لمؤامراتها واعتداءاتها ـ منها منطقة ـ بيحان ـ حيث يوجد بها العميل الاستعماري الاول في الجنوب وهو « حسين بن أحمد الهبيل » وزير داخلية ما يسمى باتحاد الجنوب العربي ـ وتعتبر الجبهة معركة شمال اليمن المستقل معركتها أيضا ـ ولهذا يقوم جيش التحرير في منطقة بيحان بضرب تجمعات العدو في داخل بيحان نفسها ـ ومعركة بيحان جزء من معركة التحرير في الجنوب المحتل ـ وهناك الكثير من التدابير الثورية للقضاء على هذه المؤامرات الاستعمارية ولكن طبيعة سرية المعركة تحول دون التصريح بمثل هذه التدابير .

ووجهت سؤالي الخامس الى المناضل قحطان الشعبي ..فقلت له :

● لا شك ان التجارب النضالية الثورية لشعبنا - سواء التجربة الثورية الجزائرية - او التجربة العربية الفلسطينية - تجارب غنية ومفيدة سواء من الناحية التنظيمية او من ناحية المساندة الدعائية على المستوى القومي والعالمي ..

فهل درست الجبهة هذه التجارب واستفادت منها ؟

واذا كان الأمر كذلك - فلماذا لا تقوم الجبهة بعقد ندوة عالمية - على غرار ندوة فلسطين العالمية التي نجحت وادت رسالتها تماما ..؟

وهل نستطيع ان نعرف دور المنظمات الطلابية بالذات في داخل الجبهة وخارجها ؟

فرد بقوله :

- ان الجبهة تضع كل التجارب النضالية الثورية في الوطن العربي امامها للاستفادة منها على مختلف المستويات .. اما من الناحية الدعائية على المستوى القومي والعالمي فان الجبهة وقد استطاعت الآن أن تصل الى مستوى تثبيت الثورة في شكلها النهائي - وفي بداية مرحلة انطلاقها بدأت بالفعل في ممارسة الناحية الدعائية لتوضيح القضية على حقيقتها .. ولكننا لا نريد ان نقع في نفس الخطأ الذي وقعت فيه الأحزاب التقليدية المندثرة في عدن في الماضي - حيث اهتمت كليا بالمجال الدعائي والتهريج في الخارج . في الوقت الذي لم يهتم فيه أقل اهتمام لايجاد التنظيم الثوري في داخل المنطقة نفسها - والذي تريده الجبهة هو أن نعبر فعلا على الصعيد الدعائي والسياسي عن حقيقة الموقف - ونحن نشعر الآن أن ما ينشر أو يذاع عن الثورة في الجنوب أقل بكثير من واقعها - ولذلك فأجهزة الاعلام العربية مطالبة ان تساهم في هذا المجال وأن تكون عند مسئولياتهاالقومية ازاء هذه القضية .. ولا شك أن الاتصال بالمؤسسات العالمية الرسمية منها والشعبية وكذلك المفكرين وأحرار العالم سيفيدنا كثيرا - وقد تجد الجبهة في نجاح تجربة ندوة فلسطين العالمية - أسلوبا جديدا لاتباعه بالنسبة لتوضيح القضية في المجال العالمي ..

اما بالنسبة للمنظمات الطلابية - فان كل التجمعات الطلابية من أبناء الجنوب المحتل وشمال اليمن المستقل مع الجبهة - ماعدا افراد قلائل ينتمون الى بعض المجموعات المعارضة للجبهة وللثورة وتربطهم بهذه المجموعة صلة القرابة والمنفعة فقط .

❊❊❊

قلت له بعد ذلك متسائلا :

تحاول بريطانيا استيراد اعداد كبيرة من دول الكومنولث - وايران - لمسخ عروبة بعض الامارات ان لم يكن كلها .. فماذا اعدت الجبهة لمقاومة ذلك ؟

فرد بقوله :

- ان الجواب على هذا السؤال هو في أهداف الثورة نفسها - ومتى انتصرت الثورة وهذا ما نثق به وثوقنا بحياتنا وانفسنا فان هذه المؤامرات الاستعمارية لجلب المزيد من المستوطنين الى امارات الجنوب سوف يقضى عليها في الحال .

ثم سألته بعد ذلك :

● تجتاح البحرين الآن ثورة شعبية عارمة ضد بريطانيا - فهل للجبهة القومية - دور في هذه الثورة ؟ وما هي امكانيةفتح المزيد من الجبهات ضد الاستعمار البريطاني في منطقة الجنوب العربي .. وخاصة فتح الجبهات التي تهدد مصالحه البترولية المباشرة في بعض المناطق مثل - البحرين وقطر .. وغيرها من المناطق الهامة ؟

فاجاب على قائلا :

- ان انتفاضة البحرين تخدم ثورة التحرير في الجزيرةالعربية ككل - وتسهم في القضاء على المصالح البترولية والرجعية في هذه المنطقة الحساسة من الوطن العربي وللجبهة تفاعل واتصال مباشر مع كل القوى الثورية في انحاء الجزيرة العربية .. وخاصة في البحرين وكما اعلنت الجبهة مرارا فانها ستعمل على استمرار الثورة في كل الجبهات التي توجد فيها المصالح الاستعمارية في جنوب وشرق الجزيرة العربية بل وفي قلب الجزيرة العربية ككل

❊❊❊

وسألته بعد ذلك :

● تقف بعض القوى الرجعية العميلة في الوطن العربي ضد ثورة شعبنا في اليمن - وبالتالي ضد نضالكم في الجنوب المحتل .. في الوقت الذي يتحكم ما يسمى بروح مؤتمرات القمة في سلوك بعض الجبهات - فما هو تقديرك لهذا الموقف ..

فرد بقوله :

- ان الجبهة ترى ان التقاء القوى العربية الرسمية منها والشعبية لابد أن يهدف الى دفع التحرر العربي والتقدم واستعادة الاراضي المغتصبة - أما اذا نتج عن هذا اللقاء غير ذلك - فهو بلا شك ليس في مصلحة الجماهير العربية صاحبة المصلحة في تحقيق أهداف الثورة العربية الوحدوية الاشتراكية - ومن ثم يجب مقاومة كل انحراف في داخل الجبهة العربية بنفس المستوى الذي نقاوم به الاستعمار وأعداء أمتنا ..

❊❊❊

وقلت له اخيرا :

● نحن نعتقد ان الازهر في مصر استطاع طوال الحكم الاستعماري ان يحافظ على الشخصية العربية الاسلامية بها - وكذلك قامت الدعوة المهدية في السودان بهذا الدور - ولعب الفكر الديني والارتباط الروحي دوره المؤثر في الثورة الجزائرية .. ونريد ان نعرف - هل لدى الجبهة الآن خطة محددة لادخال هذا العنصر الحيوي في نضالها الى جانب الاحساس القومي وغيره من الطاقات المحركة للثورة ؟

فرد بقوله :

- ان الشعب في الجنوب - شعب عربي مسلم والدين الاسلامي الحنيفوما يدعو اليه من تحرير وانصاف الانسان - يعتبر مركزا اساسيا لثورتنا العربية في الجنوب - ويقوم الدين الاسلامي بدوره القيادي في تحريك الثورة ورفعها الى مرتبة القداسة - وتقوم الجبهة بالتركيز على هذا الموضوع في كل يوم - عن طريق تعاونها المثمر في الوقت الحاضر مع الازهر وفي الأحاديثالدينية التي يقدمها رجال الازهر في الاذاعة الموجهة الى أبناء شعبنا في الجنوب .

« تحسين عبد الحي »



رسالة من دمنهور

حين دعاني مركز الثقافة والاستعلامات بدمنهور لمناقشة أحد كتبي انتزعت نفسي انتزاعا من قبضة القاهرة ، واحسست أني أتنسم أنفاسا جديدة نقية فأنا أحد الذين تمتص المدينة منهم خضرة القرى الصغيرة ، وأحد الذين أصبحوا لايستطيعون حتى التلفت الى ذكرى قديمة ، أو استعادة وجه كانت تظل يوما بين عينيه الحياة ، وحتى الأحلام برموزها القديمة أصبحت لاتزورنا ٠٠ أصبحت لا تقربنا من شجرة ، أو تشدنا الى غدير ، أو تسوقنا الى حقل يمتلىء بالعمل والعرق ورائحة الانسان !

وسعادتي لم تكن لأني سارشف القرية بعيني ، أو لأني سآخذ منها نصيبي من النضارة والبساطة والعمق ثم أواجه بهذا النصيب المدينة ، ولكن لأني كنت سأكون قريبا من قريتي ، وقادرا على استحضارها فترة من الزمن في نفسي بعيدا عن النظرة الفولاذية للمدينة ، وعن تلاحم الأجسام دون كلمة سلام ، وعن لقمة العيش التي تشد بغضب ، وعن الألوف من الأقدام التي ستظل تواصل رحلتها دون ان تدري أن تحتها قلب انسان قد يسقط يوما في الزحام ٠

وفي ميدان محطة دمنهور وجدتني أتذكر فجأة هذا السائق الذي طلب منه الاستاذ أحمد حمروش — كما كتب مرة — أن يوصله الى مكان ما ، فاذا به يلف ويدور ثم يعود به قرب المكان الذي كان فيه أول مرة لأن ما أراده لم يكن الا على بعد خطوات منه ٠

وفي جلسة صغيرة قبل الندوة وبعدها وجدت أن الأدباء هناك يقراون بنهم ، ويضعون نور عيونهم على كل ما تصدره اليهم القاهرة ، فالكلمة هي العالم الذي يتنفسون من خلاله ، وقد كان من الطبيعي أن يشدني كل هذا الى هؤلاء الادباء الذين ضاقوا بالكلمة المكتوبة في القاهرة ، والذين أخذوا يصرخون وهم يطالبون بادماج بعض المجلات في بعض ، فهؤلاء قد يجدون مايثريهم في المسارح والندوات ومناقشة الرسائل الجامعية ، وقد يجدون ما يملأ فراغهم في الثرثرة بالمقاهي ٠٠ ولكن ماذنب هؤلاء الأدباء الذين يقيمون خارج القاهرة ، والذين لم يجدوا قوت عقولهم في الصفحات الادبية بالصحف والمجلات ذات الطابع

السياسى ، والتى خضعت القصة فيها الى اصطناع الوقفة المثيرة ، كما تحول الشعر ـ فى بعضها ـ الى ثرثرة ، والبحث الى فهلوة ، وأصبح الطابع الغالب فى هذه المجالات هو تلك المقابلات المفتعلة حول أسئلة وأجوبة وأخبار يقصد من ورائها جميعا تملق القارىء ، وملء الفراغ بفراغ آخر عن طريق الكلمة !

وفى ضوء هذا تصبح المجلات الادبية ضرورة من ضرورات الحياة ، وتصبح الدعوة الى اختصار هذه المجلات دعوة مشبوهة ، قد يكون المقصود منها المنافسة ، او محاولة الاستيلاء عليها ، او الرغبة فى أن تقوم فى عالم الفكر دكتاتورية بحيث لا تقال فيه الا كلمة واحدة تمثل رأى بعض المشرفين على صحيفة او مجلة ، او قصور الرؤية عن احتياجات الانسان خارج مدينة القاهرة ، بل خارج الجمهورية العربية المتحدة على الصعيد العربى .. قد يكون هذا او ذاك ، ولكن الذى يثير حقا ان يرفع أحد الذين يمارسون الكلمة صوته بشىء غريب كل الغرابة هو قتل « الكلمة » .

ونحن بدورنا نسأل اين يذهب هذا الصف الطويل من الكتاب ـ واغلبهم من اساتذة الجامعات ـ بعد ان تصادر مجلات وزارة الثقافة ؟ وما هى المجلات التى يمكن أن تستوعب ثمرات اقلامهم ؟ وما الجديد الذى سيقوم بتنفيذه هؤلاء المطالبون بالوصاية والاشراف ؟ وماطول قامتهم الى جانب الكتاب الذين يرفدون المجلات ! ومن فى هؤلاء يستطيع ان يشكك فى استاذية احمد حسن الزيات ومحمد فريد أبو حديد ، ومحمود تيمور ، ويحيى حقى ، وعلى ادهم والدكتور عبد القادر القط . والدكتور زكى نجيب محمود ، والدكتور رشاد رشدى .

واذا عرفنا ان هؤلاء يحركون من حولهم اساتذة الجامعات ، والنابهين فى كل ميدان من ميادين الفكر ، وانهم لايحتكرون الكتابة كما يفعل المشرفون على الابواب الادبية فى الصحف ، والمجلات السياسية ايمانا منهم بالمواهب الجديدة ، وبالاقلام الشابة .. اذا عرفنا ذلك ادركنا انه قد آن الوقت فى ظل ظروفنا الجديدة لان نضع حدا للتحقيقات المثيرة ، ولالقاء التهم جزافا فى ميدان الفكر ، فالقارىء العربى اليوم يدين كل الذين يتلاعبون بعواطفه ، والذين يعملون على تهييجه ، والذين ينصبون انفسهم اوصياء عليه !

وقد أسر الى البعض بفكرة ، وحملنى أمانة توصيلها الى الاستاذين احمد حمروش وفتحى غانم وهذه الفكرة تدور حول ان لكل مجلة من مجلات وزارة الثقافة والارشاد القومى منهجا تسير عليه ، فالرسالة تحتضن العروبة والشرق والاسلام ، والثقافة تعتبر نافذة متجددة للفكر الاجنبى على حياتنا ، والمجلة تختص بالابحاث المتخصصة ، ومجلة الكتاب العربى تضع نفسها فى خدمة التعريف بالكتاب والعمل على اتساع قاعدته ، ومجلة الفكر المعاصر تمثل قاعدة فكرية لمناقشة قضايا الانسان الجديد ، وتنشر لغة التفاهم الحقيقية بين المثقفين ، ومجلات الشعر والقصة والمسرح ، تختص بالعالم الرحيب بالشعر والقصة والمسرح

نعم كل مجلة من هذه المجلات لها خط واضح تسير فيه ، وكل خط من هذه الخطوط لايتداخل مع الخطوط الاخرى ، ولكن ماالخط الحاسم الذى يستطيع ان يفصل بين مجلتى روز اليوسف وصباح الخير ، انه قد يقال اى كلام فى خطة كل واحدة منهما ولكن هذا الكلام سيكون متعثرا ، وغير دقيق ، فالمحررون والرسامون ووجهات النظر ، وطرق التنفيذ لاتختلف احداهما عن الاخرى اختلافا واضحا ، ولعل مما يؤكد هذا ان اكثر المحررين يكتبون فى المجلتين بنفس الطريقة ثم ان الفرق بينهما ليس متميزا كهذا الفرق الذى بين الرسالة والثقافة مثلا ! وفى ضوء هذا نصل الى مايريده بعض الذين تحدثوا معى .. نعم نصل الى الاقتراح الذى يقول بادماج روز اليوسف فى صباح الخير ، بحيث يصبحان مجلة واحدة لها رئيسا تحرير .

وبالرغم من هذا فانا لانؤيد هذا الاقتراح لاننا نرجو المزيد من المجلات ، بل نطالب باحياء مشروع اصدار جريدة عن دار روز اليوسف لان الانسان يبنى الآن بالكلمة اكثر مما يبنى باى شىء آخر .



ومهما يكن من شىء فقد سعدت فى دمنهور بهؤلاء الذين يعتبرون الكلمة المكتوبة كل حياتهم ، والذين اعطونى من جديد ايمانا بهذه الكلمة بعد ان هانت فى القاهرة ، ولعل نظرة واحدة الى المجلات الادبية التى تصدرها بيروت والتى تغزو بها المنطقة العربية ، ـ وهى همة تشكر لها ـ تجعل هؤلاء

الذين لم ينظروا جيدا الى اخوانهم في الداخل ، ينظرون جيدا الى اخوانهم في المنطقة العربية ، لم يرفعون اقلامهم عن هذه المعركة الخاسرة في حقل الفكر .

وتمر الساعات واجدني اغادر الذين يحبون الكلمة ويعتبرونها زادا وثروة الى هؤلاء الذين يعتبرون الكلمة عارا يجب أن يتخلص منه بالادماج، او بالقتل .

ولكن لعل الذى يهون من هذه المرارة ان المتلقين للكلمة لم يرتفع منهم صوت بالادماج او القتل ، فهم في الحقيقة اصحاب المصلحة الحقيقيون ، وهم في حاجة الى مزيد ، ونحن في حاجة الى ان نضاعف مجهودنا لنكون في مستوى هذه الجماهير المتعطشة للكلمة ، والتى لم تقل يوما انها قد سئمت أو اغمضت عينيها عن الكلمات الشريفة والمضيئة .

.. ولعلنا بعد ذلك لانقول كلمة الا اذا كنا مستندين الى اصحاب المصلحة الحقيقية للثقافة.

.. الى الجماهير لا في الجمهورية العربية المتحدة فقط ، ولكن في كل مكان يمسح باهدابه الحروف العربية ، ويعيش في ظل حنانها ووميضها !

مع الشعر الافريقي

الى الزملاء الذين يهتمون بالادب الافريقي ، والذين طلبوا منى بعض النماذج المستوحاة من هذا الادب اقدم هذا النموذج الذى سبق أن استوحيته من قصيدة للشاعر الافريقي «دافيد ديوب » والذى يدور حول احد ابناء القارة الذين اخذوا يشككون في ماضيها وفي قدرتها على الانطلاق بعد كل عمليات التخريب النفسية التى تعرضت لها ..

ومن هنا نراها تعتب عليه ، وتربت على شكوكه وتأخذه الى دفئها ، ثم تهمس له في صوت وديع لاأثر فيه لخشونة ، ولا ظل عليه من حقد ، ولعل ابتسامتها الاستوائية كانت تكبر ثم تكبر ، وهي تقول له .. وهي تهمس له .

« .. ايها الولد المندفع
ان الشجرة العملاقة الشابة
الشجرة التى ترقد هناك
وحيدة في فخار بين الازهار الذابلة
هى افريقية !
افريقيتك التى تولد ثانية
تولد من جديد في عناد واصرار
وتكتشف رائحتها شيئا فشيئا
رائحة مرة هي رائحة الحرية

فالحرية لها رائحة مرة !!.

افريقي يتحدث :

افريقيا يالارض الاجداد المجدبة الحيرى
عن وجهك الوى في حقد وجهنا منحونا «زورا
احرقت مدارا ضم الشمس بما في جبهتى السدرا
لم أمسك ارضك من اعماقى في يوم عانت جدرا
قلبى قد ضاعت فرحته !! باعته يد عفرا
دنياه تبكي غربته ، وتوسده همس الذكرى
ما ابعد ما بين الجذر المسكين ، ولمته الخضرا
ماكنت لنا يالافريقيا فى محنتنا الا قبرا

• وبعد ان يقول هذا « الولد الافريقي » نراها تقول له .

ولدى لاتظلم ايامي • لاتذرف من اجل عبره •
قد كنت جديرا ان تلقى في عروة ايامى زهره
فلقد قاتلت هنا المجهول • لقد عمقت هنا سره
دورت الشمس • دحوت الارض • كسوت روابيها خضره
والآن اعود الى ماضى ، اعود لايامى الحره
انظر ان الافق تجدنى انهض • اكسو اوراقى خضره
تبعد قلبى يمتد • يريح على افق حان صدره
نامح عصفورا يدعونى • ويعيد باغصانى نقره
وثمارى يكسوها ارج ففى مجموح النبره
.. شجر الحرية حين يدور يرقرق رائحة مره !

والآن

اعتقد انه قد آن الاوان لان نلتفت الى هذا الادب الذى سنجد فيه انفسنا ومعاركنا وقضايانا، ان الجديد في هذا الادب انه ماض كشفرة السيف، متصل باقوى سبب الى سواعد الرجال وهى تنتزع لقمة العيش والحرية في وقت واحد ، والى ايدى النساء التى تعمل هى الاخرى وتغنى في الوقت نفسه .

فاذا اضفنا الى هذا أن هذا الشعر لايشغل نفسه بقضايا وهمية ، ولايلقى بنفسه في دوائر الجنس والملل والتفسخ ، ولا ينسف الماضى وانما يتعاطف معه ، ويجعله زادا في رحلة الحياة والشمس .. اذا اضفنا ذلك ادركنا أن هذا الشعر ينبع من شيء كبير جدا هو قلب افريقية ، وما أحرانا أن نستمع بل ان تسمع العالم قلب افريقية ، فليس للعروبة المسلمة في آسيا اكثر مما لها في افريقية .

وتحية للمقاتلين بالقلم من اجل الانسان في كل مكان ، والى الشعر نفسه فهو الجوهر المشع للوجود !

« عبده بدوى »

رسالة العلم



تقديم الدكتور : عبد الحليم منتصر

العالم يصنع المواد البديلة

فى الحرب العالمية الاولى ، حاصر الحلفاء المانيا، ومنعوا عنها « النيترات » التى كانت تأتيها من شيلى وهى مادة لها اهميتها فى الحرب والسلم على السواء ، اذ كانت مادة لا غنى عنها فى صناعة المفرقعات ، وهى فى الوقت نفسه سماد يزيد فى خصب الأرض ، وبالتالى يزيد من انتاجها لمحاصيل وغلات وفاكهة وخضروات . وعندئذ نشط العلماء لانتاج نترات صناعية ، بدلا من نترات شيلى الطبيعية ، واستطاع عالمهم « هابر » ان يصنع من نتروجين الهواء الجوى ، ما تحتاج اليه الجيوش الألمانية من مفرقعات ، وما تحتاج اليه الارض الالمانية من سماد يزيد فى خصبها ، وبذلك استطاعت المانيا أن تقاوم الحصار ، وأن تمد فى أمد الحرب اعواما أخرى .

وفى الحرب العالمية الثانية ، منع الحلفاء عن المانيا ، ما هى بحاجة اليه من بترول ومطاط وسكر وغيرها من مواد لاغنى عنها فى الحرب او السلم ، واذا بالعلماء يواجهون المشكلة فى شجاعة بالغة ، ويدأبون على العمل فى ثبات وصبر بالغين ، ثم خرجوا على الناس بالبترول الصناعى ، والمطاط الصناعى ، والسكر الصناعى ، وغيرها من مواد يصنعها العالم فى مصنعه ، ويستعملها الناس بدلا من المواد الطبيعية ، واتيح للالمان مرة اخرى أن يكسروا هذا الحصار العنيف وان يفقدوه اثره وامتدت الحرب اعواما أخرى الى ان سبق الحلفاء فصنعوا القنبلة الذرية ، وكان فيها فصل الخطاب، ووضعت الحرب أوزارها فور القائها .

وها قد انقضت عشرون عاما ، منذ ان وضعت الحرب العالمية أوزارها ، وصناعة المواد البديلة ، لتزداد وفرة وتنوعا وازدهارا ، لايكاد ينقضى يوم حتى نسمع عن مواد بديلة جديدة ، يصنعها العلم ، لتحل محل المواد الطبيعية . وان هذه المواد لتعد اليوم بالالوف ، وكثير منها يفوق المواد الطبيعية متانة أو جمالا ..

فالى عهد قريب لم يكن يعرف من الاصباغ الا الالوان الطبيعية التى تستخرج من النباتات كالنيلة، والورس وما اليها أو من مواد معدنية معروفة ، وانها لتعطى الوانا معينة محدودة كالازرق والاصفر والاخضر والاحمر واذا بالعلم يصنع الاصباغ ، ويستخرج منها الوانا لاتكاد تقع تحت حصر ، وانها لتعد بالالوف ، وهى أغلب الامر تتميز على المواد

الطبيعية بالبهجة والجمال ، فضلا عن انها ترضى جميع الاذواق ، وتقابل جميع الاحتياجات . الا ان الفائدة الكبرى التى قدمها العلم فى هذه الناحية، بتصنيع الاصباغ ، انما هى فى توفير الارض التى كانت تزرع بنباتات الاصباغ ، لتزرع بنباتات الغلات والمحاصيل والخضراوات والفاكهة وبذلك زرعت ملايين الافدنة بالغلال بدلا من نبات النيلة مثلا .

واخرى قدمها العلم هدية للانسانية ، تلك هى الالياف الصناعية ، وانا لنسمع كل يوم عن جديد منها يأتينا به العلم ، من « نايلون » و « داكرون » و « ترلين » و « اورلون » مما يشبه القطن او الحرير او الكتان او الصوف ، وانه لبعيد كل البعد عن هذه المواد الطبيعية ، انها الياف صنعها العلم من مشتقات او اصول بترولية ، لتحل محل الالياف الطبيعية . ولعلها تكون اغلب الامر ابهج منظرا واكثر احتمالا من الالياف الطبيعية ، وهى فى الوقت نفسه يمكن أن توفر ملايين الافدنة ، مما كان يزرع بالقطن او بالكتان او بالتيل من نباتات الالياف ، وانها لتزرع اليوم بمحاصيل الغلال او الخضراوات او الفاكهة ، وبذلك يسهم العلم فى حل مشكلة الغذاء ، بتقديمه الالياف الصناعية لتحل محل الالياف النباتية .

اما المطاط الصناعى الذى تقدمت صناعته فى السنين الاخيرة ايما تقدم ، وانه ليصنع من اصول بترولية ، ويصنع على نطاق واسع ليسد حاجات الناس المتزايدة الى المصنوعات المطاطية من عجلات السيارات والطيارات وغيرها من صناعات غدت اساسية فى السلم والحرب ، فقد وفر ملايين من الافدنة من اراضى الغابات ومزارع المطاط ، حيث تنمو اشجار المطاط ، التى يصنع من لبنها المطاط الطبيعى الذى استبدل به المطاط الصناعى ، وزرعت الارض بنباتات الغلال والمحاصيل لتطعم هذه الافواه التى يتزايد عددها بتزايد السكان يوما بعد آخر .

ولم يقتصر الامر على انتاج الالياف والاصباغ ، ولكنه تناول اليوم كل شيء من ادوات وآلات ، وروائح وعطور ، وتوابل وافاويه واخشاب بل احجار كريمة واطعمة ، وانك لتتذوق كثيرا من الاطعمة والاشربة والحلوى وكأنما تتذوق رائحة الخوخ أو الموز أو الكريز أو الفانيليا او الشليك ، والواقع انها لا تحوى شيئا من ذلك البتة ، ولكنها نوعت بافاويه صناعية ، تشبه هذه الروائح الطبيعية والفرق بينهما انها صنعت فى المعمل وانها لتفضل الطبيعية فى انها لاتتغير بالحفظ او البقاء طويلا . وفى الحرب العالمية الثانية ، انتجت المعامل الفلفل والقرفة والينسون ، لتستعمل بدلا من التوابل الطبيعية التى كانت تأتى من الشرق . وفى الواقع انه كلما غلا ثمن احدى المواد الطبيعية، نشط العلم ليصنع بديلها المواد القليلة النفقة . ولعلنا نذكر فى هذا المقام السكارين الذى يستعمل بديلا للسكر وانه ليصنع من الطولوين احد المنتجات الثانوية للفحم ولقد دخلت الافاويه الصناعية فى صناعة المعلبات ، وانها لتضاف الى اللحوم المحفوظة والاغذية المحفوظة عموما ، فتضفى على المواد الغذائية المحفوظة نكهة المواد الطازجة .

وقد تلعب الصدفة دورها فى ايجاد البديل، فقد لاحظ احد الكيميائيين ان مركبا اسمه (خلات الاميل) له رائحة الموز ، ولاحظ ان مركبا آخر له رائحة العنب . . وبتقدم العلوم الكيميائية اكتشفت الآف من المواد البديلة ، وليس الامر من السهولة التى يظنها البعض ، اذ لابد من تحليل المنتجات الطبيعية ومعرفة ما يدخل فى تركيبها من مواد ، ومن نتائج هذه التحاليل عرف انه توجد فى الشاى نحو سبع واربعين مادة كيميائية ، كما يوجد فى البن نحو مائة من المواد الكيميائية ، ولكى نحصل على نوع الشاى او البن ، لابد من خلط هذه المواد بنفس النسبة التى توجد بها فى الطبيعة ، وتحت نفس الظروف ، وفى بعض الاحيان يكون مذاق الخليط مختلفا عن مذاق المواد الاصلية ، فيعاد التجريب مرة ومرة الى أن نحصل على نفس المذاق أو

الرائحة او النكهة . ويشكو أحد الكيمياويين أحيانا فيقول « لقد وجدنا تسعة وعشرين مركبا في التفاح، وحتى الآن لم يفلح أحد في مزجها بالطريقة التي مزجتها بها الطبيعة . ويضيف قوله : ربما كان التفاح يحوى كميات ضئيلة من مواد كيميائية أخرى ، لعل أجهزة المعمل لم تستطع تبينها .

وبالرغم من كشف معظم المواد الكيماوية المالة التي توجد في البن ، فان نكهة البن لم يحضر بديلها بعد . أما الكاكاو فمازال من الصعب تحضير بديله .

ولكن نتبين الصعوبة التي تعترض الكيميائي احيانا علينا أن نذكر ان المطلوب ليس المذاق وحده بل ايضا الرائحة الحقيقية ، وقد يحتاج ذلك الى تجربة مئات بل آلاف من الاتحادات الكيميائية ، يتذوقها ويشمها الكيميائي الى ان يهتدي الى الرائحة او المذاق المطلوب ، وعلى الذين يتخصصون في تخليق الروائح في المعمل أن تكون حاسة الشم لديهم قوية او حادة فوق العادة ، وان نفثة من العطر في الهواء خليقة ان تدفعهم للتعرف على مكوناتها . ويستطيع كيميائي الروائح الممتاز ان يتعرف على نحو اربعة آلاف رائحة مختلفة ،وبعضهم يستطيع ان يميز اكثر من ذلك ، وقد ادعى بعضهم انه يستطيع التعرف على سبعة آلاف رائحة . ويستطيع بسلسلة من التجارب والاتحادات والامزجة الكيميائية بنسب مختلفة أن يتعرف على الروائح المختلفة . وهذه هي الخطورة الاولى في المعمل .

وثمة لون آخر من المواد البديلة ، نجح العلم في تصنيعها الى ابعد الحدود ، تلك هي اللدائن التي تصنع منها اليوم آلاف المواد والادوات بل الماكينات والأعضاء ، وانها جميعا من البلاستيك ، فهناك الاطباق والملاعق والفناجيل والكئوس ، وصمامات القلب ولعب الاطفال ، انها جميعا تصنع من البلاستيك وتستعمل فيما تستعمل فيه الادوات الطبيعية من اخشاب او صلب او فخار او انسجة طبيعية ، وثمة مناضد ، وكراسي ، وأجهزة وأدوات صنعت كلها من البلاستيك ، ولعلها تمتاز بالجمال الى جانب المتانة ورخص الثمن بالنسبة للادوات التي تصنع من الخشب او الصلب .

ومع ذلك فما زلنا في بداية عصر البدائل ، وسنرى ما يأتينا به العلم من جديد في هذا المجال ، وانه لآت بما هو ادخل في باب المعجزات، ولكن العلم احالها سهلة ميسورة ، فقد صنع العلماء بديلات للمعادن من مواد كيميائية مختلفة تماما ، وانها لتؤدى عمل المعادن تماما في الصفائح والقضبان والعصي ، وتغزو هذه المواد التخليقية ، التي صنعها العلم ، وتغزو بالتدريج كل المجالات التي كانت المعادن ملكة لها . لقد تخلص العلم من سيطرة النحاس والحديد والصلب والالومنيوم وغيرها من معادن كانت تحكم صناعات لاتكاد تصنع الا بها ، واذا بنا نرى اليوم أدواتوأجهزة وقضبان ومفصلات ومفاتيح . لم يكن يخطر ببالنا أنها ستستغنى يوما عن المعادن التي تصنع منها ، وانها اليوم مصنوعة من البلاستيك وانها لتمتاز بالملاسة والنعومة ،فضلا عن انها لا تتأثر بالصدأ ، ولا يكاد يبليها المطر او الثلج أو الصقيع وضوء الشمس والرياح والماء ، بل انها صامدة لكل هذه العوامل .

ولعلنا نذكر في هذا المقام ما يغمر الاسواق من مواد بديلة من منظفات مثل « التايد » و « الاومو » وغيرها والروائح والعطور بل الاحجار شبه الكريمة (التقليد) ، انها جميعا مواد صنعها العلم لتستعمل بديلا من المواد الطبيعية التي تستخرج من النبات والحيوان أو من باطن الارض ، ويكفي ان نعلم ان صناعة الكيماويات البترولية قد غدت بفضل المشتقات البترولية ، التي تصنع منها اليوم الآف من المواد البديلة تسد كثيرا من احتياجات الانسان ، بل تزيد في ترفه واستمتاعه بالحياة . حتى قال قوم ان حرق البترول وقودا فيه خسارة كبيرة ، ومن الخير أن تصنع منه هذه المواد البديلة التي تزيد قيمتها اضعافا مضاعفة على ما ينتجه البترول من طاقة حين يستعمل وقودا .

وبعد فانه ليس من اليسير متابعة التقدم العلمي في هذه المجالات ، فانه يأتينا كل يوم بجديد وعلى الذين يبتغون لأوطانهم مكانا تحت الشمس ان يجعلوا العلم وسيلتهم لتسنم ذرى المجد علهم يلاحقون ركب الحضارة ولا يعودون يتخلفون عنه ابدا .

د . عبد الحليم منتصر



الكتب تقرر وتعرف

نبوءة عيسى (عليه السلام) بمقدم محمد (صلى الله عليه وسلم)

بقلم: عبد الجليل شلبي

هـــذا كتيب صـغير الحجم عميق البحث حسن الأسلوب ، أخرجه ـ باللغـة الانجليزية ـ رئيس المجلس الاسلامي لعموم نيجيريا « **الحاج اجستو** » ، وهو جزء من كتاب كبير عن المسيحية والاسلام لما تخرجه المطبعة بعد ، ويبدو أن الجزء الأكبر من هذا الكتاب يتكون من عدة محاضرات اعتاد المؤلف ان يلقيها بقاعةجلوفر بلاجوس، وتتناول هذه المحاضرات دراسات لاهوتيه في الأديان السموية الثلاثة ـ وهذا البحث على طـوله كان محـــاضرة أو أكثر من تلك المحاضرات .

وهناك شيء فوق ما حوى المـؤلف من أبحـــاث يستحق الوقوف أمامه قليلا .



ذلك أننا أو الكثير منا يفتقـد أن الديانات في افريقية تقـــوم على العـاطفة والنزعة البدائية التي يختلط فيها الدين بالسحر والتنجيم والخرافة ... ولا تقوم على البحث العقلي والدراسة والمنطق ، وهذا الظن هو الذي دعا المبشرين هناك أن يضحوا بالكثير من تعاليم المسيحية مجاراة للوسط الذي يعيشـــون فيه . وأذكر أن أحد أبناء السودان الجنوبي أخبرني ان لدى أبيه المسيحي أربع عشرة زوجـــة ما بين مسيحية ووثنية وان القس الذي بشره بالمسيحية اقره على هذا الوضع ـ وهي جريمة ولا شك في حق المسيحية لأن الديانات لا تقبل أنصاف الحلول وان يؤمن الناس ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ومن لم ينفذ تعاليم المسيحية كلها فليس مسيحيا .

ويشتهر أيضا أن الطرق الصوفية هي التي تنشر الاسلام في تلك الربوع فتشوبه بالكثير مما ليس فيـــه حتى ان الناس يكتفون بالعبادات والطقـوس ولا يعرفون الدراسة والبحث .

هذه افكار تمتلىء بها خواطر الكثيرين ولكن هذا الكتيب يبدد كل هذه الأوهام ويبين أن هناك ـ على الأقل ـ أقليات تعرف الدراسة اللاهوتية العميقة وتحسن البحث في مقارنات الأديان وتقرأ عنها جميعا في شتى الكتب وبمختلف اللغات ـ ولا تقف هذه الأقلية عند المؤلف لأن الذين يحتشدون لسـماعه لابد أن يكونوا أيضا ذوى حظ من العلم أو على الأقل يشاركونه هذا الاتجاه .

ويخلو الكتاب ـ **وصاحبه زعيم اسلامي ـ من آثار التعصب واتباع الهوى** ـ فالبحث فيه ليس مناظرة أو مشادة بين دين ودين ، ولا تبدو فيه كذلك الرغبة في تحطيم دين مخالف وانما هي أبحاث تقـوم على درس النصوص في الكتب السموية الثلاثة ومايتصل بها من شروح وتعليقات .

والأساس الذي يقوم عليه البحث هو أن في كل من التوراة والأناجيل تنبؤا بمقدم نبي يقيم وصايا الله في الناس ، واختلف المفسرون من زمن بعيـد في تعيين هذا النبي وهو يريد أن يقدم أدلة على أنه هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، لكن البحث تموج به ـ لا للاستطراد بل لتوفية الحجج ـ فتناول المبادىء التي تقوم عليها اليهـودية والمسيحية .

بدأ بذكر ما جاء في سفر التكوين من أن الله تعالى وعد ابراهيم أن يباركه ويبارك نسله ويمنحهم أراضي ويجعلهم قائمين على تعريف الناس بخالقهم . وقد جاء من هذا النبي جذمان كبيران هما الاســماعيليون العرب وبنو اسحق اليهود ـ لكن اليهود اعتبروا الاسماعيليين دونهم منزلة لأن هاجر أم اسماعيل كانت جارية لسارة أم اسحق واتخذها ابراهيم عشـيقة لا زوجـة فيما يزعمون . وقد قامت للاسماعيليين بالفعل دولة ومكن الله لهم في الأرض بما لا يمكن انكاره لكن اليهود انكروا النعمة الروحية عليهم ولم يعترفوا بالنبوة فيهم .

وبرد المؤلف دليلهم بما جاء في التوراة : « فقالت ساراى لابرام : هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ، أدخل على جاريتى لعلى أرزق منها بنين .. فأخذت ساراى .. جاريتها .. واعطتها لابرام رجلها زوجة له » .. (تكوين ١/١٦ ـ ٤) .

فهاجر اذن زوجة كسارة تماما واعتبارها عشيقة تكذيب للتوراة واساءة لابراهيم ثم ان الله تعالى لا يفرق فى نعمة الروحيـة بين أبناء جارية وأبناء سيدة . فهذه التفرقة من عمل الانسان الذى ينظر الى القيم المادية ـ على اننا اذا جارينا اليهود فى هذا المبدا لزمهم أن اسـحق نفسه لا يصلح أن يكون نبيا أصلا ـ فقد ذكر ابراهيم أن سارة أخته بنت أبيه اذ قال لأبيمالك ملك جرار : « وبالحقيقة أيضا هى أختى ابنة أبى غير أنها ليست ابنة أمى ،فصارت لى زوجة » (تكوين ١١/٢٠ ـ ١٤) ـ وقد جاء فى سفر التثنية « ملعون من يضطجع مع أخته ابنة أبيه أو ابنة أمه » ٢٢/٢٧ .

فاذا حاسبنا اليهود بمنطقهم لزم أن يكون اسحق نسل زيجة ملعونة بين ابراهيم وسارة .

أما تعليقات الشراح المسيحيين فتضع الكتاب كله موضع الزيف والاختلاق ، وفى هذا يقول دوميلو تعليقا على البداية لهوف : « ان الكتاب يعطى وصفا عن أصل العبرانيين وقيامهم ولكنه كتب من وجهـة نظر دينية تظهر أن الله اختارهم ليكونوا شعبه .. والكتاب مجهول النسبة وليس به ما يدل على انه لموسى ، بل بالعكس به ما يدل على أنه جمع فى شكله الحالى بعد وفاة موسى بسنوات عديدة عندما لم يكن للكنعانيين وجود فى الأرض .

وأهمية هذا البحث أنه نفى من أول الأمر وبحجة من التوراة فرية اليهود أن لا نبوة فى غير جنسهم وهم مع هذا كذبوا يحيى وكذبوا عيسى !!

واذن فنبوءة التوراة ما تزال باقية .

جاء فى سفر التثنية قول الله تعالى لموسى عليه السلام : يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك .. اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه ... الخ » (١٨/٥ ـ ١٨) ـ هذا النبى لم يتفق عليه تماما لا فى العرب ولا فى اليهود ـ قيل عن النبى الذى من اليهود انه يوحنا المعمدان وأنه المقدم الثانى فى لالياس رغم أنه لم يكن يعى هـذه الحقيقة ـ ويشير الى هـذا ما قاله المسيح : « ان ايليا يأتى أولا ويرد كل شىء ولكنى اقول لكم ان ايليا قد جاء ولم يعـرفوه بل عملوا به ما أرادوا .. حينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم يوحنا المعمدان » (١٧/١٠ ـ ١٣) .

ولابد أن نراعى فى نص التوراة كلمة «أخوتهم» لأن اخوة بنى اسحق هم العرب الاسماعيليون .

وقد بشر المسيح أيضا بنبى بعده سمى المعـزى لأن عيسى نفسه كان معزيا ومواسيا ـ فقد جاء فى انجيل يوحنا : « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الاب ، روح الحق الذى من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى (١٥/ـ ٢٦ ـ ٧) لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لأنه ان لم انطلق لأياتيكم المعزى (١٦/٥ ـ ٧) .

وجاء فى يوحنا ومتى أن المحافظة على وصـايا الرب وحمل الناس على المحافظة عليها هى الهـدف الرئيسى لرسالة المسيح . فهى اذن وظيفة المعزى المبشر به فمن عساه يكون ؟ ..

اضطربت آراء الشراح ، واشتهر أنه هو المسيح نفسه يعود بعد هذه الحياة ليحكم لا ليرشد فقيل انه هو النبى المبشر به ـ لكن هذا لا يروق فى نظـر المؤلف لان النصوص لا تساعد على هذا الفهم اذ هى تفهم انه مغاير للمسيح ثم ان العودة بعد هذه الحياة للحكم لا للارشاد لا تحقق المحـافظة على وصـايا الرب وتنفيذها .

ولكى يهتدى المؤلف الى دليل مقنع رجع الى نشأة الاناجيل واللغة التى كتبت بها أولا والترجمات التى مرت بها ، فهى كتبت بلغة آرامية أو عبرانية وكلام المسيح وخطبه كانت بالآرامية وترجمت كلها بعـد ذلك الى اليونانية ، وقد تناول الدارسون والشراح من قديم وحديث هذه المسألة بالبحث فرجع المؤلف الى دراساتهم .

يقول قداسـة فيلبس فى كتابه « **الأنجيل فى الانجليزية الحديثة** » اننى مأخوذ الى حد ما باقتراح البروفسور بيل المتخصص فى اللغات السامية فى جامعة بيل الذى يقول : « ان الكلمات الأصلية التى تذكرها المسيح قد ذكرت باللغة الآرامية وطرأ عليها بعض التغييرات عندما أعيدت كتابتها باليونانية ومن ذلك قصة المرأة التى ضبطت تزنى « يوحنا ٨ /١١» اذ لا مكان لها فى المخطوطات القديمة ـ ولهذا يقول دوميللو : ان عمل المثقف الذى ينشد التعرف على كتاب العهد الجديد لهو أصعب بالنسبة للعهـد القديم ،وقد يذكر الناسخ ما ليس فى النسخ ولكن

ما ينبغى أن يكتب حسب اعتقاده وقد يأتمن ذاكرة يتغلب عليها الهوى وربما حرف النص ليكون مناسبا للمدرسة ، التى ينتمى اليها فى آرائه » .

« والى جانب ذلك يوجد عدد هائل محفوظ من النسخ ، وبجانب مانقل عن الآباء المسيحيين الأول من طبعات ومقتطفات يوجد نحو اربعة آلاف نسخة اغريقية من العهد الجديد مازالت قائمة ونتيجة لذلك فان اختلاف القراءات له اعتباره كما ترشد لذلك الطبعة المعدلة للكتاب المقدس سنة ١٩٥٢ » .

والى جانب نقول أخرى ذكرها عن الشراح تتعلق بالأناجيل انتهى الى مابراء القاعدة الأصلية فى تفسير المخطوطات وهى أن يفسر المخطوط بمخطوط مثله — واذن فالأناجيل المطبوعة لا تعطى صورة مضبوطة عن كلام المسيح فضلا عن أنها لا تحويه كله واذن فلابد من الرجوع الى مصادر أخرى .

ومن جهة نظر المسلمين — تتفق التوراة والانجيل والقرآن فى أصولها وبعضها يفسر بعضا وقد ذكر القرآن أن النبى المبشر به ، فى التوراة والانجيل ، هو النبى محمد (ص) .

ولئن كانت هذه الفكرة لاتقنع من لايؤمن بالقرآن فان المؤلف لايقتصر عليها وحسبه انه لفت النظر اليها فقط . ولكن اذا رجعنا الى ما سبق من أن بنى اسرائيل أضاعوا وصايا الرب وسجل المسيح عليهم اللعنة فليست النبوة فيهم وانما هى فى اخوتهم بنص التوراة ولا يمكن أن يكون هذا النبى واحدا من رسل المسيح لأنه لم يعينه وانما ذكر أنه يأتيهم بعد رحيله لا انه موجود بالفعل— وبين أنه يقيم وصاياه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واباحة الحلال الطاهر وتحريم الجنس .. الخ وكل هذا يلفت الى الآية الكريمة من القرآن :

«ورحمتى وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحين » الأعراف ١٥٦ .

ازاء هذا التوافق يكون النبى محمد (ص) هو المبشر به .

هذه خلاصة وجيزة للمحور الذى دار عليه البحث . وقد نقل المؤلف نقولا طويلة وكثيرة عن كبار الدارسين وعلماء اللاهوت المسيحيين امثال جيمسون وهست وبراون وندل وغيرهم .

وهناك مسائل أخرى جاءت عارضة — مثل بشرية المسيح ومناقشة نظرية الصلب والفداء واندماج الثالوث الأقدس أو عدم اندماجه وفكرة التثليث نفسها وتاريخ نشأتها وتطورها .. الخ . وهذه كلها يكتفى المؤلف أن يعرض فيها آراء هؤلاء الذين قدمنا وغيرهم من دارسى الأناجيل والمتخصصين فى اللغات السامية — وهو فيما يبدو من كتابه لا تنقصه الجرأة ولكنه يؤثر الدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويستمع الى محاضراته عادة أساقفة وقسس من كنائس شتى . كما يحضر زعيم الطائفة الأحمدية الباكستانية . وكان الحاج اجستو منها ثم تركها ويعقب المحاضرة تعقيبات واسئلة ومناقشات ولكن لا يحدث سوء تفاهم ولا مشادة لأن البحث الذى يتسم بالعلم ويعتمد على المنطق ينبو دائما عن المهاترات .

اقول هذا وأمامى بحث آخر كتبه أنور حداد أحد مسيحيى لبنان وأسماه « **الوفاق التام بين المسيحية والاسلام** » كله طعن وشتائم والعانة لبنى الاسلام وهجوم عليه ولو شئت الرد عليه وتفنيده لفعلت ولكنى أعلم ان فى بيروت طائفة مأجورة تود أن تقيم حول كتاباتها ضجة تنال أجرا أوفى .

وكل ما هناك أن هذا المؤلف يسجل الفشل الذريع حتى فى الشتائم — وقد كان الفارق البعيد بين بيروت ولاجوس ولبنان ونيجيريا فى الموقع الجغرافى والحظ من الحضارة وكثرة المدارس وشيوع الثقافة ... يوجب أن يكون كاتب بيروت اكثر حظا من المنطق وأكثر حظا من الثقافة أو على الاقل مماثلا أو قريبا ، ونيجيريا فى جملتها أقل من لبنان فى هذا ولكنه أدب الاسلام وتعاليم القرآن وهدى محمد صلى الله عليه وسلم تلك التى توحى دائما الى المسلمين « ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى» .. «قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» .

وقد ختم الحاج اجستو محاضرته بالآية الكريمة :

« ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

ونحن نكرر معه هذا الدعاء عبادة لله وردا على السفهاء .

« عبد الجليل شلبى »

كتب جديدة

تقدمها : أحمد عبد الصمد دياب

● **العلاقات الدولية في الاسلام**
تاليف : محمد أبو زهرة
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر

هذا الكتاب ضمن سلسلة التعريف بالاسلام التى تصدرها المكتبة العربية باشراف وزارة الثقافة والارشاد القومى

يقع فى زهاء مائة وعشرين صفحة من القطع الكبير ، وتناولت دراسته العلاقات الانسانية ودعائمها : الكرامة الانسانية ووحدة العالم ، والتعاون الانسانى ، والتسامح والحرية والفضيلة والعدالة والمعاملة والوفاء بالعهد ، والمودة ومنع الفساد .

كما تناولت الدراسة العلاقات الدولية فى حالتى السلم والحرب ، فالاصل فى العلاقات هو السلم ، ثم تناولت دار الحرب ودار الاسلام ودار العهد ، والسيادة والمعاهدات والصلح ، والباعث على الحرب فى الاسلام ، والفضيلة فى أثناء الحروب ، ثم احترام الكرامة الانسانية فى الميدان ، والمشكلات والقضايا بعد انتهاء الحرب فالحرب تنتهى بواحد من أمور ثلاثة :

اما باستنفاد أغراضها بتسليم العدو ، واما بموادعة اى هدنة ، واما بصلح دائم مستمر ، والاسلام فى الحالات الثلاث هدفه تحقيق العدالة على أسس من الحق والنزاهة والانصاف .

● **دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام**

تاليف : حسنى عبد المجيد

الناشر : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

اشار المؤلف فى مقدمته الى الصلة بين اشتراكيتنا العربية والاسلام ، فتنظيم مجتمعنا فى حد ذاته هدف من أهداف الدين ، والاسلام كان على موعد مع البشرية ، ودعوته تقدم ورقى وبناء ومعاملات حية ، وشمائل .

ثم ناقش قيمنا الجديدة فى ظل الاسلام ، وقال ان التمكين الاشتراكى تمكين للدين الاسلامى ، وان الاسلام ثورة على الظلم ، وان الرجعية استغلال بحرمه الدين ، وأن الاشتراكية ظل العدل الاسلامى ، وأن أهداف نضالنا الوطنى من وحى الاسلام ، وأن العدل أبو القيم ، وأن الاسلام بعد ذلك له السبق كل السبق دائما فى تكريم الفرد والانسانية جميعا وتوجيههما الطريق المستقيم لتسود مفاهيم الاسلام دائما وابدا ، وحتى تعلو كلمة الله تبارك وتعالى ، ويقع الكتاب فى أقل من مائة وتسعين صفحة من القطع المتوسط .

● **رحلات الحيوان والطيور**
● **تاليف : د . مريديتى حنا**
● **الناشر : دار القلم**

هذا أحد أعداد سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد ، ويقع الكتاب فى اكثر من مائة صفحة من القطع الصغير .
أشار المؤلف فى مقدمته الى أن الكثير من الحيوانات يعيش فى مجموعات كبيرة أو قطعان طيلة حياتها ، وهذه التجمعات من الحيوانات المختلفة التى تضم الحشرات والأسماك والطيور والثدييات دأبت على الحركة والانتقال من مكان الى آخر ، والانتشار الحيوان من منشئه الاصلى أمر لا مفر منه . وذلك لتزايد عدده ، وما يتلو ذلك من منافسة وتنازع للحصول على الغذاء الوفير .

ثم عرض المؤلف لانواع الرحلات ، فيغلب عليها الطابع الفردى أحيانا ، والطابع الجماعى طويل الأجل أحيانا اخرى ، وهذه الرحلات أما اضطرارية واما موسمية ، واما انتحارية ، واما مصاحبة لتنقل الانسان ، واما ليلية تخريبية .

كما عرض للاستعداد للرحلة والقيام بها ، وما يستلزمها من أمور ، وعرض لرحلات الحشرات والاسماك والطيور والحيوانات الثديية ، ثم ختم دراسته بجدول لرحلات الطيور المشهورة بمصر من طيور مهاجرة عابرة ، ومهاجرة زائرة شتوية وصيفية ، واسماك مهاجرة شتاء .

● المجتمع فى شعر احمد الزين

تاليف : عبد الرحمن خليل ابراهيم

الناشر : المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب

يقع الكتاب فى مائتين وسبعين صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة على جانب من الاهمية ، فشعر احمد الزين الاجتماعى كما يشير الاستاذ على الجندى فى تقديمه للكتاب ، فى القصائد والاراجيز ، تعد انفس ديوانه ، كما انه يسلكه كمية وكيفا فى نسق كبار الشعراء الاجتماعيين .

والمؤلف فى دراسته القيمة تناول شعر الزين فى مرحلة الشباب ، مرحلة عـدم الاسـتقرار فى الشخصية وما يتبعها من عدم الاستقرار فى الانتاج . وطابع مرحلة ما بعد الشباب ، حيث يكون الاستقرار فيها نسبيا ، وما يتبعه من الانسجام فى الانتاج وعدم التضارب ، وكان ان تلمس المؤلف الحياة الاجتماعية من خلال شعر الزين فى مرحلتين : مرحلة الشباب وطابعها فردى ، وعن طريق الافراد يمدحهم حينا ويعتب عليهم احيانا وعن طريق الحكم التى يراها فى المجتمع فى صورة افراده ، ومرحلة ما بعد الشباب وطابعها اجتماعى ، ويبدو الانسـجام التـام فى محصولها . وكان ان تناول المؤلف فى هـذه المرحلة جوانبها الدينية والخلقية والاجتماعية .

وفى الباب الخامس عرض المؤلف لشعر الزين السياسى ، شعره فى الاسـتعمار ، فى الحـكام والشعب ، ودور الشعر فى معركة الحرية .

● تطوير الخطابة المنبرية

تاليف : على رفاعى

الناشر : مكتبة صبيح بالازهر

الكتاب يقع فى مائتين واربعين صفحة تقريبـا ، والمؤلف مراقب عام الوعظ بالازهر ، وله مؤلفات عديدة فى هذا الاطار ، وكتابه هذا على مسـتوى الشعوب الاسلامية ، يساير نهضاتها ويرسم طريق الوصول الى اهدافها .

تحدث عن الخطبة المنبرية وخطورتها وتاثيرها فى نفوس السامعين ، قال ان الخطيب الحق هـو الذى يتعمق فى دراسة مشكلات مجتمعه ويحاول علاجهـا فى خطبه ، وسلاحه الاخلاص لله فى عمله .

وقد عرض المؤلف نماذج من الخطب المنبرية عن اختيار الاصدقاء ، ووسائل النهوض بالمجتمع والامانة سر النجاح ، وقد استوعب الكتاب بعد ذلك أكثرمن اربعين خطبة وفى آخره نماذج لدروس فى تفسـير القرآن .

« احمد الصادق عبد الصمد »

جريا على عادة « الرسـالة » فى إصدار عدد خاص عن الهجرة ، يصدر العدد القادم خاصاً بهذه المناسبة الكريمة .

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى



● النظم الدينية والاشتراكية

تحت هذا العنوان نشر الدكتور « محمد طلعت عيسى » بحثا فى «المجلة المصرية للعلوم السياسية» وتطرق الدكتور فى بحثه الى أهمية الأديان وحاجة الانسانية اليها ، ذلك أن الدين هو الذى يميز المجتمع البشرى عن المجتمع الحيوانى ، ولن تستقيم الحياة الانسانية اذا خلت من المقومات الروحية ، ثم نص الدكتور على أن « القول بأن الدين أفيون الشعوب تصوير منحرف لأثر القوى الروحية فى النفس البشرية، فبينما يجمع الباحثون على أن الدين هو سر سعادة الانسان ، وأن القيم الاخلاقية والانسانية المنبثقة عن الأديان هى التى تخفف آلام الحياة المادية ومصاعبها ، واذا كانت الصورة التى اتخذها انصار التفكير المادى البحت والتفسير المادى لكل مقومات الحياة الانسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها متأثرة ببعض أشكال التسلط الدينى الذى ثار عليه كالفين ولوثر — فان الثورة لم تكن على الدين فى ذاته ، وانما على محترفى الاشتغال بالدين الذين انحرفوا عن تعاليم الكنيسة وعن احكام الكتب المقدسة » ويتحدث المقال عن الاشتراكية العربية وما تمتاز به عن غيرها من الاشتراكيات الاخرى فيوضح انها تضع فى الاعتبار الاول الايمان بالله ورسوله وأن الدين هو التعبير الحقيقى عن الفضائل الاخلاقية والقيم الروحية التى تهيىء للمجتمع قوة دافعة وخلاقة . كما يؤكد المقال أن هذه الاشتراكية — مع ايمانها بأهمية النوافذ المفتوحة على جميع آفاق المعرفة ، وأهمية الخبرات والتراث الحضارى العالمى وثمار الفكر الحر فى سبيل ايجاد المجتمع الحر والفرد الحر — تعتبر أن تراثها المحلى وشرايين الحياة فى بنائها القومى لا بد أن يمتزج بثمار الفكر والتجارب الأصيلة العالمية .

● اقبال .. والحضارة الغربية :

بمناسبة ذكرى الزعيم الروحى « محمد اقبال » نشرت الثقافة مقالا عنه فى العدد الثالث والتسعين ويشير كاتب المقال عبد المنعم السكرمى الى أن اقبال لم يكن لباكستان وحدها ولاللشرق وحده ولا للعرب وحدهم وانما كان واحدا ممن كرسوا حياتهم وبذلوا جهودهم لخدمة الانسانية كلها ثم تحدث عن نشأة اقبال فوضح أن والداه نشآه تنشئة دينية ورbياه على معرفة ربه والتحلى بأخلاق نبيه لم تبهره حضارة الغرب ولم تستهوه مغريات أوربا ودلل على ذلك بقول اقبال « لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهرنى ويعشى بصرى ، وذلك لأنى اكتحلت بأثمد المدينة » ويقول « مكثت فى أتون التعليم الغربى وخرجت كما خرج ابراهيم من نار نمروذ » كما أشار الى أن اقبال قد أدرك أن الحضارة الأوربية قد تمادت فى ماديتها . وتغاضت عن القيم وتخلت عن روحانياتها فظهرت المعسكرات المختلفة ، وسادها انحلال فى الأخلاق وعزوف عن الاديان وفى هذا يقول اقبال :

بطالة وعرى وسكر وافلاس
تلك هى فتوحات المدنية الغربية
قوم محرومون من الهداية السماوية
تقدمهم مقصور على الكهرباء والتجارة

أما عن المادية الغربية فان اقبال رأى فيها اسبابا لشقاء الحياة كما راى ان الرجل الاوربى فى قلق واضطراب لا يعرف الاستقرار ، وفى هذا يقول :

« والانسان العصرى بما له من فلسفات نقدية وتخصص علمى يجد نفسه فى ورطة ، فمذهبه الطبيعى قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة لم يسبق اليه ، ولكنه قد سلبه ايمانه بمصيره · ويقول : « والانسان العصرى وقد أعشاه نشاطه العقلى كف عن توجيه روحه الى الحياة الروحانية الكاملة أى الى حياة روحية تتغلغل فى أعماق النفس فهو فى جلبة الفكر فى صراع صريح مع نفسه وهو فى مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية فى كفاح صريح مع غيره » على أن المقال بين ان اقبال قد حذر الغرب قائلا : « ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها ، لا يثبت العش على غصن رطيب ضعيف مضطرب » ويختم «السكرمى» مقاله بقوله : « لقد قدم اقبال للاسلام خير ما فى الحضارة الحديثة وأخذ على عاتقه مهمة تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ، فقد عرض الاسلام عرضا منطقيا فى محاضرات انطوت على أفضل المبادىء لفهم العقيدة فهما صحيحا، وكان اقبال رغم علمه وواسع اطلاعه ليس مجرد صدى لأفكار غيره وانما كان مفكرا أصيلا كما قال فيه سير توماس أرنولد ·· واقبال كذلك هو الذى اتجه بتفكيره اتجاها جديدا ونادى بعالم جديد يبذل افراده الجهود فى كشف أسرار الطبيعة وتسخيرها لخير الانسانية ونادى بفلسفة جديدة تدعو الى الاخاء الانسانى على أساس من التعاون والحرية وصلة الاحرار بالأحرار لا السادة بالعبيد » ·

● معركة جديدة :

افتتحت « الآداب » اللبنانية عدد ابريل ١٩٦٥ بكلمة عن المعركة الجديدة التى تخوضها الان الامة العربية ، ضد قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية تلك التى ظهرت بعنف وبصورة متكالبة ، وتقول الآداب ان الامة العربية كانت بحاجة الى زعيم مخلص جرىء كالرئيس جمال عبد الناصر لتستطيع ان تقف هذه الوقفة الاجماعية التى وقفها فى وجه الاستعمار الالمانى الامريكى ، كما طالبت العرب بأن يحشدوا كل طاقاتهم المادية والبشرية والنفسية ، وكل مواردهم وامكانياتهم وكل أسلحتهم وعلى رأسها سلاح البترول ، لمواجهة هذه المعركة التى تفرضها عليهم الصهيونية التى يؤازرها الاستعمار العالمى ، والرجعية العربية التى ما يزال لها أنصار هنا وهناك يحاولون ان يضربوا التقدم العربى بأساليب التهدئة والتخدير وانصاف الحلول وتفتيت القوى الوطنية ·

● التعليم واللغة الفصحى :

عرضت مجلة « المعرفة » السورية لما جاء فى « النشرة التربوية » التى تصدر عن وزارة التربية الوطنية فى الجزائر · وتحت عنوان « اللهجات المحلية ولغة التعليم فى الجزائر » يشير العدد الثامن من هذه النشرة الى أن اللغة الفصحى خير وسيلة يمكن الاستعانة بها للتفاهم بين أبناء الاقطار العربية ،

ثم اردفت هذه النشرة فقالت : انه قد ظهرت مشكلة هامة وبخاصة فى المدارس الابتدائية حين بدأ المعلمون الوافدون من البلاد العربية يمارسون واجبهم القومى نحو اخوة لهم فى اللغة والدين والتاريخ والمصير ·

وضربت مثلا لهذه المشكلة فقالت « فى العراق مثلا حينما يقول المعلم لتلميذه « ماكو » يدرك تلميذه المعنى وهكذا دواليك فى بقية الأقطار الشقيقة فى المشرق والمغرب ··

انما حين ينتقل المعلم العراقى الى الجزائر او المصرى الى المغرب أو السورى الى السعودية ويحمل معه لهجته الاقليمية او المحلية ويستعملها وسيلة للتعليم يقع العجز فى الفهم والادراك وتظهر مساوىء اللهجات المحلية واضحة جلية ·

واقترحت النشرة الجزائرية بعض الحلول لهذه المشكلة كان :

١ ـ تستعمل الفصحى ـ فى أغلب الأحايين ـ وسيلة للتعليم ·

٢ ـ أن يستعمل المعلم الوافد بعض الكلمات الجزائرية المحلية مثل « ماكان شى ـ ماكاش » بدلا من « ماكو » ·· « مافيش » او « ما فى » « كاس » بدلا من « كلاص » او « كباية » الخ ·

هذه بعض من الحلول التى اقترحتها النشرة لتساعد على حل مشكلة التعليم بين المعلم العربى الوافد وبين التلميذ الجزائرى ·

« محمد العوانى »

شجيّون وخليّون

بقلم: حبيب الزحلاوي

تحولت عن الجلوس في مشرب «سان جيمس» الى حانة جانبية في شارع هادئ، تجلل نوافذها ستائر تحجب المارة عن رؤية جلاسها ، ولم يكن ثم من سبب لهذا التحول الا استحالة تمازج رواده الدائمين وصعوبة اندماج الخليين منهم بالشجيين .

من طبيعة الخلي المرح والمباسطة والتنكيت ، يرشف الكأس نخب الصاحب او الصديق أو الحبيب الذي يحب أو المخلوق الذي يتخيل ، أو اعداد النفس لتكون مرتاحة بمن تنتظر لقاءه ، او امتاع المزاج بلذة الشرب لذاته ، او استطابة الحديث مع أي انسان حبا في اظهار الذات وارضـــــائها . بعكس الشجي في الانطواء والصمت والعبوس واجترار الحدث الذي أوجد الاكتئاب، وادامة تكراره ووقوف الذهن عن تحليله .

من هذه الحانة الجانبية اتخذت محـــلا مختارا لي وسرعان ما صار بمكوكة تضم الشجيين الذين يناجون الكأس مثلي ، يديمهم ذاتيتهم المنطوية على الحــزن ، ولكن سرعان ما يتناول الشارب الكأس الثالثة حتى تنحل عقدة لسانه فيحس بالحاجة الى كلام ينفر منه النفس يرفه عنها الهم والكدر ان بالشكوى والتأسي وان بالعودة الى امتداح حال الزمن الســـــالف السعيد والترحم على أيامه الحلوة .

ليس من المصـــادفة ان تكون شكاوى رواد تلك البمكوكة واحدة منبعثة من علة واحـــدة هي الزوجة ... من زوجاتنــا النكدات المبذرات ، بل الغريب هو الاجماع على الشـــكوى من الزوجة .

عرف كل منا بالتقريب وجهة نديمه وزميله ، وقد صرنا بعضنا يواسي بعضا ، نعرف موعد قدوم كل واحد الى البمكوكة وموعد عودته الى البيت ، نفتقده اذا تأخر او تغيب ، ونخلص له الود رغم نزوات السكارى وجنونهم في بعض الحالات .

وفي ذات ليلة من ليالي الشتاء الطويلة ، وفد علينا وافد جديد ، مهيب الطلعة ، متواضع الهندام ، يصطنع البشاشة في حين تفضحه العبوسة ، ينحط غير متعمد على مقعد قريب من مقاعد دوحتنا ، يحيي تحية الود ، وسرعان ما اندمج بنا وصـــار واحدا من بمكوكتنا ، وقد كان مثلنا في صمته وانطوائه الا ان الكلام كان يجمد عند شفتيه ، والتنهدات المحروقة تنزلق متقطعة من صدره ، وبرغم ذلك استطاع بعد شرب الكأس الثالثة ابدال جونا الصامت بحديثه الطريف وباخبار يرويها عن مشاهداته في بلاد الناس ، ومعرفته بأنواع من فنون الادب والحياة ، وعن حظه في حياته الزوجية .

سأله احدنا – أي الحظين من الحياة الزوجية تعني – الحظ السعيد أم الحظ الآخر ؟ .

انقلبت سحنة ذلك الرفيق واعتلتها الكآبة ، فمسد يده الى الكأس فعب ما فيها عبة واحدة ونادى النادل يطلب سواه . ثم التفت الى السائل وقال أمن الكأس الثانية تطالبني بحل عقدة لساني ؟ وضحك –

– كلنا في الهم شرق ... أعني هم الزواج .

– لا تقل يا صاحبي في هم المرأة شرق وغرب بل قل ان المرأة هي المرأة سواء أكانت من هنا أم من هناك ، حضرية ام صحراوية ، متمدنة ام جاهلية ، من دأبها السعي الى معرفة ناحية ضعف في رجلها ، ومتى عرفتها – بحوله الله – تكشف له عن طوية أقل ما يقال فيها الأثرة والشر .

– الا تجد غلوا في هذا الوصف ؟

– اذا صدقت أقوال سليمان الحكيم « ليس بين الحيات حية صالحة » – لا أكون مغاليا أو مبالغا .

– لست الايثار وحده كان علة المرأة .

علت أصوات من هنا ومن هنا ، وانطلقت السنة الرفاق في ابراز محاسن المرأة ومثالب الزواج واختلط الكلام .

– على رسلكم أيها الرفاق ، كل رجل يحب المرأة ، وكل امرأة تحب الرجل ما خلا ذوي الشذوذ من الجنسين ، ولكن حب المرأة للرجل يختلف عن حب الرجل للمرأة ، لأن حبهــا يعود الى مزاجها المتقلب ، والى نزواتها العديدة بعكس حب الذكــر للأنثى .

– أليس التبسيط أجدى من التفلسف يا رياض بك ؟

– أرجو منك ان تنعتني بالسيد أو الأستاذ احتراما لاشتراكية الدولة وديمقراطيتها وتقديرا للعلم ، اما لقب بك فلم يعد يرضى به الا السخيف أو الرجعي أو المغرور .

كانت الكؤوس تملأ وتفرغ ، والألسنة لا تنفك تلوك اقوال الاستاذ رياض في نظريته في حساسية المرأة وشعورها وتقلبات مزاجها ، ولم يكف الرفاق عن التعليق والتعقيب الا حين عاد الاستاذ رياض في نظريته في حساسية المرأة وشعورها وتقلبات أن لولا وجيعتنا من زوجاتنا لما كانت هذه البمكوكة المتجانسة .

ولا هذا الشراب اللذيذ والرز الشهي ، ولا هذا الحديث الشجي ، واني لحدثكم عن زوجتي بل عن ناحية من حياتي ولكم بعدها ان تحكموا على الحظ السعيد أو غير السعيد .

انصت الجلاس الى سماع حـــديث الاستاذ رياض قال . انمحت صورة والدي من ذهني وقد مات وانا دون الرابعة من عمري . وقد ادبتني امي وبعثت في روح الاعتماد على النفس ، وكانت تثير نخوتي لأكون من الأوائل في دروسي ، وكنت بين الطلبة دائما من المتفوقين . اجتزت امتحان الابتدائي والثـــانوي ورحت الى الكلية .. لقد اختارتني الجامعة لأكون في عـــداد المبعوثين الى فرنسا ، وقد لزمت « السربون » أربعة أعوام الهل العلم ، لم انفك خلالها من الســؤال عن أمي الحبيبة ، وعن خطيبتي المحبـــوبة ... لقد قبلتني امي ، وقبلت يدها ساعة الوداع ، ولكني بكيت ساعة مددت كفي لوداع من اودعتها قلبي وحبي ، الى وهيامه خطيبتي . وقد كنت اقسمت لها كما اقسمت لي وتعاهدنا على الزواج عقب العودة من فرنسا ... عـــدت من اوربا ، وكنت آمل رؤية امي وهي ملاذي في الحياة ، ولكني ادركت من الثوب الاسود الذي كانت ترتديه خطيبتي ســـاعة استقبالها لي واهلها في المطار ان القضاء قد حم ، وان أمي قد فارقت الدنيا دون وداعي الاخير . لقيت بيتنا على حاله قبل سفري وعرفت ان والد خطيبتي كان يرعى مصالح امي رعاية تامة ، وان زوجته وابنتها كانتا تلازمان جارتهما الحبيبة والمدة القصير المتبقية حتى يوم وفاتها قبيل عودتي بشهر واحد .

لا اقول لكم اني لقيت خطيبتي على العهد بها قبل السفر بل وجدتها تامة النضج خصوصا وقد نالت شهادة الماجستير في الآداب ، وهي كما قالت لي قد صيرت نفسها لتنكافأ معي في نظرتنا الى الحياة .

لقد فرحت بهذه المقدمات التي خففت حزني على وفاة امي ، والتي شجعتني على المبادرة بالزواج دون اقامة اي اعتبار للسؤال عمن سنغدو زوجتي مدة غيابي الطويل وتحري تصرفاتها .

لقد انصرم العام الاول من زواجنا وكأنه يوم واحد متصل ليله بنهاره بالفرح الدافيء ، والسرور الدائم ، والغبطة الفياضة . لم نكن نحفل بشيء من فرط ما بنا من سعادة ، لقد ماتت حماتي ثم لحق بها زوجها في غضون العام الاول من زواجنا ، فما بالنا بهذه الفجيعة . وقد شاء القدر ان تحمل زوجتي وتلد في منتصف العام الثاني من زواجنا ورزقنا بابنة . فرحت ببنتي الحـــلوة وافرطت في اظهار فرحي بها لأسري عن أمها التياعها وغمة صدرها من أن وليدها البكر ليس بذكر .

قد تضحكون مني ان قلت لكم اني كنت قلقا على ابنتي واسميها « هناء » بل كنت اتوهم واتوجس ان يمسها سوء او ضر . كيف لا أخاف عليها وقد رفضت أمها ارضاعها حتى لايتغير تكوين صدرها ويتهدل ثدياها ويتعرضان للضخامة . وأبت الا تغذية ابنتنا تغذية صناعية .... من هنا بدأت مشكلاتي مع زوجتي ، ولكني رحت احل تلك المشكلة بكياسة وصبر . وقد استعنت بمرضعة تقوم مقام الأم . لقد أثار تصرفي الحكيم هذا زوجتي وراحت تنعى على اسرافي في الانفاق على بنت لا تساوي

اكثر من انها بنت . وكان يستوي في قرارة نفسها حياة الطفلة البريئة وموتها . الامر الذي أساء ظني بانسانية زوجتي ... عبثا حاولت اقناع زوجتي بخطأ تفكيرها ، وبثقل جناية القتـــل على الضمير ، وبالعقاب ينزله الله بالقاتل . وقد كانت تضرب بكلامي عرض الحائط وتضحك ساخرة من ضحالة تفكيري ومن سخفي خوفا على بنتي .... بنت . وترميني بادعاء المعـــرفة ، وتمعوني بطرفها ودلالها الى الاغتراف من لذات الشباب الذي لا معنى للحياة بدونه .

صمدت على مضض ، بل اقـــول عشت مع زوجتي الى حياة المشارب والملاهي كما كنا في عامنا الاول من الزواج . ويشـــاء الاهمال أن يمد يده القاسية الى طفلتنا البريئة . فبكيتها وجفت في سري على فاتلتها التي اغلقت لعزيتي وتسترضيني وتمنيني بانجاب ولد ذكر يفرح القلب ويسر خاطري ويسري عني .

لا تنسوا كئوسكم أيها الرفاق لأن لها حقا علينا يساوي حق الخواجة بتي صاحب الحانة الذي يطالبنا في عدد الكؤوس ، وفي الحساب أيضا وهو يمتعنا بأطايب الزاد .

شرب الجميع على صحة الاستاذ رياض ، وقد عزوه بوفاة ابنته « هناء » ، وعاد الاستاذ رياض الى اتمام حكايته فقـــال : لولاه حكمة تخفى علينا نحن البشر . لقد حملت زوجتي ثانيــة ، وان العشرات من الحبات التي تمنع الحمل لم تحل دون حدوثه ، وان استنكار زوجتي له وتافقها منه ، وسعيها الى افساده لم يأت بطائلة لأن الله قد اراد الانتقام منا فرزقنا بتوأم من البنات .

ضحكت في سري ضحكة الشماتة بزوجتي وفرحت بالابنتين بدلا من الواحدة . وما كنت ادري اني « كالساعي الى حتفه بظلفه » كما في الامثال . لقد ادركت زوجتي اللئيــمة شماتتي وسر فرحي فاعلنت علي حربا لا هي باردة ولا هي ساخنة . بل هي حرب قرف وقذارة . هي أنكى من الباردة والساخنة .

كنت في فرنسا آوي الى « بنسيون » تديره عجوز فتيــة الحركة ، صبية الهمة ، لا تتوانى في العمل ولا تكل ، تحب نزلاءها الطلبة ، تؤنسهم وتشجعهم ، ماغضبت مني قط ، وكانت تعني بي لحبي النظام والترتيب . على هذه الوتيرة من الوضـــع السليم عشت معها أربع سنوات . أما الآن وقد أصبحت زوجتي حبيسة البنتين ، وقد صدها عن ارتياد المشارب والمطاعم والملاهي برفقتي ، فقد عمدت الى الاذاقتي طعم الحياة التي احياها فرحا ببنتي . فصيرت فراشي منامة لهما وكذلك جعلت عوارض سريري منشرا لملابسهما النديه . والأنكى من هذا اني صرت لا أجد في صوان ملابسي منديلا أو جوربا أو قميصا . كما لا أجد على مائدتي لقمة أتبلغها بل اذهب الى المطبخ اغرف من الحلة ما طهته زوجتي على عجل وعفت لا أسمع منها الا الصخب على البنات وتربيتهن والشكوى من تغذيتهن وصب جام اللوم علي لأني الفاعل !! ألا يحق لي بعد هذا الهرب من زوجتي والقناة بمكوكتكم أيها الرفاق !!

ـ على رسلك أيهـــا الشكي المتمسك بأقدار هي الذنوب بعينها . وأقسم لك ان لو كانت زوجتي كزوجتك طراحة تحب

الحياة لكنت فتحت لها صدري ، أطبق ذراعي عليها ، أداريها ، أعاونها ، أواسيها ، أرغمها بالحسنى على الاحتفاظ بخادمة لعينها على خدمة طفلتين توأمين ، ان بكت الواحدة بكت الاخرى ، ولكنت اقدم لهذه الزوجة التي تريدني لذاتي كل معونة ومحبة . أقدم لها الطعام أنى كانت ومتى أرادت ، ولكنك — لا مؤاخذة — مدلل، قد علمتك عجــــوز أوربا النظام والترتيب ، وشغلتك مطالعتك ودروسك عن دراسة حال الانثى وحال الزوجة المصرية بخاصة ، ويحسن بي أن أقول لك ، بلسان أعضاء هذه المحكمة : قم توك وعد الى بيتك وزوجتك وبنتيك ، ولا تكن سكيرا ينتحل أوهى الأعذار يلصقها بزوجة كريمة تحب زوجها وتحب الحياة معه .

والآن لنسمع شكاية صديقنا السيد يسري ، الشيخ الذي بهظت الاعوام لمته ، وأكثرت من تجاعيد جبينه وتقويس كتفيه ، ولكنها لم تنل من نشاطه وحيويته وحبه تناول الكؤوس في صـــحبة النجيين ، وفي محكمتنا هذه بالذات .

— ٢ —

يسري — أما وقد فتحتم أبواب الحديث عن الزوجات فاني سأفضي لكم بسر أثقل صدري طوال الاعوام التي عبرت منذ عام ١٩١٩ واني لمريح صدري الليلة منه ومبرىء نفسي من وجيعته.

ان زوجتي من الفوج الذي نزع سعد زغلول الحجاب عن وجه أمها ، وقد طفرت البنات الشابات الى المجتمع ســـافرات ، فجرف تيار الحرية من صارت زوجتي فيما بعد مع من جرف من بنات وأبناء جيلها ، فاذا بها تجد نفسها محاطة بطائفة من ذئاب، تتشدق باسم الحرية وتفسر الحريات تفسيرات شريرة وتهون من قيمة الكرامة الذاتية باسم الحرية ، ذئاب تبتسم ابتسامة حلوة للنعجة الحلوة ، واذا بالنعجة الحلوة البريئة ، بحكم الفطرة ، تختار الذئب البسام وتصطفيه دون سواه .

لقد قيل لها ان من طبيعة الذئب أن يلغ في الدماء وحذروها من أنيابه ولكن .... ولكن ذئبها المختار ليس كسواه من أبناء فصيلته ، فهو أحلاهم حلاوة ، وأعلاهم رقة ، وأكثرهم بشاشة ، وأخلصهم ودا لها ، ولقد كانت تلك النعجة البلهاء من نصيبي.

اغمضت العين عن ذلتها الشنيعة ، وعزوت اثم تلك الذلة الى اندفاع الشباب ، والى طفرة الحرية ، والى جهل بنات ذلك الجيل طبيعة الذئاب البشرية ، والى عدم تحصنهن بالمناعة الخلقية.

لقد أرضيت نفسي من ذلك التصرف الانساني النبيـــــل ، واعتبرته سمو نفس ، مني وكياسة ، وسكت بدون ما منة وعتاب، وكيف لا اسكت ، وقد اعترفت لي المسكينة بكل ما أصابها وحل بها ، وهي تعدني بأنها ستكون لي زوجة مثالية في الوفاء والامانة والتقدير والاحترام .

لقـــد سكت ولم أكن أدري اني كنت الغبي الجهـــول ، والبسيط الساذج ، اذ لم يمض على قراني بها سوى شـــهور قليلة حتى ظهر الحمل الكامل ، وقد وضعت زوجتي طفلا تام التكوين صحيح البنية ، وقد استطاعت بما وهبها الله من حلاوة اللسان ورقة الأنوثة ، وفرط الجاذبية ، وحسن الالتفات الى ربما وهبني الله سبحانه وتعالى من فهم مقرون بالغباوة ، ومعرفة سداها ولحمتها الجهل ، والتسامح بأخطاء الغير ، اقـول لـكم يا اصحابي لقد اســـــتطاعت زوجتي أو توهمت انها استطاعت اقناعي بأن الوليد من صلبي انا ، وانه « سبعي » أي ابن سبعة شهور في الحمل ، وقد سكت ، واقنعت نفسي بان الوليد البريء من صلبي ، ولو كنت تنكرت للأمر الواقع لكان ألزمني الشرع بقانون « الولد للفراش » ولذلك رضخت لحكم قانون السانتي وكياستي وقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

كبر الامر علي يا أصـــحابي ، فتبـــاعدت قليلا عن فراش الزوجية ، وما لبثت نفسي أن نفرت من هذه الزوجة فعزفت اطلاقا عن المرأة ، وصرت أقول ، ثم أردد القول ، لم أراجع قولي ، ثم أستعرض سماحة نفسي ، وأحلل سذاجتي والسانتي وصرت كالمتسلي بعد حبات السبحة يعدها ثم يعدها ثم يعيدها كل ما قلب حباتها بأنامله ، وصمت أذني عن سماع أقوال الزوجة من ادعاءات فارغة أو من توسلات واستغفارات ، ومع ذلك لم أضق بزوجتي ، ولم أحملها تبعة خطيئتها لانها كانت ضحية جيل من بنات جنسها غير محصنات بالمناعة الخلقية ، الــــا زهدت في الحياة ، ولذت بالوحدة والانطواء ، وتحولت علاقتي بزوجتي الى شيء لا هو بالصداقة ، ولا هو بالألفة ، ولا هو بمعرفة الجوار، انه لشيء من غرائب علاقة رجل بامرأة ، ولم يطل حالنا هذا اكثر من أعوام قليلة حتى أصيبت المسكينة بحمى التيفوئيد ثم حم القضاء وقد تركت لي ابنها وهو في التاسعة من عمره يحمل اسمي ولقب عائلتي .

لقد كبر الغلام وهو لا يعرف الا اني والده ، وهو ابني الوحيد المدلل ، وقد شب وأخذ يشق طريقه في الحياة ثم طلب مني أن أزوجه ، لأن بيتنا يمتلئ الفراغ ويحسن أن تملأه زوجة تديره وترعى حياة الأبوة والزوجية .

لم اقطع برأي في هذا العرض المعقول لأني الفت الوحدة والانطواء واجترار الأسى ، ولكني ما لبثت أن رضيت بزواج ولدي رأفة به وهو المخلوق البريء ، فتزوج ، فانقلب حال بيتنا الهادىء الى حال هو الشباب والحركة والوثوب والأمل ، اما أنا فقد لزمت الحياة التي ارتضيتها وهي الوحدة والانطواء واجترار أســـية العمر .

لقد كبرت يا أصدقائي وشخت كما ترون ، وقد لمع ابني أن صرت قاب قوسين من نهايتي فراح يطالبني بالتنازل له عن البيت الذي أملكه وعما ادخره من نقود وأوراق مالية ، وبذلك توفر ضريبة الأيلولة .

كان العرض سمجا ، والنظرة الى الموضوع بعيدة عن اللياقة الادبية ، بل كانت بالنسبة لي كمن يستعجل الحصول على الشيء قبل أوانه ، أو حث الخطى نحو القبر .

قلت لولدي هذا اني بخير وعافية والحمد لله ، وان كل ما املكه من مال وعقار آيل اليك وحدك ، وان حق الحكومة من تحصيل ضريبة الايلولة واجب أيضا ، فلا داعي اذن للاستعجال ولا الى التشاؤم بقرب الحياة والدنو من النهاية الحتمية ؛ لم يفهم كلامي بل راح يقول بسماجة خالية من عطف الابن البار على أبيه الشيخ الى الصبر محتوم والايام الباقية قليلة .

لقد نكأ كلام هذا الشاب الوقح الجرح الذي لم يندمل واعاد الى ذاكرتي حدث ولادته وتطوره ونتائجه . وقد دفعت ثمنا لذلك الحدث زهرة عمري وسني حياتي كلها . لقد لفظني حديث هذا الولد لفظا فنهضت من جديد الى الدنيا . الى اجتناء اللذة في سن الستين . الى اقتطاف ازهار الحياة وثمارها ضاربا بتقدير العمر ومغالطا في تمـــداده . الى القباء بمـــكوكتكم هذه التي ساهجرها منذ الليلة لألقى الخليين ممن ينادمون الشراب منادمة لفرح النفس . علهم يفتحون الباب الذي اغلق دون الحب فيعود لقلب الشيخ صباه . واني . اعترافا بجميل صحبتكم وتفضلكم بفتح باب هذا الحديث . حـــديث الشكاية من الزوجات الذي أشعرني الساعة بأني برئت من مرض الانفراد والانطواء واجترار الأسى منذ اعترافي لكم بهذا السر الذي طويته في صدري أعواما عديدة . فان شرابكم الليلة على حسابي . واعاهدكم كما اعاهد نفسي بأن اترك لولدي ما يتبقى له من مال وعقار بعـد موتي . لا حبا له وهو بريء . بل اعتزازا مني بالروح الانســـاني الذي افاضه الله علي .

هلل الرفاق لكلام هذا المتبرع بأثمان عشرات الكؤوس التي كرعوها . اكثر من تهليلهم لروحه الطيبة ونفسه الانسانية . وقام واحد منهم يغبط هذا الصديق على عزمه على مصارعة الشيخوخة وتحديها بالانغماس في لذات الحياة واجتناء ما يمكن جنيه من الثمار الطيبة ويدعوه مع الرفاق الى سماع شكاية الاستاذ صلاح· الرسام الذي لا ينفك دقيقة واحدة عن القفش والتنكيت لي حين نرى الدموع حيرى في عينيه وهو يضحك بقهقهة .

ـ ٣ ـ

صلاح ـ صدقت فيما قلت يا صديقي وأحسنت في وصفك دموعي الحيرى في عيني تخللها الضحكات . في حين اني أقسم لكم صادقا اني مللت الحياة وسئمت نفسي النكد . وطهقت من الشرور . واني أدعو الله من صميم قلبي أن ييسر لي طريقي نحو الراحة الكبرى .

لقد براني خالقي فنانا أشعر بالحياة تمثلها « كلمة » من شاعر أو « نغمة » من موسيقى أو « لون » من بين الوان رسام موهوب . أو « حركة » تتوهمها تتحرك في الحجر الذي نحته نحات بارع . وقد وهبني الله نعمة الحب . اي حب ؟ حب الاشياء التي يمثلها الفن الرفيع للروحانية التي يتجلى فيها جمال المبدع العظيم .. لست مخاطبكم يا اصدقائي بلسان السكير بل بلسان النشوة التي صقل الشراب نفس شاربها فجعلها صـــافية ونقية . فيهذه النقاوة والصفاء . أقول لكم اني فنان محب لكل ماهو جميل . أتوسم الجمال في الاشخاص والاشياء فأحبها . لا حبا عابرا بمثل الاستلطاف او الاستظراف . بل حب الكلف بالجمال لنفسه . ولعل أعظم حب هو الذي أخص به المرأة لانها ولا شك أجمل مخلوقات الله . وبرغم انها أجمل مخلوقاته فهي مطية الشيطان ووسيلته الى كل ما يفرح في الحياة ويحزن ويسعد ويشقي .

على هذا الوضع من البناء الفني خلقني الله وصيرني رساما، لا ارسم الصورة كما هي من واقع حالها . بل كما يجب ان تكون من واقع الفن .... ولا اطيل عليكم في شرح فلســـفتي لحب الجمال . بل اقصر الكلام واقول ..

بلغت الخامسة والاربعين من عمري ولم أتزوج ... البنات الجميلات كثيرات . وقد صرن اليوم يتفنن في ابراز مفاتنهن . ويتفن بزتهن في المدرسة وفي الكليات وفي الشوارع والســـينما ايضا . كلهن جميلات ولكن .... أين الجميلة التي لا يشـــوه جمالها ناحية نابية ؟ أين الفتاة الجميلة التي يكتمل فيها جمال الطلعة . وسحر العين . وبهاء الشعر . وتناسق القد والقوام . اخاطبكم كرسام فنان وناقد ومحب للجمال في مجمله لا في تفاصيله . وأسكت عن سحر الجمال الذي تمثله الجاذبية التي لا اعرف كيف اعبر عنها . ولا استطيع القول فيها الا أنها كالروح. شيء من عند ربي . متى وجدت افسدت على الشاعر شعره وكلمه وعلى الموسيقي لحنه ورنته . وعلى المغني صوته ونغمته . وعــلى الرسام والنحات الوانه وحجارته لأنها الجاذبية التي تخضع كل القوى لقوتها . وكفى بها من آسرة تجتاح الفنـــون ومقاييســـها ومعاييرها وضوابطها . وبالرغم من كل ذلك . أعني برغم أني رسام فنان وناقد دقيق . وبرغم الفتنة الجاذبية وسحرها . برغم كل ذلك . تزوجت من فتاة جميلة ساحرة العينين . متناسقة القد والقوام . مهذبة النفس . جامعية تتمذهب بمذهب رئيسها « دعه يعمل » اي ما يريد الطالب الجامعي عمله . الا أن حبها للفن والجمال نسبي ... أقول تواضعا مني أن حب زوجتي للجمال والفن نسبي حتى لا اصـــدم شعوركم بما افضت من شرح للجمال وتشويق للفن لذلك اضرب الأمثال : كنت وزوجتي ذات مســـاء في نزهة في طريق الكورنيش فاذا بالقمر يهل علينا بقوســـــه الساحر . وضوئه الرقيق . وقده الرفيع . فلم أتمالك من الفرح بهذا المخلوق الذي يطالعنا بجماله على قدر محدود حتى يصـــير بدرا ثم يتناقص الى أن يتماحق بقدر محدود أيضا فرفعت يدي اليه وأنا أرفعها الى الله خالق كل شيء جميل لأشكره على عطاياه التي لا يقدرها أكثر الناس حق قدرها . ولعل رفعت يدي بحركة تلقائية لمثل الفرح الذي ظلل وجهي . وقد استرعت حركتي انتباه زوجتي فسألتني وهي تظهر الدهشة والاستغراب عما بي ؟ قلت قوس القمر الوليد الصغير الجديد . فانفجرت سامحها الله بالضحك وهي تقول « قمرك الجديد ليس بصغير فقد انشق منذ اربعة ايام واصبح قد الحمار » !!

تصوروا بربكم يا اخواني مقدار ارتباطي برؤية الهلال والحمار الذي صدمتني به زوجتي الجميلة الجامعية وشبهت القمر به... منذ ذلك اليوم الذي لا أنساه صرت كل ما هل الهلال أو طلع البدر اذكر تشبيه زوجتي له فأبتسم ابتسامة الألم وتثور نفسي على منكري نعمة الله بجهلهم وفساد ذوقهم .

قلت لزوجتي بصريح الكلام أني أحب عينيها بدون كحل لان فيهما من السحر ما يكفيني . كما أحب التطلع الى مفاتنهـــا ومحاسن تكوينها فيجب عليها الا تحجبهـــا عني . أتدرون بماذا أجابت .. قالت بكل بساطة .. اني رسام ملحوس !! قلت لها هذا نصيب وهو عطية من الله أحمده عليها . ورجوت منها الا تستهين بما أحبه فيها لان « ليس بالخبز وحده يحيى الانسان »

كما ليس بالبنين وعدهم يحيا الوالدان قالت أنت اذن لا تحبني الا لعيني وقدي .. قلت لا والله فأنا احبك لانك أنت هي أنت بغير ما تحديد وتأويل واشكال ولكنها غضبت .

قالت ذات يوم انها تشكو من احمرار في عينيها . فمت من فوري اعرض على الكحال ، اي طبيب العيون احمرار عيني زوجتي، عون الكحال من امر هذا الالتهاب الوضعي الذي سيزيله مرهم يحسن استعماله بعناية . وقال ان شعرة او بضع شعرات من اهداب الجفون تنبت ملتوية الى الداخل فتهيج العين ، وان المرهم يذبل الشعيرات ويضعف قوتها وقد حذرنا من كل طبيب للعيون يشير باقتلاع الشعيرات من منابتها . فهي عملية غير ناجحة واثرها السيء لا يعالج .

استعمال المرهم مرة او مرتين في الاسبوع امر يزعج السيدة زوجتي ، اما استئصال الشعيرات في مرة واحدة ، فهو عناء واحد يزول ويزول معه الازعاج الدائم .. هكذا قالت زوجتي ... لا تخويف الطبيب ، ولا تهديد زوجتي من سوء المغبة ، ولا تعريض جفونها الى مبضع جراح وتشويهها ، لا شيء من ذلك اعادها الى الصواب . بل صممت وعزمت على استئصال الشعرة . وقد عادت من عند طبيب العيون عشاء الجفون ، منتوفة الهدب، ملتوية الاشفار !! .. حتى جنوني ... فقدت ثروة من بواعث الحب لزوجتي ... اتدرون ماذا قالت لي ؟ قالت ان طبيب العيون قال لها لا بأس مما وقع فأنت قد تزوجت وقد قضي الأمر وقد يرضى بك زوجك على اي حال !.

ليت الأمر السيء وقف عند هذا الحد فقد حملت زوجتي وولدت في المستشفى تحت رقابة الطبيب والمواسيات . وقد كان من الواجب ان يحزم بطن الوالدة حتى لا يتكرمش وينعلق،ولكن زوجتي ابت الا ترك بطنها الذي اتسع ولدين توأمين على حاله ، لأنها لا تطيق الحزام ولا مايضايق حركتها،وسرعان ما استكرشت وتدلى بطنها وتهدل ثدياها وقصرت قامتها فصارت اشبه بقربة الماء او هي المعنية بقول الشاعر المزاح :

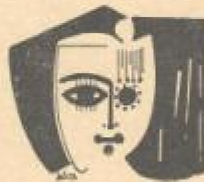
كيف اشكو من نحول وعندا عرضي كطولي

اي والله يا اصحابي لقد اصبحت زوجتي المذكورة تتدحرج وصرت اناديها مداعبا « بقيقتي الصغيرة » الا يصح بعد هذا اللجوء الى بمكركتكم اغرق نفسي بالشراب حتى اعود الى البيت فأري من شدة السكر ان الفيلة انقلبت غزالة . واغرق في العتمة التي لا تبصر الجمال ولا تتشوق الى الفن ؟

انبعث صوت حاد من واحد من رجالات اليمكوكة وقال : لقد نفشتم عن صدوركم من شكايات من زوجاتكم ، وتبجحتم في بقدهن وتوسختم ، وعلم الله ان لو قدر لنا نحن الرجال سماع شكايات الزوجات من ازواجهن لسمعنا كل عجيب وغريب من جبروت الرجل وصلفه وظلمه ... الرجل أيها السادة السكارى هو الرجل لم يتغير بعد ولم يتطور مع العصر المتوثب الزاحف الى الامام ، وكذلك رجال الجيل الحاضر واعني به الشباب حتى من كان منهم دون الثلاثين . كلهم عملة « عصملية » ريال مجيدي عثماني منقوش على أحد وجهيه ضرب في القسطنطينية وعلى الثاني طغراء السلطان الهمايوني هل ترك الرجال في حياة المرأة سوى الاستبداد والسطوة والسيطرة ؟ كلنا نحب المرأة . فمن واجب المحب ان يدلل حبيبه !! لا أنكر ان المرأة وهي مخلوق له اطوار متقلبة لا تستقر أبدا تجد اللذة في دفع رجلها ، باستمرار وبدون هوادة ، الى نقطة يصبح التصدع بعدها قضاء حتما،ولكنها، بدهائها النسوية تتدارك عزمه ، وتتفادى ثورته . وهي تظن - عن جهل لسوى أصيل ، ان تداركها عزم رجلها وتفاديها ثورته بتسامح ودلال وغنج وتناس ، ينسي الرجل المرارة والشقاء والالم والكراهة التي سببتها نزواتها . ماذا على انا الرجل اذا كنت انا وزوجتي عبدين اذا فوقت عنادها على عنادي .. اذا كنت أريد الحياة حقا ؟. ماذا علي أو ماذا عليك لو أعطيتها زمامك لمدة شهر او شهرين او لبضعة اشهر ، تتلوص بمفردها وتتقلب في الادارة المطلقة التي تشتهيها وترضي كبرياءها بشرط ان تسكت انت وتتحمل وترضى بكل ما يقدم اليك ويعطى لك ، فتعود هي اليك لا اقول صاغرة مستخذلة بل اقول الى قواعدها النسوية سالمة من التجربة .

شيء واحد أيها الرفاق السكارى يرضي المرأة ، وهذا الشيء الواحد يحولها من حال الى حال ضده ، بل يحولها من كل حالاتها الى اضدادها وهذا الشيء الذي يرضيها او يجعلها اقرب الى الرضا والاستقرار هو في يدكم أنتم فان قدرتم عليه بغير ما تأفف او شكوى من الرتابة المملة أعني الشكل الواحد واللون الواحد والطعم الواحد ، ان قدرتم على ارضاء عقل المرأة بحيث هو وحيث كان فأنتم سادة البيت وأربابه ، وأنتم المطاعون المحترمون ، اما اذا أردتم قياس عقلكم بمقياس عقلها فأنتم الخاسرون ، بل أنتم الجاهلون معنى الكلام المنزل عن موضع عقل المرأة فهربكم أيها السكارى من بيوتكم ولياذكم بهذه اليمكوكة انما هو التستر بالشكوى من الزوجة في حين أن حقيقة السبب هو الهرب من الصمت والخذلان . أو استمدادا للقوة الكاذبة من الشرب .

حبيب الزحلاوي



الثقافة
أسبوعية
تصدر كل ثلاثاء

الرسالة
أسبوعية
تصدر كل خميس

المجلة
شهرية
تصدر يوم (٥)

الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)

القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)

مجلات

الثقافة والارشاد القومي

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٩٣

الثمن ٣

العدد الهجري

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

الخميس ٥ محرم ١٣٨٥ هـ - ٦ مايو ١٩٦٥ م

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١١٢ - الخميس ٥ من محرم ١٣٨٥ هـ - ٦ من مايو ١٩٦٥ - السنة الثالثة والعشرون

ما أشبه الليلة بالبارحة ..



من تبوك إلى فلسطين

بقلم : أحمد حسن الزيات

أقبل العام الهجرى التاسع على المسلمين فى المدينة وقد فتحت مكة وطهرت الكعبة وحررت الجزيرة وعمت العقيدة وتمت الوحـــدة الا آثارا من الشرك فى نفوس بعض الأعراب ، وأوكارا للنفاق فى رءوس بعض السادة ، وأوشك نور الله أن يستفيض على ايوان كسرى من مشارق الحيرة ، وعلى عرش قيصر من مشارف الشام . هنالك أوجس فى نفسه خيفة كبير الروم وخشى أن يشرق ذلك النور الالهى على ظلام ملكه الغافل الفانى فتبصر عيون وتفقه قلوب وتعز أنفس ، فأعد العـدد وجيش الجيوش ووقف متأهبا على حدود فلسطين .

وتادى خبر هذا الزحف الى القائد الأعظم صلوات الله عليه فاستنفر القبائل للقائه بكلمة التوحيد وصده بسيوف الفتح . وكان الوقت يومئذ بين أواخر الصيف وأوائل الخريف فهو قيظ وومد . وكان الناس من لفحـات الحر قد لاذوا بحوائط النخل الباسقات وقد أوشك طلعها النضيد أن يتم نضجه ، فهى ماء برود ، وفيء متصل ، ونسيم منعش ، وثمر دان . وجاءهم النفير الى غزو الروم وهم على هذه الحال من الاخلاد الى النعيم والنزوع الى السكينة . ولم يكونوا جميعا قد دخلوا فى دين الله عن ايمان وايثار كما دخل فيه المهاجرون والأنصار وانما كان فيهم من دخله وفى نفسه حاجة وفى قلبه مرض . فلما قيل لهم انفروا فى سبيل الله أبطأت بهم النيات ، وجرت على ألسنتهم الأعذار ، فقال قوم لا تنفروا فى الحر والعدو على الحدود . وبلغ الاستهتار برجل من بنى سلمة أن قال للرسول وقد سأله : هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر ؟ : يا رسول الله ائذن لى ولا تفتنى . فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء منى . وانى لأخشى ان رأيت نساء الروم ألا أصبر . وشق على بعضهم أن يدع الظل والماء والثمر والمال والأهل الى سفر بعيد وعدو شديد وصحراء محرقة .

واهتبل المنافقون هذه الفرصة فاجتمعوا فى بيت سويلم اليهودى يخذلون الناس ويدعون الى التخلف ، فارسل الرسول اليهم من حرق هذا البيت عليهم ، فخشعوا وسكنت من بينهم عقارب عبد الله بن ابى ، وخفتت اصوات المخذلين والمعذرين والمترددين واقبل جنود الله وحماة الدعوة يجهزون جيش العسرة باموالهم واموال الأتقياء من الأغنياء حتى لم يبق الا الذين يطوون صدورهم على التقوى ، ويقبضون ايديهم على الفاقة • فجاءوا الرسول يريدون ان يحملهم معه ، فحمل منهم من حمل ، وقال للباقين لا اجد ما احملكم عليه ، فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون فسموا لذلك بالبكائين •

واجتمع لهذا الجيش على كثرة العنت وقلة النفقة ثلاثون الفا من المجاهدين الأبرار ليس فيهم زائغ ولا منافق ، حتى عبد الله ابن ابى ؟ اقبـــل بوجهه الآخر فى جيش من قومه يريد ان يخرج مع جيش الرسول فرده صلوات الله عليه الى المدينة لضعف الثقة به •

وامر القائد الأعظم فسار الجحفل الجرار يثير النقع ويزحف بالحصا ويرمى بسقاة الحتوف الفيافى القفر مع اللغب والسغب والظما حتى بلغ بهم تبوك •

وكان الروم قد علموا بخروج المسلمين اليهم فى هذا العدد وتلك العدة فتفرقوا فى مسارب الشام ناجين بانفسهم وكفى الله المؤمنين القتال • وعاد رسول الله الى المدينة بعدما اخذ العهود وامن الحدود وساق اليه ابن الوليد من دومة ما ساق من ابل ونساء ودروع وبر •

وتلقاه المتخلفون بالندم المصطنع والاعتذار الكاذب فترك لله حسابهم الا ثلاثة اعترفوا بالتخلف من غير عذر ، واقروا بالذنب من غير ضرورة ، وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ، فرأى الرسول الكريم ان فيهم استصلاحا فامر المسلمين فاعرضوا عنهم خمسين يوما لا يكلمهم احد ، ولا يصل بينهم وبين مسلم سبب ، حتى تساقطت نفوسهم من الأسف ، وانقبضت صدورهم من الكرب ، وباتوا الليالى نادمين سادمين يتجرعون العذاب فى سبيل المغفرة ، حتى ان احدهم شد نفسه الى عمود المسجد واقسم ألا يحل حتى يتوب الله عليه • ثم ادركتهم الرحمة من قابل التوب وغافر الذنب فانزل فيهم قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم » •

ثم دار الزمان ودار معه الانسان فلم يختلف ابن الفلك ، ولم يتغير ابن آدم ! الناس نسخ مصورة ، والتاريخ صحف مكررة ، فالروم بالأمس فى تبوك هم الصهاينة اليوم فى فلسطين • وجيش العسرة الذى أرهق تجهيزه الرسول هو الجيش الموحد

الذى يحاول تاليفه مؤتمر القمة . والماء والظل والثمر التى كانت تغرى المترفين بالقعود ، هى الدولار والدينار والنعمة التى تغرى الوادعين بالسلم . والمنافقون والمعذرون والمتخلفون الذين شاقوا الله ورسوله تجد صورهم اليوم فى وجوه الرجعيين والانفصاليين والانتهازيين من كل خداع يتظاهر ببغض المستعمر وهو عميله ، وطماع يستاثر باموال الشعب ويزعم انه وكيله ! اما المجاهدون الصادقون الاطهار فهم الثلاثة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فى مصر والعراق والجزائر فرسموا الطريق وعينوا الغاية ، وجعلوا من مؤتمرى القمة طريقا الى الجماعة وسبيلا الى الوحدة .

واما البكاءون فهم ثلاثة ارباع المليون من عرب فلسطين الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من اموالهم بغير رحمة ، وقضى فى مصيرهم بغير عدل ، وتركوا يعيشون فى المضارب والملاجىء عيش الحرمان وهم ينظرون الى رياضهم الجنية تعيث فيها الذئاب ، والى حياضهم الروية تلغ فيها الكلاب ، فلا يملكون لانفسهم الا عبرات تنحدر وزفرات تتصعد .

من اجل هؤلاء قامت الثورة ، ومن اجل هؤلاء حقت الوحدة . ومن اجل هؤلاء دعا عبد الناصر ملوك العرب ورؤساءهم ليحللوا ما بينهم من العقد ، ويمضوا امرهم بالاتفاق فى خطر اسرائيل . فلبوا الدعوة وصفوا الكدورة وجمعوا الكلمة ووحـــدوا الخطة وبداوا العمل . ولكن نار الجد ذوبت الغش فقال قوم ان قضية فلسطين ادبية لا سياسية ، وقال آخرون انها مشرقية لا مغربية ،وقال (عبد الله ابن أبى)انها مشكلة لا يحلها الا البرقيبية . وامتحن الله العواصم العربية بالخلاف بينهـا وبين (بون) الالمانية على اهدائها السلاح الى اسرائيل ، فاطبق ساستها على موقف العداء منها تنفيذا لما اجمع عليه مؤتمر القمة الا ثلاثة كثلاثة تبوك خرقوا الاجماع وشعبوا الراى ونقضوا العهد وهم اصحاب ليبيا وتونس والمغرب، ولكن أهل ليبيا وتونس والمغرب غيراصحاب الحكم فيها لايوليهم عنقبلتهم قعقعة السلاح ولا وسوسة الذهب، ولا يقطعهم عناخوانهم فى الدين والعروبة رغب ولا رهب ، وسيحملون كبراءهم الذين اضلوهم السبيل على ان يرجعوا الى الله بالتوبة ، ويعودوا الى الصف بالاســـتقامة . ويومئذ يمضى الجيش المحمدى كله عظيما الى النصر ، وينطلق الشعب العربى كله سليما الى الوحدة .

« احمد حسن الزيات »



وحي الهجرة

الى الأمة العربية في ظروفها الحاضرة



للدكتور: محمد عبد الله العربي

تأتي ذكرى الهجرة هذا العام ، والعالم العربي في أشد الحاجة الى استذكار كل معنى من معانيها، والى استيعاب كل درس من دروسها .

كلنا نعلم ان الاسلام كان خاتم الهدايات الالهية الى البشر ، لتقيمهم على الصراط المستقيم ، بعد ان تعثرت الرسالات السماوية التي تواترت منذ هبط آدم الى الارض ، في الاخذ بزمام الانسان الى الرشد ، فيما آتاه خالقه من اختيار ميزه على ملائكة السماء .

وكلنا نعلم أن هجرة خاتم رسل الله من مكة ـ مهد الدعوة ـ كانت ضرورة حتمية من ضرورات نجاح رسالته ، وكلنا نعلم كيف تآمرت قوى الشر من قريش على احباط الدعوة الاسلامية والقضاء عليها في المهد .

وكلنا نعلم ما لقيه المسلمون الأوائل من التعذيب المادي والمعنوي والحصار الاقتصادي ، والاضطهاد والكيد الذي وصل الى الشروع في اغتيال الرسول نفسه عند خروجه من داره . وكيف كانت قدرة الله ـ بغير اي مجهود بشري ـ كفيلة بنصر رسوله وتابعيه الاوائل على العصابات القرشية ، ولكنه ـ جلت حكمته ـ اراد ان يلقن البشرية درسا لانتساه في الاخذ باسباب النصر ، ودرسا في الصمود للشدائد ، ودرسا في التضحية بكل عزيز في سبيل نصر المبادىء ، وايثارها على كل زخارف الحياة ، حتى تصل النفس الانسانية الى اسمى ما تستطيع بلوغه من مراتب الكمال .

وكلنا نعلم ان اول سبب من اسباب النصر هو اعداد القوة للقضاء على الطغيان اذا فشل الاقناع، واخفقت الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة « وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة » فاذا تعذر استجماع القوة في مكان فهل نرضى بالبقاء محاصرين مستضعفين فيه ، أم نبحث عن منفذ آخر نستجمع فيه القوة المنشودة ، واذا آنسنا بريقا من الامل في المكان الجديد الا نهرع اليه ونغالب جميع الصعاب حتى نركز في حماه معركة النصر ؟.

وهذا ما كان .

وكان أول درس من دروس الهجرة ـ للانسانية عامة وللأمة العربية خاصة ـ الا ترضى بالبقاء شعوبا مستضعفة ، يجري عليها البغي وهي مستكينة الى مهجعها الذليل ، والا تتردد في النفرة خفافا وثقالا مهما تألبت عليها قوى الشر التي لا قبل لها بمنازلتها ، والا تكف ابدا عن السعي والتدبير حتى توفق الى مخرج صدق ومصدر جديد يؤتيها ما تفتقر اليه من قوة .

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا » . .

نعم نصره الله ، بأن هداه الى الاخذ بأول سبب من اسباب النصر ، وهو السعي الى مخرج جديد يكفل موالاة الكفاح في سبيل الحق معتمدا على تأييد الله ، سنة الله الذي يريد لعباده أن يستقيموا

أبدا على محجتها : لا استسلام للبغى ، ولا مساومة مع الباطل ، ولا اذعان لما نسميه بلغة هذا العصر انصاف الحلول مع الطغاة .

ومن قبل ، وهو وحيد لا حول له ولا قوة ولا انصار الا ثلة قليلة من السابقين الى الاسلام، رفض خاتم رسل الله كل مساومة مع الباطل ، ورفض كل اغراء بزخارف الحياة ، وقال كلمته التى زلزلت قلوب الطغاة : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن اترك هذا الامر حتى يظهره الله او أهلك فيه ما تركته » ..

وهاجر الرسول الى يثرب ، بعد ان قضى بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو كفار قريش الى مبادىء الاسلام ومثله العليا ، فما أسلم منهم الا قليل . ولكن هذه السنوات لم تذهب سدى ، بل انشات جيلا من المسلمين رباهم الرسول على يديه ودربهم اكمل تدريب على هدى الاسلام ، فكانوا جيلامثاليا، لم تظفر الانسانية بمثله من قبل ولا من بعد ..

هاجر الرسول الى يثرب ملبيا دعوة من بايعوه فى بيعة العقبة الكبرى ، وكانت بيعتهم ان قالوا : « بايعنا على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وان نقول الحق اينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم »

بهؤلاء وأولئك من مهاجرى مكة وضع الرسول نواة أول دولة عربية اسلامية . ويهمنا هنا ان نتدبر الاسس التى أقام عليها الدولة فى نشأتها الاولى :

انه اقامها على اساس من المساواة القائمة على اخاء روحى بين المواطنين جميعا مهما اختلفت مراتبهم وثرواتهم او تفاوتت أنسابهم ، وعلى اساس من اشتراكية متكافلة متعاونة ، وعلى أساس من وحدة شاملة متماسكة ، وعلى اساس من حرية الرأى وحرية القول ، وعلى اساس من الشورى فى سياسة الشئون العامة . وكان فى هذا كله متفذا لهدى الله فى اقامة مجتمع انسانى رفيع .

فلا غرو ان يكتب الله النصر لهذه المدينة الصغيرة التى وقفت بهذه المبادىء تتحدى العالم حولها ، بما فيه من امبراطوريات شامخة البنيان، تدل بسلطانها، وتعتز بباطلها ، فاذا باطلها ينهار أمام دعوة الحق ، واذا جحافلهاوكل ماتعتز به من أسلحة مادية ـ خفيفة وثقيلة ـ تنهزم أمام الجندى العربى الذى كان أقوى سلاح لديه سلاحه الروحى : مبادىء الاسلام .

ففى سبيل **الوحدة** آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار ، وجعل كل اثنين أخوين ، لافرق بين رفيع ووضيع ، وفى سبيل الاشتراكية طبق صورة فريدة منها ، قضت بها ظروف الأيام الاولى من هذه الفترة : فقد جاء المهاجرون الى يثرب بعد ان تركوا اموالهم ومتاعهم وكل مايملكون فى مكة ، فقضى الرسول بان يكون المهاجر شريكا لاخيه الانصارى فى ماله شركة كاملة ، وامتد حكم هذا الاخاء الى حق التوارث بين الأخوين . واستمرت هذه الشركة الروحية المالية بين المهاجرين والانصار الى ان انفرجت هذه الأزمة العابرة ، وافاض الله على أهل يثرب غنائم الجهاد ، وآتى كثيرا من المهاجرين ثمار كدحهم فى التجارة والزراعة . ثم قامت مقامها سياسة الاسلام فى المال ، السياسة الاشتراكية التى تجعل من ملكية المال وظيفة اجتماعية ،وتحول دون تكدس الثروة القومية فى ايدى فئة قليلة ، وتوجه خير المال بكل صوره وأوضاعه الى المجتمع كافة ، فيتعاون أفراده وطبقاته فى رباط وثيق لا انفصام له .. وهذا طراز من الاشتراكية لم تصل الى ذروته اية اشتراكية من اشتراكيات الشرق أو الغرب .

ان الدرس الذى توحيه هذه التجربة لاشك قد لمسه القارىء بغير حاجة الى تبيين :

ان الاخاء الروحى متى ساد فى المجتمع مستندا الى مبدأ المساواة ، أصبح المجتمع كله وحدة متماسكة ، وتهيأ المجتمع لقبول أية سياسة خيرة للمال أو للحكام ، تمليها ظروف المجتمع ، وتقضى بها ضرورات المجتمع ، فى نطاق تعاليم الاسلام الكلية .

وجعل الرسول من مدينته الاولى ـ نواة الدولة الاسلامية ـ وحدة لا تمزقها النزعات القبلية أو المحلية ، تلك النزعات التى عندما اشتعلت نيرانها فيما بعد كانت من أهم أسباب تفكك الامة العربية .

ان قبيلتى الاوس والخزرج ، وهما اغلبية أهل المدينة ، ظلت الحروب قائمة بينهما ، تؤججها كلما انطفأت مؤامرات يهود المدينة ، اصبحتا بعد الهجرة أخوة متحابين ، الفت بين قلوبهم مبادىء الاسلام فاصبحوا بنعمة الله اخوانا .

والشورى التى جعلها الرسول من البداية أساس تصريف الشئون العامة فى السلم والحرب ، جعلت كل فرد فى المجتمع الناشىء شريكا فى سياسة الحكم ، وجعلت طاعته لتوجيهات أولى الأمرمنبثقة عن طواعية واختيار ، لا عن رهبة من سلطان الدولة .

ولو أن الشورى بكل مقتضياتها من انتخاب عام لأولى الأمر ومن مشاركة الشعب مشاركة فعلية فى شئون الحكم ، لو ظلت هذه الشورى مطبقة الى اليوم بكل ما تستتبعه من تفصيل وتنظيم ، ولم تنقلب الى ملك وراثى عضوض ، لظلت وحدة الشعوب العربية قائمة الى اليوم ، لاينال منها عبث الحكام الطغاة ولا عدوان الاعداء المغيرين .

ويجب أن نلاحظ أن التوحيد الذى حققه الرسول بين أهل المدينة ــ **مهد الدولة العربية الاولى** ــ فور الهجرة اليها ، قد تم فى أقسى الظروف : فحولهم القبائل الكافرة تتربص بهم الدوائر ، وقريش من ورائهم تؤلب حشودهم فى محاولة حرب ابادية ، والدولتان المسيطرتان يومئذ على أطراف المنطقة كلها تتحديان هذه القوة الجديدة المنبثقة من قلب الجزيرة العربية .

فى كل هذه الظروف وقفت الوحدة الاولى صامدة ، لاتلين قناتها ، ولا تتخاذل عن مبادئها ، وتفضل الاستشهاد فى سبيلها على كل مناعم الحياة ، فكان هذا الموقف من أكبر البواعث على تساؤل القبائل العربية عن مصدر هذه القوة الروحية التى لم يشهدوا لها نظيرا من قبل ، فعرفوا المصدر ، ودخلوا فى دين الله أفواجا ، حتى تم توحيد الجزيرة العربية من أقصاها الى أدناها . ثم لم يلبث الهدى الالهى ان نشره هذا الجيل الأول الى اقاصى القارة الافريقية والآسيوية ، وأصبح العالم العربى من المحيط الى الخليج والى ما بعده كتلة واحدة ، تؤلف بينها مبادىء الاسلام ، ومثل الاسلام .

تم كل هذا بالرغم من التصدع الذى أصاب كيان الوحدة فيما بعد ، بانحراف بعض الحكام عن تعاليم الاسلام وتشويهها فى التطبيق . ولكن الدفعة الاولى من الرائدين الأوائل ــ من المهاجرين والانصار ــ ظلت هى القدوة التى تلتزم بها الشعوب العربية فى كل مكان ، والحافز الروحى للصفوة من المجاهدين فى كل عصر .

وبعد ، فان دروس الهجرة أكثر من أن يستوعبها حديث أو مقال . ولكن الدرس الذى اريد ابرازه فى الظروف المعاصرة المحيطة بالعالم العربى هو درس الوحدة : الوحدة التى جاءت فى أعقاب الهجرة ، والدعائم التى استندت اليها هذه الوحدة ، والمبادىء التى نسجت كيانها .

ان هذه الوحدة الأولى تناديا اليوم ان نقيم صرحها من جديد على تلك الدعائم ، وان ننسج كيانها من تلك المبادىء . فليست الظروف المحيطة بنا ، ولا العقبات التى تعترض طريقنا ، اشد ولا أقسى من الظروف والعقبات التى اعترضت الوحدة الاولى . كما ان التجارب المريرة التى اجتازتها شعوب الأمة العربية منذ تصدع الوحدة الاولى أصبحت اليوم تؤجج حمية الشعوب العربية وتزيدها اقتناعا وايمانا بحتمية الوحدة .

فالمطلع على تاريخ هذه التجارب التى توالت على أرض العرب طوال قرون متعاقبة يعجب من مدى القوة التى تبلغها هذه الأمة العربية عندما تتحد شعوبها على تحقيق هدف معين ، ولا يتسع المقام للافاضة فى عرض تاريخى ، فنكتفى فى اثبات هذه الظاهرة بمثلين او ثلاثة :

فقد استطاعت الشعوب العربية المتحدة ان تصد غزو الحروب الصليبية الاستعمارية التى تألبت فيها شعوب الغرب تحت ستار الدين لاستعمار الوطن العربى .

واستطاعت الشعوب العربية المتحدة ان تذود عن الوطن العربى الكبير أجرأ غزو عرفه التاريخ : غزو التتار ، الذين أغارت جحافلهم من الصين واجتاحت فى سبيلها القارة الآسيوية وبعض القارة الاوروبية ، ولم تستطع يومئذ ان تقف فى وجه غزوها المدمر امبراطوريات ضخمة ودول عاتية .

واستطاع اتحاد الشعوب العربية مع شعب مصر فى خريف ١٩٥٦ ان يحبط أضخم اعتداء مسلح تشنه دولتان من الدول العظمى .

اما امثلة الفشل من جراء تفكك عرى الوحدة العربية فكثيرة يخطئها الحصر : نذكر منها **مأساة** فلسطين ، ولا اريد الآن ان أزيد حرفا واحدا على ماكتبه فيها الكاتبون ونظمه الناظمون ، والحمد لله ان قد انتهى الآن دور القول والنظم ، ودخلنا فى دور العمل الايجابى ، وخطونا الخطوات الجادة فى مرحلة التحرير .

ونذكر مأساة الاندلس : فكلنا نعلم ان العرب استوطنوا هذه الديار ثمانية قرون ، وعمروها عمرانا لم تسترده اسبانيا الى اليوم باعتراف مؤرخى الغرب ، ورفعوا فيها لواء العلم والحضارة ، والتسامح والمساواة ، يستظل بظله من يشاء من جميع الاجناس والأديان .

هؤلاء العرب احتفظوا بقوتهم ومنعتهم مسبعا

« **البقية على صفحة ٦١** »

الحضارة العلمية الإسلامية

تصمد لافتراءات المغرضين

الدكتور عبد الحليم منتصر

يقول « **تشارلس سنجر** » ، وهو من مؤرخي العلم في العصر الحديث ، ان الحقبة التي تمتد من سنة ٢٠٠ الى سنة ١٢٠٠ م ، على مدى الف عام ، انما تعتبر عصر ظلام دامس بالنسبة للعلم ، وانه منذ « بطليموس » و « ديسقوريدس » و « وبليني و «هيروفليس» لم يظهر على مسرح العلم من يستحق في رأيه ان يذكر .

ويعلل سنجر ذلك بقوله : انه بموت أرسطو بعد الاسكندر بعام واحـد فقدت الولايات الاغريقية استقلالها ولم تعد المعرفة تطلب لذاتها ، وكان العلم هو الوليد الجديد الذي رعته هـذه الولايات ، وان المواطنين فقدوا مع حريتهم حرية التفكير ، واستمر العلم حقبة استمرت زهاء خمسمائة عام في الاسكندرية حتى سنة ٢٠٠ م .

ويرى البعض ان اضطهاد الكنيسة للعلماء ، كان السبب في أفول نجم العلم ، وحرية الفكر العلمي ، كما ان حكام الامبراطورية الرومانية لم يعنوا بنشر العلم ، عنايتهم بنشر سلطانهم ، وتقوية نفوذهم في البلاد التي يحكمونها ، وان هؤلاء الحكام ، لم يهتموا الا بالناحية التطبيقية للعلم ، أما البحث ومحـاولة الكشف بقصد المعرفة ، فلم يعنوا به أبدا بل أهملوه اهمالا . فانطفأ هذا السراج في أوربا .

ويقول « سنجر » انه اذا اضطرت البشرية يوما الى القنوع بالنـاحية العملية التطبيقيـة للعلم ، فستعود الانسانية الى عهـد الظلام حتما مرة أخرى ما لم يوجد أناس يعكفون على البحث العلمي المجرد ، والكشف عن النظريات والآراء العلمية الحرة ، التي تقدر العلم والمعرفة لذاتها .

وليس من شك ان « سنجر » قد جانبه التوفيق ، في التجني على العلم العربي في العصر الاسـلامي وانكار فضله ، واعتبار هذه الحقبة ، التي ازدهرت فيها الحضارة العلمية الإسـلامية وازدانت بعشرات ومئات من العلماء العرب ، الذين تفاخر بهم الأجيال ويزدان بهم العلم في كل عصر وأوان ، الذين قادوا الانسانية في فترة كانت أوربا فيها غارقة في الظلام والجهالة ، فتابعوا الدراسة العلمية على أرفع مستوى .. نقلوا العلم الاغريقي والعلم الاسكندري ، ونقلوا العلوم السريانية والفارسية والهندية .

لقد ترجم العرب ابان ازدهار الحضارة العلميـة الاسلامية علم هؤلاء وأولئك وأضافوا اليه الكثير ، وكانت كتبهم مراجع معتمدة لدى أهـل أوربا حتى منتصف القرن السابع عشر وقد ترجمت المؤلفـات

العربية في الطب والتشريح والجغرافيا والكيميـاء والنبات والحيوان والمعـادن والرياضيات ، وكان اختراع آلة الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر سببا في أن يعاد طبع هذه الذخائر العلمية العربية عدة مرات ، وكذلك غدت مؤلفات العلماء المسـلمين القناديل التي اضـاءت منهـا اوربا مصابيحها او الينابيع التي استقى منها اهل اوربا مصادر العـلم الحديث ·

على أن « سنجر » نفسه ، يعود ليعترف بفضـل الاسلام والعلماء المسـلمين ولكن في حدود ، وعلى استحياء ، فيقـول ان القيادة العلمية والفكرية ، قد انتقلت الى العرب المسلمين ، وبلغتهم العربية وان هـذه القيادة قد ظلت في أيديهم حتى القرن الثالث عشر ، وامتد هذا الغزو العلمي من الشرق الأدنى ، وشمل شمال افريقيا كله ، ثم عبر البحر الى اسبانيا والبرتغال وجنوب ايطاليـا وصقلية ، وكثير من جزر البحر المتوسـط ، وشعر الأوربيون بتخلفهم عن العرب وحاجتهم الى الاغتراف من هـذا المعين الجديد ، والنهل من هذا النبع الصافي فترجموا كتب العرب الى اللغة اللاتينية ·

وقد بدأ عصر ترجمة العـلوم من العـربية الى اللاتينية في القرن الحادي عشر الا أن هذا العمل لم يتكامل بصورة جدية الا في القـرن الثالث عشر ، وكذلك ترجمت أيضا مرة أخرى اعمال أرسـطو وجالينوس وديسقو ريدوس وبليني ·

ونشأت في القـرن الثالث عشر ، جامعات في اوربا ، نشـأت جامعة باريس اولا ، ثم جامعـة اوكسفورد ، وكمبردج ، وبادوا وغيرها من جامعات، وقد الهبت هـذه الجامعات حماس الشـباب الى الاغتراف من بحر المعرفة الذي لا ساحل له ، ولفتت الأنظار الى المؤلفات العربية من علمية وفلسـفية وانتشرت الدعوة الى ترجمة هذه الذخائر ودراستها·

ومن العلماء الذين اشتهروا في هذه الحقبة ودعوا الى المنهج الاستقرائي والى العناية بتسجيل الملاحظات والمشاهدات ، وكان لهم أثر كبير في انهاض الفكر العلمي الأوربي « **روبرت جروست** » سنة ١٢٥٠ م ، و « البرت ماجنوس » سـنة ١٢٨٠ م ، و « روجر باكون » سنة ١٢٩٤ م ، وكانوا أساتذة في الجامعات واشتهروا بدراسة علم الضوء ، فقد كان هـذا العلم من أوائل العلوم التي تناولها الأحياء في العصـور الوسطى ، وكانت لهم دراسات على العدسات ، وكان باكون أول من اشار باستعمالها نظارات ·

وليس من شك في ان أعمال هؤلاء الأوربيين في علم الضوء ، لا يمكن أن تكون بعيدة عن أعمال « ابن الهيثم » ، العالم العربي الأشهر ، الذي جعل من علم الضوء « المناظر » علما له اصوله ، وفروعه ، ورسم رسوما بالغة غاية الدقة للعين وأجزائها ، بل أطلق اسماء على بعض أجزاء العين ما زالت مستعملة حتى الوقت الحاضر كالشبكية والقرنية والسائل المـائي والسائل الزجاجي · وهو أول من قال بأن الضـوء ينتقل في زمان وليس في الآن كما قال غيره وابتكر تجارب لتقدير سرعة الضوء وبذلك أبطل نظـرية السرعة الآنية · كما أجرى تجارب كثيرة على انكسار الضوء ، وكان يسميه الانعطاف ·

اما « **ماجنوس** » فانه وان يكن اقل اصـالة في التفكير العلمي من « **جروست** » أو « **روجر باكون** » الا أنه ابعد أثرا في العصر الذي عاش فيه ، لقـد درس كتب ارسطو المترجمة عن العربية ، وكان عالما في التاريخ الطبيعي ، وله ملاحظات ومشـاهدات بارعة ، كتب رسالة في الحيوان ، زينهـا برسوم دقيقة لأجنة الطيور والأسماك والثدييات ، واخرى في النبات تعتبر من اعظم مؤلفاته ، بل أعظم انتاج العصور الوسطى ·

ولا أظن مؤلفات ابن سينا في التشريح والحيوان، كانت بعيدة عن السيد « ماجنوس » ولعلها المصدر الذي منه استقى الى جانب مؤلفات ارسطو ولا يمكن ان يغيب عنه هذا الجزء الرائع من كتاب الشـفاء للشيخ الرئيس الذي تكلم فيه عن الحيوانات المائية والبرية والأسماك والطيور والزواحف وما اليها · كما درس العضلات والأعصـاب والألياف والأوردة والشرايين وغيرها ·

اما «**باكون**» فقد أضاف كثيرا الى المعارف العلمية، وخاصة الطريقة العلمية وما أشك في أن ابن الهيثم قد سبق باكون في الأخذ بالطريقة العلمية ورسائل اخوان الصفاء ورسائل العلماء العـرب عامة حافلة بالحض على التجربة والمشاهدة والاختبار (الاعتبار)

والتثبت وعدم التعجل ، وجمع المشاهدات والملاحظات واستقرائها .

وفي القرن الرابع عشر ، بدأ عصر الرحلات والاسفار في أوربا وتجمعت المعلومات عن غرائب الكائنات والموجودات ، وصارت هذه تأتي عبر البحار، واتسعت التجارة مع المشرق ، وغدت العقاقير تأتي الى أوربا من البلاد الأخرى ، ومع التجارة كثرت قصص التجار والرحالة ، منها ما هو حقيقي كتلك التي رواها «ماركو بولو» ومنها ما هو خيالي كتلك التي رواها السير جون «متدفيل» ، ونظمت رحلات استكشافية على نطاق واسع مثل رحلة « فاسكو دى جاما » (١٤٢٦ ـ ١٥٢٤) الى جزر الهند الشرقية ، وكرستوفر كولمبس (١٤٤٦ ـ ١٥٠٦) الى جزر الهند الغربية .

على أن كثيرا من السادة مؤرخي العلم من الغربيين، ينكرون فضل ابن مسكويه وابن خلدون ، حين الحديث عن التطور ، مع أنهما يسبقان داروين بمئات السنين ، ويتناسون آراء الخازن والادريسي ، وبني موسى . حين الحديث عن الجاذبية والميكانيكا (علم الحيل) ،ينسبون الفضل كل الفضل لعالمهم الاكبر « **نيوتن** » ويتباهون بأن « **هارفي** » هو وحده الذي كشف الدورة الدموية ، وينسون الطبيب العربي المصري الاشهر ابن النفيس ، ويذكرون رحلات « فاسكو دي جاما » و « ماركو بولو » ويتجاهلون رحلات ابن جبير وابن بطوطة وغيرهما من كبار الرحالة العرب الذين قاموا برحلات جبارة ولا يذكرون ان من هؤلاء الرحالة من لم يكن يملك سوى قدميه ليقطع عليهما آلاف الأميال، وانه ليفعل ذلك طائعا مختارا في سبيل تحقيق رسالة علمية ، أو الاطلاع على نسخة خطية من كتاب ، او مقابلة عالم من العلماء ، حتى قال عنهم المستشرق «نيكلسون» انهم يعودون من هذه الرحلات كما يعود النحل محملا بالعسل .

ومن عجب أن ينسى السادة مؤرخو العلم من الغربيين ، أمثال **البتاني والبيروني والبوزجاني والفرغاني ، والخوارزمي** ، وأمثالهم من الفلكيين العرب ، حين يتحدثون عن تقدم علم الفلك ، وانما يذكرون جاليليو ، ودافنشي ، وكوبرنيق ، وواضح انه لولا أعمال العلماء العرب في هذا المجال ، لاضطر علماء النهضة الاوربية من أمثال ماذكرنا أن يبدؤوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير الحضارة عدة قرون. ومع ذلك فان أحدهم وهو « لالانه » لم يستطع أن ينكر الشمس الساطعة في وضح النهار ، فاعتبر البتاني ، من العشرين فلكيا المشهورين في العالم .

وهل ينسى هؤلاء فضل الخوارزمي على علمي الحساب والجبر ، بل في ابتكار نظام الأرقام التي يستعملها الغربيون أنفسهم والتي يسمونها الارقام العربية ، وانها لتفضل بلا مراء نظام الحروف التي كانت مستعملة قبلا .

لاشك أن من واجبنا أن نعمل على تصحيح التاريخ العلمي ، وأن نحسن التعريف بالعلماء في العصر الاسلامي الزاهر ، وأن نعرض اعمالهم في ثوب عصري وباسلوب العصر ولغته ، وأن نربط بين ما حققوه في العلوم المختلفة ، وأن نبين الى أي حد استفاد منهم علماء النهضة الاوربية . فبذلك نضع حدا لهذه الافتراءات التي يكيلها الفرنجة من امثال « سنجر » وكتاب بعض دوائر المعارف الأجنبية للعلماء العرب ، فيجحدون فضلهم ، بدل أن يعترفوا بافضالهم على العلم والانسانية .

وبعد .. فمن واجبنا ان نزجي الحمد للعلماء الاسلاميين بمناسبة عيد الهجرة فقد كان الاسلام صاحب الفضل الاكبر في توجيه العلماء المسلمين نحو النهل من موارد العلم الصافية ، والتفكر في ملكوت السموات والارض ، وفي الكون والكائنات والمخلوقات وكان الخلفاء والحكام يتفاخرون بمن يحضر مجالسهم من علماء ، وما ينشئون من دور العلم والكتب وما ينفقون على ترجمة الكتب من نفقات ، وما يقفون على معاهد العلم من أوقاف سخية لقد رعى الاسلام حرية الرأى ولم يحجر على التفكير العلمي ، فكانت هذه النهضة العلمية العارمة التي سطع نورها قويا وهاجا ، استضاءت بنورها اوربا حين نهضت ، ذلك قول الحق ولو كره الكارهون » .

« د . **عبد الحليم منتصر** »





السنة العربية والأشهر الحرم

للدكتور: علي عبد الواحد وافي

كانت السنة العربية مستخدمة في التقويم الجاهلي من قبل الاسلام بأمد طويل . وكان لشهورها في أقدم العهود أسماء أخرى غير الأسماء المعروفة الآن . وان اختلف الرواة في تحديد تلك الاسماء واما أسماؤها المستعملة الآن فالمشهور أنها وضعت في عهد كلاب (أو حكيم) بن مرة أحد أجداد الرسول عليه السلام (الجد الخامس) . وكان ذلك قبل الاسلام بنحو قرنين . وكان آخر تقويم قبل الاسلام يبدأ من عام الفيل ، اى من حادث غزو أبرهة لمكة ومحاولته هدم الكعبة ، وهو العام الذى ولد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام . ثم تغير مبدأ هذا التقويم بعد الاسلام فجعل في عهد عمر من هجرة الرسول الى المدينة ، مع تقديمه نحو شهرين ونصف شهر حتى يتفق مبدؤه مع أول السنة العربية ، وذلك أن التقويم الحالي بدأ من أول المحرم ، مع أن الهجرة كانت في السادس عشر من ربيع الأول .

وقد اختلف في تعليل تسمية الشهور العربية بالأسماء التى تطلق عليها الآن . وأشهر ما ورد في هذا الصدد أن العرب سموا الشهر الأول « المحرم » لحرمة القتال فيه ، فقد كان أحد الأشهر الأربعة الحرم (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) . والثاني « صفر » لما كان يعتريهم فيه من مرض تصفر به الوانهم ، والثالث والرابع « ربيع الأول » « وربيع الثاني » لأنهما كانا يأتيان في الخريف ، وكانت العرب تسمى الخريف ربيعا ؛ والخامس والسادس « جمادى الاول » و « جمادى الآخرة » لمجيئهما في أيام الشتاء اذ يجمد الماء ويتساقط الجليد، والسابع « رجب » من الرجب وهو الكف ، لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال ، فهو أحد الأشهر الأربعة الحرم ، أو من الرجب وهو التعظيم لأنهم كانوا يعظمونه فلا يحاربون فيه ، والثامن « شعبان » من انشعاب القبائل فيه الى طلب الماء والكلأ واغارة بعضهم على بعض ، والتاسع «رمضان» من الرمض وهو شدة الحر لمجيئه في عنفوان الصيف، والعاشر «شوال» من شال القوم اذا ارتحلوا وتفرقوا وخلت منازلهم منهم ، لأنهم كانوا يرتحلون فيه ويتفرقون في طلب الكلأ والماء ، أو من شالت النوق بأذنابها اى رفعتها لشهوة الضراب ، لأن هذا الشهر كان موسم لقاحها ، ولذلك كانت العرب لاتجيز الزواج فيه حتى لا يتشبهوا بالأنعام ، والحادى عشر « ذا القعدة » لقعودهم فيه عن القتال ، لأنه كان من الأشهر الاربعة الحرم ، والثاني عشر « ذا الحجة » لاقامتهم الحج فيه .

ومع أن السنة العربية سنة قمرية تتحدد شهورها بدورة القمر حول الارض ، ولا علاقة لأشهرها بالفصول ، لان الفصول انما تحدد بدورة الأرض حول الشمس ، فقد يأتي الشهر العربي في سنة ما في الصيف ، ثم يأتي بعد بضع سنين في الخريف ، ثم في الشتاء ، ثم في الربيع ، مع ذلك فان بعض الشهور العربية قد سميت بأسماء تشير الى أحوال جوية خاصة أو الى أمور تقع في فصول معينة ، وهي شهور صفر وربيع الأول وربيع الثاني وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورمضان وشوال . وقد علل ذلك

محمود باشا الفلكي (فى رسالته التى ألفها بالفرنسية وترجمها الى العربية أحمد زكى بعنوان « نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الاسلام) » بأن العرب أطلقت على الاشهر أسماء تناسب الأحوال الجوية أو غيرها التى كانت جارية فى وقت التسمية فقط ، ولم يرسلوا أنظارهم الى ما وراء ذلك ، لجهلهم أنه بعد مضى سبع عشرة سنة تنتقل شهور الصيف فى الشتاء وبالعكس » والى هذا المعنى يشير الفيروزابادى فى « القاموس المحيط » اذ يقول فى مادة «رمضان» انه « سمى به هذا الشهر لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت فيها، فوافق ناتق (وناتق هو الاسم القديم لرمضان على ما يذهب اليه (الفيروزابادى) زمن الحر » . — أو لعل تقويمهم كان فى قديم عهودهم تقويما شمسيا، ثم تحولوا عنه فيما بعد الى التقويم القمرى مع احتفاظهم بالأسماء القديمة الدالة على الفصول والأحوال الجوية ، وهى أسماء لا تستقيم مدلولاتها ولا تطرد الا مع التوقيت الشمسى . ويذهب بعض الباحثين الى أنه كان لديهم تقويمان تقويم شمسى وتقويم قمرى ، وأنهم سموا شهور السنة القمرية بالأسماء نفسها التى كانوا يطلقونها على شهور السنة الشمسية ، حتى لا تختلف أسماء الشهور فى التقويمين وان كانت المدلولات لا تصدق الا فى شهور السنة الشمسية ، ثم اقتصروا فيما بعد على التقويم القمرى .

ويظهر أنه لم يكن لدى العرب حينئذ فكرة دقيقة عن مدة الشهر القمرى من الناحية الفلكية ، وهو الوقت الذى تستغرقه دورة القمر حول الأرض دورة كاملة ، ومقداره تسعة وعشرون يوما واثنتا عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة وثانيتان وتسع ثوالث ولذلك كانوا يسيرون فى الغالب فى تقدير هذه المدة على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالى له تسعة وعشرين يوما ، الا اذا ثبتت رؤيتهم لهلال الشهر الجديد فى ليلة غير الليلة المتفقة مع حسابهم التقريبى ، فيصححون بذلك حسابهم .

وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « انا أمة أمية لانكتب ولا نحسب . الشهر هكذا وهكذا » . وأشار فى الأولى الى مجموع أصابع يديه ثلاث مرات ، وأشار فى الثانية الى مجموعها مرتين وخنس الابهام فى الثالثة (أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر ». فقد افتتح الرسول عليه الصلاة والسلام حديثه بقوله « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » ، يقصد بذلك أنهم لايعرفون قوانين علم الفلك ، وبالتالى لا يعرفون مدة الشهر القمرى فى صورة دقيقة ، وأنهم لذلك يسيرون فى عدة أيام الشهر على طريقة تقريبية فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالى له تسعة وعشرين يوما . ولاتقاء ماعسى أن يكون فى الحساب التقريبى من الخطأ أوجب الاسلام فى الشهور المرتبطة ببعض الشعائر الدينية كشهر رمضان الذى تؤدى فيه فريضة الصوم وشهر ذى الحجة الذى تؤدى مناسك الحج فى أيام معينة منه ، وخاصة أهم ركن من أركانه وهو الوقوف بعرفة فانه لا يصح أداؤه الا فى مدة محددة من اليوم التاسع وليلة العاشر ، أن يعتمد فيها على رؤية الهلال . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

ويبدو لى أنه لا دعى اليوم للاعتماد على هذه الأمور التقريبية بعد أن ارتقى علم الفلك وأصبح فى امكان علمائه تحديد أول الشهر فى صورة دقيقة .

هذا ومن شهور السنة العربية أربعة اشهر سميت بالأشهر الحرم : ثلاثة منها سرد أى متواليات وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب . وسميت بذلك لحرمة القتل والقتال فيها . وقد تقرر هذا النظام لدى العرب من قبل الاسلام بأمد طويل ، فكانت هذه الأشهر عندهم أشهر سلام وهدوء يتفرغون فيها لشئون معاشهم وتنمية مواردهم وشئونهم الأدبية والثقافية والدينية . والى هذا النظام يرجع أكبر قسط من الفضل فيما وصل اليه العرب من رقى وحضارة قبل الاسلام، بل يرجع اليه أكبر قسط من الفضل فى بقاء الجنس العربى نفسه فقد كانت العلاقات بين قبائلهم وبطونهم علاقات متوترة تسودها الاحن والعداوات ، ولم تتوافر لدى أمة ما من أسباب التناحر والتقاتل والتطاحن مقدار ماتوافر لدى هذه الأمة فى جاهليتها وما كان أكثر دواعى الحروب ومقتضياتها عندهم ، وكان يكفى أن تنشب حرب بين قبيلتين أو بطنين

لأتفه الأسباب حتى ينضم الى كلتيهما حلفاء وأنصار من القبائل والبطون الأخرى ، وتظل الحرب مستعرة عدة سنين ، وتحصد آلافا من الفريقين المتنازعين . فلولا نظام الأشهر الحرم لا استأثرت هذه الحروب بجميع مظاهر نشاطهم واستغرقت جميع أيامهم ، ولوقف نموهم الاجتماعي والحضاري ، بل لفنى الجنس العربي نفسه .

هذا وقد جاء في الآيات الأولى من سورة «براءة» ذكر لأربعة أشهر من سنة بالذات ووصفت بأنها أشهر حرم ، وهي غير الاشهر السابق ذكرها . ولم تكن حرمتها دائمة كحرمة تلك الاشهر ، بل كانت مقصورة على السنة لتي تتحدث عنها هذه الآيات . وذلك أنه كان بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين طوائف من مشركي العرب عهود مسالمة وأمان وعدم اعتداء ، فنكثوا بها الا بعض بطون من بني ضمرة وبني كنانة . فأمره الله تعالى بأن ينبذ العهد الى الناكثين مع امهالهم أربعة أشهر من يوم اعلانهم بنبذ العهد . وسميت هذه الأشهر في الآيات التي نزلت في هذا الشأن بالأشهر الحرم لجعلها شهور هدنة مؤقتة بين الرسول عليه الصلاة والسلام والناكثين بعهودهم معه . وفي هذا يقول الله تعالى: «براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » (أى سيروا في الأرض طلقاء آمنين مدة أربعة أشهر) « واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزى الكافرين . وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله، فان تبتم فهو خير لكم، وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب اليم . الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين . فاذا انسلخ الأشهر الحرم » (أى الأشهر الأربعة المشار اليها فيما سبق في قوله تعالى : « فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) » فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ان الله غفور رحيم » .

وروى أنه بعد أن نزلت سورة التوبة ارسل رسول الله صلى عليه وسلم ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه على ناقته العضباء (اسم ناقة للرسول عليه السلام) من المدينة الى مكة ليقرأها على الناس في موسم الحج في منى، وكان ذلك في السنة التاسعة من الهجرة . وكان الرسول قد بعث أبا بكر رضى الله عنه أميرا على الموسم . فقيل للرسول لو بعثت بها الى أبى بكر ليقرأها على الناس فقال « لا يؤدى عنى الا رجل منى » ، وفي بعض الروايات « لا ينبغى لأحد أن يبلغ هذا الا رجل من أهلى » . وذلك أنه قد كان من عادة العرب ألا يتولى ابرام العهد ولا نقضه على العشيرة الا رجل منها . فجرى الرسول عليه السلام على مقتضى هذ التقليد . وأبو بكر رضى لله عنه لم يكن من بنى هاشم رهط الرسول عليه السلام ، بل كان من بنى تيم ، وهى بطن آخر من بطون قريش . ولما دنا على رضى الله عنه سمع ابو بكر الرغاء ، وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما لحقه قال أمير أم مأمور ؟ أى هل أرسلك الرسول أميرا على الحج بدلا منى أم مأمورا بتبليغ رسالته ، قال بل مأمور . ثم قام على يوم النحر عند جمرة العقبة ، فقال أيها الناس انى رسول من رسول الله اليكم . فقالوا بماذا ؟ فقرا عليهم ثلاثين او أربعين آية من أول سورة التوبة . ثم بلغهم على لسان الرسول الا يقرب البيت بعد هذا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، لأنهم كانوا يطوفون بالبيت في الجاهلية وهم عرايا ويصفقون ويصخبون . والى هذا يشير الله تعالى اذ يقول : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » .

« د . على عبد الواحد وافى »



مزامير من الهجرة

دوى على طريقه التغيير
وانتفضت من كهفهــا العصور

***

وهب كل ســاكن يثور
وللضــياء انطلق العبور ..

***

وكل ريح غيرت مسارها
واضرمت فوق الهدوء نارها ..

***

وكل افق كان فى وساده
يلعق سحر الأمس من مهاده ..

***

انتفض النور على جبينــه
فحرك الدهر على يمينـــه ..

***

ذوب وهم الذل من ذراته
وأحرق الاطراق من هالاته

***

ولملم الــرق من الأثير
وأنبت الانسان فى الضمير ..

***

غيره من صــاغر أواب
يرضع من أساه فى التراب ..

***

يريق للظــالم من دموعه
عطر خريف راغ فى ربيعه...

ويلثم الاطواق فى السجود
كأنها تمائم الوجود ...

***

يهيل للنار خفايا ذاته
لتسكب الطهر على حياته ...

***

ويرتمى كغفـلة الخطيئة
على صفاة الصنم البريئة ...

***

ويذبح الروح لها قربانا
يستل من رماده الأمانا ...

***

ويعزف النـجم على عيونه
لحنا يصب الليل فى يقينه ...

***

ان مر فى خيــاله جبار
على شظايا طيفه ينهـــار ...

***

مد النفــاق تحته رواقا
واسكر الشعور والأحداقا ...

***

أبى شغاف نفسه ، وجاء
ليلا يســوق ليله ضياء ...

***

يبنى من الطـين على هبــائه
آلهة خرســاء فى فضائه ..

حادي التغيير..

الشاعر محمود حسن إسماعيل

يزجى لها الصلاة والتعبدا
ويوعز الروح لها أن تسجدا..

***

يفهق فى ضلاله للصنم
ويستجير بضحاه المظلم ...

***

ويغرس التوبة فى ترابه
اخت غماء ساخ فى ضبابه...

***

والشمس فى احساسه والقمر
معابد غنى هواها الوتر ...

***

لا يعرف الله ، ولو مر به
خلد يفيء كل ما فى قلبه ...

***

تقسمت عروقه اكوانا
وانشطرت وجوهه الوانا ...

***

عبد يدور فى غبار سيد
وساجد يحفن ذلا باليد ...

***

وامم ترعى بدين الغنم
لجت بها الاغلال أعتى الظلم...

***

اعيت خطاها كلمات الرسل
ومعجزات المرسلين الأول ...

***

وغاب وجه الله عن اعماقها
وزمزم الشيطان فى احداقها..

***

تنعى بها موءودة .. ما سئلت
باى ذنب ، دون ذنب ، قتلت!

***

ويشتكيها جائع فقير
انفاسه بالوهم تستجير ...

***

وراسف فى ظلمه يولول
واليأس من آنينه يرتجل ...

***

ظلت على طغيانها تدور
والكون مشلول الخطا ضرير..

***

حتى أتاها مضرم التغيير
فى ليلها الجاثى على الدهور...

***

شد خطاها فى الدجى وسارا
فى هجرة شقت لها النهارا ..

***

وشعشعت فى دربها الضياء
وأترعت فى قلبها السماء

***

اعنى شعاع فى ضمير الزمن
يهدى بنور الله كل مؤمن !!



المجتمع الإسلامي الأول بعد الهجرة

بقلم: محمد محمد المدني

لقد كان مجتمع « **يثرب** » قبل الهجرة مجتمعا يسوده القلق والتشاجر، والحسد والبغض والتربص: فقد كان مزيجا من قبيلتي الأوس والخزرج اللتين فرقت بينهما العداوات المستحكمة، والحروب الطاحنة، ومن اليهود الماكرين المتربصين بالعرب والاسلام، الذين يدركون أنه لا حياة لهم في عهود الاستقرار والطمأنينة، فيعملون جاهدين على افساد ذات البين، واحياء ذكريات السوء.

فلما كانت الهجرة حول الله هذا المجتمع من النقيض الى النقيض حتى أصبح هو المجتمع المثالي الذي تنشده الانسانية، ويتحدث عنه الفلاسفة، ويتواصفه أهل السياسة والحكم والاجتماع:

※ أصبحت « يثرب » تسمى « بالمدينة المنورة » فابتعد عن هذا المجتمع ماض كريه من العداوة والبغضاء كانما كان هذا الاسم المتصل بمادة « التثريب » بمعنى اللوم والتعنيف، مددا له، وصلة قائمة بينه وبين الحاضر والمستقبل، واشرق أمام أهله ذلك الاسم الجديد مؤذنا بعهد جديد، فهو يتكون من كلمتين تؤلفان صفة تجرى على موصوف، فالموصوف هو « المدينة » والمدينة تعني الحضارة والنظام والاجتماع والتعاون وسيادة القانون، ولفظها المعرف بالألف واللام يوحي بكمالها في معناها وكأنها هي الفرد الأكمل بين جميع المدائن، يريد الله أن يكون هو المثال الذي يحتذى، وتتخذ منه القدوة، ويرجع اليه فيما هو من أصول الاجتماع السليمة، وقواعد السلوك المستقيمة، ولقد كان لامام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه فقهه البارع القائم على أصول منها هذا الأصل الذي كان يجعله دليلا من الأدلة حين يستشهد بعمل أهل المدينة، فيراه عرفا صحيحا راشدا يفسر الأحكام ويعين على وجوه تطبيقها.

واذا كان هذا هو ايحاء لفظ « **المدينة** » مجردا قبل أن يوصف، فان لوصفه بصفة مشتقة من « التنوير » ايحاء آخر له آثاره التوجيهية في نفوس المؤمنين، ذلك بأنها انما سميت بالمدينة المنورة حين شرفها الرسول الكريم ونورها بقدومه اليها، واتخاذها قاعدة لدعوته، ولقد وصفه القرآن الكريم بأنه « سراج منير » حيث يقول الله عز وجل « يأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » كما وصفه بأنه نور وبأن الكتاب الذي جاء به نور: « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا » « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ».

لهذا وذاك استقر في نفوس أهل المدينة أنهم هم أصحاب المدينة الفاضلة الكاملة، وأن مدينتهم هي التي شرفت بالنور المبين، وتلقت برهان الرب العظيم، فكان لهذا الاعتبار معنى نفسي قوي بين المعاني الكثيرة التي أفادوها، واستقاموا على نهجها حتى صار مجتمعهم هو « **المجتمع المثالي** ».

※ وأصبحت العلاقة بين أفراد هذا المجتمع هي علاقة المحبة والأخوة التي تعرف « الايثار » ولا تعرف « الأثرة ».

وقد مدح الله سبحانه وتعالى جماعة الأنصار بقوله:

« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ».

فكان هذا المدح الالهي، أو الوسام الشرفي الأعلى الذي منحهم الله اياه، هو أنهم « يحبون من هاجر

البهم » – أى أن مجتمعهم المكون من أفراد تبوءوا الدار – أى سكنوا المدينة – وتبوءوا الايمان ، فكأنهم سكنوه كما يسكن الوطن ، وتمكنوا منه كما يتمكن المرء من داره وقراره – هذا المجتمع المكون من هؤلاء الأفراد المؤمنين هو مجتمع يفيض بالحب ، ويتصرف أفراده على أساس الحب ، فيرحب بهؤلاء القادمين من المهاجرين اخوان المبدأ، وأصدقاء الفكرة ، والعقيدة، والدعوة ، ترحيبا قويا مخلصا ، ثم أتبع الله جل جلاله هذا الوصف الأساسى بثمرتيه الذاتيتين . احداهما : صفاء النفوس والصدور ، لا من الحقد والحسد فحسب ، ولكن من اى حاجة من الحاجات التى تخالج النفوس والصدور عادة ، كالنظر الى ما أوتى هؤلاء المهاجرون من مال ومعونة ، أو التفكير فى أن ذلك منة عليهم ، او استكثاره ، او نحو ذلك، فما أبرع قوله تعالى تعبيرا عن صفائهم الكامل الشامل : « ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » – والثمرة الثانية الدانية من ثمرات هذا الحب هى ما وصفهم الله به من قوله : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » – اى ولو كان بهم فقر ملح ، وحاجة ماسة الى ما أعطوا – فالايثار لايمكن أن ينبع الا عن المحبة ، المحبة التى تجعل الاب يجود بما فى يده لابنه وفلذة كبده ، المحبة التى تجعل الام تمنح طفلها ورضيعها – مع الحنان والرحمة – ذلك اللبن الخالص السائغ الذى هو فيض من دمائها ، وشطر من غذائها ، المحبة التى تجعل المحب يتلذذ بما يأخذه منه حبيبه ، ولا يحس بأنه قد فعل شيئا ، أو ضحى بشىء ، ولو كان هو نفسه محتاجا الى ذلك الشىء ، وبه خصاصة وفقر اليه .

اذا وصل الامر الى الايثار على هذا النحو المنبعث عن الحب ، فقد تطهرت النفوس من أبشع خلق من اخلاق اللؤم ، وهو الشح الذى يتلخص معناه فى كراهية النعمة ينعم الله بها ، سواء أكانت على يد هذا الشحيح أم على يد غيره – اذا تطهر المجتمع من هذا الخلق ، استقرت النفوس ، واطمأنت القلوب ، وانتشرت فى المجتمع ريح رخاء من التعاون والمودة والتكافل ، لا يفسدها طمع ولا جشع ، ولا بغض ولا حسد ، ولذلك يختم الله هذه الآية الكريمة بذكر سنة الهية ، وقاعدة ذهبية ، وقانون لايتخلف ولا يتبدل ، اذ يقول « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ان هذا المعنى الذى يتجلى فى هذا الوصف الالهى للمجتمع المثالى الأول ، مجتمع المدينة ، حيث التقى المهاجرون والأنصار لاول مرة على حماية دعوة الحق ، والاستظلال براية القرآن ، والاهتداء بهدى من أنزل عليه القرآن – ان هذا المعنى ليوحى الينا برغبة الاسلام القوية فى أن تقوم العلاقة بين الناس على أساس المحبة ، بل انه ليغرى المجتمعات بذلك اغراء ، حيث يسوقه مدحا الهيا لأهل ذلك المجتمع الأول ، وحيث يجعله الوسيلة الوحيدة للفلاح على سبيل الحصر .

وان التاريخ الاسلامى ليتحدث عن هذه العاطفة الصادقة التى كانت تسود المجتمع الأول ، ويحتفظ بصور عجيبة لهذا الحب ، ولهذا الايثار ، فقد كان المهاجر المكى ينزل فى بيت الانصارى المدنى،فيطعمه أحسن مايطعم هو واهله ، ويقاسمه عقاره وثمار نخله وكل ما لديه من مال ومتاع ، ويعمل على تزويجه ان رغب فى الزواج ، ولما غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير من اليهود ، دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا من المهاجرين من انزالهم اياهم فى منازلهم واشراكهم فى أموالهم ، ثم قال لهم : « ان أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبين المهاجرين ، وكانوا على ماهم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم ، وان أحببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم » فقال سعد بن عباده، وسعد بن معاذ ، الأنصاريان : بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ، – اى أنهم تنازلوا للمهاجرين عن نصيبهم فى الغنيمة مع احتفاظهم لهم بمقامهم فى ديارهم وأموالهم ، دون أن يتحولوا عنها وقد أغناهم الله ، وبذلك نادى كل الأنصار قائلين : رضينا وسلمنا يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ! » .

وما أشبه مايقوله الشاعر القديم فى معنى كهذا بما فعله الانصار مع المهاجرين :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت
بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ، ولو أن أمنا
تلاقى الذى لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجأوا
الى حجرات أدفأت وأظلت

● ومن أمثلة الايثار الذى كان يسود مجتمع المدينة،والذى ينطبق عليه وصف الله تعالى لأصحاب

هذا المجتمع بقوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » :

ـ مارواه القشيري عن ابن عمر قال :اهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : ان اخي فلانا وعياله أحوج الى هذا منا ، فبعثه اليهم ، فقالوا هم ايضا مثل قوله فبعثوا بها الى أهل بيت آخر ، فلم يزل يبعث بها واحد الى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ، ورجعت الى البيت الأول .

ـ وما رواه محمد بن مطرف : ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ اربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال لغـلامه : اذهب الى أبي عبيدة بن الجراح فذهب بها اليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذا في بعض حاجتك ، فقال : وصله الله ورحمه ،ثم قال : تعالي ياجارية : اذهبي بهذه السبعة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، حتى أنفدهـا ! ، فرجع الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ، فقال : اذهب بهذا الى معاذ بن جبل فانظر ماذا يصنع ، فذهب بها اليـه ، فقـال : يقول لك امير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك فقـال : رحمـه الله ووصـله ، وقال : يا جـارية : اذهبي الى بيت فلان بكذا ، وبيت فلان بكذا،فاطلعت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فاعطنا ، ولم يبق في الصرة الا ديناران فأعطاهما زوجته ، فرجع الغلام الى عمر فاخبره فسر بذلك وقال : انهم اخوة بعضهم من بعض !

● واذا كان خلق الايثار قد ظلل هذا المجتمـع بظلال وارفة من الرحمة والمودة ، فلقد كان المهاجرون ذوي عفة وقصد ، ولم يكن أحد منهم بالذي يغـريه كرم الأنصار فيدفعه الى الجشع والطمع .

ـ فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال أهـل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم .

ـ وروى أهل السيرة انسعد بنالربيعالأنصاري، عرض على عبد الرحمن بن عوف المكي أن يشاطره ماله ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد آخى بينهما ـ فأبى عبد الرحمن وطلب اليه أن يدله على السوق ، وفيها بدأ يتجر حتى أصبح بعد زمن ليس بالبعيد ذا غنى ويسار .

ـ ورووا أيضا : أن جماعة منهم ابو بكر ،وعمر، وعلي ، وغيرهم ، عملت أسرهم في الزراعة في أراضي الأنصار مزارعة مع ملاكها ،وكانوا يأبون أن يعيشوا كلا على غيرهم .

واذن : فالايثار من الأنصار لم يقابل بالجشـع والاستنزاف من المهاجرين ، ولا بالتراخي عن العمل، واستمراء حياة الكسل،ولا بروح الانتهازية الدنيئة، ولكنه قوبل بالشكر والقناعة والاقبال على العمل والسعي ، التماسـا للغنى والقـدرة على الوفاء بالحقوق .

وهكذا كانت نفوسهم متجاوبة ، وعواطفهـم صادقة غير مصطنعة ، ومجتمعهم صورة صحيحة لما نسميه « **باشتراكية الاسلام** » .

● أما الاخاء ، فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعقد أواصره بين المهاجرين والأنصار ، وبين المهاجرين بعضهم وبعض ، والانصار بعضهم وبعض، على نحو بارع عجزت عن مثله أعظم السياسات في مختلف العهود والنظم :

فقد روى مؤرخو السيرة النبوية العطـرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما قدم المدينة دعا المسلمين ليتآخوا في الله أخوين أخوين ، فكان هو وعلي بن أبي طالب أخوين ، وكان عمه حمزة ومولاه زيد أخوين ، وكان ابو بكر وخارجة بن زيد ،أخوين، وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخـزرجي اخوين ، وكان عبد الرحمن بن عوف ، وسعـد بن الربيع أخوين ، وتآخى كذلك كل واحد من المهاجرين الذين كثر عددهم بالمدينة مع واحد من الانصار .

وقد كان هذا الاخاء سـبيلا الى خير كثير ، والى وحدة واستقرار في مجتمع المدينـة ، والى تقارب فكري بين المكيين والمدنيين ، والى تعاون على البر والتقوى في ظل تعاليم الاسـلام ، والى انكماش اليهود الذين كانوا بالمدينة وضواحيها ، وعجزهم عن الايقاع بالفتنة والنميمة بين المهاجرين والانصار، أو بين الانصار اوسهم وخزرجهم ، اذ كان مما حققه هذا الاخاء نوع من أنواع الرقابة والحيطة على اليهود، والحذر من فتنتهم وكيدهم .

● لقد عاش المسلمون في ظل هـذا الاخاء ، وتلك المحبة : على أتم ما تكون المجتمعات الراقيـة صفاء وهدوءا وتعاونا وتعاطفا .

وكان اليهود عز عليهم ذلك ،فحاولوا أن يفسدوا هذه الاخوة ، وان يعكروا صفو تلك المحبـة ، وان يذكروا كلا من الاوس والخزرج بما كان من خلاف بينهم وحروب قبل الاسلام ، ولكن قائد المسلمين الأعظم رسول الله صلى الله عليه وسـلم كان لهم بالمرصاد ، يسهر على وحدة المسلمين ويدرأ عنهم كيد الكائدين ، بفضل الله ورحمته ، ويأخذ اليهود بما كسبت أيديهم من التدبير والتآمر حتى أجلاهم وطهر أرض المدينـة وما حولها منهم ، والعاقبـة للمتقين .

« **محمد محمد المدني** »

الهجرة إيمانٌ وتنظيم

بقلم .. عبد العزيز كامل

عروبة الهجرة :

كانت هجرة الصحابة رضوان الله عليهم الى الحبشة سابقة للهجرة العامة الى المدينة مع اختلاف فى خصائص كل من الهجرتين .

وقد سبق هذه الهجرات ايذاء شديد لحق المسلمين ، تحملوه بايمان راسخ وتنوعت طرق التهديد والايذاء ، وكان الكفار يحاربون التاجر المسلم في تجارته . وان كان الرجل ضعيفا عدوا عليه بالضرب والتجويع والتعطيش حتى مايقدر ان يستوى جالسا من شدة الضر . ويروى البخارى ان خبابا (رضى الله عنه) قال : أتيت النبى (ص) وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر الوجه ، فقال « قد كان من كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت مايخاف الا الله عز وجل ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » .

وزاد الايذاء . والرسول لا يقدر على أن يمنع أصحابه مما هم فيه من البلاء ، فقال لهم « لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ،



وهى ارض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » . فهاجر الصحابة اليها هجرتين .

والذى يستوقف النظر فى هذا الحديث الشريف أن الرسول دعا أصحابه الى الهجرة الى الحبشة ولكنه جعلها هجرة مؤقتة ، بدليل قوله « حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » . وهى بهذا لم تكن هجرة استقرار لنشر الاسلام واتخاذ الحبشة منطلقا للدين الجديد ، وانما كانت « هجرة ايواء » حتى يستطيع الاسلام أن يجد له قاعدة فى الجزيرة العربية نفسها .

يدلنا على هذا أن النبى (ص) بعد وفاة خديجة وعمه أبى طالب وما أصابه وأصحابه من ارهاق وعنت بعد أن انتهى ما فرضته قريش من حصار اقتصادى واجتماعى ، خرج الى ثقيف — فى الطائف — يطلب نصرتها فردته ردا غير جميل . واغرت به عبيدها وسفهاءها يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة

حتى أدموه ، وخلص منهم ورجلاه تسيلان دما ٠٠ ثم أخذ يعرض نفسه على أحياء العرب ، فى موسم الحج ليؤمنوا بالله ويصدقوا بالرسول ويمنعوه حتى يبين ما بعثه به الله ٠ وتحمل النبى (ص) فى هذه المرحلة أذى بليغا ، ولكنه مع هذا كله كان لا يهن ولا ينى عن عرض نفسه على القبائل ٠

وكتب السيرة مليئة بالحوار الذى كان يدور حول الشروط التى تشترطها القبائل لنصرة النبى ٠ كان منهم من يريد أن يكون له الأمر بعد الانتصار ، ويرون الدين صفقة ٠ فما يكون من النبى الا أن يقول : الأمر لله يضعه حيث يشاء ٠ ومنهم من تشكك فى الأمر قائلا : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه ؟!٠

فهناك اذن اصرار من النبى (ص) على ابلاغ دعوته وعرضها على القبائل حتى يجد القوم الذين يقبلون أن تكون أرضهم منطلقا للاسلام ، ورجالهم الرعيل الصادق الذى يحمل مع النبى أمانة هذا الدين ٠ ويسر الله هذا الأمر لرسوله حين استجاب الخزرج له عند العقبة فى موسم الحج قائلين : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عائدين الى يثرب قد آمنوا وصدقوا ٠

وبهذا استطاع الاسلام أن يجد « **قاعدة عربية** » لينتشر منها ، وكانت الهجرة داخلية فى الجزيرة العربية ، ومن هنا تميزت تميزا واضحا عن الهجرة الخارجية الى الحبشة : تميزت فى المكان كما تميزت فى الهدف ٠

ولقد حدد الرسول (ص) الهدف من الهجرة فى بيعة العقبة الثانية حين خاطب الأنصار قائلا : «أسالكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسالكم لنفسى واصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم ٠ وبين الرسول منزلة دار الهجرة حين ساله الأنصار قائلين : « ان بيننا وبين الرجال (يعنون اليهود) حبالا نحن قاطعوها ، فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ » فقال الرسول (ص) : « بل الدم الدم والهدم والهدم ٠ أنا منكم وأنتم منى ٠ أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » ٠٠ يقصد بذلك ـ كما يقول ابن الاثير فى النهاية فى غريب الحديث والأثر ـ ان من طلب دمكم فقد طلب دمى ، ومن أهدر دمكم فقد أهدر دمى لاستحكام الألفة بيننا ٠ وهو معنى حديثه الآخر « المحيا محياكم والممات مماتكم (٤: ٢٤٢ ، ٢٤٣) ٠

ومن هنا يتضح الفرق الكبير بين اتخاذ المدينة قاعدة للاسلام وبين الهجرة الى الحبشة التى كانت محددة بهدف موقوت ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ٠ والذى يهمنا تسجيله الآن أن الحبشة مع وقوعها فى شرق افريقية وقربها من مهد الاسلام وغناها النسبى ، لم تكن فى عصورها التاريخية منطقة انطلاق فى افريقية ، وانما كانت ـ فى الغالب ـ منطقة انزواء وعزلة ولم تستطع أن تسيطر حتى على السهول الساحلية التى تقع الى شرقها أو تتوسع فى الغرب والشمال الغربى ٠ أما الجنوب فلم يكن هناك ما يدفع الاحباش الى التوسع فيه لوجود نطاق جاف نسبيا تليه منطقة هضبة شرق افريقية المرتفعة ٠ ويعلق سير وليام ميور على احتمال هجرة الرسول (ص) الى الحبشة بقوله : « لو لم يتوفر للاسلام مهاجر فى المدينة لربما هاجر النبى الى الحبشة ٠ وهنا كان من المنتظر أن ينزوى الاسلام ، ويتحول الى مذهب مسيحى قصير العمر مآله الانقراض » ٠ وليس من الممكن أن نحكم على مصير الاسلام لو لجا النبى الى الحبشة بنفسه ٠ ولكن لو تخيلنا هذا لتسابقت عدة أسئلة الى الذهن : من يحفظ القرآن العربى ؟ وما عدد هؤلاء الحفظة ؟ وما مصير الدين بلغته العربية فى البيئة الحبشية فى هذه المرحلة الأولى من مراحل نموه؟ والى أى مدى سيسمح أهل البلاد لهذا الدين الجديد اللاجيء أن ينمو ؟ وما موقف الرومان من الحبشة حين يعلمون أن فيها دينا عالمى الانتشار آوى اليها ؟ وهل يستطيع الاسلام أن يتخذ من الحبشة ـ وقتئذ ـ وهى مناطق مزقتها الأنهار الى بيئات منعزلة ـ قاعدة متماسكة ؟

أليس من الأقرب الى الذهن أن يتابع الاسلام نموه فى مهده الأول الذى اختاره له الله ، ويتنزل القرآن العربى فى أرض العرب ، ثم يخرج دعاته بعد

هذا ليدخلوا أفريقية من أوسع أبوابهـا وأقواها ، ويتخذوا من مصر قاعدة انطلاق فى أفريقية ؟

ليس من الممكن ان نحكم على مالم يحدث لسـبب بسيط ، هو أنه لم يحدث . ولا نريد أن يجمح بنا الخيال لنتصور تاريخا ونبنى عليه نتائج . والذى يعنينا ويستوقف أنظارنا ، أن النبى بقى فى هـذه البيئة العربية لتكون قاعدة الاسلام ، وأن الهجرة اذا كانت من مكة الى المدينة فقد كانت داخل الجزيرة العربية .

نماذج مؤمنة :

ولم تكن مكة بالوطن الذى لا يعتز به أهله ولا الذى يتركونه فى سهولة ويسر . فلقد أحبها النبى (ص) وأحبها أصحابه . وكانوا يتغنون بها بعد هجرتهم الى المدينة ، يذكرون محاسنها ومنزلتها . ولكن داعى الايمان حين دعاهم تركوا هذا كله امتثـالا لامر الله ورغبة فيما عنده .

ولقد جمع الاسلام فى مكة بين المؤمنين واستجابت له الشعوب المؤمنة : كان فيهم التاجر الغنى كابى بكر الصـــديق وعبد الرحمن بن عوف وكان فيهـم المستضعفون كـــآل ياسر . وكان فيهم من الروم كصهيب ، ومن الحبش كبلال ، كان منهم الكهـول والشباب والنساء والفتيات .. رضى الله عنهـم أجمعين .

ولا نستطيع أن نجد رباطا يجمع بين هذه القلوب على اختلاف الوانها وقدراتها الاقتصادية والاجتماعية غير رباط الايمان ..

ويحفظ لنا تاريخنا الاســـلامى روائع من قوم رغبوا فيما عند الله فلم تفتنهم زهرة الدنيا ، وجعلوا مادة الحياة قربة الى ربهم ..

فصهيب الرومى حــين أراد الهجرة من مكة الى المدينة قال له كفار قريش : « اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لايكون ذلك ..

فقال لهم صهيب « أرأيتم ان جعلت لــكم مالى أتخلون سبيلى ؟ »

قالوا : « نعم » .

قال « فانى قد جعلت لكم مالى »

فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال « ربح صهيب، ربح صهيب »

والقصة لاتحتاج الى تعليق : موقف وقفه صهيب رضى الله عنه ليختار بين المال الذى جمعـه من كده وعرق جبينه وبين الخروج بدينـــه الى المدينـــة ، فاختار الدين وترك المال ليذهب ويساهم فى انشاء المجتمع الجديد .

وتعطينا ام سلمة رضى الله عنها نموذجـــا كان الصراع فيه بين الايمان والعاطفة ، لا بين الايمـان والمال ، كما رأينا فى قصة صهيب ــ فعندما عـزم أبو سلمة على الخروج الى المدينة رحل لهـــا بعيره وحملها عليه وجعل معها ابنهـــا سلمة فى حجرها ، ثم خرج يقود بها بعيره . فلما رأته رجال من بنى المغيرة قاموا اليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرايت صـــاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟

قالت أم ســلمة : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منــه ، قالت : وغضب عنـــد ذلك بنو عبد الاسد رهط ابى ســلمة وقالوا « والله لانترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا » فتجـــاذبوا سلمة الصغير بينهم حتى خلعـــوا يده وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسنى بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجى أبو سلمة الى المدينـــة . قالت « ففرق بينى وبين ابنى وبين زوجى » وكانت أم سلمة تخرج كل غداة فتجلس فى الأبطح فما تزال تبكى حتى تمسى . ومرت على هذا سنة أو قريبا منها . حتى رق لها قلب رجل من بنى عمها ــ أحد بنى المغيرة ــ ورحمهـــا وذهب الى القوم قائلا «ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك ان شئت . ورد بنو عبد الأسد اليها عند ذلك ابنها . وهاجرت أم سلمة مع ولدها الى المدينة .

ومما تحفظه لنا كتب السيرة فى هذا الموقف أن أم سلمة عندما خرجت بولدها مهـــاجرة الى الله ورسوله وأدركت التنعيم بظاهر مكة لقيت عثمـان ابن طلحة أخا بنى عبد الدار وكان مشركا فصحبها حتى أوفى على قباء قرب المدينة وقال لها « هذا زوجك فى هذه القـــرية » ثم انصرف راجعـــا الى مكة . وتصف أم سلمة كيف أكرمها عثمـــان فى هـــذه الصحبة ، وكيف حافظ على أكرم التقـــاليد العربية

فى رعاية سيدة مهاجرة من حياء ورعاية حتى كانت تقول : ما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن ابى طلحة ،

من هذه النماذج تبدو لنا طبيعة الهجرة : هجرة الى الله ورسوله ليس لهـــا من دافع الا الايمـان والامتثال لامر الله تعالى والسعى لايجـــاد موطن يستطيع فيه الاسلام أن يرفع أعلامه وينشر أنواره ويهدى الناس الى الحق .

تنظيم الهجرة :

وأعد النبى (ص) نظام هجرته وشمل هـــذا التنظيم عدة أمور :

١ ـ الصحبة : وكان رفيقه فى رحلته ابا بكر رضى الله عنه .

٢ ـ الخروج من المنزل : وكان ذهابه الى بيت أبى بكر وقت الهاجرة ولم يكن من عادته ان يذهب الى بيته فى هذا الوقت . وهناك اخبره ان الله قد اذن له فى الهجرة بعد أن هاجر معظم اصحابه وان ابابكر رفيقه فى هذه الهجرة .

٣ ـ الاتجاه : ولم يخرج الرسول (ص) من مكة متخذا الطريق المباشر الى الشـــام من عوالى مكة ، وانما اتخذ أولا طريق اليمن من مســـفلة مكة ومن هناك اختبأ فى غار ثور ثلاث ليال حتى خف عنـــه الطلب .

٤ ـ تنظيم وصول الاخبار اليه فى الغار : وكان يقوم بذلك عبد الله بن ابى بكر ، يقضى ليله مـــع الرسول وابى بكر فى الغار وعند الفجر ينزل مكة ، فيظنه القوم وقد أمضى ليله بها ، فلا يسمع أمرا عن النبى (ص) وأبى بكر الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام .

٥ ـ الطعام واخفاء الآثار : وكانت أسماء بنت أبى بكر تاتيهما بالطعـــام وعامر بن فهيرة يرعى عليهما غنما حين يذهب ساعة من العشاء . وكانت الغنم تعفى على الآثار التى يتركها سير أسماء وعبد الله ابنى أبى بكر .

٦ ـ رد الودائع : وقام بهـــذا على بن ابى طالب فقد نام فى فراش النبى (ص) وتســـجى ببرده فظنه الكفار الرسول نائما . وكانوا قد أجمعوا على قتله وجمعوا لذلك أربعين شابا يمثلون القبـــائل ليتفرق دم النبى فيها فلا تستطيع عبد مناف ان تقاتلهم جميعـــا وترضى منهم بالعقل .. وكان من الحكمة أن تظل الودائع عند الرسول لئلا يدرك قومه استعداده للسفر . وقام بهذا على رضى الله عنه ثم لحق بالنبى مهاجرا وقطع الطريق على قدميـــه فى أسبوعين فلم يدرك المدينـــة الا وقد تمزقت أقدامه من صخور الطريق .

٧ ـ اتخاذ الطريق غير المألوف : وحتى بعد أن خف الطلب عن رسول الله (ص) ووصـــل بعض رجال من قريش الى الغار ولم يروا النبى وصاحبه ، خرج النبى وابو بكر على راحلتين معدتين من قبـل لهذا الغرض يقودهما دليل ماهر ورافقهم عامر بن فهيرة . وسلك الدليل طرقا غير مألوفة حتى وصل الى المدينة .

يبدو من هذا أن النبى (ص) أعد لأمر الهجرة عدته ونظم أمره ولم يترك فيه شيئا دون تنظيم . وبهذا تمثل فى الهجرة جانبان لا تقوم الحياة الا بهما وهما الايمان والتنظيم العملى الذى يعبر عن الايمان تعبيرا صادقا ، ويحول العقيدة الى صورة حية يتمثل فيها الوعى الصادق باهـــداف الاســـلام والطرق السليمة لتحقيق هذه الاهداف .

د . عبد العزيز كامل



الهجرة
أسبابها ونتائجها



بقلم: حامد عبد القادر

لقد كانت هجرة الرسول الكريم محمد بن عبد الله من مكة الى المدينة أبرز مظهر من مظاهر قوة ارادته ، وصدق عزيمته وشدة تمسكه بالمثل العليا والمبادىء السامية .

وان من يقرأ سيرة هذا الرسول العظيم ويدرس حياته فى دقة وتبصر يجزم بأنه كان قوى الشخصية ، وبأن قوة شخصيته قد تجلت فى قوة ارادته وصدق عزيمته ، ويدرك أن التمسك بالحق والاستماتة فى الدفاع عنه ، والتضحية فى سبيل نصرته ـ فى مقدمة المثل العليا التى آمن بها ذلك الانسان الكامل منذ صباه ، وظلت مسيطرة على سلوكه طول حياته .

ان هذا المبدأ هو الذى جعل محمدا الصبى يمقت الوثنية الباطلة ويستنكر عبادة الاصنام على تنوع ضروبها واختلاف أنواعها . فما قيمة صنم يصنعه المرء ويقيمه بيديه ثم يعبده من دون الله ، أو مع الله أو يقدم له القرابين ويتقرب اليه بالدعوات والصلوات ؟ ان هذا لهو الضلال المبين ، الذى لا سند له الا الجهالة العمياء ، ولا مبرر له الا العناد والكبرياء . وكل ذلك ليس من الحق فى شيء .

وان هذا المبدأ نفسه هو الذى حمل محمدا الرجل على ان يعتزل الناس ووثنيتهم ، ويترك ما كانوا فيه من ضلال وبهتان ، ويخلو ونفسه فى مكان قصى بعيد عن صخب الحياة وضجيجها ، ليناجى ربه ، ويستلهمه الهداية ويستوحيه الرشاد .

وان هذا المبدأ هو ذاته الذى جعل محمدا النبى يصدع بأمر الله فيدعو الناس فى اصرار وقوة الى توحيد الله تعالى ، ونبذ عبادة الاصنام غير هياب ولا وجل ، على الرغم من معارضة المشركين من صناديد قريش وذوى الرأى فيهم ، وكانت دعوة قوية فى حزم ، صادقة فى عزم ، مخلصة فى ايمان ، لم يزعزعها وعد ولا وعيد ، ولم يزحزحها اغراء ولا تهديد .

وان هذا المبدأ عينه هو الذى جعل الرسول السمح الكريم يصبر على الشدائد ، ويتحمل المتاعب ، ويسير فى طريق الدعوة الى الاسلام غير مكترث بما كان يرى ، ولا يعتد بما كان يسمع ، لقد رأى كثيرا من أنواع السخرية والاستهزاء وسمع كثيرا من ألفاظ السب والشتم ، فصبر واحتمل ، وصابر وثابر ، ولم يجاوز حدود الاتزان والرزانة ، بل كان يلجأ الى الله تعالى ويقول : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » .

وقد لقى الرسول وأتباعه من أصناف التعذيب ، وألوان التعنيف والتقريع ما لا قبل لهم به ، لولا اعتداؤهم بالرسول فى قوة ايمانه ، وصدق عزيمته وشدة استمساكه بمبادئه القويمة .

ولقد كان ذلك المبدأ هو الذى جعل الرسول يرد على عمه أبى طالب ـ حين طلب اليه أن يوقف حملته على قريش ومعبوداتهم ـ فيقول له قولته الخالدة : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ثم ان هذا المبدأ هو نفسه الذى دعا الرسول الى محاجة أهل الكتاب وغيرهم من المشركين وقرع حججهم الباطلة بحجة الحق الواضحة الملجمة .

لقد حاجوه فحاجهم حتى غلبهم ، وجادلوه فجادلهم حتى أفحمهم ، متبعا فى ذلك قول ربه : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن .

نعم لقد حدث كل هذا وغيره مما لا يتسع المقام لذكره من سيرة رسول الله محمد بن عبد الله ، وكان ذلك الرسول المؤيد المظفر فى جميع مواقفه كالطود الأشم ، الثابت الأركان ، المتين البنيان ، لا يتزحزح عن مبادئه قيد أنملة ، لم يضطرب ولم يتلعثم ، بل كان حاضر البديهة ، سليم التفكير ، جيد التعبير ، يدافع عن مبادئه بكل ما آتاه الله من وضوح بيان ، وثبات جنان ، وقوة ايمان ، وثقة بنفسه ، واعتماد على ربه .

وكان الوحى يتنزل عليه من الله تعالى يرشده ويهديه ، ويثبت فؤاده ويسليه ، ويشجعه على السير فى طريقه والثقة من نصر ربه ولو كره الكافرون .

وأخيرا بلغ السيل الزبى ، وجاوز الظالمون المدى ، واشتد الصراع بين الحق والباطل ، واحتدم النزاع بين الخير والشر ، وكادت نار الحرب أن تشتعل بين المسلمين والمشركين . وبدا نور الحق وكأنه يقوى شيئا فشيئا ، وبدت شوكة الباطل وكأنها تضعف رويدا رويدا . وكان المسلمين أخذوا يتساءلون : متى يذهب نور الحق بظلمات الباطل ؟ ومتى يقطع الخير دابر الشر ؟ ومتى نصر الله الذى وعد به عباده المؤمنين . وكانت ملائكة الله تطل على المؤمنين من أعلى عليين ، وترد عليهم قائلين : الا ان نصر

الله قريب . فقد « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي » وقال : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

لقد جاهد الرسول الكريم في سبيل الله حق جهاده ثلاث عشرة سنة في مكة ، ولم يظفر بما يرضيه من نشر الاسلام ، واعلاء كلمة الحق كلمة الله . ان أمرا لا بد أن يتم لحل المشكلة، وتحقيق الأماني التي يحرص الرسول والمسلمون على تحقيقها . ولا يمكن أن تتحقق تلك الاماني الا اذا بقيت الدعوة الى الاسلام حية نشيطة ، ولا سبيل الى حياتها ونشاطها الا بانقاذ الرسول والمسلمين من كيد الكفار ، وتهيئة بيئة أخرى لهم يمارسون فيها أعمالهم في حرية وانطلاق .

وقد أراد الله سبحانه أن يهيىء للمسلمين تلك البيئة الجديدة ، وانه عزوجل اذا أراد شيئا هيأ له الأسباب ، وقد اقتضت حكمته البالغة أن تكون يثرب مهجرا للرسول والمسلمين. ولعل السر في اختيار يثرب دون غيرها لهذا الغرض انها قريبة من مكة . وأن بني النجار أخوال الرسول كانوا يقيمون بها . وأن فريقا من اليهـــود كانوا يسكنونها وهم من أهـــل الكتاب المؤمنين بوحدانية الله . وأن دعوة الرسول الى الاسلام كانت قد وصلت الى المدينة وشاع فيها أمرها ، وحدث مايشبه التنافس بين اليهود من ناحية والأوس والخزرج من ناحية أخرى في التقرب الى صاحب الدعوة الجديدة . والاسراع الى اعتناق الدين الجديد . المبشر به في التوراة والانجيل .

ولم تكن هجرة الرسول والمسلمين الى يثرب أمرا فجائيا . بل انه قد سبقها التمهيد لها كي تكون هجرة سعيدة تأتي بالخير للمهاجرين . ذلك انه سبحانه الهم فريقا من أهل يثرب حجاج بيت الله الحرام بمكة أن يحسنوا استقبال الرسول حين قابلهم فيمن كان يقابل من وفود العرب الى بيت الله الحرام ، وأن يستمعوا اليه حين عرض عليهم الاسلام . وكان من أمرهم أن بايعوه على مناصرته . وكانت بيعة العقبة الثانية أهم البيعات وأشدها تأثيرا في حياة الدعوة الاسلامية وانتشار الاسلام في يثرب ثم الجزيرة العربية .

لقد تمت هذه البيعة في شهر ذي الحجة من السنة الثالثة عشرة بعد البعثة . وفيها تكلم عليه السلام فقرأ القرآن على فريق من الخزرج ، ودعا الى الله ورغب فيه . ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » . فأخذ سيدهم بيد الرسول ثم قال : « نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله فانا والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » .

والحديث عن هذه البيعة وما سبقها من البيعات حـــديث طويل ، لسنا في حاجة الى الخوض فيه الآن . ويكفي أن نقول انها كانت من الاسباب الممهدة للهجرة الميسرة لها . الا أنه لو لم يكن للرسول والمسلمين في يثرب أنصار يحنو عليهم ويحنو بهم . يحسنون استقبالهم ويكرمون وفادتهم ما تيسر لهم أن يهاجروا الى المدينة بتلك السهولة ، ولا أن يطيب لهم العيش فيها بين سكانها الذين أصبحوا اخوة لهم يعاونونهم ويشاطرونهم سراء الحياة وضراءها .

وقد كان من شأن بيعة العقبة الثانية أن يزيد في حنق قريش وغيظهم وحقدهم على الرسول وأصحابه . فقد وجدوا أن الاسلام يزداد يوما بعد يوم انتشارا ، وأن عدد المسلمين في نمو مطرد ، على الرغم من ايذائهم وقسوتهم في معاملة الرسول ومن آمنوا به.

وقد زادهم حنقا الى حنق وغيظا الى غيظ أن المسلمين أخذوا يهاجرون الى المدينة ، فقد أمرهم الرسول بذلك اشفاقا عليهم ورحمة بهم . وقال لهم فيما قال : « ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها » .

وكان الذين يهاجرون يتسللون لا يشعر بخروجهم أحد . وينزلون على الأنصار اخوانهم بالمـــدينة ، فيفرحون بمقدمهم . ويواسونهم ، ولا يحتجزون دونهم شيئا من أموالهم .

وقيل في هجرة عمر رضي الله عنه انها كانت جهرا ، فقد تقلد سيفه وتنكب قوسه ، ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : « شاهت الوجوه ، لا يرغم الله الا هذه المعاطس . من أراد أن تثكله أمه ، وييتم ولده ، وترمل امرأته فليلقني وراء هذا الوادي » . فلم يتبعه أحد منهم . وهاجر في صحابته نحو عشرين من مستضعفي المســـلمين بمكة .

حينئذ شعرت قريش بالخطر ، وعلمت أن الرسول وأصحابه قد أصبحوا قوة يخشى بأسها ، وأن المهاجرين أصابوا من المسلمين ديارا ومنعة ، فليس وراء ذلك الا أن يعلن المسلمون الحرب على المشركين . واذن لا مناص من التفكير في الامر ، واتخاذ الحيطة للمستقبل ، واعداد العدة له قبل أن يفلت الزمام من أيديهم .

لقد هاجر المسلمون الى المدينة ولم يبق بمكة الا محمـــد وصاحباه أبو بكر وعلي والمستضعفون من المسلمين ، فمن الواجب أن تفكر قريش وأن تسرع في التفكير والعمل قبل أن يفوت الأوان . لأن محمدا اذا هاجر واحتمى بالأنصار نزلت بقـــريش المصيبة الكبرى ، وأدركهم الفشل الذريع بل الهلاك الســـاحق السريع . فماذا هم فاعلون ؟

اتفقوا على أن يجتمع رجالاتهم وصناديدهم وسادتهم في دار الندوة للتشاور في الامر ، فلما اجتمعوا اختلفوا ورأوا في الامر آراء مختلفة . وأخيرا قام أبو جهل بن هشام وأبدى رأيه المعروف فاتفقوا عليه . والى هذا يشير قوله تعالى : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ـ الأنفال : ٣٠ .

فما كان الله ليذر رسوله يقع فريسة في أيدي أعدائه . بل انه سبحانه أوحى الى عبده المخلص له تلك المؤامرة الخبيثة، وأمره الا يبيت على فراشه تلك الليلة . فأمر عليا فنام مكانه مغطى ببرده الأخضر ، وخرج ليلا والفتيان مجتمعون لتنفيذ المؤامرة فألقى الله عليهم النوم ، فلم يره أحد منهم ، وجعل ينثر التراب على رءوسهم ويتلو الآيات الأولى من سورة يس ، ويقـــول : شاهت الوجوه . وذهب الى غار ثور ، وأتى الفتيان آت قال لهم : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا، قال : قد خيبكم الله . قد ـ والله ـ خرج محمد عليكم ، ثم ما ترك منكم رجلا حتى وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، فما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه التراب . ثم جعلوا ينتظرون عليا على الفراش فيحلفون انه محمد،حتى اذا ما أصبحوا

وقام على من الفراش سألوه : أين ابن عمك ؟ فقال : « قلتم له اخرج عنا فخرج عنكم » فتفرقوا فى كل سبيل فلم يعثروا عليه ·

وقصة هجرة الرسول وصاحبه مدونة بالتفصيل فى كتب السيرة . ويعنينا منها أن نشير الى بعض المعجزات الباهرات والآيات البينات التى تمت فى أثنائها ·

ففى مقدمة تلك المعجزات تأتى « معجزة الغار » الذى مكث فيه الرسول وصاحبه ثلاث ليال ، وما كان من أمر الحمامتين والعنكبوت ·

لقد كان الموقف رهيبا حقا ، حتى ان أبا بكر رضى الله عنه خشى أن يعرف المشركون طريقهم الى الرسول ، فحزن فى نفسه أشد الحزن وقال له : « ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد ، وان قتلت أنت هلكت الامة » · فقال له الرسول : « لا تحزن ان الله معنا » · فأنزل الله سكينته على الرسول وصاحبه ، وأيد رسوله بجنود من الملائكة يحرسونه ويصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته · وفى ذلك يقول الله تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » — التوبة : ٤١ ·

ويأتى بعد ذلك حديث أم معبد الخزاعية ، فقد مروا عليها بمكان يسمى « قديدا » ، فأرادوا أن يشتروا منها ما يأكلونه ويشربونه فلم يجدوا عندها شيئا ، فاستأذنها الرسول فى حلب شاة لها أدركها الجهد فتخلفت عن الغنم ، فأذنت له فأمسك الرسول بضرعها وسمى ، ومسحه ، فدرت ، فشربوا من لبنهما جميعا ·

ثم يأتى حديث سراقة بن مالك المدلجى الذى طمع أن يكون له الجعل الذى جعلته قريش لمن يرد محمدا وصاحبه وهو مائة ناقة ·

فأخذ فرسه وسلاحه ، واستقسم بأزلامه وقداحه ، فكان دائما يخرج له السهم الذى يكره ، فلم يأبه بذلك ، واقتفى أثر الرسول ، فعثر به فرسه فى الطريق عدة مرات ، فلم يتشاءم ، ولم يزل يجد فى السير حتى كان على مرأى من الرسول ومن معه ، فحينئذ عثر فرسه وغاصت يداه فى الارض فسقط عنه سراقة ، ولم يستطع تخليص يدى فرسه من الارض الا بشق النفس ، فأدركه الرعب والفزع ، وعلم أن لا سبيل الى ادراك الرسول وصاحبه ، فأخذ يناديهما ويعرفهما بنفسه ، ويطلب الأمان ، ويقسم أنه لن يصيبهما منه أذى ، وأنه سيرد عنهما أعداءهما ، فوقفا ، وقال الرسول لأبى بكر ، قل له : وما تبغى منا ؟ قال : تكتب كتابا يكون آية بينى وبينك · فأجاب الرسول طلبه ، ورجع فكتم خبره ثلاث ليال · ولما علم أبو جهل بذلك لامه ، فقال سراقة :

أبا حكم ! والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى اذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

ومضى الرسول وصاحبه فى طريقهما حتى وصلا الى قباء ساعة الضحى ، فنزلا عند عمرو بن عوف ، وكان ذلك يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الاول لثلاث وخمسين سنة من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم · ويرى المحققون أن ذلك يوافق العشرين من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ من ميلاد السيد المسيح عليه السلام·

وبعد ، فان الهجرة المحمدية فى مقدمة الأحداث العالمية الكبرى التى غيرت مجرى تاريخ الاسلام ، بل تاريخ العالم كله ، وانها لتنطوى على دروس خلقية خالدة ، سيبقى ذكرها أبد الآبدين ·

فما ظنك برجل يفنى فى عقيدته ، ويجاهد بمفرده فى سبيل الدعوة الى ربه ؟ ويستمسك أشد الاستمساك بما اعتقد اعتقادا جازما انه هو الحق المبين ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يأبه بمال ، ولا يعنه بأى نوع من أنواع القربان ؟ فقد أدرك بهدى ربه ، وثاقب تفكيره ، ونور بصيرته أن هذه كلها أعراض زائلة ، وظلال حائلة ، لا يرغب فيهما الا من تمكنت من نفسه الأهواء الخبيثة ، وأخذت بلبه الشهوات البهيمية الحقيرة ـ فصدف عنها ، وانطلق فى طريقه معتمدا على ربه ، واثقا من نفسه ، مؤمنا ايمانا عميقا أن الله الذى أرسله بالحق لا شك مؤيده وناصره حتى يظهر الاسلام ، وتختفى ظلمات الكفر والبهتان ، ويحل محلها نور الهداية والايمان ·

وما ظنك بأبى بكر الصديق ؟ ذلك الصاحب الوفى الأمين ، الذى أبى أن يفارق صاحبه فى أحرج الاوقات وأشد الأزمات ؟ فقد لازم الرسول منذ آمن به فيمن آمن من الرعيل الأول ، وقدم نفسه وماله وأهله فداء لله وللرسول وللاسلام وللمسلمين ·

ثم ما ظنك بأولئك المسلمين الأولين ، أصحاب الرسول الأوفياء ؟ الذين لاقوا مالاقوا من أنواع الاغراء ، وضروب الايذاء وصنوف الاعتداء ، فلم يصرفهم شىء عن عقيدتهم التى آمنوا بها ايمانا عميقا ، ولم يزحزحهم أحد عن موقفهم من مناصرة الرسول فى أيام المحنة وأوقات الشدة ، على الرغم من ضعفهم وقلة عددهم ، ومن قوة أعدائهم وكثرة أنصارهم ·

وهل يذكر التاريخ مثل ذلك النصر المبين الذى أنعم به الله تعالى على رسوله الأمين ، فظل يرعاه بعنايته ، ويتولاه برعايته ؟ حتى استبدل بضيقه فرجا ، وبعسره يسرا ، وبلغ الغاية آمنا مطمئنا لم يخب له رجاء ، ولم يشمت به الأعداء ·

عناية الله أغنت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الأطم

ان الحقائق الرائعة التى تنطوى عليها هذه الهجرة الشريفة تتلخص فى أن رجلا واحدا يقف وحده أمام جمهور كبير من كفار قريش ويتحداهم ويصمد فى تحديهم ، ويعينه الله تعالى فينتصر عليهم ، وينقلب مؤامرتهم عليه رأسا على عقب · وذلك بهجرته هو وصاحبه الوفى الأمين وسيرهما مع خادم لهما فى طريق صحراوى موحش وعر ، ويرعاهم الله فيكملون رحلتهم الطويلة الشاقة آمنين مطمئنين ويصلون الى يثرب فيلقاهم أهلها فرحين مستبشرين ينشدون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

حقا ان هذه الهجرة الطيبة قد غيرت مجرى التاريخ ، وكانت حدا فاصلا بين الحق والباطل وبين الخير والشر ، وبين الحرية والاستعباد ، وبين العدل والظلم ، وبين المحبة والكراهية ، وبين الوحدة والفرقة وبين التوحيد والاشراك ، وبين النور والظلمات : بين الاسلام والكفر ، وما كان غير ذلك ليحدث فان عدل الله وحكمته ورحمته ولطفه بعباده تجعلنا نعتقد اعتقادا جازما أن دولة العدل والصلاح الى بقاء ، وأن دولة الظلم والفساد الى فناء .

وقد كان من أهم نتائج تلك الهجرة السعيدة أن سعى الرسول الكريم في توحيد كلمة العرب ، فبدأ بتوحيد الكلمة في يثرب فأصلح بين الاوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وعقد معاهدة مهادنة بين المسلمين واليهود .

وبعد أن تم له ذلك خلا له الجو فانطلق يكمل رسالته ، ويتمم شريعته ، يفصل أحكامها الخاصة بشئون الدين والدنيا ولم ينفك الوحي يتنزل عليه يؤيده ويناصره ، ويمده بما كان يصدره من أحكام وتشريعات .

على أن ثائرة قريش لم تهدأ بل انهم استمروا يفكرون في طرق الايقاع بالرسول وأصحابه ، والقضاء على الدعوة الاسلامية في بيئتها الجديدة ، وكان أن نشبت بين المسلمين والكفار حروب دامية في غزوات وسرايا كان مآلهــا النصر المؤزر للمسلمين ، والفشل الذريع للمشركين ، وجاء نصر الله الاكبر ، ودخـل المسلمون مكة ، وحطموا أصنام الكعبة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وكان للاسلام الكلمة العليا في الجزيرة العربية . ولم يكن لهذا النصر الحاسم من سبب أقوى من قوة مبــادئ الاسلام وسلامتها ، وشدة التمسك بها ، والجهاد في ســبيل نشرها .

ولكي ندرك تلك النتائج الباهرة التي ترتبت على هجرة محمد رسول الله من مكة الى المدينة علينا أن نتصور أن هذه الهجرة لم تتم ، ثم نتصور ماذا يكون الموقف .

أغلب الظن أن بناء الاسلام سيكون خليقا بأن يتصدع ، وأن أركانه ــ لامحالة ــ سوف تتزعزع ، فيعود الاسلام غـريبا كما بدأ ، وتعود بلاد العرب سيرتها الأولى فتنتشر فيها الوثنيــة ، وتسودها الفتن والاضطرابات .

ولنا فيما حــدث بعد أن لحق الرسول بالرفيق الأعلى أكبر دليل على ذلك . ألم يقل عمر بن الخطاب اذ ذاك : «من أخبرني أن محمدا قد مات ضربته بسيفي» . ولم يهدئ من ثورته الا قول أبي بكر : «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟» .

ثم ألم يرتد عن الاسلام فريق من المسلمين ؟! وألم يمتنع بعض العرب من المسلمين عن أداء الزكاة ؟ وأخـيرا ألم يدع النبوة مسيلمة وغيره .

فاذا كان هذا وذاك وغيرهما قد حدث عقب وفاة الرســول ، أفلم يكن من المنتظر بل من المرجح أن يحـدث مثله بل أكثر منه اذا لم تتم الهجرة ، ونجح الكفار في مؤامرتهم وازماعهم قتل الرسول ؟ لا قدر الله .

ان تلك المؤامرة لو قدر لها النجاح والاسلام لم ينتشر بعد ، ولم تتمكن عقائده من نفوس المسلمين ، ولم تكمل شرائعه ، ولم ترس قواعده ، ولم يتم نزول القرآن الكريم موضحا تلك الشرائع أقول : لو قدر لتلك المؤامرة النجاح في تلك الظروف لكان على الاسلام السلام . ولكن الله تعالى أراد أن ينعم على العالم بنعمة الاسلام فأحبط تلك المؤامرة ، وبقي الاسلام صرحا شامخا يهدي الضالين وينير الطريق للسالكين .

ترى هل يذكر التاريخ هجرة مثل هذه الهجرة الســعيدة الموفقة ؟ نعم . ان التاريخ يذكر هجرة أبي الأنبياء خليل الله ابراهيم عليه السلام ، فقد نشأ في بيئة وثنية بين قوم يعبدون الأصنام ، ويغلون في تقديسها وعبادتها ، ويتخذون بيوتا لحفظها وعرضها ، فثار ابراهيم على قومه ، وحطم أصنامهم ، فحنقوا عليه ، وائتمروا به ، وقرروا أن يوقدوا النار ليلقوه بها ، ولكن الله يحميه ، فتكون النار بردا وسلاما عليه .

وقرر ابراهيم أن ينجو بنفسه ويهاجر الى ربه ليهديه ، فهجر وطنه مسقط رأسه من بلاد الكلدان ، وظل يتنقل في بلاد الله من الشرق الى الغرب ، ثم من الشمال الى الجنــوب ، الى أن يستقر بأرض كنعان ، ويرزقه الله ذرية صالحة قوامها ولداه اسماعيل واسحق ، ومن وراء اسحق يعقوب .

ما أشبه هجرة الرسول بهجرة أبيه ابراهيم ! فكلاهما يثور في وجه الوثنية فلا يلقى من قومه الا التعذيب أو الاســتهزاء والسخرية ، وكلاهما يحمل لواء التوحيد ، ويهجر وطنه بغيــة نشر كلمة الله العليا : كلمة التوحيد ، وصدق الله العظيم حيث يقول : «ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا» ــ آل عمران : ٦٨

ان هاتين الهجرتين متشابهتان ، ولكن مع فارق جوهري بينهما : فهجرة ابراهيم عليه السلام لم يكن لها من النتائج البــاهرة ما كان لهجرة ابنه محمد بن عبد الله ، ان ابراهيم لم ير في حياته التي طالت ثم طالت قومه يتبعون الدين الحق ، ويعتقدون العقائد الصحيحة الخالية من جميع شوائب الاشراك . أما محمد ابن عبد الله فقد بارك الله في حياته القصيرة فرأى ــ قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى ــ الدين الحنيف ينتشر في بلاد العرب من أقصاها الى أقصاها ، ويحمل خلفاؤه من بعده لواء الحق والخير والحرية فينشرون في بلاد الله ذات الطول والعرض ذلك الدين الحنيف الذي ما زالت الحوادث ولا تزال ولن تزال تبرهن على أنه قد أقيم على أسس قويمة . وصدق الله تعالى حيث يقول : «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» . فصلت : ٥٣ .

« حامد عبد القادر »



وحي الهجرة

علي الجندي

بين هذه الفتن المائجة ، والمحن المطبقة ، والاحن المتاججة ، واشفاق النفوس من قيام حرب عالمية ثالثة تقوم بها الساعة !! يبسم عيد الهجرة بسمة القمر المنشق من فتوق السحب المتراكمة ، فينعش النفوس ويروحها ويمسح ماران عليها من دون المادة وصدئها ، ويجلو على البصائر اجمل معنى من اجمل ذكرى ، لأسمى عيد اهدته السماء الى الارض !! . وهنا تسمو الخليقة بابصارها الى «ام القرى» فترى كيف يحتدم النضال بين الروح والمادة ، بين الخير والشر ، بين حزب الرحمن وحزب الشيطان !!

ثم ترى كيف يجمع الباطل قواه ، ويعد عدته للفتك بالحق الاعزل في مهده ، فلايستخذى الحق ولا يستكين ، بل يشمخ بأنفه ، ويفزع الى حماه وانصاره ، ثم يكر على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، والله متم نوره ولو كره الكافرون !!

شكر الله لأبى حفص صالح سعيه !! لقد اختار الهجرة مبدءا لتاريخ الاسلام ، لأنها مبدأ عز الاسلام وكأنه كان يرى بفطرته السامية انها ستكون مبدأ لتاريخ الانسانية الكاملة ، يوم تلهم الانسانية رشدها وتقواها ، وتبرأ من عنادها وتعصبها ، وتستشرف الى هدى سماوى خالص من الشوائب ، ينير طريقها ، بعد ان اضلها الهوى ، وفتنها العقل ، وقتلها العلم ، واغواها المال ، وابطرتها القوة !! ولن تجد ذلك الهدى الا حيث انفجر الينبوع من بطحاء مكة ، وانبعث النور من افق طيبة ، فاذا المفازة القفر روضة أريضة غناء ، اشجارها الايمان الراسخ ، وفروعها العلم النافع ، وازهارها العمل الصالح واثمارها الحكمة البالغة !!

الهجرة كلمة وجيزة : صراع بين الحق والباطل — ولكن هذه الكلمة — على وجازتها — لوح الدهر المسطور ، وكتاب التاريخ المنشور ، وسفر الحياة الجامع !! صرخة بالايمان في هيكل الوثنية ، وتحد للطاغوت بين أوليائه وسدنته ، ونعى على المورث بين عباد الموروث !! وثبات على العقيدة لا يثنيه وعد ولا يزدهيه وعيد !! وامل في روح الله لا يطفئه يأس ولا قنوط ، واحتمال للأذى فوق طوق الاحتمال ، وصبر على المكاره تعيا به الجبال !!

لقد تعبت قريش في اغراء محمد ، وتعب محمد في هداية قريش !! عرضوا عليه المال والسيادة والملك ، فعزف عن كل شيء ، ولو كان من ذلك أن يضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره !! لأن الله أعطاه ما هو أسمى من الشمس والقمر والدنيا بما فيها اعطاه الرسالة العامة وجعله العاقب الخاتم و«الله أعلم حيث يجعل رسالته » ولأنه لا يملك الا أن يبلغ ما بعث به وأنزل عليه ، فاصدع بما تؤتمر واعرض عن المشركين » ..

ثلاثة عشر عاما في دعوة متصلة ، ما كان اضعفه

من تحمل اعبائها لو لم يكن رسول الله ، مؤيدا بروح الله محفوفا برعاية الله !! بين قوم لد اولى نخوة واولى باس شديد ، يلغ من لجاجهم وابائهم وحميتهم أن قالوا : « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » بسطوا عليه ألسنتهم وأيديهم وهو صابر محتسب يقابل جهلهم بحلمه ، وغلظتهم بلينه ، واساءتهم باحسانه ، وايذاءهم بصفحه ، وعدوانهم بالدعاء لهم « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » !!

فاذا قصد الطائف بظن الخير باهله سلطوا عليه اوشابهم ورذالهم وسفلتهم ، فأحاطوا به صفين يرمون عقبيه بالحجارة حتى يخضب الدم نعليه !! فاذا سقط اعياء أخذوا بعضديه فأقاموه ، فاذا مشى رجموه وسخروا منه والله يسخر منهم كما يسخرون !! فلا يملك الا أن يتجه الى ربه فيناجيه بهذا النداء الضارع الرقيق « اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين ... »

ما اكرم نفسك يا رسول الله !! وما أرحم قلبك، وما أسجح خلقك !! كنت قادرا أن تدعو عليهم كما دعا أبوك « نوح » على قومه من قبل ، فتنقض عليهم الصواعق ، أو تأخذهم الصيحة ، أو تسوى بهم الارض !! ولكن كيف يدعو على الناس من أرسل رحمة للناس !! كيف يستنزل العذاب من بعث عصمة من العذاب !! كيف ينتقم لنفسه من يقول عن نفسه : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ويقول الله فيه « وانك لعلى خلق عظيم » !!

ويجمع قومه على قتله .. وقد اعيتهم الحيل فيه — بطريقة مبتكرة جادت بها مخيلة ابليس اللعين ، فيامره الله بالهجرة الى المدينة ، فيفارق مسقط رأسه ، ومنبت أسرته ، ومعهد الافه وخلانه ، ومهبط وحيه ، والجلاء عن الوطن صنو القتل « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » .

نعم !! يفارق مكة والحنين يجذبه اليها ، فيودعها بهذه الكلمة العذبة النبيلة الجليلة « والله انك لأحب ارض الله الى ، واحب ارض الله الى الله ، ولولا أن اهلك اخرجوني منك ماخرجت »

ويقدم له أبو بكر ناقته ليركبها فيأبى الا أن يشتريها بالثمن !! ولم ذلك ؟ والصديق حبيبه وصفيه ، وأمن الناس عليه فى نفسه وماله !! كان ذلك لأن هجرته لله وفى الله والى الله !! فمن الحق أن تكون نفسه وماله ومطيته ملكا خالصا لله !!

فى هذه اللحظة كان هناك فى بيت الرسول فتى تتعجب من فعله الملائكة !! فتى ابدع فى فن البطولة والتضحية والايثار قصة طرز بها علم التاريخ !! فتى ينام على فراش ابن عمه متسجيا ببرده الحضرمى ، يتقلب يمنة ويسرة لا يبالى أوقع على الموت ام وقع عليه الموت !! وكيف يخاف الموت على ابن أبى طالب الذى نشأ فى حجر النبوة ، ودرج من مهد الرسالة ، وقبس من الأدب العالى الذى أدب به الله نبيه فأحسن تأديبه !!

وفى هذه اللحظة كان هناك رجل يضرب للناس اروع مثل فى الحب والاخلاص والوفاء !! صاحب بر لا يقر له قرار خشية الا يأذن له صاحبه فى الهجرة معه !! فاذا أذن له بكى من الفرح ، فيعلم الناس حينئذ أن من الافراح مايبكى كما تبكى الاحزان !! صاحب بر يحمل معه كل ماله تاركا بنتيه الصغيرتين بلا مال فى كنف أبيه الشيخ الفانى!! وما كانت أسماء وعائشة فى حاجة الى المال ، ولا رعاية الرجال ، لأنهما فى رعاية ذى العزة والجلال !! صاحب بر يسبق صاحبه الى الغار فيمسح جدرانه ويفتش زواياه واركانه ليطمئن الى خلوه من السباع والهوام !! فاذا وقف القافة على باب الغار ، استطير عقله ، وانخلع قلبه ، رحمة برفيقه وحزنا عليه ، فلا يذهب روعه حتى يسكب فى اذنه كلمة ، هى وحدها برهان النبوة ودليل الرسالة « لا تحزن ان الله معنا » !!

رحم الله أبا بكر لو نظر الى باب الغار لرأى المعجزة ماثلة فى العنكبوت والحمامة !! لقد استحال أوهن البيوت — بلطف الله — سياجا محكما وحمى لا ينال !! وانقلب العش اللين الوديع باذن الله حرزا حريزا وحصنا حصينا يعز على من رامه ويطول !!

وفى هذه الاوقات كان هناك قوم يجلون على العالم صورة وضيئة للهفة المحب ، وشفقة الودود، وله المتيم ، وحنين المشوق المغرم !! كانوا يخرجون كل صباح الى ظاهر مدينتهم فوق وقدة الرمضاء ، وتحت وهج الشمس ، يمدون ابصارهم الى الافق

البعيد ، ليستقبلوا وافدا كريمـــا ، يحمل اليهم سعادة العاجلة والآجلة !! ظلوا كذلك اياما متوالية يغدون ويروحون ، حتى اذا غمرهم نوره ، وفغمهم عبيره ، تزاحموا عليه بالمنـاكب ، وهتف صبيانهم وولائدهم بأغرودة وعاها سـمع الكون وخلدها سجل الزمان :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع !!

وما كاد المهاجر ينفض عنه غبار السفر ، حتى كانت فاتحة اعماله بناء اول مسجد اسس على التقوى ليعلم الناس ان الصلاة عماد الدين ، وقرة عين المؤمنين . ثم ثنى بعمل لم يروه التاريخ لنبى ولا لمصلح من قبل ، وهو مؤاخاته بين المهاجرين والانصار ، حتى كان يرث بعضهم بعضا حقبة من الدهر !! ، ليتدبر المسلمون هذا المعنى السـامى من هذه النعمة التى امتن بها عليهم فى الأولى : « واذكروا اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم » وامتن بها عليهم فى الاخرى « اخوانا على سرر متقابلين »

هذا الاخاء هو الذى جمع شمل امة كان اعدى أعدائها الاخاء !! وفى ضوء هذا الاخاء يقول النبى « آل محمد كل تقى » ، ويقول على : سـلمان منا آل البيت ، ويقول عمر : لو كان سالم مولى ابى حذيفة حيا لوليته الخلافة .

وبهذا الاخاء عز المسلمون وسادوا ، ولن تعود اليهم العزة والسيادة حتى يعودوا الى هذا الاخاء!!

ولن تسكن الهزاهز ، وتبطل الحروب ، ويسود الوفاق حتى تعتنق الأمم هذا الاخاء !! الاخاء الذى يسمو فوق الحدود والاقاليم ، والالوان والدماء والقوميات والعصبيات ، فلا شرق ولا غرب ، ولا اسود ولا أحمر ، ولا اشقر ولا اصفر !! الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، واكرم الناس عند الله اتقاهم ، وخير الناس انفعهم للناس !!

يا نبى الرحمة ، لقد قست القلوب !! وضلت العقول !! وهفت الاحلام ، وحار الدليل ، وتمزق القطيع ، واحاطت بنا خطيئاتنـــا ، وقد جئناك نستغفر الله !! فاستغفر لنا !! فربك يقول : « ولو انهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »

عبقة من شذاك فى عيد هجرتك تروح النفوس، وتشرح الصدور !! ولمعة من سناك تكشف الغاشية، وتجلو الغمرة ، وتجمع قلوب العرب على الاخاء ، ونفوس المسلمين على الصفاء !! عمت المحنة وانت المؤمل ، واشتد الكرب وعليك المعول ، وداس مثوى « براقك » عبيد العصـــا والقفا ونفاية الأمم وحثالة الشعوب !! فاذكرنا عند ربك ، واشـفع تشفع ، فأنت كما وصفك ــ جل ثناؤه ــ « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم»

« **على الجندى** »



الهجرة إيمان بالمستقبل



بقلم : محمد الغزالى

نحن فى عالم يسوده المنطق المادى ، وبعد المحسوسات وما يتصل بها هى الوجود الذى لاوجود وراءه ... !

وجمهرة البشر أخذت تستسكين لهذا التفكير ، وتبنى عليه سلوكها فى الحياة ، وفرحها أو حزنها لما يصيبها من نعماء وبأساء .. !

نعم . انها تحت تأثير الدين تؤمن بما وراء المادة، وتأوى الى هذا الايمان فى الساعات العصيبة ...

بيد أن لغوب الناس على ظهر الارض ، وكدحهم لتحصيل ما يريدون انما يثور غباره وراء ضرورات العيش ومرفهاته ـ أما الدار الآخرة وما يمهد لها ، فأمر قلما يخطر على البال واذا خطر فقلما يقترن بالشعور الجياش والفكر المستغرق والعزم الحديد ... !

وحقيقة الدين تنافى هذا المسلك الخامل ، فان الايمان بالغيب قسيم للايمان بالحاضر . ولا يصح تدين ما الا اذا كان المرء مشدود الاواصر الى ما عند الله مثلما يتعلق بما يرى ويسمع فى هذه الدنيا ..

والغيب الذى أقصده هنا أوسع دائرة من عالم الملائكة مثلا ، أو مشاهد الجزاء الاخروى ،أو المرويات التى أنبأنا الوحى بها ولا نستطيع الوصول اليها بمداركنا ..

الغيب الذى أقصده هنا ما يتصل بالسلوك الانسانى المألوف لنا ، اى ما تنبعث عنه فى كفاحنا القريب لبلوغ ما نحب واقصاء ما نكره .. !!

ان النصر على الاعداء غيب ، خصوصا اذا وهنت الوسيلة ، وقل العون ، وفدحت العوائق .

ولكن الايمان بهذا النصر المأمول ينبع من الايمان بالله جل شأنه ، ومن ثم فالمجاهد الموقن يمضى فى طريق الكفاح المر ، وهو واثق من النتيجة الاخيرة .. !

ان غيره يستبعدها ، او يرتاب فيها .. أما هو فمعتقد أن اختلاف الليل والنهار يقربه منها وان طال المدى .

فاذا قال الله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فان الجماعة المؤمنة لا تهولها وعثاء الطريق ، وضراوة الخصوم ، وكآبة الحاضر ..

ان ايمانها بالمستقبل يعزيها عن متاعب اليوم . ويشعرها بأنها غيمة عارضة توشك أن تنقشع « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » والرزق ـ مثل النصر ـ غيب مرتقب . وعندما ينفق المؤمن ما عنده على أمل أن الله باعث خلفا له وعوضا عنه ، فهو يسير على منطق اليقين المحض .

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ـ لما ادخر له صبرا من طعام

« انفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا »

ولماذا يخشى الاقلال وقد وعد الله أن يخلف على من أنفق ؟ ووعده منجز لا ريب فيه .

ان هذا الايمان بما عند الله هو الذى يرجع عند

المؤمن جانب العطاء عندما توسوس له نفســـه بالامساك والمنع ، خصوصا مع التأميل فى الحياة ، والرغبـــة فى ســـعة الثراء ، والقلق من أحداث الزمان .. !

ولذلك جاء فى الحديث « أفضل الصـــدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تحب الغنى وتخشى الفقر » . والايمان العميق يجعل المرء كما وصف الرسول الكريم ، ان تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك » .

كان المسلمون قبل الهجرة يملكون أنصبة وافرة من الايمان بالمستقبل ، يعتقدون أن دينهم لن يغلب ـ وان ضعف اليوم حملته ـ ويؤدون فرائض الجهاد والبذل وهم راضون عن ربهم ، راجون ما عنده .



والمجـــاهدون فى ســـبيل الله بشر تجيش فى أنفسهم المشاعر التى تجيش فى نفوس غيرهم ، من تقدير للحياة ، والرأى العـــام ، وكفالة الاولاد ، وتأمين العيش لانفسهم وأهليهم ! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق ، وأشواق الدنيا ، ثم آثروا وعد الله على وحى العاجلة .

وتأمل هذا الحديث الذى يصور الصراع النفسى لدى أنصار الحق ، وكيف يخرجون من غباره أوفياء لله ، أحقاء بكرامته .

عن « سبرة » بن « الفاكه » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الشيطان قعد لابن آدم بطريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟

فعصاه ، فاسلم ، فغفر له !

وقعد له بطريق الهجرة ، فقال له . تهاجر ، وتذر دارك ، وأرضك ، وسماءك ؟ فعصاه فهاجر ...

فقعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد وهو جهـد النفس والمال ، فتقاتل ، فتقتـــل ، فتنكح المرأة ، ويقسم المال .

فعصاه فجاهد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك فمات ، كان حقا على الله ان يدخله الجنة .

وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة .

وان وقصته دابة كان حقـــا على الله أن يدخله الجنة » .

هذه طبيعة الاستمساك بالحق والتفـــانى فى نصرته .



والواقع ان ايمان هؤلاء بالغيب مثل ايمان غيرهم بالمحسوس . ان الرجل الذى يقطع تذكرة للسفر من القاهرة الى الاسكندرية لايخامره شك فى أن الاسكندرية موجودة وأن القطار المنطلق ذاهب به اليها ! .

والمجاهد المسلم يؤمن بأن الموت نداء الحق ينقله يقينا الى جنة عرضها السموات والارض ، ايماننا اليوم بأن السفر من عاصمة الى عاصمة أو من قارة الى أخرى يصل بنا الى ما نريد .. !

وعندما يرتفع الايمان بالغيب الى هـــذه القمة الراسخة ، فان أصحابه ينتصرون بمبادئهم حتمـا وناشروها فى الحياة نشرا لايدركه طى ، ومكتسحون ما يضعه المبطلون امامهم من عوائق .

والمستقبل الذى تنتصر فيه الرسالة وينتصف فيه أصحابها يتكون منجزءين أحدهما قريب والآخر بعيد .

اما القريب ففى هذه الدنيا وعلى أرض الميدان الذى تدور فيها المعارك .. اما البعيد فعندالله حيث تنكشف خبيئات النفوس وينال المحقون والمبطلون جزاءهم العدل وفى المرحلتين كلتيهما يقول الله تعالى: « أم يقولون نحن جميع منتصر . ســـيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

.. وجاء فى سورة أخرى « انا لننصر رســـلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

والمسلمون الاوائل لم تنقصهم الثقة فى مستقبل الدعوة التى آمنوا بها وكل ماعناهم أن ينهضـــوا

« البقية على ص ٣٤ »

ربٌّ واحد

الله أكبر شعب قام شاعره   يشدو فانصت فوق الأيك طائره
شعب العروبة صان الله وحدته   تحصى النجوم ولا تحصى مفاخره
ان خط أوسرد التاريخ سيرته   تهتز من روعة الذكرى مشاعره
ان كان ماضيه بالامجاد محتشدا   فما تخلى عن الأمجاد حاضره
كالكرم طاب جنى فى كف قاطفه   وزاد من طيبه فى الدن عاصره
مجد العروبة مرهون بوحدتها   والخلف أوله ضعف وآخره
هيهات ينهض شعب بعد عثرته   الا اذا اتحدت قلبا عناصره
والشعب وحدته أقوى ذخائره   يوم الحفيظة ان عدت ذخائره
هى السلاح بيمناه اذا خمدت   نيران مدفعه او فل باتره
يارب شعب شتيت الشمل منقسم   من ضعفه قلمت منه اظافره
ما عاش يوما وان طال الزمان به   بل دوره حين تأويه مقابره
له من الوطن المحتل مقفره   اذا أقام وللمحتل عامره
يعيش فى داره عبدا لآسره   الطفل آمره والعبد زاجره
من يرض بالعيش فى ظل الهوان فلا   آوته ارض ولا قرت نواظره
والمرء تشقيه يمناه وتسعده   وان تكن بيد المولى مصايره



للعرب دين على التوحيد مرتكز   اليه باطنه يدعو وظاهره
ما سر قوته فى غير وحدته   على مبادئها قامت شعائره
حسب ابن آمنة الزهراء معجزة   شعب على يده انضمت عشائره
ما زال يخبط فى ديجور فرقته   حتى تألف بالاسلام نافره
تمت على نغم القرآن وحدته   كأنما سحر الألباب ساحره
فطبق الكون طيف من مهابته   واوغلت فى نواحيه عساكره
ان يذكر العرب ارتاعت قياصره   وبات يخفق من رعب أكاسره
شعب من البيد ظهور العيس مركبه   أطاعه الكون باديه وحاضره
البر من خيله يرتج يابسه   والبحر من سفنه يهتز زاخره
قم سائل البحر بحر الروم هل عجبت   أمواجه وفتى الصحراء عابره ؟
من علم البدوى الماء يركبه   فراح يمخر لج البحر ماخره ؟
ما كان يعرف الا الماء منسكبا   من الغمام اذا ما جاد ماطره
حتى اذا اشتد بالتوحيد ساعده   مشى على الماء تتلوه دساكره
لولا معاقل قسطنطين لانطمست   آثار دولته وانفض سامره



سل العروبة فى شتى مرابعها   عن مجد اولها هل عاد دائره ؟

وشعبٌ واحد

للشاعر: محمود غنيم

انى لألمح فى آفاقهـــا القـــا   من فجر نهضتها لاحت بشـائره
ان صح ظنى فان النصر عن كثب   من شـعبها لم لا والله ناصره !
شـعب تخلص من اغلاله ومضى   يجـر ذيل رداء الذل آسره
ففى الكنانة جيش صان حـوزتها   يوم القنـاة من الذؤبان كاسره
وفى الجـزائر شـعب شن معـركة   على المظـالم خاضـتها حـرائره
وفى الشـام وثام لا يـزال على   رغم الحـوادث ما انبتت أواصره
وحول دجلة شعب قام قومته الـ   ـكبرى وثار على الطغيـان ثائره
هى العـروبة عين الله تكلؤهـا   ما دار فى الفـلك الـدوار دائره

***

أبناء يعـرب هـذا اليوم يومكمو   يوم أغـر صبيح الوجـه ناضره
عهد السلاسل والأغلال قد ذهبت   ايامه الســود وانجابت دياجره
بالله لا تنسـكم أعـراس نصركمو   خصما عنيدا وأقواما تؤازره
على تخومكمـو يا قـوم عن كثب   خصـم الد خئـون العهـد غادره
لا تأمنوه ولا تغشـ ـوا مضاجعكم   الا واعينـكم يقظى تحـاذره
وكيف تأمنـه والسـم فى فمـه   وليس يزحف الا وهـو فاغـره ؟
وكيف تأمن قوما لا أمان لهـم ؟   انى أرى كيـدهم تبـدو بوادره
نار العـداوة يصـلاها مؤججها   والجب يسـقط فى مهـواه حافره
صـفوا سرائركم من كل شـائبة   تصـفو الحيـاة لمن تصفو سرائره
لا تذكروا خـطأ الماضى لخاطئـه   ما كان من خـطأ فالله غـافره
تنسى الذنوب مع القربى وان عظمت   ان الشـقيق صـغيرات كبـائره
ان الاخاء اذا ما الأخوة اختصـموا   على الخصـومة مرخـاة سـتائره
ان يلتئم شملكم لان الحـديد لكم   كما يلين الحـديد الصلب صاهره
ان تطلبوا المجد كالصاروخ منطلقا   ووحدة الصف والشورى مصادره
كأننى ألمح التـاريخ منقضيـا   يراعـه ويمنـاه دفاتره
كمـا اطلعتم على تـاريخ غـابركم   تاريخـكم فى غـد تتلى محـاضره

***

جمال تمم لشـعب الضـاد وحدته   فانمـا هى حب انت باذره
لا خصم للعـرب مهما عز جانبـه   الا وانت بعـون الله قاهـره
ينـام غـيرك فى امن وفى دعـة   وانت وحدك طول الليل ساهره
أقسمت ما عادت الأهرام مفخـرة   للنيـل لكن فخـر النيـل ناصره
سيف العروبة سيف الله أنت ولن   يفل سيف اله العـرش شـاهره

« بقية المنشور على ص ٣١ »

بحقوق الدين الذى اعتنقوه ، وأن يثبتوا على صراط المستقيم مهما تكاثرت المحن وترادفت الفتن ٠

من أجل ذلك هاجروا لما اقتضاهم الامر أن يهاجروا ، وخاضوا غمرات الحروب لما كلفهم الحق أن يبذلوا النفس والمال ٠

ولو شققت عن ضمائر القوم لوجدت الهجرة عندهم اشبه بانتقال الموظف اليوم الى بلد اتصل فيه رزقه أو نال فيه ترقية !

غاية ما هنالك من فرق أن هذا مسلك بدت فيه بواعثه المادية التي تواضع الناس على الاحتفال بها ٠٠



اما المهاجرون الاوائل فهم ينتقلون من بلد الى بلد اقامة لدين مضطهد ، ويعاملون رب العالمين وحده حين يحلون وحين يرتحلون ٠ ويستيقنون من رضوانه ، تعبوا أم استراحوا .

ان هجرات الاحياء على ظهر الارض كثيرة ، بل ان الطيور فى الاجواء ، والاسماك فى المحيطات تقطع مسافات كبيرة وراء غاياتها المادية المحدودة ٠

لكن الهجرة التى علت بها أقدار ، وخلد بها أقوام تلك التى قامت ودامت ببواعث الايمان المحض ، والغضب لله والارتباط بتعاليمه ، والعيش بها أو الموت دونها ٠

ومع أن الوحى الاعلى لقن المؤمنين أن رسالتهم ستستقر ، ورايتهم ستعلو ، وان الكفر سيذوب ، وينخذل حزبه ، الا أنه تملق افئدتهم بالمستقبل البعيد ، أعنى الدار الآخرة وما حوت من ثواب وعقاب «فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون » ٠

ولهذه الآيات معنى ينبغى أن نقف عنده طويلا ٠ فان المؤمن المجاهد قد يترك هذه الحياة دون أن يعرف نتائج الصراع المحتوم بين الهدى والضلال ٠ وهذا جائز ، بل كثير الوقوع ٠ لان انتصار الحق ربما اقتضى هذا المؤمن نفسه ان يقدم حياته ، فيكون استشهاده ، واستشهاد غيره من المؤمنين الجسر الذى تعبر عليه المبادىء ، وتشق طريقها الى مستقبل وطيد ٠

لكن هل ذهاب عدد قل أو كثر من أهل الايمان يفيد الضالين شيئا ؟ كلا ، ان الانتقام الالهى لاحق بهم يقينا ٠

ولذلك يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ، او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون » ٠

والخطة المثلى أن يؤدى الانسان واجبه المجرد دون استعمال لمصير ما فى هذه الدنيا ، وألا يتعلق بالفوز الشخصى له ، أو الاندحار الشخصى لخصومه ٠

فمن يدرى ؟ ربما رشد هؤلاء الخصوم يوما ، وتحولوا الى الايمان الذى جحدوه من قبل .. !

وفى أعقاب أحد ، ومع مرارة الهزيمة التى أصابت المسلمين ، يبين الله لنبيه هذه الحقيقة فيقول « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ، ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم ...



فى اطار هذا اليقين العميق ، لبى المسلمون النداء الى الهجرة عندما طولبوا بالهجرة ، واستجابوا لله ورسوله غير ضائقين ولا جازعين ٠

ان الحياة بالنسبة الى المؤمن خط طويل يمتد مع الزمن لا يقطعه الموت ، ولا يعروه الفناء ٠

والمؤمنون حين يغرسون فى هذه الدنيا فهم يرقبون ثمار غرسهم فى المستقبل القريب ، أو المستقبل البعيد ، بين أهليهم هنا أو عند الله هناك ٠

ولن يخامرهم قنوط ، لان ما ارتقبوا تأخر ميعاده ٠

ولن يساموا تكاليف الجهاد ولو كلفتهم أن يحرموا وطنهم الغالى ، وأن يرغموا على ترك معايشهم به وذكرياتهم فيه ٠

« محمد الغزالى »

من ملحمة عمر

سر المقوقس

مسرحية بقلم : علي أحمد باكثير

المشهد الثاني

في الطريق بين رفح والعريش . الى العريش اقرب بعد عبور مهبط السيل .. يرى عمرو بن العاص وروماتوس ويونس والقلين يتطلعون فيما حولهم وتسمع قريبا منهم حمحمة خيولهم ..

عمرو : أتعلم يقينا يا أبا الروم ان هذه البقعة من ارض مصر ؟

روماتوس : أجل نحن في أرض مصر منذ عبرنا مهبط السيل ذاك .

عمرو : الحمد لله .. الآن اطمأن قلبي .. فليحمل رسول أمير المؤمنين الينا ما يحمل ..

يونس : (يهوي على الارض فيلثمها) واشوقاه اليك !!

عمرو : ماذا تصنع يا يونس ؟

يونس : قد وجب أن ألثمها أيها الأمير ..

روماتوس : يا لجنونك .. ماذا تلثم من تراب ؟

يونس : هذا ليس كأي تراب يا أبا الروم . هذه ارض ارمانوسية

عمرو : دعه يا أبا الروم وشأنه . فوالله لا جناح عليه بعد اليوم .. خبرني يا يونس .. هل رأك ذلك الرجل صاحب الراحلة الدهماء ؟

يونس : لمحني من بعيد ولكنه لم يعرفني اذ أوهمته انني من الروم لم سلكت طريقا آخر حتى سبقته ..

عمرو : لله أنت من رائد جيش ..

روماتوس : لا غرو فقد خرجه خالد بن الوليد وضرار بن الأزور

عمرو : والله لئن صح يا يونس ان الذي اقدرتنا به هو رسول أمير المؤمنين لأجعلن لك عندي جائزة سنية

يونس : اجعـــــل جائزتي يا أمير الجيش ان تكون لي ارمانوسة ..

عمرو : لتكونن لك ان شاء الله يا يونس .. (ينظر جهة الشمال) ويلهم ما بالهم وقفوا في العدوة الاخرى لا يتحركون ؟ (ينادي بأعلى صـــوته) وردان يا وردان ..

وردان : (صوته من بعيد) لبيك أيها الأمير ..

عمرو : ما بالكم واقفين هناك ؟ الم آمركم أن تلحقوا بنا على الأثر ؟

وردان : أيها الأمير ان المكان هنا أصلح لنزول الجيش من المكان هناك .

عمرو : ما أنت وذاك ! مرهم جميعا يعبروا مهبط السيل الينا ..

وردان : أيها الأمير .. مهبط السيل يفصل بيننا وبين العريش فخير لنا أن ننزل دونه ولا نعبره حتى لا يبيتنا العدو على غرة .

عمرو : (مغضبا) يا عبد السوء .. أينا الأمير أنا أم أنت ؟

ابن عمرو : (صوته من بعيد) يا أبت لقد صدق وردان .. الرأي رأي وردان ..

عمرو : (يزداد غضبا) أنت أيضا يا ابن ريطة ؟ أنت والعبد ؟ يا عبد الله ابن ابي سرح ! يا ابن ابي سرح ..

ابن ابي سرح : (صوته) لبيك أيها الأمير ..

عمرو : أنت على الجيش مكاني .. مرهم جميعا يلحقوا بنا على الفور ..

ابن ابي سرح : سمعا وطاعة أيها الأمير ..

عمرو : اسمع يا ابن أبي سرح .. ان اعترضك احــد فاقتله ..

ابن عمرو : (صوته) وعلام تعترض ؟ التبعة كلها عليك .

روماتوس : اعذرهما يا أمير الجيش فانهما يجهلان قصدك .

عمرو : وهل كان بوسعي أن أعلن لهما قصـــــدي على رؤوس الاشهاد ؟ لقد أمرتهما أمري وعليهمـــا السمع والطاعة ..

روماتوس : طب بالا فهاهم أولاء يعبرون مهبط الســيل ..

يونس : انظر أيها الأمير .. (يشير الى جهة الجنوب) هذا رجل من القبط قد أقبل ..

عمرو : بل هذا صاحبنا أبو رافع قد تزيا بزيهم ..

يونس : أبو رافع ؟

رومانوس : أجل انه هو

عمرو : هلم يا مولى رسول الله ترى ماذا وجدت ؟

ابو رافع (صوته) أبشر يا أبا عبد الله

عمرو : أفصح يا أبا رافع .

ابو رافع (يدخل) وجدت مدينة العريش خالية من حامية الروم ليس بها منهم أحد ..

عمرو : الحمد لله .. هذا فال حسن ..

رومانوس : من أين لك هذه الثياب يا أبا رافع ؟

ابو رافع ابتعتها من سوق العريش .

رومانوس : ولم يحاول أن يمنعك من دخولها أحد ؟

ابو رافع منذا يمنعني ؟ ليس فيها غير القبط .. يا أبا عبد الله الا تعطيني الرسالة التي كتبتها للبطريق بنيامين لأحملها اليه ..

عمرو : (فرحا) أعرفت اليوم أين مقره ؟

ابو رافع لا . ان أحدا لا يعرف أين هو ولكنى سأبحث عنه في كل مكان حتى أجده ..

عمرو : الا تؤجل مسيرك الى الغد ؟

ابو رافع : يا أبا عبد الله خير البر عاجله .

عمرو : الا تودع أم رافع قبل مسيرك ؟

ابو رافع : قد ودعتها أمس ولا أحب أن أودعها مرة أخرى

عمرو : خذها اذن وتوكل على الله (يخرج الرسالة من بين ثيابه ويناولها لأبي رافع)

ابو رافع : أوصيك بأم رافع خيرا يا أبا عبد الله .

عمرو : طب بالا فهي عندي وأم عبد الله بمنزلة واحدة .

ابو رافع : جزاك الله صالحة .. أستودعكم الله .

عمرو : أستودعك الله (يخرج أبو رافع)

(ينادي) يا عبد الله بن أبي سرح ..

ابن ابي سرح : (صوته من مكان قريب) لبيك أيها الأمير ..

عمرو : رتب الناس على منازلهم في هذا السهل واجعل خيام النساء في الوسط

ابن ابي سرح : (صوته) حبا وكرامة ..

(يدخل عبد الله بن عمرو ووردان)

ابن عمرو : ما هذا الذي صنعت يا أبه ؟ أليس لك دين ينهاك عن هذه السفاهة أو مروءة ؟

عمرو : ألأني دعوتك ابن ريطة ؟

ابن عمرو : لا فأنا ابن ريطة حقا ولقد والله أنجبت ولولا هي لكنت قميئا بل لأنك شتمت وردان وسميته العبد

عمرو : أوليس هو عبدي ؟

ابن عمرو : لا يقل أحدكم هذا عبدي وهذه أمتي وليقل فتاي وفتاتي .. هكذا أدبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عمرو : يا بني ان وردان يعرف منزلته عندي وليس لك أن تدخل بيني وبينه .

ابن عمرو : فلا تشتمه اذن أمام الناس .

عمرو : هو الذي دعاني الى ذلك وهو يعرف ذلك ..

ابن عمرو : أمن أجل أنه أشار عليك بالرأي السديد ؟

عمرو : ويلك ما علمك أنت بالرأي السديد من غيره ؟ ألأنك أسلمت قبلي ؟

ابن عمرو : أما والله ان ذلك لفضل كبير ..

عمرو : يا عدي نفسه .. أفلا طلبت الى أمير المؤمنين فولاك امارة الجيش مكاني ؟

ابن عمرو : يا أبت لا أحد ينازعك امرة الجيش ولكن عليك الا تحقر مشورة أحد من المسلمين .

عمرو : يا بني .. فقه الناس في دينهم ان شئت .. ولكن دعني وسياسة أمري .. انما تعطى مشورتك في الحرب حين استشار لا حين تؤمر والا ضاع الناس .

ابن عمرو : ذلك لو كنا في حرب ولم نخض حربا بعد ..

عمرو : بل نحن في حرب منذ فصلنا من قيسارية ..

ابن عمرو : لكن قتالا لم ينشب بعد ؟

عمرو : وكان قد

ابن عمرو : ليس لك أن تستبد برأيك والا ضاع الناس ..

عمرو : أنت كنت المستبد برأيك اذ عطلت أمري عن النفاذ وليس ذلك من حقك

ابن عمرو : يا أبت الا تجعل حكما بيني وبينك ؟ انك فضلت مكانا على مكان هو خير للمسلمين منزلا وأسلم لهم عاقبة وأبعد من عدوهم منالا .. مع ما قد نالهم من الجهد والكلال فلو أنزلتهم هناك لأرحتهم من اجتياز مجرى السيل وهم لغوب ..

عمرو : أتقبل يا هذا أن نحتكم الى السابقين من صحابة رسول الله ممن هم أفضل مني ومنك ؟

ابن عمرو : نعم ..

عمرو : على بأبي ذر وأبي أيوب وأبي الدرداء ..

الثلاثة : (أصواتهم) ها نحن أولاء يا أمير الجيش (يدخلون)

عمرو : أوقد سمعتم يا صحابة رسول الله ما دار بيني وبين عبد الله بن عمرو ؟

الثلاثة : نعم ..

عمرو : فماذا ترون ؟

ابو الدرداء : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة .

ابو ايوب : وقال النبى صلى الله عليه وسلم : ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ.

ابو ذر : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم انى عيرت فتاى بأمه الأعجمية فغضب النبى وقال يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية ..

عمرو : استغفر الله مما قلت واتوب اليه ولكن ما تقولون فيما زعم عبد الله بن عمرو انى أرهقت المسلمين اليوم باجتياز مجرى السيل فهل وجدتم فى ذلك من رهق أو مشقة ؟.

الثلاثة : لا والله ما وجدنا شيئا من ذلك ولقد خرجنا ومعنا نساؤنا لنجاهد فى سبيل الله ونحتمل كل ما يصيبنا من ظمأ ومخمصة ومشقة ..

عمرو : أليس لى عليكم السمع والطاعة فى كل ما آمركم أو انهاكم ؟

الثلاثة : بل علينا أن نطيعك فى المنشط والمكره والعسر واليسر الا أن تأمرنا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة .. على ذلك بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يونس : (يدنو من عمرو) الرجل قد جاء أيها الأمير (ينسل خارجا كأنه يكره أن يراه الرجل)

عمرو : جزاكم الله خيرا يا صحابة رسول الله فى هذا بلاغ ..

الرجل : (يدخل) السلام عليكم ورحمة الله ..

عمرو : وعليك السلام ورحمة الله .. من تكون يا أخا العرب ؟ أتريد أن تنضم الينا فى قتال الروم بمصر ؟

الرجل : ويحك يا ابن العاص الا تعرفنى ؟ أنا عقبة بن عامر ..

عمرو : عقبة بن عامر الجهنى .. مرحبا بك يا أخا جهينة ..

عقبة : أنا رسول أمير المؤمنين اليك .

عمرو : مرحبا برسول أمير المؤمنين .. ويحك يا عقبة أتدرى ماذا ظنك رائدى الا رآك اليوم فى الطريق؟

عقبة : ماذا ظننى ؟

عمرو : لقد ظنك جاسوسا للروم علينا فأنذرنى بك ..

عقبة : جاسوسا للروم ؟ الم يعرف من هيئتى انى عربى ؟

عمرو : يغفر الله لك يا عقبة وهل يتخذ الروم جواسيسهم علينا الا من العرب ؟

عقبة : صدقت يا عمرو .. لكن أين رائدك هذا ؟ اريد أن أراه .

عمرو : يونس .. تعال يا يونس .

يونس : لبيك أيها الأمير .. (يدخل)

عقبة : سبحان الله..هذا هو الفتى الأشقر الذى سمته يرطن فظننته عينا للروم او ربيئة .

يونس : أجل لقد رطنت له بالرومية لأوهمه انى من الروم فلا يقصدنى بسوء .

عمرو : ما رأيت كاليوم عجبا .. لقد كنت على أن أنزل الجيش هناك بالعدوة الاخرى لولا خوفى من الجاسوس الذى أنذرنى به يونس اليوم ..

روماتوس : أيها الأمير لعل الله قد أراد لنا فى ذلك خيرا..

عمرو : الحمد لله الذى أبدلنا بجاسوس الروم رسول أمير المؤمنين ..

عقبة : خذ .. هذا كتاب أمير المؤمنين .

عمرو : (يفض الكتاب) كيف تركت أمير المؤمنين .. وأهل المدينة

عقبة : تركتهم جميعا بخير وتركت أمير المؤمنين وهو يتجهز للحج .

عمرو : عجبا أتدرى يا عقبة ما فى هذا الكتاب ؟

عقبة : لا يا عمرو وانما امرنى أمير المؤمنين الا آلو جهدا فى الاسراع به اليك .

عمرو : أيها الناس .. أصغوا الى لأقرأ عليكم كتاب أمير المؤمنين ...

(تهدأ الأصوات) من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص أما بعد : ان أدركك كتابى هذا قبل أن تدخل أرض مصر فارجع الى موضعك وان كنت قد دخلت فامض لوجهك واعلم انى ممدك والسلام.أيها الناس .. أيكم ينبئنى عن علم؟ أنحن فى أرض مصر الآن أم فى أرض فلسطين ؟

روماتوس : أنا أيها الأمير أنبئك عن علم .. قد خرجنا من أرض فلسطين فنحن الآن فى أرض مصر ..

عمرو : اذن نسير فى سبيلنا كما أمرنا أمير المؤمنين ..

الجميع : الحمد لله .. على بركة الله ..

عمرو : أيها المسلمون .. فى أى يوم نحن ؟

الجميع : نحن فى العاشر من ذى الحجة .. هذا يوم عيد الأضحى ..

عمرو : يا صحابة رسول الله .. أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل ؟

ابو الدرداء : بل كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن

عمرو : فأى فأل أحسن مما نحن فيه ؟ كان أول يوم نبلغ فيه أرض مصر يوم عيد .. هذا بشير النصر ان شاء الله وأول الفتح ..

« على احمد باكثير »

الهجرة في الإسلام

بقلم : عبدالكريم الخطيب

لم يكن السيف الذى حمله الاسلام لدفع يد البغى عنه ، وردع الباغين الذين قعدوا للدعوة بكل سبيل ، وأخذوا أتباعها بالباساء والضراء ـ لم يكن السيف هو كل ما كان بين يدى صاحب الرسالة من وسائل لتبليغ رسالته ، والتمكين لها ، بل ان السيف كان آخر رمية رمى بها الاسلام فى الصراع المحتدم بينه وبين أعدائه الكائدين له ، والمتربصين به ، اذ لم يكن بد من لقاء الشر بالشر والسيف بالسيف ..!

التقت الدعوة أول ما التقت بالناس فى كلمات هامسة خافتة تتلمس طريقها الى العقول والقلوب كما تندس شعاعات الفجر فى أحشاء الظلام ، لا يكاد يشعر بها الا ذوو الأحاسيس المرهفة والمشاعر اليقظى .. ثم شيئا شيئا أخذت هذه الكلمات تعلو وتسفر فى سماء مكة وما حولها ، وتقرع اسماع قريش وأحلافها بما تحمل فى أطوائها من النور والهدى ، وبما يتردد فى صداها من آيات الحق، ورحمات السماء ، فى أدب علوى مشرق ، وفى أسلوب رفيق ندى، ينبض بالحنان والمودة والاشفاق على ذوى القربى أن يكونوا فى الهالكين .. « قل ما أسالكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » !

ولكن هذه اليد الكريمة المبسوطة بالخير، الممدودة للانقاذ لم يتعلق بها الا نفر قليل من هذا العدد العديد الذى ركب رأسه ، وأعماه الغرور والكبر أن يتحول عن حال هو ضنين بها ، حفيظ عليها ، وان أوردته موارد البوار والهلاك !! ثم لم يقف هذا الغرور الأعمى وهذا الصلف الاحمق بأهله عند هذا الحد، بل لقد ذهب بهم غرورهم وصلفهم الى التطاول على صاحب هذه اليد الكريمة المعطاءة ، وأن يسلقوه بالسنتهم ، وأن يرجموه بالأذى هو ومن استمع اليه ، ولاذ به !

وهنا تدخل الدعوة الاسلامية فى طور جديد ، وتشتبك فى صراع غير متكافئة قوى المتصارعين فيه .. فالنبى والنفر القليل الذين معه يصبحون ويمسون فى تضميد جراحاتهم التى تكلمهم بها أيدى السفهاء والمتطاولين من مشيخة قريش وشبابها ، دون أن تحدثهم أنفسهم بدفع هذا العدوان الآثم الا بالصبر عليه ، واحتمال المكروه فيه ، حسبة لله ، وفى سبيل الله !

ولقد صنع الله لرسوله وللمؤمنين الذين حبستهم قريش على هذا الزاد الكريه من الضر والعنت ـ طريقا للخلاص من هذا المكروه ، وجعل لهم متنفسا من هذا الضيق الخانق، اذ فتح عينى الرسول الكريم على باب طالما كان مدخلا لأصحاب الرسالات وملجأ يلجأ اليه المؤمنون اذا أحاط بهم البلاء ، ورهقهم السفهاء والاشرار ...!

انه الهجرة والتحول من دار الهوان والضعف الى أى وجه من وجوه الارض ، يخلص فيه المرء لنفسه ، ويلتقى بوجوده ، « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ؟ قالوا : الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم . »

انها معركة ارادتها قريش وعملت لها ، وألقت فيها بكل قواها المادية والمعنوية ، لتشغل الرسول عن رسالته أو تصرفه عنها ، ولتفتن المؤمنين عن دينهم أو تزعزع ايمانهم به .. والرسول وأصحابه صابرون صامدون ، حتى اذا بلغ الكتاب أجله ، وأرى الله رسوله ما أراه من أمر الهجرة دعا أصحابه الى أن يركبوا هذا المركب الوعر ، الذى يباعد بينهم وبينه ، ويحرمهم الاستظلال بظله ، واستروح أنفاسه الزكية ، ومطالعة وجهه المشرق الوضىء ،

والذى ينتزعهم انتزاعا من ديار سكنوا اليها ، وأهل عاشوا فيهم ! ولكنه الدواء الناجع لهذا البلاء ·· وان كان مرا !

وسلك المسلمون مسالكهم فى فجاج الارض ، وخرجوا عن اهلهم وديارهم ، واموالهم ، يريدون وجه الله ، ويرقبون اليوم الذى تنتصر فيه كلمة الحق ، وتعلو فيه راية الاسلام ··

والى خارج الجزيرة العربية كلها كانت هجرة المهاجرين الأولين ·· فكانت الحبشة أول بلد دخله الاسلام وأوى اليه المسلمون، على بعد الشقة، وغرابة الوطن واللسان ، الامر الذى كان يشغل الرسول ، ويملأ قلبه أسى وحزنا على أصحابه الذين تكاد تنقطع اخبارهم عنه ، وان علم أنهم فى حمى كريم ، وفى ضيافة بارة رحيمة !

لهذا سعى الرسول سعيه لفتح طريق جديد قريب داخل الجزيرة العربية ليكون مهاجر المسلمين، واختار الله له وللاسلام، فشرح الله صدر أهل المدينة من الأوس والخزرج للاسلام ، فكانت بيعة ، وكان عقدا ، أعطى فيه «الانصار» لله ولرسوله وللمؤمنين مواثيق الايواء للمهاجرين ، والنصر لله ولرسوله ·· ومنذ انعقد العقد ، وتمت البيعات الثلاث فى العقبة والمسلمون يخفون الى المدينة مهاجرين اليها افرادا وجماعات ، جهرا حينا ، وسرا فى أغلب الاحيان ·!

أما الرسول الكريم فلم يختر لنفسه، وظل يحمل راية الدعوة ، ويحتمل وحده الضر والأذى ، وقد ذهب أصحابه ، وانفردت قريش به ، تسوق اليه كيدها وعدوانها ، لا يجد مفزعا الا وجه ربه ، والا صدر صاحبه أبى بكر ··

وخيل الى قريش ان أمر محمد قد صار الى ما تشتهى بعد أن ذهب أصحابه ، وتفرقوا فى وجوه الارض ، وضربة واحدة من يدها تكفى لاخماد صوت الداعى واطفاء نور الدعوة الى الأبد ·!

وكان أن فكروا وقدروا ، ثم ائتمروا فيما بينهم على أن يبتوا « محمدا » وان يغتالوه بليل وهو فى فراشه بيد جماعة متخيرة من كل بيت من بيوت قريش ، حتى يذهب دمه هدرا ··

وهنا يبلغ الامر غايته ، وتتولى السماء الفصل فيه ، ويتنزل الوحى بما بيت القوم ودبروا : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، او يقتلوك ، او يخرجوك ، ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين » ·· ثم يتبع هذا الوحى باشارة من السماء فيها يأذن الله لنبيه بالهجرة الى المدينة ، بعد ان ظل نحو ثلاث عشرة سنة يؤذن فى قومه بالدعوة الاسلامية ، ويندبهم لحمل هذا الشرف العظيم ، فلما لم يقبلوه حوله الله الى من اختارهم له واختصهم به·· فهاجر الى المدينة يصحبه صاحبه أبو بكر الصديق ، فكان لأبى بكر هذا الشرف الاكبر فى مشاركة النبى حمل الدعوة الاسلامية الى موطنها الجديد ·

وفى المدينة ، وبعد أن هاجر اليها النبى ، واصبحت مطلع الدعوة ومركزها تفتح شباب الدعوة، واكتملت لها قوتها ، فاخذ نورها يغمر الآفاق حتى فاض على الجزيرة العربية كلها ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ، وغار الشرك ، وحطمت الاصنام ، واصبح الدين كله لله !

ويسأل سائل : ما دور الهجرة فى الدعوة الاسلامية ؟ وما حسابها فى انتصار هذه الدعوة ، وبلوغها ما بلغت من النجاح والتوفيق ؟

ان الذى كان يرصد حركة الهجرات التى سارت فيها أقدام المسلمين منذ دعاهم الرسول الى الفرار بدينهم الى أن اتخذ الرسول وصاحبه طريقهما الى المدينة — الذى يرصد هذه الحركة كان يرى أنها انسحاب من المعركة ، وأن هؤلاء المنطلقين على وجوههم فى وجوه الارض انما هم فلول تلك الجماعة المنسحبة المنهزمة فى غير انتظام !

تلك هى معطيات هذه الحركة كما تبدو فى ظاهر امرها ، وكما رأتها قريش ، أو كما رآها معظم قريش · وان كان بعض ذوى البصيرة والرأى فيهم يرى أنها ليست كما تبدو فى هذا الظاهر الذى يكمن وراءه الاستجماع والتوثب !

ولا نجيب على هذا السؤال الذى سألناه آنفا بتقديم كشوف الحساب لتلك الانتصارات التى حققتها الدعوة الاسلامية بعد الهجرة ، فقد ينازعنا كثير ممن يحبون الجدل ومضغ السفسطة اذا نحن اضفنا معظم هذه الانتصارات الى الهجرة ، ويقول ما يردده بعض المستشرقين ومن اليهم ممن ينظرون الى الاسلام بقلوب مريضة ، وعيون حولاء، ان انتصار الاسلام ان يكن لشىء فضل فيه فهو للسيف ، وللسيف وحده !

وندع هذا الجدل ·· وننظر الى الهجرة — أى هجرة — فى ذاتها ، ومن حيث أنها سلاح رهيب ،

يخلفه المهاجرون وراءهم فيشيع فيمن خلفوهم جوا أسود ، تتمشى فيه أشباح القلق ، والألم ، والحسرة، والتفرق ، والندم !

الا فانظر فى هذا الحادث ·· ثم قل فى الهجرة ما تقول :

« عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان لى جارا يؤذينى ·· فقال : أخرج متاعك فضعه على الطريق !! فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق ·· فكل من مر به قال : مالك ؟ قال : جارى يؤذينى ، فيقول : اللهم العنه ، اللهم أخزه ·· قال – أى أبو هريرة – فقال الرجل : ارجع الى منزلك ، فوالله لا أوذيك أبدا » ·

فهذا حادث لفرد من أفراد الناس ، تجمع له من تجمع منهم ، وحاول أن ينظر فيه ، ويحكم لصاحبه أو عليه ·· فكيف بتلك الهجرة التى خرج فيها اعداد كثيرة من الناس عن ديارهم وأموالهم · وأهليهم ؟ كيف بتلك الهجرة التى دخل أثرها على كل قلب ، وخيم على كل بيت فى مكة ؟

لقد فارق الاب أبناءه ، وفارق الابن أبيه ، وترك الرجل زوجه ، وفارق أمه ، واخوته ، وأصدقاءه وأصفياءه ·· فكم يفعل كل هذا فى قريش بعد أن تمزقت القربى ، وتقطعت الارحام ، وأقفرت الديار؟

لقد عاشت قريش بعد هجرة الرسول فى جو محموم ، بعد أن استبان لها أن كثيرا من ابنائها ونسائها سيلحقون بالنبى، وبعد أن سكن فى نفسها هذا الغليان الذى كان يملك عليها عقلها وتدبيرها بعد أن ترك لها محمد الميدان الذى كانت تصول فيه وتجول ، فما أكثر هذه المحاورات والمواقف التى التقى فيها بعضهم ببعض فتبادلوا اللوم والتثريب ، وتناوشوا بالتقريع والتأنيب فيما كان منهم من عدوان وبغى على أبنائهم واخوانهم ، وأصدقائهم !

لقد أصبح كثير منهم يرى انه آثم فى حق اهله وذوى رحمه ، وانه لن يجد لهذا المأثم مخرجا الا بعمل يعمله ليكفر به عن فعلته ، وليصلح بعض ما أفسد !

حدث ابن اسحق قال : « لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة اعد بعيرا فحمل عليه زوجه أم سلمة ، وابنه سلمة ··

تقول أم سلمة : فخرج بى يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة – أهل أم سلمة – قالوا له :

هذه نفسك غلبتنا عليها ·· أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد ، ثم نزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه ، قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبى سلمة ، وقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا، قالت : فتجاذبوا ابنى سلمه بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الاسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة الى المدينة ·· ففرق بينى وبين زوجى ، وبين ابنى ، قالت : أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما ازال أبكى حتى أمسى، سنة أو قريبا منها ، حتى مر بى رجل من بنى عمى فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها ، وبين ولدها ؟ قالت : فقالوا لى الحقى بزوجك ان شئت ! قالت : ورد بنو عبد الاسد الى عند ذلك ابنى ، فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، وما معى أحد من خلق الله ·· قالت : فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى ، حتى اذا كنت بالتنعيم – فى أطراف مكة – لقيت عثمان بن طلحة ، فقال لى : الى أين يابنت أبى أمية ؟ فقلت : أريد زوجى بالمدينة، فقال: أو ما معك أحد ؟ قالت : فقلت : لا ، والله الا الله وبنى هذا ! قال : والله مالك من مترك ! فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معى يهوى بى الى أن بلغ المدينة ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى انه كان أكرم منه !! »

لقد غسلت الهجرة تلك الأكدار التى كانت تموج فى صدور اهل مكة على النبى وصحبه بعد ان أعطوهم ظهورهم ، وأخلوا أيديهم منهم ، فعرفت قريش مدى الجرم الذى كانت قائمة عليه ، وأبصرت من دعوة الاسلام ما فيها من الخير ، والهدى ، فقامت الى الحق، وأعطت يدها وعقلها ، وقلبها للاسلام ، فكانت القوة التى استند اليها حين عصفت الفتنة بعد وفاة النبى ، وارتد كثير من القبائل العربية عن الاسلام·· فقد سجل التاريخ لتلك الفترة أن كل قبائل العرب قد فشا فيها داء الردة الا قريشا فانها ثبتت على الاسلام ، ووقفت تنافح عنه ، وتأخذ بمقاود المرتدين عنه ·

« عبد الكريم الخطيب »

هجـرة ....

أقامت دولة "الفكر" في فترة مبكرة من التاريخ



بقلم: فتحي عثمان

تتطلع البشرية الى دولة لا تقوم على (حتمية) ظروف الأرض والدم ولكن تعلي قدر الانسان وعقل الانســـان ، فتقــوم على الاختيــار الحــر والوعي الكامل !!

دولة تكون كل (أرض) بالنسبة اليها سواء ، وتكون كل (سلالة) بالنسبة اليها سواء ... لأنها تخاطب (الفكر) في أي انسان ، وكل انسان !!

ولقد تمخضت هجرة رسول الاسلام من مكة الى يثرب ، عن « التجسيد » أو « التشخيص » القانوني لدولة « الفكرة » ... أو مايسمى في أيامنا بـ « الدولة الايديولوجية » !

كانت دولة « فكرة » ، ولم تكن دولة قطعــة من « أرض » أو قبيل من « الناس » فرسول الاسلام لم يترك (مكة) ليعلي سلطان (المدينة) وحين أعلن الجهاد في (المدينة) لم يكن صراعا ضد (مكة) !

لقد ..أ الاسلام عالميا منذ دعا خلق الله الى عبادة الله ..

« اقرأ باسم **ربك** الذي خلق . خلق **الانسان** من علق » .

« قم فأنذر . **وربك فكبر** » .

ولقد توالت آيات القرآن مكية ومدنية ، تؤكد دعوته الانسانية العـــالمية ، تخاطب (الانسان) مطلقا دون أي تحديد ، وتذكر (الأرض) مطلقا دون أي تحديد ، وتتســـع عندها الآفاق حتى تستوعب (العالمين) !

« ان هو الا ذكر **للعالمين** . لمن شــــاء منكم أن يستقيم » !

وجاءت هجرة رسول الاسلام من مكة الى المدينة فأقامت دولة « الفكرة » التي يستوي في ميزانهــا المقيمون في المدينة والمهـــاجرون من مكة . فالكل سواء في الاعتبار الانساني والحقوق القانونية ... المهاجرون ليسوا غزاة مستعمرين ، وليسوا لاجئين مستذلين ... والعقيدة معروضة على كل انســـان بحكم انســـانيته ، أيا كان موطنه وأيا كانت عشيرته !!

وهكذا كانت دولة « الفكرة » التي تمخضت عنها الهجرة « ونبتة » مبكرة كبرى في معراج التقــدم الانساني !

« للفقراء المهـــاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضلامن الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون .

« **والذين تبـوءوا الدار والايمـــان من قبلهم** ، يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صــدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شــح نفســـه فأولئك هم المفلحون .

« **والذين جاءوا من بعدهم** يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعــل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم » .

وهكذا جاءت الدولة التي أقامها رسول الاسلام في المدينة ، تجربة حية مبكرة للدولة الايديولوجية في التاريخ :

لم تكن دولة (مكة) أو (قريش) ... ولا دولة (المدينة) أو (الأوس والخـزرج) ... بل كانت دولة (الاسلام) المعروض على عقل كل انسان !!

دولة التقى فيها المهاجرون والانصار ، مع صهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، هذا اللقاء التاريخي الفريد ... فكانوا جميعا أعضاء

مؤسسين ومواطنين أصلاء فى هذه المجتمع ، وهذه الدولة ... وهكذا تحقق الحلم المنشود ، فى ذلك الزمن البعيد !

لقد عرض رسول الاسلام دعوته فى (مكة) وفى غيرها ، على (قريش) وعلى غيرها ، فاجاب من أجاب على خوف من الطغيان أن يفتنهم .. فلم تكن شبهة فى اسلام من أسلم قبل الهجرة عن ارادة واقتناع !

وهذه صـورة معبرة .. عن طبيعـة الدعوة وظروفها ، يوردها المقريزى فى « امتاع الاسماع » « ورسول الله مقيم بـ (مكة) يدعو الى الله ، وكفار (قريش) تظهر حسده وتبدى صفحتها فى عداوته وأذاه ، وتخاصم وتجـادل وترد من أراد الاسلام عنه ...

« فخرج ومعه زيد بن حارثة الى (الطـائف) يلتمس من (ثقيف) النصر لأنهـم كانوا أخواله ، فردوا عليه ردا قبيحا ، وأغروا به سفهاءهم فجعلوا يرجمونه بالحجارة ...

« ثم عرض نفسه على (القبـائل) أيام الموسم ودعاهم الى الاسلام ... وجعل يقـول : من رجل يحملنى الى قومه يمنعنى حتى أبلغ رسـالة ربى ، فان (قريشا) قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى ؟

« وكان أحيـاء العـرب يتحامونه لما يسمعونه من قريش فيه ... »

وبدأت الدعوة تصل الى (يثرب) ... ولكنها لم تلق مظـاهرة حماسـية من الترحيب ، ولم تكن (يثرب) لتتورط بدافع (مكة) فى متابعة الدين الجديد ... فما أقوى مكة وقريش !!

كان رسول الاسلام يدعو الرجل ، فيقرأ عليـه القرآن ، فاذا هو « لا يبعد منه ، ولا يجيب » ـ على حد تعبير مؤرخى السيرة !!

وكانت (يثرب) تلتمس أسبـاب القـوة من (مكة) وتنشد حلفها ونصرها ، فكيف تجرؤ على مخالفتها ومناصرة عدوها ، فلقد قدم بنو الأشهل مثلا الى مكة يطلبون حلف قريش ضـد قومهم من الخزرج !!

وعن طريق الدعوة ـ وعرض القرآن لا غير ... وجد رسول الاسلام فى (مكة) أنصارا .. لـكن عددهم كان محدودا، يتزايد بالتدريج، ولكن لايصل الى (انقلاب) يخالف طبيعة الأمور ، ويخالف هدى الدين الجديد فى مخاطبـة العقول ... حتى أن بيعة العقبـة الثـانية التى سبقت الهجرة ، شهدت عددا أحصـاه المؤرخون شـخصا شخصا ، فبلغ ٧٣ رجلا وامرأتين .. كلهم حريص على الحذر والتخفى، وهذه كلمات مؤرخى السيرة ابلغ من كل بيـان « فتسلل منهم جماعة مستخفين لا يشعر بهم أحد ، وهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، وجاءهم رسـول الله ومعه عمـه العبـاس وهو على دين قومه وأبو بكر وعلى ، **فاوقف العباس عليا على فم الشعب عينا له واوقف ابا بكر على فم الطريق الآخر عينا له** ، فتكلم رسول الله فتلا القرآن ورغبهم فى الاسلام ... »

وكان من أهـل (يثرب) من توجس من قطيعـة العلائق والوشائج مع (مكة) ... وخشى أن يعود الرسول بعـد انتصـاره الى بلده وعشيرته ، ويترك يثرب تشقى بثارات الحرب !

فالصورة التى تجعل اعتناق الاسلام فى (يثرب) مظاهرة جماعية حماسـية ، ليست هى الصورة التى تثبتها وقائع التاريخ ... ان المهاجرين والأنصار ، وكل السابقين الى الاسلام ، كم ضغطوا على أعصابهم وعقولهم وفكروا مرة ومرتين ومرات قبل أن يختاروا المصير !

ودولة « الفكرة » التى أقامها رسول الاسلام عقب الهجرة ، دولة عالمية ، كما هى دولة ايديولوجية .. فمن طبيعـة « الفـكرة » انهـا انسـانية ، مفتوحة للعالمين !

وقد كانت دولة « الاسـلام » عالميـة فى عنـاصر تركيبها ووثائق تأسيسها، كما هىعالمية فى أصولها ومبادئها الفكرية العامة ...

تقرأ فى كتابرسول الاسلام كما أورده ابن هشام مثلا ، تحديدا لـ (ايديولوجية) الدولة الجديدة ، وعالميتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم » هذا كتاب من محمد النبى ، بين المؤمنين والمسـلمين **من قريش ويثرب ، ومن تبعهم** فلحق بهم وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس » .

انها أمة « الفكرة » يستوى فى الانتماء اليهـا أهل مكة وأهل يثرب ، قبيـلة قريش وغيرها ممن تابع وجاهد ، وعلى هذا الأساس الايديولوجى العالمى فى تكوين الأمة تمارس الدولة سـيادتها وسلطتها العليا فى الداخل والخارج .

« وان المؤمنين المتقين **على من بغى منهم** أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعا **ولو كان ولد أحدهم... وان ذمة الله واحدة ، يجـير عليهم أدناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ... وان سلم المؤمنين**

واحدة ··· وانه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب ··· »

ودولة « الفكرة » التي اقامها رسول الاسلام عقب الهجرة لا تقتلع عصبيات الدم والأرض لتصطنع عصبية أخرى ··· انها تفتح أبوابها لمختلف الأديان ما برئت من نزعات العدوان :

« وانه من تبعنا من **يهود**، فان له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ·· وان يهود بنى عوف أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ·· »

انها رحمة الله المهداة ··· من رب العالمين !

ويذكر التاريخ **لبنى اسرائيل** سلطانا كان يدعى انه يحكم باسم الله وقد سبق دولة الاسلام ··· لكن هذا السلطان زاحم فى أرض كنعان سكانها القائمين فيها والوافدين اليها ، واصطنع عصبية قبلية تحصر رحمة الله فى (الشعب المختار) ، وتركز المشاعر حول ! أرض اسرائيل) · وتعلن حربا دموية على العموريين والكنعانيين والآراميين والفلسطينيين · ولنستمع الى المؤرخ فيليب حتى يقرر فى كتابه « تاريخ سوريا » مدى كذب شعب الله على الله :

« كان (يهوه)اله العبرانيين وحدهم، وسيطرته كانت على أرض اسرائيل وكان يسر (يهوه) انزال العقوبات القاسية بالمصريين واستئصال العموريين والكنعانيين – راجع مثلا سفر يشوع ١٠ : ٨ – ٤٢ » ·

ويذكرالتاريخ **للفلسفة الماركسية**نزوعا الى اقامة « الدولة الايديولوجية » · الدولة التى ليست لها حدود جغرافية معينة سوى حدود الفكرة ذاتها وقد أعلنت دولة الاتحاد السوفييتى فى دستورها أن أساسها القانونى ليس (الاقليم) ولا (السكان) أى وجود معينة ، وانما تتكون الدولة السوفييتية من عدة أمم مختلفة وحدت الاشتراكية فيما بينها ، وهى دولة اشتراكية فيدرالية مفتوحة لكل جمهورية اشتراكية أينما وجدت فى أية بقعة من الأرض ، مادامت ترغب فى الانضمام والاندماج داخل الاتحاد السوفييتى ·

ولكن هذا الطابع الايديولوجى يهتز كثيرا جدا حين يختنق بمسلمات (الحتمية) الماركسية ، اذ يلغيه الاختيار الحر للفرد فى زحام الطبقة وحتمية الصراع ، ثم يضيع الاختيار الحر للفرد مرة أخرى تحت مطارق (دكتاتورية البروليتاريا) !

ولقد أدان خروشوف عهد (ستالين) ··· ثم أدانت المجر بدورها عهد (خروشوف) ، قبل أن تدينه روسيا أو يدينه الحزب !

وقيام شطر اشتراكى فى دول متعددة فى أوربا وآسيا كان اعلانا لقيام عصر «الدولة الايديولوجية» كذلك ، ولكن هل ننسى الظروف السياسية الدولية التى دفعت الى ظهورها تلك الدول ، وأنها كانت أغلب من اية ارادة لفرد او شعب ؟

ولقد ضاعت الأمانى الطيبة فى الدولة التى ليست لها حدود والتى تقبل كل من يشاركها عقيدتها ، أمام واقع الصراع السياسى بين الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا ، ثم بين الاتحاد السوفييتى والصين ··· مهما أعطى لهذا الصراع من لون عقائدى !

و « العالم الديمقراطى الحر » بدوره تنغصه حزازات التفرقة العنصرية فى الشعب الواحد ، والحزازاتالأمريكية والبريطانيةوالفرنسية والالمانية بل احيانا اليونانية والتركية ، على المستوى العالمى!

وهكذا تبقى دولتك يا رسول الاسلام ··· فريدة فى التاريخ !

تبدأ من أرض وشعب ، لتخاطب الانسانية والعالم !

وتدخل يا رسول الله مكة التى اضطرتك للفرار منها بليل ·· فتسمع أن أحد أبناء المدينة – سعد بن عبادة – يدخل أحد أبواب مكة يوم الفتح هاتفا : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ! » ·· فتنحيه يا رسول الله عن القيادة · لانك لا ترضى باستباحة الحرمات ، ولو كانت حرمات البلد الذى آذاك أهله واخرجوك !

وحين تدخل (مكة) فاتحا منتصرا ··· لا تنسى (يثرب) ودورها النبيل فتؤثرها بالمقام ··· ولا تنسى دعوتك التى تدين لرب المشارق والمغارب ، والتى تجعل الأرض كلها مسجدا وطهورا !

« ولله المشرق والمغرب، فأينما تولوا فثم وجه الله، ان الله واسع عليم » ·

« انما امرت أن أعبد رب هذه **البلدة الذىحرمها، وله كل شئ**، وامرت ان أكون من **المسلمين** · وأن **اتلو القرآن** ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين » !

سبحانك ربى ···

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ، ليكون للعالمين نذيرا » ·

« فتحى عثمان »

الفلسفة الإسلامية في جامعات أوروبا

للدكتور محمد مختار القاضي

١ ـ في اسبانيا

اصبحت مدينة طليطلة بعد ان استولى عليها الفونس السادس سنة ١٠٨٥ المركز الذى انبثقت منه الثقافة العربية الى باقى نواحى أسبانيا واوربا ، فقد هرع الى هذه المدينة نفر من اليهود بسبب اشتداد عبد المؤمن بن علي ، اول خلفاء الموحدين ، فى تعقبهم ، فلم يلبث الفونسو ان كون فى المدينة هيئة للترجمة تعرف بمدرسة المترجمين الطليطليين، واسند رياستها الى الأب رايموندو (١١٢٦ ـ ١١٥٢م) وكان اسقف طليطلة ، وكبير مستشارى ملوك قشتالة ، وكان يعمل فى هذه المدرسة جماعة من الأسبان وآخرون من اليهود ، ثم لم تلبث أن نزح اليها كل متعطش للعلم فى صقلية أو فى دول أوربا الأخرى .

وأشهر من وصلت الينا اسماؤهم من هؤلاء المترجمين دومينيكوس جنديسالفى ، ويسمى فى بعض النصوص الأسبانية دومنجو جوندالد أو جنديسالينوس . وكان هذا أسقفا لشقوبية واحد رجال كنيسة طليطلة الجامعة . ومنهم يوحنا بن داود الأسبانى ، وهو يهودى تنصر وسكن مدينة طليطلة، ويبدو أنه خلف رايموندو فى أسقفية هذا البلد .

كان هذان المترجمان يعملان مجتمعين ، يملى يوحنا ترجمة النص العربى بالأسبانية الدارجة فينقلها جنديسالفى الى اللاتينية . ومن أهم ما نقل هذان المترجمان من كتب الفلسفة مؤلفات ابن سينا ، وهى كتب النفس والطبيعة وما وراء الطبيعة ، وبعض آثار الغزالى ، وهى كتاب مقاصد الفلاسفة ، ويعرف فى ترجمته اللاتينية بكتاب « الفلسفة » ، وكتاب ابن جرول «ينبوع الحياة» ورسالة «العقل والمعقول» للكندى ورسالة قسطا بن لوقا البعلبكى فى « الفرق بين النفس والروح » .

وترجم جيرارد دى كريمونا (القرمونى) الايطالى المتوفى فى سنة ١١٨٧ م ، وزميل جنديسالفى فى ديوان الترجمة ، ترجم من كتب الفلسفة الاسلامية رسائل الكندى ومنها رسالة العقل والمعقول ، ورسالة النوم والرؤيا ، ورسالة الماهيات الخمس ، وشرح الفارابى على السماع الطبيعى .

ومن أشهر المترجمين أيضا ميخائيل سكوت المتوفى سنة ١٢٣٥ م وهو اسكتلندى بعثه من صقلية فردريك الثانى امبراطور صقلية والمانيا ، فترجم فى طليطلة سنة ١٢١٧ م شروح ابن رشد على أرسطو (السماء والعالم ، ورسالة النفس) . ويقال انه قام بهذه الترجمة فى طليطلة بمعاونة رجل يهودى اسمه اندراوس . ويقال أيضا انه جلب معه هذه الكتب من طليطلة ،ولكنه قام بالترجمة لها وهو فى بلاط فردريك بصقلية بمعاونة نفر من المترجمين .

ومن اشهرهم ايضا هرمان الألمانى المتوفى سنة ١٢٧٢ م . وقد اشتغل بالترجمة فى طليطلة . نقل شرح الفارابى على كتاب الخطابة لأرسطو ، والشرح الأوسط لابن رشد على الأخلاق النيقوماخية سنة ١٢٤٠ م وكتاب الخطابة لأرسطو عن العربية فى سنة ١٢٥٠ م ، وكانت هذه الترجمة وافية حيث جلى النص العربى وكمله بالرجوع الى الفارابى وابن سينا وابن رشد . ونقل الشرح الأوسط لابن رشد على كتاب أرسطو فى الشعر سنة ١٢٥٦ م .

وترجم هرمان الدلماشى بمعاونة روبرت دىريتنس القرآن الى اللاتينية بناء على طلب بطرس الجليل .

هؤلاء بعض المترجمين وبعض ترجماتهم ، وهنالك ترجمات أخرى لايعرف على وجه التأكيد أين عملت ومن أين انتقلت الى أوربا ، ومع ذلك فقد انتشرت فيها . ومن هذه الترجمات شروح ابن باجه ، وكتابه «تدبير المتوحد» ورسالة «حي بن يقظان» لابن طفيل ، وشروح ابن رشد على مؤلفات أرسطو وآراء محيي الدين بن عربي الصوفي ، وكتاب موسى بن ميمون «دلالة الحائرين» الذي عاش بين سنتي ١١٣٥ و ١٢٠٤ م . وهو كتاب وضعه بالعربية وترجمه بنفسه الى العبرية ثم ترجم ثلاث ترجمات أخرى على الأقل .



وجماعة أخرى من المترجمين اليهود قصروا جهودهم على الترجمة ، حبا في المال والحظوة لدى البلاط النصراني الطليطلي . ومن هؤلاء يعقوب الأنتولي الطليطلي ، ويهودا بن سليمان كوهن من طليطلة وشم طب بن يوسف فلقري ، وقد نقل هذان الأخيران مؤلفات ابن رشد الى العبرية ، وشرحها ليون ابن جرشون .

كان لهذه التراجم فضل في انتشار الثقافة الاسلامية ، وخاصة الفلسفة ، في كل من اسبانيا ودول أوربا الأخرى ، وكان لها تاثير شديد في اتجاهات قرائها ، معارضة لها او تأييدا . ولكن من الحقائق المقررة على أي حال فضل مؤلفات العرب على المفكرين الاسكولاستيين (معلمي الفلسفة في الجامعات الأوربية) فاما من كان منهم على مذهب أرسطو فتجد عنده آثار ابن باجه وابن طفيل وابن رشد خاصة . واما من اتجهوا منهم اتجاها افلاطونيا حديثا فتلمح في تآليفهم آثار ابن مسره وابن جرول ومحيي الدين بن عربي .



ولقد تاثر بمؤلفات المسلمين كثيرون من الأوربيين ، بل تأثر بها نفس المترجمين ، ونذكر مثلا لذلك جنديسالفي اسقف شقوبية الذي سبق ذكره . هذا الأسقف الذي توفي سنة ١١٨١ له كتب عدة اهمها « خلود النفس » وهي رسالة وجيزة استقى معظم آرائه فيها من ابن سينا في طبيعيات « الشفاء » ، فقد ميز الادراك الحسي والادراك العقلي ، ورد ادراك المعقولات الى انفعال النفس بها عن عقل فعال مفارق كما قال ابن سينا ، واخذ آراءه الأخرى عن ابن جرول وارسطو . وكتابه هذا صار مرجعا لمن جاءوا بعده . وله كتاب « تقسيم الفلسفة » ، وقد أخذه بتصرف عن كتاب الفارابي « احصاء العلوم » وعن ابن سينا واسحاق الاسرائيلي وبويس وايزيدور الأشبيلي وارسطو . وفي كتابه هذا يميز بين اللاهوت الصادر عن الوحي ، وبين الفلسفة المكتسبة بالعقل ، ويجعل الفلسفة علما شاملا لكافة العلوم الأخرى . ومع ذلك فيؤكد الكاتب المستشرق دي بور في تعليقه على هذا الكتاب انه بمقارنته لنصه بالنص اللاتيني لاحصاء العلوم للفارابي ظهر له أن الخلاف بين النصين يكاد يكون معدوما (كتاب دومينيكس جنديسالنوس وتقسيم الفلسفة ، للدكتور ل . بور) .

ولهذا المترجم كتب أخرى في صدور العالم ، والوحدة ، والنفس . وهو في مذهبه متخير بين الفلاسفة الآخرين .



ومن الذين تاثروا من الاسكولاستيين الأوربيين بالفلسفة الاسلامية ريمون لول ، وهو فيلسوف متواضع ولد بجزيرة ميورقه في أسرة غنية سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) وعندما بلغ من العمر ثلاثين سنة رأى السيد المسيح في احدى الرؤى ، ثم تكرر ذلك ، كما يقول ، فعلم أن المسيح يطلبه للتوفر على خدمة الدين فأجاد اللغة العربية واللاتينية والمنطق ثم طوف في البلاد ، فذهب الى باريس وعلم بها كتابه الفن الأكبر وجادل الرشديين ، وكان شديدا في جدله فسجن في تونس ثم في الجزائر ، وفي الجزائر رجمه الجمهور بالحجارة فآواه أهل جنوه ، وقضى قبالة شاطيء ميورقة بقية عمره الى أن مات سنة ٧١٤ هـ (١٣١٥ م) . وكان ريمون هذا متمكنا من اللغة العربية ، يجادل بها ويؤلف وان لم يعثر على مؤلفاته العربية . واهم كتبه الفن الأكبر او الفن الكلي ، وله كتب في المنطق وفي الرد على ابن رشد والرشديين . وللول كتاب سماه الكافر والعلماء الثلاثة ، ثم صاغه تحت عنوان آخر « التتري والنصراني » ، وكتاب المحاورات الفه على نسق كتاب كليلة ودمنه ونظم باللغة القطالونية منطق الغزالي وكتابا آخر في الجوهر والعرض .

تأثر لول بالمدرسة الأفلاطونية الحديثة والصوفية الاسلامية ، وكانت فيه رقة ظاهرة للمسلمين ، ولذلك كان يقلدهم ، فهو يستهل رسائله باسم المسيح كما يستهل المسلمون رسائلهم باسم محمد صلى الله عليه وسلم • وكان يرى أن تتلى أسماء الله فى الكنائس كما يتلى القرآن فى المساجد ، وكان صديقا لطائفة من الصوفيين المسلمين كابن سبعين وابن هود والششترى الزجال الذى كان الصوفية يتغنون باشواقه فى أزجاله وموشحاته ، وابن مدين، والعفيف التلمسانى • ولكنه تعلق تعلقا شديدا بمحيى الدين بن عربى، وهو يقرر فى كتابه «بلا نكرتا» انه ألف كتابه الآخر « الصديق والمحبوب » على طريقة الصوفية ، وربما يكون قد ألفه على نهج « ترجمان الأشواق » لمحيى الدين بن عربى • ولقد أخذ لول عن محيى الدين بن عربى تعاليمه الأساسية ، فالعلم عند كليهما واحد ، هدفه البحث عن «الواحد» ، ويدرك العلم عن طريق الايمان أو عن طريق العقل ، فاذا عجز التفكير الفطرى كشف الله عن كنوز العلم لعباده عن طريق الاشراق •

واستعمل لول نفس اصطلاحات ابن عربى بالحرف فهو يذكر لفظ النورين ، والذوق المريض ، وقال لول كما قال محيى الدين بالحضرات مثل الربانية والرحموت والعزة • ويرى لول (أو لوليو) أن الرمز الى الذات الالهية بشىء لا يصح ، لأن الرموز لا تناسب الذات الالهية ولكن « النور » سائغ أن يعبر به عن الذات الالهية وان كان أقل الصور الرمزية المعبرة عن كمالات الله • وعن ابن عربى أخذ لول طريقته فى الرمز بالحروف للتعبير عن آراء فيما بعد الطبيعة ، وأخذ مصطلح ابن عربى الخاص فى الصوفية ، لأن الآراء الخاصة بعلوم التصوف الالهية ، كما يقول ، انما تتحصل عن طريق الذوق الصوفى لا عن طريق العقل •

ومن الأسكولاستيين رايموند مارتن ، وهو قس دومينيكى قطالونى عاش بين سنتى ١٢٣٠ و ١٢٨٦ م ، وكان كمعظم الاخوان الدومينيكان عدوا للفلسفة الاسلامية ، ومن أكبر خصوم المسلمين ، لا يفوقه من طائفته فى هذا العداء الا الأخ توما الأكوينى المعروف بالقديس توما الأكوينى • اجتهد رايموند مارتن فى تعلم اللغة العربية حتى أتقنها ، كما يدل على ذلك القاموس اللاتينى العربى المنسوب اليه • ثم وضع كتابه « خنجر الايمان ضد المسلمين واليهود » وهو كتاب لا يفوقه فى الطعن على المسلمين الا كتاب « جامع الحجج فى جدال الكافرين » للأخ توما الأكوينى • ووضع رايموند كتابا آخر سماه « شرح الرمز » وقد أورد فى هذا الكتاب وفى سابقه نصوصا للغزالى انتخبها من كتاب التهافت، والمقاصد ، والمنقذ ، والأحياء ، ومن كتابات الفارابى وابن سينا ، ومن شروح ابن رشد على فلسفة أرسطو ، وعلى أرجوزة ابن سينا ، ومن فصل المقال وتهافت التهافت ، وما وراء الطبيعة ، ورسالة الى صديق • ومن كتاب فخر الدين الرازى المسمى « الرد على جالينوس » وكتابه « المباحث المشرقية » هذا الى ما أخذه عن القرآن وصحيح البخارى •

ومن الملاحظ أن خصوم الاسلام لم يلجأوا الى كتب الغزالى حبا فيها ،ولكن ليردوا بها على فلسفة المسلمين لأن شهادة الغزالى على هؤلاء أوقع عندهم فى الدلالة ، ومع ذلك فقد سطا هؤلاء المستشهدون بآراء الغزالى ضد المسلمين ، على هذه الآراء ونسبوها لأنفسهم •

دكتور محمد مختار القاضى



دراسة فى فكر منحل !!

بقلم : محمد جلال كشك

اقر واعترف .. ولا يعيبني ان أعترف .. فالذي خفت منه يثير الخوف حقا .. والذي قلقت له يبعث على القلق حقا ..

وأي انسان لا يقلق ولا يخاف .. وقد فاجاه الذي فاجاني .. يوم امسكت « روز اليوسف » واذا بها حكم صادر وله حيثيات ! ..

حكم بضم مجلتي « الرسالة والثقافة » من أجل تغيير الفكر المحرك لهما (لاحظ « محرك » هذه) .. وامل من القاضي ذى الحيثيات (شأن القضاة فى محاكم الأحداث ، عندما يوجهون النصح للطفل المعوج !) فى ان تواكب المجلة الجديدة « فكرنا الاشتراكى .. يعنى اننا لم نواكب .. ولا حول ولا قوة الا بالله ! .. وان كنت اكره « يواكب » هذه ، فليست موكب .. وكنت اظن الاشتراكية (بجهلي) .. كفاحا وطلائع وزحفا مقدسا .. فاذا بها موكب ! .. من الناس من يواكبه .. ومنهم من لا يواكب !

وكمواطن صالح فقد قررت ان « اواكب فكرهم الاشتراكى » حتى تتجنب احكام الضم وما يسبقها من حيثيات !

وتساءلت .. ما الذى تأخذه علينا مجلاتهم ؟ .. وما الذى استدلت به على عدم مواكبتنا ؟ .. ورحت اراجع الحيثيات فلاحظت ـ من بين ما لاحظت ـ انهم ينتقدون المجلتين لهجومهما على اللورنسيين !

ت . **لورنس** ، رجل المخابرات البريطانية ، الذي غرر بالعرب ، وقاد مع نورى السعيد وأمثاله زحفا لخدمة المصالح الانجليزية ، أفضى الى وقوع آسيا العربية تحت الاحتلال البريطاني والفرنسى .. وتسليم فلسطين لليهود .. وأيضا تخريب الثورة العربية .

ولست اظن ان هجومنا على لورنس هذا ، يستطيعون له دفعا ، أو يملكون لنا فيه نفعا .. فليس لديهم فى هذا الأمر الا التحسر على انقراض فلسفة البعث !

اذن لم يبق الا د . هـ . لورنس .. الذى جعل الجنس علما وفنا ودينا .. الخ .. الخ » .

وصحيح اننا لسنا ضد الجنس ، بل بالعكس نفخر بان امتنا العربية ، قد عالجت الجنس بلا عقد ، ولا شعور بالاثم .. بل تناولته فى حياتها وفى فكرها ببساطة ، كما تناولت سائر العلاقات البشرية فليس الجنس هو العيب .. ولكن العيب هو تحويله الى دعارة .. والى مادة للانجار والكسب الرخيص ، وابتزاز الغرائز ، واستجداء القراء .

اذن فنحن نختلف على طريقة معالجة الجنس .. والموقف منه .

ولما كان النقاش حول لورنس لا يجدى .. فلا هم يقرأون بالانجليزية ، ولا لورنس ترجم للعربية (بالذات الاجزاء التى سيدور حولها النقاش ولا تمكن ترجمتها) ولا نحن نقبل ترجمتهم عن الاسبانية ! .

اذن فلا سبيل أمامنا ، ان أردنا أن نخفف من رجعيتنا ، ونتخلص من تخلفنا ، ونواكب فكرهم الاشتراكى .. الا بدراسة الجنس كما تقدمه مجلات دار « **روز اليوسف** » .

ولا بأس في أن نتعلم ٠٠ فنحن قد أمرنا بطلب العلم من المهد الى اللحد ٠

وهكذا ٠٠ وفي لهفة الطالب المجد ٠٠ اختطفت أول شيء وقعت عيناى عليه ٠٠ وكان العدد الأخير من « صباح الخير » (٢٩ ابريل) ٠٠ وليس أسهل من العثور على الجنس في مجلاتهم ٠

امرأة تعترف ! ٠٠

عظيم ٠٠ هاهو درس بالشرح ! ٠٠

« الى ان قابلته ٠٠ فوجدت فيه كل ما افتقدته في زوجي ٠٠ حنان ٠٠ واهتمام ٠٠ وحب ٠٠ ورقة في المعاملة ٠٠ وتعاطف ٠٠ وانسجام » « وكنت كلما ازددت منه قربا ٠٠ ازددت من زوجي نفورا ٠٠ حتى انى بعد عدة شهور ٠٠ لم اعد أطيق ان انام مع زوجي في فراش واحد » ٠

« ثم فاجأتنى الأيام بوفاة زوجي في حادث ٠٠ وحزنت عليه (والله أصيلة !) ولكن بعد موته بدأت اشعر بحرية اكثر وبراحة اكثر (!!) وتوطدت علاقتي بحبيبي أكثر وأكثر ٠٠ ولم أعد أشعر بحرج وأنا أقابله وحدي في شقته الخاصة ٠

لم أعد أشعر بالخطيئة (انا لله وانا اليه راجعون) وهو يحتضنني ويقبلني ٠٠ كنت أشعر انه رجلي وان كل هذا من حقه ٠٠ وان من حقه أن ينال مني أكثر (!) ٠٠

وفي احدى المرات ٠٠ ظللت أثيره (أى والله !) ٠ ٠وفي تلك المرة لم أدعه يخرج ٠٠ لدرجة انه ضربني غاضبا ٠٠ وبعد أن ضربني ٠٠ لا أدرى كيف حدث أن أعطيته نفسي ٠٠ ولم أشعر بالندم ٠٠ ومرت بنا الأيام والشهور والسنوات ٠٠وعلاقتنا تتوطد أكثر وأكثر ٠٠ ولكننا لا نذكر أبدا الزواج » ٠

ثم تشكو السيدة من أن الرجل لايريد أن يتزوجها وانه بعد ست سنوات من علاقتهما وافق على أن تخطب له هي أخرى يتزوجها ٠

وأقفلت المجلة ٠٠ وقلت ٠٠ امتحن « فكرى الاشتراكى » ٠٠ لأرى هل أنجح في المواكبة أم لا ٠٠

قلت : لو جاءتك هذه المشكلة ٠٠ وقد أعطاك الله والشعب والاتحاد الاشتراكي ٠٠ مجلة تكتب فيها ، وتوجه الناس فماذا تقول :

وغليتنى « رجعيتى » فقلت أخاطب المرأة :

« انت زانية ٠٠ عشقت غير زوجك وانت محصنة ٠٠ تستحقين الرجم ٠٠ ووفاة زوجك في حادث تثير الشك وتستدعى اعادة التحقيق في مصرعه ٠٠ وستبلغ النيابة ٠٠ واعترافك بممارسة الزنا مع عشيقك لمدة ست سنوات ، يوجب عليك ، الجلد ، شرعا ٠٠ وعدم احساسك بالخطيئة دليل انحلال خلقك ، وتفسخ قيمك ٠٠ وفي الشرع أن استحلالك للزنا كفر وردة عن الاسلام ٠

وانك على أية حال ، وصمة عار في جبين مجتمع عربى اسلامى ، وظاهرة متخلفة في مجتمع اشتراكى ،تظنين ان عشقك وفجورك هو كل مايشغل بالنا ، حتى تسود في جريمتك وانحلالك صفحة كاملة يدفع الشعب المصرى ثمنها حبرا وطباعة ٠٠ وورقا يستورد بالعملة الصعبة ، وراتبا للمحرر يبلغ اضعاف ما يتقاضاه خمسة من بحاثنا في الذرة ؟! ٠٠ بل تدفع أيضا من سمعتنا بين الشعوب العربية والاسلامية ٠٠ كل هذا من أجل زوجة خائنة ، وعشيقة شاذة ، تدفع عشيقها للزنى معها ولو بالضرب ٠٠ ثم تزوجه غيرها ! لو كان الأمر بيدنا لادخلناك اصلاحية النساء ، ولفتشنا في تاريخ حياتك لنكتشف اى بيئة فاسدة انجبتك ٠٠ لنعمل على ازالتها ٠٠ » ٠

هكذا تصورت الاجابة الصحيحة ٠٠ وفتحت عيني لأعرف الحل ٠٠ وللأسف ! وجدت أنني ٠٠ صفر على عشرة !

المجلة الفاضلة ترد عليها :

« انها المشكلة الأليمة المعتادة (معتادة جدا في بلادنا !) قصة الحب (أهذا حب ؟ !) التي تطول سنوات وسنوات ، ولا تنتهى الى زواج لأنها احرقت نفسها ، وأعطت كل ثمارها ٠٠ ولم يعد هناك جديد ينتظره الرجل بالزواج » ٠

ثم نصيحة بأن تعطى المرأة للرجل بمقدار ٠٠ بالتقسيط !!

أهذه نصيحة مفكر اشتراكى ٠٠ أم نصيحه ؟!

استغفر الله العظيم !

وبكل همى وغمى ، وتحسرى على عقليتى « الرجعية » رحت أقلب الصفحات ، لأواريها فورا

.. خوفا أن تسالني زوجتي أو طفل عن معنى هذه « النكتة » ومدى مواكبتها لفكرنا الاشتراكي !

زوج وزوجة في الفراش .. (مع ان تصوير رجل وامرأة في فراش واحد ممنوع في معظم الأفـلام الأجنبية ..) ثم ثلاثة طوابير من أطفالهم يجلسون محملقين في اتجاه الفراش حيث ينام الأب والأم .. والأب يقول : « يا عيال ناموا بقى .. كل ليلة تسهروا للصبح بالشكل ده .. ليه ؟ »

من يرضى أن تكون القيم العائلية محل امتهان على هـذا النحو ؟ .. من يرضى أن يستدر ضـحكات وغرائز الجمهور ، بوضع الأطفال في نكتة جنسية مع الوالدين ! .. من يرضى أن يقال على لسان الأب .. ان اطفاله يسهرون حتى الصباح في طابور ليتسلوا برؤيته في الفراش مع أمهم !؟ ..

اشرحوا لنا هدفا اشتراكيا واحدا من امتهـان اقدس العلاقات على هذا النحو .. من حشد الأطفال صبيان وبنـات ! .. امـام فراش الوالدين ! .. اقنعونا بهدف واحد يتحقق من ذلك ، ونحن «نواكب فكركم الاشتراكي » ونغلق مجلتي الرسالة والثقافة بالضبة والمفتاح وعليهما مجلة ثالثة لو أحببتم ! .

« ولفكرهم » الاشتراكي الذي لا نواكبه ، ولع خاص بوضع الأبناء والوالدين في مواقف جنسية .. رضـيع يلعب الكورة بثدي أمه ! .. وبنت تضبط امها في حالة زنا مع عمها .. ولا يكتفون بالاشارة بل لا بد من التأوهات !

ولا بأس من نقلها .. ومعذرة يا قراءنا المحترمين والذين أنتم في غالبيتكم من اهل الريف ، كمـا تفيد تقارير روز اليوسف ! ..

معذرة فسننقل لكم من أدب اهل الحضر ! ..

« ونمت ! ولست أدري متى استيقظت .. ولكن الظلام كان سـائدا .. عندما فتحت عيني في النهاية .. وذلك الصوت يتردد في أذني .

صوت غريب ! كحشرجة تأتي من خلف البـاب المغلق .. وتأوهات مكتومة .. كما لو كان انسان يتعذب .. وأحسست بالرعب يتسلل الى قلبي .. وبجسدي كله يرتجف .. ولكن ذلك الصوت استمر يتسلل الى أذني من خلف الباب المغلق .. فنهضت اخيرا .. نهضت وأنا ارتعش لأفتح الباب في هدوء

.. وأتسلل الى الخارج أبحث عن مصدر تلك التأوهات .. واقتربت منها أنصت قليلا .. نعم ! .. كانت تلك الأصوات تأتي منها بين الحين والآخر .

وعندئذ بدأت أخاف أن يكون عمي روبرت مريضا يتـألم فمددت يدي أفتح البـاب .. وأنظر .. ورأيتها .. »

ثم تصف الابنة الصغيرة كيف رأت أمها :

رأيتها على السرير عارية ، ورأسهـا ملقى على الخلف ، وشعرها الاسود الطويل يخفي جـزءا من وجهها .

ومن فمها .. كانت تخرج تلك التأوهات ممزوجة بحشرجة غريبة .. وقبل أن أصرخ .. لمحت ذلك الشيء الأبيض فوقهـا (أي والله هـكذا بالحرف الواحد) .

توقفت في مكاني ارتجف وانا لا أدري ما الذي يحدث .. وفجأة رأيتها تصرخ وهي تهتف :

ـ يا حبيبي .. يا حبيبي ! ..

وتحرك ذلك الشيء الأبيض .. وعندئذ عرفته .. كان عمي روبرت ! ولكن وجهه كان غريبـا محتقنا ، وكان جسده كله يرتعش ويرتجف » .

ويذهب اليها عمها في غرفتها :

« وجاء واخبرني انه يحب أمي ، وانها أيضـا تحبه ، وطلب مني ألا أذكر شيئا لأبي عندما يعود » (روز اليوسف العدد ١٩٠٥) .

اننا كمجلة « سلفية » نؤمن بوجود مقدسـات لا يجوز العبث بها ولا السـخرية منها .. ولا ابتذالها ، ولن نقول ان الميثاق والدستور اعتبر الأسرة أساس المجتمع .. بل نقول انه حتى في أكثر الشعوب بدائية لا يسمح بامتهان الأمومة على هذا النحو .. بل لا نرى صـورة واحدة ولو في كهوف الانسان الحجري في اسبانيا .. (وهم خبراء في الشئون الاسبانية) يجتمع فيه الوالدان أمام الأطفال ! ..

ولكنهم « بفكرهم المفتوح » لا يعترفون بمقدسات .. حتى طبيب الأمراض النسائية .. ينظر بخبث للمريضة وهي تسأله « بقي لي خمس سنين متجوزة

وما خلفتش ، فيسألها ٠٠ ليه ؟! وخمس علامات استفهام !

واذا خطر لباحث بعد مائة سنة أن يعتمد على كاريكاتير مجلات ، روز اليوسف ، ليدرس أخلاق المجتمع المصرى فى هذه الفترة ٠٠ فانى أتخيله يكتب فى دراسته ٠

الرجال كانوا غالبا مستلقين على ظهورهم يتطلعون فى نذالة ، من تحت ثياب النساء الى أجزاء الجسم التى كانت تسمى عندهم ٠٠ **عورة** ٠

فالجريح مطروح على الأرض ، يتطلع الى داخل ثياب سيدة ويرفض أن يأتوا له بالاسعاف ٠٠ حتى لا يحرم من النظر ! ٠٠

ويلاحظ ان السيدات كانت تسر جدا من هذا الفعل ! ٠٠ ففى العدد ١٩١٩ من روز اليوسف ٠٠ سيدة تقف فوق بلاعة يطل منها راس رجل ، وثوب السيدة طائر بفعل الهواء ، حتى لتبدو فى الصورة ثيابها الداخلية جدا ٠٠ وهى ترفض التحرك من هذا الوضع الفاضح متعللة لصديقتها بانها غير قادرة على التحرك من شدة الهواء !

وسيقول الباحث : انهم رغم دخولهم مرحلة الانطلاق ، ورغم الانجازات الهائلة التى حققوها ٠٠ فان صناعة السينما عندهم استنادا لمجلات روز اليوسف ـ وبرغم القطاع العام ، كانت تقوم على شبه بغايا ٠٠ يعرضن أجسادهن على المخرجين والمنتجين ٠٠ والممثلة لا تملك ما تعرضه الا أردافها (روزا ١٩١٣) ٠٠ واكتشاف الممثلة عندهم يعنى ٠٠٠ (ويخجل الباحث بعد مائة سنة من ذكر المعنى الذى تكرره مجلات روز اليوسف ، مهينة به الفنانات معرضة بالفنانين ولا ندرى لماذا ؟) ٠

وقد لاحظت : (يقول الباحث) انه لا يكاد يخلو عدد من نكتة عن الأرداف ! ٠٠ وهم يحرصون فى رسمها على احاطتها بأقواس لتأكيد اهميتها ! ٠٠ ولم استطع أن أفهم المغزى الاشتراكى من التركيز على هذا الجزء من جسد المرأة !!

ويلاحظ ايضا أن جميع الخادمات على علاقة مع صبيان المكوجى ٠٠ وبلغ من اهتمامهم بمكافحة هذه الظاهرة انهم لم يتورعوا حتى عن السخرية بالصيام ٠

فالخادمة تقول : لا يا سيدى ٠٠ مقدرش أنزل عند المكوجى ٠٠ أنا صايمه ! » (صباح الخير ٤٧١) ٠

وكانوا يعيشون فى تحلل جنسى عجيب ٠٠ فالزوجة تهدد زوجها علنا ٠

ـ اذا كنت مش ح تقدر تشترى لى الفستان ٠٠ أنا أتصرف واشتريه ، ٠٠ وتنظر بمؤخرة عينها نظرة فاضحة لرجل يتابعها ٠٠ كتب عليه للشرح والتوضيح : عجوز وغنى ! ٠٠

وامرأة أخرى تقول بصريح العبارة انها تضع كل يوم خمسة جنيهات فى صندوق التوفير » ٠

وطلبة الجامعة يقبلون ، بعض ، على سلالم الجامعة ، والطالبات يدخن السجائر فى المدرجات ! ٠٠ ويخرجن فى رحلات بسيارات خاصة ، ويحاول الطلبة اغتصاب الطالبات ٠٠ الخ ٠

وكنموذج للغة التى كانت مجلاتهم تتعمد ترويجها لرفع المستوى اللغوى والخلقى وتدعيم الوحدة العربية أنقل هذا النموذج من قصة رجل يأكل المنخنقة ويزنى بحليلة جاره كل ليلة !

ـ أنا هفتح بطنك !

ـ يا دهوتى ٠٠

ـ أنا هشرب من دمك ٠

ـ يا مصيبتى يا ناس ٠

ـ هكسر نافوخك !

ـ الحقونى يا أهل الخير ٠

ـ مسيرك تقعى فى ايدى وأموتك ٠

ـ حرام عليك يا عبده والنبى مظلومه ٠

ـ هكسر عضامك ٠

ـ آه يانى ! ٠٠

أقر واعترف اننى عاجز عن مواكبة فكرهم هذا ٠٠ وأما مجلة الرسالة فأشرف لها أن تصمت فلا تنطق أبدا ٠٠ عن أن تردد هذا اللغو ٠

لكن « **الرسالة** » لن تسكت ٠٠ وفكرنا الاشتراكى سيزدهر ويثمر ٠٠ لأننا نعرف ان ثورتنا هى ثورة بناء ٠٠ ثورة اشتراكية عربية اسلامية ٠٠ ولا تبنى الامم على الانحلال ، والعبث بالمقدسات وامتهان كل شيء ٠٠ وامتهان الجنس فى حد ذاته أمر خطير ٠٠

ولا تبنى الأمم على الجد ٠٠ فقد كان رسول الله يمزح ولا يقول الا حقا ٠٠

« **محمد جلال كشك** »

درس من الهجرة

للشاعر: محمد عبد الغني حسن

ايها المتنقل المرتحل ! … في سبيل الله هذا المثل ؟
لا تضيق الأرض يوما بامرئ … قلبه في دينه مشتعل . . .
قل لمن قد رحلوا عن أرضهم … لستم اول قوم رحلوا . . .
لكم الأسوة عند « المصطفى » … ولكم فيه المثال الأمثل . . .
ابن عبد الله لم يصبر على … عنت الأهلين لما استرسلوا . .
ترك البيت وما فيه الى … منزل شدت اليه الرحل
ما مقام الحر في اوطانه … ان جفا الأهل ، وجف المنهل ؟
لو نبا المنزل يوما بامرئ … فله في كل صقع منزل
في رحاب الأرض ، في اكنافها … موطن متسع او موئل
ان في الأرض مكانا ثانيا … لو نبا عنك المكان الأول . . .
يا ابن عبد الله ، هاجرت على … موسم نيرانه تشتعل ..
وهج الصحراء فيه جذوة … ولهيب القيظ فيه شعل
ليس « تموز » هنا محتملا … كيف في بادية يحتمل ؟
أنت « والصديق » في الدرب الذى … لم تكن تفضى اليه السبل
لكما في القيظ يوم قاعد … وعلى الليل طريق موغل
وعيون القوم من خلفكما … زاغ منها لحظها والمقل
هي في اثركما باحثة … يتعناها السواد المقبل
علها تشفى الذى في صدرها … ومن الأحقاد ما قد يأكل . . .
او لعل (النوق) اغرت طامعا … بات في جعل قريش يأمل
لعل المال ... اذا ما اشتريت … ذمم منه ، وبيعت مثل ! !
لك في الغار على وحشته … انس في جوفه مكتمل . .
جاء فتيان قريش نحوه … وبأيديهم يموج الأسل ..
همهم لو ظفروا منك بما … يشتفي الحقد به والدخل
سألوا كل حصاة عنكما … والحصا — والله — منهم اعقل ! !
من يكن حارسه الله ، فما … لعدو فيه يوما مأمل
كنت في الغار على بينة … انك الآمن مهما فعلوا . . .
ثقة أن الذى ينصره … قاهر الطغيان لا ينخذل ...
فزع « الصديق » لما سمعت … اذنه في الغار صوتا يسأل
لم يروا بالقرب الا راعيا … سألوه ... وهو منهم اجهل ...
« وابو بكر » على صاحبه … مقبل خوفا ، فلا ينفتل ...
يلصق بالنفس من صاحبه … وهو بالله هنا منشغل ..
وقفة في الغار ما اروعها … صورة الدنيا بها تكتمل
التقى الانسان فيها خائفا … والتقى فيها النبي المرسل ...
أيها البادئ في هجرته … وحدة في الصف لا تنفصل !
شهدت « يثرب » مذ وافيتها … للتآخي موقفا لا يغفل ...
انت « آخيت » لمعنى حافل … فيه للأمة معنى احفل ..
لم تكن تقصد فيه حاضرا … قصدك الحاضر والمستقبل ...

حول الأدب



بقلم عبده بدوى

هجرة جديدة

لا يهمني الا وجهك أحدق فيه من وراء السنين ، فمنه ارتوى واقتات وآخذ زادى الى رحلة الحياة ، ولن يستطيع احد أن يلوى وجهي عنك ، او يشدني عن الحضور فى مجلسك ، أو يثقب عمرى ليتقاطر منه حبك ، أو يسد أذنى عن أن تسمع اسمك مقرونا باسم الله ـ والفجر يبعثر النور ، والظهيرة تلم العرق ، والعصر يتمايل بين النسمات ، والمغرب يبذر السكينة ، والعشاء تجعل السكينة يزداد ازدهارها وتضرب بمجاديفها السمراء ليصل الانسان الى مرفأ الراحة ، وواحة العبير ، وجزيرة الصمت !

واذا كانت معرفتنا بك فى الماضى قاصرة على رؤيتك كنافورة نور فى الصحراء ، فان مرور الأعوام قد علمنا أن هذه « المظلة » من النور قد أخذت تنبثق من كل قلب ، ولهذا لم نعجب ونحن نرى قوافل النور هذه تغطى على كل حضارات العالم القديم ، ثم تعدل من وضع الانسان فى الحياة حين تضعه بين المسئولية والحرية ، وحين ترفع عنه كافة الوصايات الأرضية ، وتجعله الملك المتوج على أسرة الوجود ، بحيث يصبح كل شىء مسخرا له وزهرة فى حديقته !

ولقد كان الانسان فى الماضى يحس أنه يعيش فى « غربة » وأنه معزول عن الحياة ، وأن الحزن لا بد أن يطرق فى كل يوم بابه ، ولكنك اقبلت فعدلت من وضعه فى العالم وحولته الى ما يشبه البذرة التى لا تلمس الأرض حتى تتململ ، ثم تتحرك ، ثم تموج بالخصب والاخضرار .. نعم فقد كرهت « العقم » فى كل شىء ووضعت كلمة جديدة فى حياة الانسان وهى « **الخصب** » فلا بد للانسان أن يكون نافعا ومثمرا ومتطورا فى عطائه ، ولقد أعطيت المثل من هؤلاء الذين كانوا جافين ومعزولين ومعروقين ، فاذا بهم ينفضون عن عباءاتهم الرمل والملل ، واذا بهم بعد سنين قليلة يخوضون فى المحيط الأطلسى ثم يعتذرون الى الله بأنه لا توجد أمامهم أرض يمكن أن تتحرك فوقها خيولهم ، ثم اذا هم بعد ذلك يخوضون البحار ،

ويســـورون حدودهم بالمآذن فى آســـيا وافريقية وأوربا ، ثم ينزلون عن أفراسهم فترة ليصبحوا بحق آباء العلم الحديث على حد تعبير جواهر لال نهرو .

وبالرغم من أن العقم قد حولهم فترة الى وجـوه جافة ومعزولة ومعروقة ـ لتحولهم عنك ـ الا انك الوحيد بين النبيين الذى تزداد رقعة نفوذه يومـــا بعد يوم ، فانت تبدو دائما وكأن فى يديك مصـير العالم ، وحتى فى أحلك الفترات كان يبدو نورك ثابتا فى مكان ما فى الأرض ، والذى ينقب فى التاريخ يدرك زيف الأسطورة التى تتردد بأن الحضـــارة الاسلامية اختفت فى فترة من الفترات ، وبالتحـديد فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ذلك أن الذى لا شك فيه ان هذه الحضارة لم تختف أبدا ، ويكفى فى محيط افريقية ان نذكر عشر دول اسلامية متحضرة فى اطار زمنها فيما وراء الصحراء الكبرى ، أمـــا فوق الصحراء فقد ازدهرت دول عديدة فى اطارات ثلاث تتمثل فى الآخذين بآراء السنة ، والشـــيعة والخوارج .

وهكذا لم يتوقف نور وجهـــك ـ **يا اســـتاذ البشرية** ـ عن الاندياح فى السهول ، والتعلق فى المرتفعات ، والانصهار فى الشـــمس الاستوائية ، والشفافية فى البلاد التى لا ترى الشمس الا قليلا !

ومن هنا نريد أن نؤكد أن يد الله كانت تحمى المصباح والرياح تعصف به ، وان شـــعلة هـــذا المصباح وان كانت قد ارتعدت فترة من الزمن الا أنها لم تنطفىء أبدا ، ذلك لأن بهـا عنصرا سماويا يتمرد على الفناء ، ولأن هذا العنصر يقوى يوما بعد يوم ، ويزيد رقعة النور من حواليه ساعة بعـــد ساعة !



وعلى كل فالذى اريد أن اصل اليه هو عدم تجزىء العالم الاسلامى حين الحديث عن دور الاسلام ، وهو اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية ـ بعد أن اثخنت من الأعداء ـ وبدورها الضخم الذى يمكن أن تؤديه فى هذا العصر ، وبالعمل على ازالة الى حياة الجماهـير التى تعتبر السند الحقيقى له ، ونظرة واحدة الى الاسلام على « خريطة » توضح أن حدوده تتحرك دائما لصالحه ، وان هذه الحدود لم يثبت أبدا انها توقفت تماما على مر التاريخ ، فهو قادر على أن يثبت ـ فى عصر الايديولوجيات ـ انه يستطيع أن يتفوق، وان يقول كلمته فى كل صغيرة وكبيرة فى الحياة ، بل ان من اليسير رد كافة الايديولوجيات التى تحكم الانسان واقتصاده فى عالم اليوم الى جزئيات فى كليات الاسلام الشاملة ، ونحن حين ندعو الى نزوله الى حياة الناس ـ كما هو الأصل فى جوهره ـ لانضعه فى امتحان لأنه فوق كل امتحان ، وانما نضـــع المتكلمين باسمه فى هذا الميدان ، صحيح ان هـؤلاء يتركون الاحداث حتى تهزهم ، فاذا هزتهم أخذوا يتحدثون فى عجلة عما عندهم ، ولكن هذا الحديث لعدم تتابع نمو حركة الفكر فيهم ، يجعل أحاديثهم شبيهة بما يقوله النائم ، أو المستيقظ من فوره من حلم .



ولعل هذا هو الذى يجعل الناس يحسون أنهـــم يعيشـــون فى قلق ، ويتوهمون أنهم يتحركون فى فراغ ، ومن الطبيعى ـ والحال هكذا ـ ان تســارع بعض الأعين بالنظر الى هنا أو هناك ، وقد تطول هجرة هـــذه الأعين لأنه لا يوجد عندها الحمـــاس والصبوة والجسارة التى تجعلها تنظر فى داخلها ، او التى يجعلها لا تستقر على شيء حولها ، لأن الكسل والملل والخوف تحـكم حركة الفـكر من زمن بعيـد ضارب فى التاريخ .

ولعل هـــذا هو الذى ربى عنـــدنا هذا « **الحول** » الذى يجعل العين لا تستقر حول النظريات الجاهزة التى تقدم من الشرق والغرب ، والذى جعل دورنا قاصرا على ان نلف كاللبلاب حول الاشجار التى تنمو هنا أو هناك ، ولكن الانسان الراسخ هـــو الذى يفضل دائما أن يهتدى فى المنجم على ماسته الكبيرة الحقيقية والعرق يغطى جبينه وذراعيه ونفسه ،ذلك لأن الوميض الذى يخطف العينين فى هـــذه الفترة يكون حقيقة من قلب الشعب ، وايمانه بنفسه ، فالمطلوب منا الآن هو « **المعاناة** » ، ومحاولة الاهتداء القائية الى نفوسنا ، والخوف دائما من أن يسرقنـــا احد لصالحه ، وفى ضوء هذا لا بد ان نتحمل فى شجاعة اعباء التنمية الفكرية ، ولتكن جيل القدر الذى يقع عليه عبء الاهتداء الى النفس اكثر من اى جيل آخر !

ولنأخذ من « الهجرة » نبراسا . فقد كان يمكن أن يعيش المؤمنون في ظلال العبودية ، وفي مواجهة الأعين الضيقة والأيدى المهددة ، والمجوفين من الداخل ، والممتلئين حقا بالغبار .. ولكنهم تجاوزوا القديم بضراوة ، وتركوا العواطف الساذجة التى تتعلق بطمأنينة زوجة ، وبسمة طفل ، وفرحة دار ، ومن ثم تراهم فى أول الأمر يرفعون الأقدام ويضعونها فى أمل حتى يصلوا الى الحبشة ، ثم يوسعون الدائرة بعد ذلك حتى يصلوا الى المدينة المنورة ، وهم فى كل خطوة يخطونها يحسون أنهم يمكن أن يؤخذوا من الخلف فيكونوا عرضة لمرمى سهم ، أو لغدر حربة ، أو لشق بسيف ، ولكنهم يحملون « يقينهم » ثم يواصلون الرحلة فى دائرة الحذر والخوف والنار من أجل أن يتنفسوا فى أرض جديدة ، وفى فكر جديد .

ولقد تم لهم ما أرادوا . ومعنى هذا أنهم تقيوا « الحصار » المفروض عليهم ، ولم ينتظروا عملية الانتصار البطىء التى كان يمكن أن تتم بعد عام أو عدة أعوام ، ولكنهم بمجرد احساسهم أنهم يمتلكون فكرا جديدا اعتقدوا أنهم لابد أن يتحركوا هم الآخرون ، ليكونوا فى مستوى حركة الفكر التى كانت تشتعل قبل ذلك نفوسهم ، ثم أصبحوا بعد ذلك يمتلكونها ، ويشدون عليها بالأيدى وبالأنفس !



والانسان العربى اليوم يجب أن يهاجر – فى الفكر – من الظروف التى تضغط عليه ، ونحن لا نطلب منه أن يهاجر الى الخارج لأنه فى الخارج بالفعل ، وانما نطلب جزءا صغيرا من نفسه لنعود به الى الداخل ، لأنه بهذا الجزء يستطيع أن يكتسب تلك المناعة التى تجعله ورقة خضراء على شجرة الحياة ، لا ورقة مجهدة قد ترتفع عن الشجرة ولكنها قد تسقط فجأة من أيدى الريح المتلاعبة الى الأرض .

ان شجرة الفكر العربية لا ترفض التطعيم ، بل ان أحدا لا ينكر أن الذبول الذى أصاب أوراقها فى فترات عديدة كان لأنها عزلت نفسها عن حركة العالم ، ولكننا كما نطالب بحرية الورق فى الحركة ، نطالب بتثبيت الجذور والعناية بها ، ووقف الفئوس التى تدور حولها ، والتى تهوى بالفعل على جانب منها .

لقد مرت علينا فترة سلمنا فيها قيادنا الى الغرب ، وفى هذه الفترة أنصتنا وتكلم المستشرقون .

ثم جاءت بعد ذلك فترة رددنا خلالها ما قاله هؤلاء المستشرقون ، ومما يمكن أن يعثر عليه ببساطة فيما كتبه طه حسين ، وأحمد أمين ، ومنصور فهمى ، وزكى مبارك ، ومحمد حسين هيكل ، ولطفى السيد ، وتوفيق الحكيم ، واسماعيل مظهر ، وسلامة موسى ، وفرح انطون ، والتى كانت تتمثل فى القول بأن العرب دخلاء على مصر وأنه يجب أن يغرس فى الأذهان أن الناس فى مصر والعراق وسوريا وشمال افريقية أوربيون سلالة وثقافة ، وأن صلة مصر بالغرب أوثق منها بالشرق ، وأنه لا يوجد اليوم شرق ، وأنه يجب الابتعاد تماما عن العرب ، والقول بتفضيل الأجناس بعضها على بعض ، والايمان برسالة الرجل الأبيض وحقه فى السيادة ، والدعوة الى العامية ، والكتابة بالحروف اللاتينية ، وبقاء الحرب بين الأديان ، ولبس القبعة .. الخ ولقد عدل هؤلاء ماعدا واحدا أو اثنين من مواقفهم ، حين ارتبطوا بتاريخ بلادهم ، وحين خفت عن عقلهم قبضة التسليم بكل ما هو غربى ، وأصبحوا يملكون حق مناقشة ما يحتكون به من أفكار .



والآن يجب على الذين يعيشون فى هذه الفترة أن يصفوا فكريا « الجيوب القديمة » الموجودة لصالح الغرب ، و « الجيوب الجديدة » الموجودة لصالح الشرق عن طريق المناقشات التى لا تمل ولا تنتهى ، وليس معنى هذا اقامة الحواجز بيننا وبين هذه الأفكار ، وانما معناه تقبل هذه الأفكار بألف ذراع ممدودة مع اعطاء الحق فى مناقشتها ، وعدم تقديمها كحقوق الهية ، وفى الوقت نفسه مواجهتها بما نملك من فكر ، وباعطاء أنفسنا حقا لا أقول يزيد عما يعطى للفكر الخارجى ، وانما أقول يساويه !

فنحن أبناء عصر جديد يؤمن بالانسان الذى يقف على تاريخه ، ويثق فى نفسه ، ويرفض أن يكون دوره دائما هو دور « السايس » الذى يعدو وراء الفرس !

والآن :

هل ترانا نطمع في كثير حين نطالب برفع الوصاية الفكرية الشاملة ، وحين نطالب بمعرفة أنفسنا وتاريخنا كما نعرف أنفس وتاريخ الآخرين .

***

ثم أخيرا .. حين نطالب بالمزيد من رؤية وجهك في حياتنا ، فانه لا يكفى أن نراك فى حلم ، أو نسمع اسمك من مئذنة ، فقد يكون هذا نصيب اليتيم من رؤية وجه أبيه وسماع صوته ، ونحن لا نريد أن نكون يتامى هذا العصر ، أو لقطاء هذا الجيل ، فنحن بدونك نفقد الكثير ويموت فينا الكثير !

لقد كرمك اجدادنا وآباؤنا حين كانوا يبداون بك « القول » ، ويختمون بك الحديث ، ويلقون باسمك في المنازعات فاذا الغضب يجف والطمأنينة تكسو وجه الانسان ، كما كانوا يلقونه في افراحهم فاذا بكل شيء يومض ويزهر ، ويبدو كان وجه الله يضيء في كل شيء حولهم .

وانا **معك — يا حبيب الانسان —** في ان بعض القلوب قد احترقت في الصدور واستحالت الى فحم اسود ، وأن الكثيرين يضلون عن مينائك ، ويغمضون أعينهم حتى لا يرون ظلمتهم تبدد بك ، ويقفون بعقمهم خشية ان تسقط بذرة منك فيهم فيخضروا ويثمروا .

ومع أن هؤلاء يكثرون يوما بعد يوم الا انا نرجو الا « تهاجر » من أنفسهم ، لأنهم حقلك الذى ينتظر البذر ، صحيح أن بعض البذور قد طارت اليهم ، وعششت فيهم ، ولكنك صاحب الأرض الحقيقية لأنك صديق حرية الانسان وصديق كرامته !

ان الحدود تتحرك في كل يوم لصالحك في كافة انحاء الدنيا ، ولكنا نرجو الا تنسى الارض القديمة بالأرض الجديدة ، والمآذن التى لا تزال تنبت بالمآذن التى انتقلت من الأعين الى القلوب ، فانت لم تأخذ من الانسان وانما أعطيته ، وانت الذى شددت منه القامة ، ووضعت في عينيه الوميض ، وكسوت أيامه بالخضرة ، وبكل هذه المعانى جعلته ينفض الرمل عن جبينه ، ويحرك بحيرات الصمت في نفسه ، يحتك بالكون في فهم وعمق ، فاذا بالأرض حصانه ، والشمس درعه ، والليل عباءته ، والسيف كلمته !

ولقد جعلته في الماضي يغير ميزان القوى ، ويرفع عن نفسه ضغط الانسان حينما يصبح هذا الانسان حاكما طاغية ، أو سفاحا دمويا ، أو ماكرا عنكبوتيا ، وبهذا سلمت لكل انسان تاجا وصولجانا ، ومن هنا أصبح الانسان لأول مرة في التاريخ سيد نفسه ، وسيد العالم !

***

ونحن اليوم لا نعلن حاجتنا اليك فقط ، ولكننا نؤكد أن العالم كله في حاجة اليك ، فالانسان **— على مستوى العالم —** يحدث الفرقة بين اخيه الانسان ، فهناك الانسان الأسود والأصفر والابيض ولكل من هؤلاء درجات ، وهناك الانسان الذى لايؤمن الا بالحلول الدموية والضغط على القدرات باصبع كبيرة .. ولكنك انت الذى يمكن أن تقيم السلام بين الانسان ونفسه وبين الانسان ومجتمعه ، وبين المجتمع والعالم ، فعالمك لا يعرف الملل والتمزق والتفسخ والترهل ، وعالمك لا يعرف الدماء والحيوانية وتدمير الانسان ، ومن هنا لا بد لك من هجرة جديدة ، لا الى الشرق فقط ، ولكن الى كل جزء من أجزاء العالم .. هجرة جديدة بالوجوه العربية وبالفكر الاسلامى !

فاهبط من جديد في الرجال ، وبارك حركتهم في الحياة ! وفي التقدم !

« **عبده بدوى** »



محمد

محرر العبيد

بقلم : محسن عبد الحي

تناضل الانسانية منذ الأزل ـ نضالا متواصلا من أجل تقدمها وحريتها ..

ولعل أهم اسباب نضالها كان وما زال يدور حول الحرية ـ شكلا ومضمونا ـ صحيح ان معنى الحرية قد تطور بتطور اوضاع الانسان الحضارية وذلك من خلال تراكم العديد من التجارب البشرية عبر الزمن. ولكن ظلت الحرية مهما كان شكلها ومضمونها هي المطلب الملح للانسان .. يعيش ويناضل من اجلها .

وعلى الرغم من تطور مفهوم السيد والعبد ـ سواء أكان هذا السيد فارسا محاربا أم اقطاعيا مالكا للارض وما عليها ـ أم راسماليا يتحكم في السلعة الوحيدة التي يملكها الانسان وهي قوته العضلية والذهنية . وسواء أكان العبد رقيق ارض أم اسير حرب أم عاملا مغلوبا على امره يناضل من اجل حريته المنقوصة . فان المشكلة القائمة منذ الأزل حتى الآن رغم اختلاف مقاييسها وتعدد تعريفاتها ـ هي استغلال الانسان لأخيه الانسان وتسخيره اياه في تحقيق رغباته في ظل نظم اجتماعية مختلفة وعبر آلاف السنين ـ في الوقت الذي تضفي فيه النظم الاجتماعية على هذه الاوضاع الصفة الشرعية أو ماكان يسميه الرومان بالقانون . أو ما نسميه نحن اليوم بالتعاون من أجل التقدم ـ أو كما أطلق عليه الاستعماريون في بداية القرن التاسع عشر رسالة الرجل الابيض وما هو قائم حاليا في امريكا تحت اسم الحقوق المدنية او في جنوب افريقيا تحت شعار السيادة للابيض والذلة والمسكنة للأسود ـ ذلك الانسان الاسود الذي وضعوه هناك في مصاف الكلاب .. !!

فالعبرة اذن ليست في المسميات اللغوية ـ ولكنها في مضمون العلاقة القائمة بين الناس .

ولقد كان وما زال الدين الاسلامي دينا تقدميا يدعو الى المساواة بين الناس ويامر بها ـ يقول الله تعالى ..

« ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين » .

وتقرع هذه الآية الاسماع بأن الله وحده هو الذي خلق السموات والارض ، وهو الذي جعل لكل امة لسانا ولكل بيئة لونا. فما كان لامة ان تبغي على امة لانها خير منها ولا لفرد ان يبغي على فرد لانه خير لونا منه . فانما السماء والارض من نعمة الله ومن فضل خلقته وان اختلاف الألسنة من عمله لحكمة. واختلاف الالوان لا ينفي المساواة لانه من صنع الله .

وقوله تعالى ..

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم . »

وان فى هذه الآية لاوضح دليل على أن السلام هو الرغبة الالهية وانمـــا الناس يقتتلون لانهم ظالمون طامعون كافرون بنعمة الله وآياته ـ فقد جاء الاسلام بالسلام واشتق منه اسمه ودعا اليه ٠٠ وجاء بالعدل والمساواة وامر بهما وعالج مشكلة الحياة ذاتها ووضع لها من التشريعات ما يكفل لها التقدم والاستمرار ٠



وكتاب اليوم ـ محمد محرر العبيد ـ يعالج هذا الموضوع الحساس ـ بصورة موضوعية جذابة ٠٠ اذ أن مؤلفه الاستاذ ـ محمد شوكت التونى ـ لم يقف عند حدود ـ شرح الآيات القرآنية التى تدعـو الى تحرير العبيد فقط ـ بل انه تجاوز ذلك ـ وعرض لنا حياة الرسول وصلتها بطبقة العبيد فى طفولته وصباه وشبابه قبل أن ينزل عليه الوحى ـ ويكلف باشرف رسالة حملها اشرف الخلق أجمعين ـ رسالة الاسلام والسلام والعدل والمحبة والمساواة ٠٠

وقـد بدأ المؤلف بعرض مبسط لتـــاريخ الرق ومنشئه ٠٠ وخاصـة عنـد اليونانيين الذين دعـا فلاسفتهـم الى الرأى القـــائل بان الرق ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية ـ وكما ذكر ارسطو فى كتابه السياسة « ان الملكية يجب أن تصان وان تكفل لها الحريات ـ وذكر ان الملكية من عناصرها التصرف والاستغلال ٠٠ وذكر الآلات المعـــدة للاســـتعمال فقسمها الى آلات حية وآلات جامدة وذكر من الآلات الحية الدواب والبهائم والعبيد ٠٠

وقامت المدنية والحضـــارة الرومانية على جهـود العبيد حتى فى الفنون فنـون الموســـيقى والرقص والمعمار والرسم ٠

وقد كان « فيدون » الذى الف مجموعة من كتب الفلسفة عبدا وظل كذلك حتى مات ودفنت معه ذلة عبوديته ٠٠ وان كانت آثاره الفلسفية قد خلدت من بعده أجيالا وأجيالا ٠

وتخلو الديانة المسيحية على ما فيهـــا من الاخوة والمحبة المتمثلة فى حياة السيد المسيح وتعاليمه من الافصاح عن الرق والعبودية٠ وليس فى أى الاناجيل عبارة صريحة عن مقت الرق والحض على فك الرقاب٠ وقد جاء فى نداء لبولس الرسول موجه الى العبيد « أن يطيعوا سادتهم فى خوف وخشية كمـا يطيعوا المسيح » ويقول القديس باربل « ويتحقق على العبد أن يطيع سادته بكل اخلاص وبطيبة قلب تمجيدا لله» ويقول القديس ازيدور البليبى ـ «ان العبد المسيحى يجب أن يظـل عبدا وانه اذا فتحت له الحرية عليه الا يقبلهـا فان خدمة العبد للسيد على الارض خدمة للسيد فى السماء ٠

وهكذا نرى أن ارسطو وافلاطون قد اعترفا بالرق وشرع له جستينيان ونظمته القـوانين واعترفت به المسيحية واقرته الموسوية وظل بعد محمد باكثر من الف عام مباحا لا يرتفع صوت بتحريمه ٠

وبعد أن يذكر الكتاب الآيات القرآنية التى تدعو الى عتق العبيد واعطائهم حريتهم الانسانية يشرح لنا بعض المواقف الانسانية ـ وما اكثرها ـ التى وقفها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ وكفاحه من أجل تحرير العبيد ٠٠ وخاصة قبل نزول الوحى فقد رأى محمد فى مكة بشاعات من ظلم الرقيق ـ وســـاءل نفسه كثيرا عن هذا الانسان المخلوق كبقية الناس وله نفس الاعضاء ، ويحس نفس الاحساس٠ ويدرك بنفس العقل ، ويتميز بالعمل والانتاج ٠ ومع ذلك فليس له أى حق من حقوق الحياة ٠٠ سوى الطعام والشراب بما هو أدنى من طعام الحيوان وشرابه ٠

بل لعل محمدا قد عجب من هـذا المجتمع الذى يضرب العبد الانسان ويعذبه ويقتله ويبيعه ويشتريه فى حين أنه المجتمع الذى يعبد جمادا أصم لا يحس ، ولا يعى ، ولا يتكلم ، ولا يعمل قائما فى مكانه لا يريم ولا يتحـرك ولا يفيد ولا يضر ٠ ومع ذلك فان هذا المجتمع يبـــذل له التقديس والتكبير ويسوق اليه الذبائح والنذور ويخشاه ويرتجف خوفا من غضبه ! وقد أثار هذا التناقض تفكير محمد الصبى والشاب ـ وأنتج هذا التفكير ســـخطا على الأصنام واحتقارا لشأنها ورحمة على العبيد واشفاقا على حالهم وسعيا ذهنيا لتوفير حيـاة خيرا من حياتهم ٠٠

وقد صور المؤلف اشعة الشروق الروحانى وهى تنبعث من طفولة محمد لتسرى فى رفق ويسر الى صباه ثم الى شبابه ثم الى اكتمال النبوة فى اكتمال رجولته ٠ وكان الله سبحانه وتعالى وهو يضع علمه وحكمته حيث يشاء يصنع بجليل صنعه وفائق قدرته هذا الوعاء الانسانى العظيم الخالد المتفرد بالسمو الانسانى لـكى يكون متماثلا ومتكاملا مع الرسالة العظمى التى اكمل بها دينه واتم نعمته للخلق ٠

ولذلك جاءت مشيئة الله بمحمد ــ وفي محمد ــ بكل جارحة وكل نقطة دم تتماثل مع دين الله · وتتكافأ مع ما أمر الله به وما نهى عنه · وتتفاعل مع الارادة الالهية فيما أراده من جمال وخير وحب وتعاون وصلاح واستقامة لعباده في كل زمان ومكان ·

كان النبي محمد الانسان المثال لكل ما أمر الله وما نهى عنه لم يخرج عن الاطار الجميل الذى رسمه مبدع الخليقة والكائنات قيد شعرة ·

فلم يقل انه من قريش تفاخرا ولا ابن عبد المطلب اعتزازا ، ثم لم يقل بعد ذلك أنه خير الخلق وأنه رسول الله ونبيه ومختاره ومصطفاه تعاليا وتعاظما · وانما ردد ما قاله الله عنه « انما أنا بشر مثلكم »

ودعا ربه أن يعيش مسكينا ويموت مسكينا ويحشر يوم القيامة في زمرة المساكين ·

ويشاء الله تعالى ــ جلت قدرته ــ ان أول ثدى يقدم لمحمد صلى الله عليه وسلم لكي يرضع منه ــ يكون ثدى ثويبة عبدة عمه أبي لهب · والمرضعة في الاسلام ــ أم تحرم حرمة الأم ولها حقوق الام · وشهد محمد من مظاهر الحب المتقد في قلب ثويبة صورا في هروبها من بيت سيدها وركوضها الى بيت آمنه لكي تبقى بجوار محمد الصبي الجميل كما رأى في قدوم سيدها وسيدتها في طلبها وما كان ينزل بها من عذاب جزاء سيئا على شغفها به ورغبتها في البقاء معه ·

وعندما رحل محمد صلى الله عليه وسلم مع حليمة السعدية لحقت به ثويبة لكي تكون بجانبه ــ وعندما امسك بها أبو لهب فزع محمد الطفل وسقط منها على الارض ثم انهال أبو لهب على ثويبة بالسوط فمزق ثوبها وجسدها ــ حينئذ ندت من عيني محمد دمعتان ــ هما أول دمعتين قطرتا من أكرم عينين ، رحمة بالانسانية ، وشعورا بآلام الغير ، وأسى على ظلم أوقعه ظالم ببرىء ضعيف ·

وعندما عاد الرسول الى مكه بعد بلوغه الخامسة ورأى ما فيه ثويبه من عذاب يكيله لها سيدها وزوجته القاسية ·· تعلق بثوب عمه أبي لهب وقال له « انقذها ياعمي من أجلي ·· انني أشتريها منك·· خذ دارى وخذ أغنامي وأعطني ثويبة ·· »

وشاركت بركة الرسول صلوات الله وسلامه عليه معظم مراحل حياته وشاركته في تحمل موقف انساني رائع ــ هو فقده لوالدته في قلب الصحراء عندما أخذت الحياة تتسرب من جسد آمنه وهى أكمل ما تكون عافيه وأقوى ماتكون شبابا ، وأنضر ماتكون وجها وجمالا · تاركة وراءها محمدا اليتيم ــ يخرج من يتم الى يتم ·· كأنما يتمرغ على بساط من يتم كلما انتهى امتدت أطرافه ·· والقى محمد بكيانه ووجدانه في أحضان « بركة » ، وأصبحت له الام والاخت والحامية والحاضنة ·

وانفرد محمد وبركه بعد موت عبد المطلب وجمعهما بيت لم يكن يضم عندئذ الا الذكريات المؤلمة وخيالات الاحياء المفارقين ··

وبعد زواجه صلوات الله وسلامه عليه من السيدة خديجة كان له عبد اسمه زيد بن حارثه من سبي الحرب ــ وكان محمد الانسان يدرك أن الرق ظلم . وان العبودية شناعة وفظاعة ومخالفة لنواميس الانسانية فآثر أن يحيط هؤلاء الأرقاء بما يملك من الحب والعطف والحنان وكريم المعاملة فأحبوه ·· حتى أن زيدا عندما التقى بوالده وهو سيد في قومه ــ وكان لقاءا مؤثرا ·· رق قلب محمد ·· الحنون الكريم ·· النبيل وسما بانسانيته الى أعلى ما تصل اليه الانسانية من انفعال وقال لزيد :

« ان شئت فأقم عندى ، وان شئت فانطلق مع أبيك »

ولكن زيدا آثر الرق ــ وهو الحر ابن الاحرار ــ لا حبا في الرق وهو أبغض الشنائع لدى كل نفس ولا رغبة في العبودية · ولكن حبا في محمد ، ورغبة في البقاء في ظله وجواره ·

وقصة بلال بن رباح معروفة لدينا جميعا ·· الا أن تكريم الرسول له وفرحه به عندما أعتقه أبو بكر من سيده كانت لا تقدر ــ وكان بلال كاتبا من كتاب الوحي ــ وكفاه شرفا أنه كان أول من يتلقى عن رسول الله كلام الله · فعن الله الى جبريل الى محمد الى بلال · وعندما دخل الرسول مكة منتصرا لم يجد من يكرمه بهذه المناسبة الا أسامة بن زيد ــ فيردفه وراءه على راحلته وقد دخل معه الكعبة ·

وعندما عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى أسامة بن زيد بامارة الجيش،هاج الانصار والمهاجرون واشراف العرب من المسلمين وقالوا « يؤمر غـلاما حدثا على جلة الانصار والمهاجرين » . فخطب فيهم صلوات الله وسلامه عليه وقال :

« أيها الناس أنفذوا بعث أسامه فلعمرى لئن قلتم فى امارته لقد قلتم فى امارة أبيه من قبله وانه لخليق للامارة وان كان أبوه خليقا لها . وبعد وفاة الرسول عهد أبو بكر الصديق الى أسامه بامرة الجيش .. ولما عاد مظفرا ولاه أبو بكر امرة المدينة حين خرج الى وقعة ذى القصة ـ وكان أسامة أسود اللون أفطس الأنف ولكن ذلك لم يغض من قـدره ولا منعـه أن يتولى أقرب مكان من الرسول وامرة الجيش وامرة المدينة ـ هذا عدى موقف الرسول الكريم من مارية القبطية ـ وسلمان الفـارسى . وغيرهم من الموالى والعبيد ..

هؤلاء هم العبيد فى حيـاة محمد صلى الله عليه وسلم . حاضنته منهم ومرضعته منهم وابنه المدعى منهم وابن ابنه منهم وزوجه القبطية منهم واحباؤه منهم ـ لقد عطف عليهم وقربهم اليه قبل أن يؤذن الله فى الكون بالعتق وتحرير الرقاب فما أن جاء امر الله بالمساواة والحرية والعتق حتى كان لرسول الله شأن اى شأن فلم يبـق واحدا من عبيده الا أعتقه واحتذى الصحابة برسول الله فاعتقوا عبيدهم وكان اغنيـاؤهم يشـترون العبيد ويعتقونهم وكان يقول للمؤمنين دائمـا « من كانت له جارية فأدبها وعلمها علما ثم اعتقها وتزوجها كان له أجران »

وقوله كذلك : « من أعتق رقبة استنقذ الله بكل عضو منها عضوا منه من النار »

***

وبعد : لقد أحب محمد ثويبة الامة حبه للانسانية ـ رغبة مبكرة منه قبـل نزول الوحى ـ فى ضرورة تخليص الارقاء من ظلم سادتهم وتخليصا لنفوسهم المعذبة . وعرض على عمه بيته وغنمه وكل ما يملك لكى يريحها ـ وكانت الدمعتان الطـاهرتان اللتان ذرفهما صلوات الله وسلامه عليه من أجـل ثويبة بمثابة الشعور الانسانى بآلام الغـير الذى يتجسد فى ظلم الانسان لأخيه الانسان تحت ظروف التملك بالقوة والقهر ـ وشارك أم أيمن الحياة القاسية بعد وفاة امه وأبيه .

ونطق باول صيحة فى التـاريخ ليـؤكد حرية الرقيق ـ عندما قال ـ لزيد بن حارثة « ان شئت انطلقت مع ابيك وان شئت بقيت معنا » فأعطى للعبد الانسان المتمثل فى زيد بن حارثة ـ حرية اتخـاذ القرار الذى يراه مناسبا له ولمستقبله ـ فى الوقت الذى كان يحجبه فيه حب الاب لابنه .

واذا كان « وليم يت » قد وقف فى مجلس العموم البريطانى فى عـام ١٨٤٤ يطـالب بتشريع يحرم الرقيق . فثارت عاصفة في وجهه من النواب كادت تخلعه من كرسى الرياسة لولا سـحبه لاقتراحه . فان محمدا النبى العربى كان يأمر عام ٧٠٠م . أى قبل ذلك بألف ومائة وخمسين عاما بأن تعتق جارية عرفت أن الله فى السماء وأن محمدا هو رسول الله.

واذا كنـا نحتفل فى هذه الايام بذكرى هجرته صلوات الله وسلامه عليه فى سبيل الحق واعـلاء كلمـة الله .. فاننـا يجب أن نأخذ من سيرته الانسانية ما يكفى عقولنا وأرواحنا ـ لا فى سيرته مع العبيد وتحريرهم فقط ـ وانما فى نضاله وجهاده المستمر من أجل نشر دعوته التى آمن بها وضحى من اجلها ..

يا رسول الله ..

لقد ناديت بالمسـاواة والاخاء والحرية فاهتدى بندائك قوم وما زال أقوام يدعون التقدم فى المدنية وفى العلم يستذلون البشرية بدعاوى ملفقة .

ولا زال العبيد هم الارقاء الى اليوم ..

ولكن بأسماء مختلفة واوصاف متباينة فباسمك ومن أجلك يا رائد الحرية العظيم ـ سـوف ينتصر الانسان .

« **تحسين عبد الحى** »

كتب جديدة

يقدمها : أحمد عبد الصمد دياب

● عظمة الرسول

تاليف : محمد عطية الابراشي

الناشر : دار القلم

يقع الكتاب فى أكثر من للثمانة صفحة من القطع الكبير ، وهو مقسم الى ثلاثة عشر فصلا ، تناول المؤلف فيها العرب قبل الاسلام ، ونشأة الرسول قبل الرسالة ، وموقف قريش من دعوته ، وهجرة الرسول الى المدينة ، وعظمته الاخلاقية ، وأثر الاسلام فى شتى المجالات السياسية والاجتماعية والنفسية ، ودعائم الاسلام الخمس ـ فى العبادات ، والايمان بالله ، ومكانة المرأة وحقوقها فى الاسلام وموقف الاسلام من تعدد الزوجات ، والطلاق وتعاليم المرأة

● احكام الاولاد فى الاسلام

تاليف : زكريا احمد البرى

الناشر : الدار القومية

هذا الكتاب الذى يقع فى مائة صفحة من القطع الكبير احد أعداد سلسلة التعريف بالاسلام التى تصدرها المكتبة العربية ، والمؤلف عالم فاضل واسع الأفق وهو مدرس بكلية الحقوق ، وقد قسم دراسته الى خمسة مباحث ·

المبحث الاول قواعد ثبوت النسب وأسبابه ، والمبحث الثانى فى أحكام الرضاع والمبحث الثالث فى أحكام الحضانة ، والمبحث الرابع فى أحكام النفقة ، والمبحث الخامس فى نظام الولاية على النفس وعلى المال ··

ومنهج الدراسة يعتمد أساسا على المذهب الحنفى فى بيان الاحكام الفقهية ، وان كانت هناك اشارات الى آراء المذاهب الاخرى كلما اقتضى الامر بيانها ، كما أن هذه الدراسة تهدف الى توضيح قيمة الاسلام فى وضع أسس حكيمة لبناء أسرة ثابتة راسخة ·

وقد تعرض المؤلف الى بعض ما يشغل الرأى العام ، كالتلقيح الصناعى والحضانة واللقطاء ، فابان عن موقف الاسلام الانسانى من هذه القضايا وغيرها مما يتصل بالاسرة ·

● الحكومة الخفية

تاليف : ديفيد وايز ـ توماس روس

ترجمة : جورج عزيز

الناشر : دار المعارف ـ بالقاهرة

هذا هو الكتاب الاول من سلسلة أشهر الكتب الجديدة فى العالم ، التى بدأت فى اصدارها دار المعارف ، والمؤلفان كاتبان امريكيان مشهوران ، وقدم لهذا الكتاب الذى بلغت صفحاته ٣٤٢ صفحة من القطع المتوسط ، الاستاذ محمد حسنين هيكل ·

والكتاب كما يذكر الاستاذ هيكل ، يكشف خبايا كثيرة ومعانى وراء هذه الخبايا وذلك فى مجال السياسة الامريكية

والكتاب يشير الى أن فى الولايات المتحدة حكومتين احداهما حكومة مرئية والاخرى خفية ، الاول يقرأ عنها المواطنون فى الصحف والاخرى تجمع المعلومات والاسرار ، وتدير أعمال التجسس ، وتضع خططا سرية وتنفذها فى جميع أنحاء العالم

● حرية الفكر فى الاسلام

تاليف : عبد المتعال الصعيدى

الناشر : دار الفكر العربى

يقع الكتاب فى ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف الاستاذ الصعيدى الاستاذ السابق بكلية الدراسات العربية عالم مجتهد واسع الافق ·

والكتاب مقسم الى ستة فصول : تناول المؤلف في الفصل الاول المقارنة بين الحرية الفكرية والحرية الدينية ، وتقسيم الحرية الفكرية الى ثلاث حريات ، الحرية العلمية والحرية السياسية والحرية الدينية ، كما تناول في الفصل الثاني الجزاء والحرية الفكرية، وفي الفصل الثالث الاسلام والحرية العلمية ، وفي الفصل الرابع الاسلام والحرية السياسية ، وفي الفصل الخامس الاسلام والحرية الدينية،وفي الفصل السادس عرض المؤلف لبعض رواد الفكر في الاسلام كعثمان بن عفان ، وخالد بن يزيد ، وعمر بن عبد العزيز ، والمأمون ، والجاحظ ، والمعري ونصير الدين الطوسي وابن رشد ، ويحيى بن أكثم

● **تاريخ الحضارة الاسلامية في المشرق**

تاليف : د ٠ محمد جمال الدين سرور

الناشر : دار الفكر العربي

يقع الكتاب في أكثر من ٣٦٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو يعرض تاريخ الحضارة الاسلامية في المشرق بين عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري

والكتاب مقسم الى سبعة ابواب :

الباب الأول : تطور النظام السياسي في الدولة الاسلامية في عصر نفوذ الاتراك

والباب الثاني : البويهيون وسياستهم في اقامة سلطانهم

والباب الثالث : ظهور الدولة المستقلة بالمشرق كدولة الحمدانيين بالموصل وحلب والطاهرية والصفارية في فارس ٠

والباب الرابع : النظم الادارية والمالية في هذه الدول ٠

والباب الخامس : الحالة الاقتصادية ، في الزراعة والصناعة والتجارة ٠

والباب السادس : الحالة الاجتماعية ، من حيث السكان وترف الخلفاء ٠

والباب السابع والأخير : النهضة الثقافية ،واهم مراكزها في العراق وفي الشام ومصر ، وهي تشمل الحركات الدينية والأدبية والعقلية وسياسة الفاطميين في تشجيع الشعراء والعلماء والكتاب

« بقية المنشور على ص ٧ »

وسبعين وسبعمائة سنة ، ثم دب دبيب الشقاق بين حكامهم وزعمائهم وقادتهم ، حتى صار بعضهم يتحالف مع عدوهم الرابض على حدودهم للوقيعة بالبعض الآخر ، واكتشفت الملكة ايزابيلا وزوجها فرديناند هذه الثغرة في صفوفهم ، فنفذا منها ، وطلبا النجدات من جميع بقاع اوروبا ، فجاءتهما النجدات تترى من اقاصيها وأدانيها ، ونجح هذا التكتل الاوروبي في طرد العرب من الاندلس ٠

وفي هذه الساعات الرهيبة لم يتحرك أي شعب او أمير في المشرق العربي لنجدة عرب الاندلس في المغرب ، لأن التفكك كان قائما بينهم ولأن الانانية أسدلت حجابا كثيفا على أواصر القومية العربية ، وجعلت كل شعب بمعزل عن أخيه ، لايعنيه مايصيبه في قليل او كثير ٠

ولو مضينا نتصفح تاريخ الامة العربية لراعتنا صور كثيرة من هذا التفكك ، الذي كان يغذيه باستمرار حكام حرصوا على ايثار منافعهم العاجلة على صيانة الكيان العربي ، وكان شعار كل منهم ان يقول : « لنفسي السلامة وعلى غيري العفاء » فكان اول الهالكين ٠

والآن وقد حاولنا ان نستمع الى وحي الهجرة ، واتجهت أبصارنا الى استجلاء أسباب القوة الروحية الضخمة التي لازمت الصدر الاول من هذه الأمة ، تلك القوة الروحية التي مكنتهم من التغلب على جميع العقبات ، ومن سحق جميع العراقيل التي اعترضت التوحيد العربي ، نرد البصر مرة اخرى الى حاضرنا والى المحيط الدولي الذي نعيش فيه ، لنرى بكل وضوح مؤلم ان اختيارنا أصبح مقصورا على أمرين لا ثالث لهما : اما ان نقف صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، وجبهة واحدة متحدة الاتجاه والهدف والعزم ، مستعيدين كل اسباب القوة الروحية التي استعان بها اسلافنا ، وآخذين بكل اسباب القوة المادية التي كشف عنها علم هذا العصر، واما ان نستسلم الى الفناء الشامل الذي لايبقي ولا يذر ٠

« د ٠ محمد عبد الله العربي »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى



● ذكرى الهجرى :

ما أحلى الحديث عن الهجرة ، وما أروع ذكراها العاطرة ، ففى كل عام يحتفل بها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ، لياخذوا منهـا العبرة وتصفو نفوسهم وتتطهر أرواحهم ، ويمضـون فى سبيل عقيدتهم التى من أجلهـا يعيشـون ولها يكافحون .

اننا حين نتذكر الهجرة انما نتذكر هذه العقيدة التى لا تضطرب ولا تتزعزع ، والرأى الذى لا يتغير ولا يتحول ، نتذكر تلك الشـجاعة التى تسلحت بالايمان والثقة بالله ، نتذكر هـذا النفر القليل من المؤمنين الذين اضطرهم الشرك أن يغـادروا مكة ، فاذا هم بعـد فترة وجيزة تدين لهم الارض ويصبحون سادة الدنيا .

حين تاتى الهجرة تعود الى النفس هذه الذكريات وتتصور هذه المأسـاة الأليمة التى لم تشـاهد الانسانية مثلها على تعاقب العصور ، مأساة الصراع العنيف بين الحق فى مضـائه وقوته ، والباطل فى تخبطه وجبرته ، ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم حين دعا كفار مكة الى هذا الدين ، امتـلأت قلوبهم حقدا عليه ، وكذبوه وهم يعلمون انه صـادق فى دعوته ، وناصـبوه العداء ، ووقفوا فى وجهـه يتلمسون كل وسـيلة ليثنوه عن غرضه ، ولـكنه صلوات الله وسلامه عليه يمضى فى طريقه ويعرض عنهم لا يبالى بوعدهم أو وعيدهم ، معلنا أنه لن يترك هذا الامر حتى يظهره الله أو يهلك دونه .

وحين يجد الـكفار فى محمد اصرارا على دعوته وحرصا على تبليغها ونشرها ، وتعبيهم الوسـائل والحيل ، يتشاورون بينهم فى أمره ويسـتقر رايهم على قتله .

وحين يصل الامر الى هذا الحد يأذن الله له بالهجرة اذ لابد من وطن جديد يصون العقيدة ، ويحوطهـا بالعزة والكرامة ويأخذ الرسول طريقه الى المدينة وهناك يجد فيهـا حالا تختلف ، وجد أهلا خيرا من أهل وجيرانا خيرا من جـيران ، وجد دعاة كثيرين يبثون عقيدته ويحملون نوره ،ويمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم ، وهـكذا غير محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الهجرة مجرى التاريخ « وبدل أرضا بأرض وأديانا بدين ولغات بلغة وعادات بعادات ، ورجسا بطهر ، وفسادا بصلاح ، وفوضى بنظـام ومحا دولا ، وأقام دولة » .

وتطيب الحياة للمسلمين فى المدينة وينعمون بالامن والاستقرار والحرية ، ويحولون العالم أجمع من ركود الى حركة وينقلون البشر من ظلمات الجهل الى نور العرفان .

● انتشار الاسلام :

وقد كانت الهجرة سببا فى امتداد الاسلام الى آفاق بعيدة ، وجعلت دعوته تخطو خطوات واسـعة نحو الانتشار والقوة وتعدت شبه الجزيرة العربية،

ودانت بها أمم كثيرة واصبح لها فى كل مكان أنصار وأعوان ، ذلك أن المسلمين بعدها لم يتوقفوا عن الفتوحات ، ويحكى لنا التاريخ على صفحاته كثيرا مما قام به هؤلاء القادة الابطال من البطولات الرائعة والجولات الموفقة ، وعرضت مجلة رابطة العالم الاسلامى صورا من تلك المعارك التى كانت خيرا وبركة على الاسلام، وقد تناولت هذه المجلة هذه الفتوحات التى تمت فى عهد يزيد بن معاوية ذلك أنه حين تولى الحكم اختار « سلم بن زياد » حاكما عاما للبلاد الشرقية ، واستقر سلم مدة فى البصرة وأرسل الحارث بن معاوية الحارثى أميرا على خراسان ويختار « يزيد بن زياد » ليكون حاكما على اقليم سجستان ·

وجرى العرف قبل أن يتولى « سلم » امارة هذه البلاد أن الجيش الاسلامى لا يبدأ حركاته التقدمية الا فى وقت الصيف ، حتى اذا جاء الشتاء وقف الزحف وعاد جميع أفراده الى المدن التى كانت مراكز قوة للمسلمين ، ويجد ملوك خراسان فى توقف حركة الجيش أثناء الشتاء فرصة لعقد اتفاقات وأحلاف يقاومون بها زحف المسلمين ، وما ان أتى « سلم » وتولى الامارة حتى واصل الزحف غير مبال بصيف أو شتاء ومضى فى حملاته برفقة القائد العظيم « المهلب بن أبى صفرة » ·

وتوجه المهلب بامر من سلم الى مدينة من مدن خوارزم حيث تجمع فيها ملوك خراسان وضرب عليها الحصار حتى اضطروا الى الاستسلام وطلبوا الامان لارواحهم مقابل جزية تقرب من عشرين مليونا من الدراهم ·

وفى الوقت الذى تم فيه النصر للمهلب نجد أن يزيد بن زياد أمير سجستان لم يوفق فى مهمته وغدر به أهل (كابل) واسروا أخاه عبيدة بن زياد وما أن وصل الخبر الى سلم حتى أصدر أمرا الى « طلحة الطلحات » أحد قواد المسلمين الذى كان يقيم فى كابل فى ذلك الوقت بأن يتوجه الى اقليم سجستان ، وتمكن طلحة من توطيد الاسلام فى ربوع هذا الاقليم وعادت الوية التوحيد الى ظهورها فى سمائه ·

ولم يقف انتشار الاسلام فى البلاد الشرقية عند هذا الحد، بل امتد الى بلاد كثيرة وتجاوز هذا النشاط شمال افريقيا على يد القائد العظيم « عقبة بن نافع » الذى اتخذ مدينة القيروان مقرا له · ويخرج عقبة على رأس الجيش حتى يصل الى مدينة « بجاية » وهناك تصدى له عدد كبير من الروم ولكنه انتصر عليهم ، واستمر فى مواصلة زحفه حتى وصل الى اقليم « الزاب » فى أرض الجزائر الجنوبية على حدود الصحراء الكبرى ، وقصد مدينة (اربة) ودارت حولها معارك كثيرة انتهت بانتصار عقبة وفرار حاكمها الرومى الى مدينة (تاهرت) التى تسمى الآن فى الجزائر باسم (تيارة) ·

لكن الامر لم يقف بعقبة عند هذا الحد بل ظل يواصل السير حتى وصل الى مدينة (طنجة) وعندها لم يجد اى مقاومة تذكر واستقبله بطريق الروم بالحفاوة والود ، وتتوق نفس عقبة الى الاندلس · ويتقدم الى منطقة السوس الاقصى جنوب مراكش فالتقى فى هذه المنطقة بقبائل البربر فعرض عليهم الاسلام بادىء الامر ودارت بينه وبينهم معارك طاحنة انتهت بانهزامهم على الرغم من قوتهم وصلابتهم وظل عقبة يتعقب فلولهم حتى وصل الى ساحل المحيط الاطلسى ·

هذه صور من البطولات الاسلامية التى امتلأ بها تاريخ الكفاح الاسلامى ، وهى على كثرتها تدل على ما كان يتحلى به المسلمون الاول من الايمان بالله والثقة بأنفسهم وما كانوا يؤمنون به من أنهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وما أحرى المسلمين الآن أن يترسموا خطا الاوائل وأن يقتدوا بهم ، فيحملوا مشعل الاسلام الى القارات التى حولهم ويعملوا على نشره بما لهم فى اجدادهم من أسوة فى الكفاح وسينصرهم الله ، ان الله على نصرهم لقدير ·

وتحدث عدد من المجلات عن هذه المناسبة الكريمة ، فمن ذلك أن نشرت مجلة «منبر الاسلام» مقالا عن المجتمع الاسلامى بعد الهجرة ، يخلص فيه كاتبه الى أن الأمة الاسلامية الآن فى حاجة ماسة الى أن يسود بينها التعاون ، لأن كتائب الشر من حولها تتحفز ، والعالم المادى الموتور يريد أن يقتص من المسلمين او يشل حركتهم ، ليفسح الطريق امام مذاهبه وافكاره ، وامام أطماعه وأحلامه ، ثم وضح ان آمال المسلمين عامة ، والعرب بنوع خاص هى أن يكونوا صفا واحدا وقلبا واحدا تحت قيادة واحدة، لأننا فى وضع لا يسمح لأحد ـ فردا كان أو دولة ـ ان يشذ عن الجماعة او يتنكب الطريق أو يؤثر مصلحته الشخصية « وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » ·

« محمد العوانى »

أسبوع الكتاب العربى

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والارشاد القومى

١٦٩٥



- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٥٧ هيئة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .

كفر الشيخ من أول مايو ١٩٦٥ إلى ٧ مايو ١٩٦٥ بمبنى الاستاد الرياضى



الثقافة أسبوعية
تصدر كل ثلاثاء

الرسالة أسبوعية
تصدر كل خميس

المجلة شهرية
تصدر يوم "٥"

الشعر شهرية
تصدر يوم "١٠"

القصة شهرية
تصدر يوم "١٥"

مجلات
الثقافة والإرشاد القومي

العدد ٩٤
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

حسام عبادي

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١١٣ ـ الخميس ١٢ محرم ١٣٨٥ هـ ـ ١٣ مايو ١٩٦٥ م ـ السنة الثانية والعشرون

أثر الأدب في نهضة العرب

بقلم: أحمد حسن الزيات

لا يمكن أن تكون ثورة الا اذا سبقتها نهضة • ولا يمكن ان تكون نهضة الا اذا بشرت بها دعوة • والدعوة اما بعثة نبي أو رسالة مصلح • وليس للنبيين من عدة الا ادب الوحي • ولا للمصلحين من اداة الا وحي الأدب • فالنهضة والثورة تتفقان في المصدر وتختلفان في المظهر : النهضة انتباهة ، والثورة انتفاضة • النهضة علاج يوقظ الوعي الغافي ويقوى الجسم الضعيف ، والثورة جراحة تستأصل الداء وتقي المريض النكسة • النهضة نهر فياض يتنفس بالحياة ويفيض بالخصب ويهيء البلاد للعمران ، والثورة سيل جارف يحطم الحواجز ويقتلع الصخور ويهيء الأرض للربيع• النهضة دعوة باللسان ما دام هناك عقل مستعد ، والثورة جهاد بالسيف متى تغلب على العقل هوى مستبد • والنهضة والثورة قوامهما كما قلت واحد هو الأدب• يكون للنهضة غذاء يحيي ونورا يهدى ، كما يكون للثورة وقودا يشعل ونارا تطهر • فاذا زالت العقبات واستقرت الامور وسكنت الثورة انفرد الأدب بالنهضة ينفحها بروحه حتى لا تفرى ، وينضحها بنداه حتى لا تجف • وضراوة النهضة وجفافها معناهما المادية • والمادية هي علة الشقاء للانسان الحديث أصيبت بها المدنية الأوربية حين وقعت الجفوة بينها وبين الدين ، وانقطعت الصلة بينها وبين القلب ، فتباعدت القربى ، وتشعبت الحاجات ، وتنافست الأطماع ، وتكاشفت الأحقاد ، واضطرب الناس في سبيل الكدح ، والهبتهم حوافز النهم ، حتى عجزوا بخلقتهم وطبيعتهم عن مسايرة الحضارة الخالية من الروح والضمير والحب ، فسعوا بالطائرات وعملوا بالآلات ونظروا بالتلسكوب وسمعوا بالميكروفون • وضاقت عليهم الأرض برحبها فضربوا في الآفاق واختصموا على بلاد المستضعفين وحكموا بينهم السلاح ، فكانت هذه المدنية المادية أشبه بسعير الآخرة ، تنضج الجلود ولا تزهق الأرواح ليستمر الاضطراب ويتجدد العذاب ويدوم للطبيعة الخداعة هذا الثوب البراق بفضل هذا الانسان الأحمق الذى يعمل ولا يعرف لماذا ؛ ويسرع ولا يدرى الى اين !

لا نستطيع اذن ان نفصل بين نهضتنا والأدب ، ولا بين حضارتنا والدين اتعاظا بالفشل المروع الذى نكبت به الحضارة الغربية ، وايمانا بان لنا نحن العرب رسالة روحية اصطفانا الله لأدائها جيلا بعد جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء والأرض ويدوم المدد بين الله والانسان •

سنظل مؤمنين مصدقين بما قال الله تعالى فينا « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وسنعتقد دائما ان روح العروبة هو الأدب . وحدها بعد شتات فى القرن السادس ، ثم احياها بعد ممات فى القرن العشرين .

وفى هذين القرنين سجل التاريخ للعرب نهضتين عظيمتين مهدت الأولى للاسلام وكانت فتحا لعالم جديد ، ومهدت الأخرى للسلام وستكون فاتحة لعالم افضل .

كانت النهضة الأولى موطنها الحجاز ومبعثها مكة . ذلك لان مكة كانت فى النصف الثانى من القرن السادس للميلاد محطا للقوافل التجارية الآتية من الجنوب تحمل البضائع من الهند واليمن فيبتاعها المكيون ويصرفونها فى أسواق الشام ومصر . وكانت طرق مكة الموصلة آمنة لحرمة البيت ومكانة قريش . فكان تجارهم يخرجون بقوافلهم الموقرة آمنين ، فينزلون الأسواق ويهبطون المدن ، فيستفيدون بسطة فى العلم وقوة فى الفهم وثروة فى المال وخبرة بالحياة .

وكانوا بحكم ايلافهم رحلة الشتاء الى اليمن ، ورحلة الصيف الى حوران ، اشد العرب اختلاطا بالحبشة فى الجنوب ، وبالفرس فى الشرق ، وبالروم فى الشمال . ثم كانوا على أثارة من العلم بالكتب المنزلة : باليهودية فى يثرب وما جاورها من ارض خيبر وتيماء ، وبالنصرانية فى الشام ونجران والحيرة .

ذلك الى أن مكة كانت فى الجاهلية كما هى فى الاسلام موضع البيت المحرم ومكان الحج المفروض فتفد اليها قبائل العرب من اقطار شبه الجزيرة يقضون المناسك ويتبادلون المنافع . وبفضل هذا الاجتماع الدينى العام كانت تقوم سوق عكاظ السنوية فى شهر ذى القعدة على مسافة قريبة من مكة ، فيجتمع فيها الحجيج وهم فى حمى الأشهر الحرم ، وهى الهدنة العامة المقدسة ، فيبيعون ويشترون . ثم تدعوهم طبيعة الاجتماع الى المقارضة بالقول والمفاوضة فى الرأى والمبادهة بالشعر والمباهاة بالفصاحة . وكان الشعراء من امثال النابغة والأعشى ، والخطباء من امثال عمرو ابن كلثوم وقيس بن زهير ، والكهان من امثال قس بن ساعدة وأمية بن أبى الصلت ، يقومون فى هذه السوق مقامات مشهودة للمدح والفخر والوعظ . تحرض بعض النفوس على الشر ، وتوجه بعض النفوس الى الخير ، وتسن للفتوة العربية خلال المجد ومناهج الحمد ، وتذيع فيما تذيع وحدة الخلق والعادة واللغة والغاية .

كان اثر عكاظ فى نهضة العرب أشبه بأثر الجمناز فى نهضة الاغريق . كان الاغريق يقيمون الجمناز للألعاب الرياضية فى مدينة أولمبيا كل أربع سنين كلما حجوا معبد (جوبتير) كبير الآلهة . وكانوا يحرمون القتال على أنفسهم مدة الحج واللعب على نحو ما كان يفعل العرب فى الأشهر الحرم . ثم اصبح هذا الملعب الرياضى ميدانا لرجال الفكر والشعر والخطابة والتمثيل كان له الأثر البالغ فى ازدهار الأدب الاغريقى على الجملة .

على أن عكاظا كان أثره فى نهضة العرب والأدب أقوى ومداه أبعد ، فقد كان الرواة ينصرفون منه الى أحيائهم وقراهم ، وعلى ألسنتهم ماحفظوا من شعر ، وماسمعوا من قصص ، وما اكتسبوا من علم ، وما شهدوا من وقائع ، فينشرونه بين الناس فى السوامر والأندية فيتفتح الوعى وتنشأ المعرفة .

وهكذا اجتمعت الأسباب الطبيعية لنهضة عرب الشمال قبل الاسلام من احتشادهم فى هذه الأسواق ، واجتماعهم لأداء الحج ، واختلاطهم باول الحضارات والديانات من الأمم المجاورة ، واحتفالهم لقرض الشعر وتاثرهم به ، وطموحهم الى المجد وسعيهم له ، حتى كان من ثمار تلك النهضة أولئك الأبطال الأعلام الذين قبلوا الاسلام وفهموه وفقهوه ونصروه ونشروه وقاموا على امره ، كابى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمرو وخالد وسعد • وليس ادل على نضج العقلية العربية فى ذلك الحين من هؤلاء • وكلهم من اقطاب الفكر والرأى والخطابة •

ولسلطان الأدب على النفوس فى هذه النهضة كانت معجزة الاسلام الوحيدة هى البلاغة ، وسلاحه القاطع هو التحدى • ثم كانت من معارك الدعوة النبوية العظمى معركة الشعر • نشبت بين حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحه من شعراء الاسلام ، وبين عبدالله بن الزبعرى وأبى سفيان وعمرو بن العاص من شعراء الشرك • فلما اصطدمت الدعوة بالعناد ، ووضع المشركون فى طريقها السيف ، أمر الرسول بالجهاد فكانت الثورة وكان الفتح وكان السلام • واستمر الأدب يؤازر الثورة كما آزر النهضة ، فكان يشجع القلوب بالشعر ، ويحمس الجنود بالقصص ، ويريض الأمور بالخطابة ، حتى ظهر الاسلام على الدين كله ، وتم نوره فى الشرق كله :

هذا اجمال القول فى النهضة العربية فى القرن السادس ، مهد لها الأدب ، ومهدت هى للاسلام ، وأتم الاسلام الألفة بين القلوب والوحدة بين القبائل ، ثم اشعل الثورة على الوثنية والارستقراطية والفساد حتى طهر الأرض وحرر الناس ومدن العالم •

أما نهضة العرب الأخرى فى القرن العشرين وأثر الأدب فيها فهى موضوع المقال التالى •

« أحمد حسن الزيات »

تصويب

وقع فى افتتاحية العدد الهجرى أخطاء مطبعية نصححها فيما يلى :

فى السطر السادس من الصفحة الثانية : القانى ، وصوابها القاقى

وفى السطر ١٧ من الصفحة الثالثة ونساء ، وصوابها ، وشاء

وفى السطر ١٢ من الصفحة الرابعة تنحدر ، وصوابها تتحدر



نحو أدب قومي في الجزائر

د. محمد عبد الهادي شعيرة

« في الجزائر معركة ناشبة بين الادباء الناطقين بالفرنسية وبين الادباء الناطقين باللغة العربية وهدف المعركة هو الوصول الى خلق ادب قومي، والى تحديد ماهية هذا الأدب، ويذهب الأدباء الناطقون بالفرنسية الى أن ادبهم أدب قومي يجب ان يعيش الى جانب الادب العربي الناطق بالعربية ، وقد اردت أن يطلع قراء الرسالة على اخبار هذه المعركة » .

في الجزائر اليوم ادباء من العرب كتبوا أدبهم باللغة الفرنسية ، والظاهرة نفسها تتكرر في أنحاء المغرب الاخرى ، في تونس وفي مراكش ، وتتكرر الظاهرة كذلك في المستعمرات الفرنسية في القارة الافريقية .

وقد اشتهر من هؤلاء الكتاب في الجزائر عدد كبير مثل : كاتب ياسين ، ومراد بربون ، ومالك بن نبي ، ومالك بن حداد ، ومولود فرعون ، وكثير غيرهم . وقد ترجمت كتب بعضهم من الفرنسية الى اللغة العربية في مصر وفي الجزائر .

وهم مواطنون كأصلح ما يكون المواطنون ، ومنهم من يشغل الآن في الجزائر مكانة رسمية كبيرة ، لأنهم جاهدوا بأقلامهم عندما دعا داعي الجهاد في أثناء حرب التحرير . ولا يوجد من يتهمهم في وطنيتهم العربية .

وحدث أن نشر بعض الكتاب مختارات من أدبهم الناطق باللغة الفرنسية ، وأثار هذا الحادث العادي معركة أدبية ، وتحول الى حدث أدبي عظيم . واهتمت مجلة الثورة الافريقية بأخبار هذه المعركة كما اهتم بها الراديو الجزائري ، ووصلت أبعاد هذه المعركة الى بعض المجلات الباريسية .

وتدور المعركة حول جنسية هذا الادب ، هل يكون ادبا عربيا ام يكون أدبا فرنسيا ؟ أم يكون أدبا مهجنا ؟ وتدور المعركة أيضا حول مصير هذا الادب ، هل هو أدب يجب أن يبقى بما يمكن ان يتوفر له من عناصر البقاء ؟ أم هو أدب لابد أن يزول بزوال الظروف التاريخية التي خلقته ؟

١ ـ يتمسك الادباء الناطقون بالفرنسية بأنهم عرب ، وبأن ادبهم عربي ، فيقول مالك بن حداد : « نحن نكتب بلغة فرنسية لابجنسية فرنسية » ، ويقول مراد بربون : ان اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصة للفرنسيين ، وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة ، بل ان اية لغة انما تكون ملكا لمن يسيطر عليها ويطوعها للخلق الادبي ويعبر بها عن حقيقة ذاته القومية .

والمقياس الحقيقي عندهم للجنسية الادبية هو التعبير عن الذات الحقيقية بصرف النظر عن اللغة التي يصاغ فيها التعبير ، وبصرف النظر عن جنسية الاديب المسجلة في جواز السفر . واذن يكون كل من يعبر عن الذات المغربية مغربيا سواء أكان عربيا أم فرنسيا .

هذا هو المقياس الحقيقي في نظر مراد بربون . وهو في نظره المقياس العادل وينطبق هذا المقياس على بعض الكتاب الفرنسيين الذين عبروا عن الروح المغربية . فقد استطاع بعض الفرنسيين أن يعبروا عن الذات الجزائرية في اخلاص وفي كمال فني ، ومنهم من بلغت به الشجاعة أن يخرج على صفوف قومه وأن ينتمي الى الجزائر ضد قومه . مثال ذلك كاتب فرنسي هو «جول روا» في كتابه «حرب الجزائر» فانه كان من الفرنسيين الذين اعتبروا أنفسهم من أبناء الجزائر ، وتعرف هذه الطائفة في الاصطلاح الفرنسي الجاري باسم « الاقدام السوداء » ، وهذه الطائفة في معظمها طائفة فاشية تعتبر الجزائر جزائرية في صورتها الفرنسية ، غير أن منهم جماعة وقفوا في صف الجزائريين ضد بني جنسهم واثبتوا بذلك شجاعة أدبية جليلة وبرهنوا على أمانتهم ونبلهم ، ومنهم قائد من هيئة القواد هو جول روا

والأمثلة كثيرة ، ومن هذه الأمثلة جان بيلليجرى ، وكتابه «المهبول» هو فى نظر بربون من الكتب الجزائرية التى لا بد أن تحتل مركز الصـــدارة فى الأدب الجزائرى . وهــــؤلاء الكتــاب ينتمون فى رأى بربون الى الارض المغربية ، ويرفعـــون لواءها ويتغذون من وحى ذاتها ، فهل يكون من حق أى أحد أن يوصد فى وجوههم باب الانتماء الى المغرب ؟

وحجة أخرى هى أن مقيـــاس التعبير عن الذات المغربية هو المقياس العملى المنطبق على منطق الحياة فى واقعهـــا اليومى ، وفى تصرفات الدولة ، فان الدولة الجزائرية منحت فى عيدها العـــاشر جائزة الادب الى فرانز فانون صاحب كتاب « المعذبون فى الارض » مع أنه غير مغربى ، ولـــكن الدولة قدرت تعبيره عن الذات الجزائرية ، واطلقت اسمه على أحد شوارع العاصمة . واستحسن الناس هذا الصنيع .

ونفس هذا المقياس هو الذى جعل جبهة التحرير الجزائرية تشيد بدور الادباء الجزائريين النـــاطقين بالفرنسية فى نشرة من نشراتهـــا تحت عنـــوان « **كل الجزائريين** » .

بل عبرت الهيئات القومية العربية عن نفســـها باللغة الفرنسية فى المجال السياسى ، فكانت مجلة « **نجمة افريقيا الشمالية** » تعبر عن حزب الشعب الجزائرى ، وكانت مجلة « **الجزائر الفتاة** » تعبر عن لسان جمعية العلماء ، ولنترك المجـــال للـــكاتب الجزائرى بربون يقول :

فى ضوء هذا الواقع وحده نســـتطيع أن نكتب تاريخ الادب الجزائرى ، ونستطيع أن نقول «ان فرعا جديدا نبت فى شجرة الادب الجزائرى على يد ادباء مثل الديب ، وحداد ، وقريا ، ومامرى ، وانه فرع ذو حيوية ، شرعى الوجود ، وليس ابن سفاح . وهو ليس صورة لجيل ينطوى وتنســـاه ، وهـــو ليس صورة لجيل يقوم بمرحلة انتقال ، وانما هو صورة لجيل ذى أصول ثابتة فى الارض ، ومن الطبيعى مع ذلك ان يعود التعريب الى هذا الشـــعب وأن تحيا اللغة التى أريد حرمان الشعب منها ، وأن يعاد نسج الحبل السرى ، بضم السين المشددة ، الذى يصل بينه وبين الثقـــافة العربية . والواقع أن العودة الى التراث القديم المفترى عليه عـــودة ضرورية ، ولكن هـــذه المهمة لا يمكن أن يكون من أهدافها اقتلاع الجذور الثابتة للغة الفرنســـية .

... ومنطق الحياة يفسح المجـــال أمام الازدواج . والتعريب نفسه هو الذى سوف يحل عقدة قبـــول اللغة الفرنسية بعـــد أن تتطهر من الاثم الازلى الذى اقترن بظهورها فى عهد الاستعمار ، والتعريب نفسه هو الذى سوف يكسر الاســـوار التى يراد احاطة اللغة الفرنسية بها ، وسوف يكون المغرب مجـــالا لتعاون خصب بين هاتين اللغتين الثقافيتين العظيمتين ، الفرنسية والعربية » .

ولكن الادباء العرب (أو المغاربة كما يســـمون أنفسهم) الناطقون بالفرنسية يعيشون فى يوم كيوم الحشر ، وكتبهم بين ايديهم يباهون بها ، ويسمعون فى نفس الوقت أقسى الاتهـــامات ، فيقـــال لهم : « يا أصحاب الالهام الباريسى » ويقال لهم « يا أيها الذين ينتمون الى « ولاية سان جرمان دى برية » » ، والاشارة الى حى فى باريس واقع بين السربون وبين مدرسة اللغات الشرقية ، وهو حى يجتمع فيه هواة الادب والادباء . ويرد الادباء الناطقون بالفرنسية على خصومهم ردودا بذيئة أحيانا ، تهكمية أحيـــانا أخرى . ويتندرون بالادباء العرب الناطقين باللغـــة العربية ، ويتندرون بحرصهم على الارتباط التقليدى « بالمملكة العربية السعودية » .

ويشبه الادباء الناطقون بالفرنسية ادبهم بالادب العربى الاندلسى بالنسبة لتاريخ اسبانيا ، ويقولون انه لا بأس من قيام « **اندلس اخرى** » فى القـــرن العشرين ، ولا بأس من أن ينتمى الى « **اندلس القرن العشرين** » العرب وغير العرب ماداموا يعبرون عن الذات القومية . اما أدباء العرب الناطقون باللغـــة العربية فانهم فى نظر خصومهم أهل تعصب للجنسية العربية لايكتفون بأن يكون الاديب قادرا على الخلق الادبى المبتكر ، وعلى التعبير عن الذات القومية بل يشترطون أن يكون الاديب ناطقا باللغة العربيـــة ، عربيـــا بربريا ثابتـــا فى منبت الوطن حاملا لجواز سفر عربى ، بل ينقص أن يشترطوا أيضا كمـــا يقـــول بربون انه « لابد أن يكون الاديب العربى أقلف » .

وتدل مثل هـــذه التعبيرات على أن وراء المعركة دوامات كثيرة حادة . وسلاح الناطقين بالفرنسية هو أن الادب القومى الصميم هو الذى يعبر تعبيرا كاملا عن صميم الذات القومية بصرف النظر عن اللغـــة . وتسمى هذه المعركة معركة الادب القومى .

اما الادباء الناطقون باللغة العربية فان لهم منطقا آخر .

« **د . محمد عبد الهادى شعيرة** »

مصر في موكب العروبة

للدكتور أحمد الحوفي

- ١ -

في ميدان اللغة والثقافة

لقد استعربت مصر بعد الفتح استعرابا واسعا عميقا سريعا ، فكان لها في مجال القومية العربية شأن عظيم ، وهي اليوم ترفع لواء العروبة خفاقا ، وتتقدم به الركب جدارة واستحقاقا ، وتفتديه بالدماء والارواح .

وسأعرض في ايجاز بعض جهود مصر في حماية العروبة واعزازها، لا على أنها نوع من المن أو المباهاة او التهوين من جهود الأقاليم العربية الاخرى ، بل على أنها تدليل على بطلان ما زعمه أعداء العروبة من أن مصر ليس لها في خدمة العروبة سبق .

١ ـ فقد كانت مصر معقل اللغة العربية وآدابها في نكبات أربع :

الأولى حينما هب التتار من اواسط آسيا هبوب الجراد ، فقوضوا العرش العباسي ببغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨ م) وأحرقوا دورها ، وخربوا عمرانها ، واغرقوا كتبها .

والثانية حين سقطت آخر امارة عربية بالأندلس في أيدي الفرنج سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) ، وخيروا العرب الباقين بين التنصر والرحيل ، ثم تجلى حقدهم الغاشم في التعفية على حضارة العرب وتدمير آثارهم . وفي هاتين النكبتين رزئت اللغة العربية وآدابها وعلومها باحراق المؤلفات ، وتعطيل المدارس ، وتشريد العلماء والأدباء .

فالى أين التجهوا ؟ وبمن اعتصموا ؟

لم يتجهوا الى التتار ، لأنهم جموع من الوثنيين الجهال ، ولم يستظلوا بالفرنجة لأنهم أعداء وطلاب ثار ، ولم يلجأوا الى الفرس ، لأنهم في قبضة التتار ، ولم يقصدوا جزيرة العرب ، لانها كانت حينئذ في سبات .

فلم يبق الا مصر والشام ، فتوافدوا عليهما ، حيث وجدوا من المماليك الذين حكموا من ١٢٥٠ الى ١٥١٧ م ـ ملاذهم الأمين ، ومثواهم الكريم ، ووجدوا البيئة المواتية للانتاج، فعكفوا على التدريس والتاليف ، وأثروا اللغة والادب والثقافة بكثير من نفائس المؤلفات .

ولولا هذه الرعاية لفقدت العربية كثيرا من ذخائرها التي تعتز بها الى اليوم .

والثالثة حين ابتلى الوطن العربي بالغزو التركي في أول القرن السادس عشر ، وتبينت مخاطر هذا الغزو المشئوم منذ هجم السلطان سليم الاول على مصر سنة ١٥١٧ م ، وقضى بالقاهرة نحو ثمانية أشهر ، يخرب مساجدها وآثارها ، لينتزع منها كنوزها الفنية ونفائسها الخالدة ، ويبعث بها الى القسطنطينية .

ولم يكتف بذلك ، بل اعتدى على دور العلم ، فاستولى على أوقافها ، وجعل يجمع البارعين من العلماء والصناع ، ويرسلهم الى القسطنطينية في سفن حاشدة .

ثم لم يقنع بهذا كله ، فأمر بنقل الكتب التي في المساجد والمدارس والقصور الى عاصمة بلاده . وهذا هو السبب في أن كثيرا من نفائس المخطوطات ونوادرها ما زالت هنالك الى اليوم .

ولقد تمت المؤامرة على اللغة العربية بأن فرض العثمانيون لغتهم على أنها الرسمية في مصر وغيرها، وجعلوها لغة التعليم ، ولغة الاتصال بالحكام، ولغة التقاضي في المحاكم .

وكان الاتراك في الوقت نفسه يتعالون على العرب، ويحتقرون لغتهم ، ويقربون اليهم من تعلموا في تركيا او يستطيعون التفاهم معهم بلغتهم . والذي حدث في مصر حدث نظيره في العراق والشام والحجاز وشمال افريقية ، فنشأ عن هذا كله ضعف

اللغة العربية وتوقفها عن التطور ، وتقهقر الأدب والثقافة ، وتسرب كثير من الكلمات التركية الى العامية العربية ، بل ان بعض المؤلفين كابن اياس لم تسلم لغتهم التاليفية من أدران التركية والعامية، ولذلك كان العصر العثماني عصر ظلام طويل لم يخيم على العالم العربي مثله ، وعصر حكم استبدادي جائر عانى العرب كثيرا من ويلاته .

وانه ليستوقف النظر طويلا ، ويقتضي الاعجاب كثيرا أن اللغة العربية عاشت في كفالة مصر هذه القرون الاربعة تقاوم في عنف وثبات ، يحميها الأزهر ويرعاها أبناء مصر من شعراء وكتاب ومؤلفين ، حتى انجلت المحنة ، فخرجت الفصحى سليمة لم يمس جوهرها سوء أو تصدع، ثم استأنفت المسير لتعوض تخلفها عن الركب المسرع .

أما الرابعة فانها قريبة العهد ، اذ كادت المأساة تتكرر حينما احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣١ واحتلت تونس سنة ١٨٨١ ، واحتلت انجلترا مصر سنة ١٨٨٢ ، واستولت ايطاليا على طرابلس سنة ١٩١١ ، ثم تقاسمت انجلترا وفرنسا الغنيمة بعد الحرب العالمية الأولى فاستولت فرنسا على سورية ولبنان ، واختصت انجلترا بالعراق وفلسطين وشرقي الأردن .

وحاول هؤلاء المستعمرون ان يوطدوا حكمهم ، فبذلوا جهودا كثيرة متنوعة لنشر لغاتهم ، على أمل أن تحل محل اللغة العربية ، فيتقوض حصن من حصون العروبة ، ويسهل اندماج اهليها بالمستعمرين .

جاء في توجيه فرنسي صدر في أوائل أيام احتلال فرنسا للجزائر : « ان الجزائر لن تصبح فرنسية حقيقة الا عندما تصير لغتنا هناك قومية ، والعمل الجبار الذي يجب علينا انجازه هو السعي لنشر لغتنا الفرنسية الى أن تقوم مقام اللغة العربية التي يتكلمون بها الآن » .

وجاء في تقرير رسمي سنة ١٨٤٩ « لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة ، وأهم الأمور التي يجب أن نعتني بها قبل كل شيء هو السعي لجعل اللغة الفرنسية عامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم الينا ، واقتدائهم بنا ، وادماجهم فينا وجعلهم فرنسيين » .

ولهذا انتهجت فرنسا كل الوسائل لفرنسة الشعب العربي في تونس وفي الجزائر وفي مراكش فجعلت التعليم بالفرنسية وحدها في الجزائر ، ولم تكن اللغة العربية تعلم الا في المدارس العربية ، على حين انها بذلت جهودها لتعليم اللغة البربرية في كل المناطق ، وجعلها لغة أدبية . وجعلت التعليم بالفرنسية في تونس ، على أن تكون العربية اختيارية يتعلمها من يشاء في غير أوقات الدراسة المقررة ، ولم توافق على ادخال اللغة العربية في الدروس الاجبارية الا في أواخر العقد الرابع من القرن العشرين . وطبقت في مراكش سياستها في الجزائر وتونس .

وكذلك فعلت انجلترا في مصر ، اذ فرضت اللغة الانجليزية لغة التعليم في المدارس منذ المرحلة الأولى ، ماعدا دروس اللغة العربية ، حتى بدا التعريب سنة ١٩٠٨ .

وكانت سياسة انجلترا قائمة على اضطهاد اللغة العربية وأساتذتها والقائمين على شئونها والمنتسبين اليها .

وحسبي أن أشير الى فقرة تضمنها تقرير سري من تقارير دنلوب الذي كان مستشارا لوزارة المعارف من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١٩ ، وكان يقدمها الى المعتمد البريطاني ، وقد اطلع على نسخة من هذا التقرير مصادفة أستاذنا الدكتور مهدي علام ، فهالته فقرة منه ، فحفظ نصها الانجليزي حفظا ، وما زال يرددها ولعله يترجمها وينشرها بالرسالة الغراء ، ليتبين القراء ما كان يبيته المستعمر لقوميتهم وللغتهم وأدبهم من كيد مدمر . أما مضمون الفقرة التي أعنيها فهو أن الانجليز لا بقاء لهم في مصر ما دامت اللغة العربية الفصحى حية ، ولا سبيل الى القضاء عليها الا بالقضاء على الأزهر ودار العلوم .

ثم يقول التقرير ان أبناء دار العلوم يمثلون الثقافة القديمة والحديثة ، ويقومون بالتدريس في المدارس ، ويستميلون الشعب ، وهم لهذا أشد خطرا على الحكم البريطاني ، فلنبدأ بهدم دار العلوم ثم نعقبها بالأزهر .

وليس أدل على أن الاستعمار كان يريد محو اللغة العربية من خططه التي رسمها ونفذها في ميادين التعليم ، ومن زعمه أن الفصحى عاجزة عن مسايرة الحضارة ومواكبة العلوم ، ومن دعواه أنها السبب في تخلف اهلها ، فيجب أن تندثر كما اندثرت السريانية واللاتينية والاغريقية .

ففي سنة ١٨٩٣ زعم (ويليام ولكوكس) في خطبة القاها بنادي الازبكية أن المصريين عاجزون عن الاختراع ، لأن اللغة العربية الفصحى تعوقهم عنه ،

ونصحهم باصطناع العامية أداة للتعبير الأدبي . واستشهد بالانجليز قائلا انهم استفادوا فائدة كبيرة منذ هجروا اللاتينية التي كانت لغة الأدب والعلم فترة من الزمن .

وفي سنة ١٩٠١ ألف مستر (ويلمور) أحد القضاة في مصر كتابا ، أشار فيه على المصريين بهجر اللغة الفصحى والاعتماد على العامية في أدبهم .

ثم اراد المستعمرون أن يزيدوا الخناق ضيقا ، وأن يلبسوا دعواهم كساء خداعا ، فظهرت في مصر دعوة الى الفرعونية ، وراء ستار من تمجيد الماضي واحياء آثاره وبعث أدبه ، ودعا أصحاب هذا الزعم الى هجر اللغة العربية الفصحى ، والاعتماد على العامية في الأدب والتأليف والتعليم والصحافة والدواوين الحكومية .

وفي الوقت نفسه روج الفرنسيون للفينيقية في لبنان ، زاعمين أن سكانه من أصل فينيقي لا من أرومة عربية ، وأن القومية العربية فكرة اسلامية ، غايتها أن يتسلط المسلمون على المسيحيين . وانه ليثير الأسى والعجب معا أن بعض العرب انخدعوا ، فاستجابوا لهذه الدعوة الهادمة وروجوا لها .

٢ ــ واذا كانت مصر قد حمت اللغة الفصحى من النكبات الثلاث ، فانها قد احتضنتها في الرابعة ، لأنها لم تستسلم ، بل كانت في سطوة الاحتلال البريطاني تعلم اللغة العربية وتدرس العلوم بها في الأزهر وفي المدارس الأهلية التي أنشأتها الجماعات والهيئات ، وحاولت أن يكون التعليم كله بالعربية في سنة ١٨٩٣ فعوق الاحتلال محاولتها ، ولكنها استطاعت أن تقهره منذ سنة ١٩٠٨ ، فصارت لغة التعليم هي العربية في المدارس كلها .

وكان أدباء مصر وعلماؤها وصحافتها ومصلحوها لا يفتأون يجهرون بالدعوة الى الفصحى ، ويبصرون العرب بالخطر الداهم الرابض لهم وراء دعاوى المستعمرين وأكاذيبهم .

ومن الانصاف أن أنوه في هذا المقام بأن **شوقي** أيأس الترك من محاولتهم الاستعاضة عن اللغة العربية باللغة التركية ، ونصح لهم أن يبادروا فيتعلموا العربية ، لتكون لغة ثانية لهم ، فقال سنة ١٠٩١ .

شمل اللغات لدى الأقوام ملتئم
والضاد فينا بشمل غير ملتئم
فقربوا بيننا فيها وبينكم
فانها أوثق الأسباب والذمم

وقال :

ان الذي ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره في الضاد

كذلك دافع **حافظ ابراهيم** عن الفصحى سنة ١٩٠٣ ، فنقد دعاوى الاحتلال ، ودلل على ثراء الفصحى وحيويتها ، وسخر من العامية وضيقها ، كقوله على لسان الفصحى :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات ؟
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟
أيهجرني قومي عفا الله عنهم
الى لغة لم تتصل برواة ؟
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى
لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الألوان مختلفات

ولم يكن شوقي وحافظ وحدهما في الميدان ، بل كان في مصر كثير من الذادة عن الفصحى مثل **الرافعي والجارم وعبد المطلب ومحمد المويلحي وعلى يوسف ومحمد عبده ومصطفى كامل وأحمد السكندري وحفني ناصف** على أن جهود مصر متصلة متلاحقة في مجالات شتى ، كمؤلفات أبنائها ، وترحيبها بالوافدين اليها من أدباء فارين من الاضطهاد أو طلاب عطاش الى المعرفة ، ونشاط جامعاتها وأزهرها ومدارسها وصحافتها واذاعتها ، وانتاج شعرائها وكتابها وخطبائها وعلمائها ومجمعها اللغوي . وما يبذله أبناؤها الذين تعيرهم الاقطار العربية من جهد في تعليم اللغة وآدابها وتدريس العلوم بها .

وبهذا وبكثير من أمثاله نهضت مصر بأعمال جليلة في الحفاظ على اللغة العربية وترقيتها ، ولنشر آدابها وعلومها ، بعد أن حمتها من غوائل النكبات والأحداث .

وان مصر لتوقن أنها اذ نهضت بما نهضت به ، واذ تقوم اليوم بما تقوم به ، انما تؤدي واجبها ، وتحمي عروبتها ، وترد عن العرب سهام الاستعمار ، وتصون اللغة العربية من عوامل الدمار ، في غير مباهاة أو من أو ترقب لشكران ، فان اللغة من أمجاد الأمة العربية ، ومن يصن مجد قومه صان عرضا .

« د . أحمد محمد الحوفي »

فن المعمار الأندلسى

ومظاهره فى أمريكا اللاتينية

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

بعض مظـــاهر التأثيرات الاندلسية المعمارية فى أمريكا اللاتينية أصابهـا شىء من حظ فاحتلت من كتب تاريخ الفن مكانا متواضــعا ، يعرض لهـا الدارســون حين يتــحدثون عن كنيسة « ســان فرانسيسكو » فى المكســيك ، أو كنيسة « سانتو دومينجو » فى هافانا عاصــمة كوبا ، واخريات فى «كيتو» عاصمة الاكوادور ، و « سانتياجو » عاصمة شيلى ، وكلها ذات طابع أندلسى فى معمارها • ولم تكن هذه وحدها هى التى تحمل مظاهر هذا التأثير، انما كان الفن المعمارى الاندلسى هو الغالب هناك ، عصر الغزو الاســبانى وما بعده حتى مطلع القرن العشرين ، على كل المبانى ذات الطابع الرسمى أو الدينى ، لكن عوامــل المد والجزر فى بلاد لا تكاد أرضهــا تستقر ، وتتعرض باستمرار لغزير من الامطــار ، وعنيف من الزلازل عفت على أغلب هذه المبانى ، بعد أن احتواها التاريخ ، رسما لفنــان ، أو دراسة فى كتاب ، أو وصفا لرحالة ! •

لكن هذا التسجيل فى مختلف صوره لم يتناول غير القليل ، لان طبيعة الارض ، واضطراب الامن ، وانعدام المواصلات ، جعل كثيرا من هذه المبــانى الاندلسية بمعزل عن قلم المؤرخ وريشة الفنان ، فلم يعرض لها أحد دارسا أو واصفا • والفن المعمارى العربى الذى يغلب على هذه المبانى هو فن المدجنين ، وهو اصطلاح يطلق فى تاريخ الاندلس على المسلمين الذين استقروا فى الممالك المسيحية ، محتفظين بلغتهم ودينهم وعاداتهم ، وكونــوا جالية كانت ذات أثر واضح فى الحياة الاقتصادية والثقافية لممالك الشمال المسيحية ، وقد بدأت متأخرة ، فى القرن الحــادى عشر الميلادى ، أما قبل ذلك فقد كان المسيحيون فى



مئذنة مسجد متواضع هى الآن برج لكنيسة فى كالى ، مقاطعة فى كولومبيا بأمريكا اللاتينية »

البدء يستأصلون شــأفة كل من يلقون من المسلمين فى الاراضى التى يحتلونها ، وفى مرحلة تالية كانوا يبقون عليهم رقيقا بلا حقوق، يخدمونهم فى مزارعهم، أو يبيعونهم فى الاســواق ، وكان الدافع الى ذلك ضرورات اقتصادية خالصة ، لان الممالك المسيحية

الصغيرة التى قامت فى شمال الاندلس كانت فقيرة فى الخبرات والكفاءات ، وفى حاجة ماسة الى مهارة المسلمين فى الزراعة والتجـارة والحرف ، وكانوا يعملون فى ظروف لا يحسدون عليها ، ويهربون متى اتيـحت لهم الفرصة ، أو يتحررون اذا ما أقبل أشقاؤهم فى الجنوب منتصرين ، أو يفتدون أنفسهم بالاموال فى أحوال قليلة . فلما استولى الفونسو السادس على طليطلة ، عمل بنصيحة مستشـاريه الاقتصاديين فأغرى المسلمين بالبقاء فى مملكته ، على أن يحتفظوا بدينهم ولغتهم وعاداتهم ومسـاجدهم وثرواتهم ، بل سـهل لهم القروض كي يواصلوا زراعتهم ، مسـتهدفا انعاش مملكته اقتصاديا ، وحمايتها من التردى والافلاس ، فقد كان المسلمون المغلوبون أرقى حضـاريا وثقـافيا من المسيحيين المنتصرين ، وهو تسامح لم يقدر له أن يدوم طويلا فقد ذهب بجـلاله وآثاره تعصب رجال الدين من الكاثوليك . هؤلاء المدجنون كان لهم فن معمـاري خاص بهم ، له سـماته الواضحة المميزة له عن فن الخلافة ، أو فن ملوك الطوائف ، أو فن بنى الاحمر فى غرناطة ، وقد شـهروا به وظلوا ينشرونه حتى بعـد أن اكرهوا على التخلى عن دينهـم وعاداتهم وتقـاليدهم ، واستجابوا للضغط العنيف ظاهريا ، وكان أوضح ما فى هـذا الفن حرصهم الشديد وهم يبنون كنائس المسيحيين المنتصرين أن يشيدوا برج الكنيسة على هيئة **مئذنة** ، لا يميزه عنها غير جرس يتوسطه ، أو صليب يعـلوه ، أما من بعيد فيبدو للقادم عليه أنه يوشك أن يواجه مسجدا .

رأيت ذلك واضحا فى دير للرهبان الفرنسيسكان يقع فى الحى القديم من مدينة كالى ، احدى مقاطعات جمهـورية كولومبيا ، وأكثرها غنى وثروة ، وقـد استرعت «**مئذنة**» الدير انتباهى للمرة الاولى ، ولو اننى فى الحقيقة ذهبت الى المدينة بحثا عنها ، فقد قرأت وصفا لها ، ربمـا كان هو الوحيد ، لرحالة فرنسى زار المدينة عام ١٨٧٦ ، وقال فيها : « انها أجمل قطع الفن المعمارية فى كولومبيا كلها » .

وكما يحدث دائما فى عمل كهذا لايعرف له تاريخ مكتوب ، ولا توجد عنه وثائق توضح نشاته ، تاتى الاسطورة الشعبية فتمـلأ هذا الفراغ ، وهى رواية يرفضهـا المتعصـبون ضـد العرب من المؤرخين الامريكيين والاسبان ، يرفضونها ولا يقدمون عنهـا بديلا ، لمجرد أنها تقرر فى صراحة أن الفنان الذى أشرف على بنائها كان عربيا ، وتحدد الاسطورة العام الذى بنى فيه الدير ، وانه عام ١٧٥٧ ، وتتحدث عن حمـاس جيرانه وهم يسهمون فى بنائه ، يحملون الاحجار والصخور على رءوسهم وأكتافهم حتى انتهى منه البناء عـام ١٧٦٤ ، ولو أن من الواضـح أن « **المئذنة** » بنيت فى أعوام تالية ، بعد أن كمل بنـاء الدير ، قريبا من عام ١٧٧٣ ، لأنها بناء قائم بذاته، مربع الشكل ، مبنى بالطوب الاحمر ، على نحـو زخرفى جميـل ، بنفس الطريقة التى درج المدجنون على استخدامها ، فاللبنات فيه تتلاقى وتتقـاطع وتتباين أو تتراجع على نحو يجعل منها رسوما بارزة تبدو من بعيد وكأنها سـجادة فى قصر الخـلافة القرطبى ، دقيقة النسج ، محكمة الصنع .

حاول كثير من المؤرخين الاوربيين والامريكيين أن يربطوا بين بناء هذه «المئذنة» الفريدة وبين مهندسين قدموا الى كولومبيا من أسبانيا ، فى تلك الاعوام ، أو قبلهـا أو بعدها ، مهندسين تتبـاين أسماؤهم وتختلف الرواية فى تحـديد تواريخ رحـلاتهم ، يحاولون أن ينسبوا اليهم هذا العمل استنتاجا ، أو ينتزعوا فضلها من «**عربى**» لم يحفظ له التاريخ حتى اسما ، شأن مئات الألوف من الأندلسـيين الذين ضاعوا فى مجاهل التاريخ ، لم يذكرهم قلم ولـم تبكهم عين ، مهندسين يصنعون الرخاء ، أو مثقفين يلاحقون الجهل ويجتثون ظلمة الفكر ، ذهبوا الى رحاب الله شهداء ، مختنقين فى الكهوف المظلمة ، أو محروقين على لهب النار المشتعلة ، وان كان العامة

فى مدينة كالى ، وباذنى سمعتها ، يطلقون على المهندس الذى أقام « المئذنة » اللقب الذى درجت الاندلس على أن تعطيه فى عهدها العربى لكبار المهندسين المعماريين ، وهو لقب « العريف » وقد انتقل اللفظ الى اللغة الاسبانية نفسها ، بنفس المعنى والحروف دون تحوير أو تبديل ، والشاهد المادي يؤكد ان مخطط « المئذنة » ان لم يكن عربى الجنس ، فهو عربى الثقافة ، وفى هذا الفن تخصص، وفى جوه عاش وتغذى .

حجة الذين يرفضون فكرة اشراف مهندس عربى على بناء هذه «المئذنة» ومآذن أخرى كثيرة ، تصديقا للرواية الشعبية ، تقوم على أساس أن القانون الخاص بامريكا اللاتينية، والمعروف بقانون «الجزر الهندية»، الذى أصدره الملكان الكاثوليكيان ينص فى الكتاب الثامن والعشرين منه ، فى الفصل الثامن ، المادة الخامسة على ما يلى : « يمنع منعا باتا من الهجرة الى امريكا اللاتينية العرب أو البربر ، حتى ولو كانوا قد اعتنقوا الكاثوليكية » ، لكن من الثابت تاريخيا أن مثل هذه القوانين كانت نظرية الى حد بعيد ، وأنها على الصعيد العملى عند التنفيذ كانت تأخذشكلا آخر ، ومن الثابت أن مئات من المسلمين المتكتلكين قد عبروا المحيط كجنود وربابنة وقليين ومهندسين خلال الغزو الاسبانى لأمريكا ، وانهم حملوا معهم عاداتهم وتقاليدهم ، وان أصحاب الحرف منهم احتلوا عن طريقها مكانا مرموقا فى مجتمع العالم الجديد ، وهى ظاهرة ليست وحيدة ، فقانون طرد العرب من اسبانيا الذى اصدره فيليب الثالث عام ١٦١٣ لم يمتد عمليا الى العرب الذين كانوا يعملون كمهندسين زراعيين أو معماريين فى ضياع كبار الاقطاعيين .

ومن المقرر ايضا أن أغنياء الاسبان وحكامهم فى امريكا اللاتينية كانوا يحاولون أن يصنعوا لهم بيئة تشبه ما خلفوه وراءهم فى الاندلس الجميلة ، فنقلوا معهم مهرة الصناع ، واستقدموا من الوطن الأم خيرة المهندسين المعماريين ليشيدوا لهم بيوتا على نمط بيوتهم فى قرطبة واشبيلية ومالقة ومرسية وغرناطة وغيرها بل كانوا يجلبون من هناك المواد الأولية لمساكنهم من آجر وقيشانى وبللور .

وليست « مئذنة » هذا الدير هى الوحيدة التى تمثل الفن الاندلسى فى المقاطعة ، وان كانت أكثرها جمالا واصدقها تمثيلا ، ففى عدد من القرى ، على بعد قريب من مدينة «كالى» ، توجد كنائس لها « مآذن » بديعة الصنع مما يجعل الدارسين المحدثين يعتقدون ان المنطقة كانت مسرحا لحركة نشطة دائبة من مهاجرى الاندلس الذين تركت الحضارة العربية آثارها واضحة فى حياتهم وتكوينهم الثقافى ، خلال القرون الثلاثة التى تلت سقوط دولة الاسلام رسميا فى غرناطة عام ١٤٩٢ .

يقول دييجو انجولو أحد مؤرخى تاريخ الفن الاسبانى المشهورين : « من المسلم به على امتداد القرون التى تصرمت منذ الفتح، ان الذين بنوا مذبح كنيسة «شولولا» الملكية فى المكسيك كان فى ذاكرتهم وهم يصنعون ذلك جمال ابهاء المساجد الرائعة ، وربما كان هذا المذبح هو الاستثناء الوحيد الذى يجرى على غير فن المدجنين ، أما البقية فكلها تطبيق لهذه المدرسة ، ومرد ذلك أن آخر ما يبقى فى ذاكرة المهاجر من اسبانيا الى العالم الجديد ، وهو يصعد الى الباخرة فى نهر الوادى الكبير لتنقله عبر المحيط ، مئذنة مسجد اشبيلية الخالدة **الخيرالدا** بعد أن أزيل المسجد، وبقيت هى الى جانب الكنيسة تحديا صارخا لعدوان غير حضرى ، فلايزال يتأملها حتى يغيب عنها بعيدا ، تتلاشى أمام ناظره رويدا رويدا ، وتستقر فى ذاكرته الى الابد !

« د. الطاهر أحمد مكي »

نظرات في التراث

البيرونى أبو الريحان محمد بن احمد

بقلم إبراهيم الأبيارى

لن تستقيم لأمة حياتها بمظاهرها المختلفة ، علما وفنا وأدبا ، الا اذا كانت هذه الحياة على صلة بماضيها تأخذ من هذا الماضي وتسدى اليه ، تتجدد بتجدده وتساير تدرجه ، يغاير حاضرها ماضيها ، كما يغاير مستقبلها حاضرها ، ولكنه على هذا كله صورة صادقة للأمة يحكى مالها ويكون صدى لما يصدر عنها، تحس فيه وجودها ، وتعده قطعة منها فتحمى له وتذود عنه ذيادها عن أرضها ، وترى أن التفريط فيه تفريط في ركن من الاركان التى يقوم عليها كيانها ، الذى في ظله يعيش طابعها المتميز .

وهذا اللون من الحياة المستقيمة نحس فيه المشاركة التامة بين مظاهره المختلفة من علم وفن وأدب ، وان ثمة صلة وقربى بين هذه المظاهر ، فهى كلها ترجع الى أصل واحد ، ثم هى في نموها يظلها وعى مشترك ، فتمضى يعين هذا المظهر ذاك وذاك هذا ، لا تخلف لمظهر عن الآخر ، ولا قطيعة بين مظهر ومظهر ، بل ترى هذه المظاهر كلها يدفع بعضها بعضا ، لا تخلف للغة ولا تخلف لفن ولا تخلف لعلم .

ونحن اذ نشكو اليوم هذه البلبلة اللسانية التى منيت بها اللغة ، وهذه البلبلة الفنية التى منى بها الفن وذلك القصور العلمى الذى منى به العلم ، فمرد هذا كله الى تلك القطيعة التى نحسها بين مظاهر حياتنا ، تلك القطيعة التى مردها الى جمودنا عن وصل مظاهر حياتنا بالماضى ، وتركنا اياها يضرب كل مظهر في سبيل . وأخشى ما أخشاه ان امتد بنا الزمن على تلك الحال أن نجد أنفسنا وقد تنازعتنا مظاهر مختلفة تخرج بنا الى غير مظهر جامع الذى هو الصفة الاولى للأمة .

ولو أنه قدر لنا أن تبقى حياتنا بمظاهرها كلها متصلة بالماضى لضمنا في ميدان اللغة تنشئة الطبيب والمهندس والموسيقى والفلكى والرياضى على صلة بلغتهم يأخذون منها ويعطون بدلا من وقوفهم منها جميعا جامدين . وما نعرف لغة تحيا على السنة الأدباء واللغويين وحدهم ، ولكن حياتها ونموها واطرادها بكثرة المتصلين بها وتنوعهم وتمثيلهم لشئون الحياة كلها . وغناء اللغة كسب أى كسب ، اذ هى الاطار الذى تبرز فيه مظاهر الامة جميعها .

ولو أنه قدر لنا أن تبقى حياتنا الفنية متصلة بالماضى لضمنا لنا طابعا متميزا ، له من الماضى روحه وله من زاد الأيام في تواليها بنيته . وأنت تعرف ما تجنيه الأمم ذات الطابع المتميز من كسب مادى وأدبى

وقل مثل هذا عن أى مظهر من المظاهر المختلفة للأمة ، فهى كلما كانت لها أصالة كانت دعامات حقة للنهضات والخلود .

وما أولانا في معاهدنا أن نطالع الأبناء بصفحات الآباء ، لا نعفى من ذلك مرحلة من مراحل التعليم بل نكون لكل مرحلة ماتطيقه ، حتى اذا ما أدركنا الجامعات كان لكل فرع ما يخصه من هذا الماضى ،

يعرفه في تفصيل أو ايجاز ، كي نضمن هذه الصلة الوثيقة بتراثنا ، وكي نضمن هذا الترابط الذي ننشده بين مظاهر حياتنا المختلفة ، وكي نضمن هذا التعاون بين هذه المظاهر ، ثم لكي نضمن هذا الطابع المميز لنا ٠

جدير بجامعاتنا أن تلتفت الى الوراء شيئا ولا سيما في الميدان العلمي والفني ، فلا يقبل الطالب على نتاج الحاضر الا اذا ألم بنتاج السابقين من أسلافه ، في الزراعة والهندسة والرياضة والفلك والموسيقى والطب ، وكم لنا في هذا كله من رجال ، وكم لنا في هذه الميادين كلها من آثار

جدير بجامعاتنا أن تفعل ، لهذا الذي أشرت اليه ولشيء آخر هو الوفاء للعلم والعلماء ، وما أحوجنا الى الوفاء لهـذا وذاك دون جامعات أوربة التي أفردت بعضها كرسيا للبيروني

ولعلك أدركت الآن لماذا جعلت **البيروني** موضوع هذا الحديث ٠

وما أحب أن أعرض عليك الكثير من حياة هذا العالم الكبير ، ولكن حسبي أن أعرض عليك من هذه الحياة الجانب العلمي الذي جعل الغربيين يسبقون الى تقديره

يقول عنه سخاو المستشرق الالماني ! انه أعظم عقلية عرفها التاريخ ٠

ويقول عنه سارتون : كان البيروني باحثافيلسوفا رياضيا جغرافيا ٠ ومن أصحاب الثقافة الواسعة ، بل من أعظم عظماء الاسلام ومن أكابر علماء العالم فانظر معي بما استحق البيروني هذا التقدير ٠

يقول ياقوت ــ وهو يترجم له في كتابه ارشـاد الأريب ــ واما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوت الحصر ٠ رأيت فهرستها في وقف الجـامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز ٠

فأنت بين يدي عالم من أسلافك شغل حياته كلها التي امتدت نحوا من ثمانين عاما فترك هذه المجموعة الكبيرة من تواليف تعتز بها المكتبة العربية ٠

فلقد ألف البيروني في الهندسة وألف في الطبيعة وألف في الفلك وفي التنجيم ، هذا الى كتب أخرى في التاريخ والأدب ، وترك لنا في مؤلفات نظريات رياضية وفلكية وهندسية لا تزال دراسة الدارسين ٠

والذي يعنيني أن تعرفه من مؤلفات هذا الرجل العظيم :

١ ــ الآثار الباقية عن القرون الخـالية ، وهو في تواريخ الأمم ٠ وقد عني باخراجه المستشرق الألماني سخاو سنة ١٨٧٨ م ٠

٢ ــ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، وهو من أهم المراجع في هذا الباب ٠ وقد عني باخراجه أيضا سخاو سنة ١٨٨٧ م ٠

٣ ــ الجماهر في معرفة الجواهر ٠ وعنوانه يدل عليه ٠ وقد طبع هذا الكتاب في حيدر أباد سنة ١٩٣٤

هذا ماطبع للبيروني فيما تعلم ، ولكنه لايزال له الكثير مما لم يطبع ٠ منه :

١ ــ التفهيم لأوائل صـناعة التنجيم ، وهـو في الهندسة والفلك والرياضة

٢ ــ القانون المسعودي ، وهو في الهيئة والنجوم ٠

فهل ينهضـنا الوفاء للعلم أولا فنخرج هذين المؤلفين الى النور ، ثم هل ينهضنا الوفاء لهذا العالم ثانيا فنخصه بكرسي في جامعة من جامعاتنا ، على أن يكون هذا بدءا لكراسي أخرى لأمثال ابن سينا والخوارزمي والكرخي وابن الهيثم وغـيرهم ، وما أكثرهم ٠

« **ابراهيم الأبياري** »

أين الشاعر الموهوب ؟

للدكتور: عبد الرحمن عثمان

(٣)

لست أجد ما اعتذر به للقراء الذين اعتادوا فيما يقرءون أن تتخطى ابصارهم وأفهامهم المقدمات لترى وتفهم نتائجها حتى تفرغ الى ما يشغلها من شئون الحياة ، وتنصرف الى ما يستحثها في مضطرب العيش ، فأنا لا أكتب لهؤلاء المعجلين ثقة بأنهم يحتاجون في ظروفهم الثقافية أو الاجتماعية الى نوع من الادب فيه بساطة الدعابات التي يكتبها اصحابها على عجل لتحدث اثرها السريع في اثارة الضحك والترفيه عن نفوس لها طابع يميزها عن غيرها ، لانها تؤثر في المجال الثقافي صنفا خفيفا من الادب لايشق عليها باعمال الفكر والتأمل في لب الموضوع .

ولست انكر أن هذا ضرب منضروب الأدب يحذقه بعض الكتاب ، ويستريح اليه كثير ممن أعجلتهم شئون الحياة عن اطالة الوقوف والتأمل .

وهذه اللهفة في انتظار الجواب عما تساءلنا عنه من أمر الشاعر المعاصر الموهوب ، لايمكن أن تعترض خطواتنا في بحثنا هذا ، لانه بحث يحتاج الى عناء شديد من الكاتب ، وصبر غير قليل من القارىء ، ويحتاج كذلك الى فضل تثبت من سلامة المقدمات ، وصحة البواعث ، بحيث تشير هذه وتلك الى النتائج التي لا يرقى اليها الشك .

وهكذا كان يدور حديثنا في المقالين السابقين عن الاسباب التي من شأنها أن تقدم لعصرنا هذا شاعره المنتظر ، فقد حصرناها في ثلاثة أشياء : الموهبة ، والثقافة ، والانفعال الشعوري ، ثم تساءلنا في ختام المقال الثاني : عما نلمسه من هذه الاصول الثلاثة في عصرنا الحاضر .

فأما الموهبة الشعرية ، فهي على خفائها ، وتأبيها على المنطق ، واستعلائها على الحجة التي تفصح عن حقيقة أمرها ، موجودة في كل عصر ، ومتجددة تجدد الأجيال والأزمنة ، لأنها من الامور التي تولد مع أولئك الذين تختارهم الحياة بقانونها الذكي لفهم أسرار الكون فهما هو أشبه مايكون بالتلقي والالهام، فالهمس الخافت يتحول في النفس الموهوبة الى جهر وافصاح بالاشارة ، والخطرة التي قد لا تعني شيئا عند الكثيرين ، تتخلق منها في وجدان الموهوب أمور تعني الكثير ، وتفسر الغامض مما احتجب من أسرار النفس والحياة ، تلك الاسرار التي لا يستطاع حصرها ، أو فض اقفالها .

فالموهبة الفنية لا تتقيد بعصر أو جيل ، ولا يمكن ان يطمس معالمها في النفس اى أثر يستمد قوته وسلطانه من البيئة على أوسع ما نعرف للبيئة من قوة وسلطان ، لان الموهبة لصيقة بالفطرة ، وهي بهذا الاعتبار جزء من النفس الموهوبة لا يسهل اقتطاعه أو اخماد ضوئه ، وكل ما للبيئة من سلطان في هذا المجال ، هو أن تباشر عملها الطبيعي في امدادها بالغذاء الذي تنشط به لاداء مهمتها على أكمل وجه ، أو تركها تتغذى من ذات نفسها حتى تضمر وتنطوي، ولكنها ـ مع ذلك ـ لن تتلاشى ، أو تموت، فحياتها رهن بذهاب النفس ، وبقاء الكل يستدعي بقاء اجزائه التي يقوم بها ويحيا بسببها .

وفي عصرنا الحاضر ـ والحمد لله ـ مواهب شتى، وموهوبون كثيرون ، والشعراء بيننا ـ والحمد لله أيضا ـ يكاد يخطئهم الحصر ، ولا يحصيهم حساب الحاسبين ، ولي من بينهم زملاء فضلاء ، وأصدقاء أعزاء ، ولكن ما أكاد أقرأ لبعضهم قصيدة مطربة حتى يستبد بي القلق والانتظار الطويل ترقبا لأخرى تأتي بعد شهور أو أعوام ، وفي كل مرة كنت كمن يشعر أنه يظفر «ببيضة الديك» التي لا تتكرر ، حتى زعمت لنفسي أن المواهب الشعرية تصاب في بعض العصور

بأمراض تذبلها وتبدد أوراقها الجميلة هنا وهناك ، حتى كأنها الاشجار والزرع يصاب بما يصاب به من آفات وأمراض ، ومن ثم احتبست المواهب ، وعجزت الشاعرية المعاصرة عن التدفق والانطلاق .

واذا كانت العبقرية الشعرية متـاحة لشعرائنا المعاصرين ، فان وجودها دون صقلها بثقافة العصر ، وتفهمها لروحه وأهدافه ، لا يبشر اطلاقا بقرب ظهور شـاعرنا الذى ننتظره ، وسوف يتراءى لنا نتاجها الشعرى اشـعاعات تلمع فى فترات متباعدة ، حتى كأنها الومضات الخافقة التى يلفظها سراج كاد يجف زيته لينطفىء الى الأبد .

ان ما نقرؤه فى شعر المعاصرين لا يحمل الروح الذى نعرفه للشـعر ، فنحن نريد تلك الموهبـة المشبوبة ، والخاطر المصقول الذى يحرك النفـوس بالقوة ، ويغمرها بالنشوة الحلوة الغـلابة ، ونحن نريد أن نتبين ذلك الهاتف الشجى الذى يعبر بنـا من شاطىء الحقائق العابسة الى الشاطىء الذى تهوم فيه الأمانى ، وتتعابث على رماله المبسوطة احـلام الحيـاة الجميلة ، نحن نريد هذا ، ونريد أن نلتقى بالشاعر الذى تجتمع نفوسنا الى نفسـه ، وتهتف خواطرنا فى خاطره ، ليغنى لنـا بالامـل والحب وأفراح الحياة، وليعلمنا كيف نغالب اليأس، ونقتلع الاحقاد ، وتسمو على الالم ، نريد كل الحانه معربدة فى أعماقنـا ، مستثيرة لما فينا من رضا وغضب ، وحب وكره ، ويأس ورجـاء ، وذلك ما نـراه من فضيلة للشعر ، ويقينى أنهـا ستظل هكذا باقية ما بقى شـعر له سحر على القلوب ، وتسلط على النفوس .

فهل نجد هذا الاثر ونحن نقرأ شعرنا المعاصر؟ ، والجواب الذى ربما ترفضه طائفة من الناس ، هو : أننا لا نجد مثل هذا الشعر على صورة متجددة ، وفى عذوبة آسرة متلاحقة ، وعلى من يرفض هذا الجواب أن يضرب لنا المثل ليبطل ما ذهبنا اليه ، فان ذلك من خالص حقه لو استطاع .



وأما ثقـافة العصر التى يتم بهـا نضج الموهبـة الشعرية وصقلها فان أحدا لا يجازف بالقول بأنهـا متخلفة أو ناضبة المعين فى عصرنا هذا ، فوسـائل التبادل الفكرى: تقدمها ميسرة لكل من يريد القراءة، وحتى أولئك الذين لا يحسنون من اللغات الاجنبية شـيئا يستطيعون أن يصيبوا منهـا حاجتهم ، اذ الترجمة تهيىء لهم ما يستريحون الى قراءته ، وما قد لا يستريحون ، ووسائل الاعلام فى الوطن العـربى أخذت على عاتقها بعث القديم ، وتقديم الجديد من تراث الانسانية ونتاج أفكارها وعواطفهـا ، فليس هناك مجال للقول بأن ما يعوق ظهور الشاعر المعاصر هو ضمور الثقافة ، وضيق ميدانهـا ، وبهذا البيان العجول يتأكد فى موضوعنا أصلان من أصول ثلاثة تجدها فى صدر هذا المقال .

ولكن هنـاك بقية نحب أن نستوفيها فى المجال الثقافى ، وهى - على أنهـا بقية - أتعبت شعراءنا المعاصرين فى غير طائل ، وأجهدت مواهبهم الاصيلة فى أودية الاوهام الكاذبة والظنون الباطلة .

وأعنى بذلك ما أصاب فريقا من خيرة شعراء «مجلة أبولـو » ، وما سرى الى بعض النـاظمين الآن ممن يسـمون انفسهـم بالشـعراء من تعلق بالمذهب «الرومانتيكى» الذى تمردت عليه أوربا اليوم ونبذته، فشعراؤنا - عافاهم الله - فى تعلقهم بحبال غيرهم ، وانفصالهم عن طبائعهم العربية صرفوا فنهم عن سبيل الجد التى تحسنها فطرتهم حين تستقيم على الجادة ، ولا تلتوى بها طرائق التقليد الذى يقبح فى كل فن أصيل .

على أن شعراء « **أبولو** » كانوا أرشد من زملائهم المعـاصرين ، فقد سلك هؤلاء مذهب « الرمزية » الاوربية بفهم وبغير فهم لحقـائق المذهب وأهدافه ، فتشعبت امامهم المسالك ، والتوت أساليبهم وران عليهـا صمت موحش وغموض تضل فيه الاوهام ، فليس عجبا أن تتجمع فى قصـائدهم سحب داكنة تلمع من خلالهـا أشعة خافتة لا تظهر الا لتختفى وتنداح فى الأثير .

واذا كان بعض هـذا السـخف يبرأ منه الطبع العربى ، فان البلاغة العربية تنفر نفورا شديدا من الخروج بالشـعر عن أوزانه التى درج عليهـا منذ نشأته ، واطراح القـافية التى ألفت أسماعنا أن تستريح اليها فى نهاية كل بيت من أبيات القصيدة العربية .

وقد تنادى هذا الفريق الثائر بالتخفف من الوزن والقافية ، وجعل مذهبه عنوانا للتجديد والتحرر من قواعد الشـعر وقوانينه ، ونسى أن كل فن رائـع تحكمه قواعده ، ويتحاكم جمـاله الى قوانينه التى

تتصل بطبيعته ، فاذا تجاهلها الفن صار الى هذيان المرورين ، والتحق بعبث الصبيان ٠

ومن شر ما تمنى بتصديقه العقول السليمة زعمهم الذي يروجون له : من أن التزام الشاعر العربي للوزن والقافية يسلبه حرية التصرف في عرض الفكرة ، ويحرم قراءه من الاستمتاع بكثير مما تزخر به النفس من عواطف وأحاسيس تقف قيود العروض دون التعبير عنها في حرية وطلاقة ، فعندهم أن نظم الشعر على زنة « التفعلية » يخلصه من قيوده التي ظل يرسف فيها من أمد طويل ، ويمنحه الحرية الكاملة في عرض العواطف وصياغة الافكار !!

ولسنا نملك تجاه هذه المزاعم الباطلة الا أن نسرى عن انفسنا بما يذهب عنها هذا الضر ، فنبسط اكف الضراعة للمولى سبحانه أن ينزل شآبيب رحمته على العواطف الموءودة ، والأفكار التي اختنقت في صدور كبار الشعراء من لدن امرىء القيس حتى يومنا هذا ، لأنهم أجروا فنهم الشعري على نظام العروض الذي اهتدى اليه عالم العربية الخليل بن أحمد !! ٠

اما اذا شئنا أن نصبر الى شيء من الجد فيمناقشة هؤلاء المجددين ، فان الامر لا يعدو في افحامنا الا أن يعرضوا علينا في ــ نثرهم الشعري ــ أنماطا جديدة من الاحاسيس والافكار كانت ميتة في خواطر أمثال جرير وبشار وأبي تمام وابن الرومي والبحتري والمتنبي ، لنعلم أنها استمدت حياتها من تحررهم عن العروض ، وعرفت على أيديهم المباركة سبيل البعث والنشور ٠

مساكين هؤلاء السادة حين شقوا على أنفسهم ، فراحوا يروضون مواهبهم القوية في وعاد الفن ومتاهات الطريق ، وكان خيرا لهم وللشعر أن يدفعوا بها الى القمم العالية التي لا يعرف الشعر العربي غيرها منذ أن نطقت به شفتان ، ولكنهم شاءوا أن يستحدثوا لنا الاعاجيب المضحكة كل يوم في الصحف والمجلات والدواوين ٠

ولا أكاد أفهم بعثرة للمواهب وتفريقا للمشاعر واضاعة لما يزخر به الوجدان الا على هذا النحو الذي نقرؤه في نتاج هؤلاء المساكين ٠

وعلى هذا ، فالعيب ليس في ثقافة العصر ، وانما العيب في انتخاب أسوأ النماذج واختيار الرديء الغث من المذاهب في غير بصر ولا معرفة ، ثم محاولة اجرائها في شعرنا العربي جريا وراء التقليد، وايثارا لشهوة تنزع بهم الى ما يسمونه بالتجديد !!

والاصل الثالث يتمثل في الانفعال بالحياة وأحداثها ، والطبيعة وجمالها ، والنفس الانسانية وما يجرى فيها من فيض زخار متنوع الاتجاهات والبواعث ، وهذا الانفعال هو الجانب العملي للمسالة ، والعنصر الذي يتوقف عليه نوع النتاج الفني وقيمته الجمالية ، وكما أن آلة التصوير لا تلتقط المناظر الا بحركة ضاغطة ، كذلك الموهبة الشعرية لا يمكن أن تباشر وظيفتها الا بهيج شعوري فياض ، وحركة نفسية عارمة ٠

فالشعر الذي يقرضه صاحبه دون شعور عنيف ينتظم الوجدان ويغمر النفس ، ينفصل من وجدان الشاعر فاترا كسولا كأنه حديث من غلبه النوم فاسترخت أعضاؤه ، وثقلت الكلمات على لسانه ، وهذا النوع من الشعر لا يثير في سامعيه أو قرائه الا نفورا واعراضا، لانه يفقد حرارة التعبير ، وصدق الشعور ، وهاتان الميزتان أثر من آثار صدق الانفعال ، وحسنة من حسنات جيشان الخواطر في كيان الفنان المطبوع ، ومن هنا ندرك غثاثة شعر المناسبات التي يراد عليها الشاعر أو يتكلفها ، فان الكذب يمسخ الصور الفنية ، ويقطع اوصالها التي ينبغي أن يشد بعضها بعضا ، فلا جرم أن يستقبله القراء والسامعون في فتور وتراخ كما يستقبلون أحاديث النائمين أو المخلطين ٠

ومصادر الانفعال العاطفي ثرة فياضة في العالم العربي على العصر الذي يعيش فيه جيلنا ، لانه عصر تحول في الآراء ، وفهم جديد للقيم ، ووعي بالغ في بناء المستقبل ومواجهة الحاضر ، وفترة تلك شأنها من حيث تلاحق أحداثها وفوران آمالها كان حريا أن تقدم الى الامة العربية ــ دون ابطاء ــ شعراء عباقرة وموهوبين بارعين ، فاكتمال البواعث الشعرية في المحيط العربي خليق بأن يجدد للشعر نشاطه ، ويرفع لواءه في الاقطار العربية كلها أو جلها ٠

ولكنا بعد هذا كله لا نزال في موقف المتسائلين عن الشاعر العربي المعاصر ، أين هو ؟ ، ومتى يظهر ؟ ، وقد نجد الجواب فيما يلي هذا المقال ٠

« د ٠ عبد الرحمن عثمان »

ليست هذه آخر كلمات العقاد

بقلم: عباس الأسوانى

- ٢ -

قلنا فى المقال السابق أن الكتاب الذى نشره الاستاذ عامر العقاد تحت عنوان «**آخر كلمات العقاد**» وذكر فى مقدمته انه عثر على هذه الكلمات مدونة فى مفكرات اكتشف وجودها بعد وفاة العقاد ـ هذا الكتاب حوى كلمات سبق أن نشرها استاذنا العقاد قبل وفاته بسنوات طوال وقدمنا ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ، نموذجين لهذه الكلمات القديمة. وأضفنا ان مراجعة الاستاذ عامر كانت مراجعة متعجلة لم تمكنه من ادراك ماشاب بعض الكلمات من تناقض واضح .

وكتابة الحكم هى اشق فنون النثر واحقها بالمراجعة الدقيقة من حيث الشكل والمضمون .. وقد كان كاتبوها فى الغرب يراجعون الحكمة الواحدة عشرات المرات بل كانوا يشركون اصدقاءهم من الأدباء فى هذه المراجعة .

وفى فرنسا كان « **لاروشيفوكولد وباسكال** » يترددان على صالون « **مدام سابليه** » (١٦٥٩) حيث يجتمعون مع لفيف من كبار الادباء والمفكرين لكتابة الحكم .. وكانت طريقة الكتابة تخلص فى أن يقترح أحد الحاضرين موضوعا يصلح أن يكون محلا لحكمة .. فاذا ما قبل الاقتراح واستقر الرأى على صلاحية الموضوع طرح للمناقشة جلسة او جلستين .. ثم انصرف كل منهم لصياغة حكمة ثابتة فيه .. وتناقش بعد ذلك الصياغة والمضمون .. الى أن يتم اختيار ادق الكلمات التى تستوفى شروط الحكمة من حيث الايجاز وتناسب الالفاظ مع المضمون الذى تعبر عنه .

من ذلك يتضح كيف أن كتابة الحكم لايمكن أن تتم عفو الخاطر ولا يجوز أن تنشر تحت هذا الوصف قبل مراجعتها بدقة .. ونحن على ثقة من أن استاذنا العقاد كان لا بد وأن يراجع هذه الكلمات لو أتاح له الموت البغيض أن ينشرها بنفسه ، اذ ان العقاد كما هو معروف ، من أدق الكتاب وأحرصهم على مراجعة ما يكتبه قبل أن ينشره على الناس .

وفى صفحة ١٢٠ من كتاب « أنا » الذى نشرته دار الهلال يقول العقاد « ويهمنى كثيرا أن اعود الى كلامى قبل الطبع لأصححه وأراه فى صورته الاخيرة الا أن يعوقنى عن ذلك عائق » .

لقد وضع الاستاذ عامر تحت عنوان « حكم مأثورات » كلمات لا يمكن أن تكتسب وصف الحكم لامن ناحية المضمون ، ولا من ناحية الشكل .

اما عيوب الشكل فواضحة فى الكلمات التى شابها تطويل وتفسير .. والحكمة لا تطيق التطويل ولا تحتمل التفسير .. وانما قيمتها فى ذلك الايجاز المشع فتقول فى كلمات ما يقال فى مجلدات .. وهذا لايعنى ان جميع الكلمات قد اعتورها هذا العيب .. ففى الكلمات نماذج لما تكون عليه صياغة الحكمة .. ومن ذلك على سبيل المثال كلمة العقاد فى صفحة ٧٤

« لايهز الاعصار الجارف ماء الحوض الصغير ولكنه يقيم الخضم الواسع ويقعده » وكلمته في صفحة ٩٢ « كن نارا ولا تكن حريقا » ٠٠ فهذا هو الايجاز في الشكل الذي تتطلبه الحكمة والذي كان العقاد لا بد ان يحققه لو نشرهذه الكلمات كما فعل الاستاذ عامر تحت عنوان « حكم مأثورات » ٠

والمسلم به ان مضمون الحكمة لا بد وأن يتناسب مع الجهد الدقيق المبذول في صياغتها والا اضحت عناء تحمله الكاتب بلا معنى ٠٠ كما انه من المفروض أن يكون هذا المضمون يعكس حكما مطلقـا لا رأيا شخصيا ٠٠٠ والافات على الكلمة غرضها وهي الارتفاع الى مرتبة الحكمة السائرة التي يتناقلهـا الناس مؤمنين بمضمونها ٠

وبعض كلمات استاذنا العقـاد لم يحقق هذه الشروط ٠

ومن ذلك قول الاستاذ العقاد في صـفحة ٨٧ « صاحب الفضل المشكوك فيه اقرب الى ثناء الناس من صاحب الفضل الثابت الذي لا شك فيه » ٠

لانك تشعر وانت تثنى على صـاحب الفضـل المشكوك فيه انه محتاج الى ثنائك ، والانسان يجب أن يشعر باحتياج الناس اليه ٠٠ ولانك تثنى عليه وانت تعلم انك قادر على انكار فضـله والانسـان يحب حرية الاختيار ٠

اما صاحب الفضل الثابت فلا حاجة به الى ثنائك ولا انت قادر على انكار فضله ٠

انت مرغم على الشهادة له ان شـهدت والنفس تابى الارغام وتتحاشاه ٠٠ واعتقـادنا انه لو قد اتيحت فرصة لاستاذنا العقاد لمراجعة هذه الـكلمة لما ادرجها كما فعل الاخ عامر تحت وصف « حـكم مأثورات » ، لأنها بشكلها الحالي اقرب ما تكون الى المقال القصير وتحفل بالتفسير وادلة الاقناع وهمـا الد اعداء الشكل في الحكمة ٠ واما المضمون فهـو لا يعبر عن حقيقة يؤمن بها الكافة شـأن ايمانهم بالحكم المأثورات ، اذ لايمكن التسليم بأن « صاحب الفضل المشكوك فيه اقرب الى ثناء الناس من صاحب الفضل الثابت الذي لاشك فيه » ٠ اما التعليل الذي ساقه استاذنا العقاد لتدعيم هذا الرأي ٠٠ فهـو تعليل يصدق على بعض النفسيات المريضـة التي يؤذيها الثناء على صاحب الفضل الثابت ٠٠ فأصحاب الطبائع السوية لايستشعرون حرجا ولا ارغاما في



هذا الثناء ٠٠ ان الله ــ وهو اعظم المتفضلين ــ يثنى عليه الناس مختارين ٠٠بل متوسلين أن يلقى ثناؤهم القبول ٠

وفي صفحة ٨٨ يقول العقاد « **الرجل الذي يحبه جميع الناس لا يحب جميع الناس** » ٠٠ وفي رأينـا ان هذه «الحكمة» لاتؤكد حقيقة ٠ فمن ناحية الشكل استخدم استاذنا العقاد كلمة « جميع الناس » وهو استخدام فيه اسراف ٠٠ لانه لم يخلق بعـد هذا الانسان الذي يجمع على حبه الناس ٠٠ فاذا قيل بأن المقصود او المفهوم هو « معظم الناس » لا « **جميعهم** » كان هذا التفسير دليلا على عدم دقة الصياغة المتطلبة دائما في شكل الحكمة بحيث يجب أن توضع الكلمة المناسبة تماما ولا كلمة غيرها ٠٠ هذا من ناحية ٠٠ ومن ناحية اخرى فان هذا التفسير نفسه يؤدي الى ظهور بطلان الحكمة ٠٠ فليس من الضروري المسلم به « ان الرجل الذي يحبه معظم النـاس لا يحب الناس » فقد ظفر الانبياء والقادةواصحاب الرسالات بحب معظم الناس ولم يقل أحد انهم لا يحبـون الناس ، اذ انه من المسلم به ان الأنبياء وأصـحاب الرسالات كانوا يحبون البشر حبـا عظيما شمل خصومهم قبل انصارهم ٠

وفي صفحة ٩٢ يقول الاستاذ العقـاد « **الذين قالوا ان الانسان يطلب السرور لم يقولوا شيئا ٠ لان سرور انسان حزن لآخرين** » ٠٠ ونحن لسـنا مع هـذا الاطلاق ، فكثيرا مايكون سرور انسان سرورا لآخرين ٠

وفى صفحة ٩٩ يقول الاستاذ العقاد « **الموت اعم المصايب وقوعا ولايزال اشدها ايلاما واقلها قبولا للعزاء، على ان ذلك لايفيد انه غير مالوف ولكنه يدل على ان الانسان لايجزع لمصاب غيره كما يجزع لمصاب نفسه** » ·

وهذه النتيجة التى وصل اليها العقاد لايمكن أن تستفاد من الموت وحده · فقد طبع النـــاس على أن يجزعوا لما يصيبهم انفسهم ولو كان هينا وعلى عدم الاكتراث بمصائب الآخرين ولو كانت الموت · بل ان بعض الحكماء يرى أن فى مصائب الآخرين شيئا « لا يضايقنا » او بمعنى اصرح اننا قد نتجاوز عدم الاكتراث بمصائب الآخرين الى الاحساس بالارتياح لاننا نجونا ·· ولسنا نحن المنكوبين ·

اما كون الموت اشد المصايب ايلاما واقلها قبـولا للعزاء فاعتقادنا ان مرجعه ليس انانية الانســـان وجزعه لمصابه . وانما علته ان الموت ينتزع الحياة وهى اغلى ما وهبه الله ·· ولا بد ان تتناسب درجة الجزع لدى الفاقد مع قيمة المفقود ·

وفى صفحة ٣٢ (تحت عنوان آخر كلمات) ·· يقول العقاد « **الحاكم القدير هو الذى يتقبل المشاركة فى اوامره ولا يتقبل المشاركة فى تبعاته وتكاليفه** »·

وفى رأينا ان الحاكم الذى يتحدث عنه الاســتاذ العقاد لا وجود له ·· بل لايمكن أن يتصور له وجود. فالحاكم القدير اما أن يكون مستبدا ــ ولا شـــأن للاستبداد بالقدرة ــ ومثله لايمكن ان يقبل المشاركة فى اوامره · واما أن يكون قديرا عادلا ·· ولابد أن يقوده عدله الى الديموقراطيــــة ·· أى الى اشراك المحكومين فى تبعات الحكم وتـــكاليفه · لان اقدس حقوقهم لا يجوز لحاكم عادل أن يحرمهم منها ·

وفى صفحة ٥٢ يقول الاستاذ العقاد « **الشــبه عظيم بين ملامح مصطفى كمال وموسوليني ودى فاليرا وربما دل ذلك على ان هؤلاء الزعماء جمعوا شيئا من قوة الرجل وشــيئا من قوة المـراة فباتوا اكثر من رجال واكثر من نساء ، وبلغوا بذلك مرتبة السيادة على عامة الناس** »

ولا محل لمناقشة ما فسر به العقاد الشبه العظيم بين ملامح هؤلاء الزعماء ، فهو لم يجزم بأنهم جمعوا شيئا من قوة الرجل وشيئا من قوة المراة وانما قال « ربما » . ولكن الجدير بالمناقشة هو ما قرره على وجه القطع من أن هذا الجمع ــ اذا وقع ــ يجعل صاحبه اقوى من الرجل ومن المرأة ·· ويبلغ مرتبة السيادة على الناس ·

والحق انها « معادلة » فكرية يعوزها الدليل ·· و « مزيج » يمكن أن يؤدى بصــاحبه الى أن يكون « خنثى » أقل من الرجل ومن المرأة على الســواء · ولا يمكن أن يفسر بحال وصول هؤلاء الزعمـاء الى مرتبة السيادة والنفوذ ·

وفى صفحة ١٠٠ يقول الاستاذ العقاد : « **الكرم قوة ·· لانه علامة استغناء الرجل عن الناس بقـدر احتياجهم اليه كما ان بذل المال عــلامة القدرة على اكتسابه فى كل آن** » ·

وهذه الكلمة ــ فى رأينا ــ ليست دقيقة ·· لانه لاعلاقة للكرم بحاجة الآخرين ·· فالانسان قد يكرم من هو اغنى منه وليس فى حاجة اليه كما ان بذل الكريم للمال ليس دائما علامة القدرة على اكتسابه له فى كل آن · فالكريم الحق يبذل دون أن يفكر فى احتمال كسب المال الذى بذله ·· بل قد يكون على يقين من عدم تحقق هذا الاحتمال ·· ولعل البذل فى هذه الصورة هو وحده الذى يكسب الكريم صفة الكرم ·

وفى صفحة ٣٦ يقول العقاد : « **من معاذير البخيل لنفسه اذا هم بشراء شىء يؤكل او يلبس ثم لم يجده ان يخاطبها قائلا « افرضى انك اكلته ·· افرضى انك لبسته ·· ثم يرد المال الى موضعه** » ·· وواضح أن هذه الكلمة لاتحمل مضمونا يجعلهـــا جديرة بأن تدرج مع الحكم او الكلمـات المأثورات لأنه مضمون مفهوم للعادى من الناس وان كان هذا الحوار ليس مقصورا على البخيل وقد يتداوله المسك مع نفسه أيضا ·· لان لذة البخيل الحق فى اختزان المال تغنيه عن مشقة الخيال والافتراض فلا يعـــانى أى صراع ولا تتحسر نفسه على طعام أو شراب ·

وبعد ··

فهذه ملاحظات سقناها حول «آخر كلمات العقاد» ولا نحب أن نختمها قبل أن نؤكد ان الكتاب حافل بآراء عميقة وحكم بالغة لأستاذنا الراحل الكريم ·· وكل ما نرجوه من الاخ عامر ــ وقد قرأنا أنه يعتزم نشر ديوان « ما بعد البعد » ومؤلفات اخرى ــ أن يسعى لاشراك بعض زملاء العقاد أو تلاميــــذه فى مراجعة هذه المؤلفات التى يعتزم نشرها · فان تعدد النظر كفيل بتلافى الاخطاء وتنقية المسودات ·· لأن المسودات هى عورات المفكرين يجب سترها بثـوب المراجعة الدقيق !

« **عباس الأسوانى** »

"مصطفى صادق الرافعي" في ذكراه



بقلم: حسنين حسن مخلوف

في العاشر من مايو سنة ١٩٣٧ صعدت روح الأديب العالم «مصطفى صادق الرافعي» الى باريها أوفى ما يكون صحة، وأوسع مايكون آمالا في مضاعفة الانتاج الأدبي بعد أن بلغ السابعة والخمسين .

ان هناك أشخاصا معروفين في هذه الأمة في عصرنا الحديث صنعوا أنفسهم بالجهد الدائب في القراءة والاطلاع والفهم فلم يدعوا كتبا نافعة أو صحفا سيارة أو أفكارا في الثقافات الأجنبية الا درسوها ، واختلط كل أولئك بعقولهم ومشاعرهم ، وكون منهم أدباء متصرفين ومفكرين جددا .

وكيف تقاس المدارس والجامعات التي يدرج الطالب فيها مع الزمان ؟ ثم يأخذ شهادة هي في الأغلب الأعم تصنع آلة حكومية تجلب الرزق وتكفل مطالب العيش الرتيب .

كيف تقاس المدارس والجامعات بالرغبة الجارفة والنفس الحافزة التي تسهر وتقرأ وتوازن وتحرق دمها في سبيل ما أحبته وعشقته من الآداب والفنون .

هذا صديقنا الرافعي - رحمه الله - يخرج الى الدنيا في أواخر القرن الماضي ، وبعد ان أحرز الشهادة الابتدائية رغب في الوظيفة كما يرغب أمثاله ، اذ كانت الابتدائية أول شهادة تؤهل لوظائف الحكومة في وقت بدأت بواكير الوعي في مصر والعالم العربي تبرز من كمامها ، وأخذت حرارة التطلع الى المجد الضائع تحرك القلوب والعقول . وكان عمل الوظيفة عند الرافعي محدودا ، وظل كذلك طول حياته ، فعنده من الوقت الكثير يقرأ الجرائد والمجلات ويشتري الكتب القديمة والحديثة فضلا عن مكتبة قيمة تركها والده القاضي العالم الكبير . وما هي الا سنوات حتى قال الشعر ، وكان المظهر الأول للشعراء من الأدباء في الأغراض العاطفية والوطنية وتقليد القدماء .

ولم يلبث الرافعي أن رأى نفسه جنديا في ميدان الأدب . يزور القاهرة في فترات متعددة ، ويتصل بالأدباء وكتاب الصحف ، وقد نشرت له الصحف والمجلات الكثير من الشعر والنثر والنقد الأدبي .

لقد كتب ما كتب فشغل الأمة العربية من شرقها الى غربها اذ قرءوا له وأعجبوا به ... ذلك أنه كان قريبا من عواطفهم الانسانية والدينية .

كانت العروبة أملا يتجاوب على الألسنة ، فكانت مقالاته وكتبه من أسباب تمكينها ورسوخ قدمها .

لقد جمع الرافعي فيما كتب عقل الفيلسوف وخيال الشاعر وروح المتدين وأسلوب الأديب ، فلايزال يداول بين المعاني والأساليب حتى يخرج للبيان العربي قطعة فنية كأنها تمثال جميل للمعاني العالية ، والأساليب الرشيقة .

يقرؤه المفكر فيرى عمق الآراء وسلامة البراهين ، والشاعر فيرى تفننا في بلاغة العبارة وابداع التصوير ، والمتدين فيرى حكمة الله في الاشراق الأدبي ، والأديب فيرى أسلوبا من النور تحيط به هالة من الاشعاع . وكما تختلف الأذواق في الألحان الجميلة على قدر تعود الآذان على فنون الموسيقى اختلف الحكم في أسلوب الرافعي .

فاذا قرأه ضحل الثقافة الذي لم يتعود الأناة حتى يدرك مواضع الجمال في القول ، أو الذي أغلب ثقافته التهام مقالات الجرائد من غير تمييز أو كان القارىء ذا غرض ، وكثيرا ما تآمر بعض خصوم الرافعي وتلاميذهم عليه لقسوته في انتقادهم ،

ولتفننه في تشقيق المعاني ، وابتكار الأساليب • اذا كان قارىء الرافعي واحدا من هؤلاء لم يرض عن أدب الرافعي وحكم احكاما جـــائرة على ســائر مقالاته وكتبه • ولكن بقي الرافعي هو هو الأديب الممتاز لأن الناس لا يصدقون أن الكلف كل شيء في مطالع البدور •

لقد تفنن الرافعي فيما كتب واختار موضوعات أفاض فيها كموضوع الحب الذي اخترع له أساليب وجدانية ومعاني انسانية فلسفية شريفة طاهرة لم يسبق بها أحد في اللسان العربي من شعراء وكتاب أما كيف أحب ، وكيف شغل نفسه بفلانة أو فلانة فهذا نوع من أعاجيب الخلق حتى حقق بكتبه في الحب ما رسمه لقراء العربية على مختلف الأجيال • وسنفرد له ان شاء الله فصلا نتحدث فيه عن عشق الرافعي ورأينا فيه •

لقد كان الرافعي حجة في اللســـان العربي عالما باسرار القرآن وأهداف الاسلام علمـــا امتزج بعقله وقلبه فكان على بصيرة فيما يأخذ وما يدع • وطالمـا قامت الدنيا وقعدت حول الرافعي ناقدا أو منقودا فكان طودا شامخـا لا تزعزعه العواصف والأنواء • وقد تحدثت اليه في هذه الشئون فكان الطف الناس ذوقا وأرقهم احساسا لولا شدة عرفهـــا الناس فيه وأسلوب اتسم بالسخرية اللاذعة تمده معرفة واسعة بكل ما تفنن فيه الشعراء والكتاب من قديم العصر الى حديثه ذلك الى طابع خاص ينم عن قدرة فائقة وامتياز في شخصية الرافعي في مواطن النقد والمنـاظرة • وكان مثله في ذلك مثل جرير الشاعر الأموي• قيل له في هجائه المر للشعراء وهدمه لكل من يتصدى له فاجاب : انهم يبتدئونني ، ولا أقدر على السكوت •

لقد كان خصـوم الرافعي في القـــاهرة وبيدهم مقاليد الصحف والمجلات ولهم أتباع وأنصار وهو في طنطا لا يبرحها الا قليلا رحم الله الاستاذ العقاد فلقد كان عظيما وخلف للأدب والفكـــر والثقـافة ثروة ضخمة ، وكان من الشدة والصرامة في نقده بحيث لا يتخير عن الرافعي • ولابد أن يميل الدارسون لأدب العقاد في الاذاعة مسموعة ومنظورة الى نقد الرافعي له فيقولون وكانهم لا يعلمون • لقد قسا النقـــاد على الرافعي حيا وميتا حتى الجنس اللطيف أبى الا أن يتشيع ، فقد ألفت احداهن كتيبا بعد وفاة الرافعي بســـنين طويلة ركزت همها في تعبيرات الحب التي فيها شيء من الغموض وأغمضت عينيها عن محاسنه، وعمـا قدم للأدب والثقافة من بيـــان خالد وابتكار فريد ، وأفاضت في مثالبه ماشاءت أن تفيض لعلها ترضي بعض الناس •

الجنس اللطيف ! يا عجبا ! يقحم نفسه في مكايد الفحول حتى يحس القارىء أن هذا النقد كلام مذكر في ثياب مؤنث ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم •

لقد بشر الرافعي بالاشـــتراكية الاسلامية وكثيرا ما تمنى لها أن تكون عملا نافذا وجوهرا يتعامل به الناس ، فصدق الله ظنه بعد فترة من الزمان على يد أبطال ثورتنا العربية ، وبمجهود شعبنا العظيم •

هاندا أمام الرافعي وجها لوجه في طنطا وقد نقلت مدرسا فيها •

قال صـــديقي : أتعرفه ؟ قلت : نعم • لقد نقدته فرد على ردا سلخني فيه ، ويحسن أن تدع التقديم الآن • وفجاءة نطق صديقي باسمي ، والرافعي يتطلع الى حركات شفتيه •

اذ كان قد حيل بينه وبين السمع فقال : حسنين مخلوف الذي نقدني !

قلت : نعم • فقال : هل بينك وبين شوقي صلة ؟ لقد أكثرت من الحديث عن شعره حين نقدتني ، أهو الذي حرضك على نقدي •

قلت : لا • انما الذي يحفزني على النقد اعتقادي أنه لا يضر المنقود وانما يشغل الناس به ، ويكون سببا في اذاعة اسمه وان كان يحدث مشكلة تحمل البــــاحثين على خلق أدب جديد وآراء تغذي العقول وتفيد القراء :

وليس السر في غضـــب هؤلاء الادباء أن ذاتهـم الكريمة قد أهينت ، وانما هو نوع من الكبرياء هو الذي يغريني بهم •

والنقد الادبي ان خلا من هذه الحرارة فانما هو مقال يقرأ او لا يقرأ ، وربما غلب النعاس على قارئه قبل أن يأتي عليه •

لقد سعدت بصحبة الرافعي أقرأ مؤلفـاته وأعنى بمقالاته عناية خاصة ، وكلما مر زمان ازددت تقديرا له وحبا فيه • وكنا لا نفترق الا على ميعاد •

كنا نتحدث في كل جديد من القضايا الادبية هو ينطق وأنا أكتب له ، وكان هذا وسيلة تفاهمنا •

كان يقول : **ان في نفسي سرا الهيا يوجب علي أن أحمي الاســـلام من عبث العـابثين فاذا مس كاتب الاسلام بسوء لم انم الليل حتى أصوغ مقال في الرد عليه ، فاذا حاول بعـــد ذلك ان يكابر ثنيت عليه بضربة كانت القاضية •**

كان الرافعي مشـــغوفاً بالحـــديث عن العروبة والاسلام • قلت له مرة : قرأت مقالا لأحد الادباء من الاقطار العربية يعاتب مصر عتابا مرا ويقــول : انا متعلقون بمصر : زعمائها وأدبائها وساستها ومصر لا تلتفت الينا • قال الرافعي : الكاتب على حق • وبعد زمن قريب سيكفل الادب والثقـــافة العربية تقارب المشاعر والعقول •

وكان يقــــول : الفلسفة ضرورية للاديب اذ هي التغلغل في اعماق الاشياء والتأني في ادراكها وابراز المعاني قوية ، والأخيلة لطيفة في أسلوب رشـــيق يخلب الالباب ، ويستأثر باعجاب القراء •

والعبقرية الادبية نوع من التركيب المخي ، فقد يقرأ الانســـان ويحفظ المنظوم والمنثور ، ويتذوق ويصير أديبا ويكتب ولكن لا يصير عبقريا الا اذا كان ذلك في تركيب مخه من الخلقة تركيبا صالحا للاعجاز الفكري ، ولذلك قل العباقرة في العالم •

وفي هؤلاء الادباء والصحفيين اســتعداد لذلك • ولكن مطالب العيش من شق القلم أضاعت كثيرا من معالمهم ، فقد تقرأ المقالة الطويلة فتعجبك منها فكرة في سطرين • وكانه كان يرمي الى تعليمي فيقول : اكتب وتفلسف فاذا أتممت مقـــالا فراجعه ، وانظر قوة المعـــاني كما تنظر قوة الأساليب ثم فكر كيف تؤثر • فأرد عليه في وريقـــاتي : لا أستطيع • لان حرفة التدريس تأخذ من جسمي وعقلي ومشاعري ، واذا شـــغلت بالكتابة فانما يكون ذلك على حساب تلاميذي •

اتراني لو كتبت مقالا من العشـــاء الى الفجر • أكنت مستطيعا أن أشرح الدروس في اليوم التالي؟• ولذلك قل انتاج طبقة المدرسين والناس لا يعذرون • فيقــول الرافعي : اذ لم تكتب اليوم فمتى تكتب ؟ أتنتظر الى أن تشـــيخ ؟ ان المخ يشيخ • فانتهز الفرصة قبـــل أن تضيع من يدك بمرور الزمان • وهـــكذا كان • بقيت في رحاب المدارس حتى بلغت السن ، وتحمس الاستاذ محمد ســـعيد العريان ــ رحمه الله ــ لنصيحته فكتب في الرسالة حتى أوصله القلم الى رتبة وكالة الوزارة •

كان لا بد للفن القدير في أدب الرافعي وثقافاته الواسعة أن يخرج من الغلاف الذي وضع فيه الرافعي نفسه ، غلاف العواطف المحدودة وتحليل معنى الحب الذي خصه باربعة كتب صـــارت تثير عليه الزنابير الا بعض مقـــالات في المناسبات أو بطلب من أرباب الصحف •

نعـم يجب أن يخرج الرافعي الى هذه الدنيـــا الواسعة التي تنوعت فيها الافكار والآراء والعواطف في مصر والعالم • وقد حان الوقت الذي تبرز فيه مجالات الرافعي الادبية والاجتماعية والدينية أوسع ما تكون ، وذلك حينما دعاه الاستاذ صاحب الرسالة اطال الله عمره ــ ليكتب في الرسالة بصفة دورية فاستجاب له •

وقد جمعت مقالاته في كتاب «**وحي القلم**» باجزائه الثلاثة •

لقد نشرت الرسالة أول مقال للرافعي والتقيت به فقال لي : هل قرأت الرسالة ؟ قلت: نعم • وأعجبك مقالي ؟ قل لي رأيك فيه •

وكان الرافعي متى أحس في محـــدثه اخلاصه وصدق مودته استمع له في اطمئنان وقبول • قلت: ان الكتابة الدورية في مجـــلة الرسالة تتطلب من الـــكاتب أن يكون له منهج يناسب القراء • وهـم يختلفون في درجات الثقـــافة فلا بد من التيسير وتســهيل الاسلوب • قال : عجبـــا أتريد ان أغير اسلوبي ؟ • انني أمثـــل اسلوب استاذي الجاحظ أديب العصر العباسي • قلت : ان زمانك يختلف عن زمان الجاحظ، فاسلوبك السهل في سموه كاسلوبك الجزل سواء بسواء •

حاول ان تكتب مقالا باسلوب أقرب الى أسلوب الصحافة من غير توقيع واعتقد أن كثـيرا من القراء اليقظين المتأدبين سيعرفون توقيعك من ثنايا كلامك • وفي فجر الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ وما بعد كان الاستاذ المنفلوطي يكتب مقـــالات سياسية تناسب الاسلوب الصحفي وطاقات القراء وتكتب الجرائد في ذيل المقال (لكاتب الكبير الذي ان أخفى اسمه فقد ينم عليه قلمه) وقرأ المقال فادرك اسلوبه وطريقة تفكيره ولمـــا جمعت هذه المقـــالات في احد أجزاء (النظرات) لم يخطيء ظني في أنها له • وهكذا صار الرافعي يكتب كل أسبوع في الرسالة فكان موضع اعجاب القراء في مصر والعـــالم العربي • وقبل أن أختم كلمتي هذه أنقل شيئا من مذهب الرافعي في أسلوبه • قال (وربما عابوا الســـمو الادبي بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخالف ولكن الحق كذلك ، وبأنه محير ولكن الحسن كذلك • ان لم يكن البحـــر فلا تنتظر اللؤلؤ ، وان لم يكن النجم فلا تنتظر الشعاع • وان لم يكن الكاتب البياني فلا تنتظر الأدب) • رحم الله الرافعي وأحسن جزاءه •

« **حسنين حسن مخلوف** »

الدين والتحول الاشتراكى الجديد

بقلم : محمود الشرقاوى

تجيئنا فى الشهور الأخيرة من الدول الاشتراكية الشرقية أنباء ذات أهمية كبرى للذين يشتغلون بشئون الدين ويعنون بأمور العقيدة والفكر . وهى أنباء – على أهميتها تلك – لا أكاد أجد لها صدى بيننا ، ولا تثير فى نفوس هؤلاء المشتغلين بشئون الدين والعقيدة ما تستحق من الاهتمام . أما أثرها على الفكر فقد تحدثت عنه فى بعض ما نشرت بمجلة « الرسالة » ، مقال : « التجديد والتقاليد » فى العدد ٧٦ منها .

فى بعض هذه الأنباء أن « البرلمان » فى واحدة من تلك الدول الاشتراكية من دول أوربا الشرقية ناقش : « مشكلة ثلاثة ملايين شاب يبلغون خلال السنوات الخمس القادمة سن العمل والانتاج الفكرى، ويبحث البرلمان فى كيفية مواجهة أعباء المرحلة القادمة فكريا وعقائديا » .

ثم تقول هذه الأنباء – التى نقلتها جريدة الاهرام – ان الحزب الشيوعى فى هذه الدولة الاشتراكية – بولندا – يضع أمامه للبحث مشكلة تستحق كل دراسة واهتمام ، وهى علاقة الحزب برجال الدين وسلطاتهم : « التى تلعب دورا خطيرا فى سياسة بولندا فى داخل برلمانها وبين طبقات الشعب » .

ثم تقول الأنباء ، وكأنها تبرر هذه المنزلة الممتازة لرجال الدين فى دولة لا تؤمن بالدين ، ان الكنيسة، طبقا لرأى المسئولين فى بولندا ، قد لعبت دورا هاما أثناء احتلال النازى لبولندا ، وقاوم رجالها وأساقفتها الاحتلال النازى بالسلاح وشتى وسائل المقاومة الايجابية . وكانت الكنيسة هى المكان الوحيد الذى يستطيع الشعب أن يسمع فيه اللغة البولندية التى كان النازى يعارض استعمالها . وكانت الكنيسة تقوم باخفاء الوطنيين البولنديين الذين كانوا يحاربون النازى ، وتتولى علاج المصابين منهم .

فهذا اعتراف من دولة شيوعية بقوة العامل الدينى وتسليم لأهله ، وتمكين لهم من أن يكونوا ذوى « تأثير خطير » فى سياسة الدولة ، داخل برلمانها وبين طبقات الشعب .

ولكن الذى نجده أكبر من ذلك وقعا وأبرز أهمية، هذا الذى تقوله الرسالة عن ايمان الشعب البولندى فى الدولة الشيوعية ، وتمسكه بالعقيدة :

« والشعب البولندى شعب مؤمن بالكنيسة والدين ، وفى يوم الاحد تمتلىء الكنائس فى كل مدن بولندا بالمصلين من كل سن ، حتى بين الشباب ، وتطوف المواكب الدينية شوارع المدن رافعة بالشعارات الدينية ، حاملة تماثيل القديسين بين تراتيل الاساقفة وأنشاد الشعب .

وقد حدث أن عارضت الدولة منح العمال والموظفين اجازات فى المناسبات الدينية مثل أعياد الميلاد ورأس السنة وعيد القيامة ، ولكنها سمحت بمنحهم الاجازات دون أن تذكر المناسبة . وأصبح الجميع يحتفلون بهذه الاعياد بموافقة الدولة وبدون تدخل من جانبها .

ثم نعرف من هذه الأنباء أن فى هذه الدولة الاشتراكية التى لا تؤمن بالدين رجالا دينيين لهم زعامة وسطوة وأتباع ،نعرف أن من أهم الشخصيات

الدينيةفي بولنداالكاردينال تشنيسكي رئيس الكنيسة الكاثوليكية ، والزعيم الديني في بولندا ويتبعه مئات من الاساقفة ، والرهبان ، والراهبات ، يؤدون الطقوس الدينية بموافقة الدولة ، دون اعتراض منها وتسمح الدولة بتمثيل الكنيسة في البرلمان بمجموعة من الناس يطلقون عليهم اسم مجموعة باكس ولهذه المجموعة مطالب وآراء ، وتشترك في المناقشات وتثير الأزمات داخل البرلمان عند مناقشة الموضوعات المتعلقة بالدين ، وكان اهمها علاقة الدولة بالكنيسة وحق الكنيسة في تعليم الدين في مدارس الدولة » .

ونعرف من هذه الرسالة ان رجال الدين ، في تلك الدولة الشيوعية ، لهم من القوة والصولة ما يطاولون به سلطان الدولة ويصاولونها حتى تلجأ لأن تجرى الاتصالات بينها وبين الكنيسة لتحقق ما يسمونه : «التعايش السلمي» بين الاثنين ، بحيث تهتم الكنيسة بالتعاليم الدينية ، بينما تتولى الدولة مسئولية توفير الكساء والغذاء والمسكن وتضع خطط الانتاج وترسم صورة المستقبل للشعب ، بعيدا عن تأثير الكنيسة التي تريد أن تزيد من عدد المؤمنين بالدين ، مما قد يؤثر على مدى اعتناق الشباب الجديد للماركسية ، واتجاهه الى الكنيسة وتعاليمها بعيدا عن الحزب الشيوعي .

ونعرف من هذه الرسالة أيضا أن رجال الدين ، في تلك الدولة الشيوعية ، لهم من القوة والجاه وعلو الكلمة والمكانة مايستطيعون به أن يثيروا الازمات مع الدولة ، كتلك التي حدثت بين الكنيسة والدولة عندما عارضت تلك تحديد النسل وأعلن الكاردينال تشنيسكي أن التحديد يتعارض وتعاليم الكنيسة ، وكانت الدولة تطالب بتحديده ، واستطاعت فعلا أن تهبط بنسبته الى ١٩٪ وعادت فسمحت الآن بزيادة المواليد زيادة معقولة .

ونعرف من هذه الرسالة أيضا أن رجال الدين ، في تلك الدولة الشيوعية ، قد ترك لهم نشاط يباشرونه وتوجيه للشباب يزاولونه ويقومون عليه ، فالكنيسة تبدي اهتماما خاصا بالشباب ، وتتولى بث التعاليم الدينية فيه منذ الطفولة ، حتى يظل مؤمنا بالدين بعيدا عن التيار اللاديني . ثم نعرف ان الدولة نفسها تخشى رجال الدين هؤلاء وتخشى ان « تمتد سلطة الكنيسة الى كل الشباب حتى تسيطر على تفكيرهم وتبتعد بهم عن التعاليم الماركسية » .

هذا عن احدى الدول الشيوعية ، بولندا ، ثم نجد دولة أخرى مثلها ، هي المانيا الشرقية ، تطلب الى سكانها جميعا : « سبعة عشر مليونا » أن يفصح كل واحد منهم — في احصاء التعداد — عن مذهبه الديني وعقيدته .

ثم نعرف ، عند زيارة رئيس هذه الدولة للقاهرة أواخر شهر فبراير، أن حكومتها تعيد ترميم الكنائس التي هدمتها الحرب الأخيرة — وهي ١٠٩٠ — وأنها اعادت بالفعل ترميم تسعمائة منها ، وأنها تنفق في هذا السبيل مليون دولار كل سنة .

ونحن نعرف أن هذا الكلام وهذه الأرقام قد يراد بها امور أخرى مما يدخل في شئون السياسة والمنفعة والسمعة الحسنة بين الشعوب.ولكن التحدث بهذا الكلام وذكر هذه الأرقام هو في ذاته اعتراف بقوة الدين والعقيدة وأن سطوتهما ما تزال باقية عميقة في قلوب الناس ، حتى لو كان اعترافا يقوله قائله وهو عليه مجبر مقهور .

وهذا ما نريد أن نقوله عن التحول الاشتراكي الجديد ، حيال العقيدة والدين ، لا نريد أن نقوله فقط ، بل نريد أن ندرك مغزاه ويدركه معنا المشتغلون بشئون الدين والعقيدة .

ولكي ندرك معنى هذا التحول ومداه يجب ان نذكر موقف « المذهب » الشيوعي حيال الدين والعقيدة ، واين يضعهما هذا المذهب الذي يقول عن الدين ، كل دين ، انه « أفيون الشعوب » ، وانه يعلم الناس القناعة والتخاذل والصبر على المهانة والذل ويلهيهم بالغائب عن الحاضر . هذا المذهب الذي ينكر — كما يصور المرحوم الأستاذ العقاد : « ينكر الاديان ويكفر بجميع الأنبياء والرسل ، ولا يدع أصحابه هذه الحقيقة للفرض والاستنتاج بل يصرحون بعقيدتهم ويقولون عن الدين « انه أفيون الشعوب » ، لانه يخدر اتباعه بالأمل في الآخرة فلا يطلبون الانصاف ولا النعيم في هذه الدنيا . وهم يسوون بين الأديان جميعا في هذه الصفة .. الا أن الشيوعية قد تصبر على المسيحية ولا تطيق الصبر على الاسلام الا ريثما تتحفز له وتغل أيدي أتباعه

عن المقاومة ... لهذا وصفوه فى دائرة المعارف الشيوعية بالرجعية وتأييد الاستغلال وحاربوه بكل وسيلة من وسائلهم الظاهرة والخفية » .

هذا هو رأى « المذهب » ودعاته السابقون واللاحقون فى العقيدة والدين ، وهذا الذى رأينا مثلا منه فى بولندا والمانيا الشرقية هو التحول الذى نجده فى التطبيق . وقد رأينا مثلا آخر فى تركيا الكمالية التى كان زعيمها وأبوها : « أتاتورك » يقول عن الاسلام والحروف العربية وثقافتها انها : « ريح الصحراء » الذى يجب أن يطارد ويطرد حتى تتطهر منه سهول تركيا وجبالها ووديانها ومياهها أيضا .

وليست هذه ولا تلك أول المحن التى امتحنت بها العقيدة ، فقد لقيت ـ منذ وجدت ـ محنا قاتلة طاحنة ولكن هذه المحنة التى تلقاها فى عصرنا هذا هى أقسى المحن وأشدها هولا وأقواها عنفوانا وبطشا ، ولو أنها تتحول وتتلون وتميل ، تحت ضغط الظروف والملابسات والمصالح .

ما الذى يفيده ، أو يجب أن يفيده ، من هذا التحول رجل الفكر الدينى من المشتغلين بشئون الدين والعقيدة المخلصين لهما ؟

بعض القوم من رجال هذا الفكر الدينى يعلنون فرحهم بهذا التحول وغبطتهم لحدوثه ، ولكنه فرح السذاجة والغرارة الذى لا نرضاه لأنفسنا ولا لهم ولا العقيدة والفكر الدينى .

نحن لا نريد ولا نرضى لأنفسنا ولا لأصحاب الفكر الدينى والعقيدة أن يكون تقبلهم لهذا التحول الجديد واهتمامهم به قائما على الرضى العاطفى واعلان الغبطة والسرور بأن هذا الخصم العنيد الشرير قد بدأ يعترف للدين بما له من القوة فى قلوب الناس ، وأنه « فطرة » فى طبائعهم لا يمكن أن تزول أو تحول .

نريد من القوم أن يدركوا أن هذا « التحول الجديد » قد يكون سببه ـ كما أسلفت القول ـ المنافع والمصالح التى تحمل « أصحاب المذهب » ، الذى لايحيدون عنه شعرة ، على أن يتحولوا ويتلونوا ويميلوا تحت ضغط الظروف والمصالح والملابسات، ولكن الهدف لا يتغير ولا يغيب عن الخاطر ، والنهاية ـ فى ظنهم وتقديرهم ـ لا بد من بلوغها ولو طال السفر .

نريد منهم أن يذكروا أن كل محنة تعرضت لها العقيدة تركت أثرا واضحا فى نفوس الناس ، وبخاصة الشباب ، وهذا ما نعرفه من عبرة التاريخ حين تعرضت العقيدة الاسلامية لمحنة الشعوبية والالحاد فى الدولة العباسية والفاطمية ، وحين تعرضت العقيدة المسيحية لمحنة « عصر العقل » ثم لمحنة الثورة الفرنسية وطوفانها وطغيانها فى أواخر القرن الثامن عشر .

نريد من القوم أن يتركوا الفاقهين منهم ليعملوا على لأم هذه الجروح التى خلفتها هذه المحن وأن « يستردوا الأرض التى فقدوها » كما يقول العسكريون .

السبيل الى مداواة هذه العلة ولأم هذه الجروح هو أن يدرج الفكر الدينى موقفه من الحياة والعصر والناس ، وأن يؤمن ، عن اقتناع وتسليم ، أن الله خلق « السبت للانسان وليس الانسان للسبت » كما تقول آية الانجيل ، وأن الشارع قصد من الشريعة « مصالح العباد ، والأحكام العادية تدور معه حيثما دار ، فترى الشىء الواحد يمنع فى حال لا تكون فيه مصلحة ، فاذا كان فيه مصلحة جاز » كما يقول الشاطبى » .

وأن يدرك هذا الفكر ويؤمن ويعمل على أن تكون العقيدة حقيقة وجوهرا وخلقا وضميرا يسيطر على نفس كل فرد من الناس ، ويهيمن على كل خاطرة له وكل حركة منه ، ووازعا يزجره عن كل سيئة ويدعوه الى كل حسنة . حقيقة وجوهرا يمتلىء بها قلب كل فرد حتى يشعر فى كل لحظة أنه يعبد الله كأنه يراه ، فان لم يكن يراه فان الله يراه » .

عند ذلك يسترد الدين «مافقد من الارض» ويفيد ويفيد أهله أيضا ـ من هذا التحول الجديد الذى لحصنا الآن بعض خبره .

« محمود الشرقاوى »

سياسة عمر الإدارية

بقلم
فتحي عثمان

(٧)

من كلمات عمر الجامعة التى تقرر أصول المسئولية الادارية أنه كان يشيع الولاة فيقول :

« انى لم استعملكم على امة محمد على اشعارهم ولا على ابشارهم ، انما استعملتكم عليهم لتقيموا لهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل وانى لم اسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم . لا تجلدوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها .. **وكان يقتص من عماله ، واذا شكى اليه عامل جمع بينه وبين من شكاه فان صح عليه امر يجب أخذه به أخذه به**

ولقد قال له عمرو بن العاص يوما : أرأيتك ان كان رجل من أفراد المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته ، انك لتقصه منه ؟؟ قال : أى والذى نفس عمر بيده لأقصنه منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟؟ الا **لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم** . »

بل لقد روى عمر أنه كان اذا استعمل عاملا كتب له عهدا وأشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار ، واشترط عليه ألا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس . وروى ان عمر كان يسير يوما فى احدى طرقات المدينة فسمع رجلا يقول : الله يا عمر تستعمل من يخون ويقول ليس على شىء وعامله يفعل كذا !! فارسل الى هذا العامل — وروى انه عياض بن غنم — واعطاه جبة صوف وغنما ليذكره بحرفة الرعى ، وكأنه يصرفه عن الولاية ويعيده راعيا كما كان !! ومازال به يعتقه ، ثم اشترط عليه ألا يلبس رقيقا ولايركب برذونا . ونقل الى عمر أن سعد بن أبى وقاص اتخذ منزلا بالكوفة جعل له بابا حتى يحجز عنه ضوضاء السوق ، وانه قال لأحد رجاله «سكن عنى الصوت» وان الناس أسموه « قصر سعد » فدعا بمحمد بن مسلمة ، وقال له : اعمد الى القصر حتى تحرق بابه ثم ترجع عودك على بدئك ، وكتب الى سعد : « ولا تجعل القصر بابا تمنع الناس من دخوله ، وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت » .

وكان الوفد اذا قدموا على عمر سألهم عن أميرهم فيقولون خيرا ، فيقول : هل يعود مرضاكم؟ هل يعود العبد ؟ كيف صنيعه بالضعيف هل يجلس على بابه؟ فان قالوا لخصيلة منها : لا ، عزله !

ونحن نقرأ مثلا أن **عمر عزل عمار بن ياسر عن ولاية**

الكوفة . ولكننا نجد أن عمر لايفعل ذلك حتى يختبر واليه ويفحص دعاوى الشاكين منه . فقد ولى عمارا متطلعا الى أن يحقق ماورد في قول الله « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمه ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الارض » وكتب الى أهل الكوفة : انى بعثت اليكم عمار بن ياسر اميرا وجعلت عبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ووليت حذيفة بن اليمان ماسقت دجلة وما وراءها ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى . وفى رواية انه دعاهم الى التعلم من عمار وابن مسعود وقال لهم « وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسى » !! وهكذا كان لا يميز عمر فى التولية بين يمين ويسار - ان صح هذا التقسيم أصلا - وتولى عمار الكوفة وكانت اليه الاحداث وكان ابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الارض وجباية الخراج ، وتولى شريح القضاء فشكا اهل الكوفة عمارا وقالوا عنه : « انه لا يدرى علام بعثته » !! ، « انه ليس بامير ولا يحتمل ما هو فيه » وقال جرير بن عبد الله عنه « هو والله غير كاف ولا مجز ولا عالم بالسياسة» ... ونزا به اهل الكوفة ، فكتب عمر اليه ان اقبل ، فخرج بوفد من أهل الكوفة ، « ووفد رجالا ممن يرى انهم معه وكانوا أشد عليه مما تخلف واخذ عمر يسأله عن أحوال ولايته ونواحيها الهامة ونشاطها الاقتصادى ، وعن منازل العرب فيها ، ولما لم يحسن واليه الجواب عزله وقال عمار « والله ما سرنى حين استعملت ، وقد ساءنى حين عزلت »!

وقد تتابعت شكوى أهل الكوفة ضد الولاة حتى تحير عمر وقال : أقوى مشدد أحب اليكم ام ضعيف مؤمن ؟؟ اهل الكوفة قد عضلونى ، وأى نائب أعظم من مائة الف لا يرضون عن امير ولا يرضى عنهم امير !! ويروى أن المغيرة بن شعبة قد أبدى لعمر رايه فقال : **ان الضعيف المسلم ضعفه عليه وعلى المسلمين وفضله له ، واما القوى المشدد فقوته لك وللمسلمين وشداده عليه وله** . وهو رأى رشيد من جانب المغيرة ، فما فى كل موضع يقدم الاخلاص على الكفاءة !!

هذه سيرة عمر مع عماله فكيف يورد الكاتب ما أورده عن عزل سلمان الفارسى الذى « كون نقابات للصناع ، وحاول التجار والأغنياء استمالته اليهم فلم يوفقوا ، ثم بدأوا يحاربونه حربا صريحة لايعقل ان تحدث الا اذا كان هو من جانبه قد اتخذ من الاجراءات الادارية ما هدد مصالحهم فعلا .. » !

وعجيب أن يمضى الكاتب فى استنتاجاته الى الحد الذى يكتب معه « ويبدو أنه لم يكن من السهل اسقاطه محليا ، وليس لهذا تفسير الا أنه كان يتمتع بشعبية واسعة فى ولايته ، اذ أنهم ذهبوا وفدا الى مقر الخلافة فى المدينة فقابلوا عمر ورفعوا اليه شكواهم ، وعلى الفور عزل عمر سلمان ... »

فكيف والله كان يمكن اسقاط والى الكوفة الذى عينه الخليفة محليا ؟ وهل كان هناك من سبيل الا أن يصدر قرار العزل ممن أصدر قرار الولاية ؟ ؟ أم ترى أصبحت الكوفة دولة مستقلة أو فيدرالية يعزل شعبها حاكمها ويولى من يشاء ؟؟

ويوغل الكاتب فى استنتاجاته أكثر فاكثر : « ومن المؤكد أن هذا العزل أثار جدلا عنيفا بين حزب اليسار وعمر ، ولكن عمر لم يغير موقفه ولم يتخذ اليسار أى خطوة عنيفة ليلغى هذا العزل...» !

وهكذا يدأب الكاتب على بناء « فروض » بعضها فوق بعض ، ولا يرتكز هذا الصرح الشامخ من الافتراضات والاستنتاجات الا على واقعة معتسفة أو ممسوخة أو واهنة ... وبعد أن يبلغ بنا الكاتب قمة الصرح ، يعود لشبر خطفا الى الأساس المزعوم « ، ومن الغريب أننا سنجد ولاية سلمان وعزله قليلة الورود فى كتب المؤرخين ، ولن نجدها الا فى متفرقات قليلة ، وكان هذا التجاهل عن عمد وتدبير » !!

ولقد شقيت مع الكاتب كلمات « كان » و « لعل » و « من الأرجح » و « من المؤكد » ... الى آخر التعبيرات التى تسعها لغة الاحتمال فى شتى مدارجها والتى ينفث خلالها الكاتب مايريد ، لتتداخل وتختلط الوقائع والفروض ، ويتيه القارىء فى هذا الزحام !!

يقول الدكتور طه حسين عن عمر :

« ... كان لا يولى عاملا من عماله على الأمصار الا راعى فى توليته رضا الله أولا ومصلحة المسلمين بعد ذلك . **وكان يختار لولاية الأمصار اولى القوة والكفاية وان كانوا من الذين اسلموا بأخرة** ، ويترك الأكابر من أصحاب النبى ، فلما كلم فى ذلك قال : اكره أن ادنسهم بالعمل ، وهو لم يقل هذا الا ايثارا للرد الحسن ، فأما حقيقة الامر فهو أنه كان يخاف على اكابر أصحاب النبى من أن يفتتنوا أو يفتنوا الناس ، ولذلك لم يولهم الأمصار ، اذا استثنينا سعدا حين ولاه حرب الفرس ، وأبا عبيدة حين ولاه حرب الشام ، وانما كان يمنعهم أيضا من الخروج الى الأمصار مخافة الفتنة عليهم أو الافتتان بهم ، بل كان يمنع قريشا من الانتشار فى الارض مخافة أن تفتنهم الحياة الدنيا ، وقال يوما فى بعض خطبه : الا وان قريشا يريدون ان يجعلوا مال الله دولة بينهم ، أما وابن الخطاب حى فلا ، الا وانى قائم لهم بحرة المدينة فآخذ بحجزهم أن يتهافتوا فى النار !! وكان بعض أكابر الصحابة يستأذنونه فى الخروج للمشاركة فى الجهاد فيأبى عليهم ويقول لمن يستأذنه فى ذلك : قد كان لك من الغزو مع رسول الله ما يجزئك . وولى مرة عمار ابن ياسر على الكوفة فشكا أهل الكوفة منه ، وكان أهل الكوفة كثيرا ما يشكون من ولاتهم حتى أتعبوا عمر،ولكنهم حين شكوا من عمار رحمه الله قالوا : انه لايعرف ما يلى ، فدعاه عمر وسأله عما يلى ، فلم يحسن الجواب فعزله ... وقال عمر ما معناه : اردت أن أحقق قول الله عز وجل (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) . ومن أجل ذكره لله وخوفه من عذابه ونصحه للمسلمين كان يراقب ولاته أشد المراقبة ولا يكاد يبلغه شيء من أمرهم يثير فى نفسه شكا الا أرسل من فوره من يحقق ما بلغه ويصلحه ان كان قد وقع ، وربما دعاه ذلك الى عزل الوالى . **وكان كثيرا ما يردد أنه يخشى أن يظلم بعض ولاته أحدا من الرعية ، ولا يستطيع المظلوم أن يرفع اليه شكاته ، وكان يؤمن بأن أى ظلم يقع من ولاته ثم لايجد هو فى اصلاحه فهو الظالم** . وكان كثيرا ما يقول للرعية اذا رآهم فى المدينة أو فى موسم الحج : انى لم أرسل عمالى عليكم ليظلموكم أو يضربوا أبشاركم ، وانما أرسلتهم ليعلموكم دينكم ويقسموا فيئكم بينكم . وكان لا يمل التشديد على ولاته فى **انصاف الرعية والرفق بالمسلمين** وحمايتهم من كل ما يسوؤهم . **وكان شديد الحرص على مال المسلمين** ، يصونه من نفسه أولا فلا يأخذ منه الا قوته وقوت أهله وكسوته حلة فى الشتاء وحلة فى القيظ ، **ويصونه من عماله فيراقبهم فى انفاق المال أشد المراقبة وأضيقها** . وقد رأيت ما فعله بخالد بن الوليد ، والقاعدة التى وضعها لنفسه ، **فكان لا يولى عاملا الا كتب ماله قبل أن يذهب الى مصره ، فاذا عاد معزولا حاسبه، فان وجد فى ماله زيادة غير مقبولة قاسمه ماله** . وقد رأيت انه قاسم سعد بن أبى وقاص حين عزله عن الكوفة ، وقاسم أبا هريرة حين عزله عن البحرين ، وقاسم غيرهما من ولاته الذين لم يرض عن كسبهم وسيرتهم فى المال » . وكان عمر يلقى الولاة فى الموسم من كل عام ، ويلقى معهم الحجيج من كل مصر ، فيسأل الولاة عن الرعية ، ويسأل الحجيج عن سيرة الولاة فيهم ، ولكن هذا كله لم يكن يكفيه فكان حريصا على أن يطمئن بنفسه على سيرة الولاة وسيرة الرعية جميعا . ولم تتح له هذه الزيارات التى كان يزمعها ويحرص عليها أشد الحرص ، شغلته الاحداث ومراقبة الحرب فى بلاد الفرس حتى اختطفته المنية اختطافا .. وكان يجعل الى جانب كل وال رجلا آخر يتولى بيت المال فى المصر ... وكان أصحاب بيوت الاموال حراصا أشد الحرص على الدقة كل الدقة فى أمر ما عندهم من الاموال وفى أداء حسابها الى أمير المؤمنين بحيث يستطيع عمر أن يقف على كل شيء ، وأن يحاسب الولاة على ما أنفقوا وعلى ما اكتسبوه » « كان على ذلك يحج بالناس فى كل موسم ـ ما عدا السنة الاولى لخلافته ، وكان اذا خرج للحج تقدم الى ولاته أن يوافوه كل على رأس من يحج من مصره فكان ذلك يتيح لعمر أن يلقى الولاة ويلقى وفود الرعية ، فيسأل الولاة عن رعيتهم ويسأل الرعية عن ولاتهم ... »

« فتحى عثمان »

(للبحث بقية)

أبعاد المعركة

للدكتور: نجيب الكيلاني

هذه المعركة الفكرية التى يثار غبارها على صفحات مجلاتنا المختلفة ، والتى شاركت فيها مجلة «الرسالة» بنصيب كبير ٠٠ وهذه الصراعات العنيفة التى تتناثر رذاذها فى كل أنحاء العالم العربى.. وهذه المناقشات المحتدمة التى تخطت صفحات المجلات والجرائد الى المجالس الأدبية ، والندوات الفكرية ٠٠ ماذا وراءها وماذا وراء كل هذه الضجة الكبرى ؟ وما حقيقة تلك الخلافات الناشبة ؟

قد يقول قائل : ما جدوى الخلاف ونحن أمة ثارت ، وكشفت عن مرارة واقعها ، وضياع ماضيها، وروعة غدها المأمول ، واستطاعت أن تحدد معالم الطريق الجديد ، وأن تخطط الميثاق الذى تسير على هديه ، وأن تبرز بين سطوره أصل سقمها وعللها ، وأن تضع يدها على العلاج الناجع ؟؟

والذى لا شك فيه هو أن تبادل الآراء دلالة حيوية وحركة ، وليس معوقا فى أغلب الأحيان ، ولو صدقت النيات ، وصفت القلوب من الشوائب والزيغ والهوى والانحراف ، لآتت هذه المناقشات أكلها ولكانت أداة بناء لا هدم وتحطيم ٠٠

والمعركة الدائرة ليست جديدة ، فهى قائمة منذ أن بزغت فى الأفق بشائر النهضة الحديثة ، ومنذ أن أفاقت الشعوب العربية من ركودها فرأت الاستعمار ــ سياسيا وعسكريا وفكريا ــ يجثم على صدرها ٠٠ وكانت أخطر الدعوات التى انبثقت آنذاك تلك الدعوة التى آمنت أنه لا خلاص من الاستعمار والتخلف الا بنفس الأسلحة التى قهرنا بها الأعداء ، وبالانكباب على الحضارة الغربية بصالحها وطالحها (كذا) ٠٠ ولقد ضمت هذه الدعوة المنهورة بين ثناياها حربا عنيفة على الأديان عامة ، والاسلام خاصة ، واعتبرت القيم الروحية ضربا من التخلف والرجعية ، وحاولت أن تتصيد بعض الأخطاء التاريخية (الفردية) لتؤيد وجهة نظرها، مستشهدة بما دسه غلاة المستشرقين من أحقاد وسموم، وكانت الوقفات الكبرى التى وقفها جمال الدين الافغانى والكواكبى واقبال والشيخ محمد عبده وقفات خالدة مشرقة ، اذ استطاع هؤلاء المصلحون الثوريون أن يحموا حركة التحرر من الانحراف والارتماء فى أحضان التحلل والاباحية فلم تندفع أمتنا العربية فى التيار الذى قضى على شخصية تركيا التاريخية ودينها الحنيف ، بل اعتصمت شعوبنا بقيمها الروحية ، وظلت تناضل من أجل حقها فى الحياة الكريمة ، مؤمنة بتراثها ومبادئها الاصيلة ، مستمدة منها زادها الروحى ، ومثلها القويمة ، دون أن تتقاعس عن اللحاق بركب الحضارة العلمية الأوربية.

وهكذا لم تقم ثوراتنا على أكتاف طائفة من المتفرنجين أو الملاحدة أو تلامذة غلاة المستشرقين، بل حمل لواءها رجال تميزوا « بالتوازن النفسى » ، والوازع الخلقى ، والنخوة العربية الأصيلة ، ورجال لم تغرقهم ثقافات ضالة ، ولا فلسفات منحرفة منحلة ، رجال استوعبوا تاريخهم وتراثهم المجيد ، وجذور حضارتهم الخالدة ، ورجال قاسوا وتعذبوا وعاشوا مأساة شعبهم الكبير بكل فصولها التعسة ٠٠ على أكتاف هؤلاء قامت الثورة ، وثبتت دعائمها، وارتفع ميثاقها كقمة شاعقة ، وامتدت معاركها فى كافة الانحاء معلنة ميلاد يوم جديد ٠٠ حيث لا تبعية

لأحــد ، ولا زحف خلف فلســفات غربية مارقة ، ولا ضياع فى مهامه التمزق واللاانتماء والأحزان ٠٠

والغريب أن هؤلاء «الذيول» الذين اثاروا الكثير من الضجيج، وقدموا التافه من الاعمال، كانوا يملأون أعمــدة الصحف والمجــلات بالعبــارات الطنــانة ، والأناشيد الشــورية الجوفاء ، يصدق على كل واحد منهم صفة « كداب زفة » ان ما يقولونه هو ٠٠ هو ٠٠ ولم يتغير، قد يخرسهم الجبن ، أو تكمم افواههم ارادة الشــعب الغالبــة ٠٠ الشــعب المؤمن اليقظ المكافح الذى يسكن الريف منه حوالى سبعين فى المائة، يعيشون عيشة الصبر والانتاج والايمان ، لكن هؤلاء «الذيول» يهبون من آن لآخر هبــة المســعورين ، فيبعثرون لعناتهم هنا وهناك، ويتهمون كل من واجه أكاذيبهم وتضليلهم بتهمة «الرجعية» ٠٠ فمن يكون هؤلاء الرجعيون ؟

هل هم أولئــك الذين تمســكوا بتراثهم وقيمهم الروحية ، مع مسايرتهم لركب الحضارة العلمية فى كافة انحاء الارض ؟

هل هم أولئــك الذين أبوا أن يضحــوا بلغتهم العــريقة الأصيلة ، أو يستبدلوا بحــروفها أحــرفا لاتينية ، أو يضيعوا تراثهم فى آبار اللهجات المحلية المتعددة ، أو يفرضوا على أنفســهم ذلك الانعــزال اللغوى ، ابان صيحة الحرية والوحدة العربية ؟؟ هل هم اولئك الذين آمنوا بالميثاق نصا وروحا ، حين قرر « حتمية الحل الاشــتراكى » وقرر الى جــواره ضرورة الايمــان بالقيم الروحيــة ، والحفــاظ على الشخصية العربية بكل مقوماتها وسماتها ؟

أم يا ترى لا بــد ان نــكون « ســارتريين » أو « ماركسيين » أو « لامعقوليين » حتى نبعــد عن أنفسنا تهمة الرجعية ؟

لهذا أقولها واضحة صريحة بلا غموض ٠

اننا عرب ٠٠ اشتراكيون ٠٠ مؤمنون

هذه هى عقيدتنا دون لف أو دوران ، لا نعيش فى « مدينة بلا قلب » ، بل نحيا وسط أمة خالدة ، حية القلب ، يقظة الوجدان ، حيث لا ضياع ولا تمزق ولا انتفاضات محمومين معذبين ، لم نذب بحثا عن صخرة النجاة البعيدة المجهولة ، واننا نعرف طريقنا جيدا ، وعيوننا من قديم على صخرة النجــاة التى ضلت ابصاركم وبصائركم عن العثور عليها ٠٠

هذه هى عقيدتنا التى لن ننصرف عنها مهما أثرتم من حولنا الشــبهات ، وملأتم الأفق عــواء وافتراء وتشويها للحقائق الناصعة ٠٠

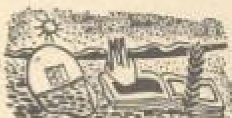
لكن الذى آسف له ، هو أن تظل أقلامكم تنهش اعراض تراثنا وقيمنا الغالية من فوق المنــابر فى بعض الصحف ٠

ولكى تتضح ابعاد المعركة يجب أن تقولوا : **من انتم ؟**

لأننا قلنا من نحن ٠٠

وأخيرا ٠٠ يجب أن تفهموا أننا على أبواب معركة فاصلة بيننا وبين الصهيونية والاستعمار ٠٠ وهذه المعركة لا تجدى فيها شقشقة لســان ٠٠٠ معركة تحتاج الى أنفاس طويلة لا الى أنفاس قصيرة لاهثة أشبه ما تكون بآنات الشعر الحديث وتفعيلاته ٠٠

« د ٠ نجيب الكيلانى »



خواطر علي

أطلق شراعك أضواء والحانا … واخفق على الموج يا ابن الموج سكرانا
وابعث اغانيك باملاح ساجية … كالناى بثا ، وكالناقوس اشجانا
أما ترى الليل مزهوا يضاحكنا … كأنه الفجر لما عاد يقظانا
مابين عينيه اضواء ملونة … تراقص الأفق السحرى جذلانا
وتوقظ النجم طفلا في مراقده … يجر من ثوبه الفضى اردانا

ملاح ، يابن الهوى الممراح ، ياوترا … يرف للناس لحن الحب ظمآنا
انا نشاوى الهوى ، لكن واحدنا … يطوى الليالى اسى ، والعمر احزانا
فاغنم من الدهر لذات يجود بها … فالدهر بعد غد يوليك حرمانا
واستضحك الموج صداحا بقافية … ياطالما صاغها المجداف الحانا

يابلبل الماء يحدو كل صارية … بجناحها المائج الهدار غضبانا
أما ترى النهر منسابا يرف لنا … أحلى تراتيمه الولهى كنجوانا
اذا تماوج هز الطير ارغنه … ورنح الدوح اغصانا وسيقانا
وان تنفس في الآفاق طرزها … زنابقا وازاهيرا وريحانا
ينساب كالعاشق المضنى على مهل … آنا ، ويرقص في أمواجه آنا
ويستحم عليه البدر زنبقة … بيضاء ، قد فتحت للفجر أجفانا
وتستفيق له الأحلام اشرعة … رفافة ، يجتليها النور الوانا
وان ترنح فيه الضوء تحسبه … يذكى باعماقه للشوق نيرانا

يا نهر دجلة ، يا طيبا ، ونبع شذى … للمجد ، يا طافحا بالوجد شطآنا
يا همسة في ضمير الليل ، يرشفها … فم الدجى خمرة ، ما قاربت حانا
لأنت نبع من الالهام ، منطلق ، … يفوح منه الأريج الطلق وسنانا
لولاك ، بغداد ما ازدانت مرابعها … ولا ترنح فيها الليل سكرانا
ولا ازدهت ضفة خضراء ساجية … يجوبها الناس سمارا وندمانا
ولا ارتوت شفة ظمآى ، تحن الى … كأس ، ولا هدهد العشاق اشجانا

غنيت دنياك ، اذ أغنيت دنيانا … وشدت باسمك اسرارا واعلانا
وطفت في عالم الذكرى اخا مرح … لما لمحت على شطيك ذكرانا
وجبت مسراك ، أستوحى مرابعه … خضرا ، واستنزل الآيات فتانا
فلحت لي مزبدا غضبان مقتحما … تزحزح الصخر آساسا واركانا
تطوى الشعاب الى البطحاء ، منبجسا … ثبرا ، يبدد في الأغوار خسرانا
يحفك النخل مزهوا بخضرته … مرنحا ، ألبسته الشمس تيجانا

دجلة

للشاعر: محمد جميل شلش

من كل باسقة عذراء سافرة   تستاف من خمرك السلسال ألوانا
وكل حالية ، ودت بأذرعها   لو عانقت منك أمواجا وشطآنا
أزرت مفاتنها بالغيد اذ برزت   خضراء حالية بالطلع ريانا

•

يا واهب الغابر النائي بسلسله   عيشا رخيا ، وابداعا وسلطانا
ومنبت الخير أنى سرت فى بلد   لولاك اقفر أمصارا وبلدانا
يا نهر ، يا مشرقا غيثا على الحق   بالمجد اشرق أجيالا وأزمانا
وجارفا من كنوز المال طامية   سمراء ، تحسبها الأنظار عقيانا
لو قد عرفناك .. لوثت الحياة لنا   وصغتها روضة تزهو وبستانا

•

قدست فيك حمى ، لذنا بجنته   فى غابر المجد أحبابا وخلانا
أيام رفت على الدنيا مصفقة   راياتنا ، واعتلت عزما سرايانا
ما فرقتنا العوادى ، يوم صيرنا   الايمان بالوحدة الشماء بنيانا
ولا تنزت حنايانا لأخوتنا   كرها ، ولا انفجرت حقدا واضغانا
قوم ، تفانوا على الاخلاص ، واتخذوا   من المحبة انجيلا وقرآنا
ان ضج فى الشام مظلوم أخو شرف   هبت له مصر أنصارا وأعوانا
وان شكا النيل فى أرزائه بردى   واستنجد الشيب يوم الروع شبانا
ضج العراق حميات مضرمة   حمرا ، كما هيج البركان بركانا
واليوم .. تسطو يد الجانى ، فتسلمها   يد الوئام على أجدات قتلانا
يا نهرنا ، كم يهيج الذكر من شجن   قلبا ، تناءت به ذكراك أشجانا
انى نظرت الى دنياك زاهية   خضراء ، يعبق منها الطهر زهوانا
وعدت أنظر دنيانا ممزقة   يرعى بها البغى آنا ، والضنى آنا
يا نهرنا .. عفو آلامى اذا طفحت   وأجهشت بالدم القانى لبلوانا
ما كان نبذ التآخى من طبائعنا   ولا الضنى والتراخى من سجايانا
لكن ، أضعنا حياة العز مشرقة   فضاع نور اباء من محيانا

•

يا نهر ، قد قيل : كان الشرق يجمعنا   والنصر يحضننا ، والمجد يغشانا
وقيل : كان المثنى فى مرابعنا   يطوى العراق على رايات شيبانا
وخالد الفتح يزجيها مرفرفة   عبر الجزيرة رايات وفرسانا
ويطلق السمر فى الصحراء تحسبهم   « موت الفجاءة » يزجى الموت ألوانا
يسقون هذى الرمال السمر من دمهم   وينصرون ضعيف القوم ان هانا
كنا .. وكان الهدى يرعى شمائلنا   واليوم عدنا وليل الشك يرعانا

(البقية على صفحة ٦٤)

لماذا القومية .. ولماذا الاسلام ؟

بقلم محمد جلال كشك

- ٥ -

آن ان نعود لحديثنا .. بعد ان شغلتنا عنه محاولات الذين ظنوا ان الكلمة الصادقة يمكن أن يشوش عليها بالدجل والتزييف.. أو ان صوت الحق يمكن أن يرهبه الصياح والتهديد .. او ان الابحاث الجادة يرد عليها بغير الادلة والبراهين ! .. ولعلهم نالوا درسا يردعهم ، ولعلهم يفيئون الى الحق فيفيدهم .. ومنهم نستفيد ! ..

وكنا قد وقفنا في دراستنا : « القومية العربية والاسلام » عند السؤال الأخير في هذه الدراسة .. وهو « لماذا القومية العربية..ولماذا الاسلام ؟!».. لماذا لايعيش الناس في حضارة عالمية واحدة بلا حدود؟ بلا قوميات ، بلا أديان.. فلا اله الا العلم ، ولا وطن الا العالم كله .. بل حتى الكون !

وكنا قد تناولنا في دراستنا هذه ، التطور التاريخي للوطن العربي كجزء من الحضارة الاسلامية .. واثبتنا ان وقوع هذا الوطن تحت الحكم العثماني ، كان ضرورة تاريخية مبعثها الخطر الصليبي .. أو « غزو الفرنج » .. الذى هدد باحتلال البلاد العربية بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح والتفوق البحرى على العرب منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ..

ولم يكن امام الوطن العربي الا أحد أمرين ، أحدهما مر :

الوقوع تحت الاحتلال الافرنجي ، فتفنى عروبتها ، ويستأصل اسلامها كما جرى على الاندلس .. مأساة الاسلام الاولى ..

واما أن تستسلم لأقوى عناصر الامة الاسلامية، أى الاتراك العثمانيين ، فيذودون عن اسلامها ، ويفرضون عليها في نفس الوقت ، كل تبعات التخلف التى يحتمها مثل هذا الحكم من مقاتلين محترفين ، هم أقوى عناصر الامة من الناحية العسكرية واقلها حظا من الحضارة !..

واختار الله لنا الحل الثاني .. وصدقت غريزة امتنا .. فقبلت هذا الحل برغم ادراكها الواعي لكل مساوىء العثمانيين ..ولكن الامم في لحظة الاختيار بين البقاء والفناء ، لاتقف عند التفاصيل، بل ان الامم الزائلة والحضارات المنهارة هي التى تتردد ، وتفضل الجزئيات على الحل المصيرى .

ولكن امتنا لم تتردد ، اختارت الحفاظ على اسلامها ، ولو حكمها التركى الغشوم عن أن تفنى في حضارة جديدة مزدهرة .. ولعل ذلك ما يغيظ بعضهم ، ولعل ذلك سر الحقد الاسود على الدولة العثمانية ، لانها حفظت اسلامنا ..

على أية حال .. فلا اظن أن مجال الاختيار كان كبيرا .. لان الاستعمار في القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر كان لا يمل تقدما .. بل افناء وحشيا ونهبا بربريا ، واستئصالا حتى للوجود ذاته ..

ومازلت أرجو أن تتاح الفرصة لعددمن الباحثين، لدراسة جادة حول الحتمية التاريخية لتخلفنا في مرحلة الازدهار الرأسمالى .. وأميل الى القول ـ ولو كمجرد خاطر ـ ان الروح الاسلامية تتنافى مع امكانية النمو الرأسمالى ، لان ذلك النظام الوحشى يتعارض مع تعاليم الاسلام وخلقه .. فهل كان من

المحتوم أن تتراجع حضارتنا ولو الى التخلف . فما كان بوسعها ان تمتص دماء الشعوب باسم الاستعمار .. لذلك تراجعت وانهارت الى أن افل نجم الرأسمالية والاستعمار ، وأشرق فجر الاشتراكية فلاحت تباشير البعث الاسلامى ؟

وقلنا انه عند النصف الثانى للقرن التاسع عشر جرت محاولات ، وانتشرت اماني ، حول امكانية قيام وحدة اسلامية او عثمانية تمتزج فيها عناصر الدولة العثمانية ، في ظل نظام عصري ودولة حديثة تصد الغزو الاستعماري .. ولكن الامل انهار والفكرة وئدت ، لعدة اسباب ، ليس اقلها ، تمسح القيادات التركيـة التى عملت باسم الدستور .. وتفشي العمالة فيها سواء للاستعمار الاوربي ، او للصهيونية ..وتسممهم بالفكر الغربي، والشوفينية التركية ، مما دفع العرب الى الانفصال والاعداد للثورة العربية .. ولكن هذه الثورة لم تنجح،خربها الجواسيس رجال المخابرات البريطانية والفرنسية ، والعملاء الذين تعددت شعاراتهم واختلفت ألسنتهم .. وتوحدت جهودهم فى تمزيق الوحدة العربية ومحاربة الرابطة الحقيقية .. وهى الاسلام ..

لذلك تشوه تاريخ المنطقة ، والتوى كفاحها ، وتحطمت ثوراتها .. وانعزل المشرق عن المغرب.. وكادت مصر ان يكون لها تطورها المستقل .. حتى كانت ثورة ٢٣ يوليو ، فاعادت وضع الثورة العربية على قدميها .. واستطاع قائد الثورة ،بعد مرور عدة أيام على توليه مسئولية تحريك التاريخ، ان يبصر ببصيرته التى لم تفسدها الأغراض ولا الخيالات التى ازاغت أبصار القادة من قبله استطاع قائد ثورتنا أن يبصر الدوائر الثلاث التى يتحتم أن يتحرك فيها مصير هذه المنطقة .. فكان أول زعيم عربي بعد الحرب العالمية الأولى ، يربط بين الاسلام والعروبة ووجودنا الافريقى ..

ومن هنا نصل الى سؤالنا .. لماذا الاسلام .. لماذا القومية ؟! ..

الا يكفى للاجابة على هذا السؤال ، استخلاص عبرة من النصر الجزائرى ؟ .. وتأمل المصير المفجع للحركات التى حاولت أن تعمل فى الشرق العربى، بعيدا عن الاسلام ، فانتهت الى الافلاس .. بل الى الانتحار .. واقرب مثال لدينا ، ذلك الاعلان التاريخى ، والأول من نوعه ، واعنى به اعلان الاحزاب الشيوعية المصرية حل نفسها وتصفية نشاطها ..

لماذا ؟ ..

لألف سبب أولها أنها عجزت عن فهم الاسلام..

فماركس لم يدرس الاسلام ، وما كانت تعنيه هذه الدراسة ، لأن ينطلق من الغطرسة الغربية التى تحل مشاكل العالم من عاصمة اوروبية ! وتؤرخ للجنس البشرى من خلال تاريخ الجنس الأبيض ! .. اما نحن فلسنا الا المجال الحيوى عند الاستعماريين ، لضمان دوران مصانعهم وازدهار حضارتهم ، أو وقودا ثوريا عند الماركسيين امجرد احتياطى يزيد اشتعال الثورة العالمية ، ويضمن دوران عجلة الثورة فى بلاد الناس الارقى ، الذين لهم وحدهم كفاءة ادارة الماكينة وأيضا الثورة !..

لذلك لم يقلق ضمير ماركس وهو يفلسف للكون ، ويضع نظرية للتاريخ البشرى .. دون ان يدرس الاسلام ، ولا حضارة الذين افتخرت بهم الحضارة ، الف عام ! ..

ومات انجلز . وهو يتمنى لو درس الاسلام .. ليفهم المسألة الشرقية ، وعلى أية حال ، فقد أثنى هو ولينين على فكرة الجامعة الاسلامية ..

ولما جابهت لينين مشكلة الشعوب الاسلامية ، فى الامبراطورية الروسية ، اكتفى بتكليف « **ستالين** » خبير القوميات عند الشيوعيين ،بوضع تقرير فيها ، سرعان ما تحول الى « انجيل »باسم « المسألة القومية » تصح فيه قادة الحزب بعدم تكليف المسلمين بتربية الخنازير .. ولعل ذلك هو اقصى ما عرفه ستالين عن الاسلام ! .

اما خرشوف فقد اعترف أمام الوفد الجزائرى وبعد ان سمع منهم شرحا فى مبادىء الاسلام .. اعترف (كما أخبرنى عضو فى الوفد) بأنه يبدو أن الاسلام يختلف عن الاديان الأخرى .. وربما كان ذلك لانه كان فى الجانب المضطهد فقد احتفظ دائما بخاصية ثورية »

لذلك حكم الماركسيون على الاسلام بالسماع ، أو بالقياس .. ناسين ان الاسلام نسيج وحده ، وان جميع الثورات فى الغرب كانت تبدأ ضد

الكنيسة ، حتى يمكن ان نلخص تطور الحضارة الغربية فى سلسلة المعارك ضد المفاهيم الكنسية . وكانت الكنيسة دائما فى الجانب المحافظ .. بعكس الحال فى العالم الاسلامى .. اذ ان جميع الثورات والمحركات التحررية ذات طابع اسلامى ..

غفل الماركسيون عن حقيقة ان ديننا يدعو الى تغيير المنكر باليد اولا ..وان عمر بن الخطاب ينصح بقتل الخليفة المنحرف ، فيراجعه طلحة : « هل قلت لو اعوج عزلوه » فيقول عمر : « لا .. القتل انكل لمن بعده ! »

هذا الدين لا يعتبر ثوريا من يعاديه أو يتجاهله .. كان على اى حركة سياسية تريد أن تعيش فى بلادنا أن تبدأ من الاســلام ، وان تقيم فلسفتها – ان كانت ثورية وطنية – على أسس اسلامية ..

ولكن الماركسية – **والى مدى بعيد ، الحركات القومية الأخرى مثل حزب البعث** – كان يستحيل عليها فهم دور الاسلام فى البنيان الحضارى للمنطقة..

اولا : لأنهم نقلوا نظريات الغرب ،واستوردوا لنا فكرا وتحليلا ، كما استوردوا الماكينات والراقصات !

والفكر الاوربى لا يعترف بالاسلام لسببين :

• ان الفكر الاوربى الثورى محتوم عليه ان يبدأ برفض الاديان .. وما زالت الكنيسة هى أكبر قوة معارضة للاشتراكية فى أوربا .. ومشكلة الحزب الشيوعى الايطالى الآن .. هى الوصول الى تسوية مع الفاتيكان

• ان الفكر الاوربى العنصرى، المغرور لايعترف الا بوجوده ، ولا يرى فى حضارات الآخرين الا عاملا ثانويا ، ومساعدا لتطوره هو ..

ثانيا : لسبب ذاتى ،هو كون قيادة هذه الحركات غير مسلمة .. فالحركات الماركسية مثلا ، كانت نسبة اليهود فى قيادتها حوالى مائة فى المائة !

كان أقصى ما تستطيعه هذه الحركات ازاء الاسلام هو أحد أمرين ، اما ادراجه تحت شعار « أفيون الشعوب » او توديعه بكلمة تأبين مناسبة ،على أساس انه كان مرحلة على طريق التطور البشرى ، انتهى دورها ، والغاها الديالكتيك ، وها نحن قد عشنا حتى رأينا الاسلام يلغيها هى وديالكتيكها ..

هل كان بوسع يهودى ان يفهم تراث هذه الامة ؟ ويعرف اى افتئات على قدرها ، ان يحاول الماركسيون قيادتنا بتعاليم ديمتروف البلغارى .. ونحن الذين حكمنا بلغاريا ثلاثة قرون !

العالم ينقسم الى حضارات ، متعايشة او متحاربة لكنها متمايزة ، وليس هناك ما يسمى بحضارة الجنس البشرى ، هناك امبراطورية عالمية ، تسعى للسيطرة على العالم فتجعل من قضيتها قضية كل الجنس البشرى ! ..

واذا كان من حق اليوت وتوينبى..بل وانطونى ناتنج أن يتحدثوا عن الحضارة الغربية المسيحية .. فنحن اولى بالحديث عن الحضارة الاسلامية .. ولا نأتى بذلك بدعة ولا عجبا .. فقد ثبتت الآن خرافة الزعم بانتهاء الاديان .. ولا سبيل لقيام أى حضارة الا بالدين .. ولا سبيل لبعث عربى الا تحت الراية المحمدية .

والاسلام هو تراثنا الروحى ، وهو رسالتنا الحضارية وهو بالذات ، رسالتنا لشعوب أفريقيا المتطلعة للتحرر والمساواة والاخوة الانسانية ، وما من مبدأ ولا عقيدة يمنح ذلك لافريقية السوداء .. سوى الاسلام .. ونحن حملة الرسالة الاسلامية لأفريقية .. ولا تملك لها غيره !

والدين هو العقيدة الوحيدة التى يمكن اعتناقها ولا يجوز وصف الاشتراكية بالعقيدة، ولا الاشتراكيين بالعقائديين اذ ان أسوأ ما يصيب نظاما اجتماعيا ، او نظرية سياسية هو تحولهـا الى « **عقيدة** » فلا يخفى ان « **العقيدة** » لا تتبدل ولا تتطور .. بل ويضيق فيها مجال المناقشة والخطأ والتصويب .. بينما النظم الاجتماعية والسياسية يجب أن تتمتع باقصى درجة من المرونة والتفاعل ،والاستجابة للنقد والاستفادة من التجربة والخطأ .

والنص على أن الاسلام هو روح حضارتنا ، ورسالة القومية العربية ، لايعنى ان هناك تفكيرا فى اقامة وحدة اسلامية أودولة اسلامية من الأطلس الى الفيليبين ..

لا ..

فى ظل الحضارة الاسلامية ، من الممكن ، بل ومن الضرورى أن تتعدد الدول ، وتختلف النظم ، وتتباين التجمعات القومية .. فتوجد الأمة الباكستانية ،

والأمة الفارسية ، والتركية ·· والعربية ·· وكلها امم مسلمة ·· تماما كما يشمل تعريف توينبي للحضارة المسيحية الغربية كلا من الدول الراسمالية والدول الشيوعية ، رغم تقاتل هذه الأمم فيما بينها··

والاسلام عقيدة الغالبية العظمى من الأمة العربية والعقيدة الوحيدة للقوميات الصغرى التى تعيش معها ·· وهو أيضا التراث الحضاري والثقافي للعرب غير المسلمين ، لأن العروبة بدأت مع الاسلام ، ولأن هذه الامة العربية قد تكونت خلال انتصارات الاسلام وهزائم المسلمين··ولأن الحضارة المسيحية الغربية، تعادى نصارى الشرق كما تعادى المسلمين ··

وقوميتنا عربية ·· الا اننا لا نعترف بالمواصفات الماركسية الخمس فى تحديد القومية ولا يعنينا مدى انطباقها علينا ·· كذلك ليست القومية العربية بالحركة العنصرية ، الشوفينية ، كما صورتها بعض الحركات والأحزاب فى الشرق العربى ·· فهى قومية انسانية متحررة لانها مسلمة ·· تربطها صلات اخوة ومساواة بالقوميات غير العربية المتآخية والمتعايشة معها والتى يربطها الاسلام ، بالقومية الكبرى ، باوثق رباط ·· وهذه القوميات لها كامل الحقوق القومية ·· ما عدا حق الانفصال الذى يتنافى مع الأخوة الاسلامية ، والمصالح الحيوية ، لهذه القوميات، ومصالح الحركة التحررية لشعوب هذه المنطقة ··

ويتحقق اسلامنا ، بوجود الشخصية الاسلامية ، باحياء الحضارة الاسلامية ، ؟ ببعث التراث الاسلامي، والقيم الاسلامية ؟ بتطهير الفكر من كل آثار الغزو الفكرى ، وشوائب الحضارة الغربية المسيحية ·

واذا ما أكدنا الطابع الاسلامى لحضارتنا ، وابرزنا الجانب الانسانى والتحررى فى قوميتنا ، واستبعدنا من قاموسنا السياسى ، لفظ الشعوبية او قصرنا استخدامه على السلوك السياسى والفكرى المعادى للعروبة والاسلام مهما تكن جنسية صاحبه لا أن يستخدم للتعريض بالأجداد ، واحياء نظريات الدم والعرق ·· فنحن أمة سلمان منا أهل البيت ·· أمة سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى صحابة النبى العربى ··

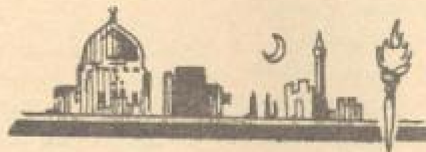
وبمثل هذا الفهم لن يثير حديثنا عن القومية العربية ، حساسية عند القوميات الأخرى ، ولا ضير من ان تستخدم كلمة الأمة العربية للتعبير عن كل سكان المنطقة ، كما يقال أحيانا روسيا أو الاتحاد السوفيتى · والقومية العربية هى الشقيقة الكبرى، وبلسانها قرآنهم··ومنها نبيهم وقد أمروا أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما ·· وأمرنا نحن العرب ·· بأن نعطيهم مثل مالنا ، وتوجب عليهم مثل ما علينا ·

ان العالم يقترب من مرحلة القوميات الاشتراكية فالاشتراكية ستسود معظم العالم ·· على الأقل ما يسمى بالعالم الثالث (اسيا افريقية ـ أمريكا اللاتينية) ولكن الدولة الاشتراكية العالمية لن تقوم ، المعسكر الاشتراكى المتحد ، حديث الأمس الغابر ، وامنية لم تعش الا بضع سنوات··ستبقى القوميات لانها هى الحقيقة الباقية ، مهما اختلفت النظم الاجتماعية ·· والذين يفقدون وعيهم القومى ، يسقطون فى شرك الاخوة الطبقية ، لا يجنون الا ضياع أوطانهم وابادة قوميتهم ··

وهل كانت سقطة الشيوعيين فى موقفهم من قضية فلسطين الا ثمرة هذا المفهوم الخاطىء للقومية ·· عندما حلموا باخوة العمال العرب والاسرائيليين فخدعهم اليهود ، وسلبوا الوطن العربى ، وطردوا وشردوا العرب ، ليحاولوا هم تكوين قومية مفتعلة فوق ترابنا ، قومية لا يربطها الا الدين ! ·· وثبت ان الشيوعى اليهودى أقرب للصهيونى منه الى العامل العربى ·· برغم كل النظريات والشعارات ··

ولن تعود فلسطين الا اذا عدنا لقوميتنا واسلامنا·

« محمد جلال كشك »





شاعر من فلسطين :

اذا كان هناك شعراء مارسوا الضياع والقلق والتمزق والحزن ، فان هؤلاء الشعراء لابد أن يكونوا الشعراء الفلسطينيين ، وبخاصة هؤلاء الذين خوضوا في المأساة ، واندكت قاماتهم وهم يغادرون الارض والذكريات ، وتزلزلت أيامهم وهم يحتكون من جديد بالعالم من حولهم ، نعم فانا لا اقصد هؤلاء الذين يخرجون المناديل الهفهافة من أكمامهم ليمسحوا دموعهم ، وانما أقصد هؤلاء الذين اختنقوا برائحة البارود ، والذين ثقبوا بالرصاص ، والذين احسوا أن الاسلاك الشائكة تخترق صدورهم ، وانهم في كل مكان يتوجهون اليه يحسون أن لحمهم وذكرياتهم وملابسهم ممزقة على هذه الأسلاك الشائكة .

ولكنهم بالرغم من هذا يحسون ان هناك شيئا لم يمت فيهم ، وانهم مع احساسهم بالفاجعة الا انهم يحسون على جبل الظلمة بخيط رفيع من النور ، وان هذا الخيط لا بد أن ينسج ببطء مع خيط آخر من حبة العين حتى يمكن أن يكسى به الوطن العريان، ومن هنا ينطبق عليهم قول « روبرت اودرى » في كتاب « الأصل الافريقى » بأنهم مخلوقات الطقس السيء ، واحسن ابناء المحن ، وانهم يكونون على أحسن حال في الوقت الذي يكونون فيه في اسوأ الظروف .

ونحن اذا أردنا أن نشير اشارة سريعة الى واحد من هؤلاء الشعراء الذين تفجروا بالبرق، واصطدموا بكل ذرات الكون ، وبكوا وابتسموا في وقت واحد، ورأتهم الحياة وهم يكتبون في أول الأمر «**بالكاميرا**» ليصوروا المأساة من الخارج في سرعة ، ثم رأتهم بعد ذلك يحاولون أن يطرزوا ابتسامة امل في الوقت الذي لا تكف فيه عيونهم عن البكاء ، ثم رأتهم أخيرا تجف في عروقهم المأساة ، ومع ذلك فهم يحملونها كجثة ، ويتحسسونها كمار .. اذا أردنا أن نحتك بواحد من هؤلاء فان وجه « **معين بسيسو** » **لابد** أن يكون أسبق هذه الوجوه التي نزفت كقطعة شمس، وتهالكت كبرادة حديد ، والتي حملت فلسطين والدم يتدفق من جوانبها ساخنا ، ثم مازالت تحملها بعد أن توقف الدم وبردت الجثة ، وانطفأت الصبوة ، ومع ذلك فلا يستطيع أن يتخلص منها ، ومن هنا

يأتي صراخه في أول الأمر ، ثم احساسه بالنفي ، وبالموت .

فنحن نرى الشاعر في مجموعته الصغيرة «المعركة» التي صدرت عام ١٩٥٢ يتكلم الى حد الصراخ ، ويتحرك الى حد السقوط ، فهو يصيح فيمن حوله الا يتركوا مكانا واحدا في السور البشري الذي يلف الوطن الجريح ، فاذا خلا مكان فليتقدم من يستطيع أن يملأ هذا الفراغ دون أن يخشى من الدم الذي على السلاح الذي سيتسلمه ، وفي الوقت نفسه عليه أن يتذكر أن من يحمل سلاحه ـ رغم موته ـ عيناه عليه !

وهو يخشى على هؤلاء الذين ضاعت بلادهم أن يقولوا انهم غرقوا في السيل ، وأن الريح قد استطاعت أن تشق شراعهم ، وهو يحرضهم لا بالأحياء الصامدين فقط ، ولكن بالأموات كذلك :

يا أيها الموتى أفيقوا ان عهد الموت زال

فالشاعر يعرف المصير الذي آل اليه شعبه ، فهو يغطس في السيل ولكن البرق يضيء وجهه ، وهو يعرف أن شعبه يتبدد ، ولكنه يذكره بأن هناك « الرفاق » من خلفه قادمون ، ومن هنا كان عليه أن يؤجل الموت .

نعم قادمون أخي لقد ركزوا على الفجر البيارق

وهوى وراءهم الظلام الميت تأكله الحرائق !

وعليه أن ينظم عودته حتى لو كانت هذه العودة بالدمع .

ولكن خلف دجاها الكئيب تطل منازلهم والقباب

وهم يرفعون اليها العيون ولا يملكون اليها الذهاب

وهم ـ والليالي تنسى الغريب وتلقي على الذكريات الحجاب

مضوا يحفرون بدمع العيون ودمع القلوب طريق الحجاب .

فالشاعر هنا يعيش في غبار المعركة ، ولا يريد أن يصدق أن بلاده قد تضيع منه بهذه السهولة ، وهو ينقلها في صور حية نامية ليؤثر بها على قارئه ، وليدعوه الى أن يثق به وبشعبه ، ومن هنا فالشاعر لا يفتح اجفانه الا على القدر الذي يرى به الانقاض من حوله .

ولكنه في مجموعة « **الأردن على الصليب** » التي صدرت عام ١٩٥٧ ، نراه يوسع حدقتي عينيه ، ويرى أن لقضيته أبعادا في الخارج ، وفي ضوء هذا نراه يشارك في التوتر الذي يسود الأردن في هذه الفترة ، وليدين بعض الاحكام وليهز جون فوستر دلاس ، ويعتبره « المخلص الكذاب » من خلال موقف من مواقف المسيح .. ثم نراه فجأة مكسور القلب حين يرى الغزو الاسرائيلي لغزة ، وحين يرى أن الطريق اليها قد سدت في وجهه ، ثم نراه لايعود اليها الا حين يحوم الليل وفي منقاره خيط من ضياء ، ففي هذا الوقت نرى قلبه ينشر جناحيه ثم يطير ليرى كيف تقيم مدينته في قعر الجحيم ، وليرى الجدران المجروحة بالرصاص ، والمنشورات التي يستمر القاؤها ، والصدور المثقوبة .

ويهوذا ورنين الفضة الداجي الرهيب

واقف يحلم فيها بمسيح وصليب !

ثم يؤكد أن دمه لم يصدأ ، وأن الشرار الذي يندلع من هذا الدم هو « الكلمات » ، ثم يذكر أن مدينته شهر زاد ، وأن فارسها الجديد هو **جمال عبد الناصر** ، وأن الشعب مازالت بصدره لؤلؤة ، وأن في استطاعته أن يكون الفارس الذي يمتطي فرسه على الأمواج البيضاء ، وأنه من على صهوة هذا الفرس يستطيع أن يخطف بلاده ، ثم يركبها خلفه ، ولكن الحزن سرعان ما يلفه ـ وربما لأول مرة في شعره ـ والنبضة الخضراء سرعان ما تختفي من عروقه ، وفي لحظة اختفائها ينبجس خيط رفيع من الحزن يقول انه في عزلته يوقد شموع المأساة ، ويرسم الحنين لؤلؤة ، ويأمل أن يرى على رمال السهد من خلال الغيوم .. فارس القمر !!

ثم نرى الشاعر ينتقل نقلة موفقة في قصيدة ملحمية طويلة أصدرها عام ١٩٥٨ بعنوان « مارد السنابل »

وهو يروي فيها قصة الاعتداء الثلاثي ، ومن خلالها نرى أن البطل الحقيقي هو مدينة غزة ، بعد أن تتحول في شعره الى صورة انسانية يشتاق لعينيها ، وهو حريص على أن يقدمها في صورة البكارة والوفاء في الوقت نفسه ، فيقول :

● مدينتي زنبقة خضراء لم تنم على سرير فاتح

ولم تصب الزيت في مصباح خائن

ولم تهب شعورها أسلاك معتقل

ولم تقبل سوط طاغية

كجارية

.. مدينتي رأيت كيف تنسج الأمل

خطا حبيبك البطل

وكيف قد نشرت من دمائك الشراع

يمخر الحرائق !

ثم يقدمها بعد ذلك فى حالة الانكسار حين ظهرت راية العدو فى فضائها خفاقة المخالب ، وحين جلست تنتظر قدوم « البطل » .

وهو يترك عينى مدينته فترة ليطل على بورسعيد التى اصبحت شمسا من الجراح ، ثم يعود منهكا ليقول ان الشعوب لن ترضى عن هذه الجريمة المسلحة ، وأن هذه الشعوب لا بد أن تقبل الى مدينته ، مسرجة — فى طريقها — البحار والسحب !

ويعود الشاعر ثانية الى التحديق فى وجه مدينته ، فاذا بالجراد — وهو يعنى بهذا الرمز دائما اليهود — قد امتص نضارة المدينة، ومع هذا فالشاعر مفتون بهذا الشحوب الذى بدا على وجه غزة، ومنتظر هذا الفارس العربى المصرى بعد أن رأى مدينته ترفض أن ترمى « بخاتمه » فى خوذة الاحتلال الاسرائيلى ، وما هى الا ايام حتى يصدق الأمل ، وتظهر نجمة فلسطين على جبين **عبد الناصر** ، ونرى الشاعر يقول :

تقدمى يا مصرنا المجنحة

حمامة مسلحة !

كما نراه يلمح « طائر الحصاد » وهو يحط على الأسلاك والحدود ، فيحلم ، وهو يرى الشعوب تقيم حوله عرشا من السنابل فيهتف .

● يا اخوتى فلنفرد الخطا

على الطريق أشرعه

ولنمخر الحدود

.. ومن بعيد

ترفرف الميناء

حمامة بيضاء

ومنقارها غصن من الضياء !

والشاعر فى دواوينه هذه نراه يكتب القصيدة بشكليها ، فيوفق — لأن لديه موضوعا يقوله — فى الشكل المتجدد على طول الخط ، ولكنا نرى هذا التوفيق يكاد يختفى فى الشكل التفعيلى ماعدا تلك القصيدة الملحمية المسماة مارد من السنابل .

فبينما نراه يبنى بالصور النامية موضوعه مثلا فى قصيدة السيول فيقول :

لم يترك السيل غير الجبل والوتد

من ذلك الشعب أو من ذلك البلد

وغير بعض العرايا الساحبين على

تلك الوحول .. بقاياهم من الولد

وغير ما شاهدت عيناك من جثث

منفوخة لم تزل مجهولة العدد

هنا حطام . هنا موت . هنا غرق

هنا بقايا رغيف عالق بيد

.. تلك البقية من شعبى ومن بلدى

ما بين باك ومجنون ومرتعد

تلك البقية من شعبى فذاك أبى

وتلك أمى وما فى الجيش من أحد

ان جئت تسأل عن أطفالها صرخت

وقهقه السيل لم تحبل ولم تلد

يا من نصبت لهم سود الخيام على

صفر الرمال لقد غاصت الى الأبد.. الخ

بينما نرى هذا فى مجموعة المعركة ، فاننا نفتقد عالم البناء فى بعض شعره الحر وندخل عالما مليئا بالتكرار ، والرتابة ، والخطابية ، والصور الجزئية التى تمتاز « **بالقطع الخشن** » على حد تعبير السينمائيين ، فاذا أخذنا القصيدة الرئيسية التى سميت المجموعة باسمها وهى « الاردن على الصليب » وجدناه يقول :

انا مصلوب أغرد

ولعمان ونابلس وأربد

ولفرسان المصير

ولأسماء كوارد ورشدى وشقير

لأبى نوار لم يرخ شراع السيف فى ريح الخيانة

لواسير البنادق

وهى لم تغل وفى أيدى الجنود

وهي لم تغل ومن تقب الصدور
ثم يختم القصيدة الطويلة بقوله :
يا افاعي يا افاعي
سنصب السم يغلي وعلى جحر الأفاعي
وسنمضي في الصراع
كشراع في رياح الدم نمضي كشراع
وسأمضي شامخ الصوت أغرد
والملايين تغرد
ولعمان ونابلس وأربد

ولعـــل مما ســـاعد على هذا أنه في هذه الفترة قد تبنى الشعارات الشيوعية ، ونظر الى العالم من خـــلال هذه الأيديولوجية ، واخضع قضيــته لهذه النظرة ، فشعره يغص بشعارات تدور حول الفجر الأحمر ، والجياد الحمر ، وحمر الجبال ، ونجـم الاصرار الأحمر ، وقمصان الدم ، وقافلة الجياع ، وأسارى الرغيف ، ونجمة البلاشفة ، ووطن الكادحين والعبيد ، وبالمطارق ، والمناجل ، والشراشر .. الخ كما نراه يقدم الحل الصيني لقضيته :

انظر الصين كيف ثارت على الموت
وفي الصين للملايين نصر
كيف هدت جدران معبدها الرحب
وفيه الاصنام بيض وصفر
ضربت موعدا له أمم الارض
فطارت به الجياد الحمر !

بل انه حين يهاجم احدى الشخصيات العربية في قصيدة « الببغاء والأفيون » لا نراه يأخذ عليه خيانة قضيـة فلسطين ، وانما لأنه يراه ببغاء ــ كما يقول :

طليقة بلا قفص
تنقر في الأفيون
وتشهر الجناح
كالســـلاح
لكي تحارب البلاشفة
والعاصفة
الببغاء
في الليل والنهار
في غيبوبة اسطوانة تدور
منقارها يشـــير
كما أراد أن يشـــير
السيد الكبير
لنجمة البلاشفة !

فاذا وصلنا الى ديوان « **فلســـطين في القلب** » الصـــادر عام ١٩٦٥ وجدنا الشـــاعر قد نضجت تجربته ، وبخاصـــة حين خرج من السجن بعد أن دخله بتهـــمة الشيوعية ، وحـــين أدرك أن شيوعيي المنطقة لهم رأي يخالف رأيه في قضـــية فلســـطين ، ونحن لا نعدم أثر هذه الهزة في نفسه في قصيدة « جزيرة الشـــعارات القديمة » ففي هذه القصيدة يقول :

شاعري قد كان في تلك الجزيره
كان في حقل « الشعارات القديمه »
كان ملقى وسط رايات وأجراس طعينه
قلبه « فرص من الشهد »
وجادته سفينه
آه لم يشعل لها « راياته » نارا
ولم يحرق « قصيده »
وبكى يسترجع « الراوي »
جراح المقطع الفاجع من تلك القصيده :
حملته ، أثقلت ظهر السفينه
أثقلته ، آه ، « صاح » الشعارات القديمه ٠
ألق للأسماك يا صاح « الشعارات القديمه »
ألق فالأسماك لا تقرأ
والأعماق خرساء كتومه !
« عضة الزلزال » والصحوة ياصاح
وأنسام الأعاصير الجديده
والطواويس الدميمه
ريشها يسقط أشواكا صغيره

والشاعر في هـــذه الفترة يحس بأن الحزن قد أصبحت له كثافة ، ويحس بأنه يفقد في كل يوم شيئا مادام مصير بلاده لم يتقرر ، ففي الوقت الذي يشـــير فيه الى أن خريف الأغلال قد ولى ــ ولعله يقصد السجن ــ نراه يشير في هدوء الى « العاصفة السريه » و « البرق السري » ونراه قائما « بكسرة الرعد » و « جرعة البرق » ، بل بنافذة صغيرة ، ثم يحس أنه يقف وحده

● فهنالك نافذة لم تصبغ
بالبرق الأسود في وطني
نافذة تذكرني
دالية تحلم بي
أن اقطفها
أن تقطفني
يا وطني من لي ؟
من لي ؟

فالشـــاعر وقد غمس جناحيه في بحر الحزن ، لا يستطيع حتى ان ينفض قطرات هذا الحزن من على جناحيه ، ومن ثم نراه ينتقـل الى موقف مسيحي بعنوان « كأس الخل » فينقل الينا موقف المسـيح وكأس الخل في يمينه واكليل الشوك على رأسه ، ومن خلال هذا لا يقبل لنفسه ـ بعد أن كان في ماضيه عاصفة ـ الا تجربة الصـلب ، ومن اول قصيدة في الديوان نحس أن الشاعر ينتقل من دائرة الحزن الى دائرة التعبير عن الموت ، وكثيرا ماتتكرر عنده صورة من يمـوت وظهره الى الحائط وعيناه معصوبتان ، وقد يتعلل الشاعر بأنه مازال هناك خيط من راية يتحـرك في الريح ، او بأن الفأس المدفونة في الجدران تستيقظ ، او بأنه يمكن أن تتعلق موجة بالشراع العائد ٠٠ الا ان هذه الآمال تنهار تماما كما في « قصيدة الى الأسلاك الشائكة » .

ثم ان الشـــاعر يتحول بعد ذلك الى « الانسان المنفى » ففي وجهه يولد شلال مرايا صفر ، وشلال مرايا سود ، ثم انه يقول :

● من اجلك احمل اغلالى

في منفى الارض كجوال
من اجلك خبزى بدمائى
معجون ، خبزى بدمائى
والوجه المشحوذ كتاب
في ظل غرز واشعارى

ومن حوله يحس بالانفصال والغربة ، وبخاصة في قصيدة « الطابور » التي يظهر أنه يدين بها شيئا ما :

● عاد الطابور
والكعب الحجرية عادت
انا اسمع صيحة شباكك
تطعنه عين الطابور
تطعنه عين الذئب العطشان المسعور
وكبار القت معطفها فوق الشجر المقرور
وكموج القى معطفه فوق غريق
أوشك أن يمسك بصخور
قد القى الطابور
معطفه الحجرى
على عظم مدينتنا المكسور
من يجبر عظم مدينتنا المكسور
أين شراعك ؟
في منقار الحداة عصفور

تمضغه والريش يطير
أعلاما ، أعلاما ، الريش يطير !

ويبلغ « النفى » قمته حين يتصور نفسه مصلوبا يحلم لو تلمس قدماه الارض ، لو يضع كفه في كف مدينته ، ومن بعيـــد تتلوى « أعلام الدمية » ومن « المنفى » يجتر الشاعر الامه ، ويحس ان الجراح لم تعد تعلق فيهـــا أجراس الصباح ، ولم يعد يجدى رفعها كبيارق ، ورغم ان « الجراد » قد رحل الا انه الى الآن لم يحضن الخبز من قمح بلاده .

والشاعر من « منفاه النفسى » يعيب على الشعراء الذين يكتبون للقمـــر الظامى ، ولهودج بلقيس في قصيدة « الى الشعراء العرب » وفي قصيدة «الشاعر والقيصر» يذكر ـ ولعله يقصد شاعرا بعينه ـ الذى يجمع القصائد للقيصر ، والذى لن يجد من يحبها لأنها « نزعت خـاتمه من الأصـبع » ، ولأن القيصر اطعم هذه الاشعار للحداة ، ثم يعود فيذكر فيقصيدة « طائر من الرماد » هذا الشاعر الذى اطعم الفراش للجراد ، والدر للخنازير ، والورد للكلاب ، وهكذا غاب ثم عاد :

● كطائر من الرماد ٠

تذوده الاشجار عن غصونها ٠
ويبصق الصياد

ومن موقفه هذا يدين ـ فيما يخيل الى ـ العالمين الغربي والشرقى من خلال قصائد «اغنية الى زنجى أمريكى » و « المصلوب على ناطحة سحاب » و « دقى يا أجراس الكومون » و « أسطورة غيلان الثلج » فهو قد وصل الى المنطقة التى قيل في مثلهـــا مرة ان الشاعر قد أصبح خارج « بيضة العالم » ، وأنه من خلال موقفه يحس انه معزول وملعون في الوقت نفسه ٠

ومهما يكن من شيء فالشاعر قد وفق في ديوانه الأخير الى أن يعبر عن قضايا كبيرة مثل الحزن والموت والنفى ، وهو متفتح القلب على الرموز المســيحية بشكل يجعل شعره في أكثر الأحيان مجهدا وحزينا، وقد كان أولى به وهو الشاعر الذي يحمل لم قضيته المتوهج الا يواصل السير في هـــذا الدرب الحزين والمسدود في الوقت نفسه ، ولكنه «**التقليد الحديث**» الى حد ازهاق القصيدة العربية ، وبخاصة ما يمكن أن يحصل على ترجمة كاملة لمواقف من المسيحية ،

كما فى قصيدة « قبل أن يصيح الديك » وهو نفس الموقف الذى حول الى أكثر من قصيدة فى الشعر الحديث دون أن تكون هناك اضافة او تعميق له .

ومن الغريب أن كل ما يتصل بالاسلام **ـ ونحن لا نتهمه بسوء النية ـ** يتحول لدى الشاعر ـ على ندرته ـ الى شىء غريب عن جوهر الاسلام ، فالشاعر مثلا حين يصف خيانة يقول :

- ان سجانك ما كف العواء

طارقا أبوابك الخضر الشهيده

« افتحوا يا أصدقائى الطيبين

واللصوص الاربعون

فى حصان من ذهب

فى تماثيل مآذن ! »

واذا كان حصان طرواده يمكن أن يأتى بالتداعى، فما الذى يستدعى المئذنة لتكون « جسما للخيانة »، ويمكن أن يحس هذا حين تكلم عن «براق» القافية المعلم فى قصيدة أجراس الطين ، والتى أهداها الى الذين يستنفرون شياطين الشعر فى وادى عبقر .

والشاعر يمكن أن يقال انه يميل الى التجسيد ، والى خلق علاقات جديدة بين الألفاظ ، فهو يحسن استعمال قاموسه لأنه يولده فى حرارة التجربة ، ثم ان عنده من المناعة مايجعله ينصهر فى التجربة الى الحد الذى لا يمكن أن تندس فيه الكلمات السابحة فى الهواء ، والهشة فى الوقت نفسه ، والتى هى آفة عدد كبير من شعراء هذا العصر ، فهو فى المرحلة الأولى(المركة ، الأردن على الصليب ، مارد من السنابل) يجعل للكلمات نبضا ثوريا نحسه فى مثل: غابةمنالسواعد،وشمس من الجراح ،ومثقوب القلب، والمدينة الملوحة، والوجه المشحون، والبرق النائم ، ثم نراه فى المرحلة الثانية (فلسطين فى القلب) يقدم ألفاظا توافق التجربة فى هذا الديوان مثل القمر المعصوب العينين ، وشمسك فى أضلع غيلان الثلج ، وهو مولع بملء الفراغات ، نصل الرصاصة بالرصاصة والمقاتل بالمقاتل ، كما انه يكثر فى هذه الفترة من ذكر كلمتى العض ، والثعبان :

- لا يبنى الطائر عشا فى جحر الثعبان
- لو قدر الا يلدغ كلماتى ثعبان
- لو قدر أن تنهار كجدار أفاع
- والثعابين لها البوابة الكبرى
- الليلة ثعبان زاحف
- عضة الزلزال

ولعله يقرب لنا قول الشاعر **«فروست»** من أن التوفيق فى التقاط الصور اللفظية لا يقل متعة عن التوفيق فى ابتداعها ، وبخاصة حين يكون الالتقاط من طبيعة الموقف نفسه ، ولكن كل هذا يتعرض للتخلخل حين نجد الشاعر لا يحكم قبضته على « التفعيلة » ، ولا يتمكن غالبا من افراغ الشحنة فى آخر الكتلة الصوتية سواء أطالت أم قصرت ، ثم انه قد يظهر هذا التناقض بصورة تصك الأذن وبخاصة حين يأتى بخمس متحركات يعقبها ساكن :

أين القمر المعصوب العينين يساق (بضم القاف)
وسط السحب الفاغرة الأشداق (بكسر القاف)
أسوار تفتح وظلال ... الخ

ثم انه قد يعانى من « التكرار » الذى يجمد الصورة ، وقد يأتى بختام مدو لا يتفق والسياق وقد يكدس الرموز الى حد يختفى فيه وهج التجربة، وبالرغم من أن القصائد العمودية قليلة العدد فى ديوانه الأخير وتاريخها يدور حول عام ١٩٥٣ ، ويسوقها الشاعر فى آخر الديوان على حياء الا أنها تتميز بالنبض والصور النامية ، ولعلها تدعوه فى نضج تجربته الى أن يلتفت الى هذه الأداة التى تمكن منها ولعلها تجعله لا يستدير عنها هذه الاستدارة الكاملة ، لأنه شاعر له « موقف » من الحياة ، ولأن عنده شيئا يقوله ، ومن هنا لن نخشى عليه العيب الذى يوجد عند الشعراء المترهلين حين يكتبون فى هذا الشكل .

وأخيرا ـ ففى هذه الأيام التى تذكر فيها فلسطين : نرانا نذكر واحدا من شعرائها الذين يتكلمون باسمها سواء أكان هذا الكلام صراخا ، أم ترسبات حزينة فى قاع القصيدة ، ولا أدرى لماذا أذكر الآن قول الدكتور «سن» وهو يدعو الى «تثوير» الصين: « العالم هو السكين وهو الصحن ، اما الصين فهى اللحم الذى تقطعه السكين ويحتويه الصحن » ! فالشاعر لا يقول شيئا أكثر من هذا فى هذه الفترة عن بلاده ، فالعالم سيظل هو السكين ما لم تحل قضية فلسطين ، والشاعر سيظل يصرخ ما دام لحم بلاده يقطع فى كل يوم !

« عبده بدوى »



مسرحية الحيوانات الزجاجية

بقلم : عبد الفتاح البارودى

باربعة اشخاص فقط هم كل شخصيات المسرحية ، وبدون احداث مثيرة او غريبة ، استطاع **تنيسى وليامز** ان يقدم لنا رواية ممتازة فى الموضوع وفى التكنيك المسرحى ... فهل يمكن ان يستفيد منها مؤلفونا ؟! انها نموذج للروايات المرتبطة ببيئتها ومجتمعها ، وايضا مرتبطة بالقواعد الفنية الجوهرية .

اننى لا ادرى لماذا لا نهتم بمثل هذه الروايات العالمية الجادة ، بينما نهتم بالهزليات مثلا .

كان من واجب المسرح العالمى الذى قدم هذه الرواية **الحيوانات الزجاجية** ان يقيم ندوات لمناقشتها ... ولقد سبق أن طالبنا باقامة ندوات فى كل الروايات لتقريبها الى الأذهان ،ولكن لم تهتم مسارحنا بذلك ـ باستثناء مسرح الحكيم ...

وايضا كان من واجب المسرح العالمى أن ينشر هذه الرواية وكل الروايات المترجمة خلال عرضها، ولكنه ـ لا أدرى ـ لماذا ينشرها بعد عرضها باسابيع ؟

وكان من واجبه كذلك أن يقدم نشرات وافية تلقى أضواء على الرواية واخراجها وكيفية تنفيذها ومدى اهمية مؤلفها ـ الخ .. ولكن النشرة التى وزعها خلال هذه الرواية هى بضعة اسطر لايمكن أن تستوعب أى دراسة عنها من اى ناحية .

والواقع أن الرواية تستحق الدراسة العميقة من مختلف نواحيها .. ان مؤلفها يصور بواعث واسباب ومظاهر تدهور القيم فى المجتمع الأمريكى، وخلال هذه الفكرة يستطرد الى موضوعات فيها نقد لاذع لتصرفات الامريكيين فى حياتهم العادية وفى نشاطهم الفنى ايضا ، ورغم كثرة الاستطرادات فانها تغنى الموضوع الأصلى وتبرز خوافيه وتضىء معانيه ، والمؤلف يبرهن بذلك على مقدرة فنية كبيرة فى التناول الفنى .

فهو مثلا يستطرد الى الحديث عن الأفلام الامريكية ، فيسخر من سطحية اهتمامات



مشهد من المسرحية

السينمائيين ... ان بطل الرواية **توم** يصف برنامجا سينمائيا بانه طويل جدا ومزدحم جدا ، وحينما يصف التفاصيل تلمس عمق السخرية .. انه يقول ان البرنامج بدأ بفيلم « ميكى ماوس »، ثم فيلم سياحى ، ثم فاصل سحرى يقوم فيه الساحر بالعاب خارقة !! انه بذلك يسخر من ابتعاد السينمائى الامريكى عن مشكلات الحياة

والناس ... ولكى يضخم سخريته فانه يقارن بين تصرفات الناس فى الفترة التى كتب فيها روايته، ومن المقارنة نعرف أن الامريكيين ذاهلون عن واقعهم ، وان السينمائيين الامريكيين يزيدون هذا الذهول ، لأنهم فى افلامهم يتجهون الى التسلية التى تصل احيانا الى حد استغفال الناس ، وذلك بمحاولة اثارة اهتمامهم بالساحر الذى يضع احد الاشخاص فى صندوق مغلق بالمسامير ، وفجاة يخرج من الصندوق دون أن ينزع منه مسمارا واحدا !!

أيضا يسخر المؤلف من شغف الامريكيين بالرقص الصاخب والموسيقى الصاخبة ... والحقيقة أن مخرج الرواية « نور الدمرداش » أدرك هذه النقطة ، فاظهر على المسرح نافذة تعكس ظلالا لهذا النوع من الرقص ، كما انه اسمعنا فى معظم المشاهد موسيقى تصويرية أعدها كمال بكير بفهم لفكرة المؤلف .

كذلك يسخر تينسى وليامز من ميكانيكية الحياة الامريكية التى حولت الامريكيين الى كائنات تفتقد القيم البشرية والمحافظة عليها ، لدرجة أنهم يلجئون الى الرقص ليس باعتباره فنا ، بل لما يشعرون به من ملل ، وخلال الرقص يختفون خلف اعمدة التليفون أو صناديق القمامة لاختلاس قبلة ، بل انهم ــ أكثر من هذا ــ فقدوا معنى العلاقات البشرية ... ان الأم **اماندا** تركها زوجها وهرب وهو يبتسم ... وهى أيضا ترتبط بابنها (توم) باعتبار انه ينفق عليها وعلى البيت ، ولا بأس بان يترك البيت اذا ظهر من يحل محله فى الانفاق .. والابن أيضا يريد أن يهرب فعلا ، ثم يهرب فعلا فى نهاية الرواية ، وعندما كان يفكر فى الهروب تردد قليلا ، باعتبار انه اذا هرب فسيكون وغدا ، ولكنه صمم على الهروب ونظر الى صورة أبيه الذى سبقه فى الهروب وقال واصفا نفسه واياه بانه وغد ابن وغد !!

المدهش ان المؤلف يعطيك كل معانيه فى انسياب، بحيث لا تشعر بانه يريد أن يقول لك شيئا ... انك تشاهد أحداث المسرحية فتعيش معها من فرط الدقة فى التناول الفنى رغم غرابة البيئة التى تدور فيها هذه الاحداث ... فالمؤلف يركز احداثه فى الطبقة المتوسطة فى امريكا ، وهى بالطبع طبقة لها مكونات معينة وظروف خاصة بها، ومع ذلك فانه يقنعك ، بمعنى أنك لا تشعر بأن شخصياته غير مترابطة مع ظروفها ... ان المؤلف بارع جدا فى ربط الاحداث بالواقع الأمريكى وبالمجتمع الامريكى ، وبارع جدا فى كشف مساوىء ذلك المجتمع ... فهو مثلا يصور صديق هذه الأسرة **جيم** بالامتياز والنبوغ منذ مرحلة الدراسة الاولى ، ومع ذلك فانه انتهى الى وظيفة موظف فى مخزن ، وزميل لابن الاسرة **توم** فى نفس المخزن.. اى ان المجتمع الأمريكى لا يتيح الفرصة الحقيقية للممتازين .

والتكنيك المسرحى ممتاز أيضا ... ان المؤلف يعبر عن موضوعه بأسلوب فنى يبدو فى تكوين الشخصيات وتشابك الاحداث والصراع والسخرية والعمق ... ان الصراع يحتدم بين مختلف الشخصيات فى علاقاتها بعضها ببعض ، وفى داخل كيانها أيضا دون اى افتعال ، ودون خطابيات ، بل بدون تجهم ... أكثر من هذا أنه يعبر عن تفسخ المجتمع الامريكى بتفسخ كل شخصية على حدة ، وتفسخ الأسرة التى تجمعهم جميعا ، وتفسخ الحيلة التى لجأت اليها الأم ... انها أرادت أن تعثر على عريس لابنتها الوحيدة **لورا** ، وطلبت من ابنها الوحيد باصرار أن يستضيف صديقه (جيم) ليخطبها ، وتستعد لدعوته الى مائدتها استعدادا فى غاية المكر والحذر والدهاء ، ويحضر الضيف فعلا ويلتقى بالفتاة فعلا ، ويقترب منها فعلا ، ثم يظهر فى النهاية أنه « خاطب » ويخرج من البيت لمقابلة خطيبته التى سيتزوجها فعلا وفى نفس الأسبوع .

ان خيبة أمل الأم ــ كما صورها المؤلف ــ رمز بها الى خيبة أمل الاسرة وخيبة أمل الطبقة المتوسطة فى امريكا ، وخيبة أمل الحياة الامريكية التى فقدت جوهر العلاقات الانسانية .

شىء واحد الاحظه فى تاليف هذه الرواية ، وفى روايات المؤلفين الامريكيين المحدثين بصفة عامة ، وهى الالتجاء الى شخص يقدم الرواية على المسرح ويمثل فيها أيضا .. هذا اسلوب أصبح مالوفا فى كثير من المسرحيات الامريكية ، وهو اسلوب غير مسرحى ، لان المفروض أن الرواية المسرحية لا تحتاج الى من يقدمها ، بل تقدمها احداثها وشخصياتها .

ان وجود مقدم للمسرحية يضعف بناءها الدرامي، ويظهر أنه وجد على المسرح الامريكي بسبب انتشار القصـــة الروائية في المجتمع الامريكي ٠٠ ولكن منجهة أخرى نلاحظ أن تنيسي وليامز استخدم مقدم المسرحيـة باحتراس فني واضـــح ، أدى الى انه لم يتجاوز في التقديم النطاق المحتمل ، فلم يستطرد في تقديمه ولم يسترسل ، بل بالعكس كان يرتكز على نقط ارتكاز هامة ، بمعنى أنه كان يقطع «السرد» في مقاطع معينة بحيث لم نشعر بأن الأحداث خرجت من المجال المسرحي .

شيء آخـــر نلحظه في التاليف ، وهو استخدام «الرمز» المادي والمعنوي والخلط بين الرموز والمعاني المجسدة ، والخلط بين الرمز والواقع ٠٠٠ فهو مثلا يصور بطل الرواية موظفا في مخزن ، وهذا المخزن يســـجن حريته ، وهذه الوظيفة لا تجزيه غير أجر ضئيل ٠٠ ان المؤلف يقصد بذلك الرمز الى ما يعانيه المجتمع الامريكي من وطأة الحياة الامريكية ، ولكنك لا تدري أين يرمز وأين يصرح بوضوح وواقعية .

وهو أيضا يصور الفتاة (لورا) عرجاء ، وهذا التصوير رمزي ، لانه لو لم يكن رمزيا لكان معنى ذلك أن الرواية التي تصور مأساة هذه الفتاة انمـا تصور مأساة فتاةمشوهة ، وسببالمأساةهو تشويهها الجسماني ٠٠٠ ولكن الرواية تصور مأســاة مجتمع كبير في الحياة الامريكية ، والعرج في الفتاة حيلة رمزية مقصــــودة ، ورغم أن المؤلف قصــدها فانك لا تســتطيع معـــرفة مدلول ذلك بالتحـــديد أو بالتقريب .

هناك شيء ثالث ، وهو أن المؤلف لجأ الى اسناد بعض الاحداث الى شخصية غائبة ، وهي شـخصية الأب الذي هرب ٠٠٠ والملحوظ بالنسبة لهذا الأب ان المؤلف يعود اليه في فترات متلاحقة ومتكررة أكثر من اللازم .

والمخرج أيضــــا ـ رغم نجــــاح الاخراج ـ كرر الرجوع الى نفس الشـــخصية وأبرز ذلك أكثر من اللازم أيضا .

وربما يؤخذ على المخرج أنه لم يدقق في اختيـار الممثلين حسب تناسـب خصائصـهم مع خصـائص الشخصيات التي مثلوها في الرواية . ولكن اداءهم التمثيلي ممتاز جدا ٠٠٠ فكيف تفسر هذا التناقض ؟!

ان عمر الحريري مثلا يمكن أن يقال انه وضـع في غير دوره ٠٠٠ الدور يحتاج الى شاب بلغ مرحلة الشباب ولكن لا تزال أمه مسيطرة عليه وتنظر اليه كطفل وهو يخاف منها ويظل خائفا في معظم الفترات الى أن يهرب ٠٠٠ بهذا الشكل لا يعتبر عمر الحريري انسب ممثل لطبيعة الدور ، ولكنه عوضنا عن ذلك بالأداء الممتاز جدا ، سواء في تقديم الرواية أو في تصوير مختلف المعاني التي تطلبها دوره ٠٠ وأيضا دور الأم حولته نعيمه وصفي الى دور اي أم باستثناء الأم الامريكية التي رسمهـــا المؤلف ٠٠٠ ولكنهـا عوضتنا عن ذلك بالتعمق في أداء التفاصيل .

ومديحة حمدي الممثلة الجـديدة أدت دور الفتـاة باخلاص ووعي بطبيعة هذا الدور٠٠٠ لم تظهر العرج كتشويه ، بل كعامل من عوامل تكييف نفسية الفتاة وتصرفاتها حسب ما قصده المؤلف٠٠٠ أداء ممتاز٠٠ والممثل الجديد **سناء الدين شافع** يمارس لأول مرة تجربة كبيرة ، ويكفي أنه لم يفتعل .

مؤلف الموسيقى التصويرية كمال بـــكير نجح في تأليف واختيار الموسيقى التي تستكمل التعبير عن فكرة المؤلف ٠٠٠ وديكور **سمير أحمد** كان متناسبا مع الحركة المسرحية ، والجميع تعاونوا علىإبراز فكرة المؤلف والمعنويات التي تطرق اليها ، ومقاصده في تجسيد ما في الحيـــاة الامريكية من قلق وهروب وملل ٠٠ الخ ٠٠٠ ولكن المخرج ـ مثلا ـ كرر طريقة الاضاءة والاظـــلام ، وكرر طريقة التقديم ، وكرر مشهد الاشباح الراقصة ، وهذا التكرار كله مقصود ولكنه فقد أهميته في المشاهد الأخيرة من الرواية ، لأنه تحول الى تكرار روتيني ٠٠٠ كما أن الموسيقى ظهر فيها الصخب أكثر من التعبير عن الصخب في مشاهد كثيرة٠٠ورغم كل الملاحظات فالرواية جيدة جدا ، وتستلزم الدراسة ، والمسرح العالمي يستحق التهنئة على تقديمها ، ولكنه يستحق اللوم لأنه لم يتهيأ لتقريبها الى الأذهـــان كـــما ينبغي ٠٠ اذ ما الفائدة من تقديم مثل هذه الرواية دون الاستفادة منها ؟!

« **عبد الفتاح البارودي** »



تقديم

اميل جرجس

فى هذا العدد اقدم لكم احد اساتذة الرعيل الاول ممن كان لهم الفضل فى ارساء أول حجر فى بناء نهضتنا الفنية .. الا وهو .. الاستاذ راغب عياد .. ومع أنه فى غنى عن التعريف به فليس فى مصر من يجهل اسمه ولا يعترف بما له من فضل فى دعم بنائنا الفنى .. فمن عهد انشاء المدرسة الاولى للفنون الجميلة الى يومنا هذا أنجبت النهضة الفنية ثلاث طلائع يعود اليها الفضل فى اقامة صرح الفن ووضعه فى أسسه وقواعده .. ولقد كان الاستاذ راغب مع كبار فنانينا أمثال محمود مختار ويوسف كامل ومحمد حسن وأحمد صبرى وعثمان دسوقى وأنطون حجازى وعلى حسن وغيرهم يمثلون اول طليعة ساهمت فى النضال بقسط وافر فى بناء تلك النهضة بعد أن شقوا طريقهم بين الاشواك والصخور حتى أزالوا الحواجز التى كان يضعها الاجانب أمامهم .. ولقد ساروا بخطوات ثابتة مستخدمين وحيهم والهامهم من طبيعة أرضهم ومن مناظر ومشاهدات فى الاحياء الشعبية والاقاليم المختلفة يسجلون جمال مناظرها معبرين عن البيئة وعاداتها مستوعبين خصائص فننا المصرى القديم .ولقد اهتم الاستاذ راغب بالاستعراضات الشعبية مثل حفلات العرس والحفلات الدينية المتعددة كالموالد وما تقدمه لنا من أنواع المرح الشعبى ، فقد أحس بتعبيرات أولاد البلد فى انسانيتها فقدم لنا صورة حية لمشاعرهم وسذاجتهم البريئة المجردة من كل زيف .

فراغب عياد يميل الى كل ما له علاقة بالشعب وعاداته وتقاليده . وبعد فان المجال لا يسمح بأن أزيد أكثر من هذا . فلو تركت العنان لنفسى لملأت صفحات وصفحات . عن كل من كان له الفضل فى ارساء حجر أساس فى بناء نهضتنا الفنية .



المرح الشعبى (رسم راغب عياد)



الفنان راغب عياد

- بدأ دراسته الفنية بمعهد الفنون الجميلة الاول عام ١٩٠٨ .
- كان يكره الدراسات الكلاسيكية والقواعد الفنية الضيقة كالرسم عن التماثيل الصامتة فهى فى نظره مجردة من الحياة .
- اضطر الى تتبع الاصول والقواعد الموضوعة للفن والتى لا يمكن التحول عنها بأى حال من الاحوال طوال مدة دراسته بالمعهد الى ان تركه سعيا لكسب العيش .
- شعر بانه انطلق الى طور الحرية المطلقة ... فالتحق بمدرسة الطبيعة او مدرسة الشعب كما يسميها .
- بدأ دراسته المنشودة عن الحياة الريفية معتمدا على جهده الشخصى وانفعالاته الوجدانية وسعى وراء البحث والتحصيل .
- كان هذا الانتقال بدء تحول فى حياته .. فشعر ان نافذة تفتحت امامه بعالم جديد، عالم حر يعكس النفس الذاتية المستمدة من الاحلام الداخلية .
- كان يعتبر الشعب هو وحيه فاخذ يدرس عناصر متنوعة ضمنها الفلاح والعامل وكافة طبقات الشعب ....!! كما عشق التغلغل فى حياة أولاد البلد باحثا بنظرة تحليلية عما تحوى من انسانية بريئة وبساطة متناهية .
- مما يجب ذكره انه عمل هو والاستاذ يوسف كامل ، صديقه الحميم ، .. بالتدريس ولكن هذا لم يشغلهما عن اتمام دراستهما فى الخارج رغم الظروف المالية التى واجهتهما .. فقام احدهما بالسفر الى ايطاليا للدراسة والتحصيل . على ان يقوم زميله بعمله وان يرسل له مرتبه للانفاق منه فى الخارج اثناء دراسته حتى اذا ما اتم دراسته وعاد الى وطنه حل محل زميله وقام بالتدريس مكانه ليسر له ايضا اداء دراسته بايطاليا ، ولقد كانت فكرة موفقة رائعة دلت على مقدار حبهما لعملهما واخلاصهما له .

اغنية الموسم

إنت الحب

بقلم محمد فهمي عبد اللطيف

● اغنية انت الحب التي التقى فيها عمالقة الفن الثلاثة .. رامي .. وعبد الوهاب .. وام كلثوم كانت اغنية الموسم .. وكانت حديث الناس وما زالت من يوم ان تدفق بها صوت ام كلثوم الى الآذان في انحاء العالم العربي كله . وكان بعض الذين يكتبون في الفن كلاما وتعليقا على هذه الاغنية وقيمتها الفنية. وفي هذا المقال راى متواضع عن الاغنية شعرا ولحنا واداء ● .

انت الحب ..

وانما يبقى الحب على مدى الزمن عنوان الخير ومظهر الحق ونظرة الجمال واسمى ما يصل بين الانسان والانسان في هـــذا الوجود . وهذا هو مذهب صديقنا الشاعر احمد رامي في الحب والاحساس بالحب . وبهذا المذهب عاش طول حياته في قلوب الناس . وقلبه مع كل عاشق ، يهنئ كل قريب ويواسي كل غريب . يضحك مع الفرحان ويبكي مع الباكين وليس عليه بعد ذلك اذا ما شرب الناس جميعا وارتووا من الهوى وتركوا له الكأس بدون نديم .

فالحب عند رامي ليس حركة او مجرد لذة تجلبها هذه الحركة .. عينيك في عينيه .. وايديك في ايديه .. وفساتيني التي رقصت على قدميه .. بالهمس باللمس بالقبلات .. الى آخر تلك الحركات العضوية التي يتطلبها مذهب اللحم والدم وتتلهف عليها ضراوة الغريزة . وانما الحب عند رامي قلب يلتقي بقلب وروح تمتزج بروح ونفس تذوب في نفس وهو بهذا اكرم وانبل من ان يكون موضع مساومة على الأخذ والعطاء والمنفعة واللذة وانما هو الحب لذات الحب . وعلى هذا المذهب جاءت اغنيته الأخيرة .. انت الحب .

فالشاعر رامي لا تعنيه تلك الحركات الاستفزازية الملموسة التي تقترن باحساس عامة الناس . ولكنه يصور الحب تصويرا اعمق والصق باغوار النفس الانسانية واكرم بمفهوم الحب نفسه. وهذا لا يمكن ان يكون الا من شـــاعر يعيش باحساسه فوق احساس الجماهير وروحهم ويدرك من معاني الاشياء ويفهم اكثر من ادراك العامة وفهمهم . وعلى هذا فانت لا تجد في اغنيته الأخيرة شيئا من هذه الحركات التي تتجاوب مع اندفاعات الغريزة والمراهقة وانما هي احساس شاعر اسمى من هذا وانبل .

وفي اغنيـــة رامي كلمات ترددت من قبـل كثيرا في اقــوال الشعراء وفي حناجر المغنين . فهو يقول مثلا : « يا واحشني وانت قصاد عيني » . والناس يذكرون الأغنية القديمة التي تقول يا واحشني وانت قبال .

وهو يقول : اهواك في قربك وفي بعدك وهو مقطع اغنيــة يرددها فريد الاطرش الى اليوم .

ثم هو يقول : اول عينيه ما جت في عينيك وهذا تعبير تكرر في الأغاني كثيرا . وكرره رامي نفسه من قبل .. الى آخــر ماهنالك من الجمل التي يجد لها الانسان مشابهات في الأغاني القديمة وفي اشعار الغزل والنسيب القديمة .

وانما الأغنية في مجموعها صورة شاعرية رائعة وهي تجــربة رامي الطويلة . انها صورة نفسية للشاعر الصوفي في محراب الحب . واعني بالصوفية هنا غاية التجرد من كل المعاني المادية التي ترتبط بالمنفعة وبالمساومة ، وقد بلغ رامي الذروة في بلورة هذه الصورة حين قال :

انت الأمل اللي احيــا بنوره
عمـــره ما يبعـد يوم عن عيني
وانت الشـــوق اللي اسمع صــوته
لـــا يغيب عني ينـــاديني
وانت الحب اللي ما فيش غـــيره
لو يســـعدني او يشـــقيني

فهو يحب لذات الحب ولا يعنيه اسعده الحب ام اشقاه تماما كما قالت القديســة رابعة العدوية : اللهم اني اعبـــدك لا خوفا من عذابك ولا طمعا في جنتك ، ولكن اعبدك لذاتك ..

هذه الصورة النفســية التي صورها رامي في اغنيته هي من وحي التجربة التي عاشها باحساسه المرهف وروحه الصافية التي لا تحمل ضغنا لانسان ولا تمانع في خير لانسان . بل انهــا عاشت طوال عمره ـ نسأل الله ان يبارك فيه ـ وهي عند الخير والمواساة والعطف دائما على كل انسان . فلا يمكن ابدا ان تفهم هذه الصورة بعيدا عن شخصية رامي وتجربته . فانه هنا لايتحدث عن شعور احد وانما يتحدث عن شعوره هو ولا يصور احساس احد انما يصور احساسه هو . وقد هزني رامي من الأعماق وهو يقول :

لـكن اغـير من اللي يحبـك
ويصـــون هـــواك اكثر مني
ولـــا اشـــوف حــد يحبك
يحــلى لي اجيب ســيرتك وياه
واعرف جرى له ايه في حبك
وقـــد ايه صــــانه ورعـــاه

فهذه الأبيات تصور حالة نفســية تساور كل انسان مخلص في حبه صادق في عاطفته حين يساوره القلق فيحاول ان يشفي نفسه بالسؤال ـ كما قال الشاعر العربي القديم :

واستخبر الأخبار من نحو أرضها
واسأل عنها الركب : عهدهمو عهدي ؟

فهو يعرف ان الركب لا يعرفون شيئا عن محبوبته مثله تماما ولكنه يسالهم لانه يشفي نفسه بالسؤال . وماذا يصنع الشاعر حين يرى موضع اهله ومورد حبه وقد عامت من حوله العيون فيحاول ان يطمئن نفسه بالسؤال عن حقيقة هذه العيون الهائمة والقلوب الهائمة . ولا يزال يلح في السؤال وكل مايريد هو ان يعرف انه مازال في مكانه الاول ولا يريد ان يسبقه احد الى هذا المكان .

فالشاعر رامي لايغير ممن يشاركه الحب لانه انسان طيب ولانه يريد ان يكون الحب صفة لكل الناس من فرط شعوره بالحب ولكنه يريد ان يطمئن على مدى اخلاصه وصدقه في هذا الحب . وقد عجبت من ان بعض الناس حسبوا ان في كلام رامي شيئا من التناقض . ويبدو لي ان هذا الفهم مرجعه عدم الوقوف على التجربة التي عاشها الشاعر ويبدو لي ان اصحاب هذا الفهم يحتاجون الى اعادة النظر في هذه الابيات ، وان يفهموها بشعور جديد وبادراك جديد .

ورامي شاعر متمرس بفن الغناء وهو فوق شاعريته الموسيقية يمتاز باذن حساسة تفهم النغم وتقدره حق قدره ، وهو بذوقه الموسيقي المرهف يعرف كيف يختار الكلمة التي تنساب في اللحن انسيابا . وعلى هذا جاءت كلمات اغنية « انت الحب » وهي ثروة للملحن يستطيع ان يصنع منها ما يشاء . فماذا صنع عبدالوهاب باللحن ؟

مرحلة جديدة في فن عبد الوهاب

بدأ الموسيقار محمد عبد الوهاب بمقدمة موسيقية هادئة لينة طويلة هي موسيقى عبد الوهاب . فاذا سمعها انسان له ادنى تمرس بالفن لاول وهلة ولم يعرف اسم صاحبها ، لقال هذه موسيقى عبد الوهاب ، ففيها طابعه ولوازمه ، والمقامات التي يؤثرها في التلحين . ولكنه بعد هذه المقدمة الهادئة الطويلة اضطر ان يبتدىء في تلحين الاغنية هادئا تجاوبا مع المقدمة الموسيقية . وعلى هذا بدأت ام كلثوم بداية لا تتفق مع قوة صوتها . وكأني بعبد الوهاب حين بدأ هذه البداية قد نسى انه يصنع اللحن لام كلثوم ونسى مساحات صوتها القوي الذي لايطيق الانحباس في المجال الضيق وانما كان عبد الوهاب وهو يبدأ اللحن يقيس على صوته هو ، وانما ابتدأ محمد عبد الوهاب بلحن لصوت ام كلثوم بعد انتهاء المقدمة في الفقرة الاولى . وعند ما قال رامي :

أول عينيه ماجت في عينيك
عرفت طريق الشوق بيننا

فمن بداية هذا المقطع سار عبد الوهاب في اللحن متدفقا مع صوت ام كلثوم . والحقيقة ان عبد الوهاب قد بذل جهدا كبيرا في تنسيق اللحن الذي يعتبر مرحلة جديدة في فن عبد الوهاب فقد عودنا عبد الوهاب من قبل التطلع الى الموسيقى الاجنبية . كان يسمع اللحن الاجنبي فتعلق باذنه بعض النغمات التي يعتقد انها لو سويت ووضعت في مكانها من اللحن الشرقي لكانت شيئا جديدا في الفن وقد وفق عبد الوهاب في تسوية بعض هذه الانغام وشكلها في مجرى النغم الشرقي . وبعضها جاء زعيقا وصراخا لاتحتمله اذننا . اما في هذه الاغنية فقد اتجه عبدالوهاب الى فننا الشعبي . الفن الاصيل الذي ينبع من فطرتنا ويتجاوب مع مزاجنا ولا شك ان الاتجاه الذي نراه في الاونة الاخيرة الى الفن الشعبي انما هو نتيجة للاحساس بقوميتنا وبشخصيتنا وبشعبيتنا وقد كان هذا الاحساس عارا عند بعض الناس في العهود الماضية .

وغاية مايقال في لحن اغنية « انت الحب » انه ملحمة رائعة من الفن الشعبي ، او ان شئت فقل من الموسيقى الشرقية . وكأني بعبد الوهاب قد حمل عوده وقام بجولة في احد الموالد . وفي نهاية الجولة أتم هذا العمل . فلحن « انت الحب » انما هو صورة لموسيقى المولد ففيه من اغاني المداحين ومن انغام الفقهاء ومن يسمونهم باولاد الليالي . ثم فيه من الموال وموسيقى الانشاد على الذكر . والواقع ان عبد الوهاب قد حاول هذه المحاولة في اغنية « انت عمري » . ولاشك كما قلت في مقال سابق قد اخذ من الالحان الشعبية ولكنه مسها مسا خفيفا وطورها تطويرا بحيث لا يعرف مواقعها الا العليم بمواقع النغم . اما في اغنية « انت الحب » فقد اخذ من الفن الشعبي اخذا واضحا صريحا . فاي شخص له اي المام بالسماع يعرف في مقاطع الاغنية ان هذا هو لحن الموال ، وهذا هو نغم الانشاد وهذه طبقة المداحين . وتلك ترجيعات قراء الموالد . ولكني اشهد ان عبد الوهاب قد صقل هذه الالحان صقلا قويا . وصنع شيئا جديدا له قيمته الفنية ، واني اعتقد ان الذين حاولوا ان يهونوا من قيمة هذا العمل ووصفوه بانه محاولة بسيطة انما يتجنون على الحقيقة .

شيء واحد هو الذي لم اقبله على انه شيء جميل في الاغنية ، واعني به تلك اللازمة الموسيقية التي يرددها عبد الوهاب عند مقطع الاغنية :

اهواك في قربك وفي بعدك

فان هذه اللازمة الموسيقية قد سمعها الناس من قبل في لحن اغنية « قلبي يقول لي افتح افتح » واظنها لاحد الملحنين من ابناء لبنان .

كل هذا لا يقدر عليه الا ام كلثوم

والحق ان اللحن الذي قدمه عبد الوهاب في اغنية انت الحب لايمكن ان تغنيه الا ام كلثوم ولا يمكن ان ينهض بادائه الا صوت ام كلثوم المثقف المتدفق الكامل . فقد تضمن اللحن كما قلنا فقرات من الوان مختلفة من الموسيقى ، من الموال ومن القصيدة ومن الانشاد والذكر . فقد غنت ام كلثوم كل هذه الالحان ، وتثقف صوتها في اداء كل هذه الالوان . فغنت الموال وغنت المدائح وغنت الاناشيد والقصائد ثم الدور والطقطوقة . وبعد هذا فهي صاحبة صوت كامل ، وبقوة الكمال في هذا الصوت تجد القدرة على ان تخرج من نغم الى نغم وان تتصرف من مقام الى مقام . وكل هذا في براعة مدهشة وروعة تاخذ بالالباب . وام كلثوم حين تغني وتنسجم مع اللحن تكون كالمهرة العربية الحرة تسبق كلما طال بها الشوط وتظهر اصالتها وقوتها في الميدان الفسيح الممتد . ولا عجب ان نرى ام كلثوم في هذه الاغنية الطويلة وقد وقفت في اخر المقاطع وهي تغني بقوة وروعة خلبت الالباب واخذت بمجامع القلوب .

• محمد فهمي عبد اللطيف •



الفعالية الثورية في النكبة

« تاليف : الدكتور نديم البيطار »

يحل بعد غد اليوم الخامس عشر من مايو ـ بذكرياته المؤلمة ‥ يوم اعلن رسميا عن قيام دولة اسرائيل ـ مسجلا العام السابع عشر من حياة دولة العصابات الصهيونية التي تعشش شراذمهـا على ارضنا السليبة في فلسطين المحتلة ‥ كوجود استعماري عدواني متحرك ضد حياة شعبنا ووجوده الانساني ‥ واذا كان حلول ذلك اليوم يعني بالنسبة لشعبنا الشيء الكثير ‥ فانه يعني بالضرورة بذل المزيد من الجهد الواعي ـ في اطار ثوري تقدمي ـ على طول الجبهة العربية والعالمية ـ لتصفية هذا الكيان الاستعماري المسخ ٠ واذا كان شعبنا يناضل نضالا يوميا مريرا من أجل تصفية الجيوب الانهزامية المفلسة التي تعرقل مطالبه العادلة في الوحدة والتقدم ـ فان جماهيرنا اليوم تعرف طبيعة هذه الاوكار الانتهازية التي ابت على نفسها الا أن تتاجر بمقدساتها وقضاياها القومية العادلة ‥ واذا كانت قيادتنا الثورية قد اعطت لهؤلاء الانتهازيين المفلسين من امثال بورقيبة فرصة واسعة للعمل الشريف ـ وذلك ضمن خطة عمل مرحلية ـ فانه لم يغب عنها مطلقا أن بورقيبة كان دائما يطفو على سطح الاحداث، كلما تأزمت المعركة بين العرب والاستعمار مناصرا الافكار والمؤامرات الاستعمارية ـ وخاصة فيمـا يختص بنضال شعبنا في الجزائر ‥ وعندما أرغمه شعبنا العربي في تونس على الانضمام الى جامعـة الدول العربية صرح وقتها بأن انضمام تونس الى جامعة الدول العربية لايتناقض مع وفائها للغرب ٠ وتعلم قيادتنا الثورية كذلك أن بورقيبة هو ماتحدث عنه « ريتشاردز » مبعوث ايزنهاور الخاص ـ بقوله ـ «ان بورقيبة هو رجلنا الجوهري في شمال افريقية» وبورقيبة ـ شكلا ومضمونا ـ لايزيد على كونه مثلا من الامثلة التقليدية المتهالكة التي أضاع وجودها في الحكم عام ١٩٤٨ ـ أرضنا في فلسطين ٠ نتيجـة لافلاسها القيادي والاجتماعي والسياسي ‥٠



واذا كان البعض يرى في اعطاء بورقيبة فرصته التي أضاعها تكتيكا بارعا من جانب قيادتنا الثورية ـ لكشفه وتعريته على المستوى القومي قبل الدخول في عملية المواجهة المباشرة بأسلوبها المسلح ضد الاستعمار الصهيوني ٠ فاننا نعتقد ان طبيعة المرحلة النضالية التي تجتازها جماهيرنا ـ تفرض علينا أن نؤمن ـ ونؤكد على هذا الايمان لضرورته الملحة ـ

بأن معالجة القضية الفلسطينية بل ومعالجة قضية وجودنا القومي ذاته تنبع أساسا من العمل على تحرير قوى جديدة وأساسية في المجتمع العربي – وطريق هذا التحرير يقوم على تحرير امكانيات الانسان العربي – الفكرية والنفسية والاجتماعية والمادية من الوجود التقليدي ومن جميع المعتقدات التي كانت ترافق وجوده قبل نكبة فلسطين وأثناءها . ونحن لا نيأس مادام المواطن العربي في كل جزء من اجزاء وطننا الواحد يعرف طريقه الصحيح الى تحرير ذاته من القوى التي قادته الى المأساة فاليأس يتولد من وضع مبهم غامض لا نستطيع أن نتبين فيه طريقنا بوضوح وينتج عن أوضاع لا تسمح لارادتنا بأن تكون فعالة .. وهذا يعني ان اقرب الطرق الى شل ارادتنا وتعثرها تقوم على تفسير خاطىء لمأساة شعبنا في فلسطين لان مثل هذا التفسير يقودنا الى العمل في أوضاع تنفي فعالية الارادة العربية الواحدة . وذلك ما كان يرمي اليه بورقيبة ومحركوه – عن طريق تفسيراته الخاطئة وعلى كل فان شعبنا من المحيط الى الخليج وبطلائعه الثورية – لايخاف التحدي .. فكلما زاد التحدي حدة زادت عظمة الرجال الذين يردون عليه . وسوف يستمر شعبنا في طريق نضاله البطولي ضد الاستعمار والتجزئة . مؤمنا بوحدته الشاملة في اطارها التقدمي – كطريق للعودة الى الوطن السليب .



وكتاب اليوم « الفعالية الثورية في النكبة » الذي كتبه المفكر العربي الكبير « الدكتور نديم البيطار » – ينظر الى النكبة نظرة موضوعية مبرزا طبيعتهاالثورية والعناصر التي تتشكل منها والاتجاهات الأساسية التي يفرضها قيامها والتي تقود بديالكتيكها الخاص الى قيام نتائج تضمن تحرير فلسطين وتحرير العربي ذاته – ويمكن القول بأن هذه الدراسة المفيدة التي قدمها المؤلف في هذا الكتاب تعتبر الى حد بعيد اضافة جديدة بعيدة عن التكرار والنقل الممسوخ .. الذي اعتدنا ان نراه في عشرات الكتب التي عالجت موضوع القضية الفلسطينية . فقد كشف المؤلف في هذه الدراسة عن القوى الحية التي تجعل نضال العرب في فلسطين نضالا يستند الى قوى تعمل مع التاريخ في حركته وحتميته العادلة ..



وقد بدأ المؤلف في دراسة دور النكبات التاريخية ومضمونها واثرها على معظم شعوب العالم . وقارن بين هذه النكبات بظروفها وملابساتها وبين فلسطين مستندا في ذلك الى أقوال المؤرخين والفلاسفة والمفكرين في جميع انحاء العالم .

عندما يسأل « بيجي » – « باسكال » عن كيفية الخروج من الشر الانساني العام . يدله الثاني على ضرورة معاناة بؤسنا ، لكي نكتشف في ذلك عن عظمتنا ، عن مكان القداسة فينا .

وثورية النكبة تعبر عن ذاتها في موقف يفرض شكلا جديدا على المجتمع الذي يصاب بها . شكلا كان يستحيل لولا التحول الثوري الذي تحدثه في النفوس تلك الثورية تعلن عن نفسها في رفع الانسان الى صعيد جديد من النبل والبطولة ، لأنها تستحيل دون ايمان بقوة الخلق في الانسان ، بعظمته واهميته . وتخلق النكبة ما يسمى بالوضعية الثورية التي تدفع الفكر الى صعيد الوعي وتحفزه على انماء وتطوير ذاته وتحثه على تجاوز أوضاعه – والنكبة تفرض على الفرد الذي كان يسير تلقائيا مع وجوده التقليدي أن يقف ، وينفصل عنه ، ويفحص ذلك الوجود بشك وتساؤل والنكبة تلغي الشعور بالاستقرار والامن . وهذا الامر يولد اليهما حاجة حادة ، وهي تكشف وجود الفرد . فيشعر انه قد اصبح معرضا لعواصف الحياة دون حماية ولا ملجأ ، متأرجحا في فراغ كبير ، مما يفرض بدوره نشوء الحركات الثورية التي تحاول أن تتجاوز ذلك .

وتأتي النكبة نتيجة ضغوط خارجية مباشرة أو في هزيمة حربية لتساعد عن طريق رد الفعل على خلق المجتمعات من جديد .. فمنذ عام ١٨١٢ كانت دول أوربا الغربية تهاجم روسيا باستمرار فانكسار روسيا سنة ١٩٠٥ في حربها مع اليابان وهزيمتها في الحرب العالمية الأولى واستمرار الضغط عليها في الحرب العالمية الثانية – كانت هذه الاسباب هي التي ساعدت روسيا على أن تتحول الى دولة عالمية كبرى – ولم تكن الشيوعية هي التي جعلتها كذلك .

وبنفس الظروف والمستوى مرت الصين بمثل ذلك الوضع فأحست بالمهانة والانكسار نتيجة لتكالب الدول الأوربية عليها واغتصاب أراضيها .

ومن هذا الاحساس بالمهانة والانكسار قامت الصين – وتحررت واستقلت وفي الماضي كان يمكن لأية دولة أوربية أن تغزو الهند وأن تقتطع منها ما

شاءت من أرض . ولكن بعد أن بدأت الهند فى استخدام عناصر القوة فيها ، كان يكفى فقط أن تنذر البرتغال بأنها قادمة لطردها ، لكى تجمع البرتغال أطرافها وتنسحب فى سلام .

وبالنسبة لنكبة فلسطين فالعرب يملكون جميع عناصر ومقومات القوة . وهم فى طريقهم وخصوصا باعتماد الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة على حشدها واستخدامها ، وعندئذ سيكون مصير الدولة المسخ مثل مصير الدول الأخرى بالنسبة الى روسيا والصين والهند .

فنمو القوة العربية سوف يكشف تدريجيا عجز اسرائيل ، مما يقود أيضا الى تشجيع جميع متناقضاتها الداخلية التى تساعد على انهيارها . فقوة الاحتلال الصهيونى الصناعية العسكرية امر مصطنع لا يعتمد على مقومات أساسية تضمن لها الاستمرار فهى فى الواقع قوة سلبية تقوم من ضعف العرب ، ولكن ضعف العرب ضعف جانبى ثانوى ، لانهم يملكون الامكانيات والقوى الاساسية التى يمكن لها أن توفر لشعبنا ما يجعله قوة صناعية تكنولوجية كبرى فى القرن العشرين . فالمساحات الجغرافية الشاسعة ، والمواد الأولية ، والقوة البشرية ، والمواقع الاستراتيجية عناصر تتوفر للعرب بشكل هائل ، والوقت والعمل الثورى هما كل ما يحتاجه العرب فى تحويل تلك الامكانيات الى واقع ملموس ، وعندئذ تكون قوتهم رهيبة حتى فى مقاييس القرن العشرين.

وقد حققت لنا نكبة فلسطين فى نتائجها الثورية ـ واقعين أساسيين ، لا يمكن أن يستقيم سيرنا الى الوحدة دونهما وهما :

أولا : وجود غزو خارجى يضبط جهودنا ويوحدها ، يذكرنا دائما وأبدا بضرورة توحيدها وضبطها فى سبيل الدولة الواحدة .

وثانيا : قيام قاعدة ومحور لتلك الجهود تتمثل فى الثورة العربية فى مصر ـ ويقول المؤلف : هنا يجب التنبيه على أن العمل الثورى الصحيح ، هو العمل الذى لا يثور فقط على الواقع العربى السياسى ، بل يعمل بوحى هذين الواقعين اللذين فرضتهما النكبة ، واللذين يقومان مقام قوانين ثورية لا يمكن لنا نقضهما أو التعرض لهما دون الانحراف الثورى .

فالنكبة لا تفرض علينا الوحدة وتدعمها، وتحرض عليها وتدفعنا نحوها فحسب بل تشوقنا كذلك الى اعتماد قاعدة ومحور لها . فاذا أردنا أن نعمل بوحى الأوضاع التى تحيط بالنكبة ، وتستقى المنطق الذى يسودها ، وجب علينا أن نعتمد ونؤمن بذلك القانون. وهو أن التجاوب الثورى مع قاعدة يثق بها ضحايا النكبة ضرورى للعمل الثورى، أكثر من ضرورة الخبز للحياة ، وهو أمر لازم لتحقيق الوحدة ، والدولة الواحدة، ولاحياء روح الحرية والنضال واستمرارها.

فمنذ حدوث النكبة كان تحرير فلسطين القصد الأعلى للعرب، ولكن تاريخ ما بعد النكبة يدل بوضوح على عبث أية محاولة تنطلق من الوجود العربى التقليدى ، أو من تصحيح اصلاحى لذلك الوجود . والدليل القاطع على ذلك هو أن المحاولات الجادة فى هذا السبيل تقوم الآن فى الأقطار التى حدثت فيها تحولات ثورية جدية، وأن صدق المحاولة يزيد بازدياد حدة التحول الثورى .

ولقد كانت النكبة تحديا يتجه الى تركيب الوجود التقليدى ككل وفى شخصيته العقائدية الأساسية ، وحدوثها يعنى شيئا واحدا وهو انحلال ذلك التركيب وضرورة استبداله بغيره لكى يتمكن العرب من مواجهة التحدى الخارجى ـ والفكر الانقلابى يجد نفسه أمام واجب مقدس ، وهو أن يجعل الثوريين العرب بشكل خاص يعرفون أن عليهم أن ينتقوا بين الغاء الوجود العربى التقليدى وبين بقاء الاحتلال الصهيونى ، فيدركوا أن الغاء الاول هو شرط أساسى لالغاء الثانى.

لقد عاش الوجود العربى التقليدى الذى يحمل متناقضاته القاتلة حتى النكبة ـ آخر أيام حياته التى قامت نتيجة تسوية مفتعلة مع التاريخ والى النكبة عاش العربى دون أن يعلم أن التاريخ يفرض عليه اذا أراد أن يحيا بكرامة ، أن يعيد النظر فى هذا الوجود ككل . فقد كشف هذا الوجود عن نفسه بصورة فاضحة فى نكبة فلسطين . لأن الأوضاع التى سمحت بالحياة الأيديولوجية التقليدية التى قام منها ، ومبدأ التركيب الطبقى الاقطاعى الارستقراطى الذى اعتمدها ـ قد زالت. ولقد عجز هذا الوجود التقليدى بعد

النكبة – عن ايجاد تبريرات اخلاقية أو تراكيب وانظمة تسمح له بالعمل والاستمرار .

وتدل النكبة على أن الأزمة التى يعانيها الوجود العربى هى أزمة شاملة وذلك يعنى أن المعالجة يجب أن تكون معالجة شاملة . وقد كانت النكبة فى فلسطين مع غيرها من النكبات السابقة ، عارضا من عوارض المرض التى اصابت الوجود العربى.. يقول اندريه موروا ، بأن مرض الشيخوخة الحقيقى ليس فى ضعف الجسم ، بل فى لا مبالاة الروح – ، ولكم يصدق هذا القول على الوجود العربى أمام النكبة ، فالضعف الأساسى الذى كشفت عنه كان ، اللامبالاة الروحية، مما دل على انحلاله العميق . ونتيجة لذلك عجزت الطبقات العربية التقليدية الحاكمة – من الملوك الى الرؤساء الى الوزراء الى الحركات السياسية والأحزاب الى المجالس النيابية .. الخ عن اظهار اية كفاءة أو ارادة فى حشد قوى الشعب العربى فى مواجهة خطر نكبةتحمل بن طياتها خطر الفناء للعرب وذلك يدل بشكل فاضح على الانحلال العميق الذى سادها وعلى التفسخ الرهيب الذى كانت تعيش فيه، وفى بعض الأحيان تثير المخاطر والنكبات الكبرى بقية من الارادة والكرامة فى نفس بعض الطبقات الحاكمة التى تكون قد استنزفت قواها وخسرت علاقاتها مع قوى التاريخ ، فتحاول أمام المخاطر أن تقاوم ولكن الطبقات العربية عجزت أمام الكارثة عن التدليل على أية بقية من بقايا الارادة والقوة واحترام الذات . ويصعب فى الواقع تعيين طبقات اخرى فى التاريخ وصلت الى درجة أدنى من الدرجة التى وصلت اليها هذه الطبقات . لان افلاسها لم يظهر فى أى شىء كما ظهر فى التدخل العسكرى المسرحى فى فلسطين . فقد كشف ذلك عن ارادة مشلولة ، ونفسية صغيرة ، قل أن نجد مثيلا لهما بين الطبقات الحاكمة المفلسة فى التاريخ . ومن ثم برهنت النكبة على أن التركيب الطبقى الذىيسود الوجود التقليدى لايمكن أن يحقق تجاوب العرب مع القرن العشرين وبذلك دفعت الى بروز تركيب طبقى جديد قوامه الجماهير العربية من فلاحين وعمال ومثقفين – الى تجاوز الوضع ومعالجته.

* * *

وبعد فابتداء من يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ – من النكبة – ستتم ولادة جديدة للعربى . من جحيم عارها ومهانتها وعذابها ، سيغسل العربى نفسه ويطهرها . من الدموع التى أجرتها من مآقينا، سوف نعبد الطريق الى عالم جديد – ومن الحقد الذى أوغلت به صدورنا سوف تشرق شمس جديدة ، شمس المحبة القومية ، والأخوة الثورية ، التى توحد بيننا فتصهر مشاعرنا فى شعور قومى ثورى واحد . من قلب الآلام التى رمتنا بها، سوف نستمد الغذاء الذى نحتاجه ، والجهد الذى نريده فى تحرير العربى من مساوىء وامراض ماضية وحاضره ، فتبنى لنا دنيا جديدة يعلو النبل فيها كل شىء .

ابتداء من النكبة سيظهر العربى من جديد ، بين عربى يعى مفهومها الثورى فيعمل معه وبوحيه ، وبالتالى يسهم فى بناء المصير الجديد ، وبين عربى يتحجر ويعجز عن أن يعيها فيبقى متخبطا فى ، لا شيئية ، الوجود التقليدى، وبذلك يعمل ضد النكبة، ويساعد الاستعماريين الصهاينة، مسببيها – ان روح النكبة هى روح التضحية بالاشياء والمصالح الأنانية. والعمل فى سبيلقيم خالدة من حرية قومية، وكرامة انسانية ، نقاء أخلاقى وطهارة ثورية . فالنكبة هى روح الاستشهاد المادى والروحى. والعربى الذى يعلو الى صعيدها هو العربى الذى يعيها كشهيد . فى النكبة ، اصبحنا شعبا شهيدا يتحققفيه سر مقدس. فالنكبة قذفت بنا الى براثن الشر لكى نصبح وقد غرقنا فى الألم ، كالحديد المحمى الذى يتحول فى الماء، الى سيف حاد يسلط على كل ما يهين ويمتهن ، ليس للعربى فقط بل للانسان ولانسانية الانسان فى أى مكان . لقد جعلت النكبة شياطين الأرض ترقص فوق رقابنا ، فوق أرضنا الذبيحة ، حيث نال كل قلب عذابه ، وكل عضو المه .. لقد كان ذلك ضروريا لكى نفهم معنى الوطن وخسارة الوطن معنى التشرد والعبودية – لكى نعى العدالة والحرية ، والوحدة ، والمحبة القومية والأخوة الثورية – وحب الانسان فى كل مكان – رغم أنف الفيلسوف الانهزامى ، مى الحبيب ، .

« تحسين عبد الحى »

كتب جديدة

يقدمها : أحمد عبد الصمد دياب

● ترانيم الليل

تاليف : علي الجندي

الناشر : دار المعارف · القاهرة

ديوان جديد للأستاذ الشاعر على الجندى يقع فى زهاء ثلثمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير، هو بمثابة سجل لآلام واشجان هزت ذكرياتها واحداثها نفسه ، فترنم بها قصائد من عيون الشعر العربى .

قدم للديوان الجديد الأستاذ الكبير الدكتور شوقى ضيف الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، الذى أشار الى أن الشاعر يوقع ترانيمه والحانه على اوتار قيثارتنا الشعرية الموروثة عن الآباء والأسلاف ، والتى تهزنا وتروعنا بما تقدمه لنا من غذاء للعقول وشفاء للقلوب والنفوس ، لا لأنها تراث الأسلاف والآباء فحسب ، ولكن لأنها أيضا تحمل رحيقا موسيقيا صافيا يلذ الآذان كما يلذ الأفئدة ، فتصغى اليه منتشية بالحانه وانغامه .

اما ابواب الديوان فأولها : «تحت راية الوطن» وثانيها : « فى ظلال العروبة » وثالثها : « صور من الحياة » ورابعها : « زفرات » وخامسها : « ذكريات الصبا أو بين أفنان الجمال » وسادسها الأخير : « خواطر وافكار » ولا شك فى ان الباب الذى سيفتقده القراء من عشاق شعر شاعرنا الكبير ،هو « فى ظلال الاسلام » ولعل الشاعر فى طريقه الى اخراج ديوان جديد يحمل هذا المعنى .

● النيل فى عصر المماليك

تاليف : الدكتور محمود رزق سليم

الناشر : دار القلم

هذا الكتيب احد اعداد سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها الثقافة والارشاد القومى ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ويقع فى اكثر من مائة واربع وخمسين صفحة من القطع الصغير · والمؤلف الدكتور محمود رزق سليم من المؤرخين المتخصصين فى عصر المماليك ولم يزل كتابه عن عصر المماليك مرجعا فيما يرجع اليه الباحثون والدارسون · والكتاب مقسم الى ثلاثة فصول فى الفصل الاول تحت عنوان : « من مؤلفاتهم التى تحدثت عن النيل » ، أشار الى نهاية الأرب للنويرى وهو فى اكثر من ثلاثين مجلدا طبع بعضه ولم يزل البعض الآخر مخطوطا ، كما أشار الى تقويم البلدان لأبى الفداء اسماعيل وهو فى جغرافية بلدان كثيرة منها مصر ، ثم صبح الأعشى للقلقشندى ، والخطط المقريزية للمقريزى ، ثم بدائع الزهور لابن اياس.

وفى الفصل الثانى تحت عنوان : « من معارفهم عن النيل » · أشار المؤلف الى عديد من هذه المعارف

وفى الفصل الثالث تحت عنوان : « النيل فى حياتهم الاجتماعية » أشار الى عناية المصريين واهتمامهم بالنيل فى تلك الفترة .

ثم اشار الى النيل فى نثرهم الفنى وعلى الاخص محيى الدين بن عبد الظاهر ، وابن نباته المصرى ، وابن ابى حجلة المغربى ، كما أشار الى النيل فى شعر الشعراء ولا سيما الصفدى والقيراطى وابن حجة الحموى وابن مكناس ·

● الناصر صلاح الدين

تاليف : الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

الناشر : مكتبة مصر ـ الفجالة

هذا الكتاب هو العدد الواحد والاربعون من سلسلة أعلام العرب التى تصدرها الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ويقع فى ثلثمائة صفحة من القطع المتوسط .

اشار المؤلف فى مقدمته الى ان المكانة الكبيرة التى حققها صلاح الدين لنفسه فى التاريخ انما جاءت نتيجة لموقفه الحازم من الصليبيين ولايمانه المطلق بالجهاد ، ولادراكه العميق لخطورة المراكز الصليبية بالشام على كيان العروبة والاسلام .

الكتاب فى ستة فصول : عالم مضطرب سبق ظهور صلاح الدين ، والطريق الى مصر ، حيث تحول الصليبيون من الاتجاه الى الشمال الشرقى بسبب استفحال قوة الزنكية فى شمال العراق ، الى الاتجاه الى الجنوب الغربى على حساب مصر والفاطميين .

وفى الفصل الثالث تحدث المؤلف عن تدعيم الوحدة ، حيث بدا صلاح الدين دورا جديدا يستهدف منه توحيد كلمة العرب والمسلمين ، وكانت مرحلة تمهيدية لاعلان الجهاد الاكبر ليعجم صلاح الدين عود الصليبيين وفى الفصل السادس والاخير ، عرض المؤلف لأخلاق صلاح الدين ، فاذا كانت شهرته الواسعة فى التاريخ قد جاءت نتيجة لحسن بلائه وصبره على الجهاد وشجاعته فى مواجهة الأخطار ، فان هناك جوانب يجب الا تغفل ، فقد كان انسانا كريم الخلق ، وحاكما عادلا ، محبا لرعاياه ، حليما لم يطغه نصر ، ولم يستبد به غرور .

● رجال حول الرسول

تاليف : خالد محمد خالد

الناشر : دار الكتب الحديثة ـ عابدين

هذا الكتاب الذى يقع فى مئتى صفحة من القطع المتوسط ، هو الجزء الثالث من السلسلة التى بدأها المؤلف منذ اكثر من عام .

وفى هذا الجزء عرض لاثنى عشر من اعلام الصحابة .

خالد بن الوليد : الذى لا ينام ولا يترك أحدا ينام .

وقيس بن سعد بن عبادة : ادهى العرب لولا الاسلام .

وعمير بن وهب : شيطان الجاهلية ، وحوارى الاسلام

وزيد بن الخطاب : صقر يوم اليمامة

وابو الدرداء : اى حكيم كان ؟

وطلحة بن عبيد الله : صقر يوم احد

والزبير بن العوام : حوارى رسول الله

وخبيب بن عدى : بطل فوق الصليب

وعمير بن سعد : نسيج وحده

وزيد بن ثابت : جامع القرآن

وخالد بن سعيد : فدائى من الرعيل الاول

وابو ايوب الانصارى : ممن نفروا خفافا وثقالا

الحق أن الاستاذ خالد له طريقة فريدة ، فهو لم يعن بالترجمة الحرفية الشكلية ، وانما حاول ان يستخلص جوانب العظمة فى هذه الشخصيات الخالدة ، التى كثيرا ما أغفلها المؤرخون .

« احمد الصادق عبد الصمد »



قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العواني



● تناقضات في الماركسية

نشرت « الفكر المعاصر » عدد مايو ١٩٦٥ مقالا للدكتور زكي نجيب محمود عنوانه « الماركسية منهجا » ، وقد استطاع الدكتور أن يكشف عن كثير من المتناقضات والثغرات التي تحتوي عليهما الماركسية . وبدأ المقال موضحا أن كل ما في الكون لايفلت من هذا التيار الدافق من تيار التغير والتطور والسير والحركة والنماء .

ثم انتقل الى الماركسية فبين أنها لا تفترق عن غيرها من المذاهب الفلسفية الاخرى التي تجعل التغير والتطور محورا وأساسا لروح العصر . لكن ماركس صاحب هذه النظرية وقع في تناقض ، ذلك انه ضم فكرتين متناقضتين احداهما الى الأخرى في سياق واحد وهما : فكرة التغير الذي لا بد للمجتمع أن يتطور به صاعدا من أدنى الى أعلى في مراحل تجيء كل مرحلة منها بجديد لايكرر ماكان قائما في المرحلة السابقة . وفكرة الجبرية التي لا بد من افتراضها لو قبلنا مبدأ السببية الصارمة في سير التاريخ .. لأن جبرية التاريخ معناها أن الماضي كان يحمل الحاضر في جوفه ، وأن الحاضر يحمل المستقبل . بحيث لو حللنا أية لحظة من لحظات التاريخ استطعنا أن نقرأ فيهـــا كل ما هو آت .. ويقول الدكتور : « ولو كان الامر كذلك في سير التـــاريخ لما كان هنـــاك جديد ينبثق في مراحل التطور الصاعد » .

وتناول « الحتمية » و « ارادة التغيير » فأكد أنهما لا تتفقان وعلل لذلك بانه مع الحتمية لا تكون ارادة من جانب الانسان ، اذ لا يبقى لهذا الانســـان ازاء تطور التـــاريخ الا أن « يتفـــرج على ما يحـــدث له وللمجتمع وللطبيعة على حد سواء » ، مع أن ماركس كان حريصا على الا يقف الناس ــ والفلاسفة منهم بوجه خاص ــ موقف المتفرج المتأمل ، بل لا بد لهم أن يغيروا العالم يقول : « **لقد اكتفى الفلاســـفة بتفســـير العالم بطرق مختلفة ، مع أن المهم هو أن نغيره** » .

وتساءل الدكتور : كيف أغيره اذا لم يكن هناك احتمال آخر ، وهو أن أتركه على حاله بغير تغيير ؟ مع أن الفرض الثاني ممتنع اذا كان التاريخ محتوم الوسيلة محتوم الاهداف .

ورد الدكتـــور زكي على ما يقـــال من أن تدخل الانسان بارادته في مجرى الاحداث مطلوب وذلك للاسراع في حـــدوثها فيقول : باي شيء تريدني أن أتدخل في سير التاريخ لاسرع من مجرى أحداثه ، الا أن يكون ذلك بما أحمله في رأسي من أفكار وقيم؟» وهذا يناقض زعما آخر زعمه ماركس؛ هو أن الأفكار والقيم ليست سببا يسبق وقوع الاحداث ، بل هي نتيجة تتفرع عن ذلك الوقوع .

ثم قدم فرقا هاما بين الفلســـفة الماركســـية ، وفلسفتنا الاشتراكية فوضح أن الأخيرة علاج لمشكلة قائمة ، وأما تلك فتعتمد على نبوءة تاريخية تستدل

بها على مرحلة لاحقة من مرحلة سابقة يقول المقال : « الفلسفة الماركسية تخلط بين « التنبؤ العلمي » وبين « التنبؤات التاريخية » وتجعل هذه من تلك ، مع أن التنبؤ في الحالة الأولى قائم على تجربة عينية محددة ، نعلم منها أنه اذا حدث كذا وكذا من الظروف ، نتج كذا وكذا من النتائج ، كأن تقول مثلا انه اذا توافرت في الجو الظروف الفلانية نزل المطر ، فنحكم على ما سيحدث بناء على ما قد حدث لما بين الحدثين من تشابه وتجانس ، وأما «النبوءة» التاريخية فلا تجربة فيها ولا مشاهدة ، اذ ماذا تشاهد وماذا تجرب اذا كان المستقبل المرتقب في مراحل التاريخ الآتية هو شيء مختلف عن الماضي المنقضي من مراحل التاريخ التي انطوت صفحاتها ؟ انما النبوءة التاريخية قائمة على افتراض أن التاريخ سيسير في خط معين معلوم ، وهي لا تختلف كثيرا عن « قراءة الكف » حين ينظر القارىء الى خطوط في كفك فيتنبأ لك بكذا وكذا في مستقبلك وذلك على « افتراض » أن خط الحياة يسير على نحو معلوم ». ومن هنا كان الفرق بين الفلسفة الماركسية وفلسفتنا الاشتراكية يتمثل في رجلين « رجل يعطيك نظرية مؤداها أن منطق التاريخ يحتم عليك أن يجيئك المستقبل البعيد أو القريب بضائقة مالية أو بعلة مرضية لا قبل لك بردها ، ورجل يفتح عينيك على ما هو قائم حولك بالفعل من المشكلات، ليوجه انتباهك الى ضرورة حلها » .

وتناول المقال كذلك تحليل المنهج الماركسي لمسألة الترتيب المنطقي بين الفكر والواقع فبين ما وقع فيها من خلط وتناقض .

ذلك أن النظرية الماركسية ترى أن الجانب الشعوري من الانسان ليس هو الذي يحدد موضعه من الوجود الخارجي ، بل ان موضعه من الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد جانب الشعور منه ويقول الدكتور « ان أول ما يلفت نظرنا ونود أن نثبته ولو على سبيل الفكاهة أن النظرية الماركسية «نظرية» أي أنها «فكرة» وقد جاء من جاء بعدها ممن آمنوا بصوابها فحاولوا أن يترجموها من « **عالم الفكر** » الى « **عالم التنفيذ والتطبيق** » وبقدر ما كتب لهم من نجاح في ذلك فهم قد وجدوا فكرة سبقت النظام الاقتصادي الذي يحاولون أن يخرجوه على غرار تلك الفكرة ثم يضيف الى ذلك قوله « أني اذا تصورت طائفة كبيرة القيم والمعايير في حياة الناس قد نشأت نتيجة لازمة لشبكة العلاقات الاقتصادية القائمة ، ولنوع أدوات الانتاج المستخدمة ، فانه لمن المتعذر على أن أرى كيف تكون الحياة العقلية نتيجة لتلك الاوضاع المادية الخارجية ؟

ويبين المقال أن ماركس وان يكن يصر على أن تكون الاولوية للواقع المادى الا انه يعلق أهمية على الجانب الفكرى بعد ذلك ، على اعتبار أنه هو المستوى الذى تتم فيه الحرية بمعناها الصحيح ثم خلص الدكتور الى أن ماركس «وقع في تناقض منهجي حين افترض نطاقا للضرورة ونطاقا للحرية ، وجعل الاول للحياة المادية ، والثاني للحياة الفكرية ، ثم لم يفرق في هذه الحياة الفكرية بين ما يجيء انعكاسا للاساس المادي، فيرتبط بحتميته ، وما يجيء ابداعا أصيلا فيتصف بالحرية من روابط الحتمية وضروراتها » .

ومضى المقال متتبعا مسار التفكير الماركسي وحصره في خطوات ثلاث ذلك أن ماركس في الخطوة الأولى حلل طرق الانتاج في ظل الرأسمالية فوجد أنها مؤدية ــ بما فيها من تنافس حر لا تضبطه ضوابط ــ الى أن تأخذ الاموال في التركيز عند نفر قليل ، يظل على مر الزمن يزداد قلة وتكون هذه القلة الثرية هي الحاكمة،والكثرة الفقيرة هي المحكومة، ثم بنى ماركس على هذا « الخطوة الثانية » فبين أن الأمر يئول فيها الى طبقتين اثنتين : بورجوازية غنية حاكمة من جهة ، وعمال فقراء محكومون من جهة أخرى،وتوتر العلاقة بينهما يجعل النصر للطبقة الأخيرة،والخطوة الثالثة يرتبها على نتيجة الخطوة السابقة فما دام صراع الحاكمين الأغنياء المالكين لأدوات الانتاج ، والمحكومين الفقراء العملين بتلك الأدوات لصالح أصحابها ، قد انتهى بانتصار حتمي للطبقة العاملة اذن فالنتيجة هي قيام مجتمع لا طبقي يتجانس أفراده ، هو الذى يملك وسائل الانتاج وهو الذى ينتج في آن معا وناقش الدكتور هذه الخطوات لوضح أننا اذا سلمنا بما جاء في الخطوة الأولى فهل ينتج عن ذلك حتما أن تختفي كل الطوائف الا طبقتين اثنتين : طبقة البورجوازيين الأغنياء ، وهي قليلة العدد ، وطبقة الجماهير العاملة التي تمتص سائر الطوائف الأخرى، يرى الكاتب ان استقطاب الناس في هذين المحورين قد يصور الموقف في محيط الصناعة وحدها ، لكن ذلك لايلزم عنه اختفاء طوائف أخرى في بناء المجتمع ليست تندرج في ذلك المحيط ، أين نضع رجال العلم ورجال الفن في هذا التقسيم ؟ أين نضع المهنيين من

اطباء ومهندسين ومعلمين وغيرهم ؟ أين نضع أصحاب الملكيات الزراعية الصغيرة ؟

وناقش الخطوة الثانية فذكر أنه اذا سلمنا بصوابها فهل يلزم حتما ان تظل الطبقة العاملة التى هى عندئذ المجتمع كله ، متجانسة تجانسا يخليها من الصراع ؟ أليس هناك احتمال بأن تسير هذه الطبقة المتجانسة فى نفس المراحل مرة أخرى حتى وان اتخذ السير صورة اخرى ، وذلك بأن يعلو فريق على فريق ان لم يكن بكثرة المال وبملكية وسائل الانتاج ، فبغير ذلك من عوامل الجاه والسلطان ، ثم سرعان ماترتبط روابط المشاركة فى المصلحة أفراد اولئك وأفراد هؤلاء ؟ وينتهى الدكتور الى أن ذلك محتمل وليس مؤكد الحدوث وما دامت المقدمة الواحدة تؤدى بك الى اكثر من احتمال واحد ، فمن التحكم أن تختار أحد الاحتمالات الكثيرة على انه النتيجة المؤكدة » .

وبعـــد :

فمهما يكن من أمر هذه التناقضات التى كشفها المقال فى النظرية الماركسية فاننا نرى أن الدكتور زكى نجيب محمود قد استطاع بما يملك من اصالة الفكر وخصوبته أن يقوض هذه الأسس التى اعتمدت عليها كما استطاع أن يهز ماركس من ذقنه .

● احياء الأدب العربى :

فى جريدة « النيل » السودانية مقال للشاعر السودانى « أبو القاسم عثمان » طالب فيه بأن نعنى بأدبنا العربى شعرا ونثرا ولغة ونقدا ونقدمه للناشئة ليجاروا الحياة ويتجاوبوا معها يقول : الأدب العربى قديم ومتنوع . وأدبنا المعاصر كثير ومتنوع ، فما الذى يمنعنا من بعث هذا التراث وتقديمه الى أبنائنا . ان الطلبة يرون وجها للحياة المعاصرة غير الذى يدرسونه من خلال هذه النصوص التقليدية . ثم قال انه ليس لنا بقاء ولا خلود الا بثقافة عربية تتغلغل فى نفوسنا وتجرى فى دمائنا ، والا التزود من الفكر العربى واعلاء شأنه وتعميقه فى أذهان الناس حتى نضمن وحدتنا وعزتنا وكرامتنا .

ان الحرب التى شنها المستعمر على اللغة العربية والفكر العربى حرب صليبية الهدف منها هو اضمحلال شخصيتنا العربية وبالتالى الثقافة الاسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم رأس البلاغة العربية .

● طرح ثقة على الجماهير :

اهتمت مجلة « الاذاعة والتلفزيون » بالبرقيات التى انهالت بكثرة على مكتب السيد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى ، ذلك أن هذه البرقيات التى قالت المجلة عنها أنها وردت بالآلاف تدور حول المطالبة ببقاء مجلتى الرسالة والثقافة تلبية لرغبة حقيقية فى نفوس الجماهير فهاتان المجلتان استطاعتا ان تغطى الضعف الذى يسود الصفحات الأدبية فى المجلات السياسية ، وفضلا عن ذلك فانهما قدمتا للقارىء العربى الزاد الثقافى على المستوى العربى والعالمى وفى نفس الوقت لم تنفصلا عن الانتصارات الفكرية التى تحدث فى المنطقة العربية ، فقد تمكنتا من وصل ماضى الفكر العربى بحاضره ، ولم تطالب الجماهير هنا فى الجمهورية العربية المتحدة وحدها ببقاء الرسالة والثقافة فقد لوحظ أن العالم العربى أسهم بنصيب كبير فى المطالبة ببقاء المجلتين ذلك لأنهما يعتبران الميدان الحقيقى للكلمة ، ليس فى مصر وحدها ولكن فى عالمنا العربى كله ، ففى التخطيط الذى أعد لهما ان هاتين المجلتين لا تخاطبان القارىء العربى هنا فقط بل تخاطبان القارىء العربى فى كل مكان ، وفى نفس الوقت تفسحان صدرهما لتلقى الزاد الفكرى من كافة البلاد العربية ، لذلك فانه يمكن تسجيل حركة الفكر العربى كله من على صفحات هاتين المجلتين .

ولعل هذا يدل دلالة كافية على عمق الدور الذى تقوم به هاتان المجلتان ، وعلى أن الجماهير يمكنها أن تحرس بفهم الينابيع الفكرية التى تعيش عليها .

ولعل هاتين المجلتين تعتبران أول مجلتين تبقيان بناء على رغبة الجماهير وتلبية لمطالبها .

ترى هل يسوقنا هذا الى أنه يجب أن تطرح الثقة بالمجلات كلها التى تصدر فى الجمهورية العربية على الجماهير لتقول كلمتها ، لأنها صاحبة الحق والمصلحة فى استمرار ماتريد ؟

تحية الى الجماهير الواعية لحقوقها .

« محمد العوانى »

البريد الأدبي



هايد بارك عربية

بقلم عبد الرحمن ابو الخير
عضو نقابة الصحفيين

فى هذه الايام .. حيث تتصارع تيارات الفكر المتضادة من مادية تتسربل بسرابيل العلم ، وواقعية على مستوى الاسلام ، ووجودية ذات شعب وطنطنات فكرية .. واشتراكية تتفاوت بين مختلف درجاتها : من الشيوعية اليسارية الى راسمالية الدولة وافكار اخرى واخرى كثيرة .. وكل من هذه التيارات الفكرية بصرف النظر عن طبيعة الحكم على اى منها .. وخاصة طوفان الفلسفة المادية الملحدة المرتكزة على جدل سطحى ، ابعد ما يكون عن ، الادراك الواعى لجوهر الانسان ، وواقعية الوجود .

ولهذا اقترح ان تتبنى الدعوة لخلق مدرسة جدلية شعبية .. تلاميذها الشعب ، واساتذتها جمهور المثقفين بمختلف الوانهم من ماديين واسلاميين ووجوديين وغيرهم .. وذلك نقلا لهــذا التقليد الديمقراطى العميد فى بريطانيا ، حديقة هايدبارك .. ولتكن هذه الحديقة لدينا هى ، حديقة الحرية .. على ان تقوم وزارة الثقافة والارشاد القومى بتجهيز منصة للخطابة بهذه الحديقة الواقعة بالجزيرة ..

فذلك ادعى لخلق تفاعل فكرى بين كافة تيارات الفكر فى المجتمع ، وادعى الى اظهار الغث من الثمين من تلك التيارات التى تتصارع على مسرح المجتمع العربى المعاصر .

ان حديقة الحرية ستكون فى اعتقادى مدرسة لحماية هذا الشعب من زيف الغزو الفكرى والهامشية الحضارية .. وختاما أنتظر رايك .

الموسيقى والغناء عند العرب

بقلم خميس سلمونة

فن الموسيقى عند العرب .. فن اصيل عريق اكتسب اصالته من صدق العاطفة وعراقته من سماحة الفطرة .. ولا يزدهر فن الموسيقى او الغناء الا حيث صفاء النفس ونقاء السريرة ورقاعة الحس ، فشدو البدوى فى تايه ساعة الظهيرة وترنيمه تحت شجرته شاكيا ما بنفسه للنخيل وللرمال ولأغنامه .. فتخرج شكواه صادقة معبرة عما فى نفسه من آمال ولواعج تبثها أحاسيسه نقية تحمل التعبير الصادق عن روحه الهائمة ونفسه الظمأى لحب خيمته وموطنه وبقايا اطلال محبوبته..وقد غرست البادية بهدوئها الساحر وليلها الخلاب بنجومه الزاهرة وسمائه الصافية فى قلب العربى حب الوطن والذود عنه .. وبهذا ازدهر فن الموسيقى عند العرب لرقة طباعهم وشمائلهم وميلهم الى البساطة والهدوء.

وبدات عندهم الموسيقى بالدف والمزهر والزمار .. وكانت القبيلة التى يظهر فيها مغن او موسيقى تتقاطر عليها شتى القبائل للتهنئة فتقام الولائم وتضرب المزاهر وتدق الطبول احتفاء بالوفود المهنئة وتعيش القبيلة مع ضيوفها المهنئين ليالى عدة فى افراح متتالية .. وكان سوق عكاظ يكتظ بالقبائل من اقصى الجزيرة العربية الى اقصاها وكل منها تتباهى وتزهو بما انجبت من مداحين وموسيقيين وشعراء ، حتى انشد احدهم يقول :

تغن فى كل شيء انت قائلــــه
ان الغناء لهـــذا الفن مضمار

بهذا ندرك ان العربى اراد ان يعمم الغناء ويعمل على انتشاره فهو احد الدلائل على صدق الرواية وصـــدق القائل .. وبدا الغناء العربى أول ما بدا بالحداء .. وكانت تردده العرب فى ترحالهم وراء ابلهم وانتقالهم من مواطنهم طلبا للمرعى وعيون الماء وصنف العرب الحداء الى مذاهب ثلاث :

١ ـ السناد : وهو اللحن الثقيل .. متعدد النغم .. كثير النبرة ..

٢ ـ الهزج : وهو يخالف السناد فى لحنه الخفيف وينشد دائما فى مجالات الرقص والطرب على انغام الموسيقى بواسطة الزمار وضربات الدفوف .

٣ ـ النصب : وهو يخالف الهزج حيث انه لغة المراثى والمأتم (العديد) .

ولعبت الفتاة العربية دورا هاما فى الغناء ، وادلت بدلوها فيه معبرة عن شعور العرب حين امتنع عنهم المطر فقالت :

الا يا قيل ويحك قم فهينـــ
ـــم لعل الله يصبحنا غماما

وعبر الغناء عن شتى مجالات الحياة العربية فاســـتخدم فى الحرب والحث عليه :

وانا نغرب اللحـــاء حتى   تول والسيوف لنا شهود

واختلط العرب بحكم الجوار بالفرس والروم واخذوا عنهم الجديد فى صناعة الموسيقى وفن الغناء وعرف العود عند العرب على اثر هذا الاختلاط ، وامتزجت الاغانى والموسـيقى الفارسية بكلمات والحان عربيـــة اصيلة ·· وفى العصر الأموى الزاهر اشتهر ابو جعفر بن عائشةكاشهر مطرب عربى حينئذ وكان يتغنى بامجاد الاسلام والفتوحات العربية الزاهرة والانتصارات المتوالية من الاندلس غربا حتى بلاد الصين شرقا ·

وفى العصر العباسى حيث ارتقاء الفنون والآداب على ضـــوء الاختلاط وبعث حركة الترجمة والنهوض باحياء التراث العربى والنقل اليه من الفارسية والرومية ولمعت اسماء عربية كاسماعيل ابن جامع وابراهيم الموصلى واغدق الرشـــيد عليهما من منحه وعطاياه ما جعلهما عنادل شادية مغردة فى رياض فيحاء زاهرة واهتم الرشيد اهتماما خاصا بالموسيقى واوفد النابغين فيها الى بلاد الفرس والروم فى بعثات مستمرة للالمام بالجديد فى هـــذه الفنون وبذلك حدث التجديد فى اللحن العربى على اثر هـــذا الاختلاط ·

وجاء اسحق بن ابراهيم الموصلى خلفا مبدعا لسلف فنان رقيق الا وهو والده ابراهيم الموصلى وعلى يديه استعمل العود لأول مرة كآلة وترية مستحدثة واخترع « الناى » وكان « زنام » العربى من ابرع النافخين فيه حتى ان (الرشيد) كان لا يخرج للصيد الا وزنام معه والناى فى كمه وازدهر فن المواليا على اثر حدوث نكبة البرامكة وعبر هذا اللون من الغناء عن روح الوفاء والاخلاص التى اشتهر بهما العربى على مر العصور حتى انهم وضعوه موضع التقديس والاجلال :

وللغنـــاء مع الحديث نظـــام
ان الحديث على السماع حـــرام

وكان لفلاسفة العرب المرموقين الدور الكبير فى ارسائهم فن الموسيقى حتى انهم وضعوا له القوانين والأسس التى يسير عليها الى اليوم وادخلوا الآلات الموســـيقية لأول مرة فى تاريخ الفن الموسيقى ·

ويعتبر الفارابى الفيلسوف العربى الشهير ابرع ضارب على القانون والشاعر الأعشى كان مؤلفا غنائيا من الطراز الأول حتى انه لقب بـ « صناجة العرب » لاثراته الحركة الفنية وذيوع صيته كعلم من اعلام الموسيقى العرب ·

وعلى ضوء حركة الترجمة واحياء العلوم فى العصر العبـــاسى واثر التبادل الفنى عرفت بعض الآلات الموسيقية واستجلبت من مواطنها الأساسية مثل « الزهر » الاندلسى و « الطنبور » الفارسى و « الكمنجة » التى قال الشاعر فيها :

قم يا نديمى وبادر الى ســـماع كمنجا
فليس من راح منا او غاب عنا كمن جا

اما الربابة والناى فهما آلتان عربيتان اصيلتان قال البحترى فى الأخيرة :

وعـــود بنـــان حين ساعد شدوه
على نغـــم الألحـــــان ناى زنام

وعرفت عند العرب الفرق الموسيقية وسميت « نوبة » اى فرقة وكانت « النوبة » تنتقل من قبيلة الى اخرى تقيم فيها بضع ليال تستعرض امجادها وبطولاتها ومراعيها وقال فيها احد شـــعراء الأندلس :

ونوبة من صهيل الخيـــل يسمعها
بالرمل اطيب الحـــانا من الرمل

ولاهتمام فلاسفة العرب بالموسيقى ظن بعض النقاد ان الفلسفة جزء من الموسيقى وذلك للولع الشديد الذى انتاب فلاسفتنا حيا فيها ودراستها وتحليلها ·· فكتب الكندى فيها ما يربو على سبعة من امهات الكتب فى علم الموسيقى وقسم « السلم الموسيقى » الى «اثنتى عشرة» نغمة واعتبر العقل وحى الالهام للكلمةواللحن ·· وهجر الفارابى مدينة « فاراب » آتيا الى « بغداد » باضوائها وحركتها العلمية الناهضة الشاملة ·· حيث كانت انذاك منار الشرق ومهد الحضارة ·· فصنف الكتب الموسيقية وادخـــل التحسينات العديدة فى الات الموسيقى والغناء ، وكان للعالم « ابن سينا » دورا طليعيا مأثورا فى هذا العلم فكرس حياته له وطلع لنا بقوله لأول مرة ان (الموســـيقى علم) له منهجه واسسه وخصائصه فصنف « الهارمونى » وانواع « تعدد الاصوات » والف ثلاثة كتب فى علم الموسيقى احدهم بالفارسية ·

وهكذا ولع اجدادنا العرب بالموسيقى وتركوا آثارهم فى هذا العلمخالدة مخطوطة بدور الكتب فى العالمتشهد بفضلهمودورهم الطليعى الكبير فى خدمة الفنون الجميلة وكانت الموسيقى بالنسبة للعرب لسان صدق لهم فى الحرب والسلم وضروب الحيـــاة اليومية من افراح واتراح وعلاج للمرضى واضافت الموسيقى الى امجادهم فى الطب والفلك والفيزياء وشتى العلوم الانسانيةمجدا خالدا ·· فبرز دور الموسيقى فى الحياة العربية الأصيلة لتكون دليلا على رهافة حسهم ورفعة اذواقهم ونبل اخــلاقهم وليعطوا للعالم شرقه وغربه صورة صادقة عن سبقهم الدائب فى الفنون « فمع صهيل الخيل وصليل السيوف ·· تسمع اهازيج البـــدو وضرب الدفوف··فتربعت الموسيقى فى قلوب الناس فهى تخاطب العقل والعاطفة والشعور والوجدان جميعا ·

وقد كان فضل السبق لاجدادنا العرب فى هذا الميدان انهم لم يتخلفوا عن مجاراة الحضارة العالية وما زالت الموسيقى العربية الخلد لحن فى سمع الزمن منذ ترنيمة المهد حتى مرثية اللحد ·

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والارشاد القومى

١٩٦٥

- معرض الكتاب العربى يشترك فيه ٥٧ جهة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربى .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .



طنطا من ١٥ مايو ١٩٦٥ إلى ٢١ مايو ١٩٦٥ قاعة الاجتماعات بدار الكتب

اكسير الحياة

تأليف ريتشارد جارنيت

ترجمة صبحي الجيار

كان الفيلسوف الشيخ « ابو تيل » يعيش في قلعة عالية في مدينة « بالغ » ، حيث كرس نفسه لدراسة الكيمياء والعلوم الغامضة .. ولم يكن يدعو احدا الى معمله . ولا يعني هذا انه كان يتجنب الآدميين تماما ، بل على العكس ، فقد كان له سبعة تلاميذ من الشبان الذين ينتمون الى انبل العائلات في المدينة ، كان يزودهم - في اوقات معينة - بالفلسفة وكل المعلومات القانونية المشروعة محتفظا لنفسه بالعلوم والحكمة غير المباحة ، وهي التي تتعلق بالسحر والكيمياء الخرافية التي تبحث في تحويل المعادن الى ذهب .

وذات يوم استدعى تلاميذه السبعة الى صومعته السرية فدلفوا اليها في رهبة وفضول . لكنهم لم يلحظوا شيئا ، بل راوا استاذهم الحكيم واقفا خلف منضدة ، كان فوقها سبع قارورات بللورية ، مملوءة بسائل صاف شفاف كالماء .

وبدأ الحكيم يتكلم :

- انتم تعلمون يا ابنائي كم اكافح واجاهد بحماس لاكتشف اسرار الطبيعة الغامضة ، وكي احل المعضلات التي اعجزت العلماء وحيرتهم على مر العصور . لقد كانت هذه المسالة هي عشقي دائما . ولكني - حتى امس - لم يكن حظي بافضل من هؤلاء الذين سبقوني . ثم القدر الضئيل الذي امكنني انجازه يبدو تافها اذا قورن بالقدر الذي اضطررت الى تركه غير كامل . وحتى الآن يعتبر نجاحي نسبيا ، فاني لم استطع ان اعرف كيف اصنع الذهب ، وليست لي حكمة سليمان ولا استطيع ان اعيد جوهر الحياة الى الموتى ، ولا انفث الحياة في الجماد . ولكني اذا لم اكن اقدر على خلق الحياة فان في استطاعتي ان احافظ عليها وابقيها فقد اكتشفت اكسير الحياة .

صمت الحكيم لحظة ليختبر ملامح تلاميذه ، فالفاها مكتسية بدهشة بالغة ، وايمان لا شك فيه بصحة ما قاله استاذهم . وقد اشرقت عيونهم بوميض من امل خجول في انهم قد يشاركونه في هذا الاكتشاف العظيم الذي صارحهم به . وعندما ادرك الحكيم مشاعرهم هذه ، استطرد يقول :

- اني ارغب في اطلاعكم على هذا السر اذا شئتم ...

فانطلقت منهم صيحة جماعية ، اكدت له ان لا داعي لتشككه في رغبتهم . وعاد يقول :

- ولكن تذكروا .. ان هذه المعلومات - كاي معلومات اخرى - لها مضارها وعواقبها .. ان لكل شيء ثمن .. وعندما اليتم هنا لتتلقوا هذا العلم فمن المحتمل انه يبدو لكم جم الصعوبة .. واود ان تفهموا ان الشروط التي ساعرضها عليكم ليست من عندي . ان هذا السر قد اتى الي عن طريق الارواح .. ولم احصل عليه عن طريق المنحة .. بل حصلت عليه تحت شروط حاسمة اضطررت ان امتثل اليها . واحب ان تفهموا ايضا انه لا يعنيني ان استخدم هذه المعلومات لمصلحتي الخاصة .. فان السنوات الثمانين التي قطعتها من عمري قد جعلتني اكثر حرصا والتماسا لهذه الوسائل التي تختصر الحياة اكثر مما تطيلها . وقد يكون من المفيد لكم اذا استطاعت خبرة السنوات العشرين من عمركم ان تؤدي بكم الى نفس النتيجة .

لم يبد اي اعتراض على احد من الشبان ، بل اسرعوا بالموافقة في حماس مدفوعين بما يكتنف حياتهم من فراغ وغرور ، وتذمر . وكذلك من اجل مبادىء معلمهم البجل ، الذي كان راضيا عن تصرفاتهم وطباعهم ، الا انه كان محتاجا لمن يقنعه بالهوة السحيقة بين النظرية وتطبيقها ، وبضعف الاقتناع العقلي بجانب الغريزة الفطرية .

وفي صوت واحد ابدوا جميعا استعدادهم لتحمل اي مخاطرة معقولة ، وتطوعوا لاجراء اية تجربة ، راضين بهذا الشرط الذي يؤهلهم للاشتراك في السر العظيم الذي اكتشفه استاذهم .

وعاد الحكيم يقول :

- وهو كذلك .. والآن انصتوا الى الشروط .. على كل منكم ان يختار احدى هذه القوارير السبع بطريقة عفوية.. لم يتجرعها في الحال . ان واحدة منها فقط تحوي على اكسير الحياة .. اما القوارير الاخرى فتختلف محتوياتها تماما عن قارورة الاكسير .. انها تحوي ستة انواع من السم المميت .. وهي اقوى سموم استطاعت مهارتي ان تمكنني من تحضيرها .. ولم يعرف العلم حتى الآن ترياقا لهذه السموم . فالنوع الاول يسلخ الاحشاء كجمرة من نار . والثاني يقتل ضحيته بتجميد جميع اوعيتها الدموية .. ويشل اعصابها .. والسم الثالث يقضي على الانسان

بانتفاضات مجنونة مهلكة .. اما الرابع فان من يتجرعه سيكون اسعد حالا نسبيا .. لانه سيسقط على الارض في الحال فاقد الحياة .. كان البرق قد صعقه .. لكنى لا اشفق كثيرا على الخامس الذى سيقع فى غيبوبة على الفور .. ثم يقضى نحبه فى غفوة خالية من الالم . ولكن ما اتعس الذى سيختار القارورة السادسة فان شعره سيسقط عن راسه .. وينفصل جلده عن جسده .. ويظل طويلا على قيد الحياة يعانى من عذاب مبرح .. يتمنى معه الموت . اما القارورة السابعة .. فهى التى تحوى هدفكم المنشود ...

ثم صاح فيهم :

ـ مدوا ايديكم نحو المائدة فى ان واحد .. وليقبض كل منكم على احدى القوارير دون تردد .. ثم يتجرعها فى جراة وشجاعة .. ودعوا القدر يختار لكم . وسوف تحدد النتيجة قدر ما لكل منكم من حظ .

تشاور التلاميذ السبعة معا . والذهول مخيم على وجوههم . ثم اتجهوا جميعا شاخصين نحو استاذهم . املين ان يكتشفوا شيئا من علامات المزاح على ملامحه الوقورة . ولكنهم لم يروا على محياه غير مهابة رزينة . او ربما كان يومض من خلفها تعبير صارم ساخر .

واخيرا راحو يمعنون النظر فى القوارير . املين ان يلمحوا فيها اى اختلاف ضئيل قد يساعدهم فى تمييز الاكسير عن السموم . ولكن خاب ظنهم . فقد كانت القوارير متشابهة تماما فى مظهرها الخارجى . وكانت محتـويات كل منها متساوية فى شفافيتها ولونها المعدوم .

وبعد فترة قال « ابوتيل » فى دهشة لم يعرفوا ان كانت حقيقية او مفتعلة :

ـ ماذا تنتظرون ؟ .. كنت احسب انى سارى ستة منكم يعانون سكرات الموت .

لم تكن كلماته هذه لتشجع السبعة المرتجفين . ثم تقدم منهم اثنان . هما اكثرهم شجاعة . ومدا يديهما الى منتصف الطريق نحو المنضدة . ولكنهما عندما ادركا ان الاخرين لم يقتدوا بهما . عادا فسحبا يديهما فى شئ من الارتباك .

واخيرا هتف احدهم محطما الصمت الحائر :

ـ لا تظن ايها المعلم العظيم انى شخصيا احرص على حياتى التافهة .. ولكنى ارعى امى العجوز .. التى ترتبط حياتها بحياتى .

وقال الثانى :

ـ وانا لى اخت غير متزوجة يجب على ان اعولها .

وقال الثالث :

ـ وانا لى صديق حميم اخنى عليه الدهر .. وليس من الحكمة ان اتخلى عنه .

وقال الرابع :

ـ اما انا فلى عدو اود ان انتقم منه .

وقال الخامس :

ـ لقد وهبت حياتى كلها للعلم .. فهل ارضى بتركها قبل ان تشمل ابحاثى البحار السبعة ؟

وتساءل السادس :

ـ وهل ارضى انا بترك الحياة قبل ان اتحدث الى الانسان الذى يعيش على سطح القمر ؟

واخيرا قال السابع :

ـ اما انا فليست لى ام او اخت .. وليس لى اصدقاء ولا اعداء . كذلك حماسى للعلم لا يوازى حماس زملائى .. ولكنى احترم جسدى واعتز به كثيرا .

فقال الحكيم مجملا قوله :

ـ اذن فالنتيجة النهائية انه لا احد منكم سوف يخاطر فى سبيل كاس الخلود ؟

ظل الشبان صامتين فى خجل وارتباك . عازفين عن تلقى كلمات التقريع من استاذهم . وعاجزين عن تبرير مسلكهم . كانوا ينشدون حلا وسطا لهذه المعضلة . ولكن الحل تلكا فى الظهور . واخيرا قال احدهم :

ـ قد يكون من الاوفق الا نجرع القوارير دفعة واحدة . بل يجرع كل منا قنينته على التوالى . وليفعل القدر بنا ما يشاء ...

فاجاب « ابو تيل » :

ـ ليس لى اعتراض على هذا الاقتراح .. فقط تذكروا ان اقل محاولة لمخالفة الشروط بترجيح الفرصة لاى فرد منكم .. سوف تعنى فشلكم جميعا .

واقترحوا اجراء قرعة . فاسرع التلاميذ وتناولوا سبع قصبات غير متساوية فى الطول . وشرعوا يسحبونها بالطريقة المعتادة . فاستقرت القصر العصى فى يد احدهم . وهو الذى يتدرع بواجبه البنوى نحو امه . فتقدم نحو المنضدة فى كثير من العزم والتصميم وامتدت يده الى منتصف الطريق دون تردد . ثم التفت الى زميله الذى يمسك بالعصا التالية فى الطول . وكان هو الذى يقيم مع اخته . وقال بسرعة :

ـ ان العلاقة بين الام وابنها اقوى واقدس من الصلة بين الاخوة .. اليس من الواجب اذن ان تواجه انت هذه المجازفة بدلا منى ؟

فاجاب الشاب المعنى بالحديث فى ايجاز :

ـ ان العلاقة بين الام العجوز وابنها البالغ . ولو انها اكثر قداسة لا يمكن ان تكون دائمة . اذا ما ادركنا انها ستنفصم عراها بالموت . بينما العلاقة بين الاخ واخته قد تدوم الى سنوات طويلة اذا شاءت ارادة الله .. لهذا يجب ان تجازف انت اولا بهذه التجربة .

فصاح المتحدث الاول فى سخط :

ـ هل وصلت بى الحال لان اسمع مثل هذه السفسطة من تلميذ للحكيم ابوتيل ؟ .. ان علاقة الام بابنها ...

فصاح السادس مقاطعا :

ـ لتوقف هذه المناقشات لحظة .. فاما ان تنفذ الشروط او تتخلى عن هذه المهمة .

تحمس التلميذ لهذا الاستعجال . فمد يده الى المنضدة وامسك باحدى القوارير . وما كاد يلمسها حتى خيل اليه انه اكتشف شيئا من الاختلاف فى لون السائل مما تشاءم له . وتوهم انه يعكر صفو شفافيته فيميزه عن باقى القوارير . فاسرع يعيدها الى المنضدة . وامسك بالقارورة التالية . وفى تلك اللحظة انفجر وهج من الضوء امامهم . فسقط التلاميذ السبعة مصعوقين، وتمددوا على الارض فاقدى الوعى .

وعندما استعادوا قواهم ، وجدوا انفسهم خارج مسكن الحكيم « ابوتيل » ، متأثرين بالصدمة والاهانة التي لحقت بهم لما اقترفت ايديهم ، ثم تعاهدوا جميعا على الاحتفاظ بسرهم ، وعادوا الى بيوتهم .

لم يبق السر مستورا بين السبعة كما كان منتظرا ، كأى سر موزع بين افراد كثيرين ، وفى ظرف ايام قليلة كان السر معروفا لمعظم اهل مدينة « بالخ » وكان اخر من عرفه هو السلطان الذى ارسل حراسه فى الحال ليقبضوا على الحكيم ويستولوا على اكسير الحياة .

ظل الحراس يطرقون باب الحكيم « ابوتيل » دون ان يتلقوا اذنا بالدخول ، فكسروا الباب ، وما كادوا يدلفون الى حجرته ، حتى وجدوه جالسا فى كرسيه فاقد الحياة ، وعلى ملامحه ابلغ آيات الازدراء للجرعة واهبة الحياة . وامامه فوق المنضدة ، كانت القوارير السبعة ، ستة منها مازالت مليئة ، واما السابعة فكانت فارغة . ووجدوا فى يده ورقة ملفوفة مكتوب عليها :

« سنوات طويلة قضيتها فى البحث وراء العلم والمعرفة ، وها انذا اترك للعالم ثمار كدحى وجهودى .. وهى ستة انواع من السم الزعاف .. وكان من الممكن ان اضيف اليها نوعا اخر لكنى امسكت عن اتمامه ...

اكتبوا فوق قبرى : هنا يرقد الرجل الذى رفض ان يدوم العذاب الانسانى .. فوهب للبشرية نعمة الموت التى قد تكون فى حد ذاتها غير ضارة » .

تطلع الدخلاء الى بعضهم البعض ، وهم يجاهدون لكشف الغموض عن كلمات « ابوتيل » الأخيرة .

وبينما هم كذلك محدقين ، اذ الزعهم صوت مرتفع لشيء يتحطم فى الحجرة المجاورة . وتضاعف انزعاجهم عندما انطلق امامهم قرد ضخم ذو فروة ناعمة ، فى غاية المرح ، يتحرك فى نشاط خارق ، مما اقنع الجميع بان الفيلسوف الفقيد ـ وهو تحت احساس طاغ من التهكم والازدراء ـ قد قدم الى هذا المخلوق كل قطرة من اكسير الحياة .

ترجمة : صبحى الجبار



(بقية المنشور على صفحة ٣٣)

يا نهر ، لولا الضنى ، لولا خطايانا	ما كان أغناك ، بل ما كان أغلانا
انا جرحنا بأيدينا جوارحنا	عميا مضلين ، حتى كان ما كانا
حتى طوينا القفار الجرد تحسبنا	ندب في جنبات الأرض ديدانا
ولاذ كل أبي في مغارته	يقطع الليل آهات وأحزانا
لم تحمه لاجئا ، دنيا يلوذ بها	ولا اغاثته في بلواه حيرانا
ورب لاجئة هزت بصرختها	لكل معتصم بالغي آذانا
لكنها .. لم تلامس أذن نخوتنا	عربا ، ولا هزت الأرواح ايذانا
في حين ، يمرح في أرجاء جنتها	باغ ، فيلقى بها روحا وريحانا
يا نهر ، يا راويا من مجدنا عبرا	غرا ، بكينا بها مجدا وأوطانا
وموحيا للبرايا في ترنحه	ذكرى ، نتيه بها فخرا وايمانا
أيام كنت ، وكان المجد مبتسما	نرعاك في ظله حرا وترعانا
رعاك « آشور » فاختالت مصفقة	ضفافك الخضر ، ادلالا بما كانا
وازينت ببني العباس ، تحسبها	مرابعا كجنان الخلد غيطانا
« هارون » يخطر في أرجائها جذلا	معطرا بندى الطيب أردانا
« والف ليلة » تغفو في مرابعها	نشوى ، فيوقظها « اسحاق » نشوانا
والشاعر الماجن العربيد ، يسكرها	بالشعر حينا ، وبالصهباء أحيانا
كم جر فوق الثرى زقا ، وطرزها	مساحبا ، عبقت طيبا وريحانا
وكم سقاها بفيض من عواطفه	عند الضفاف ، فاغناها وأغنانا
فأين يا نهر ، دنيا رفرفت حقبا	على الدنا ، برقيق من سجايانا ؟
اين الألى لعبوا سلما ، وان غضبوا	« شنوا الاغارة فرسانا وركبانا »
واخجلة القوم ، عادت كلها حلما	فعدت في اثرها خجلان خزيانا
محا البلى كل طيف من مآثرها	وما محا لك يا ابن الخلد عنوانا

بغداد ـ محمد جميل شلش

نظمت هذه القصيدة قبل ثورة تموز .

ها

الثقافة اسبوعية تصدر كل ثلاثاء

الرسالة اسبوعية تصدر كل خميس

المجلة شهرية تصدر يوم (٥)

الشعر شهرية تصدر يوم (١٠)

القصة شهرية تصدر يوم (١٥)

مجلاتي

الثقافة والارشاد القومي

الدار القومية للطباعة والنشر

الثمن ٣

العدد ٩٥



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١١١٤ ـ الخميس ١٩ محرم ١٣٨٥ هـ ـ ٢٠ مايو ١٩٦٥ م ـ السنة الثانية والعشرون

أثر الأدب في نهضة العرب

بقلم: أحمد حسن الزيات

- ٢ -

قلت في المقال السابق ان الأمة العربية في تاريخها الطويل الحفيل لم يكن لها غير نهضتين :

نهضة في القرن السادس كانت بالدين انطلاقا من الجهل ، ونهضة في القرن العشرين كانت بالعلم انبعاثا من الموت . وكان الأدب في كلتا النهضتين كما قررنا هو الباعث الأول . كان في الأولى ومضة المنارة التي تذهب الضلال ، وكان في الأخرى نفخة الصور التي تسبق البعث . فكيف كان العرب بعد أن تقدموا وقدموا الدنيا ، وكيف صاروا بعد أن تأخروا وأخروا الدين ؟

كان العرب في القرن الرابع للهجرة قد بلغوا من السلطان والعمران ما لم تبلغه من قبلهم أمة . كانت لهم في عصر واحد ثلاث خلافات تشع الحرارة والنور في القارات الثلاث : خلافة العباسيين ذات العلم الأسود ببغداد في آسيا ، وخلافة الفاطميين ذات العلم الأبيض بالقاهرة في أفريقيا ، وخلافة الأمويين ذات العلم الأخضر بقرطبة في أوربا ، وكان العالم القديم كله من شرقه الى غربه يعيش في ظلال هذا الملك العظيم خاضعا للعرب الحاكمين خضوع الجيش للقائد أو القافلة للدليل . فلما أخلد العرب الى الترف ، وفقدوا بالانقسام والخصام والترف قوة الاتحاد ، وقوة السلطان ، وقوة الدين ، وقوة العلم ، أصبحت ديارهم وآثارهم نهبا مقسما بين المغول والترك والفرس والجركس والأسبان . وفعل التتار في العراق ، والصليبيون في الشام ، والفرنج في الأندلس ، ما تفعله الزلازل والبراكين بالعمران المزدهر . ثم انحصر العالم العربي في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد في العراق وسورية وبلاد العرب ومصر والسودان والمغرب . وآل السلطان والحكم فيه الى الدولة العثمانية سنة ١٥١٦ م فحكمته بالعسف والقهر ، وأذلته بالجهل والفقر ، وفرقت بين أجزائه بالعزل والقطيعة ، وطردت اللغة العربية من الدواوين حتى من محاكم الشريعة ، واستعملت التركية في التعليم حتى في دروس النحو ! ثم انقطع ما بين العرب والدين الصحيح والأدب الحر فاعتراهم ما يشبه الخدر في الحواس فلم يشعروا بالوجود ولم يحفلوا بالحياة ، حتى غشي الأرض ما غشي من طغيان عبد الحميد ، وقاست العروبة ما قاست من اضطهاد الأتراك ، فأخذ تاريخ المجد العربي يثور في رءوس بعض الزعماء والقادة ، ومأثور الأدب العربي يحيا في نفوس بعض الشعراء والكتاب .

وانبعثت من وراء الرقابة الشديدة والجاسوسية اليقظة أصوات الأدباء تهيب فى خفوت وحذر بالراقدين أن يهبوا ، وبالقاعدين أن ينهضوا • وسمع الناس أول ما سمعوا صرخات العرب المسيحيين لسوء سياسة الترك فيهم ، وقسوة الحكام عليهم كفتح الله مراش ، ورزق الله حسون ، وأديب اسحق ، وابراهيم اليازجى صاحب البائية المشهورة التى نظمها فى سنة ١٨٩٦ م مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب ... فقد طمى السيل حتى غاصت الركب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم ... تستغضبون ولا يبدو لكم غضب
ألستم من سطوا فى الارض واقتحموا ... شرقا وغربا وعزوا أينما ذهبوا
فما لكم ويحكم أصبحتم همـلا ... ووجه عزكم بالهون منتقب
لا دولة لكم يشتد أزركم ... بها ولا ناصر للخطب ينتدب
اقداركم فى عيون الترك نازلة ... وحقكم بين أيدى الترك مغتصب

والقصيدة كلها على هذا النسق من استنهاض العزائم لاسترجاع المجد الذاهب ، واسترداد الحق المغصوب • وهى مثل لما كانت تنشره الصحف وترويه المجالس فى مهاجر الأحرار بمصر واوربا وامريكا • وكانت هذه الصيحات المذكرة المنذرة تجد تشجيعا من مدحت باشا والى تركية على العراق ثم على سورية ، لانه كان يطمع فى أن يستقل بالشام كما استقل محمد على بمصر • فقويت حركة الاصلاح واتسعت دائرة المعارضة ، واشترك فيها المسيحيون والمسلمون على سواء • ونهض يومئذ المصلح الحلبى العظيم الشيخ عبد الرحمن الكواكبى المتوفى سنة ١٩٠٢ م فألف كتابيه القيمين: « طبائع الاستبداد » و « أم القرى » دعا فى الأول الى تحرير المجتمع العربى من العادات الضارة والاعتقادات الفاسدة • ودعا فى الآخر الى خلافة عربية يكون مقرها جزيرة العرب • فكان لهذين الكتابين أثر قوى فى انعاش الفكرة العربية ، فطع الترك على المؤلف من جرائهما كل سبيل وشردوه فى كل أفق •

ثم تجاوبت باناشيد الذكرى والألم والأمل صوادح الشعر على ضفاف دجلة وبردى والأردن • فيقول الرصافى من قصيدة عنوانها : « تنبيه النيام » :

عجبت لقوم يخضعون لدولة ... يسوسهم فى الموبقات عميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها ... وأموالها منهم ومنهم جنودها

ويقول الزهاوى من قصيدة نظمها فى سنة ١٨٩٧ :

لقد عبثت بالشعب أطماع ظالم ... يحمله من جوره ما يحمل
فيا ويح قوم فوضوا أمر نفسهم ... الى ملك عن فعله ليس يسأل

ويقول عبد الحميد الرافعى فى طرابلس من قصيدة مطلعها :

ما تصلح الدنيا ولا ناسها ... ما لم يل الأقوام أجناسها
هبوا بنى العرب الام الكرى ... وقد دها الآمال دهاسها
طلبتم الاصلاح من عصبة ... توتر بالافساد أقواسها
الستم نسل القروم الأُلى ... تشتعل الهامات افراسها
فكم تقيمون على ذلة ... وروضة الصبر ذوى آسها
فجردوا العزم الذى طالما ... شق صدورا طال وسواسها

ويقول سليمان الفاروقى فى فلسطين :

بنى انهضوا واحيوا حياة عزيزة — حياة تعيد المجد للعرب ثانيا
ألا نهضــة شرقيــة عربيــة — تزلزل أقواما وتوهى رواسيا ؟
ألا رجـل ذو مـرة فيلمكم — ويرأب صـدعا فيكم بات واهيا ؟
يقــوم فلا يرتد أو يبلغ المدى — ويقضى ولكن يبعث السيف قاضيا

ثم انضم الى أدباء العرب الثائرين على طغيان السلطان أحرار الأدباء من الأتراك انفسهم من أمثال رضا توفيق ، وولى الدين يكن . فكان من أولئك كله وقود جزل للثورة التى أشعلتها فى تركيا « جمعية الاتحاد والترقى » ، وكان ان أعلن فى نورها الدستور العثمانى فى سنة ١٩٠٨ ، ثم كان أن سقط فى نارها عبد الحميد فى سنة ١٩٠٩ .

وظن العرب أنهم سينعمون فى ظلال الدستور بالحرية والمساواة ، ولكن الظن كذب والأمل خاب ، وعاد الشعراء يقولون مع الفاروقى :

كنـا نعلل بالدســتور أنفسنا — بفارغ الصـبر ذاك اليوم نرتقب
حتى اذا جاء لم يحدث لنا حدثا — ولا اسـتجيب لنا فى مطلب طلب

واشتدت الخصومة بين العصبيتين العربية والتركية ، واحتدمت ثورة الأدب ثانية فى المجلات والصحف ، وترددت أصداؤها فى المحافل والأندية ، وتجمعت القوى المتفرقة فتألفت الجمعيات السياسية فى العواصم المختلفة كجمعية المنتدى العربى ، وجمعية العهد فى الأستانة والجمعية القحطانية والجامعة العربية فى مصر ، والجمعية الاصـلاحية فى بيروت ، وكلها كانت تعتمد فى الدعاية على الأدب فى شتى ضروبه وجميع مظاهره ، حتى شبت الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٤ وكانت تركية خصما فيها لانجلترا وفرنسا وهما الدولتان الطامعتان منذ طويل فى اقتطاع الشرق العربى وابتلاعه من تركة الرجل المريض ـ كما كانوا يسمون الدولة العليا ـ وأراد الله جل شأنه أن يهيىء الأمور لتحرير الأمة التى اختارها لاظهار دينه واعلاء حقه ، فأسرف الأتراك فى البغى وأمعنوا فى الجور وحكموا بالاعدام ظالمين على صفوة من اقطاب الأدب والسياسة ، شنقوهم سنة ١٩١٥ فى ساحات بيروت ودمشق ، فكان استشهادهم المروع منـاحة للأدب فى كل قطر . واستغل الاستعمار الراصد هذه النكبة ، فتقدمت انجلترا الى الحسين بن على شريف مكة فى سنة ١٩١٦ بالوعد ان تجمع له الأقطار العربية كلها تحت تاجه ، فكانت ثورة الحجاز ، وكان انخذال الترك ، وكان استقلال العرب .

كذب الانجليز وعدهم وصدق الله وعده ، وانتهى أمرهم الى الانتداب ، والأمر لله وحـده .

ذلك ما اتسع له القول فى جهاد الأدب لانهاض العرب فى هذا القرن . أما جهاده فى جمع كلمتهم وتحقيق وحدتهم فهو موضوع المقال التالى .

« أحمد حسن الزيات »

أما بعد!!!!

بقلم: محمود محمد شاكر

أما بعد، فقد أعفيت نفسي بضعة أسابيع من هم القلم وقلق النفس الى الكتابة، لكي أفرغ لهم يزيدني شعورا بلذة الحياة وبهجتها، وقلق يزيد النفس توهجا تحت أثقال العمر. ولست أعني بالهم ما يغشى القلب من ثقل جاثم يسد منافذ الدم حتى يكاد القلب يختنق، ولا بالقلق ما يخامر النفس حتى تتبعثر وتضطرب، بل أريد بهما ما يساور القلب والنفس من احساس بأن الحياة جد لا يصلح معه الهزل والاستخفاف، وترك الأمور تجري في أعنتها بلا وازع ولا رقيب ولا ضابط، ولعلي لا أكون مبالغا اذا أنا قلت: اني كأني قد وقفت، في هذه الأسابيع القلائل، على قمة من القمم الشوامخ، والأرض كلها من تحتي، فارمي ببصري الى أفق بعيد مغرق في البعد منذ عهد أبينا آدم عليه السلام، ثم أرجعه على عوالم من ذريته لا يعلم زمانها وآجالها ومصائرها الا بارئها وحده سبحانه. ووجدتني تميد بي، في خلال ذلك، نشوة خفاقة تهب من عن يمين وشمال، فتهزني، «كما اهتز تحت البارح الفتن الرطب»، ولا كنشوة جذيمة الابرش الوضاح، ملك العرب قديما في الجاهلية، حيث وصف نشوة يخالطها طائف من الحزن، بهذه الأبيات الروائع:

ربما أوفيت في علم	ترفعن ثوبي شمالات
في فتو أنا كالئهم	في بلايا غزوة باتوا
ثم أبنا غانمين معا	وأناس بعدنا ماتوا
نحن كنا في ممرهم	اذ ممر القوم خوات
ليت شعري ما أماتهم ؟	نحن أدلجنا وهم باتوا

فأي نغم جليل فخم، متهدج النبرات، اهتدى اليه هذا الجاهلي القديم، بما في قلبه من الهم والقلق، ثم استودعه هذه الأحرف القلائل، وأنفذها الى أعماق الحياة الانسانية، ثم سلها كأنها أسنة مصقولة حداد لها بصيص يلمع في ظلمات الحيرة ؟ وأي نشوة يدب في خفقاتها دبيب الحزن الكامن والحسرة المترقرقة، أطاق هذا العربي المبين أن يملأ بها وجدان حياتنا، بلا رموز يونانية متمرغة في أوحال الأساطير، وبلا رموز وثنية المنابت والأصول، تجعل الحياة البشرية جحيما مستعرا من الخطايا والذنوب والآثام، وتحيل الهم الشريف ظلمة مطبقة على القلب والنفس، والقلق السامي تدميرا لبنيان الله الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى، سبحانه وتعالى.

وما دام القلم قد حملني هذا المحمل، ودخل بي الى حديث لم أرده حين بدأت، فسأدعه يحدثك عن عربي آخر، عظيم الهم، كريم القلق، وهو أيضا جاهلي عتيق، وهو جد راوية الكوفة المفضل بن محمد الضبي، واسمه سلمى بن ربيعة بن زبان الضبي، فقال يصف نشوة أعمق من نشوة الملك جذيمة الوضاح:

ان شواء ونشوة	وخبب البازل الأمون
يجشمها المرء في الهوى	مسافة الغائط البطين
والبيض يرفلن كالدمى	في الريط والمذهب المصون
والكثر، والخفض آمنا	وشرع المزهر الحنون
.. من لذة العيش، والفتى	للدهر، والدهر ذو فنون

والعسر لليسر ، والغنى للفقر ، والحي للمنون
اهلكن طسما وبعده غذى بهم وذا جدون
واهل جاش ومارب وحى لقمان والتقون

فأى نغم ؟ وأى نشوة ؟ وأى حزن رقيق ؟ وأى استقبال لخير الحياة وشرها بلا خوف ولا تردد ؟ وأى قدرة على جعل هذه الألفاظ العربية الشريفة ، أوتارا مشدودة على قياس وحساب ، حتى تنبعث من تلاوتها أنغام معبرة عن الحياة والموت بأضواء من البيان لا تكشفها الرموز الميتة التي ينفخ فيها النقاد لتحيا ، وقد بليت وتعفنت في معابد الجهل بالحياة ، وهياكل الضلال عن الحق ، ولكن العجب لمن عنده لغة تملك هذه القدرة الخارقة ، ثم يضل عنها الى البيوت وأشباه البيوت ، وذيول البيوت ، غير مبال أن يخوض بلسانه ولغته في تربة عفنة من التعاطل النفسى المريض ، ومن رجيع الحضارة الأوربية وصديدها المتقيح ، الذى يمثله بكل غثاثته وعفنه فلان وفلان ، ممن أعرف وتعرف .

❋ ❋ ❋

ولكنى قد ذهبت بالقارئ مذهبا لم أرده ، فلا بأس عليه ان قطعت الحديث منصرفا الى ما كنت قد عزمت على البدء به . فقد كنت وعدت قارئ الرسالة فى اول المقالة التاسعة ، أني قد جعلت له على حقا ، وهو أن لا اخليه من متابعة ما يقال عما أكتب فى الرسالة ، اذا كان كاتبه قد استودعه مكانا غير مجلة الرسالة . فوفاء بهذا الوعد ، أؤجل ما طال الأمد على الوعد به ، وهى الكلمة التى جعلت عنوانها « **أباطيل واسمار** » ، وأولى وجهى شطر شيء نشر فى مجلة يقال لها « العلوم » ، فى العدد الرابع بتاريخ ابريل سنة ١٩٦٥ ، وهى مجلة تصدر فى بيروت ، أرسلها الى صديق كريم . وعنوان هذه المقالة : « من همومنا الفكرية » ، وكاتبها معروف أحيانا ، واسمه الأستاذ محيى الدين محمد ، ويبدؤها هكذا :

« فى مجلة الرسالة ، التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ، حملات أسبوعية ضد بعض الكتاب ، يصل بعضها الى حد الهجوم الموتور ، المشحون بالحقد والبغضاء . ويصل البعض الأخر الى حد استعداء السلطات على هؤلاء الكتاب ، مع دعوة الدولة الى طردهم من أماكن رزقهم ، أو الى طردهم من الجمهورية العربية المتحدة التى تؤويهم وتقدم لهم العيش الرغد » .

« وقد تسببت بعض هذه الحملات الاستعدائية الى طرد الاستاذ غالى شكرى من سكرتارية مجلة الشعر التى كان يعمل بها ، وتسببت أيضا فى الاستغناء عن الدكتور عبد القادر القط من رياسة تحرير نفس المجلة ، واسنادها الى الشاعر محمود حسن اسماعيل . وقد تتسبب ايضا فى ايذاء الدكتور لويس عوض ، وهو امر نخشاه ، ونرجو الله أن لا يحدث . وتتفاوت أساليب هذه الحملات ، بين ما يظنه المهاجمون موقفا عدائيا من التراث القومى ، وايمانا بالمسيحية واليهودية ، وبين ما يظنونه موقفا معاديا من الشعر الكلاسيكى ، وتمسكا بالشعر العامى ، كما يسمونه ، وبين مايحسبونه فهما مغلوطا لقضايا الفكر القومى ولأمور التراث » .

ولست أعلق على ما فى هذه الكلمات من حسن التحرى وتمام الصدق ! ولكنى أدع الكاتب يبين عن نفسه فيما هو أهم ، بعد أن دافع عن حرية الاعتقاد والكلمة . قال : « واذن لماذا نكتب هذه الكلمة ، ما دمنا متفقين على مبدأ التصدى لكل رأى ينال من التراث القومى ، أو يشكك فى افكارنا وقضايانا ؟ » . ثم أجاب فقال : « لابد قبل أن نبرز لذلك ، من دراسة متفحصة للآراء والأفكار التى سببت مثل هذه الهجمات المتكررة ، التى توشك أن تصبح ظاهرة لاحدى المجلات التى تنطق بسياسة الجمهورية العربية المتحدة فى مجال الفكر والثقافة ، (ويعنى الرسالة بلا شك) ، وتوشك أن تصبح ، بل أصبحت بالفعل ارضا يجوس فيها التخريب والشتائم الشخصية والسباب ، وكما قلنا من قبل : استعداء السلطات على الكتاب ، والمطالبة بطردهم . . . الخ مع ما فى ذلك من تجن وصغار ، لا يجيدها سوى فئة من الكتاب التافهين الذين يتسلقون على أكتاف الأسماء اللامعة ، أو التى لقيت بعض الشهرة فى هذا المجال » .

ثم أفاض الكاتب فى بيان تاريخ مسألة التراث القومى ، والأطوار التى مرت عليها ، وظهور طائفة من الكتاب فى الطور السابق لما نحن فيه اليوم ، عد منهم سلامة موسى ، واسماعيل مظهر ، وشبلى شميل (بهذا الترتيب !!) ، ثم قال : « ثم مات الرواد ، وجاء دور التلاميذ للسير على الدرب نفسه ، والدفاع عن منطق الأساتذة ، والافادة من وجهة نظرهم فى الحكم على القضايا العصرية ، وعلى المشكلات العميقة التى يطرحها التطور والتقدم ، وكان من هؤلاء

الدكتور لويس عوض ، الذى أثر تأثيرا عميقا فى حياتنا الادبية ، بدراساته الواسعة عن تأثير الحياة الاقتصادية والاجتماعية على الفنون والشخصيات الاوربية ، فى وقت كان النقد الأدبى قائما فيه على الذوق الشخصى وحسب » .

ثم أفاض بعد ذلك فى الكشف عن موقف هؤلاء الرواد وتلامذتهم من التراث القومى ، وبين عذرهم فى هذا الموقف ، بما يخيل اليه أنه عذر مقبول ، وقال ان أكثر الشبان الذين تبعوهم فى هذه المرحلة « قد عادوا الى دراسة هذا التراث بمعزل عن الأفكار التى قيلت عنه ، وبمعزل عن السذاجة التى حكموا فيها على الأمور » ثم قال : « ثم قامت هذه الزوبعة حول بعض الأقلام التى كتبت فى الماضى كلاما عن التراث ، وتكتب فى الحاضر أبحاثا تحتمل التأويل، وتحتمل المناقشة . وفسرت هذه المقالات تفسيرات خاطئة ومشوهة ، بعضها يتكلم بشكل شخصى ، ويحاول أن يهدم بطريق السباب . وبعضها يشكك فى قومية هؤلاء الكتاب ، ويدمغهم بالتعاون مع الغرب ومحاولة تشويه تاريخ الأمة العربية ، الى آخر قائمة الاتهامات » ، ثم قال أيضا :

« فالأبحاث المطولة التى يكتبها الدكتور لويس عوض ، والتى يتكلم عنها بعض هؤلاء (الكتبة) ، بصورة تستوقف النظر لمافيها من استفزاز واستعداء صريح ، أبحاث أدبية ، يحقق فيها صلة الكوميديا الالهية برسالة الغفران ، وعما اذا كان مصدر الكوميديا هو احدى ترجمات رسالة الغفران ، أم أصلهما واحد . وقد تطرق الدكتور الى تفسير وشرح بعض أبيات من سقط الزند ، ووقع فى بعض الأخطاء اللغوية التى قد يقع فيها الناقد ببساطة ، خاصة أمام نص قديم : اما لجهله باللغة العربية القديمة ، التى أصبح كثير من مصطلحاتها قيد القواميس ، ولا تمارس فى حياتنا الثقافية الراهنة، واما لتسرعه فى الكشف عن بعض هذه المصطلحات التى كانت تستوجب تنقيبا ومهارة وعلما أكثر .

« وقامت قيامة بعض صغار الكتبة الذين اهتدوا الى التفسير الصحيح للنص المختلف عليه ، وأخذوا يكتبون فى الرسالة هذه السلسلة من السباب ، يهاجمون فيها الدكتور ، وينبشون تاريخه القديم ، عندما كان صوتا للمصرية وللثقافة المرتبطة بأوربا، وينقبون عن آراء له صدرت منذ عشرين عاما ، فيعيدون صياغتها بما شاءت لهم نفوسهم الملتوية ، ثم يقدمونها الى القراء ، والى الدولة مطالبيتها (هكذا !!) بان تقطع عيش هذا الكاتب الذى (يشوه) تقاليدنا ، والذى دعا قبل ذلك الى الكتابة بالمصرية المحلية . وقد تؤثر هذه الحملة البشعة فى رزق الدكتور ، فيضطر تحت الضغط الى الاستقالة من هذا المنبر الذى يشغله فى جريدة الأهرام ، وهو أمر لا يكاد الانسان يجد له مبررا معقولا واحدا » .

ثم قال بعد : « ولقد أصبحت الأقلام الرجعية فى مجلة الرسالة (وهى ليست ممثلة لمصالح اقتصادية معينة) ، ممثلة لنوع من أنواع الرقابة الداخلية ، أو الضمير الكاذب ، على مايكتبه المتحررون واليساريون والاشتراكيون ، وانها لصيبة يجب بترها قبل أن تستفحل وتصبح داء عضالا » ، ولو كان النقد الذى يكتبه هؤلاء (الكتبة) الصغار موضوعيا ، ولم يكن قائما على الهوى ، لطبلنا لذلك وقلنا : الخير فى الموضوعية والنقاش ، ومقارعة الحجة بالحجة ، غير أن هؤلاء لا يكتبون حرفا واحدا بدون الاساءة الشخصية والسب العلنى باسم الفكر ، وهو أمر لا يصلح فيه الكلام ، انما تصلح احالته الى القضاء » .

ثم قال : انه ليس بحاجة الى التأكيد بأن الشتائم لن تقنع فردا واحدا فى الجيل كله ، ثم اقتطف من مقالاتى فى الرسالة أربعة أمثلة عدها سبا علنيا وشتيمة ، ثم قال بعد ذكر الميثاق وما فيه من اعلاء شأن الفكر وحريته : « والاقناع الهادىء وجه من وجوه الحرية ، يعايشها ويحيا معها ، ولا يمكنه أبدا أن يعايش طغيان الكتبة الصغار أو الكبار » .

ثم ختم هذا كله بقوله : « وهكذا وقعنا فى يد النصابين الذين يتكلمون باسم الفكر والثقافة » ، ثم ابتهل الى الله ، وتقدم الى السيد الدكتور وزير الثقافة والارشاد، أن يتدخل « فيحمى فكرنا، ويحمى ثقافتنا وعروبتنا واشتراكيتنا ، باستبعاد هؤلاء المزيفين من دوائر الاعلام » .

وقد نقلت كل هذا بحروفه ، ولم أسقط من المقالة الا ما لا يضر اغفاله هنا ، ولولا الاطالة ، لنشرت المقال كله كما جاء فى مجلة العلوم . وكنت أستطيع

أن أغفل المقال كله ، لانه لم يات بجديد بعد الذى قاله زميل الدكتور محمد مندور ،منذ أشهر ،ورددت عليه بمقاله فى الرسالة • ولكن الذى اعجبنى من الاستاذ محيى الدين محمد ، هو حبه لأستاذه ومعلمه لويس عوض ، واكباره له ، حتى انه حين اقتطف ما اقتطف من مقالاتى مما عده شتائم ، قال : « الشتائم التى نقتطف هنا ، آسفين ، بعضا منها موجهة لأستاذ جليل طالما علمنا وعرفنا » • بيد انى رأيته أخطأ فنشر كلامه فى مجلة لا أظنها تليق به ، فضلا عن انها تصدر فى بيروت ، فرأيت لزاما على أن أنشر له خلاصتها هنا فى مصر أيضا ، وفى حيث لا تبلغ مجلة العلوم من البلاد التى تذهب اليها الرسالة • وقد تساهلت اكراما له ، فتركت لفظ «الدكتور» ملصقا باسم لويس عوض ، وان كنت قد عاهدت نفسى من قبل أن أصون هذا اللفظ فيما أكتب ، وأنزهه عن مواضع الامتهان والابتذال ، لأنه لفظ يحمل عند الناس تراثا من المهابة والتبجيل ، ونبضا حيا من الامانة والدقة والصدق ، والبعد عن الهوى ، كما قلت فى بعض مقالاتى السالفة •

ولكن الشىء المعيب فى مقالة هذا الاستاذ ، هو أنه فعل ما فعله الدكتور مندور من قبل ، فكتب دون أن يقرأ شيئا من هذه المقالات فيما أظن • والا فليحدثنى أين وجد فى كلامى استعداء للجمهورية العربية على لويس عوض ؟ وأين وجد فى كلامى أنى اريد أن اقطع عيش هذا الأدمى (نسبة الى أبينا آدم !) ، او ان أؤثر فى رزقه ؟ لا أظنه يجد فى كلامى شيئا يشير الى قطع العيش والتأثير فى الرزق ، الا ما ظنه هو من ان لويس عوض ، قد يضطر تحت الضغط الى الاستقالة من هذا المنبر الذى يشغله فى جريدة الاهرام ، **وهذا ظن فاسد** ، يدل على أن طول تعلمه على يد لويس عوض وتتلمذه له ، قد غشى ذكاءه ، فجهل عن الرجل ما كان ينبغى أن يعرفه باقل التامل • والذى يستقيل من عمل كهذا العمل ، اذا جاءه من يكشف له عن جهله وغبائه وادعائه ، انما هو الرجل الذى ابتلاه الله بذرو من الحياء (أى قليل جدا منه) ، ولويس عوض قد عوفى مما ابتلى به غيره ! فباى عقل يستطيع انسان أن يعقل أن لويس عوض ، يمكن أن يفكر فى الاستقالة ، من وظيفة لم يكن يحلم مثله قط أن ينالها ، ولو بقى الدهر الطويل يمد اليها عينيه •

ومسالة التدليل على أن لويس عوض قد عوفى مما ابتلى به غيره من الحياء ، مسالة (أساسية) ، فى حديثى هذا ، لا من أجل الكشف عن حقيقة هذا الدعى ، بل من أجل الكشف عن أثر ما يكتبه وما يزعم أنه يعلمه للناس ، كأمثال الأستاذ محيى الدين • وقد نبهت الاهرام مرارا فى مقالاتى ، الى خطر ماينشره هذا «الشرلتان» المخمور فى الصحيفة الادبية، فى أى موضوع شئت مما كتب فيها، ونبهت جريدة الأهرام مرارا الى أن مثل هذا الخلط الذى يكتبه باسلوب المبشرين ، وهو أسلوب تعاقل المحرومين نعمة العقل ، له أبلغ الأثر فى تفكير الشباب وأشباه الشباب كالاستاذ محيى الدين محمد •

فلويس عوض لم يستح قط حين كشفت عن جهله بتاريخ شيخ المعرة ، مع أن بناء مقالاته قائم على توضيح طبيعة العصر الذى كان يعيش فيه المعرى، ليعطينا ، فيما زعم ، بعض المفاتيح التى تساعد على معرفة موقف هذا الرجل العظيم من افكار عصره ، ومن أحداثه ، ومن رجالاته ، ومن أحواله بوجه عام، او كما قال • فبالذى انشاك فسواك فعدلك ، ياسيد محيى الدين ، هل يدخل فى نطاق تصورك أن انسانا لا يستطيع أن يقرأ خبرا واحدا ، هو خبر راهب دير الفاروس ، قراءة صحيحة ، ولا يستطيع أن يعرف الوجه الذى به يعد الخبر صادقا او كاذبا ولا يستطيع أن يراجع هذا الخبر وهو موجود فى نحو من ثلاثين كتابا بالفاظ مختلفة ، ولا يستطيع أن يفهم دلالة الفاظ هذا الخبر ، كما بينت ذلك فى مقالاتى التى لم تقرأها فيما أظن ، ولا يستطيع ان يهتدى الى دلالة واحدة من دلالات شعر أبى العلاء فى صدر حياته ، ولا يستطيع بعد ذلك أن يتبين أبسط قواعد المنهج فى الدراسات الادبية ، مما يعلمه المبتدئون فى الدراسة الادبية ، فضلا عن انسان يزعم أنه أستاذ جامعى كان = هل يدخل فى تصورك أن انسانا كهذا قادر على أن يعطى الناس شيئا يفهم ، فضلا عن مفتاح واحد مزيف يعين على فهم مغاليق أبى العلاء ؟ ألا تظن أن قائل ذلك مدع عظيم الدعوى ، وانه يأتى باشياء لا يملك الدليل عليها ، ولا وسائل الاهتداء الى هذا الدليل، الا بكلام ملفق يلقيه متتابعا، بتعاقل شديد ، وبهوج متثاقل وبوقار يترنح ؟ الا

تقول معي ، فيما عددته شتائم واقتطفته من مقالي: « أفي الدنيا انسان يعقل ، هو أصلب من هذا الجرىء الجاهل وجها » ؟ لا أظنك تستطيع أن تقول غضبا لأستاذك : لا اقولها البتة ! لأني أعدك ، استنباطا مما قرأت لك ، أذكى من هذا الدعي ، الا ان يكون قد أتلف عليك ذكاءك !

ولويس عوض ، لم يستح قط ، حين عرض لآية من كتاب الله ففسرها بسوء أدبه ، وبالمعروف من جهله ، وبالتعاقل التبشيري الصفيق ، فزعم أن « وردة كالدهان » ، هي « روزا مستيكا » ، ثم لم ينهه شيء حتى زعم أن أبا العلاء قد نسج على صورة الوردة ، حين وصف الأرض وقد غشتها الدماء في الحرب ، فقال : هي وردة كالدهان ؟ ونسب هذا الجبل الى تفاسير القرآن · أتظن أن هذه « من الاخطاء اللغوية التي قد يقع فيها الناقد ببساطة، خاصة امام نص قديم ، اما لجهله باللغة العربية القديمة ، التي أصبح كثير من مصطلحاتها قيد القواميس ، واما لتسرعه في الكشف عن بعض هذه المصطلحات التي كانت تستوجب تنقيبا ومهارة وعلما اكثر » كما تقول ؟ أم هذا انسان مدع كذاب ، لا يرعى لشيء حرمة ، ولا يؤتمن على شيء قط ، وهو فوق ذلك فاقد لمقومات الادراك الأدبي ، من شعر ونثر ، لا في العربية وحدها ، بل في كل لغة يدعي أنه يعرفها · الا تقول معي لصحيفة الاهرام أنه : « ليس من حقها أن تشوه معارف الناس وعلومهم وتاريخهم وآدابهم، بفعل انسان مشوه القلم والعقل » ؟ قلها معي وتوكل على الله !

بل ان لويس عوض لم يستح قط ، حين فسر ما لا يحتاج الى مراجعة من مصطلحات اصبحت قيد القواميس كما تقول ، واصبحت أيضا لا تمارس في حياتنا الثقافية الراهنة ، كما تقول ايضا · وذلك حين عرض لشعر بدر شاكر السياب فأوغل في الادعاء والغطرسة وسوء الخلق ، حتى عمد الى أبيات له يشرحها ، وقال فيها : « لواحظ المغنية ، كساعة تتك في الجدار ، في غرفة الجلوس في محطة القطار »، ففسر « لواحظ المغنية » بمعنى : الحاظ المغنية ، أي عيونها ، وزعم أن معناه أن « عيون المغنية ، كانت تتك كساعة الحائط ، تحصي الثواني والدقائق في انتظار شيء رهيب يوشك أن يقع » وأن هذه الصورة أعني صورة عيون المغنية : « هي صورة قنبلة زمنية هائلة تتك في الصمت الرهيب ، وتوشك أن تنفجر » الى آخر هذه (الهلوسة) · الا تقول معي: ان هذا كلام ربيط في البيمارستان كان ، فاذا هو فجاة طليق من القيود ، مفلت من الأسوار ؟

وقد يشق عليك أن تسمع هذه الالفاظ ملقاة بهذه الصراحة ، ونعم ، انها لألفاظ قاسية شديدة ، ولكن اطلاق مثل لويس عوض على الناس، أقسى من ألفاظي وأفتك · وأنا لا أقولها تلذذا باعادتها وتكرارها ، فلويس عوض كما هو الآن بين لك، وان كنت جعلت ذلك من مقتطفات شتائمي : « ليس له قيمة عندي من حيث هو كاتب » ، لأني لا أعد أمثال لا منس ، أو لويس شيخو ، أو زويمر ، أو ما سنيون ، أو من شئت من هؤلاء المبشرين الثقلاء المدعين الكذبة، لا أعد أحدا منهم كاتبا ، ولويس عوض ، من حيث قرأته ، من أعلى الى اسفل ، ومن أسفل الى أعلى ، ومن يمين الى شمال ، ومن شمال الى يمين ، لايخرج منه شيء يسمى « كاتبا » ، الا اذا كان معنى « الكاتب » ، هو الذي يخط بالقلم ، بلا زيادة ، فعندئذ يستوى لويس عوض ، و « أبسط بنت تبيع الكرافتات في شيكوريل » ، كما قال في « بلوتولند وقصائد أخرى » من تأليفه !!

وشيء آخر معيب ، لا أحب أن أقول لك انه وسم علقت بك ناره ، من جوار هذا الحداد ، أعني صبي المبشر ، حين رضيت لنفسك أن تكون تلميذا له ، وهذا الشيء هو ترك الانصاف · فأنت قد حللت ما كتبت أنا في مجلة الرسالة ، وعلمت أني مشحون « بالحقد والبغضاء » ، ووصفتني بما شاء لك حسن تهديك الى معرفة سرائر النفوس ، من شر والتواء الى آخر ما قلت ، ألم يكن من الانصاف أن تدعني وما هداني اليه تحليل لشخص لويس عوض ،

ووصفي إياه بما وصفته به من البذاء والجراة والحقد المستكن على مد ثلاثة عشر قرنا ، وانه انسان مغموز فى فكره وأهوائه وطبيعته ، وانه مخرب شديد التخريب ، وانه صبى مبشر يعمل لأهداف معروفة تقوم وزارات الاستعمار على تغذيتها وامدادها منذ قديم ، ومع ذلك فقد كنت أقرب منك الى التزام بعض العدل ، لأنى جئت بالادلة على ذلك من نفس كلامه ، ومن تشابه ما قال وما يقول ، وما قاله المبشرون وما لم يزالوا يقولونه ، مع التدليل على ان «التبشير» عمل سياسى ، لا باستنتاجى انا ، بل بشهادة أهل الشان (!!) ممن يعد قول مثله حجة ، عند من يسلم عقله وضميره لكل من لم يكن عربيا مسلما ، وان كان قوله اغراقا فى الضلال والسخف!

وخصلة أخرى من ترك الانصاف ، قالت (بعظمة لسانك) ، تستعدى وزير الثقافة والارشاد ، باسم هذه المرحلة العظيمة التى نحياها ، وبكذا وكذا ، « ان يحمى ثقافتنا وعروبتنا واشتراكيتنا ، باستبعاد هؤلاء المزيفين من دوائر الاعلام » وجعلتنا « مصيبة يجب بترها قبل أن تستفحل وتصبح داء عضالا » ، فبالذى جعل لك عينين ، ولسانا وشفتين ، أرأيت كلامي عن لويس عوض أقرب الى الاستعداء من صريح لفظك الذى نقلته لك آنفا ؟ لا أظنك تقول نعم ، لانك عندئذ تخرج من حد ترك الانصاف الى شيء آخر لا أحب أن أسميه !

ولتعلم ، آخر ما تعلم ، انى رفقت بك كل الرفق ، لأنى لا أيأس من صلاح الناس ، مهما قيل عنك ، ومهما قرات لك مما يسوءنى أن أجد أحدا من الناس متورطا فيه ، جهلا أو غفلة أو سوء طوية • كل ذلك سواء عندى • وأظنك تعلم ، أن لو كان غيرى ، لترك مقالك هذا حيث هو ، لا أقول لك انه كان خليقا أن لا يرد عليه ، بل أقول انه كان مما يخطر بالبال أن لا يقرأه • ولكنى ، مع كل ما أعلم عنك ، ومع كل ما قرأت لك ، وهو عندى كريه ، لم أزل أجد لك فضلا ظاهرا على لويس عوض • وما دام الزمان الذى عشته ، قد اضطرنى الى حمل القلم وغمسه فى كلام يتضمن اسم هذا الآدمى ، فامتناعى عن الرد عليك ، وعن حمل كلامك محمل الجد ، مما أعده مجانبة غير محمودة للانصاف والعدل •

اما استاذك الذى علمك ، والذى لا يستحى ، والذى يتعاقل بعقل المبشرين ، فقد جاء من طريق هو اخفى من طريقك ، ولبس لباس المعلم يعقوب القديم ، قبل أن يصير جنرالا بتسمية نابليون ، وحمل دواة وقلما وطومارا قديما ، وترك «التقعر» الاليوتى جانبا ، فنشر جداول الحساب بالزنكوغراف أيضا فى الصحيفة الأدبية منذ اسبوعين فى جريدة الأهرام ، وسماها « كلمة هادئة عن التاليف والترجمة والنشر » مرة ، و « كلمة هادئة عن مجلات وزارة الثقافة » مرة أخرى ، (والتسمية وحدها دالة على انه يريد ، بعد طول احتجابه ، ان يظهر للناس وقورا عاقلا متماسكا متمالكا لقواه) • أستاذك هذا كانت أهدافه ظاهرة معروفة ، لن يحسن ان يكشف عن طبائع هذا الضرب المدرب من أدوات التبشير ودماه المتحركة فى عالمنا هذا ، منذ قرن ونصف • وهو لم يقل مثلك بصراحتك المحمودة : أن اقصوا هؤلاء المزيفين ، بل اراد بالارقام ، كما يزعم ، ان يبطل جدوى هذه المجلات التى قلت عنها انها تشن حملات اسبوعية ضد بعض الكتاب ، وتستعدى السلطات عليهم ، واراد أيضا اشياء فوق ذلك ، ليس من شانى فى هذه الكلمة ان اكشف عنها ، ولكنه هو يعرف ما أعنى •

وآخر نصيحة أنصحك بها ، ان تقرا ما كتبت عن هذا الشرلتان المتبجح فى كل ميدان ، بما لا يحسن منه شيئا ، الا ايماء وتلفيقا وتعاقلا ، دربه عليه مدربه « تحت أشجار الدردار بكامبردج » ، لتعلم غدا ، بعد أن نصل الى الغاية فى بيان ما نحن بسبيل بيانه ، أنك قد وقعت حقا وصدقا « فى يد النصابين الذين يتكلمون باسم الثقافة والفكر » ، فان كان قد بقى لك شيء لم يتلقه عليك أستاذك ، فأنت بلا ريب نازع عما أنت فيه ، وعائد الى الحق ، مع البراءة ممن ضلل خطاك ، وبعثر نفسك ، وتركك فى ظلماء ليلها كنهارها • والسلام •

« **محمود محمد شاكر** »

تبادل المفردات بين اللغات

وخاصة بين لغتنا العربية واللغات الأخرى

للدكتور : علي عبد الواحد وافي

من المقرر ان اى احتكاك يحدث بين لغتين او بين لهجتين ـ أيا كان سبب هذا الاحتكاك ، ومهما كانت درجته ، وكيفما كانت نتائجه الأخيرة ـ يؤدى لا محالة الى تأثر كلتيهما بالأخرى .

ولما كان من المتعذر ان تظل لغة ما بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى ، لذلك كانت كل لغة من العالم عرضة للاقتباس من اللغات الأخرى وللتطور المطرد عن هذا الطريق .

واهم ناحية يظهر فيها هذا التأثر هي الناحية المتعلقة بالمفردات . ففى هذه الناحية على الأخص **تنشط حركة التبادل بين اللغات ، ويكثر اقتباسها** بعضها من بعض . وقد يذهب بعض اللغات بعيدا فى هذا السبيل فيقتبس معظم مفرداته أو قسما كبيرا منها من غيره ، كما هو الشان فى التركية والفارسية والسريانية والانجليزية : فمعظم مفردات التركية مقتبس من العربية والفارسية ، وقسم كبير من مفردات الفارسية الحديثة مقتبس من العربية ، ومن مفردات السريانية مقتبس من اليونانية ، ومن مفردات الانجليزية مقتبس من النورماندية .

ويختلف مبلغ ماتأخذه لغة عن أخرى تبعا لاختلاف العلاقات التى تربط الجماعتين الناطقتين بهما وما يتاح لهما من فرص للاحتكاك المادى والثقافى . فكلما قويت العلاقات التى تربط احداهما بالأخرى ، وكثرت فرص احتكاكهما ، نشطت بينهما حركة التبادل اللغوى . ولذلك تبلغ هذه الحركة أقصى شدتها حينما تسكن الجماعتان منطقة واحدة او منطقتين متجاورتين .. فالانجليزية مثلا قد أخذت عن النورماندية أكثر مما أخذته عن اية لغة أخرى ، لأن الغزاة من النورمانديين قد استقر بهم المقام فى بلاد الانجليز المغلوبين نفسها . واللاتينية قد اقتبست من الاغريقية أكثر مما اقتبسته من اية لغة أخرى ، وذلك لتجاور منطقتيهما وشدة الامتزاج بين الشعبين الناطقين بهما . وما اقتبسته المانية سويسرا من اللغة الفرنسية لايذكر بجانبه ما اقتبسته منها ألمانية النمسا مثلا ، وذلك لأن القسم الألمانى اللغة فى سويسرا متاخم للقسم الفرنسى اللغة ولشدة الاحتكاك بين سكان القسمين . على حين أن النمسا غير متاخمة لمنطقة فرنسية اللسان . وقد تسرب الى لغة رومانيا عدد كبير من مفردات الشعبتين الصقلبية (السلافية) والمجرية ، على حين ان اخواتها اللاتينية الأصل (الفرنسية والايطالية والاسبانية **والبرتغالية) لم تكد تتأثر بهذين اللسانين ، وذلك** لأن رومانيا قد انعزلت عن اخواتها اللاتينية واحاطت بها من جميع جهاتها امم صقلبية اللسان أو مجريته .

والمفردات التى تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها اهل هذه اللغات أو برزوا فيها أو امتازوا بانتاجها أو كثرة استخدامها .. وهلم جرا . فمعظم المفردات التى أخذتها الانجليزية مثلا عن النورماندية يتألف من كلمات دالة على معان كلية والفاظ تتصل بشئون المائدة والطهو والطعام ، وذلك لأن النورمانديين كانوا يفوقون الانجليز كثيرا فى هاتين الناحيتين ، فغزرت مفرداتهما فى لغتهم ، على حين أن الانجليزية كانت فقيرة فيهما كل الفقر . وقد ترتب على اقتباسها من النورماندية الألفاظ المتصلة بشئون المائدة والطهو وألوان الطعام ان انفردت بطريقة غريبة فى تسمية الحيوانات المأكولة اللحم . فكثير من هذه الحيوانات يطلق على كل منها فى الانجليزية اسمان : اسم جرمانى الأصل (انجلو سكسونى) يطلق على الحيوان ما دام حيا (heap, calf, ox pig) واسم آخر نورماندى الأصل (فرنسى) يطلق عليه بعد

ذبحه واعداده للطعام mutton, veal, beef, pork وقد انتقل الى اليونانية ، ومنها الى اللاتينية ، كثير من الكلمات الفينيقية المتصلة بشئون البحرية والملاحة ، وذلك لأن الفينيقيين قد سبقوا غيرهم من الشعوب فى هذا المضمار . وانتقل الى اللاتينية كثير من الكلمات اليونانية المتعلقة بالمصطلحات الفلسفية والدينية ، وذلك لبراعة اليونان فى ميدان الفلسفة ، ولأن الدين المسيحى قد انتشر بفضلهم فى شرق الامبراطورية الرومانية ووسطها ، ولأن معظم « أسفار العهد الجديد » قد ألف باللغة اليونانية .

وقد أخذت الجرمانية عن اللاتينية كثيرا من المفردات المتصلة بشئون القانون والتشريع والقضاء ونظم الاجتماع والسياسة ... وما الى ذلك ، لأن الرومان كانوا مبرزين فى جميع هذه الشئون . ولهذا السبب نفسه انتقل الى الفرنسية كثير من الكلمات الجرمانية المتصلة بشئون الحرب ، ومنها كلمة الحرب نفسها laguerre فهى مأخوذة من الكلمة الجرمانية القديمة Werra . وانتقل اليها كذلك كثير من الكلمات الايطالية المتصلة بالموسيقى وآلاتها والفنون الجميلة ، وانتقلت الى معظم اللغات الأوروبية وغيرها المفردات الانجليزية المتصلة بالألعاب الرياضية والمفردات الفرنسية المتعلقة بالأزياء وألوان الطعام .

ومن أجل ذلك تنتقل مع المنتجات الزراعية والصناعية أسماؤها فى لغة المناطق التى ظهرت فيها لأول مرة أو اشتهرت بانتاجها أو تصدر منها فى الغالب ، فتنتشر عن هذا الطريق فى لغات البلاد الأخرى . فكلمة « شاى » مثلا قد انتقلت الى معظم لغات العالم من لغة جزر ماليزيا التى كانت المصدر الاول لهذه المادة (« شاى » فى العربية ، و (Thé) فى الفرنسية ، و (Tea) فى الانجليزية ... الخ) . وكذلك كلمة « الطباق » ، فقد انتقلت الى معظم اللغات الانسانية من لغة السكان الأصليين لأمريكا حيث كشفت هذه المادة لأول مرة (« طباق » فى العربية ، و tabac فى الفرنسية ، و topacco فى الانجليزية ... الخ) .



وعلى هذا السنن سارت اللغة العربية مع اللغات الأخرى . فقد توثقت العلاقات المادية والسياسية منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم الآراميين فى الشمال عن طريق التجارة والهجرة والرحلات وامتزاج بعض قبائل آرامية بالعالم العربى فى الحجاز نفسه أو على تخومه . فكان لزاما أن تتأثر اللغتان كلتاهما بالأخرى وفقا للسنن التى تسير عليها اللغات . وكان من جراء ذلك أن انتقل الى اللغة العربية كثير من مفردات اللغة الآرامية ، وخاصة المفردات المتصلة بمظاهر الحياة الحضرية وما اليها من الأمور التى لم تكن مألوفة فى البيئة العربية الأولى ، والألفاظ المتعلقة بمنتجات الصناعة وشئون التفكير الفلسفى وما وراء الطبيعة (سكين ، سارية ، شيطان ... الخ) .

ولم يكن ما أتيح للعرب من فرص للاحتكاك بجيرانهم الآراميين فى الشمال شيئا مذكورا بجانب ما أتيح لهم من فرص للاحتكاك بجيرانهم اليمنيين فى الجنوب . فقد كانت العلاقات الاقتصادية والثقافية والدينية على أقوى ما يكون بين الشعبين . هذا الى أنه قد هاجر الى بلاد العرب منذ عصور سحيقة فى القدم كثير من القبائل اليمنية ، وخاصة قبائل معين وخزاعة والأوس والخزرج ، وتألفت منهم جاليات قوية امتزجت بالعرب كل الامتزاج . وكانت الرحلات العربية الى بلاد اليمن للتجارة وغيرها لا يكاد يخلو منها فصل من فصول السنة . وقد أتاح هذا كله فرصا كثيرة للاحتكاك بين لغتى هذين الشعبين فاشتبكا فى صراع انتهى بتغلب العربية على اللغات اليمنية القديمة فى المرحلة الأخيرة من العصر الجاهلى . ومن المقرر أن اللغة المقهورة تترك فى اللغة الغالبة آثارا كثيرة فى مختلف المظاهر وخاصة فى المفردات . فلا بد اذن أن يكون قد انتقل الى العربية كثير من آثار اللغات اليمنية التى قهرتها .

وقد نشأ بين الاحباش والعرب ، وخاصة عرب اليمن فى الجنوب ، منذ أقدم العصور ، روابط وثيقة فى ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة ، وأتيح للشعبين ولغتيهما مجال واسع للاحتكاك والتبادل الثقافى ، فانتقل عن هذا الطريق الى اللغة الحبشية كثير من مفردات اللغة العربية ، وانتقل الى اللغة العربية عدد غير يسير من مفردات اللغة الحبشية .

ثم أدت الفتوح العربية بعد الاسلام الى امتزاج العرب واحتكاكهم بكثير من الشعوب التى لم يتصلوا بها من قبل ، أو كان اتصالهم بها ضيق النطاق محدود الآثار . وقد نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعى للحضارة العربية وما أمدها به الاسلام أن ظهرت مستحدثات كثيرة لم يكن للعرب عهد بها من قبل فى ميادين الاقتصاد والسياسة والاجتماع

والأدب والدين ٠وكان لهذا كله أثر في مجرى الصراع اللغوى بين اللغة العربية ولغات هذه الشعوب،وفيما حدث بينها وبينهن من تبادل لغوى في ناحية المفردات، وذلك أن اللغة العربية قد اشتبكت في صراع مع اللغات الآرامية في بلاد الشام والعراق ، ومع القبطية في مصر ، ومع البربرية في شمال أفريقيا ، وقضت قوانين الصراع اللغوى أن تصرع العربية هـذه اللغات جميعا ، حتى أصبحت المساحة التي تستخدم فيها العربية لغة حديث وكتابة نحو ١٢ مليونا من الكيلو مترات المربعة،وبلغ عدد المتكلمين بها أكثر من مائة مليون نسمة ٠ ولكنها خرجت من صراعها هذا وهي متأثرة باللغات التي تغلبت عليها تأثرا يختلف قوة وضعفا تبعا لاختلاف مظاهر الحضارة والثقافة التي كان يمتاز بها أهل هذه اللغات وما اقتبسه العرب وانتقل اليهم من هذه المظاهر ٠ فتأثرهـا بالسريانية مثلا (وهي احدى شعب الآرامية) كان أظهر كثيرا من تأثرها بالقبطية والبربرية ، بل انها لم تكد تتأثر بهاتين اللغتين الأخيرتين الا في اللهجات العامية التي انشعبت منها في مناطقهما الأولى (مصر وشمال افريقيا) ٠ وقد انتقلت اليهـا عن طريق السريانية كلمـات يونانية كانت السريانيـة قد اقتبستها من اليونانية من قبل : (انجيل،اسطوانة، أسقف ، ناموس ، أسقنج ٠٠٠ الخ) ٠

واحتكاك العربية بالفارسية قد ترك في كلتيهما آثارا ظاهرة من الأخرى على الرغم من أنه لم ينته بتغلب واحدة منهما ٠ فقـد انتقل الى كلتيهما من الأخرى كثـير من المفردات والأسـاليب والأخيلة والتراكيب ٠ ولكن أثر العربية في الفارسيـة كان أوسـع نطاقا من أثر الفارسية في العربية ٠ ويظهر هذا الأثر بشكل واضح في المفردات ، حتى ان معظم مفردات الفارسية الحديثة عربي الأصل ٠

واحتكاك العربية بالتركية ترك كذلك في التركية آثارا واضحة من العربية ، حتى ان قسما كبـيرا من مفردات اللغة التركية عربي الأصل ، ولكنه لم يترك في العربية من التركية الا آثارا ضئيلة يبدو معظمها في لهجاتنا العامية في مصر والشام والعراق٠

ولم يقف أمر نفوذ العربية عند هذا الحد ، بل تجاوزه الى جميع الأمم الاسلامية الأخرى (باكستان، الهند ، أفغانستان ، الـكرد ، بخارى ، زنجبار ، تنجانيقا ، الصومال ، مالي ، السنغال ، أريتريا ، نيجـيريا ٠٠ الخ) ٠ فانزلت العربيـة عند هذه الأمم منزلة مقدسة سامية ، لأنها لغة القرآن والحديث اللذين يقوم عليهما الدين الاسلامي ، وهي التي ألف بها جميع كتب التفسير والسنة والفقه والأصـول والتوحيد ٠٠٠ وما الى ذلك ٠ وهي فضلا عن هـذا وذاك اللغة التي يؤدى بهـا كثـير من العبادات الاسلامية ، وكان من أثر ذلك أن تركت العربية في لغات هذه الأمم آثارا ذات بال ، وانتقل منها الى هذه اللغات كثير من المفردات ٠ وقد بلغ هذا الأثر مبلغا كبيرا في بعض هذه اللغات ، فنحو ٥٠٪ من مفردات اللغة الأردية مثلا يتألف من كلمات عربية الأصل ٠ فاتسعت بذلك مناطق نفوذ اللغة العربية اتسـاعا كبيرا ، حتى بلغ عـدد الناطقين بهـا والمتأثرين بسلطانها أكثر من خمسمائة مليون ٠

وقد أتيح للغة العربية في أثناء الحروب الصليبية فرص للاحتكاك باللغات الأوروبية الحديثة ، فاقتبست منها هذه اللغات كثيرا من المفردات ، وتركت فيهـا بعض الآثار ٠

وفي العصور الحديثة كثرت فرص الاحتكاك بينها وبين هذه اللغات وتنوعت أسبابه بفضل انتشـار الثقافة الأوروبية في مصر والسودان والشام والعراق وشمال افريقية،وبفضل البعثات العلمية التي أوفدتها هذه البلاد الى الغرب ، وترجمة منتجات القريحة الى اللغة العربية ، فتأثرت بذلك اللغة العربية أيمـا تأثر بهذه اللغات في أساليبها وأخيلتها ومعانيهـا ومنهج علاجها للمسـائل ، ونشأت بها فنون جديدة كفن القصص المسرحي وما اليه ، وانتقل اليها كثير من المفردات الأوروبية في مصطلحات العلوم والفنون والمهن والصـناعات ، فازدادت بذلك ثروة وقدرة على التعبير ٠

هذا ، ومن المقرر أن الكلمات المقتبسة تخضـع للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها ،فتتشكل في الصورة التي تتفق مع هذه الأساليب ، ويناله من جراء ذلك تحريف في أصواتها وأوزانها وطريقة نطقها ، وتبعد في جميع هذه النواحي أو في بعضها عن صورتها الأولى ٠ فالكلمات التي أخذتها العربية مثلا عن الفارسية قد صبغ معظمها بصبغة اللسـان العربي ، وحرف في أصواته وفي أوزانه حتى بعـد كثيرا عن أصله ــ ومن ثم نرى أن الـكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة الى عدة لغات فتتشكل في كل لغة منها بالشكل الذى يتفق مع أساليبها الصوتية ومناهج نطقها ، حتى لتبدو في كل لغة منها غريبة عن نظائرها

في اللغات الأخرى . فالكلمات العربية التي انتقلت الى اللغات الأوروبية مثلا قد تشكلت في كل لغة منها بصورة تختلف اختلافا غير يسير عن صورتها في غيرها .

وكثير من الكلمات الدخيلة في اللغة العربية قد تغير كذلك مدلوله في العربية عما كان عليه في لغته الاولى ، فبعضها قد خصص معناه العام وقصر في العربية على بعض ما كان يدل عليه (الجون مثلا فان معناه في الفارسية اللون على العموم ، ولكنه قصر في العربية على الابيض والاسود) ، وبعضها عمم مدلوله الخاص فاطلق على أكثر مما كان يدل عليه، وبعضها استعمل في غير ما وضع له لعلاقة ما بين المعنيين، وبعضها انحط الى درجة وضيعة في الاستعمال فاصبح من فحش الكلام وهجره مع أنه ما كان يستعمل في لغته الاصلية على هذا الوجه ، وبعضها سما الى منزلة راقية فاصبح من نبيل القول ومصطفاه .

ويقسم العلماء ما دخل اللغة العربية من مفردات اللغات الأجنبية قسمين : **احدهما** ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم واسلامهم ، والآخر ما استعمله من جاء بعدهم من المولدين . وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب الى اواسط القرن الرابع الهجرى وعرب الأمصار الى نهاية القرن الثاني الهجرى (ويسمون هذه العصور عصور الاحتجاج ، اى العصور التي يحتج بكلام اهلها) وان المولدين هم من عدا هؤلاء ولو كانوا من أصول عربية . ويطلق على ما استعمله فصحاء العرب من الدخيل اسم « المعرب » ، وعلى ما استعمله المولدون من الفاظ أعجمية اسم « الأعجمي المولد » .

وقد عني علماء اللغة بتمييز الكلمات الدخيلة وحصرها . وألف بعضهم في ذلك مؤلفات على حدة (من ذلك مثلا : « شفاء العليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل» لشهاب‌الدين الخفاجي، و «المعرب من الكلام الاعجمي » لأبي منصور الجواليقي .. الخ) ويظهر مما كتبوه في هذا الصدد ان الكلمات « المعربة » ، وهي التي استعملها الفصحاء من العرب، لا تكاد تتجاوز ألف كلمة .

ولا خلاف بين العلماء في جواز استعمال « المعرب» وهو ما استعمله الفصحاء من العرب . وقد ورد كثير من الالفاظ المعربة في القرآن الكريم نفسه وفي أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، فمما ورد في القرآن الكريم من الفارسية « سجل » و « استبرق » ، ومن اليونانية « الصراط » و « القسطاس » و « الفردوس » و « شيطان » و « ابليس » (والراجح أن هذه الكلمات وغيرها لم تنتقل الى العربية من اليونانية مباشرة وانما انتقلت اليها من السريانية أو من فرع آخر من فروع‌الآرامية وكانت قد انتقلت من قبل من اليونانية الى السريانية او الى هذا الفرع) ، ومن الحبشية : « أرائك » و « كفلين » ، ومن السريانية والعبرية « اليم » و « الطور » و « الفوم » و «طه» و «الربانيون» (وقد وضع المرحوم الشيخ حمزة فتح الله رسالة خاصة في المعرب من الفاظ القرآن الكريم) .

اما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور وما أدخله بعض الباحثين في العصر الحاضر او يرى ادخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات أو المصطلحات العلمية والفنية ، فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله ، معللا قراره هذا « بان في العربية غنية عنه ، ولأن في بطون معجماتها مئات الالوف من الكلمات المهجورة، الحسنة النغم والجرس، الكثيرة الاشتقاق ، مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة بدون حدوث اشتراك، لأن بعثها من مراقد النسيان والاهمال يصيرها كأنها موضوعة وضعا جديدا » . وقد عني المجمع بتطبيق قراره هذا ، فوضع عددا كبيرا من الاسماء العربية لمسميات حديثة جرت العادة باستخدام كلمات أجنبية في التعبير عنها (وليس منها قطعا ما يتندر بعض الناس به من تسمية السندوتش « بشاطر ومشطور بينهما طازج » !) .

غير أنه قد احتاط للحالة التي قد تدعو فيها ضرورة قاهرة الى استخدام لفظ أعجمي في الشئون العلمية والفنية ويتعذر ايجاد لفظ عربي يحل محله، فاجاز في هذه الحالة فقط استخدام اللفظ الاعجمي بعد صقله بالأساليب الصوتية العربية ، وأصدر في هذا الصدد القرار التالي :

« يجيز المجمع أن يستعمل‌بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم » . وقد شرح المرحوم الاستاذ الشيخ أحمد الاسكندرى هذا القرار في مجلة المجمع اللغوي‌بما يفيد قصر الرخصة التي يتضمنها على حالات الضرورة التي أشرنا اليها اذ يقول : « فعبارة القرار تقتضي اجازة استعمال بعض الاعجمي في فصيح الكلام . وتقييده بلفظ « بعض » دون جنس الالفاظ يفيد أن المراد الالفاظ

الفنية والعلمية التي يعجز عن ايجاد مقابل لها لا الادبية ولا الالفاظ ذات المعاني العادية التي يتشدق بها مستعجمة زماننا من أبناء العرب » .

غير أننا نرى أنه لاباس من فسح المجال للكلمات الاجنبية التي اشتهر تداولها بين الناس في شئون العلوم والفنون والمهن والصناعات والمخترعات ، بل في شئون الفلسفة والاجتماع والسياسة نفسها ، حتى لو كان من السهل ايجاد مقابل لها في اللغة العربية ، لأن اشتهار هذه الكلمات الاجنبية ودقة مدلولها في لغاتها كل ذلك يجعل مقابلها العربي غريبا على الالسنة والآذان ، مضطرب الدلالة في الاذهان . ولنا في فصحاء العرب انفسهم أسوة حسنة في ذلك . فكثير من الكلمات الاعجمية التي استعملها فصحاء العرب كان لها نظائر في لغتهم ، ولم يحل هذا بينهم وبين استعمالها وتركها تتغلب على مرادفاتها العربية حتى قذفت بها في زوايا النسيان . فمن ذلك مثلا الفاظ : الورد والنرجس والياسمين والمسك والتوت والباذنجان والكوسج والهون والطاجن والابريق والديدبان والرصاص والميزاب واللوبياء والفالوذج . فقد قضت هذه الألفاظ الاعجمية في الاستعمال على نظائرها العربية وهي : الحوجم والعبهر والسمسق والمشموم والفرصاد والحدج والانط والمهراس (أو المنحار) والمقلى والتامورة والمين والصرفان والمثعب والدجر والمبرت والسرطراط . ولعل اتصال هذه المفردات وما اليها بأمور اختص بها الاعاجم ، أو برزوا فيها ، أو امتازوا بانتاجها وكثرة استخدامها ، أو كان ارتباطها بمظاهر حضارتهم أوثق من ارتباطها بمظاهر الحضارة العربية .. لعل ذلك وما اليه كان له بعض الاثر في انتقال هذه المفردات الى ألسنة العرب وتغلبها على نظائرها في لغتهم . ولعل خفة بعضها وثقل نظائرها العربية على اللسان كان لهما كذلك شيء من الاثر في انتقالها وتغلبها .

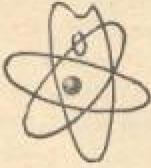
فلا تثريب علينا اذن اذا ترسمنا خطوات أجدادنا العرب في هذا السبيل ، ففسحنا صدر العربية للكلمات الاعجمية التي اشتهر تداولها بين الناس في شئون العلوم والفنون والمهن والصناعات والمخترعات بل في شئون الفلسفة والاجتماع والسياسة نفسها وتقتضينا السير في هذا السبيل ضرورات تزيد كثيرا في قوتها على الضرورات التي دعت أجدادنا في عصور العربية الفصحى الى استخدام الفاظ اعجمية لها نظائر في لغتهم .» **د. علي عبد الواحد وافي** »

غروب

للشاعر ابراهيم محمد نجا

شاطئ البحر الأحمر عند الغروب .. وأنا وحيد في جدة ، وهي وحيدة في القاهرة

حينما تبصرين في الأفق شمسا
تتدلى على جبين السماء
مثلما تستقر خصلة شعر
ذهبي في وجنة الحسناء
ثم يلقي بها المصير الى البحـ
ـر ، فيمضي بها وراء الخفاء
حينما تبصرينها ... فاسأليها
عن فتى حالم من الشعراء
عن غريب يتيه في البلد النا
ئي .. مع التائهين والغرباء
عن حبيب يبكي على ما تولى
من ليالي الهوى احر بكاء
عن أليف يهفو الى الفه الحا
ني ، ويرنو اليه رغم التنائي
واسري لها حديثك عني
وهو نجوى محبة ووفاء
واعلمي انني هناك بعيدا
أرقب الشمس وهي تفنى ازائي
ثم ابكي لضيعة الحسن في اليم
وأرثي لمصرع الاضواء
وأنادي بها لتشرق عند الصبح
بالحب والسنا والرجاء
مثلما تشرق العروس تجلى
حسنها في الغلالة الحمراء
فاذا أشرقت تسر الى قلـ
ـبي مناجاة قلبك الوضاء
يا هوى مهجتي ويا نور أيا
مي ، ويا سر بهجتي وغنائي
غربت شمسنا غداة افترقنا
فارقبيها في الشرق .. عند اللقاء



بين الفن والعلم

بقلم: أحمد حسين

الفن تعبير عن الجوهر الثابت

أما العلم فموضوعه العرض المتغير

قد يكون هـذا الرأى بالنسبة للكثيرين لا جديد فيه ، وقد يعتبره اقوام آخرون تجديفا وتهجما على العلم ، أما بالنسبة لى فهو حقيقة اكتشفتها مؤخرا ، وأرى من الخير أن أسجل تجربتى فى هذا الصدد .

كتاب الطاقة الانسانية :

فعندما اعتزمت تاليف كتاب الطاقة الانسانية ، الذى أردت فيه ان أخضع الطاقة الانسانية للمعادلات الرياضية كبقية الطاقات المادية الاخرى ، قررت أن انقطع لتاليفه وأن اتبتل فى طلب العلم المادى بفروعه المختلفة من طبيعة وكيمياء وجيولوجيا ... الخ ، وفرضت على نفسى أن ألزم دار الكتب لا أبرحها حتى افرغ من مطالعة مئات الكتب العلمية ، مهما استغرق ذلك من وقت يتجاوز الشهور الى الاعوام ، وانكببت على مطالعة الفهارس لاعرف بأى الكتب أبدأ ، وأيها أختار واذا بالامر لا يحتاج الى أكثر من بضع دقائق لاكتشف ان هذا البحر من الكتب المؤلف عن علم الطبيعة مثلا ، تكفى بضع قطرات منه للاستغناء عنه، شريطة أن تكون هذه القطرات هى آخر ما سكب فى هذا البحر ، واعنى بها الكتب الحديثة المؤلفة فى هذا الموضوع ، اذ ان كل ما ألف فى الطبيعة على مر العصور قد أصبح اليوم غير ذى موضوع ، الا لمن يريد ان يكتب عن تاريخ علم الطبيعة وتطوره ، أما بالنسبة لمن يريد أن يلم بالقوانين الطبيعية فى مفهومها الاخير فان آخر كتاب من تاليف اينشتين يغنى عن كل ما سبق ، وليس يغنى كل ما سبق عن كتاب أينشتين ، ذلك ان الاهتداء الى تركيب الذرة ، والتوصل الى شطر نواتها ، وتحويل المادة الى طاقة قد قلب علم الطبيعة والكيمياء معا رأسا على عقب .

ووجدت الامر يتضح لى بالنسبة لأى فرع من فروع العلم ، طبا كان أو هندسة او فلكا ، أو حتى جغرافيا ، والا فكيف أعرف جغرافية العالم كما هى اليوم من اى كتاب كتب قبل اكتشاف الامريكتين ، أو حتى بعد اكتشافهما وقبل مسحهما ، وكذلك الشأن بالنسبة لاستراليا ... بل بالنسبة لافريقيا نفسها قبل أن توضع الخرائط لكل جزء من أجزائها، وهو ما لم يتحقق الا قبيل أواخر القرن التاسع عشر .

وبماذا يفيد كتاب كيمائى يتحدث عن عناصر المادة بل الطبيعة كلها انها تتالف من أربعة بسائط اولية هى الهواء والماء والتراب والنار ، بعد أن عرفنا ان هذه العناصر ليست فى حقيقتها سوى مركبات من عناصر أكثر بساطة وهى الذرة التى قيل فى وقت ما انهـا تختلف من عنصر الى عنصر واعتبر الكون منطويا على مائة عنصر وثلاثة (حسب آخر احصائية عام ١٩٦٠) وبعـد أن كان يظن أن كل عنصر من هذه العناصر مستقل عن بقية عناصر المادة اكتشف ان طبيعة الذرات المؤلفة لهذه المواد واحدة، فهى كلها تتالف من شحنات كهربية موجبة تطوف حولها شحنات سالبة وهو ما يطلق عليه اسم الالكترونات والبروتونات .

وهكذا اتضح لى ان من يريد الالمام بآخر معطيات علم الطبيعة أو الكيمياء أو أى علم من العلوم ، فما عليه الا أن يطالع كتابين او ثلاثة ، او اكثر قليلا

ليتحقق له ما يريد وعلى ذلك فقد وجدتني أختصر مدة اقامتي في دار الكتب مكتفيا ببضع عشرات من الكتب الحديثة في مختلف العلوم وهي ما أثبتها في فهرســت المراجع في نهاية كل فصل من فصول الكتاب .

وليس الامر كذلك في كتب الادب

وفي الوقت الذي كنت أصل فيه الى هذا القرار بالنســبة للكتب العلمية المكدسة في دار الكتب ، كانت الفكرة المضادة بالنسبة للكتب الادبية والفنية تفرض نفسها على فرضا فلو ان انســانا أراد أن يرتوى من الادب ، وأن يســعد بالشعر والقصص والحكايات والسير فلن يغنيه أى كتاب في دار الكتب عن أى كتاب آخر ، ولن يغنيه أدب عصر عن تذوق أدب عصر آخر ، ولا شعر شاعر عن الاستمتاع بشعر شاعر آخر ، بل ان مطالعته آلافا من أبيات الشعر لأحد الشعراء لا تغنى عن مطالعة قصيدة معينة كتبها هذا الشاعر في مناســبة من المناسبات وقد رأينا تجربة من ذلك النوع بعد وفاة شوقي أمير الشعراء فبــالرغم من دواوين شــوقي الضــخمة المطبوعة والمنشورة ، وبالرغم من مسرحيــاته الشعرية التى لم يسبق اليها فى الشعر العربي ، بالرغم من أغانيه واهازيجه ، فان ذلك لم يمنع أستاذا كبيرا كالدكتور صبرى الســوربوني من أن يجمع اشــعارا مجهولة الصــاحب وأن ينسبهــا لشوقي بعد تحقيق علمى دقيق ، وأن يصدرها في كتاب كان من أروع الكتب الادبية .

وكذلك الشان بالنسبة لمطالعة القصص ، فلو ان انسانا طالع مئات القصص لكاتب من الكتاب ، فلن يغنيه ذلك عن مطالعة المزيد من قصصه ، وايا مايكون القدر الذى يطالعه الانسان من القصص ، فان نهمه لهذا اللون من الفنون لايمكن أن يشبع ، ذلك ان لكل قصة خيالها وطابعها وشخصيتها المتميزة التى لايمكن ان تنطبق على غيرها تمام الانطباق ، كما لا يمكن ان تنطبق بصمة انسان على انسان آخر .

خلود الشعر :

ووجدتنى اطيل التامل فى هذه الظاهرة الثانية ، وهى اننا نترنم بأبيات من الشعر قالها امرؤ القيس ، او بشــار بن برد أو عمر بن أبى ربيعة ، او المتنبى او أبو العلاء على الرغم من انقضاء القرون على وفاتهم ، وعلى ابداعهم هذا الشعر ، ولسنا نفعل ذلك بالنسبة لأى انســان عاش فى هذه العصور أيا كان قدره ، وكان شانه او كان علمه ، بل ان العامة عندنا تردد اسم ابا نواس باكثر مما تردد اسم هارون الرشيد ، وهى اذ تردد اسم هذا الاخير فلانه يؤلف طرفا فى نوادر (أبو نواس) ولأنه يقــوم بدور رئيسى فى قصص الف ليلة وليلة .

ظاهرة انسانية عامة :

وهذا الاحتفال بالشعر والشعراء ، ليس كما يظن البعض خطأ ، ظاهرة خاصة بالعرب ، بل هى ظاهرة انسانية عامة ، فلا نحسب ان أوربا تحتفــل لاثر ادبى احتفالها لاليــاذة هوميروس ، التى لم يقــف تاثيرها عند حد ، فاصبحت مصدرا لمئات القصص والمسرحيات والقصــائد التى تستلهم أســاطيرها وخرافاتها ، حتى ان اسماء ابطالها كاخيل وهكتور وباريس وهيلانه واجاممنون ، تتردد فى أرجاء اوربا كما تتردد أسماء الارض والسماء والافلاك والشموس والنجوم .

وانجلترا تكاد تلخص عظمتها فى انجابها لشاعرها شكسبير ، وايطاليا لا تعتز بانسان اعتزازها بدانتى شاعرها العظيم ، والمانيا بجوته ، وفرنسا براسين وكورونى وموسيه وفيكتور هيجــو ، حتى الاتحــاد السوفيتى بكل نظرياته المادية جعــل من بوشكين شاعر روسيا القديم علما من أكبر الاعلام التى تعيد طبع دواوينه وقصائده بالملايين ، وامتد حماس الاتحاد السوفييتى للشعر حتى شمل شاعر الانجليز نفسه شكسبير فاصبح الاتحاد السوفيتى من اكبر مناطق العالم طبعا وتوزيعا وتمثيلا لروايات شكسبير ممثل الملكية والاقطاع .

الرسم والموسيقى والقصص :

والحق ان الشعر اذا كان يستأثر بالنصيب الاوفر من الخلود ، فما ذلك الا لسهولة حفظه وتناقله ، والا فان ظاهرة الخلود تلحق كل مظاهر الابداع الفنى من رسم وتصوير ونحت وموسيقى وقصص ، فالدنيا كلهــا تسعى وتحج لرؤية الآثار الفنية من أى نوع كانت ، وتقف مشدوهة مذهولة أمام ابداع الفنان المصرى القديم وهو يصوغ من حجر الجرانيت انسانا يكاد ينبض بالحيــاة ، وهو يرفــع أعمدة الكرنك شامخة رهيبة حتى تكاد تتحدى الفنــاء والزمن . وهى تحس هذا الاحســاس أمام مبدعات الفنــان

الافريقي ، وكل فنان من العصور القديمة ، ولست أحسب أن هناك أسماء تتردد فى العالم المثقف تخفق القلوب رضا لسماعها ، وتتلهف شوقا الى رؤية او سماع آثارها من أسماء ، بتهوفن وموزار وفردى وشوبان وغيرهم من اعلام الموسيقى او أسماء دافنشى ورافائيل وميكل انجلو من اعلام النحت والرسم او أسماء ديكنز وبلزاك ودستيوفسكى وتولستوى من اعلام القصص ، وليست هذه الاسماء التى سقناها الا على سبيل المثال .

واليوم فى عالمنا المغرق فى المادية والواقعية ، لا يزال الفنانون من مغنين وموسيقيين وممثلين وقصاصين وشعراء ، هم الذين يستأثرون باهتمام الجماهير وحبهم ، ولا أحسب أنه يوجد شاب فى طول الدنيا وعرضها لا يعلم أسماء نجوم هوليود بأكثر مما يعرف أسماء الاعلام والمفكرين فى بلاده نفسها .

وما علينا اذا أردنا أن نتمثل هذه الظاهرة فى أعلى صورها الا أن نستحضر موجة الاهتمام والحرارة والشوق الذى يستقبل به ملايين العرب حفلات أم كلثوم ، حيث يجلسون من الخليج الى المحيط ، بل الى ما وراء ذلك وقبل ذلك ، فالفن والاستمتاع بالفن لايعرف حدودا ولا قوميات ، يجلسون جميعا لا فرق بين مصرى أو سورى أو تركى أو ايرانى ، لافرق بين كبير وصغير ، بين تابع ومتبوع ، بين غنى وفقير ، فالفن قد سوى بينهم ، ووحد مشاعرهم ، واستثار فيهم انسانيتهم فراح الغناء يشجيهم ، وينسيهم بضع ساعات ، الواقع بكل مشاكله ومتاعبه وأحزانه ، ويحلق بهم فى دنيا من الخيال والامل والتفاؤل ، دنيا لا تكدرها الاحزان او النكبات .

ما هو التفسير والتعليل : ؟

والآن ما هو التفسير والتعليل لذلك ؟ اننا ازاء ظاهرتين فى منتهى الوضوح والثبات والاطراد فى القديم مثل ما فى الحديث ، فى الشرق مثل ما فى الغرب ، وهو احتفال البشر بالفنانين فى حياتهم ، واحتفالهم بآثارهم الباقية بعد وفاتهم ، فى الوقت الذى يعيش فيه العلماء والمفكرون بعيدا عن الضجيج واحتفال الجماهير ، فاذا ماتوا لم يذكرهم أحد الا فى أوساط العلماء من أمثالهم .

موضوع الفن :

ولم يكن الجواب على هذا التساؤل صعبا ولا هو بعيد عن متناول الادراك ، فالانسان ، كل انسان ينطوى على قوتين احداهما قوة الغريزة والالهام والوجدان ، وبهذا الطراز من القوة ولد الانسان ، وبها يحافظ على كيانه واثبات ذاته وابقاء نوعه ، وليست المشاعر والاحاسيس والعواطف الا مظهر هذه القوة ، وعن طريق الاحاسيس والمشاعر والعواطف ، يدفع الانسان عن نفسه الاذى ، ويستجلب لها النفع ، عن طريق الاحاسيس والمشاعر والعواطف ، يحب ويتزوج ويتناسل ، مخلدا بذلك نفسه ونوعه ، وهذا القسم من قوى الانسان هو جوهر الحياة ، ولذلك فهو ثابت لايتغير على مر العصور والدهور ، وعلى اختلاف البيئات وتباعد الامكنة ، والعواطف والمشاعر والاحاسيس وعلاقة الرجل بالمرأة هى موضوع الفن الاول والرئيسى ، ومن هنا فهى تتجاوب مع كل انسان فى كل زمان ومكان ، اذ يرى نفسه فيها قوة وضعفا ، نقصا وكمالا ، قبضا وبسطا .

موضوع العلم :

والى جوار هذه القوة الغريزية الفطرية الكامنة فى كل انسان توجد قوة أخرى أكثر تركيبا وتعقيدا ، تنمو وتتطور وتتغير وتتقلب بحسب ظروف كل انسان وبلده ، هى قوة العقل والتفكير التى زود بها الانسان لاشباع حاجاته ، وحل ما يعرض له من مشاكل متغيرة ومتطورة ، ولما كان لكل انسان مشاكله الخاصة به والتى تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فقد اختلفت آثار الفكر والعقل ، فالانسان المشتغل بالصيد له مشاكله التى يبرع فى حلها بما لا يقدر عليه الرجل المشتغل بالزراعة ، كما لا يقدر رجل الصيد على أن يحل مشاكل الزراعة ، وكما لايقدر الرجلان على تفهم مشاكل رجل الصناعة الذى لايعرف بدوره مشاكل الصيد أو الزراعة وهكذا . ومشاكل الرجل العائش عند خط الاستواء تختلف عن مشاكل الذى يعيش عند أحد القطبين ، والعائش على شاطىء البحر ، غير العائش فى أحشاء الصحراء ، والعائش فى السهل غير العائش فوق الهضاب وقمم الجبال . فلكل من هؤلاء مشاكله الخاصة وحاجاته المختلفة ، واذ كانت مهمة العقل الانسانى هى مواجهة هذه

المشاكل المتغايرة والمتباينة عن طريق التجربة والخطا والاستفادة بتجارب من سبق، فقد بدأ الانتاج العقل وآثاره تختلف باختلاف العصور والبيئات، وحسبنا أن تدرس النظريات الفلسفية لكى تحكم بان ليس هناك جامع بينها الا عملية التفكير فى حد ذاته ، فما من نظرية الا وتعارض نظرية وتدحضها ، وما من قول الا وعليه رد ينقضه ، وما من تصور عقل الا ويهدمه تصور آخر وهكذا ، واذا كانت الفلسفة فى نهاية الامر تبدأ مباحثها من أساس متفق عليه يسمى بالبديهيات والمسلمات ، فهذه البديهيات والمسلمات ليست نتيجة العقل والتفكير ، فالتفكير لايستطيع أن يقيم عليها البرهان والدليل ، وانما هى من معطيات الوجدان والفطرة التى فطر عليها كل انسان أيا كان حظه من العقل والثقافة كان يعرف ان الاثنين أكثر من الواحد ٠

وليس العلم التجريبى نفسه بأوفر حظا فى الثبات من العلم النظرى من حيث التبدل والتغير ، يشهد بذلك علم الطب الذى وجد منذ أقدم العصور ، وقد اعتبر علم العلاج دائما ثمرة التجربة ومع ذلك فان أطباء اليوم يعتبرون علاج الامس القريب ، خطأ ووهما ، أما علاج الامس البعيد فهو فى نظرهم دجل وشعوذة ٠

ولا شك أن علاج اليوم بدوره سيبدو لأطباء المستقبل خرافات وأوهاما ٠ والرأى منعقد اليوم على أنه بعد أن يخرج الانسان من سجن الجاذبية الارضية ، وينطلق الى الفضاء الكونى عبر الكواكب، سوف يواجه ظروفا تخالف كل المخالفة ظروف الحياة على الارض، وسوف يكتشف نواميس جديدة وقوانين طبيعية جديدة ، وسوف يخطىء نظريات نعتبرها اليوم عنوان الصحة ، وسوف يصوب نظريات نعتبرها اليوم علما على الخطأ ، وسوف يضحك كلما تذكر سياراتنا التى افتخرنا يوما بانها تقطع مائة كيلو فى الساعة ، أو بطائراتنا النفاثة التى تقطع الف ميل فى الساعة ، بل ان سرعة الصواريخ اليوم التى تبلغ عشرين الف كيلو فى الساعة ، سوف تعتبر كحمار الامس بالنسبة لها ، عندما ينطلق الانسان فى الفضاء بسرعة تقرب من سرعة الضوء ٠

ولكن هذا الانسان الصاعد الى الكواكب ، سيظل كانسان الغابة الاول ، يحب ويكره ويخاف ويؤمل ويتزوج وينجب الاطفال ، ومن هنا سوف يقرأ أدبنا ، ويستمتع بفنوننا ، لأنه سيجد فيها مشاعر كمشاعره وعواطف كعواطفه ، وسوف يرى فيها أحزانه ومسراته ، وشقاءه وسعادته ، سيرى نفسه لا يختلف عنا ، يولد كما ولدنا ويموت كما نموت، ويبكى كما نبكى ويضحك كما نضحك ٠

الاديان والعقائد فن :

ووجدتنى وقد وصلت الى هذا المدى من بحثى وملاحظتى ، أضع يدى على السر الذى تفوقت فيه الاديان والعقائد على العلوم والمعارف والفلسفة والمنطق ، ولماذا كان بوذا وعيسى وسيدنا محمد يؤلفون أعلى القمم الانسانية ، ويعلون على الملوك والاباطرة والقياصرة والفلاسفة والحكماء من حيث سلطانهم على النفوس البشرية وكل ما يزداد على مر السنين أثرا فى حياة بنى الانسان ٠ ذلك أن هذا النفر من قادة البشرية ، لم يجيئوا بنظريات علمية ، أو حقائق منطقية ، ولم يتحدثوا بلغة الارقام والحساب ، وانما خاطبوا الوجدان والضمير الانسانى ، خاطبوا المشاعر والعواطف ، خاطبوا فى الانسان ذلك السر الخفى الذى ينطوى عليه ، سر الوجود كله فى كماله ، وجعلوا محور أحاديثهم الاخاء والحب والتسامى نحو المثل الأعلى والكمال ، حيث لا بغى ولا ظلم ، حيث لا عنف ولا عدوان ، حيث لا مرض ولا ضعف بل ولا موت ولا فناء ، وانما بقاء وخلود وسلام ، وهو ما تهفو اليه الغرائز الانسانية وتتوق اليه ٠

ولذلك لم يكن عجبا ان كانت أحاديث الانبياء والرسل حكايات وقصصا ، وأحاديث عن الغيب والمجهول الذى يحس به الانسان بوجدانه دون أن يتوصل اليه بعقله ، ولم يكن عجبا كذلك ان استخدمت الاديان الفنون دائما أبدا لتعميق مفاهيمها ، وارهاف الحس والمشاعر ٠

الخلود للفن :

وهكذا انتهيت من تجربتى الخاصة الى ان الخلود والبقاء هو للآثار الفنية لا العلمية ، وان القوى التى تحرك الانسان ليست هى القوى النابعة من عقله وفكره ومنطقه ، بل تلك التى تفيض من مشاعره ووجدانه وعواطفه ٠

وان البساطة لا التعقيد ، والتواضع لا التعالى ، والخفى لا الظاهر هو الذى يؤثر فى الكون ويسطر مصير الانسان ٠

احمد حسين

مع الباحثين عن الحق

بقلم : محمد الغزالي

الدراسات الانسانية التي ازدهرت في عصرنا هذا جديرة بالحفاوة والتدبر .

وكلما اعتمدت على المنطق العقلي ، والملاحظة العلمية ، شدت اليها انتباهنا واستقبلنا نتائجها بمزيد من يقظة الحس والفكر ، لأنها ستزودنا بحصيلة من الحقائق المحترمة والثمرات الطيبة ...

وما تزكو نفس ، ولا ترقى جماعة ، الا بمدى ما تحرزه من الحقائق المعنوية والمادية .

وما يشقى الناس ويضلون الا لاستحواذ الاوهام عليهم ، وانطلاقهم في الحياة على غير هدى ...

ونحن نرجح أن جمهرة البشر تفعل ما تفعل ، وتترك ما تترك عن اقتناع شخصي بصحة مسلكها ، بل قد ترى أن الصواب هو ما تعرف وتألف ، وأن الخطأ هو ما يصنعه الآخرون !!

وثم أعذار تكتنف هذه النظرة الخاصة وتسوغ حيفها في بعض الأحيان ..

فان التدين من أعظم دعائم السلوك الانساني ، ولكن المرء لا يختار ابتداء الدين الذى يسير وفق تعاليمه ..!!

ان البيئة التي ولد فيها هى التي تزوده بأركان هذا الدين وتوثق به مشاعره ..

ثم ينمو الانسان ـ بعد ـ وينمو عقله وادراكه لما عنده وعند غيره .

وحينئذ يبدأ جهدا عقليا صامتا للمواءمة بين ما ورث وبين استقلاله الفكرى الواجب !

ويغلب في هذه الاحوال أن يقر ما انحدر اليه عن أسرته وقومه ، فلن يعدم فيه جوانب خير تغرى بقبوله واحترامه ، ولن يعدم عند الآخرين مظاهر نقص تجعله يصد عنهم ، ويرى ما ورثه أحظى بالاستبقاء والرعاية .

وأغلب الناس فى كل زمان ومكان من هذا القبيل .

وعندما يثور عراك نفسى على شيء من الشدة ، فان الانسان ـ كي يبقى مكانه ـ يضاعف احساسه بما لديه من خير ، موهوم أو حقيقى ، ويضاعف احساسه بما عند الآخرين من شر ، موهوم أو حقيقى كذلك .

ثم يظل على عقيدته ومنهجه لايريم !

ومن هنا امتلأت الارض بأصحاب الملل والمذاهب المتناقضة .

« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . »

ويبقى بعد ذلك أن نتساءل : هل الحق هو وجهة النظر التى تكونها الوراثات والبيئات ؟ مهما كانت أثيرة لدى أصحابها ، ومبرأة من كل عيب ؟

والاجابة السريعة : لا .. ! فما أكثر التناقض فى هذه الوجهات المتباينة .

ان الالحاد جريمة في بلد قد تؤخر مرتكبها وتسقط منزلته ، وهو فى بلد آخر طريق التصدر واحتلال المكانة الرفيعة !

ويستحيل أن يكون كلا الموقفين سليما .

وكم من مسيء خدعته نفسه ، فظن القبيح حسنا واستبطنه عقيدة ، ودعا اليه مذهبا ، ومضى فى دروب الحياة يظهر به ويقاوم ماعداه ! ..

وتدبر قول الله جل شأنه :

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه .. »

والعلاج الانجع لهذا التفاوت الشائع بين منازع الخلق وغاياتهم هو تمكين الافكار والمشاعر أن ترى ما لدى الآخرين ، وأن تعرفه على مهل .

نعم ، يجب أن تتحطم جدران السجون التي يعيش فيها كثير من الناس ، فلا يرون الا ماهم فيه وتخفيفا لضراوة هذا الخلاف ، وتيسيرا على النفوس الموقرةبموازينها المتناقضة يجب أن‌تتاح فرص كثيرة للدراسات النظرية التي تجعل «**الانسان**» موضوعها الفذ .

ان هذه الدراسات ، خصوصا القائمة على المنطق التجريبي والاستدلال العقلي ، ينبغي أن نعيرها اهتماما زائدا ، وأن نتوسل بها الى اثبات الايمان الحق .

وكتاب «**الانسان ذلك المجهول** لالكسيس كاريل» من أعظم الجهود البشرية في ذلك المجال .

انه وقفة من الانسان المعاصر ليتأمل في نفسه على ضوء التقدم العلمي الساحر الذي بلغه ، وليضبط خطواته ، وهو يجتاز الحاضر الى المستقبل ، مستفيدا من التجارب الحصيفة والمعارف الخصبة التي أتيحت له ، وناقدا الأخطاء التي تسربت الى مسيره على امتداد الحياة من حيث يدري ولا يدري .

والانسان كائن عظيم‌حقا ، ولكنه في غاية التعقيد ـ كما يقول المؤلف ـ « وليس من اليسير الحصول على عرض بسيط له ، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه أو في أجزائه في وقت واحد ، كما لاتوجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجي » .

ان أشتات العلوم والفنون التي يستعان بها على فهم الانسان ، قد تلم بجوانب منه ، بيد أنها لن تبلغ غوره ، وسوف تبقى ـ بعد مباحثها الكثيرة ـ فضلة عظيمة صلبة لايمكن تجاهلها .

ان الانسان ـ كما هو معروف للاخصائيين ـ أبعد من أن يكون ذلك الشبح الجامد ، وربما تلاقت‌جهود شتى على ابراز ملامحه النفسية والفكرية ، فهل استطاعت تلك الجهود أن تستكنه طبيعة الانسان ؟

انه عبارة عن المواد الكيمائية التي تؤلف‌الانسجة وأخلاط أجسامنا .

انه تلك الجمهرة المدهشة من الخلايا والعصارات المغذية التي درس الفسيولوجيون ـ علماء وظائف الاعضاء ـ قوانينها العضوية .

انه ذلك المركب من الانسجة والشعور الذي يحاول علماء الصحة والمعلمون أن يقودوه الى الدرجات العليا في أثناء نموه مع الزمن .

انه ذلك الكائن الحي العالي الذي يجب أن يستهلك ، من غير انقطاع ، السلع التي تنتجها المصانع حتى يمكن أن تظل الآلات التي جعل لها عبدا دائرة بلا توقف .. ولكنه قد يكون أيضا شاعرا أو بطلا أو قديسا . انه ليس فقط ذلك المخلوق الشديد التعقيد الذي تحلله فنوننا العلمية ، ولكنه أيضا تلك الميول والتكهنات وكل ما تنشده الانسانية من طموح » .

وروعة الكيان الانساني لفتت مفكرينا من قديم ، وجعلتهم ـ على طريقتهم النظرية ـ ينوهون بهما ويومئون الى اسرارها ايماء المبهور بما وراءها .

وانك بعد أن تعي كلمات « الكسيس كاريل » عن الانسان ، تقرأ هذه الأبيات للعز بن عبد السلام، فتجد أن النظرة واحدة ، والتقدير متساو ، وان اختلف التصوير على اختلاف العصور .

قال العز :

اذا كنت تقرا علم الحروف
فشخصك لوح به أسطر

وتمثال ذلك انموذج
لكل الوجود لمن يبصر

حروف معانيك لا تنجلي
لذى الجهل ، كلا ، ولا تظهر

ومن يك غرا بأسرارها
فمعروفها عنده منكر

اذا كان جسمك جسما صغيرا
ففيك انطوى العالم الأكبر

فلا ذرة منك الا غدت
بها يوزن الكون ، بل أكثر

ولا قطـرة منك الا وفي
ينابيع أسرارها أبحر

وكل الوجـود اذا قسته
اليك فذاك هو الأصغر

وما فيه من عرض حاضر
يزول وانت به جوهر

فانت الوجود وكل الوجود
وما في وجـودك لا يحصر

ولسنا بصدد احصاء النصوص الاسلامية التي تعلي مكانة الانسان وترفع قدره ٠٠٠

فان موضوعنا تتبع الكفاح الانساني في هذا المضمار ، مقارنا بالتوجيه الديني ٠

❊ ❊ ❊

ومن الملاحظ أن الدراسات الانسانية تجيد وصف الانسان ، ومتابعة نشاطه المادي والمعنوي متابعة دقيقة ٠

ويمتاز العصر الحديث بأنه تخلص من الطرق العقيمة التي سارت عليها الفلسفات القديمة في فهم الانسان ، وطبيعة وجوده ، وغايته من الحياة ٠

وانه اعتمد على أسلوب علمي رائع اقترب به من الواقع ، وابتعد به عن الحدس ،

ومن هنا نستطيع القول دون مخاطرة : ان هذه الدراسات تقرب الناس من الدين ، لأنها تقربهم من الفطرة ٠

وعندما ينتفي من الحياة الانسانية الوهم والعوج، فلن يبقى الا شيء واحد ، هو الايمان ٠

« ان ربي على صراط مستقيم » ٠

❊❊❊

والدين في نظرنا هو المصدر الأوحد للحقيقة الكاملة ٠

واذا كانت تعاليمه غير مسهبة في وصف الانسان جسدا وروحا فهي قاطعة في تقرير ما يجب عليه ، وما يجمل به ، أي أنها قدمت الثمرة دون عناء ، أو النتيجة المستخلصة دون ابراز لمقدماتها ٠

أما الدراسات الانسانية فهي وصافة للانسان ، مصورة لمادته ومعناه في الأعم الأغلب ، وقلما تضع قدميه على الصراط المستقيم بعد ذلك الجهد ٠

وامثل السبل هو الجمع بين الأمرين : الاحاطه بالوحي الالهي المعصوم ، الذي رسم للانسان وجهته في صدق ، وكفل له ماينشد لنفسه وغيره من خير، والاحاطة بالفكر الانساني الذي تعمق بحث الانسان واجهزته البدنية وملكاته النفسية والعقلية ، وأحواله الاجتماعية المتشابكة مع غيره من الناس ٠٠ ! هذا المزج جليل الفائدة لأنه يتيح لعلماء الدين اطلاعا واسعا على طبيعة الانسان المجردة ، وحاجاته الحقيقة ، وهو في الوقت نفسه يرى العلماء المدنيين الأشفية التي وضعها الله لذهاب العلل ، والوسائل العملية لارتقاء البشر ، وزكاة نفوسهم وأحوالهم ٠

ولما كنت أحد الموصولين بالمعرفة الدينية ، ومن أولى الغيرة على تراث السماء ، فاني أحب تخليص الثقافة الدينية من كل ما يعجزها عن اداء رسالتها، أو يضلل سعيها الى غايتها ٠

وما بي رغبة في تتبع عيب أو كشف مثلبة ، انما هي الرغبة العميقة أن ينجح الدين في اكتساب الخلق الى منهجه وجمعهم تحت لوائه ٠

لقد لوحظت هنات على المتدينين تستوجب النظر ٠

ان الصلاح الحق ينشأ عن صحة النفس ، وبراءتها من أسباب السقم ٠

ولنضرب الأمثلة لما نريد حتى تتضح صورته ٠

عندما يكون الطريق كثير الحفر ، متموج السطح، فلا صلاح له الا ردم حفره وتسوية سطحه ٠

وعندما يكون الخيط ملتوى الفتل ، مشدود العقد فلا طريق لاسترساله واستقامته الا بفك عقده وارخاء ليه ٠

❊❊❊

عندما تكون أسلاك الكهرباء مقطوعة فلن يسري التيار الا اذا التحمت الأسلاك وتم اغلاق الدائرة ٠

هذه مسلمات لا تحتمل جدلا ٠

والنفس الانسانية كذلك عندمـــا تعج بوساوس الشر ، وتضطرب بها أساليب الفكر فليس يصلحها تغطية هذه العيوب بثوب من المراسم والمناسك ، فان التزكية المنشودة لا تتحقق الا بالشفاء من هـــذه الآفات « **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** » . وشارات التدين واجبة الرعاية ، وشرائع الصـــلاة والصيام وما اليها ، لا يمكن التهاون بها ولا التنازل عنها .

بيد أن بعض النـــاس يسيء الى الدين عنـدما يهمل تهذيب طباعه وتقويم عوجه ، ثم يحرص على الاستمساك بشعائره ، كما يمســـك الملوث قطع الصابون بيده ، دون أن يذهب بها درنا . والأديان دائما تصاب من سوء الفهم لها ، ومن سوء العمل بها .

وقد أرمق شخصا من غمار الخلائق ، لم يلتصق بالدين التصاقا ظاهرا ، ولم يطبق تعاليمه على نفسه تطبيقا واضحا ، ومع هذا فان ولاءه المحدود لله ، وسيرته السمحة وفق الفطرة العادية تجعله أقرب الى الحق من عشرات الأحبار والرهبان .

* * *

ولندع ميدان التسامي النفسي بين الأفراد ، الى ميدان الحياة العامة الصاخبة المؤارة .

من ستين سنة تقريبا لاحظ أحد المؤرخين النافذي البصر ، أن الصهيونية العالمية تنسج مؤامرة رهيبة لدك المجتمع الغربي ، وقلب نظمه رأسا على عقب ، واشاعة الالحاد والتحلل فى أرجائه ، وضرب دولة بعضها بالبعض الآخر ، والافادة من نزاعها الوحشى فى تكوين اسرائيل ، واقامة حكمها الذى يحلم به من قديم « حكماء صهيون » .

فماذا يصنع هذا المؤرخ الغيور ؟ لقد أعلن مخاوفه هذه مقرونة بكشف كامل عن « بروتوكولات حكماء صهيون » ومختومة بهذه العبارة :

« ان الأحداث فى العالم تندفع بسرعة مخيفة : فالمنازعات ، والحروب ، والاشـــاعات ، والأوبئة ، والزلازل ـ والأشياء التى لم تكن أمس الا مستحيلة ـ قد صارت اليوم حقيقة ناجـــزة . ان الأيام تمضى مندفعة كأنها تساعد الشعب المختار (!) ولا وقت هناك للتوغل بدقة خلال تاريخ الانسانية من وجهة نظر « أسرار الظلم » المكشوفة ، ولا للبرهنة تاريخيا على السلطان الذى أحرزه « حكماء صـــهيون » كى يجلبوا نكبات على الانسانية ، ولا وقت كذلك للتنبؤ بمستقبل البشرية المحقق المقترب الآن ولا للكشـــف عن الفصل الأخير من مأساة العالم ... » . قال المؤرخ الطيب ، العظيم الثقة بدينه وقومه .

« ان نور المسيح متفردا ، ونور الكنيسة العالمية المقدسة معا اللذان يستطيعان أن ينفذا خلال الأغوار الشيطانية ، ويكشفا مدى ضلالها .

انى لأشعر فى قلبى بأن الساعة قد دقت لدعـــوة المجمع المسكونى الثامن ، فيجتمع فيه رعاة الكنائس وممثلو المسيحية عامة ، ناسين المنازعات التى مزقتهم طوال قرون كثيرة كى يقابلوا مقدم أعداء المسيح » .

ان الأستاذ « نيلوس » المؤرخ الذى رفع عقيرته بهذا الصياح من نصف قرن ، يطلب كما ترى أن يجتمع مؤتمر مسكونى مسيحى لمواجهـــة أخطـــار الصهيونية العالمية وصد أطماعها وضغائنها ...!!

فما الذى حدث اليوم ... ؟

لقد اجتمع المؤتمر المسكونى فعلا ، ولكن ليضع نفسه وأعضاءه ورسالته وكنيسته لخدمة الصهيونية العالمية ، وانجاح قضاياها .

أرأيت كيف يخون الضمير الدينى أمانته ، ويرتد على عقبه ، ويعمل مع الشيطان ؟

اننا نلتمس الأعذار ـ كما قلنـــا آنفا ـ لناس كثيرين قبضوا أيديهم عن الدراســـات الدينية ، والطريقة الدينية فى قيادة الحياة .

والتماسنا العذر لهؤلاء لا يعنى اقرار خطتهم ، أو التهوين من قيمة الدين الحق فى الأخذ بأيدى البشر من الظلمات الى النور .

انه ابانة فقط عن أســـباب الانحراف البشرى وجسامتها .. !!

والنذار الى القادة الدينيين كى يتبينوا ما أمامهم ، ويحسوا العوائق الهائلة التى تعترضهم ... وفى سبيل انصـــاف الحقيقة نرجو أن نسير مراحل مع الباحثين عنها ، واعتقادى أننا سنكسب للاســـلام خيرا كثيرا من هذه المتابعة المتأنية ، لعل أولهـــا الابانة عن تلاقيه المطلق مع مقررات الفكر الناضج والسجية المستقيمة .

« **محمد الغزالى** »

كلمات العقاد .. للحقيقة والتاريخ

بقلم

محمد طاهر الجبلاوى

قرأت في الرسالة مقالين بقلم صديقنا الأستاذ **عباس الأسوانى** تحت عنوان « ليست هذه آخر كلمات العقاد »

وقد وقع الكاتب على بضع كلمات فى كتاب صدر أخيرا تحت عنوان « آخر كلمات العقاد » سبق ان نشرت فى المؤلفات التى اصدرها العقاد او فى مقالاته

من ذلك قوله فى هذا الكتاب :

« أنت لا تعرف أنك فى امة أحرار حقا كارهين للاستعباد حقا الا اذا رايت بينهم لعظماء المطربين شأنا لا يقل عن شأن أندادهم ذوى المواهب والأعمار والأقدار »

وقد نشر بنصه فى رثاء سيد درويش بجريدة البلاغ منذ أربعين سنة .

وقوله فى نابليون : « كان هذا الرجل يسبح فى لجة من الدم والناس تنظر اليه فلا يعنيهم من أمره الا أن يشاهدوا براعته فى السباحة » وقد حوته مقدمته لكتاب هتلر فى الميزان .

والحق ما ذكره الكاتب من خطأ فى التوقيت على حد تعبيره . ولعل جامع هذه الكلمات لم يجد منها ما يكفى لاصدارها فى كتاب . فضن بها على الضياع وزاد عليها ما اقتبسه من أقواله كما يجرى فى كثير من جوامع الكلم التى تنشر لكبار المفكرين أحيانا.

وقد كنت ارافق العقاد رحمة الله عليه فى غدواته وروحاته ، وأشاهده وهو يخط هذه الكلمات فى مفكرات صغيرة كان يحملها فى جيبه. وقد اجتمع منها سبع يوم سفره الى السودان أى منذ أكثر من خمسة عشر عاما ولا أدرى ماذا زاد عليها بعد ذلك .

ولم يعثر الأستاذ عامر العقاد كما سمعت منه الا على اربع من هذه المفكرات . فأين ذهب الباقى وهو كثير فيما اعتقد ؟!

ولا أعتقد أن العقاد حين كتب هذه المفكرات كان يرمى الى ان تنشر على صورة حكم او امثال من تاليفه .

فهو لم يجمع ما اشتملت عليه فى مجموعة او يرتبها حتى تنشر فى كتاب يصدر باسمه وقد طلبت منه نشر هذه الكلمات فلم يجبنى .

كان يكتبها ونحن نسير معا فى زحمة الطريق. وكان يكتبها أحيانا ونحن نجلس فى بعض الاماكن التى يغشاها .

وقد تكون على مائدة الطعام فيقوم مسرعا ليسجل شيئا فى هذه المفكرات فهى من ثم أقرب الى الخواطر منها الى الحكم والأمثال . وان كان الكثير منها تنطبق عليه كلمة الحكمة كما عرفها صديقنا الأستاذ عباس ، وان كنت اخالفه فى كتابتها على الطريقة التى وصفها فى صالون مدام سابليه سنة ١٦٥٩ باقتراحات واجتماعات وتحقيقات .

فما كان العقاد ليجرى فى تسجيل خواطره التى وصفناها على هذا النحو وهو ذلك الرجل الانفرادى فى حياته وتفكيره .

كما اخالفه فيما سماه عيوب الشكل فى الكلمات التى شابها تطويل وتفسير على حد قوله .

واقول ان الحكمة قد ترد على لسان الأديب أو قلمه فى كلمة او كلمتين وقد ترد فى عشرات الكلمات وقد تكون فى بيت من الشعر وقد تكون فى عدة أبيات وقد تأتى فى صورة حكايات كما نرى فى كليلة ودمنة وأشعار لافونتين وغيرها .

وقد سموا الفيلسوف حكيما لانه يبحث عن الحقائق ويتقصاها .

اما المثل السائر فيختلف عن ذلك وهو الذي ينطبق عليه قول الكاتب الأديب وقد خصص جزءا كبيرا من بحثه الذي استغرق مقالين في مجلة الرسالة ، لما سماه تناقضا في كلام العقاد .

ويطول بنا الكلام اذا أردنا تقصي كل ما أورده في هذا الموضوع فنتناول منه القليل الذي يدل على الكثير .

يقول الكاتب « ان العقاد يسوق في صفحة ٩٣ رأيا ينفيه في صفحة ٩٦ اذ يبدأ العقاد فيعرف الحاسد بقوله « قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك » ويعود بعد صفحات ثلاث لينفي هذا التعريف نفيا قاطعا ويقول « ليس الحاسد هو الذي يطمع ان يساويك بأن يرقى اليك بل هو الذي يريد أن تساويه بأن تنزل اليه » .

ولا ادري لماذا ينقل الكلام على هذه الصورة المبتورة فالعقاد يقول :

« قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك وقد يحسدك الحاسد لتصبح نظيره وهو الأم الحاسدين » .

ولا يراد بهذا الكلام تعريف الحاسد كما رأى الكاتب « فقد » في كلام العقاد اتت مع الفعل المضارع لتفيد التقليل لا لتكون تعريفا يفهم منه التعميم .

ولا تناقض في هذا الكلام . وقوله في صفحة ٩٦ ليس الحاسد هو الذي يطمع ان يساويك بأن يرقى اليك ، بل هو الذي يريد ان تساويه بأن تنزل اليه . ومن هذا القبيل الرجل العياب الذي يتتبع عورات الناس وسقطاتهم لينزل بهم الى مستواه ويتغافل عن حسناتهم عمدا لانه يعلم من نفسه العجز عن الاتيان بمثلها .

ففضلا عن التجاوز الذي أحدثه الكاتب في كلام العقاد بنقله منقوصا غير مكتمل فاته فهمه فهما يتناق مع قواعد اللغة وأصولها .

فليس النفي هنا نفيا قاطعا ملزما بل هو نفي في مجاز ووراءه تأويل وقد كثر في كلام الشعراء والبلغاء ومنه قول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

فالشاعر هنا ينفي امرا واقعا بالفعل ليقارنه بامر آخر يرى انه اشد وقعا واسوأ مآلا وهو ميت الأحياء

وعلى ذلك يفهم قول العقاد : « ليس الحاسد هو الذي يطمع ان يساويك بان يرقى اليك ، بل هو الذي يريد ان تساويه بان تنزل اليه »

فالاول ليس شيئا الى جانب الثاني ولا ينفي الثاني وجود الاول كما هو واضح

ومن التناقض في فهم التناقض قول الكاتب :

« ومن ذلك التناقض ايضا رأي العقاد في بذل النصيحة ، فقد نشر الأخ عامر رأيا للعقاد يرى فيه أن بذل النصيحة واجب نحو من يثق برأيك ، وفي صفحة اخرى رأي ثان يقرر فيه أن فاقد العقل وحده هو الذي يبذل النصيحة لأي انسان ، فقد جاء في صفحة ٣١ من الكتاب : انصح من يثق برأيك ويثق بقصدك وفي صفحة ٩٠ : الناصح قد يعقل في كل شيء الا في اسدائه النصيحة »

وقد جرى الكاتب في ايراد هذا الكلام على طريقته في حذف ما يريد لاثبات ما يريد

فالعقاد لم يقل ما يفهم منه ان فاقد العقل وحده هو الذي يبذل النصيحة لأي انسان ، فقد جاء في كلامه ما نصه في الصفحة التي أشار اليها :

« ماذا يقول الناصح العاقل المتصدوح القوي الذي يقول له : أتنصحني وتزعم انك عاقل ؟ لو كنت ذا عقل لما اسديت الخير لمن لا يريده ، ولما نصحت من لا يستمع الى نصحك ، ومن لو استمع اليه شق عليه أن يشكره وود لو ينكر نفعه .

الحق أن الناصح قد يعقل في كل شيء الا في اسدائه النصيحة .

وانما هو يسديها لما عنده من الرحمة وحب الخير لا لما عنده من العقل والحكمة »

فهل يفهم من هذا ان فاقد العقل (وحده) هو الذي يبذل النصيحة لأي انسان كما فهم الكاتب

الأديب ، وكما اراد ان يفهم ، ان حكمة العقاد واضحة وليس فيها محل للبس .

ويعود الكاتب فيتكلم عن الشكل فى قول العقاد : « الرجل الذى يحبه جميع النـاس لا يحب جميع الناس » فيرى ان الحـكمة لا تؤكد حقيقة فمن ناحية الشكل استخدم استاذنا العقاد كلمة « جميع الناس » وهو استخدام فيه اسراف لأنه لم يخلق بعد هذا الانسان الذى يجمع على حبه الناس .

ونقول له : ان لغتنا العربية لها مفهوم آخر غير الذى فهمته ، فالناس هنا فى كلام العقاد عموم يراد به الخصـوص ومنه قول الشاعر ، وكل ناطقة فى الروض تطربنى ، وهو يريد الحمائم والطيور المفردة ومنه قول شوقى :

وانما الأمم الأخـلاق ما بقيت

فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ويقصد الأخلاق الفاضلة ومنه قولهم من احبه الله احبه جميع الناس والتعميم هنـا مقصـود به الخصـوص وله باب فى علوم البـلاغة نرجو أن يرجع اليه

ولم يقف العقاد عند حد الجمـلة التى وقف عنـدها الـكاتب ففسرها بقوله : « لأن المحب يصادق ويعادى فى سـبيل المحبوبين ومن صادق وعادى لم يسلم من الأعداء » وقد تجاوز عن هذا التفسـير الواضح بقوله : « ليس من الضرورى المسـلم به ان الرجل الذى يحبه معظم النـاس لا يحب الناس فقد ظفر الأنبياء والقادة واصحاب الرسالات بحب معظم الناس ولم يقل احد انهـم لا يحبون الناس ، اذ انه من المسلم به أن الأنبياء واصحاب الرسالات كانوا يحبون البشر حبا عظيما شمل خصومهم قبل انصارهم »

وليس صحيحا ان الأنبياء والقـادة واصحاب الرسالات كانوا يحبـون خصومهم قبل انصـارهم بل لقد حاربوا خصومهم وقاتلوهم فى سبيل اعلاء كلمة الحق والدين ونزلت الآيات القرآنية بمقت الكفار والمنافقين

ومن احب الخير كره الشرير ومن احب الصادق كره الكاذب ومن احب الصريح كره المنافق

ويقول العقاد عن بعض القادة : انهم جمعـوا بين قوة الرجل وقوة المرأة فبلغوا مرتبة الســيادة ومعنى القوة هنا المزايا ولا شك أن من جمع مزايا الجنسين كان رجلا ممتازا ولكن الـكاتب يرى ان هذا المزيج يمكن أن يؤدى بصـاحبه الى أن يكون خنثى اقل من الرجل ومن المرأة على الســواء . ولا يمكن أن يفسر كلام العقاد هذا التفسـير كما هو واضح

وقد ثبت علميا أن كل رجل يحمل شـيئا من هرمونات الأنوثة الى جـانب هرمونات الذكورة .

ولذلك شرح كبـير اورده ، اوتوفيننجر ، وبينه استاذنا العقاد فى كتابه «هذه الشجرة» فهل يفهم من هـذا أن كل رجـل خنثى ؟ انه راى بعيد عن الصواب ولا اقول اكثر من ذلك :

وبعـد فهـذه ملاحظاتى على بعض ما اورده صـديقى الأديب الاستاذ عباس الاسـوانى وكان حريا به أن يستكنه معانى هذه الكلمات النفيسـة ويظهرها لقرائه بدلا من أن يناقضها بهذه الصـورة العجيبة .

« محمد طاهر الجبلاوى »



القصة العربية القديمة

للدكتور أحمد كمال زكي

- ٢ -

يمكن في ضوء ماقدمنا عن القصة خلال القرون الثلاثة الاول من التاريخ الهجرى ان نميز عدة ملامح اساسية في تاريخ هذا الفن العريق . **اللمح الاول** هو توزع عملية القص بين مجالس اهل الذكر حيث القصص الوعظي الخالص وان لعب الخيال فيه دورا ما ، وبين مجالس السمر واللهو . وثمة قصص التسلية والمفارقات والمغامرات ، ولا يغيب عنا مطلقا - الى جانب ذلك - توفر عنصر القصة في اغلب مااثر عن التراث العربي القديم ، ككتب المغازى ومن قبلها موسوعات التاريخ التي ستوضع فيما بعد على يد المسعودى وابن الاثير وابن الجوزى .

اللمح الثاني وجود الكاتب الذى حاول ان يؤرخ القصة العربية منذ عهد مبكر ، واعنى به الجاحظ الذي ضمن كتابه « البيان والتبيين » قوائم وافية باسماء القصاصين مع نتف من اخبارهم . وقد وقفنا فيه على سوء ماآلت اليه القصة من ناحية هبوط مستواها الجماهيرى وان كثر عدد المهتمين بها ، وان شئنا التحديد قررنا ان قصص السمر واللهو لم يعد يرضى العلماء فهاجموه ، وقد رصد هجومهم هذا عدة كتاب ذكرنا منهم اباطالب المكى وابن الجوزى ، ومن بعدهما نذكر السيوطى فى كتابه «تحذير الخواص من اوهام القصاص» . وطبيعى ان هذا كله لايعنى انكارا للقصة الوعظية ؛

اللمح الثالث : ظهور عدد من الكتب الرموس اهمها «التيجان» و «كليلة ودمنة» و «الف ليلة وليلة » : الاول مؤلف ، والثانيان فيهما شبهة الترجمة . وقد نص ابن النديم فى «الفهرست» على ان اصل الكتاب الاخير كان موجودا فى الفارسية بعنوان «هزار افسانة» وذكرته انا مع التيجان وكليلة ودمنة - مع انه وضع سنة ٣٧٧ - لان سياق ابن النديم لذكره يدل على معرفة المسلمين به مترجما من الفارسية الى العربية قبل هذا التاريخ بمدة .

والملحوظ بصفة عامة ان «التخيل» كان قوام تلك الكتب السابقة ، فوهب بن منبه او عبيد بن شرية فى التيجان يطلق زمام خياله فيما يحكيه من ملوك اليمن وابطالهم ؛ وان اصطنع كل منهما متعة السند ، وابن المقفع لايعنيه الا الاقصوصة بما تشتمل عليه من طرافة وتوعية ، ومؤلف «هزار افسانه» يفوق الجميع بتصوراته الجامحة حتى ليلغى الحدود بين الحقيقة والوهم وبين الواقع والحلم .

ويبدو ان « الف ليلة وليلة » قد اتسع نطاق تداولها بين العامة حتى فسدت لغتها بفساد لغة القصة بعامة ، وكان ابن النديم قد نص على ان فصحاء المسلمين تجردوا لها . فكان لابد من ان يقرع ناقوس الخطر هؤلاء المهتمون باسباب الثقافة العربية ، وظهر النفر الذى لم ير مفرا من الارتفاع بمستوى قصص التسلية مادام العامة قد شغفوا بها الى هذا الحد الكبير .

وهكذا بدأت عملية التهذيب اللغوى فى بناء القصة ، وحمل لواءها ابن دريد الشاعر العالم اللغوى صاحب الاحاديث المشهورة التى جمع

بعضها ابو علي القالي في اماليه ، ونوه بها الحصري في «زهر الآداب» ، وكان معنى هذا ان القصص التي جمعها بديع الزمان في كتاب مقاماته كانت مرحلة من مراحل تطور القصة عند العرب ، وهي تعقب محاولات ابن دريد مشكلة احدى صور قصص التسلية التي فتن بها العامة في كل مكان .

ولخطورة هذا التحول – ونذكر انه لم يكتب له النجاح الا في حدود المقامات المقلدة – نسجل هنا احد أحاديث ابن دريد لنرى كيف كتبت قصة التسلية في عصر البحث اللغوي الذي يبدأ بالقرن الثالث ويتوج بوضع المعاجم الضخمة كصحاح الجوهري ومخصص ابن سيده .

قال ابن دريد نقلا عن امالي القالي ، كان مصاد ابن مدعور القيني رئيسا قد اخذ مرباع قومه دهرا وكان ذا مال ، فند ذود من اذواد له ، فخرج في بغائها – قال – فاني لفي طلبها اذ هبطت شجرا كثيف الظلال وقد تفسخت ابنا ، فانخت راحلتي في ظل شجرة ، وحططت رحلي ، ووسدت بعيري ، واضطجعت في بردي ، فاذا اربع جوار كأنهن اللآلىء يرعين بهما لهن ، فلما خالطت عيني السنة ، اقبلن حتى جلسن قريبا مني وفي كف كل واحدة منهن حصيات تقلبهن ، فخطت احداهن ، ثم طرقت .

فقالت : قلن يابنات عراف في صاحب الجمل الناد والبرد الكثاف والجرم الخفاق ! »

ثم طرقت الثانية ، فقالت «مضل اذواد علا كد كوم صلاخد ، منهن ثلاث مقاحد ، واربع جدائد ، شذف صمارد !

ثم طرقت الثالثة ، فقالت «رعين الفرع ثم هبطن الكرع ، بين العقدات والجرع ! »

فقالت الرابعة : «ليهبط الغائط الافيح ثم ليظهر في الملا الصحصح بين سدير واملح ، فهناك الذود رتاع بمتعرج الاجرع !»

قال : فقمت الى جملي فشددت عليه رحلي فركبته ، ووالله ماسألتهن من هن ولا ممن هن . فلما ادبرت قالت احداهن : «ابرح فتى ان جد في طلب ، فماله غيرهن نشب ، وسيئوب عن كثب» .

ففزع قلبي والله قولها فقلت : وكيف هذا وقد خلفت بوادي عرجا عكاما ؟ فركبت السمت الذي وصف لي حتى انتهيت الى الموضع ، فاذا ذودي روائع فضربت اعجازهن حتى اشرفت على الوادي الذي فيه ابلي . فاذا الرعاء تدعو بالويل ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : اغارت بهراء على ابلك فاستحقتها فامسيت والله مالي مال غير الذود . فرمى الله في نواصيهن بالرغس ، واني اليوم لأكثر بني القوم مالا» .

هذا حديث مصاد بن مدعور عن خروجه وطلب الذود وما اخبره به الجواري الأربع الطوارق بالحصى ، وبالمناسبة نرى موقفا يكاد يشبهه في المنظر الثالث من الفصل الاول من مسرحية **«ماكبث»** التي كتبها شيكسبير .

لكن من المؤكد ان كثيرا من الدارسين لايمكن ان يوافقوا على ان ذلك الحديث – وهو مفعم بالغريب الذي نراه مشروحا في نهاية المقال – من قبيل قصص التسلية . غير اننا مادمنا نضع في حسابنا عملية التخيل كفاصل بين القصة الوعظية وغيرها ، فانه يكون من الضروري التسليم بقفية هذا الحديث على أساس انه قصة – وفيه حدث متطور ونهاية محددة – بغض النظر عن التلقينية اللغوية التي تبرز من بين اهدافه ، فالتهذيب اللغوي لاينفي قنية القصة قط !

واما بالنسبة لمقامات بديع الزمان – الذي ولد سنة ٣٥٨ هـ وعاش اربعين عاما فقط – فالامر فيها اسهل واقل تعقيدا ، لان المتفق عليه انها قصص عامية كتبها عربي متعصب للعروبة وان يكن ثمة مستشرقون يرون انه استوحاها من الفارسية والسنسكريتية وبعض حكايات الكتاب المقدس .

وقد يكون تحول القصة عند بديع الزمان على ذلك النحو ضربا من الحرص على لغة العشيرة ، ولاسيما ان موضوعها «الكدية» مما يخلق تناقضا بين الشكل والموضوع – وقد يكون تجاوبا مع القصص العامي . الا ان الشيء الذي لاشك فيه ان كل مافيها مخترع ، واصبحت شخصية بطل

المقامات او معظمها ــ وهو أبو الفتح الاسكندري ــ بطلا من ابطال القصص المشهورة يقف جنبا الى جنب مع احدب هوجو وابله دويستويفسكي وغيرهما ويروع قارئيه بمغامراته وذكائه ولباقته وسعة حفظه للاشعار والطرائف .

وهنا نقف لنسأل هذا السؤال التالي : ما محصلات المسلمين حتى القرن الرابع الهجرى ــ العاشر الميلادى ــ من الفن القصصى كله ؟

من الخطأ حقا ان نزعم اننا قادرون على الاحصاء لكن المؤكد ان تصنيفه يكفي ــ ولو مؤقتا ــ فيما نحن بسبيله من هذا التاريخ الموجز، ويجب هنا الا نخلط بين النوعين اللذين سبق تعيينهما ، فكل منهما كل تندرج تحته اجزاء ، وفي رأيي ان القصص العربى كان اذ ذاك اساطير وامثالا ومخاطرات فروسية ومغامرات عشق وحكايات مكدين وحيوان الى جانب القصص الدينى ــ ومنه سيرة ابن هشام ــ ثم مايدخل فى نطاق الاخبار الممتعة على مانرى فى اغانى ابى الفرج !

وهكذا نرى الى اى حد كانت مخصبة حياة العرب الفنية ، والى اى حد اخطأ الدارسون فى حشد جهودهم من اجل الشعر ، وقبل أن نمضي مع الزمن نحاول ان نتعقب القصة العربية ــ بهذه الخطوط والمضامين العامة ــ وهى تبسط سلطانها على ادب الغربيين ، والامر قد يبدو غريبا لأول وهلة لاسيما ان أوروبا حتى القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين كانت تعيش عالة على الثقافة اللاتينية ــ وهذه كان فيها قصص اشهرها دافنس وخلوا ــ ولكن شعوبها لم يقتها على الاطلاق ان تنظر الى القصة العربية وتتأثرها ، وقد تم اتصال هذه الشعوب بتلك القصة عن طريقين : **اولهما** ، الاندلس وصقلية . **وثانيهما** الحروب الصليبية التى اشتعلت فى مناطق الثغور الاسلامية .

لقد ثبت فعلا ان كثيرا من الحكايات الاوروبية التى ذاعت كانت من وحى العرب ، وفى عصر النهضة تأكد ان دانتي عرف قصة المعراج كاملة من كتاب عربى حظر تداول ترجمته اللاتينية بابا روما ، كما تأكد ان بوكاشيو كتب الديكاميرون ــ اى الصباحات العشر ــ وهو ينظر فى الف ليلة وليلة ومن بعده احتذى فرنسيسكو ذى باربرينو (١٢٦٤ ــ ١٣٤٨) روايات العرب فى العشق .

ويمكن على هذا النحو أن نرى الاصول العربية عند سرفانتس ولافونتين، وسير والترسكوت وغيرهم كما يمكن أن نجد القصة المقامية فى نحو ماظهر عند قصاصي بيكاردى وشمبانيا . على الرغم من اننا نجد العناية اللغوية الحادة فى «حكايات ملطية» التى كتبها اريستديس الملطى قبل الميلاد بنحو قرنين .

فهذا النوع من القصص لم يكن موجودا فى المؤلفات الكلاسيكية . على انه فى منتصف القرن الخامس عشر عرف الغربيون القصص والروايات التى تبعد عن حكايات الشعب وخرافاته ، وتبعد فى الوقت نفسه عن الصنعة البيانية . ولايمكن ان نزعم ان المسلمين كانوا يسيرون على النمط نفسه ، فهم فى الواقع اخذوا ابتداء من القرن الخامس أو قبل ذلك بقليل يفرقون فى محلياتهم التى شهر منها « الأميرة ذات الهمة » و «عنترة» و «سيف بن ذى يزن» ولكن لهذا حديثا آخر نعود اليه فيما بعد بالتفصيل .

د . احمد كمال زكى

تهميشات

مرباع : ربع الغنيمة
ذا مال : ذا ابل وكانت الابل تسمى مالا
ذود : مابين ثلاثة جمال الى عشرة
تفسخ ايدا : اصيب بالتعب الشديد
رسفت بعيرى : شددت رسغه
السنة : النوم او اول النوم
الجمل الثياف : العالى
الجرم : الجسد
علاكد : جمع مفرده علكد وهو الصلب
كوم : جمع مفرده كوماء وهى عظيمة السنام
صلاخد : جمع مفرده صلخد (بضم الصاد وفتحها وكسرها) وهو القوى
مناجد : غليظة السنام
حدائد : جمع مفرده حدود وهى التى انقطع لبنها
صمارد : قليلة اللبن
شسف : جمع شاسف وهو الذى ضمر أو يبس لحمه
الكرع : الماء الذى ينزل فيستنقع
العقدات : ماتعقد من الرمل
الغائط : المطمئن من الارض .
الأفيح : الواسع
الملا : الفضاء
الصحصح : الصحراء
الأمرع : المكان لاينبت اى شىء
قرجا : حوالى خمسمائة .
عكابا : كثيرة
استخنتها : استأصلتها .
الرفس : النماء والبركة

دراسات في الأدب الأسيوي الحديث
شعراء البنغال
٢

نذر الإسلام
الشاعر الإسلامي الثائر
بمناسبة عيد ميلاده ٢٥ من مايو

بقلم : محمد حسين

ترجمة : عبد الله حسين

من كوخ صغير ، بالحي الاسلامي بانتال ـ كلكتا ، انبعث صوت قوي أحدث ثورة في أعماق فكر البنغال وأدبها . هذا الصوت الثمل بالموسيقى ، المتحرق شوقا للتحرر من ربقة العبودية التي فرضها الحكم الاجنبي ـ كان صوت « نذر الاسلام » .. الرجل الذي تحتفل الأمة الباكستانية كل عام بعيد ميلاده مطالبة لعبقريته ـ في حين أنه قابع في احدى المصحات العقلية لا يعي شيئا ! انه حطام ليس فيه سوى عينين واسعتين تنساب منهما الدموع غزارا ، وأصابع تعبث بأوتار آلة موسيقية ـ هي نفس الأصابع التي هزت أوتار اليقظة في باكستان !

لقد كانت حقبة خطيرة في تاريخ البنغال السياسي والأدبي ـ اذ منح طاغور جائزة نوبل كشاعر فذ ، وعميد للأدب البنغالي .. ثم ظهر نذرالاسلام ، كنبلة تفجرت في الحقل الأدبي ودوى صداها في الآفاق التي كان يسيطر عليها الزبانية من أعداء النهضة الاسلامية ...

وتعتبر الفترة التي تلت ظهور نذر الاسلام من أدق الفترات التي مرت بتاريخ الأدب البنغالي وأكثرها ابداعية ، بل أنها تركت آثارا بعيدة الغور في شبه القارة بأكملها .

فلقد كان تعبير طاغور محصورا في الطبقات العليا والمتوسطة . فطاغور هو خالق الأدب البورجوازي . ولشهرته في أوساط الأدب والثقافة العالمية ، كان طاغور ثمرة الثقافة البورجوازية التي خلقها الحكم الأجنبي ورعاها فترة تقرب من مائة وخمسين عاما .

ولم تكن هذه الثقافة قريبة من الجماهير البنغالية ، أو هي لم تكن على اتصال بهم اطلاقا .. فلقد فشلت الأعمال الأدبية للبورجوازيين في شد هذه الجماهير اليها . وظل طاغور ـ الغريب عن المجتمعات السفسطائية في العالم ـ بعيدا ، بل مجهولا بالنسبة للجمهرة الكبيرة من أهل بلده .

وجاءت أعمال نذر الاسلام لتصبح رباطا وثيقا بين قلبه وقلوب الملايين الخرساء التي يعج بها وطنه . فلقد شن الشاعر حملات شعواء على العبودية التي فرضها الحكم الاجنبي ، وعلى السلوك غير الانساني للارستقراطية المتحكمة ، وعلى المشاريع الاستعمارية التي دقها الرأسماليون كالأسافين في جسد بلده .

لقد وقف نذر الاسلام في وجه كل تفاوت طبقي ، نصيرا لكل معذب في الارض أخرسه الاضطهاد . وكان الغبن الذي يحترق منه أقباله وأشعاره ، آلام الناس وعجزهم ويأسهم . وكانت شكاواهم هي الشرارات التي تندلع من قصائده . لقد كان الشاعر صوت الأرض الذي انساب من بين أنامل المضطهدين ، حتى لقد أطلقوا عليه : « قيثارة البؤساء » !

ان نذر الاسلام شاعر ثائر ، أو هو ثورة شاعرة . ولقد وصفته الدوائر الرسمية بأنه : « ظاهرة ثورية عجيبة في الشرق » . ان وطنه الدامي الراسف في قيود الاغلال والعذاب قد أفعم قلبه بالسم . وكان الفقر الذي تعرض له هو ، والملايين من بني وطنه ، قد أثار حدته وضراوته لسيفه الذي امتشقه في مواجهة كل نظام اجتماعي يورث الانسان ظروفا غير انسانية !

ان قصيدته ـ « القيثارة المشتعلة » ، و « نادي السم » كانتا جملتين قاتلتين لاستبداد الحكم الاجنبي حتى لقد حظرت الحكومة نشرهما . ففيهما يهيب الشاعر بالشباب أن يحطموا كل القيود التي تكبل شعبهم ، وأن ينفروا لمعركة النصر .

• محمد حسين ، كاتب وصحفي باكستاني ، من مواليد شرقي باكستان عام ١٩٢١ . بدأ حياته العملية محاضرا في الأدب الانجليزي بجامعة كلكتا . ثم انتقل الى وزارة الاستعلامات والاذاعة الباكستانية . وفي عام ١٩٥٣ نال درجة الدكتوراه في الصحافة من جامعة منيسوتا بالولايات المتحدة . والتحق بعد ذلك بالسلك الدبلوماسي ، وقد عمل فترة ملحقا صحفيا بسفارة الباكستان في القاهرة .

هكذا بدأ ندر الاسلام رسالته الثورية . لقد كان ينشــد أغاني أولئك الذين :

« بالكبرياء المشرق في القلب
والسيف المسلط في اليد
ينطلقون وراء المستحيل

***

الذين في زحفهم المتقدم للحياة ،
يقوضون في طريقهم
معابد آلهة الشر
وحانات المنافقين .
والذين تتفجر روحهم القوية ،
رغم الأغلال
وأكوام الغزعبلات
ونفايات المعتقدات العفنة .

***

الذين ينطلقون في خطوات متسقة النغم
الى الامام مع الدنيا في زحف الحياة
وقد تصدروا الركب العظيم ! » .

هذا الاتجاه نحو الحياة كان شيئا جديدا على البنغال . لقد أخذ الشاعر يستنهض همم الشباب المسلم لتلقى العبرة من تاريخه التليد ، وأن يجعل هدفه وضع أسس بنيان جديد راسخ لأمته . ان تحقيق هذا الهدف ــ كما قال لهم ــ عظيم وأكيد ، بيد أن الطريق محفوفة بالصعاب والمكاره .. ومن هم أجدر بذلك من الشباب ؟

لقد كان الشاعر براونلنج معروفا بالهامه الفلسفي الخارق الذي كانت له آثاره البعيدة في الغرب ، وكذلك كان لندر الاســلام الهام فلسفي خارق ، ولكن آثاره في الشرق كانت أبعد مدى . فالحياة في نظر الشاعرين مليئة بالصخور والأغوار . بيد أنها لابد بالغة غايتها .

ان شاعرنا يبعث بتحياته المشجعة للمناضلين في طريق الحياة الطويل المتعب ، المحفوف بالمخاطر :

« الليل حالك والصخور تعترض الطريق
صخور صلدة تعترض الطريق ،
ولكن لابد من ان نواصل الزحف .
حذار ! يا رفقاء الطريق حذار !
ان السفينة تترنح ، والموج يطغى
والملاح يضل طريقه
والشراع ممزق ، فمن الذي يبلغ المدى ؟
من يملك الشجاعة ؟
أين ذلك الشجاع ؟
فلتتقدم !
ان المستقبل يناديك بأعلى صوت .
الرياح عنيفة ، ولكن لابد من الثبات !
لابد ان يستمر القارب في السير ! » .

ومن يقرأ أشعار ندر الاسلام لا يملك الا أن يترنم بها . ان في شعره ملامح من الازدراء بالعرف والتحمس للمثالية ونحوهما مما كان يتسم بهما شلي ، وقبسا من النزعة الديمقراطية المعروفة بوردزورث . الى جانب الاهتمام بالغيبيات التي تلقاها عن شعراء الفرس . انه رمز ، بل لسان حال اليقظة الجديدة للمجتمع الاسلامي . لقد أكثر من الكتابة في الشعر والنثر ، وهو الى جانب ذلك ملحن موسيقي لا يبارى . فأغانيه التي لا تقف عند لون من الناس قد أمدت التراث الموسيقي بالبنغال بذخيرة لا تنضب .

ومثل هذه الافكار قد بثت الثورة في حياة البنغال . لقد بدأت فترة جديدة في تاريخها .. فبعد أن قام الشاعر الثائر بتحطيم النفاية المتراكمة التي تمخضت عن الجهل والخرافات ، حــرك نفوس الناس ومنحهم رسالة الاقدام والعمل . لقد أهاب بهم : « ان الشيء الوحيد الذي يجب أن تخافوه هو الخوف نفســه » !

لقد أعلن في بطولة أن كرامة الانسان وفكره ساميان ، ولا يعلو عليهما ، أو يدانيهما ، أي شيء . ان ما جلبه الانســان لأخيه الانسان ، وما يحفل به هذا العصر من أسقام قد ملأه أسى وكمدا . على انه لم يقدر لهذه الاشياء ، ولو للحظة واحدة ، أن تعكر الهامه ، أو تنال من ايمانه بأن النصر للخير أخيرا .

وحيث كانت روح البنغال وشعرها ، هي روح الخنوع تحت وطأة العذاب ، التي تصــورها أصدق تصــوير كلمات طاغور : « على تراب قدميك أخفض رأسي ، أتذلل اليك برفقتي ، فاني أفنى كل لحظة ! » أعلن ندر الاسلام في صوت راعد روح الانسان الذي لا يقهر ــ تاج الخلق جميعا .

« أعلنها ، أيها البطل !
أعلنها على الملأ : ان رأسي مرفوعا عاليا
وتنحني امامي
قمم الهيملايا ! » .

تلك هي روح الاسلام ــ لا خضوع الا لله ــ مقترنة بروح العمل التي تضمنتها وصيته للعالم .. انهــا الطريق الحق ــ طريق الاسلام نحو القيم الاساســية للحياة : « الايمان بالله والعمل » . انه لم يقتنع ــ كما فعل شلي ــ بالتعبير عن آرائه فحسب ، ولكنه بروح ايجابيــة نشطة ، والتحاق « بيروني » اشترك في الحرب العالمية الاولى لمحاربة القوة التي كان العــالم الاسلامي يرزح تحت أقدامها .

ان ندر الاسلام يعتبر « باعث الروح في مسلمي البنغال » . فهو لم يعد بناء اللغة أو ينظم الثورة السياسية فحسب ، ولكنه قدم تفسيرات ملهمة للتعاليم الاسلامية . فالتفسـيرات الضللة للقرآن والحديث وضعت الفكر الاسلامي في مستنقع ظل يحاول الخلاص منه أجيالا عدة .

(البقية على صفحة ٣٤)

حبي

للشاعر:

عمر ابو قوس

هل يشعر الناس بالحب الذى أجد — وهل تحس به الافلاك والأبد
ام انه ذاهب هدرا كما ذهبت — مع الرياح امان ما لها عدد

***

يشوقنى كل ما القى ويفرحنى — كأننى بين انواع الدمى ولد
وما نظرت الى اشياء اعرفها — الا توهم قلبى انها جدد
ويلتقى فى هوى نفسى وفرحتها — كل البرية من ضلوا ومن رشدوا

***

لا يعرف الحقد قلبى او يخالطه — ولا يمر ببالى الكيد والحسد
كأننى نبعة فى الارض صافية — تحت الخمائل لم يشعر بها أحد
تمضى السنون عليها وهى جارية — والناس عن مائها السلسال قد رقدوا
حب تفيض به نفسى ويسعدنى — اذا الانام بما يرضيهم سعدوا
وربما خلت انى استطيع به — سيرا على البحر والامواج تطرد
وان اطير به فى الجو منتالا — كما اشاء ويمضى طوعى الجسد
وان ارد به الموتى واخالدهم — واجمل العيش لا هم ولا نكد
وان افتح اكبادا مغلقة — فيلتقى الظبى والضرغامة الحرد
وكيف يعجزنى شيء اهم به — وشعلة الحب فى جنبى تتقد
وربما خلت ان الصخر يفهمنى — وانه واجد بى مثل ما اجد
وربما خلته فى صمته زمنا — قلبا تحجر لما عضه الكمد

***

صبابة وتباريح مجنحة — مثل الحمائم فوق الكون تحتشد
تحنو عليه وتهواه وترحمه — ويستوى فى مداها القرب والبعد

حلب ـ عمر ابو قوس

الجواد العربى

للشاعر : على محمد حمد

شاهدته في حلبة للســـباق … يقتحم المضمار .. كالزوبعـه
اغر .. ميمون الخطا .. كالبراق … يدف .. بالأجنحـة الاربعـه
يشـق امواج الأصـيل المراق … وحــوله الآفـاق مـستطلعه
اوفى على الغـاية .. ثم استفاق … ولم يصل ـ بعد ـ المصـل معه
وظل فى المضمار ـ دون الرفـاق … كانه الراهب فى الصـومعه
مستوفزا .. يضرب ساقا بساق … سخطا على « الجوكى » .. والقبعه
واحسرتاه !! للخيـول العتـاق … تعنو لهـذا القزم .. الامعـه
تستشرف الفارس ... والمعمعه … وزارات احداقه .. فى اشتياق

* * *

هذا جواد .. عربى النجـار … ما شابه الدهـر ... ولا غيره
ماثر الفرســان ... بين القفار … قد حازها . . مائرة . . مائره
سموءل العهـــد .. يرعى الجوار … ويحسن العفو .. لدى المقـدره
تعلم الباس .. وخوض الغمـار … من « ابن كلثوم » .. ومن «عنتره»
ولم يزل فى الشرق يحمى الذمار … يقوم ـ دون الفيل ـ كالقسوره
رد الصليبين بعــد التتار … وحطم الطغيـان .. والسـيطره
وشاد للعمران صرح الفخـار … حتى ارى التاريخ .. ما لم يره
حضارة .. متبوعة .. كالمنـار … لما تزل بين الورى مفخـره

* * *

فى ظلمة التـاريخ والقـافلة … قد اشرفت ـ ليلا ـ على الهاويه
وبرعـم الحـرية .. الذابله … يسحقه .. الكاهن .. والطاغيه
والوحشـة الروحية القـاتله … تطوى نفوس البشر الخـاويه
طوت حياة المدن الآهـله … وظل خصب الروح فى البـاديه
ارض العروبة .. فى النـازله … كانت لديها .. اجرعة الشـافيه
منـارة تقيم الفاضـله … تالقت فى الليلة الداجيــه
دارت بها أفراسهـا الصاهله … تطوى الدنى .. ناحية .. ناحيه
دارت بها ـ فى اللحظة الفاصله … تديل من عسف القـوى الباغيـه

* * *

قرات ـ بالفكر ـ على جبهتـه … شطرا من التاريخ .. لم يكتب
ابر من قومى ... بقوميتـه … فلم يحد عنها ... ولم يرتب
وظل مشــدودا الى امتـــه … بعروة الاحساس .. والمشرب
سلوه .. عن ابعـاد جنسيته … .. وعن حدود الوطن الطيب
لا « طارقا » نحاه عن صهـوته … ولا « صـلاح الدين » فى الموكب
عروبة .. تصدر عن فطرتـه … فتمزج الكردى .. بالمغـربى
وتجمع الحر .. الى اخـوته … فى وحدة .. رغم اختلاف الأب

(بقية المنشور على صفحة ٣١)

لقد قرب الشاعر للناس معنى الاخاء والمساواة في المفهوم الاسلامي . كما أن اشعاره عن خالد بن الوليد وعمر الفاروق وغيرهما من قادة الفكر الاسلامي جعلت المسلمين يدركون جلال الدور الاسلامي في التاريخ العالمي .

ولقد كان الشعراء المسلمون بالبنغال ممن سبقوا نذر الاسلام يتصرفون كما يفعل الأسرى . فقد خيمت على ابداعاتهم الشكوك والمخاوف . ولم يكن للفكر الاسلامي ولا الفلسفة الاسلامية مكان في اعمالهم ، خشية أن تفتضح هويتهم الاسلامية لدكتاتوري الفكر البنغالي المعاصر ، وخلفهم من الهندوسيين الناطقين بالسنسكريتية . فلقد كان الفكر الاسلامي يعيش في ظل هؤلاء في جو من الارهاب والعبودية الذهنية .

واوضح مثل على جهود هؤلاء الفراعنة في طمس الفكر الاسلامي في تلك المنطقة أن عددا كبيرا من الكلمات العربية التي كانت شائعة في البنغال منذ بدء الفتح الاسلامي والتي اصبحت جزءا من اللغة البنغالية وانتشرت فيما يقرب من ثمانية آلاف كتاب (بين قصة وشعر) ـ هذا العدد من الكلمات ـ كله تقريبا ـ قد محي على أيدي أولئك الهندوكيين واستبدلت به كلمات سنسكريتية . واصبح حتما على الكتاب الاسلاميين ان يكتبوا بلغة قائمة على الميثولوجيا الهندية .

ثم جاء نذر الاسلام لينقذ الفكر الاسلامي من الوهدة التي تعرض لها . جاء ليحرر المفكرين الاسلاميين من هذه العبودية . فكان أول ما فعله أن بعث من جديد الكلمات العربية في الأدب البنغالي وكانت نتيجة جهوده ـ وحده ـ ان حوالي ٤٠ في المائة من اللغة المكتوبة والمنطوقة بشرقي باكستان هي من أصول عربية أو اردية

لقد شيد نذر الاسلام للفكر الاسلامي في هذه المنطقة قلعة راسخة البنيان ، وستظل هكذا أبدا !

ويقال ان عدد الاغنيات التي كتبها نذر الاسلام قد وصل الى رقم قياسي عالمي . فما سجل له في شركة « صوت سيده » وغيرها من الهيئات الموسيقية يربو على ثلاثة آلاف اغنية ! ان البنغال ـ وهي المعروفة بتراثها الموسيقي العريق ـ قد أثرت ثراء كبيرا في اغاني نذر الاسلام الذي سيسعى وراء النغمة في أي مكان ، فالتقطها من سماوات ايران ومصر والصين واليابان وروسيا وانجلترا واسكتلندا وغيرها من البلدان ، ثم صب هذه النغمات في الحان بنغالية اصيلة .

بل انه كان يستلهم نغماته من الأمواج والعواصف وجميع الظواهر الطبيعية الأخرى . حتى لقد قال عنه نقاد الموسيقى : « انه يمشي فوق موجات من الأنغام » . وهو في نظرهم أعظم عبقرية موسيقية في الشرق . في مقدورها أن تقدم للقالب الكلمة والنغمة في نفس اللحظة !

ان مئات من امثاله مثل :

« لا تهز الاغصان في الحديقة

ايها البلبل !

فالبراعم لم تستيقظ بعد

من غفوتها »

تتردد على لسان كل فرد في شرقي باكستان . ومكانها في تاريخ الادب البنغالي آمن مستقر .

لقد استخدم الشاعر الكلمات العربية والأردية بحذق ومهارة حتى ان معظم الكلمات لتبدو كعروس بلا زينة ، بل انها تفقد روحها وتفقد عاطفتها .

وهكذا قطع الشاعر الثائر ـ الذكي ـ على الفراعنة وأعداء اللغة العربية والاسلام كل محاولة لكتم انفاس الكلمات العربية التي غزت قلوب الملايين !



هذا الشاعر الثائر العظيم

قيثارة البؤساء ..

يقبع اليوم في ركن باحدى المصحات العقلية ، أخرس عاجزا !

هذا الشاعر الذي صنع جسرا متينا بين البنغاليين واللغة الاردية ، والذي أعد مسلمي البنغال لتقرير المصير السياسي .. قد أضناه فساد العالم وسقمه ، وضياع القيم فيه ، ومحنة الانسان !

وطحنه الفقر ، فسقط على أشواك الحياة .. ينزف قلبه ، وينزف عقله .. وغيب في المستشفى منذ عام ١٩٥٦ حتى اليوم ، وفقدت الباكستان هاديا وفيلسوفا ..

وان لباكستان أن تمد يد الرعاية لتاريخ هذا الرجل ـ ان كانت قد عجزت عن انقاذه ـ فتنشيء « أكاديمية نذر الاسلام » لترجمة أعماله ، وأعمال تلاميذه من حاملي رسالته ، لكل ناطق بالعربية والأردية ..

ان ذلك سيسهم في تحقيق وحدة الهدف ووحدة العمل التي هي رائد المسلمين في كل مكان ..

عبد الله حسين

دولة الإسلام في جزيرة العرب تواجه القوى الإمبراطورية الكبرى في العالم

لم يكن الفتح هدفا ... بل ضرورة !!

بقلم : فتحي عثمان

ترى هل كان عمر بن الخطاب حقـــا يستهدف « شغل المسلمين جميعا بالفتوح في كل الجبهات ... كما ذكر الأستاذ أحمد عباس صالح ؟؟

ان تاريخ الفتوح الاسلامية يحتـاج في الحق الى كثير من الاضواء ...

انه معروف النتائج ، مجهول المقدمات !!

الناس يعرفون ما انتهت اليه هذه الفتوح ، ولكن قلما يعرفون كيف بدأت !!

اما بالنسبة لعمر بالذات ، فنحن نقرأ في ثنايا وصاياه لعماله هذا القول :

« ولا تجمروا المسلمين فتفتنوهم ... »

فهو يكره شغل الجند بالحرب طويلا ، واستبقاءهم في حياة الميدان كثيرا وقد اختطت أمصار المسلمين مثل الكوفة والبصرة لتكون معسكرات للمســلمين ،يقيم كل جندي معسكره وتخرج من هذه المعسكرات بعوث لحرب العدو ، ونظم امر هـذه البعوث تنظيما دقيقا ، فكانت الجنود لاتجمـر ، والتجمير هو أن يغيب الجندي عن معسكره أكثر من ستة أشهر . وكان هذا هو الذي حمل عمر على أن ينظم الأقاليم أو الأمصار بلغة ذلك العصر ، فجعل دولته أمصارا وهي : الكوفة والبصرة والشام والجزيرة والموصل ومصر واليمن والبحرين » (١)

ولم يكن عمر ــ كما تروي وقائع التاريخ ــ راغبا في التوسع المسرف بغير مبرر .

(١) طه حسين : الشيخان ص ٢٥٠

لقد اتجهت الفتوحات المبكرة منذ عهـــد رسول الاسلام الى تأمين الاســـلام في الجـزيرة العربية ، بتأمين حدودها على مشارف الشام الخاضعة للنفوذ البيزنطي .

وفي ربوع اليمن حيث تدخل النفوذ البيزنطي من قبل مظاهر الحبشة ، كما تدخل النفوذ الفارسي مظاهرا بعض الزعامات المحلية . وكان تأمين الجزيرة العربية وقيام دولة عربية موحدة فيهـا ذات عقيدة ورسالة يعني الاصـــطدام بالقوى الدولية وقتذاك المتربصة على تخوم الجزيرة .وكانت مناطق الاحتكاك المنتظر تتمثل في امتدادات الجزيرة الطبيعية والمجال البشري الذي بلغتـه هجرات العـــرب في النطـاق الداخل من أراضي الهلال الخصيب ، وجاءت بوادر الاصطدام على عهد رسول الاسلام في مؤتة وتبوك وبعث أسامة الذي أدركته خلافة أبي بكر وقد اكتمل تجهيزه لكن لم ينطلق لقصده (٢) .

ويتحدث الدكتور طه حسين عن مجــال الجهاد الاسلامي فيقول : « وكان أبو بكر يفكر حين استخلف في أن ينفذ الخطة التي كان يعـــلم أن رســول الله

(٢) الدكتور حسين مؤنس : المســلمون في البحر المتوسط . بحث بالمجلة التاريخية المصرية ــ الدكتور ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية .

سينفذها لو عاش ، وهي تحـــرير العـرب خارج الجزيرة بعد أن أسلم العرب داخل الجزيرة ·

وقد دفعت الظروف دفعا الى فتح العراق ، وما أرى أنه ـ أبا بكر ـ كان يريد البدء به وانما كان اهم شيء اليه ان يتم ماعهد له النبي من فتح الشام ، ليحرر العرب المنتشرين فيه من سلطان الروم ولعله ان تيسر له امر الشام ان يفكر في امر العراق · ولكن الظروف أرادت غير ذلك ، فقد شغل ابو بكر في العام الاول بحروب الردة ، ولم يهتم بالشـــام وانما اكتفى بان يحمي حدود الجزيرة حتى لايغير عليها مغير من الشام ·

وانتصر جيش ابى بكر على المرتدين من ربيعة في البحرين ، واذا رجل من بكر بن وائل ثم من بني شيبان يؤمر نفســـه على من تابعه من قومه الذين أقاموا على الاســـلام ولم يكفروا ، واذا هو يتتبع معه المرتدين من العرب على ساحل الخليج الفارسي ، ويتاح له الظفر فيما حاول من ذلك حتى يشرف على العراق وفيه قبـائل من العرب قد انتشرت فيه قبل الاسلام ، فيتمنى هذا الرجل أن يتاح له الامعان في العراق واخضاعه كله أو بعضه لسلطان المسلمين · ولكنه في حاجة الى أمر من الخليفة يبيـــح له هذه المحاولة التي لاتخلو من مغامرة ، والتي قد يتعرض فيها المسلمون لألوان من الخطر ، فيذهب هذا الرجل ـ وهو المثنى بن حارثة الشيباني ـ الى المدينة ويلقى ابا بكر ويحدثه بمـا فعل ، وبمـــا كان من حرب **للمرتدين من العرب وبما لقى من كبر الفرس هناك** له ومكرهم به فتأليبهم عليــه ويطلب الى أبي بكر أن يؤمره على قومه وان يأذن له في دخول العراق ومحاربة الفرس ان اجتمعوا له ··· وقد فكر أبو بكر واستشـــار أصحابه ثم اذن للمثنى ·· وكذلك تورط المسلمون في هذه الحرب التي كان اولهـــا ميسرا ، والتي أبلى فيها ـ خالد بن الوليد ـ احسن البلاء · (ولكن أبا بكر أرسل خالدا الى الشام مددا للمسلمين هناك وقد يثبت العراق على ماتركه خالد عليه من الخضوع لسلطان المسلمين) وليس لذلك مصدر الا أن أبا بكر قد عنى بأمر الشـــام قبل أن يفرغ من أمر العراق انفاذا لـــما كان النبي يريده ويمهد له من جهـــة ، وتورطا في حرب الروم على تعجل منه من جهة أخرى ·

وكان على عمر أن يسترد العراق ويتم فتح الشام **وكان الذي ورط ابا بكر في حرب الشام قبـــل الفراغ من فتح العـــراق ، انه أراد أن يحمي حدود الجزيرة العربية مما يلي الشام ، فارسل خالد ابن** سعيد بن العاص وأمره أن يقيم على تيماء ردءا لمن وراءه من المسلمين ·· فحمى خالد واصـحابه حين راوا العدو بازائهم ، فاقتحموا عليهم وانهزم لهـــم عدوهم ، فاطمع انهزامه خالدا في أن يظفر في الشام بمثل ما كان يظفر به سميه ابن الوليد في العراق ، فاوغل في أرض العدو وتركه العرب والروم يمعن في أرضهم حتى اذا بعد ما بينـــــه ومابين الجزيرة العربية كروا عليه فحصروه وقتلوا ابنه ســـعيد ، واضطر هو الى أن يفر فيمن استطاع من أصحابه ·· ومهما يكن من شيء فقد اضطر ابو بكر الى أن يمحو اثر تلك الهزيمة ، فجند جنودا وأمر عليها الأمراء ، وخصص لكل أمير جزءا من الشام يفتحه ثم يكون عاملا عليه ·· » (١)

فقد كان هدف الجهاد الاسلامي المبكر اذن خارج الجزيرة العربية تامين حدود تلك الجزيرة ، باعتبارها أرض الدولة الاسلامية ، وربمـــا كان هذا التحديد ادق من القول بان الهدف كان هو تحرير العرب ·

وقد أدى ذلك الى اصـــطدام الدولة الناشـــئة بالامبراطورية الساسانية الفارسية ، والامبراطورية البيزنطية ، ومن ثم امتدت الحروب الى عقـــر ديار الفرس ذاتها في جبهة ، والى مصر وبلاد المغرب في الجبهة الأخرى · وجاء عمر ، فلم يشأ ان يجاوز الحد والقصد ، ولم يكن يميل أول الأمر الى متابعة الفتوح في الارض الفارسية الأصيلة ، ولا في مصر التابعة للروم ·

« قال عمر : حسبنـــا لأهل البصرة ســـوادهم والأهواز ، وددت لو أن بيننا وبين فارس جبلا من نار ، لا يصلون الينا منه ولا نصل اليهم · كما قال لأهل الكوفة مثل ذلك (٢) ·

ولكن تأليب قادة الفرس السياسيين والعسكريين والاداريين ضد المسلمين لم ينقطع ، وانتقاض المناطق الخاضعة لنفوذ المسلمين لم يتوقف · وأراد عمر أن يستعلم أسباب الانتقاض مع وفد قادم اليه من أهل تلك المناطق التي لا تريد أن تسلس للمسلمين القياد فسألهم عمر : لعل المسلمين يفضون الى أهل الذمة

---

(١) طه حسين : الشيخان ص ٨٩ ـ ٩٦ ـ ١٠٢ بالتفصيل ، راجع تاريخ الطبري ـ اخبار فتوح الشام

(٢) الطبري جـ ٤ ص ٧٩ طبعة دار المعارف ·

بأذى ؟؟ فقالوا : مانعلم الا وفاء وحسن ملكة ! قال : فكيف هذا ؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئا يشفيه ويبصر به مما يقولون ، الا ما كان من الأحنف بن قيس فانه قال :

يا امير المؤمنين اخبرك انك نهيتنا عن الانسياح بين اظهرهم وانهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم .

ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج احدهما صاحبه وقد رأيت انا لم نؤخذ شيئا بعد شيء الا بانبعاثهم ، وان ملكهم هو الذى يبعثهم ، ولا زال هذا دأبهم حتى تاذن لنا فلنسيح فى بلادهم حتى تزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز أمته ، فهناك ينقطع رجاء اهل فارس فقال : صدقتني والله وشرحت لى الأمر من حقه، ونظر فى حوائجهم وسرحهم . وقدم الكتاب على عمر باجتماع اهل نهاوند ، وانتهاء اهل مهرجانقذق ، واهل كور الأهواز الى رأى الهرمزان ومشيئته ، فذلك كان سبب اذن عمر لهم فى الانسياح . « وانساح اهل البصرة واهل الكوفة حتى اثخنوا فى الارض كما يروى الطبرى ، على ان عمر بن الخطاب لم يكن منشرحا قط للاسراف فى التوغل والتوسع » وكتب الأحنف بن قيس الى عمر بفتح خراسان ، فقال : لوددت لم اكن بعثت اليها جندا ولوددت انه كان بيننا وبينها بحر من نار » (١) .

وتردد عمر فى فتح مصر معروف مشهور ، على الرغم من مشورة عمرو بن العاص ، وتقدير انتقال القيادة البيزنطية الى مصر ،، ووقوع مسلمى الشام فى خطر عظيم ، بين دولة الروم الأصلية فى آسيا الصغرى من الشمال ، وبين مصر فى الجنوب الغربى، وبين هجمات الروم البحرية من شتى قواعدهم فى البحر المتوسط !!

فكيف كان عمر « من العبقرية والطموح فى نفس

(١) الطبرى ج ٤ ص ٨٩ ـ ١٦٦ ـ ٨ طبعة دار المعارف .

الوقت بحيث شغل المسلمين جميعا بالفتوحات فى كل الجبهات » !!



وسياسة عمر فى البلاد المفتوحة :

لا تدرجه فى حزب اليمين ، أو الوسط المتحالف مع اليمين ...

كتب المسلمون الى عمر مع انس بن الحليس « ان اقواما من اهل السواد ادعوا عهودا ، ولم يقم على عهد اهل الأيام لنا ولم يف به احد علمناه الا اهل بانقيا وبسما واهل اليس الآخرة ، وادعى اهل السواد ان فارس اكرهوهم وحشروهم ، فلم يخالفوا الينا ولم يذهبوا فى الأرض ، فكتب عمر فى جوابه : « فان الله جل وعلا انزل فى كل شيء رخصة فى بعض الحالات الا فى امرين ، العدل فى السيرة ، والذكر . فاما الذكر فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد ، ولا فى شدة ولا فى رخاء ، **والعدل وان رئى لينا فهو اقوى واطفا للجور واقمع للباطل** ، فمن تم على عهده من اهل السواد ولم يعن عليكم بشيء فلهم الذمة وعليهم الجزية ، واما من ادعى انه استكره فمن لم يخالفهم اليكم او يذهب فى الأرض فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك الا ان تشاءوا ، وان لم تشاءوا فانبذوا اليهم وأبلغوهم مأمنهم » .

وفى جواب آخر كتب عمر : اما من اقام ولم يجل وليس له عهد فله ما لأهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم اجابة ، وكذلك الفلاحون اذا فعلوا ذلك . وكل من ادعى ذلك فصدق فلهم الذمة .

وكتب عمر جوابا على سعد بن أبي وقاص : « ان من أتاكم من الفلاحين اذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهو امانهم » .

وكتب اليه مرة اخرى « ان اقر الفلاحين على حالهم ، الا من حارب او هرب منك الى عدوك فادركته، واجر لهم ما اجريت للفلاحين قبلهم » (١) .

للبحث بقية **فتحى عثمان**

(١) الطبرى جـ ٤ ص ٥ ـ ٣٠ طبعة دار المعارف

عارهم في فلسطين !!

بقلم : محمد جلال كشك

اشرنا في الاسبوع الماضي ، الى سقطة الشيوعيين في قضية فلسطين ٠٠ وقلنا ان هذه السقطة ، كانت بنت الفهم الخاطىء للقومية ، والاعتناق الأعمى للمفهوم الماركسي عن الأخوة الطبقية ٠

ولكن هذه السقطة ، لا تكفي فيها الاشارة ، ولا يجوز أن نودعها ذمة التاريخ مع رفات الحركة الشيوعية ، فهي وان تكن سقطة العمر للشيوعيين ، فان علينا ان نحولها الى تجربة وخبرة نستفيد منها في فهم ثوري سليم لقضية فلسطين ٠٠ ذلك ان الفهم الصحيح للمشكلة هو أول خطوات حلها ٠

وابسط تفسير لسقطة الشيوعيين في قضية فلسطين ، هو نسبة موقفهم الخياني الى سيطرة اليهود على قيادات الحركة الشيوعية ٠٠ ان هذا التفسير مغر في بساطته خاصة وان الحقائق تؤيده فقد كانت « حدتو » يرأسها هنري كورييل (يهودي) و « دال شين » يرأسها يوسف درويش وريمون دويك (يهوديان) و « اسكرا » ٠٠ يرأسها ايلي شوارتز (يهودي) و « ميم شين ميم » ترأسها أوديت وسلامون زوجها (يهوديان) ٠٠ وهذه هي التنظيمات الشيوعية الرئيسية في مصر قبيل الحرب الفلسطينية وخلالها وهي التي اندمجت وانقسمت بعد ذلك حتى وصلت الى حوالى ثلاثين منظمة ٠٠ لم تخرج أبدا عن سيطرة اليهود ٠

وقد تعمدت ان اذكرها باسمائها الحركية حتى يتبين لنا أي هزل كان يدبره هؤلاء ويديرونه ٠٠ وتخيل ان حركة سياسية اسمها «دال شين» تقود وتوجه وتحكم الأمة العربية ٠٠ تخيل ولو أن الأمر لا يسمح بالمزاح ان عناوين الصحف خرجت يوما تقول « حدتو تشكل الوزارة ٠٠ أو أسكرا تقاطع الانتخابات ! » تأمل ! لو أنهم استجابوا لنصحنا وقرأوا التراث ، لعرفوا أن أول واجبات الآباء أن يحسنوا تسمية أولادهم !٠

وكان سكرتير الحزب الشيوعي العراقي في ١٩٤٧ هو « شلومو دلال » واللجنة المركزية الأولى للحزب الشيوعي السوري ــ اللبناني ٠ كان السكرتير العام فيها هو « جاكوب تيبر » يهودي جاء من فلسطين ليترأس الحزب ٠٠ وبعد انتخاب القيادة الجديدة برئاسة بكداش أرسلت فرج الله الحلو الى تل أبيب لتنسيق العمل ، واستقدمت اليهودي نحمان ليفنسكي كمستشار ! (صفحات مجهولة ٠٠ محمد على الزرقا والياس مرقص) ٠٠

صحيح ان هؤلاء اليهود كانوا يعملون لحساب اسرائيل ، وما كانت الصهيونية بتدبيرها العالمي ، ودسها الاعوان في جميع الأجهزة والمراكز الهامة ، بالتي تغفل عن أهمية البلاد العربية ٠٠ واسرائيل التي ترسل ايلي كوهين ، ليتسلل الى قيادة حزب البعث السوري ، ما كانت لتفلت فرصة التسلل الى الحركات الشيوعية في الوطن العربي ٠

ولكن جهود ابناء صهيون وحدهم ما كان يمكن ان تثمر وحدها ، وما أكثر الحركات السياسية التي يتسلل الى قيادتها عملاء ، وحتى في خلال الحرب يمكن ان يكون في قيادة جيش من الجيوش ، عميل ولكنه لايقوى على الأمر بانسحاب الجيش ، كما لا يقوى العملاء على فرض خط سياسي فاضح الخيانة على الحركات السياسية التي تسللوا اليها ٠٠ لابد من مناخ فكري يمكن للعملاء من خدمة اسيادهم ٠٠

ما الذي يجعل مواطنا عربيا يقبل السجن بل والشنق دفاعا عن اليهود في اسرائيل ؟ ٠٠ الا اذا كان قد سبق ذلك عملية تخريب لضميره الوطني واحساسه الديني والقومي ؟!

لقد خرجت جريدة « القاعدة » لسان حال الحزب الشيوعي العراقي في ١٩٤٨ تقول : « ناضلوا في سبيل انهاء حالة الحرب ، واعلان تأليف الدولة

العربية المستقلة الديمقراطية في القسم العربي من فلسطين » .

واصدر الشيوعيون العراقيون كتابا سموه « اضواء على القضية الفلسطينية » ، ختامه « فليحيا التعاون والتحالف بين الوطنيين والديموقراطيين العرب واليهود لاحباط خطط الاستعمار والرجعية ، ولتحيا الصداقة العربية اليهودية » .

وحتى سنة ١٩٥٣ كانت جريدة « القاعدة » تقول « ان الشعب العراقي يرفض باباء ان يحارب الشعب الاسرائيلي الشقيق » .

« لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبورجوازية العربية العفنة » !

لا يمكن أن يكون التسلل اليهودي للتنظيمات الشيوعية ، هو وحده ، سر قبول مواطنين عرب ترويج هذا القول ، بل دخول السجن دفاعا عنه ! وما الذي جرى منذ ١٩٥٣ حتى تغضب الأمة العربية لتصريحات مشابهة يقولها بورقيبة ؟!.

الذي جرى .. هو انه يعكس نبوءة خالد بكداش التي أعلنها شامتا يوم الانفصال ــ أقول يعكس نبوءته، هوت راية الماركسيةاللينينية وارتفعت راية الناصرية عادت الأمة العربية الى عروبتها ودينها .. فهوت المفاهيم الخاطئة .

وأيضا .. لا يمكن ان نفسر سقطة الشيوعيين في قضية فلسطين بارجاعها الى الولاء الأبوي الذي كان يفرضه ستالين .. صحيح ان هذا الولاء مسئول عن سقطتها .. ولكن ليس وحده ..

وصحيح أن بعض التنظيمات الشيوعية في الوطن العربي . قد عارضت مشروع التقسيم عند صدوره ثم عادت فاعتذرت وادانت موقفها ، وأيدت التقسيم بمجرد ان اتضح موقف الاتحاد السوفيتي .. عندما قال « جروميكو » أمام الامم المتحدة : « ان الدول الغربية ، قد أثبتت عجزها في الدفاع عن الحقوق الاولية للشعب اليهودي ، وهذا ما يبرر طموح اليهود الى انشاء دولتهم بانفسهم . ومن غير العدل الا توافق على هذا الطموح او أن تنكر حق الشعب اليهودي في تحقيق ما يصبو اليه » .

عندئذ انقطع كل نقاش ، ووارت التنظيمات الشيوعية التي عارضتالتقسيم خجلها .. ورفضت جميعها الحرب مستندة الى التفسير الذي اعلنه جروميكو عندما قال : « ان الهجوم العربي على الشعب اليهودي المسالم يعتبر عملا وحشيا ضد شعب لا يريد سوى تقرير مصيره » .

وانطلق الشيوعيون يعملون ضد الحرب التي « دبرها الاستعمار وارادتها الرجعية » .. كما وصفها تقرير الرفيق خالد سكرتير الحزب الشيوعي المصري المنحل .. ! وحقق الشيوعيون العرب في « كفاحهم » ضد الحرب ما عجزت عنه الأحزاب الماركسية في أوربا .. عندما أصرت أحزابها على خوض الحرب الوطنية دفاعا عن وطن الآباء ، والتفت الى الارض بشعار الاخوة البروليتارية .

ومرة اخرى لماذا سقط الشيوعيون هذه السقطة؟! ما دمنا نرفض التفسير السطحي الذي يردها الى سيطرة اليهود ؟! كذلك نرفض الاقتصار على تفسيرها بخضوعهم الأعمى ، للقيادة العالمية للحركة الشيوعية .

يجب أن نفتش أعمق من ذلك .. لنجد أن السبب يرجع الى النظرة الماركسية نفسها للقومية والوطن .. الى التصور الخاطىء للقومية على أنها فلسفة الطبقة الوسطى !.. والوطن على أنه السوق ! والى الوهم الكاذب الذي يضع اخوة الطبقة فوق اخوة القومية والدين .. ذلك الوهم الذي جعلهم يتصورون أن قيام دولة اسرائيلية متقدمة (كما كانوا يقولون) أو حتى اشتراكية في الوطن العربي ، مكسب ثوري ، حتى ولو كانت ستقوم على قطعة غالية من وطنهم ، وعلى حساب تشريدهم هم !! مع أن خبرة الشعوب وحقائق الوجود تثبت أن شبرا واحدا من ارض الوطن ، اغلى من كل المبادىء والنظم والنظريات .

وان العبرة في التقدم والتخلف ، ليست الحركة العامة للجنس البشري ككل .. بل تقدمي أنا .. وتخلفي أنا .. أي تقدم القومية المعينة وتخلفها . اذ لا يمكن ان اقبل افناء أمتي لمصلحة التقدم العالمي . وصدق شاعرنا العربي المسلم قاهر الصليبيين . مذل الروم .. عندما قال : « اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر ! »

كذلك عجز الشيوعيون العرب ، ومازالوا ، للاسف عن فهم حقيقة الصهيونية وحقيقة اسرائيل .. والى ما قبل صدور قرار التقسيم وخضوعهم لموافقة الاتحاد السوفيتي عليه ، كان الشيوعيون

يعارضون فكرة التقسيم وقيام دولة يهودية ، ولكنهم سلموا بوجود الشعب اليهودى ، وباخوته مع الشعب العربي ، وكانت الخطوة الثانية المنطقية هى التسليم بحق هذا « الشعب » المزعوم فى تقرير مصيره ، وحق تقرير المصير يعنى عند الشيوعيين العرب وحدهم · « الانفصال ·· وبالتالى حق الشعب الاسرائيلي فى الانفصال »!

والحقيقة هى انه لا يوجد شعب اسرائيلى ·· ان اسرائيل كلها رجعيتها وعمالها من بن جوريون الى سكرتير الحزب الشيوعى ، كيان استعمارى رجعى عنصرى ، مجرد وجوده عدوان على القومية العربية ، واغتصاب للوطن العربى ·· اسرائيل كلها حكومة ومعارضة ، جيش ، وعمال ، وفلاحون ·· قاعدة · استعمارية ·· وجيش احتلال ·· يشبه الجالية البريطانية فى الهند ، أو البرتغالية فى انجولا ·· أو الجيش الفرنسى والمستوطنين معا ، فى الجزائر · قد يكون فيهم العامل أو الفقير ·· ولكن لابد من استئصالهم جميعا ، غنيهم فقيرهم ·· لأن هذا الفقير انقلب الى جندى فى جيش العدوان بمجرد مغادرته وطنه ، واقامته بالقوة والعدوان فى أوطان الآخرين · وحقدنا عليه يتضاعف ، لو بدأ يحرث الأرض ويزرع لأن جريمته هنا أعمق وأشنع ·· انه يحرث ارضى أنا ·

لذلك كان من السخف والبله محاولة التفرقة ، داخل اسرائيل ، بين الرجعية الحاكمة والشعب الكادح ! · ومن الخيانة الحديث عن أخوة الشعبين العربى واليهودى ، أو دعوتهما للكفاح معا ضد الرجعية المشتركة العربية والصهيونية ··

ولكن الشيوعيين نادوا فى الوطن العربى بانه « قد أصبح ضرورة قومية ماسة ان يحارب الشعب المصرى كل اتجاه أو دعاية ترمى الى بذر بذور الشقاق بين الشعبين العربى واليهودى فى فلسطين وأن يؤيد كل محاولة للتوحيد بين صفوفهما فى جبهة مشتركة ضد الاستعمار · وعلى هذا فقد اصبح واجبا مقدسا على اهالى فلسطين ، عمال ومثقفين وفلاحين ، العرب منهم واليهود ان يكونوا جبهة متحدة للكفاح ضد الاستعمار واداته الصهيونية · انها جميعا عدو لدود للشعبين ، العربى واليهودى فهى تعمل على التفريق بينهما باشعال النعرة القومية والدينية فيلتفت العرب واليهود الى الصراع فيما بينهما مبتعدين بذلك عن الكفاح الرئيسى ضد الاستغلال الصهيونى والاستعمار الأجنبى » (من كتاب أهدافنا الوطنية · عبد المعبود الجبيلى · والمرحوم شهدى عطيه) ·

وهكذا غرر بهم اليهود··كان يجرى فى فلسطين تدريب واعداد أخس جيش لأشنع جريمة عدوانية · وكان الشيوعيون العرب يدعون الشعب المصرى لمحاربة ·· لا الصهيونية ·· بل « كل دعوة أو دعاية لبذر بذور الشقاق بين الشعبين العربى واليهودى فى فلسطين ! » وكان اعرق مجرمى العالم يدبرون مذابح دير ياسين ويخططون لابادة الشعب العربى فى فلسطين ·· وكان الشيوعيون العرب يدعون مواطنيهم « لجبهة متحدة مع اليهود ضد الاستغلال الصهيونى والاستعمار الأجنبى » ·· كان الصهيونية ليست استعمارا أجنبيا ·· مرددين خرافة الشعب اليهودى ! ·

ولكن ذلك كتاب قديم ·· فلننظر الى كتاب آخر حديث ·

المؤلف اسمه ابراهيم عامر ·· محرر بدار الهلال ··

والكتاب اسمه « ثورة مصر القومية » على غلافه تاريخ يناير ١٩٥٧ وعلى ظهر صفحته الأولى بيان يعلن أنه تم طبع هذا الكتاب فى يوم السبت ١٥ ديسمبر ١٩٥٦ ··أى قبل جلاء قوات العدوان الثلاثى ·· واسرائيل تحتل غزه وسيناء · والمقدمة تحمل توقيع المؤلف وتحته تاريخ أكتوبر ١٩٥٦ ·

والمؤلف يعلن « فى تواضع جم » ان كتابه هذا تلبية « لحاجة قومية وعالمية » ·

رحم الله اسلافنا وطيب ثراهم واسكنهم فسيح جناته كانوا على قدر كبير من التواضع ·· فالجبرتى اذا أراد أن يتحدث عن نفسه ·· قال : « الحقير » والقلشقندى يعتذر عن تأليفه مفخرة الفكر ، ودائرة المعارف الأولى ·· « صبح الأعشى » لأنه كما يصف نفسه ، ليس من اهل الكتابة ، وانتسابه اليها انتساب الادعياء ! لذلك خلدوا وخلدت كتبهم ·· فلننظر فى هذا الذى لبى حاجة عالمية وقومية باخراج كتابه !

هو يرى أن القومية « نشأت واكتسبت صفاتها العامة فى عهود تكون الرأسمالية ، وهى فى جوهرها

المسألة الرئيسية التى يواجهها الراسماليون الناشئون فى احدى الامم » ص ٣٤ ، كما تصبح الأمة أو العنصر أو الدين بالنسبة للطبقة المتوسطة مصدرا لنوع من الهروب النفساني للابتعاد عن احساسها بالركود فى حياتها اليومية » ص ٣٤ » .

أما وهو لا يعانى هذا الركود فى حياته اليومية لتفرغه لقضاء الحاجة .. القومية والعالمية ! .. فلا حاجة به الى الهروب النفساني الى الأمة او العنصر أو الدين .. لذلك استطاع وهو يؤلف ويطبع من أكتوبر الى ديسمبر ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى أن يحتفظ بهذه الموضوعية (الساقطة) .. وهو يكتب عن اسرائيل .

لنقرأ ماذا يقول :

« وبدات هجرة المشردين اليهود (ياعينى) الى فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى . غير أن الأمر لم يتسم طويلا بتلك البساطة (!) اذ سرعان ما استقر المشردون على الأرض وتحولوا الى ركازات اقتصادية ذات مصالح مشتركة تهدف الى استغلال السوق المحلية كلها ، وتجد ان العقبة فى تلك السبيل هى الاستعمار (أى أنها حركة وطنية !) من جانب والسكان العرب الأصليون من جانب آخر (هكذا يصف الشعب العربى وكأنه يتحدث عن السكان الاصليين فى استراليا) وفى الوقت ذاته أصبح العمال اليهود الذين استقروا فى فلسطين عمالا منظمين لهم مطالب تتعارض مع مطالب الصهيونية ومع مطالب كبار الملاك والراسماليين العرب ..(!!) وحينذاك بدأت معركة العرب ضد الاستعمار من ناحية ، وهى معركة القوميين العرب أصحاب الحق الأول فى بلادهم ضد القوميين اليهود الذين جاءوا للاستقرار فى تلك البلاد (أى أعصاب تلك التى تصف الاحتلال الصهيونى لفلسطين بعبارات« جاءوا للاستقرار » و « فى تلك البلاد » .. ومتى يقول هذا ؟ . من أكتوبر الى ديسمبر ١٩٥٦) « كما بدأت معركة اجتماعية مزدوجة هى معركة الطبقة العاملة والقوى الشعبية من العرب واليهود ضد كبار الملاك والراسماليين » ص ٩١ .

اذا كنا نغتفر لعبد الموجود الجبيبل الحديث عن الكفاح المشترك بين العمال العرب واليهود فى سنة ١٩٤٥ وقبيل قيام اسرائيل ، فكيف نطيق هذا الكلام ابان العدوان الثلاثى .. متى وأين قام الكفاح المشترك بين الطبقة العاملة والقوى الشعبية من العرب واليهود ؟!. متى ؟ وأين هو العامل الاسرائيلى الذى وقف مع العرب ضد الصهيونية؟! متى ؟ وأين قولوا لنا بدلا من تصديع رؤوسنا بالنظريات !.

على أية حال هذه ليست سوى مقدمة .. يقول السيد ابراهيم عامر فى كتابه ، الذى هو محاولة « لتلبية حاجة قومية وعالمية » :

« وفى مواجهة الثورة القومية النامية فى فلسطين سارع الاستعمار البريطانى الى التحالف مع الرجعية العربية ضد اليهود .. » ص ٩١

متى ؟! .. هل هناك فرية أكبر من هذه ؟! .. هل كانت بريطانيا مع الرجعية العربية ضد اليهود ؟! .. من الذى منع تسليح العرب ؟ من الذى سلم فلسطين لليهود ؟ .. من الذى تستر على تسلحهم وتسللهم وتدريبهم .. من الذى شنق العرب وشردهم ؟ .. لو أن نصف مليون طلقة دخلت فلسطين قبل انهاء الانتداب .. لما قامت اسرائيل . هل كان جلوب فى قيادة الجيش الأردنى متحالفا مع الرجعية العربية ضد اليهود ، أم مقاتلا لحساب اليهود ضد العرب .

من الذى ضغط على الرجعية العربية لتقبل الهدنة ولتسلم الارض لليهود ؟!

بريطانيا كانت مع العرب ضد اليهود ؟! .. هكذا يقول فى كتاب يصدر وبريطانيا واليهود يحتلان قطعة غالية من وطنه !.

اسمعوا أيضا : « ونادت الاشتراكية بالتقسيم (اذن فالتقسيم اجراء اشتراكى !) ونادى الاستعمار بالحرب » ص ٩١ .

لا !! الشعوب العربية هى التى نادت بالحرب واجبرت حكوماتها على الدخول فى هذه الحرب .. فلما خانت هذه الحكومات ولم تحارب اسقطتها الشعوب العربية .. ومازلنا ننادى بالحرب حتى تعود فلسطين عربية .

وأيضا : « ولم يكن الاستعمار يعنيه فى تلك الحرب ان ينتصر هذا الفريق أو ذاك بقدر ما كان يعنيه استغلالها لضرب القوميين فى الجانبين » .

هل حدث أن روج مثل هذا الافك فى بلادنا ؟!

الاستعمار ــ وهي هنا على اطلاقها ·· البريطاني والامريكي ــ لم يكن يعنيه ان ينتصر العرب أو الصهيونية · ! تأملوا ! ومن الذى مول ومن الذى « دفع دولارا ليقتل عربيا » ، ومن الذى سلح اسرائيل ، ومن الذى فرض خطر السلاح علينا ، ومن الذى اجبرنا على الهدنة لتعود اسرائيل لتضرب ·

ومن الذى دبر خلال نصف قرن لاقامة دولة اسرائيل ·· حتى تأتى انت فتفتى انه لم يكن يعنيه من الذى ينتصر في هذه الحرب ؟ · الا تعلم أن مصير الاستعمار كله ، بل ومصير الحرب الابدية بيننا وبين الغرب · ·كان مرتبطا بانتصار اسرائيل في هذه الحرب ، أو هزيمتها وتحرر المنطقة الى الابد !

وأخيرا ·· يقول سيادته : « ولم تسفر الحرب الا عما أسفر عنه قرار التقسيم تقريبا ، ولم يحصل أى من الفريقين على مكاسب أكبر مما كان له في الواقع » ·

ما الذى يقوله ·· اسرائيل لم تفز بأكثر مما كان لها ·· دعنا من تعبير « كان لها » ·· لنقل انه يقصد ما كان يعطيها مشروع التقسيم ·· ولنبدا بتعريفه مادام قد أصبح الجهل من صفات المحللين والمنظرين ·

مساحة المنطقة التى احتلت في فلسطين طبقا لاتفاقيات الهدنة ٥ر٢٣٠ر٥٠٥ أفدنة أي ٧٧ر٤٠٪ من مساحة فلسطين ·· أما المساحة التى خصصها مشروع التقسيم لاسرائيل فهي ٣ر٨١٥ر٤١٢ فدانا أى ٥٦ر٤٧٪ من مساحة فلسطين ·· أى ان المساحة التى احتلتها اسرائيل (أو القوميون اليهود !) زيادة عن قرار التقسيم هي ١ر٤١٥ر٠٩٣ فدانا او ما يعادل ٢١ ٪ من مجموع مساحة فلسطين !

فاذا كنت تجهل ان اسرائيل احتلت أكثر من خمس وطنك فلسطين فوق قرار التقسيم الاستعمارى ·· فليس من حقك أن تفتى بغير علم·· واذا كنت تعرف فكيف تقول على خمس وطنك (باعتبارك عربيا) تقريبا! ·

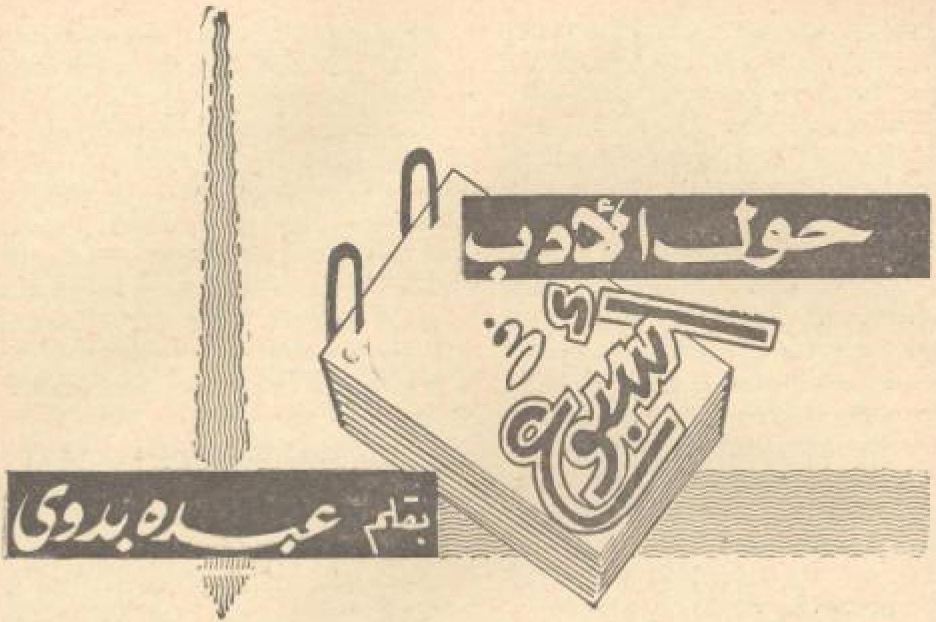
هذه صفحات من تاريخ أسود لا يكفى أن نتجاهلها ونحسب أنها قد محيت من التاريخ· فالنعامة ليست اذكى الطيور ·· ولا يكفى أن نلعنها ، بل لابد من ادانة الفكر الذى سببها ، فطالما ظل هذا الفكر الخبيث يعشش في رءوس بعضهم ، فلابد أن يفرخ انحرافا ويثمر عارا ·

« محمد جلال كشك »

حصاد الاربعين ···

للشاعر محمود العتريس

اجـل ··· جاوزتنا خطا الاربعين
فهل في تجاوزها ···· مايشين ؟؟
غدونا ــ وقد راح لهو الصبا ــ
نعربد ·· في عنفوان رصين
ونكشف للحسن ····· أسراره
ونعلم ·· في الحب ·· ماتجهلين
ونبعثها في دروب الهوى
اناشيد ·· تذكى أوار السنين
اجل يافتاتي ·· عبرنا الشباب
وخضنا العباب مع الخائضين
على زورق من سراب المنى
تباطا ·· في شاطئ الاربعين
ولما تزل للصبا موجة
تداعبه بين حين ····· وحين
فديناك ···· ياروعة الاغنيات
ويا فتنة الورد والياسمين
دعينا نردد على مسمعيك
ضلالات عمر ثمين ····· ثمين
«حسونا مع الحسن ·· خمر الصبا»
«وحسنك ·· بين الليالى ·· جنين»
«وراح الذى راح ·· ملء السراب»
«وعاد الذى عاد ·· ملء اليقين»
«واصبحت ·· صاخبة العنفوان»
« تعانين قيظ احتدام الحنين »
« وبتنا ·· نطالع من امر دنياك »
« ما لا نخالك قد تعرفين »
اجل يافتاتي ··· نعيذك منه
ففى حبنا قسوة المثخنين
وفى عمرنا ·· لهفة للجمال
تجاوز كل احتشام ··· رزين
وان حجبتها وراء العيون
ستور ·· من الامل المستكين
فلا تسخرى من اصيل الشباب
وفيه من السحر ·· ما تجهلين
ولا تعبثى في رماد الليالى
فلما يزل ــ ثم ــ جمر دفين
ولما تزل للصبا ·· لفحة
تؤرقه بين حين ···· وحين
وبعد ···· فللحب اقداره
تعربد في ردهات السنين
وان كان ·· اروع ما في الهوى
لقاء على شرفة الاربعين



القتل فى موعد

حينما يحدق الانسان فى الحقل الادبى وفى وجوه الذين يطنون به كالنحل ، والذين يختبئون بداخله كالسوس ، فانه لابد أن يصل الى عدة ظواهر لا بد أن يكون بعضها مرضيا الى أقصى حدود المرض ، لا لانها تنطوى على اعتداء على حق هذا الشعب فى أن يتثقف ، ويعرف نفسه ، ويفتح مصراعى قلبه على الحياة !

ولا لأنها تصدر عن غرباء لا يعيشون فى دائرة الوهج الادبى ! ولا لأن هذا الذى يهاجم يعتبر خطا مارقا عن خط الدولة ، أو يصدر عن تمويل وأفكار اناس يسيرون فى طريق ، والدنيا فى طريق آخر ·

·· ولكن لأن هذا الذى يصدر لابد أن يكون عن هوى فى النفس ، فهناك أصوات تطالب بأن تمثل فى الاماكن التى تهاجم ، أو تطالب بعودة مقنعة اليها وذلك بتصوير ما حدث بعد رحيلهم عنها فى صورة اقل ما يقال فى الذين قاموا بها أنه تجب محاكمتهم ، أو لأن رفع الصوت فى مكان يغرى برفع الصوت فى مكان آخر ، أو للتوهم أن فلانا من الناس يرضى حين يأخذ قلم بخناق الآخرين ومشروعاتهم ، أو لأن بعض النظريات السياسية تفهم فى الادب الآن على أنها تقويض لكل شىء قائم حتى ولو كان هذا الشىء القائم فى صالح الشعب ، لأنه يجب البناء من جديد على الأفكار التى تكون قد تداعت ، والمشاعر التى تكون قد تشققت ، ولأنه يجب أن تولد أفكار ومشاعر الانسان من جديد على أن يفصل تماما بين ماضى الانسان وحاضره ببحر من دم هذه الافكار وهذه المشاعر ·

ان أحدا لا يستطيع أن ينكر دور المجلة الادبية فى أى من بلدان العالم ، فالصحيفة والمجلة السياسية لا يمكن أن تقدم زاد الانسان الادبى والفنى ، ذلك لأن ما يعد فيها يطهى بسرعة ، وتتحكم فيه المساحة ، ويظل دائما عرضة لسطوة الاعلان ، أو لنفوذ الخبر، ثم ان ما يقدم لا بد أن يكون فى المكان الاول مما يلاحق قضية مثارة ، أو مناسبة يتحدث عنها الناس، أو اغراء بالوقوف عند نقطة ساخنة ـ قد تفتعل سخونتها ـ لتحريك يد القارىء فى اليوم التالى أو فى الاسبوع القادم للشراء ·

واذا كان هذا النوع اللاهث من الادب والفن ضرورة ، فان النوع الراسخ فى الادب والفن لا بد أن تكون له ضرورة كذلك ، فاذا أضفنا الى هذا النـــا

مطالبون بخلق جيل جديد من الكتاب، واننا مطالبون بمخاطبة الانسان العربي على طول المنطقة العربية ، واننا يجب الا نقل عن بلد شقيق كلبنان له دور كبير في ترويج الكلمة وتسويقها بمهارة في كل البلاد العربية .. اذا أضفنا ذلك أدركنا أن هذه الحملات ماكان يجب أن توجه بهذه الضراوة ، وباختلاق بعض القضايا ، وليس معنى هذا أن هذه المجلات فوق النقد ، أو انها وصلت الى المدى الذي لا يمكن أن يوجه اليها فيه نقد ، ولكن معناه أن يناقش كل شيء بموضوعية تامة ، وبخاصة اذا كان ما يريد ان يصل اليه الناقد هو اصدار حكم بالاغلاق أو الادماج أو الاصلاح .



انه خلال اسبوع واحد أخذ الصياح يتعالى من احدى المجلات ، وقد يكون هذا طبيعيا في أول الامر، ولكن الامر الذي يبدو غريبا بعض الشيء ، هو أن يسمع نفس الصوت ، وأن تضبط نفس المفرقعات في أيدى الذين يقومون بالنسف هنا وهناك ، ثم أن تدق « ساعة الصفر » في أقلام الكتاب في وقت واحد ، وأن تلتقى الخيوط من أكثر من ناحية بحيث يظهر أخيرا أن « النسيج » يقوم بتوريده مصنع فكرى واحد ، سواء أكان هذا الالتقاء عن حسن لنية ، أو سوء نية .

ولقد بدأ الهجوم بالحملة التى شنتها روزاليوسف، ولقد أخذت الرسالة على هذا الهجوم أن المقصود من ورائه كان تعمد الاثارة ، والتشويش الى حد عدم التفريق بين ما أدانته المجلة وما لم تدنه ، والى حد اختلاق بعض الاحداث ، والى حد الافتراء على المجلة بأن كل ما يكتب فيها لا بد أن يعبر عن وجهة نظرها .. ومهما يكن من شيء فلقد كانت هذه الحملة درسا للقراء الذين تنبهوا الى أن ما يجرى في الحقل الادبى لا يمكن أن يؤخذ كقضايا مسلمة ، وانما يجب ان يناقش ، وأن ينظر اليه من كافة الوجوه ، كما كانت درسا لروزاليوسف نفسها - وهذا ما يشكر لها - فالاعداد الاخيرة قد خف فيها التركيز على الجنس فيما يكتب أو يرسم ، كما خفت نبرة الادعاء الاجوف التى كانت تغطى بعض الصفحات .

ولعل من المفيد أن نتعرض لما كتبه الاستاذ **حلمى سلام** فى جريدة الجمهورية تحت عنوان « مجلة الفنون السبعة » ، فقد أخذ على وزارة الثقافة عدولها عن ادماج مجلتى الرسالة والثقافة ، واعتبر هذا العدول تراجعا عن خطوة واقعية وضرورية ، ثم كانت دعوته الحارة الى ادماج كافة مجلات الوزارة فى مجلة واحدة تسمى « مجلة الفنون السبعة » ليتوفر لها فيما لو أحسن تحريرها واخراجها عشرة آلاف نسخة على الاقل،ونحن نسأل : هل اصبحت القوة القارئة عندنا الآن تقتصر على هذا العدد الذى ذكره الاستاذ حلمى سلام ، فى الوقت الذى كانت فيه مجلة الرسالة القديمة تطبع أربعين ألفا من بعض اعدادها ، ومعنى هذا أنه توجد قوة ضاربة من القراء لابد من مخاطبتهم الآن - عن طريق التخصص - فى الشعر والقصة والفنون الشعبية الخ، ثم ان الاستاذ حلمى حين ذكر هذا المقترح عقب عليه بانه سيكون هناك - حين يؤخذ بهذا المقترح- رئيس تحرير واحد، ومصروفات ادارية واحدة « بينما الوضع الآن أن عندنا سبعة رؤساء تحرير ، وسبع سكرتيريات تحرير ، وسبع ادارات لكل منها تليفوناتها ، ومكاتبها ومصروفاتها التى لا مبرر لها » .

ولا شك أن هذه النقطة جديرة بالتوضيح ، لأن كثيرين يتوهمون أن المجلات تصدر عن قلعة مترفة تسيل من تحتها الاموال ، والحقيقة التى احب أن أذكرها هنا أن رؤساء التحرير السبع لايصل مرتبهم جميعا الىمرتب أحد رؤساء تحرير صحفنا، ولنوضح هذا نذكر أن بعضهم مرتبه محسوب على أن يكون مقصورا على ما يساوى مكافآت المقالات التى تكتب (الزيات) وأن بعضهم يأخذ مرتبه على أساس جلسات التحرير التى لا تزيد عن أربع والتى لا تزيد فى الوقت نفسه عن مكافأة الجلسات التى يتعارف عليها فى مرافق الدولة (أبو حديد) وأن بعضهم يأخذ الفرق بين المرتب والمعاش (حقى) وأن بعضهم يأخذ خمسين جنيها (د. القط) ونحن لا ننسى هنا أن نذكر ان بعض الكتاب يأخذون مكافآت من المجلات تصل الى حد نصف الذى يأخذونه من الخارج ، ومع هذا يضحون ايمانا منهم برسالة هذه المجلات .

فاذا تركنا هؤلاء واولئك الى السكرتارية كان لابد أن نذكر أن هؤلاء يأخذون مرتبهم أصلا من الوزارة ، بل ونستطيع القول أن مجموع مرتباتهم لا يصل الى نصف ما يأخذه واحد من رؤساء تحرير احدى صحفنا .

ثم ان القلعة المترفة التى تصدر عنها هذه المجلات والتى تضم رؤساء التحرير والفنيين والسكرتيريين

والاداريين والقسم الفنى والمصححين ـ لا تزيد عن ثمانى حجرات ضيقة بما فيها الحجرة الخاصة بمجلة الفنون الشعبية بالزمالك ، ثم ان المجلات جميعها لا تستعمل أكثر من ثلاث تليفونات ·· تلك هى قصة المجلات ، وتلك هى قصة الشعب الذى يحيط هذه المجلات ، والذى ما كاد يسمع بنية ضم هذه المجلات ، حتى سارع يقول كلمته بالوف البرقيات، وكان أن تحقق أمل القراء فى الابقاء عليها · ومهما يكن من شىء فاننا اذا تتبعنا مسار الحملة وجدنا الصفحة الادبية فى الجمهورية ، لا ترضى عن المسرح ، وتدعو الى انكماش الرقعة التى يقف عليها الى حد الربع ، ثم قدمت الحيثيات بعد ذلك مباشرة فى جريدة «الاهرام» · ومهما تكن المآخذ التى أخذت على المسرح، الا انه كان يجب أن يكون فى ذهن القائلين بهذه الفكرة اقبال الجماهير على هذه المسارح ، واهتمامها بها ، وهو ما يمكن أن يكون المبرر الاول لابقاء هذه المسارح بل الى تنميتها ، وتحريكها لا فوق رقعة القاهرة فقط ولكن فوق الرقعة العربية جميعها ·· ولو كان الامر بيدى لكان ردى على هذه الحملة ـ وبخاصة فى هذه الفترة التى تذكر الاحصائيات أن الجمهور والدخل زاد بنسبة الضعف عن العام الماضى ـ تكوين عدد آخر من الفرق المسرحية ، دون أن أعنى بالرد على هؤلاء الذين يدعون الى الادماج أو النسف !

فاذا تركنا المجلات والمسرح الى الجهازين اللذين يقدمان الخبز الفكرى فى «**الكتاب**» مثلا فى الجهازين التابعين للمؤسسة المصرية العامة للتاليف والانباء والنشر ، وجدنا من يقوم بنسف هذين الجهازين دون أن ترتعش يده ، أو تهتز أهدابه ·

ونحن لن نقول ان كل هذه الاجهزة مبرأة من العيب ، ولكنا نريد أن نقول شيئا واحدا هو أن الاجهزة التى يتكلم منها هؤلاء المتحمسون ليست مبرأة من الاخطاء ، وليس من المستحيل الا يغوص انسان فى قلب هذه الاجهزة ثم يطفو دون ان تكون فى يديه بعض الاخطاء ، ولكن الذى لاشك فيه ان هذه الاخطاء تتلاشى يوما بعد يوم ، وان هذه الاجهزة التى تهاجم تعتبر جديدة فى حياتنا ، وانها تحاول يوما بعد يوم أن تعدل من مواقفها ، ومن هنا نراها تكتسب فى كل يوم أرضا جديدة ، وقلوبا جديدة ·

ولكن لعل الذى يسىء حقا ، والذى يملأ عمر الانسان بالمرارة ، هو ان يحاول بعض الكتاب القتل بعد ان يوهم الناس انه حمل الميزان ، وان الكفتين متوازنتان تحت قبضته ، وان عينيه معصوبتان الى حد يذكر بتمثال العدالة، فلقد توهمنا الانصاف ـ لمرة واحدة ـ والدكتور لويس عوض يدق على صفحة الاهرام دقات يقول صداها انها «كلمة هادئة عن مجلات وزارة الثقافة» ثم يدخل الى عقل القارىء وسط حشد من الارقام لينتهى الى الحكم ببراءة المجلات المتخصصة كالشعر والقصة والمسرح ـ ولا ادرى لماذا خص الاخيرة باقتراح الشعبية للمعهد العالى للفنون المسرحية ـ ثم ببراءة مجلة المجلة لأنها ثبتت جمهورها تقريبا حول ثلاثة آلاف مشتر ، وكما يقول «نصفهم فى مصر ونصفهم فى الخارج» ومن هذه العبارة ندخل فى مناقشة هادئة مع الدكتور لويس عوض وهى : لماذا قدمت الاهرام احصائية شاملة عن مجلة «المجلة» فى الداخل والخارج ، ونسيت ان تقدم احصائية المبيع فى الخارج بالنسبة للمجلات الاخرى ، واسمح لى ان اقصر حديثى هنا على مجلة الرسالة فهى تطبع ٦٠٠٠ نسخة وتوزع فى الداخل ٢٠٠٠ نسخة ، وفى الوقت نفسه توزع فى الخارج ما لا ينقص عن هذا الرقم ان لم يكن يزيد ، ومعنى هذا انها توزع فى الداخل والخارج ٤٠٠٠ نسخة «نصفهم فى الداخل ونصفهم فى الخارج» على حد تعبيرك ، فاذا اضفنا الى هذا ان هناك اشتراكات داخلية لم تحسب ، وان هناك دائما طلبات مستمرة تدور حول طلب مجموعات كاملة من الرسالة وان بعض الاعداد نفدت تماما ـ اذا اضفنا ذلك ادركنا ان الرسالة تعتبر متفوقة فى التوزيع فى حدود ما تطبع ، وانا اطمئنك بان الرقم الذى تريد ان تصل اليه هذه المجلة وهو ٢٠,٠٠٠ نسخة يمكن ان يتم توزيعه على طول المنطقة العربية اذا امكن ان يطبع منها ٣٠,٠٠٠ نسخة ، فهل يمكن أن تتبنى هذا الراى الذى لن يعتبر غريبا اذا نظرنا الى ماضيها الاول فى التوزيع، واذا عرفنا انك ظلمتها حين لم تقدم حقيقة ماتوزعه من كافة الجوانب ؟ واذا ادركنا ان هناك ازمة قراءة لا فى الجمهورية العربية المتحدة فقط ولكن فى كافة بلاد العالم ؟ وانه فى ظل هذه الأزمة يجب ان تطارد المجلة الادبية القارىء عند اكثر الباعة ، وبخاصة فى الزحام الذى تثيره المجلات السياسية بامكانياتها الهائلة ، وظروفها الميسرة ·

وعلى كل فمن السهل جدا أن يتم تحريض

الشعب والحكومة على بعض الاجهزة، وتقديم جانب واحد لحقيقة الارقام ، وتقديم كافة المجلات الى المحاكمة مع نية الافراج عنها ما عدا مجلة واحدة ! ومن السهل كشف اوراق الماضى ، والتنقيب عن السقطات الشخصية وغير الشخصية ، ومن السهل كذلك «التوقيت الذكى» والقيام بعمليات التدمير عن حسن او سوء نية بالنسبة لبعض المكاسب التى حصل عليها الشعب .. ولكن الذى لا شك فيه ان الشعب سيسير فى طريق الزيادة لا الادماج، والتنمية لا الاختصار .

ان احدا لم يسمع – **فى ميادين الانتاج** – عن الدعوة الى اغلاق مصنع مهما كان تعثر هذا المصنع لانه توجد دائما اليد التى تعمل على ان يقوم بدوره اليوم او غدا ، ولكننا فى ميادين الفكر ، وفى ظل الدعوة الى توسيع القاعدة الثقافية ، وفى محاولة توصيل كلمتنا من المحيط الى الخليج ، يحاول بعضنا ان يلتهم الآخر ، ويحاول البعض ان يعرقل السائرين على الطريق، كما يحلو للبعض ان يدمجوا او ينسفوا . فالذى يرضيهم ان يشموا رائحة الغبار ، ويسمعوا اصوات التشقق ، وما اكثر هؤلاء فى حقل الفكر .. ما اكثر هؤلاء !!

اشكرك يا الهى :

فى حديث لى مع احد الاصدقاء ذكر لى – والغضب فى صوته والتشاؤم فى ملامحه – ان الخط الابيض فى الحياة هو خط عارض اما الخط الثابت الذى يحكم حياة الانسان فهو الخط الاسود ، وقد ظل هذا الكلام ينقر نفسى ، حتى ذكرنى ان فى بعض اوراقى قصيدة لشاعرة افريقية تدعى اوكوازيما تضم هذا المعنى ، ولكن بصورة اخرى فهى ترتفع عن المأساة التى وضعها فيها القدر الى حد التحدى ، والى حد شنق الحقد بالحبل الذى كان يعد لها .. فهى تقول فى قصيدة بعنوان «اشكرك يا الهى» هذه الابيات الحزينة والمبتسمة فى وقت واحد :

● اشكرك يا الهى لانك خلقتنى سوداء
اشكرك لانك لم تجعل بشرتى بيضاء
فانا احمل الالام فوق رأسى
والبس ثوب خادمة
واحمل مخدومى السمين الاحمر الخدين
وليس هذا فقط
بل انى احمل العالم كله من اشراقة الفجر
الى ان يأتى المساء !
ولكنى مع ذلك اشكرك يا الهى
اشكرك لان الابيض لون عارض
اما الاسود فهو لون ثابت
لون كل الايام !

●●

انا سعيدة
انا مسرورة من تكوين رأسى
لانها صممت بطريقة تجعلنى
احمل بها كل آلام العالم !

●●

انا سعيدة
انا مسرورة من تكوين انفى الافطس
لانه يرتشف كل نسائم العالم !
انا سعيدة
انا مسرورة من لون بشرتى
لانه يجعلنى مع الليل
شيئا واحدا وعميقا !

●●

انا سعيدة
انا مسرورة من تكوين ساقى
لانهما يساعدانى على العدو فى كل مكان فى العالم
يا الهى انا سعيدة
يا الهى انا مسرورة

●●

اشكرك يا الهى لانك خلقتنى سوداء
اشكرك لانك لم تجعل بشرتى بيضاء
فالابيض لون عارض
اما الاسود فهو لون كل الايام
.. لون العالم الذى لا يتحملنى
العالم الذى لا يربت على كتفى
العالم الذى لا يبسم فى وجهى
ومع ذلك فضحكى عليه فى الليل
هو الذى يخلق النهار
وهو الذى يعطينى القدرة على ان اعيش
يوما آخر !
يوما آخر !

●●

اشكرك يا الهى لانك خلقتنى سوداء
اشكرك لانك لم تجعل بشرتى بيضاء !

« عبده بدوى »

رسالة العلم



دكتور عبد الحليم منتصر

مكانة العلماء العرب

في تاريخ العلم

ماذا عسى أن تكون مكانة العلماء العرب بالنسبة لعلماء العالم في التاريخ وماذا عسى ان يكون الدور الذي لعبه هؤلاء العلماء ؟ لاشك أنهم يمثلون واسطة العقد ، فممثلو العلم الاغريقي ، والعلم الاسكندري ، لم يكونوا مجرد نقلة ، لكنهم زادوا على ما ترجموه من هذه العلوم ، وأضافوا اليه الكثير ، وابتكروا علوما لم يعرفها هؤلاء او أولئك واستحدثوا فنونا لم يمارسها سواهم ، سطعوا في سماء الحضارة الانسانية ، فرفعوا من شأنها وأعلوا من بنيانها ، وظلت مؤلفاتهم العمدة التي يعتمد عليهاأهل الصناعة في أوروبا طيلة قرون وقرون ، وكانت كتبهم تدرس في جامعات اوروبا الى عهد غير بعيد • وقد نقل عنهم علماء اوروبا دون أن يشيروا اليهم في أغلب الاحيان مع الاسف الشديد • الفوا في الطب والكيمياء والرياضيات والفلك والطبيعة والضوء والمعادن والميكانيكا ، وكانت كتبهم تدرس في جامعات اوروبا حتى القرن السابع عشر ، حتى قيل بحق انه لولا أعمال العلماء العرب ، لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدءوا من حيث بدأ العلماء العرب ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون •

وفي الحق ان كثيرا من النظريات العلمية الحديثة، انما تمتد جذورها الى **علماء العصر الاسلامي** ، منذ قرون واجيال ، ولسنا ندري على التحقيق ، ماذا لو استمرت هذه الحركة العلمية الاسلامية العارمة ، لم تعوقها معوقات المغول والتتار والترك والاستعمار الغربي آخر الامر ، واتيح لها أن تستفيد من مبتكرات العلم ومستحدثاته وأجهزته وأدواته ؟ لاشك ان ما يتيه به القرن العشرون من ذرة والكترون ورادار ومذياع وتلفاز وصواريخ واقمار وسفن فضاء ، لا شك أن ذلك كله يكون من نصيب قرن آخر ، يتقدم على هذا القرن الحالي بقرون وأجيال ، وكانت هذه النهضة من نصيب أمتنا العربية وعلى أيدي علمائها ورواد نهضتها ، ولكنها ارادة الله أن نزرع ليجني غيرنا الثمار ، ارادته أن تكون القوة في ركاب العلم ، وأن يغتر الانسان بقوته ، فينسى علمه ، فتزول قوته •

لقد كان المصريون القدماء أقوياء عندما كانوا علماء ، وعندما ابطرتهم النعمة والترف ضعفوا وخضعوا للاغريق والرومان الذين كانوا عندئذ في عنفوان قوتهم وعنفوان علمهم ،وكان الاغريق أقوياء عندما كانوا قوما عالمين ، عندما ازدهوا بطاليس وفيثاغورس ، وابقراط وديمقراط وسقراط ، وافلاطون وأرسطو ، وظهر الاسكندر واسس دولة ودان له المشرق ، ولكن خلفاءه ابطرتهم النعمة وانغمسوا في الترف ، فزالت دولتهم ، وظهرت دولةالبطالمة فيمصر وازدهت بجالينوس وارشميدس واقليدس وبطليموس ومن اليهم ، ثم ظهرت امة العرب ، التي قويت بالاسلام **اولا** ، وبالعلم **ثانيا** ، وامتدت رقعة الامبراطورية العربية من مشارقالصين شرقا ، الى حدود فرنسا غربا وازدانت بعدد منالحكام والولاة من امثال المأمون والحاكم بأمر الله وصلاح الدين الأيوبي ، ونظام الملك ، ونور الدين زنكي ممن كان لهم أثرهم البارع في نشرنور العلم والعرفان في أرجاء الامبراطورية العربية الاسلامية ، وسطع في سمائها علماء مبرزون من أمثال ابن الهيثم

والبيروني وابن سينا وابن النفيس وجابر بن حيان والخازن والبتاني والفرغاني ، والمجريطي والجلودكي والبغدادي ، وداود ، وابن البيطـــار والدينوري ، والغافقي ، والقزويني ، والخوارزمي ،وابن الصوري وابن يونس ، وابن حمزة ، والجاحظ ، والفارابي ، وابن رشد ، وابن مسكويه، وابن خلدون ، والادريسي وغيرهم • ومن أسف أن انغمس بعض خلفاء المشرق في الترف والسلطان ، فداهمهم التتار ، وحلت بهم النكبة ، كما حلت النكبة بالامبراطورية العربية في الأندلس ، ثم صحت أوربا في عصر النهضة وظهر أساطين العلم من امثال دافنشي ، وجاليليو وكوبرنيق، ونيوتن ، ودالتن وديكارت وكبلر، وداروين ولامارك ولافوازيه وباستير ، وكانت الذخائر العلمية العربية، قد نقلت الى اللاتينية واللغات الاوربية ، بها غنوا وأثروا ، قدروا العلم ، فقووا وسادوا ، واستغلوا في الارض ، وها هي ذي القوة والغلبـة تتنازعها دولتان ، احداهما في الشرق هي روسيا السوفييتية، والاخرى في الغرب هي أمريكا ، انها القـوة حيث العلم •

ولعله درس وعظة وعبرة لنا نحن العـرب ، الا نهفو الى الاغفاء مرة اخرى ، والا نترك قصب السبق من أيدينا ، وأن نعض بالنواجذ على تراثنا التليد ، وأن نعمل على احيائه وأن نجعل العلم وسيلتنا الاولى والأخيرة لنسنم ذرا المجد ، لنساير الركب ونحتذيه ونواكبه ، ولعلنا أن نقوده في مدارج الرقي والرفعة كما فعل اسلافنا اول مرة •

وبالرغم من أن الكثرة الغالبة من علماء الغرب ، قد أعماها التعصب والحقد فلم تعترف للعلماء العرب بأي انتاج بل منهم من استعمل الالفاظ النابية في وصف الانتاج العلمي العـربي والعلمـاء العـرب ، فرماهم بالبربرية والجهالة ، ومنهم من تجاهل اطلاقا هذه الحقبة الوضاءة في تاريخ العلم العربي ، الا أن قلة من علماء الغرب ، اعترفوا بفضل العلماء العرب في حفظ التراث العلمي الانساني من الضياع ، وفي متابعة التفكير العلمي الصحيح، فنقلوا العلم الاغريقي والعلم الاسكندري الى اللغة العربية ، نقلوه بعد أن فهموه وحذقوه ، ثم اضافوا اليه وزادوا عليه وكان لهم أعظم الفضل في خلود هذا التراث •

يقول « برنال » ان الفضل أعظم الفضل للعلماء العرب في الحفاظ على هـذا التراث وتدوينه ونقله والتأليف فيه ، وأن العلماء العرب قدبرعوا في ذلك وأنهم تفـوقوا على الاغريق ، بأن جعلوا العلم سهلا مستساغا ، فاقبل الناس على النهـل منه ، وكانت ميزة تفرد بها العلم العربي •

ويقول « سارتون » في صدد الحديث عن ابن سينا : لقد كان لكتبه من القيمة والاحاطة ما جعل علماء الكلام ، يقبلون على دراسة كتبه ، واستغنوا عن غيره من المصادر ، وان كتبه وما كتبـه هو عن لعلماء لمن الوفرة بحيث يندر أن تخلو مكتبة عامة منه •

ويقول « كاربنسكي » : ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين ، وان البحوث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم بينما كانت أوربا غارقة في ظلمات القرون الوسطى وأن العـرب لم يقتصروا على نقل علوم الاغريق ، بل زادوا عليها ، وقاموا باضافات هامة في ميادين مختلفة •

لقد ادرك الغربيون فضل العلماء العرب ، وكانت الجامعات الاسلامية في الشرق معقد آمالهم وكعبة قصادهم وكان علماء المسلمين في تلك الجامعات ، يرحبون بضيوفهم وتلاميذهم ، وأخذوا ينقلون هذه الذخائر العلميـــة ويترجمـون الكتب العـربية الى اللاتينية ، وقد جاء في مقدمة احد كتب الكيميـاء ما يأتي : انـكم يا معشر اللاتينيين لاتعرفون بعد ما هي الكيمياء ولا ما تراكيبها واصولها وسترون ذلك مشروحا في هذا الكتاب الذي ننقله عن العربية• ويقول سارتون عن ابن الهيثم : انه اكبر عالم طبيعي مسلم ، ومن اكبر المشتغلين بعلم المناظر « الضوء » في جميع الازمـــان • ويقول كاجوري : ان العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العلماء العرب في الجبر ، وهم من أول من أطلق لفظ الجبر على العلم المعروف وهم من أول من الف فيه بطريقة علمية منظمة •

ويقول المستشرق « سخاو » عن البيروني : انه اكبر عقلية علمية في التاريخ ، وانه من أضخم العقول التي ظهرت في العالم ، وانه أعظم علماء عصره ، ومن اعظم العلماء في كل العصور • ويقول مايرهوف : ان اسم البيروني ابرز اسم في موكب العلماء الكبار واسعي الافق الذين يمتاز بهم العصر الذهبي للاسـلام • ويقول المستشرق الامريكي « ابربوب » : في اية قائمة تحـوي اسـماء اكابر علمـاء يجب أن يكون لاسم البيروني مكانه الرفيع • ومن المستحيل أن يكتمل أي بحث في الرياضيات أو الفلك او الجغرافيا او علم

لانسان او المعادن ، دون الاقرار بمساهمته العظيمة فى كل علم من تلك العلوم ٠

ومن انصفوا جابر بن حيان هولميارد الذى وضعه فى القمة بالنسبة للعماء العرب ، ويبدد الشكوك التى أثارها حوله علماء مغرضون ، كذلك انصفه سارتون الذى ارخ به حقبة من الزمن فى تاريخ الحضارة العلمية الاسلامية ويقول :« ما قدر جابر ان الكتب التى الفها لا يمكن ان تكون من وضع رجل عاش فى القرن الثانى للهجرة ، لكثرتها ووفرة ما بهـا من معلومات » ويقول « درابر » : لقد كان تفوق العلماء العرب فى العلوم ناشئا عن الاسلوب الذى توخوه الى بحوثهم ، وهو اسلوب اقتبسوه من اليونان ، لقد تحققوا أن الاسلوب العقلى وحده لا يكفى ، ولابد من اسلوب علمى تجريبى ، وهذا هو الذى دفعهم لهذا الترقى العظيم فى الهندسة وحساب المثلثات والجبر والفلك والطب وغيرها من علوم ٠ ويروى « فرانتز روزنتال » فى كتابه « مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى » قول « فون كريمر » وهو يصف النشاط العلمى عند علماء المسلمين « ان أعظم نشاط فكرى قام به العرب ، يبدو لنا جليـا فى حقل المعرفة التجريبية ، ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حتى يلاحظون ويمحصون ، وحين يجمعون ويرتبـون ما تعلموه من التجربة او أخذوه من الرواية والتقليد وكذلك فان اسلوبهم فى البحث اكبر ما يكون تأثيرا ، عندما يكون الأمر فى نطاق الرواية والوصف، ولذا يحتل التاريخ والجغرافيا المقام الاول فى أدبهم وبصفتهم اصحاب ملاحظة دقيقة ، وبصفتهم مفكرين مبدعين ، فانهم قد أتوا بأعمـــال رائعة فى حقل الرياضيات والفلك ، وللسبب ذاته نجح العرب فى التشريع ، وفى وضع قواعد اللغة من صرف ونحو فى شكل شـامل محكم ٠ ويروى روزنتـال « ان البيرونى امضى اكثر من اربعين سنة وهو يفتش عبثا عن نسخة من كتاب « مانى » سفر الاسرار » الى أن وفق فى الحصول عليه ٠ ويردد قول العلماء العرب « ينبغى لطالب العـلم أن يعتنى بتحصـيل الكتب المحتاج اليها فى العلوم النافعة ما امكنـه شراء أو ايجارة أو عارية ، لأنها آلة التحصيل » ٠ وقولهم من بخل بالعلم ابتلى باحـدى ثلاث أن يتنسـاه أو يموت فلا ينتفع به أو تذهب كتبه ٠

وكذلك من الحق أن نقول ان الامة العربية ، قد واتتها ظروف طيبة ، جعلت لها مركزا قياديا فى العلم، نهلت من العـلم الاغريقى واضـافت اليه ، ومن المستحيل أن نتصور أن تنقل أمة علم أمة أخرى دون أن تكون قد بلغت من التقدم الحضارى ما يؤهلهـا لاساغة هذا العلم الذى تنقله ٠ ولا نعرف أمة فى التاريخ ، قد عنيت بالعلم ، كما عنيت الأمة العربية بالعلم فى عصورها الاسلامية الزاهية، حتى كان العلم والحركة العلمية جزءا من حياتها بل من كيانها ٠

فلنعمل على تصحيح تاريخنا العلمى ، ولنتخذ من أئمة الفكر العلمى الاسلامى مثلا تحتذى ، ولننشر أعمال العلماء العرب من أمثال من ذكرنا وغيرهم ممن يفخر بهم العلم وتتيه بهم على الزمان ، وتدل بهم امة العرب على سائر الامم ٠

« د٠ عبد الحليم منتصر »





تقديم: عبد الفتاح البارودى

مسرحية الحصار

لا أنكر ان هذه المسرحية تجربة شاقة ، ولكنها غامضه . وغموضها اضاع كثيرا من قيمتها الفنية

ان غموضها لم ينشأ فقط من اختلاط الرموز بالواقع والعبارات المفهومة بالعبارات التى تشبه الالغاز والمشاهد المحددة بالمشاهد الباهتة التائهة .. الخ .. وانما نشأ من الاسراف فى ذلك كله ..

وليس معنى هذا ان مسرحية **الحصار** غير مفهومة اطلاقا ، ولكن كما انها تتدافع بين أحداث وشخصيات غير مرسومة بالأسلوب المسرحى ، فكذلك تتدافع فى معانيها ومغزاها واهدافها ، ان كان لها مغزى أو أهداف

هل يقصد مؤلفها « ميخائيل رومان » تقديم اسلوب مسرحى جديد او شكل مسرحى جديد مثلا ؟! انه يقدم لنا مجموعة من خواطره الشخصية فى اطار يجمع بينها بصعوبة من كثرة الشطحات والاستطرادات ، وهى وان كانت شطحات واستطرادات ذات معان متنوعة ، فان المؤلف قصد بهذا التنويع مجرد الاثارة احيانا والاغراب أحيانا .

ولا شك فى أنه عالج ذلك بذكاء وخفة دم ، ولكن لاشك أيضا فى انه لو كان قد أرهق نفسه فى التزام جوهر القواعد المسرحية لكانت روايته اكثر احكاما ، ولكنه فضل — فيما يظهر — أن يرهق المتفرجين فاسترسل واستطرد بلا قيود وبلا حدود .

ان أوضح ما يمكن استخلاصه من المسرحية انه يتهم المثقفين بعدم التفاعل مع المجتمع ... ولكن من هم المثقفون الذين يقصدهم ... جائز أن له حكاية مع بعض المثقفين لا يريد ان يتناولها بصراحة ... وجائز ان هذا هو سبب الغموض الملحوظ فى الرواية ، ولكنه — كمؤلف مسرحى — يكتب روايته للناس ، واذن فكان ينبغى أن يجسد شخصياته بحيث تحدد مقاصده ومفهوماته بحيث تقنعنا على الأقل وهى تتحاور وتتصارع . . . ولكنه لم يفعل، ولهذا لم نعرف مفهومه للثقافة .. وايضا شخصياته لم تتحاور ولم تتصارع ، بل كانت تتبادل الكلام والحكايات والخواطر بدون تماسك غالبا .

ولناخذ امثلة من الرواية نفسها ... انه — مثلا — حينما يتحدث عن الانتاج الأدبى والفنى يقول : « اكتب اى حاجة .. اى كلام فارغ ... » ... واذن فهل المثقفون الذين يقصدهم هم الذين ينطبق عليهم ذلك ؟! اننا نراه فى مواضع اخرى يعمم احكامه بحيث يجعلنا نعتقد انه يقصد بذلك كل المثقفين بدون استثناء ، وخاصة انه لم يرسم بين شخصياته اى شخصية يبلور فيها معنى المثقف ثقافة حقيقية كما يتصور

وافرض انه اراد ان يكشف الثقافة المزيفة والمثقفين المزيفين ، فهل أوضح اسباب هذا التزييف ؟ ! انه بين حين وآخر يذكر شيئا عن الماضى حيث كانت الحرب ، وحيث كان الاستعمار لايزال جاثما ... وكنت ارجو أن يربط بين الاستعمار والتزييف الثقافى ، فلا جدال فى أن الاستعمار هو السبب الأول فى خلق المزيفين فى

الثقافة وغيرها ، وفي كل الانحرافات التي كانت تحدث في بلادنا ... واذن فقد كانت أمام المؤلف فرصة سانحة لتحديد نوع المثقفين الذين يقصدهم

ايضا كانت امامه فرص اخرى عندما اشار الى بعض الأحداث القومية ليصور انحراف هؤلاء المثقفين المزيفين تصويرا مسرحيا ، ولكنه اكتفى بالحوار القافز بين الشخصيات دون ان تتبلور فيه المعاني التي يريدها

والواقع انه لم يكن من الممكن ان يحدد او يجسد او يبلور اى معنى او اى شخصية بهذا الاسترسال الذى بلغ درجة (الخطرفة) احيانا

انه ــ مثلا ــ حينما يسخر من بعض الأشخاص، يقول « فيه رجالة بتلبس بنطلونات » ، ولعله بذلك يصور سخريته من رجولتهم في المواقف الجادة، ويظهر انه يشير الى معركة جادة او احداث جادة هربوا من مواجهتها ... المدهش هنا انه عقب ذلك يقول بدون اى مناسبة عبارات غريبة ، وهى بالحرف الواحد : « اللمون شفا ... امى بتقول كده » ! !

ما دخل الليمون في هذا ؟ ! وما الداعى للاستشهاد برأى امه ؟! صحيح أن هذه عبارات مثيرة ، وقد تتراءى له منها معان معينة ، وقد يكون ورودها في هذا السياق طريفا ، ولكننا قبل كل شيء بصدد رواية مسرحية ، ونعلم تماما ان للحوار المسرحى منطقه الفنى الذى يجب ان يراعيه المؤلف ، واذن فما معنى هذه العبارات ، وما دخلها هنا ؟ !

ايضا في المشهد التالى نسمع عبارات اشد غرابة ... ومنها مثلا : « يابو عبده مش مهم ان البطيخة تكون حمرة ... الخ » ... والطريف انه يسترسل في هذه النقطة بدون اى مبرر فنى ايضا ، فنسمعه يقارن بين البطيخ الاحمر والاقرع وعلاقة ذلك بالحلاوة .. الخ ...

ان المؤلف لا يردد عباراته الغريبة على لسان شخصية غريبة مثلا لنستسيغ سماعها منها ، وانما يرددها بين كل الشخصيات وعلى السنتها جميعا ، وكانك تسمع شخصيات في رواية من روايات العبث التى نسميها احيانا باللامعقول

وبديهى أن هذا ليس له اى مبرر فنى ...



« جلال الشرقاوى »

وطبعا كلنا نعرف أن العبث انتشر في روايات معينة لبعض كتاب اوروبا لأسباب خاصة بهم وتتعلق بظروفهم المختلفة كل الاختلاف عن ظروفنا ، فما الداعى اذن لاستخدام منهجهم في التاليف او في التناول الفنى ؟ !

وما الداعى لاطلاق عبارات لا معنى لها ، وبتركيبات لفظية لا رابط بينها ، مثل « هتلر وباركر وفوكنر » ! ! ومثل استطراداته التى تؤكد عدم التزامه بالحوار المسرحى ، مثل « فوكنر قتله الويسكى ، وهمنجواى قتلته رصاصة » .

وكذلك في مشهد بائعات اليانصيب ، تقول احدى الفتيات البائعات : « خد ورقة يا صاحب اليانصيب » ، فيقول لها « امى قالت في مناسبة زى دى : البايرة على بيت ابوها » ! !

وهو لا يتحدث عن امه فقط ، بل يتحدث ايضا عن ابيه الذى مات بنفس الدردشة ، فيقول : « ابويا في القبر حاطط رجل على رجل وماسك شيشة عجمى » ! !

طبعا من الممكن ان نستطرد مع المؤلف ونستخرج من هذه العبارات معانى كثيرة ، ولكننا في هذه

الحالة تتهم أيضــــا ، بالطـــرفة » .. فان من ابجديات المسرح ان المؤلف يعبر عن آرائه وافكاره بشخصيات مقنعة تتحاور وتتصـــارع فى اقناع فنى ... واذن فلا مبرر اطلاقا لأن نستعير للمؤلف (الحصار) معانى من خارج مشاهده لنحاول ان نجد لمسرحيته معنى أو قيمة فنية

والظاهر انه اراد ان يستخدم ذكاءه بشـــكل يجتذب اليه الأنظار فحدث العكس ، اى حــدث ان روايته لم يفهم احد ماذا يريد بها ، أو على الأصح ماذا يريد بهذه الشطحات ؟

انه يشطح فى احد المشاهد الى حى ســـيدنا الحسين ، وهو الحى الشعبى المعروف فى القاهرة، فيقول فى الحوار : « ماذا حدث فى الحسين ؟ جاء عبد الســيد ... ثم ماذا ؟ ... ومسحت الجزمة ودلقت عليها ميه ، ان الجزمجى يتكلم او يفتح بقه ، وراســه والف جزمه » ... وعقب هـذه العبـــارات مباشرة يقول : « انت اهلاوى ولا زملكاوى » ؟ ! وعقب ذلك مبـاشرة يقول « انا ترساناوى ... والترسانة سنة ٣٠ أيام صدقى اللعين !! » ... هذه الاستطرادات لا شك فى ان فى داخلها معانى يريد أن يذكرها ، ولكنه يذكرها فى غموض ، أو على الأقل لا يذكرها فى التـركيب المسرحى

انت تلمس معانى معينة من ذكر سنة ٣٠ وذكر صدقى اللعين فى نفس الجملة ، وفى ذكر الترسانة، وطبعا يقصد الترسانة « الورشــة » بينما هى فى ســـياق الكلام فرقة كرة قدم ... كذلك تلمس معانى معينة عندما يقول الزوج لزوجته انه ذاهب الى حى الحسين ليؤدى عملا ، فتكتشف الزوجة انه ذاهب الى « سهرة » مع زملائه ، وتتشـــاجر معه ، فيقول لها : « ابوه شغل .. معانا خواجه يبقى فيه شغل » ! ! وعنـدما تقول له الزوجة « خدنى معاك » تسمع الاجابة « ولا انتى سايحـه ولا انتى فناته ياخدك ليه الى حى الحسين »
هناك معان كثيرة فى هذه الاستطرادات لمن يريد ان يســتخرجها ، ولـكن هل نشاهد المسرحيات لنستخرج المعانى باصطيادها ؟

بديهى انه لا يمكن اعتبار هذا تجديدا . . . هذا — على الأكثر — خروج على المألوف لا فائدة منه ، لانه خروج على جوهر المواضعات المسرحية
وايضا هناك سخرية مقبولة وذكية ، مثل ذكر سؤال عن النهضة المسرحية ، فتسمع الاجابة فى الحوار « ازى صحتك » ... طبعا لا علاقة بين السؤال والجواب بالمعنى الحرفى ، ولكن فى تتابع هذا السؤال بالذات وهذا الجواب بالذات براعة.. غير ان هذه السخرية البارعة قليلة بل نادرة فى الرواية كلها ، ومعظم النكت لفظية

ولا ادرى لماذا يملأ المسرح بالضجيج والتداخل فى الحوار والمشـــاهد المزدحمة ... ان المخرج **جلال الشرقاوى** مسئول معه عن ذلك ، لانه ايضا حاول الاثارة

اننا فى الفصل الأول نشاهد مشـهدا للمثقفين وهم يعملون محررين فى احدى الصحف ، ونلمس تكاسلهم ، ونسمع حوارهم المتراخى .. الخ .. وخلال هذا المشهد المعقول نجد — مثلا — شخصين يواجه كل منهما الآخر فى صمت ، ولا ترى منهما غير تحريك الأيادى تحريكا غير مفهوم ... جائز ان المؤلف والمخرج يقصدان بذلك معنى محددا ، ولكن المؤسف اننا لا نستطيع ان نزعم اننا فهمنا ماذا يقصــــدان على وجه التحديد أو على وجه التقريب ؟

هناك اشياء مفهومة ... ان المخـــرج يترك الشخصيات فى بعض المشاهد تدور حول نفسها فندرك ما يعتمل فيها من قلق ، وما يحركها آليا وميكانيكيا ... والمخرج ايضا يستخدم الـكورس فى اشكال متعددة ببراعة ويحرك افراده ببراعة.. وهو كذلك بارع فى تحريك الممثلين على مستويات وضعت بمقاييس فنية ذات دلالات فنية .

وايضا للمخرج فضل اختيار الممثلين المناسبين مع اداء شخصياتهم ... والممثلون انفسهم بلغوا درجة الامتياز ... ان **سعد أردش** كان عميقا فى التعبير عن كل مشهد اداه ، **ومحمد الطوخى** مثل دورا قويا ، وكان عاصفا ثم مستســـلما حسب طبيعة دوره وفى اداء رائع ... ايضا المخرج جلال الشرقاوى ادى دوره كممثل بامتياز .. **وسميحة ايوب** مثلت دورها بفهم لمعانيه المضطربة الغامضة
والرواية على وجه العموم تجـربة جـديرة بالتقدير، ولولا اتجاه المؤلف نحو الاغراب او الابهام لامكن أن نعتبر من أنجح التجارب المسرحية ، ومع ذلك فانى اعتبـــرها مسرحية ناجحة حتى فى التاليف ! !

« **عبد الفتاح البارودى** »

مع فنان

تقديم

فاروق حسن فطاعمر



● رمسيس مرزوق

● ولد بالبدرشين في ٦‏-١‏-١٩٤٠

● التحق بكلية الفنون التطبيقية في عام ١٩٥٦ وتركها بعد ثلاث سنوات ليلتحق بالمعهد العالي للسينما عام ١٩٦٠ .

● اشترك في معرض المؤتمر الآسيوي الافريقي عام ١٩٥٨ .

● حصل على جائزة الدولة لمكافحة المخدرات عام ١٩٦٠ .

● أقام معرضه الاول بمتحف الفن الحديث عام ١٩٦١ .

● اقام معرضه الثاني بمتحف الفن الحديث عام ١٩٦٣ وكان يتسم بالتجريدية والسيريالية .

● كون جمعية الفنون السينمائية عام ١٩٦٣ لمناقشة الافلام العالمية ودراسة الاتجاهات الحديثة في السينما ومحاولة تطوير الفيلم العربي وأسباب تدهوره .

● صور كتابا عن الآثار المصرية طبع في لندن من تأليف سفير فنزويلا سنة ١٩٦٣

● اشترك بتسع لوحات عن مصر اليوم في معرض الصداقة بموسكو عام ١٩٦٤ .

● حصل على دبلوم المعهد العالي للسينما بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف .

● حصل على جائزة عيد العلم التاسع .

● يسافر في أكتوبر القادم الى ايطاليا في بعثة لدراسة التصوير لمدة سنتين .

التصوير الضوئي وعلاقته بالفن التشكيلي

يفرق كثير من الناس بين الفنون التشكيلية وفن التصوير الفوتوغرافي، بل يذهب فريق منهم الى ابعد من هذا اذ يعتبرون التصوير الضوئي لا يمت للفن بصلة معتمدين في هذا على ان الصورة الفوتوغرافية نتيجة (كاميرا وفيلم حساس) اي للصناعة دخل كبير في تكوينها .

حقا ان الصورة الفوتوغرافية هي نتيجة العدسة التي تنقل ما امامها للفيلم الحساس المكون من الهالوجينات الحساسة للضوء، ثم تتبعها عمليات كيمائية لاظهار وتثبيت الصورة وبهذا اصبح لعلم الطبيعة والكيمياء دخل في اخراج الصورة . فيوميا تسجل بلايين من الصور ولكن قليل منها يعد صورا فنية ممتازة ، اذ لا بد ان يكون هناك سر اخر غير العدسة والفيلم يتدخل في تكوين هذه الصورة وهو الفنان الذي سيطر على هذه الآلة وجعلها تفرغ احساسه وقدراته الفنية في خلق الصورة النهائية وعلى هذا يمكن القول ان الصورة الفوتوغرافية تنتج من ثلاث قطاعات : الفنان اولا ثم العدسة ثانيا ثم الفيلم اخيرا . اما من ناحية اخرى فنجد التصوير الضوئي في جميع بلدان العالم قد حقق تطورا كبيرا واصبح يتمشى مع الفن التشكيلي في اتجاهاته الحديثة من التجريدية والسيريالية كما ظهر واضحا في اعمال الفنان . رمسيس مرزوق . الذي قاد التصوير الفوتوغرافي المصري في هذا الطريق الحديث فحقق نجاحا ملموسا وعالج بثقافته واحساسه موضوعات كثيرة قد تعجز عنها فرشاة الفنان . وبهذا اخرج فن التصوير عما كان عليه في القديم واصبح فنا حديثا متطورا يحمل الكثير من المعاني المجردة والاحاسيس الدفينة كما رأيناه في اعماله مثل : لوحات (النيل واهب الحياة) التي عبر فيها بواسطة جمجمة على جبل ومن خلفها بعض الاشجار عن انه لولا النيل لاصبحت مصر صحراء جرداء . وكذلك (نهاية مدمن) و (بنزهير) و (اخر الليل) و (لقاء) .



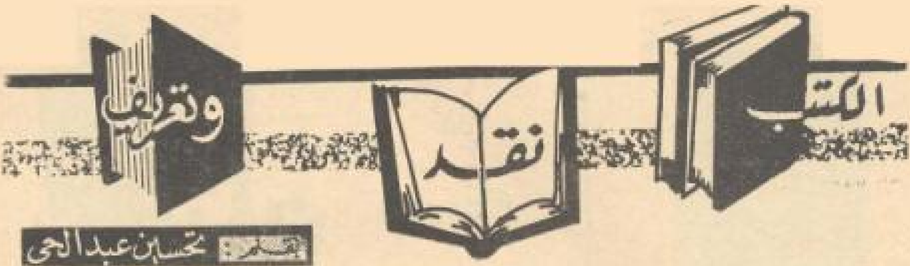
بائعة البط



الخبازة



البناء



الجهاد الأفضل

تأليف: عمار أوزيجان

تتميز المرحلة الحالية التي تجتازها جماهيرنا العربية – عن غيرها من المراحل السابقة بكثير من اللقاءات الفكرية المباشرة بين اجهزتها السياسية العاملة على المستوى السياسي والتنظيمي .. وتنبع اهمية هذه اللقاءات من كونها لقاءات اخوة يعملون لهدف وحدوي واحد في اطار تقدمي محدد.. فالاتحاد الاشتراكي العربي في الجمهورية العربية المتحدة وهو حصيلة تحالف قوى الشعب العاملة وكذلك الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق ثم حزب جبهة التحرير الجزائري . يمثلون في لقاءاتهم الثنائية .. نقاط الارتكاز العقائدية على طول الجبهة العربية .. واذا كانت جماهير شعبنا في نضالها البطول من اجل الوحدة والتقدم تعتبر الى حد كبير مسئولة عن التغيير الكيفي في داخل مجتمعاتها المجزاة حاليا الى كيانات سياسية منفصلة ، فان هذه اللقاءات وما ينتج عنها من مناقشات بناءة تكون ما يمكن تسميته بالحيز اليومي للحركة العربية الثورية الواحدة . سواء بما تقدمه من حلول تنظيمية على مختلف المستويات – او بما تقدمه من آراء ومواقف محددة لطبيعة تجربة شعبنا الاشتراكية والفروق الواضحة بينها وبين غيرها من الحركات الاشتراكية في العالم.. اذ ان الاشتراكية عموما ليست وصفة جاهزة وثابتة تصـــلح لكل مكان وزمان – والاشتراكية كعدالة اجتماعية وكتحقيق للأساس المادي لهذه العدالة تختلف باختلاف الوسيلة الخاصة للوصول الى هذا الاساس . وأي فكر اشتراكي لا يلتصق باصول مجتمعه وحقائق وجوده يصطدم بكثير من العقبات – تلك العقبات التي يمكن ان تحول اى فئة اشتراكية منفصلة عن واقع مجتمعها الى فئة فوضوية متسلطة على شعبها لكي تكون في النهاية طبقة بيروقراطية جديدة تشل حركة الجماهير وتجمدها في اطر ثابتة متحجرة .. واذا كان شعبنا العربي من المحيط الى الخليج يرى في هذه اللقاءات الثنائية – صورتواضحة للقاء الثوار.فان شعبنا يرى انه قد اصبح ضروريا.ان تتوسع قاعدة هذه اللقاءات بصورة تبعد عنها صفة الانعزالية او الاقليمية وشعبنا بعد ذلك يريد ان تكون هذه اللقاءات متعددة الاطراف بحيث لا يقتصر النقاش على – كيف تفعلون كذا لم .. اننا نفعل كذا – لأن الحقيقة تفرض ذاتها من حيث ان اجتماعات ولقاء التنظيمات السياسية في كل جزء من اجزاء وطننا انما هي منظمات شعب واحد لا عدة شعوب متفرقة .. ويريد المواطن العربي الفرد ان يشعر بمذاق خاص لطعم المناقشات التي تقوم مثــلا بين الاتحاد الاشتراكي العربي في الجمهـــورية العربية المتحدة وبين الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق وانها تختلف كما ونوعا عن مناقشات بين الاتحاد الاشتراكي العربي في الجمهورية العـــربية المتحدة ، والحزب الشيوعي الايطالي .

ثم ان تكتيك المناقشـــــة نفسه يمكن ان يتحـــول مستقبلا الى معالجة قضايا شعبنا المصيرية وعلى راسها قضية الوحدة .. لأن شعبنا يرى في لقاءات الثوريين والقادة تجسيدا لرغبته في بحث اقرب السبل والوسائل لتحقيق وحدته .. اذ ان التيسير الذاتي في الجزائر والمؤســـسة الاقتصادية في العراق والقطاع العام في الجمهورية العربية المتحدة ودور الكوادر السياسية وتدعيمها – كل هذه المنجزات تعتبر لبنات ضرورية لتشييد بناء الوحدة الكبير وليست في حد ذاتها بناء منفصلا يمكن التركيز عليه والنضال من اجله الا في الحدود التي تساعد على دعم العمل العــــربي الوحد . اننا وحدويون تقدميون نخضع مواردنا ومنجزاتنا لارادة شعبنا الوحدوية .. واذا كان ضروريا ان يؤكد المرء منـــا على شئ هام يحسه ويشعر به فانني اشعر ان الوقت قد حان لكي يكون لدينا خطة عمل ملزمة تحكم سلوكنا الفكري ، واذا كنا نملك ميثاقنا الوطني وتتحرك من خلاله وعلى اساسه وجب علينا ان نتقيد بذلك ، مبتعدين بقدر الامكان عما يمكن تسميته بالآراء الخاصة .

وكتاب اليوم – الجهاد الافضل – تاليف المناضل الجزائري عمار أوزيجان – عضو اللجنة المركـــــزية لحزب جبهة التحرير الجزائري بما فيه من آراء وافكار ثورية – يحدد لنا طبيعة الثورة الجزائرية وكيف يفكر اخوتنا في الجزائر في اهم قضايا الساعة التي تشغل بالنا من ناحية الافكار العامة التي يلتزم بها شعبنا في الجزائر سواء في فترة النضال المسلح او في فترة البناء الحالية .. اذ ان فترة البناء الحالية لجزائرنا العربية لا تنفصل اطلاقا فكرا وعملا عن واقع ثورتها البطولية ضد الاســـتعمار . والمؤلف – كمناضل ومفكر ، عربي – شــارك في حرب التحرير بسلاحه وعقله ، ويشارك حاليا في بناء الجزائر العربية ، ولعل مشاركته في المناقشات التي دارت مؤخرا مع الاتحاد الاشتراكي العربي في الجمهورية العربية المتحدة.تؤكد دوره القيادي كمناضل

من مناضلى شعبنا العربى ، وتساعدنا فى نفس الوقت على عرض تفكير شعبنا العربى فى الجزائر لكى نعرف كيف واجه مناضلونا فى الجزائر معركة النضال القومى المنفصل عن وصاية الحركة الشيوعية الدولية ، وبخاصة الشيوعيين الجزائريين والفرنسيين .

يقول المؤلف :

لقد فسر الدين فى الجزائر بالتعاون مع العلماء المصلحين ، تفسيرا يخدم الوطنية الجزائرية . وقدمت الحركة الاصلاحية البناء الايديولوجى للقومية الثورية الذى قضى على النزعةالزهدية النسكية التى كانت تشكل اداة فى يد الاستعمار والملكية العقارية شبه الاقطاعية . وهذا المظهر الدينى فى كفاحنا القومى من اجل حرية العبادة الاسلامية يساعدنا على تحقيق العلمانية كشكل حديث للتسامح الاسلامى . والقول بأن الاسلام يتناقض مع الاشتراكية يعتبر صورة خاطئة للنظرية ــ دون الماركسية ــ حيث تتبع الاشتراكية الاسلامية ، وانما اقتصاديا ــ واجتماعيا وانما . واذا كانت بعض العقليات العصرية تستعجل كثيرا فى توديع الاديان توديعا نهائيا فانها لا تدرك ان العقيدة الاسلامية ليست محتضرة ، بل هى فى كامل اندفاعها وحركتها ..

ان الوضوح السياسى والعقلية الثورية يستلزمان الاحتفاظ بالقيم الروحية التى يمكن ان تغذى نهضتنا فى الحياة الصناعية المتقدمة . الا انه من الأسهل بصورة عامة ، اجراء تبديل اساسى فى نظام اجتماعى معين داخل اطار رموزه ، من اجرائه عن طريق معارضتها .

ولقد عرف الخلق الاسلامى ان يخلق ، بين التقشف الصارم والخلاعة ــ التوازن المنسجم الذى يتجلى جماله فى هذه الدعوة الى الاعتدال .. « يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » .

ونضال الطبقات مفهوم حيث وجد فى المجتمعات التى سبقت المجتمعات الرأسمالية ، لكن صراع الفقراء والاغنياء فى الجاهلية وفجر الاسلام ايضا لم يكن ظهوره ممكنا الا فى شكل تعارض بين السياسة والدين : كالهرطقة المسيحية ، ونزعة الخوارج ، والنزعة الشيعية ، والقرمطية .. الخ .

وتعتبر هذه الامثلة دليلا قاطعا على بطلان المزاعم التى تناقض الحقيقة والتى تركز القول منذ الف عام حول عدم استعداد المسلمين الوراثى للتحرك والمطالبة بالعدالة الاجتماعية ، وهى امثلة لدين الاستقلال البغيض ــ استغلال الانسان لأخيه الانسان .

ان تطلع سيدنا عمر الى تحقيق العدالة الاجتماعية معروف لدينا جميعا . ونفس التطلع موجود ايضا عند ابى ذر الغفارى وقد اشتهر بكلمة تبرر عنف الجائعين « عجبت ممن لايجد القوت فى بيته كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه » .

ونحن نقتدى بأبى ذر الغفارى باعتباره الاشتراكى الثورى الاول فى الاسلام ــ الذى سبق الماركسية . حيث تجرد لدعاية فعالة ضد الأغنياء . ونجح فى ان يخلق عند الفقراء حركة جماهيرية ، اجبرت الأغنياء على التقيد بمبادئ القرآن وتنفيذه » .

والاتجاه الذى سلكه معاوية فى اضطهاد ابى ذر يؤكد حكمنا فان معاوية حامى الأغنياء ، الذى ولى الحكم بعد الخلفاء الراشدين تنكب عن طريق الديمقراطية المحمدية ليؤسس اول سلالة فى الاسلام تتوارث الملك . وعرف سيدنا على ابن ابى طالب ابن عم النبى وصهره بشجاعته الاسطورية . ولم تتميز شخصية على بدقة الملاحظة فى مسائل الدين فحسب وانما كان على الأخص ، بطل العدالة الاجتماعية . حيث نراه دائما الى جانب المعارضين السياسيين ، الفقراء منهم والمحرومين .

وهكذا كان الكفاح من اجل الاشتراكية قاعدة دينية .. لقد بذر الغفارى الاشتراكية فى ارض لم تكن مهيأة لتلقيها . لم يكن الفقراء وبسطاء الناس يستطيعون الكفاح الذى يوصلهم الى انتصار حاسم فى مجتمع كانت البورجوازية فيه طبقة نافذة ، اكثر وضوحا واشد حيوية . ومع ذلك فقد جدد العالم العربى الاقتصاد العالمى بقضائه على الأنظمة الاجتماعية فى العالمين الرومانى والفارسى القائمين على العبودية .

وبانطلاق المدنية التجارية ، بدا العلم والعقلانية والتقدم الانسانى وابتدات الفنون ايضا فى النمو والازدهار . لم تركت هذه البقعة الفسيحة الممتدة من الفرات الى الأطلسى لأوربا ان تسبقها فى ميدان التقدم الصناعى .. ويعزو المؤرخون الغربيون الاستعماريون ، هذا الجمود الى القدرية واقفال باب الاجتهاد اى النقاش الحر ، والبحث الدينى الحر . وهذا الرأى لا يقوم على اساس من العلم . فان اسباب انحطاط الحضارة الاسلامية لاتعود الى الدين الاسلامى ، ونجد التفسير الصحيح عند ابن خلدون الرائد الاول للمادية التاريخية . فقد كان اول من اظهر لنا ان الظواهر الاجتماعية تخضع لقوانين تتبع فى الدرجة الأولى ، من التطور الاقتصادى ، فى معزل عن الدين والجنس والوطن . ولذلك فان السر فى كون اوربا قد لحقت بالعرب وسبقتهم ــ ليس فى تفوقها الاخلاقى ، بل فى تحول النظام الاقطاعى الى نظام راسمالى .

فمنذ ان فقد المجتمع الاسلامى السيطرة على التجارة بين آسيا واوربا ضعف دور التجار العرب نتيجة لضعف التبادل . وبدلا من ان تتوجه رؤوس الاموال التجارية نحو الصناعة ، اتجهت نحو الملكية العقارية ، وهكذا ادار التاجر العربى ظهره للتقدم الاقتصادى ، لكى يصير اقطاعيا .

ومن هذا الايمان بتاريخ ودور شعبنا القيادى للانسانية ــ قامت ثورتنا فى الجزائر ، قام عرب الجزائر ليتموا ما بداه مناضلو شعبنا الرواد من ابى بكر وعمر وعثمان وابى ذر الغفارى وعلى ابن ابى طالب لكى يحولوا المرحلة الاقطاعية المتخلفة التى يمر بها شعبنا الى حركة اشتراكية وحيوية ثورية رائدة تثق بنفسها وبمقدرتها على قيادة العالم من جديد .

فالفكرة التى تجيش السواعد تصير قوة تاريخية تنظم بصورة مسبقة المصير المقبل للحياة الانسانية . فالاستقلال كلمة سحرية يمتزج فيها المثال بالواقع . انه يستقطب جماهير المضطهدين .

ويبطل ان يكون عاملا ذهنيا ، او همًا نفسيا ، او ترفا للحالمين بالحرية ، بل يصبح الاساس المشترك للوطن ، والمحرك الثوري الذي ينتزع المترددين من تصبرهم ويقذف بهم في غمرة العمل، والجماهير الجزائرية التي كانت ظاهريا سجينة ضمن اسوار القدر والخرافة ، تصبح الآن مشحونة بالارادة والفاعلية كسلطة تحل محل السلطة الاستعمارية الهدامة .

ليس الاسلام اذن .نقصا وراثيا، متاخرا ولا رادعا ايديولوجيا انما هو عصب محرك ضروري للثورة وهكذا يامر الحديث الشريف :

« اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا » .

فالعربي الجزائري المتمسك تمسكا عميقا بالاخلاق الاسلامية ـ يسهل عليه اكثر من سواه ، التحرر من قلق الموت ، فمنذ طفولته الاولى يتعلم الا ينام قبل تلاوة قانون ايمانه لكي يلاقي الموت الابيض بالاطمئنان ـ وبعد ذلك يجابه بلا خوف الموت الاحمر ، دفاعا عن شرفه وحرمته ، وحين يتعلق الامر بشرف وطنه ـ لا يكون كدودة الارض حيث يعجز عن عمل اي شيء آخر غير الزحف ، بل يرتفع الى مستوى الفراشة التي يغني لها جوته بقوله « الكائن الحي الذي يبحث عن الحياة في اللهيب » .

وعن موقف الحزب الشيوعي الجزائري من ثورة شعبنا في الجزائر يتحدث المؤلف باسهاب نلخصه هنا في النقاط التالية :

اولا : تعرضت ثورة شعبنا في الجزائر الى انواع متعددة من الضغوط نتيجة لرأي الماركسيين الابدي الذي يؤكد دائما على انه لا يمكن لثورة اشتراكية ان تنجح الا من خلال حزب شيوعي وبالوسائل الشيوعية فقط .

ثانيا : في الوقت الذي كان يناضل فيه شعبنا في الجزائر فرنسا الاستعمارية كان يجد من يقول له يجب التعاون مع الكادحين الفرنسيين لاسقاط التسلط الراسمالي في داخل فرنسا ومن ثم يسقط الاستعمار في الجزائر !!

ثالثا : كان من طبيعة منطق الاشتراكية الاستعمارية عند محور موليه ـ اوجون ـ لاكوست ـ ان الوطن فكرة مضى عليها الزمن والتعلق بارض الاجداد هو عبادة قبور ، ولا يقرها العقل . والاصلاح الزراعي مستحيل تكتيكا ، فالاراضي كلها محتلة ، ولقد قدم الاشتراكيون الاستعماريون الى الاستعمار اشد حكامه حماسة، واكثرهم رياء ووحشية.وكانت الخلافات الداخلية بين الاشتراكيين والشيوعيين الفرنسيين تغيب امام اتحادهم المقدس ضد العرب .

ولقد كان الحزب الشيوعي الجزائري ذيلا للحزب الشيوعي الفرنسي في مواقفه المتناقضة والعدائية من ثورة شعبنا في الجزائر، ونتيجة لذلك تحولت اللينينية في الجزائر وانحطت الى ثرثرة يتجرجر فيها الفكر المتحجر وراء العمل من اجل قطعة اللحم خارج الجزائر .. وكان الاصل الاجتماعي لقاعدة القيادة في داخل الحزب الشيوعي الجزائري ينتمي الى الارستقراطية العمالية الاوربية التي كانت تنظر الى نفسها دائما والى اعضاء الحزب انفسهم من خلال عقدة التفوق ازاء العرب الذين كانت لهجتهم وطريقة نطقهم للفرنسية ، تذكرهم دائما بالخادم والبقال والزبال

ولقد هاجم الحزب الشيوعي الفرنسي ثورة شعبنا في الجزائر في بيانه الذي قال فيه :

« ان الحزب الشيوعي الفرنسي الامين على تعاليم لينين ، لايمكنه ان يقر اللجوء الى اعمال فردية قد تلعب لعبة الاشرار المستعمرين ـ هذا اذا لم يكونوا هم الذين دبروها » . وهكذا فان جميع محاولات التفسير العقائدي لم تنتج الا اقوالا من التبجح العلمي الكاذب ، وعن بيانات سكرتير الحزب الشيوعي الجزائري المضادة للثورة يقول المؤلف ..

« ان سكرتير الحزب الشيوعي الجزائري يريد ان يجهل انه جاهل ، وهو من الوقاحة بحيث انه يلعب دور « الفيرة المفرطة الباطلة » على ثورة بدات وانتهت بدونه » .

ان تفسير عزل القيادة البيروقراطية للحزب الشيوعي الجزائري وتبريرها بـ « اللاشيوعية » يعنيان اغلاق باب النقد الذاتي بحثا عن الاخطاء الشخصية الخاصة ، وهما يعنيان ايضا البحث عن حل لمشكلة مزيفة ، او التحرك دون جدوى ، شان النحلة العمياء . والانتحار .

وكيف يفسر اذن اعطاء الشيوعيين ما يسمى بالصفح البروليتاري، للاخ الاشتراكي ـ لاكوست ـ سفاح الجزائر المعروف .

وعند بداية الانتصار الثوري لشعبنا في الجزائر طالب الحزب الشيوعي الجزائري بتمثيله في الحكومة المؤقتة .. ويرد المؤلف على ذلك بقوله ..

« لابد ان يكون ابله ـ مسبقا ـ ذلك الذي يعلن بلا حياء رغبته في ان يحمل اللقب العظيم ـ كمؤسس للجمهورية الجزائرية طالبا بحق ملكية بستان سقاه واخصبه فكر الاخرين وعرقهم ودماؤهم . ان الاستناد الى عوامل اخلاقية دون غيرها ، لا يعني انهيار الحماسة ضد اللينينية وحسب ، وانما يعني ايضا الهبوط بالمادية التاريخية الى مستوى هزليات جحا .

وبعد : فحين يكون المناضل مؤمنا بان الخير الاسمى هو الحرية وليس الحياة ، لا يمكن ان يكون مثله الاعلى ان يحيا ويهرم كالكلب ، بل يجب دائما ان يجابه الموت كالاسد .. ولقد اقام الاستعمار الفرنسي قفصا كبيرا لاسودنا الضارية الشجاعة فوق التراب الجزائري ـ من اسلاك شائكة مكهربة ، الى شبكة الالية هائلة من الاسطول الراسي في المتوسط الى حاجز ديناميتي في الصحراء مدعما بالطيران والرادار . ومع هذا لم يستطع ان يقتل روح الحرية بين ابناء جزائرنا الجامحة العصية على الترويض .

ومهما يكن من امر القوى التي وقفت ضد ثورة شعبنا العربي في الجزائر فاننا عندما نقدم يد الصداقة العربية الى غيرنا ـ فاننا لا نشعر باية عقد تجاه الاحزاب الشيوعية او تحليلاتها . بل نحن نؤمن ـكما يقول المفكر العربي الجزائري حسين زهوان، بان خلاص الانسان سيكون بواسطة ابتكارات العالم الثالث .

« تحسين عبد الحي »

قراءات في المجلات العربية

يقدمها محمد العوانى

● فلسطين .. والثورة العربية

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « أخبار فلسطين » في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ ابريل ١٩٦٥ مقالا للكاتب « يونس الجرو » بدأه بتمهيد وضح فيه أن السبب الأساسي في كارثة عام ١٩٤٨ هو ضعف الأمة العربية وتأخرها عن الركب الحضاري ويقول ان « هناك علامتين مميزتين في تاريخنا العربي الحديث كشفتا الضعف والتخلف والجمود ، أولاهما فتحت الباب للاستعمار الغربي بكافة أشكاله وهي الحملة الفرنسية على مصر والشام عام ١٧٩٨ وقد كشفت هذه الحملة عن الضعف الذي كان يلف الوطن العربي ، وحاولت الثانية فتح الباب لاستعمار استيطاني يستهدف اجلاء شعب واحلال فئة عنصرية محله ، وهي نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ التي أيقظت العرب على حقيقة أوضاعهم في مجابهة العدو الجديد الزاحف » .

وانتقل المقال موضحا أن حصيلتنا في مواجهة الصهيونية كانت التمزق والتشتت والاستعمار والرجعية والتخلف والاقطاع والانقطاع عن العلم والحضارة والتقدم . ثم قال « ومن خنادق القتال استيقظت قيادة على الخطر الداهم ، فعرفت طريقها وعرفت سبب البلاء فكانت ثورة .. وكان التغيير وكان تيار العروبة والوحدة والاشتراكية في مواجهة الكارثة » .

ويستشهد الكاتب على أطماع الصهيونية التي بأن بن جوريون يرى الصهيوني انه ليس المؤمن بقيام دولة اليهود في فلسطين فحسب ، ولكنه الذي يحمل حقائبه ويأتي الى اسرائيل ، ثم أضاف أن اسرائيل لا تزول بالخطب والحماس والأماني والشتم والتهور والمغامرة والمقامرة والمساومة وأنصاف الحلول وغدجل . ويرى الكاتب أن الحل الصحيح لهذه القضية هو أن تزول جميع الظروف التي أدت اليها ، فلا بد من احلال الوحدة العربية محل التمزق والتفرقة التي كانت .. ولا بد من تحرير هذا الوطن من الرجعية والاستعمار وقيام نظم متحررة مستقلة عن النفوذ والارتباط بالاستعمار بأشكاله المختلفة القديم منها والجديد .. وقيام مجتمع اشتراكي ديمقراطي يقضي على التخلف والاقطاع والرأسمالية والاحتكار ويقيم العدالة والمساواة » .

ويذكر الكاتب أن المؤرخ الانجليزي « أرنولد توينبي » يرى أن القضية الفلسطينية لن تحل حلا نهائيا الا اذا اتحد العرب ، لذلك فان الوحدة هي الطريق الوحيد للعودة ! وواقع المعركة وظروفها يتطلب ضرورة هذه الوحدة ، اذ أن التصور بامكانية أي حل لهذه القضية بعيد عنها انما هو مغامرة وخيانة .

● اللغة رباط اجتماعي :

نشرت جريدة « النيل » السودانية الصادرة في ٢٣ ابريل ١٩٦٥ مقالا عن اللغة العربية طالب فيه كاتبه بضرورة العناية باللغة العربية والعمل بكل الوسائل على احيائها ، لأنها من أهم الروابط التي تربط أبناء الأمة الواحدة ، فهي تربط أبناء

الجيل الحاضر بالأجيال السابقة فتنقل اليهم كل ما بذلته الأجيال السابقة فى دعم الحضارة والاستقلال على مر الأجيال » ٠

ودلل المقال على ما للغة العربية من قيمة فاشار الى أن المواضيع الأدبية والقصص الاجتماعية التى يقرؤها السودانيون لكتاب عرب من مصر أو من بلاد الشام ومن العراق يجدون فى قراءتها تجاوبا أدبيا واتصالا روحيا ٠ واللغة العربية لا تقف فائدتها عند هذا فقط ، بل انها تتعدى ذلك بكثير ٠ ففى الأزمات السياسية يلتف حولها العرب لمنازلة المستعمر الغاشم ، ويستدل المقال على ذلك بان السودان شارك بقلمه ودمه المجاهدين الجزائريين أثناء أزمتهم السياسية مع المستعمر الفرنسى ، كما شارك الجمهورية العربية المتحدة أيضا أثناء أزماتها السياسية وقت الاعتداء الثلاثى عليها — ثم تحدث عن السياسة الاستعمارية فى السودان وكيف أن الانجليز جعلوا مواد الدراسة بلغتهم حتى أدى ذلك الى أن نشأ الشباب « سودانى الجسم أجنبى العقل والروح » ٠

● الاسلام فى المجر :

نشر العدد العاشر من مجلة «رابطة العالم الاسلامى» التى تصدر بمكة مقالا عن « الاسلام فى بلاد المجر » وقد وضح هذا المقال أن هناك أكثر من رابط يربط المجر بالشرق الاسلامى، كما اوضح ان المجريين فى الاصل هم شعب شرقى حمل الحضارة الآسيوية الى قلب اوربا ، فقد انتقلوا من آسيا واستقروا حول نهر الدانوب وسط أوربا عام ٨٩٦ ميلادية ، واكسبهم اتصالهم بالشرق الاسلامى مميزات كثيرة اجتماعية واقتصادية وانه لا يزال فى المجر أسماء لبعض القرى والمدن — تدل على أنها كانت فى الأصل عربية ، كما نتج عن امتزاج المجريين بالاتراك جيل جديد تاثر بالثقافتين الفارسية والعربية ٠

وتناول المقال بعضا من الفترات التاريخية التى مرت بها المجر ، مستدلا بها على ما كان للاسلام من نفوذ فى هذه البلاد ، ذلك أنه فى القرن الثالث عشر الميلادى حين اشترك ملوك المجر فى الحروب الصليبية أصابهم الافلاس والانهيار الاقتصادى حتى صاروا يبيعون الضرائب لبعض الناس مقابل جبايتها من المزارعين ، وقام المسلمون بتحصيل هذه الضرائب ، كما اختصوا بسبك النقود وانشات عدة دور لضرب المسكوكات ويقول المقال : « انه لما قاد ملك المجر « أندرة » الثانى جيشه فى الحروب الصليبية واتجه شطر سوريا الاسلامية كانت النقود التى يتعامل بها الجيش مضروبة عليها جلة « لا اله الا الله » بالخط العربى وظلت هذه النقود تتداول فى أيدى الناس بعد قرن من ضربها ٠ ويوجد الآن منها آلاف القطع فى المتحف الوطنى فى بودابست ٠

وفى مرحلة تاريخية اخرى بين المقال أن العثمانيين بعد استيلائهم على مصر اتجهوا الى المجر واستولوا على جزء كبير منها ، وعلى عاصمتها «بودا» واتخذوها قاعدة عسكرية ، وتطلعوا فى نفس الوقت الى الاستيلاء على النمسا الا أنهم نزحوا عن بودابست وعن جزء كبير من بلاد المجر تاركين وراءهم فيها بعض الآثار الاسلامية ٠

وعلى الرغم من أن النصارى محوا كل أثر للمسلمين فى أوربا بعد أن نزح الأتراك عنها فانهم لم يستطيعوا أن يمسوا بسوء ضريح ولى مسلم فى بودابست هو « جول بابا » ، ويوجد هذا الضريح عند سفح تل يسمى « تل الورد » ٠

اما عن حالة المسلمين الآن فى هذه البلاد فيذكر المقال انه لم يبق منهم الا عدد قليل ، لأن أكثرهم تركها وهاجر الى تركيا بعد الحرب العالمية الأولى والثانية ، وعلى الرغم من أن المسلمين لم يبق منهم هناك الا أثر قليل فان جامعة بودابست مازالت حتى الآن تسير على تقاليدها القديمة ، من المحافظة على تدريس العلوم الاسلامية ٠

● من رسالة الى سارتر :

حين نشرت احدى الصحف الاسرائيلية أن سارتر الفيلسوف الفرنسى وجهت اليه اسرائيل الدعوة لحضور مؤتمر الفلاسفة الذى سيعقد فيها أرسل الدكتور سهيل ادريس رئيس تحرير « الآداب » اللبنانية رسالة الى سارتر تضمنت رأيه فى هذه الزيارة ويقول الدكتور سهيل فى رسالته التى نشرت ترجمتها فى الآداب عدد مايو ١٩٦٥ انه « من الصعب علينا ان لم نقل من المحال ان نصدق النبأ الذى نشر فى صحيفة اسرائيلية والذى يقول ان من المنتظر أن يحضر مؤتمر الفلاسفة الذى يعقد فى اسرائيل فى ٤ نيسان (ابريل ١٩٦٥) ثم قال « ان الشعب العربى أصبح حساسا بكل ماله صلة من قريب أو بعيد بقضية فلسطين ٠٠ ثم وضح لسارتر ان زيارته اذا تمت لاسرائيل فانها « يمكن أن تخلق أصداء

مؤسفة فى نفوس مائة مليون عربى » وقال : « ان أصل العلاقة التى تشد القارىء العربى الى آثاركم ، انما هو احترام عميق لفكركم الحر ، وشخصيتكم ، وموقفكم من قضية العرب فى الجزائر ، ومساندتكم لجميع القضايا الكبيرة العادلة .

ان الشعب العربى قد كان ضحية ظلم لا شبيه له فى التاريخ الانسانى ، وهو ينتظر أبدا بنفاذ صبر حلا لهذه القضية التى تثقل أكثر فأكثر على الضمير العالمى » .

وأعلن الدكتور سهيل فى نهاية خطابه انه لم يتلق ردا على رسالته ، ويقول : « لكن من المؤكد ان سارتر لم يزر اسرائيل ولم يحضر مؤتمر الفلاسفة الذى عقد فى ٤ ابريل .

● مجلات وزارة الثقافة :

نشرت جريدة « الجمهورية » فى عدد ٦ مايو ١٩٦٥ حديثا أدلى به الدكتور « زكى نجيب محمود » تناول فيه كثيرا من القضايا الأدبية التى تشغل بال الأدباء والنقاد فى هذه الفترة ، فأجاب الدكتور زكى عن الحديث الذى يثور فى هذه الأيام حول مجلات وزارة الثقافة ، اذ أن بعض النقاد يتهمونها بأنها لاتواكب حركة تطور واقعنا . وقد رد الدكتور على ذلك بقوله

« للناقدين أن يقولوا ما يشاءون ، ولكننى أعتقد أن كثيرا مما ينشر فى هذه المجلات يفيد قارئه ، خصوصا القارىء الشاب الذى لا يزال فى مرحلة من العمر والثقافة يريد أن يتزود بحصيلة من الأفكار القديمة والحديثة والموافقة والمعارضة .

ان هذه المجلات لو قصرت نفسها على واقعنا وحده لقتلت واقعنا بدل أن تحييه ، لأن كل كائن حى انما هو حى بما يأتيه من خارجه ، مضافا الى ما ينبع من داخله » .

ومثل لذلك بقوله : « كيف أحيا اذا لم أستنشق الهواء الذى حولى فأدخله داخل جسدى على شرط أن تكون عندى الرئتان السليمتان اللتان تأخذان ما تأخذان من الهواء ، ثم تزفران ماتزفرانه .

ولم يقل أحد : لماذا لا تقصر الرئتان على الجزء الصالح لهما فقط . ان واقعنا هو جزء ممتد يملأ العالم كله .. واننا لنرى هذا التشابك فى حياتنا الاقتصادية وفى حياتنا السياسية ، ولابد أن نراه كذلك فى حياتنا الفكرية .

« محمد العوانى »

من أغانى السد العالى

للشاعر: محمد مصطفى الملبى

أذن الفجر فقمنا للنضال
وبدأنا الزحف فى ركب جمال
وملأنا السهل عزما والجبال
ووثبنا وتحدينا المحال
وصنعنا السد يزرى بالخيال
شامخا كالطود كالليث العنيد

سال الجن عن السر الرهيب
عن بناء جاء من سحر عجيب
مصرف للماء للنيل الحبيب
قد أحال الارض من قفر جديب
لجنان يشذا عرف وطيب
وبدت تختال فى الثوب القشيب
وبه تعتز بالعهد الجديد

أنت يا **جبار يا رمز الاباء**
تتحدى فى خطاك الكبرياء
جئت بالنعمى فمن خصب ونماء
كيف يا جبار تزجى الكهرباء
أنت رمز الحق والعزم الأكيد

سطر التاريخ سطرا بالذهب
وبنى للمجد صرحا وكتب
يا بناء فاض خيرا ووهب
انت يا جبار تأتى بالعجب
انت للتاريخ والرأى الرشيد

ذراعان

قصة بقلم : محمد أبو المعاطي أبو النجا

تباعا كانت الأضواء الهادئة تختفي في حديقة سينما الكرنك ، وهبت نسمات رقيقة اهتزت لها الأشجار التي تصنع سورا أخضر حول الصالة يخفي وراءه السور الحجري الحقيقي ، واهتزت خلالها تلك المصابيح الملونة التي كانت ترسل ضوءا لا يتجاوز الممشى المجاور لها ، قبل أن يسود الظلام صالة العرض .

خف قليلا احساسي بحرارة الجو ، الجريدة المصورة تطوف حول خلجان العالم وتصف كيف يصيدون الاسماك بينما تحجب قامات الذين يبحثون عن مقاعد خالية صورة السفينة الضخمة التي يركبها الصيادون ، المقاعد حولي لا تزال خالية ولن يمر وقت طويل حتى تمتلىء ، وأحرم من تلك الجلسة التي أمد فيها قدمي وذراعي بحثا عن نسمة عابرة ، قائد السفينة يشبه كثيرا أستاذ التاريخ الذي دفعتني محاضراته الى هذا المكان ، بعد أن ظللت أستذكرها طوال النهار ، أستاذ التاريخ يختفي ، والرحلة حول العالم تمتد ، والمقاعد تمتلىء ، وبجواري تجلس فتاة كانت تتقدم الأسرة الصغيرة التي احتلت المقاعد الاربعة عن يميني ، كان من الضروري أن اعتدل في جلستي ، خاصة وأنني أرتدي قميصا بنصف كم ، وجارتي تلبس فستانا بلا أكمام ، والمقاعد من النوع الذي يفصل بين كل مقعدين فيه مسند واحد ، لايتسع الا لذراع واحدة أو ذراعين صديقين !!

كانت مجرد فتاة مجهولة ، وكان وجودها بجواري ... مجرد وجودها يعتبر مصادفة طيبة ، لاينبغي أن اغامر بفقدها ، ولهذا تعمدت الا اتصرف بطريقة تجعل جارتي تفكر في تغيير مقعدها ، وأسعدني أن اللحظات قد مضت دون أن تصدر الجهات المسئولة والموجودة بجوار الفتاة أي تعديل في الاوضاع !

ومع انني لم أحاول أن التفت ناحية الفتاة خلال هذه اللحظات فقد كنت أحس بها تتسلل الى وجودي .

المتحفظ الرزين ، كان النسيم يحمل الى عطرها الهادىء ، وصوتها الذي يشي بعمرها في هذا الظلام بأكثر مما تستطيع ملامحها ، كان واضحا أنها تحب مغامرات ، توم وجيري ، التي بدأ عرضها ، كانت تضحك من قلبها ، وتضرب الأرض بقدميها ، فأبصر رغم تحفظي شعرها وساقيها ، وأحس بهذا التحفظ وهو يهتز مع كل حركة مرحة تصدر عنها ، من المؤكد انها فتاة بسيطة وطبيعية ، وانني لم أكن أخشى سوى مخاوفي ، ومن الطبيعي أن أتصرف ببساطة .. على الأقل مثلها وبدأت أمارس واحدا من حقوقي ... أبسط هذه الحقوق .. أشرت الى (الجرسون) الذي كان يمر قريبا مني ، وطلبت زجاجة ، كوكاكولا ، كانت فرصة مشروعة ليتحرك ذراعي من المكان الذي حددت فيه اقامته ليأخذ الزجاجة ويرتفع بها الى فمي في مرات عديدة بطيئة وفي احدى المرات اصطدمت ذراعي بذراعها ، فاكتشفت لحظتها فقط أن جارتي قد اعتبرت المسند الوحيد المشترك حقا خالصا لها فاستندت ذراعها اليه ، كيف لم الاحظ هذا من قبل ؟ ، لم أكن قد مارست حق الالتفات اليها بشكل كامل ، وحين وقع ذلك الصدام الذي لم يستغرق سوى لحظة عابرة تركزت حواسي كلها حول مكان الحادث ، في انتظار قلق لرد الفعل ، ومع اللحظات الحاسمة التي تلت ذلك الصدام ، تحول الانتظار القلق الى شعور عميق بالراحة حين لم تستجب جارتي بما يعبر عن ضيقها بما حدث ، كانت الذراع الرقيقة الناعمة لاتزال تحتل مكانها على المسند المشترك ، لاشك أنها فهمته كحادث عرضي لايعني شيئا ، لم أعد أشك في أنها فتاة عاقلة ، وأن ذراعها – وبالتحديد الجزء الذي لمسته منه – أرق وأنعم شيء لمسته في حياتي ، وبدأت أحس بذلك الجزء الآخر من ذراعي الذي تلقى هذا الاحساس ، كشيء مغاير لي تماما ، شيء ينتمي الى ذلك الكيان الرقيق الناعم الذي يجلس بجواري ويشيع من حوله جوا من البهجة والسعادة لا يستطيع كائن بشري أن يقاومه ، ولم أستطع أن أقاوم رغبتي في الالتفات اليها التفاتا كاملا هذه المرة ، يستطلع ذلك العالم الذي غمرني سحره لاشك أن هذا واحد من حقوقي أيضا . !

وفوجئت بها مشدودة الى الشاشة ، لاتكاد تحس بي ، مما ضايقني لاول وهلة ، ولكنه أتاح لي أن

اكتشف شيئا هاما جدا . كانت ذراعها لا تحتل من المسند المشترك سوى نصفه الخلفى ، فقد كانت تستند اليه بكوعها فقط ، بينما بقى النصف الامامى خاليا . ومن الممكن لو تقدمت قليلا فى مقعدى أن أستند اليه دون أن يلتصق ذراعانا وحتى لو حدث ذلك فسيكون محض صدفة .. ربما لم تعرها أدنى اهتمام كسابقتها ، لماذا تبدو اللعبة كأنها لا تحس بى ؟ بينما يعذبنى الخوف من ازعاجها ، سامارس كل حقوقى حتى لو اغضبتها ، فهذا افضل الف مرة من أن تبقى هكذا غير شاعرة بى !

واستندت بمرفقى على الجزء الامامى من المسند مطمئنا الى أن ثمة حاجزا من الفراغ يفصل بين ذراعينا ..!

« توم وجيرى » يواصلان مغامراتهما على الشاشة فيثيران فى الصالة عاصفة من المرح ، تنساب مع نسمات الصيف التى تخرج بين العطور والضحكات والأصوات التى تفقد ملامحها فى هذا الظلام الرقيق !! .

وفى لحظة أحسست أن حاجز الفراغ الذى كنت أستند اليه قد تلاشى تماما ، وربما كانت عاصفة الضحك هى المسئولة عن ذلك . كانت الذراع الناعمة قد مست ذراعى فى رفق ، واشاعت فى كيانى كله يقظة مفاجئة ، ولم يلبث حاجز الفراغ أن عاد يفصل بين ذراعينا ، ولكنه هذه المرة كان رقيقا جدا يتلاشى مع كل عاصفة مرحة يهتز لها جسد جارتى الذى أحسست به قريبا منى ! ..

حتى هذه اللحظة لم أحاول أن أختلس من جارتى أية نظرة ، كنت أجلس فى مقدمة مقعدى ، وكانت تجلس فى مؤخرة مقعدها ، وكانت أية نظرة تحتاج الى أن أدير رأسى الى الوراء بشكل قد يلفت نظر الجهات المسئولة ، والواقع اننى شعرت أن علاقتنا قد انحصرت فى هذا الحاجز من الفراغ الذى أصبح يربط بين ذراعينا اكثر مما يفصل بينهما !.

كيف فكرت أن جارتى يمكن أن تضيق بشىء كهذا؟! صحيح انها حريصة على الا تستمر لحظة اللقاء تلك . والا تخرج عن كونها شيئا يقع دون قصد ، وانها دائما تسحب ذراعها الى الوراء قليلا فى كل مرة تحدث ولكن من المؤكد انها ليست حريصة على الا تحدث ... فبمقدورها أن تسحب ذراعها من على المسند لو أن ذلك كان يضايقها !!

مغامرات « توم وجيرى » توشك أن تنتهى ، وعواصف المرح تهدأ ولحظات اللقاء بين الذراعين تتباعد ، وحاجز الفراغ يستعيد صلابته ولكن ... ولكن اللحظة الأخيرة من هذا اللقاء تبطىء ، وتفقد معناها كلحظة .. وتيار عميق وهادىء من النشوة يتسلل الى كيانى كله عبر ذلك الجزء من ذراعى التى تلتصق بعضدها ، وأصبحنا فى تلك اللحظة الممتدة صديقين !!

لست أشك فى أنها كانت تحس بى فى تلك اللحظة اكثر مما كانت تحس بأمها التى لاتكف عن الثرثرة معها .!

لا لم أكن فى حاجة الى أن أنظر اليها ، ولا حتى ابادلها الحديث، فهناك تفاهم عميق يوشك أن يتم بين ذراعينا ، وحتى حين بدأت تسحب ذراعها من على المسند المشترك ، مع أول ضوء لمع فى الصالة ، كان هذا السلوك جزءا رائعا من الحوار الصامت الذى بدأ بل كان اكثر الأجزاء روعة ، وكان ردى عليها أننى سحبت ذراعى أنا الآخر حتى لاترى الأم بين مقعدينا سوى الفراغ ، ولم يكن لهذا كله من معنى سوى أننا قد اهتدينا الى الكلمات الأولى فى لغة بسيطة وعميقة لن يفهمها أحد سوانا فى هذا المكان !



مع أننى كنت أنتظر بصبر نافد لحظة الضوء هذه لأرى كيف تبدو جارتى ، فاننى لم أتعجل النظر اليها ، كنت مستريحا لهذا التفاهم الذى تم بين ذراعينا دون كلمة أو حتى نظرة ، وكنت أحس أن الضوء قد يزيدنا تفاهما ، وأيضا قد يلغى ماوصلنا اليه . كما كنت أخشى أية نزوة قد تؤدى الى تغيير الأماكن فى فترة الاستراحة ، ولكن جارتى أعفتنى من محاولة التعقل هذه ، حين وقفت ، ودارت برأسها فى جميع الجهات تبحث عن بائع المثلجات ثم تشير اليه ، وتنحنى على أمها ، وتضحك ، وتعابث أخاها الصغير وهى تناوله زجاجة الليمون ، وخلال ذلك كله لم أكن أشك فى أنها تفحصنى ، وبطريقة عجزت أنا نفسى عن ضبطها مرة واحدة !

وفى الحقيقة انها بدت فى الضوء رائعة جدا ، حتى لقد حسدت نفسى لأننى كنت منذ لحظات صديقا لهذه الفتاة الرائعة، وأن ذراعها كانت تلتصق بذراعى، لا اظنها أتمت العشرين ربيعا ، عيناها سوداوان تظللهما اهداب ثقيلة دون أية زينة ، شعرها قصير ناعم تحركه أقل اهتزازة من رأسها الذى لا يكف عن الحركة ، فتبدو فى كل لحظة فى صورة جديدة وجميلة معا ، فستانها غامق الزرقة يفضح بشكل حاد بشرتها الناصعة ، وينم من خلال فتحاته عن جسد بديع ، يعبر فى كل حركة عن ضيقه بما يحيط به من قيود حريرية ناعمة !

ـ لم اشعر بالراحة الا بعد أن عاودت الجلوس فى نفس المكان وبدأ العرض !

ـ كنت اعتبر مجرد بقائها فى نفس المكان نوعا من النجاح ، ورحت أتابع العرض فى هدوء لم يقلقه اكتشافى ان المسند المشترك بيننا لا يزال خاليا ، كنت أعتقد أن هذا نوع من المناورة ليس غير ، وأنه لا يجب بحال أن يسبق ذراعى ذراعها الى المسند !

ـ تبدين خائفة كأن الرجال نوع غريب من المخلوقات !

ـ هذه أول مرة أجد نفسى مع شخص مثلك ، كنت مع أبوى فى منطقة صحراوية لاستخراج البترول ، وهذه أول مرة أركب فيها سفينة وأتحدث الى شاب غريب

ـ اذن فأنا أول شاب يسعده الحظ برؤية هذا الجمال ؟

ـ لست أدرى كيف ينبغى أن أتصرف ، ولا ماذا أقول ؟

ـ أجمل شىء ألا يعرف الانسان ماذا ينبغى أن يفعل ؟ بل أن يفعل فقط ما يجب !

ـ أحب أن أراك ••• وأن

ـ هنا كل ليلة سأنتظرك على ظهر السفينة !

ـ دون أن أخبر أبوى ؟

ـ لا ••• ستأتى معك الآن لنخبرهما معا !

المسند بيننا لايزال خاليا••• ربما شغفها الحوار بين البطل والبطلة فنسيت وجودى ، وربما لم تكن هناك مناورة ، ولم يكن الحوار بين ذراعينا سوى حديث نفس واهمة ••• بينما جارتى لاتحس بى !

« **جون ومارى** » يلتقيان كل ليلة على ظهر السفينة ، ويكتشفان روعة البحر والليل والحب والحياة ، بينما يتحول المسند بيننا الى مجرد حاجز خشبى وموجة سخط هائلة تحمل ذراعى الى المسند الخالى ، واذا كانت جارتى لا تحس بى فلماذا لا استعمل حقى فى هذا المسند ؟ ولتتضايق ، ولتغير مكانها فهذا أفضل من هذه اللا مبالاة التى لم أعد احتملها ••!

ـ ومتى ستتزوج يا جون ؟

ـ حين أعود من تلك الرحلة التى أتسلق فيها قمة « الأنديز » •

ـ ليتك لا تذهب يا حبيبى !

.. سأعود بطل العالم فى تسلق الجبال !

ـ أحبك هكذا أما أنت فتحب أن تكون بطلا !

ـ لا أرضى أن تكونى زوجة لأقل من بطل !

***

آه يا عزيزتى ••• لا ادرى كيف أعتذر لك عن ظنونى القاسية • صحيح انك لا تعرفينها ، ولكن كيف أغفر لنفسى أننى ظننتك لا تحسين بى ؟

كانت لحظة رائعة تلك التى أحس فيها ذراعى بذراعها يعود الى المسند المشترك ••• يعود هذه المرة فى ثقة •• عارفا مكانه •• كطائر لا يضلله الظلام عن عشه•• مستريحا خلف الذراع الذى ظل ينتظر ••! كانت لحظة لقاء حقيقى بين صديقين لا أحد يعرف تاريخ صداقتهما وكأنه لم يعد ثمة مجال للتردد او حتى انتظار الأسباب ••!

والغريب أن لحظة اللقاء بين ذراعينا تأتى مع اللحظة التى يفترق فيها «جون ومارى» فى الميناء••!

وفى احدى مزارع كاليفورنيا حيث استقرت أسرة « مارى » تحس بوجود « جون » فى كل مكان ، فعلى المائدة لا تتحدث « مارى » مع أبويها الا عنه ، وفى الصحف لاتقرا الا أنباء المسابقة المنتظرة فى تسلق الجبال ، والأزهار التى يعشقها تربى فى احواض خاصة ــ تتعهدها هى ــ ليجدها حين يعود قد نمت، والمهارى الصغيرة التى يهوى ركوبها تدرب فى انتظاره ، وحتى «**كلارك**» الذى يشرف على تربية الخيول فى المزرعة ، والذى يكتم حبه « لمارى » كما يكتم حلمه بأن يصبح كاتبا مشهورا ، يجد نفسه فى النهاية ولا عمل له سوى الاستماع الى أحاديث

مارى عنه ، أما الرسائل التى تصـــل منه ، فقد سمعتها الطيور والأشجار والحيول فى المزرعة كما ســمعتها مع جارتى ، وأحسست أن دائرة سحرية تنبعث من كلماتها الحارة لتخترق جسدينا معـا ، وتتصـل الدائرة عبر ذراعين تشـدهما خيوط غير منظورة ، وأحس فى لحظة أن ما بينى وبين جارتى ليس مجرد مصـادفة او وهم ، ما الـذى ينبغى أن يحدث لكى يحدث الحب ، لا شيء آكثر من أن يلتقى شاب وفتاة ، ثم تخلق المبررات خلقا ، ولا اعتقد أننا فى حاجة الى كلمات ، كل شيء يقع من تلقاء نفسه ، وأروع ما وصـلنا اليه أننا اكتشـفنا معا لغتنـا تلك التى لا يحسها أحد سوانا !

ربما كان هذا هو ما تفكرين فيه ... ! ها نحن معا، وبين ذراعينا مكان لا يستطيع الهواء أن ينفذ منه.. وأروع الألحـان يعزفها لنا أمهر العازفين ، وكاتب لا نعرفه ... يعرف ما فى قلبينا ، ويكشفه لى ولك ولأبويك وللناس الذين تخالفهم، ومزارع كاليفورنيا الشاسـعة الجميلة تستدرج احلامنـا خارج حدود المكان ، والخطوة القادمة يجب أن ابدأها أنا ... منذ البداية كنت رائعة وبسيطة ، ولا اظنك سعيدة بى وانا اكلم نفسى طوال الوقت ، يجب أن يحدث شيء ينتمى الى هـــذا العالم الرائع الذى أصبحنا جزءا منه ، فالحقيقة الباردة أننا لا تزال نحتمى بالظلام ، وبالسند المشترك وبالمصادفة ! وامتدت يدى هـذه المرة لتلمس يدها فى رقة وحنان ، أن أتصور لحظة أن يدها ستختلف فى يدى للحظات خاطفة ، كأنها ترددت خلالها ـ قبل أن تسحب يدها من على السند كله ..!

لقد مـرت لحظات كنت خلالها عاجزا عن تقدير الموقف !

أى جنون قادنى الى هذا السلوك ؟ كان كل شيء رائعا .. ! دون حاجة الى هذه الحماقة التى دمرت كل شيء ، كنت أحس تردد أنفاسها ! وشعرها يكاد يلمس وجهى ، وذراعها ملتصقة بذراعى .. ! ولكن كان كل شيء يبدو وكأننا غير مسئولين عنه !! اما الآن ؟

مستحيل ان يكون وهما كل ما حـــدث ! لقد احسست أنها ترددت ، اجل ترددت قبل أن تسحب يدها من يدى ، لست واهما هذه المرة كأنها لم تفاجأ بيدى ! كأنهـا كانت تنتظرها ، وربما خشيت ان ترى امها يدينا مشتبكتين ! يكفى أنها سحبت يدها فى هدوء دون أن يشعر أحد ، ويكفى أنها لا تزال بجوارى ، كانت دائمـا فتـاة عاقلة ولـكن سهول كاليفورنيا أفقدتنى صوابى، وحتى فى هذه السهول تقع أحداث جديدة ..!

ـ مستحيل يا بنتى أن تبقى هكذا لا تأكلين ولا تنامين لأن جون لم يعد يكتب لك ... وربما لم يكن جادا فى علاقته بك !

من السهل أن تنسيه لو أردت ذلك !

ـ نعم يا ماما ... ولكنى لا أريد ذلك !

ـ أنت صـــــغيرة يا عزيزتى لاتعرفين النـــاس والحياة !

ـ وانت يا ماما لا تعرفين جون ، أنا واثقة من انه سيعود .

ـ لماذا لا يكون لك بعض هـذه الثقة فى نفسك وفى أبيك وفى !

وتصرخ « مارى » وهى تخرج وقبـل أن تصفق خلفها الباب :

ـ أحبه أكثر من نفسى ومنك ومن ابى !

وبلا شعور وجدتنى التفت الى جارتى ، لأضبطها هذه المرة ملتفتـــة الى ولأول مرة أحس أن الدائرة السحرية تتصل من جديد .. ورغم الظلام ابصرت فى عينيها الرائعتين نظرة نفذت الى قلبى .. لا .. لست واهما هذه المرة ، ولست آسفا لأن الذراع لم تعد الى مكانها ، كانت النظرة السريعة الخــاطفة النافذة أكثر رقة وصلابة فى نفس الوقت من ملمس ذراعها الناعمة .. !

وحتى حين عدنا نستمع الى الحوار كنت أحس أننا نسمعه معا .

ـ مكالمة خارجية لك يا مارى !

وتهرع مارى فى جنـون ، لا بد أنه جون فليس فى العالم الخارجى أحد سواه .

ـ من ... جون ؟

ـ لا . أنا والده ، من أنت ؟

ـ مارى ، أين جون ؟

ـ يا ابنتى ..! لدى أخبار لك عنه !

ـ ماذا ؟ قل ؟

ـ لقد فقد كلانا جون يا ابنتي ... سقط من فوق الجبل ... كان يعتزم الحضور لو انه عاد !.

. . . .

. . . .

.. جون لن يعود اذن .؟ لم يعد ذلك في مقدوره فما الذى يمنعها من ان تذهب هى اليه ؟ أجل يجب أن تذهب اليه ! يجب ..! ولا ينقذها من الموت غير « كلارك » الذى لا يزال يكتم حبه لها .!

ـ يا ابنتي يا روحي .. لازلت صغيرة.. والزمن سيمحو جراحك وستجدين فى الحياة مسرات كثيرة.

ـ الحياة بدونه لا تساوى شيئا يا ماما !

ـ لماذا لا تفكرين لحظة فى حياة أبويك بدونك ؟ انك تريدين قتلنا يا مارى دون أن يعيد لك هذا جون !

ـ كنت يا ماما تظنينه وغدا ! يجب ان تأسفى لذلك ! الموت هو الذى منعه من المجىء ...! لا شىء غير الموت كان يؤخره !

وتلتقى نظراتنا من جديد ، كأنها على موعد ... لا لست آسفا على هذه الحماقة ، قبلها لم يكن من حقى ان اجد فى هذه النظرات أى معنى ! أما الآن « **ومارى** » تمنح الحب كل هذه القداسة ، وملامح جارتى ترق وترتعش ... وشىء ما يسقط من يدها تحت قدمى ، فتنحنى للبحث عنه ، وأنحنى معها لأعيد لها المنديل ، فتلتقى يدانا وعينانا فى لحظة ذاهلة، أحس خلالها أنها غفرت كل شىء دون كلمة.! لا لن أحلم بما هو اكثر..! يكفى أننا عدنا صديقين حقيقيين هذه المرة ... لن أترك شيئا ما يفسد الأمور بيننا ..!

لست مستعدا لأن اخسر هذا الشعور الرائع بأن هذه الفتاة التى لا أعرف لها اسما قد عادت صديقتى ! ..

كنت أتابع مبهورا قدرة الحياة وقدرة « كلارك » على ان يأسو جراح « مارى » حين أحسست بذراع جارتى تعود الى المسند .. ! تعود هذه المرة لتتمدد بجوار ذراعى تماما وتلتصق بها . ! ودون أن التفت اليها ، وعيناى مشدودتان الى الشاشة ، كانت أصابعى تمر فى رفق على يدها الوادعة المستسلمة ، وكانت ذراعانا قد تراجعتا معا ـ كأنما تحركهما ارادة واحدة ـ عن مقدمة المسند بحيث أصبحتا بيننا تماما كسر نخفيه حتى عن عيوننا ، منذ تلك اللحظة لم نتبادل نظرة واحدة !

كانت كل مشاعرنا مع السر الرقيق الذى تخفيه يدانا المرتعشتان كطائر تخشى أن يموت او ينفلت.!

ـ ليس ما يدهشنى يا « كلارك » أنك أخفيت حبك لى منذ عرفتنى، بل أنك ظللت تحبنى رغم أنك تعرف كل شىء !

ـ ما أعرفه عنك جعلنى أحبك أكثر !

ـ لا أدرى يا كلارك كيف كانت ستصبح حياتى لو لم تكن هنا ؟ انك لم تكتف بأن تنقذنى من الموت بل أنقذتنى منه « جون » ايضا بعد أن كتبت عنه روايتك الرائعة ..!

وفى اللحظة التى يضم فيها كلارك مارى الى صدره، ترتعش يدانا وينفلت الطائر الذى كنا نخفيه بينهما!

ومع أول شعاع من الضوء لمع فى الصالة ، عاد المسند المشترك مجرد حاجز خشبى ، وبرز الناس فجأة وكأنهم أتوا مع الضوء ، وبدونا وسطهم صغيرين عاجزين ، بدت المسافة الضيقة التى تفصل بيننا وكأنها وجدت لتبقى ..! كانت جارتى تقف خلف أمها ، وتسوى ملابسها ، وتتبادل معها كلمات متقطعة ، وتتحاشى النظر الى ..! وكانت المسافة التى تفصل بينى وبين جارتى تفصل بين جميع الخارجين الذين كانت تبطىء خطواتهم فجأة حتى لا يخدشوها .. ! مرة واحدة التفتت جارتى خلفها قبل ان تغلق خلفها باب التاكسى الذى ركبته الأسرة امام « السينما » ، كنت واقفا على الرصيف فى انتظار تلك النظرة التى كانت آخر عهدى بتلك الفتاة .! وحتى بعد أن اختفى التاكسى فى نهاية الطريق ، وبعد أن أصبحت المسافة بيننا كبيرة جدا الى درجة لا تصدق ..! كنت أحس أنه لافرق أبدا بينها وبين تلك المسافة الضيقة التى كانت تفصل بيننا حين برز الناس فجأة !

« ابو المعاطى أبو النجا »

العدد ٩٦
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

حسام عبد الله

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

فضل الأدب على وحدة العرب

بقلم: أحمد حسن الزيات

- ٣ -

علة العلل في شقاء العرب وبلاء العرب هي انجلترا ما في ذلك شك . ولست في هذه الكلمة بسبيل أن أشرح هذه العلة ولا أن أصف ماجرته علينا من انحلال وتأخر ، ومن تخاذل وتواكل ، ومن انقسام وفرقة . وحسبي أن أشير الى وعدين اثنين من وعود الاستعمار الكثيرة قطعهما الشرق البريطاني على نفسه فكانا نكبة على الشرق الأوسط كله : وعد كاذب وعده «مكمهون» للعرب سنة ١٩١٥وكان من نتائج كذبه مهزلة الانتداب ، ووعد صادق وعده « بلفور » لليهود سنة ١٩١٧ فكان من نتائج صدقه مأساة فلسطين . رأت انجلترا وهي تصلى نار الحرب العالمية الأولى أن تستفيد من تمرد العرب على طغيان الترك فوعدت شريف مكة الحسين بن على اذا ناصر العرب الحلفاء أن تتوجه ملكا على دولة عربية موحدة تجمع الحجاز وسورية ولبنان وفلسطين والعراق . وكانت فكرة الجامعة العربية بعد اعلان الدستور العثماني وما أعقبه من سفه الاتحاديين منتجع الخواطر ومهوى القلوب في كل قطر من أقطار العروبة . فصدق زعماء العرب الطيبون هذا الوعد ؛ وحملوا نصيبهم من أوزار الحرب ، وأخرجوا الجيوش التركية من بلادهم بالسيف . وانتصر الحلفاء ، وتبوأ قائد الثورة العربية فيصل بن الحسين عرش الأمويين في دمشق . وفي الثالث والعشرين من شهر أكتوبر لسنة ١٩١٨ احتفل العرب برفع علمهم المربع الألوان في الساحة التي قتل فيها شهداؤهم . وكان للأدب في هذا المهرجان وفي جميع البلدان هتاف بالنصر وفرح بالاستقلال وابتهاج بما من الله عليه به من تحقيق أحلامه وتصديق أمانيه . وتجاوبت في الصحف وعلى المنابر تندوات الشعراء وسجعات الخطباء تحيي المجد العائد وتبارك العهد الجديد . نختار شيئا منها على سبيل المثال .

قال فؤاد الخطيب من قصيدة مطلعها :

حي الشريف وحي البيت والحرما ... وانهض فمثلك يرعى الحق والذمما
يا آل جنكيز ان تقل مظالمكم ... على الشعوب فقد كانت لهم نعما
فالظلم أيقظ منهم كل ذي سنة ... ما كان ينهض لولا أنه ظلما
فمن يكن من أباة الضيم في صمم ... فليسمع اليوم صوتا يحسم الصمما
فقد تكلم صوت الثار مرتفعا ... من الحجاز يشق البيد والأكما
يا ابن النبي وأنت اليوم ناصره ... قد عاد متصلا ما كان منفصما
والتف حولك أبطال غطارفة ... شم الأنوف يرون الموت مغتنما
ايه بني العرب الأحرار ان لكم ... فجرا أطل على الأكوان مبتسما
من ذلك البيت من تلك البطاح على ... ذاك الطريق مشت أجدادكم قدما
لستم بنيهم ولستم من سلائلهم ... ان لم يكن سعيكم من سعيهم أمما
الى الشآم الى أرض العراق الى ... أقصى الجزيرة شدوا واحملوا العلما

وقال خير الدين الزركلي من قصيدة يبكي فيها الشهداء ويذكر الثأر لهم :

نعت لغة العرب من أحكموا ... لسان قريش وتبيانها
وناحت على من بنوا عزها ... وأعلوا بما أثلوا شانها
أبى السيف الا انتقاما لهم ... وخاف على الضيم خسرانها
أثار بني هاشم في الحجاز ... وأنطق في القبر حسانها
كتائب هبت تلبي الدعاء ... وتطوي القفار وكثبانها
برمح يرن وعضب يئن ... ينبه في الشرك وسنانها
هو الثأر أدركه الثائرون ... وأشجى فروقا وسلطانها

وقال العاملي صاحب الحماسيات من قصيدة :

أجل بزغت في الشرق شمس الحقائق ... برغم العدى والمزعجات الطوارق
غداة انتضى العضب المهند فيصل ... بكل كمي رابط الجأش صادق
لعمرك ما العرب الكرام يهولهم ... صليل المواضي أو دوي البنادق
ولا راعهم ماجرعوا من مرائر ... وقد نصبت قدما حبال المشانق

وقال الزهاوى من قصيدة (النائحة) :

وجاءت خيـول العرب تعدو وراءها ... بمقـربة للانجليز خيـول
هنالك أهل الشام صاحوا وكبروا ... وكبر أعـلام بهـا وسهول
وكان لأخذ الثأر قد سار ضيغم ... له فى مغـار العابثين شبول
أغر كريم الأصل من فرع هاشم ... فطـاب له فرع وطاب أصول

وقال رشيد أيوب من شعراء المهجر :

من أقاصى الروم تهديك السلام ... مع نسيم السحر
يا شريفـا كلما ناح الحمـام ... فوق غصن الشجر
صاحب السيف الصقيل المستهاب ... فى دياجى المحن
أنت من قـوم لهم تعنو الرقاب ... من قـديم الزمن
خضـتها حربا على الباغى تدور ... بكمـاة أسـد
وتركت الترك أصحاب الفجور ... عبـرة للأبـد
فأدر يا أيهـا السـاقى الكئوس ... حان وقت الطرب
واسقنا من خمرة تجلو النفوس ... من ظـلام الكرب
واصغ للبلبل ان لاح الصباح ... صاح فوق القضب
فلتعش للعز فى تلك البطـاح ... دولة للعـرب

ولم يشارك الأدب المصرى فى هذه الفرحة العامة ، لأنه كان مصروفا يومئذ الى مجاهدة المحتلين بعد الهدنة : يؤيد موقف الزعماء منهم ، ويمهد للثورة عليهم ، ولأن الأدباء كان هواهم مع الخلافة مراعاة لشعور الكثرة المسلمة ، ومهاواة للأسرة التركية الحاكمة ؛ ولأن المصريين فوق ذلك كانوا يعلمون أن لأعدائهم الانجليز يدا فى ثورة الحجاز وغرضا من نصرة الحسين ، فلم يدخل أدبنا فى ثورة الأدب العام الا بعد أن ضاعت الخلافة وتبلورت النهضة وتوحد العدو واتفقت الغاية .

على أن العرب لم يلبثوا أن عرفوا بعد انقضاء عام واحد على قيام دولتهم بالشام أن وعد الانجليز مكذوب ، وأن عهد الحلفاء منقوض ، وأن الغدر بهم مبيت ، فقد قررت عصبة الأمم ، أو جماعة الذئاب ، أن الأقطار التى انفصلت عن تركيا لما تبلغ الرشـد فلا بد أن تقوم عليها وصاية من الدول الكبرى ، فانتدبت انجلترا لفلسطين والعراق ، واختيرت فرنسا للبنان وسورية . وبذلك القرار خرج العرب من ظلم معلوم الى ظلام مجهول ، ومن استبداد فوضى الى استعباد منظم ، ومن سلطان دولة

ضعيفة الى سيطرة دولة قوية . هنالك عصفت النخوة فى نفوس الأدباء وفى رءوس القادة فقطرت الأقلام سما فى هجاء الحلفاء ، وسالت النفوس دما فى واقعة «ميسلون».. ولكن قدر الله غالب ، والمعتمد على غير الله مغلوب ، فانتقم الصليبيون من العرب ، وانتصر القائد جورو على الملك فيصل ، وتبددت فكرة الجامعة العربية فى صراحة الواقع ، كما يتبدد الحلم الجميل فى حقيقة اليقظة . وهب الشعراء يتفجعون على مسعى أخفق وأمل خاب وملك ما قام حتى تقوض . من ذلك قول الزركلى :

أبكى ديارا خلقت للجمال أبهى مثال
أبكى تراث العز والعز غال صعب المنال

أبكى نفوسا قعدت بالرجال عن النضال
أبكى جلال الملك كيف استحال الى خيال

ثم نزل فيصل عن عرش بنى أمية فى دمشق ، ليعتلى عرش بنى العباس فى بغداد . فودعه الشعر محزونا على بردى ، ليستقبله مسرورا على دجلة . فالزهاوى يقول مثلا :

انا محبوك فاسلم أيها الملك ومصطفوك لعرش شاده الفلك
عرش العراق ضمان للعراق وفى تأييده الشعب والأحزاب تشترك

وكان العرب قد خرجوا من الحكم التركى الأسود ضعفاء فقراء جهلاء فلم يستطيعوا أن يدافعوا الاستعمار الأوربى عن استقلالهم ووحدتهم ، فقسمت فلسطين ، ومزقت سورية ، واحتل العراق ، وأصبحت الأمة العربية كلها من جبل طارق الى خليج العرب حقول استغلال ومناطق نفوذ بين دولتى الاستعمار فرنسا وانجلترا . واقتضت هذه التجزئة أن تقطع بين العرب الأسباب ، وأن يشق على الأخوة التواصل، فلم يعد لهم من قوة ولا جمعة الا الأدب يتعارفون به ويستمدون منه ويجتمعون عليه. ورأى قادة الفكر وصاغة الشعر أن العروبة التى كانوا يرجون لها أن تعود كما كانت شعلة وهاجة فى العالم قد تقطعت بقرار الدول أقباسا كشموع الأطفال لا تقوى على نسيم الريح ولا تظهر فى حلك الليل ، فنقلوا جنودهم وجهودهم من صراع الطورانية الجاهلة فى بغى الأتراك الاتحاديين ، الى كفاح الأرية الجائعة فى جشع السكسونيين واللاتينيين .

فهل استطاع الأدب أن يعقد ما تفكك من العرى ، وأن يجمع ما تفرق من الكلمة ، وأن ينعش ما ذوى من الأمل ، وأن يهيىء النفوس للثورة على هذه الحال ؟ ذلك ما سنحاول الجواب عنه فى مقال تال .

أحمد حسن الزيات

.. أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا !!

بقلم : محمود محمد شاكر

اربعون سنة !! لقاء مفاجىء على غير ميعـــاد . غرباء جمعتهم الغربة على طريق . نظر بعضهم فى وجوه بعض من بعيد وقريب ، ومر جسد قريبا من جسد ، وتحية يلقيها أحدهم على بعضهم بلا بشاشة ثم يمضى كأنه لايبالى ، ثم يلتفت من بعيد ليجس هذا الجثمان المنتصب بنظرة فاحصة . ثم يعودون مرة أخرى ، فتلتقى الوجوه وتتقابل ، وتتصافح النظرات بالطرف الخفى ، ثم يعرض هذا ويعرض هذا ، ويمضى كل امرىء لطيته فى أرض الصمت . ثم يعودون مرة ثالثة ، فتقبل الاشباح على الاشباح ، فتمتد الايدى ولكنها باقية فى مكانها مسدلة لم تتحرك من موضعها وتقبل الخطا ولكنها تتردد ، فيــذهب هذا يمينـــا ويذهب هذا شمالا . وتنطوى الايام يوما بعد يوم ، وسرعان ما تجلت عنهم هذه الغربة الراغبة المعرضة، وسرعان ما تكشف الاعراض والاقبال عن صـــداقة بلا مطمع ، وعن مودة صافية بلا كدر . واذا شباب تستفزه جهالة الصبى وغرارة الطباع ، والسنـــة ثرثارا لحــداثة عهدها بالابانة عمـــا فى سر قلوبها وعقولهـــا ، وغمرات من الفرح تخوضـــها بجرأة وبلا تردد ، واختلاف واتفـــاق ، ورضى وغضب ، وصوت يعلو وصوت يهمس ، وليل ينساب فى نهار، ونهار يشق سدول ليل . وآت منقض ينفى الملالة عن ماض منهزم ، ورأى متجهم ينشـــق عن مرح ضاحك ، واندفاع الى غاية كالسيل الجارف ، وارتداد عنها كمثل لمحة البرق ، ووقار باد تهزه من تحتــه خفـــة كامنـة ، وطيش طليق يكف من غلوائه أدب وحياء .

يومئذ لقيت **محمد مندور** وسائر اخوانى وزملائى اول ما لقيتهم منذ اربعين سنة ، فى حـــدائق قصر الزعفران ، مقر الجامعة ، وكلنا غر بادر الغرارة ، وكلنـــا دون العشرين . ومضت الايام ، وتصرمت الشهور ، ومحت سنة اختها ، وبدأت معالم الطريق تبدو لخطانا من حيث لاندرى ولا نحس . ولـــكنى كنت أولهم احساسا بطريقى ، واسرعهم ادراكا له، وامضاهم عزيمة على قطعه . وكما التقينا جميعا فجأة فارقت اخوانى فجأة غير متلفت الى وراء ، وغبت عنهم جميعا غيبة طويلة ، غير أخ واحد ، قدر لى وله أن يؤنسنى فى بعض طريقى الجديد برســائله الطوال المتتابعة ، هو محمود محمد الخضيرى ، بقيت لنا فى كتاب القدر سنوات من الصحبة ، لم يكن قد حان بعد حين انقضائها ، ولكنها انقضت هى أيضا بعد قليل بغتة ، ثم سرت فى الطريق الطويل الغامض غريبا ، وحيدا ، منفردا عن ركب الغـرباء الاول ! كيف كان هذا ؟ ولم كان ؟ لا أدرى .

ورحل مندور ، وأنا لا أدرى متى رحل ، الى بلاد أعدائه واعدائى ليتزود من علمهم ، وعدت أنا من رحلة فى أرض أجدادى لكى اقيم ذاهلا عن ركب الغرباء الأول ، منقطعا عنهم الى غربتى ، أحمل معولا بعد معول ، أحطم به عن عقلى الاغـــلال التى طوقتنى بها علم اعدائى الملوث ، وأنســـانى طلب الحرية ، والــكدح الدائب للخروج من أسر الاوهام ، ذكر الصبا الاول ، وذكر اخوان الشباب ، فلم أعرف عن أخى محمد مندور خبرا يذكر الا فى سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) بعد أن عاد الى بلاده وبلادى ، فالتقينا على صفحات مجلة الرسالة فى ٢١ من ذى القعـدة سنة ١٣٦١ (٣٠ نوفمبر ١٩٤٢) ، حيث كتبت كلمة بعنوان « الطريق الى الحق » . أردت ان أفصل فيها بين معنى « عثرت به » و « عثرت عليـــه » ، وقلت يومئذ :

« واحب ان أقدم بين يدى كلامى بعض ما أعرفه عن مندور ، فقد كنا زميلين فى الجامعة ، فكان احد الشبان الاذكياء المتدفقين . وان فيه من ثورة النفس ما أرجو ان يبقى على الشباب والهرم ، ثم عرفته بعد مطلعا حريصا على العلم قليل العناد فيما لاخطر له، ثم هو لايزال يدأب الى الحق فى غير هوادة . فـكل

هذه الصفات تجعله عندى غير متعنت ولا مكابر . ولكنى رأيت الاب انستاس الكرملى قد سلك الى مندور طريقا ، فاندفع كلاهما يطاعن أخاه بعنف لا يهدأ . وانا لا احب أن ادخل بين الرجلين فيما هما بسبيله ، ولكنى احرص على أن ادل مندورا على الحق الذى كنا ، ولم نزل ، نميل اليه بكل وجه ، ونسعى اليه فى كل سبيل » .

ثم ختمت كلمتى : « واحسبنى قد سلكت الى أخى مندور طريق العلم الى غاية الحق ، وهى غايته التى علمه لايعمل الا الها ، وسواء عليه بعد ذلك أكان الحق له أم عليه » .

لم القه يومئذ ، ثم انقطع ما بينى وبينه الا ذكرى وقراءة . ثم التقينا فى الفترات بعد ذلك ، فاذا بنا كانا لم تفترق الا ساعة او بعض ساعة . وتمادت بنا الايام ، وكلانا سالك دربا غير درب أخيه ، حتى التقينا على صفحات الرسالة مرة أخرى كما بدأنا فى رمضان سنة ١٣٨٤ (٢١ يناير سنة ١٩٦٥) ، فى المقالة التاسعة من مقالاتى هذه ، وأرسل الى بكرم خلقه رسولا يذكرنى قديم مودتنا التى لم تغيرها الايام ، ولا طول الانقطاع . وكان حقا على أن القاه ، ولكن غلبتنى عزلتى فأرجات أداء هذا الحق ، حتى جاء الحق الذى لايرجىء ، وفارقنى صديقى بغتة كما فارقته أول مرة بغتة ، وتركنى على رأس دربى وحيدا غريبا ، منفردا عن ركب الغرباء الاول ، لا أجد ما اقوله الا لوعة أرسلها غريب مثلى منذ نحو من الف سنة ، ظل صداها يتردد بين جبال الشعر وقممها الشوامخ :

ما اسرع الايام فى طينا
تمضى علينا ، ثم تمضى بنا

فى كل يوم أمل قد نأى
مرامه عن أجل قد دنا

انذرنا الدهر وما نرعوى
كانما الدهر سوانا عنى

تعاشيا ، والموت فى جده !
ما أوضح الامر وما ابينا

والناس كالاجمال قد قربت
تنتظر الحى لأن يظعنا

تدنو الى الشعب ، ومن خلفها
مغامر يطعنها بالقنا

ان الأولى شادوا مبانيهم
تهدموا قبل انهدام البنا

لا معدم يحميه اعدامه
ولا يقى نفس الغنى الغنى

كيف دفاع المرء احداثها
فردا ، واقران الليالى ثنى

حط رجال وركبنا الذرى ،
وعقبة السير لمن بعدنا

كم من حبيب هان من فقده
ما لم اكن احسبه هينا

انفقت دمع العين من بعده
وقل دمع العين ان يخزنا

كنت اوقيه فاسكنته
بعد الليان المنزل الاخشنا

دفنته ، والحزن من بعده
يابى على الايام ان يدفنا

يا ارض ، ناشدتك أن تحفظى
تلك الوجوه الغر والأعينا

يا ذل ماعندك من اوجه
كن كراما أبدا عندنا

والحازم الراى الذى يغتدى
مستقلعا ينذر مستوطنا

لا يامن الدهر على غرة
وعز ليث الغاب ان يؤمنا

كانما يجفل من غارة ،
ملتفتا يحذر أن يطعنا

وينقطع نشيدى ، ويبقى صداه فى اذنى ، وانا على راس الدرب واقف أتلفت متى اظعن ، وحيدا ، غريبا ، منفردا عن ركب الغرباء الأول . اربعون سنة ، طويت ايامها ولياليها ، كأسرع ما تفتح كتابا ، ثم تقرأ منه أسطرا ، ثم تغلقه على دفتيه ، وتبقى أحرفه تلوح فى بيداء مقفرة لايعمرها غير اشباح تجول من الذكريات !

ولكن .. ولكن ما أشد عنف الحياة بنا ! اتفنى بعض المرء ، وتطالبه من فوره أن يزداد تعلقا بالبقاء واقبالا على الاستكثار من أسبابه ! ما أقساها سائقاً لايضع عصاه عن نعمه ! هكذا عودتنا ، فأين منها المهرب ؟ والى أين منها المفر ! فتغمد يا صديقى ، قسوة قلبى بعدك :

ولا تلزمنى ذنوب الزمان
فاياى ساء ، واياى ضارا

لا أدرى كيف أبدا ، وقد قطعت هذا الطريق الطويل بين اطلال الفناء ؟ ولكن لا بد من ذلك فى هذا العالم المحير ، وفى هذه الفترة من الاضطراب المبهمة أسبابه وغاياته . ففى يومين متتابعين ، وفى صحيفتين مختلفتين ، قرأت عجبا من العجب ، واذا كان هلاك بعضى قد أفزعنى الى التأمل ، فان هذا العجب قد أفزعنى الى النظر ، ومراجعة أمر مصيرنا ومصير أبنائنا من بعدنا ، فنحن نعيش فى عالم يتربص بنا الدوائر ، وان زعم بعضنا لبعض أحيانا أننا بعض هذا العالم، وأننا على مدرجة انسانية شاملة من التطور . كلا ، بل هو عالم يريد أن يبتلع عالما آخر ، أن يفترسه ، ثم يقضقضه ، ثم ينهشه ، ثم يبتلعه ، بضعة بعد بضعة ، والشاه بعد الذبح لا تألم السلخ فكيف تألم لضغ لحمها بين أنياب حداد !

وأبدا القصة ، ففى يوم الاحد ٢٥ من ابريل سنة ١٩٦٥ ، نشر الاستاذ أحمد الصادى محمد ، فى صحيفة الاخبار رسالة من الاستاذ الحمزة دعبس ، وكيل نيابة المخدرات ، ضمنها المطالبة باعادة حكم الله سبحانه فى محكم كتابه ، بقطع يد السارق ، وبعد أيام ، نشر الاستاذ الصاوى فى يوم الاحد ١٥ من المحرم سنة ١٣٨٥ (١٦ مايو ١٩٦٥)من الاستاذ « **ماهر سامى يوسف** » . وكيل نيابة الجيزة الادارية جاء فيها ما يلى بنصوصه ، بعد ذكر السبب الذى دعاه الى الكتابة :

« كما انى أبادر فأذكر أننى أوثر أن أتعرض للموضوع من وجهة النظر القانونية ، دون الوجهة الدينية ، معترفا اننى لا أملك أن أزعم أن لى بها الماما كبيرا . وأسوق ردى فيما يلى :

« أولا : ذكر الاستاذ الزميل أن جريمة السرقة قد ذاعت وانتشرت وتفاقم امرها . ثم ان العقوبات السالبة للحرية ، لم تعد تجدى نفعا فى الحد من انتشار هذه الجريمة أو ردع مرتكبيها ، ومن ثم أصبح متعينا انفاذ حكم الشريعة الاسلامية الذى يقضى بقطع يد السارق ، اذ أن هذه العقوبة ، فى تقدير الزميل، جديرة بأن ترد كل نفس عن مقارفة السرقة فضلا عن انها كفيلة بردع السارق ، وأحسب أن الاخ الزميل يتفق معى أن العقوبة لم تصبح فى وقتنا هذا أداة انتقام من الفاعل ، بل صارت وسيلة لتقويمه ووقاية المجتمع منه . وتأييدا لمعنى العقوبة هذا ، تجد التشريعات الجنائية الحديثة ، تفرد علما مستقلا ، هو علم العقاب ، يعنى ببحث أهداف العقوبة وأوصافها وأنواعها ، متكاملا مع علم الاجرام الذى يتفرع على دراسة نشأة المجرم ، وظروف حياته ومقوماته الشخصية .

« ومن ذلك نخلص أن هذه التشريعات (كذا) لم تعد تنظر الى الفاعل نظرة عداء ، تحاول ان تنقض عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة ، تسومه صنوف العذاب والانتقام ثمنا لنشاطه الاجرامى ،بل أصبحت تعامله كمريض ، وتجعله محل دراسة واعية ، واختبار دقيق ، متوسلة بهذا الى اصلاحه ووقاية المجتمع منه . ومن ثم لايكون مقبولا اليوم، ان نجرى محاولة نرتد بها بتشريعنا وما وصل اليه من تطور ، الى الوراء ، متجاهلين كل الدراسات الجادة المخلصة التى تبهت الى غاية العقوبة ، والقصد من توقيعها ، والطريقة التى تنفذ بها » .

هذه هى (الاولة) بنصها على سقم عبارتها وفسادها . وهذا الاستاذ قد أوهمنا فى أول الامر انه سوف يتعرض للموضوع من وجهة النظر القانونية ، فكان حسبه اذن أن يذكر فى مقابل حكم الشريعة بقطع يد السارق ، حكم القانون فى شأن السارق ، فيذكر الناس بأن حكم القانون فيه كذا وكذا من العقوبات ، ثم يكف لسانه . فان زاد فآثر ان يذكر الدوافع التى تجعل القانون يحكم هذا الحكم عددها بلا فلسفة فارغة ولا تهجم قبيح جدا ، بالفاظ يقذفها بلا مبالاة ، فى أمر هو معترف بانه لايملك أن يزعم أن له به الماما كبيرا ! فليس له أن يقول عند هذه المقارنة ان تشريعات القانون « لم تعد تنظر الى الفاعل نظرة عداء ، تحاول ان تنقض عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة ، تسومه صنوف العذاب والانتقام ثمنا لنشاطه الاجرامى » ، فان محصل هذا

الكلام السليط ، هو أن الشريعة التي أنزلها الله في محكم كتابه ، « تنظر الى الفـــاعل نظرة عداء ، وتنقض عليه بمنطق القوة الغاشمة، وتسومه صنوف العذاب والانتقام » ، تعالى الله عما يقول هذا اللسان! فالله أرحم به من كل سـخيف العقل يظن أنه يتولى « دراسات جادة مخلصة ، تنبه الى غاية العقوبة ، والقصد من توقيعها ، والطريقة التي تنفذ بها » .

ولو قال هذا وسكت ، لقلنا له ، على سوء ماقال: اذهب حيث شئت ! ولكنه جاء بفقرة ثانية ، لينفي أن أحكام القانون التي الزمنا باتباعها في بلادنا ، لم تكن من عمل المستعمرين ، ولا مما فرضوه علينا فرضا بأخبث الوسائل وانكرها ، منـذ اطبقوا على العالم الاسلامي من نواحيــه ، ثم تسللوا اليه ، ثم توغلوا ، ثم فتكوا بنا وبتاريخنا وماضينا ومجتمعنا فتكا لا مثيل له في تاريخ البشرية ، كانت وسـائلهم اليه من أخفى المكر وأخبثه ، حتى استولوا على كل ما نملك ، وزادوا فاستولوا على عقولنا ، واستعبدوا خطرات نفوسنا ، وتركونا رمما تفكر بعقول قد طال عليها الموت حتى أنتنت . والقـــانون الذي يتـكلم الأستاذ نيابة عنه ، جاءنا مقترنا بسيادة الاجنبي ، واذا كان هناك شيء يسمى « تطورا » عشناه ، فهو تطور في داخــل النظام الاستعماري ، الذي أنشأ لنا مدارسنا كما يشتهي ، وفرض علينا من التعليم ما يشتهي ، وساق مجتمعنا كالأغنام في خلال مئة سنة كما يشتهي . وهذا القانون الذي يتكلم الأستاذ نيابة عنه ، هو وكل ملحقات دراساته، قد نبت ونما وترعرع في تربة أوربية مسيحية ، لا فضل له ولا لأحد من أساتذته منذ علمهم المستعمر القانون ، في نمائه أو ترعرعه . وغاية أمرهم أنهم نقلة مقلدون ، أتبــاع لسيد ذي سطوة وبأس ، يأخذون عنه كل جديد ، وهو لا يقبل منهم شيئا ولا يوقره ولا يرضى أن يمسه ، واذن فلست أجد لما قال في فقرته الثانية معنى يفهم ، حيث يقول :

« ثانيا : ورد في رسالة الاستاذ الزميل أنه لا مفر من تطبيق الحد على السارق بقطع يده ، دون مبالاة بالنعرات الاستعمارية ، واظنها تنصرف الى التطور الذي ادركه التشريع الجنائي الذي أصـبح يميل الى استبعاد عنصر القسوة من تنفيذ العقوبات . وفي تقديري أننا حينما نساير هذا التطور ، فان الأمر لا يكون مبالاة بالنعرات الاستعمارية . وانمــا فقط (كذا) استجابة للاتجاهات الانسانية التي ظهرت بعد المعاناة والبحث » .

... لأن هذا التطور لا حقيقة له عندنا بل عنـد مسـتعمرينـا ، ولأن ما يزعمـه من « الاتجــاهات الانسانية التي ظهرت بعد المعاناة والبحث» ، لاتزال حجة مبنية على ما يسميه أصحاب المنطق « المغالطة اللفظية » . لأننا اذا اتخذنا مثل هذه الألفاظ حجة، كان في مقدورنا أن نسـقط كل عقوبة في القـانون نفسه ، مما يمس البدن ، أو المـال ، أو النفس ، اذ لا شيء من هذه العقوبات مهما خف ، الا وكل ذي لسان وعقل قادر على أن يدخله في حيز ما يناقض « الاتجاهات الانسانية » ، حتى الغرامة التـافهة ، ممكن أن تكون حكما غير انساني . وليس صحيحا اذن أن تكون التشريعات الجنائية المعاصرة ، « تحاول جميعها ، قدر ما تسمح به الظروف ، ويكتب لهـا التوفيق في محاولاتهـا ، أن تجرد العقوبة من كل مظاهر القسـوة » ، فمـا من عقوبة الا وهي مقترنة بضرب من القسوة ، اذا نظرنا اليها من قبل ما سماه «الاتجاهات الانسـانية» ، هذا اللفظ المغالط المبهم ! والأشياء التي ذكرها الأستاذ، مما ارادت «الاتجاهات الانســانية » أن ترفع وطأتها عن أحـكام القانون ، كالاشتغال الشاقة المؤبدة ، والحبس والسجن ، كما ينفذ اليوم ، وتكبيل المرتكب المحكوم عليــه بالقيود والأغلال ، كل ذلك مقترنة نشأته بالقانون الاوربي، ولا أصل له البتة في شريعتنا . بل تنبغي ازالته ، وازالة الآثار القبيحة المهلـكة المترتبة عليه . والتي هي أولى بتهييج الاستاذ وكيل النيابة ، وبمبـادرته الى رفضها ، والدعوة الى اخراجها من القانون بجرة قلم ، كما يقولون !

ولكن يظهر أن الاستاذ لم يكن له هـم الا تكرار ألفاظ غير حسنة ولا مقبولة ، يصم بها شريعة الله وحكمه في قطع يد الســارق ، فيقول للاستاذ الحمزة دعبس :

« ومع تقـديري لخبرته ، وما لاحظه ولمسه بحكم عمله ، فاني أحسب أن هذا الطابع ، لا يبرر الرأي الذي اسـتخلصه (يعني الرجوع الى الشريعـة في الحـكم بقطع يد السارق) ، فاغلب الظن أن وكيـل النيابة ، بمنطق العدل الذي لا يميل، (وهو وحده)، متجردا عن كل مشـاعر الرغبة في الانتقـام ، الذي

يستطيع بما يقف عليه من أسرار وظروف المحكوم عليهم ، أن يقدر مدى تأثير هذه الظروف » .

فمن الذى علم الأستاذ ، على ما فى عبارته من الالتواء ، أن القاضى أو وكيل النيابة ، يصدر فى أى حكم من أحكامه عن « الرغبة فى الانتقام » ؟ أيظن أن القاضى اذا قضى ، وهو من رجال القانون لا من رجال الشرع ، بالقصاص من القاتل مثلا، يصدر فى حكمه هذا عن رغبة فى انتقام؟ ولم يقف هذا الأستاذ عند هذه الألفاظ ، بل أراد أن يسم حكم الشريعة بقطع يد السارق ، بما هو أشد من كل ما قال ، فتذاكى علينا ذكاء مدهشا ، فساق فى الفقرة الرابعة تاريخ قطع يد السارق ، واستباح أن يصفه بما يشاء فقال :

« ان الحكم الذى يقضى بقطع يد السارق، أو التنفيذ البدنى عموما ، عرفه الرومان منذ قرون بعيدة فى قوانين متعددة كانت تطبق عليهم ، مثل قانون الألواح، الاثنى عشر، وقانون صولون، كما عرفه أهل آشور وبابل أيام قانون حمورابى . ولقد اتسمت هذه القوانين دائما بالوحشية ، وتغلب عليها عنصر الانتقام ، وان تمثلت صورها بشكل أوسع فى المسائل المالية كالديون وسائر الالتزامات » .

فبأى حق يستطيع هذا الاستاذ أن يصف حكما انزله الله فى كتابه ، بأنه حكم « وحشى » ، وان تستر تحت ما ذكر من أحكام الرومان والأشوريين والبابليين؟ واذا كان هو يستطيع أن يرفض « بشدة» الرأى الذى يطالب باعادة توقيع عقوبة قطع اليد بالنسبة للسارق » ، كما قال ، فمن الذى أنبأه أن المسلمين يرفضونه بهذه الشدة ، حتى يصبروا على نعت حكم الله فى محكم كتابه ، بأنه « أداة انتقام »، و « نظرة عداء الى السارق ، تحاول أن تنقض عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة ، وتسومه صنوف العذاب والانتقام» ، وأنه «اتجاه غير انسانى» ، وأنه « قانون وحشى » ! ما هذا الهجاء المقذع من رجل يشهد على نفسه أنه ليس له المام كبير بأمر الدين ، والحقيقة أنه جاهل بأمر الدين كله ، لا يستطيع أن يميز بين النص الذى لا يقبل الاجتهاد ، والنص القابل للاجتهاد ؟ وحكم الله حق واجب علينا اتباعه وبيانه ، بيد أنى لم أقصد هنا قصد الابانة عن معنى حكم الله ، على وضوحه وبيانه ، ولكنى قصدت قصد هذه الموجة الطاغية من التهجم على كتاب الله بألفاظ منكرة ، بلا حياء ، وباتخاذ لفظ « التطور » ، و « الاتجاهات الانسانية »، وسيلة للطعن فى شريعة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، أنزلها الله لعباده رحمة بهم ، وأنزلها بعلمه سبحانه ، ثم يجىء مفتون فيقارن بين أحكام أنزلها الله ، وأحكام وضعها طواغيت البشر ممن لا دين لهم على الحقيقة ، ويجعلهم أعلم من ربهم الذى خلقهم ، بما يتوهمونه من « دراسات مخلصة » فى « علم العقاب » ، و «علم الاجرام » ، وسائر ما يتغطرس بذكره المارقون من عباده ، ممن لم يسلموا وجوههم لفاطر السموات والأرض ، واتبعوا كل شيطان مريد من شياطين الانس والجن . هذا هو العجب الأول .

أما العجب الثانى ، فيفضى بنا الى ما يقع عليه سلطان المبشر الثقافى ، أعنى المستشار الثقافى ، لصحيفة الأهرام ، وهو لويس عوض ، حيث نشر فى اليوم التالى لهذه المقالة ، فيما سماه «دائرة المعارف» وذلك فى يوم الاثنين ١٦ من المحرم سنة ١٣٨٥ (١٧ مايو سنة ١٩٦٥) ، تحت عنوان : « الضريبة فى العصور الوسطى : النظم الضريبية فى العصور الوسطى كانت تختلف كلية بين أوربا والبلاد الاسلامية . لم يكن فى الاسلام تنظيم كنسى ، يحجب الموارد المالية (عن) السلطة السياسية » . ووقفت حائرا فى معنى هذا العنوان ، ما معناه ، وبحثت عن اسم الكاتب ، لأستشف مقصده ، فلم أجد تحت الكلمة توقيعا . واذن فهى كلمة مبهمة لا صاحب لها الا الذى يقع سلطانه على هذه الصحيفة ، وهو المبشر الثقافى ، أعنى المستشار الثقافى، لصحيفة الأهرام.

فلنتأمل هذا العنوان قليلا قبل أن ننفذ الى المقال نفسه . « النظم الضريبية ، كانت تختلف كلية بين أوربا والبلاد الاسلامية » ، أسلوب ركيك جدا ، كأنه أسلوب «بلوتلند وقصائد أخرى» لمؤلفه لويس عوض! لا يقال : « الأمران يختلفان كلية » !! هذا ليس بعربى ، بل يقال : «الأمران يختلفان كل الاختلاف» أو « اختلافا تاما » أو ما شئت غير « كلية » هذه !. ولا يقال : « الأمر يختلف بين محمد وعلى » ، هذا ليس بعربى ، الا أن تريد أنه يذهب الى هذا مرة ، والى الآخر مرة ، وهكذا دواليك ، فاذا قلت : « الأمر يختلف كل الاختلاف بين محمد وعلى » ، صار معناه على سقم تعبيره ، المبالغة فى الاختلاف الى هذا مرة ، والى هذا مرة . هل يعنى المبشر الثقافى هذا ؟ لا أظن ، بل المراد ، والله أعلم : أن النظم الضريبية فى أوربا كانت مخالفة كل المخالفة للنظم الضريبية فى البلاد الاسلامية . فاذا كان ذلك كذلك ، صنعنا ما صنع لويس عوض بمجلة « آراب أوبزرفر » حيث

نشر صورة للصفحة الأولى منها ، وصححها تصحيح مدرس ، ومنحها درجة (٠/٢٠) ، ووقع بالأحرف الأولى من اسمه . فمنحاه صفرا على عشرة ، لا على عشرين ، بلا توقيع !

ثم يتكلم هـذا العنوان الأعجم ، ويفصح قليلا قليلا ، فيقول : « لم يكن في الاسلام تنظيم كنسي ، يحجب الموارد المالية (عن) السلطة السياسية » ، وكان فيه خطأ ، وضع (في) مكان (عن) ، وهو سبق قلم ، فنعفو له عنه ! ولكن ما معنى هـذا العنوان : أيريد أن النظم الضريبية في أوربا كانت فاسدة في القرون الوسطى ، لأن التنظيم الكنسي كان يحجب الموارد المالية عن السلطة السياسية ، أم يريد أن النظم الضريبية في بلاد الاسلام كانت فاسدة ، لخلو الاسلام من نظام كنسي يحجب الموارد المالية عن السلطة السياسية ؟ واذن فهو عنوان مجير غير دال ، ولا يستحق أكثر من صفر ، لأنه لا يؤدي الى معنى واضح مفهوم عند النظرة الأولى ، كما يتطلب ذلك فن « العنوان » ! ولكن يفهم منه شيء واحد : أن كاتبه ماكر تافه المكر ، ككل مبشر .

ثم تبدأ الكلمة هكذا : « يطلق المؤرخون اسم العصور الوسطى على فترة زمنية تغطى عشرة قرون، اصطلح على تحديد بدايتها بعام ٤٧٦ ، (والتاريخ هنا هو التاريخ الميلادي بالطبع) ، الذي شهد سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية بيد قبائل الجرمان ، وتحديد نهايتها بعام ١٤٥٣ ، الذي شهد سقوط الامبراطورية الشرقية بيد الاتراك العثمانيين. وأهم ما يميز هذه الفترة ، من وجهة نظر تاريخ الحضارة البشرية ، هو انقسام البلدان المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط الى نظامين حضاريين مختلفين ومتعارضين، تقوم بينهما العداوة والحروب: أوربا المسيحية من جانب ، والبلاد الاسلامية من جانب آخر » . وظاهر انه يريد أن يدخل تاريخ الاسلام منذ ظهوره الى أن فتح الأتراك أرض الامبراطورية الشرقية ، في « العصور الوسطى » الأوربية ، وهذا خطأ شنيع ، وتحكم غليظ ، وكان « الحضارة البشرية » مرتبطة بالجنس الأوربي وحده، فما كان عنده « عصور وسطى » منحطة ، فهو منسحب على تاريخ أهل الاسلام ، موصوف بما توصف به « العصور الوسطى » ، من الانهيار والانحطاط والجهل ! وهذه احدى الدسائس التي دسها « التبشير » و « الاستعمار » بوسائله في مدارسنا وكتبنا ، حتى كدنا نعدها بديهية من البديهيات . والواقع فيها ، واقع في خلط فظيع ، يلغي من تاريخ البشرية أشرف عصورها وأكرمها وأنبلها وأصدقها علما وعملا، في أمر الدنيا والآخرة.

ولكن لا باس ! ثم يبدأ هذا الكاتب المجهول بعد قليل فيقول : « والذي يعنينا من هذه الملاحظة التاريخية ، هو أن نظام الضرائب قد اختلف اختلافا كبيرا في بلاد الاسلام عنه في أوربا . ولعل اهم (والق بالك الى قوله : أهم) ... ولعل أهم ما يميز البلاد الاسلامية في هذا الصدد ، هو أن الاسلام قد أضفى على الأسس العامة للنظام الضريبي طابعا دينيا ، يجعل من اليسير على الحكام أن يتلاعبوا بها (بهذا الادب الجم أدب لا منس وزويمر وملحقاتهما !!) ، وفي نفس الوقت لم يكن للاسلام تنظيم كنسي(!!) يحجب الموارد المالية التي تجبى باسم الشرع ، عن السلطة السياسية ، مما أغنى الحكام عن أن يفرضوا ضرائب مباشرة ، لم يرد لها أصل في الفقه الاسلامي » ثم أخذ يضرب يمينا وشمالا ، ويترنح ويتطوح ، ويستقيم لسانه تارة ويلتوي أخرى ، بذكر « الخراج ، والجزية ، والزكاة » ، في بضعة أسطر ، حتى انتهى فجأة الى قوله : « أما في أوربا الغربية ، فقد أدى انهيار السلطة الامبراطورية الى انهيار النظام الضريبي الذي أقامته تدريجيا خلال عدة قرون » ، ثم دخل في ذكر ملوك البربر الذين قسموا الامبراطورية الغربية ، وانحدر الى النظام الاقطاعي ، حتى قال : « وكان طبيعيا في هذا الوضع (يعني وضع النظام الاقطاعي) ، أن يختفي مفهوم الضريبة الذي تكون خلال عدة قرون في ظل الامبراطورية الرومانية » . ولم نفهم شيئا مما قال، لأنه لم يحدثنا بشيء عن الضريبة ، ما هي ، ولا كيف كانت ، بل ساق لنا وعجنا بلا محصول ، ليقول هذا :

« وفي هذا المجتمع الاقطاعي بقيت سلطة مركزية واحدة هي الكنيسة الكاثوليكية ، وكانت تقوم بعدد من الخدمات العامة : كالتعليم ، والصحة ، والقضاء. وكانت الكنيسة تمول نشاطها من مصدرين : الاوقاف ، التي سرعان ما تحولت الى اقطاعيات دينية للأسقف ، فيها سلطة السيد الاقطاعي ، والعشور ، وهي ضريبة تقدر بالعشر من الدخل ، أخذت الكنيسة في جبايتها اعتمادا على بعض نصوص الكتاب المقدس » .

وانا لا أحب أن أتحكم في الناس برأيي ، ولكن أسأل كل قارىء أن يلتمس هذا العدد من الأهرام ،

ويقرأ هذه المقالة ، ويحدثني بعد ذلك عن الذي جاء به هـــذا الكاتب المتخفي ، في موضـــوع « النظم الضريبية » ، وكيف كانت في بلاد الاسلام ، وكيف كانت في أوربا ما بين سنة ٤٧٦ الى سنة ١٤٥٣ من الميلاد • فاذا لم يجد فيها شيئا يفهم ســوى الفاظ مخمورة مترنحة بلا معنى ولا ترابط ، فليحدثني فيم كتبها هذا الكاتب ؟ أكتبها ليقول : « ان الاسلام قد اضفى على الأسس العامة للتنظيم الضريبي طابعــا دينيا ، يجعل من اليسير على الحكام أن يتلاعبوا به؟» أهذا صحيح ؟ أهذا شيء يسلم لحضرة الكاتب المتخفي لأنه قاله وقضى ما قضى ؟ أهكذا يقضي هذا المسكين على ما بينه الله ورسوله من حقوق الأموال ومصارفها بأنه نظام يتيح للحكام أن يتلاعبوا به ؟ ثم يعقب على ذلك بان العيب أتى من قبل أن الاسلام لم يكن له « تنظيم كنسي » ، يحجب الموارد المالية التي تجبى باسم الشرع عن السلطة السياسية ، مما أغنى الحكام عن أن يفرضوا ضرائب مباشرة لم يرد بها أصل في الفقه الاسلامي ؟ أهذا كلام صــاح مفيق ؟ أم كلام مختلط العقل يريد أن يدخل لفظ « تنظيم كنسي » في كلامه ، ليدل على عوار الاسلام وفساد نظمه ، اذ لم يكن فيه « تنظيم كنسي » شريف ؟ وأي شيء هذا « التنظيم الكنسي » ، الذي حجب الموارد المالية عن السلطة السياســية ؟ وكيف كان ذلك ؟ ومتى كان ؟ أغاية ما هنالك أن « الكنيسة الكاثوليكية » بقيت سلطة مركزية ، تقوم بعــدد من الخدمات ، وتتمول من أوقاف صارت اقطاعا ، وعشور تجبيها من الناس ؟

ماهذا الهوس الذي يكتبه هذا الكاتب المتخفي ؟ أنا لا أشك في أنه مبشر سخيف العقل جدا ، فان لم يكن هو لويس عوض بلحمه ودمه وعقله ، فهو أشبه شيء به • واذا كانت صحيفة الأهرام ، قــد أنشأت هذا الباب من « **دائرة المعارف** » ، فيصبح مرتعا للمبشرين وذيولهم وأذنابهم ومخالبهم ، ولا أظنها أرادت ذلك البلاء ، فخير أن تغلقه ، وتكف عن الناس الشر الذي يهب عليهم من قبله ، أو أن تقذف بهذا المبشر الثقافي الى خارج أبوابها ، لأنه لا يتورع عن سوء أدب يرتكبه موقعا باسمه ، أو تطاول يقدم عليه مجهـــول الاسم ، باشرافه على باب يراد منه تثقيف الناس بكلام مفهوم ، دال على معنى مفهوم ، لا اتلاف عقولهم بخطرفات وترهات ، وحديث جهال، وهذيان هاذين ، وعربدة معربدين •

وقد أسلفت في المقالة الثانية عشرة بيان معنى « دائرة المعارف » ، التي آثرت تسميتها « الجمهرة » وبينت معنى هذا الباب ، وما يراد منه ، فان لم يكن قرأها مسئول عن هذه الصحيفة فليقرأها اذن ، ليعلم أول ما يعلم : مامعنى هذا الباب الذي نشأ في صحيفته ، وكيف ينبغي أن يكون ، فهذه أول مهمة يتقلدها • ثم ليعلم أن هذا الباب، اذا تتبعه متتبع لم يخطىء أن يجده قد صار ستارا لعرض أفكار كثيرة للمبشرين وعقولهم السخيفة ، على قــراءه لايزالون يظنون بأبواب صحيفته خــيرا كثــيرا ، ويعدونها مصدرا لثقافة صحيحة حقيقة بالاهتمام • واذا كان ذلك كذلك ، فبأي قلب يرضى أن يصــاب من قراء الأهرام من يصاب ، بعــدوى داء عضـــال من لوثة ينشرها مبشر حامل جراثيم ، لا يؤتمن على صحة العقول ، كما لا يؤتمن متطبب دجال على صحة أبدان الناس • وعقول النشء أولى بالحياطة من أبدانهم ، فان البدن اذا تلف منه عضو ، احتازت سائر الأعضاء نصيبه من العمل • ولو أفضى الأمر الى تلف البدن كله بتطبيب هذا الدجال ، فالتلف قاصر على صاحبه لا يتعداه • أما تلف العقول بالآفات المبيرة ، فالعقل لا يستعاض عنه ، ولا يقوم شيء من الأعضاء مقامه ، ويبقى صاحبه معـــافى البدن ،ولكنه يمشي به في الناس لينفث فيمن يعاشر جرثومة يستشري داؤها ، ولا يرجى شفاؤها ، الا بعـــد وقت طويل ، وعلاج مضن ، اذا تيسر الطبيب المتفرغ لمباشرة علاجه يوما بعد يوم •

هذا ، كما ترى ، خبر ما قــرأت من العجب في يومين متتابعين ، ولم أجده مما يسعني في ديني ، ولا في عقلي ، ولا في أمانتي ، أن أسكت عنهما ، وادع عرضهما على الناس • لأن هذه ظاهرة بينة الدلالات ، ففي موضعين مختلفين ، وفي صحيفتين مختلفتين ، ينشر كلام لا أصل له ولا هدف الا الطعن الصريح في الاسلام والتسفيه الواضح لأحكام دين الله •

فباسم مبهم ، لايدري من هو ، ولا من يكون ، يكتب كاتب متهيج رسالة لا شيء فيها من الجد ، سوى حب الترديد لوصف حكم من أحكام الله ، بأنه قاس ، وبأنه صادر عن الرغبة في الانتقام من البشر ، وبأنه حكم وحشي ، ويكتبه بأسلوب لا أدب

فيه ، ولا يتضمن علما أو ذكاء ، وانما هى ألفاظ مبنية على المغالطة ، ومشمولة بالابهام كاسم صاحبها ، ولم يخرج كل ما فيها من الحجج البينات عن الذى سمعته باذنى منذ أكثر من أربعين سنة ، من فم القسيس المبشر الخبيث زويمر ، ومن غيره من أشباهه ممن كان يتردد على جمعية الشبان المسيحية ، وعلى الجامعة الأمريكية . ولا أدرى ما الذى يراد اليوم بنشره بين قراء صحيفة الأخبار ، فى هذه الفترة المضطربة التى اجتمعت فيها قوى الشر علينا من كل أوب كزنابير النحل ؟ وكثير من شباب القراء اليوم لا يملك القدرة على رد هذه الشبه الملفقة بالفاظ « التطور » ، و « البحث العلمى » ، و « الدراسات المخلصة » ، و « الاتجاهات الانسانية » ، وسائر هذه الضلالات التى تهينا عن اسلام عقولنا لأمثالها ، والتى أفضت منذ قريب الى قيام بعض الكنائس باحلال أخبث انحراف جنسى يصاب به انسان شريف ، وجعله عملا من الأعمال المباحة التى لا يلام صاحبها دينا ، ويؤمر جماهير الناس أن لا يستنكروا ذلك من فعله، أو يمتهنوه ، أو يزدروه. وهذه هى ذروة « البحث العلمى المخلص » ، وقمة « الاتجاهات الانسانية » ، التى يراد لنا أن نقتفى آثارها ، ونتخذ أسلوبها فى النظر اسلوبا نعيش به، ونقيم أحكامنا عليه ، مسفهين أحكام الله فى كتابه وفى سنة رسول صلى الله عليه وسلم ، بجراءة فظة ، وبلا مبالاة بالمخوف من عواقب هذا الضلال الذى عاش فيه العالم الأوربى المسيحى ، ولم يزل يعيش فيه .

وبلا اسم ، وبلا توقيع ، يجترىء مبشر « مجهول » على أن يجعل أكمل نظام للأموال عرفته الحياة البشرية الى اليوم ، نظاما « يجعل من اليسير على الحكام أن يتلاعبوا به » ، ويزداد عتوا أو جراة وسوء أدب ، فيوحى الى قارئه أن خلو الاسلام من « التنظيم الكنسى » الشريف !! هو السبب فى فساد هذا النظام ، بدعوى تدل على تمام الجهل بتاريخ الكنيسة فى أوربا ، ليقول صراحة : « ان الاسلام لم يكن له تنظيم كنسى ، يحجب الموارد المالية التى تجبى باسم الشرع (يعنى الزكاة ، والخراج ، والجزية !!) ، عن السلطة السياسية ، مما أغنى الحكام عن أن يفرضوا ضرائب مباشرة لم يرد لها أصل فى الفقه الاسلامى » وهو فوق ذلك كله ، تعبير جاهل بمعانى الألفاظ ، ملفوت عن حقائق هذا الدين ، مملوء القلب والعقل بأساليب التبشير وأساليب الاستشراق ، وهما شىء واحد فى الحقيقة ، ويسوق هذا المكر الخبيث فى موج متلاطم من الألفاظ التى لا يحصل من مجموعها معنى صحيح مفهوم .

وصدق المبشر الذى قال ، وقد أنسيت مكانه واسمه الآن ، حيث قال : ان المكان الوحيد فى العالم الاسلامى ، الذى لا يكاد « التبشير » يتفق فيه شيئا يذكر ، هو مصر ، فانهم بعد طول استيلائهم على الحياة بأساليبهم التى شرحتها آنفا ، كان لكل مبشر رزق يناله من قوت هذا الشعب المسلم ، ويؤجر على عمله من ماله ، فى الصحافة ، وفى المدارس ، وفى المستشفيات ، وفى كل باب دخله « التبشير » وبث فيه أعوانه ، مقنعين بضروب مختلفة من الثياب ، ولكل طائفة منهم أسلوب قد درسوه وأحكموه ودربوا عليه ، كما كشفت ذلك حين نزعت طيلسان الجامعة عن لويس عوض ، وأظهرته مبشرا مدربا تم تدريبه **«تحت أشجار الدردار بكامبردج»** .

وبعد ، فهذا أمر « مكشوف » ستاره لمن يريد أن يبصر ، وهو لم ينحدر قط علينا بهذا القدر من العنف ، والمراوغة ، والتحايل ، ولم ينبثق سيله من كل وجهة وفى كل مكان ، كما انحدر وانبثق فى هذه الأيام . وأنا أحذر قومى ، فان دلائل هذا التبشير واضحة فى الذى ذكرت ، وفى الذى لم أذكره ، من كلام كثير يستفيض فى صحف كثيرة ومجلات . و « **التبشير** » أداة من أدوات « الاستعمار » ، وهما أخوان لأب وأم . فالحاج « التبشير » علينا بأدواته ودعاه ، صريحة ومتخفية ، واعية وغير واعية ، يحمل معنى واضحا من ارادة التدمير والهدم ، ونشر البلبلة ، وافقاد الأمة أسباب بقائها ، ويرمى الى هدف واضح ، قد عمد اليه مرات من قبل فى مصر وفى غير مصر ، فى خلال الانتفاضات الكبرى التى يخشى معها أن يسترد العالم العربى والاسلامى قوته وبأسه ، وينفرد بنفسه منشئا بانيا ممهدا لحضارة ترث هذه الحضارة الأوربية المسيحية فى أوان انهيارها هذا الذى تعيشه . وقد ضربت الأمثال من قبل فى بعض مقالاتى ، فانا أتخوف أن ننتهى الى شر غاية ، اذا تركنا هؤلاء المفسدين العابثين يمرحون ويسرحون ، بلا رقيب على سوء أعمالهم . وبلا وازع يردعهم عما يبغون لنا من الغوائل . ولا يؤتى المرء الا من غفلته ، وشر الأعمال التهاون ، ورب شرارة صارت نارا متضرمة .

« **محمود محمد شاكر** »

كلمات فى كلمات

بحوث لغوية تاريخية

بقلم: حامد عبد القادر

كان يوسف هو الذى نبه شأنه ، وعظم قدره دون سائر اخوته ، وربما تكون قصته مع زليخا زوج عزيز مصر «فوطيفار» من اشهر قصص الشرق القديم ، ان لم تكن اشهرها ، ذكرتها التوراة فى تفصيل وتطويل ، وذكرها القرآن الكريم فى ايجاز واعجاز ، متبعا فى سردها اسلوبه القصصى الخاص ، الذى يمتاز بالاكتفاء بامهات الحوادث ، والاستغناء بهـا عما عداها من التفصيلات المملة التى لاتجدى ولايؤثر الاستغناء عنها فى تكوين هيكل القصة .

لقد بدأت قصة يوسف اليمة ، ولكنهـا انتهت مشرقة سعيدة ، يتجلى فيها عطف الله سبحانه على المستضعفين ، واحباط كيد الخائنين الظالمين .

فقد كرم الله يوسف «الصبى» فاحبط مؤامرة اخوته ، وانجاه من غيابات الجب ، ثم اكرم يوسف «الفتى» مرة اخرى فاحبط كيد امرأة العزيز له . واخرجه من غياهب السجن بعد أن لبث فيه بضع سنين .

ذلك انه تعالى علمه تأويل الاحاديث ، ثم حدث أن رأى فرعون ملك مصر رؤيا عجز رجال الدولة عن تأويلها ، وعلم ببراعة يوسف فى تأويل الاحلام فارسل يستفتيه فى رؤياه فأولهـا تأويلا ارتاحت اليه نفس الملك ، فامر باطلاق سراحه وتكريمه ، وقال : ائتونى به استخلصه لنفسى .

واكرم الله يوسف «الرجل» مرة ثالثة فالقى فى قلب فرعون محبته ، وتوسم الملك فيه الامانة والكياسة وحسن التدبير فجعله على خزائن الارض فحينئذ بلغ ذروة المجد ، وصار ذا حول وطول ، وحدثت مجاعة فى كنعان فارسل يعقوب ابناءه ليأتوا بالطعام من مصر ، فصدعوا بالامر ، ودخلوا على يوسف «فعرفهم وهم له منكرون» . وكان من امر يوسف مع اخوته ماكان مما اراد الله به ان يجمع شمل الاسرة ، ويمهد السبيل لدخول بنى اسرائيل مصر ، وذلك حين قال يوسف لاخوته : «اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا وائتونى بأهلكم اجمعين» لقد تم الامر ودخل بنو اسرائيل مصر وكان عددهم سبعين (تكوين ٤٦ ــ ٣٦) .

وقد اكرم فرعون وفادتهم ، وقال ليوسف : «امامك ارض مصر ، فى افضل الارض اسكن اباك واخوتك ، ليسكنوا فى ارض جاسان » (تكوين ٤٧ ــ ٥) .

وكانت ارض جاسان واديا فى اقصى حدود مصر الشرقية ، وهو فى محافظة الشرقية الآن ويسمى وادى الطميلات ، وكانت هذه الارض مناسبة للمصريين وبنى اسرائيل على السواء ، فقد امن المصريون باستيطان بنى اسرائيل حدودهم الشرقية ــ غزو من كانوا يغيرون عليهم من الشرق ووجد فيها بنو اسرائيل مراعى خصبة لمواشيهم ، ومزارع كثيرة يستطيعون استغلالها ، فقد كانت ارض جاسان اذ ذاك ارضا زراعية خصبة ، وقد قيل انهـا هى المرادة بقولها تعالى « واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها » ١٣٦ الاعراف بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية : « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر

فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم » ـ ١٣٧ الاعراف ، فمجاوزتهم البحر لم تكن الا بعد أن أخرجوا من أرض جاسان ٠

هذا الى ان انفراد بنى اسرائيل بمكان خاص من شأنه ان ييسر لهم العيش فى هدوء واستقرار ، وممارسة طقوسهم الدينية ، وعاداتهم وتقاليدهم التى الفوها دون ان يعترض احد سبيلهم ٠

وبعد ان اقام يعقوب بمصر نحو سبع عشرة سنة احس باقتراب منيته فجمع ابناءه ، والقى عليهم من النصائح والمواعظ مايجعلهم يحيون حياة طيبة ٠ ولما بلغ من العمر سبعا واربعين ومئة سنة لحق بربه ، فحمل ابناؤه جثته ودفنوها فى ارض كنعان ٠

- ١٨ -

وكان ملك مصر فى تلك العصور القديمة يلقب بلقب :

فرعون

وهو بالعبرية פרעה برعه ، بباء ثقيلة مفتوحة فراء ساكنة فعين مضمومة ضمتها ممالة فهاء ساكنة . فلما عرب كسرت الفاء واضيفت النون فى الآخر لتكون سنادا للحركة ٠

ويرى المحققون ان هذا الاسم مأخوذ من كلمة مصرية قديمة هى برع بباء ثقيلة مكسورة كسرتها ممالة فراء ساكنة فعين مضمومة ضمتها ممالة نحو الفتحة هكذا per,o

ويكاد يكون من المتفق عليه ان المعنى الاصلى لهذه الكلمة هو : «القصر الفخم» ، ثم اريد به فى عهد المملكة الحديثة المصرية : «القصر الفخم الخاص بالملك» ، واخيرا اطلق على الملك نفسه ، مثله فى ذلك مثل «النجاشى» لملك الحبشة ، و«قيصر» لملك الروم ، و « كسرى » لملك الفرس ٠ ومنذ عهد قريب كان يراد «بالباب العالى» ، قصر الخليفة العثمانى او الخليفة نفسه ٠

وقد استمر لقب « فرعون » يطلق على كل ملك من ملوك مصر القدامى حتى عهد الحكم الفارسى لمصر الذى بدأ سنة ٥٢٥ ق‌م تقريبا ٠ وقد شاع اطلاق هذا اللقب على ملك مصر بين العبرانيين وغيرهم من الكتاب الذين حاكوهم ٠٠ واستعمل اللقب فى العهد القديم اما وحده دون أن يكون بعده اسم الملك (تكوين ١٢ـ١٥ ، ٣٧ـ٣٦) واما متبوعا بالعبارة «ملك مصر» كما فى ٣ـ١ ، ٩ـ١٦ من القسم الاول من سفر الملوك ، واما متبوعا باسم الملك وهذا نادر كما فى ٢٣ ـ ٣٣ من القسم الثانى من سفر الملوك حيث ذكر الاسم نيخو ، وكما فى ارميا (٤٤ـ٣٠) حيث ذكر الاسم خفرع ٠

وهنا نسأل :

ما اسم فرعون الذى فى عهده دخل بنو اسرائيل مصر ؟

ونجيب بأن معظم المؤرخين متفقون على ان دخول بنى اسرائيل مصر كان فى عهد الهيكسوس أو الرعاة الذين يسميهم العرب « العمالقة » وقد استمر حكمهم قرنين تقريبا أى من سنة ١٨٠٠ ق‌م حتى سنة ١٦٠٠ ق‌م تقريبا ٠

وقد كان حكم الهيكسوس لمصر اذ ذاك من الاسباب التى سهلت على يوسف الامر ، ويسرت لبنى اسرائيل دخول مصر والاقامة بها فى هدوء واستقرار ، ذلك لان الهيكسوس لم يكونوا مصريين بل كانوا اجانب لايزعجهم أن يدخل البلاد اجانب امثالهم ، وقد كانوا ساميين ينتمون الى الجنس نفسه الذى كان ينتمى اليه بنو اسرائيل ، وكانوا فى أول امرهم رعاة ابل وشاء كما كان العبرانيون فى كنعان (تكوين ٤٦ ـ ٣٢) ٠

ويرجح رولنسون عالم الاثريات المشهور أن دخول بنى اسرائيل مصر كان فى أواخر حكم الهيكسوس فى أثناء قيام الاسرة السادسة عشرة ، وقد وافقه على ذلك الاستاذان عمر الاسكندرى وسفدج ٠ ويرى رولنسون ومن تبعه ان فرعون مصر الذى عطف على يوسف كان يسمى «p،pi واذا تسامحنا قليلا فى تعريب هذا العلم قلنا انه « عفيفى » ، فالألف والعين من حروف الحلق التى يحل بعضها محل بعض ، والباء الثقيلة والفاء من حروف الشفة ٠ (تاريخ مصر بالانجليزية ، تأليف رولنسون ص ١٤٥ـ١٤٦) ٠

ويروى رولنسون عن عفيفى هذا أنه كان يحكم مصر كلها شماليها وجنوبيها ، وأنه كان يدين بالاله واحد ، وهذا هو ما يوصف به فرعون يوسف فى التوراة (تكوين ٤١ : ٣٨ـ٣٩) ، وانه قد تمصر تمصرا تاما أى اتبع التقاليد والعادات المصرية ، وانه

كان له مجلس شورى من كبار رجال الدولة ، وأن حكمه كان مستقرا هادئا ، نعمت فيه البلاد بالامان من أوله الى ما يقرب من نهايته ، وان مقر حكمه كان مدينة « تنيس » أو « أواريس » ، وانه كان قوى الارادة صادق العزيمة ، ثابتا على المبدأ ، لم يرهب احداث الانقلابات والتغيرات الثورية ، ولم يجرؤ احد ان يقف فى سبيل تنفيذ رغبـــاته ولو كانت تعسفية .

ويختتم رولنسون كلامه فى هذا الموضـــوع بما خلاصته مترجمة :

« اننا لم نستوعب جميع المبررات التى تجعلنـــا نقرر ان فرعون يوسف كان هذا الفرعون (عفيفى) ، ولكن ما ذكرناه كاف لأن يجعلنا أشد ميلا الى موافقة المحدثين من المؤرخين على القول بأن الحوادث المثيرة التى حدثت ليوسف واخوته كانت فى عهد ذلك الملك الذى كان آخر ملوك الرعاة » ، الذين امتد حكمهم الى سنة ١٦٠٠ قم أو سنة ١٥٨٠ قم تقريبا .

هذا وقد عاش يوسف حتى بلغ من العمر عشرا ومئة سنة ، بعد ان رأى الجيل الثالث من أحفاده أبناء افرايم ابنه الاول ، وبعــد ان ولد على ركبتيه اولاد « ماكير » ابن ابنه الثانى منسى .

- ١٩ -

« ولما انتهى حــــكم الهيكسوس .. جلس على عرش مصر المصريون اهلها الشرعيون ابتــداء من الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠-١٣٥٠ قم) ولم يكن فراعنة هذه الاسرة ليعطفوا على بنى اسرائيل ، بل انهم اخذوا يعذبونهم ، ويفرضون عليهم الاعمـــال الشاقة المضنية ، ويلهبون ظهورهم بالســياط ، ويسومونهم سوء العذاب » ، ثم أخذوا يقتلون أبناءهم وقد قيل ان ذلك كان عملا بمشورة بعض المنجمين الذين زعموا لفرعون ان خراب بلاده سيكون على يد احد العبرانيين .

وليس من الصـــعب أن ندرك السر فى كراهية المصريين لبنى اسرائيل ، فقـــد كانوا يكرهـــون الهيكسوس اشد كراهية ، لانهم كانوا أجانب أغاروا على بلادهم واستولوا عليهــا بحد السيف . وكان بين بنى اسرائيل والهيكسوس تعـــاطف أدى الى صداقة ولو ظاهرية للاسباب التى ذكرناها من قبل وقد جرت العادة بأن يعادى الناس اصدقاء أعدائهم. ويتعين علينا هنا أن نسأل :

فى عهد من من الفراعنة بلغ تعذيب بنى اسرائيل أشده ؟

يقول رولنسون الآنف ذكره فى الجواب عن هذا السؤال : ان ذلك كان فى عهد رمسيس الثـــانى (١٢٩٢ - ١٢٢٥ قم) . ويقرر ان هذا هو الرأى الذى يرقى الى درجة الاجماع فقد قال به أكثر العلماء الماما بتاريخ مصر القديم .

قد يكون سيتى الاول أبو رمسيس الثـــانى (١٣١٣ - ١٢٩٢ قم) هو الذى وضع خطة التعذيب وأكره العبرانيين على الاعمال الشاقة ، ولكننا اذا علمنا ان هذا التعذيب قد استمر زهاء ثمانين سنة (خروج ٢-١ ، ٧-٧) لزمنا القول بأنه قد استمر طوال عهدين متواليين على الاقل ، فاذا كان قد بدأ فى عهد سيتى الاول فلا بد أن يكون قد استمر فى عهد ابنه رمسيس الثانى الذى يعزى اليه القيام بالجزء الأكبر من تعذيب بنى اسرائيل ، وانه هـــو الذى فرض عليهم أن يبنوا مدينتى رمسيس وفيتوم على مقربة من جاسان .

ان هذا التعذيب هو الذى أثار موسى (خروج ٢ - ١١ ، ١٢) ، وجعل الرب ينظر الى هؤلاء المعذبين نظرة عطف وشفقة (خروج ٣ - ٧) وجعل هؤلاء يضجرون ويجأرون بالشكوى الى الله (خروج ٥ - ٦ وما بعدها)

موسى وهرون

عليهما السلام . وموسى هوبالعبرية משה

موشه ، بميم مضمومة ضمتهـــا طويلة ممالة نحو الفتح ، فشين مكسورة كسرتها ممالة نحو الفتح ، فهاء صامتة .

ويبدو لأول وهلة أن كلمة «موشه» اسم فاعل من فعل عبرى ماضيه ماشاه ، ومضـــارعة يمشـــه ימשה משה والهاء المتطرفة لا تظهر فى النطق فى الماضى والمضارع والامرواسم الفاعل ، وهى تقابل لام الكلمة فى الفعــل الناقص فى اللغة العربية كما فى بنى - يبنى .

ومعنى « ماشاه » انتشل ، أو انقذ من الغرق . وقد قالت التوراة فى تعليل هذه التسمية على لسان بنت فرعون : انى انتشلته من الماء - (خروج ٢-١٠)

وقد أخذ نحاة العبرية ينقدون هـــذا التعليل ، فقالوا ان الاسم الذى ينطبق عليه هذا التعليل هو اسم المفعول من الفعل نفسه ، وهو ما شوى أى منتشل بفتح الشين ، لا اسم الفاعل وهو موشـــه بمعنى منتشل بكسر الشين .

وأنت خبير بأن هذا الكلام لا يستقيم الا على فرض أن بنت فرعون كانت تعرف العبرية ، وأنها سمت الطفـــل الذى وجدته فى المـــاء فى التابوت باسم عبرى .

ولا ريب أن كلا الامرين بعيد عن الصواب ، اذ أن احدا لا يستطيع أن يقول ان بنت فرعون كانت تعرف العبرية ، بل انه من المشكوك فيه أن لغة بنى اسرائيل أنفسهم الذين كانوا بمصر فى تلك العصور الغابرة كانت العبرية كما هى فى العهد القديم ·

اننا نستبعد أن يوسف كان يخاطب المصريين بالعبرية ، وأن موسى وهرون كانا يخاطبان فرعون والسحرة بالعبرية ، وأن كلا من الفريقين كان يتفاهم والآخر بطريق التراجمة ·

واننا فى الوقت نفسه نقرر أن المعقول الذى يتبادر الى الذهن أن بنى اسرائيل لما طالت اقامتهم بمصر اضطروا الى أن يتخذوا المصرية لغة لهم ، شأنهم فى ذلك شأنهم فى العصور المتوسطة والحديثة ، فقد جرت عادتهم أن يتعلموا لغة البلاد التى يستوطنونها .

وليس لدينا من الأدلة مايجعلنا على يقين من أن بنى اسرائيل بمصر كانوا فيما بينهم يتكلمون بالعبرية بوصفها لغة ثانية أو لغة قومية ·

ومهما يكن من أمر فمما لاشك فيه أن بنت فرعون لم تكن تعرف العبرية · فاذا سلمنا بأنها هى التى سمت الطفل المنتشل بهذا الاسم كان علينا ان نسلم بأن هذا الاسم مصرى الأصل ·

ان هـذا هو ما قال به كثير من المؤرخين على اختلاف ما فيما بينهم ، فقد ذهب يوسفوس المؤرخ اليهودى المعروف (٣٨ م) الى أن موشه كلمة منقولة من عبارة مصرية قديمة تفيد معنى المنتشل من الماء ، بفتح الشين ·· ويرجح فورست أنهـا مأخوذة من كلمتين مصريتين قديمتين معناهما ابن ايزيس · مثله فى ذلك مثل الاسم تحتموسيس أى ابن تحت ·

ولعل الأقرب الى الصواب من هذا الموضـوع هو ما ذكره جزينس العالم اللغوى الكبير ، فانه يرجح أن الاسم « موشه » أصله كلمة مصرية قديمة هى مس أو ميسو بمعنى طفل أو ابن ، وقد ذكر هذا الاسم فى العهد القديم ٧٠٦ مرات منها ٢٩٠ فى سفر الخروج ، و٨٦ فى سفر اللاويين ، و٢٣٣ فى سفر العدد ، و٣٨ فى سفر التثنية ، و٥٩ فى سـفر يوشع ·

وموسى هو ابن عمران (عمرام) ويوكابد (وكانت عمة عمران) (خروج ٦ــ٢٠) (والعدد ٢٦ــ٥٩) · وهو من سبط لاوى (خروج ٢ ــ ١) وكان الأخ الأصغر لهرون (خروج ٤ــ١٤) ، وأخا مريم (العدد ٢٦ــ٥٩) ·

ووصف موسى بانه نبى (تثنية ١٨ــ١٥ ، ١٨ ، ٣٤ــ١٠) ·

وبانه النائب عن الله تعالى فى التشريع (خروج ٢٠ــ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) ·

وبانه المشرع (تثنية ٣٣ــ٤ ، ويوشع ٧ــ١٣) ·

وقد أشير الى الواح موسى فى القسم الاول من سفر الملوك (٨ــ٩) ·

هذه هى الآراء المأثورة فى اشتقاق الاسم «موسى»· ولعل القارىء الكريم يدرك معى أنها آراء لا تشفى الغليل لما يبدو فيها من تكلف ، ولهذا أرانى أميل الى القول بانه ليس هناك ما يمنع من أن هذا الاسم مشتق من الفعل العبرى ماشاه بمعنى « انقذ » ، وحينئذ يكون معناه « منقذ » ، غير أنى أضيف الى ذلك أننا اذا رجحنا هذا الراى كان علينا ان نفرض ان هذا الاسم قد أطلق على موسى عليه السلام بعد أن انقذ بنى اسرائيل من عذاب فرعون ، أى انه ليس ببعيـد أن مدونى التوراة فى القرون التالية لحادثة الخروج والانقاذ قد أطلقوا على موسى هـذا الاسم اعترافا بفضله ، وتخليدا لنعمة الله عليه اذ جعله السبب المباشر فى تحرير أجدادهم من العذاب المهين ، ولكى يضفوا على هذا الاسم شيئا من القدسية ادخلوه فى صميم التوراة ·

ولعل مما يؤيد هذا الراى ما نحسه من تكلف فى رجع هذا الاسم الى أصل مصرى قديم ، وكذلك مانراه من اختلاف العلماء فى تحديد هـذا الأصل المصرى ·

وأخيرا نقول انه من البعيد أن يكون من قبيـل المصادفة ورود هذا الاسم على وزن اسم الفاعل من فعل كثير الاستعمال فى العبرية وهو الفعل ماشاه أى أنقذ ·

هذه هى خلاصة موجزة لاشتقاق الاسم «موسى»

اما هرون فهو بالعبرية אַהֲרֹן اهرون ، بالف مفتوحة ، فهامفتوحة فتحتها مخطوفة ، والواو قبل النون تمثل ضمة طويلة ممالة ·

ولما عرب هذا الاسم رسمت الهـاء الممدودة لفظا بدون الف المـد محاكاة لصورة الاسم فى العبرية الخالية من ألف مد · ولا مبرر لهذا الحذف ، ومن ثم ارى من الواجب ان يكتب هذا الاسم كما ينطق به هكذا « هارون » ·

ويرى العلامة فورست أن معنى هـذا اللفظ فى الأصل هو « مستنير » ، وهو علم على الأخ الأكبر لموسى ، وكان يعد رئيسا لرجال الكهنوت ، ومن ثم اطلق على هؤلاء الرجال « أبنـاء هارون الكاهن » (يوشع : ٢١ــ٤) ، كما اطلق عليهم فى التلمود « الهارونيون » ·

« حامد عبد القادر »

مواقف رائعة فى قصة الحديبية

بقلم : محمد محمد المدنى

مواقف كثيرة فى «قصة الحديبية» يتجلى فيها حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمته ، وبره وحكمته ، وهدوء نفسه ، وشجاعة قلبه ، كما يتجلى فيها ثقته بوعد ربه وانه لا يضيعه ، وترسمه لما رسمه الله له لايحيد عنه مهما عارض المعارضون ، وجادل المجادلون :

فمن ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اعتزم الخروج من المدينة قاصدا الى مكة لاداء العمرة — وكان ذلك فى مستهل ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة — استنفر الناس للعمرة معه فلباه عدد من المهاجرين والانصار يقدر بالف واربعمائة ، وكان معه من امهات المؤمنين زوجته ام سلمة رضى الله عنها ، وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على الا يحمل احد سلاحا الا سلاح المسافرين — وهو السيوف فى قرابها — وعلى ان يسوق الهدى بين يديه سبعين بدنة حتى يعلم الناس انه لم يخرج غازيا ، وانما خرج زائرا للبيت الحرام ، معظما له ، لايريد الا اداء النسك، فيامن له القرشيون .

واذا اردنا ان نقف امام هذا الصنيع متأملين لنعطيه تقديره السياسى والحربى فيما تجرى به عادة الناس ، فاننا نقول : ان هذا الموقف كان غاية فى الجراءة والشجاعة والبسالة ، وغاية كذلك من حيث السياسة والحنكة : اما انه غاية فى الشجاعة، فلأن قريشا كانت تحتفظ للرسول والمسلمين باشد العداوة ، وكانت تتربص به وبهم الدوائر ، فقدومه عليهم ، وهو غير متاهب للقتال ، واكتفاؤه بالعدد الذى لباه من المهاجرين والانصار ، وهو عدد يسير اذا علمنا انه سيدخل مكة ، ونسبناه الى عدد سكانها المشركين ، يعد جراءة عظيمة تصل الى حد المخاطرة والفدائية ، فلعل قريشا كانت تنتهز هذه الفرصة فتحاول القضاء على دعوة الحق ، وعلى هؤلاء الذين يحملون لواءها ، وعلى هذا النبى الذى هدم دينهم وعقائدهم ، وطعن فى آلهتهم ، وسفه احلامهم ، فهل كان يكفى فى درء هذا الخطر عن الرسول واصحابه ان تراهم قريش وقد تخففوا من السلاح ، وساقوا البدن معلنين انهم انما جاءوا معتمرين ؟ ان احدا من القادة المحنكين ، اذا ترك ومايمليه الظروف كفرد من افراد البشر الذين لايوحى اليهم ، ما كان يجرؤ على ارتكاب متن الخطر والمجازفة على هذا النحو .

واما ان هذا الصنيع غاية فى السياسة والحنكة فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف منزلة البيت الحرام فى نفوس العرب عامة ، وقريش خاصة ، وانهم كانوا يعظمون امره ويقدسونه ويحمون زائريه ، ولايرون القتال فيه ، ولا فى الاشهر الحرم ، فهو بذلك يورطهم : فاما ان يتركوه واصحابه يعتمرون ، وحينئذ يبدو المسلمون فى هيئتهم الرائعة وهم يؤدون نسكهم على وجه صحيح يتفق ودعوتهم وماجاءوا به من عبادة الله وحده ، وخلع الاوثان والتقاليد الفاسدة فيكون ذلك دعاية للاسلام اى دعاية ، واما ان يصدوه عن البيت الحرام هو واصحابه فتعلم بذلك العرب كلها ، وتبدو قريش فى موقف المتجنى الذى يصد عن البيت الحرام من جاء اليه معظما له طائفا به ، فينقم عليها الناس وينقم بعضها على بعض ، بينما يكسب المسلمون عطفا عاما من مختلف القبائل بل من بعض القرشيين انفسهم ، كما هو شان المضطهدين المسالمين .

كان هذا الصنيع اذن متسما بالحنكة والسياسة كما هو متسم بالجراة والشجاعة .

ومن ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم، علم وهو فى طريقه الى مكة ان قريشا قد سمعت بمسيره فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل — اى اناث الابل الحديثة العهد بالولادة — وذلك كناية عن السرعة والتعجل حتى أنهم لا ينتظرون بابلهم وقتا تقوى فيه بعد الولادة — وقد لبسوا جلود النمور —

وهو كناية عن غضبهم وتنمرهم واستعدادهم للشر — وقد نزلوا «بذى طوى» يعاهدون الله لايدخلها محمد عليهم ابدا ، وان خالد بن الوليد ف خيلهم التى اقدموها الى «كراع الغميم» — وهو وادقريب من مكة .

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وادرك سوء نيتهم ، وخطر المضى فى طريقه ليلتقى بهم ، فماذا كان موقفه ؟ انه قال قولا ، وفعل فعلا فاما قوله الذى قال ، فهو كلمته المشهورة التى تفيض قوة وايمانا واستمساكا بدعوته ، كماتفيض رحمة وحنانا بمخالفيه الملحين فى عداوته ، السادرين فى عناده — قال : «ياويح قريش ! لقد اكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم اصابونى كان ذلك الذى ارادوا ، وان اظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ! فما تظن قريش ؟ فوالله لاازال اجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله او تنفرد هذه السالفة !» — والسالفة صفحة العنق ، وكنى بانفرادها عن الموت ، لانها لاتنفرد عما يليها الا به — واما فعله الذى فعله ، فهو اخذه ذات اليمين ليسلك باصحابه غير طريق خالد ، فلما كان فى ثنية المرار — وهى مهبط الحديبية من اسفل مكة — بركت ناقته القصواء ، فتحدث الناس قائلين : خلات القصواء — اى جهدت واصابها الكلال وبركت فى مكانها لاتريد ان تبرحه — فقال عليه الصلاة والسلام «ماخلات وماهولها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، والذى نفس محمد بيده : لاتدعونى قريش اليوم الى خطة فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها» .

ففى هذا الموقف الرائع تتجلى صفة الرحمة التى يتصف بها الرسول ، اذ يتحدث عن اعدائه ومناوئيه بهذه اللغة المهذبة ، فيستعرض امرهم ، وكانه يشير عليهم مخلصا بما يجب عليهم ان يفعلوه من التخلية بينه وبين سائر العرب ، فاما ان يستريحوا منه ، واما ان يستفيدوا من نصره ، واما ان يحتفظوا بقوتهم لنضاله فيما بعد ان شاءوا ، ثم هو يطمعهم فى رحمته ، اذ يعلنهم انه سيقبل منهم كل مايدعونه اليه مما فيه صلة للرحم ، وفى هذا الموقف ايضا يظهر للناس انه صلى الله عليه وسلم انما يسير مسيرته هذه بامر الله وتدبيره ، فان ناقته انما حبست فى هذا المكان كما حبس الفيل من قبل عن مكة فى حرب ابرهة ، واذن فهى مسخرة بامر الله ، ووقوفها فى هذا المكان علامة من العلامات التى ادركها الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك انه دارت بين الفريقين احاديث استكشافية ، كان هدفها من المشركين معرفة حقيقة ما جاء له محمد واصحابه ، وهدفها من المسلمين تامين قريش وتاكيد انهم انما جاءوا زائرين معتمرين ، لا غازين محاربين .

وفى هذه المرحلة من **«قصة الحديبية»** نجد كثيرا من الطرائف التى احتفظ التاريخ بتفاصيلها، والتى تدل على ما كان يتمتع به الرسول يومئذ من ثبات وحلم وهدوء اعصاب ، وماكانت عليه قريش من اضطراب وقلق نفسى عظيمين .

فقد رووا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اطمان بالحديبية ، جاء اليه رجل من خزاعة يقال له بديل بن ورقاء — وكانت قبيلة خزاعة تميل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلص له النصح مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئا كان بمكة — وكان مع بديل جماعة من قومه ، فكلموه صلى الله عليه وسلم وسالوه : ما الذى جاء به ، فاخبرهم أنه لايريد حربا ، وانما جاء زائرا للبيت ، ومعظما لحرمته ، فرجعوا الى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ، ان محمدا لم يات لقتال ، وانما جاء زائرا لهذا البيت ، فاتهموهم ، وجبهوهم ، وقالوا : وان كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة ابدا ، ولا تحدث بذلك عنا العرب !

ورووا أيضا ان قريشا بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل اسمه مكرز بن حفص من بنى عامر بن لؤى ، فاستخبره فاخبره بمثل ما اخبر به بديلا ، فرجع اليهم فلم يقتنعوا ايضا .

ورووا كذلك أنهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يسمى « الحليس » وكان سيد الأحابيش ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه عرفه وقال : ان هذا من قوم يتالهون — اى يميلون الى تعظيم امر الاله ، واحترام الدين — فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما راى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده ، وقد اكل اوباره من طول حبسه عن محله ، رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما راى ، فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس فانما انت اعرابى لا علم لك ، فغضب وقال : يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له ؟ والذى نفس

الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ! فقالوا له : كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

كما رووا : أنهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي ، وانه قال لهم قبل أن يذهب : يا معشر قريش ، اني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم ، من التعنيف وسوء اللفظ ، وذكرهم باخلاصه لهم ، ومكانته فيهم لكيلا يتهموه ، فقالوا له : صدقت ما أنت عندنا بمتهم، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، وكلمه كلاما ، ورأى أصحابه وكيف يجلسون حوله وكأنما على رءوسهم الطير ، ويبتدرون ماء وضوئه ، وما عسى أن يسقط من شعراته ، تبركا بذلك وتحفظا عليه ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما كلم به من قبله ، واخبره أنه لم يأت يريد حربا ، فقام من عنده وقد رأى ما رأى ، وسمع ما سمع ، فرجع الى قريش فقال : يامعشر قريش : انى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لايسلمونه لشيء أبدا ، فروا فيه رأيكم !

ومن جانب المسلمين روى الرواة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه الى قريش بمكة ، وحمله على بعير له ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله حتى عاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقابل هذا الاعتداء ما رووه من أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأخذوا أخذا ، فأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم، وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل .

كل هذا يصور ثبات النبى صلى الله عليه وسلم وثبات أصحابه معه ، ويصور اضطراب قريش وقلقها، وانهيار أعصابها ، والا ففيم ترسل اليه الرجال رجلا بعد رجل ، وتختار منهم وتنتخب من تثق به ،وتطمئن اليه ، فاذا انباوها بواقع الأمر فى رحلة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، أبت الا عنادا واستكبارا ؟

انها فى الحقيقة لم تكن تدرى ماذا عليها أن تفعل، وكان الخوف والرعب يستوليان عليها ، وكان رجالها أنفسهم ، وحلفاؤها ، قد بدءوا يتمردون عليها ويهددونها ، ويعيبون عليها موقفها .

وهكذا استقامت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وظهر ما تنطوى عليه من المهارة السياسية ، ومن الحكمة والتقدير الصحيح للأمر ، وادراك الوزن الصحيح لما عليه القرشيون ، ولما سينتهى اليه شأنهم .

وقد استمرت الحكمة وهدوء الاعصاب يسودان موقف المسلمين ، ثم أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم رجلا من أصحابه ، ليبين لهم أن الأمر جد لا هزل فيه ، ولا مواربة ولا خداع ، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه اليهم فقال عمر: يارسول الله، ليس لى بمكة أحد يغضب لى ان اوذيت، فارسل عثمان بن عفان ، فان عشيرته بها ، وانه مبلغ ما أردت .

ولم يكن هذا الموقف الا عين الحكمة من عمر ، فما ينبغى للمؤمن أن يعرض نفسه لهلاك محقق لا فائدة فيه ، وانما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على عمر ، رغبة فى أن يكون مبعوثه الى قريش رجلا قويا مهيبا ذا شخصية ممتازة معروفة ، فلما قال له عمر ماقال ، وافقه على مارأى ، وقدر ماذكره من العذر عن ذلك ، وتلك سنة الشورى وتبادل الرأى ، والسماحة والحكمة فيمن بيده القيادة ، وأقول : ان عمر رضى الله عنه لو ذهب لما أصابه مما توقعه شيء ، فان الله حاميه وكالئه ، وان أمر هذه الرحلة كلها كان بتدبير من الله ، وامر أمر به رسوله ، والرسول صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك كما بدا فى كثير من كلامه وتصرفه ، ولكن الحكمة بعد أن قال عمر ما قال ، تقضى بأن يقبل وجهته ، ولا يكله الى ما يعلم فى نفسه عن الله ربه ، فان تقدير الأسباب والأخذ بها هو قاعدة التصرف فيما يفعله الناس ، ولا سيما فى مثل هذا الموقف ، **والخلاصة** أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفته ما ذكره عمر من الأسباب التى اعتذر بها ، ثم لم يشأ أن يحمله على الأمر حملا فيقول له مثلا : بل اذهب والله معك ، فآثر أن يقبل عذره سماحة منه ورحمة وحسن تقدير ، وتشريعا للقادة .

فلما ذهب عثمان ، طال غيابه فى قريش ، وترامى الى المسلمين انهم قد قتلوه ، وهنا ثارت حمية الايمان بالرسول والمؤمنين ، فكانت بيعة الرضوان .

« محمد محمد المدنى »

الدّينُ وَ الأخلاق

بقلم: عمر الدسوقي

فى احدى ندوات النادى العربى ببنغازى اثار شاب العلاقة بين الاخلاق والدين ، وقال : انه من الشباب المستنير الذى يعرف الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، وانه يتبع الحق ويتجنب الباطل بدون حاجة الى الدين فى كل هذا ، وانه يحكم ضميره فى كل ما يعرض له ، وبه يميز الحسن من القبيح .

وقد آثرت أن تكون الاجابة على صفحات « الرسالة » الغراء : لانها اليوم القلعة التى تذود عن مقومات شخصيتنا ، ومثلنا العليا ضد الآراء الفجة المنحرفة التى ترمى الى اضطرابنا الفكرى ، وزلزلة العقيدة السليمة فى نفوس الشباب . واعتناق مذاهب وآراء ليست نابعة من واقعنا ، ولا متمشية مع تقاليدنا وعقيدتنا ، وانما نشأت فى بيئات طغت عليها المادة ، فتقطعت فيها الاواصر بين الافراد والامم ،واضطربت المقاييس الخلقية ،وانطلقت غرائز الشر من عقالها فى نفوس الافراد تحت ستار الحرية الشخصية والاجتماعية ، وصارت القوة لا العدالة شريعة الحياة .

وآثرت أن يكون الرد عاما لا خاصا ، لان هذا الشاب واحد من كثيرين استهوتهم بعض الآراء المستوردة وحاولت فتنتهم عن دينهم ، حتى يسهل على التيار المنحرف أن يجرفهم بعيدا عن الجادة ، ويمسخهم مسخا مشوها ، واقول بهذه المناسبة : اننا لسنا ضد الحضارة الغربية فى جملتها ، فالحضارة أيا كانت تراث انسانى عام ، وعلينا أن نأخذ منها ما يزيد فى قوتنا وينمى شخصيتنا ، لا أن نتهافت عليها تهافت الفراش على النار يظل يحوم حولها حتى يحترق . نأخذ منها الحسن وندع القبيح ، نأخذ ما يلائمنا وينسجم مع مثلنا العليا وعاداتنا الكريمة ،وندع ما يتزلق بنا الى أوضار المادة الخالصة فنتردى فى أوحالها . كما أننا لانريد أن نتقوقع كما يقول بعضهم ، ونعيش بعيدين عن الفكر العالمى ، ولكن هذا الفكر فيه الطيب والخبيث ، وفيه حل لمشكلات لا وجود لها لدينا البتة ، وفيه علاج لآفات اجتماعية لانظير لها عندنا ، ومن الخير لنا كل الخير أن نتفهم هذا الفكر ونناقشه بعقلية واعية ، ونعرضه على ما لدينا من موازين حضارية وثقافية ودينية واجتماعية ، ونأخذ منه كل ما يدفعنا دفعا حميدا فى درج الرقى محتفظين بطابعنا العام ، ومثلنا العليا وروحانيتنا ومقومات شخصيتنا .

وبعد ، فالموضوع الذى أثاره « الشاب المستنير » ـوهو العلاقة بين الدين والاخلاقـ موضوع قديم تكلم فيه الفلاسفة الاوربيون ، وتكلم فيه علماء الكلام المسلمون ، يقول : انه يعرف الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، وقديما قرن « سقراط » الفضيلة بالمعرفة ولكننا نشاهد كثيرا من الناس فى الحياة يعرفون الخير ولا يأتونه ، ويعرفون الشر ويرتكبونه ، ولهذا خالف أفلاطون أستاذه سقراط فى نظرية المعرفة هذه ، كما خالفه ارسطو ونادى بأن الفضيلة بنت العادة ، وأنها وسط بين طرفى الافراط والتفريط. وخاض فى موضوع الاخلاق والدين الفيلسوف الالمانى «كانت» وقال بالارادة الخيرة ،والارادة العاقلة وأنكر كل الانكار الاخلاق الدينية ، وكذلك فعل الفيلسوف سبنوزا ، واصحاب الفلسفة الوضعية وغيرهم .

وتكلم المعتزلة فى حسن الافعال وقبحها ، وكذلك فعل أهل السنة ، ولا أريد هنا أن استعرض آراء الفلاسفة فى القديم والحديث عن الاخلاق ، فذلك يخرجنا عن نطاق بحثنا ، وله مواطنه وكتبه الكثيرة فليرجع اليها من شاء .

ويقول « الشاب المستنير » انه يحكم ضميره فيما يعرض له وبه يميز الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، والضمير هذا ليس واحدا لدى جميع الناس بل يختلف من شخص لآخر ، فقد يوحى الضمير لشخص ما بأن هذا الشيء خير ، ويوحى الى آخر بأنه شر ، ولا يمكن أن يكون ضمير كل انسان على صواب ما دام هناك اختلاف فى التقدير والنظر الى الاشياء

اذا سألت الذين يضطهدون الزنوج فى أمريكا عن هذا الاضطهاد لأجابوك : ان ضمائرهم مستريحة وانهم على حق فيما يفعلون ، وتسمع الجواب نفسه من الذين يناصرونهم ، وهكذا فى كثير من الامور التى نراها ونسمع عنها مما يقع فى الحياة .

واذا اختلف ضميران على فعل ما وتقديره ، فلابد أن واحدا منهما على صواب ، والآخر على باطل ، حيث

أن هذا الفعل لا يمكن أن يقبل الخطا والصواب في وقت واحد ، ولا بد من التحاكم الى قوة أعلى منهما لتفصل بينهما .

هل الضمير الانساني معصوم من الخطا ؟ وكيف يمكن أن يكون معصوما ، والانسان تتحكم فيه غرائزه ، من حب للتملك ، والسيطرة والخوف ، والغريزة الجنسية ، تلك الغرائز التي جهد المجتمع الانساني منذ نشأته في تهذيبها وكبح جماحها بالعرف والتقاليد والقوانين الوضعية والشرائع السماوية وغيرها ، حتى يتمكن الناس من أن يعيش بعضهم مع بعض في انسجام وسعادة .

يذكر علماء الأخلاق في احصائياتهم الغربية ان كثيرا من الناس في أوربا تمنعهم ضمائرهم من المشاركة في اعتداء مسلح ، وقد يكون ذلك دفاعا عن الوطن ولمصلحته العليا ، وفيه حياتهم ، وقد يذهب بعضهم الى الامتناع عن دفع الضرائب لانها تسهم في تسليح الجيش ، وضمائرهم توحي لهم بان الحرب أيا كان نوعها شر كبير . فهل حكم هذه الضمائر يعد حكما سليما ؟ .

واذا صرفنا النظر عن الكلام على عصمة الضمير وتغيره ، وتناقضه ، وغموضه وحاجته الى تفسير ، فان التجارب الواقعية والتاريخية ، الفردية والدولية تدلنا على ان ثمة ضمائر فاسدة معكوسة ، مضطربة ، كما حدث ابان محاكم التفتيش والاضطهاد الديني ، والحكم الاستعماري الذي يستنزف دماء الشعوب ، ويضعها في مراتب الحيوان حين يسلبها حريتها ، والارادة الحرة في تصريف شئونها ، وهناك ملحوظة لطيفة لراسكين : اتبع ضميرك ، ولكن تأكد اولا أنه ليس ضمير حمار .

هل الصواب هو ما نظنه صوابا ، والخير هو ما نظنه خيرا ؟ ، هل يتوقف ذلك على نظرتنا نحن الخاصة الى الاشياء ؟

عندما يقرر صاحب الضمير عمل شيء يرى أنه خير أو صواب لا يكتفي بانه يرى ذلك ، ولكن يريد أن يتأكد أن ما يراه هو الحق بعينه ، وهو بهذا لا يتوقف على نظرته الخاصة الى الشيء وشعوره نحوه .

ان ما توحي به ضمائرنا بانه صواب أو خطا ، خير أو شر انما هو نتيجة لقيم معينة ، ووجهة نظر ، وشعور المجتمع وتصرفاته ، تلك الاشياء التي تعلمناها منذ الصغر ، ورأينا اصطلاح المجتمع عليها كما تعلمناها من آبائنا ومن مدرسينا ، ومن الكتب التهذيبية .

وهنا لا بد لنا ان نسأل : ما الضمير ؟ يقول فرويد ، انه شيء معقد مكون من العقيدة، والاتجاهات والمشاعر التي تحدد موقفنا تجاه طرف أخلاقي .

اما كيف ينشأ هذا الضمير فيقول فرويد في تحليلاته النفسية : ان الطفل عندما يبدأ التمييز بين الاشياء في سنته الثانية تكون أمه هي كل شيء بالنسبة له ، ولذلك يهتم باعمالها تجاهه ، يراها تلبي رغباته وتشعره بالامن ، وتغذيه ، وتلاعبه ، ولذلك يحبها ، ويراها أحيانا تقف في سبيل نزواته واخطائه وتردعه عنها ، وتعاقبه عليها ، ولذلك يكرهها ، وفي الغالب ينتصر الحب على الكراهية ، لان الرغبات والنزوات التي لاتلبي يصحبها التقريع والتوبيخ والاشعار بالاثم . من هنا ينشأ الشعور بالاثم عند ارتكاب الخطا ، وفعل الشر ، وتظل هذه الاشياء في العقل الباطن ، ويكبر الانسان ، ويتعلم كيف يعامل أبويه وأساتذته ، ومن هو أكبر منه سنا ، وكيف يتصرف ازاء وطنه ومبادئه . وكثيرا ما تكون هذه المشاعر المكبوتة موسومة بالاثم ، ومن ثم يرتفع الانسان الى مستوى المجتمع الذي يعيش فيه كما يقول هكسلى ، يفهم الخير المطلق ، والعرف الاجتماعي ، والتبعات الاجتماعية .

اذن فالنشأة الاولى للطفل ، وما يتعلمه من أبويه ومدرسته في سني نموه ، واشعاره بالاثم على ما يرتكب من ذنوب ، وكبت نزواته وشهواته مع ما يصحب هذا الكبت من تقريع وتوبيخ واشعار بالذنب هو الذي يكون الضمير الانساني ، ويتوقف حكم هذا الضمير على الاشياء على ما وقر فيه منذ الحداثة الاولى من تعاليم ان صالحة أو فاسدة . فهو ليس شيئا مجردا من تأثير العرف والتقاليد والعقائد والمنهج السلوكي في مجتمع ما ، ومن هنا كان اختلاف الضمائر ونظرتها الى الاشياء ، وتباين أحكامها على الشيء الواحد .

ومن كل هذا لا يثق كثير من علماء الاخلاق في مسألة الضمير هذه ، وأن يكون مصدرا للحكم الخلقي والقوانين الخلقية وحده ، بل يرون أنه لابد له من قوة تؤيده وترشده ، حقا ان الضمير شيء مهم في الانسان ، ولكن أي ضمير ؟ لابد له من تربية خاصة وتنشئة خاصة ليكون سليما ، وحكمه على الاشياء صحيحا .

وهنا يأتي دور الدين :

لقد قاوم فلاسفة ادباء ، وعلماء الاخلاق بهـــا نظرية الاخلاق الدينية كما جاءت بهـــا المسيحية واليهودية ، لان الدين فى نظرهم ينظم الصلة بين الخالق والمخلوق فحسب ، ولا شأن له بامور المعاملات الانسانية ، فى حين ان الاخلاق الفلســـفية تنظم السلوك الانسانى ، ولا شأن لها بالعبادات ، ثم ان مصدر الالزام الادبى فى رأى هؤلاء العلماء انســانى محض سواء اكان العقل أم الوجدان الخلقى أوالضمير أم ضرورة الحياة فى المجتمع ، فى حين أن الالزام فى الدين مصدره الهى ، يفرض على الناس اخلاقا معينة رضوا بها أو كرهوها ، اقتنع العقل بها أم اباها - ويقولون أخيرا ان الشرائع الدينيـــة تضع جزءا أخرويا : مثوبة أوعقوبة لمن يتمثل أوامرها أويعصيها جاعلة الهدف الوحيد للعمل هو نيل الثواب والنجاة من العقاب ، والباعث هو الرجاء أو الخوف ، فىحين ان الاخلاق الفلسفية تتطلب الخير لذاته ، وتتجنب الشر لذاته ، وقد لاتؤمن بجنة أو نار أو بحياةأخرى ويحسب الانسان عندهم حين يؤدى عملا ما أن يرضى ضميره ·

ولعل هذا «الشاب المستنير» قرأ عن هذه الاشياء أو سمع بها ، ومن ثم راح يتفلسف كما تفلسفوا ، والعيب فيـــه ، كما فى كثير ممن يتهجمون عـــلى معتقداتنا ومثلنا العليا ، هو جهلهم بهذه المعتقدات والمثل العليا ، وأخذهم بوجهة نظر غريبة عنا بدون تمحيص لها ، ودراسة عميقة لما عندنا ، وتراهم يتحمسون لهذه الآراء كأنما وقفوا على معول جديد يهدمون به تراثنا ·

اذا كان هؤلاء العلماء قد نكروا من الدين المسيحى أو من الدين اليهودى أشياء فليس من الضرورى ان ينطبق ذلك على الدين الاسلامى ، وهو خاتم الديانات وموقف الاسلام من هذه الاعتراضـــات واضح كل الوضوح واليك البيان :

ليس الاسلام دين عبادة فحسب ، ولكنه نظم العلاقة بين الانسان وربه ، وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه ، فجاء دينا متكاملا للعبادات والمعاملات والأخلاق ، جاء بتشريعاته الماليه وقوانين المعاملات وقوانين العقوبات ، ووضع أسسا عامة للخلق الانسانى الفاضل ، وبذلك يختلف عن الأديان الاخرى ، ويحسبنا أن نقرأ قوله تعـــالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم : الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصـــاكم به لعلـــكم تعقلون ، ولا تقربـــوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا الا وســـعها واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلـــكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعـــوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلـــكم وصاكم به لعلكم تتقون » ·

أو قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذىالقربى ، وينهىعن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ·

أو قوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقـــاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » ·

ويوصينا سبحانه : « بالوالدين احسانا ، وبذى القربى ، واليتامى والمساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » ·

الى غير ذلك من الآيات الـــكريمة التى شرعت للانسان منهجا سلوكيا راشدا فى معاملة النـــاس وفى المجتمع بعامة ·

اما الاعتراض الثانى ، وهو أن مصـــدر الالزام الخلقى لدى الدين الهى خالص ، والاوامر والنواهى تعبدية يجب على المرء أن يمتثلهـــا سواء وافقت العقل أم لم توافقه ، فهذا لاينطبق على الاســـلام البتة ، فالاسلام دائما يلجأ الى العقل المســـتنير ، والضمير الحى ، ويعطى الامر أو النهى ومعه العلة المقبولة ·خذمثلا قوله تعالى فى المعاملات :«ولاتسأموا ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة ، وأدنى الا ترتابوا » فهو يأمر بكتابة الدين أيا كان صغيرا أو كبيرا ، ويعلل لذلك حتى لايكون ثمة اختلاف يفضى الى الخصـــومة وضياع الحقوق · وخذ مثلا قوله تعـــالى : « وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » فهو لايقرنها هنا بالثواب والعقاب ، ولكن يعلل لوجوب الصلاة بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والمراد طبعا الصلاة التى تؤدى والذهن والقلب والوجدان

كلها حاضرة بين يدى الله ، فان المرء يستحى أن يقف بين يدي ربه وهو مرتكب للفحشاء والمنكر ، وهو يتذكر حين يهم بارتكاب شيء من هذا انه بعد قليل سيقف بين يدى لولاه ، فيقلع عما هم به ٠

وخذ مثلا قوله تعالى فى شرعية الجهاد : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا » فهو دفاع عن النفس ورد للظلم ، وقل أن تجد امرا أو نهيا فى القرآن غير مقرون بعلته اما تفصيلا كالآيات السابقة أو اجمالا كقوله تعالى : « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به » وقوله تعالى: « فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ذلكم خير لكم »

وبهذا نرى أن الاسلام لايجافى العقل ، ولايصدر أحكاما صارمة ، ان الاسلام عندما كان يخاطب الكفار كان يناشد عقولهم ووجدانهم : « أم تامرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون » فهو هنا يحتكم الى عقولهم ولا شك ان الله سبحانه خلق الانسان مزودا بنور العقل ، وبالضمير ، وقد كان لهما قبل نزول الشرع وتبيان الوحى القول الفصل فيما يعمله الانسان من خير وشر ٠ يقول الله سبحانه : « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها » ، ويقول : « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » ، ولناخذ مثلا عرب الجاهلية وكيف سادت بينهم مجموعة من الاخلاق الكريمة ، تواضعوا عليها ، واتصفوا بها ، وحلت بينهم محل القانون ، هدتهم اليها عقولهم ، وضرورة الحياة فى بيئتهم الصحراوية ، من مثل : الشجاعة ، والكرم ، والوفاء بالوعد ، واغاثة الملهوف والحدب على الضعيف ، حتى قال النبى عليه الصلاة والسلام ، وهو يعرض نفسه ورسالته على القبائل ذات مرة ، ورأى ما هم عليه من أخلاق : « اية اخلاق كانت للعرب فى الجاهلية ، بها يتحاجزون فيما بينهم » ، وقال عليه السلام : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، فقد كانت هناك اخلاق كريمة وجاء الاسلام ، ليهذبها ويوجهها وجهة خيرة ويتممها، أجل ! كانت هذه الاخلاق فى الغالب موجهة الى الزهو الفردى والمجد القبلى ، ولم توجه الى خدمة المجتمع ، فالكرم مثلا كان فى الجاهلية أريحية وجودا يأتيه الشخص مخافة المذمة والعار ، وخرق قانون الصحراء ، فى حين أنه صار فى الاسلام أريحية وجودا ، وزكاة واجبة الأداء فيها حق معلوم للسائل والمحروم ٠

وينادى علماء أوربا الاخلاقيون اليوم بالرجوع الى أخلاق البدائى النبيل ، كما يقول « السير تيلر » فى كتابه علم الانسان « انتروبولجى » ! لأن الاخلاق فى الحضارة الاوربية الحديثة قد فسدت فسادا ذريعا ٠

فالاسلام وفلاسفة الاخلاق على السواء يقرون بسيطرة العقل والضمير فى المجتمع البدائى ، وأن الحسن والقبح رهن بهما ٠

ويقول علماء الاسلام ان ما يامر به العقل وينهى عنه قبل نزول الشرع ، لا يترتب عليه ثواب أو عقاب « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ٠

على أن الاسلام لم يهمل العقل والضمير بعد نزول الوحى والشريعة ، فان النور لاينسخ النور ، ولكن جاء لتوجيههما ، وتاكيد عملهما ، فهناك امور مجال العقل فيها واضح وحكمه حاسم اقرها الاسلام واكدها لانها قانون الفطرة مثل حسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار ، وحسن العطف على الفقير والضعيف الى غير ذلك من الامور التى لايختلف فيها اثنان ٠

وهناك امور قد تختلف فيها العقول وتتباين الضمائر ، ويغشى العقل بعض الظلام والاوهام فى تقرير الصواب ازاءها مثل : الخمر والربا ، والصدق الضار ، والكذب الابيض ، فيوضح الشرع ما يجب على العقل أن يفعله فى مثل هذه الامور متوخيا الحكمة والرشاد الى سواء السبيل ، مراعيا النفع العام لا الخاص ٠

هذا ولا يمكن الاستغناء عن العقل ونوره والضمير اليقظ وحكمه حتى بعد نزول الشرع ، فان القوانين الخلقية فى الاسلام جاءت فى معظمها عامة ، تحتاج الى تفصيل وتحديد ، فعندما يقول الله سبحانه :«ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » فانه يترك تحديد ما هو عدل ، وما هو احسان وما هو فحشاء ومنكر الى تقدير الوجدان الخلقى الذى تربى تربية اسلامية ، وتشرب روح الاسلام الحقة ، وعرف أمثلة عدة لما هو عدل وما هو احسان وما هو فحشاء وما هو منكر ٠

ان هذا الضمير ليس مطلق ضمير ، وانما هو الضمير المستنير بنور الاسلام الذى تربى تربية خاصة ، ونشيء منذ الصغر على معرفة الحق والعدل والفرق بين القبيح والحسن والاحسان والاساءة ، ووقرت فى أعماقه حتى صار يصدر عنها بعدما شب فى كل أعماله وأقواله ، وهذا هو معنى قوله عليه

الصلاة والسلام : « اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه » ، هذا الواعظ المتأدب بأدب الشرع هو الحارس على النفس الانسانية يوجهها نحو الخير وينأى بها عن الشر ، وهذا هومعنى قوله عليه الصلاة والسلام : « استفت قلبك ، واستفت نفسك ، البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر ، وان أفتاك الناس وافتوك » .

فمتى تربى هذا الضمير تلك التربية الحقة ، كان هو الحكم ، لانه يستطيع ان يميز ما يتمشى مع روح الشريعة ، وما يجافيها فى أى مكان وأى زمان .

وبهذا الضمير الحى اليقظ المستنير بنور الشريعة وهدايتها لايكون عمل الانسان آليا ولا تعبديا كما يزعم علماء الاخلاق ،فقد رأينا ان الاسلام يناشد العقل والضمير دائما ، وقد جاء مؤيدا لهما ، رافدا لنورهما ، موجها لهما توجيها سديدا حتى لايضلا ، فالالزام الادبى فى الاسلام الهى انسانى معا .

والفرق بين هذا الضمير المستنير بنور الشرع ، والضمير العادى فى العمل الخلقى ، أن الاول لايتردد ولا تختلط عليه الامور ، ولا يتحكم فيه الهوى ، وتجرفه الغريزة ، على العكس من الثانى كما بينا فى صدر هذا المقال .

بقى الاعتراض الثالث وهو مسألةالثواب والعقاب التى أثارها فلاسفة الاخلاق فى اعتراضهم على الاخلاق الدينية ، ولا أريد هنا ان استعرض الثواب والعقاب لدى اليهودية والنصرانية ، ولكن الاسلام اذا كان قد وعد المتقين جنات تجرى من تحتها الانهار ، والعاصين والكفار نار جهنم ترغيبا وترهيبا تمشيا مع ما ركب فى الانسان من غرائز حب التملك والجزاء والخوف ، وما فى ذلك من تحريض على فعل الخير وتجنب الشر ، فان الاسلام قد راعى الا تكون الغاية من العمل هى الثواب وحده ، وانما الغاية التى يهدف اليها هى وجه الله مخلصا له الدين ، وهذا تعبير روحى عن أداء الواجب لذاته ، وقد تردد مئات المرات فى القرآن الكريم « الا من أتى الله بقلب سليم » و « جاء بقلب منيب » ، وقد سئل النبى عليه السلام عن الجهاد بدافع الحمية او لطلب الغنيمة ، او للذكر الحسن ، فاوما الى أن شيئا من ذلك ليس جهادا فى سبيل الله قائلا : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله» ، أما ما عدا ذلك من مطامع فهو فى نظر الاسلام اما رجس وفسوق من عمل الشيطان كالرياء والسمعة ، واما ضرب من المباح لاقيمة له ولا ثواب عليه اذا كانت غايته هى طلب الجنة والنعيم .

ان اطمئنان النفس وراحة الضمير التى نادى بها فلاسفة علم الاخلاق فى أوربا قد نادى بها الاسلام كذلك وجعل لها فى العمل منزلة كبيرة . يقول الله سبحانه وتعالى : « يأيتها النفس المطمئنة ، ارجعى الى ربك راضية مرضية » ، ويقول سبحانه « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية » فالغاية هى اطمئنانها ورضاها عن عملها ، وفى الحديث : « من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن » ، فضميره يكون مستريحا اذا عمل الحسنة،منكدا اذا اقترف السيئة وهذه لعمرى نتيجة التربية الخلقية الدينية .

وكثيرا ما ذكر الله سبحانه وراء الجنة ونعيمها جزاء أكبر من ذلك وهو رضا الله ومحبته «ورضوان من الله أكبر » ، « فاتبعونى يحببكم الله » .

وما الجنة ونعيمها والنار وعقابها الا رمز لرضا الله وسخطه ، وفيها دلالة معنوية تفوق ما يصحبهما من نعيم او عذاب حسى ، فى الجنة تكريم ، وفى النار اهانة : « ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته » .

من كل تقدم نرى أن الفلسفة الخلقية فى الاسلام هى الفلسفة المثلى ، ولا يمكن للضمير الانسانى وحده ولا للعقل الانسانى وحده أن يكونا عمادى العمل الخلقى ، بل لابد لهما من الايمان المستقر فى أعماق النفس ، ولابد لهما من هداية الشرع ، فالايمان يعطيهما قوة وعاطفة ، وهداية الشرع تبعدهما عن التخبط والاختلاف والتضارب .

والمسألة فى نظر الاسلام ليست مجرد عمل آلى تعبدى يمارسه المرء ، ولكن لابد أن يشعر الانسان بالمسرة وهو يؤدى الخير ويتجنب الشر ، يحس بذلك فى أعماق نفسه التى تربت تربية خلقية دينية . فالذى يتصدق وهو كاره للصدقة لاتقبل منه: «أفرأيت الذى تولى واعطى قليلا واكدى » ، « ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما » .

والذى يصلى غير منشرح صدره للصلاة ، وغير نشيط لها فرح بها لا تقبل منه « ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ، ولا ينفقون الا وهم كارهون » لأنهم فقدوا الايمان وفقدوا العاطفة الدينية .

ان الغاية من التربية الخلقية فى الاسلام تتمثل فى قوله تعالى : « ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم » .

وبعد ، فارجو ان يكون فيما قدمت جوابا للشباب المستنير ، والله الموفق للصواب .

ليبيا ــ عمر الدسوقى

الشيخ ضاري

جد الرئيس عبد السلام عارف

بقلم: محمود منصور البرشومي

طاف بالنـــاس طائف يسالكم احسانا ويطلب رفدهم وعطاءهم . وكان هؤلاء الناس بطبيعة حياتهم البدوية في القديم ميالين للخير ، محبين للعطاء ، يعتبرون من يمر على مضاربهم ضيفا ، ويتنافسون في اكرامه والحفاوة به ، وويل للعشيرة التي لاتكرم ضيفها ، أو الغريب عنها ، انها تصير حديث العشائر الاخرى ، وويل لها اذا جاء وقت الغداء او العشاء ولم يطعم الغريب شيئا .

كان الطائف الذي يمر على عشائر «زوبع» اسمر طويلا ذا ملامح عربية . يتحدث بلهجة بدوية ، وكانوا يأنسون بأحاديثه ، ويهشون للقائه . ويحملونه وهو منصرف عنهم بعض خيرات أرضهم وماشيتهم .

كان يطوف عليهم كثيرا ، ويمكث بينهم ضيفا اسابيع واسابيع ، ولم يكونوا يعرفون عنه الا أنه بدوي طواف ، ضعيف الحال ، بحاجة دائما الى الاطعام والايواء .

ولم تكن أحاديث جدهم الاكبر حاتم الطائي بعيدة عنهم ،بل كان يعرفها الكبير والصغير، والامي والذي أصاب حظا من التعليم .

وهم في كل أحوالهم يفتخرون بهذه الاحاديث ويحاولون جاهدين أن يحققوها ، ولو كان الرجل منهم فقيرا ، حتى انه ليقترض ليكرم ضيفه «أو يقوم بواجبه» كما يقولون .

واستمر الرجل الاسمر الطواف يعاشرهم ويمر على مضاربهم مدة من الزمن ، فيتحفهم بأحاديثه ويتحفونه بطعامهم وكرمهم .

واستمرت عشائر «زوبع» على خلقها هذا معه ومع غيره ، وهم هادئون في أراضيهم الشاسعة التي يسقيها نهر الفرات ، ويرعون اغنامهم في أراض مليئة بالكلأ والعشب ، وقد سكنوا الى الزراعة والرعي واطمأنوا الى فضل الله عليهم فانشأوا لهم « **خانا** » على الطريق الى بغداد يأوي اليه المسافرون مستريحين من وعثاء السفر قبل دخولهم بغداد . يأوون اليه الليلة أو الليلتين ثم يتجهون الى بغداد بعد راحتهم .

في هذه الاثناء انتهت الحرب العالمية الاولى ، وبدأ الانجليز والفرنسيون يتفقون على تقسيم الشرق ويطلقون أيديهم في خيراته ، وكانوا قبل استيلائهم عليه قد مهدوا لذلك بجيوش من المستشرقين والدارسين والجواسيس . حتى اذا جاءوا حكموا بطريقة علمية صحيحة، وامكنهم أن يحتكروا الخامات والخيرات بطريقة منظمة .

واستولوا على العراق وهم يحسبون أنهم بدراستهم لشعبه عن طريق جواسيسهم يستطيعون أن يحكموه مستغلين له . ولكن أبى لهم ذلك والشعب عربي حر أصيل يأبى الضيم ويقاوم ما استطاع الى المقاومة سبيلا .

وما زاد الطين بلة أن عشائر زوبع وجدت أن الحاكم العام للعراق هو ذلك الاسمر الطويل الذي كان يمر عليهم طالبا رفدهم وعطاءهم .

اذن لم يكن هذا الذي يمر عليهم الا جاسوسا قد تزيا بزي «المكدين ، والشحاذين»

استقر له الامر في بغداد كما يخيل اليه ، وارسل للقبائل والعشائر يستدعيها لتقدم له فروض الطاعة والولاء .

وبدأت بعض القبائل تموه عليه بالذهاب اليه مسلمة في بغداد ، وهي في الخفاء تتفق فيما بينها على الثورة الكبرى ، وكبر على الشيخ ضاري شيخ عشائر زوبع أن يذهب اليه ، وحرم على نفسه زيارة بغداد حتى لا يحرج بالذهاب اليه ، وبدأ الشيخ ضاري يتصل بعلماء الدين وبأصحاب الرأي ، وبدأ الجميع يمهدون للثورة على الانجليز الذين استولوا على أرضهم وبلادهم .

كانت الاتصالات سريعة وحاسمة ، وكان الاتفاق بين الجميع واضحا ، وأظهر الشعب روحا طيبة

بالتفافه حوله زعمائه . أليس الوطن وطنهم جميعا فلماذا لايدافعون عنه ولماذا لايقفون صفا واحدا أمام اعدائهم وأعداء دينهم من المستغلين والمستعمرين .

وخرج الحاكم العام للعراق «ليتشمان» ذلك الذى عرف العشائر وتعرف بها ودرس لهجاتها وعاداتها ، خرج ليطوف عليهم من جديد فى شكل سيد وحاكم، يريد الولاء وأن يدين له الناس به .

ومن عادة العربى أن يستقبل أضيافه بالترحاب . ولكن العربى فى هذه المرة وقف موقفا سلبيا . فاذا عسكر ليتشمان بجنوده فى مكان ما ، رفض أهل هذا المكان الذهاب اليه وملاقاته ، فكان يرسل لزعمائهم فبعضهم يذهب اليه تقية حتى تأتى ساعة الصفر ، والبعض الآخر يعتذر بأنه غير موجود فى العشيرة وقد خرج لبعض شأنه .

خرج ليتشمان الى «خان ضارى» وهو يضمر خطة دنيئة فى نفسه ، وهو يعلم أن الشيخ ضارى أقوى رجل على حدود بغداد من جهة أبى غريب ، واتجه الى الخان ، وأرسل يطلب الشيخ ضارى الذى قارب الثمانين من عمره ، وبعد لأى ذهب الشيخ بعد أن استشار أعوانه وما ذهب الا لأن الرجل صار فى أرضه .

وبدأ ليتشمان خطابه معه بقوله «جاءتنى القبائل مؤيدة مهنئة وانت لم تأت أيها الشيخ » .

فرد عليه الشيخ بقوله : أنا لا أذهب الى بغداد لكبر سنى ، وعندما أذهب اليها فان كانت هناك حاجة لزيارتك فسأزورك . قال له : أفهم من هذا انك لاتؤيدنا ، فقال له الشيخ بصرامة وبحزم :

كيف أؤيد انسانا يحتل بلادى ويستغلها ؟ فقال ليتشمان : اذن أنت تثير القبائل ضدنا فقال الشيخ: زعماء الدين قد افتوا بأن من يتعاون معكم يكون خارجا على دينه وقومه .

فقال ليتشمان بدهائه : ولكنى أعلم أنك لاتؤيدهم لأنك أعظم منهم . فقال الشيخ : استغفر الله انهم سادتنا وكبراؤنا والموجهون لنا .

فقال ليتشمان : أعتقد انك بزيارتى فى بغداد ستحسم كل شىء ، والامبراطورية البريطانية ستساعدك وتساعد أبناءك وعشيرتك. فقال الشيخ: « معاذ الله أن أخون وطنى وعشيرتى واسلامى ولقد قلت لك لا حاجة بى الى زيارتك ياليتشمان . فقال ليتشمان : اذن أنت تثير القبائل ضدنا وسترى عاقبة عنادك ، وأغلظ القول للشيخ وأهانه ، وقال له ما يثير الحليم ، فغلى الدم فى عروق أحد أبناء الشيخ وكان معه وهو شاب صغير لايتجاوز العشرين من عمره .

وكانت معه بندقية عتيقة . فسرعان ما وجهها لقلب ليتشمان ، وسرعان ما اطلقها عليه بالرغم من كثرة المحيطين بليتشمان من أعوانه ، وأخذت البادرة الواقفين فوجموا ، وسقط ليتشمان قتيلا مضرجا بدمائه ، ووجه الفتى حديثه للواقفين بقوله: لوتحرك واحد منكم فسأقطع رقبته .

وخرج الشيخ وابنه وبعض أعوانه الى مضاربهم مسرعين معتصمين بها .

واقبلت الامبراطورية بفرقة مزودة باسلحتها فاستأصلت كثيرا من العشيرة ، وكانت هذه هى الشرارة الاولى لثورة سنة ١٩٢٠ .

وبدأت الامبراطورية البريطانية تركز قوتها على تلك المنطقة ، وبدأت بقية العشيرة بالخروج من مضاربها الى حدود سوريا وتركيا والى الموصل . وخرج الشيخ ببقية عشيرته وتحصن بالموصل .

ولكن بريطانيا لم تنس رجلها ليتشمان ووضعت جائزة لمن يقبض على الشيخ او احد ابنائه . وبالخيانة تمكنت من اصطياده وأتت به الى بغداد وحاكمته فحكمت عليه بالاعدام ، ولكنها لم تجرؤ على تنفيذ الحكم فيه فالقته فى السجن ، وتوفى فى خلال عام.

عاشت العشيرة فترة من الزمان بعيدة عن مضاربها . ومرت الايام وتمكنت العشيرة مرة أخرى من الرجوع الى أرض الآباء والاجداد .

ودار الزمن دورته وجاءت الثورة العراقية المباركة . فلم تنس هذا الثائر الذى استشهد فى سبيل دينه ووطنه فاصلحت الخان حتى يظل شاهدا على مواطن صالح مات فى سبيل وطنه وعروبته واسلامه . وبعد ثورة تشرين المجيدة، أقامت مسجدا ومدرسة ومستوصفا بجوار الخان .

والذى يغادر بغدادمتوجها الىالفالوجهاو الرمادى او متجها الى سوريا يرى منارة شاهقة ومسجدا ضخما ومدرسة بديعة ، تشير كلها الى رجل عظيم وتسمى باسمه . معلنة أن الشيخ ضارى سعيد ، اذ يقوم ابن اخته عبد السلام محمد عارف بواجبه وبواجب الوطن فيثأر لكرامته ويثور على المستعمرين وأعوانهم، انما يعلنها كلمة صريحة قوية تعلى منشأن العروبة والعرب وتمجد من كفاحهم ، ومن أولى بالتكريم من الشيخ ضارى سيد عشائر زوبع وحفيد حاتم الطائى ، والعربى المسلم الذى كافح بعشيرته امبراطورية فى أوج مجدها وعزها .

العراق ـ محمود منصور البرشومى



تحية البطل

للشاعر: إبراهيم محمد نجا

القيت في مأدبة الغداء التي اقيمت للسيد الرئيس عبدالسلام محمد عارف احتفالا بزيارته الميمونة لمدينة كركوك في شمال العراق .

الا مرحبا يا زعيم البلاد — واهلا بطلعتك الهاديه
اتيت الينا ، فجاء الربيع — وجاءت مواكبه الزاهيه
فازهاره بسمة في السهول — وترنيمة في الربا الحالية
وانت ربيع المنى والقلوب — تظل بايامه شاديه
وانت الرجاء الذى تلتقى — على نبعه الأنفس الصاديه
وانت الضياء الذى بددت — اشعته الظلمة الطاغيه
وعهدك اشراق فجر جديد — نسينا به الليلة القاسيه
ومجدك نور لمجد عظيم — بنته حضارتنا الماضيه
طواه الزمان ، فلما اتيت — أتيت به مرة ثانيه

***

فيا رائد الخير في امة — ترى فيك آمالها الصافيه
تصونك بالروح من كل شر — وتفيدك بالمهجة الغاليه
ويا قائد الشعب نحو العلا — ليبلغ قمتها العاليه
لقد ثرت أكثر من ثورة — فادركت أهدافك الساميه
وكنت أخا ناصر يوم ثرت — على الظلم .. والظلمة العاتيه
هدمت الضلال وأهل الضلال — بضربتك الحرة القاضيه
وشيدت صرح الهدى باذخا — فاعجزت كل يد بانيه
ومرت على جرح شعب العراق — يلمسها يدك الآسيه
فكانت سلاما ، وكانت نعيما — يفيضان من نفسك الحانيه
هنيئا لك الحب من كل قلب — ومتعك الله بالعافيه
وأبقاك حصنا لأيامنا — تبدد عنها القوى الباغيه
وتسعى الى وحدة حرة — تكون لنا درعنا الواقيه
يعود بها مجدنا المرتجى — وتبقى لأمتنا الباقيه
وهذى التحية .. من شاعر — رعى النيل آماله الناميه
يرى ناصرا اذ يرى عارفا — وفي مصر بغداده باديه

العراق — ابراهيم محمد نجا

طبيعة الأدب النسوي المعاصر

بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتى

- ١ -

يتلون الأدب النسوى المعاصر بطبيعة المرأة ، ومزاجها وميولها، وبالفترة الحضارية التي تعيش فيها .

فهو أدب يمثل فى الغالبه ، قوقان المرأة القلق فى هذا الجيل عن أختها فى الجيل الماضى قوقانا ملحوظا ، كما يمثل نشـاط عقلها الباطن ، وسمته وقوته ، ويكشف عن اتجاهها الملح الدائب فى سبيل الوصول الى حريتها العاطفية تجاه طغيان الرجـل ، وحريتها الاجتماعية تجاه تقاليد البيئة السيئة الموروثة من جيل لجيل . بل لثورتها وتمردها على هذه التقاليد .

وغلب ان شئت جماولا النسوى القصص أو الشعرى فتجدهذه الروح الثائرة على التقاليد وضغط البيئة ، وتحكم الرجـل ، وسعى المرأة الدائب فى سبيل حريتها العاطفية ، وتحقيق ذاتها.

ففى رواية « الباب المفتوح » للطيفة الزيات ، نجد هـذه الثورة على لسان شخوص الرواية ، تقول عديلة : « والله احنا مضيتنا سوده ، على الأقل أمهاتنا كانوا فاهمين وضعهم ، أما احنا ضايعين لا احنا فاهمين اذا كنا حريم والا مش حريم ، ان كان الحب حرام والا حـلال . اهلنا يقولوا حرام ، وراديو الحكومة طول الليل والنهار يغنى للحب ، والكتب تقول للبنت روحى انت حرة ، وان صدقت البنت تبقى مصيبة ، تبقى سمعتها زفت وهباب ، بالذمة ده وضع ، بالذمة احنا مش غلابة ! »

وعلى مثل هذه الأقوال سارت هذه الكاتبة وغيرها فى مناقشة الوضع العاطفى الذى تعيش فيه المرأة ، مركزة كل اهتمامها على هذا الوضع ، ظانة أنها اذا تحررت عواطفها ، نالت حـرياتها الأخرى . واغلب القصص النسوية تدور فى هذا المجال العاطفى.

فرواية « منزل الطالبات » لفوزية مهران ، تدور حول فكرة حرية الفتاة فى الحب وعيشتها لا خوف فيها ولا زيف ، وحقها فى أن تجمع بين الحب والعمل ، وتحقيق وجودها كانسانة .

ويبلور الحوار التالى بين آمال بطلة القصة وأحمـد عزمى اتجاهها حيث يجرى كالآتى :

ـ أحمد : يخيل الى أنك تريدين تجريد المرأة من أنوثتها .

ـ آمال : الأنوثة ليس معناها الضعف ، فحبنا لا يمكن أن يقف عقبة فى طريقها ، وفى تحقيق وجودها .

وكان أحمد يريد منها أن ترتبط به ، وأن تترك دراسـتها الجامعية ، لان الفتاة فى رأيه ، اذا أحبت ، نسيت كل شئ عن آمالها وطموحها .

ولكنها انكرت عليه رأيه .

وفى المجال الشعرى ، تقع فى بعض الأحيان على نظير لهـذا التحرر ، يجرى على اقلام الشاعرات.ومن أمثلة ذلك قول الشاعرة ملكة رضا فى قصيدتها « وسأمضى » :

وسأمضى فى كل مكان
أتحدى قدرى وزمانى
أتحدى الصور المرئية
أتحدى العين البشرية
لن أجرى كالطفل الأعرج
لن أقفز أو أثب كأعرج
لن أرجف كالعود ، كأعمى
لن أعثر فى الدرب كأعمى
لن أعيا بعيون الثارة
لن أصغى لحديث جماعه
وأمد على دربى خطوى ....

وهذه الدفاقة من الدفاعات العاطفة تشق بها الطريق الى حريتها التى تعتقد أنها مصفدة بالأغلال .

ومثل هذا الأدب يكشف عن خصيصة من خصائص المرأة ، وهى أن عاطفتها تقودها فى اغلب الأحيـان ـ لقوتها واتسـاعها وحدتها .

ولا نزعم أنها لا تفكر ، بل ان تفكيرها لا يقل قدرة عن تفكير الرجل ، ولكن عقلها ما يكاد يفكر ، حتى ينداح هذا الفكر الى عقلها الباطن ، فيتلون بما يجرى فيه ، ويتغلب على عقلها الواعى.

فالمعروف أنه لا توجد فواصل قاطعة بين العقلين ، فالرجـل يمكنه أن يقف عند المستوى الواعى ، ويكون تفكيره استدلاليـا باردا مجردا دون تأثر بعقله الباطن .

ولقد كان لهذا التوحد بين العقلين أثره الفنى فى أدب المرأة، وبخاصة فى المجالات العاطفية . فتميز أدبها القصصى والشعرى فى الغالب بتوحد الفكر بالشعور ، وتميز بهذهالخصيصة الفنية، وسلم من الازدواجية التعبيرية التى نجدها كثيرا فى شـعر الرجل وبخاصة الرجل الذى اتسم بقسط كبير من الرجولة ، وباستطاعتنا أن نورد كثيرا من الشواهد الدالة على انتفاء هـذه الازدواجية فى كثير من شعر المرأة المعاصرة ، ونذكر بدون اختيار لفدوى طوقان هذه الأبيات :

ولقد كنت أنزوى والأسى يطحن نفس الطموحة المخــذوله
ووراء الجدران تصخب دنيا الانطلاقات والحيــاة الجميله
الحياة التى بملء الدفاعات خطاها تســير نشوى عتيه
لا تبــالى بنا ، تسير ولا تثنى خطاها مأساتنــا الفرديه
وتعلمت كيف تختلط الثـــورة والبغض فى دم المظلوم
وباعمـــاقى التربص يخبــه عدولى فى صمته المسموم
أرقب اللحظة التى كم تطلعت اليها فى شـــوقى المكبوح
لحظة العتق والفرار الى آفاق حريتى ، ودنيــا طموحى
كان لى الحب مهربا أحتمى فيــه ، اليه أفر من مأساتى
كان دنيــا فى افقها الرحب أسترجع حريتى أحقق ذاتى
يا لقلبى الموتور كم رنحته ، نشوة الانتقام من جــلادى
وأنا فى مشاعر الحب غرقى وهو خلف الابواب بالرصـاد
أيوسع السجون خنق الأحاسيس وقتل الحياة فى الأعماق
من يصد الشـــلال عن سيره الكاسح عن اندفاعه الدفاق
وانطلقت أودع شعرى خلجاتى الحرى ونبض شـــعورى
وانثنى الحياة أشواق روحى من وراء الأغلال من تحت نيرى
اتحدى السجان ، أسخر بالعرف ، بما شادت التقاليد حولى
من جــدار ضـخم مضت أغنياتى تتخطاه فى تحد مثلى
كم فتــاة رأت شعرى انتفاضات رؤاها الحبيسة المكتومه
كان شـــعرى مرآة كل فتاة ، وأد الظلم روحها المحرومه

فما يدور فى نفسها المكبوتة الحبيســة من ألم وأسى وظلم سجلته ، وما يدور فى الدنيا الجميلة من أفراح وانطـــلاقات ذكرته ، ثم تحولت نفسها فى اللحظة ذاتها ، تتحدى الســجن والسجان بحبها وأغنياتها التى تخطت الجدران ، فكرات ،ومشاعر متوحدة ، وانفعالات متعاكسة جرت فى نفسها ، وعبرت عنها جميعا تعبيرا مترابطا ، لا تطغى الفكرة فيه ، ولا تستبد المشاعر ، بل تسير فى تلاحم ، وترابط ، وانسجام .

واظهر ما يكون هذا الترابط بين العقلين ، تجده فى قصيدة « مات حبا » لجليلة رضا ، حيث تسير الأفكار والمشـــاعر ، فى تآلق كأمواج النهر شبت عليها شعاعات القمر ، ومما جاء فى هذه القصيدة قولها :

أصبحت بقلبة عصفور
حبى الماضى أمس قشـــره
نزعت ومسحت بها ريقى
وشيت أهدهد أحلامى
وتلفت الأرض بقــوة
وتدفق فجر المشتاقى
واللهبة أرخت جلنبها
ووسادة أحلامى أيقظت
ورجعت لنــار الدفاة
والقطة لعقت أقــدامى
وسمعت أحاديث الجاره
ونســـيت كآبات الأمس
ووهبت الأحياء سرورى
ورجعت لنفسى ولــذاتى
شئ فى قلبى يطعننى
الجرح يعـــود فيؤلمنى

أصبحت ألغى مع النور
الشـــرة فاكهــة مصفره
ورميت بها عبر طـريقى
وادوس الحب بأقــدامى
والتفت من جوف الهوه
وتغنى الطبع بالمعانى
وابتسمت تمسح خديهــا
ودموع السهد بها جلت
للبيت لعرشى مملكتى
والكلب لعهــد قدامى
وخلاف الصبية فى الحاره
والتفت المرآة رأسى
وضحكت بقلبى وشعورى
وحياتى رجعت لحيـــاتى
شئ كالنـــار وكالسـيف
أتراه الحب ؟ أيا خوفى

فترون فى هذه القصيدة العجيبة اندماج الفكر بالشعور ، وتقلب الشعور من فرحة بهجر الحب ، الى خوف من عودته ، دون مراعاة لمنطق القصيدة العقل ، بل لجولان الشعور ، وتغيره ، وهذا برهان قائم على تلبية المرأة ، لما يجرى فى العقل الباطن ، دون تلبيــة منطق العقل ، وهذا من انتصارات المرأة فى شعرها .

- ٣ -

وتظهر عقلية المرأة فى عقلها الباطن ، أو فى ميدانهــا الذى تميزت به فى قصصها وشعرها ، ولولاها باستخدام تيار الشعور او المولولوج الداخل فى القصص ، وبالمشاهدة الباطنة والتغلغل فيما يجرى بالعقل الباطن ، وسرائره ، وانتفاضاته فى الشعر .

ولا أستطيع فى هذا المقام ان آتى بنماذج من جولات القاصة فى العقل الباطن ، التى برعت فيه ، واكتفى بان أحيلكم الى ما جاء فى رواية « الباب المفتوح » من لوامع فى هذه الناحية ، بل الى قصص الكاتبة الكبيرة فرجينيا وولف ، قصيرة أو طويلة .. فقد كانت الرائدة النسوية الأولى فى هذا المجال .

اما فى الميدان الشعرى فقد كانت الشاعرة العراقية « **نازك الملائكة** » أول من حبت الى التعمق فى العقل الباطن ، وأسراره ، وملتوياته ، ومعقداته ، فكانت رائدة فى هذا المجال ، رائدة فى تعمق الواقع النفسى ، وفى ديوانها « شظايا ورماد » و « قرارة الموجة » نماذج كثيرة ، والسابت شاعرات أخر فى هذا الميدان بعدها ، ولكنهن لذن بتعبير الغموض ، الذى لا يدع للعقل فرجة للاجتلاء ولا للقلب مدى للانسراح ، لأنهن وقفن عند نطاق خوالج العقل الباطن ، ولم يدعن شعاعا ينبثق من العقل الواعى اليه ، ومن بين الشاعرات ، نذكر الشاعرة الفلسطينية « **فدوى طوقان** » فى ديوانها « قربان » وباستطاعتنا ان نذكر كثيرا من قصـائد « نازك » فى هــذا المجال ، ولكنا نكتفى بقصيـدتين لها هما : « العوان » و « ذكريات » ففى العوان تتحدث عن الذات الفطرية وما تنطوى عليه من شهوة وعرامة تقول فى استهلالها :

أين أمشى ملت الدروب
وسئمت المروج
والعدو الخفى اللجوج
لم يزل يقتفى خطوتى فأين الهروب ؟
وتنتهى بقولها :
وتمر تمر الحياة
وعدوى الخفى العنيد
خلف كل طريق جديد
فى ليالى الأسى الحالكات
خلف كل سحر
وإزاء يطل على مع المنتظر
مع أمسى البعيد
مع ضوء القمر
فى الفضاء المديد
أين أين المفر ؟
من عدوى العنيد
وهو مثل القدر
سرمدى خفى أبيد
سرمدى أبيد ..

وفي قصيدتها ذكريات تقول :

كان قلبي متعبا يسكنه حزن فظيع
رقصت فيه وشدته الى الجرح دموع
صور في قعره تصنع مرآة النجيع
كان ، لكن يدا مرت عليه
حملت تحاياها اليه
باركت الامه السوداء ، كانت يد طفل
أي طفل ، لم يكن في الليل غيري ، غير ظل

وهكذا سارت نازك في هذه القصيدة التي تروى فيها ما يعج في العقل الباطن ، من حزن وتوه ، وضوء ، وتذكار لا يحد وبه طفل تبارك آلامها السوداء ، وأي طفل ؟ أهو حب وليد ، أهو أمل ، أهو شوق الى الأمومة ؟ كل هذا ممكن أن تفسر به الطفل . وهو يفسر لنا في الوقت ذاته طبيعة المرأة ذات العقل الباطن الخصب ، الزاخر بالأوهام ، والوساوس والأشواق والأحلام .

ونقع على شاعرة غريبة ، بعيدة الغلغلة ، تكاد لا تفهم ، لما في شعرها من ملتويات ، ومعقدات لمسايرتها لما يجري في عقلها الباطن ، ولنسمع الى **لوريا ملحس** ، في قصيدة « العناق » حيث تقول :

عبق غـــريب
في جوى يدور
ما الذي يخترق صدري
ما هذا الشـــعور
أخشــاه ؟
مدي يديك
الى

وبمثل هــــذه الانتفاضات الروحية تحيرنا **لوريا ملحس** ، فلا ندري ما يدور في عالمها الشجي ، لا نجد شيئا يدركه العقل ، وانما هي تريد اقلاقنا برحلتها الغاطسة في اللاشعور ، وكأنما من دأبها الاقلاق كما يقول أندريه جيد « الاقلاق ديدني ! »

- ٣ -

وهذا الولوغ في الواقع النفسي ، الذي تميزت به المرأة ، والسيطرة التي تكابدها في المجتمع ، بل القهر والاذلال ، أضفى عليها وشكل طابعها بأشكال ثلاثة . فطابع نسوي استسلم لضغط البيئة وتقاليدها ، وقبل سيطرة الرجل ، ورضي بالذلة والدونية وترك للرجل أن يفعل كل شيء ، دون الشعور بأية مسئولية ، وطابع جمع الى التلاؤم مع البيئة الاحتفاظ بآماله وتطلعاته فجمع الى الحب العمل والوصول الى تأمين وضعه .

وطابع ثالث ، ثائر كل الثائر باضطهاد البيئة ، فلم يعبأ بالرجل ، بل عده عدوا له ، وهذا هو الطابع الذكوري . وأغلب نساء هذا الطابع مع العصابيات قد يتزوجن ، ولكنهن لايستسلمن لأزواجهن وموقفهن راجع الى مخاوف لاشعورية من قوة الرجل ، وحبه للسيطرة .

وقد طبع الأدب النسوي بهذه الطوابع وجرى تصويرها في أدبهن ، جرى تصوير طابع المستسلمات ، من جداتنا في كثير من القصص العربي المعاصر ، كما نجد في بعض قصص بنت الشاطيء ، ويلون أدب أمريات بالطابع الثاني كما رأينا في رواية « **فوزية مهران** » ، أما طابع المرأة الذكورية أو المسترجلة، فقد قرأناه في « اعترافات امرأة مسترجلة » **لسعاد زهير** .

وقد عبرت عن هذا الطابع في جرأة وصراحة منقطعة النظير ، فهاهي ذي تقول ص ٣٥ « انهم جميعا رجال ، هؤلاء الذين قاسيت منهم حتى اليوم ، أخي وأبي ، وذلك الرجل الذي هم بافتراسي في غيبة زوجته ، وتقول :

« أبدا - أبدا ، لن أسمح لرجل باستعبادي
سأعيش ذاتي ، وأصنع حياتي بارادتي ،
وأكون سيدة نفسي الى الأبد »

وتقول في اعترافاتها انها مع هذا تزوجت ، ولكنها لم تشعر بلذة في القران ، وانتهى زواجها بالطلاق .

فالمرأة في حياتها تلعب دور الرجل الحزين ، وقد انسابت أوتار الحزن والألم في قصصها وفي شعورها . تقول نازك الملائكة : وكم ذا وقفنا في شعر الشاعرات على شدو كئيب حزين . وهذا الحزن ليس راجعا الى ضعف المرأة ، بل راجع الى طبيعتها النزاعة الى حب الذات ، والى الاخلاد للألم والى التضحية ، فضلا عما تكابد من مجتمع الرجال القاسي الذي تعتقد سموه عليها .

- ٤ -

وقـد تيقظت المـــرأة المصرية الى وضعها الاجتماعي السيء ، فهبت تدافع عن حريتها ، وبخاصة حريتها العاطفية ، وما فرضته قوانين الرجال ، وتقاليدهم عليها ، واستلت قلمها لتبرز كفايتها العقلية ، بما دبجت بعضهن من بحوث أدبية قيمة ، كما فعلت الدكتورة سهير القلماوي أو نعمات فؤاد ، أو تحقيقات لغوية مثلما فعلت بنت الشاطيء أو أعمال أدبية خلاقة قصصية وشعرية ، وهذه الأعمال الخلاقة اتجهت أكثرها الى عالم المرأة ، والى وجوب تحررها وتحقيق ذاتها ، وبث روحها ، وبعض هذه الاعمـــال ساير طبيعة المرأة ، في حبها للمثل العليا ، والخلق الرفيع كما نلمس ذلك في قصص وداد سكاكيني السورية ، وبعضها تنكب الطريق واندفع في نشدان الحرية ، والطموح الزائف ، بدون نظر للفترة الحضارية التي نعيش فيها ، فجرت على أقلامهن هواجس منحرفة لاتمت الى طبيعة المرأة السوية بسبب ، فمن هؤلاء نذكر ليلى بعلبكي في قصصها وهي تجري في محور واحد ، هو العطاء الجنسي ، للانتقام من الرجل ، وأنها اذا أعطت وأكثرت من العطاء ، فهي اذن تحب ، وليس العطاء من طبيعة المرأة السوية وليست الحرية في هذا التبذل . فالمرأة من طبيعتها الحياء ، والتمنع ، وسارت على هذا المنوال القاصة السورية كوليت خوري التي تريد كما تقول : رجلا يحتضنني برجولته وبأسه وحبه ، رجلا أستقر بين ذراعيه لتمزق شفاهي ويكسر ضلوعي . وتجري صوفي عبد الله في هذا التيار مع شيء من الاعتدال فهي تريد بعث الروح ، بعث الجسد الجائع !

ومن هنا نجد أن أدب المرأة في هذه الفترة ، يساير طبيعتها ووضعها الجديد لدى بعض الكاتبات ، كما انه ينتكب الطريق السوي في أدب أخريات .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

قصيدتان

للشاعر: صالح جودت

فرحة العيد

اهديه لما أتى فى ليلة العيد … منغم الخطو معسول المواعيد
العطر فى صدره ، والشهد فى فمه … والورد فى خده ، والفل فى الجيد
سألته وهو مستلق على كتفى … ودمعة الشوق تجرى فى الاخاديد
ماذا عليك لو اخترت الرضى وطنا … وما يفيدك من هجرى وتشريدى ؟
أتشرب الراح من دمعى ومن سهرى … وتستخفك أناتى وتنهيدى ؟
فرشت دربك وردا من ربى غزلى … وزنت جوك عطرا من أناشيدى
يا من عشقت فلم اشرك به ابدا … هل صنت عهدى وهل قدرت توحيدى؟
عرضت حريتى ، والقيد يخنقنى … فبعت حريتى ، واخترت تقييدى
وجدد الناس فى اهوائهم ، وأنا … أراك أجمل اهوائى وتجديدى
عرفتنى ماجحود الفضل من خلقى … ولا تبدل عهدى من تقاليدى
لولا جمالك ، ماشف الهوى نغمى … ولا تعشقت الدنيا أغاريدى
ملأتها من سلاف الحب شعشعة … فخالها الناس معصور العناقيد
طلعت فى العيد مجلوا على قدرى … كطلعة الغيمة الهمياء فى البيد
فما رأيتك الا البعث فى رمقى … ولا دعوتك الا فرحة العيد

حب جديد



سوف انسى لهفة الحب الجديد
وامنى النفس بالماضى السعيد
عشت عامين بقلب من حديد
حيوان الروح ، وحشى الجدود
اكره الرق .. وازدى بالقيود
وارى الحسن بوجدان البليد
وارى فى الحب احلام العبيد

***

ما الذى ايقظنى .. بعد رقودى ؟
ما الذى حركنى ... بعد ركودى ؟
انت .. من اقبلت كالظن البعيد
لتعيدينى الى الماضى العهيد
انت من اشعلت مخبوء الوقود
وتبديت لاحيا من جديد
فى جحيم من صلاتى وسجودى
وتراتيل الى الحسن الجحود

***

امعنى ما شئت فى هذا الصدود
ما الذى افقده ان لم تعودى ...
غير شعرى .. وخيالى .. ووجودى ؟

دموع حسناء

للدكتور : محمد محمود الصياد

حبس الأسى الكلمات فى شفتيك
فانبت عنهـا الدمع من عينيك !
ما اللؤلؤ المنظوم فى اسـلاكه
كاللؤلؤ المنثور فى خديك ؟!
لهفى عليـه تساقطت حبـاته
وحجبتهـا عن ناظرى بيديك !
صونى الدموع عزيزة وتـكلمى
عقلى وروحى مصغيـان اليك ؟
سر على شفتيـك غاف حـالم
قالى متى يبقى على شـفتيك ؟!

أدركت ذنبـك فانفجـرت بكاء !
وسـخوت بالدمع العصى سخاء •
فاذا بقلبى مشـفق بك راحم
وكأنه لم يلق منك شـقاء !
هذى يمينك فى يدى ، وكأنمـا
قد مد لى موسى اليد البيضاء •
وهممت ألثمهـا ، فاذ همت بهـا
شفتـاى ، ذبت تعففـا وحيـاء
خير لحبى أن يعش على ظمـا
من أن يدنس فى يديك الماء !

***

أحسبت أن الدمع يطفىء ما بى ؟!
الدمع يضرم لوعتى وعـذابى !
كالنـور فى لألائه لكنـه
كالنار فى قلبى وفى أعصابى
رفقا بمسبلة الشـئون ورحمة
بجفونهـا ، وبوجنـة العتاب •
صور من الماضى الجميل تجمعت
لهداية المتشـكك المرتاب !
فترقرقت فى العين ثم تحدرت
فى الخد دمع ندامة ومتـاب !

فاضت دموعك فى أسى وخشوع •
وأبيت الا أن أصـون دموعى •
أظهرت غاية مايطيـق تجـلدى
ورفضت بين يديك أى خضوع !
حتى رجعت لهيـكل متعثـرا
ياليت أنك قد شهدت رجوعى •
وجلست والذكرى الأسيفة والجـوى
أبكى بعين الثـاكل المفجـوع
ينبوع آمال شهدت نضـوبه
فبكيت من جزع على الينبـوع !



الفلسفة الإسلامية في جامعات أوروبا

للدكتور: محمد مختار القاضي

- ٢ -

في حديث سبق تكلمت عن مدرسة المترجمين الطليطليين في الاندلس وكيف اسهمت هذه المدرسة في نقل العلوم الاسلامية من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية في العصور الوسطى ، وذكرت ترجمة قصيرة لبعض من مترجمي هذه المدرسة وما قاموا به من تراجم لكتب العلماء المسلمين في الاندلس ، اما الآن فساقوم بتوضيح الاثر الذى تركته هذه التراجم في جامعات اوربا باسرها ·

وقبل ان ابين هذا الأثر احب ان اقدم بين يدى القراء ان جامعات اوروبا في العصر الوسيط كانت تحت سلطان الكنيسة ، يديرها جماعة من رجال الكهنوت على اختلاف درجاتهم الكنسية ، وكان اللاهوت هو العلم المسيطر في هذه الجامعات ، فقد كانت جامعات ناشئة لا تعنى بشيء كعنايتها بالامور العقيدية والالهيات، ولذلك فان دور الفلسفة فيها كان دورا اساسيا ودخول الفلسفة الاسلامية في تلك الجامعات الدينية لم يكن امرا هين القبول ، هذا امر كان ينبغي ان يكون مقررا ، ولكن الأمر الذى نستطيع تأكيده ايضا هو انه لم ينقض قرن على الترجمات التي صدرت من طليطلة لفلاسفة العرب حتى كان الرأى قد استقر عند الافرنج على اختيار فلسفة ابن سينا ممثلة للفلسفة الاسلامية ، فقد عرفها الافرنج عن طريق المسلمين قبل ان يعرفوا ميتافيزيقا ارسطو من مصادرها اليونانية بنصف قرن · وقد بين الاستاذ جيلسون في كتاب الفه بين سنتي ١٩٢٦ ـ ١٩٣٣ عنوانه مترجما (سجل لتاريخ ومذاهب وآداب العصر الوسيط) ، بين ان الفلسفة في القرن الثالث عشر كانت عبارة عن مشتقات من ثلاثة فلاسفة : ارسطو وابن سينا وابن رشد وان مذهب القديس اوغسطين لم يكن سوى اختيار بين آراء هؤلاء الثلاثة ، كما اثبت الأب دى فو في كتاب الفه سنة ١٩٣٤ تحت عنوان (السينية اللاتينية) (١) اثبت ان كثيرين من رجال اللاهوت المسيحيين اتخذوا فلسفة ابن سينا مصدرا لالهامهم ، بل ان هنالك مفكرين منهم صرحوا بآراء سينوية مخالفة للعقيدة المسيحية ، وهم الذين يسميهم الأب دى فو «السينيون اللاتين» · وسبب هذه الحظوة في رأيه ان فلسفة ابن سينا كانت مكتملة واكثر تفصيلا من فلسفة ارسطو الأولى ، فقد سكت ارسطو عن الكلام في اصل الكون ، وتكلم كلاما موجزا عن الله ، فلما جاء ابن سينا ، ويعتبر للمبدأ له تجديدا ، افاض في الكلام عن الله والملائكة والخلق والخير والعناية وحاول التوفيق بين العقل والايمان ، وهو امر يتفق ولا شك مع الآراء المسيحية التى تتفق مع الاسلام في جملة من هذه المسائل· واذا كان ابن سينا يرى قدم العالم وان علة الخلق هي الصدور مما لا يتفق مع العقيدة المسيحية ، فمما لا شك فيه انه سد ثغرة عند ارسطو ·

على ان ابن سينا لم يسلم من الحاقدين عليه من امثال جيوم الأفروني (جيوم ديفروني) وهو فرنسي توفى سنة ١٢٤٩ ، اوغسطيني المذهب ، وكان ، كمعظم معاصريه ، يعتقد ان الفلسفة الاسلامية ارسطوطالية خالصة ، لا تجديد فيها ، ولذلك يذكر وهو في صدد نقده لأرسطو ، يذكر الفارابي والغزالي وابن سينا على انهم من اتباعه ، وينقد ارسطو واتباعه حين قالوا بحرية الارادة التي هي اساس المسيحية كما يقول · ومع ذلك يقتبس آراءه في الماهية والوجود وادراك النفس لذاتها ·

---

(١) يقصد بالسينية مذهب ابن سينا ويقصد باللاتينية صلة هذا المذهب المباشرة بفلسفة اليونان الأولى بعيدا عن النزعة المسيحية ·

ومعن تأثر بفلسفة ابن سينا الاسكندر الهاليسي (الكسندر أوف هاليس) وهو انجليزي عاش بين سنتي ١١٧٥ و ١٢٤٥ وكان استاذا بجامعة باريس ، يمتدح ابن سينا مرة وينتقده مرة ومع ذلك فهو لا يفارق ابن سينا فيما يكتب في لاهوته .

وممن تأثر بفلسفة ابن سينا القديس انسلم (١٠٣٣-١١٠٩) وايكارد (١٢٦٠ - ١٣٢٧) في تعليقه على كتاب الحكمة . والقديس توما الاكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤) وقد اقتبس من ابن سينا تمييزه بين الماهية والوجود وغيرها . وروجر بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٤) وهو انجليزي تنقل بين جامعتي اكسفورد وباريس ، وكان اكبر معاصريه معرفة بابن سينا ومصنفاته ، وكان يقول عنه انه اول اسم كبير بعد ارسطو واهم شراحه وزعيم الفلسفة ، بل هو ثاني فيلسوف بعد ارسطو . وان كل ما عرف في ارائه من تناقض يجب ان ينسب الى المترجمين فان فيلسوفا مثله لا يمكن ان يقع في اى تناقض .

هذا عن ابن سينا ، وان فلسفته وجدت طريقها الى جامعات اوروبا ممهدا ، فهو شارح لارسطو لابد ان يقرا . ولم ينظر اللاهوتيون المسيحيون اليه من زاوية اخرى كالتي نظروا منها الى ابن رشد .

فاذا انتقلنا الى ابن رشد ، وهو اندلسي لا مشرقي كابن سينا ، وجدناه يلقى عنتا كبيرا في طريق السيادة الفلسفية في جامعات اوربا . فلقد كان مقامه بالاندلس سببا في الاحتكاك بطائفة الرهبان الدومينيكان ، وكان لهؤلاء فرع بالاندلس . يناهض العرب ويتعصب عليهم . فلما ترجمت مؤلفاته وبدات تغزو جامعات اوربا انبرى هؤلاء الاخوان الدومينيكان لمناهضة هذه الفلسفة ، الامر الذي قسم اساتذة هذه الجامعات فريقين . احدهما يتعصب لابن رشد والآخر يتعصب ضده .

لقد نقلت مؤلفات ابن رشد الى العبرية واللاتينية ابان القرنين الثالث عشر والرابع عشر . نقلها يعقوب الاناتولي من نابلي سنة ١٢٣٢ ويهودا ابن سليمان كوهن من طليطلة سنة١٢٤٧وشمويل ابن تيبون وشم طب ابن يوسف الفلقري وشرح هذه المؤلفات ليون ابن جرشون . ثم اصلحت الترجمة اللاتينية في القرن الخامس عشر على يد نيفوس وزيمارا وترجمتترجمة جديدة على يد يعقوب منتينو الطرطوشي وابراهام دى بالمز وجيوفاني فرنسسكو بورانا من فيرونا . ولقد وصلت مؤلفات ابن رشد مترجمة الى العالم الغربي عن طريق جامعة نابلي التي انشاها فردريك الثاني ملك صقلية وامبراطور المانيا سنة ١٢٢٤ عقب عودته من الحروب الصليبية وجعل منها مركزا للاشعاع الاسلامي في اوربا . ولهذا الغرض ارسل ميشيل سكوت الى طليطلة فترجم شروح ابن رشد، وكانت جامعة بولونيا وجامعة بادوا مركزا للفلسفة الرشدية ومنهما انتشر الاشعاع الرشدي في شمال شرقي ايطاليا . في البندقية وفرارا . وساد التفسير الاعظم سيادة مطلقة في جامعة بادوا ، وظل جيتانو دى تينا في القرن الخامس عشر علما من اعلام الرشدية حتى ان دروسه تلقى الى اليوم .

لقد مرت هذه التراجم في اول امرها بجامعات ايطاليا دون ان تحدث هذه الضجة الكبرى التي احدثتها فى جامعة باريس، وسبب ذلك حزم فردريك الثاني ساعة وصلت هذه التراجم الى ايطاليا، ولان جامعة نابلي التي انشاها فردريك انما انشئت خصيصا لدراسة العلوم الاسلامية الجديدة . اما جامعة باريس فلم تهيأ لها هذه الظروف في اول امرها . فما ان تسامع اساقفة باريس بوصول شروح ابن رشد على مؤلفات ارسطو حتى اجتمع مجلس كنسي في باريس سنة ١٢١٠ واستنكر كتب ارسطو وشروحها في الفلسفة والطبيعة . وفي سنة ١٢١٥ وضع نائب البابا لائحة للجامعة تنص على الاستمرار في تدريس منطق ارسطو وكتاب الاخلاق . ولكنها حرمت تدريس كتب الطبيعة وشروحها وكتاب ما بعد الطبيعة وشروحه (وهي لابن رشد) .

وفي سنة ١٢٢٩انشئت جامعة تولوز برعاية نائب البابا واعلنت عزمها على تدريس الكتب المحرمة ثم نفذت هذا العزم فابيح تدريس هذه الكتب ، وكانت هذه فاتحة انتشار الرشدية في فرنسا .

وفي ذلك يقول الاستاذ الفرنسي جوستاف لوبون (١) . فكان ابن رشد الحجة البالغة للفلسفة في جامعاتنا منذ اوائل القرن الثالث عشر من الميلاد . ولما حاول لويس الحادي عشر تنظيم امور التعليم سنة ١٤٧٣ امر بتدريس مذهب هذا الفيلسوف العربي ومذهب ارسطو . »

اما في انجلترة فقد ظلت الفلسفة الرشدية متسلطة على جامعاتها الى ما بعد القرن الرابع عشر الميلادي .

(يتبع) د. محمد مختار القاضي .



مصر في موكب العروبة

للدكتور أحمد الحوفي

- ٢ -

في رد المغيرين على الوطن العربي

وقفت مصر وقفات باسلة في طريق المغيرين على الوطن العربي، فردتهم حينا ، وعجزت عن ردهم حينا .

١ ـ فكانت الدرع الواقية للعرب منذ تسعة قرون ، حينما شن الصليبيون على المسلمين حروبا باغية في نحو قرنين من الزمن ٤٨٩ ـ ٦٧٠ هـ (١٠٩٦ ـ ١٢٧٢ م) . وكان غرضها الظاهر انتزاع بيت المقدس من المسلمين ، بدعوى ان السلاجقة يضيقون على الحجاج المسيحيين ، ويثقلونهم بالضرائب ، ويهينون النصارى الذين في حكمهم ، وهي دعاوى باطلة كذبها مؤرخوهم المنصفون.

اما بواعثها الحقيقية واغراضها الخفية فهي رغبة البابا في ان يبسط نفوذه على ملوك اوروبا وامرائها اذا ما استجابوا لدعوته واشتركوا في الحرب ، وطمع امراء الغرب في انشاء امارات لهم بالشرق ، وتطلعهم الى جمع الثروة ، ورغبة المدن التجارية الايطالية في ان تكون لها مراكز تجارية مسيحية في الشام ومصر تتخذها منافذ الى خيرات الشرق والى احتكار اسواقه .

فماذا فعلت مصر لتقاوم هؤلاء الغزاة ، وتصدهم عن المنطقة كلها ؟

لقد نهض صلاح الدين لمحاربتهم من سنة ٥٨٣ الى ٥٨٨ هـ (١١٨٧ ـ ١١٩٢ م) بجيوش من مصر والشام ، فهزمهم في موقعة فاصلة بجهة حطين سنة ٥٨٣ هـ هزيمة ماحقة لم يجربوا مثلها منذ وفدوا الى الشام ، ثم استرد منهم عسقلان وكثيرا من المدن والحصون ، واتجه الى بيت المقدس ليسترده ، واستطاع ان يتغلب على تحصينه المنيع ، فعرض الصليبيون عليه الصلح وتسليم المدينة ، فقبل على ان يخرجوا منها باموالهم واولادهم ومتاعهم نظير عشرة دنانير عن كل رجل ، وخمسة عن كل امراة واثنين عن كل طفل ، واعفى العجزة والشيوخ والفقراء ، ولم يعاملهم بمثل ما عاملوا به المسلمين من وحشية حينما فتحوا تلك المدينة .

وحينئذ لم يبق بايديهم سوى صور وقلعة بلفرت ـ بين دمشق والساحل ، وهي التي تسمى في الكتب العربية شقيف ارنون ـ وصار المسلمون بعد معاهدة الرملة التي عقدها صلاح الدين مع ريتشارد قلب الاسد سنة ١١٩٢ م يمتلكون جميع المدن ما عدا الساحل الضيق الممتد بين صور ويافا ، بعد ان كانوا قبل موقعة حطين لا يملكون شيئا من الارض غربي نهر الاردن .

وبهذا وحد صلاح الدين الجبهة العربية ما بين صحراء لوبية غربا وجبال الكردستان شرقا .

ثم تجمع الصليبيون في الحملة الخامسة سنة ٦١٤ هـ (١٢١٨ م) وهجموا على مصر ، لانهم ايقنوا انها مركز المقاومة وحصن الدفاع عن الوطن العربي ، فقصدوا دمياط ، واحتلوها بعد قتال عنيف ، وشرعوا يزحفون نحو القاهرة ، فسارع السلطان الكامل الى لقائهم ، وانتصر عليهم سنة ٦١٨ هـ (١١٢٢ م) ، فعاهدوه على الجلاء الناجز ، وعلى الا يعودوا .

ولكنهم حنثوا بعهدهم ، فعادوا سنة ٦٤٧ هـ في اخر عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع ، ونزلوا بدمياط ، فنهض نجم الدين للقائهم ، ورابط بالمنصورة ، ولكن المنية عاجلته في تلك الازمة الحرجة ، فاحسنت الحيلة زوجته شجرة الدر ، اذ اخفت خبر موته ، وبعثت الى ابنه توران شاه تستدعيه من حصن كيفا على شاطئ دجلة ، وجمعت قواد الجيش

وارباب الدولة ، واصدرت اليهم الامر بما يشبه توقيع الملك ، وزعمت انه يامرهم بمبايعة ابنه توران شاه ، فبايعوه .

ولما اتجه الصليبيون الى المنصورة سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م وكادوا يستولون عليها ، جاء توران شاه ، فقاتلهم ، وانتصر عليهم عند فارسكور ، واسر لويس التاسع ، وسجنه في دار ابن لقمان بالمنصورة ، ثم قبل منه الفداء نفسه وبقية اهله وعسكره بعشرة ملايين فرنك . ولكنه بعد اطلاقه اتجه الى عكا ، وبقي بها الى سنة ١٢٥٤ وحاول ان يقوم باعمال تجبر بعض ما تثلم من كرامته ، فطلب المساعدة من غربي اوروبا . فلم يستجب له احد ، فعاد الى فرنسا .

على ان بقايا الصليبيين مازالت بالشام تهدد الوطن العربي بوسائل شتى ، منها اثارة المسيحين بغربي اوروبا على المسلمين ، واشعال الفتن في الوطن العربي، والتحالف مع المغول على العرب. فلم يكن بد من تعقبهم واستئصالهم ، وقد نهضت مصر بهذا العبء ، اذ هب الظاهر بيبرس لحربهم سنة ١٢٦٥ م فاستولى على كثير من مدنهم ومعاقلهم وحصونهم ، وكلل جهاده باسترداد انطاكية سنة ١٢٦٨ م ، فكان لاستردادها اثر عظيم في نفوس العرب ، لانها مركز اثارة صليبية كبيرة ، ولان استردادها زاد العرب ايمانا بقوتهم وحماسة في جهادهم لطرد الدخلاء .

ثم حذا السلطان قلاوون حذوه ، فلم يبق للصليبيين في الوطن العربي سنة ١٢٨٩ م الا صور وبيروت وعكا .

فلما خلفه ابنه الاشرف خليل استرد عكا سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩١ م) وصور وحيفا وبيروت ، فشفي العرب من الداء الذي عانوه نحو مائتي عام .

على ان الصليبيين ارتحلوا الى جزيرة ارواد - بالقرب من الشام - وتحصنوا بها ، واخذوا يغيرون على مدن الشام الساحلية فجهز السلطان الناصر محمد اسطولا بحريا انضم اليه جيش طرابلس ، وحاصر الجزيرة واستولى عليها سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) .

٢ - كذلك حمت مصر الوطن العربي حينما ابتلي بعدو اخر غاشم ، هم المغول الذين اتجهوا الى العراق ، ولم يكن بد من الاتحاد لصدهم ، فسارع الخليفة العباسي المستعصم بدعوة الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق الى الصلح مع العز ايبك سلطان المماليك بمصر ، ليتحدا على محاربة التتار .

وفي ذلك الوقت تبين تاتار العروبة الغلاب فنسي المتخاصمون ما بينهم من خلاف ، وايقنوا انه لا نجاة لهم الا بالوحدة التي تنقذ الوطن العربي من نكبة التتار .

هجم هولاكو على العراق فاكتسحه ، واستولى على بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وخربها ، وقتل الخليفة المستعصم وكثيرا من بني العباس . ثم زحفت جيوشه على ديار بكر وعلى حلب ، فارسل الناصر يوسف الأيوبي الى مصر يطلب النجدة ، ويدعو الى وحدة الصف ، وكان هولاكو قد ارسل الى قطز سلطان المماليك يامره بالتسليم ، ويحذره عواقب المقاومة ، فلم يعبأ قطز بوعيده ، وقتل رسله ، وعبأ الجيوش ، وخرج الى الصالحية وسرعان ما فوجيء التتار بالجيش المصري يلقاهم عند طبرية بقيادة السلطان قطز وقائده بيبرس ، وكانت معركة عين جالوت الفاصلة سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) التي انتصر فيها الجيش المصري انتصارا مبينا مزق التتار كل ممزق ، وتتبعهم الى بيسان فاثخن فيهم ، وغنم منهم غنائم شتى .

ولولا هذا النصر المبين لانزل التتار بالوطن العربي كوارث تحتاج الافاقة منها الى زمن طويل .

ثم عاودوا الزحف على الشام ، فنهض الظاهر بيبرس لقتالهم وانتصر عليهم في سنتي ٦٧٠ هـ و ٦٧٥ هـ .

على انهم لم يكفوا عن الهجوم على العراق وعلى الشام ، ولم يتوان الجيش المصري في المسارعة الى صدهم ، ففي عهد الناصر هجم التتار بقيادة ملكهم محمود غازان على الشام - وكانوا قد اعتنقوا الاسلام منذ سنة ٦٨١ هـ - فما لبث السلطان الناصر محمد بن قلاوون ان اسرع الى قتالهم سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩م) ودارت المعركة في مجمع المروج بين حمص وحماة ، وكان عدد التتار خمسة امثال الجيش المصري ، فانهزم جيش مصر على الرغم من استبساله ، ثم زحف التتار على حمص ودمشق والصالحية ، وكانت جرائم القتل والتخريب والتدمير تلازمهم اينما حلوا او ارتحلوا ، حتى لقد قال احد شعراء دمشق :

رمتنا صروف الدهر منها بسبعة | فما احد منا من السبع سالم
غلاء وغازان وغـزو وغارة | وغدر والفـان وغم ملازم

لكن غازان اضطر الى العودة سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) الى فارس ، ورأى ان يستميل السلطان الناصر اليه ، فارسل اليه وفدا برسالة يلومه فيها لانه هجم على حدود بلاده ، ويهدده بالانتقام منه اذا لم يكف عن عدوانه وعما يعتزم عليه من الاصرار على الحرب ، ويطلب منه ان يرسل اليه الهدايا والتحف ، وختم الرسالة بقوله : « فما بعد الانذار من عاذر ، وان لم تتداركوا الارض فدماء المسلمين واموالهم مطلولة بتدبيرهم ، ومطلوبة عند الله في طول تقصيرهم » .

فرد عليه الناصر برسالة مطولة ، لم يعبأ فيها بوعيده ، وذكره بان الهزيمة في مجمع المروج كانت وليدة ظروف خاصة بينها في قوله : « ولم يخف عنهم ما نالته السيوف الاسلامية منهم ، وقد راوا عزم من حضر من عساكرنا التي لو كانت مجتمعة عند اللقاء ما ظهر خبر عنهم - يريد جنود التتار - فانا كنا في مفتتح ملكنا ومبدا امرنا حللنا بالشام للنظر في امور البلاد والعباد ، فلما تحققنا خبركم ، وقفونا اثركم ، بادرنا

لقد اديم الارض سيرا ، واسرعنا لندفع عن المسلمين ضررا وضيرا، ونؤدي من الجهاد السنة والفرض ، ونعمل بقوله تعالى : وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض . فاتفق اللقاء بمن حضر من عساكرنا المنصورة ، ولوثقا بقوله تعالى : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ، والا فاكابركم يعلمون وقائع الجيوش الاسلامية ..... وكم من ملك استظهر عليه لم تعره وعاوده التأييد فجبر بعد ما كسر . .

ولم تلبث الحرب ان نشبت بين محمود غازان والناصر ، اذ عبر غازان نهر الفرات . فخرج الناصر من مصر على راس جيش كبير لملاقاة التتار بالشام . ودارت المعركة عند مرج الصفر بالقرب من حمص سـنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) فانتصر الجيش المصرى انتصارا عظيما ، وقضى على اكثر جيش التتار ، واسر عشرة الاف جندي ، فتحقق امل الناصر ، وثار من غازان ، فلم تقم له قائمة.

ثم تجدد الخطر في عهد السلطان الظاهر برقوق ، اذ اجتاح تيمورلنك وسط آسيا ، وزحف بجموعه الجـرارة على بغـداد ، وحاصر البصرة ، فاعد برقوق جيشا لتخليص بغداد ، وخرج الى الشام ، فبلغ دمشق سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) وقصد منها الى حلب ، وعبر الفرات ليلقى تيمورلنك على ضفته الشرقية ، فاوقع بجنود التتار ، وغنم منهم ، ولم تكن الموقعة حاسمة ، فـرحل تيمورلنك الى بلاده ، وعاد برقوق الى مصر ، وتوفى بعد قليل .

ولما خلفه ابنه السلطان فرج اغار تيمورلنك على حلب وحمص وبعلبك ودمشق ، فخرج السلطان لمحاربتهم ، والتقى بهم عند دمشق ، فهزم بعضهم ففروا ، ثم عادوا فاحتلوا دمشق وخربوها ونكلوا باهليها ، فاضطر السلطان فرج الى مصالحتهم ، على ان يرحل تيمورلنك من الشام كله رحيلا تاما ، فرحل ، وبعث السلطان نائبا من قبله ليصلح احوال الشام ، ويعيد اليه الامن والسلام والرخاء .

٣ ـ ثم وفد على الوطن العربي خطر اخر حاولت مصر ان ترده .

ذلك ان العلاقة بين المماليك والعثمانيين بقيت مدة تترجح بين الحذر والمداراة ، الى ان تكشفت عن العداء السافر في عهـد بايزيد الثاني وقايتباى ، فاغارت جيوش العثمانيين على سورية ، فارسل قايتباى جيشا من مصر حاربهم وانتصر عليهم في عدة مواقع عند اطنة وقيسارية ، وظفر بكثير من الغنائم والاسرى ، وانتهت هذه الحرب بصلح بين قايتباى وبايزيد .

ثم لم يلبث العداء ان تجدد ، اذ راجت اشاعة بان السلطان قنصوه الغورى تحالف مع خصم العثمانيين اسماعيل الصـفوى شاه فارس ، فاعتبر السلطان سليم ان هذا التحالف معاداة له وخطر عليه ، ورأى ان يتخلص من عدويه منفردين ، فحارب اسماعيل الصفوى وانتصر عليه ، ثم اتجه الى مصر ، فتلقته قوات الغورى في سورية ، والتحم الجيشان عند مرج دابق بالقرب من حلب سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) وكان النصر للجيش المصرى في اول المعركة ، ولكن انسحاب نائبي حلب وحماة من جيش الغورى وقوة المدفعية العثمانية ، وقتل الغوري ، كل هذه قلبت الانتصار الى هزيمة .

وبعد الموقعة زحف الجيش العثماني حتى بلغ دمشق في السنة نفسها ، واراد السلطان سليم ان يعقد صلحا مع طومان باى ابن اخى الغورى ونائبه في حكم مصر ، فبعث اليه كتابا يعده فيه ان يكون نائبا عنه في حكم مصر الى مدينة غزة ، وان يسك العملة باسمه ، على ان يعترف بسيادة العثمانيين على مصر ، فرفض طومان باى ، وعزم على استئناف الحرب فتقدم السلطان سليم الى مصر ، حتى وصل الى بلبيس ، وعلم طومان باى بوصول الجيش العثماني الى مشارف القاهرة ، فنهض للقائه ، وانتصر في اول المعركة ، ولكن مدافع الاتراك القوية تغلبت على الشجعان الفلول السلاح ، فدخل العثمانيون القاهرة .

على ان طومان باى لم يستسلم ، وجعل يجاهد حتى لقد دار قتال عنيف في الشوارع ، وانتصر المصريون عدة مرات ، لكنها لم تثمر الخير المأمول .

ولقد اراد السـلطان سليم ان يتقى المقاومة ، فعرض على طومان باى ان يكف عن الحرب ، ليكون حاكما على الصعيد في ظل السيادة العثمانية ، فابى ، وواصل المقاومة ، حتى انهزم ، فشنقه سليم على باب زويلة سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) .

وقد كانت نهاية طومان باى بداية لعهد بغيض ، سيطر فيه العثمانيون على مصر وعلى الوطن العربي ، ونقلوا الخلافة من مصر الى القسطنطينية .

وبذلك فقدت مصر استقلالها ، ففقدت العروبة ظهيرها ونصيرها نحو اربعة قرون .

ولو ان طومان باى انتصر لسلمت مصر ، ولحمى الوطن العربي من الاحتلال العثماني الذى خدر قواه ، واعطش ضحاه ، ونكبه بانواع الشقاء والضعف والمفاسد التي مهدت للاستعمار الاوروبي فيما بعد ، اذ ضعفت الدولة العثمانية ، واستهانت بها اوروبا ، ونظرت اليها نظرتها الى رجل مريض لا امل في شفائه ، فاقتسمت تركتها ، واحتلت ولاياتها ، وجزأت الوطن العربي وفق مصالحها واهوائها

« د . احمد الحوفي »



من مظاهر النهضة الثقافية العربية بالجزائر

للدكتور : عبد الحميد سند الجندى

جثم الاستعمار الفرنسى اللئيم على صدور اخواننا الجزائريين قرابة مائة وثلاثين عاما ، حاول خلالها بمختلف وسائل القهر والتصدى أن يبت ما بينهم وبين عروبتهم من وشائج اللغة والثقافة والدين . وقد وقـر فى نفوس المستعمرين ـ بعد أن جعلوا اللغة الفرنسية هى لغة الدواوين الرسمية ـ انهم قد وصلوا الى بغيتهم ، وأن الجزائريين قد (تفرنسوا) ونسوا ماضيهم العربى الأصيل .

ولكن الفرنسيين كانوا جد واهـمين ، فقد كان اخواننا الجزائريون حريصين أشد حرص على مقومات عروبتهم من لغـة ودين . وكانوا ينشئون المدارس لتعليم اللغة العربية ، وشرح تعاليم الاسلام ، وتحفيظ جانب من القـرآن الكريم ، وهم يعلمون أن من يلتحق بهـذه المدارس حظه من وظائف الحكومة ضئيل جدا ، لأن الاستعماريين كانوا يقصون هؤلاء الذين نالوا حظا من الثقـافة العربية عن الوظائف الحكومية ، ويؤثرون عليهم هـؤلاء الذين نهلوا من مناهل الثقافة الفرنسية . وتلك كانت وسيلة من وسـائلهم فى محـاربة الثقـافة العربية والدين الاسلامى .

ولم يكد الجزائريون يتخلصـون من الاستعمار ، ويملكون زمام أنفسهم ، حتى شمروا عن سواعدهم ، وامسكوا بمعاولهم يحطمون تلك الأصار التى ضربت عليهم ، فأخذوا يسيرون سراعا فى سبيل التعريب ، وأصبح للغة العربية فى مدارسهم شأن خطير . كما أخذوا يستوردون الكتب العربيـة المختلفة الألوان والطعوم من البلدان الشقيقة ويقبلون على قراءتها بنهم شديد . وانطلق شعراؤهم يرددون على آذانهم أصداء العروبة ومقوماتها ، من أمثـال مفدى زكريا ومحمد العيد آل خليفة ومحمد الأخضر السائحى وغيرهم .

ولم يكتفوا بذلك ، بل نظروا فى ماضيهم العربى المجيد ، واتجهت همتهم الى احياء التراث القديم ، ينشرونه ، غير آلـين فى ذلك جهـدا ولا مدخرين وسعا .

وقد وقع فى يدى أخيرا كتاب قامت بنشره كليـة الآداب بجامعـة الجزائر اسـمه « **الرحلة المغربية** » تأليف « **محمد العبدرى البلنسى** » أحد رجال القرن السابع الهجرى ، وقد قام بتحقيقه زميلنا العـالم الجليل الأستاذ **احمد بن جدو** . وهذا الكتاب يعتبر مثالا بليغا للنشاط المتوفز الذى يقوم به اخواننا علماء الجزائر فى سبيل احياء التراث العربى القديم وازالة ركام النسيان الذى ران عليه أجيالا طوالا .

والمتصـفح لهـذا الكتاب يدرك الجهـد والمعاناة اللذين بذلهما الاستاذ المحقق حتى تم له نشر الكتاب فى صـورة طيبة مرضية جدا ... فقد اعتمد على ثلاث مخطوطات : احداها موجودة بمكتبة جامعـة الجزائر ، وقد أصابها شيء من التحريف كما أصاب غيرها من نفائس الكتب « لما عاثت بها يد الاستعمار الغاشم » فى ٧ يوليه سنة ١٩٦٢ . والمخطوطة الثانية بالمكتبة الوطنيـة بباريس . والثالثة بمكتبة ليدن بهولندا .

وقد وصف الاسـتاذ المحقق كل مخطوطة وصفا دقيقا تتبين منه مدى ماقاساه من العناء فى المقارنة والتحقيق ، وبخاصة أن بعضها قد كتب بخط غير واضح ، فضلا عما كان فيها من خلط بين الضـاد والظاء كما ينطق بهما العامة .

وقد صدر الاستاذ المحقق الكتاب بمقدمة قيمة تستشف من أسلوبها ثقـافته الدينية الضخمة ، عرض فيها لأشهر الرحالة العرب الذين جاسوا خلال الديار وجابوا البلاد طولا وعرضا ، واصفين أحوالها الجغرافية والتاريخيـة والسـياسية والاجتماعية والاقتصادية فى دقة تستثير الاعجاب ... نذكر منهم

ابن حوقل المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، والمقدسى المتوفى سنة ٣٧٨ هـ ، والبكرى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ ، والادريسى المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ، وابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ هـ ، وابن رشيد المتوفى سنة ٧٣١ هـ ، والبلوى الذى قصد مكة المكرمة سنة ٧٣٦ هـ ، وابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، والعيـاشى المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ ... وغيرهم وغيرهم .

وقد لاحظ الاستاذ المحقق أن القرن السابع يكاد « يخلو من واصف لأحواله ، مقيد لحوادثه » . ولعل ذلك كان من الأسباب التى حفزته الى نشر هذا الكتاب . هذا الى أن رحلة العبدرى كانت رحلة « مغربية » خالصة ، « ولولا العبدرى لترك المغرب فى دياجير الجهل والغموض » ابان تلك الحقبة من الزمن .

وقد أحسن الاستـاذ المحقق صنعا حين عرف بالمؤلف فى لمحة موجزة ... فهو محمد بن محمد بن على بن احمد بن مسعود العبدرى . ويسميه الكتاب المغاربة فى مؤلفاتهم أبا محمد العبدرى البلنسى ، نسبة الى « بلنسية » احدى دور العلم فى الاندلس أيام ازدهار الدولة الاسلامية هناك .

والعبدرى ينتسب الى عبد الدار بن قصى أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان عبد الدار أحب أولاد قصى اليه ، ولهـذا ولاه وظائف البيت الحرام كلها .

وقد أهمل مؤرخو التراجم تاريخ مولده ووفاته ، ولم يذكروا شيئا ذا غناء عن حياته وأطوارها . ولهذا خفيت علينا حقيقة مسقط رأسه : هل ولد فى المغرب او فى بلنسية ؟ . ويرجح السيد المحقق أنه من مواليد بلنسية ، « ثم حمل رضيعا أو صبيا الى المغرب عندما فر أبواه من الأندلس الى العدوة الافريقية ، كما فر كثير من المسلمين عند استيلاء النصارى على عواصم الأندلس » . وقد حفظ التاريخ لنا أسماء كثير من العلماء الذين فروا من الأندلس الى المغرب عندما دهمتهم قارعة الفرنجة على يدى فردينان وايزابيلا ، منهم أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الذى غادر شاطبة سنة ٦٤٥ هـ والتجأ الى بجاية ، وابن الأبار الذى ترك بلنسية الى المغرب ، قبل أن يتركها المسلمون للعدو حسب المعاهدة التى جرت بينهم . وكان الطاغية فردينان آمنهم على أنفسهم وأثاثهم ، وتكفل برعايتهم حتى يصلوا الى حدود البلاد الاسلامية » ، كما يقول ابن عبد المنعم الحميـرى فى كتابه « الروض المعطار » .

وعلى ذلك يمكن ان يقال ان أسرة العبدرى حملت زادها وعيالهـا وحاجها وفرت مع الفارين الى بلاد المغرب العربى .

وقد نشـأ العبدرى فى بيئة عربيـة خالصة ، واستقرت أسرته بعد الهجرة من الأندلس بالسوس الأقصى على الشـاطىء الاطلنطى حيث يكون الطقس فيها قريب الشبه بمناخ بلنسية ، ولكنه ظل محتفظا باسم مسقط رأسه ، واليه ينسب .

وقد شب العبدرى وترعرع فى المغرب . ولما بلغ اشده واستوى أخذ يتلقى العلم على شيوخ عصره . ثم تاقت نفسـه الى الرحلات ليكتسب فى أسفاره مالا يستطيع أن يظفر به فى الكتب والدفاتر . فقام برحلته المعروفة « بالرحلة المغربية » فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ٦٨٨ هـ ، وسجل مشاهدها فى هذا الكتاب الشيق الممتع .

ويبدو أن « الرحلة المغربية » كان لها شان أى شان عند القراء منذ أن سجلها صاحبها ، لأنهـا أظهرتهم على أحوال المغرب فى ذلك الحين . ولهـذا تناولوها بالنقل والدراسة ، لما فيها من تراجم لكثير من أعيان العلم والأدب ، ووصف لآثار قديمة وأماكن مختلفة أغفلها من سبقه من الرحالين .

فقد تناول بالوصف الضافى كل ما صادفه من جبال وأودية وسهول وأنجاد ووهاد . ونحن نحس بالمتعة الغامرة حين نقرأ وصفه لواحات الصحراء ، فانه يذكرنا بما يكتبه سائحو العصر الحديث من وصف دقيق لمثل هذه البقاع .

والمؤلف يلذ عقولنا ومشاعرنا حين يصف السكان فى أزيائهم الوطنية ، وحين يصف عاداتهم وتقاليدهم الساذجة فى بيئاتهم المختلفة .

وقد وصف المؤلف ادق وصـف المدن التى حط رحاله فيهـا أثناء رحلته ، مثل تلمسـان ومليانة والجزائر وبجـاية وقسـنطينة وعنـابة وتونس والقيروان ، وكأنه رسم لنا لوحات فنان ماهر ولكنه بث فيها الحركة والحيـاة ، مع أنه كان لايمكث فى بعضها الا يوما أو بعض يوم ، لأن القـافلة كانت تغذ السير نحو البقـاع المقدسـة التى هى مطمح كل حاج . ولكنه كان شـديد اللماحية

صادق الحس ، كالصورة الشمسية التي تلتقط الصور في دقة بالغة .

وكان المؤلف يعنى أشد عناية بوصف أحوال السكان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية ... وكان منها ما يسر ومنها ما يؤلم ، كوصفه لحالة العلم في المغرب العربي كله » وغباوة بعض المشايخ وسوء حفظهم وضيق معلوماتهم واستخفافهم بالبحث والتدقيق ... ففقدوا حب التحصيل ، وكلت هممهم في طلب العلم » .

ولاشك انه كان يقيس حالة العلم في المغرب بحالته الزاهرة في الأندلس » بفضل ما اخذه عن آبائه وعن العلماء اللاجئين بالمغرب القريب من العدوة الأندلسية » .

و « الرحلة المغربية » جمة الفائدة ، لانها ـ بما حوته من اخبار كثير من العلماء ـ كانت ينبوعا ثرا استقى منه مؤلفو التراجم المتأخرون في اعلام المغرب .

وكان العبدري يقصد دور العلماء في كل بلد يحل به ، ويأخذ عنهم ، ويتلو بين ايديهم الكتب المطولة في وقت قصير . وربما كان ذلك يتطلب من غيره الأسابيع الطوال ، ولكن همته كانت لاتقف عند حد . وكان العلماء يعجبون بحدة ذكائه ووفرة تحصيله ، فكانوا ينصتون اليه بياض نهارهم وشطرا من ليلهم » لايفارقونه الا لتجديد الوضوء رغم ضعفهم وشيخوختهم ... ولا يجدون مندوحة في ابجازه مع مزيد الثناء والتشجيع على التحصيل » .

وقد وصف لنا كل شيخ قابله ، وذكر حلمه وورعه وتقواه . وكان يطلب منه قبل أن يفارقه الدعاء ، ويستمد منه البركة .

وقد استفاد منه الرحالون الذين خلفوه ، ونقلوا عنه ، مثل ابن بطوطة والعياشي ، وغيرهما .

فنحن حين نقرأ مثلا وصف العبدري لمنار الاسكندرية ، ثم نقرأ وصف ابن بطوطة لهذا المنار نجد الثاني قد نقل عن الأول نقلا حرفيا دون ان يشير الى سالفه . وكذلك فعل كثير من مؤلفي التراجم الذين جاءوا بعده .

وقد وصف لنا العبدري ما قاساه من وعثاء السفر ولأواء العيش في رحلته الطويلة ... فمن لصوص تعيث في الطريق فسادا وتنهب امتعة المسافرين ، ومن ظمأ ينهك الأبدان ويزلزل الحناجر ، ومن نفاد للميرة حتى لا يكاد المرء يجد ما يسد به الرمق ، ومن سبل وعرة ملتوية تضني سالكيها وتستنفد قواهم ... الى غير ذلك من الوان المشاق . ولكن هذا كله لم يكن ليفت في عضد العبدري أو يفل من عزمه .

ولشدة ولوعه بالعلم وحبه للتحصيل كان يرى في المنام شيخه أبا الوليد الباجي يلقنه العلوم في نومه . وكان يحب أن يأخذ العلم من أفواه أربابه ، فاذا تعذر عليه ذلك فهو آسف محزون ، وحينذاك يضطر الى نقله في الدفاتر .

وقد كان الرجل أمينا في الوصف لا يتحرف فيه ولا يتحيز ، وفي ذلك يقول في المقدمة : « وبعد فاني قاصد بعد استخارة الله سبحانه الى تقييد ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده مما سما اليه الناظر المطرق من ذكر بعض أوصافها وأحوال من بها من القطان حسبما أدركه الحس والعيان ، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان ، من غير تورية ولا تلويح ، ولا تقبيح حسن ولا تحسين قبيح ... حتى يكون السامع لذلك كالمبصر ، واذكر مع ذلك ما استفدته من خبر وانشدته من درر ، واثبت في خلال ذلك من نظمي مايتغلغل اليه الكلام أو تجنح الى تحصيله ضوامر الأقلام ، واضيف الى ذلك ما يضطر اليه التبيان فيما قصر فيه العيان ، من نبذ مذكورة ونتف مشهورة ونكت مرسومة في الكتب مسطورة » . وصدق الرجل فيما قال .

والكتاب مليء بالأمثال السائرة والأحاديث الشريفة والآيات الكريمة ، يستشهد بها في أماكنها اللائقة .

واذا كنا قد أزجينا التهنئة خالصة لاخواننا الجزائريين حينما انتزعوا ببطولتهم الفذة التي أصبحت مضرب الأمثال استقلالهم من براثن الاستعمار ، فاننا نحيي فيهم هذا النشاط المتوثب الذي يبذلونه في نشر الثقافة العربية ، ووصل ما انقطع من مقومات اللغة والدين .

حياهم الله ، وأدام عليهم نعمة التوفيق في معركة البناء ، وهيأ لهم من أمرهم رشدا .

د . عبد الحميد سند الجندي
استاذ معار من جامعة عين شمس بجامعة الجزائر

... أصل الحكاية ؟!

بقلم : محمد جلال كشك

جاء الصيف .. ولا أقول الربيع .. فربيع مصر خريفها .. وما أحلى ليالي الصيف .. فيها يطيب الحديث ، ويحلو المزاح .. وقد ثقل علينا حديث الجد ، وآن ان نتخفف قليلا خشية ان يقال عنا اننا مجلة عابسة .. (بالسين) !

واغفروا لي ان بدأت هذا الحديث ، بشيء من المباسطة والدعابة .. فلو عرفتم عذري لخففتم لومكم .. وانا اعدكم ان يكون هذا آخر المزاح .. حتى نفرغ من هذا الحديث .. وان شئتم فليكن حديثي هذا .. «الحلقية الفكاهية» لدراسة جادة لكل ما ابتلينا به منذ ان بدأ بعض الكتاب تاريخنا القومي بالجنرال يعقوب ، العميل الفرنسي ، والدفين في برميل الخمر .. وصاحب الوصية الشاذة ، بدفنه مع سيدة ديسيه في قبر واحد ! .. الى ان اتهموا أبا العلاء المعري ، بأنه كان يفضل التمزق السياسي في مدن الشام والعراق ، بل مهادنة المحتل الاجنبي .. على الاستقلال السياسي والقوة تقدمهما مصر .. لأن التمزق في مدن الشام والعراق ، ومهادنة الغازي ، يخلقان «مدنا متفقة تحترم العلم والفكر والعقل وتضطرب بالرياضة الروحانية او العقلانية .. بينما مصر رغم قوتها كانت معادية للثقافة والفكر والتراث العقلي الانساني والتواصل الحضاري بين الشعوب بغض النظر عن علاقاتها السياسية»

وافهم يا لبيب ! ..

حقا ان الطبع يغلب التطبع ، ورغم التزامي بأن يكون حديثنا هذا مزاحا كله .. يوشك أن يخرج الامر من يدي فينقلب غما .

لنبدأ بحكاية من التراث :

روى عن فقيه الاسلام ، الامام ابي حنيفة رضي الله عنه ، انه كان يشكو علة في رجله ، تجبره على أن يمدها في مجلس علمه .. ولم يكن الامام ابو حنيفة يتحرج في ذلك .. فهو بين تلاميذه المقربين بفضله وليس على المريض حرج .

حتى جاء المجلس يوما .. رجل وجيه ، عليه سمت العلماء ، ووقارهم .. عمامته كبيرة ، ولحيته تصل الى صدره .. وجلس هادئا يستمع في انصات ويأتي من الحركات بعينيه وشفتيه ، ما يوحي بتتبع الفاهم ، وما يشي بانتقادات أو تعليقات يكتمها ..

وخطر لامامنا انه امام عالم جليل يزيد في مهابته هذا الصمت الذي يتحلى به .. والسمت الذي يبدو فيه .

وطوى أبو حنيفة رجله المريضة .. فمهما يكن ألم الجسد فاحترام العلماء واجب ، وتوقيرهم من صميم احترام العلم حتى فاض الألم بأبي حنيفة من رجله المريضة ، ومن تعطش قلبه للعلم ، وخشيته أن يذهب ذلك الرجل الذي هو في هيئة العلماء دون أن يفيض من علمه في مجلس ابي حنيفة .

وتلطف الامام بزائره قائلا : « ايها الاخ الكريم هل تفضلت علينا بشيء مما اوتيت علمه ؟! »

ونطق الذي سكت دهرا .. فسأل : « متى يفطر الصائم ؟ » .. وظن أبو حنيفة أن حوارا بديعا قد بدأ .. فليس أجمل من حوار بين علماء ، يبتدأ بسؤال في البديهيات .. وسارع يجيبه : « اذا غربت الشمس » فاذا بالرجل ، الذي هو في زي العلماء ، يقول : « واذا لم تغرب الشمس ؟! »

هنا استرخى ابو حنيفة قائلا : « عندئذ يمد أبو حنيفة رجله ! » فما دام هذا هو مستوى الحديث فلا بأس من مد الرجل و « البحبحة » .. اذ لاتوقير لجاهل يتعالم !

اسوق هذا الحديث بمناسبة الحوار الدائر بين مجلة الرسالة ، وبين تلك الفئة من الكتاب .

والحق أقول لكم .. انني عندما كتبت مقالتي الاولى في موضوع المعلم يعقوب اياه .. كان يتملكني شيء من التهيب .. فقد كنت اتوهم أني أحاجي عالما دارسا . وان يك فاسد الرأي ، الا ان لديه من المعرفة التحصيلية ما يستطيع ان يدلل بها .. وان يفحمني ولو بالخطأ .

وحتى عندما اخرجت كتاب « الغزو الفكرى » الذى تناولت فيه مزالق تلك الفئة كنت أضع يدى على قلبي مخافة ان يبطشوا بي ، بعلمهم الشرير ، وليس لى في مواجهتهم الا ايماني بأمتي ، وثقتي في فطرة شعبي .. واجتهادى في الذود عن تاريخنا بعلمي المتواضع جدا .

وظللت في توجس .. حتى شاء ربك ان يفيضوا علينا من علمهم .. وكان ان قرروا الخروج بدراسة عن ابي العلاء المعرى ، يثبتون فيها حكما أصدروه من قبل .. فمثلهم من العلماء لايبدأون بالقراءة والدراسة والمناقشة ثم ينتهون الى فرض ، يمتحونه بالادلة نفيا واثباتا .

لا .. أن العلماء من امثالهم يبدأون بنية سابقة ، ثم يتلمسون لها الادلة .. فان لم يجدوا .. صنعوا .

وهكذا قرروا ان « المعرى » هو ثمرة حرب العقائد التى دارت بين المسلمين والمسيحيين في الحرب الصليبية بالرغم من أن « المعرى » مات قبل هذه الحروب التى تعرف تاريخيا ، واصطلح على تسميتها بالحروب الصليبية ! .. لا بأس .. فلتكن الحرب بين الروم والعرب هى بداية الحروب الصليبية ! .. مع ان هذه الحرب دائرة بغير انقطاع بين العرب والروم منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بعث المسلمين في غزوة « تبوك » .. ويصعب على كل دكاترة « الخلوة المشهودة » ان يجدوا خليفة لم يقاتل العرب الروم فى عهده .. ولكن الحكم الصادر من تلك الفئة يتطلب ان تكون الحروب الصليبية هى تلك التى دارت في عصر المعرى وحده ! ..

فى اية حال .. انا لا أنوى ان افسد سهرتنا الليلة ، بالاحاديث الجادة .. فحسبي في هذه المقالة ان احكى لكم أصل الحكاية ، قبل أن تصبح كتارات الصعيد تسمع طلقاتها وصراخها ، ولا يدرى أحدمتى بدأت .. ولماذا ثارت ؟ .. وقبل ان تتحول الى فولكلور يتكسب البعض من تمويلها الى مسرحية واغنية ! ..

لقد كان حديث « دير الفاروس » وراهبة المشئوم الذى جر على تلك الفئة شر البلاء .. وبحديث «دير الفاروس » .. قامت تلك الفئة بالعمل الصالح الوحيد في حياتها .. خفف الله به عنها يوم القيامة .. اذ استثارت غضب الحليم ، واخرجت استاذنا محمود محمد شاكر عن صمته .

وكشف الاستاذ الكبير محمود محمد شاكر انتلك الفئة لاتحسن أن تقرأ خبرا .. بل تنقل من كتاب قد يكتفى به الطالب ، ولكنه لا يغنى المكتشف ، والمؤرخ ، والمناظر .. فمن اراد أن يفجع العرب في شاعرهم وفيلسوفهم ، فيجعله تلميذا لراهب مجهول في دير متكور .. كان عليه أن يتحرى ويستقصى ..

وكشفت ابحاث الاستاذ محمود محمد شاكر أن تاريخنا متصل الحلقات ، وان الفكر العربى متكامل كاتم ما يكون الفكر .. وان الذين يؤمنون بهذا التراث ، اكثر علمية ، واقدر على البحث العلمى .. من « الحطافين » الذين لايعلمون ، ولا يحسنون أن يتعلموا .

وقبل ان نفيق من هول « دير الفاروس » خرجوا علينا بالهول الاكبر اذ وسوس لهم شيطانهم أن يفسروا القرآن !

فما يكادون يسمعون الآية : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » .. حتى يسموها « الوردة » أخت « الفلة » و« الياسمينة » .. فيتيهون فرحا بانها « روزا مستيكا » ويستخرجون من ذلك نظرية .. كما يحدث للخواجا الذى غرر به ابن بلد فاسق .. فزعم له أن شركة « كوك » مذكورة فى القرآن ! فى آية : « وتركوك قائما ! » .. استغفر الله العظيم من كل ذنب أو جهل عظيم ..

وعندما وصل الأمر الى أن يفسروا القرآن على هذا النحو ، لا يكلفون أنفسهم أن يفتحوا قاموسا ولا أن يرجعوا لكتاب تفسير ، ولا يسألوا شيخا أو تلميذا .. عندئذ يحق لصاحب كل قلم ، أن يتخفف ، ويمد رجله ويده .. فالبساط أحمدى ! ..

وبعـــدها سار الهرج والمرج ، واختلط الحابل بالنابل ، وفسروا حـــديث أبي العـــلاء ، حيث النصـــوص بالخط الكوفي العسير فهمه ، بحروف الطباعة الحديثة ، فحدثونا عن « لواحظ » التي هي مغنية ، فجعلوها عيون مطربة « تتكتك ! » .

وللحقيقة والتاريخ .. أنه رغم الالم الشديد من رفضهم نشر تصويب لتفسيرهم الخاطىء للقرآن .. أو على الاقل توضيح رأيهم أن كانوا مصرين على هذا التفسير .. فليس من اللياقة ولا من أدب النشر والفكر أن تترك مثل هذه القضية معلقة على هـــذا النحـــو .. فلاهم يعترفون بخطئهم .. ولا هم يزيدوننا علما بالمصدر الذى اســـتندوا اليه فى تفسيرهم الوردى ! ..

اقول رغم هذا الالم ، فقد أجبناهم ، بعـــد أن اكتشفنا الجانب الفكه من شخصيتهم ذلك الذى كان يحجبه تزمت العلماء ، ووقار العارفين .. فاراحهم منهما الاستاذ محمود شاكر .

وكان يمكن أن يستمر هذا الجو المرح ، لولا أنهم احتجبوا حينا من الدهر ، حتى لقـــد خشيت أن يكونوا قد ذهبوا الى « دير الفاروس » يستخرجون رفات الراهب ، ليحملوه الى مجلة الرسالة فاذا بهم يخرجون بجداول ولوغاريتمات .. وكما قال فقيـــه لصفيق سأله « هل يحتجم ؟ » .. فاستعبر الفقيـــه قائلا : « الحمد لله الذى اخرجنا من الفقه الى الحجامة» .. نقول لهم الحمد لله الذى أخرجنا من الفكر الى الصرافة ! » ..

وارجو أن أكون قد رويت لكم اصل الحكاية .. أما الحكاية ذاتها فموعدنا لقاء آخر ..

« محمد جلال كشك »

لاجدوى

للشاعر : إبراهيم الثلوانى

كنا .. واصبحنا .. فلا جدوى
من ذكرنا للحب والنجوى
ما كان كان .. ولن يغيره
فيض من العبرات والشكوى
وعتابنا ما عاد ينفعنا ..
مهما تسلسل لينا رخوا
ايامنـــا ذبلت نضارتها
وغدت حكايا حبنا .. لغوا
والذكريات تمر فى كسل
وكأنهـــا مخلوقة سهوا
تمضى بلا شيء يخالجنى
لو طاف بي .. فلربما عفوا
ما عدت اغنية على شفتى
ما عدت لحنا ناعما حلوا
ما عاد وجهك مشرقا نضرا
يوحى الى الشعر والشدوا
لا شيء فى الأحداق يجذبنى
لا حب .. لا ايمان .. لا سلوى
انا لا ارى فيها سوى حفر
مطموسة الجدران والمأوى
والخصلة السوداء ما بقيت
فوق الجبين تظلل الصحوا
عبثا .. دموعك لن تغرنى
لا تقدر الدنيا ولا تقوى
لا أستطيع رجوع ما قطعت
قدماى .. انى اسرق الخطوا
انت انتهيت لدى من زمن
مذ رحت تحترفين ما اهوى
ما بيننا فرق يباعدنا ..
كالفرق بين الشرك والتقوى
لا تأملى فى الوهم واصطبرى
قد تعثرين غدا على مثوى
فالوجد مات وناره خمدت
وبرئت منه .. ولم يعد شجوا
واذا بحثت اليوم لن تجدى
حبا .. فقد اشبعته محوا

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي

أسبوع الكتاب العربي

١٩٦٥

- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ١٦٨ هيئة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .



دمنهـــــــــــــور

من ٢٩ مايو إلى ٤ يونيه سنة ١٩٦٥

مقر اللجنة النقابية للعاملين بوزارة الإدارة المحلية شارع الجمهورية



بقلم عبده بدوى

كلمة حزينة

لم تكن حياة الدكتور محمد مندور مجرد حياة رتيبة بدأت فى ٥ يوليو عام ١٩٠٧ ، وانتهت فى ١٩ مايو عام ١٩٦٥ ، ولكنها كانت حياة عاصفة عرفت كيف تستوعب المجتمع المصرى ، ثم الحياة الأوربية ، ثم عرفت اخيرا - والعالم بين يديها - كيف تتحكم فى حركة الفكر ، وتدخل فى نسيج الانسان الثقافى فى المنطقة العربية .

ولعل الذى أعطاه حركة الاستمرار هذه هو ولاؤه لكافة المراحل التى مر بها ، ذلك انه لم يكن يلمس هذه المراحل ثم يغادرها كأنه صورة طائر ترتسم على بحيرة ، وانما كان يغوص فى هذه المراحل ثم يغادرها وفى نفسه وعلى جبهته الكثير من الجهد والعرق ، حتى ليخيل للانسان أن الدكتور محمد مندور لم يكن يتنفس ، وانما كان « ينهج » فى كافة مراحل حياته ، ثم انه كان يحيد بطبعه عن الجانب السهل من الحياة ، ومن هنا نراه يتجاوز دائما دائرتى الطمأنينة والصمت الى دائرتى القلق والوهج !

فقد كان يكفيه فى المرحلة الثانوية أن يتفوق على زملائه ، ولكنه كان يؤثر فى هذه الفترة المبكرة أن يحمل عقله ونور عينيه أعباء الكتب الأم الى حد أنه - فى سنى المرح هذه - كان قد تمكن من أن يعمل بنصيحة أحد شيوخ الأدب ، التى تدور حول معرفة الأغانى للأصفهانى ، والكامل للمبرد ، والأمالى لأبى على القالى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه .

ثم نراه بعد ذلك يجهد نفسه وعينيه بمواصلة الدراسة فى كليتى الآداب والحقوق ، وحين يسافر الى فرنسا نراه يغرق نفسه فى الآداب واللغات اليونانية القديمةواللاتينية والفرنسية والفقه المقارن، وفى القانون ، والتشريع المالى والاقتصاد السياسى، والنظم الضريبية ، بالاضافة الى المذاهب الاقتصادية ، وفلسفتها .

وقد أثر هذا وغيره على حياته الفكرية ، فكان بحق أحد جيل الرواد الذين كتبوا فى أكثر جوانب السياسة والأدب والفن ، والذين تلفتوا من حولهم فرأوا فراغا فى كل شىء ، ومن هنا كانت مبادرتهم لأن يقولوا للشعب من حولهم أشياء كثيرة تمس نفسه وتحرك وجوده ، وتجعله يدفع بوعى عجلة التاريخ التى غاصت فى الحياة العربية فترة كبيرة من الزمن !

ومن الطبيعى أن شخصا له هذه « **الطاقة الزائدة** »



لم يكن يستطيع أن يهدأ ، أو يجعل الحياة تجمد من حوله فقد كان هناك الغليان الذكي الذي صحبه من القرية الى القاهرة الى عدد من عواصم أوربا ، فنحن نراه لا يستقر في آداب القاهرة بعد أن وضع تقريرا يدين فيه الخط الذي تسير فيه دراسة اللغة والأدب.

وفي آداب الاسكندرية نراه يقوم بدراسة العروض العربي على أساس جديد من الاعتماد على المقطع بدلا من الاعتماد على الحرفين الساكن والمتحرك ، ولكن حين ترفض الجامعة ترقيته وبخاصة بعد أن حصل تحت اشراف أحمد أمين على درجة الدكتوراه في موضوع « تيارات النقد العربي في القرن الرابع الهجري » .. نراه يوجه مستقبله نحو الصحافة فيتحدث في هذا مع أنطون الجميل ، وبطول انتظاره، وما تكاد الفرصة تسنح له للعمل بجريدة «المصري» حتي يقبلها ، ولكنه ما يلبث حتي يقع في خلاف مع محمود أبو الفتح ، ويشرك المصري الى جريدة «الوفد المصري» ، وينجح في أن يضع تحت شعارها كلمة « العدالة الاجتماعية » ، ولا تتسع الجريدة لرغباته فيصدر ــ مما ادخره ــ مجلة اسبوعية اسمها « البعث » .. وحين تعصف بهما الدولة ، ينتقل الى جريدة « صوت الأمة » .

ثم نراه بعد ذلك يعمل محاميا ، وعضوا بارزا في البرلمان الذي عصف بمعاهدة ١٩٣٦ .

وفي ظلال الثورة نراه يتمكن من العودة الى ثقافته حين نراه يعمل استاذا بالمعهد العالي للفنون المسرحية ورئيسا لقسم الأدب الدرامي فيه ، كما نرى هذا النقاء يزداد حين يسهم بالتدريس في المعهد العالي للدراسات العربية ، وقد كان يمكن لأي انسان أن يستوعبه معهد واحد من هذين المعهدين ، ولكنا نراه بعد أن ثبت قدميه على هاتين القاعدتين الصلبتين يبسط جناحيه على الحياة الأدبية في العالم العربي ، فالانسان يراه في جريدة صباحية ، وفي عدد من المجلات ، بالاضافة الى أجهزة الاعلام ، والى التعريف بالكتب ، والى بعض الكتب التي لا يكف عن تصديرها الى عقل القارئ، سواء اكانت هذه الكتب مؤلفة أم مترجمة ، بل لقد وضع قصة فيلم يسمى « الهام » .

ولقد انعش هذا النوع من النشاط الحركة الفكرية وكان خيرا وبركة على الشبان ، ذلك لانه كان الوحيد في جيله الذي كان يضع في مخططه تشجيعهم ،ووضع أيديهم على نقاط القوة والضعف فيهم ، وانه يندر أن يوجد كاتب من الكتاب اليوم لم يتمكن من الاحتكاك المباشر بالدكتور مندور عنطريق التدريس أو مناقشة ما يصدر عن طريق الاذاعة أو التليفزيون أو الجرائد أو المجلات أو الندوات ، ومن هنا تأتي خطورة موقف الدكتور مندور في الحقل الأدبي فلقاءاته مع هؤلاء الشبان كانت لقاءات ساخنة ، و « على الطبيعة » ذلك لأنه كان يهتم دائما بكسر الحاجز بينه وبين الناس، فهو في أول الأمر يزيل الوحشة الأولى التي تكون بين المتكلم والمتلقي ، فاذا تمكن من هذا ونجح في الدخول الى نفسه ، قال كل ما يريد أن يقول مختلطا بالابتسام ، والدعابة ، والجد ، بحيث يحس السامع أن كل ما يقال صادق وجاد ولا يحكمه التعالي أو الزهو .

ومن الغريب أن الرجل الذي عرف المعارك الضارية في اللغة مع الأب انستاس كرملي ، وفي المنهج النفسي مع محمد خلف الله أحمد ، وفي تحديد وظيفة الأدب مع الدكتور رشاد رشدي ، وفي عدد من القضايا

الفكرية الجادة مع عباس محمود العقاد : الرجل الذى يفعل هذا كان كنسمات الصيف التى تهب على الشبان ، فاذا بالخائف منهم يثق فى نفسه ، واذا بالمتردد يقتحم الميادين فى ضراوة ، ولعله بموت الدكتور محمد مندور ينتهى تماما فى حياتنا عهد الناقد الموسوعى الذى كان قلبه يسع كل الناس ، والذى كان لا يعرف التعصب لشاعر أو كاتب ، فبالرغم من انه كان يصدر عن وجهة نظر معينة فى النقد ، انتقلت به من المنهج الجمالى ، الى منهج النقد الوصفى التحليلى ، الى المنهج الايديولوجى ·· الا انه كان يبارك الجميع ، ويدفع بهم الى أن يتطوروا ، وأن يزدادوا التصاقا بالحياة ، لقد كان يقدم فى تقييم الأعمال الأدبية فى الفترة الأخيرة المضمون على كافة القيم الاخرى ، وكان وراء كافة الأعمال الجديدة ، ولكنه لم يقل باغفال القيم الجمالية ، ولم يقل بقطع الصلة بالماضى ، ولم يمنعه وهو فى قمة توهجه أن يقول انه تأثر فيمن تأثر بطه حسين ، والعقاد ، وميخائيل نعيمة !

لقد عاش **الدكتور محمد مندور** حياته بالطول وبالعرض ، وعرف كيف يفرد أهدابه ثم يظلل بها المثقفين ، وقد تلقى وحده ضغط المعرفة المتوهج على هذه الاهداب ، وكنا حين نراه فى الفترة الاخيرةوهو يقلل من الخطا ـ لضعف ميناء النور فى عينيه ـ نحس أن قلبه ما زال كقطعة من الشمس ، وكنا نقدر أنه كان يستطيع أن يصل الى نهاية الشوط وادعا وديان ومجوفا ، سواء أكان قد اختار طريق الحقوق أم الآداب ، ولكنه آثر أن يضع فى كل طريق قدما ، واحب أن يصهر قلبه ثم يقدمه وهو يغلى للانسان ، وكانه يريد أن يقول انه لا قيمة لتجميد الحياة والمحافظة عليها وراء يدين ناعمتين ، وأهداب مخملية ، وصوت حريرى ، ولكن يجب على كل انسان أن ينزف ويعرق وتشتد أنفاسه ، ولعل هذا هو السر فى تنقيبه الدائم عن القيم الحركية ـ فى الأدب والفن ـ وراء التطور المادى والاجتماعى للحياة، ودعوته الى ان تكون هذه القيم متوهجة وثرية ، ليزداد توهج الحياة وثراؤها ، وليكون دائما هناك شعار يقول انه يجب أن نعطى الحياة أكثر مما نأخذ !

ولقد عاش **الدكتور محمد مندور** بهذا المقياس ، فحلق أكثر مما تتحمل عيناه ، ووسع خطوه بأكثر مما تتحمل قدماه ، ولقد كان يدرك أنه كالنجم الذى يمكن أن يسقط ما دام يجهد الحرارة التى يمتلىء بها قلبه ، ولكنه كان يحس أن هناك ما يشبه الفراغ فى الحقل النقدى ، فهناك نقاد متخصصون فى نقد شاعر أو قصاص ويرون الحديث عن غير هذا الشاعر والقصاص جريمة ، وهناك نقاد يشيعون وسط أعباء الحياة ، وهناك نقاد يقولون أشياء كثيرة دون أن يعنوا شيئا ·

وفى ضوء هذا نرى الدكتور مندور قد اكتسب « شعبية » فى الأوساط الأدبية ، ولقد كان مما يحببه الى النفس انه لم يكن يحجب الرؤية عن أحد ، بل كانت تمتلىء نفسه بالسعادة وهو يرى الكثيرين يكبرون حوله ، وتمتد قاماتهم ، ولن أنسى له انه فى آخر ندوة سجلها له البرنامج الثانى كنت اشترك معه فيها ، وانه ترك لى فرصة الحديث فترة كبيرة ، وبين الحين والحين كان يذكر بعض الكلمات التى تحرضنى على مواصلة الحديث ، وحين أردت أن اشكره عقب الندوة ، غير موضوع الحديث ·

ان من السهل جدا أن يسند الانسان رأسه على يديه ـ **وعيناه ممتلئتان بالدموع** ـ ثم يذكر الأشياء الكثيرة التى تعلمها من الدكتور مندور ، والتى لايمكن ان تنسى ، لأنها لم تكن فقط مجرد قراءة فى كتاب، ولكنها كانت موقفا ونبضا وشريطا صوتيا وانتفاضة عمر ، فالرجل لم يؤثر أن يجلس على مكتب ثم يخاطب الناس ، ولكنه نزل الى حياة الناس ، وتجول فى نفوسهم وعيونهم ، ثم قال كلمته ·· وعاد الى بيته مجهدا ـ فى آخر الأمر ـ ثم حاول أن يدفع عنه يد الموت ، ولكنه لم يستطع لانه كان قد وزع قوته على أمته ، ومن هنا كانت اغماضة عينيه وقلبه ، ولكنه استعاد هذه القوة وهو يتقدمهم ـ **كما كان فى حياته** ـ صامتا مسجى العمر ، ومنزوف الأيام !

وهكذا بعد أن شغل الحياة ، وحرك الفكر ، واعطى للسياسة معنى جديدا متقدا ، وبعد أن واصل رحلته على أكثر خطوط الطول والعرض فى الكرة الارضية ، وبعد أن ظل يقبس من نفسه النار المقدسة ثم يعطيها الكثيرين ، وبعد أن فك تسبيح النور من حبتى عينيه ليضىء عالم الفكر ، وبعد أن واصل سيره وثبا فى القاهرة وبين يديه حبل قوى من الأيام ـ **كانه مازال طفل الحياة الأخضر** ـ بعد كل هذا يغادر الدكتور محمد مندور القاهرة ، وحياة الناس ، ليستقر فى أشبار ضيقة فى كفر أبو مندور ·· ولكنه سيعود من جديد ليتجول فى القاهرة ، فى كتاب أو شريط أو ذكرى ، وقد تبتسم العين وهى تراه فى كتاب ، وتزدهر النفس وهى تسمعه فى شريط ·· ولكن الذى لا شك فيه أن ذكراه لن تجىء دون أن يغرورق ابتسام العين ، ودون أن يتكدر ازدهار النفس !!

« **عبده بدوى** »



رسالة العلم

للدكتور عبد الحليم منتصر

الوطن العربي

والحاجة إلى إنشاء مركز إقليمي عربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة

يشغل الوطن العربي ، مساحة تربو على أحد عشر مليونا من الكيلومترات المربعة تمتد فيما بين الخليج العربي شرقا ، والمحيط الأطلسي غربا ، وبين البحر المتوسط شمالا وحدود السودان جنوبا ، ويشمل عددا من الدول العربية الأسيوية هي العراق ، وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين والمملكة العربية السعودية واليمن والكويت وقطر والبحرين وعدن وعمان كما يشمل عددا من الدول العربية الافريقية ، هي مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب . وانها لتحتل رقعة هائلة من سطح الارض ، تزيد على مساحة افريقيا كلها ، وقد ربطت المواصلات السريعة بين أجزاء هذا الوطن الشاسع الممتد الاطراف وغدا الاتصال بين أقطاره سهلا ميسورا ، وقد جمعت قطانه قومية واحدة ، وتاريخ مشترك ، ولغة واحدة هي اللغة العربية .

على أن أهم ما يميز الوطن العربي من الناحية الجغرافية البيئية ، في الجزء الاكبر منه الذي يقع ضمن النطاق الصحراوي ، انه صحاري شاسعة في الجزائر وليبيا ، ومصر والجزيرة العربية ، فنحن العرب ، سكان صحراء أغلب الأمر ، وفيما عدا الأنهر القليلة ذات الأودية الضيقة أو الدالات الصغيرة ، حيث توجد الأراضي الزراعية التي تعتمد اعتمادا كليا على مياه هذه الأنهر ، تكون الأراضي التي تزرع على مياه الأمطار القليلة ، محدودة المساحة ، أما اغلب الاراضي فانها تقع ضمن ما يسميه المختصون بالاراضي القاحلة أو المناطق الجافة ، حيث كمية المطر السنوية ، قليلة أو منعدمة ، ففي كثير من الجهات لا تتجاوز هذه الكمية بضعة مليمترات أو بضعة سنتيمترات على مدار السنة ثم انها تهطل في غير نظام ، وعلى فترات متباعدة ، مما لا يمكن أن يفي بحاجات الزراعة التي هي نباتات برية منتثرة أو مبعثرة هنا وهناك .

ولذا كان من الأهمية بمكان أن تفكر الدول العربية في انشاء مركز اقليمي عربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة ، وقد أثير الموضوع فعلا في المؤتمر الثاني لوزراء المعارف والتربية والتعليم العرب ، وهو المؤتمر الذي عقد ببغداد في فبراير سنة ١٩٦٤ . وقد أوصى بتأليف لجنة من المختصين لدراسة الموضوع ، تكون مهمتها تحديد مكان المركز ومهمته ونظامه وطريقة تمويله .

وقد وافق مجلس **جامعة الدول العربية** على هذه التوصية ، وبناء على دعوة من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (الادارة الثقافية) ، تم انعقاد هذه اللجنة في ابريل الماضي وحضر اجتماعها ممثلون لعدد من الدول العربية ، من بينها مصر وسوريا

والعراق والاردن والسودان وتونس والجزائر والسعودية .

وقد أجمع الأعضاء على أهمية انشاء مركز اقليمي عربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة . ولا شك أن مكان هذا المركز سيكون احدى دعائم النهضة العربية الحديثة ، وموئلا لشباب العلماء من كافة البلاد العربية يتمرسون فيه بالبحوث والدراسات العلمية ، التي تتصل بالبيئة الصحراوية والمناطق الجافة ومشاكلها بغية رفع المستوى الاقتصادي ، وزيادة الرقعة المنزرعة لمواجهة الزيادة المطردة في عدد سكان البلاد العربية .

وقد وافق ممثلو الدول العربية على انشاء المركز ، وانشاء فروع له في مختلف البلاد والمناطق .

ولعل من أهم أهداف هذا المركز الاقليمي القيام بدراسات تتصل بالمناطق الجافة بالدول العربية كتلك التي تتعلق بالمصادر المائية ، سواء أكانت من الجو ، أو من سطح الارض ، أو في باطن الارض ، فتشمل بذلك الدراسات الميتورولوجية ، كذلك من أهدافه دراسة المياه السطحية والجوفية قصد حسن استغلالها ، ووسائل استغلال الموارد المائية على ضوء التوازن الهيدرولوجي للحوض المائي . ثم دراسة النواحي الجيولوجية والجيومورفولوجية والجيوفيزيقية للمناطق المختلفة في البلاد العربية ، الى جانب دراسة اقتصاديات استغلال الاراضي القاحلة .

ويتعين أن يكون من أهداف المركز الاقليمي الذي ندعو الى انشائه ، دراسة كل ما يتعلق بالتربة ورسم الخرائط التي توضح أنواعها ، ودرجاتها ، وأولويتها في الاستثمار الزراعي ، مع اقتراح الطرق الملائمة لكل منطقة . وينبغي أن تتبع هذه الدراسات الخاصة بالتربة بحوث تهدف الى معرفة مدى تعرض التربة لعوامل التعرية والنحات بوساطة الرياح ومياه السيول ومياه الرى والامطار ، واجراء التجارب لمعرفة أفضل الطرق للمحافظة على التربة وصيانتها .

ولعل مما يتصل بهذه البحوث وتلك الدراسات التي يعنى بها المركز ، دراسة أفضل طرق الري والصرف بهذه المناطق ، قصد الوصول الى الحد الأدنى للمقننات المائية ، وكذلك دراسة أفضل الوسائل لحسن استثمار التربة والمياه .

وثمة دراسات لا ينبغي أن تغيب على القائمين بالامر في مثل هذا المركز من المختصين ، مثل دراسة أثر الملوحة على التربة والنبات ووسائل علاجها ، اذ من المعروف أن أهم أسباب تدهور التربة في كثير من الجهات ، انما هي زيادة نسبة الاملاح فيها سنة بعد اخرى ، ولابد لصيانة هذه التربة من العلاج السريع .

وهناك مشكلات تختص بتدهور الزراعة والغطاء النباتي ، ووسائل معالجة هذا التدهور ، فالمحافظة على الغطاء النباتي الطبيعي ، أمر تحتمه الضرورة ، اذ المشاهد ان هذا الغطاء في تدهور مستمر ، نتيجة لسوء الاستعمال والرعي والاستغلال من قطع وحرق او رعي شديد .

ولابد من القيام بدراسات تتعلق بصيانة وتطوير واستغلال المراعي ووسائل استيطان البدو وأخرى خاصة ببيئة واقلمة النبات والحيوان ، مع تدريب الفنيين على الطرق الخاصة بدراسة وحصر وصيانة واستغلال الموارد الطبيعية من مصادر مائية وتربة ومراع وغابات . اذ لا شك أن كثيرا من مناطق المراعي والغابات والاحراج في جبال عسير وأواسط السودان . وفي جبال عتبة ، وفي غيرها من جهات كثيرة في أنحاء البلاد العربية ، انما تتعرض للتدمير الشديد السريع نظرا لسوء الاستعمال والاستغلال بالقطع والحرق والاتلاف ، وينبغي أن يعمل القائمون بالمركز على استصدار التشريعات والتنظيمات التي تحد من سوء الاستغلال ، وتصون هذه الموارد الطبيعية من الدمار .

وكذلك ينبغي أن يبذل جهد خاص في التوثيق العلمي الذي يتصل باعمال المركز وبحوثه من حيث جمع البيانات والمنشورات والمراجع العلمية الخاصة بالمناطق الجافة من حيث المياه والتربة والنبات والحيوان ، وقد يكون ضروريا أن يصدر المركز نشرة علمية بصفة دورية ، حتى تنقل نتائج البحوث والدراسات والتوصيات الى سائر البلاد العربية ، ليعمل القائمون بالأمر فيها على تنفيذ توصيات وتعليمات المختصين في هذه الشئون .

ويتعين كذلك تبادل الخبرات والمعلومات والعلماء بين البلاد العربية . وانه لمن الاهمية بمكان نشر الوعي لصيانة الموارد الطبيعية من مياه وأراض وغطاء نباتي ومراع وغابات واحراج ، ولا بد أن تستخدم وسائل الاعلام كلها لتحقيق هذه الغاية ، حتى يعرف النشء في البلاد العربية وسائل صيانة موارده الطبيعية ، فمن الضروري أن يتعلم التلاميذ في المدارس والجامعات والمعاهد المختلفة أهمية صيانة هذه الموارد ، وأن يعرف الجمهور عن طريق الاذاعة والتلفاز وسائل هذه الصيانة وأن يشرف على ذلك مختصون ذوو دربة ودراية بهذه الشئون .

ولعل من الاهمية بمكان أن تدرس في هذا المركز وسائل اعذاب ماء البحر ، حتى تستطيع أن نستقطر من مياه البحر الملحة ، ماء عذبا يفي بحاجات الزراعة ، وحتى نعرف أي وسائل الاعذاب أوفى بالغرض فتكون أقل كلفة ، وتستنفد طاقة أقل ، وهل يكون التقطير بالوسائل العادية باستعمال الوقود العادي ، أم أنه يمكن استغلال الطاقة الشمسية لهذا الغرض ، أو استغلال الوقود النووي في عملية التبخير ، وما يستتبع ذلك من انشاء مفاعلات للقوى ، أو باجراء البحث عسى أن نهتدي الى استعمال وسائل كيميائية لاستخلاص الماء العذب من الماء المالح .

ولابد لنا أن نذكر أن في بعض البلاد العربية مراكز أو ادارات أو مختبرات تختص بمثل هذه البحوث أو الدراسات ، ففي مصر معهد للصحراء افتتح رسميا في سنة ١٩٥٠ وهو يضم أربعة أقسام منها واحد للبحوث الهيدرولوجية ، وثان لبحوث الاراضي ، وثالث للنبات ، ورابع للحيوان ، ويضم كل قسم عددا من وحدات البحوث المختلفة ، كما تتبعه خمس محطات للبحوث ، في رأس الحكمة ، والعريش ، والوادي الجديد ، وبحيرة ناصر ، ووادي النطرون ، وانه ليضم كذلك سبع وحدات مساعدة هي المكتبة والتوثيق ، والخرائط والتصوير الجوي ، والتصوير العلمي والمحطة الميكانيكية ، وحفر الآبار ، والورش ، والمعسكر والرحلات .

ويصدر المعهد مجلة بصفة دورية ، وتتضمن الدراسات والبحوث التي تجرى بالمناطق الصحراوية سواء أكانت عن طريق المعهد أم خارجه ، كما يصدر نشرة خاصة بمعدل مرة أو مرتين في العام تتضمن الدراسات المتكاملة أو الاقليمية التي يقوم بها المعهد وبه مكتبة تضم عددا المراجع المختصة مئات من الدوريات العلمية .

وفي العراق معهد لبحوث الاراضي القاحلة الحق بكلية الزراعة في جامعة بغداد سنة ١٩٥٩ ، وفي أوائل سنة ١٩٦٣ الحق مباشرة برياسة جامعة بغداد من حيث الادارة والميزانية ، ولكن مقره وحقول تجاربه لاتزال ضمن نطاق كلية الزراعة ، وقد ضم أخيرا الى مجلس البحوث الأعلى الذي يضم أيضا معهدي البحوث البيولوجية وبحوث النفط . ويقوم المعهد بالدراسات الخاصة بالتربة واستغلال الطاقة الشمسية وغير ذلك .

وفي تونس مركز لبحث الاراضي القاحلة ، أنشىء في أوائل سنة ١٩٦٤ ، يقوم على دراسة مشاكل الاراضي القاحلة .

ولا مراء في أن دولنا العربية تعلق آمالا كبارا على انشاء مثل هذا المركز الاقليمي وفروعه في البلاد العربية ، حيث يعمل المختصون من العلماء العرب على استغلال بعض الجهات الصحراوية وغيرها من الاراضي القاحلة والمناطق الجافة ولا يكون ذلك من أجل الارتفاع بمستوى الدخل للسكان الحاليين فحسب ، بل أيضا لمواجهة الزيادة المطردة في عدد السكان للوفاء بالاحتياجات الغذائية المتزايدة الأمر الذي يجب العمل على مواجهته من الآن بالعمل على توسيع الرقعة الزراعية عن طريق الدراسة على أسس علمية قويمة لمشكلات المناطق الجافة وذلك بانشاء مركز اقليمي عربي للدراسات الخاصة بها ، تتعاون الدول العربية في انشائه ويكون في خدمتها جميعا ، والله ولي التوفيق .

« د . عبد الحليم منتصر »



مع فنان

تقديم

اميل جرجس

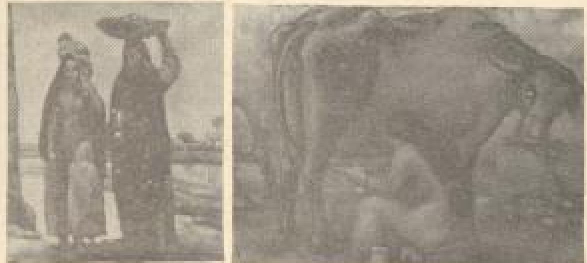
يجب ان يحس القارئ بمدى ارتباط الفنون بكل انواعها وعلاقتهــا بتربية الحس وتهذيب النفس وتنقية الذوق . فهل يمكن ان ينفصل الفن عن الجماهير ؟.. ان الفنان يخلق دائما فنه لهذه الجماهير .. ونحن نعلم ان الفنان سابق لعصره دائما . كما ان الفن لا يمكن ان يفرض على النــاس فرضا . ولكن يجب ان يلجأ الجمهور اليه .

وعلى كل فانني اربط كلامي هذا بما شاهدته في معرض الفنانة عطيات فرج . فهي تتناول موضوعات مصرية صميمة من واقع حياتنا . تبدأ بالبساطة بعيدة عن الزخرف . ولكنها مرتبطة بالواقع والتصـــوير الشخص . فنرى اعمالها مبنية على اعطاء شخصية مميزة للأشياء التي تنقلها وتصورها ـ كما اننا نحس في جميع اعمالها باحساسها بالطابع المصري القديم . ومدى تأثرها بحضارتنا السابقة . وتحاول ان تقدم الأساس العلمي والأسلوب المدروس.

ومن صفاتها انها تركز على الوجوه . وليس معنى هذا انها تهمل الأجزاء الاخـــرى . فهي تخص الوجه باهتمام كبير وذلك لاظهـار التغيرات المختلفة التي تشعر بها . وفي الوقت نفسه نحس في الوانها بالطابع القاتم الذي يتدرج بقوة نحو الظلام في بعض اللوحات .

ومع هذا نشعر بأنك امام عمل فني متكامل يصل الى المرحلة التي يطلبها اى فنان حيث يبذل جهده في العمل باخلاص وامانة .

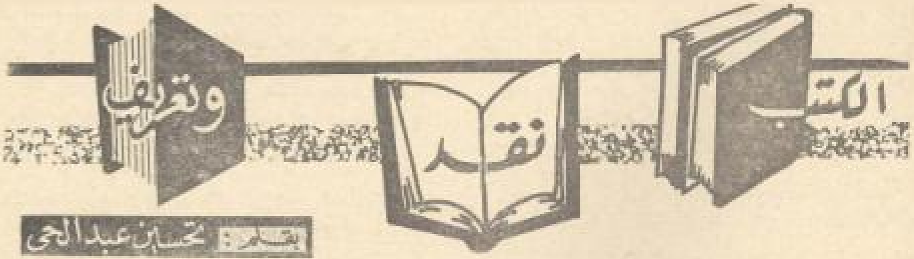
انني كم احس بالفرحة تملأ قلبي حينما ازور اي معرض من معــارض فنانينا فارى انهم يسيرون دائما في الطريق الذي تسير فيه نهضتنا العـربية الحاضرة .





الفنانة عطيات فرج

- نالت جائزة عيد العلم لعام ١٩٥٥ .
- نالت جائزة التفـــوق من وزارة التربية والتعليم في سنة ١٩٤٩ .
- عرضت لوحاتها في معارض البيــنال دي فنسيا والانترناسيونال في باريس وصالونات القاهرة وصالات الاسكندرية.
- أول معرض لها كان عام ١٩٤٧ بصــالة جاليري توبليس في شارع سليمان باشا بالقاهرة ثم تلاه المعرض الثاني عام١٩٤٨
- قامت بعمل معرض آخر بصالة الاتيليه بالاسكندرية كما قامت بعمـــل معرض في ايطاليا سنة ١٩٥١ .
- ثم عرضت بصالة مكتبة الفن بالقــاهرة سنة ١٩٥٣ .
- قدمت عروضها بالاسكندرية سنة ١٩٥٤،
- قدمت معرضها الأخير هذا العام بصالة مكتبة الفن بالقاهرة .



ضوء.. على شمالي العراق

تأليف : نعمان ماهر الكنعاني

لا يستطيع المرء منا ان يكبح جماح افكاره . عندما يحاول مناقشة احدى القضايا الهامة التي تواجه امتنا العربية في الوقت الحاضر .. لأن اي قضية مهما كانت صغيرة او كبيرة فان لها كثيرا من الجذور الضاربة في مراحل متعددة من تاريخنا . وحتى في تاريخنا الحديث ـ يرى كل الباحثين السياسيين ـ انه لاتوجد امة من امم العالم تتعرض لنفس الضغوط الخارجية والمؤامرات الإستعمارية في تنقليها وتراوتها مثلما تعرضت الامة العربية في الماضي ، وما زالت تتعرض لها في الحاضر ، ولولا تاريخ هذه الامة الحافل وعظمة دورها القيادي في خدمة الانسان والحضارة البشرية على طول فترة زمنية طولها اربعة عشر قرنا .. اقول..لولا ذلك لاندثرت مقوماتها وتلاشت من الوجود تماما .. ولعل اروع ما في هذه الفترة التاريخية هو ان الامة العربية كانت وما زالت ترفض باصرار ان تكون العنصرية العرقية احد اسباب وجودها.. وسار العرب طوال تاريخهم الحضاري الحافل مقتدين بسنة نبيهم العظيم ومؤسس دولتهم الخالدة محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه الشريف : الناس سواسية كاسنان المشط . ويقول عليه السلام . لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى . فمن خلال هذين الحديثين الشريفين والاف غيرهما ومن خلال دستور العرب الأول ـ القرآن الكريم ـ سارت الحضارة العربية الاسلامية منفتحة على العالم بصدر رحب وبايديولوجية انسانية سمحة .. بلا تعصب او عنصرية،شريعتها العدل والمساواة والجهاد ضد النفس وضد اعداء الحياة .. والنضال من اجل الانسان ورفاهيته .. واذا ابحنا لانفسنا ان نتكلم بلغة العصر الحاضر ـ جاز لنا القول بان الحضارة العربية الاسلامية .. كان اساسها الحب .. حب الانسان لأخيه الانسان ـ حتى النضال ضد الأعداء كان حبا ورغبة في ملاقاة الله.. وفي الطرف الآخر من العالم وفي اوربا بوجه خاص ..كانت الحضارة الغربية التي استمدت اصولها من الحضارة الاغريقية تقف على النقيض تماما من ذلك ـ هي حضارة عنصرية ـ تتسم في اصولها الاغريقية بالخشونة والعنف والتباهي بالقوة الجسدية ..

فحروبهم مجازر ، ومصارعاتهم الرياضية مذابح ، وفروسيتهم غلظة وقسوة ، وشجاعتهم عنف وبطش . اما الشفقة والرحمة والمغفرة ـ التي نمجدها نحن فانها عندهم صفات تحقر من صاحبها بدلا من ان ترفع قدره ـ لانها تدل عندهم على الضعف والعجز والجبن .

وتاريخ الأمة العربية منذ خروج العرب من اسبانيا الى الحروب الصليبية الى الحروب الاستعمارية .. كله في حقيقته صراع بين حضارتين تواجهان الانسان باسلوبين متناقضين تماما .. ولأسباب معينة لسنا بصدد شرحها الآن استطاعت الحضارة الأوربية ان تتفوق حضاريا .. ومن ثم سادت مفاهيمها ونظرتها العنصرية اللاانسانية .. وتستغل الحضارة الاوربية الاستعمارية هذه النزعات والمفاهيم العنصرية في كل ارجاء العالم وفقا لمصالحها .. وفي الحدود التي تخدم اغراضها الاستعمارية ..

وما دمنا هنا بصدد بحث الوضع في شمال العراق .. في ضوء ما يسمونه بالوطنية الكردية فاننا يجب ان نكون ابعد نظرا لكي نستطيع ان نعرف الأوضاع على حقيقتها ..

وسوف اطرح هنا سؤالا ربما كان على صلة بموضوعنا . وهو :

هل فكر مناضلنا العظيم صلاح الدين الأيوبي وهو يقود جيوشه ضد الصليبيين لحماية الحضارة العربية الاسلامية ـ في اصله الكردي ؟

وهل فكرت جماهير قواته المناضلة في ذلك .. وهم العرب المسلمون ؟

وهل فكر مؤرخو العرب على اختلاف الوانهم ونزعاتهم ان يخرجوا مناضلنا العظيم صلاح الدين ـ من زمرة قواد شعبنا الرواد امثال خالد بن الوليد .. الذين يعتز العربي مهما كان والى كان بشرف الانتماء اليهم ، بحجة انه كردي ؟

بالطبع لا .. فكلنا يؤمن بان روح الفروسية عند صلاح الدين ليست هي خاصية النبل الشخصي النادر ، بل هي اساس الأخلاق السامية في الاسلام . ومرحلة النضال التي قادها صلاح الدين ضد الغزاة الاوربيين بمحتوياتها العسكرية والانسانية نعتبرها جميعا جزءا من تاريخنا المضيء وجزءا من حركة شعبنا البطولية ضد اعدائه واعداء حضارته .

فاين اذن تكمن مشكلة ما يسمونه بالقضية الكردية في الوقت الحاضر ؟

ان الجميع يعرفون – وحتى الاستعماريين انفسهم – يعلمون تماما ان الوطن العراقي منذ عهد العباسيين حتى الآن وحدة واحدة يعيش فيها العرب والأكراد رغم قلتهم العددية في صفاء ووئام ولا يعكر صفاء هذا الأمن عادة الا بعض عصابات السطو والسرقة في المناطق الشمالية – تماما – كما يحدث في اي منطقة وعرة التضاريس – معظمها جبال مرتفعة وهضاب مترامية الأطراف .
فهل يمكن ان تكون هذه العصابات في يوم ما – عصابات وطنية؟
اننا نعلم جميعا ان كل العصابات في العالم تقوم اساسا من اجل النهب والسلب والاغتصاب بطرق العنف المعهودة .. وذلك طلبا للمال .. فاذا وجدت اي من هذه العصابات من يدفع لها من الخارج لكي تقول اي شيء فان هذا القول في الواقع قد كفاها مؤونة العمل والجزع في مناطقها القاحلة .. وانا شخصيا ارى ان هذه العصابات هي جماعة الملا مصطفى البرزاني – والممول الخارجي هو الاستعمار المتآمر على امتنا العربية .
وذلك لايماني الشخصي بان عصابات آل كابوني – وجون بريش الامريكيتين لو استطاعت كل منهما ان تحصل على الاموال التي تسلبها من الشعب الامريكي – عن طريق دولة خارجية – ولنقل انها روسيا على سبيل المثال .. فانني اجزم بان هذه العصابات سوف تنتحل فورا الصفات والملامح الماركسية ما دام التمويل قائما بصورة منتظمة .

فاكراد ايران ليس لهم وجود – وكذلك اكراد تركيا – ثم اكراد روسيا كلهم مندمجون في مجتمعاتهم ولهم تسميات متعددة مثل اتراك الجبال في تركيا .. الخ .

اذن فما معنى ان يتقول الملا مصطفى البرزاني وعصابته بما يسمى بالوطنية الكردية ؟

الان عرب العراق لم يعاملوا اخوانهم الأكراد بقسوة وعنف شديدين كاقلية صغيرة مثلما عامل الأتراك والايرانيون والروس الأكراد هناك ..

رغم ان ١/٨ الأكراد الموجودين في العالم يوجدون في العراق. صحيح ان عرب العراق عندما يجعلون اخوانهم الأكراد يتكلمون بلغتهم ويلبسون لباسهم ويتمتعون بكافة الحريات الاقتصادية والمدنية في داخل العراق .. اقول عندما يفعل عرب العراق ذلك فانما يصدرون عن انفسهم وعن دينهم الذي يامرهم بالمساواة وليس عن اي شيء آخر . وعرب العراق كأي جزء من اجزاء شعبنا العربي عندما يعطون كلمتهم فانهم يحترمونها ويناضلون من اجل احترامها في الحدود التي تضمن وحدة التراب العراقي من اية نزعات قبلية اجرامية تحركها مصادر خارجية معروفة . فاذا كان شاه ايران قد اعلن انه سوف يحارب الوحدة العربية والأمة العربية – وهو يحاربها فعلا في اليمن باموال وسلاح الحلف المركزي الاستعماري .. فهل تسمح له ان يهدد وحدة الوطن العراقي بنفس الأساليب ؟ واذا كان الأمر كذلك فان ضرورات الأمن الحيوية لعراقنا الحبيب تفرض على كل من يهمه الأمر ان يقوم بحماية تسعة اعشار الأكراد المسالمين من عصابات البرزاني ومموليه – كما يقوم اي بوليس في العالم بحماية ارواح المواطنين وممتلكاتهم من العصابات .

ان الموضوع دقيق وهام وطويل ولو اردنا ان نبحثه لاستنفدنا اكثر صفحات الرسالة – التي يربطها بالعراق وشعب العراق عربا واكرادا الكثير من مظاهر الحب والمشاركة في الماضي القريب والحاضر المشرق .. فللرسالة في العراق شماله ووسطه وجنوبه اخوة واصدقاء وابناء – تهيب بهم ان يقفوا صفا واحدا للنضال من اجل وحدة الوطن العراقي في نطاق الدولة العربية الواحدة وضد كل انواع التآمر الخارجي سواء أكان موجها من الغرب ام من الشرق .. ليبقى في النهاية العراق الموحد – ضمن الوطن العربي الاسلامي الموحد .

وكتاب اليوم .. ضوء على شمال العراق – يلقي الضوء على طبيعة ما يسمونه بالمشكلة الكردية – التي اتحد الشرق والغرب على الدعاية لها وتمويلها .

يقول الكتاب :

ان عدد الأكراد في العراق لا يزيد عن المليون نسمة من اصل عدد السكان الاجمالي الذي يبلغ سبعة ملايين نسمة اي حوالى ١٦٪ من عدد السكان وتبلغ مساحة المنطقة التي يقطنون فيها ٥٢,٥٠٠ كم مربع من اصل مساحة العراق التي تبلغ ٤٥٢,٢٦٤ كم مربع اي بما يساوي ١/٩ مساحة الوطن العراقي ويبلغ الانتاج الكلي للمنطقة التي يسكنها الأكراد حوالى ٥٪ من الانتاج العراقي – ولم يعامل الأكراد في العراق كاقلية مضطهدة – ولكنهم كانوا دائما ممثلين في كل الوزارات التي حكمت العراق في العهد الوطني بل ان بعض الوزارات العراقية قد الفت برئاسة وزراء اكراد مثل وزارة نور الدين محمود – ووزارة احمد مختار بابان .

واذا تخطينا قمة الهرم القيادي الى المراكز الأخرى الحساسة مثل المراكز العسكرية والمدنية نجد ان قادة الفرق في اغلب الأوقات كانوا من الضباط الأكراد وكذلك رؤساء اركان الجيش مثل الفريق بكر صدقي والفريق امين زكي سليمان وفي المناصب المدنية شغل الأكراد مناصب كبرى كالمتصرفيات التي بلغ عددهم فيها في بعض الأوقات عشرة مناصب من مجموع المتصرفيات العراقية البالغ عددها اربعة عشر متصرفية .

اما بالنسبة لبقية الوظائف الحكومية كمديريات الشرطة ومديريات التربية والمديريات العامة بل بقية الوظائف فقد تجاوزت نسبتهم حسب ادق الاحصائيات التي اظهرتها الجداول الرسمية الثلاثة والعشرين بالمائة ٢٣٪ من مجموع وظائف الدولة. وهذه النسبة في التوظف وتولي الوظائف الحساسة والمناصب الرفيعة تعطينا فكرة عن مدى تمتع الأكراد بنصيب لم يتمتع به العرب في العراق بالنظر الى نسبتهم العددية..اما اذا نظرنا الى الحقوق الأخرى التي يطيب لمثيري القضية التحدث عنها فاننا نجد ان اللغة الكردية هي اللغة الرسمية في منطقة الأكراد بالعراق فهي لغة التدريس في المدارس ولغة المرافعة في المحاكم ولغة التعامل في كل امر من الأمور .

اما الزي او اللباس فهو الآخر متروك لمن يريد التزيي به او ارتداءه لا من الأكراد فقط بل من جميع سكان العراق شأنه ي العربي او الغربي فالناس يلبسون ما يشاءون مثلهم حين يأكلون ما يطيب لهم .

وحرية الاقامة والسكن هي الأخرى في متناول يد الأكراد الا ضمن لهم الدستور العراقي طوال الحكم الوطني في العراق الحريات العامة كالسكن والعمل والتنقل .. الخ .

فاذا نظرنا الى اكراد تركيا وعددهم ضعف اكراد العراق اذ يبلغ ٣٫٦٤٠٫٠٠٠ نسمة ، نجد ان تركيا قد عمدت الى اجلاء الاكراد عن مناطقهم واسكنتهم مناطق غيرها . وحذفت اسم اكراد من قاموسها ووضعت مكانه اسم « اتراك الجبل » وازالت اللغة الكردية من الوجود التركي كلية فليس فى طول تركيا وعرضها من يدرس او يترافع او يؤلف او يطبع او ينشر باللغة الكردية - ولا يوجد فى جهاز الدولة وزير لانه كردى او ضابط باسم كردى او موظف او نائب يحمل غير صفة المواطنة التركية .

ولا تعترف ايران وبها ١٫٧٦٠٫٠٠٠ كردى بوجود ما يسمى بالاكراد .

وتعتبر ايران كل سكانها من الفرس الآريين سواء أكانوا من سكان المدن ام الريف ام الجبال . واى مقارنة بسيطة بين نظرة كل من تركيا وايران الى الاكراد الموجودين فى كل منها وبين الاكراد العراقيين نرى الفرق الواضح . نرى افساح المجال امام الكردى العراقى فى كل ناحية من نواحى الحقوق من لغة وادارة واقتصاد وعمران وتوظف الخ .. وبين الكردى الذى لا يجد شيئا من هذا فى اى بلد اخر غير العراق .

ومع كل هذا يشهر طلاب الزعامة الذين يستوحون التوجيه من اعداء الوطن ويطلبون السلاح المرة تلو الاخرى - ليهدموا ويحرقوا ويقتلوا ويأسروا وينهبوا باسم الحقوق الكردية المهضومة هذه الحقوق التى ان هضمها احد فهم هؤلاء المتمردون الذين لم يلتفتوا يوما الى ما يصيب الفلاح الكردى او الزارع الكردى او العامل او التاجر او اى مواطن كردى اخر نتيجة لهذه الثورات وهذا التمرد المسلح المستمر .

ولقد استطاعت الدعاية الاستعمارية ان تخلق من الملا مصطفى البرزانى قائدا لاكراد العراق .. ولكن ذلك البرزانى المتآمر والعميل الاستعمارى لا يزيد عن كونه رئيس عشيرة واحدة من عشائر الاكراد الكثيرة . ومعظم رؤساء هذه العشائر يتمتعون بالسلطة والسمعة الحسنة والمكانة المرموقة بين اكراد العراق وهم يتزعمون قبائلهم وعشائرهم بوعى كامل .. بل هم الذين يقع عليهم البرزانى دائما بقصد السلب والنهب - اى على اكراد مثله .. وهذه القبائل وهؤلاء الزعماء يدركون الامر ادراكا سلبيا مستمدا من الواقع العراقى ويتجاذبهم عاملان : الاول : احساسهم بان كياناتهم يتعرض الى لعبة خطرة لا ينتج عنها لو قدر لها ان تستمر الا الخراب والدمار والضيق والفاقة والتخلف وهم لهذا يشجبون جميع المحاولات الرامية الى وضعهم فى حالة كل ما فيها يدل على الضياع والقلق والاضطراب . ومن لم يقف معظم الاكراد ما عدا عصابته التى تعودت الحياة بلا عمل سوى السلب والنهب والتدمير - يقفون جميعا ضد اطماعه وزعامته الموهومة .. والذى يحز فى نفوس اكراد العراق فعلا انهم يعرفون الملا مصطفى البرزانى قبل التجائه الى الاتحاد السوفيتى - سفاحا ولصا ومخربا ولكنهم رأوه بعد عودته وهو يحمل لقب جنرال فى جيش الاتحاد السوفيتى - وقد احاطته الدعاية بهالة من التزييف مثل اعداده التخريبية وغيرها من الدجل الدعائى . ويعرف اكراد العراق ان الملا مصطفى البرزانى عندما كان يسطو وينهب الناس فى الطرقات وهو عاطل عن العمل توسط له اناس من قومه فعينوه فى وظيفة (ساع) وبراتب قدره خمسة دنانير شهريا ،ولا يعلم اكراد العراق كيف يتحول هذا الساعى اللص الى مجاهد وطنى .. فى الوقت الذى يحصل فيه على السلاح والاموال لكى يقتل اخوانه ومواطنيه الاكراد الذين يقفون فى وجه اطماعه .

والاكثر من ذلك ان اكــراد العراق يعتبرون الملا مصــطفى البرزانى خائنا قوميا للوطن العراقى . ففى الوقت الذى كان العراق عربا واكرادا يقاومون فيه الحكم الاستعمارى فى العراق كان البرزانى يراسل ضـباط الاحتلال البريطانيين لدرجة انه قال لاحدهم فى رسالة له مؤرخة بتاريخ ١٩٤٣/١/٣ :

« انه لا يريد الا رضاءه واسترضاءه واذا امر فهو يشعل نارا ويرمى نفسه فيها - وحاضر للخدمة وليس له رجاء الا مقــام فخامة المستشار والامر امر سيدى الافخم » .

ومن رسالة اخــرى الى الكولونيل البريطاني ميد يقول الملا مصطفى :

« والله وبالله وتالله انى طالب من جلالة بريطانيــا العظمى ومن عمتكم وعدالتها جميع حوائجنا من الوجوه - وهى - اى بريطانيا - امنا الشفوقة ونحن اولادها » .

ولا يعلم اكراد العراق قبل غيره كيف يتحول هذا الخائن اللص الى مناضل بفعل الدعاية الاستعمارية المتآمرة !

ويذكر الكتاب بعد ذلك نصوص البرقيات التى ارسلها جميع مشــايخ وزعماء الاكراد الى السلطات العراقية يطالبون فيهــا بحمايتهم هم ونسائهم واموالهم من عصــابة البرزانى - تلك البرقيــات التى تحمل فى طياتها طلب العون لكى لا يتركوا وحدهم امام عصابات مسلحة وممولة تمويلا خارجيا رهيبا .

وبعد : فاذا كان يحلو للدعاية الاستعمارية ان تهلل للملا مصطفى البرزانى على اساس كثير من الاكاذيب والاوهام لكى يوجدوا فى النهــاية ما يسمى بمشكلة الاكــراد فان هــؤلاء الاستعماريين لا يعرفون حقيقة الاوضاع القائمة فى العراق . واذا كان يخيل اليهم ان كل شعوب العالم تعيش فى ظل اوضاع عنصرية مقيتة كالتى يعيشون عليها فى قلب الولايات المتحــدة - وموقف شعبها من السود ، فقد غاب عنهم ان شعب العراق بعربه واكراده ينتمون الى امة واحدة وحضارة عربية اسلامية واحدة عرفت ما لها من حقوق وما عليها من واجبات تجاه مواطنيها على اختلاف الوانهم واصولهم . وشعبنا العراقى البطل يعرف من هم اعداؤه ومن هم اصدقاؤه - وسوف تستمر الحياة وتنتصر ارادة السلام والعدل فوق ارض عراقنا الحبيب رغم كل المــؤامرات الخارجية مهما كان مصدرها ... ولن تقف اى قوة فى الارض مهما كانت امام الوحدة الوطنية لشعب العراق الذى ينشد الوحدة العربية الشاملة فى اطارها التقــدمى الاشتراكى .. بقيادة مناضلنا القومى الرئيس عبد السلام عارف .

فى الايمان والاسلام

تأليف : احمد حسين

الناشر : دار القلم ..

يحمل الدين الاسلامى الدعوة الى السلام العالمى والاخاء البشرى والتوحيد بين الأمم والشعوب على اختلاف مشاربها واجناسها وعقائدها والوانها – بل واديانها – ومن اثر الايمان أوضح المؤلف كيف أن الرقى والحضارة الانسانية كانت دائما ثمرة من ثمرات الايمان الذى يعتبر ينبوعا للعظمة الشخصية . ويحتوى الكتاب كذلك على موضوعات هامة منها موضوع الايمان ومحوره، والايمان وصوره الأولى ، والأنبياء والرسل ، والقرآن والوحى والاسلام كسائر الأديان .

واختتم المؤلف كتابه بتوضيح موقف علماء الغرب من الحضارة الاسلامية مثل جوستاف لوبون وغيره من العلماء الغربيين .

ويقع الكتاب فى ٣٠٢ صفحة من القطع المتوسط .

القارب الأخير

تأليف : طه حواس

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة .

يحتوى الكتاب على مجموعة من القصص القصيرة منها قصة عم حامد التى تدور حول تجربة الوحدة الثقافية التى قامت بها وزارة الثقافة فى كفر الشرفا . هذا الى جانب قصص أخرى منها قصة : البيت القديم ، وفيضان ، وغضبة الشيخ ، والقارب الأخير ، والأسطى صابر .. ويقع الكتاب فى ٢٣٤ صفحة من القطع الكبير .

الصراع الطبقى وقانون التجار

تأليف : ثروت أنيس الأسيوطى

الناشر : دار النهضة العربية

ينقسم الكتاب الى قسمين .. القسم الاول يتعلق بنشأة قانون التجار باعتباره مجموعة من الأنظمة تحمى مصالح الرأسماليين .

ويدرس فيه المؤلف – الصراع بين التجار والاقطاع فى القرون الوسطى فى القارة الاوربية وعلى الأخص فى شمال ايطاليا . ويبين كذلك ما اذا كان لهذا الصراع أثر على نشأة قانون التجار .

أما القسم الثانى..فيعالج بعض أنظمة هذا القانون ، فيوضح الظروف التى أدت الى ظهورها، والغاية منها ، ثم مدى صلاحيتها لمجتمعنا الاشتراكى . ثم تاريخ وفلسفة بعض الأنظمة التجارية.

ويقع الكتاب فى ١٧٦ صفحة من القطع الكبير .

جون شتاينبك

تأليف وارين فرنش

ترجمة : الدكتورة نور شريف

الناشر : دار الفكر العربى

يحتوى الكتاب على دراسة مفصلة لحياة وأعمال جون شتاينبك وقد حدد المؤلف قبل الحديث والتحليل لروايات شتاينبك بعض الميول التى كانت أهم العوامل فى تشكيل رواياته .. ومن هذه الميول ميله الى كتابة القصة الرمزية ، وهى الفن القديم – لمناقشة شىء واحد – ولا سيما اذا كان المفهوم مجردا أو غير مألوف . وتعرض الكتاب الى عقيدة شتاينبك – التى كانت تتفق اتفاقا ملحوظا مع عقيدة المتسامين الامريكيين فى القرن التاسع عشر .

وقد كان لهذه الخصائص أثر واضح على شتاينبك وعلى نجاحه الفنى وعلى فشله . وعندما زودته تجاربه الشخصية بمادة تستغرقه ، أمده ميله للقصص الرمزية بخطة ، وتفكيره غير الغائى بمقدرة على الموضوعية .

ويقع الكتاب فى ٢٣٩ صفحة من القطع الكبير .

وعلى الأرض السلام

تأليف : محمد الجيار

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة

يحتوى الديوان على اثنين وخمسين قصيدة شعرية كتبها المؤلف قبل ذلك ونشرها فى أماكن متفرقة .. وقد جمعها فى ديوانه الجديد . ويقع فى ٢٠٨ صفحة من القطع المتوسط .

جاهلية القرن العشرين

تأليف : محمد قطب

الناشر : مكتبة وهبه

الكتاب كما يقول المؤلف معنى بدراسة ظاهرة الجاهلية التى يعيش فيها القرن العشرون – معنى بدراسة أسبابها . وملامحها، وانعكاساتها فى تصورات البشر وسلوكهم الواقعى . ونتائجها فى حياتهم . وقد أوضح المؤلف ملامح الجاهلية الحديثة – المتمثلة فى فساد التصور وفساد السلوك ، سواء فى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الأخلاق أو فى علاقات الجنس ، وضرورة العودة الى اتباع المبادىء الاسلامية السامية خدمة للتقدم الانسانى العام .

ويقع الكتاب فى ٣٥٦ صفحة من القطع الكبير .

أحمد صبرى

المصور الذى رسم لوحاته بنور عينيه

تأليف : مصطفى الجمال

الناشر : دار النهضة العربية

يتناول المؤلف بالبحث والدراسة أعمال المرحوم أحمد صبرى الفنية التى كان طابعها الرصانة واحترام العمل الفنى فقد سجل موضوعاته بعمق وتأمل وكان فنانا يميل بطبعه الى الفن الشعبى فتراه يرسم « بنت البلد » و « بائعة الجوافة » – « وعم سرور » وتعكس كثير من أعماله نزعته الدينية نتيجة لنشأته وتنقلاته فى حى سيدنا الحسين والسيدة زينب فذهب فى مواضيعه من هذا اللون الى ابراز التقوى والتأمل الدينى كما يبدو فى موضوع « بعد الصلاة » و « الراهبة » .

ويقع الكتاب فى ١٦٨ صفحة من القطع الكبير .

« تحسين عبد الحى »

قراءات في المجلات العربية

يقدمها محمد العوانى



● الدكتور محمد مندور :

شيعت القاهرة في الاسبوع الماضى علما من أعلام ثورتنا الثقافية ، ورائدا من رواد الادب والنقد هو المرحوم الدكتور « محمد مندور » فقد مات رحمه الله بعد حياة حفلت بالنشاط الدائب فى ميدان الكلمة، واستطاع أن يقدم بعد كفاح طويل كثيرا من امهات الكتب فى الادب والنقد والفن ، وأن ينشر مقالات متنوعة فى الصحف والمجلات .

لقد أحدثت وفاة الدكتور مندور حزنا عميقا فى نفوس تلاميذه وأبنائه لا فى الجمهورية العربية فحسب بل فى المنطقة العربية كلها ، ذلك أن الدكتور قدم لهذه الامة انتاجا فكريا ضخما ، وزادا ثقافيا يتمثل فى هذه المؤلفات الضخمة التى قدمها الى مكتبتنا العربية .

ان الواجب علينا ـ نحو الفقيد ـ أن نطالب بنشر ما خلفه من انتاج حتى يصبح فى متناول كل يد وحتى يمكن للاجيال القادمة ان تتدارس هـذا الانتاج لترى فيه صور الكفاح التى مر بها الدكتور مندور طوال حياته .

لقد اهتمت بوفاة الدكتور مندور جميع الصحف والمجلات التى تصدر هنا فى القاهرة ورثاه الكثيرون ممن عرفوا فضله وأدبه ، واننا ننقل فى هذا الباب نماذج مما نشر عنه مكتفين فى ذلك بما نشر فى صحفنا اليومية .

فالدكتور طه حسين يقول عنه : « كان مندور من أذكى تلاميذى فى كلية الآداب ، ومن النبههم مع ثلاثة آخرين من زملائه ، وكان أساتذتهم وأنا منهم نباهى بهم، ونجعلهم مثلا لتلاميذنا .وأذكر أننادعونا الى محاضرة فى أحد مدرجات الجامعة جماعة من خيرة الأدباء والمثقفين فلما انعقد الجمع ، وامتلأ المدرج لم يتقدم أستاذ لالقاء المحاضرة ، وانما قدمنا هؤلاء التلاميذ اليهم ، وانبأناهم بأنهم سيتحدثون الى المجتمعين فى موضوعات أدبية ، ليلقى كل واحد منهم كلمة فى نصف ساعة ، فتكلم الأربعة عن موضوعات الادب العربى .. وامتاز منهم مندور ، وهو الذى ظفر بالاعجاب من أساتذته ومن المستمعين ثم قال

الدكتور طه حسين : « ان الامة خسرت بوفاة مندور أديبا نابها وناقدا ممتازا من أبنائها رحمه الله » .

اما الدكتور «علي الراعي» فانه يذكر ان الدكتور مندور التزم منذ البداية بقضايا الانسان .

وان التزامه بالاشتراكية ـ ناقدا ـ قد هيأ له رحابة في الفكر والروح جعلته يدعو الى ان يلهو الانسان ويعمل ، وألهمه هذا الالتزام أن الاشتراكية ليست قيدا على روح الانسان ، وانما هي ـ على النقيض ـ وسيلة لتحرير روح الانسان من الانشغال بملء البطون .

ويقول عنه « مصطفى بهجت بدوى » : ان فقيد الثقافة والأدب والنقد الذى تولى عنا بالامس هو ذاته فقيد الحرية السياسية والاجتماعية فقد كان رائدا فى المزج بين هذه المعانى جميعا وتوجيهها لهدف واحد لم يحد عنه ، هو خير الانسانية والانسان وتقدمهما وقال انه : « عشق المسرح » فكنت تراه فى الصفوف الأولى دائما يشهد بداية عرض مسرحية جديدة لعله يكون رعاها من قبل وقراها نصا ووجه مؤلفها ثم تابع بروفاتها ، وأخيرا حرص على مكانه هذا من الصفوف ليضعها فى مكانها حين يكتب عنها ناقدا بأدق موازين النقد .

ويقول « سعد الدين وهبه » ان محمد مندور سيقول عنه التاريخ انه أحد رواد الصحافة الذين جعلوا من المقالة الصحفية علما يزخر بالأفكار بعد أن كان صراخا خطابيا فارغا يذهب أدراج الرياح ، وانه اذ نادى بحق هذا الشعب لم ترهبه أيام قاسية قضاها فى السجن على يد جلاد كصدقى وزبانيته . وقال :

كان مندور قطعة حية من وجدان هذا الجيل ، واذا كان كثيرون من امثال مندور قد ودعوا الحياة دون أن يشاهدوا ثمار مابذروه ، فقد كان مندور واحدا من السعداء ، أتيح له أن يرى بلاده تعيش الحياة التى تمناها لها وأتيح له أن يشهد الفن والادب وقد اتخذ له طريقه فى خدمة الحياة والناس ، وأتيح لمندور أن يرى فى حياته اعداءه الذين ناضلوه وهم يدينون بمبادئه ويرفعون لواءه .

لقد كان مندور بطاقاته الخلاقة المتعددة وبقوة فكره وارادته أقوى من الحياة ، وهو اليوم وهو فى قبره أقوى من الموت ، لأن الموت لا يحجب عنا عظمته ولن يمنع رسالته ، ولن يمحو من العقول والقلوب آثاره الباقية الخالدة .

ويقول عبد الرحمن الخميسى : مات مندور الذى آثر أن يعيش فى العواصف ، وكان باستطاعته أن يحيا فى أحضان الدعة والرفاهية ، والذى التزم جانب الشعب ، ووقف فى صفه ضد كل ما كان يهدده من القهر الخارجى والداخلى خلال الحكم البائد .

اما « محمد زكى عبد القادر » فيقول :

كان اهم ما يميز حياة المرحوم الدكتور محمد مندور أنه جعل ثقافته وعلمه وكفاحه فى خدمة المجتمع ، فربط بين وظيفته كأستاذ فى الجامعة وبين هموم المجتمع الذى يعيش فيه ، وكان فى مقدوره ان يحيا بين قاعات البحث والمحاضرة فى الجامعة حياة هادئة مستقرة معروفة البداية والنهاية ، ولكنه آثر أن يكون فى صف المقاتلين خارج الجامعة ، بل نقل الى الجامعة ـ وفى قاعات البحث والمحاضرة ـ بعض سمات هذا القتال ، واضطربت حياته تبعا لذلك ، وحورب فيها وأخرج منها ، ومرت عليه فترات عصيبة ولكنه واجهها بقلب راض وجنان ثابت مؤمن .

• تراثنا بين التقدمية والرجعية :

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « الاقلام » التى تصدر عن وزارة الثقافة العراقية نص المحاضرة التى القاها الشيخ «نديم الجسر» فى مؤتمر الادباء العرب بالعراق وضح فيها أن تراثنا الاخلاقى بلغ مرتبة عالية من الكمال ، ذلك انه ليس فى تاريخنا اننا كنا اذا فتحنا مدينة نقتل جميع من فيها من الشيوخ والعجائز والصبايا والاطفال والحيوانات ، ثم نحرقها حرقا كما كان يفعل اليهود ، ولا فى تاريخنا اننا عذبنا المؤمنين بالله وشويناهم بالنار لنكرههم على ترك دينهم ، كما فعل معنا فى اسبانيا بعض الرهبان ، ولاحرقنا الناس بالجملة فى الافران كما فعل الالمان ، ولا اهلكنا ثلاثمائة الف انسان من بنى آدم من سكان هيروشيما غير المحاربين بقنبلة ذرية واحدة كما فعل الامريكان .

ان تاريخ العرب الحربى فيه الرحمة التى جعلت غوستاف لوبون ، يقول لم ير التاريخ فاتحا أرحم من العرب ، وفى تراثنا العدل الذى يقتل به المسلم

اذا قتل غير المسلم ، وفى تاريخنا الحرية التى يقول عنها القرآن (لا اكراه فى الدين) وفى تراثنا شرف العهد والذمة الذى جعل محمدا يقول (من آذى ذميا كنت خصمه يوم القيامة) ٠

وبعد ان اورد كثيرا منهذه المعانى العظيمة التىيمتاز بها ديننا خلص الى أن تراثنا الدينى والاخلاقى يظهر بجلاء أن الرجعية التى ينسبونها الى الدين والاخلاق هى عين التقدمية كما أن التقدمية التى ينادى البعض هى عين الرجعية ٠

• فى الاشتراكية العربية :

وفى «الآداب» اللبنانية بحث كتبه «فؤاد الركابى» عن الاشتراكية العربية بين فيه : ان الوطن العربى يشهد اليوم فى أكثر جزء من أجزائه تحولات اجتماعية حاسمة على طريق الاشتراكية ، وان هذه الاشتراكية لم تعد فى بلادنا مجرد حركة سياسية او تيار فكرى ، بل أصبحت تيارا حياتيا يؤثر علىمجرى التطور فى بلادنا العربية ، وفى العالم بأسره ، وعلى موقف الانسان من المجتمع والحياة ٠ وعلى صعيد التطبيق الاشتراكى يقول الكاتب: ان مراعاة بعض الظروف الاقليمية لدى الشروع فى تطبيق النظرية الاشتراكية العربية لا يعنى تفتيت هذه النظرية وتحويلها الى عدد من النظريات تختلف باختلاف الاقاليم ، بل على العكس من ذلك ، انها على المستوى النظرى كما هى على المستوى التطبيقى تواجه اليوم مشكلة خاصة بها هى مشكلة الواقع العربى بما فى هذا الواقع من ظروف وشروط أملتها التجزئة وما نجم عنها من ظروف واوضاع اقليمية متفاوتة ، ومن اهم مهمات النظرية الاشتراكية العربية أن تواجه هذا الواقع وأن تضع له الحلول باعتبارها نظرية اشتراكية عربية قادرة على حل جميع مشكلات الواقع العربى وتخطيطها وتصفية جميع الفوارق الاقليمية من أجل اقامة المجتمع الاشتراكى العربى الواحد بقيمه ومفاهيمه ومؤسساته الاشتراكية الواحدة الكبرى ٠

ثم تناول نظرة الاشتراكية العربية للانسان وتقديرها له ، فبين أنها بأعدافها ومضامينها القومية الانسانية لم تجعل الانسان مجرد «آلة فى جهاز الانتاج مهمتها العمل والعمل الآلى فحسب ، بل أنها وان كانت تعتبر العمل وسيلتها للتقدم والنهوض الا أنها لا تجرد العمل من جوهره الانسانى الخلاق ٠

• اللغة العربية فى غانا :

وفى مجلة « رابطة العالم الاسلامى » التى تصدر بمكة المكرمة فى عددها العاشر مقال ذكر كاتبه أن المؤرخ الانجليزى» ارنولد توينبى» توقع مولد حكومة عالمية لكن الذى يعترض ذلك هو تسلط الروح القومية على الافراد والامم ٠ وعلق الكاتب على هذا مبينا أن كثيرا من أصحاب المذاهب يحاولون نشر مذاهبهم بشتى الطرق ، لكنهم لن يصلوا الى شىءمما يريدون ، ويرجع ذلك الى أن بعض هذه المذاهب لا يقيم وزنا للانسان ويقتل فيه روح الطموح والتنافس ويعتبره آلة صماء كما أن بعضها الآخر لا يحقق للانسان ما يبقيه ، فهى تقيس الاشخاص بقدر ما يملكون من مال ولا تنظر الى قيمهم الاخلاقية ٠ ويذكر المقال أن العلاج الوحيد لهذا الفراغ الذى يوجد فى العالم هو دين الاسلام ، فقد جاء الى الناس كافة لا فرق بين لون ولون وجنس وجنس ومذهب ومذهب ووطن ووطن ٠

واستطرد بعد ذلك موضحا ان اللغة العربية وهى لغة القرآن ـ تمتاز بانها لغة غنية بمفرداتها وأساليبها واشتقاقاتها وسهولة الفاظها وتراكيبها ، فهى لذلك قابلة لأن تكون لغة عالمية ، فهناك شعوب كثيرة كانت لها لغات متعددة صارت اليوم تتكلم بلغة مشرقة واحدة هى اللغة العربية وتدين بالاسلام لاترضى عنه بديلا ، وفى الوقت نفسه لم تفلح دعايات المبشرين والمستعمرين الصليبيين والشيوعيين والصهيونيين وغيرهم لتثنيهم عن دينهم وتبعدهم عن لغتهم العربية،واستدل الكاتب على قيمة هذهاللغة بما نشر فى جريدة «الندوة» الصادرة فى ١١ شوال ١٣٨٤ من ان غانا قررت تدريس اللغة العربية فى المدارس الحكومية واعتبرتها لغة رسمية ، ويقول نيكروما رئيس جمهورية غانا « ان الحكومة لم تقرر اعتبار اللغة العربية لغة رسمية اعتباطا ، ولكنها رأت فيها السهولة والغنية واستيفائها لما يطلب فى لغة عظيمة راقية ٠

« **محمد العوانى** »

من ملحمة عمر

سر المقوقس

مسرحية بقلم: علي أحمد باكثير

المشهد الثالث

في بيت الهاموك حاكم دمياط

هيلانه : كلا لا تأذن له يا هاموك . يجب أن يبقى عندنا ولو يوما آخر .

الهاموك : ماذا أصنع له يا عزيزتي هيلانه ؟ أنه لا يحب دمياط فهو يرى البقاء عندنا كأنه سجن .

المقوقس : والله لا أجد الراحة والأنس الا عندكم هنا في دمياط بعيدا عن متاعب السياسة وأعباء الحكم .

الهاموك : لعل طعامك يا هيلانة هو السبب .

هيلانه : طعامي يا قيرس أصبح لا يعجبك ؟

المقوقس : لا والله يا أختي ما زال الطعام الذي آكله من يدك أشهى طعام في الدنيا الي .

هيلانه : فما الذي يعجلك اذن ؟ انا لم نقض شوقنا بعد منك .

المقوقس : يا هيلانه يا أختي العزيزة . لو أقمت عندكم شهرا بأكمله لكان عندي مثل يوم واحد . والله والله اختلست هذه الأيام الثلاثة التي قضيتها عندكم اختلاسا .

الهاموك : أستكثرتها علينا يا قيرس ؟

المقوقس : معاذ الله ولكن ما كان لي أن أبرح حصن بابليون يوما واحدا في مثل هذا الوقت العصيب .

هيلانه : بت هذه الليلة عندنا وسافر غدا في أول الصباح

المقوقس : لا أستطيع يا هيلانه : يجب أن أكون مساء غد في حصن بابليون .

هيلانه : اين شطا وأرمانوسة فيمنعانك ؟

المقوقس : كلا لن يمنعاني . انهما يعلمان عذري .

الهاموك : ها هما قد أقبلا .

(يدخل شطا وارمانيوسة)

هيلانه : أين كنتما ؟ ألا تعلمان أن خالكما سيرحل عنا عصر هذا اليوم ؟

ارمانوسة : كلا يا خال .. ينبغي أن تؤجل سفرك .

المقوقس : لا أستطيع يا أرمانوسة .

ارمانوسة : ولو ليوم واحد .

المقوقس : ولا ليوم واحد .

ارمانوسة : من أجل شطا يا خال ومن أجلي .

شطا : أجل يا خال . من أجلنا نحن الاثنين .

المقوقس : كنت أنتظر منكما أن تكونا عونا لي لا عونا علي .

شطا : تكلمي يا أرمانوسة .

ارمانوسة : تكلم أنت ياشطا .

شطا : اعلم يا خال واعلم يا أبي واعلمي يا أمي ان ارمانوسة بنت أرمانوس وشطا بن الهاموك قد اتفقا على أن يعقدا زواجهما في الكنيسة اليوم .

الثلاثة : (في صوت واحد) اليوم ؟

شطا : اليوم أو غدا أو بعد غد كما تحب يا خال .. قبل سفرك على كل حال

هيلانه : فليكن بعد غد يا ولدي حتى نستعد .

ارمانوسة : أو غدا ياخالتي حتى لاتؤخر خال كثيرا عن سفره

الهاموك : ما بالك لا تجيب يا أخي البطريق ؟

المقوقس : ماذا أقول ؟ هذه مفاجأة غير منتظرة .

شطا : هذا هو الحل الوحيد لمشكلتنا .

ارمانوسة : فكرنا طويلا فلم نجد لها حلا سواه .

المقوقس : ودومنتيانوس هل نسيتما دومنتيانوس ؟

شطا : هذا الرومي الدخيل هو الذي دفعنا الى ذلك .

الهاموك : تريد يا ولدي أن تتحداه ؟

شطا : نعم .

المقوقس : وهل فكرتما في امري حينما قررتما ذلك ؟ الم تعلما أن ذلك سيعرضني لسخط قيصر ونقمته ؟

ارمانوسة : ليس لقيصر ان يتحكم أيضا في شئوننا الخاصة. أنا لست أمة له فيهبني لدومنتيانوس .

المقوقس : وما حيلتي ياابنتي ؟ لقد طلبك بنفسه لدومنتيانوس فهل كان في وسعي أن أرفض طلبه ؟

شطا : نعم كان عليك أن ترفض طلبه .

ارمانوسة : أو تقول له على الأقل ان الأمر في يدي أنا .

المقوقس : يا ولدي العزيزين . انكما لا تعلمان في اي وضع كنت أنا ذلك اليوم . لقد اتهمني البطريق سرجيوس علنا في مجلس قيصر بأني أحن الى قومي القبط واني امالئهم على الروم . كل ذلك لأني طالبت برفع الاضطهاد الديني عن القبط ومنحهم حرية العقيدة لئلا ينضموا الى العرب اذا جاءوا يغزون مصر .

الهاموك : وكيف تخلصت من تلك التهمة يا قيرس ؟

المقوقس : قلت لهم - هل تعرفون أحدا من الروم اضطهد القبط مثلي قط ؟ فكأنما ألقمتهم حجرا .

الهاموك : صدقت . والله انك لبارع .

المقوقس : اكان فى وسعى يومئذ أن أرد طلب هرقل ؟ اذن لأثرت الشبهة في نفسي ولكنت سرجيوس والأطربون وتيودور وغيرهم من بلوغ ما يشتهون . واذن لحيل بيني وبين هذا العمل الذي أقوم به اليوم سرا لتحرير القبط من ظلم الروم والمحافظة على حقوقهم عند العرب .

ارمانوسة : والله يا شطا ان خالنا لمعذور .

شـــــطا : أجل كان له عذره فى القسطنطينية يومذاك ولكن ما عذره اليوم ؟ ماذا يخشى اليـــوم من قيصر ؟ ايخشى ان يعزله ؟

المقوقس : نعم .

شـــــطا : ألست تقول انك تريد أن تكفر عن سيئاتك التى ارتكبتها فى حق القبط ؟

المقوقس : بل ومن اجل ذلك اخشى انيعزلنى هرقل ويقصيني من مصر ويولى أمرها لأحـــد قواده الروم وربما لدومنتيانوس نفســه .

شـــــطا : (ثائرا) اذن والله لا ينجو منى أبدا . لأقتلنه ولو كان بين رجاله .

الهاموك : ماذا تقول يا ولدى ؟ أفقدت عقلك ؟

المقوقس : كنت اظن يا شطا انك مثلى تكره الروم جميعا فاذا انت تكره دومنتيانوس وحده .

شـــــطا : كلا لست أكرهه وحده . اني أكرههم جميعا . أشتهى أن أغمض عينى ثم أفتحها فلا أرى روميا واحدا على أرض مصر .

المقوقس : اذن فعلينا ان نعمل بحكمة وأناة ولا نتهور أو نتسرع فنخسر كل شيء . انى أملك ســـلاحين ماضيين فى معركة تحرير القبط هما ثقة قيصر وحكم البلاد . فكيف تريد منى أن أعلن زواجك بارمانوسة فأخسر هذين السلاحين الماضيين ؟

هيــلانه : اسمع كلام خالك يا شطا فانه أعرف بهذه الامور منك .

المقوقس : كلا انى اريد أن يقتنع شطا بكلامى لا أن يطيعني طاعة عمياء .

شـــــطا : ماذا ترين يا أرمانوسة ؟

المقوقس : ثق يا ابن خالتى انى ساكون لك ولن أكون لغيرك أبدا . وسأنتظرك مهما يطل الانتظار .

شـــــطا : وتبقين هنا عند أمى ؟

ارمانوسة : وخالى ياشطا من ذا يعنى به فى بيته ؟

شـــــطا : لن يطمئن قلبى الا اذا بقيت هنا فى دمياط .

ارمانوسة : أتخاف علي بعد من دومنتيانوس ؟

شـــــطا : نعم . من يدرى ؟

ارمانوسة : لا تخف يا شطا فانى أستطيع أن أحمى نفسى .

شـــــطا : انه يجيد الغزل وأنت تحبين كلمات الغزل .

ارمانوسة : اطمئن يا ابن خالتى . هذه تدخل من احدى أذنى وتخرج من الأذن الاخرى .

شـــــطا : ما زلت أخاف عليك يا أرمانوســـة .. من شيء آخر ..

ارمانوسة : من أى شيء ؟

شـــــطا : من حكمة خالي وأناته .

المقوقس : (يضـــحك) اطمئن يا بنى فان حكمتى وأناتى ستكونان دائمالك لا عليك . لا بأس يا أرمانوسة ابقى هنا عند خالتك وان كان بيتى فى اشدالحاجة اليك . ان ابن خالتك محب والمحب دائما ينتحل الأعذار لتكون حبيبته الى جانبه .

ارمانوسة : كلا يا خال انه لن يقيم معنا فى دمياط .

الثـــلاثة : (فى صوت واحد) ماذا تقولين ؟

ارمانوسة : اسالوه .

شـــــطا : أجل انى راحل .

الثـــلاثة : الى أين ؟

شـــطا : الى الفرما .

هيــلانه : ماذا تصنع هناك ؟ هناك الحرب . العرب هناك يحاصرونها .

الهاموك : أتريد أن تقاتل معهم ؟

هيــلانه : اياك يا ولدى أن تفعل . ليس لى غيرك يا شطا فلا تجعلنى الثكلى .

شـــــطا : كلا يا أماه لن أشترك معهم فى القتـــال ولكنى سأدلهم وأرشدهم وأعاونهم جهدى وأدعو الناس الى معاونتهم بكل سبيل .

الهاموك : وأى فرق بين ذلك وبين القتال ؟ ويلك ماذا يكون مصيرى اذا بلغ القيصر أن ابن عامله على دمياط قد انضم الى أعدائه الغزاة ؟

شـــــطا : اطمئن يا أبى فلن يعلم أحد انني ابنك . سأتخذ لى اسما آخر لا يمت الى الهاموك بصلة .

الهاموك : مثلك يا ابنى لا يمكن أن يخفى أمره هنـــاك ، وللروم عيون وجواسيس فى كل مكان .

شـــــطا : اذن فايقن يا أبى ان أحرى أن يبلغ قيصر الا وقد شغلته أنباء أخرى أفدح وأخطر .

الهاموك : ماذا تعنى ؟

شـــطا : أعنى انتصار هؤلاء العرب وهزيمة الروم .

الهاموك : وما يدريك ؟

شـــطا : عجبـــا أو تشك يا أبى بعـــد فى ذلك ؟ ألم تر ما حدث للروم فى الشام وكيف تبغ فى أهل مصر روح الأمل فى الخلاص ؟ انظر الى .. ماذا ترى يدفعنى الى مســاندة هؤلاء العـــرب . وأى شيء يربطنى بهم ؟

الهاموك : اسأل نفسك .

شـــطا : لاشيء غير الحقد على الروم والرغبة فى الخلاص من حكمهم . هذا وأنا ابن الهاموك عامل قيصر على دمياط ، وابن أخت المقوقس واليه على مصر ، فما ظنك بالذين لا يدينون لقيصر الا بالظلم والاضطهاد من سواد هذا الشعب ؟

« على احمد باكثير »

قصة قصيرة من الأدب الباكستاني

أغنية بيهوليا

تأليف : زينب غلام عباس
ترجمة : فوزي عبد القادر الميلادي

في القرن السادس عشر الميلادي كان ميناء سافيابور الذي يقع على ساحل الباكستان الشرقي مركزا هاما من مراكز التجارة في الشرق . وكان الميناء مملوكا لتاجر اسمه «ماليك» يعيش عيشة ناعمة مترفة .

وكان للتاجر ولدان ، ابن وبنت .. الولد اسمه «امبره» متفتح كريم الخلق خبير بأسرار مهنة أبيه .. الابنة «بيقالا» على عكس اخيها تماما مغرورة جاهلة كما كانت قبيحة المنظر .

وذات يوم خرج الابن في رحلة صيد وقد نصحه ابوه قبل أن يبحر بأن يكون قريبا من الشاطىء حتى يأمن غوائل البحر ، ولكن الفتى وقد تملكته الرغبة في المغامرة امر قائد السفينة بأن يترك الشاطىء ويتوغل في البحر .. وان هي الا ساعات حتى هبت عاصفة وعلا الموج وظلت السفينة مدة يومين وليلتين كريشة في مهب الرياح وفي صباح اليوم الثالث هدأت العاصفة وألقت السفينة مراسيها على شاطىء جميل تحيط به حديقة غناء تصدح فيها الطيور .

وعلى احدى الأشجار أبصر «امبره» طائر « اللالا » أحد الطيور النادرة فجاشت في صدره رغبة في الحصول عليه ولكن الطائر افلت منه فأطلق عليه سهامه وأصابه اصابة قاتلة .

وكان هذا الطائر أثيرا لدى فتاة من أسرة كبيرة اسمها «بيهوليا» لها سبعة أخوة وقد جزعت الفتاة لمقتل الطائر وعندما علم اخوتها أن تاجـرا من بلد أجنبي هـو الذي ارتكب هذه الجـريمة استشاطوا غضبا وأسرعوا اليه وأودعوه السجن ووضعوا فوق صدره حجرا ثقيلا .

وغير بعيد من السجن كانت تعيش الأرملة والدة الفتاة وأخوتها وكانت تسمع من وقت لآخر تأوهات الشاب الصغير فرثت لحاله وتوجهت اليه في السجن وسألته عن قصته .. من انت ومن اين أتيت ومن هو أهلك .. فروى لهـا قصته فاستدعت أبناءها السبعة على الفور وأمرتهم أن يطلقوا سراح الفتى :

ارفعوا الحجر من فوق صدر ابن أختي .. انه ابن أختي التي تزوجت من تاجر سافيابور ..

وأطلق سراح «امبره» وقدمت له الاعتـذارات الكافية وأحيـط بمظاهر الرعاية والكرم .

وأخبرت الأم أبناءها أنها كانت تعاهدت مع أختها منذ الصبا على أن من تلد منهما بنتا تزوجها لابن الأخرى .. ورحب الجميع بذلك وزفت «بيهوليا» الى «امبره» وقالت له امها وهي تودعها : ان ابنتي جوهرة فاحرص عليها فطمأنها بأنهما سيعيشان في سعادة وهناءة وأبحر الى بلده وعندما علم الأهالي بأن «امبره» عاد مصطحبا عروسه سارعوا الى الميناء لتحيتهما وقد بهرهم جمالها .

وكانت والدة «امبره» سعيدة باستقبال العروس وتذكرت عهدها السابق مع أختها .. كما سر والده وجميع الأهل بهـذا الزواج اما شقيقته «بيقالا» التي تجاوزت سن الزواج وكانت منبوذة من الجميع فقد شعرت بالغيرة تأكل قلبها .

وبعد شهور أسرت الى والدتها : ان السفن تكاد تصدأ في الميناء والبحارة يتقاضون أجورهم سدى و «امبره» ينعم بلذة الراحة والكسل .

وظلت تعيـد هذا الحـديث على مسامعها مرة ومرات حتى اضطرت الأم ان تصارح ابنها بأنه يضيع ايامه ولياليه في صحبة زوجته ولا يفعل شيئا .

وشعر «امبره» بالأسى والخجل وتوجه الى قبطان السفينة على الفور وطلب منه ان يسـتعد للرحيل في الصباح الباكر الى مدينة يوجان .

وعندما عاد الى زوجته في المساء لاحظت شحوب وجهه فغاص قلبها بين جنبيها وسألته عما حدث فأجابها : ان الرجل يجب ان يعمل ويكتسب وأشعرها بالخجل من نفسه .. يجب أن تستعدي ياحبيبتي للفراق وأرجو أن تبتسمي وأنت تقولين لي مع السلامة .

وصاحت : كيف لي أن أعيش بدونك .. خذني معك .

فأجابها : ان مكانك في المنزل وليس في السفينة .. تجملي بالصبر وسأعود اليك ثانية .

وفي ذلك المساء لم يغمض لهما جفن .. وفي الصباح الباكر أبحر «امبره» دون أن يعمل حسابا لفرط تعجله ـ لحالة الطقس .. كان هناك ضباب كثيف على الشاطىء ولم يكن يستطيع أكثر البحارة خبرة ومهارة ان يغامر بالابحار فيه .. وضلت السفينة طريقها وسط الضباب مدة أربعة أيام وعندما اقتربت بعدها من أحد الموانىء كان الليل قد أقبل وأخذت الظلمة تتكاثف واستبان الجميع لفرط دهشتهم أن السفينة قد عادت الى سافيابور ميناء الاقلاع وشعر القبطان بالخجل وأمر بعدم الرسو وبالاقلاع في الصباح قبل أن يستيقظ الناس ولكن «امبره» غادر السفينة بمفرده

وتسلل تحت جنح الظلام الى منزله وكادت زوجته تجن فرحا بعودته والقت بنفسها بين ذراعيه .. وامضى أمير الليل في منزله وفي الصباح عاد سرا الى السفينة .

وعندما استيقظت شقيقته بيغاليا في الصباح لاحظت أن باب حجرة بهاليا مفتوح فدارت في رأسها الوساوس والظنون وتوجهت مع أمها الى حجرة الزوجة وأيقظتاها وقالت بيغاليا انها قد دنست المنزل وسألتها في تحد أن تذكر مع من أمضت ليلتها .

واقسمت الزوجة ان زوجها ولا شخص غيره هو الذي أمضى الليل ولكنها لم تجد من يصدقها ، ذلك ان أحدا لم يلحظ دخول السفينة الى الميناء .

ودار البحث في كيفية عقابها .. هل ترمى في البحر أم يرمى بها الى الكلاب .. ولكن حماتها تدخلت وطلبت الابقاء على حياتها على أن تعمل خادمة في المنزل .

وحرمت الزوجة من حليها ومجوهراتها وظلت تعمل ليل نهار لمدة عام قاست خلاله من سوء التغذية ومن الاهانات دون أن يبدو لها بريق أمل في عودة زوجها .

وذات يوم ذهبت الى الشاطىء لتملأ الأواني بالماء .. ولما كان الجو حارا والمكان خاليا فقد تركت الأواني على الشاطىء ونزلت الى الماء وأخذت تسبح .

وفي تلك اللحظة كان هناك تاجر يمر بسفينته قرب الشاطىء ويستعد لدخول الميناء فأخذ بجمال هـذه الحسناء التي تسبح بجوار الشاطىء وعقد العزم على أن يستحوذ عليها فأمر رجاله أن يتوجهوا اليها ويحضروها .. وأنزل الرجال قاربا الى الماء ثم عاد بعد لحظات وبه الصيد الثمين .

وكان المكان مهجورا فذهبت صيحاتها للاستغاثة أدراج الرياح .

وخشي التاجر أن يفقد حسناءه فعدل عن النزول الى الشاطىء وأسرع بالابحار بعيدا .

وكانت بيهوليا حزينة لهذا المصير الذي ساقتها اليه المقادير .. وأبت أن تأكل وتشرب .. ووجد التاجر أن من الحكمة أن يبتعد عنها ويتركها وحيدة بعض الوقت .. ولكن ما أن حل الظلام وأصبحت السفينة بعيدة عن الشاطىء حتى اقترب منها وأخذ يتودد اليها قائلا (سآخذك الى بلدي كاتاس حيث أملك ضياعا شاسعة وقصرا عظيما .. اقبل أن تكوني زوجتي وسيكون ذلك كله ملكا لك ..)

وردت عليه (ولكنني متزوجة فعلا .. زوجي اسمه أمير)٠

وما أن سمع هذا الاسم حتى أجفل وقال في خبث (تأكدي يا سيدتي مما سأقوله لك .. ان زوجك قد قضى نحبه في ميناء غازيل بالذات من يومين اثنين وقد شهدت جنازته) .

لكن الزوجة الوفية رفضت أن تصدقه أو تستمع اليه ، فتحول عنها .. وبعد بضع ليال عاود الكرة واقترب منها .. كان الوقت متأخرا .. والجميع نائمون .. لكن الحسـنـاء الصغيرة كانت مستيقظة أسيرة للخواطر والأفكار المثيرة .

وقال لها التاجر في لطف ، اطردي من ذهنك حبيبك وكوني لي ، وحاول أن يقبلها ففزعت ولكن خاطرا قفز الى ذهنها فقالت في هدوء ، دعني أقضي فترة الحداد على زوجي في هدوء .. وأنا كامرأة مسلمة ملزمة بالعدة وعددها أربعة أشهر وعشرة أيام تماما ، تستطيع بعدها أن تتزوجني .. لكن اذا حاولت أن تقترب مني قبل ذلك فسأقتل نفسي) .

وفكر التاجر مليا وفي النهاية استسلم للأمر وانسحب في هدوء ..

والآن فلنعد الى دامير لنرى ماذا أصابه .. فعنـدما غادر سافايور للمرة الثانية وصل سالما الى مدينة بوجان وكان الحظ حليفه فكون ثروة ضخمة من التجارة وكان سعيدا جدا بما حققه من النجاح ومرت شهور عديدة قبل أن يفكر في العودة الى أرض الوطن .

وذات يوم رأى في المنام حلما غريبا عن زوجته أزعجه وجعله غير مرتاح البال فصمم على العودة الى بلده على الفور وأبحرت السفينة بأقصى سرعة فوصلت سافايور في وقت قصير .

وهرول أمير الى منزله .. وغاص قلبه بين جنبيه عندما قوبل بالصمت والدموع وأقبلت عليه أخته تواسيه وفي عينيها الدموع (يجب أن تشكر الله على أن بيهوليا المجرمة لم تعد تعيش بين ظهرانينا ويجب أن تنساها يا أخي وتزوج فتاة أخرى جميلة وعش سعيدا من جديد) .

وتساءل أمير في حزن بالغ (ولكن أين هي .. ماذا فعلتم بها ..)

وأجابته أخته (لقد ماتت من ثلاثة أيام فقط) .

فقال لهم (اذهبوا بي الى قبرها) وردت أخته : قبرها عند الشاطىء .

وذهب أمير ليرى القبر الجديد على الشاطىء .. وأخذ ينبش القبر وقد طير الحزن عقله .. ولدهشته وجد في القبر جثة كلب أسود .

وعلى الفور تكشفت أمامه الحقيقة سافرة .. لقد كانت زوجته ضحية .. ضحية القسوة والمؤامرات وترك كل شيء .. أمواله وعشيرته وبلده .. وذهب يبحث عن محبوبته .

وظل يتنقل فترة طويلة عبر الأقاليم يجتاز الأنهار والقنوات والجبال والغابات حتى وصل الى قرية نائية حيث يعيش موسيقى شهير يقول الناس ان لموسيقاه قوة خارقة تحيل النمر المفترس حيوانا أليفا وتجعل النهر المتدفق يغير مجراه .

ذهب اليه أمير وروى له قصته ورجاه أن يقبله تلميذا له .. وقال له الرجل العجوز الحكيم برفق (انك لم تكن تستطيع أن تفعل شيئا أفضل من الحضور الي) .

وصنع الموسيقي لتلميذه الجديد آلة موسيقية خاصة أفرغ فيها كل مهارته وكان لها نغم رائع وعندما يجري القوس على أوتارها يصدر منها صوت أشبه بصوت شخص ينادي بيهوليا . وترك أمير أستاذه وأخذ آلته الموسيقية معه وذهب يتنقل من حي

الى حي ومن بلد الى بلد يعزف نفس اللحن مرة ومرات والدموع تنساب من عينيه .

وبعد فترة من الزمن وصـــل الى مدينة كاتاني حيث حبس التاجر الزوجة في منزله وقد حملت الصدفة امير الى منزل التاجر عندما كان يقول لبيهوليا (لقد انقضت الآن فترة الحداد ومرت فترة العدة ويجب أن توفي بعهدك بالزواج مني) .

واطرقت المرأة برأسها الى الارض ولم تقل شيئا واخذ التاجر اطراقها على انه موافقة وكاد يطير من الفرحة .. وفي تلك اللحظة وصل الى أذنيها اللحن الذي يردد اسمها .. ففزعت وخرجت الى الشرفة فشاهدت متسولا فقيرا يعزف على آلة موسيقية ..

التقت عيناهما وفي لحظات تعرف كل منهما على الآخر .

وعادت بيهوليا الى التاجر ورجته ان يأذن باطعــام المتسول وايوائه لأن مظهره يبعث على الشفقة ويدعو الى الرثاء .

وفي جوف الليل غادرت حجرتها في هدوء وتوجهت الى حيث كان يستلقي زوجها مستيقظا في ركن من أركان المنزل وفي صوت هامس روى كل منهما للآخر ما مر به من أحداث .

قالت بيهوليا (ان الليل سينقشع عما قليل .. وسنفر من القصر على الفور) .

ولكن امير اجابها (انني أمين ولا استطيع ان أسرقك كما فعل هذا التاجر) .

وفي الصباح الباكر توجه امير الى الحاكم وقدم له عريضــة ضمنها شكواه ضد التاجر فأمر الحاكم باحضار التاجر مقبوضا عليه .

وقال التاجر (ان هذا الشخص شحاذ دنيء .. يدخل بيوت الناس بحجة العـــزف على آلته الموسيقية ثم يعمـــل على اغواء زوجاتهم ..) وعندما سمع الحاكم ذلك امر باحضار الزوجة وما ان رآها الحاكم حتى بهره جمالها ورغم أنه كان في التســعين من عمره الا أنه كاد يجن لوجود امرأة جميلة بجانبه ..

وسألها في رفق (خبريني يا سيدتي العزيزة .. أي الرجلين زوجك ؟)

ودون ماتردد قالت (سيدي .. ان هذا الشحاذ هو زوجي وسيد قلبي) .

فنظر الحاكم الى التاجر في غضب وامر بطرده من القصر على الفور ثم التفت الى امير قائلا (انك لست الشخص المناسب لمثل هذه السيدة .. اذا سلمتها لك الآن فسيسلبها منك شـــخص آخر . .)

غدا سأتي الى طالبا استعادتها ثانية .. اتركها في حمايتي.. وسأوفر لها ما هي جديرة به من رعاية وعناية) .

وقبل أن ينبس امير ببنت شفة كان قد اخرج بالقوة من سراي الحاكم .

ولم يجد امير ما يفعله سوى أن يتوجه الى بلده يلتمس من قومه الرأي والمعونة .

وفي مدينة سافيابور عرف أهل امير وعشيرته القصة كاملة فانتابهم شعور بالأسى والخجل وعقدوا العزم على اصلاح ماحدث من أخطاء في حق زوجته .

وعلى الفور عبيء الجيش وجهزت قافلة من أربع عشرة سفينة حملت ثلاث عشرة منها الفرق العسكرية والتموين والامدادات اللازمة لاستمرار الحرب ستة شهور تباعا وحملت السفينة الاخيرة نسخا من القرآن والكتب الدينية .

واثناء ذلك وصل الى علم الحاكم أن الشحاذ الذي طرده ليس الا ، امير الذي تمتلك أسرته ميناء سافيابور وأنه عائد اليــه بجيش كبير ليســـتعيد زوجته فتملكه الرعب وأسرع الى منزل التاجر وقال له (لقــد سببت لي متاعب كثيرة .. ورغبت على أني شيخ عجوز وهي تحبك بالفعل وأنا أود أن أبعث بها اليك ولكنها للأسف متوعكة الآن بعض الشيء ..)

وعندئذ وصل الى مسامعه هدير من ناحية الشاطيء وصارح التاجر بالحقيقة .. ان امير قادم للغزو فأخذ التاجر ، لكنه أيقن أن لا سبيل امامه الا أن يلحق بقوات الحاكم للدفاع عن مدينتهم واستمرت المعركة سبعة ايام قتل خلالها مئات من الناس وفي النهاية لحقت الهزيمة بقوات الحاكم وقوات التاجر معها .. وقبض على التاجر وأتي به الى امير فأمر باعدامه على الفور أما الحاكم فقد عفا أمير عنه رفقا بشيخوخته .

وعلم أمير من الحاكم أن بيهوليا محتجزة في قصره وعنــدما توجه اليها تملكه الرعب .

كانت تبدو في أشد حالات المرض والضعف .. لقد أبت المسكينة لفرط حزنها أن تأكل او تشرب حتى فقدت عقلها .
وحملها امير الى ظهر السفينة وامسك بيديها في تأثر بالغ ولكنها حملقت فيه دون أن تحمل نظراتها أي معنى .

وفي مينـــاء سافيابور كان هناك احتفـــال كبير بمناسبة الانتصارات التي حققها امير وعودة السفن جميعها سالمة الى أرض الوطن ، لكن الأهالي المحتشدين في الميناء لم يكونوا يعرفون أن احدى هذه السفن تحمل جثمان بيهوليا التي لفظت آخر انفاسها على مقربة من شاطيء سافيابور .

وكان حزن امير عظيما لدرجة انه فقد كل رغبة في الحياة.. كان اثناء النهار يرى بجوار قبر محبوبته وفي الليل يتردد صدى اللحن الذي ينادي بيهوليا .

وحتى في هـــذه الأيام عندما يصـــطدم موج البحر بشاطيء سافيابور في جوف الليل .. يسمع صوت كأنه ينادي في رفق بيهوليا .. بيهوليا .

فوزي عبد القادر الميلادي

العدد ٩٧

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير :
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١١٦ - الخميس ٣ صفر ١٣٨٥ هـ - ٣ يونيو ١٩٦٥ م - السنة الثانية والعشرون

كيف مهد الأدب للثورة وبشر بالوحدة

بقلم: أحمد حسن الزيات

(٤)

قلت ان الدول المستعمرة الغادرة ، بما أخلفت من وعدها للحسين ، وبما نقضت من عهدها للعرب ، قد وضعت أيديها بعد الحرب العالمية الأولى على ما بقى فى أيدينا من تراث محمد باسم الوصاية أو الحماية أو الانتداب ، فأصبحت مراكش والجزائر وتونس وسورية ولبنان فى يد فرنسا ، ومصر والسودان وفلسطين والعراق والبحرين والكويت وعمان وعدن فى يد انجلترا ، وليبيا بولاياتها الثلاث فى يد ايطاليا . وهذا الملك العربى العظيم كان قد آل الى الخلافة العثمانية بعد أن سقطت الخلافات العربية الثلاث فى العراق وفى مصر وفى الأندلس ، فما زالت هذه الدول تنقص من أطرافه ولاية بعد ولاية وقطرا بعد قطر حتى أتت عليه كله بمعاهدة لوزان سنة ١٩٣٢ ، فلم يعد لأبناء العروبة بعد هذا التمزيق والتفريق من وسيلة يتعارفون بها ، ولا من سبيل يتواصلون عليها غير الأدب .

كانت الكتب المصرية والمجلات المصرية تجتاز الحدود المزعومة على الرغم من رقابة المحتل وارادة المستعمر ، فتدخل المدارس فى كل قطر ، وتقتحم البيوت فى كل مدينة ، حاملة الى الاخوة الأشتات نبضات الروح العام وومضات المجد المشترك . والأدب صلة الأول بالآخر ، ورباط الماضى بالحاضر ، وتراث الأجداد للأحفاد . وهو أرواح آبائنا وعقول أدبائنا تتدفق فى دمائنا وأعصابنا فتملؤنا حياة وقوة وفخرا وأملا وعملا وحرية وعزة .

عرف كل عربي عن طريق الكلمة المكتوبة أن له من وراء الآفاق المحجوبة اخوة يقاسمونه المحنة ويبادلونه العطف ، فقويت نفسه وانتعشت آماله •

وكانت الثورة المصرية الثانية قد زلزلت أقدام المحتـــل الغاصب وهزت أركان الشرق الأوسط ، فحركت أبناؤها العراق فهب يقول ما قاله زعماء مصر،ويفعل ما فعله أبناء مصر ، ويطلب من الانجليز المحتلين أن يكشفوا عن بصره الغطاء ليرى ، وأن يرفعوا عن فمه الكمامة لينطق ، وأن يعقدوا مؤتمرا يمثل الشعب العراقي ليقرر نظام الحكم ويختار رئيس الدولة ، فأبى الانجليز عليه ذلك ، ونفوا من نفوا ، واعتقلوا من اعتقلوا • فثار العراقيون عليهم ثورة الأباة الأعزة بعد أن أفتاهم أئمتهم بالجهـاد المسلح ، وغذاهم أدباؤهم بالشعر المثير •

من ذلك قول السيد باقر الشبيبي :

بني العرب لا تـــــأمنوا للعـــدا مـكرا	خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحـذرا
يريدون فيكم بالوعـــود مكيـــــدة	ويبغون ان حانت بكم فرصـة غــدرا
فلا يخـــدعنكم لينهم وتذكـــروا	أضـــاليلهم في الهند والكذب في مصرا
ومن مات دون الحق والحق واضــح	اذا لم ينل فخــرا فقد ربح العـــذرا

وقول خيرى الهنداوى من قصيدة يخاطب فيها وطنه :

أنت أذنبت أم بنـــــوك أم	الظلام شـــاءوا أن يغصبوك الحقوقا
بيّـــوا أمرهم بليـــل وجاءو	ك جميعـــا يتلو فريق فريقـا
حاولوا لا أبا لهـــم أن يكون	الشرق كالعبـــد مستضاما رقيقا
فنهضنا كالأســـد في أوجه القو	م لنجتث بغيـــهم والفســـوقا

وانبث الشعراء والخطباء في الفرات وفراته يؤلبون القبائل ، ويحمسون الكتائب، حتى رأى الانجليز أن الثورة جد، وأن مقاومتها هزيمة فأذعنوا كعادتهم لسلطان القوة، واستجابوا على رغمهم لمطالب الأمة ، ووطئوا عرش العراق للملك فيصل فاعتلاه في أغسطس سنة ١٩٢١ • واستقر الأمر بعض الاستقرار ، ولكن الأدب لم يستقر ، وانما ظل متبرما بهذا الاحتلال ، ملحا في طلب الاستقلال، ساخطا على الذين يمكنون للمحتل بالسياسة المذبذبة والقيادة المستسلمة •

ويحضرنى من ذلك قول الرصافى من قصيدة :

من أين يرجى للعـــراق تقـدم وسـبيل ممتلكيه غير سـبيله
لاخير فى وطن يكون السيف عند جبـانه ، والمـال عند بخيله
والرأى عند طريده ، والعلم عند غريبـه ، والحكم عند دخيله

وقوله من قصيدة أخرى ، يخاطب فيها المرحوم أمين الريحانى :

واذا تسـأل عمـا هو فى بغـداد كائن
فهو حـكم مشرقى الضر ع غـربى الملابن
وطنى الاسـم لكن انجليزى الشـناشن
قد ملكنـا كل شىء نحن فى الظـاهر لكن
نحن فى الباطن لا نملك تحريكا لسـاكن

ثم كان هذا النجاح الجزئى الذى ظفرت به الثورة المصرية والثورة العراقية قد شجع سورية على أن تطلب من فرنسا ما تطلبه كل أمة تعرف أن لها وطنا لا يملك أحد غيرها أن يصرف أمره ويقرر مصيره • ولكن الفرنسيين الذين يتبجحون بأنهم أول من ثاروا ليعلنوا حقوق الانسان أبوا أن يعترفوا للسوريين بأنهم ناس كسائر الناس لهم وطن لا يشركون به ، واستقلال لا يساومون عليه ، وسلطان لا يتزلون عنه•فكان من ذلك أن شبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ولم ينطفىء لظاها الا بسقوط الانتداب وقيام الجمهورية فى سنة ١٩٣٢ •

وكان من الشعراء الذين حملوا الوقود لهذه الثورة : شوقى وحافظ فى مصر ، والرصافى والزهاوى فى العراق ، والغلاييني والحومانى فى لبنان ، وطوقان وفتى الجبل فى فلسطين ، والشاعر القروى أبو الفضل الوليد فى المهجر •

وهكذا نجح الأدب فى اضرام النار على دول الاستعمار حتى صار لكل قطر من أهله دولة ، ولكل دولة مع أخواتها هدف • والهدف فى هذه المرة كان السعى لجمع ما تبدد من الشمل ، وتوحيد ما تشتت من القوة ، حتى تكون الوحـدة التى تحقق الاستقلال وتضمن السيادة •

والوحدة والجماعة هما لباب العقيدة الاسلامية • فالوحدة هى الأساس الذى حمل ، والجماعة هى الصرح الذى قام • كانت الوحدة هى الأساس لأنها توحيد لله وتوحيد للأمة وتوحيد للكلمة وتوحيد للسلطة وتوحيد للقبلة • وكانت الجماعة هى الصرح لأنها جمعة القلوب التى ألف بينها الله ، وجملة الشعوب التى رفع شأنها محمد•

ثم قامت سياسة الاسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة • فالفرد الذى يكفر بوحدة العقيدة والأمة يقتل • والطائفة التى تبغى على جماعة المسلمين تقاتل • والصلاة انما يعظم أمرها ويضاعف أجرها اذا أديت فى جماعة، وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات فى كل يوم ، ثم تكبر فى صلاة الجمعة كل أسبوع ثم تعظم فى صلاة العيدين كل عام ، ثم تضخم فى أداء الحج مرة فى كل عمر • فالوحدة اذن عمل توجبه العقيدة • وتقتضيه الطبيعة • ولقد كان للصحافة الأدبية المصرية أعظم الفضل فى تهيئة النفوس لها بالتعريف والتأليف والنصح • كانت تدعو الى الجامعة العربية لأن التكتل هو الدواء الذى عالجت به الطبيعة ضعف النمل والنحل وكل حيوان كتب عليه أن يعيش فى جماعة • وكانت سياسة الاستعمار تدعو الى الاقليمية ، لأن التجزؤ يسهل عليه ابتلاع العالم العربى قطعة قطعة • وكان الوطن القومى فى الخمس عشرة سنة الاخيرة قد نضج وقوى واستجاب للأدب الداعى الى الوحدة •

ثم استرخت قيود الاستعمار وأغلاله من جراء الحرب العالمية الثانية ، فقصرت يد فرنسا ، ولانت يد انجلترا ، وامتدت يد أمريكا ، وهددت يد روسيا • وكان من أثر هذه الظروف المساعدة أن استقلت سورية ولبنان ، وأوشكت أن تستقل مصر والعراق ، ونهضت لتستقل مراكش وتونس، وازدادالتضامن والتعاون بين أمم العروبة فأسست حكوماتها جامعة الدول العربية •

وجامعة الدول العربيـــة كانت غاية لوسيلة أدق وأشق • وستكون باذن الله وسيلة لجامعة أتم وأعم •

أما الكلام عن تمهيد الأدب للثورة الناصرية فقد سبق القول فيه (١) •

نسأل الله أن يرفع للشرق رأسه المفكر ،وهو العرب ، وأن يحفظ للعرب قلبه النابض وهو مصر •

« احمد حسن الزيات »

---

(١) انظر العدد (٩٥) •

باب..

الفحص عن أمر دمنة

بقلم : محمود محمد شاكر

- ١٩ -

كان كليلة ودمنة ، من بنات آوى ، وكانا أخوين، وكان بينهما من الاختلاف ما بين الخير المحض ، والشر المحض . لم يزل أحدهما مخلصا ، صادقا ، صريح القول ، شريف النفس . والآخر خبيث ، محتال ، كذوب ، فاسد النفس ، خسيس الطباع . فكان من شأن دمنة أنه بقى دهره يمشى بين أصحاب الملك (الأسد) بالشر ، ويبغيهم الغوائل ، ويمكر مكرا بعد مكر ، وهو على مثل اليقين أن أمره لن ينكشف، لما كان قد أحكمه من التخفى والمراوغة ، وابدائه ظاهرا بريئا، يستتر به ما كان يأكل قلبه من السخائم والضغائن والحقود . فلما طال عليه الأمد ، وأنكر أخوه كليلة ما استشرى من خبائثه ، خلا به وقال له : « لقد ارتكبت مركبا صعبا ، ودخلت مدخلا ضيقا ، وجنيت على نفسك جناية موبقة ، وعاقبتها وخيمة . وسوف يكون مصرعك شديدا ، اذا انكشف للأسد أمرك واطلع عليه ، وعرف غدرك ومحالك (المحال ، بكسر الميم ، الكيد والمكر المفضى الى اهلاك الناس) ، وبقيت لا ناصر لك ،فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرك ، وحذرا من غوائلك » .

وهذان الأخوان مثل دائر في الناس ، ولم آت هذا المكان لأقص القصة ، وأستنبط العبرة ، ولكنى جئت لكى أتولى كشف الغطاء عن السرداب المظلم الذى وصفته مرارا ، والذى تسعى فى جنباته حيات وأصلال وأفاع ، لها لدغ فى الظلمات ، وخشيت أن لا يكون للدغاتها طبيب . و « السرداب المظلم » ، هو هيئة « التبشير العالمى » التى نشأت منذ عهد طويل ، وقصصت خبرها فيما سلف ، و « الحيات ، والأفاعى ، والأصلال » هى أعوانها المنبثون فى كل مكان ، على صور متعددة ، وفى ثياب مختلفات الأشكال والألوان .

وهذه السوام القاتلة ، هى « دمنة » هذا الزمان ، ولكن ليس له « كليلة » يردعه وينهاه ويعظه .

ولكن ... ما هذه الجهامة ؟ وهل تجده حسنا أن تقبل على الناس بهذه الأسارير المتقبضة ، وبهذا الجد الصلب ، وبهذه الشراسة الصارمة؟ هكذا قالت لى نفسى . فأجبتها : وماذا أملك ، اذا كان لعب الأطفال ، قد يفضى الى اضرام نار تأكل الرطب واليابس ، واذا كنت قد رأيت بعينى أول لسان منها قد هم بأن يندلع ؟ أليس لزاما على أن أقطعه قبل أن يتشبث بشىء فيشتعل ، فيحتدم ، فيستطير فيه اللهب يمينا وشمالا ، ثم لا يبقى شىء الا قضمت فيه قضمة فتسعرت ؟ فأجابتنى نفسى : حلا ، يا أبا فهر ! (أى تحلل من قولك ، ولا تشدد) ، فان الأمر لأهون على الله مما تصف ! فانك لا تخاطب نواما ولا غافلين ، وعسى أن يكون فى الناس من يجد ما تجد ، ويعرف أكثر مما تعرف ! قلت : نعم ، صدقت ، ومن ظن فى نفسه الظنون ، أورده الظن المهالك ، وقبيح بالمرء أن يرى نفسه العاقل ، والناس تبعا له وعالة عليه . قالت : واذن ! قلت : واذن .

واذن ، فلنتخفف ببعض الباطل ، ليكون ذلك معوانا لنا على طلب الحق ، وببعض الهزل ، ليكون أسرع بنا فى طريق الجد . كان عجيبا عندى أن تتخذ صحيفة الاهرام لنفسها « مبشرا ثقافيا » ، (وهو صبى مبشر على الحقيقة ، ولا أدرى كيف أخرجته الصحيفة من زمرة الصبيان ، الى زمرة المعلمين !!). ووجه العجب ، أن هذه الصحيفة التى أوجدتها « هيئة التبشير العالمى » ، (ولا تخطىء ، فالتبشير والاستعمار اخوان لأب وأم كما قلنا مرارا) ، كان منشئها هو « بشارة تقلا » ، الذى أقسم لعرابى بشرفه ودينه (!!) أنه واحد من الوطنيين المخلصين، وأنه يعمل لحرية بلادنا ، فلما قبض على عرابى ، دخل عليه وتوقح عليه أشد التوقح ، ثم بصق فى وجهه شامتا ، فقال عرابى الرجل المهذب ذو الدين والعقل ، فى مذكراته : « فرأيت أن الرجل خائن ، ولا شرف له » ولم يزد . ومع ذلك ، فقد استمرت صحيفة الأهرام منذ بشارة تقلا تعمل ، ولكنها لم

تجرؤ أن تتخذ « مبشرا ثقافيا » مستعلنا بجميع حماقاته ، ولكن ما كاد الشعب يضع يده على أخطر أدوات الاعلام » ، وهي الصحافة ،حتى رأينا صحيفة الأهرام قد اتخذت هذا الصبي المفلت من الأسوار « مبشرا ثقافيا » ، يعلن جميع حماقاته على الناس بلا حياء • كيف كان هذا ؟ قلت مرارا : انني لا ادري كيف كان ذلك • وعلم ذلك عند من استخدمه، وحماه ، وصبر عليه ، مع شناعة ما بدا من جهله وسخفه وسوء أدبه • ولكن هل خلقنا الا لنعجب ؟ ومن فقد القدرة على العجب هلك • وقد قالت الحكماء : « اعجب من العجب ، ترك التعجب من العجب » • وقيل لشيخ هم (بكسر الهاء ، وهو الشيخ الكبير البالي) : أي شيء تشتهي ؟ فقال : أسمع بالأعاجيب ! وصدق ، فما خير الحياة اذا بقي الانسان فيها ، لا يجد شيئا يحركه ، ويستخرج منه البكاء ، أو الضحك ، ورحم الله الشاعر الفارس علي بن الغدير الغنوي ، حين أبان عن هذا المعنى أحسن ابانة في قوله :

وهلك الفتى أن لا يراح الى الندى
وأن لا يرى شيئا عجيبا فيعجبا

وقد كشفت في مقالاتي عن عجب لا ينقضي ، يأتينا به هذا الطليق من القيود ، فيظهر ، والله أعلم، أن مؤسسة الأهرام ارادت أن يبقى لنا في حياتنا شيء نتشبث به لنبقى ، فحرصت على أن لا يفارقها هذا الصبي العاقل (هكذا جاءت صفته هنا ، وجرى بها القلم ، وهو سيد مطاع !) ، فكأنها نظرت الينا بعين الرحمة والاشفاق حبا في اطالة آجالنا على الارض ! فان كان ذلك كذلك ، فليس لها عندنا الا الشكر ، وأن نسأل الله لها مضاعفة الأجر •

واذا كانت مؤسسة الاهرام قد نظرت الينا بعين الرحمة والاشفاق ، فاقتداء بها ننظر نحن الى قرائنا أيضا بعين للرحمة والاشفاق ، ونأتيهم بالعجب الذي يحركهم ، حتى تطول آجالهم ، أليس هذا من العدل ومن حسن الخلق ، ومن عرفان الجميل ؟ وقد أسلفت البيان عن شيء يتهمني به بعض الناس ، ويصوغونه في قضية لا أحبها ، لانها باطلة ، ولاني لا أعمد الى هذا الضرب الذي يلقون على تهمته • فبعضهم يزعم أني قد تجنبت « الموضوعية » فيما أكتب ، وخرجت الى سب هذا الشيء المسمى « لويس عوض » ، ووقعت في شتيمته !وهذه قضية باطلة ،لاني شرحت كل أمر منذ كتبت عن رسالة الغفران ، وعن العامية ، وعن التبشير ، شرحا « موضوعيا » ، واحتجت الى أن أستخرج طبيعة هذا الشيء المسمى « لويس عوض » ، من نص كلامه ، من ظاهره وباطنه • فكان لا بد من وصفه بالفاظ ، فاذا كانت هذه الألفاظ نابية اذا وضعت في غير مكانها ، فهي اذا وضعت في مكانها عين الحق • لا يستطيع الطبيب ، والكاتب المحلل كالطبيب ، أن يشخص مرض انسان تتخالج أعضاؤه ، ويلتوي لسانه ، ويلوح الزبد أبيض عند منتهى شفتيه اذا هاجت مرته ، وتتساقط الكلمات من فمه بلا رباط مفهوم ، فيقول مثلا : « هذه أحداث عارضة للبدن » لانه اذا قال ذلك ، لم يفهم سامعه شيئا ذا بال ، بل لعله قد غرر به • ولكن اذا قال « هذا مجنون ينبغي أن يقيد حتى يشفى » ، فقد أفهم ، ودل أهله على الواجب عليهم في أمره ، ووقاهم شر الغموض في شأنه •

فأنا مثلا قد قلت ان هذا الانسان « **شرلتان** » ، وهذه احدى صفاته الكثيرة ، واوجدت الدليل على « شرلتته » في مواضع كثيرة جدا مما سلف • واستحسنت هذا اللفظ ، لا لأني أحب أن أدخله في العربية ، بل لأني وجدت حروفه ، وحركات حروفه، لها دلالة على طبيعة كتابة هذا الانسان ، ووافقت هذه الدلالة الظاهرة ، باطن معنى هذا اللفظ الأعجمي ، فاستحسنته لذلك ، واستخرجت له فعلا ومصدرا ، ليكون خاصا به وحده دون سواه ، الا أن يدخل معه شبيه به ، ممن دخلوا مدخله ، وعاهدوا « الثلوج الغزيرة المنثورة على حديقة مدسمر ، في خلوة مشهودة بين أشجار الدردار ، عند الشلال بكامبردج » كما جاء في بلوتولند ، وقصائد أخرى!! وسواء أكانت الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج حقيقة ، أم كانت رمزا لمكان شبيه به ! فاذا كانت الدلائل التي أسلفتها لم تكن مقنعة بعد ، فسآتي بدليل آخر على « الشرلتة » ، من آخر ما كتب ، فعسى أن لا يتهمني بعد ذلك أحد بأني أرضى لنفسي ان أسب هذا الانسان ، مع أني قد كرهت حمل القلم منذ أجريت مداده بخط اسمه على الورق ! ولا أقول هذا سخرية به ، بل تنزها من مقارفة الخبث والخبائث •

فلننظر الآن كيف كان هذا المخلوق « شرلتانا » ؟ وقد سألني كثير من الناس عن معنى « الشرلتان » عند الاعاجم، ولم يقنعوا بمرادفاته التي ذكرتها

مقابلة له في العربية ، كالدعي ، والدجـــال ، والمشعوذ ، الى آخر هذه الصفات التي يمسك بعضها بثياب بعض ، أو برقاب بعض اذا شئت . فأصل « الشرلتان » عند الأعاجم ، هو المشعوذ الذي يقف على لقم الطريق ، (واللقم ، بفتح اللام والقـــاف ، وســـط الطريق أو رأسه) ، يحســـن بضاعته لتنفق عنـد النـاس ، ويزين عوارها وفســادها بالفـاظ مفخمة محبرة ، تميل اليهـا أسـماع العامة ، وتأخذهم من غفلاتهـم ، فيكونون أسرع استجابة للفظه ، وتكون أيديهم أعجل الى جيوبهم، فهو سارق أموال باللفظ المحبر ! ثم استـعمل « الشرلتان » ، لأخيه وشبيهه ، وهـو الرجل الذي لا يزال يلوك الفاظا يتلقطها من هنا ومن ثم ، بـلا عقل ، وبلا تمييز ، ثم يتخذ الدعوى العريضة وسيلة للاقناع ، ثم يلبس من التظاهر لباســا كالطبل ، ظاهره ضخم وباطنه أجوف ، ثم يصـنع من هـذه الاخلاط الثلاثة جرعة مسكرة للعامة وأشباه العامة، ليقال انه عالم واسع العلم متبحر ، وحاذق لطيف الحذق مترفق ، وبارع تام البراعة متفوق ! فهـو سارقعقول باللفظ المحبر !ولكنهما جميعا لايسرقان الا السخيف العقل الذي لا ينظر ولا يتماسك .

فمن آخر « شرلتة » هذا الدعي المسكين،انه كتب في صـــحيفة الاهرام ، ومسكينة أيضـــا صحيفة الاهرام !! ، وذلك في يوم الجمعـــة ٢٧ من المحرم سنة ١٣٨٥ (٢٨ مايو ١٩٦٥) ، كلمة عن زميل غفر الله له ورحمه ، الدكتور محمد مندور ، وحشا ما كتب بمثل الذي وصفت في بيان معنى «الشرلتان» الا أن الشرلتان ينبغي أن يكون في الحقيقة خفيف الدم ، ليكون كلامه الى النفوس أسرع ، وهـــذا « الشرلتان » ، ليس بخفيف الدم ، بل دمه ثقيل جدا ، وانما اكتسب دمه هذا الثقل ، من ثقل دم « التبشير » ، الذي افرغ فيه ما افرغ من الخصال الموبقة ، عند « الثلوج الغزيرة المنشورة على حديقة مدسمر » في الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار ، عند الشلال بكامبردج » . و « التبشير » ، قد صح البيان آنفا عن انه أثقل شيء دما ، وأسخفه عقلا ، وأغباه غباوة . فمن هنا ابتلى المسكين بهذا البلاء .

فمن الالفاظ التي يتلقطها ، ويتقممها ، ولا يعرف معانيها ، مع طول تبجحه بأنه غارق في حضـــارة الغرب ، وبانقطاع وسائله من وسائل العرب ولغة العرب ، وانه لولا الميلاد لكان « ولدا شرعيا »لليونان، والرومان ، والقرون الوسطى ، والحضارة الحديثة !! من هذه الالفاظ لفظ « دكتوراه الدولة » ، فجاء هذا المسكين ، بعد الدعوى والكذب وادعاء ما لم يكن بينه وبين مندور ، فقال : « وحين عـــرفت مندورا في باريس ، كان عضوا فيما كنا نســـميه يومئذ من باب الدعابة (ما أخف دمه !) : البعثة المنسية ، وهي بعثة كان أوفدها استاذنا طه حسين عام ١٩٣٠ من خريجي كلية الآداب ، ولم تعد الى مصر الا بعد تسع سنوات عام ١٩٣٩ ، بسبب ظروف الحرب ، قبل أن تتم المهمة التي أوفدت من أجلها . وكانت مدة البعثات يومئذ أربع سنوات قابلة للمـد عـند الضرورة (ما الطف « عن الضرورة » وأرقهـــا من كلمة !) . ولم يشأ مندور أن يخطف العلم خطفـا (كبعضهم ! وكل لبيب بالاشارة يفهم !) ، ويعود بعد أربع سنوات حاملا دكتوراه الجامعة ، أو حتى دكتوراه الدولة ، في الأدب العربي ، كما كان مقررا له أن يفعل » ، الى آخر التلافيق (جمع « تلفيق » ، وهو جمع ابتدعته لهذه المناسب الظريفة !) .

فهذا الشرلتان « المسكين » ، يظن أن « دكتوراه الجامعة» في فرنسا ،أعلى وأعنف وأقسى من «دكتوراه الدولة» ! ماأشد جراة هذا « الشرلتان » الكذوب المحتال بالألفاظ على عقول العامة وأشباههم ممن احتفظ بطفـــولة عقله ، وان كان بدنه وعمره قد أوغلا به في حدود الرجولة المكتملة ، أو التي كانت خليقة أن تكون مكتملة ! ان هذا «الشرلتان» المتبجج بذكر المناهج ، وبذكر الحضارة الأوربية ، والمدعى ما ليس عنده منه شيء ، من معرفة « أسرار الحضارة الأوربية » والتغلغل فيها ، يتوهم أن « دكتوراه الدولة » في فرنسا أهون شيء ، وأنه ممكن لكـل سخيف العقل أن ينالها نيلا يسيرا ، كما نال هو من مستقر التبشير في « برنستون » تلك الورقة المخزية الفاضحة التي مكنته أن يسمى في مصر «دكتورا»!ما أعجب هذا « الشرلتان » السخيف ! ان « دكتوراه الدولة » في فرنسا ، قل أن يقتدر على نيلها الا كل من استحكمت أدواته ، وبلغ مبلغا يؤهله أن يكون في صفوة الصفوة من الممتازين . وهذه «الدكتوراه» هي التي تؤهل حاملها أن يدرج في مدرجة أساتذة الجامعات . أما « دكتوراه الجامعة » ، فلا تؤهل لشيء من هذا . واذا ظن هذا المسكين ، وهـو خليق أن يظن ذلك ، ويجعله حجة لمن يحيط به ممن لا يزال يحسن به الظن غفلة وجهلا ، = اذا ظن هذا المسكين

انه ممكن ان ينال امرؤ « دكتوراه الدولة » ، في الادب العربي من فرنسا ، بأيسر مما ينال « دكتوراه الجامعة » في اي شيء آخر ، فقد ظن مـــا لا تحمد عقباه ، لانه يخرجه من عداد ذوى العقول السليمة ، وان كان قد خرج من حدودهم مئات المرات ، كما اسلفت بيانه في مقالاتي بالبراهين القاطعة .

افرأيت اذن اني صـــادق كل الصـــدق ، حين استخرج من كلام هذا المخلوق صـــفة تناسبه ، فاقذفها في وجهه بلا مبـــالاة ! وليس بي ارادة اهانته ، فانه أشبه شيء بما قال الطرماح في هجاء بني اسد :

لو كان يخفى على الرحمـن خافيـة
من خلقه ، خفيت عنـه بنو اسـد

وبالذي يقول فيه القائل الظريف :

قلت لما رأيتـــه في قصـــور
مشرفات ونعمـــة لانعـــاب :
رب ، مـــا ابين التبـاين فيه !
منزل عامر ، وعقل خـــراب

واما الذي اريد ، فهـو الفحص عن حقيقة هـــذا « الشرلتان » الذي بقي خامل الذكر، لا قيمة له عند احد من الناس،حتى جاءت صحيفة الأهرام فانتشلته من حماة الخمول والنكارة ، والزمت النـــاس قراءة اسمه ، وممارسة هذيانه ، اسبوعا بعد اسبوع ، مع ما فيه من القوادح المنكرة ، سوى هذه «الشرلتة» المفضوحة .

و « شرلتة » اخرى ، في نفس المقالة ! فان هذا « الشرلتان » المسكين ، ظن نفسه كاتبا ، فقدم لي صدر مقاله كلمة محفوفة بالرموز ،فذكر « طروادة»، و « اخيل » و « اجاكس » ، و « ميداس » ، وادعى على مندور دعوى ،هو على طول كذبه ودعواه ،الشاهد الفرد عليهـــا !! فهذا المســـكين الذي يدعي العلم باليونان والرومـــان والقرون الوســـطى والقرون المتدلية في العصر الحديث !! ، هذا المسكين شبه مندورا بأخيل ، محاصر طروادة ، وشبه نفســـه بأجاكس ، وزعم ، وما اكذبه ، انهما « خرجـــا معا في صباح الحياة الى قصر الربة اثينا » ، (وأنا استغفر الله من ذكر هذه اللفظة الأخيرة ، وخطها بالقلم ! فان الله قـد عافانا من عبـــادة الأوثان ، وخلعنا من اعناقنا ربقة العبودية لغير الله الأحد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد) .

وعلى سخف ما كتب هذا « الشرلتان » من الرموز، ومع قلة احتمالي لهذا السخف اليوناني المستحدث الذي يلجأ اليه بعض المغرورين في بلادنا ، ومع اني أكره لقلمي ان ينحط من شرف عربيته الى خسائس اليونان وخطرفات اتباعهم وابنائهم الشرعيين وغير الشرعيين = فاني قد استحسنت أن شبه نفسه بأجاكس ، لأنه طابق بهذا الرمز كثيرا مما ذكرته من صفاته فيما سلف من مقالاتي .ولكنه جاء بها رمزا، وجئت بها صريحة وعلانية ، لاسباب ستعرفها .

ولولا أن هذا « الشرلتان » بين « الشرلتة » ، و ولا أنه مشعوذ باسم اليونان وأدب اليـونان ممقـوت الشعوذة ، ولولا أنه قارئ في آداب الفرنجة بنفس سخف العقل الذي يقرأ به آداب العرب ، من أبي العلاء ، الى بدر شاكر السياب ، لولا ذلك ، لترددقبل أن يرمز الى شخصه المهتز أشد الاهتزاز بأجاكس ، كان اجاكس ، كما صوره هوميروس في شعره ، مخلوقا شديد البطش خارق القوة ، متهور الجراة ، كأنه ثور هائج متخذ للنزال في حلبة من حلبات مصارعة الثيران . ومن كان له بعض البصر بشعر هو ميروس ، علم علما يقينا أنه شجاع جريء شديد البطش ، ولكن بلا عقل وبلا حكمة . فاذا شئنا أن نفسر ما القى على لسان هذا الشرلتان في تشبيهه نفسه بأجاكس ، علمنا علما يقينا أيضا انه قد اصاب التشبيه ، أو علمت انا علما يقينا أيضا انى قد اصبت حين قلت في صدر المقالة الثالثة ، أن هذا الشرلتان ، يخرج على الناس كأنه بطل باذخ عليه أبهة الظافر الميمون الطائر ، ليراه الناس في كلامه راكبا حصانا اشهب ، وعليه لأمة المحـــارب (أي سلاحه) ، على رأسه الخوذة ، وعلى بدنه من فرق رأسه الى نصف ساقيه ، سابغة زغف (أي درع ضافية لينة) تتلألأ، وفي يمناه قنطارية وهي الرمح الثقيل باليونانية،وفي قدميه زربول (وهو الحذاء باليـــونانية أيضا) وبيسراه الدرقس الاعظم (وهو الدرابو !! أي العلم)، ثم يتبختر جيئة وذهابا بالعجب والصلف ، ولا يقنع حتى يرى نفسه قد تولى امارة اليونان ، والروم ، وما تولد عنهما منذ القرون الوسطى الى اليوم » أليس هـــذا هو أجـاكس نفسه ، في صورة بطل صليبي ! .

نسي هذا « **الشرلتان** » في سماديره التي تنتابه وهو في أسر النشوة المذهلة ، ان أجاكس اليوناني ، ليس الا ثورا باطشا بلا عقل ، ولكن شجاعة أجاكس

انقلبت عنده تهورا مجردا ، وشدة بطشه ، صارت فيه حقدا يتمدد في جوفه بأوزار ثلاثة عشر قرنا ، وقوة أجاكس ، ليس له منهـا الا هذه « الشرلتة » التي يستبي بها عقول الاطفال المركبة في أبدان كبار السن ، حيث يدمن حفظ المفردات والاسماء وبعض الصور ، فيستدخلها في أثناء كلامه للتهويش المجرد وليلتيها على أسماعهم ليبهرهم ! وقد عوقب أجاكس بعد قرون طويلة جدا عقابا شديدا جدا ، على ما كان من فجوره في التوحش وسفك الدماء ، فمسخت صورته في سمادير هذا « الشرلتـان » ، أجاكس القرن العشرين !! واذا كان أجاكس قد حاصر طروادة القديمة ، فان « مسخ أجاكس » (بكسر الميم وسكون السين) ، قد توهم أنه لا يزال يعيش في عصر « ما قبل العقل » وتوهم أنه جاء في جيوش من أمثاله ليحاصر « طروادة » أخرى في هـذا القرن . ومن السخف أن تكشف عن حقيقة « طروادة » التي يعنيها ، وتقول انه يعني « ديار الاسلام » و « تاريخ الاسلام » ، و « أدب أهل الاسلام » واذا كانت « طروادة » الحديثة تفزع من مثل هذه المسوخ فيما يتوهم « أجاكس عوض » ، وتخشى أن يصيبها تحقيق ما قال ، حيث قال : « لابد أن تدمر ، ولا بد أن تحرق كما احترقت طروادة في القديم » ، فانها لا تكون عندئذ الا كما رمز اليها ، فلاتكون عندئذ سوى قرية خسيسة في بلاد اليونان ، لا أمة صحيحة الكيان ، بريئة من الدنس ، واذا كان من دربه في « الخلوة المشهودة تحت أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » قد أوحى اليه أن الذي كان بعد هزيمة « عرابي » ، وتآمر العالم المسيحي الاوربي عليه يومئذ ، كائن مرة أخرى في عهدنا هذا ، وأن هـذا « الاجاكس » المسخ ، سوف يقف في مؤتمر مبشرين تحت سقف بيت أحد من رجالنا ، كما وقف القسيس زويمر تحت سقف بيت « عـرابي » ليقول هو يومئـذ ما قال القسيس المبشر المختل العقل : « ربما كانت العزة الالهية قد دعتنا الى اختيار مصر مركز عمل لنا ، لنسرع بانشاء هذا المعهد المسيحي ، لتنصير الممالك الاسلامية » ، اذا كان قد أوحى اليه مثل هذا فصدقه ، ويقيني أنه مصدق بما أوحى اليه ، فانه يكون قد فقد كل ذرة من العقل ، يكون بها معدودا في أبنـاء آدم عليه السلام .

أيريد هذا المسـكين أن أردد على الناس بعض ما يقوله للشـباب ، وقد اتخذ صـورة الواعظ البروتستانتي في وقفته ، مباعدا بين رجليه ، عاقدا يديه وراء ظهره ، وهو يظن أنه يخاطب « الاجيـال الصاعدة » : ان اليمين قد تحرك ، ولابد لليسار من وقفة يدفع بها حركة اليمين ، ولو أدى الامر الى حمل « السلاح » في الطرقات !! و « السلاح » بالطبع ، هو « الشوم » ، و « العصى » ، و « أغصان الأشجار » ، و « سيف أبي حية النميري » ، الذي كان من خشب ، و « المعلم يعقوب » ، أجاكس الغزوة الفرنسية في عهد نابليون !! ما أسخف هذا الانسان الذي رفع عنه القلم ، أي الذي لا يحاسب على ما يقول ! .

أيحب هـذا الخلق الشرلتاني الذي يختفي وراء الرموز ، ان أفسر للناس من الملك « ميداس » ، الذي أرسل من خزائنه مايتراءى له من سمادير المخمورين ، فيرى « جيوشا من الهوام ، وخسيس الحشرات ، منها الخنافس ، والعقـارب ، والحيات الصغيرة بحجم الكف ، والجعارين الذهبية » ؟ ومن الملك « ميداس » الذي زعم أن مندورا ناداه وهو في فراش الموت وقال له : « يا أخـي ، البس دروعـك ، وتأهب لنخرج معا في غزوة جديدة عظيمة ، ولنطلب في هذه المرة الملك ميداس نفسه ، ذا الجعارين الذهبية الكثيرة » ؟ وهو بلا شك لا يعنيني ، كما فسر ذلك بعض من لا يعرف الأساطير اليونانية ، لأني عنده من الأسراب التي أرسلتها طروادة الجديدة : « بعد أن نضب منها الرجال » !! أما « ميداس » ، وسأبقي الرمز رمزا كما كتبه ، **فهو الذي يغضي الطرف عن أمثاله ، ويدعهم مرزوقين من قوت الأمة ، ويصبر عليهم صبرا جميلا طويلا ، وان كنت أنا أرى أنه قد أسف في هذا الصبر ، لأن ضررهم يتعداهم الى جماهير الناس . وكان خيرا مذكورا أن يحشد جوعهم ويودعهم في مثل ملاجئ الزمنى وذوى العاهات !! ولتبق أرزاقهم كما هي موفورة مكفولة ، فان الرزق حق للعباد ، أما اتلاف العقول والنفوس ، فمن تبعة المسئول عن الرعية أن يجنبها شرور ذلك وغوائله .**

ومع ذلك ، فان « أجاكس عوض » ، قد فسر ما يعني بطروادة : « مدينة الموت ، ذات الأبراج السوداء ، والأسوار العالية » فقال : « هذه المدينة السوداء ذات الأبراج الكئيبة ، والأسوار العالية ، هي الرجعية بأصحابي » (ما أثقله كاتبا وناطقا !) ثم أعاد بيان ما هي « الرجعية » فقال : « هي رجعية الفـكر ، ورجعية السياسة ، ورجعية المـال ، ورجعية النـظم الاجتمـاعية » !! هكذا قال ! أو يظن هذا الخفيف الظل أن لو كان الأمر كذلك ،

وانه كان صادقا فى تفسيره المبهم للرجعية ، كان عندئذ محتاجا لكل هذه الرموز السخيفة التى جلب بها لنا الفيشان فى صدر كلامه ؟ ان « الرمز » لايؤتى به لنثل هذه الكلمات القلائل ، السخيفة المعانى ، وانما يؤتى به ليحيط بصــور متعددة متداخلة ، يكون « الرمز » كالمفجر لها ، ليدع النفوس تستوعب أكبر قدر ممكن من الانفعال ، يحدث لها أكبر قدر ممكن من المعانى • واذا كان هذا « المثقف » بثقافة «الخلوة المشــهودة تحت أشــجار الدردار عنــد الشــلال بكامبردج » ، لا يعلم هذا ، فليت شعرى ماذا يعلم عن « الرمز » ؟ •

لا حل لهذه المشكلة « الأجاكسية » الجديدة ، الا بالرجوع الى معنى « الشرلتــان » ، كمــا بينته ، مخلوطا هــذا المعنى بعصــارة « التبشــير » ، و «الاستعمار» ، كما أسلفت البيان عنهما • وحسبك أن تعلم أن هذا الدعى المتكذب على الموتى ، المحتال ، لم يكن فكر قط حين لقى مندور ، كما زعم ، بفرنسا (سنة ١٩٣٨ ، ١٩٣٩) ، الا فى التعبد باليونان وغير اليونان ، كما ذكر ذلك فى مقاله ، ولم يخطر بباله قط أن بلادنا يومئذ كانت تمر بأقسى المحن التى تمر ببلاد ! ولكن من يستطيع ان يزعم أن هذا الانســان قادر على أن يشــعر بشىء ، اذا كان هو باعترافه فى بلوتولند وقصائد أخرى ، ظل ما بين العشرين ، الى الثانية والثلاثين « لم يقرأ حرفا واحدا بالعربية ، الا عناوين الأخبار فى الصحف السيارة ، وبعض المقالات الشاردة ، ألزمته الضرورة السياسية بقراءتها » ، ومعنى ذلك أنه لم يكن يعرف شيئا عن بلاده وما يجرى فيها من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٤٧ ، حين وضع الحبل فى عنقه شيخه البائس المسكين سلامة موسى ، وجره الى المجلة اليهودية التى كانت تصدر فى مصر باسم « **الكاتب المصرى** » ، كما بينت ذلك فى المقالة السادســـة • (فائدة : ولد هــذا المسمى لويس عوض ، أجاكس ، فى قرية شارونة ، بمديرية المنيا ، فى ٥ يناير سنة ١٩١٥ • وقضى سنوات طفولته فى الخرطوم ، حيث كان أبوه موظفا بحكومة السودان • فاحرص على هذه النكتة اللطيفة، فانها مفيدة اذا أنت أحسنت استعمالها !!) •

فاذا كان ذلك ، كما حدث هو نفسه ، صحيحا ، وهو صحيح بلا ريب ، فحدثنى ما الذى كان منه بعد عودته من تحت أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج فى سنة ١٩٤٠ ، الى سنة ١٩٤٧ ، وأى شىء كان يرجى من مثقف (!! هكذا والله) ، ظل لا يقرأ حرفا واحدا بلغة بلاده سبع سنوات هى أيضا من أقسى الســـنوات فى تاريخنا • واذا كان فتى فى العشرين من عمره (سنة ١٩٣٥) قد انقطع عن متابعة الأحداث الكبرى فى بلاده الى سنة ١٩٤٧ ، فبأى شىء يستحل هذا الفتى فى سنة ١٩٦٥ ، أن يجىء يتكذب ، **(بعدما وقف يتنبأ على تلال اورشليم ، وهو يكتب عن أبى العلاء ، ودراسته على الرهبان !)** فيزعم أنه خرج هو ومندور « فى صباح الحياة الى قصر الربة أثينا ، صانعة الدروع ، لتصــنع لنا دروع الفكر ، وتملأ جعابنا بسهام الحرية • وفى صباح الحياة عدنا معا ، لنحاصر طروادة ، مدينة الموت ، ذات الابراج السوداء والابراج العالية » ، ويزعم أنه خاض ألف معركة ومعركة ، وأنه نازل الابطال ، وصارع الاهوال ، فلم يلن له عزم ، ولم تنكسر له ارادة ، وحتى فى الايام الخاسرة ، خــرج بشريف الندوب !! أو كما كذب (أعنى : أو كما قال !!) •

أية معارك خاضها «**أجاكس عوض**» هو ومندور ، منذ سنة ١٩٤٠ حين عاد ، الى سنة ١٩٤٧ ؟ وأى شىء قرأ لمندور منذ سنة ١٩٤٠ ، الى سنة ١٩٤٧ ، اذا كان قد شــهد على نفســه أنه لم يقرأ فى تلك السنوات « حرفا واحدا بالعربية » ؟ أم ترى كان مندور يكتب باليونانية ونحن لا ندرى ! فاذا صح أن مندورا كان يكتب فى تلك السنوات باليونانية أو الرومية أو اللاتينية ، فقد صدق !! وعسى ولعل ! ولكن هذا شىء لم نحط به علما ، فهو عندنا كاذب حتى يأتى بالدليل الذى يصدقه ! والكذب ، كمــا يقول العامة ، ليس له أرجل ! فهذا الكذب الكسيح الذى يزحف فى أعمدة صــحيفة الاهرام ، ويؤجر «**أجاكس عوض**» على كتابته ، ويتــولى حياطته من وكل اليه أمر الاشراف على هذه الصحيفة ، شىء غث جدا ، وبارد جدا ، لو تلاه تال على مريض قد أعد لاجراء جراحة ، لأغناه عن « البنج » ولقــام هذا «التثليج» مقام «البنج» خير قيام ! واذن ، فتكاذيب هذا « الشرلتان » المتقمص فى تجاليد « أجاكس» نافعة نفعا ما ، وعسى أن يتدارسها بعض الاطباء ، فان صح العمل بها ، كان فتحا مبينا فى عالم الطب ، ولكان مصداقا لزعم من زعم أن بعض الالفاظ لها خواص ،

كخواص المادة . ولكنى احتفظ لنفسى بفضل السبق الى افتراض هذا الفرض . فاذا صح أن كلامه مخدر شديد المفعول . جيد التأثير . نافع للجراحات . فأرجو أن يجعل لى «**ميداس**» نصيبا من الذهب الذى يدره هذا الاكتشاف الجديد فى عالم الطب !! وانا مستعد كل الاستعداد . لان أقدم بعض بدنى لطبيب جراح . لينفذ فيه مبضعه . وانا اسمع هذا البرد المتساقط على نفسى من كلمات « **اجاكس عوض** » . وأرجو أن لا أقول : «حس» ، ولا «بس» ، حتى تتم الجراحة بالنجاح المرموق ان شاء الله !!

ما الذى يحمل المرء على الكذب والتنفج والادعاء ؟ أهو فطرة يفطر عليها الكذاب ؟ أم هى نقيصة يجدها المرء فيريد أن يسترها بالالفاظ التى تحتال على القارىء أو السامع ؟ أم هى حكة فى اللسان كالجرب، لا يشفى فيها الا «هرش» اللسان بكلمات يدهورها عليه ؟ أم هى لاهذا ، ولا ذاك ، ولا تلك ، بل هى سورة كسورة الخمر ، تأخذ شاربها حتى ينتشى ، فاذا انتشى عاود ، فاذا عاود ضرى عليها ، فاذا ضرى عليها صار مدمنا لا يفيق من نشوة الكذب، والتنفج، والادعاء ، حتى تتبين العربدة فى الكلمات فى حالتى الصحو والسكر، بلا فرق بين الخمار والافاقة ؟ وأى ذلك كان، فالكذب خليقة مرذولة، وخصلة مستهجنة، وخبيثة من الخبائث تحتاج الى « اجاكس » غير ممسوخ حتى يدمرها ويحرقها كما احترقت طروادة فى القديم !!

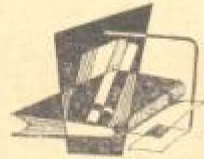
وأرانى أخذتنى العدوى ، فلجأت الى الرموز ، مع أنى أرى اللجوء الى « الرمز » ، ضربا من الجبن اللغوى !! فاللغة اذا اتسمت بسمة الجبن ، كثر فيها «الرمز» ، وقل فيها الاقدام على التعبير الصحيح الواضح المفصح . ولا تقل ان « الكناية » شبيهة بالرمز ، فهذا باطل من قبل الدراسة الصحيحة لطبيعة «الرمز» وطبيعة « الكناية » و « المجاز » . وانا استنكف من « الرمز » فى العربية ، لان للعربية شجاعة صادقة فى تعبيرها ، وفى اشتقاقها ، وفى تكوين أحرفها ، ليست للغة أخرى . واذا كانت اللغة هى خزانة الفكر الانسانى ، فان خزائن العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الانسانى ، وعن النفوس الانسانية ، ما يعجز سائر اللغات ، لأنها صفيت منذ الجاهلية الأولى المعرقة فى القدم ، من نفوس مختارة بريئة من الخسائس المزرية ، ومن العلل الغالبة ، حتى اذا جاء اسماعيل نبى الله ، بن ابراهيم خليل الرحمن ، أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرما ، وأسلمها الى أبنائه من العرب ، وهم على الحنيفية البيضاء السمحة دين أبيهم ابراهيم، فظلت تنحدر على ألسنتهم مختارة مصفاة مبراة ، حتى اظل زمان نبى لاينطق عن الهوى، فانزل الله بها كتابه بلسان عربى مبين ، بلا رمز مبنى على الخرافات والأوهام ، ولا ادعاء لما لم يكن ، ولا نسبة كذب الى الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . فمن اجل ذلك كرهت الرموز، ورأيتها قدحا فى العربية ، وتشويها يلحقها ، كما أبنت عن ذلك بعض البيان فى المقالة التاسعة ، بحمد الله وشكره !

ليس « الرمز » فى الحقيقة الا ضربا من الجبن كما قلت ، ومن شاء أن يرى ذلك واضحا مكشوفا ، رآه فى « رموز » « **اجاكس عوض** » التى افتتح بها مقاله ، فانه لو كان كما زعم « أجاكسا » حقيقا باسمه ، لصرح ولم يدر فى « رموزه الفئة » مع جهله بحقيقة هذه « الرموز » ، كالذى أوضحته من سقم تصوره لصورة « أجاكس » ، كما جاءت فى أساطير يونانه القدماء !

فالحمد لله الذى برأنا من « الرموز » كما برأنا من الشرك به ، وباعد بيننا وبين «أساطير اليونان» كما باعد بيننا وبين اتخاذ الانداد، ونزهنا عن الكذب كما نزهنا عن الخضوع لغيره سبحانه ، وجنبنا الجبن، كما جنبنا التعبد لطاغوت من طواغيت الانس والجن ، فالحمد لله حمدا لا يبلغ الكلم مداه ، ولا يدرك اللفظ غاياته .

واما بعد .. فقد كنت أوشك ، حين حملت القلم، أن أقرن « **اجاكس عوض** » مع أشباه له من ذوى الضغائن الشديدة ، ممن اتخذ الليل ستارا لينفث سمومه فى الناس عن طريق الصحافة ، لا فى صحيفة الاهرام وحدها ، بل فى كثير من الصحف ، ثم أدل على أن هذا كله : تابع لحركة « التبشير » التى اشتد نشاطها واستفحل فى هذه الأيام، وأن هذا «النشاط»، مقرون بأمور سياسية شديدة الخطر ، **تتهدد العالم العربى الاسلامى** ، ولكنها تأتى متسترة تحت ضروب من الزيف ، تسمى أحيانا مقاومة «الرجعية» وتسمى تارة « اصلاحا » ، وتسمى تارة أخرى « تقدما » ، ويأخذ الكذب مدرجه الى غاياته . وسأكون ان شاء الله صريحا ، لا أرمز ، وأطرح « الرموز » لمن يتقممها من « آكل الرموز » ، مثل البطل الصنديد « **اجاكس عوض** » فهم أهلها وهم أولى بها منا ، بلا من عليهم فى الذى نطرحه لهم من « رموز » نعافها ؟

« **محمود محمد شاكر** »



تأثر اللغة بشئون الحياة ومظاهر الاجتماع

للدكتور: على عبد الواحد وافى

تتأثر اللغة أيما تأثر بحضارة الأمة ، ونظمها السياسية وشئونها الاجتماعية العامة ، وأوضاعها الاقتصادية ، وعقائدها وتقاليدها وعرفها الخلقى ، واتجاهاتها العقلية ، ودرجة ثقافتها ، وما يكتنفها من بيئة جغرافية ، ويربط بينها وبين غيرها من علاقات .

فكلما اتسعت حضارة الأمة وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها وتوثقت صلاتها بغيرها من الأمم ، نهضت لغتها ، وسمت أساليبها وتعددت فيها فنون القول ، ودقت معانى مفرداتها القديمة ، ودخلت فيها مفردات أخرى جديدة عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عما استحدث فيها من مسميات وأفكار . واللغة العربية أصدق شاهد على مانقول . فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية الى حضارة الاسلام ، ومن النطاق العربى الضيق الذى امتازت به مدنيتهم فى عصر بنى أمية الى الأفق العالمى الواسع الذى تحولوا اليه فى عصر بنى العباس ، كان لهذين الانتقالين أجل أثر فى نهضة لغتهم ، ورقى أساليبها ، واتساعها لجميع فروع الأدب وشتى مسائل العلوم وقدرتها على التعبير عن مختلف فنون القول . ومن بين هذه العوامل الحضارية برزت ثلاثة عوامل كان لها أكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية ، وهى **القرآن والحديث والفتوحات** . فقد ظهرت آثار هذه العوامل الثلاثة بوجه خاص فى مختلف عناصر اللغة : فى أغراضها ومعانيها وأخيلتها وأساليبها وألفاظها . أما الأغراض فقد اتسعت أيما اتساع بفضل القرآن والحديث وانتشار الاسلام فى أمم ذات ثقافات عريقة ، وما أفاده العرب ولغتهم من الاحتكاك بهذه الثقافات . فقد فتح القرآن الكريم وأحاديث الرسول للغة العربية أبوابا كثيرة من فنون القول ، فعولجت فيها أمور لم تكن العربية لتعنى بعلاجها من قبل ، وذلك كمسائل القانون والتشريع والقصص والتاريخ والعقائد الدينية والبحث فيما وراء الطبيعة والاصلاح الاجتماعى والنظم السياسية وشئون الأسرة وأصول القضاء والمعاملات ودراسة مظاهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات وما الى ذلك . وأضيفت الى هذه الأغراض فيما بعد أغراض أخرى كثيرة يرجع الفضل فيها الى انتشار الاسلام ، واتساع الدولة العربية ، وارتقاء مظاهر المدنية ، وما ورثه العرب عن الامم التى دانت لسلطانهم من حضارة وعلوم وفنون ، وما اقتبسوه من لغاتهم وترجموه من مؤلفاتهم فى مختلف الشئون . فتناولت اللغة العربية ، بجانب ما تناولته من قبل ، شئون التأليف الدقيق فى الرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والمنطق والفلسفة والفقه وفنون اللغة والنقد الأدبى وتاريخ الأدب والرسائل السياسية ، وضبط أمور الدولة ، وتنظيم شئون الدواوين ، والرد على المذاهب الزائفة ومقاومة الزندقة والالحاد ، وصنع القصة والرواية ، وهلم جرا — وقد نجم عن اتساعها وارتقائها فى ناحية الاغراض اتساع وارتقاء فى ناحية المعانى والأخيلة والأساليب . فقد قويت على تجلية المعانى الدقيقة التى جلبتها العلوم والفنون السابق ذكرها ، واستخدمت فيها الحجج العقلية والبراهين الفلسفية ، ودخلت فيها عناصر جديدة للخيال والتشبيه ، وتهذبت أساليبها ومناهجها فى التعبير — وأما المفردات ودلالتها فكان الأثر فيها واضحا كل الوضوح فقد تجرد كثير من الألفاظ العربية من معانيها العامة القديمة ، وأصبحت تدل على معان خاصة تتصل بالعبادات والشعائر أو بشئون السياسة والادارة والحرب ، أو بمصطلحات العلوم والفنون .

واللغة مرآة ينعكس فيهـــا كذلك ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم الاجتماعية العامة • فعقائد الامة وتقاليدها ، وما تخضع له من مبادىء في نواحي السياسة والتشريع والقضــــاء والاخلاق والتربية وحياة الاسرة ونظام الطبقات •• كل ذلك وما اليه يصبغ اللغة بصبغة خاصة في جميع مظاهرها : في المفردات والدلالة والقواعد والاساليب واليك مثلا درجة القرابة التي تربط الفــرد باسرة ابيه واسرة امه • فان الأمم التي تكاد نظمهـــا الاجتماعية تنزل هاتين الاسرتين منزلة واحدة في درجة قرابتهما للفرد تطلق لغتها كلمة واحدة على كل من العم والخـال والعمة والخالة ، وابن العم أو العمة ، وابن الخال او الخالة ، وابنة العم او العمة ، وابنة الخال او الخالة على حين أن الامم التي تفرق نظمهـــا الاجتماعية بين هاتين الأسرتين في درجة قرابتهما للفرد تختلف في لغتها الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأب عن الكلمات الدالة على أفراد أسرة الام : العم • الخال العمة الخالة ابن العم ، ابن العمة • ابن الخال ابن الخالة • بنت العم ، بنت العمة ، بنت الخال • بنت الخالة ••• واليك مثلا آخر مبلغ اتجاه الامة الى مبادىء المساواة أو انحرافها نحو نظام الطبقات • فان ما تسير عليه نظمها الاجتماعية في هذا الصــدد يؤثر في مختلف نواحي لغتها حتى في ناحية القواعد • فمخاطبة الفرد بضمير الجمع تعظيما له (أرجو ان تتفضلوا •••) واجراء الخطاب في صيغة الاخبار عن الغائب (يتفضل ســيدى •••) ، كل ذلك وما اليه من أســـاليب التبجيل لا يبدو في اللغة الا حيث ينحرف الناس عن مبادىء المساواة وتكثر الفروق بين الطبقات • وأصدق شاهد على ذلك اللغة العربية نفسها • فقـــد كان العرب في الجاهلية من أكثر الشعوب ميلا الى المساواة بين الأفراد ، ولذلك ساد في خطابهم ضمير المفرد ، ولم تبد في لغتهم مظاهر المبـالغة في التبجيل • وقد ســار القرآن على هذه الطريقة حتى في توجيه الخطاب الى الله عز وجل : « اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ••• » : — ولكنهم لم يلبثوا بعد اتساع ملكهم ، واحتكاكهـــم بالامم الأخـرى ، وانغماسهم في الترف ، ومحاكاتهم لأبهة الفـــرس وأساليبهم • واتجاه خاصتهم وأغنيائهم الى الترفع عن الدهماء وطبقات المستضعفين ، لم يلبثوا بعد هذا أن انحرفوا عن مبادئهم الأولى ، فانحرفت معهم أساليب لغتهم ، وساد فيهاخطابالمفرد بضمير الجمع ، واجراء الخطاب في صورة الاخبار عن الغائب ، ونفذت اليها ألفاظ « الحضرة » و « الجناب » •• وما الى ذلك • وفي أثناء تبعية بلادنا لتركيا وسيرها على النظام الملكي وخضوعها لنظام الطبقـات نامت لغتنا بألقاب الجـلالة والعظمة والسـمو والفخامة والرفعة والدولة والمعالي والسعادةوالعزة والحضرة.ولم تنفض أوزارها هذه الا بعد أن تخلصنا من نظم الملكية والاقطـــاع والطبقات •

وقد ينجم عن انقسام المجتمع الى طبقات وانعزال هذه الطبقات بعضـها عن بعض أن تتشعب لغـــة المحادثة في البلد الواحد أو المنطقة الواحدة الى عدة لهجات: فيكون ثمة مثلا لهجة للطبقة الارستوقراطية، وأخرى للجنود ، وثالثة للبحارة، ورابعة للرياضيين، وخامسة للتجارين ، وسادسة للبرادين •• وهلم جرا •• وذلك أن ما يوجد بين طبقات الناس وفئاتهم من فروق في الثقافة والتربية، ومناحي التفكير والوجدان، ومســتوى المعيشـــة ، وحيـــاة الأسرة ، والبيئة الاجتماعية ، والتقاليد والعـادات ، وما تزاوله كل طبقـة من أعمال وتضـطلع به من وظائف ، والآثار العميقة التي تتركها كل وظيفة ومهنة في عقليـــة المشتغلين بها ، وحاجة أفراد كل طبقة الى دقة التعبير وسرعته وانشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم ، وما يلجئون اليه من استخدام مفردات في غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم •• كل ذلك من شأنه ، اذا انعزلت هذه الطبقات بعضها عن بعض ، أن يوجه اللهجة في كل طبقة وجهة تختلف عن جهتها عند غيرها ، فلا تلبث أن تتشعب اللهجة العامة الى لهجات تختلف كل منهـا عن أخواتها في المفردات وأســاليب التعبـــير وتكوين الجمل ودلالة الألفاظ •• وما الى ذلك • وقد تذهب بعض هـــذه اللهجات بعيدا في هذا الطرق ، فيشتد انحرافها عن الأصل الذى انشعبت منه ، وتتسع مسافة الخلف بينها وبين أخواتها ، حتى تكاد تصبح لغة متميزة غير مفهومة الا لأهلها ، كما هو شأن اللهجات الفرنسية المسـتخدمة بين طبقات اللصـوص والمجرمين وبعض فئات العمال • ويزداد في العادة انحراف اللهجـــة الاجتماعية عن أخواتها كلما كثرت الفوارق بين الطبقة الناطقة بها وبقية الطبقات ، أو كانت حياة أهلهـا

قائمة على مبدأ العزلة عن المجتمع أو على أساس الخروج على نظمه وقوانينه .

ولذلك كانت فى فرنسا لهجات الطبقات الدنيا من العمال واللهجات السرية لجماعات المتصوفين والرهبان ولهجات المجرمين واللصوص ومن اليهم من أكثر اللهجات انحرافا عن الأصل الذى انشعبت منه ، وبعدا عن المستوى العام لبقية اللهجات الاجتماعية الفرنسية ، وكذلك الشأن فى انجلترا ، حتى لقد ألف فى لهجات المجرمين من الانجليز معجمات خاصة، فمن ذلك المعجم الذى أخرجه اريك بارتروج ، استاذ اللغة الانجليزية . ويقع معجمه هذا فى ثمانمائة صفحة احتوت على جميع المصطلحات التى يستعملها اللصوص وقطاع الطريق والمجرمون من الانجليز من القرن السادس عشر حتى العصر الحاضر . وقد قضى بارتروج فى تاليف معجمه هذا خمس سنين ، واستعان فى اخراجه بالبحث فى ملفات القضايا الجنائية من عام ١٧٢٩ حتى أواخر النصف الأول من القرن الحالى كما استعان بكثيرين من قساوسة السجون وتردد على أمكنة اجتماعات المجرمين .

وقد يحدث فى بعض الشعوب التى يقل فيها اختلاط الرجال بالنساء ، أو يكون فيها كلا الجنسين بمعزل عن الجنس الآخر ، تحت تاثير نظم دينية او تقاليد اجتماعية ، أن تختلف لهجة الرجال عن لهجة النساء اختلافا يسيرا أو كبيرا ، وتكثر مظاهر هذا الاختلاف اللغوى كلما استحكمت حلقات الانفصال بين الجنسين ، حتى انه لينشأ أحيانا من جراء ذلك لكل منهما لهجة تختلف اختلافا بينا عن لهجة الآخر ، أو تشتمل لهجة كل منهما على مفردات وجمل كثيرة لا تستخدم فى اللهجة الأخرى . وقد لوحظ ذلك فى بعض الشعوب البدائية على الأخص .

ويخف هذا الاختلاف اللغوى كلما خفت قيود الاختلاط بين الجنسين ، فتقتصر مظاهره على بعض فروق يسيرة فى الأصوات والمفردات والجمل والأساليب كما هو مشاهد فى كثير من المناطق الريفية بمصر .

وتتشكل اللغة كذلك فى الصورة التى توائم اتجاهات الأمة العامة وما يستأثر بتفكيرها ونشاطها فى الحياة . فجنوح الانجليز مثلا الى الناحية المادية فى نشاطهم وتفكيرهم قد صبغ لغتهم بصبغة مادية فى مفرداتها وتراكيبها ، حتى انه ليقال فيها : « دفع زيارة أو تحية أو شكرا أو انتباها » و « أنفق وقته فى كيت وكيت » و « تربح الساعة أو تخسر » ، بدلا من « أدى زيارة » و « قدم تحية أو شكرا » و « أبدى انتباها » و « قضى وقته فى عمل ما » و « الساعة تقدم أو تؤخر » .

وما يكون عليه الأفراد من حشمة وأدب فى شئونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث كذلك صداه فى لغتهم ألفاظها وتراكيبها ، فاللغة اللاتينية لا تستحيى أن تعبر عن العورات والأمور المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة، ولا أن تسميها باسمائها الصريحة . على حين أن اللغة العربية بعد الاسلام تتلمس احسن الحيل وادناها الى الحشمة والأدب فى التعبير عن هذه الشئون ، فتلجأ الى المجاز فى اللفظ ، وتستبدل الكناية بصريح القول : القبل ، الدبر ، قارب النساء ، لمس امرأته ، قضى حاجته .. الخ . ولقد كان لها فى هذا الصدد أسوة حسنة فى ألفاظ القرآن الكريم وعباراته : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم » ، « واهجروهن فى المضاجع » ، « لامستم النساء » ، « وقد أفضى بعضكم الى بعض » ، « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » ، « فاعتزلوا النساء فى المحيض » ، « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا » ، وما الى ذلك من كريم العبارات ونبيل الألفاظ . وما يبدو فى اللغة العربية فى هذا الصدد يبدو شىء منه فى بعض اللغات الأوربية الحديثة وخاصة الشمالية منها . وأكثرها تحرجا فى هذه الناحية اللغة الانجليزية ، حتى انها لا تعبر عن « البطن » ولا عن « السراويل » بألفاظها الصريحة وانما تلجأ فى التعبير عنهما الى المجاز .

وخصائص الأمة العقلية ، ومميزاتها فى الادراك والوجدان والنزوع ، ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها ومنهجه ، وتفسيرها لظواهر الكون ، وفهمها لما وراء الطبيعة .. كل ذلك وما اليه ينبعث صداه فى لغتها، ومن ثم نرى أن الأمم البدائية الضعيفة التفكير ، المنحطة المدارك ، تنعكس عقليتها فى أداة تعبيرها . فتغزر فى لغتها الكلمات الدالة على المحسات والأمور الجزئية ، وتخلو دلالة المفردات من الدقة والضبط فيكثر فيها الخلط واللبس والابهام وتعرو القواعد

أو تكاد تعرو من ظواهر التصريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة والعبارة بعضها ببعض ، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة • ومن هذا القبيل الشعوب الصينية : فلغاتها اولية ساذجة في نواحي الألفاظ والدلالة والقواعد ، تكفي للتعبير عن ضروريات الحياة وشئون الصناعة اليدوية والأدب السهل والتأمل الضحل ، ولكنها لا تتسع لعلم ولا لفلسفة ولا لدين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمات، حتى انه لا يوجد فيها اسم للاله ، ويعبر فيها عن مسائل ماوراء الطبيعة بعبارات ملتوية مبهمة مضطربة الدلالة في أذهان أهلها أنفسهم • ولذلك تستخدم لديهم الآن اللغة الانجليزية واللغة الروسية في كثير من شئون الآداب والفلسفة والصحافة والعلوم • وفي كثير من الأمم البدائية ينعكس في اللغة من مظاهر الاضطراب والابهام ما تمتاز به عقليات الناطقين بها من سذاجة وقصور ، حتى انها لا تكاد وحدها تبين عن معنى واضح دقيق ، وحتى ان اهلها أنفسهم ليضطرون في أثناء حديثهم الى الاستعانة بالحركات اليدوية والجسمية لتكملة ما ينقص تعبيرهم وما يعوزه من دلالة • فقد روى عن قبائل البوشيمان (عشائر بدائية تسكن جنوب أفريقية) أنهم اذا أرادوا المحادثة ليلا يضطرون الى اشعال النار ليتمكنوا من رؤية الاشارات اليدوية والجسمية التي تصحب كلامهم فتكمل ناقصه وتوضح مدلولاته •

وما يحدث بين حضارة الأمة ولغتها من توافق وانسجام يحدث مثله بين لغتها ومظاهر بيئتها الجغرافية • فجميع خصائص الاقليم الطبيعية تنطبع في لغة سكانه ، وتتجه بها في سبيل التطور وجهة خاصة • ومن أجل ذلك نشأت فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الحارة والمعتدلة والباردة ، وبين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان الأودية ، ونشأت فروق غير يسيرة بين أفراد الفصيلة اللغوية الواحدة ، بل بين لهجات اللغة الواحدة • ومن اجل ذلك ايضا غزرت في كل لغة المفردات التي تدور حول مظاهر بيئتها الجغرافية، ودقت دلالاتها ، وانبثت في شتى فنون القول • ومن اجل ذلك ايضا كان قسط كبير من مادة الخيال والتشبيه في كل لغة مستمدا من مظاهر البيئة وما اختصت به طبيعة البلاد • ومن أجل ذلك أيضا تمثل في أسلوب اللغة وفنونها الأدبية ما تختص به بيئتها الطبيعية من تلبد أو صفاء ، وقبح أو جمال ، وصخب أو هدوء ، وتنوع أو اطراد ، وتقلب أو ثبات ، وما ينبعث عنها من رخاوة أو قوة ، وخمول أو نشاط ، وخشونة أو نعيم • ومن ثم يستطيع الباحث معرفة البيئة الأولى التي نشأت فيها لغة ما على ضوء مفردات هذه اللغة ، وغزارتها في بعض النواحي، وجدبها في نواح أخرى وما تجنح اليه أساليبها ومادتها في الخيال والتشبيه •• وما الى ذلك •

« د • علي عبد الواحد وافي »



الأدب والأدباء في القرآن

بقلم : نديم الجسر
عضو مجمع البحوث الإسلامية

سألني ، في بلدي كثير من الشباب ، عن الذم الذى وجهه القرآن الى الشعراء . ماسره ؟ وكيف التوفيق بين هذا الذم وبين عناية القرآن بفن القول البليغ الى حد الاعجاز ؟ .

لقد أجبت على هذا في مؤتمر الادباء العرب بالعراق ولكن الجواب لم ينتشر ، وعاد السؤال يتكرر ، حتى هنا في القاهرة ، فاردت ان أتخذ من مجلة الرسالة الادبية الكبرى التي تصل الى كل الاقطار العربية بريدا للسائلين وغير السائلين . ان صناعة الادب ومهمة الأديب تتصلان ، في الواقع ، بكل مجالات التفكير الديني والاخلاقي والاجتماعي والعلمي والفلسفي . ذلك لأن مجالات التفكير تتجاور في الذهن ، وتتصل ، وتتعاون ، ويتمم بعضها بعضا : فالنتاج العلمي يغذى التفكير الديني والفلسفي ، والفلسفة بدورها ، تغذي التفكير الديني ، وتتغذى منه ، والتفكير في المشاكل الاجتماعية والاخلاقية يستمد هديه من الدين والعلم والفلسفة والتاريخ ولكن علاقة الأدب بكل هذه المجالات الفكرية اعم واشمل واوثق واوجب .

لقد قالوا ، في تعريف الأدب ، الشيء الكثير . ولكني اختار ان أقول في تعريفه (انه فن التلاعب بالعواطف) .

فعلم المنطق مجاله العقل ، والعلوم الرياضية والطبيعية ، والفلسفية مجالها ، كلها ، العقل . أما فن الادب فمجاله العواطف والضمائر .

فلو كان في الوجود انسان واحد وحيد لما كان أدب . يمكن أن يكون على الأرض ، علم زراعة ، وصناعة ، وهندسة ، وعلم فلك ، وطب ، وكيمياء ، لانها كلها ، تساعد على العيش ، فيحتاج الانسان الوحيد الى أن يمارسها ، ولو بصورة بدائية . وكان يمكن ان يكون منطق وفلسفة : لأن العقل فطرة والمنطق نظامه ، والبحث عن المجهول غريزة ، ومن هنا جاءت الفلسفة . ولكن ما كان يمكن ، لذلك الانسان الوحيد ، ان يضع ادبا ، وان يكون اديبا ، بمعنى الاديب الصحيح ، وهو (الذى يتلذذ ويزدهى باظهار البراعة والقدرة على التلاعب بعواطف الناس) .

فالأدب شكوى وحب وغرام وغزل ، وحنان وحنين وعتاب ، ومديح وهجاء ورثاء ، وحماسة وفخر ووطنيات ، ووصف وقصص وتمثيل ، وعظات وحكم وعبر ، ومزاح ودعاية ومسلاة .

والاديب في كل هذا انما يخاطب العواطف والضمائر . فمن عساه يخاطب اذا كان وحيدا . ليس له أهل ولا ولد ولا حبيب ولا رفيق ، ولا قراء ولا سامعون ، ولا نظارة ؟..

فالادب ، اذا ، لايتكون ، ولا يلزم ، ولا ينفع ولا يصبح حاجة وضرورة ، الا في مجتمع ، ولا يزدهر الا مع الحضارة التي يكثر فيها عدد المتذوقين لسحر الادب .

وكما ان المجتمع يعمل على تطوير كل نوع من الانتاج الفكرى لمصلحته وخيره ، فان عليه ايضا ، ان يطور الادب ، في مفهومه وغايته وغرضه ، حتى يجعله في خدمة الناس لخيرهم وخير المجتمع .

ومن هنا أنتهى الى غرضي من هذه التوطئة لأقول : ان الأدب ، بمعناه السامي هو (**فن توجيه المجتمع نحو الحق والخير والجمال**) .

ومن هنا وصف القرآن الشعراء ، حين ذمهم ، بقوله : (والشعراء يتبعهم الغاوون ٠ ألم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون ٠) ثم استثنى بقوله : (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ٠

ولولا هذا الايضاح لعلة الذم ، لكان ذم القرآن للشعر مثار العجب ٠ لأن القرآن ، انما يعتمد أول مايعتمد ، على فن القول البليغ فى هداية العقول ، وتوجيه القلوب الى الايمان والعمل الصالح ٠ اى يعتمد على سحر البيان الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى معرض ذكر الشعر ، **ان من البيان لسحرا** ٠

فالقرآن عندما ذم الشعراء ، لم يذمهم لأنهم أدباء بلغاء ، ولكن ذمهم من حيث انهم يهيمون فى كل واد وفى الحياة كثير من اودية الضلال : فيها الكذب ، والنفاق ، والهجو ، والغزل الداعر ٠٠ ثم ذمهم من حيث انهم ، اذا هاموا فى واد من اودية الحق والخير بحكمة بالغة ، أو موعظة حسنة ، أو كلمة طيبة ، يقولون مالا يفعلون ٠ ومن أجل هذا التناقض بين حسن القول وسوء العمل ، لايصلحون أن يكونوا هداة للناس ، لأن وعظهم لا يكون له تأثير على القلوب وهذا شأن القرآن مع كل قائل وناصح وواعظ ومرشد ، شاعرا كان أو كاتبا أو خطيبا على منابر المساجد ٠ ومن هنا نرى قلة تأثير الوعظ على السامعين ، الذين يعرفون من فعل الواعظ غير ما يسمعون من قوله ٠٠ فالقدوة الصالحة فى العمل شرط فى تأثير الوعظ ، بل ربما انعكس أمر الوعظ على السامعين واستهانوا بالدين اذا هم رأوا هذا الخلف بين القول والعمل عند رجل الدين ٠٠٠ ومن هنا قد استعمل القرآن أقسى الاستهجان لهذا الوعظ الكاذب حين قال :

« كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون » ٠

كل هذا يوضح لنا ان رب القرآن ، الذى خلق الانسان ، علمه البيان ، يريد ان يحول فن التلاعب بالعواطف ، عن الفوضى ليجعله (فن التوجيه الى الحق والخير والجمال) اى يريد للأدب معناه الاسمى ، ويريد للأديب مقامه الاسمى ٠٠ وهو أن يكون فى مستوى الخير الذى يوجه الناس اليه ٠٠

طرابلس **« نديم الجسر »**

عيد ميلادى

للشاعر: حسن توفيق

عيد ميلادى تدلى من غصون الأزمنه
لاذع الطعم ، مريرا ، فيه رؤيا واهنه
فتمشت في كياني ذكريات محزنه
وتلفت ورائي ٠٠ لسيفي الساكنة

* * *

كان فى قلبى حنين جارف للانهايه
عندما سارت حياتى فى دهاليز البدايه
كنت طفلا اتغنى فى الليالى بحكايه
نسجتها فى خيالاتى أساطير الشكايه

* * *

كان قلبى فى ربيع حالم فوق القمم
تتراءى فيه دنيا بالأمانى تزدحم
وخيالات صفاء يتملاها النغم
ونجوم باسمات لم تنل منها الظلم

***

ثم صار النور ذكرى تختفى فى أغنياتى
وتهز القلب هزا للذبول الأمنيات
وتهاوى الحلم يأسا فى الليالى المظلمات
صار وهما فى كهوف الحزن يمتص حياتى

***

يا فؤادى اى جدوى لك من ذكرى بعيدة
قد تولى النور والماضى وأيامى السعيده
ومضى البلبل فى ليل الأسى ، اخفى نشيده
لتظل الروح تبكى ٠٠٠ تشتهى أن تستعيده

« حسن توفيق »

أسبوع الكتاب العربى

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والارشاد القومى

١٩٦٥

- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٥٧ هيئة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .



دمنهور

من ٢٩ مايو إلى ٤ يونيه سنة ١٩٦٥

مقر اللجنة النقابية بوزارة الادارة المحلية شارع الجمهورية

العرب في إفريقيا



... في المحيط الهندي

للدكتور: عبد العزيز كامل

رحلة الشتاء والصيف :

في شهر ديسمبر ترتفع الحرارة في جزيرة زنجبار ، وتهب نسمات هادئة مقبلة من البحر مع الليل .. فاذا كان الصباح بدأنا نشاهد أول «داو» عربي بقلاعه الكبيرة تدفعها الرياح الموسمية الشمالية الى هذه الجزيرة التي قامت بدور خطير في التاريخ العربي والاسلامي في شرق افريقية ..

ويتوالى بعد هذا مجيء الداوات كل يوم حتى نهاية شهر مارس مقبلة مع الرياح ، ويتجمع منها ما يزيد على المائة ، وكانت من قبل تصل الى أربعة أمثال هذا القدر وتقف في الميناء المخصص لها في زنجبار .. وهي في رحلتها هذه تحمل الاسماك المجففة والبلح والملح والسلال وثياب الساري الهندية والأصباغ من عمان وحضرموت ، والفواكه الجافة والمجففة والعطور والسجاجيد من ايران . والبلح والفخار من العراق، وأنواعا من القرميد من مانجالور في الهند والسمن من سقطرة ، والماشية والماعز من الصومال ..

وبعد شهور من الشمس الساطعة وتهم الحر ، تهب العواصف الممطرة فيعتدل الجو ويبدأ هبوب الرياح من الجنوب الشرقي ثم من الجنوب الغربي فتنشر الداوات قلاعها مع الرياح الموسمية ابتداء من ابريل في رحلتها من شرق افريقية الى آسيا حاملة معها أعمدة المانجروف . وهذه الأعمدة أساس في التجارة العربية يستخدمها العرب والفرس في بناء السقوف وسواري السفن . وخشب المانجروف قوي شديد التحمل يقاوم الآفات . وتأتي أطول أعمدته من دلتا نهر روفيجي وان كان قطع الاخشاب منتشرا على طول الشاطىء .. وتحمل الداوات معها أيضا ثمار نخيل الزيت والسكر والأقمشة القطنية البيضاء والحبال المصنوعة من الياف جوز الهند .

ويفد بعض التجار من آسيا الى افريقية كل عام وقد استقر نفر منهم واتخذوا من الساحل وطنا يعيشون في مدنه وقراه ويخالطون أهله ويصهرون اليهم .

وهناك أنواع متعددة من الداوات كالسنبوق والبوم .. وهي أجلها ففيه يتجلى فن الشرق في بناء السفن . ويصنع البوم من خشب الساج الهندي ، ويستطيع ان يعمل في مياه المحيط الهندي خمسين عاما وهو مجهز بخرائط بحرية عربية. وللداو شراع مثلث كبير يلفه الربان اذا ما اشتدت العاصفة معتمدا على اتجاه الرياح وتيار الماء . ولهذا يقود الربابنة سفنهم بعيدا عن الشاطىء والشطوط المرجانية . ويسع الداو الكبير نحو ثلاثمائة راكب مع ما يحمل من تجارة .. وهو - في فترة بقائه في زنجبار - يقوم برحلات محلية قريبة يزور فيها بعض الموانى مثل قسمايو ولندي ، ثم يعود الى زنجبار يستعد لرحلته عبر المحيط ..

هذه هي رحلة الشتاء والصيف في المحيط الهندي ، لا يستطيع أحد أن يحدد متى بدأت ، ولا من صاحب الداو الاول الذي استطاع عبور البحر العربي أو المحيط الهندي من الشاطىء الآسيوي الى الشاطىء الافريقي . وهذه الرحلة استجابة لظروف جغرافية دعت سكان الجنوب العربي والخليج العربي من قديم الى أن يقتحموا لجة المحيط الهندي ..

نداء البحر :

ويعود بنا هذا الى عرض موجز للملامح الطبيعية للجزيرة العربية المطلة على المحيط الهندى ..

فالجزيرة العربية ، ليست صندوق رمال وليست أرض الابل والحداة والقوافل البرية وحدها . ولكنها أرض تتنوع فيها البيئات وتوجه سكانها الى أكثر من وجهة فى طلب الرزق والاتصال بمن حولهم ..

ونحن فى الجانب البرى نقرأ ما من الله به على قريش فى قوله تعالى : « لايلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وكيف انتظمت لهم رحلة جنوبية الى اليمن وما وراءها فى أرض الحبشة ، ورحلة شمالية الى الشام وما جاورها من أرض فارس ومصر . وكانت لقريش روابطها التجارية وعلاقات الود التى تربط بينها وبين حكام هذه الأقطار والتى جعلت مهد العرب بيئة مفتحة النوافذ على ما حولها لا تعيش فى عزلة أو انطواء . وانعكس هذا على أخلاقهم، فهم يأبون الضيم ويكرهون الذل . والأدب العربى ملىء بالنماذج الداعية الى الحرية والعزة والحركة ..

كانت هناك اذن طريق برى - تربط اليمن بالشام ، تعاقبت عليها دورات من الازدهار والتدهور . وارتبط ازدهارها بنشاط التجارة فى المحيط الهندى وسيطرة السبئيين عليها كما ارتبط - عند بعض الباحثين - بظروف مناخية ملائمة . وكان لجنوب الجزيرة العربية - فى ازدهاره - منزلة عالمية يختلط فيها الواقع بالخيال ، ورسم لها المؤرخ اليونانى ديودور صورة حية فى القرن الاول الميلادى فقال عنها : « تفوح فى طول البلاد وعرضها روائح عطر طبيعى .. وتنمو على طول الساحل أشجار عطرية .. وفى داخل البلاد غابات كثيفة من أشجار البخور .. ومن المستحيل تمييز خواص كل شجرة منها لوفرة عددها وضخامة كميات العطور المستخرجة منها والتى تبدو كأنها هابطة من السماء .. وتحمل الرياح التى تهب من اليابسة فى الصيف روائح الاشجار العطرية فتوصلها الى الجزء المجاور لها من البحر .. والذين يتمتعون بهذه الروائح العطرية يخيل اليهم انهم ذاقوا طعام الخلود» ثم ذكر ديودور بعد هذا تفوق السبئيين على جيرانهم ونشاطهم التجارى البرى والبحرى ..

ولم تكن الحضارة السبئية هى الحضارة الوحيدة التى ازدهرت فى جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وانما ازدهرت أيضا حضارات أخرى كالمعينية والقتبانية .

وهناك أوجه شبه بين هذه الأجزاء الجنوبية المطلة على الاطراف الجنوبية لساحل البحر الاحمر الشرقى وعلى خليج عدن والبحر العربى والخليج العربى .. فهنا بيئات جبلية تحجز بينها وبين البحر سهولا ساحلية ضيقة ، وتسقط على الجبال أمطار صيفية فى الجنوب العربى ، بينما يسقط بعض مطر الشتاء على منطقة الجبل الاخضر فى عمان . ومن الطبيعى أن يفيض الاقليم بسكانه نحو البحر ، ولهذا نظيره فى ساحل الشام.. أى ان عرب الجنوب قاموا بدور بحرى فى المحيط الهندى يشابه الدور الذى قام به سكان ساحل بلاد الشام فى البحر المتوسط ، وهو الذى بدأت مظاهره منعهد الفينيقيين حين أبحروا بسفنهم غربا حتى شمال افريقية ثم جاوزوها حتى عبروا مضيق جبل طارق الى غرب أوربا ، واستمرت هذه التقاليد البحرية فى العهد الاغريقى والرومانى وورثها الاسلام فكانت له ثلاثة أساطيل فى البحر المتوسط : أسطول الشام واسطول مصر وأسطول المغرب .. ولهذا حديث أرجو أن أعود اليه فى دراسة مقارنة .

ولقد ساعد عرب الجنوب على أن يستمعوا الى نداء البحر انتظام هبوب الرياح الموسمية فى المحيط الهندى صيفا وشتاء . وكان الرياح بهذا كانت الربان الحقيقى للسفينة تدفعها من الخليج والجنوب العربى الى شرق افريقية شتاء ، ثم تعود بها صيفا الى الوطن .

ومن الراجح ان صلة العرب بشرق افريقية سابقة لصلة الهند به ، ذلك لان شاطىء شرق افريقية يتجه من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى ، وهو نفس الاتجاه الذى يتخذه الشاطىء الجنوبى للجزيرة العربية حتى الخليج العربى ، وقد كفل هذا الاتجاه للسفن رحلة آمنة فى مراحل الملاحة الأولى لا تبتعد فيها عن الشاطىء كثيرا .. فاتجاه الشاطىء هو اتجاه الرياح فى رحلة الشتاء والصيف . والمسافة بين زنجبار وعدن نحو ٢٧٠٠ كيلو متر والى مسقط نحو ٣٥٠٠ كيلومتر ، بينما المسافة المباشرة عبر المحيط الهندى من ممبسة فى كينيا الى بومباى فى الهند نحو ٤٠٠٠ كيلومتر وهى لا تزيد كثيرا عن طول البحر المتوسط

الا أن وضع العرب كان افضل لاتجاه الساحل الذى كفل لهم جانبا من الامان لاتفاقه مع اتجاه الرياح فى هبوبها الصيفى والشتوى . أما الملاحة المباشرة بين الهند وشرق افريقية فتحتاج الى سفن أكبر ومخاطرة أعظم اذا ما اخترقت المحيط مستفيدة من الهبوب المنتظم للرياح الموسمية .

وتمتاز منطقة عمان بانها تطل على البحر من الشمال والشرق والجنوب . أما الغرب فصحراء قاحلة .. وبهذا كانت عمان فى الواقع جزيرة يحيط بها بحر من الماء والرمال .. وهى بهذا جبل أخضر متميز عما حوله بغناه النباتى وليس أمام سكانه الا البحر يركبون موجه وينشرون اشرعة سفنهم مع رياحه . وفى هذا تختلف منطقة عمان عن رأس الخليج العربى حيث قامت موانى سيراف والبصرة .. فهذه الموانىء كان لها ظهير من ارض زراعية تستند اليه ، وغنى نباتى ممتد يكفل لها الحياة اذا ما عاقها عن النشاط البحرى عائق . ومن هنا كان الدفع الجغرافى فى عمان قويا .. وكان نداء البحر عميق الاثر على سكان الاقليم . فارتبط تاريخهم بتاريخ شرق افريقية من قديم .

مشكلات ملاحية :

واقرب النقط البحرية بين الجزيرة العربية وافريقية مضيق باب المندب ، فالشاطئان يتقاربان فتكون المسافة بينهما أكثر من عشرين ميلا ، ومن اليسير رؤية أحد الشاطئين من الآخر فى الأيام الصافية . وبين الشاطئين مجموعة من الجزائر الصغيرة أهمها جزيرة بريم، ومع أن التيارات البحرية سريعة فى هذا الجزء من البحر الاحمر الا أن اجتياز المضيق لم يكن عقبة أمام الحركات البشرية بين الشاطئين . ولقد عرف الشاطىء الافريقى الهجرات العربية كما عرف الشاطىء العربى هجرات افريقية . وكان عرب الجنوب - سياسيا - يسيطرون أحيانا على الشاطىء الافريقى ويخضعون له أحيانا أخرى . فالاتصال البحرى فى هذه المنطقة من السهولة بحيث يكاد يكون بريا .

ثم تتسع الشقة بين الشاطئين فى خليج عدن ويتوازى الشاطئان تقريبا حتى رأس جاردافوى (أى الفنار) وهى أقصى امتداد قارى لافريقية نحو الشرق فى الصومال . وتزداد المسافة البحرية بعد هذا فى الخليج العربى . وان ظل تأثير اتجاه الشاطىء والرياح قائما . ويستمر هذا التأثير فى السواحل الجنوبية لايران . وجميع هذه الاجزاء تسودها المؤثرات العربية حتى نهر السند فى باكستان الحالية.. ولا زال العرب يعيشون على جانبى الخليج العربى والاجزاء الجنوبية من ايران .

الا أن الجزيرة العربية تفتقر الى الاخشاب الصالحة لبناء السفن والى معدن الحديد اللازم لها . وكان عليهم أن يحصلوا عليهما من مصدر غير بلادهم . وفى هذا تختلف الأجزاء الجنوبية والشرقية من الجزيرة العربية عن ساحل الشام حيث توفرت الأخشاب اللازمة لبناء السفن . واليها كانت تتجه قوافل التجارة من مصر لتحصل على ماتحتاج اليه من خشب وهذه قصة عرفتها مصر من عهدها الفرعونى . واذا كانت الشقة قريبة بين الشام ومصر ، فان عرب الجنوب وجهوا انظارهم الى الشاطىء الافريقى ليحصلوا منه على حاجتهم .. ولنتصور هؤلاء الأجداد فى أعماق التاريخ وهم يقتحمون البحر الى الشاطىء الافريقى فيقطعون الاخشاب من الشاطىء ويبنون منها السفن ويحملونها بالاخشاب ويعودون بهذا الى ديارهم ليتابعوا تجارتهم ويوسعوا نطاقها .

والشاطىء الافريقى ليس شاطئا سهل المراس مفتوح الأبواب لأى طارق .. فهناك فى العروض الاستوائية حيث الحرارة والماء الصافى الضحل تنمو امام الشاطىء شطوط مرجانية ترتفع عن قاع المحيط ويتكسر عليها الموج وتعوق السفن عن الوصول الى الشاطىء الا اذا كانت صغيرة .. وكيف تعبر السفينة الصغيرة المحيط ؟!.

هذه الظروف الاستوائية لها آثارها على اليابس القريب المجاور . فالأمطار تسقط على الهضبة والجبال وتنحدر الى الشاطىء حاملة معها رواسب من مفتتات الصخر ، وتلقى هذه الرواسب فى مياه المحيط الشاطئية الضحلة . وفى هذا الماء العكر لا يمكن أن ينمو المرجان .. وبهذا تتكون أمام مصبات الأنهار فتحات فى شطوط المرجان توصل ما بين البحر العميق وشاطىء القارة . وتوفر مصبات الانهار اماكن صالحة لبناء الموانى وحماية السفن من عواصف المحيط .

وامتاز شاطىء شرق افريقية بتطور جيولوجى أدى الى تكوين مجموعة من الجزر الساحلية من أهمها جزائر زنجبار وبمبا ومافيا وسونجا مفارا وكلوة ، هذا الى مجموعة من الجزر فى النصف الشمالى من

مضيق موزمبيق الضخم بين مالاجاشي (مدغشقر) والقارة ، وهي التي عرفها العرب باسم واقواق اليمن .. وهذه الجزر الافريقية الكثيرة من الممكن اتخاذها قواعد بحرية للاقامة والتجارة . ولها جميعا بحكم موقعها ميزة الاستفادة من اتجاه الرياح الموسمية والاقتراب من القارة وتوفر الموانى الصالحة .. ولكن أى خطأ من ربان السفينة فى رحلته قد يدفعه الى الشطوط المرجانية فيحطم سفينته .. ثم هو فى رحلته ـ فى هذه العصور القديمة ـ كان عليه أن يحسن الاستفادة من النجوم ومواقعها وأن يكون على علم بمعالم الشواطىء .. رءوسها وخلجانها ، فعلى هذه المعرفة تتوقف حياته ومصير تجارته ..

ويبدو أن توسع العرب جنوبا فى المحيط الهندى ارتبط ـ الى حد بعيد ـ باتجاه الرياح الموسمية ومجال هبوبها . وكانت آخر الموانى التى يصلون اليها سفالة الزنج على خط عرض عشرين درجة جنوب دائرة خط الاستواء . وعنها يقول ياقوت فى معجمه: « آخر مدينة تعرف بارض الزنج ، والحكاية عنهم كما حكينا عن بلاد التبر بارض جنوب المغرب من أنه يجلب اليهم الامتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كل شىء عنده ، والذهب الغالى معروف عند تجار الزنج » (٣:٢٢٤ ط بيروت)

والى جنوب سفالة يسود نظام آخر من الرياح ويتغير نظام المناخ ولم تكن فى الاقليم الجنوبى وقتئذ عروض تجارية تغرى بالمخاطرة نحو الداخل ، ومن ناحية أخرى كانت الشعوب الافريقية تتولى وقتئذ أمر التعدين وصيد الفيلة . وكانت التجارة على الساحل ، فاذا كان هناك ما يدعو الى التوغل فى قلب الجزء الجنوبى من القارة ، فان الافريقيين كانوا يقومون بهذا العمل فى أول الامر ثم أسهم فيه العرب من بعد ، كما سنرى .

وصفوة القول أن المحيط الهندى كان يمثل عالما تجاريا متكاملا يربط بين الشعوب المطلة عليه وكان الخليج العربى والجنوب العربى فى مركز متوسط بين الهند وشرق افريقية وهذا ما مكن لعرب الجنوب أن يكون لهم نشاط تجارى مع كل من الشاطئين الهندى والافريقى . وكان انتشارهم ، من مراكزهم المتوسطة فى عالم المحيط الهندى ، متكاملا مع نشاطهم البرى عند مداخل ونهايات كل من البحر الاحمر والخليج العربى ، ووثق صلاتهم باجزاء كثيرة من العالم القديم فى مراحل مبكرة من تاريخ الانسانية .

« د. عبدالعزيز كامل »



للشاعر: حسن عبدالله القرشي

قـد قلت أنت خـادعى بالكلم المزور
حكاية الوفـاء منك ، كرمة لم تعصر

ملات مسمعى بهـا حينا ، ونلت ثمرى
اكذوبة ، كبـيرة بلهاء لم تستتر

أنت تفى ؟ يا طالما سجلتها فى اسطرى !
حتى لقد يئست من حبك لى يا مفترى

حتى لقد خجلت من عيون كل البشر !
حكاية الوفاء دعها دمعة فى محجرى

وقصة الحنين والهـوى ، وبوح القمر
دعها غذاء لنشيدك المنمق العطرى !



وقلت غير ذا كثيرا يا هواى العبقرى
يا أمل المفتر يا عطر صباحى الأشقر !

لم ينسنى ذاك هواك فهو ملء اصغرى
وهو حديث الكون نجوى العاشقين السمر

هو ارتعاشة الربيع ، وابتسام الزهر !
لكن برغم ثورة على الهـوى المزدهر

برغم يأسك العميق ، وانفلات الضجر !
سوف أظل سيد الوفاء ، زاكى السير
وسـوف تشهديننى ككنزك المدخر !

السعودية « حسن عبد الله القرشى »

التفاوت بين التقدم الروحي والتقدم العقلي

بقلم: محمد الغزالي

هناك شعور عام بأن العالم قطع مراحل شاسعة فى طريق التقدم العقلى ، لكنه تخلف ، أو - على احسان الظن - بقى مكانه من الناحية الروحية .

وقد نشأ عن ضمور ملكاته الادبية وتضخم قدراته المادية تفاوت مقلق . اختل معه سير القافلة البشرية، واتزانها ، وبصرها بما تقبل عليه او تحجم عنه

وصارح عدد من المفكرين الكبار بتشاؤمهم من هذا العوج ، كما ان لفيفا ضخما من رجال الدين والاخلاق لا ينقطع جؤارهم من القحط الروحى الذى يسود ارجاء الارض والذى يطلق الافراد والجماعات مسعورة وراء مطالبها الخاصة لا يلوى عنانها بشيء

وأريد ان اكون حذرا فى تناول هذا الموضوع ، لا لريبتى فى صدقه ، بل لرغبتى فى استبانة ماينشده الضائقون بالتقدم المادى والارتقاء العقلى المجرد

انها غيرة مشكورة ان ننوه بالتسامى النفسى ، وان نحض الناس على العودة الى الدين ، والتشبث بتعاليمه ، ولكن يجب ان يكون مفهوما ان الفضائل والعبادات التى قررها الدين لا تعوق بتة ازدهار الحياة وتقدمها المادى .

ان الانسان عقل وقلب ، والظن بان يقظة القلب ما تتم الا مع خمول الفكر وازدراء الدنيا ، خطأ فاحش .

وكذلك الظن بأن سيادة العقل ما تتم الا بتضحية الايمان وايحائه خطيئة كبيرة . ان الاعصار الاخيرة شهدت نتاجا عقليا رائعا نقل العالم من حال الى حال. وأريد أن أقرر دون تردد أن جهاد العقل الانسانى ومكاسبه التى ظفر بها موضع احترامنا ، وان هذا الجهاد اذا كان قد مضى فى طريقه منفردا ، لم يستصحب الدين معه ، فليس هو الملوم فى ذلك ..

فان كثيرا من اهل الدين اساءوا الى ربهم والى انفسهم يوم بخسوا العقل قيمته ، وافتعلوا العراقيل امام حركته

واذا كانوا اليوم يبكون لمتاعب العالم الروحية ، فليس الاستماع اليهم سليما بوجهة نظرهم فى قيادة الحياة حسب ما يتصورون .

ان التدين الذى انكمش امام اقدام العلم ، وقبع مكانه ساخطا على ثمرات التقدم المدنى ، لا يستحق فى نظرنا ان يعطى فرصة أخرى لتخريب الدنيا وشل نمائها .

يجب ان يزداد التفوق العلمى مقدرة على خدمة البشرية ، وغاية ما نريد ان يصحبه على الطريق وحى الله وسنا توجيهه حتى لا يضل او يزيغ..

لقد اخطأ بعض المتدينين فظنوا زكاة الروح ما تتم الا بدمار الجسد ، وضمان الآخرة ما يتم الا بضياع الدنيا .

ومضيا مع هذا التفكير الشارد تجهموا لأسباب الحياة والارتقاء ، ووقفوا بعيدا يرمقون الحضارة الانسانية الزاحفة وهى تكبو حينا ، وتستقيم حينا آخر .

ولعلهم - وهم يستمعون للتنديد بضراوة المادية فى العالم - يقولون : الم نتوجس خيفة من هذا المصير ، ونحذركم الانحدار اليه ؟

ونحن نقول لهؤلاء : على رسلكم ، ان ما تريدون للعالم ليس شرا مما نشكو منه الآن .

ان كل تدين يجافى العلم ، ويخاصم الفكر ويرفض عقد صلح شريف مع الحياة هو تدين فقد صلاحيته للبقاء بله القيادة

وما نظن اهل الارض لعودة اليه بعد ما منحوا نعمة الخلاص منه .

التدين الحقيقى ايمان بالله العظيم ، وشعور بالخلافة عنه فى الأرض ، وتطلع الى السيادة التى

اقتضتها هذه الخلافة أعنى السيادة على عناصر الكون وقواه

ولا تتاح هذه السيادة بداهة الا لعقل ذكي جواب فى الآفاق ، طلعة الى اقتحام المجاهل ، راغب فى تطويعها لمشيئته .

التدين الحقيقى ليس جسدا مهزولا من طول الجوع والسهر ، ولكنه جسد مفعم بالقوة التى تسعفه على اداء الواجبات الثقال ، مفعم بالاشواق الى متاع الحياة .

فان كان حلالا طيبا ارتفعه وابتهج به ، وان كان كسبا خبيثا ابتعد عنه وهو قادر عليه

ان الاستعفاف عن المفقود الميئوس منه ليس تقوى ، بل هو كصفح العاجز عن الانتقام لنفسه ، لا دلالة فيه على سماحة او تطول :

كل حلم اتى بغير اقتدار
حجة لاجىء اليها اللئام

وعظمة الايمان انما تتالق وسط دنيا يملكها المجتمع المؤمن ، ويستطيع الانغماس فى فتنتها ، ومع ذلك فهو يحكم نفسه ويحكمها باسم الله .

عظمة الايمان تعتمد ابتداء على فقه فى آيات الكون يقف المرء على اسرار الابداع الأعلى ، ويشعره بما يستحقه الخالق الكبير من مجد وحمد .

عظمة الايمان تقوم على نشاط عقلى لا حدود له ، يواكبه نشاط روحى لا يقل عنه كفاءة ، بل يربو عليه .

اما اهزال الفكر الانسانى ، واضعاف ثماره ، حتى يستطيع التدين المعلول أن يملك زمامه ، فذاك ماترفضه كل الرفض .

اذا كان عالمنا يشعر بضوائق روحية معنتة فى هذه الأيام فالعلاج الفذ ليس شجب التقدم العسكرى والصناعى ، ولكن جعل هذا كله فى وصاية ايمان ممدود المفهوم رحب الدائرة يؤمن بالانسان عقلا وقلبا ، ويستجد ايمانه ذاك من معرفته لله واستمساكه بهداه ..

اما تصور التقدم الروحى على انه استرخاء فكرى .. يجر سبات الليل الى سحابة النهار او عودة بالانسان الى عالم من الرؤى والفنون الحالمة والآداب الهائمة ، فهذا ليس تقدما بالحياة ، ولكنه عوج من طراز آخر ..

فلنعد ـ بعد هذا التنبيه ـ الى سماع الشكوى من الازمة الروحية فى عالمنا الحاضر ..

انها شكوى صادقة كل الصدق فان الحضارة الحديثة تقوم على عبادة الحياة الدنيا ،والاستكثار جهد الطاقة من لذاتها او التسابق المضنى لجمع حطامها ..

اما الصلة بالله فهى ـ مع ضعفها البالغ ـ ماتظهر فى وعى الناس الا لماما ، وقلما كمن الايمان بالله وراء نية باعثه ، أو اقترن بغاية كريمة .

ودعك من الحديث عن اليوم الآخر ، فان ذكر ذلك فى مجمع جاد أمر يثير الدهشة والتهمة !!

وعواصم اوربا وامريكا ـ وهى مصدر النظم المدنية التى تسود الارض الآن ـ سواء فى هذا المعنى .

فالعالم الشيوعى الشرقى والعالم الرأسمالى الغربى قد يختلف احدهما عن الآخر فى اسلوب الحياة ، ولكنه يوافقه فى ان الحياة مقصودة لذاتها وان ما وراءها وهم ، وهذه الوثنية الجديدة ـ أعنى عبادة الحياة وحسب ـ هى الطابع الدميم للحضارة الحديثة وقد تناول المؤرخ الانكليزى الكبير «توينبى» هذه الحقيقة بعبارات استرعت انتباهنا قال : «انى اشعر بانحسار الاديان الكبرى المعروفة وظهور عبادة القوة البشرية» مرة اخرى فى العالم الحديث . ظهرت هذه العبادة فى شكليها التقليديين شكل عبادة الدولة المحلية أو عبادة الدولة العالمية . وعبادة الدولة المحلية تظهر بصورة جلية فى النزعات القومية ، بينما تتمثل عبادة المجتمع العالمى الى حد ما فى الشيوعية ، وفى الامل الذى يداعب الكثيرين نحو تحقيق ضرب من الوحدة العالمية او الحكومة العالمية .

وانى افترض ان هذه الصور لعبادة القوة البشرية الجماعية تشمل ٩٠٪ من الشعور الدينى او ٩٠٪ من سكان العالم فى الوقت الحاضر ..

قال : «والواقع ان الارتكاس فى عبادة القوة البشرية الجماعية بنوعيها السابقين هو السبب الحقيقى للمتاعب والاضطرابات التى تنشب بين الناس . ان الاديان الكبرى جميعا مهملة وآخذة

فى التلاشى . وربما توقف مستقبل الجنس البشرى على عودتها الى السيطرة او عجزها عن ذلك» .

وكلام هذا المؤرخ الكبير يشير من قرب الى موضع الداء فى الحضارة الحديثة ، فالناس يدورون حول انفسهم ولايعرفون الا يومهم هذا ..

وحديثه عن الشيوعية مسلم كله ، لانها مذهب ظاهر الكفر بالله ووحيه . اما القوميات ، فلعله ابتداء يقصد النزعات العنصرية الحادة التى عرفتها وماتزال تعرفها اوربا وامريكا .

ولما كانت هذه القوميات ذات مفهوم اجوف فارغ فان المتعصبين يحشونه باهوائهم التى لاخير فيها قط ، وربما قبل هؤلاء المتعصبون للجنس أو اللون ، ان يستضيفوا الدين حينا من الزمن ، بيد انهم لايسمحون له ابدا ان يكون رب البيت ، انه ضيف موقوت الاقامة ، يجوز طرده ان تجاوز حده !!

وليس الفيلسوف الانكليزى «توينبى» وحده هو الذى يسوى بين العالمين الشيوعى والرأسمالى فى عبادة الحياة ونسيان الدين «لا» فان **«الكسيس** كاريل ، فى كتابه «الانسان ذلك المجهول» يشرح ذلك بتفصيل وابانة ، فيقول : ان الدول التى تبنت بغير تبصر روح الحضارة الصناعية وفنونها مثل روسيا وانجلترا وفرنسا والمانيا معرضة للاخطار ذاتها التى تتعرض لها الولايات المتحدة ، ومن الواجب ان يتحول اهتمام الانسانية من دنيا الالات وعالم الجماد الى جسم الانسان وروحه . لكن ماهى الاخطار التى تعرض لها العالم الحديث؟

انه يفصل ذلك فيقول : «كان من الطبيعى ان تضطر القيم الادبية الى التخلى عن مكانتها للانتصارات العقلية التى جلبت لنا الثراء والترف ، واكتسح العقل المعتقدات الدينية واصبحت معرفة القوانين الطبيعية ، والقوى التى تهيئها لنا هذه المعرفة لتسخير العالم المادى هى الشىء المهم» .

ويقول : «لقد اطلقهم العلم العصرى من القيود الادبية التى كان يفرضها عليهم النظام الدينى البحت . وهكذا حررتهم الحياة العصرية من القيود الثقيلة التى كانوا يعانون منها الأمرين ، كما انها تحفزهم على العمل من اجل الثراء باية وسيلة مستطاعة ، بشرط الا تؤدى بهم هذه الوسيلة الى السجن !!! وتفتح امامهم جميع بلاد العالم بعد ان حررتهم من شتى العوائق ! وتتيح لهم اشباع رغباتهم الجنسية بطريقة سهلة كلما احسوا بالحاجة الى اشباع هذه الرغبة !! انها خلصتهم من كل عناء ونظام ، ومن كل مايسبب الضيق والتعب » .

ويقول : «لم يسبق للبشر ان طعموا بمثل هذا النظام الدقيق نظرا لما طرأ على حياتهم من ثراء كان عاما الى اعوام قليلة مضت . ولضعف الروح الادبية فيهم اضحوا منصرفين عن الصوم» .

ويقول : «لقد انحلت روابط الأسر ولم يعد للألفة والمودة وجود ، لان حياة الجماعات الصغيرة قد حلت محلها حياة القطعان الكبيرة » ...

وشرق اوربا وغربها سواء فى البعد من الله ، والحرمان من الحق وفقدان المبادىء التى تمد الخاصة والعامة بالرضا والقرار .

ولا جدوى للانظمة المدنية التى ولدتها الثورات المختلفة من حمراء وبيضاء .

واسمع لمؤلف « الانسان ذلك المجهول » يقول : « ان نظم الحكومات التى انشاها اصحاب المذاهب فى عقولهم عديمة القيمة ،فمبادىء الثورة الفرنسية وخيالات ماركس ولينين تنطبق فقط على الرجال الجامدين ، ويجب ان يفهم بوضوح ان قوانين العلاقات البشرية غير معروفة ، فان علوم الاجتماع والاقتصاد علوم تخمينية افتراضية »

اى انها قائمة على ظنون ، وامر الحياة اكبر من ذلك « ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون »

ما المخرج من هذه الضوائق ، وكيف يجد العالم سناءه الفكرى والروحى معا ؟

الراشدون من رجالات الفكر يتفقون على ان

شفاء العالم من سقامه مرتبط بعودة الايمان الى القلوب الفارغة وعودة الاديان الكبرى الى مكانتها المفقودة .

وهذا الرجاء سيبقى سرابا خادعا مالم نعرف لماذا فقدت هذه الاديان مكانتها ؟ ولماذا افلت زمام الحياة من يدها ؟

وهل الارواح الظامئة الى الحق واجدة ريها فى اتباع هذه الاديان ؟ وهل الجماهير الفقيرة الى الامان والسكينة ظافرة بطلبتها فى رحاب العقائد الموروثة ؟ احب ، بين يدى الاجابة على هذه الاسئلة ، ان اذكر امورا لابد منها . ان الاديان الارضية يجب سلخ هذه التسمية عنها . فهى فلسفات شاعت بين اصحابها وليست اديانا على الحقيقة .

ومايصح ان يلتمس علاج لعلل الناس من تفكير ارضى بحت ، فيه من الخطأ اضعاف مافيه من الصواب ، وفيه من القصور اضعاف مافيه من التمام .

وما انقطعت نسبته الى السماء ، فوصفه بأنه دين ضرب من التجوز قد يقبل استصحابا لبعض الملابسات ، بيد اننا نرفض بتة ان نعد هذه العقائد اديانا يستريح الناس فى ظلالها .

ان الاديان السماوية المعروفة الباقية الى يوم الناس هذا ، هى اليهودية والنصرانية والاسلام .

ونحن المسلمين نؤمن بكتب السماء ، ونسوى بين موسى عيسى ومحمد فى انهم رجال صدقوا الرغبة الى الله واخلصوا النصح لعباده ، وحاربوا الشيطان ووساوسه ومهدوا طريق التوبة والعبادة والاحسان .

وفى مواجهة المحنة الروحية والخلقية التى تسود الأرض ، ينبغى أن يعرف من من اتباع الأنبياء يسأل عنها ويحمل النصيب الاوفى فى ملاقاتها ؟

ان اليهود اليوم فى اقوى مراحل تاريخهم واذكاها ، وقد استطاعوا ان يسخروا قوى هائلة فى اقامة دولتهم اسرائيل .

فهل شم احد رائحة التقوى والسمو فى النشاط الدينى الذى تقوم الصهيونية تحت رايته ؟

وهل شام احد بريقا من خير وعفة فى قيام اسرائيل تحمل لقبا لواحد من الانبياء ؟

الواقع ان بنى اسرائيل من وراء الكبوة الخطيرة التى تعانيها الانسانية هنا وهناك ، ومن الحماقة التماس هدى للعالمين فى شىء عندهم ..

ونظرة أخرى الى الاستعمار الغربى الآثم : لقد جثم على مساحات فيحاء من ارض القارة المحروبة «افريقية» وبقى اعصارا طوالا يعب من خيراتها وينهب ثرواتها الظاهرة والباطنة ، ويتخذ النصرانية ستارا لأطماعه فماذا جنى من هذا المسلك ؟

لقد اغتنت اوربا من المال الحرام ، وجبيت اليها ثمرات كل شىء ، واختفى الماء من الموائد لتحل الخمر محله ! وعريت الاجساد عن البسة التقوى لتكرع النفوس من الشهوة كيف شاءت ، وانجرف الآباء الروحيون مع التيار السائد !

فهل هذا المسلك هو الذى يمهد للناس طريق العودة الى الله ؟

اما الاسلام فهو دين يتيم ، ليست له اليوم ابوة روحية وثقافية تجلو معدنه وتبدى حقيقته .

ولعله مشغول بالدفاع عن نفسه وارضه ضد الضغائن الهابة عليه من يمين وشمال .

فكيف يقدر فى هذا الوضع على الوفاء بحاجة العالم الى السلام النفسى والاجتماعى ؟

ان العالم يتلوى من الفراغ الروحى الرهيب الذى اسعر فى جنباته نوازع الاثرة والتظالم والجشع .

وهو أفقر مايكون الى منقذين من الطراز الذى وصف الله رجاله بانهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

ولعل العرب يقدمون للانسانية هذا الدواء ، ويؤدون الرسالة التى تخيرتهم لها السماء .

«محمد الغزالى»

الشاعر: محمود حسن اسماعيل

للدكتور: محمود قاسم

فى الاسبوع الأول من هذا الشهر اقامت كلية دار العلوم حفل تكريم للشاعر الاستاذ محمود حسن اسماعيل بمناسبة ظهور ديوانه الجديد ، قاب قوسين ، تحدث فيه الأساتذة : الدكتور مهدى علام ، الدكتور محمد غنيمى هلال ، الدكتور احمد الحوفى ، الدكتور احمد هيكل ، والشاعر محمد الفيتورى ، وهذه هى الكلمة التى القاها الدكتور محمود قاسم عميد الكلية فى هذا الحفل :

لقد عرفت شاعرنا أيام دراستنا فى دار العلوم ، وزاملته ثلاث سنوات ، وما كنت أستطيع أن أزامله فى الرابعة ، اذ كان أسبق منى الى التخرج فى هذه الكلية العتيدة .

ثم اتجه كل منا الى طريقه فى الحياة ، فسافرت الى الخارج ثم عدت ، وتقلب الشاعر فى مناصب عدة ، جمعت بين التدريس بوزارة المعارف ، والعمل فى المجمع اللغوى ، والاذاعة ، حيث يتولى الآن منصبا كبيرا هو منصب : المراقب العام للبرامج الثقافية .

لكن : لئن اختلفت بنا طرق الحياة ، فما زالت ذكرى تلك الفترة الجميلة التى قضيناها معا حية فى خاطرى ، وما برحت تلك الجهود التى بذلها ، ويبذلها الشاعر « محمود حسن اسماعيل » رباطا قويا بيننا، وعاملا من عوامل اذاعة اسم دار العلوم فى الوسط الثقافى والاذاعى لا فى مصر وحدها ، بل فى بلاد الشرق العربى بأسره .

وما زلت أذكر تلك الموجة الغامرة من الحماسة التى قابلت ظهور ديوانه الاول، والتى هزت مشاعرنا جميعا أيام الدراسة عندما فجأنا « محمود حسن اسماعيل » وهو بعد طالب ، بديوانه «أغانى الكوخ» عام ١٩٣٤ م .

وأعتقد أن هذه الحماسة لم تكن وليدة نوع من الانفعال الوقتى أو العابر ، فاليوم بعد أن اكتملت تجاربنا يمكننا أن نفسر هذه الظاهرة تفسيرا اجتماعيا ونفسيا دقيقا صادقا :

ان عنوان الديوان فى نفسه ، يفصح عن السبب فى الهاب مشاعرنا بصفة لا شعورية ، ذلك أن «أغانى الكوخ» قد نبعت من صميم واقعنا ، ومن أعماق ريفنا ، وفيها رأينا كيف تتمايل سنابل القمح ، وكيف تتعانق ، وفيها سمعنا كيف تصدح البلابل فى الآصال والسحر ، وفيها شهدنا كيف تهتز أعواد النخيل فى ضياء القمر ، وفيها أحسسنا كيف تتردد أصداء الآمال فى صدور الشباب الذى كان يرنو الى مستقبل أفضل مما شهده الآباء والاجداد .

والحق انه ما كان يدور بخلد أحد منا فى تلك السنوات العجاف ، أن الاقطاع سوف يقضى عليه بين يوم وليلة ، وأن قرانا البائسة الجائمة كقطع من الطين على صدر ريفنا الاخضر ، سوف تبتسم مع ابتسامة الزهر ، وأنها ستشدو مع الفلاق فجر عهد جديد ، تنعم اليوم بعزته وكرامته .

لكن ربما كان شعورنا حينذاك يداعبه حلم التحرر من ربقة الذل التى فرضتها علينا عهود تاريخية قاسية .

وهكذا ندرك الآن جيدا كيف كان الشاعر «محمود حسن اسماعيل» أحد ثلاثة حملوا لواء المدرسة الحديثة في الشعر العربي المصري ، أولهم هو ، والآخران هما :

الشاعران : ابراهيم ناجي ، وعلى محمود طه ·

وربما اتاحت لمحمود حسن اسماعيل بيئته الريفية ، كما أتاح له الهامه الشعري الفياض - أن يكون غزير الانتاج ، وأن يكون أكثر صدقا واصالة في رسم لقطات حية أخاذة من صميم بيئتنا الريفية·

وأمر آخر يشاركني الجميع في تقريره ، وهو أن ديوان « أغاني الكوخ » يمتاز بأنه كان بدءا لمذهب جديد في ابراز الصور الشعرية التي تبعث الحياة ، وتجعلها تفيض بل تتراقص في مقطوعاته التي يأتلف فيها الخيال الطليق مع الايقاع الموسيقي المتقن، وهذا هو السر في أن « محمود حسن اسماعيل » لم يتقدم عفوا لكي يتزعم مدرسة شعرية جديدة ، تعتمد على الصور النابضة بالحياة ، وعلى الرمز الخلاق ، وهي مدرسة لها خصائصها وطابعها الفريد في نوعه ·

ثم تتابعت دواوين شاعرنا الكبير كديوان «هكذا اغنى» وديوان «أين المفر» ثم « نار وأصفاد » وأخيرا ظهر : «قاب قوسين» الذى نكرمه اليوم من أجله · غير أنى أعتقد أنه ليس من التكرار فى شىء أن أشير الى امر له أهميته ومغزاه وهو أن « محمود حسن اسماعيل» يعد أحد طلائع من اسهموا في تطعيم اغانينا بعدد من القصائد الغنائية : «كالنهر الخالد ، و «دعاء الشرق» و «بغداد» وهي اغنيات تثبت روعة الفصحى في الغناء أيضا ·

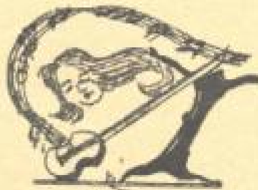
تلك كلمات قليلة ، عن جهود شاعرنا في مجال الشعر ، غير أن لمحمود حسن اسماعيل مجالات اخرى ، لم يكن فيها أقل شأنا منه في مجال الفن والتعبير والرمز ، وأعنى بذلك - نشاطه في ميدان له خطورته الثقافية ، وهو ميدان البرامج الثقافية بالاذاعة ، والرقابة على كل ما يذاع من نتاج الفكر ·

وما برحت الاذاعة في مصر تفيد من خبراته وثقافته منذ عشرين عاما ، وهذه الحقبة الطويلة ، دليل كاف على نجاح شاعرنا وأديبنا ، في بلورة كثير من القيم والمفاهيم الثقافية والاخلاقية ، التى اعتقد أنها أصبحت دستورا للعمل الاذاعي في جمهوريتنا، وفى الاقطار العربية الاخرى ··

وقد علمت أن شاعرنا مازال يجد كثيرا من الوقت رغم مشاغله الثقافية والاذاعية ، وأن هذا الوقت الذى يقتنصه وسط زحمة العمل - سيتيح له أن يخرج تباعا دواوين اخرى سماها : « رياح المغيب » و « الباب الموصد » و « سواقى الغمام » ·

وانى أدعو الله أن يخصب وقته ، وأن تلاحقه الهات الشعر وشياطينه حتى يخرج لنا هذه الدواوين ، لتكون فخرا لنا وله ··

« د · محمود قاسم »



قصيدتان

للشاعر : أحمد رامى

لقيـــا

نعمت بلقيـــاك يا ناديـه كأنى فى جنـــة عاليـة
جمال ترف عليه القلوب وروح مجنحــــة ساميه
وقلب يكــاد لفرط الحنين يذوب مع النســمة الساريه
وذوق يدب الى كل حسن فيختار من كنزه الغاليـه
وفهم يدق لوعى الوجـود فلا تختفى عنـده خافيـه
سمرنا وكان الندى بهيـا بطلعتك النضرة الزاهـيه
ودار الحديث على السامرين وأنت لأسـماعنا ساقيه
فلم أدر هـل كان بى نشـوة من الكاس أم منك يا راويه
نزلت حماك وكنت غريبـا فصرت كأنى فى داريـه
ونلت من العطف مـا ترتوى بأندائه نفسى الصـاديه
سقاك النعيم كئوس المنى ودامت لك العيشـة الراضيه
وهنىء من حاز هذا الجمـال فقد فاز بالدرة الغاليـه

حســرة

مر يومى لم أنـل من أنســه لحظة ألمح فيهـا ناظريك
أينمـا أرمى بعينى لا أرى فتنة السـحر الذى فى مقلتيك
حائر فى الناس وحدى هـائم أتمنى همسـة من شـفتيك
أستقيهـا ثـم أروى ظمئى بحديث منك أو منى اليـك
لم يدر فى خاطرى أن تقبل وأنـا لست هنـا بين يديـك
أسعد القلب الذى طالت به لهفة الأشواق والوجد عليك
وأناجيك بأشـعارى ومـا صغتها الا لأشجو مسمعيك
خبرينى هل جرى ذكرى وهل حام حولى خافق فى جانحيـك
وهل اشتقت الى أن تسمعى شـدو قلبى وأنا جاث لديك

رفقاً بالشعر

للدكتور أحمد كمال زكي

أريد أن أقطع حديثي عن القصة العربية القديمة هذه المرة ، وليعذرني القارىء فان حديث الشعر يغرى بقراءته ــ لأنه اذا كان صادقا ــ يؤدى الى مزيد من معرفة الانسان بالانسان ، وما أعظم حاجتنا الى هذه المعرفة !

أتحدث عن الشعر لا فى حدوده العامة وانما فى حدود قصيدة واحدة لفتتت نظرى الى أمور هى فى حقيقتها آفة الفن المعاصر كله ، بل فى حدود قصيدتين تمثلان فى رأيى أكبر خطر يمكن أن يوجه الى رسالة الشعر حتى وان كانت هذه الرسالة مجرد عملية اتاحة لأسباب المتعة بالحياة . ومع ذلك فان صاحبهما حاول فى مقاله «كيف نفهم الحقائق الشعرية» الذى نشر فى مجلة الرسالة بتاريخ ٢٩ من ابريل سنة ١٩٦٤ ــ أن يقوم نظرتى الى الشعر وتقدم فضلا عن تلقينه اياى دروسا فى النحو والتاريخ والنقــد واللغــة والبلاغة . وكل هذا مقابل أنى « نقدت » قصيدة كان يزمع القاءها فى مهرجان بغداد .

القصيدة الأولى نشرت فى العدد الرابع والتسعين من الرسالة بعنوان «رب واحد وشعب واحد» والثانية نشرت فى العدد السادس والتسعين من الثقــافة بعنوان « نيسان » . ولقد عجبت ، لأنى أعلم أن المهيمنين على هاتين المجلتين لهــم باع طــويل فى القريض ، فأحدهم الأستاذ أحمد حسن الزيات ناقد ذواقة وكاتب كبير ويقف الى جانبه أحد شعرائنا المطبوعين وهو عبده بدوى ، وثانيهم الأستاذ محمد فريد أبو حديد له فى مجال الأدب صولات وجولات ومعه شاعر ظفر بجائزة شوقى هو عامر بحيرى .

عجبت لأن المهيمنين على المجلات هؤلاء ويسمحون بنشر القصيدتين المذكورتين على مافيهما مما لا يرضى أحدا . وكان المفروض عليهم أن ينبهوا على أن الشعر ليس نظما فحسب وليس مجرد صناعة لفظية وجرس ولكنه فكرة وتجربة انسانية لا ينقص من جدواها قط تكرار أطرها العاطفية والمادية والأخلاقية .

وليعذرنى الشاعر .. فأنا فى الحقيقة أريد أن آخذه بما أخذنى به فى مقاله المشار اليه ، لا سيما بعد أن صدره بالسؤال الضخم : كيف نفهم الحقائق الشعرية ؟ لقد عدل عن الاجابة عنه الى ضروب من الســخرية واللف والسفسطة حتى انتهى الى أن ما استحسنته من قصيدة بغداد قبيح وما استقبحته حسن .

وأجيب أنا عن السؤال الذى طرحه بقولى ان فهم الحقائق الشعرية رهن بمقدار ما تعطى . فالشاعر بشر يتحدث الى بشر ــ كما يقرر وردزورث الذى سنحتاج اليه فيما بعد ــ وهو يستطيع أن ينقل له فى حدود بشريته وباللغة المركزة الموسقة تلك « الحالة » التى أحس فيها أنه غريب عن غيره لحظة بدأ يبدع .

والاحساس بالغربة ــ على هذا النحو ــ وتحديد أبعادها بدقة ثم تصويرها هى كل ما نريده من الشاعر وهى التى تفرد له شخصية يخالف بهــا الآخرين ، فضلا عن أنها تربطنا به من حيث هو بشر يتكلم فنفهم عنه ونعيش فى هذه الفكرة التى تبزغ وسط أبياته الراعشة بالدفء الباعثة على الدهش والتأمل .

على أننى لا أريد أن أعلم هذا الشاعر .. فهــو معلم ، وأصبح يوما مفتشا عاما للغة العربية فنودى به شاعر المعلمين ، ولكن لم يبايع كل من وقع خــارج دائرة اختصاصه ! والعجيب أنه بعد هذا يجرؤ فيبايع لنفسه هو ، حتى ليقول فى مطلع قصيدته : « رب واحد وشعب واحد » :

الله أكبر شعب قام شاعره
يشدو فأنصت فوق الأيك طـائره

كيف هــذا ؟

ومن أعطى له حق أن يكون شاعر الشعب ؟

وهل لهذا كبر ؟ تلك أعجوبة من غير شك ، ولكنها فيما يبدو ليست كذلك عند الشاعر ــ وقد نسيت أن أقول انه الأستاذ محمود غنيم ــ اللهم الا اذا أعدها من قبيل شطحات الرومانسيين الذين يظنون أنهم يصدعون بالنبوة . وفى هذه الحال فقط نغفر له ، وان تكن طريقته فى «صياغة» أبياته تدل على انه بعيد جدا عن هذه الطائفة الهائمة فى وادى عبقر !

وأرجو الا يفهم من هذا انى أريد أن أقول: ان الشعر الهام ــ فهو مغرم بالأدلة الضد ــ ولكنى أريد ان يفهم

انه لا ارادة وارادة معا،وخطأ أن يكون عقلا فقط أو حرفة تعتمد التلفيق بأساليب المفارقات والمجاز والمطابقات ونحوها • ويبدو الشعر في هذه القصيدة التي جاء فيها بيت المبايعة الشخصية حرفة غير متقنة ومن ثم تضمنت أمشاجا من التصنع والابهام والتيه والخطأ البين •

فاما التصنع فاكثر ما ظهر في المطلع المتكود ثم في الختام الذي يوشك أن يكون معاظلة ،ففيه يقول :

سيف العروبة سيف أنت ولن
يفل سيف اله العرش شاعره

وبين البيتين أبيات أخرى من الممكن أن تراها كل عيني خبيرة • وأرجو الا يسأل الشاعر عن عيني أنا، لأنها ترى المجال لا يتسع الا لمثال واحد أو لمثالين •

واما الابهام فمبعثه ضعف الرؤية الشعرية حتى كأنه يتصور أن « المطلوب » وحده هو رصف الكلمات والعبارات بلا أدنى رباط منطقي •• ماذا يعني بالوحدة في قصيدته ؟ أهي وحدة الدين الاسلامي أم هي وحدة اللغة والواقع التاريخي والمصيري ؟ ثم هل يكتفي بأن تكون هذه الوحدة مجرد شعارات « يشدو » بها شاعر الشعب ليتصنت فوق الايك طائره ؟ وعلى فرض ضرورة التسليم بهذه الشعارات ـ وهي تقريرية ـ فلماذا لم ترتفع الى أن تكون تعبيرا مباشرا عما يجول في خواطرنا ؟ ان الفيصل في القصيدة الجيدة هو أن أحدا لا يكاد يقرؤها حتى يحس كأن هنيهات حياته التي مضت والتي تريد أن تمضي تتجمع كلها في بوتقة واحدة لتنصهر انفعالا وحرارة ، واذ ذاك نقول اننا وراء الشاعر أو معه أو داخل قلبه الكبير •

واما التيه فقد استهللنا بالاشارة اليه ، ونضيف أن الشاعر يحرص دائما على أن يلخص تجاربه في أقوال تشبه أقوال الحكماء مع أنها لا تعدو أن تكون من الخواطر العابرة ، واذكر منها :

صفوا سرائركم من كل شائبة
تصفو الحياة لمن تصفو سرائره

كما نضيف الى ذلك حديثه عن نفسه ـ في مقاله ـ وكيف اعتاد أن يقرأ ما يوجه اليه من نقد وتجريح باحدى ابتسامتين : واحدة راضية وواحدة ساخرة ، ليوحي بأن آلافا كتبوا عنه ، ومن الآلاف أنا ومحرر « البلد » العراقية • وبقدر ما عبطت به أشاد المحرر الكريم ، متناسيا أن في اخواننا العراقيين من الود وأسباب المجاملة ما يمنعهم من أن يواجهوا أمثالنا بكل الحقيقة • وبالمناسبة أتناسى ـ مثله ـ فضيلة التواضع وأسوق ما قالته جريدة « الحارس » العراقية في عددها الصادر بتاريخ ٨ من تشرين أول سنة١٩٥٣ وهي تقدم نقدي لمسرحية الشاعر المرحوم عبد القادر رشيدالناصري ، وكانت بعنوان : «الفاكهة المحرمة» قالت بعنوان فرش ثلاثة عواميد كاملة :

« الفاكهة المحرمة »

« تحت مبضع ناقد مصري كبير الأستاذ أحمد كمال زكي »

ثم داخل اطار كتبت التالي :

« كان الاستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصري قد وضع مسرحية شعرية سنة١٩٤٣ بعنوان«الفاكهة المحرمة » وقد نشرت تلك المسرحية بكاملها في مجلة « الحديث » الحلبية لصاحبها الاستاذ سامي الكيالي مؤخرا • وعندما اطلع عليها الناقد المصري المعروف الاستاذ احمد كمال زكي عضو الجمعية الأدبية ومحرر مجلة العالم العربي ، أرسل لنا هذا المقال ننشره شاكرين وراجين مواصلة الكتابة الينا » •

هذا قبل أن تكتب عن الاستاذ محمود غنيم جريدة « البلد » بأثنتي عشرة سنة كاملة ، فأين كان يومذاك ؟ ثم ماذا يقول اذا أحلته الى الصحف والمجلات العراقية التي بدأت تكتب عني منذ عام ١٩٤٩ ؟ فليعد الى « الهاتف » و « فرندل » و « الأسبوع » و « الثقافة الجديدة » و « العراق اليوم » وغيرها فسيرى ما قد يروعه • ولكنه كان في نظري مجرد دعوة الى مزيد من التحصيل ، وما جعلته يوما أكثر من مجاملة صديق هناك لصديق هنا !

وأخيرا أصل الى الخطأ البين الذي تردى فيه ، وامتد الى مقاله الذي خطأني فيه والى قصيدته « نيسان » • ففي المقال يستعمل « الديمومة » ـ صفحة ١٧ العمود الاول ـ مصدرا من « دان » وهي لا تعني في الأفصح والأصح الا «القضاء والحساب»كما يستعمل « فترة » ـ صفحة ١٧ العمود الثاني ـ بمعنى مدة وهي لا تدل لغويا الا على الضعف والانكسار • وفي حديث ابن مسعود أنه مرض مرضا فبكى وقال انما أبكي لأنه أصابني على حال فترة ولم يصبني على حال اجتهاد ! والعجيب انه يجرؤ فيتهم قلمي « السيال » أنا الذي أرجو أن يرتفع اليه بلمه ليفيد ، كما يغض من معلوماتي التاريخية مع أنني لا أقول مثله ان « الخليل بن احمد واضع علم

العروض وهو بغدادى لحما ودما » ـ صفحة ١٧ المسومه ـ وبالعادة اذكر ان الخليل بصرى لحما ودما وفكرا ايضا ، ويستعف فى ذكر اكبر مصادره !

وفى « نيسان » أخطاء أخرى ساعود اليها بعد أن أفرغ من القصيدة التى جعل منها نفسه شاعر الشعب الاوحد ـ كاننى هنا اذكر قاسم العراق الاوحد ـ انه حتى الان لا يستطيع أن يفرق بين العربى والبدوى او بين العربى والاعرابى ، ويظن وهو يقول :

شعب من البيد ظهر العيس مركبه
أطاعه الكون باديه وحاضره

ثم وهو يقول :

من علم البدوى الماء يركبه
فراح يمخر لج البحر ماخره

أن العرب فى جاهليتهم كانوا لا يعرفون الا الصحراء ، ولم يسكنوا الا الخيام ، ولم يروا البحر، ولم يشيدوا عمارة ، وجهلوا الأطم المشيدة والبساتين اليانعة . ونسى أن القرآن الكريم ـ وهو دائما يفزع اليه ـ بسط من حياة العرب المرهفة ما يفسد عليه نظريته وجعل سكان البيد فى نحو قوله : « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا » و « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » غير سكان الحضر الذين كان فيهم حضارة ويهودية ومسيحية ، ولهم فكر ونظر وفن وعلاقات بامم ركبوا اليهم المواخر كما ركبوا الخيل والعيس . ولقد حرص المؤلفون المسلمون بعد ذلك على أن يفرقوا بين العرب سكان المدن والأعراب الذين يحملون من البادية ـ مستقرهم ـ غريب اللغة ونوادر الأخبار !

ولما كان الأستاذ محمود غنيم يكره « التعالم » فى التاريخ ويحب أن يخوض فى اللغة فاننى أحيله الى اللسان والتاج واشتقاق ابن دريد ثم الى مجمع الميدان ليقرأ عن « توزع » قبائل العرب بين اللونين من الحياة . وسيرى على سبيل المثال أن لفظة «معد» تعنى الخشونة فى المعاش حتى قيل فى الأمثال : « اخشوشنوا وتمعددوا » كما قيل « عليكم بالثياب المعدية » . ويرى الفيلولوجيون أنها تعنى البدو والأعراب فقط ، حتى ان حسان بن ثابت ليجعلهم فى مقابل «الأنصار» سكان يثرب اليمانيين المتحضرين على ما لحظ الدكتور جواد على فى كتابه القيم : « تاريخ العرب قبل الاسلام » . وفى الجانب الآخر نرى على سبيل المثال أيضا فى « الخمس » قريشا وخزاعة وكنانة وهى تشكل قطاعا خطيرا من السكان المتمدنين الى أبعد حدود التمدن ، وبلغ من «تنظيم» عيشهم أن وضعوا لهم طقوسا دينية معينة وأساليب اجتماعية لم يكن لها من سبيل الا حيث الرفاهية الكاملة .

و .. أشياء كثيرة اخرى نسكت عنها، كماتسكت عن تفتيته الأمة العربية الى « شعوب » مصر والجزائر والشام (!) والعراق ، مع أنه يدعو الى « شعب » واحد .

هكذا تبدو القصيدة متداعية البنيان ـ برغم سطحها البراق ـ مفتقدة كل قدرة على أن تثير فينا ما هو مخزون ، حتى ليصعب كثيرا أن نزعم أن الاستاذ غنيم كان بشرا يتحدث الى بشر !

فاذا تركناها الى « نيسان » فكاننا نستبدل بالجدب جدبا ، مع أن القصيدة مليئة بذكر الورد والطير والنسيم والماء والنبات والعبير ثم تحلية أخيرة بتفاح الخدود ورمان النهود .

وتلفيق الصور هنا ـ من حيث هو عملية عقلية ارادية ـ يظهر اكثر مما ظهر فى القصيدة الاولى ، بخاصة اذا قلنا ان المعانى لم تخرج عن أن الطير يصحو ويغنى ، والنسيم يعربد بغصون الدوح ، والنبات يكسو الارض بسطا خضرا ، والعبير يفشى سر الزهر ، والماء يسبح فيه البط كاسطول سلم ولم تندلع منه نحو الشاطىء نيران !! وبعد ذلك نراه ينثر فى أبيات ستة تبتدىء بالبيت التاسع بيتى البحترى التاليين ، وقد وردا فى معرض مدح الهيثم الغنوى :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
اوائل ورد كن بالامس نوما

ولا يمكن فى الحقيقة تجاهل شعر الطبيعة عند محمود غنيم ، ولكنه بلا استثناء حافل بالصور المتداولة التى تعجز عن تخطى السطح الخارجى ، ولا سيما اذا وصف الريف . ويمكن أن نقارن بينه وبين الشاعر محمود حسن اسماعيل فى ذلك لنرى كيف لا تستطيع الكليشهات التقليدية عنده ومثلها « عرس الربيع » و « موكب الشمس » و « تغريد الطيور » أن تكون أكثر من صناعة لغوية تنقصها الملكة الشعرية ـ لا النظمية ـ التى تجعلها حية .

وشعراء الطبيعة فى العالم لا تنقصهم هـذه الملكة قط ، ولكن أغلب شـعرائنـا عاطلون منهـا لانهم يوجهونها دائمـا اما الى ايهامنـا بصريا عن طريق الألوان الحسية التى ترتبط آليا بافراح الربيع واما الى تصديع رءوسنا بالحـديث عن الولائم الريفيـة المأثورة فى التاريخ .

وليعذرنى الشـاعر محمود غنيم لاننى أبحث فى « نيسان » عما يريد أن يقول ، ما هو ؟ وعلام يدل؟ هل فيه لمسة من لمسات الانسان الذى يحس بعمق الحياة وتكشفها فى دنيا الطبيعة بالعبقرية القادرة على أن توحد تماما بين شخوص هذه الدنيا وعقله هو واحساسه هو وعاطفته هو ؟

أيريد أن يعرف لماذا خلد وردزورث شاعر الطبيعة الطبيعة الذى أشرنا اليه قبل ؟

أنا لا أريد أن أعقد مقارنة بينهمـا ... اعتذر لوردزورث ، ولكنى أقدمه نموذجا معروفا على الرغم من ترديه أحيانا فيما يتردى هو فيه أقدمه لأنه واحد من الذين يوحدون بين ذواتهم وقوى الطبيعة . اقدمه لأنه يتوغل فى معالم الطبيعة.. أقدمه لأنه من حيث هو رومانسى رائد ـ يمزج تجربته الشخصية بالجبل والنهر والريح والسحاب كاشفا عن خبايا نفسه دون أن يظل الصخر مثلا عنده صخرا أو قد يحس فيه حياة مع أنه صفوان :

الصخر يبدو لعينى فيك منتشيا
احس فيه حيـاة وهو صـفوان

ان هذا البيت يكشف عن منهج الشاعر غنيم فى أحسن حالاته ، ولكن يقابلنا من جانب آخر أى بيت من تقريراته التى تشبه مأثور الكلم كان يقول :

وللربيع خمـور لا كروم لهـا
ولا كئوس ولا دان ولا حـان

البيت قديم كما نرى فاذا تركنـاه وتركنا كل شىء الى أخطائه التى وعدنا بالاشارة اليها وصلنـا الى ما سيكره من علم الجغرافيا مع أن معرفة شعراء الطبيعة به واجبة ، فهو يقول :

قالوا الربيع فقلت العـدل طابعه
لا فى النهار ولا فى الليل طغيان
تعادل الليل فيه والنهـار معـا
كأنمـا هـو للأيـام ميـزان

وهذه فكرة ـ وقد ظنها طريفـة ـ لا يمكن أن تكون صحيحة لسبب علمى هو أن الربيع لا يعتدل فيه النهار والليل مطلقا ، بل لا يعتـدل هذان فى كفتى ميـزان الا فى يومين اثنين يوافقـان ٢١ من مارس ، ٢٣ من سـبتمبر ويسـميان بالاعتـدالين الربيعى والخريفى ، والسبب ميل الأرض على مستوى فلكها بزاوية قدرها ٢٣٫٥ درجة تقريبـا ، وهـذا الميل يجعل أشعة الشمس عمودية على خط الاستواء فى اليومين المذكورين فقط ومن ثم يتساوى طول الليل والنهار . ومعنى هذا أن ما قاله فى الربيع ـ اذا صح ـ يجب أن يقال أيضا عن الخريف وهـذا كما أظن لا يرضـيه من حيث هـو شـاعر يريد أن يغنى بنسيان لاعنـا الخريف الذى يخيفه ويفقده الكثير مما يحب أن يمتلك !

ويقترب من الجغـرافيا علم يعنى بحيوان الأرض ويقرر بصراحة أن العصافير لا تغرد بمعنى تطرب ولكنها تسقسـق كما يعندل العندليب ويسـجع القمرى ويهدل الحمام وهكذا ، غير أنه برغم ذلك يقول :

كل الطيور عصـافير مغـردة
فيـه وكل مكان فيه نيسـان

وربما كان يصح كلامه لو أنه قال « كل العصافير طيور مغردة » على أساس استغراق النوع فى الجنس، ولكنه فيما يبدو لا تعنيه صحة الفكرة بقدر صحة الوزن ، ومسـالة التغريد على هـذا النحو تذكرنا ببيته الذى يقول فيه :

ليست معـازفه رقا ولا قصبا
لكن معازفه طير وأفنـان

وقد اصطلح فنيا ـ برغم نص بعض المعاجم على غيره ـ على أن الأوتار فى العود والقيثارة والطنبور هى ما يعزف عليه فقط ، فى حين ينقر على الرق وينفخ فى القصب . وبالمناسـبة نقـول ان سجع القمرى يسمى عزفا ، وحفيف الريح يسمى عزفا ، وقريب من ذلك عزيف القوس اذا صـوتت وعزيف الجن الذى ذكره شوقى فى وصف الطائرة ، وثمـة العزف ـ بضم العين ـ وهو ضرب من الطيور البرية المغردة .

ويسألنى الاستاذ محمود غنيم : هل ينقص هذا من حيوية القصيدة ؟ فأجيب أنا لا أفهم الحيوية الا فى جو صحى وفى بناء سليم ، ولهذا فان قصيدته من وجهة نظرى تحتاج الى علاج ، وفى يده هو الدواء ، او يمكن أن يستفتى فيه طبيبا غيره .

وبعد .. فتلك نظرات وجهنى اليها مقاله « كيف نفهم الحقائق الشعرية » وأعد القارىء أنى سأزيد الاجابة وضوحا عندما أقدم له نقدا لمسرحية شعرية قدمها هو ذات يوم بعنوان « النصر لمصر » .

« د . أحمد كمال زكى »

وليشهد الله .. !

للشاعرة الدكتورة : عاتكة الخزرجي

يحمل البرق سلاما لنا   لله ما اكرمه عندنا .. !
يدعو لنا الله لكل المنى   وانه السؤل وكل المنى .. !
يفى على غدر فاذكى الجوى   واوشك المستور ان يعلنا
يهاج من ادواننا كامنا   يقضى عليها الوجد ان تكمنا
فكادت الفرحة تودى بنا   ياليتها اودت .. وياليتنا .. !
اقسمت بالحب باحكامه   باللهفة الحيرى .. بفرط الضنى
وليشهد الله بانى على   عهد الهوى ابقى وانى انا ..

د . عاتكة الخزرجي

قال الصغير ..

للشاعر : محمد مصطفى المليجي

قال الصغير واين امي يا ابي ـ ؟
اتعود بعد غيابها اتعود بعد المغرب ؟
وجرى الصغير وراح يفتح بابه
ويقول امي في الظلام فلا ترد جوابه
فهرعت من فورى وجئت بلعبته
فابى وامعن في البكاء وحدته
واتيت بالحلوى وماء السكر
فابى ولم يشرب وانكر مظهرى
وظللت اضحكه وسرت على يدى
اركبته ظهرى فلم يقبل على
ورايته قد ثار محتجا يقول اريدها
فانا احبك يا ابى وانا كذاك احبها
ورايته قد نام لكن قد سمعت تنهده
والحزن اقلق باله واراه حقا اجهده
وبكى واسلم نفسه للحزن والالم الدفين
ورايته في حسرة قد راح في نوم حزين
قد قمت اسرع للفراش ونمت في لهف بقربه
فصحا وفتح عينه ورايت دمعات بهدبه
في الليل نادى يا ابى وجرى واسرع في لهف
ففتحت بابى مسرعا والام تنظر فى شغف
ورايته قد راح يلثمها يقول حبيبتى
فتقول عذرا يابنى فانت كل سعادتى
ورايته قد عاد عصفورا وغنى منشدا
ورايته فى فرحة بعد السكوت مغردا
راحت تداعبه فاطلق ضحكته
وشدا وغنى بعد حزن غنوته



أمريكي في رحاب الحمراء

للدكتور: الطاهر احمد مكي

« اعطه صدقة يا سيدتي ... فليس في الحياة قسوة تعدل ان يصبح المرء اعمى في غرناطة »

ف . ا . دلكانا

- ١ -

رأى الحياة لأول مرة في مدينة نيويورك ، في الثالث من شهر أبريل عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة والف ، طفل عليل نحيل ، من أب اسكتلندي وأم انجليزية ، اسمه وشنجتن ارفنج ، ولم تكن المدينة يومها ، كما هي الآن ، زاحمة بالسكان ، زاخرة بالنواطح ، مادية الطابع ، آلية الحياة ، الدولار فيها أكثر الآلهة أتباعا ، انما كانت مجرد مدينة متواضعة لا يزيد أهلوها على ثلاثة وعشرين ألف ساكن ، تدعى « **امستردام الجديدة** » ، اشتراها المستعمرون الهولنديون من الهنود الحمر بأربعة وعشرين جنيها ، ثم بدأ فقراؤهم يتوافدون عليها واحدا اثر آخر ، يقيمون فيها متاجر صغيرة لبيع الأقمشة الزاهية المخططة ، وجلود الدببة البيضاء الناصعة ، وتلا هؤلاء مهاجرون آخر ، أرسلت بهم شركة « الهند الشرقية الهولاندية » الى هناك ، من طبقة أوفر ثراء وأكثر ثقافة ، لرفع مستوى الحياة وتحبيب المهاجرين في البقاء . وقد نقل هؤلاء الهولنديون ، فقراء وأغنيا‌ء ، كثيرا من أساطيرهم وتقاليدهم ونماذج حياتهم ، فثمة طواحين هواء كسولة ، وشوارع ضيقة متعرجة ، وبيوت معتمة اللون ، عتيقة المعمار ، وسكان يعملون في هدوء ، ويتثاءبون حياتهم في تراخ ، فاذا غربت الشمس وجن عليهم الليل ، تجمع عجائزهم وشيوخهم على عتبات البيوت ، يدخنون ويتأملون ، يتحاكون تاريخ أوائلهم ، ويتقاصون ذكريات أمسهم ، ويتندرون بأساطير أسلافهم ، وما فيها من خرافات وغرائب وخيال ومعجزات ، وقد ظل هؤلاء الهولنديون يكونون أغلبية السكان حتى مطلع هذا القرن على الرغم من احتلال الانجليز للمدينة زمنا ، ومجيء مهاجرين جدد من جهات أوربية شتيتة ، ومن ثم فان التقاليد الهولندية ظلت سائدة ، وفرضت نفسها على تقاليد الآخرين !



ارفنج وشنتجتون صاحب كتاب حكايات الحمراء

كانت أسرة وشنجتن قد هاجرت الى نيويورك قبل مولده ببضع وعشرين عاما ، مع ذخيرة متواضعة من المال ، وحصيلة وافرة من البنين ، فقد كان أخوته أحد عشر ولدا ، ولكي يعيشوا كان عليهم أن يعملوا كثيرا وجميعا ، وفي ظروف كهذه يكون ما تستطيع الأسرة أن تقدمه لأولادها من تربية غالبا بالضرورة محدودا ، لكن الطفل وشنجتن أحس مبكرا برغبة نهمة للقراءة ، وكانت مؤلفات تشوسر وسبنسر واديسون في مكتبته ، فاستوعبها على نحو يمكن القول معه أنه حفظها ، وكان مغرما بالرحلات وحيدا ، يتجول فيما حول المدينة ، ويتغذى بحكايات الأمهات وأساطير الجدات ، يقبل عليها ويهتم بها أكثر من حرصه على دراسة الحقوق ، وكان قد انتسب الى مدرسة لها .

وعندما بلغ العشرين من عمره كانت حالته الصحية دقيقة وتدعو الى القلق ، فاهتم اخوته بأمره ، وارسلوه الى جنوب اوربا عام ١٨٠٤ لكي يشفى مما به من علة ، فبقي هناك قرابة عامين زار فيهما ايطاليا وهولندا والجلترا وفرنسا ، حيث درس الفن في باريس.وقد ذهبت علاته الجسمية بالراحة والعناية وتغير الأجواء والتعمر على ضعفه النفسي وتردده بالسفر والتنقلة ولقاء الناس ، فلما عاد الى وطنه عام ١٨٠٦ كان قد استرد عافيته وتسلى من دائه . فتابع دراسة الحقوق بعد أن انصرف عنها ، لكن الأدب كان يبدو أكثر جاذبية له من القانون ، وتعاونت اسباب ثلاثة على قناعته بأنه خلق للكتابة وحدها : بدن عليل ، واحساس بالمرارة عميق ، وفشله في حبه ، فقد توفيت خطيبته وهي في ريعان شبابها ، ابنة تسعة عشر ربيعها !

ولكي يرضى رغبته اصدر بالتعاون مع أخيـــه « جيلرمو » وصديقه جاكوب ك • بولدينج صحيفة شهرية ، غايتها تربيـــة الشبان ، وتهذيب الكبار ، واصلاح المدينة ، وتتخذ لها سلاحا من الفكاهة المرحة والسخرية اللاذعة والمقال الناقد . فالتفت حوله جماعة من الشباب يدينون برأيه ويسلكون منحاه ، وفيها بدا يكتب عن مدينته نيويورك ، فلم ينج من سلاطة قلمه احد ، ولم يتهيب الحديث عن اية نقيصة ، وصنعها أسطورة في شـــكل تاريخ ، وأجرى أحداثها على لسان فارس هولندي قديم ، اسمه « **ديدريش كنكربوكر** » ، كان موضـــع احتقـــار صحف عصره وازدرائها ، ومن حكاياته كانت تتخذ المثل والشواهد ، لكن رفاقه في الرحلة تعبوا بعد عشرين عددا من الصحيفة ، فانفضوا عنه ووقف هو اصدارها •

لكنه لم يتوقف عن كتابة « **تاريخ نيويورك** » ونشره كتـــابا كاملا في مدينة فلادلفيا ، فلاقى تقديرا واقبالا ، الا أن حريتـــه في النقد ، وبراعته في تصوير النقائص ، أثارت عليـــه حفيظة شركائه في الوطن ، ممن لا يحبون الحديث عن أمسهم المتواضع وهفواتهم الانسانية ، أمام الآخرين . فلما أعاد طبعه في الجلترا رحب به الشاعر الانجليزي توماس كامبل (١٧٧٧ ــ ١٨٤٤) ، والقصاص المشهور والتر سكوت (١٧٧١ ــ ١٨٣٢) ، وعد واحدا من الكتب الطيبة التي أثرت الأدب العالمي ، وكانت قوته تتمثل في سخريته ، وروعة الحوار ، ودقة تصوير الأحداث ، مما يوحي بانها وقعت فعلا ، حتى أن ناشرا ألمانيا كبيرا ، يدعى جوللر ، ذكرها في معجمه على أنها تاريخ حقيقي •

لم يكن وشنجتن يعتبر « تاريخ نيويورك » بداية عمل أدبي له ، انما ، والتعبير له شخصيا ، مجرد لعبة روحية ، وقد توقف بعد اصدار كتابه هذا طويلا ، أعواما تبلغ التسعة ، لم ينتج فيها شيئا ، او أنتج شيئا قليلا للغاية لايدخل في الحسبان ، لانه لم يكن رضي المزاج ، وكان على خلاف شعوري مع ما حوله ومن حوله فقرر الرحيل الى أوربا بحثا عن عالم مختلف ورؤى جـــديدة ، وواتته الفرصة حين استقر السلام في وطنه بانتهاء الحرب الثانية والاخيرة بين الولايات المتحدة والجلترا ، وتوقيع السلام النهائي، منتهيا فرصة مشاكل مالية عرضت لمؤسسة تجارية كان يملكهـا اخوته ، والحاجة الى حلها في لندن ، فغادر نيويورك وفي ذهنه أن يبقى بعيدا عنها شهورا ، لكن غيبته استمرت ستة عشر عاما متتالية ، ذهب أولا الى الجلترا واليها سبقته شهرة فياضـة ، فرحبت به محافلها الادبية • زار « كامبل » في « سيدنهام » وحل ضيفا على الناقد الاسكتلندي « جفري » ، وقضى أياما في ضيعة « والتر سكوت » ، واعجب بلندن ، فقد كانت ملء أحلامه طفلا ، ويقول عن نفسه « ولدت وتربيت في بلد ناشيء ، لكني تكونت ، مذ كنت صبيا ، في أدب أمة عريقة ، وارتبطت روحي مبكرا مع ذكرياتها التاريخية ، ومع الشعراء الذين شاركوا في هذه الأحداث ، وعاشوا في هذه الأمكنة ، ووصفوا عادات أوربا وتقاليدها ، وليس ثمة شيء من هذا يمكن أن ينسب الى وطني ، الا في حالات نادرة » • أعجب في الجلترا بالاســاطير الجذابة الخطرة ، وبالحياة الريفية الوادعة ، وبقلاع الســادة المحصنة ، وبالفرح والانطلاق يغمران كل الناس في حفلات وأعياد الميلاد •

وصل الى لندن في سن فتية ، ليس له من العمر غير ســتة وثلاثين عاما ، وبلا موارد ، فقد أفلس اخوته ، وفقد هو ثروته المستثمرة في مناجم بوليفيا ، فلم يبق أمامه غير العمل ليعيش، فحمل قلمه وشمر عن ساعده ، يؤلف في الجلترا ، وينشر في الولايات المتحدة أو لندن أو باريس ، وبين عامي ١٨١٩ و ١٨٢٠ نشر كتاب « مسودات » في نيويورك ، واشترت منه دار « ميراي » للنشر في فرنسا عام ١٨٢٤ كتابه « حكايات رحالة » بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه استرليني ، وهو ثمن طيب بالنسبة لعصره ولو أن هذا الكتاب أدنى مؤلفاته ، اهمية وفكرة واسلوبا ، وكان مثار نقد عنيف في العالمين القديم والجديد ، ربما لأنه لم يكن استجابة حقة لالحاح شعوري ، بقدر ما كان محاولة لربح مادي •

لكن مفاجأة كانت تنتظره لم تدر بخاطره يوما ، ولم يفكر فيها لحظة ، ولو لم تعرض له لظل على الرغم من كل ما ألف وكتب أديبا محليا ، يهتم به الناطقون بلغته ، وأبناء وطنه ، ومؤرخو الحياة العقلية فيه ، دون أن يتخطى حدوده الاقليمية الى آفاق رحيبة ، لا تقف دون اجتيازه اليها عوائق اللغة أو الذوق أو الجنس ، ففي عام ١٨٢٦ كان الكسندر هـ • افريت يفـــاوض اسبانيا كي تعترف بحكومة بلاده ، بعد انتصارها في الحرب مع الجلترا ، وحصولها على الاستقلال ، فلما نجح في مسعاه ، عين أول وزير مفوض للولايات المتحدة في مدريد ، فكتب في الحال الى صديقه وشنطن يحثه على المجيء الى اسبانيا ليعمـــل معه في السفارة شكلا ، وليقوم في الواقع بترجمة كتاب « رحـــلات كولومبس » ، التي ألفها الاديب الاسباني راموند دي افريت ، ويجري طبعها في مدريد ، وكان الدبلوماسي الامريكي قد سمع ثناء عليها ، فاعجب بموضوعها وتاق الى نقله للغته الوطنية ، ونشره في مسقط رأسه •

وجاء وشنطن الى اسبانيا ، وفيها وجد جديدا بدأ به ومعه رحلة أخرى •

- ٢ -

جاء وشنجتن الى اسبانيا عام ١٨٢٦ ، فوجدها دولة متأخرة ، تحكمها ارستقراطية جاهلة ، وتسيطر على مصائر الأمور فيها رهبانية متعصبة ، ويتغشاها ظلام دامس من كل جوانبها ، حتى كره الناس الحياة فهم لا يعملون ، فاذا أجبروا هربوا ، واذا عوقبوا خنعوا ، ولم تكن هناك عدالة ولا احساس بها ، والاعدام هو الأداة الوحيدة التى تنتظر المخالفين فى الرأى ، وكانت السجون مكتظة ، والمحاكم آهلة ، والمجالس العسكرية تباشر عملها بلا قانون يحقق وجودها ، ولا تقاليد تحدد رسالتها ، وطبقة مبغضة من رجال الدين الهها المطران « آوسسا » أو « ملاك الابادة » كما كانت العامة تسميه ، عمت كل اسبانيا ، ومهمتها ملاحقة الاحرار وابادتهم ، وكانت الجاسوسية تحكم الدولة ، يراقبون نظرات الناس وحركاتهم وقراءاتهم وحتى نبضات قلوبهم ، والكتب الأجنبية ممنوعة كلية ، الى جانب الكتب الوطنية التى تعالج موضوعات متحررة ، أو تدرس العصر العربى فى موضوعية ، او تنظر اليه بعطف ، واقيمت رقابة صارمة على كل ما يطبع من صحف أو كتب ، أو يمثل فى المسارح من روايات ، وكان رجال الفكر المتحررون ــ يوما ما ــ اما فى السجن أو المنفى ، وبدا رجال الدين يطالبون بعودة محاكم التفتيش رسميا ، وقد اقيمت يوما لاستئصال شأفة المسلمين بعد انتصار المسيحيين ، وظلت تباشر عملها منذ أن اقر مجمع « فيرونا » المسكونى عملها عام ١١٨٤ الى أن الغيت فى اسبانيا نهائيا عام ١٨٢٠ (قبل قدوم وشنجتن الى اسبانيا بسنوات خمس) ، ولو أنها ظلت قائمة على الصعيد العمل حتى مطلع القرن العشرين .

كانت الطرق مليئة باللصوص ، والمدن مثلا فى القذارة ، وبلغ اضطراب الأمن الشخصى والجماعى حدا لم يعد معه أحد آمنا على نفسه أو ماله ، وبدا الناس همسا يترحمون على أيام نضرة ، وحضارة خضرة ، طابعها الرخاء والتسامح ، وعمادها العلم والثقافة ، وغايتها السعادة وتكريم الانسان ، أضاءت جنبات الجزيرة يوما على أيام العرب المجيدة .

وأيا ما كان الأمر ، فقد وجد وشنطن اسبانيا دولة تتكون من دول ، قشتالية اللغة ، كاثوليكية الدين ، لكنها عربية السحنة ، اسلامية التقاليد ، شرقية التراث ، تتناثر الألفاظ العربية ، صحيحة أو محرفة ، من أفواه فلاحيها وطبقاتها الدنيا ، وتملأ أساطير العرب عقول الناس ووجدانهم ، وتجرى حكايات ملوكها وترفهم على كل لسان ، لم تكن المدرسة قد انتشرت لتفرض على الاطفال نسيان الألفاظ العربية واحلال بديل لها من أصل لاتينى ، ولم تكن هناك مواصلات ميسرة ، ولا صحف منشورة ، ولا اذاعات مبثوثة ، تعين على تسهيل عملية « **المحو** » الثقافى ، كما حدث فى هذا القرن ، بعد أن نجح التعصب فى استئصال التراث المادى ، باخراج المسلمين أو تقديمهم قوافل الى مقاصل الاعدام ، وكان وشنجتن حر الفكر ، السامى الوجدان ، مفتوح القلب ، فاورد لنا بعضا من تقاليد العرب الباقية ، لا نجدها فى كتاب آخر ينتمى الى هذا القرن (لاحظ أن ذلك كان فى القرن الماضى ، أو على وجه التحديد منذ مائة عام) ، ولم يقعد به مرض فى النفس أو غل فى القلب عن نسبة الفضل الى ذويه .

يقول وهو يتحدث عن نظام السفر ، فى كتاب « حكايات الحمراء » : « **ان مخاطر الطرق حملتهم على السفر فى نظام يشبه الى حد ما نظام القوافل فى الشرق ، فالحمالون يجتمعون فى قوافل ، ويسافرون فى أيام معلومة ، فى صفوف طويلة كاملة العدة من السلاح ، ثم ينضم اليهم المسافرون الذين يزيدونهم عددا الى عدد ، وقوة الى قوة** » .

« **والمكارى الاسبانى عنده ذخيرة لا تنفد من الاغانى والقصص الشعرية يسرى بها عن نفسه فى سفره المتصل ، فى نغمة بدائية سهلة ، تتكون من مقاطع قليلة ، رافعا بها عقيرته فى قوة ، مادا صوته ، مقطعا نغماته ، على حين قد جلس جانبا من ظهر بغلته ، التى تبدو كأنها تنصت اليه ، موفقة بين خطوها والنغم ، والمقطوعات التى يغنيها هى فى كثير من الاحيان غراميات متواترة عن عرب اسبانيا ، او شىء من أساطير القديسين ، او بعض من اناشيد الحب ، وكثيرا ما يرتجل المكارى اغنية على البديهة يصف فيها مشهدا يقع عليه ، او حادثا من حوادث الرحلة ، وله ولع جنونى بالاغانى الشعرية يستمع اليها بين مناظر الوحشة والوحدة ، مصحوبة احيانا بجلجلة اجراس البغال ، وهذه القدرة على الغناء والارتجال شىء شائع بين الاسبان ، ويقال انها موروثة عن عرب اسبانيا** » (١) .

موروثة حقا وليس ذلك مجرد استنتاج ، ولو محوت كلمة البغل واستبدلت بها الجمل ، وحذفت لفظة اسبانى وأحللت مكانها كلمة عربى ، لما تصورتها الا قافلة تقطع فيافى الجزيرة العربية فى القرن الخامس الميلادى أو ما تلاه من قرون ، بنفس الطابع والحياة والتقاليد ، واذا كان ركض البغال فى اسبانيا موجدا لنوع معين من الشعر الاسبانى ، فقد كان وقع الجمل فى الجزيرة العربية مصدر نشأة الشعر العربى بأكمله .

وجد وشنجتن نفسه بازاء عالم جديد ، لم ير له مثيلا فيما زار من أوربا ، وقبل أن يحدد طريقه بدأ يتأمل ما حوله ويدقق النظر فيه ، يتفهمه ويتمثله ويتجاوب معه ، وصنع كل ذلك فى

---

(١) ما بين الأقواس منقول ، بتصرف بعض الشىء ، عن الترجمة العربية لحكايات الحمراء ، وقد قام بها الاستاذ ابراهيم الابيارى ونشرتها دار المعارف بعنوان « قصص الحمراء » عام ١٩٥٥ .

هدوء وعلى روية ، فانتهى به المطاف الى شيء آخر ، غير ما أراد لنفسه أولا ، وغير ما فكر فيه صديقه الوزير .

وكانت مهمته الرسمية أن يعمل ملحقا في سفارة الولايات المتحدة في مدريد ، اما واقعا فكان يراد منه أن يضطلع بترجمة « رحلات كولومبوس » ، ولقد بدأ فيها فعلا ، لكنه ما كاد يرى الوثائق التي تزدحم بها دور المخطوطات الاسبانية ويقارن بينها وبين ما في الكتاب،حتى أدرك أن الكتاب ترجم تحت رعب محاكم التفتيش المصلت ، وفي جو يفتقد حرية الفكر تماما ، فعزف عن الترجمة ، وبدأ في كتابة سيرة الرحالة الاسباني ـ أو الايطالي ـ من جديد ، في موضوعية علمية ، وعلى نحو أكثر حيادا ودقة . وفي أسلوب أكثر طلاوة ورقة ، واقتضته ضرورة البحث أن يزور دور المخطوطات في الاسكوريال ، وأن يرحل الى اشبيلية « حيث ترقد كل الوثائق الخاصة بحياة كولومبوس وباكتشاف أمريكا ، في دار مخطوطات « جزر الهند الغربية » .

جاءت رحلته الى الأندلس ـ ويطلق الاسم الآن على مقاطعة تضم اشبيلية وقرطبة وغرناطة ـ في الربيع ، أجمل فصول العام في شبه الجزيرة ، وفي عصر لم تكن القطر البخارية قد اخترعت بعد ، وذهب في رفقة زميل ودليل وسائس كان يحكي لهم عبر الطريق مئات من الحكايات الجميلة عن اللصوص وقطاع الطرق، وفلول العرب اللائذين بقمم الجبال ، يثيرون السخط ، وينشرون الرعب ، وعن الحروب الماضية والبطولات الخارقة ، وكرامات القديسين . كانوا يقطعون الرحلة في بطء ، يتحسسون روح الارض التي يعبرونها ، ويرتشفون روعة الطبيعة التي تحدق فيهم ، ويتوقفون في القرى والضياع للتخفف من تعب السير ووعثاء الطريق ، يتحدثون الى كل من يلقون من عابري السبيل: متسولا يستجدي ، أو متبطلا يطلب عملا ، أو فلاحا في الطريق الى حقله أو عائدا منه ، أو تاجرا ذاهبا الى سوق الضيعة ، أو نبيلا يمتطي صهوة جواد أصيل ، وتحف به حاشية عديدة . فاذا حان وقت الغداء افترشوا الارض على عباءة أو ملاءة . واستظلوا بأشجار الزيتون ، يأكلون سويا ويتقاسمون الزاد عدلا ، وشيئا فشيئا بدأت تتكشف له معالم الحضارة العربية ، ممثلة في بقايا القلاع والحصون ، والمدن ، وهندسة تخطيطها واختيار مواقعها ، والزراعة وطرائق غرسها وارورائها وجمع محاصيلها، وعندما وصل الى اشبيلية وجد نفسه وسط عالم رائع ثرى بالتاريخ والمجد ، وتبدت له عظمة الحضارة العربية في الوثائق وفي حياة الناس بصورة لم تتضح له في أي كتاب قرأه من قبل . عاش بعقله وقلبه وأعصابه مع العرب المطرودين بعد اقامة امتدت ثمانية قرون أو تزيد ، وجرى بين يديه عدد من الوثائق التي تتصل بمحاكم التفتيش ، فأثارت اشمئزازه وحنقه، وعرف العرب في تراجم مدوناتهم وكتبهم على حقيقتهم ، فرسانا نبلاء ، لا يذكرهم من جاء بعدهم الا عبر الأساطير والحكايات ، لحظتها قرر أن يكتب سلسلة من الكتب تهدف الى اجلاء حقيقة هذه الحضارة السامقة ، وتعريف مواطنيه بانجازاتها وأصحابها ، وكانت مجهولة لهم تماما .

عرف مثلا أن اشبيلية كان بها على أيام العرب مائة ألف معصرة لاستخراج زيت الزيتون ، وأن هذا الرقم الهائل من المصانع ، كان في كورة واحدة يفوق المعاصر التي توجد في اسبانيا كلها على أيامه ، ودرس موقع مسجد اشبيلية الجامع وتاريخه ، وأسف من قلبه للتعصب الاحمق الذي أطار صواب رجال الدين الكاثوليك فجعلهم يهدمون واحدا من أعظم مساجد اسبانيا ، على الرغم من أنهم حولوه الى كنيسة غداة انتصارهم عليها عام ١٢٤٨ م بزمن قليل ، وكان يطيب له أن يقف طويلا في هجعة الليل ، ملفوفا في ضوء القمر ، وحيدا الا من نفسه ، يتأمل مئذنة المسجد الباقية « **الغيرالدا** » يغوص الى ما وراء هيكلها المادي ، يتأمل فيها التاريخ والفن وزهوة الانتصار . بل ! ... أن المئذنة الخالدة بروعة معمارها ، استطاعت وحيدة بلا مؤذن ولا داعية ولا مصلين ، أن تنتصر على طوفان التدمير الزاحف ، يمحو كل ما هو عربي ، وأن تبقى وتخلد ، وتظل حتى أيامنا هذه شاهدا حيا بليغا على حضارة كان أبرز سماتها البناء والتعمير !

وراعه « **قصر** » اشبيلية ، وقد بني بعد اجلاء العرب عن المدينة ، على أنقاض قصر كان للمعتمد بن عباد ، ولو أن مساحته الآن نصف ما كانت عليه أيام الملك العربي ، وقد جدده الملوك الاسبان أكثر من مرة بأيدي مهرة من صناع العرب وأشرافهم المطرودين ، وآخر تجديد شامل له تم على يد فيليب الرابع عام ١٦٢٤ ، وتمت عملية التجديد بأيدي مهندسين من العرب أيضا ، من البقية المتخلفة من الطرد النهائي لهم ، الذي تم في عهد سلفه فيليب الثالث ، وربما استثنوا من قرار الطرد ، كبقية أخرى من كبار المهندسين والفنيين ، ليقوموا بهذا العمل قصدا . ومن الواضح في القصر أن هؤلاء الصناع العرب ، على الرغم من أنهم أكرهوا هم ، أو آباؤهم ، على اعتناق الكاثوليكية كانوا استجابة لدوافع نفسية يجعلون كل زخارفه بآيات قرآنية وأبيات من الشعر العربي ، على التأكيد نقلوها دون ادراك لمعناها أو فهم ، وان كانوا يستطيعون قراءاتها ، فقد ظل هؤلاء العرب يكتبون الاسبانية اللغة التي فرضت عليهم فرضا بحروف عربية حتى الى ما بعد تجديد القصر كأنهم يتحدون المنتصرين ، ويسخرون من جهالتهم . وقد عرف وشجين أن هذا القصر ليس الا تقليدا غير دقيق لقصور الحمراء في غرناطة ، فهاجه الشوق لرؤيتها ، وشد رحاله اليها ، وفيها كانت له جولات وصداقات ، والتاج به دخل التاريخ من أوسع الابواب .

للمقال بقية .. **« د . الطاهر احمد مكي »**

الى الزوجة الحزينة

للشاعرة : روحيه القليني

مندور هل ودعتها قبل السفر ... وهل استعدت للفجيعة والقدر
هل قلت يا ملك العزيزة كفكفى ... دمع الشجون فلا سبيل الى الحذر
انا راحل فاطوى جناحى رقة ... حول الصغار وكفكفى تلك الدرر
ملك العزيزة هدهديهم كلما ... ذكروا آباهم فى المساء وفى السحر
قد كنت عونهمو وكنت رجاءهم ... لكننى لبيت اكرم من امر
انا قد تركت لهم حديثا لم يزل ... يسرى بسمع الكتب كالدر انتثر
وانا الاديب وما يورث عالم ... ابناءه بعد الممات سوى الذكر
فهمو وكتبى ذكريات حلوة ... عودى اليها كلما الدمع انهمر
وتحركت اشجان شوقك للذى ... فضلت صحبته على كل البشر
وترفقى بقلوبهم وتجلدى ... واسقى بعطفك بعد فرقتنا الزهر
فهمو براعم لم تزل اغصانها ... فى حاجة للرى من عطف المطر
انا قد تركتك للحياة مريرة ... فتحملى عنى بقيات العمر
قد عشت بين محابرى لرسالة ... سيرى على نهجى على طيب الأثر
وقضيت ايامى اصوغ مشاعرى ... ونذرت عمرى للكفاح كمن نذر
ذوبت اعصابى فكانت قصة ... تحكى النضال المر فى وادى الفكر
قد كنت لى نعم الشريكة دائما ... امل عليك رسالة فيها العبر
فتسجلين مشاعرى بامانة ... ورعيت أولادا لنا منذ الصغر
ورضيت عنك وعن رياك ولم اقل ... أنا ذاهب يا ملك فى طى الحفر
اذ كيف انطق قبل موتى كلمة ... أدرى صداها والعذاب لمن شعر
قولى لليل فى الزفاف باننى ... قد كنت أرجو أن أجامل من حضر
وارى الذين أتوا لها فى عرسها ... والفرحة البيضاء يبديها النظر
وتقول يا ابت الحبيب وانت لى ... نعم الصديق على الطفولة والكبر
فارد ذا قدرى ومالى حيلة ... غير الدعاء لها يجنبها الضرر
وسيفخر الأبناء بعدى اننى ... قدمت فى دنياى أمجاد الصور
وسيذكرون اباهمو فى محفل ... لو أن بالآباء غيرهمو افتخر
ان الحياة رسالة قدسية ... قدمتها والناس فى الدنيا سير

« روحية القليني »

آخر فنجان قهوة مع الدكتور مندور

بقلم: الحساني حسن عبد الله

وديع وقوي

يعرف الكثير ، ويجيد ما يعرف ، ويحسن التعبير عما يعرف في يسر واقتدار حتى لتحسب انه يقول هينا من القول ليس وراءه عناء • تراه فترى بقية من عنفوان الجيل العملاق الذي استقبل الشباب في مطلع القرن وشاد للعربية صرحا في أدبها الحديث جديرا بان يبقى كما بقيت صروح الادب القديم • لم يكن من أبناء ذلك الجيل ولكنه تتلمذ على أبنائه فبقى في ملامحه وفي خلقه وفي كتابته أثر من صلابتهم وتواضعهم وعلمهم •

قرات له أول ما قرأت ميزانه الجديد منذ زمن ليس بالقريب وما زلت أذكر أني وقفت طويلا عند شرحه وظيفة النقد حينذاك بأنها قدرة الذوق على اثارة المشكلة في النص الادبي ، فقد رأيت في هذا الشرح الوظيفة الاولى للنقد وجوهره الباقي مهما تعددت أزياؤه وأساليبه •

والحق أنه لا نقد ولا ناقد بغير القدرة على استجواب النص • والذي يمسك بالقلم في بواكير حياته الادبية مفتقرا الى هذه القدرة لن ينجح ناقدا وان استطاع ان يشق له طريقا في دنيا القلم • وقد بدأ الدكتور مندور حياته الادبية مزودا بذوق مصقول ترفده جداول من أدب العرب القديم والادب الاوربي قديمه وحديثه • ولازمته تلك القدرة في مختلف مراحل حياته منذ أمسك بالقلم حتى انتزعه القدر من بين انامله • ينم عنها « **الميزان والنقد المنهجي عند العرب** » في شبابه كما ينم عنها «**الشعر المصري بعد شوقي** » وكثير من مقالاته الاخيرة بعد استدبار الشباب • على أن تلك القدرة لم تقف به عند التعلق بالقيم الجمالية وحدها ، فلم يلبث طويلا بعد اوبته من رحلة طويلة الى فرنسا حتى عصفت به رياح السياسة ولم تزل تعصف به حتى تخلت القيم الجمالية عن مكانها للقيم الاجتماعية • وبعد أن كان يستجوب النص أصبح يستجوب صاحب النص، ويصغي للمضمون قبل أن يصغي للعبارة •

لقيته أول مرة منذ عام واحد بعد خصام بيني وبين زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز على صفحات الآداب البيروتية حول رأى له في تجديد عروض الشعر العربي خلاصته أن تساوى تفعيلتين في عدد المقاطع يجيز الجمع بينهما مثل تفعيلة الوافر « مفاعلتن » وتفعيلة الكامل «متفاعلن» أو تفعيلة الهزج «مفاعيلن» وتفعيلة الرجز « مستفعلن » • وكان يستشهد على امكان الجمع ببيت النابغة :

من آل مية رائح أو مغتدى
عجلان ذا زاد وغير مزود

فيقرؤه بزيادة همزة « الحزام » وقصر همزة « آل » بحيث تصبح التفعيلة الاولى «مفاعلتن» وبذلك تجتمع مع « متفاعلن » • قال لي : ماذا تنكر من هذا الرأى؟ قلت: نبوه عن موسيقى الشعر العربي وقصور الشاهد لأن قراءة البيت قراءة غريبة تخرج على العرف اللغوي• قال : أذكر أن كتابا قديما أشار الى هذه القراءة• قلت: ولو • ومنذ ذلك الحين وهو يدعوني بالمشاكس • وفي أول زيارة أهدى الى بعض كتبه وكتب على أحدها «الى الصديق المشاكس سابقا» قلت : ربما تستمر المشاكسة يادكتور ، فتناول كتابا آخر وكتب في اهدائه : « الى الصديق المشاكس لاحقا » ثم استدرك قائلا : ولكن المهم أن تكون المشاكسة في سبيل الحق، وتناول كتابا ثالثا وكتب « الى الصديق المصر على المشاكسة في سبيل الحق » •

ومنذ ذلك الحين عرفته وديعـــا وقويا . يحسن الفكاهة ويعرف الكثير .

ثم تـــكررت زياراتي له وفي احـداها أفضى الي بضيقه بالاعباء الصـــغيرة التي تستنفد وقته وجهده ورغبته في التخلص منهـــا والاضطلاع باعباء أكبر ولكن هذه الاعباء ظلت تلاحقه حتى استنفدت حياته نفسها . كان يفكر وهو على فراش الموت في مراجعة رسالة عن الشعر الحديث لطالب سوداني من تلاميذه في معهد الدراسات العربية العالية قدم في اجازة من السودان على نية انهاء الرسالة ، وحار الدكتور مندور كيف يتمكن من مراجعة الرسالة في المدة القصيرة ، وانتهت حيرته منذ أيام .

كان قلبا كبيرا يسعده أن يقدم العون للناس مع ادراكه لنواحي القصور فيهم . كان قلبا خيرا عامرا بالرقة والسماحة . وفي اعتقادي انه لم يفاجأ بالموت كما فوجئنا ، فقد ساوره الخاطر في العام الاخير مرات كثيرة ، وتحدث به في أيامه الاخيرة الى أسرته ولكنه كان يبدو دائما متفائلا مليئا بالحياة يترقب انقضاء الأزمة ليســـافر مع بعض ، قبيلته ، الى رومانيـــا — حديثا عن الموت وحديثا عن الرحلة المرتقبة كأنما يثبه أسرته الى احتمـــال وقوع الفاجعة ثم يريد أن يبعد عنهم شبحها .

كان قلبا صادقا مخلصا يحس بهموم جيلنا لاينأى به حماسه للعمل عن الشعور بالضياع الفكري الذي ينشب مخـالبه في عقول الشباب فيمتص حيويتهم وقدرتهم على العمل المثمر الخلاق . وقد أشـــار الى ذلك صراحـــة في مقـــاله الاخـــير الذي نشرته «روزاليوسف» بعد وفاته . ولعل قربه من أبنـــاء الجيل هيأ له أن يتفهم مشكلاتهم عن كثب ، ولكنه لم يقف عند نطاق التفهم بل تجاوزه الى التعاطف مع المشـــاعر القلقة الباحثة عن اليقين . كان الدكتور مندور يؤمن بالاشتراكية ولكنه لم يكن من الحرفيين الذين يقفون موقفا جامدا عند النصوص وانما كان له فهـــم خاص للمبدأ يتعـــارض مع أسس النظرية الماركسية . زرته مرة وهو يستعد لكتابة مقال عن « الاشتراكية والتفسير المادي للحياة » نشرته مجلة الثقافة في عددها الخـاص عن الاشتراكية ، وكان حوار تمخض عنه المقال أدركت فيه حقيقة موقفه تجاه الفلسفة الماركسية . كان موقفا وسطا لا يعول كل التعويل على المادة ولا يعول كل التعويل على الفكر . يقول «انني أومن بأن الانسانية لم تتطور وتتحضر وترتقي نتيجة لتغيير أسلوب الحياة المادية ووسائل الانتاج المادي فحسب ، بل كان للعـامل المعنوي أثره البالغ أيضا في هذا التطور العام » ثم يقول «الحضارة والتطور ليسا نتيجة لتطور وسائل الانتاج وأسلوب الحياة المادية وحدها ، بل أيضا نتيجة لاستقرار البشر على ما سماه فلاسفة الاخلاق من العرب القدماء آداب الرياضـــة والاستصلاح أي آداب رياضـــة النفس الفردية واستصلاحها من جهـــة ثم آداب المواضعة والاصطلاح أي الآداب الاجتماعية من جهة أخرى . ومن المؤكد الواضح أن الديانات السماوية قد كان لها فضل كبير بل أكبر الفضل في ارســـاء أسس هذين النوعين من الآداب أي من الاخلاق الشخصية والاخلاق الاجتماعية » .

والحق أن الماركسية فلسفة بما فيهـا من تطرف ولا تكون فلسفة اذا اســـتجابت لمنتقدي التطرف وأنصار الوسط . والذين يريدون أن يخلصوها من غلواء المادية انما يريدون شيئا آخر لا يمت اليهـــا بصلة . ولذا لم يكن غريبـــا أن تضع المـــاركسية أنصـــار الوسط في جبهة واحدة مع أعدائهـــا . وتوسط الدكتور مندور له سبب آخر يضاف الى ان قربه من أبنـــاء الجيل هيأ له أن يرى الواقع على حقيقته ، فالتسليم بالخواء أمر فظيع ولـكن انكاره وهو واقع ماثل للعيـــان أمر أفظع . وهكذا كتب الدكتور مندور عن الضياع الفكري لأنه لم يضع على عينيه غشاوة باسم المبدأ والعقيدة تحجب عنه افتقار الناس الى المبدأ والعقيدة ، ولـكنه لم يكن من الذين يتلهون بمنظر الحرائق، لم يكن من الذين يستمرئون القعود حين الحاجة الى العمـــل ، ولذلك كان دائب العمل على الخلاص من الخواء ، ومع أن الغاية مازالت بعيدة الا أنه حاول أن يضع الناس على أول الطريق الى الغـــاية البعيدة . وأول الطريق الايمـــان بأن الانسان كائن أخلاقي يفقد انسانيته اذا أصغى لنداء بطنه فقط وقبل أن يصبح ترسا في عجلة ضخمة لا تنتج غير الخبز والطعام .

كان يتحدث مرة عن معاشه الذى لم يكن يتجاوز تسعة جنيهات . قال ان مصلحة المعاشات تطالبه بالفي جنيه حتى يرتفع معاشه أو معاش ابنائه بمعنى ادق ، وقرر أن يدفع المبلغ من أجل الابناء . قلت له: يقولون انك غنى يادكتور . قال : أعلم ، وبعد برهة وبغير انفعال قال : واعلم أيضا أن بعض من يزعمون انفسهم اشتراكيين أو تقدميين هم الذين يقولون هذا .. كل ما أملكه بضعة أفدنة وبيت أسدد فى اقساطه منذ سنتين وما زالت أمامه سنتين أخرى حتى يئول الى ، امحظور ان يعمل المرء من أجل ابنائه ؟ الاشتراكية لا تدعو الى الفقر .

وقد بقى الدكتور مندور مشتعل الذكاء حتى آخر أيامه . وجدته مرة يراجع الطبعة الثانية من كتاب « النقد المنهجى عند العرب » وطلب الى مراجعة بعض الصفحات فوقفت عند نص مقتبس من كتاب الموازنة للآمدى مبهم المعنى يتحدث عن فن البديع عند أبى تمام . يقول النص «كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدة وربما قرىء من شعر احدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت واحد بديع، وكان يستحسن ذلك منهم اذا أتى «قدرا» ، ويزداد « حظوة من » الكلام المرسل .. » قلت : فى العبارة خطأ لا شك . ولم نهتد الى الصواب .

وأطرق الدكتور مندور ودق أسنانه بطرف ابهامه على عادته عندما يفكر فى أمر شائك ثم انصرف الى شىء آخر حتى ظننت أنه شغل عما نحن فيه . وبعد برهة صحح العبارة دون الرجوع الى المصدر . واستقام المعنى على النحو التالى «كان يستحسن ذلك منهم اذا أتى نادرا ويزداد حظوة بين الكلام المرسل». ولما كنت الاحظ أن الدكتور مندور يعتمد على ذكائه وذوقه أكثر من اعتماده على الجذاذات والمذكرات فقد اسررت فى نفسى ان ارجع للآمدى لارى مبلغ الصواب فى تصحيح العبارة فقد يعول المرء فى نشدان الحق على المنطق والذوق بينما يكون الحق قابعا فى ورقة صفراء من مجلد قديم ، ولكنى وجدت تصويب الدكتور متفقا مع نص الموازنة .

وفى آخر مرة رأيته فيها كان الطبيب قد أمره بملازمة الفراش . رجوته أن يبقى مستلقيا ولكنه نهض جالسا وطلب فنجانين من القهوة فجىء بفنجان واحد ، كان متلهفا على القهوة ولكن الطبيب اوصى بالامتناع عن التدخين وعن القهوة . وظلت السيدة ملك تتحايل عليه حتى نسى القهوة وبدأ يراجع مع أحد الزائرين ترجمة عن الانجليزية لرواية « العقب الحديدية » للكاتب الامريكى « جاك لندن » واقترح كلمة «الكعب» بدلا من العقب ولكنه عدل عن اقتراحه بعد رجوعنا الى القاموس المحيط وتبينه أن «الكعب» لا تؤدى معنى «العقب» وبعد تناول غدائه ظللنا الى جواره حتى أسلم أجفانه للنوم .

خرجت منقبضا ، وبعد أسبوع أسلم أجفانه للنوم العميق .

واذكر فى نهاية هذه الكلمة أنى طلبت يوما ما رأيه فى هجوم شنته احدى الجرائد اليومية على العقاد فقال : ليت العقاد عاش ليحرك القلم على الورق باى كلام يدور بخاطره . وما كان يخطر على البال ، وقد بقيت هذه الكلمات فى ذاكرتى لارددها عنه هو :

ليته عاش ليحرك القلم على الورق باى كلام يدور بخاطره .. ولكن ، ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

رحم الله كاتبنا الكبير .

لقد كان وديعا ، وكان قويا ، وكان يعرف الكثير .

« الخمانى حسن عبد الله »

الحرية.. في الإسلام !!

بقلم : محمد جلال كشك

اشترطنا على انفسنا ، قبل ان نبدأ هذا الحديث، ان نلتزم بالجد وحده .. فلا سبيل للمزاح فيه .. لان الامر جد ، والحديث خطير .. نحاول فيه أن نصد بايماننا ، وبما يتاح لنا من المعرفة ، هجوم الآخرين على حضارتنا وتراثنا .. مفندين هذه الدعوى ، التي لا يملون تكرارها ، ولا يستحون من ترديدها .. وملخصها ان العرب ، لا شيء ! .. وانهم عالة على اوربا ، لم يقدموا للانسانية شيئا ونقلوا عن اوربا كل شيء .. وحسبهم ان يحسنوا التعلم من هذه الأوروبا ..

بينما نؤمن نحن بكل بساطة ، ان البشرية لم يمر بها يوم اشرق من يوم كنا نحن شمسه ، وان الحضارة الاسلامية قد اعطت الانسانية اجمل صفحاتها .. وانه رغم التفوق المادى الساحق ، للحضارة الغربية ، فانها لم تقدم قيما ارفع من القيم الاسلامية .. ومن ثم كان من حقنا ان نتمسك بقيمنا ونسعى الى التفوق المادى .. لنعطى البشرية يوما جديدا .. من أيامها المشرقة ..

وبكل صدر رحب ، سنناقش اتهامات هؤلاء ، لحضارتنا وتراثنا ، راجين ، ونحن الأجدر بالغضب، ان يتقبل الآخرون حجتنا بقلب مفتوح ، وفكر غير متحيز ..

ولنبدأ برأيهم في « **الحرية** » .. ، وهى كما ترى قضية خطيرة ، جديرة بأن نبدأ بها حديثنا ..

وان شئت ان الخص لك رأيهم ، لقلت انهم يرون ان العرب لم يعرفوا الحرية لا ممارسة ولا حتى لفظا .. بل تعلموها من أوربا .. استوردها لهم الشيخ « رفاعه رافع الطهطاوى » طيب الله ثراه ..

ولكن انعدام الثقة المتفشى ، بين الكاتبين والقارئين ، لا يسمح لنا بهذا التلخيص .. ولا بد من أن تنقل رأيه بحروفه .

قال في محاضراته بمعهد الدراسات العربية ، وطبع له هذا القول على نفقة « **الجامعة العربية** » وتحت شعارها.. في كتاب اسمه «المؤثرات الاجنبية في الأدب العربى الحديث » .

قال بعد أن أورد نقلا عن « الطهطاوى » قصة عمر بن الخطاب مع عمرو بن العاص ، عندما عاتبه قائلا يا « عمرو متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » وعلق الطهطاوى كما يفعل العقلاء بقوله .. « فمنه يفهم ان الحرية ايضا من طباع العرب من قديم الزمان » ..

ومن هذا الكلام يخرج « الآخر » قائلا : « وقد كان منطق الطهطاوى في ذلك منطقا سليما ، لأن فكرة (الحرية) بمعناها السياسى ، والمدنى ، فكرة لاتقاليد لها في المجتمعات العربية أوفيما نبع عنها من فلسفات الفلاسفة ، او فقه الفقهاء ، او أدب الأدباء . بل ان مدلول كلمة (الحرية) في اللغة العربية ذاتها ، مدلول مختلف عن مدلول كلمة « libertas » اللاتينية التى خرجت منها كلمة (ليبرتيه) ومشتقاتها من اللغات الأوروبية الحديثة ، فهى لا تستعمل في معناها

الاصلى فى العربية الا كمقابل للعبـودية ، والادب العربى والتشريع العربى زاخران حقا باستخدام كلمة : (الحر) و (العبـد) وما يتصـل بها من مشتقات ، ولكن بالمعنى القـانونى البحت لا بالمعنى السياسى أو الاجتماعى ، فهما تصفان علاقة امتلاك انسان بقوة القانون أو الخلو من الامتلاك وما يتبعه من سقوط هذه العلاقة أو عدم وجودها أصلا .

و (العبودية) حالة من حالات (الرق) والحرية هى الخلو من هذه الحالة بالاصالة او الاكتساب .

والشاعر حين يقول :

والريح يا غـلام ريح صر

أن جلبت ضيفا فانت (حر)

والشاعر حين يقول :

العبـد يقرع بالعصا

و (الحر) يكفيه المقال

انما يشير فى الاصل الى (العبودية) و (الحرية) بالمعنى القانونى لا بالمعنى السياسى او الاجتماعى مهما كان المراد بالمجاز غير ذلك . والغريب ان اللغة العربية رغم وفرة ما فيها من مفـردات تدل على سلب الحرية السياسية أو الاجتماعية من الرعايا أو المواطنين مثل الطغيان والجبروت والاستبداد لم تستخدم فيها كلمة الحرية او كلمة الاسـتقلال كنقـائض لها الا فى العصر الحديث . والمـدلول الأصلى لكلمة libertas أو الحرية فى اللغات الاوروبية هى حرية الحر لا حرية العبد أو الرقيق، اى الحرية المدنية أو حرية المواطن داخل الدولة ، ولقد تستعمل فى التعبير عن الحرية بالمعنى القانونى، ولكن على سبيل المجاز . أما فى العربية فالمعنى القانونى هو الاصل والمعنى السياسى الاجتماعى هو المجاز . ولقد نجد فى آثار الادب العربى القـديم استعمالا لكلمة الحرية بهذا المعنى المدنى ، ولكن هذا هو الشاذ لا القاعدة .

وقد اقترن بهذا الوضع اللغوى وضع حيـوى وهو أن كلمة « الحرية » لم ترفع أبدا كشعار أو مبدأ أو هدف سياسى أو اجتماعى فى كل ما نشب من ثورات أو حركات استقلالية فى العالم العربى قبل القرن التاسع عشر رغم تعدد هذه الثورات التحررية والحركات الاسـتقلالية بحيث لا تجد لها اثرا فى الأدب العربى أو التاريخ العربى قبل هذا التاريخ. فان وجدناها فانما نجدها كمبدأ لتصفية علاقات قانونية محددة كالعلاقات بين الرقيق أو العبـد ومالـكه ، والاغلب اسـتخدام كلمـة « الاعتـاق » و « الأبوق » فى وصف الاوضاع المختلفة لتصفية هذه العلاقة القانونية بدلا من كلمة « التحرير » و « التحرر » و « الحرية » وبالنسبة للاناث نجد أن هذا المعنى القانونى ملازم لكلمة « الحـرائر » كنقيض لكلمة « الاماء » واستخدام كلمة « تحرير » بالنسبة للمرأة وبالمعنى الاجمـاعى والمدنى أيضا لم يظهر الا كمجاز منذ القرن التاسع عشر .

« **الحرية** » اذن بالمعنى السـياسى والاجتمـاعى الشامل المتضمن فى كلمة (libertas) نتيجة لاتصال العرب بالحضارة الاوربية وبالفكر السياسى والاجتماعى الغربى فى القرن التاسع عشر . »

انتهى كلام المذكور ..

وقد كان بوسـعنا ان نرد على هذا الكلام فى اختصار شديد فنقول ان الدليل الذى لا يدحض على أن للحرية تاريخا عريقا فى التقاليد العربية .. ان مثل هذا الكلام قيل فى معهد الدراسات العربية .. وعلى الطلبة العرب .. ثم طبع على نفقـة جامعتهم العربية ، ليتداوله القراء العرب ! ..

ولكننا التزمنا بان نجعلها دراسـة موضـوعية وجادة كل الجد .. فلنسأل .. ما هى « الحرية » يا هـذا ؟.. هل لا بد أن تشتق من اللفظ اللاتينى (libertas) !! .. والذين لا جذور لاتينيـة لهم .. هل كتب عليهم أن يعيشـوا فى اللا حرية حتى يأتيهم الخلاص من اللاتين ؟.. والهداية من ورثة اللاتين !!

ذلك تفسير فيه من التعسف ما يشـهد لطلبة قائله بطول البال ، وشدة الصبر ..

الحرية ــ واسمح لنا يا هـذا ــ نستطيع أن نقسمها الى نوعين : حرية فردية .. وحرية اجتماعية

.. أى حرية الفرد كانسان .. وحريته كعضو فى جماعة ..

ودون اغراق فى التعريفات ، نستطيع القول ان حريته كانسان تتجلى فى حرية الضمير أو حرية الفكر .. فان شئنا أن نعرف حرية الفكر ، فانا يستهوينى تعريفها بانها حرية الخطأ .. اى التسليم بحق كل عقل بشرى فى التفكير .. وان الخطأ فى التفكير لا يشكل جريمة ولا يعكس خيانة .. ذلك ان التسليم بوجود حقيقة مطلقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .. يلغى حق المناقشة ، ويسقط الاعتراض . فاذا انتقلت قدسية هذه الحقيقة المطلقة الى بشر ، كائنا من كان .. فانتقل اليه وحده حق التفسير ، أو حق الاستنباط ، ومن ثم اصبح من حق هذا البشر أن يقرر الصواب والخطأ .. مهما تكن صفة هذا البشر .. هنا تنتفى حرية الفكر .. لأن الصواب والخطأ لا يعودان مجرد حلول فكرية وصل اليها عقل بشر ، فهى قابلة للمناقشة والتعديل والتصويب .. بل يصبح الصواب هو ارادة الحقيقة المطلقة او التعبير عن هذه الارادة .. التى هى دائما تعبر عن نفسها فى صيغة واحدة . ويصبح الخطأ تجديفا فى حق هذه الارادة ، والخطأ هنا هو كل مخالفة لصيغة الحق المطلق .. وهو من زيغ الشيطان الذى ينطق على لسان المعارض للحكمة اللا هوتية ، أو تعبير عن مصالح الطبقات المعادية التى تنطق على لسان المخطىء ، وتعكس مصالحها فى ذهن المتشكك .

ومن هنا لا تمكن مقارعة الفكرة بالفكرة .. فما دام هذا الاقتناع الوحشى بالصواب ، يملأ النفس ، فلا سبيل الى التسامح مع المخطىء ..

ان حرية الفكر هى حرية الخطأ .. هى التسليم بأن العقل البشرى ، متساو .. وانه لا سبيل — حتى الآن — لحصر الصواب فى جانب واحد أو فى فئة معينة من بنى الناس .. وتوارث هذا الفهم .. ولو سلمنا بان اجوبة العقول الالكترونية هى الصواب الأبدى ، فسنقضى على التقدم ، لأنها تجيب من حصيلة المعلومات البشرية ، الدائبة على التغير ..

اذن فالسبيل الى اقرب صواب ممكن ، هو حرية التفكير وعلى أوسع نطاق .. برفع القدسية عن الفكر البشرى ..

فما هو الموقف عند العرب المسلمين ؟ ..

عندنا ان الله وحده .. هو الحق المطلق .. والصواب الابدى .. وهذا الصواب لا ينتقل لبشر .. ولو كان ثمة من لا يخطىء من البشر .. أو لو كانت هناك امكانية وجود عقل بشرى لا يخطىء لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولكننا نؤمن أن العصمة لله وحده .. فالرسول يخطىء فيعاتبه الوحى ويراجعه :

« عبس وتولى . أن جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك الا يزكى . وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى » .

« يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين . ان الله كان عليما حكيما » .. « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

والرسول بشر فيخطىء ، فيرجع الى الحق .. امر أصحابه ان يكفوا عن تلقيح النخل « لو تركتموه لأثمر .. » فلم يثمر النخل .. وجاءوا الى الرسول ، فنفض يده من الامر واعترف « انتم أعلم بامور دنياكم » بينما كان ستالين يفتى فى اللغة والادب والقوميات ويوصف بانه ملهم فرق الدبابات ، وراقصات الباليه ! ..

والمسلمون يناقشون الرسول ، ويصوبون رأيه ، فينزل عند رأيهم ..

لما خرج صلوات الله عليه بالمسلمين فى أول غزوة ، نزل بهم موضعا اراد ان تعسكر فيه جيوش المسلمين فى انتظار وصول العدو فجاءه واحد من المسلمين ، هو الحباب بن المنذر .. يرسى قواعد الديمقراطية الاسلامية .. بدأ بان سأل الرسول : « يا رسول الله .. ارأيت هذا المنزل (الموضع) أمنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ »

واضح أنه ان كان منزلا امر الله به .. فكما قال الحباب بن المنذر .. هنا ينتهى النقاش ويبطل

الاجتهاد .. ويرد الصادق الامين .. « بل هو الرأى والحرب والمكيدة .. » اى ان هذا الموضع هو من تدبير الرسول .. من فكره وكخطة عسكرية وصل اليها .. ولا يتلعثم المسلم ولا يتردد بل يخطىء رأى الرسول صلوات الله عليه ويقول « يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل (اى ليس بالموضع المناسب) فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء ... الخ)

هاهو الرسول فى أول حرب يقود فيها المسلمين .. وها هو اول قرار عسكرى يتخذه .. يخطئه فيه جندى فى الجيش .. فماذا يفعل .. اى قائد عسكرى كان سيرفض التنازل عن رايه ، وربما التمس له المؤرخون الف عذر .. اذ لا شك فى خطورة الموقف على معنويات الجنود .. ولكن رسول الله يبنى امة .. بل يبنىء الطريق للانسانية كلها .. ولابناء للامم ، ولا امل للانسانية الا بالمواطنين الأحرار .. الا بالديموقراطية الحقة .. بحرية التفكير .. بقبول النقد وممارسة النقد الذاتى ..

لذلك يقول رسول الله : « لقد اشرت بالرأى » ونهض رسول الله ومن معه من الناس الى حيث أشار الحباب بن المنذر ..

وانتصروا بديموقراطية الرسول .. بل بالمعنوية الهائلة التى يمتلكها الرجال الاحرار .

هكذا كان سلوك الرسول .. ومن ثم ليس فى الاسلام جهة دينية ولا سلطة زمنية لها وحدها حق الاجتهاد .. بل لا يطلب الاسلام من المسلمين فرض دينهم بالقوة .. وهو الصواب المطلق وارادة الله .. ومع ذلك فان القرآن يعلن :

«لا اكراه فى الدين .. قد تبين الرشد من الغى» .. انتهت مسئولية الاسلام عند هذا الوضوح ، عند تبين الرشد من الضلال ، واصبح كل انسان يتحمل مسئولية اختياره .. ويعلن القرآن للرسول « انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء »

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .. فمحرم فى ديننا اجبار الآخرين على اعتناق الاسلام ..

اما فى داخل الفكر الاسلامى ، فحرية الخطأ ليست ، فقط ، مكفولة ، بل يثاب عليها .

ولست اظن ان فلسفة أو نظاما ، قد شرع ، ان للمجتهد ان اصاب اجران وان اخطأ اجر » .. ليس فى تاريخ البشرية ، تحريض أوضح من هذا، على التفكير الحر ..

أمثال هذه الامة لا تعرف الحرية لأنها لم تشتقها من « ليبرتيه » !!!

وما دامت المساواة قد تحققت بين العقول .. فان التصويب ، حق لكل مواطن ، بل فريضة .. فمن راى منكرا فليغيره بيده أو بلسانه .. أو باضعف الايمان ، وهو القلب .. فالاسلام يامرنا ـ كحد ادنى ـ ان نستنكر الزيف بقلوبنا .. اذا ما فرضت السلطة الخطأ .. وكنا اضعف من ان نواجهها .. لا أن نرى الحق فيما تراه القوة ..

واذا استند الباطل الى السلطة حقت الثورة .. والذى يحرض على ذلك هو امير المؤمنين عمر .. يامر بقتل الخليفة المنحرف ، فراجعه طلحة « فهلا قلت لو انحرف عزلوه .. » ، فيأبى عمر : « لا .. القتل النكل لمن بعده » ..

اذن فليس فى الاسلام ، ظل الله على الأرض .. وقد حرص المسلمون على تسمية سلطانهم « خليفة رسول الله » .. لا خليفة الله .. ويخطىء السالحون من المستشرقين عندما يطوفون بالتراث الشرقى ، ويلتقطون بعض الألفاظ من التراجمة ، فيعقدون مقارنات بين خليفة المسيح وخليفة رسول الله ، ووجه الخطأ ان رسول الله لا يمت للألوهية بشبيهة ، بل هو بشر يمشى فى الاسواق ويكلم الناس .. يتزوج ويطلق .. ويموت .. «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » وهو يخطىء ويصيب ، فبالتالى لا قدسية لخليفته .. والطاعة المفروضة لهذا الخليفة هى نتيجة العقد الذى يقوم بينه وبين المواطنين بالبيعة .. وليست بسبب شىء خارق يحل فيه بمجرد انتخابه !

لا اريد ان اطيل .. المهم ان الفكر البشرى ، فى ظل الاسلام ، حر مائة فى المائة ..

أما أن تحاسبنا يا هذا بعصور الانهيار فليس ذلك عدلا ولا علما .. لأن كل الحضارات تمر بمراحل ازدهار ، وأدوار انهيار ..

وكل الحضارات تتحصن في مرحلة انهيارها بقوقعة تعصبها .. حتى لا يفتك بها ازدهار خصمها . فاذا شئنا أن نرجع الأمور الى جذورها ، وجب أن نبحث فيجوهر الاسلام الحقيقي أو نقارن التخلف بالتخلف .. لا أن تأتي بعصر المماليك .. بل بأسوأ عصور المماليك .. أو عفن محمد على ، فنواجه به أوروبا في قمة تألقها .. ونخرج من ذلك بحكم خاطىء ظالم على حضارتنا ! ..

ان العقل الاسلامي الحر، استطاع أن ينطلق الى آفاق لم يجرؤ غيره على الاقتراب منها لمدة قرون .. حتى ان المسلمين يأتون رسول الله فيقولون « انا نجد في أنفسنا ما يتعاظم احدنا أن يتكلم به .. » فيقول الرسول « وقد وجدتموه . ؟ ! قالوا : نعم ! .. قال ذلك صريح الايمان ! » .. « وسئل النبي عن الوسوسة قال تلك محض الايمان » .. والمسلمون يتساءلون حتى في الآيات .. فينسخ سبحانه وتعالى ما سطر قدره في اللوح ، من قبل أن يخلق الخلق .. وبارادته نزلت وبمشيئته نسخت .. وبالحق أنزله وبالحق نزل ..

وعمر يسجل احتجاجه على الاهتمام بالحجر الاسود فيقول : انى أعلم أنك لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما فعلت » .

ويختلف المسلمون حول الفلسفة الالهية ، بل حتى الذين عذبوا مخاليفهم يؤكدون حرية الفكر الاسلامي ، اذ أن هذا التعصب ليس من الاسلام ، بل هو من الطبيعة البشرية التى تخشى الفكر المخالف ... بينما ينهى الاسلام عن هذا التعصب .

وتكتمل حرية الفكر في الاسلام بحرية الضمير .. اذ لا سلطان خارجي على الضمائر ، والناس لا تحاسب الا على ما تعلنه ..

بل الأمر أروع من هذا ..

عن أبي هريرة قال : « لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لله ما في السموات وما في الأرض ، وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير » . قال فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب ، فقالوا أى رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق ، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله اتريدون أن تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا ، بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ، فلما قرأها القوم ذلت بها السنتهم فأنزل الله في اثرها «آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » . فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها ... » الى آخر الآية .

ولا يحاسب المسلم الا على ما ارتكبه .. ولا تعاقب السلطة الا على ما يثبت بالدليل القاطع او الاعتراف .. ويأبى الاسلام اذلال النفس بتعريتها امام بشر آخر .. بل هو يأمر في حالة الابتلاء بالستر ..

ألست ترى معى انها قيم غاية في الروعة، تستحق ما نالته من خلود .. وأنها قيم يطيب الموت في سبيلها ؟..

ثم الى الاسبوع القادم لنحدثك عن حرية المسلم كعضو في الجماعة ..

« محمد جلال كشك »



حول الأدب في الشرق

بقلم عبده بدوى

فى الطريق الى المنصورة

كلمات دارت فى ذهنى فى الطريق الى المنصورة :

ــ هل يستطيع هؤلاء الكتاب المتألقون الذين هبطوا المدينة ، والذين تلمع أسماؤهم الى الحد الذى يمكن فيه أن تتغلب على الليل ان هبط ، والذين ينسجون من نور أعينهم هذا العالم الكبير من الكلمات الذى يفيض فى كل يوم على المنطقة العربية ، شلالات من فكر ، ونبضـات من أمل .. هل يسـتطيع هؤلاء أن يصلوا الى فكرة بناءة خاصة بهم بحيث يعودون بها الى القاهرة ؟

نعم دار فى ذهنى هذا السؤال ، وقد حاولت الا أجيب ، ولكن هذا السؤال كان ينمو وينمو الى الحد الذى أقلقنى ، والذى حملنى حملا الى أن أحدق فيما قالوه ، والى أن أحدق فى الوقت نفسه فى وجوههم، لتكون هى الأخرى شاهدا على ما أقول .

وقد تكون الاجابة سـهلة لو أننا فى مجـال الفكر قلنا ان هناك كتابا يحتضنون الاشـتراكية وكتـابا يقفون ضدهـا ، وكتابا يقفون على أرض الجمهورية العربية المتحدة ، وكتابا يقفون على أرض أعداء الجمهورية العربية المتحدة ، وهناك من يغمس قلمه دائمـا فى دواة الشرق أو الغرب ، دون أن يترك هذا القلم ولو مرة واحـدة ليشرب من عرق الجماهير ، ويرتوى من خضرة العروبة ، ويرفد من الوميض فى عين الانسان .

وليس معنى هذا انه لم تقم فى القاهرة عملية تصنيف لكل كاتب ، فليس أسهل من الكلمـات التى تلقى بالكتـاب على اليمين واليسـار ، وعلى التقدمية والرجعية ، وعلى الصلابة والانحلال ، لا لشىء الا لأن هذا شيخ وهذا شاب ، وهذا يقف على التراث وهذا لا يقف على شىء ، وهذا قد سجن وهذا لم يسجن ، وهذا لأنه يكسر عنق البلاغة ، وهذا لأنه يفضل أن يبقى العنق غير مكسور .

وليت كل هـذا كان صـحيحا ، ولكن فكرة « **الأبيض والأسود** » يبدو أنهـا فكرة خبيثة فى الثقافة ، وبخاصة اذا فكرنا فى الدوافع التى تحركها وفى ماضى وحاضر هؤلاء الذين لا يكفون عن الثرثرة حول عملية التصنيف هذه ، فاذا أضفنا الى ذلك أنها عملية تشل الفكر ، وتشيع الرهبة ، وتجعـل الخوف يتجول دائما بين الأقلام .. أدركنا انه يجب

ان يذوب نهر الجليد الذى يزداد خطره يوما بعد يوم بين المثقفين ، والذى يجعل بعض الأقلام تتحول الى خناجر لا تضرب الا فى الظهر ، او يجعلها فى خدمة هذا أو ذاك دون أن تكون لمرة واحدة فى خـــدمة الحقيقة !

صحيح انه لا بد ان تأخذ بعض الأقلام بخناق بعض ، ولكن يجب أن يكون كل هذا محركا بدوافع الغيرة على هذا الوطن ، ومن أجل بناء الانسان ، ومن اجل وحدة الحضارة .

اما أن تتخصص بعض الأقلام فى العداء لفترة من الفترات التاريخية ، وفى النسف لكل وجه يحمل ملامح معينة ، وفى جعل المنطقـــة فى خدمة بعض النظريات دون أن تكون هذه النظريات فى خدمتها، وفى تفريغ الانسان العربى من محتواه الحضارى .. فشىء لا يمكن قبوله فى هذه الفترة .

ان الذى لا شـك فيه أنه يجب أن نقف وقفـة قصيرة لنعرف من نحن ؟ وماذا نريد ؟ وماذا نملك ؟ وما الذى نحن فى حاجة اليه ؟ فالنظرة الأولى توضح أن الحضارة العربية قد شـــوهت كاقسى ما يكون التشـــويه ، ومع أنه كان يجب أن نتخطى مرحلة « الوصاية » هذه **ـ كما تسمى فى الأدب الافريقى ـ** من فترة كبيرة الا اننا لا زلنا نعيش فى دائرتهـا الى الآن .

فمن المسلمات الأدبية ، أو شبه المسلمات الأدبية مثلا أن العرب لا يخرجون عن عدة قبائل تحمل دائما سـيوفا مخضبة بالدم ، وهم فى هذا يتجـاهلون حضارات زاهرة كالسبئية ، والمعينيـة والحميرية ، وهناك من يقول ان الاسهام الحقيقى فى كافة نواحى الفكر والعلم كان للعناصر الفارسية ، وكأن هؤلاء لا يسمعون ألف صوت يقول ان العرب كانوا بحق آباء العلم التجريبى ، وكأنه كان مطلوبا منهم التفوق فى السياسة ـ وقد كانوا يمثلون رجال السـياسه دائما ـ فى العلم ، مع أن بعضهم قد جمع بين هذين الجانبين ، وكأن هذه العناصر التى أبدعت فى الفلسفة والتشريع كالفرس **كان لها ماض** فى هذين الفرعين وغيرهما ؟ وهناك من يضيق عينيه فى وجوههم لأنهم لم يهتموا مثلا باقامة التماثيل ، ولم يجعلوا الانسان دائما فى حالة صراع مع الآلهة كما فى التراث اليونانى وفى حالة عوس جنسى ووحشى كما فى جوانب من التراث الرومانى ،وكأن الحضارة العربية هى الوحيدة التى خلت من بعض ما وجد فى هذه الحضارات ،وكأن بعض هـــذه الشرور كان من الخير وجوده فى كل حضارة من الحضارات .

ولعل من المضـــحك حقا أن يردد مثلا **ـ حتى أساتذة الجامعة ـ** أن الشعر العربى القديم كان قائما على البيت المغلق ، ولو درس هؤلاء هذه النمـاذج التى تحت أيديهم لرأوا أنها لم تصل اليهم كاملة ، وأن بعض النماذج التى تقـــدم كدليل على الادانة يتكون من ثمانيـــة عشر بيتا ، ولكن تتبـع نفس القصيدة فى أكثر من مصدر أكد أنه يقارب المائة ، وأنه يحتفظ ـ كمئات من النماذج الأخرى ـ بالوحدة الفنية التى لا تختلف عن الوحدة التى نشاهد فى الشعر المعاصر .

ثم لماذا تقدم الحضارة الاغريقية على أنها الحضارة التى ليست بعدها الحضـــارة وانها التى يجب أن تستوحى وتعاد صياغتها الآن فى الأدب المعاصر ، فى الوقت الذى يتم فيه الصمت عن حضارات لا تقل عنها نضارة وروعة كالفرعونيـة ، والفارســـية ، والصينية ، والأفريقية التى يزاح عنها الستار الآن شيئا فشيئا ؟

ان هـذا معناه أننـــا ما زلنـا نعيش فى فترة « **الوصاية** » ، وأن عندنا من الكسل العقلى مايجعلنا نقبل كل ما قدمه لنا الأجانب ، وأنه ليست عندنا المقدرة لرفع التراب عن المنجم المطمور فى حياتنا ، وأن كل ما نريده الآن ، بل ان كل ما يملأ حياتنا هو شىء دفع به دفعا الى وجودنا ، وأنه كان يجب أن نفرزه لا أن نقبله كقضايا لا تقبل المناقشة .

ان من السهل حقا أن يفتح باب الاســـتيراد على مصراعيه ، وفتح هذا الباب ضرورة لا بد منها ، بل انا نطلب أن يدخل من هذا الباب ما يعصف عصفا بكل ما فى عقولنـا ، لأن كل ما فى عقولنـــا شىء مستورد من مناطق بعينها ، ولهذا كانت دعوتنـا فى أكثر من مقال اننا لسنا ضد حضارة بعينهـا ، ولكننا ضد تفرد أية حضارة فى الميدان ، ومن هنا كانت دعوتنا **ـ فى الشعر مثلا ـ** الى اســـتيحاء الرموز والأساطير من كافة الحضارات التى نسجها الانسان فى الشرق والغرب .

ومن خلال هذا الجو الصحى نستطيع أن نستنبت أفكارا جديدة تضرب جذورهـا فى أرض عربية ، وتسلم ـ لا فروعها فقط ، ولكن كل ورقة منها ـ الى ما يزخر به العالم من وهج فكرى ٠

ومعنى هذا أن الجيل الحاضر عليه تبعة « **تقليب** » أرضه وتعريضها للشمس التى لا تخص مكانا دون مكان ، ثم عليه أن يلقى بعد ذلك البذور التى هى حبات قلبه فى هذه الأرض ، ومعنى هذا أيضا أن هذا الجيل هو جيل التحدى ، وأن عليه أن يصرف طاقة الغضب التى يحولها الى زملاء له فى سلاح الكلمة ، الى طاقة بناءة من أجل فكر جديد فى هذه الفترة من حياتنا ، ان البعض يريد أن يزيد من حدة الصراع فى الحقل الأدبى تحت شعارات غامضة وغريبة ، وقد ثبت فشل هذه التجربة فى المعركة التى تمت أخيرا تحت لواء الشعر ، كما ثبت أنه يمكن التعايش بين هذين الشكلين ، وأن كلا منهما يستطيع أن يثرى الآخر ويعمقه ٠

ومهما يكن من شىء فان المنصورة الآن وهى تقدم أسبوع **الفكرة البناءة** ، تقوم بعمل كبير حين تجمع بين مثقفى القاهرة ، وتربط صداقات بين وجوههم وأفكارهم ، فهم فى القاهرة لا تتاح لهم هذه الفرصة. ذلك لأنهم فيها يكونون جيوبا ينهش كل واحد فى الآخر ، فبالاضافة الى خصام أفكارهم قد تشتاق يد الى أن تهز يد زميل ، وقد تحب عينان أن تشربا من عينى صديق ، ولكن « **عملية الفرز** » الخاطئة التى تمت أخيرا تجعل كل واحد يهرب منفكر الآخر، ومن عينيه ! وتجعل الجهود موزعة ، والخطوط الفكرية رفيعة وشاحبة ومتضاربة كالخطوط التى يرسمها جهاز لقلب مريض !

ومن خلال هذا نستطيع أن نقول على فىاستطاعة هذا البلد ـ **الذى جمعهم فى قلبه** ـ أن يقول لهم ان فى استطاعتهم أن يكونوا نهرا عميقا فى حياتنا الفكرية المعاصرة حين يحسنون الاصغاء الى بعضهم بعضا ، وانه يجب عليهم قبل كل شىء أن يتصالحوا مع حضارتهم العربية ، ويرفعوا من تحتها القنابل الزمنية التى تنفجر واحدة بعد الاخرى ، وأن عليهم الا يملئوا الانسان المعاصر بالقش والغبار وانما بالعزم والصبوة وحب الحياة ، اننا لا نقترح سلاما مستمرا ، فالحياة الأدبية لابد فيها منعنصر الاحتكاك والغضب ، ولكننا فقط نقترح اعلان « **هدنة** » مؤقتة، نتصرف فيها ـ الى حد ما ـ الى تراثنا مقيمين ، والى مراجعة ما فى رءوسنا من افكار ، والى محاولة وضع لبنة فى الحضارة العربية ، وفى استنبات أفكار جديدة بعيدة عنالوصاية. وليس معنى هذا مرةأخيرة اننا نرفض أن تطل النجوم على وجودنا ، ولكن معناه الا نحدق الا فى نجم واحد ما دامت أهدابنا قد شدت من فترة كبيرة اليه ، ثم ان ما نطالب به لا يزيد فى البدء عن «**خرم الابرة** » للحضارة العربية على أن يؤدى بنا هذا الثقب الى عوالم جديدة نفتحها بنور عيوننا ، لا بنور عيون الآخرين ، ولنجرب مرة واحدة ـ فى ظل هذه الهدنة المؤقتة ـ دخول هذا العالم بدون وصاية من حضارة بعينها ، أو حماية من سدنة هذه الحضارة ٠

اننا لو فعلنا ذلك نكون قد تلقينا من هذه المدينة « فكرة بناءة » تمس وجود كل منا ، ونكون قد وصلنا الى الاجابة عن السؤال الذى طرحناه فى أول هذا المقال ، والذى قلنا فيه :

هل يستطيع الأدباء الذين قدموا الى مدينة المنصورة أن يصلوا الى فكرة بناءة خاصة بهم ؟

فكرة للسياحة

لفت نظرى فى الحفل الذى أقيم للصحفيين العراقيين بوكالة الأنباء العراقية اعلان للتعريف بايوان كسرى ، تحت عنوان « طاق كسرى٠٠ الطاق الذى بكاه البحترى » وقد كان التركيز فى الاعلان على سينية البحترى المشهورة ، وعلى تلك الأبيات التى يقول فيها :

لم يعبه أن بز من بسط الديباج
واستل من ستور الدمقس

مشمخر تعلو له شرفات
رفعت فى رءوس رضوى وقدس

ليس يدرى : أصنع انس لجن
سكنوه ، ام صنع جن لانس

عكست حظه الليالى ، وبات المشترى
فيه ، وهـــو كوكب نحس

فهو يبدى تجلدا ، وعليـــه
كلكل من كلاكل الدهر مرسى

وقد دار فى ذهنى : لماذا لا نهتم بتلك الآثار التى وقف عليها الشعراء العرب ابتداء من وقفة الشاعر ابو قبان بن نعيم على حصن بابليون ، وارســـاله الشعر ارسالا فى بناء المسجد الجامع او مســـجد أهل الراية ، الى وقفة احمد شوقى على كثير من الآثار فى مصر ، ولن يعتقد انســان ان الشعراء قصروا فى هذا الجانب ، فهناك تلك الوقفة التى وقفها عيسى ابن شافع على «الدار المذهبة» فى مصر عام ١٣٢ هـ، والتى تعتبر وقفة البحترى على ايوان كسرى امتدادا طبيعيا لها ، كما لا تعتبر غريبة على وقفة الشعراء الطولونيين والأندلسيين على آثارهم ٠

ولن ننسى هنا الشعر الرقيق الذى يســـمى « شعر الأديرة » والذى أكثر الشعراء منه الى حد انهم كانوا يستوعبون كل مافى هذه الاديرة من خمر وسقاة، ونساء، وصور مقدسة، ومصابيح،ونواقيس، مع تحديد دقيق للمكان الذى كانت تحتله هـــذه الأديرة،وهى من الغزارة والشاعرية بحيث لايستطيع ناقد منصف الا أن يعترف لشعراء هذه الفترة ، وبتغيير مكانهم الذى وضعهم فيه النقـــاد من فترة كبيرة عن عمد ، فهناك ما قاله مثلا فى دير القصير الشاعر أبو هريرة ابن أبى عصـــــام (يتيمة الدهر جـ ١ ص ٣٦١) وما قاله أيضا فى هذا الدير الشاعر أبو الفتح كشاجم (ديوان كشاجم ص ١٩) وما قاله فيه كذلك الشاعر محمد بن عاصم المصرى (مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى جـ ١ ص ٣٦٣) ، وقد كان هذا الدير مشرفا على رأس جبل قائم على النيل قرب حلوان ، وكان ما يفتن الشعراء دائما به صورة جميلة للسيدة مريم والسيد المسيح ٠

وهناك دير طمويه الذى خلده ابو عاصم المصرى، ودير مار حنا الذى كان لا يفارقه الشـــاعر العباس ابن البصرى الا ليـلزم ديرا آخر يسمى دير نهيـــا (والديارات لأبى الحسن الشابشتى ورقة ١٣٠)

وللشاعر محمد بن ابى الجوع ــ الذى أخلص للمتنبى فى فترة حضوره الى مصر ــ شـــعر ممتاز فى هذا الدير الاخير (الديارات ص ١٢٨) ومن الملاحظ أن هذه القصـــــائد كانت تتنفس من خلالهـــا الطبيعة المصرية ، وبخاصة النيل ، ثم يأتى بعد ذلك تنصيب الانســـان الذى يجب أن يفتح حواسه على الحياة ، وأن يمد كلا ذراعيه الى أن يحس أن العالم بينهما ٠

ولعل الذى جعلنى أهتم بالكلام فى هذا الموضوع تلك النغمة الشيطانية الجديدة التى أطلت بقرنيه أخيرا فى احدى المجلات والتى جاءت بعثـــا لكلمة قديمة فى بلوتولاند وقصائد أخرى فقد جاء فيها .

« ٠٠أما المصريون فقد كسروا عمود الشعر وعمود اللغة جميعا ٠ ومن كان يرتاب فى أن الشعر العربى قد عاش فى مصر غريبا فليفسر لنـــا كيف عجزت مصر عن انجاب شاعر عربى واحد بين القرن السابع والقرن العشرين له خطره » ٠

فهناك عدد من الشعراء المصريين لهم خطرهم فى اطار عصرهم ، وفى الوقت نفسه يعتبرون متفوقين ــ اذا أحسنت دراستهم ــ على شعراء كثير من الدول العربية فيما بين القرن السابع والقرن العشرين ، ولكن لا أدرى لماذا تم الصمت عن هؤلاء الشـــعراء الذين يراد بالصمت عنهم أن يكونوا حجة على ضعف اللغة والعروبة فى مصر ؟ ولا أدرى لماذا تواتى الآن الفرصة لكثيرين لكى يقولوا ما يشاءون عن العرب والعروبة بغير دليل ، أو يتجاهل الدليل ، ان لكل انسان أن يقول ما يشاء من الآراء ، ولكن أليس من الواجب على من يطلق هذه الكلمات الكبيرة أن يكون قد رجع الى كتب التراث فى هذه الفترة المطبوع منها وغير المطبوع ؟

اننا لو فعلنا ذلك لكسبنا فكرة للسماحة ،وفكرة للتأنى فى اصدار الأحكام ما دامت تتعرض لقضايا كبيرة ، وما دامت مصـــادر الادانة (التى لم يطبع بعضها الى الآن) لم تتوفر لدى الباحث ، ولكنهـــا الاستهانة بكل ما يمس الآن التاريخ العربى ٠٠ ترى لماذا ؟

« عبده بدوى »

رسالة العلم



نهر المعرفة يتدفق

الدكتور عبد الحليم منتصر

نعم : انه نهر المعرفة العلمية ، يجرى متدفقا فى بلادنا ، يضيف الى المعارف الانسانية جديدا ، وان روافد هـــذا النهر ، لتتعـــدد وتتنوع ، وتحمل الى النهر اشتاتا من الوان المعـــــرفة العلمية ليس الى حصرها من سبيل ، وان طلاب البحث من شـــباب العلماء ، فى وطننا الحبيب ، ليردهيهم الفخر ، بما انتجوا من نبضـــات الفكر ، ووقدات القريحـــة ، مقتحمين الصعاب ، مضحين بالنفس والنفيس ، فى سبيل العلم والوطن .

وانه ليسعدنا أن نعرض فى هذه الصفحات لهذا الانتاج العلمى الرائع ، من أعمال علمائنا الأماجـد فى عام ، وهم الذين يرفعون من شان وطنهم ، ويعلون من قدره ، بيجعلونه مواكبا فى ركب الحضارة والعلم ، يحتذى أقدم الأمم عراقة فى ميـــدان البحث العلمى الأصيل فان هذه المئات من البحوث والرسائل والكتب التى نتناولها فى هذا الحديث لتدل دلالة آكيـــدة على تأصـــل روح البحث بين شـــبابنا ، وعلى انهم يسيرون قدما فى الطريق السوى ، غير عابئين بما قد يعتور طريقهم من صــــعاب ، وما قد ينادى به احيانا بعض الذين لا يعلمون ، من تشويه للاعمال العلمية وتفريق بين البحث العلمى البحت ، والبحث العلمى التطبيقى . اذ الواقع أنه لا غنى لأحدهما عن الآخر ولا يمكن أن يتقدم التطبيقى دون البحث او البحث دون التطبيقى .

ولعلنا يحسن أن نذكر فى هذا المقام قول القائل : (انه اذا اضطرت البشرية يوما الى القنوع بالناحية العلمية التطبيقية للعلم ، فستعود الانسانية الى عصر اظلام مرة أخرى ما لم يوجد أناس يعكفون على البحث العلمى المجرد ، والكشف عن النظريات والآراء العلمية الحرة ، التى تقدر العلم للعلم ، والمعرفة لذاتها) .

وليس من شك فى أن هذا النبت الحافل من البحوث ليدل كفلق الصبح على مقدرة من يتولون قيادة هذه البحوث من الاســاتذة ، ومن يعملون فى هذا الحقل من الشباب الذين يرتادون أصقاعه ، باحثين منقبين ، يسكبون نور عيونهم فى صفحات الكتب التى يعبرونها من المنبع الى المصب ، يتجولون بين المصادر والموارد ، ويجوسون خلال المنابع والمصاب يقضون ســحابة نهارهم وزلفا من ليلهم بين المعـــامل والمختبرات ، يعرضون عيونهم ونفوسهم ، الى مالا تشتهى أنفس او أعين من غازات وأبخرة ، ويحبســـون عيونهم فى عوينات المجهر وعدســـــاته ، يقيســون ويقــدرون ويرسمون .. هؤلاء هم سدنة العلم حقا ، الذين تعلق عليهم البلاد آمالا كبارا فى النهوض بهـــا ، ورفع مستوى الحياة بين ابنائها ، بزيادة مواردهم ، والاضافة الى ثرواتهم وامكانياتهم . فضلا عن الاضـــــافة الى المعرفة البشرية ، وانه لشرف يبتغيه العلماء ، وتتفاخر به الأوطان .

ويتميز فيض المعرفة هذا العام ، بغزارة المادة وتنوع الانتاج ، مع العمق والأصالة والاحاطة ، وانه ليشمل

الناحيتين البحتة والتطبيقية معا ، معــالجا مشاكلنا الزراعية والصناعية والهندسية والدوائية .

فضلا عن نشر العـلم مبسطا ، ليزيد من أسـباب الثقافة العلمية ، وبنشرها بين عامة المتعلمين ، بنشرها خالصة من تعقيدات الرموز والمعادلات ، وانها فى الوقت نفسه مركزة ملخصة، وبذلك يتسنى للجمهور المثقف أن يتابع التقدم العلمى فى مختلف الميادين ، وأن يتذوق الثقافة العلمية الرفيعة .

ومن الحق ان نقول : ان هذا الثبت من البحوث الذى نعرضه فى هــذا الحديث ، لا يشمل كل الانتاج العلمى ، بسبب بسيط ، هو ان مراكز الانتاج العلمى من جامعات ومعاهد ، ومعامل ومختبرات ، ومراكز بحث ، ودور نشر ، لا تعنى بارســال نماذج من انتاجها الى مراكز التوثيق العلمى . أو لعل هــذه المراكز الأخيرة ، لا تعنى بتتبع هذه المناشط وتلك الخلايا العاملة النشــطة . فحبذا لو عنى القائمون بالأمر بتيسير المهمة والتعريف بما يقدمون وينتجون .

فهناك الكليات العملية التى نعنيها ـ أغلب الأمر ـ فى هذا الحديث ، قد تزايد عددها فى الجامعات المصرية، فى القاهرة وعين شمس ، والاسكندرية ، واسيوط، والمنصورة ، وطنطا . من كليــات العلوم والطب ، والهندسة ، والزراعة ، والصيدلة ، والبيطرة ، وهذه اقسامها ذات النشاط العلمى المتزايد ، من كمياء ، وطبيعة ، ورياضــيات ، ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا ، وهندسة الكترونية ، ومناجم وكيميـاء صناعية ، وبترول وهندسة سيارات ، وايدروليكا ، وانشاءات ، واقرباذين ، وسرطان ، وطبيعـة نووية وكيمياء كهربية وحيوية ، وبحوث ذرية وأراضى الى غير ذلك من اقسام وتخصصـات ليس من السـهل تفصيلها فى هذا المقام .

وكذلك زاد عدد الباحثين زيادة هائلة ، وغدونا نملك ثروة ضخمة من العقول الباحثة المنتجة ، انها ثروة سائلة من المعرفة تموج فى رءوس هؤلاء العلماء، وعلينا أن نحرص وأن نعمل على تنميتها ، وأن نيسر سبل انتاجها ، وأن نعمل على الا يتوقف نشاطهــا ابدا ، والا تخمد جذوتها المشتعلة علما ونورا ومعرفة وان يبقى ضوؤها ساطعا وهاجا ، يعشو الى ضـوئه كل راغب فى المعرفة .

وهناك الجمعيات والهيئات العلمية ، التى يشارك اعضاؤها فى هــذا الانتاج العلمى الرفيع ، وان اعدادها ، لتتزايد هى الاخرى زيادة كبيرة ، ويكفى ان نذكر منها ، الأكاديمية المصرية للعـلوم والمجمع العلمى المصرى ، والمجمع المصرى للثقـافة العلمية ، والجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية والجمعية المصرية لتاريخ العلوم ، والجمعية الجيولوجية ، والجمعية النباتية ، والجمعية الصــيدلية ، والجمعية الطبية والجمعية الهندسية ، والجمعية الزراعية ، والجمعية البيطرية ، وجمعية خريجى كليات العلوم ، والجمعية المصرية للصحة العقلية ، وجمعية الوراثة ، وجمعية علم الحشرات ، وجمعية علم الحيوان وغيرها وغيرها . وانها لتضم نخبة من اعاظم أساتذة العلوم ، ورواد البحث فى مصر ، وان انتاجهم ليدل دلالة أكيدة على أنهم يسيرون بسفينة البحث العلمى نحــو شـاطىء الأمان .

أما مراكز البحث فى الكليات، والمعاهد، والمركز القومى للبحوث ، ومعهد الصحراء ، ومؤسسة الطاقة الذرية والمصالح الفنية فى الوزارات ، فانها جميعا تزخر بالقـائمين بالبحث ، وتيسر لهم سبله وتهىء لهم وسائله ، وهذه وزارة البحث العلمى التى أنشئت أخيرا ، لتنسق أمور البحث العلمى فى البلاد وتدبر ما يحتاج من نفقه ، تستحق التشجيع والتقدير .

من حق هؤلاء القائمين على شئون البحث والانتاج العلمى أن نتوجه لهم بالشكر والعرفان ، فهم أمل الأوطان فى ارساء قواعد نهضتها ، وانهم ليدعمون بحوثهم أسس النهضة العلمية الصناعية والزراعيــة والطبيــة والهنــدسية والتعـدينية ، وتعلق العروبة عليهم آمالا كبارا فى سد الحـاجة من المتخصصين فى مختلف المجالات، سواء فى مصر أو فى الوطن العربى، والقارة الافريقية ، وفى مواكبة الركب العلمى العالمى، بما ينهضون به من بحث علمى أصـيل ، يضيف الى المعرفة ويعلى من شأن مصر ذات الدور الطليعى ، وان مصر لفخورة بأبنائها العالمين العاملين .

فثمة رسائل للماجستير والدكتوراه ، تبلغ المئـات عدا ، تتناول موضوعات علمية على اعظم جانب من الاهمية ، فدراسات للطقس وحشرات الموالح ، وبعض الأسـماك والقواقع ، وتركيز خامات النحــاس ، والمراريات ، والزيوت ، وتآكل المعادن ، والانزيمات، والحفريات ، والبيئة النباتية ، والمفرقعات النتروجينية والاشعاعات ، والمواد المشــعة والنظائر ، وتلوث الهواء ، والكيمياء التحليلية للثوريوم واليورانيوم ،

والتحليل البلورى لبعض الخامات المعدنيـة ، ومدى صـلاحية بعـض الخامات المحلية فى صناعة الخزف والصينى ، ومدى صـلاحية بعض خامات الكروم والمغنسيوم المحلية فى صناعة الحراريات والفيتامينات وفصل وتنقية الثوريوم من المونازيت المصرى وكيمياء البترول المصرى ، وطحالب المياه العذبة ، والاعفان المصرية ، والمضادات الاحيائية .

وهناك مئات من البحوث العلمية المبتكرة المنشورة فى المجلات العلمية المتخصصة ، مثل : البحر مصدر غذاء ، وشعاع الفا لصخور الأساس بمنطقة أسوان، وتأثير زراعة خلايا السرطان الكبدية على نشاط انزيم لفسفاتاز، ودراسة الأشعة السينية للتركيب المعدنى لبعض الرواسب الطينية من العصر الميوسينى بمنطقة عيون موسى بسيناء ودراسـات بترولوجية لبعض التكوينات السيليسية فى العصر الطباشيرى الأعلى والايوسين من منطقة القصير ـ سفاجه والتاريخ الجيولوجى لافريقيا ، وتوزيع جرعة الفسفور المشع ، والمحتويات الغذائية فى أسماك المياه العذبة والمياه الملحة ، والمواد المثبطة للنمو ، وسوسة الحبوب المخزونة ، والمقاومة الاحيائية لمرض ذبول الطماطم ، ومبيدات الحشائش ودراسات بيئية بالصحارى المصرية تأثير ضغط الماء على صغار سمك البورى وامتصاص الفسفور بوسـاطة بعض الخضراوات اثناء النمو بفسفور ٣٢ .

وثمة عشرات من الكتب العلمية المبسطة مثـل الكترونيات للجميع ، والأزهـار والثمار والبذور وأقرب الجيران الى الأرض ، والآلات ، والأرصـاد الجوية ، وصغار الحيوانات ، وأصل الأنواع وحدادة وتشكيل المعادن ، ومعجزات العلم ، وماذا بداخل الأرض ، وماذا بداخل الحيوانات ودنيا العلم العجيب، والطريق الى الفضاء ، وكل شىء عن الطيور ، ودنيا الحشرات ، وحياة النمل والبراكين والزلازل والنجوم والثعابين ، والثدييات ، وعالم الأفلاك والثروة المائية فى الجمهورية العربية المتحدة . وتربية دودة القز ، والميكروبات والحياة ، وأصواف الأغنام ، والقمر ... الخ .

وهناك عشرات ومئات من المحاضرات العامة ، التى القيت فى الجمعيات والمؤتمرات العلمية المحلية ، وانها لتتناول دراسات وبحوث علمية قيمة تعنى بمشكلاتنا العلمية ، والصحية ، والزراعية ، والهندسية .

وبعد : فاننا اذ نسجل بالتقدير هذا الانتاج العلمى الرفيع لنرجو لجميع القائمين على نهر المعرفة مزيدا من النشاط ، ليتابع النهر تدفقه وفيضانه .

« د . عبد الحليم منتصر »





بقلم : محسن بن عبد الحي

عبقرية العقاد

تأليف : عبد الفتاح الديدي

بعد المفكر الجليل الأستاذ **عباس محمود العقاد** صورة من صور الكفاح الذى ارتسم على جبين الأمة العربية منذ مطلع هذا القرن حتى الآن . هو فى الواقع نمط من أنماط القوة والخصب العقلى فى شعبنا العربى ..

ولقد كانت نظرة العقاد فى كتابته للسير نظرة انسانية محضة ، وذلك ضمن نزعته الانسانية الواضحة فى كل مواقفه الفكرية والأدبية . فعندما كان يحاول استشفاف مفتاح شخصية صاحب السيرة أو صاحب الترجمة الشخصية كان يعمد الى تسليط الأضواء الانسانية على جميع جوانبه حتى يرى عنصر الأصالة فى روحه وعبقريته .. وفى رأيى أن مؤلف الكتاب هو أحد أولئك الذين تتلمذوا على العقاد بعمق وأصالة ، وقد استخدم منهج أستاذه العظيم عندما كتب عنه هذا الكتاب .. فنحن نرى هنا صورة العقاد المفكر الأديب والمناضل الانسان من خلال مواقف طبيعية وتحليلية لنفسيته التى طبعت على العظمة والرقة ، وعلى القوة والضعف البشرى .. ولم ينس المؤلف أن يذكر لنا جوانب هامة من أسرار حياة العقاد الحافلة .. ذكر لنا فكاهاته وغرامياته وعلاقاته النسائية من خلال تحليله لشخصيته الفريدة .. والكتاب بهذا المعنى يعتبر نوعا جديدا من الكتب التى تكتب فى سيرة عظمائنا — حيث لا يرى الكاتب فى ذكر جوانب الضعف والممارسة الطبيعية للحياة البشرية والانسانية شيئا ينقص من قدر من يكتب عنه .. بل يزيده عمقا واحساسا بالحياة .. لقد سارت تراجمنا حتى الآن فى نطاق منهج واحد لا يتغير وهو « اذكروا محاسن موتاكم » ولهذا خرجت هذه التراجم خالية تماما مما يمكن تسميته بالصور الخلفية لحياة عظمائنا — وصفاتهم الانسانية .. ومن ثم كان الجديد فى هذا الكتاب هو طريقته الجديدة فى العرض والتحليل الذى لم يشأ المؤلف فيه أن يخص العقاد بمفتاح شخصية واحد فى كل المجالات لكى يقيسه عليه — بل استطاع أن يعدد من هذه المفاتيح وذلك وفقا للتعقيد الشديد فى شخصية الأستاذ والتناقض القوى بين مواقفه .

يقول المؤلف : لقد صال العقاد وجال فى أكثر من مجال من مجالات الفكر حتى ثار عليه المتخصصون، ولم يرض عنه أصحاب الدرجات الجامعية ، وكانت عبقريته خلاقة بمعنى الكلمة ، كما كانت عقليته — من تلك العقليات المتفتحه لأكثر من فن واحد ، انه من جيل المفكرين الذين لم يتركوا مجالا من مجالات الفكر الا طرقوه واستوفوا أصوله وقواعد بحثه وعرضوا له بالتحليل والدراسة وسجلوا بعد ذلك آراءهم فيه . ولم يعد هذا النمط من الأفذاذ موجودا فى العصر الحاضر ولم تعد أحوال الحضارة المعاصرة تسمح بظهور مثل هؤلاء الرجال لقد أفلت العقاد فى غفلة من الحضارة .

ووقف العقاد بعد موته كعلامة مثبتة على جانب الطريق الطويل فى دنيا الثقافة والفلسفة والشعر . وصار علامة تشير الى مقدار حيوية اللغة العربية وشباب الفكر العربى ورقى وحضارة العرب ، ولم يستطع أحد أن يبلغ هذا المدى فى تاريخ الاسلام والعروبة ، ولم يعد من الممكن أن توصف لغتنا بالعجز عن أداء معنى من المعانى أو بالقصور فى مضمار الفكر أو الفلسفة أو الصحافة أو السياسة .

لقد صار العقاد أكبر مدافع عن مكونات الأدب والفكر والثقـافة والعقيدة المرتبطة بأرض العرب وسخر قلمه وعقله ومنطقه لدفع كل ما يمس هـذا الكيان بسوء بطريقة منهجية كما اوقف كل جهوده على بث روح الايمان والثقة فى نفوس ابناء العربية واخذ على عاتقه مهمة ايقاظ المشاعر وانهاض الهمم لدى الشـباب الحائر الموزع الأحاسيس فـكتب فى المسائل الدينية وجعل الايمان بالاسـلام فضـيلة يتباهى بهـا المرء وجعل الانتماء الى العـروبة ميزة تعلو على كثير من مميزات الأجناس والجمـاعات الاخرى ذاكرا المبررات لهذا كما جعل العقـاد من نفسه المدافع الأكبر عن كل العداوات التى تهـدد كيان العروبة وحضارة العرب وفلسـفة الاسلام ، ودافع العقاد عن كل مظهر من مظاهر الفكر العربى وسار سهلا ميسرا بالنسبة اليه أن يتعرض لأقوى النظـريات المعارضـة فيدحضها بمنطقـه القوى وحجته الناصعة . ولم يخش العقاد قط أن يبين عيوب النظريات مهمـا كانت درجـة أصـحابها وخطورتهم . وبهذا الموقف الفلسفى استطاع ان يضيف شيئا ذاتيا أصيلا فى كل رأى وفى كل فكرة. وبهذا تكونت نواة الفكر العربى المعاصر ــ وكان هذا الحماس فى مؤازرة الفكر العربى ومظاهره هو مصدر الجمال فى أسلوب العقاد وحرارته فى الكتابة والشرح . ومع ذلك يمكن القول بان السر الحقيقى يكمن فيما يضفيه العقـاد على عباراته من الشاعرية حيث كان نصيبه من الشـاعرية كبيرا حتى بلغت به مبلغ التصوف ولم يكن العقـاد ينكر تصـوفه ونزوعه الى عالم الروح .

وقد صدق العقاد واخلص فى كل المواقف وفى كل اتجاهات التفكير التى مر بها ونستطيع أن نرى الوفاء صبغة لم يخل منها قط موقف من مواقفه حتى فى اشد الهجمات النقدية عليه . واذا كانت فكرة الارادة هى مفتاح شخصية العقاد فى فلسفته فان الشعور بالوفاء هو مفتاح شخصيته المفكرة .

وتعرض العقاد لنقاط كثيرة فى فلسـفات سارتر والبير كاني وأحس بأن هذه الفلسفات تحمل بذور الألم ووساوس الخوف وملامح الحزن والتشاؤم. فعارض جوانبها الانهزامية وأبرزمافيها من مواقف الجدية والسمو ولم يعرف أى تردد أو حيرة امام مذهب من المذاهب مهما تعقد أو خرج عن المألوف. وناقش المفكرين فى العالم اجمع مناقشات حادة .

ومفهـوم العقاد للاشـتراكية كما يراها مفهـوم واضح مرن مستخرج من طبيعة البيئة ذاتها قبل أن يكون نظاما اجباريا » ولهـذه الاشـتراكية فى رأيه ــ أو لهذه الاشتراكيات على الأصح ــ عشرون تطبيقان على نحو واحد. اذ أن كل أمة يناسبها نظامها الحكومى وظروفها الاقتصادية وعلاقاتها الخارجية التى لا تناسب أمة غيرها . ولا يزال كل تطبيق من هذه التطبيقات قابلا للتعديل بين عام وآخر الى غير أمد ممدود » .

ويشرح العقـاد فكرة الاشـتراكية الأصيلة فى العدل والمساواة ــ من وجهة نظره فيقـول :ـ **« وانما المساواة شرف حين ترتفع بالادنى الى ماهو أعلى منه وحين تعطى الرفيع حقه وتابى عليه ان يجور على حق غيره وحين تكون انصافا للعاجز لانها تستنهضه الى القدرة وانصافا للقادر لانها تكافئه على المزية ولا تعاقبه عليها بحرمانه من جزائها »**

ولقد أحب العقاد الحياة حبا ملك عليه فؤاده ولبه ولذلك اعطاها حقها من الاهتمام الذى اولاه حشرات الأرض وسكان الفضاء . والعقاد الذى طالما نزل المعارك والمناقشات وتصدى للنقد فى عنف كان يشعر فى حنايا قلبه بالتأثر الشديد والضعف الحاد أمام مآسى الناس واحزانهم .

ومر العقاد بثـلاث تجارب من أعمق تجـارب الحب .. واسـتطاع المؤلف أن يسـتخـرج من اشعاره ثلاث نساء احبهن العقاد حبا قويا لايشابه الانفعالات العابرة . فكانت عواطفه فى حبه الأول وفى حبه الثانى مشبوبة حادة ولكنه كان أقرب الى الفتور خلال حبه الثانى . وقد أزعجته تباريح الهوى أحيانا حتى جعلته يبلغ أقصى آماد السـخط والغضب واشتد به الشوق والولع بصديقاته حتى عرف الفزع والقلق والسهاد .وحاول أن يكون جريئا فى تجربته الثالثة وان يكتفى بارضاء مشاعره ونزواته ولكنه لم يسـتطع أن يـكف عن الانشـغال باكثر مما تقتضيه مجرد الصداقة والحب .

وهنـا أفلت منه الزمام فسب ولعن حتى بلغ به العمـر سن المحب الرفيق الرقيق فتنـازل عن كبريائه وقبل أن يصبح طرفا فى حب لا يفرض على صاحبته الوفاء لأنها كانت قـد أصـبحت فى مذاقها أحلى من الوفاء .

ولقد حارب العقاد بضراوة كل أنواع الاستغلال الحزبى والملكى ــ حتى اتفقت الاوامر الملكية واوامر

حزب الوفد بعد سنة ١٩٣٦ على محاربة العقاد في رزقه ومنعت أي ناشر أو بائع كتب أن يضع عنده نسخا من كتاب **سعد زغلول** فألف العقاد **سـارة** واشتغل بالكتابة الصحفية بالحد الذي سمحت له به الظروف في سنتي ٩٣٦ و ١٩٤٠ كما اعتمد على بعض أصدقائه وتلاميذه في بيع نسخ من كتبه . وكان ينتظر ثمن النسخة من أجل الغداء والعشاء اليومي . واحتمل العقاد الموقف على مضض وهو يحاول اظهار حالات رخائه لأعدائه بالكتابة في مشاكل الحب وفلسفة الجمال . وظل حينئذ أستاذنا **الزيات** يفسح له صفحات الرسالة غير آبه بأوامر الوفد أو أوامر القصر **واحتفظ العقاد للرسالة** ولأستاذنا الزيات بهذا الجميل الى آخر أيام عمره .

وكانت المرارة هي الأثر الوحيد الذي تركته في قلمه حياته العاتية المليئة بالزوابع والأعاصير . وعكس في هذه المرارة احساس أمة بأكملها . فلم يرفض الحياة ولم يقبل الانهزام . ولكن الحياة نفسها لم تدعه يقدم في طريقه الطويل بغير أن تدمغه بطابع من طوابعها . أدخلت في عالمه هذا الطعم المرير في هدوء . وجعلت دنياه مصبوغة بالاشتهاء المحروم ، علمته معنى الألم بصنوفه وشتى ألوانه . وأودعته سرعا الكبير دون أن تثبط منه عزمه أو أن تشل حركة قلبه . وصارت الأزمات في حياة العقاد ضرورة يتوقعها كما يتوقع طلوع شمس النهار في اليوم التالي . وصار لا يتخيل لحظة من لحظات حياته بغير مصاب أو حزن . ولم يلبث الوجود المحزون المليء بالصعاب والأزمات أن أصبح هو القاعدة وأفراح الحياة هي الاستثناء .

ولكم كان العقاد حريصا على دعوته الاسلامية ولكنه كان أيضا حريصا على أن نعرفه كانسان قبل كل شيء . وستظل انسانيته مع ذلك نمطا رفيعا لا يعلو الى جواره نمط مما عرفناه حتى اليوم .

وستعلو هذه الانسانيـة بمقدار ما نجلوه من صفحاتها التي لا تعد ولا تحصى .

وستزداد أبعاد مشاعره عمقا في أنظارنا كلما تلمسنا ذكراه .

والقدر الذي حبا العقاد بهذه الحياة الحافلة سيجعل موته أروع تجربة في تاريخ أبناء هذا الجيل . بل سيجعل اسمه أقدس لحن في تاريخ الوطنية والأخلاق والفكر والفن . وسيكون دائما عنوانا لأعنف معركة انتصر فيها ابن من أبناء بلادنا على قوى الرجعية والاستعمار وعلى قوى الشر والجحود على قوى التخلف والجمود وعلى طبيعة الحقد والنكران . وسيبقى صرير قلمه أجمل أنشودة عرفتها البلاد .

فارس الأمل
تاليف حسن فتح الباب
الناشر مكتبة الانجلو

يحتوى الديوان على أربع وأربعين قصيدة كلها من الشعر الحديث .. وقد كتبها المؤلف على فترات متفاوته وجمعها في هذا الديوان الذي يقع في ٢٦٩ صفحة من القطع المتوسط . وقدم للديوان احمدلطفي ومحمدالبخاري وفلاس الديوانوالشاعر.. « يتميز البناء الشعري في قصائد فتح الباب بقسمات واضحة فالبناء» عنده دائما بناء درامي فيه تفاعل وحركة ونبض ، يأخذ طابع الملحمة العاصفة ، أو القصة القصيرة الوادعة. ويزخر بالحوار وبالترديدات وتقطيع المشاهد أو المزج الانتقال فيما بينها .

صراع بين الحق والباطل
تاليف سعد صادق محمد
الناشر مكتبة السنة المحمدية

يحتوى الكتاب على دراسة وافية للبدع والمفاسد المنتشرة في حياتنا الدينية ويعرض لنا في نفس الوقت طائفة من الحقائق الدينية التي لايؤمن بها أحبار التصوف وطائفة من البدع التي يقدسها كهان التراث الصوفي . الذين يقفون حائلا دون فهم الناس لحقيقة الدين الاسلامي وتعاليمه السامية .

ويقع الكتاب في ١٦٢ صفحة من القطع الكبير .

تدريس التاريخ
تاليف : هنرى جونسون
ترجمة وتقديم : الدكتور ابو الفتوح رضوان
الناشر : دار النهضة العربية

مع التسليم بوجهة نظر التاريخ قديما من حيث أهمية الأبطال والقادة والزعماء . فان فلسفة التاريخ الجديدة تسلم بأهمية الشعوب وتنسب اليها أحداث التاريخ الهامة . فالشعوب هي التي صنعت التاريخ وتصنعه . بل ان هذه الفلسفة تذهب الى أن البطل والزعيم والقائد ليس في نفسه الا ظاهرة اجتماعية . فلا خير في زعيم ولا وهو جدير بهذا الاسم ولا أمل له في النجاح الا اذا كان هذا البطل ممثلا لأمة . والا اذا كانت سياسته وأقواله تعبيرا عن ارادة الشعب . ومع التسليم مع فلسفة التاريخ القديم بأن ثقافة كل جماعة هي أعز من مقدساتها . وان هذه الثقافة تتمثل في ماضي هذه الجماعة . وأن للماضي حقا على أهل الحاضر فان فلسفة التاريخ الجديدة تؤمن بأن الثقافة والماضي وما ينعطف عليهما ليست جامدة ولكنها متطورة . بل ان تقديسها هو بقاؤها حية مناسبة للعصر من طريق تطويرها تبعا لحاجاته . ومشكلاته . وان طريقة وفاء أهل عصر بحق ثقافتهم وماضيهم عليهم هي في دفعها قدما في معارج التطور الى أعلى . أي في معارج التقدم . وعلى أساس هذه الفلسفة فان التاريخ ليس بحث الماضي أو تصويره . ولكن القاء أضوائه على الحاضر بقصد معرفة كيفية حدوثه . وتوضيح أصول مشكلاته . وطريق تطويره وتحسينه . أي ان التقديس ليس للماضي فقط . ولكنه للجماعة وهي كائن حي يرتبط فيه الماضي بالحاضر وبالمستقبل في عملية تاريخية واحدة .

وهذا الكتاب الذي يقع في ٤٩٥ صفحة من القطع الكبير .. يبحث في كيفية معالجة علم التاريخ بحيث يكون أداة ناجحة في تقرير كل ما تقدم من الأهداف والاتجاهات . وقد سار مؤلفه على طريقة تقرير الفكرة أو الرأي ثم يتبعها بالطرق العلمية لكيفية تطبيقها .

« **تحسين عبد الحي** »

قراءات في المجلات العربية



يقدمها محمد العوانى

• منظمة التحرير الفلسطينية :

نشرت « النيل » السودانية فى عددها الصادر فى ١٩٦٥/٥/٧ بيانا لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت وجاء فى مستهل هذا البيان أن هذا العام « يتميز بالنشاط المحموم الذى تقوم به قوى الاستعمار العالمى جنبا الى جنب مع الصهيونية العالمية متمثلة فى العصابة الاسرائيلية ، وكل يوم يمر تتكشف لنا جوانب جديدة من جوانب المؤامرة الرهيبة التى تعدها هذه القوى مجتمعة للقضاء على الحركة العربية المباركة التى ظهرت بوادرها جلية واضحة ، وتجددت معالمها بالقرارات التى اتخذت فى مؤتمرى القمة والتى تهدف الى توحيد الصف العربى للقضاء على النفوذ الاستعمارى فى جميع الاقطار العربية والوقوف صفا واحدا فى المعركة المصيرية التى تخوضها الامة العربية للقضاء على القاعدة العدوانية التى أقامها الاستعمار فى الجزء المغتصب من وطننا الحبيب فلسطين .

وأشار البيان الى أن من واجب الامة العربية تجاه هذه الاخطار التى تحدق بها أن تسخر جميع الطاقات البشرية والمادية فى معاركها السياسية والعسكرية ضد الاستعمار والصهيونية ، وأن تحدد موقفها من الدول الاستعمارية التى خلقت اسرائيل ولا تزال تساندها وتقف معها وتقدم لها جميع المساعدات ، فعلى الامة العربية كما جاء فى البيان « أن تشهر سلاح البترول، وهو أقوى الأسلحة العربية فى وجه كل دولة تصمم على الوقوف بجانب اسرائيل ..وأن تتيقظ جيدا للمحاولات اليائسة التى يبذلها الاستعمار العالمى الرامية الى فتح عدة جبهات فى الوطن العربى لتحويل الجهود اليها والحيلولة بيننا وبين تركيز كل طاقاتنا وقوانا للمعركة الرئيسية » .

• جذور الاشتراكية .

نشر الدكتور عبد العزيز الدورى فى مجلة « الاقلام » العراقية عدد ابريل ١٩٦٥ بحثا عن الاشتراكية بين فيه أن محتوى الثورة العربية فى الحقل الاجتماعى والاقتصادى يمثل جانبا حيويا لهذه الثورة ، وأن هذا المحتوى يتمثل فى الاشتراكية العربية، لأنها تمثل مفهوم العدالة الاجتماعية بمعناه الواسع فى المجتمع العربى الجديد .

وشرح الباحث الادوار التى مر بها التاريخ العربى فوضح ان المجتمع العربى الاسلامى كون حضارة تتمثل فيها عبقريته ومفاهيمه ، وأدق ما فى أية حضارة ، الروح التى تتخللها ، والقيم والمثل التى تعتز بها .. لقد وجدت أوليات هذه الحضارة فى الاوث الثقافى العربى القديم وهو ارث عريق يعود لأكثر من الفى سنة قبل الميلاد ، ويشارك فيه وادى الرافدين واليمن وسورية ومصر ، وقد مر النشاط الحضارى العربى بفترات من الازدهار والركود ، لكن مناطق نشاطه تمثلت قبيل الاسلام فى شبه الجزيرة العربية وجنوبها ، وأوضح مظاهره اللغة

العربية والشعر العربى ، وكانت له أصول قديمة فى التوحيد على الرغم من طغيان الوثنية فى هذه الفترة. ورأى العرب فيه منطلقا لبناء حضارى .

• حرب على الامية :

مما لا شك فيه أن انتشار الامية يعتبر عقبة تعترض طريق التقدم الاجتماعي والاقتصادي لذلك فاننا نجد كثيرا من المؤتمرات التى تعقد بين وقت وآخر لبحث مكافحتها وأشارت مجلة « رسالة المعلم » التى تصدر عن وزارة التربية والتعليم فى الاردن الى أن من هذه المؤتمرات التى عقدت مؤتمر الاسكندرية الذى عقد فى اكتوبر ١٩٦٤ ، كما عقدت مؤتمرات أخرى فى بلاد كثيرة كلها تهدف الى التخلص من الامية والعمل بكل ما أمكن على محوها وازالتها ويقول «عبد اللطيف عابدين» فى هذه المجلة اننا نحن العرب لنا من ماضينا المجيد ما يحتم علينا القضاء على هذه الامية حتى يكون حاضرنا امتدادا مقبولا لذلك الماضى الخالد . واضاف «ان شوارع قرطبه كانت تضاء ليلا بالمصابيح،حين لم يكن فى لندن مصباح واحد ، وأن أطفال العرب فى الاندلس من بنين وبنات كانوا يتعلمون الجغرافيا على كرة أرضية مجسمة ، فى الوقت الذى كان فيه الاربيون يحرقون كل من يقول ان الارض كروية » .

لعل فى تاريخنا هذا ما يدفعنا الى أن نعمل جاهدين على نقضى على هذه الامية البغيضة التى هى احدى معوقات تقدمنا الحضارى . وبالمناسبة فاننا نوجه التقدير لما أصدره الدكتور عبد القادر حاتم من قرار ينص على أن يقوم بعض موظفى وزارته بمكافحة الامية فى محافظتى الجيزة والقليوبية .

• بيعة :

وفى «النيل» الصادرة فى ١٩٦٥/٤/٣٠ وفى الصفحة التى يشرف عليها مكتب الفكر العربى بالخرطوم كلمة حدد فيها كاتبها الرسالة التى من أجلها أنشىء هذا المكتب وجاء فى هذه الكلمة انهم يدعون لدراسة آثار الفكر العربى عبر التاريخ وابراز دوره فى بناء الحضارة الانسانية والفكر الانسانى .. يقول : نحن ندعو للثقافة العربية فى كافة مجالاتها ليس فحسب فى ميدان الشعر والنثر ، ولكن أيضا فى ميادين العلم والاختراع والاكتشاف والفلسفة والفن الحربى العربى .

هذا الايمان بالفكر العربي وبالكينونة العربية ، هو الذى وسع رقعة الدول العربية الاسلامية واخرجها من جزيرة العرب وسيرها من سهول الصين شرقا الى بساتين الاندلس غربا .

لقد سادت اللغة العربية بفضل القرآن وأصبحت تربط بين مختلف شعوب الدولة الاسلامية .

ان لغتنا العربية وثقافتنا العربية هما مظهر سيادتنا وعزتنا وهما ضمان بقائنا وخلودنا فمن الذى يستطيع أن يمنعنا سيادتنا وعزتنا وبقاءنا وخلودنا ؟

• الموشحات الأندلسية :

نشرت « الثقافة » بحثا للدكتور جوده هلال فى العدد السابع والتسعين عن الموشحات الاندلسية ، مهد فيه بالحديث عن نشأة الدولة الاموية وبين أن « قرطبة » كانت مركز الثقل الحضارى فى القارة الاوربية ، لما سادها من جو حضارى انسانى شفاف ، ولما كان يتمتع به الامراء الامويون من حصافة وبعد نظر ، فقربوا الطوائف وأزالوا أسباب الخلاف الذى ساد جو الجزيرة الاندلسية ردحا من الزمن قبل الامويين .. وعاش أهل الاديان الاخرى فى أمان ووئام ، وكفلت الدولة حرية العقيدة لمواطنيهم من النصارى الذين كانوا يؤدون طقوس عباداتهم تحت أبراج الكنائس ودور العبادات .

ونقل الباحث نصين لابن بسام وابن خلدون يؤكد بهما أن أول من صنع أوزان الموشحات الاندلسية هو « مقدم بن معافى القبرى» ويختم بحثه موضحا أن الموشحات والازجال ينتميان الى فن شعرى واحد . ولكن الموشح تراعى فيه قواعد اللغة ويطلق على الفصيح، أما الزجل فيطلق على السوقى الدارج ، اذ الاصل فيه أن يكون فى اللغة الدارجة ، وهو فن العامة بالاندلس وفيه نظمهم ، ينظمون على سائر البحور الخمسة عشر ، لكن بلغتهم العامية ، لانه كان يتغنى به فى الطرقات وينشده المتشددون من الجائلين والمتسولين بصوت جهير وسط جمهور من الناس .

« محمد العوانى »



حول كتاب قصة الايمان

فى جلسة مع الاستاذ نديم الجسر مفتى طرابلس (لبنان) وجدت فى وجهه الرضى . وفى لسانه التهلل وهو يقرأ خطابا من الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين ، كان الخطاب يقول :

فان كتابكم « قصة الايمان » يتمثل فيه أسلوب الأديب ومنطق الفيلسوف ، ووجدان المؤمن .

فمن أجل ذلك قررنا منذ بدء العام الدراسى ١٩٦٥/٦٤ — أن يكون فيه امتحان القبول للدراسات العليا « شعبة العقيدة والفلسفة » ثم قررنا أن يكون فيه امتحان القبول فى شعبة العقيدة والفلسفة وشعبة الدعوة والارشاد لعام ١٩٦٦/٦٥ — واعلنا ذلك للطلبة فى اول ابريل سنة ١٩٦٥ حتى يتاح لهم الوقت الكافى للاستعداد .

وانه ليسعدنا أن تعرف سيادتكم بذلك تقديرا للعلم واهله . والله يجزيكم عن الدين خير الجزاء .

ما أجمل ان يلقى مفكر التقدير بعد أن يعانى ، ثم يخرج الناس وفى يديه اللؤلؤ . ومما لا شك فيه أن كتاب قصة الايمان يحمل بين دفتيه اللؤلؤ . فصاحبه كمفكر اسلامى ، وكشاعر مرموق ، يستحق أن يعرف فى بلادنا .

كفاح الشعب المصرى فى الشعر العراقى المعاصر
بقلم عبد الخالق عبد الرحمن (بغداد)

لم تكن هناك اقليمية عند العرب فى الأدب بمنظومه ومنثوره، او فى العلم . فالعرب اليوم يشعرون انهم عالم واحد وانهم يكونون وحدة عامة مشتركة . تغزو ميادين العلم والفلسفة والأدب ، وتتميز بطابعها الخاص وهو الوحدة العربية التى اصبحت امنية كل عربى يغار على امته ودينه ووطنه . وان توحيد جهود العرب كما قال الرئيس جمال عبدالناصر لهو «الدرع الواقية التى تحمى مصر وتحمى سائر الدول العربية من مؤامرات المستعمرين واطماع الطامعين » .

وفى هذا العصر بالذات تربط العرب رابطة الادب التى لا انفصام لها فلا فرق بين اديب مصرى وسورى وعراقى ولبنانى ومغربى . فالعرب كانوا وما زالوا قديما وحديثا يربطهم عالم واحد فى العلم والأدب والثقافة . فاذا ماجار شاعر فى العراق تردد صدى شعره فى القاهرة ودمشق وبيروت وتونس . واذا ما حدثت حادثة فى مصر تردد صداها فى العراق . فانه على الرغم من القيود التى كانت مفروضة فى عام ١٩٥٣ على الشعب العراقى وقتذاك . فان اسم الرئيس جمال عبد الناصر كان يتردد على كل لسان . لانه رمز العزة والكرامة والسيادة العربية وعندما نذكر عام ١٩٥٣ يتبادر الى الأذهان حكم العراق وقتذاك من قبل نورى السعيد وجلاوزته ، وعبد الاله وبطانته . ومع ان الأفواه ، كانت تكمم ، والأحرار كانت تطاردهم السلطات الحكومية وتزج بهم فى المعاقل والسجون . نرى الشاعر العراقى جميل احمد الكاظمى تهزه الأحداث فيطلع علينا بقصيدة رائعة تقارب الثلاثة والثمانين بيتا نشرت وقتئذ فى جريدة (النداء) البغدادية ، وفيها يصور كفاح الشعب المصرى خلال سبعين عاما ، والشعب المصرى يثور للكرامة الذبيحة ويثار للحرية الجريحة حتى تنقشع السحب وتتبدد الظلمات . وفى هذه القصيدة تلتمع المعانى المبتكرة ، وتجول فى ثناياها الأحاسيس المرهفة ومطلعها :

عهد لولاه الكفاح مديدا
ما ان لوت فيه الكنانة جيدا
سبعون حولا كم طوت ايامها
مما تخلد انفا وجهودا
تلك الضحايا الغر مل، بطاحها
شرفا تعفر بالتراب خدودا

وتتجلى روعة هذه القصيدة بهذا الاستهلال الجيد الذى يشيد فيه الشاعر الكاظمى بكفاح مصر العتيد ، وهو الكفاح الذى عانت منه مصر ما عانت خلال قرن مضى ، ففى القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية تسير بخطوات حثيثة نحو نهايتها المحتومة وهى

تكاد تلفظ انفاسها الاخيرة ، وكانت فرنسا وانكلترا تتنافسان في احتلال مصر وشمال افريقيا ، وكانت فرصة سانحة لهما لاحتلال فلسطين وسورية ولبنان والعراق ، واغتنمت بريطانيا الفرصة لنشر نفوذها الاستعماري اقتصاديا وسياسيا في البلاد الاسلامية الاخرى .

في هذا الوقت بزغ نجم طائفة من الرجال المخلصين والقادة المحنكين ، ووقفوا في وجه الاستعمار الذي حشد امكانياته للقضاء على العرب ، وفي مقدمة هؤلاء عبد القادر الجزائري في شمال افريقيا ، واحمد عرابي وعبد الله نديم ومصطفى كامل في مصر وعبد الرحمن الكواكبي في سورية ، وكان ممن رفع راية الاصلاح جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، وقاسم امين ، وهنالك كان فريق ممن نهض بخدمة العلوم والآداب في الشرق العربي مثل رفاعة الطهطاوي ، ومحمود سامي البارودي ، وعلي باشا مبارك وناصيف اليازجي وغيرهم .

ويشيد الشاعر جميل الكاظمي بالاقلام الحرة الثائرة التي اججت نار النضال الخالد فيقول :

وصرير اقلام الصحافة نغمة — منها ترى ما يستزيد نشيدا
نغم يردده الزمان وآية — في الحق يوليها النضال خلودا

ويستمر الشاعر في تقدير كفاح الشعب المصري خلال السبعين سنة الماضية التي لم تطو فيها بنود الكفاح المنتشرة فوق المدافع المصرية، والاسنة المشرعة فلم يتقهقر ويتراجع عن مطالبه الشرعية، وحقوقه المغتصبة ، فالشعب المصري من الشعوب الحية التي تأبى ان تهان كرامتها ، او تهدر عزتها ، او تدنس ارضها ، وهو يتجلبب بزرود الايمان وحلقاته الفولاذية ، وانه لتصوير رائع وصورة حية لربنا معنى النضال ، ومعنى الكفاح في سبيل نيل الحرية في غضون تلك السنوات العجاف التي وقف فيها الشعب المصري كالطود الأشم الذي لا تزعزعه هوج الرياح :

سبعون حولا ما عرفت مدارها — الا عوادي ماطوين بنودا
فوق المدافع والأسنة شرع — حول الحمى والمرتدين زرودا
حلقاتها الايمان الا انها — في الحق فولاذ يبيد قيودا
اكبرت ذياك النضال وشأوه — صعب المدى اني استطال حدودا

ومن ثم يستمر الشاعر جميل احمد الكاظمي في قصيدته التي يطول بنا الوقوف عند معانيها الرائعة ، وديباجتها الساحرة التي تفنن الشاعر في حسن التخلص والتنقل فيها من صورة الى اخرى ، وهو يتدرج في تسلسل حوادثها المتصلة الحلقات دون ان يشعر القارىء بكلل او ضجر ، بل تستهويه براعة الشاعر في انتقاء الكلمات ، وجزالة اللفظ ، وحلاوة الجرس ، حتى يقول :

امد يطول وفي المدى اشواطه — شطت على حد الكفاح بعيدا

ومن ثم يصف ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وكيف وثب الرئيس جمال عبد الناصر وصحبه وهم يزأرون كالأسود الثائرة وقد حماهم جيش مصر ، بل الشعب المصري باجمعه فقضى على ذلك العرش وانهارت قوائمه ، وتبعثرت عقود التاج المتلألئة ، وهو الذي كان يحوي في غضونه الداء الدفين فيقول :

حتى اذا ان الأوان تواثبت — هيم الأسود لتستقل جهودا
زأرت فكانت حد ثورة ثائر — دوى العرين وقد حمته جنودا
وتناولت تاج المسيطر عنوة — حتى تفرط لؤلؤا وعقودا
وقضت على رب السرير وحطمت — عرشا حوى الداء الدفين عتيدا

ومن ثم يلعن الشاعر ذاك العهد الذي ولى دون رجعة ، عهد المطامع والزلفى والرياء فيقول :

لا عاد ذاك العهد بعد ذهابه — حيث المطامع البسته برودا

ومن ثم يشيد الشاعر بالرئيس جمال عبد الناصر وصحبه الأخيار الذين شدوا ازره في ثورته الموفقة وانهم حقا من الرجال المؤمنين الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه، وان العدل كان رائدهم وعلى العدل تشاد الصروح (فالعدل اساس الملك) :

صالحات ماصالوا سوى عرش العلا — للحق حتى ترتقيه سعيدا
سطعت على افق الكنانة شمسهم — نورا يعير المشتري سعودا
احكامهم والعدل يسند صرحها — همم عليها الدهر بات شهيدا
والصرح اثبت ما يكون دعائما — باهي الممالك عاليا وشديدا

لقد ابدع شاعرنا الكاظمي في تصويره الشعري الرائع عن يوم الجلاء ، وضمنه الحمد والشكر لله تعالى على انقاذه مصر يوم من عليها بالجلاء ، والحقيقة ان الشاعر الكاظمي قد تتلمذ على استاذه المرحوم احمد شوقي فكان يترسم خطاه وقد جارى في قصيدته هذه دالية شوقي المشهورة التي هي موضوع الجلاء ، وان براعة الاستطراد قد دفعته الى ان يضمن قصيدته بيت شوقي الذي احسن التخلص منه في آخر المقطع :

خشيت جوانبه السياسة فانثنت — توليه حقا كي تبر وعودا
نزلت على حكم الجلاء فصافحت — كفا يصافحها العلا تمجيدا
الحمد لله الكريم فيومه — عيد سيذكره الأنام سعيدا
(والله مادون الجلاء ويومه — يوم تسميه الكنانة عيدا)

ومن ثم فالشاعر يعود القهقرى الى سنين مضت فيتمنى ان يكون احمد شوقي حيا ليرى اليوم الذي تم فيه الجلاء على يد هؤلاء الفتية المؤمنين بربهم وقد زادهم الله ايمانا على ايمانهم لانهم وهبوا نفوسهم رخيصة في سبيل الله ، وليرتل اغاريده في هذا اليوم الأغر الميمون :

يا ليت احمد في الحياة وثغره — بادي الفصاحة يرسل التغريدا
ويخلد الذكرى كاحسن ما يرى — في الناظمين شعورهم تخليدا

بغداد — • عبد الخالق عبد الرحمن •

أسطورة شعبية أزباكستانية

الكريم والبخيل

تأليف : أ . بيندير
ترجمها عن الروسية : رضوان ابراهيم

اشترك كريم وبخيل ذات يوم فى رحلة عبر الصحراء

لم يفتح البخيل قربته التى يحمل فيها الماء ، ولا الحقيبة التى يدخر فيها طعامه مرة واحدة ، بل ظل طوال الوقت يأكل من خبز الكريم ، ويشرب من مائه ، وظلا هكذا حتى جاء الوقت الذى شربا فيه آخر قطرة من ماء الكريم ، وأكلا آخر كسرة من زاده.

وأخيرا وقفا ليستريحا فى بقعة موحشة من الصحراء ، فأخذ البخيل يصب الماء من قربته ويشرب وحده ، ويخرج الطعام من حقيبته ليأكل .

أما الكريم فلما أضناه الجوع والظمأ قال للبخيل :

– أنقذنى أيها الصديق !

لكن البخيل صاح فيه غاضبا :

– أنا لا أحب مطلقا أن أبدد طعامى وشرابى لأصير فى مثل حالتك هذه !

وركب جمله ، وخلف رفيقه وحيدا تحت رحمة الأقدار .. ومضى !

ولم يستطع الكريم من شدة الإرهاق والضعف أن يواصل الرحلة . ولكى يشبع جوعه ، ويطفىء ظمأه ، مد يده فتناول عودا من العشب الأخضر وأخذ يمضغه .

كان لهذا العشب خصائص سحرية جعلته يفهم لغة النبات والحيوان فورا . وحينما أسدل الليل ستاره سمع تحت جنح الظلام اثنين من السلاحف تزحفان وهما تتحادثان . قالت السلحفاة الكبيرة :

– عجبا لهذا الأبله ! يكاد يقتله الظمأ ، وليس بينه وبين البئر سوى نصف ساعة !

وأجابت السلحفاة الصغيرة :

– وأنا كذلك أعجب من هذا الغبى الذى يكاد يموت من الجوع، وبالقرب من البئر خيمة بدوية يسكنها رحالة عنده الكثير مما يشتهى من اللبن واللحم .

ولم يكد يستمع الى حديثهما حتى تحامل على نفسه ، وركب جمله ، وأسرع الى البئر ، وهناك شرب حتى ارتوى ، وتعشى عند الرحالة المضياف حتى شبع ، وفى النهاية اشترى من الرحالة ما يكفيه من المئونة ، ثم واصل السفر .

أما البخيل فحين رآه يشترى اللحم والدقيق ، ولاحظ أن كيسه ملىء بالنقود ، اقتفى أثره ، وهو يضمر له الشر ، وأسرعا حتى وصلا الى منطقة آهلة بالسكان . وما كاد الكريم يستغرق فى النوم أثناء استراحته الليلية حتى تسلل اليه البخيل ، وسطا على كيس نقوده فسرقه ، وامتطى جمله وأسرع فى الاختفاء .

ولما استيقظ الكريم ولم يجد كيس نقوده استبد به الحزن ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئا ، فحمل متاعه ، وسار فى طريقه

وبينما هو يسير سمع حديثا بين طائرين يقفان على غصن شجرة .. سمع أحدهما يسأل الآخر :

– من أين يا سيدى تحمل الى عشك هذه النقود البراقة ؟

وأجاب الطائر الآخر :

– هنا .. تحت شجرة الحور العالية يقيم فار كبير ، وقد عثر على كنز من كنوز أسرة القيصر ، وهو يلعب دائما بقطع النقود الذهبية ، وليس من العسير على أن أسحب من تحت أنفه ما أريد من النقود دون أن يرانى ، فانه أعمى !

وذهب الكريم فحفر حول شجرة الحور ، حتى عثر على كنز أسرة القيصر .

وصل الكريم الى المدينة ، ونزل فى استراحة المسافرين . ولم يكن بطبعه يأسف على شىء ضاع منه ، فتوافد عليه الفقراء يطلبون احسانه ، ولم يخرج واحد منهم دون أن ينال مطلبه .

ورآه البخيل وقد اغتنى ، وأصبح يعيش فى سعة ، ويوزع احسانه على المحتاجين .

واستبد الحقد بالبخيل حتى أطار النوم من عينيه . فلم يطق أن يصبر الى الصباح ، بل ذهب الى حاكم المدينة على الفور ودخل عليه قائلا :

– أيها الحاكم العظيم ، ان فى استراحة القوافل بمدينتكم لصا ملعونا ، سلبنى مالى ونحن فى الصحراء ، فمر بالقبض عليه

وذهب الحراس الى الاستراحة ، وقبضوا على الكريم ،وانتزعوا منه النقود ، وأحضروه الى الحاكم ، فصاح فيه الحاكم :

– أنت أيها اللص .. عقابك غدا !

وسأله الكريم فى دهشة :

– لص ؟ ممن سرقت ؟ وما الخبر ؟

لكن الحاكم لم يشأ أن يستمع له ، بل أمر بوضع النقود فى خزانة ، ووضع الكريم فى زنزانة داخل السجن ، وطرد البخيل!

جلس الكريم في زنزانته القذرة المظلمة وقد استسلم للاحزان ، واخذ يفكر :

– ترى من اين جاءتني هذه التهمة ؟

وفجاة تسلل داخل السجن فاران ، ودار بينهما الحديث التالي :

قال الفار الأول :

– يقولون ان للحاكم ابنة جميلة جدا ، لولا انها للاسف عمياء !

واكمل الثاني :

– ويقولون ان الأميرة اذا شفيت فسيمنح الحاكم طبيبها حملا من الذهب !

وتنهد الفار الأول قائلا :

– ان دواءها سهل ، لولا ان هؤلاء الناس اغبياء !

وسال الفار الثاني :

– وما دواؤها ؟

عندئذ قال الفار الأول :

– في البرية قطيع يرعاه راع اصلع اسمه عبد الله ، في هذا القطيع عنز عجوز ، لو اخذ من لحيتها شعرتان ، واحرقتا،ووضع رمادهما في عيني الأميرة فانها تبصر في الحال .

وخرج الفاران بعد ان كان الكريم قد استوعب حديثهما فاخذ يصيح :

– انا طبيب ! .. انا طبيب !

واستمر في صياحه ، الا ان الحراس لم يعيروه اسماعهم في البداية ، لكن تحت تاثير الحاحه ذهب احدهم الى الحاكم ،فدخل عليه ، وقبل الأرض بين يديه ، وقال له :

– ان احد المسجونين يصيح من داخل السجن : « انا طبيب!.. انا طبيب ! » .

– احضروه على الفور !

احضروا الكريم ، فبادره الحاكم قائلا :

– اهو انت ايها اللص ؟ لماذا تصيح هكذا ؟ كلكم سواء،ومع ذلك فقد دنت نهايتك على اى حال .

واجاب الكريم :

– لست لصا ، انا طبيب كبير ، ومع ذلك فاذا كنت تريد الاساءة الى فليس عندى وقت لاقابل الشر بالشر ، ان مهمتى ان اعيد الى الأميرة بصرها .

لم يثق الحاكم في كلام الكريم ، ولكنه امر الحراس ان يرافقوه الى المرعى وهناك وجد الكريم قطيعا من المعز يرعاه الراعي الأصلع عبد الله ، فانتزع شعرتين من لحية العنز العجوز ثم عاد فاحرقهما ، وداوى بهما عيني الأميرة ، فعاد اليها بصرها .

فرح الحاكم فرحا عظيما بشفاء ابنته ، وغمر الكريم بالذهب، وخلع عليه الملابس الفخمة المرصعة على اكتافها بشارات الامارة ، وعلى صدرها باوسمة الشرف والفخار

وبينما الكريم خارج من القصر في ملابسه الحريرية ، ومعه الأكياس المليئة بالذهب ، اقترب منه البخيل ، وحياه بخضوع ومسكنة ، فساله الكريم :

– ماذا تريد ؟

فاجابه البخيل :

– اوضح لى لماذا يسعفك الحظ دائما ، اما انا فتنصب النكبات كلها على راسي ؟ لقد تركتك في الصحراء وحيدا لتموت من الجوع والعطش ، فلم تمض ساعات حتى وجدت البئر والرحالة الضياف، وسلبتك كل نقودك ، فما هي الا ايام حتى صرت من الأغنياء ، ووشيت بك عند الحاكم ، فقبضوا عليك ، وانتزعوا منك كل ما تملك ، ورموك في سجن مظلم ، وبعد ايام اذا بك تغتنى من جديد .

اما انا فماذا حدث لى ؟ ضربنى الخدم بالعصى ، وطردونى خارج القصر .

لم يشا الكريم ان ينظر في وجه البخيل حتى مجرد النظر ، فقد سبب له الكثير من المتاعب ، ولكن طبعه الكريم جعله يشفق عليه ، فدله على العشب السحرى قائلا :

– تناول هذا العشب ، وحاول ان تستمع الى احاديث الوحوش وسوف تعرف اسرار العالم .

لم يتوان البخيل دقيقة واحدة ، ولم يقدم للكريم حتى كلمة الشكر ، بل ركب جمله ، وانطلق مسرعا الى الصحراء ، واخذ يبحث عن العشب السحرى حتى وجده ، ولما تناوله بدا يفهم لغة الحيوانات ، وقال البخيل في نفسه :

– لماذا استمع الى احاديث الحيوانات الصغيرة كالسلاحف والطيور والفئران ؟ ان الحيوانات الصغيرة ليس عندها سوى اسرار صغيرة ، اما الوحوش الكبيرة فانها بلا شك تعرف الأسرار الكبيرة .

قام البخيل بجولة في الصحراء ، فراى اسدا ، ونمرا ، وذئبا، وثعلبا وهي تدخل احدى المغارات ، فقال في نفسه :

– حسن جدا .. هذه هي الحيوانات التي ابحث عنها بالذات!

كان البخيل جبانا ، ولكن الجشع تغلب على جبنه ، فاندفع داخل المغارة التي كانت ماوى للحيوانات المفترسة .

وعند الصباح اجتمعت الحيوانات وسمعها البخيل تتحدث ، وفهم ما تقول ، فاذا الأسد يزار قائلا :

– انني اشم هنا رائحة آدمى !

وزمجر النمر قائلا :

– اجل .. يوجد هنا شخص ما !

وعوى الذئب قائلا :

– حقا .. لابد ان يكون هنا شخص غريب

وقهقه الثعلب في سخرية :

– اتدرون من هنا ؟ انه البخيل ، وقد جاءنا في الوقت المناسب، لقد وصل الينا في وقت الافطار .

سمع البخيل كل هذا ، وفهم ما تقول الحيوانات ، واستسلم للموت وهو يراها تنقض عليه ، فتفترسه ، وتاخذ من لحمه طعاما شهيا لافطارها .

« رضوان ابراهيم »



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد - ١١١٧ - الخميس ١٠ صفر ١٣٨٥ هـ - ١٠ يونيه ١٩٦٥ م - السنة الثانية والعشرون

تتمة الفحص عن أمر دمنة

بقلم : محمود محمد شاكر

(٢٠)

من أشد الغفلة أن نعيش هذه الأيام المظلمة بأعين مفتوحة وقلوب مغلقة . فالقلب اذا أغلقت الأبواب على بصيرته ، فلم يعد له نور ينبث وينفذ الى أعماق الحوادث العظام التى تحيط به من كل جانب ، كانت العين بعد ذلك أداة مجردة من الاحساس ، مكفوفة من النفاذ واللمح ، لا تكاد تدرك مما ترى وتبصر سوى الظواهر الخداعة . وعندئذ يصبح الزمان حطاما من الساعات والأيام ، وركاما من الشهور والأعوام ، وتصبح الأشياء كلها صفا واحدا ، ونمطا متشابها ، قد خلا من الروابط ، وعرى من الأسباب . واذا بلغ الأمر بنا هذا المبلغ ، فقد يكون من أكبر الجهل أن يسمى هذا « **غفلة** » ، انما هو ضرب من الموت يصيب الحى ، وينقله الى لحد مظلم لا تراه العيون ، وهو بعد مقيم على ظهر الأرض .. يسعى أو يتحرك أو يتكلم .

من هذا الذى طمس الله على بصيرته ، فعاش هذه الأيام ، وهو لا يرى الدنيا من حوله بحرا رجافا يموج بأحداث متلاطمة ، تضرب شواطىء بلاد العرب وبلاد المسلمين بأمثال الجبال من لججه ؟ ومن هذا الأعمى المكفوف عن رؤية النار المتضرمة ، وهى تحتدم ، ومن حولها شرار الكهنة ينفخون فى كير لا يهدأ ، (والكير منفاخ الحداد) ، ليؤرثوا شعاليلها حتى تتوهج ؟ ومن هذا الثرثار الذى أحاط به الحريق والغرق ، وهو لا يجد ما يقوله الا ما يتقاذفه لسانه من ألفاظ مسلوبة العقل ، تائهة فى بيداء الخبل ، وهو يظن أنه مبين عن نفسه أحسن الابانة ؟ من هؤلاء ؟ وبأى عيون وقلوب يعقلون أو يبصرون ؟

اذا كان هؤلاء قد صاروا ، فيما قدر الله من قدره ، هم الذين يتولون اليوم قيادة جماهير الناس بسلطان الكلمة المكتوبة أو الكلمة المسموعة ، فقد صار واجبا على من لم يطمس الله على بصيرته ، وعلى من لم يقذف الله فى عينيه بالعمى ، وعلى من لم يسلب الله لسانه العقل ليبتليه بالثرثرة ، أن يفض عن نفسه أغلال الصمت ، لكى يتكلم ويكتب ويبين ، ما وجد الى ذلك سبيلا . وقد رأيت ذلك واجبا على ، لأنى عشت أكثر من أربعين سنة ، وأنا أجاهد هذه الحياة التى أحاطت بى منذ ولدت ، وأبيت أن أقبلها على علاتها ، لأنى منذ بدأت أعقل ما أنا فيه ، رأيتنى أنشأ فى قطيع يساق الى المجزرة وهو فرح بها نشوان ! رأيت مجتمعا يتمزق وهو ينشق عن كل تاريخه الماضى ، بخطاطيف قد علقت بلحمه ، تجذبه من هنا وهنا وهناك ، لا تكاد تدركها الأبصار ، ولكنها على ذلك خطاطيف ، كنت أجد مغرزها فى لحمى ، وأحس جذبها فى وجدانى ، ويومئذ فزعت ! فزعت فزعا لا يطيق القلم أن يصوره فى أسطر .

رأيت **يومئذ دنلوب** ، المبشر الخبيث الذى تولى قبل مولدى « وزارة المعارف » ، فوضع لأمتى تخطيطا كاملا يهدم كيانها ، ويذيب وجودها ، ويتركها رمة تتحرك فى ثياب زاهية من الغرور والسخف . رأيت يومئذ هذا الشيطان الماكر ممثلا فى كل علم تعلمته ، وفى الأسلوب الذى فرض على أن أتعلم به هذا العلم ، وفى الهدف الذى يرمى اليه بانشاء جيل من « المثقفين » ، لا يملكون شيئا سوى الغرور بأنهم « مثقفون » ، فى أمة من « الغوغاء » ، يخيل اليهم أنهم هم أصحاب الحق فى التعبير عنها ، وهم أصحاب الحق فى تعليمها ، وهم أصحاب الحق فى قيادتها والتحكم فى مصيرها . فما رآه جيل «دنلوب» صوابا فهو الصواب لا غير ، وما رآه حقا فهو الحق لا غير ، وما رآه خطأ فهو الخطأ الذى ينبغى أن يصحح ، وما رآه باطلا فهو الباطل الذى ينبغى أن يزول !

ويوم بدأت أعقل ، كان « جيل دنلوب » ، قد انتشر واستوى على سوقه ، وتولى هذا الجيل تعليمنا ، وصار له رأى « ظاهر » فى سياسة بلادنا ، وانفجر

الأمر انفجارا بعد ثورة سنة ١٩١٩ ، ووقع النزاع بين الفطرة السليمة التي تستكن في قلوب الشعوب، وبين « **الثقافة** » المجتلبة التي تضرب على الأعين غشاوة، وعلى القلوب سدا صفيقا من الجهل والغطرسة. بيد أن هذا الصراع كان مفهوما على غير وجهه يومئذ، لأن مهارة المستعمر ، ودسائسه الخفية ، ومكره البعيد الغور ، جعل ظاهر الأمر صراعا سياسيا محضا ، أي صراعا بين أحزاب تريد أن تتولى الحكم، تحت سلطان هذا المستعمر . مع أن هذا الصراع في الحقيقة كان صراعا بين حضارتين ، طال بينهما الصراع دهورا طوالا . كان صراعا بين أرض العرب والاسلام، وبين أوربة المسيحية التي صارت لها الغلبة في الأرض . كان صراعا بين العرب ودينهم وآدابهم وثقافتهم ، وبين أعاجم أوربا ودينهم وثقافتهم . وكان عمل دنلوب ومدارسه ، وما يمثله من قوى التبشير والاستعمار، هو أن يحوز الى صفه عن طريق «**الثقافة**» أعوانا من أهلي وعشيرتي وأبناء أبي وأمي ، ليتكلموا بلسانه ، ويحاربوا بالكلمة وبغير الكلمة أهلهم وعشيرتهم وأبناء أمهاتهم وآبائهم . كان عمل دنلوب ومدارسه ، أن يشق الأمة بشقين : شق يدور في فلك ثقافته ، كما يريد لنا أن نفهم ثقافته ، ويعطي هذا الشق كل أسباب بقائه من احترام وتقدير وغنى وسلطان وبهرج يفتن العيون . وشق متحير في « ثقافته » يتشكك فيها يوما بعد يوم ، وتلقى على هذا الشق تبعة كل « تخلف » و « جهل » و «ضياع» و «بؤس » ، مؤيدا ذلك بسد كل الأبواب الداعية الى بقائه ، فيسلب كل احترام وتقدير وغنى وسلطان ، حتى يتمكن الشق الأول من قذفه كل يوم بما يتاح له من سهام تزيده جروحا تنزف ، حتى يتهالك صريعا مثخنا ، قد أثقلته الجراح فلا يطيق أن يتحرك . ثم لايملك بعد ذلك الا أن يستسلم ، ويترك الزمام للشق الأول .

من هذه العجالة الخاطفة التي أكتبها بغير تفصيل ، والتي بينت في مقالاتي السالفة بعض ملامحها الظاهرة في تاريخنا الحديث ، كالدعوة الى العامية ، وتحقير تراث العرب ، ومحاولة بث الرموز اليونانية والمسيحية في آدابنا ، والايغال الماكر في الطعن على ماضينا كله : رجاله وتاريخه ومعتقداته وشرائعه . من هذه العجالة الخاطفة ، أستطيع أن أقول للقارئ، اني حين بدأت أكتب ، لم يكن من همي أن أناقش « أجاكس عوض » في القمامة التي جمعها من «كتاب جروسيه الشهير في تاريخ الحروب الصليبية »،وكتاب ستيفن رنسمان الشهير في تاريخ الحروب الصليبية ، وكتاب الأستاذ داوني في تاريخ انطاكية ، وكتاب بيزنطة للأستاذ ليفتشينكو » !! ومما كذب فيه من ذكر « المصادر العربية المعتمدة ، التي أرخت للمعري وعصره » ، كما قال في صدر المقالة الرابعة مما سماه « على هامش الغفران » . ان « أجاكس عوض » ليس شيئا يناقش ! هكذا قلت لاخواني الذين طافوا بي يومئذ ، يحثونني على الخروج من معتزلي ، وعلى حمل القلم بعد طول هجرانه . قلت لهم : اني لأرى عاقلا يؤخذ من قوله ويرد عليه ، «فشرلتان يضحكني، لا مفكر يحركني . قلت ذلك بخبرتي له منذ وقعت عيني على « كوميدياه » المضحكة ، التي سماها « بلوتولند ، وقصائد أخرى » ، من تأليفه ، والتي كنت أراها مثلا طريفا جدا « للخبل في حالة تأليف»! أي انه خبل يؤلف ، ويترجم لنفسه ، ويكتب نثرا ، وينتقد الشعر ، ويقول شعرا أيضا !! وقمت من مكاني ابحث لهم عن هذه العجيبة التي هي «بلوتولند، وقصائد أخرى » ، ليعاينوها ، فليس الخبر كالعيان، كما قيل في المثل .

فلما لم أجده ، قرأت مقالته الرابعة كلها ، وكنت اقتصرت على قراءة الجهل المكتوب بالخط النسخ في رأسها ، الذي فيه ما مللنا ترديده من العبث ، حين أبدل « **الصليان** » ، وهو النبت المعروف ، بالصلبان، وهي جمع« صليب » في شعر أبي العلاء . فاذا بي أرى ، لا انسانا أخذ الخبل أعضاءه كلها ، بل انسانا أعضاؤه نفسها قد صيغت من الخبل ، واذا بي أرى سماديره (وهو مايتراءى للمخمور) قد أوهمته أنه فارس صليبي قد جاء بعد قرون طوال ، ليقول للذين ردوا الصليبيين على أعقابهم : هاأنذا ! لاتظنوا أنكم هزمتم الصليبيين يوما ما ، أيها الحمقى ، فانكم في عنفوان مجدكم كنتم تحت أقدامي ، فان « الباسيل فوكاس» : «أصدر بيانا ملتهبا وجهه الى خليفة بغداد، شرح فيه برنامجه العسكري الصليبي كاملا ، وعدد فيه بأخذ دمشق ، وهي مسكن أسلافي ، والاستيلاء على نصيبين ، والموصل ، وحران ، والجزيرة ، وبلاد الديلم ، وعلى مصر ، التي سأتخذ خيراتها أسلابا لي ، والويل لكم ياسكان الصحراء ، عودوا الى وطنكم صنعاء ، وهو بلدكم الأول ، عودوا الى الحجاز واتركوا لنا بلاد الاغريق . ثم ترتفع نبرته ارتفاعا فاحشا فيقول : سأسير الى مكة، ومن بعدها أتجه الى القدس،

سأفتح الشرق والغرب ، وسأنشر في كل مكان دين الصليب » !! .

ومعلوم بالطبع ، ان الأمر لم يكن « بيانا ملتهبا وجهه الباسيل فوكاس الى خليفة بغداد » !! بل كانت قصيدة سخيفة قالها مأفون صليبي يقال له «الباسيل فوكاس» ، مكتوبة باللغة العربية ! ولكن الفارس الصليبي « أجاكس عوض » ، كان يتحدث عن نفسه بلسان « الباسيل فوكاس » . وزين له غروره بعد ذلك كله أن يسمى هذا الهراء « مانفيستو » ، صريح الأغراض والخطة ، وانه ، كما كذب (أعنى : كما قال) « يعد في ذمة أكثر المؤرخين البداية الرسمية للحروب الصليبية » !! وهذا هراء آخر . ثم يقول بعد ذلك الذى سماه « بيانا » أو« مانفستو » «قد كان ينتظر أن يكون له رد فعل قوى » . ولكن التاريخ لا يذكر « ردا قويا على بيان فوكاس ، الا رسالة وضعها فقيه في طشقند ، اسمه القفال ، يرد بها على دعاوى الباسيلوس فوكاس ، وهي رسالة دينية تقارن بين العقائد » ، **ومعلوم بالطبع أيضا** ، أن هذا كله جهل وسوء أدب ، فالقفال أحد الأئمة الذين لا مكان للمقارنة بينهم وبين شيء من عظماء مفكرى اليونان ، فضلا عن هؤلاء السخفاء البيزنطيين ، كالباسيل فوكاس ، وساكشف خبره حين يأتى ميعاده . والذى كتبه القفال ، انما هو قصيدة رد بها على هراء فوكاس ، تسلية وضربا من التفكه ، لا « رسالة دينية تقارن بين العقائد » ! .

فلما قرأت هذا الجهل كله مصبوبا في ربع عمود من « صحيفة الأهرام » ، وعلمت ما وراءه ، وتبينت أشد منه في سائر المقالة ، راجعت نفسى ، وتساءلت عن حقيقة هذا الانسان « أجاكس عوض » ، فعلمت ان له سلطانا على بعض المغرورين به ، المخدوعين بالورقة التى منحتها اياه احدى عينات التبشير في « برنستون »!!وما أدراك مابرنستون ! فعندئذ عزمت على ترك كل ما كان يحول بيني وبين الكتابة ، وعزمت على أن أكشف عن حقيقة ما يجرى في بلادى منذ عقلت ، الى أن كان « أجاكس عوض » ، ثم اضع هذا « الأجاكس » الجديد في موضعه من الحرب الصليبية الدائرة اليوم ، لا في ميدان القتال ، بل في ميدان الثقافة والفكر والاجتماع . فمن ظن بعد ذلك اني جئت أناقش «أجاكس عوض» ، فقد أخطأ التصور انما جئت لأكشف عن ثياب الفارس الصليبي المحترق، التي كان يخفيها تحت لفظ « الدكتور » .

ومع ذلك ، فقد أراد الله أن يحقق هذه الصفة التي استنبطها من مجرد قراءة ما يكتبه « أجاكس عوض » ، والتي كان بعض الناس يتشكك فيها ،ويظن اني قد جمعت مهارتي لكى أبين عنها ، لا بشيء أكتبه أنا ، بل بشيء يقال فيه ما يجرى في المثل العامى : « مسكوا فرعون بخطه » ! فقد أراد «أجاكس عوض» أن يشيع زميل **محمد مندور** برثاء « مثقف » ، فكتب في صحيفة الأهرام (الجمعة ٢٧ من المحرم سنة ١٣٨٥) ، كلاما يمضغ فيه رموزا يونانية ويجترها، فزعم أن مندورا كان هو « أخيل » هازم « طروادة » ، وشبه نفسه بأجاكس ، وقد زعمت أن «آكل الرموز» هذا حين شبه نفسه بأجاكس ، دل على جهله من ناحية ، وكشف عن حقيقة نفسه من ناحية أخرى ، ولكنه مع ذلك طابق بهذا التشبيه كل ما وصلت اليه من نتائج في تحليل « أجاكس عوض » .

فان هوميروس ، كما قلت ، قد جعل « أجاكس ابن تلامون »، وهو « أجاكس الكبير »، بطلا من أبطال الاغريق ، ذا بأس شديد ، وقوة خارقة ، وعداوة ملتهبة ، ولكنه مسلوب العقل والحكمة ، اذا رأى الدم ثار فلم يقف له شيء ، وشبهه بالثور في النشيد الثالث عشر ، وبالخنزير المنقض في النشيد السابع عشر . ومن كان يحسن قراءة ما يقوله الشعراء ، عرف أن هوميروس حين صور أجاكس في ميادين القتال انما صور وحشا والغا في الدماء ، مصبوبا في مسلاخ انسان . كان ثورا اغريقيا بلا عقل ، ولذلك كانت نهايته أبشع نهاية ، وذلك أنه لما هلك أخيل ، واجتمع القوم يتقاسمون أسلحته النفيسة ، أعطيت هذه الأسلحة لأوليس . فهاجت مرة أجاكس بن تلامون بالحسد والعداوة والحقد ، وظل جوفه يحترق ، فلما جن الليل ، هاج به جنونه ، وخرج من عقله جلة ، فانطلق بلا عقل ، فرأى قطعان الضأن المجلوبة طعاما لجيش الاغريق ، فظنها أعداء . فراح يضرب فيها يمينا وشمالا ، طعنا وضربا ، حتى وقعت على جنوبها مصرعه . فلما ذر قرن الشمس، ذر في جمجمة هذا الثور الاغريقي شعاع من العقل ، فأخذ السيف وبقر به بطنه (أى : شقه) ، فهلك غير مأسوف عليه !

ولكن عسى أن يقول «أجاكس عوض » : لا ، لم أعن هذا الثور الاغريقي ، وانما عنيت الاغريقي

الأخر : « أجاكس الصغير » ، فأنا لا أستحسن هذه العاقبة ، وأبرأ من هذا التشبيه • فيقال له : نعم، ونعمة عين ! (أى تقر عينك بذلك) ، ولكن هل يزيدك هذا الا جهلا بمصير « أجاكس الصغير » ؟ فانه هو الذى غلا به جنونه حتى هجم على معبد الهته «أثينا»، منقضا على « كسـندره » المتنبئة ، حين لجأت الى مذبحها • فجن جنون « أثينا » وصبت عليه غضبها، فلاذ منها بالبحر ، فلما كاد يغرق انقذه «أوزيدون»، ووضعه على رأس صخرة نائتة • ولكن « أثينا » أمرت «أوزيدون» أن يفلق الصخرة من تحت قدميه، لأنه دنس حرم الالهة بعدوانه ، ففعل ، وأرسلت هى عليه صاعقة محرقة ، فهلك غريقا محترقا ، كما قالوا فى أساطيرهم • ويقال بعد ذلك ، لأجاكس عوض : أختر بينهما ما شئت ، فكلاهما ثور اغريقى شديد البطش ، ولكنه زائغ العقل ، معروف المصير !

هذا تفسير « **الرمز** » الذى أراده لنفسه «أجاكس عوض » ، ولكن لماذا اختار لنفسه هذا « الرمز »؟ لا أستطيع أن أقول انه فكر قبل أن يختاره، لأنى أعلم انه لايستطيع ذلك ، وانما ألقى « الرمز » على لسانه ليكشف عن حقيقة هذا « الآدمى » التى بها يعيش بيننا ، والتى بها يكتب ، والتى بها زعم أنه « نازل الأبطال ، وصارع الأهوال ، فلم يلن له عزم ، ولم تنكسر له ارادة ، وحتى فى الأيام الخاسرة ، خرج بشريف الندوب » !! انه « رمز » جاء كالالهام ، ليكشف لنا عن حقيقة هذا المحترق الصليبى ، ويحدد لنا مصيره •

ان « أجاكس عوض » ، منذ كان طالبا فى كلية الآداب ، فى قسم اللغة الانجليزية من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٧ ، لم يزل هو هو ، بل زاده أساتذته أمثال فرنس ، وسكيف، ودافيدس الاعرج ، وبيفن، وسواهم ، وهم رجال معروفون بأحقادهم الصليبية، وبأعمالهم فى المخابرات البريطانية ، زاده هؤلاء غرورا ، وملأوه بأوهام يعيش بها ، حتى أرسلوه بعد ذلك الى « كلية الملك » بكامبردج من سنة ١٩٣٧ ، الى سنة ١٩٤٠ ، وهناك كان ما كان ، حيث « عاهد الثلوج الغزيرة المنشورة على حديقة مدسمر ، فى خلوة مشهودة بين أشجار الدردار ، عند اشلال بكامبردج » ! هذا مختصر تاريخ « أجاكس عوض »، بلا حواش ، وبلا زينة ، وبلا دكتوراه ! وهذه هى حقيقة صورته التى تلتف عليها تجاليده ، والتى من أجلها اختاره من اختاره ، ليكون ، فيما يتوهمون خليفة للتالف القديم ، والمبشر المحترق ، والذى لا يزيد عقله كثيرا ولاقليلا عن عقل «أجاكس عوض»، المعروف عند الناس باسم « سلامة موسى » • و « سلامة موسى » هذا ، هو الذى وضع الحبل فى عنقه حين اختاروه، وجره من حومة الحمول والتفاهة، الى الظهور فى المجلة اليهودية المعروفة باسم «الكاتب المصرى » ، وذلك فى سنة ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، تمهيدا لاعداده للمهمة التى يباشرها اليوم ، وهى مهمة « المبشر الثقافى » فى صحيفة الأهرام !

فهذا المسكين لا يزال يتراءى له أنه « أجاكس » ، الثور اليونانى القديم ، وانه يحارب فى حصار « طروادة » ، وانه سوف يدمر « طروادة » ويحرقها بيديه ، فكان أثر هذه السمادير التى تفوح رائحتها حقدا معتقا فى دنان الجهل والغرور ، لم يزل بينا فى كل شىء يكتبه منذ « بلوتولند ، وقصائد أخرى » ، انه يتكلم بألفاظ شنيعة طامثة للدم ، ولكنها تستتر فى ثوب من الجبن والتذلل أحيانا ، حتى ينخدع بها من لا يحسن أن يحل «الرموز» الخبيثة المنتشرة فى كلامه . وقد كشفت من قبل عما يستره فى « بلوتلند » ، ولكنه بعد دهر من كتابتى جاء يبرق ويرعد ، ويضرب الامثال اليونانية ، مستترا باسم محمد مندور ليقول : « خرجنا معا فى صباح الحياة الى قصر الربة أثينا . صانعة الدروع لتصنع لنا دروع الفكر ، وتملأ جعابنا بسهام الحرية. وفى صباح الحياة عدنا معا لنحاصر طروادة ، مدينة الموت ذات الأبراج السوداء والأسوار العالية •• هذه المدينة السوداء ذات الابراج الكئيبة ، والاسوار العالية ، لا بد أن تدمر ، ولا بد أن تحرق ، كما احترقت طروادة فى القديم » • هكذا قال : ثم قال بعد قليل : « ولكن طروادة الجديدة ، بعد أن نضب منها الرجال ، غدت ترسل علينا من أبراجها السوداء ، أسرابا من الخفافيش ، ومن طاقاتها وكواها جيوشا من الهوام وخسيس الحشرات ، منها الخنافس والعقارب والحيات الصغيرة بحجم الكف ، والجعارين الذهبية التى خرجت ألواجا أفواجا من خزائن الملك ميداس ، وهو عدو لا قبل لأحد به فى معارك الرجال مع الرجال ، وليس فى سلاح الربة أثينا ما يصلح لقتال هذه الهوام ».

ما طروادة الأولى ، وما طروادة الجديدة ؟

«طروادة الاولى» ، التى زعم كاذبا أنه خرج هو ومندور لتدميرها وحرقها ، هى مصر العربية

الاسلامية ، فيما قبل سنة ١٩٥٢ ، و «طروادة الجديدة» ، هى مصر العربية الاسلامية أيضا فيما بعد سنة ١٩٥٢ . فبأى كذب يستطيع هذا الكذاب «أجاكس عوض» ، أن يدعى أن له شأنا يذكر أو ينكر فى ازالة الفساد الذى كان فى مصر العربية الاسلامية فيما قبل سنة ١٩٥٢ ؟ اين كان هذا المدعى الفاجر اللسان ؟ وبأى شيء قاتل ؟ وأى عمل كان له فيما قبل سنة١٩٥٢، يستطيع معه أن يقول.انى قد جاهدت فى سبيل تحرير بلادى من الطغيان والظلم والفساد؟ ان الثور اليونانى القديم « اجاكس بن تلامون »، كان محاربا سفاحا لا تروعه المعارك ، ولكنه لم‌يكن كذابا. أما «اجاكس عوض » ، مسخ « اجاكس بن تلامون » الذى يعذبه بالدخول فى مسلاخه اللفظى ، فكل قوته وباسه فى الكذب ، والشرلتة وسوء الخلق وزعارته ، (أى شراسته) ، بلا حرب ولا معارك ، انما يحارب بالمكر ، ويدخل معارك بالخداع والتنفخ والتعالى الأجوف ، على ما دربه مدربوه تحت أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج ، لكى يكون مبشرا جامعا لصفات المبشر وأخلاقه .

وأما **«طروادة الجديدة»** ، وهى مصر العربية الاسلامية ، التى هبت فيما بعد سنة ١٩٥٢ ، فليحدثنى هذا الكذاب كيف أرسلت عليه من‌أبراجها السود أسرابا من الخفافيش ، ومن طاقاتها جيوشا من الهوام والحشرات ؟ ومن يكون هو حتى تعنى «طروادة الجديدة» نفسها ، لترسل عليه ما شاءت له سماديره أن يقول ؟ أهو «أجاكس عوض» ! انى لقيت فى شوارع القاهرة ، وفى جمعية الشبان المسيحية ، وفى الجامعة الامريكية ، وفى مواضع لا احصيها ، رجالا ونساء من أصفق خلق الله وجوها من المبشرين فى ثياب قسس ، وفى ثياب علماء ، وفى ثياب مفكرين ، وفى ثياب مستشرقين ، ولكنى لم أتع فى احد منهم على هذا القدر من صفاقة الوجه ولا« سلامة موسى » بلحمه ودمه ! واذا قال أحدهم شيئا من هذا ، فانما يقوله مخافتا به بين شيعته ومن يقع فى حبائله من الشباب . أما أن يقوله علانية ، وفى صحيفة كالاهرام ! فهذا شيءفوق طاقة ما يملك «التبشير» من صفاقة وزعارة !.

أيظن هذا المتكذب على الموتى ، أن مندورا كان ممكنا أن يكون فى مثل خفة عقله حتى يقول له فى وصيته وهو يحتضر : «مدينة الموت ، ذات الابراج السوداء والأسوار العالية ، (**يعنى طروادة الجديدة ، أى مصر العربية الاسلامية فيما بعد سنة١٩٥٢**) لابد أن تدمر ، ولا بد ان تحرق كما احرقت طروادة فى القديم. اياكم ان تقنطوا مهما كثرت‌من حولكم الهوام والأشباح » ، ثم يقول هذا المضطرب سائل عقله : « ليت لى ميتة مثله وسط الطعان » ! (يعنى مثل ميتة مندور) ! أيظن هذا المسكين المحترق أن مندورا كان يلبس تحت ثيابه سلاح صليبى محترق ، حتى تكون هذه وصيته وهو يحتضر ؟

وفيم يقول هذا الكلام ، بهذه الجراة وبهذه الزعارة ! أيقوله لأنه يعلم أن تآمر الأمم الغربية المسيحية وذيولها من ابناء صهيون ، قد آن ان يحقق مايصبو اليه ؟ أيظن هذا المأفون أن اقدام العالم الاوربى المسيحى على اعداد غزو شامل للعالم العربى والاسلامى (كما يتبين ذلك من الوثائق التى تنشرها الصحيفة التى يعمل هو فيها مبشرا ثقافيا) ، يمكن أن يؤدى الى تحطيم « طروادة الجديدة » ، وهى الجمهورية العربية المتحدة ، فيريد أن يسبق هو الى فضل مذكور ، بأن يجعل نفسه هدفا حصينا منيعا، أو محاصرا شديد البأس والسطوة ، لا تملك « طروادة الجديدة » ، بعد أن نضب منها الرجال ، الا أن ترسل عليه أسرابا من الخفافيش ، وجيوشا من الهوام وخسيس الحشرات ! أهذا تصور عاقل مدرك ، أم تصور مفلت من أسوار البيمارستان !

وأما « **الملك ميداس** » ، فانى كنت قد تركت حل رمزه الا اشارة عابرة ، ولكنى وقد حللت رموز آكل الرموز « اجاكس عوض » ، فمن غير المستحسن أن أدع حل رمزه ، ولكنى أرى أحسن وجه لحل هذا الرمز ، هو أن أقص القصة ، وأدع للناس تفسيرها. وذلك أن « ميداس » كان ملك فريجيا ، فخرج يوما فلقى الاها (!!) يقال له « سيلين » ، وجده نائما ، فلما استيقظ سأله أن يعلمه الحكمة . فذكر له «سيلين» أمر مدينتين : احداهما يقال لها «أوسيبيس» وهى مدينة مسالمة تقية ، والأخرى يقال لها « ماخيموس » ، وهى مدينة محاربة جبارة . كان‌أهل المدينة الأولى سعداء ، فاذا جاءهم الموت جاءهم بين ألحان الغناء ورنات الضحك . أما الأخرى ، فكان الوليد منهم يولد مدججا بالسلاح ، وتسيل‌أرواحهم على ظبات السيوف . وكان شعب « أوسيبيس » ، وشعب « ماخيموس » يمدان سلطانهما على ممالك واسعة متراحبة الأطراف ، وكان لهما غنى لا مثيل له ، وأرضهما تفيض ذهبا وفضة ، حتى صار عددان

المعدنان من وفرتهما بمنزلة الحديد عند سائر الأمم . وخرج أهل المدينتين يوما ليروا طائفة من البشر يعدون أسعد من على الأرض من الفانين . فلما جاءوهم رأوا بؤسا مهلكا يعده أهله سعادة ، فانقلبوا راجعين الى أرضهم ، وعلموا أنهم بما هم فيه من الذهب والفضة أسعد أهل هذه الدنيا . فلما سمع ميداس ذلك ، أحب أن يكون له من سعادة «أوسيبيس» و « ماخيموس » نصيب ، فسأل « سيلين » أن يسدى اليه يدا ، ويتخذ عنده صنيعة ، فلا يمد يده الى شيء الا انقلب عسجدا (أى ذهبا) . فلما كان ذلك له ، لقي العنت ، فانه لم يمس طعاما ولا شرابا الا صار عسجدا ، حتى بلغ منه الجوع والعطش وكاد يهلك ، ولم ينقذه الا أن استرد « سيلين » ماوهبه. وتتمة خبر « ميداس » ، أنه خرج بعد ذلك فضل في الغابات ، حتى وجد نفسه على جبل . واله هذا الجبل يقضى بين « بان » و « أبولون » في نزاع كان بينهما ، فقضى اله الجبل لأبولون دون « بان » ، فثار « ميداس » لأنه رأى هذا القضاء غبنا فاحشا وجورا، وأعلن أن هذا حكم جائر . فجن جنون « أبولون » ، ومسخ أذنى ميداس فصارتا أذنى حمار ! وارتاع ميداس ، ولبس خمارا يتدلى على جانبي رأسه ، ليستر ما ابتلاه به « أبولون » . وجهد أن لا يعلم ذلك عنه أحد ، الا حلاقه ، فانه ائتمنه على سره ، وأنذره اذا باح به أن يريق على الثرى دمه . وغلا السر في قلب الحلاق البائس ، وأعياه طول كتمانه، فبرز الى العراء ، فاحتفر حفيرة في أرض بعيدة على حافتها يراع نابت (واليراع : القصب الذى تتخذ منه المزامير) ، ثم انكب على الحفيرة وأدنى منها فمه، وأسر اليها بسر الملك ، وأن له أذنى حمار . وما هو الا قليل حتى جعل اليراع اذا ما فيأته الرياح مرة هنا ومرة هناك (فيأته الريح : أى حركته يمينا وشمالا) ، تغني بسر الملك ، واستودعه الريح وهي بدور تذيع الأسرار لاتكتم سرا ، فذاع في الناس خبر « أذني ميداس » وانكشف لهم المستور من سره !

و «أجاكس عوض» ، أجهل من « **حلاق ميداس** » ، لأنه لجا الى « الرمز » ، و « الرمز » أحيانا أشد اذاعة للأسرار من اليراع والريح ! فهو بهذا الرمز قد كشف عن مكنون سره الذى في قلبه من شدة بغضائه للملك « ميداس » ، وأنه يعد نفسه قريبا له ، يريد أن يقف على أطلال « طروادة الجديدة » ، ملكا متوجا ، بنفس الجنون المطبق الذى تملك « المعلم يعقوب » ، حين انحاز الى جيش نابليون ، وأنشأ فرقة ضالعة معه ، تريد أن تزيل ملكا يتوهمه قد بقى مطبقا على أرض مصر اثنى عشر قرنا ، فجاء هو ليرث الملك ، ويتوج على مصر ملكا له في أرضها الأمر والنهى !

والسل الذى يأكل قلب « أجاكس عوض » ، ومن على شاكلته من دمى التبشير ولعبه المنتشرة في كل مكان ، هو أن « **الملك ميداس** » قد استطاع أن يستنقذ كلمة واحدة من أفواه عواة كثيرين ، كلهم «أجاكس» ، كانوا قد اتخذوها منذ سنة ١٨٦٥ وما قبلها رقية يدورون بها في العالم العربى ، ليشقوه شقا عن العالم العربى الاسلامى ، حتى جاء زماننا ، فكان في أرض العرب «أجاكس» و «أجاكس» و «أجاكس» ، يريدون أن يفجروا في قلبه أعظم قنبلة مدمرة ، أشد فتكا من « لواحظ المغنية » ، التى تمنى « أجاكس عوض » ، أن تنسف « المبغى الكبير » وهو « **بغداد** » ، كما جاء في تفسيره لشعر بدر شاكر السياب ، الذى زعم أنه « لا يقلد تكنيك اليوت ، بل يتمثله ويحتويه ويغتذى به، بطريقة الأسموز، أو الانتشار الغشائي» ، أو كما قال هذا الشرلتان الأسموزى !!

أى حقد ينشق عن هذا الاهاب المحيط بجثمان « أجاكس عوض » ؟ فهو منذ كتب « بلوتولند » ، وهو ينضح ضغينة مترسبة راسخة في أقصى غيب انضم عليه بنيانه . منذ السطر الاول في «بلوتولند» ترى حقدا ينبح نباح المسعور : « لقد مات الشعر » العربى » (وهكذا وضع الصفة بين قوسين للتنبيه ! ما أعجب حقده !) ، مات عام ١٩٣٣ ، مات بموت أحمد شوقى . مات ميتة الابد» . انظر الى الفاظه ، انظر الى صرخات الجنون المتشفى في ترداد لفظ « مات » ، و « موت » و « ميتة » ، ثم كلمة « الأبد » . هل يمكن أن يصف هذا الشيء أحد بغير ما وصفته ؟ وهو لم يعاد « الشعر » لأنه شعر ، بل عاداه وحقد عليه ، والقى عليه بغضاءه ، لأنه « **عربى** » ، وأبان بعد قليل أنه « **قرشى** » !! هذا المسكين البائس المحترق ! لم يزل ينحط في أحقاده وأضغانه ، حتى قال : « والمحدثون ينسون أن القدامى (يعنى شعراء العرب) كانوا صعاليك ، يتسكعون بين الخيام ، أو في أزقة بغداد » ، فهل تظن أن « آكل رموز اليونان » « أجاكس عوض » ، قد قال مثل هذا لأنه محب للعرب ! دارس لآدابهم ! أم تراه قاله وهو يتفزع من

بغضائهم ، ولا يراهم الا صعاليك يتسكعون بين الخيام أو فى أزقة بغداد! لا بالعين التى يرى بها هوميروس! ولعله كان يعيش فى القصور ذوات الأبراج المشرفة ، والأسوار المذهبة !! ان هذا الحقد الاعمى ، لا يلد الا هذه الألفاظ المطموسة البصر !!

فمن أجل هذا الحقد المتلجن فى غيب ضميره (كل شىء يتلزج من الوسخ ، فقد تلجن) ، والذى يصبه على الورق صريحا أحيانا ، ومغلفا أحيانا ، ومدسوسا فى ثنايا السياق احيانا اخرى » لم أتردد قط فى الابانة عن صريح تحليلى لما ينطوى عليه « أجاكس عوض » ، من عيوب فادحة فى أخس الناس شأنا ، فما ظنك بآدمى من هذا النوع !! فرضت علينا مؤسسة الاهرام قراوته ، وأتاحت له ما لم يتح لاحد من قبله أن يتخالع فى سطورها تخالع من قد تخبطه الشيطان من المس ، وأن يتيه على تاريخ العرب وآدابهم ورجالهم تيه افاق صليبى « كان يرى بظفره القلم » ، كما يقول المتنبى ، فنزل أرض العرب فظن فى نفسه الظنون ، وأن يركب مرة أرجوحة الفن فيتحدث فى الشعر وفى غير الشعر بلسان تترنح ألفاظه عليه ، ويتغنى بذم العرب وشعر العرب بلا حياء ، وأن يقدم اقدام المستهين الذى لا يبالى فيفسر **القرآن** بسوء أدبه وقلة حيائه ونذالة تصوره للمعانى ، وأن يعمد بالمكر الخبيث البشع المستقذر ، ليجعل اسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه ، اسطورة مقتبسة من أساطير البذاء اليونانى الذى يتعبد له ، وأن يأتى مستهزئا استهزاء الجبناء ، متسترا أخبث التستر ، ليقول أن الاسلام قد أضفى على نظمه المالية طابعا دينيا ، يجعل من اليسير على الحكام أن يتلاعبوا بها !! واحدة ، وأخرى أن عيب الاسلام أنه خلا من «نظام كنسى» يحجب الموارد المالية التى تجبى باسم الدين عن السلطة السياسية !! وأن يختم جولته فى أرض « طروادة » مدمرا متلفا قليل الحياء ، سيىء الادب ، فيأتى فى مسلاخ أجاكس ، لابسا لأمة المحارب ، حاملا رمح أجاكس ، الذى كان طوله اثنين وعشرين ذراعا بذراع اليونان !! نافخا شدقيه ، محمرة عيناه ، قالبا حماليقه ، يهددنا بأن سوف يدمر علينا طروادة الجديدة ويحرقها تحريقا، كما حرقت طروادة فى القديم ، طالبا « **ميداس** » نفسه ذا الجمارين الذهبية الكثيرة !! ما أسفهه رامزا !!

من هذا الطليق من القيود ، المفلت من الاسوار ؟ من « أجاكس عوض » الذى يتخابث علينا ، ويريد أن يختفى وراء ألفاظه وأسمائه التى يحاول أن يرددها فى بعض كلماته ، مكان ضغنه الدفين ، وحقيقة حقده الغبى ، ويظن أنه بذكر بعض الاسماء ، قادر على أن يحجب عن عيوننا مايضطرم فى قلبه من نار ؟ ان « أجاكس عوض » ، ليس واحدا » كما يدل عليه ما أكتبه ، ولكنه جماعة كثر ، قد انبثوا فى كل مكان، وهم يطيفون به اطافة الوثنى بالصنم ، لا لأنه شىء فى نفسه ، بل لان المدير الذى يدير هذه الدمى ، قد جعله منهم بمنزلة ، ليضمن سهولة تحركهم فى نواحى نشاطهم ، تحت ثياب يتخفون فيها ، وهم جميعا يستعدون لوقت قد وقتوا له ، ليتكلموا عندئذ ، بما لا يبلغ فيه كلام « أجاكس عوض » ، مبلغا يذكر ، وليعملوا يومئذ عملا أقل ما يقال فيه : انه تحقيق كامل للسمادير التى تجول فى جمجمة « أجاكس عوض » ، من ذلك أسوار «طروادة الجديدة» وأبراجها السود ، ودخولهم يومئذ معاقل «**طروادة الجديدة**» بأقدام ثابتة ، يخوضون فى الدماء الحمر، والنيران الحمر ، والاعلام الحمر ، كما ذكر **ذلك** « أجاكس عوض » فى ختام مقدمته لبوتولند وقصائد أخرى ، من تأليفه .

وقد قصرت هذه الكلمة على الفحص عن أمر « دمنة » ، وهو « أجاكس عوض » ، ولكنى سأنقل خبر كل « دمنة » ، وأكشف عنه ما استطعت ، ولكن فى اطار من بيان الاهداف التى يسعى اليها الذين يضمرون لنا الشر ، ويتوهمون أن أوان الغلبة علينا قد حان ، وأن التاريخ قد أعد لهم صفحات بيضا ليسطروا فيها لطروادة الجديدة ، بعد تدميرها وحرقها ، تاريخا لا يذكر فيه اسم العرب ، ولا اسم الاسلام الا بالنقيصة والقدح والثلب . و « تبت يدا أبى لهب وتب »

« **محمود محمد شاكر** »

كلمات في كلمات

بحوث لغوية وتاريخية

بقلم : حامد عبد القادر

٢٠ ـ بين يوسف وموسى

من الممكن أن تعد قصة موسى مكملة لقصة يوسف عليهما السلام ، فكلتاهما تتصل بحياة بنى اسرائيل فى مصر ، والفرق بينهما أن الظروف التى أحاطت بيوسف يسرت دخولهم مصر ، أما الظروف التى أحاطت بهم من بعد يوسف ، وفى حياة موسى فقد أدت الى خروجهم من مصر ٠

وبيان ذلك ان الظروف فى أيام يوسف كانت مواتية ، لأن حكام مصر من الرعاة الساميين كانوا يعطفون على أبناء جنسهم بنى اسرائيل الذين كانوا مثلهم من الساميين ، ومن ثم كانوا ييسرون لهم سبل الحياة الطيبة فى مصر ٠

وتغيرت الأحوال من بعد يوسف ، وجلس على عرش مصر ملوك مصريون ، فما ان تم لهم الأمر حتى أخذوا يناوئون بنى اسرائيل ويناصبونهم العداء ، لما كان بين الهيكسوس وبنى اسرائيل من علاقة وولاء تشبه التحالف ٠ وأخيرا خطا ملوك مصر خطوة حاسمة فى سبيل التنكيل ببنى اسرائيل ، فأخذوا يعذبونهم أشد العذاب ، ويفرضون عليهم الأعمال الشاقة ، ويقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم ٠

ولكن الله تعالى الذى لا يقر الظلم ولا يرضى عن القوم الظالمين لم يكن ليذر الظلمة والمظلومين على ما كانوا عليه ، فشاءت حكمته تعالى أن ينقذ هؤلاء المعذبين ، فأعد لانقاذهم رجلا منهم ٠ صنعه على عينه قدير الوسائل الكفيلة بانقاذه من كيد فرعون وقومه ٠ ولم يقف الأمر بعناية الله عند هذا الحد ، بل انه سبحانه اراد أن يكون لموسى شان عظيم وقدر رفيع فى نظر فرعون والمصريين ، فقدر أن تكون تربيته فى القصر الملكى نفسه ، فى رعاية أهل فرعون أنفسهم ، ولم يكونوا يعلمون أن هذا الذى يربونه فى قصرهم وفى رعايتهم هو الذى سيكون عما قريب منقذ بنى اسرائيل من أغلالهم ٠

وقصة موسى أشهر من أن تذكر ، قصتها التوراة على وجه التفصيل فى الأسفار الاربعة الاخيرة من التوراة وهى أسفار : الخروج ، واللاويين ، والعدد ، والتثنية ٠

وقصها القرآن الكريم بأساليب مختلفة فى مواضع مختلفة ، فنجدها فى بعض السور طويلة مفصلة ، وفى بعضها قصيرة مجملة ٠

وربما يسأل سائل عن السر فى تكرار سرد القصة الواحدة فى القرآن الكريم ـ فنجيب بأن الله تعالى يقص القصص على رسوله الكريم للتسلية والاعتبار ، ومن ثم اقتضت حكمته تعالى أن يقص القصة أو جزءا منها كلما دعت الحاجة الى ذلك، وكلما اقتضت حالة الرسول أو أصحابه أو المشركين أن يذكروا بأحوال من سبقهم من الأنبياء والشعوب ، وبما حل بالمطيعين من عطف الله ورحمته ، وبما نزل بالضالين من عذاب الله ونقمته ، وبأنه عز وجل ينصر رسله والذين آمنوا ٠

هذا وان القرآن الكريم لا يكرر القصة الواحدة بأسلوب واحد فى جميع الحالات ، بل انه يقصها بأساليب مختلفة فى بعضها ايجاز وفى الآخر اطناب، طبقا لما يتطلبه المقام ٠

يضاف الى ذلك أن القصة لا تقص فى الغالب كاملة بل انها تقص مجزأة أو مقسمة موزعة على سور القرآن الكريم ٠ ومن يتتبع آى الذكر الحكيم يجد أن ما يقص من القصة لا يزيد ولا ينقص عن

القدر المناسب الذى يتطلبه المقام ، ويستدعيه السياق .

وهذه لعمرى ناحية بارزة من نواحى اعجاز القرآن الكريم الذى أنزله الله على رسوله الأمين ليكون هدى للمتقين لا ليكون مرجعا للمؤرخين .

٢١ - بين موسى وهارون

تذكر التوراة أن عودة موسى من أرض مدين كانت فى حدود سنة أو اثنتين من وفاة فرعون مصر الذى بلغ تعذيب بنى اسرائيل فى عهده أقصى الدرجات وأقصاها « خروج ٤ - ١٩ » . فاذا وافقنا على رأى الثقات من المؤرخين وهو أن فرعون هذا كان رمسيس الثانى الذى انتهى حكمه سنة ١٢٢٥ ق م تقريبا قلنا بأن عودة موسى من أرض مدين كانت سنة ١٢٢٤ أو سنة ١٢٢٣ ق م تقريبا ، وكان ذلك فى عهد منفتاح (١٢٢٥ - ١٢١٥ قم) .

ويبدو أن موسى قد شعر بأنه - لأمر ما - لايقوى وحده على مجادلة فرعون ومحاجته باللغة المصرية ، وانه لذلك لا يستطيع أن يؤدى الرسالة على الوجه الأفضل الأكمل فخاطب الله تعالى وقال : « رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون . وأخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى » القصص : ٣٣ - ٣٤ . ويجيب الله طلب رسوله فيقول : « سنشد عضدك بأخيك ، ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون » . القصص ٣٥ .

وانطلق موسى وهارون مؤيدين برعاية الله الى فرعون مطيعين لأمره حيث قال « فأتياه : (أى فرعون) فقولا انا **رسولا** ربك » طه : ٤٧ ، وقال : «فأتيا فرعون فقولا انا **رسول** رب العالمين» الشعراء : ١٦. فكانا رسولين اثنين حسا أو عدا، ورسولا واحدا معنى ، لأنهما كانا متكاملين يكمل كل منهما الآخر ، ومن ثم كانا بمثابة شخص واحد .

هذا هو الذى نفهمه من آى الذكر الحكيم فى منزلة هارون من أخيه موسى عليهما السلام ، ولكنا نجد فى التوراة قولا منسوبا الى الله تعالى يخاطب به موسى ترجمته : « انظر ! انى جعلتك الاها لفرعون وسيكون أخوك هارون **نبيك** ، أنت تتحدث بما آمرك به ، وهارون أخوك يخاطب فرعون ليخرج بنى اسرائيل من أرضه » (خروج ٧ : ١ - ٢) فليت شعرى كيف يصدر هذا الكلام أو مثله عن الله تعالى ؟ وكيف يكون موسى الاها ، والله سبحانه هو الاله الذى لا شريك له ؟ أم كيف يكون موسى بمثابة اله وهو سبحانه ليس كمثله شىء ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

٢٢ - عود الى الوعود

وان مما يلفت النظر ويسترعى الانتباه أن الله تعالى يعد موسى بمثل ما وعد به ابراهيم ومن بعده، وهو امتلاك الأرض المقدسة . وذلك حيث يقول الرب ما ترجمته :

« انى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر ، وسمعت صراخهم وأنينهم من مسخريهم ، انى قد علمت آلامهم ، **فنزلت** لأنقذهم من أيدى المصريين وأذهب بهم من تلك الأرض الى أرض جيدة واسعة ، الى أرض تفيض لبنا وعسلا ، الى مكان الكنعانيين والحيثيين، والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين» (خروج ٣ : ٧ - ٨) .

ويعنينا من هذا النص :

١ - ما ذكر فيه من أن الرب يجعل بنى اسرائيل « شعبه » .

٢ - ان الرب تعالى قد نزل لانقاذ شعبه من أيدى المصريين . وهذا كلام ان دل على شىء فانما يدل على تحيز كاتب سفر الخروج لقومه .

٣ - أن الأرض الموعودة قد برزت معالمها ببيان سكانها ، وبأنها أرض جيدة واسعة تفيض لبنا وعسلا .

٤ - أن هذا النص لا يتضمن ما يدل على أن ملكية الارض ستكون ملكية أبدية .

ويذكرنا هذا الوعد بالوعود الكثيرة التى ذكرناها فيما مضى ، وهى التى ذكرت التوراة أنها صدرت من الله تعالى لابراهيم ونسله بامتلاك الارض المقدسة . وقد رأينا أنها وعود متفاوتة فى الغموض والوضوح، ومختلفة فى المعنى والمبنى ، وأنها لم تتحقق لا فى حياة ابراهيم ، ولا فى حياة أحد من أبنائه أو أحفاده وانما تحققت كما نرى فى عهد داود وسليمان عليهما السلام .

وليس فى القرآن الكريم ما يشير الى هذه الملكية اشارة صريحة الا قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام « يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » المائدة : ٣١ .

وليس فى هذا النص الكريم اشارة صريحة الى تأبيد ملكية تلك الارض ، ولا الى قصرها على من يخاطبهم موسى من بنى اسرائيل ، فمن الجائز أن تفهم من هذه الآية الكريمة : ادخلوا الارض المقدسة

التي كتب الله لكم ولغيركم فترة من الزمن ، اذ لو كان سبحانه يريد أن يجعل امتلاك تلك الأرض امتلاكا أبديا للمخاطبين وحدهم لقال : ادخلوا الأرض المقدسة التي لكم كتب الله الى الأبد - أو نحو ذلك . هذا الى أننا نقرأ في آخر الآية الكريمة قوله تعالى : « ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » ، وهذا من شأنه أن يشعر بأن امتلاكهم الأرض المقدسة مشروط بإقدامهم وعدم ارتدادهم على أعقابهم مولين الأدبار . ويدل سياق النظم الكريم على أنهم لم يتقدموا بل قالوا : « ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » المائدة : ٢٢ . واذا قرأنا قوله تعالى : « قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » بالوقف على قوله « عليهم » كان لنا أن نفهم ان دخول المخاطبين الأرض المقدسة قد حرم عليهم ، وان بقاءهم تائهين في الأرض أربعين سنة قد فرض عليهم ، وهذه مدة كافية لانقراضهم أو انقراض عدد عظيم منهم على الأقل ، ثم نشأة جيل آخر غيرهم يطيعون أوامر الله ولا يكونون من « القوم الفاسقين »

وفي القرآن الكريم آيات أخرى تدل دلالة قطعية على أن وعد الله لبني اسرائيل ليس وعدا من جانب واحد يوجب عليه سبحانه أن يغرق عليهم النعم ولا يطالبهم بشيء ، وانما هو وعد مشروط بأن يطيعوا الله ورسوله . فمن هذه الآيات قوله تعالى : « ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا . وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل » المائدة : ١٣

وقوله : «واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون» البقرة : ٨٣ .

والتوراة العبرية التي بين أيدينا تذكر هي أيضا في عدة مواضع أن ملكية تلك الأرض المقدسة مشروطة بطاعة الله ، اذ أنه ليس من المقبول عدلا ولا ذوقا أن يكون غير ذلك بحيث يصيب أحد الطرفين كل خير ولا يطالب بعمل شيء .. تقول التوراة ما ترجمته : « فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم لكي تقووا وتدخلوا الأرض التي أنتم عابرون اليها وتمتلكوها » (التثنية ١١ - ٨) .

وتقول : « فاحذروا أن تغوى أفئدتكم فتزيغوا عن الحق وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها فيشتد غضب الله عليكم ، ويغلق السماء فلا يكون مطر ولا تعطي الأرض غلتها فتبيدون سريعا عن الأرض الجيدة التي يعطيكم الرب » التثنية ١١ : ١٦ - ١٧ .

٢٣ - الخروج

لقد أرسل الله موسى ومعه هارون الى فرعون وملئه وأيدهما بالآيات البينات والمعجزات الباهرات، وكانت تسعا ذكرت اثنتان منها في قوله تعالى : « فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين » الشعراء : ٣٣ . وذكرت اثنتان أخريان في قوله تعالى : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » الاعراف : ١٣٠ .

وذكرت الخمس الباقية في قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات » الاعراف : ١٣٣ .

كان موسى حينئذ ابن ثمانين سنة ، وكان هارون ابن ثلاث وثمانين سنة (خروج ٧ - ٧) .

وقيل ان الجدل بينهما وبين فرعون قد بلغ أشده في السنة السابعة أو السادسة من حكم منفتاح ، كما قيل ان الآيات والبلايا قد توالى نزولها بفرعون وقومه نحو ستة أشهر : بين أكتوبر وابريل من تلك السنة ، كما يقول روبنسون .

لقد آمن السحرة بإله موسى ، أما فرعون فقد تكبر وتجبر وطغى وبغى وقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى .

اذ أنه لما غمرته الآيات المتواليات اضطر الى الرضوخ فأذن لموسى وبني اسرائيل أن يخرجوا من مصر (خروج ١٢ : ٣١ - ٣٢) .

فكانت حادثة الخروج التي تعد حدا فاصلا بين مرحلتين حاسمتين من مراحل حياة بني اسرائيل الطويلة الزاخرة بالمآسي والمخازي والسخريات .. هاتان المرحلتان هما مرحلة حياتهم في مصر سادة أعزاء ، ثم عبيدا أذلاء زهاء خمس وعشرين ومئتي سنة على اختلاف في ذلك ، ومرحلة اقامتهم نحو أربعين سنة في شبه جزيرة طور سيناء وما حولها متغطرسين متكبرين ، عصاة طغاة ، كأنهم أرادوا أن يستعيضوا عما لحقهم من الذل حيث كانوا يؤمرون فيطيعون بأن يكونوا سادة أعزاء يأمرون فيطاعون .

لقد وافق فرعون على مضض أن يخرج بنو اسرائيل من مصر ، فما أن علموا بذلك حتى هرعوا الى ساحل البحر الأحمر وكانوا اذ ذاك نحو ست مئة الف نسمة من رجال ونساء وخدم وعبيد وكان

خروجهم سنة ١٢١٧ ق.م تقريبا اى فى السنة الثامنة لحكم منفتاح ، وقيل ان ذلك كان سنة ١٢٢٠ ق.م اى فى السنة الخامسة لحكم ذلك الفرعون نفسه .

وبهذه المناسبة نقرر أن التواريخ التى نذكرها للحوادث التى حدثت فى تلك العصور الغابرة ليست الا تواريخ تقريبية قصد بها تقريب تسلسل الحوادث الى الأذهان .

يذكر المؤرخ المشهور روبنسون (فى كتابه تاريخ مصر ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٥) ان تجمع بنى اسرائيل قبل عبورهم البحر الأحمر كان على الساحل الغربى لذلك البحر فى جزء من الأرض بين البحيرة المرة والسويس .. ويرجح أن البحر الاحمر كان اذ ذاك يمتد الى بحيرة التمساح ، ويقرر هذا المؤرخ أن حادثا طبيعيا غير عادى قد حدث بالمصادفة فى ذلك الوقت بالذات، وهو جذر غير عادى ترتب عليه انحسار الماء عن البحر فى موضع معين ظهرت فيه اليابسة ، فكان ذلك سببا فى سهولة عبور بنى اسرائيل بقضهم وقضيضهم من ساحل البحر الغربى الى ساحله الشرقى .

ويقول المؤرخ نفسه ـ استنادا الى ما ورد فى التوراة ـ ان ريحا شرقية عاتية قد هبت فساعدت الجزر على شدة انحسار الماء .

ولما علم فرعون وقومه أن بنى اسرائيل قد خرجوا من موطنهم فى أرض جاسان ندم على ما فعل ، وأمر جنوده أن يتعقبوا أولئك الهاربين ففعلوا ، ولكنهم ما ان دخلوا اليابسة التى كان الماء قد انحسر عنها حتى انتهى الجزر وجاء المد فاغرقهم الماء ومزقهم كل ممزق (خروج ١٤ ـ ٣٠) .

ويؤخذ من كلام هذا المؤرخ أنه لم تكن فى الأمر معجزة ، وانما كان أمرا طبيعيا ، وان يكن غير عادى، ولكن التوراة تقرر ان انشقاق البحر كان معجزة تمت بأن ضرب موسى البحر بيده فانفلق الماء .. وهذه ترجمة لنص التوراة فى ذلك الموضوع « ومد موسى يده على البحر فاجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو اسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم » (خروج ٢١ ـ ٢٢)

ويحدثنا القرآن الكريم عن هذه الحادثة باسلوب آخر فيقول فى احدى السور : « فاوحينا الى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وازلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين » الشعراء : ٦٣ ـ ٦٦ .

ويقول فى سورة أخرى : « ولقد أوحينا الى موسى ان اسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ، فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » طه : ٧٧ ـ ٧٨ .

ولنا أن نقول لذلك المؤرخ ومن نحا نحوه ان الله تعالى لما أراد وقوع المعجزة هيأ لها الأسباب ، فحدثت الحادثة ، وكانت تهيئة جميع أسبابها كاملة عند ضرب البحر بالعصا .

وبنو اسرائيل يعتقدون أن هذه الحادثة العظيمة قد حدثت فى النصف الثانى من شهر نيسان وهو الشهر الأول من السنة العبرية . وهم يحتفلون بذكرى هذه الحادثة ثمانية أيام تمتد من اليوم الخامس عشر من ذلك الشهر الى الثانى والعشرين منه .

ويسمون هذا الاحتفال חַג הַפֶּסַח اى عيد التخطى ، وهو الذى يسمى عندنا عيد الفصح ، وسمى عيد التخطى لأنه لما نزلت بالمصريين الكارثة الاخيرة وهى موت كل مولود بكر تلده اية مصرية عقب ولادته مباشرة عم البلاء حتى انه قلما خلا بيت مصرى من موت طفل وليد ، وكانت الكارثة مقصورة على المصريات أما العبرانيات فقد تخطتهم ولم تصبهم بسوء (خروج ١١ : ٤ـ٧) .

وربما تكون هذه الكارثة هى الرجز المذكور فى قوله تعالى « ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل » الاعراف ١٣٤ .

٢٤ ـ بنو اسرائيل يركبهم الغرور فيتمردون :

لقد عبر موسى وبنو اسرائيل البحر الاحمر من ساحله الغربى ووصلوا الى ساحله الشرقى آمنين مطمئنين لم يمسسهم سوء ؛ أما جند فرعون فقد لحقهم الغرق فى حادثة مروعة تفيض التوراة فى بيان تفصيلاتها « خروج ١٤ ـ ٣٠ » ويلخصها القرآن الكريم بأسلوبه الحكيم فى قوله تعالى « فغشيهم من اليم ماغشيهم» طه : ٧٨ .

هكذا ينتصر الحق على الباطل ، وينتقم الله للمظلوم من الظالم ، وقد توالت نعم الله تعالى على بنى اسرائيل فى أثناء اقامتهم بشبه جزيرة طور سيناء ، وانتهى الامر باعظم نعمة انعمها الله عليهم، تلك هى ان مكن لهم من فلسطين ، وجعلهم ملوكا وسادة على النحو الذى سنشرحه فيما بعد .

وقد توهم هؤلاء المتمصرون أن انتصار الله للحق والعدل كان انتصارا لهم هم أنفسهم بوصفهم شعبا معينا . فركبهم الغرور ، واعتقدوا أنهم شعب الله المختار . وغلوا فى غطرستهم وكبريائهم فسلكوا

مسلك العناد والمشاكسة ، ووصل بهم عنادهم الى درجة العصيان بل الكفر والكفران .

وقد أخذت آثار تلك النزعة الضالة الفاسدة ، نزعة التمرد والعصيان تبدو واضحة بينهم منذ ان خرجوا من مصر سالمين تاركين من ورائهم جند فرعون هالكين .

ومظاهر عصيانهم وجحودهم فى شبه جزيرة طور سينا ، متعددة ذكرتها التوراة بأسلوبها المطول وذكرها القرآن الكريم فى عدة مواضع بأسلوبه الموجز المعجز .

اقرا ان شئت قوله تعالى :يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » البقرة ٤٠ الى قوله تعالى « والله بصير بما يعملون » البقرة : ٩٦ ، تجد عددا كبيرا من مظاهر عصيان بنى اسرائيل وكفرهم بالله وبالنعم التى أسبغها عليهم . وقد حدث معظم ذلك فى أثناء الاربعين سنة التى قضوها فى شبه جزيرة طور سيناء وما حولها .

ومن ابرز مظاهر التمرد والعصيان ما فعله هؤلاء الجاحدون حين طلب اليهم موسى عليه السلام أن يدخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لهم .

تقول التوراة فى ذلك ماخلاصته :

بعد أن وصل بنو اسرائيل الى برية فاران أمر الله موسى أن يرسل رجالا يرتادون أرض الميعاد، ويتجسسون احوالها واحوال سكانها ففعل . ولما عاد هؤلاء الرجال قالوا لموسى فيما قالوا - الا واحدا منهم - اننا لانستطيع أن نذهب الى الشعب صاحب تلك الارض لأنهم أشد منا قوة . ثم أشاعوا الحط من قدر الارض نفسها فى بنى اسرائيل ، وقالوا انها ارض تأكل سكانها ، وجميع من رأيناهم فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هنالك الجبابرة فكنا فى أعينهم كالجراد ، وكذلك كنا فى أعيننا . (الفصل الثالث عشر من سفر العدد)

ورفعت كل الجماعة صوتها وصرخت ، وبكى الشعب تلك الليلة ، وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى اسرائيل ، وقال لهما كل الجماعة :ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا متنا فى هذا القفر ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الارض لنسقط بالسيف ، وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس من الخير لنا أن نرجع الى مصر ؟ فقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا ونرجع الى مصر .»

فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام جميع معشر بنى اسرائيل . ويشوع بن نون وكالب بن يفنة من الذين تجسسوا الارض مزقا ثيابهما وكلما حل جماعة بنى اسرائيل قائلين : الارض التى مررنا فيها لنتجسسها أرض جيدة جدا جدا ، ان سر بنا الرب يدخلنا هذه الأرض ، ويعطينا اياه أرضا تفيض لبنا وعسلا » . (العدد : ١٤ : ١ - ٨)

وما أجمل قول الله تعالى فى هذا الموضوع :

«واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء ، وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين . ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون .

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون. وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون . قال رب انى لاأملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم ، أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين » المائدة : ٢٠ - ٢٦ .

لقد كان هذا التمرد ونحوه من أسباب ماهو مسطر فى الكتب السماوية من غضب الله على بنى اسرائيل ، ذلك الشعب الذى ان استثنينا منه بعض أفراد صالحين صح لنا أن نصفه بانه شعب أثيم فاجر ، عنيد غادر ، ماكر متكبر ، جاحد متجبر .

ذلك هو الشعب الذى كفر بأنعم الله ، وعبد العجل من دون الله ، وعصى رسول الله الذى أنقذه من ربقة الاستعباد ، وقاسى الأمرين فى تخليصه من ذل الاستبداد ، ذلك هو الشعب الذى طغى وبغى وظن أن له الكلمة العليا فأخذ يأمر وينهى ، ولحقه البطر فلم يرض بنعمة الحرية ، واخذ يستصغر نعم الله ويحتقرها ، ويتمنى أن لو كان قد بقى بمصر يستمتع بخيراتها متغاضيا عن ويلاتها ومذلاتها .

وقد بلغ بهذا الشعب الخائن الغادر عتوه وكبرياؤه أن ادعى أنه شعب الله المختار ، وانه فى ذلك الزعم لمضل وضال ، فان الله تعالى لم يصنع له ماصنع من خير الا احقاقا للحق ، فلما غيروا مابأنفسهم ، وخانوا الامانة ونقضوا المواثيق عاقبهم الله ، وحرم عليهم أن يدخلوا الارض المقدسة ، ثم عاد فرضى عنهم تكريما لمن تاب منهم وأناب . فهيأ لهم سبيل النجاح فى الاستيلاء على الارض المقدسة

ولكن ذلك لم يكن الا بعد عناء ومشقات تحملوها بعد وفاة موسى عليه السلام !

وسنوضح ذلك فى مقال تال ان شاء الله .

العرب في إفريقيا

... من الجنوب العربي

للدكتور: عبد العزيز كامل

بيئات ثلاث .. ومنهج :

مع ان الأجـزاء الجنوبية والمطلة على الخـليج العربى من الجزيرة العربية كانت تدعو سكانها الى الاتصال بالمحيط الهندى ، الا أن هنـاك فروقا محلية نستطيع بها أن نميز بين ثلاث بيئات :

١ ـ ارض الخليج العربى وبخاصة عمان .

٢ ـ الجنوب العربى .

٣ ـ اليمن

وابادر فاقول ان هذه الفروق المحلية بين البيئات لم تجعل كلا منها « مختلفة » عن الأخرى ، وانما جعلتها « متميزة » عنها وان اشتركت جميعـا فى خصائص واحدة . ذلك لان التشـابه المطلق بين البيئات امر لا وجود له ، وكذلك التبـاين المطلق أمـر لا وجود له ، حتى ان نفرا من الجغـرافيين يعتبرون الاختلاف درجة من درجات التشابه .

ويقودنا هذا الى مشكلة منهجية أرجو الا يكون فى عرضها استطراد يبعد بنا عن موضوع البحث . ذلك لان هذه الظاهرة : ظاهرة التباين المحلى الذى لا يمكن تجنبه ، يمكن استغلالها سياسيا . ويمكن ـ فى هذا الضوء ـ أن تكون مقياسـا نقيس به كثيرا من الاتجاهات التى يموج بها عالمنا العربى .. واذا ارتفعنا بالمشكلة الى المستوى العربى الكبير وجدنا جوانب كثيرة من التشابه فى الكيان العربى ، كما وجدنا أيضا جوانب من التباين او التنـاقض . وأية دعوة عربية صادقة تستهدف خير العروبة ، تعمل ـ أول ما تعمل ـ على تدعيم جوانب التشابه وابرازها وايجاد هيئة حضارية جديدة يزداد فيها التجانس وتستفيد من جوانب التباين فى ايجـاد تكامل بين اجزاء الوطن العـربى وهو ما يسـمى «بالوحدة فى التنوع». ولم تعد الارض وحدها هى المعيار الذى نقيس به التـكامل بعد ان اصبحت العوامـل البشرية والتخطيط للمـستقبل من اهم العوامل ـ ان لم تكن أهمها جميعها ـ فى تحديد أبعاد الروابط بين أجزاء من العالم لم يكن بينها من قبل ترابط وثيق .. فكيف بارض عاشت تاريخا وحاضرا وتعمل لمستقبل مشترك !!

تقابل هذا اتجاهات اخـرى ترمى الى تـدعيم جوانب التباين فى الوطن العربى وتشجيع الاقليميات الضيقة ، ولن تعدم فى هـذا الاتجاه أن تجد حقائق جزئية وأمثلة تاريخية تعزز بها وجهـة نظـرها، والامثلة على ذلك حية ، والنزعات الانطواليـة او الاقليمية الضيقة من اهم القـوى التى يحـركها الاستعمار ليحارب بها القومية العربية الكبيرة.

من أجـل ذلك كان علينـا أن نميز فى مجـال الدراسة بين «معرفة» الظـاهرة وبين «توجيـه» الظاهرة . وبعبارة أخـرى .. علينا أن نحـدد لانفسنا فلسفة للبحث وهدفا مرتبطا بالفلسـفة العامة للمجتمع ونابعا منها ، بحيث تسير الدراسة العلمية نحو غاية يؤمن بها المجتمع ، نابعـة من مقـوماته ، متجهـة الى تحقيق آماله عـلى هـدى وبصيرة .

نعود بعد هـذا الى الجنوب العـربى لنعرض بيئاته فى هذا الضوء ..

عمان :

لقد سبق القول أن اقليم عمان يمتاز من الارض حوله .. ومن ورائه أرض قاحلة فى صحراء الدهناء تجعل الروابط بينه وبين قلب الجزيرة العربية أضعف من الروابط بينه وبين البحر .ومن هنا اتجه الاقليم الى خليج عمان والى المحيط الهندى ينشد فيهما الرزق والحياة ، وتشابكت من قديم روابطه مع فارس والهند وشرق افريقية .

.. بل ان هذه العزلة النسبية اثرت على الاتجاهات الدينية فيه ، ففى الجبل يسود المذهب الاباضى ، بينما تسود مذاهب السنة فى الاجزاء السهلية .

وتتكون عمان من سلسلة صخرية ذات نواة قديمة تغطيها رواسب أحدث منها من الحجر الجيرى . وقد أدى هذا التكوين فى شبه جزيرة مسندم الى وجود عدد غير قليل من الاودية والتلاع ، كما أدى هبوط الشاطىء الى تكوين خلجان عميقة متوغلة فى اليابس من خليج عمان (من نوع الفيورد) ولها حوائط مشرفة عالية ومداخل ضيقة تستطيع التحكم فى هذه الخلجان المتوغلة وتحميها من أى مغير ، وتوفر فى نفس الوقت اماكن آمنة للسفن . ويصل طول بعض هذه الخلجان الى أكثر من عشرة كيلو مترات ، وارتفاع الجروف المشرفة عليها قد يصل الى نحو ألف متر . فالظروف الطبيعة اذن تساعد على تكوين الموانى، وعلى حمايتها ، وعلى سهولة الدفاع عنها . ولكن هذه الخلجان تنتهى دون ان ترتبط بمجار مائية تصلها بقلب الجزيرة العربية،وفى هذا تختلف هذه الخلجان الصغيرة عن النهاية الرئيسية للخليج العربى حيث يصب نهرا دجلة والفرات ، ومن وراء منطقة المصب ارض غنية قامت عليها حضارات قديمة ترجع الى أقدم العصور ؛ التى استطاع الانسان فيها أن يسجل حضارته .. ولازال العراق يقوم بدوره الحضارى الايجابى منذ آلاف السنين ، ولازال قوة لهاوزنها الكبير فى الكيان العربى .

ميزة موانى رأس الخليج العربى اذن انها تستند الى أرض زراعية وترتبط بها ، وتخدم ارضا هى جزء منها لايحول بينها حائل طبيعى أو بشرى . أما موانى عمان فليس لها « العمق » الارضى المتوغل فى الجزيرة العربية وان كان لها «الامتداد» البحرى المتوغل فى المحيط الهندى . واذا كانت ظروف رأس الخليج العربى ـ بما لها من ظهير قارى فى أرض العراق ـ تمكنها من الملاحة البعيدة والوساطة التجارية القوية ، كما حدث فى أكثر من عصر من عصور تاريخها ، فان ظروف منطقة عمان كانت تدعوها الى شدة التمسك بروابطها البحرية دون ان تستطيع الانطواء على نفسها والا كان فى هذا الانطواء فقدان لجانب كبير من مقومات حياتها . فالارتباط العضوى اذن بين منطقة عمان والمحيط الهندى ارتباط حيوى دفع أبناء المنطقة من قديم الى شواطىء المحيط وقادهم الى شرق افريقية حيث عاشوا واستقروا من قديم فى روابط من السلام والود لم تضطرب الا بعد مجىء الاستعمار البرتغالى كما سنرى فيما بعد .

والجو فى هذه الخلجان الضيقة فى منطقة عمان محتمل فى فصل الشتاء حيث يتوفر صيد البحر، بينما هو صيفا يمتاز بشدة الحرارة والرطوبة حتى يصبح من أقسى أنواع المناخ تأثيرا على النشاط البشرى ، ولذا يهاجر ابناء المنطقة الى رأس الخليج العربى صيفا حيث يعملون فى موسم جمع البلح .

وهناك تباين واضح بين الاجزاء الساحلية والجبل الداخلى الذى يبلغ متوسط ارتفاعه نحو ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر ، ويمتاز الجبل باودية الكثيرة العميقة ذات الجوانب الشديدة الانحدار وتتجه معظمها من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى . والمطر هناك أقل من اليمن ، وان كانت الارصاد الدقيقة المنتظمة غير متوفرة . ولاشك فى أن معدلات المطر تزيد عن ٢٥٠ مليمترا . وتتوفر فى الاقليم عيون ماء يستطيع السكان الاستفادة منها فى السقيا والرى والتخزين . وتقوم عليها الحياة فى واحات محدودة .. ويغطى الجبل عشب أخضر وفى اجزاء قليلة يزداد الغنى النباتى فيصبح مروجا ترتفع أشجارها وتتكاثف .. وفى الاجزاء الغنية حيث تتوفر الحرارة المناسبة ومورد الماء ..يزرع اهل الارض قطعا زراعية يحصلون منها على غلاتهم الغذائية من حبوب وفواكه الى جانب مايزرعون من أشجار البن . ويقل هذا الغنى النباتى اذا اتجهنا غربا حتى ينتهى بنا الى الصحراء .. هذا بينما يظل الغنى النسبى وان قل ـ اذا ما انحدرنا شرقا وشمالا نحو ساحل الخليج .

ومن الناحية العملية قامت معظم الصلات

منطقة عمان مع بقية الجزيرة العربية على البحر . واستخدام «الداوات» وهى الحرفة الرئيسية لسكان الاقليم . والتجارة المحلية – مع عمان نفسها – محدودة المدى . والصادر منها قدر من البلح والسمك المجفف ، والوارد اليها الحبوب وبخاصة الارز وأخشاب الساج لبناء السفن وبعض السلع المعدنية والأسلحة والذخائر .

وكطبيعة أقاليم الالتقاء الساحلية ، من المنتظر أن نجد تعددا فى العناصر التى وفدت الى الاقليم وخالطت أهله نتيجة للروابط التجارية .. هنا نجد دماء افريقية وهندية وفارسية ، وهى ظاهرة نراها فى شرق افريقيةكما نراها على سواحل الهند وقد تعايشت هذه العناصر فى ود وسلام تجمع بينها شواطىء المحيط وتربط بينها خطوط مواصلات لها عمق تاريخى لم نستطع حتى الآن تحديده .

ولقد شاهد الاقليم فى عصور ازدهاره نشاطا تجاريا امتد الى الصين شرقا والى شرق افريقية غربا ، وكانت « صحار » قصبة عمان ومركز هذا النشاط . ولنذكر فيها ماقاله ياقوت فى معجمه عن البشارى : « صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين (وهذا الاسم كان يطلق على الخليج العربى لنشاط التجارة مع الصين) بلد أجل منه ، عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار فواكه . أجل من زبيد وصنعاء (فى اليمن) وأسواق عجيبة وبلدة طريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة ، والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة فى آخر الاسواق . ولهم آبار عذبة وقناة حلوة . وهم فى سعة من كل شىء ، وهو دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن » (٣ : ٣٩٣ – ٣٩٤ ط بيروت) أما عن مسقط فلم يذكر عنها ياقوت الا هذه الجملة « مدينة من نواحى عمان فى آخر حدودها مما يلى اليمن على ساحل البحر الأحمر» (٥ : ١٢٧ ط بيروت) وصحار فى الوقت الحاضر ميناء صغيرة تقع الى شمال مسقط بنحو ٢٢٥ كيلومترا وعدد سكانها نحو ستة آلاف وهو يزيد قليلا عن سكان مسقط .

ومع التدهور الاقتصادى الذى أصاب عمان بعد أن أصبح المحيط الهندى مجالا من مجالات الصراع الاستعمارى فلازالت للموقع قيمته الاستراتيجية بتحكمه فى المدخل الجنوبى لخليج عمان . وهو من هذه الناحية يقابل عدن على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية ، وثمة وجه شبه آخر ، ظهر فى العصور الحديثة ، هو ضعف الصلة بقلب الجزيرة العربية عندما سيطر الاستعمار على هذه الاجزاء . الا أنه مع كل هذه التطورات ظلت الروابط البحرية بالمحيط الهندى هى العصب الحى فى حياة عمان وبخاصة من عصور تاريخها ، فان ظروف منطقة عمان كانت حيث الارتباط بشرق افريقية .

الجنوب العربى :

انا نقصد بالجنوب العربى سواحل الجزيرة العربية المطلة على البحر العربى وأهم مايميز هذا الشاطىء هبوط تدريجى فى معدلات الارتفاع اذا ما تركنا اليمن واتجهنا شرقا حتى يصبح نحو ألف متر فى منطقة سيحوت ثم يقل الى نحو مائتى متر فى خليج (غبة) صوقرة . ومن أهم معالم الاقليم وادى حضرموت الذى يجرى موازيا للشاطىء – على بعد نحو مائتى كيلومتر – لمسافة ٣٠٠ كليومتر بحيث ينحرف نحو الجنوب الشرقى انحرافا مفاجئا قاطعا السلسلة الجبلية الساحلية ليصل الى المحيط الهندى قرب سيحوت . ويدل نظام جريان الوادى على انه مسبوق بنظام نهرى كان أوفر ماء . وظاهرة الغنى المناخى السابق لها أكثر من دليل . حدث هذا فى العصور التاريخية وارتبط به غنى الاقليم وازدهاره،وتؤيد هذا أدلة أثرية وطبيعية وتاريخية. ولعل آخر هذه الدورات كانت قبيل ظهور الاسلام وكان لها انعكاسها على الحياة فى الجزيرة العربية داخليا وارتباطها بما حولها كما تذهب الى ذلك آراء باحثين أرجو أن أعرض لها فيما بعد .

وتترك السلسلة الجبلية بينها وبين الشاطىء سهلا ساحليا ضيقا فى الغرب يقل اتساعه عن عشرين كيلومترا ومن ورائه هضبة متوسط ارتفاعها نحو ألف متر مزقتها الاودية التى أصبحت جافة فى الوقت الحاضر . والى شمال الهضبة يجرى وادى حضرموت والى شماله هضبة أخرى أقل ارتفاعامن الهضبة الاولى يتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠ و ٦٠٠ متر وتستمر هذه الهضبة فى قلب الجزيرة العربية.

والمطر هنا أقل من اليمن – كما سنرى – ويسقط على بعض الاجزاء المرتفعة من حضرموت وظفار ما بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ مليمترا فى العام . ويسقط المطر صيفا . وان كان معظم أجزاءالجنوب العربى يسقط عليه معدل مطر يقل عن ٢٠٠ مليمتر . ومن الطبيعى أن تكون الأجزاء الغربية – الأقرب الى اليمن – أوفر مطرا لارتفاعها وتزداد الحرارة كلما اتجهنا شرقا مع الانخفاض وقلة المطر . وتكثر بذلك مظاهر الجفاف والقحولة وتصبح الزراعة مقتصرة على أجزاء محدودة كالمدرجات النهرية والقيعان المستوية حيث يبقى

جانب من المطر فى التربة الطينية او بجوار التلال .

والغلات الزراعية فى هذا الجزء من الجزيرة العربية تختلف اختلافا بينا عن بقية الجزيرة العربية بله الوطن العربى بعامة فنظرا لوجود الجبال التى توازى الساحل ومن ورائهاالوادى ثم هضبة داخلية .. اتجه الاقليم بدوره الى البحر كما اتجه اقليم عمان واليمن مع فروق محلية . وفى الحياة هنا أوجه شبه قوية مع شرق افريقية والهند .. فمع الغلات التقليدية كالنخيل والشعير والذرة تنمو أشجار المانجو والباوباو ولموز والجوافة ... مع بعض القطن والطباق والخروع .. والواحات التى تنمو فيها هذه الغلات تكثر فى الغرب عنها فى الشرق ومن أهمها لحج وشمال شرق المكلا . ومن الممكن القيام بمشروعات تنمية فى الاقليم اعتمادا على المياه الجوفية فى وادى حضرموت حيث تجرى فى بعضه المياه جزءا من السنة . فالارض هناك تنمو فيها غلات «افريقية» وغلات «آسيوية» كما يحيا فى الارض قوم تختلط فى عروقهم هذه الدماء .

وعرف هذا الاقليم من قديم بانه أرض البخور أو الطيوب . ولازال يشتهر حتى الآن بنوعين منها: المر واللبان . وقد ورد ذكرها فى قصص الانبياء . ففى مولد عيسى عليه السلام جاء اليه المجوس وفتحوا كنوزهم ، وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا (متى : ٢ : ١١) وتنمو اشجار كل من هذين الطيبين على المنحدرات الرطبة التى يزيد ارتفاعها عن ١٠٠٠ متر وتجمع فى اواخر الربيع واوائل الصيف قبل سقوط الامطار . ولازال هذا العمل يقوم به ــ الى حد بعيد ــ مهاجرون من الصومال وغيرهم من الافريقيين .

وكان لهذه التجارة من قبل شان كبير . وكثرت الروايات عن «طريق البخور» الذى يبدأ من الجنوب العربى ويتابع سيره شمالا بالقوافل الى مكة والمدينة حتى يصل أرض الشام ومصر . وفى الوقت الحاضر انخفض انتاج الاقليم من المر واللبان ومعظمه يأتى من الاجزاء المرتفعة من ظفار .

والحديث عن طريق البخور أكثر اتصالا باليمن وموعدنا عنه مقال مقبل . والذى اود ان أؤكده فى ختام هذا المقال أن الجنوب العربى استقبل عناصر افريقية عاشت فيه ولازال تعيش كما أوفد عناصر عربية الى بقية شواطىء المحيط الهندى ، وهذا التبادل والتفاعل السكانى كان يسير سيرا طبيعيا حتى دخلت المؤثرات الاوربية مياه المحيط الهندى .

« د . عبد العزيز كامل

أمسية

للشاعر : عبد القادر حميدة

لست انسى يا حبيبى وقفة عند المساء
نحضن الليل برفق .. ونغنى للضياء
ونناجي القمر الباكي بدمعات وضاء :
أيها الضوء الذى قد ضمنا
بين آه .. وعناق .. ومنى
وحفيف الهمس يسرى بيننا
لا تبح بالسر ان جئنا هنا
لست انسى حين رفت قبلة من شفتيك
والهوى المشبوب يحيا حائرا فى مقلتيك
وانا انشد حبى خافقا فى اذنيك
فتقولين وقد طافت بنا
نسمات الليل تسرى حولنا
هات انغامك .. هيا غننا
ردد اللحن الذى اسكرنا
لست انسى حين اغفينا على شط الغدير
وتوسدنا بساط العشب والنبت النضير
وتعانق حلمانا على عزف الحرير
ثم مرت نسمة توقظنا
فصحا الحلم الذى طوقنا
وانمحى الطيف الذى عانقنا
تعس الحظ الذى ارقنا
لست انسى يا منى روحى واحلامى وفكرى
والتى تخفق فى صدرى اذا ما النور يسرى
ليلة .. فيها انتشينا دون خمر
فتوهمنا حياة .. ودنا
تجمع الشمل .. وتذكى حبنا
بين لحن .. وغناء .. وسنا
وابتسام الورد .. والدنيا لنا
انا لا انسى . ولن انسى رواجينا معا
ونجوم الليل تهمس من ضياها ادمعا
وانبثاق الفجر .. بكينا وداعا موجعا
وعناقا .. ذاب فى ادمعنا
وسؤالا .. حار فى اعيننا :
اترى نبقى على ليلتنا ؟
وغدا .. نمضى الى وقفتنا ؟

شعراء المنصورة

بقلم : صالح جودت

كانوا اربعة ، يعيشون على شاطىء مدينة المنصورة الجميلة فى حقبة واحدة من الزمان ، ما بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٣١ .

وكان بين هؤلاء الاربعة ، اثنان فى ميعة الشباب، هما ابراهيم ناجى ، الطبيب ، وعلى محمود طه ، المهندس .

أما الآخران ، فكانا يودعان الصبا ويستقبلان اليفاعة ، وهما محمد عبد المعطى الهمشرى ، أو م.ع. الهمشرى كما كان يحب ان يسمى نفسه ، وأنا ... الطالبان بمدرسة المنصورة الثانوية

التقى جمعهم على شاطىء المنصورة ، وعقد بينهم الشعر حلفا انيقا محببا

ولم يكن أحد منهم قد شق طريقه الى مستقبل ظاهر فى عالم الشعر بعد،فكان جل همهم أن يقرأوا ويكتبوا ، وان يحدث كل منهم اصحابه عما قرأ ، وان يتلو عليهم ما كتب ، أو على الاصح ما نظم .

كان وجه الحياة فى المنصورة يومئذ ضاحكا مشرقا : فمعهد الموسيقى بالمدينة مزدهر ، وحياة الليل على طول مقاهى الشاطىء ممتدة ، زاخرة بالرقص والغناء ، واسباب العيش رخية سخية ، وأهل المدينة بطبيعتهم محبون للادب والفن ، فى رجالهم ظرف وذكاء ، وفى نسائهم رقة وشاعرية .

فى هذا الجو المهيا ، عاش الصحاب الاربعة ، ينتهون من عمل النهار ، ليلتقوا فى ندوة الليل ، وفى جعبة كل منهم شىء جديد من حصيلة قراءته ، أو من نتاج موهبته .

ولم تخل الفتهم هذه من شىء من الغيرة الطيبة المثمرة ، التى دفعتهم الى سباق فى القراءة والتحصيل ، وكانت قراءاتهم فى الادبين العربى والغربى على السواء .

وأستطيع ان اجزم بانهم ، فى قراءاتهم هذه ، أنجزوا قديم الأدب العربى ، وتابعوا حديثه ، أما فى الادب الغربى ، فقد كان الادب الانجليزى بالذات أدناه اليهم ، لاحسانهم جميعا اللغة الانجليزية .

واذا كانت لم تفتهم قراءة شكسبير وملتون واضرابهما ، ان كان لهما اضراب فى تاريخ الادب الانجليزى ، فان أكثر من استهووهم من نجوم هذا الادب ، هم شلى وكيتس ووردسورث وبيرون وروبرت بروك ونظراؤهم من الرومانسيين العاطفيين

وكما شاء القدر ان يربط بين قلوب هؤلاء الاربعة فى تلك الحقبة على شاطىء المنصورة ، شاء كذلك ان يمد فى أجل صحبتهم ، فانتقلوا جميعا الى القاهرة فى عام واحد ، هو عام ١٩٣١ ، حيث نقل ابراهيم ناجى الى وظيفة بمستشفى السكك الحديدية ، وعلى محمود طه الى وظيفة بوزارة الاشغال .

اما الهمشرى وأنا ، فقد رحلنا الى القاهرة لنلتحق بالجامعة ، هو بكلية الآداب ، وأنا بكلية التجارة .

وهكذا اتيح لهؤلاء الاربعة ان يواصلوا صحبتهم، وان كانت شواغل الحياة قد اخذتهم فجعلت لقاءهم على فترات ، لا تعدو الواحدة منها ، مهما طالت ، سبعة أيام ، بعد ان كان لقاؤهم على شاطىء المنصورة كل ليلة .

وكان من نتائج تأثرهم بالبيئة الواحدة فى المنصورة ، وبالمصادر الواحدة فى القراءة ، وبالاحاديث المشتركة فى ندوات الليل على شاطىء المدينة الحسناء ان تقاربت خطوط شعرهم فى ذلك المهد ، الى حد ان الكثير من شعرهم قد اختلط على الناس فيما بعد ، فاصبحت القصيدة الواحدة تنسب الى أكثر من واحد منهم

وانى لاذكر ان الهمشرى — رحمه الله — جاءنى ذات مرة ، اذ نحن فى القاهرة ، يتلو على أبياتا أربعة

يذكرها من أيام المنصورة ، ويسألنى : أهى لناجى أم لى أم له .. فأكدت له أنها له .

وانى لأذكر أيضا ان أسرة ناجى حينما همت بجمع شعره بعد وفاته ، وجاءتنى بما عندها من مخطوطات ، استطعت ان اتعرف بينها على أكثر من قصيدة ليست له ، هى بل لصاحبه المهندس ، أو للهمشرى ، أولى أنا

ولولا اننى عرفت هذه القصائد بكل ملابساتها عن كثب ، ما استطعت ولا استطاع غيرى أن يتبين أن هذه القصائد ليست له ، من فرط تشابه المناخ الشعرى الذى عاشه هؤلاء الاربعة أيام المنصورة ، تشابها قرب كلا منهم الى الآخرين فى اللفظ والأسلوب والصورة .

كان هذا فى المنصورة ...

اما فى القاهرة فقد اخذت خطوط شعرهم تتباين رويدا رويدا ، حتى اتضحت معالم كل منهم ، واصبح ناجى « شاعر الرقة العاطفية » كما سماه العقاد ، رحمه الله ، واصبح على محمود طه الشاعر التصويرى ، واصبح الهمشرى شاعر الريف المصرى ... أما أنا ، فلست ادرى ماذا اصبحت ، وان كنت احس اننى مزجت الوطنية بالعاطفة .
فى القاهرة ... اتصل الشعراء الاربعة بجماعة « ابوللو »وعلى رأسها امير الشعراء احمد شوقى ، سنة ١٩٣١ غير أن هذه الصلة لم تعمر طويلا ، ولا سيما بعد وفاة شوقى فى سنة ١٩٣٢ .

اولا ، لأن الجماعة ما لبثت أن انفضت فى سنة ١٩٣٥

وقبل ذلك ، لان شيئا من الجفوة قد وقع بين نفر من هذه الجماعة من ناحية ، وبين على محمود طه والهمشرى من ناحية أخرى

وانصرف الهمشرى يغنى للريف ، ويحلق فى أجواء الفكرة التعاونية .

أما على محمود طه ، فقد اتصل ببعض الشخصيات السياسية فى ذلك العهد ، وانتهى به الامر الى ان تلون بالحزبية . وكان هذا من سوء حظ الادب ، لأن الحزبية صرفته فى بعض الأونة عن الشعر الخالص ، وجرفته الى الشعر السياسى ، عن غير ايمان بالحزبية ، وانما تأثرا بهذه الصداقات، وكلون من عرفان الجميل .

ومهما يكن من أمر ، فاننا اذا صفينا شعره من هذا اللون من الشعر ، لبقى لنا بعد هذا رصيد عظيم من الشعر الخالص ، الذى يضعه فى ذروة عالية من ذرا الشعر فى عصره .

واخذ القدر ، الذى جمع هؤلاء الاربعة على شاطىء المنصورة ، ثم جاء بهم الى القاهرة ، يفرق شملهم واحدا بعد الآخر ، فمات الهمشرى سنة ١٩٣٨ ، ولحق به على محمود طه بعد ذلك بعشر سنوات ، وأدركه ناجى بعد هذا بأربع سنوات .

وبقيت انا وحدى ...

بقيت لأذكرهم واذكر الناس بهم ، الى ان يأتى دورى فى اللحاق بهم . ولست ادرى من ذا الذى يذكرنى يومئذ ،ان كنت قد صنعت شيئا يستحق الذكر

وفى هذا السبيل ، سبيل الذكرى ، انجزت كتابى « ناجى : حياته وشعره » .. الذى نشره مجلس الفنون والآداب ، كما شاركت فى تصنيف ديوانه الذى نشرته وزارة الثقافة ، وجعلت له مقدمة وافية

ثم أنجزت كتابى الآخر « الهمشرى : حياته وشعره » ... وقد نشره مجلس الفنون والآداب أيضا ، كما جمعت شعره فى ديوان تنشره الآن وزارة الثقافة

وبينما انا افكر فى انجاز بقية الرسالة ، رسالة ذكرى اصحابى الثلاثة ، اذا بى اتلقى ، وانا بمكانى بلجنة الشعر من مجلس الفنون والآداب « رسالة علمية قيمة ، وضعها الاستاذ السيد تقى الدين السيد عن حياة على محمود طه وشعره ، ونال بها درجة الماجستير فى الآداب

واحسست انه حمل عنى العبء الباقى ، جزاه الله كل خير ، وهكذا اصبحت فى انتظار دورى للحاق برفاق الصبا والشباب ، مستريح الخاطر الى ان أحدا من ثلاثتهم لن يغمره تيار التاريخ .

وقد تفضل زملائى اعضاء لجنة الشعر بالمجلس ، فآثرونى بفحص هذه الرسالة عن على محمود طه ، فقرأتها ، ونعمت بقراءتها ، وكتبت لها مقدمة قلت فيها ما قلته فى هذا المقال عن شعراء المنصورة « واوصيت المجلس بنشر الرسالة ، ففعل مشكورا

وعلى ذكر هذه الرسالة ، التي ظهرت منذ أيام تحمل اسم « علي محمود طه : حياته وشعره » ..

احب ان أعرض على القارىء نماذج من شعر أصحابي الثلاثة ، من وحي المنصورة . هذه لناجي ... وعنوانها « المنصورة » .

بأى معجزة فى الحب نتفق ...
يا قلب هل يتلاقى الفجر والغسق
يا قلب ، انا لقينا اليوم معجزة
تكاد فى ظلمات الليل تاتلق
وافيتها ، وفلول النور دامية
تطفو فترسب او تعلو فتعتلق
لم ادر حين تبدت لى ، اذن شفقى
ابصرته أم على المنصورة الشفق
يا من منحت الأمانى البيض معذرة
انى بهذى الأمانى البيض اختنق
اين الهدوء المرجى فى جوانبها
انى رجعت وليلى كله ارق
اقبلت انشد امنا فى هواك بها
فلم انل ، وتولى قلبى الفرق

لا بالقلوب ولا الأرواح يا املى
انا بشىء وراء الروح نعتنق
ويحى على كفك البيضاء اذ بسطت
عند السلام ، وويحى حين تنطبق
هل يسمع النيل اذ سرنا بجانبه
والموج مجتمع فيه ومفترق
صوتا تماوج فى روحى ، فجاوبه
من جانب الموج صوت راح يصطفق
نظل تنهب اذنى من اطايبه
كأنها من خفايا الغيب تسترق
يا جنة من جنان الله اعبدها
لن تبعدى ولدى السحر والعبق

وهذه لعلى محمود طه ... من وحي المنصورة أيضا ... فى قصيدة عنوانها « مخدع مغنية » .

وابرز ظاهرة فى هذه القصيدة ، ان الحسية التى اشتهر بها على محمود طه بعد أن نزح الى القاهرة ، هى نفس الحسية التى ينكرها ويستنكرها ويلوذ بالفرار منها فى هذه الابيات ، قبل أن تشعل دمه لفحة القاهرة :

معبد للجمال والسحر والفتنة يغدى لقدسه ويراح
دخلت بى اليه ذات مساء .. حيث لا ضجة ولا اشباح
لم نكن قبل بالرفيقين .. لكن هى دنيا تتيح مالا يتاح
وجلسنا .. يهفو السكون علينا .. ويرينا وجوهنا المصباح
هتفت بى : تراك من انت يا صاح ؟ فقلت المعذب الملتاح
شاعر الحب والجمال ... فقالت : ما عليه اذا احب جناح
واحتوى راسى الحزين ذراعاها ... ومرت على جبينى راح
ورات صفرة الردى فى شفاه احرقتها الانفاس والاقداح
فمضت فى عتابها : كيف لم ندر بما برحت بك الاتراح ؟
ان اسانا اليك ، فاليوم يجزيك بما ذقته رضى وسماح
ولك الليلة التى جمعتنا ، فاغتنمها حتى يلوح الصباح
قلت : حسبى من الربيع شذاه . ولعينى زهره الفواح
نحن طير الخيال ، والحسن روض كلنا فيه بلبل صداح
فنيت فى هواه منا قلوب .. واصابت خلودها الأرواح

أما م.ع الهمشرى ـ وقد كان يؤثر ان يكتب اسمه هكذا ... تأثرا بشاعره الاثير فى الادب الانجليزى ب.ب. شلى ـ فكانت تغلب عليه الريفية اكثر من أصحابه الثلاثة ، مع انه الباقى الجد ... تركى الملامح .

ذلك انه ولد فى رأس البر ، ونشأ فى السنبلاوين، واحب فى قرية اسمها « نوسا » قريبة من المنصورة ، وتعلم فى المنصورة

وهذه قصيدة حبه الاول والاكبر ... وعنوانها « الى نوسا » :

منك الجمال ومنى الحب يا نوسا
فطلى القلب ، ان القلب قد يئسا
يا حبذا نسمة من توحة خطرت
اطالت النفس من اسبابها النفسا
اضمها ضم مشتاق به خبل
قد رام كتم هوى احبابه فنسا
ان تسمعى قرع ناقوس بقريتكم
فى مطلع الفجر ينعى الليل والغلسا
فانه قلبى المنكود ... يذكركم
فهل سمعت بقلب قد غدا جرسا ؟
وان تألق برق فى سماواتكم
فانه من لهيب القلب قد قبسا
الروح ان تلمثت يوما ، فحاجتها
خمر سماوية فاحت بها قدسا
وانت يا « توح » روحانية خلقت
لكى ترينا علا الجنات منعكسا
هذا جمالك يدعونى لأعشقه
لكن ثغرك يا دنياى ما نبسا
الله يشهد انى حين اذكركم
اذيل دمعا على الخدين محتبسا
عسى نسيم الصبا يسرى فيسعف بى
قلبا يموت حزينا فى الغرام ... عسى
فان بعثت لنا عن « توحة » خبرا
فكم يحبك هذا القلب يا نوسا

بقى من هؤلاء الاربعة ، واحد ، هو الذى يروى لكم هذه القصة . وهو فى هذه الابيات يحدثكم عن ليالى المنصورة :

آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ؟
يوم ودعتك .. ودعت شبابى
اين احلامى على تلك الروابى ؟
ذابت الاحلام فى قلبى المذاب
لى حبيب فيك افديه بعمرى
سمرة النيل على خديه تجرى
هو الهامى واحلامى وشعرى
ونعيمى بين عينيه وسكرى
كان عند الليلة الظلماء بدرى
وله نجواى فى دنيا اغترابى
اترى يذكرنى بعد الغياب ؟
آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ؟
يوم ودعتك .. ودعت شبابى
يا عروس النيل والبحر الصغير
حدثى عن ملك الغرب الغرير
يوم أن جاءك فى ذل الاسير
لفتى من آل أيوب أمير
ذكره لا زال نفاح العبير
وهب النصر الى الأسد الغضاب
من بنى المنصورة الغر الاوابى
آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ؟
يوم ودعتك .. ودعت شبابى

***

يا منى الشرق وباريس الجنوب
من كابناتك فى غزو الشعوب
شهداء المجد .. ابطال الحروب
وكفاداتك فى غزو القلوب
بالعيون السود واللحظ اللعوب
المنى بعدك من وهم السراب
والصبا فى غير لقياك تصابى
آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ؟
يوم ودعتك .. ودعت شبابى

***

قد صحبت النيل من فجر الصعيد
لرشيد .. والى اخت رشيد
ما دعا لحنى ، ولا غنى نشيدى

غير غاداتك فى الخطـو الوئيـد
حين يخطرن على النيل السـعيد
بالوجوه السمح كالنور المذاب
يتهادين بمعسـول الدعـاب
آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ،
يوم ودعتك .. ودعت شبابى

***

على ان قصة شعراء المنصورة لم تنته ، ولن تنتهى ...

ذلك ان المنصـورة ارض طيبـة ، تنبت الحب والجمال ، وتثمر الشعر والخيال .

ولا تزال هذه الارض الطيبة ، التى نفحت مصر بناجي وضـه والهمشرى ، وبغيرهم من الشعراء الذين عاصروا جيلنا هناك ، ثم آثروا الصمت ، وانصرفوا عن الشعر ، كمختار الوكيل ومحمد رجب وسعيد السحراوى وجميلة العلايلى وملك السراج ... اقول لا تزال تنبت نبتها فى هـذا الجيـل الشاعر ، ومن ازكى هذا النبت ، الشاعر محمد الجيار ، الذى صدر له اخيرا ديوان « على الارض السلام » ..

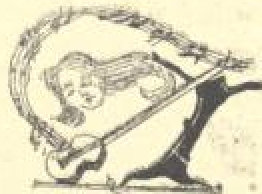
ومن هذا الديوان ، من وحى المنصورة ، ولعينين من المنصورة ، يغنى الجيار هذه الانشودة :

انى ولدت بمقلتيك .. شببت فى هـذى العيون
عينـاك يا سكنى الأخير .. به هربت من الشجون
دنياهمـا حـريتى .. حـرية الروح السـجين
عينـاك .. اى مدى أغوص به لأغوار السـنين
لى فى العبـاب جزيرة خضراء تعشـقها السفين
عينـاك لى ترنيمتـا حب سـاوى حنـون
بلورتان لسـاحر يشـتف غيبـا لا يبين
لا تطـرديني من سـما عينيك لليل الحـزين
فاحس انى آدم يهـوى الى دنيـا المنون
علمتنى حبى لـكل الناس .. حتى الحـاقدين
فغدوت احنـو بالعزاء على قلوب اليـائسين
وانا الذى بالدمـع كـم قبلت دمـع البائسـين

***

سـلاما على المنصـورة ... هـذه الارض الطيبة

صالح جودت



وقفة ..

على هامش العدد الهجرى

حول إعادة الثقة بالحضارة الإسلامية

بقلم محمد السوادى

أعترف ـ سعيدا باعترافي ـ بأني تأثرت كثيرا بتلك الباقة المثيرة التي أعدتها « الرسالة » الى قرائها على مطالع العام الهجرى حاملة اليهم فصولا ذات أبعاد.. وبحوثا ذات أعماق .. متنقلة بهم من عرض تاريخي الى سرد قصصي.. ومن نظر فلسفي الى صراع درامي .. هادفة الى ما يشبه « المسح الحضارى » للنهضة العلمية الشاملة التى أخرجت البشرية من « الظلمات الى النور فخفت أوربا الى ترجمتها تبدد بنورها عتمة الليل الذى كانت تعيش فيه .

ولكن « شيئا » فى « عدد الهجرة » أشاع فى قلمى انتفاضة رهيبة .. لم أعد معها قادرا على أن أبرح محرابه .. أو أرده الى قرابه .

فما عسى ان يكون هذا « الشيء »؟ لعله مقال لكاتب ؟

هو فعلا مقال لكاتب .. عنوانه « هجرة جديدة » للأخ الزميل الأستاذ **عبده بدوى** .

وكل الذى أعرفه عن صاحب المقال أنه شاعر موهوب ومبدع .

ويبدو أن الشعر لم يشأ أن يتخلى عن الشاعر .. وهو ينهض فى توفيق بمهمة الكاتب .. فلاحقه الروح الشاعرى وهو يخاطب الرسول ـ ومن وراء السنين ـ ويحدق فى وجهه ليرتوى ـ أى الكاتب ـ ويقتات، وليأخذ زاده الى رحلة الحياة وهو موقف طبيعي ومعقول .. لأن أحدا لا يستطيع أن يطالب شاعرا مسلما يتحدث عن الهجرة بأن يسد أذنيه وهو يسمع اسم الرسول مقرونا باسم الله « والفجر يبعثر النور .. والظهيرة تلم العرق .. والعصر يتمايل بين النسمات .. والمغرب يبذر السكينة .. والعشاء يجعل السكينة يزداد ازدهارها وتضرب بمجاديفها السمراء .. ليصل الانسان الى مرفأ الراحة .. ووجه العبير .. وجزيرة الصمت » .

لا عيب اذن ولا لوم .

ولكن هذا الجمال الذى حلق بالشاعر الى هذا اللون من « الأشواق » أو من « الوجد » لم يكن هو « الشيء » الذى أثار القلم فى يدى .

انما « الشيء » الذى أريد أن أتحدث عنه .. هو عبارة من كلمات أربع .. أو ردها فى مقاله من غير أن يركز عليها .. وان كنت أشهد أنه وضع المقال كله فى خدمتها .. أشبه بالقضية المنطقية التى يختارها كاتب المسرحية.. ويحددها فى بضع كلمات .. ثم يسخر الفصول كلها .. والحوار بأكمله .. والأحداث فى تطورها وصعودها لخدمة هذه القضية .. بطريقة « التركيز غير المباشر » .

وأعنى بالكلمات الأربع .. مطالبة الكاتب بالعمل على « **اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية** » .

وانتفاضة القلم فى يدى..انما تستهدف «التركيز المباشر » على هذه الدعوة الخطيرة ..

والسبب ؟

والسبب فى رغبتى فى « التركيز المباشر » هو الخوف .. خوفى أن يكون المقال قد كتب على طريقتنا فى الصحافة .. يعنى : اقترب العام الجديد.. قررت « الرسالة » اصدار « عدد ممتاز » .. وجب على الزميل عبده بدوى بتكليف من الاستاذ الزيات أن يعد موضوعا .. اختار عبده بدوى موضوعه وأبدع .. أحسنت يا أستاذ عبده .. ثم أسدل الستار .

ومعنى هذا .. أن المقال قد نشر .. ليطوى ..

ولكن الدعوة التى حملها المقال أشد خطورة من هذا الطى المحتمل .. ان الكاتب يؤكد ايمانه بأن الحضارة الاسلامية يمكن أن تؤدى دورها الضخم فى هذا العصر وهو يطالب بالعمل على انزاله « الى حياة الجماهير التى تعتبر السند الحقيقى له » .. وهو اذن يدرك أبعاد دعوته ونتائجها.. وهو يقدر اذن مسئولية التزامه بدعوة جريئة يريد أن ينزل بها الى حياة الجماهير .. ونحن نخوض غمار معركة رهيبة ضد الحضارة المادية .. وهو يحذرنا « من أن يسرقنا أحد لصالحه » فهل يجوز لمثل هذه الدعوة أن تقف عند حد هذا المقال ؟..

واحدة من اثنتين : اما أن تكون الدعوة جادة .. فتستأهل منا دراسة .. واما أن تكون « مقالا »

لطيفا نشر للبشرية .. وتكون الدعوة الى « اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية » قد أمست دعوة «متحفية» ولا سبيل الى بعثها من مرقدها فى التاريخ .. فلا داعى لمزيد من الحديث .

وواضح أن الكاتب جاد ..

وانه يهيب بنا أن نستدعي ماضينا استدعاء لاهوادة فيه .. وان كان الكثيرون من شبان هذا الجيل ــ وبطريقة التفكير المستورد ــ يريدون أن ننفض أيدينا من ماضينا .. وأن نرفض هذا الماضى بكل ما فيه .

والحقيقة :

الحقيقة ــ فى رأيى أن الحضارة الاسلامية يمكن أن تؤدى دورها الضخم فى هذا العصر .. وفى أوسع نطاق .. وعلى أبعد مدى .. وبنجاح مقطوع النظير .. بل لعل هذا العصر بالذات .. هو العصر المهيأ لقبول هذا الدور بالذات .. وعلى صورة غير مسبوقة .. ولعل وراء الصورة يد الله التى « كانت تحمى المصباح والرياح تعصف به » .

هذه الحقيقة .. هى هدفى من هذا البحث .

وأركز على ايمانى بأن هذا العصر بالذات .. مهيأ لقبول هذا الدور .. ومن حيث تنهار حضارة المادة .. تبتدىء حضارة الاسلام .

ولقد دخل عالم المادة كله ــ بغير تفريق مذهبى ــ فى دور الضياع والملل .. واتجاه الفكر الأوربى الى « العبث » و « اللامعقول » .. هو آخر شوط .. حاول فيه الجائعون الى المعقول .. أن يصلوا بين « الجوانية » مذهبيا .. و « البرانية » تطبيقا .. فمنيت محاولاتهم بالخيبة .. فضربوا باجنحة اليأس فى الفراغ .. وفى الضياع .. فكان لا بد للعقل غير الواعى أن يبسط سلطانه على أطلال هذه الحضارة المنهارة .. برغم أن السطح ما يزال محتفظا بالبريق

وناقوس الخطر الذى يجلجل الآن فى كل مكان دقته أيديهم هم .. ولم تدقه لهم .. يد عربية متحازة الى عربيتها .. لا يد اسلامية متعصبة لاسلامها .. وحسبى أن أشير الى القمة المرعبة التى صورها « شبنجلر » أو رسمها قلمه لمصير هذه الحضارة .

ما أشبه الليلة .. بالبارحة :

وفى رأيى أن البشرية فى هذه الايام .. تكاد ترتد الى المكان الذى كانت تقف فيه قبل ظهور الاسلام يوم احس الانسان انه « يعيش فى غربة » وانه معزول عن الحياة » وانه يعانى « العقم » فى كل شىء كما قال الأستاذ الكاتب .. فاشرق عليه الاسلام حاملا اليه الأنس يبدد به الغربة .. والحب يبدد به العزلة .. والخصب يتجلى على أصحاب الرسول فاذا هم « ينفضون عن عباءاتهم الرمل والملل واذا بهم بعد سنين قليلة يخوضون فى المحيط الأطلسى ثم يعتذرون الى الله بانه لا توجد أمامهم أرض يمكن أن تتحرك فوقها خيولهم » .

والسؤال هو : هل يمكن أن يؤدى الاسلام مرة أخرى .. نفس الدور الذى أداه عبر التاريخ أول مرة ؟

يجب أن نواجه التاريخ ليتولى الاجابة :

لقد تدخلت الحضارة الاسلامية فى مجرى التاريخ مرة فحولت مجراه .. هذه حقيقة وتدخلت فى سير التفكير الانسانى مرة فعدلت مساره .. وهذه حقيقة وكانت طريقتها فى تفجير طاقات الانسان الثورية على العفن الذى كان يعانيه .. أنها ملأت رأسه بأفكار جديدة .. وملأت قلبه بقيم جديدة .. فملك ما نسميه فى لغة العصر الحديث .. « ارادة التغيير » ومن حسن الحظ أن الحضارة المادية .. قد أهدرت « الفكر والقيمة » اهدارا .. وحقرت من شأنهما تحقيرا .. وجعلت منهما ذيلين لسير الأحداث .. مع أن الأحداث لايمكن تغيير مجراها ولا تعديل مسارها بغير الفكر يملأ الرأس والقيمة تملأ القلب ولم يستطع الاسلام فى صدره أن يعيد تشكيل الواقع الا بما ملك من الفكر والقيمة .

واشهد أن هذه الحقيقة لم تفت الكاتب فعبر عنها بطريقته وهو يتحدث عن أصحاب الرسول فقال انهم « بمجرد احساسهم أنهم يمتلكون فكرا جديدا .. اعتقدوا أنهم لا بد أن يتحركوا هم الآخرون ليكونوا فى مستوى حركة الفكر التى كانت تشغل قبل ذلك نفوسهم ثم أصبحوا بعد ذلك يمتلكونها ويشدون عليها بالأيدى وبالأنفس » .

ومن هنا نبتت فكرة الكاتب .. أو دعوته .. الى « هجرة جديدة » وأكد بحق أن الاسلام قادر على أن

يقول كلمته فى كل شىء .. وان ، من اليسير رد كافة الايديولوجيات التى تحكم الانسان واقتصاده فى عالم اليوم الى جزئيات من كليات الاسلام الشاملة.

وهذا كله حق ..

ولكن مهمة اقناع الجيل الاسلامى المعاصر بهذا الحق .. مهمة شاقة .. بسبب الأجهزة التى استوردناها .. وأمست تدير طريقة التفكير فينا .. ونجاحنا فى هذه المهمة .. هو وحده الذى يعيد الثقة بالحضارة الاسلامية ..

ومرة اخرى :

مرة أخرى أقول : ان من حسن الحظ .. أن يتجه الكثيرون من فلاسفة العصر الى مواجهة الحقائق بشجاعة .. والى تسفيه المادية وما تمخضت عنه من رزايا الضياع والملل .

وقد أسعدنى أن يتجه المفكر الكبير الدكتور زكى نجيب محمود الى أن يدلى بدلوه على صورة رائعة وهو يناقش « الحتمية » و « ارادة التغيير » عند الماركسيين ويثبت التناقض الواضح بينهما ، لانه مع الحتمية لا تكون ارادة من جانب الانسان اذ لا يبقى لهذا الانسان ازاء تطور التاريخ الا أن يتفرج على ما يحدث له وللمجتمع وللطبيعة على حد سواء ، فاحدى اثنتين ، اما أن يكون التاريخ محتوم المسير ، وبذلك لا يكون فى خطواته **جديد** أو أن يكون فيه **جديد** يظهره مرحلة بعد مرحلة وبذلك لا يكون محتوم المسير » .

ومن هنا قلت ـ وأعيد القول ـ أن هذا العصر بالذات مهيأ لقبول هذا الدور .. دور الحضارة الاسلامية .

واعود :

أعود الى الدعوة التى توجه بها الزميل عبده بدوى .. الى « هجرة جديدة ، تخرجنا مرة أخرى ، من الظلمات الى النور » .

ونحن اذ نؤيد هذه الدعوة .. انما نؤيدها على مستوى العصر وتقاليده .. وعلى مستوى الفضاء والسفن السابحة فيه .. وعلى أساس الخاصية الكبرى ـ من خصائص الاسلام ـ وهى قابليته للتطور .. ومسايرته للترقى .. وللارتفاع الى كل مستوى فكرى .. لأى عصر يفكر .

أعود الى الدعوة لأقول ان الأخ عبده بدوى وزملاءه الذين يملكون شيئا من السلطان فى قطاع النشر .. مطالبون بمواصلة هذه الدعوة .. والالحاح عليها .. والمطالبة بعملية ، توعية ، بحضارة الاسلام تنطوى على عناصر الاستهواء .. وتنطلق الى كل الأرجاء .. وتتكاتف فيها أجهزة الاعلام .. بدءا بالطفل فى روضة الأطفال .. وانتهاء به مع نموه الى المراحل الجامعية .

وللمرة الثالثة :

ومن حسن الحظ مرة ثالثة .. أن دعوة الكاتب قد مهدت لها الجمهورية العربية عندما فتحت ذراعيها لعلماء المسلمين يجتمعون فوق أرضها ليمثلوا شعوبهم وليصدروا فى جلسة الاربعاء ١٩ مايو وبالاجماع قرارا بالموافقة على انشاء صندوق تمويل من جميع الدول الاسلامية لنشر الدعوة الاسلامية فى جميع انحاء العالم . واعادة الثقة الى الحضارة الاسلامية شىء .. ونشر الدعوة الاسلامية شىء آخر .

ولكن الاثنين جناحان لطائر واحد ..

وفى ظل نشاط العلماء على مستوى الدول .. وبقوة التمويل والموعظة .. وبنور الايمان يغزو الظلمات فى المجاهل .. يمشى الفكر الحديث مزودا بوسائله العلمية الى اعادة الثقة بحضارة الاسلام بالافكار تملأ الرءوس وبالقيم تملأ القلوب .

اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية لا تعنى نشرالدعوة ولا تعاليم الاسلام ولا أحكام الشريعة فليمض العلماء الأجلاء الى الدعوة الى الله فى مختلف الدول وعلى كافة المستويات وليمض معهم مجمع البحوث الاسلامية فى مهمته العظمى فى حمل أمانة الدعوة الى الناس كافة .. ثم ليمض رجال الفكر الى اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية .. بمواهب أخر .. أكثر عصرية .. وأكثر فاعلية .. وبوسائل أخر .. تتصل بالتربية وبرامجها .. والمذاهب وفلسفتها .. والتاريخ وحقائقه .. وتتساند فيها فروع المعرفة كلها .. وتلتقى فى النهاية بالأهداف التى تعمل لها أجهزة الدولة اليوم نشدانا للعدل ونشرا للخير .

اريد أن أهيب بالزميل الكاتب واخوانه ـ ومنهم اخوان لى زاملونى طويلا ـ أن يتابعوا دعوتهم فى اصرار ـ وايمان .. وبهذه المتابعة المصرة المؤمنة .. يمكن أن نرفع الراية فوق السارية .. وبغير هذه المتابعة .. سوف يذهب المقال المليح مع الريح .. واخشى أن تشتد الريح .. وفى لوعة أشد مرارة من الخشية .. اضرع الى الله الا تنطفىء المصابيح .

« محمد السوادى »

أين الشاعر الموهوب ..؟

للدكتور : عبد الرحمن عثمان

- ٤ -

سيجد قراء الرسالة فى الأحداث التى كان يموج بها العالم العربى الجواب الذى ينتظرون ، وبها وحدها سيهتدون الى مطالع المواهب والنبوغ عسى أن يظفروا هناك بالموهوبين والنابغين !!

وحينما يطالعهم الجواب من خلال الأحداث التى سنستعيدها معهم فى هذا المقال سوف يدفعون عنا الكثير مما نتوقع من اتهامات بالتجنى على الشعراء الناشئين الذين تعج بهم دولة القريض ، وتعمر بهم سوق الشعر ، ولعلهم يخففون أيضا علينا ماترتقب من حملات مشبوبة ومصاولات حامية الوطيس تلك التى ربما كان من أيسرها وأخفها وقعا حرماننا من التذوق الفنى ، وتجريدنا من فهم معانى الشعر الذى ينظمه شعراؤنا المعاصرون داعين فيه الى الوطنية ، والوحدة العربية الشاملة ، واقامة المجتمع المتماثل الذى يسوده العدل ، وتتحقق فيه المساواة وتكافؤ الفرص .

ولا ريب أن قراء الرسالة ـ وهم صفوة الفاقهين لحقيقة الشعر ـ سوف لا ينخدعون بموضوعات الشعر عن جماله الذاتى الذى ينبغى أن يتوافر له من حيث هو فن آسر ، وحسن صراح ، فالموضوعات الشعرية شىء ، وجمال القريض شىء آخر ، اذ الشعر لا يقبس جماله من أهدافه النبيلة الا بعد أن يتم له الحسن والقبول من روعة نسجه ، وصفاء ديباجته ، وكثرة مائه ، ولا تأتيه هذه الخصال الا من نبع الملكة الكاملة، ومعين الموهبة الفياض ، وحين يجتمع كل هذا للشعر يستولى على القلوب ويخلب الألباب والأفئدة .

وهذا الأثر المرجو للشعر الجيد هو الأساس الذى ينبنى عليه الحكم بالحسن والقبح فى مجال نقده وتفضيل نوع منه على آخر ، فقد سئل ناقد ذواقة : من أشعر الشعراء ؟ فكان جوابه : أشعر الشعراء من أنت فى شعره حتى تفرغ منه .

وقد فطن الشاعر الفرنسى الكبير والأب الروحى للمذهب الرومانتيكى « فيكتور هيجو » الى اعتداد بعض الشعراء بالموضوعات الشعرية اعتقادا منهم أن نبل الموضوع وشرفه يرفع من قيمة الشعر ولو كان رديئا ، فأكد لهم أن كل موضوع يصلح للتناول وأن المدار فى الحكم على الفنون الشعرية انما يرجع الى شىء واحد : هو الجودة أو الرداءة ، والموضوع بمعزل عن هذا ، ولكن الهدف اذا كان شريفا مع حسن الصياغة وجمال التصوير اكتسب به الشعر شرفا على شرف ، وازداد به جمالا على جمال .

ولا أحب أن أشق على قراء الرسالة فأستعيد معهم الأحداث المتعاقبة التى توالت سراعا على المسرح العربى منذ أواخر العقد الخامس من هذا القرن ، بل سأقصر حديثى معهم على أحداث ثلاثة هزت المشاعر

العربية هزا غير رفيق ، وافعمتها بالانفعالات التى انتظمت النفوس الموهوبة وغير الموهوبة على السواء ، فقد انفعل بها الفلاح فى حقله ، وتأثر بها العامل فى مصنعه ، ووعاها المثقف فى مجاله الثقافى وعيا جرى فى كل قطرة من دمه ، لأنها من جسام الحوادث التى تحفر آثارها على القلوب والضمائر ، فقد كانت بدايتها ضياع فلسطين العربية ، ثم ما استتبع هذه النكبة من ثورات وطنية هنا وهناك ، حتى انتهت بالحماقة التى اقترفها الاستعمار حين اعتدى على بور سعيد بقواته التى انسحبت بالخزى والعار .

ان كل قارعة من هذه القوارع كانت كفيلة بأن تحرك فى خواطر الموهوبين من شعرائنا المعاصرين موجات شعورية صاخبة، تفيض بها مشاعرهم لتحرق بنارها أعداء الأمانى الوطنية من غاصبين ومعتدين ، وليسرى على نورها أبناء هذا الجيل مستحدثين الخطا نحو أهدافهم الوطنية وأمانيهم القومية .

فهل نستطيع أن نقول : اننا ظفرنا فى هذه الغمرة بشاعر واحد وصف لنا الهول الذى عاشت فيه أمتنا، أو وضع أيدينا على الجراحات الأليمة التى تركتها نكبة فلسطين ، وخلفها العدوان الثلاثى الأحمق ؟! وهل نستطيع أن ندعى لشعرنا المعاصر : أنه نثر مفاخرنا الاشتراكية ، أو جال فى مفهومها الأصيل مستحدثا فيها سبلا ، ومضيفا اليها ما يلائم طبيعتها ويعمق من مجراها ؟!

ان الشعر المعاصر لم يصف المأساة على نحو تجده دائما فى قلوبنا ، ولم يستحدث جديدا فى أمر الاشتراكية تتوق اليه هممنا وتنشط له عزماتنا ، فما عسى أن تكون رسالته حينئذ ؟ انه يبدو فى تقديرنا متجردا من الامتاع والفائدة على السواء ، وما نراه الا أنه يقف عاريا من كل فضيلة تكسبه حسنا ، اللهم الا اذا كان مجرد النظم فضيلة يرقى بها فى درجات الحسن والقبول !!

ان ما نظم من الشعر فى هذه الأحداث كثير كما نعرف ، ولكن الجيد منه ينكمش فى صورة أبيات متناثرة خلال القصائد ، وتلك الأبيات لا يمكن أن تؤلف وحدة شعورية تتعاون فى خلق الأثر الذى يسيطر به الشعر على النفوس .

نحن لا نظلم الشعراء المعاصرين حين نحكم على قصائدهم الوطنية هذا الحكم الذى قد يرونه جائرا ، لأننا نريد منهم خيرا مما يقدمون الينا ، وفى بعضهم نبوغ وكفاية ، فهم قادرون على نظم الرائع الآسر لو تخلصوا من قيودهم التى قيدوا بها أنفسهم ، ولن نقنع منهم بالمحاولات الموسومة بالفتور ، والمتشحة بالأردية الباهتة التى نصل لونها .

اننى لا أكاد أسمع فتى أو كهلا يردد قصيدة أو ينشد بيتا من شعر هذه الفترة ، لأنه حين ينتهى من قراءته أو سماعه يجد الصور متشابهة أمام ناظريه ، ولا يحس بأن هناك بيتا منها أصبح لاصقا بطبعه وماثلا فى ذاكرته ، والمرء حين يخلو الى نفسه يدعها لتحدثه بما وقر فيها من خير أو شر ، فاذا أرادها ان تحدثه بما سمعت من خير أو شر من هذا الشعر وجمت ولاذت بالصمت الموحش !! والسر فى ذلك أنها لا ترى فى شعرنا المعاصر ما يستحق أن يروى .

اننا لا نملك من حجة فى هذا المقام أبلغ من أن نستعرض مع القراء ما وعدنا به فى صدر هذا المقال ، ليروا بأعينهم وليدركوا بألبابهم أن مكان الشاعر الموهوب فى عصرنا لا يزال شاغرا ، وأن الفراغ فيه يمتد الى غير حد .

أولا ـ تآمرت الدول الاستعمارية عام ١٩٤٨ على صميم الوطن العربى فاقتطعت منه قطعة عزيزة علينا وقدمتها الى شذاذ اليهود ، وهذه المؤامرة الخسيسة مست مشاعرنا مسا غير رفيق ، وأفعمت كل نفس عربية بالمرارة والأسى ، وأذاقتها طعم الذلة والهوان .

ولا أحسب أن شعراء العرب لم يحسوا هذا الاحساس الأليم ، ولكن الذى أحسبه أن انفعالهم بهذا الحدث الجسيم لم ينتقل فى صورهم الشعرية الى مشاعر الشعب ، ولم يظهر على هيئة فن مثير يهز به الفنان الأصيل الوجدان الوطنى الذى كان يغلى ولا يزال ، فان أكثر ما قرأناه ونقرؤه من قصائدهم التى نظمت فى نكبة فلسطين تحمل ـ كما قلنا ـ احزانا وآلاما مما يجدها الشعب كله فى كيانه ، فهى أشبه بالحكاية التاريخية منها بالشعر المؤثر ، وليس فيها ذلك المعنى القوى الذى يهيج النفس ويجدد فيها ألمها ، ويستثير منها أملها .

ثانيا – لم يكن الشعر المعاصر أحسن حالا مما قدمناه وهو يعبر عن الثورات التي نجمت عن هزيمة سبعة جيوش عربية في حرب فلسطين . فقد كان لما لمسه جنودنا البواسل هناك من غدر وتفكك في الصف العربي ، ومن عبث الدول الغربية بآمالنا المشروعة ما جعلنا نفكر في حاضرنا ومستقبلنا على أسس جديدة تدعمها الوحدة الشاملة وتسندها عدالة في توزيع الثروة القومية ، ويشد أزرها تحرر من قبضة الاستعمار الغربي وتخلص من مناطق نفوذه المنبثة في شتى الأصقاع .

وما هي الا سنوات أربع حتى انطلقت في مصر ثورة بيضاء نبعت من الشعب ، واتجهت الى رفاهية الشعب وسعادته ، ثم تلتها ثورة حمراء قانية في الجزائر أحرزت انتصارها بعد سنوات طوال بالدم الذكي الذي خضب كل شبر في تلك الأرض الطيبة المناضلة ، وكان الشعب في سوريا يراقب الأحداث ويتجمع للوثبة فتعاقبت عليه ثورات وثورات مما يدرك خفاياها الراصدون من رجال السياسة ، وكان في العراق غليان انتهى بالثورة الوطنية الأخيرة ، كما انتهى حكم المظالم في اليمن الشقيق ، ولا تزال الأحداث تتوالى في السودان على نحو ما تعرف الآن .

فكل هذه الفورات الوطنية شهدناها عارمة في الوطن العربي ، ولم نشهد من الشعر المعاصر الا حماسة فاترة ، شأن من يرقب النهاية ولا يريد أن يقول كلمته قبلها !!

ان تلك الانتصارات العربية الرائعة اكتفى فيها الشعر المعاصر بالتصفيق والهتاف والمدح الذى لا يحتاج إليه أحد ، ولم يشأ أن يشارك في المعركة الكبرى بالرأى والتوجيه ، حتى أصبح بعض شعرائنا لا يختلفون في قليل أو كثير عن « فتوات » الأعراس وهم يؤدون « الواجب » الذى يفرضه عليهم تطفلهم على عرس فرضوا أنفسهم عليه فرضا .

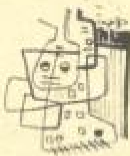
ثالثا : هكذا كان شأن الشعراء في العدوان الثلاثي على مصر . فنحن اذا استثنينا بضعة أبيات من قصائد ليست بالمستفيضة ، وجدنا نسقا من النظم يجرى على أوزان العروض ، ولا يسبح بأى حال من الأحوال في فلك الشعر الأصيل .

وبعد .. فأمير الشعراء أحمد شوقي يصور لنا الطبيعة الفنية والنبوغ في الشعر حين يقول في شكر من بايعه بامارة الشعر :

انما أظهروا يد الله عندى
وأذاعوا الجميل من احسانه
ماالرحيق الذى يذوقون من كر
مى ، وان عطشت طائفا بدنانه
وهبونى الحمام لذة سجع
أين فضل الحمام في تحنانه ؟!
وتر في اللهاة ، ما للمغنى
من يد في صفائه وليانه

وعلى ضوء هذا كله نستطيع أن نقول في ثقة ان الشاعر الموهوب لم يظهر بعد في جيلنا ، وان أحدا لا يجرؤ على التنبؤ بوقت ظهوره ، فالنبوغ في مجال الفنون لا ضابط له ، وان انضبطت قوانينه وقواعده في العقول التي ألفت المنطق ، وتعودت أن تستقيم على منهجه فيما تحاول من تجارب وبحوث ، وسوف نزيد الأمر وضوحا في المقال القادم .

د. عبد الرحمن عثمان



الفردية كما يصورها القرآن



بقلم : علي العماري

حين يستحكم الشح في نفس الانسان يفقده انسانيته ، ويجعله (أنانيا) أثرا ، لا يحب الا نفسه ، ولا يطلب الخير الا لها ، فهو — حينئذ — يشعر شعورا قويا بذاته، ويخيل اليه ان الدنيا ، وما فيها لم تخلق الا لمنفعته ، أو ينبغي ان يكون الأمر كذلك، وتبعا لهذا الشعور يضؤل شعوره بالجماعة ، أو يمحي ، بل ربما تمكنت البغضاء والحقد في نفسه عليها ، لا سيما اذا لم ينل كلما يرغب فيه فيكون شعاره **اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر** .

وقد يتمثل هذا الشح في حرمان الآخرين من الخير الذي حبسه الشحيح على نفسه ، وقد يستبد به الشح فيحرم نفسه كما يحرم غيره ، لأن لذته — حينئذ — ليست في الأكل الهنيء ، والملبس الفاخر ، والمركب الفاره ، وانما شهوته ان يجمع المال ، وان يجمعه فقط ، وهذا شان أكثر البخلاء ، يحرمون الناس مما أعطاهم الله، ويحرمون انفسهم، ويكتفون بان تنال نعيمها في النظر الى المال ، مقيدا في خزائنه او محبوسا في مصرف . ومن شان هؤلاء الا يقتنعوا بمال مهما كثر ، فهم — دائما — يشعرون بالحاجة الى الجمع، بل كلما كثر عندهم المال زاد خوفهم من الفقر ، وليسوا في هذه الحال باهدأ بالا ، ولا باقر عينا من الفقراء ، وهذا معنى قول المتنبي :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر ، فالذى فعل الفقر

ولا سبب لكل هذا الا طغيان (الفردية) على هؤلاء البخلاء ، وسيطرة غريزة (الملك) على نفوسهم ، وذهاب الاحساس بالجماعة بعيدا عن دائرة شعورهم .

والقرآن الكريم يحارب هذه الفردية الطاغية التي تصل بصاحبها الى الأثرة ، والى حرمان ذوى الحقوق حقوقهم ، ويدعو المؤمنين الى ان يحسوا بالمجتمع الذى يعيشون فيه ، وان يؤدوا ما له عليهم من حقوق .

وهو — حين يحارب الفردية — لا ينهج منهج الشيوعية التى تحاول جاهدة أن تقتل كل النوازع الفردية ، وحين يحترم ارادة الفرد لا يذهب مذهب الراسمالية التي تصرف كل جهودها في سبيل سيادة أفراد في المجتمع على آخرين فيه .

وانما يهدف القرآن ، وكل تعاليم الاسلام الى **الوسطية** فهو يعترف للفرد بوجوده ، وبغرائزه ، وعواطفه ، وميوله ، وكل نوازعه الشريرة ، والخيرة، ويعترف للمجتمع بحقوقه على افراده ، ويحاول ان يقيم التوازن بين احساس الفرد بنفسه، واحساسه بالجماعة .

وفى النفس الانسانية نزعتان قويتان ، احداهما تميل به الى ذاته ، والاخرى تجذبه الى مجتمعه ، وتغلب احداهما على الاخرى ربما اضر بالحياة العامة فقد أخطات الشيوعية حين ألغت وجود الفرد فيما يتصل بالملكية الفردية ، وأخطات الراسمالية حين أعطت للفرد ان يملك ما يشاء دون اعتبار للآخرين، وان كانت خففت من حدتها أخيرا تحت ضغط النقد الشديد لها، فاتبعت نظاما فى الضرائب لا شك انه أخفى جانبا من مساوئها ، ولكن غلطتها الكبرى هي عملها الدائب على افساد الطبيعة الانسانية القويمة .

والنظرية الاسلامية تقوم — كما قلت — على الوسطية ، فهى تبيح الملكية الفردية ، وتبيح للمسلم ان يتمتع بالطيبات من الرزق ، بل ، وتدعوه الى ذلك ، وبجانب هذا تنبهه في كثير من نصوصها الى الذين يحيطون به من ذوى الحاجات ، بل ، وتنبهه الى حاجة الدولة ، وحاجة المجتمع — بعامة — الى بعض ما في يده من مال . فاذا بخل وشح كان على

الحاكم أن يأخذ منه حق الفقير ، وأن يأخذ منه ما تقضى المصلحة العامة بأخذه .

ففى القرآن الكريم أكثر من سبعين آية ، تحث على الانفاق ، وتحبب فى البذل ، وهذه الآيات كلها تهدف الى ايقاظ عاطفة الخير فى الانسان ، والى التقليل من خطر الفردية ، الذى قد تغلغل فى بعض النفوس الانسانية .

ولقد سلك القرآن منهجا تربويا سليما فى نقل الانسان من فرديته الاثرة الى جماعيته الخيرة .

ففى السور الأولى التى نزلت بمكة ساس النفس بسياستين حكيمتين ، تكفى كل منهما ، لكى تستل من النفس المؤمنة ما يكون قد شاع فى شبابها من دواعى الانانية التى تنميها البيئة ، والتربية الفاسدة .

الأولى :

النعى على المرضين حبهم الشديد للمال، وعملهم الدائب لجمعه وكنزه ، واعتدادهم البالغ به ، وخديعتهم فيه ، وظنهم أنه اله يعبد ، وتكاثرهم ، ومفاخرتهم به حتى ألهاهم ذلك عن طاعة الله .

ففى أول سورة نزلت من القرآن ردع شديد لمن كفر بنعمة الله عليه ، فطغى حين كثر ماله ، وتهديد له بأن مرجعه الى الله ، فسيجازيه على طغيانه : (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى أن الى ربك الرجعى).

واذا كانت هذه الآية نزلت فى أبى جهل — كما يقول المفسرون — فان ذلك لا يمنع أن يكون هذا شأن كل معرض عن آيات الله ، وان الله يحذر كل من يطغيه المال .

وفى السورة التالية ، وهى سورة القلم جعل كثرة المال أحد الأسباب التى تحمل الحمقى على التكذيب بآيات الله ، وقد جاء هذا الحكم على أحد كفار قريش — وهو عام — بعد ما وسمه القرآن بمياسم من العيوب ، لم يصف بها أحدا قبله ، ولا بعده ، فهو كثير الحلف بالباطل ، حقير ، ذليل ، مغتاب ، يكثر من الطعن على الناس ، والعيب فيهم ، ويسعى بالنميمة للافساد بينهم ، وهو بخيل بالمال ، مانع لكل خير ، صاد عن سبيل الله القويم ، وهو ظلوم فاجر ، سيىء الخلق ، شديد فى الخصومة بالباطل.

ومع كل ما وصف به من هذه الصفات المذمومة هو دعى فى قريش ، ينسب اليهم ، وليس منهم : (ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين).

فهذا الصنيع الذى ينظم البخل فى جملة هذه الصفات الكريهة ينبه الاذهان الى شناعة البخل ، ومن ثم الى ما يجره المال على صاحبه حين يمنعه عن ذوى الحقوق فيه .

وهذه الصفة (مناع للخير) اشارة بالغة فى أول العهد بالدعوة، وبنزول القرآن الكريم الى ما يبغضه الله سبحانه من صفات، وما يدعو اليه الدين الجديد من محاسن الأخلاق .

نعم ، كان العرب يكرهون البخلاء ، ويحتقرونهم، ويسمون البخيل (الفاحش) فاقر القرآن هذا الوجدان فيهم ، وسمى البخل (فحشاء) فى قوله : (الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء) ولكن الحديث عن البخل فى ثانية السور نزولا يدل على مدى سخط الله على البخل ، والبخلاء .

واذا كانت آيات سورة (العلق) وصفت الانسان بالطغيان حين يستغنى، وآيات سورة (القلم) أخبرت أن المال كان أحد سببين فى التكذيب بآيات الله فان آيات أخر من سورة (الهمزة) أشارت الى ان المال يحمل صاحبه على احتقار الناس ، وأنه يخدع صاحبه فيظن انه يخلد فى الدنيا ، ولا يموت ليساره ، وغناه ولذلك تهدد القرآن أمثال هذا الغنى بالويل فى أول الآيات ، وبالنار التى تحطم العظام ، وتكسرها فى آخرها : (ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن فى الحطمة).

والمراد بالهمزة اللمزة من ينال من أعراض الناس، ويغض من أقدارهم ، ويطعن فيهم ، ويدخل فيه من يحاكى الناس فى أقوالهم ، وافعالهم ، وأصواتهم ليضحك منهم .

ومن أوائل السور نزولا سورة (العاديات) وفيها وصف الانسان بأنه شديد الحب للمال : (وانه لحب الخير لشديد) ، وسورة (الفجر) وفيها قوله تعالى: (وتحبون المال حبا جما) والسياق فى الموضوعين يشير الى أن هذا الحب غير محمود ، ذلك انه اقترن فى السورة الأولى بجحود الانسان لنعمة ربه (ان الانسان لربه لكنود . وفى الثانية بأكل التراث أكلا لما .

السياسة الثانية :

عناية القرآن (باليتيم) فى هذه السور الاولى ، فكل من ينعم بعاطفة الأبوة ، وهو غير غافل عن حقيقة الحياة ، يهون عليه البذل لاكرام اليتيم ، فهو على يقين من الموت ، وقد يصبح ابنه فى يوم قريب يتيما ، وربما احتاج الى من يرعاه .

فبهذا الشعور الخليط من الخوف ، والشفقة ، والعطف يعطف القادر على اليتيم ، ومتى هان عليه البذل فى حق من الحقوق، الفت نفسه البذل فى جميع الحقوق الاخرى ، وهان عليه — بل رآه حسنا وجميلا — ما يؤخذ منه فى سبيل مصلحة الجماعة.

على أن القرآن هز قلوب الناس ، وعواطفهم هزا عنيفا ، لا هوادة فيه ، ولا رفق حين عنف الذين يجفون اليتامى ، ويدفعونهم عن حقوقهم ، وأموالهم ظلما ، وعدوانا ، أو يتركون مواساتهم ، وان لم تكن واجبة : (أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين).

قال جار الله الزمخشرى فى هذا الموضع من تفسيره : (جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف، والاقدام على ايذاء الضعيف ، يعنى انه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله تعالى ، وعقابه ، ولم يقدم على ذلك ، فحين قدم عليه علم أنه مكذب، فما أشده من كلام ، وما أخوفه من مقام ، وما أبلغه فى التحذير من المعصية ، وانها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الايمان ، ورخاوة عقد اليقين).

ثم ان هذه السورة القصيرة لم تنته حتى وصمت البخلاء بوصمة لايمحى أثرها ، وطعنتهم طعنة نافذة ، فدعت عليهم بالويل والثبور : (فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون).

فقد وصفت هؤلاء — بعد ان توعدتهم بالهلاك — بثلاث صفات معيبات : التهاون فى الصلاة ، والمراءاة بالأعمال الطيبة ، والبخل . وفى هذا ما يرشد الى أن البخل وخيم العاقبة .

والمشهور فى تفسير الماعون انه ما لا يحل منعه مثل الماء ، والملح ، والغربال ، وكل ما ينتفع به الجيران ؛ قال العلماء : ويستحب أن يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج اليه الجيران ، فيعيرهم، ويتفضل عليهم ، ولا يقتصر على الواجب .

وانما كان منع الماعون مستحقا للهلاك ، لأن منع هذه الاشياء القليلة الهينة — وقد يكون الجار محتاجا اليها — هو الغاية فى البخل ، وهو يدل على ما يتحكم فى نفس المانع من فردية ضارة بالمجتمع.

وهدف القرآن الكريم فى كل هذا التحذير ، والتصوير ليس مجرد حث الانسان على أن يجود بماله ، ولكن أن يقتلع من نفسه حب الذات الذى يمنع من حب الجماعة ، وأن يبعد عنه الأنانية التى لا يقوم معها مجتمع صالح ، وأن يجعل حب البذل والعطاء سجية فيه ، فلا يستكثر ما يعطى، ولايبخل فى حق ، ولا يقعد عن واجب .

وليس من المعقول ، ولا المقبول أن يكون المقصود من وضع البخلاء فى هذا الاطار الذى يهرب كل عاقل أن يضع نفسه فيه مجرد الحث على الاحسان، وانما الذى يمكن أن نعقله ونقبله أن يكون الغرض هو رسم صورة من الصور الشاذة فى المجتمعات ، هذه الصور التى أراد الله للمجتمع الاسلامى أن يتطهر منها ، فانها تشوه جماله ، وتعوق تقدمه ، وتحد من رسالته فى اسعاد البشرية .

على أن هذه الصورة للفردية كما رسمها القرآن لم تتم بعد ، وموعدنا بالحديث عن أطرافها الاخرى فى مقال تال ان شاء الله .

على العمارى

الطير المسافر

للشاعر : ابراهيم محمد نجا

يا طير .. يا مسافرا بغير زاد او متاع
يا من ترافق الغيوم .. والهموم .. والضياع
يا من تصارع الرياح .. زورقا بلا شراع
متى سينتهي المطاف ؟ اين غاية الصراع ؟

يا طير قد ابعدت عن ديارك التي هناك
وفي الديار عشك الحبيب ، والهوى ، ومن هواك
يا طير .. مرت أشهر ، وما رايته ، ولا رآك
والوجد يكوي قلبه .. والشوق نار في حشاك

يا كم رايت من صباح ضوئه الواهي .. دموع
ومن مساء لم ينور قلبه ضوء الشموع
ومن ربيع عشت فيه .. زهرة بلا ربيع
ومن شتاء عذبت رؤاه قلبك الوديع

يا طير كم طرت وحيدا في متاهة السحاب
وتحتك الجبال لفها السكون والضباب
والبحر يبدو من بعيد كالوهاد والهضاب
وكم حملت من عذاب ، واحتملت من صعاب

حتام تمضي في الفضا بلا هدوء او قرار ؟
بحثا لعشك الحبيب عن منابع ازدهار
يا طير في العش البعيد افرخ زغب صغار
والفك الذي سقيته عذاب الانتظار

يا طير .. لن تقوى على احتمال غربة السفر
في كل نبرة .. تضيع قطعة من الوتر
في كل خفقة .. تموت لحظة من العمر
وكل ما تعطي الحياة .. بالحساب والقدر

عد قبل ان يقول صوت هامس : فات الأوان
وقبل ان تطلق سهما نافذا كف الزمان
يا طالما عشت غريبا .. في الزمان والمكان
فعد الى العش الحبيب .. كي تعيش في امان

القاهرة ... من البرج

للدكتور : عفيفى محمود

« سندباد » مر فى رحلته عبر بلادى
ليرى جوهرة الله على صدر البوادى
هذه عاصمة الشرق ... وذا « برج الجزيرة »
اين منه صولجان الفن فى كف أميره ؟!

« سندباد » راح من شرفته العليا يطل
ويملى بالجمال البكر عينا .. لا تمل
لوحة مسحورة الألوان والأضواء .. تفتن
... وبدت فى عينه الأرض عروسا تتزين !

رقدت فى صدرها « القلعة » : قنينة عطر
والبساتين على مفرقها ... اكليل زهر !!
وعلى اكتافها الصحراء : شال من قصب
وتلال القمح فى الشعر : فصوص من ذهب

ومراعى العشب : منديل من القز الثمين
وحقول القطن حول الجيد : عقد الياسمين !

وبدا « النيل » شريطا من لجين
جمل النحر ... وحلى المفرقين

وكان الطمى فى الكف خضاب العنبر
ونخيل « المرج » وشم عبقرى الصور !
و «أبو الهول» مع «الأهرام» فى الصحراء جاثم
فهما فى موضع القلب : حجاب .. وتمائم !!

وانبرت فى الجو آلاف المآذن
شامخات فى قراها والمدائن

كشموع ساطعات زغردت فى حفل عيد
داعيات لعروس النيل بالعمر المديد !



الفلسفة الإسلامية فى جامعات أوروبا

للدكتور: محمد مختار القاضي

استاذ القانون المدني بجامعة الازهر

- ٣ -

فى حديث مضى ذكرت طائفة الرهبان الدومينيكان باعتبارهم خصوم الفلسفة الاسلامية فى جامعات اوربا فى العصر الوسيط ، وقلت ان سبب هذه الخصومة يرجع الى منازعات سياسية ودينية بين مسلمي الأندلس وفرع هذه الطائفة هنالك ، وكانت هذه المنازعات تشتد كلما غربت شمس المسلمين عن سماء الأندلس . ولم يكن من قبيل الصدف ان يتزعم حركة المعارضة للفلسفة الرشدية اخ دومينكي هو القديس البرت الأكبر ، ولد هذا القديس فى بفاريا حوالى سنة ١١٩٣ ميلادية ، واقام بها ثم التحق طالبا بجامعة بولونيا وجامعة بادوفا ، وكانتا من مراكز الثقافةالاسلامية حينذاك . ثم التحق بطائفةالرهبان الدومينيكان، فارسلته الطائفة الى جامعة باريس ، وهناك حصل على لقب استاذ فى علم اللاهوت ، ثم اخذ يعلم بهذه الجامعة على كتب ارسطو رغم انها كانت محرمة . وعند ما شهر اسمه اشار عليه البابا بكتابة رسالة ضد ابن رشد ، فكتبها تحت عنوان « فى وحدة العقل ردا على ابن رشد » ولعل ميول القديس البرت الى الفارابي وابن سينا ، وهما من المسلمين المشارقة ، ومعارضته لابن رشد وهو اندلسى ، لعل ذلك له صلة بالخصومات السياسية بين مسلمي الأندلس والطائفة الدومينيكانية هناك .

ولم يكن تلميذ البرت الأكبر اقل معارضة من استاذه للفلسفة الرشدية . وتلميذه هذا هو القديس توما الأكويني ، وهو اخ دومينكي شديد العصبية وخاصة ضد ابن رشد . فبينما كان يعتبره المعلم الأول فى المنطق واستاذه فى المنهج كان يتهمه بالزندقة فى ارائه وخاصة الميتافيزيكية (ما وراء الطبيعة) وعلم النفس . والقديس توما الأكويني اخ دومينكي معروف ، عاش بين سنتى ١٢٢٥ و ١٢٧٤ وهو ابن كونت دى اكوينى بايطاليا الجنوبية ، التحق فى الرابعة عشرة من عمره بجامعة نابل (كلية الفنون) ثم انضم الى الطائفةوارسل الى باريس فتتلمذ على البرت الأكبر ، ثم سافر مع استاذه الى كولونيا ثم عاد الى باريس واخذ يعلم فى جامعتها . ويبدو متعصبا لآراء ابن سينا وخاصة فى كتابى ابن سينا « فى العقول » و « فى صدور الوجود » ويميل الى ابن سينا وابن رشد ايضا فى رسالة كتبها هو تحت اسم « فى الوجودوالماهية » ولكنه حينما ياخذ باراء ابن رشد ، وهو اندلسى على عكس ابن سينا ، ينسب هذه الآراء لنفسه ، فقد نسب لنفسه نظرية فى حرية الارادة بسطها جلسون باعتبار انها لهذا القديس ، وهى فى الحقيقة لابن رشد . حتى براهينه التى قدمها فى هذه المسالة يسرقها من ابن رشد دون ان يشير اليه .

لم يقتصر التعصب من هذه الطائفة ضد ابن رشد على القديس البرت الأكبر وتلميذه القديس توما الأكويني بل امتد الى اخ ثالث من الاخوان الدومينيكان هو الشاعر الايطالى دانتى (١٢٦٥-١٣٢١) فرغم ان البحث العلمى الدقيق الذى قام به مستشرقو اوربا اثبت ان تصوير دانتى للعالم الآخر سرقه من قصة المعراج او من رسالة الغفران للمعرى،وبذلك يكون مدينا للفكرالاسلامى بشهرته ، رغم ذلك فقد وضع فى جحيمه الفيلسوف الأندلسى ابن رشد ، بين من لم يستطيعوا النجاة بانفسهم من المطهر (الأعراف) بسبب عقيدتهمالدينية ، وضع دانتى هذا الفيلسوف العظيم فى جحيمه فى الوقت الذى كان ينقل فيه الآراء الصوفية لمحيى الدين بن عربى وينسبها لنفسه فى جحيمه ومطهره وجنته فالفلسفة الرشدية عند الدومينيكان كانت اذن محوطة بظروف سياسية او دينية تجعل هؤلاء يحاربونها فى الظاهر ويستغلونها فى مؤلفاتهم باعتبارها من منتجاتهم الخالصة .

وليس ادل على ان خصومة الدومينيكان لابن رشدكانت خصومة خاصة دون ان تغض هذه من قدر الفلسفة الاسلامية فى ذاتها ، ليس ادل على ذلك من ان دانتى ذكر فى كتابين له هماconvita والحياة الجديدة vita naiva ذكر طائفة من علماء المسلمين كالبطروجى والفارابى والغزالى وابن رشد ، كما ان وضعه لسيجر البراباتنى فى الفردوس (مع توما الأكوينى) رغم انه كانرشديا متعصبا ، يدل دلالة قاطعة على ان هذا الأخ لم يكن يحارب تعاليم ابن رشد فى ذاتها وانما كان يحارب شخص ابن رشد

اما انصار الرشدية الحقيقيون فى القرن الثالث عشر فهم طائفة الرهبان الفرنسسكان مثل روجير بيكون،وسيجر البراباتنى

وكان هذا الاخير استاذا بجامعة باريس ، طردته الكنيسة وصبت عليه اللعنة لانه كان رشديا زنديقا (١) .

وبينما كان توما الاكويني يعمل على تحقيق امل استاذه البرت الاكبر ، في انشاء ارسطوطاليسية مسيحية وكان معظم اساتذة كلية الفنون بباريس يراعون العقيدة في عرضهم للفلسفة كان بعض زملائهم يرون في فلسفة ارسطو كما شرحها ابن رشد (الارسطوطاليسية الرشدية) علما قائما بذاته ومثلا اعلى للعقل الانساني . وايد ذلك ان كلية الفنون لم يكن اساتذتها من الكهنة العاملين وانما كانوا اكليريكيين مرشحين للكهنوت ، فكان من الممكن ان يتجاهل بعضهم تعاليم الدين المسيحي الضيقة ، بمقولة انهم يشتغلون للفلسفة دون غيرها ، وان ليس من شانهم التوفيق بين الفلسفة والدين . ولقد انشا هؤلاء الانصار حركة واسعة سموها « الرشدية اللاتينية » بلبلت افكار جامعة باريس ربع قرن ، وقصدوا بها معارضة اراء البرت الاكبر وتلميذه توما الاكويني في جامعة باريس .

واشهر هؤلاء الرشديين سيجر دي برابان او سيجر البرابانتي وكان يعلم بكلية الفنون حوالي سنة ١٢٦٥ وضم اليه فريقا من اساتذة الكلية وطلابها وكونوا لانفسهم مذهبا رشديا ، واتخذوا لهم عميدا ، ولكن زعيم هذه الحركة وهو سيجر حرم من التدريس وطلبه رئيس محكمة التفتيش للمثول بين يديه . ويلوح انه احتكم الى روما او هرب اليها ، لا الثابت ان محكمة روما حبسته في هذه السنة واصدرت ضده حرما كان القضاء المبرم على الرشدية بجامعة باريس .

ولقد كان الرهبان الفرنسيون من الفرنشسكان شديدي التعلق بتعاليم ابن رشد الى ان ظهر فيهم الراهب الفرنشسكاني دينيز سكوت سنة ١٣٠٨ م وعارض الفلسفة الرشدية بغير هوادة .

وانقسم الرهبان الاوغسطينيون فريقين : منهم من عارض الفلسفة الرشدية كما فعل جيل الروماني ، ومنهم من تعصب لها كما فعل بول الفينيسي .

لقد استمر النقل الى اوربا عن الفلسفة الاسلامية الى عصور متاخرة ، واستمر الجحود ايضا . فهذا رينيه ديكارت يقول في القرن السابع عشر بمبدا الكوجيتو وهو اثبات وجود الذات في اى فعل من افعال الفكر : «انا افكر فانا موجود» : « ولا نستطيع ان نشك دون ان نكون موجودين » . يقول بهذه الاراء وينسبها لنفسه وهي لم تخرج عن اية ابن سينا التي اوردها في كتاب « الشفا » (٢) في اكثر من موضع ، وفي كتاب « التنبيهات والاشارات » (٣) .

وليس بعيدا ان يكون ديكارت قد اطلع على اقوال ابن سينا التي ترجمت في العصور الوسطى او قراها في كتابات جيوم الاورني او غيره (٤) .

ونحن اذا قرانا « احصاء العلوم » للفارابي وجدناه في تقسيمه للعلوم يقدم الرياضة المجردة على غيرها لانها واضحة في العقل ، ثم العلوم الطبيعية ، وهي واضحة في الخارج ، ثم العلم الالهي ، وهو الواضح في نفسه ، وان كان يخفى علينا لشدة وضوحه وقصور ذهننا عن ادراكه . هذا التقسيم هو الذي قال به ديكارت وجعله من قواعد منهجه دون ان ينسبه الى صاحبه . فاذا لاحظنا ان احصاء العلوم للفارابي ترجمة جيرار الكرموني في القرن الثاني عشر وانه نشر على يد جيوماس كاميراريوس استاذ الالهيات بجامعة باريس سنة ١٦٣٨ ، وان ديكارت مات سنة ١٦٥٠ لم نتردد في القول بان ديكارت نقل عن الفارابي وجحد مرجعه .

اما ان ينقل ديكارت عن فيلسوف مسلم كابن سينا او الفارابي فلم يكن ذلك غريبا ، فالعهد بهذا داء قديم ، ولكن الغريب ان يطلع علينا فيلسوف فرنسي حديث هو ارنست رينان (١٨٢٣ – ١٨٩٢) فينكر الفلسفة الاسلامية من اساسها ، فبعد ان جدد العصبية الدينية القديمة في صورة أخرى هي التفرقة بين الجنس الآرى الذى ينتمي اليه جماعة الاوربيين والجنس السامي الذى ينتمي اليه جماعة العرب ، قال : ما يكون لنا ان نلتمس عند الجنس السامي دروسا فلسفية ، ومن عجائب القدر ، ان هذا الجنس الذى استطاع ان يطبع ما ابتدعه من الاديان بطابع القوة في اسمى درجاتها ، لم يثمر ادنى بحث فلسفي خاص ، وما كانت الفلسفة قط عند الساميين الا اقتباسا صرفا جديبا ، وتقليدا للفلسفة اليونانية .

ويقول ايضا « من الخطا وسوء الدلالة بالالفاظ على المعاني ان نطلق على فلسفة اليونان المنقولة الى العربية لفظ «فلسفة عربية» مع انه لم يظهر لهذه الفلسفة في شبه جزيرة العرب مبادىء ولا مقدمات ، فكل ما في الامر انها مكتوبة بلغة عربية » (٥) .

ويقول « لا يزال حكمي بان مباحث العقائد الدينية لم يكن لها كبير شان في نشاة هذه الفلسفة العربية ، حكما جازما ، وما صنع العرب شيئا سوى انهم تلقوا جملة المعارف اليونانية في صورتها التي كان العالم كله مسلما بها في القرنين السابع والثامن » (٦) .

وهذا الراي هو عين ما نادى به شموبلدرز الالماني (٧) .

واخيرا ينتهي رينان من طعنه بقوله « ان الاسباب التي يعللون بها في العادة ايثار العرب لارسطو ، هي اقرب الى التمويه منها الى الحق فان العرب لم يؤثروا ، اذ لم يكن ثمة اختيار عن روية ، انما تقبل العرب معارف اليونان كما وصلت اليهم » (٨)

دكتور محمد مختار القاضي

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسي لآنخل جنثالث بالنثيا ص ٥٧٣ .

(٢) ص ٢٨١ و ٢٨٢ طبعة طهران .

(٣) ص ١١٩ طبعة فورجيه ، ليدن ١٨٩٢ .

(٤) عثمان امين في « محاولات فلسفية » ص ١٧٧ .

(٥) « التاريخ العام ونظام اللغات السامية » الطبعة السادسة ص ١٠ .

(٦) ابن رشد والرشدية ص ١١ .

(٧) عرض هذا الراى ورد عليه الاستاذ جوستاف دوجاه في كتابه (تاريخ الفلاسفة واللاهوتيين المسلمين) باريس ١٨٧٨ مقدمة ص ١٥ .

(٨) ابن رشد والرشدية ص ٩٣ .

دفاع عن الطهطاوى

بقلم محمد جلال كشك

كنا على موعد ، اليوم ، مع الحلقة الثانية من دراستنا عن « الحرية فى الاسلام » حيث نجلو الحقائق التى زيفها كتاب « المؤثرات الاجنبية فى الأدب العربى » للدكتور لويس عوض » ذلك الكتاب الذى هو محاضرات ألقيت على الطلبة العرب ، بعد ما جمعناهم من المحيط الى الخليج لنقول لهم : « ان فكرة (الحرية) بمعناها السياسى ، والمدنى ، فكرة لا تقاليد لها فى المجتمعات العربية ، او فيما نبع عنها من فلسفات الفلاسفة ، او فقه الفقهاء او ادب الأدباء » بل ان مدلول كلمة (الحرية) فى اللغة العربية ذاتها ، مدلول مختلف عن مدلول كلمة libertas اللاتينية التى خرجت منها كلمة (ليبرتيه) ومشتقاتها من اللغات الاوروبيه الحديثة ، الى اخر هذا الكلام الذى لم يجرؤ « كرومر » على ان يقوله ، او ان يفرض تعليمه فى مدارسنا ، تحميه البوارج والفرسان .. فاصبحنا بحمد الله ندرسه للطلاب العرب من المحيط الى الخليج .. ونطبعه على نفقة جامعتهم العربية ، ليعود طالب « البحرين » فينبىء قومه ، ان لغتهم لم تعرف الحرية ، بل ان فكرة الحرية ، لم تخطر ببالهم ، ولا فى آدابهم ، ولا فى فلسفاتهم ... الخ .. حتى جاءهم الاستعمار الاوروبى ، فعلمهم الحرية ! .. يقول صاحب المحاضرات فى « معهد الدراسات العربية » : « الحرية اذن بالمعنى السياسى والاجتماعى الشامل المتضمن فى كلمة libertas نتيجة لاتصال العرب بالحضارة الاوروبية وبالفكر السياسى والاجتماعى الغربى فى القرن التاسع عشر » .

سيعود طالب البحرين الى قومه ، لاتيا ، معانيا .. واتخيله يحدثهم : « بئس والله ما علمتمونى .. قلتم اننا فقدنا الحرية نتيجة اتصالنا بالحضارة الاوروبية .. حتى ذهبنا الى معهد الجامعة العربية فعلمنا اننا كنا كالسائمة لا نعرف للحرية معنى ولا لفظا .. حتى جاءتنا على البوارج البريطانية » !!

واتخيل اهله يتحسرون – ان صدقوه – على ارواح الشهداء ودماء المناضلين الوطنيين ، التى اريقت هدرا ضد الذين جاءوا يعلمونهم الحرية ! . او احسبهم يتحسرون على ما ضاع من اموالهم ووقتهم فى ارسال ابنائهم لمثل هذا التعليم الفاسد ...

وقد راينا فى الحلقة الماضية ، ان الفرد المسلم ، تتمثل فيه ، اكمل صور الحرية الفردية ، من حرية الفكر والضمير .. وانه مامور بالتفكير ، مثاب عليه حتى فى حالة الخطأ .. وان الاسلام قد رفع القدسية عن جميع البشر .. فاتاح لكل ذى فكر ان يعلن فكره ، وان ينشره ، ويصوب خطأ الآخرين مهما تكن صفتهم ومراكزهم .. وعلم الرسول صحابته ان يثوبوا الى الصواب متى تبين ، لا يصدهم عن ذلك ، عزة بالاثم ، او عنجهية جاهلية .. وحض الاسلام على رفض الباطل وتغييره ، وكحد ادنى رفضه ولو بالضمير وحده ! .. واوجب الثورة على السلطة التى تفرض الباطل .

وكان موعدنا اليوم ، لمناقشة الحرية الاسلامية فى الأسرة .. باعتبارها اول اشكال العلاقات الاجتماعية التى يدخلها الفرد .. ولكنى رايت ان اناقش كتاب « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » الذى شوهه هذا المحاضر فى معهد الدراسات العربية ، واستخرج منه انعدام الحرية عند العرب !

والحق اننا قد ابتلينا بالتبشير بين الأحياء .. ولكننا لم نسمع – الا على يديه – بالتبشير بين الأموات ! .. فقد نصب نفسه مخلص ارواح شوامخ امتنا العربية ، وعباقرة الفكر الاسلامى ، فجعل ابن خلدون ناقلا للفكر اليونانى واللاتينى .. والمعرى شماسا لراهب دير الفاروس .. ورفاعة الطهطاوى ، مفتونا بالحضارة الاوروبية ، ناقلا لقيمها ومبادئها ودينها ..

وفى اعتقادى ان سوء فهم « رفاعه الطهطاوى » عند هذا المحاضر ينبعث من التحيز السابق على الدراسة ، ومن الجهل بالتراث العربى ..

ولكن هذا الراى ، لا نلزم به احدا ، قبل ان نقدم الحجة عليه:

ان رفاعه رافع الطهطاوى معنا ، بقلبه وعقله ، بكل حرف كتبه .. انه الشيخ الذى خرج من اعماق الصعيد ، وكل ثقافته علم الأزهر فى اوائل القرن التاسع عشر .. خرج من العالم الاسلامى ، وقد تردى الى قاع التخلف والتاخر والجمود ، بحكم بعده عن روح دينه ، وتخلفه عن التطور العلمى والمادى ، الذى انتقل من العرب الى اوروبا .. انتقل الشيخ الصعيدى الى باريس .. قمة الحضارة الاوروبية التالقة .. وحسبى هنا ان اشير الى افتتان الشيخ (بعربية الرش) فى باريس كمثال للتخلف الذى كنا نعانيه .. فقد وصف (عربة الرش) فى ستة سطور ليعرف اهله بها ، وتمنى لو ان مصر بها عربة رش ! (١١٥)

ومع ذلك ، وبالرغم من هذا الانتقال العنيف ، فما من منصف يزعم ان عقيدة الشيخ قد اهتزت ، او ان ذلك قد دفعه الى الكفر بتراث امته ، او التنكر لجزئية واحدة من قيم حضارته وتراثه .. بل اتخذ نفس موقفنا اليوم .. وهو الاعتراف بالتفوق المادى الساحق ، الذى حققته اوروبا ، مع ايمان لا يتزعزع بتفوق قيمنا ، وشموخ تراثنا ، يقين بان حضارتنا التى تمتلك هذه القيم الاعز والأفضل ، جديرة ، اذا ما اكتسبت علم اوروبا ، ان تتفوق عليها ، بل ان تقدم للبشرية صفحة اشرف واعظم ..

لم يشك رفاعة لحظة واحدة فى تفوقنا العقائدى على العقل الاوروبى .. ولم يتعام ايضا عن تفوقهم العلمى والمادى ..

« البلاد الافرنجية قد بلغت اقصى مراتب البراعة فى العلوم الرياضية ، والطبيعية ، وما وراء الطبيعة اصولها وفروعها .. غير انهم لم يهتدوا الى الطريق المستقيم ، ولم يسلكوا سبيل النجاة ، ولم يرشدوا الى الدين الحق ، ومنهج الصدق » . (٦١)

وهو معتز باسلامه فخور به .. عندما يرتب القارات يضع اسيا فى المقدمة ، لأن « الاسلام قد تولد فيها وانتشر » (٧٦) وهو يتحسر لأن الاستعماريين يحولون اهل افريقيا الى دينهم ويدعو « للاسلام بالانتشار فيها » .

وهو عربى فخور بعروبته ، لأن العرب هم : « افضل القبائل على الاطلاق ، ولسانهم افصح الالسن باتفاق » . ومع رفضه تعصب التخلف ، واقراره بمزايا اللغات الأجنبية ، يبادر فيعلن ان « لسان العرب هو اعظم اللغات وابهج » .

وشيخنا يقرر ان « العلوم الادبية الفرنساوية لا بأس بها » ولكنه ينتقد كون « لغتها واشعارها مبنية على عادة جاهلية اليونان وتاليههم ما يستحسنونه » (١٣٥) .

لكأن الشيخ يعيش محنتنا ، ويعانى من اولئك الذين لم يكتفوا بعبادة جاهلية اليونان ، بل دسوها فى صحفنا ، وراحوا يتلمسونها فى كل ما سطرته امتنا ! ..

وحادم الشيخ يستعيذ من وحشة الفرنسيس ، ويحمد الله بعد زيارة لسلطانة باريس .. يحمد الله انه ليس لورا فى بلاد الفرنسيس !

الشيخ اذن مسلم ، معتز باسلامه ، وهو ان شهد لأوروبا بالتفوق والتقدم ، فانما يتمنى لوطنه ذلك .. لأن التقدم اولى به .. فهو الذى يقول : « فى هذه المدينة العامرة بسائر العلوم الحكمية ، والفنون والعدل العجيب ، والانصاف الغريب ، الذى يحق ان يكون من باب اولى فى ديار الاسلام وبلاد شريعة النبى صلى الله عليه وسلم » (٨٢) .

صدقت يا شيخنا .. وكذب الآخر !..

وشيخنا يحب مصر العربية الاسلامية ، مؤمن بها وبامكانياتها ، فلو تعهدت مصر وتوفرت فيها ادوات العمران ، لكانت سلطان المدن ورئيسة بلاد الدنيا » (١١٤) .. ومع اعجابه ، بل افتتانه بباريس ، واعترافه بتخلف مصر التى تمنى لها «عربية الرشى» .. فهو لا يتردد فى طلاق باريس :

لئن طلقت باريسا ثلاثا	فما هذا لغير وصال مصر
فكل منهما عندى عروس	ولكن مصر ليست بنت كفر !

لذلك عاد شيخنا لاحضان بنت العروبة والاسلام ، ولم يبع روحه خلف شجرة ، او فى خلوة مشهودة او غير مشهودة !

وفرق بين من يرى مدينة اوروبا ، فتشعث فينا ، ويعيرنا بها ، ويزيف من النظريات ما يثبت به ان التخلف محكوم علينا ، وان الدنية غريبة عن روحنا .. ويستقل علمه (المشكوك فيه) فى الانتقاص من حضارتنا ، والتقول عليها .. وتاخذه النشوة بتفوق اوروبا على اهله ! .. كالعبد يفرح بثروة سيده وجبروته ! ..

فرق بين هذا وبين شيخنا الذى يرى قوة اوروبا فيتحسر على وطنه الذى يرزح تحت نير التخلف ، ويستخدم معرفته فى حث بلاده على التعلم .. فيقول شيخنا : « وانطقتها بحث ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع ، فان كمال ذلك ببلاد الافرنج امر ثابت شائع . والحق احق ان يتبع ، ولعمر الله انى ، مدة اقامتى بهذه البلاد ، فى حسرة على تمتعها بذلك وخلو ممالك الاسلام منه » (٥٧) .

واذا كان الاول يريد النيل من تراثنا ووجودنا الحضارى ، فان شيخنا يحدد هدفه من الكتابة « ان يوقظ به من نوم الغفلة سائر امم الاسلام من عرب وعجم » انه سميع مجيب ، وقاصده لا يخيب » .

لذلك نرى الحاضر فى معهد الدراسات العربية ، يحرص على ان ينزع كل اصالة فى الفكر العربى ، بل ينسبه الى رهبان الاديرة ، وصعاليك الفكر الغربى كحديثه عن ارزاموس الشهير ! .. الذى تعلم منه رفاعة الطهطاوى ان حب الدنيا لا يتنافى مع الدين ! كأن شيخنا بحاجة الى كتاب « دليل الجندى المسيحى » ليعرف ان الدنيا لا تتعارض مع الدين .. وان المال لا دنس فيه .. ولم يفد فى الشيخ طوال تردده على المساجد وسماعه للفقهاء يقراون عبر ١٣ قرنا « ولا تنس نصيبك من الدنيا » .. « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .. كأن شيخنا بحاجة الى من ارزاموس ليعلمه ذلك ..

اللهم صبرا على ما بليتنا ! ..

ولكن شيخنا يحرص ، عندما يسجل تفوق العلم الاوروبى ، على ان يعود الى تراث اجداده فيأتى بامثلة مشابهة لتفوقنا ، فهو يستدل من سعة معرفة « البارون سلوستري دساسى » على صحة ما جاء فى الاثر عن معرفة «الفارابى» الذى يسميه فيلسوف الاسلام ، ويعقد المقارنات بين تقدم باريس والنهضة العلمية بها ، وبين تقدم بغداد فى عصر الرشيد والمأمون ، ولا يرجع تفوق اوروبا الى اشتقاق (ليبرتيه) من الاصل اللاتينى .. بل هو هنا اكثر علمية وموضوعية من الحاضر اياه ! ..

لانه يرجع ذلك الى « براعتهم وتدبيرهم بل وعدلهم ومعرفتهم فى الحروب وتنوعهم واختراعهم فيها » .

وهو فى اعجابه بالفرنسيس يرى انهم يشبهون العرب فى حسن الخصال ، وان تكن الصفات الحميدة فى العرب قد « تلاشت فيهم ، واضمحلت ، فانما هو لكونهم قاسوا مشاق الظلم ونكبات الدهر ، واحوجهم الحال الى التذلل والسؤال ، ومع ذلك فقد بقى منهم من هو على اصل الفطرة العربية » . واما الحرية التى يتطلبها الافرنج دائما فكانت ايضا من طباع العرب فى قديم الزمان ، كما تنطق به المفاخرة التى وقعت بين «النعمان بن المنذر» ملك العرب و «كسرى» ملك الفرس » (٣٠٦) .

ويخيل الى اننا منذ الجبرتى ، وبالذات عند الطهطاوى واجهنا سؤالا مصيريا هو الموقف من العلم الاوروبى .. لعل ابرزه وضوحا تمثيله بالصناعة .. عندما سجل « كرومر » شامتا ، اختفاء ورش المصريين بعد الاحتلال ، حيث حلت محلها المقاهى ، ودكاكين بيع المصنوعات الاوروبية .. وغبطة كرومر هى مفتاح فهم القضية .. «عملاء» اوروبا وقناصلها ، كانوا يريدوننا على ان نكتفى

باستيراد بضائعهم ، وفتح الدكاكين لبيعها ، والجلوس على المقاهي لسماع انباء انتصارات اوروبا ، والتسلى بها .. ونعيش كالمتحضرين .. اما ابناء العروبة ، فكانوا يريدون الاستفادة من التقدم الصناعي في اوروبا لبناء صناعتنا العربية ، وبدلا من استيراد البضائع لنملأ بها الدكاكين ، كانوا يريدون استيراد الماكينات لبناء المصانع .. استيراد المعرفة الصناعية ، لننتج بضائعنا العربية التى تزاحم بضاعة اوروبا وتزيد الرواء الجنس البشرى .. وعملاء اوروبا هم الذين قالوا لا امل فى قيام صناعة فى مصر لانها بلد زراعى .. وعملاء اوروبا هم الذين قالوا لا جدوى من محاولة قطع الشوط الذى قطعته اوروبا .. ولا سبيل لنقل التكنولوجيا وحدها .. لابد من اوثان الاغريق وفلسفة ودين اوروبا « فوق البيعة » .. هم الذين افتوا ان الشرق غير مبدع ولا مبتكر ! ..

وكان شيخنا من الذين آمنوا بجذورهم ، والذين ارادوا ان نتعلم حضارة أوروبا لتبنى حضارتنا نحن ..

وقد سافر الشيخ الى باريس ، بخلق المسلم المتسامح ، ذلك الخلق الذى مكننا من ان نعطى الدنيا امجد ايامها ، والذى تسبب ايضا فى هزيمتنا امام الحضارة الباغية الغاشمة التى لا تعترف بضمير ولا خلق . تأمل الفرق بين الشيخ الصعيدى ، ابن الشرق المتخلف ، وبين المستشرق الذى الم بعلم العرب وتراث الشرق .. والذى يعجب شيخنا بعلمه .. وهو « مسيو دساسى » .

الشيخ يكتب عن فرنسا بلا تعصب ولا تحيز ، بل يشهد لهم بكفالة الحرية الدينية فى بلادهم (٧٩) ولكنه يسجل بعض انتقاداته ، فيأتى مسيو دساسى « هنا فيصفها بانها « اوهام اسلامية » ! .. ويعترض على ملاحظة الشيخ بان الفرنسيس غير متدينين .. اى علمانيين بلغة العصر .. ولكن الاوروبى المتمدين ينفى هذه التهمة عن شعب فرنسا ! . ويعلن الشيخ بكل تواضع ان « دساس » يقول ذلك لانه متدين ..

وحكاية اخرى يرويها الشيخ تكشف اى تعصب كانت تعيشه اوروبا .. « وقد اتفق ذات يوم وانا مار فى طريق فى باريس ان سكران صاح قائلا : يا تركى ، يا تركى (المسلم فى اوروبا هو التركى) وقبض بثيابى ، وكنت قريبا من دكان يباع فيه السكر ونحوه فدخلت معه ، واجلسته على كرسى ، وقلت لرب الحانوت على سبيل المزح . هل تريد ان تعطينى بثمن هذا الرجل سكرا او نقلا ، (ولكن الصديق لا يفهم المزاح بل يرد فى كل تعصب الغرب) : « ليس هنا مثل بلادكم ، يجوز التصرف فى النوع الانسانى ! » (١٦٣) .

وفى الكتاب حكاية ، لا استطيع ان اغفلها ، وهى تكشف عن عظمة امتنا وايضا الدور الخسيس الذى كان يلعبه المستشرقون .. انها حكاية المرأة المصرية بنت رشيد ، التى تزوجها « مينو » قائد جيش الاحتلال الفرنسى ، وبعزة اسلامها يضطر قائد جيش الاحتلال الى اعلان اسلامه حتى يتزوج بنت رشيد المحتلة .. وفى فرنسا ، يقول رفاعة : « رجع الى النصرانية وابدل العمامة (بالبرنيطة) ومكث مع زوجته ، وهى على دينها مدة ايام فلما ولدت ، واراد زوجها ان يعمد ولده على عادة النصارى ليتنصره ابت زوجته ذلك ، وقالت لا انصر ولدى اصلا » .

وحدها .. بنت رشيد .. فى باريس القرن التاسع عشر ، وزوجة جنرال فى جيش نابليون قاهر اوروبا .. وحدها بلا اهل ولا سند ، بينها وبينهم البحر .. وعداوة وحرجا لا ينقضيان .. وتصر على دينها .. واصر ابن الثورة الفرنسية على تنصير ابنه .. ثم يحتال على المرأة فيستدعى لها « البارون دساس » . « فانه هو الذى يعرف ويقرأ القرآن وقال لها سليه عن ذلك فسألته ، فاجابها بقوله : انه يوجد فى القرآن قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فحاجها بذلك ! » .

واهتزت قيم المسكينة امام هذا الزيف الخبيث .. فلم تفلح بعدها ..

واخر خطفه الفرنسيون صغيرا ، فنسى العربية ، الا اسمه ، ولا يعرف من الاسلام الا الشهادتين ، وهو مصر على اسلامه ..

وقد استوقفتنى ملحوظة الشيخ عن « جومار » الذى كان يشرف على البعثة عندما قال و بشهرة معارف « مسيو جومار » وحسن تدبيره يوقع فى نفس الانسان من اول وهلة تفضيل القلم على السيف ، لانه يدبر بقلمه ما لا يدبر غيره بسيفه الف مرة ، ولا عجب ، فبالاقلام تساس الاقاليم » (٨١) . فهل ياترى كان شيخنا يشير الى نشاطه الاستعمارى التبشيرى ، ام الى جهوده فى المخابرات الفرنسية ؟ .. ما الذى كان يحركه جومار بقلمه ؟ .. ياليت اللجنة الفاضلة التى طبعت الكتاب قد اجابتنا عليه بدلا من اهتمامها العجيب بنفى عودة « عبد العال » اغا الانكشارية الى الاسلام !

وبينما يصلق « العاشر » بجناحيه فرحا بمحاكمة « سليمان الحلبى » يتحسر شيخنا الوطنى عليه « ويوجد بهذا الرواق شئ من جثة المرحوم الشيخ سليمان الحلبى الذى استشهد بقتله للجنرال الفرنساوى « كلبير » وقتل الفرنساوية له فى ايام تغلبهم على مصر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » (٢١٢)

ويسجل فرحته بعودة مصر الى الاسلام (تركيا) بينما أسف المعلم يعقوب ، وورثته على زوال الاحتلال الفرنسى .. من اجل ذلك عاش رفاعة فى قلوبنا وتحلل الآخر فى برميل الخمر الذى وضعوه فيه عندما نفق على ظهر السفينة التى اقلته هاربا من وطنه .

وشيخنا فى صف الترك ضد « الموسقوبية » وانشغل باله هذه الحرب الى حد ان يرى فى المنام رؤيا تبشره بانتصار السلطان . وعندما حذفها عند الطبع لم يكن للسبب المضحك الذى وصلت اليه اللجنة التى اشرفت على طبع الكتاب وتغليطه (ولا اقول تصحيحه ، فقد احصت هى فى ملحق بالكتاب ٢٣٥ غلطة !) .. لو ان اللجنة توقفت عند تاريخ طبع الكتاب وهو ١٨٣٤ .. لعرفت انه فى هذه السنة كانت الحرب فى عنفوانها بين الباشا محمد على وسلطان تركيا .. افكان رفاعة يطبع كتابا فى القاهرة به رؤيا تبشر بانتصار السلطان ؟!.. فمن الساذج يا ترى .. رفاعة ..أم اللجنة ؟!..

ونحن بالطبع سنعود لكتاب شيخنا في مناقشتنا للمحاضر في معهد الدراسات .. ولكني احب هنا ان امر على بعض النقاط التي تكشف شقشقة هذا المتعالم ..

شيخنا يقدم للدســـتور الفرنسي بقوله : « لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بان العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد » .

ويقفز المحاضر في الهواء عدة قفزات ثم يصيح بان « خطورة هذا الكلام من انه في بلاد كانت تتبع الخليفة العثماني ، وبالتالي تخضع رسميا للحكم الثيوقراطي ، اي الحكومة الدينية المؤسسة فيها القوانين على احكام الشريعة ، يعد هذا اول دعــوة فكرية صريحة الى فصل الدين عن الدولة » ..

اما الذين يقفون على ارجلهم . ويفكرون بعضو التفكير وهو الراس فلا يصلون الى ما وصل اليه سيادته ، بل يرون ان رفاعة يتحسر على وصول هؤلاء بعقولهم الى العدل والانصاف ونحن الذين لدينا كتاب الله وسنة رسوله .. بل ان الوثائق لا تحوجنا الى اجتهاد ، فاصل عبارة الشيخ في المسودات كما اثبتتها اللجنة هي « فلنذكره لك .. لتعرف كيف قد حكمت عقول الكفرة بان العدل والانصاف .. الخ » .. المعنى واضح .. عقول الكفرة وصلت الى ذلك .. فلماذا لا تصل عقول المؤمنين .. ولكنه عند الطبع حذف كلمة الكفرة ..

ومرة اخرى يصيح هذا الشرلتان (باذن استاذنا محمود شاكر) قائلا : « ان ايجاد رفاعة الطهطاوي سندا في الشريعة الاسلامية لنظام الملكية المقيدة وسندا فيها للنظام الجمهوري ، كان قفزة ضخمة من الفكر السياسي والاجتماعي المصري ، فتحت باب الاجتهاد لكل من تلاه من المفكرين والمصلحين .. » ربما تعدله نفسه انه منهم !!

الا يدري هذا المتفاصح ان النبي يحذر صحبه من انها ستصبح بعده ملكا عضوضا ؟!.. اذن فماذا هي قبل ان تصــبح ملــكا عضوضا ؟!.. الا يعلم ان عمر يسال سلمان ، رضي الله عنهما ، املك انا ام خليفة ، فيقول له سلمان : « ان انت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر ، ثم وضعته في غير حقه ، فانت ملك غير خليفة » (الطبري ج ٤ ص ٢١١) .

لقد كانت الملكية الوراثية المطلقة هي التي بحاجة الى من يكتشف لها سندا .. ولم تجد .. وحتى في ظل الحكم العثماني كانت اكثر قلقا في نفوس المسلمين ، من استقرار مبدا وراثة العرش في نفوس الفرنسيين مدة كتابة رفاعة لكتابه هذا .. ومنذ بيعة معاوية لابنه يزيد الى خلع اخر سلاطين بني عثمان .. كان الخلفاء يأخذون البيعة لولي عهدهم ، وكثيرا ما كانت تنتقل هذه الولاية .. وكانت بيعة ولي العهد اشبه ما تكون ولو من الناحية الشكلية دون المضمون طبعا ، بانتخاب نائب رئيس الجمهورية .. ولو ان اضطرار الخلفاء الى هذا الاجراء الشكلي يؤكد ان الملكية الوراثية بعيدة عن روح الاسلام ، وبحاجة الى تغطية ... ولو شكلية ..

ابتعد يا هذا عن باب الاجتهاد .. لكي لا يحسبك النـــاس متنطعا ..

واسخف من هذا تعليقه على شرح رفاعة الفرق بين ملك فرنسا وملك الفرنسيس ، وقد شرح رفاعة الامر ثم علق عليه بقوله : « ولو كانت عندنا لاستوت العبارتان . فان كون الملك ملكا باختيار رعيته له لاينافي كون هذا صدر من الله تعالى على سبيل التفضل والاحسان » ولكن المحاضر يعلق : « ولعل هذا ابلغ درس يمكن ان يقدم للمصريين عن نظرية الحق الالهي والحق الطبيعي في الفلسفة السياسية والاجتماعية » .

واي مستشرق يعرف ان هذه القضية لا وجود لها عنــدنا .. فالخليفة اسمه امير المؤمنين ، وهو خليفة رسول الله .. وعن جابر قال « قال رجل لعمر بن الخطاب : يا خليفة الله ، فقال عمر : خالف الله بك » فقال « جعلني الله فداك ! قال : اذا يهينك الله » .

الحق الالهي لم يعرف قط في تاريخنا فلا تحملنا اوزار القوم الاخرين .. وكان رفاعة رائعا في ايجازه عندما بين انه لا تناقض بين انتخاب الحاكم وكون هذا الانتخاب يتم بارادته تعالى ، مادام عزله ايضا يتم بارادته تعالى .

ويرتدي الشرلتان مسوح العلماء ويدرس لرفاعة الطهطــاوي رضوان الله عليه .. فيقول : « ولم يجد الطهطاوي ما يقرب به مفهوم الحرية السياسي والاجتماعي لافهام معاصريه الا ان يقول انها مرادفة للعدل والمساواة امام القانون وهو تفسير خاطيء (كذا) من الناحية الفقهية والفلسفية ، لان العدل والمساواة قد يكونان نتيجة من نتائج الحرية ، والحرية قد تكون نتيجة من نتــائج العـدل والمساواة ، ولكن لا تطابق بين المبداين ، لان الحرية قد لا تقترن بالعدل والعدل قد يتحقق بغير الحرية » .

لا .. رفاعة افصح منك واعلم بقيم بلاده وتراثها .. لان للعدل والانصاف عندنا مفهوما غير مفهومهما في اوروبا .. وعبـــارة الطهطاوي هي : « وما يسمونه الحرية ويرغبون فيــه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والانصاف ، وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو اقامة التساوي في الاحكام والقوانين ، بحيث لا يجور الحاكم على انسان » .

والاصل في المجتمع الاسلامي هو الحرية الكاملة ، بكفالة حرية الفكر ، والحرية الشخصية ، والحرية السياسية والاجتماعية .. الخ . وبالتالي فان انعدام هذه الحرية ينجم من فقدان العـدل وضياع الانصاف ، من الاخلال بقوانين المجتمع الاسلامي ..

وليس في حضارتنا هذه التفرقة بين العدل والحرية .. والعدالة عندنا ليست عمياء .. فلا سبيل لسخف مثل الذي يقوله وهو « تحقق العدل بغير حرية .. والحرية قد لا تقترن بالعدل » .. كيف يكون هذا كلام عقلاء ؟!..

والقانون عندنا ليس حمارا .. لانه ليس في شريعتنا تشريع يأمر بالتفرقة او التمييز ، او يختص فئة بامتيازات سياســية او اجتماعية ، او يقر تمييزا عنصريا او طبقيا .. ومن ثم يصبح تطبيق هذه التفرقة التي ينص عليها القانون عدلا .. وان تنافت مع الحرية !.. لا .. هــذا الازدواج الشيطاني ، من اختراع الحضارة الغربية وحدها التي ارادت ان تبرر فحش جرائمها ضد شعوبها ، ثم ضد الشعوب غير البيضاء .. حتى لا يتالم ضمير السيد الانجليزي وهو ينزل بشعوب المستعمرات ابشــع الوان التنكيل ، بحجة انه ينفذ القوانين .. فاخترعت له التفـرقة بين العدل والحرية !.. حضــارتنا لم تعرف هذا النفاق ، وهــذا الازدواج في الضمير .. ومن هنا لا تفرق حضارتنا بين العــدل والحرية ؛ بين المساواة والانصاف .. لان تطبيق الشريعة يكفل مجتمع الاحرار ويعطي كل ذي حق حقه ...

وسنعود لهذا الحديث ..

« محمد جلال كشك »

كلمة في أثر كلمات

بقلم : عامر العقاد

طالعتنا الرسالة منذ ايام بمقالين عن كتاب « آخر كلمات العقاد » يأخذ فيه كاتبه علينا اننا لم نراجع كلمات العقاد او لم تنقحها قبل نشرها لازالة مافيها من اخطاء . ولسنا نرى وجها لهذه النصيحة او هذا المأخذ لأن كلمات العقاد براء من ذلك الخطأ المزعوم ، ولكن براءتها تتطلب قارئا منصفا . واحسب ان السيد الكاتب تجنب الانصاف او خانه الفهم في جميع ملاحظاته. ولنبدأ :

يريد الأستاذ عباس ان يصطاد ـ تناقضا بين عبارتي العقاد في الحسد ، ولكن ارادته هذه لا تعدو مجرد الوهم .

فالعقاد ليس ممن يقعون في التناقض بسهولة ، وانما فهمه دون كتاب عصره على حقيقته يحتاج الى ذهن آخر غير ذهنك .

ولنتأمل العبارتين :

يقول العقاد : « قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك . وهو الأم الحاسدين » .

ثم يقول : « ليس الحاسد هو الذي يطمع ان يساويك بان يرقى اليك . بل هو الذي يريد ان تساويه بان تنزل اليه . ومن هذا القبيل الرجل العياب الذي يتتبع عورات الناس وسقطاتهم لينزل بهم الى مستواه ويتغافل عن حسناتهم عمدا لأنه يعلم من نفسه العجز عن الاتيان بمثلها » .

قرأ الاستاذ عباس الاسواني العبارتين ثم بحث في ذهنه عن تعريف للحسد يقول انه تمني زوال النعمة عن المحسود ثم حطه امامه وذهب يستنبط من كلمات العقاد تعريفا ينافي تعريفه فوجد عبارة تتفق معه والعبارة الأخرى تختلف معه فحكم ـ عفا الله عنه ـ بتناقض العقاد .

والحق انه لا تناقض هناك اذا عرفنا كيف نفهم حقيقة الكلمات التي نطالعها ..

فمما لا جدال فيه ان هناك فرقا كبيرا بين الطمع في الرقي الذي مبعثه الحسد ، والطمع في الرقي الذي مبعثه الطموح .

الطمع الأول مشوب بالاحنة والمقت والحقد على المحسود .

والطمع الثاني مشــــوب بالغبطة والرضى والتطلع الى الرقي بامتنان للمحسود .

فالفرق اذن هو فرق في الحالة النفسية التي تعتري الحاسد في كلتا الحالتين .

ونقدم للقارىء مثلا آخر بطريقة فهم ناقدنا الاسواني ، فقد ـ وفقه الله ـ ليقتطع من هذه الأبدة او الحكمة بعض الكلمات وفهمها على وجه لا يتناسب مع السياق .

يقول العقاد : « ماذا يقول الناصح العاقل للمنصوح الغوي الذي يقول له : أتنصحني وتزعم انك عاقل ؟ لو كنت ذا عقل لما اسديت الخير لمن لا يريده ، ولما نصحت من لا يستمع الى نصحك ، ومن لو استمع اليه شق عليه ان يشكره وود لو ينكر نفعه !

الحق ان الناصح قد يعقل في كل شيء الا في اسدائه النصيحة وانما هو يسديها لما عنده من الرحمة وحب الخير ، لا لما عنده من العقل والحكمة » .

فالخطاب في هذه الأبدة متوجه الى المنصوح الغوي الذي لايقبل النصح ولا يشكر على النصح ان قبله بل يود لو ينكره ، فتوجيه النصيحة لهذا الناصح اذن ليس من العقل في شيء ، ولكن مع هذا فالنصح مطلوب لأن باعثه ليس تفكيرا يحكمه المنطق ، وانما باعثه كما يقول العقاد الرحمة وحب الخير ، فالناصح ذو وجدان خير ينبعث منه الخير حتى لو قال العقل لا .

هذا هو المعنى الذي كان ينبغي ان يدور في ذهن ناقدنا لو اراد ان يفهم ولكنه ـ يتعجل الفهم فيستنبط من كلمة العقاد حكما بفقدان الناصح للعقل لا تحمله الكلمات على الاطلاق .

وفي ضوء هذا المعنى يستطيع القارىء ان يعود الى العبارة الأخيرة الواردة في صفحة (٣١) فيقرؤها واصلا بينها وبين هذه الأبدة فحتما سيجد المعنى متصل السياق .

وننتقل الى انتقاد آخر فنجده يسأل نفسه سؤالا هو ما هي الحكمة ؟ ويجيب عليه السيد الاسواني بانها « حكم مطلق وحقيقة يؤمن بها الكافة ويتناقلها جميع الناس » ولكن جوابه هذا يلزمه هو ولا يلزم احدا غيره ، فالحكمة كما نتصورها من

كلمات العقاد هي حقيقة معبرة عن تجربة عميقة في حياة الفرد او حياة الأمة وهي بذلك تجد جمهورها سواء قل او كثر ولكن عمقها لا يعني انها – تلزم جميع الناس في جميع الاقطار . فما يقبله الصيني لا يقبله الأوربي وما يقبله المسيحي لا يقبله المسلم ومع ذلك فللصيني حكمته ، وللاوربي حكمته وللمسلم حمكتـه وللمسيحي حكمته .

اما انهم في فرنسا كانوا يجتمعون في صالونات لينشروا على النـاس ما تجود به القرائح من حكم بعد التقـويم والتهذيب والمراجعة والتنقيح فامر لا يلزم غير اولئك الفرنسيين بل لايلزم من الفرنسيين انفسهم الا اولئك الذين كانوا يترددون على صالون « مدام سابليه » ام انك تريد – ان تتوقف قرائح الافراد في الشرق والغرب فلا تهتدي الى حكمة الا اذا كانت وليدة اجتماع او مؤتمر او كانت بعد تقويم وتهذيب ومراجعة وتنقيح ؟

ثم ينتقل الى مسالة الثناء فيقول ما قاله ونحن بدورنا نقول له :

اجل اصحاب الطبائع السوية لا يستشعرون حرجا ولا ارغاما في هذا الثناء ، ولو لم يتعجل السيد الناقد لما حمل حكم العقاد هذه النتيجة الغريبة .

فالعقاد يقول : « صاحب الفضل المشكوك فيه اقرب الى ثناء الناس من صاحب الفضل الثابت » فالجملة لا تعني ان البشر مسخوا فلا مكان بينهم لطبيعة سوية ، ولكنها تعني ان اسوياء الخلق من الناس الذين يرتقون بنفوسهم على الصغائر ويعرفون لصاحب الفضل فضله قلة ، وهم كذلك بلا ريب .

فالجملة تقول ان الناس « اقرب » الى الاعتراف لصاحب الفضل المشكوك فيه ولم تقل انهم لا يعترفون مطلقا لصاحب هـذا الفضل ، ثم يسوق العقاد التعليل النفسي الذي يفسر به تلك الطبائع او النفسيات المريضة على حـد قول الناقد فينفذ الى بواطنها نفوذا عرف به العقاد في كل ما يتعلق بالمسائل النفسية في كتاباته على اطلاقها .

وكان يحسن بالسيد الناقد وقد تصدى لأديبنا الكبير ان يعد نفسه اعدادا كافيا قبل ان يتصدى لأمثال العقاد ولكننا نلاحظ انه يعمل منطقه ويهمل منطق اللغة . ومن المسلم ان للغة منطقها الخاص الذي قد يتعارض ظاهريا مع المنطق العام ، ولكن ابناء اللغة وادباءها المبدعين فيها لا يحسون بهذا التعارض لانهم يعرفون حدود المنطق العام وحدود المنطق اللغوي الخاص . فمن المعروف أن اللغة تجيز استعمال الالفاظ ذات الدلالة العامة لتدل على الجزء . ومن هذا القبيل استعمال العقاد لكلمة « جميع » اذ يقول : « الرجل الذي يحبه جميع الناس لا يحب جميـع الناس » .

فقراء العربية يفهمون من هذه الجملة ان الرجل قد تعظـم صفاته حتى يحبه « فريق » كبير من الناس في مكان بعينه وزمان بعينه ، وقد يتسع المكان ويتسع الزمان ولكنهما مهما اتسعا فلا يعقل ان يشملا البشر جميعا منذ وجد الانسان على ظهـر الأرض لأنه كما يقول « بلديننا الناقد » « لم يخلق بعـد هذا الانسان الذي يجمع على حبه الناس » .

لقد كان ناقدنا على قيد خطوة من ادراك المعنى لو أنه افترض ما يدفع الاستحالة الى افتراض شيء يدفعها قبل ان يقررها على هذا النحو المتعجل وما كان الامر ببعيد عليه لو ان لديه الذوق اللغوي الذي يفترض وجـوده في عامة الناس ناهيك بالأدباء والنقاد ، وافتقاره الى هـذا الذوق هو الذي نأى به عن ادراك المعنى الصحيح لكلمة العقاد ، فالعقاد لا يريد أن يقول ان العظيم او النبي « لا يحب الناس » كما استنتج السيد الناقد ولكنه يقول ليس من اللازم ان يحب العظيم او النبي جميع الناس بل من المؤكد ان مقاييس العظيم او النبي في الحب لابد ان تنأى بهما عن حب الجميـع الى حب فريق يتلاءم مع تلك المقاييس بينما نجد ان كثيرا من الناس يجتمعون في حب العظيم لأنهم يجدون فيه مثالا يحقق اقصى ما تصل اليه مقاييسهم .

ثم تنتقل الى مثال اخر يوضح للقارىء ان ناقدنا الأسواني يفهم كلمات العقاد « على كيفه » يقول العقاد « الموت اعم المصايب وقوعا ولا يزال اشدها ايلاما واقلها قبولا للعزاء .... الخ » .

ويعلق السيد الاسواني قائلا : هـذه النتيجة لا يمكن ان تستفاد من الموت وحده ، وهل قال العقاد انها لا تستفاد من غير الموت ؟ وهل استنتاجها من الموت ينفي امكان استنتاجها من مصيبة اخرى ؟

سؤالان لم يدورا بذهن السيد الناقد لان ما يعنيـه هو ان ينتقد لا أن يتفهم . ويواصل انتقاده قائلا « اما كون الموت اشد المصائب ايلاما واقلها قبولا للعزاء فاعتقادنا ان مرجعه ليس انانية الانسان وجزعه لمصابه ، وانما علته ان الموت ينتزع الحياة وهي اغلى ما وهبه الله .. » افادك الله . ولكن المهم ان العبـارة لاتبحث في مرجع ايلام الموت او علته وانما هي تقرر امرين : الف الموت لشيوعه وعمومه وشدة ايلامه مع شيوعه وعمومه ، واجتماع الأمرين يثير ملاحظة الشاعر : كيف يكون هذا الشائع المألوف شديد الايلام قليل القبول للعزاء .

والجواب الذي لا جواب غيره هو « ان الانسان لا يجزع لمصاب غيره كما يجزع لمصاب نفسه » لانه لو كان يجزع لما يحل بغيره لكان الموت دائما امرا غريبا شاذا ، ولكن الواقع ان غرابتـه وشذوذه يحس بهما الانسان عندما يكون المصاب مصابه اكثر من احساسه بهما لو كان المصاب مصاب غيره .

ويقول العقاد : « الحاكم القدير هو الذي يتقبل المشاركة في اوامره ولا يتقبل المشاركة في تبعاته وتكاليفه » .

فهذا الحاكم لا وجود له في راي السيد الاسواني لماذا ؟ لان الحاكم القدير اما ان يكون مستبدا لا يقبل المشاركة في الأمر واما ان يكون عادلا يشرك الناس في تبعات الحكم وتكاليفه وما بعد « اما واما » لا علاقة له بالحقيقة التي يجلوها العقاد اذ يقرر ان قدرة الحاكم تتمثل في تقبله المشاركة في الأوامر او المشاركة في الحكم – وهذه هي علامة الديمقراطية – وفي اباته المشاركة فيما يترتب على الأمر او الحكم من تبعات وتكاليف . ومن هنـا يظهر معنى القدرة . فالحاكم القدير لا يستبد لان قدرته تكفل

له تحقيق ما يريد بغير الاستبداد ، وهو لا يلقى على غيره مسئوليته هو ، لان قدرته تكفل له ان يتحمل المسئولية كاملة .

وفى كلمة اخرى يقول العقاد : « الكرم قوة ... لانه علامة استغناء الرجل عن الناس بقدر احتياجهم اليه كما ان بذل المال علامة القدرة على اكتسابه فى كل آن . »

هذه الكلمة فى راى السيد الناقد ليست دقيقة لانه لا علاقة للكرم بحاجة الآخرين فالانسان قد يكرم من هو اغنى منه والكريم الحق يبذل دون ان يفكر فى احتمال كسب المال الذى بذله ، والكلمة — فى راينا دقيقة كل الدقة — لان من يعطى يبدو دائما — ما دام معطيا — مستغنيا عن العطاء قادرا على الكسب حتى لو كان فى الواقع محتاجا للعطاء عاجزا عن الكسب . وفرق كبير بين القول بان بذل المال علامة القدرة على اكتسابه ، والقول بان الكريم لا يفكر فى احتمال كسب المال المبذول .

وبنفس المنطق المتعسف يناقش السيد الاسوانى كلمة اخرى تقول « من معاذير البخيل لنفسه اذا هم بشراء شىء يؤكل او يلبس ثم لم يجده ان يخاطبها قائلا « ارضى انك اكلته ... ارضى انك لبسته .. ثم يرد المال الى موضعه » .

يقول بلدينا الناقد ، ليس هكذا البخيل الحق فمن هو فتح الله عليك ؟ هو الذى لا يتخيل ولا يفترض ولا يعانى اى صراع ولا تتحسر نفسه على طعام ولا شراب . وفى راينا ان هذا التعريف يصدق على الحيوان البخيل لو امكن ان يوجد البخل فى مملكة الحيوان ، اما الانسان فهو شىء اخر بخيلا كان او كريما يتخيل ويعترض ويعانى ويهفو الى الطيبات .

ويتضح الافتقار الى الذوق اللغوى بجلاء فى اعتراض آخر يسوقه السيد الاسوانى على كلمة العقاد « الذين قالوا ان الانسان يطلب السرور لم يقولوا شيئا لان سرور انسان حزن لآخرين » واذا قلت لى عن احد انه يطلب السرور لم تعرفنى به ، ويبقى ان تقول : انه يسر بكذا ويحزن لكيت وكيت فهذا هو التعريف » . فمتذوق العربية يفهم من الكلمة ان ما يسر انسانا ربما يحزن انسانا آخر ، وعلى ذلك فلا معنى للقول بأن السرور هو مطلب كل انسان ، لان السرور حالة عامة لا تتحدد الا بمعرفة ما يسر الفرد على حده ، ومتذوق العربية يسمع كلمة « سرور انسان حزن لآخرين » فى السياق المتقدم فلا يفهم منها الاطلاق وانما يفهم منها الاحتمال .

ويقرر العقاد ان مصطفى كمال وموسولينى ودى فاليرا جمعوا شيئا من قوة الرجل وشيئا من قوة المراة فباتوا اكثر من رجال واكثر من نساء فيقرا بلدينا الناقد العبارة ويغمض عينيه عن القوة المضافة للرجل والقوة المضافة للمراة ليقرر ان هذا المزيج يمكن ان يؤدى بصاحبه الى ان يكون « خنثى » اقل من الرجل ومن المراة على السواء .

ولم يقل العقاد — ان اولئك الزعماء جمعوا شيئا من الرجل وشيئا من المراة حتى يكون ذلك « المزيج » ضعيفا ليس الى الرجل وليس الى المراة . بل قال : انهم جمعوا شيئا من « قوة » الرجل وشيئا من « قوة » المراة وبهاتين القوتين بلغوا مرتبة السيادة كما يقول العقاد على عامة الناس .

عامر احمد العقاد

زاد الغربة

للشاعر : محمد السيد شريف

أنا فى الغربة اقتات على طيف رساله
فاكتبيها ، انها نجوى لروحى ، وابتهاله
وأطيل أو أقل ان أبى الشوق الاطاله
كل سطر ، كل حرف هو أغنى من مقاله
انه الدهر ، فماذا يملك الناس حياله

سوف أقضيها هنا وحدى عذابا ، وبعادا
ما الذى يرفضه الناس اذا الله أرادا ؟
نحن رهن للمشيئات مذ كنا عبادا !!
وخطانا فى فجاج الأرض لا تأبى انقيادا
ليس الا الصبر ربا لك يا قلب وزادا
اكتبى يا بسمة الدهر ، ويا ذوب الصبا
اكتبى لى ، ان أحرفك البيض ، كأنفاس الصبا

اكتبى فالشوق ما زال لهيبا ، ما خبا !!
وسيبقى ، بسم الدهر لنا أو قطبا
أملا يملأ دنياى وروضا معشبا

أنت لحنى ونشيدى أنت آهات ربابى
قبل ان ألقاك ، لم أعزف ، ولم اعرف شبابى
قبل أن ألقاك ، لم يخطر ربيع نحو بابى
لم تبدد ظلمتى شمس ، ولم تهزم ضبابى
كنت فى الصحراء أسرى من سراب لسراب
والتقينا ، يومها ودعت ليل وشتائى
وتمشى الدفء فى روحى وقلبى ودمائى
ونسجت العش من فجرى وأحلامى الوضاء
أغنياتى فيه كالنجوى ، ولحنى كالدعاء
ونشيدى فيه صوفى المعانى والرواء

لم اكن احسب ان الليل يوما سيعود
يفرش الدرب ويطوى خطواتى بالجليد
فاذا الأفق أعاصير ، وبرق ورعود
واذا بى ريشة تمضى ، كما الريح تريد
ما الذى أغرى بى الريح فعادت من جديد

اكتبى لى ، فالحديث الحلو ، زاد للغريب
واسطرى لى ، ان ما خطته كفاك وجيب
هو همس وابتسام وشذى الروض الرطيب
هو نجوى من حبيب طرقت قلب حبيب
عن قريب ، يجمع العش خطانا عن قريب

(قاب قوسين)

علي ذو الفقار شاكر

... هو الديوان الجديد **لمحمود حسن اسماعيل** صاحب « أغاني الكوخ » و « هكذا أغني » و « أين المفر » و « نار وأصفاد » .. تلك الدواوين التي شق بها ظلام التعبير الشعري، وهتك ببيانها حجب الابهام عن كثير من خلجات النفس الانسانية، خلجات تهاوت في الطريق اليها تعبيرات وأنغام سابقة ،وخلجات لم تخطر من قبل على قلب شاعر . فكان بهذا شاعرا فردا ، رحب الجناح ، حثيث الخفق ، ارتفع بالشعر العربي الحديث عن قيعان بكماء ما زال الشعراء خلفه يلوكون فيها قديمهم وحديثهم من همهمات لا خير فيها ولا بيان .

وهو في ديوانه هذا الجديد يؤكد ثبوته على القمة التي وصل اليها ، بل يتخذها تكأة الى آفاق جديدة في عالمه الشعري الذي أشار اليه بقوله :

أنا ، والناي ، والحياة ..

وسر في طوايا النفوس يخفيه برقع

فهو يحمل نايه ويضرب في كالحات الأيام باحثا عن أسرار النفس ليزيل عنها ويبينها ، ونراه في القصيدة التي تحمل نفس عنوان الديوان « قاب قوسين » ، نراه يحدو نفسه الشاعرة مترنما يقول :

قاب قوسين من النور .. فسيري

واهتكي كل لثام في الضمير

والهبي غيب المدى ، واحترقي

في اللظى الباقي ، على نار ونور

ماضيا في هذا الحداء المتوقد الى أن يقول :

قد وصلنا ... لم نكد !! فاقتربي

من شغاف النور في قاع الصدور

قاب قوسين ... بل !!

انا على قاب قوس ، من ضحى المرسى الأخير .

وشاعرنا في بحثه هذا ليس بغافل عن ما يدور حوله ، فهو وان تأمل ذاته ونفسه فهي ربابة وقيثارة : ان هز أوتارها نسيم الحرية رفت بترانيم النصر ، وان مستها أصابع الزمن الحزين ضجت تلعن البغي وأصحابه . وان كنت ممن تابع أعمال هذا الشاعر العظيم ، فقد رأيت هذا واضحا في دواوينه السابقة وخاصة « نار وأصفاد » وان لم تكن فستراه كذلك فيما يأتي بعد من أقسام الديوان واتجاهاته .

وبعد ..فأول ما يبدهك من الديوان حين تتصفحه هو اشتمال دفتيه على ثلاثة أقسام ظاهرة : القسم الأول «مع هدير الشروق» والثاني « العودة الى الله » والثالث « على باب الربيع » .. ولا يغرنك هذا التقسيم ففي كل قسم من الاتجاهات المتقاربة والمتباعدة ما يتناهى بهذه الأقسام الى حيث لا تبلغ أطر عناوينها تحديده أو حصره .

وأهم اتجاهات القسم الأول هو ما جاء في القصائد التي نستطيع أن ندعوها « ترانيم النصر » والتي تعبر عن انفعال الشاعر وتأمله لما يشمل العالم العربي الآن ومصر خاصة من انتفاضات ذهبت بكثير من ركام الظلم الجاثم على الصدور،وشقت في دجاه طريقا الى النور . وقد كان اعتماد شاعرنا في هذا أما على بيان التناقض بين الماضي والحاضر ، متدفقا في تصوير الماضي صدروا عن المختزن من ذكرياته وخاصة ما دار منها حول « عبيد الأرض » وسكان « الكوخ » .. وذلك كما في قصيدته « جنازة الرق » حيث يعطينا الشاعر :

قصة من عجائب الرق مرت

حول كوخي ولم يزل في كراه

عناصرها كما قال :

أنا ، والكوخ ، والظلام ، وليل

بجميع الأسرار مدت يداه

وكيف دارت رحى الأقدار والفجر فانهارت أطم الغل ..

وغدت قصة الأفاعي حديثا

في ظلال الزوال يعوي صداه

..هذا وأما عن طريق التأمل الفرح لما حققه الانسان العربي على أرضه من آمال ضنيت اليها النفوس ، وذلك كما في قصيدته « معجزة على النهر » يعني بناء السد العالي ، حيث يقف الشاعر طربا ينصت لضربات المعاول وهي تشجي نفسه التي ذهبت حسرات وراء رحيق الحياة وهو يحتضر بين يدي البحر ، وكذلك في قصيدة « من معبد الشمس » وهي كما قال : « الراقة مع صحوة الضياء في أطلال معبد بلقيس بأرض اليمن الخالدة » .

ولكنه في خضم التغني بهذه الانتصارات يتوقف قليلا أمام بعض الأشواك التي ما زالت على الطريق تعوق خطا السائرين وتدمي أقدامهم . فتراه في قصيدة « راية العرب » يخاطبها قائلا :

فاذا شارفت أرضنا زمجرت

ظما للتحرر من قلب الحمام

فارشـــقيها بشـــــعاع مؤمن

يســـترد النور من أعتى ظلام

ويذيب العـــار اني خطــــرت

لرؤاه حسرة فـــــوق الرغـــام

وضحى المـــراج يمحـــو دمعـــة

لم تزل : ما زال في القدس يهود

وان كان موقنا بزوال هذه الاشـــواك ، وبمضى الزحف الى منتهاه ، فنجده ـ فيما يتعلق بفلسطين جرح العرب والمسلمين ـ في ختام قصيدة أخرى هي « تكبيرة العودة » يقول :

فلسطين ...

حان شروق الصباح

ودوى أذانك للزاحفين .

وفي هذا القسم الأول أيضا نلمح اتجـــاها آخر ، هو موقف الشـــاعر من العالم المثالى الذى تنزع اليـــه احـــلامه ، فهو ينخلع ـ مخاطبا نفسه ـ من موبقات الماضى التى مازالت تنفع سمومها في حاضره الى أمله في عالم ..

كل ما فيـــه يد تسكب للنفس الضـــياء

وتحيــــل الدمع أنغـــاما ، وعطــــرا ، ورجاء

كل ما فيه : .. أنا ، أنت ، لكل الناس تعطى

قبســـا ، من بعضـــه النور الى راحات بعض

وذلك في القصيدة الرابعة « عاشقة العنكبوت » ، وفيها يفارق الشاعر نفســه ان تلتفت الى الماضى قائلا :

لســت منى ... فأنا خطـــو على كل دقيقـــة

دفعتـــه ثورة الأقـــدار في درب الحقيقـــة

ارجعى أنت .. فانى للـفتوح الخضر سائر ،

لصباح ليس فيه قطـــرة من جفن صـــاغر

ليس فيـــه خاطف الرحمـــة من كف يتيمـــه

ليس فيـــه ســـارق الظـــل من النفس الرحيمـــه

ليس فيـــه آكل من لقمـــة بنت ســـــفاح

ولدت مرجـــومة الأنســـاب من غير كفـــاح

خطوات من ضمير الشعر في درب الحياة ، تطأ الذل وحيات الضغينة ، وابتهالات الرياء وأغلال العبيد . ولو استطعت لنقلت لك هنا هذه القصيدة كاملة .

وانطلاقا من الاصطدام بالنفس فيما سبق يصطدم الشاعر أيضا بما حوله من ضروب القيود الكابلة لخطو الانسان في طريق الحرية واذا هو في مثل « صحراء المجانب » (رحلة في وجوه الناس) يصطدم بأعتى ما في النفوس من آفات تهوى بالانسان الى حضيض الوجود من خـــداع ونفاق وادعاء وتقى بليـــد والم وضعف . وللنفاق من هذه الآفات نصيب أعظم من بغض الشاعر ، فهـــو يخنق وجوده ويطفىء ناره . وقد أفرد لهذه المعانى قصيدة « سقاة الضباب » أو « الضباب الأخضر » وفي مطلعها يستصرخ الحرية قائلا :

دعونى انشى .. فان الغناء طريقى الى كل سر بعيد

خلقت لأرتاد روح الحياة ، وأســتل أعماقها للوجود

وفيها يقول :

سلام عليكم !! حداة النفاق وركبانه من سحيق الأزل

على بابكم بح صوت الضياء ، وتابوته في حماكم نزل

وواحاتكم من قديم الدهور يفرد فيها انتحار الأمل

هذه هي الخطوط الاساسية لمعالم اتجاهات القســـم الاول من الديوان .

اما القسم الثاني « العودة الى الله »فهو أوضح أقسام الديوان تآلفا وانسجاما،حتى لكأن قصائده المختلفة مقطوعات في قصيدة واحـــدة لجمها الشـــاعر وفرقها ، وهى معا تعطينا بناء شعريا متكاملا يعبر عن ملامح قضية واحدة : هى نزوع الانسان بفطرته الى الله ، وصراعه مع نفســه المتفلتة منه الى مســـارب العصيان . وعلاقتـــه أثناء ذلك بما أبدع الله من ألوان الجمال التى كثيرا ما تنخفها الآثام وكرا لها . قال في القصيدة الأولى « العـــودة الى الله » :

رب .. انى لك عـــدت ، من سراب فيه تهت

وعلى وجهى شـــطايا ندم فيـــه التهبت

عاد الى الله داعيا أن يجيره من شيطانه الذى هوى به ـ دون أن يدرى من أمره شيئا ـ الى قاع الأسى والاثم والعصـــيان ، جاء يستجير به من نفسه !! (لعلك قد لاحظت أن شاعرنا كثيرا ما يجرد من ذاته نفسين : احـــداهما الشاعرة ـ اذا التمعت به الحياة . ومن منا لا يشعر في بعض اللحظات بانشطار ذاته الى عدة أنفس لا نفسين فحسب) .. أقول جاء يستجير بالله من نفسه التى ضلت خطاها فأضلته وراءها . ومضت هى بالرحيق والأنغام ، وعاد هو مرهق الكاهل بالآثام . جاء يدعوه قائلا :

رب .. جنبنى صـــداها ، فهى أعـــدى من عرفت

هى نفسى ، وهى شـــيطانى الذى منه هربت

لم يكن هو الذى سعى الى الاثم بل جرته اليه نفسه ، قال

ليس لى كأس ، ولا عـــرس ، ولـكنى احتطبت

من ربيع ليس لى فيـــه ســـوى أنى وجدت

ورحيـــق ، كل ما أعـــلم أنى قـــد شربت

ولكنه بعد لأى قد استطاع أن يتجرد من نفسه متوجها الى الله يقول :

عـــذبتنى بخطاها ، وهـــواها .. فاســـتجرت

والى قدسى على ، من غـــلاف النور طـــرت

بعـــد ما جردت ذاتى ، وعن النفس انفصـــلت

والى الله بنـــوحى ، وعـــذاباتى اتجهت

لقد عاد الى الله .. ولكنه « رآها (يعنى نفسه) تنسل الى بحيرة المعصية بعد أن أمضها طول الغياب فغناها بهذا العتاب » :

لا .. لن أقـــول الوداعا ولن أعيـــد القناعا

عـــن رحـــيق رشـــفته وأى سر كتمتـــه

(من قصيدة الهاربة من المعبد .)

ولكنها من غيـــاهب الاثم راحت تستجير به وقد أفلت من اسارها الى رحاب الضياء :

وقالت أجـــرنى ، فقلت اخسئى

فمن غـــير رب الســـماء المجير

تعـــاميت حتى ركبت الظـــلام
عـــلى هـــودج من غـــرور

وطفى الشـــاعر يعنف نفسه ويلومها ، بل يلهبها بسياط العتاب المرير :

دخلت بى الحـــان فى مرة
وكان الجـــاهى الى المعبـــد

وكانت صـــلاتى قبل الصلاة
مزامير عـــلوية المـــورد

فخطفتهـــا من دمى للرحيق
وقلت : لى اليوم ، قبل الغـــد

(من قصيدة « المستجيرة ») .

وفى محراب الطبيعة وعطرها المنداح بين الربا ، وفى ثناياء ثغرها البسام أخذ الشاعر فى صلاته :

كلما غرد طير فى خميله
وهفت للحب دنياه الجميله

وتهادى المطـــر فى الربوة من درب لدرب
عاشقا يبحث فى البســـتان عن قلب وحب :

نبى المطـــر خطاه ، وسرى نحـــو شـــفاهى
وجرى منهـــا : دعاء ، وصـــلاة ... يا الهى

هذه هى صلاته بعد أن هدأت نفســـه الى التوبة واطمأن نور الايمان فى فؤاده الى حين .

أما وقد انتهينا فيما سبق الى محراب الجمال وعطر الطبيعة فقد أصبحنا على أبواب القســـم الثالث من الديوان « على باب الربيع » .

وهذا القسم على النقيض من سابقه قد ضم عديدا من القصائد المختلفة الأنغام والألوان ، بعضها لا أعلم لم وضـــعه الشاعر فى موضعه هذا ، اذ ليس بينه وبين ما جاوره مواءمة تذكر ، مثال ذلك قصيدة «لوح العدم» (أمى يناجى نفســه فى مهرجان العلم) ، الا أن يكون الشـــاعر قد أراد بذلك شيئا فاتنى ولم أدركه . أما بقية القصائد فنلمح من خلالها ألحانا تواكبت وحداتها تشـــدو بالحب والربيع وروضه المعطار والذكريات ... وقد اختلط كل هذا وانسجمت أطياره فى سرب واحد حلق فى سماء هذا القسم من الديوان .

واذا تتبعنا علاقة الشاعر بربيع الطبيعة وسحرها ، ثم علاقة هذا بالحب رأينـــا الشاعر فى قصيدته « سواقى ابريل » يناجى الطبيعة التى تفجر ـ بجمالها ـ فيه كوامن النشوة والحب تحيى أزهار الحنين .. فاصغ اليه يخاطبها :

ضج الهـــوى فى بدنى ... فهل نزعت كفنى !
وســـقت فجرا من زمان الحب فوق أعينى

بالله يا كاهنـــة الحب أعيـــدى أرغنى
وباركينى ، واهتكى الســـتر الذى حيرنى
وايقظى الأوتار من رقادهـــا المـــكفن

وكيف تسمعت روحه الى نغمات الموج فى هداة السحر وهو يهمس له قائلا :

ضيعت ما ضيعت !! فانظر للربى .. وتينى ..
ســـاقى الربيع دائر ... قم غنه ... وغننى

كذلك تراه فى « أغنية من الكوخ » لا يفصل بين الطبيعة والحب فيقول « لها » :

اذا ما الفجر أضفى نوره فوق التـــلال ..
وانثنى الوادى من النور وصـــهباء الظلام

. . . .

وغدا النهر هوى يجـــرى على صدر الرمال
فانظـــرى تلك القرابين بمحـــراب الجمال

وترين السحر ـ ســـحر الكون ـ يغنى فى خيـــال
أنت سحرى ، وفتونى ، وصـــلاتى ، وابتهال .

فجمال الطبيعة يحييه ويذكى فيه جـــلوة الحب . ولكن هـــذا الحب ذاته من سره جمال الطبيعة وعطر الربيع ، فكما يحيى الربيع الحب ، فالحب هو الذى يبعث فى الروض الحياة !! .. يقول فى « بستان الخريف » :

ان تكن غابت عن الروض طيـــور وظلال
وغدا ظمآن ... لا يسقيه عطر أو جمـــال
اطرقت منه غصـــون ، وبكى فيـــه خيـــال
.. فتعال نلبس الروض صباه من جـــديد
.. فتعـــال نحى فى الروض الصـــبايا
ونهـــد الهم عنـــه والعـــذابا
.. فتعال نلبس الروض صباه من جديد
واخطرى كالحـــلم النشوان فى المهد الســـعيد

وتزداد هذه الفكرة وضـــوحا فى « وغابت عن الروض » وفيها يحدثنا الشاعر كيف ذوى المطر بعدها واطرقت الأغصان وغدا النهر مهدا يتيما لمتعبات الأمواج :

وقفت الديـــك من قاع وهمى
وابكيك .. والدمـــع يأس ذبيح

بمشـــلولة من بنـــات الريـــاح
تدالى عـــلى ســـاعديها فحيح

فما اهـــتز فىء ، ولا رد شىء
فمـــا الروض ـ بعدك ـ الا ضريح

هكذا يرى الشاعر الروض الذى يفجر الحب ان غاب عنه نسيم الهوى غدا ضريحا لموتى الغصـــون ... ولكن هل يموت الحب ان مات عطر الروض ؟ .. لا .. فالحب هو الذى يبعث الحياة فى الوجود ويبثه أسرار الجمال ..

هواك ، وانت ، وهـــذا الوجود
ربيـــع يجـــددنى ما حييت

فلا تفـــزعى ان أطل الخـــريف
ولم يبق فى اللحن الا خفوت

فلو مات فى روضـــنا كل شىء
فان ربيع الهـــوى لا يموت

(من قصيدة « ربيعنا لا يموت »)

وموتا يموت (والشىء بالشىء يذكر) فقد الحق الشاعر بآخر

« البقية على صفحة ٦٠ »

صموئيل بيكيت
داعية للصهيونية

بقلم: حسين مهدي الغنام

حياته واعماله :

ولد صمويل بيكيت في دبلن بايرلندا عام ١٩٠٦ من والدين يهوديين • وكان أبوه مقاولا معماريا كبيرا في دبلن • وكان والداه يغدقان عليه كثيرا بعد أن اصبح وحيدهما بموت أخيه فرانك في حروب الهند وبورما ، فنشأ مدللا سعيدا بين والديه • وكان فتى نحيف القامة وسيم الطلعة نحيلا • وقد تلقى تعليمه في مدرسة بورتورا الملكية ثم في كلية ترينتي بدبلن ، وحصل على منحة دراسية من جامعة باريس بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ فدرس بالقسم الداخلي بمدرسة المعلمين العليا • ثم غادر ايرلندا الى فرنسا عام ١٩٣٢ وبقي بها حتى الآن • وكان أبوه يجري عليه معاشا شهريا يكفل له حياة طيبة في باريس ولم ينقطع عنه ذلك الراتب الشهري الا بعد نشوب الحرب العالمية الثانية ، فذاق شظف العيش وعمل حطابا في جنوب فرنسا ، ثم هرب من النازي الى انجلترا وعمل في مستشفى للأمراض العقلية •

وقام بزيارات متعددة الى المانيا ولندن ، كما كان يعود الى زيارة دبلن في فترات متفاوتة •

ولكنه كان يعيش في باريس حياة صعلكة ، اذ كان يقضي لياليه في حي الفنانين والشذاذ ـ مونبارناس ـ وكانت حياته في ذلك الحي مثل حياة أبناء البلد في أحط الاحياء الشعبية• فلم تكن تنقضي ليلة دون مشاجرة له مع المتصعلكين الآخرين ، وكان يصاب أحيانا اصابات بدنية في تلك المعارك • وأصيب ذات ليلة بطعنة سكين في صدره من أحد صعاليك باريس الآخرين كادت تقضي عليه • وكان لتلك الفترة من حياته أثرها في نفسيته وفي حياته المستقبلة وفي اتجاهه الادبي عامة • وهو يحاول أن يبرر هذه الطعنة فيدعي انه لا يعرف الصعلوك الذي طعنه ولا يدري لتلك الطعنة سببا معقولا على الاطلاق • ويحاول انصاره من بعده ان يلصقوا هذه الطعنة المجهولة باتجاهه الى اللامعقول ، كما يحاولون ان يقولوا ان ابطال مسرحيته (في انتظار جودو) هم من ذلك الصنف من الناس (الكلوشار) ، اي صعاليك باريس •

ومن هنا اتجه الى مسرح اللامعقول ، واصبح رائدا من رواده • وهو مسرح يتنكر للمنطق ويخالف العادات والتقاليد ويحارب العادات والمفاهيم المعروفة ويعمل على تحطيم القيم الاخلاقية الموروثة ويحاول أن يخلق أعمالا خلوا من المعاني والاهداف السامية ، اللهم الا الاهداف الخفية الهدامة التي سنشرحها فيما بعد •

وهو كاتب مسرحي وروائي •

وكان اول أعماله التي نشرها قصيدته الطويلة المسماة هوروسكوب ، أي (طوالع النجوم) عام ١٩٣٠ ، ثم دراسة أكاديمية مختصرة نشرها بعد ذلك عن بروست •

وفي باريس اتصل اتصالا وثيقا بالكاتب الايرلندي الآخر جيمس جويس ، وعمل سكرتيرا له•

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية تابع نشاطه الادبي الذي يبدو تأثره فيه بالكاتب الفرنسي الكبير مارسيل بروست ، والكاتب الايرلندي الشهير جويس ، وذلك في رواياته الاخيرة التي كتبها بعد اكتمال وعيه ونضجه الادبي •

وفي عام ١٩٤٧ ترجم روايته الاولى « مورفي » الى اللغة الفرنسية • ومورفي هذه رواية أشبه بكلام المجانين ، استوحاها من عمله في مستشفى الامراض العقلية بلندن ، فلم تجد الا ناشرا مجنونا مجازفا جازف بنشرها فجلبت له بعض الشهرة ، ورأى فيها انصاره شيئا جديدا يكتبه رائد مدرسة أدبية جديدة • وفي السنوات التالية آثر أن يضع مؤلفاته باللغة الفرنسية رأسا ، على أن يكتب بلسانه الأصلي •

وقد ظهرت ثلاثيته : مولى ، وموت مالون ، وما لا يسمى ، فى باريس بين عامى ١٩٥١ و١٩٥٣، فقابلها النقاد والجمهور بقدر كبير من الاستحسان .

وفى عام ١٩٥٢ مثلت أولى مسرحياته : فى انتظار جودو ، على مسارح باريس ، كما مثلت فى نيويورك عام ١٩٥٤ وفى لندن ودبلن عام ١٩٥٦ .

وفى عام ١٩٥٧ قدمت له الاذاعة البريطانية مسرحية اذاعية اسمها « كل الذين يسقطون » .

كما مثلت له فى عام ١٩٥٨ مسرحيتان أخريان، هما : « شريط كراب الاخير » و « لعبة النهاية » .

تقدير اعماله :

يعتبر بعض النقاد الانجليز اعمال بيكيت المسرحية فى مستوى أعمال كبار الكتاب المسرحيين فى هذا العصر . كما يعتبره البعض الآخر من أقدر كتاب الرواية الانجليزية منذ عهد آرثر جويس كارى .

وقد وضع كثيرا من القصص والروايات والمسرحيات غير التى ذكرناها ، وان كان يعتبر الآن كاتبا فرنسيا اكثر منه كاتبا انجليزيا . ولا غرابة فى ذلك ، فهو كاتب يهودى وطنه الظاهر هو الذى يطيب له المقام به ، وان كان قلبه متعلقا بوطن آخر !

وعلى أية حال ، فهو كاتب متفرد يحتاج الى دراسة واعية محايدة لكى يفهم حق الفهم ، لأنه ذو عقلية شاذة لا يتكرر مثلها فى أى بلد آخر فى هذا العصر فهو فى اعماله يمزج بين التخيلية الغريبة الشاذة التى ابتدعها الشعراء فوق الواقعيين (السرياليون) ، وبين آثار أصحاب الجبرية الباطنية ، والمضامين الخفية، مثل كافكا أو كامو .

وسنقوم بهذه الدراسة المحايدة - الاجتهادية الحرة - بعد استعراض آراء بعض النقاد الغربيين فى اعماله ، وأشهرها : مسرحية «فى انتظار جودو»، وهى نصف ملهاة ونصف ماساة . وقد تاثر فيها تأثرا واضحا باعمال من سبقوه من الكتاب الايرلنديين وبيئتهم التى اوحت اليهم اعمالهم الخالدة ، مثل مسرحية « فتى العالم الغربى » لجون سنج ،و « القمر فى النهر الاصفر » لدنيس جونستون ، ولكنه زاد عليها ما وطد نفسه على الدعاية له ، وهى أهداف بعيدة المدى .

وهذه المسرحية ، فى تضميناتها الفلسفية ، تكاد تتساوى بالأرض الخراب لأليوت ، والقصر لكافكا . وقد تاثر بيكيت فعلا بالكاتب الروائى المسرحى كافكا تاثرا كبيرا .

أما بعض النقاد الفرنسيين ، من أصحاب العقليات الشاذة كمؤلفها، فقد امتدحوها كل المدح واعتبروها أهم عمل درامى مثل على مسارح باريس منذ الحرب العالمية الثانية ، وقابلوها بعاصفة شديدة من الاستحسان ، بينما قابلها العقلاء من النقاد بعاصفة مضادة من الاستهجان والاستنكار .

ولكن هذه المسرحية - على اية حال - لم تلبث ان ترجمت الى اللغة الانجليزية ومثلت على مسارح نيويورك ولندن ودبلن ، كما ترجمت الى اللغات الالمانية والايطالية والفنلندية واليابانية ، ومثلت على مسارحها ، فلقيت نفس النجاح فى معظم تلك البلاد.

وهى من حيث الفن المسرحى ، تعتبر مسرحية فاشلة ، ولكنها دعوة خبيثة منحلة فى شبه ديالوج طويل ممل بين رجلين ملتاثين ، أو ثلاثة رجال . وقد خلت خلوا شاذا ملحوظا من العنصر النسائى .. ولم يكن خلوها من العنصر النسائى اعتباطا ، فان اليهود يحتقرون المرأة احتقارا مهينا فى كل أمر يتعلق بالمقدسات فى نظرهم ، فهى اذن غير جديرة بانتظار مخلصهم جودو مع الرجال !

ويبدو من سياق المسرحية ان البطلين مصابان بالشذوذ الجنسى . ولكنى ارى ان بيكيت نظر فى مسرحيته هذه الى زاوية انجليزية رمزية فى مسحة دينية نشرت بانجلترا فى عشرينيات هذا القرن ، ثم ظهرت فى طبعة منقحة مصورة عام ١٩٢٤ . وهى من تاليف كاتب انجليزى مغمور اسمه مايكل فيرلس ، واسمها « مرمم الطرق » .

للبحث بقية

« **حسين مهدى الغنام** »



بقلم عبده بدوى

مع المثقفين فى مهرجان :

كنت قد طالبت فى العدد الماضى بالرجوع بفكرة بناءة من المنصورة يلتقى عندها مثقفو القاهـــرة . وقد كان فى ذهنى وأنا أكتب هذا الكلام أنه حين تلتقى وجوه المثقفين أو تتلاحم ، وحين تفرد أصواتهم أو تبدو متقلة بالغضب ، فانه لا بد أن يحدث شىء جديد يحطم « الاطار الثابت » الذى يضعون فيه بعضهم ، ولا بد أن يلتقوا عند بعض نقط الخلاف ، فاذا لم يحدث هذا فلا أقل من التسامى بهـــذا الخلاف ، وجعله موضوعيا بعيدا عن الحقـد والمزايدة والمرارة .

ومن أول وهلة كان يبدو أن هناك ثلاث تكتلات ، تتحرك معا ، وتقف معا ، وتتحدث حين تتحدث معا ، وتنظر الى الآخرين نظرات ملؤها الغضب الهادىء ، والتوعد العاقل ، والتربص الذى لا بد منه .

صحيح انه كان يوجد فى أول الأمر تياران يمثلان العاملين فى الصحافة السياسية والصحافة الأدبية ، ولكن بمجرد وصول الدكتـــور لويس عوض تميز التيار الثالث الذى يمكن تسـميته باللوسية ، ثم اندفعت الطلقات الأولى هادئة فى أول الأمر حين أخذ الحديث يدور عما يكتب فى القاهـــرة ، ثم تتابعت الطلقات الى الحد الذى كونت فيه حريقا كبيرا فى النفوس ، وفى العيون ، وفى الكلمات .

وقـد بدأ الاحتكاك حين أراد البعض أن يسلـوا ليلهم ، وكان أن تعرضـــوا للمجلات فى كلمـــات لا تخرج عن دائرة المداعبة ، ولكن البعض الآخر لم يقبل هذه المداعبة ، وآثر أن يحول الموضوع الى نوع من الجد ، وكان أن دار كلام حول ما يغضب من المجلات ، ومن من الكتاب تراد مناقشـــة أفكاره ؟ وما المقترحات التى يمكن أن تقدم فى هذا المجال ؟

وقال زميل : ان هناك هجوما على الماركسية ، وعلى المسيحية ، وعلى بعض الأشكال الجديدة فى الأدب ، ولم نشأ أن نرد على هذه الموجة ، بأن هناك هجوما على الله وعلى نبيه وعلى العرب والاسلام والوحـدة والقومية لئلا يزداد الجرح ، ولكنا آثرنا أن نذكر أن المقالات التى كتبت كانت مناقشة للماركســية كأية فلسفة من الفلسفات وأن الله اذا كان يناقش فى هذه الفترة فان ماركس لا بد أن يناقش وانه لا توجد كلمة واحدة تهاجم المسيحية ، بل هناك دفاع صريح عن المسـيح حين تحـول فى شـعر بعض

الشعراء المسيحيين الى ماكر وعنكبوت وباصق في الوجوه .. ويمر الزمن وتصطدم الكلمات المدببة وحين يخف غبار الكلمات تظهر بعض رءوس الأفكار التي تدور حول أن من يناقش ماركس لا بد أن يكون رجعيا ، ومن يتعرض لنقد الدكتور لويس عوض لا بد أن يكون قد تعرض للمسيحية ، ومن يحتك بأي شكل من الأشكال الأدبية والفنية الجديدة لا بد أن يكون متخلفا !



وتتم لقاءات أخرى ، وتدور الأحاديث في جو جديد من النقاء ، وتطفو على السطح أفكار تدور حول انه لا بد من المحافظة على القيم المضيئة في تراثنا ، وأن الاسلام يجب أن يخرج من دائرة التراث باعتباره منهجا مرنا ينتظم الحياة ، وان الماركسية لم تطبق كنظرية أبدا فقد خرج على بعض جوهرها لينين ، وماوتسي تونج ، وانها في كل مكان تأخذ مسحة جديدة ، وانها يجب ألا تكون الاطار لحياتنا الجديدة، بل جزءا لا بد منه في هذا الاطار باعتبارها تراثا حضاريا لا يمكن تخطيه .

ومن الملاحظ أن ما كان يشغل بال هؤلاء المفكرين لم تكن تلك القضايا الصغيرة كالشعر في الشكل المتجدد ، والشكل التفعيلي ، وكالعامية في الحوار ، والمدارس الحديثة في الأدب والفن ، وانما كانت تلك القضايا الكبيرة التي تمس نظرية الحكم ، وشكل النظام .



وحين يواجه بعض هؤلاء المثقفين بالجمهور للرد على بعض الأسئلة التي توجه اليهم ، نتعرف على افكار هؤلاء المثقفين ،وعلى افكار الجماهير نفسها، **فالدكتورة بنت الشاطيء** ترد على سؤال يدور حول بدء الثقافة العربية وأثر الاسلام فيها ، وهل هي تسبق بعض الحضارات الأخرى ؟ بان البدء مجهول ، وانه لم توجد هناك حفريات لتحدثنا ، ومن هنا فالبدء الصحيح للثقافة العربية هو الاسلام ، لأنه هو الذي وصلهم بالشعوب الأخرى ذات الثقافات كمصر والشام والعراق وفارس ، وانها بهضمها لهذه الثقافات قد أعطت نوعا جديدا من الثقافة في الوقت الذي لم يكن فيه لأوربا أى اسهام في هذا المجال ، وأن هذه الثقافة كانت وراء عصر النهضة الأوربية .. ومع أن الحديث في هذه الندوات يكون خاطفا وغير مطلوب التعمق في جوانبه ، ومحصورا بدائرة صغيرة من الزمن ، الا أنه لا بد أن الدكتورة تعرف أن هناك بعض المؤرخين الذين وضعوا أيديهم على نقطة بدء الحضارة العربية ، وان هذه النقطة قد تكاملت من المصادر اليونانية واللاتينية والهيروغليفية والمسمارية ، والنقوش الحميرية التي اهتدى الى حلها أخيرا ، بالاضافة الى التراث الاسلامي وما كتبه السائحون والمنقبون مثل كارستن نيبوهر ، وجوهان ليدويج برخارت ، ووليام جفورد بلجراف ، اما أنها لم تسبق بعض الحضارات في المنطقة ، فبالرغم من أن الدكتورة كانت تميل الى هذا الرأى الا اذا تجاوزنا المنطقة المسماة بالجزيرة العربية ، الا أنه لا بد من تذكيرها بكتاب « الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين » للعقاد ، فهذا الكتاب يؤكد أنه لا خلاف في علاقة العرب الأقدمين خارج الجزيرة بالجزيرة العربية ، ولا في قدم العمران في هذه الجزيرة « فمن المألوف أن يحدث الجفاف والجدب في البلاد الصحراوية فيرحل عنها أهلها ، ومن التاريخ الواقع أن هذا قد حدث فعلا غير مرة في هجرة القبائل من جنوب الجزيرة وأواسطها الى بلاد الانهار أو بلاد الخصب الدائم والمرعى الموفور ، ولكنه لم يؤلف ولم يحدث قط أن ينعكس الأمر الخ ص ١٣ »

ثم كان توفيق بنت الشاطيء وهي تذكر أن الرجعية وثنية فكرية يحاربها الاسلام ، وأنه يجب ألا تخون أمة تاريخها ، وأنه يجب ألا نلوح بكلمة الرجعية في وجوه الذين يشدون قلوبهم على تاريخنا ، لأن سنن الفطرة والكون وشريعة الله تأبى أن تنتصر الرجعية ، فيومنا عامر بأمسنا ، وغدنا عامر بيومنا .

ومحمد الغزالي .. أجاب على موقف الدين من الثقافات الأجنبية ، بأن هناك علما لا وطن له ولا عصر له ، وأن هذا النوع من العلم يجب أن نسعى اليه ، أما الثقافة الذاتية التي تمثل تقاليد الأمة ، وقوانينها ، وشرائعها ، وآدابها ، وأشواقها ، فان من الخير ألا ننقل الا ما يثرى هذه الملامح ، ثم ضرب مثلا بروسيا ، فانها في الوقت الذي تتلصص فيه على الأسرار العلمية في امريكا ، فانها تحافظ على مقوماتها في الآداب والفنون .

ومحمود أمين العالم .. أجاب عن سؤال حول الابعاد التي حددتها الثورة لمفهوم الثقافة ، بأن هذه الأبعاد تتمثل في البعد القومي ، فبعد أن كان البعد يحارب بالاستعمار ، ودس الأفكار المتناقضة،

نرى الثورة تكافح من أجل تدعيم هـذا الجانب ، وتنجح في تدعيمه ، وهناك البعد الانساني، فبعد ان كانت ثقافتنا راكدة رأينا الثورة تفتح النوافذ ورأينا أنفسنا نأخذ ما يوافقنا ، ونتفاعل به ، ونضيف اليه ، ثم ان هذه الثقافة اذا كانت في الماضي مدموغة بالطابع الاقطاعي الاستعماري ، واذا كانت تشكلها التوكلية والغيبية والفردية ، فان هـذا كله قد تحول الى ما يمكن تسميته علمية الثقافة ، والاتجاه بموضوعية نحو كافة الأشياء ، أما البعد الرابع فهو أن ثقافتنا الرسمية قد أصبحت ثقافة ملتزمة ترتبط بمصالح المجتمع وحركة التاريخ ، وقيم الشعب والثورة .. ثم تراه يطرح سؤالا يقول .. هل معنى هذا أن يسير مجتمعنا في اتجاه واحد ؟ ، ويجيب بأنا مجتمع غير متجانس ، وأنا في مرحلة انتقال ، وأن بقايا الفكر الاقطاعي والرأسمالي ما زالت فينا ، ومن هنا يجب أن نترك هذه الأفكار كالوجودية ـ وهي فكرة غير اشتراكية ـ والوضعية المنطقية ـ وهي فلسفة رجعية ـ ، كما يجب أن نترك التجريدية والتكعيبية والسريالية، لا لتترعرع، وانما لندخل معها في صراع ولتصفى .. ونحن هنا نسأل الأستاذ محمود أمين العالم : ثم ما الذي يحدث بعد أن تصفى مثلا الوجودية وهي ـ كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي ـ فلسفة تحيا الوجود وليس مجرد تفكير في الوجود وتقوم على مبدأ أساسي سهل بسيط هو أن وجود الانسان ما يفعله ، وانها من أحدث المذاهب الفلسفية وفي الوقت نفسه من أقدمها ، وما رأيه في التقارب الأخير بين السارترية والماركسية ؟ وكيف يكون الاجهاز بهـذه الصورة القاطعة على الوضعية المنطقية في الوقت الذي بح فيه صوت الدكتور زكي نجيب محمود من أنها ليست فلسفة بالمعنى الايجابي لهذه الكلمة ، لكنها منهج في فهم العبارات اللغوية بغض النظر عن خامة هذه العبارات ، وأننا في أشد الحاجة الى هذا المنهج لاستهانتنا بالضبط في كلامنا مما تتعذر ترجمته الى اللغات الأخرى ؟

ثم هـل نلغي قياسا على هـذا البرجماتية ، والظاهراتية ، والمثالية ، والشخصانية ، والحدسية .. الخ ؟ وبعبارة أخرى ماذا يبقى في نهاية الأمر لنتصارع معه ؟ ثم لماذا تنمو الآن مثلا في روسيا المدارس الحديثة كالسريالية والتكعيبية والتجريدية في الفن التشكيلي ؟

ولقد توهج الجو حين الحديث عن الغزو الفكري والاحتكاك الحضاري ، فقد أكد **محمد زكي عبد القادر** تعرض الثقافة العربية لحرب مريرة من الاستعمار ، الى الحـد الذي اهدرت فيه اللغـة تماما في الجزائر وبعض البلاد العربية الأخرى ، والى الحد الذي وجد فيه المواطن الذي يحس بالعار حين يتكلم اللغة العربية، ومع أن هـذا النوع من الاحتكاك قد عصف ببعض الدول التي وقعت في يد الاستعمار ، الا أن الشعوب العربية قد تمكنت من رفع هـذه القبضة بالقرآن ، وبالجذور الحضارية الضاربة في المنطقة ، ثم أكد أننا لسنا ضد التلاقح الثقافي في أية صورة من صوره .

وقد خالف الدكتور **لويس عوض** في هذا ، وذكر أننا نستعمل هذه الكلمة بدون ترو ونقول انها أثر استعماري ، ولكن الاستعمار لم يقم بدور ايجابي في الغزو لأنه كان منصرفا الى ما يمكن تسميته « العزل الثقافي » الذي يتمثل في اقامة كادر اداري يشكل الموظفين الذين يكونون في خدمته ، ثم انهم كانوا يقولون ان الافكار الأوربية غير قابلة للتصدير وان ادخال السكة الحديد أسهل من ادخال لون من الوان الثقافة ، وأن محمد عبده ، ورفاعة الطهطاوي، وقاسم أمين سرقوا « نار الآلهة » وأضاءوا بهـا حياتنا .

وقد رد الشيخ الغزالي بأن الاستعمار الثقافي حقيقة ملموسة في حياتنا ، وأنه كان يقصـد به فصل الأمة العربية والاسلامية عن تاريخها ومقوماتها، وأن مصر لو لم تنكب بالانجليز لكان لها دور هائل في تحريك آسيا وافريقية ، وأن ضغط الاستعمار على الدول العربية يختلف عن هذا الضغط في البلاد الأخرى التي لا تدين بالاسـلام ، وأنهم عملوا على تحقيرنا، وأن الذين سرقوا نار الآلهة كانوا يعتمدون في اصلاحاتهم على النصوص القرآنية وروح الاسلام ثم أخيرا انهم بنوا عندنا الاوبرا قبل المصنع .

* * *

وبعد هذا التصادم من الأفكار يمكن القول بانه قد حدث تداخل بين التيارات الثلاثة ، وان كان التيار اللويسي قد حرص على أن يظل متماسكا وغير راغب في التداخل مع الآخرين ، وفي الوقت نفسه أخذ عدد كبير من المثقفين على أنفسهم أن يتقابلوا في القاهرة مهما كانت الظروف للمناقشة ، وعرض وجهات النظر ، بعد أن ظهر أن ما يفصل بينهم ليس

محيطا مرهوبا وانما قناة صغيرة يمكن عبورها بجد وبجسارة معا ، وانه من العار أن يفتعلوا الخصومات، ويزيدوا من حدة التوتر لا للشيء وانما للوهم بأن من المصلحة أن تبقى النار دائما مشتعلة للاستمتاع بالدخان .

ومهما يكن من شيء فنحن من جانبنا نؤكد أنا عند الوعد الذي عقدناه في أن نلتقي في القاهرة ، ونناقش ، ونمد اليد دائما بالسلام .

حول المهرجان

● وفق **عميد الامام** في عرض المشكلة الفلسطينية، والدور الذي يمكن أن يؤديه البترول في المنطقة ، غير أن الموضوع ظلت تنقصه لمسة عن دور العرب من القضية على المستوى الشعبي ، وعن دور الأدباء من هذه القضية التي تتجاهل في انتاج الكثيرين الى الحد الذي قيل فيه انها ماتت في ضمير الأديب العربي .

● تحدث **سامي داود** في حماس وفي لهجة خطابية كانت تشحذ نفوس الحاضرين عن الثورية التي حطمت أمامها الكثير من الطغاة ، وعن قدرتنا في تحريك أسلحتنا البشرية والبترولية وكل ما هو محكوم بأيدي الاستعمار والموالين له ، كما قارن بين الحافز الفردي في المجتمع الرأسمالي والحافز الجماعي لدى الطبقات العاملة ، وركز طويلا على فكرة الادخار المحلي التي تمت في محافظة الدقهلية وبحثت - على حد تعبيره - على أعلى مستوى سياسي في الدولة ، وقد أعجبني منه أنه أنهى حماسه الجارف بكلمة مضيئة للسيد المسيح تدور حول انه لكي نريد السنابل يجب الا نلقي البذور في الصحراء وانما في الأرض الطيبة ، وكم تمنيت على مفكرينا المخلصين - وبخاصة محمود أمين العالم - الا ينسوا في أحاديثهم وهم يخاطبون الشعب ، أن يتكئوا بيديهم معا على القرآن وعلى الحديث ، فالاسلام ليس فيه « رجال دين » بحيث يلقي عليهم هذا العبء - كما هو حادث فعلا - ، وانما هو ملك لكل من يفتح قلبه له ، وسنرى كيف نثري الحياة بطريقة لم تحدث من قبل ؟ وكيف نحرك قوى الجماهير بصورة لم تحدث في التاريخ اذا جربنا في هذا العصر هذه التجربة ؟ فلنجازف ولو في آخر ما نحب أن نقوله كما فعل سامي داود .

● لم يلق متحدث أو شاعر ما لقيه الشاعر **محمود حسن اسماعيل** من الرضى والاعجاب ، وهو يلقي قصيدته « عاشقة العنكبوت » التي فسرت من بعض أئمة الاشتراكية بأنها فتح جديد في عالم الشعر الاشتراكي ، والى الذين سارعوا بأخذها لنشرها ، وللتدليل على اكتشاف هذا الاتجاه الجديد تقول ان القصيدة قد نشرت بمجلة الرسالة منذ عام تقريبا .

● من الكلمات التي أسعدت الحاضرين الكلمة الآتية للسيدة أم كلثوم :

« ابدأ كلمتي بتقديم الشكر الى السيد محافظ الدقهلية لتكرمه بدعوتي الى الاشتراك في هذا المهرجان السعيد . ولئن كانت ظروف العمل قد منعتني من الحضور فانه يسرني أن أضم صوتي الى أصوات الحاضرين في الدعاء لهذا الاقليم الحبيب بالتقدم والازدهار . في هذا الاقليم نشأت . عشت تحت سمائه ورويت من مائه . وكان أول عمسى على جناح هوائه . واني كلما عاودني الحنين الى زيارته شاهدت من آثار التقدم في شتى نواحيه ما يسعد قلبي وخاطري ويزيدني حبا له واعتزازا به . اسأل الله الكريم أن يفسح له في الرزق والنماء وأن يحقق له ولسائر الأقاليم في هذا الوطن العزيز ما نرجوه جميعا من دوام العزة والكرامة تحت ظل راعيه والساهر على اسعاد أهله . وفقه الله وسدد خطاه ».

● أضفى الشاعر **محمد الجيار** على المهرجان مسحة شعرية رقيقة ، فقد كان يمثل دائما فاصلا موسيقيا عذبا بين كل متحدث وآخر .

وأخيرا .. فقد فعلت المنصورة ما عجزت عنه القاهرة ، واستطاع المثقفون أن يلتقوا فيها كأعداء في أول الأمر ، ومتصارعين ، ومتفاهمين على أشياء كثيرة في نهاية الأمر . واعتقد أن هذا ليس بالحصاد الهين !

« **عبده بدوي** »



للدكتور عبد الحليم منتصر

مؤتمر الأحياء الدقيقة

عقد بالقاهرة فى الشهر الماضى ، مؤتمر علمى ، على أعظم جانب من الاهمية ، تناول المؤتمرون فيه من علماء مصر موضوعات تتصل بدراسة الاحياء الدقيقة وأثرها فى أمراض النبات وفى التربة الزراعية ، وتاثير الكيماويات عليها والاحياء الدقيقة فى الالبان والاغذية وفى التخمرات الصناعية ، وقد ألقى فى كل فرع من هذه الفروع عشرات من البحوث العلمية المبتكرة ، ونوقشت نتائج هذه البحوث ، مناقشة علمية هادئة .

وليس من شك فى أن المؤتمر قد حقق أهدافه كاملة ، ولعلنا هنا نعرض لبعض البحوث والدراسات التى شملتها أعمال المؤتمر ، لنبين للقراء أثر هذه الكائنات الحية الدقيقة، فى حياتنا العلمية والصحية، والاقتصادية والصناعية والزراعية ، وكيف أن هذه الكائنات التى تبلغ غاية الدقة والضآلة فى حجومها، تؤدى دورا هاما وخطيرا فى حياتنا .

وقبل أن نعرض لهذه الدراسات، نحب أن نتعرف الى صور هذه الكائنات من بكتريا أو فيروس أو فطريات أو طحالب، وكيف أن بعضها يوجد بالملايين فى السنتيمتر المكعب الواحد من التربة أو الماء ، وكيف أن خلاياها تقوم ، بكل مظاهر الحياة ، من تنفس ، وتكاثر وتغذية ، ونمو ، وتتأثر بالحرارة والبرودة والرطوبة والكيماويات المختلفة وغيرها من مؤثرات . وكيف أن بعضها لا يكاد يرى الا بالمجهر على حين أن بعضها الآخر لا يكاد يرى الا بالمجهر الالكترونى الذى تصل قوة تكبيره الى مائة الف مرة أو تزيد ، وغنى عن الذكر ان العين المجردة لا يمكن أن ترى مثل هذه الكائنات الدقيقة .

ولعلنا نذكر كذلك أن مئات من الامراض تصيب النباتات والمحاصيل ، وعشرات منها تصيب الانسان ، وعشرات غيرها تصيب الحيوان ، ومسبباتها جميعا ، انما هى كائنات فيروسية دقيقة، تنفذ من مسام المرشحات ، ولا تمكن رؤيتها الا بالمجهر الالكترونى ، وبعضها يسبب أمراضا خطيرة تصيب الانسان ، مثل شلل الاطفال ، والحصبة ، والجدرى وغيرها .

ويحدثنا علماء مصر فى المؤتمر المذكور ، انهم لاحظوا منذ سنة ١٩٦٠ مرضا يصيب الفول بشكل وبائى وأنه يسبب تبرقشا فى أوراقه ، كما لاحظوا مرضا مشابها يصيب نبات البسلة، ونشط الباحثون لمعرفة مسبب المرض ، فاذا به نوع من الفيروس، وانه لينتقل بواسطة التلقيح بالعصير ويصيب جميع انواع الفول التى تزرع تجاريا بمصر ، وكذلك الاصناف البلدية المحلية ، وباختبار خمسة وعشرين صنفا مستوردة من الخارج، وجد أنها جميعا حساسة للمرض، وقد وجد أنه يصيب الفول والبسلة وكذا الترمس والبرسيم والفاصوليا والدخان والطماطم والقرع . وقد درس الباحثون خواص الفيروس المسبب للمرض ، ووجدوا أن نشاطه يتوقف عند تعرض العصير لدرجات حرارة أعلى من ٦٠°م لمدة عشر دقائق ، كما أنه لا يحتمل التجفيف أكثر من ١ : ٥٠٠٠ ، كما وجد أن العصير المستخرج من نباتات مصابة، يمكن أن يحتفظ بقوته لاصابة الفول

لمدة ٤٤ ساعة . كذلك فى حالة حفظ أوراق فول مصابة فى حالة متجمدة على درجة ٢٠٠ ° م فانها تبقى معدية فترة أكثر من ستة شهور .

وعرض آخرون بحثا عن علاقة البوتاسيوم والنتروجين والفسفور بمدى اصابة نبات القطن بمرض الذبول التى تسببه فطرة خاصة . وقد هدف الباحثون لدراسة مدى تأثر فطريات التربة المسببة لأمراض النبات بعوامل كثيرة من بينها العناصر الغذائية ودرجة تركيزها بالتربة . وقد زرع الباحثون بذور القطن من صنف الكرنك فى مزارع رملية ، ملقحة بالفطرة المعزولة ، من نباتات مصابة، ورويت بمحاليل غذائية ، تحتوى على وحدات تركيز مختلفة من العناصر التى يبحثون عن أثرها ، كما افتقر بعضها الى كل من هذه العناصر على حدة .

ودرس باحثان موضوع التفاعل بين البكتريا المحيطة بجذور القطن والفطرة المسببة للمرض ، تمهيدا لمعرفة كيفية المقاومة الاحيائية للمرض ، أى مقاومة كائن حى بكائن حى آخر ، فقد وجد أن معظم أنواع البكتريا المتجرثمة تنتج مواد مضادةللفطريات، وأنه يمكن استعمال هذه البكتريا فى المقاومة الاحيائية . وقد عزل من المنطقة المحيطة بجذور القطن من صنف الكرنك والاشمونى نوعان من هذه البكتريا ، وجرب تأثير كل منهما على نمو الفطرة المسببة لمرض ذبول القطن تحت ظروف متغيرة من درجات الحرارة ، والرقم الايدروجينى ، والمصادر النتروجينية ، وقد بينت النتائج ان التفاعل بين الفطرة والبكتريا تتغير بتغير هذه العوامل ، فقد يحدث توافق تام أم تضاد تام ، وبذلك يمكن استغلال هذه الظاهرة فى مقاومة المرض . كما درس آخرون مرض العفن الاسود فى البطاطا ، وكذلك العوامل التى تؤثر على العفن الابيض فى البصل ، وقدم عدد من الباحثين دراسات هامة على مرض صدأ القمح ، درسوا تأثير درجات الحرارة على فترة الحضانة لسلالاتها المختلفة ، وكذلك تأثير شدة الاضاءة على هذه الفترة ، وعقدوا مقارنة احصائية لأبعاد الجراثيم المسببة لصدأ مرض القمح ، ومدى تأثير العائل والظروف البيئية على هذه الأبعاد .

ومن البحوث التى أثارت اهتمام المشتغلين بعلوم الاحياء الدقيقة فى هذا المؤتمر ، تلك الدراسة التى قام بها بعض الباحثين على فيروس طاعون الدجاج،

وعلى مرض تفحم البصل فى مصر ، وقد وجد فى الحالة الاخيرة تزايد الاصابة فى الشتلات حتى يبلغ عمر النبات حوالى شهر ، وتحدث معظم الاصابة فى خلال الستة الايام الاولى من الزراعة . وقد لوحظ أن انخفاض درجة الحرارة يساعد على زيادة الاصابة بالمرض ، فى حين ان ارتفاعها يؤدى الى قتلها مما يجعل من المفيد النصح بالتبكير المناسب بزراعة المشاتل ، والامتناع عن زراعتها فى وقت متأخر لتجنب الاصابة بهذا المرض، أو تقليلها الى حد كبير.

وثمة دراسات على تأثير بعض المبيدات الفطرية فى مقاومة مرض البياض الزغبى واللطعة الارجوانية على البصل الفتيل وأخرى عن تأثير بعض المبيدات الفطرية العضوية والنحاسية على مقاومة مرض التبقع البنى والصدأ على الفول وغيرها على علاج مرض البياض الزغبى على العنب بالمطهرات الفطرية الحديثة .

وتكلم عدد من البحاث على ظاهرة جفاف الافرع على شتلات البرتقال، ومرض تبقع أوراق القطن وأمراض الموالح الفيروسية ، وعفن النورات فى نخل البلح ، والندوة المتأخرة على الطماطم ، والتدرن التاجى فى مشاتل البرقوق ، وتبرقش الاوراق فى الموز ، وأمراض الورد والدخان والبطاطس والتفاح وغيره من ثمار وخضراوات ومحاصيل .

وفى شعبة الأحياء الدقيقة التى تعيش فى التربة الزراعية ، عقد المؤتمر عدة جلسات ، خصصها المؤتمرون لهذا الموضوع الحيوى ، عرضت فيها ، عشرات من البحوث عن تأثير بعض الطحالب الزرق على محصول الارز وقدرة بعض الطحالب المعزولة من التربة المصرية على تثبيت الازوت ، وتأثير التلقيح البكتيرى فى محصول الفول السودانى ، والفول البلدى ، وتأثير التسميد الفوسفاتى والنتراتى والتلقيح البكتيرى علىبعض المحاصيل ،وتأثيراصلاح الاراضى الملحية على بعض خواص التربة ، وأثر التسميد المستديم على النشاط الميكروبى بالتربة . وأثر تجفيف التربة (التشريق) فى حيويتها ومحتواها من الأزوت . ودراسات على انزيم الفوسفاتيز فى الاراضى المصرية ، والطرق الاحيائية فى مقاومة بعض أمراض النبات ، والاختلافات الموسمية فى ميكروبات التربة والمادة العضوية والنتروجين فى الاراضى المصرية وتأثير درجة الحرارة على بعض الخواص

الحيوية والكيماوية في الارض ، ودراسة استخدام نبات ورد النيل سمادا عضويا مع العنـاية بما قد يحمله من طفيليـات ، اذ المعروف ان نباتات ورد النيل تمثل مشكلة في الوقت الحاضر ، حيث تغزو قنوات الرى والصرف وتعوق الملاحة الداخلية، وان تراكمها على الجسور يسبب مشكلات أخرى ، ولذلك تتعين دراسة كل ما من شأنه العمل على ازالتها كلية.

كما عرضت دراسات عن أثر اضافة المتخلفات النباتية غير المتخمرة للتربة سواء في خواصها الحيوية أو الكيمائية أو على المحصول التالى ، وأخرى عن التأثير المصلـح لنشـارة الخشـب على الاراضى الرملية المستحدثة ، ويشير الباحثون بامكان اسـتخدام نشارة الخشب كمادة عضوية في تحسين خواص التربة وانتاجيتها ، وخاصة في السنـوات الاولى عندما تعانى التربة انخفاضا في القدرة على الاحتفاظ بالماء ، وخص الدارسـون بعض بحولهم بقمـامة شوارع القاهرة وامكان تصنيعها والاستفادة منها.

وفي شعبة تأثير بعض الكيماويات في الكائنات الدقيقة عرض بعض الباحثين لموضوعات ودراسات هـامة عن التـوافق الحيوى بين المبيـدات الفطرية والحشرية ، والعلاقة بين التركيب الكيماوى والتأثير الحيوى ، حيث درس التأثير الابادى الفطرى لمختلف الاملاح والمركبـات العضوية ، وتأثير بعض المبيـدات الفطرية أو الحشرية أو الحشـائشـية على ميكروبات التربة .

وفي موضوع المضادات الحيوية ألقيت عدة بحوث عن قدرة بعض النباتات الراقية على انتاج المضادات البكتيرية ، وعن عزل الفطريات المنتجة للمضـادات الحيوية من القناة الهضمية لديدان الأرض ،والمضادات الحيوية التى تنتجها بعض الفطريات المختلفة المعزولة محليا كما عرضت موضوعات أخرى خاصة بالأحياء الدقيقة في الاغذية والألبـان ، وقدمت دراسـات وافية عن الاحيـاء الدقيقة في الالبـان المتخمرة ، وأنواع الخمائر في محاليل التخليل ، ودراســة المخلـلات المصرية من النـاحيتين البكتريولوجية والكيماوية ، وبكتريولوجيـا الجبن الدميـاطى ، ودراسات على الالبـان المبسترة في الجمهـورية العربية المتـحدة وعن اسـتعمال فوق اكسيد الايدروجين كمادة حافظة للبن .

وفي مجال التخمرات الصناعية ، عرض علمـاء مصر عددا كبيرا من البحوث الهامة التى يقومون بها في الوقت الحاضر مثل انتاج بعض المواد بواسطة الكائنات الدقيقة ، وأثر العوامل البيئية والغذائية على هذا الانتاج ، ودراسات عن تأثير عسل النحل في نمو البكتيريا وعن التغيرات التى تحدثها أشعة جاما في الخميرة ، وعن القيمة الغذائية لنبـاتات الذرة الخضراء التامة النمو ، وكذا عروش البطاطا ، وفحم بنجر السكر ، واستغلال الاعلاف الخضراء ، وتقدير الكحول في المزارع البكتيرية ، واستخدام أملاح الكروميــوم في الزراعة اللاهوائية للكائنات الحية الدقيقة ، وانتاج بعض الأحماض العضوية من بعض سلالات محلية من الفطريات ، وتأثير الازوت والفسفور في ناتج الخميرة عند تنميتها تحت ظروف خاصة ، وكذلك عزل سلالات من الخمائر لها القدرة على استخدام بعض السكريات ، وصلاحية نخـاع قصب السكر في انتاج خميرة العلف ومعاملة أوراق الدخان قبل التصنيع .

وبعد : فقد اشترك في هذا المؤتمر الناجح نحو مائة وعشرين من المتخصصين في هـذا اللون من الدراسة وكلهم من علماء مصر ، وقد ألقوا أكثر من مائة بحث مبتكر ، تتعلق بموضوعات الاحياء الدقيقة وأهميتها في الزراعة والصناعة وأمراض النبـات والاغذية والالبان ، وقد استطاع شباب العلماء أن يقدموا في هـذا المؤتمر أبرع عرض وأوفاه ، مما يجعلنـا نرجو أن مصر ستستطيع أن تطمئن الى أن مستقبلها العلمى في أيد أمينة ، وأن علماءها قادرون على أن يبوئوها المكان اللائـق بها بين الامم التى تستبق في ركب العلم وموكب الحضارة .

« د . عبد الحليم منتصر »



الدقهلية بلدها تاريخ

تأليف : السيد فرج

عندما يتحدث المرء منا عن محافظة الدقهلية يشعر بأن هناك أشياء كثيرة تنبت فى قلبه بكثير من الحب وبعض الألم .. ويدعم شعور الحب وينميه طبيعة الانتماء الى الأرض والبيت الذى نشا فيهما .

تلك الارض الخضراء التى أعطتنى أول أنفاس الحياة بسخاء وذلك البيت الذى يقع فى احدى قرى مركز ميت غمر الذى شهد طفولتى وصباى ـ والذى تعلمت فيه الكثير عن الحب والوطن والانسان قبل أن تحاول المدينة الكبيرة أن تبتلعنى بصخبها وتناقضاتها . وما زالت قريتى « **بشالوش** » حتى الآن تعمل فى نفسى عمل الاستاذ الرائد والموجه الذى يقدم لتلميذه وابنه نصائحه الصامتة بلا تعالم أو ضجيج .. وعندما اتزود بهذه النصائح الصامتة يوما أو يومين كل شهر أعود الى مدينتى الكبيرة لاناضل فيها من أجل عالمى الكبير وعالمى الصغير فى وقت واحد .. ولا أريد هنا ان استرسل فى الحديث عن قريتى وعالمى الصغير الذى احبه واحس فى نفس الوقت انه ما زال ضائعا ومحروما من الكثير وذلك لان أساليب التخطيط الاشتراكية قد دمرتها أساليب العمل المظهرية بلا وعى وبلا ادراك ..

ان هناك رأيا يقول بأن الغرض من اقامة الحكم المحلى فى المجتمع الاشتراكى هو تقسيم المجتمع ككل الى وحدات « محافظات » تكون أصغر نسبيا من حجم الدولة ـ ويكون لدى المحافظ فيها صلاحيات التوجيه السياسى والاشراف على خطة التنمية الاقتصادية والثقافية . والغرض من ذلك التقسيم يرجع فى الدرجة الأولى الى أن الفرد فى المجتمع الاشتراكى يختلف عنه فى المجتمع الرأسمالى ، فالفرد فى المجتمع الاشتراكى يعمل لصالحه ولصالح الدولة ، وبطاقة يجب أن تكون أكبر وأقدر بكثير ، وذلك للاسهام فى سرعة انجاز التحول الاشتراكى لكى يتكون لدينا فى النهاية ما يمكن تسميته بالدافع الجماعى .. ويغذى هذا الدافع الجماعى ذلك الترابط الذى يجب أن يكون قويا ومتينا بين جماهير العاملين وبين المسئولين عن التخطيط والتنفيذ بلا حواجز بيروقراطية جوفاء تفصل بين القيادة العاملة على جبهة التنمية الاقتصادية والثقافية وبين جنودها المتمثلين فى جماهير شعبنا العامل . وفى رأيى أن مزيدا من الفهم الواعى لطبيعة المرحلة التى يجتازها شعبنا فى اطار خطته الطموحة للتنمية والتقدم ـ سوف تزيد حتما من قدرة القيادات الاقليمية وفعاليتها فى دفع العمل الاشتراكى الى الامام مدعمة اياه بالتمازج السلوكى الاشتراكى الملتزم .

***

لقد أتيح لى فى الاسبوع الماضى أن اشترك فى المهرجان الثقافى الذى اقامته محافظة الدقهلية وكنت أحس منذ البداية أن هذا المهرجان قد حمل الى مدينة المنصورة الجميلة ومصيفها الرائع فى جمصة ـ كل متناقضات العاصمة الفكرية .. ولكننى فى نهاية ايام المهرجان أيقنت أن هذا الاجتماع قد اتاح لكثير من الأطراف أن تتفهم مواقف غيرها ـ وذلك عن طريق الاجتماعات الجانبية التى كانت تتم على موائد الطعام وعلى شاطىء مصيف جمصة الساحر .

ولن أكون مغاليا حينما أقول ان مهرجان المنصورة الثقافى قد أسهم مساهمة فعالة فى تقريب وجهات النظر لدى أولئك الذين يكتبون ويتناحرون على

صفحات الصحف والمجـــــلات دون أن يرى بعضهم الآخر ودون حتى أن يعرفه ٠

ولست هنا فى مجال تقييم المهرجان لأن ذلك ما سيقوم به الزميل عبده بدوى ولكنى أجد نفسى مدفوعا الى القول بأنه على الرغم من أن قضية العرب الكبرى فى فلسطين قد خرجت بنصيب الاسد من المهرجان سواء بالبحث والدراسة أو بالشعر ٠٠ الا اننى أحسست بأن أسلوب المعالجة ومنهج العرض لهذه القضية المصيرية الهامة قد تميز بطابع السطحية الخطابية دون التعرض لأساليب المعالجة الموضوعية ولكننى أيقنت أن تلك الصفات والملامح الفكرية يمكن أن تتطور بعقد المزيد من هـــذه اللقاءات المباشرة لصالح تطوير نظرة المفكرين أنفسهم عندما يشعرون بأن جماهير مستمعيهم فى حاجة الى مزيد من البحث والاجتهاد والدراسة الموضوعية ـ تلك الدراسة التى يجب أن تختلف بأسلوبها ومنهجها عما يكتب فى الصحف كل يوم ٠٠ وبخلاف القضية الفلسطينية تعرض المهرجان لقضـــايا ـ تلاقى الثقافات ومفهوم العمل الثورى المستمر ٠٠ وعلى الرغم من أن لى كثيرا من الملاحظات على هذين الموضوعين بالذات الا أننى سوف أدخل مباشرة فى موضوع كتاب اليوم وهو **الدقهلية بلدة لها تاريخ** ٠٠ والكتاب يغلب عليه مفهوم عنوانه وهو سرد لتاريخ نضـال شعبنا فى الدقهلية كجزء مناضل وفعال من حركة شـعبنا النضالية ضد الاستعماريين الاجانب طوال مراحله التاريخية المختلفة ٠ وفلسفة التاريخ الجديدة كما يراها المؤرخون المعاصرون ـ تؤمن بأن الثقـــافة والماضى وما ينعطف عليهما ليست جامدة ولكنهـــا متطورة ٠ بل أن تقديسها هو فى بقائها حية مناسبة للعصر عن طريق تطويرها تبعا لحاجاته ومشكلاته ، وأن طريقة وفاء اهل كل عصر بحق ثقافتهم وماضيهم النضالى والبطولى هو فى دفع هـــذا الماضى قدما فى معارج التطور الى أعلى ـ أى فى معارج التقدم ٠ وعلى أساس هذه الفلسفة فان التاريخ ليس هو بحث الماضى أو تصويره ولكن القـاء أضوائه على الحاضر بقصـــد معرفة كيفية حدوثه ، وتوضيح أصول مشـكلاته ، وطريق تطويره وتحســينه ، اى أن التقـديس والاعتزاز ليس للماضى فقط ، ولكنه للجماعة وهى كائن حى يرتبط فيه الماضى بالحـاضر وبالمستقبل فى عملية تاريخية واحدة ٠٠ فاذا استطعنا أن نتفهم طبيعة الأهداف التى حركت الحروب الصـــليبية العدوانية على مشرقنـا العربى ، والتى قاومت منهـا المنصـورة حملتين متتاليتين وانتصرت فيهمـا ـ أقول اذا تفهمنا ذلك بطريقة صحيحة وموضوعية استطعنا أن نرى الكثير من الدوافع المستترة التى تحرك الاستعماريين الأوروبيين فى الوقت الحاضر الى جانب الأهداف العامة الواضحة بأسلوبها الاقتصادى والاستغلالى ٠٠ ولنقم بجولة فى تاريخ المنصورة كجزء من تاريخنا ٠



يقول المؤلف :

ترقد المنصورة الآن على أرض الجزيرة وهى الأرض الواقعة بين ملتقى البحر الصــــغير والفرع الشرقى للنيل ٠٠ تنظر الى النيل وكأنها فى حلم ٠٠ تبتسم له أحيانا فى حنـان دءوب وأحيـانا فى شـوق عارم كأنها تود لو استطاعت أن تحتضنه وتقبله ٠ انهـا عروس غراء باسمة الثغر دائما سمحة المحيا أبدا ٠ تزداد جمالا وصبى على مر الأيام ٠ والمنصورة الآن وهى فى عنفوان شبابها بفتنتها وسحرها كزهرة الربيع لها قصة طويلة مع التاريخ ٠

فعندما استقر المقام بالسلطان الكامل فى أشموم طناح « أشمون الرمان حاليا » تدبر إمره وطهر جيشه ثم عاد الى فارسكور حيث لحق به جيش وعساكر أخيه عيسى القـادم لمساعدته من دمشق ـ ولـكن انتشار الأمراض فى جيش الملك الـكامل وقـلة الاقوات ٠٠ اضطرته للرحيل عن فارسكور الى موضع لم يكن قد اختار له اسما غير انه يقع بين البحر الصغير والشاطىء الشرقى للنيل أو كما يقول **أستاذنا الزيات** بين النهر الكبير والبحر الصغير ٠ لا يميزه عن غيره من الامكنة الا جمال موقعه وفساحة أرجائه وصفاء هوائه ٠٠

وعكف الملك الكامل على تحصين معسكره الجديد فبنى الدور وانشا الأسـواق ، ولم يكن يدور بخلد احد أن تلك البقعة التى شيد فيها الملك الكامل الدور والأسواق سنة ١٢٢١ ستكون مدينـة من أجمل مدن الشرق وأغناها وأعظمها شأنا لتعرف للعالم والتاريخ باسم المنصورة ٠

وبعد أن يشرح الكتاب الاطوار والمراحل الحربية التى مرت بها ظروف الحملة الصليبية الأولى وانتصار الجيوش النظامية وجيش النضال الشعبى فى مقاومة هذه الحملة ودحرها يصور لنا كيف تبارى الشعب يوم الانتصار فى اظهار الفرح ٠ وحق لمدينة المعسكر الكامل أن تسمى بالمدينة المنصورة على قول المقريزى ـ كما حق لها أن تنمو نموا ملحوظا وأن تصير مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق مع بقاء مبانيها

وملامحها العسكرية على حالها مدة جيل أو جيلين على أقل تقدير .

ومن هذه الحوادث التي حوتت المنصورة من منزلة حربية من منازل السلاطين الايوبيين على فرع دمياط . الى معبرة لاصطناع فروسية صليبية هي بدايتها الحوادث التي جعلت مدينة المنصورة الحالية موضع مجد من امجاد التاريخ العربي في مصر في مرحلة من اشد مراحل التاريخ حرجا .

اذ قدمت الى مصر الحملة الصليبية الانتقامية الثانية في ترتيب الحملات على مصر بقيادة الملك لويس التاسع الملقب بالملك القديس . وعندما وقفت له الجيوش النظامية والشعبية بقذائف اللهب وبالايمان الذي لا يتزعزع بالله وبالوطن — أصيب لويس بالفزع والهلع حتى انه صاح باكيا في وسط المعركة الفاصلة امام جنوده « أيها السيد الاله العظيم . احفظ لى رجالى » وقد سجل جوانفيل مؤرخ الحملة في مذكراته يصف فعل النيران بالجيش الصليبي بقوله :

« ان نيران المقذوفات كانت تجوس خلال المعسكر حتى أنها أصابت سرج الملك — وأنها كثيرا ما كانت تنهمر على الفرسان حتى خيل الينا . أن نجوم السماء كانت تتساقط علينا » .

وبعد هزيمة الحملة واندحارها أخذ القائد المصرى بيبرس يبحث عن لويس فوجده هاربا محتميا في تل قونه في قرية ميت الخولى عبد الله . فقاده أسيرا ذليلا ، مقيدا الى المنصورة . وسحب الى دار ابن لقمان في السابع من ابريل سنة ١٢٥٠م وعهد به الى الطواشى صبيح المعظمى لحراسته والاشراف عليه حتى أفرج عنه بفدية كبيرة في السابع من مايو سنة ١٢٥٠ م .

وفرح الناس وابتهجوا بهذا الانتصار العظيم وقال الشاعر ابن مطروح في هذه المناسبة الخالدة قصيدته المشهورة التي جاء فيها :

قل للفرنسيس اذا جئته
مقال صدق من قئول فصيح

آجرك الله على ما جرى
من قتل عباد يسوع المسيح

أتيت مصر تبتغى ملكها
تحسب أن الزمر ياطبل ريح

فساقك الحين الى أدهم
ضاق به عن ناظريك الفسيح

وكل أصحابك اودعتهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح

خمسون ألفا لا ترى منهم
الا قتيلا أو أسيرا جريح

وفقك الله لأمثالها
لعل عيسى منكم يستريح

ان كان باباكم بذا راضيا
فرب غش قد اتى من نصيح

وقل لهم ان اضمروا عودة
لأخذ ثار أو لعقد صحيح

دار ابن لقمان على حالها
والقيد باق والطواشى صبيح

وهكذا كان نضال شعبنا ضد أعدائه الأوربيين في الماضي يوم كانوا يرتدون في حربنا مسوح الرهبان — وهكذا سوف يستمر نضال جماهيرنا ضد الاستعماريين الأوربيين الذين لم يتغيروا كثيرا عن أجدادهم اللهم الا اعطاء حروبهم ضدنا بعض التعريفات الحديثة التي تتفق وروح العصر .. ولكن شعبنا يعرف دائما ماذا يريدون منه .



تاريخ النظرية الاخلاقية وتطبيقاتها العملية

تاليف : أبو بكر ذكرى

الناشر دار الفكر العربى

يحتوى الكتاب على أبحاث متعددة في فلسفة الأخلاق بما في ذلك جوانب من تاريخها ومباحثها الاجتماعية والعملية . مثل البحث الخلقي عند الأمم القديمة مثل قدماء المصريين وقدماء الهنود والعبرانيين وقدماء الاغريق بما في ذلك سقراط ومدرسة افلاطون وأرسطو ثم الرومان أمثال سنكا — ومارك ، ثم الأخلاق المسيحية والقرون الوسطى وبعد ذلك يصل الى الاخلاق في العصر الاسلامي عند الكندي والفارابي واخوان الصفا وابن مسكويه وابن طفيل . وبعد أن يستعرض الكتاب بعض النظريات الاخلاقية في عصر النهضة يصل الى طبيعة الأخلاق في الفلسفات المعاصرة مثل الوجودية والماركسية او الجدلية المادية وغيرها .

ويقع الكتاب في ١٨٣ صفحة من القطع الكبير .

« تحسين عبد الحى »



قراءات في المجلات العربية

يقدمها محمد العوانى

طه حسين شاعرا :

نشرت مجلة « قافلة الزيت » في عـدد ابريل ١٩٦٥ مقـالا للدكتور جمال الدين الرمادى عنوانه « عميد الادب العربى الشاعر الدكتور طه حسين » وقد عرض فيه الدكتور الرمادى لشاعرية الدكتور طه حسين واستشهد بنماذج من شعره وذكر من هذه النماذج قصيدة نظمها الدكتور طه فى زواج أستاذنا الزيات وقدم الدكتور الرمادى لهذه القصيدة بقوله : « وقد تمكنت بين طه حسين وأحمد حسن الزيات ، أواصر صداقة متينة ووشائج محبة قديمة منذ أوائل هذا القرن ، وكان طه حسين يجتمع بالزيات فى الأزهر حينا ، وفى المنتديات والمقاهى المنتشرة حول الازهر تارة أخرى . كما كان يجتمع به أيضا فى بيت آل عبـد الرازق فى بعض المرات ، حيث كان آل عبد الرازق يعقـدون جلســات أدبية شهية ، يحضرها أعلام الفكر والادب فى هذا العصر ومنهم : الشيخ عبد العزيز البشرى ، وحافظ ابراهيم، وكان الزيات وطه حسين لا يفترقان الا ليلتقيا مرة أخرى فى أحد هذه الاماكن .

وتمكنت أواصر المـودة بينهمـا كل التمكن حتى وشى بينهما رجال السوء فدبت القطيعة بينهمـا ويبس الثرى ، وامتدت الجفوة الى أن شـاء أحمد حسن الزيات أن يسـتكمل دينه بالزواج ، وهنا تحركت مشاعر الحب القـديم فى قلب طه حسين ، وجذبته روابط الاخاء والمودة جذبا ، فنظم قصيدة يهنىء بهـا صديقه الزيات الذى كان قد دعاه الى حضور حفل قرانه ، فأجاب طه حسين دعوته ونشر على أثر ذلك قصيدته بهذه المناسبة فى صحيفة مصر الفتاة بتاريخ ١٥/١٠/١٩١٠ قال فيها :

يا خليل سلامى
حبذا يوم القران
حبذا أمس فقـد أدنى
نوالا غير دانى

حبذا ليلة أمس
راق لى فيها زمانى
ليلة قد نلت فيها
من حظوظى ما شفانى
أنا لا أحمد منها
حسن توقيع الأغانى
لم أزل أقصـف حتى
خلت أنى فى الجنان
بينما نحن على ذلك
.. زف القمران
ايه يازيات ما أجمل
سـاعات الأمانى
هن قد عجن لنفسى
ذكر سحر وعنان
أنا لولا سوء حظى
لم أكن الا ابن هـانى
يا شقيق النفس ضـاق
الشعر عن نظم التهانى

لا تلمني ان دعوت الشـ
ـعر والشعر عصاني
جل حبى لك يازبات
عن وصـف البيان

• الأدب .. والغزو الفكرى :

أصدرت مجلة « الاقلام » العراقية عددا خاصـا بمؤتمر الادباء الخامس الذى عقد أخيرا بالعراق ، وقد كان الغزو الفكرى من أهم القضايا التى أثيرت فى هذا المؤتمر فتحدث عنه الكثيرون من ممثلى الوفود المختلفة فى أنحاء الامة العربية ، ونبين هنا ما قاله ممثل المغرب فى هذا الموضوع .. فيقول « عبد الكريم غلاب » أن الفكـر اسـتخدم الآن كسـلاح للغزو مثله فى ذلك مثل فرقة عسكرية توجه الاحتلال أى بلد واستغلال ممكناتها واستعباد المواطنين فيها ، وضرب الباحث مثلا على ما كان للمفكرين قديما من دور فى هذا الغزو فوضح أن نابليون حينما عزم على احتلال مصر قدم بين يديه مجمـوعة من العلمـاء والمفكرين ليمهدوا للغزو نفسيا وعلميا وفكريا ، كما أن فرنسا حينما اتجهت الى احتلال المغرب العربى بعثت مع جيش الاحتلال جماعة من العلماء والمفكرين مهدت للاستعمار ، ويتناول الباحث ماخلفه هؤلاء من أثر سيىء فيوضح أنهم حرفوا المقـومات العلمية والحضارية للبلاد العربية ، وأنهم « نصبوا انفسهم لكتابة تاريخنا فشـوهوه ومزقوه وأدخلوه فى باب تاريخ العصور المظلمة .. وانهم بدلا من أن يتناولوا بالدراسة الجهود الحضارية والفكرية التى بذلها العرب فى تاريخهم اتجهـوا الى جوانب الضعف فى هذا التاريخ فركزوا عليها أبحاثهم .. لذلك فان كتب التاريخ التى كتبها الاستعماريون أهملت الجوانب المشرقة فى تاريخنا لتبرز جوانب الضعف أو الجوانب المكذوبة . »

وبالاضافة الى ذلك فانهم حينما بحثوا عن التراث الحضـارى العلمى أو الفنى أو الفكرى اتجهوا فى بحوثهم اتجاها استعماريا فهم « ينكرون على علمائنا الاصالة الفكرية ، وكل ما أتوا به انمـا هو ترجمة لشرح أو تكرار للفلسفة اليونانية أو للفقه الرومانى أو لفن المعمـار الغربى أو لفن النقش والرسـم الاسبانى أو الموسيقى الاجنبية ، وكل أصالة فكرية فى أدبنا تعود عندهم الى أصول يونانية أو أجنبية بواسطة الوراثة الجنسية عن جد قديم أو جدة أعرق فى القدم » .

ثم وضح أنه نتج عن طريق الغزو الفكرى للغة أن صارت الآن اللغة العربية فى بعض البلاد العربية لغة متخلفة وغريبة فى كل المجالات الفكرية وبين الباحث تأثير ذلك فى المغرب بقوله « أصبحنا نتكلم بلغة ونفكر وندير ونتعـامل بأخرى بل ان اللغة الغازية احتفظت بمكانتها فلا تكاد تخرج المتعلم منا صفة مجال الحديث العـادى حتى يلتجىء اليهـا لتساعده فى التعبير عن أفكاره ، ولو كانت أفكارا مجردة لا علم فيها ولا تقنية »

ويشير المقال فى النهاية الى أننا اذا كنا ضحية لهذا الغزو فى ماضينا فيجب ونحن نبحث عن الحياة الأفضل فى حاضرنا ومستقبلنا أن نتخلص من هذا الغزو الفكرى كمـا تخلصنـا من الغزو السياسى والاستعمارى ، والادب باعتباره الوسيلة الاولى لبث الوعى وتحرير الفـكر من رواسب التخلف وانقاذ المجتمع من الانحلال ، يجب أن يخوض المعركة ضد هذا الغزو ، فعن طريق القلم كمـا بين البـاحث تسـتطيع أن تصحح الاوضـاع التى استهدفت للانحراف والتزييف ، ونبصر الامة العربيـة بقيمة اللغة العربية ، وتراثها الحضارى والفكرى ، ونحرر الفـكر العربى من التعبير للقيم الفكرية والعلمية المزعومة التى نشرها بين الباحثين علماء ومستشرقون استهدفوا بأبحـاثهم الانحرافيـة تزييف التـاريخ والتنكر لحقائق العلم .

• مصطفى عبد الرازق :

نشر الدكتور « محمد مصطفى حلمى » فى عدد يونية ١٩٦٥ من مجلة « الفكر المعاصر » ترجمة لحياة وأعمال رائد المدرسة الاسلامية الحديثة المغفور له الشيخ «مصطفى عبد الرازق» ومهد الدكتور حلمى لبحثه بكلمة جامعة قال فيها عنه «كان انسانا ولكنه لم يكن كغيره من الناس ، وكان عالما وفيلسوفا ، ولكنه لم يكن كغيره من العلماء والفلاسفة ، وكان وزيرا ، ولكن لم يكن كاشباهه من الوزراء ، وكان شيخا للازهر واماما للمسلمين ، ولكنه لم يكن من طراز من هو على رأسهم من خاصة رجال الدين وعامة المسلمين ، وانما كان هذا كله ، وكان أشـياء غير هذا كله » ثم كشف عن جوانب من حياته ، من ذلك

أنه لما اختير ليكون شيخا للازهر رأى أن رتبة الباشوية التي كانت له وهو وزير للأوقاف أصبحت غير ملائمة لمنصب ديني وروحي عظيم • فتخلى عنها وآثر عليها منصب شيخ الازهر ظانا أنه سيستطيع أن يحقق من الاصلاح ما لم يستطع أن يحققه أستاذه الامام الشيخ محمد عبده •

ثم تحدث عن منهجه في البحث فبين أنه كان لا يغادر مقدمة من المقدمات الا أحصاها ولا جزئية من الجزئيات الا استقصاها ولا فكرة من الافكار المتصلة بموضوع بحثه الا ردها الى بدايتها وأصلها حتى يبلغ بها منتهاها ، واستدل على ذلك بأن الشيخ « مصطفى عبد الرازق » حينما أراد أن يثبت أن الاجتهاد بالرأى كانت له بداية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، أورد حديث الرسول لمعاذ لما بعثه الى اليمن وقال له « كيف تصنع ان عرض لك قضاء؟ قال : أقضى بما في كتاب الله •• فان لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله ، فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد برأيي لا آلو »

ومن هنا كان الاجتهاد بالرأى هو بداية النظر العقلي عند المسلمين وذلك « قبل أن تفعل الفلسفة اليونانية فعلها في توجيه النظر العقلي عند المسلمين الى البحث فيما وراء الطبيعة والالهيات على أنحاء خاصة » •

ثم وقف الباحث عند المؤلفات التي تركها المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق وعد منها « مذكرات يومية » و « محاضرات عن الشيخ محمد عبده » و « ترجمة فرنسية لرسالة التوحيد للشيخ محمد عبده » وكتاب عن « البهاء زهير ، والامام الشافعي » و « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » ، و «فيلسوف العرب والمعلم الثاني » وهو في هذا الكتاب يتحدث عن فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب الكندي ، والمعلم الثاني أبونصر الفارابي، والشاعر أبوالطيب المتنبي، وبطليموس العرب الحسن بن الهيثم، وشيخ الاسلام ابن تيمية • وذكر أخيرا كتاب « الدين والوحي والاسلام » •

« **محمد العواني** »

« **بقية المنشور على صفحة ٤٥** »

الديوان ثلاث قصائد تدور حول الموت ، ذلك الرابض في أفراغ الحياة يترصد بكل حي حتى يواريه التراب !! وأعظم هذه القصائد هي « سارق الضياء » وفيها :

باقة يا تراب يا عازف الخراب
يا مشجي السكون بضجة المتون
باقة يا تراب أما لديك باب ؟
يخفيك عن عيوني وعن مدى ظنوني
فلم تزل حياتي تريد كل آت
لأملا الكئوسا وأثمل النفوسا
وأغرف العبيرا لأسلى الصدورا
باقة يا تراب لا ترفع الحجاب

ضراعة القانين التي ما لجوا بالاسى فيها الا وزاد اليأس من الحياة توقدا واشتعالا في نفوسهم أمام اسرار الموت في زحفه بالناس تحت التراب •

ولكن الشاعر كان قد وجد المخرج من هذه المشكلة التي طالما دارت حولها حيرة العقل البشري ، والتي يتوهم كل انسان عن حقه أنه قد وجد لنفسه مخرجا منها في معتقد أو رأى أو فكرة خاصة أحيانا وعامة في معظم الأحيان • والمخرج من هذه المشكلة على الدوام ليس القدرة على الفرار من الموت ، ولكنه الاطمئنان الى موقف عقلي معين تجاه الموت بحيث لا ينفي وجوده بل يصبح احتماله ـ في أحسن الاحوال ـ مستطاعا والفزع منه أقل مرارة• وقد وجد شاعرنا ـ كما قلت سابقا ـ ما يستند اليه في مواجهة تلك التجربة المحتومة ، اذ قال في ختام قصيدة « ثورة الطبيعة » أو « الزلزال » :

يا بنت أحوال الطبيعة انها
أم يلذ العفو عن هفواتها
حسناء ساخرة ، يعابث سحرها
بالموت ، فالتفسرى لها زلاتها

واصفى لغريد كجرحك جرحه
والنفس كم شقيت بسر حياتها
غنى أسى الزلزال في أنشودة
سوداء قائية على أهاتها

صور الفناء تطوف حول رنينها
وصدى الخلود يرن من أبياتها

فالشاعر في هذه الأبيات وخاصة الأخير منها قد ألمح ـ وان لم يلتفت التفاتا كاملا ـ الى بعض ما استقر في نفسه من تسليم بفناء وجوده الحسي واقتناع باستمرار وجوده الحقيقي ، وجوده الشعري ، في أعماله الشعرية التي « يرن صدى الخلود من أبياتها » •

واخيرا •• فهذه المقدمة هبة لديوان عظيم ، مستنه فيها مسا رفيقا أخليته من التوغل في أعماق الشعر الفنية والفلسفية وهي بعيدة الغور اذ يحتاج هذا الى التعرض لكل دواوين محمود حسن اسماعيل السابقة مما قد لا يحتمله هذا المجال جملة ، وليس يجمع شعر في قبضة واحدة وان اشتدت ، وخاصة اذا كان كشعر شاعرنا هذا مما يرهق القارىء في متابعته على الآفاق التي يحلق فيها فضلا عن دراسته لغزارة التجارب الانسانية والفنية التي تكمن وراء كل كلمة بل كل حرف وقعه الشاعر على رباب الشعر•

« **علي ذو الفقار شاكر** »

قصة قصيرة للكاتب ليو تولستوى

فى السجن الطويل

ترجمة : نبيل اسلام

عاش فى بلدة فلاديمير تاجـــر ـ يدعى ايفـــان ديمتريس اكسيونوف ـ يملك منزلا ومحلين تجاريين ، وهو شـــاب وسيم مرح مغرم بالغناء ، وقد ادمن الخمر قبل زواجه فكان يفرط فيها حتى يفقد وعيه ، ولكنه اقلع عنها بعد ان تزوج اللهم الا مرات قليلة متباعدة .

وفى صيف احد الاعوام اراد السفر الى سوق نيزهنى ، وبينما هو يودع اسرته قالت له زوجته :

ـ لا تسافر هذه المرة يا ايفان فقد رايت حلما مزعجا .

فرد عليها ضاحكا :

ـ بل انت تخافين ان اعود للخمر اذا ذهبت الى السوق .

فقالت :

ـ لا ادرى تماما ، كل الذى اعرفه انه كان حلما اخافنى ، فقد حلمت انك عدت ولما خلعت قبعتك رايت شعرك قد شاب .

فقهقه ضاحكا وقال :

ـ يا له من فال طيب ، وسترين ، فسوف ابيع كل بضاعتى واحضر لك معى هدايا كثيرة من السوق .

وهكذا ودع اسرته وذهب .

وفى الطريق قابل تاجرا يعرفه ، ونزلا معا فى احد الفنادق ليقضيا الليلة ، وبعد ان شربا الشاى سويا ذهب كل منهما الى فراشه فى حجرتين متجاورتين . وقبل الفجر استيقظ اكسيونوف، فقد كان يفضل ان يبدأ السفر قبـــل حرارة الشمس ، وايقظ سائقه وطلب منه ان يعد الخيل ، واتجه هو الى صاحب الفندق (وكان يسكن فى كوخ وراء الفندق) ودفع له حسابه ثم واصل رحلته .

وبعد ان قطع حوالى خمسة وعشرين ميلا توقف فى احـــد الفنادق ، فتناولت الخيل طعامها ، واستراح هو قليلا ثم طلب ان يعد له ابريق من الشاى ، وخرج الى مدخل الفندق وجلس هناك ، واحضر قيثارته ، واخذ يعزف عليها ، وفجاة اقبلت عربة تدوى وتجلجل ، ونزل منها ضابط شرطة ووراءه جنديان، واتجه الضابط الى اكسيونوف مباشرة وساله عن شخصيته والمكان الذى جاء منه ، فاجابه اكسيونوف فى بساطة وهدوء ثم اضاف يدعوه الى الشاى .

ولكن الضابط استمر فى اسئلته : « اين امضيت الليـــلة السابقة ؟ وكنت بمفردك ام كان معك تاجر اخر ؟ وهل رايت هذا التاجر فى الصباح ؟ ولماذا رحلت من الفندق قبل الفجر ؟ »

فاخبره اكسيونوف بكل ما حدث ثم ساله متعجبا :

ـ لماذا تستجوبنى هكذا كما لو كنت لصا ؟ اننى مسافر لاعمال الخاصة ولا ارى اى داع للتحقيق معى .

وعندئذ اجاب الضابط :

ـ اننى ضابط الشرطة هنا ، وجئت لاستجوابك فقد عثر على زميلك التاجر مذبوحا فى سريره هذا الصباح ونريد ان نفتش متاعك .

ثم نادى على الجنديين ودخلوا الى الفندق ، وفكوا حاجيـــاته واخذوا يبحثون فيها . وفجاة اخرج الضابط من حقيبة اكسيونوف سكينة ملطخة بالدم وهو يصرخ فيه :

ـ سكينة من هذه ؟ وما هذا الدم الذى عليها ؟ .

وجمـــد اكسيونوف مكانه ، حاول ان ينطق بشىء ولكنه لم يستطع ، واخيرا غمغم فى خوف :

ـ لا اعرف .. انها ليست سكينتى .

فرد عليه الضابط :

ـ انت الوحيد الذى كان فى استطاعته ان يقتله، فالفندق كان موصدا من الداخل ، ولم يكن هنـــاك احد غيركما . ثم ها هى السكين فى حقيبتك والدم عليها . لا داعى للانكار . اعترف كيف قتلته وكم من النقود سرقتها .

فاقسم اكسيونوف انه لم يقتل احدا ، وانه لم ير التاجر بعد ان شرب معه الشاى ، وان السكينة ليست سكينه ، وانه ليس معه الا نقوده هو الثمانية الاف روبل . ولكنه كان يرتعد ، وكان صوته متقطعا ، ووجهه شاحبا كانه مذنب فعلا .

وعندئذ اصدر الضابط امره فقيد الجنديان قدمى اكسيونوف واليداه فى العربة ، وسيق الى اقرب مدينة ليسجن فيهـــا ، وفى العربة انطوى اكسيونوف على نفسه وسالت دموعه ، ثم صودرت امواله وبضائعه ، وجرت استفسارات عن شخصيته فى فلاديمير ، وقال عنه اهلوها وتجارها انه كان فى ماضيه سكيرا الا انه مع ذلك انسان طيب ، ثم قدم للمحاكمة متهما بقتل التاجر وسرقة عشرين الفا من الروبلات .

اما زوجته فقد يئست وتملكتها حيرة شديدة . لم تعد تعرف اى قول تصدق واى شىء تفعل . حملت طفليها الصغيرين ، وكان احدهما ما زال رضيعا وذهبت بهما الى المدينة التى سجن فيها ، ولم يسمح لها فى بادىء الامر برؤيته ، وبعد استجداء كثير صرح لها المسئولون بذلك . وسيقت اليـــه ، ولما راته بين اللصوص والمجرمين .. مقيدا بالسلاسل ويرتدى ملابس الســـجن خرت

مقتبسا عليها . وبعد برهة افاقت وبدأت تتمالك نفسها ثم جذبت اليها طفليها وجلست الى جواره واخذا يتحدثان . وروى لها كل ما حدث .

فسألته :

ـ وماذا ستفعل ؟

ـ يجب ان تقدم التماسا للقيصر حتى لا يسمح بادانة رجل برىء .

فعرفته انها قدمت فعلا التماسا للقيصر ولكنه رفض . فصمت اكسيونوف وخفض بصره الى الارض مهموما فاقد الأمل . وهنا قالت له زوجته :

ـ اتذكر ذلك الحلم الذى رأيته ؟ كان عليك الا تسافر .

ثم مدت يدها وتحسست باصابعها شعره وقالت له :

ـ حبيبى فانيا .. انا زوجتك .. اخبرنى بالحقيقة احقا انت الذى قتلته ؟ .

فاجابها مأخوذا :

ـ حتى انت ايضا تشكين فى براءتى !

ثم خبأ وجهه فى راحتيه واخذ يبكى .

وفى تلك اللحظة اقبل احد الحراس وامر الزوجة بالانصراف فودع اكسيونوف اسرته .. للمرة الأخيرة .

وبعد ذهابهم اخذ يستعيد فى فكره كل ما قالوه ، وكيف ان زوجته اصبحت هى ايضا تشك فى براءته . فقال فى نفسه :

ـ لم يعد لى الا الله فهو وحده الذى يعرف الحقيقة ، وهو وحده الذى علينا ان نتوجه اليه ونلتمس منه الرحمة .

ثم فقد كل امل ، ولم يكتب اى التماس الا انه استمر يصلى لله .

وادين ، وصدر الحكم عليه ، وجلد بالسياط ، وبعد ان التأمت جروحه نفى الى سيبيريا .

ومضت ستة وعشرون عاما عاشها اكسيونوف فى سيبيريا .. شاب فيها شعره وطالت لحيته ، وانحنى ظهره ، وولى كل مرحه وحيويته فاصبح يسير فى تؤدة ولا يتكلم الا قليلا ولا يضحك ابدا ، الا انه داوم على صلاته .

وتعلم فى السجن صناعة الأحذية ، وكسب منها بعض مال قليل اشترى به كتاب حياة القديسين ، وكان يقرأ فيه كلما وجد ضوءا كافيا ، كما كان يذهب الى الكنيسة فى ايام الآحاد فيقرأ الدروس ويشترك فى الترتيلات الدينية فقد كان صوته ما يزال على جماله .

واحبه المسئولون فى السجن لوداعته ، واحترمه زملاؤه : نادوه احيانا بالجد واحيانا اخرى بالقديس ، وانابوه للتحدث باسمهم امام رجال السجن اذا ارادوا منهم شيئا ، كما كانوا يلجأون اليه اذا ما نشبت مشاجرات حتى يحكم هو بينهم .

وانقطعت عنه اخبار اسرته ، واصبح لا يعرف شيئا عنهم ولا يدرى هل ماتوا ام انهم ما زالوا احياء .

وحدث فى احد الايام ان جاءت الى السجن جماعة من المسجونين الجدد ، وفى المساء التف حولهم المسجونون القدامى .. كل يستفسر عن اهله وبلده ، ويسألونهم عن الجرائم التى ارتكبوها وبالقرب منهم جلس اكسيونوف ينصت الى ما يقولون فى ذلة وانكسار .

ثم بدأ واحد من المسجونين الجدد ـ وكان رجلا فى الستين من عمره ضخم الجثة وله لحية كثة يتخللها الشيب ـ يقص عليهم جريمته قائلا :

ـ كل ما فى الأمر اننى اخذت حصانا كان مربوطا فى عربة ، ثم قبض على ، واخبرتهم اننى اعرف سائق العربة واننى لم آخذ الحصان الا لأننى كنت متعجلا فى العودة الى المنزل ، فلم اكن اقصد سرقته ، بل كنت سأتركه يعود بعد ذلك ، فقالوا : « لا انك سرقته » . وهكذا جئت الى هنا بلا سبب . مع اننى فى احدى المرات ارتكبت جريمة وكنت استحق ان يحكم على بسببها الا انه لم يقبض على . لا ، وقد جئت الى هنا فى مرة من قبل ولكننى لم ابق طويلا .

فسأله احدهم :

ـ من اين انت ؟

ـ من فلاديمير وعائلتى تعيش هناك . واسمى ماكار وينادوننى احيانا بسيميونيتش .

وهنا سأله اكسيونوف :

ـ خبرنى يا سيميونيتش الا تعرف عائلة التاجر اكسيونوف فى فلاديمير ؟ هل هم ما زالوا احياء ؟

ـ اعرفهم ! طبعا اعرفهم ، انهم اغنياء ولكن اباهم هنا فى سيبيريا محكوم عليه مثلنا اما انت ايها الجد فكيف جئت الى هنا؟

فتنهد اكسيونوف وقال فى صوت خفيض :

ـ من اجل ذنوبى سجنت هذه الأعوام الستة والعشرين .

ـ اى ذنوب هذه ؟

ولم تكن عند اكسيونوف رغبة فى ان يحكى شيئا عن محنته وانما اكتفى بقوله :

ـ لابد اننى كنت استحق كل هذا .

ولكن زملاءه رووا للمسجونين الجدد قصته ، وكيف انه قد حكم عليه ظلما بعد ان قتل شخص مجهول زميله التاجر ثم خبأ السكينة فى حقيبته . وهنا نظر اليه سيميونيتش متعجبا وصرخ فيه :

ـ يا للعجب ! حقا كم هو شىء عجيب ! ولكن لماذا صرت عجوزا هكذا ايها الجد ؟

فسألوه عن سبب اندهاشه واين رأى اكسيونوف من قبل ، ولكنه لم يجبهم عن ذلك بشىء وانما قال :

ـ عجيب ان نلتقى هنا يا اولادى !

حيرت هذه الكلمات اكسيونوف فسأله :

ـ ربما كنت تعرفنى من قبل يا سيميونيتش او سمعت شيئا بخصوص هذه الجريمة ؟

ـ ان العالم ملىء بالاشاعات ، ولكن ذلك كان منذ وقت طويل، وقد نسيت ما سمعته .

ـ ربما كنت تعرف من الذى قتل التاجر ؟

فقهقه ماكار ضاحكا ، ثم اجاب :

ـ لابد انه هو الذى وجدت السكين فى حقيبته ، واذا كان هناك آخر قد قتله فهو ـ كما يقول العرف ـ ليس بالجانى حتى يتم القبض عليه . ثم كيف يستطيع شخص ان يضع سكينة فى حقيبتك وهى تحت رأسك ؟ لابد انك كنت مستيقظا ؟

وعندئذ تسرب الى نفس اكسيونوف شك فى ان يكون هذا الرجل هو القاتل ، فنهض وذهب .

وامضى طوال هذه الليلة ارقا .. حائرا ، يتوالى فى خياله شريط متسلسل من صور الماضى واحداثه : راى اسرته كماكانت وهو يودعها قبل سفره .. راى زوجته امامه بشخصها..وسمعها تتحدث وتضحك .. ومعها طفلاها صغيران جدا .. واحدهما ما زال رضيعا فوق صدرها . ثم راى نفسه شابا نشيطا مرحا وقد جلس فى مدخل الفندق يعزف على قيثارته حيث قبض عليه هناك . وتذكر كيف عذب .. وكيف اهين ، ثم راى المكان الذى جلد فيه .. والجلاد .. والناس من حوله .. والسلاسل .. والمحكوم عليهم ، وتتابعت امام عينيه اعوام سجنه كلها بما فيها من شقاء وعذاب جعلاه يشيخ قبل الأوان ، وزادته هذه الافكار هما ويأسا حتى وجد نفسه يفكر فى الانتحار . وتزايدت نقمته على ماكار سيميونيتش وتاججت فى صدره نيران الحقد تدفعه الى الانتقام حتى ولو هلك معه ، وحاول بعد ذلك ان يهدىء من نفسه فامضى بقية الليلة مرددا صلواته الا ان هواجسه وظنونه لم ترحه .

ومر اليوم التالى ولم يحاول ان يقترب منه او يوجه اليه نظرة

ثم مر اسبوعان لم ينم فيهما ليلة واحدة ، وتزايد شقاؤه وحيرته ، ولم يعد يدرى ماذا يفعل .

وفى احدى الليالى وبينما كان اكسيونوف يتجول فى السجن راى بعضا من التراب يتدحرج من تحت واحد من ارفف النوم ، فوقف يستطلع الأمر . وفجاة خرج سيميونيتش من تحت هذا الرف . وفى رعب رفع نظره الى اكسيونوف ، الذى اشاح ببصره عنه وحاول ان يمر ، ولكن ماكار قبض على ذراعه واخبره انه يحفر فجوة تحت الحائط وانه فى كل يوم يضع التراب فى حذائه ويفرغه فى الطريق عندما يساقوا الى عملهم واكمل :

ـ عليك بالصمت وسوف اساعدك فى ان تهرب معى ، اما اذا افشيت السر فساجلد حتى الموت ولكننى ساقتلك قبل ذلك .

وارتعد اكسيونوف غضبا ، ونظر الى عدوه ثم ازاح يده وهو يقول :

ـ انا لا اريد ان اهرب ، وانت لم تعد فى حاجة الى قتلى .. لقد قتلتنى منذ وقت طويل ! اما عن سرك فربما افشيته وربما لا فذلك رهن بمشيئة الله .

وفى اليوم التالى اكتشف الحراس وجود التراب مكوما فى الطريق ، وعرفوا انه لابد ان يكون احد المسجونين هو الذى نقله الى هناك فى حذائه ، وفتش السجن ، وعثر على الفجوة المحفورة تحت الحائط . وجاء مامور السجن واخذ يستجوب المسجونين ولكنهم انكروا جميعا معرفتهم بالذى فعلها فهؤلاء الذين كانوا على علم بالحقيقة لم يريدوا كشف سر ماكار فقد كانوا يعرفون ان جزاءه سيكون الجلد حتى الموت . واخيرا التفت المامور الى اكسيونوف وقال له :

ـ وانت ايها الرجل العجوز . انا اعرفك صادقا دائما . اشهد بالحق امام الله . من الذى حفر هذه الفجوة ؟

ووقف ماكار ينظر الى المامور .. ثم الى اكسيونوف .. بلا اكتراث وكان الأمر لا يعنيه ، وارتعدت شفتى اكسيونوف واطرافه ومرت لحظة لم يستطع ان ينطق فيها بشىء . كان يحدث نفسه :

ـ لم أتستر عليه وهو الذى حطم حياتى ؟ فلاتركه يدفع جزاء ما قاسيت . ولكن اذا اعترفت بالحقيقة فسوف يجلد حتى يموت، ومن المحتمل ان يكون شكى فيه خاطئا . ثم بعد كل هذا فاية فائدة تعود على ؟

وكرر المامور قوله يامره بان يعترف بالحقيقة،ونظر اكسيونوف الى ماكار ، ثم حول بصره الى المامور وقال :

ـ اقسم لك انى لا استطيع ان اقول شيئا . ان الله لا يشاء ان اعترف وتستطيع ان تفعل بى ما تشاء فانا بين يديك .

ومع ان المامور حاول معه كثيرا الا أنه لم يقل شيئا آخر . وانتهى الموضوع . وفى تلك الليلة وبينما كان اكسيونوف مستلقيا فى سريره وقد بدا النعاس يستولى عليه راى رجلا مقبلا ناحيته فى هدوء ، ثم جلس بجانبه فوق السرير ، فحملق فيه فى الظلام ، وعرفه .. كان ماكار سيميونيتش .

فساله اكسيونوف :

ـ ما الذى تريده منى بعد ذلك ؟ لم جئت ؟

وصمت ماكار . فهب اكسيونوف وهو يقول محتدا :

ـ ماذا تريد ؟ اذهب عنى والا ناديت الحراس .

فانحنى فوقه ماكار حتى كاد ان يلتصق به وهمس :

ـ ايفان ديمتريتش .. سامحنى !

فساله اكسيونوف :

ـ اسامحك ! لماذا ؟

ـ انا الذى قتلت زميلك التاجر فى الفندق ، ودخلت عليك اريد قتلك ايضا ولكننى سمعت صوتا بالخارج فخبات السكين فى حقيبتك ثم هربت من النافذة .

صمت اكسيونوف لا يدرى ماذا يقول . وهنا ركع امامهماكار سيميونيتش فوق الارض وقال :

ـ ايفان ديمتريتش ..استحلفك بالله ان تسامحنى.ساعترف اننى انا القاتل وسوف يطلق سراحك ، ويمكنك ان تعود بعد ذلك الى بيتك .

ـ قد يكون من السهل عليك ان تعترف ولكن ما القى ما تلته انا من عذاب طوال هذه الاعوام . وكان كله بسببك انت . والآن الى اين اذهب . لقد ماتت زوجتى ونسينى أولادى . لم يعد لى مكان ولا اهل ...

ولم يقم ماكار وانما دق براسه على الارض وهو يصرخ :

ـ ايفان ديمتريتش .. ارجو ان تسامحنى ! اننى وانا اراك امامى الآن بعد ان اشفقت على ولم تكشف سرى ، احس بعذاب اشد الما من وقع السياط . اننى لم اعد احتمل .. استحلفك بالمسيح ان تغفر لى .

وبدا ينهنه بالبكاء ، وعندئذ بكى اكسيونوف ايضا وهمس :

ـ فليغفر الله لك ، ربما كنت انا قد ارتكبت اسوا مما فعلته انت مائة مرة .

ومع تلك الكلمات احس اكسيونوف بقلبه يشع بالنور،وولت عنه كل رغبة فى ان ينال حريته او يعود لاهله وبيته ، واصبح امله الوحيد هو ان تحين ساعته الأخيرة .

لم اعترف ماكار سيميونيتش بجريمته ، ولكن قبل ان يصل امر الافراج كان اكسيونوف قد مات .

نبيل اسلام

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي

١٩٦٥

- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٥٧ هيئة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .



شبين الكوم

من ١٢ إلى ١٨ يونيه سنة ١٩٦٥

بنادى الموظفين



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة

العدد ١١١٨ ـ الخميس ١٧ صفر ١٣٨٥ هـ ـ ١٧ يونية ١٩٦٥ م ـ السنة الثانية والعشرون

آفة هذه اللغة .. هذا التعليم !!

بقلم: أحمد حسن الزيات

أحدثك اليوم عن اللغة وصلتها بالفكر وخطرها فى النهضة وأثرها فى الوحدة وحظها من المدرسة ، فان الكلام من حولها يكثر ، والرأى فى أمرها يختلف • وما كان لكثرة الكلام عنها داع ولا لاختلاف الرأى فيها موضع ، لولا أن فوضى الأدب فى مصر قد جعلت من اللغة العربية وأدبها مسألة تريد الجواب ومشكلة تطلب الحل• ولهذه المسألة أو المشكلة أصلان •• الاستعمار والجهل •• أما الاستعمار فلأنه رأى أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف الأقطار وتباعد الديار هى الدين واللغة • وما دامت أمة محمد روحا واحدا بالاسلام ولسانا واحدا بالعربية ، فان استغلالها موقوت وان طال ، وان استقلالها آت وان تأخر •

لذلك سعت فرنسا سعيها الدائب فى الجزائر ، لفتنة البربر عن دينهم باصدار الظهير المعروف ، وقطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين ، ولكن دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا ، ولغة المصحف كانت أبقى من لغة السيف •

واكتفت انجلترا على عادتها من الدهاء والكياسة بمحاربة الفصحى فدعت الى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومستشرقيها ، لأن اللغات العامية تختلف فى البلاد العربية اختلافا شديدا يكاد يجعل كل لهجة منها لغة مستقلة ، واذا انهزمت أمامها اللغة المشتركة وهى الفصحى استحال التفاهم وضعفت العقيدة ، وانقطعت الصلة ، وتفرقت الوحدة ، وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يبتلعها قطعة قطعة ، ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار فى الشرق وقوة الوعى فى العرب •

وأما الجهل وهو الأصل الثانى لمشكلة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار فى هذه الدعوة المجرمة •

والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها، وعزوفهم عن علومها وأدبها ، وهو جناية المدرسة القديمة • فقد فشلت في تخريج القارىء الذي يقرأ عن فهم ، والكاتب الذي يكتب عن علم ، والمفكر الذي يفكر عن أصالة ، وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأبا ، ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيرا صحيحا لا بلسانه ولا بقلمه • فاذا دفعه استعداده الأدبي الى الكتابة آثر العامية على الفصحى ، ودعا الى التحلل من القواعد والقيود ليجعل الفوضى نظاما والخطأ مذهبا والعجز شركة • وعلة هذا الفشل هي النحو نفسه ، فان فيه من التناقض والشذوذ وتعدد الأوجه وتباين المذاهب ما ينفر الطلاب منه •

والذين صبغوه بهذه الصبغة هم الرواة الذين رادوا البوادي وشافهوا الأعراب ، ودونوا كل ماسمعوه ، فاجتمع لهم بذلك المترادفات والأضداد، وتعدد الجموع والصيغ للفظ ، واختلاف النطق للكلمة،وكان النحاة مضطرين الى أن يمطوا قواعدهم لتشمل هذه اللحون ، وتستوعب تلك اللهجات فأغرقوا القواعد في الشاذ ، وأفسدوا الأحكام بالاستثناء ، حتى ندر أن تستقيم لهم قاعدة أو يطرد عندهم قياس • وزاد في هذه البلبلة أن أعاجم النحاة أسرفوا في التعليلات والتقديرات حتى جعلوا النحو والصرف ضربا من الرياضة الذهنية والقضايا الجدلية التي لا يصلها باللغة سبب ، ولا يقوم عليها فن ولا أدب • فاذا كان القائمون على اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم ينظرون في النحو والصرف على أنهما قواعد للغة واحدة ولهجة واحدة ، فيقتصر منها على القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة وتقوم تلك اللهجة ، على شرط ألا تجرد علوم العربية من خصائص القوة والخصوبة والبراعة ، وألا تجعل بالاختصار أشبه بالهيكل العظمي ، فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل والعصب والروح • واذا كانوا يعيدون النظر في علوم البلاغة بعد أن اختلفت مذاهب القول ، وتعددت أغراض الكتابة ، واستحدثت المقالة والأقصوصة والقصة والمسرحية فيصلح منها الفاسد ، ويكمل الناقص ، ويفصل المجمل ، لتتسع لأغراض الحياة ومقتضيات الحضارة ومطالب العصر — رجونا أن تسفر جهود الثورة عن اصلاح لغوي كامل شامل يحبب اللغة الى الطلاب ، ويسهل الكتابة على الكتاب ، وينفي عن الشباب معرة الجهل بلغتهم وأدبهم فلا يدعون الى اللغة العامية ، ولا يتمردون على الآداب العربية ولا ينسون أن اللغة الفصحى هي عماد الثقافة الاسلامية ورباط الجامعة العربية ، وأن أدبها هو التراث الروحي المشترك الذي يثور في دمائنا لننهض ، ويصرخ في آذاننا لنتحد ، ويشتد في حدائنا لنلحق •

وفي اعتقادي أن أصل الأصول في الاصلاح اللغوي أن تصلح الطريقة التي تعلم بها اللغة ، فانها لا تزال تعلم باعتبارها ألفاظا مفردة وقواعد مجردة لا تتصل بالعقل ولا بالنفس ولا بالحياة • وكان الطريق الأمثل أن تعلم على أنها الوسيط الذي

تتمثل فيه الأفكار والآراء ، فنحن لا نفكر الا بلفظ ، ولا نلفظ الا بفكر . والتلميذ منذ الحداثة يسمع الفكر باللغة ويقرؤه باللغة ويبرزه باللغة . فالتلازم بينهما شديد والتفاعل بينهما ظاهر . وهذا هو الفرق بين لغة تتكلمها منذ الصغر ، ولغة تتعلمها فى الكبر . فالعربى اذا تعلم الفرنسية مثلا وأراد أن يعبر بها فكر أولا بلغته الأصيلة ، ثم ترجم فكره الى اللغة الدخيلة .

وهذا يوجب على المعلمين أن يصلوا فكر الناشيء بالفصحى فى جميع أطوار عمره المدرسى ، فيسمع بها دروسه فى كل ما يتعلم ، ويؤدى بها أفكاره فى كل ما يكتب . ثم ينشأ للطفل أدب قائم بذاته يتألف من الحكايات والأساطير المنتزعة من أدب الشعب ، تيسر عليه اللغة وتحبب اليه القراءة ، وتضيق فى ذهنه الفـــرق بين لغـــة الكتابة ولغـة الحديث . ثم يستعان على تقويم لسانه وتقوية ملكته بالأناشيد القصيرة والمسرحيات الخفيفة ، فاذا بلغ طور المراهقة وكان قد نشأ فى هـذا الجو الجميل ، من القصص والشعر والغناء والتمثيل ، طلب المزيد من ذلك فى دروس الأدب،فتحلل له أبلغ الروائع ليذوق ، وتشرح له أجمل النماذج ليحفظ ، وتختار له أمتع الكتب ليقرأ ، حتى اذا تخرج وجد القراءة قد أصبحت من عادته فلا يكف عن الاطلاع ، والكتابة قد صارت من طبيعته فلا يضيق بالانتاج ، وبذلك يكون تعليم اللغة على هذا الوجه قد أحدث آثاره الثلاثة : أثره العقلى بربط الفكر باللغة ، وأثره النفسى ببعث اللذة من تذوق الأدب ، وأثره العملى فى خلق القدرة على القراءة والكتابة . واذا استطاع الشاب بعد المدرسة أن يقرأ فيفهم ، ويكتب فيحسن ، ويفكر فيصيب ، استطاع أن يجد السبيل الى كل علم ، والدليل الى كل غاية .

أما تعليم الفصحى بالعامية وتحفيظ القواعد ليقرأ بها الطالب كتاب المطالعة دون أى كتاب ، ويكتب بها موضوع الانشاء دون أى موضوع ، وتدريس الأدب على أنه سجل ولادات ووفيات ، وديوان حوادث وروايات ، فذلك هو الذى كره الدارسين فى اللغة ، وزهد الناشئين فى الأدب ، وصرف أدباء الشباب الى الآداب الأوربية .

ان الثورة التى هزمت الفساد وقهرت الاستبداد وحررت الوطن جديرة بأن تكفل الاصلاح للتعليم ، والاستقلال للأدب ، والحرية للفكر ، والحماية للفصحى ، لتسير الأمة صحيحة الجسد والروح ، قوية الذات والمعنى ، متحدة الرأى والهوى ، الى ما ترجوه لها من سلطان وعمران وعزة .

« أحمد حسن الزيات »

ألعوان

الجمل

عادت العقرب فلنعد لها

عاد الشيخ مسيلمة زوج الشيخة سجاح الى حماقته المرضية ، فاخذ بعد فترة من الخور الهادىء يخبط رأسه الأجوف الهش بعمود « الرسالة » المسلح ، ويقول فى هذيانه هذه المرة : ان الرسالة التى تنفق عليها الدولة تناقض الميثاق بقولها فى تمهيد الادب للثورة « فى ثلاثة أرباع القرن الماضى كان الأدب العربى خامدا لا روح فيه . وكان الشعب المصرى تبعا لذلك غافلا لا وعى له · كان فى عهد محمد على اشبه بالدواب تساق بالكرباج فتسير ، وتسخر للانتاج فتذعن ، وتجازى بالحرمان فترضى ، ذلك لأن هذا الجندى التركى الأمى الحاكم كان قد قطع ما بين قلبه والدين ، وما بين نفسه والأدب ، وما بين عقله والعلم . ولم يكن همه الا اعداد الجيش ليملك ، والا جباية المال ليسود » ··

فماذا فى هذا ياشيخ مسيلمة ··؟

أليس هذا هو الواقع الذى لا ينكره الا بهلوان يريد أن يأكل الحق ليقيىء الباطل ·

-

لقد سمعت أن جدك كان « خوليا » فى جفلك من جفالك الأمراء . فلا بد أن يكون قد حدثك أو حدث اباك عن الكرباج والسخرة والعونة والفردة والتملية، لكنى نسيت انى أخاطب مخلوقا غير سوى ماجت به الصفراء والسوداء والألوان الأخرى من اخلاق الحقد والحسد والغل والشر والهزيمة والفشل ، فحاول أن يكظم ويتماسك الا أن الأمر كان أوسع من طوقه فانفجر هذا الخلط من صدره انفجار القىء ، وكان ـ والعياذ بالله ـ خلطا اسود كالحبر ، منتنا كالصديد ، ناقعا كالسم . ثم أخذ يرجع فى هذا القىء لعقا باللسان ، وغمسا بالقلم ، وهو ـ كما قال ـ قابع فى « زاوية الحجيرة الصغيرة التى يمارس فيها حياته العقلية والقلمية ! ·· » يخط بقلمه الغليظ خطوطا كخطوط الأفعى فى الرمل حتى اذا استفرغ ما فى جوفه على وجه «الأدب» (١) وظن أنه نال من الرسالة ، وثار من كاتب المقالة ، خرج من حجيرة الكتابة كما تخرج النفساء من حجرة الولادة، فتطرح بذراعه على كتف القابلة سجاح ، ووقف ينهج ويلهث حتى هدأ واستراح ·

ولكن كبير الأمناء فى بلاط ابليس لا يهدأ ولا يستريح ، لأنه حسود ، والحسد حرارة فى الجوف لا تبرد ، وحقود ، والحقد مرارة فى النفس لا تطاق، ومتخلف ، وليس فى قدرته أن يلحق ، ومنبوذ وليس من طبيعته أن يؤلف ، ومضيع لأنه ليس فى رجال الدين ولا فى رجال الأدب ·

درس الدين من غير تقوى فارتاب ، ومارس الأدب من غير قريحة فاخفق ، وفقد شخصيته فى السلوك فاضطرب : لبس كل زى الا الطرطور ، وعمل كل شىء الا الخير ، وقال كل قول الا الحق، وكان يفضل هذه المساوىء مجتمعة فى فرد أن صلح هذا المسيلمة لأن يكون دليلا ماثلا لدى الأخلاقيين على أن المرء لا تبلغ به مواهبه ، ولا تغنى عنه مكاسبه اذا فسد الطبع ، وساء الخلق ، واعوج الطريق ·

« ابن عبد الملك »

---

(١) شبه مجلة تصدر شهرية فى القاهرة



على أهلها تجني براقش

بقلم: محمود محمد شاكر

- ٢١ -

وتسألني : ما براقش ، وكأنك لم تسمع بكلبة كانت لحي من أحياء العرب ، كان بينهم وبين آخرين ترة ، فأغاروا عليهم في بعض الأيام ، ونذروا بهم ، فهربوا وفاتوا المغيرين ، ولكن تبعتهم براقش ، فتسمعت ، فسمعت وقع حوافر الخيل ، فجعلت تنبح ويعلو نباحها حتى سمعه المغيرون ، فاستدلوا على موضع نباحها ، فرجعوا يطلبون القوم حتى أحاطوا بهم ، فاستباحوهم . فضربتها العرب مثلا لمن يعمل عملا يرجع عليه وعلى أهله بالضرر . ومعذورة براقش ، فإنها كلبة لاتعقل ، فإذا فعل فعلها من يظن أن له عقلا به يدرك الأمور ، فالشأن مختلف . فإن الدواعي الى ارتكاب هذا المركب ، لاتدل على الجهل وخفة العقل لزاما مؤبدا ، بل ربما دلت على ماهو أبعد من ذلك وأعمق ، وعلى الذي هو أشنع من الجهل وخفة العقل . ربما دلت على سرائر تكتمها النفوس في أقصى ضمائرها ، ثم تأتي ساعة فتضيق بها النفس ، فتطغى ، فتنفجر ، فلا يملك العقل عندئذ أن يرد من طغيانها ، وإن كان صاحبها في ظاهر أمره ركينا متزمتا ، ضابطا لنفسه ، قادرا على ستر مايضمره حينا بعد حين . وأخشى أن أدخل في باب « الرموز » الأجاكسية وسخفها ، وإنها لشيء مقيت ، وأحب شيء الى ان أقول ماأريد جهرة بلا مداهنة ولا استخفاء ولا مداورة . بيد أن سياق الحديث يقتضيني ان أؤجل الكشف عما أريد ،حتى يقع في مكانه من كلامي ، فعندئذ يتبين من تكون براقش الاخرى ، براقش التي تدل على أهلها ، وتجني عليهم وعلى نفسها .

أما الآن ، فمن الخير أن نبدأ ببراقش الأولى التي دلت على نفسها ، وجنت على أهلها ، منذ كتبت « بلوتولند وقصائد أخرى » ، الى أن دخلت بحبوحة السمادير اللذيذة فيما كتبته عن « رسالة الغفران » ، ثم جاء بعد ذلك ماجاء من كريه مساويها ، وخبيث أقوالها وأفعالها . ومرة أخرى ، ساستبيح ما لم أكن له قط بمستبيح . ساستبيح أن أتحدث عن شيء لم أقف عليه مكتوبا على الورق ، مطبوعا في كتاب أو صحيفة ، موقعا عليه بتوقيع صاحبه ، أو بشيء من الدلالات يقوم مقام التوقيع . ولا ارتكب هذا المركب لأني أحب أن أثبت رأيي وأؤيده بشيء خارج عما في الصحف والكتب والمجلات ، بل لأن سفاهة هؤلاء السفهاء قد جازت كل حد ، وفاقت كل تقدير . وهي سفاهة مدبرة ، لا سفاهة مرتجلة ، قد اتخذوها مطية ذلولا الى غاية يظنون أنهم بالغوها ، لما يرون من تهاون من يملك ردعهم وتأديبهم ، أو من امهاله لهم ومده لهم في الطول (وهو الحبل الطويل الذي تربط به الدابة ، لترعى ما ترعى ، ولكن في نطاق محدود) . وقد بينت مرارا أن من وراء هؤلاء السفهاء شياطين قد ترهبوا ولبسوا المسوح في أديرة « **التبشير** » ، و « **الاستعمار** » ، وتراهم كأنهم عباد خاشعون من الذل والعبادة ، ضارعون من المسكنة والرحمة ، يلوذون بالجدران قد تدرعوا الفقر يراءون الناس حتى يقال : هم قوم لا أرب لهم في غرور الحياة الدنيا ، ولاحظ لهم من حطامها . والحقيقة أن هذه الشياطين هي الكهوف التي اليها يلجأ السفهاء . وإنما هذا منهم ختل ومخادعة ، وإنما يمشون الخفاء ، ويدبون الضراء (أي يتوارون بالضراء ، وهو الشجر الذي يواريهم) . نفيا للتهمة عن أنفسهم ، وليكونوا في مأمن من الريبة والشك ، فالريبة ربما أفضت الى انكشاف سرهم للناس ، وهو أخوف ما يخافونه .

وعند هذه الكهوف تبيت أمور بليل . لم أكن معهم ، ولكني أجد نبض هذه الحركة ظاهرا في كل ما أقرأ وما أسمع . أجده في الصحف ، والمجلات ، والكتب ، والأحاديث ، لأن كهوف التبشير قد اتخذت ضروبا وألوانا من السفهاء تعمل لأهدافها وأهداف

ابن أمها « الاستعمار » ، من كل صنف ولون . منهم من يدرك لأنه مستودع سر ، ومنهم من لا يدرك لأنه لا يستقيم أمره الا أن يقاد ، ومنهم من يوسوس له من حيث يستميله الهوى ، ومنهم من يتخدع بظاهر من القول لغفلة يعيشها ويعيش بها فى الناس . ولكنهم جميعا يعملون كأنهم يعملون على غير اتفاق ، أدرك ذلك من أدركه ، وجهله من جهله . واذا فعلت كهوف «التبشير» غير هذا ، وسلكت غير هذا المسلك ، فانها تكون عندئذ غير صالحة لشيء . وقد اكتسبت بطول الدربة قدرة على اخفاء معالم ما ترتكب ، فهى تعفى على الآثار التى تهدى اليها ، فاذا أراد أحد أن يقتفى آثار الغادين اليها والرائحين ، لم يجد الا الثرى الجعد الذى لا أثر فيه لدلالة أو هداية . واذا كنت أنا قد استطعت ، وأنا فى مكانى هذا من عزلتى ، أن أعرف مواقع الاقدام الذاهبة والآيبة ، وأتوسم أصحابها ، فقد أتاحه لى طول الانصات لما أسمع ، واختلاف الاخبار الى مرة بعد مرة عن غير قصد من راويها ، وما دربت عليه من ربط الحوادث بعضها ببعض بعد طول تأمل . ومن أجل هذا يفزع من يفزع من مترجمة المبشرين ، حين يرانى قد أكثرت من ادماج بعض من أذكرهم فى مكايد « التبشير » ، قاطعا بأن لهم صلة به لا تخفى على . ويبلغنى فزعهم واستنكارهم ، فبفزعهم واستنكارهم أعلم أيضا أنى قد أصبت بالظن مالم أدركه باليقين عين اليقين . وأنا أدع هؤلاء لفزعهم ، فانه وحده كفيل بانزالهم المنزلة التى يستحقونها من الهوان .

أما « **أجاكس عوض** » ، صبى هؤلاء المبشرين الظاهر لأعيننا وأسماعنا ، كاتبا ومتكلما ، فهو وأشباهه الذين تتناول كشف مستورهم ، وتتعاطى صناعة « الفراسة » ، « والقيافة » فى نسبتهم الى ماتنسبهم اليه من أصول يمتون اليها بنسب قريب أو بعيد .

والا فحدثنى ، كيف يتفق أن نجد العالم العربى والعالم الاسلامى فى هذا الموج المتلاطم من الأحداث ، تحيط به قوى العالم الصليبى كله ، وتأخذه من هنا ، وتهزه من هناك ، وترسل الفتن فى بلدانه كلها ، وتتألب على المكان الذى تشخص اليه أبصار العرب والمسلمين من كل ناحية ، وترميه عن جماعة بيد واحدة بسهامها مسمومة وغير مسمومة ، ثم يأتى فى هذا الوقت نفسه أفاق يتثقف (أى يدعى أنه مثقف ، وهو لفظ جديد اخترعته لهذه المناسبة !) ، فيهتبل فرصة موت زميله القديم الدكتور محمد مندور ، فيقف يتكذب (أى يرسل الأكاذيب) ؟ يزعم أن مندورا كان هو « أخيل » ، وأنه هو « أجاكس بن تلامون » ، وأنهما خرجا فى صباح الحياة (يعنى فى سنة ١٩٣٧ ، كما ذكر فى مقاله) ، الى قصر ربته « أثينا » ، وبين أن هذا القصر هو قلعة «الاستعمار» و «الوثنية» و «التبشير» أوربة المسيحية الصليبية حيث التقيا بباريس سنة ١٩٣٧ . ثم يزعم أن ربته هذه قد صنعت لهما دروعا من الفكر يتحصنان بها ، وسهاما من سهام الحرية يقاتلان بها ، ثم يزعم بعد أنهما عادا من أوربة ليحاصرا «طروادة» مدينة الموت ذات الأبراج السوداء والأسوار العالية ، وأنهما جاءا يومئذ ليدمرا « طروادة » ويحرقاها كما أحرقت طروادة فى القديم على ملك الاغريق الاول . وبين أن « طروادة » هذه كانت هى مصر العربية الاسلامية بتراثها كله ، خيره وشره ، فيما قبل سنة ١٩٥٢ .

ولكنه لا يقتصر على هذا التاريخ الماضى ، وان كان كاذبا فى ادعائه ما لم يكن منه قط ، بل يعمد الى التاريخ الذى نعيشه اليوم ، فيرسم لنفسه صورة من الرموز ، ويرسم لنا ولبلادنا صورة أخرى من الرموز ، فيدعى أن «طروادة الجديدة» وهى مصر العربية الاسلامية فيما بعد سنة ١٩٥٢ ، قد أرسلت عليه وعلى مندور خنافسها وهوامها وخسيس حشراتها من خزائن « **الملك ميداس** » ، ويزعم كاذبا ان شاء الله أن مندورا ، وهو أخيل !! قد استدعاه وهو يحتضر وقال له : «ياأخى أجاكس ، البس دروعك ، وتأهب لنخرج سويا (يعنى : معا ، ولكنه فصيح) فى غزوة جديدة عظيمة (وتأمل هذا الوصف : عظيمة !) لنطلب هذه المرة الملك ميداس نفسه ذا الجعارين الذهبية » ، وبين ، لمن كان له أدنى عقل ، أن أمر « الملك ميداس » أهم عندهما من أمر « طروادة » لأن « طروادة الجديدة » رهن بقاؤها ببقاء «الملك ميداس» . فاذا ماعادا من طلبه ظافرين ميمونين ، وأسالا نفسه على نصال السهام وظبات السيوف ، فقد سقطت « طروادة الجديدة » تحت أقدامهما راكعة ذليلة ، ولم يبق الا أن يتحقق ما زعم من وصية مندور وهو يحتضر اذ قال له ، فيما زعم هذا الكذاب : « مدينة الموت ذات الأبراج السوداء والأسوار العالية ، لابد أن تدمر ، ولابد أن تحرق كما أحرقت طروادة فى القديم » . ثم يزعم كاذبا ان شاء الله أن يجمع كتائبه وجيوشه وفرسانه ليقول لهم : « اياكم أن تقنطوا ،

مهما كثرت من حولكم الهوام والأشباح » . ويعني بذلك ما أرسله عليهما « الملك ميداس » من الخنافس والهوام وخسيس الحشرات !!

فحدثني كيف يتفق أن يتألب العالم الصليبي الاوربي كله اليوم على«الملك ميداس» وعلى«طروادة الجديدة » ، وأن يأتي هذا المأفون في مسلاخ ثور اغريقي ، فيتوهم نفسه « أجاكس بن تلامون » ، يرى فيما تريه ساديره أنه خرج يطلب «الملك ميداس» نفسه ، ثم يحرق «طروادة الجديدة» ويدمرها تدميرا ؟ من « اجاكس عوض » هذا بمجرده ، وما قيمته في الناس ؟ وهو ولو دخل قرية من قرى مصر، وتكلم فيها بمثل الذي يتكلم به ، لغرق في بحر مما ترسله عليه أفواه الناس من شيء غير الكلام ! واذا كان هذا السفيه العقل يشك فيما نقول ، فليجرب ·

ولكن السفيه العقل سفيه أبدا ، اذا أفصح واذا رمز · فهذا المسلوس العقل ، (وهو الذي يسيل عقله ويتقاطر) ، المهلوس النفس ، (وهو الذي أصاب نفسه الهلاس ، وهو داء كالسل) ، خيل له ما يرى ، أو ما يوحى اليه من تألب ديار الصليبيين الأوربيين على بلادنا وبلاد العرب والمسلمين ، أن الأمر قريب سهل ، وأنه اذا لجأ الى الرمز ، فهو قادر على أن يخرج من تبعة ما يقول بمهارته ، لظنه أيضا أنه « مثقف » ، وليقينه أن « **الملك ميداس** » ، وشعبه من أهل «طروادة الجديدة» ، لم يخرجوا عن أن يكونوا جماعة من البله الجهلة السخفاء ، الذين لا يحسنون شيئا من الثقافة ، ولا يستطيعون حل « رموز اليونان وأساطيرهم » · وكذلك يتاح له أن يذهب الى الكهوف المظلمة وراء أسوار أديرة «التبشير» ، والى المقاهي التي ينحط على كراسيها شيعته وأصحابه ، فيقول لهم : « انظروا الى شجاعتي ! ألا تسمعون ؟ ألا تدركون ؟ « طروادة الجديدة » هي هذه التي تعرفون ، و «الملك ميداس» هو هذا الذي يرهبون ! ما أشجعني ، ما أذكاني ، ما أرمزني !! أنا أجاكس عوض ! هل رأيتم شجاعا كمثلي ! هل علمتم ذكيا كأنا ! هل أبصرتم رامزا كحضرتي ! وسترون كيف أتحدى هذه الخنافس والهوام وخسيس الحشرات التي يرسلها على « **الملك ميداس** » ! لقد قلت قديما أشياء شنيعة وكتبتها ، وكتبت الخنافس والهوام عني ما كتبت . فهل استطاع أحد أن ينالني بسوء ؟

ثم كتب « أجاكس عوض » بجرأته كلمة أخرى ، كما وعد أصحابه . ودفعها الى مطبعة الأهرام ، تخرج في صحيفتها الأدبية في يوم الجمعة . ولكن جاء ما لم يكن في الحسبان ! اطلع عليها رئيس التحرير ، فمنع نشرها، وخرجت الصحيفة بريئة من « اجاكس عوض » · ماذا يفعل ؟ ماذا يقول لشيعته ؟ ماذا يقول لمن حركه من رهبان « التبشير » ؟

ولو كان هذا انسانا عاقلا لسكت ، ولقبل ظهر يده وباطنها حمدا لله وشكرا على أن وجد من يمسك بحجزته حتى لا يرمي نفسه في النار · ولكن ماذا تراه فعل ؟ أخذ تجربة المقالة من المطبعة، واستودعها حقيبة ذيله وحامل حقيبته المسمى « غالي شكري » ، وأرسله يطوف على مجالس الشيعة الفارغين ليقرأوها، وليقال ان « أجاكس عوض » ، لا يقل جرأة ولا شجاعة عن ذلك الثور الاغريقي « أجاكس بن تلامون » ، الا أن « طروادة الجديدة » أبت الا أن تضطهده ، ولا سيما بعد أن آثر « أخيل » أن يقول: وداعا !! وتركه وحده في هذه المحنة الشقية ، يتمنى هو أيضا أن يقول : الوداع ! كما جاء في مرثيته المتقعة بأساطير اليونان ! لم فعل المسكين ذلك ؟ أيريد أن يجعل ذلك برهانا ساطعا على ما يلقاه في « طروادة الجديدة » من اضطهاد ، ومن مصادرة لحريته في كتابة رأيه ؟ ممكن أن يقال : نعم !

بيد أن هذه المقالة كانت تتضمن حادثة قديمة ، حين أراد أحد كبار المسيحيين أن يسلم ، حتى يتمكن من طلاق امرأته · وكان لهذا الخبر يومئذ ضجة مشهورة ، وتورط مندور فكتب شيئا بالغ الغرابة ، واقترح أن يحال بينه وبين الاسلام لأسباب ذكرها ، ثم طالب بوضع تشريع شامل للأحوال الشخصية ، لا مكان فيه للدين ، (والدين هنا ، هو الاسلام بلا شك) ، يسري على المسلم وغير المسلم على سواء · فظن المسكين أنه اذا روى هذا الخبر من تاريخ مندور ، ثم أتبعه بالتعليق عليه ، وأيده تأييدا ما ، فقد بلغ غاية التحدي لخنافس « **الملك ميداس** » وأن « أخيل » اذا كان قد ودعه ومضى ، فان هذا الفعل ضرب من الشجاعة ينفرد به ، وكأنه أشعل النار في حواشي «طروادة الجديدة» حتى تأتي الساعة فتلتهمها النار وتدمرها تدميرا ! هكذا ظن ! جمجمة انسان فيما ترى نواظر الرائين ،

الا انهـا فارغة مظلمـة ، كأنها « صالة سينما » ، أعدت لعرض أفلام السمادير !

ان هذا كله سخف ، ولكن ما معناه ؟ فهذا فعل « اجاكس عوض » يوما بعد يوم ، ومنذ أشهر كتبت عن مثقف آخر ، يقال له « **الدكتور زاهر رياض** » ، ألف كتابا عن الحبشة وسماه « **الاسلام في اثيوبيا في العصور الوسطى ، مع الاهتمام بوجه خاص بعلاقة المسلمين بالمسيحيين** » ، ولم أتعرض لكثير مما جاء فيه من البلايا والرزايا ، وانما اقتصرت على مايكفي في الدلالة على أنه هو أيضا « صبي مبشر » ، شديد الشبه باجاكس عوض ، وان كان يفارقه في هدوء الطبع ، وخفاء الخطو ، وقلة التهور . وأوضحت أن صبي المبشر هـذا لم يستح ، ولم يبـال أن يضمن سياق كلامه طعنا متوارثا منذ عبدالمسيح بن اسحق الكندي ، حيث يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تعلم على راهب يقال له سرجيوس، فجاء هذا الأستاذ المبشر يدس في كلامه أن النبي صلى الله عليه وسلم : « كان يعـاشر أهل الكتـاب ويتعلم منهم » ، أو كما قال (انظر المقالة الثالثة عشرة) ، وأتى مع ذلك بهراء كثير وسـوء أدب ، وهجم على تكذيب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معتمدا على شيء لا قيمة له يقال له « كبرانجست » ، وأحدث لنـا فتـاوى في ديننا بجهله ، وسخر من مؤرخي المسلمين ، وهو لم يفهم شيئا مما قالوه ، بل كذب أيضا فيما نقل عنهم ، ورواه على غير وجهه ليضحكنا منهم بخفة دمه . ومع كل ذلك ، فلم تكد تمضي أيام حتى منح هـذا المبشر درجة « مسـاعد أستاذ » بعد أن كونت الجامعـة لجنة أخـرى ، غير اللجنة التي رفضت أن تعد ما يؤلفه كتبا تدخل في نطاق تأليف الاساتذة الجامعيين ! وكان الحق في شأنه أن يفصل من الجامعة ، ويحال بينه وبين افساد عقول الطلبة في معهد الدراسات الافريقيـة ، لأنه لايزيد على أن يكون مبشرا ضالعا مع أدوات الاستعمار ووسائله وآرائه ومعتقداته ، كما يتبين ذلك من قرأ شيئا من كتبه الأخـرى ، غير هذا الكتـاب الذي كشفنا قليلا جدا مما جـاء فيه . والصلة بين هذا الأسـتاذ وبين دمية المبشرين « أجاكس عوض » ، صلة معروفة .

ثم يجيء صبي آخر ، تخرج من كلية الحقوق منذ سنتين ، وهو « ماهر سامي يوسف » ، ذكرنا أمره في المقالة الثامنة عشرة . فجاء يشهد على نفسه أن ليس له المام كبير بالأمور الدينية ، (وليس عنده بالطبع أي المام بها ، لأنه غير مسلم) ، فيهيجه أن رأى وكيل نيابة نشر كلمة في جـريدة الأخبار ، يطلب اعادة حكم الله سبحانه في محكم كتابه ، بقطع يد السارق ، فيرسل الى الأستاذ الصاوي رسـالة يصف فيها هذا الحـكم الالهي بلسـان سليط بأنه انقضاض عنطق السلطة والقوة الغاشمة على الفاعل ، فتسومه صنوف العذاب والانتقـام ثمنـا لنشـاطه الاجرامي ، ويعده تشريعا لا انسانية فيه ، ويصفه بعد مكر طويل بأنه تشريع وحشي ، ثم يهيج أيضا في آخر كلمته على من زعم أن القوانين المدنية أثر من آثار الاستعمار ، ثم يجن جنونه فيختم كلمته بقوله : « هذه وجهة نظري ، أسوقها كما أراها ، ارفض فيها بشدة الرأي الذي يطالب باعادة توقيع عقوبة قطع اليد بالنسبة للسارق » ، كأنه يظن فعلا وحقا وصدقا ان له وجهة نظر ، وأنه من أصحاب الرأي . وهذا الغلام السليط ، يرى أكثر ما يرى أيضا في أذيال « أجاكس عوض » .

ثم يأتي انسان آخر يقال له «سامي داود» (وهو مشهور ، ولكن سـياق العبـارة يقتضي ما أثبت) فيهتبل هو أيضا موت منـدور ، كما فعل صاحبه وصـديقه من قبـله « أجاكس عوض » ، فيقف هو أيضا على تلال أورشليم ليتكذب ، وذلك في صحيفة الجمهـورية (٢٤ المحرم سـنة ١٣٨٥) ، فيقـول ما نصه :

« وكانت حياتنا الجامعية (يعني في سنة ١٩٣٩ ، وكان هو طالبا في قسم اللغة العربية !) ، قد بدا ينتابها الركود والملل .. أشباح الرجعية كانت قد بدأت تتسلل الى أجواء جامعاتنا العزيزة ، ممسكة بأيديهـا غـلالات قاتمـة تنشرها على كل شيء » ، وبالطبع لا يستطيع أن يزعم هذا الرجل أنه يعني بالرجعية ، ما زعمه « أجاكس عوض » ، من أنه عنى بالمدينة السوداء ذات الأبراج الكئيبة ، والأسـوار العالية : الرجعية ، وأنها هي رجعية السـياسة ، ورجعيـة الفـكر ورجعيـة المال ، ورجعيـة النظم الاجتماعية ، لا يستطيع ذلك ، لأن مصر كلها على هذا الرأي ، كانت تعيش في رجعية ، في الجامعة وفي غير الجامعة ، وانما يعني شـيئا بعينه ، وصل اليه

بعد أن تعب وادعى ما لم يكن له فيه ناقة ولا جمل، كما يقولون ، فقال :

« وخلت الجامعة من الحماس (وهذا المصدر اكتسبه من دراسته فى قسم اللغة العربية !!) · لم نعد نعرف من المعارك ، الا معركة تدور حول كتاب لبرناردشو يقرؤه طلبة قسم اللغة الانجليزية، فتاتى جحافل الرجعية (خذ بالك جدا !) تعتدى على كلية الآداب ، وتقتحم مكتب عميدها ، وتحطم ما تستطيع تحطيمه من أثاثها » ·

وقبيح بالمرء أن يكون كذابا ، وقديما كان يقال : « اذا كنت كذوبا فكن ذكورا » · فالمعركة التى يذكرها سامى داود ، وهو انسان مترفق جدا ، ناعم الملمس جدا ، لم تكن حول كتاب نكرة لبرناردشو ، ولم ينفرد بها هذا الكتاب وحده · فيحسن اذن أن نقص القصة ، ليقف القارىء على الروابط التى تربط هؤلاء الناس بعضهم ببعض ، على رغم مايفزع المترهبة من سكان أديرة « التبشير » ·

كانا كتابين يدرسان معا ، فى سنة واحدة ، أحدهما هو « جان دارك » ، لبرناردشو · وفى سياق أحاديث هذه القصة ، مقالة لرجل يقال له « كوشون » ، ذكر أن جان دارك كانت تبعث بكتبها الى ملك الانجليز ، لكى يخضع لأمر الله الذى أوحى اليها ، فيعود الى جزيرته ، والا باء بغضب من الله ، وانها هى التى ستنزل عليهم غضبه · ثم يقول ما نصه : « الا فاعلموا أن ارسال هذه الكتب عادة جرى عليها قديما محمد عدو المسيح » ثم مضى يصف أمر هذه الفرنسية المتنبئة فقال : « وبمثل هذا قام عربى جمال ، فطارد المسيح وكنيسة المسيح ، حتى طردهما جميعا من أورشليم ، ثم مضى يضرب فى الأرض ، فيبث فيها الفزع والخراب · حتى اذا بلغ مغربها قام جبل الأبواب (وهى جبال البرانس) دونه ، وقامت رحمة الله ، وحيل بين فرنسا وبينه، فنجت من لعنة الله · فماذا صنع هذا الجمال العربى فى بداية أمره أكثر مما صنعت هذه الفتاة ؟ جاءه الوحى من جبريل ، وجاءها من القديسة كترينة ، والقديسة مرغريت ، والمبارك ميخائيل · وأذن فى الناس بأنه رسول الله ، وكتب الكتب الى الملوك باسم الله » · ثم يقول بعد قليل : « أنا والحمد لله الآن بخير ، فليس فى الدنيا الا محمد ومخدوعوه ، والا الفتاة جان ومخدوعوها · ولكن كيف يكون الحال ، اذا خالت كل فتاة أنها جان ، وخال كل رجل أنه محمد ؟ »

ثم تأتى بعد ذلك أسطر قالها رجل من رجال القصة يقال له « درك » ، فزعم أنه حج الى بيت المقدس ، ورأى بعض أتباع محمد صلى الله عليه وسلم : قال : « فلم أجدهم من سوء الأدب بالمكانة التى أفهمونيها قبل ، بل وجدت لهم أدبا لا يقل من بعض الوجوه عن أدبنا » ·

وبالطبع ، هذا شىء لا يشير سامى داود أو أجاكس عوض ، ولكنه أثار «الرجعية» أى المسلمين ، ولكن هل كان هذا وحده الذى أثارهم ؟ لا ، بلاريب! كان فيما هو مقرر على قسم اللغة الانجليزية كتاب آخر ، لكاتب انجليزى آخر يقال له : « والتر سافيج لاندور » واسمه « محاورات من الخيال » · وفى الطبعة المقررة على هذا القسم ، فصل كامل بعنوان : « محمد وسرجيوس » ، يستغرق من صفحة ١٨٧ ، الى صفحة ٢٠١ ، وهى محادثة توهمها لاندور، بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين هذا الراهب سرجيوس · ولا يعنينى هنا أن أنقل من نصوصها شيئا ، على قبح ما جاء فيها ، ولكن هذه الصورة التى صور بها هذا الكاتب نبينا صلى الله عليه وسلم ، صورة سخيفة جدا ، لامعنى لها · وأمر «سرجيوس» أمر معروف عندنا منذ كتبه عبدالمسيح ابن اسحق الكندى ، وقد نقلته بنصه من رسالته التى طبعها المبشرون مرات عديدة ، وكانوا يوزعونها فى مصر مجانا أيضا ، (انظر آخر المقالة الخامسة) ، وخلاصتها أن هذا الراهب أحدث حدثا أنكره عليه أصحابه من النصارى ، وأخرجوه من كنيسته ، فأفضى الى مكة ، ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يستميله ، وتسمى عنده نسطوريوس ، ولم يزل يخلو به حتى أزاله عن عبادة الأصنام ، ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس · و « تخاريف لاندور » ، لا تخرج عن هذه القصة ، بل هى شرح مفصل لما يزعمون أنه كان كيف كان ·

ثم فى هذا الكتاب أيضا محاورة أخرى بعنوان : « الكونت جلايشيم ، والكونتيسة ، ووالداهما ، وزائدة » ، ولكن هذه المحاورة فى طبعة أخرى وقعت لبعض الطلبة ، دلهم عليها بعض الأساتذة ممن سيأتى ذكرهم ، جرى فيها الحديث على لسان

« فلهلم » ابن الكونت جلايشيم (طبعة افربماتس ص : ٢٧٦) :

« قال فلهلم : لست طفلا حتى اتوهم أن ينسر فارس مسيحي من وجه متمرد تركي (أي مسلم) في المعركة . ولكن النصارى قد يؤخذون أحيانا بحيلهم وأحابيلهم وبكلبهم محمد » .

فتقول له أخته أنا بلا : « وأنا ، وان لم يكن بيني وبينك سوى سنة واحدة ، فليس يبلغ بي الحمق ان أصدق بوجود كلب يقال له محمد . واذا صح انه موجود ، فعندنا كلاب خير منه ، وأكثر امانة ، وأشد قوة .

فيقول فلهلم مخاطبا اياه : لا أكاد املك نفسي فلا أضحك ، اذا ما ذكرت ما يطوف في رءوس الفتيات من خيالات عن محمد . فنحن نعلم أن محمدا ما هو الا كلب له ثلاثة ذيول كذيول الخيل » .

واستغفر الله مما خط القلم ، وصلى الله على محمد صلاة طيبة نامية مباركة ، ولعن الله من يقول في رسوله أو في أحد من رسله مثل هذه المقالة . ثم نسأل هذا الآدمي المهذب المسمى « سامي داود » ، أترضى هذا ؟ واذا قلت : اني لم أكن أعرف ! فيقال : فما الذي أدخلك فيما لا تعلم ، حتى صيرت نفسك مؤرخا لفترة من الفترات التي عشتها في الجامعة ؟ واذا كان الذهول قد بلغ بك هذا المبلغ ، وأنت تعمل في الصحافة ، أفتظن أحدا يأمنك بعد ذلك على خبر تقصه أو ترويه . ومع ذلك ، فأنا أسألك : اذا كنت قد جعلت نفسك في كلمتك مؤرخا ، وجعلت نفسك ممن كان يقود شباب الجامعة ، لتجمع الزعماء « بالدماء ليقودوا معارك الحرية » ، ألم تكن حقيقا بأن تعرف حقيقة ما أثار كلية الآداب وكلية الحقوق وغيرهما ، حتى جاءوا يطالبون بالغاء تدريس هذين الكتابين ، وأنت أيها الزعيم الشاب قد سميتهم « غزاة » جاءوا ليشتبكوا مع طلاب كلية الآداب « في معركة سخيفة تافهة » !!

ولكني محدثك ، اذا لم تكن تذكر ، بمن فرض هذين الكتابين على طلبة قسم اللغة الانجليزية ، أتعرف أم تنكر أنك تعرف أيضا ، رجلا كان يقال له « كرستوفر سكيف » ، كان جاسوسا بريطانيا محترفا ، وكان شرلتانا ، كصاحبك ، وقحا سيء الأدب ، وكان قد ألف جماعة يقال لها « جماعة اخوان الحرية » ، أمرها مشهور في محاكمات الثورة ، وكان يختار من الطلبة وغير الطلبة لهذه الجماعة شيعة وأعوانا ، ويجعل للجماعة ظاهرا وباطنا ، فالظاهر أكثره ممن يحمل أسماء مسلمة ، والباطن لا داعي لذكره فأنت أعلم به ، ولا بأس ، اذا كنت قد نسيت ، أن أذكرك بأن صاحبك «أحاكس عوض » أهدى اليه كتابه « بلوتولند وقصائد أخرى » في سنة ١٩٤٧ . وهذا الرجل كان مبشرا ، وكان جاسوسا محترفا ، وكان يقوم في الجامعة بعمل تبشيري سياسي في آن واحد ، وهو أحد الذين فرضوا الكتابين ، في سنة واحدة ، على طلاب القسم الانجليزي . **هذا واحد** .

وآخر ، هو فرنس ، وكان ناظرا علينا في المدرسة الخديوية ، وأنا أعلم به منك ، وأعلم ماكان عليه من الالتواء والشذوذ الذي كان ينشره بين طلبة المدرسة . وهو الآخر جاسوس مبشر محترف ، وان كان يظهر الركانة والاتزان والصرامة ، وهو أيضا من أعوان « جماعة اخوان الحرية » ، ومن منشئيها .

وثالث : وهو دافيس الأعرج ، الذي كان يقول يومئذ لبعض طلبة قسم اللغة العربية ، وأنت يومئذ فيه : أتظنون أن قسمنا هذا كقسم اللغة العربية ، يمنح الدكتوراه لكل من كتب كلمتين عن القرآن ! يقولها علانية بلا حياء ولا مواربة . وهو أيضا من الجماعة .

ورابع يقال له « **بيفن** » ، وهو معروف عند من كان يرتاد نادي الجزيرة ، ويعلم عنه الناس صلته بالمخابرات البريطانية ، واشتراكه في كثير من المؤامرات التي كانت تحاك يومئذ في بلادنا ، وهو من الجماعة أيضا .

أتذكر هذا كله أم تراك نسيته ! واذا كنت قد نسيته فلا تنصب نفسك مؤرخا تشفي نفسك باحتجان الأخبار ، ثم سوقها على غير وجهها الذي كانت عليه . وينبغي الآن أن تسأل نفسك : في أي أمة يقبل الناس أن يدرس في مدارسها أو جامعاتها كتابان فيهما من البذاءة والتعريض ، ما فيهما ؟ أو تظن أن روائع برنارد شو ، ليس فيها كتاب يستحق أن يدرس في الجامعة سوى هذا الكتاب ؟ وهل تظن أن دراسة الأدب الانجليزي في الجامعة المصرية ، اذا هي خلت من كتاب لاندور ،

أصابها الخلل واضطربت ولم يصبح لها معنى ؟ وكاتب مقدمة النسخة المطبوعة في أكسفورد يعترف صراحة بأنه عند عامة القراء مجرد اسم ، وأن المحدثين يغفلونه ولا يقدرونه حق قدره • فما حاجة طالب مصرى الى مثل هذا الكاتب ؟ وما حاجته حتى يكون موضوعا للدراسة دون سائر كتاب الانجليز ؟ وما معنى أن يتضمن كتابان معا ، وفي سنة واحدة ، طعنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ واذا وقف الطلبة المسلمون على مثل هذا البذاء المكتوب ، وعلى هذا الاتجاه المقصود الذى لا يمكن أن يأتى اتفاقا بحال من الأحوال ، فهل تراهم معذورين اذا ثاروا ، ورأوا أن الأمر قد خرج عن حدود الأدب ؟ واذا كان من كان قد امتنع عن الاستجابة لطلبهم الغاء تدريس هذين الكتابين ، فهل يمكن أحدا أن يؤيده في امتناعه ؟ ان قسم اللغة الانجليزية ، كان متسما معدا للتبشير الثقافى الصفيق ، وكان معدا لاكتساب مروجين للتفاهم بين المصريين وبين مستعمريهم ، ولكن كيف أطالبك أن تعرف هذا ، وأنت لا تستطيع أن تتذكر شيئا ؟

واذا شئت أن تعرف بعض ما أقول ، فانى محدثك بأنك نشرت كلمتك هذه في يوم الثلاثاء (٢٤ من المحرم ١٣٨٥ ، ٢٥ مايو ١٩٦٥) ، وفي اليوم التالى ينشر من لا أراك تجهله ، وهو الأستاذ « **أسعد حليم** » وذلك في جريدة الأخبار (٢٥ من المحرم ١٣٨٥ ، ٢٦ مايو ١٩٦٥) في باب « **فى كلمتين** » يقدم للناس خبرا مهما جدا ، عن موافقة مجلس اللوردات البريطانى على تعديل قوانين الشذوذ الجنسى ، واباحته للبالغين الرشد !! فيذكر حفظه الله ، كتابا يتحدث بصراحة غريبة عن الشذوذ ، ويعده حالة من حالات الطبيعة !! ويذكر كثيرا من الشخصيات التى مارست هذا الشذوذ ، فكان ممن ذكرهم كتشنر ، فيأتى هذا المحقق المؤرخ الكاتب فيقول : « هل نستطيع أن نصدق المؤلف في كلامه عن كتشنر ، الرجل الذى كان له دوره في السودان ، وفي مصر ، والذى أقيم مستشفى لتخليده في شبرا » !!

لحساب من يكتب هذا الكاتب ؟ وبأى قلب يكتب ؟ أصحيح أن كتشنر كان له دور في مصر والسودان ، يبلغ من النقاء والصفاء والشرف ، والنفع ، والخلق القويم ، والعدل ، أن يستنكر هذا الكاتب عليه أن يكون مصابا بالشذوذ ؟ أيحسب هذا الكاتب أنه يخاطب بلها غافلين بهذا الكلام الصريح ، كما ظن «أجاكس عوض» ، أن «طروادة الجديدة» وهى مصر أيضا ، لا تستطيع أن تفهم رموزه الخبيثة التى يلقيها على الناس ؟ أصحيح أن مصر قد أقامت مستشفى شبرا تخليدا لذكرى كتشنر ؟ أم هذه كلها دعوة واحدة معروفة المصدر ، تبث في الناس تحت ستار من حرية الرأى ، وحرية الصحافة ، وحرية الاعتقاد ؟ أأسكت أم أزيد ، مثلا بعد مثل ؟

ان هذا العبث الذى يجرى اليوم في الصحافة ، وفي الكتب ، وغيرهما مما يقال ويكتب ، شىء لا يحتمل • وانها لأيام عصيبة تمر بالعالم العربى والعالم الاسلامى ، أيام تقف فيها جميع القوى الصليبية في العالم الأوربى ، لتنزل بنا ضربة قاصمة ، وأقوى أسلحتها اليوم هى أسلحة الكلمة ، في الثقافة والدعاية بجميع ألوانهما ، وهى تتخذ لها أعوانا يبثون في كل ناحية ، ويعملون في كل ميدان ، وينفثون سمومهم بكل سبيل • فاذا غفلنا وأطرقنا وتركنا لكل خبيث حرية العبث بتاريخنا ، وبآدابنا ، وبأخلاقنا ، وبماضينا ، وبحاضرنا ، يفعل مايشاء ، ويقول ما يشاء ، ويتولى أخطر المناصب التى يكون للكلمة فيها تأثير في الشباب وغير الشباب ، فقد جعلنا لعدونا علينا سلطانا يصعب الافلات من قبضته اذا أطبقت علينا •

وواجب كل امرىء أن يتتبع هذه الأقوال والكلمات ، وأن يربط بينها ، وأن يدل عليها من يستطيع أن يعبر عنها ، أو من بيده زمام من الأزمة هو عليه مؤتمن • فان الأمر اذا انتشر بهذا التهاون في مدارسنا ، وفي بيوتنا ، وفي شوارعنا ، لم نأمن غدا يأتى نحتاج فيه الى جمع الكلمة ، فلا نجد سوى الفرقة • وقد كشفت ما استطعت عن بعض ما يربط « أجاكس عوض » ببعض شيعته التى تعمل من ورائه ، وبالينبوع الذى تنبع منه آراؤهم ، وبالهدف الذى يسعى اليه « التبشير » و « الاستعمار » من بث هذه الآراء • والحياة اليوم ليست لهوا ، بل هى حياة مضطربة شديدة الغوائل ، مخوفة الدقائق والساعات ، فمن أخذها بجدها فقد نجا ونجا الناس ، ومن فرط في شىء من صغير أمر أو كبيره ، فقد هلك وهلك الناس •

« محمود محمد شاكر »

استيرادنا لقوانين الغرب

وانحرافنا في ذلك عن تقاليدنا وعرفنا الخلقي

للدكتور علي عبد الواحد وافي

يظهر أن سيرنا وفق القوانين الأوربية في معظم نواحي قضائنا المدني والجنائي زهاء قرن ونصف ، ودراستنا لهذه القوانين في كلياتنا ومعاهدنا ، واستئثارها بأكبر قسط من نشاط الباحثين والمتخصصين في مواد الحقوق من أبنائنا ، يظهر أن ذلك كله قد انحرف بتفكير كثير منا، حتى من خاصتنا انفسهم ، فجعله يظن أنها أمثل طريقة في التشريع والقضاء ، وأنه لا ينبغي النظر في تعديلها ، ولا في انشاء نظام تشريعي أو قضائي « في غير ما تقوم عليه من مبادىء وما ترجع اليه من أصول ، وأن قوانين الاسلام قد أصبحت غير ملائمة للعصر الحاضر ولا متفقة مع مقتضيات حياته واتجاهات أفكاره .

وآية ذلك أن أحد رجال القضاء في مصر قد كتب في العدد الصادر في ١٦ مايو سنة ١٩٦٥ منجريدة الأخبار يرد على زميل له آثر الرجوع الى مبادىء الاسلام في عقوبة السارق، فبلغ به الاعجاببالقوانين المستوردة من الغرب أن وصفها بأنها « تستجيب للاتجاهات الانسانية التي ظهرت بعد المعاناة والبحث » ، وبلغ به السفه وبلغت به الجرأة على قوانين الاسلام — وهو الدين الرسمي للدولة الذي يعتنقه زهاء ٩٠ ٪ من سكان جمهوريتنا ، وظلت بلادنا تسير على أحكامه في طمأنينة واستقرار زهاء اثني عشر قرنا منذ أن افتتحها عمرو بن العاص في أواخر النصف الأول من القرن السابع الميلادي الى منتصف القرن التاسع عشر — بلغ به السفه وبلغت به الجرأة على قوانين هذا الدين الحنيفأن وصفها بأنها تنطوي على « مشاعر الرغبة في الانتقام » ، وأنها « تتسم بالوحشية » ، وأنها « تنظر الى المجرم نظرة عداء فتحاول أن تنقض عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة تسومه صنوف العذاب ثمنا لنشاطه الاجرامي » .

والحق أن معظم ما استوردناه من قوانين الغرب لا يتعارض مع أحكام الاسلام فحسب ، بل يتنافر كذلك مع طبائعنا وتقاليدنا وعرفنا الخلقي ومقاييسنا للفضيلة والرذيلة ونظرتنا لما ينبغي أن تستقر عليه العدالة وتكون عليه العلاقات بين الناس ، وأنه لا تستقيم لنا حياة اجتماعية ولا يتحقق لنا استقرار حضاري مع وجود هذا النوع من القوانين .

وبحسبي في هذا المقال أن أضرب لذلك مثالا بالقوانين التي نطبقها الآن بشأن جرائم الزنا وهتك الأعراض :

تقضي قوانيننا الحاضرة أن الزانية لا توقع عليها عقوبة اذا كانت سنها ثمانية عشرة سنة فصاعدا وحدثت الجريمة برضاها وكانت غير متزوجة ، أو كانت متزوجة ولم يرفع زوجها الدعوى عليها ، أو رفعها ولم تسمع منه لسبب ما ، أو رفعها وسمعت منه ولكنه أوقف الاجراءات أو أوقف تنفيذ الحكم برضائه بمعاشرتها كما كانت .

وتقضي هذه القوانين كذلك أنه لا توقع عقوبة على الزاني اذا زنى بامرأة غير متزوجة برضاها وكانت سنها ثمانية عشرة سنة فصاعدا ، أو زنى بامرأة متزوجة برضاها ولم يرفع زوجها الدعوى عليها أو رفعها ولم تسمع منه لسبب ما. وهذا اذا كان الزاني غير متزوج . وكذلك لا توقع عقوبة على الزاني المتزوج في الحالات السابق ذكرها اذا ارتكب جريمته في غير منزل الزوجية أو ارتكبها في منزلالزوجية ولم ترفع زوجته الدعوى عليه .

وتقضى هذه القوانين كذلك أنه لا توقع عقوبة على هاتك العرض اذا كان من هتك عرضه ذكرا كان أم أنثى قد بلغ ثماني عشرة سنة ووقعت الجريمة برضاه ويقصد بهتك العرض ما يقع بين الذكر والذكر من أعمال الشذوذ الجنسي . وما دون المواقعة من الاعمال الجنسية التى تقع بين الذكر والأنثى .

ويلاحظ أن هذه الحالات التى يعفى فيها الزاني والزانية وهاتك العرض من العقوبة بحسب القانون المصرى تشمل فى الواقع معظم الحالات التى تحدث فيها هذه الجرائم . لأنه من النادر أن تحدث هذه الجرائم بغير رضا الطرفين . كما أنه من النادر كذلك أن يرتكب زوج جريمة الزنا فى المنزل الذى يقيم فيه مع زوجته . فقانون العقوبات المصرى قد أعفى اذن من العقوبة معظم جرائم الزنى وهتك الاعراض والشذوذ الجنسي .

وهذه المواد مقتبسة بنصها مع تغيير يسير من قانون العقوبات الفرنسي . وعن هذا القانون نفسه استمدت معظم القوانين الأوربية والأمريكية موادها الخاصة بهذه الجرائم، أو جاءت موادها متفقة مع مواده فى كثير من الوجوه .

وتتوقف مناقشتنا للقانون المصرى والقوانين التى استمد منها مواده هذه على مقدمة موجزة نبين فيها الاصول التى تستمدمنها القوانين موادها الخاصة بهذا النوع من الجرائم .

من المبادىء المسلم بها عند علماء الاجتماع والقانون أن القوانين تستمد موادها الخاصة بهذا النوع من الجرائم من تقاليد الشعب وعرفه الخلقي ومقاييسه للفضيلة والرذيلة ومبلغ نفوره من العمل . فيكون القانون سليما ، فى نظر أهله على الأقل ، ويؤدى وظيفته فى مجتمعه ، ما دام يعبر تعبيرا صادقا عن هذه الامور . ويكون غير سليم ما دام يسلك فى تشريعه اتجاها يتعارض مع هذه الأوضاع .

فلننظر الى أى مدى تتفق قوانين الغرب فى هذا الصدد مع تقاليد أهله وعرفهم الخلقي ، والى أى مدى تتفق قوانيننا مع تقاليدنا وعرفنا الخلقي .

أما فيما يتعلق بشعوب الغرب فان هذه القوانين تعبر تعبيرا صادقا عن تقاليد أهله وعرفهم الخلقي ومقاييسهم للفضيلة والرذيلة ونظرهم الى هذه الامور . فالقوم هناك يعدون هذه الامور من الهنات الهينات ، فلا تثير نفورهم ولا اشمئزازهم . بل ان غيرتهم على نسائهم لتتسم فى معظم الاحوال بالهدوء والتسامح وأخذ الامور بالرفق واللين . ويبدو ذلك فى كثير من مظاهر حياتهم .

فمن ذلك ما يحدث فى المراقص الراقية اذ تجد المرأة نصف عارية يحتضنها رجل أجنبى عنها وتحتك جميع أجزاء جسمه بجميع أجزاء جسمها ، ويضمها الى صدره ويراقصها ، وقد تجد زوجها قابعا فى ناحية من المرقص وكله اعجاب بما تؤديه زوجته ويؤديه زميلها من حركات رشيقة .

وقد يعلم الزوج هناك بأن لزوجته خدنا أو أخدانا، وقد تعلم الزوجة أن لزوجها خليلة أو خليلات ، ويغض كل منهما العين عن ذلك ، ويتقارضان التسامح ليشبع كل منهما نزوته .

بل قد يعاشر الرجل منهم امرأة متزوجة معاشرة الازواج ويقيم معها اقامة دائمة فى منزله مع بقائها فى عصمة زوجها ومع علم زوجها بذلك . ويحدث هذا على الاخص فى الطبقات الراقية ، أو الطبقات التى يسمونها هناك الطبقات الاريستوقراطية . فليدى سمبسون مثلا كانت خليلة لادوارد الثامن ملك انجلترا الاسبق ، وكانت تقيم معه بصفة دائمة فى قصره مع بقائها فى عصمة زوجها ومع رضاء زوجها بهذا الوضع ، وكان الملك يعاشرها معاشرة الازواج . وقد دعي زوجها نفسه أكثر من مرة لبعض الحفلات والمآدب والرحلات التى أقامها الملك وقضى لدى الملك وعشيقته بضع ليال على الوضع الذى وصفناه . وكان يذهب هو الى مخدعه ، وتذهب الزوجة مع عشيقها الى مخدعها الخاص غير بعيد عن الحجرة التى يبيت فيها الزوج . وقد وصفت ذلك ليدي سمبسون فى مذكراتها التى نشرتها فى الجرائد الانجليزية والامريكية ونقلتها بعض الصحف المصرية ، وكان ذلك بعد أن طلقت من زوجها وتزوجت عشيقها . وهى لم تذكر ذلك على أنه أمر غريب ، وانما ذكرته للحقيقة والتاريخ ، وعلى أنه أمر عادي له أشباه ونظائر كثيرة فى بلادهم وفى مجتمعاتهم وخاصة فى المجتمعات الراقية . وروايات فلوبير واندريه جيد وسارتر وغيرهم تنوه بمثل هذه المناظر المعبرة أصدق تعبير عن أوضاع المجتمع الاوربى على العموم والمجتمع الفرنسى بوجه خاص . ـ بل قد يقيم العشيق مع عشيقته وزوجها فى منزل واحد ، ويعيش ثلاثتهم فى هذا الوضع على أتم وفاق . وهذا منتشر انتشارا كبيرا فى فرنسا على الاخص ، ويسمونه هناك

«التعايش الثلاثي» وهذا النظام ليس حديثا عندهم ، بل انه متأصل لديهم وتمتدجذوره الى عصور سحيقة فى تاريخهم • فقد كان كاتب فرنسا أناتول فرنس يقيم بصفة دائمة مع عشيقته مدام أرمان دوكايافيه ومع زوجها مسيو أرمان دوكايافيه فى منزل واحد ، وقد سئل مرة عن علاقته بخليلته وبزوجها فقال : « **اننا نعيش نحن الثلاثة على أتم وفاق** » •

وفي السويد تعطى الزوجة حق اختيار صديق يكون له ما لزوجها من حقوق ، ويعطى الشاب حق معاشرة فتاة بدون وثيقة زواج بعلم اهله واهلها • ـ وفى معظم بلاد أوروبا وامريكا لا تكاد الفتاة تبلغ الرابعة عشرة حتى يكون لها خدن يظل يعاشرها معاشرة الزوجة حتى تتزوجه أو تتزوج غيره ، ويكون ذلك بعلم أهلها • وكثيرا ما يهيىء الاهل لفتاتهم وعشيقها وسائل الراحة فى منزلهم •

بل ان اعمال **الشذوذ الجنسي** نفسها لا ينظر اليها فى هذه البلاد على أنها جرم كبير • بل لقد قرر القوامون على شئون الدين فى بلادهم انها عمل مشروع • فقد وافق مجلس الكنائس الانجليزية على التوصية التي كانت تقدمت بها احدى اللجان الحكومية باعتبار الشذوذ الجنسي الذي يحدث بين البالغين وبرضاهم ، عملا مشروعا لا يعاقب عليه القانون • وكان كبير أساقفة كانتربرى « جوفرى فيشر » هو الذي قاد الحملة لتاييد هذه التوصية التي تمت الموافقة عليها فى مجلس الكنائس باغلبية ١٥٥ صوتا ضد ١٣٨ صوتا • وقال كبير الاساقفة « انه كان يشعر بالقلق لما يصيب الشخص المصاب بالشذوذ الجنسى من ظلم القانون ، في حين يستطيع أي شخص آخر أن يدمر أسرة ويشردها بدون أي عقاب » • ـ وقد نقلت الينا الصحف المصرية الصادرة فى شهر مايو ١٩٦٥ إنه قد عرض على البرلمان الانجليزى مشروع قانون لاعفاء مرتكبي الشذوذ الجنسى من العقوبة ، واعتبار ذلك عملا مشروعا •

هذه هي حضارتهم ، وهذا هو عرفهم الخلقى ، وهذا هو مبلغ غيرة رجالهم على نسائهم ، وهذه هي نظرتهم الى شئون العرض والى جرائم الزنا وهتك الأعراض •

فاذا جاءت قوانينهم فقررت أن هذه الجرائم لاعقوبة فيها ما دامت ترتكب برضاء الطرفين ، وان زنا الزوجة نفسه لا عقوبة فيه ما دام قد ارتكب برضاء الزوج ، أو علم به الزوج فسكت عنه ولم يرفع دعوى الزنا على زوجته ، أو رفعها ثم عاد فصفح عنها • اذا جاءت قوانينهم فقررت هذه الأمور وما اليها مما أشرنا اليه فيما سبق ، فانها بذلك تعبر عن تقاليدهم وعرفهم الخلقى ومقاييسهم للفضيلة والرذيلة ونظرهم الى هذه الامور • فهى اذن قوانين تستمد أحكامها من نظام أخلاقهم وواقعهم العملى ، وتقتبس موادها من فهمهم للاشياء ، وتقديرهم للأفعال ، ومناهجهم فى الحياة •

اما نحن فاننا لم نصل بعد الى هذه الدرجة من الحضارة ! ونسأل الله الا نصل اليها ، أو بعبارة أصح لم ننحط بعد الى هذا الدرك من البهيمية • فلا تزال مسائل العرض عندنا من أهم المسائل التى تشغلنا ، ولاتزال شئون العرض وما يتصل به من أهم الأمور التى نحافظ عليها ونذود عنها ، ولا يزال الناس عندنا يقاتلون ويقتلون ويقتلون في سبيل المحافظة على العرض والذود عنه ، ولا تزال تنظر الى الزنا على أنه من أكبر الفواحش وأعظم الآثام ، ولا يستسيغ فهمنا أن تواطؤ المجرمين واشتراكهما في الجرم يعفيهما من العقوبة ، ولا يرتضى عرفنا الخلقى أن تعفى الزوجة الزانية من العقوبة • لأن جرمها قد حدث برضاء الزوج ، أو لأن الزوج قد علم به فسكت عنه ، أو لأنه بعد أن رفع الدعوى عاد فصفح عن زوجته ، لا يستسيغ عرفنا الخلقى هذه الامور ولا يرتضيها ، بل ان عرفنا الخلقى ليقضي في مثل هذه الأحوال الا تقصر العقوبة على الزوجة وأن يضم اليها هذا الزوج المستهتر ، وتوقع عليه أقصى العقوبة لانحطاطه وتجرده من الغيرة والشرف ، وتفريطه في أعز شيء أؤتمن عليه •

فاذا جاءت قوانيننا مع ذلك وقررت أن الزنا واللواط اللذين يقعان برضاء الطرفين لا عقوبة فيهما ، أو قررت أن زنا الزوجة نفسه لا عقوبة فيه ما دام قد وقع برضا الزوج ، أو مادام الزوج قد علم به فسكت عنه ، اذا جاءت قوانيننا فقررت هذه الامور وما اليها مما يتضمنه قانون العقوبات المعمول به في مصر في الوقت الحاضر ، فانها بذلك لا تنحرف عن ديننا الاسلامي فحسب ، بل تنحرف كذلك عن تقاليدنا وعرفنا الخلقى ومقاييسنا للفضيلة والرذيلة ونظرنا الى هذه الامور •

وغني عن البيان أن قوانين تتنافى مع دين الشعب وتقاليده وعرفه الخلقى تكون عنصرا غريبا فى

نظامه ، ولا تستقيم له حياة اجتماعية ولا يتحقق له استقرار حضاري مع وجودها .

وان المستعمر لم يدخل هذه القوانين في بلادنا الا لتشيع فينا الفاحشة ، ويشيع بيننا الفجور والانحلال ، ولتجرد من أهم ناحية من نواحي المناعة الخلقية التي تستمدها من عرفنا وتقاليدنا ، حتى تتيسر له بذلك كله وسائل اذلالنا والسيطرة علينا .

قد يقول السفهاء من الناس والمتفرنجون منهم والمتفرنجات : لعلك تريد أن تطبق ما يقرره الاسلام في حد الزنا ، فتوقع عقوبة الرجم على الزاني والزانية اذا كانا محصنين وعقوبة الجلد مائة جلدة اذا كانا غير محصنين ، وتعود بنا الى عقوبات وأوضاع لا تتلاءم مع الحضارة الحديثة .

وردنا على هؤلاء يتلخص في ثلاث نقاط :

النقطة الأولى : اننا لم نعرض فيما سبق لنوع العقوبة التي ينبغي أن توقع على هذه الجرائم ، وانما أخذنا على قانوننا المصري أنه يعفي من العقوبة اعفاء تاما معظم جرائم الزنا واللواط وهتك الاعراض ، أي لا يعدها تعديا لحدود المجتمع ، وأنه في ذلك لا يساير عرفنا الخلقي ولا تقديرنا للامور ، وانما ينقل الينا بضاعة غريبة عنا ، قد استوردها من شعوب لا تعتنق ماتعتنقه من دين ، ولا تذعن لما نذعن له من خلق ، وقانون كهذا قد يمكن أن نتجرعه ولكن لايمكن أن نسيغه، ولا تستقيم لنا حياة اجتماعية ولايتحقق لنا استقرار حضاري مع وجوده .

والنقطة الثانية التي نرد بها على هؤلاء السفهاء والمتفرنجين والمتفرنجات أنه لا غرابة مطلقا في توقيع عقوبة الجلد والرجم على الزاني والزانية ، فعقوبة الاعدام بمختلف صورها وعقوبة الجلد هما عقوبتان مقررتان في مختلف الشرائع وشتى الشعوب، ومطبقتان في جرائم يقل كثير منها في أضراره الاجتماعية والعمرانية عنجرائم الزنا واللواط وهتك الاعراض . واذا كان الغربيون يعدون حد الزنا في الاسلام أمرا قاسيا غريبا فانهم لا يستغربون العقوبة التي يتضمنها هذا الحد في ذاتها ، لأن لهذه العقوبة أشباها ونظائر كثيرة في قوانينهم القديمة والحديثة ، وانما يستغربون أن توقع هذه العقوبة القاسية في أمور يعدونها هم بحسب مقاييسهم وتقاليدهم وعرفهم الخلقي من الهنات الهينات .

والنقطة الثالثة التي نرد بها على هؤلاء أن الشريعة الاسلامية لا توقع حد الزنا الا اذا توافرت شروط يندر في الواقع توافرها ، بل يكاد يكون من المتعذر توافرها . فلا يوقع حد الزنا في الشريعة الاسلامية الا اذا ثبت الجرم بشهادة أربعة رجال عدول مجردين من الجرح ، قد رأوا المجرم بأعينهم وتأكدوا تأكدا حسيا من وقوعه على الوجه الكامل ، أو ثبت باقرار الزاني نفسه . ولا يخفى أنه من النادر ، بل يكاد يكون من المستحيل ، أن يتمكن أربعة رجال عدول مجردين من الجرح من رؤية هذه الجرائم والتأكد من وقوعها وقوعا حسيا على الوجه الأكمل ، لأن هذه الجرائم ترتكب عادة في الخفاء ، ويتخذ مرتكبوها مختلف وسائل الحيطة والحذر حتى لا ينكشف أمرهم . ومن النادر كذلك أن يقرر زان بفعلته وهو يعلم أن اقراره سيؤدي الى رجمه أو الى جلده مائة جلدة على رءوس الاشهاد .

هذا الى أن الشريعة الاسلامية تتحايل على اسقاط حد الزنا بأوهى الشبهات ، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام : « ادرءوا الحدود بالشبهات » . فمن ذلك أنها تقرر أنه لا يصح للقاضي أن يقبل اعتراف الزاني بفعلته حجة مسلمة من أول وهلة ، بل لا يصير الاعتراف موجبا للحد الا اذا تكرر أربع مرات فيأربعة مجالس ، وكلما أقر مرة رده القاضي ، وزجره عن اقراره ، وأظهر كراهيته له ، وأغراه بالرجوع عنه ، وزين له ذلك ، بل لقنه الألفاظ والعبارات التي يرجع بها عن اقراره (لعلك قبلت فقط ، لعلك لمست ... الخ) وأمر بتنحيته عنه وطرده . — ومن ذلك أيضا أن الشريعة الاسلامية تقرر أنه اذا أصر المقر على اعترافه على الرغم من ذلك كله ، ولكنه حاول الفرار في مبدأ توقيع الحد عليه أو في أثنائه ، فان محاولته هذه تعتبر بمثابة رجوع عن اقراره فيرفع عنه الحد . — ومن ذلك أيضا أنها تقرر أن الشهود الذين ثبت الجرم بشهادتهم يوضعون تحت الاختبار ، فيجب أن يبدءوا هم برجم من شهدوا ضده ، فاذا امتنعوا عن الابتداء برجمه ، ولو كان ذلك لمجرد الخوف والرهبة أو الشفقة ، فان ذلك يعد بمثابة رجوع منهم عن شهادتهم فيرفع الحد عن الزاني .

ولكن الشريعة الاسلامية تقرر أنه اذا سقط الحد لعدم توافر الشروط أو لشبهة ما، ولكن ثبتارتكاب

الفاحشة، أو ثبتت مقدماتها، أو ثبت انتهاك العرض، بأى طريق آخر من طرق الاثبات العادية ، فانه يجب فى هذه الحالة تعزير من ثبت عليه الجرم . والتعزير عقوبة يقدرها القاضى او يقررها القانون المتواضع عليه فى صورة تتفاوت فى شدتها بحسب اختلاف الجريمة نفسها ومبلغ خطرها على المجتمع ، وبحسب اختلاف المجرمين وما يكفى لردعهم ، ويكون بالحبس والسجن والاشغال ، كما تكون بالجلد والتأنيب وما الى ذلك ، على الا يبلغ التعزير فى قسوته حد الزنا لقوله عليه السلام : « من بلغ حدا فى غير حد فهو من المعتدين » .

ومن هذا يبين أن الاسلام قد قصد بحد الزنا أن يكون الحد الأقصى للعقوبة ، ووضع دونه عقوبات اخرى كثيرة هى عقوبات التعزير ، واشترط لتوقيع الحد الأقصى شروطا كثيرة يندر توافرها ، بل يكاد يكون من المستحيل توافرها ، وانه يتلمس اوهى الشبهات حتى لا يوقع هـذا الحد الاقصى بل توقع عقوبات التعزير ، وانه يرى أن مجرد وجود هذا الحد فى صلب القانون ، وامكان تطبيقه ولو مرة واحدة فى كل جيل ، يرى أن ذلك كاف فى تحقيق وظيفة الزجر والتخويف والارهاب ، كما هو الشأن فى جميع الحدود القصوى للعقوبات .

وكذلك يقف الاسلام حيال جريمة السرقة. فعقوبة قطع اليد فى السرقة لا توقع الا بشروط كثيرة يتعلق بعضها بمادة الشىء المسروق ، وبعضها بقيمته ، وبعضها بالمكان الذى سرق منه ، وبعضها بالسارق نفسه ، وبعضها بالمالك ، وبعضها بعلاقة أحدهما بالآخر ومبلغ قرابته منه ، وبعضها بالشهود ، على ما هو مبين بالتفصيل فى كتب الفقه الاسلامى . وهذه الشروط يندر توافرها فى حادث ما من حوادث السرقة . هذا الى أنه لا توقع عقوبة القطع الا حيث تنتفى الشبهات ، فان قامت شبهة ما ، مهما كانت تافهة ، حالت دون توقيع هذا الحد . ولكن سقوط الحد ، وهو قطع اليد ، لعدم توافر الشروط او لقيام شبهة ما لا يعفى السارق من العقوبة ، فالشريعة الاسلامية تقرر عقوبة التعزير السابق بيانها فى كل حالة يسقط فيها حد السرقة اذا ثبتت الجريمة باية طريقة اخرى من طرق الاثبات العادية .

فالعقوبات التى يقررها قانون العقوبات المصرى فى بعض جرائم الزنا واللواط وهتك الاعراض هى من قبيل عقوبات التعزير . والذى نريده من قانوننا حتى يكون اسلاميا ومسايرا لتقاليدنا وعرفنا الخلقى هو أن يعمم هذا النوع من العقوبات فى جميع جرائم الزنا واللواط وهتك الأعراض ، والا يجعلها مقصورة على هذه الحالات القليلة التى جارى فيها القانون الفرنسى وساير فيها العرف الغربى الذى أملى هذا القانون ، وان يضع فى فاتحة هذا الباب ، وهو باب جرائم الزنا وهتك الأعراض ، مادة أو مواد يقرر فيها حد الزنا فى الصورة التى تقررها الشريعة الاسلامية ، وبالشروط التى تنص عليها ، وتكون هـذه المادة او هـذه المواد لمجرد الزجر والتخويف والارهاب ولبيان الحد الاقصى للعقوبة ، وهو حد — كما قلنا — يندر بل يكاد يستحيل تطبيقه بالشروط الشديدة التى اشترطها الاسلام — وكذلك ينبغى أن يفعل فى عقوبة السرقة فى سائر العقوبات التى حددها الاسلام .

ان القانون المصرى انفعل ذلك أرضى الخلق والخالق وساير تقاليدنا ، وعبر عن مبلغ نفورنا من هذه الفواحش والجرائم ، وطهر مجتمعنا من رجسها ، وحكم بما انزل الله .

هذا ، ومن غرائب الاتفاق أن وقع نظرى اليوم ، بعد كتابة هذا المقال ، على خبر نشر فى جريدة الاهرام (عدد ٧-٦-١٩٦٥) عن الجرائم الجنسية فى استراليا وذكر فيه أن « **موجة عنيفة من الجرائم الجنسية قد اجتاحت جميع أنحاء استراليا ، وأن احكام السجن التى يحكم بها على مرتكبى هذه الجرائم قد فشلت فى التخفيف من حدتها .. ولذلك اخذت السلطات فى جنوب استراليا تستخدم الآن عقوبة الجلد بالسياط كوسيلة للحد من هذه الجرائم** » ، أى انها قد أخذت من حيث لاتدرى تتجه الى قواعد الاسلام فى عقوبة الزنا : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

وهكذا يتجه المنحلون الى قوانين الاسلام بينما تتشبث نحن ونشيد بقوانين الانحلال .

« **د . على عبد الواحد وافى** »

العرب في إفريقيا [١]

.. من اليمن

للدكتور: عبد العزيز كامل

متابعة الحديث عن الجنوب العربي :

فى المقال السابق عرضت جوانب من ملامح الجنوب العربى من حيث صلته بشرق افريقية ، وكيف كانت للاقليم قبل الاسلام منزلة تجارية كبيرة وروابط بالشمال – عن طريق البحر ، وبالجنوب الشرقى والغربى عن طريق البحر .

والاجزاء الغربية – فى الجنوب العربى – اكثر غنى – نسبيا – من الأجزاء الشرقية حيث يقل الارتفاع والمطر وتضيق فرص الزراعة فيشتد الارتباط بالمحيط الهندى ويصبح صيد البحر حرفة أساسية للسكان يحصلون منها على أسماك يجففونها ويتخذونها طعاما لهم ولابلهم ويتخذون من زيتها متاعا لهم . ولا تزال المكلا والشحر من اهم مراكز هذا النشاط . وانعكست هذه الروابط على نواحى متعددة من حياة السكان : ففى مدن الجنوب العربى يبدو تأثير الطراز الهندى فى بناء المساكن فتتعدد طوابقها ويعنى أصحابها بتحصينها ويتفننون فى زخارفها الخشبية .. ولا زال نفر من عرب الجنوب حتى الآن يمضون معظم حياتهم فى عالم المحيط الهندى يتنقلون بين شواطئه وموانيه ثم يعودون من بعيد الى عدن وحضرموت بما جمعوا ليقضوا بقية الحياة فى أرض الوطن .. قصة حفظها الادب العربى والخيال العربى ممثلة فى « السندباد البحرى » ولا تزال تتكرر حتى اليوم .

بل ان أسماء المدن فى الجنوب العربى تحمل أدلة على هذه الروابط الحضارية مع شرق افريقية والهند وموضوع الاسماء من الموضوعات الطريفة التى تعنى بها الدراسة الجغرافية وتستند اليها فى الروابط الحضارية وأرجو أن أفرد له دراسة خاصة فيما بعد .. ففى شرق افريقية جزيرة قامت بدور خطير فى نشر الثقافة العربية والاسلامية وهى جزيرة «زنجبار» وبها مدينة تحمل نفس الاسم . وتطور زنجبار يرتبط ارتباطا وثيقا بعرب الجنوب بعامته والعمانيين بخاصته . وهناك بلدة صغيرة تحمل نفس الاسم – زنجبار – فى الجنوب العربى وتقع على بعد ٤٠ كيلو مترا تقريبا الى الشمال الشرقى من عدن غير بعيد من الساحل على وادى صحيبة . والى جنوب زنجبار – فى الجنوب العربى – رأس بارز فى المحيط يحمل اسم رأس سيلان .. وهو نفس الاسم الذى تحمله الجزيرة الكبيرة المعروفة فى جنوب الهند .

ولميناء «عدن» اهمية قديمة ترجع الى ما قبل الاسلام ولا تزال مستمرة حتى الوقت الحاضر . فالموقع يتكون من خليج عميق يشرف عليه عنقان بركانيان يمكن منهما التحكم فى الخليج وحمايته . ووصف ياقوت فى معجمه عدن فقال عنها .. هذا الموضع مرفأ مراكب الهند ، والتجار يجتمعون اليه لأجل ذلك فانها بلدة تجارة . **وهو من اقدم أسواق العرب** . وهو ساحل يحيط به جبل لم يكن فيه طريق فقطع فى الجبل باب ... فصار لها طريق الى البر .. (٤ : ٨٩) وقد سبق أن ذكرنا أن صحار لها هذه المنزلة وانها من أقدم أسواق العرب أيضا .

فمع الروابط التجارية بعالم المحيط الهندى ، لم تكن هذه الاطراف منعزلة عن الحياة العربية ، وانما كانت أسواق العرب فى الجاهلية تكون دائرة تحيط بقلب الجزيرة العربية . تمتد من ساحل المحيط الهندى جنوبا الى دومة الجندل شمالا ومن ساحل الخليج العربى شرقا الى أسواق الحجاز وهى أعظم هذه الاسواق .. ومن وراء هذه الدائرة من الاسواق العربية كانت هناك الروابط الحضارية التى تربط

الجزيرة العربية بما حولها من مناطق الحضارة برا وبحرا في آسيا وافريقيا وأوروبا ·

اليمن :

ويمتد اليمن ـ بمدلوله الحالي ـ نحو ٤٨٠ كيلو مترا من الشمال الى الجنوب · وهذا المدلول يجعل لليمن جبهة بحرية تطل بها على البحر الاحمر حتى بوغاز باب المندب ويحرمها من أية جبهة على خليج عدن · وبعبارة أخرى أصبحت المرتفعات الجنوبية الغربية في الجزيرة العربية ، وهي أغنى أجزاء الجزيرة بالحضارات القديمة،ممزقة سياسيا بين عدة ولايات، ولا تزال هذه المشكلةمن أهم ما يقابل المصير العربي حتى الوقت الحاضر · فهذا الداخل الجبلي الخصب ، أو النواة الغنية التي تستطيع أن تعطي الاجزاء الساحلية عمقا قاريا تستند اليه ، قد أصبحت معزولة عن قطاع كبير من منافذها الجغرافية في الجنوب على خليج عدن واقتصرت سياسيا على البحر الاحمر ·

والملامح الطبيعية في اليمن استمرار لما في جبال عسير ـ الى شمالها ـ وان كانت ـ في اليمن ـ على نطاق أوسع ·· فمعدلات الارتفاع هنا تتراوح بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ متر وبها أعلى جبال الجزيرة العربية · وتشق الهضبة أودية نهرية عميقة تزيد من وعورة مواصلاتها ، وان كانت بها مناطق مستوية واسعة تصلح للاستقرار والزراعة ، وهي التي شهدت الازدهار الحضاري في اليمن ، وانبعثت منها اشعاعاته على عالم المحيط الهنديوبقية أجزاء الجزيرة العربية · والانحدار شديد من جبال اليمن الى البحر الاحمر وهي نفس الظاهرة التي نلقاها في جبال السراة الممتدة على طول البحر الاحمر وان تفاوت الانحدار في الشدة · وتعجز الاودية النهرية المنحدرة من الهضبة عن أن تصل الى البحر ، وتنتهي دونه ، وتبرز الصخور المخلفة من عوامل النحت ، وتتعاون هذه العوامل جميعا على صعوبة الاتصال بين الساحل والداخل وتترك منطقة تخلخل سكاني وحضاري بين المنافذ البحرية ومنطقة الاستقرار الرئيسية على الجبال · وهذه الظاهرة كانت ـ ولا تزال من أهم العوامل التي تؤثر على طبيعة الاتصال بين اليمن والخارج ، وتوضح لنا دورات المد والجزر الحضاري في تاريخه ·· فهو طورا منطو على نفسه في الهضبة الداخلية ، عزل نفسه ، أو عزله حكامه عن تيار الحياة ، يعيش حياة رتيبة لا تكاد تحس سير الزمن، وهو طورا منطلق في خطوات وثابة ، تاركا آثار سيره في الجزيرة العربية وعالم المحيط الهندي ، حاملا معه ثمار هذه الحضارات التي يلقاها ، متفاعلا معها بطاقة قادرة على الاخذ والعطاء ·

ونظرا للتباين الكبير في مناسيب الارتفاع في اليمن ، كانت هناك فروق واسعة في ظروف المناخ · ففي الهضبة تهبط درجة الحرارة الى قرب التجمد ودونه أحيانا · وتغطي الثلوج الجبال العالية ، ويتقي اليمني شدة البرد بثياب من الجلد والصوف الثقيل بينما ترتفع الحرارة صيفا، ولاتسجل الدرجات العالية التي نلقاها في بقية أجزاء الجزيرة العربية الجافة ، ويرجع هذا أولا الى عامل الارتفاع وثانيا الى مطر الصيف ، ومع المطر يتكون من السحب غطاء يقلل من تأثير الحرارة خلال شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر· ومعدلات المطر نحو ٢٥٠ ملليمترا في العام ، وقد تصل الى ضعف ذلك حيث يشتد الارتفاع · وهذا النظام من المطر مرتبط بالنظام الموسمي الذي يسود الحبشة والهند صيفا · وهناك موسم قصير في مارس يمكن ربطه بالنظام السائد في البحر المتوسط ·

وانعكس هذا التباين المناخي والتضاريسي على أنماط الحياة وسرعة تغيرها من السهل الساحلي الى الجبال الداخلية العالية : فالسهل منخفض قد يصل اتساعه الى نحو ثمانية كيلو مترات، قليل السكان· وهناك تشابه وتقارب بين عناصر السكان على الشاطئين الشرقي والغربي للبحر الاحمر · ففي هذا السهل يحيا سكان تجري في عروقهم دماء من الدناقل والصوماليين والاحباش من الساحل الافريقي · وهي نفس الظاهرة التي نجدها اذا عبرنا البحر الاحمر الى افريقية · والبحر الاحمر ـ عمليا وتاريخيا ـ بحيرة عربية · وهو البحر الوحيد الكبير الذي تحيط به العروبة والاسلام من أجزائه جميعا · ولعل هذه الناحية بالذات هي التي تفسر لنا حرص الاستعمار على أن يجعل لاسرائيل يدا أو أصبعا في البحر الاحمر عندما دفع بحدودها الى رأس خليج العقبة ، ممزقا بذلك الوحدة البرية بين العالم العربي في آسيا وافريقية ، والمعبر القاري بين أرض الاسلام في القارتين ، كما تفسر لنا الصراع الكبير على المداخل الجنوبية للبحر الاحمر وتزاحم القوى الاستعمارية فيها ، والمحاولات المباشرة وغير المباشرة للسيطرة على هذا البحر العربي الاسلامي ·

فانتقال الجماعات البشرية بين شاطئي البحر الاحمر ظاهرة قديمة ولا تزال مستمرة ، وهي أقوى ماتكون في هذه الاجزاء ، والتأثير العربي قوي ابتداء من

بوغاز باب المندب وتستمر هذه القوة فى الصومال ثم تبدأ معالمها فى الاهتزاز وتدخل منطقة « شبه الظل العربى » فيما وراء ذلك جنوبا ، بينما كانت هذه المنطقة ــ فيما وراء الصومال جنوبا ــ مركزا قويا من مراكز الاشعاع الحضارى العربى حتى جاء الاستعمار وبدأت مؤامراته الطويلة المدى منذ أواخر القرن الخامس عشر ولا زالت مستمرة حتى الآن ٠

وعلى قدر التفاعل القوى بين اليمن وما حولها تكون قوة الموانى اليمنية : الحديدة والمخار فالروابط بين هذه الموانى والظهير القارى المباشر ضعيفة لفقر هذا الظهير بينما هى قوية مع الهضبة الداخلية الغنية ، اذا كانت حضارتها مزدهرة ٠ ذلك لان الساحل هنا لاتسمح ظروفه الطبيعية بقيام موان قوية غنية ٠ فيه مستنقعات ومضاحل (جمع مضحل وهو المكان يقل فيه الماء : القاموس ٤ : ٥) وليس فيه موقع يمكن أن نقارنه بعدن فى الجنوب ٠ ووراء الشاطىء سهل ترتفع الى شرق الهضبة ، ويبدأ مع الارتفاع غنى نباتى ٠٠ فبعد النباتات الشوكية والاشجار التى تتحمل الجفاف تبدو نباتات البحر المتوسط فوق ارتفاع ١٠٠٠ متر ثم يزداد الغنى عند منسوب ١٥٠٠ مترا وتبدو المدرجات الجبلية التى عرفت بها اليمن من قديم والتى عرفتها شرق افريقية أيضا ولا تزال تمارس على الجبال ، على جانبى البحر الاحمر حيث يتوفر مطر وحرارة ملائمان ٠ وبين منسوبى ١٥٠٠ ، ١٨٠٠ مترا يزرع البن والقات وقد توسع الاخير على حساب الاول وانعكس هذا على اقتصاد اليمن ٠

وتقوم صنعاء فى هذه الاجزاء المرتفعة ومنسوبها ٢٥٠٠ متر ولهذا المنسوب دلالته الحضارية عندما نقارنه بالعواصم القديمة التى سبقت قيام الاسلام ٠

الملامح الحضارية :

وقد عنى المؤرخون وعلماء الآثار بالحضارات اليمنية القديمة وان كان مجال البحث عن هذه الحضارات لا زال كبيرا ٠ كتب عنها علماء من العرب واليونان والرومان ٠ وعلماء محدثون من أوربا ٠ ومع التطور العربى تجددت العناية بدراسة اليمن وحضاراته القديمة وساهم فى هذا علماء مصريون من أبرزهم الأساتذة أحمد فخرى وسليمان حزين وخليل نامى ومحمد توفيق ولهم جميعا انتاج علمى فى هذا المجال نشر بالعربية وغير العربية ٠ وقد عرض الأستاذ الدكتور أحمد فخرى خلاصة للابحاث التى اجريت عن اليمن فى كتابه ، اليمن ماضيها وحاضرها » وهى محاضرات القاها فى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ٠ وصدر عام ١٩٥٧ ٠ وقد عنى الأستاذ الدكتور جواد على بهذا الموضوع فى موسوعته القيمة: « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٠

وتساعدنا آثار اليمن على تكوين صورة عن أوضاعها قبل الاسلام ، على الأقل فى القرون الثلاثة السابقة لقيامه وان كانت لها أعماق سنراها فيما بعد وكانت هنالك عدد من دول متعاصرة فى جنوب الجزيرة العربية اهمها أربعة : سبأ ومعين وقتبان وحضرموت ٠ هذا الى دويلات أخرى أصغر حجما وأقل خطرا ٠ وكانت قبيلة حمير أقوى القبائل فى أواخر عهد سبأ ٠ وظل اسمها يتردد فى كتابات المؤرخين الرومان والعرب ٠ وأصبح اسمها يحكى على كل ما هو من جنوبى الجزيرة العربية ٠

وكان من أثر الصراع بين هذه الدول أن اتسعت مملكة سبأ حتى شملت فى القرن الثالث الميلادى معظم أجزاء الجنوب العربى : نجران ، عسير ، حضرموت واليمن الحالية ٠ وتطلعت اليها انظار مملكة اكسوم الحبشية ٠ ومع أن قيام اكسوم يرجع فى أعماقه الى مؤثرات من الجنوب العربى حملت معالم حضارية الى الشط الافريقى ، الا أن الاحباش استطاعوا أن يغزوا الجنوب العربى ويضعوا أقدامهم فى الجزيرة فى أواخر القرن الثالث الميلادى واحتلوا اليمن عام ٥٢٥ م ثم ثار اليمن واستطاع استرداد استقلاله مستعينا بالفرس ، ووضع هؤلاء أقدامهم ، حتى جاء الاسلام وأسلم اليمن ٠

فالتفاعل بين اليمن وما حوله كان قويا قبل الاسلام ٠٠ اتخذ أحيانا صورة هادئة سلمية تمثلها انتقال السكان والتبادل التجارى ، واتخذ أحيانا صورا عنيفة من حروب كانت ميادينها اما فى الشاطىء الافريقى أو فى الشاطىء الآسيوى ٠

رمال ودماء :

وهنا لا بد من وقفة نحاول بها ان نتبين الأسباب الحقيقية وراء هذه الحروب التى دارت معاركها قبل الاسلام ٠ وهل كانت راجعة الى أسباب داخلية أم مرتبطة بالأحداث الكبيرة التى تمر بها المنطقة كلها ؟ أعنى القوى العالمية وقتئذ ؟ فهذه الحروب لم تكن مقتصرة على سكان اليمن وحدهم ، وانما امتدت فشملت الأحباش فى مملكة اكسوم ودخلت فيها قوى الفرس والروم ، واندفعت بها الجيوش الضالعة

تحاول أن تستولى على أجزاء من الجزيرة العربيـة ، وأن تتوغل فيها لتصل الى مكة ـ ان استطاعت ٠

وكانت هذه الحروب مرتبطة بالازدهار الذى كانت تمر فيه اليمن وقتئذ بعد أن استطاعت ـ الى حد كبير ـ أن تحقق وحدتها وأن تشرف على منافذهـا الجغرافية جنوبا وغربا ، وأن تنظم أمر تجارة البخور، وتسيطر على مراحلها فى الجنوب العربى ٠وكان طريق تجارة البخور يمتد من قنى مارا بظفار فى مهرة وشبه (حضرموت) وتمنع (قتبان) ومارب (سبأ) الى الجوف (معين) ، أى انه يمر بالعواصم الأربع للدول القائمة بجنوبى الجزيرة العربية ٠ ويعبر بهذا حدود هذه الدول ٠ وكان من الطبيعى أن تتأثر التجـارة اذا ما قام تنافس بين هذه الدول واضطربت العلاقات بينها ٠ ومن العرض السابق تبدو لنا طبيعة البيئـة هناك والصعوبات التى يمكن أن تقابل أية قـوة مركزية فى محاولتهـا بسط نفوذها على كل أجزاء الجنوب العربى ٠ ويبدو أن أرض اليمن بحكم اتساع قاعدتها القارية يمكن أن تكون أفضل المواطن التى تتولى أمر هذا التجميع السياسى ٠

تسيطر عرب الجنوب اذن على تجارة البخور وسلكوا الطريق البرى من اليمن الى الشام ودر عليهم هـذا الطريق أخلاف الرزق والثروة ، هذا فى الوقت الذى كانت تبرز فيه قوة اليونان ممثلة فى الاسـكندر الاكبر بأحلامه العالمية ، ولم تبق أمامه قوة رافعـة الرأس لم تخطب وده ولم ترسـل اليه الهـدايا الا الجزيرة العربية ٠ وكان من مشروعاته أن يغزوهـا ولكنه مات قبل أن ينفذ ما أراد ٠

فالجزيرة العربية كانت فى ذهن هذا الفاتح العالمى، والجزيرة العربية ـ رغم ما تعلم عن قوته ، آثرت أن تقف فى وجه هذا الاعصار الامبراطورى ٠٠ وودت اليونان ثم الرومان العنـاية بالبحر الأحمر والشرق ولم ينسـوا أن هـذه الجزيرة بأجزائهـا الحجرية والصحراوية والسعيدة ، لازالت قلعة عصية ممتنعة بجبالها ورمالها ، مستندة الى قوتها الاقتصـادية وشبكة علاقاتها الواسعة وتراثها من الحرية والعزة ،

ويبلغ الأمر مداه عام ٢٤ ق ٠ م على يد « اليوس جاليوس » الحاكم الرومانى فى مصر فيحـاول غزو الجزيرة العربية فى حملة يستعين فيها بالنبط حلفاء الرومان وجند من البدو واليهود ويصـحب قائد الحملة الجغرافى الرومانى الـكبير « سترابو » وكان هدف الحملة الوصـول الى بلاد العرب السـعيدة : اليمن ٠ ووصف سـترابو ما تعرضت له الحملة وما لقيته من مشـاق فى سـبيل وصولها الى أرض البخور واستيلائها على مصادر هذه التجارة .

واستطاع الجيش الرومانى رغم الأمراض التى فتكت بالجيش فى المناخ اللاهب من احتلال مدينة نجران ثم حاولوا التوغل الى مدن العربية السعيدة ٠٠الصحراء حولهم من كل جانب ، الحرارة شديدة ، الماء نزر يسير يتهددهم بالموت ، المسالك مجهولة لهم ، الدليل الذى يعمل معهم لا يأمنون خطواته واستطاعوا كما يقولون أن يحاصروا مدينـة « مريابة » ، والعطش يحاصرهم ويتهددهم بالفناء ٠٠ هل مريابة هـذه هى مارب عاصمة سبأ ؟ سؤال لا زال بغير اجابة يقينية حتى الآن ٠ وبعد مسيرة ستة شهور استبد اليأس والمرض والعطش بالجيش فتراجع قاطعا فى شهرين فى عودته ما قطعه فى ستة شهور عند هجومه ٠٠ ورغم ما حاولت روما أن تتباهى به من نصر ، فان الحقيقة الكبيرة هى تراجع الجيش الرومانى أمام جبال اليمن الشـماء وأبنائها الذين رفضوا تقديم هدية للاسـكندر أو الخضوع لروما ٠ والذى بقى من هذه الحملة ما كتبه عنها العلماء وبخاصة استرابو الذى صاحبها ، وما تركته فى نفوس الرومان من أثر عميق عندما تحطمت آمالهم فى غزو اليمن واضطروا الى التراجع أمام قوة العرب فى جزيرة العرب ٠

واذا كان فشل الحملة قد أدى الى بقاء سـيطرة اليمن على طريق البخور وعلى الطريق البرى الموصل بين الجنوب والشمال فى غربى الجزيرة العربية ، فان المطامع الاقتصادية لم يخفت صوتها فى صدور اليونان والرومان وانما حاولوا أن يسيطروا على طريق البحر وينافسوا به طريق البر ٠ وكأنهم بهـذا أرادوا أن ينقلوا أرض المعركة من رمال الصحراء الى موج البحر ولم تقتصر المعركة على البحر الاحمر ، وانما امتدت الى المحيط الهندى ٠ وكانت معركة لها طابعهـا « العلمى » ٠ فقـد كان عنـد العرب « سر الرياح الموسـمية » يتنقلون به بين أرضهم والهند وشرق افريقية ، وكانت عندهم معرفة دقيقة ، بسـواحل المحيط وخلجانه ومضاحله وشطوطه المرجانية ، ولم يكن من المستطاع لليونان ولا للرومان أن يلجوا هذا المحيط دون أن يعرفوا هـذه الأسرار العلمية التى حرص عليها العرب ٠

لقد كانت حملة الغزو الرومانى يصحبها علماء ٠٠ وكانت سيطرة العرب فى مياه الجنوب أساسها علمى، ومحاولات الاغريق فيما وراء باب المندب جنوبا كانت تستهدف الوصول الى أسرار الملاحة ٠

من قديم والمعركة « علمية » ولا تزال ٠ وموعدنا المقال المقبل لنوفى فيـه جوانب من هـذا الصراع « العلمى » فى مياه المحيط الهندى قبل الاسلام ٠

« د ٠ عبد العزيز كامل »

مصر في موكب العروبة

للدكتور أحمد الحوفي

- ٣ -

في الحملة على استعمار الوطن العربي

برمت مصر بتقسيم الوطن العربي واحتلاله ، وضاقت به ، وحملت عليه ، لانه تمزيق للوحدة ، وتفريق للشمل ، واضعاف للقوة ، وتمكين للمستعمر .

وقد تجلى هذا في عدة مظاهر ..

١ ـ السخط على التقسيم الذي سبب ضعف العرب وسيطرة العدو عليهم ، كما نرى في قول شوقي :

وانظر الشرق كيف اصبح يهوى
وانظر الغرب كيف اصبح يصعد

وتأمل ممالكا وبلادا
لمس الدهر عقدها فتبدد

وفي نصحه للسوريين بعد ثورتهم سنة ١٩٢٥ على الاحتلال الفرنسي الا تخدعهم فرنسا بما تعرضه عليهم من تقسيم والقاب، لانها القاب زائفة واستار للعبودية ، وفي تنفيره لهم من هذه العبودية المموهة ومن مظاهر الكبرياء المزيفة كالتي تبدو في انتفاخ الدليل"، وفي تصعير المصلوب خده :

بني سورية اطرحوا الاماني
والقوا عنكم الاحلام القوا

فمن خدع السياسة ان تغروا
بالقاب الامارة وهي رق

وكم صيد بدا لك من ذليل
كما مالت من المصلوب عنق

ونقم شوقي من بعض امراء العرب انهم بضعفهم وتباغضهم وتفرقهم مكنوا للغاصب من ان يحتل اطراف الجزيرة العربية ، ويتخذها قواعد لاسطوله وجيشه ، فقال في سنة ١٩٠٤ :

كفى الجزيرة ما جروا لها سفها
وما يحاول من اطرافها العجم

تلك الثغور عليها وهي زينتها
مناهل عذبت للقوم فازدحموا

في كل لج حواليها لهم سفن
وفوق كل مكان يابس قدم

والاهم امراء السوء واتفقوا
مع العداة عليها فالعداة هم

وهكذا يتردد السخط على التقسيم في الشعر الحديث الى الوقت الحاضر .

٢ ـ الحض على الوحدة ، والحملة على دعاة التفرقة :

وانتهاز الفرص الملائمة للتذكير والاثارة ، كقول احمد محرم :

هبوا بني الشرق لا نوم ولا لعب
حتى تعد القوى او تؤخذ الأهب

ماذا تظنون الا ان يحاط بكم
فلا يكون لكم منجى ولا هرب

سيروا بني الشرق في ظل الاخاء عسى
ان تفلحوا ولعل الصدع يرتئب

كونوا به امة في الدهر واحدة
لا ينظر الغرب يوما كيف تحترب

وانه ليسترعى النظر ان الشعر الحديث زاخر بالدعوة الى الوحدة ، وبشعور العرب باخوتهم ، كقول حافظ ابراهيم لاهل لبنان :

لي موطن في ربوع النيل اعظمه
ولي هنا في حماكم موطن ثاني

حسبت نفسي نزيلا بينكم فاذا
اهلي وصحبي واحبابي وجيراني

أنى التقينا التقى فى كل مجتمع
اهل باهل واخوان باخوان

وقول الجارم :

بنى العروبة ان الله يجمعنا
فلا يفرقنا فى الارض انسان

لنا بها وطن حر نلوذ به
اذا تنائت مسافات واوطان

ولهذا افتن الشعراء فى تصوير المشاركة الوجدانية بين العرب ، واغلب الظن ان حافظ ابراهيم اول شاعر صور هذه المشاركة سنة ١٩٠٨ بان جبال الشام تميد اذا مس مصر والسودان شر ، وبان سكان لبنان ينتحبون اذا سمعوا مصريا يئن ويتألم ، لأنهم اخوة يتساندون فى البأساء ويتعاطفون فى الشدائد :

لمصر ام لربوع الشام تنتسب
هنا العلا وهناك المجد والحسب

ركنان للشرق لا زالت ربوعهما
قلب الهلال عليها خافق يجب

خدران للضاد لم تهتك ستورهما
ولا تحول عن مغناهما الادب

ام اللغات غداة الفخر امهما
وان سألت عن الآباء فالعرب

اذا ألمت بوادى النيل نازلة
باتت لها راسيات الشام تضطرب

وان دعا فى ثرى الاهرام ذو ألم
اجابه فى ذرا لبنان منتحب

ثم حيا شوقى مبايعيه بامارة الشعر من اقطار العروبة سنة ١٩٢٧ فوصف المهرجان بانه عكاظ اجتمع فيه ممثلو العروبة ، وصور الأمة العربية جسدا واحدا اذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالألم والسهر ، فاذا تأوه بالعراق جريح أمسك اخوته فى اقطار العروبة جنوبهم ، وعرض للاشتراك فى الآلام من مظالم الاستعمار والتنكيل بالأحرار ، والجهاد للخلاص ، فقال :

رب جار تلفتت مصر توليـ
ـه سؤال الكريم عن جيرانه

بعثتنى معزيا بمآقى
وطنى او مهنئا بلسانه

كان شعرى الغناء فى فرح الشر
ق وكان العزاء فى احزانه

قد قضى الله ان يؤلفنا الجر
ح وان نلتقى على اشجانه

كلما أن بالعراق جريح
لمس الشرق جنبه فى عمانه

وعلينا كما عليكم حديد
تتنزى الليوث فى قضبانه

وما زال كثير من الشعراء المعاصرين يلهجون بهذه المشاركة الوجدانية فى شتى المناسبات .

٣ ـ حينما هجمت ايطاليا على ليبيا سنة ١٩١١ هب الشعب الليبى يجاهد للذود عن وطنه ، وجعل الايطاليون يقتلون الأحرار ، ويمثلون بالثوار ، فهاج اخوتهم فى الوطن العربى ، ولم يكتف اخوتهم فى مصر بالسخط على العدو الغاشم والتشهير بوحشيته ، بل سارعوا الى نجدتهم بالرجال والسلاح والمال ، وكان فى مقدمة المجاهدين بطلان بارك الله فى عمرهما هما صالح حرب وعزيز المصرى .

وكان للشعر فى هذا الميدان دوى مسموع متجاوب ، فقد دعا شوقى الى السخاء بالاموال على (الهلال الاحمر) سنة ١٩١٢ نجدة للجرحى فى طرابلس ، واشاد ببطولتهم وفدائهم لوطنهم ، وصور الام المصريين مما حل باخوتهم ، واستبشر بنصرهم القريب :

ومجاهدين هناك عند معسكر
ومن المهابة بين ألف معسكر

موفين للأوطان بين حياضها
لا يسمحون بها ودين الكوثر

صرب على دين الأبوة فى الوغى
لا يطعمون القرن ما لم يثأر

الفوا مصاحبة السيوف وعودوا
أخذ المعاقل بالقنا المتشجر

يمشون من تحت القذائف نحوها
لا يسألون عن السعير المطر

فى أعين البارى وفوق يمينه
جرحى نجلهم كجرحى خيبر

من كل ميمون الضماد كأنما
دم أهل بدر فيه او دم حيدر

جذلان هينة عليه جراحه
وجراحه فى قلب كل غضنفر

ضمدت بأهداب الجفون وطالما
ضمدت بأعراف الجياد الضمر

فــــراده بشـــــجون برولة
كالوفد مــــــــح بالحطيم الأطهر

وكذلك استثار حافظ ابراهيم العرب على ايطاليا ، بعد ان وصف ما ارتكبه جنودها :

كبلوهم فتلوهم مثلوا
بذوات الخدر طاحوا باليتامى

ذبحوا الأشياخ والزمنى ولم
يرحموا طفلا ولم يبقوا غلاما

احرقوا الدور استحلوا كل ما
حرمت لاهاى فى العدل احتراما

وحزن احمد محرم مما اصاب طرابلس من غارة ايطاليــا عليها ، وعبر عن حزنه بانه لا يقر لعربي قرار واخوته يقتلون فى طرابلس ، ثم اهاب بالمصريين ان يسارعوا الى نجدة اخوتهم ، لان الله اوجبها عليهم ، وحذرهم التوانى ، لان فيه هلاكا لهم جميعــا .

كيف القرار ونار الحــرب تستعر
والهول مضطرم البركان مـــستعر ؟

ايه بنى مصر ان الله يشدبكم
فسارعوا قبـــل أن نردى بنا الغير

واحس محمد عبد المطلب أن فى صدره نارا تلتهب ، واستنفر قومه أن يمضوا لاغاثة قرتهم :

خليل مال الا تذكـــرت برقـــة
بجنبى نار الأسى تلتـــــهب ؟

نعم راعنى من نحو برقة صارخ
يهيب بانصار الهـــلال : الا اركبوا

وحض مصطفى صادق الرافعى على الثار الماحق من ايطاليا جزاء لها على ما انزلته باليتامى والنساء الثاكلات والأعــــراض المسلوبة :

لابد من غضبة ان نار ثائرها
على الشياطين من جن الفلا ذعروا

ثار اليتامى وثار الثاكلات وثا
ر الخدر ينعى وثار العرض يشتهر

٤ ــ وفى هذا الوقت نفسه ضرب الاسطول الايطالى بيروت ، ففجع العرب ، وثار الشعراء ، وقال شوقى قصيدة بكى فيهــا بيروت ، وحمل على ايطاليا ، وصور العرب الذين قتلتهم القنابل اسرى ماتوا غدرا فى غير معركة ، فليس لايطاليا ان تباهى بقتلهم، لان الليث المقيد يسهل صيده ، اما الليث الطليق فان صـــيده عسير مرهوب . وحزن على دماء الأبطال التى سالت حول المساجد والكنائس والدور ، وتمنى لو ان العمر امتد باصحابها ليذودوا عن الحمى ، ويثاروا من اعداء العرب ، ثم صور أسى المصريين مما نزل باخوتهم فى لبنان ممثلا فى الدمع السخين الذى لو استطاعوا ان يضمدوا به جراح لبنان لفعلوا :

بيروت مات الأســـد حتف انوفهم
لم يُشهروا سيفا ولم يحموك

سبعون ليثا احرقوا او اغرقوا
يا ليتهم قتـــــلوا على طـــبروك

كل يصـــيد الليث وهو مقيد
ويعز صـــيد الضيغم المفـــكوك

يا مضرب الخيم المنيفة للقــرى
ما أنصــف العجم الألى ضربوك

ما كنت يوما للقنــــابل موضــعا
ولو انها من عسجد مســـبوك

سالت دماء فيك حول مســاجد
وكنائس ومــدارس وبنــوك

كنــا نؤمل ان يمـــد بقاؤها
حتى تبـــل صـــدى القنا المشبوك

لك فى ربا النيل المبارك جيرة
لو يقدرون بدمعهم غـــسلوك

٥ ــ وفى سنة ١٩٢٥ ثارت سورية على الحكم الفرنسى ثورتها الباسلة التى استمرت سنتين ، وهدمت فيها قرى كثيرة ، وضرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم مرتين اولاهما فى مايو سنة ١٩٢٥ والثانية فى اكتوبر سنة ١٩٢٦ ، حينما حدث ذلك التهبت مشاعر المصريين ، ومجد شعراؤهم بطولات المجاهدين ، وبكوا دمشق ، ورثوا شهداءها . وقد عقد المصريون فى يناير سنة ١٩٢٦ مؤتمرا استنكروا فيه عدوان فرنسا ووحشيتها ، والقيت فيه قصـــيدة لشوقى ، حيا فيها دمشق ، وجزع مما اصابها ، ومجد ماضيها وحاضرها ، واستنكر وحشية فرنسا ، وندد بها وبطيش قائدها الغاشم ، وانذرها بان السوريين لا بد ان ينالوا حريتهم ، وبان وحشيتها غذاء لحماستهم ، وختم القصيدة بتشجيع السوريين على الجهاد ، وصور لهم الحـــرية حصنا لا يقـــرع بابه الا الأبطال المجاهدون المخضوبة اكفهم بدماء الجهاد . ولقد غاظت القصيدة فرنســا ، فمنعت شـــوقى من ان يزور بلاد المغرب التى كانت خاضعة لها حينئذ ، والقصيدة مشهورة مطلعها :

سلام من صبا بردى ارق
ودمع لا يكفكف يا دمشـــق

ولما ضربوها ثانية فى مايو سنة ١٩٤٥ بكاها شعراء مصر ، مثل قول على الجندى فى التفجع عليها ، والسخرية بمؤتمر السلام ، والدعوة الى التسلح وحماية الحق بالقوة :

تجمعتـــم من كل جنس وامة
ولون لحفظ السلم هل حفظ السلم ؟

والا فمـــا بال الشـــام دماؤه
تسيل وانتم عن مناحته صم ؟

ويطلب ديجــول تراث اميــة
وليس له في الشام خال ولا عم

الا كل شعب ضائع حقه سدى
اذا لم يؤيد حقه المدفع الضخم

٦ ـ اما فلسطين فانها فلذة من كبد العروبة وبضعة من قلبها ، ومهوى افئدة بنيها من مسلمين ومسيحيين •

وقد ابلت مصر في محاولة استرداد فلسطين بلاء عظيما منذ كانت النكبة الى اليوم ، ولن تهدأ مصر حتى تعود فلسطين الى العرب ليستكمل الوطن العربي الكبير سلامته وعزته ومنعته •

وحسبي ان اذكر بعض نماذج من الشعر المصري ، لان الشعر في فلسطين كثير متنوع •

فقد نادى احمد محرم ابناء فلسطين بانهم ابناء عمومته ، وبان مصابهم مصاب العرب ومصاب مصر :

ابني العمومة ما سـهرتم وحـدكم
مصر الشقيقة لوعة وســهاد

ان ساءكم الا تزال همومكم
لترى فتلك همومنا تزداد

وحزن لما علم بالدماء العربية التي سالت على ارض فلسطين سنة ١٩٣٣ في المعارك التي نشبت بين اصحاب البلاد واليهــود الوافدين ، وجرح كبده ما اصاب العرب الذين هم بمثابة ابنائه واخوته وابناء عمه ، وسماهم شهداء الحق وحماته ، ولم يتطرق الى نفسه ياس من انتصارهم ، لانهم احــرار يحمون بجهادهم وطنهم العربي المغصوب • ثم صور فلسطين نهبا باعه الانجليز الذئاب لليهود الذئاب ، باعه من لا يملكه لمن لا يستحقه •

وختم القصيدة بدعوة حارة يوقظ بها مصر لانقاذ شقيقتها ، وبالامل في نصر العرب وتحرر وطنهم :

في حمى الحــق ومن حول الحــرم
امــة تؤذى وشــعب يهتضـم

فــزع القدس وضــجت مكــة
وبكــت يثرب من فرط الألم

يا فلســطين اصطليهــا نكبة
هاجهــا للقــوم عهــد مضطرم

في فؤادي جرحك الدامي وفي
كبدي ما فيه من حــزن وهم

كم صــريع لك في اشــلائه
مصرع القــربى واشــلاء الذمم

فجعــوني فيه بابن صــالح
واخ حــر السجايا وابن عــم

شــهداء الحــق ماتوا دونه
وهــو حي العــز موفــور الشمم

بــاعه ذئب لذئــب قبلــة
فهــو للذئبين نهب مقتســم

مصر ناجي من فلســطين الربا
وابعثي صــوتك من اعــلى الهــرم

نبئيها انــنــا من وجــدها
نجد العلقم في العــذب الشبم

لا يغــرن قــويا جنــده
قوة صرعى وجنــد منهــزم

وكذلك تفجع على فلسطين على الجارم وعباس العقاد ومحمــد عبد الغني حسن وعلى الجندي ومحمود اسماعيل وعلى محمود طه وعبده بدوي وشريفة فتحي وغيرهم •

وانه ليسترعي النظر ان الشعراء جميعا اذ بكوا فلســطين وصوروا خطبها ، ونكبة العــرب والمسلمين فيهــا ، حملوا على الاستعمار ، واهابوا بالعرب ان يتحدوا ، ليفلوا بوحدتهم اسلحة خصومهم ، واستنهضوا العرب الى الجهاد الظافر ، لاسترداد عضو من اعضائهم ، ونددوا بالمتخلفين القاعدين عن الجهاد ، وانذروهم سوء المصير •

وهم في بكائهم ، وفي تحميسهم على الثار ، وفي حملاتهم على الاستعمار ، وفي حضهم على استخلاص حقهم الطبيعي ، لم ييأسوا من النصر القريب ، وان نصرهم لقريب بتاييد من الله •

٧ ـ وقد ثارت الجزائر على الاحتلال الفرنسي ثورة عاتية تحالف فيها الجهاد والبطولة والفداء ، ومضاء العزائم ثماني سنوات متصلة ، لم تتخللها هدنة ، ولم يتسرب اليها لون من الوان الضــعف او التوقف حتى تم لها النصر العزيز الكريم سنة ١٩٦٢ •

ولم يعد سرا ان مصر آزرت هذه الثورة برجالها وسلاحها ومالها وادبها ، فكثيرا ما دوت صيحات الشعراء مناصرة للجزائر في كفاحها المجيد الباسل ، وحاملة على فرنسا حمــلات حانقة ومشيدة ببطولة الثوار الاحرار ، ومتوعدة فرنسا بالثار والانتقام

فقد اقسم هاشم الرفاعي عدة اقسام لكل منها عزازته وجلاله ، اقسم بحب العرب للجزائر ، وهي قطعة من وطنهم الفذ يحرصون عليها ويشفقون على اهليها ، ويشاركونهم في الاسى والدفاع ، واقسم بغزارة دماء الثوار التي تروى ثرى الجزائر ، وبشهدائها الذين قتلهم العدو ، وبنقمة العرب من هذا العدو المشترك ، ثم اقسم بالابطال المجاهدين الرابضين على قمم الجبال ، اقسم بهذا كله اننا سننتصر على فرنسا ، ونرفع مشاعل النور والحرية في هذه البقعة العزيزة من وطننا العربي ، فنثار للشهداء وللجرحى

وللمشردين ثارا لا تقتصر الفرحة به على الأحياء ، بل تمتد الى من في القبور :

بهواك ، بالدم فوق تربك يا جـزائر
يجرى تفجر من حشاشة كل ثائر
بشهيدك الملقى على سـفح المجـازر
بالسخط يغلي في القلوب وفي الحناجر
بالرابضـين على القمم
الثـائرين على الظـلم
سـتفجر الأضواء في تلك الدياجر
وتسيل افراح الحيـاة على المقـابر

ونوه كثير من الشعراء ببطولة جميلة بوحيرد وجميلة بوعزة .

٨ ـ ولقد دأب الشعراء على استنهاض العرب الى الثورة على المحتلين ، واقرعوهم على الاستكانة ، وذكروهم بمجدهم السالف وبآبائهم المغاوير ، وقبحوا لهم ما يقاسون من مهانة واستبداد وحببوا اليهم الحرية والعزة والجهاد ، وحضوهم على التسلح في عالم لا يقدر غير القوة ، ولا يصيخ الا الى لغة المدافع ، وحذروهم الخديعة بما يتشدق العالم به من عدل ، لانه متوم مخدر يستغله الاقوياء المجرمون ، كقول أحمد محرم :

امم العـروبة جاء يومك فاعجلي
والى مكانك فانهضي وتقـدمي

ودعي الفـواجع واتقضي عنك الكرى
وخذي السبيل الى المقـام الأعظم

هـذا زمان ليس يفهـم اهله
الا حـديث النـار او لغة الدم

والعـدل اكثر ما يكون حـديثه
النشـوة الجاني ودعـوى المجرم

امم العـروبة لا نجـاة لمدبر
يبغي النجـاة ولا حيـاة لمحجم

لك ان تسودي تحت رايتك التي
خفقت لها الدنيـا فسودي واسـلمي

وهكذا تتردد الدعوة الى اليقظة والنهوض والتسلح والوحـدة في شعر الجارم ، والجندي ، ومحمود اسماعيل وغيرهم ، وغيرهم

٩ ـ وكان من الطبيعي ان يتجلى الجهاد عن شهداء وابطال ، وان يشعر العرب ان البطل الشهيد في اي اقليم عـربي هو شهيدهم جميعا وبطلهم جميعا ، ولهذا تجاوب الشـعراء برثاء الأبطال وانذروا الأعداء بصواعق الثار .

فقد مجد شوقي شهداء سورية في ذكرى استقلالها سنة١٩٢٨، واختص يوسف العظمة بالاشادة ، وصور قبره هاتفا بالجهـاد للانتقام من الفرنسيين ، ونوه ببطولته في مناضلة الجيش الفرنسي الباغي المستظهر بطياراته ودباباته ، حتى استشهد أبيا في ميدان الشرف ، مبكيا عليه من المسلمين والنصارى :

سـاذكر ما حييت جـدار قبر
بظـاهر جلق ركب الرمالا

تغيب عظمة العظمات فيـه
واول سـيد لقي النبـالا

مشى ومشت ابالق من فرنسـا
تجر مطارف الظفر اختيـالا

ملأن الجو اسـلحة خفافا
ووجه الأرض اسـلحة ثقالا

وارسلن الرياح عليـه نارا
فما حفل الجنوب ولا الشمالا

اقام نهـاره يلقى ويلقى
فلما زال قرص الشمس زالا

وطاح ترى به قيـد الثنايا
ولست ترى الشكيم ولا الشكالا

اذا مرت به الأجيـال تترى
سـمعت لها أزيزا وابتهالا

تعلق في ضمائرهم صـليبا
وحلق في سـرائرهم هلالا

وكذلك رثى الشعراء عدنان المالكي واحمد عبد العزيز وغيرهم ورثى فوزي الغزي وعمر المختار .

١٠ ـ على ان شـعراء مصر صوروا ابتهاج المصريين بافراح اخوتهم العرب ، كما صوروا مشاركتهم لهم في اتراحهم ، فحينما احتفلت سورية بعيد استقلالها سنة ١٩٢٨ حياها شوقي ، وحينما احتفلت سنة ١٩٣٠ بهذا العيد حياها العقاد ، ثم توالت افراح الاستقلال في المغرب وتونس والجزائر فجلجل صوت الشـعراء في هذه الأعياد معبرا عن بهجة مصر وغبطتها .

١١ ـ ويجدر بنا الا ننسى انه في عهد صلاح الدين توحـدت مصر والشام وجزيرة العرب ، وفي عهد المماليك توحـدت مصر والشام والحجاز واليمن والسودان وليبيا وحدة سياسية وروحية

ثم كانت مناضلة مصر للاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ ، وجهاد ساستها وقادتها وصحافتها وادبائها للتحرر من هذا الاحتلال حتى ظفرت باستقلال مقيد سنة ١٩٢٣ ، ثم اتصال جهادها حتى ثارت ثورتها الباسلة سنة ١٩٥٢ ، وانتصرت على الاسـتعمار في كل جولة ، كل هذا كان في مقدمة العوامل الفعالة في ايقاظ العرب واشعارهم بالحاجة الى الاتحاد في نضال العدو المشترك ، وكان له اثره في تحرير الاقاليم التي تحررت من اصفاد المستعمر ، وما زالت آثاره واضحة في معـارك التحرر التي تبشر بالنصر القريب .

« د . احمد الحوفي »

رحلة فى قطار

للشاعر: على محمد حمد

ويعلو الشجار .. ويمضى القطار
يضج بركابه فى القفار
وفى سرعة الضوء .. يطوى المدار
على حرف مهوى .. بعيد القرار
عميق ... عميق ... يثير الدوار

* * *

ويحمى الأوار .. ويمضى القطار
وفى جوفه .. ركبه المستطار
شباب .. وشيب .. وطفل صغار
نقائض شتى ... حواها اطار
فقد جمعتهم دواعى الجوار
وليس لهم فى التلاقى اختيار
وفى كل مرتفع .. وانحدار
يروعهم فى الطريق انفجار
دخان .. ونار .. وصوت انهيار
ورهط يصيح .. « الدمار .. الدمار »
فتعوى النساء ... ويبكى الصغار
ويحتبس الرعب .. صوت الكبار
وتمضى بهم لحظات انتظار
وشيئا .. فشيئا يعود الحوار
ويقوى الضجيج .. ويعلو الشجار
ويقبل شيخ .. طويل الازار
فينظر من كوة فى الجدار
ويلقى بقبضته فى وقار
على شعر لحيته المستعار
ويسأل جارا له فى انكسار
: أتدرى الى أين يمضى القطار ؟

* * *

الى أين يمضى ؟ ... ودوى السؤال
فغمغم سامعه ... ثم قال
ولكنه لم يجد ما يقال
فالقى الى جاره بالسؤال
وعاد الضجيج .. وثار الجدال

* * *

ويطوى القطار رءوس التلال
ويشتد بين العقول القتال
ويفنى السنا .. فى ضباب الخيال
فيشعر منهم فتى ... بالملال
ويصرخ فى ثورة وانفعال
لتطو الأعاصير هذا السؤال
سيمضى القطار ... على كل حال
فخلوا المآل ... ليوم المآل
فما نحن فى رحلة وانتقال
ولكننا فى كهوف اعتقال
نهيم ونعدو وراء .. الظلال
ونخبط بين شعاب الضلال
ونطعم أيامنا ... للمحال
لوهم الخلود .. العزيز المنال
نمد العصى ... ونلقى الحبال
لتنقش أسماءنا فى الرمال
وتأتى الرياح .. رياح الشمال
فتجرف آثارنا ..... للزوال

* * *

ويمضى القطار .. ويعلو الغبار
فيخفى عن الركب وجه النهار
ويفنى الصدى فى حواشى القفار
وتغفو العيون .. ويهوى الستار
بطيئا ... على رحلة فى قطار



أمريكي في رحاب الحمراء !

للدكتور: الطاهر أحمد مكي

« اعطه صدقة يا سيدتي ...
فليس في الحياة قسوة تعدل ان
يصبح المرء أعمى في غرناطة »
ف ٠ ا ٠ دلكانا

وصل وشنجطن الى غرناطة ، وجاب ابهاء الحمراء، وتجول في « جنان العريف » ، واخذ بحى البيازين حيث تعيش بقايا الاسر العربية، لكنه لم يرد لنفسه أن يكون مجرد سائح أمريكي عابر ، يرى الأشياء عجلا ، ويعجب بها عرضا ، ويتأملها ظاهرا دون أن يتعمق سرها ، ورأى أن خير وسيلة يبلغ بها غايته كاملة أن يسكن الحمراء نفسها .

كانت الحمراء حين اتخذ منها سكنا عزيز قوم ذل ، « وبقدر مايكون حظ قطان بيت من الجاه والعز أيام رفاهيته ، تكون رقة حال ساكنيه أيام ضعته وهوانه » فبعد بني الأحمر وملكهم الزاهي ، والملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيل ودخولهما الظافر ، وشارل الخامس واستعلائه الامبراطوري ، تقسمتها المحن وأناخت عليها البلايا ، فوكل أمرها كقلعة حربية الى حاكم مستقل عن غرناطة ، احتفظ فيها بحامية واتخذ له من القصر العربي مقاما ، ثم نشب بينه وبين حاكم المدينة خلاف ، انتهى به الى أن يجعل من درة بني الأحمر مأوى للهاربين من الأحكام ، والخارجين على القانون ، فتحولت قاعاتها الفسيحة وأبهاؤها الممتدة الى مأوى للسفلة والمجرمين والمتسكعين والمهربين وأراذل الناس ، واللصوص وقطاع الطرق ، وكان هؤلاء ينقضون على غرناطة ومن فيها ، ثم يلوذون بالحمراء ، فيحميهم حاكمها نكاية في ندم حاكم المدينة ، وبدهي أن يعبث هؤلاء بكل مقدسات القصر ، فأوحشت ردهاته ،وأجدبت حديقته وتهاوت مبانيه ، واحتلت قاعاته المذهبة أسر وضيعة وطيور آبدة من بوم وصقور وخفافيش!

ثم اتخذه الفرنسيون خلال غزوهم اسبانيا على عهد نابليون ، مقرا لحاميتهم ، ونزل القائد الفرنسي في نفس القصر العربي ، وأخذتهم به شفقة ، فأصلحوا شيئا من أسقفه ، وغرسوا جانبا من حدائقه ، وأجروا المياه الى نافوراته ، لكنهم وهم غزاة عسكريون هدموا عند رحيلهم ابراج السور الخارجي ، وأضعفوا من استحكاماته حتى لايفيد منها العدو ، فلم تعد تقوى بعدهم على شيء ، ثم جاء من حاول أن يصلح الأمر ، وأن يعيد الى القلعة شيئا من جلالها .

سكن وشنطن القصر العربي ، وخيل اليه داخله أنه طوى حاضره ، وانتقل بمشاعره الى أيام أخر أيام كان للعرب هنا سلطان وصولة ، وعجب للأبنية ، وكاد يبكيها ، كيف طاولت الزمن ، واستعصت على المحن ، وصبرت على الهزيمة ، وقهرت عوادى الفناء ! ، جاب قاعاتها الفسيحة المرصعة بالمرمر ، وتأمل بركها الرحيبة وكانت تغص بالسمك ، ومشى في أبهائها العالية وكانت مسرحا لكثير من قصص العرب ،الجياشة بالعواطف، الناضحة بالحب ، الزاخرة بالخيال ، وجاب الحدائق فأحب زهورها وتفيأ ظلالها ، واستأني عند قنواتها

العربية القديمة ، تجلب المياه من الجبال ، ولهـا خرير يشجي ، وبريق يأسر ، وأدرك أن وراء هذا الفن في رقته وجلاله ذوقا مرهفا ، وحسا نزاعـا الى الطيب من متع الحياة .

استاجر وشنجتن حجرته من سيدة عجوز تدعى: « دنيا انتونيا مولينا » ، أو العمة « انتونيا » كمـا كانوا ينادونها ، تاليفا لها وتوقيرا ، امرأة قـوية ذكية غير متفقة ، وكل اليها أمر القاعات العـربية والحدائق ، ترعاها وتسهل أمر زيارتها للراغبين من الغرباء ، ثم تعيش على مايجودون به ، وعلى مايتبقى لها من ثمار الحدائق ، بعد أن يحمل الحاكم خير ما فيها من فاكهة وأزهار ، ويقيم معها « مانويل » ابن اخ لها ، وبنت اخ آخر تدعى « دلورس » ، فتـاة جميلة ، ذات عيون اندلسية سوداء ، وديعة ومرحة، تنفق جل وقتها في تربية الوان من الدجاج والحمام والقطط ، وكان الزائر الأمـريكي يسـتأجر نزله باثاثه وطعامه ، فكانت « دلورس » تقـوم بترتيب غرفته ، واعداد طعامه ، ولم يحتج وشـنطن الى طويل من الزمن لكي يدرك أن غراما مشبوبا يشد « مانويل » الى « دلورس » ، وأنه في ارتقـاب أن ينهي دراسته في كلية الطب ، ويشتري فتوى البابا بالزواج ـ التعبير حـرفيا لواشنجتن نفسـه ـ لما بينه وبين ابنة عمه من صلة القرابة ، وكان يطيب له أن يتناول طعامه حيث يهوى : في ردهة عربية ، أو الى جانب نافورة ، أو في ظل شجرة ، أو على حرف قناة ، أو في صحبة القمر ، فليس أجمل من رفقته في ليلة صيفية ، على تل مرتفع ، في مـدينة اندلسية ، وأحيانا مع أسرة العمـة « انتونيا » ، يتناولون الطعام سويا في قاعة عربية قديمةيتخذون منها مطبخا ومائدة ، وفي أحد أركانها أقاموا مواقد غير أنيقة ، أفسـد دخانها لون الجـدار ، وكاد أن يطمس الزخارف العربية ، وفي المساء يتـوافد على سيدة البيت عديد من الأصدقاء ، السـكان الفقراء والخدم وزوجات قدامى الجنود ، يجلسـون الى جوارها في خشوع ، ويتسمعون حديثها فيضراعة، وينقلون اليها آخر اشاعات المدينة تزلفا وقربى ، ومن حين لآخر يطيب لهم أن يسمروا ، فيعـزف شاب على القيثارة ، وترقص الفتيات على النغم ، وتردد العجائز أغاني موروثة ، ويمضي الجميع في مباهجهم حتى آخر الليل .

يقول وشنجتن ان أول قصة قرأها في طفولته الأولى ، في العالم الجديد وراء المحيط ، كانت قصة اسبانية عن حرب غرناطة ، وأن المدينة عاشت في أحلامه، وزارها عبر الخيال ، وعند ما تحقق له ماكان لديه حلما ، « كان من الصعب على أن أصدق أنني اسكن قصر أبي عبد الله حقا ، وأطل من شرفـاته على غرناطة » ولقد صور له الخيال أنه في الجنة ، وأن « دلورس » القائمة على خدمته ، ليسـت الا واحدة من حورها !

لكن الحمراء بالنسبة لوشنجتن لم تكن مجرد معمار وبناء وتاريخ ، ومصدر الهام وخيال وأحلام ، ولكنها أيضا هؤلاء البسطاء من الناس ، الـذين تعرف اليهم واختلط بهم ، من رجال ونساءيعيشون حياة قلقة متيرة ، ولئن أفسـدوا ارسـتقراطية القصور وهدوءها ونظافتها وبهاءها ، فقد أكسبوها طابعا شعبيا أضفى عليها مسحة من التاريخ المتحرك، وقد وثق صلاته بهم ، وعرف أخص دخـائلهم ، وكانوا له مصدرا فياضا لحكايات فاتنة وخيـال جموح .

عرف تصورهم للقضايا ، ونظرتهم الى التاريخ، وموقفهم من أمسهم العربي ، آراء لم تسجلها على أيامهم ، أو ما بعدها ، كتب ، استعلاء أو تجاوزا، لأن مايؤمنون به لايجارى تعصب الكنيسة ، ولا يرضى أهواء الحاكمين .

والى جانب هؤلاء البسطاء من الناس أو ابنـاء الحمراء ، كما يسمون أنفسهم ، عرف أيضا الطبقة العليـا في المدينة ، حضر حفـلاتهم ، وجلس الى موائدهم ، وتردد على قصورهم ، وأفاد من مكتباتهم وحضر حفلاتهم الاجتماعية ، ولها طابع عربي، وكانوا يؤثرون ان يقيموها في بيوت عربية ، وليس أفضل من الحمـراء مكانا . وقد لزم القلعة جل وقته ، وقليلا كان يهبط الى المدينة ليزور صـديقا ، أو يطوف بحي البيازين ، متجاوبا مع بيوته المتواضعة والوقورة في نفس الوقت ، ودكاكينـه ذات الطابع العربي في نظامها وطرائق العمل بها ، وقد حضر في حي البيازين حفل زواج لاثنين من غمار النـاس ، ينحدرون من أصل عربي ، ومن خلال صلاته هذه، أعطانا وصفا للأسـبان الذين لقيهم في أعلى المجتمع وأدناه على السـواء : هناك طبقتان من الناس حياتهم

بهجة دائمة ، الأغنياء الموسرون والفقراء المعدمون ، الأولون لأنه لا شيء ينقصهم ، والآخرون لأنه ليس لديهم شيء يعملونه ، وليس هناك من يعرف هذا الفن، فن من لا يعملون شيئا ويعيشون على غير شيء ، خير من الطبقات الفقيرة فى اسبانيا ، فللمناخ النصف ولمزاجهم النصف الآخر : اضمن للاسبانى ظلا فى الصيف ، وشمسا فى الشتاء ، وقليلا من خبز وثوم وزيت وحمص وعباءة وقيثارة ، وبعد ذلك فلتجر الدنيا كما تشاء » .

– ٤ –

هناك ، وسط الهدوء والتاريخ ، على ارض الأساطير والأمجاد الضائعة ، بدأ يجمع ويكتب الحكايات التى سمعها من أفواه الضائعين من الناس فى ثرثرتهم التافهة ، وهم نصف سكارى ، أو فى قمة البهجة ، وحول هذه المعتقدات الشعبية الى تاريخ مبسط اعطاه عنوانا « **حكايات الحمراء** » ، واحد من أحسن الكتب التى الفت عن تراث الأندلس الشعبى ، أو اسبانيا الاسلامية بتعبير المحدثين من مؤرخى الاسبان .

الكتاب فى مجموعه سلسلة من الحكايات التى كان يتداولها شفاها بقايا العرب الذين أكرهوا على اعتناق الكاثوليكية ولم تشملهم قوانين الطرد ، وتنتمى الى عصور مختلفة ، وتخالطها ذكريات وشنجتن الشخصية عن اقامته فى غرناطة والحمراء ، وعلى الرغم من انها كتبت فى عصر رومانتيكى ، وأن كاتبها يتحرك فى خلقه الفنى داخل هذا الاطار ، ما زالت تحتفظ بسحرها وجمالها وقيمتها كأثر شعبى وادبى ، الى جانب ان وصفه التاريخى للحمراء وحجراتها وسكانها فى تلك الفترة من الزمن يحظى من المؤورخين باهتمام كبير ، ولقد أصبحت غرناطة بفضل هذا الكتاب مدينة رومانتيكية ، وجذبت أجواؤها العربية اهتمام كل الوافدين عليها ، حتى أن كاتبا اسبانيا هو ريكاردو قابا ريال شكا من أن الرحالة من الأدباء الرومانتيكيين وقفوا جهدهم كله فى البحث عن الأساطير العربية والرومانسية على الرغم من أنهم أوربيون ، وركزوا اهتمامهم كله فى غرناطة العربية، أو على نحو أوضح لم تجذبهم الكنائس وما فيها من بذخ ، ولا القصور الاسبانية وما انفق عليها من مال، وهو امر علله وشنجتن نفسه : « ان الكآبة كانت تشع من المبانى الاسبانية التى اقامها المنتصرون الى جانب ، أو على انقاض ، المبانى العربية وقد بناها أناس كانت حياتهم دون شك من اعجب أطوار التاريخ وأجلها » .

كذلك اعطانا تفصيلات عن الشوائع الهامة عن كنوز العرب ، أولئكم الذين طردوا من بيوتهم يوما ، والقى بهم فى البحر ، يكافحون أمواجه الشرسة ويواجهون اهواله الغادرة ، حتى يبلغوا شاطئا للامان . ولم يكن أى منهم يصدق عينيه ، طردوا دون ان يسمح لهم بحمل شيء من ثرواتهم، فحاولوا الاحتفاظ بها ، املا فى عوده ، طمروها بطن الارض أو اودعوها قمم الجبال . وحيثما سرت فى الاندلس تجد لها ذكرا وعنها باحثين .

ولقد عثر على شيء منها ، وذهب اغلبها لأن أصحابه امعنوا فى اخفائه ، ولم يعودوا اليه كما كانوا يؤملون لاهم ولا احفادهم من بعدهم، وهى ثروات الفتها مع الزمن أساطير شرقية الطابع : تحرسها تعاويذ وتخفيها طلاسم ، ويقوم دونها وحش كاسر أو تنين شرس ، وأحيانا عرب مسحورون ، جامدون كالتماثيل ، لهم سيوف مسلولة وعيون لا تنام !

بلغ من أعجاب وشنجتن بالحضارة التى رآها أنه فكر فى كتابة سلسلة من الأبحاث للدفاع عنها وتوضيح موقف العرب فى اسبانيا . وبدأ ذلك فعلا بدراسة العرب فى موطنهم الأول ، فاصدر كتابه « محمد وخلفاؤه » ، عرض فيه لمولد الاسلام ونشأته ، وتاريخه حتى عشية فتح اسبانيا ، لكنه وهو الرجل الرومانتيكى الرحالة ، صاحب الخيال المفرط لم يستطع ان يبلغ فى كتابه هذا ما بلغه فى « **حكايات الحمراء** » ، ومن ثم لم يحقق ما وعد به كاملا ، فقد أصدر كتابه «**أساطير فتح اسبانيا** »، تناول فيه كثيرا من الروايات التى صحبت اختفاء « لذريق » آخر ملوك القوط ، ثم « فتح غرناطة » على يد المسيحيين ، ثم توقف جهده عند هذا الحد ، فلم يعرض لما بين الفترتين ، ولم يكمل دراسته الخاصة بتاريخ العرب والمسلمين .

لقيت « حكايات الحمراء » شهرة عالمية واسعة،

وترجمت الى أكثر من عشرين لغة ، ويباع منها في العام الواحد عشرات الألوف ، فما من قادم على الحمراء ، وجائل في قصور بنى الأحمر ، وواقف بأطلالهم ، الا ونسخة منها بيمينه ، يتخذ منها رفيقا ودليلا .

عندما عاد وشنجتن الى مدريد ، في الستين من عمره ، بعد غيبة دامت خمسة عشر عاما ، كسفير لبلاده في أسبانيا ، كان يقيم في غرناطة أكثر مما يقيم في مدريد ، وعندما غادرها الى غير رجعة، بكاها بكاء صادقا ، وبرح به الشوق مخلصا ،وقال: « لم أر في حياتي مكانا أحلى من الحمراء ، ولايمكن أن أرى لها في مكان آخر مثيلا » .

— ٥ —

اذا كان وشنجتن قد أخذ بهذه الأساطير ونقلها لنا في خيال رائق ونسج محكم ، فانها بالنسبة لنا نحن ، الذين كنا هناك يوما ، وثائق تسد فجوات في تاريخنا ، تعاونت قوى كثيرة على طمسها ، واذا كانت هذه الذخيرة من الوثائق التقطها مؤلف واحد، امريكي الروح والعقل والمشاعر ، في مكان واحد هو الحمراء ، من غمار الناس اللائذين بقصور بنى الأحمر ، فكم من الحكايات المشابهة في قرى أخرى كثيرة ، لم يسجلها أحد ، ولم يقدر لها بعد أن تصبح تاريخا مكتوبا !

ان وشنجتن نفسه قد أشار من بعيد الى شيء مما أتصوره ، يقول : « رأيت فلاحى أرباض غرناطة يغنون قصة بنى سراج في أبيات مروعة على نغمات قيثارة باكية ، بينما السامعون يستنزلون اللعنات على أبى عبد الله آخر ملوك بنى الأحمر » ، ولم يسجل لنا هذا الشعر الاسبانى الحزين ، يبكى فرسانا ويلعن ملكا مهزوما ، لأنه كان يرى في أبى عبد الله رأيا آخر ، غير ما يرى التاريخ والأساطير، كان يراه سيىء الطالع ، نكد الحظ ، لعبة في يد أحداث أقوى منه ومن أى انسان .

أريد أن أقول : اننا في حاجة الى طليعة تسافر الى الأندلس ، من المتخصصين في أدبها وحضارتها، تعيش في القرى ، وتختلط بالعامة ، تسمع منهم ، وتعى عنهم ، وتسجل ما يثرثرون ، وهى طليعة لن تؤتى ثمارها الا اذا كانت جادة ، تؤمن برسالتها ، بل تسافر على نفقتها ، حبا في العلم وطلبا له كما كان يقول أسلافنا الطيبون ، وسوف تعود لنا بحصيلة وافرة من الأمثال والقصص والحكايات كثير منها لم يسجله الأسبان أنفسهم ، لأنه على غير ما تهوى الكنيسة هناك ، فمازال للكنيسة بعد سلطانها القاهر على كل ما ينشر من مطبوعات .

والحق والتاريخ كان الأمر موضع حديث ودراسة مع أستاذنا الجليل محمد سعيد العريان ، يرحمه الله ، ذات يوم في مدريد من صيف عام ١٦٦١ ، وكان يطيب له ، طيب الله ثراه ، أن يستأنى بالأندلس أياما اذا كان في طريقه الى عدوة المغرب، ويتعدوبين من قلبه وعقله معان ، وسألنى لم قعدت عن هذا الواجب ؟ ، وقلت حييا . أنا مبعوث طالب شهادة ، يريدنى القانون أن أتردد على الجامعة ، وألتقى بالأستاذ ، وأختلف الى المكتبة ، وأتقدم ببحث وأنال اجازة ، ووقتى ضيق ، ورزاتبى محدود ، فأطرق مليا ورافت له الفكرة ، ولم يكن يعدل ايمانه بالعروبة والاسلام الا ذكاؤه الخارق ، ولما حيته الوضيئة ، وشجاعته الملهمة فقال : لنعد لها في قابل الأيام سويا ، أنا وأنت ، أكون في المعاش القيت عن كاهلى أثقال الرسميات وتكون في الجامعة ، مدرسا طالب علم ، وقلت : ان شاء الله ، ومضت أعوام ثلاثة على لقيانا ، عدت بعدها الى القاهرة لأفجع فيه ، وفي أمل علمى رجوت أن يتحقق ، أجل وجدت محمد سعيد العريان قد أصبح روحا في جوار الله ، وخبرا يتحدث عنه التاريخ !

وبعد .. أن المجد مازال ينتظر كاتبا يعرف كيف يتحدث عن الأندلس !

« د . الطاهر أحمد مكى »

دعوة

للشاعر: أحمد رامى

دعتنى الى عشهـــا الســـاحر
على شفة الجـــدول الهـــادر
اشـــم عبير الجنى والورود
واقطف من روضهـــا البـــاكر
واشرب نور الصـــباح السنى
على وجههـــا المشرق البـــاهر
واســـهر ليـلى آناجى المنى
على طلعـــة القمر الســـافر
ايا حبـــة القلب ناديتنى
فلبيت اســـعى الى آمـــرى
وكيف اطيق ابتعـــادى عنـك
وحبـــك يـــا فتنتى آسرى
تمثلت لى فى ســـكون الدجى
خيـــالا تراوح فى خاطـــرى
يحدثنى عن جمـــال الربيـــع
ويمدح فى جـــوه العـــاطر
ويهمس لى بحديث الهـــوى
اذا طاب ليلى مع الســـامر
نعم ســـوف أسرى اليك وقلبى
يرفرف كالطـــائر الحـــائر
وعينى تتـــوق الى نظـــرة
تهنـــه من وجـــدى الثـــائر
واذنى تحن لرجـــع الصـــدى
اذا رن فى سمعهـــا الغـــائر
وما عجب منـــك فى دعـــوتى
الى عشـــك اليانع الزاهـــر
فانك انت نـــدى الظـــلال
يحن الى صـــدحة الطـــائر
وانت الغـــدير شـــهى الزلال
يتـــوق الى العـــارض الماطر
وانت الغصـــون رطاب الجـــنى
تـــرحب بالزائـــر العـــابر
وانت من الغيب يـــا فتنتى
معـــان تنـــادى على شـــاعر

أغنية لنجم المساء

الشاعر: سعد دعيبس

ايهذا الشاعر السارى مع النجم البعيد
ضائع انت ، سيفني في متاهات الوجود
عصرك المجنون بركان ونار وحديد !
لا يرى في النجم الا ومض برق ورعود

نجمك الحالم امسى رهن صمت وقيود
افقك النشوان وهم ذكريات لن تعود
نايك الهامس للنجم ترانيم العبيد
خفقة « الموال » بالحب ‥ هروب وجمود

نجم هذا العصر لا يسمع نجواك الحزينه
لم يعد يسكب للنهر اساه وحنينه
لم يعد يسرى مع الشاعر ينسيه شجونه
لم يعد قلبا صديقا للتعاسات الدفينه

قيدوه موثق الأضواء في قلب المدينة
ورموه في بحار الليل أعماقا سجينه
ثم قالوا : أمسك الحالم اشباح لعينه
لتكن شيئا جديدا في « نيونات » المدينه

نجمك الحالم يا شاعر ‥ صل للتراب
وهوى في معبد الحقد أساطير عذاب
ومضى في ليله الأعمى يغنى للذئاب !
للدجى يسفح قلب الشمس في بحر الضباب

لاعنا من لا يرون النجم أوهام سراب
وبقايا من تراب سوف تمضى لتراب !
صارخا : ما عدت لحنا للندامى والصحاب
ورفيقا يمسح الدمعة في ليل اغتراب

آه ‥ يا شاعر ‥ يا نجما سرى دون مساء
يا غريبا لم يعد يأسو جراح الغرباء
افقك المسموم امسى نار حقد ورياء
وبراكين دمار ، واعاصير شقاء

عد الى افقك يا شاعر ‥ يا نجم المساء
عصرنا وحش دماء لا يرى غير دماء
عد اليه نبع حب ، وكئوسا من ضياء
عد الى اخوتك الأنجم ‥ يا نجم المساء

الصورة في الشعر العربي

للدكتور: كمال نشأت

يقصد بالصورة – في مجال الشعر – الصورة الخيالية التي تقوم اصلا على تركيب يأخذ مكوناته من جزئيات الواقع التي تستعمل كخيوط في نسيج متكامل يختلف قربه من الواقع المحس او بعده تبعا لأداة الشاعر وموضوعه وقوة ابتكاره او ضعفه.

والصورة الشعرية مهما حاولت تصوير الواقع المرئي في بساطة لابد أن تحمل في صميم مكوناتها شيئا يبعدها عن حدود المشاهدة الخارجية بحيث تحرك مخيلة القارىء أو السامع ولو عن طريق التشبيه .

ان الصورة الشعرية لون من التعبير المجازي في أبسط حالاتها وهي اكثر اعتمادا على الاستعارة والكناية ، وهما اسلوب التصوير الفني مادام الشاعر يلجأ الى الالفاظ كوسيلة اداء .

فاذا كان مفهوم الصورة الشعرية هو (الرسم) بمعناه المعروف – كما يعتبرها بعض النقاد – فان مجالها هنا يتسع وان تركز في حدود التصوير البصري . الا ان الواقع المتمثل في النماذج الجيدة للصورة الشعرية يؤكد ان عمل الحواس الأخرى لا يقل اهمية في بناء الصورة الشعرية عن حاسة البصر وبخاصة في شعر المدرسة الرمزية . على اننا – ونحن بسبيل الحديث عن الصورة الشعرية في الشعر العربي – لا نشى أن نقرر هنا استحالة وجود شعر خال من الصورة الخيالية ، لان الشعر بطبيعته يقوم عليها والاختلاف بين شعر امتين مثلا يكون في بساطة الصورة أو تعقيدها ووفرتها أو قلتها كما نرى ذلك في شعرنا العربي القديم . فان اهتمام الشعراء بالمعاني وجريهم وراء الافكار العقلية المبلورة التي تتمثل في ابيات الحكمة قد صرف انظارهم عن الصورة كوسيلة تعبير فنية ، صحيح ان شعرنا القديم لم يخل منها ، ولكنها لم تكن اداة تعبير مطردة في شعر شعراء معينين او في شعر جيل من الشعراء التفت اليها وعرف قيمتها كوسيلة للتعبير الفني . ولعل راى الناقدين **ابن قتيبة وابي هلال العسكري** في الأبيات المشهورة التالية يبين الى اى حد كانت الصورة الشعرية بعيدة عن اذهان النقاد والأدباء :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطى الاباطح

فعلى الرغم من جمال الصورة ودقة خطوطها ، كان حكم ابن قتيبة عليها انها من الشعر الذي (حسن لفظه وحلا ، فاذا انت فتشته لم تجد هناك طائلا ، اما ابو هلال فقد قال عنها (وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى) . فالناقدان – كما رأينا – لم ينظرا الا الى (المعاني) ، والأبيات (ما دامت ترسم صورة متكاملة) خالية من المعاني، لانها قصدت الى التصوير لا الى التعامل مع الافكار العقلية . الا أن الشاعر العربي القديم قد وقع على الصورة الشعرية المتكاملة بفطرته الصادقة على الرغم من ان الاتجاه التعبيري للشعر العربي كله كان البحث عن (المعنى) . ولعلنا نرى مصداق ذلك في بيتي ذي الرمه :

عشية ما لي حيلة غير انني
بلقط الحصى والخط في الترب مولع
اخط وامحو الخط ثم اعيده
بكفي والغربان في الدار وقع

فالشاعر هنا لم يلجأ الى التقرير المباشر متمثلا فى فكرة او معنى عقلى – كعادة الشعراء – لتصوير ذهوله واستغراقه فى الأسى ، ولكنه لجأ الى الصورة التى اوحت بكل ما يريد فى دقة وضبط.

واننا لنلاحظ أن الصور الشعرية التى وقع عليها شاعرنا القديم كانت صورا حسية ، بمعنى انها تصوير متكامل لواقع خارجى تلتقطه العين فى ابعاده المادية ، وان دخلت نسيج هذه الصور بعض الالوان البيانية وبخاصة التشبيه . واستخدام اسلوب التشبيه بكثرة فى مجال التصوير الشعرى ظاهرة مطردة عند الشاعر العربى القديم خصوصا اذا لجأ الى وصف الطبيعة ، والأمثلة على ذلك لا حصر لها وسنكتفى هنا ببعض الامثلة الدالة :

فالمتنبى يصف بحيرة فيقول :

لولاك لم اترك البحيرة والغور
دفىء ومآؤها شبم
والموج مثل الفحول مزبدة
تهدر فيها وما بها قطم
والطير فوق الحباب تحسبها
فرسان بلق تخونها اللجم
كأنها والرياح تضربها
جيشا وغى : هازم ومنهزم
كأنها فى نهارها قمر
حف به من جنانها ظلم
تغنت الطير فى جوانبها
وجادت الارض حولها الديم

فالمتنبى يصف فى ابياته هذه البحيرة وصفا تقريريا ، يلتقط الرقعة المبصرة ليقدمها عن طريق التشبيه الذى لا يكاد يخلو منه بيت ، وكذلك فعل **البحترى** فى وصف بركة المتوكل :

ما بال دجلة كالغيرى تنافسها
فى الحسن طورا واطوارا تباهيها
كأن جن سليمان الذين ولوا
ابداعها فأدقوا فى معانيها
تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى فى مجاريها

ومثلهما فعل **ابن عمار** فى وصف الغيم والمطر :

يوم تكاثف غيمه فكأنه
دون السماء دخان عود اخضر
والطل مثل برادة من فضة
منثورة فى تربة من عنبر
والشمس أحيانا تلوح كأنها
أمة تعرض نفسها للمشترى

ويطرد هذا الاسلوب الذى يقوم على تقديم صورة الواقع المرئى معتمدا على (التشبيه) حتى شعراء النهضة الحديثة ، فنراه عند البارودى فى مثل قوله :

ومرتبع للدنا به غب سحرة
وللصبح انفاس تزيد وتنقص
وقد مال للشرب الهلال كأنه
بمنقاره عن حبة النجم يفحص
اذا لاعبت أفنانه الريح خلتها
سلاسل تلوى أو غدائر تعقص
كأن صحاف الزهر والطل ذائب
عيون يسيل الدمع منها وتشخص
كأن شعاع الشمس والريح رهوة
اذا رد عنها سارق يتربص

كما نراه عند **حافظ ابراهيم** فى وصفه للبحر :

عاصف يرتمى وبحر يغير
أنا بالله منهما مستجير
وكأن الامواج وهى توالى
محنقات أشجان نفس تثور
أزبدت ثم جرجرت ثم ثارت
ثم فارت كما تفور القدور
ثم أوفت مثل الجبال على الفلك
وللفلك عزمة لا تخور

وقد جر استخدام أسلوب التشبيه فى وضعه البلاغى الحرفى الى كثير من التناقض المعنوى او النفسى او الواقعى ، مثلما نرى فى ابيات المتنبى التى يصف بها الطير «والرياح تضربها» وهى صورة لا تتسق وقوله «وتغنت الطير فى جوانبها» فان الطير لا تغنى والرياح تضربها وهى لا تغنى ايضا والديم تجود الارض !

وفى نفس هذا الخطأ وقع لبيد فى ابياته التى وصف فيها ناقته حين شبهها بالبقرة التى فقدت وليدها

بعد أن شبهها بالأتان البرية التى يطاردها فحلها ، ففى الصورة الأولى روعة وأسى يمثلهما الاحساس بالفقد لدى البقرة التى تجرى فى فزع وحزن باحثة عن وليدها ، وفى الصورة الثانية توثب وانطلاق ولذة ، ويتمثل هذا كله فى مطاردة الفحل لاناثه وهنا يكون التناقض بين جزءى الصورة الكلية ، والسبب فى ذلك يرجع الى ان الشاعر لم ينظر الا الى وجه شبه واحد يجمع هذه الصور هو (السرعة) التى اراد أن يصف بها ناقته .

ويقع **شوقى** كذلك فى نفس الخطأ فى ابياته التى يصف فيها انس الوجود :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى
ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين فى الماء بضا
سابحات به وأبدين بضا

فالشاعر لم ينظر فى صورته هذه الا الى (وجه الشبه) المرئى الذى يقوم فى الأعمدة على الاستدارة واختفاء بعض أجزائها فى الماء مقابلا بينها وبين أجسام العذارى المستديرة وأفخاذهن التى أخفى الماء بعضها ، وفات شوقى التناقض البيّن فى الجو النفسى الذى توحيه الصورة كلها ، فالاعمدةتمسك نفسها (من الذعر) وبذلك يشيع فى البيت الاول جو الخوف من الغرق بل الذعر الذى جعل هذا البيت ذا مناخ نفسى مناقض لمناخ البيت الثانى المصور للعذارى المستحمات فى النهر وهى صورة لا توحى الا بالانطلاق والشباب والمرح والبهجة .

ولو قال شوقى (ممسكا بعضها من الشوق بعضا) لكانت صورته أقرب الى الوحدة النفسية التى يجب أن تسوّد الصورة كلها .

وقريب من ذلك أبيات ايليا ماضى التى يصف فيها المساء :

السحب تركض فى الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين

فان الخبرة بالبحر تجعلنا ندرك انه لا يكون ساجيا صامتا فى الوقت الذى يركض فيه السحاب ركض الخائفين !

على أننا ــ ونحن فى مجال الاشارة الى أسلوب التشبيه كوسيلة تعبيرية اطردت فى شعرنا القديم حتى أوائل نهضتنا الحالية كلما تعرض الشاعر لرسم الصورة الشعرية ــ نحب ألا نغفل رائدا من روادنا ، كان له أثر فى نقل الصورة الشعرية نقلة فنية جديدة ،و هو الشاعر خليل مطران الذى نراه فى قصيدة (المساء) التى قالها عام ١٩٠٢ يتنكب طريق الوصف التقريرى للواقع الخارجى ، ويندمج فى الطبيعة اندماجا أقرب الى الاندماج الصوفى حتى أن الدكتور مندور أسماه بـ (الحلول الشعرى) ، ونستطيع أن نرى ذلك فى ابياته التالية :

ولقد ذكرتك والنهار مودع
والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطرى تبدو تجاه نواظرى
كلمى كدامية السحاب ازائى
والدمع من جفنى يسيل نضاره
فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا
وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكان آخر دمعة للكون قد
مزجت بآخر أدمعى لرثائى

فاذا كان الشعراء القدامى وبعض شعراءنهضتنا الحديثة قد انصرفوا الى استخدام الصورةالشعرية وصفا تقريريا للواقع الخارجى ، فان المدرسة الرومانسية إبتداء من خليل مطران اخذت تتنكب هذا الطريق ، فأصبح همها تصوير وقع هذه المشاهد الخارجية فى النفس أكثر من الاهتمام بوصفها وصفا يحدد أبعادها المادية ، بحيث أصبح شعرهم فى هذه الناحية نوعا من الوجدان التصويرى لا ضربا من المحاكاة للمشاهد البصرية (١) ، وربما أعانهم على ذلك ــ وبخاصة فى مجال وصف الطبيعة ــ انهم على خلاف أجدادهم من الشعراء نظروا اليها كملاذ يلجأون اليه ويتعاطفون معه الى حد انهم أسموها (الطبيعة الأم) (٢) .

ومنذ جماعة أبولو والمدرسة الرمزية الغربية تؤكد تأثيرها فى الصورة الشعرية فى شعرنا الحديث **وبخاصة عند أبى شادى وحسن الصيرفى ومحمد الهمشرى** الذى يقول :

(١) لم نذكر شواهد على ذلك خوفا من الإطالة ، ولكننا نحيل القارىء الكريم الى قصيدة « العودة » لناجى كمثل جيد لهذا الاتجاه .

(٢) راجع شعر أحمد زكى أبى شادى فى الطبيعة .

المساء المغيم الذهبي
والفناء المعطر الشفقي
وخيال الاشجار يحلم فيها
الأريج المجنح الليلي
والخرير البنفسجي يغني
في سراه بها القدير الخفي

وهنا يتابع الهمشري مدرسة الرمز التي تستهدف الايحاء لا الابانة والوضوح التقريريين وذلك عن طريق الخلط بين معطيات الحواس والموسيقى الرخية وابتداع التركيب اللفظي الجديد البعيد عن (الاكليشيه) المبتذل الذي فقد ايحاءه لكثرة دورانه على الاقلام والالسنة ، وبذلك رفض الهمشري في وقت مبكر نسبيا العلاقات التي فرضها الاستعمال اليومي على اللغة ، واذا به ينظر اليها نظرة جديدة مكونا من مفرداتها عالمه الشعري الخاص وان لم يسحب جو الرمز على كل شعره.

لقد حولت المدرسة الرمزية ـ تحت تأثير نماذجها الجيدة ـ طريق التصوير الشعري في شعرنا المعاصر ، ونقلته نقلة واسعة الى مجال جديد وسبب هذه النقلة الفارقة بين دربين تعبيريين هو ان أسلوب التصوير في شعرنا القديم كان ـ كما اشرنا من قبل ـ يميل الى رصد الظواهر ووصف المشاهد الخارجية مع شيء من التلوين البياني ، أما الرمزيون فهم ينكرون هذا الواقع المادي الخارجي ولايعترفون به ، وعملهم هو الانكفاء داخل نفوسهم معبرين عما بأعماقها بصور مركبة تبعث على الانبهار والدهشة خالطين فيها بين معطيات الحواس ، وبذلك لم يصبح همهم التصوير الفوتوغرافي للواقع المرئي الذي أنكروه ، ومن هنا كانت هذه العوالم الغريبة الجديدة التي ابتدعوها والتي قامت على وحدة نفسية تربط بين الاشياء التي تبدو منفصلة في الواقع المشاهد . ولان الصورة الرمزية وحدة خاصة مكونة من جزئيات مركبة اختلطت فيها معطيات الحواس ، ابتعد الشاعر عن « التشبيه » الذي كان ـ كما رأينا ـ الأسلوب الغالب على الصورة الشعرية القديمة في شعرنا العربي ، وذلك لان التشبيه يحمل طرفيه (المشبه والمشبه به) فيؤكد الانفصال بين هذه الوحدة ، وهنا تبدو الاثنينية التي تؤكدها أداة التشبيه أيضا ، فالشاعر الذي يقول :

رفت على العاني حمائم عطفها
فكأنها أم تحن وتحدب

شبه حمائم العطف بالام وبذلك تركهما في وضعهما شيئين منفصلين ، وقد أكدت هذا الانفصال «الكاف» التي استعملت أداة للتشبيه .

ان الرمزيين يدمجون الأشياء لأنها واحدة في عالم الشعور وان كانت منفصلة في الواقع الخارجي ، ومن هنا كانت الاستعارة أقرب الى الأداء الرمزي لأنها بعيدة عن هذه الاثنينية التي يؤكدها التشبيه ، وقديما قال ارسطو ان جمال الاستعارة أو قبحها هو الفيصل في الحكم على الشاعر .

وقد استطاعت المشاعر القائمة التي تستفيق في نفس الشاعر ان تجد لها متنفسا في الصورة الشعرية الرمزية التي ابتعدت عن الوضوح واستهدفت الايحاء بافاقة الذكريات والتجارب النائمة في نفس المتلقي. وقد استفاد شعراؤنا المعاصرون من غنى هذا الأسلوب ، واستطاعوا ان يؤكدوا أصالته وبخاصة حينما يستجيب له مزاج الشاعر النفسي .

انظر الى قول **الفيتوري** :

على طرقات المدينة
وحين يشيد الظلام
تماثيله المرمرية
ويهدمها في عقوق
وتهبط بالكائنات
سلالمه اللولبية
وتغرق في الذكريات
لماض سحيق . . سحيق
سواحله العنبرية

انك تبتعد تماما عن هذه الأبيات اذا اردت ان تفهمها كما تعودت أن تفهم الشعر القديم ، فهي لن تعطيك معنى واضحا او صورة منتزعة من الواقع المرئي المألوف ، فتركيبها الخاص لم يقصد به ذلك ، وانما قصد به الايحاء ، ذلك ان الصورة الرمزية صورة نفسية أصلا تفقد المنطق العادي الذي يضع الأشياء في أماكنها الطبيعية .

ومثل هذه الأبيات قول **احمد كمال زكي** في قصيدته (من عينين) مركض الشمس على الفيروز .. ياصحوى الثرى كم ارقت الصبح عندى

كم نجوم صفت منها ابحرى
اعقد الشط بعيدا

دع قلوعي للمدى ، للأفق ، للتيه القصى الأخضر

فهى – كما ترى – لاتعطى واقعا مالوفا كما انها لا تقدم مفهوما محدودا لأن صاحبها لم يقصد الى التقرير أو الايضاح وانما قصد الى الايحاء عن طريق الصورة الشعرية المركبة التي يتداح تاثيرها في نفس المتلقى فيحمله الى اجواء بعيدة ثرية كما تفعل هذه الأبيات .

اما التجسيد فهو وسيلة فنية من وسائل الرمز وان كان وسيلة قديمة عرفها الشعر منذ أن عبر به الانسان عن ذاته ، ولكن الرمزيين استغلوه استغلالا موفقا حتى اصبح من معالم اسلوبهم الفنى . وقد تابعهم شعراؤنا المعاصرون فوفقوا فيه الى حد كبير .

انظر الى قول **محمد الجيار** :

ومدت الأجراس أذرعا من الأصداء تشير الى السماء فالأصداء التي (تسمع) ولا (ترى) تشكلت هنا في صورة تجسيدية حية فأصبحت أذرعا تشير الى السماء .

ولعل **عبده بدوى** هو الشاعر الذى استفاد من المدرسة الرمزية لاستجابة مزاجه النفسى الى وسائلها التعبيرية ، فهو في شعره كله يميل الى الرمز والى الخلط بين معطيات الحواس والى التجسيد وتلوين الصورة الشعرية والاحتفاء بالموسيقى اللفظية .

انظر الى قوله :

انا قد فتحت على الدجى شباك عطر اخضر

فانك سترى صورة مركبة عناصرها لا تتجمع في الواقع كما تتجمع فيها .. دجى .. وشباك .. وعطر .. ولون ... ولكن الشاعر يبنى صورته الخاصة من هذه الأشياء التي لا تجمعها علاقة في الواقع المألوف . ولكن انظر – على الرغم من ذلك – كيف استطاع أن يصور لك هذا الشباك .. شباك العطر (الذى يشم) الأخضر (الذى يشاهد وهو بعد هذا التركيب الجديد للشباك يفتحه على الدجى) .

وراجع نفسك لترى اثر هذه الصورة الشعرية الهاربة من الواقع المحدود الى أوج تخيلى يعتمد على الايحاء الثرى . وهو كثيرا ما يلجأ الى الألوان التي لا يقصدها لذاتها وانما ليسبغها على الأشياء التي لا تتصف – في الواقع – بهذه الألوان ، وبذلك يوسع من رقعة الصورة ويثريها ويضع موصوفاته تحت وهج رؤية شعرية جديدة .

فاذا كان شباك العطر (اخضر) فالنباح (أسمر) في قوله :

« وعلا نباح اسمر »

او قوله :

« قد كنت لحما من صراخ أبيض »

وقريب من هذا التلوين الفنى قول الشاعر العراقى **هلال ناجى** يصف صوت الحبيبة وصفا تختلط فيه العطور بهمسات المحيط بالحرير :

كان صوتا بعضه عطر معتق
وبقاياه كهمسات المحيط
كل حرف فيه حلو ومموسق
جنحه عطر وجنح من حرير

وهكذا لونت المدرسة الرمزية بمفاهيمها الصورة الشعرية في شعرنا المعاصر ومنحتها ثراء خصبا وابعادا رقاقة .

« **كمال نشأت** »

كلمة إنصاف

لشاعر البرارى فى الفلاح

بقلم

محمد عبد العزيز حسن

قلب ظل ينبض طويلا بحب مصر واهليها ، وكانت نبضاته تترجم فى اشعار ومقطعات رقيقة جميلة ، ودفيقة مستوعبة ، فيها كل الحب ، وكل الثورة ، وكل الأمل ... ثم سكت هذا القلب ، وظلت نبضاته بيننا ، تحكى وتقص وتؤرخ لهذا القلب الكبير ...

ولقد اختار هذا القلب طبيعتنا الريفية مسرحا لحبه ، ومرتعا لهواه ، يحكى من خلال حبه لها ، وشعره فيها ، مايحس به نحو نفسه وبنى وطنه ، ويوقظ من خلال قوله كوامن الحق والعدل والحرية .

ذلكم هو شاعر البرارى محمد السيد شحاته ... الذى يقدم نفسه لقرائه فى مقدمة اول ديوان صدر له فى عام ١٩٢٨ بقوله :

فى الليلة الحادية عشرة من شهر ابريل سنة ١٩٠١ اخرجنى الله جل شانه الى عالم الوجود لاحمل قسطى الوافر من هموم الحياة وآلامها ، وفى سنة ١٩٢٢ حصلت على (شهادة الكفاءة) للتعليم الأول وفى ٦ سبتمبر من السنة المذكورة عينت مدرسا ببلدتى (كفر الجرايدة) .

وفى يناير عام ١٩٦٣ فاضت روحه الى بارئها ، بعد ان خلف لنا تراثا شعريا فريدا وآثارا أدبية فذة تضمها دواوين عديدة صدر اكثرها وبعضها مازال بخط يده مطويا ينتظر البعث .

وقد بدا شاعر البرارى يراسل الصحف والمجلات فنشرت له جريدة (الأهرام) اكثر شعره ويقول انطون الجميل فى الجزء الأول من ديوان (بين احضان الطبيعة) لشاعر البرارى والذى صدر عام ١٩٤٢ تلقيت فى احد الايام ، منذ سنتين مع « بريد الأهرام » رسالة صغيرة مطوية على بضعة ابيات من الشعر مكتوبة بخط جلى جميل ، فلما قرات الأبيات اعجبنى مافيها من اشراق المعانى ورقيق الشعور ، مع دقة فى الملاحظة ، وجدة فى الوصف ، وكانت مذيلة بتوقيع « شاعر البرارى » حققنا اللقب ، وتسينا الاسم وظل « شاعر البرارى » يوافينا الفينة بعد الفينة بابيات تتراوح بين الخمسة والستة ، وقلما تتجاوز السبعة او الثمانية ، فنجد دائما لها مكانا للنشر على ضيق المكان ، بين اخبار الحرب وانباء السياسة ، فتبدو كالابتسامة الوضاءة بين غيوم هذه وفواجع تلك لان موضوعها كان دائما مستمدا من عذوبة الطبيعة ، وجمال مناظرها ...

ويقول : انه حين طلب اليه تقديم الديوان : اجبت الطلب عن طيب خاطر ، وانا واثق انى اقدم الى دوائر الأدب شاعرا ربما لم يكن له ماض ، ولكن له حاضر مذكور ، وسيكون له مستقبل ملحوظ فى عالم الشعر ...

ثم يختم تقديمه بقوله :

كان الريف المصرى ينشد شاعرا مطبوعا يتغنى بجماله ، ولعتقد انه وجد « حسانه » فى « شاعر البرارى » كما نشرت الى جانب « الأهرام » مجلات « الثقافة » و « المقتطف » الكثير من شعره ، وفى مقدمة الجزء الثانى من ديوانه «بين احضان الطبيعة» الذى نشر عام ١٩٤٨ كتب الاستاذ محمد فريد ابو حديد :

عرفت « شاعر البرارى » منذ سنين قبل ان اراه : كنت اقرا له ماينشره فى الأهرام وفى الثقافة وفى غيرهما من الصحف التى كانت تفسح لشعره صدرها ، وكنت كلما اطلعت على قطعة من نفثاته القصيرة اقف عندها ساعة لا اقف مثلها عند طوال القصائد ، فقد كان شىء لا استطيع تحديده يستوقفنى عندها ، لاستعيدها واجيل بصرى فيها ، كنت اسال نفسى عن ذلك الشىء الغامض الذى يستوقفنى ، فلا اكاد اهتدى الى جواب الا ان فى ذلك الشعر روحا ينبع من ثنايا الفاظه وصوره ..

ولا احسبنى فى هذه الكلمة قد قصدت الى ترجمة شاعر البرارى وانما هو تعريف عجل ، او تقديم للقارىء الذى غابت عنه معرفة الشاعر ، على انى اعد بالعود لتقديم الشاعر وشعره فى دراسة مستوعبة ، وانما القصد بالكلام هنا شيئا آخر .

فقد صدر فى اول مارس من هذا العام فى المكتبة الثقافية كتاب بعنوان « الفلاح فى الادب العربى » للاستاذ « محمد عبد الغنى حسن » قرات فيه فى صفحة ٥٥ وما بعدها شيئا عن شاعرنا اقتطف منه ما يلى :

• ولم يكن الهمشرى هو الشاعر الوحيد الذى اطال فى وصف صور الريف والقرية ، ولكن قصر فى وصف حال الفلاح ، فهناك شاعر ريفى عاصره معاصرة قريبة ، ووصف الطبيعة الريفية كما وصفها الهمشرى ، ولكنه استغرق فى وصف الطبيعة والريف ، فالهاه ذلك عن تصوير الفلاح ، وهذا الشاعر هو « محمد السيد شحاته » الذى كان يلقب بشاعر البرارى » •

ويتابع الكاتب الحديث عن شاعر البرارى بعد ذلك فيقول : وعلى حين يزدحم ديوان « بين احضان الطبيعة » لشاعر البرارى بقصائد ومقطعات انيقــة فى وصف الغروب والشفق ، وزهور الريف ، والقرية ، والمحراث ، والساقية ، والقطن ، والصفصافة وسنبلة القمح ، وما اليها من مجال الطبيعة فى الريف ، فانك لا تجد بين هذا المزدحم من الصور الطبيعية الجميلةالا مقطعــة واحدة من اربعة ابيات بعنوان «الفلاح» وقدم سيادته للابيات ثم اوردها وعقب عليها قائلا : وهذا « الاستغراق » فى الوصف الطبيــعى للريف مسئول الى حــد كبير عن ذلك الانفعـــال لسكان الريف واهله من الفلاحين ، مع ان عدالة القســمة بين الاحساس بالارض والاحساس بمن على الارض ، كانت تقتضى وقفة قصيرة ـ او طويلة ـ من امثال هؤلاء الشــعراء الذين لم يعر الفلاح ببالهم ، على حين تشد انظارهم ، وتلفت انتباههــم ، فراشة حائمة ، او ماشية سائمة ، او شاة نائمة •

ثم يمضى الكاتب فيقول : وهل تستكمل اللوحة الشــعرية الريفية كل مقوماتها اذا اشتملت على الساقية ، والقناة،والشجرة، والبقرة ، والمحراث ، والشادوف ، والفاس ، والكلب النابح ، والطير الصادح ، ولم يكن للفلاح فيها اثر ولا خبر •

ومضى الكاتب فى هذا الفصل بعد ذلك متابعا الحديث حول هذا المعنى ولغيره ، ويعنينى ان اقف عند هذا الحد لانصف الرجل الذى وقف مع فلاحنا طوال حياته ، يصور فى شعره ما يعانيه باوضح ما يكون واجرا ما يكون ، غير متاثر بنظرة الاتراك الى الفلاح او نظرة من دار فى فلكهم عكس ما يرى الكاتب •

ولقد كنت اتصور عندما وقع كتاب الاستاذ محمد عبد الغنى حسن فى يدى ، اننى ساجد انصافا لشعر شاعر لم يظفر بما يستحق من دراسة مع انه شعر فريد فى ادبنا العربى او على الاقل تحية لجهاد شاعر تحمل فى ســبيل الفــلاح كثيرا من الاضطهاد والعنت ثم فارق الدنيا فلم تتبعه كلمــة وداع من شاعر زميل ، ولم تلحق به كلمة تابين من صديق اديب •

كنت اتصور اننى ساجد فى الكتاب ما يرفع تراب الاهمال عن شعر طالما اقض مضاجع الاقطاعيين فى عز سلطانهم دفاعا عن الفلاح ووصفا مثيرا لحاله وما يعانيه ، ولكن صدمنى ما قراته، فما يرضى شاعر البرارى فى قبره ان توصف قصائده ومقطعاته بالاناقة والرقة ، ولا ان يوصف هو بالشاعر الريفى ، ثم بعد ذلك يسلب ما عاش له ، وعانى بسببه الكثير •

ما يرضى شاعر البرارى ان يكتب عنه زميل صديق كالاستاذ محمد عبد الغنى حسن الذى قدمه لرئيس تحرير جريدة الاهرام انطون الجميل فى عام ١٩٤٢ فى كتابه الذى ينشره بعد رحيله عن الدنيا هذا الذى كتب وانما كان يرضيه ، ان يقرا الاستاذ الكاتب شعره فى دواوينه التى نشرها وخاصــة ديوان « بين احضان الطبيعة » الذى اشار اليه والذى نشر بين عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٨ فى جزءين ابان قسوة الاقطاع وسلطانه الرهيب ، حيث تكسرت اقلام ، واحتبست اخرى ، هذا الديوان الذى تحدث فيه شاعر البرارى عن فلاح البرارى فى كثير من مقطعاته وقصائده بالتصريح وبالتضمين ، مهاجما بذلك اكبر معاقل للاقطاع •

وشاعر البرارى فلاح من اول عمره الى اخره ، وفى كل لحظة من عمــره كان لاينسى انه فــلاح ، وابن فلاح فقير كانت له مع الاقطاع قصة دامية ، وكان شاعرنا اوفى ما يكون للريف واوفى ما يكون لساكنيه حتى ليقول فى البرارى :

ماجنــة الخلد ـ فى ظنى ـ وكوثرها
الا كوديانك الخضر وغدرانك

واقف الآن وقفات مع شاعر البرارى فى ديوانه بين احضــان الطبيعة ـ الذى ذكره الكاتب ـ فلعل الاستاذ ان يغير رايه اذا فكر فى اعادة طبع كتاب «الفلاح فى الادب العربى» ولعله ان يضع شاعر البرارى حيث ينبغى ان يوضع •

يقول شاعر البرارى فى قصيدة بعنوان « وفاء النيل » :

شكا بؤسه الفلاح للنيل واليـــا
وهــذا هدير النيل قد ردد الشكوى

فعلق على شــكواه يا نيــل انه
على بث شــكواه لغيرك لا يقوى

وفى مقطعة بعنوان « القطن » عدد ابياتها تسعة ابيات يقول شاعرنا :

خلت « لوزاتهــا » الوضــاء نجوما
طالعــات من الغصــون علينـــا

قد تبســمن فى المزارع للفــلا
ح ، اهلا بهن ادين دينـــا

ليتنـــا نقتـــدى بهن فترعى
حق فلاحنا الضــاع لدينـــا

قد اقر الفـــلاح عينــك يا مصـ
ـــر بمجهــوده وما قر عينـــا

بات يمشى الى الفنــاء حثيثــا
وســواه يمشى اليــه الهوينـــا

يشتــكى ممـــا يعـــانى ولــكن
اين من يسمع التشــكى أُذُناه؟

ومقطعة « المحراث » التى ذكر الكاتب عنوانها ، لم تخــل ابياتها الثلاثة من ذكر الفــلاح فقد استقل بيت فيهــا حيث يقول الشاعر :

يمــده عرق الفــلاح متصـــلا
لرد ايحاش وجه الارض ايناسا

اما مقطعة « الساقية » فيستهلها الشاعر بقوله :

لم تستطع ان ترى الفــلاح مكتئبا
يستشعر الفقر فى واد يفيض غنى

فاســـتعطفتـــا بانات مطـــــولة
واوفدت دمعهـــا يستعطف الزمنـــا

وفي مقطعة بعنوان « زراعة الارز » يقول شاعر البرارى :

اشـاهدته اذ يصقل الحقـــل بينمـا
يبيض منـــه المـــاء ما كان اسودا

وهل هو حقل او صحيفـــة مؤمن
تبيضها التقوى ويصقلها الهـــدى

اشـــاهدته في ثوبه الرث عندما
مشى في لجين الماء يبذر « عسجدا »

برباك ان شاهـــدته مـــرة فقـــل
لك الله يا فلاح تشقى لتسعدا

هذا هو شاعر البرارى وشعره في الفلاح ، وهذا هو احساسه به ، وحديثه عنه ، ووقفاته معه ، ان لم تكن تحت عنوان الفلاح فهي عن الفلاح ، وما كان يمكن ان نطلب الى شاعر ان يجعل كل قصائده ومقطعاته تحت هذا العنوان ، وما يكون لنا ان نطلب الى شاعر ان يدلنا على كل عناصر قصيدة من عنوانه ، وما ينبغي لمن يتصدى لدراسة الفلاح في شعرنا العربي ان يمر على عناوين القصائد ـ عند شاعر ريفي ـ مرا عابرا ثم يصدر حكما قاسيا .

ويتابع شاعر البرارى في ديوانه بين احضان الطبيعة عيشه مع الفلاح فيقول تحت عنوان « الهدهد » ، بعد تقديم للقصيدة بالآيات القرآنية الكريمة التي يقص الله سبحانه وتعالى فيهـا نبأ سليمان عليه السلام مع الهدهد :

خدمت ســـليمان في ملـــكه
وبلغتـــه نبأ عن « ســـبأ »

وقلت : احطت بما لم تحط
به ، واجترات امام المـــــلا

وحملت منـــه كتـابا كريما
فاكـدت بالخبر المبتــــــدا

فيمم « اول الامر » منـا وقل
معى نبـــأ يا له من نبـــا

« حسام العقول » ولا تشعرون
به ، قد تمكن منـــه الصدا

وأي حســـام كفـــلاح مصر
اذا ما انتهى من جهـــاد بدا

يغذي الورى ويقـــاسى الطوى
ويروى الثرى ويعـــاني الظما

وامراضـــه فوق هـــذا وذاك
تنـــاهبته كمبـــاح الـــكلا

ورث الجـديدان من حـــوله
ولم يلق بينهمـــا ملتجـــا

فيـــاليت شـــعرى متى يعتنى
به ، ويفـاء له ما انطفـــا

هذا هو الشعر الصريح الواضح في الفلاح وعن الفلاح عند شاعر البرارى ، فهل تراه لا يصدق فيه قول الكاتب في ص ٥٧ من كتابه ، ان لفتة واحدة من شاعر اتصل بالريف اتصالا عابرا او دائما ، الى ذلك الفلاح الصابر الكادح ، قد يكون فيها من جميل المشاركة ، ورقيق العاطفة ما هو خليق بمثل ذلك الانسان المسكين .. ، وهل تراه عدل في القسمة بين الاحساس بالارض والاحساس بمن على الارض ، وهل تراه قد استكمل الصـــورة الشعرية للريف بعد ان مزج الحديث عن الفلاح بالحديث عن القطن والمحرات والساقية ـ كما يريد الكاتب ـ ام تراه بعد لم يف ..

على اية حال لم يقف الشاعر مع فلاحنا عند هذا الحد ، بل تابع الحديث عنه والعيش معه بطريقته الفذة الجريئة فيقول في قصيدة بعنوان «الربيع» :

سل يا ربيع على فلاح مصر اسى
فشيئه لم يزل في مصر مبخوســا

ما باله يلبس الدنيـــا سعادتهـــا
ويكتفي هو بالحرمان ملبوســـــا

ويقول في قصيدة اخرى بعنوان « الربيع » ايضا :

قف يا ربيع على البرارى وقفـــة
مشـــكورة الاصبـــاح والامســـاء

وانظر ضياع الترفين وقـــل لهـــا
كم من ضـــياع فيـــك للفقراء

وتحت نفس العنوان السابق يقول الشاعر :

اهتف « لفــــــلاح البرا
رى يا ربيـــع عـــلى جـداره

ودع القصـــور القـــائمـــات
على « القصـــور » وهي عاره

ويعاود الشاعر حديثه عن وفاء النيل فلا ينسى الفلاح وانما يقول :

ربـــا فراى بؤس فلاحهـــــا
يزيـــد فقطب لم اضـــطرب

وابيات ثلاثة بعد ذلك عن « لوز القطن » هذه هي :

امـــل تبســـم ام ضيـــاء لاحـــا
ام لوز قطن ضاحك الفـــــلاحا

ما اصبر الفلاح في الدنيـــا وما
اقضـــاه في ثوب الكفاف كفـــاحا

ما زال يسترضى دجنـــة قطنـــه
حتى اســـتحالت في يديه صباحا

حتى مع القمر وحديثه اليه لاينسى شاعرنا الفلاح ان يقدم الفلاح حيث يقول :

يا مترفا لتفانى الشهب فيه فولى
لعطفه ، والهوى يأتى على سبب
اسكب شعاعك فى الريف الطريف وقل
يامترفى الريف من منكم تشبه بى
انتم قساة على أهل القرى وانا
والحمد لله ، ذو عطف على الشهب
كونوا غصونا يفن الدهر فوقكمو
فالدهر كالطير لا يشدو على الخشب

ويناجى شاعرنا طائر « البلشون » فيقول :

سـمـوك مالـكا الحـز
ين ولسـت بالطـير الحزين
لـكن رزنت فـاطلقـوا
لفظ الحـزين عـلى الرزين
احـزن وحـزنك فى البـرا
رى لا يشـينك بـل يزين
احـزن للهـو المتـرفـ
ـين بهـا وجوع المـوزين

اما مقطعة الصفصافة فما استغرق فيهـا الشاعر واصفا للطبيعة ومجاليها وانما كان سهما ينفذ الى قلب الداء اذ يقول :

لا النحـل يسعى اليها يبتغى عسلا
ولا الطيور عليهـا تبتنى امـلا
علت ، ولم يعلها زهر ولا ثمر
لذاك قد اطرقت بين الورى خجلا
تقول : لو كان لى شئ لجـدت به
لبتغيه ، ولا ابغى به بـدلا
خزيت من ان اغصانى علت عبثا
يا ليت ما قد علا من اغصنى سفلا
صفصافة النيـل لا تخزى ولا تهنى
ما الخزى الا لنثر بيننا بخـلا
اولى باطراقك النـاسون أمتهـم
والاغنيـاء الألى لم يعملوا عملا

وهكذا كان شعر شاعر البرارى فى بعض شعره عن الفلاح ، حبا صادقا ، وقلبا حانيا ، واسى مخلصا ، وان يكن لى ان اختار له لقبا غير الذى ارتضاه لنفسه لكان اللقب على جدارة « شاعر الفلاح » .

وانا اخيرا اذ اضع بين يدى الكاتب هذه الابيات عن الفلاح انما اضع بين يديه جزءا من كل منشور فيما صدر له من اشعار ملتمسا له بعض عذر فى عدم انصافه لشاعر البرارى بما جاء فى مقدمة كتابه حيث قال : « وقد حاولت — كعهدى دائما فيمـا اكتبه — ان اكون منصفا مع كل من اكتب عنهم ، واتنـاول آثارهم ، فاذا فاتنى من الاستشهاد شئ من شعر او قصص او دراسة ، فعذرى ان الموضوع واسع ، وان المجال ضيق ، وان الاحاطة غير ممكنة ، وان النية — من وراء ذلك — حسنة » .

محمد عبد العزيز حسن

فى ليلة عيد

الشاعر : إدوار حنا سعد

حبـك حب بـرىء كحب طفـل لطفله
طغى وكان رفيقـا ومد فى العمـر ظله
اسائل النفس عنه والنفس تجهل اصله
أكان توأم جسـمى أم كان والروح قبله ؟
عييت بالحب داء وضـقت بالوجـد عله
كتمت عنـك ودادى حينا وقصرت حبله
الا حديثـا رفيقـا يحكى صباك ونبله
وغـير ضـغطة كف كأنهـا مس قبله
ما صـدنى عنك الا قلب تعـودت بذله
حتى تدنس عشـقا فى عالم .. ما اضله
رأى الحرام حراما لكن غوى .. فاحله
والحب جسـمٌ ولكن بالروح نعرف سبله
وفيك معـنى برى أكرهتنى أن اجله
وان اغض جفـونى واكتم الشوق .. ضله
فان للحسن حكمـا وللصـبابة .. صوله
الآن ألقى سـلاحى واصدق الحب اهله
اريك جـرح فـؤادى جرحـا صريح الأدله
جرحا جـديدا قديما ابعدت فى القلب نصله
اجد فى العقـل نـورا وزاد فى الصدر شعله
يا ليـلة العيـد ردى عنى شجاك وشـغله
دقت نواقيس قـومى وارسل العيـد رسله
فى كل خفقـة قلب وكل ومضـة مقـله
الا فـؤادا .. معـنى جفـا الزحـام وملـه
وبات نسـج دجـاه شجو وشـوق وعـزله
لعـله حين يدعـو يلقى مجيبا .. لعله
فقد جهلت جـواه لمـا عرفت .. أقله

الموت .. واحترام الحقيقة

بقلم: عباس الأسوانى

لا شك ان الكثيرين قد تابعوا هذا اللون الذى وجهه الاستاذ **نعمان عاشور** الى طائفة من الكتاب منهم الاستاذ **كمال النجمى** ـ لأنهم كتبوا عن الشاعر العظيم **بيرم التونسى** منددين بموقفه من الملكية عقب عودته من المنفى ..

ولا شك ايضا أن الحق فى جانب الاستاذ **نعمان عاشور** لأن بيرم التونسى الذى هاجم الملكية فى سلطانها ودفع ثمنا لهذا الهجوم عشرين عاما فى المنفى لا يجوز أن يحاسب على دفع ثمن اوبته وبقائه فى مصر الا بالقدر الذى يحاسب به البطل عندما تضطره الظروف الى مداراة اعدائه .. وقد تحالف السن والمرض والغربة وتنكر الاخوان على بيرم التونسى فاضطر الى هذه المداراة اضطرارا .. ولكنه بادر بعد قيام الثورة الى اعلان توبته وبراءته من كل كلمة صاغها فى مدح الملكية ..

وهذا الاعلان الذى تم عن طريق الاذاعة المصرية يجعلنا جميعا مرغمين على تناسى هذا الموقف اذ أن بيرم باعلانه هذا ـ مع انه لم يكن هناك ما يضطره اليه ـ والذى تخلف عنه جميع من مدحوا الملكية بلا استثناء ـ هذا الاعلان هو التأكيد الحقيقى لسلامة روح بيرم الوطنية .. والدليل على أن ما قاله بعد عودته من المنفى مدحا فى فاروق لم يكن الا من قبيل المداراة ودفع الضرر لا اكثر ولا اقل .. وان كلمة واحدة من هذا المدح لم تكن صادرة عن رضا او اقتناع ..

هذا هو رأينا فى موقف بيرم التونسى من الملكية وقد نشرناه من قبل ، ولكننا مع ذلك نخالف الاستاذ نعمان عاشور فى موقفه من الاستاذ كمال النجمى .. فلم يكن هذا الموقف سليما حتى اذا تغاضينا عن العبارات القاسية غير العادلة التى استخدمها نعمان على غير المألوف فى كتاباته وفى حياته ..

صحيح ان الازدراء العميق هو اهون نصيب يستحقه الكتاب والشعراء الذين يهاجمون بيرم التونسى فى عهد الثورة مع انهم عاشوا خداما وابواقا للملكية .. ولكن امثال الاستاذ كمال النجمى الذين لا نعرف لهم ماضيا ملكيا ملوثا ـ من حقهم علينا جميعا أن نسمع الى رأيهم فى سماحة .. وان نتقبل هذا الرأى فى رفق .. مهما كان قاسيا أو خاطئا .. ذلك ان طهارة القلم تشفع له فى الخطأ .. واخلاص صاحبه يهون من قسوته ..

والحقيقة المجردة تقول ان النظرة المنصفة لموقف بيرم التونسى من الملكية يجب أن تكون نظرة انسانية وليست نظرة مثالية .. واذا كان كمال النجمى قد اخطأ فى شىء .. فانما سبب هذا الخطأ انه طلب من بيرم مالا يستطيع .. بل مالا يستطيعه كثيرون . ان النجمى يرجو أن يكون البطل مثاليا لا يدارى اعداءه حتى ولو اذاقوه اهوالا جساما كتلك التى تجرعها بيرم فى المنفى عشرين عاما .. ومن المصلحة العامة أن يكون بيننا من لا يرضى الا عن الكمال وحده ومن يذكرنا دائما بالمثالية المطلقة رجاء أن تنفع التذكرة فى خلق ابطال مثاليين . صحيح أن هذا النوع من الأبطال نادر ولكنه ليس مستحيلا .. والالحاح فى المطالبة به لا يمكن الا ان يؤدى فى النهاية الى ظهوره .. وفى تاريخنا السياسى والادبى افراد قلائل .. حققوا مثالية البطولة كما نعرف جميعا ..

واذن فلم يخطىء النجمى الخطأ الذى يستوجب القسوة عليه وان كان ثمة عتاب يوجه اليه فهو

اســـلوبه الذى اذان به موقف بيرم اذ كان من الاليق ان يكون اقل حرارة .. وتجريحا .. لأن هذا الموقف كما قلنا يراه معظم الناس ـ ونحن منهم ـ موقفا جديرا بالعذر لا باللوم .. وبالتناسى لا بالتركيـز عليه .. على ان هـذا الموقف بين الزميلين نعمان عاشور وكمال النجمى يجرنا الى مناقشة حقيقة اخرى هامة .. هى موقفنا بصفة عامة من شـخصياتنا السياسية والأدبيـة بعـد وفاتها .. فالملاحظ ان عاطفتنا نحن العرب نحو الموتى من ادبائنا وزعمائنا جـديرة بان تنقى من شوائب بعض المفهومات التى تقف حائلا دون تقبل اى حقيقة ماسة بتاريخ هؤلاء المـوتى .. بل ان بعضنا يغالى تحت تأثير هذه العاطفة فيضيف الى رصيد المتوفى فضائل ليس له منها نصيب ..

وتكون هذه المغالاة اوضح ما تكون عقب وفاة الاديب او الزعيم مباشرة اذ لا يكتب النعـاة رثاء فحسب وانما يشتركون فى مزايدة يدلى كل منهم فيها بدلوه لتسجيل واضافه امجاد ومآثر ادبية وسياسـية للمتوفى قد لا يكون له نصيب منها كلها او بعضهـا .. واذا كان الحديث الشريف يقـول « **اذكروا محاسن موتاكم** » فاعتقـادنا ان مفهـومه الصحيح هو ذكر هـذه المحاسن اذا وجدت لا خلقها واضافتها الى حساب المتوفى ؛ والا اختلط الاشرار بالاخيار وتاه الأصلاء فى الامعات .

لقد اصبح من المألوف المستنكر فى حياتنا أن يموت الرجل فى هذه الامة . وتكون حقيقته معروفة ومواقفه مشـــهورة .. واخطاؤه معلومة .. ومع ذلك فانت لا تقرأ الا ذكرا تردد فيه آيات المـدح وعبـارات التقدير وتخلع فيـه صـفات العبقرية والريادة والوطنية دون اى احتياط .

وخطر هـذا « الرثاء » الجزافى انه يقف متراكما كالسـد يحول دون وصول الحقيقة الى الكثيرين او على الاقل يشكك فيها بالنسبة للجاهلين بأمر المتوفى الذين لم يتابعوا حياته ولم يعرفوا عثراته .. اما بالنسـبة لمعارفى المتـوفى فقد يؤدى هـذا الذكر الجماعى الى دفعهم وتشجيعهم على ارتياد نفس الطريق الذى سلكه الفقيد .. مؤمنين بان عثراته مغفورة ولا محيـد عنها ولا تأثير لها فى مكانة مقترفها ..

فلتعود الانصاف ونلتزم فى « الرثاء » حدوده التى تفرضها الانسانية التى تودع فردا منها دون أن نجور على الحقيقة .. لان الحقيقة أعز علينـا من اى كائن خاصة اذا اتصلت بجهـادنا الادبى والسـياسى لأنها تتصل عندئذ بمصائر الفكر والحياة جميعا ..

على ان الحقيقة التى تسيء الى المتوفى يحتاج الافصـاح عنها الى أمرين ليتقبلها الناس قبـولا حسنا مثمرا . انها تحتـاج الى **اخلاص وذوق ..** اما الذوق فيلزم الكاتب بعدم نشر هذه الحقيقة فى اعقاب الوفاة مباشرة .. لما فى هذا النشر من تهجم على جلال الموت الذى يجب أن تقف عنده النفوس خاشعة . ولأن هـذا الجـلال لا يدع فى القلوب أو الآذان موضـعا لسـماع اى نقد لنفس صعدت الى بارئها . ولكننا نرى أن الخضـوع لهذا الذوق رهين بالتزام النعاة حدود الرثاء وعـدم تشـويهم للحقيقة .. لأن الحقيقـة اعز واغلى وأجدر بالاتباع من قواعد الذوق .

واما الامر الثانى الذى يتطلب فى الافصاح عن الحقائق السيئة الى المتوفى فهو ان يكون المفصح مخلصـــا .. لا شـامتا ولا حاقدا .. ذلك أن الاخلاص وحده فى هذه الحالة هو المفتـاح الى قلوب النـاس .

وقد توفى بيرم التونسى من سنوات ..وانقشعت رهبة الموت الذى ادركه .. وانفسـح المجـال للكلام فى تراثه ومواقفه . ولم يعـد هناك ما يحول دون تناوله بالنقـد الا أن يكون الناقد مغرضـــا ملوثا .

فمواقف بيرم التـونسى من الملـكية حقيقة .. لا يعيب الاستاذ النجمى ان يعلنها وان فاته حظ تفهم اسبابها والغوص لمعرفة أعذارها .

هذا فيما يتعلق بموقف بيرم السياسى .. اما مكـانته الشـعرية وروحـه المبصرة .. وعبقريته الوقادة .. فاحسب أن الذين يجادلون فيهـا انما يجادلون عن جهل وحرمان من نعمة تذوق الفن .. وانا اعيد الأستاذ كمال النجمى أن يكون جاهلا محروما !!

عباس الاسوانى

صموئيل بيكيت

داعية للصهيونية

بقلم: حسين مهدي الغنام

الاهداف الخفية :

من الشائع المعروف ان بروتوكولات الصهاينة تنص على ان مخلصا جديدا أو مسيحا جديدا سيأتي في هيئة ملك من نسل داود يخلصهم من تشردهم ويجعلهم حكاما على العالم أجمع .

وهذا ما رمز اليه بيكيت تماما . فان استراجون وفلاديمير في مسرحية جودو متشردان ينتظران عودة جودو الذي سوف يخلصهما . وكلمة جودو ما هي الا تصغير او مسخ لكلمة جود .... أي الله . كما سنرى فيما بعد .

وتحتم هذه البروتوكولات على اليهودي ان يتلون بكل لون ، ويعتنق أي دين ، ويتجنس بأي جنس اذا كان في ذلك مصلحته ، كما فعل بيكيت نفسه فتجنس بالفرنسية وأخذ يؤلف بلغة الفرنسيين ، وان كان اليهود يدعون بأنهم لا يقبلون أحدا من غير دينهم يدخل في ملتهم ، كما أنهم لا يقبلون المروق عن دينهم والدخول في غيره . ولكن التاريخ يكذب ادعاءهم ، كما تكذبه بروتوكولاتهم السرية . فاذا كان في مروقهم عن دينهم ودخولهم في دين آخر نفع لهم ، لم يترددوا في فعل ذلك ، كما تنص تعاليمهم السرية .

وقد تحدث الاستاذ **عبد الله عنان** في أكثر من موضع بكتابه نهاية الاندلس ، عن اليهود المتنصرين وراء نفع ذاتي لهم ، فقال : « وكانت موجة من التعصب تضطرم في هذا الوقت بالذات ، حول طوائف المتنصرين من اليهود Conversos . وكان أولئك المحدثون في النصرانية قد سما شأنهم ووصل كثير منهم الى المناصب الكنسية الكبيرة ، والى مجلس الملك ، وتبوأوا بأموالهم ونفوذهم مكانة قوية في الدولة والمجتمع ، وكان أحبار الكنيسة ينظرون اليهم بعين الريب ، ويعتبرونهم شرا من اليهود الخلص أنفسهم ، ويتهمونهم بالالحاد والزيغ ، ومزاولة شعائرهم القديمة سرا . ولما تفاقم الاتهام من حولهم صدر في سنة ١٤٦٥ في عهد الملك هنري الرابع ملك قشتالة أمر ملكي الى الاساقفة ، بالاستقصاء والبحث في دوائرهم ، وتتبع هذا اللون من المروق والزيغ ومعاقبة المارقين . وتلت ذلك موجة من الاضطهاد اتخذت صورة المحاكمات الدينية ، واحرق عدد من أولئك المتنصرين » .

ويقول في موضع آخر : « وكان اليهود الذين تمتعوا عصورا بالحرية والامن ، في ظل الحكم الاسلامي ، أول ضحايا سياسة الارهاق والمحو التي رسمتها اسبانيا الجديدة . ذلك انهم ما كادوا ينتقلون الى الحكم الجديد ، حتى شهرت عليهم السياسة الاسبانية حربها الصليبية ، وأمروا باعتناق النصرانية ، وفرض النفي والمصادرة عقوبة للمخالفين . فأذعن كثير منهم اشفاقا على الوطن

والمال ، وهلك كثير منهم في سجون الديوان المقدس ومحـــارقه ، أو شردوا في مختلف الاقطـار بعد التجريد والحرمان ، بل لم ينج المتنصرون منهم من المطاردة والارهاق لأقل الشبه حسبما قدمنا » .

هذه هي حقيقة اليهود في التاريخ .. غش وخداع وجري وراء المنفعـــة الذاتية وتشريد وحرمان جزاء خداعهم وخبث طواياهم وكراهيتهم المتأصلة لغيرهم من الشعوب وأصحاب الملل والاديان الاخرى .

ومن أخطر دعواتهم كذلك الدعوة الخفية الخبيثة الى تشويه الاديان والثقافات العالمية .

ومن امثلة ذلك ما عمد اليه قديما كعب الاحبار وعبد الله بن سبأ وغيرهما اللذين أساءا كثيرا الى عقائد المسلمين ، كما أساء من قبلهما كثيرون من احبـــارهم الى المسيحية ، وما زالوا يســيئون الى المسيحية والاسلام كل اساءة .

أما من ناحية الثقافة والعلم والمذاهب الفكرية ، فقد خلقوا المذاهب الملحدة والمتطرفة الهدامة وعملوا على بثها بين الشعوب جميعا .

فالشيوعية المطلقـة والدكتاتورية والوجودية من جوانبها القذرة والشعوبية والغريزة الجنسية وأخيرا مسرح العبث، كلها من بنات أفكار اليهود الصهاينة.

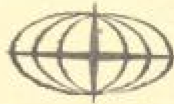
وهم يعملون دائما على بلبلة الافكار ، وانحـلال الاخلاق ، كما نص في بروتوكولهم الثاني ، الذي يدعون الى اغراء الشـــعوب الأخرى من غير اليهود على الانغماس في الملذات الدنيا وفي أحلامهم المادية المريضة وتحريضهم على حياة اللهو والمرح والمجون ، وذلك بالنســـاء اليهـوديات . ودياناتهم تبيح زنا اليهودية بغير اليهـودي . وهم يزرعون الحشيش والافيــون وينتجون الخمور ويعملون على تصديرها للشعوب الاخرى .

وكما يعملون على تربية عقول غير اليهود وتوجيهها الوجهة التي يريدونها لهم ، متخذين في ذلك جميع الاساليب ومن نشر كتب شعبية رخيصة الى التسلط على الصحافة وتوجيه العلوم وتفسير التاريخ والاديان حسب أهوائهم الخبيثة .

وحقد الصهيـــونية على الاديان الســماوية حقد لا يساويه شيء في ضراوته ، وخاصة على المسيحية. والصهاينة لا يتركون فرصة ينالون فيها من المسيح وقداسته الا استغلوها .

ومن الأسرار الخفية ما ترتكبه الماسونية العالمية ، وخاصة في درجتها الثـامنة عشرة ، ورمزها الذى ترمز به الى المسيح والرومان يصوبون الحربة الى قلبه ، والهاتف منهم يصيح بكلمة فظة فظيعة ، في تشف وقح قذر ، وهم يهدفون بهذا الى أن ينالوا من الدينين الســماويين معا : الاســلام والمسيحية في آن واحد !

« حسين مهدى الغنام »



حول الأدب الشعبي



بقلم عبده بدوى

قميص عثمان

من فترة كبيرة كان المواطن العربى يحس ان فى قلبه جرحين ، وقد اندمل جرح الجزائر وبقى جرح فلسطين ، واى انسان يؤرخ للجرح الاول لابد أن يضيء الدم وجهه ، ولا بد أن يحس أن الكلمة كانت بجوار الرصاصة ، وان الدوى الذى كان يحدث كان يعتمد على تفجير الحروف وضراوة الطلقات معا .. ومع ان هذه الطاقة الغاضبة كان يمكن ان توجه بحيث تأخذ مكانها على الارض المغتصبة ، الا أن الذى لاشك فيه ان أكثر هذه الطاقات قد تحول الى السأم، واستحلاب الحنين ، واجترار الكلمات ذات الوجوه القديمة ، والدوى الزائف .

صحيح أنه ما زالت توجد بعض الارجل التى تخوض فى الحميم والافكار التى تصطدم بالاجرام ، والنفوس التى تتعذب لأنها تنام فى كل مساء على الغضب ، والندم ، والذكريات ، ولكن هذه النفوس كانت تصطدم احيانا بأن هناك من يتجاهلون الجرح ، ومن يساومون الكلمات المبللة بالدموع ،ومن هنا نراها تعمد هى الاخرى الى هدهدة القلق على العودة ، او الى العزلة الباردة الممزقة ، لأنه لايوجد من يضيف حرارة كلمته الى حرقة ما يملكون من كلمات ، أو على تجريد الحزن وفصله تماما عن حرارة المعركة ، ومرارة الواقع .. ومن هنا تأتى الخطورة على « فلسطين الكلمة » قبل « فلسطين الواقع الجغرافى » انى لا أريد أن أوسع الهوة فأذكر أن بعض المثقفين فى فترة ما قد لووا وجوههم عن هذه القضية ، وطبقوا عليها بعض المفاهيم الايديولوجية ، ولا أريد أن أدفع بهم دفعا الى غمار هذه القضية، ولكنى أذكرهم فقط بالغليان السياسى الذى يدور فى المنطقة حول هذه القضية ، وأن هذا الغليان يجب ان يكون فيه للفيلم وللمسرحية وللقصيدة وللقصة وللوحة والأغنية نصيب كبير ، لقد ذكر البعض أن هذه القضية ماتت فى نفوس الأدباء ، وتوهجت الى حد الحريق فى نفوس الزعماء ، وهذا قول فيه كثير من الصدق ، وبقى أن نسائل أنفسنا : لماذا تخلفت الكلمة عن أن تأخذ مكانها فى هذا الموقع ؟ وهل هذه القضية التى تنزف دما هى قضية أبناء فلسطين وحدهم أم قضية الانسان العربى فى كل مكان فى المنطقة ؟

لقد كان لفلسطين مكان صغير في مهرجان المنصورة ، ولكنا نريد ان يكون لها مكان في كل قلم وفي كل نفس ، **فقمهي عثمان** ما زال يقطر بالدم على رءوسنا ، ولكنا مشغولون عنه بالجدل العقيم، وبالكلمات المجوفة ، والتيارات المدمرة ٠٠ ترى لو كنا متعاطفين مع تاريخنا ، ومع الدم الساخن الذى يسيل من جزء منا ، ومع العيون البريئة التى تهرب من نظراتها كنا قد وصلنا الى هذا الجفاف فى الحقل الادبى ؟

اننا نريد هذاالأدب الذى يمتلئ بالحرارة والتوتر والنار ورفع السيف عن حياة الانسان العربى ، بحيث يحس الانسان وهو يقرؤه انه يعيش فى خطر ، وانه لا بد ان يتحرك وان يصطدم ، وان يفعل شيئا ٠٠ ومن خلال هذا « **الحريق الأدبي** » يستطيع ان يذوب الكثير من متناقضاته ، ويستطيع ان يجد حلا لهذه القضايا اليابسة التى جف فيها البريق مثل الفصحى والعامية ، والشعر المتجدد والتفعيلة ، والمحلية والعالمية ، ذلك لأنه سيكون هناك ميزان واحد هو « الجودة » فى العمل الأدبى ، وفى الوقت نفسه سيختفى عدد من الوجوه الخشبية التى يقوم مجدها على تحريك النار تحت هذه الأشكال !

ان على كل أديب الآن ان يلتزم بهذه « القضية » وأن يغمس قلمه فى دمها ، وأن يتحرك بها فى كل اتجاه ، قبل أن ينزل السلاح الى المعركة ، فالسلاح الآن يتحول الى اكثر من موقع ، ويبقى على الأقلام كذلك أن تتحول الى أكثر من موقع ٠

تحول الصليب إلى شجرة

تلقيت هذه الرسالة الخصبة من شاعر فلسطين فى اللقب معين بسيسو ، وهو أحد الذين يشمون يوما بعد يوم بعيدا عن « الشلل » والعصبيات والزعامات فى الحقل الأدبى ، لأنه يعرف قضيته ، ويحسن تماما الاصغاء الى قلب وطنه فى الاطار الفنى ، ولأنه أخيرا من أنقى الأصوات التى تتحدث بالشعر فى المنطقة العربية ، والتى تضيف فى كل يوم شيئا جديدا وخصبا ٠

لقد تلقيت منه هذه الرسالة ، وحاولت ان اقنع نفسى أنها شخصية ، وأنها لا تمس قلب القارىء ، ولكنى وجدتنى أضعف أمام القضايا التى اثيرت فيها

ومن هنا رأيت ان اقدمها كهدية من الشاعر الى القارىء ٠

« أخى الاستاذ عبده بدوى

تحيات من القلب وبعد ٠

قرأت دراستك فى «الرسالة» التى حاولت فيها جاهدا ، أن تجمع من هذا المغزل أو ذاك ، خيوط تلك الانعطافة النبيلة نحو دراسات جادة عن ادب المذبحة ، متخطيا بذلك تلك الدوائر التى دأب بعض النقاد فى بلادنا على الطواف حولها بمن وقع عليهم الاختيار من الشعراء ٠

وبالفعل ، أصبح هنالك بعض الانعطافات فى هذه المسيرة ،وبالذات نحو أدب وفن شعبناالمشرد :ولأول مرة يقوم الذين يرسون التقاليد الشريفة للكلمة العربية بدور فى هذا الاتجاه انفسح او ضاق ٠٠ ، فالذى يهمنى هنا ، أن تكون هنالك ولو محاولات لاقتفاء آثار الدم ، والامساك بخيط الدم ٠٠ وأعتقد ان دراستك كانت فى هذا الاتجاه .. بعيدا عن «التماثيل الثلج » التى كثرت هذه الايام فى الميادين والساحات، بفعل بعض النقاد ، الذين أخذوا يتخلون عن كل شىء ٠٠ عن النار وعن الدخان والرماد ايضا ٠

لقد أصبحت بصمات فلسطين الدموية ٠٠ على كل رغيف وكأس فى وطننا العربى ، وعلى كل قصيدة ايضا ٠٠ والذى أريد أن أقوله فى هذا الاتجاه — وماأكثر ماصار يكتب عن فلسطين من القصائد — ان بداية الدم مفتوحة للجميع ، ولكننا لا نريد فى الوقت نفسه أن يتحول الدم الى سلعة ، وأعتقد أنك توافقنى على هذا ، لا نريد أن نمدد فلسطين أبدا فوق تابوت من الثلج ٠٠ ، وفى هذا الاتجاه ، كم أتمنى لو دق أبواب معسكرات المشردين ٠ اولئك الذين يكتبون ، ولماذا أصلا يدقون الأبواب ، فالجريمة لم تترك بابا ولا نافذة ٠٠ ، والجدران نفسها من الهواء وأحيانا من المطر ٠

لقد أسعدنى كثيرا ، كما أسعد الكثير من الأصدقاء هنا ، ما كتبته ، والذى أثارنى بالفعل ، الاثارة النبيلة الشجاعة ، هو انك تدأب فى الكثير من كتاباتك ، على التلويح براية الشعر الفلسطينى ، والشعراء الفلسطينيين ، وصدقنى أن أبناء المحن هؤلاء ٠٠ وأطفال المذابح ، يستحقون المزيد ، لا من جهود علماء الآثار ٠٠٠ وطبقات أرض النكبة ٠٠٠

بل من جهود فنانين وشعراء .. وفي الاتجاه ... الذي سرت فيه مشكورا من اعماق القلب مرة ومرتين .

وهل تسمح لى بها اخيرا بهذه الملاحظات اسوقها لا تفنيدا لما كتبت ، ولا تصويبا ، فكما قلت لك في البدء ، لقد بذلت جهدك في جمع الخيوط من المغازل ... وماكتبته كان هو الانطباع الذي ترسب ، ولك كل الحق في هذا .

واول هذه الملاحظات عن الذي اتصل بالاسلام ، ومرة ثانية ، لا أريد أبدا ، تصويب ما كتبت ، بقدر ما أريد أن أوضح وأركز على هـذه الملاحظة ... والذي لفت نظري حقا أنك في الوقت الذي كتبت فيه هذا ، كنت قد انتهيت بالفعل من ديواني الجديد « الأشجار تموت وهي واقفة » وكراسة كاملة منه عن فكرنا الاسلامي الثوري .. أغنيات الى أبي ذر ، عمار بن ياسر ، عبد الله بن المقفع ... وحتى مقامة شعرية الى بديع الزمان .. الخ .

كنت احس دائما ... انه لا بد من الانعطاف نحو هذه الينابيع ، وآن الأوان ، أن يتحول الصليب الى شجرة ... ان ننظر اليه كشجرة في غابة .. وآن الأوان أيضا ، لكي نكف عن قطع الاشجار ونحت الصلبان منها .. لنترك الأشجار تثمر وتورق .. ، ولنبحث عن رموز جديدة ... وفي اتصالات مقبلة، سارسل لك هذه الكراسة ... في هذا الاتجاه .

والملاحظة الثانية هي ـ ما تخيلته ـ ولك كل الحق في هـذا من ادانة المعسكرين ، ولكنني بالفعل شاني ، شأن المشردين من أبناء وطني ، نشعر بالفعل ، بالعرفان بالجميل والوفاء للأصدقاء في المعسكر الشرقي ، للمواقف النبيلة الشجاعة ، من قضيتنا ، وأحمد الشقيري ، قد عبر بلسان شعبنا كله عن هذا ، وانا لا اقول هذا والرباط على عيني ، بل اقوله مؤمنا أكثر مايكون الايمان تفتحا لا عمى ، وحركة لا شللا ... اقوله في اتجاه ، ان رايتي التي تخفق فوق راسي ، وسلاحي الذي في يدي ، لكنه في اتجاه .. وطني المحتل ... ، فالذين لا يملكون بيتهم ، عليهم الا يختلفوا على لون الاثاث ... أبدا ، وكل فلسطيني الآن ... ينصهر في البوتقة الواحدة للتحرير .. على الأقل هذا هو الموقف الأيديولوجي الآن ... وفي مسيرة العمل .. تتحدد كل الملامح .. وفي الوقت الذي تكن فيه الحب للاصدقاء .. لاتوجد في دمائنا قطرة واحدة ،ليس لها حنجرة تصرخ حقدا على القتلة ، في ذلك المعسكر الغربي الأسود ... صانع ماساتنا ... ومفجر طاقاتنا في الوقت نفسه ، الطاقات التي ولدتها الهزيمة .. والمذبحة ... والمؤامرة .. والتي تدفع بها الآن للخنادق .

أخي الحبيب ...

اسمح لي ان أكتب لك هذا ، اكتب لك هاتين الكلمتين ... واقول : اصبحنا في عصر عربي جديد يجب ان نقول كلمتنا فيه بكل شجاعة .. والذي لا يريد ان يقول هـذه الكلمة ... عليه أن ياكل لسانه .. نعم ياكله ... وما أكثر الذين سياكلون السنتهم ... ، ولكنه في كل الظروف سيظل ما كتبته عن « شاعر من فلسطين » تذكارا من الدم احمله عبر المسيرة الكبرى ، احمله وأنا أعتز بك ... أخا في الدم والسلاح .. اخا في الكلمة التي تقع علينا مسئولية تعليقها ... في سارية هذا العصر الذي نعيش فيه .. وتصنعه ... كما يصنعنا .

ولك كل حبي واعزازي .

الفكر العربي في الخرطوم

ومن السودان الحبيب تلقيت رسالة تؤكد الدور الكبير الذي يقوم به « مكتب الفكر العربي » بالخرطوم ، واذا كنا قد رحبنا به وليدا على صفحات هذه المجلة ، فانا نرحب به اليوم شابا يحرك الحياة الفكرية في السودان ، ويحاول جاهدا ربطها بالحياة الفكرية في العالم العربي ، ويسعدني أن أقدم هذا الجانب من نشاطه .

يسر مكتب الفكر العربي بالخرطوم أن يعلن ان عيده الأول سيكون في اليوم العاشر من شهر فبراير عام ١٩٦٦ ، وهو ينتهز هذه المناسبة فيمد يده الى رجال الفكر والأدب في السودان بصفة خاصة والوطن العربي الكبير بصفة عامة راجيا منهم الاسهام معه في اخراج هذا العيد بالصورة التي تليق باهداف المكتب وغاياته . وما هو ثبت بالبحوث والدراسات النقدية والموضوعات الشعرية ،التي يرجو المكتب مخلصا من رجال الفكر والأدب أن يتناولوها بالبحث والدرس

لتصل الى هذا المكتب فى موعد اقصاه اليوم الثلاثون من شهر سبتمبر عام ١٩٦٥ .

ويود المكتب أن ينبه مقدما الى ان نجاح هذا العيد يتوقف على المشاركة الفعالة من مفكرينا وأدبائنا وشعرائنا ، وأملنا كبير في أن تصل الى هذا المكتب بحوثهم ودراساتهم النقدية وأشعارهم فى الموعد السالف ذكره بالعنوان الآتى : ـ ص ـ ب ـ ٢٠٧١ ـ الخرطوم .

اولا : ـ البحوث .

١ ـ الفكر العربى وأثره فى الحضارة الانسانية.

٢ ـ رجال حملوا لواء الفكر العربى فى السودان .

٣ ـ التصوير الفنى فى شعر العباسى .

٤ ـ دور الترجمة فى اثراء الثقافة العربية .

٥ ـ الخيال والصورة فى الشعر الجاهلى « دراسة مقارنة بالشعر الشعبى السودانى » .

٦ ـ التصوف فى الشعر العربى .

٧ ـ الوجه العربى فى السودان .

٨ ـ الثقافة العربية وأثرها فى تحرير السودان.

ثانيا : ـ الدراسات النقدية .

١ ـ كتاب تاريخ الثقافة العربية فى السودان « للدكتور عبد المجيد عابدين »

٢ ـ كتاب ملامح من المجتمع السودانى « للأستاذ حسن نجيلة »

٣ ـ كتاب أدبيات السودان « للأستاذ منير صالح عبد القادر » .

٤ ـ كتاب محاولات فى النقد « للأستاذ محمد محمد على » .

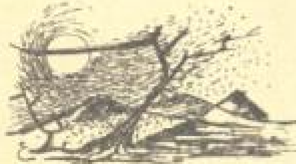
٥ ـ ديوان الطبيعة « للشاعر حمزة الملك طمبل » .

ثالثا : ـ الشعر .

١ ـ بطولات سودانية ٢ ـ غدنا المرتجى ٣ ـ الوحدة القومية السودانية ٤ ـ السودان العربى ٥ ـ تحت ظل العلم ٦ ـ عزائم الشباب .

وانه لمن المثمر بلا شك أن يكون للمفكرين عندنا دور فى الالتقاء بكل الحركات الجادة فى البلاد العربية ، فمن خلال هذا الالتقاء يمكن أن يكون للفكر العربى دور لا فى العالم العربى فقط ولكن فى العالم كله .

« عبده بدوى »



رسالة العلم



الدكتور عبد الحليم منتصر

فكرة التطور بين ابن مسكويه وداروين

صدرت اخيرا ، الترجمة العربية ، لكتاب اصل الانواع ، الذى نشره داروين ، فى انجلترا أول مرة سنة ١٨٥٩ ، وهو الكتاب الذى أحدث نشره ضجة لا أعرف كتابا آخر ، أحدث مثلها ، لما اشتمل عليه من آراء جريئة فى التطور .

ويعتقد الكثيرون خطأ ، أن داروين ، هو أول من نادى بالتطور ، فالقول بالتطور قديم قدم الفكر العلمى نفسه ، فقد نادى به حكماء بابل وآشور ومصر الفرعونية ، فكانوا يقولون بأثر الكواكب فى نشأة الحياة على الارض ، وانها لم تنشأ الا بالتدريج، درجة بعد درجة ، وانه بتأثير الكواكب السيارة فى عناصر الارض ، تعاقبت الأحياء فيها . فقد نشأت أول الامر كتلة لزجة من المادة ، لا شكل لها ولا صورة ، اللهم الا نفثة من الحياة ، نفثها الخالق فيها ، ثم أثرت الطبيعة فى تلك المادة فتقلبت فى أطوار من النشوء ، بلغت فى حدودها الاخيرة الصورة البشرية .

وكذلك قال حكماء الاغريق بتطور الكائنات ، وان الانسان ظهر بعد الحيوانات كلها ولم يخل من التقلبات التى طرأت عليها ، وأخذ يتقلب عليها الى أن حصل على صورته الحاضرة .

ويدل كلام « اناكساندر » ، من علماء القرن السابع قبل الميلاد ، على أن بحوثا مستفيضة قد تقدمت بحثه فى نشأة الحياة على الارض وتطورها . وهو ينسب هذه النشأة الى تأثير الشمس فى الارض التى كانت أول الامر طينية رطبة ، فلما وقع فعل الشمس تولدت الحيوانات الاولى ، وبازدياد فعل الشمس ظهرت حيوانات أخرى أمكنها أن تحفظ نفسها وتزيد نوعها ، أما الانسان فقد ظهر بعد الحيوانات ، وتطور الى أن بلغ صورته الاخيرة .

ولعل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، كما سموا أنفسهم ، هم أول من تكلم فى التطور من العلماء العرب ، فقد ورد فى الرسالة العاشرة من رسائلهم التى بلغت اثنتين وخمسين رسالة ورسالة على حد تعبيرهم ، ورد فيها حديث طويل عن أثر الوراثة الرجعى والانتخاب الطبيعى والانقراض ، الى غير ذلك من مصطلحات أورد العرب كثيرا من المشاهدات للدلالة عليها والتعريف بها ، ولعلهم أول من قال بأن عالم الحيوان والنبات والجماد واحد ، تفصل بين بعضها وبعض حدود انقلابية دقيقة .

قالوا : واعلم يا أخى بأن أول مرتبة النباتية أو دونها مما يلى التراب ، هو خضراء الدمن وآخرها وأشرفها مما يلى الحيوانية هو النخل، قالوا وأما النخل فهو آخر مرتبة النبات مما يلى الحيوانية ، وان أدون الحيوان وأنقصه هو الذى ليس له الا حاسة واحدة ، وهو الحلزون ، فان الحكمة الالهية ، لم تعط الحيوان عضوا لا يحتاج اليه فى وقت جر المنفعة أو دفع المضرة ، والذى اسماه اخوان الصفاء الحكمة الالهية هو ما أسماه داروين بعدهم بعدة قرون الانتخاب الطبيعى .

قالوا وفي النبات نوع آخر فعله أيضا فعل النفس الحيوانية ، وان كان جسمه نباتيا ، وهو الكشوث (الحامول) ، وهو نوع من النبات ليس له أصل ثابت في الارض كما يكون لسائر النبات ، ولا له ورق كاوراقها ، بل هو يلتف على الشجر والزرع والبقول والحشائش ، يمتص من رطوبتها كما يفعل الورد الذي يدب على ورق الاشجار وقضبان النبات.

واخوان الصفاء وان جانبهم التوفيق في هذه المشابهة الظاهرية بين الحيوان والنبات ، الا انهم يريدون بذلك ان هناك نوعا من التطور من الصورة النباتية الصرفة ، ممعنة في التصعيد نحو الحيوانية.

ويعتبر «**ابن مسكويه**» عالمنا العربي الأشهر، أول من نادى بالتطور صراحة ، وقد عاش عالمنا حقبة مزامنة تقريبا لاخوان الصفاء ، فهو من علماء القرن الرابع الهجري ، وقد توفى فى عشرينات القرن الخامس الهجري .

يقول ابن مسكويه فى كتابه «الفوز الاصغر» — ان أول اثر ظهر فى عالمنا هذا من نحو المركز ، بعد امتزاج العناصر الاولى، اثر حركة النفس في النبات، وذلك انه تميز عن الجماد بالحركة والاغتذاء . ثم مضى يقسم النبات الى ثلاث مراتب وقال بأن النبات أسبق في الوجود من الحيوان ، لأن حركة أثر النفس أى الحياة فى النبات ، كانت أول ما ظهر على الارض بعد امتزاج عناصرها الاولى. ويقول ان مرتبة الاولى أول ما نجم من الارض ، ولم يحتج الى بذر ، وذلك انه في أفق الجماد والفرق بينهما هذا القدر اليسير من الحركة الضعيفة في قبول أثر النفس ، ولعله يعني ما نسميه النباتات الدنيئة أو البسيطة ، وينتقل الى المرتبة الثانية في النبات ، الذي يصير له من القوة في الحركة ، بحيث يتفرع وينبسط ويتشعب ، ويحفظ نوعه بالبذور ويظهر فيه من اثر الحكمة ، أكثر مما يظهر في الاول . ولا يزال هذا المعنى يزداد في شيء بعد شيء ظهورا ، الى أن يصير الى الشجر الذي له ساق وورق وثمر يحفظ نوعه ، ثم تدرج من ذلك الى القول بانه اذا صار في الأفق الاعلى من النبات ، فانه يقبل صورة الحيوان، وهذه المرتبة الاخيرة من النبات ، ان كانت في شرفه، فانها أول أفق الحيوان ، وهي مرتبة انتقالية .

ويضيف ابن مسكويه قوله : « ولا جرم إن نشوء النبات من الجماد ونشوء الحيوان من النبات، يشمل بالضرورة نشوء صوره العديدة متدرجة فيها نحو كل مرتبة من هذه المراتب التي ذكرها، وان الانسان ناشيء من آخر سلسلة البهائم ، وانه بقبوله الآثار الشريفة من النفس الناطقة وغيرها ، يرتقى حتى رتبة أعلى من مراتب البشر يقول انها مراتب القرود وأشباهها من الحيوان ، الذي قارب الانسان في خلقة الانسانية وليس بينها الا هذا القدر اليسير الذي اذا تجاوزه صار انسانا .

وقد عالج ابن مسكويه فكرة التطور في كتاب آخر من كتبه هو « تهذيب الاخلاق » فيقول فيه ، بعد أن ذكر انتقال الحيوانات التي لم تعط من قوة الفهم الا القدر اليسير الى مرتبة القرود ، وانتقال هذه الى مرتبة الانسانية يقول « ثم يصير من هذه المرتبة الى مرتبة الحيوان الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ، ويشبهه من غير تعلم كالقرود وأشباهها ، وتبلغ من ذكائها أن تستكفى من التأديب ، بأن ترى الانسان يعمل عملا فتعمل مثله من غير أن تحوج الانسان الى تعب بها ورياضة لها ، وهذه غاية أفق الحيوان ، التي ان تجاوزها وقبل زيادة يسيرة ، خرج بها عن أفقه وصار في أفق الانسان الذي يقبل العقل والتمييز والنطق ، والآلات التي يستعملها ، والصور التي تلائمها ، فاذا بلغ هذه المرتبة تحرك الى المعارف واشتاق الى العلوم وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل، يقتدر بها على الترقي والامعان في هذه المرتبة ، كما كان ذلك في المراتب الاخرى التي ذكرناها وأول هذه المراتب من الافق الانساني المتصل بآخر ذلك الافق الحيواني ، مراتب الناس الذين يسكنون في أقاصي المعمورة ، من الامم التي لا تميز عن القرود الا بمرتبة يسيرة ، ثم تتزايد فيهم قوة الفهم والتمييز الى أن يصيروا الى أواسط الاقاليم ، فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل .

أما « **ابن خلدون** » ، فيقول في المقدمة شارحا تسلسل بعض الاحياء من بعض ، ثم انظر الى عالم التكوين ، كيف ابتدأ من المعادن ، ثم النبات ، ثم الحيوان ، على هيئة بديعة من التدرج ، فان آخر أفق المعادن ، متصل باول أفق النبات ، مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر افق النبات مثل النخل والكرم ، متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما الا قوة اللمس

فقط . ويعنى الاتصال فى هذه المكونات ، ان آخر افق كل منها ، مستعد بالاستعداد الغريب ، لان يصير اول افق الذى بعده ، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى فى تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع اليه من عالم القدرة الذى اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل . وكان ذلك اول افق من الانسان بعده وهذا غاية مشهودنا .

وكذلك أورد الجاحظ فى كتابه الحيوان بعض المشاهدات التى يراها بعض الباحثين متفقة مع فكرة التطور وذلك فى حديثه عن ظهور الصفات المتوازنة على قدر من العمر .

ويهمنا ان نلاحظ هنا أمرين على أعظم جانب من الاهمية ، اولهما ان فكرة التطور قديمة ، لم يكن داروين مبتدعها ، وان العلماء العرب قد عالجوها معالجة تفكر وتدبر وفلسفة كما تبين ذلك من رسائل اخوان الصفاء ، وكتابات ابن مسكويه ، وابن خلدون ، والجاحظ . اما ثانى الامرين اللذين أحب ان انبه لهما فى هذا المقام ، فهو هذه الحرية فى الآراء العلمية يطلقها العلماء فى غير ما خوف ولا وجل ولا تردد . فقد يظهر ان حرية الرأى العلمى كانت مكفولة الى ابعد الحدود . فلم يتعرض العلماء المسلمون ، بسبب آرائهم العلمية الى بطش أو عسف أو اضطهاد ، لم يتعرض أحد منهم الى عشر معشار ما تعرض له بعض علماء أوروبا فى عصر النهضة من بطش وتنكيل ، لآراء أقل شأنا من هذه التى قال بها العلماء العرب .

ويظهر ان فكرة التطور كانت تراود « **داروين** » وهو على ظهر السفينة «بيجل» يطوف بها فى رحلة علمية طويلة ، عبر بها البحار ، وأرسى مراسيها فى كثير من الجزر فى مختلف بحار الارض ، وانه ليجمع الملاحظات ، ويسجل المشاهدات، ويرتب المجموعات، ويقارن بين ما رآه هنا ، وما شاهده هناك من نماذج زعينات وحفريات ونباتات وحيوانات وطيور وأسماك وحشرات . ثم عكف على دراسة مجموعاته وتنسيقها، وتسجيل آرائه عدة سنين ، الى أن خرج على الناس بكتابه «اصل الانواع» أول مرة سنة ١٨٥٩ وقد بنى داروين نظرية عن التطور على خمسة عوامل طبيعية رئيسية ، قال انها تؤدى بفعلها الى التطور ونشوء الانواع ، اما تلك العوامل فهى الوراثة ، والتحول والتوالد ، وتنازع البقاء وبقاء الاصلح . فقال بأن الحياة اول ما ظهرت على الارض كانت فى صورة خلامية ، ثم تتابعت صور الاحياء ، بفعل العوامل الخمسة ، فقد جمع من الحقائق والنماذج فى رحلاته العلمية ما جعله يؤمن بالتطور ، وينشر نظريته على الناس ، فقال بالتحول بالايلاف ، وتكيف الصفات عن طريق الوراثة ، وتجمع التحولات بالانتخاب والتناحر على البقاء بين الكائنات الحية التى تقطن الارض ، وبين أن هذا التناحر نتيجة للتأثير بنسبة رياضية طبقا لمذهب « مالتس » وانه ليطبق هذه النسبة على عالمى الحيوان والنبات ويتكلم عن الانتخاب الطبيعى وكيف يؤدى الى انقراض الاحياء المختلفة عن الارتقاء .

وقد ذكر داروين أسماء كثير من الاعلام ، ممن ناقش آراءهم ، ومن عجب انه لم يذكر من العلماء العرب أحدا ، مع أن اخوان الصفاء ، وابن مسكويه، وابن خلدون قالوا بفكرة التطور قبله بقرون ، ولا يمكن أن يكون قد جهل كتاباتهم أو لعله اطلع عليها ، ولم يشأ الاشارة اليها ، شأن كثير من علماء اوروبا الذين لا يحبون أن ينسبوا الفضل لذويه .

ومهما اختلف الرأى فى نظرية داروين فى التطور ، فقد كان مجددا فى عرضها، وقد أضاف الى معلوماتنا الكثير ، مما جعل كتابه أصل الانواع ، نقطة تحول فى تاريخ علوم الحياة ، ومازال علماء الاحياء ، ينهجون نهجه فى البحث والدرس ، ولو لم يؤمنوا برأيه فى التطور .

« د . عبد الحليم منتصر »



مع الفنان

تقديم

اميل جرجس

ان الفجر الكاذب قد انتهى ، وابطال الفجر الكاذب يفنون مثل الخيط الاسود في غمار ضوء صادق صاعد .

ان اعمال الفنان المصور رشدى اسكندر تتميز بمضامين انسانية خاصة حيث يصور حياة الظلام في قلب الليل ورواقصاتها وحيث يربط حياته بالمسرح والرسم ويعيش بين اللون والضوء والخطوط والظلال ثم ينتقل الى ليالى الضوء الخافت حيث ملاهى الموالد والمراجيح والحاوى ودقى يامزيكة .

لقد عاش الفنان ليله ونهاره بفرشاته فاحس بما فيها من حياة متناقضة فالهب خياله وسجل ما شاهده بالوان فيها تاملاته وتصوراته في جراة ملموسة وخطوط واضحة ... ثم تطور حيث الفنون الرفيعة مواجها لكل فرصة فنية خارجية او محلية مسجلا الأوبريت ورقصات الباليه والفنون التى تمثل شعوب العالم . ولعل الموسيقى كان لهـا اثر عليه في تردده على المسرح فشغف بها ...!!

انك حين تراه بين الكواليس لاتجده رساما بقدر ماتجد فيه مشاهدامستمعا ممثلا راقصا .. تراه مهرولا غارقا في عرقه بين الكواليس ثم في الصالة بين المشاهدين .. يحيا داخل اطار العمل الفنى .. ومن هنا يبدو التسجيل السريع الجرىء الصادق حيث يركز على الوجوه والحركة والايقاع فيخرج لنا سمفونيات مرسومة .لقد ضرب الفنان رشدى اسكندر رقما قياسيا في سرعة تسجيل برامج الفنون الشعبية المحلية والواردة .. ونحن ننتظر منه المزيد .





رشدى اسكندر

- ولد في ابريل عام ١٩١٨ ونشا في القاهرة
- بدا حياته الفنية في السادسة عشرة من عمره ، الا لم يكتف بالنشاط الفنى والمسرحى بالمدرسة بل التحق بفرقة رمسيس ممثلا هاويا .
- في مستهل عام ١٩٣٥ انشأ جمعية لنهضة المسرح للتمثيل والموسيقى واشترك فيها بالتمثيل والتأليف حيث قدم مسرحيتى العيرة والعفاف .
- تخرج في كلية الفنون الجميلة عام ١٩٤٢ وعاش بين الكواليس منذ ذلك الوقت يسجل باخلاص وانع فيما مخصوصة من فنون الرقص المختلفة .
- في عام ١٩٣٥ قدم أول معرض لأعماله وقدم لوحاته باسم ليالى القاهرة التى تشمل حياة الليل التى قضاها بين جوانبها
- ثم قدم بعد ذلك عدة معارض مختلفة باسم ليالى القاهرة في متحف الفن الحديث سنة ١٩٥٢ ، جمعية النيلية القاهرة سنة ١٩٥٩ ، ومتحف الفن الحديث سنة١٩٦٠، والجمعية الأهلية للفنون الجميلة سنة ١٩٦١،ومتحف الفن الحديث سنة ١٩٦٢، واخيرا بقاعة اخناتون سنة ١٩٦٥ .
- اشترك في عدة معارض مختلفة من بينها بينال البندقية العالمى سنة ١٩٥٢ المعرض الآسيوى الافريقى سنة ١٩٥٦ ، معرض الشباب برومانيا سنة ١٩٥٣ .
- له مقتنيات بالداخل والخارج منهـا بعض المقتنيات بمتحف مسرح نوفوسيبرك بالاتحاد السوفييتى ومتحف مسرح بلجرد بيوغسلافيا ... كما ان له مجموعة خاصة بالاسكندرية وباريس وامريكا وايطاليا ويوغسلافيا .

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والارشاد القومى

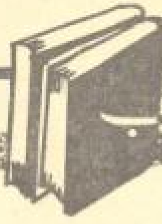
١٩٦٥

- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٥٧ هيئة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .



من ١٢ إلى ١٨ يونيه سنة ١٩٦٥

بنادى الموظفين





الكتب نقد وتعريف

بقلم : محسن عبد الحي

مشكلات الحضارة

فكرة الأسيوية الأفريقية في مؤتمر باندونغ

تأليف : مالك بن نبي
ترجمة : عبد الصبور شاهين
تقديم : أنور السادات

ينعقد فى التاسع والعشرين من هذا الشهر المؤتمر الافريقى الآسيوى فى الجزائر .. وسط جو دولى ملبد بالغيوم التى تضغط على أنفاس انسان النصف الثانى من القرن العشرين .. ينعقد هذا المؤتمر واحتمالات حرب عالمية جديدة تبرز هناك فى الافق البعيد . فى جنوب شرقى آسيا .. وربما يتحرك الاستعمار الصهيونى فى فلسطين عن قريب احدى تحركاته العدوانية الطائشة على طول الجبهة العربية . فتكون الحرب التى يريدها الاستعمار العالمى .

اننا نعيش فى عالم سيطرت فيه على الحياة الدولية « ارادة القوة » التى لا تفارق حضارة القرن العشرين — وتعتبر ارادة القوة هذه بمثابة قانون عام يحكم سلوك النفسية الغربية الاستعمارية . قانون يسجل التأخر الخلقى لانسان الغرب ، حتى كأنه يعيش فى القرن التاسع عشر ، واحيانا يبدو وكأنه يجر الخطا فى القرون الوسطى عندما يستمد غذاءه الروحى من تاريخ محاكم التفتيش ومن سيرة فرسان الاستعمار ، هذه المصادر التى تعود به دائما الى العنصرية واحتقار الانسانية .

لقد خضع العالم لسيطرة أوربا منذ قرنين من الزمان ، والمشاكل التى لم تستطع السياسة والحروب خلال نصف قرن أن تضع لها حلا مؤثرا انما تنتج عن هذه السيطرة الاوربية — العليا على الشئون الانسانية . فموطن الازمة اذن موجود فى الضمير الاوربى نفسه — والامريكى باعتباره امتدادا له — فى علاقته بالمأساة الانسانية .

فمنذ انعقاد مؤتمر باندونج — وخريطة العالم تصمم من جديد لصالح قوى التحرر والتقدم ، الا ان الاستعماريين مازالوا يفكرون بمنطق تقسيم العالم الى مجموعتين : مجموعة « المتحضرين » المتجمعة فى دول كبرى ، ومجموعة « المستعمرين » وان اختلفت التعريفات والمفاهيم — اولئك المشحونين فى « عبوات » تسمى بالمستعمرات وهنا تأتى اهمية المؤتمر الافريقى الآسيوى حيث يضع زعماء افريقيا وآسيا بعد أيام فى الجزائر اسس المجتمع الانسانى الذى يرفض منطق القوة ويفضل منطق البقاء

ولم اجد من يحدثنا عن التقاء زعماء افريقيا وآسيا فى مؤتمرهم الانسانى الكبير خيرا من المفكر العربى الجزائرى المسلم مالك بن نبى .. فهو ينتمى الى امتنا العربية التى يتحقق فى صلب تكوينها السياسى والجغرافى الفكر الافريقى الآسيوى المتلاقى . وهو أيضا يتحرك بوعى صادق وعميق فى اطار أيديولوجية اسلامية بناءة ومستنيرة .

أيديولوجية ترى أن محور العالم الاسلامى من طنجة الى جاكرتا يتفق بالتحديد مع محور العالم الأفرو آسيوى — وبسبب هذا الوضع الخاص يتمتع الاسلام بوضع القاسم المشترك مع جميع الثقافات التى تؤلف الرابطة الروحية فى العالم . فهو فى مركزه فى البحر المتوسط يقع فى قلب عالم الكتاب المقدس ، الذى يتقاسم معه رسالة ابراهيم ، وهو فى

مراكزه الاسيوية يقع في قلب عالم « الباهاجافادجيتا» وفكرة بوذا وحكمة كونفوشيوس ، وهو في أفريقيا الوسطى على صلات مع النفس الانسانية العذراء المنزهة عن اى طابع تعليمي في كامل براءتها البدائية . **فمن خلال هذا الفكر الاسلامي الواعي .. ينظر مفكرنا العظيم الى العالم والى فكرة الافريقية الآسيوية ـ بعظمتها وعمق تلاقيها حيث تقف روحانية الاسلام على طرف ـ وماركسية الصين الشعبية على الطرف الآخر . ولننظر كيف يصوغ مالك بن نبي افكاره حول قضايا آسيا وافريقيا وحول قضية محنة الانسان المعاصر .**

يقول المؤلف ..

لقد أصبح الرجل الافرو آسيوى العميل المستعبد المستغل للاقتصاد الحديث ، دون أن يجد في نفسه وفي تقاليده وفي عاداته الوسيلة الكافية كيما ينتزع نفسه من تورطه . وهكذا بدأ عصر الحتمية الاقتصادية بالنسبة له مع بدء العصر الاستعماري ، ولم يخلصه تحرره السياسي بصفة عامة من التورط الاقتصادي . فان المشكلة أولا ذات طابع نفسي حيث ان المعنى الاقتصادي لم يظفر في ضمير العالم الافرو أسيوى بنفس النمو الذى ظفر به في الغرب، في ضمير الرجل الاوربي وفي حياته . والحق أن الاقتصاد في الغرب قد صار منذ قرون خلت ركيزة اساسية للحياة الاجتماعية ، وقانونا جوهريا لتنظيمها . أما في الشرق فقد ظل على العكس من ذلك في مرحلة الاقتصاد الطبيعي غير المنظم حتى أن النظرية الوحيدة التي تناولت تأثير العوامل الاقتصادية في التاريخ ، وهي نظرية ابن خلدون قد ظلت حروفا ميتة في الثقافة الاسلامية ، حتى نهاية القرن الاخير ، فلم يقبل المجتمع الشرقي تحت تأثير احتياجاته الداخلية على أن يضع نظرية اقتصادية كما حدث في المجتمع الغربي ، حين وضع الراسمالية والشيوعية ـ انه لم يقبل على هذا بسبب ما انطوى عليه من نفسية خاصة منعقدة على الزهد كمثل أعلى منذ قرون ، وأن فقها اقتصاديا يستلهم خطته ومفاهيمه من مثل كهذه ، ويصدر عنه لا يمكنه بداهة أن يعبر بنفس الدقة العملية عن فكرة « المنفعة » الخاصة بالراسمالية او عن فكرة «الحاجة» الخاصة بالنظرية الماركسية ، فالزهد والمنفعة والحاجة ثلاث حقائق لايمكن أن تدخل في اطراد اجتماعي واحد ، وفي واقع اقتصادى واحد

فقد كان هناك اذن عنصر تنافر اساسي بين الاوضاع الشخصية الموروثة في البلاد الافرو اسيوية ومن التكوينات الاقتصادية التي وضع أسسها العصر الاستعماري .

لقد كان لينين يعرف أنه لكى ينشىء المجتمع الاشتراكي ، عليه أن يستخدم «مواد» قد يقدمها اليه المجتمع «البرجوازي» وطبقة «البروليتاريا» هي احدى تلك المواد . وهي تدرك اكثر من ذلك ان التمزيق الذى أوجدها «كطبقة» هو بداية خلاص المجتمع الذى تصدر عنه ، وهي تدرك انها حاملة لمسئولية هذاالخلاص .ونتائج الفكرة الافرواسيوية هي نفس هذه النتائج بغض النظر عن جميع الاعتبارات الدينية أو السياسية ، والشعوب الافرو اسيوية تؤلف في العالم نوعا من «البروليتاريا» بالمعنى الذى خلعه « توينبي » على هذه الكلمة ـ ولكن دون أن نذهب في هذا المعنى الى نهايته .. ومن ثم فان على هذه الشعوب أن تعرف قدر نفسها أولا : لتحمل بعد ذلك الخلاص الى العالم .

ان الفكرة الافرواسيوية تدين لطبيعتها كفكرة يمليها الاسلام والهندوسية بتركيب ثنائي ، وهذه الخاصية تحول بينها وبين أن تتبلور في كتلةصالحة لأن تستخدم في عمل من أعمال السيطرة ، بل ستظل على العكس من ذلك تسمح بتدخل جميع تيارات الفكر ، وتحمل رسالة الخلاص الفني بجميع العناصر الخلاقة ، تلك العناصر التي يمكن أن تضع فيها جميع التيارات المثرية في التجربة الانسانية كلها .

لقد بدأ حوار جديد في التاريخ ، حوار لم يكن المتحدث الى القوة فيه قوة أخرى من نوعها ، تجر العالم الى الحرب طبقا لسياسة ـ حافة الهاوية ، بل هو نوع جديد ، ليس المتحدث فيه قوة ذرية ، بل انه يتسلح بقوانين أخلاقية وسياسية جديدة برهن غاندى على صلاحيتها . لقد أتت الشعوب الافرواسيوية معها بمبدأ تركيب العالم ، وبامكانيات تعايش جديد يحمل بوضوح طابع عبقريتها ، هي شروط أخلاقية لحضارةلاتكون تعبيرا عن القوة أو الصناعة . ولعل التاريخ يقول للاجيال فيما بعد : أن الفكرة الافرو اسيوية قد وهبت الخلاص للعالم ، قبل أن يطلق عليها اسمها ، فهي بانشائها «المنطقة الحرام» بين الكتلتين في صورة سياسية حيادية ، كونت في الحقيقة فراغا لم تعد الحرب الباردة تجد فيه قوتا يحولها الى

حرب ساخنة . وهى بعملها هذا قد أتاحت «لفكرة التعايش» أن تأتى فى وقتها .

لقد رفعت الحضارة الغربية طاقة الانسان الى مستوى غير مألوف ، وعندما وصلت هذه الطاقة الى درجتها تلك — قلبت كل حقائق التاريخ ، وأدخلت فيه عنصر قوة يطبعه بطابع الشمول ، وبذلك وجدت الشعوب نفسها وكأنما تقلها سفينة واحدة الى مصير واحد ، فهى تشعر شيئا فشيئا بفضل التطورات الصناعية الحديثة ، وبخاصة فى الميدان الفرى ، بأن عليها أن تجتاز مجتمعة بعض المراحل الحاسمة وأن تعالج المشكلات الجوهرية بصفة مشتركة ، وهكذا نجد أن عهد تحلل المادة يتفق مع عهد التجمع الانسانى ، اذ لم تعد هناك جزيرة الفردوس التى يمكن للانسان أن يعيش فيها منعزلا عن تيارات الاحداث . ومن ثم فاننا نرى أن الفكرة الافرو أسيوية تقدم الى العالم رسالة اتحاد وأخوة ..

والاسلام بسبب روابطه العديدة بالنسيج الانسانى الراهن ، حيث يعتبر جزءا جوهريا فى السلسلة — وبفضل طبيعته واتصالاته يعتبر الجسر الذى يصل مابين الاجناس والثقافات ، فهو عامل بلورة ، وعنصر جوهرى اذا ماأردنا اليوم تكوين « مركز حضارة أفرو أسيوى ، وغداء تكوين حضارة عالمية . اننا نرى فى الاسلام وفى القرآن الكريم « أجنحة أخلاق اجتماعية وقواعد للسلوك المؤثر الايجابى تسقط فى غمار الاهمال والنسيان لان العالم الاسلامى — لا الاسلام — هو الذى أهملها وأغفلها .

فالمسلم الحقيقى يتخذ من الدين «محور حركة» لحياته كلها .. فهو مفتاح نفسيته والمقياس الذى تقاس به جميع أشكال سلوكه .

وهذا الجانب الذى يمكن أن نسميه «بالمنطق العملى» فى الاسلام هو الذى يكون فصلا كاملا من فصول الثقافة الاسلامية .

ومما لاجدال فيه أن الاسلام قد احتفظ بمضائه الذى صيغت به الحضارة الاسلامية كدرة فريدة فى التاريخ ، ولكن المسلم هو الذى فقد استخدامه الاجتماعى ، ومع ذلك فقد احتفظ بالجوهر ، أى بهذا المضاء الروحى الضرورى لحل عقدة العقد فى العالم الراهن .

النظام الدولى والسلام العالمى

تأليف : ا.ل. كلود
ترجمة : الدكتور عبد الله العريان
الناشر : دار النهضة العربية

يعرض هذا الكتاب لكفاح الانسانية من اجل اقامة نظام دولى ، وسعيها نحو ارساء دعائم السلام العالمى ، والكتاب يعرض وجهة نظر فى التنظيم الدولى والعلاقات الدولية تساير منهج التنظيمية التجريبية ويتناول الجزء الاكبر من الكتاب الأمم المتحدة ومشاكلها مع ايضاح الصلة التاريخية بينها وبين المنظمة الدولية السابقة عليها وهى عصبة الأمم وتعرض الكتاب كذلك للمناهج التى اتبعت خلال القرن التاسع عشر وقبل انشاء عصبة الأمم للمحافظة على السلام الدولى .

وقد أبرز المؤلف الدور الذى تستطيع به الأمم المتحدة معالجة المشكلة الاستعمارية بقوله « ان الأمم المتحدة لا تمثل فقط المحاولة المنظمة الاولى ، بل ربما أيضا الفرصة الأخيرة للمدنية الأوربية لكى تكفر عن ماضيها المظلم فى علاقاتها بالشعوب غير الأوربية ، وقد لا تكون أوربا جديرة بهذه الفرصة ، ولكن ها هى الفرصة قد سنحت لها » .

ويقع الكتاب فى ٧١٨ صفحة من القطع الكبير .

دراسات فى المسرح
مسرح رشاد رشدى

تأليف : فاروق عبد الوهاب
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

يحتوى الكتاب على مجموعة من الدراسات النقدية التى اتخذ فيها المؤلف الطابع التحليلى للتجارب الفنية .. وقد اتخذ المؤلف نماذجه من بعض المسرحيات التى كتبها الدكتور رشدى الذى يقول فيه :

« اننى لا أتردد فى وضعه مع الموضوعيين الأذكياء ، لأنه نجح فى مسرحياته الأربعة التى كتبها حتى الآن ، وهى بتسلسلها الزمنى — الفراشة ، لعبة الحب ، رحلة خارج السور ، وخيال الظل ، ونجح فى ايهامى كل مرة اننى امام عالم جديد ، قد يشترك مع العوالم الأخرى فى بعض المظاهر ، وقد ينتظم مع هذه العوالم فى اطار واحد ، الا أن كلا منها يختلف تماما عن الآخر، وبالأحرى عن عوالم الكتاب الآخرين .

ويقع الكتاب فى ١٥٢ صفحة من القطع الصغير .

«تحسين عبد الحى»

قراءات في المجلات العربية

يقدمها محمد العوانى

● **الدين .. والمذاهب المستحدثة :**

تحت هذا العنوان كتب « حسن عباس زكى » مقالا فى « الجمهورية » الصادرة بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٦٥ عرض فيه للتيارات والمذاهب الفكرية التى تهب على الشرق وتلبس شعارات العلم أو الواقع أو العقل أو الاعتماد على الحس ومظاهر الطبيعة ، ويقصد أصحابها من ورائها النيل من الأديان والتخلص من الايمان بالله الى الايمان بهذه الشعارات، والتحلل من المعانى الانسانية والقيم الروحية .

ثم بين أن « هذه التيارات غير جديدة على الدين ـ فقد منى منذ بزغت شمسه بمذاهب الالحاد والانحلال، وكانت النتيجة دائما أن يخرج منها غالبا منتصرا ، وتمسى هى مغلوبة مقهورة ، ذلك لأنه ينبثق من روح الله ونوره والله متم نوره .. أما هى فتعتمد على الانطلاق من قيود الروح لترسف فى قيود المادة .. وتندفع فى هذا الطريق فتنقطع بينها كل رابطة ، وتسلم كل انسان الى هواه » .

وعقد الكاتب مقارنة بين ما تلمسه الانسانية فى حياتها الاجتماعية والاقتصادية فى ظلال مجتمع تسوده النظم الدينية ، ومجتمع تستولى عليه الآراء والمذاهب التى يفرضها الانسان على الانسان، وتساءل: « أى المجتمعين أجدى على الانسانية وأكثر نفعا لها ، مجتمع توفر مبادئه الطمأنينة النفسية ، وتملأ قلوب أبنائه بالأمل ليصلوا الى غاياتهم ، وتقوم كل فرد بمقدار ايمانه وخلقه وعمله ، وتحاسبه على مايفعل من خير فتجازيه خيرا ، وما يقترف من شر فتجازيه شرا ؟ أم مجتمع يسلب كل فرد حريته ويدفعه الى حركة دون غاية وعمل بلا أمل ؟ أم ذلك المجتمع الذى يعزل الامة عن تاريخها ويبيح لكل انسان أن يفعل ما يشاء ، ويصير فيه الجلاد مثل الضحية ، والخائن مثل البطل ؟ ويسوى بين أوجه النشاط .. وأيهما أقرب الى المنطق والعقل : أن تدين بدين يخاطب الضمير الانسانى فى كل زمان ومكان أم تدين بالعلم وما تزال التجارب تغير من قواعده ، أم بالعقل وهو متأثر أبدا بالظروف التى يعيش فيها صاحبه .. والظروف الجغرافية والقومية ، والظروف الصحية والاجتماعية ، ولا ينكر أحد تأثير هذه الظروف فى التوجيه والتفكير .. أم تدين بالحواس وما تقع عليه ، وهى كثيرة الخداع وصاحبها دائما متأثر بها خاضع لما يقع تحتها ..

ثم أكد ان الايمان بالله هو الذى يعصم الانسانية من التناحر ، ويحول بين الفرد وبين التعدى على غيره، ويوجه الافكار والعقول الى مقاصد الخير ويدفعها الى البحث والتطور ويقدر النزعات والعواطف والميول فيرسم لها مايقيها شر الصراع والزيغ والضلال وانتقل الكاتب موضحا أن الشرق ينظر الى دعاة التجديد هؤلاء نظرة فاحصة ليتبين ما يكون ملائما لمعتقداته ، فما كان متمشيا مع معتقداته آمن به وسار عليه في تنظيم شئون حياته وما كان زيفا

وتضليلا رفضه واعلن سخطه عليه . ثم قال انه لا قيمة للتطور اذا لم يقم على أسس من القيم الخلقية والصفات المعنوية والجوانب الروحية وأشار الى أن من الخطل في الرأى ان يلجأ الداعون في الشرق الى هدم الدين ليقيموا على أنقاضه تشريعا جديدا .. فنحن حين نتعمق هذا الدين نجد فيه غاية ما نبغى من وسائل النهوض في كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ونجده قد بلغ من ذلك شأنا لم تدركه أية نظم حملتها الفلسفات والنظريات مهما تفنن مبتدعوها وتكلفوا في صيانتها واحاطتها بوسائل الاحاطة والشمول .

● العالم العربي في رأى توينبي :

ونشرت « الفكر المعاصر » مقالا كتبه « فؤاد محمد شبل » عن رأى توينبي في العالم العربي ، ومهد الكاتب لمقاله موضحا أن العالم العربي يشغل مكانا بارزا في دراسة توينبي التاريخية فانه موطن حضارتين رئيسيتين هما أعظم الحضارات أصالة وأوغلها في القدم ، الأولى : الحضارة المصرية والثانية الحضارة السومرية ، وتفرعت عن الحضارتين المصرية والسومرية طائفة من الحضارات ورثتها جميعا حضارة دعاها توينبي بالحضارة السورية التى منها انحدرت الحضارة الاسلامية ، وهى التى يعتبر المجتمع العربى قطب رحاها سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

وواضح أن توينبي يرى أن هناك أسبابا أدت الى ضعف العالم العربي بعد ماكان له من مركز ممتاز في المعترك الدولى ، ويذكر من هذه الاسباب « الغزو المغولى منذ سبعمائة سنة ، فقد اقتلع مدنا عامرة برمتها، وأحال مساحات شاسعةمن الاراضى المزروعة الى صحراوات ، وأباد ملايين عديدة من السكان ، ولولا هزيمة المغول أمام المصريين في موقعة عين جالوت للقيت مصر نفس المصير الرهيب الذى لقيه العراق وايران وأفغانستان .. ثم بين أن مصر غدت بعد انهزمت الصليبيين وكسرت شوكةالمغول - غدت قلعة العالم الاسلامى العسكرية وحصنه السياسى والاقتصادى ومنارته الثقافية والدينية ، ولو لم توفق مصر كما يقرر توينبي - في هزم المغول والصليبيين لأظلم مستقبل الاسلام ، ولاسدل الستار على الثقافة العربية زمنا طويلا .

ثم تناول الوحدة العربية فوضح أن توينبيّ يؤمن بأن العالم العربيسيتوحد عاجلا أو آجلا لأن الوحدة اذا تمت « فستصبح للعرب قوة وتأثير دوليان يكفلان حل قضايا العالم العربى المعلقة حلا عادلا وفى مقدمتها قضية فلسطين » .

واذا كان العرب قد تمكنوا في الماضى بفضل اتحادهم من انقاذ بلادهم ودينهم من عدوان الصليبيين فانهم كما يقول توينبي يتعرضون « لضغط خارجى ثقيل الوطأة يجب أن يدفعهم الى ميدان الوحدة مرة أخرى » .

● البشير الابراهيمى :

نشر في العدد التاسع والتسعين من مجلة « الثقافة » بحث كتبه « أنور الجندى » عن المفكر الاسلامى الجزائرى « البشير الابراهيمى » الذى أمضى حياته مجاهدا في سبيل لغته واسلامه وبلده . ذلك أنه كان مليئا بالحيوية صادق الايمان ببناء الأمة عن طريق التعليم والمحافظة على عروبة الجزائر واسلامها ومقومات فكرها العربى الاسلامى من أن تذوب في تيار الغزو الفكرى والتغريب الذى كانت فرنسا تحاول به أن تفصل الجزائر عن الأمة العربية والعالم الاسلامى لتضمها بالفكر والروح الى الغرب .

لقد استطاع البشير أن يوسع نطاق جمعية العلماء التى تولى قيادتها بعد أن مات مؤسسها عبد الحميد ابن باديس ، واستشهد الباحث بنماذج من قول البشير وضحت مدى نشاط هذه الجمعية وشجاعته وايمانه ، فقد كان يواجه حكومة الاحتلال في جرأة ويدعو الى الايمان بالعروبة ممتزجة بالاسلام ، وينافح عن وحدة العرب فيقول « الشعب الجزائرى فرع باسق من تلك الدوحة ، عدت عليه عوادى الدهر فنسى مجد العروبة ، ولكنه لم ينس أبوتها » . وابتلاه الاستعمار عن قصد بالبلبلة فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها الا الضاد ، ثم يقول عن هذه الجمعية التى حققت للجزائرى نسبه العربى الصريح بريئا من شوائب الهجنة ، وأحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه وفى لسانه شعور الكرامة بلغته ، وفى ضميره شعور الارتباط بين ثلاثة المقومات الجنس واللغة والوطن .

« محمد العوانى »

البريد الأدبي



تحية وهدية

لسماحة الشيخ نديم الجسر

في العام الماضي تلاقى السيد نديم الجسر والشاعر محمود حسن اسماعيل في دار الاذاعة ، وجرى الحديث بينهما عن كتاب « قصة الإيمان » فوعد الشيخ الجسر باهداء نسخة الى الشاعر الكبير .

وفي هذا العام احضر الشيخ الجسر النسخة التي وعد باهدائها واتفق ان قرأ في عدد الرسالة الأخير المقال الذي كتبه عميد كلية دار العلوم الدكتور محمود قاسم عن الشاعر وذكر فيه دواوينه الخمسة التي صدرت حتى الآن وهي « أغاني الكوخ » و « هكذا أغني » و « اين المفر » و « نار واصفاد » و « قاب قوسين » كما ذكر الدواوين التي سيصدرها الشاعر وهي « رياح الغيب » و « الباب الموصد » و « سواقي الغمام » فاستحسن الشيخ الجسر أن يهدي قصة الإيمان الى الشاعر بهذه الأبيات ، وقد ضمنها اسماء دواوينه الثمانية :

سلام على شاعر القاهرة ... خليفة (أحمد) في الحاضرة
« أغانيك في الكوخ » ثوب الربيع ... بذل الجمال غدت فائرة
وسائلك الناس : هل هذه دموع .. أم البسمة الساخره
وأنت تقول لهم : « هكذا أغني » لأحلامي الحائره
و « اين المفر » و « نار » الحياة علينا « بأصفادها » دائره
وإن أدركتني « رياح الغيب » « لتوصد باب » التي الغابرة
لسوف تسوق الرياح « الغمام » وتغدو « السواقي » به سائرة
أظال الذي بيديه الحياة ... بقاءك للنيل يا شاعره
ومني إليك دليل الولاء ... رحيق الحقيقة الطاهره
هو الشعر لكنه « قصة » ... لآيات خالقنا الباهره
أرجي بها عفوه عندما ... يزاح الغطاء عن الباصره
فما « قاب قوسين » ياصاحبي ... بأقرب من سفر الآخرة

*

أنشرت شعري أم دفنته

« أحمد أبو المجد عيسى »

ديوان شعري قد طبعته ... من بعد مجهود بذلته
فيه جمال للطبيعة في ابتكار قد رسمته
فيه سراب خادع ... في كل أيامي ألفته
فيه من الدمع الذي ... في عمر أحزاني سكبته
فيه من الألم الذي ... من قسوة الأيام ذقته
فيه الحنين لموطن ... بالرغم مني تركته
فيه من الغزل الذي ... في رقة الأنسام صغته
يحكي جمالا رائعا ... في فجر أيامي عشقته
فيه من السحر الذي ... في جفنه قبس شهدته
فيه الصبابة والقطيعة من حبيب ما هجرته
فيه بقايا من فؤا ... د في هيام قد أضعته
فيه حديث عبقري عند غيري ما عهدته
لكنه من بعد طبع طال تحت الأرض صمته
قد أودعوه مخبئا ... مثل المقابر قد وجدته
أنا لست أدري ياترى ... أنشرت شعري أم دفنته

الفيل الأعور والفيل الجنى

بقلم الكاتب الفيتنامى المعاصر : تران - كونج - تان

ترجمة : عبد الواحد الإمبابى

وصلت مع الوحدة التى اعمل بها الى قرية « لونج فى » الواقعة عند الحدود التى تفصل فيتنام عن لاوس . وكان الموسم من اجمل مواسم العام فلا امطار ولا شمس قائظة . ولكن الدهشة العجيبة ملأت نفوسنا .. فالفلاحون - على الرغم من ان سيقان اشجار الارز كانت ترتفع عالية فى حقولهم لتمد بسطحها الأخضر البهيج امام الأعين ، وعلى الرغم من شموخ أعواد الذرة بيهالها التى حول أرض الوادى الى لوحة زاهية متألقة - كانوا يخشون المجاعة المهلكة ... وحين استوضحناهم جلية الامر كانت الاجابة واحدة من الجميع :

« هنا .. فوق هذه الهضـــاب يتهددنا اليوم عدوان لدودان : قطاع الطرق الفرنسيون الذين يدمرون منازلنا وينهبون ممتلكاتنا ويقتلون أبناء وطننا . وقطعان الفيلة المتوحشة التى تحطم المئات من بيوتنا وتخرب الكثير من محاصيلنا وتقتل - فى معظم الأحيان - العديد من رجالنا » .

ولم تكن الفيلة فى منطقة الحدود هذه اقل خطرا من الفرنسيين، ولذا كانت المعارك معها ومنازلتها امرا كثير الحدوث على طول هذه السلسلة الجبلية .

وفى اثناء رحلاتنا كنا نشاهد فى كل يوم قطيعين او ثلاثة على الأقل يضم الواحد منها بعض المئات من هذا الحيوان المتوحش ، وكثيرا ما دخلت بعض وحدات جيشنا معها معارك مريرة كانت تستمر الساعات الطوال وتضطر رجالنا الى استخدام كل ما لديهم من اسلحة الحرب الفتاكة ، وغالبا ما كانت وحداتنا ترغم فى النهاية على الانسحاب بلا انتظام .

وشاطرنا اهالى قرية « لونج » بعض ايامهم الرهيبة ، ولمـــا كانت قريتهم قد تعرضت كثيرا للدمار الذى أحدثته الفيلة فقد كان عليهم ان ينتشروا فى أماكن متفرقة وكانوا يقاسون الكثير من هذا التشتت ، ولم تكن الفيلة لتبقى فى اغاراتها على شىء... حتى المعابد والآثار التى خلفها أجداد هؤلاء القرويين منذ أجيال وأجيال بل حتى الكهنة كانوا يرغمون على الخروج من معابدهم ويلتجئون الى المناطق البعيدة الجرداء .

وكان النهار يتراءى لنا فى هذه المنطقة قصيرا للغاية ، كما كان الليل يبدو وكأنه زمن لا نهاية له . وبينما كنا راقدين فى يقظة داخل الاكواخ عند قاعدة الجبل ترامى الى أسماعنا خـــلال الليل الساكن بزمهريره القارس خرير جدول قرية لونج ممتزجا باصوات الفيلة وطلقات بنادق العدو فلم نستطع أن نقاوم ضغط اطراف اصابعنا وهى تتجمع فى عنف تعبيرا عن غيظنا المرير .

وفى هذه الليلة لم يغمض جفن الأم « بوفا » صاحبة الكوخ الذى نزلت به ، فقد هبت واقفة فى هدوء واشعلت مصباحا صغيرا أحدث أزيزا خافتا . ثم مشت على أطراف أصابعها الى حيث كنا ننام وجذبت فى رقة ووداعة أطراف الغطاء لتدثرنا به وانتظرت حتى استغرقنا فى النوم . ثم أخذت تحرق عيدانا قليلة من البخور ارتفع منها دخان أشـــبه بضفائر زرقاء يغيم حـــول شعرها الابيض الفضى ، وحملقت بعينيها فى الظلام الداكن خارج الكوخ وبدأت تتمتم بدعاء تتوسل به الى « بوذا » أن ينزل بعضا من فيضه وبركاته .

ورأيت أعواد البخور تحترق فى يديها النحيلتين وقد اغمضت عينيها نصف اغماضـــة وأخذت الدموع تنســـاب فوق وجنتيها الغائرتين الخاضتين - دموع الحزن والأسى - فقمت منتصبا اسألها فى خفوت :

« ماذا دهاك يا أمى ؟ لماذا لا تذهبين الى مرقدك ؟ ستشعرين غدا بالارهاق ان لم تنامى ... »

وتوقفت عن البكاء حين سمعت صوتى وأخذت تجفف دموعها بطرف معطفها البالى ثم قالت لى فى حنان :

« نم يا بُنى فســـيكون عليك فى الغد أن تستيقظ مبـــكرا

لتحارب قطاع الطرق ٠٠٠ ثم حتى أستطيع أن أضيع شعاع النور ٠٠ انني أتوسل الى بوذا أن يساعدكم في القضاء بسرعة على قطاع الطرق الفرنسيين ، وأتوسل اليه كذلك أن يبعد عنا الفيلة وأن ينقذ مواطنينا من هذا البلاء ٠٠

واستعطفتني بعد ذلك أن أعود الى مضجعي لم اطفات المصباح ٠٠ ولكنني في مثل هذه الليال كنت دائما أتقلب في سريري لا أستطيع أن أهنأ بنوم هادئ ٠ ولم تكد تمضي الا أيام قلائل حتى اجتمع أعضاء وحدتي يناقشون موضوع الفيلة حيث قرروا في النهاية ضرورة ملاقاة عدوانها وأصبح أمر مطاردتها الى الغابة هو هدفنا الاول والرئيس ٠

غير أن الأم « بوفا » وكذلك أهالي القرية حين سمعوا عن تصميمنا على هذه الخطة أبدوا المزيد من القلق وحاولوا أن يصارحونا بحقيقة الموقف ، فهناك أخطار كثيرة تتهددنا وقالوا لنا في شجاعة وايثار : « ان من الأفضل لنا أن نموت على أن تترك الفيلة تقتل أبناء جيشنا »٠

وفي احدى الليالي بعد أن تناولنا طعام العشاء روت لنا الأم « بوفا » قصة « الفيل الأعور والفيل الجني » ٠

« منذ زمن بعيد حين كنت لا أزال شابة يافعة حكى لي البعض انه في الوقت الذي لم يكن نهر لونج قد انشعب الى مجريين ظهر قطيع من الفيلة مكونا من مائتي فيل يقوده فيل أعور مقدس جاب الهند وبورما وكمبوديا ثم اقتحم أخيرا قرية « لونج في » فدمر كل منازلها وأتلف محصولاتها وداس على رقاب العشرات من أهاليها فقضوا نحبهم ولما كانوا لا يملكون عدة ولا عتادا يقاومون بها هذا الهجوم الطارئ، فقد لجئوا الى أغوار الكهوف العميقة يقاسون داخلها أشد ألوان العذاب والألم وشاءت الظروف السعيدة أن ترسل السماء في هذه الآونة « الفيل الجني » الى الارض لكي ينقذ الناس والمحاصيل من عدوان الفيلة المهاجمة وكان هذا الفيل يدعى أو ـ كولنج ـ بوذا ٠ وفي أحد الايام جاء قطيع الفيلة مرة أخرى الى قرية لونج يقوده الفيل المقدس فانبرى الفيل الجني بسهمه لهذا الفيل القائد ودوت الرعود في السماء وتفجر البرق فقد نفثت طلقة حادة أطلقها الفيل الجني في احدى عيني الفيل المقدس فسقط على أثرها طريحا فوق الارض ومات بعد أيام قليلة ، وحين فقد القطيع قائده ولى الأدبار عائدا من حيث أتى ، ومن يومها لم نعد نسمع شيئا عن هذه الفيلة ٠

غير أن الفيل الجني بعد أن قضى بيننا شهرا كاملا عاد مرة أخرى الى السماء ومنذ ذلك الوقت المشهود والناس يسمعون في كل ليلة أنين الفيل المقدس يرجع صداه صراخ أشبه بالرعد يرسله الفيل الجني من السماء ٠ وعرفانا من أهالي لونج بالجميل الذي أسداه لهم هذا الفيل الجني أقاموا له مزارا شاهقا ذكرى لهذا المنقذ العظيم ٠٠

وحدث ـ يا أبنائي ـ خلال السنوات القليلة الماضية أن ظهر بالقرب من القرية قطيع مكون من أكثر من مائة وخمسين فيلا يقوده فيل مقدس آخر ألحق بالقرى المجاورة خسائر فادحة ، وكان هذا القطيع أكثر عنفا وشراسة وقاسى الأهالي الكثير من الهول والرعب الذي سببه لهم لدرجة أنهم اضطروا الى النزوح في عام ١٩٥٣ ـ قبيل وصول الكتائب الشعبية الى قرية لونج ـ الى أحد المعسكرات الفرنسية وطلبوا من القائد الفرنسي أن يقتل الفيل المقدس فاشترط عليهم أن يدفعوا له قبل أن يرسل رجاله مبلغ مائة ألف فرنك فرنسي فباع الأهالي كل شيء يملكونه لكي يجمعوا الاتاوة المطلوبة ، وأخيرا وصل الى قرية لونج اثنا عشر جنديا فرنسيا ببنادقهم حيث عسكروا بها، وبقوا فيها ثمانية أيام كانوا يرغمون الأهالي في كل يوم منها أن يأتوا لهم بعشرين دجاجة وأربعين بيضة وقدرا كبيرا من عصيدة الأرز ونبيذه ، كما أرغموهم أيضا على أن يحضروا لهم في كل ليلة اثنتي عشرة خادمة ، وفي اليوم الثامن وصلت الفيلة فاصطف الجنود الفرنسيون في شكل معركة وأخذوا يتباهون ويتشدقون بأنهم سوف يطردون جميع الفيلة من المنطقة كلها ، ولم تستمر المعركة البائسة أكثر من سويعات انتهت حين التحمت الفيلة في عجيج وجلب طحنت بأقدامها سبعة من الجنود الفرنسيين وهشمت بنادقهم جميعا ولم يقتل في هذه المعركة فيل واحد ، بل على العكس أصبح القطيع أكثر ضراوة وشراسة ، وكان على أهالي قرية لونج أن يدفعوا مائة ألف فرنك أخرين تعويضا عن حياة الجنود الفرنسيين الذين ماتوا والبنادق التي تحطمت » ٠

وتنهدت الأم « بوفا » في يأس وحسرة ونظرت الينا بعينين حالمتين يملؤهما قلق واضح ٠

ومن قصتها أدركنا أنه ليس من الحكمة أن نلقى في المعركة بقوات كبيرة أمام الفيلة بل من الافضل أن نجند لها واحدا أو اثنين فقط من رجالنا فالمطلوب هو قتل قائد القطيع حتى يتفرق جميع أعضائه ، وبعد مناقشة خطة الهجوم تطوعت أنا بأن أذهب في نفس الليلة لأقوم بهذه العملية ويومها أبدى الأهالي جميعهم ـ خاصة الأم بوفا ـ من العطف نحوى ما جعلني أشعر كما لو كنت جزءا من لحمهم ودمهم ، وأسرعت الأم بوفا بشواء أربعة كيزان من الذرة لي وخلعت منديلا أبيض من فوق رأسها وناولته اياي وهي تقول :

« خذ هذه الكيزان معك يا بني لتأكلها حين تجوع ، واذا رأيت الفيلة تطاردك فعلق هذا المنديل الابيض فوق احدى فروع أقرب شجرة لتصرف به اهتمامها عنك وعد الينا من أقصر الطرق » ٠

وحملت بندقيتي واتجهت بصحبة أحد الكهنة ورجل آخر يقوم بدور المرشد الى القرية ولم تستغرق المسافة ما بين المعسكر وبينها أكثر من خمس عشرة دقيقة وكان القمر وقتذاك لائحا في السماء يرسل أشعته الداكنة فوق تلال قرية لونج الكئيبة التي لم يبق منها سوى أطلال قليلة متناثرة هنا وهناك فقد دمرتها الفيلة وأبادت معالمها ، وبينما كان الليل يمر في تثاقل وسماجة كان الجو يزداد برودة وزمهريرا ولم يكن يصل الى أسماعنا بين الحين والآخر سوى نعيق البوم وأصوات صرير طائر الزيزان ٠

قرابة الحصاد :

وانتظرنا حتى غرقت الجبال والأدغال وسط الضباب الابيض الكثيف وفجأة ربت الكاهن بيده في خفة فوق كتفي وقال لي بصوت هامس خفيض « ها هو الفيل المقدس قادم نحونا يابني»٠

وفعلا تطلعت بعينى فرأيت جبلا ماشيا يتحرك فى اتجاهنا كان - على الرغم من ضخامته يسير فى رشاقة غزال يجرى فوق أوراق شجر جافة ، ومر بنا فأحسست بقلبى يدق فى انفعال عنيف وامتدت أصابعى بلهفة عاجلة تشد زناد بندقيتى ، ولكن الفيل ما كاد يسمع طقة الزناد حتى توقف فى مكانه ورفع أذنيه ينصت فى اهتمام ، غير أنه واصل سيره حين لم يعد يتراءى الى سمعه صوت آخر ، لقد كان هذا الفيل هو الفيل ذو الناب الواحد الذى يقود القطيع والذى يطلق عليه الناس هنا اسم « الفيل المقدس الشرس » فتبعناه ونحن نمشى على أطراف أصابعنا حتى رأيناه يلوى خرطومه حول شجرة كاكاو يافعة فاقتلعها وانحنى عليها يلتهمها فى نهم وشراهة وعندئذ وجدت الفرصة سانحة فصوبت بندقيتى نحو رأسه وأطلقت عليه رصاصى ، الا أن هذه الطلقة لم تنل منه مقتلا اذ أنه اتجه بعدها نحونا وهو يضرب الأرض بقدميه فى وعيد وتهديد ويهز خرطومه الهائل كما لو كان يريد أن يمسك بى ويخرجنى من مخبئى فأسرعت بالاختباء خلف شجرة ضخمة وفى هدوء سددت الى رأسه طلقة محكمة أخرى هوى على أثرها من الألم والتفت الى جانبه ورفع شجرة كبيرة ألقى بها نحونا ثم جرى فى رعب ينادى قطيعه الذى أسرع يفد من كل حدب وصوب حيث حاصروا القرية وأخذوا يلقون بالأشجار ويقذفون بالمياه كالأمطار . وهنا حانت اللحظة الحاسمة الحرجة ، فعندما رأيت الكاهن قد أصيب فى قدمه بجرح بالغ أشرت الى المرشد أن يحمله بعيدا وأن يحاول البحث أولا عن طريق يهرب به من هذا المكان لأننى قد قررت أن أبقى أقاتل هذا القطيع من الفيلة بمفردى حتى الموت .

وبعد أن ذهب رفيقاى حشوت بندقيتى برصاص جديد وتسللت الى حيث كان يقف الفيل القائد وأطلقت عليه رصاصتين أخريين أصابته فى منطقة قاتلة فارتفع صراخه وعويله وسقط بعد ذلك على الأرض مثلما يتساقط جبل يتصدع يتلوى ويئن ، ولم أكتف بهذا ، بل واصلت اطلاق النار عليه أربع مرات قبل أن يلفظ آخر أنفاسه وعندئذ علقت منديل الأم يوفا الأبيض على فرع احدى الأشجار وطفقت أعدو بعيدا عن مكانى ، وحين ألقيت نفسى على بعد مناسب شاهدت الفيلة تأتى من كل الاتجاهات .. وانتظرت حتى رأيتها تنسحب فأطلقت عليها نيرانى مرة أخرى لأوقفها عن الزحف ولكنها التفت أرى لمسافة ثلاثمائة متر تقريبا ، غير أنها لم تستطع أن تنجح فى هجومها لأنها قد فقدت قائدها فولت هاربة الى الأدغال تجرى فى ارتباك وفوضى ..

وعدت سعيدا بما وصلت اليه ، ولم أكد أبلغ منتصف الطريق حتى التقيت بالكاهن ومعه المرشد ينتظران أوبتى عند مأوى حصين فأسرعنا جميعا الى المعسكر لننقل الى الأهالى هذه الأخبار الطيبة ، ولدهشتنا - كما لو كان ذلك قد تم بفعل سحر ساحر - وجدنا المعسكر المظلم البعيد حيث كان أهالى قرية لونج قد اتخذوا منه ملجأ لهم بعد أن انهارت منازلهم وجدناه غارقا فى أضواء أنوار كاشفة تنبعث من كل مكان فيه وقفز الجميع ... أصدقائى فى الجيش وكل الرجال والنساء والفتيان والفتيات يصيحون بأعلى عقيرتهم فى نشوة وسعادة ، لقد مات الفيل المقدس « وها هو فيلنا الجنى لا يزال حيا !! » « نعم .. نعم ها هو ذا الفيل الجنى » « شكرا للسماء .. شكرا ليوفا ! » ...

وحين كانت هتافات الجميع تزلزل الفضاء رأيت الأم « يوفا » تنفجر فى البكاء مرة أخرى وهى تحرق أعواد البخور وتحملق بعينيها فى السماء البعيدة وتتمتم بصلواتها وأدعياتها . لم تكن دموعها هذه المرة هى دموع اليأس والشقاء بل كانت دموع الفرح والانتصار ...

وكانت هذه الليلة هى أسعد ليلة عرفها أهالى قرية لونج طيلة حياتهم .

وأخذت الفتيات يتعلقن برقبتى والشبان يحملوننى على أكتافهم ويجرون بى هنا وهناك خلال كل مكان فى المعسكر ، والعجائز - رجالا ونساء - يقبلون نحوى ليطبع كل منهم قبلة حارة فوق رأسى ، وانهالت جموع الناس من القرى البعيدة على قرية لونج يطلبون فى احترام رؤيتى وهم يتساءلون :

« أين ذلك الابن الذى أرسلته السماء ؟ » « أين هو ذا ابن الجد هو ؟ » « أين فيلنا الجنى ؟ » « دعونا نلقى عليه نظرة !» .

وحين رأوا أننى لست سوى جندى عادى أرتدى ملابس الميدان البسيطة المصنوعة من القماش الغليظ صاحوا مهللين فى ابتهاج واعتزاز « ياله ما أعظم البركات التى منحتنا اياها السماء ! ان فيلنا الجنى شاب صغير ، كله رقة ولطف ! » .

وتبارى الجميع فى وضع أكاليل الورود حول رقبتى عرفانا منهم بالجميل وتذكارا طيبا .

وبعد أن مات قائد الفيلة تفرق كل أعضاء القطيع وعاد أهالى قرية لونج كما عاد أهالى كل القرى الأخرى الى مواطنهم السابقة واستأنفوا حياتهم العادية ، وامتلأت الأكواخ الجديدة مرة أخرى بأغانى السعادة . ومنذ ذلك اليوم أصبحت أنادى بالاسم الجديد العزيز على قلب كل مواطن .. الاسم الذى منحونى اياه فى اجلال عظيم واحترام عميق « الفيل الجنى » .

ولن أنسى ما حييت تلك التهنئات القلبية الحارة التى أزجاها الى الفلاحون ، ولا هذه الفواكه الشهية التى جمعتها الفتيات من الأشجار المتناثرة على شواطىء جدول « لونج » وطلبوا الى أن أشاركهم أكلها وحين ترددت قليلا صاحت احداهن بمرح : أوه .. حسنا .. ان فيلنا الجنى يخاف من الجنس اللطيف ! انه يحب أكل عصير السمك ! ويجيد عزف الهارمونيكا ولا زلت أذكر هذه الأمسيات التى كانت الأمهات يفدن الى فيها حاملات أطفالهن على أذرعهن وهن يقلن :

« اننا نقدم اليك هذه الكعكة المباركة من المعبد » ...

ولم أعد أسمع عندما يأتى المساء بكاء الأم يوفا كما كانت تفعل من قبل بل كنت دائما أشم رائحة البخور تملأ كل أرجاء المنزل .

عبد الواحد الاباصى



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

فى هذا العدد

الإشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١١٩ - الخميس ٢٤ صفر ١٣٨٥ هـ - ٢٤ يونيو ١٩٦٥م - السنة الثانيه والعشرون

عيد الجلاء

بقلم: أحمد حسن الزيات

ما كان أعظم هذا اليوم من تاريخ مصر ! وأى يوم كان أعظم من يوم الجلاء ؟ جلاء المحتل عن أراضى الوطن ، وجلاء الذل عن نفوس الشعب ولكل أمة من الأمم الحية الناهضة يوم كهذا اليوم ، يشرق فى ماضيها اشراق العيد ، ويمض فى مستقبلها وميض الأمل • وهو أجل من آجال الله اذا جاء لا يؤخر • انما يسبقه ليل طويل بالألم ، مظلم باليأس ، مرعد بالهول ، مطلول بالدم•أوائله خطوب وأواخره ضحايا ! ولقد كان ليل مصر الباسلة من أطول هذه الليالى وأهولها ، كان طوله أربعا وسبعين سنة ثقالا قضيناها تحت نير الاحتلال الانجليزى الباهظ ، نحرث وهو يسوق ، ونزرع وهو يحصد ، وننتج وهو يستفيد ، ونعمل وهو يوجه •



كان لنا عرش ولم يكن لنا ملك • وكانت لنا حكومة ولم يكن لنا حكم • وكان لنا وطن ولم يكن لنا أرض ! كان الملك الفعلى لانجلترا ، والحكم النافذ للعميد ، والأرض الطيبة للدخيل •

وكان الذين مكنوا للاحتلال ووسعوا من نفوذه وأطالوا من عمره ، خلفاء الخائن (توفيق) ومن وزر لهم أو اغتر بهم من طلاب الحكم ومحترفى السياسة • وأكثرهم دخيل لم يجر فى عروقه الدم المصرى الكريم • فلما أذن الله لهذا الليل الطويل أن ينجلى ، ولهذا الاحتلال الثقيل أن يزول ، جعل حكم مصر فى أيدى نفر من أبنائها

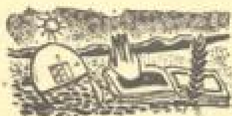
لم يولدوا في عهود النعيم ، ولم يصابوا بأمراض الغنى ، وانما نشأوا في قرى الريف فذاقوا الألم • وشبوا في مدن الحضر فعرفوا النقص ، وانتظموا في كتائب الجيش فكشفوا الداء • ثم تجلت فيهم عبقرية الجنس فثاروا ثورتهم المباركة على الطغيان الفاحش فكان يوم الحرية ، ونهضوا نهضتهم الحازمة للاحتلال الظالم فكان يوم الجلاء •

أما يوم الحرية ، أو اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليو سنة **١٩٥٢** فكان خاتمة لاثنين وأربعين قرنا من العبودية ، ابتدأت برفع (مينا) على العرش ، وانتهت بخلع (فاروق) من الملك • كان الشعب المصرى طيلة هذه القرون لا ارادة له في نفسه ، ولا قيادة له من جنسه ، وانما كان يتولى قياده رعاة طغاة سموا أنفسهم آلهة أو ملوكا أو ولاة ، سخروه ليظلموه ، واستغلوه ليحرموه • ولم تعصمه هداية الدين من عبث خليفة كالحاكم ، ولا مدنية العلم من فجور ملك كفاروق •

وأما يوم الجلاء أو اليوم الثامن عشر من شهر يونيو سنة **١٩٥٦** فكان خاتمة لأربعة وسبعين عاما من الذل ، جثم فيها الاحتلال الثقيل على صدر الوادى من جنوبيه الى شماليه جثوم الكابوس المهلك ، فحجب الضياء ومنع الهواء وشل الحركة وحاولت مصر أن تزحزحه بسلاح الحق وسلطان الحجة فلم تظفر الا بالوعود الخيالية والأقوال الكاذبة • ثم استعان على قهرنا بالضعف والجهل • فمنع جيشنا السلاح والتدريب ، وحرم شعبنا العلم والتهذيب ، وقطع ركبنا عن قافلة الحياة فأخرنا في المسافة والمدة •

ان معركة القنال كانت ردا حاسما على معركة التل الكبير • وان انتصار جمال عبد الناصر في السياسة كان انتقاما عادلا لهزيمة أحمد عرابى في الحرب • وان الجيش الذى أخرج الانجليز من مصر بقوته ، قد غسل العار عن ذكرى الجيش الذى أدخلهم فيها بضعفه •

أحمد حسن الزيات



ليس الطريق هنالك

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٢٢ -

انى لأجده حقا على أن افسر اشياء ، أنا فى نفسى غنى عن تفسيرها لأحد · ولكن الكاتب معلق بقارئه، فاذا اغفل أن يجعل قراءه على بينة من طريقه ، كان خليقا أن يصبح فيجد بينه وبينهم سدا مضروبا ، يعوقهم عن ادراك حقيقة ما يقول ، أو يتركهم فى اختلاف يقطعهم عن النفاذ الى الغاية التى من أجلها يكتب ما يكتب · وكم من كاتب فى هذه الأرض ، على اختلاف ألسنة أهلها ، قضى عمره يستصفى للناس عصارة تجاربه فى كلمات ، ثم خرج من الدنيا وكأنه لم يقل شيئا ، ولم يكتب شيئا ، ثم يأتى على الناس زمان ، فيجدونه قد أبرأ ذمته ، وأدى للناس أقصى حقهم عليه ، ولكنهم ذهلوا عنه ، وأعفوا أنفسهم من الأناة على فهم طريقته أو أسلوبه ، لعلة قائمة فى بيانه عن نفسه ، أو لعلة قائمة فى أنفسهم ، حالت بينهم وبين بذل الجهد فى متابعته ، وفى تقصى الوجوه التى يحتملها كلامه ، فلم يأخذوا عنه الا أهون ما يقول ، وأقرب ما يريد · فمن أجل ذلك ، ومن أجل الأمانة التى أجدنى أحملها ، ومن أجل أهلى وعشيرتى ، وجدته حقا على أن أفسر شيئا ، أخشى أن يؤدى ترك تفسيره الى الاخلال بحق هذه الأمانة ·

ويوم بدأت أكتب هذه المقالات ، وأنا على مثل اليقين من أن بينى وبين الناس فجوة قد انخسفت واتسعت ، من سوء التقدير أن أغفلها وأسقطها من حسابى ، لكى أتخفف من عبء كتب على أن أحمله · فلذلك بدأت حريصا أشد الحرص على أن أسير خطوات ، خطوة بعد خطوة ، بلا عجلة أو تسرع · وأحب أن أجعل كل قارىء على محجة بيضاء ، لايشتبه عليه فيها شىء ، حتى تضيق هذه الفجوة التى بدأت واسعة ، ثم ضاقت قليلا ، فوصلت بينى وبين كثير من القراء · ولكنها زادت اتساعا بينى وبين آخرين، لأسباب سأذكرها فيما بعد · ومن حق هؤلاء على ، أن امحضهم أقصى ما أجد من الابانة ، فان وجدونى على حق ، فذلك من توفيق الله ثم من فضلهم على ، وان وجدونى مبطلا ، فانا أحق الناس أن أفارق باطلى الى حقهم غير مستنكف ، وشر من مفارقة الباطل ، اقامة المرء عليه استكبارا وعلوا ·

كان الأمر عندى منذ أول يوم واضحا · رجل كتب شيئا ، فرأيت فيما كتب أشياء · كان هذا الرجل عند الناس معروفا على صورة ، وعرفته أنا على صورة مناقضة لما يرون تمام المناقضة · والطريق الذى عرف الناس به هذا الرجل على الصورة التى توهموها ، هو ما كتبه بقلمه ،والطريق الذى عرفت به هذا الرجل على صورته عندى ، هو نفس الشىء ، هو ما كتبه بقلمه ، فاجتمع لى وللناس أمران :

الأول : ما كتبه هذا الرجل من شىء ، رأيت أنا فيه أشياء أعيبها ·

والثانى :صورة هذا الرجل عند الناس ،وصورته عندى ·

وهذان الأمران موضوعان بلا شك ، ولكنهما موضوعان مختلفان كل الاختلاف ، لا فى جوهرهما

فحسب ، بل في الطريقة التي يعالج بهـــا كل «موضوع» منهما على حدته • أليس هذا واضحا ؟ اليس هذا صحيحا ؟ أظن أن : نعم ! فاذا أراد ناقد أن ينقد ما كتبه هـذا الكاتب ، فسبيله ان يتناول « مادة » ما كتب مجردة ، ثم يقول فيها ما يشـــاء من تحسين أو تقبيح ، أو موافقة أو مخالفة ، أليس هذا أيضا واضحا ؟ أوليس هذا أيضا صحيحا ؟ أظن أن نعم ! واذا رأى النـــاقد أن ما كتبه الكاتب قد خالطه شيء مما له صلة وثيقة بالصورة التي يراه بها الناس ، والصورة التي يراه هو بها ، صـــار الأمر معقدا بعض التعقيد • لأن هــذه « الصورة » نتاج طبيعي استولده الناس من كتابة هذا الكاتب، واستولده الناقد أيضا من كتابة هـــذا الكاتب • أليس هذا واضحا ؟ أوليس هذا صحيحا ؟ أظن أن نعـم ! وكلام النـــاقد في « المادة » وكلامـــه في « الصورة » ، كلام « موضوعي » بلا ريب • أليس هذا واضحا ؟ أوليس هذا صحيحا ؟ أظن أن نعم !

واذا كان لكل كاتب هدف فيما يكتب ، أليس من حق الناقد أن يستبين هـذا الهـــدف ؟ أليس من واجبه ؟ أظن أن نعم ! فاذا كان الهدف الذي يرمي اليه الكاتب ، متعلقا أشد التعلق بنفس « الصورة» التي يعرفها الناقد عنه ، أفليس من حق النـــاقد ، أوليس من واجبه ، أن يستخرج من « الصورة » نوازعها ودوافعها ، لكي يستطيع الابانة عن حقيقة « الهدف » الذي من أجله كتب الكاتب ما كتب ؟ أظن أن نعم ! واذا كانت « الصورة » التي يعرفها الناقد ، لا تنشأ الا مما كتب الكاتب قديما وحديثا، أفليس من حق النـــاقد ، أوليس من واجبه ، أن يحلل الفاظ الكاتب ، وأسلوبه ، وطرائق تفكيره ، وترابط عباراته وجمله ، حتى يتمكن من اعطـــاء « صورة » كما يراها هو ، لا كما يراها الناس ؟ اليس هذا صحيحا ؟ أظن أن نعم !

واذن فتحليل «المادة» ، واعادة تكوين «**الصورة**» أمر لا مفر منه ، اذا رأى الناقد أن للكاتب « هدفا » فيما كتب ، ولا سيما اذا كان الكاتب كاتبا يضمن مـا يكتب كثـيرا من عواطفه وانفعالاته ، بطريقة واضحة شديدة الوضـــــوح • والناقد عندئذ ناقد « موضوعي » ، لا يخرجه عن « الموضوعية » أنـه مضطر أن يناقش « مادة » ، في نفس الوقت الذي يحلل فيه «صورة» ويعيد تكوين معارفها ومعالمها •

ويأتي التعقيد الذي أشرت اليه من شيء لا بد من معرفته •

وذلك أن مناقشة «المادة» أمر مألوف قد طـال الأمد عليه ، فالناس يأخذونه مأخذا قريبا لا يثيرهم ولا يصدمهم في شيء ، أما تحليل « الصورة » واعادة تكوين معارفها ومعالمها فهو عســير بعض العسر • لأنه ربما أثار وربما صدم • فأنت اذا أردت تحليل «صورة» لشاعر أو كاتب قد خلا وتباعد زمنه عن زمان الناس ، تلقاه الناس بلا استنكار لما تقول فيه من معروف أو منكر ، الا أن يكون أحدهم له محبا ، وبه معجبا ، واليه مائلا ، فربما أثاره ما تقول فيه أو صدمه • بيد أن الأمر يختلف اختلافا كبيرا اذا كانت « الصورة » صورة شاعر حي بين الناس أو كاتب، فالعلاقات بين الأحياء أشـــد توترا ، واقرب الى سرعة الاهتزاز ، فالمحب له والمبغض ، كلاهمـــا سواء فيما يجد من الاثارة • فهذا يثيره الى الاعجاب بك ما تقوله فيه ، وذاك يثيره الى الاستنكار عليك ما تأتي به • ولكن هذا أمر لا مفر منه ، فالناقد يرتكبه وهو على ثقة ، أو ينبغي أن يكون على ثقة ، من أنه ملاق من الاعجاب والاستنكار ، ما هو ضرورة ملازمة للموضوع الذي يتناوله بنقده ، وتحليله ، واعادة تكوينه • وهذه بدائه فيمـــا أظن ، ولكن ربما جرف الهوى في تيـاره هذه البدائه ، فيزداد المنكر عليك انكارا ، فربما غلا في انكاره ، وربما خفض بعض انكاره ، تبعا لما عنده من القدرة على الانصاف والعدل ، ومن النظر وحسـن التهـدي الى طبائع الأشياء ، ولكنه يبقى على كل حال مغاليا في الانكار ، سواء ساق انكاره في صورة عتاب ، أو في صورة ذم ووقيعة •

ولما كان تحليل «الصورة» واعادة تكوين معارفها ومعالمها ، متعلقا بشخص حي ســاع في الأرض ، فمن المعقول الذي ينبغي للناقد أن يعرفه ، أن المنكر عليه اذا أراد أن يصوغ انكاره في عبارة مؤدية عما في نفسه ، فهو خليق أن يزعم أن هـــذا التحليل والتكوين ، ليس « موضوعيا » ، بل هو « شخصي » محض ، وذلك انكار لا مفر منه أيضا ، ولا سيما اذا كان الأمر شديد الظهور ، وكان ناقضا لكل ما عند المنكر من اعتقاد في الكاتب الذي يحلله ويعيـد تكوين صورته • ولكن ينبغي أن لا يفرع الناقـد من هـــذا اللفظ ، الا اذا كان دافعه الى النقد أمرا

« شخصيا » يقوم بينه وبين من ينقده ، لأنه عندئذ خليق أن يرتكب في نقده ما ينبغي أن يخلو منه ، وهو ترك الانصاف ، وتحكيم عاطفة البغض او الحب في تفسير كلام الكاتب · ومع ذلك ، فالناقد نفسه، معرض لمثل ما فعله هو بالكاتب وصورته ، وظهور تحيزه قريب ، لأن الاحتكام الى كلام الكاتب ، خليق أن يكشف عن مقدار تحامله عليه ، اذا اتبع المرء نفس طريق التحليل واعادة التكوين ، فهذا هو الضابط الذي يفصل بين الناقد الذي يتناول « صورة » ، ويعالجها معالجة « موضوعية » ، والناقد الذي يتناول « صورة » ويعالجها معالجة «شخصية»·

وأخوف ما يخاف في وصف هذا العمل « الموضوعي » بأنه « شخصي » ، انما يأتي من الأمور التي تتعلق بشخص الكاتب ، من حيث هو كاتب تدل كتابته على شخصية كاملة · فالكاتب ربما كان سيىء الهدف، وكان مع ذلك عاقلا شديد العقل، وربما كان مضطرب العقل مسترخي القوى ، مع خلوه من سوء الهدف · فليس لسوء هدفه يوصف الكاتب بما لا تدل عليه عباراته من استحكام العقل والنظر ، ولا لحسن هدفه يوصف الكاتب بأنه ركين عاقل · وكذلك أمره فيما أصاب فيه وما أخطأ ، فالاصابة لا توجب له صفة ليست له ، والخطأ لا يستدعي اليه صفة هو منها برىء · بيد أن الناقد لا يستطيع أن يتخلى عن استحداث « الصفات » لكاتب ينقده ويحلله ويعيد تكوين صورته ، لأن « الصورة » انما تعرف وتستبين وتظهر بالألفاظ التي نسميها « صفات » · ولما كان ذلك كذلك ، فالناقد اذا لم يجد بدا من استعمال الفاظ بعينها ، هي للكاتب « صفات » ، وكانت هذه « الصفات » مما ينكره الناس أحيانا ، فهو مهدد تهديدا شديدا بأن يقال له : ان الذي تكتبه ليس « **موضوعيا** » ، بل هو « **شخصي** » ، لأنه ينال من « صورة » شخص يتولى الابانة عن نفسه بالكتابة · فهذا مأزق ضيق ، يقع فيه الناقد ، اذا وقع هو على « شخص » فيه « صفات » منكرة ، لا تظهر الا من تحت بناء الألفاظ والتراكيب · وظهورها من تحت بناء « الألفاظ والتراكيب » ، ليس من اليسر بالمكان الذي يجعلها قريبة المتناول لكل قارىء من القراء ، أو صديق من الأصدقاء ·

واذا كان ذلك كذلك ، فمن اليسر بمكان ، أن يأتي المحب فيقول للناقد ، صادقا أو غير صادق ، هذا نقد « غير موضوعي » ، بل هو « شخصي » · ومن اليسر بمكان ، أن يأتي هذا المحب ، فيلقي بين الناس مقالة يقولها ، صادقا أو غير صادق : هذا نقد « غير موضوعي » ، بل هو « شخصي » · ومن اليسر بمكان ، أن يصدق ذلك ناس ، اما لأنهم لم يقرأوا ما كتبه الناقد متتابعا ، أو قرأوه متتابعا، ولكن عرض لهم النسيان ، أو قرأوه متتابعا ، ولم يعرض لهم النسيان ولكنهم قرأوه متعجلين ، أو قرأوه متتابعا غير ناسين ولا متعجلين ، ولكنهم لم يعرفوا موضع الفصل بين ما هو « موضوعي » في علاج « مادة » الكاتب ، وبين ماهو « موضوعي » أيضا ، في علاج « صورة » الكاتب ، بتحليلها واعادة بنائها وتكوينها ، وظنوا أن كل علاج للصورة ، انما هو « شخصي » لا « موضوعي » وأنه ربما كان « تجريحا » !!

فاذا بلغ الأمر أن يكون الكاتب انما تكونت صورته عن طريق غير طريق الكتابة وحدها ، وكان منتميا الى عصابة من الناس ذوات أهداف متعاونة متآزرة ، وكان لهذه العصابة في الناس مظهر ورأى ، فاسد أو غير فاسد ، وكان لهم نشاط وسعى في الأرض ، وروابط تخفى أو تظهر ، وكانت لهم ألسنة تجول وتنتقل من مجلس الى مجلس ، ومن مكان الى مكان ، وتزور أقوالا مرتبة ، وتلقى بها أسماعا غير متأهبة لحسن الاستماع ، اما عن عجلة ، واما عن كثرة شواغل ، فان الناقد يقع عندئذ في خلية نحل من الأصوات التي تقول وتتكلم وفي ورطة من الأسماع التي لا تعطى الكلمة حقها من حسن الاستماع ، وهو الأناة ، والصبر ، والمراجعة ، ونقد الأقوال الملقاة اليها ، وتمييز أصحابها من هم ؟ ومن يكونون ، ولم قالوا ما قالوا؟ وهل هم صادقون فيما يقولون ؟ أم كاذبون مزورون ؟

وبين مما حاولت الابانة عنه أن علاج « صورة » الكاتب ، أمر «موضوعي » ، لا « شخصي » ، ولا « ذاتي » وأنه ليس بتجريح للكاتب ، اذا كانت « الصفات » التي يستحقها ، مستخرجة من نفس كلامه ، من نفس منطقه ، من نفس تفكيره ، من نفس ضميره ، من نفس هدفه · وكل لفظ يتضمن « صفة » من صفاته ، لا يمكن أن يعد « تجريحا »،

اذا كان ما أتاه من تحليل الكلام والأهداف ، مهمـــا بلغت هذه « الصفات » من القسوة ، أو الغرابة ، أو الاستنكار • بل الأمر المستنكر كل الاستنكار على الناقد ، والأمر القادح فيه وفي نقده ، أن يخـون الأمانة ، حين يجـــد كاتبا مختـل التفكير ، بين الضغينة ، بذيء النفس ، قبيح الأغراض ، سيىء الأدب ، ويجده يســـتخدم ذلك كله في كتابته ، ليبلغ الى هدف سيىء معيب ، فيدع ذلك مستورا ، ويتناول كلامه مجردا ، وينقده نقدا « موضوعيا » • بل اقول أكبر من ذلك : ان الناقد اذا فعل ذلك كان اضر على النـــاس وعلى عقولهم ، من الكاتب نفسه ، لأنه يظهر هذا التالف بمظهر من خلا من كل قادح في تكوين ما يكتبه ، وهو أشد خيـانة للامانة ، وأبعد ايغالا فى الغش واللؤم وخســـة الطباع ، وهو فوق ذلك مدلس سخيف التدليس •

وانا حين بدأت هذه المقالات، نظرت لما فيه مصالح الناس ، ولـما فيه أداء حق القلم ، ولكل شيء آنف لنفسي أن اقع فيه ، فأخذت «مادة» ما كتبه «**أجاكس عوض** » ، فأبنت عن تهافتها وسقوطها وانحدارها وخستها ، من حيث هي دراسة أدبية ، لان صاحبها ادعى « منهجا » ، فانكشف لى وللناس أنه لا يحسن شيئا على الاطلاق مما يسمى «منهجا» ، بل هو جاهل كل الجهل بالدراســـات الادبية على الأصح • فلما فرغت من ذلك فى مقالاتى الاولى ، اطرت عنه هذا «الطيلسان الجامعى» ، الذى أعلم كيف جاءه ، ومن الذى البســه اياه ، ولم الحقه به ، وأبيت الا ان آخذه مجردا ، لان أخذه وهو فى هذا «الطيلسان الجامعى» ، غش فاضح ، وخيانة لاكبر أمانة يحملهـا صاحب رأى أو قلم •

فلما فعلت ذلك ، عدت فأخذته من كلامه كله ، قديمه وحديثه ، فكشفت عن «الحالة المرضية» التى عاش فيها منذ بدأ ، ولم يزل يعيش فيها الى هذا اليوم ، والبسته مكان «الطيلسان الجامعى» ، صفاته التى استحقها من تحليل «صورته» الناتجة من نفس كلامه ، لا من أهوائى ولا من معلوماتى الخاصة ، فاذا كانت هذه « الصفات » شيئا مستغربا لطـول الف بعض الناس لالحاق لفظ «دكتور» باسم هذا الآدمى، فانى ازالة هذا الالف نفسه عمدت لا لشيء غيره • لانه بهذا الالف كان كاتبا صاحب « صورة » عند الناس • وكان واجبى يقتضينى أن أعمد الى تحليل

هذه «الصورة» منذ نشأت ، أستخرج حقيقتها من الفاظها التى كتبتها بانفعال فى « بلوتولند وقصائد أخرى» ، ثم فى سائر ماكتبت، ولم أتجاوز قط الحد الذى بينته آنفا فى الحديث عن علاج « الصورة » هل هو «موضوعى» أم «شخصى» • فمن استطاع أن يجد أنى خالفت هذا النهج ، وسلكت غير ما يجب على سلوكه ، فليأتنى بذلك فى شيء مما كتبت ، والا فان الصمت أولى به من الـكلام سرا أو علانية • ومن عرف لعلاج « الصورة » ، وتحليلها واعادة تكوينها للدلالة على حقيقة صاحبها ، طريقا غير الطريق الذى سلكت ، فليهدنى اليــه ، فان فعل ، فله على أن اخرج مما كتبت بلا مكابرة أو عناد •

وانا ، بلاريب ، لم ادخل فى بيانى هذا شيئا من الوسائل التى يستدل بها على «الصورة» الباطنة التى يهتدى اليها من يهتدى من طول تجربته وتنبهه الى ما يغفل عنه غيره • فبعض هذه الوسائل يحتاج الى خبرة ، كالخبير الذى يقرأ خطك ، فيعرف ما يدل عليه الخط من مكونات الشخصية ، فهذا بحث آخر، وان كنت قد استخدمته فى اتمام « صورة » هذا الآدمى ، على الوجه الذى اعتقد انى أخلصت له النية، بلا تحيف عليه فى خلق أو جور فى قضية ، أو ظلم له فى صفة • ولكن العيب الذى داخل مقالاتى ، انما جاء من أنى خلطت الامرين جميعا خلطا واحدا ، فناقشـــت « **المادة** » ، وحللت « **الصورة** » وأعدت تكوينها ، فى سياق واحد ، فربما سبق شيء شيئا، فيرى كأنى جئت به بلا دليل عليه • ولكن المتتبع ، خليق ان يجد ذلك كله نسقا واحدا ، اذا هو أتعب نفسه بعض التعب ، فقرأ كل ما كتبته متتابعا ، بلا عارض نسيان ، وبلا ســائق عجلة ، وبلا تعصب لعصابة لها رأى ، تتناصر عليه بالحق وبالباطل •

وكان هذا حسبى ، الا أنى قرأت منذ ســـاعات قلائل كلمة لرجل عرفته منذ كان ناشئا تأثرا شديد الحفاوة بالمعرفة ، مقبلا عليهـــا ، على حيرة كانت تتتابه وتموج به • وكان معذورا فى حيرته ، لان زماننا ذاك ، كان ميته من الاحياء ، من لا يجد فى نفسه شيئا من الحيرة التى قد تفضى الى نفض اليد من كل شيء ، ولو بلغ أن يرفض الحياة كلها بفراق الحياة ، لكان معذورا أيضا • واحببته يومئذ ، ولكنه ضل عنى سنوات واضللته ، ولم أتبينه فى الناس

الا بعد سنوات طوال ، ولم تنقص غيبته عني شيئا مما كنت أجده له في نفسي ، مع أنه جاءني وقد تغير أمره ، وحمدت من أمره شيئا وانكرت أشياء . وهذا الصديق القديم هو الأخ الاستاذ **محمد عودة** . فقد كتب متفضلا أعظم الفضل ، في صحيفة الجمهورية ، في يوم الاحد ٢٠ صفر سنة ١٣٨٥ (٢٠ يونية ١٩٦٥) كلمة لا استطيع ان أؤدي حقها علي ، ذكر فيها «**القوس العذراء**» ، التي نشرتها منذ قليل . فقد فاجأني بشيء أنكره كل الانكار ، لانه وضعني بمنزلة لا استحقها في تاريخ أمتي العربية ، ولا أراني أبلغ فيمن ذكر مبلغا ينظر اليه بعين التمييز . ولا أقول هذا تواضعا للثناء ، فلست أتواضع ، ولكني أحاكم نفسي الى نفوس آبائي وأسلافي ، فأجدني كالزائدة التي لا نفع فيها ولا خير . واذا كنت قد جئت في زمان خلا مما يزينه ، فانما مثلي مثل حارثة بن بدر الغداني ، وقد اجتاز بمجلس من مجالس قومه بني تميم ، ومعه مولاه كعب . فكلما اجتاز بقوم قاموا اليه وقالوا : مرحبا بسيدنا ! فلما ولى ، قال له مولاه كعب : ما سمعت كلاما قط أقر لعيني ، ولا ألذ بسمعي من هذا الكلام الذي سمعته اليوم ! فقال له حارثة : لكني لم أسمع كلاما قط أكره لنفسي ، وأبغض الى مما سمعته . قال : ولم ؟ قال : ويحك يا كعب ! انما سودني قومي حين ذهب خيارهم وأماثلهم ، فاحفظ عني هذا البيت :

خلت الديار فسدت غير مسود

ومن الشقاء تفردي بالسودد

ثم اني رأيت الأخ الفاضل ، بعد أن قطع عنقي بثنائه ، كما جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثنى عنده رجل على رجل فقال له رسول الله ، بأبي هو وأمي : قطعت عنق صاحبك! قطعت عنق صاحبك ! قالها مرارا ثم قال : من كان منكم مادحا أخاه لا محالة ، فليقل : «أحسب فلانا ، والله حسيبه ، ولا أزكي على الله احدا ، أحسبه كذا وكذا » ، وان كان يعلم ذلك منه = رأيت أخي محمد عودة يقول في آخر كلمته : « واذا كانت القوس العذراء قد أسعدتنا ، الا أن بعض ما يكتب صديقنا العزيز الآن ، يترك في نفوسنا « حزازا من الوجد حامزا » ، وذلك مثل هجومه على الثقافة الغربية ، وكأنها فقط كتابات المبشرين المعادين للاسلام والعرب ، ومثل مساجلته مع « لويس عوض » التي توقعنا أن تكون اثراء للبحث والادب ، فانقلبت الى مهاجمة يستغلها البعض ، وكنا نجل الاستاذ الجليل عنها » .

ولا أدري من أي أمريه أعجب ؟ من قطعه ظهري بالثناء والاطراء ، أم من اتهامه اياي بالجهل والسخف والعبث واختلال العقل ، حتى صرت عنده ، صورة من « أجاكس عوض » عندي ! فهل يعتقد الاستاذ الصديق أني أهاجم الثقافة الغربية ، لاني لا أتمثل هذه الثقافة الا من كتابات المبشرين المعادين للاسلام والعرب ؟ هل يتصور حقا أني لا أعلم شيئا عن الثقافة الغربية ، وكل ما أعلمه عنها هو ما يكتبه المبشرون ! هل يتفضل الصديق باطلاعي على شيء من كلامي يتضمن هذا المعنى السخيف ؟ واذا شاء الصديق أن أصرح له بعبارتي أنا ، لا بعبارته هو ، فاني أقول له بملء فمي : نعم ! أنا عدو للثقافة الغربية ، ولا أستطيع أن أكف عن مهاجمتها ، لا لانها معادية للاسلام والعرب ، بل لشيء آخر غير الذي تتوهم . وقد كنت بينت بعض ذلك في مقالاتي ، ولكنك أغفلت أن تلقي اليه بالا اذا كنت قد قرأته ، أو قرأته وأغفلت أن تعرف أسبابه . وبالطبع ، أنا أعلم أنك أذكى من أن تخلط بين «العلم» الذي هو تراث انساني ، وان كان ربما زيف المزيفون فأدخلوا في مفهوم « العلم » ، شيئا ليس منه ، وبين « الثقافة » التي يزعم رجل مثل اليوت في تحديده لمعناها : أن ثقافة الشعب ، ودين الشعب ، مظهران مختلفان لشيء واحد ، لان الثقافة في جوهرها تجسيد لدين الشعب ، ويزعم أن السير الى الايمان الديني عن طريق الاجتذاب الثقافي ، ظاهرة طبيعية مقبولة . وسواء أصاب اليوت كل الاصابة ، أو خلط في ادراك هذا المعنى بعض الخلط ، فان جوهر رأيه سليم ظاهر السلامة ، عند من خالفه في مذهبه ومن وافقه . وقد نقلت في مقالاتي عن توينبي وغيره أقوالا متشابهة لما يقوله اليوت ، لا لاني أحب أن أستظهر على صواب رأيي بأقوال هذه الأعاجم ، بل لاني أرى بعض الناس أسرع استجابة للاعاجم ، فأحببت أن أضع طرفا من ذلك بين أيديهم ، الزاما لهم بالحجة التي يخرون عليها صما وعميانا !

فاذا كان الأخ الاستاذ يعنى بالثقافة فى هذا الموضع ، ما يكثر البحث فيه ، ويطول اللجاج فى معرفة حده ورسمه ، فى لغات هذه الأعاجم ، وفى لغتنا أيضا أحيانا، فذاك • وان كان يعنى باستعماله لفظ «الثقافة» ، ما يستعمله العامة عندنا من قولهم للشاب الذى دخل مدرسة ، فقضى بضعة أعوام ، فتعلم القراءة والكتابة ، وشدا شيئا من العلوم والمعارف : هو شاب «مثقف» ، فذاك شيء آخر! وان كان يعنى بها ما يعنيه ضرب آخر من العامة ، من قولهم للرجل الذى يقرأ بضعة كتب بلغة أجنبية ، ويكتب أحيانا مقالات أو كتبا ، يترجمها من اللسان الذى تعلمه ترجمة رديئة قبيحة فاسدة ، مثل «أجاكس عوض ، وسلامة موسى» ، وأشباههما على اختلاف دلالات الاسماء!! فذاك شيء ثالث! وهلم جرا•

ولكنى أحسن الظن بعقل الاستاذ محمد عودة ، لانى أعرفه معرفة جيدة، فمن أجل ذلك عجبت كيف غاب عنه هذا كله ؟ وكيف غاب عنه أنى بطبيعة نشأتى فى هذه العربية الشريفة ، وفى سرارة هذا الدين الذى لا يقبل الله من عباده سواه ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، لا من عامى ولا من متعلم ، ولا من مفكر ، ولا من عالم ولا من نبى من الانبياء ، كيف غاب عنه أنى بطبيعة ذلك عدو للثقافة الغربية ، لانها نابتة ، فى مدارج نموها ،فى بيئة وثنية مسيحية، أنكر عقائدها وأرفضها واعتقد بطلانها كل البطلان، لمخالفتها للذى طالبنا به ربنا وخالقنا ، والمنعم علينا بآلائه ونعمه من عقل وبيان • واذا أنا داهنت فى ذلك أقل مداهنة ، فانى على يقين من عذاب الله الذى لا يغنى عنى فى دفعه ثناء صديقى الاستاذ عودة ، ولا اعجابه ، ولا مودته • فان الله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : « **ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين• فلاتطع المكذبين• ودوا لو تدهن فيدهنون** » ، فاذا فعلت ، فانى رهين بعذاب بئيس •

وخير للاستاذ عودة أن يتناول اى كتاب من كتب «الثقافة الغربية» التى تتناول هذا الامر بالبحث ، ليعلم أن «الثقافة الغربية» ، بهذا المعنى ، هى الحقيقة التى لايختلف عليها أحد من كتاب الغرب وفلاسفتهم ومفكريهم • فاذا فعل ذلك ، فهو خليق أن يعلم انى اذا فعلت غير ذلك ، خنت أمانة دينى ، وخنت أمانة عقل ، لان هذا الدين جاء يعلم «**العقل**» اولا ، اى حسن التفكير ، وحسن النظر، قبل ان يطالب الناس باقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا • ولو أراد الاستاذ الفاضل أن يجعلنى أفهم معنى «الثقافة» ، على المعنى الذى تقوله العامة ، أو الذى يقول به ذيول أجاكس عوض ، صبى المبشرين ، فأنا غير مطيق له فى الجد ، اذا كان الامر أمر جد لا هزل فيه • وعذا كاف ان شاء الله ، ثقة منى بذكاء عودة واخلاصه فى الفهم •

وأما اتهامه اياى ، فانى قد غصت فى الوحل الى أذنى ، أعنى اتهامه اياى بأنى « أساجل أجاكس عوض » ، فهذا أعجب العجب ، فأنا لا أساجل شيئا كهذا ، وهو أيضا استعمال للفظ فى غير موضعه ، فأصل « المساجلة » ، أن يستقى ساقيان من بئر ، فيخرج كل واحد منهما فى سجله (أى دلوه) مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب • فاذا قيل فى مجاز اللغة : « فلان يساجل فلانا » ، فمعناه انه يخرج من الشرف مثل ما يخرجه الآخر ، فايهما نكل فقد غلب ، ومثل ذلك يقال فى الجدال بالحجج والبراهين • فهل ترى شيئا من ذلك كان بينى وبين هذا الأدمى ؟ أظن لا • فاذ لم يكن ففيم استعملته اذن ، وما كتبته دال على أنى انما عمدت الى كشف اللثام عن خبيئة فساد ، متمثلة فى كلام وفى شخص، أى فى «مادة» وفى «صورة» !! أليس كذلك؟ أم تراك نسيت •

وأما اتهامك أن مازعمته « مساجلة » قد انقلب « مهاجمة » ، فهو ايضا من وضع الالفاظ فى غير مواضعها ، فمثلك لا يمكن أن يجهل أن الطريق الذى سلكته ، والذى أبنت عنه مرارا فى ابتداء مقالاتى ، وفى الرد على زميلى القديم محمد مندور ، غفر الله له ، وفى غير ذلك من المواضع ، يقطع بما لا شبهة فيه أنى اعالج رسم « صورة » صحيحة لآدمى أنت أول من يعلم مقدار ماينطوى عليه من فساد التركيب، أم ترانى أخطأت فى تقدير ما أعرفك تعرفه ؟ ويقطع أيضا بأن « المهاجمة » ليست لى بغرض ، بل الغرض هو **الدفاع عن كيان امة برمتها ، أنت احد رجالها** ، بهتك هذه الاستار المسدلة التى عمل من ورائها رجال من قبل ، ولايزال رجال يعملون من ورائها، اختارتهم « الثقافة الغربية » بالمفهوم الذى دللت عليه ، أعنى

الثقافة الغربية الوثنية المسيحية ، ليحققوا لهـــذه الثقافة غلبة على عقولنا ، وعلى مجتمعنا، وعلى حياتنا، وعلى ثقافتنا ، وبهذه الغلبة، يتم انهيار الكيان العظيم الذي بناه آباؤنا في قرون متطاولة ، وصححوا به فساد الحياة البشرية في نواحيها الانسانية والأدبية والأخلاقية والعلمية والفكرية ، وردوهـا الى طريق مستقيم ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله ! ولا يفوت مثلك ان يعلم أن هذه الغلبة ، لايراد بها الهدى للناس ، كمـــا يوهم هـؤلاء الأغـرار من يتبعهم من الأغـرار ، بل يراد بهـــا تحطيم شيء هو في طريقه الى الظهور في الأرض مرة أخرى • وهذا ، كما تعلم ، هو في جوهره عمل سياسي محض • فمن أجل ذلك ، انبريت ، بعد عزلتي ، لهـذه الدمى ، لاهتك عنها أستارها ! وهذا حسبك ، وكيف يجهل مثلك مثل هـذا في جلائه ووضوحه • وقد ساءني اني اضطررت الى أن أجزي فضلك علي ، برد كلام لك لم أره يليق بفضلك • ولـكن هذا عذري ، فان قبلته فقد أحسنت الي ، وان أبيته فلك العتبى حتى ترضى •

وما دام الأمر قد جرني الى ذكر الألفاظ ووضعها في غير مواضعها ، واستفساد معانيها بفساد المقاصد التي تكمن من ورائها ، فقد بدا لي أن أعود الى لفظ سلف في مقالتي الماضية ،وهو اللفظ الذي استخدمه « اجاكس عوض » ، واستخدمه المسمى سامي داود، وكلاهما يضمر في هذا اللفظ معنى بعينه ، اذ جعل العموم تورية عن الخصوص ، وكلاهما سيء المقصد في هذه التورية ، لأنه يريد أن يشفي غليل صدره من شيء ، وان ساق كلامه مساق ثور اغريقي محارب، أو مساق مؤرخ وديع يكتب ذكرى ساداته، فبقي منها شفافة ألقت ظلها الكئيب على بعض كلامه !! ونفس الانسان وعاء للخير والشر ، ولكنه يستطيع بالعقل الورع ، الذي نسميه نحن المسلمين « الدين » أن يصرع شيطان شره بالتقوى • بيد أن هـذا الأمر قلمـــا يحسنه الا من ألف تسبيح الله وتحميده وتنزيهه ، واسلام وجهه اليه ، منيبا اليه ضارعا ، مستعينا به مخلصا ، وعندئذ يعلم أن أسوأ الخلق ارتكاب التورية طلبـــا لشفاء الغليل ، فانه عندئذ يكون غشاشا مخادعا لئيم الطباع •

وهذا اللفظ الذي أشرت اليه • هو لفظ «الرجعية» فكلاهما استخدمه، وأحدهما شرحه شرحا فيه مغالطة ظاهرة ، لا تنفي ولا تثبت ، والآخر تركه غفلا بلا شرح ، ولكنه ظاهر الدلالة ، لمن عرف الحادثة التي رواها هذا المؤرخ المحتجن من أخبار التاريخ ما فيه بيان واضح، ليتقله الى الناس مظلما غامضا غير مفهوم وحسبك بهذا سوءا ومنقصة وخيانة للأمانة • ولكيلا أدع لأحد علي سبيلا ، ينبغي أن أؤرخ لهـــذا اللفظ كيف أتى؟ ومن أين؟ وما معناه؟ لأن هذه الألفاظ المبهمة التي لا يجد لها الانسان حدا ، شديدة الضرر ، ولكن يؤسفني أن أكثر الذين يلجأون اليها ، انما هم القوم الذين يدعون «الثقافة» ، ويدعون «الاتجاه العلمي»، ويدعون « الدقة العلميـة » ، ويدعون « المنهـج » ، ويدعون ما شئت من الزيف الذي لا حـدود له • فانت اذا شئت أن تستقصي معنى « الرجعيـة » في كلام من يتكلمون ويهضبون ويثرثرون • وقعت في مثل « ردغة الخبال » من الحيرة في فهم المراد منها . (وردغة الخبال : الطين والوحل الكثيف • وهو يوم القيامة: عصارة أهل النار التي تنحل عنها جلودهم)•

وقد رأيته من الخير أن أتتبع تاريخ هذه اللفظة ، بقدر ما تحتمله ذاكرتي • وقد كنت خليقا،أو كانت هذه الأمة خليقة، أن تعمد الى هذه الألفاظ المستحدثة، فتعرف تاريخ مجيئها الى اســـتعمال أهل اللسان ، ومن أول من اسـتعملها ؟ ولم استعملها ؟ وفي أي غرض كانت تقال ؟ وأي زيادة لحقت معناها الأول ؟ وذلك لا يتم الا بتتبع الصحف والكتب ، واستخراج المواضع التي ذكرت فيها مؤرخة • واذا فعلنا ذلك عرفنا مصادر هذا اللفظ ، وحددنا معانيه في زمن بعد زمن ، وأدركنا أثر استعماله في تجلية المعاني ، أو زيادتها غموضا وفسادا•ولكن هذا شيء لاأستطيع بيانه في أسطر قلائل ، فمن الخير أن أنصرف عنه الى ما أريد •

« **والرجعية** » لفظ يألفه الناس اليوم ، على غموضه المتلف للفهم ، المؤدي الى اختلاط الادراك ، الممهـد لكل ذي هوى أن يبلغ الى هواه باستعماله، لأنه يحمل معنى من معاني الفساد في مفهومه الغامض • ولكني شهدت مولده قديما • فمن المفيد أن أسجل بعض تاريخه بلا تحيز ، حتى يتحرى القارىء لنفسه اذا قرأه ، ويتجنبه الـكاتب الذي يريد الافهـام دون الابهام •

كنا يومئذ في زمان صراع ، وذلك منذ نحو من

خمسين سنة ، نشأت طفلا في صراع ثقافي ، وصراع اجتماعي ، وصراع فكري ، وصراع ديني ، وصراع سياسي . وكان لكل صراع طابعه وألفاظه وكتابه وجماهيره ، قلت أو كثرت . وتمادت بي الأيام حتى عقلت ، وذلك في مطلع الثورة التي شملت مصر والسودان في سنة ١٩١٩ . وأظن أنه قد بقي في ذاكرتي شيء من الألفاظ التي كانت تدور في هذا الصراع الضخم ، ولكني لا أجد بينها لفظ «الرجعية» ولا أعيه كان ظاهرا يومئذ ، أي في سنة ١٩١٩ أو ماقبلها ، الا أن يكون شيئا نادرا لا يكاد يستقيم أو يستبين ، أو لا يكاد يستقيم أو يستبين لي أنا على الأقل . ولكني أذكر أن أكبر صراع كان قائما يومئذ بين أهل هذا الدين ، أعني الاسلام ، كان يستخدم لفظا اشتقه الكتاب ، أو أتوا به على النسبة الى « السلف » ، فكانت طائفة كبيرة تسمى نفسها « السلفيون » ، وهو لفظ يراد به رجوع أصحابه الى سيرة «السلف» من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم على الحق في العقيدة، في تجريد الايمان من شوائب الشرك ، وفي العمل بالسنة ، وفي احياء منهج « السلف » في الرجوع الى الكتاب والسنة دون سواهما . وكان للسلفيين ظهور وغلبة في فترة من الفترات ، وكان أكثرهم من أهل الحمية والجد والثبات والاخلاص في القول والعمل . وان شابهم من ينتسب اليهم ، ويدعي دعواهم ، ولكنه لا يقوم مقامهم ، ولا يلتزم التزامهم، بل ربما خالفهم، وأقام على البدع وسوغها وجعلها من سنة السلف .

وعاصر هذا الصراع صراع آخر بين الحضارة الغازية ، وهي الحضارة الأوربية المسيحية الوثنية ، وبين بقايا الحضارة الاسلامية العربية المتمثلة في السلفيين ، وأهل البدع ، وأهل الأهواء من كل لون ونحلة . وكان هذا الصراع قائما في الميادين كلها ، في الميادين الاجتماعية ، والفكرية والثقافية ، والدينية ، والسياسة جميعا . وكان محرك هذا الصراع ، هو الغازي المحتل بمدارسه وفرائضه التي فرضها علينا في مجتمعنا برمته ، أعني أنه كان يستخدم وسائله السياسية الظاهرة ، وهي هيئة الاستعمار ، ووسائله الخفية ، وهي هيئات التبشير، بالمعنى الذي شرحته مرات ، ودللت على أنه ليس أمرا دينيا ، بل كانت وسائله الثقافية والسياسية هي الغالبة عليه ، لأنهم وجدوا أن « الثقافة » التي ينتسبون اليها، تابعة من الكنيسة في جميع أطوارها، وممثلة للدين المسيحي ، وللوثنية التي تسربت في خلاله على طول القرون ، فالالحاح على نشرها نشرا منظما عميقا، نشر لخلاصة المسيحية الأوربية الوثنية، بلا تحد كتحدي الدعوة الى « الدين » صراحة وبلا مواربة . وهذه الخطة نفسها ، هي من نتاج النظام الكنسي الذي عاشته الحضارة الاوربية في جميع أطوارها السالفة . واذا كنت تنسى ، كما ينسى الاستاذ عودة ، فأذكرك بقول اليوت الذي أشرت اليه آنفا في تفسير لفظ « الثقافة » . وزعمه أن ثقافة الشعب ، ودين الشعب ، مظهران مختلفان لشيء واحد وأنها تجسيد لهذا الدين ، وان من الممكن أن تجتذب قوما الى ايمان ديني بعينه ، بوساطة نشر الثقافة التي تجسد هذا الدين وهذا هو «التبشير الثقافي» ، فلا تخطئه ولا تنسه ولا تغفله .

وكان هذا الصراع من أخطر ألوان الصراع التي عشناها ، ولانزال نعيشها ، والذي من أجله تكتب ماتكتب الى يوم الناس هذا . وجاء خطره من أشياء كثيرة لا أستطيع أن أعددها في مثل هذه الكلمة ، ولكن أخطر هذه الأشياء أن جمهرة كبيرة من «المثقفين» ، أي الذين ارتضعوا شيئا قل أو كثر من لبان «الثقافة الاوربية المسيحية الوثنية» ، كانوا من جلدة هذا الشعب ، مسلمه ونصرانيه . فمن هذه « الجلدة » التي تربطهم بالناس ، كان لهم من الاقدام على التكلم والابانة والدعوة ، ماليس يملك مثله من جاء من « جلدة » أخرى ، كالجلدة الاوربية المسيحية الوثنية ، ولهم من التأثير على أهل جلدتهم ولسانهم ، ماليس يملكه من لم يكن من أهل جلدتنا ولساننا .

فنشأ من بين هذا الصراع بين الحضارة الغازية وبقايا الحضارة الاسلامية العربية التي ذكرتهما ، جيل دخل في الصراع الديني ، بين السلفيين ، ومن ناوأهم من أهل البدع والاهواء ، ولكنه تكلم في الشئون التي هي عند المسلمين «دين» بلسان آخر غير لسان أهل هذا الدين من سلفيين ومبتدعة . وأدرك الذين كانوا يقودون حركة الصراع بين الحضارتين أن أقوى الفريقين المتصارعين من سلفيين ومبتدعة ، هو فريق « السلفيين » ، لا من حيث كثرتهم وغلبتهم ، بل من حيث القوة التي

تشتمل عليها دعوتهم ، لانها تؤدى الى اعادة بناء لغة الامة ، اذ لامعنى للانتساب الى طريقة «السلف» الا بأن يتملك السلفى ناصية اللغة وآدابها تملكا يمكنه من الاستمداد المباشر من « **القرآن**» و«**السنة**» على نفس النهج الذى كان « السلف » يستمدون به من القرآن والسنة ، فى آدابهم ، وأخلاقهم ، وثقافتهم ، وفقههم وعلمهم ، وتفكيرهم ، وفى سائر مايكون به الانسان حيا رشيدا قادرا على بناء الحضارة • ولانها تؤدى أيضا الى اتخاذ سمت نابع من القرآن والسنة ، يكون به حضارة الكتاب والسنة ممثلة فى رجال يغدون بين الناس ويروحون ويغضبون ، ويرضون ، ويتنازعون ويصطلحون، ويعيشون عيشة كاملة ممثلة لخلاصة الرحلة الطويلة العميقة فى استنباط طريق للحياة الانسانية الصحيحة من الفطرة التى جعلها الله كامنة فى الطبيعة البشرية ، ومطوية فى هذا التنزيل المعجز الذى جاء من عند الله ، وهو القرآن ، وفى جوامع الكلم التى أوتيها نبى الله صلى الله عليه وسلم ، مبينا عن كتاب الله ومفصلا لجمله • وهذه الفطرة هى التى ذكرها الله سبحانه فى سورة الروم فقال: «**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون**» •

فهذه القوة التى اشتملت عليها دعوة «السلفيين» كانت مصدرا لمخاوف « الاستعمار » و « التبشير »، فأرادوا أن يقاوموا هذه الدعوة القليل عدد أصحابها والذين هم مع قلتهم يصارعون جمهورا غالبا من «المبتدعة» ، يؤيدهم الف العامة ، وهم الكثرة ، لما عندهم من «البدع» المنكرة التى ينكرها «السلفيون» أشد الانكار • فعمدوا الى بث فكرة قريبة الى النفوس ، سريعة اليها تؤيدها جميع الظواهر ،وهى أن « السلفيون » قوم متشددون يريدون أن يرهقوا الناس بمالا طاقة لهم به من التكاليف • وهذه المهارة فى ادراك الوسائل التى تقاوم بها الافكار ، كانت معروفة مدروسة فى دوائر «الاستعمار» و «التبشير»، وان كان كثير منا لايزال غافلا عنها ، غير قادر على ادراك المحيط الذى تستعمل فيه هذه الوسائل ، وذلك لما طبعنا عليه المستعمرون والمبشرون من التهاون والغفلة وقلة الصبر على جلاد الفكر ومعاناته والتغلغل به الى غاياته البعيدة المفرقة فى البعد .

فمن معسكر الصراع بين الحضارة الغازية ، وبين الحضارة الاسلامية أو بقاياها يومئذ ، ظهرت كلمة «السلفيين» مقرونة بتبغيضها الى العامة ، وتصويرها فى صور منكرة تكرهها النفوس ، لانها تشق عليها . ثم بدأت الكلمة تدخل فى محيط الصراع الاجتماعى ، فمن أول ماأذكر من ذلك أن التالف الكريه المسمى سلامة موسى ، صنيعة المبشر ويلككس، كان أكثر الناس استعمالا للفظ «السلفيين» للدلالة على التأخر والتشدد والتخلف ، فى مقابل الدعوة التى أرسله يعوى بها من اصطنعوه .وليس هذا بموضع تفصيل ذلك ، وانما أردت التاريخ وحده • وأظن أنى قرأت له ولغيره من شيعته ،وكان زمانه كزماننا الذى فيه « أجاكس عوض » وشيعته من صبيان المبشرين ، مقالات كان يستخدم فيها هذا اللفظ بهذا المعنى فى نحو سنة ١٩٢٢ أو ١٩٢٣ بعد دخول ثورة سنة ١٩١٩ فى انهيارها وانفصالها عن حقيقة الشعب الذى أشعل نارها ، ثم احترق هو بنارها ونار المستولين عليها غدرا وغشا بلاسابقة شريفة فى الصراع السياسى .

ولكن هذه اللفظة كانت شديدة على الألسنة ، لا تلين بها كل اللين ، فبعد قليل ولا أدرى كيف كان ذلك ، لأن الأمر يعتمد على التتبع التاريخى للعبارات يوما يوما وشهرا شهرا كما أسلفت = بعد قليل رأينا لفظ «**الرجعيين**» يحل محل «**السلفيين**» فجأة ، وهو لفظ سهل على لسان العامة وغير العامة ، واذا بنا نراه مستعملا على ألسنة ضرب من الكتاب أمثال التالف « سلامة موسى » من صبيان « التبشير » وسفهائه الذين يسافهون عنه ، وعلى ألسنة أصحاب الصحف من نصارى لبنان المقيمين فى مصر ، والمستولين على صحافتها كلها يومئذ • ثم لم تلبث الا قليلا حتى رأينا هذا اللفظ ينتقل للدلالة على الحياة الاسلامية كلها ، واشتق له مصدر هو « الرجعية » ، يستعمله الكتاب اذا أرادوا التورية عن « **الاسلام** » ، تهربا من أن تنالهم تهمة الطعن فى دين الدولة . واستشرى الأمر زمانا طويلا . فصار كل من أنكر شيئا على هذه الحضارة الأوروبية المسيحية الوثنية ، المقترنة بالغزو العسكرى والغزو السياسى لبلادنا ، من أخلاق ، أو فكر ، أو عادة ،

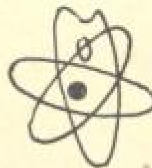
أو طريقة للحياة (كما يقول توينبي) ، صار ينبز بأنه « رجعي » . وظل هذا هو معنى « رجعي » الى نحو من سنة ١٩٤٣ ، حين بدأت الحركة الشيوعية في الظهور ، فاستخدمت اللفظ للدلالة على الأنظمة التي كانت تقاومها ، لما فيها من الفساد والتعفن ، وان كان اللفظ عندهم أيضا كان دالا على مثل ما كان يدل عليه عند أعوان الاستعمار والتبشير بالحضارة المسيحية الوثنية الغربية .

* * *

ثم اتخذ اللفظ معاني كثيرة لبسها ، ولكن بقي المعنى « الأول » الدال على « الاسلام » عن طريق التورية فرارا من طائلة العقوبة ، هو الذي يستعمله ويدلس به أمثال المسمى « **سامي داود** » والمسمى « **اجاكس عوض** » ، تمويها على الناس ، في خلال استعمال الناس له بمعنى الفساد الذي شمل حياة الأمة في الميدان السياسي والاقتصادي . وبهذا التمويه القبيح ، يريد أمثال هؤلاء التالفين، أن يشفوا غل صدورهم ، ببذاءة مغلفة في لفظ مبهم ، بعد أن خلعوا المسوح التي ألبسهم اياها الجاسوس البريطاني المحترف « كريستوفر سكيف » ، و «جماعة اخوان الحرية» ، والتحفوا بمسوح جديدة اتخذوها لأنفسهم ، بعد طول التدريب ، من شعارات ظاهرة معروفة يستترون وراءها « بلا عقيدة» وبلا مبالاة ، بل ليتمكنوا من العمل على احراق « **طروادة الجديدة** » ، وهي مصر العربية الاسلامية بعد سنة ١٩٥٢ ، وتدميرها كما دمرت « طروادة » في القديم .

فمن ظن أني آخذ هؤلاء الدعاة ، منذ كتبت عن مسألة « العامية » و « الفصحى » في أوائل مقالاتي، لكي أجرحهم أو انقدهم نقدا « شخصيا » فقد أخطأ . ومن ظن أن الأمر مقصور على هذه الفئة بأسمائها الظاهرة ، فقد أخطأ ، لأني لا أفرق بين رجال هذه « النحلة الجديدة » ، وان اختلفت دلالات هذه الأسماء على أنسابها وصلاتها وعلاقتها بالحياة العربية التي نحن اليوم في شرارتها وفي حومتها الكبرى . ومن ظن أني سأقف عند « اجاكس عوض » وأشباهه حين أعرض مرة أخرى لتمام القول في « العامية» و « الفصحى» ، ولأثر الدعاة اليها في حياتنا السياسية والأدبية منذ نشأت هذه الدعوة ، فقد أخطأ . وانما شغلني كما ذكرت في مقالات مختلفة ، كثرة الدروب التي تنشق على جانبي الطريق الأعظم ، ومن يكمن في هذه الدروب من الأفاعي والحيات ، التي نشأت في سراديب « **التبشير** » و « **الاستعمار** » . ولا أظن القارىء ، مهما طال بي التعريج على بعض الدروب ، ببناس أني قد خرجت به في رحلة ، في متاهة ، الى آفاق بعيدة ، فان شقت عليه الرحلة فليقف وقد هلك ، وان أطاق فليمض وقد نجا . أما التهاون والغفلة والاستخفاف ، فذلك هو الموت الوحي ، والبلاء الماحق ، والحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر .

« **محمود محمد شاكر** »



كلمات في كلمات

بحوث لغوية تاريخية

بقلم: حامد عبد القادر

٣٥ - في التيه

الذي يتبادر الى الذهن أن الفعل «تاه» ، ومضارعه «يتيه» ، ومصدره تيه يفيد في اللغة العربية أحد معنيين الأول : ضل وتحير ، يقال : تاه في الأرض أي عميت عليه المسالك والسبل فلم يعرف الاتجاه الصحيح. والآخر : تكبر ، يقال : تاه علينا اى تكبر.

وليس من البعيد أن يفيد هذا الفعل معنى ثالثا هو : مات وانحلت أعضاؤه ، واختلطت بأديم الأرض فضلت فيه . وقد يؤيد هذا المعنى قوله تعالى : « وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد » ١٠/السجدة . فقد قيل في تفسير قوله تعالى : أئذا ضللنا في الأرض أئذا تاهت أجزاء أجسامنا فيها بعد الموت .

فهذه ثلاثة معان للفعل تاه ، ويتبع ذلك أن يكون لكلمة تيه هذه المعاني الثلاثة ، على أساس أنه مصدر للفعل تاه .

وللتيه معنى اسمي هو : المفازة لا علامة فيها يهتدى بها ، ومن الجائز - والله أعلم - أن يفسر الفعل « يتيهون » في الآية الكريمة بأحد هذه المعاني ، فيكون معناه أن هؤلاء العصاة سيظلون أربعين سنة ضالين في الأرض حائرين ، أو أنهم سيظلون يستكبرون في الأرض ويتذمرون هذه السنين الطوال الى أن يحكم الله فيهم . وقد حدث ذلك بحسب ما ورد في التوراة ، ذلك أنهم لما أخبرهم موسى عليه السلام أن تمردهم وعصيانهم قد أدى الى غضب الله عليهم ، وحرمانهم أن يدخلوا الارض المقدسة أخذتهم العزة بالاثم ، ولم يأبهوا بقول الرسول بل تظاهروا بالتوبة ، وحاولوا أن يدخلوا الارض المقدسة عنوة متحدين حكم الله ، ولكن أهلها صدوهم وهزموهم شر هزيمة (عدد ١٤ : ٣٩ - ٤٥) .

هذان هما المعنيان اللذان يتبادران الى الذهن . أما المعنى الثالث فلست أرى مايمنع من ارادته ، فيكون المقصود - والله أعلم - أن هؤلاء العصاة المتمردين سيقضى عليهم فيموتون ، وتنحل أجسامهم ، وتتفتت أعضاؤهم ، ثم تختلط بأديم الأرض ، وبعد مرور أربعين سنة تفنى أجسامهم ، ولا يبقى لهم وجود منفصل عن الارض .

وفي التوراة مايفيد هذا المعنى ، ذلك أنهم لما طغوا وبغوا ، وعصوا رسول الله موسى عليه السلام ، وندموا على خروجهم من مصر ، ثم اقامتهم بأرض مجدبة ، وقالوا : « ليتنا متنا في هذا القفر ، ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض لنسقط بالسيف ، وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ؟ » ، أقول : لما قالوا ما قالوا ، وفعلوا ما فعلوا مما أغضب الله ورسوله أوحى الله تعالى الى رسوله موسى عليه السلام أنه معذب هؤلاء العصاة المردة على جحودهم وتمردهم ، فسوف يهلك منهم كل من بلغ العشرين أو أكثر ، وسوف تسقط جثثهم ، وتظل في القفر أربعين سنة حتى تفنى ، ويحل

بحلهم أطفالهم ، فيكونون رعاة في القفر تلك المدة ، ينشأ منهم جيل جديد مكافح هو الذي سيجاهد حتى يدخل الأرض المقدسة ٠

وقد حل بهم قضـــاء الله ، وتحقق وعيـده ، سقطوا صرعى ، ولم ينج من كبارهـــم الا يوشع بن نون وكالب بن يفنه (عدد ١٤ : ٢٦ ـ ٣٨) ويوشع بن نون وكالب بن يفنة هما ـ والله أعلم ـ المشار اليهما في قوله تعالى : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهم ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » المائدة : ٢٣ ٠

أرأيت بعد هذا كيف أن قوله تعالى : « اربعين سنة يتيهون في الارض » يفيد هذه المعـــاني كلها في ايجاز معجز ! وصدق الله تعالى حيث يقول : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » المائدة : ٢٨ ، فالكتاب المنزل هو القرآن الكريم وهو مصدق لما سبقه من الكتب السماوية ومهيمن عليها ، فسبحان من هذا كلامه ٠

٣٦ ـ شعب الله المختار يشرك بالله

لحق موسى عليه السلام بالرفيق الاعلى بعد أخيه هارون عليه السلام بنحو أحد عشر شهرا ، وكانت سنه اذ ذاك عشرين ومائة سنة ، وقيل ان وفاته كانت في عهد منوجهر ملك ايران القديمة ٠

وخلف من بعـــد موسى في رعاية شؤون بني اسرائيـل طـــائفة من الحكام أطلق عليهم اسم « القضاة » ٠ ولم يكن هؤلاء ملوكا ، وانما كانوا من شيوخ القبائل الذين أوتوا نصيبا من الكياسة والمعرفة ٠

وكان أول خليفة لموسى عليه السلام :

يوشع بن نون

ويوشع هو بالعبريه יְהוֹשֻׁעַ ، وهو علم مركب من كلمتين الأولى يهو بمعنى الرب ، والثانية شوع بمعنى معين ، فهو مركب اسنادي ، وقد عرب فجعل يوشع ٠ ويرجع نسب يوشع هذا الى أفرايم ابن يوسف عليه السلام ٠

وكان عدد القضاة ثمانية عشر امتد حكمهم نحو أربعـــين ومائة سنة أي من سنة ١١٨٠ ق ٠ م الى سنة ١٠٤٠ ق ٠ م تقريبا ـ على خلاف في ذلك ٠

وكان من هؤلاء القضاة امرأة اسمها دبورا ، ورجل صـــلب قـــوي اسمه شمشـــون الذي يوصف بأنه الجبار ٠ وقد دبر شمشون هذا شئون بني اسرائيل نحو عشرين سنة ، غلب بعدها على أمره ، فأسره الفلسطينيون ، وأدخلوه معبـدهم ، وكانت به أعمدة ، فأمسك بها شمشون وحركهـــا واحدا بعد آخر ، فانهدم المعبد ، فقتل شمشون وقتل من كان به من أهل فلسطين ٠

وكانت أحوال بني اسرائيل في عهد القضـــاة في اضطراب وفوضى ، وكانوا في حرب دائمة بينهم وبين من جاورهم من الشعوب ، فكانوا تارة يغيرون فيغلبون ، وأخرى يغار عليهم فيهزمون ٠ وكانوا في عقائدهم الدينية أشد اضطرابا ، فكثيرا ما كانوا يكفرون بالوحدانية ، ويتخذون من دون الله آلهـة أخرى ٠

لقد فعلوا الشر « وتركوا الرب الاه آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر ، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب ، تركوا الرب وعبدوا البعل » قضاة ٢ : ١١ـ ١٣) والبعل اسم أحد الآلهة التي كان يعبدهـــا الكنعانيون ٠

وكان هذا ديدنهم فاشتد غضب الله عليهم ٠ وكلما ظهر من بينهم قاض يحكمهم كان الله معه ومعهم ، وناصرا له ولهم رأفة بهم ٠ « وبعد موت القـــاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها ٠ لم يكفوا عن افعالهم وطريقتهم القاسية فحمي غضب الرب على اسرائيل ، وقال ، من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذي أوصيت به آباءهم ، ولم يسمعوا لصوتي ، فأنا أيضا لا أعود أطرد انسانا من أمامهم من الأمم التي تركها يوشع عند موته » (قضاة : ٢ ١٨ ـ ٢١) ٠

ونقرأ سفر القضاة فنعرف أن هذا الكفر يتكرر حينا بعد حين ، ومن ثم يجدر بنا أن نطلق على سفر القضاة اسم « سفر المخازي » ، كما يجدر بنا أن نطبعه ، ونوزعه في آلاف من النسخ نقدمها هدية للصهاينة وأوليائهم الذين أعمى الله بصائرهم ، وأضلهم عن السـبيل ، فلم يعـودوا لكلمة الحق والعدل ، وانما يصغون لكلمة المدفع والدولار ٠ ألا ساء ما يعملون ٠ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ٠

٢٧ ـ شعب الله المختار يصاهر الشعوب الوثنية

وذلك امر عجيب ، يسطره التاريخ فى غرابة وعجب .

اصغ باذنيك أيها العالم الذى يوصف بأنه « العالم الحر » ، وسجل فى سجلك أيها التاريخ فى هذا العصر الذى يوصف بأنه عصر النور وعصر حرية الشعوب ، لقد أتى على « شعب الله المختار » حين من الدهر نزل فيه من عليائه ، وتنازل عن غطرسته وكبريائه ، وانحدر من مستواه الخيالى وبرجه العالى الذى كان يعيش فيه مطلا على الشعوب الأخرى يسخر منها ويستهزئ بها ـ الى مستوى تلك الشعوب « غير المختارة » التى كان يحتقرها وثنيتها ، وكان يعتقد أنها خارجة عن نطاق رعاية الله ورحمة الرب الاههم وحدهم .

نعم ان بنى اسرائيل المتغطرسين المستكبرين قد سمحوا لأنفسهم أن يختلطوا بالكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، وان يصاهروهم ، وان يتخذ كل فريق من بنات الآخر زوجات ، فنشأ جيل وسط ، لا هو من الموحدين ، ولا هو من الوثنين . فليت شعرى ! هل يعد هذا الجيل الجديد من بنى اسرائيل ؟ أم أنه يعد من غيرهم ؟ أم أن من كان أبوه اسرائيليا فهو اسرائيلى وان كانت أمه وثنية ؟ ومن كان أبوه وثنيا فهو وثنى وان كانت أمه اسرائيلية ؟ تلك مشكلة اجتماعية عويصة نستفتى فيها السادة أولى العلم من الصهاينة الذين هم ـ أو بعضهم على الأقل ـ من نسل هذا الخليط الذى ليس لدينا من الأدلة ما يدل على انه قد فنى وانقرض . وتلك أسئلة نوجهها الى رجال القوانين الشرعية والوضعية ليجيبوا عنها مشكورين . وما يقال فى هذا الخليط الذى نشأ فى العصور القديمة يقال فى الأخلاط التى نشأت فى أوربا وغير أوربا فى أثناء القرون الوسطى او القرون الحديثة حين اختلط اليهود بغيرهم من الشعوب الأخرى ، وصاهروهم .

لقد مضى على اخراج اليهود من فلسطين سنة ٧٠م على يد طيطوس الرومانى وتشتتهم فى أنحاء الارض ما يقرب من تسعة عشر قرنا ، فهل من المعقول أن يكونوا الآن بعد هذه القرون الطوال ، وبعد ان اختلطوا بغيرهم من الشعوب والعناصر غير السامية ، أقول : هل من المعقول أن يوصف هذا الشعب بأنه شعب حر خالص متصف بالحصانة الشعبية : انى أجزم بأن هذا غير معقول ، وأوضح دليل على ذلك ما نشاهد من فروق بارزة بين يهود اليوم ويهود الأمس من حيث سحنة الوجوه ولون البشرة ، وطول القامة ، وبروز الأنف وتقوسه .

ومهما يكن من أمر فانه مما لا شك فيه أن « **شعب الله المختار** » ، قد صاهر غيره من الشعوب غير المختارة . ولست أقول هذا الكلام جزافا وانما أستند فيه الى نصوص من الكتاب المقدس لدى اليهود وهو المرجع الأساسى الذى يرجعون اليه فى دعاواهم الكاذبة .

يقول هذا الكتاب المقدس : فسكن بنو اسرائيل فى وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين . واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء ، واعطوا بناتهم لبنيهم ، وعبدوا آلهتهم (قضاة ٣ : ٥ ـ ٦) .

اننا لا نتحاز ولا نتحيز ، ولا نتعصب ولا نتحامل ، ولكننا نضع الحقائق بين أيدى المشارقة والمغاربة من أحرار المفكرين ليعرفوا ما تنطوى عليه دعاية الصهاينة من تضليل عظيم وبعد سحيق عن الحق ، ثم نضعها أمام أعين الصهاينة أنفسهم ونسألهم : **هل بعد هذه الحقائق الدامغة والأدلة الناصعة يستطيع احد منكم أن يرفع راسه ويفتح فاه ويقول انه من شعب الله المختار ؟ وهل يستطيع احد منكم فى هذه المخازى المخزية أن يقول انه أولى من سواه بامتلاك أى جزء كان من أرض الله ؟**

قد يجرؤ أحدهم ويقول هذا أو أكثر منه فنرد عليه ، ونقول فى هدوء ورفق أو سخرية واستهزاء : أيها المغرور بنفسك الشامخ بأنفك اقرأ تاريخك وتاريخ شعبك . واعلم أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

٢٨ ـ قيام الملكية فى بنى اسرائيل

كان آخر القضاة شموئيل الذى عرب فجعل صمويل . وكان شموئيل يعد من أنبياء بنى اسرائيل . واسمه بالعبرية שְׁמוּאֵל

[illegible] واصله اى من يسمعه الله ، او الله مسموع ، اى أمره معروف مشهور .

« البقية على صفحة ٢٠ »

محمد البشير الإبراهيمي

فقيد العروبة والإسلام

بقلم: عبدالله التل

الزمان ، الثلث الأول من القرن العشرين ، والمكان جزء عزيز من ديار العروبة والاسلام هو الجزائر ، وأوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية يصورها :

استعمار فرنسي عمره مائة عام ، قضى على كيان البلاد السياسي ، وأدخل في روع الغرب المستعمر ان الجزائر فرنسية لأنها ـ بحسب رأيه ـ امتداد لأرض فرنسا يفصل بينهما البحر ، وتغلغل في نفوس عدد كبير من عرب الجزائر أنفسهم فجعلهم بمختلف الوسائل ، يرددون دعوى فرنسا الفاجرة ومنطقها العجيب المستهجن .

واقتصاد وطني منهار ، بعد أن اغتصب الفرنسيس في مدى قرن كامل ملايين الأفدنة من الأرض الخصبة ، ونهبوا موارد البلاد وخيراتها ، واحتكروا التجارة والزراعة والصناعة ، وحولوا شعب الجزائر الى قطيع من العبيد لا عمل له سوى تأمين رفاهية السادة المستعمرين ، وتموين فرنسا بالخمر الذي يستقطر من أعناب كروم الجزائر ، وتموين غرب أوربا بالقمح الذي تنبته حقول الجزائر .

وثقافة فرنسية استعمارية ، هدفها تخريب العقول والنفوس ، وتحطيم الشخصية العربية الاسلامية ، والقضاء على اللغة العربية لأنها لغة القرآن ، وافشاء الأمية حتى زادت نسبتها في الشعب الجزائري على ٩٠٪ ، وخلق الدسائس والفتن لتمزيق الشعب واقناع البربر انهم جنس آخر يختلف عن عرب الجزائر .

وحرب سافرة ظالمة لا رحمة فيها ولا هوادة ، تشنها فرنسا « أم الحرية » على الدين الاسلامي الذي يدين به الشعب العربي في الجزائر ، كما يدين به الشعب العربي في المغرب وتونس وليبيا بلا استثناء ، حتى اننا لا نكاد نجد جزائريا أو مغربيا او تونسيا أو ليبيا واحدا يدين بغير الاسلام . والذين يعيشون في هذه البلاد من غير المسلمين هم من يهود الغرب ومسيحييهم . ومع هذا فقد عمدت فرنسا طوال سني استعمارها اللعين ، الى محاربة الاسلام في لغة الاسلام ، لغة القرآن . كما حاربته بنشر الخرافات والبدع وتشجيع الزوايا والطرق التي يديرها مسلمون من عملاء فرنسا مثل قدور بن غبريط . وحاربته منذ اليوم الأول الذي دنست فيه اقدامها أرض الجزائر ، يوم صادرت أموال المسلمين واوقاف المسلمين ومساجدهم وحولت بعضها الى كنائس .

وحاربته يوم جعلت من حكوماتها وحكامها أوصياء على الاسلام ، ووضعت القوانين التي تعطي الادارة الفرنسية حق الاشراف على الشئون الاسلامية ، وسيطرت بذلك على أركان الاسلام الأربعة : الصوم والصلاة والحج والزكاة .

فاصبح الشعب الجزائري المسلم يصوم ويفطر ويعيد بحسب الأوامر التي يلقيها المدير الفرنسي . ويصلي وراء الأئمة الذين يختارهم الحاكم الفرنسي من بين الخونة والجواسيس ويحج الى بيت الله الحرام بالرخصة الفرنسية التي لا تعطى الا بالرشوة ولعدد زهيد من أفراد الشعب .

ويخرج بعضه في الخفاء ، زكاة رمزية ، لأنه شعب فقير معدم ، نهب الفرنسيس وطنه وثروات بلاده فلم يبق عنده مال يزكيه .

ولم تستطع فرنسا السيطرة على الركن الخامس وهو الشهادة ، لأن الانسان قد يتلوها في سره ومن غير أن يسمعها الجندي الفرنسي .

حاربت فرنسا الاسلام الذي جاء به القرآن الكريم وحمل رسالته محمد صلى الله عليه وسلم ، واخترعت بدلا عنه اسلاما جديدا مبنيا على البدع والخرافات وأسمته (اسلام جزائري) .

وفرنسا التي ادعت العلمانية ، وفصلت الدين عن الدولة رسميا سنة ١٩٠٥ لم ترض في الجزائر الا بالاشراف التام على الدين الاسلامي . ولم تسمح للمسلمين بممارسة شعائرهم الدينية بحرية ، وحجرت على حرية الدين الاسلامي وآدابه وافكاره ، وفي الوقت نفسه أباحت نشر الفساد والرذيلة والاباحية والانحلال والكفر والالحاد .

على مثل هذه الصورة الكئيبة كانت الجزائر في الثلث الأول من القرن العشرين ، يوم قضت العناية

الالهية بتكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، لتقود معركة التغيير الجذرى فى حياة الشعب العربى فى الجزائر ، بقيادة العالم المرحوم عبد الحميد بن باديس ومن بعده شيخنا الجليل المرحوم محمد البشير الابراهيمى ، الذى ظل حاملا راية الجهاد أكثر من عشرين عاما ، الى أن انتقل الى جوار ربه فى شهر المحرم المنصرم ٠

ولقد كان البشير الابراهيمى بما وهبه الله من علم وفضل والمام كامل باللغة العربية وآدابها وفنونها واسرارها ، وقدرة خارقة على التوجيه والوعظ والاقناع خطابة وكتابة ، وبما أوتى من مواهب وطاقات ومزايا وكفايات ، علمية وفكرية وعملية وسياسية لا نظير لها ، مؤهلا لحمل راية الجهاد والذود عن شعب الجزائر المستعبد وعن دينه المضطهد. فحملها بشجاعة وأمانة واخلاص فى ظروف عصيبة وأحوال رهيبة (١) ٠

فعل الصعيد الجزائرى :

قاد البشير الابراهيمى حملة الاصلاح الدينى لتطهير الاسلام من الخرافات والبدع التى الصقها به الفرنسيس واليهود وعملاؤهم من العرب ٠ وتولى مهمة تنوير العقول وتبصيرها بحقيقة الدين الاسلامى وآدابه وتاريخه ، فقضى على الدين المزيف الذى اخترعه الفرنسيس وأسموه (اسلام جزائرى) ٠

طالب بفصل الدين الاسلامى عن الحكومة ، أسوة بالدين المسيحى الذى تركت له الحرية التامة فى ممارسة طقوسه وشئونه ٠ وندد بالسياسة الاستعمارية الغبية الغاشمة التى ترمى من وراء بسط سيطرتها على الدين الاسلامى ، الى القضاء على الاسلام ٠

طالب باعادة أوقاف المسلمين التى اغتصبها الفرنسيس على مر السنين ٠ وهدفهم تجريد الاسلام من وسائل دعمه ونشره وبقائه ٠

طالب بحرية التعليم العربى واعتبار اللغة العربية لغة البلاد الرسمية ٠ كما طالب باستقلال القضاء الشرعى عن القضاء الفرنسى المبنى على أسس تبيح الرذيلة وتشجع الانحلال ٠

حارب الحزبية لأنها أداة تمزيق ، وداء وبيل ينخر فى جسم الشعب ، وبخاصة العلمانية منها ، وتلك التى تشجع الكفر والالحاد ٠ وكان رحمه الله بعيد النظر حينما اعتبر الحزبية أشد خطرا على المسلمين من المستعمر نفسه ٠

سخر من سياسة فرنسا التى كانت تسعى الى التفريق بين العرب والبربر ٠ وأثبت أن الدماء البربرية التى مازجت الدم العربى فى سلسلة من الزمن امتدت ثلاثة عشر قرنا قد أصبحت عربية ٠ وأكد أن وحدة الشعب فى الجزائر راسخة خالدة سداها وحدة الدم واللسان ولحمتها الدين الواحد وروحانية الاسلام ٠

تحدى سياسة الاندماج التى نادت بها فرنسا بصفاقتها وحماقتها ، وأثبت بشجاعته وقوة حجته ، زيف دعوى فرنسا وسخف منطقها ٠ ودلل على عظمة الاسلام وطاقاته الكامنة التى تعصم شعب الجزائر المسلم من الانمحاء والذوبان والاندماج ٠

قاوم هيئات التبشير ومن ورائها سلطات الاستعمار، واليهودية العالمية ، وثراء الفاتيكان وبذله وسخائه ٠

تصدى للغزو الفكرى الاستعمارى الذى يشكك المسلمين فى تاريخهم وتراثهم ، تمهيدا للقضاء على مقومات وجودهم ، وجعلهم كمية مهملة فى ميزان القوى العالمية ٠

فعل البشير الابراهيمى كل هذا وأكثر منه فى الميدان الجزائرى الداخلى ٠ وأصاب نجاحا كبيرا فى معركة اللغة العربية وتدريسها فى مدارس الجمعية التى اخذت تتزايد يوما بعد يوم ، حتى أربت على ٤٠٠ مدرسة رغم بطش المستعمر وارهابه وجبروته، ورغم القوانين الصارمة التى كانت تقضى بالقاء القبض على المدرس الذى يضبط متلبسا بتعليم اللغة العربية، بينما تعطى الحرية للسارق والزانى والفاجر والأفاق والمخرب ٠

ونجح الابراهيمى فى ابراز الشخصية الجزائرية العربية المسلمة ، بعد أن أحالها المستعمر خيالا ووهما ٠ ونجح فى تجديد شباب الاسلام ، ومسح عنه الغبار الذى تراكم على مر السنين بفعل الاستعمار والتبشير ٠

ونجح الابراهيمى فى خلق جيل من الشباب العربى الجزائرى المؤمن بعروبته ووطنه ودينه ٠ وكان ذلك الجيل هو نواة جيش التحرير الجزائرى الذى خاض

---

(١) انصح كل أديب وسياسى وقائد ان يطلع على كتاب « عيون البصائر » طبعة دار المعارف ٠ ففيه جانب كبير من جهاد البشير الابراهيمى مدونا بأسلوبه الرفيع ٠ والكتاب زاخر بالدروس السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية ٠

معركة المليون شهيد ، وحرر الجزائر من استعمار مدمر دام ١٣٢ عاما • ولولا جهود جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر وكفاح رئيسيها ابن باديس والابراهيمى لما قامت ثورة الجزائر فى غرة نوفمبر ١٩٥٤ • ولولا الجيل الذى رباه البشير الابراهيمى ومعاونوه من علماء الجزائر ، لما استطاع شعب الجزائر أن يقدم للثورة وقودها من شباب محمد الذين انتظموا فى قوافل لا عد لها ولا حصر ، باذلين دماءهم وارواحهم فى سبيل الله وفى سبيل الوطن •

وعلى الصعيد العربي العام :

وقف البشير الابراهيمى حياته على الذود عن حياض العروبة والاسلام ، من الرباط غربا الى أندونيسيا شرقا ، ومن القرم والتركستان شمالا الى حضرموت جنوبا • ولم يكن فى يوم من الأيام اقليميا يعمل للجزائر وحدها أو للشمال الافريقى وحده • ولم يكن عنصريا يدعو الى قومية ضيقة • بل كان انسانا واسع الأفق كبير القلب نقى الضمير ، يدعو الى وحدة اسلامية تسبقها بالضرورة وحدة عربية تقوم على دعائم راسخة من الايمان بالله والايمان بهذه الأمة التى شرفها الله بحمل رسالة الاسلام •

والبشير الابراهيمى الذى خبر دسائس الاستعمار وذاق من ويلاته وجرائمه ووحشيته ، لم يترك فرصة تمر الا اهتبلها لتسخير قلمه ولسانه وطاقاته العديدة ، من أجل الدفاع عن الأقطار العربية التى ابتليت بالاستعمار •

دافع عن حرية المغرب الأقصى ، وعن حرية تونس وليبيا ومصر وسورية والعراق وفلسطين ، كما دافع عن مسلمي الهند وروسيا والصين • وعاش الابراهيمى معارك الكفاح والتحرير التى خاضتها الأمة العربية من محيطها الى خليجها • عاش أحداث العروبة والاسلام وتفاعل معها وانفعل بها • دعا الى الاتحاد والوحدة ، وندد بالانقسام والفرقة ، افحم الغرب المستعمر وأبطل دعواه وانكاره عروبة الشمال الافريقى • افتخر بمصر وأمجادها القديمة والحديثة ، وأشاد بها مركزا للاشعاع الفكرى وقلبا للدفاع عن ديار العروبة والاسلام ، لا سيما بعد ثورتها المباركة التى قادها الرئيس **جمال عبد الناصر** •

وتغنى الابراهيمى بالأزهر وأثره فى الثورات المصرية المتتابعة وفضله على العالم الاسلامى • ودعا الى تطوير التعليم فى الأزهر ليزاوج بين علوم الدين وبين علوم الدنيا ، ويهيىء أبناءه لأن يكونوا رجال دين ودنيا •

ولفلسطين من كفاح الابراهيمى سهم وافر • فقد اعتبرها قضية العرب والمسلمين الأولى ، ومشكلة المشكلات فى العصر الحديث • نبه لأخطار الصهيونية وحذر من الاعيب اليهودية العالمية ومكرها وخداعها قبل أن تقع الكارثة • وحين ضاعت فلسطين أصيب الابراهيمى بجرح لم يندمل أبدا • وبكاها دما ، وندد بالعرب والمسلمين الذين فرطوا فى الأمانة وما استطاعوا نيل شرف حماية بيت المقدس من الغزو الصليبى الجديد ، الذى تستر فى هذه المرة من وراء راية صهيون • ولا غرابة فى هذا ، فالابراهيمى كان يرى أن فلسطين أحق بالحماية والرعاية من الجزائر وطنه الأول • وكان يرى ان بيت المقدس جزء من الدين الاسلامى ، وواجب الدفاع عنه فرض عين على كل مسلم ومسلمة •

ولم ترض همة الابراهيمى بالاطلاع على المشكلات العربية الاسلامية والاسهام فى حلها وهو جالس فى وطنه الأول الجزائر ، وانما رحل الى المشرق العربى والمشرق الاسلامى أكثر من مرة زار بلاد العرب والمسلمين وعاش فى سورية ومصر مهاجرا فى سبيل الله مبتعدا عن ظلم الفرنسيين • زار فلسطين والحجاز وتركيا وافغانستان وباكستان واندونيسيا وايران • وكان فى جميع أسفاره داعية خير ومحبة وتوفيق ووحدة • فرق فى علاقاته بين شعوب الاسلام وبين حكامها ، فاحب الأولى وبذل فى سبيلها من علمه وفضله وصحته ، وتعالى على الحكام الذين يسيرون فى ركاب المستعمر عدو العرب والاسلام ، ولم يتوان عن لومهم وتوجيه النقد لهم وتبصيرهم بعاقبة ذلهم وخيانتهم • وكان الابراهيمى فى حله وترحاله يعرف العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، بحقيقة المأساة الجزائرية ، فعرف الناس الجزائر بعالمها وسفيرها الابراهيمى •

وفى السنوات التى قضاها الابراهيمى فى مصر، سعدت بان أكون من تلاميذه الذين نهلوا من غزير علمه وقبسوا من كريم أخلاقه • عرفته فى أطوار متباينة من مر الحياة وحلوها ، وأشهد بانه كان على الدوام ذلك الامام العملاق الذى لا تهزه أحداث الحياة ولا تفت فى عضده أو تنال من عزيمته وقوة ايمانه •

ولقد توج الابراهيمى جهاده وكفاحه فى تأييده المطلق للثورة الجزائرية • فمنذ اليوم الأول لاندلاعها، أوقف الابراهيمى نشاط الجمعية وامر جميع أتباعه وأنصاره وتلاميذه ومريديه وهم يشكلون خلاصة الشعب الجزائرى ، بتأييد الثورة والالتحاق بكتائب الجهاد •

وفى احتفالات عيد النصر التى أقيمت فى الجزائر اول نوفمبر ١٩٦٢ ، رأيت البشير الابراهيمى فى أحسن ســاعات حياته واعظمهـا . لقد أم جموع المسلمين التى احتشدت لأداء صلاة الجمعة فى مسجد كتشاوة الذى حوله الاستعمار الفرنسى الى كاتدرائية وظل كذلك طوال مدة الاحتلال الذى دام ١٣٢ عاما، الى أن عاد الحق لأهله بعد انتصار الثورة .

والقى الابراهيمى خطبة الجمعة مكتوبة على غير عادته . وكان واضحا ان المناسبة العظمى قد هزته وفرضت على شيخوخته الجليلة أن يسجل ما كان يجول فى خاطره على الورق . وجاءت الخطبة درسا رفيعا فى السياسة والتاريخ والدين لا تعالى فيها ولا شماتة . لقد لخصت الخطبة تاريخ الجزائر بما فيه من دروس وعبر ، وعبرت عن فرحة الحاضر وآمال المستقبل . وكانت فى نظرى خطبة وداع فاه بها فارس عالم بطل ، أثقلت كاهله العلة وارهقته تبعات الجهاد الطويل . وكنت وأنا أستمع الى خطبته ترن فى أذنى كلمات البطل أسامة بن المنقذ :

مع الثمانين عاث الدهر فى جلدى
وساءنى ضعف رجلى واضطراب يدى
فان كتبت فخطى جـد مضطرب
كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يد عن حملها قلما
من بعد حطم القنا فى لبة الأسـد

على ان الاجهاد الذى كان باديا على الشيخ البطل لم يحجب عنا ابتسامة الرضى واشراقة فرحة العمر التى كانت تنفذ الى أعماق الجماهير الملتفة من حول الشيخ فتفهم تفسيرها :

من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنا

وبعد ، فانى لا استطيع فى هذه الكلمة القصيرة أن أدون جزءا يسيرا من تاريخ الشيخ العالم البشير الابراهيمى ، لأن تاريخه يحتاج للاحاطة به ، الى مؤلف خاص تدون فيه أعمــاله ومفاخره ومآثره وبطولاته وتضحياته .

اما خسارة العروبة والاســلام بفقد البشــير الابراهيمى فعظيمة لا يعوضها الا الله القادر على هداية شبابنا ودفعهم الى ترسم خطاه والسير على نهجه .

رحم الله شيخنا العزيز واسكنه فسيح جناته مع النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

« عبد الله التل »

«بقية المنشور على صفحة ١٦»

وقد ظل شـمـوئيل يعظ قومه حتى رجعوا الى الحق ، وأحيا فى أنفسهم الشجاعة المادية والدينية ، ودعاهم الى الجهاد فاستمعوا له وأطاعوه ، وأغاروا تحت قيــادته على الفلسطينيين فانتصروا عليهم وغلبوهم .

وشموئيل هذا هو المقصود بقوله تعالى : « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله »

وبعد أخذ ورد انتهى الأمر باختيار طالوت من سبط بنيامين بن يعقوب ملكا على بنى اسرائيل ، وكان ذلك سنة ١٠٤٠ ق . م على ماقيل . وطالوت هو المذكور فى قوله تعالى : « ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا » . وقد ذكر فى العهــد القديم باسم شاؤول ، على وزن طالوت . وهو שאול اى المطلوب أو المسئول ، فهو على صيغة اسم المفعول من الفعل الثلاثى فى اللغة العبرية . وقد جــاء فعول فى العربية بمعنى مفعول كما فى حمول وركوب وغيرهما مما ذكره ابن سيده فى الخصائص . وقد سمى كذلك لأنه هو الذى جعل ملكا تلبية لطلب بنى اسرائيل .

ويبدو أن التسمية العربية (طالوت) ترجع الى ما عرف به هذا الملك من ضخامة الجسم التى يشير اليها قوله تعالى : « وزاده بسطة فى العلم والجسم »

فطالوت على وزن فعلوت بفتحتين من الطول ، على نمط جبروت ورحموت .

وبقيام الملكية فى بنى اسرائيل قضى على الفوضى والاضطرابات التى شاعت بينهم فى عهــد القضاة .

وامتد حــكم طالوت بضع سنين ، واقتتل هو وجالوت أحد جبابرة الكنعانيين ، وكان عاتيا جبارا لم يجرؤ أحد على مبارزته ، فأشار شموئيل النبى على داود أحد جنود طالوت أن يبارز جالوت فبارزه فقتله ، وكان داود اذ ذاك فى الثلاثين .

وكان انتصار داود سببا فى أن الشعب أحبه ، وأقبل عليه فحسده طالوت وهم بقتله فهــرب ونجا من شره . وأخيرا ندم طالوت ، ورأى أن يكفر عن سيئاته فالقى بنفسه فى ميدان القتال مع الفلسطينيين فقاتلهم حتى قتل وخلفه على العرش داود ، وخلف سليمان أباه داود على النحو الذى سنشرحه فى عدد تال ان شاء الله .

حامد عبد القــادر

العرب في افريقيا



قصة الرياح الموسمية

للدكتور: عبد العزيز كامل

— ٤ —

حضارة وتجارة :

كان جانب كبير من رخاء عرب الجنوب قبل الاسلام راجعا الى نشاطهم التجارى فى المحيط الهندى . وكان هذا النشاط قائما على علاقات من المنافع المتبادلة بين ساكنى شواطىء المحيط . وادى هذا الرخاء الى اثارة مطامع اليونان والرومان فحاولوا السيطرة على ارض البخور فى جنوبى الجزيرة العربية وسيروا لذلك حملة أشرنا اليها فى المقال السابق . وهى حملة اليوس جاليوس التى أمر بها قيصر روما فى عام ٢٤ق٠م٠ وقد منيت هذه الحملة بفشل ذريع . وحاول اسطرابون — الذى رافق الحملة — أن يفسر هذا الفشل فرده الى نوع السفن المستخدمة ، والطريق التى اتبعته الحملة وتجهيزها .. ويعنينا من تعليقه عليها قوله واصفا عرب الجنوب « **فالعرب ليسوا شديدى الميل الى الحرب حتى على الارض ، وانما هم فى الغالب أصحاب تجارة ، ولا ميل لهم اطلاقا الى الحرب فى البحر** »

وهذه العبارة تستوقف النظر ، لانها تتناقض مع ما كتبه المؤرخون عن الجزيرة العربية بعد قيام الاسلام حين صوروا العرب شعبا أو قبائل لا هم لها الا الحرب والقتال والعدوان والطمع فيما عند جيرانهم والغارة عليهم ٠ وكان هذا جزءا من الاسلوب المسموم الذى حاولوا به أن يسموا العروبة والاسلام بميسم العدوان والغارة على العالم الأوربى ؛ بل كان جزءا من المخطط الغربى للغارة على العالم الاسلامى والحط من شأن العروبة والاسلام .

وقد يكون فى عبارة استرابو تعميم كبير ، ولكنها تلقى ضوءا قويا على فكرة الرومان وتشذ عن عرب الجنوب ؛ وهى فكرة لها خطرها عند قوم يجهزون حملة لغزو الاجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية .

وهناك فارق كبير بين العدوان وبين الشجاعة والاقدام . فعرب الجنوب لم تكن تنقصهم الشجاعة ولا الاقدام ٠ فقد خاضوا لجج المحيط الهندى ، واخترقوا الصحارى وطلعوا ثنايا الجبال وسكنوا السواحل البعيدة .. ولم تكن حياتهم دائما تجرى رخاء ؛ وانما كانت حياة لها شدتها وقوتها أحيانا ؛ ولها ثمارها الطيبة بعد خوض المحيط واختراق الصحراء .

فالى جانب الاحتكاك الذى لا تكاد تخلو منه علاقات جوار وتشذ ، كان التبادل السلمى أساس العلاقات فى عالم المحيط الهندى قبل مجىء اليونان والرومان ، والصبغة الغالبة على هذا الجزء من العالم٠

ولعل ما خلفه المصريون القدماء من آثار عن علاقاتهم ببلاد « بونت » يلقى ضوءا قويا على هذا الامر . ولازال المؤرخون على خلاف . فى التحديد الدقيق لموقع هذه البلاد ؛ وان كان الارجح انها تشمل الشاطئين الاسيوى والافريقى منطقة بوغاز باب المندب وما وراءها جنوبا .

فلم تحفظ الآثار المصرية قصة حرب حدثت بين المصريين وسكان هذه البلاد . ولازالت أخبار اكبر هذه الحملات البحرية فى عهد حتشبسوت — فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد — مسجلة على جدران معبد الدير البحرى توضح الاسلوب السلمى الذى كان متبعا فى العلاقات بين مصر وبونت ، أو بعبارة أخرى بين الجزء الشمالي الشرقى من افريقية والجانبين الافريقى والاسيوى من منطقة باب المندب .. ومن مصر أبحرت ضمن سفن محملة بمصنوعات مصر من حلى وأدوات وأسلحة ، ثم عادت وعليها الماشية الصغيرة والقرود وأشجار

البخور والعاج والمر والاخشاب النادرة . ورسموا مناظر بلاد بونت مع تفاصيل كثيرة وبعض المداعبات اللطيفة .. ولقد سبقت تلك الحملة حملات أخرى وجاءت بعدها حملات .

واستمرت العلاقات ــ على هذا الاساس ــ قرونا طويلة ، لم يكن يعكر صفوها الا ماتتعرض له تجارة البحر الاحمر من غارات القراصنة ، واضطرت معه السفن عابرة البحر الى أن تصحب معها من الرماة والمحاربين من يذود عنها العدوان .

الصراع بين العرب وبين اليونان والرومان :

ظل عرب الجنوب حتى القرن الاول الميلادى يستخدمون أكثر من طريق لنقل البخور من عالم المحيط الهندى الى الشمال ..

كانوا يجمعون هذه السلع من مصادرها المحلية فى الجنوب العربى ومن الشاطىء الافريقى ومن الشاطىء الهندى . وكان موانى الجنوب العربى مخازن كبيرة لهذه التجارة . ومنها كانت تنقل بالابل من مارب الى مكة ثم الشام ومصر ، وبذلك كانت تتحاشى أخطار البحر الاحمر . وأحيانا كانوا ينقلونها من موانى الجنوب العربى بحرا مباشرا الى النهاية الشمالية للبحر أو تختصر طريقها عبر الصحراء الشرقية الى منطقة ثنية قنا فى مصر . وبذلك استخدم عرب الجنوب كلا من الطريق البرى والبحرى حسبما تقتضى ظروف الامن التجارى .

ومن المنتظر أن يبدأ التنافس بين اليونان وعرب الجنوب فوق مياه البحر الاحمر . وأن يتوسل البطالمة فى مصر الى ذلك باعادة فتح القناة الموصلة بين البحر الاحمر والنيل فى القرن الثالث قبل الميلاد وأن يجد عرب الجنوب خصما خطرا يرتكز على قاعدة لها جبهتها البحرية على البحر الاحمر وجبهة أخرى على البحر المتوسط . ويرث الرومان هذه السياسة فى منتصف القرن الاول قبل الميلاد ، ويتطلع الذئب الرومانى لينشب مخالبه فى الجنوب العربى .

وشاهد الرومان الذهب يتحول من أيديهم الى أيدى عرب الجنوب ثمنا للبخور وسلع المحيط الهندى ، ولايكتفى الرومان ببسط نفوذهم على البحر الاحمر وانما يتطلعون الى السيطرة على القاعدة العربية فى الجنوب العربى ومصادر التجارة العربية فى عالم المحيط الهندى .

وهنا تتخذ المحاولات طريقين :

١ ــ الطريق العسكرى الذى ظهر فى حملة أليوس جاليوس وقد سبق عرضه .

٢ ــ الطريق التجارى الذى يحاول السيطرة على المحيط الهندى .

وهنا يبرز اسم لازال حوله جدل بين العلماء وهو «هيبالوس» . هل هو ملاح حقيقى وشخصية واقعية ؟ واذا كان فهل كان يونانيا أم رومانيا ؟ومتى عاش ؟ ومع أى قائد عمل ؟

ولا شك فى أن فى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد شهدت تسرب اليونانيين الى مياه المحيط الهندى ، وتطلعهم الى هذا العالم الذى سيطر عليه أبناء الشعوب المطلة ·· وراعهم ما عند عرب الجنوب والهنود من معرفة بشئون المحيط الهندى · وحاولوا الوصول الى هذه المعرفة : معرفة نظام الرياح فى هبوطها ومواسمها ، ومعرفة أحوال السواحل ومعالمها :

ففى فصل الصيف تهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية . بينما تهب من الشمال الشرقى فى فصل الشتاء ·· وهبوبها ليس بقوة واحدة طول الموسم ·· وتستطيع السفن الذاهبة الى الهند أن تفيد من الرياح الجنوبية الغربية صيفا ، ومن الرياح الشمالية الشرقية شتاء : أى أنها تستطيع أن تكمل رحلتها الى الهند ومنها فى عام واحد ·

ويبدو أن عرب الجنوب أحاطوا هذه الرحلات بكثير من الاساطير ونسجوا حولها من القصص ما يصرف غير أبناء المحيط الهندى عنه ، فلا يطمعون فيه : تحدثوا عن الامواج العالية والاحياء الضخمة الخطرة التى تعيش فى المحيط والمخاطر التى تتعرض لها سفنهم وفى رحلاتها الى شواطىء المحيط فى الهند وافريقية · ولا زال أدبنا العربى يحمل لنا قصصا كثيرة من هذا القبيل لعل أروعها ما جاء فى قصص « السندباد البحرى » ، ودخل جانب من ذلك فى كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب على أنه جزء من التراث الفكرى وعرضوا له بالنقد · ويمكن القول بان هذه القصص التى حاكها الخيال كانت نوعا من « الدفاع » عن المحيط يصرف الانظار عنه ، وليكتفى الذين يشترون البخور بما يدفعون من مال ، وقد حمل عنهم أهل المحيط الهندى أخطار التجارة وأهوالها · ولا يمكن بهذا أن نعتبرها جزءا من « المعرفة العلمية العربية » بالمحيط الهندى وما وراءه حتى الصين ، أو أن نحكم على مستوى الفكر العربى

من خلال هذه الاساطير ٠ ولا يمنع ذلك من أن تختلط الحقائق بالخيال فى بعض المؤلفات العربية وبخاصة كتب العجائب فى عهود الضعف ٠

وكما ان شخصية « هيبالوس » لا تزال محل جدل وشك ، فان الكتاب الذى ذكر هذه القصة لا زال مؤلفه ايضا مجهولا ٠٠ ففى أواخر القرن الثانى الميلادى طاف بالمحيط الهندى ملاح يونانى لا يعرف اسمه ، وربما كان من أهل ميناء «برنيس» على شاطىء البحر الاحمر ، وترك أثرا مكتوبا بالرحلة عنوانه « الطواف بالبحر الاريترى » ، يدل على أن الرومان أسسوا قواعد لهم فى منطقة باب المندب وما حولها ٠ وقد ناقش «دى لاسى أوليرى » قصة هيبالوس فى كتاب عن « علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب » ٠ فهيبالوس اسم يطلق على ذلك الملاح المجهول ، ويطلق على الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التى تهب صيفا فى المحيط الهندى، ويطلق أيضا على البحر ٠ ويرى دى لاس أوليرى انه بالرغم من دقة كتاب ، « الطواف بالبحر الارتيرى » فيما أورده من معلومات بحرية ، الا انه فيما يتعلق بهذا الجزء ينبغى أن يؤخذ بتحفظ ويقول « اذا كان هيبالوس شخصا حقيقيا ٠ فمن عجب ان الأجيال التالية لم تعرف عن فتوحاته البحرية الا هذا القدر الضئيل ، ولا شك فى أن « الاكتشاف » يعنى حسن استخدام المعلومات المستقاة من البحارة ، وبذلك زود الناس بفكرة عن موقع الساحل الهندى » ٠

والذى يقوله كتاب الطواف بجلاء وينسبه الى هيبالوس وهو كيفية الافادة من الرياح الموسمية فى رحلة « الذهاب الى الهند » ٠ والمقصود هنا هو الرياح الجنوبية الغربية ورحلتها محفوفة بالمخاطر ٠ فهذه الرياح عندما تهب من يونيو الى اكتوبر تكون عنيفة ، فلا تستطيع السفينة الشراعية أن تواجهها احيانا ، كما أن ساحل الهند الغربى تنقصه الموانى الصالحة ولا تستطيع السفن فى الجو العاصف أن تقف بعيدة عن الشاطىء ٠ ولكن مع الخطورة الظاهرة فان هذه الرحلة أسرع من الرحلات التقليدية الساحلية ٠٠

ولن ندخل هنا فى تفاصيل ملاحية ، ولكن الذى يستوقف النظر أن الملاحين اليونان والرومان استطاعوا أن يصلوا الى هذه التفاصيل الملاحية : أن يعرفوا مواسم الهبوب وهذه لايستطيع الملاح معرفتها الا اذا قضى على الاقل عاما كاملا فى عالم المحيط الهندى ، وأن يعرفوا الكثير من المعلومات عن شواطىء المحيط الافريقية والآسيوية ، وما تحتاج اليه سفنهم من تعديل لتقابل أخطار الملاحة هناك ٠

والذى يستوقف نظرنا أيضا أن وصول اليونان والرومان الى هذه المعلومات أمر لا زال يكتنفه الغموض ٠٠

ترى ، هل كان الوصول اليه على مراحل وبتدبير معين ؟ هل كان جزءا من المخطط الطويل المرسوم للسيطرة على تجارة المحيط الهندى ، والقضاء على الكيان الاقتصادى لعرب الجنوب ؟

ان الدلائل كلها تشير الى ذلك، ويذكر «بلينيوس» وقد كتب مؤلفه فى القرن الأول الميلادى أن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية لم تستخدم بطريقة منظمة « كل سنة » الا بعد استقرار هذا الاكتشاف استقرارا نهائيا ٠

وهكذا انتقل سر الرياح الموسمية من أيدى العرب والهنود الى أيدى الاغريق والرومان وبدأت بذلك مرحلة جديدة من مراحل الحياة فى المحيط الهندى ، سيطر فيها هؤلاء على التجارة فى المحيط والبحر الاحمر ، وكونوا لهم نقطا تجارية على طول الطريق واستطاعوا أن يعزلوا الجنوب العربى – الى حد كبير – فى هضابه وجباله الداخلية وقطعوا عنه الكثير من مصادر قوته الاقتصادية ، وانعكس هذا على تطوره الداخلى ٠

فاذا كانت الحملات العسكرية الرومانية قد فشلت فى اخضاع الجنوب العربى ، فان الحرب العلمية ونقل ميدان المعركة من البر الى البحر قد حقق للرومان ما أرادوا من عزل الجنوب العربى والسيطرة على تجارة المحيط الهندى والبحر الاحمر ٠

بين عهدين :

وكانت النتيجة المنتظرة أن بدأت تخبو مشاعل الحضارة فى المدن العربية المنتشرة على طول الطريق التجارى بين اليمن والشام ٠ ودخلت الحضارة السبئية فى مرحلة ذبول ومن ورائها المراكز التجارية حتى بترا وتدمر وبلاد العراق الشمالية الغربية ٠

وهنا لابد من وقفة نقارن فيها بين طبيعة العلاقة التجارية قبل هذا الغزو العسكرى والاقتصادى الذى أصيب به الجنوب العربى ، وما تطورت اليه أوضاع المحيط الهندى من بعد ٠

ان باب الخطر على الجنوب العربى كان من مصر ٠٠ وازدهاره التجارى قبل كان مرتبطا بمصر الى حد كبير ٠

« بقية المنشور على صفحة ٣١ »

من علم البـــدوى المـــاء يركبـــه
فـراح يمخـر لج البحـر ماخـره ؟

فماذا يريد أن يقول ؟ أتراه ينكر ان الشـــعب العربى ولا سيما قبل الاسلام يغلب عليه طابع البداوة؟ أتراه ينكر أن سفينته المفضلة كانت الجمل ، سفينة الصحراء ؟ أتراه ينكر أن الأســلام كون من هـذا الشعب اســطولا بحريا غزا بحر الروم حتى جعله بحيرة عربية ، ثم واصل الغزو حتى وقف على أسوار القسطنطينية ؟ كل هذه معلومات مسلمة الثبوت ، لا تقبل النقاش ، وحسبنا هذا حتى تتحقق سـلامة البيتين • أما أن العرب كان منهم حضريون يسكنون المدن ، وأن بعضهم عرف البحر معرفة نسبية فهـذا لا يقدم ولا يؤخر فى الموضوع ، ولا يقدح قيد أنملة فى البيتين • فان شاء أن نزيده مددا من المعرفة فى هذا الصدد قلنا له : ان الشعب العربى ، بل ان عمر نفسه كان يخشى ركوب البحر، وقد طلب منه عامله على مصر بناء عمارة بحرية يغزو بها بحر الروم، فلما وصف له البحر بالقطعة المشهورة « انى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، هم فيه كدود على عود.. الخ» قال : « والله لا حملت فيه مسلما » وهكذا ظل العرب يرهبون البحر الى ما بعد عهد عمر ، فبنيت السفن ، وبلغت العمارة البحرية أوجها فى عهد معاوية ، فماذا يريد الأستاذ منا بعد ذلك؟ مرة أخرى ندعوه الى تفهم الحقائق الشعرية ، والى التفرقة بين الشاعر ومدرس التاريخ •

وأما فى علم الجغرافيا فقد ألقى الدكتور الناقد ـ نفعنا الله بعلمه ـ درسا آخر أطول من ليل النابغة فى نشأة الفصول الأربعة وما الى ذلك مما يتعلق بالاعتدالين والانقلابين بسبب ميل الأرض على مستوى فلكها بزاوية مقدارها ٢٣٫٥ درجة تقريبا الى آخر ما ذكره فى هذا الصدد مما درسناه صغارا وذلك كله بسبب بيتين مشئومين آخرين ، هما :

قالوا الربيع فقلت العـدل شـيمته
لا فى النهار ولا فى الليل نقصـــان
تعـــادل الليل فيه والنهـار معـــا
كأنمـــا هـــو للأيام ميـزان

وهو يأخذ علينا أن التعادل لا يتحقق الا فى أول أيام الربيع ، وهذا حق . بيد أننا نقول له : اننـــا حين نتكلم عن الربيع نتكلم عن مقدمه ، فهو الذى يشيع البهجة ، ويهز المشـاعر ، وفى مقدمه هـذا يتعادل الليل والنهار ، ثم يكونان أقرب الى التعادل• وهذا يكفى لتحقق سلامة البيتين •

هذه نظرة الشاعر الى الربيع ،وهى غير نظرة العالم الفلكى اليه ، فالثانى يقيس أبعاد الزيادة والنقصان بين ليله ونهاره فى كل يوم من أيامه بالدقيقة والثانية طبقا لتنقل الشمس فى أبراجها • وقد بح صـوتى من دعوة الدكتور الى التفرقة بين نظرة الشعر الى الشىء ونظرة العلم اليه ، ولكن يظهر أن المســألة ما زالت فى حاجة الى مزيد من الشرح •

ان الشعر يتغنى مثلا بجمال الربيع ، ولكن العالم الفلكى قد يجرده من كل جمال ، ويعتبره أقسى فصول العام بالنسبة للأصـــقاع الواقعة فى منطقة خط الاستواء حيث تتعامد الشمس على تلك البقاع عند حلول الربيع ، فتصليهـــا حرا يذيب دماغ الضب ، ولعل ربيع هؤلاء يقع فى الانقلاب الصـــيفى حين تتعامد الشمس على مدار السرطان ، أو فى الانقلاب الشتوى حين تتعامد على مدار الجدى • فهل من أجل هذه النظرية العلمية نخطىء كل ما قيل من الشعر العربى والشعر الغربى فى التغنى بجمال الربيع ؟

وان الشعر يتغنى بجمال الزهر فى الربيع نفسه، ولكن عالم التاريخ الطبيعى يحذرك من الزهر كمـا يحذرك من الأفاعى والصلال ، فهو فى أثناء الليل يمتص الأوكسوجين من الهواء ، وينفث ثانى أوكسيد الكربون الذى يفســـده ، ومن هنا كان النوم فى الحدائق قد يسبب الاختناق ، والى ذلك يشير شوقى بقوله :

لا تحفل بجناهـــا او جنايتهـــا
الموت بالزهـــر مثل الموت بالفحم

وان الشعر يتغنى بقبلة من خد الحبيب ، ورشفة من شفتيه ، ولكن الطب يحذرك من الأولى لأنها تنقل العدوى ، ويحذرك من الثانيـــة لأن رضاب الحبيب تفرزه غدد خاصة لا ليمتص رحيقه ، بل ليســـهل عملية ازدراد الطعام ، ويحيل ما فيه من نشويات الى مواد سكرية ، ثم هو لايفرق بين رضـــاب الكاعب الحسناء ولعاب الحيزبون الشوهاء ، على حين يجـــد الشاعر الأول سلافا ، والثانى سما زعافا •

وقل مثل ذلك فى جمال القمر والماس مثلا ، فالعلم لا يرى فى الأول أكثر من جسم معتم يمتلىء سـطحه بالصخور والوحول ولا يرى فى الثانى أكثر من حجر يتكون فى باطن الأرض بنفس الطريقة التى يتكون بها الفحم •

الحقائق وحدها .. من أجل الإنسان

بقلم : محمد الغزالى

يجب أحكام الرقابة على الطرائق التى تؤثر بها فكرة عن فكرة ، واتجاها على اتجاه ، فان الغش فى المقاييس العقلية أكثر شيوعا من الغش فى موازين التجار الخونة !

والغريب ان الانسان قد يضيق اذا بخس حقه فى سلعة دفع ثمنها كاملا ، ويشعر بسوأة الحتل وسوء المعاملة ، بيد أن هذا الانسان نفسه لايشعر بكبير حرج عندما يصدر حكما خاطئا على أمر من الامور • أو عندما يقتنع بصدق اسطورة مبتوتة الصلة بالواقع •• وقد حرك القرآن الكريم جمهور المشركين كي يستبينوا طبيعة مالديهم من عقائد ومذاهب ، وأهاب بهم أن يعيدوا النظر فى تقويمها ! وأن يكشفوا الغش الذى زين لهم قبولها ! وسألهم أين الدليل على ماذهبوا اليه ؟

« أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » •

« أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » •

والمطالبة بالبرهان فى كلتا الآيتين ليست أكثر من عرض لاعادة النظر فى المواريث الفكرية السائدة حتى ينبذ منها مالا دليل عليه ، وحتى يتخلص الانسان من قيود الوهم التى تشل قدرته وتضلل غايته •

ولسنا هنا فى مقام التنديد بقوم ألغوا عقولهم ، وتبعوا ما انتقل اليهم عن آبائهم ، فاذا بدا لهم خطله أصروا عليه ، لبلادة غلفت عقولهم بالتعصب ، وجعلتهم يردون هاديهم الى الحق بهذا الجمود « قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم • قالوا انا بما ارسلتم به كافرون » ، فان هذا النوع من الدهماء مهدر الكرامة ، بين الرذيلة •

انما حديثنا هنا فى كثير من أولى العقل الذكى ، والفكر النير ممن يحترمون المنطق ويتحنون للدليل ، ولكنهم لامر ما سمحوا لأفكار شتى أن تتسرب الى نفوسهم ، وأن تؤثر فى سلوكهم دون وعى كامل ونقد حصيف •

والزلل الفكرى لهؤلاء الكبار بعيد المدى •

واشيع ما يكون هذا الزلل بين المبرزين فى فن ما عندما يتكلمون فى فن آخر •

ان الرجل قد يتبوأ القمة فى علم الطب ، فاذا تحدث فى التشريع او اللغة وقع فيما لايقع فيه الناشئة وبعض المخترعين تحدث فى الدين بكلمات تثير الضحك ، وأبدى آراء لاوزن لها •

واذا تركنا ميادين التخصص العلمى المختلفة وجدنا أنفسنا أمام عوائق أخرى دون الحقيقة المجردة •

ان العلماء فى ميدان واحد قد يبدءون البحث من أساس هو موضع ثقتهم التامة ، مع أن هذا الاساس نفسه مدخول خادع •

وما أكثر الوراثات والاشاعات والافهام التى لا تثبت على التمحيص وهى عند أصحابها عقائد مكينة ، ومن ثم فنحن أحوج ما نكون الى المنطق العلمى الصارم فى تقويم كل شىء ، وترتيبه حسب منزلته من اليقين •

يقــول « الكسيس كاريل » : فى جميع الازمان كانت الانسانية تتأمل نفسها من خلال منظار ملون بالمبادىء والمعتقدات والاوهام ، فيجب أن تهمل هذه الافكار الزائفة غير الصحيحة · ومنذ أمد بعيد أشار « كلود برنار » فى كتاباته الى ضرورة التخلص من النظم الفلسفية والعلمية كما يفعل الانسان حينمـا يحطم سلاسل العبودية العقلية ، ولكن بلوغ مثل هذه الحرية لم يتحقق بعد ، لانالبيولوجيين والمعلمين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع ، كانوا اذا ماواجهتهم مشكلات شديدة التعقيد غالبا ما يستجيبون للاغراء الذى يستحوذ عليهم لكى يبنوا نظريات ثم يقلبوها بعد ذلك الى معتقدات ، ومن ثم فقد تبلورت علومهم على شكل تراكيب ، شأنهم فى ذلك شأن المتعصبين للديانات · اننا نلاقى كثيرا من دواعى التذكير التى تثير التعب بسبب هذه الاخطـــاء فى جميع نواحى المعرفة » ·

ونحن نود لو عولجت الآراء والمقترحات والمذاهب بأقصى مالدى البشر من ذكاء وتجرد · وحرية ، فان الاوهام بين النـــاس أكثر من الحقائق ، ولو كانت الظنون العلمية والاجتماعية والدينية تتساقط من اذهان أصحابها كما يتساقط ورق الشجر فى فصل الخريف ، لعريت عقول كثيرة ممـــــا يتماسك بها ، وما يطلبه مؤلف « الانســـــان ذلك المجهـول » هو ماسلكه كبار العلماء عندنا · ان نشدان اليقين هو غاية المفكرين المسلمين فى مزدحم الآراء التى تلقاهم ولاشك ان القرآن الكريم من وراء هذا السعى الحميد·

وتأمل فى هذه الآيات التى تجمع الرذائل الفكرية والنفســـية لأى رأى وتحذر من مقــارفتها « قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون ، يسألون أيان يوم الدين ؟ » ·

التخرص ، والانغماس فى الغفلة ، والسـهو عن الواقع ، هذه آفات لاتنتج حقيقة أبدا ، ومثلهــــا غفلة الحواس وذهولها « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ، فكم من حاضر الجسم غائب اللب ؟ أترى ذلك يعى ما أمامه ؟ ·

« فذرهم فى غمرتهم حتى حين ، أيحســـبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون » · المرء المغمور بصــــور مادية ومعنوية معينة قلما يخرج من محبسه ليدرك مشـــاهد أخرى للحياة أو جوانب من الحق لايحسها ، الا أن تدركه أقدار حسنة فتتيح له أن يعرف ماكان يجهل ·

والحضارة الاسلاميةفى أعصار ازدهارها ، وقربها من منابعها كانت تلمع فيها هذه الصبغة الباهرة ، صبغة التجرد للحق ، والبحث عن اليقين ·

ولنتناول طرفا من حياة الغزالى الكبير ، كنموذج اسلامى فى مجتمع شبيه بعصرنا هذا ، كانت الافكار فيه والمذاهب تتصارع فى كل قرية ومدينة ، اذ أن الثقافات الاجنبية العالمية تمت ترجمتها تقريبا الى العربية فى الوقت الذى بلغت فيه علوم الدين واللغة مرتبة الاستقرار ، وشاع الجدل العلمى فى كل ناحية وانتشرت مجالسه ومناظراته ·

فكان طالب الحق يجد نفسه أمام ألوان شتى من التفكير ، وبين دعوات تجتذبه من هنا ومن هناك · وانك لتلمح مدى الحرية العقلية التى تمتع الغزالى بها وهو يصف نفسه فى كتابه « المنقذ من الضـــــلال » فيقول :

« ولم أزل فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ قبل العشرين الى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور وأتوغل فى كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومتســـنن ومبتدع لا أغادر باطنيا الا وأحب أن أطلع على بطانته · ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجـــادلته ، ولا صـــوفيا الا وأترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته ، وقد كان التعطش الى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى من أول أمرى وريعـــان عمرى غريزة وفطرة من الله وضعتا فى جبلتى لا باختيـــارى وحيلتى حتى انحلت عنى رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا اذ رأيت صبيان النصارى لايكون لهم نشــوء الا على التنصر وصبيان اليهود لانشوء لهم الا على اليهود ، وصبيان المسلمين لانشوء لهم الا على الاسلام وسمعت الحديث

المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: « كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه » فتحرك باطنى الى حقيقة الفطرة الاصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات ، واوائلها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات • فقلت فى نفسي : أولا انما مطلوبى العلم بحقائق الأمور فلابد من طلب حقيقة العلم ما هى ؟ فظهر لى ان العلم اليقينى هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم » •

والمنهج العلمى البحت • الصارم فى ضبط المقدمات ووزن النتائج بموازين الذهب ، لا يلقى اشرف من هذه السيرة ، ولو وضعت هذه السطور المضيئة أمام المؤلف الفرنسى الكبير لامتلأ قلبه اجلالا لصاحبها •

ونحن ـ حين نخط هذه السطور ـ نشفق من متاجرين بالحرية العقلية ، لا يؤيدونها الا بمقدار ماتعطى الشبهات حق الحياة ، والخطأ حق الانطلاق ، والفوضى حق التدمير •

فاذا أتاحت لهم الحرية ما يبتغون سدوا على خصومهم أفواه الطرق ودفعوا بالمجتمع كله صوب ما يعتنقون •

وهذه ثمار مرة لا يرى عاقل أن يمهد لها ، والامر يحتاج الى تفصيل ومحاذرة •

ففى ميدان العلم ، وفى مجامعه الكبرى ، وصفوفه العليا يمكن أن تدرس النقائص ، وتسمع شتى الآراء ، وتناقش جهرة دون حرج ، ومع تامين مطلق لذويها••

اما ان يستمكن بعض المنحرفين من آذان العامة ويصبوا فيها الوان الاغراء ، ومنازع الشر ، فهذا هدم لا بناء ، وخطره على المجتمع شديد ، اذ هو سيزلزل القيم التى يتحرك بها ، ويوهى الاواصر التى تشد بعضه الى بعض •

ولقد رأيت بعد انعام النظر واستقراء الاحداث ان الباطل لا يسير فى الارض بقواه الذاتية ، وانما تسيره عوامل الرغبة والرهبة وتسنده الرشا والسيوف ، وعندما تتخلى عنه يتهاوى من تلقاء نفسه •

اما الحق فان تجاوبه مع فطرة الله فى النفوس يجعله مقبولا مستحبا ، ويقدره على تخطى العقبات واجتياز السدود ، اى أن الحق لا يخشى الحرية أبدا ، انما يخشى الحرية العوج والجهل والبغى فى الارض بغير الحق ••

ومن ثم فنحن مع توفير الحرية التامة فى أرجاء المجتمع ، نعتقد ان هذه الحرية بما فيها من حرارة ستنضج السنابل النافعة وتقتل الحشرات الضارة • سيأخذ الحق منها جواز مروره الى الأعقاب على اختلاف الليل والنهار ، وسينكمش الباطل فى جوها، فاما صعق لفوره ، واما تحرك قليلا ريثما يلقى حتفه •

وكم من عوج فى الدنيا ما يمسك بقاءه الااستخفاء هذه الحرية العزيزة ، ولو هبت رياحها يوما لخلعت جذوره •

وبديهى أن الحرية التى نعشق ، تلك التى تحد من جهاتها الأربع بما لا يضر الآخرين •

انها الجو الذى يعيش على تمحيص الحقيقة ويساعد على قبولها دون قسر أو ختل ••

والعلم بالانسان ورسالته ، وضمان حاضره ومستقبله ، والتسامى به مبنى ومعنى جهد رحيب الدائرة ، بل ان العلم بالانسان لا يصح الا مع خبرة محترمة بعلوم الكون والحياة ، واحاطة حسنة بجملة الحقائق المادية والتاريخية والاجتماعية •

ولا غرو فالانسان أثمن درة فى هذا الوجود ، والقصور لا يجدى فى فهم قضاياه • ولذلك يقول « الكسيس كاريل » « ان علم الانسان يستخدم جميع العلوم الأخرى ، وهذا سبب من أسباب بطئه وصعوبته » ويقول « من الواضح طبعا أنه لا يوجد عالم يستطيع أن يتحكم ويتفوق فى جميع الفنون التى لا غنى عنها لدراسة مشكلة واحدة من مشكلات الانسان » •

وليس هذا مثبطا للهمم او معجزا للباحثين • ولنبدأ السير من الآن « سيكون علم الانسان مهمة المستقبل فيجب أن نقنع الآن بالبداية سواء من الناحية

التحليلية أو من الناحية التركيبية المتعلقة بالصفات الانسانية » ٠٠

وهنا نشرف على أنفس ما وصل اليه العالم الغربي الألمعي !

ما الانسان الذى تحيطه بتلك الهالة النيرة ؟ ٠ لقد كرم الله الانسان من قديم ، وفضله على صنوف البر والبحر » ٠

وفي عصرنا هذا نجد الانسان بدل أن يصعد السلم بقدمين يحمله المصعد الى أعلى ، وبدل ان يقطع المسافات الشاسعة في سفره تحمله الطائرات الى ما يبغي

ان عناصر وفيرة في الأرض والسماء مسخرة لراحة البشر وترفيههم ، وكلما ارتقت الحضارة زادت أعداد العناصر المسخرة للانسان ، وزادت مقدرة الانسان على تطويعها لرغباته ،

فهل كرامة الانسان وعظمته تعودان الى هذه المهارة ؟ كلا ، ان الانسان الذى يصعد السلم على قدميه وهو يلهث أشرف من ممطى المصعد ، اذا كان الأول يحمل بين حناياه قلبا زكيا ، ونفسا تقية ، وكان الآخر لا يعرف الا ملء معدته واطفاء شهوته ٠

ليس شرف الانسان بمدى سطوته في الارض ، بل بمدى تنمية مواهبه العليا وملكاته النبيلة ٠

وفي هذه الايام نستقبل أنباء غزاة الفضاء وهم يحاولون بيأس شديد أن يتعرفوا الكواكب الأخرى ، ويضعوا أقدامهم على سطحها ٠

ان هذا تقدم علمي رائع بيد أن قيمته الانسانية هابطة ما بقي البشر على ظهر الارض يأكل أبيضهم اسودهم ، ويستغل قويهم ضعيفهم ، ويصبحون ويمسون وهم لا يحسنون الا خدمة الاهاب الطيني الذى احتوى خصائصهم ووظائفهم المادية والمعنوية فان كل انسان منصرف الآن ـ هكذا يقول كاريل ـ الى الاهتمام بالاشياء التى تزيد من ثروته وراحته في حين لايوجد من يدرك أن الصفة البنائية والوظيفية والعقلية لكل فرد يجب أن تتناولها يد التحسين فان صحة العقل والحاسة الفعالة والنظام الادبي والتطور الروحي تتساوى في اهميتها مع صحة الابدان ومنع الامراض المعدية ٠

اننا لن نصيب أية فائدة من زيادة عدد الاختراعات الميكانيكية وقد يكون من الاجدى ألا نضفي مثل هذا القدر الكبير من الأهمية على اكتشافات الطبيعة والفلك والكيمياء ٠ ومن ثم فان من الافضل كثيرا أن توجه اهتماما أكثر الى انفسنا عن أن نبني بواخر أكثر سرعة وسيارة تتوافر فيها أسباب الراحة وأجهزة راديو أقل ثمنا أو تلسكوبات لفحص هيكل سديم على بعد سحيق ما هو مدى التقدم الحقيقي الذى تحققه حينما تنقلنا احدى الطائرات الى اوربا أو الى الصين في ساعات قلائل ؟ هل من الضرورى أن تزيد الانتاج من غير توقف حتى يستطيع الانسان أن يستهلك كميات أكثر باطراد من أشياء لاجدوى منها ؟ ليس هناك أى ظل من الشك في أن علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء عاجزة عن اعطائنا الذكاء والنظام الخلقي والصحة والتوازن العصبي والامن والسلام ٠ يجب أن نصرف حب استطلاعنا عن سبيله الحاضر ونوجهه في اتجاه آخر ٠٠

يجب أن ننصرف عن الأبحاث الطبيعية والفسيولوجية لنتبع الأبحاث العقلية والروحية ،

وقائل هذا الكلام رجل يستمد معرفته من المعمل، والارقام ، والوقائع ، وهو يبغي بمنطق العلم التجريبي المنزه عن الوهم والمجازفة أن يعرف الانسان نفسه ومصلحته العاجلة أو الآجلة ٠

ولو وعى رجال الدين وظيفتهم لأسهموا بنصيب كريم في هذا الميدان ٠٠ أعنى أن يلفتوا الى هذا العلم الجديد « علم الانسان » ليضيئوا متاهاته بمنارات الوحي ، فان كل علم للانسان يجب ارساء قواعده على الايمان بالله واليوم الآخر ، وعلى اعتداد مرحلة العمر فترة اختبار لها ما بعدها ٠

وعبيد الدنيا ينكرون هذا الكلام أشد الانكار ويتوهمون أن مستقبلهم هنا ، وحسب ٠

ما أشبههم برجل قرر أن يزرع صحارى القطبين ، واستصحب في رحلته اليها قناطير البذور انه لن يجنى من جليدها الا متاع الغرور ٠

محمد الغزالي

رد على نقد

كيف نفهم الحقائق الشعرية..؟

بقلم: محمود غنيم

لا نظن الملاكم «ليستون» ما يزال يترنح الى اليوم من أثر الضربة القاصمة التى وجهها اليه « كلاى » ولكن الدكتور أحمد كمال زكى لا يزال الى اليوم يترنح من أثر الضربة القاصمة التى وجهناها اليه على صفحات الرسالة بعنوان « كيف نفهم الحقائق الشعرية ؟ » لقد مضى عليها قرابة شهر ، ولكنه كلما عاود النهوض عاوده السقوط، ولا أدل على ذلك من مقاله المتهافت المنشور فى عدد ٣ يونية سنة ١٩٦٥ من الرسالة الغراء بعنوان « رفقا بالشعر »

ان هذا المقال ان دل على شيء فانما يدل على ما لا يزال يعانيه من أثر الصدمة الى الآن ، فهو سلسلة من السقطات متصلة الحلقات ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، والى القارىء الكريم بعض ما يتسع له المقام من هذه السقطات .

السقطة الاولى : يقول - عفا الله عنه - ما نصه : « أتحدث عن الشعر لا فى حدوده العامة ، وانما فى حدود قصيدة واحدة لفتت نظرى الى أمور هى فى حقيقتها آفة الفن المعاصر كله ، وهذه القصيدة التى لفتت نظره الى آفة الفن المعاصر كله : اى التى اعتبرها وباء نشر سمومه وصلاله فى محيط الفنون جميعها - والعياذ بالله - هى قصيدة الوحدة العربية المنشورة فى عدد الهجرة الممتاز من الرسالة بعنوان « رب واحد وشعب واحد » .

ونحن نعلم أن لفت النظر عادة انما يكون الى أمر من شأنه الخفاء عن عيون الناظرين ، ونعلم بجانب ذلك أن الناقد البصير ينبغى أن يكون على بينة من آفات الفن الذى يتصدى لنقده ، بل على بينة من الهفوات الدقيقة التى تغض من جماله . واذا علمنا هذا وذاك كان من حقنا أن نتساءل : « ما قيمة هذا الناقد الذى تخفى عليه آفات الفن المعاصر كله ، حتى تنبهه اليها قصيدة واحدة ؟ وأية قصيدة تلك التى أسدت الى الفن المعاصر كل هذه الخدمات بما كشفته فى محيطه من الآفات ؟ ثم ما معنى الفن المعاصر كله ، بأل الاستغراقية مع التوكيد بكلمة كل ؟ نحن فى مقام نقد الشعر ، والقصيدة المشار اليها فى فن الشعر وحده ، فما شأن النحت والتصوير والموسيقى والتمثيل وغير ذلك من الفنون ؟ لنفترض أن القصيدة من فرعها الى قدمها كانت ضربا من الهذيان ، فكيف يتجاوز مفعولها هذا النطاق ، ويمتد الى كل هذه الآفاق ؟

الحق : أقول ليست القصيدة ضربا من الهذيان ، ولكن هذا الكلام بعينه هو الهذيان .

السقطة الثانية تتجلى فيما أبداه - حفظه الله ورعاه - من عجب سببه أن فسحت مجلتا الرسالة والثقافة صدريهما لنشر قصيدتين من قصائدى ، والمجلة الأولى يشرف عليها - كما يقول - ناقد ذواقة وكاتب كبير ، ويقف الى جانبه أحد شعرائنا المطبوعين ، وكذلك المجلة الثانية يشرف عليها رجل له فى مجال الأدب صولات وجولات ، ومعه أيضا أحد شعرائنا المطبوعين .

وهذا الكلام غنى عن كل تعليق فهو ضرب من الاستعداء الرخيص ، والاستعداء أمارة الضعف والاستخذاء ، فمن ياترى سيستعدى علينا في المستقبل اذا خذله هؤلاء ؟ أرجال الأمن أم رجال القضاء ؟ ثم ما رأى القارىء الكريم فيما تضمنه هذا الكلام من اطراء مبتذل ؟ قد يكون ما قاله صحيحا، ولكن ذكره في هذا المقام لا يعدو أن يكون ضربا من الملق الرخيص الذى تأباه كل الاباء أخلاق العلماء ·

كانت هاتان السقطتان وحدهما كفيلتين بأن نتردد في معاودة الرد ، فنحن نحب أن يصدر القرن الذى ننازله فيما يجرى به قلمه عن تفكير سليم وخلق قويم ، وقد ترددنا فعلا لولا أن وجدنا في المقال طائفة من الأخطاء ربما خفيت على بعض القراء

السقطة الثالثة ــ وهنا ندخل في لب الموضوع ــ تتجلى فيما كتبه عن مطلع القصيدة الموبوءة

الله أكبر شعب قام شاعره
يشدو فانصت فوق الأيك طائره

قال ــ لافض فوه ــ : انه بهذا البيت جعل نفسه شاعر الشعب الأوحد ، كما جعل قاسم العراق نفسه زعيم الشعب الأوحد ، فمن الذى بايعه ؟ ان المبايعة هنا من طرف واحد ·· الخ ·

وهنا يتجلى مبلغ فقه الدكتور لقواعد البلاغة مرة أخرى بعد أن كشفنا عنه الستار في المقالة السابقة، فقد فهم أن اضافة كلمة شاعر الى الشعب ، أو الى ضمير الشعب بتعبير أدق ــ تفيد معنى القصر بدليل قوله : « جعل نفسه شاعر الشعب الأوحد كالزعيم الأوحد قاسم العراق » ونحن نتغاضى عن اقحام قاسم العراق هنا وما ينطوى عليه من تفاهة واسفاف في مقام الجد والنقاش العلمي ، ولكننا نقول له في تواضع : ان هذه الاضافة لا تفيد معنى القصر ، فللقصر طرق أربعة يعرفها المبتدئون ، وليس منها طريق الاضافة · بل نزيد على ذلك أن المفرد المضاف يعم كما تقضى بذلك أساليب اللغة العربية · واذا تقرر هذا كان معنى « شاعر الشعب » مجرد شاعر من الشعب ان أردنا المفرد ، فان أردنا الجمع كان معنى البيت أن شعب العروبة حين يتغنى شعراؤه بامجادها تنصت الطيور على أعوادها ·

فأين الأوحدية هنا ؟ وأين المبايعة من طرف واحد أو من طرفين ؟ وأين ما رتبه على هذه وتلك من تهكم واستخفاف ؟ لقد نسب الينا ما نحن منه براء ، وحمل البيت مالا يحتمل ، ولا سبب لذلك كله الا قصوره في مادة تخصصه ، فمن حقنا أن نقول له ما قال المرحوم مصطفى صادق الرافعي في مثل هذه المناسبة : « أبو الطيب المتنبي يسلم عليك ، ويقول لك :

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

على أننا لا ندع مسألة المبايعة هذه تمر بسلام ، فان لها أصلا واصلا راسخا لا في شعرنا نحن ، بل في رأسه هو وما فيه من رواسب ذهنية ، فالواقع أنه حين تصدى لنقدنا كانت الجوائز الأدبية التي احرزناها تتركز في بؤرة شعوره ، وهو نفسه يصرح بذلك في مقاله الأول حيث يقول : « نبدأ بنقد شاعر طالما أحرز الجوائز الأدبية » والجوائز تحمل معنى المبايعة ، وهذا هو السر الذى جعله يخطىء فهم البيت ، وينزلق الى ما انزلق اليه ، وساعده على هذا الخطأ رقة علمه بقواعد البلاغة التي يقوم بتدريسها لطلاب الجامعة ــ كان الله في عونهم ·

ونعود فنقول له بكل جرأة أو بكل تبجح ان شاء : وماذا علينا لو سلكنا سبيل الشعراء في تفاخرهم باشعارهم وتغاليهم في أقدارهم ؟ قديما قال المتنبى :

أجزني اذا أنشدت شعرا فانما
بشعرى أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فانني
أنا الطائر المحكى والآخر الصدى

وقال غيره :

انى وكل شاعر من البشر
شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

ومن حقنا أن نقول مثل هذا الكلام ، وفوق هذا الكلام ، وأنف الناقد في الرغام ·

وقبل أن ننتقل من هذا الموضوع ننبه الأستاذ الى أنه أسقط لفظ الجلالة من ختام القصيدة ــ وربما كان بريئا من هذا الذنب ــ وصحة البيت :

سيف العروبة سيف الله أنت ولن
يفل سيف اله العرش شاهره

ثم ننتقل الى سقطة لغوية كفيلة باسقاطه لا من عداد النقاد ، بل من عداد الناطقين بالضاد ، وذلك حين يقول ــ نفعنا الله بعلمه ــ انني أخطأت في استعمال كلمة «فترة» بمعنى مدة ، وانما الفترة الضعف والانكسار · أفما كان الاجدر بمن يعرض عقله وعلمه على الجمهور في مجلة سيارة أن يتناول معجما كالمعجم الوسيط ، ليكشف فيه عما يخطئنا

فى استعماله ؟ ان كان اهمل الكشف فهو ذنب لايغتفر ، وان كان كشف ولم يفهم كان ذلك ادهى وامر ، ولا ثالث لهذين الاحتمالين ، ونص ما ورد فى هذا المعجم : «الفترة الضعف والانكسار ، والمدة تقع بين زمنين ، قال تعالى : «ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل» ولانريد أن نتشكك فى مبلغ علم الناقد بالاشتراك والترادف فى مفردات اللغة العربية ، فليس اللفظ الواحد يؤدى معنى واحدا فى جميع الأحوال ، ومن الاوليات أن ننبه الى أن كلمتى «العين والخال»مثلا يؤديان عشرات المعانى ، بل قد يصل الاشتراك الى حد الدلالة على النقيضين ، كما فى كلمتى «الجليل والغابر » فان أراد مزيدا من الدروس التى يضيق بها ذرعه قلنا له : ان أصل الفترة مدة الانقطاع التى بين رسولين ، ثم توسع فى استعمالها حتى أطلقت على كل مدة بين زمنين ، كما فى المعجم المشار اليه، ولا اخاله يجهل باب التوسع فى الاستعمال اللغوى، وهو باب واسع يكاد يقطع بين ماضى بعض الالفاظ وحاضرها ، فلو بعث امرؤ القيس من قبره اليوم ما فهم من كلمة الثقافة ما نفهمه نحن منها اليوم ، فهو لم يعرف من هذه المادة الا « الثقاف » اسما لآلة تعدل بها الرماح المعوجة ، ثم توسع فى استعمال كلمة الثقافة لكل مايعدل العقول من علوم ومعارف .

لم يلج فى هذا الباب ماشاء له اللجاج ، ليخطئنا فى كلمة «الديتونة» من قولنا «ندين كل الديتونة بكذا » الا فليعلم أن الديتونة والسيرورة والصيرورة والشيخوخة والقيلولة والديمومة وما اليها لم تخرج عن كونها مصادر مسموعة من دان ، وسار ، وصار وشاخ ، وقال يقيل ، ودام ، وليعلم ان المصدر الاول منها من دان بمعنى اعتقد او افترض ، والعبارة سليمة على كلا الاعتبارين ، اذ المعنى نعتقد كل الاعتقاد بكذا ، أو نلتزم به التزام المدين بما فى ذمته من دين .

ومن حقنا بعد ذلك ان ننصح الدكتور بعدم سلوك هذا الطريق الشائك وبان يتهم نفسه حين تعرض له شبهة لغوية فيماتقول ، وحسبه مايتشدق به من العبارات الجوفاء التى يرددها فى كل مقال من نحو قوله : «ان الشعر يزيد معرفة الانسان بالانسان» وهل النثر يزيد معرفة الحيوان بالحيوان؟ وحسبه مايملأ به فاه فى زهو واعجاب من الاعلام الاجنبية من امثال «وردزورث» شاعر الطبيعة الذى يقرر بعبقريته الفذة ان الشاعر بشر يتحدث الى بشر ، وهل فرد بائع الفاكهة ، أو تاجر ماشية ان الشاعر جماد يتحدث الى جماد ؟

ثم يصل بعد ذلك الى اكتشاف لم يصل اليه « كولب » حينما اكتشف ان الخليل بن أحمد بصرى لا بغدادى ، ونحن نعرف انه ليس بصريا فقط ، بل شيخ علماء البصرة ، ولكن هذا لا يمنع انه من مفاخر بغداد حين تعدد مفاخرها ، ولايمنع ان تنسبه اليها على اعتبار أنها عاصمة العراق التى تذوب فيها كل حواضره وقراه ، وذلك على نحو مانقرأ : «تعول لندن كذا» ولو كان المتحدث من ويلز ، أو من اسكتلندة ، وعلى نحو مانقول : « ان القاهرة انجبت محمد عبده والعقاد» مع ان الاول من محلة نصر والثانى من اسوان ، وعلى نحو مانقول : «ان القاهرة تصنع السكر وتصدره » ومصانع السكر فى الحوامدية وكوم أمبو وغيرهما ومااردنا بقولنا : «ان الخليل بغدادى لحما ودما» الا أن نؤكد هذا المعنى ، وننفى شبهة ان بصريته تنافى انه من مفاخر بغداد ، كنا نفهم أن يخطئنا فى نسبة الخليل الى بغداد حينما يكون شاميا أو مغربيا أو من بلاد واق الواق لا من بلاد العراق . والامر فى ذلك أهون من ان نستفتى فيه أكبر المصادر التاريخية كما يشير علينا فى مقاله الممتع الحافل بمحاضرات ضافية فى علمى التاريخ والجغرافيا .

اما فى علم التاريخ فقد اقحم فى مقاله بدون مناسبة محاضرة اطول من ليل الشتاء على العاشق الصب ، موضوعها التفرقة بين العرب سكان الحضر والأعراب سكان البادية ، ويفيض علينا من علمه الغزير الذى تفهق به كتب التاريخ ، فيقرر ان [illegible] معد تعنى الخشونة فى المعاش ، حتى قيل فى الامثال « اخشوشنوا وتمعددوا » وان الفيلولوجيين يرون ان هذا اللفظ لايعنى الا البدو والاعراب فقط ثم يستطرد المحاضر الى ذكر قريش وخزاعة وكنانة ونسب كل قبيلة من هذه القبائل مستشهدا برأى الدكتور جواد فى كتابه القيم «تاريخ العرب قبل الاسلام » الى آخر ماذكره فى هذا الصدد مما لااريد ان أصدع به راس القارىء مرة اخرى .

الم اقل : ان الدكتور آفته التعالم ؟ أتدرى أيها القارىء الكريم مامناسبة هذا كله ؟ انها تنحصر فى هذين البيتين المشئومين :

شعب من البيد ظهر العيس مركبه
أطاعه الكون باديه وحاضره

« البقية على صفحة ٣٤ »

فى ذكرى الشابى

للشاعر : صالح جودت

لم ينفر الوحي ولم يغرب … عن قمة الالهام فى يعرب
من زعم الشعر انتهى عهده ؟ … كم جاء بعد المتنبى نبى !
شوقى .. وهل شوقى سوى سورة … فى محكم التنزيل لم تكتب
لينعم الشعر بآياتها … وتعمر الفصحى على الأحقب
وشاعر النيل الذى هزنا … بشعره المستعر الملهب
أشعلها فى دمنا ثورة … وقودها الغاصب والأجنبى

❋❋❋

وشاعر القطرين ، من جاءنا … بكل قول مؤنس معجب
علمنا الرقة فى اوجها … والحب فى اسلوبه المذهب
قد رضى الوحي على قومنا … واتبع الكوكب بالكوكب
ان غاب عن مشرقنا شاعر … تألق الشاعر فى المغرب
هيهات ننسى لأبوللو يدا … ياما سقت من غيثها الصيب
مرت على مطلع أيامنا … ونحن كالحبات فى الطحلب

❋❋❋

فقربت منا بعيد القرى … وأطلعت منا زهور الربى
وكان فينا وتر ساحر … يخطر فى برد الصبا الأقشب
صلاته للحسن صوفية … فى هيكل الحب ، كنجوى نبى
ما علموه الشعر .. لكنه … لألاه من روحه الطيب
منغم اللفظ ، جديد الرؤى … ينساب من عذب الى أعذب
وآية التجديد أن تلتقى … حلاوة الصنعة والموهب

❋❋❋

وتطلع الصورة مجلوة … باللحن فى ايقاعه الخلب
لا أن يخون الشعر ميزانه … ويغرق المبنى فى المعرب
ويفقد النظم تقاليده … ويصبح الشعر بلا مذهب
قم يا أبا القاسم واسخر معى … من قصة الخصرم والثعلب
من الألى سدت مزاميرهم … فاعرضوا عن شعرنا المطرب

اضحك من الشعر الجديد الذى ... لم تدر من أم له أو اب
من الألى اختلت موازينهم ... فاستبدلوا الميزان بالعقرب
لووا عمود الشعر حتى انحنى ... وسار بين الناس كالأحدب
مهلهل الجرس ، لقيط الجنى ... لم ينم للعرب ولم ينسب
فشطرة تخلص فى كلمة ... وشطرة تمتط كاللولب
وفكرة صفراء صينية ... وفكرة حمراء كالصقلب

***

فما استقام الشكل من عورة ... ولا خلا المضمون من مثلب
ان كان هذا شعر أيامنا ... فيا ضياع الشعر فى « يعرب »
عفوا أبا القاسم ، ان لج بى ... حديثهم فى يومك الطيب
وأنت من بالبحر فى عمقه ... وبالقوافى صعبة المطلب
غنى الجبال الخضر ألحانه ... وأطلق النايات فى السبسب
وضاء بالحب ستار الدجى ... وأطلع الزنبق فى المجدب

***

وزف بنت النور أنشودة ... نشوانة الأنغام فى الموكب
أطلعها تختال فى ملكها ... كأنها بلقيس فى « مأرب »
والتفت الشرق له هاتفا ... يا عجبا من سحر هذا الصبى
فى ميعة العمر واشراقه ... يرنو الى عرش « أبى الطيب »
عاش ، وما عاش ، فما عمره ... الا كعمر الورد ثم يسهب
ومات ، لا بل عاش فى موته ... كما يعيش الدين بعد النبى

***

وعاش الدنيا على رقة ... لم يحف بالجاه ولا المنصب
بل عاش للشعر وأقداسه ... ينزفه من قلبه المتعب
ويوغر الشعب على طغمة ... تحتمل الأوزار كالمشجب
ويبعث الصيحة فى قومه ... ان ينفروا من غفلة الغيهب
ان غضب الشعب على قيده ... فانه سيف النصر للمغضب

« صالح جودت »

« بقية المنشور على صفحة ٣١ »

من علـم البـــدوى المـــاء يركبـــه
فـــراح يمخـــر لج البحـــر ماخـــره !

فماذا يريد أن يقول ؟ أتراه ينكر أن الشـــعب العربى ولا سيما قبل الاسلام يغلب عليه طابع البداوة؟ أتراه ينكر أن سفينته المفضلة كانت الجمل ، سفينة الصحراء ؟ أتراه ينكر أن الأســلام كون من هــذا الشعب أســـطولا بحريا غزا بحر الروم حتى جعله بحيرة عربية ، ثم واصل الغزو حتى وقف على أسوار القسطنطينية ؟ كل هذه معلومات مسلمة الثبوت ، لا تقبل النقاش ، وحسبنا هذا حتى تتحقق ســلامة البيتين . أما أن العرب كان منهم حضريون يسكنون المدن ، وأن بعضهم عرف البحر معرفة نسبية فهــذا لا يقدم ولا يؤخر فى الموضوع ، ولا يقدح قيد أنملة فى البيتين . فان شاء أن نزيده مددا من المعرفة فى هذا الصدد قلنا له : ان الشعب العربى ، بل ان عمر نفسه كان يخشى ركوب البحر، وقد طلب منه عامله على مصر بناء عمارة بحرية يغزو بها بحر الروم، فلما وصف له البحر بالقطعة المشهورة « انى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، هم فيه كدود على عود.. الخ» قال : « والله لا حملت فيه مسلما » وهكذا ظل العرب يرهبون البحر الى ما بعد عهد عمر ، فبنيت السفن ، وبلغت العمارة البحرية أوجها فى عهد معاوية ، فماذا يريد الأستاذ منا بعد ذلك؟ مرة أخرى تدعوه الى تفهم الحقائق الشعرية ، والى التفرقة بين الشاعر ومدرس التاريخ .

وأما فى علم الجغرافيا فقد ألقى الدكتور الناقد ـ نفعنا الله بعلمه ـ درسا آخر أطول من ليل النابغة فى نشأة الفصول الأربعة وما الى ذلك مما يتعلق بالاعتدالين والانقلابين بسبب ميل الأرض على مستوى فلكها بزاوية مقدارها ٢٣٫٥ درجة تقريبا الى آخر ما ذكره فى هذا الصدد مما درسناه صغارا وذلك كله بسبب بيتين مشئومين آخرين ، هما :

قالوا الربيع فقلت العـدل شـيمته
لا فى النهار ولا فى الليل نقصـــــان
تعـــادل الليل فيه والنهـار معـــا
كأنمـــا هـــو للأيام ميــزان

وهو يأخذ علينا أن التعادل لا يتحقق الا فى أول أيام الربيع ، وهذا حق . بيد أننا نقول له : اننـــا حين نتكلم عن الربيع نتكلم عن مقدمه ، فهو الذى يشيع البهجة ، ويهز المشـــاعر ، وفى مقدمه هــذا يتعادل الليل والنهار ، ثم يكونان أقرب الى التعادل وهذا يكفى لتحقق سلامة البيتين .

هذه نظرة الشاعر الى الربيع ،وهى غير نظرة العال[م] الفلكى اليه ، فالثانى يقيس أبعاد الزيادة والنقصان بين ليله ونهاره فى كل يوم من أيامه بالدقيقة والثانية طبقا لتنقل الشمس فى أبراجها . وقد بح صـــوتى من دعوة الدكتور الى التفرقة بين نظرة الشعر الى الشىء ونظرة العلم اليه ، ولكن يظهر أن المســـال[ة] ما زالت فى حاجة الى مزيد من الشرح .

ان الشعر يتغنى مثلا بجمال الربيع ، ولكن العال[م] الفلكى قد يجرده من كل جمال ، ويعتبره أقسى فصول العام بالنسبة للأصـــــقاع الواقعة فى منطقة خط الاستواء حيث تتعامد الشمس على تلك البقاع عند حلول الربيع ، فتصليهـــا حرا يذيب دماغ الضب ولعل ربيع هؤلاء يقع فى الانقـلاب الصـــيفى حين تتعامد الشمس على مدار السرطان ، أو فى الانقلاب الشتوى حين تتعامد على مدار الجدى . فهل من أجل هذه النظرية العلمية نخطىء كل ما قيل من الشعر العربى والشعر الغربى فى التغنى بجمال الربيع ؟

وان الشعر يتغنى بجمال الزهر فى الربيع نفسه، ولكن عالم التاريخ الطبيعى يحذرك من الزهر كمـ[ا] يحذرك من الأفاعى والصلال ، فهو فى أثناء الليل يمتص الأوكسوجين من الهواء ، وينفث ثانى أوكسيد الكربون الذى يفســـده ، ومن هنا كان النوم فى الحدائق قد يسبب الاختناق ، والى ذلك يشير شوقى بقوله :

لا تحفل بجناهـــــا أو جنايتهـــــا
الموت بالزهـــــر مثل الموت بالفحم

وان الشعر يتغنى بقبلة من خد الحبيب ، ورشفة من شفتيه ، ولكن الطب يحذرك من الأولى لأنها تنقل العدوى ، ويحذرك من الثانيـــــة لأن رضاب الحبيب تفرزه غدد خاصة لا ليمتص رحيقه ، بل ليســـهل عملية ازدراد الطعام ، ويحيل ما فيه من نشويات الى مواد سكرية ، ثم هو لايفرق بين رضـــــاب الكاعب الحسناء ولعاب الحيزبون الشوهاء ، على حين يجعـ[ل] الشاعر الأول سلافا ، والثانى سما زعافا .

وقل مثل ذلك فى جمال القمر والماس مثلا ، فالعلـ[م] لا يرى فى الأول أكثر من جسم معتم يمتلىء ســـطحه بالصخور والوحول ولا يرى فى الثانى أكثر من حجر يتكون فى باطن الأرض بنفس الطريقة التى يتكون بها الفحم .

ولكن الحقائق الشعرية تتنامى تلك الحقائق العلمية، وتتسع للتغنى بكل ما تقدم ، كما تتسع لمثـل قول الشاعر :

لو كان يقعد فوق الشـــمس من كرم
قوم لقيـــل اقعـــدوا يا آل عباس

على حين يقول لك العالم الفلكي : ان بيننا وبين الشمس ٦٢ مليون ميل ، فكيف يتسنى الصعود ؟ ولو تسنى الصعود ما تسنى القعود ، لأن الشمس كتلة غازية ملتهبة . وفى مثـل هـــذا البيت يقف الشعر والعلم موقفين متناقضين ، يراه الأول مديحا، ويرى فيه الثانى القاء الممدوح بين احضان الجحيم

ولعل الدكتور بعد ذلك يعيـد النظر فى معايير نقده ، كما نرجو ان يعيد النظر فيما اتهمنا به من تفتيت وحدة الامة العربية لاننا اشرنا الى الانطلاقة الثورية فى كل شعب من شعوبها على حدة . أين التفتيت ــ يرحمك الله ــ ؟ اذن فقد فتت القرآن الكريم هذه الوحدة حين قال : « والسـابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان » واذن فنحن نفتت الجمهـورية العـربية حين نتكلم عن نشـــاط محافظاتها محـافظة محافظة . واذن فنحن نفتت فريق الكرة ، ونقطع حبـاله ، ونمزق أوصاله حين نتكلم عن نشـاط أفراده ، فنذكر كيف كان موقف الظهير الايمن ؟ وكيف كان موقف الظهير الايسر ؟ ثم موقف حارس المرمى وقلب الهجوم . اننا لا ندعو الدكتور هنا الى فهم الحقائق الشعرية ، بل ندعوه الى فهم الحقائق المجردة ، والى استعمـال أبسط قواعد المنطق .

ومن حق القارىء الكريم علينا بعد أن صدعنـا رأسه بهذه المهاترات أن نروح عنه بقصة طريفـة نتخلص فيما يلى : حينما اشتدت حملة الاستاذ فى المقال السابق على قصيدة « تحية بغداد » قلنا له : كيف تقابلها هذه المقابلة، وقد قوبلت فى العراق بغير ذلك ؟ وهنا أوردنا نص المقدمة الضافية التى قدمت بها جريدة الايام اليومية التى تصدر فى بغداد هذه القصيدة ، فهل تدرى كيف رد الدكتور على ذلك ؟ قال ــ حفظه الله ــ : وأنا أيضا كتبت عنى جريدة الهاتف العراقية منذ اثنى عشر عاما كيت وكيت ، قد يكون ما قلته صحيحا ، ولـكن ما مناسبته الآن ، نحن ذكرنا لك رأى الجريدة فى القصـيدة التى نشرحها فى نفس الاسبوع الذى حدث فيه التشريح،

فما مناسبة ما كتبته عنك صحف العراق من اثنى عشر عاما حدث : كنا نسمع من احدى عجائز الحارة ان مناديا نادى : ياعبد الله ، فقال له احد السامعين: من تعني ؟ فكلنا عبيد الله ، واتفق ان مناديا آخر نادى : ياحمزة ، فقال سامع آخر : من تعني ؟ فكلنا حماحيز الله . هذه من تلك .

ثم لا يكتفى الدكتـور بذكر هـذه « الفزورة » فيشـفعها بسـؤال عجيب : أين كان هو فى ذلك الوقت ، اى فى سنة ١٦٥٢ ان لم اخطىء الحساب، والجـواب عند الصـحف الادبية ، المحلية منها والخارجية ، وعند الهيئات العلمية ، وفى مقدمتها مجمع اللغة العربية ، فهذا المجمع يسـتطيع ان يجيبه على هذا السؤال قائلا : كان فى ذلك الوقت قد مضت ست سنوات على منحه جائزة الشعر الاولى عن ديوانه « صرخة فى واد » فى اول مسابقة عقدها المجمع لشعراء العربية سنة ١٩٤٧

ولسنا نريد أن نتعقبه فى كل ما كتب ، فشرح ذلك يطول ، وحسبنا أننا سلطنا الاضواء على بعض العيوب التى اعتبرها « آفة الفن المعاصر كله » ولسنا نردد هنا القول المأثور : « ان الناقد أديب فاشل » ولكن الذى نقرره أنه ليس لنـاقد كائنـا من كان ــ أن يخضع الشاعر لسلطانه ، ويرغمه على اسلوب معين من التعبير ، فان الشاعر الحق ينقد نفسه قبل أن ينقده غيره ، فكل شـــاعر ناقد ولا عكس .

ولا ننسى أن نوجه شكرنا الى الدكتور على كلمة انصاف ندت منه حين يقول : « ولا يمكن فى الحقيقة تجاهل شعر الطبيعة عند محمود غنيم ، ولا سيما اذا وصف الريف » ولكنه فى هذه المرة امسك عن ذكر ما استحسنه من الابيات ، فهل خشى أن نهجن نحن ما استحسـنه هو ، كما فعلنا فى المرة السابقة؟ ان كان الامر كذلك فليطمئن قلبه ، وليذكر ماشاء من أبيات الاستحسان ، وله منا الأمان .

ثم يختم مقاله بتهـديد تصطك له الاسـنان ، وتقشـعر له الابدان ، وذلك حين يتـوعدنا بنقد مسرحيتنا الشعرية « النصر لمصر » ولا يسعنا الا أن نقول له : جرير يقرئك السلام ، ويخصك بالتحية والاكرام ، ويطالبك بتنفيذ الوعيد « يافرزدق العصر الجديد .

« محمود غنيم »

الحرية .. في الأسرة المسلمة

بقلم محمد جلال كشك

- ٢ -

ناقشنا موقف الاسلام من الحرية ، أو ان شئت وضع الحرية في ظل النظام الاسلامي الخالد .. ورأينا كيف أن العقل الاسلامي ، هو العقل الحر ، وان حرية الفكر في الاسلام قد بلغت ذروة ، لم تصل اليها فلسفة من قبله ، ولا قاربها نظام حتى اليوم .

واليوم نناقش الحرية في اطار المجتمع الاسلامي بادئين بالأسرة باعتبارها الخلية الأولى التي تكون المجتمع البشرى .

ولأن حرية الارادة هي أول صفات المسلم ، لذا تقوم الأسرة الاسلامية ، على مبدأ الاختيار الحر ، وبالارادة الانسانية .. فزواجنا على الارض يعقد ، وبارادتنا يبقى ، أو ينفصم .

الاسرة الاسلامية تقوم بارادة حرة لطرفين متكافئين . وتستمر بالرغبة المشتركة التي تجمع بين أطرافها المتساوين .. وتنفصم بالارادة الحرة .

فالأسرة تقوم ابتداء بالارادة الحرة للرجل والمرأة .. ولا اظن أن ثمة من يجادل حول حق الرجل في اختيار زوجته ، ولو أن ملك انجلترا نفسه قد حرم من حقه في اختيار زوجته .. وكان عليه ان يدفع عرشه ثمنا لحرية الاختيار ، مما يثبت ان الرجل الأوروبي ذاته لم يتحرر على أية حال فان معظم الجدل يدور حول حق المرأة في اختيار زوجها .. ويقتضينا الانصاف الرجوع الى المصادر الاسلامية ، لا أن نقف عند عصور التخلف للحكم بها على مركز المرأة .. اذ ليست المرأة وحدها هي التي فقدت حقوقها في هذه العصور ، بل حتى الخليفة يتحسر عليه الشاعر لأن الدنيا تؤخذ باسمه وليس له من الأمر شيئا .

البحث الجدى يجب أن يمتد الى روح الاسلام ،والى النظام الاسلامي في أكمل تطبيقاته .. لأن التخلف يترك بصماته على كل شيء من العلاقات العائلية الى الصناعة .

فاذا رجعنا الى المصادر الاسلامية الأولى ، رأينا أن الاسلام ، لم يترك مجالا للشك في حق المرأة الكامل في اختيار شريك حياتها .. منذ أن ذهبت تلك الفتاة الرائدة الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تحتج على اختيار أبيها ، فأبطل عليه الصلاة والسلام ، عقد الزواج الذي ابرمه أبوها .. وهنا قالت الفتاة : « لقد وافقت على من اختاره أبي . انما اردت أن تعرف النساء ،ان ليس للآباء من الأمر شيء ! » .

هذه القضية ثارت وصدر الحكم فيها ، الذي أصبح مبدأ ملزما للمسلمين لأنه سنة نبيهم منذ ١٤ قرنا .. فهل لا بد من قبول قوانين التطور المادي والفكرى وقبول القيم المادية والفكرية التي انبنت عليها الحضارة الغربية الحديثة ، حتى نعود لقيم اسلامنا وعروبتنا ؟ .. هل لا بد أن تصبح فلسفة لطفي السيد « تمتد جذورها الى تربة غير عربية ولا اسلامية ، وانما ينبوعها غربي ومدني زمني » !

لا .. لا حاجة بنا الى التخلي عن قيمنا أو أن نقطع جذورنا العربية الاسلامية .. بل حسبنا ان نعيد لهذه القيم قدسيتها وفعاليتها .

فاذا تزوجت المرأة ، احتفظت بشخصيتها كاملة ، تحتفظ باسمها واسم أبيها ، وأحيانا تدلل بالكناية ، فتدعى باسم ابنها اعزازا وتكريما لا تحرجا من ذكر اسمها كما فهم « سلامة موسى » أو بالأحرى، كما روج !

وحتى اليوم تلحق المرأة ، في الحضارة الغربية ، بزوجها .. لا اسما فقط بل تفقد كل حقوقها في

ملكية ثروتها ، ولا حتى حق ادارتها .. ويحدثنا « برناردشو » عن هذا الوضع بقوله : « فى اللحظة التى تتزوج فيها المرأة ، تصبح جميع ممتلكاتها ملكا لزوجها بمقتضى القانون الانجليزى » .

ثم يشرح كيف احتالوا على هذا القانون « بابتكار خدعة قانونية بارعة لتسوية النزاعات الزوجية فى هذا الصدد فأمكنهم أن يحتالوا لحفظ حقوق المرأة بنقل ممتلكاتها قبل الزواج الى شخص أو أشخاص وهميين ، أو لم يولدوا بعد ، وبهذه الطريقة تصبح معدمة تماما ، ولكنها تستمر فى الحصول على دخلها من ممتلكاتها طول حياتها ، وهكذا لا يتاح لزوجها أن يبدد أموالها كما يشاء . ثم مضى زمن واضطرت الطبقة الوسطى ، البرلمان ، الى اصدار قوانين ملكية النساء المتزوجات لحماية حقوق المرأة فى « ممتلكاتها» .

وينص القانون الفرنسى : « لا يجوز للزوجة ان تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو من غير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته موافقة كتابية » .

وفى الاسبوع الثانى من شهر مارس ١٩٦٥ سجلت صحيفة « وطنى » المصرية نصرا آخر احرزته المرأة الفرنسية قالت ان وزير العدل الفرنسى قد ادخل تعديلا على القانون المدنى ضمن به كسب أصوات النساء فى الانتخابات البلدية . قالت الصحيفة : « وحازت المرأة نصرا آخر ، هو حقها فى ممارسة العمل ، دون حاجة الى موافقة زوجها ، وان تتمتع بمرتبها ، وتشترى وحدها بالتقسيط ، وان يكون لها حساب خاص فى البنك . وحقها فى التوجيه المدرسى لابنائها دون المساس بحقوق الاب على ابنه . وكذلك حقها فى التدخل لاختيار مسكن الزوجية » .

هذه الانتصارات ، وهذه الحقوق ، فى اسرتنا المسلمة منذ ١٤ قرنا .. هل ذنبنا اننا تفوقنا على الدنيا بديننا ؟! هل يجب أن نثير عجيجا وضجيجا حول تحرير المرأة المحررة فعلا من ١٤ قرنا لمجرد أن نتشبه بأوروبا ؟!

ولا شك أن أنصار التفسير المادى ، يسلمون ان هذا التحرر الاقتصادى الكامل للمرأة يخلق أساس حريتها ، وهذه المساواة المطلقة فى الحقوق الاقتصادية تشكل قاعدة المساواة الاجتماعية .. ولكننا لانقف عند العامل الاقتصادى وحده .. فنسأل :

ماهو الأساس فى فقدان المرأة مركز الند للرجل ؟ ما الذى جعل أفلاطون يشكر الآلهة على أنها خلقته حرا ، لا عبدا ، ورجلا لا امرأة ! ..

والقديس أوغسطين يرى : « ان المرأة ، يجب أن تعتبر قاصرا ، حتى وهى متزوجة وأم . لأن المرأة دابة أو مخلوق لاحزم فيه ولا ثبات على رأى » (الهلال مارس ١٩٦٥)

وتعلن سيمون دى بوفوار كشفا مذهلا قائلة : « ما من شك فى أن المرأة بشر كالرجال ! » .

لماذا كانت الحضارة الغربية من يونانها الى يومنا هذا ، تقوم على انحطاط مركز المرأة ، بينما لا يوجد هذا الاحساس فى الحضارة الاسلامية ؟!

ان انحطاط مركز المرأة فى الحضارة الغربية ، وعبوديتها ، ومن ثم احتياجها الى « حرب تحرير المرأة » ينبعث من عقيدتين ، عما يعكس أهميتهما : فكرة الخطيئة الأولى .. والنظرة الى الجنس .

فكرة الخطيئة الأولى ، تحمل المرأة مسئولية شقاء الجنس البشرى ، فهى التى غرر بها الشيطان ، وهى التى تولت اغراء الرجل .. فكانت الخطيئة الأولى التى رزح تحتها البشر .. وطردوا من الجنة حيث لا شقاء ولا متاعب .. ولا جنس فى رأى ترتوليان : « فلو كان آدم لم يعص ربه ، لعاش طاهرا حصورا ، ولتكاثر النوع الانسانى بطرق غير هذه الطرق البهيمية » .

والعهد القديم صريح وواضح فى تحميل حواء مسئولية هذه الخطيئة الفادحة :

« فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وانها بهجة للعيون ، وان الشجرة شهية للنظر ، وأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل » ولما سأل رب التوراه آدمها هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك الا تأكل منها ، وشى آدم التوراه بزوجته : « المرأة التى جعلتها معى هى التى اعطتنى من الشجرة » . وفى العهد الجديد « ان آدم لم يغو ، ولكن المرأة اغويت فحصلت فى التعدى » .

اما فى الاسلام ، فالآيات التى أشارت الى حديث الشجرة ، تحمل المسئولية للطرفين بلا تخصيص ، الا فى آية واحدة ، ينفرد فيها آدم بالمسئولية ، وتلقى الكلمات التى غفر الله بها لآدم وزوجه .

« فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه »

« فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووری عنهما من سوآتهما » .

« فوسوس اليه الشيطان ، قال يآدم هل أدلك على شجرة الخلد ملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى .. » .

فلا خطيئة لحواء عندنا ، بل ان هذه المعصية قد انتهت بغفران الله لهما .. انه لغفور رحيم .

النقطة الأخرى هى الجنس .. والسلوك الغربى، من فجر حضارتهم ، ينظر الى الجنس كعيب..اثم .. انحطاط .. لحظة ضعف .. حيوانية .. حتى فى ذروة هذه الحضارة ، ورغم « الانفلات الحضارى » ، وما يسمى بالتحرر الجنسى ، فان هذا الانحلال ، على أوسع نطاق ، انما يعكس احتقار الجنس ، الاحساس بالعار ، .. بالاثم لارتكابه ! .. ومعروف ان السلوك الانسانى ، ازاء ما نؤمن انه اثم .. يتخذ أحد شكلين ، اما التطهر بالتعفف عنه .. واما الاغراق فيه ، والتباهى به ، المنبعث من العجز عن مقاومته ، وبالتالى التسليم لسيطرته ، فالتحلل الجنسى والتباهى بهذا التحلل ، وفلسفته والمجاهرة بالدعارة ، كلها تعكس احساسا بالاثم .. ومحاولة لاخفاء صرخات ضمير ، باحداث أكبر قدر ممكن من الضجيج والصخب .

ولأن الرجل هو الذى كتب التاريخ ، وهو الذى فلسف القيم ، فقد صب حقد عجزه وضعفه الجنسى .. على المرأة ، تلك التى تعذبه بالحرمان ، أو توقعه فى اثم الجنس .. فهى الشر ، وهى الشيطان ...

اذن فانحطاط المرأة فى الفكر الغربى ، انما ينبعث من احتقار الجنس ، والنظر اليه ، على انه خطيئة او اثم . وايضا احتقار الجنس يرجع الى انحطاط مركز المرأة باعتبارها المسئولة عن الخطيئة الأولى .

أما فى حضارتنا فالجنس فى مكانه الطبيعى .. اسمع رأى الامام الحافظ ابى عبد الله بن القيم الجوزية (ولد سنة ٦٩١ وتوفى سنة ٧٥١) الامام الحافظ رضى الله عنه يحدد اسباب الاتصال الجنسى فيقول : « يحفظ به الصحة ويتم به اللذة وسرور النفس ، ويحصل به مقاصده التى وضع لأجلها ، فان الجماع وضع فى الأصل لثلاثة أمور هى مقاصده الأصلية ، احدها حفظ النسل ودوام النوع الى ان تتكامل العدة التى قدر الله بروزها الى هذا العالم . الثانى : اخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه ، البدن . الثالث : قضاء الوطر ونيل اللذة ، والتمتع بالنعمة وهذه وحدها هى الفائدة التى فى الجنة اذ لا تناسل هناك ، ولا احتقان يستفرغه الانزال . »

تتحدى اى «عالم» أن يضيف سببا رابعا للاتصال الجنسى غير التى ذكرها شيخنا منذ سبعة قرون !.. أيعاب علينا أن نتيه على الدنيا بتفوقنا العقلى ؟ .. أيليق ان نغرر بفتياتنا فنقول لهن ان لورنس هو الذى جعل الجنس دينا وفنا ؟! .. لأنه اكتشف أو علم اوروبا ان اللذة الجنسية هدف فى حد ذاتها ؟!

تأمل حتى الترتيب العلمى الذى وضعه الامام الحافظ .. حفظ النوع .. وظيفة فيشيولوجية .. ثم المتعة الذاتية .

وقد رأينا ان هذه النظرة الاسلامية للجنس تختلف تماما عن منابع الفكر الغربى ، حيث يختلف ترتوليان مع « توماس الاكوينى » حول الاتصال الجنسى فيرى ترتوليان ان الجنس هو ثمرة خطيئة حواء وآدم ، وان الجنس البشرى كان سيتكاثر فى الجنة باسلوب طاهر غير جنسى . ولكن توماس الاكوينى ، يتلطف بنا ، فيعلن ان الاتصال الجنسى كان من بداية الخليقة ، هو السبيل الى التكاثر ، الا انه فى الجنة لم يكن ممتزجا باللذة الجنسية .. التى امتزجت به بعد ان هبط آدم من الجنة (ربما كعقوبة) (قصة الزواج والعزوبية فى العالم) .

اى ان اللذة الجنسية فى رأى توماس الاكوينى ، لا تليق بأهل الجنة .. بينما يبشرنا شيخنا الحافظ بأن الجنة فيها اللذة الجنسية وحدها ، حيث تختفى الاغراض الأخرى ، المصاحبة لهذه اللذه ، وهما بقاء النوع ، وسلامة وظائف الاعضاء .. رضى الله عن شيخنا ، وأصدقه وعده .

وانطلاقا من النظرتين ، اختلف الموقف من الزواج طبعا .. بولس يقول : « ان من يزوج ابنته يأت عملا طيبا ، ولكن من لا يزوجها يأت ما هو خير - وانه من الخير للرجل أن يظل أعزب الا ان خاف الوقوع فى الخطيئة » .

« انى لأنصح الايامى من الرجال والنساء ان يقتدوا بى فيظلوا على ماهم عليه ، فان لم يقو أحدهم على العفة ، فلا مندوحة له حينئذ من الزواج . »

والموقف عندنا ، هو العكس تماما ، فالحديث الشريف يقول : « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج .. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء »

فنحن امرنا بالعفه اذا عجزنا عن الزواج ، اما هناك فالاصل هو العفة ، فان عجزوا عنها ، تزوجوا ..

لذلك كانت الفلسفات السابقة على الاسلام « تحاول حصر هذا الزواج فى اضيق نطاق ، وتحرمه على القادة الروحيين .. أو تقلل فرصته بمنع زواج الارملة والمطلقة .. واظن ــ واستغفر الله قبل القول ــ أن زواجه عليه الصلاة والسلام ، كان يستهدف ضمن العديد من القيم التعليمية . ازالة هذا الفكر المادى للزواج .. والذى ساد العالم المتدين قبل بعثته . والذى كان يتهدد بفناء الجنس البشرى ، وهو فرض خيالى طبعا ، أو قيام تناقض فى ضمير المتدين ، بين قوانين الحياة التى يمارسها فعلا ، وتعاليم الدين التى يجب عليه احترامها ..

والاتصال الجنسى عندنا ثواب .. قال رسول الله صلوات الله عليه .. « وفى بضع احدكم صدقه (اى فى الجماع) فقالوا (المسلمون) .. أيأتى احدنا شهوته ويكون له فيها اجر .. قال ارأيتم لو وضعها فى حرام ، كان عليه فيها وزر ، فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر . »

فالجنس عندنا نعمة من نعم الله .. من حقه ان يمن علينا بها .. « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها » « وجعل منها زوجها ليسكن اليها » ..

وممارسة الجنس كما رأينا تزيد فى اجرنا يوم الحساب .. والمرأة التى يتم لنا معها كل هذه النعم ، جديرة بان تسكن فى قلوبنا ، وان تتمتع بمكانة لا اقول الند ، بل يرفعها الحب فى قلب الرجل الى مافوق الند .. وتقول الدكتوره (بحق وحقيق) « سيجريد هونكه » .. « ان تعبيرات احترام المرأة ، دخلت اللغة الاوربية على يد العرب » .

وفى اعتقادى أن الرجل الذى يستمتع بالجنس بلا عجز ولا عقدة الم .. لا يمكن ان يحتقر المرأة ..

وهكذا نرى ان ليس ثمة مبرر واحد ، لانحطاط مركز المرأة عند المسلمين .. ولكن بعضهم يغمز بعقوبة الزنا ، .. والفكرة التى يروجها المبشرون ، والمتظاهرون بالتمدين ، ان التشديد فى عقوبة الزنا ينبعث من احتقار الجنس أو كراهيته . وحتى لوفافر يتحدث عن « عبادة العذرية » التى نشأت مع الملكية الفردية ! .. مع ان غشاء البكارة موجود فى القرود ! .. وربما يتحدث البعض عن الحب العذرى .. وكثيرا ما نسمع شقشقة « المتحررين » عن « الورقة » التى تبيع المرأة للرجل .. يقصدون قسيمة الزواج .. وعن رباط القلب .. « بصى للسما .. وقولى تزوجتك ! » .. انه رجلى .. ومن حقه ان اعطيه كل شىء .. الخ »

وبالطبع ان قسيمة الزواج ، ليست من الاسلام ، لأن الورق فضلا عن طبعه فى شكل قسائم ، اختراع حديث جدا كما هو معروف ! ..

والزواج عندنا سهل جدا .. ويمكن لاى رجل وامرأة أن يتزوجا .. اما بالشهود ، أو بالاعلان ، وبهما طبعا ..

وواضح ان اشتراط الشهود ، او الاعلان ، أو هما معا انما يحميان حقوق الزوجة والأطفال ، فالعادة عند انكار الزواج ، ان يأتى هذا الانكار من جانب الزوج .. ومن النادر جدا وقوع حالة عكسية ، وان وقعت فغالبا بعد وفاة الزوجة ، واثر نزاع على الميراث . ولكن الشهود والاعلان ليست مراسيم ، وكتابة عقد الزواج ، ليست من نوع الطقوس التى بغيرها لا يتم الزواج شرعا ، انه كما رأينا ضمانات قانونية لحماية الشريك الاضعف .

ومادام يستطيع اى فتى وفتاة بلغ بهما الحب حالة السعار التى تتحدث عنها « فرانسوا ساجان » .. أن يستمتعا بها على سنة الله ورسوله .. دون انتظار مباركة شخص بعينه .. فلماذا يزنى المسلم ؟ الا ان كان الزنا يتم مع سبق الاصرار عليه ..

ولا اظن اننا سنقف طويلا عند البغاء ، فذلك ليس جنسا ولا حبا ، ولا حتى آدمية .. وما من أحد يجرؤ على المطالبة به اليوم ، أو الدفاع عنه . وان كان تاريخنا لم يخل من بعض الرقعاء . طالبوا باباحته لمنع الكبت والأمراض السرية ! ..

البغاء العام انحطاط للرجل والمرأة .. فلنتركه

سريعا ، حتى ولو سموه باسم « مشاعية النساء » واقترن بما يسمونه الشيوعية البدائية .. فان تكوين الاسرة هو أول الصفات الادمية ، والغاء الملكية الفردية لا دخل له فى استمرار الاسرة .

نناقش اذن الزنا الفردى .. والمراة فى الأغلب الأعم لا ترفض الزواج بالرجل الذى أسلمته جسدها الا ان كانت تسلم هذا الجسد وحده ، دون قلبها سواء بدافع من الشهوة الحيوانية وحدها ، لأن الحيوان يمارس الجنس بلا حب «بل هناك حيوانات عليا لا يخلو جنسها من حب .. والجنس بلا حب حيوانية ، بل سلوك حشرى ! أو حرصا على مكسب غير عاطفى .. أو لأنها ترى الرجل غير كفء لها ، ولكنها تشتهيه .. هذه المراة تهين نفسها ، وتقرر بذلك فى أعماق ضميرها وهى تزنى .. لأنها تسلم جسدها ، لمن لا تحترمه .. اذ لو احترمته لتزوجته ومثل هذه الزانية ، سبة للجنس كله .. أما اذا سلمت المراة قلبها ، فليس أسعد منها ولا أعظم عندها من أن يختارها الرجل الذى امتلك قلبها ، ومنحته حبها شريكة حياته ، ومكملة لدينه ، وأم لأولادهما.

الغالب اذن أن الرجل هو الذى يحب التملص الرجل الذى يمارس الجنس مع المراة ، وهو لا يريد أن يرتبط بها ولا أن يحمل اولادهما اسمه .. هذا الرجل مهما كان فوران عاطفته ، يخفى احتقارا للمراة ..

فتحريم الزنا هنا ، يعنى – ضمن ما يعنيه – تحريم احتقار المراة ..

وحالة أخرى للزنا ، هى تلك التى تتم مع اتفاق الطرفين على استبعاد الزواج ، أى الزنا بحليلة آخر .. وهذا هو الجنس المشوه ، الذى يقوم على خيانة ثالث .. وعلى اقرار من الطرفين بانها علاقة لا تتجاوز هذه الرعشة المؤقته مهما أحيطت بالشبق والحنان .. فهى مدمرة ، خاوية ممتزجة باحساس وضيع بالخديعة .. خديعة الرجل للمراة ، يقول بلسان ما لا يتجاوزه الى قلبه .. قلبه الذى يوقن أنها علاقة عابرة بلا مسئوليات .. يهمس فى اذنها انه مستعد « للموت » فى سبيل حبهما .. وهى على يقين برفض « الحياة » فى سبيل هذا الحب ! .

وخيانة المراة للرجل ، تريد احضانه ولكنها لا تقبل العيش معه سوى لحظات مختلسة ، علاقة يغلفها الكذب والشك فى واحدة من أصدق اللحظات .. وكيف يصدق الرجل رعشة امرأة وهو يعرف أنها تكررها مع غيره .. ربما بعد ساعات ، وربما قبل ساعات .. وانى لرجل ان يكتشف الزيف فى هذه اللحظات من الصدق ؟! وكيف تصدق المراة رعشة رجل مطمئن تمام الاطمئنان « انه لا يحمل مسئولية عواطفه ، بل يحملها لرجل غيره ..

وماذنب الطفل الضائع بين يقين كاذب ، وشك لا يجرؤ حتى على الشك ! ..

من هذا كان زنا المحصن يستحق الرجم .. وكان حديث الرسول عن ابن مسعود « سالت رسول الله .. اى الذنب أعظم عند الله ، قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك ، قال قلت له ان ذلك لعظيم ، ثم اى ، قال : ثم ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك ، قلت ثم اى ، قال ثم ان تزانى حليلة جارك » .

نعم ! الشرك بالله لا يتفق وقدسية التوحيد ، وهو انحطاط بالانسان عن المرتبة التى رفعه الله اليها ، فلم يجعل له ربا الا رب العالمين وحده والزنا بين المتزوجين ، شرك بالعاطفة الانسانية ، الصادقة ، وخيانة للحب ، واهدار للجنس ..

فتحريم الزنا فى الاسلام لا ينبعث من كراهيه الجنس بل من احترام الجنس .. وتنزيهه عن العبث ، ومن احترام المراة وتنزيهها عن أن تكون أداة لمتعة الرجل .. وحتى لا ينسب الطفل لغير لحظة الحب التى انجبته ..

فاذا علمت ان عقوبة الرجم لم تطبق فى التاريخ الاسلامى الا على معترف أو معترفه ، وان هذا الزانى المعترف لو انكر بعد ان أصابته الاحجار ، لوجب وقف تنفيذ الحد .. وانه فى العصور الوسطى للاسلام ، لا لاوربا ، أوشك سلطان المماليك أن يواجه ثورة حقيقية لأنه كان زانيا معترفا ، ولكنه عدل عن اعترافه فى آخر لحظة ! .. اذن لعرفت ان عقوبة الزنا قد عبرت فيما عبرت عنه ، عن احترام عميق للمراة ، وتقدير عميق للجنس .. فما من شبهة فرض ولو خيالى ، لظرف ، يجبر فتى وفتاة على الزنا .. فى ظل نظام الزواج الاسلامى ، الذى بلغ القمة فى تحرره وبساطته ، وقدسيته فى نفس الوقت ..

« محمد جلال كشك »

أصدقائي .. وداعا

للشاعر : محمد الجيار

بعد أن شلت على عودي يدي ... نسي الليل نشيدا .. ضواه
أقفر البيت .. وسماري مضوا ... أنكروا .. حتى رماد المدفأه
وأتى الفجر .. بلا أمنية ... عابرا .. بين المرايا الصدئه
قبل أن أصنع كوبي .. شجها ... صاحب .. قد كدت أروي ظمأه

* * *

داس محبوبي على قلبي الذي ... كان مصباحا لأعمى .. أطفأه
أيها المنكر عينا عميت ... من بكاها في الليالي المخطئه
هي من أجلك ضحت .. بالسنا ... سامح الآن عيوني المطفأه
وأخي (قابيل) ليلا زارني ... يرتجي في دار قلبي .. مخبأه

* * *

فطعمنا .. ثم أشعلت له .. ... خشب المعزف .. حتى يدفئه
قام يبغي مقتلي .. مبتسما ... وهو لا يعلم .. جهلا .. خطأه
غفر الجرح له .. طعنته ... وحنان الحب عندي .. براه
سندبادي مات مقتولا على ... قمة الصاري .. ينادي مرفأه

* * *

هل حفظتم دمعة من قلبه ... أو رويتم لليالي .. نبأه
آه .. يا صحوة أحزاني التي ... طهرت .. حتى الليالي المخطئه
كنت أبكي حين يهوي جسدي ... وأنا أنهل من ثدي امرأه
أنا في بيت الخطايا .. مصحف ... يضرع الفجر له .. كي يقرأه

* * *

ربما في ليلة .. زنديقة ... عبرت سيارة بي .. مبطئه
وبها أنثى شدت شعري أنا ... وهي في حضن المنى .. متكئه
لو رأتني .. لا زدرت أسطورتي ... ورمت لي .. نظرة .. مستهزئه
أيها البحر الذي ينكرني ... وأنا في قلبه .. كاللؤلؤه . !
قبل أن أصنع كوبي .. شجها ... صاحب .. قد كدت أروي ظمأه
ومضى والبرد يشوي وجهه ... وأنا فيه .. دموع مدفئه

أحمد محرم (١) في ذكراه العشرين

١٨٧٧ - ١٩٤٥

بقلم: مصطفى عبد اللطيف السحرتي

- ١ -

منذ عشرين عاما مات نابغة البحيرة الشاعر الموهوب **احمد محرم** ، ولم يلق الى اليوم انصافا وتقديرا كما لقى رصفاؤه ومعاصروه ، اللهم الا من قلة من الكتاب لايزيدون على اصابع اليد الواحدة ، كتبوا عنه بحوثا موجزة ، وخصه بكتاب مفرد أديب أزهري نابه هو الاستاذ محمد ابراهيم الجيوشي .

وقد آن الأوان للتكفير عن هذا الجحود والنكران لشاعر حر كبير خلف من ورائه تراثا شعريا ضخما قيما ، لايزال أكثره مخطوطا لم ير النور .

وتقضى علينا عاطفة العرفان بالجميل ، أن نبادر بنشر هذا التراث ، وأن نقدر لهذا الرجل ثمرات عمله وجهاده في الحقل الأدبي ، ونجازيه الجزاء الحق العادل بعد أن فارق الحياة محروما مغموطا من بيئته الكنود .

ولقد كنا نود أن نرجىء الحديث عنه حتى ينشر كل تراثه . ليكون تقديرنا له تقديرا أدنى الى الدقة والصواب والشمول ، ولكنا لم نقاوم الرغبة في التحدث عنه في هذه الأيام ، لابراز طائفة من ميزاته الشعرية والخلقية ، علها أن تكون حافزا للمبادرة الى هذا النفر ، وبخاصة بعد أن أسعدنا الحظ بالاطلاع على قسط موفور من شعر الرجل المخطوط . وهالنا ما فيه من كنوز .. نفيسة مخبوءة ، وما للرجل من سمات عجيبة نادرة .

ولا نعد هذا الحديث الا محاولة أو مغامرة للكشف عن الرجل والشاعر .

- ٢ -

واذا كان النوابغ يختلفون عن العاديين من الناس، في كثير من سلوكهم وطبائعهم ومزاجهم وعاداتهم ، ومعتقداتهم ، فقد كان أحمد محرم من هؤلاء النوابغ العجاب الذين تفردوا في جيلهم بهذا الاختلاف ، في الطبع والمزاج ، والمعتقد ، ولا أدل على ذلك من قوله: في قصيدته البديعة ـ وحدى ـ :

وحدى بليت بنفس ليس يعجبها
ما يعجب الناس من رأى ومعتقد

ولا يطيب لها الا الذى كرهوا
من مركب خشن أو مطلب نكد

وحدى شقيت بهذا الشعر أجمله
أحدوثة الدهر أو أنشودة الأبد

وحدى وفيت بعهدى والوفاء أذى
يجنى على الروح مايجنى على الجسد(١)

فله رأيه وله عقيدته لاينزل عنهما وان خالفهما جميع الناس ، ويطيب له ما لا يطيب لهم ، فهو يرضى بخشونة العيش ، وما تورثه الحاجة من نكد ، وهذا مالا يطيب للناس ، وهو يرضى بممارسة الشعر ،وما يستلزمه من عنت وعناء ومكابدة ، وهذا مالا يركو للناس ، وهو يدين بالوفاء وفي الوفاء أذى ، وهذا مالا يحبه الناس .

وهكذا اذا رجعنا الى شعره وجدنا أمثلة كثيرة تؤكد حقيقة هذا الاختلاف في الرأى والاتجاه ، والسمات الخلقية ، ومن ذلك ماجاء في قصيدته « المذهب الأمثل » وفيها يكشف عن ابتعاده عمن يخالفه في مذهبه واجتنابه مجالس من يخالفونه في رأيه ، وفيها يقول :

دعونى وما أرضى لنفسى وجنبوا
هواى هواكم ليس مذهبنا معا

لكم شأنكم انى أرى غير رأيكم
وان لنفسى دونكم متطلعا

---

(١) مجلة الثقافة في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٤ .

دعوت فأعرضتم فلا تغضبوا اذا
تنكبت عنكم من عنانى بما دعا
سلام عليكم لست منكم وليس لى
سوى ان أرانى بالقطيعة مولعا
سأسكت حتى ما أرد تحية
وابعد حتى ما تروا لى موضعا (١)

وتكشف من هذه القصيدة صلابته في رأيه وبعده عن المصانعة أو المهادنة ، وأبرز مظاهر هذه الصلابة ماكان فى السياسة ، فلقد اعتنق مبادىء الحزب الوطني ، ووقف يذب عنها ، ورأى غير رأى الكثرة الكاثرة ، بل وقف يجابهها بما يعتقده الحق ، ولو شاء خفض العيش ، لهادنها او سكت عن مناوأتها ، ولكنه كان يرى فى هذا السكوت خيانة لنفسه ، وفى ذلك يقول فى قصيدته « عهد المؤمن » :

معاذ الله أن أختان نفسى (١)
وان أختار شر الخطتين

ولست ببائع نفسى ودينى
ولو أوتيت ملك المشرقين

لهذا سلطة ولتلك أخرى
فما بالى وبال السلطتين

يريدون القليل ولى مراد
يضيق به خراج الدولتين

ساملا هذه الغبراء مجدا
واترك أهلها صفر اليدين

على التاريخ بعد الموت حقى
وعند الله يوم الدين دينى (٢)

– ٣ –

والشاعر لايختلف لمجرد الاختلاف ، ولكنه يختلف لما يراه أنه الحق ، وما كان أكثر ما تنتشر كلمة « الحق » على شباة قلمه ، فعندما وقع الخلاف فى عام ١٩٢١ بين أعضاء الوفد المصرى لم يأبه محرم بماهية الاختلاف ، ولا بأشخاص المختلفين ، ولكنه كان ينظر الى حق مصر واستقلالها :

يقول البرق : شر مستطير
وخلف بين سادتنا شديد
ويزعم تارة أن ليس شيء
سوى الأمر الذى عزم العميد
اذا اختلفوا او اتفقوا فانا
سوى استقلال مصر لانريد

هو الحق الذى نسعى اليه
ولسنا عنه ماعشنا نحيد

اذا لم يحفظ استقلال مصر
فلا سعد يطاع ولا سعيد (١)

وهكذا نراه فى كل مواقفه السياسية والوطنية لايأبه بالأشخاص ، ولايخشى سطوتهم ولا جبروتهم ، فنراه في شبابه يحمل على الملوك ، ويرميهم بالكذب وفقدان الشرف،والضحك على الناس بالرتب والنياشين وابتزاز .. أموالهم فى سبيل الحصول عليها ، فهاهو ذا يقول فى ديوانه الأول الصادر فى عام ١٩٠٨ :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم
شرفا ويزعم أنهم شرفاء
رتب وألقاب تغر وما بها
فخر لمحرزها ولا استعلاء

ذنب الملوك رمى الشعوب بنكبة
جلى تنوء بحملها الغبراء (٢)

وقصائده الوطنية الأخرى ضد الانجليز الغاصبين كانت من الجرأة والعنف بمكان ، جرأة لم يعرفها معاصروه من الشعراء أمثال شوقى أو حافظ، أو صبرى .

ومن آياتها قصيدته الموجهة الى السفير البريطانى جورج لويد الشهير بصلفه وعجرفته وروحه الاستعمارية التى يقول فيها :

عميد الغاصبين نزلت أرضا
يبيد الغاصبون ولا تبيد

(١) ديوانه الجزء الثانى ص ٧٥ – ١٩٢٠ .
(٢) أختان : أخون .
(٣) ديوانه ج ٢ ص ٧٨ .

(١) قصيدته « أنصار الاستقلال الكاذب » ديوان محرم ج ٢ ص ٢٢٢ .
(٢) ديوان محرم الجزء الاول ص ١٥٠ – ١٩٠٨ والقصيدة بعنوان « الشرف والملوك » .

يــذود الواحـــــد القهار عنهـــا
اذا قهـــرت جنـودك من يذود (١)

وقائمة هذه القصائد طويلة ، وهذا العنف فيمـا كان يراه حقا ، لم يقتصر على الناحية السياسـية والوطنية ، بل شمل الناحية الاجتماعية، فهاهو يجابه قاسم أمين في دعوته الى سفور المرأة مجابهة قاسية ـ بدافع من غيرته الدينية ويحمل على كتابه « المـرأة الجديدة » :

فيقول في قصيدة « الحجاب » :

أغــــرك ياأســـماء ماظن قاسم
أقيمي وراء الخـــدر فالمرء واهـم
نبذت الينا بالكتـــاب كأنمـــا
صحـــائفه مما حملن مـــلاحمـــا
ففي كل ســـطر منه حتف مفاجيء
وفي كل حرف منه جيش مهـــاجم
حنانك ان الأمـر قد جـــاوز المدى
ولم يبق في الدنيـــا لقومـك راحم
أحاطت بنا الأســـد المغـيرة جهرة
ودبت الينـــا في الظـلام الأراقـم
وأبرح مايجني العــــدو اذا رمـى
كأمون مايجني الصــديق المسالم
لنا في كتـــاب الله مجـد مؤثل
وملك على الحـــدثان والدهر دائم

وهاهو ذا يحمل على الاثرياء والمترفين ، النائمين عن خير بني وطنهم ، والناس في بؤس ، والقلوب عابسة بعد ابتسام ، والشعب في لوعة فيقول في قصيدته الفريدة « الحقوق الضائعة » :

حســـب المفجع ان يعلــــل حينا
شر التعلـــل مايكـــون ســـنينا

آجال قـــــوم في الشـــقاء كأنما
يطوين آجالا بهـــم ، وقـــرونا

ثم ينثني الى الأغنياء الذين جهلوا معنى الحيـــاة الحقيقية ويلقي عليهم درسا فيقول :

قل للأُلى جهلوا الحيـــاة ، تعلمـوا
معنى الحيـــاة وسرهـا المكنـــونا
مـــدوا يد المعـــروف ، ان وراءكم
شـــعبا يهـــز الواديين أنينـــا
لولا التعفف والحيـــاء لأرخصـــت
بيض الحـــرائر خــير مايغلينـــا
ولما رأيتم في الكنـــــانة فاضلا
يبنى بآهــــل أو يعول بنينـــا

ثم يتوعدهم ويخيفهم ويلمح الى ان مآلهم ســـوف يكون ويلا فيقول :

انى أرى خلل الحــــوادث موقفا
جـــللا يقيـــم قيامة المثـــرينا
ميلا مواليـنا ، أيجمـــع واحــــد
مالو يفـــرق جـــاوز المليـــونا
ونظل لانرجــــو نظامـــا صالحا
يقضي الحقوق ، ولا نرى قـــانونا؟
بتم على نكـــد الحياة وشــــؤمها
مستبشرين بعيشـــكم فرحينـــا
هانين من فوق المضـــاجع بالكـرى
والســـهد ملء مضـــاجع العانينا

وعلى هذا الغرار سار في هذه القصيدة التي لم يقل شاعر في عصره مثلها في جرأتها وما تنطـوى عليه من ثورة مصلحة مرهصة الى الاشتراكية .

وأبادر فأقول ان هذا العنف في قول الحق ، هـو من نبع حساسيته المفرطة ، هذه الحساســية التي يتميز بها طائفة من الشعراء ، ويحسبها بعضهم داء نفسيا ، ويحسبها البعض تعصبا ويراها الآخـرون ضربا من العقائدية ، كما يقولون .

وقد جرت هذه الحساسية المفرطة على محرم الآلام والمتاعب ، في مجتمع ضيق الأفق ، جامد الـذهن ، ينزع الى النقمة ممن لايصانعه ، ويدور في فلكه ، فانفض عنه الكثير من الناس ، ووقف في طريقه ذوو الجاه ، والسلطان ، كما وقفت الارستقراطية الأدبية تسد عليه السبل ، وكاد يفقد الرجل في هذه البيئة العاقة الكزة كل شيء ، الا الحرية التي كانت تضيء له الطريق .

---

(١) ديوان محرم جـ ٢ ص ٦٣ .

وانه يقول: «لقد استطعت ان اشق لنفسي الطريق وأن اكتسح العراقيل والحواجز » وكانت لي عـدا كفايتي الفنية ، ميزات أخرى تعينني على تحطيم الارستقراطية الأدبية الشديدة الجشعة ، والتحكم ، وتجعلني أحتل مركزي في عالم الأدب ومن هذه الميزات ... حريتي السياسية اولا ، والفكرية ثانيا ، فانا اقول ماشاء في اى باب اريد ، والى اى معنى اقصد،فمن سياسة الى اجتماع الى أخلاق الى غير ذلك ، مما يجول بخاطري ، ويقوم في نفسي انه جزء من رسالتي (١) ، أجل ، فقد الرجل كل شيء الا الاباء والحرية ، وهما الجناحان اللذان كان يطير بهما بعيدا عن مادية المجتمع، وجفافه وحنقه، ولذا فقد تقلب بين مد وجزر ، وشد وجذب ، ويأس ورجاء ، وقلق واطمئنان ، وثورة وسكون ، وأودع شعره مختلف حالاته النفسية وانفعالاته ،فبكى قلبه ماشاء أن يبكي، وسمع ـ كما يقول ـ وقع الحزن في كبده ، ودبيب الأسى في نفسه .

وكاد يشك في وجوده ،ولكنه ظل ثابتا على معتقده، مستقرا على رأيه لايريم ، معتنقا مثله العليا جلدا على الآلام والمصائب :

هي الأقـدار ليس لهـا مـرد
اذا انطلقت نحوسا او سعودا
رويدا ان للمكـروه حـدا
وان لكل ذى ضـرم خمـودا
اذا اضطرمت خطوب الدهر فاربأ
بنفسـك ان تكون لها وقـودا
دع الجـزع المـذل وكن أبيـا
يراه الخطب مضطاما جليدا (٢)

ولقد تمكن الرجل من التغلب على حاله التاعسة بايمانه وروحه المتصوفة ، وبخلقه القوى ، واستطاع ان يذوب همومه بقتل الطمع في نفسه ، وأن يغنم العزاء بفنه الشعرى الممتاز وهو في ذلك يقول :

النفس تطمح والمطـالب جمـة
تفنى القـوى وتطيح بالعـزمات
اقنع بايسرها فـرب طماعـة
صـدعت اباء المـرء ذى النخوات
طالت همـوم العيش حتى ماترى
ممن تسـائل غير طول شـكاة

(١) احمد محرم بقلمه من رسائل محرم للسيد حسنين محمود حسنين ص ٢٧ ـ ١٩١٣ .
(٢) مخطوط .

العمر أيـام تمـر حثيثـة
والمرء رهن عشـية وغداة (١)

ويبلور وجهة نظره في الحياة وعيشته عيشة الفيلسوف الرواقي القانع الراضي في قوله :

جلت ايـادي الله بين عبـاده
واجلهـن تقلـب الأحـوال
يجرى علينا حكمه وقضاءه ...
بسـوابغ الآلاء والأفضـال
تخفى مواقعهـا فتذهـب أنفس
أسـفا وتلك خلائق الجهـال
من اجـل ذلك راب أمـرى معشرا
يتهامسـون اذا حضرت حيـالى
يتسـاءلون أما تميـد بصـبره
رجفـان عيش دائـم الزلـزال
لو كان من شـم الشـوامخ قلبه
لهـوى وآذن ركنه بـزوال
أيخادع الأحـداث عن أهوالهـا
أم ليس يحفـل حادثا ويبـالى
أكذا تكون قوى الرجال اذا رست
احلامهم وعـزائم الأبطـال
ماظنهم بفتى يميـت همومـه
ويبيت في دعـة وغبطـة بـال
ثقة بـان الله بـالغ أمـره
سبحانه من قـادر فعال (١)

هذه اهم سمات الرجل من محتوى شعره السياسى والاجتماعي والنفسي ، سماته العقلية ، والنفسية ، حب الحقيقة ، والاباء ، والوفاء ، والرضا ، والتصوف، وهذه السمات وغيرها شف عنها بناء شعره القوى الحار ، فقاموسه اللغوى واسع غزير والفاظه المنتقاة المتخيرة تدل جميعـا على نبوغه وذكائه ، كما يقول السيكولوجيون ومعدنه النفسي النفيس تكشف عنه قصائده ذات الأبيات المتماسكة المتماثلة في قوتها ـ فلا تجد له بيتا قويا وآخر متهافتا .. بل جل الأبيات في مستوى واحد من القوة وهذه علامة دالة على قوة خلقه ، وطواعية قوافيه ، وموسيقية أبياته يدلان دلالة أكيدة على توازنه الروحي وحرارة عاطفته في جل قصائده ، ان لم نقل في كلها ، تحمل الدلائل على حماسـته وحيويته ، وهما جناحان قويان من اجنحة الشخصية القوية .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

(١) من قصيدته « الناس في الدنيا » وهي مخطوطة .

حول الأدب



بقلم عبده بدوى

إخماد جانب من النار

قد نكون فى أشد الحاجة الى المزيد من المناقشات فى القضايا الادبية ، والى أن يغمس البعض قلمه فى دم الآخرين ما دام يريد الوصول الى الحقيقة ، ولكننا فى – فى الوقت نفسه – فى حاجة الى أن نلتقط أنفاسنا ، وأن نسند ظهورنا الى شىء ، ثم أخيرا الى أن نريح السلاح المصوب والساخن فى اليد الى جنبنا فترة من الزمن ٠٠ وليس معنى هذا أنا ندعو الى تجميد الزمن ، والى احداث نوع من الشلل فى حركة الحياة ، ولكنى أريد أن أطلقها كلمة سريعة خضراء فى هذا الجو العاصف ، ولما كنت أدرك أن الريح لا تكف عن هز قامات الناس والاقلام والافكار، فانى أحب أن أقول هذه الكلمة بعيدا عن الريح التى لا تكف عن هز القامات والاقلام والافكار ٠

ان هذه الكلمة التى اريد أن أقولها لا تخرج عن مسئولية الاجيال العربية تجاه تراثها ، وانها كما لم تستطع أن تدافع المغيرين فانها لم تستطع كذلك أن تقاوم الكراهية التى بثها هؤلاء المغيرون نحو هذا التراث ، فاذا أضفنا الى هذا أنا ما زلنا الى الآن نجهل تراثنا الموجود داخل كل بلد عربى ، ومن باب أولى الموجود على طول المنطقة العربية ، والموجود فى مناطق كبيرة من العالم ٠٠ ادركنا اننا اما أن نتحدث من أفواه الآخرين ، واما أن نسوق أحكاما سريعة ومبتسرة ، وهذا بدوره يجافى النظرة العلمية ٠

ومن هنا كان علينا ألا نصمت عن هذا التراث ، أو نؤجل الحديث حتى يتكامل ، ولكن علينا الا نسحب عليه ما قاله المستشرقون ، أو المتعجلون فى الاحكام ، وانما يجب أن ننظر من جديد نظرة علمية الى هذا التراث ، بالجمع والتحقيق ، والصبر على علاقاته بالفروع الاخرى ، وبخاصة اذا عرفنا أن تراث هذه الامة الدينى والعلمى والادبى والفنى مضفر بعضه بالبعض الآخر ، وانه لا بد من الصبر على علاقاته المتشابكة اذا أردنا الوصول الى نتائج موضوعية فى هذا الميدان ٠

ان من الحقائق التى أصبحت مقررة الآن أن العرب فى الماضى كانوا متخلفين ، وان عقليتهم لم تكن مركزة لانهم لم يقرءوا الكتب ، وانهم الوحيدون الذين لم يعرفوا بعض الفنون والعلوم ، وانهم كانوا ساعى بريد للحضارة ، وان كل شىء يمسونه يصيبونه بالعقم ٠٠٠ الخ ٠ ولكن الكشوف والدراسات شككت فى كل هذه المسلمات التى توجد فى ميادين العلم والادب والفن ٠

ومن هنا كان من الواجب علينا أن نتريث ونحن نتعاطى هذه السموم القديمة ، وكان من الواجب أن نغير نظرتنا نحو أنفسنا بعد أن أصبحت الدراسات الاجنبية نفسها تتراجع عن كثير مما أكدته فى الماضى، فانا لا أعرف بلدا فى العالم يصدق مايقال ضده مثل ما نصدق ، ولنأخذ مثــلا من الافريقيين الآن فقد رفضوا تماما كل ما قيل عنهم ، وبدءوا يتعرفون على أنفسهم من خلال التنقيب والمعاناة فى تاريخهم ، بل ان عادة الانتقاص من النفس قد أصبحت ظاهرة فى مجتمعنا . فنحن لا نعدم رؤية هذا الانســان الذى يسمى «ظريفا» والذى يضخم فى الاخطاء التى يقوم بها ليضحك من حوله الآخرين ، أترانا قد انتهينا الى مثل هذا الحال ؟

على كل فاى بحث موضــوعى فى أى جانب من جوانب حضارتنا يؤكد وجود وجهة نظر جديدة غير وجهة النظر السائدة الآن . ولعلنا حين نطالب بهذه النظرة ، وبانه لا يجوز أن نكون أمة من «الظرفاء» ليستمتع بالنظر الينا العالم ولينظر الينا وفمه متسع من الضحك ٠٠ نكون قد أسهمنا فى اخماد جانب من النار التى تشتعل الآن فى الحقل الفكرى، ونكون قد انصفنا أنفسنا ، وعرفنا تاريخنا ٠٠ بعد كل هذا الضياع الذى عشناه ، والذى يبدو أننا نتعمد أن نعيش فيه ٠

الشعر وجانب العملة

منذ عام ونصف العام دار بيننا حديث فى قطار ، ولما كان أحد الموسوعيين المعمقين فى هذا العصر ، فقد عملت من جانبى على أن أحاصره فى دائرة واحدة هى دائرة الشــعر ، وأذكر أن مما قاله ــ رغم دوى القطار ــ أن الشعر فى جوهره موسيقى ، وان هذه الموســيقى لا يمكن أن تتحقق بتقطيع التفــاعيل وتمزيقها على نحو ما يفعل بالشعر الآن ، وان حرية الحركة من بحر الى بحر من شانها أن تحطم الايقاع الداخلى للقصيدة . وأذكر أن الحديث قد انتهى بان الشعر الغنائى يجب أن يلتزم عمــود الشعر ، أما استباحة الطول والقصر فى عدد التفعيلات فيجب أن يقتصر مداه عند حد الملحمــة والمسرحية والقصة ، وعند حد ترجمة الشعر الاجنبى من لغته الى اللغة العربية ٠٠ ثم كان أن طاف العالم أمامى وبين الحين والحين كان يقدم أعظم الشعراء المعاصرين ثم يُضيف انهم جميعا يلتزمون عمود الشعر فى لغتهم ٠

ولما كنت أعرف أن الدكتــور **عبد الرحمن بدوى** لا يقول كلاما للثرثرة ، أو للاستعانة به على الوقت، وأن من طبيعته ألا ينزل للمعــارك الا وفى يديه الدليل ، وأن هذا الدليــل لا بد أن يتفق ورسوخه الفكرى ، ودوره الريادى فى حياتنــا ٠٠ فقد دار بذهنى أن وجهة النظر هذه يجب أن تنزل للتداول ، وبخاصة فى تلك الفترة التى صدرت فيهــا أوامر التحريم بعدم السماح بمرور كلمة يمكن أن تناقش قضية الشعر الحر ، أو تقول كلمة انصاف فى الشعر المتجدد ٠

وتمر الايام واذا بى أجد كتابا للدكتور عبدالرحمن بدوى بعنوان « فى الشعر الاوربى المعاصر » ومع أنه يقدم ملامح متعددة من الشعر فى العــالم وبخاصة الشعر الالمــانى ، الا انه يخيل الى أنه كان يكتب ليقول ان الشعراء الاوربيين المعاصرين بكافة مراحلهم يسيرون جميعا فى الطريق الذى يقول ان التجديد الشعرى الحق يكون فى الموضوع الذى يطرق ، وفى الصورة التى تبتكر بمهارة من كل جديد فى عالم المدنية ، بالاضافة الى الطبيعة سواء أكانت فزيائية أم انسانية ، ذلك لان الشعر لن يكون شعرا الا بها الى جانب الايقاع الموسيقى ، ثم يقول «٠٠ وفى هذا يقوم جوهر الشعر الحديث ، لا فيما يتوهمه دعاته فى العالم العربى من اطراح للبحور والقوافى أو طرق لموضوعات شعبية أو استخدام للألفاظ العامية ، فهذا كله لا شأن له بجوهر الشعر الحديث ، انما هــذه وسائل بمعزل عنه ، وخطأ دعاة الشعر الحديث من العرب أنهم خلطوا بين ظاهرة عرضية وهى استعمال بعض الشــعراء المحدثين الاوربيين لحوادث الحياة الجارية وآلات المدنية الصناعية وما يتبع ذلك من لغة شعبية عامة ٠٠ وبين جوهر شعر هؤلاء فحسبوا أنهم مجددون بسبب هذا الاستعمال لا بسبب خلق صور شعرية طريفة كل الطرافة استمدوا عناصرها فى كثير من الاحيان من واقع الحياة اليومية الجارية والآلات الصناعية ٠

وهو يذكر أن الشعر الاوربى يمثل المعاصرة ،لانه يعكس قلق العصر على الانسان وسط تفوقه المادى ، واشتباكه النفسى والحياتى مع الآلة والاقتصــاد والمذاهب الاجتماعية وهذا كله قد يغرى بالجديد مهما كان هذا الجديد ، والتبرم بالماضى مهما كان مزدحما بالمضىء والجيد ، ومع أن هذا لايخرج عن كونه مظهرا من مظاهر دور الخريف بل الشتاء فى الحضارة ، الا أن تاريخ الفكر الانسانى يؤكد أن كل الاتجــاهات

التي لاتقوم على أسس راسخة من القيم الحقيقية تلقى دائما دورها في الذبول ثم الموت .

والمؤلف يضعنا في مواجهة الشعر الالمـــانى ، ويؤكد أن هذا الشعر لايخرج عن عمود الشعر الالمانى بأوزانه وقوافيه ، بل أن ألمع المجددين « كبر تولت برخت » يلتزم القافية أكثر مما كان يفعل الشعراء الالمان في العصرين الكلاســيكى ، والرومانتيكى ، وليس معنى هذا أنه لاتوجــد النماذج التى تخرج على هذه الخصائص الشــعرية ، ولكنهـا من القلة والندرة بالصورة التى تجعل الغرض منها في نهاية الامر «الاطراف والتطرف لا الاجادة والتجديد» .

هذه نظرة الى العالم الكبير الذى فتحه فى منهجية الدكتور **عبد الرحمن بدوى** ، وليس لنـــا من هدف هنا الا ان نحرض على النظر الى جانبى العملة ، فنحن فى أشياء كثيرة نسير ونحن نغمض احــدى العينين مخافة أن تنظر الى الجانب الآخر فى عالم الادب ، وما أحوجنا الى أن نسير «مفتحين»على كل شيء في حياتنا، وان نتعلم من اصدقائنا واعدائنا معا .. وان ندعم وجهة نظرنا بالموضوعية التى تكلم بهـــا الدكتور عبد الرحمن بدوى .

ثلاث رسائل

اتيح لى ان اشهد أخيرا مناقشة ثلاث رســـائل جامعية اولاها فى كلية الآداب للشاعر **كمال نشأت** ، والثانية فى معهد الدراسات العربية **لسعد جاويش** ، والثالثة **لعبد الحميد ابراهيم** فى كلية دار العلوم ، وقد كان موضوع الرسائل على الترتيب أحمد زكى ابو شادى حياته وشعره ، الاتجـــاه الجــديد فى شعرنا المعاصر (الشعر الحر) ، قصص العشاق فى العصر الاموى .

ولقد كان مما يؤسف له حقـــا أن الجمهور الذى حضر هذه المناقشات كان يمكن حصره بلحظة خاطفة من عين ، وكان العنصر الغالب فيه هو عنصر الطلبة، وليس لهذا من معنى الا أننا أصبحنا لانقبل على الاعمال الجادة ، ولا نحس بالاعمال الفكرية الــكبيرة التى لاتتطلب مشقة فى الدخول ، ولكنها تتطلب أن يضع الانسان عينه على ساعته ، ثم يسير يقضى ســـاعات لايمكن لاى انسان أن يحس بالملل فيها لطبيعـــة الصراع الفكرى ، وللاشـــتباكات التى لاتمتد الى الطالب فقط ، ولكنها تتعداه الى المناقشين ، ثم لهذه النبرة الجديدة التي لم نكن نعهدها فى المــــاضى ، والتي لاتلقى عبئها على الطالب فقط ، ولكنها تتعداه الى القاء توجيهات عامة للذين يستعدون لأخذ دورهم فى مثل هذا الموقف ، بالاضافة الى الاحساس الذكى بالجمهور المشاهد ، وتحويله الى ما يشبه « عيئـــة المحلفين » .

ولعل الظاهرة التى كانت بارزة تمـــاما ـ والتى دفعتنى الى الكتابة هى ان اصحاب هذه الرســـائل كانوا يتحمسون أشد التحمس للموضـــوعات التى كانوا يعالجونها ، وكانوا يعرضون افكارهم بحماس يذكرنا بمقالات الاثارة التى تمتلىء بها صحافتنا ، والتى كانت تتناقض تماما مع الهيبة العلمية التى يضفيها الروب الجامعى على الممتحنين .

فالدكتور كمال نشأت أركب أبا شادى حصـــانا أبيض .

وظل يشد فى قامته حتى لم يعد أحد يرى رأسه، ثم أسلمه سيفا لم تقع عين أحد الا على قبضته ، ثم تركه يصدم مدرسة الديوان ، بل لقد حلا له أن يجعله يخوض فى دمائها ، وفى دماء بعض الحقائق الاخرى التى تتعلق بالعرب وبطبيعة الشعر العربى ، ممـــا جعل بعض الممتحنين يضعونه أحيانا أمام هـــذه الحقيقة ، ويذكرون أن الحماس قد يكون مقبـولا فى أى شيء الا فى الرسائل الجامعية ، وبخاصة اذا كان هذا الحماس يصل الى التناقض التـــام ، فاذا كان عبد العزيز الدسوقى يذكر فى رسالته ان مطران لم يجدد لانه مسيحى ، فان كمال نشأت يقـــول ان مطران لم يجدد الا لانه مسيحى .

وسعد جاويش .. نرى عنده هذه الظاهرة فتراه يقول ان المتنبى تأثر تأثرا واضحا بالثقافة الاجنبية وبخاصة اليونانية ، ثم يقول ان الشعر القديم كله تقريرى ومرتكز تماما على الصور المادية ، مما جعل الدكتور عبد القادر القط يؤكد أن هذا الكلام لايخرج عن كونه « دعاوى عريضـــة » وأن الشعر العربى يناقض هذا مناقضة كاملة ثم ضرب امثلة شــعرية سريعة توضح هذا التناقض لامرىء القيس ، وزهير ، وطرفة ، ثم يعقب ان الحماس للشعر الجديد جعل سعد جاويش ينسى تماما أن يذكر عيوبا فيه مثـــل النثرية ، والتكرار ، والاخطاء العروضــية ، وأن الحماس فى نهاية الامر يختفى تماما حين يفصل بين الشكلين تماما فيعطى الشكل المتجدد منطقـة نفوذه التى يباشرها الآن ، ثم يقصر التفعلية على معالجــة المسرحية والملحمة .

وعبد الحميد ابراهيم محمد .. يسير في نفس الدائرة حين يذكر أن القصة موجودة في العرب البائدة . وأن القصة الحديثة لاتنتمى الى القصة الغربية . وانما تعتبر امتدادا للقصة العربية القديمة وفي الوقت نفسه لايستطيع الانسان أن يغفل النتائج القيمة التي وصلت اليها هذه الرسائل . فكل الذين شاهدوها وتتبعوا مناقشاتها خرجوا ورءوسهم مائلة من كثرة ما استوعبت واحتكت بالافكار التي كانت تنتقل في مهارة بين هيئة المناقشة وأصحاب الرسائل . واذا كان الشاعر كمال نشأت قد كسر هذه القاعدة بالسماح ـ عامدا ـ بدخول كافة الافكار الى « المرمى » . بل لقد كان يساعد من جانبه هذه الافكار ويعدل منها لتسقط في الشبكة بالموافقة . أو التصفيق . أو الابتسام . ولم يتخل عن هذا الاسلوب حتى في الوقت الذي تعرض فيه منهج الرسالة للخطر . وحين يسأل في هذا بعد « التدكتر » يقول لن أعيد ما فعلته في الماجستير . ثم يغمز بعينه ـ كعادته ـ ويقول ومع هذا كنت أعرف اني ساحصل على مرتبة الشرف .

وعلى كل ففي الوقت الذي تهنىء فيه هؤلاء الفرسان تدعوهم ـ بل تدعو كل أصحاب الرسائل في المنطقة العربية ـ الى باب جديد تقدمه « الرسالة » تحت عنوان « رسالتي الجامعية » يدور حول السبب في اختيار موضوع الرسالة . ومصاعب البحث وطريقة التغلب عليها . ودور المشرف . مع تلخيص لما أضافته الرسالة الى التراث العلمي .. بمعنى أن يكون هذا الباب في خدمة الذين يبحثون في هذا المجال . والذين يسيرون في نفس الطريق .

« عبده بدوى »

مرثية

إلى روح الدكتور مندور

للشاعر : سعد دعبيس

احقا قد مضيت ولن تؤوبا ... ولو ناداك «طارق» لن تجيبا
وان يهرع لدارك قاصدوها ... فلن يلقوك مطلعا دؤوبا
وفي كفيك ميزان جديد ... به تزن المؤدب والاديبا
فمن لشباب هذا الجيل يهدي ... سبيل الجيل ان سلك الدروبا؟
ومن يعطي ويمنح عن سخاء ... وحب مابه يحيي القلوبا ؟
ايا شيخ القبيلة كم هرعنا ... اليك لكي نذود بك الخطوبا
فكيف ونحن حولك قد وقفنا ... جميعا ندفع القدر الرهيبا
تطيش جميع اسهمنا وتأبى ... سهام الدهر الا أن تصيبا
رمتنا اذ رمتك فحطمتنا ... والجمت المؤاسي والطبيبا
ايا شيخ القبيلة ان وهمي ... يسر لخاطري شيئا عجيبا
يقول بان مندورا اذا ما ... مضى عنا .. فعنا لن يغيبا
فاحمل ـ مثل أمس ـ فوق كفي ... صحائف ترتجي رأيا أريبا
صحائف في الصباح اليك تسعى ... وان ولى الشروق سعت غروبا
ومثل ـ في الخواطر ـ ألف ألف ... وان علموا بانك لن تئوبا
عزائي فيك يامندور انا ... وان أذكى الأسى فينا اللهيبا
سننهل من موارد صافيات ... جعلت ورودها منا قريبا
دعوت الى العدالة وهي حلم ... يخاف الحالمون به الرقيبا
وقدت معارك النقاد توحي ... بان الفن مايبني الشعوبا
وكان السلم غاية كل رأي ... به جابهت من شرعوا الحروبا
لقد أعطيت لي ولكل جيل ... سيأتي بعدنا فكرا خصيبا
وما خلفته ـ أبدا ـ سيبقى ... يفوح على مدى الأحقاب طيبا
وفي هذا لنا بعض التأسي ... عساه يخفف الدمع الصبيبا
على من حوله جمع القلوبا ... ومزق يوم فارقنا القلوبا

رسالة العلم



الدكتور عبد الحليم منتصر

تفوق العلماء العرب في الرياضيات

حقا لقد كان وجود الخوارزمي ، وابن الهيثم ، والبيروني ، وابن سينا ، وابن يونس ، والخازن ، كان وجود هؤلاء وامثالهم من العلماء العرب، ضروريا لظهور جاليلو ، ودافنشي ، وكيلر ، وكوبرنيق ، ونيوتن ، وديكارت ، وباكون من علماء النهضة الاوربية ، والا لاضطر الأخيرون أن يبدأوا من حيث بدأ الأولون ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون .

وفي ذلك يقول المستشرق «فلوريان» كان للعرب عصر مجيد ، عرفوا فيه بانكبابهم على الدرس وسعيهم في ترقية العلم ، ولا نبالغ ، اذا قلنا ان أوربا مدينة لهم بخدمتهم العلمية ، تلك الخدمة التي كانت العامل الاول الاكبر في نهضة القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

ويقول المستشرق « ويلز » كانت طريقة العربي أن ينشد الحقيقة بكل استقامة وبساطة وأن يجلوها بكل وضوح وتدقيق ، غير تارك منها شيئا في ظل الابهام والغموض ، فهذه الخاصية جاءتنا عن طريق العرب ولم تهبط على اهل العصر الحاضر عن طريق اللاتين . فالحضارة العربية هي حلقة الاتصال بين حضارة اليونان والحضارة الحالية .

وقد تفوق العلماء العرب في الرياضيات بنوع خاص ، وخاصة الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات ورياضيات الفلك ، والمثلثات الكروية ،

ويقول الاستاذ قدر طوقان : ان بحوثهم مهدت لاكتشاف اللوغاريتمات ، كما مهدت لحساب التفاضل والتكامل .

لقد أخذ العرب عن الهنود نظام الترقيم ، واستعملوه في الحساب بدلا من حساب الجمل والحروف .

ومازالت الارقام التي نقلها الخوارزمي عن الهنود ، هي المستعملة في معظم البلاد العربية ، وتعرف بالارقام الهندية ، وكذلك الارقام المستعملة في أوربا والمغرب وتونس والجزائر ، وهي المعروفة بالارقام العربية ، وهي الاخرى مقتبسة من نظام الترقيم عند الهنود . وكذلك ابتدعوا طريقة الاحصاء العشري وعرفوا الكسر العشري ، واستعملوا النقطة للدلالة على الصفر ، كما ابتكروا علامة الفاصلة للكسر العشري .

وقد اعترف الغربيون بالفضل للخوارزمي ، فقالوا ان كتابه في الحساب هو الاول من نوعه من حيث المادة والتبويب والتنسيق ، وقد نقل الى اللغة اللاتينية ، وظل زمنا طويلا مرجعا للعلماء والتجار والمحاسبين ، وقد بقي علم الحساب معروفا في أوربا لعدة قرون باسم « الغوريتمي » نسبة الى عالمنا محمد ابن موسى الخوارزمي .

أما « الجبر » فللعرب فيه باع وأي باع ، صحيح

أن حل بعض المعادلات الجبرية ، يرجع الى ما قبل الميلاد بألفي سنة ، فقد عرفه البابليون ، وكذلك عرف الاغريق والهنود طريقة حل بعض هذه المعادلات ولكن يظهر انه كما قال بحق المرحوم الدكتور مشرفة

كان ينبغي أن تنتقل هذه المعلومات الى عبقري كالخوارزمي لكي ينشيء علم الجبر ويعلمه للناس أجمعين • وها نحن نرى اللفظ الذي ابتدعه الخوارزمي وهو الجبر ما زال مستعملا في اللغات الأوروبية للدلالة على هذا العلم • وكذلك عرف العرب المعادلات الجبرية وحلوا كثيرا من معادلات الدرجة الثانية ، بل معادلات من قوى أعلى ، وابتكروا حلولا هندسية لمعادلات ابتدعوها ، واستعملوا الرموز في المعادلات الرياضية ، وجمعوا بين الهندسة والجبر . كما استعملوا الجبر في حل بعض الاعمال الهندسية ، ووضعوا أسس علم الهندسة التحليلية • وعرفوا الجذور الصماء ، وكان الخوارزمي أول من استعمل كلمة « أصم » للدلالة على العدد الذي لا جذر له • وكذلك عرفوا الحالة التي يكون فيها الجذر كمية تخيلية • وابتكروا طرقا هندسية لحل بعض معادلات الدرجة الثانية وفي باب المساحة من كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي عمليات هندسية حلها بطرق جبرية •

وتتجلى عبقرية الخوارزمي في انه استطاع أن يستنبط من الهندسة الاغريقية والحساب الهندي علم الجبر ، وقد كانت الطريقة الاغريقية في الحساب يستخدمون تسعة حروف أبجدية للدلالة على الأرقام عقيمة ، بقدر ما كانت هندستهم خصبة ، فقد كانوا من ١ ـ ٩ ثم تسعة أخرى للدلالة على الأرقام من ١٠ ـ ٩٠ ، ثم تسعة أخرى للدلالة على المئات، وبعد ذلك يستخدمون نفس الأحرف باضافة حركة تشبه الفتحة • وقد نقل العرب هذه الطريقة في الحساب فقد رتبوا حروف المعجم (أ ب ج د هـ و ز) وجعلوا كل حرف من العشرة الأولى للدلالة على الأرقام من ١ ـ ١٠ ، والعشرة التالية كل حرف بعشرة ، ثم الحروف التالية كل حرف بمائة • ولنتصور صعوبة عمليات الضرب والقسمة بهذه الطريقة •

وتجلت عبقرية « **الحراني** » الذي مهد لاكتشاف اللوغاريتمات ، فوضع كتابا شرح فيه الطريقة التي يمكن بوساطتها اجراء العمليات الحسابية التي تتعلق بالضرب والقسمة ، بوساطة الجمع والطرح ، فمهد مع « **ابن يونس** » الذي كتب في المتواليات العددية والهندسية الى اكتشاف اللوغاريتمات • ووضعت القوانين الخاصة لجمع المتواليات ، واستخراج الجذور وجمع المربعات والمكعبات المتوالية • وفي كتاب « الكاشي » وردت النسبة بين محيط الدائرة وقطرها وهي التي تعرف باسم النسبة التقريبية (ط) ، وقد أعطى قيمتها لستة عشر رقما عشريا ، ولعله أول من أوجدها بهذه الدرجة من الدقة •

ولقد أجاد العرب في بحوث النسبة ، وعرفوا منها العددية والهندسية والتأليفية (لألحان الموسيقى) وموضوعات التناسب واستخراج المجهول بوساطتها. وبالجملة فان هذه المسائل التي تبدو اليوم أولية كان لها أكبر الفضل في تقدم علوم الحساب والجبر •

كذلك ترجم العرب كتاب الأصول لاقليدس ، وزادوا على نظرياته ، وهو يشتمل على خمس عشرة مقالة ، وقد الفوا كتبا على نسقه وابتكروا تمارين جديدة ، وقد الف ابن الهيثم كتابا في الهندسة ، يقول انه جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من كتاب « اقليدس » و « ابولدينوس » ، « ونوعت فيه الأصول وقسمتها ، وبرهنت عليها ببراهين » وعلى حين يعترف ابن الهيثم بمصادر كتابه ، فانه جدد في البراهين وفي ترتيب النظريات بطريقة تختلف عن الاصول التي استقى منها •

وللعلماء العرب مؤلفات كثيرة في المساحة والمجسوم وتحليل المسائل الهندسية ، وتقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية ورسم المضلعات المنتظمة • وقد الف كل من ابن الهيثم والبيروني كتبا كثيرة في الهندسة منها رسالة استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحنى ، وفيها برهان جديد لمساحة المثلث ، واستعمل ابن الهيثم الهندسة المستوية والمجسمة في بحوث الضوء ، وتعيين نقط الانعكاس في المرايا الكرية والاسطوانية والمخروطية المحدبة منها والمقعرة ، وكذلك فعل نصير الدين الطوسي ، حين ابتكر واضاف الكثير الى هندسة المتوازيات •

وقد قسم العرب الهندسة الى نوعين عقلية ، وحسية ، تعرف الأولى عقلا وفهما ، اما الثانية فتعرف قدرا وكما •

وكذلك يرجع الفضل في وضع علم حساب المثلثات مستقلا عن علم الفلك الى بعض العلماء العرب ، واستعملوا الجيب بدلا من وتر ضعف القوس ، وأدخلوا المماس في النسب المثلثية وممن اشتهر من العلماء العرب في حساب المثلثات ، البوزجاني ، والطوسي ، والبيروني والخازن وجابر بن الأفلح ٠

ولعلنا لا ننسى فضل موسى بن شاكر وبنيه الثلاثة ، محمد واحمد وحسن ، فقد برعوا جميعا في علم الميكانيكا وكانوا يسمونه علم « الحيل » ٠ كما لا ننسى فضل « الخازن » الذى ربط بين الجاذبية والسرعة والمسافة والثقل ٠ لقد لاحظ هذه العلاقة قبل نيوتن بعدة قرون ، وانما ربط بينها نيوتن في معادلات وقوانين ٠

هذه جميعا معلومات ونظريات وابتكارات رياضية على أعظم جانب من الأهمية ، ويرجع الفضل كل الفضل في كشفها الى العلماء العرب ٠

أما الفلك فقد أتى فيه العلماء العرب بالأعاجيب، وخرجت بحوثهم فيه من النظريات الى العمليات والرصد قالوا باستدارة الأرض ، وعملوا الأزياج ، وضبطوا حركة الشمس ، وصنعوا الاسطرلاب والآلات الفلكية ، وحققوا مواقع كثير من النجوم ، ورصدوا الاعتدالين ، وكتبوا عن البقع الشمسية ، وقاسوا محيط الارض ، كذلك عرفوا قبل العصر العباسي ، رصد الكواكب والنجوم وحركاتها والكسوف والخسوف ، وأقاموا المراصد الكثيرة ٠

صحيح أن العرب قد اعتمدوا في دراستهم الأولى لعلم الفلك على الفلك الاغريقي ، ممثلا في أعمال ابرخس ، وعلى الفلك الاسكندري ممثلا في مجسطي بطليموس ، وقد ترجموا هذه الكتب وحرروها ونقدوها وأضافوا اليها وعدلوها ، كما قرؤوا أعمال الكلدان ، والسريان والفرس والهنود ٠ ولكن الصحيح أيضا أنهم نقدوا وابتكروا وأضافوا الكثير الى أعمال هؤلاء وأولئك ٠

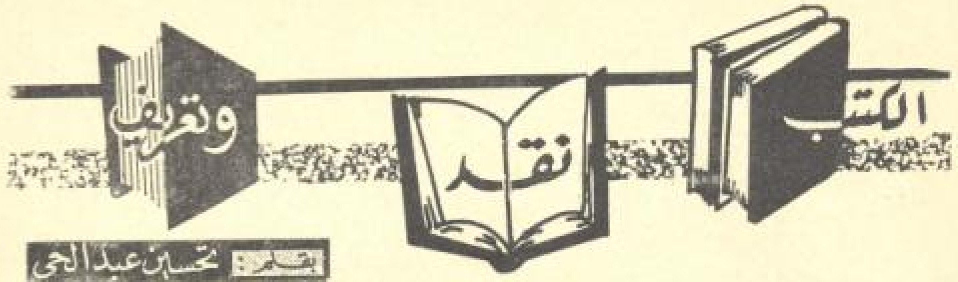
وقد بدأ العرب منذ العصر الأموي بالاهتمام بعلم الفلك فترجموا كتاب مفتاح النجوم المنسوب الى هرمس الحكيم ، وكان ابو جعفر المنصور الخليفة العباسي شغوفا بالفلك والنجوم ، وقد أمر بترجمة الكتب الهندية في الفلك ، فظهر السندهند الكبير ، وبقي معمولا به الى أيام المأمون ، واختصره الخوارزمي وصنع منه زيجه المشهور، وقد زاوج فيه بين مذاهب الهند والفرس وبطليموس ٠

وتتابع الفلكيون العرب بعد ذلك من امثال البتاني ، والبوزجاني ، والفرغاني ، والطوسي ، والبيروني ، ويحيى بن أبي منصور ، وعلي بن عيسى، وعلي بن البحتري ، وموسى بن شاكر وابن يونس وثابت بن قره وابن الهيثم ، ولهم أزياج ورصدات بالغة غاية الدقة وأقاموا كثيرا من المراصد ، وحسبوا طول السنة الشمسية والاعتدالين ، وحققوا مواقع كثير من النجوم ٠ وكانت بحوث هؤلاء هي التى مهدت الطريق للنهضة الفلكية الكبرى التى ازدهت بكبلر وكوبرنيق ٠

لقد وافقوا بطليموس في أشياء وخالفوه في أشياء ، ومنهم من استنكر الربط بين حركات النجوم والكواكب وبين حظوظ الناس مما كان يسمى التنجيم كالكندى والفارابي وابن سينا ٠ فيقول ابن سينا ان قول المنجمين باثر الكواكب على الناس من خير وشر ، انما هو قول هراء ، وقد أخذوه تقليدا من غير برهان ولا قياس ٠ ويقول الفارابي ان من الخطأ الكبير ما يزعمه الزاعمون أن بعض الكواكب يجلب السعادة وبعضها يجلب النحس ، ودعاوى المنجمين ونبوآتهم لا تستحق الا الشك والارتياب ٠

« د٠ عبدالحليم منتصر »





عيون البصائر

تأليف : محمد البشير الابراهيمي

لقد خلقت تجربة شعبنا العربى النضالية ضد الاستعمار والتجزئة نماذج فريدة من الرجال تميزوا بالاخلاص والوعي والمقدرة الفائقة على مواجهة واقعهم القومي المجزأ .. أحسوا بضرورة الوحدة الشاملة وعبروا عنها فى وقت كان فيه الاستقلال الوطنى حلما ومطلبا بعيد المنال ، واجهوا الاستعمار بشجاعة المجاهدين في سبيل الله وذلك في نطاق أيديوليجيتهم الثورية العقائدية التى تعبر عن واقع مجتمعهم العربى الاسلامى ، هذه الأيديولوجية التى تميزت بطابع **الشمول القومي والانسانى .**

ان هناك أناسا ليست الكلمة بالنسبة اليهم سوى أداة تؤدى الى العدم ، فهى لديهم مجرد صور بيانية خلابة ، ترن فى الهواء ، أو مجرد كمية من المداد على صفحة الورق ، ولكن رواد شعبنا المناضلين أحسوا بان ميزانية التاريخ ليست رصيدا من الكلام ومن أعداد الكلمات ، بل آمنوا بانها كتلا من النشاط المادى ، ومن الأفكار التى لها كثافة الواقع ووزنه .
ويعتبر المرحوم الامام محمد البشير الابراهيمى أحد أولئك الرواد الذين عرفوا معنى الكلمة وأهميتها وعرفوا كيف يدعمون هذه الكلمة بالوسائل التنظيمية الفعالة .. هذه الكلمة وتلك الوسائل التى كانت الأساس القوى المتين الذى قامت عليه ثورة شعبنا في الجزائر لتضرب اروع مثل من أمثلة البطولة والفداء حيث كان



بوسعها ان تقدم من أبنائها مليونا من الشهداء البررة كثمن فادح للاستقلال ، ويخطىء من يظن ان كفاح شعبنا العربى فى الجزائر قبل الاستقلال كانت تحركه فقط مطالبه العادلة فى الاستقلال الوطنى لأننا بذلك نكون قد وضعنا شعبنا هناك فى مصاف الدول والشعوب التى كافحت من أجل الاستقلال فقط . ولكنه كان كفاحا من أجل الاستقلال والوحدة العربية الشاملة والعدالة الاجتماعية بمفهومها العربى الاسلامى ـ لقد حدد جيل الرواد المناضلين أمثال ـ ابن باديس ومحمد البشير الابراهيمى ـ المجال العام الذى تحركت فيه ثورة شعبنا فى الجزائر .. وهو مجال عربى اسلامى وانسانى فى نفس الوقت . ولعل أروع ما فى هذا المجال العربى الاسلامى وفى حركته الثورية .. هو

ان المجاهد الذى مات ـ مات وهو شهيد الجهاد ذودا عن عروبته ودينه ، والمجاهد الذى عاش ـ عاش لكى يتم رسالة الشهيد ورسالته التى آمن بها ضمن مجالها المحدد .

ولعل اهم شيء يلفت نظر كل باحث فى الشئون السياسية والاجتماعية فى المغرب العربى ـ وبخاصة الجزائر ، هو أن الدين الاسلامى وعلماء الدين بالذات لم يقصروا دورهم هناك فى حدود اصدار الفتاوى سواء الصحيح منها أو الملفق ـ بل قاموا بدورهم القيادى فى وسط الجماهير ـ وتجاوزوا ذلك فحاربوا رجال الدين الانهزاميين الذين يكثرون دائما فى عهود الاستعمار ـ كانوا وهم رجال دين يحاربون الاستعمار ورجال الدين الآخرين ومن هنا استطاعوا أن يرسموا الطريق الصحيح للجماهير بطريقة فعالة ويدفعونها الى الأمام بقوة جديدة نقية ، وعزم جديد لا يلين مع تزويدها بما يخصب مضمونها الروحى والسياسى .

وكتاب اليوم « **عيون البصائر** » لمؤلفه المرحوم محمد البشير الابراهيمى الذى لاقى ربه فى الشهر الماضى عن ست وسبعين عاما قضاها فى الجهاد والنضال من أجل عالم عربى اسلامى موحد متحرر ـ هو كتاب يقدم لنا ذلك الوجه المشرق للفكر العربى الاسلامى فى جزائرنا العربية الاسلامية

والكتاب ، وهو مجموعة المقالات التى نشرها المؤلف كافتتاحيات لجريدة البصائر ، يمثل فى الدرجة الأولى وجهة نظر جمعية العلماء التى اسسها المرحوم الامام عبد الحميد بن باديس . وقادها بعده ودعمها المرحوم الامام محمد البشير الابراهيمى .

وعن جمعية العلماء يقول المؤلف ـ ان جمعية العلماء تنازع وتصارع فى كل ميدان ـ « ومحل هذا النزاع وهدف هذا الصراع هو الأمة الجزائرية، فالجمعية تريدها أمة « عربية مسلمة » كما هو قسمها فى القدر وحظها فى التاريخ ، وحقها فى الارث ، وحقيقتها فى الواقع والمصطلح » تريدها كذلك وتعمل لتحقيق ذلك ، والاستعمار يريدها هيكلا لا تترابط اجزاؤه ، ولا تتماسك أعضاؤه .

ورجال السياسة من قومنا يريدونها متبوأ لزعامتهم المزعومة ، وسياداتهم الموهومة ، فيعللونها بالأباطيل ، ويروضونها على التصفيق والتهليل ، ويسوسونها بطريقة سياسية . لا تختلف عن تلك الطرق الدينية ـ التى حاربناها حتى قتلناها ـ فى كثير ولا قليل »

لقد حررت جمعية العلماء الشعب الجزائرى بذلك التحرير العقلى الذى أساسه :

توحيد الله فوحدت الميول المختلفة ، والمشارب المتباينة ، والنزعات المتضاربة وبذلك التحرير ايقظت فى الأمة قوة التمييز بين الصالح من الرجال والصحيح من المبادىء وبين الطالح والزائف منهما وبذلك التحرير اراحت الأمة من اصنام كانت تتعبدها باسم الدين أو باسم السياسة . »

فالاسلام والعروبة دعامتان تمسكان هذا الوطن أن يزول ، وفى فصل الاسلام عن الحكومة تثبيت للدعامة الأولى ، وفى التعليم العربى تمكين للجنسية العربية ، ولا يقدر قدر هاتين الدعامتين ، ولا يعمل جاهدا فى تثبيتها ـ الا من يعلم ـ كما نعلم أن الاستعمار جاء الى هذا الوطن بثلاثة اشياء ، ليمحو بها ثلاثة اشياء جاء باللاتينية ليغمر بها العروبة ، وجاء باللغة الفرنسية ليقضى بها على اللغة العربية وجاء بالمسيحية لينسخ بها الاسلام .

لقد جاءت فرنسا الى الجزائر بالراهب « الاستعمارى » لتفسد به على المسلمين دينهم ، وتفتنهم به عن عقائدهم ، وتشككهم بتثليثه فى توحيدهم ، وتضار فى السنتهم كلمة « الهادى » بكلمة الفادى . ذلك كله بعد ما أمدته بالعون ، وضمنت له الحرية ، وكفرت به هناك لتؤمن به هنا .

ان الاستعمار القائم على الجندى والمعلم والطبيب والراهب هيكل حيوانى يمشى على أربع .. وان الاستعمار قد قضى بواسطة هؤلاء الأربعة على عشرة ملايين من البشر ، فرمى مواهبهم بالتعطيل ، وعقولهم بالخمود ، واذهانهم بالركود ، وافكارهم بالعقم ، واضاع على الانسانية بضياعهم عشرة ملايين من المواهب والعقول والأذهان والأفكار، وهى رأس مال عظيم كانت تستعين به ـ لولا الاستعمار ـ على الخير العام والمنفعة ، وتنتفع به فى اقامة دعائم المدنية .

لقد جاء الاستعمار الفرنسى الى الجزائر يحمل السيف والصليب ، ذاك للتمكن ، وهذا للتمكين ، فملك الارض واستعبد الرقاب ، وفرض الجزى ، وسخر العقول والابدان ، ولو وقف عند حدود الدنيويات لقلنا : تلك هى طبيعة الاستعمار الجائع تدفعه الشهوات الى اللذات ، فيجرى الى مداها

يقف ، وتدفعه الانانية الى الحيوانية فيلتقم ولا ينتقم ، ولكنه كان استعمارا دينيا مسيحيا عاريا ، وقف للاسلام بالمرصاد من اول يوم ، وانتهك حرماته من أول يوم ، فابتز امواله الموقوفه بالتهر ، وتصرف فى معابده بالتحويل والهدم ، وتحكم فى الباقى منها بالاحتكار والاستبداد . وتدخل فى شعائره بالتضييق والتشديد ، كل ذلك بروح مسيحية رومانية تشع بالحقد وتفور بالانتقام .

ان فى هذا الوطن الجزائرى شعبا عربيا مسلما، وهو ذو ميراث روحانى عريق ، هو الاسلام وآدابه وأخلاقه ، وذو ميراث مادي شاده أسلافه لحفظ ذلك التراث ، وهو المساجد بهياكلها وأوقافها ، وذو نظام قضائى مصلحى ، لحفظ تكوينه العائلى والاجتماعى ، وذو منظومة من الفضائل العربية الشرقية،منتقلة بالارث الطبيعى من الأصول السامية، الى الفروع النامية ، لحفظ خصائصه الجنسية من التحلل والادغام ، وذو لسان وسع وحى الله وخلد حكمة الفطرة ، وجرى بالشعر والفن ، وحوى سر البيان ، وجلا مكنونات الفكر ، ثم خدم العلم وسجل التاريخ ، وشاد الحضارة ، ووضع معالم التشريع ، وحدا بركب الانسانية حينا فاطرب .

ان العربية هى لسان العروبة ، الناطق بأمجادها، الناشر لمفاخرها وحكمها ، فكل مدع للعروبة فشاهده لسانه ، وكل معتز بالعروبة فهو ذليل ، الا أن تمده هذ المضغة اللينة بالنصر والتاييد .

ان الشعب الجزائرى فرع باسق من تلك الدوحة الفينانة وزهرة عبقة من تلك الروضة الغناء ، عدت عليه عوادى الدهر ، فنسى مجد العروبة ولكنه لم ينس أبوتها ، وابتلاه الاستعمار — عن قصد — بالبلبلة ، فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها الا الضاد ، ولم يبق من العروبة مع هذا وذاك الا سمات وشمائل،ولا من العربية الا آيات ومخائل .

وجاءت جمعية العلماء ، على عبوس الدهر ، وتنكر من الأقوياء ، فنفخت من روح العروبة فى تلك الانساب ، فاذا هى صريحة ، وسكبت من سر البيان العربى فى تلك الألسنة فاذا هى فصيحة ، وأجالت الأقلام فى كشف تلك الكنوز فاذا هى ناصعة بيضاء لم يزدها تقادم الزمان الا جدة .

وجمعية العلماء هى التى حققت للجزائر نسبه العربى الصريح ، وهى التى اثبتت للاستعمار أن الدماء البربرية التى مازجت الدم العربى أصبحت عربية بحكم الاسلام ، وبحكم العمومة والخئولة الممتدتين فى سلسلة من الزمن ، ذرعها ثلاثة عشر قرنا ، مزاج فطرى ، أحكمت القدرة تداخل أجزائه ، والتحام نسبى وصل التاريخ أطرافه مرتين .

وفى نداء ثورى شجاع يخاطب المؤلف شعبنا فى الجزائر فيقول .. سنة ١٩٤٩ —

« لا استجداء فى الدين بعد اليوم — أيتها الأمة — كونى مؤمنة بالله واليوم الآخر ، وبمحمد وبالقرآن ، وعفا الله عما سلف من ذلك . أما نحن فقد كنا علماء دين ، ودعاة علم وتربية ، وزراع خير ورحمة ولكن الحكومة تعد هذا كله سياسة ، وتعتبرنا لأجله سياسيين ، فليكن ذلك ، ولنكن علماء وسياسيين ، ولنكن كل شىء ينفع أمتنا ويحمى ديننا ولغتنا . مادمت لا تجد صاحبك الا حيث تكره ، فمن العدل الا يجدك صاحبك الا حيث يكره . »

ولم تكن اهتمامات مفكرنا العظيم المرحوم محمد البشير الابراهيمى منحصرة فى نطاق الوطن الجزائرى فقط .. ولكننا نراه يكتب عن ليبيا داعيا وموجها شعبها الى طرق النضال الصحيحة ، ويكتب عن فلسطين بقلب دام حزين مرسلا نداءاته الثورية الى العرب فيقول :

« ايها العرب . ان قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهممكم وأموالكم ووحدتكم ، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم ، وانما هى للعرب كلهم . وليست حقوق العرب فيها تنال بانها حق فى نفسها ، وليست تنال بالهوينا والضعف ، وليست تنال بالشعريات والخطابيات ، وانما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة

ان الصهيونية وانصارها مصممون ، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه .

وكونوا حائطا لا صدع فيه
وصفا لا يرقع بالكسالى

ولم يكتف مناضلنا الرائد بمئات المقالات التى كتبها عن فلسطين وانما أتبع القول بالعمل فكون اللجان فى طول الجزائر وعرضها لمناصرة فلسطين وجمعت هذه اللجان التبرعات التى بلغت تسعة ملايين من الفرنكات لصالح النضال ضد الصهيونية العالمية وذلك تحت سمع الاستعمار الفرنسى وبصره ومقاومته لهذه اللجان والتنكيل باعضائها .. وارسل البشير الابراهيمى هذه

الملايين من الفرنكات الى الجامعة العربية عن طريق الأستاذ أحمد عبد الخالق ثروت سفير مصر فى ذلك الوقت بفرنسا ..ولم يكن البشير الابراهيمى يملك شيئا فى دنياه سوى مكتبته الخاصة فتبرع بها لفلسطين ولشعب فلسطين العربى ..

وشارك مجاهدنا الكبير شعبنا العربى فى مصر نضاله من اجل الاستقلال فكتب كثيرا من المقالات مؤيدا وموجها حركة شعبنا فى سبيل الاستقلال والثورة ..

يقول المؤلف، فى مقال نشر له بالرسالة عام ١٩٥٢ :

« يا مصر .. انت اليوم مثابة العروبة فى ثراك حيى بيانها ، وبسقت افنانها ، وفى رياضك تفتحت ازهارها ، وغردت بلابلها ، ففى ذمة كل عربى حر الدم لك دين واجب الوفاء ،وهذا اجل الوفاء » .

« يا مصر .. انهم لم يقاتلوك بالحديد والنار ، الا ساعة من نهار ، ولكنهم قاتلوك فى الزمن كله بالأستاذ الذى يفسد الفكر ، وبالكتاب الذى يزرع الشك ، وبالعلم الذى يمرض اليقين ، وبالصحيفة التى تنشر الرذيلة ، وبالفيلم الذى يزين الفاحشة، وبالبغى التى تخرب البيت ، وبالحشيش الذى يهدم الصحة ، وبالممثلة التى تمثل الفجور ، وبالراقصة التى تغرى بالتخنث ، وبالمهازل التى تقتل الجد والشهامة ، وبالخمرة التى تذهب بالدين والبدن والعقل والمال ، وبالشهوات التى تفسد الرجولة ، وبالكماليات التى تثقل الحياة ، وبالعادات التى تناقض فطرة الله، وبالمعانى الكافرة التى تطرد المعانى المؤمنة من القلوب ، فان شئت ان تذيبى هذه الأسلحة كلها فى ايدى اصحابها فما امرك الا واحدة ، وهى ان تقولى : انى مسلمة ..»

هكذا كان يفكر الامام المجاهد محمد البشير الابراهيمى ــ وهكذا كانت آراؤه واهتماماته بشمولها الواعى لوطننا العربى من الخليج الى المحيط .. تغطى كل جزء من اجزاء وطننا بحب وحنان ــ وعندما لقى ربه فى الشهر الماضى ــ كانت الجزائر العربية المسلمة المتحررة تفتح ذراعيها للعالم أجمع وللانسانية المعذبة فى هذا العالم ــ لكى تكون أرضها الحرة . اروع مكان يلتقى فيه زعماء آسيا وافريقيا فى مؤتمرهم الآسيوى الافريقى الثانى لكى يضعوا بأيديهم أسس سلام عالمى قائم على العدل والمساواة .

« تحسين عبد الحى »

عابرة

للشاعر: محمود عماد

حسناء مسبلة الشعو
ر على محياها النضير
يا من رأى الصفصافة
انسدلت على وجه الغدير !!
مرت به صبحا كنسمة
روضة تشفى الصدور
من أين جاءت ليس يد
رى . أو الى اين المسير ؟
الدعوة أو غزوة
او ما عداها من امور
لكنها فى لمحة
تركت له منها الكثير
وارته دنيا ربما
جهلت وأعوزها البصير
افما ترينا الأفق ومضة
نيزك عند العبور ؟

***

يا للجمال تراه يد
رى انه حدث كبير ؟
لو كان يدرى ما أوى
يوما الى مأوى حقير
فى اى برج سوف يغر
ب ذلك النجم العبور ؟
وعلى مروج ضوؤه
يلقى هنالك أم صخور ؟
تمضى النجوم لشأنها
والصابئون الى السعير !!

« محمود عماد »



يقدمها محمد العواني

● مبادىء الاسلام المثالية :

كتب الاستاذ « احمد حسن الزيات » في العدد الثاني من مجلة « الوعي الاسلامي » التي تصدر عن وزارة الاوقاف الكويتية ـ مقالا عما تضمنته دعوة الاسلام من المبادىء المثالية . بين فيه ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا « الى تكريم الانسان ؛ وتنظيم العمران ؛ وتعميم الخير ، وتحقيق السعادة عن طريق التوحيد والمؤخاة والمساواة والحرية والسلام » .

ووضح أن المقصود من التوحيد هو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد الغاية ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا ، والتوحيد «ركن من اركان الدين ، وعنوان من عناوينه ، وهو من الكلم الجوامع التي وعت جوهر الاصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة .

وتناول الوحدة الانسانية فوضح أنها مزية من مزايا الدعوة المحمدية وان الاسلام في سبيلها صدق بكل دين أنزل وبكل نبي أرسل ، ويقول عن المسلمين انهم « وحدهم الذين يفهمون الانسان بمعناه الصحيح لانهم أتباع محمد ، ومحمد وحده هو الذي أعلن حقوق الانسان والله وحده هو الذي الهم رسوله هذه الحقوق لانه أرسله رحمة للذين استضعفوا في الارض لقلة المال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالموالي ، أو لفقد النصير كالارقاء ، أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن العز للذليل بالعدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، واعطى الحق للمرأة بالمساواة » .

● نهرو .. وفلسفته السياسية :

وفي مجلة « الثقافة » العدد ١٠٠ الصادر في ١٥ـ٦ـ١٩٦٥ كتب الدكتور عبد الرحمن بدوي مقالا عن الزعيم الهندي نهرو الذي أمضى حياته مكافحا في سبيل تحرير الهند خارجيا بطرد الغاصب ، وداخليا بتحقيق العدالة الاجتماعية والحرية الفردية ودفع الهند في ركب الحضارة العالمي .

وبين أن نهرو مر بأربع مراحل في تطوره السياسي الاجتماعي هي :

مذهب الحرية الكلاسيكي القائم على توكيد حقوق الانسان ، والديمقراطية السياسية ، واحترام حقوق الفرد .

والاشتراكية الفابية الاتجاه ، التي تأثر بها ابان دراسته في جامعة كمبردج والغاندية التي تدعو الى عدم العنف واشتراط طهارة الوسائل في النضال السياسي والاجتماعي .

والماركسية النظرية التي بدأ يتأثر بها منذ سنة ١٩٢٧ حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

ويرى الدكتور بدوي أن الماركسية استهوت نهرو لظهورها بمظهر علمي في معالجة المشاكل الاجتماعية وكان على علم بما يوجه اليها من نقد فقد حاول بعض

أنصارها تعديلها بما يتلاءم مع ما وقع في العالم من تطورات بعد ماركس فندت نبوءاته وبرهنت على فساد تحليله ·

وقد تغيرت نظرة نهرو للماركسية وتبدد اعجابه بها وراح يوضح موقفه منها ومن تطبيقاتها ، ففي مؤتمر صحفي ببمباي في ٢٧-٢-١٩٤٦ قال « ان الشيوعيين أبعد ما يكونون عن النزعة الثورية ، انهم في الواقع رجعيون » كما صرح في مؤتمر صحفي عقد في نيودلهي بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٢ قائلا « أعتقد أن ماركس أصبح اليوم عتيقا قد عفى عليه ، والحديث اليوم عن الماركسية رجعية ، ان صح هذا التعبير ، واعتقد أن الشيوعيين بهيجانهم واحتدامهم رجعيون تماما في نظرتهم من بعض النواحي » ·

ويختم الدكتور بحثه مشيرا الى أهم الصفات التي اتصف بها نهرو ، ذلك أنه كان يحب الحرية ، وينزع نزعة انسانية تحترم القيم الفردية ، ولا تضحي بالفرد الا في سبيل القيم الانسانية العليا ·· وانه لايبرر لأية غاية مهما علت استخدام وسائل خسيسة ·· وانه كان متفتح الآفاق لكل الاتجاهات لايحد فكره بمذهب قطعي جازم جامد ·

● **الدكتور محمد مندور :**

ونعت مجلة «القصة» شيخ النقاد المرحوم الدكتور محمد مندور ، فكتب رئيس التحرير محمود تيمور كلمة قال فيها « لعل أكبر ما يميز الدكتور مندور أنه جرى في النقد أول ما جرى على ما درس من مناهج وأصول اتباعية مقررة ، بيد أنه لم يتعصب لها ، ولم يقف عندها ، بل ساير الجديد في عالم الفكر ، وتابع التطور في مذاهب الادب ، ولم يضرب صفحا عن المستحدث من أساليب النقد ، واذا هو يتمثله ويزنه أدق وزن ، ويخرج منه ناقدا أصيلا ، بعيد افق النظر ، مصقول الذوق ، عدل التقدير مكتسبا من السماحة والمرونة ما يعصمه من التعسف ، وينأى به عن الجمود » ·

● **التعاون الاجتماعي :**

ونشر الجزء الثامن من مجلة «الاقلام» العراقية مقالا عن التراث كتبه الشيخ نديم الجسر تطرق فيه الى ناحية التعاون الاجتماعي في تراثنا فاوضح أنه ليست هناك شريعة غير الاسلام فرضت الزكاة وجعلتها ركنا من أركانه وأنه ما من مذهب اجتماعي قديم أو حديث استطاع أن يجمع ، في تناسق كامل بين تقديس حق الفرد ، لخيره وخير المجتمع ، وتقديس حق المجتمع لخيره وخير الفرد كما فعل الاسلام حتى علق سعادة الفرد على تماسك المجتمع وعلق تماسك المجتمع على سعادة الفرد ، وجعل مبدأ التضحية بالاموال والارواح في سبيل التعاون الاجتماعي من صلب العقيدة وصميم الايمان وأضاف الى ذلك أن تراثنا الاجتماعي النابع من صميم عقيدتنا وشريعتنا قد جعلنا امة وسطا بين تطرف الرأسمالية في الحرية الفردية الى حد الفوضى وتطرف الشيوعية في تقييدها الى حد الكبت للغريزة ·

● **انتشار الدعوة الاسلامية في الهند :**

و « محيي الدين الالوائي » في مجلة « منبر الاسلام » يتناول انتشار الدعوة الاسلامية في الهند فيوضح أن الاسلام انتشر في ربوعها على أيدي دعاة مصلحين من العرب والهنود ، ضحوا بنفسهم ونفيسهم في سبيل اعلائه · وشرح بالتفصيل الاسباب التي ساعدت على هذا الانتشار وأرجع ذلك الى :

الوضع الذي كان سائدا في البلاد من نظام الطبقات والوثنية والعادات الخرافية ثم اخلاص العلماء الذين كانوا يعملون لنشر دين الحق من الاسباب التي أدت الى رواج هذا الدين فقد كانوا قدوة متى عاملين بمقتضى المبادىء الاسلامية السمحة · ووضح الألوائي في نهاية المقال الأسباب التي أدت الى ركود الدعوة الاسلامية في الهند وتقلص ظلها بعد أن توطدت اركانها وحصرها فيما يلي :

١ - افلات زمام الدعوة من ايدي دعاة مصلحين ومتنورين الى أشخاص تكدرت عقائدهم باوساخ البدع والخرافات ، وابتعدت عقولهم عن المعين الصافي لتعاليم القرآنية والاخلاق النبوية ·

٢ - العلماء المتأخرون الذين جاءوا الى الهند من الخارج في بعض العهود والذين كانوا يعتمدون على العلوم الفرعية وما كانوا يعنون بفهم القرآن ومبادئه والسنة النبوية وارشاداتها ·

٣ - دسائس ومكائد أعداء الهند الذين جاءوا من البلدان الاستعمارية ، لكي يضعفوا مركز البلاد وشعبها معنويا أولا وماديا أخيرا ، ولانهم رأوا في الاسلام شعلة وهاجة لتحرير العقول وتنوير القلوب ·

« **محمد العواني** »



البريد الأدبي

كلمات .. تكدر محيطات

بقلم عيسى متولي

عاد الرسـول الحبيب الى بيته ، وسأل عائشة : من زارك اليوم ؟..

وغاب اسم الزائرة عن ذاكرة أم المؤمنين ، فقالت : السيدة البدينة القصيرة .. دون قصد الاساءة اليها ، في غيبتها .. فقد كانت الزائرة بدينة الجسم قصيرة القامة ..

فغضب الرسول .. وقال لزوجه :

ـ لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لكدرته !..

ولم تطعن عائشة في صديقتها ، أو تخوض في سيرتها ، بل وصفتها بحقيقتها ، اذ غاب اسمها عن لسانها .. ومع ذلك وصف الرسول كلمتها بأنها « لو مزجت بماء البحر لكدرته » !..

ويا لهول ما تنطقه السنتنا في وصف الناس .. الننا نجيء شيئا ادا !..

فما أكثر ما نخوض في سيرهم ، والطعن في ذممهم وأعراضهم ، وكرامتهم !..

تتقابل الصديقات ، بالعناق والقبلات ، ولا تكاد الصديقة تتوارى عن الجمع حتى يتناولن سيرتها ، وسلوكها .. وما زالت حرارة القبل في الشفاه !! ..

وكذلك في دنيا الرجال .. في المقاهي .. وفي المنتديات .. يخوضون في الحديث عن الناس ، ويسلقونهم بألسنة حداد ..:

ما أبشع ما ينسبونه اليهم من الهامات ...
وما أبشع ما يصفونهم به من صفات ...
كلمات لو مزجت بماء المحيطات لكدرتها ...
وحولتها دما مسفوحا !!..

عقارب الحقد في الأدب

بقلم : عبد الخالق عبد الرحمن ـ بغداد

نحن نعيش في هذه الحياة الفسيحة الأرجاء وعلى كوكبنا الأرضي منذ عصور واغلة في القدم ، والأرض غنية للذين يشقون طريقهم فيها ويبذلون جهدهم ، ويمشون في مناكبها ويستخرجون خيراتها . والانسان المثابر يجد في أرجاء هذه الدنيا الفرصة التي تنتظره في شتى مناحي الحياة ، وان شعلة الحياة الملتهبة لا تخمد جذوتها ما بقيت الحياة الانسانية على وجه هذه البسيطة.

والحياة كانت وما زالت تضيق بأولئك الذين غشيت عيونهم غشاوة فهم لا يبصرون ، ولم يستطيعوا أن يؤدوا أدوارهم في الحياة كما يؤديها غيرهم من الذين وهبوا نفوسهم للمجتمع ، وسعوا الى عمل الخير ، فكانوا اللبنات الخيرة التي يقوم عليها مجتمعنا الانساني .

فالتقدم والتقهقر ، والنجاح والفشل ، والقدرة والعجز دائما وأبدا تسيران جنبا الى جنب في خضم هذه الحياة ، أما العلو والضعة ، والسمو والاسفاف فتتمو في أفئدة الناس أنفسهم ، وهم الذين يختارون سبيلهم ويشقون طريقهم في الحياة .

والانسان في حياته على مر العصور لابد له من المغامرة في هذه الحياة وان يشق طريقه وسط هذه الجلامد المتحجرة ، الا ان الحياة تفيض في كل جيل بأنماط شتى من الآمال والاحلام ، والدوافع والفرص ، والناس هم الذين يختارون لأنفسهم ما يوافق ميولهم واتجاهاتهم ويتحملون عواقب اختيارهم ، ولذلك لم يخل عصر من العصور من وجـود النوابغ النابهين الى جانب الهمل الخاملين وهؤلاء النابهين الذين يشقون طريقهم في الحياة ويبرزون آراءهم ومنافسيهم يكونون موضع الحقد والسخرية من معاصريهم،

ولكنهم بقوة ارادتهم ، وعلو همتهم يصلون قمة المجد ويحلقون في سماء الخلود .

فهذا الامام أبو بكر بن دريد الأزدي الذي يقول فيه المسعودي في مروج ذهبـــه : (وكان ابن دريد ممن برع في زماننا في الشعر وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن احمد واورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين وكان يذهب في الشـعر كل مذهب فطورا يجزل وطورا يرق) وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين « ابن دريد هو الذي انتهت اليه لغة البصريين كان احفظ الناس واوسعهم علما واقدرهم على الشعر وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحاما مهما في صـدر خلف الاحمر وابن دريد » وبالرغم من شهادة معاصريه له بجزالة شعره ، وسعة علمه وتألق قدرته ، نرى عقارب الحقد التي قال عنها المرحوم الاستاذ على الجارم « لو فتشت عنها لما وجـدت جحورها الا في صدور الأدباء » اقول نرى هذا الحقد الدفين قد وغل في صدور حاسـديه من أدباء عصره فراحوا يكيلون له السباب والشتائم ويتهمونه مما هو براء منه قال أبو حفص عمر ابن شاهين الواعظ (١) :كنا ندخل على ابي بكر بن دريدونستحي منه مما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى وقال أبو ذر الهروي : (سمعت أبا منصور الازهري يقول : « دخلت على ابن دريد فرايته سكران فلم اعد اليه » . وقال حمزة بن يوسف : « سألت الدار قطني عن ابن دريد فقال :(تكلموا فيه وقيل انه كان يتسامح في الرواية فيسند الى كل واحد ما يخطر بباله .

لقد الف ابن دريد كتاب (الجمهرة في اللغة) وقد حسده جماعة من اقرانه على تأليف هذا الكتاب القيم ومنهم نفطويه الذي رماه بأنه سرق هذا الكتاب من كتاب العين للخليل بن أحمـد وضمنها بأبيات قال فيها :

ابن دريد بقـــره ... وفيـــه عي وشره
ويدعي من حمقـــه ... وضع كتاب الجمهره
وهو كتــاب العين الا ... انه قــد غــيره

وقد رد عليه ابن دريد بالأبيات التالية :

لو انزل الوحـــي على نفطـــويه
لكان ذاك الوحي ســخطا عليـــه
وشـــاعر يدعى بنصف اسـمه
مستأهل للصـــفع في أخدعيــه
أف عـــلى النحـــو وأربابه
قد صـــار من أربابه نفطويه
أحـــرقه الله بنصف اســمه
وصير البـــاقي صراخا عليـه

وهـــذا أبو الطيب المتنبيء يدخل على سيف الدولة مطاطيء الرأس ويتحفز أعداء أبي الطيب الذين اكل الحســـد قلوبهم للوثوب فيشرع في القاء قصيدته حتى اذا بلغ قوله :

مالي اكتم حبا قد برى جســـدي
وتدعي حب ســيف الدولة الأمم ؟

يقاطعه أبو الفرج السامري قائلا : ويلك يا دعى كندة لقـد هجوت الامير لأنك تزعم انالناس جميعا لا يحبونه الا ادعاء وانك وحدك المحب الصادق ولكن المتنبيء يستمر في انشاد قصيدته الى أن يقول :

يا اعدل النـــاس الا في معاملتي
فيك الخصام وانت الخصم والحكم

فيقاطعه أبو فراس قائلا : لقد مسخت قول دعبل :

ولست أرجو انتصافا منك ما ذرفت
عيني دموعا وانت الخصـــم والحكم

قال المتنبيء وهو ينظر ويشير الى أبي فراس :

أعيذها نظرات منك صـــادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وثارت ثائرة أبي فراس وعلم انه هو المقصود فقال ومن انت يا ابن عيدان حتى تأخذ اعراض أهل الأمير في مجلسه ،واستمر المتنبيء في الانشاد دون أن يلقى اليه أذنا صاغية الى أن قال :

سيعلم الجميـــع ممن ضم مجلسنا
بأنني خـــير من تســـعى به قدم
انا الذي نظر الأعمى الى أدبي
واســـمعت كلماتي من به صمم

فغلا الحقد في قلب أبي فراس وقد أخذ منه الغيظ كل مأخذ، ونال منه الغل كل منال فقال : قد سرقت هذا من عمرو بن عروة ابن العبد اذ يقول :

اوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت
دهـرا وأظهـــرت اغرابا وابداعا
حتى فتحت باعجـــاز خصصت به
للعمى والصم ابصـــارا واسماعا

ولما انتهى المتنبيء الى قوله :

الخيل والليـــل والبيـــداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

صرخ أبو فراس بأعلى صوته لأن عقارب الحقد لسعت سويداء قلبه . وماذا أبقيت للأمير اذا وصفت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الأمير وتتبجح بوصف نفسك وقد سرقت هذا من قول الهيثم بن الأسود النخعي :

أنا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى
وجـــرد المذاكي والقنـــا والقواضب

قال المتنبي :

وما انتفاع أخي الدنيـــا بناظره
اذا اســـتوت عنده الأنوار والظلم

قال أبو فراس : وهذا سرقته من قول المعجل :

اذا لم أميز بين نور وظلمة
بعيني فالعينـــان زور وباطل

وينتهي بنا المطاف الا أن سيف الدولة قد أوغر صدره وضجر من كثرة مباهاة المتنبيء بنفسه وتشامخه وعدم مبالاته فيتنـــاول الدواة ويضرب بها المتنبيء ويلطخ المداد ثيابه ، ولكنه بالرغم من ذلك يقف شـــامخ الرأس كالطود الأشم الذي لا تزعزعه هب الرياح ويقول :

ان كان سركم ما قال حاســـدنا
فما لجرح اذا ارضـــاكم الم

وهنا يستحسن سيف الدولة هذا البيت ويقع لديه بموضـع الإستحســـان والقبـــول فيعانق المتنبيء ويجيزه . وهكذا نرى أبا فراس وأنصاره قد أكل الحقد قلوبهم . فركنوا الى التسلسل والانهزام . والنار لتلمع في أعينهم بريق الغضب وان كانوا قد حبسوا ألسنتهم عن الكلام فقد أزمعوا في قرارة أنفسهم وعزموا على الانتقام ، ولعل مصرع المتنبيء كان سببه عقارب الحقد التي أوغرت صدور حاقديه وأعدائه فأودت بحياته على الصـورة التي حدثتنا عنها أسفار التاريخ .

---

(١) الوفيات ١ ـ ٤٩٨

بعد الجريمة

تأليف : كونستان جيرول ـ ترجمة : محمد عبد الفتاح محمد

كان ذلك في اقصى القرية ، حيث انفتح شباك في عنف وتبدى منه رجل بوجه جامد التقاطيع ، شاعت فيـــه الزرقة ، وعينين باهتتين ، وشفتين مرتعدتين ، وكانت يده اليمنى قد تقلصت على خنجر يقطر منه الدم .. وتلبث هنيهة يتلفت يمنة ويسرة نحو القرية المطمئنة الهاجعة ، ثم انزلق الى الارض ، وهرول يجـرى خلال الغابة .

وتوقف بعد ربع الساعة يلتقط انفاسه من فرط ما ناله من جهد العدو ، واحتمى فى حرج كثيف على كثب من ربوة عالية ، وراح يتلمس مخبأ امينا بعيدا عن العيون .. واخيرا انساب فى الدغل غير عابىء بالحسك الذى يمزق جلده ويدمى قدميه ، واخذ يحفر الارض بسكينه ، حتى اذا ما حفر قدر قدم وضع الخنجر ، ثم هال عليه التراب واخفى الموضع ببعض الاعشاب والحشائش ، ثم قبع على الخضرة الندية يتلمس الهواء لرئتيه .

وارهف السمع فانتابه الخوف من هذا الصمت المطبق الذى اجن القرية واحتواها ، كان الوقت وقت السحر حيث تبـدو المرائى كالاخيلة والاشباح . احس رهبة الوحدة فى هذه الغابة الموحشة المطمئنة الى احضان الطبيعة النائمة ، ولكنه سمع فجأة صـــوتا بعث الرجفة فى اوصاله ، صوت فرقعة عجلة فى الطـــريق على ما يقرب من فرسخ ، وما كان له ان يسمع الصوت على هذا البعد لولا هذا الصمت المطمئن الشامل .. وبدات الطبيـــعة تستيقظ فحلقت القنابر فى السماء الصافية تصدح باهازيجها كانما توقظ الفجر على انغام موسيقاها الرائعة ، وانتفضت سائر الطيور كانها تتنسم الروح الفواح وتتلقى الشذى المعطار .. وكان كل شىء فى الغابة رائعا مشرقا ، الا كتلة من الضباب الاقتم كانت لم تزل تجثم هناك ، وكذلك كان السهل المجاور الممتد هاجعا موحشـــا حيث تلثمه فى تؤدة السنة الضوء الوليد المنعكسة على صـــفحة سماء الصبح المبكر السافر .

ونهض القاتل ترتعد اوصاله فيترنح ، وتصطك اسنانه فيئن ويتأوه ، ويتلفت حوله فى ريبة وحذر فيرين عليه خوف ورعب وخبل . وافسح لنفسه بين الاغصان المتشابكة طريقا ، ثم توقف لحظة ، ثم عاد يدب على الارض دبيب السارق ، وهو يدير راسه الى اقل صوت ينبعث الى اذنيه المرهفتين ، وبعـــد فترة ، ترك الحرج الكثيف حيث دفن الخنجر ، ومضى يتحسس خطـــاه ، ويضرب طوال النهار دون ان يحس تعبا .. وتوقف لدى دغل من شجر الزان مضت فروعه فى الهواء شماء بلونها الابيض وملمسها الناعم كانها آلاف العمد تحمل اكاليل الغار .. وخيل اليه انه شبح انسان يدب بين ظلال الاشجار الجامدة كطيف من الجن ، له تمتمة غامضة وهمهمة مبهمة .

وانخلع قلب الهارب ، واحس كانما يلفظ روحه مع انفاسه ، يزحف كالافعى الى مخبأ بين اغصان متشابكة واطمأن فى حماها حتى اذا افرخ فى روعه وثاب الى امنه ، رفع يده الى راســه ، ثم هبط بها الى بطنه ، ثم غمغم فى وحشية ، انا جوعان ... انا جوعان ..

وانزعه صدى صوته ، وبعث الرجفة فى بدنه .. كان يتكلم لاول مرة منذ ان ارتكب جريمته ، وقد رن صوته فى اذنه كناقوس الجنائز ، او كنذير قضاء لا محالة واقع .. وجمد لا يتحرك بضع لحظات ، وعلق انفاسه كانما يخاف ان يسمعه انسان .. وحين شاع فيه الامن قليلا .. بحث فى جيوبه فعثر على بعض النقود ، فقال فى همس :

ـ فيهن الكفاية ، سأعبر الحدود فى ست ساعات ، ولمة تعود الى نفسى الضائعة ، وساعمل للقوت ، وساكون بمأمن .

وانقضت ساعة احس بعدها بالبرد يكاد يجمد الدم فى عروقه ، واشفق من الليل وما يبثه من برودة ، وهو يرتدى قميصا من التيل وبنطلونا من نسيج قميصه . ونهض من مجلسه ، وترك مكمنه فى حذر وترقب ، ثم تابع سيره ، وكان قد وصـــل الى نهاية الغابة .. يجب ان يدخل القرية الآن .. وســـيراه كل مخلوق فى ضوء الصبح .. وارهف هذا التفكير اعصابه لهول ما يتوقع . ولم يجرؤ على التقدم خطوة اخرى .

وبينما كان مختفيا ، بلغ مسمعيه وقع حوافر جياد ، فامتقع وجهه حتى اصبح كالاموات ، ولهث يقول وهو يهبط بقامته الى الارض : « البوليس .. ! » .. وما كان غير فلاح ماض الى حقله يقود جوادين من جياد الجر .. كان يصفر بفمه احدى المقطوعات الريفية بين فرقعة السوط فى الهواء . وسمع صوتا يناديه :

ـ جاك ! فالتفت الفلاح نحو الصوت وقال :

ـ هذا انت يا فرنسوا ، اين تذهب مبكرا ؟

ـ اوه ! انى بسبيل الى الغدير حيث اغسل هذه الكومة من الثياب .

ـ انى ذاهب على قيد خطوات من هناك .. هلم وضع حزمتك على احدى الفرسين

ـ شكرا .. كيف زوجك والاولاد ؟..

فضحك جاك وهو يقول :

ـ اراني اضعفهم اجمعين .. كل شىء يمضى بخير ، عمـــل وصحة وبهجة .

وضرب بسوطه الهواء ، وعاد صوت السنابك يعلو فى اسلوبه النغم الرتيب . اتبعه القـــاتل بصره حتى اختفى ، ثم انشـــق صدره عن زفرة حارة وصوب بصره نحو القرية امامه .. وقاول نفسه :

ـ الا يخلق بى ان ادخـل القرية .. لقد مر اربع وعشرون ساعة منذ ان ... ولقد اكتشفوا الامر ولا ريب . وقد يكونون الآن بسبيل اذاعة خبرى واقتصاص اثرى ، وان ســـاعة اخرى لكفيلة بان تطيح براسى وتقضى على .

وانفذ عزمه اخيرا وخلف الغابة .. وفى عشر دقائق راى برج كنيسة ، فاخذ السير نحو القرية تنتهبه الوســـاوس وتتقاذفه الهواجس ، كان الجوع هو الذى يدفعه وينقل خطاه ، كان الخوف بادىء ذى بدء ، هو الذى اصم اذنيه عن نداء بطنـــه ، والذى ارغمه على قضاء الليل تحت الظل فى العراء .. واضـــطرم فى ذهنه صراع عنيف وهو يتقدم نحو القرية يتوارى بالجدران ويستتر فى ظلال الاشجار ، وعندما اصبح على مقربة من طيته ، راى على بعد مائة خطوة ، شيئا يلتمع امام عينيه . آه !! .. انه حـزام الشرطى . وغمغم وهو يرتجف : «لعله قد احيط علما باوصافى ،

واستدار سريعا ، ثم اهرع نحو غابة صغيرة كانت عن يساره حيث اختفى.. اوغل فيها وقد انسى جوعه الملحاح ، ما عاد يذكر الا الفرار من القرية والاختفاء عن عين الشرطى .. ولما كانت الغابة صغيرة فقد بلغ سريعا طرفها الآخر ، وعاد الى السهل الفسيح مرة اخرى .. وعندما انبسط السهل امام عينيه راى من بين الاغصان رجلا يجلس على العشب النامى يتناول فطوره .. كان جاك الفلاح ... آه ! ليس اهنأ من هذا الركن الذى اتخذه يتناول فيه طعام الطاره ، كان مكانا هادئا تكتنفه الصخور وتكسوه الحشائش النامية والنباتات المتسلقة والاشجار اللفاء والزهور ذات الالوان المختلفة التى افتن فى ابداعها الخريف .. وكان ثمة قناة صغيرة تنساب فى هدوء حيث تتجلى من غورها الحصباء اللامعة المتألقة كأنها العقيق والمرجان ، وكان هذا الوكر الجميل تكتنفه اشجار البتولا باغصانها ذات اللون الفضى .

وامام هذه الجنة الوارفة امتدت شجيرات القطن المنورة تتموج وتلتمع كأنها اسلاك من فضة .. وكان افطار جاك من خبز وجبن وبجواره ابريق من فخار ملأه من القناة .

وانغرست اسنان الفلاح البيضاء فى قطعة الخبز فى شهية عظيمة بعثت الرغبة الملحة الى معدة القاتل .. وود لو يشاركه هذا الطعام الشهى ، الذى ما كان الفلاح يكف عن التهامه الا ليلقى الى جياده بكلمة ، او لفتة ، ليحثها على التهام كلئها هى الاخرى .. وتمتم القاتل : « كم هو سعيد !.. كم هو سعيد !» وصمت قليلا ثم قال : « اجل ! انه يجد عملا يدر عليه اخلاف الرزق ، وهو امن سعيد بين اهل يحبونه وصحب يهتمون بامره » ..

وكان بسبيل ان يسأل جاك كسرة خبز ، ولكنه خشى ان يبعث الريبة الى قلب الفلاح ، بما يرتدى من اسمال ، وبما ينطق وجهه باضطراب وانفعال ، ولن يعفيه من سؤال يحرجه ، ونظرة مريبة تزعجه .

وانشق الصمت العميق عن صوت جعله يقفز ويستدير فى هلع .. راى خلال الاغصان رجلا يرتدى مزقا مهلهلة ، يدب على الارض ، وقد امسك عصاه يتوكأ عليها ، وتدلت من عنقه مخلاة مملوءة بالصدقات المتحصلة .. كان شحاذا مسكينا .

وتحركت شفتا القاتل وهو يرقب السائل : « آه لو كنت مكان هذا الرجل ! حقا هو سائل يسأل الناس ، ولكنه حر طليق يغدو ويروح كما يشاء ، يتنسم الهواء الطلق ويستمتع باشعة الشمس ، بقلب هادىء ، ونفس راضية ، وضمير مطمئن ، يأكل دون خوف ولا الم ما يتصدق به عليه الناس ، لا يتسرب الى خياله شبح جثة ولا يطارده خيال شرطى ، ولا يداعبه طيف مشنقة .. اجل ! انه سعيد هذا المتسول وكم احسده على ما هو فيه من نعمة وفضل » .

وامتقع وجهه فجأة امتقاعا شديدا ، واعترته رعدة هزت كل كيانه ، وتقلصت ملامح وجهه ، كأنما قد اصابته نوبة صرع .. « ها هم اولاء .. ! » انسابت هذه الكلمات من بين شفتيه فى تمتمة وهو ينظر الى نقطة سوداء فى نهاية الطريق .

ودارت حدقتاه فى حيرة تبحثان عن مكان يختفى فيه . ولكن الرعب شل حركته واعمى عينيه وسمر قدميه .. ابدا ما افلح فى السيطرة على افكاره العاتية.. بينما كان رجال الشرطة يقتربون، ورد عليه ذهنه العازب وقع حوافر الجياد .. وراى امامه شجرة دردار مورقة فتسلقها فى خفة القرد ، وتوارى بين اوراقها الكثة .

واحس الاطمئنان حين ابتعد عنه رجال الشرطة بضع خطوات.. واصاخ السمع الى اصوات بدات تتموج فى الاثير فتبلغ اذنيه .. انصت دون ان يتحرك ، كان فريسة نوازع هائجة تلهب دمه وتخلع قلبه .. وكان احد الشرطة قد قال :

- ماذا لو بحثنا فى هذا الحرج ؟

فقال آخر :

- انه جد صغير ، ولا احسب القاتل من الغباء بحيث يلوذ به ويحتمى فيه ، وان غابة كبيرة لأجدى عليه من هذا الحرج الضيق .

- على كل ، يجب - على سبيل الحيطة - ان نجوس خلاله .

- لست معك فى هذا ، انه لجهود ضائع ، فلقد سبقنا القاتل بعشر ساعات

وابتعدت الاصوات على طول الطريق ،فتنفس القاتل الصعداء، كأنما ولد من جديد ، وتقشعت سحب الخوف من قلبه ، وعاوده الم آخر كان قد انسيه للحظات قصار :

« يا الهى ! كم انا جائع » .. لم يكن قد تبلغ بشىء منذ ثمان واربعين ساعة.. ووهنت قدماه ، ولبه دوار شديد ، واحس كأن مطرقة تدق فى اذنيه .. ان التماس الخبز فى القرية لا يخطر له ببال .. البوليس .. المشنقة .. كان هذان الشبحان يهتزان امام عينيه القرحتين ، ويظهران حتى على آلام الجوع الشديدة .

وبينما كان يتلقف الاصوات باذنيه ، اذا به يرتعد حين يتبين من بينها صوت ناقوس الكنيسة يدق دقات الموت. وانصت القاتل وهو شاحب الوجه ، منكسر النفس كأنما كل دقة من دقات الناقوس تهوى على قلبه ، وانبجست الدموع من عينيه ، وجرت تسح على وجنتيه دون ان يعبأ بها او يهتم بمسحها .

ورسمت دقات الاجراس فى خياله صورة رهيبة اهاجت رعبه وادمت قلبه ، فلقد كان ثمة كنيسة اخرى فى قرية اخرى تهتز اجراسها بمثل هذه الدقات الحزينة وتمتم وهو يغطى وجهه بيديه :

- يا لى من بائس !

واصغى ثانية الى دقات الناقوس التى تموجت فى اذنيه كحشرجة ضحيته المسكينة ، واستطرد يهمهم :

- يا للبطالة الآثمة ! هى التى قادتنى الى الحانة ، وهاهى ذى عاقبة ارتيادى الحانة : ثلاثة ايتام ، وزوجة مسكينة يستقر جثمانها تحت التراب .. وانا .. انا ، ذلك الوحش البغيض الذى يطاردونه ويقتصون اثره بلا هوادة ولا رحمة ، لا شك انهم سيقبضون على ، ويسوقوننى الى المشنقة .. يا للهول ! يا للقضاء المحتوم .. ومع ذلك فهذا هو القصاص العادل .

وتلبث فوق الشجرة حتى وقب الليل ، وخفتت الاصوات فى السهل المحيط ، الا من زفرات هذه الانسام اللطاف التى كانت تتردد كأنها هى انفاس الارض النائمة .. وهبط كيما يتخذ على الارض وضعا يريح بدنه المتهوك .. وانطرح عند اسفل الشجرة ثم اغمض عينيه ، ولكن الخوف الذى كان يرين على قلبه ويتردد مع انفاسه ، والجوع الذى كان يمزق احشاءه ، ايقظا حواسه وارهفا اعصابه ، فقام من رقدته وقد تبينت خيوط الفجر ، ينوء ظهره بما حمل من خوف ومن تعب ، ومن ضعف لحقه من جراء صيام ثلاثة ايام سويا .

واحتدم جوعه واضطرم بفعل الهواء الطلق النقى ، فسكن خوفه ، وحزم امره ان يذهب الى القرية مهما يكن من خطر ، التماسا للخبز او يختل عقله لشدة ما تنقضه آلام الجوع الرهيبة.

ونفض ثيابه مما علق بها من حشائش ، وربط منديله حول عنقه ، ومر باصابعه خلال شعره الملبد الاشعث ، ثم خرج الى السهل ، ودخل القرية فى خمس دقائق .. سار يجر رجليه

جرا ومضى يتلفت حوله في ريبة وحذر متحفزا للفرار لدى الشعور بأي خطر .

وعلى مقربة من الكنيسة رأى حانة يخيم عليها الهدوء والعزلة فدخلها ، وكان صاحب الحانة رجلا فلاحا ، عريض المنكبين قوي البنية ، تدل ملامحه على السذاجة والطيبة . قال :

– ماذا تطلب أيها الرجل الطيب ؟

فأجاب القاتل وهو يتنحى مائدة بجوار نافذة مفتوحة تطل على الحديقة :

– خمرا وخبزا ... فأتاه الرجل بما طلب ووضعه امامه قائلا :

– اليك ما تريد ، خمرا وخبزا ... ثم جبنا ... فقال القاتل وهو يخفي وجهه بيديه :

– ما سألتك جبنا ، بل خمرا وخبزا .

– أوه ! لا عليك من ذلك ، انما اردت ان تستعيد بعض قواك فاني اراك – ومعذرة – منهوك القوى مجهودا .. هلم .. كل ولا تعبأ بشيء .

– اذن فشكرا ... شكرا لك .

وفي هذه اللحظة عاد ناقوس الكنيسة يرسل دقاته ، فتساءل القاتل :

– ما هذا .. لماذا تدق الأجراس بهذا الاسلوب ؟

– لماذا !! انها دلالة انتهاء القداس .

– القداس ! في أي يوم نحن اذن ؟

– الأحد ... أحسبك لست مسيحيا .. حسنا ! سيقبل فورا نفر من شيعتك .

واحس القاتل انه سيفقد سيطرته على وعيه ، وود لو يفر من الحان فرارا ، ولكنه علم ان أية بادرة ستبدر منه قد تنم عنه ، بل تقضي عليه . اذن من الفطنة ان يتمسك بالهدوء والاتزان .. وما انتهى الى هذا العزم حتى رأى الرواد . وعبيد الخمر يتوافدون على الحانة حتى اكتظت بهم ، ومضى القاتل في طعامه وشرابه وهو يتجه بوجهه ابدا ناحية النافذة كيما يخفي عن الحضور ملامحه .

وانقضى ربع ساعة ، كان على الهارب كدهر طويل مفعم بالألم والعذاب ، وكانت كل كلمة تبلغ اذنيه تبعث الى وجهه الصفرة وتشيع في بدنه الرجفة . وكان على وشك ان يغادر الحانة حين ارتفع صوت يقول :

– ها هو ذا الأب فوشيه بريجادير بوليشيا ، الثاقب الذهن ، الذائع الصيت .

وسرت في القاتل رعدة شديدة هزت كل كيانه ، واسرعت يده دون وعي منه ، الى رأسه ، واندفعت دماء جسمه كلها الى قلبه ، ثم الى رأسه كأنه اصيب بفالج ... واستطاع ان يتمالك نفسه قليلا ، ولكنه لم يسيطر على اعصابه تماما .

وحين رأى البريجادير يدخل ، دفن رأسه في المائدة وتظاهر بالنوم .

واجاب الأب فوشيه :

– شكرا أيها الاخوان ، اما ان اجرع كأسا معكم فلا بأس ، ولكني لا استطيع الجلوس الى سمركم هذا ، فالواجب يمنعني .

– الواجب ! اما نكتة ! ولكن اليوم يوم الأحد .. واللصوص في عطلة الاسبوع كالآخرين .

– اللصوص ! ربما ! ولكن الأمر يختلف مع القتلة .

– القتلة ! ماذا تعني أيها الأب فوشيه ؟

– اذن لم تسمعوا بحادث « سان ديدييه » .

– كلا .. قص علينا خبره .

– ما جئت في الحقيقة الا لأصف لكم المجرم الذي نطارده .

وكاد صدر القاتل ينشق لشدة ما يدق قلبه ، وأردف الشرطي :

– انه رجل لا قلب له ، اسمه بيير بيكار .

– ومن ضحيته ؟

– زوجته .

– يا للوغد ! وما جريمتها ؟

– ما كان يبدر منها وهو يطعنها سوى صرخات حبيسة مكتومة ، وما كان ذنبها سوى ذهابها اليه في الحانة تطالبه بطعام لاولاده منه وقد فتك الجوع بابدانهم وصيرها ضعيفة مهزولة .. هذه كل جريرتها لديه ، المسكينة .. من أجل هذا قتلها ، في الهزيع الأخير من ليلة الثلاثاء .. كانت في الخامسة والعشرين من عمرها كان يجدر به ان يقبل التراب الذي تمشي عليه .. هذه البائسة ، لقد امضت حياتها معه وقفا عليه وعلى اولاده ، وما كان جزاؤها سوى حياة مترعة بالشقاء والبؤس و ... وطعنات خنجر أجهزت عليها .

فقال شاب من الحضور :

– يا للوغد الزنيم ! ان ضرب رقبته قليل في جرمه النكر .

– اذن فاستمعوا الى أوصافه حتى تقبضوا عليه اذا صادفكم .. انه ما زال يحوم حول القرية .

وخيم الصمت لحظات ، كان القاتل يصغي هو الآخر ، يكاد يتقد من شدة الحمى التي تسبح في دمائه .

– هذه هي اوصاف بيير بيكار .

قال الشرطي ذلك وهو ينشر امامه ورقة :

– متوسط الطول ، قصير العنق ، عريض المنكبين ، له فكان بارزان ، وأنف كبير ، اسود العينين ، ذو لحية مفلفلة ، وشفتين دقيقتين ، وشامة على الجبين .

وطوى الورقة واستطرد يقول :

– والآن ، لا ريب انكم ستعرفونه فور التقائكم به .

– بهذه الأوصاف لا يمكن ان نخطئه .

– اذن ، اقول لكم كما تقول الاغنية المعروفة « سعدتم مساء أيها الاخوان » . وسانطلق في اثر المجرم .

وتنفس القاتل الصعداء ، وخطر له وهو يرقب رحيل الشرطي ان ست ساعات فحسب هي التي تفصله عن الحدود ، ومن ثم يصبح آمنا .

وكان على وشك ان يرفع رأسه حين سمع وقع اقدام الشرطي الثقيلة تتجه اتجاها آخر .. اتجاها أدنى صوتها من اذنيه .

وتوقف الشرطي على قيد خطوتين من المائدة التي يجلس اليها ، واحس القاتل ان نظرات الشرطي تلسعه كالسياط .. وتجمد الدم في عروقه ، وتصبب من كل بدنه عرق بارد ، وخيل اليه ان قلبه كف عن خفقه . وصاح به البريجادير :

– أرى امرءا هنا يغط في النوم .

ثم ربت على كتفه وقال :

– هلم يا صديقي ! ارفع رأسك لأرى وجهك .

فرفع بيير بيكار رأسه في حدة .. كانت ملامحه مخيفة مفزعة ، وكان وجهه النحاسي متقلصا جامدا وعيناه تتوهجان كالجمر ، وشفتاه الدقيقتان ترتجفان كالمقرور .

وصرخ عشرة اصوات سويا .

– انه هو !

واتجهت يد الشرطي نحو بندقيته ، ولكنه قبل ان يمسه ، ضربه القاتل بقبضة يده مرتين ، جاءت كل ضربة منهما في كل من عينيه ، احجب عنه الرائي ، ثم مرق كالسهم من النافذة الى الحديقة ، وثمة غاب واختفى .

وحين افاقوا من صدمة المفاجأة اندفع وراءه عشرون شـــابا يقتصون اثره ، وتسلق سور الحديقة ثم تقدم في الحقول ، وفي اقل من ربع ساعة ، كان قد ابتعد عن المدينة نصف فرسخ ، وعندما ايقن ان وعورة الارض تحجبه عن الانظار توقف يلتقط انفاسه ، فقد ابهظه الجري ومسه الجهد ، وكان حقيقا ان يسقط فاقد الوعي لو ان هذه المطاردة قد استمرت بضع دقائق اخرى

بيد انه كاد يستقر قليلا ، حتى تقحمت اذنه اصوات هائجة فاصاخ السمع ... كانت اصوات مطارديه ... اذن ماذا يصنع، اما وقد اعياه جهد الفرار ، فانه يعجز عن الجري ابعد من ذلك ، وهاهم اولاء على اثره ، ودارت حدقتاه في يأس ، كان السهل منبسطا فسيحا امام باصرتيه ، ما تعترضه صخرة ، وما تكتنفه حفرة ، ولا دغل صغير يستطيع ان يختبئ فيه .. ووقع بصره فجأة على مستنقع حيث ينبت على حافتيه الغاب والقصب ، فتنهد وقاول نفسه : « فلنحاول هنا ... » ثم غاص في المستنقع حتى رقبته واخفى وجهه ببعض نبات الماء والحشائش ، ومكث مكانه لا يتحرك ولا يريم كأنه جذر غائب في تربته .

وحين وصل الفلاحون العشرون الى المستنقع كان الماء قد صفا بعدا كالمرآة ، وكان على راسهم البريجادير الذي عولج سريعا من الضربتين في عينيه وقال الأب فوشيه من فوق صهوة جواده وهو يتلفت حوله :

ـ اعجب اين اختفى هذا الوغد .

فقال فلاح شاب :

ـ اكاد اجن ! كنت اراه من لحظات . اين تراه ذهب ؟ لا ارى له اثرا كأنما انشقت الارض وابتلعته .. انى لا ارى جحر فار يستطيع ان يخفي فيه انفه .

وســـمع بيير بيكار الجميع يتفرق وهم يمطرونه الشتائم واللعنات ، وارتجف بدنه وهو قائم في امواه المستنقع الراكدة ، وما خطر له ان يتحرك في مكانه مخافة ان يهز الماء فيتموج فينم عنه او تهتز الاعشاب التي تخفي راسه فينكشف امره .

وامضى هكذا ساعة كاملة ، كان خلالها يستمع الى وقع الاقدام وهي تغدو وتروح في السهل . كانت اذناه المرهفتان تلتقطان اقل صوت ينبعث واوهى نفس يتردد . واخيرا التقى الجميع ثانية عند المستنقع . وصاح الشرطي .

ـ بالشيطان ! لقد فر الوغد منا . ولكنى اكاد اجن . كيف فر واين اختفى . فقال قائل منهم :

ـ لعل ما صنع فعل ساحر .

ـ ساحر ، مشعوذ ، فاني لن ادعه يفلت منى . ســـاتقدم « بساباجو » الى المستنقع كيما يجرع بعض جرعات من الماء ، ثم امضى قدما نحو الحدود ، فلاريب قد فر الوغد الى هناك .

وادار الشرطي جواده نحو المستنقع وحثه الى البقعة التي اختفى فيها الهارب بين الاعشاب والقصباء .. ومد الحيوان عنقه وهو ينفخ في عنف ، ثم ارتد براسه ثانية ، وابى ان يتقدم خطوة . واحس بيكار بانفاس الحيوان تلفح خده .

وعرك البريجادير اذن ساباجو في لطف يحثه على التقدم ، بيد ان الحيوان تراجع خطوتين ، ولم يفلح صاحبه في حمله على التقدم سواء باللكز ام بالمداعبة ، فقد اصر الحيوان على عناده . فقال البريجادير حانقا لأول مرة على الجواد :

ـ اراك تتمرد بدون سبب . ولكنك ستتقدم رغما عنك .

وهم ان يلكز الجواد ، حين مرق الحيوان يسارا كأنما خشي مغبة عناده ، ثم غاص في المستنقع على بعد خطوات من المكان . فقال البريجادير :

ـ اراك عدت الى عقلك . ذلك خير لك ... وبينما كان الجواد يكرع الماء قال الشرطي للفلاحين :

ـ والآن ايها الاخوان ، لكم ان تئوبوا الى القرية ، وسأتكفل انا وساباجو بالمجرم الهارب .

فتركه الرجال داعين له بالتوفيق في مهمته ، وبعد ان ارتوى الجواد اعطى للمستنقع ظهره وانطلق براكبه ينهب الارض .

واضحى القاتل وحده . وبالرغم من ان برودة الماء كادت تقضي عليه ، فقد تلبث مكانه ربع ســـاعة اخـــر ، ثم غادر المستنقع تتساقط منه قطرات المـــاء وتغطي راسه وكتفيه الحشـــائش والاعشاب . وكان بدنه يرتعد في عنف ، ووجهه يطفح بصفرة الموت ، ورمى ببصره في السهل المقفر ، وحاول ان يتكلم ولكن اسنانه كانت متشابكة . غير انه بعد جهد اســـتطاع ان يقول اخيرا :

ـ لقد نجوت .

وتوقف قليلا ثم استطرد :

ـ اجل ! نجوت الآن فقط ، ولكن البريجادير يترقبنى لدى الحدود ، وكل شرطي على علم باوصـــافي ، بل ان الاهالي جميعا يجدون في اثري .. صحيح ان المطاردة قد انتهت ، ولكن لكي تبدا من جديد .. انهم جميعـــا على اثري .. انا ... عـــدو المجتمع . طريد القانون . انا الكلب المسعور .. اذن فالنضال مستمر والكفاح متصل ، والحرب مديدة لا هوادة فيها .. العالم كله يطاردني حتى الله هو الآخر يضع العثرات في سبيلي ، واني لـ الجلد على كل هذا .

وكان في اثناء ذلك ينفض ـ دون وعي منه ـ الاعشاب العالقة بثيابه . وتفرس في الفضاء المهجور من حوله .. لقد احس بالخوف والروع .. ان في قلبه كذلك نفس هذه الوحشة والبرودة والوحدة ... واخذ راسه بين كفيه وتلبث بضع دقائق غارقا في اخيلته وافكاره . واخيرا قال في عزم :

ـ لا مفر من ذلك .

ثم اتخذ سبيله نحو القرية ، حيث فر منـــذ قليل . وبعد ساعة كان في الحانة التي كاد البريجادير يقبض عليه فيها . ورأى ثمة كل الفلاحين الذين اقتفوا اثره ، فصرخوا في دهشة لمرآه :

ـ القاتل !!

فاجاب القاتل في هدوء :

ـ اجل ! انه القاتل ... بيير بيكار . جئت اسلم نفسي . اخطروا البوليس .

واستوى الى مائدة في وسط الحان هادئا لا يتحرك ولا يريم .

وجاء بعد قليل رجلان من البوليس عرف فيهما بيير بيكار ذينك الرجلين الذين مرا به حين كان مختفيا فوق شـــجرة الدردار .. ومد اليهما رسغيه في صمت فوضعا فيهما القيد ، ثم قاداه الى غرفة من غرف السجن في القرية الى حين ترحيله الى المدينة .

وحين القى نفسه وحيـــدا في غرفة سجنه المغلقة التي يقف عليها حارسان شديدان ، ارتمى على فراش سجنه ثم صرخ في سرور متوحش .

ـ الآن فقط احس الراحة والاطمئنان .

محمد عبد الفتاح محمد



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١٢٠ - الخميس غرة ربيع الأول ١٣٨٥ هـ - أول يوليو ١٩٦٥ السنة الثانية والعشرون

ثم .. ليس الطريق هنالك

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٢٣ -

اللغة هي أداة التفكير ، واداة البيان • لايكاد احد يرتاب في أن هذا حق، وانه واضح شديد الوضوح• ومن اجل انه حق تتلقاه بديهة العقل بالتسليم ، ومن اجل انه واضح ، تستشعر النفوس أنه معنى سهل يسير قريب • بيد أن المتامل يقف حائرا يتلدد (أي يتلفت يمينا وشمالا من حيرته وتبلده) ، لأن هذه القضية على سلامتها ووضوحها ، تنتهي الى نتيجة معقدة أشد التعقيد • وذلك أن اللغة الفاظ • وهذه الالفاظ مركبة في جمل ، ومن الالفاظ والجمل ، يخرج المعنى• والنظرة الاولى توجب أن يكون «**اللفظ**» محدود المعنى المفرد، وأن يكون التركيب محدود الوجوه الدالة التي تفضي الى استحداث المعنى المركب الذي يراد ابلاغه السامعين أو القارئين • ولكن ، هل هذا صحيح ؟ أصحيح أن «**الفاظ اللغة**» محدودة المعاني حدا قاطعا واضحا في كل لسان ، وفي كل زمن من أزمنة هذا اللسان ؟ أو صحيح ايضا أن « **تركيب الفاظ اللغة** » أي الجمل واساليبها المختلفة ، محددة هي الاخرى تحديدا قاطعا واضحا في كل لسان ، وفي كل زمن من أزمنة هذا اللسان » ان أقل التامل يهدي الى بطلان هذه النظرة الأولى بطلانا يفضي أحيانا الى اليأس من قدرة اللغات على الابانة ، والى الشك كل الشك في القضية التي سلمت بها بديهة العقل ، واستشعرت يسرها وسهولتها سرائر النفوس • ومعنى ذلك أن ادعاءنا أن اللغة هي أداة التفكير وأداة البيان ، قضية غامضة ، قضية موهمة، قضية اذا امتحنتها وجدتها غير مطابقة للواقع •

والناس منذ كانوا لا يزالون يختلفون على معاني الألفاظ ، يختلفون عليها وهم يستعملونها ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم ، ويختلفون أيضا على الجمل المركبة من هذه الالفاظ ، وهي تجرى مركبة على السنتهم في حال بعد حال وفي حديث بعد حديث • ولم يمنعهم اختلافهم على معاني الالفاظ ودلالات الجمل من الامرين جميعا : من أن يفكروا باللغة التي لا تستقر حدود الفاظها ولا حدود جملها ، ولا من الابانة بهذه اللغة التي لا تستقر حدود الفاظها ولا حدود جملها • بل لم يمنعهم هذا الاختلاف ايضا من التفاهم بهذه اللغة التي لا تستقر حدود الفاظها ولا حدود جملها • وهذا أمر معقد أشد التعقيد ، يحتاج بيانه والفصل فيه الى ابحاث قائمة براسها ، قد تكلم فيها الناس قديما وحديثا ، فأصابوا وأخطاوا وبينوا غامضا ، وزادوا البين منها غموضا •

ولست بصدد البحث في هذا الشان • ولكني قدمت القول فيه ، ليكون جليا أن «الألفاظ» ، لها خطر شديد ، لأن البداهة توجب أن يكون «اللفظ» الذي نستعمله محدودا ، فربما وقع المرء تحت سلطان هذه البداهة ، فلم يلق بالا الى هذا الأمر المعقد الذي يفضي اليه الواقع الذي تعيشه اللغات • فيستعمل « اللفظ » ، أو يقرأه ، ثم يفكر فيه تفكيرا متسما بالقصور عن ادراك هذه الحقيقة المفزعة ، وهي حقيقة « الاختلاف » التي حدثت في جميع الألسنة ، وفي جميع الأزمنة • ونعم • ان الناس قد خرجوا من هذا المازق المحيط بالتفكير والبيان ، بمحاولات جة قاسية عنيفة ، خاض العقل الانساني غمراتها ، ليحمي وجوده من اليأس والشك ، أي من العوامل المتفجرة في كيانه ، المؤدية الى تدمير ماجعله الله سببا مميزا بين الانسان النامي وبين سائر الموجودات : من حي نام ، ومن حي غير نام ، أي من حيوان أعجم ، وجماد مصمت • وهذا السبب المميز بين الانسان النامي ، وبين سائر الموجودات نامية وغير نامية ، هو«البيان»

وهذا هو الذى بينه الله تعالى فى محكم تنزيله ، حيث من على عباده بأعظم آلائه ونعمه فقال : « **الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان** » ، فلولا « البيان » ، لكان الانسان خلقا غير هذا الخلق ، ولولا قدرته على اجتياز محنة « البيان » ، أى محنة اللغة التى لا تكاد تستقر حدود ألفاظها ، ولا حدود جملها ، لوقع فى دمار اليأس من اللغة وقدرتها على الابانة عن نفسه ، ولهوى فى هوة الشك فى هذه الأداة ، وفى نفعها لما يريده من الابانة عن معانيه •

ومن البين ، وأنا فى شك من أنه بين لكل أحد ولكن هكذا نقول ! من البين أن الأمر لم يكن كذلك فى أولية الانسان منذ القدم البعيد • فالنظر يوجب أن يكون أول « البيان » ، أى أول اللغة التى يبين بها الناس عما فى أنفسهم ، مضبوطا صحيح الحدود ظاهرها ، لا يكاد يكون فيهـا اختلاف يذكر ، ثم يتوارث اللغة جيل بعد جيل ، يستخدمها لمعان متجددة بتجدد ادراك النفس المبينة لأسرار ما يحيط بها يوما بعد يوم ، فتحملها ارادة البيان عن جديد ما انفتح لها ، على أن تتخير «لفظا» تركبه فى جملة لتمنح هذا اللفظ طرفا من المعنى الجديد ، يلحق معناه الاول ، ويزيد فيه مالم يكن ، ثم يمضى « اللفظ » فى اللغة مركبا ، حتى ينفصل عن التركيب الذى أحدث له معنى لم يكن فيه ، ثم يستقل بعد حاملا معنى زائدا ، مركبا من المعنى الأول ، والمعنى الجديد • وهذا أشبه شيء بما نسميه فى العربية « المجاز » ، أى اجتياز معنى حادث الى معنى قديم فى اللفظ ، وتكثر المعانى الحادثة ، وتتلاحق على اللفظ الواحد ، فربما انتهى الامر الى « لفظ » تراكمت عليه معان حادثة متجددة ، تجمع بينها روابط قريبة المنال ، وروابط بعيدة المطلب ، ولكن « اللفظ » يبقى لفظا كسائر ألفاظ اللغة ، يتكلم الناس به ، ويستعملونه فى بيانهم ، ولكن ينشأ الغموض والابهام ، من عدم القدرة على بلوغ كنه هذه الروابط القريبة البعيدة ، وينشأ فساد النظر فى الفكر ، من استخدامه هذا « اللفظ » أداة للتفكير ، تبعا لقصور القدرة عن بلوغ كنه هذه الروابط التى تشد معانيه القديمة والحادثة بعضها الى بعض شدا محكما ، للدلالة على معنى مركب تكون له فى الذهن صورة جامعة •

وهذه الصورة الجامعة هى منشأ كل اختلاف فى اللغة ، وكل اختلاف فى الفهم ، وكل اختلاف فى التفكير • فاذا بدأ المرء يفكر مستخدما لفظا ينطوى على صورة جامعة ، وعرض له فى ادراك هذه الروابط عارض من الوهم ، أو سوء التقدير ، أو اساءة فهم الروابط ، أو تغليب بعض المعانى الحادثة فيه على بعض ، أو ماشئت من وجوه أخرى كثيرة ، كان تفكيره مهددا بسلوك طريق غريبة يجره اليها بعض مابنى عليه تفكيره • وعلى قدر ما يعرض له من الوهم ، أو سوء التقدير ، أو اساءة فهم الروابط ، أو تغليب بعض المعانى الحادثة فيه على بعض ، يحدث له انحياز الى جانب من الفكر ، لم يكن لينحاز اليه اذا هو برأ من ذلك براءة تامة ، أو برأ من بعضه براءة مشوبة بالنقص ، وعلى مثل ذلك يكون شأن الذى يتلو كلاما ويحاول ان يفهمه ، أو يحاول أن يفسره ، فهو عرضة للانحياز الى جانب من الفهم أو التفسير ، يزيد وينقص على قدرمبلغه من كنه الألفاظ التى يحاول أن يفسرها أو يفهمها ، ولا سيما اذا تضمن الكلام ألفاظا تنضم على صور جامعة • والى هذا الباب يرجع أكثر ما تجد من افتراق الفرق فى الملل التى دان بها الناس ، وأكثر ما نشأ من المذاهب المتباينة مع التمائها الى أصل واحد تصدر عنه. وأكثر ما يعرض لمفسرى النصوص من الاختلاف الغريب المتناقض ، حين يحاولون حل الاشكال بالتأويل • فالاشكال عندهم ينشأ من القصور عن بلوغ كنه الألفاظ ذوات الصور الجامعة ، فيحتاجون الى تأويل هذه الألفاظ تأويلا يناسب ماعند كل منهم من قدر من القصور ، فاذا قل القدر ، خف التأويل ، واذا غلا قدر القصور ، أفضى الى غلو فى التأويل •

وقد عرضت فى مقالاتى هذه لبعض الالفاظ ذوات الصور الجامعة ، فأقربها ماذكرته فى المقالة السالفة من معنى « **الثقافة** » ، ومعنى « **الرجعية** » ومن قبل ما عرضت فى المقالة التاسعة الى اربعة ألفاظ من ألفاظ النصارى ، وهى « الخطيئة » و « الخلاص » ، و « الفداء » ، و « الصلب » ، وعرضت فى المقالة الثانية عشرة لمعنى « النبوة » ، وان مفهومها عندنا نحن المسلمين ، مباين لمفهومها عند اهل الكتابين من اليهود والنصارى ، وفى جميع ذلك حاولت جهد طاقتى أن أجعل تعبيرى مطابقا لما أعتقده من الحق ، دون أن أغفل عن هذه الحقائق التى أشرت اليها آنفا• بل ان مدارستى لخبر « **راهب دير القاروس** » الذى ذكره القفطى فى أخبار شيخ المعرة ، ان هو الا تطبيق كامل لكل ما ينشأ عن ألفاظ اللغة من الاختلاف ، وما ينشق عن اختلافها من أوهام ، وما يستخرجه المستخرج منها من المعانى ، على قدر معرفته باللغة

اولا ، وعلى قدر أمانته فى الفهم ، ثانيا ، وعلى قدر ما يكون عنده من العقل أو الخبل أو الاضطراب أو الهوى ثالثا ورابعا وخامسا الى أعداد كثيرة من البلايا والمصائب . بل ان ما عرضت له فى المقالة السالفة من الحديث عن «النقد الموضوعى» واختلاف وجوهه ، حتى يعرض لك أن تسمى «النقد الموضوعى» « نقدا شخصيا » ، ان هو الا ضرب آخر من التطبيق لمفهوم هذه القضية الكبرى فى اللغة . بل ان ما استخرجته من كلمات «أجاكس عوض» من الدلائل التى تدل على صورته العقلية والنفسية ، انما قام على هذا التطبيق نفسه .

وقد وجدت انى قد استعملت فى المقالة السالفة لفظ « **الدين** » ، وما يقال من أن ثقافة الشعب ، ان هى الا تجسيد لدين الشعب ، ولكنى لم أبين شيئا مما يمكن أن يكون زيادة فى مفهوم هذه العبارة التى قالها اليوت ، لانى لم أتعرض لبيان معنى « الدين » نفسه ، ومعانيه عند أهل الاسلام ، فلذلك آثرت ان أعرض لمعنى « الدين » ، لان أكثر مقالاتى قد دار على ما يمس هذا المعنى مسا دانيا أحيانا ، ومداخلا أحيانا أخرى . ومع ذلك ، فانا لم انس ان أوضح طرفا من معانيه فيما سلف ، كالذى جاء فى المقالة التاسعة حين عرضت لالفاظ النصارى فى دياناتهم ، وفى المقالة العاشرة حين عرضت لبعض ما قاله توينبى من ذكر « **اللغة الدينية** » وظنه أن اللغة العربية « **لغة دينية** » ، وهو باطل شديد الظهور . ثم ما قلته فى المقالة الرابعة عشرة عن معنى «الدين» وفرق ما بيننا وبين سائر اصحاب الديانات فى معناه

ولفظ « الدين » من ألفاظ اللغة التى لها فى الذهن صورة جامعة ، أو ينبغى ان تكون لها صورة جامعة فواجب أن نعرف تمام المعرفة حقيقة معنى «الدين» وما تراكم عليه من المعانى الحادثة المتجددة ، وأن نحاول محاولة صادقة تؤدى بنا الى بلوغ كنه الروابط التى تجمع هذه المعانى ، وتشد قديم معانيه وحديثها بعضها الى بعض شدا محكما ، حتى يدل هذا اللفظ على معناه المركب ، وهو المعنى الذى له صورة جامعة فى الذهن ، يدركها عند سماعه .

فالدين ، على قدر ما بلغنا من اللغة ، هو فى الاصل الحال التى يخضع لها الانسان خضوعا طارئا او مستمرا ، هكذا قدرته . ومن شوارد ما رواه النضر بن شميل انه سأل اعرابيا عن شىء ، فقال له: « لو لقيتنى على دين غير هذه لاخبرتك » ، اىّ على حال أو عهد غير الذى وجدتنى واقعا تحت سلطانه . ثم قيل : « دان للحكم » ، أى خضع له وذل ، لانه دخل تحت حال قاهرة لا يملك الخروج من سلطانها، ومنه سميت العادة « دينا » ، لان الخضوع لها اظهر شأنها ، ثم سمى السلطان نفسه « دينا » ، لأن الناس يخضعون له ويذلون ، وسميت الطاعة « دينا » ، لان المطيع خاضع ، ثم سمى حساب الناس على أعمالهم ومكافآتهم بها ، ان خيرا فخير وان شرا فشر « دينا » ، لانه لايكون حساب ولامكافأة ولا جزاء الا من قاهر على مقهور خاضع . ثم صار كل مايلتزمه المرء من عادة يخضع لها ، أو اسلوب من الفكر او الحياة لا يفارقه مريدا أو غير مريد « دينا » . وهذه معان مشتركة كما ترى ، يمكن أن تتناول كل التزام يخضع له البشر او غيرهم على وجه من وجوه الخضوع المريد ، او الخضوع غير المريد ، فهو خليق ان يسمى « دينا » ، كالكرم والشجاعة والوفاء بالعهد ، وسائر ضروب الاخلاق حسنها وقبيحها ، كل ذلك داخل فى معنى « الدين » .

والعرب فى جاهليتها ، قد استعملت لفظ «الدين» بهذه المعانى المفردة ، وبالمعنى الجامع لبعض هذه المعانى المفردة أو لجميعها . وانما يتبين المراد فى كل موضع من ملابسة الالفاظ بعضها لبعض فى تركيب الجمل . فلما نزل القرآن العظيم جاء لفظ «الدين» فيه بهذه المعانى على الوجه الذى ألفته العرب فى لسانها ، فجاء تارة بمعنى الحساب والجزاء ، كما فى قوله تعالى : « **مالك يوم الدين** » ، وهو يوم جزاء الناس بأعمالهم التى عملوها فى دنياهم وحسابهم عليها . وجاء تارة بمعنى الطاعة ، كقوله تعالى فى سورة لقمان :

« **واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين** » ، اى الطاعة والخضوع لقهره وحكمه وسلطانه سبحانه ، وجاء بهذا المعنى فى غير موضع من الكتاب . وجاء تارة أخرى بمعنى الحكم ، كما قال سبحانه فى سورة النور : « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** » ، اى فى حكم الله الذى أمركم أن تطيعوه وتعملوا به خاضعين ، وافق ذلك ما تحبون أم لم يوافقه ، وجاء تارة أخرى بمعنى الطريق الذى يعتاده المرء ويخضع له ويألفه ؛ كالذى فى قوله تعالى : « **لكم دينكم ولى دين** » اى لكمْ طريقكم الذى ألفتموه أنتم وآباؤكم من

قبل . ولى طريقى الذى هدانى اليه الله سبحانه صراطا مستقيما . ثم جاء تارة أخرى بالمعنى الجامع لهذه المعانى فى غير موضع من كتابه ، كقوله تعالى فى سورة التوبة : « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين** » ، وهو الاسلام ، دين الحق ، كما سماه الله سبحانه ، وهو « الدين » الذى أنزله الله على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أول بعثته ، وجعل تمامه فى يوم الجمعة ، التاسع من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة ، حيث نزلت عليه وهو واقف بعرفة آية تمام الدين ، وهو قوله تعالى فى سورة المائدة : « **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » ، وهو الاسلام الذى بين الله الحكم فيمن أبى اتباعه من أصحاب الملل جميعا فقال فى سورة آل عمران : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** » .

وهذا اللفظ الجامع عند المسلمين ، لاينفك عن معنى الخضوع لله سبحانه وتعالى بالطاعة ، وسلوك السبيل التى هدى اليها صراطا مستقيما ، فيما أنزل الينا من كتابه على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وفيما أمرنا به نبيه صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، كما وصفه ربه فى سورة النجم ، وجعل طاعته شرطا من شروط الايمان والاسلام فى آيات كثيرة ، كقوله فى سورة النساء : « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** » ، ثم بين سبحانه أن (الرسول) الذى يرسله لعباده ، لايتم لمؤمن ايمان برسالته حتى يطيعه ، فقال بعد آيات : « **وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله** » ، ثم اتبعها بالحكم على من أبى أن يسمع لرسوله ويطيع بلا تردد ولا ارتياب ولا جدال ، بالخروج من الايمان فقال سبحانه : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » . وقال فى سورة الاحزاب : « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** » .

فصار بينا بهذه الآيات وغيرها ان «الدين» عندنا ، وهو الاسلام ، انما هو ماأنزل الله على نبيه من كتاب ، هو القرآن ، وما نطق به رسول الله من أمر ونهى ، وهو الحديث والسنة ، وهما جميعا « الدين » الذى رضيه الله لنا ، وأمرنا باتباعه ، والخضوع له ، فيما أحببنا وفيما كرهنا ، وأن ليس لاحد أن يخالف حكما أنزله الله فى كتابه ، ولا حكما قضى به رسول الله صلى الله عليه فى سنته ، سواء كان هذا الحكم قضاء فى أمور الناس ، وهو الشريعة ، أو قضاء فى أخلاق الناس ، وهو الآداب ، أو قضاء فى الخضوع لله بالقلب والجوارح واللسان ، وهو العبادة . ولكن كل هذا لايستقيم وحده ، لان المطالبين بأن يسلموا وجوههم لله ، وأن يطيعوا الله والرسول ، لم يطالبوا به عن طريق الاكراه والقهر والغلبة ، بل طولبوا به عن طريق الحجة والبرهان والدلالة ، أى عن طريق العقل والتفكير والتمييز بين الهدى والضلال ، والحق والباطل ، والرشد والغى ، ولذلك قال سبحانه فى سورة البقرة : « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها** » . فصار واجبا اذن أن يكون الكتاب والسنة ، متضمنين لاسلوب يهتدى به العقل عند الفصل فى الامور المشتبهة ، لانه عن طريق هذا الكتاب ، وعن طريق هذه السنة التى جاءت بيانا عن مجمل الكتاب ، طولب ذوو العقول أن يعلموا علما لا شك فيه أن الكتاب الذى أنزل اليهم ، انما أنزل بعلم الله ، وانه هو كلامه سبحانه المفارق لكلام عباده من البشر ، وأن يعلموا أن هذا الرجل الذى جاءهم بالكتاب من ربهم ، انما هو رسول من الله أرسله اليهم ، لاينطق عن هوى ، بل حديثه وحى يوحى اليه ، لكى يبين عن معانى الكتاب الذى أمر أن يقرأه على الناس على مكث ، غير مباح له أن يزيد فيه أو ينقص منه ، بل أمر بتبليغه الى الناس بلفظه ونصه ، كما تلقاه من فى جبريل عليه السلام .

ولما كان الهدى والضلال ، والحق والباطل ، والرشد والغى ، أمورا لا تحد كثرة وتشعبا ، وكانت وسائل التمييز بين مختلفاتها ينبغى أن تكون شاملة لاصول وثيقة محكمة على اختلافها وتباينها ، كان بينا ، بعد هذا ، أن «الدين» عندنا لابد أن يشتمل أيضا على الدلالة على هذه الاصول الصحيحة المحكمة التى يسترشد بها العقل فى طريقه ، أى فى التفكير والنظر والاستدلال . واذا كان ذلك كذلك ، كانت

هذه الاصول الجوامع هي أيضا قضاء من الله ورسوله، لا تختلف في وجوب اتباعهـا عن قضاء الشريعة ، وقضاء الآداب ، وقضاء العبادات • واذا كان التفكير والنظر والاستدلال لا يتم الا عن طريق اللغة والفاظها وتراكيبها ، كان لا بد من اشـتمال هذه الاصول الجوامع ، على دليل يهتدى به العقل عند التورط في المشكلة الكبرى التي تنشأ من تراكم المعـاني على الفاظ اللغه ، ومن تباين الاسـاليب التي يتم بها تركيب هذه الالفاظ ، طلبا للابانة عن المعاني ، وهذا قريب الشبه جدا مما نسميه « علم المنطق » • فصار بينا أيضا أن « الدين » عندنا ، لا بد له من أصول ضابطة للتفكير كأصول المنطق ، لا عن طريق النص، بل عن طريق الاسـتنباط من نص القرآن ونص السنة• ومن عند هذا الموضع المشكل الذي لاينضبط انضباط قضاء الشريعة ، وقضـاء الآداب ، وقضاء العبادات ، أظنه ، والله أعلم ، نشأ الخلاف الأعظم في الاسلام بين أصحاب القياس ، وأهل الظاهر الذين يبطلون القياس ويقيمون على دلالة النص • ولكن هذا شيء ليس مما يمكن بيـانه في مثل هذا الموضع ، أشرت اليه كالتذكرة للبحث •

وهذه الجمل التي ذكرتها في معنى **«الدين»** عندنا، محتاجة بلا ريب الى تفصيل ، ولا يستبين معنـاها تمام الاستبانة حتى نعرف على وجه من وجوه التحديد والدقة ، تفاصيل هذه الاقضية الاربعة التي ذكرتها، وهي قضـاء الشريعة ، وقضـاء الآداب ، وقضاء العبـادات ، وقضاء أصـول النظر والاستدلال • والطريق الى هذا أن نحاول محاولة صادقة في تتبع جامع البيان عن هذه الاقضية ، فاذا فعلنا استطعنا أن نجلو عن وجه الحق في معنى هذا اللفظ «الدين» ما هو ؟ فاذا تبين معناه ، كان تبينه عاصما للفكر من الزلل عند الكلام في أمر من أمور «الدين» • ثم كان تبينه عاصما أيضا من الضلال في بحث الالفاظ التي يدخل في بعض بياتها لفظ «الدين» • ثم كان تبينه عاصما أيضـا من الخلط في المعاني التي يدخلها الناس في «الدين» من قبل تأويل الالفـاظ ، أو يخرجونها من «الدين» من قبل نقيض التأويل ، وهو ابطال معـاني الالفاظ تحكما وعرامة ، (أي جهلا منشؤه البطر عن طريق الاغترار بالعلم) • وتأويل الالفاظ حتى تخرج عن حق دلالتها ، وابطال معانيها عرامة حتى لا تكون لها دلالة البتة ، داءان قديمان ،

ولكنهما اليوم أكثر شيء تفشيا في كتابة الكاتبين • فمن أجل ذلك رأيت أن أكتب هذه الكلمات ، ثـم أتبعها ببعض البيان عن معنى «الدين» عندنا • وهو وان لم يكن مجهولا منذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق من ربه ، الا أنه قد انتهى الى أن يكون كالمجهـول بعد أن غلبت على ديار الاسلام حضارة تابعة من تراث أهـل الكتابين المذكورين في كتابنا المنزل ، وذلك لانهم يسـتخدمون لفظ « الدين » ، للدلالة على شيء يأبى ديننا نحن أن يسلم بدلالته اياه مطلقا ، ثم شاع اللفظ عند عامة أهلنا بالمعنى الذي جاء في تراث أهل الكتابين ، فدخل على معنى «الدين» ما ليس منه ، وحدث اختلاط وفساد ، كلاهما يؤدي الى سوء التفكير ، والى ضلال النظر عن الحق الذي أمرنا باتباعه •

فمن أجل ذلك ، ينبغي أن ندل على معنى «الدين» عند أهل الكتابين ، كما هو ظاهر في كتابيهما ، لكي يظهر الفرق بين معنى «الدين» عند أهل الاسلام ، ومعناه عندهما • واذا ظهر هذا الفرق ، استطعنا أن نحـدد مكاننا الذي ينبغي أن نقف فيه ، وأن نزيل اللبس الذي يؤدي اليه اختلاط معاني الالفاظ على المتكلمين والسامعين ، أو على الكاتبين والقارئين •• وليس هذا الامر من اليسر بالمكان الذي يتوهمه المرء عند النظرة الاولى ، بل هو أمر شديد التعقيد ، أرجو أن أستطيع حل عقده حتى لا يتورط القارىء فيها ، وحتى لا تشتبه عليه السـبل في زمان نحن أحوج ما نكون فيه الى الدقة والتغلغل والنفاذ الى أعماق المعاني والالفاظ ، بلا حيرة ولا بلبلة ولاعي عن بلوغ أقصى ما نطيق من التمييز •

وفي هذا الصـدام بين ارث وجـودنا ، وارث حضارتنا ، وارث ثقافتنا ، وبين هذا الغازي الصليبي المحترق الشديد الدهاء ، الكثير الوسائل ، المتلفع بالوان من الاغراء والتدجيل ، المتذرع بذرائع الغلبة والسيطرة على النفوس والقلوب والأهواء ، في هذا الصدام المر لم يبـق لنا الا احدى اثنتين : اما أن نستبسل فتكون لنا غلبة أهـل الحق على شـيعة الباطل ، واما أن نفشل ونتنازع فيما بيننا ، فتذهب ريحنا ، كما ذهبت رياح أمم من قبلنا ، قضى عليها الفشل والتنـازع أن تصبح أثرا بعد عين ، وبالله نعتصم ، واليه نلجأ ، وعليه نتوكل •

« **محمود محمد شاكر** »

اتجاهات غير سليمة فى تعديل نظم الأسرة

للدكتور على عبد الواحد وافى

تتوالى فى هذه الايام دعوات آثمة لاخراج نظمنا الاسرية عن أوضاعها الاسلامية ، والسير بها فى طرق شبيهة بما يسير عليه الغرب . وتصدر هذه الدعوات عن فريقين ، أحدهما فريق السطحيين من المتفرنجين الذين يقدسون كل ما هو غربى ، لا لشىء الا لانه غربى ، ولم يؤتوا حظا من الثقافة الاجتماعية والقانونية يتيح لهم التمييز بين الخبيث والطيب . والآخر فريق الهدامين من المبشرين والهيئات الاجنبية والاستعمارية وعملاء هؤلاء وأولئك . وأفراد هذا الفريق ينشرون دعواتهم هذه عن قصد لاشاعة الانحلال فى نظامنا العائلى ، واثارة الفوضى والاضطراب تبعا لذلك فى كياننا الاجتماعى فى جملته ، لأنهم يعلمون أن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، وأنه بمقدار صلاحها أو فسادها تصلح الحياة الاجتماعية أو ترتكس .

ومن هذه الدعوات الآثمة ما يردده بعضهم الآن فى صدد القوامة على الاسرة ووحدة مسكن الزوجين .

وذلك أنه بحسب نظمنا الاسلامية يرتبط الزوجان كلاهما بالآخر بطائفة من الحقوق والواجبات المتبادلة فكل حق لأحد الزوجين على زوجه يقابله واجب يؤديه اليه ، والى تبادل هذه الحقوق والواجبات يرجع الفضل فى تحقيق التوازن بين الزوجين من النواحى الاجتماعية والمدنية واستقرار حياة الاسرة واستقامة أمورها .

ومن أهمّ الواجبات التى تقع على كاهل الزوج رعاية الاسرة والاشراف على شئونها والانفاق على جميع افرادها . ويقابل هذه الواجبات حقوق له على زوجته أو واجبات عليها نحوه . ومن هذه الواجبات أن تقيم معه حيث يريد فلا تتخذ لنفسها مسكنا غير مسكنه .

وليس هذا الوضع مقصورا على الشريعة الاسلامية بل انه الوضع المقرر فى معظم شرائع الامم المتحضرة وان كان الغربيون لا يراعونه مراعاة أمينة فى حياتهم العملية ، لما أصاب نظمهم العائلية من انحلال وفساد أشرنا الى طرف منهما فى مقالنا السابق . فالقانون المدنى الفرنسى مثلا يقرر فى مادته الثالثة عشرة والرابعة عشرة بعد المائتين أن « الزوج » تجب عليه صيانة زوجته وأن يقدم لها كل ماهو ضرورى لحاجات المعيشة فى حدود مقدرته وحالته . وان المرأة فى مقابل ذلك ملزمة بطاعة زوجها وأن تسكن معه حيث يسكن وتنتقل معه الى اى مكان يرى صلاحيته لاقامتهما » . وتكاد هاتان المادتان تكونان ترجمة لقوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم » ، وقوله « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ... لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لايكلف الله نفسا الا ما آتاها » .

ولسنا هنا بصدد واجبات خلقية أدبية كواجب الصدق واجتناب الغيبة والنميمة وما الى ذلك من الواجبات التى يمكن الفرد أن يغفلها بدون أن يخشى قهرا ولا تدخلا من جانب السلطة الحاكمة ، بل بصدد واجبات يحميها القانون ، وتسهر السلطة الحاكمة على تنفيذها ، حفاظا على استقرار الاسرة واستقامة شئونها ، فتأخذ المقصر فيها بتقصيره وترغمه ارغاما على القيام بما أغفله منها ، بل تعاقبه أحيانا على محاولة التحلل مما تفرضه عليه . فان قصر الزوج فى الانفاق على زوجته أرغمه القانون على ذلك ارغاما ، واتخذ حياله جميع مايمكن اتخاذه من وسائل القهر بل انه ليذهب أحيانا فى هذا السبيل الى الحكم عليه بعقوبة الحبس والأشغال، وان نشزت الزوجة، أى لم تشأ أن تسكن حيث يسكن الزوج ويريد اسكانها ، تدخل القانون كذلك فأرغمها على الاذعان لما سنه من أوضاع . وقد جرت العادة أن يسمى المنزل الذى ترغم الزوجة الناشز على سكناه مع الزوج « بيت الطاعة » ، ويسمى الحكم « حكم الطاعة » ، وهو اسم ثقيل الوقع على السمع ، وحبذا لو سمى « حكم المتابعة » ، كما يسمى بذلك فى سوريا ، وأفضل من هذا وذاك أن يسمى « **الحكم بوحدة المسكن** » .

والاوضاع على هذه الصـــورة أوضاع متوازنة مستقيمة : حقوق تقابلها واجبات ، وتدخل من جانب القانون عند تقصير احد الطرفين فى واجباته بعـــد استيفاء حقوقه : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » ، بل ان قانوننا لينطوى على عطف كريم ورعاية رحيمة لجانب المراة ، فهو لا يوقع اية عقوبة على الناشز ، كما يوقعها أحيانا على الزوج المقصر فى نفقة زوجته ، وكل ما يفعله فى هذه الحالة أن يلزمها بالعودة الى بيت زوجها ، بل انه لايلزمها بهذه العودة الا بعد معاينة السلطة القضـــائية لهذا البيت والتاكد من أنه مسكن مستقل مســـتكمل المرافق متوافرة فيه وســـائل الراحة وموائم لمركز المراة الاجتماعى وحالة يسار الرجل .

غير أن جماعة المتفرنجات والمتفرنجين المقدسين لما تسير عليه نساء الغرب فى واقع حياتهن وجماعة الهدامين الذين اشرنا اليهم فى صدر هذا المقـــال لاينفكون يرددون ويكتبون فى الصحف والمجلات أن فى ارغام الزوجة على الرجوع الى بيت زوجهـــا مساسا بكرامتها وتحقيرا لشأنها واهمالا لارادتها . وقد فاتهم أن القانون لايعمل عمله هذا الا مع الزوجة الناشز ، أى التى تعدت حدود المجتمع ، وانتهكت قوانين الاسرة ، وأن تصرفه هذا ينطـــوى على رد الامور الى اوضاعها السليمة ، وان رد الامور الى اوضاعها السليمة بعد أن يخل بها بعض الافراد لابد أن يتسم بشىء من القســـوة على المخالف وعـــدم مسايرته فى رغباته ، وأنه يسلك ما هو أشد من ذلك مع الزوج اذا قصر فى واجب النفقة المقابل لهذا الحق، حتى ان الامر ليصل الى حبسه . فهو لايحابى أحد الزوجين على حساب الآخر ، وانما يلزم كليهما القيام بواجبه ، ويرعى الصالح العام ، ويعمل على استقرار حياة الاسرة ووقايتها من الانهيار .

وثمة طائفة أخرى من هؤلاء المتفرنجين والهدامين لاتنفك تردد أنه لايصح ارغام الزوجة على البقاء مع زوج لاتحبه ، وقد فاتهم فى هذا الصـــدد أن الحب والغرام من مقومات العشق والمخادنة ، وليســا من المقومات الاساسية للزواج فى شىء . فالزواج يقوم على دعائم عمرانية أسمى كثيرا من شئون العواطف والوجدان . انه وظيفة اجتماعية يؤديها كلا الزوجين لصالح المجتمع وصالح النوع الانســـانى ، وتقـــع بمقتضاها على كاهل كليهما واجبات حيـــال الآخر وحيال الاسرة والوطن والانسانية جمعاء . وقد أبان عن ذلك عمر بن الخطاب فى أبلغ عبارة اذ يقول لمن ذهب اليه يستشيره فى طلاق امرأته لأنه لا يحبها : « ويحك ! أو لم تبن البيـــوت الا على الحب ؟! فأين الرعاية وأين التذمم ؟! » يقصد أن البيوت اذا عز عليها أن تبنى على الحب ، فهى خليقة أن تبنى عـلى ركنين آخرين شديدين أوثق صلة بأغراض الزواج من الحب وتوابعه ! احدهما الرعاية التى تبث المراحم فى جوانب الاسرة ويتكافل بها أهل البيت فى معرفة مالهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، وثانيهمـــا التذمم والتحرج من أن يصبح أحد الزوجين سببا فى تفريق الشمل وتقويض البيت وشقوة الأولاد وما قد يأتى من وراء ذلك كله من نكد العيش وسوء المصير .

ولو تدبر الذين يعترضون على هـــذا النظام من طيبى النية ما يترتب على الغائه من نتائج خطـيرة هدامة ما حدثتهم نفوسهم بالاعتراض عليه . وذلك أن الاوضاع التى يتصور العقل أن تقوم عليها الأسرة اذا ألغى هذا النظام لا تخرج عن احد أمرين :

(أحدهما) أن يكون للزوجة مطلق الحرية فى أن تسكن مع الزوج أو لا تسكن معه . واذا نشزت ولم تسكن معه تظل زوجة له من الناحية القانونية مع بقائها بعيدة عنه ، ولا يحق للقضاء أن يتدخل . وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل اليه الفوضى من الناحيتين الاجتماعية والقانونية ، فيستحيل منزل الزوجية وبيت الأسرة الى نزل مؤقت أو فندق تقيم فيه الزوجة اذا راقت لها الاقامة فيه وتغادره متى شاءت وشاءت لها أهواؤها ، بدون أن يتأثر بذلك ميثاق الزواج ، وبدون أن يستطيع القانون عمـــل شىء حيالها . فتنعم المراة فى هـــذه الحالة بجميع الحقوق والحريات بدون أن تحتمل أى واجب ، وبدون أن تقيد حريتها بأى قيد . وهذا الوضع من الفوضى لا نظير له حتى عند الحيوانات والطيور التى تعيش زوجين ، ولا يمكن أن يسود وضع كهذا فى مجتمع ما بدون أن يؤدى الى الغاء نظام الاسرة نفســه كما حدث فى كثير من الاوساط الاوروبية التى أشرنا اليها فى مقالنا السابق .

ولا يكفى لتلافى شىء من هذه الأضرار أن يقرر القانون حرمان الزوجة الناشز من النفقة كما يقترح بعضهم مستندا فى ذلك على رأى لبعض الفقهاء لأن الاكتفاء بحرمان الناشز من النفقة ليس من شأنه أن يردعها عن غيها ولا أن يرد الامور الى نصـــابها الصـــحيح . هذا الى أنها لا تنشز الا وهى موطنـة عزمها على الاستغناء عن الزوج ونفقته ومدبرة أمرها

على وجوه أخرى وراء ذلك • والزوجة ليست اجيرة حتى يقال انها تستحق النفقة ما دامت فى عملها ، فاذا انقطعت عنه انقطعت عنها النفقة ، ولا سلطان لأحد عليها • والزواج ليس عقدا بين عامل ومالك، بل هو أسمى واقوى من ذلك كثيرا فى قيوده والتزاماته ووظائفه الاجتماعية •

وقد ذكرت الصحف أخيرا ان لجنة تعديل الاحوال الشخصية قد رأت الاكتفاء بحرمان الناشز من النفقة وأن رئيسها قد سأله بعض مراسلى الصحف فى هذا الموضوع أو فى موضوع آخر من هذا القبيل فقال ما معناه :ان أعضاء اللجنة لم يكونوا مرتاحين الى هذا القرار ولم نجد له سندا قويا فى المذاهب الفقهية ، ولكننا اقترحناه « لسد أفواه النابحات » (أو كما قال) •

ولا أدرى لماذا تدعونا الاستجابة لبعض دعوات شاذة لاتمثل الحكم الاسلامى الصحيح ولا التقليد المصرى الاصيل فى شىء الى أن نخرج عن عرفنا ،وعن القواعد المحكمة فى ديننا ، وعن الدعائم السليمة لأسرتنا ، ونلتمس لهذه الاستجابة بعض آراء ضعيفة فى الفقه الاسلامى ؟! •

(وثانيهما) أن يفرق بين الزوجين بمجرد أن تنشز المرأة وتبدو منها الرغبة فى عدم معاشرة زوجها • ويكون معنى ذلك من الناحية العملية أننا جعلنا الطلاق بيد الزوجة توقعه متى شاءت ، وأننا نقلناه من يد الزوج فى صورته المقيدة بعدة قيود والتزامات الى يد الزوجة فى صورة طليقة لايحدها قيد ، ولاتخضع الا لما تمليه أهواء العاطفة ونزوات الوجدان وغنى عن البيان أن هذا الوضع لايقل فى نتائجه الهدامة وما يؤدى اليه من فوضى واضطراب عن الوضع السابق •

هذا ، وقد زعم بعض الناس أن الاسلام لايجبر المرأة الناشز على الرجوع الى زوجها ، وانما يقضى فى هذه الحالة بالتفرقة بينهما ، ويستدلون على رأيهم بقصة وردت فى صحيح البخارى وفى غيره من كتب السنة خاصة بامرأة ثابت بن قيس ، مع أنه ليس فى هذه القصة مايدل على شىء مما يذهبون اليه •

وتتلخص هذه القصة فى أن امرأة ثابت بن قيس لم تطق البقاء مع زوجها لأمر لم تصرح به ، ولعله يرجع الى العلاقات الزوجية فى أخص شئونها ، لأنها ذكرت أنها لا تعتب عليه فى خلق ولا دين ، وتخشى ان بقيت معه أن تفتن فى دينها ، فلا تراعى حدود الله فعرضت أمرها على الرسول صلى الله عليه وسلم فرأى عليه السلام بعد دراسة موضوعها أنه من الخير التفرقة بينهما ، واقترح عليها أن تتنازل لزوجها عما دفعه لها من صداق ، وقبل الزوج أن يطلقها فى مقابل ذلك ، فتمت الفرقة بينهما على طريق الخلع الذى يقره القرآن اذ يقول : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود اليه ، فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » •

وفيما يلى نص هذا الخبر كما ورد فى صحيح البخارى : « عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله : ثابت بن قيس لا أعتب عليه فى خلق ولا دين • الا أنى أخاف الكفر (تقصد تعدى حدود الله) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته • قالت نعم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » •

وغنى عن البيان أن الامر الوارد فى الحديث فى قوله « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » أمر ارشاد لا ايجاب بدليل أنه جعل الطلاق بيده ، وعرض عليه بدلا فى مقابله ، وعلق التفرقة بينهما على قبوله •

فليس فى هذا الحديث ما يدل على ارغام الزوج على تطليق زوجته الناشز ، ولا على جواز التفرقة بينهما بحكم من القضاء •

صحيح أن الاسلام يجيز التفرقة بين الزوجين بحكم من القضاء اذا رفعت الزوجة أمرها اليه شاكية مما يلحقها من زوجها من ضرر وايذاء يليقين أو تقصير فى حقوقها أو عجز عن أدائها وثبتت صحة شكواها (وهذا هو مذهب الامام مالك ، وقد اخذ به القانون المصرى رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٥) • ولكن هذا أمر آخر غير مجرد النشوز وكراهية الزوجة البقاء مع زوجها•

هذا ، وقد أخذ كثير من الباحثين على القانون المصرى انه يرغم المرأة الناشز على الرجوع الى زوجها عن طريق الاكراه البدنى وتدخل رجال الشرطة • وقد يكون لهم الحق فى مأخذهم هذا • فان هذا النوع من الاكراه ينطوى على اهدار علنى لكرامة المرأة ، ويوسع من شقة الخلاف بين الزوجين • وليس الاكراه البدنى هو الوسيلة الفذة لاكراه المرأة الناشز على الاذعان لنظم الاسرة وآدابها • فأمام القانون لتحقيق هذا الاذعان وسائل أخرى كثيرة أدنى الى صيانة الكرامة واقوى فى رد المنحرف الى الطريق المستقيم وان شريعة الاسلام لتقنع بأية وسيلة يعلم بها النساء ان ليس لهن الحق فى النشوز مادمن قد استوفين ما يجب لهن من حقوق ، وأن النظام العام لايقرهن على ذلك ان أقدمن عليه • **«د•على عبد الواحد وافى»**

شرح وتحليل

لموقف من مواقف عمر بن الخطاب

بقلم: محمد محمد المدنى

يعجب بعض النـــاس من موقف ســـيدنا **عمر ابن الخطاب** رضى الله عنه اذ دعاه رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالحديبية ، ان يكون ســفيره الى قريش بمكة ليبلغها انه ما جاء هو وأصحابه الا زائرين البيت الحرام لأداء منسك العمرة ، غير مقاتلين ولا غازين ، فاعتذر عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : يا رســول الله ، ليس لى بمكة أحد يغضب لى ان أوذيت ، فأرسل عثمان بن عفان ، فان عشيرته بها ، وانه مبلغ ما أردت ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه .

يعجب بعض الناس من هذا الموقف ، اذ كان عمر رضى الله عنه معروفا بالقوة والشجاعة ، لا بالضعف ولا بالخوف ، وهو الذى اعز الله به الاســلام يوم أسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع منه ذلك ، اذ دعا ربه أن يعز الاسلام بأحب الرجلين اليه : عمر بن الخطاب ، أو أبى جهل ، فكان من فضل الله على عمر أن كان أحب الرجلين الى الله ، فلمــا أسلم قال : يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنــا وان حيينا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : بلى والذى نفسى بيده : انكم على الحق ان متم وان حييتم ، قال: ففيم الاختفاء ؟ — وكان ذلك فى فترة الاسرار بالدعوة — والذى بعثك بالحق لتخرجن ، فأذن بالاعلان، وخرج صلى الله عليه وسلم فى صفين ، عمر فى أحدهما ، وحمزة فى الآخر ، ولهم كديد ككديد الطحين — أى غبار يثور من مشيهم كغبار الدقيق — حتى دخــل المسجد ، فنظرت قريش الى عمر والى حمزة ،فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق (حلية الأولياء ج ١ ص ٤٠) .

وكذلك بدت قوة عمر وشجاعته يوم هاجر الى المدينة معلنا سفرا وكان الناس يهاجرون مستخفين — فقد روى عن على كرم الله وجهه انه قال : ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا ، الا عمر بن الخطاب ، فانه لما هم بالهجرة تقلد ســيفه ، وتنكب قوســـه ، وأخذ فى يده أسهما ، وحمل عصاه التى تشــبه الرمح على خاصرته ، ومضى نحو الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها يجلسون حلقا حلقا، فطاف بالبيت سبعا متمكنا ، ثم أتى مقام ابراهيم فصلى ، ثم وقف على القوم فى مجالسهم حلقة حلقة ، فقال لهم : شاهت الوجوه ! لا يرغم الله الا هــذه المعاطس . من أراد أن يثكل أمه ، أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجته ، فيلقنى وراء هــذا الوادى ! قال على رضى الله عنه : فما اتبعه الا قوم من المســتضعفين علمهم ما أرشدهم ، ثم مضى لوجهـــه — أى لتنفيذ قصده — (راجع الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٩٨ وأسد الغابة ج ٤ ص ٥٨) .

هكذا كان عمر رضى الله عنه فى شجاعته وقــوة قلبه ، وان الحديث عن هذه الشــجاعة وتلك القوة والبسالة فى أخلاق عمر وفى طبيعتـــه ، ليعد من فضول القول ، ومن التكثر فى الاستدلال على أمر بلغ من الشهرة والتواتر مبلغا عظيما !

فما بال عمر اذن يعتذر للنبى صلى الله عليه وسلم حين دعاه الى موقف يتفق وما فطر عليه من الشجاعة

وشدة البأس وقوة القلب وصـــدق الايمان ؟ أجبن اقعده أم خوف ساوره ؟



لقد أجبنا عن ذلك فى فصـــل سابق ــ نشرته الرسالة الغراء ــ واكتفينا فيه بالاجمـــال حيث لم يتسع المقال ، والآن نفصل القول حتى لا تحوك فى الصدور أية شبهة :

ان عمر رضى الله عنه لم يجبن ولم يضـــعف عن النهوض الى ما ندبه له سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكنه كان يتابع تصرف قائده الأعظم فى قصة « الحديبية » متابعة واعية بصيرة ، فرآه عليه الصلاة والسلام حريصا على أن يحتفظ بالســلام فى هـــذه الرحلة ، ولا يمتشق الحسام :

رآه يتنكب طريق خالد بن الوليد قائد المشركين يومئذ فيميل الى طريق آخر تنتهى به الى الحديبيـة بعيدا عن « كراع الغميم » التى نزلها خالد ورجاله المقاتلون ومعهم خيلهم وسلاحهم :

ورآه يستقبل رسل قريش واحدا بعـــد واحد ، فيستمع اليهم هادئا مستمسكا بحلمه وعفوه ،ويكلمهم مبينا لهم أنه لم يجىء لقتال ، ولا أراد الا أن يزور البيت معتمرا .

ورآه يصفح عن هؤلاء المتسللين من قريش الذين اطافوا بمعسكره فى الحديبية ،وكانوا أكثر من أربعين رجلا يريدون أن يصيبوا من المسلمين ويعتدوا عليهم، مع انهم أخذوا أخذا ، وأتى بهم اليه صلى الله عليـه وسلم ، وكان من حقه أن يعاقبهم ، فعفا عنهم وخلى سبيلهم .

وسمعه يقول : «والذى نفس محمد بيده لا تدعونى قريش اليوم الى خطة فيها صلة الرحم الا أعطيتهـم اياها » .

واذن فقد كانت الخطة من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ، هى خطة المسالمة ،والبعد عن كل مايؤدى الى القتال ، وما يعكر الصفاء .

ورأى من الجانب الآخر ، جانب المشركين حميـة وتهورا وتوجسا للشر ، وتوعدا بالحرب :

علم أن قريشا حين سمعت بمقدم النبى صلى الله عليه وسلم ، تنمرت وخرجت بخيلهاورجلها يعاهدون الله لا يدخلهـــا محمد عليهم أبدا ، وترصـــدت له بالطريق ، وكان من الممكن أن تلقاه لولا أنه صلى الله عليه وسلم لم يمكنهم من هذا اللقاء .

وعلم انهم كانوا يسيئون الى من يجيئهم من الرسل بعد ان يلقى رسول الله ويسمع منه ويقتنع بكلامه .

وعلم أنهم كانوا يختـــارون رسلهم من أصلب رجالهم عودا حتى لا يقع تحت تأثير النبى وصـــدقه وحسن مفاوضته .

رأى عمر رضى الله عنه كل هذا ، وسمع ما سمع، فكان واضحا لديه أن هذه الخطة المسالمة من جـانب الرسول صلى الله عليه وسلم تقتضى أبلغ الحذر حتى ينتهى الأمر بسلام ، وتقتضى مع ذلك أن يحـــال بين المشركين وبين أية فرصـــة تمكنهم من ارتكاب حماقات فى ظل الغضب والطيش ، قد تفسـد هذه الخطة وتحمل على الحرب .

فلو أن عمر ذهب اليهم لتهيأت لهم الفرصـــة للفتك به دون أن يحميهم منـــه قريب له بمكة أو عصبية مجيرة ، فاذا فعلوها فى سورة غضبهم الحاضرة أو فى ظل ما يحملونه على عمر من الحقد والغيظ منذ كان يهـزأ بهم ويتحداهم ، فمـــاذا يكون الموقف ؟ أيسكت النبى صلى الله عليه وسلم وأصـــحابه على الفتك بعمر حفظا للسلام ؟ وأى سلام هذا الذى يكون ثمنه عمر بن الخطاب ؟ أم يثيرونها حربا شعواء غاضبة ضاربة على خلاف خطتهم التى رسموها وترسموها ، وهم مع ذلك لم يستعدوا للحرب ، وليسوا بآمنـين ان يهزموا فيها ؟

لذلك الهم عمر رضى الله عنه أن يعتذر عن هـــذه السفارة ، وانه للهم موفق !

وقد بينت الأحداث التى وقعت بعد ذلك مـدى توفيقه :

فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب عثمان لهذه السفارة ــ كما أشار عمر ــ فانتدب لها ، وقال له عليه الصلاة والسلام : أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وانما جئنا عمارا ، وادعهم الى الاســـلام ، وأمره أن يأتى رجالا بمكة مؤمنين ، ونساء مؤمنات ، فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان .

وقد هيأت شخصية عثمان بن عفان الهـــادئة

المحترمة فى قريش ، فرصة النجاح الهادىء لسفارته، فانطلق حتى مر على ملأ من قريش بمكان قريب من مكة ، فقالوا : أين تريد ؟ فقال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوكم الى الله ، والى الاسلام ، وأخبركم انا لم نأت لقتال ،وانما جئنا عمارا ،فقالوا له : قد سمعنا ما تقول ، فانفذ لحاجتك .

فهل ترى ، كان عمر بن الخطاب ينفذ بمثل هذه السهولة ؟

ثم ان أبان بن سعيد بن العاص ، قام الى عثمان، فرحب به ، وأسرج فرسه فحمل عثمان على الفرس وأجاره – أى أعلن أن عثمان فى جواره ، فلم يكن لأحد مع هذا الجوار أن يمسه بسوء كما هى عادة العرب فى احترام الجوار ، ولا سيما اذا كان المجير رجلا عظيما فى قومه ، مثل أبان بن سعيد بن العاص ، فأردفه أبان حتى جاء مكة ، فصح ما توقعه عمر حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسل عثمان فان عشيرته بها ، وانه مبلغ ما أردت .

وغاب عثمان بمكة ، وكثرت حوادث الاستفزاز من المشركين بالمسلمين ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل ، وهنا ثار وثار معه المسلمون ، ودعاهم الى البيعة وهو تحت الشجرة وقال : اما والله لئن قتلوه لأناجزنهم ، فبايعه المسلمون : بعضهم على الموت ، وبعضهم على ألا يفروا ، والمعنى واحد ، فان البيعة على الموت معناها انهم لا يزالون يقاتلون بين يديه ما لم يقتلوا ، والبيعة على عدم الفرار معناها انهم لا يزالون يقاتلون بين يديه دون أن يفروا ما لم يقتلوا ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى يديه على الأخرى ، وقال : هذه لعثمان .

وهذه هى البيعة المعروفة فى الاسلام ببيعة الرضوان ، لقوله تعالى « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » ويتبين من سببها ومقدماتها : أن الأمر كان يجرى أولا على خطة السلام والحلم والعفو ، فلما أشيع قتل المشركين لعثمان، لم يكن بد من الحرب والمناجزة ، وذلك هو الذى بينا أن عمر ابن الخطاب قد لمحه فالهم الاعتذار عن القيام بسفارة النبى صلى الله عليه وسلم ، لكيلا يعتدى عليه المشركون فتثور ثائرة الحرب ، والاعتداء عليه أقرب وقوعا فى الظن من الاعتداء على عثمان .

فتلك نظرة عمر ، بينت الأحداث صدقها .

ثم نقول : ليس الشجاع هو الذى يقدم على الأخطار وهو يعلم ان فى امكانه تجنبها دون ضرر بمبدئه ، ولا تضحية بعقيدته ، وانما الشجاع هو الذى يقدم حيث يجب الاقدام ، ولا يندفع الى ما لا فائدة فيه متهورا .

وليس كل خوف يعتبر من باب الجبن ، ولكن بعض الخوف حزم ، فقد انبأنا الله تعالى ان نبيه موسى كان « يخاف » وأن أخاه هرون كان يخاف ، وان أمه خافت .

ومن اراد أن يتتبع مواطن الخوف الذى نسبه الله الى موسى وأهله ، فليقرأ مثل قوله تعالى « قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى » – « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى » – « وقتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون » – « فأصبح فى المدينة خائفا يترقب » – «فخرج منها خائفا يترقب» –«فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين » .

فالخوف الذى أنبأ الله تعالى انه كان يساور موسى وأخاه وأمه ، هو الخوف الذى له ما يبرره ، وقد كان عهد فرعون عهدا ظالما يسيطر عليه الطغيان حتى وصل الأمر الى أنه كان «يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم » ، وكان يقول « أنا ربكم الأعلى » فهل يعد الخوف فى مثل هذه الحالات الا أخذا بالحزم ، ونظرا فى وسيلة النجاة ، وحفظا للنفس من أن تهلك وهى تستطيع أن تبقى وأن تؤدى رسالتها التى أرادها الله لها ؟

لذلك لا يعد عمر فاقد الشجاعة حين اعتذر ،وحين خاف أن تفتك به قريش ، حتى ولو لم يكن قد قدر الأسباب التى ذكرنا أنها حملته على الاعتذار ،ولكنه يعد حازما حكيما ، فهو يدخر نفسه للموقف الذى يعلم أنه يجدى ، ولا يلقى بيديه الى التهلكة حرصا على الظهور بمظهر الشجاعة .

بقى أن نتساءل : اذا كانت هذه هى فلسفة عمر فى تقدير ظروف « الحديبية » وخطة الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأنها ، فما باله يقف من شروط الصلح التى ارتضاها قائده ومعلمه الأكبر موقف المعارض الشديد المعارضة ، فيذهب ثائرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة ، والى أبى بكر الصديق رضى الله عنه تارة أخرى ، ويقول لهما ما قال ؟

وانا لعاقدون لهذا فصلا آخر ان شاء الله .

« **محمد محمد المدني** »

هجرات من الجنوب العربي

للدكتور: عبد العزيز كامل

- ٥ -

لم تكن الروابط الحضارية بين الجنوب العربي وافريقية قبل الاسلام مقتصرة على قطاع صغير من شرق القارة ، وانما كانت ممتدة على جبهة عريضة تبدأ من سواحل البحر المتوسط في الشمال الى ما وراء العروض الاستوائية جنوبا • وكانت روابط تجارة وتبادل منافع في طابعها العام ، حتى أعطاها اليونان والرومان صبغة دامية عندما توغلوا في البحر الاحمر والمحيط الهندي وسيطروا على التجارة فيهما ••

بين الجنوب العربي ومصر :

واذا بدأنا من مصر وجدنا روابط حضارية قديمة بينها وبين الجزيرة العربية بعامة والجنوب العربي بخاصة ، قبل الاسلام • وجانب من هذه الروابط كان مصدره الجنوب العربي نفسه ، والجانب الآخر كان الجنوب العربي فيه وسيطا بين مصر ومراكز حضارية أخرى •

وقد ساعد الموقع الجغرافي للجنوب العربي على ذلك• فهو يتوسط أقدم حضارات العالم القديم: فالى شرقه حضارات وادي السند في باكستان ، والى شماله حضارات مابين النهرين ، والى شماله الغربي الحضارة المصرية • وكان الجنوب العربي يستطيع الاتصال بكل هذه المناطق بحرا – وهو الاتصال الايسر – الذى غلب على الاتصال البرى أحيانا ، بينما كان طريق البر – في بعض الاحيان – المسلك الآمن الذى يستطيع اهل الجنوب العربي الاعتماد عليه ، اذا ما سيطر دخيل على البحار حولهم ، كما حدث في انقرون الاولى بعد الميلاد عندما جاء اليونان والرومان •

وتبين الآثار المصرية والبابلية أن الصلة البحرية بين مصر وبابل عن طريق الجنوب كانت سابقة للصلة البرية عن طريق الشرق • والأرجح أن الذين قاموا بذلك كانوا ملاحين من عرب الجنوب • ولم يكونوا هم الذين وصلوا بابل بمصر فقط ، وانما وصلوا حضارة وادى السند ببابل وبمصر عن طريق التجارة • وكان لليمنيين القدماء نصيب من المدنية ربما وصل منه شيء الى بابل والى مصر (أحمد فخرى : اليمن ص ٦٠)

ويذكر المصدر السابق (ص ٦٠–٦١) «أن البحر الاحمر كانت تمخر عبابه منذ عصر ما قبل الاسرات المصرية أى قبل ٣٢٠٠ ق•م سفن ترتفع مقدمتها ومؤخرتها ، سفن لم تكن معروفة في وادي النيل ، ولكنها كانت معروفة في بلاد ما بين النهرين وفي شواطيء المحيط الهندي • ووفد الى مصر قوم في هذه السفن ووصلوا الى وادى النيل من الجنوب والشرق وأخذوا طريق القصير – فقط في رحلاتهم ، وترك لنا هؤلاء الوافدون رسوما لسفنهم على صخور بعض دروب الصحراء الشرقية ، وعلى الكثير من الصخور المطلة على النيل ، كما توغل بعضهم في

ذلك العهد البعيد في الصحراء الغربية ، وتركوا لنا رسوما على بعض صخور الدروب وخاصة في الواحات الخارجة وعلى صخور درب الغبارى بين الخارجة والداخلة ، اذ كانت السفن في نظرهم رمزا لحياتهم السابقة في موطنهم سواء في جنوبي الجزيرة العربية أو في بلاد العراق او غير ذلك ٠

اما الطريق البرى فكان فيه مسلكان : أحدهما أن تخترق القوافل البادية من بابل الى الشام والثاني يتبع طريق الواحات الممتد من اليمن الى الشام مارا بمكة ٠

وعلى هذا كان عرب الجنوب يستطيعون الاتصال البرى بمصر اما من منطقة رأس الخليج العربي أو من أقصى الجنوب الغربي ، هذا الى استخدامهم البحر حين يتوفر فيه الامن ٠ وكان هذا الطريق أقل نفقة ويعطيهم فرصة المرور البطيء على موانى البحر الاحمر حتى تنتهى بهم الرحلة الى مصر ٠

وقد انتشر الشعب المعينى من الجنوب العربي في الجزيرة العربية وخارجها ووصل الى مصر والى بعض جزر بحر اليونان ٠ وترك لنا كثيرا من النقوش والآثار ٠ لكن مما يؤسف له أن معظم ما جاءنا من هذه النقوش لا يحمل تاريخا أو يشير الى حادثة من السهل تاريخها ، اللهم الا هذا النقش الذى عثر عليه في مصر ٠ فقد كتب في العام الثاني والعشرين من حكم الملك بطليموس السادس أى حوالى ١٥٩ ق٠م ٠ ومن هذا النقش يتبين لنا أن جالية معينية كانت نازلة بمصر ، وأنها فيما يرجع كانت تتجر في الطيب والبخور ٠ (فؤاد حسنين : استكمال الترجمة العربية لكتاب «التاريخ العربي القديم تأليف نيلسن وآخرين » ص ٢٦٩)

ولا نستطيع أن نستنتج من هذا الاثر أن المعينيين كانوا « جالية » فقط في مصر ، وانما كانت لهم جالية ٠ أما الروابط بين الجنوب العربي ومصر فكانت أقدم من هذا وأوسع ٠ فقد روى قدماء المصريين في العصر المتاخر لبعض الرحالة أنهم جاءوا من الشرق ومن الجنوب وانهم علموا المصريين الحضارة وأخضعوا البلاد لسلطانهم ٠ ويصفون الطريق الذى جاءوا منه وصفا غامضا لا نعرف عنه شيئا على وجه التحقيق في بدايته ولكنهم استخدموا الطريق الموصل بين البحر الاحمر والنيل مارا بوادى الحمامات بعد ذلك٠ وقد ظل هذا الوادى الى آخر عهد الفراعنة يتمتع بشيء من التقديس (أحمد فخرى اليمن ص ٦٣ نقلا عن تشارلس كيننز) ٠ وقد ظل المصريون القدماء في جميع عصورهم يظهرون احتراما كبيرا لذكرى آل « شمسو ــ حور » أى اتباع حور أو حورس ٠ وهذا الاله لم تكن له في الاصل أية صلة بعبادة الشمس ، وكان رمزا اتخذته احدى القبائل كمعبود لها على هيئة الصقر وأنه جاء مع الفاتحين ٠ وتصف نصوص الاهرام ــ وهى من أهم وأقدم المراجع الدينية (٢٥٠٠ ــ ٢٢٥٠ ق٠م) ــ هذا الاله بكلمات معناها «الشرق» أو « أفق الشمس » مما يشير الى المشرق ٠

ويتابع الاستاذ الدكتور أحمد فخرى دراسته لموضوع حورس مشيرا الى ثلاث نقاط :

١ ــ أن هناك اشارات كثيرة الى أن الموطن الاصلى لحورس هو بلاد بونت ٠

٢ ــ ان اسم حورس غريب على اللغة المصرية ولكنه موجود في اللغة السامية وبعبارة أدق في اللغة العربية ٠ « فالحر هو الصقر ، وقيل هو طائر نحوه وليس به ، أنمر أصقع قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل يضرب الى الخضرة وهو يصيد» (لسان العرب ط بيروت ٤ : ١٨٣) ٠ والأنمر ما كان على شبه النمر وهو ان تكون فيه بقعة بيضاء وبقعة أخرى على اى لون كان ، والاصقع من الطير من بوسط رأسه بياض ٠ ولا زالت كلمة حر مستعملة الى الآن في كثير من جهات الجزيرة العربية وشمال افريقية لهذا الطائر ٠

٣ ــ ان هؤلاء الوافدين ــ اتباع حورس ــ عبروا من جزيرة العرب الى الشاطىء الافريقى في أريتريا ثم ساروا مخترقين البلاد حتى وصلوا الى صحراء مصر الشرقية ودخلوها عن طريق وادى الحمامات ٠

ولم يكن حورس الاله الوحيد الذى قال المصريون بان أصله من الجزيرة العربية بل هناك آلهة أخرى منها الاله بس ٠

ويذكر ارمان (ديانة مصر القديمة ــ الترجمة العربية ص ١٦٥ ــ ١٦٦) انه من الآلهة التى صورتها المخيلة الشعبية في صورة كاريكاتورية ٠ وكان كائنا محبوبا ، مظهره يشيع السرور وهو قزم ملتوى الساقين ٠ وله رأس كبير وذقن منتفش وذيل

كذيل الحيوان . ونستطيع أن نشبهه بمسوخ الاساطير اليونانية فهو مثلهم يظهر في اعداد كثيرة تمثل في خدمة الالهة الكبار وتدخل السرور على نفوسهم بالرقص والموسيقى وتسهر على اولاد الآلهة ولكن هذا المركز المتواضع لايمنع من أن يتحول الى اله حقيقى حتى ليسمى الطفل أحيانا « ذلك الذى ينتسب الى بس » . ولقد تطورت وظيفته بعد هذا في العهد الاغريقى الرومانى فاصبح يجيب على رقاع الاسئلة التى تقدم له . وهذا امر استغله الكهنة (نفس المرجع ص ٤٨٨) وغدا أيضا يحمى الموتى كما يحمى الاحياء (ص ٤٥٤) . أى أن هذا الاله ظلت له مكانته فى مصر حتى العهد الاغريقى الرومانى وان كانت لاتصل الى مكانة حورس بل دونها بكثير .

فالروابط الحضارية بين الجنوب العربى ومصر قبل الميلاد وفى القرون الميلادية الاولى كانت متعددة الجوانب .

١ ـ شملت الهجرات البشرية والتكوين السكانى .

٢ ـ وكانت لها مظاهرها الاقتصادية .

٣ ـ كما أثرت أيضا على العقيدة الدينية .

وبعبارة اخرى اثرت الروابط على التكوين البشرى ومظاهر الحياة المادية والروحية .

ومع ان الجنوب العربى كان المنطقة المؤثرة ـ أو المنطقة المصدرية ـ الا ان الادلة على الاتصال الحضارى كانت من مصر . والى هذه النقطة التفت المؤرخون والباحثون الذين عرضوا لهذا الموضوع . فلا زالت معلوماتنا عن تاريخ اليمن القديم قليلة نادرة ويذكر الدكتور فخرى ـ وله انتاجه وجهده العلمى فى هذا الاقليم « ان اطلال المدن الاثرية فى اليمن مازالت باقية كما تركتها عوادى السنين ولم يفحصها أحد واذا كنا نعرف مما عثر عليه الرحالة من نقوش أن تاريخ بعض المعابد يرجع الى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ، فاننا نكون محقين اذا قلنا ان هناك املا كبيرا فى العثور على آثار من عصور أقدم عهدا من ذلك عندما يتم حفر المناطق الاثرية وخاصة فى بلاد الجوف والمشرق » (ص ٦٤ ـ ٦٥ من كتاب عن اليمن) .

بين الجنوب العربى والحبشة :

واذا كانت الروابط الحضارية بين الجنوب العربى ومصر قد تعرضت لدورات من القوة والضعف ترجع الى عوامل محلية فى كل من القطرين ، وعوامل عالمية أثرت فى المنطقة كلها ، فان التفاعل بين الجنوب العربى واليابس الافريقى المقابل كان ـ بحكم الموقع الجغرافى ـ أقوى فى تلك القرون القديمة قبل الاسلام ، وان كان لهذه العلاقات ـ بدورها ـ فترات قوة وفترات ضعف . وكان هذا التفاعل قوى الاثر على الجانب الافريقى فى القرون الخمسة السابقة للميلاد على الاقل .

واتخذت هذه العلاقات طابعا هادئا أحيانا وعنيفا أحيانا اخرى . وكان التأثير متبادلا . يأتى من الجنوب العربى تارة ومن الحبشة تارة اخرى .

ولازال عبور بوغاز باب المندب مستمرا حتى الوقت الحاضر ويمثل تيار هجرة بشرية مستمرة من قديم . وكان لسكان الجنوب العربى أثر عميق على أكثر من عنصر حضارى فى الجانب الافريقى المقابل ، اذا ما قارنا ذلك بتأثير سكان الأجزاء الوسطى والشمالية من الجزيرة العربية على الأجزاء القريبة من افريقية . ولقد سبقت الاشارة الى أن ما كونه عرب الجنوب من نظام تجارى وعلاقات اقتصادية مع سواحل افريقية يشبه ما كونه الفينيقيون من مراكز وعلاقات فى عالم البحر المتوسط . واقتضى تأمين هذه التجارة تأمين مراكزها الافريقية وطرق القوافل المؤدية اليها والصادرة عنها .

وفى الوقت الذى تدهورت فيه تجارة مصر الخارجية فى البحر الأحمر كان نشاط عرب الجنوب آخذا فى الازدهار (ألندورف : الاثيوبيون ص ٤٨ ـ ط . اكسفورد ١٩٦٠) . وامتد هذا النشاط جنوبا فى المحيط الهندى حتى وصل الى الأجزاء الشمالية من موزمبيق الحالية . ولكن من الطبيعى أن تكون أنظارهم متجهة ـ أول ما تتجه ـ الى اليابس الافريقى القريب .

واذا ما ألقى العرب مراسيهم فيما هو الآن ثغر مصوع ، او الموانى القريبة منه ، فانهم سيجدون الشاطىء الافريقى قريب الشبه من وطنهم : عنا سيجدون اولا سهلا حارا جافا ضيقا نسبيا يقود الى اقليم جبلى يبلغ منسوبه نحو ألفى متر او يزيد ، تسقط عليه الرياح الموسمية أمطارا منتظمة لها آثارها على النبات الطبيعي والزراعة والتطور الحضارى .. فهنا بيئة تشبه ما ألفه عرب الجنوب فى بلادهم ، وتدعوهم الى صعود الهضبة حيث المجال أوسع لتجارتهم والمناخ أفضل ما يستطيعون الحياة فيه ، وهناك ثروة طبيعية ، ونشاط بشرى يعطى انتاجا أوفر من الطيب والصمغ والعاج . ولاشك فى أن جو الصيف فى السهل الساحلى مرهق يجعل صعود الجبال أمرا محببا .. ما استطاع الانسان اليه سبيلا . ولازال الشاطىء الافريقى يحمل أسماء من الجنوب العربى فى مناطق مصوع وعصب وما وراءها فى الداخل . وأرجو أن أخصص لهذا الموضوع ـ كما وعدت ـ مقالا أو أكثر . والتأثير الحضارى لم يقتصر على مجرد اطلاق الاسماء على المدن أو الانهار أو الأخوار ، وانما أثر على طرائق متعددة من الحياة تضافر معالمها على تأكيد الروابط الحضارية بين ساحلى البحر الاحمر .

واذا ما استقر هؤلاء الوافدون على الهضبة ، أصبحوا من أهلها ، وخالطوا من سبقهم اليها من الكوشيين ، ونشأ من هذا التفاعل نمط حضارى له ملامحه الاجتماعية والسياسية والثقافية ، المتأثرة بما كان فى الوطن الأول : الجنوب العربى . فهؤلاء المهاجرون كانوا حملة حضارة راقية رقيا كبيرا من نواحيها المادية والثقافية (الندروف : المرجع السابق ص ٤٩) .. فهم الذين ادخلوا الجمل الى افريقية وزرعوا أشجار البخور فى جبال الحبشة وغيرها من الغلات ، كما أدخلوا طرزا جديدة فى المبانى أفضل مما كان هناك . ولاشك فى أن الأثر الحضارى ـ وبخاصة فى اللغة ـ كان أقوى من أى أثر آخر تركه عرب الجنوب فى الجانب الافريقى ...

وانعكس أثر الخصائص الجغرافية للجنوب العربى على الشاطىء الافريقى .. ففى الجنوب العربى تتعدد الظاهرات الطبيعية : المدرجات ، التلال ، الجبال ، الأمطار الموسمية ، الغنى النباتى ، المناخ المعتدل ، الزراعة المستقرة ، المراكز الحضرية ، امكانيات الاستقرار والتجارة مع الخارج ... وكانت الحوافز الطبيعية داعية الى نشاط بشرى وتقدم حضارى تعددت مظاهره المادية والثقافية ، وظهرت فى نظم الرى وقوانين الملكية والنشاط المعمارى والثروة الحيوانية والزراعية ..

واذا كان الجنوب العربى قد شاهد قيام أكثر من دولة ـ تزامنت أو تعاقبت ـ فانه قد شاهد فى فترة دولة جمعت الجنوب العربى تحت سلطان واحد فى القرن الثالث الميلادى . وكان هذا الوضع قصير المدى واستمر حتى القرن السادس عندما غزت مملكة اكسوم اليمن وأخضعته... ولكن هذه قصة أخرى، يعنينا منها الآن أن المؤثرات كانت متبادلة بين الشاطئين ، وان كانت المؤثرات الوافدة من الجنوب العربى أقدم وأكثر تنوعا من الناحية الحضارية . وهذه الهجرة المرتدة من أكسوم الى اليمن تمثل مرحلة لاحقة للمؤثرات الوافدة من الجنوب العربى والتى كان من آثارها توفير المقومات الحضارية لقيام مملكة أكسوم نفسها .

فالقرون القليلة السابقة لقيام الاسلام شاهدت غليانا سياسيا فى الجنوب العربى تعددت أطرافه ، دخل فيه الروم والفرس والأحباش فضلا عن أبناء البلاد من الحميريين الذين قاوموا القوى الغازية وسعوا الى استقلال بلادهم .

والذى يهمنا تأكيده هو أن قيام مملكة أكسوم كان راجعا الى حد كبير ـ ان لم يكن راجعا تماما ـ الى مؤثرات حضارية أتت من الجنوب العربى .

وقد حدث خلاف بين الباحثين حول طبيعة الهجرة من الجنوب العربى الى الشاطىء الافريقى المقابل : هل كانت على صورة هجرات جماعية أم كانت هجرات افراد وأسر .. وهو ما يرجحه روسينى فى دراساته المستفيضة عن الحبشة . فهو يرى أن هذه الهجرات لم تكن ضخمة من الناحية العددية ، ولكنها كانت راقية فى مستواها الحضارى وأنها أحدثت ثورة حضارية فى مرتفعات الحبشة وأنها نفخت فى العنصر الكوشى مكونات سامية استطاعت أن تعطى الحضارة الاثيوبية طابعها المميز على مر العصور (الندروف ص ٥١) . فالمسلات والكتابات والمدن وأماكن العبادة ... كلها شواهد حية على ما استطاعت

مؤثرات الجنوب العربى ان تقيمه فوق ارض افريقية . وكانت هذه المؤثرات مركزة فى منطقتين أساسيتين : منطقة أكلى جزاى الشرقية ومنطقة اكسوم وعلى هذا يتكون الاثيوبيون من سبيكة بشرية جزء منها جاء من الجنوب العربى محدود ـ نسبيا من الناحية العددية ، متفوق من الناحية الحضارية ، والجزء الاكبر منها من العنصر الكوشى القديم .

ولكن : من أين جاء العنصر الكوشى القديم ؟ هل هو بدوره يمثل هجرة بشرية قديمة من الجنوب العربى ؟ أم أنه افريقى قديم .

اننا لو تعمقنا هذا البحث لوصل بنا الى أغوار من تاريخ الانسان يتكاثف فيها الغموض بحيث لا يكاد يتيح للباحث الا أقل قدر من اليقين . ويقودنا الى بحث الموطن الأصلى للانسان : هل كان فى جنوب غرب آسيا أم كان فى شرق افريقية ؟ ولكل من النظريتين من يؤيدها ويلتمس الأدلة لترجيحها ، واذا كانت النظرية الآسيوية أقدم ، فان النظرية الافريقية تحاول فى السنوات الأخيرة أن تجد لها ارضا ثابتة نتيجة للكشوف التى امكن العثور عليها فى شرق افريقية .

ولن تغير هذه الأبحاث من قوة التفاعل بين ساحلى البحر الأحمر ولا من تاثير الجنوب العربى على تطور الحياة فى الجانب الافريقى المقابل . وهو تاثير لازالت ملامحه بارزة حتى الوقت الحاضر .. واذا كان هؤلاء الآباء الوافدون من الجنوب العربى قد فقدوا وحدتهم السلالية (الانثوجرافية) فان تاثيرهم على حياة الاقليم سياسيا واجتماعيا وثقافيا قد أصبح تراثا لسكانه وقوة دافعة ، فى تاريخه وتطوره . وهو تاثير يمكن رده ـ على الأقل ـ الى القرن السابع قبل الميلاد ، وظل يتفاعل حتى استطاع أن يبلغ ذروته فى تكوين مملكة أكسوم ثم بدأت الموجة تعود مرة أخرى الى الجنوب العربى ثم تتابعت بعد هذا موجات من المد والجزر السياسى . وهى فى تعاقبها وتدافعها وارتفاعها لا تستطيع أن تخفى حقيقة كبيرة وهى الأثر الحضارى العميق الذى تركه الجنوب العربى فى الشاطىء الافريقى المقابل .

(البحث موصول)

د . عبد العزيز كامل

من رباعيات التونسي

فى عالم المرأة

للشاعر : محمد خليفة التونسي

١ ـ المرأة والحياة :

اخشى زمانا أرانى فيه منقبضا
عن حبهن ولو جاوزت تسعينا
مازهدهن سوى زهد الحياة ، ومن
تزهده ينبذ ، ولو كان ابن عشرينا
والعود للزهر ما اخضرت منابته
وللحريق وقودا حين يلوينا
والموت اكرم بالانسان ، ان زهدت
فيه الحياة ، فجافاها ، ولو حينا

٢ ـ الزوجة الصالحة :

خير ما أحرز الفتى زوجة تر
عى حماه كأمه فى الغوانى
جنة العمر هذه ، من يحزها
يتملك شتى مزايا الجنان
لا تطيب الدنيا بصيت ، ولا جا
ه ، ولا ثروة ، ولا سلطان
انما تجمل الحياة لزوجيـ
ـن ، بحب قلباهما يخفقان

٣ ـ نحن وهن :

كيف الحياة مع النساء ، أو الحياة بغيرهنه
لا ويل يعدل لؤمهن ، ولا نعيم كجودهنه
فاذا جفون أرين فى الدنيا الجحيم لصحبهنه
واذا عطفن أرينهم فيها الجنان بسحرهنه
وجفاؤهن كعطفهن وساوس من عفوهنه
فلقد يفين لخصمهن ولا يفين لاهلهنه
ولقد يخن نفوسهن وولدهن لجهلهنه
يا ويلنا من قربهن وويلنا من بعدهنه

٤ ـ النساء ظاهرا وباطنا :

الف زى لهن ، بل الف الف
فى كساء وزينة وكلام
والخفايا بعض قريب لبعض
رغم شتى الاشكال والاحجام
هن ـ معنى ـ كانهن شقيقا
ت تؤام فى جوهر وقوام
تلك ـ يا صاح ـ عبقرية حوا
ء ، حبته البنات فى الأرحام

أتكون الطفولة ذروة الكمال الإنساني ؟

بقلم : أحمد حسين

كلما تأملت الطفولة وخصائصها ، تأكد لدي ان عظماء العالم وقادته في كل فرع من فروع الحياة ، هم الذين استطاعوا ان يحتفظوا في انفسهم بجوهر الطفولة وان يقاوموا اثر البيئة والتربية والتعليم في انفسهم ، وبذلك فقط تهيأ لهم ان يصبحوا ابطالا وفلاسفة وعلماء وفنانين او انبياء وقديسين .

انها لتكاد تكون قاعدة عـامة انه لم ينتصر ولا ينتصر في معركة الحياة الا الذين قادتهم احـلام الطفولة طوال حياتهم اما الذين انهزموا في معـركة الحياة ، فاصبحوا نكرات وامعات فهـم الذين ارتفعوا فوق احلام طفولتهم ودخلوا الى دنيا الرجولة، دنيا العقل والتفكير والاخلاد للواقع .

الطفل الشاعر والفنان :

ان الاجماع منعقد بين رجـال التربية ــ وهي مسألة يستطيع كل انسان ان يتثبت منها بنفسه ــ ان قوة الخيال الانساني تصل في ذروتها عند الطفل، ويتمثل ذلك اعظم ما يتمثل في اضفائه الحياة على كل ما يحيط به ، فالطفلة عند ما تلعب بدميتها لا تتصور الا انها تنبض بالحياة مثلها ، فهي تأكل وهي تلعب وهي تنام وهي تخطيء وتصيب .

والطفل عندما يركب عصاه فانه لا يتصور الا انه يركب حصانه بالفعل او سـيارة او طيارة ، حسب ما يحلو له ، وعندما يلوح بعصاه فوق رأسه فانما هو في نظره السيف الذي يقطع به رقاب الاعداء من مردة وشياطين وغيلان .

وعند ما يسقط الطفل على الارض ويروح يبكي من الم السقوط فان ضرب الارض وزجرها ونعتها باخس الصفات كفيل بان يذهب عنه الألم لأنهـا عوقبت ، فكل ما حول الطفل حي نابض بالحياة ، وقابل للاتصال به عن طريق الكلام ، فالحيوانات والحشرات والزهـور والاشجار والقمر والشمس وكل ما في الكون من كائنات منظورة وغير منظورة من جن وملائكة وسحرة وعفاريت ، حي فيه متحدث كله . تلك هي دنيا الطفل وحياته ومهمة البيئة ابتداء من الأم والأب والأخوات ، والمعلم في الكتاب والمدرس في المدرسـة ، أن يبصر الطفل بزيف تصـوراته وانهـا أوهـام وخيالات لا تتصـل بالواقع ، الواقع الصلب الجامد ، الذي يجعل العصا عصا ولا يمكن ان تكون حصانا ، والذي ينكر ان تتكلم الأوزة أو الدبة أو القطة وان تكون لها عواطف كعواطفنا ، والتي تجعل الارض والسماء والجبال جمادا أخرس لا يحس ولا يشعر . ويستجيب الطفل لهذا التلقين ، ويدرك واقع الحياة بكل مرارته ،وبكل درنه وكدره ، بكل آلامه وشروره ، فاذا وصـل الى هذه الدرجة فقد خرج من دنيا الأطفال ، ودخل دنيا الكبار ، دنيا الفكـر والمنطق والحسـا والتجربة .

ويطلع علينا موكب الشعراء الخـالدين في كل زمان ومكان ، فاذا هم لا يختلفون عن سائر البشر الا بمقدار ما يتصرفون كما يتصرف الاطفـال عندما يضفون الحياة على كل ما يحيط بهم ، فيخاطبون الريح والليل والنهار، ــ والانهاروالاشجار والحمامة والكروان ، والقط والتمساح ، واذا ــ هم لايعترفون بمنطق او رياضيات وانما هي سبحات في دنيـا الخيال ، وكلما أوغلوا في دنيا الأطفـال فحدثونا بدورهم عن الجن والعفاريت والملائكة والشياطين،

وعن حور البحر وبساط الريح ، واسمعونا أناتهم وصراخهم وعويلهم على ما فات او ضاع منهم ، ازددنا اقبالا على اشعارهم ، وازددنا حبا لهم ورفعناهم مكانا عليا .

فاذا اردنا ان نتقصى الاسباب التي جعلت من الشاعر شاعرا لم نجد امامنا الا سببا واحدا وعلة واحدة ، وهي انه تمرد على البيئة ، تمرد على ماكان ابواه ومدرسوه يعدونه له من ان يتلقى تعليمايجعل منه معلما أو مهندسا أو طبيبا أو تاجرا ناجحا وانه ابى الا ان يواصل احلام طفولته ، وان يعيش مع الخيالات والاوهام، وان يطلق لعواطفه ومشاعره العنان ، فلا يضع عليها قيدا من قيود المجتمع ،ولا يحفل بالتقاليد او العادات والآداب .

وكذلك الشأن بالنسبة لأي فنان رساما كان او موسيقارا أو ممثلا أو مغنيا ، فهو لا يصل الى الذروة من فنه الا اذا كان كالشاعر في قوة الخيال ، وفي اطلاق العواطف والمشاعر في غير تحرز أو تأثم ، والعجب ان المجتمع يرضى من الفنانين والشعراء ما لا يرضاه من غيرهم ، ادراكا منه انه لا فن الا حيث التحرر والانطلاق من كل قيد ، ومن كل فكر واستغراق في الخيال والاوهام والمشاعر المتدفقة وهي كلها سمات الطفولة وخصائصها .

الطفل المخترع :

وليس هناك ما يزعج كل أب من طفله أكثر من ان يراه يحطم اللعب الثمينة التي تقدم له ،وقديهون الامر بالنسبة للدمى واللعب ولكن الذي يملأ كل أم بالفزع انها لو تركت طفلها وشأنه في البيت لعبث بكل شيء ودمر وضرب وأتلف ، وربما اساءت نتيجة ذلك الى نفسه .

ويقول لنا علماء التربية ان الطفل اذ يحطم كل شيء ويفسد كل شيء فليس ذلك الا لاشباع نهمه في معرفة السر الكامن وراء الأشياء : ما الذي يحرك اللعبة ويجعلها تفعل ماتفعل ، ما الذي يجعل الراديو يغني ويتكلم ؟ لا بد اذن من البحث عن المتكلم داخل هذا الصندوق الخشبي بتكسيره وتفكيكه . ومهمة الابوين أن يعملا بالتدريج على تعطيل هذه الملكة (المخربة) في نظرهما وان يعوداه بالتدريج ان يقبل الاشياء على علاتها ، وان يستمتع بآثارها دون ان يحاول ادراك كنهها .وينتهي الحال بالطفل الى الاذعان فلا يعود يبحث خلف الأشياء وكيف تعمل وما هو سر تركيبها ، وبذلك يصبح ولدا عاقلا رشيدا واقعيا .

وكما طالعنا موكب الشعراء العظام والفنانين من قبل ، يطالعنا موكب المخترعين العظام في كل زمان ومكان ، هؤلاء الذين صنعوا لنا كل ما نحيا فيه وبه من مهمات وآلات وادوات،ونحاول من جديد ان ندرك السر الذي جعل هذا النفر من البشر يشذون عن القاعدة ويخترعون لنا هذه الاختراعات المذهلة ، فنرى السر كامنا في احتفاظهم بهذه الخصيصة الاولى من خصائص الطفولة ، وهي عدم قبولهم اى شيء على علاته ومحاولتهم الدائمة معرفة السر الكامن وراء الاشياء .. فالمخترعون هم هؤلاء الاطفال الذين رفضوا كل ما حاول الآباء والمدرسون والعلماء ان يفرضوه عليهم ، وتمردوا على المسلمات العلمية والبديهيات والحقائق الجاهزة،بل رفضوا ان ينصاعوا لنتائج المنطق الصارم والرياضيات وسمحوا لخيالهم ان يسبح بهم في دنيا من التحرر والانطلاق ، فاذا بهم يحققون للدنيا هذه السيارة وهذه الطيارة ، وهذا المصباح الكهربائي ، وهذا القلم الذي اكتب به والورق الذي اكتب عليه ، وهذه السينما التي يختلف الناس اليها ، وسفن الفضاء التي تدور الآن حول الكرة الارضية ، ليخرج منها الانسان ويسير في الهواء وسط ذهول البشر . وليس ذلك كله الا من نتاج هذه العقول التي احتفظت باحلام الطفولة ، وتمردت على الواقع بقوانينه وحقائقه المزعومة .

الطفل الفيلسوف :

وما من اب وام الا وقد ضاقا ذرعا باسئلة طفلهما التي تنهال عليهما اول مايفتح ذهنه ويسعفه لسانه على المنطق « لماذا وكيف » او بلغة الطفل « ليه وازاي »

لماذا نأكل ؟ لماذا نشرب ؟ لماذا نبكي ؟ لماذا نموت ؟ لماذا نولد ؟ وكيف نولد ، وكيف نموت ، وكيف نبكي او نضحك ؟ وقد يكون الابوان طويلي البال واسعي الصدر فيحاولان أن يردا على اسئلة طفلهما قدر الاستطاعة الا ان يصدما ذات يوم بالطفل يتساءل من الذي خلق الناس والدنيا ، فيسرعان في الرد وعلى شفاهما ابتسامة الرضا أنهما سيلقنان ابنهما اول درس في الدين فيقولان له

« الله » ولكن الطفل العنيد يمضي في سؤاله « ومن الذى خلق الله » وتختلف ردود الفعل عند الآباء او المعلمين والمدرسين عندما يلقى الطفل عليهم هـذا السؤال المحرج فيردون عليه أحيانا بالضرب ، وتارة بالزجر ، وفي اكثر الاحيان بالابتسام والتهرب ، او برد لا يشفي غليل الطفل • فيظل السؤال حائرا بغير جواب •

ويجيء موكب الخالدين من الفلاسفة والمفكرين منذ اقدم العصور ، فاذا هم لا يشغلون بشيء الا بهذين السؤالين اللذين نتبرم بهما اذا صدرا من اى طفل رهما : لماذا وكيف، ويصعدون في سلم الأسئلة حيث صعد الطفل فيتساءلون عن كيفية خلق الكون، فيقول بعضهم الله ، ويقول بعض آخر انما هي الطبيعة او المادة ، فيلح العقل بالسؤال ، ومن الذى خلق المادة او الطبيعة ، ويقف أعتى الفلاسفة عاجزين عن ان يردوا على هذا السؤال ، الا بالتسليم والاستسلام وان العقل البشرى اعجز من ان يحل هذه القضية ، وهكذا ينتهى اعظم الفلاسفة ، بما انتهى اليه الطفل، وهو مجرد السؤال الحائر الذى لا يجد له جوابا •

الطفل الانسان :

وينشأ الطفل لا يعرف من امر نفســه الا انه انسان كأى انسان آخر فأى طفل اهل لصحبتـه واخوته ومحبته ، وليس هناك ما يحـول دون ان يشاطر اى طفل آخر ما يملكه وان يلعب معه ويأكل معه ، ولا يرى الطفل في سواد لون اى طفل آخر او صفرته أو حمرته ما يفرق بينهما ، بل لا يمكن ان يحس بأى فارق آخر من حيث الغنى او الجاه او الرفعة والانخفاض ، انه طفل وذاك طفل آخر ، وكل منهما ابن الحياة ، وكل يحب اللعب والمرح والحياة مع الآخرين وتبدأ الام ويبدأ الاب والمعلم والمدرس في تلقين الطفل أى طفل الفوارق التي تفصل بينه وبين الآخرين ، فهذا زنجي وهذا هندى ، وهذا ابن الخادم وهذا ابن السيد ، وهذا ابن الغني وهذا ابن الفقير، وهؤلاء هم فقط من يصح ان يلعب معهم وان يختلط بهم ، أما هؤلاء فلا يصح له ، ويجب عليه في كل الاحوال الا يعطى نقوده او لعبه او شيئا من حوائجه للآخرين ، وان يتجنب هذا الطفل أو ذاك ••• لئلا يضربه او يؤذيه او يسرقه •••

ويتعلم الطفل وينمو ويكبر فيترفع عن الآخرين اذا كان من السادة ويذل للآخـرين اذا كـان من الضعفاء ، ويتعلم كيف يحرص على حـوائجه وعلى نقوده وحلواه فيضن بها على الآخرين ، ويتعلم كيف يزاحم وكيف يضارب وكيف يحارب وكيف يحقد وينتقم ، وكيف يعتدى وكيف يعامل •

ويبلغ الاطفال سن الرشد ، وعلامة رشدهم انهم اذا لعبوا قسموا انفسهم الى حرامية وضباط ، والى اغنياء وفقراء ، والى سادة وعبيـد والى منتصرين ومنهزمين ••• ويطرب الآباء لادراك أبنـائهم الرشد بأنهم خلفوا دنيا الطفولة بأوهامها وبداوا يدركون الحياة بواقعها وبذلك دخلوا دنيا الكبار ••• دنيا الرجال الراشدين وتأتي قافلة الأنبياء والرسل والهداة والمصلحين ، اولئك الذين كانوا على مر العصور نورا لبني الانسان ، يدعون للاخوة البشرية والتراحـم والتعاطف بين بنى الانســان ، ويدعون للمحبـة وللسلام • وتنحنى البشرية تمجيدا لهذا النفر من الاعلام ، باعتبارهم يؤلفون المثل الاعلى لبنى الانسان، وتسأل عن السر الذى وصل بهؤلاء الى هذا المكان الرفيع من تكريم البشرية ، فلا ترى الا انهم دعوا الى هذه الفطرة الاولى ، فطرة الطفل البريء الذى يحب كل من حوله ، ولا يضمر لأحد حقدا ولا يعرف الشر ، وينسى الاساءة ، ويسعده أن يكون مصدر اسعاد لكل الكائنات •

ارتداد الانسان بعد الشيخوخة الى الطفولة :

واذا كان العقل والمنطق والحكمة والفكـر هي مفخرة الرجولة وما تزهو به على دنيا الطفولة ، فان الرجولة تمضى في كمالها ونموها حتى تصـل الى الشيخوخة، ـ فاذا بالرجل يرتد من جديد طفلا واذا بدنيا العقل تتخلى من جديد عن مكانها الى دنيـا الاحاسيس والمشاعر الساذجة والخيالات والاوهام واذا بالطفل يرى في الشيخ ندا له ، والشـيخ يرى في الطفل صاحبا يرتاح الى صحبته ، وهكذا يعود الانسان الى حيث بدأ وعندما تمتزج البداية بالنهاية فهذا هو الحق الذى لا حق غيره •

الكمال الانساني :

وهكذا كلما قلبنا الامور ونظرنا اليهـا من اى زاوية اردناها ، وجدنا الطفولة مستودع الكمالات الانسانية في شتى مناشطها الروحية او الفكـرية او المادية ، وان الطفل اى طفل يولد وهو مجهـز بكل الكمالات الانسانية ، والبيئة وحدها هي التى تنحرف بهذه الكمالات وتحولها في الأغلب والأعم

الى احاسيس بالنقص والعجز والرضا بالواقع المر الاليم الذليل .

وان البشر اذا كانوا يجدون فى كل زمان ومكان من يتولى هدايتهم وارشادهم الى الطريق المستقيم ومن يصلح احوالهم ويشبع نفوسهم،ويزكى ارواحهم فقد حدث ذلك على أيدى هذا النفر الذى ظل طفلا فى رجولته ، بكل براءة الطفولة واحلام الطفولة وعواطفها ومشاعرها .

كل طفل يولد على الفطرة :

ولعل هذا الذى قدمناه يفسر لنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » والفطرة تعنى فى هذا الحديث الدين الاسلامى الحنيف او الدين الكامل الذى ينطوى على جوهر الاديان كلها.

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله »

كما يفسر لنا قولة السيد المسيح عليه السلام :

« لقد اخفيت يارب حكمتك عن العقلاء وكشفتها للاطفال » .

وقوله عند ما سأله تلامذته « من الاعظم فى ملكوت السموات ؟ » : الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلن تدخلوا ملكوت السموات ، ان من يضع نفسه مثل هذا الصبى فذاك العظيم فى ملكوت السموات »

ويفسر لنا لماذا دأب الفنانون على تصور الملائكة أطفالا أصحاب أجنحة ؟ ولماذا يجرى على السنة الناس فى كل عصر وزمان ومكان ان الاطفال ملائكة ؟

الانسانية الاولى :

ولست اجد ما اختم به هذا البحث الا ان اسجل ملاحظة ابن صديق لى عند ما عرضت عليه فكرة هذا البحث ، اذ قال لى على الفور ، ولكن مؤدى هذا البحث ، ان الانسانية فى اول مراحلها ، وهى ما اعتدنا أن تعتبرها طفولة الانسانية ، تكون أكمل من انسانية الوقت الحاضر التى تعتبر رشد الانسانية ورجولتها..ووجدتنى أقول له .. لقد جئتنى بدليل جديد ، فأنا من القائلين بأن الانسان الأول قد ولد كاملا من حيث قوة الجسد وقوة الذهن وقوة الروح ولقد اثبت هذا بالتفصيل فى كتابى (الطاقة الانسانية) .

فاذا كانت الطفولة هى التى تقابل الانسان الأول، فهى الدليل حقا وصدقا على أنها ذروة الكمال الانسانى ، ذلك الذى كان عليه آدم أبو البشر عند ما علمه الله الأسماء كلها ، ماكان وما سوف يكون الى أبد الآبدين ، وعند ما طلب من الملائكة أن تسجد له تعظيما وتكريما .

وبعد ، فأحسب ان من حقنا بعد هذا العرض المسهب ان نتساءل فى ختام بحثنا بما بدأنا به . أتكون الطفولة حقا وصدقا هى ذروة الكمال الانسانى ، وكل ماتفعله البيئة والتربية والتعليم هى أن تهبط بهذا الكمال الى حضيض مانسميه فكرا ومنطقا وعلما وتجربة وواقعا ؟

« **أحمد حسين** »



مصر في موكب العروبة

للدكتور أحمد الحوفي

- ٤ -

جمال عبد الناصر والعروبة

لقد ازداد شعور جمال عبد الناصر منذ كان فى الفلوجة بآلام العرب ، وبالمرارة من سيطرة الاستعمار عليهم ، وبالخجل من فرقتهم وضعفهم .

لكن فى العرب ملايين شعروا بمثل ما شعر به جمال ، فتألموا من الفرقة ، وخجلوا من الضعف ، واستخزوا من تسلط الاستعمار ، ثم احتبسوا مشاعرهم فى صدورهم، أو تناجوا بها ، أو أعلنوها فى خطب ومقالات وقصائد ، لم تستطع أن تغير من الواقع الأليم شيئا .

أما جمال فقد اقترنت آلامه بالعمل الحاسم الذى

لا وسيلة الى النجاح سواه .

وهل هناك وسيلة الا الوحدة ، والنظر الى بلاد العرب كلها على أنها الوطن العربى الكبير الذى لا يباح التفريط فى جزء من أجزائه ؟

ومن هنا تبلورت آمال جمال عبد الناصر وأعماله فصار هدفه الأسمى تقويض الاستعمار ، وتحرير الوطن العربى ، والنهوض به نهضة شاملة تحقق له العزة والمجد وشرف الحياة .

وحسبى أن أشير هنا الى قليل من جهوده فى مجال العروبة وجهاده الباسل فى ايقاظ العرب .

١ - ايمانه بالعروبة :

يقول جمال عبد الناصر : « أيقنت أن الاستعمار هو القوة الكبرى التى تفرض على العالم العربى حصارا قاتلا غير مرئى أقوى وأقسى مائة مرة من الحصار الذى كان يحيط بخنادقنا فى الفالوجة ، وبجيوشنا جميعا ، وبحكوماتنا فى العواصم التى كنا نتلقى منها الأوامر .

ولقد بدأت بعد أن استقرت كل هذه الحقائق فى نفسى أومن بكفاح واحد مشترك ، وأقول لنفسى : اذا كانت المنطقة واحدة ، وأحوالها واحدة ، ومشاكلها واحدة ، ومستقبلها واحدا ، والعدو واحدا مهما يحاول أن يضع على وجهه من الأقنعة المختلفة ، فلماذا تتشتت جهودنا ؟ ثم زادتنى تجربة ما بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ايمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته .

وأعترف أنى بدأت كذلك أرى العقبات الكبار التى تسد الطريق الى الكفاح الواحد ، ولكنى بدأت أومن بأن هذه العقبات نفسها ينبغى أن تزول ، لأنها من صنع ذلك العدو نفسه .

واستبشر بأن المستقبل سيشهد صورا جديدة من تعاون مصر والبلاد العربية ، تؤكد للعالم ميلاد قوة جديدة فى هذه الرقعة الهامة من العالم .

ورأى أنه ليس من الممكن أن نتجاهل الدائرة العربية التى تحيط بنا ، لأنها منا ، ونحن منها ، امتزج تاريخها بتاريخنا ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعلا ، وليس مجرد كلام .

« وما من شك فى أن الدائرة العربية أهم الدوائر من حولنا ، وأوثقها ارتباطا بنا .

فلقد امتزجت معنا بالتاريخ ، وعانينا معا المحن المشتركة ، وعشنا فى أزمات واحدة، ولما وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت السنابك نفسها، وامتزج العرب معنا بالدين والجوار .

وأذكر أن طلائع الوعى العربى بدأت تتسلل الى تفكيرى وأنا طالب فى المدرسة الثانوية ، اذ خرجت مع زملائى فى اضراب عام فى الثانى من شهر ديسمبر

من كل سنة ، احتجاجا على وعد بلفور الذى منحته بريطانيا اليهود ، ووعدتهم فيه بوطن قومى فى فلسطين ، اغتصبته ظلما من أصحابه الشرعيين » ٠

ويقول :

« ولست اشك فى أن كفاحنا الواحد يعود علينا وعلى شعوبنا بكل الذى نريده لها ونتمناه ٠

ولست أشك فى أننا أقوياء، ولكن الكارثة الكبرى اننا لا ندرك مدى قوتنا ٠

وهناك ثلاثة مصادر بارزة من مصادر قوتنا يجب أن تكون أول ما يدخل فى الجواب ٠

أولها : اننا مجموعة من الشعوب المتجاورة المترابطة بكل رباط مادى أو معنوى ، يمكن أن يربط مجموعة من الشعوب ، وأن لشعوبنا خصائص ومقومات وحضارة انبعثت فى جوها الأديان السماوية المقدسة الثلاثة ٠

اما المصدر الثانى : فهو أرضنا نفسها ، ومكانها على خريطة العالم ، وموقعها الاستراتيجى العام الذى يعتبر بحق ملتقى طرق العالم ، ومعبر تجارته ، وممر جيوشه ٠

والمصدر الثالث : البترول الذى يعتبر بحق عصب الحضارة المادية ، والذى بدونه تستحيل كل أدواتها ـ من مصانع كبيرة لكافة أنواع الانتاج ، ومن وسائل المواصلات فى البر والبحر والجو ، ومن أسلحة للحرب ـ قطعا من الحديد يعلوها الصدأ ، لا تنبعث منها حركة أو حياة » ٠

ثم قال فى الميثاق : « لقد قسمت البلاد العربية بين الدول الاستعمارية وفق مطامعها ، بل وفق نزواتها واخترع ساسة الاستعمار كلمات لتغطية الجريمة التى أقدموا عليها ، مثل الانتداب والوصاية٠

ان قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى ، كما أرادها المستعمر فاصلا يعوق امتداد الأرض العربية ويحجز المشرق عن المغرب ٠

ثم أرادها عملية امتصاص مستمر للجهد الذاتى للأمة العربية تشغلها عن حركة البناء الايجابى ٠

ان الأمة العربية قد خرجت من محنة فلسطين باصرار عميق على كراهية الاستعمار وعلى هزيمته ، لأنه ليس امتصاصا لموارد الشعوب فحسب ، بل هو عدوان على كرامتها وعلى كبريائها » ٠

وانه ليبشر بتحقيق الوحدة العربية فى قوله بالميثاق :

« يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل ٠

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان ٠

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير ٠

ان الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات ينظرون الى الأمور نظرة سطحية ، لأن هذه الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى ٠

ان الوحدة لا يمكن ، بل لا ينبغى أن تكون فرضا، فان الأهداف العظيمة للأمم يجب ان تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها ٠

ان جهودا عظيمة وواعية يجب أن تتجه الى التغلب على بقايا التشتت الفكرى الذى أحدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وما تركته الدسائس والمناورات من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف ٠

والجمهورية العربية المتحدة ـ وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية ـ لا بد لها أن تنقل دعوتها والمبادىء التى تضمنها ، لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ٠

وفى هذا المجال تحرص الجمهورية العربية المتحدة على ألا تصبح طرفا فى المنازعات الحزبية المحلية فى أى بلد عربى ٠

واذا كانت تشعر أن واجبها يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية فان هذه المساندة يجب أن تظل فى اطار المبادىء الأساسية » ٠

وانه ليكرر عقيدته فى أن الوحدة العربية طبيعية واصيلة وضرورية لا يمكن التهاون فى ارجاعها ورعايتها وصيانتها ٠

« ان الوحدة العربية ليست دعوة عنصرية ، كما

أنها ليست دعوة جديدة . ان شعوب الأمة العربية جميعها – لأطول فترة في التاريخ – دولة تمكنت بينها الروابط التي جعلتها كيانا ماديا واحدا ، نتيجة لانضوائها تحت الدولة الواحدة ، وضميرا واحدا نتيجة للتاريخ الواحد الذي عاشته ، وعقلا واحدا نتيجة للغة الواحدة التي تتحدث بها ، وتعبر بها عن أفكارها .

ومن خلال هذا الكيان الواحد ، والضمير الواحد ، والعقل الواحد ، صنعت الوحدة العربية مقوماتها وأصولها .

وحتى بعد أن تمكن الاستعمار والقلة الباحثة عن العروش والاقطاعيات من تقسيم الأرض العربية بالصورة التي نراها الآن ، حتى بعد هذا التقسيم الذي لا تعود أصوله الى أكثر من بضع عشرات من السنين ، ظلت قضية الوحدة العربية أملا ومطلبا لشعوب الأمة العربية .

ولقد أدرك الاستعمار ذلك فحاول أن يزيف على الجماهير مشروعات الوحدة، متعاونامع القوى الرجعية التي ترتبط مصالحها بمصالح الاستعمار ، لكن الشعوب على الرغم من ذلك ظلت حريصة على ولائها للوحدة التي تريدها هي ، لا لوحدة الاستعماريين والرجعيين المضللة » .

واتصلت جهود جمال وتلاحقت في تقوية الوطن العربي ونصرته ، فنص الدستور في مادته الأولى على أن الجمهورية العربية المتحدة دولةعربية مستقلة ذات سيادة ، وهي جمهورية ديمقراطية وجزء من الأمة العربية .

٢ – مناصرة الجزائر :

هنالك في الجزائر هب اخوتنا العرب في وجه فرنسا الباغية منذ نوفمبر سنة ١٩٥٤ وحملوا أرواحهم على أكفهم ، واسترخصوا حياتهم ودماءهم وأموالهم في دفاعهم عن ديارهم،ولم تثنهم قلة عددهم، وضعف سلاحهم ، عن مناضلة الجيش الفرنسي المحتل المزود بأحدث الأسلحة وأقواها .

والعجب أن العالم صم عن ندائهم ، فلم تتقدم دولة لتساعد الأحرار على الخلاص من طغيان فرنسا ووحشيتها .

ولم تستطع الدول العربية أن تؤازرهم في كفاحهم الباسل ، لأنها مشغولة بنفسها ، أو مقيدة بسلاسل استعمار آخر .

لكن الجمهورية العربية المتحدة سارعت الى مؤازرتهم ، ولكن جمال عبد الناصر شاركهم في جهادهم ، وناصرهم على عدوه وعدوهم . ظاهرهم بالسلاح ، وناصرهم بالمال ، وآزرهم في المؤتمرات الدولية ، وشد أزرهم بالصحافة والاذاعة وتبصر الرأى العالمي بعدالة قضيتهم .

وحنقت فرنسا على جمال ، فلم يكترث بحنقها ، وعادت مصر فلم تعبأ مصر بعدائها ، واستمر جمال في مناصرة اخوانه بالجزائر ، ليساعدهم على التحرر، لأنهم عضو في جسم العروبة لا بد من سلامته كله ، ولا بد من قوته كله .

ثم أراد الله لثورة الجزائر أن تنتصر ، وأن يتحرر الشعب العربي المناضل في الثالث من يولية سنة ١٩٦١ ، فأسعفته مصر بالمؤازرة والمشورة والخبراء والمال والسلاح .

٣ – مؤازرة العراق :

وآزر العراق في ثورته على الحكم المطلق في ١٦ من يوليو سنة ١٩٥٧ مؤازرة الاخ الوفي الغيور .

ولن ينسى التاريخ أنه كان في يوغسلافيا ،فقطع رحلته ، وعاد ليكون على مقربة من اخوانه الثوار .

ولن ينسى التاريخ أنه منذ علم بثورة العراق أذاع على العالم كله وهومازال في عرض البحر أنه سيناصر العراق على اى تدخل أجنبي أيا كان مصدره ومظهره .

ولن ينس التاريخ أن البطل العربي سارع الى نجدة الثائرين بالسلاح ، ليحموا ثوراتهم ، ويوطدوا حريتهم .

ثم انتكست الثورة حينا ، وشاء الله أن تسترد قواها في ٢٨ من فبراير سنة ١٩٦٣ فكانت مصر اول دولة اعترفت بحكومة الثورة الثانية ، وأيدتها بكل جهودها .

٤ – مساندة السودان :

كذلك ساعد على تخليص السودان من ارهاق الاحتلال الانجليزى ، اذ كانت انجلترا تراوغ في الجلاء عن السودان ، زاعمة أن مصر تريد أن تضمه اليها ، ففوت عليها جمال غرضها ، وأبطل زعمها اذ بادر الى الاتفاق معها على استقلال السودان في ١١ من فبراير سنة ١٩٥٨ ، ثم اعترف بحكومة الثورة في السودان في ١٩ من نوفمبر سنة ١٩٥٨ فتحرر السودان من اغلال الانجليز ، وصار عضوا حرا في جسد الامة العربية .

« أحمد الحوفي »

أين الشاعر الموهوب ..؟

للدكتور: عبد الرحمن عثمان

- ٥ -

كانت أبرز السمات فيما قدمنا عن الشاعر الموهوب خاضعة للروح العلمي الذي ساد البحث كله تقريبا ، وكان شفيعنا في ذلك ما يجب أن تكون دائما على ذكر منه ، وهو أن الفنون تحكمها قواعدها وتضبطها قوانينها التي تقوم عليها مستمدة منها نظامها وتآلفها وانسجامها ، فان الفن في أى مظهر من مظاهره ماهو الا تنسيق وتنظيم للصور والاشكال والمشاعر على نمط يجرى على قواعد وقوانين ناجمة من ذات الفن نفسه، ومستنبطة من طبيعته وأسلوبه، ووافدة من الكيان الفنى الذى ينزع الى ابتكار نموذج سوى يعتمد على الجدة ، وينشد الجمال والاسر فى ابداع يوسم بالتناسق والنظام ، فأما ما يند عن طبيعة الفنون من قواعد وقوانين فهى مجتلبة اجتلابا، وهى لهذا تنبو عند التطبيق عن المجال الذى تراد عليه ، وتبدو غريبة فى موضعها حين يقصد بها أن تحكم الفن وتقعد له .

والروح العلمى الذى نراه مسيطرا هنا ، لاينبغى لطبيقه على الاعمال الفنية بدقة ، وفى كل الاحوال ، فهناك حالات تفاجئنا من النبوغ والنضج لا تكاد تخضع خضوعا كاملا لما يراه البحث العلمى من أسباب طبيعية تفجر المواهب والعبقريات ، وتظهرها كما يشاء لها الابداع أن تظهر ، ومجيئها متباعدة فى أجيال اثر أجيال لا يشفع لنا حين نتجاهلها ، ولايبيح لنا أن نكتفى فى الحديث عنها قائلين : ان ذلك نادر لايلتفت اليه ، وقليل لاينبغي أن يصرفنا عن الكثير المستفيض ، لان ذلك المنطق اذا جاز الأخذ به فى القوانين العلمية المنضبطة فانه لا يجوز بداهة فى المجالات الفنية التى قد يكون النادر القليل فيها خيرا ألف مرة مما كثر وشاع على الألسنة ، فربما ترجح البدوات فى الفن الشعرى مثلا قصائد يحتفل بها شعراء لهم فى عالم التأمل والفكر مقام لا يرقى اليه الا الصفوة من المثقفين .

فاذا نحن لم نغفل أمر هؤلاء الملهمين الذين تأبى عليهم فطرتهم وتستعلى بهم ملكاتهم عن الخضوع لما تراه البحوث العلمية فى تربية المواهب ، وتفجير النبوغ ، وبعث العبقريات ، استطعنا عندئذ أن نطمئن الى سلامة الاسس الثلاثة التى أرسينا عليها منهجنا فى الحديث عن الشاعر الموهوب الذى نترقب ظهوره بيننا .

ولست يائسا من ظهور هذا الشاعر فينا فجأة اليوم أو غدا ، فاليأس معناه تكذيب صريح لما قدمنا فى شأن المواهب والنبوغ فى الميدان الشعرى حين تتوافر الدوافع الى التفلت من التقليد ، والتمرد على مغريات الوزن والملق ، كما أننى لست متباكيا على الشعر الرصين الذى شاهت صوره فى عصرنا ، فالتباكى لا يجمل بمن ينشد الكمال للفن الجميل ، ويتمناه فى أروع نماذجه فى كل قصيدة يقرؤها جيلنا المعاصر .

ولكيلا أتهم بالتحامل على كثير ممن أحب من

شعرائنا الاصدقاء ، أدع الشواهد القريبة من جيلنا تنطق بالحجة ، وتجهر بالدليل تلو الدليل ، اذ لا تجدي مع الحجة مكابرة ، ولا تنشب أمام الادلة لجاجات وخصومات ، وسوف لا أوغل في الماضي البعيد ملتمسا البرهان والاقناع في شعر الذاهبين من القدماء ، بل انى ساختار فترة قريبة شهدها الشيوخ من جيلنا ، وعاش بعضهم فيها شبابا مما اتاح لهم أن يعوا ما جرى فيها من أحداث كبرى ، وأن يصيخوا الى صوت الشعر وهو يعكس صورها بأسلوبه الفريد ، وطريقته الرائعة في وعى ذكى ببواعثها ونتائجها ، سالكا بكل ذلك في تضاعيف النفس العربية ، ومثيرا به أدق مشاعرها وأشدها خفاء ، وهذا النوع من الانفعال بالاحداث الوطنية في الاسلوب الشعرى أقوى كثيرا في تأثيره على الوجدان الوطنى مما نجده من فوران العناصر الكيماوية حين تتفاعل بالمزج في تجارب العلماء في معاملهم ٠

وسيكون أبعد تاريخ نرجع اليه للظفر بهذا هو عام ١٩٠٦ حينما نكل الانجليز بالمواطنين الوادعين في قرية « **دنشواى** » ، ثم نمضى على عجل ملمين بالفجائع التى نزلت بالوطن العربى حتى عام١٩٣١، أو بعده بقليل ٠

وخلال هذه الجولة في تاريخنا القريب سنستمع الى الشاعر العربى وهو يعكس الينا وقع الاحداث الوطنية على نفسه ، وهيجها لشعوره القومى ، واحساسه بالعدوان والبغى فى عقر داره، وسنصيخ الى شعر تهز الحانه أفئدتنا ، وتستثير غضبته عزماتنا ، لأن حشود العواطف الحية فيه تعرف طريقها الى قلوبنا ومشاعرنا كما تعرف رقية الساحر طريقها الى امتلاك النفوس ، وقهر الجوارح ، وسلب الارادة الانسانية بتهاويلها التى لا يستعصى على سلطانها شيء ٠

وحينما نوازن بين شعر تلك الفترة وبين ما نقرأ من شعرنا المعاصر في تصوير الاحداث الوطنية ، سندرك البون الشاسع الذى يفصل بين شعر وشعر ، ويرفع شعراء على شعراء فى موضوع التحدث بواعثه أو تقاربت ، وسوف تميز أسماعنا ـ دون كلفة ـ ما يشجيها بنغمته الساحرة ، وما يقرعها بصخبه ونشازه ، وبهذا المنهج وحده سنعرف السر الحقيقى في تخلف المواهب ، وقصور الملكات عند كثير من شعرائنا الذين نعقد عليهم الآمال في استحداث أسلوب فني يكون أدنى الى اثارة عواطفنا باشتماله على الأصالة والصدق ٠

ـ ١ ـ

نصب الانجليز المشانق في قرية دنشواى الهادئة المطمئنة عام ١٩٠٦ ، وكان من قصدهم ان تكون الدرس الرادع لكل مصرى تحدثه نفسه بأن يرفع هامته فى وجه جنود الاحتلال الذين يعبثون بالارواح والاموال فى غير مبالاة وفى كثير من الاستخفاف بالرعية والحاكمين على السواء ، وقد كان لهذه القسوة البربرية أثرها العميق فيما نجم عنها من نتائج سياسية وشعورية ، اذ كانت بمثابة مأتم للحرية تخطت أحزانه حدود مصر والعالم العربى الى عواصم العالم كله ، فعرفت الشعوب امتهان انجلترا للنفوس الانسانية ، واراقتها للدم البريء فى سبيل اقرار سلطانها والابقاء على هيبتها في وادى النيل ، وكان فيمن جهر بذلك وندد به الكاتب الانجليزى الايرلندي المشهور « برنارد شو » ٠

وقد انفعل بهذا الحادث المروع كبار الادباء حينذاك، كما سارع الى تسجيله الشاعران العربيان: حافظ ابراهيم وأحمد شوقي ، فأما حافظ فقد لمس الجرح في أكثر من مناسبة ، وأما شوقي فقد عز عليه الا يشارك الامة فى مصابها ، فنظم قصيدته المشهورة بعد عام ٠٠ !! حين تغيرت الاوضاع فأحس بالامن على ما هو معروف مشهور ٠

ولست متخذا من مجرد تسجيل الشاعرين لفظائع دنشواى دليلا على التفوق والافضلية، فالشعر المعاصر نهض بتصوير نكبة فلسطين ، والعدوان الثلاثى الغادر ، كما أكثر في الحديث عن سماحة النظام الاشتراكى وعدالته ، ولكن الذى أقصد اليه هنا هو التأثير الذى نحس به حين نقرأ لشاعرى مصر الكبيرين في تلك المناسبة الوطنية التي لا يمكن أن

تقاس أهوالها على ما فيها من بشاعة بالاهوال التي اعقبتها في نفوسنا نكبة فلسطين ٠

***

ولشعرائنا المعاصرين أن يطمئنوا كل الاطمئنان الى أنني سوف لا أمنح شعراء أوائل هذا القرن **«عين الرضا»** فأتغاضى عن عيوب لصقت بأشعارهم ، وبخاصة فيما نظم حافظ وشوقي حول مأساة دنشواي ، فلست ـ والحمد لله ـ ممن يمجدون كل سابق لسبق زمانه ، ويناوشون الناشيء المحدث ذهابا مع من يقول : ان زامر الحي لا يطرب ، وانما هي الموهبة الشاعرة تطالعني حينا بعد حين عند حافظ وشوقي ، على حين أنها تسدل نقابا على محياها في شعر كثير ممن تعاصرهم وتقرأ لهم ٠

ومع ذلك ، فلن يستفيد الشعر المعاصر شيئا حين أزعم للقراء أنني غير حفي بما نظم حافظ وشوقي في فجائع دنشواي ، فهو عندي دون ما أقرأ لشوقي من روائع تخلب اللب وتسمو بالروح ، ودون ما أجده لحافظ من فخامة وحسن سبك ، فقد خالط شعورهما وجل من المستعمر جنح بهما الى حيطة شديدة نعرفها لشوقي طوال حياته ، ولا نعرف مبرراتها عند حافظ ابراهيم قبل استقراره في الوظيفة عام ١٩١١ ٠

ولا تكاد تجد لديهما الا بعض أبيات يجيش فيها الشعور الوطني الجريح ، فأما ماسوى ذلك فلا يعدو ان يكون رصف عبارات مذعورة صيغت في ظلال الخوف ، وامسك زمامها الاضطراب والحذر ، ولكن على ما بها من فتور عاطفي ، وفزع يخالط المشاعر والاحاسيس تجدها تفوق شعرنا المعاصر ، وتبزه في مجال الموازنة والتفضيل ٠

وندع تفصيل ذلك الى مقال آخر ٠

«د ٠ عبد الرحمن عثمان»

الهوى السحري

للشاعر : حسن عبدالله القرشي

عيشي بأجواء الهوى السحري
وتفجري نهرا على صدري !
وتنفسي عطرا على كبدي
أفديه بالصبوات من عمري
وترقرقي لحنا ربيعيا
فيه حكايات الهوى تسري !
أنا منهل الأشواق يا أملي
نبع الهوى بقيثاري يجري
قد عشت حبا للورى ومنى
تغذو صباك وسائل شعري
ولقد كتمت الشوق اجمعه
حتى بدوت فعقني صبري
وتأرجحت في خاطري صور
وانشق عن ليل سنافجري
فاذا رأيت بخافقي لهفا
وخشيت يكشف للورى سري !
واذا شهدت بناظري ولها
أو غيرة من حيث لا أدري !
فتذكري أني فتى خلقت
خلجاته للحب والطهر !
حاشاك خذلان الهوى فدعي
هذا الرماد يطير عن جمري !!

على هامش المعارك الأدبية

لهجرة جديدة

ولكن بأجهزة فكرية جديدة

بقلم: محمد السواوى

لم يكن فى نيتى – فى هذا الأسبوع بالذات – أن اتابع الموضوع الذى اثرته فى العدد السابق ، بعد ان التقطت الخيط من كلمات أربع ٠٠ وردت فى مقال ممتع ٠٠ للأخ الزميل الأستاذ عبده بدوى حول « **اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية** » ٠

ولكن يبدو ان الزميل – كفنان – تفرغ لفن الاثارة فاحسنه ٠٠ واثبت انه يستطيع ان يلقى أحجارا على اى سطح ساكن فيحركه ٠٠ او أن يحدث تيارا فى اى ماء آسن فيجريه ٠٠ ولقد استطاع فعلا أن يثير فزعى من التكتلات القاهرية ٠٠ التى عرض لها وهو ينقل الينا بعض ما جرى فى المهرجان الثقافى الذى دعا الى عقده فى المنصورة محافظ الدقهلية المثقف ٠

ولم يثر فزعى من التكتلات فى ذاتها ٠٠ أو من الخلافات التى قامت بينها ٠٠ فانا اعرفها ومتتبع كل عراكها ٠٠ ويستوى عندى أن تكون المنصورة هى المعترك ٠٠ أو أن تكون القاهرة ٠

انما اثار فزعى أن أتبين أن النقطة التى مررت بها كريما فى مقالى ٠٠ ولم اشأ ان اركز عليها ٠٠ كان من واجبى ان اطيل الوقوف عندها ٠٠ وكان من حقها أن ينصب المقال انصبابا عليها ٠

والهب شعورى بهذا النقص ٠٠ مقال آخر فى العدد السابق نفسه٠٠ نسب فيه عالم كبير الى أديب كبير انه قال فى محاضرة له القاها على الطلبة العرب « ان فكرة الحرية بمعناها السياسى والمدنى فكرة لا تقاليد لها فى المجتمعات العربية أو فيما نبع عنها من فلسفات الفلاسفة أو فقه الفقهاء أو أدب الأدباء ٠٠ الخ الخ » ٠

والنقطة التى مررت بها كريما هى قول الزميل « ان من اليسير – وكافة الأيديولوجيات التى تحكم الانسان واقتصاده فى عالم اليوم الى جزئيات من كليات الاسلام الشاملة ، والنقص الذى وقعت فيه٠٠ هو اكتفائى بالقول ان « هذا كله حق ٠٠ولكن مهمة اقناع الجيل الاسلامى المعاصر بهذا الحق ٠٠ مهمة شاقة ٠٠ بسبب الأجهزة التى استوردناها ٠٠ واصبحت تدير طريقة التفكير فينا » ٠

هذه الأجهزة المستوردة ٠٠ كان من حقها ان تظفر بحصة الأسد من المقال ٠٠ لأنها سر تكتل الكتل ٠٠ وسر خلاف المنصورة ٠٠ وسر المعارك التى تدور بين بعض الصحف والمجلات فى القاهرة ٠٠ وتبلغ حد الضراوة أحيانا ٠٠ وتمس العقائد الدينية والمذاهب الفكرية مسا عنيفا فى بعض الاحيان ٠

هذه الأجهزة المستوردة ٠٠ هى التى تفرق بين ابناء الوطن العربى الكبير ٠٠ وهى التى تمزق أواصر الود ووشائج الحب بين الاخوة فى الوطن الاسلامى الاكبر ٠٠ وهى التى تحارب فكرة « اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية » ٠

اسلوب خطر فى التفكير ؟!

والحقيقة التى لا محل لتجاهلها ٠٠ أن الجيل الحديث ٠٠ المثقف ثقافة أوربية أو امريكية له جهاز تفكيرى يدير رأسه على مفاهيم معينة ٠٠ ويتسلل الى وجدانه بمشاعر معينة ٠٠ ويربى فى كيانه أذواقا

معينة .. تتباين تماما .. مع المفاهيم والمشاعر والاذواق العربية والاسلامية ..

وهذا الجيل الحديث له خطره . والاستهانة به غفلة .

وهو اذا لم يكن اليوم صاحب الصدارة المطلقة في الحقول الاسلامية .. فتحت أستار الغفلة يستطيع غدا أن يتسلل الى مراكز الصدارة .. ويقذف بالحضارة الاسلامية الى متاحف الفكر .. أو الى التراث القصصي لألف ليلة .. وشهريار .

وقد لا يستطيع أن يلحق الأذى بالاسلام كعبادة .. ولكنى اتحدث عن الاسلام كحضارة ..

وقد يستطيع علماء المسلمين أن ينشروا الاسلام في بعض المجاهل .. بل أن يصلوا بنوره الى كثيرين من المستنيرين — على المستوى الفردي — في أمريكا مثلا .. ولكنى — مرة أخرى — اتحدث عن الحضارة الاسلامية — وهي القضية الام — التي يمكن ان تؤدى دورها الضخم في هذا العصر .. الدور الذي يريد الزميل انزاله « الى حياة الجماهير التي تعتبر السند الحقيقي له » والذي تخوض كما قلت — ومن اجله — غمار معركة رهيبة ضد الحضارة المادية .. والذى قلت وأعيد القول أن هذا العصر بالذات مهيأ لقبول هذا الدور بعد أن دخل عالم المادة كله — وبغير تفريق مذهبى — في الفراغ والضياع والملل .

ولست أتهم الجيل الحديث المثقف بالجهالة .. ولا أحب أن أقول ان كل هذا الجيل لا يعرف شيئا عن تاريخ الاسلام .. او أنه يعرف هذا التاريخ ويتعمد خيانته .

وانما أقول أن هذا الجيل الحديث محكوم بجهاز معين في تفكيره .. مشدود الى أسلوب نشىء عليه .. ولم يعد قادرا على تحرير رأسه منه .. فاذا لم نستطع ونحن على أبواب نهضة علمية عربية أن نستهوى عقله وذوقه ومشاعره باسلوبه وبطريقته .. وباحدث وسائل الاعلام التى تثير اهتمامه بحضارتنا وبتاريخنا — وهم قبل كل شىء بضعة منا ودماؤهم من دمائنا — فلا أستبعد أن يفلت الزمام منا .. وأن يحدث هذا الجيل تخريبا فكريا في أجيال كثيرة قادمة على الطريق .

الذين يعلمون .. أشد خطرا :

ولو أن الأمر يقف عند الذين لا يعلمون .. لهان .. ولكان من الميسور أن تفتح عيونهم على حضارة الاسلام .. وأن تنتقل بهواهم من لندن وباريس الى القاهرة وبغداد ولكن هناك فريقا يعلم .. وحصيلته من العلم لا يستهان بها .. وبعضهم تفرغ زمنا غير قصير لدراسة الحضارة الاسلامية والتاريخ الاسلامى وبعضهم أوغل في الأدب العربي أو تخصص في الفلسفة الاسلامية ولكنه تلقى هذا كله بفكر أوربى شأنه شأن بعض المستشرقين .. من الصنف الذى لم يستطع أن يهضم الحضارة الاسلامية .. ولم يستطع أن يستلطفها .. لأنه لا يملك جهاز استقبال لمحاسنها .

أولئك هم جماعة المتعبين من الذين يعلمون .. ان لهم حصيلة من المعرفة شكلت حياتهم واذواقهم ومشاعرهم على نحو معين .. وهم مشدودون الى استخدام هذه الحصيلة في محاربة الحضارة الاسلامية بسبب الاجهزة التي تدير رؤوسهم .

والسؤال الذي اطرحه الآن هو :

— هل من الخير ان نتجاهل هذا الفريق من الأبناء .. وندعهم ماضين في الضلالة ؟ لنمضى نحن في « الهجرة الجديدة » التي دعا اليها الزميل **عبده بدوى** ؟ ام ان الخير ان نقوم بعملية مصالحة .. وان نعالجهم بالطرائق التي تستهويهم وان نستفيد الصالحين منهم الى حضن الفكر الاسلامي قبل ان يستهووا هم عددا آخر من جيلنا الصاعد ؟

ان هؤلاء الشبان يسهمون مثلا في استيراد الجديد من الفنون كالمسرح والشاشة .. فلماذا يقيم بعض المتزمتين منا .. سدودا بين الاسلام وهذه الفنون ؟

ان هؤلاء المثقفين ثقافة أوربية .. يرون — وبحق — في خشبة المسرح وشاشة السينما فكرا رفيعا يفتح آفاقا رحيبة أمام المعرفة الانسانية ويثقف العقل والقلب معا من مقومات النهوض .. وتاريخ الاسلام فيه من « الخامة الدرامية » ما لايحلم به تاريخ مماثل .. والدولة تغدق بالملايين على الانتاج المشترك بيننا وبين المنتجين العالميين .. فلماذا لاتحتشد لحضارة الاسلام يحملها المسرح والشاشة الى كل أرجاء العالم ويحاول اقناع أبناء العصر الحديث ان الاسلام يستطيع « أن يقول كلمته في كل شىء » ؟

المعارك الجانبية :

أذكر هذا كله .. بمناسبة المعارك التى تدور الآن بين الكتاب الأعلام في « الرسالة » وزميلة لها ضد هذا الصنف من أبناء العرب الذين يفكرون بعقل أوربى ..

واذا كانت المصالحة لا تفيد .. فهل الخير أن نبدى الرأى في هذه المعارك نفسها ؟

نمضى في المحاولة ..

ولعل القارىء قد أدرك أني أعنى هذه المعارك التى

تدور على صفحات « الرسالة » و « الثقافة » ·· وتسدد «قذائفها «الى»خصومها » الرابضين فى بعض « القلاع » ·· أو المنتشرين على رقعة فسيحة من هذا الكوكب يحاولون ان يرفعوا « أعلام الاسلام » من طريقهم حتى يبسطوا سلطان «المادية» على البشر ·· وباسم العلم ·· وتحت ستار المحبة ·· وفى الناس المسرة ·· وعلى الأرض السلام ··

ولكن المعارك جانبية ؟!

وعلى الرغم من اعجابى ببعض السواعد المفتولة التى يقاتل بها كتاب «الرسالة» خصومهم فى فدائية وفتوة — ولا محل اليوم للاسماء — فان لى بعض الملاحظات على هذا القتال ·· أرى أن من « واجبى » كمسلم أن ابديها ··

نعم ·· الاحظ — والملاحظة لا تغض من جلال المعارك — ان هذه المعارك جانبية ·· ودجامع بينها ·· ولا اتفاق بين انصار الاسلام على اى تخطيط لها ·· بحيث يخيل لى احيانا ان كل كاتب منهم يألم للعقيدة او للحقيقة فيختار سلاحه ويحدد اتجاهه ويندفع بقلبه وضميره الى المكان الذى يحب ان يقذفه ليطلق القذيفة منه ·· رجاء ان يصرع أحد الخوارج ·· ويمضى ·

والاحظ أيضا — ولعل هذه الملاحظة أشد خطرا — أن زمام المبادأة فى أيدى خصوم الاسلام دائما ·· وان كتابنا المسلمين انما يخوضون العراك ردا لهجوم من جانب الخصوم ·· هجوم ماكر غير سافر ·· وهجوم بارع ينطوى على استفزاز فنى ·· من الباطن ·· وعلى براءة براقة من الظاهر ·· وقد تجد هذه البراءة عند القراء السذج ·· شيئا من العطف عليها ·· بحيث يتبدى « الأبرياء » فى صور المظلومين والشهداء ·· ويتبدى كتابنا المسلمون ·· فى صور المعتدين الأشداء ·· وان كنت أستثنى من هذه الملاحظة كتابا كبارا فى المجلتين ·· لهم فى نفسى مكانة ·· ومن بينهم مؤمنون صادقون ·· أصروا على الكفاح ومشوا فيه شجعانا · يبصرون طريقهم ·· ويكشفون فى جرأة نوايا الخصوم ·· ولا يملون مواصلة الحملات شهورا بعد شهور ··

هؤلاء ·· أستثنيهم لأنى لا أعنيهم ··

ما هى الأهداف ؟

واذا كنت أحب أن أسال أصحاب المعارك الجانبية عما وراء معاركهم ·· أو عن أهدافهم منها ·· فانى أحب أيضا أن احدد هدفى من هذا التساؤل ·· وأحب أن أحدد ما أعنيه من كلمتى « المعارك الجانبية » ·

وما أهدف اليه من وراء الملاحظات التى أبديتها ·· والعلاقة بين هذه وبين الدعوة الى « اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية » ·

اقول : لو ان قارئا راجع اى عدد من اعداد « الرسالة » او « الثقافة » لوجد فيه ذخيرة كبيرة ·· من الذود عن الاسلام والعروبة واللغة العربية والفلسفة الاسلامية ·· ولشعر بالزهو يملأ صدره ·· وبالفكر يملأ رأسه ·· وبالقيمة تملأ قلبه ·· وبالعقيدة تملأ وجدانه ·· وهو يطالع هذه الفصول الضافية ·· ولكنها — وعلى الرغم من هذه الغزارة فى كل فصل منها — لا رابطة كما قلت بينها ·· ولا تخطيط يتجه بها الى الهدف الذى كان ينبغى أن تستهدفه وهو الدعوة الى البعث الحضارى المسلم الذى يأخذ الطريق على خصوم الاسلام ·

وللبيان ·· أمامى الآن عددان ·· من المجلتين الحبيبتين ·· فاقرأ فى « الثقافة » مقالا ضافيا — أو حلقة بارعة من سلسلة حية — عنوانه «الناظرون بعيون الغير » ·· ثم أقرأ بعده مقالا ممتعا لعالم كبير أجله عنوانه « اللغة العربية » ·

وفى المقال الاول حديث ممتع عن « فريق يتربع على صدر امتنا» ولكنه « يدفعها دفعا عنيفا الى المنحدر الخطر بانفصاله عنا فى الفكر والشعور ·· وفى التقاليد والسلوك » ثم يرى الكاتب — بحق — ان « الدعوات المريبة الى اصطناع العامية لغة للانتاج الأدبى » ليست « سوى تطبيق غير مباشر لهذه الانفصالية » وهو يرى أنه « لو قدر لأولئك يوما ان يفرضوا على شعبنا فكرهم ·· لا أقول ستحدث الكارثة ، بل اقول بهدوء سيجد هؤلاء الماديون أنفسهم وبأيديهم لجام ·· فر الجواد منه » ثم يقول « ومن أخطر نماذج الرؤية بعيون الغير أولئك الذين يستوردون لنا من خارج الحدود مذاهب ومعايير ليعرضوها علينا دون تقدير لخصائص شعبنا كما يفعل بعضهم فى محاولة ربط اشتراكيتنا العربية بالرباط الماركسى » ·

وفى المقال الآخر للعالم الكبير حديث ممتع عن « اللغة العربية » وكيف « نبتت فكرة فى بعض الرءوس التى تسكنها الشياطين ولا يعمرها ايمان ·· » ان « ينزلوا الكتابة من علياء العربية الفصحى الى حضيض العامية » ثم بين الكاتب العالم أنهم انما يفعلون هذه الكبيرة لعجز فى الكتابة اتسموا به ولانهم يريدون أن تستمر الفرقة بين العرب « فان الفصحى تجمع والعامية تفرق » ·· ولانهم يريدون « قطع العرب عن ثقافتهم وصرفهم عن ماضيهم » ·

وأدع الفنانين .. بعض اللحظات .. لأنتقل الى « الرسالة » ومقال فيها عن « الفلسفة الاسلامية في جامعات اوربا » — وهو ايضا حلقة ممتعة من سلسلة مقدورة — تحدثنا عن طائفة الرهبان الدومينيكان خصوم الفلسفة الاسلامية في الجامعات الأوربية في العصر الوسيط .. وما صنعوا بابن رشد .. الأندلسي وآرائه .. وعن ديكارت وكيف نقل عن الفارابي تقسيمه للعلوم ونسبه — أي ديكارت — الى نفسه وجعله من قواعد منهجه وجحد فضل الفارابي .. الخ الخ .

وفي الرسالة مقال عنوانه « دفاع عن الطهطاوي » .. استهله كاتبه العالم .. بأن نقل الينا قول أديب مصري كبير في محاضرة له القاها على الطلبة العرب « ان فكرة الحرية بمعناها السياسي والمدني فكرة لا تقاليد لها في المجتمعات العربية أو فيما نبع عنها من فلسفات الفلاسفة أو فقه الفقهاء أو أدب الأدباء »

ولقد استطاع الكاتب العالم أن يخب ويوضع .. في تسفيه هذا الرأي القريب من الكاتب الأديب الذي قال به .

وفي عدد « الرسالة » نفسه .. مقال للاستاذ الزميل عبده بدوي عن مهرجان المنصورة .. استطاع فيه أن يثير فزعي وهو يرسم صورة للتكتلات القاهرية التي عرض لها وهو ينقل الينا بعض ما جرى في المهرجان الثقافي والخلافات التي ثارت بين الأدباء المدعوين اليه حتى لقد « قال زميل : ان هناك هجوما على الماركسية وعلى المسيحية .. وعلى بعض الأشكال الجديدة في الأدب .. ولم نشأ أن نرد على هذه الموجة بأن هناك هجوما على الله وعلى نبيه وعلى العرب والاسلام والوحدة والقومية لئلا يزداد الجرح ولكنا آثرنا ان نذكر أن المقالات التي كتبت .. كانت مناقشة للماركسية كأية فلسفة من الفلسفات وان الله اذا كان يناقش في هذه الفترة فان ماركس لابد أن يناقش وأنه لا توجد كلمة واحدة تهاجم المسيحية بل هناك دفاع صريح عن المسيح حتى تحول في شعر بعض الشعراء المسيحيين الى ماكر وعنكبوت وباصق في الوجوه » .

القضية الأم ..

وليس في نيتي أبدا أن أعارض اتجاها من هذه الاتجاهات التي قامت عليها هذه الفصول في المجلتين بل لعل الخواطر تواردت عندي وعندهم في بعض المواقف فقلت في مقال السابق في الرسالة تعليقا على رأي للاستاذ عبده بدوي « وهذا كله حق .. ولكن مهمة اقناع الجيل الاسلامي المعاصر بهذا الحق .. مهمة شاقة بسبب الأجهزة التي استوردناها .. وامست تدير طريقة التفكير فينا » ثم جاء كاتب « الثقافة » يقول : « الذين يستوردون لنا من خارج الحدود مذاهب ومعايير .. الخ الخ » ونحن اذن على اتفاق حتى في استخدام كلمة « الاستيراد » .

ولا يمكن أن اختلف مع هؤلاء الكتاب الأجلاء في قضية الفصحى والعامية .. بل اني أنوي أن أثير هذه القضية على صفحات « الرسالة » قريبا .. ومن زاوية المسرح .. بعد أن تورطت أنا شخصيا في كتابة مسرحيتي « غلطة العمر » بالعامية .. وافتتحوا بها موسم « المسرح الحديث » القائم .. ولا أزيد الآن حرفا .. قبل أن أثير القضية على مستوى التكامل .

والتعقيب الممتع الذي جرى به قلم الزميل على ما جرى في المهرجان لا يحوجني الى ترجمان .

وانما الذي اريد ان اقوله — وانا اؤيد دعوة الزميل الى « اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية » .. ان هذه المعارك الجانبية كما أسميتها — أو القضايا الصغيرة كما سميت في مقال المهرجان قد تصرفنا عن الدعوة الخطيرة الى القضية الأم .. قضية الحضارة الاسلامية والبعث الحضاري كله . ان أقلام هؤلاء الأعلام الذين يكتبون في « الرسالة » وزميلتها .. مدعوة لقضية كبيرة وخطيرة .. تلقف كل ما صنع خصوم الاسلام .. بالأمس .. وكل ما يعدونه للاسلام من خبث ودس .. غدا وبعد غد .

ولا أعني أن أهيب بالكتاب الاعلام أن يهادنوا العامية في اللغة .. ولا الأشكال الجديدة في الأدب والفن .. ولا الأجهزة المستوردة في التفكير .. وانما أهيب بهم كما أهبت بالزميل عبده بدوي وصحبه .. أن يتلاقوا عند القضية الأم .. وأن يخططوا للبعث الحضاري الاسلامي على المستوى العالمي .. وبالطرائق العلمية .. وبالأساليب العصرية .. وبوسائل الاعلام البارعة التي تملكها اليوم بلادنا بوصفها قاعدة وطليعة ..

« اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية » هي وحدها السلاح .. وهي وحدها العلاج .. وهي وحدها صانعة السلام .. وهي وحدها التي تملك أن تعيد تشكيل الحياة .. وكما تدخلت مرة في مجرى التاريخ فحولت مجراه .. تستطيع أن تتدخل مرة أخرى .. وتحول من جديد هذا المجرى .

وهذا هو كل ما أردت أن أقوله .



[إليها بعد سنوات من القطيعة .. كان فيها الحصاد .. فهذا الرماد]

للشاعر: إبراهيم محمد نجا

كنت يا فتنتي اذا مسني عتـ بك أمضي ، وملء نفسي بكاء
فاذا ما هجرتني .. ضاع مني كل ما اشتهي ، وضاع الرجاء
ورأيت الأيام .. أيام عمري تتهاوى . كأنها أشلاء
قد جفاها الربيع وهو حياة وطواها الخريف وهو فناء
ان أتاني النهار سرت وحيدا ووحيدا تضمني الظلماء
اسكب الدمع والخفاء شهيد هل يصون الدموع الا الخفاء ؟
وتناديك ـ حيث كنت ـ حياتي فيهز الوجود هذا النداء
فاذا ما أتيت صورة حب صورتها الرسائل الزرقاء
هزني سحرها ، لعاد الى قلـ بي ربيع المنى ، وعاد الغناء
وتجلت أيامه زهرات عا نقتها أفراحها الغراء
وسقاها روح الحياة غدير مستهام ، وربوة عذراء
وانطلقنا الى الفضاء .. وهل يطـ لق روح الشباب الا الفضاء ؟
هكذا كنت حين عشت بقلبي وهو في الحب جذوة حمراء
هكذا كنت حين هزت كياني ووجودي العواصف الهوجاء
هكذا كنت حين نضر أيا مي حنان ، وكلمة خضراء
فانظري الآن .. قد نسيت غرامي حين مستك سلوة وعزاء
وفقدت الرجاء فيك ، وعادت روضة الحب ، وهي منك خلاء
وعجيب أني أعيش بقلب غادرته الأشواق والأهواء
وحياتي بحيرة نام فيها كل صوت .. ونامت الأصداء
فكأني لم يعرف الحب قلبي لا .. ولا مر في حياتي نساء
وكأني وما رأيتك يوما فاعترتني من رؤيتي أشياء
وكأنا وما التقينا ـ على البعـ د ـ ولا ضمني اليك المساء
وكأني ما صنعت فيك من الأشـ عار سحرا يشدو به الشعراء
آه مما جرى ، فصير قلبي مثل نبع يغيض فيه الماء
آه مما جرى ، فصير عمري سرحة عاث في صباها الشتاء
آه مما جرى ، فجفف احلا م شبابي كأنها أنداء
أسعيد انا ؟ لعل سعيد ولعل يمتص عمري الشقاء
انا صمت .. لكنه صمت قبر لغريب تضمه الصحراء
انا صوت .. لكنه غير مجد في حياة أصداؤها ضوضاء
انا طير يحيا بغير جناح وشراع تهوى به الأنواء
انا طيف يمضي مع الناس .. لكن ليس يدري بسره الأحياء

ورماد قلبي ... وكان لهيبا يتسامى فيه اللظى والضياء
فاعيدي لي اللهيب الذي كا ن ، ففيه لنار قلبي غذاء
وكفاني اني اسير على الدر ب غريبا .. يبكي له الغرباء
واعذريني اذا قسوت ، فالشعـ ر جماح ، وللهوى غلواء
واذا ماقرات شعري فلا تخـ دعك منه الأوصاف والأسماء
ربما تومىء الظلال الى النو ر بأيد في طيها الاضواء
وتعالي .. لعلنا نتلاقى بعد ما ضاع من يدينا اللقاء
فيعود الهوى باجمل ايا م ، وفي ظلنا يعود الصفاء

عاشقة البحر

للدكتور: عفيفي محمود

صارعي البحر ... صارعيه وباعدابك أصرعيه !!
ذوبي ملحه ... وذوبي فيه شهدا ... وعطريه !
واسكبي من لماك فيه يجر خمرا ... واسكريه !!
ياله عاشقا عجوزا ... هام بالحسن ... يفتديه
ويحه من هوى الغواني آخر العمر ... يبتليه !
اكسبي موجه شبابا ثم عودي ... فشيبيه !!
جن حتى استحال وحشا همجيا ؟ ... فروضيه !
واذا ما أتاك وثبا طامعا فيك ... فاردعيه
فاذا ما انزوى عبوسا عاتبيه ... وصالحيه !!
او أتى عابثا ضحوكا عابثيه .... وضاحكيه
خاصريه ... وراقصيه لا عبيه ... ودوخيه !
واجعلي موجه سريرا زنبقيا ... وهدهديه
واركبي متنه بساطا ولما شئت سخريه !
فاذا ما شبعت منه فاهجريه ... وعذبيه
قبل أن تغرقي ببحر الـ حب ... في الحب أغرقيه !
واذا كان ليس يدري كيف يهوى ... فعلميه !!

القصة العربية القديمة

للدكتور أحمد كمال زكى

- ٣ -

قبل أن نتعرض بالذكر للقصص الشعبية التى ذكرنا منها فى مقالنا السابق « الأميرة ذات الهمة » و « عنترة » و « سيف بن ذى يزن » يجب أن نعيد النظر فى رصيدنا القصصى ابتداء من القرن الرابع الهجرى . وفى هذا الصدد تلقانا رواية ابى بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٥ / ٩٤٦ فى كتابه « الأوراق » التى يقول فيها ان الناس فى زمانه كانوا يتداولون كتب الخرافات كأحاديث السندباد وعجائب البحار والسنور والفار . وذكرت من قبل أن نساء القصر ـ وكن قد تسلطن على الخليفة والحكم ـ رحن يدعون الى مثل هذه القصص .

كان ذلك فى القرن الرابع .وعامة الناس تنصرف عن مجالات العلم مكتفية ـ على أحسن الفروض ـ بأهونها مما يجرى مجرى القصص ، من ذلك «كتاب من عاش بعد الموت » وهو حكايات قصيرة كتبها فى نهايات القرن الثالث أبو بكر أبى الدنيا القرشى، ومنه ايضا « كتاب المجالسة » لأبى بكر أحمد بن مروان الدينورى المتوفى سنة ٩٢٢/٣٣١ وبعضه مفقود ولكن ما بقى من أجزائه ـ وهو مطبوع ـ يدل على أنه مجموعة من القصص والمقامات والأحاديث الطريفة، وهذه بطبيعة الحال لم تسم الى مرتبة أحاديث ابن دريد ومقامات بديع الزمان.

ويبدو أن كثيرا من العلماء أسهم فى الحركة القصصية بطريق غير مباشر . فأبو بكر محمد ابن جعفر الخرائطى السامرى المتوفى سنة ٣٢٧/ ٩٣٨ يضع « كتاب اعتلال القلوب فى أحاديث المحبة والمحبين، وهو قصص عن عشاق العذرية والصوفية، وأبو على المحسن بن على التنوخى المتوفى سنة ٣٤٢/ ٩٥٣ يضع « كتاب الفرج بعد الشدة » وهو مجموعة من الحكايات والنوادر قيل انها لوالده ، وهذبه بتصرف محمد عوفى فى « جامع الحكايات وجوامع الروايات » ، ثم رفعه الى أحد سلاطين الهند فى القرن السابع الهجرى ، وترجم الى الفارسية والتركية أيضا ، وقد حاول « اوزن » فى مجلة الساميات الألمانية أن يربط بين احدى قصصه ورواية جوته الألمانى « عروس كورنت » على الرغم من اختلاف الباعث فى كلتيهما على ما لحظ بروكلمان فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » .

ومن الضرورى أن نذكر أيضا أن للتنوخى يدا أخرى فى مجال القصة ، وذلك أنه ابتداء من عام ٣٦٠ وضع «كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» فجاء بعد عشرين عاما جامعا لكثير من الحكايات والأخبار . وهى فى رأينا لا يمكن أن تكون قصصا خالصا ، وانما من قبيل الروايات التى تختلط فيها الحقائق بالخرافات والأساطير التى نراها عادة فى أول جزء من أجزاء كتب التاريخ المشهورة .

ويجب أن نقرر أن كثيرين من الفرس دخلوا ميدان القصة . حقا كان دخولهم فى الواقع قديما

ـ فقد ذكرنا أن موسى الأسوارى كان يقص فى القرن الثانى بالفارسية والعربية ـ الا أنهم زادوا فى هذه الفترة ، وبسطوا للعامة كل ماعرفوه عن « خداى نامه » و « الشاهنامه » التى عرفت طريقها الى العرب منذ بدأ النضر بن الحارث يخلف الرسول فى مجلسه متحديا ·

وهكذا نستطيع أن نقول ان القرن الرابع كان ازهى عصور القصة العربية القديمة ، وقد توجت المجهودات فيه بوصول آثاره الى الأوربيين · وربما كان من تلك الآثار ما كان منقولا الى العربية كألف ليلة وليلة ، وما يحمل شبهة الترجمة ككليلة ودمنة، غير أن كثيرا منه كان عربيا خالصا ، فاذا اضفنا اليه ما وضع فى القرنين الخامس والسادس الهجريين كانت المحصلة المقامات ورسالة الغفران التى كتبها أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ١٠٥٧/٤٤٩ وحكايات ابى القاسم البغدادى التى الفها محمد بن احمد المطهر وترجمها آدم ميتز سنة ١٩٠٢ وحى بن يقظان التى ألفها محمد بن عبد الملك بن طفيل المتوفى سنة ١١٨٥/٥٨١ ·

وبغض النظر عن المقامات التى عرضنا لها لمحا فى مقالنا السابق ذاكرين أنها أثرت فى قصص الشطار الأسبانية على وجه الخصوص ، وعن كتاب أبى القاسم البغدادى الذى لا يخرج عن أن يكون مغامرات وطرائف وغرائب لأحد شيوخ بغداد الطفيليين ، فانه يخلص لنا عملان مهمان لايذكرهما الدارسون ـ للعجب ـ فى معرض القصص العربى : أولهما رسالة الغفران ، وثانيهما قصة حى بن يقظان !

أما رسالة الغفران فهى ضرب من القصص الرفيع يبعد كل البعد عن قصص العامة المبتذلة عن قصص الخاصة التى ينقصها النضج الفنى المطلوب ، وهى على الرغم من غرابة أسلوبها وصعوبته ، تقدم عملا قصصيا رائعا استوحاه المؤلف العظيم من الفولكلور الاسلامى وبعض التفاسير ·

والقصة فى تخطيطها العام وبعد حذف الفضول وبغض النظر عن حذلقة أبى العلاء لا تخرج عن أن تكون رحلة للعالم الآخر ، وهذه الرحلة موجودة فى كل أساطير الشعوب القديمة لا سيما أساطير الاغريق واليونان · وليس يمنع الاعتراف بعبقرية المؤلف أن يقال ان ابن شهيد ـ معاصره المتوفى سنة ٤٢٦ ـ سبقه الى تأليف « التوابع والزوابع » فان أبا العلاء يحلق فيها تحليقا لا يقل خطورة عن تحليق القاص الشعبى فى السير المشهورة ·

وتقرر بادىء ذى بدء أن القصة يعوزها «الشكل» القصصى العام ، ولكنها مع ذلك فى القمة لا سيما اذا عرفنا أن كثيرا من الأعمال القصصية الرائدة ينقصها هذا الشكل ، باستثناء المقامات بطبيعة الحال · بل ان أبا العلاء يبدو فيها كما لو لم يكن فى ذهنه اى تخطيط لأى شىء سوى أن يؤكد احاطته الهائلة باللغة وبأعلام الأماكن والقبائل والطوائف والأشخاص · لقد كان بحسبه الأفكار دون ما حاجة الى « الجنس الأدبى » و « الأسلوب الفنى » ومع ذلك فقد أوجد « الاطار » من العدم · أو لعلنا نكون أكثر اصابة لو زعمنا أنه بنى الشكل الذى لا يدخل تحت أى « جنس » أدبى أو « نوع » أدبى له حدوده المقررة · وهذا الزعم لا يرفض أن يكون أبو العلاء حور شكلا قديما بعينه ـ لعله حديث ابن عباس فى الاسراء والمعراج ـ أو خلط بين أكثر من شكل سبقه اليه فنانون عرفهم وتاثرهم على نحو من الأنحاء ·

ويتلخص موضوع القصة فى أن « ابن القارح » يدخل الجنة بعد وقوفه فى المحشر واستشفاعه آل البيت المكرمين ، وفى الجنة يقابل طائفة من الشعراء يحاورهم ويأخذ بأسباب النعيم الخالد ويطوف بأرجاء الفردوس حتى يحتاج الى أن يستريح · وعندما يقعد يشرب كاسا لا تذهب العقل ويأمر الحور العين أن يهيئن مفرشا من السندس فيضعنه على سرير من سرر أهل الجنة ويتحرك ، فما يمر بشجرة الا نضحته أغصانها بماء الورد قد خلط بالمسك والكافور ، وكان أهل الجنة يلقونه بأصناف التحية الودود ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » ·

هذا هو الموضوع ، وكان لطرافته أثره فى الآداب العالمية حتى قيل انه كان أساسا لأعمال خالدة توضع « الكوميديا الالهية » التى كتبها دانتى فى مقدمتها · ان دانتى شاعر ايطاليا لم يكتب ملحمته الا فى القرن الرابع عشر الميلادى، أى بعد أن مات أبو العلاء بثمانية قرون أو نحوها · ومنذ خروجها الى اليوم

وهي تثير الناس ويحتدم حولها النقاش ، وظهر في آخر الأمر أن ما درج الدارسون على تسميته « المصادر الشرقية للكوميديا الالهية » يمثل في الواقع ميدانا كبيرا من ميادين الأدب المقارن تظهر فيه عقلية أبي العلاء عملاقة طاغية ٠

ولا يعنينا الآن أن نبين طريق رسالة أبي العلاء الى دانتي فلذلك مجال واسع آخر ، ولكن الشيء الذي لا شك فيه أن دانتي كان محيطا بثقافات المسلمين احاطة كاملة ، وليس ما ينفي أن يكون قد عرف « رسالة الغفران » لا سيما أن ملحمته مليئة بمواقف فنية لم توجد الا فيما رسمه أبو العلاء في رسالته ٠

وندع الآن هذه القصة الى « **حي بن يقظان** » فنقول ان هذه بدورها قصة متكاملة نوعا ، وخلاصتها ان حي بن يقظان ينشأ - بالقوة وبتفاعل بعض مواد الطبيعة - في احدى الجزر المهجورة من جزر الهند عند خط الاستواء ، وترضعه غزالة وترعاه حتى يشب عن طوقه ٠ ولما كان هذا الطفل قد فطر على اعمال فكره فقد اهتدى الى كثير من الميتافيزيقيات والحقائق الصوفية التي تقوم أساسا على الفناء في الله عن طريق الوجد والوله ٠

وبهذا الوجد حاول « حي » أن يقلع عن الجزيرة في حين هبط اليها متصوف يقال له « ابسال » ٠ وكان هبوط أبسال مرحلة أخرى من مراحل القصة ، فقد علم حيا اللغة والكلام ، ولقنه الشرائع السماوية ، وقاده الى جزيرته التي جاء منها ليعلما معا الناس ما اهتديا اليه من قيم الصوفية ٠ واذ يخفق الرجلان، يعودان ثانية الى الجزيرة التي نشأ فيها حي ، تاركين الناس على نصح أن يثبتوا على دين الآباء ٠

والحوادث في هذه الحدود خير قصة تداولتها العصور الوسطى على ما يقرر أغلب الدارسين ،وهي في الحقيقة متينة البناء برغم ازدحامها بالآراء الفلسفية واقحام كثير من الأفكار المجردة عليها ٠ ويبدو أنها ترتكز على بعض حكايات شعبية ، بل ان المستشرق الأسباني جارسيا جومس يرى أن ثمة قصة شعبية بعينها ٠ كانت أساسا لقصة ابن طفيل، ومن ثم شاعت في الأوساط الاسلامية - الخاصة والعامة - ونقلت الى اللغات الأجنبية من لاتينية وفرنسية وانجليزية وعبرية ، وقال عنها ناقلوها انها أقوى ما في الأدب العربي وأكثره اصالة وطرافة، وأشاد بها لايبنتز الفيلسوف ٠

ويذكر الدكتور غنيمي هلال أنها أثرت في الكاتب الاسباني بلتاسار جراثيان (١٦٠١ - ١٦٥٨) عندما كتب قصته « النقادة » وهذه تحكي حياة بطلها أندرينيو - بعد أن يلتقي به كريتيلو الفيلسوف - في مراحل الطفولة باسبانيا والرجولة بفرنسا والشيخوخة بايطاليا ، عارضة لتقاليد عصر المؤلف بالتجريح والتقويم ٠

كذلك أثرت بما تقرره عن استطاعة الانسان أن يهتدي بالفطرة الى الايمان في دعوات الرومانسية خلال القرن التاسع عشر ٠ وليس ينبغي في هذه الحال أن ننظر الى الشكل أو القالب الفني العام ، فقد ينحصر التأثير في جوهر الفكرة ٠ وأما ما يقال عن تأثيرها في « روبنسون كروزو » فأمر يحتدم الجدل حوله ،وان يكن ثمة من يجعل العلاقة التاريخية بينهما ثابتة أكيدة ٠

وبعد ، فما أحرانا أن نعيد النظر في تراثنا القصصي ، حتى لا يقال اننا عالة على الغربيين فيما تصدر عنه اليوم !

« **د ٠ احمد كمال زكي** »



التراث العربي الجميل في الآداب الأوروبية

للدكتور : محمد مختار القاضي

١ ـ الزجل

ربما اختلف في الوطن الأصل لهذا الفن من فنون الشعر ، فمن قائل انه نشأ بالأندلس ثم انتشر منها الى البلاد العربية ، ومن قائل انه نشأ نشأة مستقلة في كل بلد عربي وجد فيه وانه فن اصيل من فنون الشعر العربي . حدث مثل هذا الاختلاف ولكن المعنيين بتاريخ الزجل من مستشرقين وغير مستشرقين اجمعوا على ان الزجل العربي اثر في الأدب الأسباني المسيحي ثم انتقل هذا التأثير ابان العصور الوسطى الى بقية الدول الاوربية .

اما اثر الزجل في الأدب الاسباني المسيحي فقد كان ملحوظا فيما نقله الفونسو الحكيم (العاشر) وفي ديوان ابر برست دى هيتا الذى ظهر في القرن الرابع عشر .وقد ذكر المؤلف في ديوانه هذا انه كان ينظم شعرا تغنيه مغنيات مسلمات مع الموسيقى . وكذلك نجده عند فلياسنديتو وخوان دلنيتما في القرن الخامس عشر ومطلع القـرن السادس عشر(١) كما ان اناشيد الفونسو الحكيم الدينية لا بد ان تكون مشتقة من الغناء العربي الأندلسي وخاصة الزجل ، فمن بين الصور التفسيرية التى تصور العازفين على مختلف الآلات الموسيقية صورة في مخطوط تمثل شـاعرا نصرانيا وآخر مسلما يعزفان على العود سويا ويغنيان معا .

ولقد بلغ من تغلغل الغناء العربي في البيئات المسيحية ان مجمع القساوسة الذى انعقد في بلد الوليد سنة ١٣٢٢ الميلادية شكا من ان المسيحيين يدخلون معهم في الكنائس المسلمين واليهود يغنون ويعزفون في المحافل الدينية ، وانذر من يعودون الى ذلك بالعقاب الشديد وباخراجهم من حظيرة الكنيسة وحرمانهم من الدفن الكنسي .

اما في خارج الكنيسة فلم يكن للتأثير العربي حدود ، بل كان شائعا عاما في كل مكان ، ومنذ القرن العاشر والصحبة بين المغنين المسلمين ورفاقهم من المغنين المسيحيين مضرب الأمثال . وفي سنة ١٢٩٣ الميلادية بلغ عدد الشعراء الذين كانت تجرى عليهم الأرزاق في بلاط سانشو الرابع ملك قشتالة ، المعروف عند العرب باسم « شانجه » بلغ ثلاثة عشر شاعرا من المسلمين واثنى عشر من المسيحيين ، وكان بدرو الرابع ملك ارغونة المعروف عند العرب باسم «شانجه» ـ بلغ ثلاثة عشر شاعرا من المسلمين شاطبة ، وكانت بها مدرسة ذائعة الصيت (١) .

هذا في اسبانيا وحدها ، اما في بقيـــة ممالك اوربا ، فان المستشرق الالمانى جورج يعقوب يبين لنا ، بعد اقامة قصيرة عن تاريخ ظهور الزجل ، كيف كان لهذا الفن الأدبي فعل السحر في اوربا وخاصة فيما يتغنى به جماعة التروبادور قال الكاتب (٢) . ان اثرا ادبيا آخر يغزو الأدب الاوربي ، وهو هذا الضرب من فنون الشعر الذى انتشر بين طبقات الشعب المختلفة وشغل من ادبها المكان الاول ، اعنى الزجل ، فهذا الفن من فنون الشعر السبعة التى نشأت فيما بعد في الأدب العربي مختلف في وطنه كما اختلف في الوطن الأصل للمواليا .فهناك رواية تذكر بغداد، ومخترعها جارية عاشت أيام هارون الرشيد . ورواية اخرى يفهم منها ضمنا ان وطنه بلاد المغرب واخترعه رجل يقال له راشد .

---

(١) لطفى عبد البديع في كتاب الاسلام في اسبانيا ص ١١٨ طبعة ١٩٥٨ .

(١) المرجع السابق ص ١٢٠ و ١٢٢ .

(٢) اثر الشرق في الغرب ـ مترجم عن الالمانية ص ٨٦ ـ الترجمة العربية ١٩٤٦ .

وقبل ابو بكر قزمان ، وان كانت الأزجال قد قيلت قبله ٠ وعلى كل حال فهذا الفن من الشعر باجماع جميع الروايات اينع وكثر فى الأندلس دون سائر الأقطار الاسلامية ٠ وهذا الضرب من فنون الشعر العربى يمتاز بصدق تمثيله لنفسية الانسان وخواطره ، وقد ظهر بعد ان مهد له شعراء العرب من جاهليين واسلاميين بشعرهم الغزل الذى شادوا فيه بالمرأة وجمالها ، هذه المرأة التى احتلت من شعرهم المكان الاول ، حتى ان الشاعر العربى ليستهل قصيدته او حوليته بالغزل ، هذه النفسية العربية بعينها التى جعلت العربى قبل غيره يعترف بأثر المرأة ومكانتها فى حياته الادبية او الاجتماعية اضطرت الشعر العربى الى الافصاح عما يجول بخاطر الشاعر ، وهذه الظاهرة لم تظهر فى اوروبا الا بعد ان احتكت بالعرب فى الأندلس وصقلية والحروب الصليبية ٠ وقد انتشر هذا الفن فى جنوب فرنسا حيث نجد جماعة التروبادور، ومن لم يشق هذا الفن طريقه الى مختلف الممالك الاوربية ، وخاصة ايطاليا ، كما اشار الى ذلك العلامة الألمانى جراف شيك واليه » ٠

وفى نفس المعنى يقول الاستاذ الاسبانى جنثالث (١) « يعتبر الفن الشعرى الذى ابتكره مقدم بن معافى القبرى ، الذى نجد اظهر نماذجه عند ابن قزمان ، المفتاح العجيب الذى يكشف لنا عن سر تكوين القوالب التى صبت فيها الطرز الشعرية التى ظهرت فى العالم المتحضر اثناء العصر الوسيط كما قال خليان ـ ريبيرا وايده بالبراهين ٠ وقد تجلت الدراسات التى قام بها ذلك الاستاذ حول موسيقى الكنتيجات (الاناشيد الدينية) ودواوين التروبادور والتروفير (طوائف من المغنين المتجولين) (٢) ٠ والمنيزنجر (منشدو الحب وهى الاغانى القصيرة) تجلت عن اثبات انتقال محور الشعر الأندلسى مع الموسيقى العربية الى اوربا بنفس الطريق الذى انتقل به الكثير من علوم القدماء وفنونهم ، لا ندرى كيف ... هذا ولم تنتقل الى اوربا انغام الموسيقى وحدها بل صاحبتها الأغنيات التى تغنى بها ، وكان من الطبيعى ان تكون لها آثار فى الطرز الشعرية التى وجدت هناك » ٠

ويتعرض المؤلف بعد ذلك الى طرز الشعر الغنائى وموسيقاه عند طائفة من الدول ، محيلا الى النتائج التى وصل اليها خليان ريبيرا من حيث تأثر الشعر الاوربى بالطراز الاسبانى فى هذا المجال الى ان يقول (٣) « والواقع ان اوائل التروبادور البرفنسيين استخدموا اقدم القوالب الزجلية الأندلسية وتغنوا بغرامياتهم الجارحة للحشمة بنفس الحرية وعدم التحرج اللذين تراهما عند ابن قزمان ٠ وفى العصر الذى عاش فيه الشاعر سركامون ، اى قبل عصر الكونت دى بواتييه جد على الشعر البروفنسى تقليد جديد لم تبق لنا منه نماذج ، ولكن الأغلب انه هو نفسه الذى سار عليه من أتوا بعده مباشرة » ٠

(١) تاريخ الفكر الأندلسى ـ مترجم عن الاسبانية ص ٦١٣ وما بعدها ٠

(٢) فى رأى كثير من الباحثين الاوربيين أن اللفظين مشتقان من كلمة طرب العربية ٠

(٣) المرجع السابق ص ٦١٤ وما بعدها ٠

ويستعرض المؤلف انموذجا من شعر الكونت دى بواتييه قريبا جدا من اشعار ابن قزمان مع بيان التغيير فى موضع الخرجه (الشطر الذى يتكرر بعد ثلاثة او اربعة اشطر) وفى موضع الأغصان (مجموعة من ثلاثة او اربعة اشطر ذات قافية موحدة) ويرى انه تغيير طفيف لا يمس الجوهر ، كما يستشهد باشعار موان دى منتودون ، و ج ٠ رابنولد و ج ٠ ماجريت ،وسداسيات ماركابرى ، الى ان يقول : « وقد ظل نظام هذا الطراز الشعبى الأندلسى ذى الأغصان (يقصد الزجل) باقيا فى صناعة الألحان الموسيقية خلال العصور الوسطى ولاسيما هذا النوع من الالحان المعروف بالروندو ، وهى ترجمة للفظ العربى « نوبة » اى نظام تعاقب فريق من العازفين على عزف قطعة موسيقية » (١) ٠

ويضرب صاحبنا الامثال بالمنيثى « الشقية فى زواجها » و « وردة دتكرك » وهما مصوغتان فى قالب زجل ، وبمقطعات فرنسية قصيرة شاعت فى القرن السابع عشر سارت على طريقة عرفت « بالروندية » ٠

وليس الامر مختلفا فى الأغانى الشعبية الانجليزية ، فالزجال دى ميربل التى تتكون من رباعيات ثلاث شطرات منها باللغة الانجليزية الدارجة ورابعة باللغة اللاتينية ليست هذه الرباعيات المختلطة سوى تقليد لأمثالها من ازجال الأندلس ٠ ففى المدحة النبوية المسماة بالاسبانية المدحة دى البندنا الأنبى محمد ، توجد اربعة اغصان باللغة الاسبانية الدارجة من قافية واحدة تتغير فى كل دورة وخرجة ثابتة باللغة العربية « باحبيبى ياحمد والصلاة على محمد » وفى المانيا نجد ان نظام الخرجة والأغصان فى اغانى المنيزنجر وخاصة فيما كان ينشده عومان دردامن ٠ اما فى ايطاليا فان ابحاث الكاتب ملياس فاليكروسا وبيزى انتهت الى ان قالب الزجل الأندلسى وجد فى نوع الشعر المسمى بالكنتراستو من امثال منظومة شلو دالكومو ، وفى المدائح ٠ واحسن انموذج له شعر جاكوبونى دى تودى والأغانى الراقصة (لا بالاتا) وتوجد نماذجه فى شعر لورنزو دى ميديتشى ، والبوليزيانو وفى المدائح المقدسة التى تشبه منظومات المديح الالهى الأندلسية ٠ وهذه المدائح المقدسة الايطالية كانت تستعمل فى تلحينها الحان غير كتالسية ٠

ويتصدى العلامة الاسبانى منندثبيدال لبيان تأثير الزجل العربى على الشعر البروفنسى ، فيقول : ان اول شاعر بروفنسى شعبى نعلمه هو جيلرمو التاسع دوق اوكتانيا ، بل هو اول شاعر نعرفه فى لغات الغرب جميعا ، له خمس قطع الفت فى القالب بعد عام ١١٠٢ ، تجرى على نحو الزجل الأندلسى ، وفعل مثله الشاعر سركمون ومركبرو فى النصف الاول من القرن الثانى عشر ٠ واذا كان هذا التركيب قد اختفى فيما بعد الا انه بقى حيا فى الغناء الشعبى حيث يستعمل بكثرة فى فرنسا وايطاليا فى الرقص الشعبى والأغانى الدينية للرهبان الفرنسيسكان فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وفى اغانى الكرنفالات بفلورنسة فى القرن الخامس عشر (٢) ٠

(١) فى رايى أن الترجمة الحقيقية للفظ روندو هو « حلقة » وان كان المعنى الذى قصده الكاتب لا يتغير اذ نظام الحلقة فى الغناء يقصد به تناوب العازفين على عزف قطعة موسيقية»

(٢) لطفى عبد البديع ص ١١٨ و ١١٩ ٠

ويقول السير جيب (١) : انه فى نهاية القرن الحادى عشر نشأ فجأة فى جنوب فرنسا نوع جديد من الشعر تميزه صفات نفسية اجتماعية جديدةوتصوير خيالى فنى جديدوليس فى الادبالفرنسى السابق دليل قوى يشهد بانه تطور محلى ، وهذا الشعر الجديد كان كثير الشبه بنوع من الشعر المعاصر فى اسبانيا العربية ، فمن الطبيعى ان نفترض ان الشعر البروفنسى قد تأثر بالنماذج العربية . وان وجهة النظر القائلة بان شعر التروبادور مستمد من النماذج العربية تجد نصيبها من الصحة . واكد ذلك بكل ثقة جيامريا باربيرا . وعند احياء دراسات القرون الوسطى فى نهاية القرن الثامن عشر ، وعندما كان خيـــال الجماهير مشبعا بالاغانى العاطفية الشرقية كانت الفكرة السائدة التى دعا اليها ســموندى وفوريل تؤيد الصلة الوثيقة بين الشعر البروفنسى والشعر العربى .

على ان الشـــعر العربى لم يؤثر فى الأدب الاوربى من حيث الترتيب والتنظيم فحسب ، وانما اثر من حيث القافية كذلك . فالشعر الاوربى الكلاسيكى لم يوجه الى القافية عناية تذكربخلاف الحال فى الشعر العربى منذ اقدم عصوره ، فهذه الظاهرة جعلت كثيرين من رجال الادب يميلون الى الاعتقاد بان القافية جاءت اوربا عن طريق الشرق ، وهذا الراى هو الذىدفع بعضالمتعصبين المتعنتين من رجال الغرب امثال فيلاموفيتس الى محاربة القافيـة فى الشعر محتجا بعدم ورودها فى الشعر الكلاسيكى من ناحية وعدم استساغتها من ناحية اخرى (٢) .

فاذا انتقلنا من الشكل الى المادة وجدنا الاستاذ جون درابير(٣) يذكر ان النساء العربيات ـ وكن يتذوقن الشعر والادب الرفيع ـ من امثال فريدة وعائشة ولبنى والقسانية ، كان لهن اثر فى الادب البروفنسى ، اذ انتقلت حياة المرح التى كان يمارسها نساء العرب الأندلسيات الى اخواتهن وراء جبال البرانس ، وكانجنوب فرنسا موطن السحر والفتنة النسائية والرقص على انغام العود والقيثارة . كما كانت اناشيد الحب فى ايطاليا وصقليـــة هى النوع المفضل فى التاليف . ومن هذه المقدمات الفنية البعيـــدة عن روح التعصب نشأ الأدب الرفيع فى اوربا الحديثة وانعكست روح المرح الاسبانية العربية الخفيفة على العادات الغليظة فى بلاد اوربا الشمالية ، حتى اننا لنلمس هـــذه الروح فى احـــدى الاغنيات اللاتينية التى كان ينشدها احد شمامسة اكسفورد بعد ذلك بزمن قصير .

ويذكر الأســتاذ غارسيا غومس المستشرق الاســبانى (٤) ان شعراء الاسلام من بغداد الى مرسية اقاموا قرونا ثلاثة يتغنون بالحب العذرى ويحللونه ويرسمون له المناهج ، وتلك هىالحركة التى انتقلت من قرطبة الى بروفانس جـــوب فرنســـا لتلهم البروفانسيين ما سموه بالعلم البهيج ، والتى اوحت الى جويدو جينزل استاذ دانتى اسلوبه العذب الجميل ، ومع هذا فعنـدما اخرجت مطابع فلورنسة النص الاغريقى لكلام افلاطون رمى الناس العرب بالاحساس الجاف ومضوا من ذلك الحين يصفونهمبذلك !

ولعل تأثر الفرنسيين بالادب الاندلسى لم يكن عن طريق النقل فحسب ، وانما كان كذلك عن طريق الاحتـــلال ، فقد احتـــل المسلمون الأندلسيون جنوب فرنسا ، ومع انهم هزموا سياسيا فى واقعة «تور» الا أنهم لم يلبثوا ان افاقوا من الضربة التى اصابهم بها شارل مارتل واستردوا مراكزهم الســـابقة وسلم حاكم مرسيلية مقاطعة البروفانس اليهم سنة ٧٣٧ م واستولوا على الارل ودخلوا مقاطعة سان تروبز ســـنة ٨٨٩ واوغلوا فى مقاطعة الفال وسويسرا سنة ٩٣٥ وروى بعض المؤرخين انهمبلغوا مدينة فز (١) .

ويلاحظ بعض المستشرقين الاوربيين ان هنالك صلة قوية بين الحروب الصليبية ومادة الشعر الاوربى ، فيقولالاستاذ جوستاف جرينباوم (٢) ان اول شاعراكويتانى هوالكونت جيوم دىبواتييه الذى رحل الى الشرق فى غزوة صليبية (١١٠١ ـ ١١٠٢ م) قد تأثر شعره من تلك السفرة فاحدثت فيه تغيرا شاملا من حيث الروح والأسلوب ، ذلك انه بعد عودته من البلاد المقدسة اصبح ايقاع اغانيه وهيكلها العام يذكران بالموشح الأندلسى ، ويشير الى هذا المعنى الاستاذ جوستاف لوبون فيقول(٣) : « لم يكن تأثير اداب العرب فى الصليبيين صفرا ... فقد استوحاها كثير من شعراء الغرب وكتابهم فكان سحرة مصر وعجائب الشرقوغودوفرا وتانكريد وغيرهما موضوع قصص مهم للشعراء المتجولين الذين كانوا ينشدونه بين قصر وقصر » .

ويفسر السير جيب سبب تهافت الاوربيين على هذا الأدب(٤) بان الحضارة الاوربية فى القرون الوسطى كانت قد برمت بالنظم الاكليروسية الضيقة ولم يستطع الاوربيون ان يشبعوا رغباتهم فى الادب اللاتينى المحدود فاضطروا الى الالتجاء للعالم الاسلامى الذى كان مشهورا حتى الآن عندهم بالتفـــوق العربى فحسب . ففوجئوا بان المسلمين كانوا يبزونهم فى ميدان الفكر ايضا ، وبذلك تأصلت جذور الآداب العربية فى اوربا الحديثة وشاركت فى الطفرة التى عمت فيها فى عصر النهضة .

د. محمد مختار القاضى

---

(١) تراث الاسلام ـ الترجمة العربية ص ١٨٣ .

(٢) جورج يعقوب : أثر الشرق فى الغرب خاصـــة فى العصور الوسطى ص ٨٤ طبعة ١٩٤٦ .

(٣) تطور أوربا الفكرى ج ٢ ص ٣٥ .

(٤) الشعر الأندلسى ـ الترجمة العربية ص ٨٢ .

---

(١) جوستاف لوبون فى حضارة العرب ـ الترجمة العربية ص ٣١٥ و ٣١٦ .

(٢) دراسات فى الأدب العربى ـ الترجمة العربية ص ٣١٦ .

(٣) حضارة العرب ص ٣٣٨ و ٣٣٩ .

(٤) مقال فى تراث الاسلام لأرنولدوجيوم ص ١٤٩ ـ ٢٢٠ .

قصة الأدب الشعبي

ورواد البحث فيه

بقلم : محمد فهمي عبد اللطيف

كلام كثير يردده الكتاب في هذه الايام عن الأدب الشعبي والدعوة اليه ووسائل النهوض به ، وان منهم من يعرف هذا الادب ويفهمه . وفيهم من يدعي معرفته وفهمه . وانهم لاكثر عددا واكثر كلاما .

ولقد حفزني الى كتابة هذا البحث كلمة قرأتها لاحد هؤلاء المدعين في تقييم الجهود التي بذلت في سبيل الادب الشعبي والبحث عنه . ومن رأيه ان الرواد الكبار لهذا البحث ثلاثة من الاساتذة الجامعيين هم : الدكتورة سهير القلماوي في رسالتها عن الف ليلة وليلة . والدكتور عبد الحميد يونس في كتابه عن القصة الهلالية . والدكتور عبد العزيز الاهواني فيما كتبه عن الزجل في الأندلس .

وليس مما يعنيني الكاتب وما كتب ، فانما هو ككل ما تنشره الصحف اليومية عن الادب والفن لا يعدو سواد الحبر في بياض الورق وانما الذي يعنيني هو تصحيح هذه الحقيقة في عقول بعض المتعلقين بهذا البحث وتقديرهم ، واعلان حق التاريخ الادبي ، وحق اولئك الباحثين الكبار الذين بذلوا في هذا ما بذلوا من الجهد ونور البصر . وحرام ان تطوى جهودهم ويجحد فضلهم عن علم او جهل ..

وفي الحقيقة ان المستشرقين ـ وخاصة الفرنسيين والألمان منهم ـ كانوا اسبق منا الى العناية بتراثنا الشعبي والاهتمام ببحث هذا التراث في معارضه القصصية والنثرية والشعرية . ففي خلال القرن التاسع عشر تعاقبت دراساتهم وابحاثهم عن الف ليلة وليلة وعن قصص بني هلال وسليم وعن العادات والتقاليد الشائعة في البيئات العربية والاسلامية . وعن الحواديت والأغاني الذائعة بين الجماهير الشعبية ، وعندي ان هذه العناية من اولئك المستشرقين لم تكن لوجه العلم وحده . وانما كانت كذلك تجاوبا مع الاتجاه الأوربي لاستعمار الشرق الاسلامي والاستيلاء على ما فيه من مقومات وطاقات . وكان ان انشأت الدول الاوربية في جامعاتها اقساما للدراسات العربية . وكانت هذه الاقسام تعنى بصفة خاصة بدراسة اللهجات والعادات في البيئات الشعبية العربية ولأنها كانت تريد تخريج جيل من الدعاة الذين لهم علم بنفسية هذه الشعوب وتقاليدها الاجتماعية . ولديهم القدرة على التفاهم مع ابنائها . والادب الشعبي لا شك منجم لهذه الدراسة ، ومن هنا كانت عناية المستشرقين بدراسة تراثنا الشعبي .

هذا الدافع من اوربا كان يقابله دافع اخر مضاد يحتم على علمائنا التحرج من اثارة هذا الأدب الشعبي في اي معرض من معارضه، وفي اي لون من الوانه، لانهم كانوا يعتقدون ان العربية لغة القرآن والدين ، وانها مظهر الوحدة في العالم العربي والاسلامي ، بل انها جنسية كاملة تربط ابناء هذا العالم برباط العقيدة والشعور والاتجاه ، وان الاستعمار الغربي انما يفوق السهام الى مقاتل هذه اللغة والتهوين من شأنها بشتى الوسائل للقضاء على هذه المعاني والروابط التي تربط بين ابناء العروبة والاسلام ، ولهذا كان العلماء ورجال الدين يتوجسون من كل ريح تهب من ناحية العامية ، وكانوا يعتقدون ان كل محاولة لبعث ذلك الادب الشعبي العامي انما هي الحاد استعماري في حق العربية واتجاه الى طمس تراثها الفصيح وهو كل شيء في الثقافة العربية الاسلامية .

وشيء اخر كان يعتقده اولئك العلماء ويحملهم على التحرج من اثارة الادب الشعبي . فقد كانوا يعتقدون ان علم العربية مرتبط بعلم الدين ، وليس يصح من هذا العلم الا ما محصه العقل ، وحققه النقل ، واثبتته الرواية الصحيحة . والذن فلم يكن من الممكن ان يقبل هؤلاء العلماء ذلك القصص الشعبي الذي يروي وقائع لا تصح في التاريخ . وعجائب لا تدخل في نطاق العقل ، ومهازل خارجة لا تليق بالمروءة والتصون . ثم هو يجري في لغة نازلة اذا لاقت بمجالس العامة فانها لا تليق بكرامة العلماء، ولا يمكن ان تكون شيئا مقبولا في مجالس العلم وندوات الدرس .

وبعد هذا وذاك فما كان البحث الاجتماعي قد نضج في بيئتنا الى حد الكشف عن المشاعر الشعبية ، والى الاهتمام بالبحث عن العادات والتقاليد والأساطير التي تسيطر على مشاعر الجماهير وتوجهها في الحياة التي تحياها على مر السنين . ومن هنا عاش ادبنا الشعبي قابعا في بيئته الشعبية لا يتعداها ، وهو بقدر ما يجد من اقبال العامة وادبارهم يعاني من ازدراء الخاصة واستخفافهم . فلم يجرؤ اي باحث من الخاصة ان يتناوله بالدرس والمناقشة في اي ناحية من نواحيه .

وفي القرن التاسع عشر جاء المستشرق البريطاني ، ادوار لين ، الى القاهرة واستوطنها عدة سنين وكتب كتابا باللغة الانجليزية عن عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم كما شاهدها . واورد في كتابه عدة فصول عن ملاهي المصريين الشعبية وعن القصص

الشعبي والأغاني السائرة في بيئات الشعب ، كما كتب الدكتور « كلوت بك » الذي استوطن مصر على عهد محمد على تقريرا عن الحياة المصرية ، ضمنه عدة فصول عن عادات المصريين في افراحهم وفي مآتمهم وفي حياتهم اليومية ، وعن قصصهم في محافلهم وسوامرهم ، وعن اغانيهم الدارجة . وقد طبع هذا التقرير في كتاب باسم « لمحة عامة الى مصر » ، ولكنا لا نستطيع ان نسمى ما كتبه « ادوار لين » او « الدكتور كلوت » دراسة في الادب الشعبي مستكملة لعناصر البحث العلمي الصحيح وانما هو تصوير للحياة بصفة عامة ، وعلى اية حال فقد تضمن ما كتبه كل منهما ملاحظات واشارات قيمة يمكن ان تكون مادة تعين الباحث في الادب الشعبي .

وكتاب ثالث يمكن ان يلحق بما كتبه « ادوار لين » والدكتور « كلوت بك » وقد ظهر هذا الكتاب في اواخر القرن التاسع عشر في جزءين باللغة الفرنسية ومؤلفته « نية سليمة » وهو اسم مستعار للزوجة الأولى لرئيس وزراء مصر الأسبق حسين رشدي . وقد تناولت « نية سليمة » في هذا الكتاب الحياة المنزلية في مصر والعادات السائدة بين سيدات البيوت في زياراتهن واحتفالاتهن وما يجرى بينهن عادة من الاحاديث والأسمار والقصص . وهذا الكتاب ايضا لا يمكن ان نعتبره بحثا في الادب الشعبي ، ولكنه لا شك مادة طيبة تفيد الباحث في هذا الادب .

وهناك شيخ من علماء اللغة العربية والدين كانت له يد في مجال الادب الشعبي وهو الشيخ عياد طنطاوى . وقد قلت لك ان علماء العربية والدين كانوا يتحرجون من اثارة ريح العامية والخوض في الادب الشعبي . ولكن الظروف شاءت ان تحمل هذا الشيخ حملا على ان يخوض في هذا المجال . وان يشير ثائرة العامية على انها مادة للدراسة . فقد طلب من الشيخ عياد طنطاوى ان يدرس اللغة العربية في كلية بطرسبرج في روسيا . وسافر الشيخ في هذه المهمة عام ١٨٤٠ وعاش في روسيا حتى مات بها حوالى عام ١٨٦٢ . ولم تكن مهمة الشيخ دراسة قواعد العربية الفصحى فحسب ، فقد كانت الجامعة الروسية كسائر الجامعات الاوربية تهدف الى تخريج جيل من الدعاة والخبراء الذين يعرفون لغة التخاطب في الشعوب العربية على ما اوضحته لك من قبل . ومن هنا كان على الشيخ عياد طنطاوى ان يؤدى هذه المهمة بقدر استطاعته . وقد شمر الشيخ عن ساعد الجد واقتحم هذا المجال الذى لعله لم يكن في حسبانه فألف كتابا في الحكايات المصرية العامية وهو مخطوط حتى الآن . وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة جامعة بلغراد برقم ٧٤٥ . وله في هذا ايضا كتاب آخر بعنوان « احسن النخب في لسان العرب » وهو في العامية المصرية . ويشتمل الكتاب على الفاظ وجمل وامثال ومكاتبات وقصص واغان عامية مع ترجمتها الى الفرنسية . وقد طبع هذا الكتاب في ليبزج عام ١٨٤٨ . وراج بين المستشرقين في الاوساط الاوربية . ولكنى مع الاسف لم اطلع على هذين الكتابين . وعلى هذا لا استطيع ان احكم حكما منصفا : هل كان الشيخ عياد طنطاوى في كتابيه جامع مادة في الادب الشعبي او باحثا يفهم ويحلل ويرد الاشياء الى اصولها كما هو شرط الباحث . ولعل هيئة من هيئاتنا الادبية تستطيع ان تحصل على صورة من الكتابين وتعمل على نشرهما واذاعتهما بين الناس فتكون بهذا على الاقل قد انصفت ذلك الشيخ في غربته وتكون قد عرفت ابناء العربية بعلم من الاعلام كان له اثر في روسيا مازال يذكر بالثناء والحمد .

اما اول رائد عربي للبحث في الادب الشعبي يقف امامنا حتى الآن فهو العالم المحقق المغفور له احمد تيمور باشا . والحديث عن عمل احمد تيمور وجهوده في الادب الشعبي يحتاج الى شرح طويل . وهذا هو موضوع مقالنا التالى ان شاء الله .

« محمد فهمي عبد اللطيف »



عبد القادر حمزة في ذكراه

بقلم : محمود الشرقاوي

دروس باقية :

دروس عظيمة عميقة باقية تعلمتها ونقشت على صفحة القلب وامتزجت مع ذرات الدم وعاشت معي حياتي كلها .

دروس عظيمة باقية عميقة نقشت على صفحة القلب وامتزجت مع ذرات الدم في الصحافة والاخلاص لها والتجرد والاندماج فيها الى درجة الفناء ، وادراك قيمة القلم وكرامة الكاتب وعزة الكلمة وسطوتها وسلطانها وصولجانها .

دروس عظيمة عميقة نقشت على صفحة القلب وامتزجت بذرات الدم وعاشت معي حياتي كلها في ادب الخصومة وعفة المجادلة واتخاذ الكلمة هداية ورسالة وكتابة « المقالة » نغما موسيقيا له سلم » قوامه المنطق والعقل واللفظ الطاهر المهذب والبعد عن المهاترة واللدد والشهوة والاستعلاء والتشامخ .

دروس عظيمة عميقة باقية تعلمتها من هذه « العصا » التي كان يكتبها في « البلاغ » فيدمى بها جلود خصومه مهما استعلوا واستكبروا وافسدوا وعتوا ، وتهتز منها كراسى الحكم من تحت الوزراء والرؤساء مهما بلغوا من الشموخ وطغوا في حكمهم طول البقاء ، وفي شعبهم الطاعة والبساطة والغباء .

كان يتمثل لى في صمته وكلمته ، وسمته ومشيته ، وكبريائه وعزته كانما هو رمز حى قد تجسد يمثل كلمة فولتير العظيمة الخالدة : « وماذا يهمنى ان ليس لى تاج ... اليس لى قلم..؟ »

دروس عظيمة عميقة باقية نقشت على صفحات القلب وامتزجت مع ذرات الدم وعاشت معى حياتي كلها في سماحة النفس وبساطة القلب وطهارة الضمير وايثار المودة واشاعة الحب وجعله رباطا وقانونا وموثقا اقوى وابقى واعمق من كل قانون .

عف اللسان والقلم :

كان عبد القادر حمزة مثلا ما يزال يضرب في عفة اللسان والكلمة وادب الخطاب والجدل ومن ذكرياتي عنه في ذلك هذه القصة :

قامت مناقشة بالغة العنف بينه وبين مكرم عبيد ، وكان مكرم اقوى رجل في حزب الوفد يوم ذاك ، هو الذى يرسم سياسته في العمل للداخل والخارج ، وسياسة حكومته ، ويتحدث باسمه وكتب مكرم مقالا او القى خطبة اخذ عبد القادر يناقشه فيها ويفندها فقرة فقرة ، فكان يتناول كل فقرة منها بالحديث لم يقول : ومن ذلك نعلم ان مكرم باشا « غير صادق » في كلامه هذا ايضا . وكان عبد القادر يدعو الى « الاسلوب التلغرافى » الذى يقتصد فيه الكاتب ويركز — مع الوضوح — كانه يرسل تلغرافا تكلفه كل كلمة فيه مالا . كان يدعو الى هذا الاسلوب ويلتزمه . وكنا نجلس معه في مكتبه فدخل المرحوم الدكتور زكى مبارك وتناول موضوع هذه المناقشة بين مكرم عبيد وعبد القادر حمزة فقال : انك يا استاذ عبد القادر خرجت عن قاعدتك وتركت مذهبك في الأسلوب التلغرافى وانت تناقش مكرم . فاصغى اليه عبد القادر بكل انتباهه وقال : كيف ؟.. وذكر له زكى مبارك هذه الكلمات التى اشرت اليها ، فقال عبد القادر : تريد ان اقول ان مكرم باشا « كاذب » ، بدلا من « غير صادق » ؟.. فاجاب الدكتور زكى : نعم ، هاتان كلمتان وتلك كلمة واحدة .. فقال عبد القادر : نعم كلمتان وكلمة واحدة ويجب ان اكتب الكلمة الواحدة بدلهما ، ولكنى تركت هذا الواجب لأمر اوجب منه ، لست غافلا عما تراه من ان معنى الكلمة والكلمتين واحد . ولكن شتان — في ادب الخطاب — بين ان تقول : فلان كاذب وفلان غير صادق .

وقال الدكتور ، ونحن نعرف طبيعته وعنفه في الخصومة ، انهم يا استاذ عبد القادر لا يتورعون عن شتمك واختيار اقذع الالفاظ في خطابهم لك . انهم يقولون عند ذكر اسمك : « عبد القادر » الحمزاوى » — وحى الحمزاوى من الاحياء المجاورة للازهر تباع فيه الكانس وادوات النظافة .

وابتسم عبد القادر وهو يقول : يا دكتور زكى هون على نفسك ودعهم يقولون ويكتبون على طريقتهم وباسلوبهم . لن اكون مثلهم ولن انزل الى مستوى لا ارضاه لنفسى ، مهما اشتدت الخصومة ، وسترى لمن تكون الغلبة في النهاية . وقد كانت له فعلا .

عناد وكبرياء وكرامة :

كان عبد القادر حمزة ، كما يعرفه كل من قرا له ، يمتاز باسلوب منطقى هادئ متزن يخاطب العقل قبل العاطفة ، وكان النحاس — شخصا وزعيما — يريد من مناصريه ان يكتبوا باسلوب اخر يلهب المشاعر ويوجهها الوجهة التى يريدها لنفسه وحزبه . وكان النحاس باشا في تلك السنة يقضى الصيف في الاسكندرية ويقيم في فندق « سان ستفانو » كعادته كل صيف .

وجلس النحاس باشا في شرفة الفندق وحوله بعض خاصته يقرا عدد « البلاغ » الذى وصل الى الاسكندرية ظهر ذلك اليوم واخذ يطالع مقال عبد القادر حمزة ، والنحاس كان رجلا حادا مندفع العاطفة عصبيا ، فما انتهى من قراءة المقال حتى ثار غضبه ومزق « البلاغ » والقاه ارضا وهو يصيح : ما هذا الكلام الذى يكتبه عبد القادر .. ؟ نريد قنابل ، نريد مقالات ملتهبة ، نريد كلاما من نار ..!

ووصل خبر ذلك الى عبد القادر ، فكان ما لا بد ان يكون ، وما لا يمكن ان يتصور غيره ولا اقل منه من عبد القادر حمزة

العنيد صاحب الكبرياء الشامخ : خصومة قاتلة حتى الموت ، وكانت كذلك فعلا : بقى عبد القادر حمزة بعد ذلك بقية عمره الد الخصوم واشد الناس عنفا فى محاربة النحاس ، وعلى رغم صمته وعزوفه كان يكلم كل من يلقاه بحماسة بالغة يوم اقيل النحاس باشا من الوزارة سنة ١٩٣٦ معلنا اياه بالخبر مهنئا له .

وقد كانت فترة هذه الخصومة خصبة خصوبة كبيرة فى مجال الصراع الصحفى والسياسى ، للبلاغ ، ومعارضيه من صحف الوفد ودارت فيها مناقشات ومصاولات شديدة العنف ، واثيرت قضايا سياسية بالغة الاهمية ، ولقيت الوزارة الحاكمة يوم ذاك معارضة قوية قل ان شهدتها وزارة من قبل ومن بعد .

ظلام ونور :

وكان عبد القادر حمزة يحس احساسا قويا بما كانت عليه اوضاعنا السياسية والحزبية من السوء .

تحدثت اليه يوما من ايام هذه الفترة ـ فى سنة ١٩٣٣ ـ فى وضع البلاغ وفى شئون مصر السياسية فى الداخل والخارج وعلاقتها بالانجليز ، فكان ساخطا كل السخط ، متشائما اعظم التشاؤم . ولكنه كان صلبا صلابة عجيبة . قال لى يوم ذاك ، بعد حديث زاخر بالمرارة وفى لهجة اشفقت عليه منها ، هذه الكلمة : نحن ، البلاغ ومصر ، فى ظلام ما بعده ظلام ، ولكن النور ات لا شك فى ذلك .

عفة اللسان والقلم :

والذين لم يعاصروا عبد القادر حمزة ولم يقرءوا له ، والذين لم يخالطوه او يعاشروه او يعملوا معه ، عسير عليهم ان يدركوا هذا المستوى الرفيع من عفة القلم وادب الخطاب الذى كان يحرص عليه ويلتزمه فى كل مايكتب ، وفى حديثه الشخصى ايضا ، مهما اشتدت الخصومة .

والى هؤلاء الذين لم يقرءوا له نورد هذه القطعة الصغيرة مثلا لاسلوبه فى المناقشة والجدل وادب الكتابة وعفة الخصومة ، وهو ـ فى نفس الوقت ـ يحدد فيها مسلكه فى النقد والمعارضة ، واسلوبه الذى يرتضيه :

« ... ومع ذلك تحرينا فى كلامنا عن هذه الأمور كلها الرفق الشديد والتلطف الشديد ، فلم يجر قلمنا بما يثقل على النفس ويستكره فى السمع او ينبو عن الذوق . لان غايتنا هى الاصلاح لا الايلام ، وطريقتنا هى الاقناع لا الايجاع .

وليس فى اسلوب التناول الذى نتوخاه مايمكن ان يشكو منه ادق الناس احساسا وارقهم شعورا ، اذ لا جفوة فى العبارة ولا عنف فى اللفظ ، ولا اغلاظ فى القول ، ولا شئ الا الموضوع ووجهة نظرنا فيه مبسوطة ومؤيدة بالحجج والبراهين . فاين سوء النية اذن وفساد الطوية وحب المعارضة للمعارضة ؟ » .

وكم اود لو ان بعض كتابنا اليوم يقرءون هذا ويفيدون منه .

اللغة العربية وسلامة الأسلوب :

وكان عبد القادر حمزة من اشد الكتاب حرصا على اللغة العربية وصحة الكتابة بها وسلامة اسلوبها ، مع هذه البساطة الجميلة الساحرة الخلابة ، وهذا واضح من اسلوبه ، ولم يكن يستعمل او يوافق على استعمال الكلمات الأوربية فى الأسلوب العربى الا فى اضيق الحدود . وقد سجل له مجمع اللغة العربية هذا الاثر فى نشر الكلمة العربية الفصيحة فى تابينه الذى سمعه اعضاء المجمع ـ وكان عبد القادر عضوا فيه سنة واحدة ـ وفى هذا التابين الذى القاه محمد توفيق رفعت ، رئيس المجمع يوم ذاك ، هذه الكلمات :

« وكان جهاد عبد القادر حمزة الصحفى بعيد الاثر فى نشر الفصحى واعلاء كلمتها . اذ كان فقيدنا الراحل فى طليعة الكتاب الذين حرصوا فيما كتبوا وما نشروا على الديباجة العربية » .

وهذا حق ، فقد كان عبد القادر ، مع هذا الاسلوب الذى رايناه يبلغ غاية الغايات فى البساطة والخلابة وفى الدقة البارعة وسلامة المنطق وعفة القلم وشمول الاحاطة ، لم يكن متهاونا فى الحرص على الاسلوب العربى السليم والبعد عن الدخيل . ولكنه لم يكن متزمتا ولا ضيق الافق .

كانت فى المحيط الادبى والصحف فى وقت من الاوقات مناقشات وجدل حول الالفاظ الاجنبية وادخالها فى الاستعمال العربى كما هى ، او البحث عن الكلمات عربية تؤدى دلالتها ولو على طريق المجاز او الكناية حتى يصقلها الاستعمال فتصبح حقيقية الدلالة فى معانى هذه الكلمات الاجنبية . فقال عبد القادر رايه فى هذه الكلمات :

« هذه الكلمات يجب ان تدخل العربية وتستعمل فيها كما هى حتى يستسيغها الذوق واللسان العربيان . فكلمة « اوتوميبل » مثلا يجب ان تستعمل بلفظها للدلالة على هذه الاداة الاوربية التى نستعملها والتى لم يكن يعرفها العرب ، ولا يصح ان تستعمل كلمة « سيارة » بدلا منها . ثم قال : صحيح ان كلمة «السيارة» وردت فى القرآن الكريم ، فى سورة يوسف، وهى تدل فى الآية على « السائرين » فى الطريق ، ولكنى لا اوافق على استعمالها بدلا من الكلمة الاوربية «اتوميبل» لما فى ذلك من الاشتباه ولأن هذه الكلمة اصبحت عالمية .

وقد يكون عبد القادر حمزة مخطئا فى اختيار المثل ، فقد اصبحت كلمة « سيارة » هى المستعملة فى الكتابة دون اشتباه، ولكن رايه فى جوهره سليم .

مثل وقدوة :

هذا المثل الرفيع من ادب الكتابة وعفة القلم وشرف الخصومة كان عبد القادر حمزة يحرص عليه كل الحرص ، ليس فيما يكتب هو فقط ، بل فى كل ما ينشره محرروه وغيرهم ، كان هذا المستوى « قانونا » يحرص عليه ويلتزمه كل من يعمل معه او يكتب « للبلاغ » .

فى اثناء عملى فى « البلاغ » راى عبد القادر ان يزيد صفحاتها الى ست عشرة صفحة ، واحدة منها للسينما والمسرح ، واختار لتحرير هذه الصفحة شابا طيب القلب ، ما يزال يعمل فى الصحافة الى اليوم ،وفى ضحى يوم من الأيام تحدثت ممثلة فاتنة كانت فى ذلك الوقت نجمة المسرح الاول واكثر ممثلاته نجاحا وشهرة ، تحدثت هذه الممثلة مع عبد القادر فى التليفون قائلة : هل قرات يا استاذ عبد القادر صفحة السينما والمسرح فى البلاغ امس .. ؟ فقال : ربما قراتها وربما فاتنى منها شئ قبل النشر، هل فيها شئ اغضبك .. ؟ فقالت : اقراها وستعرف انت ،

واترك لك الحكم . وقرا عبد القادر ما نشره المحرر الفنى للبلاغ فوجد فيه تلميحا الى هــذه المثلة غير كريم ، ولكن قل من يدركه .

ورأينا عبد القادر بعد لحظات واقفا على باب حجرته محتقن الوجه يكاد ينفجر من الغضب ، ثم نادى باعلى صوته حتى سمعه كل محررى البلاغ واسرعوا الى ابواب حجراتهم ينظرون ويعجبون نادى عبد القادر ، باعلى صوته ، وقل ان كان يعلو له صوت ، : قل للصراف ان يعطى هذا «الولد» حسابه الآن ويطرده ، ولا تجعلنى أرى وجه هذا « الكلب » مرة واحدة بعد ذلك ابدا .

ونفذ مدير « البلاغ » امر عبد القادر فى لحظات ، وخرج المحرر الفنى بعد دقائق ، وبقى عبد القادر بعد ذلك طول يومه ساخطا واضح الغضب .

وكان هــذا الشاب ابنا لصــديق من اعز اصدقاء عبد القادر وواحد من كبار الاعيان والأعضاء البارزين فى الحزب الســياسى الذى كان يناصره « البلاغ » .

ولم يسمع احد قبل هذه المرة ولا بعدها من عبد القادر حمزة كلمات « الولد » و « الكلب » ولا ما هو اقل منها عنفا .

عميد صحافة الرأى :

وكان عبد القادر حمزة عميد « صحافة الرأى » فى عصره وعند ما وضع اول تنظيم للصحافة كانت اول المحاضرات الصحفية فيه لعبد القادر ، فالقى محاضرة شاملة كاملة مدروسة فى الجمعية الجغرافية ـ سنة ١٩٣٦ ـ كان موضوعها : « صحافة الرأى » .

وليس معنى ذلك انه لم يكن يدرك قيمة الخبر الصحفى ، فقد كان يتحرى بنفسه عن الأخبار ، ويتصل بمصادرها ، ويتابعها، ويراجع الخبر الذى يشك فى صحته او يدرك اهميته ، كما كان يكتبها احيانا بنفسه . وكثيرا ما كان يناقش « المخبرين » فى الأخبار التى يشتغلون بجمعها من الوزارات والدواوين ويحاسبهم، وقد يشتد فى حسابهم اذا قصروا او فاتهم خبر او سبقت البلاغ بخبر فى صحيفة اخرى ولو كانت اجنبية تصدر فى القاهرة .

عظمة رجل :

كلما ذكرت عبد القادر حمزة بسمته الوقور ، واناقته البادية ، ومشيته الرزينة ـ ويمناه دائما فى « جيب البنطلون » ـ ونظراته الثابتة لا يكلم احدا ولا ينظر الى احد ، وكلما ذكرت كفاحه وصبره وصلابته وعناده ، وشموخه وشممه ، ذكرت ذلك الشعر المحكم الذى ينفجر قوة وعزة ، والذى يكاد صاحبه ان يتحدى به ، بقوة نفسه ، جميع القوى . ذلك الشعر من مقصــورة ابن دريد البارعة العظيمة :

لست ، اذا ما بهظتنى غمــرة ،
ممن يقول : بلغ السيل الزبى
ولا اقول ، ان عــرتنى نكبة ،
قول القنوط : انقد فى البطن السلى
لا تحسبن ، يا دهر ، انى ضارع
لنكبة تعــرقنى عرق المدى ...
مارست من لو هوت الأفلاك من
جــوانب الجو عليــه ما شكا
وظن ، لو كانت له الدنيا بما
فيها ، فزالت عنــه دنياه ، سوا
وان ثوت بين ضــلوعى زفرة
تهلا مابين الرجا الى الرجا
نهنهتهــا مكظومة حتى يرى
مخضــوضا الذى كان طغى

« محمود الشرقاوى »

المسلمون في مفترق الطرق

بقلم: محمد عبد الله السمان

هذا عنوان كتاب فكرت في تأليفه منذ أكثر من عشرة أعوام ، وبعد أن وضعت له تخطيطا شاملا ، ونسقت موضوعاته ، ورتبت عناصره ، صدمتني حقيقة مرة ، واكتفيت بأن أدع فكرته في طيات نفسي ، فلا وجود لمراجع عربية يمكن الرجوع اليها ، ولا مراجع أجنبية مترجمة تمكن الثقة فيها ، والاطمئنان اليها ، ولم يكن من اليسير أن أقوم بجولة في شتى بلاد العالم الاسلامي لأتعرف - عن كثب - على حقيقة أوضاعها الدينية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأقف على حقيقة أهدافها وآمالها .

وثارت الفكرة في ذهني منذ أيام ، حين وصلتني رسالة من طالب عراقي ، يستعد لتحضير رسالة موضوعها : « العالم الاسلامي ومكانته في موازين السياسة الدولية » ، وطلب مني أن أدله على أسماء المراجع العربية التي يمكن الاعتماد عليها في اعداد رسالته ، ولا سيما ما يختص منها بالاحصاء الدقيق عن عدد المسلمين في العصر الحديث ، وكان أن صدمتني الحقيقة المرة القاسية مرة أخرى .

والعجيب أن الأخ الطالب يحسن الظن بالمؤتمر الاسلامي ، والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ومجمع البحوث بالأزهر ، وجمعية الشبان المسلمين، اعتقادا منه أنه من الضروري أن تكون لدى كل من هذه المؤسسات دائرة معارف عن بلاد العالم الاسلامي ، واحصاء دقيق واف في شتى جوانب حياة المسلمين فيها ، وشكر الله للأخ حسن ظنه بمؤسساتنا .. وكفى .

كان بودي أن أذكر له مثلا مؤلف الدكتور عبد الرحمن زكي : « المسلمون في العالم » ، وهو في أكثر من سبعمائة صفحة ومطبوع في عام ١٩٥٨ ، الا أن هذا الكتاب لا يروى غلة دارس ، ولا يلبي حاجة باحث ، ولا يلم الماما دقيقا بكل البلاد الاسلامية ، والأقليات الاسلامية في غيرها ، صحيح أنه غني بالأرقام في تعداد المسلمين ، ولكنه تأثر باحصائيات مشوبة ، فضلا عن أنه لم يعن العناية المطلوبة بالأحوال الاجتماعية والسياسية والفكرية ، وغلب على مؤلفه السرد التاريخي .

كما كان بودي أن أحيله الى كتاب « الاسلام في المشارق والمغارب » للدكتور جمال الدين الرمادي ، الذي صدر ضمن مجموعة « كتاب الشعب » عام ١٩٦٠ ، ولكن هذا الكتاب قد يصلح لطلاب المرحلة الاعدادية ، ولكنه لا يصلح مرجعا لاعداد رسالة جامعية ، ففيه من السطحية والشكلية ما فيه ، الى جانب المتناقضات العجيبة ، أما تحرى الدقة في تقييم أحوال بعض البلاد الاسلامية ، فشيء لم يفكر فيه المؤلف .

انه مثلا يقول عند الحديث عن اليمن :

« ولما تولى الامام أحمد اليمن حقق كثيرا من النظم السياسية الرشيدة ، وفي اليمن ستمائة مدرسة أولية ، كما توجد مدارس ابتدائية في جميع المدن » وبالطبع الواقع غير هذا دون جدل .

ويذكر في مجال الاحصاء أن تعداد المسلمين في الكنغو البلجيكي ٢٫٥٢٢٫٠٠٠ أي أكثر من مليونين ونصف المليون ، فاذا رجعنا الى كتاب الدكتور عبدالرحمن زكي وجدنا أن عدد المسلمين هناك لايزيد على سبعين ألفا .

ولا شك أننا اليوم أمام معضلة في أيسر مهمة نريد تحقيقها ، وهي عمل احصاء شامل دقيق عن عدد المسلمين ، وسر المعضلة هو تقصيرنا الشائن من جانب ، واعتمادنا من جانب آخر على المراجع الأجنبية التي لا تتحرى كثيرا النزاهة ولا الدقة ، وأمامنا أمثلة كثيرة ، فالمسلمون في الصين تذكر المصادر الصينية أن عددهم ما بين خمسين وأربعين مليونا ، في احصاء عام ١٩٤٧ ،ويذكر أطلس التاريخ الاسلامي طبعة برستون عام ١٩٥١ أن عددهم ثلاثة وعشرون مليونا ، كما يذكر الأطلس الجديد للارساليات طبعة

عام ١٩٥١ أيضا أن عددهم لا يزيد على تسعة ملايين ويعقب الدكتور عبد الرحمن زكى بأن التقدير الصحيح ما بين خمسة عشر وعشرين مليونا ·

وذكر المرحوم شكيب ارسلان فى تعليقه على كتاب : « حاضر العالم الاسلامى » أنه لما وقعت الفتنة بين الصين واليابان من أجل منشورية أبرقت الجمعية الاسلامية فى الصين الى دوائر أوربا ببرقيات احتجاج باسم خمسين مليون مسلم بالصين ، وردت برقيات من طوكيو تزعم بان عدد مسلمى الصين خمسة عشر مليونا فقط ·

هذا مثل واحد من أمثلة كثيرة ، وأمامنا غيره الكثير ، فنحن الى اليوم لا نتمكن من احصاء دقيق للمسلمين فى لبنان وفى الحبشة وفى روسيا ومعظم بلاد أفريقيا السوداء ·

وليس أمام الباحث الا أن يعتمد على التخمين ، أو يرجع الى المصادر الأجنبية ، ومعظمها : اما من وضع المستشرقين ، واما من وضع المبشرين ، وكلا الطرفين لا يضع نصب عينيه النزاهة ، ولا تعنيه الدقة فى المقام الأول ، فنحن دأبنا منذ سنوات على أن نذكر أن المسلمين اليوم أكثر من أربعمائة مليون مسلم ، فاذا وجدنا كتاب « يقظة العالم الاسلامى » لفرتو يحصيهم بمائتين وخمسين مليونا ، فلايسعنا الا أن نقف موقف الحائر القلق ·

والمشكلة لم تزل قائمة ، أليس من الواقع المر ، أن يعنى الاجانب من المستشرقين والمبشرين العناية التامة فى مؤلفاتهم بشئون الاسلام والمسلمين، ونحن المسلمين نكتفى بالتهام هذه المؤلفات ، ونضطر الى الاعتماد عليها ، ونعطى انفسنا حكم المضطر الذى لا اثم عليه ؟؟

ان « أطلس التاريخ الاسلامى » هو الوحيد بين أيدينا ، وهو بكل أسف من وضع علامة أمريكى هو « هارى هازارد » ولو لم يترجم الى العربية فى القاهرة بمساهمة من مؤسسة امريكية هى مؤسسة «فرانكو» لظل الناطقون بالضاد محرومين منه · كم مؤلف ضخم وأجنبى صدر فى الاعوام الاخيرة ، كلها يهتم بشئون الاسلام المعاصر ؟ ومؤلفوها ممن يجب أن نقف منهم موقف الحذر :

كتاب : « داخل أفريقيا » وكتاب « داخل آسيا » لمؤلف أمريكى هو « جون جنتر » وكتاب « الاسلام فى العصر الحديث » لكاتبة ألمانية هى :« السى ليختنستادتر » التى قضت فى بلاد الشرقين الأدنى والأقصى ثلاثين عاما ، وكتاب « الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية » وهو فى سبعمائة صفحة ، ومؤلفه « سدنى فيشر » استاذ التاريخ بجامعة « أهيو » بامريكا ، وكتاب « الاسلام والجماعة المتحدة » ومؤلفه « مونتجومرى وات » عميد قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبره ، وكتاب : « يقظة العالم الاسلامى » وهو جزءان ومؤلفه « ف · و فرتو » وكتاب « كفاح الشرق الاسلامى » ومؤلفه « هانس رود » وكتاب : « الاسلام فى أفريقيا الشرقية » ومؤلفه مبشر هو « الدكتور ليندون هاريس » وكتاب « الاسلام فى التاريخ الحديث » ومؤلفه « ولفريد كانتويل سميث » استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة مونتريال ، وكتاب « المسلمون السود فى أمريكا » ومؤلفه القس الأمريكى « أريك لنكولن » وكتاب « الدين والشئون السياسية فى باكستان » ومؤلفه عضو فى قسم الدراسات السياسية المتخصصة لمسائل الشرق الأوسط والشرق الأدنى ، وهو « ليونارد بايندر » ثم دور « الاسلام فى مستقبل أفريقيا » وقد تناول هذا الموضوع عديد من كتاب الغرب ·

ولسنا نذكر هذه الكتب على سبيل الحصر ، فهناك عشرات الكتب ، عنيت عناية تامة بالاسلام والمسلمين فى شتى أحوالهما ، ولكن الذى نود أن نقوله : اننا لم نزل متخلفين فى العناية باخص مقومات حياتنا ، ولا يمكننا أن نتلافى هذا التقصير الا اذا اتجهت الدوائر الاسلامية الى وضع دائرة معارف عن الاسلام والمسلمين فى العالم ، باقلام اسلامية تتحرى الانصاف والدقة ، ولا تخضع لاتجاهات سياسية ، ولا تتاثر بخلافات لم تزل قائمة بين كثير من دول الاسلام ، على ان تصدر ملحق فى كل عام يستوعب ما جد فى العالم الاسلامى ·

ان هذه المسئولية تقع على عاتق المؤتمر الاسلامى، وعاتق المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، وعلى الأخص عاتق الازهر وفيه مجمع البحوث الاسلامية ، وادارة للبعوث الاسلامية ، فالازهر يستطيع عن طريق مبعوثيه المنتشرين فى سائر البلاد الاسلامية ان يؤدى هذه المهمة خير اداء ، اللهم الا اذا كان الأزهر فى حاجة الى من يقول له أولا : صح النوم ، وفى استطاعة العالم الأديب المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر ، أن يكفينا ويكفى الأزهر هذه العبارة بتوجيه منه الى الازهر الموقر ·

« محمد عبد الله السمان »

أقصوصة

أنا القاتل

نقد وتحليل : محمد عبد الفتاح أحمد

للأستاذ : محمود تيمور

لقد أثار انتباهي ــ وأنا أقرأ للأستاذ محمود تيمور ــ شيء يميزه عن سواه من كتاب القصة القصيرة . فكلما وقعت تحت يدي أقصوصة له ، أجد أنه يتجه بكل اهتمامه الى تصوير شخصيات تعاني صراعا ما حيث التجاذب والتوتر ، فتكون الشخصية منهوكة القوى تحت وطأة هذا الصراع .

والأقصوصة « أنا القاتل » تدور هي الاخرى حول شخصية غير سوية ، وقد قدمها لنا الكاتب في آخر ساعات حياتها حيث نتتبعها في جزئيات حياتها ، فعشنا انفعالها وأحسسنا بكل نبضة من نبضاتها . وهذا عن طريق التداعي الحر لأفكار الشخصية أو « المنولوج » الداخلي لها .

فما تجربة هذه الشخصية غير السوية اذن ؟

« لقد أحس هذا القاتل أنه تافه ، وقد فشل في مجرد جذب انتباه الناس اليه حتى بلغ من تفاهته أنه حرم احتقار الناس اياه .. وازراءهم به ، ولم يشرفه أحد بصفعة ، او ركلة أو بصفة تشعره بأنه انسان كسائر الأناسي . فالحشرة في مكنتها أن تعض أو تلسع ، في مقدورها أن تضر ، ومن ثم يكرهها الناس ويخشونها ، ويقيمون لها وزنا واعتبارا . أما بطلنا فهو أقل من الحشرة شأنا ، وأوهن قدرا ، وهو لا يسيء الى أحد ، وليس من شيمته أن يهب الخير لكائن ما . هو لا يحب ولا يكره . فلم اذن يرغب الى الناس في أن يهبوه محبتهم أو يمنحوه كرههم ؟ فهو يرى أن هذا حق وعدل أن يحظى منهم بذلك الاهمال !

وظل يحيا تلك الحياة المتوحشة حتى وقعت عينه يوما على خبر بارز في الصفحة الأولى يعلن اغتيال السيدة « م » سيدة المجتمع الأولى التي كانت بالغة الحسن، موفورة النشاط ، سخية اليد ، على رأس كل مشروع لبر ملحوظ ، دارها تغص بالعظماء ، وندواتها عامرة دائما بكل ما يبعث البهجة والايناس .

لقيت هذه السيدة مصرعها بيد مجهولة ، واكتنف قصة مقتلها غموض محير . فليس من أثر للسرقة ، وليس ثمة من باعث على الانتقام، فالكل يوليها محبته وتمجيده .

واستهوت « قضية القتل » بطلنا فمضى يواصل قراءتها في الصحف ، ولم يفلت منها شاردة أو واردة ، حتى استوعب دقائقها ، واستبطن خفاياها ، واندمج في أحداثها ، فأحس كأنه واحد من أبطالها .

والذي أثار اهتمامه كله ، شخصية « القاتل » وما يحللها من غموض . ولقد أوشك التحقيق أن يعلن افلاسه ، ويحفظ القضية ، مسندا تهمة القتل الى مجهول .

وفي يوم وهو يتابع أخبار القضية انسرح به الخاطر يقارن بين حياة تلك السيدة في حفلات السراة ، وسهرات المجتمع ، وكيف كانت تتألق في تلك المجامع وبين حياته التي لم تبد له الا في صورة كابية بليدة ، تبدو حتى تتزايل مستخذية ، متخاذلة . وهنا قفزت الى خاطره حادثة وقعت له منذ أعوام ، اذ اشتد به الضيق يوما لما يعانيه من وحشة وافتقار ، فسار على غير هدى ، مثقل القلب يستبد به يأس واذلال حتى وجد نفسه على جسر قصر النيل ، ومثل بجوار الحاجز يرمق النهر مضطربا بأمواجه . وطالت نظراته في الماء المتدفق ، وأحس كأن قوة خفية تنبعث من النهر فتجذبه اليه ... وبدأ يفقد وعيه ، ترنح ، وأوشك أن يتهاوى في الماء ... واذا بيد قوية تشده من الخلف، وثاب الى رشده، فتبين له أن رجل الشرطة ممسك بذراعه يهزه .. وما أسرع أن تجمع الناس حولهما ، وهم يحملقون في وجهه ، ويهمهمون : لقد كان مزمعا الانتحار ....! وأخذه الشرطي من يده وأفرجه من الزحمة وسايره وقتا وهو يلقي اليه بالنصيحة تلو النصيحة راجيا له من الله الهداية والغفران .

فكانت المرة الأولى في حياته أن يلحظ الناس له وجودا ، ومبعث هذا أمر واحد : هو أنه حاول أن يخرج من تفاهته باقدامه على الانتحار .

وهنا صمم على أن يحطم قوقعته ، ويبرز الى عالم النور يجتذب اليه الانظار ، ويلهب نحوه الأشواق ، ويسوي من شخصيته بطلا

من الابطال ، فليمزج حياته اذن بحياة السيدة « م » سيدة المجتمع الأول ، تلك التي كانت في موتها اعظم شأنا منها في حياتها ... لماذا لا يحشر نفسه في قضيتها فيكون هو قاتلها ...!

نعم هو قاتلها ... قتلها في نوبة من نوبات الغيرة الرعناء ... فقد كانت تلك السيدة العظيمة خليلة له ...! كانا عاشقين متيمين يهيم كل منهما بصاحبه هيام جنون ، وكانا يلتقيان في الخفاء مغالين في الحيطة والحذر ، فلم يكشف سرهما أحد ... ويوما وقع في وهمه أنها قد وهبت نفسها لسواه ، فثارت ثائرته ، فنهض من فوره وقد أحس كأن بركانا قد تفجر بغتة في كيانه ، وانطلق يعدو في الطريق وهو يتصايح مرددا في هيجة عارمة : أنا القاتل ... أنا الذي قتلت السيدة « م » .

وأخيرا وبعد حين وجد نفسه أمام المحقق ورجال الشرطة تحدق به من كل جانب،وجمع كبير من عامة الناس يتزاحمون من حوله متطلعين اليه ، وأصبح تحت الأضواء ،ومحور أنباء الصحف وتعليقاتها .

وحين طلب منه المحقق أن يروى له كيف قتل السيدة « م » لم يستعص عليه القول ، ومضى يتكلم في ثقة ، وقد انطلق به الخيال كل انطلاق :

فقد اقبل عليها كمألوف العادة طلق المحيا ـ وقد بيت امر قتلها ـ فهرعت اليه في شوق تدلى فمها المكتنز الوردى من فمه ، فما أسرع أن احتواها في أحضانه مطوقا جسدها الريان بذراعه ـ وقد أخفى النصل المسنون في كمه ـ والتحما ـ دون كلام ـ في قبلة عنيفة ، قبلة تكاد تتمزق لها شفاههما المتضرمة ، وفيما هما يستمرئان متعتهما السحرية ، واجفانهما مسبلة ، وأنفاسهما متصلة ، غيّب النصل المسنون في ظهرها حتى لم يبق منه الا مقبضه ، فقد غيبه في مهل ومهارة وبراعة واحكام ، فلم تستشعر له ألما، واستيقن أنها فارقت الحياة ، بيد أن شفتيهما ظلتا ملتحمتين ، وجسديهما ظلا متعانقين...

وكان المحقق يصغى الى حديثه وهو فاغر فاه في دهشة وعجب بل كان هو نفسه يستمع الى اقواله وهو في غمرة من حيرة وذهول... أكان حقا هو ذلك المتحدث اللبق الذي راح يصوغ من صيد أوهامه قصصا كأنها من واقع الحياة ؟! وراعه تفتق ذهنه واتساع أفق خياله

... حقا انه لعظيم ، عظيم لأنه ألقى بالقنبلة في وجه الناس ، فما اسرع ان تلقفوها في اكبار وتمجيد .

هذه هي التجربة،وقبل أن نتناول شخصية البطل بالنقد والتحليل نحاول أن نسأل سؤالا :

ما الهدف الذي اراده تيمور من أقصوصته هذه ؟

ويمكن ان نجيب على هذا السؤال من نص القصة ، وبجملة جاءت في خاطر البطل وهي :

« ان العظيم ليؤثر أن يحيا ساعة واحدة ، تحيط به هالة المجد والفخار ، على أن يعيش العمر ، مغمورا يبتلعه الضياع والنسيان ».

وتيمور في ايراده هذه التجربة يريد أن يضع أيدينا على مشكلة المشاكل عند الانسان الى « الحاجة الى تأكيد الذات » متفقا واتجاه العالمين « سنج » و « كومب » .

وعلى اساس ما سبق نجد ان الهدف الذى اراده تيمور من الأقصوصة هو هدف اجتماعي نفسي .

وأول ما يلفت نظرنا بعد الانتهاء من قراءة أقصوصة « أنا القاتل » هو أننا لا نستطيع أن نلمح بعد البطل الجسمى أو كيانه المادى العضوى كما لا نستطيع أن نلمح بعدها الاجتماعي أى الظروف الاجتماعية التى أحاطت الشخصية وهى تتصارع مع الاشخاص والقيم الاجتماعية وهى تعيش حياتها ، أما البعد النفسى لها فقد اهتم به الكاتب كل الاهتمام وأبرزه في دقة فائقة وفن يدعو الى الدهشة والاعجاب :

وقبل أن نناقش تقصير الكاتب في رسمه للبعدين : الجسمى والاجتماعي للشخصية ينبغي أن نلفت النظر الى أهمية دراسة الشخصية في أبعادها الثلاثة السابق ذكرها.

فالبعد الجسمى او الكيان المادى المتصل بتركيب الجسم للشخصية يلون ـ بلا جدال ـ نظرتها الى الحياة ، ويؤثر على تطورها الذهني ، واتجاهاتها النفسية .

والبعد الاجتماعي الذى تظهر فيه كل الظروف الاجتماعية التى تعيش فيها الشخصية ، تلك الظروف التى تتفاعل معها الشخصية،وتصطدم بها ، أو تتلقى عنها ، وتتأثر بها .

ثم ان البعد النفسى للشخصية هو ثمرة بعديها الآخرين ، ولا يمكن أن نفهم دوافع سلوك الشخصية أو معاني انفعالاتها الا على ضوء البعدين : الجسمى ، والاجتماعي .

والاستاذ محمود تيمور من الكتاب الممتازين الذين يستطيعون ـ دون جهد أو تكلف ـ أن يجلوا دوافع سلوك شخصياتهم بنتائج التفاعل الاجتماعي ـ اقول يستطيع هذا بقدرة فائقة وهذا باستخدام الجمل القصار المشحونة بظلال ايحائية عميقة .

ومما يدل على ذكاء تيمور الفنى أنه لم يجعل بطله يسقط فشله على الآخرين أو على موضوعات خارج ذاته ، لأن عملية الاسقاط تساعد الانسان ـ الى حد ما ـ على الاحتفاظ بكيانه وتوازنه النفسى ، ولو أنه فعل ذلك لما تم الحدث وفق ما رسم وأراد ، ولكن تيمور العبقرى جعل بطله يتخلى عن عملية الاسقاط، ويرتد الى داخل ذاته فلا يرى عيبا في أحد الا فيها ، فأصبح بذلك متعصبا ضد نفسه .

ومن تلميحات تيمور الذكية التى تدل على فهم أساليب التفكير النفسية لشخصياته أنه عرض لنا الأقصوصة من خلال أفكار البطل ، وهذا يوحى لنا أن البطل كان يعيش حياته داخل ذاته غارقا في دنيا الأحلام ، أحلام اليقظة يحقق فيها كل ما يصبو اليه ولم يستطع تحقيقه في دنيا الواقع ، والدليل على ذلك حين نسمع بطلنا يقول : «عدت الى قوقعتى المتبلدة ، قوقعة التفاهة والخواء ...! » وفى موضع آخر يقول : « فلم لا أحطم اليوم هذه القوقعة وأبرز الى عالم النور ...؟! »

وهكذا نرى أن تيمور قد اعطانا شخصية نموذجية تعاني القصور (عقدة النقص)،وبقى أن نسأل سؤالا هاما هو : ما منطق تيمور الذى اتبعه في تطور الحدث ؟ وهل هذا المنطق يتفق والأصول السيكلوجية لمن يعاني القصور ؟

وقبل أن نجيب نحب أن نلفت النظر الى امر هام وهو أن تيمور لم يعط لبطله اسما، وهذا يدل على أصالة فنية فيه ، اذ أنه لم يقصد الى سرد قصة زيد من الناس ، ولكنه يريد أن يعالج ـ كما أسلفنا ـ مشكلة انسانية يعانيها عدد غير قليل من الناس . كذلك لم يسم شخصية السيدة « م » ، لأنه يرمز بها الى الحاجات الاجتماعية النفسية التى يسعى الناس الى اشباعها كالحاجة الى الانتماء والى القوة ، والسيطرة ، والأمن ،

والتقدير والمركز، وما الى ذلك ، الا أنها حاجات ضرورية للانسان لتشبع الحاجة الاساسية وهى الحاجة الى تأكيد الذات .

والآن نفرغ الى الاجابة على ما طرحناه من أسئلة .

فالبطل يعاني القصور ، لانه فشل في تأكيد ذاته اجتماعيا ، فاتجه الى داخله يعيش في أحلام اليقظة يحقق فيها ذاته ويؤكدها مما أدى به الأمر – لاشعوريا – الى الشعور بالاثم . وهذا ما يقلقه ويعذبه ، فاحتقر ذاته ، وأدى ذلك الى صراع رهيب ، ولكن ها هو ذا يقع نظره في الجرائد على خبر مصرع السيدة (م) سيدة المجتمع الأولى ثراء وفتنة وصيتا مدويا ، فهي قد نجحت فيما فشل هو فيه ، فأحس تجاهها بالحقد احساسا لاشعوريا ، وأعجب بمقاتلها ، فهو – في رأيه – ذو عبقرية اجرامية تدعو الى الاعجاب . واعجابه هذا بعبقرية القاتل يرجع لتساويهما في الغموض والمجهول ، ولأنه قتل امرأة دخلت المجتمع الذي عجز هو عن دخوله ، والدليل على ذلك أنه انسرح به الخاطر في أجواء فساح ، فطفق يعرض صورا من حياة تلك السيدة في حفلات السراة ، وسهرات المجتمع ، وأسواق الخير ، والمبرات وكيف كانت تتألق في تلك المجامع تألق اللآلىء الفريدة على صدور الحسان ، ثم انعطف الى حياته يعرض صورا منها ، فاذا هي صورة كابية بالية لا تكاد تبدو حتى تتزايل مستخذية متخاذلة .

فكأن هذه المقارنة التي عقدها في أحلامه بين حياة تلك السيدة وبين حياته هو ، جعلته يحس بالمرارة والفشل ، فتزداد كراهيته لذاته ، لأن حياة السيدة (م) تخطف الأبصار وتهز المشاعر ، بينما هو حياته ليس لهـا كيان تتميز به ، فهي ضائعة أبدا في خضم الحياة المتدفع .

*

فيالها من مرارة مرة تلك التي أحس بهـا البطل .

ألم يستطع يوما أن يجذب انتباه الناس ؟

نعم ، فقد حدث ذلك مرة .. ولكن متى ! وكيف ؟

ذلك حين استطرد به الخاطر الى الماضي ، الى التجارب السابقة ، فقد وقعت له حادثة منذ أعوام . يوم أن اشتد به الضيق ، لما يعانيه من وحشة وافقار ، فقد قضى نهاره كله اجمعوا امرهم أن يقاطعوه فسار على غير هدى ، منقبض القلب ، يستبد به يأس واذلال . والقى خطاه تدفع به الى جسر قصر النيل ، ومثل بجوار الحاجز يرمق النهر مضطربا بأمواجه .. وطالت نظراته في الماء المتدفق ، وهنا حدث صراع داخل نفسه بين الرغبة القوية في أن يساير تيار الحياة المتدفقة وبين عجزه ، فأحس كأن قوة خفية تنبعث من النهر فتجذبه اليه ، فسلك سلوكا لاشعوريا ليسير مع التيار ، أي تيار متدفق ، ولو تيار يذهب لم يبادله فيه أحد من قول ، وكأن الناس قد به الى الجحيم ، وبدأ يفقد الوعي ويترنح ، وأوشك أن يتهاوى في الماء .

ولكن يد الشرطي تنقذه ، ويتجمع الناس ، ويصبح محور اهتمامهم وتعليقاتهم .

فها هي تجربة خاضها ، ومن نتائجها أنه أحس للمرة الأولى في حياته أن النـاس قد احسوا بوجوده ، ومبعث هذا أمر واحد هو أنه حاول أن يخرج من تفاهته باقدامه عـلى الانتحار .

وتذكره لهذه التجربة كان بمثابة رد الفعل الذي أثار له خطة المستقبل مما جعله يقوم بعمل جبار يغير مجرى حياته التافهة .

فلم لا يحطم اليوم هذه القوقعة التي تحصن بها ويبرز الى عالم النور ، عالم الشهرة الذي يريده في اصرار ، ليجتذب اليـه الانظـار ويسوي من نفسه بطلا من الأبطال .

وهكذا وجه تيمور – في عبقرية فذة ووفق المنطق السيكلوجي – الحدث دون تكلف أو فجاجة .

ولكن يزيدنا تيمور اعجابا بعبقريته يوجه الحدث مرة أخرى حسب المنطق السيكلوجي وهذا حين جعل البطل الحاقد على السيدة (م) يطعنها في شرفها ، ويسيء الى سمعتها انتقاما منها ، وهي الناجحة فيما فشل هو فيه .

فقد جعل نفسه يقتلها في نوبة من نوبات الغيرة الرعناء .

فقد كانت تلك السيدة العظيمة – في نظر المجتمع الأبله – خليلة له ، اذ كانا عاشقين متيمين ، يهيم كل منهما بصاحبه هيام جنون . وكانا يلتقيان في الخفاء مغاليين في الحيطة والحذر ، فلم يكشف سرهما أحد .. ويوما وقع في وهمه أنها قد وهبت قلبها لسواه ، فثارت ثائرته ، وطعنها بنصل مسنون .

فقد جعل البطل اذن من هذه السيدة العظيمة عاهرا لينتقص – لاشعوريا – من نجاحها ومن عظمتها ، فكأنه يرميها من غير وعي بالحقارة وانها لا تستحق كل ما استحقته من شـهرة ونجاح في هذا المجتمع الغبي الذي رفضه .

ولم تقف عبقرية الكاتب عند هذا الحد ، بل جعل هذا البطل الذي على الرغم من شدة حنينه للمرأة ، ورغبته في الزواج ، لم يجد من تقبله زوجا لها ، فقضى سني حياته الثلاثين في تشوق اليها وولع . ومعنى هذا أنه يحس بالحاجة الى أن يكون محبوبا من امرأة .

ونرى بوضوح عبقرية تيمور وهو يورد هذا الاعتراف الموهوم على لسان بطله . فهذه السيدة ترمز في لاشعور البطل الى شيئين : ترمز أولا الى الحاجات الاجتماعية التي فشل في اشباعها .

وترمز ثانيا الى الحاجة ليكون محبوبا من امرأة تمنحه حبا .

وهكذا أخيرا ندرك بوضوح كيف جعلنـا الاستاذ محمود تيمور نعيش هـذه التجربة الفريدة بكل خلجة من خلجاتنا دون أن نشمئز من شخصية البطل ، بل جعلنا نرثي له ونعطف عليه . وهذا دليل العبقرية الفذة ، والأصالة الفنية الفريدة التي تربعه – بحق – على عرش القصة القصيرة .

محمد عبد الفتاح احمد

حول الأدب



بقلم عبده بدوى

مع فراشات ونواد

الشاعر «العوضى الوكيل» معروف بغزارة الانتاج، وبانه لم يتحـول تحولا كامـلا عن هذا الفن الذى يهرن الـكثيرون الآن من ناره العـالقة فى الأقـلام والنفوس .. فهو الى جانب دواوينه العديدة يوجد له كتابان للشعر فيهما الجانب الكبير ، ومعنى هذا انه قد أصبح من النضج بحيث لا يستطيع الناقد أن يخطىء ماوصل اليه من الشفافية وأحكام المعمـار ، وتوهج الصورة ، وكونية الكلمة ، فكل شاعر مطالب بهذا بالاضافة الى وجهة النظر العصرية ، التى يمكن ان يقال فيها ان الشاعر يعيش بيننـا ، صحيح أن الشاعر لا يطلبمنه الا أن يغرس أهدابه فى المستقبل متجاوزا الحاضر ، ولكنه اذا استطاع أن يلوى فى وجهه بحيث يجعله دائما فى حالة تلق للماضى .. كان من الواجب أن نقول له : أعد لنا وجهك مرة ثانية .

وعلى كل فنحن نرى الشاعر العوضى الوكيل فى « فراشات ونوار » قد تآمر على نفسـه فى هـذا الديوان اذا اعتبرناه خطوة تالية لما أصدر من قبل من دواوين . أما اذا كان مختارات من شعره فهو لا يخلو أيضا من اللوم ، لأن هذا الاختيار لم يقم على أساس انه أجود شعره ، أو أنه يمثل تيارا معينا فى هذا الشعر يحب الشاعر أن يقدمه للقارىء .

والسبب فى هذا أن الشاعر قد «سطا» على شعره القديم ، وبخاصة ديوان « أغانى الربيع » الذى صدر فى عام ١٩٣٩ ، وكان أن قدم لنا عددا وفيرا من قصائده مثل : الغد فى حلوان ، صدى قبلة ، لون العيش ، نداء الباعة ، فى موكب الربيـع ، وحى لقاء وبالاضافة الى هذا تجده يلم بكتاب « رسـوم وشخصيات » ولا يكتفى بنقل بعض الشعر ، وانما يضيف الى عملية النقل هذه المقدمة التى صدر بهـا الكتاب .

فالشاعر قد تآمر ضد نفسه ، لأنه اذا كان قد أبعد هذه المختارات التى تشتت القـارىء ، والتى لا تساعد على تكوين خط واضح لشعره .. اذا كان قد أبعدها ، فانه بلا شك كان سيظهر الاضـافة المثرية التى تصدر فى كل ديوان جديد ، وكان - فى

الوقت نفسه ـ سيعمق خطين كبيرين لا يخطئهما المتعمق لشعر الشاعر والمتتبع له من زمن بعيد ٠

فالخط الأول هو خط الطبيعة ، فهو يذكرنا دائما بقول س٠ت٠كولردج الذى يؤكد أن فى داخلنا تحيا الطبيعة ، وتستطيع أن ترى هذا فى قصائد الفراشة، عمر الورد ، الزهرة ، فاتنة الربيع ، الطبيعة فى الصحراء ، ياشمس القمر المطل ٠٠ بل ان الخامة التى يعتمد عليها كل شعره يمكن أن ترجع الى الطبيعة فى بساطة ، صحيح أن بعض ماقيل فى الطبيعة يقوم على الوصف ، الا أن البعض الآخر يقوم على الحوار الدرامى الشفاف ، فاذا كانت قصائد الوصف عنده تؤكد أن الطبيعة ظلت كما هى منذ البدء لم تتغير ، فان قصائد الحوار الدرامى تؤكد أن الذى يتغير هو نظرة الشاعر نفسه ، وما أجدر الشاعر بان يتحول تماما الى هذه الخاصية التى تمت الى الشعر باكثر مما يمت اليها الوصف ، والتى يمكن أن تحس بها فى عدة قصائد مثل قصيدة « عمر الوردة » :

قلت للوردة لما ابتسمت
حينما كللها قطر الندى
وسرى الصبح اليها بهجا
وجرى الطير عليها غردا
والضحى عن جانبيها ألق
والضحى انس وحب أبدا :
« انعمى بالصبح فالليل متى
جاء ألقى بك فى جب الردى
ما تعيشين سوى يوم فان
يمض راح العمر أوضاع سدى »
قالت الوردة لى : «ياعجبا
انا لا احسب عمرى عددا
وقصير هو لكنى به
أعرف الحب فاسمو صعدا
وكفاني من حياتى لمحة
ألبستنى ـ حين مرت ـ رغدا
لمحة الحب وناهيك بها
ما بها تمضى حياة بددا »

أما الخط الثانى الذى يمكن أن نراه بوضوح فهو خط الزمن عند الشاعر كما فى قصائد: « آخر خمس دقائق ، لن أشيخ ، ابنو بالحب ، وجمجمة » والزمن عند الشاعر قوة تطحن الجسم ولكنها لاتطحن القلب ، وهو وقت يمكن الانسان من المتعة ثم يسلمه بعد ذلك للموت ، وهو قد يتحايل على هذا الزمن فيذكر أنه مهما مر عليه الزمن فانه لن يتعدى العام العشرين كما فى قصيدة الزمن والحب ، وأن الزمن يجب أن يقاس بالمتع التى تؤخذ منه كما فى قصيدة جمجمة التى تذكر بمناجاة هاملت لاحدى الجماجم ٠٠ ولعل هذا الاحساس الزمنى الذى يلح على الشاعر هو الذى يجعله يقدم ترجمة لقصيدة الوداع الأخير لشاعر فليبينى وهى تدور حول الاحساس الحاد بالزمن ، ويترجم أغنية ايطالية معاصرة تؤكد امتلاك الامس ، وامتلاك الغد قبل أن يأتى ، كما يقدم ترجمة لأغنية فرنسية تنادى أكثر من مرة بتجميد الزمن فى الليل وعدم السماح له بالمرور ، ولعل قصيدته « آخر خمس دقائق » هى التتويج لهذا الاحساس الزمنى ، الذى يدور حول استعطاف الموت فى منح خمس دقائق بالاضافة الى كمية الزمن المخصصة للعمر ٠

هذان هما الخطان البارزان فى هذه المجموعة ، وهما خطان عميقان كان يمكن للشاعر أن ينميهما لولا هذا الكسل الذى جعله يضم زهورا قديمة الى زهور جديدة ٠

فاذا أضفنا لذلك أن الشاعر يحسن استخدام الصور البصرية ، ويبهر النفس بهذه الالتفاتات السريعة الثرية التى لا تنتهى برفع البصر عنها لحساسية القطع والانتقال كما فى الاسلوب السينمائى مثل قوله فى صدى قبلة :

ثغرك فيه قبلة
كأنها تهتف بى
كالطيف فى رقص ، وفى
سرى ، وفى مشرب
هذا صداها فى فمى
يذهب كل مذهب

صحيح أن الصورة تهتز بعض الأحيان فى شعره ، حين يستخدم بعض الألفاظ المعجمية ، ولكن مما لاشك فيه أن الشاعر يمكنه بانصهار أكثر فى التجربة أن يذود عنه هذه الألفاظ الدخيلة على العملية الشعرية وعلى اللغة اللماحة الذكية للعصر ، كقوله فى حبيبته ان بها « عبسة ونفار » أو قوله فى مطلع قصيدة الاسكندرية ـ الا اذا كان يهتدى بالمطالع المتنبية :

أرض المنى ومرادة الأرواح
يا ليت حسنك لائم أجراحى

ثم لا بد من القول هنا ان الشاعر يغمس قلمه فى مداد العقاد ، لا لان الشاعر كتب عنه أكثر من قصيدة ولكن لانى ألمح أحيانا التأثر بطريقة بناء العقاد للقصيدة ، وبطريقة الهجوم السريع على الفكرة دون أن ترطب بالمرور على القلب ، ولعل هذا هو الذى يجعل بعض القصائد لا تخرج عن لفتات ذهنية مثل قصائد منجم ، وأزاهر فى يدى ، لست منه وليس منى ، الزهرة ، بل ان هناك تشابها بين قصيدة نداء الباعة ص ٢٥ وقصيدة أخرى مماثلة للعقاد فى ديوان « عابر سبيل » الذى صدر عام ١٩٣٧ ، بل ان قصيدة « صدى النور » لاتخرج عن مضمون كلمة العقاد : « كلما أمعنت فى الحس والتفكير تبين لى أن النور هو سر الاسرار ، واننا سنكشف حقيقة الدنيا يوم نكشف حقيقة النور ، فالنور ينسخ كل شىء ، وكل شىء ينتهى الى النور » هذه لمسات سريعة عن الاضافة التى أضافها ديوان فراشات ونوار ، والذى يعتبر ملمحا لابد من التعرف عليه لقارىء الشعر ، وفى الوقت نفسه لابد أن نسر فى قلب الشاعر أن عليه ألا يلتفت الى الماضى فيقدم لنا أول ماتقع عليه عيناه الا اذا كان هذا يخدم وجهة نظر جديدة يريد أن يضع القارىء أمامها ـ وأحسب أن هذه مهمة الناقد لا الشاعر ـ وأن عليه أن ينسى بعض الألفاظ والجمل الهشة التى تعرف كيف تنفذ من أحد الثقوب الى معماره الشعرى ، مما يجعل القارىء عرضة للتشتت أو الابتعاد عن المجرى العميق للقصيدة .. ثم لعله ـ أخيرا ـ يعطينا الحق فى أن نطلب منه الا يشعع طاقته فى اللمحات الصوتية السريعة ، وفى الصور الخارجية للانسان ، فهناك التجارب الانسانية التى يمكن أن تستوعب طاقته ـ كما فعل فى ديوان شفق ـ فنحن لا نريد منه هشاشة الفراشة ، ووداعة النوار ، ولكنا نريد منه عمق الإنسان وصراعه واصراره على الحياة مهما كانت الظروف التى تحيط به ، وما أحسب الشاعر الا سائرا فى هذا الطريق .

حول جماعة ابولو وأبى شادى

اذا كانت كلمتى فى العدد الماضى قد أثارت الزميل عبد العزيز الدسوقى ، فانه يسعدنى أن أنشر فى هذا الباب هذه الكلمة التى لم يشأ أن تقف عند توضيح ماقلت ، وانما عند أشياء كثيرة فى مقدمتها دوره فى الدراسة الرائدة عن جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث ، وعن القيمة الحقيقية لهذه الجماعة وهل هى تيار أم مدرسة ؟ ولعلنا بهذا نكون قد حاولنا أن نجذب دائرة الرسائل الجامعية من المشاهدين المحدودين الى دائرة أكبر ، مما يؤدى الى متابعتها والاهتمام بها .. واذا كانت هناك كلمة اقولها للاستاذ عبد العزيز دسوقى فهى أنى لست أنا الذى وضحت التناقض فى القول بتجديد مطران وعدم تجديده وانما اللجنة هى التى قالت هذا ، وقد نقلت عنها هذه الكلمة بكل أمانة ، ومع هذا فانى أفتح الذراعين لعتاب الصديق لأنه كان على بعد أن سمعت هذا الكلام من اللجنة أن أرجع الى كتابه ، بل كان على ألا تفوتنى الى الآن قراءته ، فله منى المعذرة ، وللقراء منه هذه الكلمة .

كتب الصديق الاستاذ عبده بدوى فى العدد (١٠٦) من مجلة الرسالة القراء تعليقا على مناقشة رسالة الصديق الشاعر كمال نشأت للدكتوراه « احمد زكى ابو شادى حياته وشعره » وقد استوقفتنى فى التعليق العبارة التالية « اذا كان عبد العزيز الدسوقى يذكر فى رسالته ان مطران لم يجدد لانه مسيحى ، فان كمال نشأت يقول ان مطران لم يجدد الا لانه مسيحى » .

وكنت قد قرأت قبل ذلك بيومين فى مجلة الثقافة تلخيصا لرسالة الصديق كمال نشأت فى « جولة الثقافة » التى يقدمها الاستاذ فؤاد نور وقد جاء فى نهاية هذا التلخيص تركيزللنتائج الجديدة التى انتهت اليها رسالة الدكتور كمال نشأت فى سبع نقاط .. تقول النقطة الخامسة منها « صححت كثيرا من المفاهيم الخاطئة الشائعة وسط الأدباء ، كما هو موجود فى النقاش مع عبد العزيز الدسوقى فى كتابه « جماعة ابولو وأثرها فى الشعر الحديث » واتهام العقاد لأبى شادى بانه صنيعة السراى » .

وقد كان حريا بى ان تنتعش روحى واسعد ... لان افكارى وارائى اخذت تشق طريقها الى اروقة الجامعات والمعاهد العليا ، وتناقش فى رسائل للدكتوراه ، ولا يهم بعد ذلك الاختلاف فى الآراء فسيبقى مجال الدراسة الادبية والانسانية متسعا لاختلاف النظرات والافكار .

ولكننى احسست بحزن وضيق .. عندما علمت من الأصدقاء ان كمال نشأت استخدم فى رسالته للدكتوراه اسلوب الاثارة والتجريح على نحو ما يكتب فى الصحف والمجلات .. واذا صح ذلك فهذا شىء مؤسف ان يتحول المنبر الجامعى الى ميدان للاثارة والسطحية والاعتداء على اصحاب الدراسات .. وانا بطبيعة الحال لم اقرأ رسالة الدكتور كمال نشأت حتى الآن وساحاول ان افعل .. ولهذا سأترك هذه القضية حتى التقى بنفسى على ما كتب الصديق العزيز كمال نشأت واقرأ ما جاء فى رسالته من آراء خاصة بى وبكتابى .

ولكننى هنا ساذكر بعض الحقائق لقراء الرسالة والثقافة الذين قد

يفهمون مما نشر حول كتابي انه ملء بالمفهومات الخاطئة ، او انني قلت ان مطران لم يجدد لانه مسيحي ...

وسأركز بقدر الامكان ما اريد ان اقوله في نقاط سريعة :

اولا : كتابي لم يكن كما توحي مجلة الثقافة مجرد كتاب نشرته التماسا للشهرة ، بل كان رسالة ماجستير تقدمت بها لمعهد الدراسات العربية وقد سجلت هذه الرسالة في خريف عام ١٩٥٤ واشرف عليها المرحوم الدكتور محمد مندور ثم نوقشت الرسالة في مايو سنة ١٩٥٩ ... واوصت لجنة الامتحان بطبع الرسالة تقديرا لها .. وقد طبعت بالفعل في عام ١٩٦٠ .. واحتفى بها المفكرون . وانا لا اذكر هذا تفاخرا ولكن لاقرر ان امر الرسالة كان مشهورا ولم يكن خافيا على كمال نشأت فاين كان هو ولم لم يصحح لي الأخطاء التي شاعت فيها بعد في اوساط الأدباء .

ثانيا : رسالتي كانت دراسة لتيار شعري هو تيار ابولو . ولم يكن دراسة لشخص ... وقد تناولت في الفصل السادس بالدراسة والتحليل « ابو شادي — حياته وشعره ودواوينه ومسرحياته » وكل الاحكام التي نشرت في الثقافة على انها من ابتكار كمال نشأت بمثابة تلخيص لهذا الفصل من كتابي وانني اطلب في هذا المجال شهادة الدكتور عبد القادر القط الذي اشرف على رسالة كمال نشأت والذي حدثني اكثر من مرة عن كتابي واهميته وانه يدرس منه بعض اجزاء في كلية الآداب بجامعة عين شمس ، واذكر ان الدكتور عبد القادر في البرنامج الثاني اخذ على انني احتفيت بابي شادي واطلت في دراسة آثاره مع انه يقل عن كل زملائه في جماعة ابولو .

ثالثا : اتهام العقاد لابي شادي بانه صنيعة السراي انا الذي ناقشت فيه العقاد وسجلت ذلك في رسالتي ولست ادري كيف صحح كمال نشأت هذا الامر وهو لا يملك ادوات البحث فيه بعد ان مات العقاد يرحمه الله . اما اخطائي انا فلن اعرض لها ما دمت لم اقرا نص كلام الصديق العزيز .

رابعا : في رأيي — وهذا نقد يوجه الى قسم اللغة العربية بجامعة عين شمس — ان ابا شادي ما كان يصح ان يكون رسالة للدكتوراة في العربية ، وخصوصا بعد ان درس في مصر ... فاذا كان عضدا حتما .. افكنت اريد ان يدرس ابو شادي المهجري ، فهو الذي لا يزال في حاجة الى تعمق .. وان كان الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي قد اصدر منذ وقت مبكر كتابا عن ابي شادي رائد التجديد في مجلدين لا اعتقد ان كمال نشأت مهما وصل من حماس لابي شادي سيصل الى حماس الاستاذ خفاجي واحاطته بابي شادي فاين الجديد الأصيل الذي اضافه كمال نشأت برسالته للدكتوراه الى حقل الدراسات الادبية .

خامسا : انا لم اقل ان خليل مطران لم يجدد .. بل ان هذا لم يطف بذهني ابدا ... بل تحدثت عن تيارات التجديد التي سبقت جماعة ابولو وفصلت منها تيارين :

التيار الأول : تيار ذاتي ويمثله « العقاد والمازني وشكري » (جماعة التجديد) وقد كنت سميتهم خطأ جماعة الديوان .

التيار الثاني : التيار الموضوعي (ص ٦٣ من كتابي) ويمثله خليل مطران ، وقد درست هذا الشاعر بدقة ووقفت عند تجديداته وظروف حياته وعشت مع شعره وانتهيت الى انه لم يقد تيار التجديد كما يقرر كل النقاد والدارسين ، وانما الذي قاد هذا التيار هي « جماعة الديوان » او جماعة التجديد كما اسميها الآن في دراساتي الحالية ، وقلت ان مطران كان يعيش في مصر غريبا يحس هذه الغربة في اعماقه ، ولهذا كان يخفي مشاعره وكان رحمه الله شديد الحساسية ، كثير العاودة لنفسه ولشعره وكانت التيارات السياسية والدينية تصطخب في الحياة المصرية اصطخابا عنيفا ، وكانت اللغة العربية والحضارة العربية شعارا مقدسا يمتزج بالمشاعر الدينية حتى كان المرحوم مصطفى صادق الرافعي يدخل معاركه الادبية « تحت راية القرآن » فهل كان من الممكن ان يقود خليل مطران المسيحي المتزن السمح الوادع تيار التجديد في هذا الجو العاصف ... ومع ذلك — كما اكدت في رسالتي — لم انكر تجديد مطران .

سادسا : بدراستي لشعر مطران تبين لي ان معظمه شعر مناسبات ، وقد وقع في المبالغات التي كان يقع فيها القدماء وفي ديوانه جزء كبير خصصه للاغراض الدارجة والمناسبات العابرة التافهة من امثال الكتابة تحت رسم ص ٥٠ من ديوانه « وفي اللعب بالشموس » « وفي التهنئة بمولود » وفي « باقة مائدة » ثم ان شعر خليل مطران كان شعرا موضوعيا مركبا لا يتسلل الى النفوس في سهولة ويسر ، بل كان دائما في حاجة الى تأمل دقيق حتى تتذوقه القلوب وتقف العقول على خصائصه واسرار جماله ، لهذه الأسباب والملابسات التي بسطت الحديث عنها في رسالتي قلت ان مطران لم يقد حركة التجديد في شعرنا المعاصر وانما قادها العقاد والمازني وشكري .

وحسبي اخطأت في اجتهادي هذا وظهر ان كمال نشأت مصيب فلا يكون قد اتى في ذلك بجديد فكل الدارسين قالوا ان مطران هو الذي قاد حركة التجديد ... ولي في هذا كلام طويل لامجال لتفصيله هنا .

سابعا : فيما يخص دراستي عن جماعة ابولو انتهيت الى انها تيار شعري في ادبنا المعاصر تغلب عليه النزعة الوجدانية والتعبير عن الذات ، وان ضم بين امواجه المتدفقة معالم من النزعة الرمزية والنزعة الاجتماعية والانسانية ، ولهذا قسمت شعر هذا التيار الى نزعات خمس هي : النزعة العاطفية والنزعة التأملية ، والنزعة الوصفية — والنزعة الاجتماعية — والنزعةالانسانية ، واستعرضت كثيرا من النماذج التي تدعم هذه النزعات واجملت التجديد الذي ادخلته الجماعة في شعرنا المعاصر في ثلاثةمظاهر :

(ا) التجديد في البناء الفني : واعني به التجديد في الشكل الخارجي من حيث التفنن البنائي والبحور والقوافي والتنويع في الاوزان ودرست تجديدهم في هذا المجال وذكرت نماذج من الشعر الحر وتفننهم في استخدام التفعيلات والشعر المرسل والنثر الشعري والشعر القصصي والشعر المسرحي .

(ب) التجديد في البناء الداخلي : واقصد به تنسيق الافكار

والصور الشعرية والعواطف والأخيلة ومراعاة النسب بينها وبين الشكل الخارجي بحيث يخرج العمل الفني متناسق الظل والمضمون والوحدة الفنية .

(ج) الرسالة الشعرية : واعني بذلك افكارهم الاجتماعية والانسانية .

وقررت ان هذه الجماعة لا تمثل مذهبا ادبيا او مدرسة فنية موحدة على نحو ما نرى في المذاهب الأدبية عند الغربيين ، لأنها كانت تضم شعراء مختلفي الشعر والثقافة والنظرة والاتجاه ، فقد جمعت بين شوقي ومطران ومحرم وابي شادي وناجي والشابي وعلي محمود طه والصيرفي والسحرتي وعثمان حلمي والهمشري وصالح جودت ومحمود ابو الوفا واعتقد ان هؤلاء جميعا لايمثلون مدرسة موحدة الهدف والاتجاه .

ولست ادري كيف يقول كمال نشات ان هؤلاء يمثلون مدرسة؟

ثالثا : قلت عن ابي شادي ـ بعد دراسة عميقة لشعره ومعايشة طويلة له ـ ان ظروف ابي شادي النفسية وما لاحقه من ازمات متتالية قد اصابته بنوع من الاضطراب النفسي والقلق حتى اصيبت طاقته الشعرية بالتخلخل والساع الرقعة ، ولهذا لم من التاثير بشعره مباشرة في شعراء ابولو ، بل قد تاثر هو بهم وبخاصة ناجي والشابي وعلي محمود طه ... ومع ذلك فقد اعترفت له بانه رائد من رواد هذا التيار فلقد اثر في تلاميذه بنشاطه ومجهوده الفكري ونقده وتضحياته المتوالية في سبيل الادب والفن والعلم ، وكان له دور خطير في التوجيه والنقد ساعدته عليه ثقافته الغربية الواسعة والمامه بكثير من المذاهب والتيارات الادبية ، ولكنني لا ازال اعتقد ان ابا شادي لم يكن في يوم من الايام الشاعر الكبير الذي تجمع حول شعره مدرسة موحدة الاتجاه .

واخيرا لي عتاب على الصديق عبده بدوي ، وهو انه نقل عن كمال نشات اقواله ونسبها الى قلما دون ان اقولها واذا كنت اعذره لعدم اطلاعه على كتابي فقد كان مسافرا عند صدوره،فانني سارسل له الكتاب ليقف بنفسه على القضايا التي اثارها كمال نشات ويحكم بيني وبينه وانا راض بحكمه ..

بعد أربعين يوما

في ذكرى مرور أربعين يوما على وفاة الدكتور مندور ظهر أن الحزن عليه مازال يخلع القلب ، ويدفع بالتساؤل والألم الى عيون كل المتحدثين، فأكثر الذين تكلموا كان يحس من كلامهم أنهم مازالوا يرفضون نعايه الى القبر ، فما زال معهم في المدينة يسير ويناقش الى الحد الذي كان يخيل للانسان أن الدكتور مندور لابد سيدخل القاعة قبل أن ينصرفوا على حزن ، ولابد أن يبدد لهم ـ كعادته ـ هذا العبوس الذي خيم على النفوس والمكان !

فمع انه كانت هناك بعض الدراسات الجادة عن دوره في حياتنا الأدبية ، الا أن الصوت كان سرعان مايتشقق ، ثم تنساب الدموع بين هذه الشقوق ، واذا الناس ينصرفون عن الكلمة الى الدمعة ، وعن الفكرة الى قطرات الحزن التي كان يستهان بها في أول الأمر ، ولكنها كونت في النهاية بحيرة جزع كبيرة ، اضطر المخوضون فيها الى أن يتساندوا ، والى الاينظر بعضهم في وجه الآخر .. وبخاصة حين وقف الدكتور مصطفى مندور يذكر أن شقيقه لم يصبح ملك أسرته أو قريته ولكنه أصبح ملكا للناس الذين قرأوا له واستمعوا اليه ، والذين سيقرأون له وسيستمعون بطريقة أو بأخرى اليه .

وفي الوقت الذي يميل فيه رأس صديق ليذكر أن رجال الفكر قد كثر اجتماعهم على حزن أكثر من مرة في الفترة الأخيرة ، يحس الانسان ـ ورأسه مائلة ـ أن الدكتور محمد مندور كان من أعز وأحب الذين رحلوا باسم الفكر ، وأن الحزن عليه سيستمر بعد أربعين يوما !

عبده بدوى





للدكتور عبد الحليم منتصر

الحد الأعلى لإنتاج المحاصيل

وكيف السبيل إليه لمواجهة الزيادة المطردة في السكان

لا شك أن الارتفاع بانتاج المحاصيل الى حده الأعلى ، انما هو هدف يسعى الى تحقيقه كل عامل فى هذا الحقل ، وأمل يعمل العلماء بصفة خاصة على الوصول اليه ، لما فى ذلك من محاولة اعداد ما يكفى من الطعام لسكان الارض الذين يتزايد عددهم كل يوم ٠

وقد درس العلماء احتياجات نباتات المحاصيل من العناصر المعدنية ، وعرفوا كيف يضيفون الى التربة ما يحتاج اليه نبات معين من عناصر خاصة ليعطى أوفر غلة ، فهذا النبات يحتاج الى مزيد من البوتاسيوم ، وذاك يحتاج الى مزيد من الكلسيوم أو الحديد أو الفسفور أو الزنك ٠٠ وهكذا ٠ وعرف أن نقص المحصول أحيانا ، لا يكون له من سبب الا النقص الواضح فى هذا العنصر أو ذاك ٠ وأن بعض الامراض التى تصيب بعض المحاصيل انما يكون سببها فقر التربة فى عنصر معين يحتاج الى النبات ، ويكون العلاج الناجع باضافته الى التربة ، وينسب المرض الى العنصر ، فيقال مرض نقص الزنك ، أو مرض نقص الفسفور وهكذا ٠ وكذلك عرفت المخصبات الزراعة والأسمدة الكيميائية ، وعرفت أسماء تجارية لعشرات من الاسمدة والمخصبات ، ونشأت صناعات ضخمة لتحضيرها واعدادها ، لتكون فى متناول الزراع يضيفونها الى التربة ليفيد منها النبات ويغتذى بها ، فيزيد انتاجه ٠

وكذلك درست الاحتياجات المائية لنباتات المحاصيل المختلفة ، وعرفت المقننات المائية التى تلزم للتربة التى تزرع بمحاصيل معينة ، وهى المقادير التى ينبغى الا تتجاوز ، والا يسرف فيها ، حتى لا تضر بالمحصول ، وان مقاديرها لتتوقف على نوع التربة وصفاتها الطبيعية والكيميائية ، كما تتوقف على نوع المحصول ، وتتبع ذلك العناية بطرق الرى وهل يكون غمرا أو رشا ، وطرق الصرف ، وهل يكون مغطى او مكشوفا ٠ اما الآفات التى تصيب المحاصيل ، فقد بلغ العلم شأوا بعيدا فى مقاومتها وعلاجها ، صحيح أن بعضها مازال عصيا على العلاج، ولكن الكثير منها ، قد وفق العلم الى التغلب عليه ، فهناك عشرات من الامراض والأوبئة ، من أمراض فطرية الى حشرات قشرية ، الى ألوان من العنكبوت الاحمر وصنوف من المن ، وما لا يحصى من أعفان وتبقعات ، وبياض وصدأ وفيروس وذبول ، وغيره ، كانت تسبب خسائر فادحة فى المحاصيل، فاذا العلم يطب لها جميعا ، ويحضر لها من المبيدات الفطرية ، والمبيدات الحشرية ، والمبيدات الفيروسية ، وما اليها ، ما يقضى عليها ، أو على الاقل يحصر اضرارها فى أضيق نطاق ، أو يقفه عند حد فلا يستشرى ، ويأتى على المحصول كله ٠

وعرف العلم كيف يختار لكل نبات ما يلائمه من مناخ ، ومن تربة ، فلا يزرع المحصول الا حيث تتوافر له أسباب الجودة والقوة ، اذ هناك من العوامل المناخية والتربية ما لابد من مراعاتها ، فهناك

حرارة مرتفعة وجو دافيء ، وهناك حرارة منخفضة ، وجو الى البرودة أميل، وهذا تلائمه الاجواء الرطيبة، وذاك تلائمه الأجواء الجافة ، وهذه التربة الصفراء تناسبها تلك المحاصيل ، وهذه التربة السوداء تجود فيها محاصيل أخرى ٠

واستطاع العلم أن يستنبت من المحاصيل ، بالانتخاب والتهجين ، سلالات تكون أكثر مقاومة للأمراض ، وأشد مناعة لها ، وتكون بالتالى اوفر غلة ، وقد تكون فى الوقت نفسه أحسن شكلا وابهج منظرا ٠

ولنقف قليلا عند هذه الحالة ، التى تكون فيها درجة الحرارة الملائمة للنمو هى السائدة ، أما الاحتياجات المائية والمعدنية والتحكم فى الأمراض والاوبئة ، فانها على مستويات مختلفة وعرضة لتغيرات وتأثيرات متباينة ٠

ومن المحقق والمتفق عليه بين العلماء ، أن العامل الاساسى فى انتاج النبات ، انما يكمن فى عملية البناء الضوئى ، التى يتميز بها النبات الاخضر على سائر الكائنات ، والتى يستطيع بوساطتها أن يستغل الطاقة الضوئية من الشمس فى انتاج مواد عضوية معقدة يصنعها هو من الماء وثانى اكسيد الكربون فى وجود المادة الخضراء ، والمادة الحية وفى درجة الحرارة الملائمة ٠ انه بذلك يحول الطاقة المستمدة من الشمس ، الى طاقة يختزنها النبات فيما ينتجه من أنسجة والياف وثمار وخضراوات ، يغتذى بها الانسان ، وسائر أنواع الحيوان بطريق مباشر أو غير مباشر ٠

وقد استطاع العلم ان يكشف تفاصيل هذه العملية الرائعة الدقيقة ، وأن يعرف خطواتها على التحقيق ، ولكنه لم يستطع حتى الآن ان يقلدها ، لأن سرها الأعظم ، عند الخالق سبحانه ، أودعه ما خلق من مادة حية ، تقوم بهذه العملية الكيميائية الضخمة فى سهولة وفى يسر ، واستطاع العلم ان يقيس وأن يقدر ما يستغله النبات من طاقة الشمس، وما يختزنه فى أنسجته من طاقة ، وأن يعرف أحسن الظروف التى يستطيع بها النبات أن يعطى أوفر غلة وأعظم انتاج ٠

فاذا زرعنا مساحة معينة من الارض ببذور نبات ما ، ثم جمعنا المحصول فى نهاية الموسم وقدرنا الوزن الجاف للمواد النباتية الناتجة ، من سوق وأوراق وجذور وزهور وثمار ٠ على أن نقدر فى الوقت نفسه ، وطوال فصل النمو مقدار ما سقط من أشعة ضوئية على هذه المساحة من الارض، وذلك بوساطة جهاز معين يقيس فيض الضوء المرئى (٤٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ انجستروم) وهو مايمتصه النبات فى عملية البناء الضوئى ، ونستطيع بذلك ان نقدر نسبة عدد السعرات الحرارية التى امتصها النبات من ضوء الشمس الى تلك التى احتفظ بها النبات فى أنسجته ، وذلك بحرق الاخيرة ، وقد أجريت تجارب كثيرة من هذا النوع فى بلاد مختلفة ، وعلى نباتات مختلفة ، مما نستطيع معه أن نطمئن الى النتائج التى حصل عليها العلماء ممن يشتغلون بهذه البحوث ، ويهمنا هنا أن نعرض لبعض الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع ، والتى تواتر الخبر اليقين بشأنها ، حتى غدت من المسلمات التى لا غنى للمثقف الرفيع عن معرفتها والتيقن منها ٠

ففى كثير من التجارب ، كانت قدرة نباتات المحاصيل فى عملية البناء الضوئى تتراوح بين ٢ و ٥ر٢٪ ، أى أن الطاقة التى اختزنها النبات بالنسبة للطاقة التى بذلتها الشمس لا تتعدى ٢ ـ ٥ر٢٪ وقد عرفت هذه النسبة العالية فى محصول الارز فى اليابان ، ومحصول القمح فى الدانمارك ٠

كما أن معظم نباتات المحاصيل ، قدرتها فى عملية البناء الضوئى ، تقل عن ٥ر٢٪ اى أنها لم تبلغ الحد الاعلى وهو ٥ر٢٪ لأسباب مختلفة كنقص الغذاء المعدنى، أو خلل فى المقننات المائية، أو بسبب الامراض التى تصيب الاوراق الخضر ، فلا تجعلها تستغل أقصى امكانياتها فى عملية البناء الضوئى ، أو لارتفاع أو انخفاض فى درجة الحرارة الى حد يعوق سير العملية ، ولا يصل بها الى حدها الأعلى ٠

وهناك حالات قليلة ، سجلها بعض العلماء ، وصلت فيها النسبة الى أكثر من ٥ر٢٪ ، وفى بعض حالات خاصة ، بلغت النسبة نحو ٥٪ فى أوقات معينة من موسم النمو بالنسبة لبعض المحاصيل فى جهات بعينها ٠

والآن ماذا عسى أن تكون هذه الاسس العلمية الطبيعية التى نستطيع عن طريقها أن نصل الى الحد الأعلى لانتاجية المحاصيل ٠ ان هذه الاسس لتبدو

سهلة فيما يعرضه العلماء من حقائق بشأنها ، فان العوامل الرئيسية التى تلعب دورها بمهــارة فى التقــاط ضوء الشمس ، واستغلال هذه الطاقة ، وخزنها فى النبات أولها ما يسميه العلماء « القدرة الكوانتومية» لعملية البناء الضوئى ، فان تفاعل عملية البناء الضوئى المعروف يجرى على النسق الآتى :

ثانى اكسيد الكربون + ماء + طاقة ضوئية ـــــ

مادة كربوايدراتية + اكسجين (ن كــوانتيم) (مزيد من نبات)

ويمثل الحرف (ن) عدد العشرات من وحدات الطاقة الضوئية التى يمتصها النبــات من ضوء الشمــس ، وتستغل فى هذا التفــاعل • وقد قدر أن عشرا من هذه الوحدات تستغل فى تحويل جزىء واحد من ثانى اكسيد الكربون ، وبذلك عرفت النسبة بين السعرات المختزنة فى أنسجة النبات والسعرات المستغلة من ضوء الشمس واذا بها (١ : ٥) أى ان ما يدخره النبات انما هو فى أحسن الحالات وبناء على التفاعل المثالى يساوى عشرين فى المائة فقط ومع ذلك فانها نسبة اعلى بكثير من الواقع المشاهد الذى لم يجاوز (٢ ـ ٢٫٥) بالمائة كما سـبق بنا الحديث • فهل يستطيع العلم ان يرفع النسبة الى الحد المثالى وهو عشرين بالمائة ؟ انه بذلك يزيد الانتاج من ثمانى مرات الى عشر مرات ، وهذا يحقق فائضا كبيرا فى انتاج الحبوب والخضراوات والفواكه ، ويسد حاجة السكان المتزايدة الى الطعام •

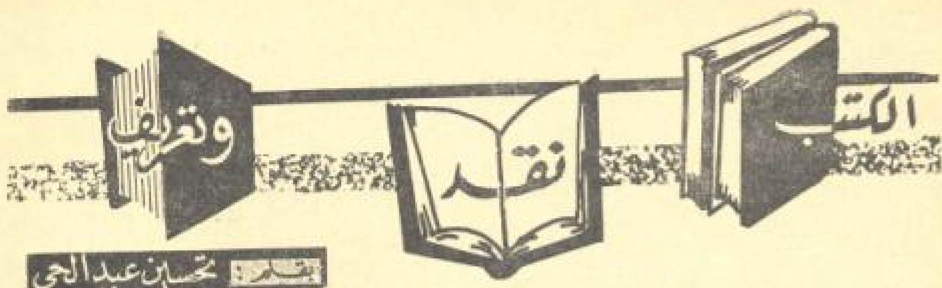
أما العامل الثانى الذى يؤثر على القدرة الانتاجية لعملية التمثيل الضوئى التى يخزنها النبات ، فهو شدة الاضاءة نفسها ، اذ انها تتغير فى ساعات النهار المختلفة بطبيعة الحال، وبالتالى تتأثر بسرعة امتصاص الضوء ومعدل عملية البنــاء الضوئى • وتستطيع التجريب للحصول على أقصى اضاءة تصل بنا الى الحد الأعلى من انتاج عملية البناء الضوئى ، وانها عند حد معين من شدة الاضــاءة لتصل الى درجة التشبع بالضوء ، ويتراوح هذا الحد من شدة الاضاءة بين عشر وخمس ضــوء الشمس الكامل • وان كمية الضوء الذى تمتصه ورقة النبات لتتغير تبعا لشدة الاضاءة ، على ان هناك قدرا معينا من الضوء الساقط تمتصه الاوراق بصرف النظر عن شدته ، ثم يزداد هذا القدر تبعــا لزيادة الشدة • وتمتص الاوراق المحبة للشمس نحو ٨٠٪ من الضوء على حين تمتص أوراق الظل بين ٦٠ و ٧٠٪ منه •

وعلى ذلك تمتص الورقة ٨٠٪ من الضوء الساقط عليهــا ، وتستغل منه ٢٠٪ بقدرة ٢٠٪ ، فتكون النتيجة النهائية خمسة فى المائة فقط •

ومن المحقق أن الحد الأعلى لانتاج المحاصيل كما تنظمه العــوامل التى تتحكم فى قدرة عملية البناء الضوئى ، كما عرضناها ، قد أمكن الوصول اليه فى بعض المنــاطق التى تحقق فيهــا أعلى مستوى من الوجهة الزراعية ، كما فى بعض جهات اليابان وغرب أوروبا وبعض جهات الولايات المتحدة الامريكية ، ومع ذلك فانه عند هذا الحد استطاع النبــات أن يستغل بين ٢ و ٥٪ فقط من طاقة الاشعة الساقطة من الشمس ، وان القــدر الحقيقى لهذه الاشــعة ليتوقف على شدة الاضاءة • ولعــل هذا اللون من البحث يهدينا الى الوســيلة التى تســاعدنا على الوصول بالانتاج الى حده الأعلى فى مناطق كثيرة ، ولعلنا نرفع من قيمة هذا الحد بالتحكم فى شــدة الاضاءة ودرجة تركيز ثانى اكسيد الكربون ،ولعلنا كذلك ننتج سلالات من النباتات تكون لأوراقها قابلية امتصاص نسبة أكبر من الضوء وكمية أكبر من ثانى اكسيد الكربون أو تكون بلاستيداتها الخضر ذات خصائص أقدر على عملية البناء الضوئى التى تتوقف على نسبة مراكز الاختزال فيها الى جزيئات اليخضور الذى يدخل فى تكوينها •

وبعد : فهذا لون من البحث العلمى ، قد لا يبدو مألوفا لدى البعض ، ولكنه كما نرى يستحق أن تبذل فيه الجهود ، عسانا نستطيع عن طريقه أن نزيد من انتاجية المحاصيل اضعافا مضاعفة ، والذى لا شك فيه أن النجــاح فى هذا المجال ، سيكون بالاضــافة الى ما يبذل من جهد من ناحية انتخاب السلالات ، وعمليــات التهجين ، وعلاج الآفات ، واختيار الاسمدة ، ومقاومة الامراض ـ كل ذلك من شأنه أن يصل بنا الى الحد الأعلى لانتاج المحاصيل ، وهذا يزيد فى أمل الانسان أن يعيش هــانئا على ســطح الارض التى يرجى أن تنتج من الغــلات والمحاصيل ما يكفى قطانها •

د • عبد الحليم منتصر



القومية الإفريقية

تأليف : أندا بانجي سيتهول
ترجمة : عبد الواحد الإمبابي

يستطيع المتتبع لحركة النضال العالمي ضد الاستعمار أن يرى أمورا جديدة وهامة .

فقد استطاعت الشعوب المناضلة أن تجمع طاقاتها وامكانياتها في صورة مؤتمرات أو منظمات اقليمية أو قارية أو على مستوى أكبر قارتين في العالم – وهما آسيا وافريقيا – تلك المؤتمرات أو المنظمات التي تنبع أساسا من ايمان الشعوب بأهمية التضامن النضالي ضد القوى الاستعمارية العالمية .

وقد استطاع هذا التضامن الذي بدأ في باندونج ثم تطور فيمنظمة الوحدة الافريقية ثم في المؤتمرات المتعددة لتضامن الشعوب الآسيوية الافريقية أن يجعل الاستعماريين يغيرون من تكتيكاتهم السياسية العدوانية ليواجهوا هذا الاجماع الذي يعتبرونه ضد مصالحهم . وعرف الاستعماريون في نفس الوقت أن الدول الحديثة الاستقلال لم تعد تقبل من الاستقلال مظاهره الشكلية التي تتمثل في علم ومقعد في الامم المتحدة ، ولكن هذه الدول تحاول بتضامنها أن تخلق في مجتمعاتها نوعا من الاستقرار العام الذي يؤدي بها الى مرحلة التنمية الاقتصادية ومرحلة التغيير الاجتماعي في داخلها . وعرف الاستعماريون كذلك أن مواجهة مثل هذا التضامن بالوسائل التقليدية انما هو ضرب من ضروب العبث ومن ثم لجئوا الى تفتيت هذه الجبهات من الداخل – معتمدين في ذلك على أعوانهم الذين يقفون ضد رغبات شعوبهم . وطبيعي أننا لا نستطيع هنا أن ندرس كل الأوضاع والأساليب التي تلجأ اليها القوى الاستعمارية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .. ولكننا سنحاول أن نقول ما يسمح به المجال هنا متخذين من افريقيا مجالا لبعض الملاحظات السريعة .

فمنذ انعقاد مؤتمر القمة الافريقي الأول في اديس أبابا ، والثاني في القاهرة والجبهة الاستعمارية العالمية تحاول أن تخرب هذا اللقاء من الداخل متخذة من بعض العملاء أمثال تشومبي وغيره وسائلها لبلوغ مأربها ثم من بعض الدول الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية والتي تطلق على نفسها مجموعة الافروملاجاش مثل «السنغال ، ونيجريا وملاجاش ، وتوجو ، وليبريا ، وتشاد . » .

ولقد أحس الزعيم الافريقي جوموكينياتا بهذا الخطر ، فقال في افتتاح مؤتمر وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية الذي عقد في نيروبي في مارس الماضي :

« اننا نجتمع اليوم وهناك كثير من المشاكل الهامة تهدد مصالحنا الافريقية ، هناك قوى تلعب في القارة الآن دورا ضد الوحدة الافريقية ، واذا نجحت هذه القوى فسوف تخرب استقلالنا الذي بذلنا من أجله أعز التضحيات وأغلاها »

وفي الوقت الذي تعمل فيه هذه القوى التي حددناها سابقا بالتعاون مع قوى الاستعمار العالمي في داخل افريقيا .. نجد من يحاول عامدا أن يدس أفكاره السامة الداعية الى تحذير أشقائنا الافريقيين من القومية العربية .. وكأن القومية العربية شيء خارج عن نطاق القومية الافريقية .

ونسي هؤلاء العملاء الاستعماريون أن ٧٢٪ من

مساحة الوطن العربي تقع في افريقيا ، ونسوا في نفس الوقت ذلك الدور المجيد الذي قام به روادنا العرب العظام عندما قاوموا الغزو الاستعماري العنصري لافريقيا حيث وقف السلطان سعيد في زنجبار ، والزبيرى باشا في حوض النيل الأعلى ، والسلطان رابح في حوض تشاد وهو الذي هزم الفرنسيين ثلاث مرات متوالية ، وما زال الناس في أواسط افريقيا يتغنون ببطولته الخارقة كأسطورة قومية ضد الاستعمار ، وكذلك الامام المهدى وخليفته في السودان ، وماء العينين في موريتانيا وكذلك «حميد بن محمد بن جمعه المرجبي» أو تيبوتيب في حوض الكونغو كل هؤلاء الرواد حاربوا الاستعمار وثاروا عليه .

واذا كانت القومية العربية بمفهومها الحديث تقف ضد القوى الاستعمارية في افريقيا فان ذلك ليس جديدا على شعبها وانما هو وصل للحاضر بالماضي وتدعيم له ..

والوطن العربي الموحد في مفهوم شعبه وقادته هو الاساس المتين والمحور الذي لا بد منه لتدعيم القومية الافريقية الشقيقة بلا عقد مسبقة وبلا أية أغراض أو أطماع عدوانية .. لان شعبنا يتعرض في نفس الوقت لكل أنواع الضغوط والمؤامرات التي يتعرض لها الشعب الافريقي في دوله وكياناته السياسية.. وعندما قاوم شعبنا التآمر الاستعماري ضد شعب الكونغو - كان يؤمن في نفس الوقت بضرورة استمرار الزعيم باتريس لومومبا الذي قتله الاستعماريون بلا رحمة . وعندما اختفى لومومبا صاحب الوجه المحاط بهالة من نور الشهداء من مسرح السياسة الكونغولية تمزقت الكونغو .. ان شعبنا يؤمن في داخله وخارجه بدور الزعيم المناضل الذي تلتقى فيه آمال جماهيره وليس ذلك عبادة للأشخاص وانما اعترافا بالمرحلة التاريخية التي تجتازها الشعوب الحديثة الاستقلال .. ومن ثم فان شعبنا يعرف دائما أن كل محاولة لتحطيم صورة هؤلاء الزعماء المشرقة تحت أى ظرف من الظروف انما هو تدمير لقيم الشعوب ووضعها أمام أخطار الانقسامات الداخلية ..

واذا كانت مرحلة النضال ضد الاستعمار تتميز دائما بأنواع المشقة المتعددة وخاصة في مراحل المطالبة بالاستقلال - فان المرحلة الجديدة التي يواجهنا بها المعسكر الاستعماري بطرقه الملتوية تتطلب من الشعوب - كل الشعوب أن تكون على درجة كبيرة من الوعي والموضوعية في معالجة قضاياها المصيرية ، ولنثق جميعا بأن الاتجاهات الاستعمارية سواء عندما تأخذ صورة الايحاء السلبي لتضليل الضمائر أو صورة النشاط العنيف لتحطيم الطاقات العذراء ، أو باقتراحها حلولا خاطئة لتمويه المشاكل الحقيقية ، لكي تحافظ بذلك على وضع بال لا يتفق مع اعتبارات الحياة القومية والدولية ، نقول ان كل هذه التكتيكات الملتوية سوف تندحر وتتبدد أمام تضامن الشعوب المناضلة من أجل الحرية والحياة .

وكتاب اليوم القومية الافريقية يعطينا صورة واضحة عن ملامح هذه القومية وأسسها الانسانية ويوضح لنا كيف بدأت وعلى أى أساس تتحرك .. وكيف كان الافريقي وما زال في بعض المناطق المستعمرة يعاني من ظلم وعنصرية الرجل الابيض ذلك الذي يقف الآن ناصحا وموجها لعملائه الذين يبدون كأنهم قد نسوا ماضيهم القريب .

يقول المؤلف :

يشعر الرجل الافريقي بالألم يفتت قلبه عندما يرى نفسه يقدم كالسلعة في سوق البضائع . فتوزيع الاراضي في كثير من الدول الافريقية التي يسيطر عليها الاوربيون توزيع مزعج وغير عادل . ففي جنوب افريقيا نجد ان ١٣٫٧٪ فقط من الاراضي يمتلكها الافريقيون الذين يمثلون حوالى ٦٤٪ من مجموع السكان ، وفي روديسيا الجنوبية يملك الافريقيون أقل من ثلث الاراضي هناك بالرغم من ان عددهم يزيد على مليوني نسمة ، بينما لا يتجاوز عدد البيض فيها ١٨٠٫٠٠٠ نسمة ، وبينما يمتلك الاوربيون اجود الاراضي نرى الافريقيين يتكدسون في الاراضي البور التي لا يمكنها أن تمدهم بالقوت الضروري ، ومن ثم يلجئون الى العمل في مزارع الاوربيين بأجور بخسة وبطريقة اقرب الى السخرة منها الى العمل . وقد ارتكب البلجيكيون فظائعهم المشهورة في الكونغو تلك الفظائع التي تقشعر منها الأبدان ، ويكفي أن نذكر أنه في خلال حكم ليوبولد قتل ما يقرب من ثمانية مليون افريقي .. قتلهم التجار والاداريون الاوربيون الذين كانوا يبحثون عن العاج والمطاط ، ولقد كان الافريقي الذي يعجز عن احضار الكمية المطلوبة منه من المطاط او العاج للرجل الاوربي يتعرض للتشويه بقطع يده أو رجله .

والافريقي محروم من الوظائف الفنية والوظائف

ذات الدخل الكبير فى المجال الصناعى، وينكر البيض على الرجل الافريقى حقه فى المســـاواة الاقتصادية معهم ، تماما كما ينكرون عليه حقه فى المســـاواة السياسية ايضا .

وتضطر ظروف الحياة المعيشية الرجل الافريقى الى الخروج الى سوق العمل والى المنــاجم والحقول حيث يساق مع ابنـــاء جلدته من السود كالسائمة داخل معسكرات العمـل وحظـــائر تخصص لهم . ويحضر الرجل الابيض صـــاحب الصناعة او الفلاح الاوربى او سيدة المنزل الى هذه الحظائر والمعسكرات ليختاروا منهم من يشاءون لاستخدامهم فى المصانع او المنازل او الحقول . اما فى المدن فعلى الرغم من الحاجة الى أيديهم فانه لا يسمح لهم بالبقاء فيها . واذا قدر لأى انسان أن يزور اتحاد جنوب افريقيا ، أو روديسيا الجنوبية راعه ما يشاهده فى الحدائق العـــامة ومداخل المدن ومحطـات السكك الحديدية والقطارات والسيارات العامة .. الخ ، حيث يرى فى هذه الاماكن لافتـــات كتب فيهـــا « غير مسموح للافريقيين والكلاب »

ولقد خلقت سياسة الرجل الابيض فى افريقيـا طائفتين من الناس هما :

طائفة حاكمة وأخرى محكومة ، كما خلقت فيهـا أيضا معسكرين متعادين ، وهؤلاء الحاكمون يحملون الكراهية لمن يقاوم سلطتهم ، كمـــا أن المحكومين يكرهون ـ بدورهم ـ طبقة الحاكمين ، ولذلك فان الصراع الذى يدور اليـــوم على أرض افريقيا ليس صراعا أساسه الاسود والابيض فقط ، بل هو صراع طبيعى بين سيد ومسود ، فلم تعد القضية منحصرة فى سواد وبياض، ولكنها تصميم من جانب الاوربيين فى الابقاء على سلطتهم فى افريقيا ، تقابلهـا رغبة عنيدة جادة من جانب الافريقيين فى تولى حكم بلادهم وطرد السلطان الأجنبى منهـــا . ويمكن تلخيص الدوافع الاساسية التى خلقت القـــومية الافريقية المعاصرة فيما يلى :

انها رغبة الرجل الافريقى فى المساهمة الكاملة فى حكومة بلاده المركزية . ورغبته فى تحقيق العدالة الاقتصادية التى تعترف اعترافا كاملا بمبدأ تساوى الأجر عند تساوى العمل دون ما نظر أو اعتبار للون بشرته ، ورغبته فى أن يتمتع بالحقـوق السياسية الكاملة داخل بلاده ، وكراهيته الشديدة لأن يعامل معاملة الرجل الاجنبى فى وطنه وكراهيته أيضا لأن يستـغل كوسيلة لتحقيق أطمـــاع الرجل الابيض ومآربه وكراهيته للقوانين السائدة التى تفرض عليه البقاء فى الوضع الدون .

هذه هى أهم الدوافع التىشكلت القومية الافريقية التى يحاربها الرجل الابيض اليوم فى داخل المناطق التى ما زال يسيطر عليها .

وعن دور التبشير فى خدمة الاستعمار يورد المؤلف حديثا لأحد مواطنى جنوب افريقيا ، يقول فيه :

« لقد أتى المبشر الى أرضنا ، وطلب منا أن نعبد الله معه ، وامرنا أن نغمض أعيننا زيادة فى الخشوع ففعلنا.. وعندما قلنا فى نهاية الصلاة آمين، وفتحنا أعيننا وجدنا الانجيل فى أيدينا ولكن أرضنا ضاعت منا »

وبعد أن يذكر الكتاب دور الحرب العالمية الثانية فى اذكاء الروح القومية وتدعيمها فى افريقيا يقول :

علينـــا أن نؤكد أن الحركة الوطنيـــة الافريقية ليست الا مجهودا نبيلا تقوم به الشعوب الافريقية لكى تؤكد كرامتها الانســـانية التى انكرتها عليهـــا الســلطات الاوربية التى تحتل افريقيا ، وهو مجهود نبيل حقا لأنه يعمل على التخلص من الحكم الاجنبى الذى يضعهم دائما فى المرتبة الدون .

ولقد ظهرت الشخصية الافريقية بشكل واضح فى مختلف مجالات الحياة العامة ، ولم يعد الافريقى الاسود يعيش اليوم خادما للاله الابيض يأتمر بأمره فى كل صـــغيرة وكبيرة ، بل أصـــبحت النقـــابات والمنظمات السياسية والهيئات الاجتماعية افريقية، يرأسها افريقيون يعرفون تماما واجباتهم وحقوقهم . وقد مضى العهد الذى كان الافريقى يستعين فيه بمبشر أبيض يتوسط له لدى الادارة الاوربية لرفع الغبن الذى يصيبه ، وأصبح الرجل الافريقى يحس اليوم بالاستقلال والاعتماد على النفس اكثر من أى وقت مضى .

وبدأت تجتاح افريقيا اليـــوم موجة عارمة من التقدم العلمى السريع والتطور الحضارى المعاصر ، وأخذ الجيل الجديد من شباب افريقيا يؤكد وجود المعجزة فى أرض القارة المترامية الاطراف .

ولقد أصبح كل افريقى يؤمن اليوم بأن انتصار القومية الافريقية بمحتواها النضالى التقدمى انما هو انتصار للشخصية الانسانية وللكرامة الانسانية .

« تحسين عبد الحى »



ومات « شيخ النقاد »

بقلم/طلعت ابو اليزيد الهابط

بالأمس الحزين • خرجت جموع الأدباء تشق طريقهـا الى المدافن والقبور لتسلم اليهـا الروح البريئة ، الروح التى عاشت فى كل فكر ، وعاصرت أدباء وحررت أمة من براثن التخلف طوال ربع قرن من الزمان •• انها روح الدكتور محمد مندور رحمة الله عليه •

والدكتور ليس بخاف على أحد ، انه كبير النقاد وشيخهم كما لقبه أستاذنا الكبير عباس محمود العقاد وهو حقا كذلك •

فلقد هاى من باريس وفى جعبته كنوز المعرفة ، عاد ليلقن طلائع النقد أصوله ومقوماته ، وليحتل مكانه بين مشاهير الأدباء •

لقد سلط قلمه حول المبادىء والقيم الاجتماعية والسياسة وحارب الاستعمار بكل لسان جبار وقدم نفسه ليلة الثورة الى رجال الثورة دليل صدق عمله الوطنى الثورى • لقد قاد حركة النقد وحمل عبء آرائها على عاتقه ، وبذل النفس والنفيس ولم يبخل بمقالاته وآرائه للصحف والمجلات ينتقل بين صفحاتها متحديا لبقا بارعا كأنه الطائر الفريد الذى يغرد فوق خميلة الازهار والورود •

كان لسانه مع قلمه يشكلان الخطر الأكبر فوق العادات الموروثة التى توارثها الأجيال بدون وعى وباللاوعى • قـرأ بنهم واسـع وهذه صفة الناقد وسماته ، ورغم جبروت العقاد استطاع الدكتور أن يخوض المعركة أمامه وفعلا صمد ، ولم يمنعه ذلك من أن يزوره فى منزله حينما علم بخبر مرضه ! فكم كان لذلك العمل الانسـانى وقع فى نفس صاحبنا (العقاد) •

نعم : وألف نعم : انه « شيخ النقاد » وحقا من أعلام القرن العشرين لقد زرع شجرة فكبرت ونمت ولم يستطع أن يجنى ثمارها رغم قدرته ولكن تركها لغيره يجنى ثمارها الرضاب وذهب الى حيث الجنة الفيحاء •

لقد غادرنا مندور ولن تفارقنا ذكراه ، ولن تنزاح عن صدورنا غمامة مصابه فان كان القدر قد أسرع فى اختطافه ، فلسنا نملك الا أن نستسلم للقـدر ورحم الله « شيخ النقاد » وأدخله فسيح جناته بما وهب وترك من مآثر حية ينبض بها التاريخ ويكتب لها أن تظل فى نفس كل أديب وكل انسان عرف قيمة الحياة ••

« ومات « شيخ النقاد » وسيظل أسطورة فى كل ـم وقلم » •

حول « القصة العربية القديمة »

حلمى محمد قاعود

يتناول الدكتور أحمد كمال زكى على صفحات مجلة الرسالة سلسلة من أحاديثه عن القصة العربية « القديمة » ـ على حد تعبيره .

ويلاحظ أن هذه الأحاديث دراسة موجزة وسريعة لفن يعتبر من أهم الفنون التى تركها لنا السلف ، من العرب المسلمين .

غير أنه ـ فى الدراسة الموجزة والسريعة ـ يجب الا نخلط الأمور ونهمل دقائقها ، بحجة الايجاز والسرعة .

ففى المقال أو الحديث الثانى المنشور فى العدد « ٩٦ » من الرسالة يقول الدكتور عن مقامات بديع الزمان الهمزانى «وأما بالنسبة لمقامات بديع الزمان ـ الذى ولد سنة ٣٥٨ هـ وعاش أربعين عاما فقط ـ

فالأمر فيها أسهل وأقل تعقيدا ، لان المتفق عليه انها قصص عامية كتبها عربى متعصب للعروبة ، وان يكن ثمة مستشرقون يرون انه استوحاها من الفارسية والسنسكريتية وبعض حكايات الكتاب المقدس .. » « وقد يكون تحول القصة عند بديع الزمان على ذلك النحو ضربا من الحرص على لغة العشيرة ، ولاسيما أن موضوعها .. « الكدية » مما يخلق تناقضا بين الشكل والموضوع ـ وقد يكون تجاوبا مع القصص العامى » ..

والمتأمل فى هذه العبارات يرى أن الشك قد لابسه واختلط عليه الفهم والتحصيل .. فكيف لنا أن نفهم أن قصص بديع الزمان عامية .. ؟ ثم نفهم أنها ضرب من الحرص على لغة العشيرة ؟ ؟

والمعروف أن قصص بديع الزمان باللغة العربية الفصحى وان استخدم فيها بعض الكلمات الدارجة فى عصره وزمانه .. ثم نحن لا ندرى اية عشيرة تلك التى يحافظ على لغتها .. وفى أى شىء ؟ لنفرض مثلا .. ان بديع الزمان كتب بعض مقاماته بالعامية فهل يصح لنا أن نحكم على مقاماته كلها بأنها «عامية» اظن .. لا !!

وهل يفوت على الدكتور أن يحكم بوجود تناقض بين الشكل والموضوع .. لأن موضوع المقامات « الكدية » ولغتها لغة العشيرة ؟

وهل يفوت على الدكتور أن يحكم بتجاوب المقامات مع القصص العامى ؟ ونذكر أن القصص العامى يدخل تحت التراث الشعبى أو الأدب الشعبى .. وهو موضوع يبعد عن حديث الدكتور بعدا كبيرا !

ثم سؤال الى الدكتور .. هل لك فى أن تدلنا على المصادر التى تثبت الاتفاق على أن مقامات بديع الزمان قصص عامية ؟ ولماذا كان على بديع الزمان أن يستوحى مقاماته من الفارسية والسنسكريتية وبعض حكايات الكتاب المقدس ؟

ان واحدا كالدكتور احمد كمال زكى .. كان يجب عليه الا يعرض لهذه الرؤية التى يراها المستشرقون .. بدون ان يقف عندها ويعطيها حقها من النقد والتمحيص .. والملاحظ فى هذه الرؤية انها رؤية لا تعتمد على منطق ولا دليل .. فمقامات بديع الزمان .. لا تخرج عما نسميه فى أيامنا هذه « بالأدب الاجتماعى » ، وكل ما فى المقامات ينبىء عن امتصاصها للحياة فى ذلك العصر ، واشتقاقها من حياته الاجتماعية على الخصوص . ولست هنا بسبيل شرح العصر وما فيه من ظروف ثم المقارنة بما فى تلك المقامات من دلائل وعلامات تشير باصابعها الطويلة نحوه . فقد أعود الى هذا فى دراسة أوسع وأشمل ان شاء الله .

ومن الغرابة ان يقول الدكتور فى حديث اذاعى له بالبرنامج الثانى ما يفهم منه « أن القصاص العربى القديم كان يمشى فى الشوارع وتسير خلفه الصبية والأطفال ليجلس معهم ثم يقص عليهم أقاصيصه وحكاياته » .

وهنا .. يجب ان انبه ثانية لوجود فرق بين الأدب الفصيح والأدب الشعبى .. بين المقامات بأسلوبها الفصيح ، وبين الراوى وهو يشد أوتار الربابة ويضرب عليها ثم يقول .. كان يا ما كان يا سادة يا كرام ... الخ .

ولعل الدكتور يتفحنا بالاجابة الشافية .

من كان بلا خطيئة !!

قصة بقلم عبد المعطى المسيرى

عندما وضعنا الاقدام فى مدينة الاسكندرية ، مال على صاحبى وقال : لا تنس ان اعصابنا قد اعياها طول التثنى ، وانها تريد ان تثار لسنة ماضية ، وتدخر لسنة قادمة .

وكنت لا اقل عنه ميلا الى التمرد والخروج على الاوضاع ولذلك اجبته : اطمئن ايها الرفيق ، فسنجعل من يومنا هـذا « اناء » نضع فيه من كل متعة شيئا ، وخليق بهذا الخليط ان يجعـل النشوة تسرى فى كياننا ...

وانطلقنا .. طفقنا نقطف المتع ونضعها فى « الاناء » . كنا نعربد فى مواطن العقل . ونتحشم فى اماكن اللهو !! ساخرين من ذلك الفرد الذى انذر به الشاعر القديم : « ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا » ...

وادركنا المساء ، فالفينا « الاناء » يكاد يفيض بما يضطرب فى جوفه ، ولكنا ـ لفـرط ما منيت به رءوسنا ـ لم ندر الا واقدامنا تنزلق ، فتدلف بنا الى بيت تسكنه احدى اللواتى لسن من العذارى ولا من الامهات ...

اما من حيث الجمال ، فاستطيع ان اقول انها كانت على جانب لا باس به ، ولكن الذى هزنى شىء يشبه الاسى كان ينبعث من نظراتها فيكسب عينيها فتنة تطغى على كل ما لها من مميزات ، حتى ليخيل للمرء ان كل ما تملكه قد تركز فى تينك العينين .

ولمحت صاحبتنا ما نحن عليه . فلم تعمد الى حشد ما تتقنه من صنوف الاغراء ، بل ضغطت « الاناء » قليلا وتربعت على حافته تعالج العبث بالبقية الباقية من عقلينا ...

ولكن ما بال صاحبى يخلط هنا ايضـا ، فيضع السيف فى موضع الندى ؟

لقد انحرف بنا عن طريق السمر المألوف ، الى الكلام عن الاقدار وعبثها ، والحياة ومرارتها ! ثم ما باله يقذفها بوابل من هـذه الاسئلة :

« هل كنت تتوقعين حضورنا ؟

« كيف يكون شعورك ازاء القادمين ، ومنهم الاسمر والاحمر وفيهم اللطيف والسخيف ، والطويل والقصير ؟

« انت تظهرين الحب وتبعثين القبلات وضحكاتك هنـا ، وهاهنا ، لهذا ولذاك ، لاى شخص ـ ولكن قلبك ، اين موضعه؟ ولمن يخفق ؟

على هذا النحو ، حتى افلت الزمام من « غادتنا » فصدفت عن الدور الذى اختاره القدر لها ، وانطلقت ـ تحت تاثير عـواطف كامنة ـ تسرد علينا تاريخ حياتها ...

وهكذا ، جئنا نغرق همومنا فى بحرها ، فصبت هى اساها فى نفسينا !!



هى لا تعرف كيف قضت طفولتها ، ولكنها تذكر انها انتزعت من بين اترابها فى الحارة لتعمل كخادمة ، فظلت تتنقل من بيت الى اخر حتى تجاوزت منتصف الحلقة الثانية بقليـل ، فالحقت بخدمة « احد البكوات » من العاطلين بالوراثة ! وهنـا تبدا المأساة .

سيدها (البك) تخطى الخمسين ، ولكنه لم يركن بعـد الى ما تفرضـه هذه السن ، بل يبدو كانه فى سباق مع الشيطان ، فهو يصحو ليسكر ، ويسكر ليصحو ، حتى لا يرى الا مخمورا ! ويفرغ من المقامرة فى الخارج لينصب ميدانها فى البيت ، حيث أعد لذلك جناحا خاصا يلتقى فيه بمعارفه فيلعبون ويعبثون .

وسيدتها شابة فى الثلاثين من عمرها ، يشيع المرح فى اعطافها وحركاتها ليست بالجميلة ولا بالدميمة ولكن لها من خفتهـا ورشاقتها ، ما تكفل بسد ما ينقصها من جمال ...

وقد فطنت (صاحبتنا) سريعا لسر تغافل « الست الزوجة » عن اعمال « البك » فلها ملذاتها الخاصة التى تسـتغرق كل تفكيرها ، والتى تود من اجلها الا يترك (البك) عربدته !

هى مولعة باحد اصدقاء زوجها ، وكثيرا ما ترك الصـديق اللعب ، متذرعا بمختلف الاعذار ، ليحظى بلقاء الست ! .

وفى البيت ايضا شاب فى العشرين ـ ابن البك من زوجتـه الاولى ـ غرفته اشبه بالحانة ، وسريره لا يخلو يوما من ضيف!

و (صاحبتنا) تعرف هذا كله ، فهى التى تجهز جناح سيدها ، وتشرف على اعـداد ما يلزم لرواده ، وهى الى ذلك كاتمة سر سيدتها ، وهمزة الوصل بينها وبين العشيق ، ثم هى ايضـا مطالبة بخدمة الشاب والسهر على راحته !

نعم ان فى البيت الكثير من الخدم ، ولكن ذنبها ان الجميع يستظرفونها .. وايضا يستصغرونها !



وذات مساء والمائدة عامرة ، والست لاهية ، كان الشـاب بمفرده ينتظر ! وها هو الليل ينتصف .. والقمر تعصف برأسه .. ولكنه لا يزال ينتظر ! وطال انتظاره ، ولم يجد الا « زينب » رائحة غادية ، تلبى هذا الطلب ، وتجيب هذا النداء .. فناداها ولاول مرة يتودد اليها ، فيختصر اسمها ويدعوها « زوزو » .

انها لا تستطيع تقدير شعورها اذ ذاك ، صحيح انها كانت ماخوذة بسحر ما يضطرب فى القصر ، وصحيح انها كانت تحن الى ذراع يضمها ، وفم يداعبها ويقبلها ، ولكن .. لكن غيـر سيدها هذا !

لقد قبلها وضمها ، ثم قبلها وضمها ، ثم يدق الجرس فتفلتت من بين ذراعيه وبدنها يغلى ...

ولكنها لا تعود الى غرفته بل تمرق نحو غرفتها ـ وهى ترتعد، ولكن ها هو الشاب يقتحم حصنها ، ليصل ما انقطع ...

ران السكون على البيت وعلى من فيه ، الا (صاحبتنا) التى

احتشدت بغرفتها «الأشباح» تصرخ وتعول تارة ، وترقص وتعربد تارة اخرى ..

حاولت النوم ، ولكن انى لها ان تنام ؟! فاغمضت عينيها لتقى نفسها شر تلك الاشباح ، ولكنها وجدت وهى مغمضة العينين ، اسهما ذات الوان مختلفة تومض وتختفى ، فوضعت يديها على وجهها فسمعت طنينا فى اذنيها ، واحست بعاصفة فى نفسها ، واتون فى راسها .

لم ينقذها الا سنة خفيفة ، ولكنها تنبهت على اثرها مذعورة ، فقد حلمت خلالها كانها جاثية عند اقدام الشاب ، وكان يجز شعرها ، واخيرا يخلع عنها ملابسها ويلقى بها من النافذة !

وبعد عذاب شديد لمحت خيوط الفجر تنساب خلال النافذة ، فغادرت الغرفة فى سرعة وذعر ، وما صافحت وجهها نسمةالصبح حتى شهقت تتلقف انفاسها ...

وعادت الى الغرفة ثانية لتجمع امتعتها فقد اعتزمت امرا ، ولكنها بمجرد ان القت نظرها على فراشها رات الاشباح تصرخ وترقص ، والنجوم تومض وتختفى ، والشاب يجز شعرها ، فحولت وجهها .. ولاذت بالفرار ...

وبذلك تسدل الستار على الفصل الاول من المأساة .



فاذا كان الفصل الثانى ، فصاحبتنا ، قد اكتمل نضجهاوبرزت مميزات انوثتها ولكنها ما تزال تخدم .

بيد انه ما من بيت دخلته الا ووجدت فيه من يراودها عن نفسها ، فاذا امنت هذا الشر ، لم تامن شر الغيرة التى تخنق سيداتها !

ولكن ها هى المقادير تهادنها ، فقد هام بها شاب « كواء » ثم ها هو ذا يسرع فيعقد عليها ، فتظن انها قد بلغت شاطىءالهدوء والسلام .

غير ان الزوج لم يكن ماخوذا بجمالها — كما توهمت — وانما يريد ان يستثمره .. يريد ان يجيب رغبته ، ثم يملا ايضا.. معدته .. ولذلك ودع مهنته ، وراح يسوق لها الرجال !

فى هذه الفترة ، ترى « صاحبتنا » الحياة على حقيقتها ، فيبدو لها العالم ملطخا بالأوحال . فهذا الرجل كانت تخدم فى بيته وهى صغيرة وكان يتظاهر بالتقى والورع ، ولكنه ينقلب ماجنا فاجرا الى حد بعيد ..

وذاك الرجل الآخر كثيرا ما تردد على بيت احد مخدوميها فكان حديثهما يدور عن الدين والاخلاق ، وكان يصدر عن نفس نظنها « الفتاة الصغيرة » كريمة نبيلة ، ولكنها تراها الآن « المرأة المجربة » سفيهة منحطة ...

ثم ها هى المقادير تداعبها ، فقد داهمها البوليس ، واقتادها الى التحقيق ، ولكنها بفضل تغاضى الزوج عن كرامته ، تنجو من العقاب ، ولكنها تحول الى المستشفى .

وينتهى بذلك الفصل الثانى ...



فاذا كان الفصل الثالث ، فهى راقدة بجوار احدى «المومسات» ترمق ما يغدقه عليها معارفها من هدايا ، وترى ما يحوطها من عناية ، ويتصل بينهما الكلام ، فتكشف كل واحدة منهما عن حياتها للاخرى وينتهى الامر — بان الحياة الصريحة — امن واجدى ..!

ولكن الزوج !

تضحك « البغى » وتتكفل بالامر ...

وتسير الأمور على النحو الذى رسمته « جارتها » .

فالزوج قد قبل الطلاق بعد ان قبض ثمنه و «صاحبتنا» قد بيعت فى سوق البغايا بثمن اقل عن جارتها ، وعاد عليها بالربح الوفير .

وفى هذه الفترة ، ترى « صاحبتنا » لونا اخر من الوان الشقاء . فصاحبة البيت امراة شرسة الطباع ، حادة المزاج ، تفرض على كل واحدة مبلغا معينا ، وترسم لكل واحدة طريقا خاصا ، والويل للتى تحيد عن الطريق ، او تخرج على النظام ، فعقابها ان تقضى ليلتها مع واحد من ثلاثة ، جمعوا بين دمامة الخلقة ، وسوء العشرة ، وطول اليد ، وسلاطة اللسان ...

وفى هذا البيت ، مغفل ، من نوع عجيب ، رجل ثرى يطلقون عليه لقب « السلطان » وهو صديق السيدة صاحبة البيت ، ثم هو الى ذلك معروف بالبذخ والاسراف .

لهذا « السلطان » ميزة خصته بها « السيدة » تلك هى ان يقضى الليلة الاول مع القادمة الجديدة نظير خمسة جنيهات !

وقد استظرف « البك » صاحبتنا فاغدق عليهـا من كرمه ، وشملها بعطفه فاستطاع ان يدفع عنها شر « السيدة » بعض الشىء !

ولكن ، صاحبتنا ، رغم ذلك تضيق بالدار ونظمها ، وسيدتها و « السلطان » ايضا ...

تضيق بهؤلاء السكارى وصخبهم ، وباولئك الطغام وقذارتهم فاذا ارتسم البرم على وجهها ، راحت « السيدة » تهمس فى اذنها تعلمها ، اسرار الحياة ، فالاقدام القذرة ينبغى ان تغسلها ، والنفس الثائرة يجب ان تسامرها ، واللطمة يكون جوابها ضحكة ، والسب يقابل بالتبسم !

تضيق « صاحبتنا » بذلك اللون .. فتفر ...



فاذا كان الفصل الرابع ، فهى حيث تجدها الآن !

نفاية انسان ، حطام امراة ، تعيش بلا امل ولا غاية ، لا تاسف على ماض ، ولا تاسو على حاضر ، تعتقد بانها ليست اشر من غيرها ، فالناس جميعا يستوون فى الشر ، والفارق ان بعضهم يعلنه والآخر يخفيه ..

ثم هى على ثقة بانها لو عادت الى الحياة من جديد لما استطاعت النجاة بنفسها من الجحيم الذى تردت فيه ، وكيف كانت تستطيع مقاومة الدوافع والمؤثرات التى كانت تلح عليها ، وتحيط بها ؟

شىء واحد يرد ضميرها الى الرقاد اذا استيقظ ، ويحمىروحها من الظلمة اذا اكتنفتها : ذلك هو ما لاقته من الناس ، ثم تلك الحكمة الكريمة التى نقشتها على سوارها :

« من كان بلا خطيئة فليرم بحجر » .

« عبد المعطى المسيرى »

المولد النبوي

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

الخميس ٩ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ - ٨ يوليو ١٩٦٥ م

رئيس التحرير:
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

في هذا العدد

الاشتراكات:
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة:
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد: محمد فريد ـ القاهرة.



شهر ربيع الأول في حياة الرسول

بقلم: أحمد حسن الزيات

من الموافقات العجيبة في حياة الرسول صلوات الله عليه أن شهر ربيع الأول كان شهره من بين الأشهر ، وان يوم الاثنين كان يومه من بين الأيام •

فيوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم استهلاله في مكة ، ويوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم هجرته الى المدينة ، ويوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم انتقاله الى الرفيق الأعلى • ولهذه الموافقات سر يعلمه من اصطفاه على خلقه واصطنعه لحقه ، واختصه برسالته •

ومن همسات هذا السر أن شهر ربيع الأول هو شهر اليمن والخصب والجمال في العام ، وأن يوم الاثنين هو يوم القمر عند القدامى ، وللقمر شأن مذكور في الاسلام • فهو ميقات للناس والصوم والحج ، وشعار للأمة والملة والدولة • وعلاقة الأقدار والحظوظ بالفصول والبروج والأيام لاتزال من الأسرار المغيبة في فطرة الانسان • فلو أن شهر ربيع الأول جعل بدءا للسنة الهجرية ، وان يوم الاثنين جعل يوما للراحة الأسبوعية ، لكان ذلك متفقا مع تاريخ الهجرة ، وجلالة الذكرى ومكانة الرسول ، وقداسة الشهر •

* * *

ففي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول للسنة الثالثة والخمسين قبل الهجرة كان الفضاء الرحب الصافي بين بيت ابراهيم بالمسجد الحرام ، ودار السيدة آمنة بشعب بني هاشم بمكة ، مسبحا لأجنحة الملائكة ومسبحا لأرواح الأنبياء ، يحمدون الله ويشكرونه على أن تدارك الخليقة من جديد ، باستهلال هذا العربي الوليد • وكان العالم قبل مولد محمد بن عبد الله يضطرب في الباطل ،ويتخبط في الضلال ، ويتبسط في المنكر :

كبهيمة عمياء قاد زمامها ... أعمى على عوج الطريق الأعوج

كان يسوق هذه البهيمة من الشرق الفرس على ما هم فيه من انحلال وفساد ، ويقودها الى الغرب الروم على ما هم عليه من اباحية وفسوق • وكان ايوان كسرى وبلاط القيصر يتنازعان الولاية على الأرض بالكفران والطغيان والقهر • فلما قام بينهما في مكة مهد العربي اليتيم هزته يد الله فتصدع لهزته الايوان ، وتطامن لهيبته القصر ، وهتف بالعاهلين العظيمين من جانب الغيب هاتف يقول : اليوم ينتهي تاريخ ويبتدىء تاريخ • ليس بعد اليوم ملك ولا كاهن ولا سيد ، انما العبادة لله ، والقيادة للرسول ، والسيادة للدين ، والحكومة للعرب ، والدنيا للجميع !

ثم درج يتيم الأبوين فى دروب مكة وشعابهـا وأوديتها يتمرس بالحياة على أسلوب قريش ، فرعى على بعض أهله ، وسعى لبعض قومه ، ثم اتجر بمال زوجه ۰ وكانت عناية الله ترعاه فى كل طور وفى كل مرحلة ۰ عاله وهو يتيم فقير ، وكفله وهـو راع صغير ، ووفقه وهو تاجر أجير ۰ ثم شاء الله لأمر يريده أن يصنعه على عينه ، فأدبه بأدبه ، وعلمه ، من علمه ، وعصـمه من أرجاس الوثنيـة وأوزار الجاهلية ، فلم يشرب الخمر ، ولم يأكل الربا ، ولم يلعب الميسر ، ولم يشهد اللهو ، ولم يعن وجهـه لصنم ، حتى صار اليتيم العديم سيدا للجزيرة ، والراعى الصغير راعيا للعالم ، والتاجر المتجول فاتحا للأرض ۰ والطاهر النزيه مهيـا لتلقى الوحى وتبليغ الرسالة ۰

وحينئذ انفتح باب من السماء على غار حراء تنزلت منه الملائكة والروح على أهل الأرض ، وانبثقت فيه الشعاعة الأولى من وحى الله على قلب محمد ۰ فهبط الصادق الأمين من فوق جبل النور يحمل المصباح بالهدى ، ويحمل على الشرك بالتوحيد ، ويحتمل فى سبيل الدعوة الى الله اذى ائمة الكفر من قريش ۰

***

وفى يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول للسنة الأولى من حادثة الفيل كان اذى قريش لرسول الله قد بلغ حد الائتمار به ليقتلوه ،وكان صلوات الله عليه قد راى قفار مكة المشركة قد نبت على غرس الدعوة فلم يخرج نباته الا نكدا توشك السـموم ان تأتى عليه ، فهاجر به تحت عين الله الى البلد الطيب الذى اختاره الله ليكون قاعدة لصرحه وحقلا لغرسه ومجمعا لقوته ومنارا لهداه ۰ وهنالك بالصبر والصـدق والايمان والثبات والجهـاد والخلق والرجولة ، اثمر الغرس وتم النور واتحدت الكلمة واتسعت الرقعة فصارت المدينة دنيا ، والقلة ملة ،والقرى الثلاث وهى مكة والطائف ويثرب قارات ثلاثا هى آسيا وافريقيا وأوروبا ۰ وأصبح الاسـلام الذى بدأ بخديجة وعلى وأبى بكر وزيد دين الناس ودنيا العالم ، يقف به فى آخر المغرب عقبة بن نافع على شاطئ المحيـط الأطلسى يقول وقد خوض جواده فى الماء : « اللهم رب محمد ! لولا هذا البحر لفتحت الدنيا فى سبيل اعلاء كلمتك ۰ اللهم اشهد ! » ويتجه به الى آخر المشرق

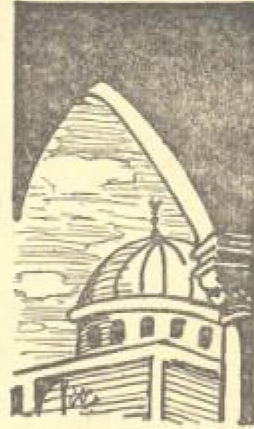


قتيبة الباهلى ويأبى الا أن يوغل فى بلاد الصين فيقول له أحد أصحابه محذرا : « لقد أوغلت فى بلاد الترك يا قتيبة ، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر » فيجيبـه قتيبة : « بثقتى بنصر الله أوغلت ، واذا انقضت المدة ، لم تنفع العدة » ؟ فرد عليه المشفق المحذر قائلا : « اسلك سبيلك حيث شئت ، فهـذا عزم لا يفله الا الله ۰

كانت الهجرة المباركة حدا فاصلا من نور الله بين الاسلام والجاهلية ، وبين الوحدانية والوثنية ، وبين القومية والعصبية ، وبين الانسانية والحيوانية ،وبين ليل مظلم طال فى الهول والويل والضلال ، وصباح مسفر ضاء بالأمن والسلام والهداية ۰

تسنى بعدها للرسول بفضل الله أن يفطم المشركين عن الشر بالحكمة والقوة ، وأن يربى المسلمين على الخـير بالموعظة والقدرة ۰ فجادل المنكرين بمنطق القرآن ،وجاهد المكابرين بمنطق السيف ، حتى جاء نصر الله والفتح ورأى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربه ، واطمأن على مصير دعـوته وشعبه ، وأخذ يسن السـنن ويوضح المعالم ويبين للناس مالو اتبعوه من بعده لما ضلوا ولا ذلوا ۰ فلم تمض عشر سنين على الهجرة حتى كان الدين قـد كمل ، والنعمة قد تمت ، والقرآن قد ختم ، والعرب قد تهيئوا لولاية الأرض وحكم الدنيا ۰ فحج صلوات الله حجة التمام ، وخطب فى عرفة خطبة الوداع ، أشهد فيها الله على أنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمـانة وخرج من العهدة ۰

وفى ذلك اليوم نزل عليه قوله تعـالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا» فعلم أن الله قد نعى اليه نفسه واصطفاه لجواره ۰



وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول للسنة الحادية عشرة من الهجرة لحق بالرفيق الأعلى . وكان قد حم صلوات الله عليه منذ اسبوعين قضاهما في برحاء الحمى بين وهجها وغشيتها لا يفتر عن ذكر الله ولا يغفل عن امر دينه . وكان أشد عليه من وجعه أن ينقطع عن المسجد وان يؤذنه بلال بالصلاة فلا ينهض لها . وفي آخر يوم من أيام المرض وجد الرسول خفة في جسده فعصب راسه وخرج من بيت عائشة متثاقلا تخط قدماه الأرض وهو معتمد على علي والفضل ابني عميه ، حتى اتى المسجد والناس يؤمون الصلاة ، فلم يكادوا يرونه مقبلا حتى أخذتهم هزة الفرح ، وفرجوا صفوفهم له فخطا بينها حتى جلس الى يسار ابي بكر وصلى قاعدا وراءه . فلما قضيت الصلاة صعد المنبر ، وكان قد علم أن مرضه الشديد قد جرأ بعض المنافقين على الانتقاض والردة، فوثب الأسود باليمن ، ومسيلمة باليمامة ، وطليحة في بني أسد ، فقال بعد أن حمد الله واستغفر لأهل أحد : « أيها الناس : سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ! ألا وانكم لا تملكون علي شيئا . اني والله لم أحل لكم الا ما أحل القرآن ، ولم احرم عليكم الا ما حرم الله ،وان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، ثم أمسك . فأدرك الصديق أن الرسول يريد نفسه فاجهش بالبكاء وفداه بالأنفس والبنين . ثم خرج من المسجد فدعا لأسامة بن زيد بالخير ، وامره أن يسير بجيشه الى غزو الروم . وارتد الى بيته فنكس النكسة التي انخذل عنها العلاج ، وانطفأ منها السراج ، وغام بعدها الأفق ونجمت في أرض السقيفة بذور الفرقة . فلم يبق بين أيدي الناس الا كتاب الله يهتدي عليه الضال ، ويرجع اليه الشارد ، ويستقيم به الطريق .

***

هذا هو شهر ربيع الأول ، وهذه هي الأثانين الثلاثة ، لخصت حوادثها تاريخ الرسول ، وسجلت مواقيتها أطوار الرسالة ، فكانت اطارا للصورة القدسية التي صاغتها يد الباري، المصور لتكون جمالا للتاريخ ومثالا للاكبار . ومشكاة للمصباح الالهي السرمدي الذي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار .

من أجل ذلك وجب الاحتفال بذكرى هذا الشهر وهذا اليوم ، ومن أجل ذلك استحب في أيام الاثنين الصدقة والصوم .

« أحمد حسن الزيات »





أغنية للأطلال العربية

للشاعرة : نازك الملائكة

من الجزع ، من قلب سقط اللوى   ووادى الغمار وبرقة ثهمد
ومن ربع نعم عفته الرياح   واقفر من اهله وتبدد
ومن طلل فى الجزيرة اقوى   ومازال منبع عطر وعسجد
تعالت هتافات ماض عريق   يعيش الخلود بجفن مسهد

***

وتلك المرابع حيث الظباء   سرحن قديما وتلك الطلول
منازل يعرب يغنى الوجود   ويلبث منها شذى لا يزول
وشعر ند عربى القوافى   يظل يبرعم مثل الفصول
اذا درست دمنة هب الف   امرىء القيس يدفع عنها النحول

***

تناديك يا عربى رمال   ممطرة باريج القدم
ديار العروبة ما لامستها   قديما سوى قبلات الديم
وقف بها اليوم اين الهوادج   اين الحداء .. واين الخيم ؟
ترحل فرسانها وانطوت   اناشيدها وزواها العدم

***

وتستعجم الدار يا عربى   وتغرق فى صمتها لا تجيب
فان تبك ، تستبك جدرانها   يرد عليك السكون الرهيب
مسارح آرامها دنستها   خطا الوافد الاجنبى المريب
وارض نزار وبكر ووائل   خطوا عل رملها تل أبيب

***

ويصعد فى الليل همس كئيب   تردده الدمن الماحله
تغلفه كبرياء الطلول   وعزة احجارها الذابله
ويثقله رجع خطو القوافل   فى رمل تلك الربى القاحله
متى يا زمان تعود الحياة   الينا وتنطلق القافله ؟
فيا عربى اصغ للنداء   تحدر من رحبة الأبديه
وقف حاسرا تحت ضوء النجوم   على ربع تلك الطلول الأبيه
وقل يا رمال الجزيرة بالحن   ملحمة العرب الأزليه
غدا ستعود اليك الحياة   تعود مع الوحدة العربيه

مولد الرسول .. وأثره في بناء المجتمع



للدكتور: محمد عبد الله العربي

« يايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »

يحتفل العالم الاسلامي - بعد أيام ثلاثة - بذكرى مولد خاتم النبيين الذي بعثه الله للناس كافة ، ليكمل لهم دينهم ، وليتم عليهم برسالته نعمه السابغة .

فالانسانية مافتئت رحمة الله تواليها بالهداية والارشاد منذ بدء الخليقة على لسان رسله الى الأمم ، ولا غرو فهو الرحمن الرحيم بعباده ، كتب على نفسه الرحمة ووسعت رحمته كل شيء .

كان مولده عليه الصلاة والسلام **فيصلا بين عهدين** في تاريخ الانسانية : **بين عهد انحرفت فيه** الأمم انحرافا بعيد المدى عن تعاليم الرسالات السابقة : فانتشر الفساد والبغي في الأرض ، وساد الانحلال الخلقي والاجتماعي في كل مكان ، وغلب الشقاء على السواد الأعظم من البشر . وبين عهد استكملت فيه الانسانية نضجها ، وقاربت رشدها ، واستعدت لاستقبال خاتم الرسالات الالهية .

فقد اشتركت جميع الرسالات الالهية في عقيدتين أساسيتين: الايمان بوحدانية الله وانه لامعبود سواه، والايمان بالبعث والحساب وان كل نفس بما كسبت رهينة . وبين هذين القطبين تفاوتت تعاليم الأديان بين الأخذ بالشدة الرادعة والأخذ بالاقناع والتبصير والوعد بالغفران ، وتفاوتت بين الأخذ بنصيب من الدنيا والدعوة الى التجرد منها ، كما تفاوتت في صور العبادات: كل هذا رحمة بالغة من ربك في ايتاء كل أمة ما علم فيها الخير لها والملاءمة للزمان .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » (الشورى : ١٣)

«انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور (المائدة : ٤٣) « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة (المائدة: ٤٥) .. « وأنزلنا اليك الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .. (المائدة : ٤٧) .

وهكذا تعاقبت الكتب السماوية لهداية البشر ، الى ان جاء القرآن ونزل به الوحي على خاتم الانبياء . جاء يستكمل هداية الانسانية بعد أن سارت في مراحل التدرج التي شاءت حكمة رب العالمين ان تسير فيها مرحلة بعد مرحلة .

ولما أراد الله أن يكون الاسلام هو خاتم رسالاته الى خاتم النبيين ، وان كان هو الأصل الأساسي في جميع الرسالات السابقة : «ان الدين عند الله الاسلام» .

ولما كان سبحانه هو العليم بما يفضي اليه تطور الانسانية ، فقد شاءت حكمته ان تكون تعاليم الاسلام في تنظيم المجتمع الانساني مرسلة في صيغة كلية عامة ، لتكون دوما قابلة للتفريع منها، والبناء عليها، على ضوء ما يستجد من حاجات البشر ، وحتى

لاتقيد الأجيـــال التالية بالتفصيلات الجزئية ، بل تقتبس الوضع الذى تتوافر فيه الملاءمة العملية لحاجات كل زمان ومكـــان ، مادام هذا الوضـــع يستقيم مع التعاليم الكلية وينبثق من توجيهاتها • وهـــذه هى المرونة اللازمة فى التعاليم التى يراد لها الخلود لتكون ملائمة لتطور احتياجات البشر •

ولا شك أن ألزم ما نحتفل به فى ذكرى مولد الرسول المصطفى لهداية البشر الى أبد الدهر ، هو ان نتذاكر هذه التعاليم ، لاسيما فى الظروف التى تجتازها الانســـانية فى هـــذا العصر • فالذكرى خير تبصرة للمؤمنين ، وأقوى سند لنضال المكافحين •

وحسبنا فى هذه الســـطور ان نطلع على معالم الطريق الذى رسمته هذه التعـــاليم ، لنتبين مدى استقامتنا فيه أو انحرافنا عنه •

هـــذه التعاليم بعضها **خلقى** ، يهـــدف الى تكوين **الفرد المثالى**، والفرد هو اللبنة الاولى فى بناء المجتمع، وبعضها **اجتماعى وسياسى** ، يخطط التنظيم الداخلى والخـــارجى لكيان المجتمع ، فلا فلاح لمجتمع بغير تنظيم شامل يوحد أهدافه ، ويرأب صدوعه ، ويقيمه على صراط الحق والعدل • وبعضها اقتصادى يرسم سياسة المال، ويخطط حدود الجانب المادى فى نشاط المجتمع ، فقد عنى الاسلام أكبر عناية بالتوفيق بين الجانب المادى والجانب الروحى فى حيـــاة الانسان • وهذه التعاليم متعاونة متفاعلة، كل منها تتأثر وتؤثر فى الأخرى •

اما التعاليم الخلقية فمحورها الايمان •

وأول مواطن الايمان هو الايمان بوحدانية الله ، لا عبودية لغير الله ، لا عبودية لصـــنم أو مخلوق أو هوى من الأهواء أو شهوة من الشـــهوات • وبذلك تحرر العقل الانســـانى من جميع قيود العبـــودية • والانسان الذى تطور على هذا النحو صار خليفة الله فى الأرض، فارتفعت كرامته الذاتية على أمتن أساس، وصار قيامه على الفضـــائل ، وســـعيه الدائب نحو الكمال ، نتيجة منطقية لهذه الخلافة• هذا هو التوجيه الوجدانى الذى يوحى به الايمان بوحدانيـــة الله ، والعبودية له وحده •

ولكن الاسلام لا يقتصر على هذا التوجيه الوجدانى بل اتجه اتجاها عمليـــا لاستكمال مقتضيات هذا التوجيه ففرض عباداته •• وكلها تدريب فعال على دعم هذه الفضائل فى نفس المسلم ، وكلها اشعار متجدد باتصاله الروحى بخالق الكون •

وثانى مواطن الايمان هو **الايمان برسالة محمد ،** خاتم رسل الله الى البشر • ومتى استقر هذا الايمان فى وجدان المسلم فانه لا يلبث أن يحفزه الى السعى ما استطاع الى الاحتذاء بالمثل الرفيعـة التى خلفها الرسول للأجيال التالية • مهتديا بالدروس الخالدة التى لقنتها حياة هـــذا الرسول الـكريم للانسانية جمعاء • وقد أجمع المؤرخون فى الشرق وفى الغرب على أن حياة رسولنا اليومية وتصرفاته فى كلياتهـا وجزئياتها قد سجلت ورويت فى أمانة ودقة لم تظفر بمثلهما حياة رسول من قبل • فصارت حياته مرآة صادقة ، يرى فيها المسلم الحل لكل مشكلة تعترضه، والمخرج من كل أزمة نفســية تلابســه ، والهـــداية الرشيدة فى معترك الحياة اليومى •

ورسولنا ــ ككل رسل الله ــ بشر ، عبد من عباد الله ، والمسلم فى صلاته اليومية يكرر الشهادة بأن الرسول عبد الله • والقرآن يؤكد هـــذه البشرية ، والرسول يتشدد فيهـــا ، « قل انما أنا بشر مثلـكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » •

هذا التاكيد على بشرية الرسول يجعل الاقتداء به فى كفاحه وعمله وسلوكه الفردى والجماعى ، واتخاذه الأسوة الـكبرى والمثل الأعلى ــ يجعل الاقتـــداء به فريضة من الله على كل مسلم ، ما استطاع الى ذلك سبيلا • فلو كان الرسول ملـكا ، أ وتخالطه مسحة من الذات الالهية ــكالذى انحرفت اليه بعض الأديان ــ لكان للمسلم ذريعة فى القعود عن الاقتداء به لاختلاف طبيعتـــه البشرية عن طبيعـــة الرسول المـلائكية أو الالهية •

وثالث مواطن الايمان هوالايمان بالبعث والحساب، هذا الايمان الذى يملأ قلب المســـلم باحســـاس حى برقابة الله عليه فى كل حركة من حركاته وفى كل تصرف من تصرفاته • هذا الايمان الذى يتولد عنـــه اليقين بأن هذه الحياة الدنيا ليست الا مزرعة للآخرة، واليقين بأنّ الله انما خلق الموت والحياة ليبلونا أينا

أحسن عملا ، فاحسان العمل فى هذه الحياة الدنيا هو الهدف الأول والأخير من وجود المسلم فيها • وهو مكلف بان يعمل وينتج ، ويجيد ويتقن فيما يعمل وينتج، لالنفسه وجيله فقط، بل لهما وللأجيال المقبلة • وهو فى هذا العمل المتواصل يتحرى الدقة فى ابتغاء الخير العام ، ويتورع عن الشر والاثم ، لأنه في عمله الدنيوى لا ينسى آخرته ، ويظل يذكر موقف الحساب عن نشاطه اليومى أمام ربه •

هذه مواطن الايمان الثلاثة التى خلقت المسلم المثالى فى صدر الاسلام •

ولقد استطاع مئات من هذا الطراز فى صدر الاسلام أن يأتوا بما يشبه المعجزات فى دك عروش طغاة عتاة ، وأن يحرروا الشعوب من مظالمهم ، وأن يرفعوا لواء الحرية والمساواة والعدالة فى ارجاء الأرض •

هذه التعاليم الخلقية هى الأساس الذى أقامت عليه الرسالة المحمدية شخصية المسلم المثالى • ثم امتدت رسالة الاسلام من هذه النقطة الى آفاق أوسع فى تنظيم المجتمع • ذلك لأن الاسلام ليس مجرد دين تعبدى فحسب ، بل هو منهج فى الحياة ، حياة الفرد وحياة المجتمع ، وعباداته ذاتها تتصل بتنظيم هذا المنهج ، وتأخذ بيد المسلم وتحثه على السير قدما فى هذا الطريق المسنون •

الاسلام ليس مجرد شعائر وعبادات ، بل هو دستور شامل للسلوك الانسانى ، فى الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات الانسانية •

فمثلا فى **نظام الحكم** أمر الاسلام أن تقوم فى كل مجتمع هيئة تتولى تنظيمه السياسى • « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » : أركان ثلاثة تقوم عليها الدولة الاسلامية ، وقد طبق الرسول هذه الأركان الثلاثة تطبيقا واقعيا مثاليا فى دولة المدينة •



فالركن الأول هو الدعوة الى الخير ، فالدولة الاسلامية دولة خيرة ، دولة شعارها تحقيق فلاح المجتمع ، وهو ما يحاول الفقه السياسى الغربى أن يصل اليه بما يسميه « Welfare State » • والركن الثانى هو الأمر بالمعروف ، و « المعروف » هو كل هذه الأصول الكلية التى فرضها الاسلام لصالح المجتمع ، وكل ما يتبنى عليها ويتفرع منها • والركن الثالث هو النهى عن المنكر ، و « المنكر » هو كل ما نهت عنه هذه الأصول الكلية ، وكل ما يقاس عليها فى الحاق الضرر بالمجتمع •

هذه هى الوظائف الثلاث للهيئة التى تتولى زمام الحكم فى المجتمع الاسلامى • وأما كيفية قيام هذه الهيئة فقد اكتفى الاسلام ـ الى جانب ما فرضت تعاليمه الخلقية من عدالة مطلقة ومساواة شاملة ـ بأصل كلى واحد ، هو « الشورى »• « وأمرهم شورى بينهم »• فالمجتمع المسلم يجب أن يستشار فى تكوين هذه الهيئة وفى كل ما يتصل ببنيانها ونظامها وخططها وأهدافها • وليس لهذه الهيئة سيادة على المجتمع بالمعنى المعروف فى الفقه السياسى الغربى ، بل السيادة لله وحده ، والناس جميعا سواسية ، لا سيد ولا مسود ، ولكن الشعب وقد استشير فى تكوين هذه الهيئة ، وظل بعد ذلك هو المرجع فى كل ما يتفرع عن الأصول الكلية التى أتى بها الاسلام، فقد صار لهذه الشورى أثرها الالزامى فى كل مايقام من نظم حكومية •

وأما التنظيم الداخلى لهذه الهيئة فقد عهد به الاسلام الى جهود العقل الانسانى ، يمضى فيها باجتهاده ، ليصطفى أكثر الأوضاع ملاءمة لاحتياجات الزمان والمكان ، على ضوء المبادىء العامة التى يستخرجها عقل الانسان نفسه من كتاب الله وسنة رسوله الكريم •

واذا **نظرنا الى تعاليم الاسلام الاقتصادية** رأيناه يضفى عليها اطارا روحيا ، تتجلى لنا روعته من نظرته الى العمل والى المال ، الركنين الأساسيين فى كل بنيان اقتصادى •

أما نظرته **الى العمل** فالاسلام يمجده ، ويدعو الى الجد والاتقان فيه ، ويضفى على كل عمل نافع صبغة تعبدية ، فى ظل رقابة الهية توجه نشاط كل فرد الى

نفع ذاته ونفع المجتمع على السواء ، بل نهى الاسلام عن الانقطاع للعبادة بغير عمل يؤديه المسلم فى المجتمع •

ذلك دستور الاسلام فى تمجيد العمل والحض عليه • وقد ترتب على ذلك أمران :

الأول : أنه جعل العمل المصدر الأول للكسب المشروع • فاذا اشترك العمل مع راس المال فهى مشاركة الند للند ، لا مشاركة الرقيق للسيد •

الثانى : ان المال وحده بغير عمل سابق انتجه ، أو عمل لاحق صانه ونماه ، لايكون مصدرا للكسب المشروع • ولذلك حرم الاسلام الربا ، وحطم بذلك اكبر صنم فى الاقتصاد الرأسمالى •

أما نظرة الاسلام **الى المال** فقد أجاز الملكية الفردية، ولكنه شفعها بأن يكون استثمار المالك لماله فى سبيل الله ، أى فى سبيل خير المجتمع • لأن المال خلقه الله وسخره لنفع عباده ، والفرد بامتلاكه لشىء من هذا المال انما هو أمين عليه • بحكم خلافته لله على هذا المال ، فليس له أن يستاثر بنفعه ، بل عليه أن يمد هذا النفع الى خير المجتمع • فاذا استغل ماله فى الحاق الضرر بالمجتمع فقد أخل بأمانة خلافته لله على هذا المال ، وأهدر حقه فى ملكية المال •

لذلك قيد الاسلام حق الملكية بقيود وتكاليف ، منها تكاليف ايجابية كالزكاة التى حدد الاسلام نصابها ومصارفها ، والانفاق فى سبيل الله ، وهو أوسع نطاقا من فريضة الزكاة ، لأنه يمتد الى كل انفاق متطوع فى سبيل مصلحة المجتمع ، والضرائب التى يفرضها ولى الأمر لتامين المجتمع والوفاء بمرافقه المشتركة اذا لم تتحقق الكفاية بحصيلة الزكاة والانفاق الاختيارى فى سبيل الله • ومنها وجوب استثمار المالك لماله اذا كان هذا المال من مصادر الانتاج ، فاذا أحجم عن هذا الاستثمار كان للمجتمع أن يفرض عليه مداومة الاستثمار ، واذا ارتكب شططا فى استثمار ماله والتزم أسلوبا عقيما فى الاستثمار كان للمجتمع أن يرده الى الاسلوب الرشيد وللمجتمع عند الضرورة أن يسترد منه مصدر الانتاج مقابل تعويض بقيمته •

ومنها تكاليف سلبية ، أولها كف المالك عن استعمال ماله فى الحاق ضرر بمصلحة المجتمع ، أو استغلال مكانته المالية فى حيازة نفوذ سياسى فى تصريف شئون الدولة ، ابتغاء توجيهها الى خدمة مصالحه الذاتية وتسخير أداة الحكم فى اشباع شهواته الآثمة فى الكسب على حساب طبقات المجتمع الأخرى• واحترام هذا التكليف له اكبر الأثر فى صيانة المجتمعات الاسلامية من أسباب الانحلال وعوامل الانهيار التى تصيب المجتمعات الغربية • فهناك نجد الأقلية القابضة على زمام الثروة القومية، والتى تدعم سلطانها بالتجمع فى كتل احتكارية ، قد سيطرت سيطرة تامة على الجانب السياسى من حياة الأمة ، وتجد سياسة الدولة الداخلية والخارجية خاضعة لوحى هذه الفئة القليلة واملائها النافذ •

وتشريعاتنا الاشتراكية ليست الا تنفيذا لهذا التكليف ، تنفيذا اقتضته ملابسات هذا العصر •

ومن التكاليف السلبية أيضا النهى عن الاسراف والتقتير ، لأن كلا الاتجاهين يضر بمصلحة المجتمع • اما التقتير وما يقترن به من اكتناز الذهب والفضة أو غيرهما من وسائل النقد ، فيحول دون نشاط التداول النقدى ، وهو ضرورى لانعاش الحياة الاقتصادية • واما الغلو فى التبذير ، والاسراف فى الوان الترف السفيه ، فيولد البغضاء فى الطبقات المحرومة، ويربى فى نفوسهم سخطا يدمر فى النهاية تماسك المجتمع •

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » •

وهكذا كانت رسالة الاسلام فى المجال الاقتصادى تهدف الى صياغة المجتمع فى قالب بيئة تعاونية متكافلة متساندة ، تتوازن فيها جميع المصالح المتعارضة والنزعات المتنافرة توازنا قويما • وهذا التوازن يؤدى الى نتائج تميز المجتمع الاسلامى عن سائر المجتمعات المعاصرة :



النتيجة الأولى : اجازة ملكية المال بغير قيد الا الوفاء بهذه التكاليف الايجابية والسلبية ، واذن يستقيم هذا الوضع مع غريزة الانسان الفطرية الى تملك المال ، وفي هذا أكبر حافز للأفراد على تنمية الثروة القومية ·

النتيجة الثانية : حسن توزيع الثروة القومية ، لأن فضول مال الاغنياء قد فرض الاسلام لها مصارف سنوية في وجوه البر والمرافق العامة· فهذه المصارف تحول دون تكدس الثروة عند فئة قليلة ، تفسد بثرائها الفاحش اجهزة الحكم ، وتمحق حريات الشعب· كما أن نظام الارث الاسلامي يؤدي الى توزع ما تجمع من الثروة بعد أداء كل هذه الفرائض ·

النتيجة الثالثة : قيام التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع على أكمل وجه ، فلا يجوز أن يبقى في جنباته معدم أو عار أو جائع الى جانب أهل الثراء · والتكافل على هذا النحو يخلق من المجتمع وحدة متماسكة تماسك البنيان يشد بعضه بعضا ·

وبعد :

فهذه لمحة سريعة الى معالم الطريق الذي رسمته الرسالة المحمدية في تنظيم المجتمع ، بعد أن أقامت دعائم بناء المسلم المثالي · وهي خير ما نتذاكره في مولد من بعثه الله هدى ورحمة للعالمين ·

ورحم الله شاعرنا شوقي اذ يقول: «الاشتراكيون أنت امامهم » ·

وقد طبق الصدر الأول من الامة الاسلامية هذه التعاليم تطبيقا عمليا يلائم مطالب زمانهم واحتياجات بيئتهم ، فكان مجتمعهم مجتمعا مثاليا لم يصل مجتمع آخر الى مستواه من قبل ولا من بعد ·



اما العصور التالية فقد بعدت كل البعد عن هذه التعاليم ، وابقتها في حيزها اللفظي المجرد ، بغير أن ترتب عليها النتائج العملية التي تقتضيها ، وبغير أن ترسم الأوضاع التنفيذية التي تكفل لها الحياة والنفاذ في آفاق المجتمع على ضوء ظروف كل بيئة وملابسات كل عصر ·

وانه لمن يمن الطالع أن يأتي احتفالنا بمولد محرر الانسانية في عشية احتفالنا بعيد الثورة الثالث عشر ·

عيد يقترن بخيرات تشريعاتنا الاشتراكية ، الاجتماعية التي طبقت تعاليم الاسلام في تنظيم المجتمع على ضوء ظروف بيئتنا وملابسات عصرنا ، عيد يقترن بالخطوات الأولى في مرحلة الانطلاق ، الانطلاق الى دعم اقتصادنا القومي بالتصنيع الشامل والتطوير العلمي لزراعتنا ، ودعم بنياننا السياسي والاجتماعي باستكمال أجهزة تنظيماته وتعميق وعي الشعب لها وافساح اشراكه فيها ·



نخطو هذه الخطوات ، والتحديات الآثمة تواجهنا من كل جانب ، ولكن لنا في كفاح رسول الله أسوة حسنة ، ولنا الثقة الكاملة بوعد الله بالنصر لكل من استعانه واستمسك بالعروة الوثقى ·

« **د · محمد عبد الله العربي** »



وإنك لعلى خلق عظيم



للدكتور: علي عبد الواحد وافي

اجتمع في الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صفات الكمال الخلقي أقصى ما يمكن للعقل البشري أن يتصور اجتماع مثله في انسان ، حتى استأهل بحق ماوصفه الله تعالى به في عبارة جامعة رائعة اذ يقول : « وانك لعلى خلق عظيم » . ويبدو كماله هذا في جميع عناصر شخصيته ، وفي شتى فروع حياته، ومختلف أنواع علاقاته : سواء في ذلك علاقاته بربه وعلاقاته بأهله وعلاقاته بالمسلمين والانسانية جمعاء . وكان من أنبل خلاله وأشدها دلالة على عظمته ثلاث صفات : الجود والايثار والقصد .

١ ـ فقد كان عليه الصلاة والسلام ، ـ كما وصفه ابن عباس فيما أخرجه البخارى ـ «أجود الناس» ، و «أجود بالخير من الريح المرسلة » . وروى أبوذر الغفارى رضى الله تعالى عنه قال خرجت مرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو أحـد (وهو جبل بالمدينة كانت فيه غزوة أحد الشهيرة) فقال عليه السلام يا أبا ذر . فقلت نعم يارسول الله بأبي أنت وأمي . قال أتبصر أحدا؟ (يشير الى جبل أحد) . فنظرت الى الشمس مابقي من النهار وأنا أظن أن رسول الله سيرسلني في حاجة ناحيـة أحد . فقلت نعم يارسول الله . قال « ما أحب أن يكون لي مثل أحد ذهبا أنفقه في سبيل الله أموت وأترك منه قيراطين » قلت أو قنطارين يارسول الله . قال بل قيراطين . أى انه لؤلمه أن يكون له مثل جبل أحد ذهبا ينفق منه على الفقراء والمساكين والصالح العام ثم تعجله المنون وفي يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد في هذه السبيل .

وقد بدت مظاهر الجود لديه عليه السلام في جميع مراحل حياته ، حتى من قبل أن يبعث . يدل على ذلك ما وصفته به خديجة رضى الله عنها عند نزول الوحي عليه لأول مرة . فقد ذهب اليها يرتجف خوفا وفزعا مما أصابه من مفاجأة الملك له وغطه له غطا شديدا ، وقال لها زملوني زملوني ، (أى غطوني وأدفئوني) . وبعد أن ذهب عنه الروع وقص عليها ما حدث قال : « والله لقد خشيت على نفسي » . فقالت له : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا : انك لتصل الرحم ، وتقرى الضيف ، وتحمل الكل ،

وتعين على نوائب الدهر » . وصلة الرحم هي الاحسان الى القريب ورعايته ، وقرى الضيف اكرامه والحفاوة به ، والكل بفتح الكاف هو اليتيم والعاجز عن العمل، « وتحمل الكل » أي تكفيه مئونته وتسد حاجته ، والاعانة على نوائب الدهر هي مد يد المساعدة لمن نزلت به كارثة . ـ فكانت هـذه الخلال من أخص صفاته عليه السلام حتى من قبل رسـالته ، وهي أعلى مراتب الجود .

وكان عليه السلام أكرم الناس لضيوفه ، فكان يقدم لهم أحسن ما عنده وما يستطيع ان يحصـل عليه ، وكان أسخى الناس في مأدبة ،اذا اقام مأدبة دعا اليها عددا كبيرا لامن الفقراءوالمساكين فحسب، بل من سراة القوم وأعيانهم كذلك . عن أنس بن مالك قال أقام الرسول عليه السلام مأدبة بمناسبة زواجه باحدى نسائه . فقـال لي أذهب فادع فلانا وفلانا ، فسمى رجالا كثيرا ، وقال ومن لقيت من المسلمين . قال فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين . فجئت والبيت والصفة والحجرات ملأى من الناس . قال راوي الحديث فقلت لأنس يا أبا عثمان كم كانوا ؟ فقال كانوا زهاء ثلثمائة . واذ كان جود الرسول صلى الله عليه وسلم قد حمله في هذه المأدبة على أن يدعو اليها هذا العدد الكبير من الناس بدون أن يكون في بيته مايكفي لطعامهم ، فقد أظهر الله تعـالى على يديه معجزة حققت له رغبته . قال أنس . وكان الناس يومئذ في جهد (أي في قحط ومجاعة) . وكانت أم سليم قـد صنعت له لهذه المناسبة حيسا (والحيس تمر ينزع نواه ويدق في اللبن ويعجن بالســمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد) ، ثم جعلته في تور (والتور بفتح التاء وسكون الواو اناء كبير يشرب فيه ويؤكل كالجفنة والقصعة) ، وقالت اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه مني السلام ، وأخبره أن هذا منا له قليل . فجئت به وأخبرته بما قالت . فنظر اليه ، ثم قال ضعه . فوضعته في ناحية من البيت . ولما تجمع المدعوون قال عليـه السلام جيء به . فجئت به اليه . فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله . وقال ليتحلق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل انســان مما يليه . فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا جميعا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعه . قال فجئت فأخذت التور ، فنظرت فيــه فاذا هــو لايزال مملوءا بالحيس ، فلا أدرى أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت .



وقد امتزج جوده عليه السلام بسماحته . فكان يبالغ في اكرام ضيفانه والحفاوة بهم في مأدبه ، ولا يضيق عليهم في أي شأن من شئونهم ، مهمـا يناله في سبيل ذلك من عنت . وكان بعض ضيوفه يأبى الا أن ينعم بأكبر وقت ممكن في هذه الضيافة، ولا يقيم وزنا لراحة الرسول وراحة أهله . فكانوا يذهبون قبل موعد المـأدبة بمدة طويلة منتظرين نضج الطعام . وكانوا بعد الانتهاء من الطعـــام يجلسون يتسامرون مستأنسين للأحاديث . وكان ذلك يرهق الرسول عليه السلام ويرهق أهله عسرا من أمرهم . ولكن سماحة الرسول كانت تأبى عليه أن يبدر منه ما يوجه نظرهم الى ذلك . وكان يضحي في ســبيل تحقيق متعتهم براحته وراحة أهله . فعلمهم الله تعالى الأدب في المآدب،ونهاهم أن يذهبوا قبل موعد المأدبة بأمد طويل منتظرين نضج الطعام، وامرهم اذا فرغوا من الطعام واستراحوا قليلا أن ينتشروا ولا يطيلوا المكث بعد ذلك حتى لا يرهقوا صاحب البيت . وفي هذا يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعــام غير ناظرين اناه » (أي غير منتظرين نضجه ، أي لاتذهبوا قبل موعد المأدبة بأمد طويل وتجلسوا منتظرين نضج الطعام)« ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتـم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم ، والله لايستحيي من الحق » (آية ٥٢ من ســورة الاحزاب) . وفي قوله تعـالى « فيستحيي منكم » دليل على مبلغ ما استقر في طبع الرســول عليه السلام من سماحة وجود .

٣ ـ وكان الرسول عليه السلام : يؤثر المسلمين على نفسه وأهله . فكان ينفق على المسلمين وشئونهم معظم ما يحصل عليه من غنيمة وفيء ، ولا يبقى من ذلك لنفسه وأهله الا الكفاف بل مادون الكفاف من القوت . وحتى الموارد التي جعلها الله تعالى خاصة له ولأهله كخمس الغنـائم : « وأعلموا انما غنمتم

لمن شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (آية ٤١ من سورة الانفال) ، وأموال الفيء وهو ما يحصل عليه المسلمون من أعدائهم بدون حرب على أثر استسلام أو قبول للجلاء كفيء بنى النضير وبنى قريظة من اليهود : « ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (آية ٧ من سورة الحشر)، حتى هذه الموارد نفسها كان عليه السلام يضن بها على نفسه واهله وينفق معظمها على المسلمين وشئونهم ، فكان يعيش هو واهله فى ماكلهم ومشربهم وملبسهم وشئون حياتهم الخاصة كما تعيش أفقر أسرة من اصحابه ، مع ان الموارد التى احلها الله تعالى له كانت تتيح له لو أنفقها على نفسه وذوى قرباه أن يعيش هو واهله فى أرغد عيش . وقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حياته هذه اذ تقول : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وتحدثت مرة أخرى عن ذلك مع عروة بن الزبير وهو ابن اختها اسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين ، فقالت : « والله يا ابن اختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة فى شهرين ، وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار » أى انه كان يمر على زوجات الرسول عليه السلام شهران قمريان كاملان ويدخل الشهر الثالث بدون أن يكون قد أوقد فى بيوتهن نار لطهو لحم أو لاعداد طعام من الاطعمة التى يقتضى اعدادها ايقاد النار . ـ . وهكذا كانت حال ابنته فاطمة وحال صهره وابن عمه على من رقة الحال وشظف العيش . حتى انه لم يكن لديهما غطاء يغطى جميع أجزاء جسميهما وهما نائمان . وقد وصف الامام على بن أبى طالب ما بعث به الرسول عليه السلام مع ابنته فاطمة من جهاز يوم زفافها، فقال: « ان الرسول عليه السلام لما زوجه ابنته فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة حشوها من ليف ورحيين وسقاء وجرتين » . وكانت فاطمة رضى الله عنها تقوم بنفسها بجميع شئون بيتها وخدمة زوجها ، ولم تكن لديها خادمة تساعدها فى أعمالها . وقد ذهبت مرة الى أبيها عليه السلام وعلى يديها واصابعها آثار الجهد ، وشكت ما هى فيه ، وطلبت ان يمنحها جارية من سبايا الحرب لتساعدها فيما تقوم به ، فآثر عليه السلام أهل الصفة على ابنته ، واكتفى بأن يحفظها تسبيحات ترددهن فيربط الله على قلبها ، ويمنحها القوة على عملها . روى ابن أبى ليلى قال اخبرنا على ان فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى ماتطحن . فبلغها أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بسبى . فاتته تسأل خادما ، فلم توافقه (أى لم تجده) . فذكرت ذلك لعائشة . فجاء النبى فذكرت عائشة له ذلك . فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا . فذهبنا لنقوم . فقال على مكانكما ، حتى وجدت برد قدميه على صدرى . فقال الا أدلكما على خير مما سألتمانى ؟ اذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله ثلاثا وثلاثين واحمداه ثلاثا وثلاثين وسبحاه ثلاثا وثلاثين ، فان ذلك خير مما سألتماه . ووالله لا اعطيكم خادما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا اجد ما أنفق عليهم ، ولكن أبيعهم (يقصد الرقيق من سبى الحرب) وأنفق عليهم أثمانهم » (وأهل الصفة جماعة من فقراء الصحابة وخيارهم كانوا ملازمين للرسول عليه السلام ، وكان مقامهم أمام بيوته ، ومكانه الآن محدد باطار أمام قبر الرسول وصاحبيه . ومنهم أبو هريرة وأبو ذر الغفارى) .

وقد أبى عليه السلام الا أن يؤثر المسلمين على نفسه وأهله وابنته ، وأبى الا أن ينأى بنفسه وأهله وابنته عن مواطن الشبهة والريبة واستغلال المكانة والنفوذ والقرابة ، لا فى حياته فحسب ، بل بعد مماته كذلك . فقد قرر عليه السلام أن مايتركه بعد وفاته لا ترثه بنته ولا زوجاته ولا أحد من أقربائه ، وانما يضم الى بيت المال فيكون لجميع المسلمين . وفى هذا يقول عليه السلام : « لاتقسم ورثتى دينارا ولا درهما . ماتركت بعد نفقة أهلى ومئونة عاملى فهو صدقة » . ومن أجل ذلك لم يعط أبو بكر الصديق فاطمة ابنة الرسول ولا زوجاته ولا أحدا من أقاربه شيئا مما ترك بعد وفاته . وحتى بيوته عليه السلام نفسها أبيح لزوجاته من بعده الاحتفاظ بسكناها فقط ما دمن على قيد الحياة . وكانت كلما توفيت واحدة منهن ضم بيتها الى المسجد الذى يعم نفعه جميع المسلمين ، وهكذا حتى دخلت بيوتهن جميعا فى المسجد النبوى ، وفى مكانها الآن قبر الرسول عليه السلام (وكان ذلك بيت عائشة رضى الله عنها

لأنه دفن في بيتها) وما يقع أمامه من مسجده (وكان ذلك مشغولا ببيوت الاخريات من أمهات المؤمنين) . وكذلك كان لكل منهن نفقتها فقط من تركة الرسول. وبعد وفاتهن ضم ما كان ينفق منه عليهن الى بيت المال وصرف في منافع المسلمين . ولم يرث بيوتهن ولا مصادر نفقاتهن أحد من أقربائهن . ولم يكن ذلك الا تنفيذا لما أمر به الرسول عليه السلام في حديثه السابق ذكره . — وهذا هو اقصى ما يمكن أن تصل اليه فضيلة الايثار في زوج كان من اشد الناس حدبا على زوجـــاته وأب رحيم كان يعتبر ابنتـــه فاطمة « بضعة منه ، يؤذيه ما يؤذيها » (وهذا نص حديث شريف وصف به عليه السلام مبلغ حبه لفاطمة) .

٣ — **وكان عليه الصلاة والسلام** يلتزم في جميع شئونه جادة القصد ، ويجنح الى الوسط من الامور، مجانبا ناحيتي الافراط والتفريط ، حتى في شئون عبادته نفسها . جاء يوما الى بيوت النبي عليه السلام ثلاثة رهط من كبـار الأتقياء وممن عزفوا عن متع الحياة وتفرغوا للعبادة ، جاءوا الى بيوت الرسول يسألون عن عبـــادته ، حتى تتم محـــاكاتهم له ، ويتداركوا ما عسى أن يكون قد فاتهم . فلما أخبروا بمناهجه في العبـــادة كأنهم تقالوها ، أي عدوها قليلة بالقياس الى عباداتهم هم . وقالوا ملتمسين للرسول العذر ومبررين انكبابهم على عبادة الله : « وأين نحن من رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . وقال أحدهم أما انا فاني أقوم الليل أبدا ولا أهجع . وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر . وقال ثالثهم وأنا أعتزّل النساء أبدا ولا أتزوج تبتلا وتقربا الى الله . فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين تقولون كذا وكذا . أما والله انى لأخشـــاكم لله واتقاكم له ، ولكنني أصــوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

« د . علي عبد الواحد وافي »

نـور

للشاعر التركي : توفيق فكرت

ترجمة أكمل الدين محمد إحسان

ويفيه تجوب الحقول ، منهوكة القوى
تمسح عرقها بطرف جلبابها الأزرق
خرجت تجمع السنابل
بينما ترسل الشمس اشعتها المحرقة

***

ابدا ... تنحنى ثم تعتدل
تلتقط القوت من الأرض
من النعم التي وهبها التراب

***

تتطلع برفق
مرة الى قوة زوجها الجبارة
ومرة الى جذل ابنتها الطفلة
لا شيء يكدر صفوها
كل ماتبغيه ، أسرة قوية ومحصول وفير

***

هذه الأسرة الصغيرة بكدها اليسير
ستمنح العالم قوت عام
كأني بهذه الريفية بجلبابها الأزرق
وهي تكد في الحقول
كأني بها ، تمثال تموز



المدينة .. قاعدة الإسلام

للدكتور عبد العزيز كامل

نظرة شاملة :

لعل من الأفضل في دراسة المدينة كقاعدة للاسلام ، ان ننظر الى حياة النبي عليه الصلاة والسلام فيها نظرة شاملة نحاول بهـا ان ننظم الأحداث الجزئية في صورة كلية . ومن الناحية المنهجية ينبغي أولا تحديد الملامح الرئيسية للمدينة ـ طبيعيا وبشريا ـ ودراسة علاقاتها بما حولها ، وتعاقب الأحداث فيها ، وعلاقة ذلك بتوزيع القوى التي ناصرت الاسلام والتي قاومته ، وكيف استطاع النبي عليه الصلاة والسلام أن يقابل هذه القوى حتى استقر الاسلام في المدينة .

وليس من المستطاع ـ في حدود هذا المقال ـ الالمام بهذا كله ، ولكنه محاولة أولية في هذا المجال تعني ـ بخاصة ـ بالكيفية التي قابل بها الرسول خصوم الاسلام وكيف جمع قوة المؤمنين لذلك ، ومحاولة تفسير الخطط التي اتبعها . وبعبارة أخرى ، فان المقال اجابة على سؤالين : كيف ولماذا اتخذ الرسول ما اتخذه من مناهج للتمكين للاسلام في المدينة .

الملامح الطبيعية :

ولنبدأ أولا بعرض موجز للملامح الطبيعية للمدينة ..

فهي تبعد عن ساحل البحر الأحمر بنحو ١٦٠ كيلو مترا ، وعن مكة ـ في خط مستقيم ـ بنحو ٣٣٥ كيلو مترا . وتشغل جزءا منخفضا من سهل مرتفع ومنسوبها نحو ٧٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر . وتحيط بها الجبال ـ أو التلال ـ من ثلاث جهات ، أما الجنوب فاكثر استواء وان كانت به بعض المرتفعات .

وتقع المدينة بين حرة واقم الى الشرق وحرة الوبر الى الغرب . والحرة تكوينات بركانية . وتسمى أحيانا اللابة . والى شمالها جبل احد ، ومن ورائه جبل

ثور ـ الحد الشمالي لحرم المدينة ـ والى الجنوب جبل عير حدها الجنوبي . ويوضح الحدين الحديث الشريف « المدينة حرام ما بين عير الى ثور » (عن علي رضي الله عنه ، أخرجه الخمسة) . أما الحدان الشرقي والغربي وهما الحرتان فجاء ذكرهما في حديث آخر «اني أحرم ما بين لابتي المدينة » (عن سعد . رواه مسلم) .

والانحدار العام للمدينة نحو الشمال الغربي . وينحدر من حرة واقم وادي بطحان ومذينيب ويلتقي بهما وادي رانوناء منحدرا من جبل عير . وتتجه هذه الأودية نحو الشمال الغربي ، ويلتقي بها وادي قناة منحدرا من الشرق ، ثم تنتهي الى وادي العقيق الذي يخترق حرة الوبرة مقبلا من الجنوب ويتابع اتجاهه شمالا .

ويطلق على الأجزاء المرتفعة في الجنوب الشرقي العوالي أو عالية المدينة وعلى الجزء الشمالي منها سافلتها . ويتخذ انحدار المدينة ـ بهذا ـ عكس الاتجاه الذي يأخذه الانحدار العام لمكة .

وموارد المياه في المدينة متوفرة ، وبخاصة على طول الأودية المنحدرة فيها أو بالقرب منها ، وهي ذات نظام شجري يتجمع في وادي العقيق .

وليس في المدينة الجفاف الشديد الذي تعرفه مكة، وانما ترتفع رطوبتها ـ نسبيا لوفرة مياهها .

الملامح البشرية :

وتقع المدينة على طريق البخور الممتد من اليمن الى الشام ، واستطاع سكانها أن يفيدوا من موارد مائها وجودة تربتها ، فجعلوا منها واحة زراعية تشتهر بنخيلها وبساتينها .

واذا كانت مكة قد تمتعت بأنها حرم الله من أقدم عصور الحياة فيها ، فان المدينة لم تتمتع بهذه الحرمة الا بعد هجرة الرسول اليها . وهي حرمة لا يدين بها غير المسلمين . من أجل ذلك كان على المدينة ـ قبل الاسلام ـ وفي أيام النبي ـ قبل اسلام مكة ـ أن تحمي نفسها بنفسها ، وانعكس هذا على تخطيطها ونظام مبانيها .

والتكوين الاجتماعي للمدينة ـ قبل الاسلام ـ يختلف عن مكة . فقد سكنتها قبائل من اليهود : من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة . وتذكر المراجع العربية أكثر من سبب لهجرة اليهود الى المدينة واستقرارهم فيها وفي غيرها من الواحات كفدك وتيماء وخيبر شمال المدينة (يراجع معجم البلدان لياقوت ، مادة : مدينة يثرب ٥ : ٨٢ ـ ٨٨ ط بيروت) . وعندما قويت هجرة عرب الجنوب نتيجة للتدهور الاقتصادي الذي أصاب بلادهم من سيطرة اليونان والرومان على التجارة في المحيط الهندي والبحر الاحمر ، وقلة الموارد التي يستطيعون بها صيانة مشروعات الري المتعددة التي يعتمدون عليها في زراعتهم اعتمادا كبيرا ومن أهمها سد مارب ، والجفاف الذي أصاب البلاد ، خرجوا من ديارهم مهاجرين الى الشمال واستقرت منهم قبائل في المدينة . من أجل ذلك لم يكن في المدينة التماسك الاجتماعي الذي عرفته مكة وانما كانت فيها فرقة من اهم مظاهرها ما كان بين العرب واليهود من ايام ، وما كان بين الأوس والخزرج أنفسهم من تنافس وفرقة وحروب .

وكانت السيادة ـ أول الأمر ـ في المدينة لليهود ثم قامت حروب انتهت بانتصار الأوس والخزرج وصاروا أعز أهل المدينة ، واتخذوا الحصون والأموال والقصور ورجوا حين لقوا الرسول في موسم الحج أن يجمعهم على كلمة واحدة .

وتخطيط المدينة يختلف عن تخطيط مكة : ففي المدينة تنتشر الحصون والآطام (والآطام البناء المرتفع) . وكان لليهود حصونهم وللأوس والخزرج حصونهم في عالية المدينة وسافلتها . وتعتمد الحصون على آبارها الخاصة لتوفير المياه في الظروف العادية ووقت الحرب . واستفاد أهل المدينة من توفر الماء الجوفي فتعددت فيها الحصون والآطام وكثرت الدور والبساتين .

ويبدو من دراسة كتب السيرة أن المساكن كانت متقاربة بحيث أن اليهود لم يكونوا منفردين بجزء او أجزاء معينة من المدينة وان كانوا متركزين في الجنوب والشرق ـ أي في العالية ، بينما كان الأوس والخزرج منتشرين في كل من العالية والسافلة . يدلنا على هذا ان النبي عليه الصلاة والسلام بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر أرسل زيد بن حارثة الى اهل السافلة ، وعبد الله بن رواحة الى أهل العالية بشيرين الى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل (ابن هشام ٣ : ٥٥) .



واليهود جاءوا من الشام ومعهم بذور حضارة زراعية تجارية ، والأوس والخزرج جاءوا من اليمن حيث حضارة زراعية تجارية لها عراقتها ومنزلتها في الجزيرة العربية . ولذلك كان من الطبيعي أن يكون هناك تنافس على موارد المياه . ومن هنا تبدو ميزة الأجزاء الجنوبية والشرقية حيث عوالي المدينة واذا ما كان اليهود متركزين في هذه الاجزاء ولهم فيها حصونهم وقصورهم وآطامهم ومزارعهم وأسواقهم وفي الحصون أسلحة من سيوف ودروع ورماح فانهم بهذا يستطيعون أن يحققوا لانفسهم ما يأتي :

١ - السيطرة على موارد المياه في المدينة أو على الاقل السيطرة على أفضل الاجزاء المروية ، والقدرة على التحكم فيما يهبط من عالية المدينة الى سافلتها من الماء ، ويشتد هذا الخطر حين يقل المطر بحيث يصبح من الممكن أن تصاب بساتين السافلة بخطر محقق اذا ما حبس أهل العالية الماء حتى يأخذوا حاجتهم .

٢ - السيطرة على المواقع الحاكمة في المدينة في الجنوب والشرق ، وهي في نفس الوقت أغنى أجزائها وأوفرها ماء .

٣ - ترتبط بهذا قوة اقتصادية ظل لها خطرها حتى بعد أن قوى مركز الأوس والخزرج ، وبقيت آثارها تعمل في المدينة حتى اجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنها .

الجبهة الداخلية :

ولقد كان في اليهود اعتزاز بقوتهم واستهانة حتى بأساليب العرب في القتال . وعبروا عن هذا في وضوح عندما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام بعد غزوة بدر ، فقالوا له في سوق بني قينقاع يامحمد ! انك ترى أنا قومك . لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس » .

فلاهم أسلموا ولاهم خضعوا عمليا وانما أرادوا أن يبقوا في المدينة ، لهم فيها ما يمكن أن نعتبره نظاما وفاقيا (فدراليا) .

ولا شك في أن مشكلة اليهود كانت أكثر تعقيدا من أي مشكلة أخرى قابلها النبي صلى الله عليه وسلم في تنظيم حياة المدينة . وكان الحصن الأول الذي يقي المسلمين من أخطارها ايمانهم بربهم وطاعتهم لنبيهم طاعة تشمل الاذعان الظاهري والانقياد القلبي .. انقيادا ليس فيه حرج ولا ضيق . وبين الله ان هذا طريق النجاة في قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء : ٦٥)

ايمان ينبغي أن يرتفع فوق الثارات والأحقاد القديمة التي حاول اليهود اثارتها بين الأوس والخزرج حين رأوا التفاهم حول نبيهم ، وافلحوا في هذا مرة حتى كاد القوم أن يتقاتلوا وتواعدوا الى الحرة . فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يسكنهم ويقول « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ » وتلا عليهم قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (آل عمران : ١٠٣) .

واخاء ينبغي أن يضم المهاجرين والأنصار يسجله الله في قوله تعالى واصفا الأنصار « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ، يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (الحشر : ٩) .

ومع أن النبي عليه الصلاة والسلام عقد عهدا بين المهاجرين والانصار واليهود ، الا ان التجربة العملية أثبتت نكث اليهود بالعهود وانهم كانوا يتربصون الدوائر بالمسلمين ويحاولون ان يفرقوا كلمتهم كما تعاونوا مع اعدائهم .

فكيف قابل الرسول هذا الخطر الجاثم في المدينة ؟ نترك الاجابة عن هذا السؤال الى قريب .

الجبهة الخارجية :

وكان هناك خطر آخر يتمثل في قريش ومن معها أو حالفها من القبائل . وقريش كانت لها منزلتها الدينية في الجزيرة العربية وتشددها في أمر الدين وارتباطها الوثيق بالبيت الحرام حتى سموا الحمس (أي المتشددون في أمر دينهم) . ولم يكن من اليسير عليها أن ترى قوة الاسلام تزداد وتشتد في



المدينة وهى على طريق تجارتها مع الشام ، تستطيع أن تهدده كما حدث قبيل غزوة بدر .. فاذا أضفنا الى العاملين الدينى والاقتصادى مايصيب مكانة قريش من اهتزاز نتيجة ارتفاع شأن الاسلام ان ظلت على كفرها ، استطعنا ان نرى بعض الخيوط التى نسج منها التاريخ احداث الأعوام الحاسمة التى قضاها النبى عليه الصلاة والسلام فى المدينة .

فقريش اذن كانت لها روابطها التجارية مع الشمال والجنوب ، تستطيع أن توفر بها ما تحتاج اليه من سلاح وعدة حرب ، ولها نظامها الاجتماعى الذى تستطيع به أن توزع الأعباء فى المعارك مع الاسلام ، ولها علاقاتها التجارية مع المدن والقرى الواقعة على الطريق التجارى ، ولها زعامتها التى تستطيع ان تجمع بها قوى خطيرة تقابل بها الاسلام والمسلمين .

ولا شك فى أن أخطر الخطر أن يتجمع على الرسول ضغط خارجى تمثله قريش ومن حالفها وضغط داخلى يمارسه اليهود ، وأن يكون ذلك باتفاق بين القوى الداخلية والخارجية ..

وبين هذين الخطرين الكبيرين كان على النبى عليه الصلاة والسلام أن يقود المسلمين حتى يأمنوا فى المدينة أمنا حقيقيا دائما .

ولم يكن خطر اليهود مقتصرا على من يساكنون النبى فى المدينة ، وانما الذين سكنوا الأرض الزراعية فى خيبر وفدك وتيماء ووادى القرى ولهم فيها حصونهم وقوتهم المادية وقدرتهم على ايواء من يخرج على النبى من يهود المدينة .

مراحل الجهاد :

فى هذا الضوء نستطيع أن نقسم مراحل الجهاد التى خاضها المسلمون الى ثلاث :

١ ـ ما قبل غزوة الاحزاب

٢ ـ غزوة الاحزاب

٣ ـ ما بعد غزوة الاحزاب . وهذه المرحلة الاخيرة يمكن أن نميز فيها خطتين :

(أ) الخطة الشمالية لتصفية مشكلة اليهود

(ب) الخطة الجنوبية لتصفية مشكلة قريش

ويبدو من هذا التقسيم أن ذروته الخطرة كانت غزوة الاحزاب فى العام الخامس .ولنعرض لمعالم هذه المراحل فى ايجاز .

ماقبل غزوة الاحزاب :

أهم ما تتميز به هذه المرحلة ان خطة النبى عليه الصلاة والسلام كانت تقضى بأن يقابل كل عدو من أعدائه على حده .

ورغم المعاهدة التى عقدها بين المهاجرين والانصار واليهود ، فان مشكلات نجمت احتاجت الى قرارات لاحقة من النبى (ص) ، وأهم هذه المشكلات ماارتبط بتوزيع المياه . كما ذكرنا من قبل .من ذلك مايرويه يحيى بن آدم القرشى عن أبى مالك بن ثعلبة عن أبيه قال : اختصم الى رسول الله (ص) فى مهزور وادى بنى قريظة ، فقضى أن الماء الى الكعبين لا يحبس الأعلى على الاسفل ..

(كتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ١٠٠ ط.السلفية) ويذكر يحيى بن آدم فى هذا الباب عدة أحاديث حول الاختصام فى مياه الأودية حتى بين المسلمين من المهاجرين والانصار .. فعن عروة بن الزبير قال : خاصم رجل من الانصار من بنى أمية (وهم بطن من الأوس غير الأمويين القرشيين) الزبير فى شرج من شروج الحرة (والشرج بفتح الشين واسكان الراء مسيل الماء من الحرة) فقال رسول الله (ص) أشرب (أى اسق) يازبير ثم خل سبيل الماء ، فقال الذى من بنى أمية : العدل يارسول الله وان كان ابن عمتك (يقصد تحديد المقدار اللازم للسقى وان كان معروفا) فتغير وجه رسول الله (ص) حتى عرف أن قد ساءه ماقال ، فقال : يازبير احبس الماء حتى يبلغ الكعبين ـ أو قال الجدر ـ (وهو مارفع من أعضاد المزرعة لتمسك الماء كالجدار) ثم خل سبيل الماء... (ص ١٠٦ ، ١٠٧)

هذا الى ماكان ينجم من مشكلات يثيرها اليهود والمنافقون تؤثر على الحياة اليومية فى المدينة ، كما تؤثر على نتائج الغزوات وتغير موازين القوى .

واذا كان النبى (ص) قد بدأ بارسال السرايا يتجسس بها الجو حوله ويرصد حركات قريش ، لئلا تؤخذ المدينة على غرة ، فان غزوة بدر الكبرى كانت معركة فاصلة بين المسلمين وقريش . ولا شك فى

انها تركت أثرا عميقا على اليهود ، حاولوا أن يقللوا من شأنه بالتهوين من أمر المعركة كما سبقت الاشارة الى ذلك عندما جمعهم النبى (ص) فى سوق بنى قينقاع ، ووصل التهوين الى الاستهزاء بحرمات المسلمين فى السوق مما أدى الى اراقة دماء من الطرفين كان من امرها ان حاصر النبى يهود بنى قينقاع فى ديارهم داخل المدينة وأمرهم النبى بالخروج من المدينة ، فخرجوا منها الى وادى القرى وبقوا فيه زمنا حتى تركوه الى الشام ، وبذلك تخلص الرسول من احدى القوى اليهودية الثلاث فى المدينة وبقى يهود بنى النضير وبنى قريظة .

واستطاع الرسول بعد هزيمة قريش فى بدر أن يسيطر على الطريق التجارى الموصل الى الشام ،ولم يبق أمام قريش الا الطريق التجارى الجنوبى مع الحبشة .

وحاولت قريش ان تستعيد مكانتها فى غزوة أحد، واختلفت فيها الآراء ورجع المنافقون فى ثلث الجيش عن الرسول ، وفقد المسلمون فيها واحدا وسبعين شهيدا .

وانتهز يهود بنى النضير هذه الفرصة وارادوا أن يقتلوا رسول الله بطريقة ماكرة عندما ذهب اليهم يستعين بهم فى دية قتيلين معاهدين للمسلمين . ورجع الرسول وارسل اليهم يامرهم بالخروج من المدينة وحاول اليهود الاستعانة بالمنافقين ، ولكن الرسول حاصر حصون بنى النضير وانتهى الأمر بتشديد الحصار وخضوع اليهود لأمر الرسول بالخروج . وخرج بعضهم الى خيبر والبعض الى الشام .

وبهذا استطاع الرسول أن يتخلص من القوة اليهودية الثانية : بنى النضير ، ولم تبق الا القوة الثالثة فى ضواحى المدينة وهى بنو قريظة .

غزوة الأحزاب :

ومن المنتظر أن نجد تعاونا وثيقا بين قريش وحلفائها واليهود على مهاجمة المدينة والقضاء على قاعدة الاسلام . وكأنهم أرادوا بهذا أن يهاجموا القاعدة ويفوتوا على الرسول فرصة مهاجمة القوى المعادية واحدة بعد الاخرى .

ولم تبد من بنى قريظة حركة أول الأمر ، وانما الذي نشط له في سفور هم يهود بني النضير بعد الجلاء عن المدينة وتعاونوا مع قريش وحلفائها من غطفان واشجع وسليم وبنى أسد ..

واتبع المسلمون فيها ما أشار به سلمان الفارسى من حفر خندق فى الجزء الشمالى من المدينة على أن تحميها الحرتان من شرق وغرب والحصون القوية فى الأجزاء الجنوبية والشرقية .

اى ان جزءا من تمام الدفاع عن المدينة كان معتمدا على العهد الذى بين النبى وبنى قريظة وهم من بقى من اليهود وكانت منازلهم وحصونهم فى الجنوب الشرقى من المدينة .

ونستطيع أن نتصور خطورة الموقف : المنافقون يتسللون من الرسول فى حفر الخندق ، المطر والبرد وقلة القوت . قوى الاحزاب المتجمعة التى تريد مهاجمة الخندق ، موقف يصفه الله بقوله « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ، اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا» (الاحزاب : ٩ ـ ١١)

ونستطيع أن نتصور نتيجة اختراق الخندق ، أو نقض بنى قريظة لعهدهم وسماحهم بمرور الاحزاب من أرضهم ، أو انقضاضهم على الرسول فى هذا الموقف الحرج . والذى صنعه نعيم بن مسعود من ايقاع الفرقة بين بنى قريظة وقريش معروف فى كتب السيرة . واستطاع نعيم أن يجعل الشك يدب فى النفوس وهبت ريح قوية اقتلعت الخيام وكفأت القدور وتراجع الاحزاب عن المدينة ، وانكشف أمر بنى قريظة وما كانت تبيته من غدر وما دار بينها وبين قريش من تآمر .

وعند انسحاب الاحزاب لم يطو رسول الله لواء الجيش رغم ما لقيه المسلمون ، وانما دعاهم فورا الى الذهاب الى حصون بنى قريظة ، وكان موقفها ـ لو نجحت فى متابعته ـ كفيلا بالقضاء التام على المسلمين .

وحكم سعد بن معاذ سيد الاوس فى الأمر وقد رضيه الجميع حكما فقتل المقاتلون وقسمت الأموال وسبيت الذرارى والنساء ..

وبهذا استطاع الرسول تطهير المدينة نهائيا من اليهود .. ولم تبق الا الحصون الشمالية : فى خيبر وفدك وتيماء ووادى القرى .

« البقية على صفحة ٢٢ »

روح العدالة واحترام العهود
في الهدن والمعاهدات الإسلامية

بقلم : محمد عبد الغني حسن

ان نظرة شاملة على ما عقده العرب والمسلمون من مهادنات ومعاهدات خلال التاريخ العربي الاسلامي كله تؤكد لنا تلك الروح العادلة المنصفة التي كانت تطبعها بطابعها كما تؤكد من جانب آخر شدة حرص العرب على عهودهم ، واحترامهم لمواثيقهم .

وما قامت معاهدة ولا مهادنة بين مسلم وغير مسلم الا كان العدل ضمانا لهذه المعاهدة ، وسياجا لها ، وكان الانصاف والسماحة رائدها ، وكانت روح المعاونة والمصادقة والمصافاة هي السائدة فيها ، الغالبة عليها .

ويصادفنا في تاريخ العرب والاسلام أول كتاب سياسي دبلوماسي عقد بين أتباع محمد عليه السلام من ناحية ، وبين يثرب ومن تبعهم من ناحية اخرى ، وكان ذلك في أول العهد بيثرب بعد هجرة الرسول من مكة الى المدينة . وكان من نصوص ذلك العهد انه لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن . وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس . وأن من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة ـ أي المساواة في المعاملة ـ غير مظلومين ولا متناصر عليهم . وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذا العهد ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها .

وقد اشتملت هذه الصحيفة على مبادىء عادلة لاقرار حرية الاعتقاد ، وحرية الرأي ، وحرمة المدينة وحرمة التملك الخاص ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة والبغي والعدوان .فكانت أروع مثل للعدالة الاسلامية في العهود والمواثيق والاتفاقيات .

ومن عجيب أمر هذه الوثيقة السياسية الأولى في الاسلام أن بعض اليهود لم يشتركوا في توقيعها ، وكأنهم كانوا على شك من صدق نيات المسلمين .فلما أبانت معاملة الاسلام في أول عهده بالمدينة عن مثالية رفيعة في العدل والانصاف واحترام العهود جاء هؤلاء اليهود الذين لم يشتركوا في هذه الصحيفة فعقدوا مع النبي عليه السلام محالف وعهودا مثلها . وكان ممن فعل ذلك بنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع .

ويؤكد لنا تاريخ العرب والاسلام ان العرب والمسلمين لا يقدمون على توقيع مهادنة أو كتابة صلح الا بعد احاطة تامة ، وفهم دقيق للظروف المحيطة بهم . ففي « صلح الحديبية » الذي عقد في السنة السادسة من الهجرة بين المسلمين ومشركي قريش كان هناك نص على أنه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم . ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ... ويلاحظ في هذا الشرط أن هناك عدم تكافؤ بين المسلمين وبين قريش ، مما جعل بعض المسلمين يعترضون على هذا النص لانعدام الكفاءة فيه . ولكن النبي عليه السلام كان ينظر الى المسالة بنظرة أبعد وأعمق من هذا ... فقد كان من رايه أن من ارتد عن الاسلام ولجا الى قريش ، لم يكن خليقا بان يحرص على أن يعود الى جماعة المسلمين ، وأن من أسلم وحاول اللحاق بمحمد فسيجعل الله له مخرجا .

وتتجلى روح العدالة الاسلامية في كل صلح او معاهدة عقدها النبي وخلفاؤه ورجال المسلمين مع غيرهم من أهل الملل الاخرى غير الاسلامية . ففي معاهدة النبي عليه السلام مع أهل « أيلة » أكد لهم (انه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر) ، فكفل لهم حرية ورود الماء من أي نبع . وحرية اختيار الطريق من اى مسار ، سواء أكان ذلك في البر أم في البحر . ويلاحظ أن اشتراط البحر هنا فيه مراعاة للظروف الجغرافية الطبيعية التي يقع فيها الطرف الآخر من العقد .

وفي معاهدته عليه السلام مع أهل « مقنا » ضمن لهم أن « من أطلع مقنا بخير فهو خير له ، ومن أطلعهم بشر فهو شر له » . وفي نسخة أخرى لهذه المعاهدة

برواية أخرى ، ضمن لهم ألا يفترى عليهم بالفحشاء ، واذا استعانوا يعانون ، واذا استرفدوا يرفدون ، كما ضمن الأمان التام لمن سافر منهم ، وحرية الدين لمن أقام على دينه .

وفى المعاهدة التى عقدها النبى عليه السلام مع نصارى نجران ، أخذ عليهم عهد الله وذمة نبيه : (ولنجران وحاشيتها ، جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله ، على أموالهم وأنفسهم ، وملتهم وغائبهم وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبيعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يغير أسقف من اسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته وليس عليهم دنية ، ولا دم جاهلية ، ولا يحشرون ، ولا يعشرون ، ولا يطأ أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقا ، فبينهم النصف ، غير ظالمين ولا مظلومين ... ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر) .

وحينما التحق النبى بالرفيق الأعلى . وجاء بعده ابو بكر الصديق خليفة للمسلمين ، رأى رضى الله عنه بثاقب فكره ، وحسن معدلته ، أن يطمئن اهل نجران على ما كان من عهد النبى لهم ، وكتابه معهم فكتب لهم كتابا يجدد فيه العهد لهم ، ووفاء لهم بما عاهدهم به النبى من قبل ، وكانت صيغة هذا العهد كما يلى :

(هذا ما كتب عبد الله ابو بكر ، خليفة محمد النبى رسول الله ، لأهل نجران : أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبى رسول الله ، على أنفسهم ، وأرضهم ، وملتهم ، وأموالهم ، وحاشيتهم ، وعبادتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وأساقفتهم ، ورهبانهم وبيعهم ، وكل ماتحت أيديهم من قليل وكثير . لا يحشرون ، ولا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبى) .

وحتى حين قضت الظروف السياسية ورعاية مصلحة الاسلام والمسلمين فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب باجلاء نصارى نجران عن أرضهم ، فقد رأى عمر أن يكون برا بهم، عطوفا عليهم، مراعيا لمصلحتهم، مجتنبا المضرة لهم . فبدلهم من أرضهم أرضا ، ومن ديارهم فى نجران ديارا أخرى خارج شبه الجزيرة العربية ، وأوصى أمراء المسلمين بهم ممن يمرون عليهم فى طريق جلائهم عن ديارهم ، وأكد نصرتهم على كل من يتصدى لهم بظلم . وكان عهده فى ذلك مثلا على أعدل العهود فى الاسلام حيث قال فيه : (هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لأهل نجران : من سار منهم فهو آمن بأمان الله ، لا يضره أحد من المسلمين ، وفاء لهم بما كتب لهم محمد النبى، وأبو بكر ، أما بعد : فمن مروا به من أمراء الشام والعراق ، فليوسعهم من حرث الأرض . فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله ، وعقبة لهم مكان أرضهم ، لا سبيل عليهم فيه لأحد ، ولا مغرم . أما بعد ! فمن حضرهم من رجل مسلم ، فلينصرهم على من ظلمهم ، فانهم أقوام لهم الذمة ، وجزيتهم عنهم متروكة اربعة وعشرين شهرا ، من بعد أن يقدموا ، ولا يكلفوا ، الا من صنعهم البر ، غير مظلومين ، ولا معتدى عليهم) .

ولم يحد المسلمون بعد ذلك عن النهج القويم فى العدالة الاسلامية فى عقد المعاهدات مع غير المسلمين. ولم تحملهم عزة الغالب ، ولا نشوة الفاتح الظافر على التخلى عن تلك الروح الاسلامية العادلة أينما حلوا ، وفى أى أرض نزلوا . سواء أكان ذلك فى الشام أم فى مصر أم فى العراق أم فى فارس أم فى الشمال الافريقى .

ففى السنة التاسعة عشرة من الهجرة وفى عهد الفتوح العربية الاسلامية ببلاد الفرس ، نرى « النعمان بن مقرن » يعقد معاهدة مع أهل « ماه بهراذان » يجرى نصها هكذا : (أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وارضيهم لا يغيرون عن ملة ، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة الى من وليهم ...) ثم نرى قائدا آخر من قواد المسلمين فى فتوح فارس يعقد معاهدة مع أهل أصفهان وما حواليها يقول فيها : (انكم آمنون ما أديتم الجزية بقدر طاقتكم فى كل سنة ، تؤدونها الى الذى يلى بلادكم عن كل حالم ، ودلالة المسلم ، واصلاح طريقه ، وقراه يوما وليلة ، وحملان الراجل الى مرحلة . لا تسلطوا على مسلم ، وللمسلمين نصحكم وأداء ما عليكم . ولكم الأمان ما فعلتم ..)

وحين فتح القائد العربى المسلم **«سويد بن مقرن»** بلاد جرجان عقد مع ملكها وأهلها مهادنة يقول فيها: (ان لكم الذمة ، وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء فى كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم . ومن استعنا به منكم فله جزاؤه فى معونته عوضا من جزائه . ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم . ولا يغير شىء من ذلك هو اليهم ما أدوا، وأرشدوا ابن السبيل ، ونصحوا ، وقروا المسلمين، ولم يبد منهم اسلال ولا اغلال ..)

فأنت ترى أن الفاتح العربي المسلم يحتاط لنفسه ولأمته دائما في مهادناته مع غير المسلمين ، ولكن على أن لا يجور عليهم ، أو ينتقصهم حقا من حقوقهم ، بل يعطيهم من الجزاء على ما يقومون به من أعمال للمسلمين ما تنتفي معه اساءة الاستعمال ، وسوء الاستغلال

وحينما فتح « **حبيب بن مسلمة** » بلاد « دبيل » في أرمينيا ، جرى على نهج المسلمين في معاهداتهم من تأمين الخائف ، وتأمين المالك ، وتأمين أصحاب المتاع والأموال ، وتأمين غير المسلمين على كل ما لهم من مال ومتاع ودين ونفس ، فنراه يكتب لهم في معاهدته معهم : (من حبيب بن مسلمة ، لنصارى « دبيل » ، ومجوسها ، ويهودها ، وشاهدهم ، وغائبهم :

انى أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم ، وسور مدينتكم ، فأنتم آمنون . وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم ، وأديتم الجزية والخراج .

ثم نرى هذا القائد العربي المسلم مرة أخرى في معاهدة له مع أهل تفليس حين فتحها ، يقول فيها : (هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس ، من أرض الهرمز ، بالأمان لكم ولأولادكم ولأهاليكم ، وصوامعكم وبيعكم ودينكم وصلواتكم ..) .

وكان المسلمون يتشددون في رعاية حلفائهم والمعاهدين معهم من غير المسلمين ، والمحافظة على أمنهم وسلمهم ومالهم ، حتى لقد بالغ المسلمون في أثناء حروبهم مع الفرنجة والصليبيين في هذه الرعاية ودفع الأذى والمضرة عنهم الى حد أن السلطان الظاهر بيبرس المملوك المصري لما عقد معاهدة مع الفرنج الاستبارية في سنة ٦٦٩ هـ جعل فيها نصا بتوقيع العقوبة الشديدة على كل مسلم تصدر منه أذية لغير المسلمين . وكان هذا النص كما يلي : (وعلى أن أي مسلم تصدر منه أذية ، يحكم فيه بما يقتضيه الشرع الشريف في تأديبه ، يعتمد ذلك فيه تائبنا ، من شنق يجب عليه ، أو قطع ، أو [illegible] الشرع الشريف في تأديبه ، يعتمد ذلك فيه نائبنا ، من لا يعمل ذلك الا بحضور نائب من جهة بيت الاستبار أي الفرنجة)

وهكذا دائما وعلى ممر العصور تتمثل عدالة المسلمين في معاهداتهم ومهاداناتهم .

« **محمد عبد الغنى حسن** »

« بقية المنشور على صفحة ١٩ »

مابعد الاحزاب :

وهنا نجد تغييرا في خطة النبي عليه الصلاة والسلام .. كيف يستطيع أن يفصل بين اليهود وقريش ويحول دون لقائهم وتعاونهم ؟ لقد تحددت الجبهات : جبهة شمال المدينة فيها اليهود من أهلها ومن انضم اليهم ممن أخرجوا من المدينة ، وجبهة جنوبي المدينة فيها قريش وحلفاؤها ومن بقى بغير اسلام من القبائل القوية كثقيف .

وهنا تبرز أهمية صلح الحديبية والعهد بين الرسول وقريش على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ..

الا يكفي بعض هذه السنوات لوقف قريش ؟ في هذه الفترة اتجه الرسول الى الجبهة الشمالية واستطاع أن يصفيها وأن يخضع حصون خيبر وفدك وتيماء ووادي القرى . وكانت حروبا عنيفة ضارية ولكن لم يكن أمام اليهود الا التسليم وأبقاهم الرسول في أرضهم وله نصف المحصول وله حق اخراجهم ..

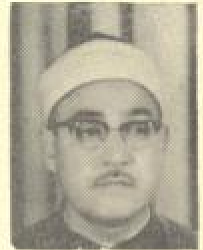
ولم تطق قريش صبرا فنقضت العهد ، وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمام الرسول الى مكة .. ولقد كانت القوة الضاربة للرسول من القوة بحيث حقنت الدماء ، ورأت قريش أن لا فائدة من المقاومة ،وعاد الاسلام الى مكة بعد ثمان سنوات من هجرة الرسول منها ..

وتتابعت بعد هذا غزوات حنين والطائف في الجبهة الجنوبية . وكانت تبوك آخر الغزوات الكبرى في الجبهة الشمالية شارف منه الاسلام حدود الروم واقترب من حدود فارس ، أما العرب فدخلوا في دين الله أفواجا .

يبدو من هذا الترابط القوي بين نتيجة غزوة الاحزاب والخطة التي اتبعها الرسول . في جبهتي الشمال والجنوب ، كما يبدو أن غزوة الاحزاب ذاتها كانت نتيجة لما اتبعه الرسول من قبل من خطط في حرب أعدائه الداخليين والخارجيين ، ويبدو الترابط الشامل بين مراحل الجهاد التي خاضها المسلمون ، حتى استطاعوا أن يجعلوا المدينة قاعدة الاسلام !

« **د . عبد العزيز كامل** »

نبوة وكتاب وأمة وارثة



بقلم: محمد الغزالى

النبوة هبة لا كسب، فضل يتنزل من الله لا شأو يسعى اليه البشر ..

والأنبياء قبل أن يبعثوا لا يخطر بأنفسهم شيء عن مستقبلهم المغيب ولا يتشوقون الى وحى أو يرتقبون مجيء ملك .

ووقت الاختيار الأعلى ، ومكانه ، ليس اليهم فى قليل أو كثير ، وقد جاء فى القرآن الكريم هذا الخطاب المبين « وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك » .

ومن هنا كانت حياة الأنبياء قبل استقبال الوحى لا تتجاوز أشخاصهم أعنى ليست مناط تشريع ولا مصدر أسوة ..

وكل مايقال فى أشخاص الأنبياء أن معادنهم النفسية والفكرية لابد أن تكون من طراز يكافىء الوظائف الجسام التى توكل اليهم ، وأن حياتهم الاولى تمهيد صالح لما يوشك أن يظهر على أيديهم ويربط الأمم بهم ..

والأربعون سنة الأولى من حياة محمد عليه الصلاة والسلام جاءت على هذا الغرار ..

انسان يعيش فى مكة يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، لايعرف بثروة ظاهرة ، أو قدرة خارقة . ولكن الذى يتفق عليه العدو والصديق ، ويبلغ فى ثبوته عين اليقين ، أن ثروته من الفضائل كانت رابية ، وان رجولته التقى فيها ما يعرف العرب وفوق مايعرفون من مروءة ونبل ، ومجادة وسيادة ..

والأوج الذى عاش فيه محمد قبل بعثته هو الذى أخرس خصومه الناقمين يوم أعلن حربه الهائلة على الوثنية وآثارها .. الاجتماعية والسياسية .

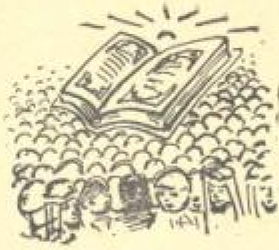
لقد هاجموه بكل سلاح وكان غيظ قلوبهم شديدا ، ومع ذلك فقد انقطعت الأمانى دون غمزه بشىء قط ، تصريحا أو تلميحا .

كان رواء الصدق يتألق فى جبينه أبدا ، ما تخلف فى جاهلية ولا اسلام .

ونستطيع أن نصف هذه السنين الأربعين بأنها تمثل حياة رجل نقى المعدن ، شريف السيرة ، يعرف بكل خير ، ولا يعرف بشر أبدا ، يكابد السعى وراء رزقه ، فيرعى الغنم صغيرا ، ويضرب فى الأرض كبيرا .

والاختلاط بالناس فى هذه الميادين امتحان قاس للنفس البشرية وقد خرج محمد من هذه الظروف جميعا ، موفور العصمة والفطنة ، عايش قومه فى نطاق الضرورة الماسة ، واعتزلهم فى جبال مكة ينشد فى صمتها وعزلتها راحة القلب واللب ، حتى تجلى عليه الحق فى غار حراء .

ويومئذ عرف أن رب العالمين قد اصطفاه لأمر عظيم ! لقد أضحى واحدا من أنبياء الله ، بل ان الأمر على مر الأيام قد بدا أعظم من ذلك ، ان الوحى الذى استقبل كلماته الاولى كان طليعة رسالة تستغرق الدهور الباقية من عمر الحياة ،



وتستوعب القارات الغاصة بالعمران ، وتتناول شئون الناس بالتوجيه والفتوى ، فلا تترك عقدة مبهمة ، ولا طريقا حائرة ، « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ».

وكما يتحول الجنين ـ بعد نفخ الروح فيه ـ خلقا آخر ، تتحول حياة المرسلين ـ بعد استقبال الوحي ـ نسقا آخر ، لحمته وسداه هذا الضياء الهادى الهابط من السماء .

ومحمد عليه الصلاة والسلام عندما شرع يستدرج القرآن بين جنبيه كان قبل غيره من الناس أول من ينتفع ويرتفع بما تضمنه من صدق وجلال ، وخير ومرحمة .

ان الرجل الذى خلت فطرته من شهوات الأرض وأكدار الدنيا ، انتشرت فى أرجائه الباطنة شعاعات الوحى ، فهى تبرق فى شمائله ومسالكه كما تتلألأ الآفاق فى ضحوة صاحية صافية ... وقد أومأت السيدة عائشة الى هذا المعنى عندما سئلت عن خلق رسول الله فقالت : كان خلقه القرآن !

اننا نقف عند هذه العبارة طويلا لندرك غورها ..

فالقرآن قبل أن يكون معجزة الرسالة الخاتمة هو مجمع ما حفلت به من عقائد وعبادات وآداب ومعاملات ، وما استعرضته من قصص ، وبراهين ، ونظرات كونية ونفسية .

ونبى القرآن كان فى حياته الخاصة المثال الاول ، والأزكى ، والأرقى ، لكل ما وصى به الله ، ووجه اليه العباد .

امر الله بفرائض ، وحث على نوافل ، واحل حلالا ، وحرم حراما ، ووضع حدودا وساق عبرا ، انك واجد ذلك كله « نظريا » فى كتاب الله ، ولكنك واجد التنفيذ « العملى » له ظاهرا وباطنا فى سيرة محمد نبى القرآن .

فمعرفة الله مثلا أمر عام للخلائق كافة ، بيد ان العارف الاعظم لله ، والذى تنضح هذه المعرفة على سريرته وعلانيته ، وتطرد من بؤرة الشعور الى حاشية الشعور الى شبه الشعور الى اللاشعور ، المعرفة فى أوجها المطلق وقمتها الفارعة ، تبدو أول ما تبدو فى خلق محمد .

والصلاة مثلا فريضة عامة على المؤمنين ، بيد ان المصلى الساجد القلب قبل الجوارح ، القرير العين بين يدى ربه كلما اذن مؤذن للصلاة ، المستريح اليها من وعثاء الدنيا ومشاغل التراب ، الصادح بها فى هداة الليل ، ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ... هو محمد نبى القرآن .

ان أشخاص الأنبياء ليست جسورا لهدايات السماء وحسب ، كلا ، انهم ترجمة عملية لمراد الله من خلقه .

ويمتاز محمد عليه الصلاة والسلام بانه قدم للبشر كافة اكبر مجموعة من النماذج العملية للانسانية الفاضلة ، والعبودية المخلصة .

والثلاث وعشرون سنة التى استوعبت نزول القرآن الكريم استوعبت كذلك أطوار سيرة عامرة بالحب والبغض فى الله ، بالسلم والحرب ، بالشدة والرخاء ، بالسفر والاقامة ، بمعاناة كل ما يعرو النفس الانسانية من أحوال ، وما يفرض عليها من قيود ، وما تمحص به من تجارب .

ومن هنا كانت سيرة الرسول وسنته من قول او فعل أو حكم أو تقرير دينا يتبع ، فما كان منها قرآنا فهو ظاهر ، والا فهو نضح التخلق بالقرآن ، والاصطباغ بهداه ، والاستقامة مع غاياته .

وانى لأشعر بكلال ذهنى وأنا اتصور هذا الرسول يحفظ احرف الوحى فى السور الطوال التى تنزل عليه ، ثم بعد هذا الاستظهار الرائق ، تبدأ « عملية » تحويل القرآن الى خلق شخصى ، ومسلك نفسى ، واجتماعى ، وهى عملية تصاحب تلاوته على الناس ، واخذهم بحدوده ومعالمه وحلاله وحرامه .

لقد صح أن سورة الانعام نزلت جملة واحدة !!

أى وعى حاد مستوفز التقط هذه الصفحات

الطوال ، واستطال اشراقه حتى احاط بها بدءا ونهاية ، وامتد انتباهه حتى بقى التسجيل دون أن يفلت حرف أو تغيب كلمة ؟؟؟ .

ثم تتجاوز ذلك المظهر لتلقى الوحى ، الى استثارة صاحبه به ، واقامة حياته خلجة خلجة ، وخطوة خطوة على أساسه .

فهو يتقلب فى جو من مصاحبة الله ، كما ينطلق احدنا فى طريق مشمس طويل مغمورا بوضح النهار من كل ناحية .

ولقد صور القرآن الكريم طبيعة الخلق النبوى الشامل ، فى هذه الآية « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك امرت وانا أول المسلمين » .

ابلغت الانسانية فى واحد من ابنائها مثل هذا المجد السامق ؟ مجد الاستغراق فى الحق والانطباع بآياته ، والانطلاق بها فى جنبات الأرض لتكون شريعة حاكمة ، وبصيرة هادية ؟

هذا وأيك المجد ، الذى عرفه التاريخ لمحمد، وقدمه به على المتقدمين والمتأخرين ...

وانتقل محمد الى الرفيق الأعلى ، ولكنه بقى كتابا وسنة بين ظهرانى الناس ، فقد طبع على غراره جمهورا من اصحابه كانت اخلاقهم القرآن، يتلونه بالسنتهم ويحيون به فى شئونهم كلها .

فمنه عقائدهم الدافعة ، وشمائلهم الوازعة ، ومثلهم الحادية ، وشرائعهم الحانية ، وتقاليدهم الضابطة ، وموازينهم لكل ما يجد من احداث .

انه معقد صلتهم بربهم وبانفسهم وبالناس اجمعين .

ورسالة الاسلام لا يحصرها زمان ولا مكان ، ولا تحتبس فى أفق من أحوال البشر وتدع افقا آخر ، وهذا الشمول ظاهر فى سور الكتاب ، وسنة الرسول ، وعمل الاصحاب .

ووسيلته الفذه امة من الناس خلقها القرآن ، تفقهه نصوصا ، وتستبطنه شمائل ، وتقيمه شرائع وشعائر ...

تتعلم من رسولها ما تعلمه هذا الرسول من ربه ثم تقدمه للناس علما وعملا ! تلك وظيفة الأمة الاسلامية « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

واتصال هذه الأمة بغيرها ليس اتصال اللسان البليغ او القلم الساحر ، كلا انه اتصال الأسوة الحسنة ، والنموذج المعجب ، وما يكون الوحى الالهى الا كذلك « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين » ..

ليت شعرى ، أأصيب المسلمون اليوم بفقدان الذاكرة ، فجهلوا انفسهم ونسوا رسالتهم الانسانية الرفيعة ؟ أم تطاول عليهم العمر فتبلدت المشاعر وقست القلوب ؟ .

سواء كان هذا أم ذاك فالأمر يحتاج الى تجديد أو توكيد حتى تعرف الأمة الكبيرة وظيفتها بوضوح ..

ان الله مذ عزل عن اليهود الوحى ، وابعد عنهم النبوة ، واصبحت قصة الشعب المختار فى خبر كان ، وتولى قياد العالم جنس جديد ، أو دم جديد ، قوامه امة تقدس الحق ، وتصون آياته ، وترفع فى الارض راياته .

وفى هذه الأمة المختارة على انقاض الماضى البعيد وذكرياته ، يقول الله جل شأنه « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله، ذلك هو الفضل الكبير » .

وظاهر من صدر الآية ان الامة الاسلامية مصطفاة من بين الامم ، وانها مسئولة عن الميراث النفيس الذى آل اليها ، وأن تبعاتها امام الله جسيمة بازاء هذا الاختيار الأعلى ، وامام الكتاب الضخم الذى اختتم به الوحى ، ووكل اليها درسه ونشره وكلفت ان تحيا به وتحيا له ..

نعم ، ان أمتنا ورثت منصب الرسالة بعد موت الرسول ، لانها ورثت الكتاب الذى جاء به ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

وواجبها الأكبر ، بل لب وجودها أن تقود باسم الله قافلة البشر قيادة تحفظ على العالم الهدى

والتقي والعفاف والغنى ، وتقى حضارته الزيغ والاثرة والعدوان والشر .

ولا يجوز لشعب ما أن يزعم أنه مختار من السماء لمعنى مبهم ، أو تفضيل مجرد ، فهذا كذب على الله ، وانما تفضل امة غيرها بمدى ما تملك من قدرة على النفع ، ورحمة للعالمين .

وأسلافنا الأوائل أسدوا للحياة أيادى بيضاء جعلتهم طليعتها المرموقة قرونا عددا .. ثم وهنت الكواهل والضمائر عن حمل اللواء فأصابنا ما أصابنا ..

ولكى ننهض بوظيفتنا العتيدة يجب ان نستجمع خلالا عدة ، وأن نسابق الزمن حتى نغطى فترة التخلف الماضية ، وحتى نصل قبل أن يستمكن العميان من قيادة الدنيا الى الهاوية .

ومرة اخرى نلفت الانظار الى معنى التخلق بالقرآن ، ان الاخلاق كما قيل هى اللغة العالمية التى يستطيع أهل الارض على اختلاف السنتهم ان يتعارفوا بها .

ولقد يلتقى رجلان لا يفهم احدهما لغة الآخر، ولكن تنعقد بينهما مودة غالية ، لأن السلك الرفيع ربط بين قلبيهما .

وهل نشر أسلافنا الكبار من صحابة وتابعين دينهم بين أشتات الشعوب الا بهذه اللغة الواضحة ؟ .

كان الناس يرمقونهم عن بعد ، أو يخالطونهم عن قرب فيرون الايدى المتوضئة تعف عن الشبهات بله الدنايا ، ويرون من سناء قلوبهم ورقة طباعهم وعدالة حكمهم ونزاهة نياتهم ما يدفعهم الى الدخول فى دين الله افواجا ..

ومن هنا فان المسلمين لن تنهض لهم حجة ما بقوا أمما متخلفة ، متفرقة ، لا تعرف القرآن الا أمانى جوفاء .

ومن حق العالم ان ينأى بجانبه عنهم ، ووزر انحرافه عن صراط الله عندئذ واقع أكثره على ورثة الكتاب الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ..

فى أحيان كثيرة يخامرنى احساس باننا نحن المسلمين مسئولون قدرا ما ، عما شاع فى العالم من كفر بالله ، والحاد فى آياته ، لأننا نملك المصباح المضىء ، ، ولكننا حجبنا نوره ، ووضعنا على زجاجته قتاما فما ينفذ منه شعاع ..

ثم ليسأل المسلمون انفسهم : ما مأتى هذا التخلف الشائن ، فى فقه الطبيعة ، واستكناه قوانينها ، واستخراج دفائنها ؟ .

ما هكذا كان أسلافهم ، ولا بهذا اوحى كتابهم!!

كيف وهو الكتاب الذى يؤسس اليقين على ركائز التفكر والبحث ، ويسخر لبنى آدم فجاج البر والبحر ، والأرض والسماء وما بينهما .

ان من التخلق بالقرآن ان يكون رقى المسلمين العلمى مكافئا لحديث كتابهم عن الكون وآياته ، والحياة وروائعها .

انهم بهذا التقدم العلمى يحبون على مستوى كتابهم ، ويقدرون على خدمة رسالته بما يتيحه التفوق العلمى من ابداع صناعى ، وتنظيم عمرانى.

ولنعترف بأن هناك مسلمين يتدحرجون على السفوح لا يدرون من أسرار الكون الكبير شيئا ، على حين استطاع أقوام لا يؤمنون بالله ، أو يؤمنون به على غموض وشرك ، استطاع هؤلاء وأولئك ، أن يقتربوا من فطرة القرآن بيقظتهم العقلية العارمة، وأن يحرزوا من التقدم المادى المجرد ، ما أثار فى الحياة الفتنة والحيرة .

فان يك على هؤلاء حرج فالمسلمون المفرطون شركاؤهم فيه ، ومن يدرى ؟ ربما كان كفلهم منه أربى ...

لقد ورثنا النبوة والكتاب ، ترى هل سنسعد بهما ونسعد العالم معنا ام ماذا ؟ .

ان العرب اليوم على أبواب تجمع جديد ، ومستقبل ممتد .. وميراثنا مصون ، وتبعتنا بينة .. وصراعنا مع الاستعمار يجب أن يعتمد على كل ما لدينا من أسباب النصر وضمانات السماء .

« محمد الغزالى »

الفردية كما يصورها القرآن



بقلم على العمارى

- ٢ -

اثبت فى المقال السابق عن سياسة القرآن الكريم فى نقل الانسان من فرديته الأثرة الى جماعيته الخيرة.

وقلت ان السور الاولى التى نزلت بمكة سلكت لذلك وسيلتين ، احداهما تهجين حب المال ، حبا يجاوز الحد الذى يحسن أن يقف الانسان الخير عنده ، وثانيتهما العناية باليتيم ، وبالاحسان اليه .

وفى هذا المقال نواصل حديثنا عن منهج القرآن هذا ، وسيتضح لنا ان القرآن الكريم سلك سياسة حكيمة دقيقة فى مدافعة غريزة الفردية بغريزة أخرى رأى فى تنميتها اسعادا للبشرية ، وانه لم يحاول أن يقضى على اى من الغريزتين ، ولكنه اراد تهذيبهما، ولما كانت غريزة الاثرة أقوى فى النفوس من غريزة الايثار كان من الطبيعى أن تتجه التربية القرآنية الى الحد من الغريزة الطاغية ، والى تنمية الغريزة الضامرة فى النفس الانسانية حتى تشتد وتقوى ، وتؤدى وظيفتها فى السير بالمجتمع الانسانى الى السمو والكمال ، والخير ، والفضيلة .

ومن أوائل السور نزولا سورة (العاديات) وفيها وصف الانسان بأنه شديد الحب للمال : (ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد) ، وسورة (الفجر) وفيها قوله تعالى : (وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما) .

والسياق فى الموضعين يجعل هذا الحب للمال غير محمود ، ذلك أنه اقترن فى السورة الاولى بجحود الانسان لنعمة ربه ، وفى السورة الثانية باكل التراث اكلا لما .

على أن فى سورة (الفجر) توجيها آخر الى أن يفهم الانسان فهما صحيحا مكانة المال ، فالآيات تتحدث عن خطأ الانسان فى فهم الغاية من الانعام عليه ، ومن التقتير عليه ، اذا ضيق الله عليه فى الرزق ، فهو يظن أن الانعام عليه اكرام من الله له ، وايثار له عن غيره لمكانته — زعم — عند الله — ويظن فى قبض الرزق اهانة من الله لقدره ، وماذلك الا لهوانه على الله ، وتنبه الآيات الى أن هذا وذاك ليسا كما يزعم الانسان ، بل تشير الى أن فى عمل الانسان ماهو شر من هذا الاعتقاد : (فاما الانسان اذا ماابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن ، وأما اذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن. كلا ، بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين) .

ومن عناية السور الاولى من القرآن باليتيم ماجاء فى سورة (الضحى) ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى حين امتن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بانه لايزال يواليه بنعمه ، وحبه ، وبانه وجده يتيما فآواه الى عمه أبى طالب ، ووجده ضالا عن معالم النبوة ، واحكام الشريعة فهداه اليهما ، ووجده فقيرا فاغناه بمال خديجة ، ومايسر له من الرزق ، حين امتن عليه بذلك أوصاه باليتامى والفقراء ، فقال عز وجل : (فاما اليتيم فلاتقهر ، واما السائل فلاتنهر) .

وكما عنيت الآيات الاولى بالحث على اكرام اليتيم ، واعطائه حقه كاملا غير منقوص ، بل بالحث على منحه أكثر من حقه ، عنيت — كذلك — بالمسكين فحثت على الاحسان اليه ، احسانا غير مشوب ، واعتبرت الاحسان حقا له ، لاتفضلا عليه .

وهذا الوصف — وحده — (المسكين) كاف فى ترقيق القلوب ، وتحبيب بذل الحقوق الواجبة الى النفوس : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) . (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) .

وبجانب الآيات السابقة نجد آيات أخرى نزلت فى أول العهد بالبعثة المحمدية تبعث الخوف والقلق فى نفوس المغالين فى فرديتهم ،المتنكرين لحق اخوانهم المحاويج عندهم ، فقد جاء فى سورة (المدثر) وهى السورة الرابعة فى النزول — على ما هو المشهور فى ترتيب نزول القرآن — : (كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر ، قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين) .

فالناس كلهم مأخوذون فى النار بذنوبهم الا أهل طاعة الله وخشيته ، فانهم ينعمون فى الجنات ، ويسألون المجرمين عن الاسباب التى حبستهم فى النار ، فيجيبهم هؤلاء بأن أسباب ذلك أربعة : تركهم الصلاة فى الدنيا ، وتركهم اطعام المساكين ، وخوضهم فى الباطل ، وتكذيبهم بيوم الجزاء .

فهذا موضع البخل على المساكين بين هذه الأوزار التى ارتكبها المجرمون فى الدنيا ، ولعل أوجع ما وصف به هؤلاء ، وأجدره بالوقوف عنده هذا الوصف القاسى المخيف : (المجرمون) ومهما قال الكتاب والشعراء فى وصف الأثرة ، وحب الذات ، ومنع حق الفقير فى مال الغنى فانهم لن يبلغوا هذا الوصف : (الاجرام) .

فليس (المجرم) فقط هو الذى يقتل النفس بغير الحق ، ولا الذى يرتكب الفواحش ، وانما هو — أيضا — من يترك ما فرض الله عليه من صلاة ، وصدقة ، واتباع للحق ، وايمان بالبعث .

والقرآن الكريم لم يخف على الذين يطلب اليهم الايمان به أن تحول الانسان من طبع ورثه ، أو غرسته فى نفسه البيئة ، الى طبع آخر هو أحب الى الله ، والى الانسانية ، لم يخف أن هذا التحول أمر شاق ، يحتاج الى مجاهدة وصبر ، وصدق ، فعبر عن الانفاق فى وجوه الخير بأنه (عقبة) يجب على المؤمن بالله واليوم الآخر أن (يقتحمها) : (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة) .

ثم تكون الآيات المكية — بعد ذلك — والآيات المدنية على السواء : تسوس النفوس فى هذا الخلق أنجع سياسة ، وتتأتى لها من النواحى التى تستجيب لها طائعة راضية .

فنجد أكثر الآيات التى تحث على الاحسان تبدأ بذوى القربى، وتثنى باليتامى، وتثلث بالمساكين فاذا أضافت اليهم أحدا بعد ذلك كان ممن يمت بصلة ما الى الباذل ، أو ممن توجب الانسانية فى معناه الاسمى لهم البذل والعطاء .

(واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنبوابن السبيل وما ملكت أيمانكم) .

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيلوالسائلين وفى الرقاب) .

(واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين) .

(يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) .

وهكذا — فى كثير من الآيات الاخرى ، وفى هذه الآيات — نجد الأمر بالاحسان يتجه أولا : الى (ذى القربى) . ولعل السر فى ذلك أن الانسان يكون من اليسير عليه أن يصدر فى أفعاله عن حبه لنفسه ، وعن رغبته فى البقاء ، والاقرباء هم الذين يستنصر بهم الانسان ، ويقوى على أعدائه ، وهم الذين يعتمد عليهم فى حماية نفسه وولده وماله ، فحين يؤمر بالاحسان اليهم يجد فى نفسه دافعا قويا الى الاستجابة لهذا الامر ، بل هو يعطف عليهم ولو لم يأمره بذلك شرع أو قانون ، حفاظا على نفسه ، وتلبية لأواصر القرابة ، ووشيجة الدم ، ومن هنا قال الشاعر :

اذا كنت مرتاد الرجـــال لنفعهم
فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى

فاذا استجاب الانسان لهـذه العاطفة .. عاطفة القرابة ، وبذل من ماله فى الاحـــان الى ذوى قرباه حطم بعض الســدود التى تحول بينه وبين الشعور بحق الجماعة عليه ، فيجد فى نفســه داعيــة الى أن يحسن الى اليتيم ، والى المسكين فاذا تكرر هــذا الاحـــان منه أصبح خلقا ، وبيعد المدى بين نفســه وبين (الفردية) البغيضة .

والقرآن الكريم ــ كما أشرت سابقا ــ حث على البذل فى أكثر من سبعين آية ، ولكنه حرص على شىء قد يغفل عنه الكثيرون ممن يحاولون عــلاج أدواء النفوس ، ذلك أنه لم يبغض الانســان فى المال ولم يحاول أن ينقله فجاة من طبيعته الى أعلىدرجة فى الســمو الانسانى ، لم يطالبه ــ باديء ذى بدء ــ بالايثار ، وهو درجة عظيمة من درجات الســـــمو النفسى ، وانما ساير الانسان فوافقه على ماللمــال من قيمة ، ومالاقتصــاد من فائدة ، ثم حببه فى شىء من البذل لينال ثواب الخالق ، أو ثناء المخلوق ثم ارتفع به درجة فزين له أن البذل فى ذاته أمــر محبوب ، وأخــيرا انتهى به الى أن الايثــار من خلق المؤمنين الصادقين ، وأنه مؤد لرضا الله ، وحبه .

واذا كان الشح هو الخليقة الغالبة على الطبيعة الانســانية بفعل الوراثة ، أو البيئة الفاسدة ، فان القرآن الكريم لم يترك هذه الخليقة تســيطر سيطرة كاملة على النفس البشرية ، لأنهــا ــ حينئذ ــ تترك خاضعة لشهواتها ، مستكينة لطبيعتها ، وانماعمل على تهذيب هذه الخليقة والحد من سلطانها فرسم للانســان طرقا ، ونهج له سبلا تعينه على أن يحــرز الفضيلة ، ويســمو بطبيعته .

وهذا المنهج القرآنى يجعــل للطبيعة متنفســا ، فهو لم يحاول أن يحبس طبيعة الشح ولا أية طبيعة أخرى شريرة داخل مرجل ، والا انفجرت من قوة الضغط ، فهو فى الوقت الذى يذم فيــه الشح ، ويتوعد الاشحاء بعذاب الدنيا والآخرة ، يطلب من الانسان الا ينسى نصيبه من الدنيا ، ويصف المال بأنه زينة الحياة الدنيا ، وزهرة الحياة الدنيا .

وهكذا فهم أتباع محمد مكانة البــذل ، ومكانة الايثار ، دون أن تحدث فى نفوسهم هزات عنيفــة من جراء الصراع بين ماكانوا يحســون به ــ وهم فى جاهليتهم ــ من حب شــديد للمال ، وبين مادعوا اليه من البذل الذى يبلغ حد الايثار .

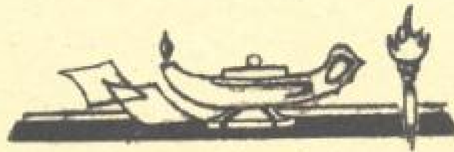
واتصل هذا الخلق فى اتباع هذا الدين حتى رأوه أمرا طبيعيا .

روى بعض العلماء قال : قال لى شاب من أهــل بلخ : ما الزهد عندكم ؟ قلت : اذا وجدنا أكلنــا ، واذا فقدنا صبرنا . فقال : هكذا عندنا كلاب بلخ ، بل الزهــد : اذا فقــدنا صــبرنا ، واذا وجــدنا آثرنا .

ولم ينكر هذا العالم على الشاب البلخى ماوصف به زهدهم ، لأن هذا هو أولى الاخلاق بالمؤمنين .

ان من يتأمل فى صنيع القرآن الــكريم يجد فيه من الدقائق فى معالجة النفوس مالايمكن أن يكون الا من العليم بأسرارها ، الخبير بخفــاياها ، وبهــذه الدقائق تهيأ لهذا القرآن أن يجذب اليه الارواح ، وأن يستميل نحوه القلوب ، وأن ينفذ بتعاليمه الى صميم النفس الانسانية ، فلم يكن هناك حائل دون الاهتداء بهديه الا فساد بعض الفطر بما يســيطر عليها من تعاليم فاسدة ، أو تقاليد ضارة ، أو بيئة تبعث فيها الشر ، وتباعد بينها وبين الخير .

« على العمارى »



رجل الدين في أدبنا المعاصر

للدكتور: نجيب الكيلاني

لقد لعب الاستشراق دورا خطيرا في حياتنا الفكرية، وبالذات في عديد من المصطلحات والقضايا التي تعتبر غريبة عن مفاهيمنا التاريخية والأدبية، ولم يكن ذلك الخطر كامنا فيما يكتبه المستشرقون بأقلامهم عن طريق مباشر، بل امتد الى بعض مثقفينا الذين أخذوا عنهم، وتأثروا بهم، فتلونت أفكارهم وكتاباتهم بالانحراف والزيف ..

وكلمة « رجل الدين » كلمة شائعة معروفة في أوربا، ولها دلالاتها وظلالها المؤسفة، وخاصة في تلك الأيام التي قاسى فيها أحرار الفكر في أوربا من عنت الكنيسة واضطهادها، ما أثار عليهم موجة من التمرد والكراهية، اذ اعتبروها عقبة في طريق التطور والابداع الفني والفكري، وسوط عذاب ينصب على رأس كل مخترع أو كاشف عن حقائق الكون والحياة ..

* * *

ونحن — كأمة مسلمة — نقر بأن هناك علماء في الدين، لا رجال دين، اذ المعروف بداهة أن كل معتنق لدين يعتبر رجلا من رجاله .. ولقد حفلت الآداب الأوربية — وخاصة الأدب الفرنسي — بأنماط مختلفة من الشخصيات الروائية، التي صورت في دقة واحكام، ونالت من الشهرة والذيوع أكثر مما يناله بعض الأحياء من المشهورين والعظام ..

والقارىء لهذه الآداب .. وخاصة في مجال الرواية والمسرح — يلحظ ظاهرة هامة، الا وهي تلك الصورة الشائنة لما يسمونه « برجل الدين »، فهو مراء، يظهر خلاف ما يبطن، يمارس الفضائل قولا، ويرتكب أقبح الرذائل فعلا، بل ان بعض الروائيين يحرصون على اضفاء ثوب العفة والنبل والطهر على شخصيات مستهترة ضائعة متنكرة للقيم الروحية على طول الخط ..

وكتاب آخرون يجعلون من « رجل الدين » مناطا للجهل والجمود، فيبدو لنا وكأنه يعيش في حقبة زمنية موغلة في القدم، أو يحيا في جو فكري مغلق مظلم لا يتسرب اليه بصيص من نور أو معرفة ..

وغيرهم يعمدون الى جعل رجل الدين شعارا للبله والعته أو الشذوذ، أو كائنا حالما منصرفا عن أهوال الواقع وصراعاته الصاخبة ..

* * *

وهكذا وصم رجل الدين في الآداب الغربية بوصمة الرياء والجهل والجمود والرجعية والدجل والشعوذة، ولسنا من السذاجة بحيث تعتبر هذا الهجوم القاسي منصبا على طائفة بعينها، أو على أشخاص بعينهم، وانما التلويث سيمتد الى القيم التي يمثلها « رجال الدين »، ويدعون الحفاظ عليها، والتعبير عن فضائلها .. وهنا يكمن الخطر الأكبر ..

ولكي نكون منصفين مرة ثانية، يجب الاعتراف بأن قصة الاضطهاد الديني في الغرب، وما لقيه أعلام الفكر هناك من تعذيب وقتل وتشريد . قصة مؤلمة حقا، وقد يكون التعبير الذي اختاره مفكروهم وفنانوهم متفقا — لحد ما — مع سخطهم على رجال الدين ذلك السخط القائم على أسباب تاريخية، وأحداث دامية ...

* * *

ونظرا لأن المسرحية، وكذلك الرواية بمعناها الحديث، تعتبران فنا جديدا على الشرق، بعد أن اتخذ مكانة كبرى بين ألوان فنونهم، ونضج على أيديهم، فقد تلقفه الشرقيون، وساروا على منوالهم في مرحلة التقليد — أي قبل مرحلة الخلق والابتكار .. وليت الأمر وقف عند حد التتلمذ بالنسبة « للتكنيك » الفني، بل تعداه الى استعارة شخصياتهم، أعني تقاليدها، فانتقلت بذلك عدوى

« رجل الدين » الى آدابنا سواء فى المسرح أم فى مجال الرواية والقصة القصيرة ، ودخل هذا المصطلح بيئتنا الفكرية ، برغم اختلاف الظروف التاريخية والسياسية بيننا وبين الغربيين ، اذ لم يكن لدينا ذلك الاضطهاد الذى حمل لواءه رجال الكنيسة فى أوربا .. ولم يكن لدينا نماذج تشبه راسبوتين ولا قسيس « أحدب نوتردام » .... الخ .

ولا يستطيع منصف أن ينكر دور علماء الدين - لا رجال الدين - على مدى حقب التاريخ الاسلامى ، فقد كانوا دعاة تحرر وعدل وتقدم ، بل ان مطارق الاضطهاد كانت تدق رءوسهم واعناقهم فى العصور المظلمة ، دون أن تلين لهم قناة ..

لكن عدوى التشويه انتقلت الينا على أيدى المستشرقين والمترجمين وأولئك المثقفين المتأثرين بالفكر الأوربى وقيمه - غثها وسمينها - فظهرت شخصية « رجل الدين » - كما يسمونها - مهتزة ممزقة ، تجتمع فيها المتناقضات ، ومظاهر الانحلال والنقص .. فالشيخ الشناوى فى قصة « الأرض » للقاص المبدع **عبد الرحمن الشرقاوى** ، يمثل رجل الدين فى تصوره وغبائه وبلاهته وضيق أفقه : والقاضى فى مسرحية « السلطان الحائر » **لتوفيق الحكيم** يظهر فى بداية الامر رجلا صلبا معتصما بالقانون ، ثم يتراجع ويضطرب قبيل النهاية .. والشيخ «الجنيدى» فى رواية اللص والكلاب **لنجيب محفوظ** رجل متصوف غارق فى شطحاته وأحلامه ، مندمج فى حلقة الذكر ، هو فى غيبوبته عن العالم الخارجى .. عن الواقع بكل مايصطخب فيه من أحداث تهز المجتمع هزا عنيفا.

ان لكل فنان الحق فى التعبير عن النماذج التى ينشئها خياله ، لكن هل الشيخ الشناوى يمثل حقيقة المثل العليا التى يزعم أنه يعبر عنها ؟؟

وهل القاضى فى مسرحية السلطان الحائر يتفق والوقائع التاريخية ، التى رويت عن العالم الجليل المناضل الحر « عز الدين بن عبد السلام » ؟؟ وهل التصوف على الوجه الذى رسمه نجيب محفوظ تعبير عن حقائق الدين الكلية ، ومرآة صادقة لمبادئه المرتبطة بواقع البشر وقضاياهم ؟؟

وهناك مئات من الامثلة لايتسع لها المقام ..

قد تغتفر هذه الزلات لو كانت نادرة ، لكن شيوعها وتشبث الكتاب بها ، وجعلها النموذج والمثال يجعلنا نقف أمامها فى اعتراض صلب .

فلماذا لانعبر عن الشخصيات التى تشرق بطهر الدين ونقائه وفدائيته ؟؟ ولماذا لا نبرز القيم الخالدة المعطرة التى كان لها أعمق الاثر فى سلوكنا ووجداننا ووجودنا ؟ ولماذا لانفرق بين الواقع التاريخى فى أوربا والواقع التاريخى عندنا ، ونستقى مفاهيمنا من وحى تحررنا الفكرى الذى لا يتتبع خطا المستشرقين ، ونزوات المقلدين ، ومخطط الملحدين الذين لايؤمنون بأية قيمة روحية خالدة ؟؟

ولايفوتنى فى هذه العجالة أن أشير الى مايبذله الكاتب المخلص الاستاذ **على احمد باكثير** من جهد دائب فى أعماله التاريخية سواء فى مجال المسرح أو فى مجال الرواية . لقد استطاع أن يخرج على النمط الذى رسمه لنا الفن الغربى فيما يتعلق بهذه الناحية . فقدم بعض العلماء فى كتاباته تقديما صادقا . ولم تستهوه طرافة الشخصيات وغرابتها تلك التى يعج بها الأدب الأوربى ، ويبدو أنه قد أدرك ماينطوى عليه هذا الاتجاه من خطر ، فاتخذ موقفا منصفا للواقع والتاريخ ..

ان واقع الامم الشرقية لم يخل من الشعوذة والدخل فى عصور الانحلال والوهن والزيغ العقائدى لقد كان «أبو الهدى الصيادى» نموذجا شاذا لعالم الدين ، لكن كان مقابل أبى الهدى - ابان اضمحلال الخلافة التركية - كثير من القادة والمفكرين الدينيين الذين أثروا حياتنا الفكرية والسياسية والاجتماعية بصائب آرائهم وعلمهم ، وحملتهم الشعواء على الانحراف والدجل والجمود ، منهم جمال الدين الافغانى ومحمد عبده والكواكبى ، وخيرة من علماء الهند والشام والمغرب ..

ان الذين اختارتهم الاقدار ليكونوا فى مكان الريادة الفكرية والادبية لجيلنا الحديث يجب أن يقدروا المسئولية المعنوية الملقاة على عاتقهم ،ويجب أن يكونوا أكثر وعيا وادراكا لما يحاك ضد تراثنا وحضارتنا العريقة من مكائد ومؤامرات ، فهذا الجيل المناضل ينظر الى ماتخطه اقلام مفكريه فى قداسة ويتقبل كلماتهم فى ثقة ، فمن الظلم أن نستغل ثقته ونستغل طيبته وبراءته ..

«د. نجيب الكيلانى»

إلى الأنبياء الثلاثة

للشاعر: صالح جورت

يا حبيب الله يا عيسى انتبه — ان في دينك رهطا أشقياء
دينك الرحمة والحب معا — كيف في الغرب ادعاه الأدعياء؟
كيف لاذوا بك..من لم يؤمنوا — بسماء أو سلام او اخاء ؟
نصروا أعداءك الخبث على — قومك المستضعفين البؤساء
جرعوا اهلك في القدس الردى — صلبوهم..شردوهم في العراء
اهلك استجدوا.. فهلا صنتهم — من شرى الجوع وانزلت «العشاء»؟

***

يا كليم الله يا موسى انتفض — فعلى دينك في الأرض العفاء
رد أحبارك عنا ... انهم — شبعوا في الارض بيعا وشراء
جئتهم انت بتوراة الهدى — كيف باعوه بتوراة الثراء ؟
عبدوا الدولار ... ذلوا عنده — لعبوا بالنار .. غالوا الأبرياء
نصبوا في حرم القدس الخنا — وبنوا حانا وملهى للبغاء
والوصايا العشر لم يحفوا بها — فهي بهتان ولغو وهراء
اطفاوا النور الذي جئت به — هل لنور الله في الارض انطفاء؟

***

يا حبيب الله يا طه ابتهج — انجز الأحرار ما شاء الدعاء
لو أطاق الذكر رفدا لاحتوى — سورة الثورة ميلاد الرجاء
انها نور وعزم وهدى — انها حق وعدل وبناء

ميلاد نجم الجبل

للشاعر: سعد دعبيس

ذات يوم مغلف بالهوان — ضائع في متاهة الأحزان
كان فيه الظلام وحش عذاب — ينتشي من تعاسة الانسان
كان فيه الظلام وحش عذاب — راقصا في الدماء والأكفان
عينه .. عينه .. براكين حقد — ودماء . تعوى مع النيران
الف ظفر له ، والف ذراع — تتلوى في ليله النشوان

آه .. كان الوجود غابة رعب   وعواء لوحشها الظمآن
آه .. كان الوجود نابا وظفرا   ودموعا فياضة الأشجان
آه .. كان الوجود سجنا كبيرا   ليس فيه حر سوى السجان
وضعوا القيد في يدي كل شيء   كل شيء حتى الهوى والأماني
كل شيء .. حتى الاله رآوه   من خلال القيود والقضبان
وضعوا الله في القيود فاسرى   تائها في معابد الأوثان
فجاة .. فجاة .. وذات مساء   مثقل بالقيود والأحزان
هفت الأنجم البعيدة نشوى   وتلاقت شفاهها في حنان
وسرى شوقها كئوس ضياء   في الجبال الشماء والوديان
فجاة .. فجاة تهاوت كئوس   من أيادي السقاة والندمان
وترامت فوق التراب دنان   عصرت خمرها يد الشيطان
وبدت حانة الطغاة كقبر   موحش صامت .. بلا الحان
وتهاوت على الثرى راقصات   كتماثيل من قديم الزمان
فجاة .. فجاة .. تهاوت سياط   من يد عودت على الطغيان
من يد السيد الذي عاش عمرا   رسمته السياط في الأبدان
كل يوم فيه على ظهر عبد   فهو يقتات ادمع العبدان
فجاة .. فجاة اطل يتيم   ليفيء الحياة بالايمان
ليصير الوجود خفقة حب   وصفاء ينساب للوجدان
كان ميراثه دموع يتيم   رفرفت رحمة على الأكوان
لم تظلله في الطفولة أم   وصباه ماهدهدته يدان
انما عاش في الطفولة عزما   وكفاحا في موكب الرعيان
ومضى في الحياة نبع صفاء   وضياء ينير كل مكان
اليتيم .. اليتيم .. دك عروشا   وتهاوت له قوى الطغيان
عاصفا بالقيود . بالكاهن الج   لاد . بالوهم . بالأسى . بالهوان
بعبيد الأسى . بمزرعة اليأ   س . بقبر مقدس الأكفان
بالطواغيت . بالكهانة . بالجو   ع . بظلم الانسان للانسان
أين كسرى وما بنته يداه   من عروش تختال في الايوان ؟
أين ماشاده قياصر « روما »   أين راحت مهابة التيجان !
دمرت .. دمرت وطاحت عروش   وطوتها عواصف النسيان
كان نبع الصباح كأس حنان   يتهادى للعالم الظمآن
كلكم اخوة .. فلا جنس يعلو   فوق جنس بالزيف والبهتان
راية الله وحدتكم جميعا   ان تكونوا موزعي الأوطان
عربي وأعجمي سواء   أبيض أسود هنا سيان
وطن الحر ليس أرضا وماء   أو بيوتا رفيعة البنيان
حيث تسمو مبادىء ، حيث تعلو   راية الله .. هذه أوطاني
هكذا .. هكذا أطل يتيم   فتهاوت معاقل الطغيان
ايهذا اليتيم .. هذا نشيدي   منك ينساب عبقري المعاني
لم يحطه من البلاغة سحر   لم تحطه زخارف الفنان
انما فاض من دموع غريب   بفلسطين ، ضائع الأوطان
من أسى القدس ، من تعاسة «يافا»   من ضحايا موتى بلا أكفان
من أغاني الكفاح فاض نشيدي   من أغاني الأحرار فاض بياني

سعد دعبيس



اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه



بقلم: عبد الكريم الخطيب

« هو الذى بعث فى الاميين رســـولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

داعية أمى .. ما قرأ كتـابا . ولا خط بيمينه سطرا .

وقوم اميون .. أعراب بادية ، ورعاة ابل وشاء.

وموطن قفر جديب .. لايمسك ماء ، ولا يخرج حبا .

ماذا يقع فى تقديرك لدعوة امى ، لقوم أميين ، فى موطن قفر جهول ؟

لا تجعل فى حسابك هنا أن الداعى هو محمد ، ولا أن القوم هم العرب ، ولا أن الموطن هو الجزيرة العربية ، بل اجعل نظرتك لأية داعيـــة أمى ، لأى مجتمع يعيش عيش البادية ، ويحيا حياة الصحراء ، ثم انظر حينئذ فيما يقع فى تقديرك لدعـــوة هذا الداعى ، فى بيئته تلك ، وفى أقوامه هؤلاء !

انه لايخرج بك التقدير لهذه الدعوة ـ فى أحسن أحوالها ـ عن أن تكون نســـمة عليلة ، هبت فى أعقاب يوم طويل من أيام السموم ، فاستروحت بها النفوس ساعة .. ثم ذهبت ، وذهب ريحها !

او أن تكون نغما شجيا فى وحشة الليل ، وفى هجمة سواده الحالك .. ثم لايلبث هـــذا النغم أن يذوب ، وينطوى فى أحشاء هـذا السـكون المطبق العميق !

او أن يكون دوحة ظليلة ، ينزل بهـــا السفر المتعبون ساعة من نهار .. يتقون لفح الهـاجرة ، وسفع السموم .. ثم يتركونها ليركبوا طريقهم من جديد !

انه لن يكون لهذا الداعى ، فى هذه الاحوال ، وتلك المواطن الا هذا الاثر المحدود الموقوت ، الذى يلمع كما يلمع البرق فى سواد ليل بهيم ، ثم ينطفىء فى فحمة هذا الليل ، ويغوص فى ظلامه الدامس !

أرأيت الى الشعراء ، والمغنين ، والحداة ، وأرباب الآداب والفنون ، وفرسان الملاحم وأبطال الحروب ، وكل ما نبت على وجه الصحارى من مطرب ومعجب.. ماذا بقى فى هذه المواطن من آثار ؟ وماذا خلد من أعمال ؟ .. ذكريات عابرة ، وآثار باهتة ، ووقفات قصيرة يقفها المعجبون بتلك الآثار ، كما يقفون على الدمن والاطلال !

ولكن الامر يختلف اشد الاختـــلاف ، ومحصل النظر يجىء بما لم يقع فى حساب أو تقدير ، حين يستقبل المرء بنظره مطلع « محمد » الأمى ، فى الامة العربية الأمية ، فى الصحراء العربية الماحلة !

هنالك ترى الداعى على غير ماعرف من الدعاة !

وهنالك نجد الصحراء ، وساكني الصحراء على غير ما عرفت الحياة من الصحاري ، وأبناء الصحاري !
ومن ثم كان هذا « المحصول » الموفور من معطيات الخير ، وثمراته ، فيما غرس الداعي من غراس ، وفيما أخرجت الارض من طيبات ، وفيما حصل الناس من خير ، وما بلغوا من كمال .. كل ذلك قد جاء على أتم وأكمل ما قدر للبشرية فيهذه الحياة ، من تمام ، وكمال .
وندع كل أمي .. غير « محمد » ..
وندع كل صحراء ، وكل من يسكن الصحراء .. غير صحراء العرب ، وسكان صحراء العرب ..

ندع هذا كله ، ولا نطيل الوقوف عنده ، ولا نردد النظر اليه .. فانا لن نحصل على شيء ذي بال .. مهما طال وقوفنا ، وكثر ترداد نظرنا .. اذ لاجديد بعد النظرة الاولى في وجه هذا القفر ، الذي يطوى في كيانه كل شيء ، ويضم الداعي ومن دعا !
وليكن وقوفنا كله عند هذا الداعي .. العربي ، الامي .. وعند هؤلاء العرب الأميين .. في هذا الموطن الجديب الذي استوطنوه !
فماذا هناك ؟
هناك .. آيات بينات ، ومعجزات قاهرات ، وأحداث خطيرة مثيرة ، وانقلاب عام شامل .. في ماديات الحياة ومعنوياتها جميعا ..
نبي أمي .. وقوم أميون .. وأرض كالحة مغبرة .. وحياة غليظة جافية ..

ومع هذا .. فانه من كل هذه « الاميات » مجتمعات .. تلد الحياة أكرم وأعظم مواليدها ، وتخرج في الناس أروع وأطيب ثمراتها .. فتتفجر ينابيع العلم والحكمة ، من فم هذا النبي الأمي ، فتقع في قلوب الناس وفي عقولهم موقع الماء الغدق في الارض الموات .. فاذا الناس غير الناس ، واذا الحياة غير الحياة ، واذا أعراب البادية ، ورعاة الابل ، شامة في الناس ، واساتذة في العلم ، وساسة للأمم ، واذا هذا البلد القفر مطلع النور ، ومشرقالهدى ، ومهوى الأفئدة ، وقبلة أنظار العالم ، وموضع اهتمامه .. من عدو وصديق !

وانه لمن غير الطبيعي أن تجتمع هذه « الأميات » كلها في موطن واحد ، وتلتقي على طريق واحد ، ثم يكون منها هذا الفتح المبين ، في ميادين الخير والفلاح كلها .. في العلم ، وفي الخلق ، وفي السياسة ، والاجتماع ، والعمران ، وفي كل ما يسمو بالانسان ويرفع قدره ، ويحفظ عليه وجوده الكريم في الدنيا ويفتح له الطريق السوى القويم الى مرضاة الله ورضوانه .. في الآخرة ! من غير الطبيعي أن يكون لهذه « الأميات » من الخير ، والكمال ، والسمو في اجتماعها مالم يكن لأضدادها من العلم ، والخصب ، والرخاء .. مجتمعة أو متفرقة !

فما كان لداعية غير أمي ، يبلغ ما بلغ في العلم والحكمة .. في أمة متحضرة ، تزخر بالمدارس والجامعات ، وتفيض بالخيرات والثمرات — أن يجيء بالقليل مما جاء به هذا النبي الامي .. من علم وحكمة ، ولا أن تثمر دعوته بعض هذا الثمر الطيب الكريم المبارك الذى اخرجته الجزيرة العربية من بين صخورها ورمالها ، وأنضجته على سمومها ، وزمهرها !

هذا هو واقع الحياة التي يحياها الناس .. فلا يستوى الخصب والجديب ، ولا يتعادل البدو والحضر ، ولا يتوازن القارىء الكاتب ، والامي الذى لا يقرأ ولا يكتب !

ذلك اذا جرت الحياة في طريقها المرسوم ،وجاءت على ما اعتاد الناس أن تجيء .. ولكن حين يصطفى الله — سبحانه وتعالى — من يصطفى من عباده لرسالة تتبدل بها وجوه الحياة ، وتتحول بها أحوال الناس — حينذاك تنتصب لذلكأسباب خفية لانعلمها فتهيىء لهذا المصطفى سبل الخير ، وتفتح له طرق النجاح ، من حيث لاينتظر الناس ، ولايتوقعون !
وقد تحدث كثير من كتاب السيرة النبوية ورواتها عن عجائب كثيرة ، ومشاهد خارقة مثيرة ، صحبت مولد النبي ، يريد أن يجعل منها هؤلاء الكتاب ، واولئك الرواة شواهد قائمة على تأكيد نبوة النبي ، وليقيموا منها دلائل على أنه مؤيد بالمعجزات من قبل أن يأتيه الوحي ، ويدعى لحمل رسالة السماء .

ولو استطاع تفكير هؤلاء ، وأولئك ان يسعفهم بالصورة التي يخرج بها « محمد » عن أن يولد لأبوين كما يولد الناس ، وأن يجوع كما يجوع الناس ، وان يألم كما يألمون ، ويحزن ويفرح كما يحزنون ويفرحون — لو استطاع تفكيرهم أن يقع بهم على تلك الصورة التي يخرج بها النبي عن طبيعة البشر ، وأن يعلو بها على هذه الضرورات وما اليها — لفعلوا هذا ، ولرأينا في السيرة النبوية اضافات كثيرة ، ومقولات متعددة تحدث به ، وتقيم الادلة له!

واذ لم يكن من المستطاع انكار هذا الواقع الذى رآه الناس رأى العين ، وعاشوا فيه ومعــه من أن « محمدا » قد حملت به آمنة بنت وهب ، من ابيه عبد الله بن عبد المطلب ·· وولدته طفلا ·· ثم كان له رضــاعة وفطام ، وكان له صــبا ، وشــباب ، واكتهال ·· وكان له فى كل هذه الادوار : نوم ، ويقظة ، وطعام وشراب ، وصحة ومرض ، ورضى ، وغضب ، وغدو ورواح ، الى أن بلغ الكتاب أجله ، وجاءه رسول السماء ينبئه أنه نبى الله ورسوله ـ نقول : انه اذ لم يكن من المستطاع انكار هذا الواقع الذى عاش فيه « محمد » ، وشهدت به الحياة ووعــاه التاريخ ، فقــد كان من المســتطاع أن يلون كتــاب السيرة المحمدية ورواتها هذا الواقع بالوان وأصباغ مختلفة من تضبيح عواطفهم ، ونطف مشــاعرهم وأن يجلبوا له كل ما يقع لأيديهم ، مما يرضى نفوسهم ، ويثلج صدورهم !

وقد كان للخيال هنــا دوره فى ارضاء المشاعر الدينية واسعافها بالصــور والشــاهد التى تروق وتعجب ، فظهر من أجل ذلك ما ظهر فى السيرة النبوية من عجائب وغرائب ، يقف العقــل ازاءها موقف الحذر والشك ، لما يبدو فى وجوه أكثر هــذه المرويات من صنعة وافتعال ، ومن تزييف وتلفيق ، لا يلبث أن ينكشف عند النظر الباحث المتفحص !

وليس ثمة شك أو مراء فى أن حياة النبى مليئة بالروائع والمعجبات من كل ما هو رائع ومعجب ، مما تحتمله النفس البشرية ، وما تبلغه من كمال وجلال ·· فى الخلق والخُلق ، وفى العقل والروح ، وفى كل ما يكمل به الانسان ويجمل !

ليس ثمة شك فى هذا ، فمحمد هو من الصــفوة المصطفاة من عباد الله ، الذين أعدهم الله لحمل رسالة السماء ، والقيام بتلك السفارة الكريمة بينه وبين عباده ·· ولكن محمدا مع كل هذا ، ومع ما ألبسه الله من أثواب العظمــة ، وما خلع عليــه من حلل الــكمال ، هو الانسان البشر ، الذى لم يخرج عن مسلاخ الانسانية ، ولم يتعد حدود البشرية · !

ولقد حرص القرآن الكريم على أن يؤكد هــذه الحقيقة ، ويمكن لها فى عقول المسلمين وقلوبهم ، فقال تعالى : هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم « الــكتاب والحكمة ·· » وقال سبحانه : « لقد جاءكم رسول من انفسكم ·· »

وبشرية « محمد » وتصــفيتها من الشــوائب ، وتنقيتها من الأكدار التى تعلق بالناس ، وتفسد عليهم فطرتهم ـ هذه البشرية النقية المصفاة هى أمل الانسانية ورجاؤها ، وهى الشهادة القائمة لها فى الملأ الأعلى ، تحدث بما بلغ الانسان من سمو وعظمة، وأن له بهذا أن يطاول عالم الحق والنور ، وان تكن نسبته الى الماء والطين !!

فمحمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى غنى عن تلك الأثواب ، والمرقعات التى تنسجهــا له **عواطف** ساذجة بلهاء ، تنصيدها من هنا وهناك ، وتستجلبها من قريب وبعيد ، وتنظر اليه من خلالها نظرا سقيما معلولا ، يطمس معــالم البشرية ، ويخفى وجوه الانسانية فى هذا الانسان ·· البشر ·· الرسول !

وماذا يراد لمحمد من سمو ، وعظمــة ، وكمال ، وجلال ، غير ما بلغ من سمو وعظمة ، وكمال وجلال؟ وهل وراء مابلغ من ذلك شئ تطمع فيه نفس ، أو يتشوف اليه قلب ؟

اى انسان فى هذا الوجود الانسانى كله يقف الى جانب هذا «الأمى» الذى أحدث هذا الانقلاب العظيم فى قلب الصحراء ، فأخرج من بين أحجارها ورمالها أمة يصفها الله سبحانه وتعالى بقوله :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ·· » ·· انهــا الأمة التى صنعها محمد بيده ، وقام عليهــا يرعاها ويؤدبها بأدب السماء ، الذى تلقاه من ربه ·· آية آية ، وسورة سورة ؟

وماذا يراد لمحمد أن يقدم من دلائل النبــوة وشواهدها غير هذا الكتاب الكريم الخالد ؟

ان هذا الكتاب هو المعجزة المتحدية القاهرة ·· فى شكلها وموضوعها !

فما كان للعرب قبل هذا الكتاب كتاب !

انه أول مخطوط يشــكل كتابا ، تجده الأمة العربية بين يديها !

وممن يجئ هذا الكتاب ؟

من « أمى » ماتلا كتابا ، ولاخط بيمينه سطرا !

والى من هذا الكتاب ؟

الى قوم أميين لايحفلون كثيرا بأمر الكتاب ، ولا يهتمون له !

وكل ماعندهم من موارد المعرفة مختزن فى ذاكرتهم ، جار على ألسنتهم !

فظهور هذا الكتاب - على هذه السعة ، وهذا الامتداد - هو فى ذاته معجزة متحدية ، وظاهرة خارقة لناموس الحياة فى هذا الموطن ، وفى هؤلاء الاميين الجاهليين !

فكيف وهذا الكتاب وما حوى من علم ، وحكمة ، وتشريع ، وأدب ، وأخلاق ، وفلسفة ، وسياسة ، وكل ماينتظم شئون الحياة ، ويقيم موازين العدل والحق ، والخير فيها ؟

فمن شاء أن يشهد معجزة النبى أو معجزاته فهذا هو القرآن الكريم ·· انه هو معجزة النبى··المعجزة التى قامت عليها دعوته ، واستقامت بها حجته ، واتممت اليها رسالته ·

فالقرآن الكريم - من بين الكتب السماوية - ليس كتاب شريعة وحسب ، وانما هو كتاب شريعة ودلائل نبوة ·

وليس كذلك الكتب السماوية الاخرى ، حيث جاءت كتب الانبياء وصحفهم محمولة فى يد ، بينما يحملون فى اليد الأخرى معجزات مادية ، تحدث بصدقهم ، وتشهد لنبوتهم ·

وقد جاءت الرسالة الاسلامية فى أسلوب غير هذا الاسلوب ·· جاءت بكتاب يشرع شريعة كاملة ، تتناول كل مايمس حياة الانسان الروحية ، والعقلية والمادية ، فى جانبيها الدنيوى والأخروى ، ثم كان فى كيان هذا الكتاب الدلائل الناطقة بصدقه ، والشواهد القائمة على أنه من عند الله ، وأن الرسول الذى جاء به هو رسول الله !

ومجىء القرآن الكريم على تلك الصورة الفريدة قد جعل له سلطانا على العقول والقلوب ، بما أودع فيه من صور الاعجاز التى يشهدها كل من يتصل به قارئا أو مستمعا ، ويجدها فى كل آية من آياته ، من غير أن يكون فى زمن نبوة ، أو بين يدى نبى !

ونود أن نلفت النظر هنا الى حقيقة ربما خفيت ، أو خفى بعض وجوهها · وهى ان اعجاز القرآن على تلك الصفة القاهرة لم يخفف من مهمة الرسول الكريم فى اداء رسالته ، وفى تجلية حقيقتها للناس بل ان الرسالة التى تجىء مع تلك الصورة فتحمل اعجازها فى طياتها ، وفى ثنايا حروفها وكلماتها ، هى فى حاجة أشد الحاجة الى مبلغ يتخير لها من بين الصفوة الكرام فى الرسل ، ليستطيع آن يفتح لها القلوب ، ويوجه اليها العقول ، ويهيىء لها مكانا آمنا مستقرا فى الحياة ، لتظل هكذا أبد الدهر ، مصدر اشعاع للمؤمنين ، ومنار هدى للسالكين !

ولو لم يكن من وراء القرآن الكريم تلك الشخصية العظيمة التى حملته الى الناس ، تغاديهم به وتراوحهم نحوا من ثلاث وعشرين سنة ، لظل القرآن - ان يكن قدر له وجود على تلك الصورة - لظل كنزا مخبوءا لا يعرف الناس ما يضم من خير ، وما يحوى من رحمة وهدى ·

ان أنفاس الرسول الكريم لتسرى فى آيات الكتاب الكريم ، آية آية ، وكلمة كلمة ، وان شميم سيرته الطيبة ليفوح كما يفوح الند ، كلما تحركت الشفاه بكلمات الله وآياته !

يدعى المستشرقون ، وكثير من علماء الغرب وفلاسفته أن القرآن من عمل محمد ، وتلك دعوى ان صحت كان محمد الها أو شبه اله بهذا الكتاب الذى تحدى الانس والجن ان يأتوا بمثله ، فى أى زمان واى مكان : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ·

ولكن « **محمدا** » لا يدعى هذه الدعوى لنفسه ولا يدعيها له أحد من أتباعه ·· انما هوعبد من عباد الله ، ورسول من رسل الله · !

انها قضية ، يقول المستشرقون ومن اليهم بقول فيها ، ويقول القرآن ومحمد وأتباع محمد بقول غير هذا القول !

وهذا القرآن بين يدى الناس ، وفى معرض التحدى ·· فان جاءت الايام بكتاب مثله كان ذلك حكما قاطعا على أنه من عمل بشر ·· والا فستظل دعوى محمد وأتباع محمد حاكمة متحكمة ، تخرس الالسنة ، وتجدع الانوف ؟ ·

« **عبد الكريم الخطيب** »

الاحتفال بالمولد النبوى

بقلم : حسن عبد الوهاب

ان الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ، احتفاء بذكرى أعظم مثال يجب أن يحتذيه المسلمون للوصول الى التخلق بأشرف الاخلاق، وأحسن مدرسة يجب أن يتعلموا فيها كيف يكون الصدق فى القول والاخلاص فى العمل ٠

وقد اهتم علماء الاسلام فى مختلف الاقطار بمولده الشريف وسيرته العاطرة ٠ فوضعوا المؤلفات الكثيرة التى تناولت مولده وحياته الشريفة المملوءة بالجد ، والحكمة ، والسياسة ، والصبر ، والثبات ، حتى هزم الشرك ورفع راية الاسلام ٠

لذلك كانت ذكرى مولده عيدا يحتفل به المسلمون فى كل عام ٠ لانها أجمل ذكرى للثبات على الحق ، والجهاد فى سبيل الله « **لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » ٠

ولد صلى الله عليه وسلم فى الثانى عشر من شهر ربيع الاول ، وكان فى فصل الربيع ٠

وللمرحوم محمود باشا الفلكى ، بحث دقيق فى تحقيق يوم مولده صلى الله عليه وسلم ، استخلص منه أنه ولد يوم الاثنين ٩ ربيع الاول الموافق ١٢ ابريل سنة ٥٧١ م ٠

وكان اهل مكة يزورون موضع ولادته فى ميعاد ولادته من كل عام ٠ وفى هذا معنى من معانى التكريم والاهتمام بالآثار ٠

وقد اهتمت الدول الاسلامية بتكريم هذا اليوم واحيائه ، بل واحياء الايام التى قيل انه ولد فيها ، حتى بلغ من عناية بعضها الاحتفال من أول شهر ربيع ، وزاد بعضهم أسبوعا بعد الثانى عشر منه ، حيث كانت توزع الصدقات ، ويتلى القرآن ، واشترك الملوك مع الشعب فى تعظيمه واجلاله ٠

وقد اشاد كثير من المؤرخين ، بعناية الملك المعظم مظفر الدين صاحب مدينة أربل بحفلات المولد الشريف ، حسب مشاهدتهم لها ، فى القرنين السادس والسابع الهجرى ـ الثالث عشر والرابع عشر الميلادى ٠

ولما كان عليه هذا الاحتفال من روعة ، فقد كان سكان البلاد حول اربل ، مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ، ونصيبين ، من فقهاء وصوفية ووعاظ وقراء وشعراء ، يتوافدون عليها ابتداء من المحرم الى أوائل شهر ربيع ٠ وفى هذا الوقت يأمر مظفر الدين باقامة قباب من الخشب لأعيان دولته وأمرائها ، وعلى رأسها قبة له ٠ كما تقام قباب أخرى تخصص لفرق الاغانى ولاعبى خيال الظل وأصحاب الملاهى ٠ فاذا كان أول شهر صفر ، زينوا تلك القباب بأنواع الزينة ، وتشترك البلاد فى الاحتفال بالمولد ٠

وكانت القباب تقام من باب القلعة الى باب الخانقاه المجاور للميدان ، ويخصص الميدان للوعاظ والقراء واستعراض الجيش ، وقبته مشرفة عليه ٠

وكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف أمام كل قبة مستعرضا ما فيها حتى ينتهى به

المطاف الى الخانقاه ، فيبيت فيها مستمعا الى تلاوة القرآن ، وأذكار الصوفية ، والى الحديث الشريف • وعقب صلاة الصبح يخرج الى الصيد ثم يعود الى القلعة قبل الظهر ، وهكذا كل يوم الى ليلة المولد •

وكان يعمله سنة في ثامن الشهر ، وسنة في ثاني عشره ، لأجل الاختلاف الذى فيه • فاذا كان قبل المولد بيومين أمر باخراج عدد كبير من الابل والبقر والغنم في احتفال تتقدمه الموسيقى وتتخلله الاغاني وبقية الملاهى حتى تصل الى الميدان ، ثم يشرعون فى نحرها وارسالها الى المطابخ هنــــاك لطهى أنواع المأكولات •

وفى ليلة المولد وعقب صلاة المغرب فى القلعة يستمع الى تلاوة القرآن وقصة المولد الشريف ، ثم ينزل وبين يديه الشــموع المشتعلة ، ومن بينهـا شمعتان أو أربع من الشـموع الموكبية حتى ينتهي الى الخانقاه • فاذا كان صــبيحة يوم المولد ، أمر بصرف الخلع من القلعة الى صوفية الخــانقاه لكل منهم « بقجة » فيتسلمونها • ثم ينزل الى الخانقاه ويجتمع الأعيـــان ورجال الدولة حول الوعاظ ، ويجلس مظفــر الدين فى برج خشبى أعد له ، به شــبابيك تشرف على الوعــاظ والمجتمعين حولهم وبالكشك شبابيك أخر تشرف على الميدان لاستعراض الجند • وبعد فراغه من الاستعراض يمد سماط عام فى هذا الميدان يباح للجميع ، ويمد سماط آخر فى الخانقاه للخاصــة والقراء والوعاظ والشــعراء ، وتصرف لهم الهبات • فاذا انتهى موســم الاحتفال استعدوا للعودة الى بلادهم مزودين بالنفقة والهبات•

وقد حضر هذا الاحتفال أبو الخطاب بن دحية ، ولمـا رآه من اهتمــــام مظفر الدين به ألف كتاب : « التنوير فى مولد السراج المنير » ، وقد كافأه عليه بألف دينار •

فى تونس :

ومن أعياد تونس المشهورة ليلة المولد الشريف • وأول من عنى بتعظيمها فى البلاد المغربية السلطان أبو عنان المرينى ، ثم اقتدى به بنو أبى حفص فى الديار التونسية • ويعتبر الاحتفال بهذه الليلة من أعظم حفلاتهم ، حيث تقـام فى دار نقيب الاشراف وحولها ، فتوقد القناديل وتضاء الشموع، ويحضرها أجلة العلماء والقراء والفقهاء ويهرع الناس اليها من أطراف البلد ، وتكون عندهم من الليـالى النادرة ، فيستمعون الى المدائح النبوية ، وتـوزع الصدقات والأطعمة الفاخرة احتسابا لله تعالى •

والى القرن الثانى عشر الهجرى كان يحتفل بهذا اليــــوم احتفـــالا عظيمـا بالزاويتين المشهورتين : القشاشية والبكرية ، بحيث تستمر زينتهما خمسة عشر يوما لا تخلو من المدائح والذكر وتلاوة القرآن•

فى تلمسان :

كان السلطان أبو حمو موسى صاحب تلمسان فى القرن الثامن الهجرى ـ الرابع عشر الميلادى يحتفل بليـــلة مولد الرسول صلى الله عليه وســـلم غاية الاحتفال ويوليها عنايته فوق ســائر المواسم حيث كان يدعو الناس على مختلف طبقاتهم الى الاحتفال ، وقد أضيئت الشـــموع وجلس المدعوون على أرائك الحرير تطوف عليهم ولدان قد لبسوا ملابس الحرير الملونة ، وبأيديهم مباخر الند والعطور •

وفى ذلك الوقت يكون المنشد قائمـا يمدح سيد المرسلين ، وفى آخر الليل تمد الموائد فيختلف اليها جميع المدعوين حســب طبقاتهم ، ويظل السلطان موجودا حتى يصلى الصبح •

فى مراكش :

وفى دولة السلطان ابى العبـــاس أحمد المنصور أوليت حفلات المولد عناية كبيرة ، فكان اذا هل شهر ربيع الاول صدرت أوامره بدعوة مشاهير المنشدين من سائر حواضر المغرب ، وفى الوقت نفسه يعهد الى مهرة الشماعين فى عمل الشموع المختلفة فيضعونها على هيئة الزهور والاشجار وغيرها • فاذا كانت ليلة المولد عهد الى الحمالين المحترفين حمل خدور العرائس بحملها • ويجتمع الناس من أطراف المدينة لرؤيتها والاشتراك فى الاحتفـــال ، فاذا ما انتهت الظهيرة يخرجون بهـــا على رءوسهم كالعذارى ، وتتبعهـــا الموسيقات وأصحاب الملاهى حتى يصلوا الى القصر الملكى لتوضع على منصات أعدت لها ، وتحيى الليلة بتلاوة القرآن والاذكار •

فاذا طلع الفجر خرج المنصور فصلى بالناس ، ثم يجلس على أريكة وعليه حلة بيضاء هي شعار الدولة وأمامه الشموع المختلفة الاشكال والالوان مزينة بأشرطة ملونة ، والبخور يعبق ما حوله • ثم يؤذن للناس بالدخول أفواجا حسب طبقاتهم • فاذا استقر بهم الجلوس تقدم الواعظ فسرد جملة من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وذكر مولده وارضاعه ، ثم تتقدم الصوفية بأذكارها ، فاذا فرغوا تقدم الشعراء حسب طبقاتهم فينشد كل منهم قصيدة يستفتحها بالتغزل والنسيب ، فاذا تم يتخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده • فاذا انتهوا من انشادهم مدت الموائد لكبار المدعوين• ثم يؤذن للعامة بالدخول الى موائد حافلة بالاطعمة المختلفة يعبق حولها عبير العنبر والعود والزهور • وبعد فراغ المنشدين من انشادهم يختم المجلس بالدعاء للسلطان • فاذا انقضت أيام المولد الشريف وزعت هبات الشعراء على أقدارهم • وبعد الاحتفال بأسبوع تقام حفلة أبدع من الاولى

في حلب :

وفي حلب تعطل الحكومة يوم ١٢ ربيع ويحتفلون بتلاوة قصة المولد النبوي في الجامع الكبير • ويستمر الناس على تلاوة هذه القصة ليلا ونهارا الى آخر الشهر • ويولمون من أجلها الولائم العظيمة •

في مصر :

أما الحفاوة بالمولد النبوي بمصر فقد فاقت كل حفاوة وامتازت بأنها لها فضل السبق ، وأنها متصلة الحلقات حتى اليوم •

وأول من عنى بالمولد بمصر الخلفاء الفاطميون ، فكانوا اذا استهل شهر ربيع الاول صدرت الاوامر بتوزيع الصدقات ، والى دار الفطرة باعداد أربعين صينية من انواع الحلوى ، وأن يصرف الى المشاهد المنسوبة الى أهل البيت بمصر والقرافة السكر واللوز والعسل والسيرج والخبز

فاذا كان الثاني عشر من شهر ربيع الاول صدرت الاوامر الى الدار المذكورة بعمل عشرين قنطارا من السكر حلوى يابسة بأشكال طريفة تعبأ في ٣٠٠٠ صينية ، كي تفرق على كبار الموظفين والفقراء والخطباء والمدرسين بالجوامع •

وبعد صلاة الظهر يركب القضاة والشهود بأجمعهم الى الجامع الازهر ومعهم من عهد اليهم بتوزيع الصواني ، فيجلسون مقدار قراءة القرآن الشريف ، ثم يستدعى قاضي القضاة ومن معه من كبار الموظفين فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر الساعة عند مدخل بين القصرين فيتوضئون هناك ، ويكون الطريق التي يسلكها الموكب نظيفة ومرشوشة ومفروشة بالرمل الاصفر ، ويقوم بالاشراف على هذا الموكب والى القاهرة ، وحينما يقتربون من منظرة الخليفة يترجلون ويجتمعون تحتها الى أن يشرف عليهم أحد خواصه من نافذة بها ويحييهم نيابة عن الخليفة • ثم يستفتح القراء بالقراءة ، ثم يتقدم خطيب الجامع الحاكمي فيخطب خطبة الى أن يصل الى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيمجده ويعظمه ويشيد بمولده الشريف ، ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة ، ويتبعه خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ، ثم يتبعه خطيب الجامع الاقمر •

فاذا انتهى الخطباء حياهم الخليفة ، وهو بمثابة اذن لهم بالانصراف وانتهاء الاحتفال •

وفي دولة المماليك كان يحتفي بالمولد النبوي في قلعة الجبل حيث كان يجتمع القراء والمدعوون فتقام الولائم والسرادقات ، وتضاء الانوار ، حتى أنه صرف على المولد عام ٧٩٢ هـ ١٣٨٣ م في دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف مثقال من الذهب ، ما بين خلع ونفقات أكل وهبات واجور منشدين وغيرهم •

وكان الاحتفال به في سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م بالغا حد الروعة • فقد احتفل به السلطان الغوري وأمر باقامة الخيمة الكبيرة بالحوش السلطاني ، وكانت من روائع الصناعة ، حيث عملت على هيئة قاعة بها ثلاثة ايوانات، في وسطها قبة على أربعة أعمدة وهي من قماش ملون • وكذلك تملأ أحواض الجلد بالشربات وتزين الجدران بالاواني الصيني والطاسات النحاسية ، وتقام الزينات على المطابخ السلطانية •

فاذا نصبت الخيمة الكبيرة جلس فيها السلطان، وبحضرته كبار الامراء والقضاة الاربعة والمباشرون الوعاظ . وبعد قراءة القرآن وانشاد المنشدين وقراءة المولد النبوى ، يختلف المدعوون الى موائد فاخرة حوت الشهى من مختلف الأطعمة . كما تمد موائد أخرى لعامة الشعب . وكان سراة القاهرة وتجارها يحتفلون بهذا اليوم بقراءة القرآن واقامة الولائم وتلاوة المولد النبوى وتوزيع الصدقات واقامة معالم الزينة .

العصر العثمانى . والى ما بعد القرن التاسع عشر :

وفى العصر العثمانى كانت تقام حفلات المولد حول بركة الازبكية ، وفى الفضاء الممتد الى قصر النيل ، وكان محوره بيت الشيخ البكرى شيخ مشايخ الصوفية .

وفى هذا العصر أيضا لم يكن الاحتفال مقصورا على صفته الرسمية ، بل يشمل القطر بأجمعه . فتقام الحفلات وتولم الولائم ، ويتبارى لاعبو خيال الظل والبهلوانية والموسيقيون فى اقامة سرادقات لهم . وتقام الحفلات فى الدور وتوزع الصدقات ، ويعنى باعة الحلوى بعمل التماثيل والدمى من الحلوى ، وهى عادة لازمت مصر منذ العصر الفاطمى وما زالت موجودة . هذا عدا اضاءة الشوارع والدور فى تلك الليلة بشكل يدخل البهجة والسرور على سكان القطر .

وكانت العادة انه منذ العشر الاواخر من صفر تقام بمنزل السادة البكرية مآدب فاخرة يدعى اليها كافة مشايخ الطرق والاضرحة والتكايا والموظفين والاعيان .

وكان أصحاب الطرق يفدون الى دار البكرى بالبيارق والطبول رافعين أصواتهم بالذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يعلن الشيخ لكل طريقة الليلة التى تخصها من ليالى المولد الشريف لاحيائها ، وتفتتح ليالى الاحتفال بالمنزل المذكور بعدد من القراء يبلغون المائتين ، ويتلى أيضا المولد النبوى الشريف وحزب البكرى ، ولا تزال تحيى لياليه تلاوة وذكرا ودلائل ، بحيث تحضر اليه كل ليلة طريقة من الطرق ، والدار مضاءة بالشموع ومعهم المشاعل رافعين أصواتهم بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله ، ويستقبل الشيخ البكرى شيخ كل طائفة فيستقبل بتلاوة الفاتحة ، وتخلع عليه فرجية من الصوف ، ثم يعين له الموقع الذى يضرب خيامه فيه ، وهكذا غيره بحيث تكون الخيام على شكل دائرة .

وابتداء من ليلة الرابع من شهر ربيع الاول يبدأ السيد البكرى استقباله لمن لم يحضر من الطوائف بساحة المولد ، فتمر كل ليلة أصحاب طريقة من الطرق التى لم تحضر بالمنزل من قبل حتى تنتهى الى سرادق السيد البكرى فيستقبلهم ويخلع على شيخهم فرجية من الصوف ما عدا شيخى الرفاعية والسعدية فان فرجيتيهما من جوخ .

وفى ليلة ١٢ منه يقرأ المولد النبوى فى سرادق السيد البكرى بحضور كبار الموظفين والعلماء .

وبعد أن نظمت منطقة الازبكية ، وردمت بركة الازبكية ، فى القرن التاسع عشر واقيمت حولها الدور ودار الاوبرا ، انتقل الاحتفال بالمولد الى العباسية ، ومن وقتها الى الآن أخذ صفة رسمية حيث تعطل جميع وزارات الحكومة ومصالحها ومدارسها احتفاء بهذا اليوم وأخيرا نقل الاحتفال الى الدراسة . وتعنى جميع طوائف الصوفية باقامة سرادقات حول سرادق مشيختهم ، كما تقوم وزارات الحكومة باقامة سرادقات لها .

وقد استنت وزارة الثقافة والارشاد سنة حسنة باقامة سرادق تعرض فيه مطبوعاتها بأثمان مخفضة تابعها فيها أصحاب المكتبات فكونوا سوقا للعلم .

وكافحت وزارة الاوقاف ما يقام حول سرادقات المولد من مخالفات للدين باذاعة الوعظ والارشاد . وتحيى الليلة الكبيرة بتلاوة القرآن وقصة المولد وتوزع الصدقات بحضور نائب السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة فيستمع الى قصة المولد النبوى ، ثم يستعرض طوائف الصوفية مهللين مكبرين داعين للسيد الرئيس جمال عبد الناصر بدوام التوفيق .

« حسن عبد الوهاب »

أمام قبر الرسول بيثرب

للشاعر الباكستاني نظامات جونج

ترجمة : عبد الواحد الاسباني

أيتها الروح العظيمة الصافية الصادقة
يا من قدر لك ان تحمل امانته
التي ابتليت باقسى المحن فازدادت
ايمانا وازدادت حقا .

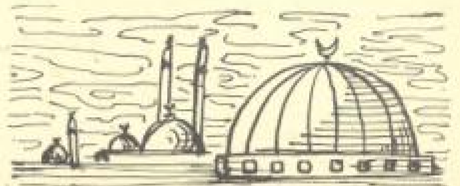
حين أنحني هنا في صلاة صامته
أشعر بك تحومين بالقرب من هنا
« لا تدعي قلب المخطيء المذنب يقنط »
فالملائكة تسبح الآن في علاها

* * *

بالفضل وحده من عنده تعالى
ستفرج السماء
الهموم عن قلب الآثم
اوه ! ولكن ...
لا تدعي هذا يخدع قلبي
فطالما ناديتنا ان نعرف
كم هو عبث أن يبقى المنافق على نفاقه
حين يحركه بعض الخوف
وكم هي هباء كل كلمات الندم
يقولها تائب مراء

* * *

الدعاء الذي يتصاعد من أعماقك
على أجنحة الشوق الروحي
استطاع أن يخترق مسام الأرض ومسام السماء
ليجعل الله الى جوارك
وخلال صلوات الليل الصامتة
كان صوته في اذنيك .
أنت التي تقودين البشرية في حكمة وصواب
من الظلام الموحش الى النور الوضاء



نبي الله :
قدماك على الأرض ورأسك في السماء
ومن اجلك
تركت الموطن والدار
والمال والولد
وجئت متجردا
أسعى الى المأوى الأفضل
حيث حكم الاسلام
من سهول يثرب العظيمة
امبراطورية شامخة تظللها
كلمة التوحيد
وراية العدل والسلام ...

* * *

نعم .. ووسط متاعب الحياة
وأهوالها وهمومها
ومن خلال الكفاح الصابر
امتلأت نفسك
بالمحبة والسلام .
وفي سكينة وخشوع
وقفت آمنة حيث كان وهج
النور اللامنظور يلف العرش
تراه ولا أحد غيرك يراه .
لست سوى انسان
ولكن لك وحدك
كان هذا المجد .

مخلوق أنت ! ولكنك ولدت لتحمل
ثقل الأرضين والسماوات .
نبى أنت ! ولكنك أعطيت قوة السلطان
نبى وصاحب دولة
دعوتها لا تعرف الحدود
وهى فوق الجنس والجاه
نور يشرق من السماء
ليضىء مسالك الحياة ودروبها
امام السائرين والعابرين
دعوة هى الهدى وهى اليقين

***

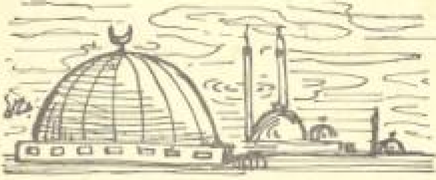
وفى خضوع صادق عند قدميك
حين ركعت كل الجزيرة العربية
وحين جاء الزعماء والمبعوثون يحيون
يوم الاشراق الجديد للاسلام
راوا مجدك وعظمتك
ليس فيهما أبهة الملوك وخيلاؤهم
فكان العجب ! وكانت نظرات الدهشة
وكان الايمان من الصادقين
مع أنفسهم .
والحقد من التعساء
المغرورين الضائعين
فى متاهات الزيف والضلال .

***

رأوك فى ثوب بسيط قديم
رجلا متسربلا بعظمة الله
تجلس فى تواضع غير مصطنع
تدحر كل جحافل الظلام
من دانى الأرض وقاصيها .
وبالنور الذى أفاضه الله عليك
تبدو فى تألقك وسط ليل الضلالة
وكأنك النجمة الوحيدة المتلمعة .

***

احس وجود الله فى هذا القبر
احس جلاله يتراءى لروحى
فى كل هذه الشعاعات المتلألئة
الشعاعات التى تتفجر من السماء .
وهذه الأقواس ذات الأبهة المزخرفة

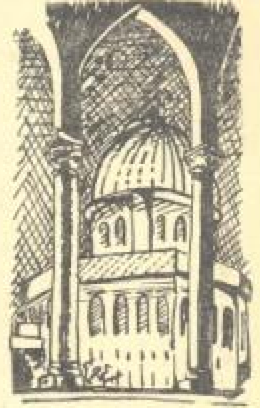


لا تستطيع قط أن تحجب عنى
جلال الايمان البسيط
فبساطته هى سر عظمته

***

رسول الله ! فى خشية المؤمن المتجرد
اقف بجسدى المسكين
ذاهلا مستغرقا
استمد منك الطاقة
التى تبعث فى أعماقى على الدوام
قوة الحركة الخيرة .
اجعلنى قادرا
انا المولود الجديد
على أن ألقى عن كاهلى
كل رواسب الذنوب
اجعل مستقبلى أكثر اشراقا من ماضى
املأ نفسى بالايمان الصادق
لأرى الله بعينى روحى
فى الأرض وفى السماء
وفى كل مكان اتطلع اليه
دع هذه الرؤى تتحول
فى أعماقى الى نور .
دع بهجة الايمان
تهز أوتار الفرحة فى كل كيانى
لأسمع تراتيل النصر
بعد معركة الصراع الأبدى
بين الخير والشر

« عبد الواحد الامبابى »



المولد النبوى

فى شعر المهجر

بقلم : علي الجمبلاطي

انه لمن طوالع اليمن وبشائر الخير أن يقترن عيد ثورتنا العربية المجيد بأجل ذكرى وأكرم عيد هى ذكرى عيد المولد النبوى الكريم ميلاد نبينا عليه السلام الذى أنقذ بثورته التحريرية الكبرى البشرية من ضلالاتها وهداها الى مراشدها فصنع تاريخا مضيئا بأسمى المثل وأعظم التعاليم وسجل للانسانية حضارة هى أخلد الحضارات .

واذا كان لنا أن نستبشر بهذه اللقيا السعيدة بين العيدين فلأننا نؤمن بأن الثورة المحمدية الخالدة كانت المشعل الهادى للثورة الناصرية المفداة من تعاليمها المثل اتخذت ثورتنا مبادئها وقيمها العالية فكتب الله لها النصر وأيدها بروح منه .

ومنذ أربع سنوات كوامل وفد الى الجمهورية العربية المتحدة اخوان لنا ليحتفلوا بعيد الثورة التاسع معنا . هؤلاء الاخوة الأعزة يعيشون فيما وراء البحار تقتسم واياهم تراثا واحدا وننتمى الى ماض واحد وتجمعنا مقومات الحاضر المشترك . هم وفود المهجريين من أعضاء الجالية الاسلامية واتحاد الأندية السورية اللبنانية فى الولايات المتحدة وكندا وكان اللقاء بيننا لحظة مقدسة من لحظات التاريخ فتحت فيها القاهرة ذراعيها لهم واحتضنتهم فى حنان لافرق بين مسلم ومسيحى فاننا جميعا نملك عروبتنا التى تهزم الاعداء وتحقق الآمال .

ولقد رأى هؤلاء الاخوة الأحباء فى جمهوريتنا الفتية ما يملأ نفوسهم عزة وفخارا . رأوا مجتمعا جديدا يستكمل ملامحه الاساسية ليكون مبعث العزة والكرامة لكل فرد فيه ، ورأوا أمة جديدة تتحرك لتعيد كتابة التاريخ ، ولتكون قوتها دعامة للعرب جميعا وللأحرار فى كل مكان ، لتكون لنضالهم قاعدة ولتكون لسلامتهم حصنا ، ولتكون قوتها قلعة تحمى السلام العالمى .

ولم يكن هذا اللقاء الوثيق العرى فى ميدان العروبة بين المغتربين المسلمين والمسيحيين جديدا عليهم فقد أدت الجمعيات والأندية فى المهاجر مهمتها الاصلاحية بجمع شتات المغتربين على اختلاف عقائدهم وحماية مصالحهم وتوخت بذلك أن تحول بينهم وبين ذوبانهم فى البيئة الغربية فراحت تقيم الحفلات الشعبية فى مناسبة كل حادث سياسى يقع فى الوطن الأم أو مناسبة كل حادث اجتماعى يقع فى الجالية . ومن هذه الحفلات انطلقت الصرخات المدوية باستنكار الحكم العثمانى ومهدت للثورة على المستعمرين ، ومنها نشأ الوعى بمدى النكبة فى فلسطين والاهتمام بالوحدة العربية والتنادى للاسهام فى معركة الثأر ومعركة الدفاع عن الاستقلال وفيها بددت الفكرة القومية رواسب التعصب الذميم وساد شعار (الدين لله والوطن للجميع) وودعوا فيما ودعوه فى أوطانهم ذلك التعصب الدينى الذى كان يبدو عنيفا فى مواطنهم الاولى لانهم آمنوا بأن بلادهم لم يصبها الضعف والتخاذل وانحلال القوى وتفرق الكلمة الا بذلك التعصب الطائفى فهم يؤمنون بالله ويدعون الى الايمان به ولكنهم لا يرونه بعيون المعتقدات المذهبية

التى نشأوا عليها فى طفولتهم والتى كانت تحذر الكاثوليكى من أن يشترى زيتا من أخيه الارثوذكسى كما يقول (ميخائيل نعيمه)

وقد اتخذوا من الحرية الدينية وسيلة لتوحيد قلوب الامة وعدم استخدام الدين فى التفريق بين ابناء الوطن الواحد والامة الواحدة وهذا هو (أمين الريحانى) يخطب فى احدى الحفلات المدرسية فيقول للطلاب (كلنا ندين بدين التوحيد كلنا نوحد الله ولا نرجع فى النهاية الى سواه نحن أبنـاء الاديان التوحيدية وما موسى وعيسى ومحمد غير رسل الله الاله الواحد رسل التوحيد فاذا كان الهنا واحدا ولساننا واحدا وبلادنا فى سهولها وجبالها وصحاريها واحدة ومصائبنا السياسية كلها واحدة أفلا ينبغى ان يكون الوطن كذلك واحدا فردا لاتقسيم فيه ولا تجزئة ؟)

وهذه النظرة السمحة الواسعة الى الدين مع كراهية التعصب والتنفير منه قد لفت شعراء المهجر فى أرحب أثوابها فسمعنا (محبوب الشرتونى) يقول :

كل شعب فشا التعصب فيه
هان والموت من وراء هوانه

ثم نراه يمجد نبينا عليه صلوات الله فيقول :

ومحمد بطل البرية كلها
هو للأعارب أجمعين امام

اما الشاعر (رشيد أيوب) فقد خلص من التعصب واتسعت نظرته الدينية فقال :

أصلى لموسى وأعبد عيسى
وأتلو السلام على أحمد

ويقول فى التمدح بالنبى عليه السلام :

فمن يا ترى أعلى الورى (كمحمد)
وأرفعهم مجدا وأسمى مناقبا

وهذا هو الشاعر سليم بشير الخورى (الشاعر القروى) وهو لا يدين الا بالعروبة . وكل ما يبعث على رفعتها ووحدتها ومجدها فهو عيده . والرسول عليه الصلاة والسلام هو باعث هذه الامة الاول وموحدها بدينه ودعوته ولذا يقول فى (عيد الفطر) :

أكرم هذا العيد تكريم شاعر
يتيه بآيات النبى المعظم

هبونى عيدا يجعل العرب أمة
وسيروا بجثمانى على دين برهم

أما الشاعر (الياس فرحات) فهو يمجد دين الاسلام ويكن له كل محبة واحترام بقدر ما يكره التعصب المذهبى فيقول فى مستهل قصيدة طويلة :

سلام على الاسلام أيام مجده
طويل عريض يغمر الارض والسما
نما فنمت فى ظله خير أمة
أعدت لنصر الحق سيفا ومرقما

وأخيرا نرى المسيحى والمسلم من شعراء المهاجر يشتركان معا فى تكريم (ذكرى مولد الرسول عليه السلام) كلهم يمجدونه فى شعرهم ونثرهم وتراهم جميعا يؤمنون بأن الدين لا يفرق بينهم ما داموا اخوانا فى العروبة وبأن الرسول مفخرة الامة العربية التى نشأوا فيها والتى يجمعهم لواؤها تحت ظلاله فهذا هو الشاعر (نصر سمعان) يشترك فى حفل اقيم بمناسبة عيد المولد النبوى فى البرازيل فيستهل تحيته لهذه الذكرى المجيدة بقوله فى خطبة تخللتها مقاطع من الشعر :

كوكب رحب الوجود به يوم
تجلى على الوجود شعاعه
كلما مرت العصور وغارت
فى مهاوى الزمان زاد ارتفاعه
شدد الله أننا فى سبيل الحـ
ـق والمجد كلنا أتباعه

كما أوحت اليه تلك الذكرى الخالدة هذه الابيات التى يشكو فيها الى الرسول الكريم تقاعس أمته فى حاضرها فيقول :

بزغت فحيث الجوزاء مهدك
وأعليت فوق مجد الشمس مجدك
وكل فم له الفصحى لسان
يردد بعد حمد الله حمدك
وكم خلت الممالك من ذويها
وأنت ملأت قلب الدهر وحدك
نبى قريش ان قريش ولت
وولت أشرف النزعات بعدك
فلا عمر تراه ولا على
يقود الى مراقى العز جندك

وغاية ما ترى أشتات شعب
تردى فـــوق برد الحيف بردك
أعيذك أن تكون رســـول قوم
أضاعوا ما وقفت عليه جهـــدك

والقى **(الشاعر القروى)** خطابا نفيسا فى ذكرى المولد النبوى بالبرازيل استهله بهذه الابيات :

صـــلى الاله على النبى
ويوم مولده الـكريم
يوم نراجع فيه سيرة
البطـــل العـــظيم
يوم نقابل فيه ماضينا
بحـــاضرنا الأليم
فنهب من حجـــر القبـور
الى مقاصير النـــجوم
ونعيد فى العهد الجـــديد
جلائل العهد القـديم

ثم يختتم خطابه هذا بالأبيات التالية :

عيد البرية عيد المولد النبـــوى
فى المشرقين له والمغـــربين دوى
عيد النبى ابن عبد الله من طلعت
شمس الهـداية من قرآنه العلوى
بدا من القفر نـورا للورى وهدى
يا للتمدن عـم الـــكون من بدوى
يا قـــوم هذا مـــسيحى يذكركم
لا ينهض الشرق الا حبنا الأخوى
فـــان ذكرتم رســـول الله تكرمة
فبلغوه سلام (الشاعر القروى)

وهنا نستمع من الشاعر **(رياض المعلوف)** وهو يشارك اخوانه المسلمين فى الاحتفـــال بعيد المولد النبوى-هذه الابيـــات من قصيدة رائعـــة عنوانها (وحد الله) :

وحد الله فالمـؤذن وحد
وبذكر النبى فى العيـد أنشد
يا رســـول الأنام أنت وعيسى
خير من يصطفى ويرجى ويقصد
وكفى العرب فخرهم بانتساب
لنبى هو النبى (محمد)

أما الشاعر **(الياس فرحات)** الذى قدمنا له ماقاله فى تمجيد الاسلام وما يكنه له من اجلال فقد قال فى ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام :

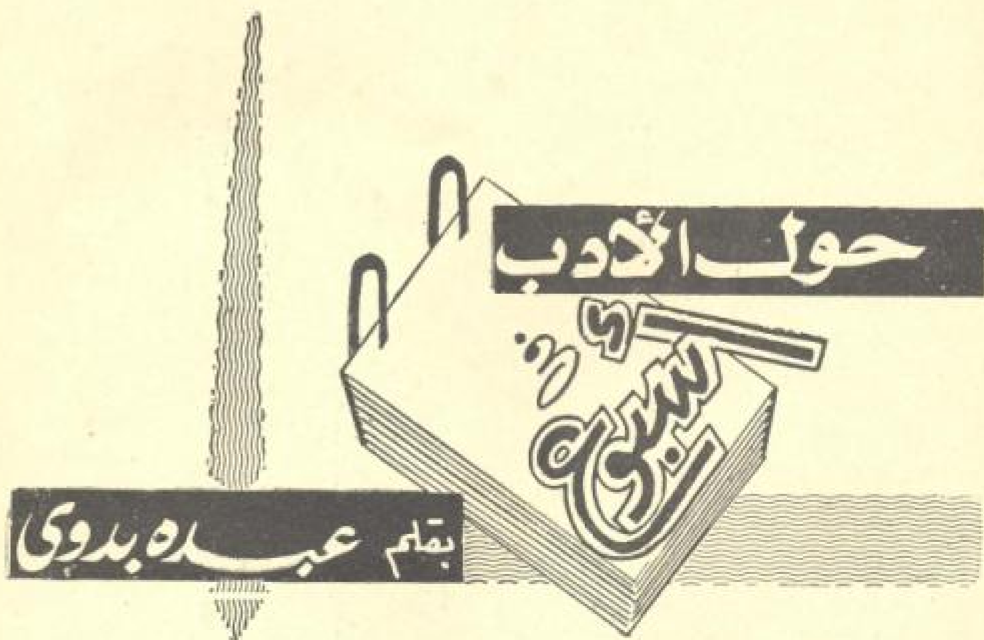
غمر الارض بأنوار النبوة
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى اصـــبحت
ترقب الدنيا ومن فيهـــا دنوه
بينما الكون ظـلام دامس
فتـحت فى مكة للنـــور كوه
وطمى الاســـلام بـحرا زاخرا
باوازى المعـــالى والفتوه
من رأى الأعراب فى وثبتهـم
عرف البـحر ولم يجهل طموه

وهذا هو الشاعر (حسنى غراب) يقول فى مطلع قصيدة فذة القاها فى ذكرى المولد الشريف بالنادى الحمصى فى « سان باولو » :

شعلة الحق لم تزل (يا محمد)
منذ أضرمت نارها تتوقد
غمر الارض نورهـــا فاذا رمــ
ــت دليلا فعد الى الارض واشهد
جئت والنـــاس فى ضـــلال وغى
ومن الهـــدى فى يديـــك مهند
ودوت ضـــجة فسل فخروا
خشية الحـــق راكعين وسجد
فاذا الارض غـــير ما كنت تلقى
واذا النـــاس غير ما كنت تعهد

وبعد فهذا بعض ما اتسع له المجـــال من شعر اخواننا المغتربين المسيحيين الذين شاركوا به اخوانهم المسلمين فى تكريم نبينـــا عليه الصلاة والسلام فى ذكرى (مولده الشريف) وكم من حفلة دينية اسلامية فى المهـــاجر كان خطباؤها وشعراؤها من المسيحيين كالقروى وفرحات ورياض المعلوف وشكر الله الجر وجورج صيدح والشرتونى وغـــيرهم ممن نشروا فى مهاجرهم معـــانى التسامح والتسامى بالدين وكان ايمانهم عميقا قبـــل كل شىء بالوحدة العربية لانهم يوقنون انها بالنسبة لنا جميعا هى النتيجة الطبيعية لكياننا التاريخى القومى ٠

« **على الجمبلاطى** »



رسالة صغيرة

سيدى يا رسول الله

من الحقائق المقررة أنك غيرت مجرى التاريخ فى العالم ، وأنه فى كل مكان قريب أو ناء يوجد من يتكلم باسمك فى أخفى دقائق الحياة المعاصرة ، ومن يسمعك بعيدا من مئذنة أو قريبا من قلب .. وأنك نفضت الرمال نفضة كبيرة عن الصحراء ، وعن الانسان الذى كان يعيش فى الصحراء ، وأن العالم القديم الممثل فى كتلتى الشرق والغرب فى هذه الفترة (الفرس والروم) قد أنصت اليك .فأحسن الاصغاء ، وأنك قد استوعبت هذا العالم لا استيعاب الفاتحين الفوضويين ، ولا الثائرين الدمويين ، ولكن استيعاب الانسان الذى يفتح عينيه لكل خيوط النور التى تسجت من قبل ، واستيعاب النبى الذى يبارك الحياة ويقدسها ويحترمها ويجعلها أكبر من أن تكون شهوة بطن ، أو رغبة سيف !

ولا يشك انسان منصف ــ حتى الأعداء ــ أنك كنت وراء النهضة الاوربية فى مجالات المعرفة والسلوك حتى فى الوقت الذى كانوا يلهبون فيه ظهور مدنك ووجه قراك بالسياط والنظرات المجنونة وأنك ضممت الكثير من آسيا وافريقية الى صدرك ثم ربت عليهما بالحنان ، والحب ورسالة السماء ، وأنك بلا أسلحة ولا مبشرين ولا غزو ما زلت ــ الى الآن ــ تدخل على الانسان فى الغابة والسهل والجبل ، ثم تخرج بهم جميعا الى سلوك جديد وايمان خصب

بالحياة .. بل انك لا تسقط حاجزا بين الانســان وجدار عمره الذى لا يتعدى فى المتوسط ثلاثين أو أربعين عاما ، وانما تفتح له من وراء ذلك عالما روحيا رحبا يكاد يحسه المسلم باصبعه ، بل لقد عبروا عن هذا فى الماضى ــ وهم يسعون اليه ــ بأنهم يشمون ريح الجنة .. والا فما أهون تلك الحيــاة القصيرة المتصارعة اللزجة ســـواء أقامت على طبقة تصرع طبقة ، أو افراد يصرعون الجميع ، أو حتى قامت على التصالح الانسانى المثمر كما قررت أنت فى دينك .. ولكنك ممن يؤكدون بوجود جنتين احداهما فى الدنيا وثانيتهما فى الآخرة !

ومن المؤكد .. انك ارتفعت بمستوى الانسان الى الحد الذى جعلته ينعم بالحرية ، أو يســير فى الطريق اليها بحيث تنعدم تماما العبودية ويصبح الناس ــ بتعبير عصرى جدا ــ كأسنان المشط ، ثم انك لا ترد الاشياء الى العبث أو تجعل غايتهـــا العبث ، فانك تحرض على المسئولية ، وعلى أن يجعل كل انسان لوجوده معنى حقيقيا ، لامعنى زائفا ذلك لأن عليه ان يضىء ــ حتى الاحتراق ــ ليرى الأشياء فى ضوء توهجـــه الذاتى ، ومعنى هذا أن يرفض العادات اليابسة والذكريات الشاحبة ،والخوف من استعمال الحرية ، فهو مطالب دائما بان يتحركـمن خلالكــويجاوز وضعه ، فالانسانالمسلم فى «جهاد» دائم مع نفسه ومع الحياة ، ثم ان هذه الحرية تبلغ مداها حين تقرر من أول الأمر رفع وصاية الانسان على الانســان من أجل اللون أو الجنس أو الغنى أو الانتماء الى الطبقة ، وبالاضافة الى هذا فان نظرية الحكم تعتمد على الشورى وتقوم على صحة الاختيار وتتغير بتغير مصالح الناس ، ومن يخطىء يقوم على الفور ، بل ان بعض الخلفاء يرى أن الواجب فى هذه الحال هو القتل للاحساس بأن الخيانة هنا خيــانة للدولة على كافة المستويات .

***

ثم انك ــ **يا رسول الله** ــ لم تأت بما يخالفالفطرة فى الانسان ، فلا رهبانية ، ولا تزمت ، ولا عنصرية، ولا الدفع الى عمــل يقهر الانســـان الى الحد الذى يتحول به الى آلة ، أو التحول الى فراغ يزيد فى ترهل الانسان ويحوله الى كيس من البلاهة ، فهناك الأمر باخذ الزينة ، وهناك الترويح عن النفس ساعة فساعة ، وهناك جعل كل ما هـــو طيب حلالا .. وهناك العمل الواعى الذكى لا الى آخر قطرة من عمر الانسان ، ولكن حتى بعد أن ينتهى الأمل فى جنى الثمار ، فقد طلبت من الانسان الذى قامت عليه القيامة بالفعل، وفى يده أحد الغراس أن يسارع الى أخصاب الأرض بها ، ولقد كرمت الانســـان فوسعت دائرة حركته ،ولم تأخذ عليه كافة اتجاهاته، أو تسقط حوله اســـلاكا شائكة ــ الا فى المناطق الحرام ــ حين قلت « أنتم اعرف بأمور دنياكم » وليس لهذا من معنى الا أن عندك القدرة على التجول فى روح كل عصر ، وأنك دائما مع الانسان فى حركته النشطة على هذه الارض ، وانك كنت دائما تواجه الحياة ولا تهرب منها .

لقد نجحت ــ يا صديق البشرية ــ فى تشكيل الانسان الذى يستطيع أن يتفوق على نفسه ، فيعرف انه ميت لا محالة ومع هذا يهديك دمه من على طرف سيف أو بندقية أو قذيفة ، بل يستطيع أن يسقط السيف أو الأمر بين الانسان ومصدره والانســان ونفسه ، فمن عديد من الصور تجد صورة الانسان الذى ليس عنده أحب اليه من أبيه ، ومع هذا يعرض عليك قتله فتأبى عليه ذلك وأنت تعلم خطره على دعوتك ، ومن عديد من الصور تقرأ عن هؤلاء الذين كانوا يسمعون بتحريم الشىء فينتزعونه انتزاعا بوعى ــ مع أنه الخمر ــ من افواههم ، بل ان هناك من يعمل على أن يقىء ما أكل من حرام ، حتى ولو ذهب هذا القىء بنفسه .

***

وعلى كل فهذه الصحة فى الافراد تقابلها صــحة فى المجتمع ، فالمجتمع كله يتحرك من أجل اقامة « الفردوس الحقيقى » على الأرض بالحب لا بالدم ، وبالحق لا بالباطل ، ثم ان هذا الفردوس لا يقتصر على المسلم فقط ، ولكن يتعداه الى كل من يعيش فى الأمة الاسلامية ، فالعاجز والمريض والطفل والشيخ من الأديان الأخرى لهم كفالة اجتماعية على الانسان المسلم ، **وفى هذا المجتمع** ــ اذا اســـتثنينا أحيانا المجتمع المدنى ــ عاش النــاس بالســـلام وبالحب وبالتكافل ، وفى هـــذا المجتمع كبر الناس عن كل شىء صغير ، حتى عن الصدقة ــ وكما يقول يحيى ابن سعيد ــ بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات

افريقية ، فاقتضيتها ، فطلبت فقراء تعطيها لهم فلم تجد فقيرا ، ولم نجد من يأخذ منا ، فقد أغنى عمر ابن عبد العزيز الناس ، بل ان بعض المناطق التى قسمت الآن الى دول كان يعبر عنها بتعبير جميل هو أنها تستظل بظل واحد من الشجر ، ومعنى هذا انه لم تكن هناك فجوة غير مغروسة بالشجر .

وفى هذا المجتمع يغدو الانسان قريبا من المواطن العالمى ، فلم يكن له وطن صغير وراية ملونة، وحدود محروسة بفوهات المدافع ، وجوازات السفر ، والرقابة المحكمة ، وانما كان هناك هذا المفهوم الجديد الذى يقول ان الاسلام هو الوطن والذى يمكن لكل انسان أن يتحرك فيه بالاقتصاد والعلم ، ولقد كان هذا العالم كبيرا اذا قيس بالعالم الحديث اليوم الذى وان قيل « انه قريتنا » الا أنه – حتى بين الكتلة السياسية الواحدة – بالشك ، والخوف ، والعملة ، واحكام الرقابة قد أصبح عالما حديدى الوجه ، صفيق الروح ، لزج المعاملة .



ثم حدث أن طوردت كافى ما تكون المطاردة ، ولقد استعملت فى هذه المطاردة كافة الأسلحة المشروعة وغير المشروعة ، فقد فرغت منك أسبانيا بطريقة لا مثيل لها فى التاريخ ، ثم كان أن حوصر عالمك بالأساطيل والغدر ، ثم امتد الحصار الى الحد الذى حولت بعض مساجدك الى كنائس ، والى الحد الذى ربطت فيه الخيول بالأزهر ، والى الحد الذى اسكتت فيه بالقهر كل مقاومة ، ولعل المفارقة هنا أن الهندوكية فى الهند ، والبوذية فى الصين ، والوثنية فى افريقية لم تقابل بمثل هذه الضراوة ، بل لقد قامت الدعوة الى المحافظة عليها وعدم التعرض لها .



ثم بعد أن سقطت كافة الاوراق الخضراء من على شجرتك حدثتهم نفسهم – وعلى حد تعبير بعضهم – بأن يقوم بعملية قطع الشجرة أصحاب الشجرة نفسها ، وبذلت الابتسامات والوعود ، فاذا مئات من الفئوس تنهال على جذع الشجرة باسم الاقتصاد والجنس وحرية البحث ، وترديد ما قيل فى الكراهية، واهدار كل ماله جذور قديمة .. وتوهم المتطوعون من أصحاب الشجرة – ولم يكونوا ينظرون فى حماسهم – أن الشجرة تتداعى ، وتتصدع ، وتميل، وغلبتهم أعينهم فنظروا اليها نظرة أخيرة بدافع الحنان قبل أن يتكاتفوا على الضربة الأخيرة والحاسمة، ولكنهم فوجئوا بأنها قائمة وصلبة وتهش فى وجوههم بل فوجئوا كذلك بأنها قد كسيت بالأوراق الخضراء !

ووضع البعض الفاس خجلا ، واكل الحقد قلب البعض – ممن لا يمتون اليها بنسب كبير – فظل يضرب وما زال يضرب ، ولكن الشجرة تخضر وتثمر وتغطى باصوات طيورها على أصوات الذين لا يزالون يواصلون الضرب بالفاس وبالحقد !

ومعنى هذا أن ما جئت به – **يا حبيب الانسان** – لم يكن تراثا ، او وعيا مرحليا ، أو فلسفة ، او ايديولوجية ، او وجهة نظر ينسخ الجديد فيها القديم ، ولكنه كان وما يزال « عقيدة » تزهر النفس وتخصب الحياة ، وانه لا بد لها أن تبلغ مداها الذى رسم لها !

وقد يأتى هنا سؤال يقول اذا كانت – **رسالتك** – عرفت كيف تتحرك والسيف يغوص فى القلب ، والبندقية تتوغل فى الدار ، والمدفع يهز المدينة ، والطائرة والأسطول يحيلان الحياة جحيما أفليس من الطبيعى أن تتحرك الآن ولم يبق شىء من هذا ؟ صحيح أن هذا العصر هو عصر الايديولوجيات التى تتصارع ، ولكن الذى لا شك فيه أن رجالك – **أو رجال يوم الجمعة كما سموا** – قد فرغوا من كثير من المحتويات الاسلامية ، وأنهم يحاولون أن يلقوا عبء هذا النوع من الحرب الفكرية على رجال الدين – وليس فى الاسلام نظام رجال الدين – بعد أن فتتوا من الداخل ومن الخارج ببطء ، وأصبحوا لا يملكون الآن الكثير من هذه الأسلحة فى هذه العزلة التى يعيشون فيها الآن .



وقد يقال ان الدين عزل عن المجتمع فى معسكر الغرب ، وانتهى دوره فى معسكر الشرق ، والجواب أن ما جئت به يختلف تماما عن كل ما جاء قبلك – ولن يجىء بعدك – فما جئت به هو حركة تنظيمية

نشطة للحياة ، لا تقف الا فى حدود ضيقة عن حد الآخرة ، فهى تنتظم الوجود البشرى ، وتدخل فى نسيجه خيطا خيطا فى ابسط الأمور وأكبرها ، دون أن تضطر الى تقصير قامة الانسان والحد من قدراته الخيرة ، ودون أن تشده عن المرح والحب والاستمتاع الذكى بالحياة .



صحيح أن كل ما جئت به - يا حبيب الله الى عباده - أصبح من الاهمال والتزهيد فيه شبه غريب على الناس ، فكل شىء وقعت عليه نقطة شك وحقد ما ، مما جعل كثيرا من الناس ينصرفون بجزء كبير من أنفسهم - وبخاصة فى المدينة - عن النبع ، ويفضلون أن يصبحوا عورا عن أن يعطوا عينهم الثانية لك .. ولكن هناك أمل واحد فى العودة المثرية اليك وهو رغبة الانسان العربى فى أن يعيش ظروفه وحياته وتاريخه . وهو حين يحن الى هذا لن يجد ما يريد الا بين عينيك ، ومن هنا يأخذه الحماس والصبوة الى أن يفتح عينيه على ما فى داخله (فأنت فى داخله) وعلى ما حوله (فأنت فيما حوله) فاذا تحقق له هذا وتمكن من التجول فى بساتينك ، وعرف أنها لا تخص رجال الدين وانما تخصه هو بنفس الدرجة .. استطاع أن يقول كلمة جديدة للحياة . واستطاع الا يكون لبلابا على شجرتى الشرق والغرب ، وانما شجرة فكر يمكن أن تمسح بانسانيتها وقيمها ووعيها لا رأسه فقط ولكن رأس كل انسان فى العالم !



ان أحدا لا يشك فى أن الاستعمار الغربى قد فرغ المنطقة العربية الاسلامية من محتواها الفكرى بصورة لم تتكرر فى المناطق الأخرى التى لا تدين بالاسلام ، وأنه كان وراء الماركسية فى بعض الأحيان حتى لا يوجد ثقب يمكن أن يتسرب منه وعى اسلامى عربى فى المنطقة ، ثم ان من السهل جدا أن نجثو على اقدامنا ثم نطالب بأن نكسو احاسيسنا بما عند الشرق أو الغرب ، ولكنك بذرت فينا من قديم عنصر المقاومة ، وعلمتنا أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، ثم نحن نحس أننا كالمنجم ، وأن الماس الذى فى داخله من وميض نورك ، ولكننا نحس بالكسل ونرضى بخفق الجواهر الزائفة ، ونقول لقد وضعنا الشارات على صدورنا ، ولسنا فى حاجة الى شارات جديدة ما دمنا قد تصدرنا الفكر بهذه الشارات ، ثم ان المنقبين المعممين عليهم اولا أن يرفعوا تراب الاهمال عن قلب المنجم ثم علينا بعد ذلك أن ندخله وراءهم اذا لمع فى أيديهم شىء .

ولكن ما تريد أن تقوله ان شيئا من الصحو للمنطقة وللعالم لن يتم الا اذا أحس الجميع - حتى الذين تحدد الآن فكرهم - أنهم لا بد أن يكونوا أنفسهم ، ولا بد أن يبعدوا أيديهم عن كتفى الشرق والغرب ، ولا بد أن يقولوا كلمة جديدة فى الحياة من خلال الماس المطمور فى المنجم ، ولا بد أن يواجهوا بك كافة تحديات القرن العشرين لأنه لا مناص من هذه المواجهة ، وأخيرا فلا بد أن تكون الواجهة الحديثة لحركة الحياة بما تملك من الحركة، والمرونة ، والايمان المطلق بالانسان ومع أنى أعرف الكثيرين ممن يشككون فيما انتهيت اليه ، ولكنى لم اقل ما أقول الا لأنى أحس أنك - يا رسول الله - تحرضنى على ما أقول ، وأنى أحس بأننا قد أصبحنا عالة على العالم ، وأن شيئا مما نريده لن يتم الا بالمطالبة بعودتك الى كل قرية ومدينة بل بعودتك الى العالم .. فحاجة العالم الآن اليك - فى ظل هذا الصراع والتوتر - لن تقل عن حاجتنا الى نور وجهك، وصدق رسالتك ، وعمق انسانيتك !

... وتقبل منى خفق قلبى ونور عينى .

« عبده بدوى »





من إخوان الصفا ...
.. إلى أينشتين

للدكتور عبد الحليم منتصر

– ٤ –

نشأت جماعة اخوان الصفاء، فى القرن الرابع الهجرى بالبصرة، وكان لهـا فرع فى بغداد، وقد اشتهر أمر هذه الجماعة، وذاع أمرها، حتى يمكن اعتبارها، أقدم جمعية علمية عربية بالمعنى المعروف، وقد تبادل أعضاء هذه الجماعة الرسائل، التى عرفت باسم رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء، واشتهروا بالآراء العلمية الحرة، واتخذوا لأنفسهم مذهبا، زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضـوان الله، وقالوا انه متى انتظمت الفلسفة الاجتماعية اليونانية، والشريعة العربية الاسلامية، فقد حصل الكمال، ومن رأى المستشرق « دى بور » ان الحكمة اليونانية، قد استوطنت الشرق، عن طريق اخوان الصفاء

وقد قسم جماعة اخوان الصفاء انفسهم الى أربع مراتب وهى :

الأولى : من الشبان حتى الخامسة عشرة، وهى مرتبة ذوى الصنائع

الثانية : ممن اتموا الثلاثين، وتسمى مرتبة الرؤساء

الثالثة : ممن أتموا الاربعين، وتسمى مرتبة الملوك

الرابعة : ممن أتموا الخمسين، وهى المرتبة العليـا

ولم يحل اضطراب الأمور السياسية فى عهـدهم دون تقدم الفكر العلمى الاسلامى، فمن حسن حظهم أن الأمـراء كانوا يتنافسـون فى تقريب العـلماء والاغداق عليهم، وكان قد تم نقل العلوم الاغريقية، وشرع المفكرون فى التصنيف بدلا من النقل، وكان من مبادىء أعضاء هـذه الجماعة الا يعادوا علما من العلوم، أو يهجروا كتابا من الكتب، والا يتعصبوا لمذهب من المذاهب وأن يجمعوا العـلوم جميعهـا، وينظروا فى الموجودات بأسرها، وكانت اجتماعاتهم خاصة، لا يحضرها سوى الأعضاء، الا أنهم أذاعوا رسائلهم ونشروها بين الناس .

وتبلغ رسائل اخوان الصفاء، اثنتين وخمسـين رسالة ورسالة – على حد تعبيرهم – مقسومة على اربعة اقسام :

الأول : رياضة تعليمية .

الثانى : جسمانية طبيعية .

الثالث : نفسية عقلية .

الرابع : ناموسية الهية .

وتليها الرسالة الجامعة لما فى هذه الرسائل كلها المشتملة على حقائقها .

وذكروا أن مصادر علومهم كتب مختلفة، تنتظم فى أربع مجموعات :

الأول : كتب الحكماء من الرياضيات والطبيعيات .

الثانية : الكتب المنزلة من توراة وانجيل وقرآن .

الثالثة : الكتب الطبيعية التى تحوى صور الموجودات من أفلاك وبروج وكواكب .

الرابعة : كتب الكائنات من نبات وحيوان ومعادن .

ويتضمن القسم الاول من رسائلهم الرياضيات، لما للعدد من مقام فى فلسفتهم، ولعلهم تاثروا فى ذلك بالفيثاغوريين .

وللعدد أربعة – شرف الصدارة عندهم وذلك :

لأن الطبائع أربع ، وهي الحرارة والجفاف والبرودة والرطوبة ٠

والعناصر أربعة :وهي الماء والهواء والتراب والنار ٠

والأمزجة أربعة : وهي الصفراوى والسوداوى والدموى والبلغمى ٠

والفصول أربعة : وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء ٠

والجهات أربع : وهي الشمال والجنوب والشرق والغرب ٠

والرياح أربع : وهي الصبا والدبور والشمال والجنوب ٠

والمكونات أربعة : وهي المعادن والنبات والحيوان والانسان ٠

وكذلك نشأت الجماعة في القرن الرابع ، وقسم أعضاؤها أنفسهم الى أربع مراتب ، وقسموا رسائلهم الى أربعة أقسام ، ومراجع علومهم أربعة أنواع من الكتب ، وآمنوا بنظرية العناصر الأربعة التي ابتدعها الاغريق ، ثم نظروا في الطبائع ، والأمزجة والفصول والجهات والرياح والمكونات فاذا بالرقم ٤ يدل عليها جميعا ، ولهذا جعلوا له شرف الصدارة عندهم ٠

على أن الرقم « ٤ » قد حظى بتقدير خاص في العصر الحديث كذلك ، فقد كانت الابعاد التي نعرفها حتى عهد قريب ثلاثة ، وهي الطول والعرض والارتفاع ، حتى خرج علينا اينشتين في مطالع هذا القرن بالنظرية النسبية المشهورة ، وببعده الرابع ، وهو الزمن ٠

فقال : ان أبعاد أي جسم لا تتحدد تحديدا دقيقا الا به ، بل ان الابعاد الثلاثة الأخرى تتأثر بالبعد الرابع وهو الزمن تأثيرا قد يكون كبيرا أو صغيرا حسب الظروف ٠ وتبدو أهمية البعد الرابع ، بنوع خاص ، في حركة الافلاك ، ودوران الكواكب ، ومسارات الأجرام السماوية بالنسبة لبعضها البعض، وكذلك في حركات الصواريخ وقذائف الفضاء وسفن الفضاء ، والأقمار الصناعية ، ومساراتها ومداراتها ، حيث يلعب الزمن ــ وهو البعد الرابع ــ دورا كبيرا في تحركاتها ، وعلى ذلك غدت الأبعاد أربعة كذلك وهي :

الاول ــ الطول

الثاني ــ العرض

الثالث ــ الارتفاع

الرابع ــ الزمن

وقد ظهرت أخيرا دلالة جديدة للرقم « ٤ » ، وهي مانسميه بالقوة الرابعة ، فقد كانت القوى المعروفة حتى عهد قريب جدا ، انما هي ثلاث ، وهي الجاذبية، التي تكلم عنها العلماء العرب مثل الادريسي ، والخازن وغيرهما ، بل منهم من ربط بين الجاذبية والسرعة والمسافة والثقل ، ثم وضح نيوتن هذه العلاقة بقوانينه المشهورة ، ولكن بعد العلماء العرب ببضعة قرون ، اما القوة الثانية ، فهي الكهرومغناطيسية ، التي عرفها العلم في العصر الاخير ، ثم كانت القوة الثالثة : وهي القوة النووية ، ذلك المارد الجبار الذى فك من عقاله فعلا في سنة ١٩٤٥ ، باكتشاف القنبلة الذرية ، وكان في القائها على هيروشيما ونجازاكي في اليابان فصل الخطاب ، ووضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فور القائها ٠ ومنذ ذلك التاريخ (اغسطس سنة ١٩٤٥ تكشف صور عديدة للقوى النووية كل يوم ، وعرفت القنبلة الايدروجينية والقنبلة الكوبلتية، والصواريخ ذات الرءوس الذرية وغيرها ٠

وها هم العلماء ، يستكشفون أخيرا جدا ما أطلقوا عليه اسم « القوة الرابعة » وهي « النيوترينو » ، انه شبح جسيم جديد اكتشف مؤخرا في الذرة ، وعرف مساره ، وقدر له من القوة مايمكن أن يقرن الى القوى الثلاث الأخرى ولعله متمم لها، وان كان العلماء مايزالون من أمره في حيرة ، ينتظرون ما يأتي به البحث العلمي في شأن هذه القوة من جديد ٠

وعلى ذلك غدت القوى هي الأخرى أربعا وهي :

الأولى : الجاذبية ٠

الثانية : الكهرومغناطيسية ٠

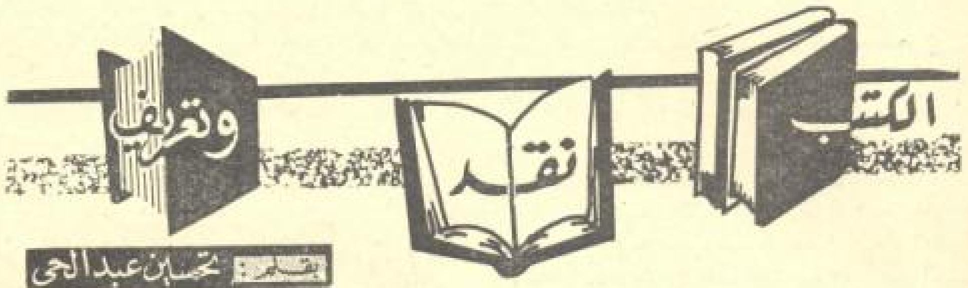
الثالثة : النووية ٠

الرابعة : النيوترينو ٠

وكذلك نرى كيف حظى الرقم « ٤ » بتقدير العلماء منذ أرسطو المعلم الأول للانسان الذى قال : ان العناصر أربعة الى اخوان الصفا ثم الى اينشتين ، فابطال القوة النووية ، وأخيرا الى مكتشفى النيوترينو

وما زال العلم يأتينا كل يوم بجديد ، ومن يعش ير ٠٠

« د ٠ عبد الحليم منتصر »



الرسول القائد

« تأليف : محمود شيت خطاب »

يحتفل المسلمون بعد أيام ، بذكرى مولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ففي مثل هذه الأيام ، ولد رسول الله كنقطة نور مضيئة في التاريخ الانساني ثم انبعثت بعد ذلك أشعة الشروق الروحاني من طفولته صلى الله عليه وسلم لتسرى في رفق ويسر الى صباه ، ثم الى شبابه ثم الى اكتمال النبوة في اكتمال رجولته ، وكان الله سبحانه وتعالى وهو يضع علمه وحكمته حيث يشاء يصنع بجليل صنعه وفائق قدرته هذا الوعاء الانساني العظيم الخالد المتفرد بالسمو الانساني لكي يكون متماثلا ومتكاملا مع الرسالة العظمى التي أكمل بها دينه وأتم نعمته للخلق . ولذلك جاءت مشيئة الله بمحمد — وفي محمد — بكل جارحة وكل نقطة دم تتماثل مع دين الله . وتتكافأ مع ما أمر الله به وما نهى عنه . وتتفاعل مع الارادة الالهية فيما أراده من جمال وخير وحب وتعاون وصلاح واستقامة لعباده في كل زمان ومكان .

كان النبي محمد الانسان المثالي لكل ما أمر الله به وما نهى عنه . لم يخرج عن الاطار الجميل الذي رسمه مبدع الخليقة والكائنات قيد شعرة . فلم يقل أنه من قريش تفاخرا ولا ابن عبد المطلب اعتزازا ، ثم لم يقل بعد ذلك أنه خير الخلق وأنه رسول الله ونبيه ومختاره ومصطفاه تعاليا وتعاظما . وانما ردد ماقاله الله عنه « **انما أنا بشر مثلكم** »

وروى مسلم في صحيحه : « انما أنا بشر مثلكم، اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من أمر دنياكم فانما أنا بشر »

ودعا نبينا العظيم ربه وهو في أوج مجده : **أن** يعيش مسكينا ويموت مسكينا ويحشر يوم القيامة في زمرة المساكين ..

ولقد عاش الرسول حياته الحافلة مناضلا من أجل دينه وتبليغ رسالة ربه .. فاوذي وهاجر وحارب وحكم بين الناس ولم يطلب لنفسه مجدا دنيويا زائلا .. ولكنه أرسى بيديه قواعد صلبة لمجتمع عربي اسلامي متحرر ، وحضارة عربية اسلامية مزدهرة خدمت بنزاهة وشرف قضية التقدم الانساني طيلة أربعة عشر قرنا من الزمان . عندما لم يلغ الاسلام في انتشاره السلمي ماصنعه التاريخ من قبله ، بل طوره الى مستقبل أكثر غنى وأكثر خصوبة وأكثر تقدما .

فالامم التي أدركها الاسلام وقد اكتمل وجودها القومي ، كان الاسلام بالنسبة اليها اضافة أغنت تركيبها الداخلي وأمدتها بامكانيات جديدة لمزيد من التطور ولكنه لم يلغ قوميتها ، فظلت أمما مسلمة ، لها وجودها القومي ، ولها دولتها الواحدة ، وان كانت تلك الدولة مشتركة بينها وبين مجتمعات أخرى . أما المجتمعات التي أدركها الاسلام وهي في طور التكوين القومي ولم تصبح أمما بعد فقد أكمل الاسلام تكوينها أمة ، لم يكن الاسلام بالنسبة اليها عقيدة فحسب ، ولا اضافة الى مقدرتها على التطور فقط ، بل كان قبل كل هذا عنصرا من عناصر تكوينها القومي . كان جزءا من وجودها ذاته ، تحققت لها بالاسلام وحدة الارض ، ثم أخذت عنه لغتها الواحدة ، وصنعت في ظله تاريخها الواحد — في اتجاه المثل الأعلى الذي حدده لها ، فأصبحت بهذا كله أمة عربية واحدة .

ولا نريد هنا أن نسترسل في شرح الاسس الحضارية والملامح القومية المتميزة التى احتواها المجتمع الاسلامى ولكننا نريد أن نبرز دور نبينا العظيم في تأسيس هذا المجتمع وهذه الحضارة العربية الاسلامية • ونود هنا أن نؤكد على نقطتين هامتين :

أولاهما : ان القول : بأن غاية القتال في الاسلام هى نشر الدعوة هراء لا يستند الى الواقع ولكن غاية القتال هى حماية حرية الدعوة • وشتان بين الغايتين • ولم يقاتل الرسول عدوا الا مضطرا لقتاله ، وكل غزواته كانت لرد اعتداء او لاحباط نية اعتداء ، وفى عهد الرسول انتشر الاسلام انتشارا عظيما بعد صلح الحديبية وقت السلم، ومن التاريخ المعاصر نجد أن الاسلام قد ضاعف نفسه أكثر من عشرين مرة فى داخل افريقيا فى الثلاثينات • بلا حرب وبلا أية قوة مادية تسانده •

ان السلام فى الاسلام هو القاعدة الثابتة ، والحرب هى الاستثناء • ولكن الاسلام يدعو للسلام لا للاستسلام •

وثانيتهما : ادعاء المتعصبين للاسلام بأن انتصار الرسول كان بالخوارق والمعجزات ادعاء خاطىء لا يقل خطورة عن غمز المتعصبين على الاسلام ، ولا يدل الا على جهل بروح الاسلام الصحيح ، تلك الروح العلمية الواقعية التى ترتكز على الحق الواضح والعقل السليم ، لا على الخيالات والأوهام •

اما انتصار الرسول فى كل معركة خاضها فيرجع للاسباب التالية :

قيادة عبقرية هى قيادة محمد ، وجنود ممتازون هم المسلمون الأولون وحرب عادلة هى حرب المسلمين لأعدائهم ، وأخيرا تردى الحالة العسكرية لأعداء المسلمين من العرب والروم والفرس •

وكتاب اليوم «الرسول القائد» يعتبر ردا وافيا على الملاحظتين السابقتين حيث يدرس المعارك والغزوات التى قادها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ من الناحية العلمية والعسكرية والقيادية مبينا دور الرسول القائد فى الاعداد للقتال «المساهمة الايجابية فيه ثم سياسة الرسول العسكرية التى كانت تبتكر قبل أن تقلد وتفكر فى أسوأ الاحتمالات قبل أحسن الظروف •

يقول المؤلف :

لقد برزت شجاعة الرسول الشخصية فى كل معاركه التى خاضها ، وفى كل أعماله العسكرية وغير العسكرية على حد سواء ، ففى قراره قبول معركة بدر الكبرى ، وهى أول معركة حاسمة خاضها المسلمون رغم قلتهم العددية ، مع اعتبار أى فشل للمسلمين فى هذه المعركة قد يقضى على مستقبل الاسلام ، وصموده تجاه عشرة آلاف من الاحزاب فى غزوة الخندق شجاعة نادرة أيضا خاصة بعد نكث اليهود لعهودهم • فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة ومن داخلها • ونزل فى غزوة بدر الكبرى ليباشر القتال بنفسه ، وفى « احد » كافح مع جماعة من أصحابه للخروج من الطوق الذى أحاطهم به المشركون ، فاستطاع أن يخلص المسلمين من فناء أكيد ، ولم يكتف بذلك بل قام بمطاردة قريش الى موضع «حمراء الاسد» •

ولو لم يصمد الرسول مع عشرة فقط من أصحابه يوم حنين لاستطاعت هوزان وثقيف أن تبيد المسلمين •

وعرف الرسول نفسيات واستعدادات أصحابه ، لأنه كان يعيش بينهم كفرد مزايا الجميع ، وكلف كل السراء والضراء • عرف مزايا الجميع ، وكلف كل واحد منهم بواجب يتفق مع قابليته البدنية والعقلية ، ولذلك استطاع أكثر أصحابه انجاز مهامهم بكفاءة واتقان • لقد كان الرسول يعرف أن بين أصحابه شجعانا وأبطالا فكلفهم بواجبات تحتاج الى الشجاعة كأبى دجانة ، وكان يعرف أن بين أصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان بن ثابت ، فتركه مع النساء يوم أحد والخندق واستفاد من شعره البليغ للدعاية ، وكان يعرف أن من بينهم صاحب الرأى والمشورة ، ومن يستطيع قيادة غيره ، ومن لا يستطيع ان يكون أكثر من جندى بسيط ، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع انجازه •

وكانت للرسول قابلية بدنية فائقة ، ولذلك كان يلجأ اليه أصحابه عند حفر الخندق كلما استعصت عليهم صخرة فيسرع اليها لتحطيمها ، حيث تتفتت تحت وطأة مطرقته التى يهوى بها ساعده القوى •

يضاف الى ذلك أنه حفر بيديه وحمل الاحجار والاتربة على عاتقه قال البراء بن عازب : « كان رسول الله ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه » •

وشارك الرسول أصحابه في حراساتهم وفي استطلاعاتهم وفي مسيراتهم الطويلة الشاقة في كافة فصول السنة ، وأظهر في ذلك تحملا وجلدا يعجز عنه أقوى أصحابه • ففي مسير الاقتراب الى بدر ، قسم الابل المتيسرة وعددها سبعون بعيرا بين أصحابه ، وكان من نصيبه مع علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي بعير يعتقبونه ، تماما كما يفعل أي فرد من أفراد قواته •

وقال شريكا الرسول في البعير : نحن نمشي عنك ، قال الرسول :

« ما انتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما »

وشارك الرسول أصحابه في طعامهم وشرابهم ولباسهم ، بل آثرهم بالنفيس منها واستأثر دونهم بالخشن • حمل الحجارة والتراب والجريد واللبن كأي فرد من المسلمين عند بناء المسجد في المدينة •

وكان الرسول يستشير أصحابه في كل المواقف التي لها أثر على مصالح المسلمين عسكرية كانت أو غير عسكرية • استشارهم في كل غزواته عدا غزوة الحديبية ، وأخذ بآرائهم حتى ولو كانت تخالف رأيه كما حدث فعلا في غزوة أحد ، فقد كان يرى البقاء في المدينة ، بينما رأى أكثرية أصحابه الخروج • أما أسباب عدم استشارتهم في غزوة الحديبية ، فلأنه كان يصر على نياته السلمية التي تؤمن له الاستقرار الضروري لانتشار الاسلام ، وكان لبعد نظره المدهش يعرف أن نتائج الصلح ستكون خيرا شاملا للدعوة ، بينما كان أصحابه يريدون النصر العاجل قبل أوانه •

وطبق الرسول أساليب جديدة في القتال ، فطبق أسلوب القتال بالصفوف في بدر ، فتغلب بهذا الاسلوب على قوات قريش التي بلغت ثلاثة أمثال قوته لأنهم قاتلوا بأسلوب الكر والفر • وحفر الخندق في غزوة الاحزاب ، ولم تكن العرب تعرف هذا الاسلوب ، وطبق أسلوب قتال المدن والاحراش في غزوة بني النضير وبني قريظة وخيبر ، ومن المدهش حقا أن يطبق الرسول نفس الاسلوب الذي يطبق في الحرب الحديثة في مثل هذا القتال •

واستخدم الرسول المنجنيقات والدبابات الخشبية في غزوة حصار الطائف ، وكان استعمال هذين السلاحين نادرا عند العرب حينذاك •

وانتخب مقرا له في غزوة بدر ، مراعيا شروط انتخاب المقر وأمن حراسته كما يجري في الحرب الحديثة

وقسم الاعمال وأمن السيطرة على انجازها ، كما حدث في حفر الخندق وقام بالهجوم فجرا ، ذلك الهجوم الذي يحتاج الى كفاءة وتدريب ممتازين كما حدث في غزوة بني المصطلق • وابتكر أسلوب الرسائل المكتومة ، على حين يفاخر الالمان في العصر الحاضر بانهم أول من ابتكروا هذا الاسلوب •

لقد كانت المدينة هي القاعدة الأمينة للمسلمين ولكنها كانت تعج بالاعداء والجواسيس مثل اليهود والمنافقين وعيون قريش من الاعراب وعيون الروم من الانباط • ولكن الرسول حرص على كتمان نياته حرصا شديدا ، فكان اذا أراد غزوة ورى بغيرها فينقل هؤلاء الجواسيس تلك المعلومات الخاطئة نقلا يؤدي الى بلبلة أفكار أعداء المسلمين • وكان يباغت أعداءه بذلك مثلما حدث في غزوة بني لحيان • فقد تحرك الرسول بقواته شمالا في اتجاه الشام حتى لاتعرف قريش وبنو لحيان اتجاه حركته الحقيقي ، فلما انتشرت أخبار حركة المسلمين الى الشمال عاد الرسول بقواته فجأة في اتجاه بني لحيان وبذلك باغتهم في المكان ، وفي غزوة خيبر تحرك الرسول الى « الرجيع » قريبا من ديار غطفان بعد أن أرسل مفرزة صغيرة من قواته الى معسكر غطفان ، عاد بقواته الرئيسية الى خيبر ، وبهذه الحركة أوهم غطفان بأنه يريدهم وأوهم يهود خيبر بأنه لا يريدهم ، فباغت الطرفين ومنع تعاونهما في قتال المسلمين • ومن أمثلة المباغتة في الزمان غزوة بني قريظة ، اذ تحرك الرسول اليهم في وقت لا يتوقعونه ، فشل معنوياتهم واحتفظ بالمبادأة حتى نهاية المعركة •

وحرص الرسول أشد الحرص على الا يكشف نياته لأحد عندما اعتزم الحركة الى مكة وكان سبيله الى ذلك الكتمان الشديد ، فلم يبح بنياته لأقرب أصحابه الى نفسه «أبي بكر» ولا الى أحب نسائه اليه «عائشة بنت أبي بكر» ، ولم تستطع قريش ان تحصل على أي نوع من المعلومات في أي وقت كان قبل حركة الرسول وأثناءها حتى وصل الى ضواحي مكة • ومن ثم فاجأ أعداءه بعشرة آلاف مقاتل أمرهم ان يوقدوا النار جميعا حتى يرى المشركون مبلغ قوتهم وكثرة عددهم ، وأمر الرسول

بحبس أبي سفيان في مدخل جبل مكة حتى تمر به جنـــود المسلمين ، فيحدث قومه عما رآه عن بينة ويقين ، ولكي لا يكون اسراعه في العودة الى قريش قبل أن تتحطم معنوياته تماما سببا لاحتمال وقوع أية مقـــاومة من قريش مهما يكن نوعهـا ودرجة خطورتهـــا . وفعلا اقتنع ابو سفيان بعد ان رأى قوات المسلمين كلها، أن قريشا لاقبل لها بالمقاومة.

وقد أدخل الرسول في حسابه أسوأ الاحتمالات أيضا ، عند تنظيم خطته لدخول مكة ، فطوقها من جهاتها الاربع بقوات مكتفية ذاتيا ولديها القدرة على العمل مستقلة عن القـوات الاخرى عند الحاجة ، وبذلك تستطيع القضاء على أية مقاومة في أية جهة من مكة ، في الوقت الذى يضمن فيه توزيع قوات المشركين على جبهات متعددة ومن ثم تكون ضعيفة في كل جبهة .

وعندما أعلن الرسول صلوات الله وسلامه عليه بحسن تدبيره وثاقب بصـــيرته : من دخل دار أبى سفيان او أغلق عليه بابه أو التجا الى البيت الحرام فهو آمن ـ كان يعنى بذلك منع تجمع الناس في مكان واحد للمقاومة .

لقد كان الرســول صلى الله عليه وسلم يعرف دائما مايريد ويعرف كذلك أين ومتى ينفذ مايريد . فقد قاد بنفسه ثمانيـــا وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينة ـ فقد خرج الى غزوة «ودان»

وهى أول غزوة قادها الرسول بنفسه في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وكانت غزة تبوك آخر غزواته في رجب من السنة الثامنة للهجرة .

وقـــد انتصر في كل غزواته ـ بل كان مجرد وجوده على رأس المسلمين سببا مباشرا لانتصارهم على أعدائهم . ان الذى يدرس غزوات بدر وأحد والخندق وحنين ويقـدر موقف المسلمين والمشركين العسكرى يستطيع أن يجد بوضوح الاثر الشخصى الفعال لقيادة محمد للمسلمين ، ذلك الاثر الشخصي الحاسم الذى ضمن النصر الأكيد للمسلمين والذى لولاه لتبدل وجه التاريخ الاسلامي عما هو معروف به الآن .

ولعلنا ونحن نحتفل بذكرى مولده صلوات الله وسلامه عليه أن نتخذ من سيرته البطولية مايساعدنا على أن نرى طريقنـــا بوضوح . واذا كان العالم العربى والاسلامي يعاني الآن في معظم أجزائه من عدم توافر القائد الموجه والزعيم المناضل فان في رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة لكل من يريد أن يقتدى به .

« تحسين عبد الحى »

تعريفات

أبعاد غائمة

تاليف : محمد أحمد العزب

الناشر : المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الكتاب الأول ـ ١٨ ـ

يحتوى الديوان على عشرين قصيدة تتفاوت بين القصر والطول. كتبها الشاعر على فترات متفاوتة وجمعها في هذا الديوان .

وضمن هذه القصائد العشرين اربع قصائد فازت في مسابقات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وهى :

١ ـ بلا صدى ١٩٦٠

٢ ـ باقة اليانصيب ١٩٦١

٣ ـ خواطر عانس ١٩٦٢

٤ ـ مذكرات نشال سرق شاعرا ١٩٦٣

وتعتبر القصائد الاخرى في مستوى القصائد الفائزة ان لم تكن تفوقها شكلا ومضمونا ـ ومن هذه القصائد :

اغنية لعينيها ، رحلة صـــياد ، رســالة الى فنان مجهـــول . مشردون ، غريب على الطريق ، ذكريات لاجىء ، ام وشهيد ، مات يوما ..

ويقع الديوان في ١٢٤ صفحة من القطع الصغير .

العرب في صقلية
وأثرهم في نشر الثقافة الاسلامية

تاليف : يوسف حسن نوفل

الناشر : المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

يحتوى الكتاب على دراسة لتاريخ العرب الحضارى في جزيرة صقلية ، والدور الانسانى الخالد الذى حملته حضارة الاســلام الى هذه الجزيرة طوال عدة قرون ، حيث حطمت فيها الجهـــل والجمود ، وبددت سجف الظلمة وعروش الاستبداد .

ويقع الكتاب في ٩٣ صفحة من القطع المتوسط .

نماذج من النساء

تاليف : محمد زكى عبد القادر

الناشر : دار المعارف

الكتاب كما يقول المؤلف : نماذج من النساء ، رســـمتها من الواقع ، فيها سمات من تضحية تبلغ احيانا حد القداسة ، وفيها قلق يبلغ احيانا حد الانحدار ، ولكنها جميعا تصـــور نماذج من المرأة تسعى بيننا ونصادفها في كثير من الاحيان .

ويقع الكتاب في ١٤٢ صفحة من القطع الصغيرة في سلســلة اقرأ .



قراءات في المجلات العربية

يقدمها محمد العوانى

فى ميلاد الرسول الأعظم

فى مطلع الاسبوع المقبل يحتفل المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها بذكرى مولد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، ففى مثل هذا الشهر منذ اربعة عشر قرنا ولد النبى الكريم فى عالم يموج فى بحار من الفوضى والاضطراب ، فكان العرب فى نزاع دائم وحروب مستعرة تتنازعهم دولتا الفرس والروم ، والجزيرة كلها سابحة فى ظلمات الأوهام ، عاكفة على عبادة اللات والعزى ومناة ، فلم يكن بد أن يجىء محمد صلوات الله عليه وسلم ، فيرفع أعلام الهداية ويفجر ينابيع الشريعة السمحة فى تلك القلوب التى كانت أشد صلابة من الصخر ويصير سكان صحراء الجزيرة قادة الأمم .

وليس هناك أدنى شك فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى أرسله ربه لينقذ الانسانية من هذا البلاء ، ويهديها الى طريق الحق ، ويرد اليها الامن والطمأنينة ، ويقيم العدل على أسس الانصاف والمساواة والاخاء « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

حرم صلى الله عليه وسلم من عطف الاب فقد مات والده وهو لايزال جنينا مستكنا فى بطن أمه ، ثم ماتت أمه وهو لما يبلغ السادسة من عمره ، وقد تولى الله تأديبه وتهذيبه ليضطلع بالامانة ويحمل الرسالة ويتم على يديه ما أراد الله لهذه الانسانية أن تصل اليه من الكمال .

ولقد كان من أهم العوامل التى جمعت القلوب حول دعوته ، ورغبت فى الالتفاف حول رايته ، والايمان بما يدعو اليه ما تحلى به من الاخلاق الكريمة التى دعا اليها واتصف بها ، فقد قالت عائشة عنه « كان خلقه القرآن » وحتى ان بعض المشركين حين سمع بأخلاقه قال « لو لم يكن هذا دينا لكان فى أخلاق الناس حسنا » . فهو صلوات الله وسلامه عليه لم يكن فظا غليظ القلب بل كان لينا متواضعا ، يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويعطى من حرمه .

ان الفكر ليزدحم بشتى الصور كلما اهل هلال ربيع الاول ، وتنهض الاقلام تدبج المقالات بمايناسب جلال هذه الذكرى وعظمتها ، وتولى كثير من المجلات الاسلامية هذه المناسبة اهتماما خاصا بما تنشره من المقالات الضافية ، ففى مجلة « الشبان المسلمين » كتب القائد العربى « عبد الله التل » مقالا عن موقف اليهود من محمد ودعوته فقال عنهم أنهم « كرهوا محمدا صلى الله عليه وسلم ونظروا اليه والى دينه

الجديد والى أتباعه نظرة الحسد والحقد والضغينة والبغضاء .

وظهرت عداوتهم لدين الاسلام واضحة جلية حينما رأوا الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فكان لابد من الصدام بين دينهم الذى يتمثل فيه الغدر والاجرام والخيانة ، وبين الاسلام .. الدين الجديد » .

ثم يتناول حركات اليهود العدوانية ضد الاسلام وما أصابهم من الهزائم التى انتهت باجلائهم عن جزيرة العرب فى عهد عمر بن الخطاب فقال : « لقد تم تطهير الجزيرة العربية من اليهود الذين كانوا شوكة فى حلق الاسلام أول عهده ، فقد حاربوه دون هوادة ، مستخدمين جميع فنون الغدر والدس والحقد بعد أن أدركوا أنه دين الحق » .

ولقد تناول الاستاذ « محمد ابو زهرة » فى مجلة « لواء الاسلام » أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته فاشار الى أن أول صفة تخلق بها الرسول هى الصبر ، فقد كان « يؤذيه المشركون بكل أنواع الاذى فلا يتراجع ولا يتقهقر ، ينفصل عنه بعض اقربائه ويشتدون فى اللوم عليه فلا يلتفت الى لومهم وينزل به الأذى من كل ناحية ، وهو يصابر المشركين ويدعو الله أن يهديهم الى الحق ولا يدعو أن يخرب ديارهم . بل كان يدعو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده » أما « الاستاذ محمد الغزالى » فيذكر فى نفس هذه المجلة أن كثيرا من أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم تحتاج الى التدبر والتأمل وأنها بحاجة الى كثير من التفهم ، حتى تعرض على الناس قاطبة ، لأنه صلوات الله وسلامه عليه « ليس ملكا لجيل من الاجيال ، ولا لجنس من الاجناس ، انما صنعه الله على عينه ليكون ملك الاجيال كلها والقارات كلها فلو جليت صفحات نبله على من يكرهه وعلى من يحبه لأدرك الناس أنهم أمام أفق من الانسانية يجب أن يرمقوه باعزاز واجلال وان اختلف فى ذلك المؤمنون به والكافرون » .

وفى ختام هذا العرض نسأل الله سبحانه أن يوفق الأمة الاسلامية للعمل لخير الانسانية ، وأن يوحد صفوف العرب من أجل نصرتها واعلاء شأنها وأن يزيل من قلوبهم نوازع الفرقة والاختلاف حتى يصيروا يدا واحدة وصفا واحدا فتتطهر بلادهم من اليهود الغاصبين وتعود فلسطين العربية الحبيبة الى أصحابها الحقيقيين وأن تلحق باليهود الهزيمة كما لحقت بهم من قبل .

✲ تحرير فلسطين :

وتتحدث مجلة « الحرية » اللبنانية فى عددها الصادر فى ١٩٦٥/٦/٢١ عن الدور الذى تؤديه الجمهورية العربية المتحدة ازاء فلسطين فتقول : « ان مصر هى البلد العربى الوحيد الذى استطاع أن يقطع شوطا حاسما فى طريق توفير القوة الذاتية العربية اللازمة لتحرير فلسطين ، وليس فى الامر سر أو صدفة .

لقد قامت فى مصر ثورة وطنية أدارت ظهرها للاستعمار بشكل حاسم ،وحين فعلت ذلك استطاعت أن تحرر ارادتها وتنشد القوة من مصادرها الحقيقية وحين اسقطت ثورة مصر النظام الملكى الاقطاعى كانت تفتح بذلك طريق التقدم على مصراعيه ، ولم يكن بناء الجيش الوطنى القوى الا نتيجة للنهضة الصناعية والاقتصادية التى أثمرتها الثورة ، وللتقدم الذى حققته بسلاح التحول الاشتراكى .

وحين يقول عبد الناصر : ان العمل الثورى هو سلاحنا لتحرير فلسطين . فذلك معناه بشكل بسيط وواضح ان تحرير فلسطين مرتبط بالمسافة التى لابد أن يقطعها العرب نحو مزيد من التقدم الاجتماعى والوحدة القومية .

✲ العنصر العربى والحضارة العربية :

تركز الشعوبية الحديثة هجومها على الحضارة العربية وتحاول بحقدها الاسود ان تنتقص من قيمة النهضة العربية التى أضاءت العالم بنورها الوهاج . ويتلخص هذا الهجوم فى نقطتين رئيسيتين هما الادعاء بأن الذين نبغوا فى الدولة العربية الاسلامية لم يكونوا من عنصر عربى خالص ، وأن العرب والمسلمين لم يكونوا منشئى حضارة وانما هم مجرد نقلة لتراث من سبقهم من الامم .

وتنشر مجلة « الأقلام » العراقيــة مقـالا بعنوان « العنصر العربي والحضارة الاسلامية » يرد فيه سليم التكريتي على هذه الافتراءات ويفنــــد هذه المزاعم ويدحض هذه الاقوال ٠

فما يدعيه هؤلاء من أن معظم الرجال الذين برزوا في العالم الاسلامي في مختلف نواحي العلم والمعرفة كانوا من عناصر غير عربية مردود عليه بأن الحضارة العربية الاسلامية هي وليدة الدين الاسلامي الحنيف في الأصل ، فقـــد انصهرت الأقوام المختلفة التي دخلت في الدين الاسلامي بالعنصر العربي وتعلمت لغته وحذقت آدابه وتقاليده ٠ فقد كان هؤلاء الرجال يتكلمون العربيةويفكرون بها ويكتبون، ويتحسسون بالمشاعر الاسلامية التي هي في الاصل مشاعر عربية خالصة ومن هنا « لا يمكن الفصل بينهم وبين بقية العرب الخلص المنحدرين من أروقة عربية » ٠ فعلماء الاسلام الذين عاشـــوا في المجتمع العربي وكانوا يحذقون اللغـة العربيـة تكلما وكتابة انمـا هم في الحقيقة عرب باللغة والمكان والاحساس وان لم يجر الدم العربي في عروقهم ٠

أما ما تدعيه الشعوبية من أن العرب كانوا مجرد ناقلين لتراث من سبقهم من الامم كاليونان والفرس والهند وغيرهم فمردود عليه بأن العرب وان كانوا قد نقلوا هذا التراث الا أنهم لم يقفوا عنـد حدود النقل بل انهم طوروا تلك العلوم المنقولة بما ادخلوه عليها من اضافات وزيادات جعلتها علوما عربيـــة خالصة تكاد تنقطع صلتها باصولها القديمة ٠

ويكفي للدلالة على ما أسهم به الفــــكر العربي الاسلامي في توطيد دعائم المدنية الانسانية وما أدته الحضارة الاسلامية من خدماتعظمى للجنس البشرى ما قاله المنصفون من المستشرقين مثل « سارتون » الذي يقول في كتابه « مقدمة في تاريخ العلم » ٠

« اذا افترضنا أن العرب لم يكونوا سوى نقلة العلوم الاقدمين أليس في عملهم هـــذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلولا نقلهم هذا لما تقدمت العلوم تقدمهـــا الحاضر » ٠

ويقول « جوزيف ماك كيب » في كتابه « مدنية العرب في الاندلس » : « ان تاريخ العرب المسلمين عظيم وخدمتهم للجنس البشرى عظيمة جدا وهامة وقد غمط أكثر المؤرخين حقهم ، ولعبت أيدي الكتاب المتعصبين دورا عظيمـا ومكروا مكرا كبيرا في اخفاء فضلهم ، فوجب على أن اخصص وقتي لتاليف ستة كتب كبرى على الاقل للاشادة بآثارهم » ٠

❋ لم يبق الا الاعتراف :

وفي العـــدد الســابع عشر من مجلـة « حــوار » الصادر في يوليو سنة ١٩٦٥ تحت عنوان « لم يبق الا الاعتراف » وهو عنوان الديوان الذي أصـــدره أخيرا الشاعر احمد عبد المعطي حجازي ما يعبر عن أن الشاعر قد رجع في هذه المجموعة الشعرية الى اشكال الشعر القديم لصلاحيته للمضامين الحديثة ٠ تقول المجلة عن هذه المجموعة : وكل هذه القصائد هي تعبير مباشر عن قضايا سياسية آنية ، تفتقـــد الكبير من عفوية البيـاتي حين يتحدث اخبـاريا في شعره ، حتى ان الرموز التي يستخدمها حجازي في شعره واضحة بشكل تكاد فيه أن تكون تعبيرا مباشرا لارمزية فيه حتى ان الشكل قد عاد شكلا تقليديا خاضعا لرغبات الجماهير التي يريد الشاعر ان يتحدث اليها ، حتى الثورة على الشكل لم تعد ثورة، فاشكال قصائده اشكال تقليدية رتيبة في كل بحور الشعر العادية وقوافيه ٠ وبهذا يعود حجــازي للاقتناع بصلاحية اشكال الشعر القديمة للمضامين الحديثة ٠ غير اننا يجب أن نستدرك بقولنا: ان مضامين حجازي الاخيرة ليست حديثة أبدا الا في المفهوم الســطحي للحداثة ، وهي ارتباط زمني بالعصر الذي كتب فيه ، فأبعاد قصائده محدودة جدا والرؤيا الشعرية ضيقة بشكل يعطل ســياق القصيدة ، ويحصرها بصوره المتكررة المرتبطة بالموضـــوع المباشر الذي يعالجه بكلمات مقفاة موزونة » ٠

« محمد العواني »



ذكريات فى شهر ربيع الأول

بقلم عبد المنعم البحقيرى

عندما يقبل شهر ربيع الأول تقبل ذكريات معه طيبة الى نفوسنا عزيزة على المسلمين جميعا ولها أثرها فى تاريخهم وحياتهم ٠٠ هـذه الحوادث غيرت وجه التاريخ وقررت حقوق الانسان وخلصت الانسانية من الأغلال والقيود وبنت صرح الحضارة الاسلامية الزاهرة وشاركت مشاركة بناءة فى حضارة العالم أجمع ٠

وفى مثل هذا الشهر من عام الفيل سنة ٥٧٠ من ميلاد السيد المسيح وفى يوم الاثنين الثانى عشر ولد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمولده تحررت العقول والقلوب من دعاوى الجهل والفساد والوثنية ٠

وفى مثل هذا الشهر كانت رسالته الى النـاس كافة بشيرا ونذيرا ومؤذنا بعهد جـديد وثورة على الشرك والنظام الطبقى والعـادات البالية والتقاليد العتيقة ودعوة الى الاشتراكية والتوحيد ونشر مبادىء الاخلاق الفاضلة وتنظيما لعـلاقة الحاكم بالمحكومين وعلاقات أفراد المجتمع بعضهم ببعض فى ظل الحرية والمساواة والاخاء والتراحم والبر والتعـاون والحب والحنان والاتحاد والألفة والتكافل والتضامن وبذلك كانت أمته :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ٠

وكانت دعوته صلى الله عليه وسـلم للناس كافة وكانت امته هى الأمة صاحبة الدعوة الشاهدة على الأمم والشعوب فى الدنيا والآخرة ، ولقد اختارها الله لذلك فقال :

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ٠

لقد طبقت دعوة محمد المساواة فلا فضل لأبيض على أسود الا بالتقوى ، بينما نرى اليوم وبعد سنين طويلة تعجز الدول التى تزعم لنفسها الحضارة والرقى كامريكا وغيرها عن أن تطبق مبادىء المساواة ٠٠ المساواة التى تشـيع فى القلوب الحب والحنان ، المساواة التى تبذر فى نفوس الأفراد الألفة والمودة والسير فى طريق البناء والتعمير ٠٠ فكانت دعوة محمد رحمة للمجتمع الانسانى ، وصدق الله حيث قال « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ٠

واذا تتبعنا الحوادث التى اختص بها هذا الشهر العظيم نجد معجزتى الاسراء والمعراج ٠٠ حيث رأى النبى آيات ربه وامتلأ قلبه بالثقة والاطمئنان ،وقدم للانسانية معجزة خالدة لصدق رسالته وسـمو معانيها ، وفى هذا الشهر الكريم كانت الهجرة النبوية

وكان الجهاد من أجل نشر الدعوة وكانت الرسالة بأجل معانيها ، فهي كما قلت ليست لقوم فقط بل للناس كافة ، ومن هنا كانت الهجرة ايذانا بانتشار الدعوة ورحمة للناس وتخليصا لهم من قيودها العتيقة ، فلولا الهجرة لظل الاسلام غريبا في وطنه يتيما بين أهله ، ولظل العالم على وثنيته الضاربة والجاهلية الجهلاء والفساد الشامل ومن هنا انتشر الاسلام وارتفعت رايته فوق البشرية .

وآخر المطاف كانت وفاة الرسول الكريم في هذا الشهر العظيم .. توفى الرسول بعد أن ترك لنا ميراثا عظيما . انها الديانة السمحة والشريعة الاسلامية الغراء وقدم الرسول للانسانية زادا عظيما فيه خيرهم وفلاحهم .. انه القرآن الكريم .. خير زاد وأعظم هدى قويم .

تحية اليك سيدى رسول الله في يوم مولدك ويوم بعثتك ويوم هجرتك ويوم مماتك .

تحية اليك سيدى رسول الله فهذه هي مبادئك السمحة نسير عليها .. لقد طبقنا الاشتراكية وسلكنا طريق المساواة والتضامن والتكافل .

تحية اليك سيدى رسول الله فمن سار على هديك فاز وفلح ، ومن تركه هلك وظلم نفسه .

سيدى .. يا رسول الله

بقلم عيسى متولى

نفحة من نفحاتك الطيبات ، نستلهمها في ذكرى مولدك الكريم ، الذى سعدت به البشرية جمعاء .. تضيء أمامنا السبل ، وتأخذ بيدنا الى المعارج التى نتطلع لها .. ونسعى اليها ! ..

فأنت يا سيدى خير من يهدى .. وأنت يا سيدى خير من يرشد الى الصراط السوى ، والطريق القويم ..

وأنت يا سيدى خير من يأخذ بيد الحيارى ، وسط الظلمات التى تكتنف حياتهم ، وتغشى قلوبهم وأبصارهم !

وأنت يا سيدى خير من يهدى الضالين ، الذين تفرقت بهم السبل ، واتبعوا أهواءهم ، وكان أمرهم فرطا ... الذين ان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ! ..

سيدى .. يا ابن عبد الله ..

لقد حملت الى البشرية رسالة الهدى .. فمالهم لا يهتدون .. ومالهم عن الصراط ناكبون ؟ ..

وحملت الى البشرية رسالة الرحمة .. فما لهم لا يتراحمون .. ثم قست قلوبهم من بعد ذلك ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة .. وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله ...

وحملت الى البشرية رسالة السلام .. فما لهم قد أصموا آذانهم عن دعوتك .. وأججوا نيران الحروب ، فاتخذوها تجارتهم .. فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين ...

وحملت الى البشرية رسالة الانسانية الفاضلة .. فما لهم لا يستجيبون .. لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها .. فانغمسوا فى حمأة الرذيلة يوم نأوا عن دعوتك .. وبهرتهم أضواء مدنية زائفة .. يسمونها « حضارة » ! ...

سيدى .. أبا القاسم ..

لقد تخرج على يديك رجال دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه ، وامتد سلطانهم .. نصروا الله فنصرهم ، وثبت أقدامهم ، ومكن لهم فى الارض ، لأنهم استجابوا لدعوتك .. واتبعوا سبيلك ! ..

سيدى .. أبا الزهراء ...

سلام عليك ، يوم زفت السماء الى الأرض بشرى مولدك .. فكانت أسعد البشريات ! ..

وسلام عليك ، يوم حملت مشاعل النور ، وأرسيت مبادىء لم تعرف البشرية أكرم منها وأقوم ! ..

وسلام عليك ، يوم انتقلت الى الرفيق الأعلى ، تاركا فينا قبسين من النور لن يخمدا ..

كتاب الله الوضاء .. وسنتك الغراء .. ووعدت من يتمسك بهما بأنه لن يضل ، ولن يخزى ! ..

فاللهم انا نعوذ بك من الخزى .. ومن الضلال !

سر المقوقس

من ملحمة عمر

مسرحية بقلم : على أحمد باكثير

المشهد الرابع :

(بهو في حصن بابليون . المقوقس وعنده قواد الروم في مصر كأنه يعقد معهم مجلسا حربيا للتشاور)

الأطربون : واحسرتاه على يوم القلزم

المقوقس : ما مضى فات يا أطربون

الأطربون : كلا يا سـيدى البطريق تلك زلة لا ينبغى أن ننساها أبدا

المقوقس : لا يستطيع احد ان يجزم بانها كانت زلة

الأطربون : بل كانت زلة كبيرة

المقوقس : تذكر أن طلائع الجيش العربى كانت قد جاوزت العريش يومئذ فى طريقها الى الفرما

الأطربون : وتذكر أن سفننا وعليها ثلاثون الفا كانت متأهبة يومئذ للاقلاع من القلزم فلو تركتمونا لبلغنـا ساحل بلادهم قبل أن يبلغ جيشهم الفرما ،واذن لربما سقطت عاصمتهم في أيدينا قبل ان تسقط الفرما فى أيديهم .

المقوقس : وما يدريك يا اطربون ماذا كان مخبوءا لكم فى صحراء بلادهم ؟

الأطربون : بل كنا سـنجدها خالية من المقاتلين لان هؤلاء موزعون فى بلاد الشام والجزيرة والعراق

المقوقس : اجل لقد اجمعنا على هذا الراى فى مجلس قيصر ولكن ما كان يدور ببالنا يومئذ أنهم سيسبقوننا الى غزو مصر . أما وقد دخلوا أرضنا فليس من الحكمة ان نتركهم فى أرضنا ونقاتلهم فىأرضهم

تيودور : هذا واضح جدا يا اطربون لا جدال فيه .

الأطربون : وماذا كان يمنعكم من قتالهم وقد بقى عنـدكم ثمانون ألف مقاتل ؟

تيودور : أكنت تريد أن نسحب حاميتنا من مسالحها ؟

اودوقيانوس : أوما تخشى عليها من القبط ؟

الأطربون : ماذا عساهم أن يفعلوا وليس معهم سلاح ؟

اودوقيانوس : سلاحهم فى قلوبهم التى يأكلها الحقد علينـا أكلا . ألم تر ماذا فعلوا فى الفرما ؟ ما كان العرب ليقدروا عليها ويقتحموا أسوارها المنيعة لولا معاونة أهلها القبط

الأطربون : أوقد صدقتم هذه الفرية التى اختلقتموها بأنفسكم لتتنصلوا من تبعة الهزيمة ؟ لقد حاصرها العرب شهرا كاملا فصبر حماتها على اللأواء فى انتظار وصول مدد منكم فلما يئسوا من المدد يئسـوا كذلك من النصر فخرجوا مستقتلين فوثب العرب الى باب المدينة فملكوه عليهم ثم اقتحموه .

تيودور : يخيل الى أن الاطربون يريد أن يعزو كل هزيمة لحقتنا أو تلحقنا الى مخالفتنا لرأيه السديد .

الأطربون : اجل . ما كانت الفرما لتسقط فى أيدى العرب لو انكم عملتم برأيى ولم تتركوها بغير مدد .

تيودور : ليس من الراى أن نقاتل هؤلاء العرب فى الصحراء فلو أرسـلنا المدد الى الفرما لباد ذلك المـدد ولسقطت الفرما كذلك .

الأطربون : هذه كانت الزلة الثانية

تيودور : عجبا لك يا أطربون ، أوتعد كل رأى يخـالف رأيك زلة ؟

اودوقيانوس : واعجب من ذلك أنه عارض مسـير الجيش للقاء العدو فى بلبيس

تيودور : اجل . ما زلت يا اطربون تحرض على حرب العرب تارة في بلادهم وتارة في الفرما فلما ازمعنا ان نلاقيهم دون بلبيس قلت انتظروا حتى نبعث اليهم رسلا ليفاوضوهم

الأطربون : سترون غدا ان ذلك هو وجه الصواب

تيودور : لا غرو أن تقول ذلك لاننا عملنا برايك

الأطربون : انكم لا تعرفون قائدهم عمرا هذا . انه يقاتل بالمكر والدهاء اكثر مما يقاتل بالسيف

تيودور : لهذا تركنا لك ان تتولى امره لنرى ماذا انت فاعل

الأطربون : سترون غدا ما أنا فاعل

المقوقس : خبرني يا اطربون اليس عمرو هذا هو صاحبك الذي خدعك في حصن اجنادين ؟

الأطربون : (في شيء من الامتعاض) بل هو بعينه

اودوقيانوس : خدعك .. كيف خدعك ؟

المقوقس : قصة مشهورة الم تسمع بها قط يا أودوقيانوس

اودوقيانوس : لا والله

المقوقس : حضر عمرو هذا ذات يوم عند الاطربون في حصن أجنادين يفاوضه فعرف الاطربون أنه أمير جيش العرب ...

الأطربون : كلا يا سيدي البطريق ما عرفته ولكن أحسست من حديثه وسلوكه أنه هو الأمير أو من يرجع الأمير الى رأيه ومشورته

اودوقيانوس : ولماذا لم تقطع رقبته ؟

الأطربون : بعثت في أثره من يقتله عند الباب

اودوقيانوس : فكيف بقي حيا حتى اليوم ؟

الأطربون : (يفقد صبره) أوه . احك له القصة يا سيدي البطريق

المقوقس : لم يشعر الأطربون الا بهذا الماكر يرجع اليه ويقول له ماذا قال لك يا اطربون ؟

الأطربون : سيقاطعني هذا المثل الثقيل .

اودوقيانوس : كلا لن أتفوه بكلمة

الأطربون : قال لي : اني اقتنعت بحديثك ولكن الأمر ليس لي وحدي فنحن عشرة يرجع الى رأينا أمير الجيش، فان شئت جئتك بهم جميعا حتى تكلمهم بمثل ما كلمتني فتقنعهم كما أقنعتني . فاني لا استطيع اقناعهم وحدي . فأمرت بالكف عنه حتى يجيء بالتسعة الباقين فاقتلهم جميعا .

اودوقيانوس : تلك هي الزلة الكبرى يا أطربون . لو كنت مكانك لقتلته وما انتظرت التسعة الباقين

الأطربون : الآن بعد ما علمت أنه خدعني ؟

اودوقيانوس : ما كان لك ان تأتيها وانت عندنا من الموصوفين بالدهاء والمكر

الأطربون : (ساخرا في حنق) يا عزيزي أودوقيانوس لم يهبني الله ما وهبك من الذكاء والفطنة)

اودوقيانوس : اذن فلا تتسامع علينا بحكاية هذه القصة فانها تدل على نقيض ما تزعمه لنفسك

الأطربون : اتريد يا هذا أن تستفزني ؟ ان كلماتك الجوفاء هذه أهون عندي من ذلك

اودوقيانوس : (للمقوقس وتيودور) خبراني أنتما هل تعتقدان أن هذا القائد العربي رجل داهية ؟

الاثنان : لا شك في ذلك !

اودوقيانوس : فكيف اذن وافقتما على اسناد قيادتنا في حربه الى الأطربون ؟

تيودور : انه يعرف الرجل خيرا منا جميعا فقد كان خصمه في فلسطين

اودوقيانوس : المهم أن يغلب خصمه لا أن يعرفه

المقوقس : لا تستطيع أن تغلب خصمك الا اذا كنت تعرفه حق المعرفة

(يدخل جورج قائد الحصن)

جورج : الأسقفان يا سيدي البطريق قد حضرا من بلبيس

المقوقس : مرحبا بهما .. أدخلهما يا جورج

جورج : أبا مريم .. حنا .. أدخلا

(يدخل أبو مريم وحنا)

المقوقس : خبراني كيف لقيكما القائد العربي ؟

ابو مريم : حيانا ولقينا أحسن لقاء

تيودور : وأين لقيكما

أبو مريم : في خيمة ضربت له خارج بلبيس حيث عسكر برجاله

المقوقس : ابلغتماه رسالتي ؟

ابو مريم : نعم

المقوقس : فماذا قال ؟

ابو مريم : قال ان عظيمكم المقوقس ليعلم اننا ما جئنا لنستجدي منكم وانما ندعوكم الى الاسلام ، فمن

أجابنا قبلناه ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له الذمة . قلنا له: ومن لم يجبكم ؟ قال: قاتلناه حتى يحكم الله بيننا وبينه . ثم أخذ يحدثنا ان نبيهم محمداً أعلمهم انهم سيفتحون بلادنا وأوصاهم بنا خيراً لرحمهم فينا وان لنا بذلك ان اجبناهم ذمة الى ذمة .

تيودور : أى رحم يعنى ؟

ابو مريم : يعنى أن هاجر أم اسماعيل من القبط واسماعيل ابو العرب ، فهاجر أم العرب

تيودور : فماذا قلتما له ؟

ابو مريم : أتذكر يا حنا ماذا قلنا له ؟

حنا : نعم قلنا له : هذه قرابة ما أبعدها !

(يقهقهون ضاحكين ما عدا المقوقس وجورج)

المقوقس : ثم ماذا ؟

ابو مريم : ثم سألناه أن يمهلنا حتى نعود اليه بما استقر عليه رأيكم فأبى أن يمهلنا غير ثلاثة أيام فراجعناه فى المهلة فأعطانا يومين آخرين .

اودوقيانوس : اذن فقد اتخذتما رسولين لأقربائكما العرب !

الاسقفان : معاذ الله . انما نحمل جواب العرب على رسالتكم

اودوقيانوس : لا لوم عليكما .. اللوم على من اقترح أن نفاوضهم حيث كان يجب ان نقاتلهم .

الأطربون : أمتعطش أنت الى قتالهم يا أودوقيانوس ؟

اودوقيانوس : نعم

الأطربون : فاستعد للسير معنا الليلة !

الجميع : الليلة ؟

الأطربون : أجل

المقوقس : فيم العجلة يا أطربون ؟ ان لدينا أربعة أيام غير اليوم للتفكير والتدبير

الأطربون : ياسيدى البطريق انى قد فكرت ودبرت من قبل.

ابو مريم : لكن هذا الذى جئنا به يعتبر هدنة ولا يصح فى خلالها أن يعتدى أحد الطرفين على الآخر .

الأطربون انتما لا يصح لكما ذلك . فأما نحن فلم نرتبط لهم بشىء .

حنا : ليتنا ما طلبنا مد الهدنة ما دمتم تريدون المسارعة بالقتال

الأطربون : كلا ان هذا الذى فعلتماه لأفضل شىء فعلتماه فى حياتكما كلها . لقد بثثتما الطمأنينة فى نفوسهم فلنبيتنهم الليلة بغتة وهم لا يشعرون .

اودوقيانوس : مرحى يا أطربون . الآن أدركت انك أصلح من يقودنا فى حرب هذا الرجل .

ابو مريم : هذا غدر لا يليق بنا نحن أتباع السيد المسيح.

الأطربون : أليس ذلك أفضل من أن ندع هؤلاء يقضون على دين المسيح فى مصر ؟

ابو مريم : كلا انهم لن يقضوا على دين المسيح فى مصر كما لم يقضوا عليه فى الشام .

الأطربون : ماذا تقول ؟ ألأنت مع العدو علينا ؟

حنا : (كأنه يسرع لنجدة رفيقه) ان أبا مريم يقصد ان دين المسيح لا سبيل الى القضاء عليه أبداً . لا فى مصر ولا فى غير مصر

ابو مريم : أجل هذا ما أردت أن أقوله

الأطربون : لا تحاولا أن تخدعانى فانى لا أخدع .. انتما خائنان

اودوقيانوس : أجل هذه خيانة

المقوقس : رويدك يا أطربون ، رويدك يا أودوقيانوس . لا حق لكما أن تمسا رجال الدين . ان قيصر نفسه ليحترمهم

اودوقيانوس : قيصر لا يحترم الخائنين .

المقوقس : ان الذى يدعو الى آداب المسيحية ومثلها العليا لا يمكن أن يعتبر من الخائنين

الأطربون : لسنا الآن فى كنيسة فنستمع الى نصائحهما الدينية . نحن الآن فى حرب مع هؤلاء الغزاة فما دخولهما فيما لا شأن لهما به ؟

المقوقس : ان عليهما أن يبشرا بآداب المسيح حيثما كانا ، داخل الكنيسة وخارجها ، ولكما أن تعملا بها أو لا تعملا بها هذا شأنكما أنتما ولكن ليس لأحد أن يمنعهما من القيام بواجبهما أو يلومهما على ذلك .

الأطربون : يا سيدى البطريق أولستم قد أسندتم القيادة الى فى حرب هذا المتغلب العربى ؟

المقوقس : بلى

الأطربون : فانى لا أقبل أى اعتراض لا من رجال الدين ولا من غيرهم . لى عليكم السمع والطاعة ولكم على الغلبة والنصر .

• على احمد باكثير •



العدد ١٠٣
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

حسام لبابيدي

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

في هذا العدد

الاشتراكات:
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد – القاهرة

ثمت .. ليس الطريق هنالك

بقلم : محمود محمد شاكر

أيحسن بالكاتب أن يشكو نفسه الى قرائه ؟

وسواء كان ذلك مما يحسن به أو مما لا يحسن به ، فانى لشاك نفسى الى القراء .. فانا حين أتهيأ للكتابة ، يخيل الى أن الموضوع قد استقر فى نفسى واستوى ، وان الوجه قد استبان واستتبت لى مذاهبه . وعندئذ أكون كالذى يرى جنة مترامية الاطراف من المنظر الأعلى (أى عن بعد ، من مكان عال) ، فهى عندى حاضرة ، كأنها زويت لى فى رقعة يحيط بها البصر فيرى أفنان شجرها ، وتناوير أثمارها ، وتخاريج الوانها (أى تداخل الوانها وتخارجها من لون الى لون) ، ولألاء جداولها ، ومسارب طرقها ، ومدب حصبائها . بل أكاد أشم شذاها وعرفها وعطرها . فاذا أخذت مكانى ، وأمسكت القلم ، وبدأت أكتب ، فكأنى قد انحدرت من سماء مرقبتى ، وأفضيت الى سوادها ، وأجدنى وقعت على حواشى حرجة مظلمة الجوانب (والحرجة : الشجر المجتمع الملتف ، لا يقدر أحد أن ينفذ فيها) واذا تلك المعالم التى كانت منذ قليل بينة مقسمة لا يضل فيها بصرى قد انطمست ، فأذهب أتحسس منفذا فى سوادها المحدق بها ، أبتغى لنفسى مدخلا فاذا وجدته ، فمن قبله تأتى البلوى . فأنا عندئذ يستخفنى الفرح بهذا المدخل الذى اهتديت اليه بعد طول الضلال عنه . ويغرنى ما كنت فيه من طمأنينة الاحاطة بمشاهدها من ذلك المنظر الأعلى . وينشب فى وهمى انى قادر على أن اسلك فيها طرقا واضحة بقدمى ، كما كنت أسلكها من مرقبتى بالبصر المشرف ، وانى قادر أيضا على أن أحيط بنعت هذه الجنة فى لحظات ، كما كان بصرى يحيط بها فى لمحة خاطفة . ولكن ، ما أضيع المرء بين النعت والبصر ! والج المدخل على ثقة ، ويؤدى بى المدخل الى منظر غير المنظر ، وأسير فى مسارب أراها كأنها غير المسارب التى كانت تلوح لعينى ، وأجد شذا غير الشذا الذى كنت أستروح ، ويفتننى الحاضر القريب عن غائب يتباعد كلما أوغلت المسير فى حر ثراها . وما أكاد أتوغل حتى أرى بين المشهدين فروقا عجيبة ، لم يكن يخطر لى أنها كائنة ، وأنا حيث انا فى مرقبتى من المنظر الأعلى !

هكذا أنا بين التفكير فى الموضوع على الذى أتهيأ له ، والاقبال على كتابة الموضوع الذى تهيأت له . أراه مجتمعا واضحا قريبا سهل المسالك ممهدا ، ثم لا أكاد أحمل القلم وأمضى ، حتى ينشق سهله أحيانا عن وعورة جارحة ، وأذهب أتعاطى ما كنت أراه قريبا ، فاذا هو أبعد بعدا . مما أتوهم . وكذلك كان شأنى حين بدأت أكتب المقالة السالفة ، كنت أتوهم انى سأفرغ من الموضوع كله فى مقالة واحدة لأن معارف وجهه كانت عندى مستبينة كل الاستبانة وأنا أتهيأ له . فلما دخلت اليه من حيث دخلت انصدعت معارفه عن مجاهل يضل فيها الدليل الحاذق ، وعن وعورة يعيى عليها السالك البصير . وأقبلت أجمع أطرافه من هنا ومن ثم ، وأنا أكتب ، حتى لا ينتشر ويتبعثر . فقد رأيتنى كأنى بدأت فى انشاء كتاب قائم برأسه ، لا فى انشاء مقالة يتعجلها قارئها ، على عادة أهل زماننا فى العجلة . والعجلة شر خلق ، أخاف مغبته وأنا أكتب ، وأخاف أن أجد القارىء وقد استبدت به العجلة الداعية الى الكلال ، فأجدنى أداريه وأتلافاه بالصبر وضرب من الملاطفة وبشىء من المساهلة والمياسرة ، وربما عمدت الى ادخال بعض الهزل فى مواطن الجد ، لتأخذ النفس من خفة الباطل جماما تستعين به على معاناة الحق . ولكنى أخفقت حين مضيت فى كتابة تلك المقالة ، فلم أستطع الا أن أقبل بجد لا هزل فيه ، وكأنى طالبت القارىء بتعب لا راحة معه ، وبأناة فى القراءة لا يشوبها طائف من عجلة ، وأظننى سأفعل ذلك اليوم ، حتى يتسنى لى أن أفرغ من هذا **«الكتاب»** الذى جاء فى صورة مقالة ، والله المستعان على لأواء القلم ، وعلى الذى أعانى من هم الكتابة وأداء الأمانة .

وقبل كل شيء، لنا صاحب بعيد الرضى، مقبل على الدنيا بوجه واحد، لا يلتفت يمينا ولا شمالا، اذا نظر في شيء رأيته كأنه ينحط الى أعماقه، أو هكذا يظن بفكر صارم صلد حديد، فهو لذلك أكثر شيء جدلا اذا خاصم • وهو اذا قرأ ما أكتب، لم يعفني من جداله، وان لم يكشف لي عما في نفسه، بيد أني لا أكاد أراه، حتى أرى الجدال قائما نافذا مطلا من أسارير وجهه، وتجاليد جثمانه • فاذا ما أردت استثارته، ثار عن حشد حاشد من وجوه الاعتراض، ومن التصميم الماضي على الاعتراض، لا يبالي أن يمسك بتلابيبي ليرد فكرى الى فكره، وليس عجيبا أني أجد متاعا لا يمل في أن أحس بقبضته وبلزه اذا ما لزني الى مضيق رأيه • وذلك لأني أجد لتعبيره عن نفسه نشوة تحملني على مقارعة حدته بحدتي، ولا أزال ألم شعث الكلام المبعثر بيني وبينه، فاما تراضينا واصطلحنا على شيء، واما تركته على غير رضى، حتى يزداد جداله بينه وبين نفسه عراما وعنفا • فلما قرأ المقالة السالفة، زارني كعادته، ولكني رأيت وجهه ينطف اعتراضا وجدالا، (أي يقطر)، وكأني عنده قد زدت لفظ «**الدين**» بابا من الغموض من حيث أردت البيان، فمن أجل ذلك، آثرت أن أوضح ما أردت في هذه الكلمة حتى نخرج من المأزق الذي أوقعتنا فيه اللغة، كعادة كل لغة، كما أسلفت في صدر مقالتي الماضية •

ولفظ «**الدين**» عند ما يطلق اليوم، لا يكاد الناس يتوقفون في فهمه والمراد من معناه • فهو عند أكثرهم ما يتضمن عبادات فئة من الناس يلتزمونها في أداء حق الله عليهم، وما يتبع ذلك من رسوم يقيمونها في حياتهم، ومن عقائد يعتقدونها في ربهم، ومن أصول يؤمنون بها في نشأة الانسان، وفي حياته، وفي معاده بعد الموت وانقضاء الحياة، الى أشياء كثيرة تتخلل ذلك من آداب ومعارف وإذن فمعنى «الدين» هنا معنى مركب من تفاصيل كثيرة جدا، لكل قوم معنى في تفاصيله، غير المعنى الذي عند آخرين يخالفونهم • فاليهودي يرى أن الذي عنده من ذلك «دين»، والنصراني يرى أن الذي عنده «دين»، وكذلك المجوسي والبوذي وسائر أصحاب الملل، يرون ماهم عليه «دينا» • ولكن اذا عدنا فنظرنا، وجدنا أن معنى «الدين» عند أهل كل ملة، معنى مركب معقد أشد التعقيد، ووجدنا أن كل ملة تخالف صاحبتها في أكثر الأصول والتفاصيل في العقائد والعبادات • واذن فمفهوم اللفظ عند كل منهم، لا بد أن يكون مخالفا كل المخالفة لمفهومه عند من يخالفه في الملة، وعسير جدا أن تجد بين أصحاب الملل، اذا حققت، تشابها في معنى «الدين» بمعناه الجامع عند كل منهم • ومن ادعى أن معنى «الدين» واحد عند جميعهم فقد أبطل، فانه اذا كان معناه ومفهومه واحدا، لما كان هناك معنى لاختلافهم، وادعاء كل منهم أن الذي عند صاحبه باطل، ولأوجب ذلك أن يكون جميعهم شركاء على السوية في الأصول والتفاصيل في العقائد والعبادات جميعا، واذا كان ذلك باطلا بيقين، فلفظ «الدين» اذا أطلق لا يعني البتة شيئا، اذا أريد التعبير عن معنى جامع مركب وانما تدخل الشبهة على السامعين والمتكلمين، من الوقوف دون هذا «المعنى الجامع المركب» الذي وصفناه، أي من الوقوف عند معنى «الدين» من حيث هو طريق عبادة، سواء كان هذا الطريق صحيحا عند قوم، باطلا، عن آخرين، أو كان عبادة لله الواحد القهار، أو كان عبادة لغير الله من الأنداد والشركاء والأصنام والاوثان وسائر الضلالات التي انغمس فيها البشر •

واذا كان غير المسلمين، ممن يتكلمون العربية ويعبرون بها، يسمون ما عندهم «دينا» على هذا الوجه، فهل يصح عندنا نحن المسلمين ان نسمي ماهم عليه «دينا»، وأن نفهم لفظ «الدين» بمعنى غير المعنى الجامع المركب الذي يدل عليه لفظ «الدين» عندنا ؟ هذا سؤال ينبغي أن يجاب عنه بجواب واضح لا لبس فيه ولا غموض • ولكن ليس من ديننا أن نجيب على مثل هذا السؤال بلا احتجاج له بدليل يجب التسليم له • والدليل عندنا هو كتاب الله وسنة رسوله، ليس لنا أن نخالف عنهما ولا أن نبتدع من عند أنفسنا معنى لم يبين لنا في كتابنا الذي أنزله الله على نبينا صلى الله عليه وسلم • ولكن ينبغي قبل أن نصل الى البيان عن ذلك، أن نعيد ذكر المراحل التي مر بها لفظ «الدين» في اللغة، قبل أن ينتهي الى معنى «العبادة»، ثم الى المعنى الجامع المركب المعقد، الذي يطلقه أصحاب الملل على مللهم التي يتبعونها • وليس هذا الذي نقوله في ذلك استيعابا واستقصاء، وارجاعا الى الأصل الأول الذي بني عليه المعنى، فعسى أن يشق ذلك، لأنه مطلب عسير جدا أن تخلص لفظ «الدين» مما تراكم عليه في مراحله مرحلة بعد مرحلة، حتى تنتهي راجعا

الى ذلك الأصل الأول المجرد من التركيب . ولذلك نعمد الى أقرب المعانى الى الأصل الأول ، ونعده بمنزلة الأصل المجرد من التركيب ، ثم نسلسله مرحلة بعد مرحلة .

وقد استظهرت أن المعنى الأول للفظ «الدين»، أنه الحال التى يخضع لها الانسان خضوعا طارئا أو مستمرا ، مريدا أو غير مريد . فاذا ألف المرء تلك الحال ودرب عليها ، رلزمها مرة بعد مرة ، خرج الى معنى العادة التى لا يكاد المرء يفارقها ، بل يأتيها كالمقسور عليها . ثم جاءت المعانى تتراكم على لفظ « الدين » ، فداخله معنى القسر والقهر من ذى سلطان لا يملك المرء خلافه . ثم لحق بهذا معنى الخضوع لذى السلطان بارادة أو بلا ارادة، خضوعا ظاهرا أو باطنا ، ثم أدرك ذلك معنى الغلبة من ذى السلطان على من يخضع له ، حيث يكون الخضوع له عادة دائمة لا يكاد المرء يفكر فى الخروج عليها ، فاذا ذلك قد جمع الى معناها معنى الطاعة ممن خضع للسلطان . ثم دخل على معنى الغلبة من الغالب ، والطاعة من المطيع ، معنى جديد مؤسس على هذه المعانى المتراكبة . فان صاحب السلطان يحاسب المطيع على طاعته ، والعاصى على عصيانه ، ويكافىء المطيع ، ويعاقب العاصى . فصار معنى « الدين » الى الحساب والمجازاة على الاعمال التى يعملها كل منهم، مما يرضى عليه ذو السلطان أو يسخطه . ولكل معنى من هذه المعانى المتدرجة فى التركيب ظلال ربما غلبت اللفظ على بعض معناه . كاستعماله مثلا فى معنى « الذل » و « الاستعباد » ، كقول الأعشى فى ذكر ما كان من أمر المنذر بن الاسود فى اخضاعه « الرباب » فقال :

هو دانى الرباب اذكرهو الد
ين دراكا بغزوة وصيال
ثم دانت بعد الرباب وكانت
كعذاب عقوبة الأقوال

اى أذلهم واستعبدهم ، فذلوا له . أو كاستعمال «الدين» بمعنى السياسة ، تقول : « دانهم » ، اذا ولى سياستهم ، لأنه لا يسوسهم الا بالطاعة له والخضوع . وانما يوجب غلبة المعنى الحادث على المعنى التليد ، مكان استعماله فى العبارة المركبة ، ثم يستقل بعد اذا غلب استعماله مرة بعد مرة ، حتى ينفرد فيكون معنى مركبا يدل عليه اللفظ بمجرد ذكره فى الجملة . ويصير اللفظ بعد ذلك مشترك المعانى ، لا بد لصاحب اللغة من أن يميز اى هذه المعانى المشتركة هو المراد فى العبارة ، بلا غفلة عن المعانى الاخرى التى تتداول اللفظ وتركبه .

وقد انتهى معنى « **الدين** » الى معنى الخضوع لمعبود معظم لا يملك المرء خلافه ولا معصيته ، ولكن لما كان الخضوع لمعبود معظم قد احتاج الى رسوم من العبادات والتكاليف ، والى أصول من العقائد فى المعبود ، والى عقائد فى نشأة هؤلاء العابدين ومكانهم من معبودهم، والى ما ينالهم اذا أطاعوه ، وما يصيبهم عند معصيته، الى شىء كثير جدا من التفاصيل فى هذه العبادة ، صار جميع ذلك « دينا » ، لأنهم يخضعون له بالتسليم ، فى أنفسهم ، وفى عقائدهم ، بل فى جميع أحوالهم . فكل من خضع لهذا المعبود وما توجبه عليه عبادته من تكاليف فى العمل ، وفى الايمان ، وفى سائر العقائد المتعلقة بمعبوده ، يفهم معنى «الدين» مركبا من كل ذلك ، وان كان كان لا ينفك يعرف أن أصل معناه راجع الى طاعة هذا المعبود طاعة خاضعة تقربه اليه ، ينال بها رضاه ويتقى سخطه .

ولا يرتاب عاقل فى أن كل عابد يتوجه بعبادته الى معبود بما هو عنده « دين » لذلك المعبود ، فانه اذا سمع لفظ « الدين » ، أخذ مأخذ أهل ملته فى ادراك معناه مركبا ، دون الاقتصار على معناه السابق قبل أن يلحقه تراكم المعانى المختلفة التى يألفها ، اذا ذكر أمر عبادته ومعبوده . فأنت اذا قلت للنصرانى « الدين » وأنت تخاطبه ، وأنت تعنى « **الاسلام** » بأعماله وعقائده ، لم يفهم من مجرد اللفظ شيئا مما تعنيه أنت من معنى « الدين » الذى هو الاسلام عندك . وهذا بين جدا ، فيما أرجح ، وذلك لأن معنى « الدين » عنده مركب من جماع عقائد النصرانية وآدابها وأعمالها وعباداتها وطرق ممارستها على الوجه الذى يألفه . ثم لو أدرك أنك انما تعنى بقولك « الدين » الاسلام ، فانه يقتصر فى فهمه معنى هذا اللفظ على الأصل المشترك بين النصرانية والاسلام وغيرهما ، أى انه لا يفهم من معنى « الدين » عندئذ الا أنه طريق من طرق التعبد والخضوع ، ولا شىء فوق ذلك ، فهو عنده معنى مبهم غير واضح تمام الوضوح ، اذا قيس بما هو مطلوب منه أن يفهمه عنك . وهكذا شأن المسلم اذا سمع لفظ « الدين » من نصرانى أو يهودى ، أو عابد وثن ، لا يفهم معنى سوى معنى التعبد والخضوع لمعبود يعبده ، دون الذى يسميه النصرانى أو اليهودى أو عابد الوثن « دينا » ، لأن معناه عند كل منهم ، مركب على صورة مباينة لصورته عند المسلمين .

وكذلك اذا قال القائل : النصرانيــة « دين » ، واليهودية «دين»، والمجوسية «دين» ،وعبادة الأوثان « دين » ، فان هذا اللفظ له أربعــة معــان جامعــة متباينة للفظ واحد ، اذا كان المراد بلفظ « الدين » المعنى المركب الذى يدركه كل منتسب ينتسب الى واحد منها ، لان هذه الاربعة لا يكاد يتشابه معناها المركب • وانما يأتى الخداع من حيث أنك تجرد كل واحد من هذه الأربعة من كل ما تركب منه معنــاه الجامع ، وتعيده الى جزء من المعنى الذى تركب منه معناه الجامع ، وتظن عنــدئذ أنك فهمت شــيئا أو أدركته على وجهه الصحيح ، وهذا باطل ، فانك انما قصرت معنى «الدين» هنا على معنى الخضوع والتعبد لمعبود غير مميز • وهو لفظ لا يؤدى اشتراك هؤلاء الأربعة الملل فيه ، على شهادة لواحد منها بمشابهة صاحبه ، ولا على شهادة واحد من هذه الاربعة على أن الثلاثة الأخر حق أو باطل • فينبغى اذن ، أن يكون واضحا تام الوضوح ، أن لفظ «الدين» عندئذ، مفهوم عند الثلاثة الآخرين ، فى حيزه المفرد ، دون حيزه المركب• واذا كان الأمر كذلك ، فان فى تسمية المعتقد فى أحد هؤلاء الاربعة ما عند الثلاثة الأخر «دينا» ، فذلك من فعله ضرب من الخداع فى التعبير، يفضى الى الخلط فى فهم المعنى المراد من تعبيره ، الا اذا ذكره مقيدا واضح التقييد ، حتى يرجع بالمعنى الجامع ، الى المعنى المفرد ، وهو مجرد التعبد والخضوع من العابدين ، دون ما يكون به النصرانى نصرانيا ، واليهودى يهوديا ، والمجوسى مجوسيا ، وعابد الوثن عابد وثن • هذا ، وليس مجرد التعبد والخضــوع بكاف فى أن يجعل كل واحد من هؤلاء متميزا عن أخيه ، حتى يقال هذا نصرانى ، وهذا يهودى، وهذا مجوسى ، وهذا عابد وثن ، فاذا كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون المعنى الموجب لوصف كل منهم بما وصف به ، شيئا خارجا عن معنى التعبد والخضوع• وهذا واضح جدا • واذا اختلفت ، مع ذلك ، صفة المعبود عند كل منهم ، امتنع أن يكون بينهم اشتراك فى معنى « التعبد والخضوع » نفسه ، واتسعت شقة التباين اتســـاعا يوجب أن نلتمس لمعنى « التعبــد والخضوع » نفسه ، نعتا مميزا لكل واحد من هؤلاء الاربعة ، لأن « التعبد والخضوع » نسبة الى شىء ، يتغير المفهوم من معناهما بتغير المنسوب اليه •

وقد دارست مكان هذا اللفظ وموقعه فى كتاب الله **سبحانه** ، فوجدت مصداق ذلك فيه بلا شبهة تعرض • فحيث وقعت هذه اللفظة من كتاب الله ، وقعت فى منزلها الذى هو منزلها دون سائر المنازل التى يقع عند الناس الخلط فيها • وصريح النظر كان يوجب أن يكون ذلك كذلك • فان الله سبحانه حين أرسل رسوله بالهدى ، واوحى اليه هــــذا القرآن العظيم ، أرسله على حين فترة من الرسل ، أى على حين انقطاع فى رسالة الرســـل ، وقد انطمست معــالم الرسالة التى أرسلوا بها ، وتحول الناس الى غير العبادة التى أمرتهم بها رسل الله ، فكانوا جميعهم ، عربهم وعجمهم ، فى جاهلية ، ومصــداق ذلك ما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه من حديث عياض المجاشعى ، عن رسول الله صــلى الله عليه وسلم ، فى خطبة خطبها ، ذكر فيها امر بعثته الى الناس كافة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، الا بقايا من أهل الكتاب (أى عدد قليل فروا الى الصوامع بعد الاختلاف فى كتابهم ، وبذلك خرج عامة أهـــل الكتابين) • وقال الله لرسوله : انما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك ، وانزلت عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظان »• فكان أهل الكتاب يومئذ على ملة مبدلة من دين موسى وعيسى عليهما السلام ، وكان العرب يومئذ خاصة على ارث مبدل من الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام، غلب عليهم الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، اتخذوها اندادا يتقربون بعبادتها الى الله زلفى ، فيما كانوا يتوهمون • وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب واليهود والنصارى جميعا فى ملة جاهلية، فجاء بابطـــال ما تدين به العرب وغير العرب من أصحاب الملل • فلم أجده سمى شيئا من هــــذه الملل الجاهلية « دينا » فى شىء من كتابه ، مع أنه جاء بمحـــاجتهم وابطـــال دعواهم فى آياته المكية والمدنية جميعا • وفى المكى من التنزيل خاصة ، لم يسم ما جاء به من عند الله « دينا » ، بالمعنى الذى يفهمه الناس اليوم ، ولا بالمعنى الذى سوف يأتى ظاهرا فى بعض آياته المدنية •

وقد وجدت أن الله سبحانه قد أنزل فى كتابه لفظ « **الدين** » معرفا مضافا الى « **يوم** » فى اثنتى عشرة آية من القرآن المنزل بمكة ، وهذه هى على ترتيب النزول ما استطعت : فى سورة المدثر ، ثم سورة الفاتحة ، وسورة ص ، وسورة الواقعة ، وسورة الشعراء ، وســـورة الحجر ، وســـــورة الصافات ، وسورة الذاريات ، وسورة المعـــارج ، وسورة الانفطار ، وسورة المطففين • وذلك كقـــوله

تعالى فى سورة المدثر : «**وكنا نكذب بيوم الدين**» ، وهو يوم المجازاة والحساب والثواب والعذاب ، بعد البعث من الموت . وأفرده معرفا غير مضاف بهذا المعنى نفسه فى سورة الماعون ، وسورة التين ، وسورة الانفطار ، كقوله فى سورة الماعون : « **أرأيت الذى يكذب بالدين** » ، أى بثواب الله وعقابه يوم القيامة ، فهذا هو المعنى الأول الذى يراد من لفظ «الدين» فى أول تنزيل القرآن . وكان هذا مطابقا للحال التى كان العرب عليها يومئذ ، وكان عليها غير العرب أيضا ، من انكار البعث بعد الموت ، وانكار ما يتبع ذلك من الثواب والعقاب والحساب والمجازاة .

ثم رأيت لفظ « الدين » معرفا مقرونا بذكر « **الاخلاص** » فى سورة الأعراف ، وسورة يونس ، وسورة لقمان ، وسورة الزمر فى اربعة مواضع ، وسورة غافر فى موضعين ، وسورة العنكبوت ، كقوله تعالى فى سورة الاعراف : « **قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين** » ، وقوله فى سورة الزمر : « **ألا لله الدين الخالص** » . وهو فى هذا الموضع بمعنى الطاعة والاخبات لله . فمعنى « مخلصين له الدين » ، اى نفرده بالألوهة ، ولا نشرك به أحدا من خلقه ، بل نطيعه وحده سبحانه كما أمر على لسان رسله . وقد رأيت أن ذلك انما جاء حيث ذكر الله الشرك ، واتخاذ الأولياء من دون الله ، واعتقاد الشفعاء والأنداد . وجاء أيضا معرفا غير مقرون بذكر « الاخلاص » فى معرض اتخاذ الهين اثنين ، وهو الضلال الموبق ، ووصفه بصفة أخرى ، وذلك قوله تعالى فى سورة النحل : « **وله الدين واصبا** » ، اى له الطاعة دائمة ثابتة واجبة لازمة لكل خلقه ان يطيعوه ويخضعوا له ، مع تمام الرعاية فى افراده بالألوهة أمرا لازما من الله ، يقول تعالى : « **وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون . وله ما فى السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون** » . فهذا هو المعنى الثانى .

ثم وجدت سورا من القرآن جاء فيها ذكر الشرك بالله ، واتخاذ الشفعاء ، وقول الكافرين « اتخذ الله ولدا » ، وذكر اختلاف أهل الكتابين من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، وذكر اتباعهم أهواءهم بغير علم ، وذكر الذين اتخذوا كتاب الله الذى أنزل اليهم قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ، فرأيت لفظ « الدين » ، قد جاء معرفا وموصوفا حال صاحبه بأنه « حنيف » و « الدين » نفسه موصوفا بأنه « قيم » ، وذلك فى سورة يونس ، وسورة الروم ، وسورة يوسف ، وسورة الانعام . وذلك كقوله تعالى فى سورة يونس : « **فاقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين** » ، وقوله تعالى فى سورة الروم : « **فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون** » . ولما كان ذلك قد جاء فى صدد البراءة من الشرك ، واتخاذ الأنداد والشفعاء ، واعتقاد الولد لله سبحانه ، واتباع الهوى بغير علم ، دل ذلك على أنه أراد اقامة المطيع وجهه خاشعا ، خاضعا لله وحده ، مستقيما على ذلك غير معوج الى طاعة معوجة فى يهودية أو نصرانية أو عبادة وثن . ولما أخلاه من التعريف ، وأضافه الى ياء المتكلم فى الآية التى قبل الآية التى ذكرتها آنفا فى سورة يونس ، جاء أيضا بهذا المعنى ، وذلك قوله تعالى : « **قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين** » ، أى ان كنتم فى شك من طاعتى وخضوعى فى العبادة ، فانى أفرد الله وحده بالعبادة ، دون ما تطيعونه فى عبادتكم من الأوثان والأنداد والشركاء ، ودون مايتوجه له بالطاعة والعبادة ، القوم الذين قالوا اتخذ الله ولدا من أهل الكتاب . فهذا فرع فيه زيادة على المعنى الثانى .

ثم جاء « الدين » معرفا غير موصوف فى موضعين من سورة الشورى ، وذلك قوله تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب** » ، ثم ذكر سبحانه بعقب هذه الآية تفرق الناس عن « الدين » الذى وصى به ابراهيم وموسى وعيسى ، واتباعهم أهواءهم ، ومحاجتهم فى الله بحجة داحضة عند ربهم ، وتماريهم فى الساعة والبعث ، ثم قال : « **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** » ، فدل هذا السياق على أنه أراد به الطاعة والخضوع لله سبحانه على وجه واحد من الطاعة والخضوع ، أمرهم أن يقيموا وجوههم عليه غير معوجين عنه ، ولا متفرقين فيه . فهذا حد لمعنى « الدين » الذى هو الطاعة والخضوع ، وانه واحد لم يختلف عليه الأنبياء جميعا ، كما جاء فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والآخرة. قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : الأنبياء اخوة من علات (العلات ، هم الاخوة لأب من امهات شتى) ، وامهاتهم شتى ، ودينهم واحد . فليس بيننا نبى » . ومراد بالدين فى ذلك كله هذه الطاعة المعروفة فى عبادة الله وحده ، على الوجه الذى وصى الله به أنبياءه جميعا . فهذا فرع على المعنى الثانى ، مع تحديد واضح .

ثم جاء « **الدين** » فى سورة الأعراف ، وفى سورة الأنعام فى ثلاثة مواضع ، وفى سورة الروم ، مضافا ، كالذى جاء فى ذكر المشركين فى سورة الأنعام : « **وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا** » ، والذى جاء فى ذكر اليهود والنصارى فى سورة الأنعام : « **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء** » ، وذكر المشركين فى سورة الروم ، بعد قوله : « **فاقم وجهك للدين حنيفا** » ، الآية بقوله تعالى : « **منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون** » ، فدل ذلك على أنه أراد المعنى السالف قبله ، وهو « الدين » الواحد فى عبادة الله ، على الوجه الذى أمر به أنبياءه ، فتفرق فيه الناس . فهذا أيضا فرع على المعنى الثانى .

واما ما جاء مضافا فى سورة غافر على لسان فرعون ، وذلك قوله : « **وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الأرض الفساد** » ، فان سياق الآيات يدل على أنه أراد بالدين هنا الخضوع والطاعة فى العبادة ، ولأنه هو الذى كذب موسى وعصى : « **ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فاخذه الله نكال الآخرة والأولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى** » ، كما جاء فى سورة النازعات . فهذا أيضا فرع على المعنى الثانى ، من وجه مخالف .

واما ما جاء فى سورة يوسف فى قوله تعالى ، عند ذكر خبر يوسف وأخيه : « **ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله** » ، فمن البين الواضح أنه أراد سلطان فرعون وقضاءه فى السارقين ، دون معنى الخضوع والطاعة فى العبادة . وذلك لا شك فيه ، لأن يوسف كان نبيا على ما عليه آباؤه من الأنبياء ، لا على ملة فرعون وقومه . فمحال أن يكون أراد بالدين الطاعة فى العبادة .

واما قوله تعالى فى سورة الكافرين، وهى السورة الثالثة فيما نزل بمكة من القرآن : «**لكم دينكم ولى دين** » ، فانه مما يشكل على بعض من لا يتوقف ويتأنى . فبيقين لا يسمى الله تعالى ما كان عليه المشركون من عبادة الاوثان «دينا» ، بالمعنى الجامع الذى كانوا عليه فى ملتهم ، هذه واحدة . وبيقين أيضا لم يكن الامر يومئذ قد اكتمل بيانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل كان فى أوله ، ليس عنده من الامر شىء الا أمر التوجه بالعبادة والخضوع والطاعة لله الواحد القهار ، دون الاصنام والاوثان التى جعلوها لله شركاء ، وتعبدوا لها لتقربهم الى الله زلفى . والسورة كلها فى معنى «العبادة» لا غير، أى فى معنى الطاعة والخضوع ، دون سائر التفاصيل التى تتصل بالطاعة والخضوع ، من تكاليف وعقائد وأعمال . وهو لم يدعهم الى المتاركة، فيدع لهم ملتهم التى هم عليها ، ويدعوا له ملته التى هو عليها . ولو كان الامر أمر متاركة ، لكان ضربا من الاقرار لما هم عليه ، ولم يكن لدعوته اياهم الى اتباعه معنى يعقل . وانما أمر أن يقول للكافرين : « **يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم** » ، فهو بهذه الآيات يبرأ أن يكون متوجها بطاعته وخضوعه الى ما يتوجهون له بالطاعة والخضوع ، فهما ليسا سواء ، فهو يقيم وجهه بالطاعة والخضوع لله وحده سبحانه ، وهم يتوجهون الى ما لا يعقل من أصنامهم وأوثانهم ، وان زعموا أنهم انما يتوجهون اليها ، ليتقربوا بها الى الله . فامر أن يقول لهم : لكم سيرتكم التى سرتم عليها فى التوجه للاصنام مع زعمكم أنها تقربكم الى الله زلفى ، ولى سيرتى فى التوجه الى الله وحده سبحانه ، فأنتم بريئون بشرككم مما أعبد ، وأنا برىء مما تعبدون . فالدين فى هذا الموضع قريب المعنى من السيرة والطريق ، وهو أخص فى المعنى مما مضى ، وكأنه معنى رابع .

واذن فلفظ «**الدين**» فيما نزل من القرآن بمكة ، لا يحتمل غير هذه المعانى ، فلم يسم الله تعالى شيئا من عبادة المشركين أو أهل الكتاب « دينا » بالمعنى الجامع الذى أشرنا اليه . ولم يسم «الاسلام» نفسه فيما نزل بمكة « دينا » بهذا المعنى الجامع ، لان

جميع شرائع «الاسلام» لم يتم نزولها وقضاؤها الا في المدينة بعد زمان طويل . فمن ذلك أن تمام الصلاة اربعا ، على ما نحن عليه اليوم ، لم يتم الا بعد شهر من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا ، وأقرت صلاة المسافر ركعتين ، كما كانت الصلاة في مكة . والزكاة أيضا لم تتم فروضها الا بعد الهجرة بزمان ، وصيام رمضان وزكاة الفطر ، انما فرضا في شعبان على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة ، ثم تتابعت أحكام الاسلام كلها بالمدينة ، بلا ريب في ذلك . وانما اقتصر الامر بمكة على المحاجة في التوحيد ، واخلاص العبادة لله وحده ، سوى الصلاة المكتوبة قبل تمامها ، فترك الله تسمية ذلك « دينا » بالمعنى الجامع ، كما رأيت .

أما اذا جاء ذكر ما كان عليه أهل الكتاب وغيرهم من الأمم ، فان الله سبحانه لم يذكره حين ذكرهم بلفظ «الدين» بل بلفظ «الملة» . وذلك كالذي في «سورة ص» ، وذلك حين ذكر الذين كفروا وتعجبهم من أن يجيئهم منذر منهم وقالوا هذا ساحر كذاب ، قال الله تعالى بعد ذلك ، يذكر مقالة الكافرين : « **أجعل الآلهة الهـا واحدا ان هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا اختلاق** » ، فالملة الآخرة ، هي النصرانية ، وهي لا تأبى أن تجعل لله ولدا ، كما قال الله تعالى في سورة المائدة : « **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار** » ، الى آيات كثيرة في هذا المعنى ، كقوله للنصارى : « **ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض** » .

وسمى الله ما كان عليه قوم شعيب من الشرك «**ملة**» في سورة الاعراف ، وكذلك سمى كل ضلالة كان عليها قوم «ملة» في سورة يوسف ، وفي سورة الكهف ، وفي سورة ابراهيم ، مما نزل بمكة ، بل سمى الذي كان عليه ابراهيم وولده من الحق الذي لا اختلاف فيه « ملة » ، كقوله في سورة يوسف : « **اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنـا أن نشرك بالله من شيء** » ، ومثل ذلك في سورة الأنعام ، وسورة النحل ، من القرآن الذي نزل بمكة ، ولم يسم الله تعالى شيئا من ذلك « دينا » بالمعنى الجامع .

ثم لما نزل ما نزل من القرآن بالمدينة ، لم يسم الله تعالى شيئا من ذلك «**دينا**» ، بل سمى ما عليه اليهود والنصارى «**ملة**» ، كالذي جاء فيما نزل بمكة ، نحو قوله لرسوله والمؤمنين : « **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير** » . فسمى ما عليه اليهود والنصارى «ملة» ، ووصفهم باتباع الأهواء ، ولم يسم ذلك «دينا» بالمعنى الجامع . وذكر «ملة ابراهيم» في سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة النساء ، وسورة الحج ، هذا مع قوله في هذه السورة : « **ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل** » .



فاذا انتهينا الى ما نزل بالمدينة ، وقد مضى نزول ست وثمانين سورة من القرآن ، فيها أربعة آلاف آية وستمئة وثمـان عشرة آية (٤٦١٨) ، جاء أكثرها في حجاج الكفار من أهل الملل جميعا في شأن التوحيد وتوجيه العبادة لله وحده ، وسائر العقائد التي اختلف الناس عليها بعد أن تباغوا بينهم فبدلوا دين الأنبياء وحرفوه ، واتبعوا أهواءهم ـ وجدنا أن لفظ « الدين » قد جاء فيما نزل بالمدينة في مواضع من القرآن ، وكانت عدة السور التي نزلت بالمدينة ثمانيا وعشرين سورة ، فيهـا ألف آية ، وستمئة وثمان عشرة آية (١٦١٨) ، لم تخل من حجاج أهل الملل من الكفار وأهل الكتاب ، وتضمن معظمها أحكام الله وشرائعه التي فرضها على عباده وارتضاها لهم ، وبين عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي روى عنه ، ومعظم حديثه في المدينة بعد الهجرة ، كما هو ظاهر لمن يتأمل الحديث ويتتبعه .

وقد كنت أحب أتتبع هذا اللفظ في آيات القرآن الذى نزل بالمدينة ، وفى الحديث أيضا ، ولكنى رأيت الأمر يطول ، فآثرت اختصاره .

وقد وجدت أن ذكر « الدين » معرفا مضافا الى « يوم » ، أى « يوم الدين » بمعنى الحساب والمجازاة (وهو المعنى الأول) قد خلا منه ما نزل من القرآن بالمدينة . ولم يأت بهذا المعنى الاول الا فى آية واحدة فى سورة النور ، وهى قوله تعالى : « **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين** » . فطابق هذا تاريخ الدعوة ، لان الامر بعد الهجرة قد اختلف ، وصار الى اتمام العبادة الصحيحة التى يعد بها العابد عابدا لله ، لا فى العقائد وحدها ، بل فى الشريعة كلها : عقائدها ، وعباداتها ، وآدابهـــا ، واصولها فى النظر والاستدلال ، وذلك بعد أن ضرب الاسلام بجرانه واستقر وقويت شوكته فى دار أنصار الله بالمدينة .

ثم وجدت لفظ « الدين » قد جاء معرفا ، مقرونا بذكر « الاخلاص » ، (وهو المعنى الثانى الذى ذكرته آنفا فيما نزل بمكة) ، وموصـــوفا بأنه « قيم » ، (وهو الفرع على هذا المعنى) ، فى سورة البينـــة ، وذلك قوله تعالى فى ذكر أهل الـــكتابين والمشركين جميعا : « **وما أمروا الا ليعبــدوا الله مخلصـــين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** » ، **فهذا بمعنى الطاعة** والخضوع ، وافراد الله بالالوهة ، وخلع الانداد والشركاء والشـــفعاء واتخاذ الولد ، واقامة المطيع وجهه خاشعا خاضعا لله وحده ، مستقيما غير معوج الى طاعة معـــوجة فى يهودية او نصرانية أو عبادة وثن . ومثل ذلك أيضا ما جاء فى آية سورة التوبة فى ذكر عدة الشهور ، وقوله تعالى : « ذلك الدين القيم » .

❋ ❋ ❋

أما « الدين » معرفا غير موصوف ، (وهو الفرع الثانى على المعنى الثانى ، كما ذكرت) ، والذى يراد به الطاعة والخضوع لله على وجه واحـــد لايختلف ، وذلك هو الوجه الذى وصى به أنبياءه جميعـــا ولم يختلفوا عليه ، وأمروا أن لايتفرقوا فيه ، فقد جاء فى آيات كثيرة ، فى سورة البقرة فى ثلاثة مواضع ، وفى سورة آل عمران ، وفى سورة النســـاء ، وفى سورة الانفال فى موضعين ، وفى سورة التوبة فى موضعين ، وفى سورة الحج ، وفى سورة الاحزاب ، وفى سورة الممتحنة . وهـــو يتضـــمن بيان معنى « الدين » بأنه « الاســـلام » ، وأن « الدين لله » ، ولذلك جاء فى هذا المعنى فى ســـورة آل عمران : « **ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم** » ، وذلك دال تمام الدلالة على أن ما سوى « الاسلام » على الوجـــه الذى وصى به ابراهيم ويعقوب ولدهم من الانبياء ، سمانا به ابراهيم (مسلمين) كما فى سورة الحج ، لا يسمى « دينا » بل هو « ملة » لا غير . يصدق ذلك قول الله فى سورة آل عمران : « **ومن يبتغ غـــير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهـــــو فى الآخرة من الخاسرين** » ، ثم زاد الله تعالى بيانا فى سورة المائدة ، وهى من آخر ما نزل من القرآن ، وفى الآية التى هى تمام الدين ، وذلك قوله تعالى : « **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

ثم جاء « الدين » مضافا الى « الله » سبحانه ، والى « الحق » ، فى سورة آل عمران ، وسورة التوبة فى موضعين ، وفى سورة النور ، وفى سورة الفتح ، وسورة الصف ، وسورة النصر ، ويراد به «الاسلام» كله الذى لم يسم الله ملة من الملل غيره « دينـــا » كما أسلفت . وبين ذلك بيانا واضحا فى قوله فى سورة التوبة ، وسورة الفتح ، وسورة الصف ، وهن جميعا من آخر القرآن نزولا : « **هو الذى أرســـل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** » ، فعرف « الدين » بالاضافة الى « الحق » ، وعنى به الاسلام ، ثم ذكر « الدين » معرفا ، مفردا ، ثم وصفه بلفظ « كله » الدال على معنى الجماعة ، فكأنه قال « على كل دين » ، ولكنه سبحانه لايسمى شيئا من هذه الضلالات فى عبادته وطاعته « دينا » ، فجاءنا بالحق فى العبارة عن هذه الملل التى يدعى أهلها أن الذى هم عليه عبادة له سبحانه ، فجعلها كلها ملة واحدة فى الكفر وان اختلفت أسماؤهـــا ، وتفرقت طرقها فيما يزعمون أنه عبادة لله سبحانه ، وليست هى بعبادة انما العبادة التى ارتضاها الله ، وجعلهـــا ظاهرة عالية على كل عبادة باطلة ، هى عبادة الاسلام « دين الحق » على الوجه الذى أمرنا ربنا أن نعبــده عليه ، فى أعمالنا وفى عقائدنا ، وفى أحكامنا ، وفى أصول تفكيرنا ونظرنا .

فصار بيننا بعد هذا ان الله سبحانه لا يرضى لنا ان نسمى شيئا من الملل « دينا » ، سوى ملة ابينا ابراهيم عليه السلام ، وملة انبيائه جميعا ، وهى « الاسلام » « دين الله » الذى لايقبل من عباده دينا سواه ، والذى ارسل به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ليبطل الملل كلها ، ولا يكون شىء منها يسمى « دينا » سوى « الاسلام » ٠ واذن فقول المسلم مثلا : « الاديان السماوية » ، قول مخالف لعقيدة أهل الاسلام فى حقيقة هذه الملل التى عليها الناس أحمرهم واسودهم ، فان الله لم يرسل نبيا من انبيائه بدين غير الاسلام ، وكل ما خالف الاسلام من الملل فى عقائدها ، وعباداتها ، وآدابها ، واصول تفكيرها ونظرها ، فالمهيمن عليه وعلى صحته او بطلانه ، هو القرآن كتاب الله ، والحديث حديث رسول الله ، والدين والقيم ، هو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه هو وأصحابه والتابعون لهم باحسان الى يوم الدين ، وكل من فارق دينه الذى بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ، ووثنى ، ويهودى ، ونصرانى ، ومتحنف ، ومن ابتدع فى الدين ماضل به عن الصراط المستقيم فداخل فى قوله تعالى فى سورة الانعام : « **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء** » ٠

وقد بقى شىء كثير كنت أحب أن أقوله فى بيان الحق ، حتى لا نهوى فى الضلالة ، فى زمان قد فتن الناس فيه ما يرون من غلبة الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، والذين فرحوا بما عندهم من العلم ، والذين غضب الله عليهم وزادهم بضلالتهم ضلالة ، مع ما عندنا من الدعاء اللازم فى كل صلاة مرات : « **اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** » وبين أن المغضوب عليهم هم الذين جاءهم الكتاب فكتموا ما فيه وبدلوه ، وأن الضالين هم الذين جاءهم الكتاب من بعده فاضاعوه ، وابتدعوا لهم عبادة بغير علم موروث عن أنبياء الله ٠ونحن اليوم أحوج ماتكون الى تخليص أعناقنا من ربقة العبودية للاهواء ، بعد ان أذاقنا الله لباس الجوع والخوف ٠ ولن يتم لنا شىء من ذلك حتى نصحح الاصل الذى ننظر به الى الاشياء من حولنا ، على الوجه الذى أمرنا الله أن ننظر ونفكر ونعمل ، فان النظر والفكر والعمل كل ذلك عندنا عبادة قد بينها الله فى كتابه وسنة نبيه ، بيانا شافيا كافيا لا يمارى فيه الا من وقع عليه ما قاله سفيان ابن عيينة : « من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ،ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى» ٠ ونحن اليوم أولى أن نقيم وجوهنا للدين حنيفا ، مخافة أن نقع فيما أنذرنا به نبينا ، فى الحديث الذى رواه معاوية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر افتراق الفرق فى الدين ثم قال: « انه سيخرج من أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله ٠ ثم قال : والله يامعشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به » ٠ وأعاذنا الله ان نكون من هؤلاء ٠

وأرجو أن أتم هذا فى مكان غير هذا المكان ، وفى وقت غير هذا الوقت ٠

« **محمود محمد شاكر** »



تلاوة قرآنية

أديب لبنان **أمين نخلة**

اصبحت ، بعد أن قضى الشيخ محمــــد رفعت اجله ، وانطوت بانطوائه اجادات الترتيل ، هيهات أن تسمح نفسي لسماع تلاوة قرآنية .

لم يطب لي منزل بعد (النقا) ، لا ولا مستحسن من بعد «مي» فقال لي أحد الأصدقاء منذ أيام تا لله تفتأ تذكر محمدا ، ولسوف تسمع في منزل فلان الليلة قارئا يملأ نفسك سرورا وخشوعا .

فلما غدونا في ذلك المنزل ، والحضور بين يدي « القارىء » في حلقة حاشدة ، عرفت صاحبنا معرفة وجه ، وعهدي به في المدينة يعمل في أحد المتاجر . لم أعهده من الذين أوتوا أسرار الطرب في حناجرهم ــ وهل بعد براعة التجويد من طرب !؟

وقد كان أول ما تيسر له في الجلسة قراءة آيات من سورة « هود » منعطفا في التـــلاوة الى وصف الطوفان » كأنه اليه كان يقصد » مراسلا بصوته مقامات القول ، يصاحبهــــا بين التحدر والارتفاع والبسط والقبض ، متمهلا ، متهودا قبل أن يندفع في المفاجاة . حتى اذا بلغت التلاوة في خبر الفلك الى لفظتي «موج كالجبال» تلقت أعلى براعات الصوت أعلى براعات الكلام ، اذ جمع طرفي صوته ونهض بهما من أقرب مآتي اللحن في الدرجات العالية ، الى ما يشبه في جلجلته عواظم الأواذي تهضب في اصــطفاق وصــخب ، وتلتطم ، وتترشش من شدة الوقع على كل جانب .. ذلك كله ممثلا في لفظتين اثنتين !!

ولما قال نوح في القصــــة لابنه ، وكان ابنه في معزل عنـــــه : « يابني اركب معنـــــا ، ولا تكن مع الكافرين » اذا بالصـــوت قد طفق يتحدر من تلك الطبقة المهيبة الى القرار ، منسابا في رفق وحنان ورقة تمثيلا لاشفاق الابوة والتلطف بالنصيحة .

وماراعنا بعد ذلك المشهد الصوتي الهادىء الناعم الا وصول التلاوة الى وصف الغرق في آية : « وحال بينهمــــا الموج فكان من المغرقين » فان الصـــــوت تماسك بالنغم قليلا ، ثم تقبض ، ثم دار مدارا هائلا ، وانصب عند القرار في مثل اللجة العميقة .

أما ماكان من تدبر القارىء لهذا الموضع المطرد الاعجاز من القصة : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، وياسماء أقلعي ، وغيض الماء ، وقضي الأمر واستوت على الجودي » ، وما وفق له من تمثيل في النــبر لفعل الأمر المتلاحقين في الآية ومن تمثيل في الارسال للجمل الاخبارية الآخذ بعضـــــها ببعض في أبلغ واوات خمس عرفها هذا اللسان العربي ، وما سهل عليه في تلاعب النغم بالخفوت والتراخي والتشقق من مماثلة لما قــر بعـــد الحادث الجلل من سـيول وأمطار وأواذي وأعاصير وســحائب ورعود وبروق وصياح وجلبة وهول عميم أقول :

ان ذلك من عجب الفـــن الذي لا يتعلـــــق به وصف :

« قارىء » صوته طوع يده ، فهـــو يصرفه كيف شاء وتبارك الله « يزيد في الخلق ما يشاء » وفي بعض القـــراءات : « في الحلـــق » أي بالحـــاء الساكنة ..

« **أمين نخلة** » : **بيروت**

بحوث لغوية تاريخية

بقلم : حامد عبد القادر

٣٩ ـ داود فى العهد القديم

هو بالعبرية דָּוִד داويد ، بواو قد ينطق بها مثل الحرف فى اللغة الانجليزية فيتا وحركة الواو كسرة خالصة أو ممالة أطيلت لوقوعها فى مقطع منبور .

ومادته الاصلية هى « دود » وتفيد فى العبرية «المحبة» وتفيد هذا المعنى أيضا مادة « ى‌دد » ، ويقابلهما فى العربية مادة ود بمعنى أحب .

والاسم داود اما أن يكون على صيغة اسم الفاعل من هذه المادة فى الآرامية اذا جعلنا كسرة الواو طويلة ممالة ، فيكون بمعنى محب بضم الميم وكسر الحاء ، واما أن يكون على صيغة اسم المفعول فى الآرامية أيضا اذا جعلت كسرة الواو طويلة صريحة، فيكون معناه محبوب . وصيغة فعيل هذه تأتى من اللغة العربية بمعنى مفعول أيضا ، كما فى قتيل وجريح وذبيح .

ويرجح بعض علماء اللغة المعنى الثانى مستندين فى ذلك الى صورة هذا الاسم فى اللغة العربية وهى داود ، فهو فى رأيهم على صيغة فعول التى ترد فى العربية بمعنى مفعول . وقد ذكرنا فى المقال السابق أن ابن سيده قد عقد فى كتاب **المخصص** (ذكر هناك «الخصائص» سهوا) فصلا ذكر فيه كثيرا من الالفاظ العربية التى وردت على وزن فعول بمعنى مفعول .

وصيغة « فاعول » أو فعول هى الصيغة الاصيلة التى تشتق من الفعل الثلاثى لتفيد معنى اسم المفعول فى اللغة العبرية .

ونذكر بهذه المناسبة أنه يكاد يكون من المتفق عليه أن صيغة «مفعول» فى اللغة العربية مركبة من ما وفعول اى ما فعل بضم الفاء أو فتحها ، وعلى مر الزمن قصرت حركة الميم ، واندمجت الكلمتان فصارتا كلمة واحدة هى **مفعول** .

وما قيل فى مفعول يقال فى مفعل كما فى مكرم بكسر الميم أو فتحها ، فأصله مركب من **من أو ما** ويكرم ، أى من يكرم بكسر الميم أو فتحها . وعلى مر الزمن اكتفى بالميم ونقلت حركة حرف المضارعة اليها .

ويؤخذ مما سبق أن مادتى **دود، و ى‌دد** العبريتين تقابلان مادة **ود** فى العربية ، ولا غرابة فى ذلك ، فالحرف الاساسى هو الدال مكررة ، أما الواو أو الياء فحرف مكمل يجعل المادة ثلاثية .

وقد كان ينبغى أن يكتب هذا الاسم فى العربية بواوين ، ولكن المعرب تأثر فى تعريب هذا الاسم بالعبرية التى يكتب فيها بواو واحدة .

وقد آن لنا أن نتحرر من ربقة التقيد بالعبرية أو محاكاتها فى هذه الحالة وفى حالات أخرى ذكرنا بعضها فيما مضى عند الكلام على اسماعيل واسحاق .

قد يقال ـ وكثيرا ما قيل ـ ان كتابة هذا العلم بواوين يترتب عليه اجتماع واوين متجاورتين فى كلمة واحدة ـ فأقول ان الواوين قد اجتمعتا فى نحو يتوون ، ويهوون ويلوون ويأوون ، بل لقد اجتمعت

ثلاث واوات في يؤوون المضارع من أوى مسندا الى جماعة الغائبين ·

نعـم لقد اجتمعت الواوان والثلاث فلم تنشـق الارض ولم تخر الجبال هدا ، ولماذا يزعجنا اجتماع الواوين ؟ بل لماذا لا يسرنا اجتماعهما اذا عددنا كلا **منهما كالواو في خدود الملاح ·**

ويذكر بعض الظرفاء سببا آخر في حذف الواو من داود ، فيقـــول ان أميرا تركيا اسمه داود كان يستمع الى أحد النحاة وهو يعلم بعض الصبية علم النحو ، فسمعه يكرر الجملة «ضرب زيد عمرا » ، فقال الامير : ولماذا يضرب زيد عمرا دائما ولا يضرب شخصا آخر ؟ فأجاب النحوى : ان عمرا قد سرق «الواو» من داود فسلط الله عليه زيدا يضربه الى يوم القيامه ·

فالواجب أن ترد البضـــاعة الى أهلها ، فنأخذ الواو من عمرو ونردها الى صـــاحبها داود فبذلك نبرى زيدا من تلك التهمة ، ونقضى على الظلم الذى يشير اليه الشاعر فى قوله :

أيهـــا المدعى انتسابا لسلمى
لست منهـــا ولا قلامة ظفر
انمـــا أنت من سلمى كـواو
ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

يقال ان الواو زيدت فى عمرو للتفرقة بينه وبين عمر ، وقد يكون هذا التعليـل مقبولا اذا ثبت أن الاسمين وجدا معـــا ، أو أن التسمية بعمرو جاءت متأخرة عن التسمية بعمر ، مع أن الواقع على العكس من ذلك ، فقد شاعت التسمية بعمرو فى الجاهلية قبـــل التسمية بعمر ، فكيف تكون هذه الزيادة للتفرقة بين اسم قد وجد واسم لم يوجد بعد ؟

هذا الى أن التسمية بعمرو لم تكن مقصورة على العرب فى الجاهلية ، بل انها قد شاعت بين غير العرب أيضا ، يضاف الى هذا وذاك أن اضافة الواو فى الآخر ليست مقصورة على الاسم «عمرو» ، بل انها قد أضيفت الى اعلام أخرى فى بعض اللغـــات السامية الاخرى كما فى فهرو ، ومقيتو ·

ويبدو أن التعليل الصحيح لزيادة الواو فى هذه الاعلام وغيرها من الكلمات هو أنها بقية باقية من آثار الاعراب الذى كان من خصائص بعض اللغات السامية القديمة ، وقد يؤيد هذا الرأى أننا نجـد هذه الزيادة فى كثير من الكلمات الأكدية (البابلية ـ الاشورية) مثل أسابو بمعنى جلس ، وايدو بمعنى يد ·

ويؤيده أيضا أننا نجد فى نقش ميشع ، الذى يرجع تاريخه الى القرن الثامن قبل الميلاد ، انه الياء لا الواو قد أضيفت الى آخر هذا العلم فقيل عمرى·

والخلاصة أن زيادة هذه الواو ليست للتفرقة بين عمرو وعمر · والرأى عندى أن نحذف هذه الواو وأن نترك التفرقة بين العـلمين للسـياق · ومن السهل أن نفرق بينهما فى الطبع بتشكيل العين أو الميم فى أحدهما ·

والغرض من هذا كله هو أن تجعل الكتابة مطابقة للنطق لا أكثر ولا أقل ·

ويكفى هذا القدر فى الكلام على داوود من الناحية اللغوية ، أما من الناحية التاريخية فان قصته فى الكتاب المقدس لدى اليهود تختلف عنها فى القرآن الكريم اختلافا جوهريا ·

فالعهد القديم وهو الكتاب المقدس لدى اليهـود يصور داوود فى صورة بطل صنديد ، ماهر فى فنون الحرب والمبارزة ، متمكن من أصول القتـال والنزال ، ثم ملك شديد البأس ، قوى الشكيمة ، قد بذل جهــودا موفقة فى غزو البلاد واخضـاع العباد ·

على أن جلوسـه على عرش الدولة اليهودية الاولى لم يكن بالامر الهين ، ذلـك أن بنى اسرائيـل قد انقسموا على أنفسهم بعد وفاة طالوت ، فنادى أحد عشر سبطا منهم بأحـد أبنـاء طالوت ملكا عليهم ، ونادى السبط الثانى عشر وهو سبط يهودا بداوود ملـكا عليهم ، فجعل داوود مدينة حبرون جنوبى أورشليم عاصمة لملكه · وعلى مر الزمن وبعد حروب دامية تغلب على خصومه فانتقل الى أورشليم وجعلها عاصمة لملكه ·

وكانت حروبا مريرة استمرت عدة سنوات بين آل طالوت وعبيدهم وآل داوود وعبيدهم ·

وبعد فليس بعجيب أن ينقسم الشعب المختـار على نفسه · فيصبح فريقين متخاصمين متنازعين بل متعـاد ين ، وأن تنشب بينهما تلك الحروب التى اريقت فيهـا الدماء ، وأزهقـت الأرواح فى سـبيل النزاع على كرسى الحكم ، والتكالب على حطام الدنيا الزائل ·

أقول ان هذا ليس بعجيب فان التاريخ يقص علينا قصص كثير من الأمم التى انقسـمت كل منهـا على نفسها من العصور القديمة والمتوسطة والحديثة · فهذا أمر مألوف لا غرابة فيه ·

بيد أننا نريد أن نقول ان حياة بنى اسرائيل من

وفاة موسى عليه السلام الى استيلائهم على فلسطين ـ تلك الحياة التى استمرت عدة قرون ـ كانت حياة عادية ليس فيها شيء من المعجزات ، ولا من خوارق العادات ، فقد كانت اقامتهم فى الصحراء تلك القرون الطوال سببا فى تقويتهم وتعودهم الشجاعة التى هى مقدمة صفات سكان البادية ، مثلهم فى ذلك مثل غيرهم من الشعوب التى نشأت فى الصحراء فلما قويت أغارت على البلاد الخصبة المجاورة لها ٠

وبعد اقامة بنى اسرائيل فى البادية تلك المدة الطويلة ظهر فيهم من لم شملهم وجمع كلمتهم ، وجعلهم يقاتلون فى ظل واحد ، فحسنت حالهم فى عهد طالوت ، ثم قويت شكيمتهم واشتد بأسهم فى عهد داوود، الذى كتب الله له النصر المؤزر فاستولى على فلسطين وتغلب بحد السيف على سكانها الكنعانيين ٠

ونريد أن نؤكد قولنا بحد السيف ، لأن استيلاء بنى اسرائيل على مدن فلسطين الواحدة بعد الأخرى لم يكن أمرا هينا سهلا، وانما كان شاقا مرهقا أريقت فى سبيله الدماء ، وقتلت الأطفال والنساء ٠

ومعنى هذا أن دخول بنى اسرائيل الأرض المقدسة لم يكن قائما على صلح أو مسالمة، ولا نتيجة لمعجزة ربانية خارقة للعادة ، وانما كان استيلاؤهم عليها عنوة واغتصابا ، وظلما واستلابا ، بعد مقاتلة أهلها الشرعيين وهم الكنعانيون الذين احتلوا البلاد منذ أمد بعيد لا يعلم بدايته الا الله تعالى ٠

ونخلص من هذا كله الى أن بنى اسرائيل لم يكونوا منذ البداية أهل فلسطين الشرعيين ، وانما كانوا لها مغتصبين ٠ وقد عرفنا فيما مضى أن هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم بنى اسرائيل لم يكونوا شعبا واحدا حرا أصيلا متصفا بالحصانة الشعبية ، بل كانوا خليطا منهم ومن غيرهم من القبائل الكنعانية المتعددة التى ذكرنا أسماءها من قبل ، وقلنا ان بنى اسرائيل خالطوهم وصاهروهم ٠ واستمرت المصاهرة ودوام الاختلاط عدة قرون حتى صارت تلك الشعوب المختلفة بمثابة شعب واحد ذى تقاليد متشابهة ، ولهجات متقاربة ٠

وها نحن أولاء نرى التاريخ يعيد نفسه ، فهذه الدويلة التى تحتل فلسطين العربية ظلما وعدوانا ليست كلها من أحرار بنى اسرائيل الخالصين من شوائب الجنسيات الغريبة ، وانما هى أخلاط من بنى اسرائيل ومن نسل الشعوب الذين اختلطوا بهم فى أنحاء العالم منذ أن طردهم الرومان من فلسطين سنة ٧٠ م ، أى منذ ما يقرب من تسعة عشر قرنا ٠

ولم يكن دخول هذه الأخلاط فلسطين العربية مصالحين مسالمين ، وانما كان نتيجة لقتال مرير صحبه قدر غير يسير من أنواع الغدر الممقوت ، والخيانة الوضيعة والمؤامرات الدنيئة من جانب الصهاينة الأشرار ، الذين أكل الحقد قلوبهم ، وملأ الغيظ أفئدتهم ، وطبعوا على الغدر والخيانة ، كما كان ديدن أسلافهم منذ القدم ، وكما جرت به عادتهم منذ أن خلقهم الله٠ ومما يدعو الى الأسى والأسف أن ما يسمى بالعالم الحر قد انضم الى جانب الشر، وظاهر تلك الفئة الظالمة، وكان شريكا له فى تدبير المؤامرات، وارتكاب الخيانات ، وخيانة الأمانات ، والاستهزاء بالعهود والمواثيق ٠

ولم يكتف العالم الحر بذلك بل انه كثيرا ما تغاضى عن آثام هؤلاء الباغين ، ودافع عنها فى المحافل الدولية، وبذلك شجعهم على البغى، وارتكاب المظالم التى يشمئز منها ضمير الانسانية ، ويأباها الخلق القويم ٠

نعود الى قصة داوود كما يقصها العهد القديم فنجد فيها ما يدعو الى العجب أشد العجب ، ذلك أن هذا الكتاب المقدس لدى اليهود يعزو الى هذا النبى الكريم بعض أمور تنفر منها الفضيلة ويأباها مقام النبوة الرفيع ٠

ان هذا الكتاب يروى عن داوود ما يصمه بوصمة الشهوانية والاستهتار بالأعراض، فقد روى أن داوود رأى ذات يوم وهو على سطح بيته امرأة جميلة تستحم فاولع بها، وسأل عنها فقيل له انها بتشبع امرأة جندى يسمى أوريا الحثى ، فطلبها لنفسه ٠ ولما دخلت عليه اضجع معها ، ثم رجعت الى بيتها ٠

وقيل بعد ذلك ان تلك المرأة حملت فأحب داوود أن يستخلصها لنفسه، فأوعز الى أمير جنده أن يأخذ أوريا زوج المرأة ويجعله فى مقدمة الجيش ، ويأمر الجنود أن ينصرفوا من حوله كى ينقض عليه الأعداء ليقتلوه ٠

وقد حدث ذلك فندبت المرأة زوجها ، ولما انقضت أيام الحداد ضمها داوود الى بيته ، وصارت احدى نسائه ، وولدت له ابنا ذكرا ٠ ومرض الوليد فحزن عليه أبوه ، وأخذ يصلى من أجله، ولكن القدر وافاه٠

وحملت بثشبع مرة ثانية ووضعت ابنا ذكرا أيضا سمي سليمان . (الفصل الحادى عشر من صمويل الثانى) ولم يرض الله تعالى عما فعله داوود فارسل اليه ، ناثان النبى فقال له مستفتيا :

« كان رجلان في مدينة واحدة ، واحد منهما غنى والآخر فقير وكـان للغنى غنم وبقر كثير جدا واما الفقير فلم يكن له شيء الا نعجـة واحدة صـغيرة قد اقتناها ورباها ، وكبرت معه ومع بنيه جميعا ، تأكل من لقمته ، وتشرب من كأسه ، وتنـام في حضنه وكانت له كابنه » .

« وجاء ضيف الى الرجل الغنى فأبى أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيىء (الطعام) للضيف الذى جاء اليه ، فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ (الطعام) للرجل الذى جاء اليه » .

فاشـتد غضب داوود على الرجل « الغنى » وقال لناثان حى هو الرب ، يقتل الرجل الذى فعل ذلك، وترد النعجة أربعة اضعاف ، لأنه فعل ذلك الأمر ولم يشفق على الفقير .

فقال ناثان لداوود : « انت هو الرجل ، هكذا قال الرب الاه اسرائيل ... قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك زوجة ... والآن لايفارق السيف بيتك الى الأبد ، لأنك احتقرتني واخذت امرأة أوريا الحثى .. هانذا أقيم عليـك الشر في بيتك ، وآخذ نساءك امام عينيك ، واعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين الشمس » .

فقال داوود : قد أخطأت الى الرب . فقـال ناثان « الرب أيضا قد نقل عنك خطيئتك ، لا تموت ، غير أنه من أجل ذلك جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون فالابن المولود لك يموت (الفصل الحادى عشر من صمويل الثانى ١ـ١٥) هذه هي القصة كما رواها كاتب الفصل الحادى عشر من سفر صمويل الثانى ، وهى التى يشير اليها القرآن الكريم في أسلوب جميل مهذب ، مع قدر يسير من الاختلاف ، بقـوله تعالى : «وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب، اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ، ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ، فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخلطـاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داوود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ، فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » ص ٢١ ـ ٢٥ .

ويروى كاتب الفصـل الأول من القسم الأول من سفر الملوك (في العهد القديم) أن داود لما تقدمت به السن كانوا يدثرونه بالثياب ليدفأ ، فأشار عليه عبيده بان يأتوا له بفتاة عذراء تكون في خدمته ، وتضطجع في حضنه ليدفأ فجاؤوا له بفتاة جميلة جدا، فكانت حاضنته وخادمة له (الملوك الأول ١:١ـ٤).

هذا وان العجب ليشتد بنا حين نقرأ أن داود ذلك النبى المؤمن يقيم في بيته أوثانا كأنه من الوثنيين ، فقد قيل ان « شـاؤول ارسل الى بيت داود رسـلا ليراقبوه ويقتلوه في الصباح ، فأخبرت داود ميكال امرأته بذلك وقالت ان كنت لا تنجو بنفسك هـذه الليلة فانك تقتل غدا ،فأنزلت ميكال داوود من الكوة، فذهب هاربا ونجا ، وأخذت ميكال «الوثن» ووضعته في الفراش ، ووضعت لبدة المعزى على رأسه وغطته بثوب » . (صمويل الأول ١٩ : ١١ ـ ١٣) واننا لندهش اذ نقرأ أيضا أن هـذا النبى يأمر بأن يقتل ثم يصلب سبعة من أبناء أعدائه باسم الرب (صمويل الثانى ٢١ : ٤ ـ ٩) .

ونعجب وندهش كذلك حين نقرأ أن داود نبى الله يوصى وهو على فراش الموت ابنه سليمان بقتل رجل سبق أن أقسم أنه لن يقتله (الملوك الأول٢:٨ـ٩).

ويذكر كاتب القسم الثانى من سـفر صمويل عن أحد أبناء داود قصة تشمئز منها النفس ، ويندى لها جبين الفضيلة، ذلك الابن هو أمنون (بفتح فسكون) وتتلخص قصته المخزية في أنه أحب أختا له من الأب اسمها ثامار أخت أبشـالوم بن داوود وأخى أمنون من أبيه ، وكانت ثامار عذراء جميلة . ولما لم يستطع أمنون أن يصل اليها بالطرق العادية ادعى المرض ، وطلب أن يأتوا له بأختـه ثامار لتـكون في خدمته في أثناء مرضه كي يأنس بها. فلما جاؤوا بها أخذها الى مخدعه وأمسك بها ، وقال لها : « تعالى اضجعى معى يا أختى » فقالت : لا يا أخى لا تذلنى ، لأن مثل هذا لا يفعل في اسرائيـل . وحاولت التخلص منه فلم تفلح ، فتمكن منها ، وقهرها واضطجع معها .

ومن عجب أن ذلك المعتـدى الأثيم يبغض أختـه المعتدى عليها ، وأن يكون بغضه لها أشد من حبـه

لها من قبل ، وان يأمر بطردها واغلاق الباب من ورائها ·

وكانت هذه الفعلة الشنيعة سببا فى قيام عداء شديد بين ابشالوم أخى تامار وامنون الأثيم · واشتد العداء حتى أدى الى أن تآمر الأول على الثانى وقتله ، ووقعت على اثر ذلك بين آل داوود فتنة أقضت مضجعه ونغصت عليه حياته (صموئيل الثانى ١٣ وما بعده) وزاد الطين بلة أن خرج أدونيا أحد أبناء داوود على أبيه وادعى الملك لنفسه ، وتبعه عدو عظيم من بنى اسرائيل. فأغضب ذلك بتشبع أم سليمان من داوود، فثارت ثائرتها واخبرت داوود بما حدث ، فغضب وأسرع فأخمد نار الفتنة وقضى على تمرد أدونيا ، وذلك بان أمر أن يكون سليمان ملكا على بنى اسرائيل من بعده (الملوك الأول ١ : ٥ ـ ٢٥) ·

وبعد فهذه قصة داوود وآله كما يرويها العهد القديم وقد رأينا فيها كثيرا مما يشين داوود ويبعده عن مستوى الأنبياء القائمين بالقسط الموفين بالعهد·

واننا لفى حيرة حقا من أمر تلك الحوادث المخجلة التى يرويها العهد القديم عن داوود، فاما أن نصدقها فنخرج داوود من زمرة الأنبياء ، وندخله فى زمرة الظالمين الآثمين من الملوك الوثنيين · واما أن نكذبها ونقول بانها مختلقة مفتراة ، ونعزو افتراءها الى أعداء داوود ، وكانوا كثيرا كما يؤخذ من نصوص كثير من المزامير ·

واننا لنعتقد صحة الرأى الثانى مستندين فى ذلك الى ما يقصه علينا القرآن الكريم عن داوود عليه السلام · والقرآن الكريم هو الصادق الأمين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه · وهو ـ كما قلنا من قبل ـ المهيمن على الكتب السماوية ، المصدق لما هو حق فيها ، المكذب لما هو باطل من رواياتها ·

فلنحتكم اذن لهذا الصادق الأمين ، فانا واجدون فيه ما يشفى الغلة ويذهب بالحيرة ·

وهذا هو ما سنوضحه فى المقال التالى ان شاء الله ·

حامد عبد القادر

قصيدة صوفية

للشاعر التركى نيازى المصرى
ترجمة أكمل الدين محمد إحسان

أنا الذى أطلع على أسرار علم آدم
أنا الذى اكتشفت كنز الحقيقة ، أنا روح العالم

فى اختفت أسرار غيب الغيب
فى أضمر سر الأمانة (١) وأنا كنزها المبهم

رأيت جمال الحق متجليا فى كل العوالم
من أجل هذا أبتهج

كلما رنوت الى هذه المرآة
كل كلماتى أصبحت مفاتيح «كنت كنزا مخفيا»(٢)
انفاس عيسى أصبحت لها قرينا
أنا الآن متحد بذاتك واسمائك وصفاتك
اسبابى كلها متصلة بكل ما فى ارضك وسمائك
لقد صرت للجلى والخفى طلسما اعظما
أنا ذلك المصرى (٣) الذى ملك مصر جسده
أنا حادث لكننى سر القدم ،
ان تمنعت قليلا فى وجودى

---

(١) اشارة الى الآية الكريمة «انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها ..»

(٢) اشارة الى الحديث القدسى « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق »

(٣) اشارة الى اسمه .

صقلية وابن حمديس

في أواخر القرن الخامس الهجري

للدكتور: محمد عبد الهادي شعيرة

بين يدي كتيب عن الشاعر **ابن حمد يس الصقلي** الفه أديب من مصراته ، بلـــد المؤرخ ابن غلبون ، وبلد كثير من أهل العلم قديما وحديثا ، وهو « علي مصطفى المصراتي » من ليبيا « راجع دار المعارف عام ١٩٦٣ » .

ومن القراءات ما يحرص الانسان فيها على التأمل بل لقد وجدت نفسي عندما عكفت على التماس صورة ابن حمديس من ثنايا هذا الكتاب ، حريصا على أن أسجل صورة مختارة لهذا الشاعر العربي الصقلي المطبوع .

وحديث ابن حمديس حديث ينتقل بنا نحن أهل هذا العصر الى أعماق الماضي ، لنتصور دنيـــانا منذ تسعة قرون .

منذ تسعة قرون بدأ الزحف الأوربي الصـــليبي ، وهـــو الزحف الذي تكرر مـــرات حتى بلـــغ أقصى خطورته في عصرنا هذا .

وفي أثناء هذه القرون الطويلة صـــارعت بلادنا العربية الاســـلامية المحن والخطوب ، واستجمعت قواها مرات ، وذاقت حلاوة النصر ، كمـــا ذاقت مرارة الهزيمة ، دون أن يزدهيها النصر أو يثنيهـــا الفشل ، ولاتزال أجيالنـــا الحديثة تبعث الأمل تلو الأمل ، حتى اجتمع لنا من ذلك الجهـــاد العنيف المتواصل الحازم ملحمة من ملاحم التاريخ الضخمة ، وهي ملحمة فريدة تكاد تجاوز الحـــدود التاريخية المعروفة للملاحم البشرية ، من وجوه كثيرة .

عاصر ابن حمديس المحنة الأولى من هذه المأساة الطويلة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، وهي المحنة التي ضاع فيهـــا الوطن الصقلي ، ورأى ابن حمديس وطنه الذي ولد فيه يقع في يد الأعداء وسجل في عالم الشعر احساساته ، وترك للتـــاريخ صورة مريرة من شـــعور أهل عصره ازاء هـــذا الحدث .

يذكر ابن حمديس مجالات ضاع ذكر بعضها في طوايا التاريخ ، حتى تناســـت الأجيال الحـــاضرة أمرها ، ويسجل في ذلك آمال أهل عصره في استرجاع صقلية ، وهي آمال سجلها المؤرخون ، في شيء من الجفاف ، ولا يحن اليها الا المؤرخون ، فهـــم الذين يرميهم الحنين الى وطن ابن حمديس بصقلية ، والى مثوى ابن حمديس في جزائر ميورقة ، والى جولان ابن حـــمـــديس بين تونس والاندلس وأقصى المغرب

وكان أول هذا الشر ــ الذي أضـــاع الجزيرة (عام ٤٨٤ هـ) وقلب حياة ابن حمديس وشرده كما شرد غيره شرا تابعا من جزيرة مالطة (عام ٤٤٤ هـ) وكانت مالطة جزيرة تملكناها وحملنا اليها حضارتنا ثم انتزعها العدو من أيدينا (منذ عام ٣٧٢ هـ) .

وأولية هذا الشر أمر حفظته أمثالنا العامية فسرنا نضرب بخراب مالطة المثل لكل محاولة تعالج بعد فوات الأوان ومن العجيب أن نجد في هـــذا المثل العامي من الصدق التاريخي مالا نجده في دراسات الدارسين للتاريخ اليوم .

من مالطة اذن امتد الشر الى صقلية ، ثم اتسع الهجوم بعد بضع وعشر سنين ، وامتد الى السواحل الشامية .

وشاعرنا لا ينسى مأساة صقلية في كل انتاجه الشعري ، بل ان المأساة ماثلة في خاطره مثولا ملحا يتبدى في كل تعبيراته ، وفي كل فنون الشـــعر التقليدية ، في الحنين الى الوطن ، وفي الحماسة ، وفي مجالات الفروسية ، وفي الغـــزل وفي الرثاء . والشاعر فوق ذلك يتحدث عن شعور جيله بالخوف ــ أو بالضبط ــ بالقلـــق ويتحدث عن الأمن المدعم الذي كان سائدا في العصور السابقة .

ومثول هذا القلق في الذهن هو الظاهرة المبتكرة في هذا العصر ، بما ابدعت من فنون البلاغة لدى ابن حمـــدون ، ولدى معاصره أبي العـــرب الصقلي وغيرهما .

وهذه الظاهرة ، ظاهرة القلق تتبدى حتى في أبعد الفنون الشعرية عن المأســـاة التاريخية ، وهو فن الغزل . ولسنا نقصد الى دراسة الغـــزل عند ابن

حمديس، ولكنا نقصد الى ماوراء هذا الغزل من صورة المأساة الصقلية ٠

ولابن حمديس بيت فى الغزل ابتكر فيه معانى سبق اليها وصاغها دون تكلف فى اللفظ ، ولا اغراب فى التركيب ، حتى لكأن بيته هو النثر الشعرى ، وقد استوحى الشاعر هنا التعبير من اصالة شعوره : يقول ان حبيبته غزال (او رشا باللغة الشعرية) وهذا تعبير مبتذل ، أما المعنى العبقرى فهو فى تصوير حنينه الى غزاله تصويرا يلمس القلب بلطفه وروعته وفلسفته وموسيقاه ، يقول :

رشـــا أحن الى هواه كأنه
وطن ولدت بارضه ونشـــيت

ووراء هذا التشبيه صورة عزيزة للوطن ، وعزيزة للحنين الذى يملأ على الخيـــال ماضيه وحاضره ، وصورة للهوى الذى لا يتساءل المرء عن أوله ولا آخره ، حتى ليؤمن المحب أن حياته تبلورت فى هذا الهوى ، فهو قد ولد فى بحره ، ونشـــأ فيه وعاش عليه ٠ واذا رددنا البيت وتذوقناه، حمدنا لابن حمديس اختياره لهذه الألفاظ السهلة ، كما يختار الرسام الوانه دون أن يصرخ لون الى جانب لون ، والشاعر يقصد بذلك أن يحدث لدينا تذوقا خاصا ٠

ويشارك ابن حمديس فى هـــذا المزج بين الحنين والوطنية شاعر آخر هو « أبو العـــرب ابن الفـــرات الصقلى » حين يقول ان صقلية ان ضاعت (وبانت كما يكون البين بين المحبين) فانه اذن يصبح تائها يقضى حياته فى تجوال بين البلاد على ظهور الخيل أو بحسب لفظه « على أكوار العتاق النجائب » ولو كان الأمر كذلك لهان ، ولكن الشاعر يغرق فى ايراد نفس المعنى فيقول انه كان بمقدوره أن يستقر فى أى وطن من الأوطان لو كان مخلوقا من التراب ولا شيء غير التراب ، ولكن الله حين خلقه من تراب خلق له قلبا رقيقا ، وروحا ابيا ينزع به الى صقلية نزوعا جامحا مطبوعا فى الخلقة لا محيد عنه ٠ يقول :

ويا وطنى ، ان بنت عنى فاننى
ساوطن أكوار العتاق النجائب
وان كان اصلى من تراب فكلها
بلادى وكـــل العـــالمين اقاربى

ولابن حمديس فوق ذلك أبيـــات فى الحنين الى الوطن تبلغ من الصقل الخالى من الصنعة حدا يجرى ببعض أبياته مجرى الأمثال ٠

ومنها فى ذكر صقلية هذا البيت :

ومن يك ابقى قلبه رسـم منزل
تمنى له بالجســـم أوبة آيب

الى هذا الحد استولت المأســـاة على التعبير الأدبى حتى صاغ الشعراء حنينهم الى الوطن صياغة حيـــة نابضة واضحة حتى فى الغزل ٠ وتحدثوا عن صقلية كأنها حبيبة عندها القلب ، أو كأنها حبيبة تنأى ، او كأنها الهوى نفسه ، وكأنهـــا الوطن الذى يؤدى ضياعه الى مصير من التيه ٠

ولكن ابن حمديس يحس بالمأساة **التى اســـتولت** على وعيه احساسا واضحا كأنه قطعة من التاريخ : يربط الشاعر بالجزيرة قبور أهله فيقول :

احن الى أرضى التى فى ترابها
مفاصل من أهلى بلين واعظـــم

ويحس الشاعر بانقلاب الأمن خوفا فيقول :

وكانت بلاد الكفر تلبس خوفه
فاضحى لذاك الخوف منهن لابســـا

ويحس بالمأساة كلها ويحن الى الابطال الراحلين الذين اقروا الملك بالجزيرة ، وأقروا هيبة الدولة بها ليقول :

صـــقلية كان الزمان بلادها
وكانت على أهل الزمان محارسا
عدمت اســـودا منهم عربية
ترى بين أيديها العلوج فرائسا
ولو شققت تلك القبور لانهضت
اليها من الأجداث اسدا عوابســـا

ثم ان الشاعر بعد هـــذا كله يستنهض الهمم ، ويجرى فى هذا المعنى على النســـق التقليدى الذى استقر فى منتصف القرن الهجرى الثانى ، فيخاطب حماة الحدود ، وهم بحسب التعبير القـــديم أهل المحارس والثغور من المرابطين ٠ فيول :

بنى الثغر ، لستم فى الوغى من بنى امى
اذا لم أصـــل بالعرب منـــكم على العجم
دعوا النوم انى خائف أن تدوســـكم
دواه ، وانتم فى الأمانى مع الحـــلم

اذن فقد ســـجل ابن حمديس ورجال الأدب فى عصره الحلقات الأولى من مأساة لا تزال نعيش فيها بعد تسعة قرون ٠

ولا نزال نذكر الى اليوم دعاة الوطنية الاقليمية بيت ابن حمديس ٠

دعوا النوم انى خائف أن تدوسكم
دواه وانتم فى الأمانى مع الحلم

ولكن ثباتنا فى هذه المعمعة منذ قرون ساحقة لابد أن يكون بشيرا بفجر قريب ٠

الجزائر « د ٠ محمد عبد الهادى شعيره »

جوانب من اقتصاديات المدينة في العهد النبوي

بقلم الدكتور عبد العزيز كامل

حرب فكرية :

هذا المقال متابعة لما نشر فى العدد الماضى من الرسالة عن « المدينة قاعدة الاسلام » ، وفيه عرض لفكرة عن تكامل الغزوات وتتابعها والخط الفكرى الذى تستطيع أن تربط به بين الاحداث المتعاقبة وأن تنسق بين جهاد الرسول عليه الصلاة والسلام ضد اليهود وضد قريش حتى استطاع أن يثبت قواعد الاسلام فى المدينة ..

ونستطيع ونحن فى شهر ربيع الاول أن نحيا فى جو السيرة النبوية وأن نحاول التعمق فى أسرارها وان نتخذ منها ــ كما علمنا ربنا ــ الاسوة الحسنة فى قوله تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (الاحزاب : ٢١) ، ولعل هذا يدفعنا الى دراسات جادة منصفة تبرز لنا صورة الاسلام فى تلك المرحلة الدقيقة من مراحل جهاده وما وراءها من مراحل ، حتى ننظر الى الاسلام بأعيننا دون أن يجرفنا عن الطريق انحراف من مستشرقين أو محاولات لصب التاريخ الاسلامى فى قوالب مشوهة أو ننظر اليه بمرايا مقوسة تجعلنا نرى فيه مسوخا ومخلوقات عجيبة ، فتضعف صلتنا بتراثنا ويفتر حماسنا له ونرى فيه ما ليس فيه ..

ولا شك فى أن تاريخ أية أمة ــ فى دورات تطورها ــ يعانى آلام مخاض جديد يحاول أن يوجد تاريخا جديدا فى عرضه ، فيركز على زاوية أو زوايا معينة ، ويلقى ظلالا كثيفة على زوايا أخرى ، ومن هنا يأتى التحريف والانحراف العلمى .

ولقد كان من نهج آبائنا فى دراسة التاريخ الاسلامى أن يتبعوا فى دقة دقيقة ، موضوعية صارمة فى عرض الحقائق ، فدرسوا أى أثر من ناحيتى السند والمتن دراسة دقيقة ، وعنوا بالرجال الذين عرضوا لهذه الاخبار فدرسوا حياتهم ، وبينوا منازلهم فى العلم ، وما ارتحلوا اليه من بلاد ، ومن تتلمذوا عليه من الشيوخ . ومن أخذ عنهم من التلاميذ ، ودرسوا ميولهم الفكرية ومذاهبهم بحيث تكون فى المكتبة الاسلامية علم لانظير له فى الحضارات الاخرى وهو علم الرجال .

ولذلك كانت دراسة مصادر تاريخنا الاسلامى تستلزم معرفة الرجال أو على الأقل الشروط التى التزمها مؤرخو الاسلام فى تسجيل ما جمعوا من احداث التاريخ ، ثم شمول النظرة التى تستلزمها الامانة التاريخية والعرض المتوازن للحقائق ، عرضا مجردا عن الهوى ما استطاع الانسان الى ذلك سبيلا . هذا الى التمكن من اللغة العربية باعتبارها أداة لفهم النصوص فهما صحيحا ، وهذه مزلة أقدام كم يعانى تاريخ الاسلام من آثارها ، حين يعرض له ويتصدى لبحوثه من وقف أمام النص عاجزا أو مستهترا ! ..

ولقد ترتب على هذا كله أن ظهرت عروض مشوهة لتاريخنا العربى والاسلامى ، وتتابع الالحاح العقلى بها ، والترويج لها .. والقصة قديمة . ترجع ــ على الاقل ــ الى الحروب الصليبية ، اذ كان على رجالها لكى يضمنوا استمرارها ان يعرضوا الاسلام فى صورة منكرة مشوهة تدفع أبناء أوربا الى غزو الشرق الاسلامى ، وظهرت من أجل ذلك مئات من الكتب تسب الاسلام والمسلمين وكانت حربا فكرية لا تقل خطورة ولا ضراوة عن الحرب المدمرة التى سارت كتائبها من قلب اوربا وموانيها لتلقى بأحقادها الموهومة فوق أرض السلام والاسلام ..

وظلت هذه الفكرة حية فى نفوس كثيرين من علماء أوربا ، وورث الأبناء فيها الآباء . ومع تطور العلاقة بين الشرق والغرب ، اتخذت الحرب الفكرية صورا جديدة تدور وتدور ولكنها لا تبعد عن المحور الاصيل وهو الخصومة القديمة للوجود الاسلامى .

ولا يستطيع منصف أن ينكر بعض ما كتب رجال من المستشرقين وما أدوا من خدمات للتراث الاسلامى، ولكن هذا الانصاف يقتضينا أيضا أن تذكر الجانب المعتم من الفكر الاوربى – ذلك الجانب الذى ألقى بظلاله على تاريخنا وتراثنا ·

وعندما جاءت النهضة الحديثة ، وحاول العالم العربى والاسلامى محاولات جادة أن يأخذ مكانه الطبيعى فى الحياة ، وأن يتخلص من الاستعمار بأنواعه : الاقتصادى والسياسى والفكرى ·· كان هذا الاخير أخطر الانواع وأبعدها غورا ·· فكثير من منابع الفكر كانت قد انتقلت الى العالم الغربى ، ان صدقا وان كذبا ، واتجه أبناؤنا الى جامعاته وعلمائه· فوجدوا حضارة ضخمة جبارة ،امتدت فشملت قارات الارض تحصل منها على الخامات والمواد الاولية · وتوظف فيها رءوس أموالها ، ووجدت أن مواطن هذه الحضارة قد تكاملت فيها الزراعة والصناعة ، ثم ازداد ثقل الصناعة فيها وعظمت امكانياتها ، ومن وراء ذلك طاقات علمية وعقلية نشطة ·· وجدوا صراعا كبيرا بين مدارس فكرية وفلسفات ·· وجدوا عالما جديدا يحاول أن يقوم على أنقاض عوالم كثيرة– منها عالمهم الاسلامى ·

ولم يستطع كثير من ابنائنا أن يفرق وفى دقة بين الجوانب الحضارية ، التى هى ميراث انسانى شامل، وبين نواحى التحطيم والتدمير لمقدمات الشعوب والقوميات والديانات الاخرى ، وهى التى أخذ الفكر الاوربى بها ودرج على بثها،وهو –أى الفكر الاوربى – فى هذا صادق مع نفسه ،لأن هذا يتمشى مع أهدافه التى رسمها للسيطرة العالمية ، وكان من نتيجة هذا الخلط أن يفقد الباحث الاتزان بين ما يجب عليه أن يأخذه ، وما يجب عليه أن يرده ويقاومه ··

ولم يكن من اليسير على الذين مروا فى هذه التجربة أن يتبينوا المراحل التى يجب عليهم اتباعها، ليقودوا قومهم فكريا على طريق التطور الذى يحفظ لهم مقوماتهم ، ويثرى هذه المقومات بأبدع ما وصل اليه الفكر الانسانى ، واذا كان ذلك كذلك ، فان المهمة تزداد صعوبة اذا ما كانت النوافذ كلها مفتحة على الحضارات العالمية ، والايدى ممتدة الى التراث القديم الحى فى النفوس ، فكان لابد من تفاعل نرجو أن يكون من ورائه أن تبرز الحقائق والمعالم الرئيسية التى نستطيع أن نتابع بها تطورنا على هدى وبصيرة ·

جالت فى نفسى هذه الافكار وأنا بسبيل الحديث عن الحياة فى المدينة على عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، ذلك لأن المدينة كانت أول قاعدة للاسلام فيها الكلمة العليا ، وأول أرض قام النبى (ص) باحيائها بالسلام ··

بين المدينة وفلسطين :

ولقد ذكرت فى المقال السابق أن الاجزاء الشرقية والجنوبية – وهى عوالى المدينة – هى منابع المياه فيها، ومنها تنحدر الاودية نحو الشمال الغربى حتى تنتهى جميعا فى وادى العقيق الذى يتجه شمالا ويدع المدينة فى ركنها الشمالى الغربى ، وأن اليهود كانوا – الى حد كبير – يسيطرون على أخصب الاجزاء فى المدينة وعلى الجانب الأكبر من موارد المياه فيها · ولا نستطيع أن نتصور استقرار الحياة الاقتصادية فى المدينة ولليهود هذا الوضع ·· ويمكن أن نقرب الصورة الى أذهاننا اذا ما ذكرنا خطورة الصراع فى الوقت الحاضر بين العرب واليهودعلى مياه نهر الاردن، وأن العرب حين أخذوا فى خطوات حازمة فى مشكلة المياه ، كان هذا البدء الصحيح لحل القضية الكبيرة · فما دامت موارد المياه متوفرة فى اسرائيل ، وما دامت تظن فى نفسها القدرة على تحويل مياه نهر الاردن لصالحها ، فانها تطمئن الى قوتها وتحرم العرب من مصادر قوة لها خطرها وهى موارد المياه ·

فالمشكلة التى نقاسيها اليوم هى التى قابلناها بالأمس فى المدينة مع فارق رئيسى ، هو أن اليهود فى المدينة كانوا يسيطرون على العوالى الى حد كبير، وأن الاوس والخزرج – مع انتشارهم – الا أن نفرا كبيرا منهم كان فى السافلة أو أسفل المدينة فى الاجزاء المنخفضة ، بينما فى الوقت الحاضر يسيطر العرب على « العوالى » فى الاردن وسوريا ولبنان ، بينما اليهود فى « السافلة » فى الارض المنخفضة المطلة على البحر المتوسط ·

فمن الناحية الاستراتيجية موقفنا فى الوقت الحاضر افضل ، لأننا نملك المواقع الحاكمة ، والموقف فى المدينة كان ادق ، لأن اليهود كانوا يملكون الكثير من المواقع الحاكمة فى الجنوب والشرق ·

مقارنة اخرى : أننا فى الوقت الحاضر نطوق فلسطين من كل النواحى الا ناحية البحر ، فالقوى العربية ممثلة فى الجنوب الغربى ، والجنوب ، الشرقى والشمال ، هذا فضلا عن القوة العربية فى البحر

المتوسط والبحر الاحمر ، فاذا أضفنا الى ذلك التفوق الجوى استطعنا أن ندرك جوانب من القوة المرجحة فى تحرير فلسطين ٠٠ بينما كان اليهود فى المدينة فى الجنوب والشرق كما سبق القول ، وفى أجزاء من المدينة وكانت لهم حصونهم وحقولهم وموارد مياههم وأسلحتهم ٠٠

لم يكن من الطبيعى اذن أن يستقر أمر المدينة لا عسكريا ولا اقتصاديا بوجود اليهود ٠٠ والذى أسكتهم بعض الوقت ما رأوا من اجتماع المسلمين حول الرسول والتآخى بين المهاجرين والانصار وبين الاوس والخزرج فتربصوا حتى يجدوا فرجة ينفذون منها بالوقيعة والدس لتحطيم وحدة المسلمين فى المدينة ٠٠ وكانوا يعتزون بما عندهم من سلاح وقوة وما عندهم من زروع وثمار ، وما لديهم من تفوق صناعى ٠

التحول الزراعى :

ولقد هاجر أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، والطابع الغالب على حياتها كان التجارة ، بينما الطابع الغالب على حياة المدينة كان الزراعة ٠٠ ومع أن نفرا من المهاجرين ظل يمارس حرفته الاولى ويعتنى بها كما فعل عبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان رضى الله عنهما ، الا أن نفرا آخر تحول الى الزراعة ليتلاءم مع ظروف المدينة الجديدة ٠

وبعد تطهير قلب المدينة واجلاء يهود بنى قينقاع ، أجلى الرسول يهود بنى النضير وكانت لهم زروع وبساتين ٠٠ وكان جلاء بنى النضير بعد غزوة أحد ٠ يقول ابن هشام عندماترك بنوالنضير:«فكانت لرسول صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء ، نقسمها رسول الله ، على المهاجرين الاولين دون الانصار ٠ الا أن سهل بن حنيف وابا دجانة سماك ابن خرشة ذكرا فقرهما ، فاعطاهما رسول الله (ص) (٣ : ٢٠٢ ط الحلبى) ٠٠ وازداد المسلمون قوة باستيلائهم على أرض بنى قريظة بعد غزوة الاحزاب ٠ واطمانوا لسيطرتهم على موارد المياه وقد حض الله سبحانه وتعالى المسلمين على العناية بالارض٠من ذلك قوله تعالى « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (الانعام ١٤١) والمعروشات ما انبسط على الارض وغير المعروشات ما قام على ساق ٠ وقال تعالى « أولم يرو انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون (السجدة : ٢٧) : والارض الجرز المقطوع نباتها ٠

وقد حاول البعض اظهار الاسلام كأنه دين لا يعنى بالزراعة مستدلين علىهذا بأحاديث مثل ماروا الامام أحمد عن ابن عمر « اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم ٠ »

وقد عرض الكتانى ، والتراتيب الادارية (٢ : ٤٥ ـ ٤٦ ط الرباط) لهذه الاحاديث فقال : ظاهر هذا الحديث ـ يقصد حديث المحراث حين رآه الرسول (ص) فقال « لا يدخل هذا بيت قوم الا دخله الذل» وهو فى الصحيح عن ابى امامة ـ قال بعض علمائنا ظاهر هذا الحديث ان الزراعة تورث المذلة ، وليس كذلك لأن الزراعة مستحبة لأن فيها نفعا للناس والخبر : اطلبوا الخير من خباياها ، بل انما قال ذلك لئلا يشتغل الصحابة بالعمارات وترك الجهاد فيغلب عليهم العدو ، وأى ذل أشد من ذلك ٠٠ ان المسلمين اذا أقبلوا على الدعقنة (كثرة المال) والزراعة شغلوا عن الغزو ٠٠ وقريب من هذا الحديث قوله : العز فى نواحى الخيل والذل فى أذيال البقر ٠٠ وقد أشار البخارى الى الجمع بين هذه الاحاديث فى فضل الغرس والزرع ، وذم المحراث بأمرين اما أن يحمل على ما ورد من الذم على ذلك ومحله اذا اشتغل به فضيع ما امر بحفظه ، واما أن يحمل على ما اذا لم يضيع الا أنه جاوز الحد فيه ٠

ويدعو النبى (ص)أصحابه ومن بعدهم الى العناية بالارض فيقول « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فياكل منه انسان أو بهيمة الا كان له صدقة » رواه مسلم ٠

نخلص من هذا بأن تحولا حدث فى المدينة وأن المهاجرين والانصار تعاونوا على زراعة أرضها ، ولم يحدث تأخر اقتصادى فيها بعد خروج اليهود ، وانما دعاهم ربهم ونبيهم الى العناية بالارض فاعتنوا بها ، ولكن مع التحذير من الركون اليها ومحبة العيش فى ظل النخيل الى درجة تباعد بينهم وبين الجهاد والقيام بأعباء الاسلام ٠٠

وفى هذا نزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنو

اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » (التوبة : ٣٨) يقول الطبرى فى تفسيره ـ (١٤ : ٢٥١ ـ ٢٥٣ ط المعارف) وهـذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله ، على غزو الروم ، وذلك غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك · فعن مجاهد « أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حنين أمروا بالنفير فى الصيف ، حين خرفت النخل ، وطابت الثمار ، واشتهوا الظلال ، وشق عليهم المخرج » (خرف النخل صرم ثمره واجتناه بعد أن يطيب) ·

فمع التطور الاقتصادى الذى حدث فى حياة المهاجرين ، نرى تحذيرا من الله تعالى من آثاره على تصرفاتهم وربطا بين الحرفة وبين ما قد تتركه فى نفس الفرد من أثر ما لم تكن يقظته دائمة واستجابته لامر الله أقرب الى نفسه دائما من ظلال الاشجار وطيب الثمار · ولهذا حذرهم ربهم فقال فى الآية التالية ·· الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير ·· »

ويلقى الحديث الآتى ضوءا على هذا التحول الذى حدث للمهاجرين فى المدينة ، ففى الصحيح عن أبى هريرة أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية ـ أن رجلا من أهل الجنة استاذن ربه فى الزرع فقال الله تعالى : ألست فيما شئت ؟ قال : بلى ، ولكن أحب أن أزرع · قال : فبذر اى القى البذر على أهل الجنة ، فبادر الطرف نباته واستحصاده فكن مثل الجبال · فيقول الله : دونك يا ابن آدم فانه لا يشبعك شىء ، فقال الاعرابى : والله لن تجده الا قرشيا أو انصاريا فانهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا باصحاب زرع · فضحك النبى عليه الصلاة والسلام · ويعقب الكتانى فى التراتيب الادارية (٢ : ٤٤) على ذلك بقوله : المهاجرون بعد الهجرة زرعوا واتجروا » ·

« د · عبد العزيز كامل »



شعر المرأة في الشعر

بقلم : على الجندى

من أخبار « لندن » التي حملتها الينا الصحف المصرية : ان « مستر برنارد كافن » كان شديد الاعجاب والفتنة بشعر زوجته « مسز سلفيا كافن » لانه ينسدل على كتفيها متموجا فى منظر موتق خلاب !! يشعره بالسعادة والراحة ، ويملأ عينيه قرة وقلبه بهجة ومسرة ، ويفعم نفسه بالزهو والعجب والخيلاء ، ويجعل اخوانه فى موضع الحساد له على هذه النعمة السابغة ، التى أعطيها فى شعر زوجته السابغ !!

وكثير من الناس يحبون المباهاة بما رزقت حلائلهم من صباحة وملاحة ، ومن ذلك ما قصه « **الشعبى** » فقيه العراق ، يقول : انى لفى المسجد نصف النهار ، اذ سمعت باب القصر يفتح ، واذا مصعب بن الزبير ومعه جماعة ، فقال : ياشعبى ، اتبعنى فتبعته فأتى دار موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فدخل مقصورة ، ثم دخل أخرى وأنا وراءه ، واذا بامرأة فوق سرير عليها من الحلى والجواهر ما لم أر مثله ، ولها وجه أحسن من الحلى الذى عليها !!

فقال مصعب : يا شعبى ، هذه عائشة بنت طلحة — وكانت زوجة له — .

فقالت عائشة : أما اذ جلوتنى عليه فأحسن اليه !!

قال الشعبى : فلما كان العشى رحت اليه وسلمت فقال : أدن منى ، فدنوت حتى وضعت يدى على مرافقه !!

فقال مصعب : هل رأيت مثل ذلك الانسان قط ؟

قلت : لا ، والله !!

فقال : أفتدرى لم أدخلتك اليها ؟

قلت : لا .

قال : لتحدث بما رأيت !!

ثم قال : يا شعبى ، ما ينبغى لمن جليت عليه عائشة أن ينقص عن عشرة آلاف !! فأمر لى بها ، وبثلاثين ثوبا ، وبقارورة من الغالية !!

فقيل للشعبى فى ذلك اليوم : كيف الحال ؟

فقال : وكيف حال من صدر عن الأمير ببدرة ، وكسوة ، وقارورة غالية ، وبرؤية وجه عائشة بنت طلحة ؟ !!

وقد كان الشعبى — رحمه الله — على دينه وفقهه وتقواه ممن وسموا بالظرف والرقة بين أئمة العلماء !! .

ونعود الى ما كنا فيه ، فنقول : ان هذا الانجليزى المفتون بشعر زوجته عاد يوما من عمله ، فوجدها قد قصت شعرها وأصبحت أشبه شىء بالغلام !! فجن جنونه وكاد يتفزر من الغيظ والحنق ، وماكان أسرع أن يمم محكمة الأحوال الشخصية ، وطلب الطلاق من زوجته التى فجعته فى أغلى شىء عنده !! وأنفس منفس لديه !!

وأقول بهذه المناسبة : ان المرأة العربية من قديم العصور الى عهد ليس ببعيد كانت تباهى بطول شعرها ، وترى ذلك من أبهر سمات حسنها وشيات جمالها ومجالى فتونها !! بل لعلها كانت تعده أبهى ما وهبه لها الخالق المبدع من آيات الملاحة !!

وكان بعض النسوة اللائى لم يرزقن حظا من الصباحة ورزقن جمال الشعر ، يقنعن بهذه النعمة المرموقة ولا يأسين على ما فاتهن من القسامة

والوسامة !! ويرين فى هذا الشعر المبكر الفينان تعويضا كافيا شافيا تقر به عيونهن ، ويرفعن له رءوسهن شامخات بين أترابهن !!

وهذه المنزلة الجمالية مسلمة للشعر من أول الزمان ، فقد جاء فى تعريف العرب للحسن : انه بياض اللون ، وسواد الشعر ، وكل منهما شطره ·

ومما أثر عن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ قوله : اذا تم بياض المرأة وحسن شعرها ، فقد تم حسنها !!

اما الشعراء فقد احتفلوا به كل الاحتفال ، وافتنوا فى وصفه ما شاء لهم الافتنان ، وكان السابق الى ذلك اميرهم الأول **امرؤ القيس** بقوله :

وفرع يزين المتن أسود فاحم
أثيث كقنو النخلة المتعكل

ومن الأوصاف الرائعة فى حسن الشعر وطوله وسبوغه قول **ابن المعتز او ابى نواس** ـ على الخلاف بين الرواة ـ فى وصف جارية خرجت من الحمام ، فوقع عليها نظر سيدها « الخليفة » فتغطت بشعرها استحياء منه واحتشاما له :

فلما أن قضت وطرا ، وهمت
على عجل بأخذ للرداء

رأت شخص الرقيب على تدان
فاسبلت الظلام على الضياء

وغاب الصبح منها تحت ليل
وظل الماء يقطر فوق ماء

ويقول **ابن النطاح** فى معناه :

بيضاء تسحب من قيام شعرها
وتغيب فيه وهو وحف أسحم

فكأنها فيه نهار ساطع
وكأنه ليل عليها مظلم

ويقول بعضهم :

نشرت على ذوائبا من شعرها
حذر الكواشح والعدو المحنق

فكأننى وكأنها وكأنه
صبحان باتا تحت ليل مطبق

ويقول آخر :

اذا ما ضللنا فى غياهب شعرها
هدانا الى صبح الغرام ابتسامها

وقريب مما تقدم قول المتنبى :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها
فى ليلة فأرت ليالى أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتنى القمرين فى وقت معا

وهناك معنى لطيف دقيق المسلك لهج به الشعراء المصريون فى العهد المملوكى ، وذلك أن هؤلاء الشعراء المعروفين بالرقة والعذوبة وغلبة المزاج الفكه عليهم ، قد استهواهم طول الشعر وامتداده الى القدمين ، فاستخرجوا من ذلك نكتة بديعة مفرغة فى قالب « التعليل الحسن » وهى أن الشعر لم يستطل ولم يسترسل الى هذا الحد المفرط الا ليترامى على أقدام المحبوبة ، ليشفع عندها للمحب المتيم المسكين !!

ويستدر عطفها عليه ورحمتها به ، كما يفعل عادة من عظم ذنبه وكبرت جريرته من الترامى على قدمى حاكم جبار مسلط ، ليتغمد ذنبه بالصفح والغفران !!

وهى ـ كما ترى ـ نكتة دقيقة مشتقة من واقع البيئة والمجتمع فى هذه العصور الاستبدادية ·

يقول الصفدى فى ذلك :

لولا شفاعة شعره فى صبه
ما كان زار ، ولا أزال سقاما

لكن تطاول فى الشفاعة عنده
وغدا على أقدامه يترامى

ويقول :

يشفع فى شعره
اذ مال عن قبوله

فهو على أقدامه
ممدد بطوله

ويقول الشيخ زين الدين بن الوردى :

كيف أنسى لشعر صبى يوما
وهو كان الشفيع فى لديه

« البقية على ص ٢٨ »

كلمة ونتائجها !

بقلم الدكتور الطاهر أحمد مكي

في مطلع القرن التاسع عشر والفرقة بين دول أوربا على أشدها ، والبغضاء بين فرنسا وأسبانيا في عنفوانها ، قال سياسي فرنسي يعرض بتخلف الاسبان في ميدان الثقافة ، ويعيرهم بفقرهم في دنيا الفكر : « **ان أوربا تنتهي عند جبال البرانس** » .

وكانت أسبانيا فقيرة الحاضر حقا ، عرفت التفوق الثقافي على جيرانها مرة واحدة ، أيام العرب الزاهرة، حين كانت المشعل الوحيد في أوربا كلها ، يغذي ما حوله بأروع وأجمل ما عرفت الثقافة الانسانية في ذلك الغور من التاريخ ، ويشد نوره أقصى من في القارة المظلمة من الطامحين والمؤملين ، لا يقعدهم عن ريادته وعورة الطريق ولاصعوبة المركب، ولا يصدهم عن انتهاب ضوئه اختلاف العقيدة أو تباين اللغة ، حتى اذا أخرج العرب ، وسقطت دولتهم ، وطورد تراثهم ، ألقى به مطران طليطلة ، وعزاف الملكة ، في النار ، فالتهمته والتهمت معه تفوق أسبانيا العقلي على جيرانها من الاوربيين ، وكانت لهم القوة المادية ، ورثوها عن العرب أيضا ، لكنها بلا عقل يحرسها ، ولا سماحة تنميها ولا حرية تجنبها الزلل، وتدق لها الاجراس عند توقع الخطر ، تحولت في يدهم الى سيف يقاتلون به دون عقل ، ويلوحون به لغير حاجة ، ويعملونه في رقاب الناس لأوهى سبب، باسم المسيح الطيب تارة ، ودفاعا عن العقيدة الكاثوليكية تارة أخرى ، فبعثروا في حماقة تراث العرب بجانبيه الفكري والمادي ، خلال قرن واحد من استسلام هؤلاء في معركة غرناطة ، وارتدت اسبانيا ، كما كانت قبل العرب ، دولة متخلفة ، لا يسمع لها رأي ، ولا يخاف لها جانب .

عبر هذا التاريخ ، منذ رحيل أبي عبد الله مهزوما حتى مطلع القرن التاسع عشر ، كان تاريخ العرب في اسبانيا يدرس في تحيز أو لا يدرس ويصور على أنه احتلال وظلم واستعباد ، وتستخدم في وصفه أشد الألفاظ قسوة وأنضحها بشاعة ، والكنيسة من وراء ذلك كله ، تسهل نشر الكتب التي تنحو هذا النهج ، وتمد في حبال الاثم لمن يسلك من العلماء هذا الطريق ، فاذا حاول منصف أن يقول كلمة الحق في علمية محايدة ، حيل بينه وبين النشر مباشرة ، أو بطرق خفية تجعله عاجزا عن بلوغ ما يريد ، فلما فتر سلطانها على القلوب ، وارتخت قبضتها على الدولة ، وتسربت الى عقول الناس بصائص من النور ، رأت أن التحامل يثير العطف ، وان الحديث عن العرب ولو بالباطل يحرك غريزة البحث ، فالتمست لها سبيلا آخر ، اهمال هذه الحقبة كلها من التاريخ ، لا تعرض لها المعاهد بالدرس ، ولا تشيع لها المدونات الا لماما وعلى استحياء .

وحار الذين أحرجت ضمائرهم قولة الفرنسي ، بم يردون عليه ؟ وليس لمن قبل العرب في وطنهم من قوط تراث ثقافي تخلف في اسبانيا ، أو أثر في أوربا ، لقد وردوها جحافل غازية ، واقتحموها جيشا مدمرا ، وليس لمن بعد العرب غير مغامرة قام بها كولومبس وراء المحيط ، أعطتهم ملكا لم يبقوا عليه ، وعالما لم يحسنوا قيادته ، ثم تعصب أهوس ، استبد برأس ملك موسوس ، فبعثر قوة شعبه يحارب دعاة الاصلاح الديني في هولندة ، ويلاحق البروتستانت في المانيا ، ويستبق شرعم في انجلترا ، ويقيم لهم محاكم التفتيش في وطنه ، فارهق نفسه وأمته بالحرب ، ومات كسير النفس من الهزيمة ، وترك بلاده عارية المستقبل بلا مجد !.

هناك ثمانية قرون كاملة من الزهو ، لم يهملونها وكانت وهجا يعشي العين ويدفيء القلب ؟ لم يطمسونها وكانت نبعا صافيا ارتوى من نميره العذب كل الذين ثاروا في أوربا على ظلام الدين ، وطغيان

الكنيسة ، وعقم اللاهوت ، وضراعة الاقطاع ؟ لم يديرون لها ظهورهم وبين أيديهم من تراثها ما يتيح لهم الغلب في مجال المفاخرة والسبق في حلبة النفار ؟ • لم يكن قدوم العرب غزوا يحطم ، ولا جنده همجا تتلف ، انما كان فتحا يبني ويشيد ، واذا كان هؤلاء هم القادة ، فان سداه ولحمته كانوا من الاسبان ، لم يكن استعمارا لأن الدولة كانت مستقلة ولئن كان على راسها امير عربي فكم من الدول الآن على راسها عرش يجلس عليه ملك ليس بأصيل ؟ ما الفرق بين اسبانيا على أيام العرب ، وبين مصر والمغرب وسوريا ، وفي مجال الدم ، ما الفرق بين اسبانيا على عهد القوط ، وبينها على أيام من هزموا القوط وأخذوا منهم السلطان ؟ ليس القوط باسبان ولا لاتين ، انما هم جرمان اكتسحوا أوربا على طريقة جنكيزخان ، ثم استقروا في اسبانيا على قمتها ، ينعمون بخيرها ، ويسترقون شعبها ، ويصنعون من جماجم بنيها قلاعا يحتمون بها ، وقصورا في أبهائها يمرحون ، ولم يمتزجوا بشعبها حتى آخر يوم سقطوا فيه ، ولم يتقدم على أيامهم شبه الجزيرة في اى مجال من مجالات الحياة ، ولم يعرف عهدهم مفكرا واحدا يشار اليه بالخير ، أو يتذاكر الطلاب مؤلفاته اذا تحلقوا للدرس ، أو تترجم اعماله الى لغات أخر ليفيد منها الغير ، أو يترحم الناس على ذكراه لأنه أسهم في تقدم الانسانية وأضاف الى معارفها جديدا •

في هذا الجو المحموم من التنافس على الامجاد والماضي ، كان صبي نجار من بلنسية « فرانسيسكو قديرة زيدين » (١٨٣٦ ـ ١٩١٧) ، يئن حنين الى التاريخ العربي ، لأنه نشأ في قرية أندلسية وتجرى في عروقه دماء عربية ، زعمها لنفسه وأقام الحجة دونها ، جاهر بالانتساب اليها قومه ، وفاخرهم بأمسه ، وبدأ يدرس العربية وهو في سن الاربعين فأجادها ، وتخصص فيها ، وأثمر عددا من المؤلفات من خير ما كتب عن الاندلس في باب التاريخ ، وبدأ يعلم اللغة العربية ، ثم حضارتها من بعد ، فيجامعة سرقسطة ، ولم يجعل من دراسة اللغة هدفا لذاته ، أو وسيلة للتضليل على طريقة الرهبان المبشرين ، انما جعلها معبرا لفهم مرحلة هامة من مراحل تاريخ اسبانيا نفسها ، ومن تاريخ الاسلام الذى اعتقدته وأزهر في تربتها ، وفصل بين العلم والسياسة ، بين الدراسة الموضوعية والتعصب الجامح ، لم يكن يعنيه

اين تقف الدولة من العرب، واين يكون هوى الكنيسة من الاسلام ، فأبرأ دراساته من الحيف ، وقصد بها وجه الحق ، وكان وجه الحق في جانب التفوق العربي واضحا بلا مراء •

وعلى طريقة شيوخنا القدامى في الدرس ، بدأ يجمع حوله عددا من الطلاب أعطاهم عقله وقلبه ، ومنحهم فكره وحبه ، وكان ابرزهم بلنسى آخر ، «خوليان ريبيرا» (١٨٥٨ ـ ١٩٣٤) ، قدر له أن يصل بالدراسات الاندلسية الى مستوى لم تعرفه من قبل، في الشرق والغرب على السواء ، ووراء اصراره على البحث والدرس حب عميق لاهله ووطنه ، ونصب عينيه تكذيب قولة الفرنسى على نحو عملي : ان أوربا تدين في يقظتها لمعطيات عصر النهضة ، وعصر النهضة يدين في جانب من نشأته للحضارة الاندلسية ، وهي حضارة اسبانية وان تكلم أهلها العربية ، ودانوا بالاسلام ، ومع حركته هذه بدأت تختفى من دنيا التاليف كلمات « الاحتلال العربى » وما جرى في معناها ، لتحل مكانها « اسبانيا الاسلامية » و «مسلمو الاندلس» ، و «العصر العربي» ونظفت المؤلفات من الشتائم والسخائم والغل ، وكان طابع المؤلفين قبل عصره ، يرسلونها بلا روية ، ويلصقونها بأزهى عصور أمتهم ، وأرجحها في ميزان المقارنة والتقدير •

درس الحضارة العربية ليتبين تاثيرها في الاسبانية المعاصرة ، ثم الاوربية بعامة ، فاذا درس ديوان ابن قزمان مثلا ، لم يقف به عند حد التحليل اللغوى أو النقدى ، وانما اتخذه دليلا على دور الزجل والموشحة في نشأة الشعر الاسباني والفرنسي والايطالي ، ودرس النظم التربوية في اسبانيا الاسلامية ورسم لها صورة كاملة واضحة دقيقة لكي يكشف ما قبسته أوربا منها أو نسخته ، وتطبقه في جامعاتها من نظم الدراسة والامتحانات والالقاب ، واستقصى نظم القضاء في مملكة أرغون ، احدى مقاطعات اسبانيا المعاصرة ، وكانت قبل احدى كور الاندلس الاسلامية ثم غلب عليها مسيحيو الشمال ، وقدم الشاهد الصادق الموثق على ما نسخته هذه المملكة من جيرانها المسلمين في ميدان التقاضي والقانون •

واذا درس **رامون لوليو** (١٢٣٥ ـ ١٣١٥) ورحلاته وفكره ، فلكي يبين ما اخذ هذا الفيلسوف الكاثوليكي ، بل اكبر فلاسفتهم في العصور الوسطى

من صوفية الاندلسيين ، او الاسبان المسلمين .وكان لوليو هذا راهبا ناسكا كيمائيا فقيهـا فى عقيـدة التثليث ، قضى حياته يدعو الى تعلم العربية وبها كتب اغلب مؤلفاته ، ثم ترجمها بنفسه الى اللاتينيـة او القطلونية . فاذا خشى رياح التعصب الهوج ، كفكف من غلواء قومه : لا تنزعجوا ، ان الحضـارات أخذ وعطاء ، وهذه النظم الاسلامية نفسها وقد اعطتكم الكثير ، أصحابها مس الحضارات القديمة التى مرت بها وأزاحتها عن مكانها ، ففيهـا ملامح فارسـية وهلينية وهندية ومصرية ، وكانت متسامحة كريمة افادت منها جميعا ، لانها تنشد الخير أنى اصابته .

واذا كان **ريبيرا** ، قد وقف جهـده على الادب والتاريخ ، فان تلميذه أسين بلاثيوس (١٨٧١ ــ ١٩٤٥) تولى الجانب الفلسفى ، وعلى الرغم من انه راهب تراجع الكنيسة ما يكتب ، وتحمل الصفحة الاولى من مؤلفاته : « **اقرها الرقيب الكنسى** » ، وان ذلك كان يضطره الى أن ينثر بين سطورها شيئا من غمز للاسلام ، أو طعن فى العرب ، ليشغل الرقيب وهو عادة متعصب جاهل محـدود النظر ، يرضى بالسب الواضح ويغفل عن الخير المستتر ، الا أنهـا فى أعماقها اذا جردناها من هذا الوزر ، علميـة تقول الحق ، كان اسين بلاثيوس أول من أنصف ابن حزم القرطبى وأبان ما فى أفكاره من أصالة وخلود وكان كتابه « الاصول الاسلامية للكوميديا الالهية » لدانتى الاول فى بابه ، وترجم الى عديد من اللغات الاوربية ، ويعد بحثه عن « ابن مسرة ومدرسـته » المرجع الاول والوحيد ، فى أية لغة بما فيها العربية، عن هذا الفيلسوف الفريد ، ثم كتابه عن ابن عربى ، الى مؤلفات أخرى كثيرة ، جادة وعميقة ، تناهز المائة أو دونها بقليل .

كذلك كان من طلاب ريبيرا وسـار على نهجه ، انخل جونثالث بالنثياء ، صاحب كتاب «تاريخ الفكر الاندلسى » ، وقد أمضى حياته (١٨٨٩ ــ ١٩٤٩) ، الى ان لقى الله ضحية حادث مروع ، يجاهد فى هذا الميدان ، مؤلفا ومترجما من العربية ، ومربيا جيلا من الطلاب فى كلية الآداب بجامعة مدريد ، يحبـون الثقافة العربية ، ويشبون على تقديرها واجلال مافيها فكان له « تاريخ اسبانيا الاسلاميـة » ، وتاريخ مستعربو طليطلة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، و « الحب عند المسلمين الاسبان » ، و « تأثير الحضارة العربية فى الحضارة الغربية » ، كما ترجم كثيرا من مؤلفات الفارابى وغيره الى لغة مواطنيه .

هذه الحركة المثمرة لم يقف خيرها عنـد هؤلاء العلماء الأجلاء وحدهم ، انما كان لهـا تأثيرها فى محيط الاستشراق الاسبانى كله ، على نحو يختلف قوة وضعفا باختلاف الدراسين ، لكنها على اى حال غسلت قلوبهم من الحقد ، ونزهت ضـمائرهم عن الغل ، وسمت باقلامهم عن الكذب ، ووجهت جهدهم كله الى ماهو ايجـابى مثمر ، بالوقوف على روائع الثقافة العربية وتفهمها وترجمتها وتقديمها لقومهم فكان منهم من تخصص فى المعمار الاندلسى ، أو الموسيقى الاندلسية ، أو الفقه المالكى ، الى جانب فروع المعرفة الشائعة من تاريخ وفلسـفة وأدب ، وعرفت الاندلس على اختلاف مدنها ، حتى ما صغر منها ، جماعات تهتم بتراث المسلمين وتعكف عليه ، بقدر يستطيع المرء معه أن يتصور أن رئيس المجمع العلمى فى قرطبة طبيب بيطرى ، ومع ذلك لاتغيب عن ذاكرته خفقة من تاريخ اسبانيا العربية ، ويعى فى شمول عجيب تاريخ مدينته : شـوارع وأزقة واحداثا على أيامها الزاهرة حين كانت عاصمة الخلافة وهو الآن شيخ تجاوز السبعين امنيته أن يعيـد مدينة الزهراء الى ما كانت عليه ، ينفق وقتـه فى الكشف عنها ، واقامة عمدها وتجميع شـظاياها ، وما يؤلمه انه يقرأ العربية ولا يتكلمها ، ويفهمهـا ولا يكتب بها ، وله ابن وبنت يشـاركانه نفس الاتجاه ، وللابن كتاب قيم عن « فقهاء الاندلس من الفتح حتى بدء الخلافة » .

هذه الدراسات الموضوعية القيمـة تركت صداها عند علماء اسبانيين آخرين ، تأتى العناية بالاندلس لديهم عرضا ، وهم يدرسون تاريخ قومهم أو تطـور أدبهم ، ويأتى على رأس هؤلاء عالمان جليـلان ، أما أولهما فمننديث بيـدال ، رئيس المجمع اللغـوى الاسبانى الحالى، رجل قارب المائة من العمر ، ولايزال نشـيطا لايكل من العمل ، ولئن كانت ابحـاثه الاندلسية تفتقد الحنو الذى نجده عند سابقيه ، الا انه فى عقلية محيطة أمد المكتبة الاندلسـية ببعض الدراسات الممتازة وفى مقدمتها كتاباه : « الشـعر العربى والشعر الأوربى » و « اسـبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام » و «اسبانيا فى عصر السيد» وغيرها .

وآخر لايقل عنه ارتفاع قامة ، وان فاقه تحررفكر وجراة كلمة ومجابهة للكنيسة ، واعنى به امريكو كاسترو ، ويعمل الآن أستاذا فى جامعة برنستون بالولايات المتحـــدة ، وهو عالم خلاق ، هاجر من اسبانيا عشـــية انتصـــار الكنيسة مع الفاشيست الاسبان عام ١٩٣٩ ، وصاحب نظرية أول من توصل اليها ونادى بهـا ، ومؤداها قائم على تعرية حركة التشويه التى تهدف الى أن تجعل من الفتح العربى غزوا ، ومن جنده محتلين ، وتحذف من تاريخ اسبانيا القومى فترة قاربت الثمانية قرون، ثم تصل ماقبل الفتح بما بعده ، فى خط سير تاريخى مستقيم ، كما لو كان الامر اســتمرارا لدولة ذات كيان واحد ، وشعب متجانس الاصول ، وثقافة مشتركة الروافد فمزق كل ذلك فى جراة علمية نادرة : « من قبل العرب فى شبه الجزيرة الايبرية لم يكونوا اسبانا ، وما كان فيها من ثقافة وأدب لم يكن اسبانيا ، ولم ينشئه اسبان ، ومن بعد العرب تعود أصــولهم الجنسية الى مزيج من عناصر ثلاثة : العرب واليهود ومن كانوا فى شبه الجزيرة من سلت وروما ن وقوط، وتعود اصولهم الثقافية الى عقائد ثلاث : الاســلام والمسيحية واليهودية ، ان اسبانيا المعاصرة تنتسب الى هؤلاء بادق واصـــدق مما تعود الى الرومان أو القوط ، ان الاسبان كدولة وأمة ، بدأ كيانهم ياخذ طابعه وتتحدد ملامحه بالفتح العربى » .

بلغ هـــذا الازدهار ذروته فى العهد الجمهورى (١٩٣٣ ـ ١٩٣٩) ، ممثلا فى صحيفة الاندلس التى التى تصدر مرتين فى العام ، حاملة خلاصة الفكر العالمى لمن تستهويهم الاندلس بتراثها ، ثم نشبت الحرب الاهلية ، وسقطت الجمهورية ، وانتصرت الفاشية ، وبانتصارها بسطت الكنيسة ظلامهـــا من جديد ، فخفتت الدراسات الاندلسية ، وأريد للقائمين عليها أن يضللوا وأن ينحرفوا ، وأن يجعلوا ابحاثهم مزيجا من عسل وسم ، وخليطـــا من حق وباطل ، فأبى بعضهم وهاجر ، وانزوى أغلبهم وصمت ، وخيم على الدراسات العربية فى الجامعات الاسبانية جمود خانق وبقيت قلة صابرة تتسلح بالامل ، وتنتظر غدا يحمل فى طياته افقا اكثر رحابة ، وحكما أشد سماحة ، وكنيسة أقرب تقديرا للحق والتاريخ !

« د . الطاهر أحمد مكى »

« بقية المنشور على صفحة ٢٤ »

شـــعر الشـــعر أنه رام قتلى
فرمى روحـــه على قدميـه

ويعلق الحموى على ذلك قائلا : ان هذه النكتة قد تزاحم عليهـا الشـيخان ـ يعنى الصـــفدى وابن الوردى ـ والله أعلم من المخترع لها منهما ، فقد كانا متعاصرين .

والحق : أن المخترع فى الشعر جزء المعنى فقط ، وهو نسبة الشفاعة للشعر ، أما وصف الشـــعر بالطول والامتداد حتى يصـــل الى الارض ، ويقبل موطىء القدمين ، فقد ســبق به ابن الرومى سائر الشعراء ، ويعد ما قاله أبدع ما قيل فى هذا المعنى ، وهو :

وفاحم وارد يقبــل ممشـــا
ه اذا اختـــال مرســـلا غدره

أقبل كالليـــل من مفـــارقه
منحدرا ، لا يذم منحدره

حتى تنـــاهى الى مواطئـــه
يلثم من كل موطـــىء عفره

كانه عاشـــق دنا شـــغفا
حتى قضى من حبيبه وطـــره

وقد أخذ بعض الشعراء قول **ابن الرومى** :

حتى تناهى الى مواطئه

فقال :

ظباء أعارتها المهـــا حسن مشيها
كما قد أعارتها العـــيون الجآذر

فمن حسن ذاك المشى جاءت فقبلت
مواطىء من أقدامهن الغـــدائر

وقال المتنبى :

دعت خلاخيلها ذوائبهـــا
فجئن من فرقهـا الى القدم

وهكذا يأبى الشعراء الا أن يخلقوا من الحبة قبة ، ويفتلوا من الذر حبالا ، وصدق الله العظيم : « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون » .

« على الجندى »

أين الشاعر الموهوب..؟

للدكتور: عبد الرحمن عثمان

– ٦ –

تمر على الشعوب فترات تتسم بالكفاح الدائب من أجل حريتها واستقلالها ، وقد كانت مصر فى صدر هذا القرن تنشد حريتها ، وتضيق اشد الضـيق بالمستعمر الذى فرض عليها سلطانه بالبغى والجبروت فعبأت قوى الشعب جميعا لتصاول الباغى الظلوم ، ولتنتزع حقها فى حياة كريمة ، ولتشق جوف الليل الحالك حتى يسفر عن فجر طالما رفت أشواقنا حول مطالعه ، ونزعت أرواحنا الى مشارق أضوائه ٠

وخلال هاتيك الفترات تظهر أغنى المشاعر الادبية واغلاها لتسهم فى المعركة بأسلحة ماضـية تعرف طريقها الى النفوس فى هدوء ينساب الى غايته كأنما هو نجوى عيون تحذر الرقباء ، أو حديث صامت بين عاشقين خانتهما الكلمات ٠

والشعر كما نعلم أمضى سلاح فى النضال الوطنى لانه لغة المشاعر ونبض الاحاسيس ، ولهذا كان من منهجنا أن نوازن بين شعر جيلنا والجيل الذى سبقه بحثا عن الاصالة الفنية ، والتماسا للشاعر الموهوب فى دولة القريض ٠

وطبيعى أن نبدأ بشعر حافظ ابراهيم فى يوم دنشواى لسببين هامين :

أولهما : استجابة شاعر النيل لموهبته الشعرية ، وانفعاله بهول الحادث على نحو يبـدو بالغ العنف حينا ، وفاتر النغمة حينا آخر ٠

وثانيهما : مسارعته الى نشر قصيدته الاولى بعد الحادث بعشرين يوما – ٢ يوليو عام ١٩٠٦ م – ٠

وبهذين السببين استطاع حافظ ان يفضل شوقى ويسبقه ، فان الانفعال بما يمس كرامة الامة ويمتهن حريتهـا دليل على اليقظة الشـعورية والاحساس المرهف ، وبهذين يؤدى الموهـوبون واجبهم نحو مجتمعهم على أتم ما يـكون الاداء ، لانهم مهيئـون بفطرتهم للاستقبال والارسال ٠

قلت ان **حافظ ابراهيم** كان يعنف ويضـعف فى تمثيل الاحداث الوطنية ، فاذا استصحبنا حياته فى تلك الفترة عرفنا فيه الغضبة الصادقة حين يعنف، وأنكرنا عليه استخذاءه ووجله حين يضعف ، فبعد أن طرده الانجليز من الجيش ، واخرجوه من السودان تفتحت له قلوب المصريين بالحب ، ولاذ بكنف الامام الشيخ محمد عبده حتى قضى نحبه ، ثم عاش فى كرم الاجاويد من ذوى الثراء والجاه ، لم ينقطع له رفد ، ولا أبطأت عنه صلة ، حتى آخر أيامه فيما أعلم ٠

فاذا كانت حياة الشاعر على نحو ما أوجزنا فى تلك الفترة ، فقد كان حقـا عليه ان يجد فى يوم دنشواى فرصته التى يشـتفى بها ممن عصـفوا بمستقبله فى الجيش المصرى ، ثم أسلموه الى حيـاة يبرم بها كل جاد طموح ! وكان حقا عليه كذلك أن يدع موهبتـه الشـعرية تنطلق بالغضب كله على القتلة والجلادين ، وأن يستمد انفعـالاته عندئذ من أحزان الشعب ومواجعه ٠

ولكن قصيدته التى نحن بصددها جمعت خليطا

متنافرا من المشاعر ، ونظمت الخرز والدر فى سلك واحد ! مما قد يبيح لى أن اقول : ان الشاعر الوطنى لم يكن صادقا دائما فى التعبير عن حر مشـــاعره ، وان خوفه من صولة الانجليز التى ذاق مرارتها كان يعترض انفعالاته الشعورية بحواجز من الزلفى أو العتبى ، فما يكاد يمضى الى غايته الا بصور عجاف ، ومشاعر فاترة قد أدركها الكلال ، وفقدت الكثير من حرارتها وقوة تأثيرها ، فأما حين ينحسر الخوف عن شاعر النيل فان شعره يصبح صادرا عن كل نفس، وتهز روعته أرواحنا وقلوبنا جميعا .

استهل حافظ ابراهيم قصيدته استهلالا لاتعرفه لشاعر وطنى بكى على نكبة قومه ، فان مطلعها أكف ضارعه تسترحم القاتل الذى نسى ولاء من نكل بهم واطرح حبهم ووددادهم .. ! وقد كان خليقا بالانجليز - فى رأى الشاعر - أن يستحيوا أولياءهم ومحبيهم فالقتل ليس جزاء أولئـــك الذين منحوا اخلاصهم ووفاءهم للمستعمر الغاصب ! ومعنى هذا بوضوح : أن المصريين كانوا يحبون جـــلاديهم ، ويوالون من يسلب حريتهم ويعبث بأرواحهم ! وهذا المعنى وحده يكفى فى تقديرنا لنبذ القصيدة كلها ، أو اسقاط بعضها على الاقل ، ولكنا وجدنا الشاعر فيما بعـــد يجمع أطراف شجاعته ، ويثوب اليه رشده ، فيجرى فى ابيات منها خالص شعوره ، ونبض احساسه ، ويشيع فى أطرافها روحا ثائرا ، وأسى عميقا .

ولنصحب حافظا فى نظم ما انطبع على نفسه من الصور الرهيبة التى تلاحقت فى يوم دنشواى ، فهذه الصحبة ستفسر لنا الكثير مما يبدو عجيبـــا لدى بعض القراء .

واذا كانت مطالع القصائد تشبه المقدمات التى يعنى بها الكتاب فى مستهل ما يكتبون ، فاننا نجد شاعرنا قد اختار بداية سيئة جدا للقصـــيدة ، أو هى على التحقيق غريبة عن الموضوع لا تتصل به من قريب أو بعيد ، وسوف يستبد بنا العجب حين نبدأ مع حافظ من حيث بدأ ، يقول شاعر النيل :

ايها القــائمون بالامر فينـــا
هل نسيتم ولاءنا .. والودادا ؟!!

فنحن نجد فى هذا المطلع اســـتعطافا ضارعا ، واسترحاما ذليلا ، فهو خليق أن يصـــدر عن نفس تدفع عنها العقوبة بتذكير الباغين بمالها من ســابقة فى الولاء والوداد ، وأن سواها من النفوس تستحق أن ينزل بها هذا النكال جزاء لها على ما فرطت فى جانب الانجليز ، حين غاض فيها الولاء ونضب منها معين الوداد ! فما أشبه هذا البيت بلغة خادم مخلص وفى لسيده حين يقذف به الى الطريق ، ويجرده من شرف الخدمة بعد أن افنى زهرة شـــبابه فى كنفه الوارف ، ناسيا مابذل من جهد، وماقدم من اخلاص.

وكان الشـــاعر أحس بهوان هذا المطلع فى تلك المناسبة الوطنية ، وتبين فيه فتورا عاطفيا ، وعتابا ينبو عن موضعه ، فأراد أن يصـــعد به عن مزالق الضراعة والاسترحام، فأخذ يتمرد على رقته فى خطاب السفاحين ، ومن ثم حمى جوفه ، وفاض شـــعوره بالحزن والمرارة ، فاتجه الى خطابهم بما كان ينبغى أن يقـــال بادىء ذى بدء ، ودون مقدمات تنضـــح بالذلة والخوف جميعا ، وبهذا الاحساس الجديد طفق يلقف خواطره الشاعرة مما يلقف منه كل شاعر موهوب.

وحينما يغضب حافظ ابراهيم غضبته الوطنية ، يسلم قياده الى الطبع ، ويلقى عنه مخاوفه التى كانت تعقل لســـانه ، وتزم وجدانه ، وعندئذ لانملك الا الاعجاب الشديد بما يقول :

واذا اعـــوزتكم ذات طوق
بين تلك الربا ،فصيدوا العبادا
انمــا نحن والحمام ســواء
لم تفارق أطواقنا الاجيـــادا

والبيتان يصوران اســـتخفاف الانجليز بأرواح المصريين ، وانها لاتساوى عندهم الا أرواح الطيـــور التى يتسلون بصيدها واقتناصها ، أليست الاطواق فى أعناق المصريين تقعـــد بهم عن أن يكونوا بشرا يلتمسون الحرية من سادتهم المحتلين؟! ، فهم والحمائم فى الاطواق سواء ، وهذا التصوير يبلغ حد الجـــودة فى اسلوبه الموحى المثير ، لانه يتضمن معنى يجول فى ثنايا الكلمات ، وهو الاهابة بالنفس المصرية أن تحطم القيد ، وأن تتخلص من الطـــوق المهين الذى أحكمه الغاصب حول جيدها .

واذن ، فموهبة حافظ ابراهيم لا تفتر الا حينمـــا تعرض لها حيطة ، أو تقية يصير اليهمـــا حافظ فى مضطرب العيش أحيـــانا ، فاذا أمنت العقبى أو استخفت بالمصير ، فهى متألقة فى تجميع الصـــور وابرازها على نمط مثير .

البقية على ص ٣٣

فلسفة الشمول عند العقاد

للدكتور عبد القادر محمود



اذا قلنا ان العقاد هو الجامع لمدرستي جمال الدين الافغاني ، ومحمد اقبال من الناحيتين الدينية واللاهوتية فليس هذا معناه أن العقاد امتداد لهاتين المدرستين وانما هو تطوير وتطور معا على وعي وأصالة ، بالنسبة للتيارات الاستعمارية التي شغلت بحربها مدرسة الافغاني ، وبالنسبة للتيارات الوضعية والماركسية التي شغلت بحربها مدرسة اقبال .

فاذا نظرنا الى « اقبال » وهو يؤكد في نظرته العلمية أن كمال الاسلام يؤكد في اكتماله وتمامه أنه ختام شرائع الله على الارض ، لالغائه وراثة الملك وابطاله الرهبنة ، وتشديده العقل في كل أمر ، وفتحه لمغاليق التجارب في عوالم الآفاق والأنفس — أقول اذا نظرنا الى اقبال وهو يفتح لنا طريقا جديدا في التفكير الاسلامي المتجدد فاننا نستطيع أن ندرك من وراء هذا التطور مكان العقاد في فلسفة الشمول الذي تتميز به العقيدة الاسلامية — تلك الفلسفة التي ندرك من خلالها مكانة العقاد من ثقافة العقاد الشاملة كعقيدة دينه الشاملة .

ان أول ما يواجهنا من العقاد هو تشريحه للشمول الذي تتميز به عقيدة الاسلام حين يقول « ص ٢٤ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » ان ادراك الشمول من الوجهة العلمية لا يتأتى بغير الدراسة الوافية والمقارنة المتغلغلة في وجوه الاتفاق ووجوه الاختلاف بين الديانات ، وبخاصة في شعائرها ومراسمها التي يتلاقى عندها المؤمنون في بيئاتهم الاجتماعية . »

ما دليل العقاد ؟ دليل العقاد هو رؤية المسلم نفسه مستقلا بعبادته (عن الهيكل والصنم والايقونة) وهذا يؤكد علمه بانه وحدة كاملة في دينه . لقد ظهر الاسلام ابان دولة الكهانة والمراسم . كان الدين كله في المعبد عند الكاهن الاب ، والمتدينون جميعا كانهم قطع متفرقة لا تستقل يوما بقوام الحياة الروحية ، ولا تزال معيشتها الخاصة والعامة تثوب الى المعبد لتتزود منه شيئا تتم به عقيدتها ولا تستغنى عنه مدى الحياة ..

كان الامر — اذن — ان لا دين بمعزل عن المعبد والكاهن والايقونة سواء في العبادة الوثنية ، أو في عبادة أهل الكتاب الى مابعد القرن السابع بأجيال ، فلما ظهر الاسلام ، ظهر المسلم ، وظهر الشمول في العقيدة ..ظهر أنه وحدة كاملة في أمر دينه . يصلى حيث شاء ، ولا تتوقف له نجاة على مشيئة أحد من الكهان وهو مع الله في كل مكان (فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة : (١١٥) .

واذا كان اقبال قد فتح الباب المغلق حول موضوع الصراع بين الدين والحضارة ، ذلك الموضوع الذي واجه الاسلام كما واجه المسيحية ، وأكد ان المسيحية حين واجهته بحثت عن مستقر للحياة الروحية ، قائم بالنفس لا عن طريق قوى عالم خارجي عن نفس الانسان ، وانما يتجلى عالم جديد في داخل النفس ذاتها .

الاسلام لم ينكر هذه النظرة ولكنه لم يستغلق عليها ، وانما خرج الى نور آخر يضيء هذا العالم

الجديد المتجلى الذى ليس غريبا عن عالم المادة ، بل هو متغلغل فى أعماقه .

اقول اذا كان اقبال قد فتح الباب المغلق حول هذا الموضوع فان العقاد أوضح منطقا فى هذا الصدد حين يتحدث عن نكرة الدين والدولة والروح والجسد ، وحين يتحدث عن فلسفة الشمول عامة فيقول (حقائق الاسلام ص ٢٨) : اذا كانت العقيدة التى تباعد المسافة بين النفس والجسد تعفينا من العمل حين يشق علينا العمل – فالعقيدة التى توحد الانسان وتجعله كلا مستقلا بدنياه وأخراه شفاء له من ذلك الفصام الذى لا تستريح اليه السريرة الا حين يضطر الى الهرب من عمل الانسان الكامل فى حياته ، وحافز له الى الخلاص من القهر كلما غلب على امره ، ووقع فى قبضة سلطان غير سلطان ربه ودينه .)

من هنا لم يذهب الاسلام – **كما يقول العقاد** – مذهب التفرقة بين ما لله وما لقيصر . لأن الامر فى الاسلام كله لله (بل لله الامر جميعا) ٣١ – سورة الرعد » ولله المشرق والمغرب » (١١٥ من البقرة) وانما كانت التفرقة بين ما لله وما لقيصر تفرقة الضرورة التى لا يقبلها المتدين وهو قادر على تطويع قيصر بامر الله . هذا التطويع فى نظر العقاد هو الذى اوجبته العقيدة الشاملة ، وكان له الفضل فى صمود الامم الاسلامية لسطوة الاستعمار ، وايمانها الراسخ بأنها دولة دائلة وحالة لا بد لها من تحويل . وقد أبت هذه العقيدة على المسلم أن يطيع الحاكم بجزء منه ويطيع الله بغيره ، وأبت على المرأة أن تعطى بدنها فى الزواج لصاحبها وتنأى عنه بروحها وسريرتها ، وأبت على الانسان جملة ان يستريح الى الفصام الوجدانى ويحسبه حلا لمشكلة الحكم والطاعة قابلا للدوام .

هذا الشأن العظيم-كما يقول العقاد-شأن العقيدة الاسلامية التى تجعل المسلم وحدة كاملة . وهو لا يتجلى واضحا قويا كما يتجلى من عمل الفرد فى نشر العقيدة . فقد أسلم عشرات الملايين فى الصحارى الافريقية وغيرها على يدى تاجر فرد أو صاحب طريقة أو مذهب أو اتجاه منفرد فى خلوته لا يعتصم بسلطان هيكل ولا بمراسم كهانة وتصنع هنا قدرة الفرد الواحد مالم تصنعه جموع التبشير ولا سطوة الفتح والغلبة كما يقول العقاد .

قوام الامر كله هو شمول العقيدة وشمول الدعوة ، ولا يوصف بالشمول دين ينكر الجسد كما لا يوصف بالشمول دين ينكر الروح ، (وما كان الشمول فى العقيدة ليذهب فيها مذهبا أبعد وأوسع من خطاب الانسان روحا وجسدا وعقلا وضميرا بغير بخس ولا افراط فى ملكة من الملكات)، وليس فى الاسلام على الاطلاق ان الخطيئة موروثة فى الانسان قبل ولادته ، ولا أنه يحتاج فى التوبة عنها الى كفارة من غيره . وهى عقيدة شمول لأنها تشمل الأمم الانسانية جميعا ، كما تشمل النفس الانسانية بجملتها من عقل وروح وضمير . امر آخر خطير يقدمه لنا العقاد هو أن هذه العقيدة الشاملة هى التى أفردت الاسلام بمزية لم تعهد فى دين آخر من الاديان الكتابية ، فان تاريخ التحول الى هذه الاديان لم يسجل لنا قط تحولا اجتماعيا اليها من دين كتابى آخر بمحض الرضى والاقتناع . اذ كان المتحولون الى المسيحية او الى اليهودية قبلها فى أول نشأتها امما وثنية على الفطرة لا تدين بكتاب ، ولم تعرف قبل ذلك عقيدة التوحيد أو الاله الخالق المحيط بكل شىء . ولم يحدث قط فى أمة من الامم ذات الحضارة العريقة انها تركت عقيدتها لتتحول الى دين كتابى غير الاسلام وانما تفرد الاسلام بهذه المزية دون سائر العقائد الكتابية . فتحولت اليه الشعوب فيما بين النهرين وفى أرض الهلال الخصيب ، وفى مصر ، وفى فارس، وتحول اليه أناس من أهل الاندلس وصقلية ، كما تحول اليه اناس من أهل النوبة عاشوا مع المسيحية أكثر من مائتى سنة . ما الذى رغبهم فى ذلك التحول؟ الشمول .. الشمول الذى يجمع بين النفس والضمير ، ويعم بنى الانسان على تعدد الاقوام والاوطان، ويحقق المقصد الاكبر من العقيدة الدينية فيما امتازت به من عقائد الشرائع وعقائد الاخلاق وآداب الاجتماع .

من هنا كانت أحكام الاسلام بعيدة كل البعد عن اعاقة حياة المسلم فى اى مكان أو زمان ، بل هى فاتحة له بالعمل الدائب والسعى المتصل أشواط العلم والحضارة .. وزاد للأمم الاسلامية والعالم اجمع فى طريق المستقبل الطويل .

بقى لنا مع العقاد فى هذا المقال هذا السؤال الذى يلقيه العقاد نفسه محددا مكان الفرد الواحد من المجموع فى اتجاه التاريخ المعقول .

السؤال : هل للتاريخ الانسانى وجهة معينة نستطيع أن نتبينها من جملة الحوادث الماضيات ؟

الجواب : انه سؤال يتوقف جوابه على سؤال آخر هو . ماذا عسى ان تكون وجهة التاريخ المعقولة اذا تخيلنا له اتجاها يتوخاه على نهج مرسوم ؟

الجواب انه شيء يتعلق بالانسان الفرد ، وشيء يتعلق بالناس كافة ، او بالانسانية جمعاء .

اما ما يتعلق بالفرد فهو ازدياد نصيبه من الحرية والمسئولية ، واما ما يتعلق بالانسانية جمعاء فهو ازدياد نصيبها من التعاون والاتصال .

وهذا وذاك هما في الواقع سبيل الاتجاه الوحيد الذي يطرد في حوادث التاريخ .

(اما الظلم اعنف الظلم فهو ظلم التسوية بين غير المتساويين فانه يجور على الأصلح ولا يحمى المجرد من الصلاح) . (والعالم الذي يتساوى فيه كل شيء لا شيء فيه) .

واذا كان اتجاه التاريخ المعقول هو الاتجاه الذي تنتهي اليه الحوادث في حياة الفرد وحياة الانسانية جمعاء ، وكان هذا الاتجاه مما تلتقي عليه عوامل الوفاق والشقاق ، ويتوالى عنده ما يراد وما لايراد فمن عمل المؤرخ أن يفهم التاريخ معنى غير معنى المصادفة العمياء ، وأن يرى للعالم مصيرا مقدورا يمضي الى غاية هذا الاتجاه حسب عناية الله ..

سؤال آخر نسأله للعقاد عن مكان الانسان في عقيدة الحق بالنسبة لعقائد القردة والسوبرمان ؟

ويضحك العقاد بملء روحه من وراء الأجيال ..

لعل « نيتشة » كان يمزح حين قال : « الانسان قنطرة بين القرد والسوبرمان .. » ولو لم يكن على قصد المزاح ، فان القنطرة التي قصاراها أن ينتقل الانسان من قرد الى سوبرمان لا توجد ، ولا يمكن أن توجد . تلك قنطرة لا يبنيها القرد ، ولا يبنيها السوبرمان ، ولا تبنى نفسها بيديها ، ولا تبنيها الطبيعة التي قد تخطو من حالق الى الهاوية ، وقد تخطو من الهاوية يمنة ويسرة الى غير وجهة .

انما الصواب ان يقال ان الانسان قنطرة من الارض الى السماء يبنيها الله ... قنطرة قرارها أسفل سافلين ، وذروتها أعلى عليين .. معراج من التراب المجبول الى أفق الأرواح والعقول ، ينادي « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ... (٦ — من الانشقاق) . (ولكن أكثر الناس لايؤمنون ١٧ من هود) ، (ولكن أكثرهم يجهلون — ١١١ من الانعام) (ولكن أكثرهم للحق كارهون — ٧٨ من الزخرف) .

« د . عبد القادر محمود »

« بقية المنشور على صفحة ٣٠ »

وسنعرف لها هذا التألق في القصيدة نفسها حين يجلي لنا حافظ صورة الخيانة الوطنية ممثلة في « المدعي العام » ، فقد حدد لنا موقفه المخزي ، وجلله بالسواد ، وبرأه من كل فضيلة ، ثم وضعه على « طريق الدم » ، وهو يرنو الى وظيفة كبرى في القضاء .. ! كل ذلك نراه في حديثه عنه ، وعن موقفه من قضية شهداء دنشواي ، حتى أسلم رقابهم الى حبل المشنقة .

ولست أشك في أن شاعر النيل كان في هذا كالشهاب الراصد الذي لايخطيء هدفه ، فقد اجتاز بهذا الجزء من قصيدته « منطقة الخطر » التي كانت تبدد أشعة موهبته ، وتطمر بعض ينابيعها في فترات الخوف من عاقبة مجهولة ، فلم يعد يخشى شيئا بعدها فان المدعي العام لايملك أن يلحق الاذى بشاعرنا ، فالانجليز لا يعنيهم أن يثأروا من مصري لآخر ، وبخاصة في هذا الموقف الدقيق .

فهذا حافظ يبلغ قمة الانفعال النفسي ، بل يجمع الى كلتا يديه أزمة الغضب كله فيقول :

أيها « المدعي العمومي » مهلا
بعض هذا ، فقد بلغت المرادا
قد ضمنا لك القضاء بمصر
وضمنا تنجلك الاسعادا
أنت جلادنا ، فلا تنس أنا
قد لبسنا على يديك الحدادا

اننا محتاجون الى مثل شاعرية حافظ في جيلنا المعاصر للتعبير عن المواقف الكبرى التي تتعاقب في وطننا العربي ، وليسترح الشعر المعاصر بالا ، فاننا لا ننتظر الشاعر الموهوب ليظهر بيننا على مثال ماكانت عليه موهبة أبي الطيب المتنبي أو شوقي .. لاننا ندرك أن طلب المستحيل ظلم نبرأ الى الله منه، وتعجيز لا نقصد اليه في شعرنا الحاضر .

د . عبد الرحمن عثمان

نصف سيجار

للشاعرة جليلة رضا

يا نصف سيجار طواه البلى
ولم يزل يبدو رشيقا أنيق
تلتف حول خصره « ماركة »
فاخرة تحمل صنفا عريق
أنا التى اشفقت فيما مضى
عليك... لم ألقك فوق الطريق
أتيت محمولا على ثغره
تنعم فى زهو بطيب الرحيق
أتيت رفافا على ثغره
تغمر بالدخان وجها رقيق
وغاب لم يأخذك فى ركبه
ولا رنا فى الركن نحو الغريق
بغية المزاج ! .. سيجاره
عكرت « كيفه » بهذا العقوق
كم مرة أشعل فيك اللظى
وكم وكم أطفأت نار الحريق
حتى اذا أفرغ كبريته
رماك فى عنف بغيظ وضيق
يا أيها المنكوب فى حظه
ضيعت من عمرك ما قد يفوق
ما قصة العصيان ؟ ما سره ؟
من أنت حتى لا تفى بالحقوق
أبيت أن تفنى على ثغره .. !
من لى بهذا الموت..! ياللفروق
أبيت أن توغل فى صدره ..!
يا للتوغل الشهى العميق
سفينة البخار ! ميناؤه
كان لنا مرسى المنى والشروق
أنا وأنت الآن نطفو على
بحر من الأوهام داج سحيق .

أغنية لبغداد

للشاعر فتوح أحمد

« بغداد » ...

ليست ليلة مشرقة
وليست الأيام في قلبها
« بغداد » دنيا .. قلب هذا الثرى
« بغداد » كانت – منذ كانت – دما
« بغداد » ...
وانداحت خيوط المدى
تحكي عن الرايات .. عن فارس
مشى على « بغداد » .. فاستيقظت
« شواف يا شواف » .. واستقبلت
أصغى لها .. « بغداد » من خلفه
: أم الى « الشباك » مشدودة
وطفلة صغرى .. ولكنها
فبسمة « الشواف » من خلفها
وجثة « الشواف » من خلفها
« الساق بين الريح أرجوحة
وعينه للأرض مرخية
يمضي عليها الناس .. في نظرة
فراسه كالشمس .. عريانة
لو كفنوا بالطين أضلاعه !!
هانت على الجلاد .. عند الضحى
فهده .. والليل أسطورة
« بغداد » ...
وانداحت خيوط المدى
تحكي عن «العذراء» .. عن «حفصة»
ماتت .. وثوب العرس في حجرها
ماتت .. وفي العينين تنهيدة
« يا وجهها المكشوف .. يا عالما
يا صدرها .. لم تستطع كفه
الله .. يا عذراء .. يا حرة ..
ما كحلة العينين ؟ .. ما سحرها؟!
بغداد ليست ليلة مشرقة
وليست الأيام في قلبها
« بغداد » دنيا .. قلب هذا الثرى

« بغداد » .. ليست حانة ضيقة
كاسا وعيني طفلة مرهقه
كم شد من أعصابها بيرقه !
أسطورة .. رغم الأسى شيقه

فمرت الذكرى بها مطرقه
السيف في يمناه .. والمنطقه
ومر بالتاريخ .. فاستغرقه
أذناه صوت الأرض .. ما أعمقه !
والناس عين حوله مشفقه
وشيخة أجفانها مطبقه
تجري الى « البوابة » المغلقه !
هانت على الجلاد .. والمطرقه
تمضي بها الغربان مستنطقه !
يخش جدار الريح .. أن تخرقه
يخشى تراب الأرض أن تصعقه !
الرعب فيها .. والهوى .. والثقه
والشمس – لو يدري الدجى– محرقه !
لو أسبلوا أجفانه المرهقه ! »
لم تستطع كفاه أن تخنقه
وعند باب المنحنى .. علقه !

ومرت الذكرى بها مطرقه
ذات الخمار الحر .. والمنطقه
ماتت .. وكف العرس كالزنبقة !
تدين ليل الجوع والزندقه
حذاؤه في لحظة أزهقه
الا بنار الموت .. أن تطرقه
يا قصة رغم الأسى شيقه
زفت الى الجلاد .. والمشنقه !
بغداد .. ليست حانة ضيقه
كاسا وعيني طفلة مرهقه
كم شد من أعصابها بيرقه !

حكايات وذكريات من اليمن

بقلم محمد جمال الدين محفوظ

كان نور الفجر قد انبثق حين دخلت الطائرة التى أقلتنى من القاهرة سماء اليمن ، فتطلعت من خلال النافذة لارى البلاد التى ثارت فى السادس والعشرين من سبتمبر سنة الف وتسعمائة واثنين وستين تبغى الحرية والكرامة والتى هبت بلادى لمؤازرتها ورد كيد العدو عنها .

كان أول ما وقع بصرى عليه وانا احلق فى سماء اليمن منظر الجبال الشاهقة والممتدة على مدى البصر وقد تداخل بعضها فى بعض ، ولم أر عليها أثرا للحياة اللهم الا بعض القرى الصغيرة المتناثرة هنا وهناك على قمم الجبال وعلى سفوحها وعلى امتداد ودياتها .

ان الانطباعة التى تستقر فى النفس لأول وهلة من تلك النظرة هى أن هذه الأرض ما زالت على حالها منذ بدء الخليقة لم تمتد اليها يد بعمران .

ولقد كان منطقيا ان يكون حال اهل هذه الارض منسجما مع حالها الذى وصفت ، وشاهدا ناطقا بالفطرة والتخلف .

ثم انه سرعان ما يكتشف المرء مظاهر أبشع جريمة انسانية يمكن أن يرتكبها حاكم فى حق شعبه .

فلقد أقام أئمة اليمن فى عهدهم البائد نظام حكمهم على أسس غير انسانية تتعلق بالظلم والجبروت .

فارادوا لشعب اليمن ان يظل متخلفا يحيا حياة بدائية وراء أستار من الجهل المطبق بمايدور على وجه الارض من أسباب الحضارة أو حتى أبسط علوم الحياة .

وأرادوا له أن يعيش على جهله فقيرا لا ينعم بمتع الحياة المشروعة ، ومريضا تتفشى فيه الأمراض ، وتنهش فى جسمه الهزيل .

ولم يكف هؤلاء الحكام أن يتركوا أهل اليمن على تلك الحال المزرية بينما ينعمون هم بخيرات البلاد ويكنزون فى خزائنهم الذهب والفضة ، بل أرادوا لهم بعد الجهل والفقر والمرض أن يعيشوا ، بعضهم لبعض عدو ، فساسوا البلاد ببث الفتن والأحقاد بين القبائل ، ودفع القبيلة لقتال الأخرى بعد أن يمدوها بأسباب القوة من مال وسلاح .



ولقد أراد الأئمة من وراء هذه السياسة الغاشمة أن ينعموا هم براحة البال ، لأن انشغال القبائل في القتال فيما بينها يلهيهم عن المطالبة بالحقوق المشروعة للانسان من علم وعلاج ووسيلة للعيش الشريف ، هذا فضلا عن ان القتال يستنزف قواها فلا تكون لها بعد ذلك قدرة على فرض مطالبها اذا هي فكرت في ذلك .

ولقد كانت آثار تلك السياسة الخبيثة سياسة التفرقة بين القبائل ودفعها للاقتتال ـ من أخطر ما واجه الثورة من مشكلات .

ذلك لأن الحروب التي قامت بين القبائل على مر التاريخ أحدثت جروحا غائرة في قلوب الناس ، وولدت الأحقاد في نفوسهم ، فتوارثت الأجيال المتعاقبة منهم روح الثأر ، ونداء الدم المسفوك ، وبذلك لم يجد السلام مكانا يحط فيه على تلك الأرض المعذبة .

أقول ان ذلك كان من أخطر المشكلات التي واجهت الثورة .. فلأول مرة جاءت هذه الثورة تنادي بالوحدة الوطنية بين أهل البلاد ..

ولكن هل تتحقق الوحدة هكذا بسرعة بين القبائل التي بينها وبين بعضها دماء .. ؟

وهل تساعد حال أهل البلاد من الجهل والتخلف على التغلب على تلك المشكلة بين يوم وليلة ؟

من الواضح أن هذا الامر كان يتطلب الكثير من الجهد والتوعية والاصلاح مع التدرج بالصبر والتفاؤل .

وسوف أعرض هنا مثالا واقعيا يقوم دليلا على ما قدمت .. والقصة هنا قصة قبيلتين متجاورتين من القبائل المشهورة في اليمن ، كانت بينهما حروب عدة على مر التاريخ سقط فيها من كل جانب صرعى كثيرون حتى أصبحت روح العداء وطلب الثأر تملأ كل نفس على الرغم مما بين القبيلتين من جوار كان يمكن أن يكون من أسباب المودة بينهما..

فلما قامت الثورة في سبتمبر سنة ١٩٦٢ أعلنت القبيلتان الولاء للجمهورية من يومها الأول كما فعلت أغلب قبائل اليمن .

لكن قيام الثورة بطبيعة الحال لم يكن كفيلا كما قلت بالقضاء بين يوم وليلة على ما بين القبائل بعضها وبعض من أحقاد وثارات .

وكان البدر المخلوع ـ **بعد ان أفلت من يد الثورة** ـ قد هرب ومعه بعض أفراد الأسرة الى منطقة قريبة من الحدود السعودية . واتخذ كل واحد من أمراء أسرته لنفسه منطقة فرعية يحاول منها دفع المال والسلاح والدعاية المسمومة الى داخل اليمن لاثارة الشعب ضد الجمهورية ، مستغلا جهل الشعب وشدة فقره .

وقد وضعت قيادة الثورة بالاشتراك مع القوات العربية التي هبت لنصرتها عبر البحار ، خطتها للقضاء على تلك الاوكار وتطهير أرض اليمن تماما من آثار الائمة ، وكلفت احدى القبيلتين المشار اليهما في أول الموضوع بتجهيز جيش من أفرادها ليقوم ـ متعاونا مع ضباط وأسلحة القوات العربية ـ بالهجوم على منطقة تقع بالقرب منها لتطهيرها من أعوان الامام المخلوع .

ولقد تبين أثناء التحضير لهذه العملية أن الطريق الى هذه المنطقة شديد الوعورة ، وانه يشكل خطرا محققا على المهاجمين ، لان الاعداء كانوا يتحكمون في قمم الجبال المشرفة على هذا الطريق مما يعطيهم ميزة كبرى على المهاجمين وتصبح العملية مشكوكا في نجاحها ، واستمرت دراسة الارض والمسالك والطرق ، فظهر أن هناك طريقا يعتبر مثاليا لتحقيق مهمة الهجوم المقررة ، ولكنه يبدأ من أرض القبيلة الثانية ، والقبيلتان متجاورتان كما أسلفنا . وكان من الضروري ـ بناء على ذلك ـ أن يمر جيش القبيلة في أرض القبيلة الثانية ليبدأ هجومه منها في الطريق الصالح .

وكان لابد من الحصول على موافقة القبيلة الثانية طبقا للتقاليد الموروثة ، فانها لا تسمح لجيش قبيلة أن يدخل حدود قبيلة أخرى دون موافقتها ، وكانت الحياة المضطربة المحفوفة بالخطر دائما التي كان يعيشها الشعب اليمني من قديم هي السبب في نشأة هذه التقاليد ، فان عدم الاحساس بالامن والتعرض المستمر للاغارة سواء من القبائل الاخرى

او من جيش الامام جعل كل فرد في هذا الشعب متأهبا للدفاع عن نفسه وبيته ، ونبتت في نفوس الجميع بذور الشك والريبة من نيات الآخرين حتى انعدمت الثقة والتفاهم بين القبيلة والقبيلة ، وبين القرية والقرية ، ثم بين البيت والبيت ، بل بين الفرد واهله ، وبين الأخ واخيه · وهذا يفسر لنا سر الأسوار التي تحيط بالقرى وبناء البيوت على هيئة الحصون ، ويفسر لنا كذلك السر في حرص الفرد اليمنى على أن يكون مسلحا دائما بالخنجر والبندقية حتى ليقال ان البندقية أغلى من الزوجة والولد ·

لهذا كان لابد من موافقة القبيلة الثانية على مرور جيش القبيلة الاولى ·

كان هذا أصعب ما في الموضوع ···

فقد فشلت الضمانات والوعود التي قدمناها في ازالة ما في نفوس القبيلة الثانية من شك وعدم اطمئنان ·

وكيف تطمئن الى أن هذا الجيش الذى تفتح له حدودها سوف لا ينتهز الفرصة ويعتدى على قراها تلبية لنداء الثأر والاحقاد القديمة الراسخة في النفوس ؟

ونشأ اقتراح بأن يتولى أفراد القبيلة الثانية حراسة قراهم لكى يطمئنوا ، ولكن هذا الاقتراح لم ينجح في حل المشكلة فان جيش القبيلة الاولى قال : وكيف نطمئن الى أن جيش الثانية سوف لا ينتهز فرصة مرورنا أمامه وبين يديه ويعتدى علينا من ظهورنا ؟

وفشل اقتراح جديد بان يقوم جيش مشترك من القبيلتين بالعملية لنفس الاسباب وهى عدم اطمئنان كل فريق للآخر ، وخشية كل منهما من ان ينتهز الآخر الفرصة في المعركة للقضاء على غريمه

وكانت آخر محاولاتنا هي عقد اجتماع بين مشايخ القبيلتين ، ولهذا بذلنا جهدا كبيرا في اقناعهم بابعاد الشكوك وضرورة الالتفات بكل الطاقات الى العدو المشترك ، ولكى تطمئن القبيلة الثانية تماما لن يقتصر الجيش المطلوب له المرور على أفراد القبيلة الاولى ولكن سيكون معه أفراد من قبائل أخرى من اليمن ، فيصبح بذلك جيش الحكومة وليس جيش القبيلة وهذا ينفى عنه كل احتمال للعدوان ·

وكذلك تم الاتفاق على أن يحضر بعض مشايخ ورجال القبيلة الثانية الى أرض القبيلة الاولى لكى يرافقوا هذا الجيش في مروره في أراضيهم ··

شيطان الثأر يتحرك :

وتنفسنا الصعداء حين وصلنا الى هذا الاتفاق ولكن فرحتنا لم تدم طويلا لأن شيطان الجهل والثأر وسواد العقل والقلب كانا لنا بالمرصاد ·

فان الجيش لم يكد يتقدم داخل حدود القبيلة الثانية حتى انطلقت بعض الطلقات النارية فدهش الجميع وحاروا في معرفة مصدرها ·

وسرعان مادب الشك بين الجانبين اسرع من البرق ·

فقد ظن الجيش أن مرافقة مشايخ ورجال القبيلة الثانية له ليست الا خدعة يراد بها أن يوقعوه في المصيدة للقضاء عليه ·

وظنت القبيلة الثانية أن الجيش الذى قبلت أن تفتح له حدودها وأرضها كان يضمر سوء النية فلم يكد يدخل الحدود حتى بادرها بالعدوان ·

وكان من المستحيل ومن العبث محاولة التعرف على مصدر هذه الطلقات ، فقد أنكر كل فريق أنها من جانبه ، واتهم الجانب الآخر بالعدوان وبرز من كل فريق من يؤكد عدوان الفريق الآخر فانفض الجميع وعاد الجيش الى أرضه والمشايخ الى قبيلتهم وبدأ التراشق بالرصاص من الجانبين وتأزم الموقف على غير انتظار !

وكان ماحدث أمرا مؤسفا ومؤلما ··

لقد نشب القتال بين القبيلتين دون ما سبب سوى ما رسخ في نفوسهم من أحقاد قديمة زادها الزمن وحكم الفساد اشتعالا ·

وعلى الرغم من أن هناك احتمالا قويا أن تكون الرصاصات التي انطلقت طلقات طائشة خرجت عفوا من أحد الفريقين ، فانه لم يكن هناك من يقتنع بذلك ، وانتصر شيطان الثأر ·· ولقد كانت هذه فرصة ذهبية للامام المخلوع وأعوانه ·· وقد كانوا بطبيعة الحال يعلمون أحوال الشعب وعقليته تمام العلم ، ولا غرو فحكم الائمة كان هو المؤسس الاول للفتنة وباعث الشك والحقد في نفوس الجميع ···

العدو ينتهز الفرصة :

وكان لابد للامام المخلوع أن ينتهز الفرصة فيزيد النار اشتعالا بين القبيلتين ، وكان عليه أن يختار احداهما لكى يزودها بالسلاح والمال، والدعاية المسمومة لكى يزيد الدافع لديها لمقاتلة الاخرى ·

أما القبيلة الأولى فقد كان بينها وبين الامام وأسلافه ثأر قديم ، فقد قتلوا زعماءها وهدموا

قراها واغتصبوا أرضها وشتتوا شملها ، ولذلك كانت هذه القبيلة من أول القبائل التى بادرت بتأييد الثورة وقدمت فى سبيلها كل طاقاتها .

وأما القبيلة الثانية فلم يكن بينها وبين الامام واسلافه ثأر قديم فكان من الطبيعى أن تكون الين من القبيلة الاولى عودا ، وأكثر منها استجابة له ولتحريضه ، وأكثر قبـولا لسلاحه وماله ودعايته المسمومة .

ولم يمض يوم أو بعض يوم على حادث اطلاق النار حتى وصل الى أرض القبيلة الثانية احـد « السادة » من أسرة حميد الدين ونـزل فى بيت أحدهم وكان معه بعض السلاح والذخيرة والمـال والوعود الخلابة ... (يطلق لفظ « السيد » على سلالة الهاشميين فى اليمن) .

وظهرت آثار ذلك بسرعة حـين بدأت القبيلة تطلق النيران بشدة على قرى القبيلة الاولى مستخدمة الاسلحة الثقيلة التى أحضرها اليها ذلك السـيد من مدافع الهاون (١) والمدفعية الصاروخية (٢) والرشاشات الثقيلة (٣) .

وكان ظهور هذه الأسلحة دليلا قاطعا على انحياز القبيلة الى جانب الامام المخلوع فاعتبرت خارجـة على الجمهورية وعلى الثورة واعتبر أهلها متمردين ، وذلك لأن الاسلحة التى كانت معتادة لدى القبائل لاتتعدى البنادق . أما الأسلحة الثقيلة من مدافـع الهاون والصاروخية والرشاشات فهى أسلحة جديدة دفعت بها الرجعية وقوى الاستعمار الى داخـل اليمن للقضاء على الثورة .

أما القبيلة الأولى فلم يكن لديها سوى البنادق للدفاع عن نفسها ضد عدوان الثانية الـذى زاد واصبح سافرا .

لابد من نجدة القبيلة الأولى :

وكانت المعركة بهذا الوضع غير متكافئة ، وكان لابد لحكومة الثورة أن تساند القبيلة المعتدى عليها وتشد أزرها ، فكلفتنى القيادة العربية بالتوجـه فورا الى هذه المنطقة ومعى قـوات من المدفعيـة والدبابات لحماية هذه القبيلة وأرضها من العدوان الذى كان يهدد ــ بالاضافة الى الاستيلاء على قرى القبيلة ــ بقطـع أحد طرق التموين الهامة لقواتنا التى كانت تقاتل فى احدى الجبهات .

« يتبع »

« محمد جمال الدين محفوظ »

---

١) مدافع الهـاون هي مدافع خفيفـة الوزن لها قذائف ذات تأثير مدمر وتعتبر أنسب الأسـلحة للمناطق الجبلية نظرا لخفة وزنها ويمكن فكها الى اجزاء يسـتطيع الأشـخاص حملها وهذا هو سر وجودها بكثرة فى اليمن .

٢) المدفع الصـاروخى هو مدفع يمتاز بقـدرة فائقة على اختراق الدروع ، ويسـتخدم لضرب الدبابات والعربات المدرعة ويمتاز ايضا بخفة الوزن وسهولة الحمل .

٣) الرشـاش هو سلاح له القدرة على اطلاق كمية كبيرة من الرصاص بسرعة مثلا (٢٠٠ طلقة فى الدقيقة) ويوجد منه الخفيف الذى يطلق الرصاص العادى والثقيل الذى يطلق رصاصا كبير الحجم شديد التأثير على الأشخاص والعربات والطائرات .



حفني ناصف

بطولته في مختلف الميادين

١٨٥٥ — ١٩١٩

بقلم محمود غنيم

يقول المتنبي في ابن العميد :

وترى الفضيلة لا ترد فضيلة
الشمس تشرق والسحاب كنهورا

وهو يعني بذلك أن ابن العميد كان متعدد الجوانب ، مختلف المناقب ، فهو في عالم الكتابة امام ذو طريقة تنسب اليه ، وهو في عالم السياسة وزير يصرف دولة آل بويه ، ثم هو فوق ذلك شجاع لا يشق له غبار ، وكريم ينحر البدر النضار . ولكن لم تستطع موهبة من هذه المواهب أن تغطي على غيرها ، لتخير كل منهما وأصالته ، فكأنما كانت كل موهبة من مواهبه بمنزلة الشمس في سطوعها ، والأخرى منها بمنزلة السحاب الذي يريد أن يحجب ضوء الشمس ، فكانت نتيجة الصراع بينهما أن ظلت الشمس مشرقة ، وظل السحاب كثيفا متراكما .

وما أحرانا أن نتمثل بهذا البيت عندما نتناول شخصية حفني ناصف بالدرس والتحليل ، فقد كان هو أيضا متعدد الجوانب ، مختلف المناقب ، وكان لكل موهبة من مواهبه تخيرها واصالتها ، بحيث لم تستطع غيرها أن تكون منها بمنزلة الستار الذي يحجبها عن الأبصار ، فأنت تقرأ شعره فترى نفسك أمام عالم شامخ من أعلام القريض ، وأنت تقرأ نثره فترى نفسك أمام رجاف مترامي الأطراف ، حتى لا تدري أهو شاعر يتعاطى الكتابة ، أم هو كاتب يتعاطى الشعر ؟ ولا تكاد تعرف أيهما الأصيل في حياته وأيهما الدخيل ؟

فاذا تجاوزت الناحية الادبية من زاويتيها برز لك من حفني ناصف عملاق آخر : هو حفني ناصف البحاثة الذي ملأ الدنيا ، وشغل الناس بأبحاثه ومصنفاته ، وان كان مما يؤسف له أن كثيرا من هذه وتلك لا يزال في طي الكتمان ، لم ير النور الى الآن ، ثم يأتي بعد هذا كله ، وقبل هذا كله — ان شئت — حفني ناصف المصلح الاجتماعي الذي كان من أوائل الدعاة الى انشاء أول مجمع لغوي بالمعنى المعروف ، والى انشاء اول جامعة علمية أنشئت في مصر على النظام الحديث ، كما كانت له اصبع في كل مشروع تقدمي غير المجمع والجامعة من المشروعات الحيوية التي نادى بها استاذه جمال الدين الأفغاني ، وتبناها من بعده أستاذه وصديقه محمد عبده ، فكانت أسس النهضة الشاملة في مصر الحديثة .

وعلى ذكر المجمع اللغوي الأول نورد أبياتا من قصيدته في رثاء الشيخ حمزة فتح الله تدل على أنه كان الداعية لهذا المجمع ، وأنه بلغ من حرصه على انشائه أن ذهب الى الشيخ حمزة — وهو على فراش المرض — ليدعوه الى أن يساهم بجهوده فيه . استمع اليه يقول :

لم أنس اذ زرته في البيت منفردا
يوما لأدعوه للمجمع العربي
فقلت : ادعوك للجلى فأنت لها
أهل واحوزنا في السبق للقصب
فقال — بتكر مني ما احاوله — :
لن تجد وكل الناس في لعب
فقلت : مولاي قد خرجت نابتة
فيما مضى يا لهم من فتية نجب
نهضت بالعلم فيهم نهضة عجبا
حاشا يضيع الذي كابدت من تعب
فابرنشق الشيخ من قولي وقال : نعم
لكنه منصب يحتاج للنصب
طال المسير وقد مس العيون قذى
من القديح وتضوى ناه من لغب
خليفتي انت فانهض باللغى معهم
واداب فانك مطبوع على الدأب
فقلت من عجم الأعواد مختبرا
أحوالها ماز بين النبع والغرب
فكان أصعب شيء أن رحبت لهم
وقلت : انى قد أخفقت في الطلب
لو ساعد الحظ والأستاذ أسعفنا
كنا غنينا عن التنقيب في الكتب

ومن هذه الابيات نرى كيف أن حفنى ناصف كان مندوب القوم فى الدعوة الى هذا المجمع ، كما نرى ان الاستجابة لهذه الدعوة لم تكن من اليسر بمكان ، بدليل اعتذار رجل كالشيخ حمزة فتح الله عن عدم قبولها ، وهو رجل لغة قبل كل شيء ، والبيت الاخير يدل دلالة صريحة على ذلك ، فهو يصفه بأنه معجم ناطق يغنى عن الكشف فى المعاجم المخطوطة . وفى الأبيات شهادة من الشيخ حمزة لحفنى بأنه خليفته فى اللغـــة . وقد كانت هذه نبوءة صادقة ، فقد خلف حفنى الشيخ حمزة فى منصب المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف بعد اشتغاله بالقضاء زهاء عشرين عاما .

ثم نعود الى مواهب حفنى ناصف ، فنقول : اننا لنخشى أن نتهم بالمبالغة حين نسترسل فى ذكر هذه المواهب ، ولكننا ــ على الرغم من هذا الاتهام ــ نعرض لناحيتين لا تخطر كلتاهما للقارىء على بال .

اما اول هاتين الناحيتين فهى الناحية الرياضــــية فى حياة حفنى ناصف ، فانك لتدهش اذا علمت أنه كان يعنى بها عناية خاصة ، وأنه يجيــــد القطس والسباحة الى حد منقطع النظير ، وانك لتدهش أكثر اذا علمت أنه فى احدى ســــباحاته مر بمدينـــة « مرسيليا » فصادف فيها مباراة عالمية على وشك أن تقام فى فن الســـــباحة ، فما كان منه الا أن أدرج اسمه فى قائمة المتبارين ، ثم أقيمت المباراة ، فكانت الجائزة الثانية من نصيبه .

واما الناحية الثانية فنعنى بها ناحية الموســـيقى والتلحين ، فانك لتدهش اذا علمت أنهما هما أيضا كان لهما فى حياته نصيب ، وانك لتدهش أكثر اذا علمت أن الشيخ سلامة حجازى لم يكن يغنى فى حفل يضم حفنى ناصف الا اذا سبقه حفنى الى الغناء .

ولقد كانت شهادته فى هذا الصدد موضع تقـدير المحكمة فى قضية عامة دارت حول نزاع بين شركتين كبيرتين من شركات تعبئة الاسطوانات الغنائية : هما شركتا « جيرامافون » و « بيضافون » . لقد ندبت المحكمة حفنى ناصف باعتباره شاهدا أو خبيرا فى هذه القضية ، لما يتمتع به من خبرة فنية فى موضوع النزاع ، فوضع تقريرا ضافيا فى هذا الموضوع ، واستطرد فى تقريره الى الكلام عن الغناء العربى نظما وتلحينا ، فألم بأطراف الموضوع الماما جعل هيئـــة المحكمة لا تتردد فى الأخذ بوجهة نظره ، ولعل هذا التقرير ، أو هذا الحكم المترتب عليه كان أول حجر وضع فى أساس الاعتراف بحقوق المؤلفين والملحنين.

كان حفنى شاعرا بكل ما تحتمله كلمة الشاعر من معنى ، وقد ساعده طبعه وموهبته من جانب ، وتمكنه فى لغة الضاد من جانب آخر ، وكثرة سياحاته مع دقة حسه وارهاف مشاعره من جانب ثالث : ساعده ذلك كله على قرض الشـــعر ، والتحليق فى عليـا سمواته ، حتى ذهب كثير من شعره مذهب الأمثال : تتناقله الشفاه ، وتتداوله الرواة ، ولا اظن أديبا من أدباء العربية ، أو متأدبا من متأدبيها لا يحفظ له قوله :

أتقضى معى ان حان حينى تجـــاربى
ومانلتهـــــا الا بطـــول عنـــــاء ؟
وأبذل عمرى فى اكتســاب معــارفى
ويفـنى الذى حصلته بفنـــائى ؟
ويحـــــزننى ألا أرى لى حيــلة
لاعطائهـــــا من يستحق عطـائى
اذا ورث المثرون أبناءهم غـــنى
وجاها فما أشـــــقى بنى الحكمــاء

هذه أبيات خالدة ، وسر خلودهـــا تلك اللفتة الذهنية البارعة التى فطن الشاعر اليها ، ولم يفطن اليها ــ فيما نعلم ــ شاعر غيره ، على كثرة من سبقه من الشعراء . ان عاطفة الأبوة قديمة قدم الانسان نفسه ، وان وراثة الأبناء ما خلفه الآباء من مال ونشب قديمة أيضا قدم الانسان نفســـــه ، وان العجز عن توريث الأبناء ما يتمتع به الآباء من حكمة وتجارب قديم كذلك قدم الانسان نفســــه ، ولكن أحدا من الشعراء لم يسجل هذه الظاهرة الجديرة بالتسجيل كما سجلها حفنى فى هذه الصياغة القويمة القوية المحكمة التى كفلت لها الخلود . لقد كان كثير من الشعراء حين يسمع أبياتا بارعة يقول : « وددت لو نسبت الى هذه الابيات بنصف ما قرضته من شعر » وكأننى بكثير من شـــعراء الجيل الحاضر يود أحدهم بدوره أن تنسب اليه هذه الأبيات بنصف ما قرضه، بل بكل ما قرضه من شعر .

على أننا لا نريد أن نسترسل فى الكلام عن شعر حفنى ناصف فى هذه المقالة ، كما لا نريد أن يسرقنا القلم من حيث لا نشعر ،فنسهب فى الكلام عن نثره ، فكل من هذا وذاك يحتاج الى بحث آخر مستوعب قائم

بذاته . بيد أننا لا نستطيع بعد أن أومانا هـذه الايمـاءة الخاطفة الى شعره ونثره أن نغفل أثرين أدبيين بارزين من آثاره ، كلاهما أبقى على الزمن الباقي من الزمن .

أما الأثر الأول فنعنى به قصيدة « قنا » التى بعث بها الى وزير الحقانية « العدل » عندما نقل اليها ، وهو قاض بالمحاكم الأهلية ، والتى مطلعها :

رقبتنى حسـا ومعنى ... فلفضلك الشـكر المثنى
وجعلت راس الحاسـديـ ... ـن بمصر من قـدمى أدنى

وحسبك أن تعلم أن القنويين ــ بصفة خاصة ــ بلغ من اعتزازهم بهذه القصيدة أن علقوها على أستار ضريح سيدى عبد الرحيم القنائى القطب المشـهور واعادوا بذلك الى الذاكرة عهدا قديما كانت تعلق فيه المعلقات السبع ، أو المعلقات العشر على أستار الكعبة .

وأما الأثر الثانى فنعنى به الرسالة البكرية التى بعث بها الى السيد توفيق البكرى نقيب نقباء الطرق الصوفية ، ورئيس أول مجمع لغوى أنشىء فى مصر ــ عندما زاره فى منزله ، فلم يلق عنده من الحفـاوة والترحيب ما ينتظره الأديب من الأديب . أقول : ان كلا هذين الأثرين خالد خلود الأهرام ، وأذكر أننا حفظناهما صغارا ، وحفظناهما تلاميذنا كبارا ، حتى ليصح أن ينطبق علينا قول الشاعر :

الهى بنى تغلب عن كل مكـرمة ... قصيدة قالهـا عمرو بن كلثوم
يروونهـا أبدا مذكان أولهـم ... يا للرجال لشـعر غير مسـئوم

ومن عجيب أمر حفنى ناصف أن حياته تشتمل على عدة مفارقات تثير الدهشة ، حتى ليصح أن تطلق عليه « رجل المتناقضات » .

فأول حلقة من سلسلة هذه المفارقات شدة ولعه بمزاولة الرياضة البدنية ، فضلا عن تبريزه فيهـا تبريزا أهله لنيل بعـض الجوائز الدولية على نحو ما عرفت ، وعهدنا بمن يزاولون ألوان النشـاط الرياضى أنهم من أرباب القدود الهيفاء ، والقامات المشـوقة ، وما كذلك كان حفنى ناصف ، وانمـا كان رجلا بدينا ، يشكو جسمه غير قليل من الترهل، يعرف ذلك من شاهدوه حيا ، كما تتضح لك بدانته اذا طالعتك صورته ، وله فى هـذه البدانة نكات مأثورة يعرفها الكثيرون .

اما الحلقة الثانية من سلسلة المفارقات فى حياة حفنى ناصف فنعنى بهـا انه كان علما من أعلام الدعـابة فى مصر ، ولا اخالنى أسىء الى ذكراه الخالدة اذا قلت: ان هذه الدعابة كثيرا ماكانت تبلغ حد ما يسـمى بالنكتة المكشـوفة ، غير أن هـذه الدعابة ــ مستورة كانت أو مكشوفة ــ لم تكن تغض من وقاره كرجل دين سلخ من حياته فى الأزهـر الشريف زهاء عشر سنين ، ولا كقاض سلخ من عمره فى الجلوس على منصة القضاء زهاء عشرين عاما .

اما الحلقة الثالثة من سلسلة المفارقات فى حيـاة حفنى ناصف فنعنى بها أنه فى عصر النهضة الحديثة الذى بدأ باحياء التراث القديم ــ كان أحد الكتاب الأعلام الذين تأثروا بطريقـة ابن العميد والقاضى الفاضل ، شأنه فى ذلك شأن كثير من كتاب عصره ، كابراهيم المويلحى ، والسـيد توفيق البكرى ، وعبد الله النديم ، وحافظ ابراهيم فى « ليالى سطيح » ومحمد عبده فى بعض رسائله : نسج حفنى هـذا النسج ، وسار على هذا النهج من اصـطناع السجع واستعمال المحسنات البديعية ، والاقتباس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكل الأبيات الشعرية، الى غير ذلك من خصائص هذا الأسلوب . بل انك لتجد له مقامات لا تكاد تفترق فى أسلوبهـا ــ وان افترقت فى موضوعها ــ عن مقامات الحريرى وبديع الزمان الهمذانى .

ولكنك بجانب هذا كله ترى حفنى ناصف أحد الثائرين على السجع الداعين الى تحرير الأسـاليب العربية من أصفاد المحسـنات البديعيـة ، واليك ما كتبه الشيخ أحمد الاسكندرى بنصه فى هـذا الموضوع .

«وحفنى بك أحد من تم على أيديهم نقل الكتابة من الطريقة البديعية المسـجوعة الكثيرة التورية التى أسميناها طريقة القاضى الفاضل ، الى طريقة الترسل الحالية ، ويشاركه فى ذلك الشـيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، وابراهيم بك المويلحى ، والشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، وله فى كلتـا الطريقتين رسائل بليغة » .

للبحث بقية

« محمود غنيم »

التراث العربي في الآداب الأوروبية

للدكتور: محمد مختار القاضي

- ٢ -

القصص

اولئك الذين يتابعون تاريخ الأدب العربي يعلمون ان كثيرا من القصص ترجم الى اللغة العربيـــة في عهد النهضة الفكرية الاســـلامية ، ومن هذه القصص كتـــاب « كليلة ودمنـــة » و « سندبادنامة » و « وبرلام ويواسف » ، كما وضع أو ترجم في عصور متعاقبة كتاب « الف ليلة وليلة » • ومع أن كثيرا من القصص ترجم عن اصل هندي او فارسي ، فان الفضـــل في تهذيبه واعداده وحفظه يرجع الى المسلمين ، كما يرجع الى هؤلاء ايضا فضل نقله الى اوربا وخاصة عبر بلاد الأندلس •

وابدا الآن بكتاب كليلة ودمنة ، فان هـــذا الكتاب ترجم عن العربية الى الاسبانية عام ١٢٥١ م بامر من الملك الفونسوالعالم، وكان لهذا الكتاب تاثير على كتاب بدرو الفونسو ، المســمى « سلك الكتاب » • وبدرو الفونسو هذا يهودي تنصر عام١١٠٦م وكان ملما باللغة العربية ، ولذلك تاثر بالنسخة العربيـــة من كتاب كليلة ودمنة قبل ترجمتها الى الاسبانية ، واورد في كتابه المشار اليه ثلاثين قصة يقصها اب على ابنه على نسق كتـــاب كليلة ودمنة • وقد كتب مؤلفه هذا باللغة العربية ثم ترجمه بنفسه الى اللاتينية ، وممن تاثر بالكتاب ايضا رايموندو لوليو في مؤلفه « العجائب » • كما اوحى بكتاب القطط ، وكتـــاب الأمثال لسانتشث دي فرليال ••

هذا عن كتاب كليلة ودمنة واثره على الكتـــاب المقيمين في اسبانيا • اما عن كتاب الف ليلة وليـــلة فقد ترجم كذلك الى الاسبانية في عصر غير معروف على وجه التحديد ، ولا شك عند المستشرقين الاسبان أن هذا الكتاب اوحى الى الأدب الاســـباني بقصة « الفتاة تيودور » من تاليف لوب دفيجا ، وقد اخذها هذا المؤلف عن قصة «الجارية تودد» في الف ليلة وليلة . واوحى الى كالدرون بهيكل قصته « انما الحياة حلم » والتي نقلها عن قصة « النائم الذي صحا » الواردة في الف ليلة وليلة ، واوحى بقصة الفروسية المعروفة «كليمادس وكلاراموندو» المأخوذة من قصة « الحصان المسحور » الواردة في الكتاب المذكور •

وكان لمقامات الحريري التي ذاعت ذيوعا عظيما في الأندلس ، فضل في تاليف كثير من القصص الاسباني على نمطها ، واذكر بالذات القصص الاسباني المعروف بقصص الصعاليك •

وكذلك نجد اثر ابي زيد السروجي بطل المقامات في قصـــة « قزمان الفراش » التي وضعها ماليو المان •

فاذا انتقلنا الى رسائل اخوان الصفا ووضعنا ايدينا على حكاية مجادلة الحيوان لبني ادم نجد ان هذه القصة اوحت الى انسلمو دي تورميدا ، وهو راهب اعتنق الاسلام فيما بعد باسم عبد الله ابن علي ، اوحت اليه بقصة « مجادلة الحمار للأب انسلمو دي تورميدا •

اماكتاب السندباد ، ويعرف في اسبانيا بكتاب « مكايد النساء وحيلهن » ، فقد ترجم الى الاسبانية سنة ١٢٥٣ م بامر من الامير دون فردريك ، شقيق الملك الفونسو العالم (او الحكيم)فاوحت الى الدوق خوان مانويل بالكوندلوكانور ، والى مانبودي فاندوم بقصة « ميلو » والى براتوم بقصة « حياة المستهترات » وتراها في الادب الشعبي لفيتربو ••• الى ان تنخرط القصـــة في الحركة الرومانتيكية العامة حيث ضمنت قصة «حذاء الملك والكرم الأخضر » كما نقل عنها قصـــة علماء روما السبعة التي ترجمت شعراء الى اللغة القطلونية ونثرا الى اللغة القشتالية وعرفت في اسبانيا باسم «حكاية الامير ايراستو» •

اما قصة «برلعام ويواسف» فقد ظهرت في كتاب «الاحوال» للدوق خوان مانويل ، وفي كتاب « ابن الملك والدراويش » الذي كتبه اليهودي البرشلوني ابراهام بن حسداي في القرن الثالث عشر •

ولقد كانت الفكرة السائدة الى عهد قريب ان رسالة « حي بن يقظان » لابن طفيل هي التي اوحت الى جراثيان بلتازار بالفصول الاولى من قصة « الكريتيكون » • وبهذا اشـــار الأب اليسوعي بارتولومي بو في القرن الثامن عشر ، ولكن الاستاذ غرسيوغومس يقول انه عثر على قصة تسمى قصة « الصنم » ورأى فيها انهـــا الأصل الذي اقتبس منه كل من ابن طفيل وجراثيان قصتـــه • واذن فلم يستوح جراثيان من ابن طفيل شيئا • واســـتدل على ذلك بان قصة ابن طفيل نشرت لاول مرة سنة ١٦٧١ م اى بعد نشر قصة جراثيان بعشرين سنة ، فلا يمكن ان يكون السابق قد استوحى من اللاحق • وفي رايي ان قول جارسيا غومس بهـــذا لايعدو أن يكون مجرد راى غير راجح ، «فقصة ابن طفيل» ليست في حاجة لان تستوحي من « الصنم » • بل يمكن جمع اصولها من بيئة عربية اسلامية ، كقصة سيدنا موسى التي حدثنا بهـــا القرآن الكريم عندما القت به امه في اليم وكقصص الشـــعراء العاشقين الهائمين في البادية بين الظباء والغزلان • وليس بنافع غارسياغومس في دعواه هذه قوله ان قصة جراثيان «الكريتيكون» نشرت قبل نشر النص اللاتيني لقصة حي بن يقظان بعشرين سنة، ذلك بانه اذا كان نشر النص اللاتيني قد تاخر ، فان النص العربي لحي بن يقظان ظل معروفا في العالم الأندلسي حتى انها ترجمت الى العبرية سنة ١٣٤١ م اى قبل نشر النص اللاتيني باكثر من ثلاثة قرون •

لقد ظل الأدب العربي مؤثرا في ادب القصة الاسبانية ، حتى في المدن التي استولى عليها المسيحيون تدريجيا من العرب ، فقد كان يعيش في هذه المدن،وفي ظل البلاط المسيحي ادباء مسلمون اطلق عليهم الاسبان اصطلاح « الموريسكيون » فلما اســـتولى المسيحيون نهائيا على اسبانيا ظن هؤلاء انهـــم قادرون على محو اثر الادب الاسلامي من اسبانيا واحلال ادبهم محله ، فلم يقدروا على ذلك ، بل تفاعل التراث العربي القديم ، والموريسكي وعبرات العرب المدجنين الذين شهدوا غروب شمس الاسلام عن الأندلس، تفاعل كل هذا في ادب الاسبان المسيحيين من جديد • وفي ذلك يقول السير جيب – في مرجعه السابق – « انه حتى بعد سقوط الدولة الاسلامية في الأندلس ، حدث انتكاس في الأدبالاسباني

القومي . فقد ضاق الاسبان بجمود الأدب القشتالي ، وراوا الرجعة الى الادب العربي ، ويشهد بذلك الصقل والصفاء اللذان تميزت بهما قصة « اماديس دي جولا » من غيرها من القصص الخيالية . كما ظهر في « تاريخ بني سراج » ثم في « الحرب الأهلية » لجينيز بيريز دي هيتا ، فهي تؤلف تزاوجا بين الثقافة العربية والاسلامية ادى الى تكوين نقطة التحول في تاريخ الأدب الأوربي الحديث حيث ولدت القصة الطويلة الحديثة » .

هذا في اسبانيا ، اما في بقية اوربا ، فقد انتقلت اليها القصة العربية عن احدى طريقين : الاول طريق الترجمة والثانية طريق الرواية الشفوية .

اما عن الطريق الأول — أعني الترجمة — فقد ترجمت قصص جمة الى اللغة اللاتينية . ولنبدا بقصة كليلة ودمنة كما بدانا اول مرة :

ان اقدم ترجمة وصل علمنا اليها هي ترجمة الكتاب الى الاغريقية . قام بها «سيمون ست» في اواخر القرن الحادي عشر بامر الامبراطور الكسيس كامنينس مع تغيير الاعلام الشرقية باعلام اغريقية ، ثم ترجم الكتاب الى العبرية ترجمتين ، احداهما للحبر جويل في مطلع القرن الثاني عشر . والثانية قام بها يعقوب بن عزار في القرن الثاني عشر كذلك . وقد نقل عن الترجمة الأولى نص لاتيني قام به جوان دي كابوا (يوحنا الكابوني) حوال سنة ١٢٧٠ م ، واهداه للكاردينال ماتيو اورسيني الذي جلس على الكرسي الرسولي سنة ١٢٦٣ و سنة ١٣٠٥ . وقد انتشر هذا النص في العالم الاوربي واتخذ اساسا للترجمة الالمانية . كما اتخذت الترجمة القشتالية التي امر بها الفونسو الحكيم سنة ١٢٥١ ، وهي ادق من الترجمة اللاتينية لاخذها مباشرة عن العربية واتخذ النص كذلك اساسا للترجمة الفرنسية التي قام بها الطبيب الفرنسي ريموندوس دي بيتريس ، واتمها سنة ١٣١٣ م

وقد ترجم جالان (مترجم الف ليلة وليلة) — عن اصل تركي — الأبواب الاربعة الأولى الى الفرنسية في القرن الثامن عشر . ثم تمت ترجمة الكتاب كله الى الفرنسية سنة ١٧٨٨ على يد الأستاذ كاردون بالكلية الملكية بباريس .

وفي سنة ١٥٧٠ م ترجم الكتاب الى اللغة الانجليزية . وفي سنة ١٦٩٧ نشر استاركيوس الترجمة الاغريقية التي قام بها ست ، مصحوبة بترجمة لاتينية . ثم ترجم الكتاب الى جميع لغات العالم الحديثة .

ولقد احدث ادب الحيوان الشرقي في الادب الاوربي تحولا ملحوظا ، وفي هذا يقول المستشرق الالماني جورج يعقوب : « وضرب آخر من ضروب الأدب شاع وانتشر في العصور المتاخرة في اوربا ، الا وهو هذا القصص المتصل بالحيوان ، والذي يتخذ الحيوان موضوعا له ، فهذا اللون من الأدب شرقي الأصل ، عرفه الشعر العربي الجاهلي قبل الأدب الاوربي بقرون » . ويستشهد الكاتب على ذلك بلامية الشنفرى ، الى ان يقول «وبينما نقرا في الشعر العربي هذا الضرب الرفيع من ضروب الأدب ، اذا برجال العصر الكلاسيكي يضعون انفسهم في مستوى يعارض الشاعر الحقيقي الذي يجب عليه ان يستوحي سائر الكائنات سواء اكانت حيوانا ام نباتا . لقد اهمل شعراء اوروبا الأولون الحيوان فلم يعنوا به ، ولم ينتبه اليه شعراء الغرب الا في العصور المتاخرة ، متاثرين بالعرب والشعر الاسلامي » .

واذا كان الكاتب يخلط بين القصص الشرقي الذي جعل موضوعه كله يدور حول الحيوان ، ككتاب كليلة ودمنة ، وبين الشعر العربي وما ورد فيه من ذكر الحيوان فاننا لا ننسى ان هذا القصص قد نظم شعرا كذلك ، فصارا شيئا واحدا .

ومن امثلة القصص الغربي الذي تعرض للحيوان ، مستوحيا مادته من اصول شرقية ، قصة « الثعلب رينالد » التي وضعت باللاتينية ثم ترجمت الى الالمانية والفرنسية ، ونظمها الشاعر الالماني جيته (١٧٤٩ — ١٨٣٢) .

ومن تاثروا بقصص الحيوان الشرقي الشاعر الفرنسي لافونتين (١٦٢٦ — ١٦٩٥) والشاعر الالماني جتهولدافريم لسنج (١٧٢٩ — ١٧٨١) .

هذا عن كليلة ودمنة وآثره في الغرب ، اما عن الف ليلة وليلة فلم يعرف عنه الأوربيون شيئا الا من الترجمة الفرنسية الناقصة التي قام بها جالان سنة ١٧٠٤ ثم توالت ترجمات الكتاب الى اللغات العالمية . واكمل ترجمات هذا الكتاب وادقها ترجمة بيرتون الى الانجليزية سنة ١٨٨٥ والترجمة الفرنسية التي قام بها ماردروس سنة ١٨٩٩ . وترجم الكتاب الى اللغة الالمانية وزاد فيه وعلق عليه روسشر سنة ١٩٢٥ ونقله كريمسكي الى الروسية وكتب له مقدمة طويلة سنة ١٩٠٤ . كما لخصه بالفرنسية وعلق عليه اميل جالتييه ونشره في القاهرة سنة ١٩١٢ .

يقول السير جيب في اثر كتاب الف ليلة وليلة في الأدب الاوربي : ان الروح الرومانتيكية التي عبرت عن شخصيتها في روايات بريتون وفي الأدب الشعبي التيوتوني وفي الدراما الانجليزية ضاقت بالروايات الريفية وروايات البطولة وقصص اللصوص فسقطت هذه الرواية تدريجيا في الوقت الذي ظهرت فيه ترجمة جالان لالف ليلة وليلة سنة ١٧٠٤ فتنافس الناشرون على ارضاء رغبة الجماهير الفرنسية . وملا جيليت حياة جيل كامل بترجمات اجنبية ، وان فرنسا بعودتها الى الاساطير الشرقية ذات المغزى زودت فولتير ورجال الاصلاح باسس يقيمون عليها مؤلفاتهم التهكمية في السياسة والاجتماع . ونهج في انجلترة على نهج جيليت كتاب كثيرون فعادوا الى آداب الشرق وصوره خيالهم الرومانتيكي السائد في ذلك العصر ، واصبحت ترى في خيالهم صور الخلفاء والقضاة والجن من آثار الشرق . وانصهرت هذه الصور مع الأدب القديم في حلم ميرزا وفي قصة راسيلاس . واذا كانت صور الشرق قد انهارت امام هاملتون وبوب وجولد سميث ، الا انها لم تسقط الا بعد ان تركت اثرها في الأدب الانجليزي . وفي انجلترة وفي فرنسا على السواء ، انتجت هذه الحركة كتاب « فاثيك » لبدفورد ، وقد ادمج فيه الروايات القوطية والموضوعات الشرقية ، فاثر في المؤلفات الخيالية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر — كل ذلك جعل الناس ينتزعون ثانية نزعة رومانتيكية لأدب العصور الوسطى .

ويفسر الكاتب النجاح الذي لقيته قصة الف ليلة وليلة بالذات في القرن الثامن عشر حتى تغلغلت في الادب الانجليزي والفرنسي يفسره بزيادة الطبقة القارئة وحاجتها الى ادب اكثر شعبية وضيقها ذرعا بالروايات الطويلة Novels التي ظهرت في القرن السابع عشر . واذا كانت قصة الف ليلة وليلة تنقصها عناصر الفن الأدبي الرفيع ، الا انها امتازت بروح المغامرة التي كانت تنشدها الجماهير ، ولولاها لما ظهرت كتب روبنسون كروزو وربما رحلات جوليفر ، كما نستطيع ان نتبين نفس الفكرة فيما اختاره سوذي من موضوعات لقصائده الروائية « ثعلبة » و « لعنة كهامة » .

محمد مختار القاضي

صموئيل بيكيت .. داعية للصهيونية

بقلم : حسين مهدى الغنام

تعتبر مسرحية فى انتظار جودو ، أكبر اعمال صموئيل بيكيت . وهى فى حقيقتها دعوة صهيونية لا تبعد عن اهداف الصهيونية ودعواتها الخافية والظاهرة بأى حال من الاحوال .

ولقد سبقتها دعايات ضخمة قام اليهود الصهاينة باذاعتها على العالم ، فقالوا ان بيكيت من أكبر كتاب مسرح الطليعة الآن .

وتتلخص فلسفة هؤلاء الطليعيين فى كتاباتهم العابثة ، كما يسمى مسرحهم ، فى ان العبث هو ماساة الوجود الانسانى ، وان الانسان ليس لحياته معنى ، فعليه اذن أن ينهب من اللذات الجسدية ما يملأ حياته قبل أن يطويه اللاوجود والعدم اللا نهائى . فهى حياة خالية من المعنى ، وخالية من كل هدف ... وهذا الكلام سبق ان قالته التوراة فى سفر الجامعة ، فالكل باطل وقبض الريح ، ولا فائدة للانسان من تعبه فى الحياة ، وموته أو حياته لا يؤثران فى شروق الشمس ومدار الكون .

وهى دعوة انحلالية تفتر همة الانسانية وتصيبها باليأس ، فتجعل الناس يحسون بانهم يعيشون حيارى مشردين تائهين حياة بلا طعم ولا معنى . هذا من ناحية ، وهى من ناحية أخرى تحرضهم على أن يعيشوا لأنفسهم والا يهتموا بغيرهم ، فيصبح العالم غابة كبيرة تتصارع حيواناتها وتفترس بعضها البعض .

فهى اذن دعوة ضد الانسانية التى قضت البشرية آلاف السنين فى سبيل تهذيبها والرقى بها .

وتتبلور هذه الفلسفة فى مسرحية « فى انتظار جودو » لذلك الكاتب اليهودى صموئيل بيكيت ...

ولقد تعمدت ان اذكر اصل بيكيت ، مع أن كل ما كتب عنه فى العربية خلا من ذكر أصله اليهودى ولست أدرى السبب فى ذلك .

وتعمدى ذكر أصل بيكيت ، وهو اليهودية ، يشرح لنا مدي فلسفته التى يعمل على نشرها . فمن المعروف ــ كما تقدم ــ ان من أهداف الصهيونية فى العالم أن ينشروا فيه تلك الفلسفة الانحلالية اليائسة ، حتى يتفكك المجتمع فى كل بلد ، فتستطيع الصهيونية أن تسيطر على العالم من أسهل طريق . وسنرى كل ذلك واضحا فى مسرحية جودو ...

وقبل ان نسترسل فى تحليل هذه المسرحية نحب ان نشير الى نقطة لم توفها حقها من التدليل . فان بيكيت كاتب غير أصيل فى كتاباته ، بل هو يمتح عن غيره فى أعماله ، كما يعمل بدافع عن غيره يسيره فى اهدافه .

لقد قلنا فيما تقدم ان بيكيت تأثر فى كتاباته بفرانز كافكا تأثرا كبيرا . والواقع انه يحاول ان يقلد كافكا فى كل شيء ... فى التفسيرات النفسية لأشخاص رواياته القلائل ، وفى عامل الزمن الذى يختصره اختصارا غريبا وكانه يقف به عن المسير ، وفى تظاهره بالبحث عن المطلق المجهول ومحاولته التظاهر بانكار الدين . ولكن كافكا ، فى معظم أعماله، متاثر بالاساطير الدينية ، وقد حاول ان يترجم فيها ــ وخاصة فى القصر ــ بأسلوب عصرى ، اسطورة يعقوب وصراعه مع الملاك ، ومحاولات ايوب مع الرب ، وهذا كله يفسر تخبطه فى محاولة فهم المجهول المطلق ، أو الطبيعة العابثة للمطلق .

ومتابعة بيكيت لكافكا فى أعماله واضحة كل الوضوح . ومن رأى (ماكس برود) ان رواية القصر لكافكا تصور موقف الشعب اليهودى فى العالم الحديث .

ويفعل بيكيت مثل هذا فى مسرحية جودو ، التى يصور فيها تشرد اثنين من ابناء جلدته ، وان لم يعلن عن هذا ، ولكنه واضح كل الوضوح . وهو كذلك يقلد كافكا فى مسرحيته «حارس المقبرة» فليس لها مغزى ولا عقدة ، وان قصد بيكيت فى مسرحيته الى معان اخرى واهداف أخرى فى ثنايا حواره بين ابطالها ، وهى الدعاية الصهيونية المستترة .

وقد تأثر بيكيت قبل كل شيء فى ثلاثيته : مولى، وموت مالون ، ومالايسمى ، بثلاثية كافكا : أمريكا ، والمحاكمة ، والقصر ... فهو اذن كاتب غير أصيل، يمتح عن غيره فى أعماله كما اشرنا ، كما انه يسير بدافع عن غيره فى دعايته الصهيونية ، كما سنرى فيما يلى .

وتتلخص مسرحية «فى انتظار جودو» فى ان العالم قد توقف عن المسير . كانه شمس يوشع . ولك ان تتصور عالما تقف الشمس فيه عن المسير ، كيف يكون شكله ومنظره — وكيف يكون مستقبله ...
وماذا فيها بعد ذلك ؟

لناخذ بعض ماجاء فيها من حوار ، ومن النص الحرفى نفسه ، ونعلق على كل جزء نستشهد به ..
« فلاديمير — هل قرات الكتاب المقدس ؟
استراجون — الكتاب المقدس ، لقد القيت عليه نظرة يوما ما
فلاديمير — والاناجيل ؟
استراجون — مازلت اذكر خريطة الارض المقدسة . لقد بدت جميلة جدا . كما بدا البحر الميت أزرق اللون لطيفا . لقد شعرت بظما مجهول الى تلك الاماكن التى لابد أن نذهب اليها . لقد قصدت ان اذكر لك ذلك . سنذهب الى هذه الاماكن المقدسة لقضاء شهر العسل ، حيث نسبح هناك سعداء كل السعادة » .

اليست هذه دعوة صريحة الى ذهاب اليهود الى أرض الميعاد ؟
ويتهكم بعد ذلك بالمسيح وكيف انه لم ينقذ اللصين اللذين كانا سيصلبان معه فأساءا اليه . ويشكك فى هذه الرواية فيدعى ان احد اللصين انقذ ، بل أدين ، بل انقذ ... وهكذا .
ثم يقول على لسان البطلين وهما ينتظران جودو:
« استراجون — هل انت واثق انه سياتى هذا المساء ؟
فلاديمير — لقد قال انه سيأتى يوم السبت .
استراجون — اى سبت ... هل هذا يوم السبت ، أم الاحد ، أم الجمعة ؟ »
ويوم السبت هو اليوم المقدس عند اليهود
ويوم الاحد هو اليوم المقدس عند المسيحيين
ويوم الجمعة هو اليوم المقدس عند المسلمين
ولكنه يفضل يوم السبت ، الذى سيجيء فيه جودو ...

ويقص أحدهما على زميله حكاية شاب انجليزى ذهب الى بيت من بيوت البغاء فسألته القوادة عن لون الفتاة التى يطلبها . ثم قاما يحتضنان ، فتقزز أحدهما من رائحة الآخر ، ثم يطلب الاول من الثانى ان ينتحرا ، ويدعو صديقه ان يبدأ هو بالانتحار .
ثم يتفقان على ان ينتظرا جودو مرة أخرى ...
ويدخل عليهما شخصان . وبعد حديث ساقط آخر يقول احد البطلين عن واحد من الدخيلين :

« فلاديمير — انه ليس قبيح الشكل
استراجون — اتظن ذلك ؟
فلاديمير — ان هيئته أقرب الى هيئة الانثى ،
ثم يعود الى التهكم بالمسيح فيقول :
« فلاديمير — انك لاتستطيع ان تسير حافى القدمين
استراجون — ولكن المسيح فعل ذلك من قبل .
فلاديمير — مالك وللمسيح ... اتقارن نفسك به ؟
استراجون — لقد كنت اقارن نفسى به طيلة حياتى »

ثم يطلب معتوها المسرحية من بعضهما ان يسبا بعضهما بعضا ، فيبدءان فى السب هكذا :

« فلاديمير — ابله
استراجون — دودة
فلاديمير — مسخ
استراجون — اكتع
فلاديمير — مهرج
استراجون — قسيس »
وهكذا ... فصفة القسيس فى نظر المؤلف الحصيف سبة ووقاحه ...

والا ، فلماذا لم يقل حاخام مثلا بدلا من قسيس؟
وفى نهاية المسرحية يجرى هذا الحديث بين بطليها :

« فلاديمير — سنشنق نفسينا غدا الا اذا جاء جودو ...
استراجون — وماذا يفعل اذا جاء ؟
فلاديمير — سيخلصنا »
وقد تقدم كيف يتهكم بيكيت فى مسرحيته بالمسيح ، المخلص ، الذى انقذ اللصين أو احد اللصين اللذين صلبا معه ...

وبعد .... فما هو المقصود بكلمة جودو ؟

ليقل أى مدافع عن بيكيت من المخدوعين فى حقيقته انه اسم معروف أو شائع فى فرنسا او ايرلندا «مثلا» وهذا غير حقيقى ، وليقولوا فى تفسيره ماشاؤا ، فالحقيقة غير ما يرجفون ، وهذا الاسم نادر بل هو غير موجود .

ولقد رأينا كيف يدلل بطلا المسرحية العابثة بعضهما البعض ، فينادى فلاديمير زميله استراجون بكلمة التدليل : جوجو ... كما ينادى استراجون زميله فلاديمير بكلمة التدليل : ديدى ...

فاذا عرفنا ذلك ، عرفنا ماذا يقصد بيكيت بالاسم : جودو ...

ان كلمة الله باللغة الانجليزية هى : جود ... فهو يمسخ اللفظة المقدسة الى كلمة تدليل : جودو.. الذى يمسخه مسخا آخر ويدلله تدليلا آخر فيقول: جودين أو جودى ... على قياس ما يفعل بطلا المسرحية ، امعانا فى السخرية من كل المقدسات والاديان السماوية !

وهؤلاء الاشقياء ينتظرون مجىء جودو هذا ليخلصهم من عذابهم ... والمسيح هو المخلص فى العقيدة المسيحية ، وقد أشار هذا المجنون الى ذلك فى مسرحيته العابثة ...

وقد جاء فى ثنايا المسرحية الهازلة أيضا ، مايفهم منه أنه لا يوجد رب أو اله يحكم هذا الكون . فالانسان هو الاله نفسه وهو الذى يخلق الاساطير حول نفسه .

وهذه دعوة متناقضة ، تهدم عمود المسرحية فوق راس صاحبها ، الذى ينتظر جودو ، أو الاله المخلص .

وفى مواضع أخرى يتمسح بالمسيحية فى خبث ، ويتخذ من زهد المسيح ذريعة لتبغيض الناس فى الحياة ، واصرارهم على أنه لا جدوى منها ولا معنى لها ولا طعم ، الا طعم الفجور والفساد !

وقد يبدو هذا من أثر الاضطراب الذهنى الشاذ عند هذا الكاتب ، كما تقدم ، ولكنه فى الواقع يهدف الى تشكيك الناس عن قصد — وخاصة أصحاب الاديان السماوية — فى وجود الله الخالق الاعظم ، وفى كل القيم والمقدسات !

وتتكرر هذه الدعوة الخبيثة فى مسرحيته «شريط كراب الاخير» كما تتكرر فى مسرحية «لعبة النهاية» وهى صورة مفزعة لتفكك العالم الانسانى ، وهو الهدف الذى يسعى الصهاينة الى تحقيقه لتسهل لهم السيطرة على العالم !

وهى أيضا تتكرر فى مسرحيته الاخيرة « الايام السعيدة » ، التى هى فى الواقع مونولوج آخر طويل ممل ... وهى مسرحية فاشلة كذلك من حيث هى مسرح ، فانها تقوم على شخصية واحدة ، هى السيدة (ويثى) ، وشخصية باهتة أخرى تلوح من بعيد ، هى شخصية زوجها .

وهذه المسرحية ، او المونولوج ، يدعو الى تلك الدعوة الخبيثة كذلك ، فحياة هذه السيدة تراب فى تراب . ثم هى تتعلق بتوافه الاشياء فى حياتها التافهة أيضا ، التى لا معنى لها ولا لون ، فانها تعيش منعزلة فى انتظار النهاية ، من التراب الى التراب ، فلا هدف ولا طموح ولا شىء أبدا حتى الممات ...

وهذا عين ما تهدف الصهيونية الى بثه بين شعوب العالم من غير اليهود !

ومن المؤسف حقا ان نجد تلك الدعوة الخبيثة صدى لها عند بعض المخدوعين فى بلادنا ، وعند هذا العدد من المطبلين عندنا ، الذين يطبلون لكل شىء غير مفهوم .

فلعلهم لم يفهموا مقصد أصحاب هذا العبث الفاجر ، وهم يجرون وراء الدعايات الضخمة التى ينشرها الصهاينة عن هذا الكاتب وينفقون عليها ملايين الدولارات ويدعون انه كتب مسرحياته بعد احداث معينة فى العالم مثل حصار برلين وحرب كوريا والحروب الباردة والتهديد بالحروب الذرية، وبكائه على الوجود الانسانى وعلى مصير البشرية البشع ...

وانها لدعوى مضحكة حقا ...

والكاتب اللبق ، ومن خلفه ابواق الدعايات الصهيونية ، يسترونها بشتى الاساليب . وكان قصارى المخدوعين عندنا ان يسيروا وراء ما تقوله تلك الابواق ، لعل ذلك يكون دليلا على تقدمهم ، ولو فى نظر انفسهم وحسب !

والكاتب اللبق لم يستطع ان يعيش فى بلاده لينشر هذا البلاء ، لان الايرلنديين قوم بدائيون

طيبون متـدينون ، ويدين معظمهـم بالكاثوليكية المتعصبة ، فالكاتب الصهيوني لم يجد مجالا لنشر قاذوراته بينهم ،بل طاب له المقام في فرنسا وبيئاتها الوجودية المنحلة ، حيث تترعرع الصهيونية هناك، وحيث تتخذ منها منبرا لدعواتها الخبيثة ، وهذا غير متيسر في ايرلندا بنفس القوة التي تتمتع بها في فرنسـا !

وعلى ذكر الانحلال الوجودي الفرنسي ، وترعرع اليهودية أو على الاصح الصهيونية فيها ، اذكـر حادثة بسيطة ما زالت عالقة بذهني منذ قرابة ثلاثين عاما ، ايام كنا فتيانا مراهقين ، وكنا نقرأ اي شيء وكل شيء . فقد وقع في يدي منذ اكثر من خمسة وعشرين عاما كتاب اسمه «مدار السرطان» لكاتب امريكي يعيش مهاجرا في باريس اسمه هنري ميلر ، وهو كتاب من الكتب المنحلة ، وكان مؤلفه قد وضعه ردا على كتب د . هـ . لورانس الصريحة صراحة مطلقة ، ولم يكن في الامكان طبعه الا في باريس !

هذا الكتاب الغريب كان ممعنا في الصراحة اكثر من كتب د. هـ. لورانس الذي يسمي فيها الاعضاء التناسلية باسمائها العامية الدارجة . وقد زاد هنري ميلر على لورنس فذكر أسماء العمليات الجنسية نفسها والاعضاء التناسلية بأسمائها الفاجرة ، ووصفها أوصافا موغلة في السوقية .

ولماذا اذكر كل ذلك ؟

أذكره لأعطي فكرة عن ذلك الكتاب وعن مؤلفه وعن انحطاطهما . ولكن هذا الانحطاط الشنيع لم يمنع صاحب الكتاب من مهاجمة اليهود في باريس، ومنهم أصدقاء له ، والسخرية منهم ، حتى قبل استفحال الصهيونية وسفورها مثل هذا السفور الجريء ، واكتساب امريكا في صفها كذلك .

واني ما زلت أذكر ما قاله هنري ميلر ـ صاحب ذلك الكتاب المنحط ـ عن توغل اليهود في فرنسا وعدم رضاه عن ذلك . فقد قال : « اما بوروفسكي وزوجته البولنديان فقد أخذت زوجته في دراسة اللغة الانجليزية ، ولكنها لا تفضل من تلك اللغة غير كلمة (القذر أو الوسخ) ... وهو يرتدي ملابس من المخمل ويعزف على آلة الاكورديون : مزيج عجيب . وهو فنان لا بأس به . وهو يدعي انه بولندي ـ ولكنه ليس بولنديا بالطبع . انه يهودي. ان بولوفسكي يهودي ، وكان أبوه مغرما بجمع طوابع البريد . والواقع ان كل من يعيشون في حي مونبارناس يهود ، أو أنصاف يهود ، وهذا أسوأ.

وهناك كارل وبولا ، وهناك كرونشادت وبوريس ، وتانيا ، وسيلفستر ، ومولدروف ، ولوسيل ، كلهم يهود ماعدا فيلور . وقد تحول جوردان أوزوالد الى يهودي أيضا . ولويس نيكولز يهودي . حتى فان نوردون وشيري يهوديان . وفرنسيس بليك من اليهود أو هي على الاصح يهودية . وتيتوس يهودي . ان اليهود هنا يجمدون الدم في عروقي . وانا اكتب هذا لصديقي كارل مع أن اباه يهودي . وقد كتبت كل هذا عن قصد لأهميته في المعاونة على فهم ما أقصد . ولست أحب من هؤلاء اليهود جميعا غير تانيا ، ومن أجل خاطرها هي أود أن أصير يهوديا أيضا . ولماذا لا أصير يهوديا ؟ اني اتكلم فعلا كأحد اليهود ، كما انني سمج وقبيح كأحد اليهود . وبالاضافة الى ذلك ، فمن يكره اليهودي اكثر مما يكرهه يهودي مثله ؟ »

هذا ما كتبه الكاتب الاباحي الجريء هنري ميلر منذ ثلاثين عاما ، وعلى ما في كتابه من اباحية جريئة وقحة ، فانه يسخر من اليهود ومن كثرتهم في فرنسا ومن سيطرتهم هناك في ذلك الوقت ، حتى انه ليود ـ من أجل صديقته اليهودية ـ ان يصبح يهوديا مثلها ، لأن أخلاق اليهود لا تنقصه ، وهذه أخلاق اليهود فعلا ... يتاجرون بضمائرهم وعقائدهم ويبذلون نساءهم عن رضى خاطر ، فمن أجل امراة يهودية يود هذا الكاتب أن يتهود ، لأنها تبذل له من نفسها مالم تبذله امراة أخرى من بنات جنسه !

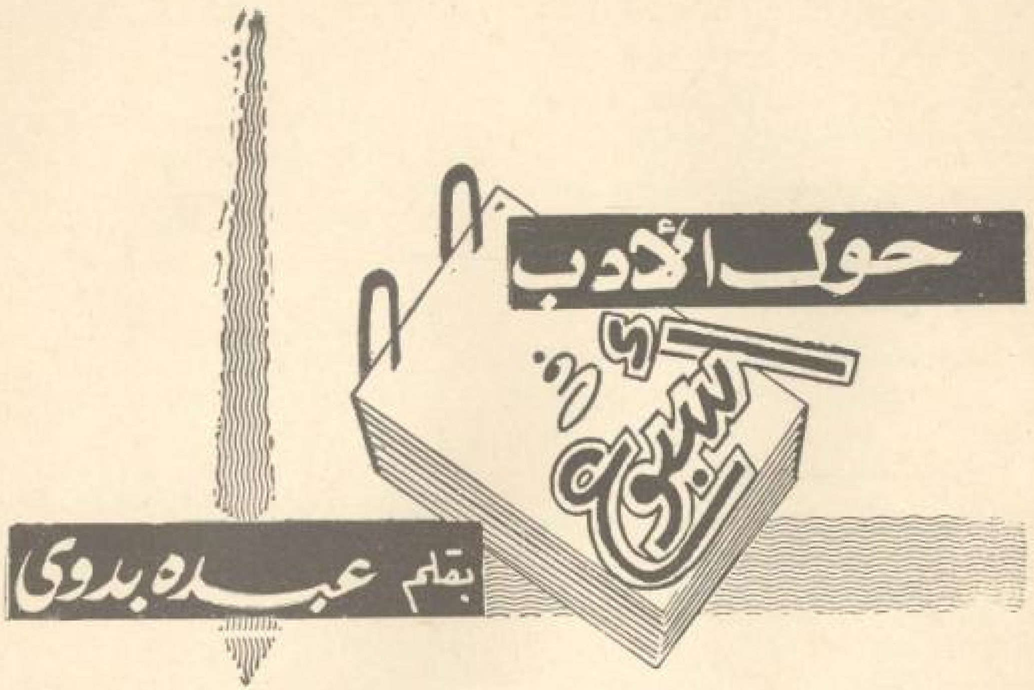
وقد قصدت كذلك ان أبين كيف لا يرضى حتى أحط الناس فكرا عن تغلغل اليهود الى الحد الذي وصفه هنري ميلر المجنون ـ فعلا ـ في كتابه المذكور .

وهذا يؤيد ما ذكرناه عن تصرفات صمويل بيكيت اليهودي ، واتجاهاته .. وتفضيله البقاء في فرنسا ، مرتع اليهود والصهيونية ، وخاصة في هذه السنوات ، واتخاذها منبرا لنشر تعاليم الصهيونية منه ، التي ينصب من نفسه داعية لها !

وصفوة القول ،هي انه يجب علينا ان نفتح أعيننا جيدا ونحذر مثل هذه الدعوات الخبيثة ونفهم حقيقة أغراضها ومقاصدها ، فان سلاح الصهيونية ليس سلاحا واحدا ، ولكنه أسلحة كثيرة خافية وظاهرة ، واخطرها ما كان خافيا غامضا ...

وسلاح الثقافة والفكر أحد أسلحة الدعاية الصيونية الخافية ، بل هو أخطرها على الاطلاق ، وخاصة ما كان منه غامضا كهذا السلاح !

حسين مهدي الغنام



حول القوس العذراء

اذا كان نظام « المقتبسات » معروفا فى آداب الأمم لعملية التعاطف النبيلة التى يحس بها الشاعر نحو المضىء فى ماضيه ، فانا هنا لم نعرف بعد كيف نتعاطف مع ماضينا ، وكيف ننظر اليه بنفس العين التى ينظر بها الطفل الى أبيه وجده ، ولعل أول ما يرد الى الذهن – فى محيط الشعر – هو قصيدة أزرا باوند المسماة « الاحترام لسيكستوس بروبرتيوس » والتى وصفت بأنها قصيدة عصرية لبعض مراثى الشاعر الرومانى سيكستوس بروبرتيوس ، وأن كلا من الشاعرين يحاول أن يقول كلمة فى الحضارة التى تظلله ، وقريب من هذا ما فعله الشاعر وليم بتلر ييتس فى قصيدة قديمة تسمى «شاطىء دوفر» حين جعل من قصيدته «حوار بين النفس والذات» نسخة منقحة منها على حد تعبير بعض النقاد ، وقاصدا فى الوقت نفسه القاء نظرة معاصرة على الماضى ، واحداث نوع من الامتزاج بين الحب والموت .

ومما لاشك فيه أن أول عمل شعرى كبير لم يسبق اليه فى هذا المجال هو « **القوس العذراء** » للاستاذ الشاعر **محمود محمد شاكر** حيث اعتمد اعتمادا كاملا على قصيدة «**الشماخ بن ضرار الغطفانى**» الذى أدرك الجاهلية ثم أسلم ، والذى كان على عوره من أدق الواصفين الذين لا يقفون عند المظهر الخارجى ، وانما يتغلغل الى الاحاسيس التى تكمن وراء هذا المظهر والوقوف عند الحس المأساوى للانسان ، ونحن لا يهمنا ما قيل عنه من أنه كان فى مقدمة الذين أجادوا فى صفة حمر الوحش الى الحد الذى قال فيه الوليد بن عبد الملك حين أنشد شيئا من شعره «ما أوصفه لها ؟ انى لأحسب أحد أبويه كان حمارا» ولكن يهمنا احساس الشاعر الغامر واعجابه الثرى بأحد الاقواس التى تمت صنعا ، وكيف يسرع فيقف عندها حينما كانت فرعا على شجرة متهدلة ، ثم لا ينسى – كالشاعر الجاهلى – تحديد المكان الذى نمت فيه بدقة ، وكيف أن القواس دفع عنه فى الطريق اليها كل رطب ويابس محددا فى الوقت نفسه الزمان ، ومصورا الطريقة التى اطمأنت بها فى يديه . وكيف صبر عليها عامين حتى تشرب على

مهل ماء لحائها ، ثم كيف أختبرها ، ثم كيف استحالت الى شيء لا يمكن السلامة منه اما بالموت ، واما بالروع الذى تلقيه فى أرجل الفريسة ، ثم يأخذ فى تدليل هذه القوس ــ **وكأنه يدلل غادة** ــ فيذكر لها نوعا من الطيب لا تستعمله غير النساء ، ونوعا موشى من الحرير الناعم ٠٠ فاذا ما جعل القارىء يتعاطف مع هذه القوس أسقط فى الوقت نفسه نوعا من الحزن حين يقدم لنا القواس مضطرا الى بيعها ، وكيف أنه رغم المساومة ، أخذ يتردد ، ويحدث نفسه بالهروب من صوت « المسوم » ولكن الناس يتكاثرون عليه فيضطر ، فاذا تمت المبايعة بكى ، وأحس أن فى صدره من يقطع قلبه ٠

والأبيات رغم قافية « الزاى » دليل واضح على اصالة جوهر الشعر العربى ، وعلى سلامة البناء الذى لا يمكن رفع حرف ووضع حرف آخر ، وعلى الصور النامية التى يسلم بعضها للبعض الآخر بالقطع الذكى ، وبحديث النفس ، وبالمرددات الجانبية ، وبالبساطة التى تنتقل من المكان الى الزمان الى موقف الانسان من نفسه ومن الجماعة ، وكيف أن صوت الجماعة حين ينتصر وحين يصرخ « بايع أخاك » لابد أن يتم ــ حتى ولو كان لصالحه ــ على حساب احاسيسه النفسية وذكرياته الحلوة ، وهذا هو الموقف الانسانى الذى تريد أن تقوله ابيات الشماخ التى تقول ــ والتى تزداد روعتها ــ حين تعرف مفرداتها :

فحلاها (١) عن ذى الأراكة عامر
أخو الخضر ، يرمى حيث تكوى النواجز

قليل التلاد ، غير قوس وأسهم
كأن الذى يرمى من الوحش ، تارز (٢)

مطلا بزرق ما يداوى رميها
وصفراء من نبع عليها الجلائز (٣)

تخيرها القواس من فرع ضالة
لها شذب من دونها وحواجز

---

(١) يقصد ان عامر طرد حمر الوحش ٠
(٢) الذى ييبس فى مكانه ومات ٠
(٣) عصب يلوى على القوس ليشدها ٠

نمت فى مكان كنها ، فاستوت به ،
فما دونها من غيلها متلاحز (٤)

فما زال ينجو كل رطب ويابس
ويتغل ٠٠ حتى نالها وهو بارز

فانحى عليها ذات حد ، غرابها (٥)
عدو لأوساط العضاة مشارز

فلما اطمأنت فى يديه ٠٠ راى غنى
احاط به ، وازور عمن يحاوز

فمظعها عامين ماء لحائها
وينظر منها : أيها هو غامز

اقام الثقاف والطريدة درأها
كما قومت ضغن الشموس المهامز

وذاق ٠٠٠ فأعطته من اللين جانبا
كفى ، ولها أن يغرق السهم حاجز

اذا أنبض (٦) الرامون عنها ، ترنمت
ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

هتوف ٠٠ اذا ما خالط الظبى سهمها
وان ريع منها اسلمته النواقز (٧)

كأن عليها زعفرانا تميره
خوازن عطار يمان كوانز

اذا سقط الأنداء ، صينت واشعرت
حبيرا ، ولم تدرج عليها المعاوز (٨)

فوافى بها أهل المواسم ، فانبرى
لها بيع يغلى بها السوم رائز (٩)

فقال له : هل تشتريها ؟! فانها
تباع بما بيع التلاد الحرائز

فقال : ازار شرعبى ، واربع
من السيراء (١٠) ، أو أواق نواجز

---

(٤) دخل بعضه فى بعض ٠
(٥) غراب الفاس : حدها المرهف ٠
(٦) انبض القوس : جذب وترها ٠
(٧) القوائم التى يقفز بها ٠
(٨) الثياب الخلقة ٠
(٩) خبير بها ٠
(١٠) ثياب مخططة نفيسة ٠

ثمان من الكورى (١١) ، حمر ، كأنها
من الجمر ما أذكى على النار خابز

وبردان من خال (١٢)، وتسعون درهما
على ذاك مقروظ من الجلد ماعز

فظل يناجي نفسه وأميرها
أياتى الذى يعطى بها أم يجاوز

فقالوا له : بايع أخاك ، ولا يكن
لك اليوم عن ربح من البيع لاهز (١٣)

فلما ثراها (١٤) فاضت العين عبرة
وفى الصدر حزاز من الوجد حامز! (١٥)

والاستاذ محمود محمد شاكر يقسم الأبيات الى ثمان نغمات رئيسية ثم يفرع عليها ، وهو يمهد لهذا بتلخيص سريع لحوادث القصة من وجهة نظر « عامر » صاحب القوس ، بعد أن يطلق هذا السؤال الذى يقول « وما عامر وقوسه ؟ » ، ثم يدخل بنا الى صميم القصة حين يلفتنا بما يشبه الدقات التقليدية للمسرح ، فيقول « فاسمع اذن صدى صوت الشماخ » ، ثم بعد أن يسمعنا هذا الصدى يقدم لنا الشماخ فى صورة « السوليست » الذى يقدم فى بساطة ثمانية أنغام رئيسية ، وبعد كل نغمة يتماوج صوت الاوركسترا بالتداخل والتعارض والتقابل ، وان كان هناك بعض « التلوين » الذى يقوم به الشاعر والذى لا يخرج عن كونه الانتفاع بالقراءات الواعية لطبيعة الشعر العربى ، وايقاعه ، وطريقته فى المعمار المجسم والذى يعتبر أقرب الى فن النحت منه الى التصوير ، بالاضافة الى الانتفاع بما يعرف عن الشاعر وعن ظروف حياته .

فاذا عرفنا أن هذا العمل اعتمد على قافية واحدة هى قافية اللام الساكنة ما عدا الافتتاحية أدركنا أن الشاعر شق على نفسه ، ولكن استصحابه فى هذه الجولة يؤكد أن القافية عنده ليست جسما غريبا لاصقا فى البيت ، وانما هى جزء ، ضرورى للوحدة الشكلية ، وانها لا تجيء فى النهاية زاعقة ، وانما هادئة وبشوق كالانسان الذى يصل الى بيته بعد غربة .

ولعل أروع ما فى هذه المواقف ما كانت فيه ثنائية بين القواس والمثمن ، والقواس والمشترى ، والقواس والناس ، والقواس والقوس نفسها حيث يدور بينهما هذا الحوار .

● فهل تشتريها ؟

ـ نعم اشترى

● لك الويل مثلك يوما بخل

ـ فديتك اعطيت ما تشتهيه ما بى فقر ولا بى بخل فناديه ، ويحك ! هذا الخبيث ! خذنى اليك ، ودع ما بذل فباسمها نظرة .. ثم رد الى الشيخ نظرة سخر مطل :

● بكم تشتريها ؟

فصاحت به : حذار حذار دهاك الخبل

له راحة نضحت مكرها فدع عنك ! لا تغتفل

ـ فقال : ازار من الشرعبى ، وأربع من سيراء لحلل .. الخ .

وهنا يأتى سؤال يقول : « وما الذى يريد أن يقوله الشاعر ؟ »

والجواب أنه يريد أن يطرح قضية عصرية وقديمة فى الوقت نفسه ، وهى أن الانسان محكوم بنهج مرسوم ولكنه بالرغم من هذا محكوم عليه بأن يصطدم بالأشياء من حوله ليتمرس ويهتدى ، وأنه من خلال العمل المتقن يستطيع أن يؤكد ذاته ، ولكنه بالعمل نفسه الذى يمت بصلة الى الفن يتعذب ويحترق ، ويحس أنه قد أصبح فى صدره « حزاز من الوجد حامز »

من هنا يظهر لنا أن هذا العمل ليس استعراضا لغويا ، وليس محاولة رائدة للتحدث من حنجرة الأجداد ، ولكنه وجهة نظر كاملة ازاء الحياة ، والفن، وحيرة الانسان !

---

(١١) ثمان أواق من الذهب المصوغ .
(١٢) مكان .
(١٣) رافع .
(١٤) باعها .
(١٥) ممض محرق .

وفي الوقت نفسه مسح لأحداث الماضي وانعاش له ، ودعوة عميقة الى أنه كما نعيش يومنا يجب ان نعيش كل يوم مر علينا ، وأن يظهر حينما نتحدث اننا لا نستند الى فراغ ، وانما الى الانسان وموقفه المتجدد من الوجود ، والاحساس كل الاحساس بأن الانسان حين يتكلم سواء أكان ثمرة أو ورقة ... لا بد أن يحس بالجذر .

نازك الملائكة والنقاد

لعل أى كلام عن الشاعرة نازك الملائكة لايحتوى على جديد ، فقد استطاعت أن تتسلل الى قلب الانسان العربى ، واستطاعت أن تتوج الحركات التجديدية بالشعر الحر ، ولا يستطيع انسان منصف أن يشك في شاعريتها ، وريادتها ، وفهمها لجوهر قضية الشعر ، ولكن هذا الشك قد حدث بالفعل لا لأن شاعريتها قد وهنت ، أو لأن آفاقها الانسانية قد ضاقت ، أو لأنه ظهر من يغطى بضوئه على ضوئها ، ولكن لأنها قد أصدرت كتابا يسمى « قضايا الشعر المعاصر » استطاعت فيه أن تؤرخ للشعر الحر ، وأن تمتد الى جذوره الاجتماعية ، وأن تتحدث عن هذه العروضة الجديدة ومشكلاتها بطريقة لم تسبق اليها ، بالاضافة الى بعض الجوانب الأخرى لقضية الشعر ، وكل هذا قد قبل منها على العينين والراس ، ولكن الذى أثار حقا في هذا الكتاب أنها طالبت بعدم طغيان الشعر الحر على الشعر المتجدد ، لأن أوزانه التى يقوم عليها « **لا تصلح للموضوعات كلها، بسبب القيود التى تفرضها عليه وحدة التفعيلة وانعدام الوقفات وقابلية التدفق والموسيقية** » ولأنها قالت ان حركة الشعر الحر ستصل الى نقطة الجزر فى السنين القادمة ، وسيتراجع كثير من الشعراء عن هذه الحركة ، ثم كانت تأكيدها على أن الشعر الحر أسلوب فى ترتيب تفاعيل الخليل ، وأنه لا بد من سلامة بنية التفعيلة ، ومع أن هذه الآراء قد أصبحت العملة الرائجة الآن فى السوق الأدبية وأن ما جاء في هذا الكتاب قد أصبح عالقا بأفواه النقاد من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، الا أن انطلاقه من فترة كبيرة - لعمق الوعى بالقضية - قد جعل بعض النقاد يضيق جانب عينيه لأنه أخذ على غرة ، ولأنه كان قد أشرع الاسلحة للدخول حتى الموت فى جانب هذه القضية بكل ما فيها من صواب وخطأ ، ومن هنا كانت تلك المقالات التى لم يهتم بعضها الا بأن الشاعرة لم تركز على بعض الشعراء فى البلدان العربية ، ثم تأتى بعد ذلك تلك الحناقة الزاعقة التى جاءت فى كتاب قضية الشعر الجديد للدكتور محمد النويهى .

والسؤال الآن هو هل اذا لم تشغل الشاعرة نفسها بقضية الشعر الى هذا الحد أكانت تقابل بهذا « العزل الفكرى » الذى تم بالنسبة لها فى الجمهورية العربية المتحدة وفى لبنان ؟ وما الرأى فى الشعر المتجدد الذى تكتب به الآن على نحو ما رأينا فى قصيدة أغنية للأطلال العربية التى نشرت بالعدد الماضى من الرسالة وبخاصة أن الأريج العربى يلف القصيدة ويحدث فيها ما يشبه السحر ؟

اننا لا نريد أن نتحمس لشكل دون الآخر - **فهى سيدة الموقف فى الشكلين معا** - ان صح أن هناك سيدا للموقف فى واحد منهما ، ولا نريد أن نقول ان على الذين يذكرون - عن طريق العطف - أن الشعر المتجدد يجب أن يكون « قنطرة » يعبرها الشاعر الجديد ، ان العكس هو الصحيح ، وأن على المبتدئين أن يعبثوا - اذ كان لا بد لهم من العبث - أولا بالتفعيلة ، حتى اذا اشتد عودهم كان عليهم أن يلقوا بأنفسهم فى بحور الشعر المتجدد .

« نعم لا نريد أن نقول شيئا من هذا ، ولكن نريد أن نقول ان عمليات الصمت عن البعض ، والاحتشاد

حول البعض . والسباحة فى دماء الآخرين لا يمكن أن تخفى الفنان الحقيقى . واذا كان هناك موقف يمكن أن يدان به النقـاد فهو المـوقف من نزار المـلائكة الشاعرة من خلال الموقف من نزار الملائكة الناقدة .

وحول الرسائل الجامعية

لا اشك فى أنى حين كتبت عن الرسائل الجامعية كنت أحاول أن أقدم للقـراء مادة جـديدة ، وأن احرضهم على أن يشـهدوا مواسم هذه المادة ، وأن انفى عنهم عملية الرهبـة التى كانت تحيط هـذه الرسائل فى الماضى ، ولكن حديثى عن هذه الرسائل لم يجعلنى أسلم من عتاب الصديقين كمال نشـات وعبد العـزيز الدســوقى ، ثم انى أحسست أن الصديقين ــ وهذا هو الأهم ــ لا يتناقشان وانمـا يتبـارزان ، فمع أن كلمـة الاسـتاذ عبد العـزيز الدسوقى لم يظهر فيها الدخان الا فى بعض الجوانب، الا أن كلمة الدكتور كمال نشأت قد أوقدت النار بالفعل ، ولا شك أن كلا منهما يتربص الآن بالآخر الى ما لا نهاية له فى عالم الصراع باسم الكلمة !

وأنا لا أنكر أن الردين يحتويان على قضايا مهمة، وأنه كان يمكن ــ من خلال هذه القضايا الغاضبة ــ مناقشة الفرق بين التجديد وقيادة التجديد ، وبين التيار والمدرسة ، ومناقشة قضية التجديد من كافة أبعادها ، وطبيعة الشعر الموضوعى المركب ، وهـل الشاعر حين تصهره التجربة الشعرية يكون على وعى بأن لغته لغة دين أو لغة تعبير ؟ وما الملامح الحقيقية لأدوار خليل مطران ، والأبولليين ، والديوانيين ؟

أقول أنه بالرغم من هذا الا أنه حرصا على مودة كل من الصديقين للآخر ، أرانى مضطرا ــ بعـد تقديم كلمة الدكتور كمال نشأت ــ الى أن استعمل صفارة الحكم ، والى أن أضع يد كل منهمـا فى يد الآخر ، وان كنت فى الوقت نفسه استعدى عليهما القراء ، لأنهما فى نظرى لعبـا خارج الحلبـة ، وان كنت أعد بعد طبع رسالة الدكتور كمال نشأت بأن اقابل بهما القراء مرة ثانية .

ولنقرا الآن كلمة الدكتور كمال نشأت .

قرات تعليق الصديق عبد العزيز الدسوقى الذى نشر فى العدد السابق للعدد الماضى من الرسالة فعجبت اشد العجب ، ذلك ان ما قاله الصديق عبده بدوى وما نشره الاخ فؤاد نور لا يثيران كل هذه المشاعر العدوانية الواضحة فى تعليقهوبخاصة وانه لم يقرا رسالتى التى لم تزل فى حكم المخطوطة ليعلمحقيقة موقفى منه ومن آرائه . ولست اظن ان نقاش هذه الآراء بروح علمية يدفع الى هجوم شخصى على كما فعل ، ولكن الواضح ان عبد العزيز الدسوقى تصيد هذه الفرصة ليتحدث عن نفسه وعن كتابه وليعلن عنهما وذلك حين راح يسرد تاريخ كتـابه فيقول انه رسالة ماجستير سجلت بتاريخ كذا ونوقشت بتـاريخ كذا وطبعت بتاريخ كذا واشرف عليها المرحوم الدكتور مندور وراح يدعى بعد ذلك دعاوى عريضة عن كتابه اغلبها مجاملات شفوية جامله بها ناقد معروف مثلما نجامل معارفنـا من المؤلفين حينما يهدون الينا كتبهم فذلك واجب تفرضه اللياقة والذوق . ولقد خيل الى وانا اقرا دعاية الدسوقى عن كتابه ــ وهى تفوق دعاية صابون اومو ــ انه سيذكر نوع الورق الذى طبع عليه واسم المطبعة وثمن النسخة .. وذلك قياسا على ما ذكره من مواصفات هذا الكتاب فلم يكن ينقص الا هذا !! ويروح الدسوقى بعدذلك يقول انى استعمل اسلوب الاثارة والتجريح ويأسف ان تحول المنبر الجامعى الى ميدان للاثارة والسطحية والاعتداء على اصحاب الرسالات .. فمن الذى اخبره بهذا ؟ وهل يعقل ــ وهو الرجل الحائز على الماجستير من احد المعاهد انى على فرض سطحيتى ــ اجد موافقة لافعل واقول ما اريد . معنا لجنة مكونة من خيـرة اساتذة الجامعات عندنا همالدكاترة مهدى علام وعبد القادر القط وشوقى ضيف ؟ هل استطيع امام هؤلاء ان اجعل منبر الجامعة ميدانا للتهجم والسطحية (الذى يقرا كلام الدسوقى يظن ان الرسالة قد كتبت فيه) ثم تجيزنى بأرفع درجات الشرف ؟ ان قول عبد العزيز الدسوقى هذا هو نفسه الاثارة والسطحية فى اجلىصورهما ، فما يعقل انسان له ادراك ولا اقول حاملماجستير من احد المعاهد أن يحدث هذا ، ولكنها رغبة الدسوقى العدوانية فى النيل منى منذ ان اختلفنا حول مقاله الذى عقب فيه على مقال استاذه المرحوم الدكتور مندور الذى كتب يدين اللجنـة التى اخرجت ديوان ناجى ، هذا المقال الذى حاول نشره فى القاهرة فلم يجد مجلة ترضى ان يرد للعميد على استاذه بهذا الاسلوب العاق فنشره فى احدى مجلات بيروت . على انى ــ وانا فى مجال الرد على كلامه ــ لا املك نفسى من الضحك لقوله (ولقد كان

حريا بي ان تنتعش روحي واسعد ، لان افكاري وارائي اخذت تشق طريقها الى اروقة الجامعات والمعاهد العليـــا وتناقش في رسائل للدكتوراه) فهذا كلام خطير لا يصدر الا عن مفكر عظيم وهو لا يقوله الا في لحظة توفز لان المفكر العظيم متواضع وصادق فما بالنا اذا كان القائل هو عبد العزيز الدسوقي الذي نعرفه ؟

فما هذا الفخر الصغير يعلنه الدسوقي دون خجل ؟ أيعلم كيف ذكرت آراءه في رسالتي .. انني لم اعتمد عليها كما يفعل الدارس مع الآراء الجادة الصائبة ، ولكنني تعرضت لها بالنقد ما دامت خاطئة وما دمت اتحدث في موضوع تعرض هو له ومن البدهي انني تعرضت لغيره ناقدا او مستفيدا مثلما يفعل كل دارس . ولست اعرف ان كان الدسوقي يعلم ان الدراسة المنهجية تفرض على الباحث الرجوع الى كل ما كتب في موضـــوعه أم لا ولو علم ما راح يفتخر هكذا ، ولو سول كل اديب لنفسه ان يفتخر فخره هذا لان رأيا له نوقش في رسالة جامعيـــة لضاقت صفحات المجلات بفخر الدســـــوقيين ! فما بالك اذا كان رأي الدسوقي لم يناقش الا لايضاح الخطأ الكامن فيه ؟

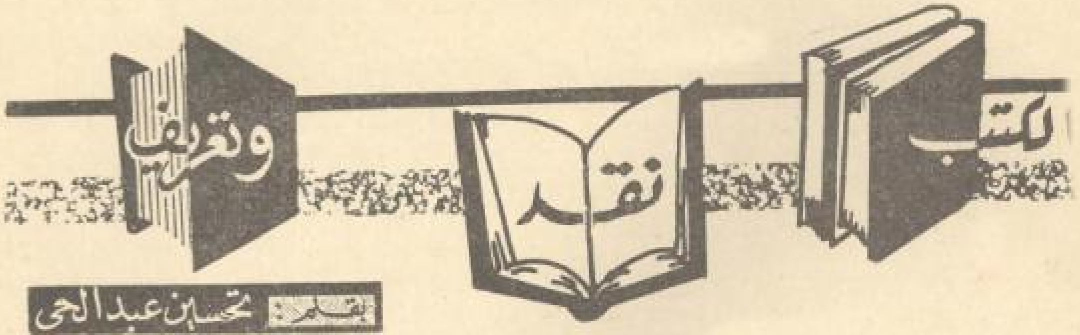
هل اذكر لك يا عبد العزيز مثلا لمناقشة رأي لك ، خذه اذن من كلامك عن تجديد مطران ، فانت تقول في كتابك (جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث ـ ص ٧٧) ما نصه . واضيف الى ذلك ان الخليل المسيحي الكاثوليكي المغترب كان يشعر في قرارة نفسه بانه غريب على البيئة المصرية التي كانت تصطرع فيها التيارات السياسية والفكرية والتي كانت متأثرة تأثرا كبيرا بالنزعة الاسلامية . وارتبطت اللغة العربية بهذه المعاني الدينية فهي لغة القرآن وكل من يحاول الخروج عليها فانما يحـــارب الاسلام ـ او على الأقل ـ يستهين به ، وكان للشعر العربي نفس هذه المنزلة ، ولهذا كان من غير المعقول ان يكون خليـل مطران قائد حركة التجديد في هذه الظروف والملابسات ، ولذا ظل حذرا في تجديده ، لم يحاول الخروج دفعة واحدة على تعاليم الحركة التقليدية ..) وهنا انقل تعليقي في رسالتي على رأيك هذا ، فقد قلت ما نصه (وهذا تعليل غريب . فتجديد مطران لم يمس اللغة واصولها كما يقول هو نفسه في مقدمة ديوانه وكما يشهد شعره، ولست اوافق الدسوقي على ان مسيحيته منعته من التجديد دفعة واحدة ، ولذلك ظل حذرا في هذا التجديد بل انني لأذهب الى عكس قوله تماما ، فاقول ان مطران لم يجدد الا لانه مسيحي فقد نظر الشعراء المسيحيون الى اللغة العربية (مثلما فعـــل شعراء المهجر وجلهم مسيحيون) على انها لغة تعبير لا لغة دين) ارايت كيف تعتسف الرأي وتتخبط فاذا بك دون ان تدري تظلم نفسك كما تظلم الحقيقة والتاريخ ؟ أامضي بعد ذلك لأبين لك

ـ ان في نفس الموضوع ـ تناقضا صارخا هو اجل ملامح كتابك الذي تعتز به وتفخر ، وليكن مثالنا هذه المرة من مقالك الاخير في الرسالة ، فانت تقول فيه عن مطران (انه لم يقد تيـــار التجديد كما يقرر كل النقاد والدارسين وانما الذي قاد هـــذا التيار هو جماعة الديوان) وانت ترجع في نفس المقال او الرد ـ بعد سطور قليلة من قولك هذا ـ وتقول (ومع ذلك ـ كما اكدت رسالتي ـ لم انكر تجديد مطران) ارايت تناقضــــا ـ يا سيدي القارىء اشنع من هذا التناقض ؟ مطران مجدد .. لم مطران لم يقد حركة التجديد .. قولة صريحة يرسلـــها اديب يدعي ادعاءات عريضة ويأتي يهاجمني دون دافع الا عدوانية كامنة فيه ؟ ان عبد العزيز الدسوقي في تفكيره القافز دون تمهل لم يقف ليسأل نفسه .. كيف يكون مطران مجددا ثم لا يقود حركة التجديد ؟

ولو فعل فربما هداه الله الى الصواب . ان قيـــادة حركة تجديدية لا تحتاج الى مرسوم او اعلان شرعي ، فالشاعر المجدد يترك اثره في غيره من الشعراء ، لانه بتجديده يضرب المثل لنمط جديد من الشعر يحتذيه الآخرون، وشعره يؤثر في جيله شاء أم لم يشأ ، فكيف لا يقود المجدد ـ باعترافك ـ حركة التجـــديد وبخاصة في الوقت الذي كان فيه اصحاب جماعة الديوان صبية صغارا ؟ اتعرف اثرا ادبيا للعقاد او المازني له قيمة عام ١٩٠٢ او قبله ؟ انه نفس العام الذي كتب فيه مطران قصيدة «المساء» التي فتحت دربا جديدا في الشعر العربي بشهادة النقاد..اقولها لك نصيحة لعلك تستفيد .. شيئا من التفكير المتزن وشيئا من التواضع فان العلم لا يعطي بعضه الا للنفس المتواضعة المحبــة للحق ، ولتعلم ان قراء الرسالة وهي مجلة متخصصة يميزون بين المنطق الصائب والمنطق الغائب ، ومن منطقك الخائب قولك (فاين الجديد الأصيل الذي اضافه كمال نشأت برســـــالته للدكتوراه الى حقل الدراسات الأدبية ؟) ألم تعترف في مقالك انك لم تقرأ رسالتي ؟ اما من ناحيتي فانا اعلم انك لم تحضر نقاشها ، فهل اعتمدت في اصدار هذا الحكم على ما استطاع فؤاد نور تلخيصه من كلامي اثناء نقاشي ؟ ألم يطف بذهنك ان فؤادا مهما كان قادرا على الكتابة السريعة فلا بد ان تغيب عنه اشياء . فكيف سولت لك نفسك ان تصدر حكما مثل هذا وانت مطمئن الضمير ؟ اهذه هي الروح العلمية التي تعلمتها في المعهد الذي منحك الماجستير ؟

واخيرا لي كلمة اليك فانه ليعز علي ان ارى صـــديقا تأكله مشاعر الحقد والحسد ، فراجع نفسك لتعرف مواطيء قدميك قبل ان تهاجم الناس ظانا انك آمن . فان الهوة تحتهما سحيقة واذا احببت ان اناقشك الرأي وان انقد كتابك على صفحـــات الرسالة في مقالات متتابعة فانا لك .

« عبده بدوي »



اسس الاشتراكية العربية

تأليف: الدكتور عصمت سيف الدولة

عندما اصبح الراسماليون سادة بلادهم ، عن طريق القهر الاقتصادى ، سخروا حكوماتهم ، بما لها من امكانيات سياسية وعسكرية ، لخدمة اغراضهم وتمكينهم من استغلال الشعوب ، وفى ظل الاستعمار حاول المستعمرون ان يسلبوا الشعوب حتى امكانيات المقاومة ، فاتجهوا الى الناس يصوغون لهم قيما سلبية تشل مقدرتهم على مواجهة الاستعمار - والتحرر من القيود . ثم صاغوا من العملاء نماذج بشرية استعمارية ، مكنوا لهم من أسباب التفوق العلمى والمادى والسياسى ، ولقد نال الاستعمار بالقهر الاقتصادى ، والسياسى والعسكرى من الشعوب ما مكن لارادته ، ولكنه نال من الشعوب ذاتها بما صاغه من قيم مخربة اضعاف ما ناله اولا ، فقد سلب اولا ما يغنى الحياة ، ولكنه شوه اخيرا الحياة ذاتها . فرض العبودية اولا ، ولكنه عندما بررها اخيرا سلب العبيد انسانيتهم ، ففى الأول كان استعمارا ظاهرا تحميه القوة الباطشة ، وفى الأخرى اصبح استعمارا خفيا يستغنى بالعملاء عن جنده الباطشين ، وتلك اعمق طعنات الاستعمار فى البناء الانسانى للشعوب التى وقعت فى قبضته ، وتلك اقسى مظاهر العداء بين الاستعمار وبين الانسان أينما كان .

لقد بدأ الاستعمار سطوا قوميا تنهب به أمة امكانيات أمة اخرى ، ثم اصبح استغلالا عالميا يمتص به الراسماليون دماء الأمم جميعا ، بدأ سلبا للمقدرات الاقتصادية ثم أصبح سلبا للحياة الانسانية . وبهذا انعزل الاستعمار كقوة معادية فى جبهة واحدة تواجه كل الشعوب من بنى الانسان .

ونكبة الاستعمار لأمتنا العربية شاملة لكل أنواعه . فقد انتزع الاستعمار اجزاء بكاملها من وطننا العربى ، طرد منها اخوة لنا وجمع فوقها خلاصة الرجعية العالمية ، فى فلسطين ، واقام منهم دولة تمكن له منا كقاعدة وتجهد قدرا كبيرا من طاقتنا المادية والبشرية ، ترصده لرد خطرها ، وتسلبنا قدرا اخر من امكانيات هذه الامة ارضا وبشرا ، وتستنزف جهودنا دفاعا عن مجرد وجودنا القومى ، فلاتتاح لكل هذه الطاقات والامكانيات والجهود ان تنصرف الى بناء الحياة على الارض السلبية ، وعلى كل ارض من الوطن العربى ثم ان الاستعمار يفرض ارادته بقوة السلاح فى اجزاء أخرى من الوطن العربى وينهب امكانياتها لسخرها لبناء مستقبل المستعمرين انفسهم ، تاركا الشعب العربى .. فى تلك الاجزاء مثقلا بالمشكلات محروما من امكانيات حلها ، حائلا دون التحام الجزء بالكل لتستفيد الاجزاء المحتلة من امكانيات التطور الفنية فى باقى الأجزاء ، ثم اننا منكوبون بالاستعمار الخفى الذى يحقق غاياته اتفاقا مع العملاء بدون حاجة الى البطش الظاهر ، وان كان البطش الظاهر احتمالا قائما غير بعيد عن الحدود ، وبهذا يذهب قدر كبير من امكانياتنا الى حيث يصنع الحياة رخاء خارج الوطن العربى ، ويبقى الشعب العربى - فى ارض البترول مثلا - يعانى المشكلات الأولى ، جوعا ، ومرضا ، وجهلا ، وهو يحمل الثروات بيديه الى غيره ، وبالاضافة الى الاغتصاب بالبطش والاختلاس بالخديعة تتعرض الأمة العربية لاستعمار مسموم مسلط على افكارنا ، يحاول المتعدون به ، ان يصفوا لنا علومنا وثقافتنا وتقاليدنا واخلاقنا على مناهجهم الخاصة ، طريقا سهلا للاستيلاء على الناس انفسهم ، فلا يصبح صعبا بعد هذا أن يكون لهم الناس وما

يملكون . بدون ان يكلفوا انفسهم عناء الاغتصاب بالبطش او الاختلاس بالخديعة . ولكل لون من الاستعمار في بلادنا عملاء ملونون . من أول الذين يطلقون المدافع الى آخر الذين يطلقون الكلمات . نحن الهدف والضحية وفي هذا يتساوون ..

اننا امة نكبت بكل انواع الاستعمار وباشكاله المختلفة . امة مجزأة سياسيا . منهوبة اقتصاديا . موزعة فكريا ثم ماذا بعد ذلك ؟ واجابة هذا السؤال بمحتوياته الشاملة نجدها في كتاب اليوم . اسس الاشتراكية العربية . فقد استطاع فيه مؤلفه ان يرتفع الى مستوى موقف امته . محددا نقاط الضعف والقوة بوعي ومقدرة فائقة . وليس تحديد الموقف هو كل ما في الكتاب ولكن اهم شيء فيه هو انه يحتوي على خطة عمل محبوكة الاطراف وفق منهج علمي مبتكر وهو ما اطلق عليه المؤلف . جدل الانسان . . واذا كنا مقتنعين بان تجربتنا الاشتراكية العربية في اطار وحدتنا القومية يمكن ان تكون مثلا رائدا لانسان النصف الثاني من القرن العشرين فانه من المحتم علينا ان نصوغ حياتنا وفقا لما تفرضه علينا ظروفنا ـ تلك الظروف التي تشاركنا فيها معظم شعوب العالم الثالث .. والمنهج الجديد . جدل الانسان . الذي اورده المؤلف في هذا الكتاب يقف حائلا دون اولئك الذين يفرضون على انفسهم وعلينا مفاهيم ومقاييس جاهزة . فاما ان نكون جدليا ماديا اي ماركسيا واما ان نكون جدليا مثاليا اي رجعيا . في الوقت الذي اختلطت فيه التسميات الرنانة بين تقدمية ورجعية .. فالجدلية المادية او المنهج الماركسي منهج خاطيء . والدليل على خطئه قائم من التطبيق . وان قصور المنهج عن قيادة الممارسة الفعلية . والتمسك به في الوقت ذاته هو الذي مزق ويمزق صفوف الاشتراكيين الماركسيين منذ بدأ التطبيق الماركسي في الحقل الاشتراكي . فالماركسية تدعو الى الاممية ولاتعترف بالقومية وان كانوا في تراجعهم او ما يسمونه بالماركسية المتطورة يطبقون تكتيك لينين القديم الذي يدعو الى تأييد القومية لاستخدامها للقضاء على القومية في الوقت نفسه . وهم ضد الدين ـ لماذا ؟ لأن سلوك الكنيسة لم يرق لماركس منذ مئات السنين في اوربا . ثم كيف تطبق الحرية من خلال دكتاتورية . هي دكتاتورية البروليتاريا ؟ وحكم الفرد الذي يخرج دائما من اللجنة المركزية للحزب ليستقر في شخص السكرتير العام للجنة المركزية . واذا كان الماركسيون حتى الآن لا يعترفون بالقومية فهل يستطيعون تبرير الخلاف بينهم وبين الماركسيين الصينيين . هل هو من اجل دكتاتورية البروليتاريا، ونقيضها دولة الشعب كله ؟ ام انه صراع بين قوميتين هما القومية السوفيتية والقومية الصينية !

اما عن المثالية او . الجدلية المثالية . فانها ازمة مستعصية لانها تستغل التركيبات اللغوية التي لا نهاية لها لتخلق صورا لا تتضمن من الحقائق سوى الحروف التي تصاغ منها الكلمات . باسم التطور التاريخي وحتمية الواقع . وصحته التي يستمدها من صحة الفكر نفسه . والتعويض الذي تغري به فكرة المثل الأعلى الذي يشد تطور الحياة او يحل مشكلاتها شدت انتباه الناس الى الآمال التي لا وجود لها . او صرفتهم عن ازماتهم الحياتية المحسوسة . وحولت النضال من اجل حياة افضل الى تواكل غيبي مخدر . وقتلت في الانسان كل نزوع الى تطوير حياته وكان اكثر الفئات دعوة للمثالية الكافرون بها في قرارة انفسهم . وتاريخ الكنيسة والاقطاع والراسمالية في اوربا . وتاريخ الرجعية والملوك في الوطن العربي . دليلان على المدى الذي يمكن ان يصل اليه استغلال المثالية . لصرف الناس عن اهمية . المادة . بقصد الاستحواذ على كل المواد .

والجدلية المثالية ـ وهي منسوبة الى هيجل ـ استعارها ماركس ثم افرغها من مثاليتها وملأها مادة . وبذلك حدد منهجه فكانت الجدلية المادية . وقد اقامت الجدلية المادية صرح المادة . واقامت الجدلية المثالية صرح الفكر . ووقف الصرحان دون ان تستطيع اي من النظريتين ان تجيب عن السؤال الاول في الفلسفة : وهو . كيف يؤثر الفكر في المادة وكيف تؤثر المادة في الفكر . اي على اية قاعدة يكون التأثير ؟ فتجاهلت المثالية الانسان اول الامر وارادت ان يؤثر الفكر تاثيرا مباشرا وحاسما في المادة . وتجاهلت المادية الانسان آخر الامر وارادت ان تؤثر المادة تاثيرا مباشرا وحاسما في الفكر . ولما كان التطور بما يعنيه من خلق واضافة يتم عن طريق الجدل قال الأولون ان الجدل فكري، وقال الآخرون ان المادة جدلية .

وفي وسط هذا الفكر المتصارع يقدم لنا هذا الكتاب نظرية جدل الانسان وهي باختصار كما يقول المؤلف :

انا تحررنا من التعصب للماركسية او لغير الماركسية فاستطعنا ان نقول بصراحة وحسم . ان الطبيعة غير جدلية وان الانسان جدل . وان الطبيعة تتحول وان الانسان يتطور . ان الطبيعة خالية من التناقض والانسان هو محتوى التناقض والصراع . والطبيعة لا تفنى ولا تتجدد والانسان يخلق كل يوم جديدا في نفسه وفي الطبيعة » .

وطبيعي اننا هنا لا نستطيع ان نقدم الأبعاد الفلسفية للنظرية بمواقفها وتطبيقاتها العلمية على وضع الانسان المعاصر وحيرته بين الافكار المادية والأفكار المثالية . بل انني اعترف ان مجرد عرض كتاب مثل كتاب . اسس الاشتراكية العربية . بمقارناته وحلوله وتطبيقاته على المستوى العالمي وخاصة في نقده لكتاب ـ اسس الماركسية اللينينية ـ ومقارعته لمؤلفيه الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ـ اقول ـ ان مثل هذا يعتبر كثيرا على الصفحات المخصصة لباب الكتب . ولكنني سوف ادخل مباشرة في تطبيقات منهج . جدل الانسان . على الوطن العربي ..

ويتساءل المؤلف .. هل يمكن ان توجد اشتراكية عربية متميزة عن النماذج القائمة في العالم الآن . ويرد على ذلك بما معناه .. انها اشتراكية عربية ولا يمكن ان تكون غير ذلك .. والا لا تكون عربية . « الوقت الذي اعلن فيه معظم المفكرين

الاشتراكيين فى العالم ، ان هذه اشتراكية فرنسية - وهذه اشتراكية انجليزية ، وتلك اشتراكية المانية الخ .. فمن اشتراكية روبرت اوين الانجليزى المثالية ، الى اشتراكية لوى بلان الفرنسية الخيالية ، الى اشتراكية فريدريك ليست الالمانية كلها اشتراكيات تحمل الطابع القومى والأوربى فى نفس الوقت، كان هؤلاء الاشتراكيون يتحدثون عن الانسان ويعنون به الانسان الأوربى فقط ، وان ملايين التعساء فى العالم لم يؤرقوا عين اشتراكى اوربى واحد ، ولم يهتز ضمير السادة الاشتراكيين فى اوربا ، ولم تصل ابحاثهم العلمية جدا الى ملاحظة صارخة وهى ان اغلب ما يتنازعون على استهلاكه مسروق من شعوب اخرى ، وان معركة الانتاج والتوزيع والاستهلاك التى يخوضها الاشتراكيون منصبة على ثروات اكثرها بل معظمها غير اوربى - والاشتراكية كما يراها المؤلف ، مستقبل يحقق غاية الانسان ، ويتسق مع اتجاه التاريخ الى الحرية ، تلك هى الاشتراكية ، حريات مضافة اخيرا الى الحريات التى اكتسبت اولا .

والاشتراكية تغزو الماركسية الى حد قبول الماركسيين التطور « غير الرأسمالى » و « دولة كل الشعب » والديمقراطية ، تنازلا منهم للحرية التى يتجه اليها التاريخ ، والاشتراكية تغزو الرأسمالية الى حد قبول الرأسماليين تدخل الدولة ، وتأميم بعض وسائل الانتاج ، والتأمينات الاجتماعية، تنازلا منهم للحرية التى يتجه اليها التاريخ . وفى الوقت ذاته يقاومون التاريخ فى اتجاهه الى غايته وقد يتآمرون ويتحايلون فيتركون وراءهم النظريتين المتضادتين - كما يزعمون - فينقلب حل ازمة الانسان فى عهد الرأسمالية الى « مباراة » سلمية على يد خروشوف الماركسى وكيندى الرأسمالى . ويقتسمون كوبا وفيتنام كما يقتسمون القوة الذرية .

ويقول المؤلف : «ليست الاشتراكية الوجه العكسى للرأسمالية ولكنها نظام للحياة اكثر تقدما من النظام الرأسمالى ، لانه اكثر منه حرية . ولا وجه اذن للمقارنة بين الرأسمالية والاشتراكية، لان الاشتراكية اكثر شمولا اذ هى اضافة وتقدم . الاشتراكية حرية جديدة وبغير هذا لا تكون اشتراكية ، ولا تكون حلا حتميا لأزمة الانسان فى العهد الرأسمالى ولا تحقق دورها فى التطور التاريخى . ومؤدى هذا ان يكون للانسان فى ظل الاشتراكية كل الحريات التى كسبها فى تاريخه الطويل المرير . تكون له حريته من الرق التى كانت حلا لمشكلات العهد العبودى . تضاف اليها حرياته المدنية والسياسية التى كانت حلا لمشكلات العهد الاقطاعى . ليست الاشتراكية الغاء تلك الحريات حتى لو كانت سلبية ، فان الحرية السلبية تحرر من قيود كانت مفروضة . ليست الاشتراكية - اذن - الغاء حرية الملكية او الغاء الحريات السياسية .

ولكى تطبق الاشتراكية لا بد لها من امة موحدة - بعيدة عن الرابطة الأممية ووحدة الطبقة العاملة فى العالم .. فوحدتنا العربية لازمة تماما لتطبيق الاشتراكية ، ولكن الماركسيين يقولون ان الجماعات القومية المتطرفة تحاول ان تفسر الوحدة على وجه يخضع الشعوب العربية جميعا لحكومة واحدة . اذ كيف تكون الوحدة بغير حكومة ؟ وما الذى يمنع ان يخضع العرب جميعا فى ظل الوحدة لحكومة واحدة ، ويجيب الماركسيون بان الوحدة تهدر حق الامم فى تقرير مصيرها . اية امم ؟ هل هناك امم عربية عدة ؟ من هم اذن العرب اصحاب حركة التحرر القومى العربى ، وكيف تكون حركة تحرر قومى عربى دون ان توجه القومية العربية التى تنسب اليها ؟

اننا امة وحد الزمان ظروفها ، فلها وحدة اللغة ووحدة الارض ووحدة التاريخ . دخلت امتنا طور التكوين القومى منذ اكثر من اربعة عشر قرنا . فسبقنا فى الزمان - اغلب امم الارض الى الاستقرار وبناء الحياة المشتركة . وكان تكويننا القومى متميزا ببدايته فميز وجودنا القومى عن كثير من الامم . لقد دخل الاسلام فى تكويننا القومى ، فقد بدأ عقيدة تجمع المسلمين ، ولكنه عندما دخل عنصرا فى التركيب القومى للامة العربية ، اصبح محتوى للحياة . اسهم فى بنائه المسلمون ، فكان لهم تاريخا وكانوا به امة واحدة ، اصبح الاسلام جزءا من الوجود القومىالعربى ، يقدم مع غيره من عناصر الظروفوامكانيات بناء مستقبل العرب جميعا ، مسلمين كانوا او غير مسلمين .

فنحن العرب - مثلا - ايا كانت عقائدنا الدينية ، لم نعرف فى تاريخنا القومى ازمة الحرية التى عرفتها اوربا فى القرون الوسطى ، لم نحتج الى كتاب او فلاسفة من امثال روسو ، ليضعوا لنا نظريات تبرر لنا ان الناس متساوون امام القانون ، وان لكل منهم حق الرأى وحق التملك وحق العمل ، ولم نقض قرونا لنعترف بالملكية حقا للنساء ، ولم نخض حروبا لنكسب الحريات المدنية او السياسية . ولم نعرف قط نظام الاقطاع الذى عرفته اوربا .

وقد ملأنا العلم كشفا عن اسرار الطبيعة المادية ، وارسينا كثيرا من قوانين تحول المادة ، ولم ننزلق الى القيم المادية الأوربية التى سادت فى القرن الثامن عشر ، ملأنا الفكر فلسفة اجتماعا ، ولم ننزلق الى القيم الفردية التى سادت اوربا فى القرن التاسع عشر . ملأنا الحياة اخوة وتضامنا وملأنا الارض حضارة ولم ننزلق الى القيم الاستعمارية التى سادت اوربا تسودها الى الآن »

كنا محصنين ضد الانزلاق بحكم تكويننا القومى ، فقد امضينا معا اكثر من ثلاثة عشر قرنا نحيا الحياة ، ونصنعها كل

يوم ، في ارضنا وحيث كنا في الارض في ظل الفكر والثقافة والقيم الاسلامية الكامنة في تكويننا ذاته ، فملأنا الزمان تاريخا عربيا خالصا وان كانت لبناته من الاسلام ـ حتى عندما عبرنا ـ معا ـ مرحلة الصراع الداخلي الذى يصاحب بداية التكوين القومي ، كان الصراع عربيا خالصا داربين الرواسب القبلية العربية والنزوع القومي العربي ، واتخذ شكل الاستئثار بالسلطة في الدولة القومية الواحدة ، ولقد انتقلت به الدولة من المدينة الى دمشق الى بغداد الى القاهرة ، وقامت اكثر من عاصمة واحدة في وقت واحد الا ان كل عاصمة من تلك كانت تعصم العرب جميعا ، او تحاول هذا او تدعيه . ولكنها لا ترتضي ـ في اى حال ـ ان تكون دولة اقليمية . كان ذلك صراع الماضي والمستقبل في طور تكوين الامة ، ولم يكن صراعا بين امم يغزو بعضها بعضا . لقد كان الامويون والعباسيون والحمدانيون والايوبيون والفاطميون .. الخ احزابا من العرب ، ولم يكونوا امما في الامة الواحدة . لهذا كان الصراع مقصورا على العرب ، تعبيرا عن مشكلة تطورهم القومي .. وقاوم العرب الاستعمار التركى عندما حاول تتريكهم ، وقامت الثورة العربية عام ١٩١٦ ضد الاتراك على اتفاق مع اعدائهم ان يكون للعرب الاستقلال بعد النصر ، وانهزمت تركيا وانتصرت الثورة العربية . اما العدو التركى الذى انهزم فقد بقيت له وحدته ، واما الحليف العربى الذى انتصر فقد مزقوه اربا ، كذلك خططوا منذ البداية، وكذلك حققوا في النهاية . وكذلك كنا دولا . حتى متصرفية « البلقاء» التى كانت قسما اداريا تابعا لولاية الشام اصبحت دولة شرق الاردن !!

ومنذ ذلك الحين والاستعمار ينهب ثروتنا ويقف تقدمنا ويحرم علينا وحدتنا القومية .. ان الاقليمية اشد عداوة لمصير الامة العربية من البطش والخيانة الاستعمارية . ويقرر منهج جدل الانسان . ان وجود الامة الواحدة يفرض ان تكون لها الدولة القومية الواحدة جهازا لتحقيق المصير الواحد . وفي المصير الواحد حل مشكلات الكل والاجزاء معا ، بل ان مشكلات الافراد والاجزاء في الامة الواحدة لا يمكن بل يستحيل علميا ـ وطبقا لجدل الانسان ـ أن تجد حلها التقدمي السليم الا في ظل الدولة القومية الواحدة . ومن هنا تصبح الوحدة احدى غاياتنا . ان الوحدة لا تتحقق الا بالغاء التجزئة ، والنضال والتخطيط الاقتصادى للاشتراكية في ظل الاستبداد بداية واجبة وممكنة علميا يتحدد بها الاتجاه الاشتراكى ، ولكن الاشتراكية لن تتحقق الا حرية مضافة الى الديمقراطية . بهذا يصبح النضال والتخطيط من اجل الوحدة والحرية نضالا وتخطيطا اشتراكيا ، ويصبح للاشتراكية في بلادنا مضمون تميز لنقول انها اشتراكية عربية ، فالاشتراكية العربية لا تعنى الغاء الملكية الخاصة لادوات الانتاج كما يقول الماركسيون، ولا تعنى التوزيع العادل للدخل وفرص العمل كما يقول الفابيون . ولا تعنى رفع مستوى المعيشة كما يقول الاشتراكيون في بلاد الرخاء ، بل تعنى ما يشمل هذا ويتجاوزه اضافة من ظروفنا الى مستقبلنا ، انها تعنى الوحدة والحرية والرخاء معا ، وبهذا تتميز الاشتراكية العربية عن المفاهيم الاشتراكية الاخرى وبتميز بها الاشتراكيون العرب عن غيرهم من الاشتراكيين ماركسيين كانوا او غير ماركسيين . وكيف تتحقق الاشتراكية العربية ؟ انها تتحقق ـ طبقا لجدل الانسان ـ بالثورة .

والمبرر الوحيد للثورة في سبيل الوحدة هو ماتلقيه من التجزئة فعلا . اما الذين يشطح بهم العلم ، بالفلسفة ، فيتشدقون بالعالمية والاممية . والانسانية كبديل عن القومية متفلسفون مخربون . ان هذا تخريب لا تحرر ولا حرية . لان حرية وجود المجتمع ، هى مصدر كل الحريات ، ولن نقبل بقاء الاستعمار والصهيونية لمنا من وجودنا ذاته للسلام الزائف ، فان السلام الذى يعنينا هو السلام الذى يحمينا .

ان الحل الموضوعى العلمى الواحد للمشكلات التى تطرحها ظروف الامة العربية في هذا الزمان هى ـ الحرية والوحدة والاشتراكية معا . وعلى ضوء هذا تتحدد المواقف في الشعب العربى . وبما اننا غير ماركسيين ولكننا جدليون ـ وفقا لجدل الانسان ـ فمن هم التقدميون فى الوطن العربى ومن هم الثوار؟

التقدميون هم كل ضحايا الاستعمار الذين يرفضون استمراره ويناضلون فى سبيل التحرر . وكل ضحايا التجزئة الذين يريدون الغاءها من مستقبل امتهم ويناضلون في سبيل الوحدة ، وكل ضحايا الاستبداد الذين يريدون ويكافحون من اجل الحرية ، وكل ضحايا التخلف والاستغلال الذين يرفضون نوع الحياة التى يحيونها ويبذلون الجهد فى بناء الاشتراكية كل هؤلاء تقدميون ، لانهم يرفضون أن يمتد الماضي كما هو في المستقبل ، فيتصدون لتغييره وبناء مستقبل عربى اكثر حرية. وفي مواجهة التقدميين العرب تقف الرجعية العربية .

والرجعيون هم الذين لا يدركون مشكلات ظروفهم ادراكا صحيحا ، او يتجاهلون تلك الظروف ، او ينكرون ظروفا ومشكلات لا وجود لها ، والذين لا يستطيعون أن يجدوا الحلول العلمية الصحيحة للمشكلات التى ادركوها يضللهم الجهل او المثالية (الفكرية والمادية) والذين تقعد بهم السلبية عن بذل الجهد حلا للمشكلات .

وطبقا لهذا المقياس يتحدد الرجعيون جبهة واحدة معادية للحرية والوحدة والاشتراكية ، تضم كل الذين يقبلون الظروف ولا يعملون لحل مشكلاتها او يعملون ابقاء لمشكلات الظروف بدون حل . فالذين يهادنون الاستعمار الظاهر ويتآمرون مع الاستعمار الخفى ، رجعيون ايا كان وضعهم الاقتصادى ، والذين يقفون ضد الوحدة ويدعمون التجزئة ، عملا او فكرا ، او سلبا . لا عمل ولا فكر . ، رجعيون سواء اكانوا ملوكا ام وزراء ام رأسماليين ام عمالا ام انتهازيين ام شيوعيين ، والذين يقفون ضد الاشتراكية ويدعمون التخلف او الاستغلال او يقبلونه ، جهلا او قناعة او اكتفاء بما عندهم ، رجعيون سواء اكانوا رأسماليين ام عمالا وحتى لو كانوا معدمين . ان كل انسان يتحدد بموقفه من المشكلات القائمة وليس بنوع العمل الذى يؤديه . وعلى الطليعة العربية والتقدميين العرب ان يكونوا الى مستوى ظروف امتهم ووضعها النضالى فى العالم المعاصر .

« تحسين عبد الحى »



قراءات في المجلات العربية

يقدمها محمد العوانى

السودان واللغة العربية :

يبذل مكتب الفكر العربى بالخرطوم جهودا موفقة فى سبيل النهوض بالأدب العربى ، وقد نشرت « النيل » السودانية كلمة كتبها « أبو القاسم عثمان » يوضح فيها الغاية التى من أجلها انشىء هذا المكتب بقوله : نحن نؤمن بعروبة السودان ، ونؤمن انه لا حياة للسودان بغير عروبته،ان العروبة هى الدم الساخن الذى يجرى فى عروق هذا الوطن العربى فيدفعه الى الاسهام بدوره فى بناء الصرح العربى الكبير .

نحن لا نتكلم عن الجنس العربى ولا نتحدث عن نسل عدنان أو قحطان من هذه القبائل العربية التى عاشت فى الجزيرة العربية أو فى خارجها غازية فاتحة حاكمة .

ثم قال :

نحن لا نتحدث عن العروبة من ناحية الجنس ، ولكننا نؤمن بها من ناحية اللغة والثقافة ، نحن نؤمن بالعروبة رابطة فكرية وثقافية واجتماعية يعيش تحت ظلالها ملايين العرب ، العرب الذين ورثوا حضارة شيدها جدودهم بهمم لم يعرفها الأبطال عبر التاريخ الطويل .

السودان قطر واسع مترامى الاطراف . فيه المسلمون وغير المسلمين ، وفيه لهجات شتى ونحل متباينة ، وبالرغم من ذلك ، فاللغة العربية هى لغة التفاهم بين السودانيين جميعا ، حتى الجنوبيين انفسهم يتفاهمون باللغة العربية فى المجالات العامة.

وليست هناك من دهشة اطلاقا اذا علمنا أن اللغة العربية التى كان يتفاهم بها المؤتمرون الجنوبيون فى المسرح القومى بام درمان حينما كانوا يناقشون مشكلة الجنوب مع وليم دينق هى اللغة العربية ، والسبب فى ذلك واضح وبسيط ، فاللغة الانجليزية غير معروفة عند جمهرة الجنوبيين وهم متباينو اللهجات ، فليست هناك لغة مشتركة يفهمونها جميعا غير اللغة العربية .

لغتنا العربية لغة تاريخ وثقافة وروابط اجتماعية ضاربة فى أعماق التاريخ ، وقد وجدت بين اجناس وامم لم تعرف الوحدة الفكرية الا عن طريق اللغة العربية !

هذه هى الفكرة التى نؤمن بها ونعمل من أجلها عملا متواصلا مضنيا سيشعر به الناس حولنا بعد حين .

ونحن لا نهدف من وراء ذلك الى شهرة ولا الى جاه أو منصب ، ولكننا نهدف الى أشياء أخلد وأبقى من ذلك كله .

نحن نهدف الى خلق امة سودانية متماسكة عن طريق دعم الثقافة العربية فى نفوس السودانيين فهى طريقهم نحو العزة والكرامة والسموق » .

● العربية .. لغة انسانية :

وفى مجلة «العربى» مقال للدكتور عبد الستار الجوارى أورد فيه ان اللغة العربية ظاهرة انسانية فريدة بين سائر اللغات ، ولا سيما عندما يلاحظ الباحث أن عوامل الحضارة البشرية قد وقفت منها فى العصور الحديثة على وجه الخصوص موقف المناوىء الشديد الخصومة .

« فقد كان انهيار الدولة العربية الاسلامية على

أيدى القراة المغول أول ما أصاب الحضارة العربية من النكبات بعد عصور الازدهار ، تلك العصور التى جعلت من اللغة العربية لغة العلم والمعرفة والثقافة فى العالم المتحضر اذ ذاك ، علاوة على كونها كانت لغة الدين والعبادة فى آسيا وافريقيا خاصة ، وفى سائر بقاع الدنيا التى امرع فيها غيث الرسالة الاسلامية ..

ثم بين المقال أنه على الرغم من النكبات التى مرت بها اللغة العربية فانها قد صمدت لها بفضل كتاب الله وغدت لغة انسانية ولم تعد مثل سائر اللغات لغة قوم تعز اذا عزوا ، وتنهار اذا انهاروا ، كالذى حدث لليونانية واللاتينية والعبرية ، تلك اللغات التى استسلمت لمصير الامبراطوريات والدول التى نشرتها فى أصقاع الارض بين امممها ، فصادت السنة بائدة أوت الى بطون الكتب واستقرت فى مطاوى المجلدات ، ثم أصابها التغيير والتقسيم والانشطار ، فعاد اهلها يجهلونها كما يجهلون لغات غيرهم من الأمم ويتعلمونها كما يتعلمون الغريب الأجنبى من الألسنة .

ثم لم يكف اللغة العربية ان أصبحت لغة انسانية ينطق بها فى اعتزاز وتقديس ملايين من بنى الانسان ، يعدون ذلك قضاء لفرض من فروض الدين ، بل لقد وصلها ذلك بلغات أولئك الأقوام فاثرت فيها وتأثرت بها حتى أصهرت الى كثير من لغات آسيا وأفريقية ثم ان « الفارسية والأوردية والهندستانية والتركية والكردية فى آسيا والسواحلية والهوساوغيرها فى أفريقيا كلها هى والعربية أعضاء فى أسرة اللغات الاسلامية التى قد لا تتشابه أو تتقارب فى نحوها ، وفى تركيب الكلام فيها ، ولكنها تتقارب أشد التقارب فى المفردات والاصطلاحات ، ولا سيما فيما يتصل منها بمناحى الحياة الفكرية والحضارية والاجتماعية »

● الشعر الحر .. والجمهورية :

تحت عنوان « خواطر » كتب « مصطفى بهجت بدوى » رئيس تحرير جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ١٩٦٥/٧/١٢ يندد بالشعر الحر مبينا انه لن يكون له مجال للنشر على صفحات الجمهورية . والمعروف أن « مصطفى بهجت بدوى » شاعر ، له دواوين متداولة بين أيدى القراء ولهذا فهو يرى « أن الدنيا تغيرت عن زمان ، ولا بد أن تتغير ، والناس أمامها فريقان : فريق يتحسر على الايام الخالية وراحة البال (المفقودة) واسعار البيض والطماطم الخ فى الثلاثينات ! وفريق يؤمن بالتطور وضرورته وجدواه ، وبالمجتمع كاملا وحيوية قلقه ، ويضرب ايام زمان بالبيض والطماطم ! واذا صح أن يوصف الفريق الأول بالرجعية ، وينعت الثانى بالتقدمية ، واذا كنت اناصر الفريق الثانى فى الكثير من عدالةآرائه،فان ثمة قضية قديم وحديث أجدنى فيها — بعد فترة ذبذبة — أؤيد القديم والرجعية! والحكاية .. عن الشعر القديم التقليدى والآخر الحديث (الحر) .. وانا معك انها قد لا تكون حكاية خطيرة ولا حاجة ، ولكنها — على أية حال — مما يعنى المشتغلين بالصحافة ، وبالتالى فهى مما يعانيه قراء الصحف ، وليست هذه الكلمة طبيعة الحال تحليلا او نقدا .. هى مجرد خواطر .

رأينا فى السنوات الأخيرة نماذج من هذا الشعر لا هى شعر ولا هى نثر ولا هى شىء على الاطلاق واصبحت الظاهرة المتفشية تنافسا فى الركاكة والتعمية والضعف غير المفهوم ، حتى ليتهم القارىء نفسه بالغباء ، ويكره الشعر والدنيا وما فيها ، والشعر موسيقى .. وتلك النماذج نشاز .. والشعر صور جميلة وايحاءات وجدانية وفكرية تعبر عن النفس وعن المجتمع .

والغريب أن الشعر اياه يمسك بهذا المفهوم — مفهوم الصور — ويدعى أنه يتربع على عرشه ، ولكن ما قيمة هذه الدعوى اذا لم يكن يصدقها أحد ، لا الناس ولا التاريخ ، ! وبين ناظمى الشعر (الحر) رواد احترمهم واعتقد أنه حرام عليهم اهدار شاعريتهمفىمنزلقتفعيلاته — اذا وجدت —ومنهجه، وبينهم من بدءوا شعراء (تقليديين) مجيدين ثم فقدوا صلتهم بالشعر على مذبح نبش الفراغ المبتكر ، وبينهم — وهم الغالبية — من لا يتمتعون بملكة الشعر ومضوا يسودون الصفحات على (الموضة) بأى كلام يسمونه شعرا حديثا .

وفى الاسبوعين الماضيين استخرت الله .. وحينما قدم لى مدير التحرير قصائد من ذلك الركام الحديث للنشر فى صفحة الأدب مزقتها واحدة بعد أخرى . وقلت اما أن ننشر شعرا بحق او كفى الله المؤمنين القتال . ولسوف أقاوم ، فاذا عادت فاعلم أننى غلبت على أمرى » .

ومهما يكن من أمر فان موجة الشعر الحديث أخذت تتلاشى ، على الرغم من المعارك العنيفة التى خاضها أنصار هذا الشعر .. وتمر الايام لتثبت بما لا يدع مجالا للشك أن البقاء دائما للاصلح .

« محمد العوانى »



العامية ليس الدارجة

للدكتور احمد كمال زكى

جميل جدا ان يتعقب القراء كتابهم واجمل من ذلك ان يكون هذا التعقب من اجل الحقيقة . وقد رايت فى العدد ١١٢٠ الصادر فى اول يوليو سنة ١٩٦٥ نموذجا من محاولة البحث عن هــذه الحقيقة . ففى مقالات متتابعة انشرها عن القصص العربى القديم قرا السيد حلمى محمد قاعود عن المقامات ــ وكنت عرضت لهاــ ما ظن انى اتجنب الجادة فيه . ذلك انى قلت عنها انها «قصص عامية كتبها عربى متعصب للعروبة . ولقد فهم من استعمالى للعامية هنا انى اعنى الدارجة اى التى تكتب باللغة المبتذلة.. لغة الشعب غير المعربة ، ولو كان قرا المقال الاول لعــرف انى لا اعنى بالعامية ما ذهب هو اليه . فقد ذهبت الى ان القصص انقسم الى ما يلقيه اهل الذكر مما يتصل بالدين والعــلم وما يجرى مجراهما والى ما يلقيه غير اهل الذكر مما ينفق فى سوق الشعب والطبقات غير المتخصصة .

والقسمة على هذا النحو قائمة على قاعدة جاحظية ، فقــد استعمل الجاحظ لفظى « العامى والخاصى » استعمالى انا له ، وعد العامة طبقة فوق الجاهلة ودون المتخصصة .

هذا شيء ، والشيء الآخر ان مقامات بديع الزمان حتى اذا اخذت بالعامية التى حملنى اياها الاستاذ حلمى محمد قاعود لما خرجت عن الادب الاجتماعى ، لان هذا الادب مضمون وليس شــكلا ، وللاديب ان يزجى مضمونه باى لغة شاء . وما دمنا وصلنا الى هذه النقطة فقد وجب ان نقف عند ذلك التناقض الذى اشرت اليه فى المقامات ، واعنى ان الموضوع الذى طرقه بديع الزمان كان من الموضوعات التى تتداول فى الادب الشعبى ــ وهــذا له نمطه اللغوى ــ ولكن الكاتب رفعه الى مستوى رفيع جدا من الأداء ، الغناه ادنما فى موضوعات جادة وفى قصص لا يتصل بالعامة .

اما ما نقلته عن المستشرقين وما يراه السيد حلمى اتثانا على المقامة الهمذانية فيمكن ان يراه فى اكثر من مصدر ، فليرجع الى دائرة المعــارف الاسلامية ، وترجع الى تاريخ الادب العربى للمستشرق الالمانى بروكلمان ، وكذلك الى كتــاب مقامات بديع الزمان الذى الفه الدكتور مصطفى الشكعة .

وللاستاذ حلمى قاعود محبتى وشكرى .

الرافعى والغزو الفكرى

عبد الحليم عبد الفتاح عويس

كانما مسرح الحياة الشرقية ــ مسرح لا تقدم على خشبته الا مسرحية واحدة .. من نوع واحد ولهدف واحد .. والذى يتغير فقط هم مجموعة الممثلين .. يتغيرون اسماء واشخاصا وان كانوا جميعا يؤدون نفس الدور بنفس الالفاظ ونفس المعانى بل بنفس طريقة التمثيل .. وهذا الاستعمار البغيض « مؤلف المسرحية » لا يفتا فى صبر وداب يكرر نفسه ويكرر الاعيبه ويبذل جهده فى سبيل الاتيان على عناصر قوة هذه الأمة الاسلامية ، وفى سبيل ــ ايضا ــ نسخ هذا الشرق الاسلامى ــ الى غرب اخر ..

والذى ينظر نظرة عابرة الى المعارك التى دارت رحاها في العقدين الثانى والثالث من هذا القرن يروعه أن يجدها هى نفسها التى تدور في هذه الايام من نفس القرن .. عجبا «كانما ابليس لم يستطع ان يغير نفسه» حسب تعبير أستاذنا الرافعى !! واذا كنا نلمح اليوم على طريق العروبة والاسلام لافتات تشير الى اسماء «محمود شاكر ـ على عبد الواحد والي ـ الاخ جلال كشك ـ عبده بدوى» وغيرهم .. فان نفس الطريق في الجولة الاولى قد حفل باسماء كثيرة .. حديثنا اليوم عن بعض جهود قطب من اقطابها بل لعله قطبها المتفرد الا وهو الاستاذ المرحوم « مصطفى صادق الرافعى » • وكما كانت الرسالة ـ والحمد لله ـ أحد الميادين التى خاضت الجولة الاولى فانها أيضا أحد الميادين التى تخوض الجولة الثانية.. والله متم أمره ، وناصر دينه ، ولو كره الكافرون .

واستاذنا الرافعى ـ رحمه الله ـ قد دخل المعركة فى كل ميادينها وبكل اسلحتها ـ واذا كانت الميادين التى حاول رواة الغزو الفكرى ان ينفذوا منها الى العروبة والاسلام •• هى اللغة ممثلة فى شعرها ونثرها ، والقرآن ممثلا فى مناحى اعجازه ، والتاريخ الاسلامى ممثلا فى حادثاته ورجالاته ، فان الرافعى لم يترك ميدانا من هذه الميادين الا وكانت له فيه صولات وجولات، واذا كانت الاسلحة التى اتخذها رادة الغزو الفكرى هى الشعارات المزيفة ، وذر الغبار فى العيون ، والاختفاء وراء لافتات العلم والفن والحضارة والتقدم ، فان الرافعى قد راح فى قوة يكشف زيفهم ويظهرهم للناس عراة فقد تجردوا من الاقنعة ، وان ادنى نظرة الى الثلاثة اجزاء التى تحمل اسم « وحى القلم » والى المقالات الرائعة التى ضمنها كتابه «تحت راية القرآن» لاسيما مقالات : «المذهبان القديم والجديد ، الميراث العربى ، وما وراء الأكمة ، والجملة القرآنية ، وتمصير اللغة » وغيرها ••

نظرة الى هذا تريبنا بجلاء مدى القوة التى كشف بها الرافعى حقيقة اعداء العروبة هؤلاء ، وكيف رد افكهم واظهرهم لكل الشعب العربى ، وساكتفى هنا بايراد نماذج من جهوده فى كشف حقيقة « دعاة التجديد » عموما •• ودعوة التجديد فى اللغة خاصة

انظر اليه وهو يقول للمتمسحين فى لفظة التجديد هؤلاء : « اتظنون التجديد لا يكون الا بالهدم ؟ •• وهل يبلغ ما أنتم فيه من الحماقة وضعف البصر بعواقب الامور ان تقولوا ان البناء الجديد لا يقوم الا بعد هدم القديم ؟ •• انما الشان فى الجديد ان تتصل المادة الجديدة بالقديم فاذا هو هو لكن ببعض الزيادة او بعض القوة » •• اجل هذا هو التجديد الحقيقى تجديد البناء لا الهدم ، وفى موضع اخر يقول الرافعى عن حقيقة المجددين هؤلاء : « ولسنا نتحرج ان ننبه الى أصل هذا الذى يزعمونه ويتشدقون به • فكل فاسق وكل ملحد وكل مقلد احد هذين•• وبالجملة فالتجديد ان تكون لصا فى الأدب لم لا تكون ذا دين » •• واذا كانت اللغة اليوم هى الهدف الذى يصوب اليه أعداء الاسلام حقدهم وسمومهم •• فانها ـ أيضا ـ كانت نفس الهدف فى النصف الاول من هذا القرن •

هذه هى الحقيقة التى ادركها الرافعى والتى تثبتها ايامنا هذه حين نرى أعداء العروبة يحاولون الانقضاض على اللغة الفصحى وتحويلها الى عامية مستعربة « فى عملية سلخ » كما يقولون •• ومن سخريات القدر ان دعوة « الشعر السايب » كانت هى هى التى جاءت مع الاستعمار وهى التى قاومها الرافعى واظهر بجلاء مدى تاثير (القافية) وروعتها ـ فى الشعر العمودي ـ يقول :

« ان للشعر العربى على طريقته المعروفة حيزا من النفوس يجب ان يقر فيه ولا يعدوه فان مداره على التاثير ـ فاذا اردته على غير ذلك كنت كالذى يتناول العود او الكمنجة ليتخذ من احدهما هراوة يضرب بها » • ولم يقف الرافعى عند حد كشف الزيف واظهار الحق ودحض دعاوى اعداء العروبة وانما راح يبذل جهده خدمة العربية وادابها وتاريخ ادبها وكتابها الكريم •• فى عمق وعاطفة وقوة وجزالة لم تعرفها لغيره من اهل البيان العربى ••!

وبعد : فان الرافعى رحمه الله كانت له فى كل ميادين الغزو الفكرى صولات تتبع فيها فلول المستشرقين المصريين والعرب •• هؤلاء الذين خرجوا من بيننا ثم سرقتهم اوربا او الماركسية منا فراحوا يعملون كسفراء غير رسميين للافكار التى اعتنقوها •• وكلها ـ وان اختلفت اشكالها ـ تلتقى عند نقطة القضاء على العروبة والاسلام ـ وما ذكرت من اقوال الرافعى فى اللغة ليس الا قليلا من كثير احب أن انوه به الى الدور الخطير الذى لعبه الرافعى العملاق فى الحفاظ على مقومات حياتنا كما أدعو به المجلات التى تتلاقى رسالتها مع رسالة الرافعى أن توليه حقه من التكريم ـ وليس فقط بذكر اطايب المدح واكاليل البيان وانما بمحاولة توجيه الناشئين الى ادبه وجذبهم اليه واخراج نبذ من بين الغثة والغثة فى المجلات السيارة ـ على هذا يسهم فى اخراج جيل من الشبان الغيورين على عروبتهم واسلامهم !!

وما دام فى ارض الكنانة ـ اسلام يعتز به وتبذل من اجله الدماء والاموال ـ وعروبة تعيش فى الدم والقلب واللسان فسيظل الرافعى لحنا من الحان هذه الامة •• لحنا أصيلا نابعا منها وفيا لها يذكره الناس كمثل اعلى للشرقى الأصيل والمسلم الكامل والعربى النقى •• وسيبقى مؤلف « تاريخ آداب العربية، ووحى القلم ، وتحت راية القرآن » وصاحب المناجم الذهبية فى الأساليب والمعانى الصاعدة •••

سيبقى كما قال الزعيم مصطفى كامل ـ « الحكمة العالية مصوغة فى اجمل قالب من البيان » ••

تحية الى الرافعى فى ذكراه من كل قلب ينبض بحب العروبة العزيزة والاسلام الحبيب •

وشـايـة

قصة انطون تشيكوف — ترجمة زهير بيومي

وافق سيرجي الخينوف مدرس علم البلاغة على زواج ابنتـه ناتاليا ، من ايفان بتروفتش مدرس التـــاريخ والجغرافيا ، وسارت مراسم الزواج على ما يرام فكانت حجرة الاســتقبال يسودها المرح بين غناء ورقص ولهو برئ ، بينما كان الخـدم الذين استاجرهم الخينوف من ناد كبــير خصيصا لهذه المناسبة يتحركون فى خطا سريعة ، اثناء قيامهم على خدمة الضيوف ، وما كان اشبههم بالمجانين وهم يخطرون فى حللهم الســوداء ، واربطة العنق البيضاء ، وسط هذه الضوضاء التى غلفت الجو كله ، وفى الخارج كان الناس الذين حال مستواهم الاجتماعى دون حضورهم الحفل يمتعون انظــارهم بمشاهدته من نوافذ بيوتهم •

وعند منتصف الليل اتجه الخينوف ، بوصفه مضيفا ، الى المطبخ ليتاكد من اعداد العشاء على خير وجه ، كان المطبخ مليئا بالدخان تفوح منه رائحة الشواء والسمك والتوابل والحلوى ، والمشهيات وسائر انواع الطعام التى تدخر بها المطابخ فى مثل هذه المناسبات وكانت كل هذه الخيرات موزعة على الموائد فى شكل فنى بديع رغم الفوضى التى كانت تغشى المكان كله • اما «مارفا» الطاهية البدينة فوجهها محمر بفعل الحماس الذى استولى عليها اثنـاء اعداد الموائد • واذ هى على هذه الحال دخل الخينوف قائلا وهو يفرك يديه ويلعق شفتيه :

هاتى السمك المشوى ياعزيزتى •• يا لهذه الروائح اللذيذة !! انها تمنحنى القدرة على التهام كل ما فى المطبخ ! •• ولكن دعينى ار السمك المشوى اولا ••

سارت « مارفا » ناحية احد الرفوف ، ورفعت اوراق الجرائد التى كانت تنضح بالدهن ، فى حرص ، عن بضع اطباق كبيرة ، فى كل واحد منها سمكة من نوع ممتـــاز ، ونظر الخينوف الى الأسماك وتنهد فى ارتياح بينما تورد جبينه وزاغ بصره «فالتحنى وهو يلعق شفتيه بصوت اشبه بقرقعة العجلات ، ثم اعتدل فى وقفته ليلعق اصبعه ثم شفتيه مرة اخرى• سمع صوتا من الحجرة المجاورة للمطبخ يقول : « آه !! هذا صوت قبلة عاطفية •• من ذا الذى كنت تقبلين يا مرفا ؟ • تبع ذلك ظهور راس فانكين سكرتير مدير المدرسة مطلا من فتحة الباب وهو يردد : « ها ها ها ••• حسن جدا ، سيرجى الخينوف يعود الى صباه •• يقبل النساء ويطارحهن الغرام » •

اسرع الخينوف مجيبا فى اضطراب :

ــ لم اكن اقبل احدا على الاطلاق ، من الذى انباك بذلك ايها الأحمق ؟ •• لقد كنت فقط •• كنت العق شفتى ابتهاجا برؤية السمك ، فرائحته لذيذة •

قال فانكين وهو يغلق الباب عائدا ادراجه ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة ماكرة :

ــ ان هذه اللعبة لا تنطلى على امثالى •

فاحمر وجه الخينوف خجلا وراح يحدث نفسه : « الله وحده يعلم ما سيسفر عنه هذا المأزق ، فهذا الوغد سيسير الآن متندرا بهذه الأكذوبة فى كل مكان •• سيشوه سمعتى فى المدينة كلها ••• الحيوان » •

وبعد ان خرج الخينوف من المطبخ بدت على محياه امارات الخجل وهو يدلف الى حجرة الاستقبال ، راح يجول بناظريه خلالها ، فى قلق ، ليرى ماذا يفعل فانكين ، والى جوار العزف كان فانكين وزوجة اخى المفتش واقفين ، اسر فانكين لها بشئ جعلها تستغرق فى الضحك • اذ ذاك حدث الخينوف نفسه قائلا : « لابد انهم يضحكون على •• لعنة الله عليك يا فانكين •• انها تضحك ، معنى ذلك أنها تصدقه •• يا الهى !! ذلك وضع لا يصح ان ارضى به او اسكت عليه ، لابد ان اكذبه ، كما لابد ان ادلل على كذبه حتى لا يصدق الناس روايته • ساتحدث اليهم جميعا، وسوف يتاكد لهم كذبه فى نهاية الأمر » •

سار الخينوف ناحية ضيفه الفرنسى « باكدكوا » ليحادثه فى الامر • ولم يكن الاضطراب قد زال عنه بعد :

ــ كنت فى المطبخ منذ لحظة •• كنت اشرف بنفسى على اعداد العشاء •• اعلم انك تحب السمك ••• ولهذا اعددت لك سمكة

كبيرة .. ها ها ها !.. نعم وبمناسبة .. اعني بمناسبة السمك، هناك حادث طريف يثير الضحك . كنت قد دخلت المطبخ منـذ لحظة لافحص الطعام بنفسي ، نظرت الى السمك ولفرط غبطتي بمنظره ورائحته لعقت شفتي ، كان ذلك بصوت عال ، من فرط غبطتي ، كما قلت لك ، في هذه اللحظة دخـل فانكين الاحمق قائلا : « ها ها ها !!.. كنتما مستغرقين في قبلة ؟!.. يتهمني بذلك .. تصور !! ومع من ؟!.. مع مارفا .. تصور.. الطاهية .. هذا شيء لا يعقل .. طبعا .. اليس كذلك ؟! .. يا له من غبي !! انها امراة قبيحة ، تشبه القـرد .. يزعم انني كنت اقبلها ؟! يا له من شاب غريب الاطوار ..

اجاب الخيتوف :

سمع تارانتيلوف العبارة الاخيرة وهو يدنو منهما فتساءل :

ـ من الذي يقول عنه انه غريب الاطوار ؟!

ـ انه فانكين ... كنت في المطبخ ... الخ

وروى له قصة مارفا والسمكة معه ، ثم اردف قائلا :

ـ امر مضحك حقا .. اليس كذلك ؟!. شاب غريب الاطوار حقا .. اليس كذلك ؟!... انني افضل تقبيل كلبي لو خيرت بينه وبين مارفا .

وبينما هو لا يزال منهمكا في الحديث لاحظ ان ميزيدا صديقه واقف على مقربة منه ، فالتفت نحوه قائلا :

ـ لقد كنا في حديث طريف عن فانكين .. شاب غريب الاطوار حقا ، حدث ان دخل المطبخ ولاحظ وقوفي بجوار مارفا ، وسرعان ما اخترع حكاية مختلقة ... قال اننا مستغرقين في قبلة ... تصور .. معذور !! .. كان في حالة سكر شديد !..لابد انه كان يحلم ، انني افضل ان اقبل بطة على ان اقبل مارفا ، ولا تنس اني رجل متزوج .. يا له من احمق اوشك ان يشـوه سمعتي !!

وفي هذه الاثناء ، وصل مدرس الدين فالتقطت اذنه عبـارة الخيتوف الاخيرة فساله :

ـ من الذي اوشك ان يشوه سمعتك ؟!

اجاب الخيتوف :

ـ انه فانكين يا سيدي ، كنت واقفا في المطبخ ، كما تعلم ، لأشرف على اعداد العشاء ... الخ ...

وعلى هذا النحو كان كل الضيوف على علم بهـذه القصة في خلال نصف ساعة ، اطمان الخيتوف بعدها وراح يفرك كفيه وهو يحدث نفسه : « دعه الآن يقل ما يقول ، فسوف يكذبونه في الحال ، خاصة وقد احطتهم علما بحقيقة الموقف ، سيقولون له : لا داعي لهذه الافتراءات ايها الاحمق انـنا على علم تام بحقيقة الامر » .

شعر الخيتوف براحة تامة بعد ان اطمان الى ان موقفه لم يعد حرجا ، فاكل في نهم ، وبعد ان ودع ابنته الى بيتها الجديد عاد الى بيته واستسلم للنوم كطفل بريء ، وبمجيء اليوم التالي كان قد نسي حوادث الامس بكل ملابساتها ، ولكن لسان الشرير كان يلعب دوره في الخفاء . وثبت ان خطة الخيتوف الماكرة لم تفده في تحسين موقفه ، فبعد ذلك بحوالي اسبوع ، وفي يوم الاربعاء التالي على وجه التحديد كان الخيتوف يجلس في حجرة المدرسين بعد انتهاء الدرس الثالث منددا امام زملائه بشقاوة تلميذ يدعى تسكين . في هذه الاثناء دخل مدير المدرسة الى الحجرة واشـار اليه ... ثم راح يحدثه على انفراد في احد اركان الحجرة :

ـ اسمع يا سرجي الخيتوف ، الامر لا يتعلق بالدراسة ، ومع ذلك فاني ارى ان من واجبي ان افاتحك فيه ، وصلتني اخبار تفيد وجود علاقة بينك وبين تلك المراة .. الطاهيـة التي في بيتك ، ان لك مطلق الحرية في ان تقبلها او تفعل معها ما تشاء بشرط الا يكون هكذا على مراى من الناس جميعا .. ارجوك الا تنسى انك استاذ ، واجب عليه ان يكون قدوة لتلاميذه .

جمد الخيتوف واعتراه ذهول على اثر ما سمع ، فظل واقفا في مكانه وكانه وقع ضحية لخلية من النحل احاطت به ، خيل اليه انذاك ان دلوا مليئا بالماء البارد صب عليه . وفي طريقه الى بيته خيل اليه ان كل من في المدينـة يحملق فيه كمن يحملق في شخص ملطخ بالقار .

وفي البيت كانت المشاكل في انتظاره ايضا ، سالته زوجته اثناء تناول الغداء :

ـ لماذا لا تاكل يا سرجي ؟!.. فيم تفكر ؟!.. هل تفكر في كيوبيد ؟!.. عيه !! لابد انك مشتاق الى مارفا ، لقد علمت بكل شيء ايها الماكر ، اطلعني الناس الطيبون على حقيقة امرك ايهـا المتوحش .

قالت ذلك ثم باغتته بصفعة على وجهه ، نهض من مكانه وحملق في وجه زوجته ، في ذهول ، لبضع لحظات ، ثم توجه على الفور الى بيت فانكين ونسي ان ياخذ قبعته معه .

وجد فانكين في بيته فبادره قائلا :

ـ ايها الوغد ، شوهت سمعتي امام الناس جميعا ، لماذا رحت تغتابني ؟!

ـ كيف ؟! .. ماذا قلت عنك ؟!.. ماهذا الذي تدعي ؟!

ـ ومن الذي قال لكل النـاس انني كنت اقبل مارفا ؟!... ستنكر انك انت .. لا يمكن ان يفعل ذلك غيرك ايها النذل !!

بدا فانكين يرتعش وتضطرب اهدابه ، وهو يقسـم ويغلظ الايمان ببراءته :

ـ ليحاسبني الله .. ليحرمني نعمة البصر ، وليقصف عمري ان كنت قد فعلت شيئا من هذا ، او ليحرمني الله نعمـة الاستقرار ، وليحكم علي بالتشتت في انحاء الارض اذا كنت حانثا في قسمي !

دلت قوة قسم فانكين وحرارته على صدقه وبراءته من تهمة النميمة الامر الذي حير الخيتوف وجعله يتساءل وهو يستعرض كل معارفه ويخبط على صدره بعنف :

ـ ترى من ذلك النمام صاحب الوشاية الخبيثة ؟!.. من الذي وشى بك يا سرجي ؟! من ؟! .. من ؟ من شيء يا سرجي ؟

زهير البيومي





الثقافة
اسبوعية
تصدر كل ثلاثاء

الرسالة
اسبوعية
تصدر كل خميس

المجلة
شهرية
تصدر يوم (٥)

الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)

القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)

مجلات

الثقافة والارشاد القومى



العيد الثالث عشر للثورة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الإشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

ثورة لله وللإنسان

بقلم: أحمد حسن الزيات

تاريخ الانسان حافل بالثورات والانقلابات ، ولكنها كانت في الأكثر الأغلب غزوات جنس لجنس ، أو نزوات طبقة على طبقة . تقوم اما استئثارا بخير ارض ، واما استبدادا بحكم شعب . اما مبادىء العدل الاجتماعي ، والخير الاشتراكي ، والاخاء الانساني ، فقد كانت تذكر – اذا ذكرت – على سبيل النفاق الذي يحجب الضمير الفاسد ، ويستر النية السوء . كانت على افئدة الغزاة والسنة الساسة اشبه بالغطاء الذهبي على الناب العضوض ، أو بالصبغ الأرجواني على الظفر الحاد !

لم تقم ثورة في التاريخ كما قامت ثورة مصر . قامت على أساس من الحق الطبيعي الصريح ، والرأى الذاتي الحر ، ولم تقم على شهوة تطلب السيطرة ، ولا على قوة تبغي الاستعمار : قامت على السلام لا على الحرب ، ونشأت في النظام لا في الفوضى ، ونبتت بالعمل لا بالأمل ، وسقيت بالعرق لا بالدم ، وأثمرت للمنفعة العامة لا للمصلحة الخاصة ، واعتمدت على الاشتراكية المسلمة لا على الراسمالية المشركة ، ونبعت من ارادة الشعب الأصيلة لا من مشيئة القوة الدخيلة ، وبرهنت بالفعل للشعوب المستضعفة المستذلة ان أغلال العبودية وأثقال الطغيان مهما تهد من بنيانها على تتابع القرون ، وتضعف من ايمانها بتوالي الخطوب ، لابد أن تشعر يوما من الأيام ان لها قوة تأتي العجب اذا أرادت ، وأن لها ارادة تحقق المستحيل اذا وعت ، وأن لها وعيا ما دام لها عقل ، وأن لها عقلا لا يطفىء نوره الا الجهل ، ولا يميت شعوره الا الرق . وهيهات أن يجعل الله الليل سرمدا على العيون فلا تبصر ! انما هو ليل يعقبه صباح ، ونوم تتلوه يقظة . ولقد طال الليل على مصر حتى نسيت النور ، وثقل عليها النوم حتى جهلت الحياة ... طال ليلها في الاستعباد خمسة وعشرين قرنا لم يتول فيها أمرها وخيرها احد من بنيها ، وانما كانت طوال هذه القرون نهبا للغزاة والفاتحين من كل جنس ومن كل لون ومن كل أرض ! حتى أراد الله أن تنبعث نخوة الفراعين والعرب في نفوس فئة من شباب هذا الوادي نشأوا من صميم أهله ، ودرجوا في حقول قراه ، فانتفضوا انتفاضة العزة ، وثاروا ثورة الكرامة ، ثم نفخوا في الصور ، فنهض الجيش ، وانبعثت الموتى ، وحكم الفلاحون مصر ، وشعر المصري لأول مرة في تاريخه أن أرضه له ، وأن حكامها منه ، وأن ما ينتجه يدخل في يده ، وأن ماينفقه يعود الى بلده . وقد كان من قبل ذلك يزرع وصاحب الأرض يحصد ، ويصنع وصاحب المال يبيع ، ويدفع وصاحب الحكم يتمتع ، ويشقى وصاحب العرش ينعم !!

فاليوم ـ وليس قبل اليوم ـ نستطيع أن نقول بملء الفم ان جهادنا ختم بالنصر، وان نصرنا كلل بالفخر ، وان فخرنا فخر من سعى فادرك ، وجاهد ففاز ، وغالب فغلب !

لم يعد على راس دولتنا طاغية غريب الدم ، ولا على راس حكومتنا سياسى خسيس الهوى ، ولا على أرض وطننا دخيل فاسد النية ، وذلك هو الاستقلال الكامل الذى تسمو به النفوس ، وتنهض فيه العزائم ، وتطيب معه الحياة !

كان للأدب فى قيام الثورة اثر ، وكان للثورة فى نهوض الأدب اثر ، ولكن الأثرين لم يكونا من طبيعة واحدة : اثر الأدب فى الثورة طبيعى مباشر ، كاثر الماء فى الانبات والنار فى الانضاج والنور فى الهداية ! واثر الثورة فى الأدب تبعى غير مباشر ، كاثر تقسيم الوحدة الصناعية او تثليث الدورة الزراعية فى الرخاء العام • فالشأن فى فكر المصلح أو الأديب أن ينبه الغافل الى انه حى ، ويشعر الجاهل بأنه انسان ، فاذا أدرك الأفراد يوما ان لهم حرية تقيد ، وكرامة تهان ، وحقوقا تغصب أبوا الانقياد وثار الشعب • والشأن فى ثورة الأمة أو الجماعة أن تثور على طغيان ملك ، أو فساد حكم ، أو استعلاء طبقة ، او عدوان فقر ، فهى تعنى أول ما تعنى بازالة ماترك الاستبداد والفساد والترف والفاقة فى سياسة الدولة وفى حياة الأمة من التخلف والتعسف والتفاوت والبؤس • ولذلك بدأت الثورة الناصرية بعلاج المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى وقت واحد ، فاقامت نظام الحكم على الأساس الديمقراطى الثابت ، وعالجت معضلة السودان بالعلاج الناجع الحاسم ، وحلت مشكلة الاحتلال بالجلاء المطلق الناجز ، وكفكفت عادية الأحزاب بالأمر القوى الحازم ، وقوضت صرح الاقطاع بتحديد الملكية العادل • ورفعت قواعد العدالة فى البناء الاشتراكى الحق ، ثم مهدت طرائق العمل المثمر ، ووسعت دوائر الانتاج الضخم ، ويسرت الأداة والحياة للعامل والفلاح، لأنهما عماد الثروة، ووفرت العتاد والاستعداد للجيش والشرطة لأنهما عدة الوطن •

كل ذلك وطاته الثورة ورأت انه أحق بالتقديم وأولى بالتحقيق لأنه النتيجة المحتومة لها ، والغاية المقصودة منها ، ولأنه النظام الذى سيتسق عليه كل نظام ، والاصلاح الذى سيشتق منه كل اصلاح • فلما قام البناء وتم على الوضع الذى تريده نظرت فى الروح الذى يسكنه ، وفى العقل الذى يدبره ، وفى الذوق الذى يزينه ، وفى الحب الذى يبقيه ، ايمانا منها بأن الشعب لا يعيش من غير روح ، والجيش لا يسير من غير موسيقى ، والعمل لا يثمر من غير علم ، والنفس لا تسمو بغير أدب ، والحياة لا تجمل من غير فن ، والحضارة لا تكمل من غير دين ، والعالم لا يتقدم من غير مثل ولا غاية • فاتجهت الى التربية والتعليم والتثقيف اتجاها ثوريا لا يعرف التردد ولا التلكؤ ولا الهوادة: فهى تبحث المناهج ، وتفحص الكتب ، وتنشىء المدارس ، وتصلح الأنظمة وتوفر المعلمين وتعدل القوانين وتعمل لاقرار الحياة الفكرية على قواعد ثابتة وأصول منتجة •

ولقد قلت ذات ليلة من ليالى السنة الرابعة للثورة من كلمة أذعتها عن علاقة الأدب بالثورة :

« كان واجب الأدب قبل الثورة أن ينبه ، وسيكون واجبه بعدها أن يوجه • وسيؤدى رجال السيف ما عليهم من الدين لرجال القلم ، فيعاونونهم على أداء التوجيه المرشد كما أعانهم هؤلاء على التنبيه الموقظ ، وسيعنى قادة الثورة المباركة بروح هذا الشعب كما يعنون بمادته ، وسييسرون له غذاء عقله ، كما ييسرون له غذاء جسمه •

وستجد صحافة الأدب الرعاية لتبقى ، وسينال شباب الأدب التشجيع لينتج • وسيظفر مجمع اللغة العربية بالمال لينشر انتاجه الضخم ، وستنشأ في القاهرة دار لترجمة العلوم والآداب والفنون فتعيد للناس عهد بيت الحكمة في عصر المأمون ، ودار الحكمة في عصر الحاكم ، وستعد العدة لتاليف دائرة المعارف العربية فانها بحكم تاليفها وطبيعة موضوعها واعتبار الغرض منها ووجوب الثقة بها تقتضى التضلع والتخصص والاحاطة فلا يمكن أن يستقل بعملها فرد ، وستظل مصر مشرقا لنور الاســلام ، ومبعثا لنهضة العروبة ، ومقرا لزعامة الأدب ، وصلة العلم بين الغرب والشرق ، وبرزخ الحضارة بين القديم والحديث •

تلك أماني مجملة سقتها مساق الوعود المنجزة اعتقادا بأن الاصلاح في هــذا العهد السعيد سيشمل كل جانب ويحقق كل أمل •

وقد تحققت ولله الحمد ــ وللثورة المجد ــ هذه الأماني في ثلاث عشرة سنة على الوجه الذي لا مطمح وراءه ولا غاية بعده : رجعت الثورة بالأزهر العتيق الخالد الى طبيعته الأولى ليوفق بين روحية الانجيل ومادية التلمود ، فيصلح الدنيا بالدين ، ويقرن العلم بالعمل ، ويكون جامعة لأبناء العروبة واخوان الاسلام يتوافدون عنده على وحدة العقيدة والطريقة والغاية ، ثم أنشأت المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لرسم الخطة وتوجيه النهضة وتقود النشء ، وستحث القرائح بالجوائز ، وتحدد المعالم بالمؤتمرات ، وتعالج العلة التي سببت ضعف الأدب وقللت من نبوغ الأديب • ثم اتصلت بالفكر العام اتصالا مباشرا تغذيه وتهديه وتعاونه عن طريق الاعلام والنشر ، فهي تنقل الروائع العالمية من علم وفلسفة ، وتنشر الذخائر العربية من أدب وفن ، وتبسط رعايتها واعانتها على مظاهر الحياة الفكرية في مصر ، وهي التأليف والترجمة والصحافة والاذاعة والتمثيل والسينما • ولو مضيت أفصل هذا الاجمال لانتهى هذا العدد كله دون أن انتهي ، وحسبي وحسبك أن تتتبع بعض ما يفعل الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومي في سبيل الفكر فيغنينا العيان ويقنعنا الواقع ، فان ما يفعله لا ينكر لأنه ماثل ، ولا يحصر لأنه متجدد ، وهذا الرجل الهادىء الثائر الذي اختير منذ الأيام الأولى للثورة ليكون يدها في تنفيذ مخططها الثقافي لم يخلع ثياب الميدان ولم يضع سلاح المعركة • فمن لم يره يتخيله لطول ما يعمل وكثرة ما يتنقل وثقل ما يحمل ووفرة ما ينتج جنديا أشعث الشعر أغبر الثوب عتاده على ظهره وعدته في يديه ، فاذا رآه وجد الجمال في مرآه ، والذوق في هندامه ، والأدب في حديثه ، فيحسبه قد خرج توا من غرفة زينته • وهذه هي الرجولة العليا التي يتميز بها أكثر حواريي الرئيس •

على أن الأدب وهو أقوى مظاهر حياتنا الفكرية وأشدها حساسية كان أول ما اهتز للعاصفة التي أسقطت الأوراق الذابلة وحطمت الجذوع النخرة •

اهتز الأدب للصلة الطبيعية بين الرأي والعزم ، أو بين الفكر والعبارة • كان يفكر لها فاصبح يعبر عنها ، وكان يؤثر فيها فاصبح يتأثر بها • فكل ثورة من ثوراتنا السياسية تحدد مرحلة من مراحل الأدب تتميز من سوالفها بسمات يحدثها الانقلاب في التفكير والتعبير والغرض • ولكن الانقلاب الأدبي لا يمكن أن يأتي فجأة كما يأتي الانقلاب السياسي فجأة • لابد له من زمن يقصر أو يطول تتفاعل فيه النزعات وتتطور الرغبات وتتبين المقاصد ، والا كان انقلابا مفتعلا لا يلبث نشاطه أن يخمد ، وأثره أن يزول • فالسادة الذين فجأوا الناس في صباح الثورة بالتمرد على الأصول المقررة للغة ، وعلى القيم المقدسة للفن ، لم يكونوا جارين مع النهضة ولا معبرين عن معنى الثورة • ان الثــورة نهوض الى أعلى وتطور الى أحسن • والتقــدم الذي يلائمها في

حياة الفكر هو أن تتحرر الأفكار ، وتتجدد الألفاظ ، وترقى الأساليب ، وتسمو الأغراض ، وتتنوع المذاهب ، ويعتمد الأدب على الصدق فيكون مرآة لنفس الكاتب كما يكون الكاتب مرآة لنفس الشعب ·

اما ان تتمرد على القواعد اللغوية فتدعو الى التحرر من كل قيد لتكون الفوضى ، والتخلص من كل ضابط لتكون البلبلة ، فتلك هي البدائية اللغوية التي لا تدرك لبلادتها وغلظها سحر اللفظ ولا جمال العبارة ·

واما أن تتمرد على القيم الأدبية فتدعو الى أن يغفل الأدب رغائب الروح ويقبل على مطالب الجسد ، فنشكو صغر الرغيف وتندب غلاء اللحم ونبكي قلة الخضر فتلك هي الحيوانية المادية التي خلقت لها الزراعة والصناعة والعلوم ، ولم تخلق لها الفلسفة ولا الآداب ولا الفنون ·

على ان في الميثاق القومي الذي اتخذته الثورة علاجا لأدواء الماضي ، ومنهاجا لبناء الحاضر ، ضمانا قويا لقيام مجتمع عربي اشتراكي متحد يكون فيه الدين قائما والضمير حاكما والعمل عقيدة والاحسان طبيعة والواجب مرعيا والمسئولية مفروضة · وحينئذ نامن من الشرود والانحراف ، ونتقي الزلل والاعتساف ، فلا يتجه بعضنا الى اليمين وبعضنا الى الشمال وأكثرنا الى الخلف ، فان التقدمية الهوجاء مطية شموس وان الرجعية العمياء مطية حرون ، وكلتاهما لا تستقيم على طريق ولا تؤدي الى غاية ·

أحمد حسن الزيات



ثورتنا والدروس التي أوحت بها إلى الفكر السياسي المعاصر

للدكتور : محمد عبدالله العربي

تميزت ثورتنا بميزات ، وتجمعت فيها خصائص انعكست آثارها على الفكر السياسي المعاصر ، وسنمضي في ابراز هذه الميزات وهذه الخصائص في أكثر من مقال ، ولكن لابد في البداية من أن ننوه بالمصدر الاصيل الذى انبثقت منه هذه الميزات والخصائص جميعا ، ذلك هو ان ثورتنا اهتدت من البداية بتعاليم تراثنا الروحي . وكان في طليعة هذه التعاليم : « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . فعمدت الثورة منذ يومها الاول الى تغيير ما بأنفسنا ، تغييرا سياسيا ، وتغييرا اجتماعيا وتغييرا اقتصاديا ، وتغييرا ثقافيا . وسار كل تغيير منها الى جنب أخيه ، يشد أزره ويحث خطاه .

نجحت الثورة أول ما نجحت في ان تخلق في الشعب العربي « ارادة التغيير » و « عزيمة التغيير » وصمدت هذه الارادة وتلك العزيمة أمام كل التحديات ، بفضل الروح التى بثها قائد الثورة في نفسية الشعب في مجموعه ، وفي نفسية كل فرد فيه . ولا ننسى هنا نداء قائد الثورة في أول يوم من أيامها الى كل مصرى : « ارفع رأسك يا أخي » .

١ ـ ولعل أول الخصائص التى يجب ابرازها في ثورتنا هي انها جمعت من بدايتها ـ لا في مراحل لاحقة كما فعلت ثورات أخرى ـ بين الثورة السياسية والثورة الاجتماعية ، بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية . فأكثر الثورات الكبرى التى سجلها التاريخ كانت لها جذور اجتماعية واقتصادية ، ولكنها اقتصرت في انفجارها على تغيير الاوضاع السياسية وأغفلت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، فكانت النتيجة الحتمية لهذا الانفصال ان ظلت الشعوب التى ثارت راكدة في ذات الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى حركت فيهم من قبل عزيمة الثورة .

ولنعرض على سبيل المثال لثلاث من هذه الثورات الكبرى ، ولننظر كيف بدأت وكيف انتهت .

(ا) الثورة الفرنسية: مظالم اجتماعية واقتصادية صارخة : اقطاع في أسوأ صوره ، طبقة ارستقراطية محدودة العدد والنطاق ، استولت قرونا متعاقبة على مقاليد السلطان في الدولة واستحوذت على مصادر الثروة القومية ، تتمتع فيهما بامتيازات وراثية قررها القانون ، ثم لا تساهم في اعباء الدولة فهي معفاة من الضرائب التى لاتقع الا على سواد الشعب الكادح حتى طبقة رجال الدين وثروات كنائسهم لاتؤدى ضريبة . جماهير الشعب وحدها ينوء كاهلها باعباء الضرائب الفادحة ، وكاد العامل أن يكون أسيرا في يد صاحب العمل ، والزارع أن يكون رقيقا في قبضة صاحب الأرض ، وفوقهم جميعا ملك ينادى بأعلى صوته : « أنا الدولة » .

هذه الكلمة كانت شعار لويس الرابع عشر . ولما اشتد غضب جماهير الشعب في عهد لويس السادس عشر ، دعا في سنة ١٧٨٩ مجلس البرلمان للانعقاد ، لعل انعقاده يطفىء بعض السخط المتأجج في جماهير الشعب ، بعد ان عطل ملوك فرنسا هذا المجلس منذ سنة ١٦١٤ .

أتدرى كيف كان تشكيل هذا المجلس المفروض فيه تمثيل الشعب كله ؟ كان مشكلا من ثلاث فئات: فئة تمثل الطبقة الارستقراطية ، وفئة تمثل حلفاءها من رجال الكنيسة ، وفئة تمثل عامة الشعب . ولكل فئة ثلاثمائة نائب ، عدد متساو من النواب عن كل طبقة . ولكن نواب الطبقة الارستقراطية كانوا ينوبون عن ناخبين لايتجاوز عددهم اربعمائة الف ، ونواب طبقة رجال الدين ينوبون عن ناخبين لايتجاوز عددهم مائة الف . أما الفئة الثالثة من أعضاء هذا المجلس فكانت تمثل جمهور الشعب وتعداده يومئذ ستة وعشرون مليونا .

ثلث المجلس ينوب عن ٢٦ مليونا وثلثاه ينوبان عن نصف مليون ، فهل يرتجى من مجلس مشكل على هذا النحو ان يسن من التشريعات ما يكشف عن الشعب ما كان يكابده من مظالم اجتماعية ؟

ومن هنا كان الانفجار الساحق ، ومن هنا اندلعت الثورة الفرنسية ٠

وتعاقبت دساتير الثورة ، وكلها اقتصرت على تقرير الحريات السياسية وغفلت عن ذكر الحريات الاقتصادية ، فوضعت بذلك اكبر عقبة فى سبيل تمكين الشعب من استعمال حرياته السياسية ٠ واكتشف الشعب ان هذه الحريات السياسية التى اكتسبوها بنضالهم الثائر لاتجدي نفعا فى ظل عبودية اقتصادية ٠

(ب) الثورة البريطانية : ثورة (كرومويل) فى بريطانيا فى منتصف القرن السابع عشر ٠ كانت ثورة سياسية استهدفت تغيير نظام الحكم وخلع ملك مستبد ٠ ولكن كانت لها جذور اجتماعية ، فان الذى جمع أفواج الشعب حول « كرومويل » لتقاتل جنود الملك وتنزله عن عرشه انما كانت المظالم الاجتماعية التى صبها الملك وأعوانه على جمهور الشعب ٠ ثم عادت الملكية من جديد ولكن فى ظل برلمان له الكلمة العليا ٠ ولكن تشكيل البرلمان جاء غير ممثل لجماهير الشعب ، فقد اشترط فى الناخب ان يكون ذا نصاب مالى معين ، وبهذا القيد تم اقصاء شطر كبير من الشعب عن المساهمة فى انتخاب من يتولون أمرهم فى مجلس الحكم ، وبالتالى أصبح هؤلاء لايمثلون الا ناخبيهم وهم الطبقة ذات الثراء ٠ وبعد نحو قرنين من الزمان ، وتحت ضغط جماهير الشعب ، رفع قيد النصاب المالى فى الناخب ، واصبح الشعب كله ـ رجاله ونساؤه ـ يملكون حق الانتخاب ٠ ويومئذ حسب الشعب البريطانى انه قد وضع اقدامه على أول طريق الديمقراطية السليمة ، وانه واصل حتما الى مداه ، فاذا القابضون على مقاليد الثروة القومية يزحفون عليه من الباب الخلفى بأسلحة جديدة ـ الحزبية وقواها المالية ـ لتصد كثرة الشعب عن حرية ممارسة ديمقراطيته السياسية ٠

وذلك هو المآل الحتمى لكل ديمقراطية سياسية سواء سجلت فى دساتير مكتوبة او غير مكتوبة ـ مادامت غير مقترنة بالديمقراطية الاقتصادية ٠ وقد وصف الاستاذ (لاسكى) سلوك هذه القوى المالية فى الديمقراطية البريطانية بالعبارة الآتية : « الطبقة المالكة للمال هى التى تصوغ مدنية المجتمع على الوجه الذى يحقق مصالحها الخاصة ، فهى التى تهيمن على اداة الحكم ، وهى التى تسن القوانين ، وهى التى تقيم النظم الاجتماعية على النحو الذى يتفق مع شهواتها » ٠

(ج) الثورة الامريكية : ثورة المستعمرات الامريكية ضد أمها بريطانيا ، فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، ثورة سياسية أدت الى انفصال هذه المستعمرات لتكون دولة الولايات المتحدة الامريكية٠ ولكن حافز الاستقلال السياسى أين كان منبته ؟ كان منبته ـ وظلت تغذيه أكثر من قرن كامل ـ مظالم اجتماعية واقتصادية كانت تصبها الدولة البريطانية على أبنائها النازحين الى القارة الجديدة ٠

ووضع رجال الثورة الامريكية دستورهم ، واقتصروا فيه على تسجيل الحريات السياسية التى يجب أن يتمتع بها كل مواطن ، وغفلوا عن دعمها بالحريات الاجتماعية والاقتصادية فماذا كانت النتيجة ؟ جاءت الحزبية ومن ورائها القوى المالية فافسدت كل معنى للحريات السياسية ٠

جاءت الحزبية بحجة العمل على تنظيم استعمال الجماهير لحقهم الانتخابى ، وهدايتهم الى اصلح النواب والولاة ، ثم تولت القوى المالية مقاعد القيادة فى هذه الاحزاب ، بما لها من قدرة على تمويل نشاطها ودعاياتها ومعاركها الانتخابية ، فنجحت فى توجيه الناخبين الى استعمال حقهم الانتخابى على النحو الذى يخدم المصالح الذاتية لتلك القوى المالية ٠

ثم زحفت القوى المالية بوسائل الاعلام التى سيطرت عليها ، فسخرتها فى كبت الحقائق التى تريد اخفاءها عن جماهير الشعب ، وتشويه مالا تستطيع كبته منها ، حتى لاتجد الجماهير سبيلا الى استجلاء الحقائق ليختاروا على ضوئها من يمثلهم تمثيلا يكفل مصالحهم المشروعة ويحقق لهم الخير والعدالة التى يرتجونها من تطبيق الديمقراطية السياسية ، فظلوا لايعرفون وجه الحق فى سياسة حكوماتهم الا على الصورة التى زيفتها أحزابهم السياسية بتوجيه تلك القوى المالية ٠

ويكفى فى التدليل على مدى سيطرة هذه القوى المالية على اداة الحكم الامريكية ان نقتبس ما يقرره احد اقطابهم **(وليام هيرست)** : «نحن مازلنا نحتفظ

بشكل حكومتنا الجمهوري ، ولكن من الذي يسيطر على اللجان التي تختار المرشحين ؟ الشركات · من الذي يسيطر على المؤتمرات الانتخابية ؟ الشركات · من الذي يسيطر على أجهزة الانتخـــاب ؟ من الذي يسيطر على الذين يفوزون في الانتخابات ؟ الشركات أحقا يصير نوابنا ممثلين للشعب ، أم هم فعلا ممثلون للشركات ؟ ليجب اى امرىء اجابة صادقة على هذا السؤال : أحكومتنا مازالت حكومة للشعب وبواسطة الشعب، ام هي حكومة لطبقة خاصة تقبض على زمامها وتدير دفتها ؟ » ·

ويقول (**تونستدمارتن**) أحد اقطاب هذه القوى المالية ، يباهي بسيطرتها الشاملة : « نحن لانبالي من من الاحزاب تولى الحكم ، ولا من من الرؤســا تبوا مقعد الرياسة · نحن لسنا رجال سياسة او رجال فكر ، انما نحن رجال المال نمتلك امريكا ، ولايدرى الا الله كيف امتلكناها ، ولكنا نحرص كل الحرص على الاحتفاظ بما امتلكناه · وسبيلنا الى ذلك هو القـاء تاييدنا الضخم ، ونفوذنا المســـيطر ، واتصالاتنا السياسية ، ومن اشتريـنـــاهم من اعضاء مجلس الشيوخ واعضاء مجلس النواب ، ومن نستأجره من كتاب وخطباء شعبيين ـ القاء كل هذا في كفة الميزان ضد كل حركة تشريعية ، أو وثبة اصلاحية ، أو حملة انتخابية رياسية ، تهدد سلامة ما نمتلك » ·

وهـــذا هو المآل الحتمي لكل ديمقراطية سياسية تنعزل باحكامها عن أحكام الديمقراطية الاجتماعيــة والاقتصادية ·

وهذا هو الدرس الاول الذى سجلته ثورتنا في التفكير السياسي المعاصر :

« لقد تميزت ثورتنا ، منذ يومهـا الأول ، بانها كانت ثورة سياسية وثورة اجتماعية في وقت واحد· انها كانت بحق ثورة رائدة في فلسفتها الشاملة ، وفي ادراكها لوحدة الحيـاة بجوانبها الانســـانية المتكاملة » ·

« وكان لابد لنا أن نسير في طريق الثورتين معا ، ويوم سرنا في طريق الثـــورة السياسية ، فخلعنا فاروق عن عرشه ، سرنا خطوة مماثلة في طريق الثورة الاجتماعية ، فقررنا تحديد الملكية · ومازلت حتى اليوم اعتقد أنه ينبغي أن تظل ثورة ٢٣ يوليه محتفظة بقدرتها على الحركة السريعة والمبادأة · لكى نستطيع أن نحقق معجزة السير في ثورتين في وقت واحــد » ·

٢ ـ ولكن لماذا جاءت أكثر الدساتير الديمقراطية المعاصرة ـ اذا استثنينا بعض الدساتير التى صدرت في اعقاب الحرب العالمية الثانية ـ مغفلة لمطـــالب الديمقراطية الاقتصادية ومهدت بذلك لتشويه مدلول الديمقراطية الشامل والانحراف عن هدفها الاصيل ؟ وهل حدث ذلك عن عمد او عن غير عمد ؟ في اعتقادى الذى يؤيده الواقع أنه حدث عن عمد ·

واهم العوامل الى أدت الى هذا الاحجام المتواتر عاملان :

«العامل الاول» كان في كيفيــة وضع هـــذه الدساتير . فقـد عهـدت هـــذه الدول في وضع دساتيرها الى جمعيات تأسيسـية تنتخبها الاحزاب القائمة . وكانت هـــذه الاحزب تتألف في كثرتهـــا الغالبة من ذوى النفوذ والمال ، وكانت قيادتهـــا الموجهة تتركز في اقطاب هذه الطبقة التي حرصت على ـ اســتبقاء امتيازاتهـــا الفعلية ـ ان لم تكن قانونية ـ في ظل الدســـاتير الجديدة · فخرجت الدساتير من يدى هذه الجمعيات التأسيسية وهي خادمة لصالح هذه الطبقة ، ومغفلة لصـالح سائر طبقات الشعب : دساتير تمنح الحريات السياسية لكل مواطن ، ثم تحول بينه وبين القدرة على استعمال هذه الحريات ، باقرارها الأوضـــاع الاقتصــــادية السائدة ، والتي من شأنها أن تدمغ كثرة الشـعب بعبودية اقتصادية للقلة من اقطاب المال ·

ولست أرى تصويرا ابلغ لهـذه الخديعة من قول الميثاق : « ان حق التصويت فقد قيمته حين فقد اتصـاله المؤكد بالحق في لقمـة العيش · ان حرية التصـــويت من غير حرية لقمة العيش وضـمانها فقــدت كل قيمة واصــبحت خـديعة مضـــللة للشعب » .

وهكذا اقامت هــذه الدســـاتير ديمقراطيـــة سياسـية عارية من مطالب الديمقراطية الاقتصادية، فكانت النتيجـة محـق كل خير فيها ، واحبـــاط آثارها المرجوة في توجيـه سياســـة الحكم الى مصلحة الشعب في مجموعه ·

« **العامل الثـاني** » كان حتمية نظام الانتخـاب ·

فالشـــعوب الحديثة تزخر بالملايين ، ولا يمكن اجتماع هـذه الملايين فى صـعيد واحـد لتبت فى شئونها ، فوجبت النيابة ، ووجب النظام النيابى : مواطن واحـد ينـوب عـن عشرات الألوف مـن المواطنين . وهنا اندفعت هذه المجتمعات الى أسوأ الوسائل فى اقامة نظامها النيابى بما عملت اليمين تفتيت الأمة الى شيع تنتمى كل شيعة الى حزب لكل حزب اهدافه ومصالحه الخاصة ، ثم تتصارع هذه الأحزاب على كراسى النيابة ، يريد كل حزب ان تكون له الكثرة فيها حتى تكون الغلبة لاهدافه على أهـداف الأحزاب الاخرى ، ولمصـالحه على مصالح الاحزاب الاخرى . ولا يتورع اى حزب ـ لكسب الظفر فى هذا الصراع ـ من التنكر لما يجب ان تكون عليه أهداف الأمة فى مجموعهـا . وقد لا يحجم فى فترة التطاحن الحزبى عن التضـحية بمصالح الأمة فى مجموعها ، وسنأتى بأمثلة واقعية لمدى ما وصل اليه هذا الانحدار الحزبى فى بعـض الدول . اما الأمة فيختلط عليها الأمر ، ويلتبس الحق بالباطل ، لكثرة ما أضلتها الدعايات المتباينة من الأحزاب المتصارعة . ولما كانت القوى المالية هى المسيطرة على هذه الأحزاب فانها تمكنت بفضـل هذا السلطان المالى من السيطرة على جميع وسـائل الاعلام ، فصار الشـعب لا يعرف من الحقائق الا ما تجيزه هذه القوى .

وفى هذا المعنى يقول الميثاق : « ان من الحقائق البديهية التى لا تقبل الجدل أن النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للأوضاع الاقتصادية السائدة فيه ، وتعبيرا دقيقا للمصـالح المتحكمة فى هذه الأوضاع الاقتصادية . فاذا كان الاقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود بلدا من البـلدان فمن المحقق ان الحرية السياسـية فى هـذا البلد لا يمكن أن تكون الا حرية الاقطاع . انه يتحكم فى المصالح الاقتصادية ويملى الشكل السياسى للدولة ويفرضه لخدمة مصالحه ، وكذلك الحال عندمـا تكون القوة الاقتصادية لرأس المال المستغل » .

« د . محمد عبد الله العربى »

يتبع

ثورتنا ثورة أصيلة..

للدكتور : سليمان الطماوى
رئيس قسم القانون العام بكلية حقوق جامعة عين شمس

ان التفرقة بين الثورة بالمعنى السياسي والثورة بالمعنى الاجتماعي قد غدا من قبيل المسلمات ، والثورة بالمعنى السياسي تستهدف تغيير الفئة الحاكمة دون أن تكون غايتها احداث تغيير جذرى فى الاوضاع الاجتماعية . أما الثوره بالمعنى الاجتماعي فهى التى تستهدف تحقيق تغيير جذرى بقصد تحقيق حياة أفضل للمواطنين . والعادة أن تسبق الثورة السياسية الثورة الاجتماعية ، ولكن ظروفنا الخاصة قد حدت بنا ـ كما يقول السيد الرئيس فى كتاب فلسفة الثورة ـ أن نعيش الثورتين معا ، ومن هنا كانت صعوبة تحقيق اهدافنا فى كافة الميادين . ومن هنا أيضا اكتسبت ثورة ٢٣ يوليو طابعها الرائد الذى جعلها قدوة للكثيرين .

ومن المعروف ايضا أن الثورة بالمعنى الاجتماعي لا بد لكى تنجح من أن تكون لها نظرية عمل ثورى تستهدى بها فى طريق البناء ، وتكون دليلا للعمل بالنسبة للقاعدة وبالنسبة للقمة . ولما كان العالم فى فترة التحول الكبرى التى يجتازها بعد أن طحنته الحرب العالمية الثانية بأهوالها وشرورها ـ يموج بمختلف أنواع الثورات لاسيما الثورات الاجتماعية، فان ابراز خصائص ثورتنا المصرية العربية هو أمر جوهرى لكفالة وضوح الرؤيا حتى لا ينحرف العمل الثورى على الصعيد العربي الى اليمين أو الى اليسار بقصد أو بلا قصد . ولقد سجل تقرير الميثاق المعنى الذى تشير اليه حيث يقول : « لقد ألقى الميثاق الاضواء الكاشفة على طبيعة نظامنا فأوضح بصورة قاطعة الفروق القائمة بينه وبين النظم الاخرى ، وكشف طريقه الممتد نحو المستقبل ، بحيث يكون من الخطأ محاولة كشف هذا الطريق فى ضوء تعاليم أى نظام آخر . وسوف نحاول فى هذا المقال أن نوجز خصائص نظريتنا الثورية فى ضوء الميثاق وتقريره.

اول خصائص نظريتنا الثورية أنها نظرية ثورية غير منقولة . ومعنى هذا أنها مستمدة من حاجة البيئة العربية فى ضوء تاريخنا البعيد وتجاربنا الماضية والحاضرة وفى ظل التجارب المشابهة فى البلاد التى مرت بتجارب وظروف تشبه ما نمر به من تجارب وظروف . وأصالة الميثاق واستقلال الفلسفة التى يقوم عليها بذاتيتها لا تعنى انفصاله عن التجارب الأخرى ولا تحتم التنكر لما تقوم عليه هذه التجارب من فلسفات أو التسليم بخطئها ، لأن ثورتنا العربية ترى ان من أول مقومات النجاح فى العمل الثورى توافر « فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية يأخذ منها ويعطيها ، لايصدها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد » . ويجب أن يكون مفهوما من ناحية أخرى أن أصالة نظرية ثورية معينة لا يعنى مجرد تميزها عن غيرها من النظريات الثورية ، ولكن أصالتها تعنى عدم تقيدها بأفكار محددة سلفا ، وأنها قد صيغت أساسا لمواجهة الظروف المحلية . أما الاصالة بمعنى التجديد الكامل فلم تتحقق حتى بالنسبة لأكثر النظريات أصالة فى العالم ، لأن الحقيقة التى لا يمكن انكارها ان الفكر البشرى يكمل بعضه بعضا ، وأن كل مفكر ـ مهما كانت مساهمته فى التجديد ـ انما يتأثر بما سبقه من أفكار . وعلى هذا الاساس كانت أصالة النظرية الثورية العربية لا تعنى عدم التقاء أفكارها الثورية مع بعض النظريات الاخرى السابقة أو المعاصرة . ويجب أن يكون واضحا أن هذا الالتقاء أو التشابه أو الخلاف ليس مقصودا لذاته وانما جاء لمناسبته أو لعدم ملاءمته لظروفنا المحلية . ومن ثم فان من الخطأ الجسيم ـ وهو ما نوه به الميثاق وتقريره فى أكثر

من موضع ـ أن تتخذ مواضع الشبه بين نظريتنا الثورية وبين النظريات الاخرى كدليل للادعاء بأن نظريتنا مستمدة من تلك النظريات ، وبالتالي يجب أن تفسر في ضوء أحكامها ومفاهيمها ٠

وثاني خصائص نظرية العمل الثورى العربية أنها مرنة ، فاذا كانت الحاجة الى نظرية ثورية كدليل للعمل الثورى أمرا لا شك فيه فانه من الواجب الا تصبح النظرية قيدا على العمل الثورى والا خرجت عن معناها ووظيفتها ، وبهذا المعنى يقول الميثاق فى أول أبوابه : « ان الميثاق ليس قيدا على الدفع الثورى أو الارادة الشعبية يحد من حركتهما وانما هو الاطار الذى يرسم الابعاد الرحبة للعمل من أجل المستقبل ، ويضمن للشعب القدرة على الحركة السريعة نحو أهدافه الثورية ، ويترك بذلك المجال فسيحا لتنمية الثورة واستمرار دفعها » ٠ والحقيقة انه فى اللحظة التى يتبين فيها أن نظرية ماقد صارت قيدا على العمل الثورى فانه يتبين فساد هذه النظرية ويتعين فحصها من جديد ٠ اما أن تحاول تسيير الامور قسرا لتطابق نظرية ثبت فسادها فان ذلك يعد من أخطر ما يهدد العمل الثورى فى أساسه ٠ وفى هذا المعنى يقول الميثاق : « ان التسليم بوجود قوانين طبيعية للعمل الاجتماعى ليس معناه القبول بالنظريات الجاهزة والاستغناء بها عن التجربة الوطنية ٠ ان الحلول الحقيقية لمشاكل أى شعب لا يمكن استيرادها من تجارب شعوب غيرها ٠٠٠ كذلك فان الحرية الاجتماعية أى الاشتراكية ليست التزاما بنظريات جامدة لم تخرج من صميم الممارسة والتجربة الوطنية ٠٠٠ » ٠

وعلى هذا الاساس كان الميثاق باعتباره نظرية للعمل الثورى ملزما بما جاء فيه ، ولكن مراجعته فى ضوء مايسفر عنه التطبيق العملى هو أمر حيوى ، وبهذا المعنى يجب أن يفهم قول السيد الرئيس ان الميثاق سيكون محلا للمراجعة فى سنة ١٩٧٠ ٠ فالمقدمة أن الميثاق جاء وليد التجربة والحكم عليه مستقبلا يكون أيضا خاضعا للتجربة ٠

الخاصية الثالثة أنها ثورة شاملة ، وبهذا المعنى يقول تقرير الميثاق : « لقد تميزت ثورتنا منذ يومها الاول بأنها كانت ثورة سياسية وثورة اجتماعية في وقت واحد٠ انها كانت بحق ثورة رائدة في فلسفتها الشاملة وفي ادراكها لوحدة الحياة بجوانبها الانسانية المتكاملة » ٠ ويتجلى الطابع الشامل لثورة ٢٣ يوليو فى شعارها الكبير الذى صاغه الميثاق كما يلى : « ان عهودا طويلة من العذاب والامل بلورت في نهاية المطاف أهداف النضال العربى ظاهرة واضحة ، صادقة فى تعبيرها عن الضمير الوطنى للأمة ، وهى الحرية والاشتراكية والوحدة»٠ وبالنظر الى هذا الطابع الشامل اضطر الميثاق وتقريره ـ الذى يعتبر جزءا مكملا له ـ الى بلورة الفلسفة الثورية فى كافة المجالات ، لاسيما :

اولا : الاشتراكيه العربية ، وقد حرص تقرير الميثاق على ابراز معالمها على النحو التالى ٠

لقد انتهى التطبيق الاشتراكى فى بلادنا الى اقامة اشتراكية عربية متميزة : (١) فهى تؤمن بالله وبرسالاته وبالقيم الدينية والخلقية ، ومن ثم فلا محل لفكر مادى الحادى فى نطاق اشتراكيتنا العربية (٢) وهى تؤمن بالجماعة وتقدم مصالحها على كل اعتبار آخر ، ولكنها فى الوقت نفسه تحترم كرامة الانسان وحرية الفرد (٣) وهى اذ تسعى لتحقيق الكفاية لا تضحى بالجيل الحاضر فى سبيل رفاهية الاجيال القادمة ، وانما تقيم التوازن بين تضحيات الاجيال المتلاحقة (٤) وهى تؤمن بالملكية الفردية غير المستغلة وبحق الارث الشرعى وبالمبادرة الفردية الخلاقة التى لا تنحرف عن المصلحة العامة ، وهى فى هذا تختلف عن الاشتراكية التى تلغى الملكية الفردية لوسائل الانتاج الغاء تاما (٥) وهى تؤمن بوحدة الشعب وسيادته فلا تسمح بدكتاتورية اية طبقة أو سيطرتها ، وانما تعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات (٦) وهى تؤمن بحل المتناقضات الطبقية حلا سلميا فتنكر العنف وسيلة لحل هذه المتناقضات (٧) وهى فى أسلوب عملها اشتراكية علمية تعتمد في تحقيق الكفاية والعدل على الاسس

العلمية ، وعلى كل ما وصل اليه العلم الحديث من نتائج • وانتهى تقرير الميثاق من ذلك ، مرددا ماورد بالميثاق قائلا : « ان الشيوعية ليست اذن هي البديل الوحيد للطريق الرأسمالي• لقد حتمت علينا ظروفنا وقيمنا ومبادئنا سلوك طريق يختلف عن الطريقين الآخرين معا ••• ان على القيادات الشعبية والفكرية وعلى أجهزة الدولة ان تقوم بحماية اشتراكيتنا من الانحرافات التي يعمل لها الانتهازيون والعملاء •••

ثانيا : الديمقراطية ، ولقد حرص الميثاق على أن ينعتها بوصف «السليمة» تمييزا لها عن الديمقراطية الزائفة أو ديمقراطية الواجهات التي كانت سائدة في ظل تحالف الاستعمار والاقطاع قبل الثورة ، وأبرز معالم الديمقراطية السليمة التي أوردها الباب الخامس من الميثاق انها تربط بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية، لان الديمقراطية الاجتماعية هي المدخل الحقيقي للديمقراطية السياسية • وأنها تستبعد سيطرة أية طبقة من الشعب على باقي الطبقات ، وتعمل على أن تكون الديمقراطية للشعب العامل كله ••• وأنها تقيم تحالف قوى الشعب العامل المكون من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ليحل محل تحالف الرجعية ورأس المال المستغل ، على أن يتم هذا التحالف في صورة تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي ••• وأنها تعمل على التمكين للتنظيمات الشعبية خصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية من القيام بدور مؤثر وفعال في ارساء أسس الديمقراطية السليمة •• وأنها تعمل على تيسير النقد والنقد الذاتي باعتبارهما من اهم ضمانات الحرية ، وذلك عن طريق توفير أوثق الضمانات لحرية الاجتماع وحرية المناقشة وملكية الشعب للصحافة •• وأخيرا فانها تعمل على فرض المفاهيم الثورية الجديدة للديمقراطية السليمة في الحدود التي تؤثر في تكوين المواطن ، وفي مقدمتها التعليم والقوانين واللوائح الادارية •

ثالثا : القومية العربية ، بالرغم من أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد اندلعت أساسا في مصر فانها قد أدركت منذ اليوم الاول الطابع العربي لمصر ، وأن الثورة العربية الشاملة لن تتحقق الا اذا قامت على أساس من القومية العربية ، بل ان الميثاق حرص على أن يوضح أن من الاسباب الجوهرية لفشل ثورة ١٩١٩ : « ان القيادات الثورية في ذلك الوقت لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ أنه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية وبين القومية العربية • لقد فشلت هذه القيادات في أن تتعلم من التاريخ ، وفشلت أيضا في أن تتعلم أيضا من عدوها الذي تحاربه ، والذي كان يعامل الامة العربية كلها على اختلاف شعوبها طبقا لمخطط واحد » •

رابعا : الثورة والسياسة الخارجية • لقد وضع الميثاق ثلاثة خطوط عميقة للسياسة الخارجية باعتبارها انعكاسا أمينا وصادقا للعمل الوطني، وهي (١) الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه في جميع أقنعته ومحاربته في كل أوكاره (٢) العمل من أجل السلام ، لأن جو السلام واحتمالاته هي الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطني (٣) التعاون الدولي من أجل الرخاء ، لأن الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة ، كما أنه أصبح في حاجة الى التعاون الجماعي لتوفيره •

ثم ان سياستنا الخارجية تقوم على أساس الايمان بوحدة عربية ، وبجامعة افريقية ، وبتضامن أسيوي افريقي ، وبرباط روحي وثيق يشد الوطن العربي الى العالم الاسلامي ، كما يؤمن بانتماء الامة العربية الى الأمم المتحدة ، وبولائها لميثاقها « الايمان بهذا كله لا يتعارض مع بعضه ولا يتصادم ، وانما هي حلقات سلسلة واحدة » •

أما الخاصية الرابعة للثورة العربية فتتمثل في طابعها المعتدل والانساني ، فبالرغم من ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هي ثورة شاملة كما ذكرنا تستهدف خلق المجتمع من جديد فانها كانت منذ أول ساعاتها ثورة انسانية معتدلة في كافة المجالات التي امتد اليها اشعاعها • ولم يكن اعتدالها بحثا عن الحلول الوسطى ، وانما هو صورة من مزاج هذا الشعب الذي كان انسانيا في جميع عصوره • ويمكن ادراك الطابع الانساني المعتدل للثورة من الملامح التالية :

(١) أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت ثورة بيضاء،

فلم تصاحبها موجات من حمامات الدم التى صاحبت غيرها من الثورات التى سجلها التاريخ قديما وحديثا (٢) ايمان الثورة بالصراع السلمى بين الطبقات ورفضها مبدأ سيطرة طبقة بعينها على باقى طبقات الشعب (٣) ايمان الثورة بضرورة اقامة موازنة بين حاجات المجتمع المادية وحاجاته الروحية والمعنوية أو كما يقول الميثاق : «اذا كانت الاسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد» (٤) رفض الثورة لفكرة التضحية بجيل فى سبيل التقدم ، ولهذا حتم الميثاق اقامة توازن بين حاجات التصنيع الثقيل وحاجات الاستهلاك ، ذلك أن حرمان جماهير شعبنا طال مداها: «وتجنيدها تجنيدا كاملا لبناء الصناعات الثقيلة واغفال مطالبها الاستهلاكية يتنافى مع حقها الثابت فى تعويض حرمانها الطويل» . (٥) النظرة العالمية للثورة : فبالرغم من المشكلات الجمة والصعاب العديدة التى تواجهها الثورة داخل الجمهورية وفى نطاق الوطن العربى فانها امتدت بأبصارها الى سائر أرجاء العالم ، لتعاون فى صيانة السلام وتحقيق السعادة والرفاهية لشعوب العالم المغلوبة على أمرها ، ايمانا منها بأن البشرية واحدة وأن السلام لا يتجزأ وأن الرخاء لا يتجزأ .

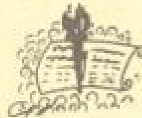
واخيرا فان الخاصية الخاصة للثورة العربية

تتمثل فى اشعاعها خارج الجمهورية ، ذلك أن أصالة الثورات تتجلى فى مدى ما تحدثه من أثر ورد فعل فى المحيط الخارجى . فمن الثورات ما يولد ويموت دون أن يحس به أحد ، ومعظم الثورات السياسية من هذا القبيل ، فلا يكاد يمر شهر دون أن يحدث انقلاب فى دول أمريكا الجنوبية ، وتحل حكومة محل حكومة وينظر العالم الى ذلك بلااكتراث. أما الثورات بالمعنى الاجتماعى ، فان أثرها لا يقف عند حد الجماعة التى تندلع فيها ، بل سرعان مايمتد الى سائر أرجاء المعمورة ، لأن أعداء الثورة من الاستعماريين والرجعيين يعملون على اخمادها بمختلف الوسائل ، بينما تتطلع الشعوب المغلوبة على امرها الى الثورة الاجتماعية الناجحة تحتذى بها وتستجدى منها العون ، ولقد تحققت النتيجتان بصورة واضحة فى حالة ثورة ٢٣ يوليو ، فلقد امتد اشعاعها البناء فى جميع أرجاء الوطن العربى ، وكانت الضوء الذى أنار السبيل أمام كثير من شعوب الامة العربية لتعرف سبيل التحرر السليم فى سورية وفى العراق وفى الجزائر وفى اليمن وفى جنوب الجزيرة ...الخ

وقد وصلت معظم هذه الثورات الى بر النجاة بتاييد ورعاية الثورة الأم فى الجمهورية العربية المتحدة ، وكانت كل ثورة منها لبنة فى بناء الثورة العربية الكبرى التى سوف تظل للعالم العربى بجناحيها من الخليج الى المحيط ، بل ان أثر الثورة العربية قد امتد الى خارج نطاق الوطن العربى لاسيما فى دول افريقية وأمريكا الجنوبية .

أما موقف الاستعمار والرجعية من ثورة ٢٣يوليو فانه أوضح من أن يحتاج الى شرح فلقد حاولت الدول الاستعمارية متحالفة مع الصهيونية العالمية والرجعية العربية كبت الثورة واخمادها ، وقد بلغ ذلك ذروته فى العدوان الثلاثى المشهور ، فلما فشلت فى تحقيق اطماعها لجأت الى وسائل العمل غير المباشر بمحاولة عزل الجمهورية العربية المتحدة ، قلب الثورة العربية النابض .

« د . سليمان الطماوى »



الشرارة الأولى

للشاعر : محمود حسن إسماعيل

مع الشرارة الاولى لفجر التغيير
فى ليلة ٢٣ يولية عام ١٩٥٢

فجر « على مصر » بين النور والأمل   شق الدجى ، وسقاها صحوة الأجل
من سكرة الموت أحياها .. فخلت على   يمينه ، آية من صيحة الرسل
فى عمر طيف الكرى ، هبت ممزقة   ليل الردى ، بشهاب مارد الأمل
كانت معصبة الايام .. تحسبها   ضريرة لاطمتها حيرة السبل
تناهشتها رياح الظلم ، واصطخبت   على خطاها دواهى الرق ، والعلل
وزورتها يد الطاغين ، راضية   فى هداة الذل ، أو فى غشية الملل
والله يعلم ما يفرى سرائرها   من ثورة اججتها ضيعة المثل
ومن لهيب ، أحال البطش جذوته   فى غضبة الناس ، ذعرا دائم الوجل
صبارة .. لم تدع شكوى ولا عرفت   تحت العواصف الا وقفة الجبل
ساقوا الجراح لها ، من كل باغتة   كانت حقائقها ادهى من الخبل
كم حرروا الارض زورا فى منابرهم   والقيد يرزم فى تابوته الزجل
وقبلة الخطو للاغلال ، ناجرة   من المقاصير ، عن تاريخها وسل
قامت بقوت الحيارى ، او بادمعهم   أجرت جداولها فى المرتع الخضل
وغاضب لضياع الحق ، أورده   اصراره مورد الاجرام والزلل
ساقوه للسجن مغلولا بغضبته   كأنما الحق اثم يانع الخطل
وتاجر بسلاح المجد ، لعنته   ان زال كل اسى فى الارض لم تزل
ساق المدافع للميدان ، هامدة   بكماء ، تجنح للتهويم والكسل
دوى النفير ، فشقت صدر ضاربها   لتستجير بباس الضارب البطل
فضائح تخجل التاريخ سيرتها   شبوا لظاها جنازات من الخجل !
الله أكبر !! لم تمهل يداه فقى   للظالمين بما كالوا على عجل
حان القصاص ، فلفتهم ضمائرهم   فى حالك من ظلام البغى منسدل
ناموا على غفلة الأوهام ، وانتبهوا   على نذير بصوت الله متصل
من مهجة الشعب أو من سر غضبته   هبت لهم بغتة أمضى من الأجل
فى ثورة لم تر الشطآن فجآتها   ولا وعاها الثرى من حالك الأزل
بيضاء دوى نفير الفجر من يدها   ودفق النور مسراها الى الدغل
فى مثل وهم الصدى ، كانت مدوية   بالنصر والحق والايمان والأمل
خر الطغاة ، ودك البغى واندثرت   فى ذره ، قصة الأسياد والهمل !
ومزق الشعب ذلا ، كان يرهقه   به الجبابر من حكامه الأول ..
الله أكبر ! شقت مصر وقفتها   وارعشت بخطاها شاهق القلل
فى كل يوم تهز الشمس وثبتها   بنشوة الصحو ، والتغيير ، والعمل

جمال عبد الناصر

والعروبة

تبين فى المقال السابق أن العروبة عقيدة أصيلة راسخة فى أعماق جمال عبد الناصر ، وأنها محور سياسته ، والباعث على مؤازرته للجزائر وللعراق وللسودان ٠

وهذا المقال تكملة لبعض جهوده فى تحرير العرب ٠

٥ ـ مناصرة اليمن :

هبت ثورة اليمن على الحكم الجائر المتخلف المعوق لليقظة ، القاضى على مظاهر الحياة الـكريمة اللائقة بالانسان ، وكان تربص واعتداء من الاستعمار وأعوانه بهذه الثورة ، فأسرع جمال الى مساندتها ، وسارع الى حمايتها ، تطبيقا لعقيدته فى مناصرة الأحرار على الظلم وعلى الاستعمار ، وتطبيقا لجهوده فى مؤازرة العرب على التحرير والنهوض ، وتحقيق حياة مجيدة تليق بهم وبماضيهم العظيم ٠

ولقد كانت مناصرته لثورة اليمن بالســلاح والرجال والمال جهادا رائعا موفقا أملته الحاجة ، واقتضاهواجب الأخ الكبير القوى نحو اخوته الذين ثاروا ، ليسترجعوا الحرية والـكرامة بعـد عهـد مظلم طويل ، بل ليستردوا الحياة بعد ان اماتتهم الرجعية أحقابا طوالا ٠

ولم يكن يدور بخلد اعداء الثورة اليمنية أن عبد الناصر سيسبقهم الى العمل الجاد الحاسم ، ويحبط كيدهم ، ولعلهم ظنوا أنه سيكتفى بنداء يعلنه ، أو تأييد ، يذيعه ، ثم لا يتجاوز هذا الحد ، متذرعا بأنه لا يرضى أن يسفك سلاح عربى دما عربيا ٠

ولكنهم فاتهم أن القتال هنا جاد لامندوحة عنه، لأنه مناصرة للحق على الباطل ، ومؤازرة للخير على الشر ، وحمـاية للجيل الحاضر والأجيال القادمة من بغى الحاكم ، وعدوان الظالم ، وويلات التخلف فى جميع مرافق الحياة ، ثم انه نجدة للمستغيث ، وانقـاذ للملهوف ، ونصرة للمظلوم ، وتمهيد لتحرير البلاد العربيـة التى لا تزال ترزح تحت أثقـال الرجعية والاستعمار ٠

لهذا كانت الحرب فى اليمن دفاعا لاعدوانا ، وحماية للحرية والأحرار لا طغيانا ، وواجبا لا مفر منه ، وضرورة لا مندوحة عنها ، فكانت بهـــذا كله عملا عظيما فى ميدان القومية العربية ٠

ولقد أفصح الرئيس عن هذا فى الخطاب الذى ألقاه فى جموع القوات المسلحة العائدة من اليمن اذ قال :

« أيها الرجال :

ان تضحياتكم تفرض علينا جميعا تبعات لا ينبغى أن يلحقها وهم أو تفريط ، مهما تكن الظروف ٠

وانى لأذكر أمامكم مسئوليتين تتقدمان غيرهما :



للدكتور : أحمد الحوفى

الأولى : هي أننا نريد السلام ، لكننا نريد السلام على الارض العربية ·· سلاما عربيا ، لا يسكت على العدوان ، ولا يقبل انتهاك حرمة أرض عربية ، وتسليمها لقواعد العدوان الدخيلة على أرض العرب·

ان السلام الذى لا يمكن أن يكون على الأرض العربية سلام غيره ، هو السلام الذى يعود به الحق الى أصحابه في فلسطين ·

ولن نقبل مهما كانت الظروف سلام الامر الواقع، لأن هذا السلام ليس سلاما حقيقيا ، بل هو عدوان يتستر ضلالا بأردية السلام ، ولن تقبل أمتنا اى ضلال ·

ان السلام الذى تريده الامة العربية على ارضها لا يمكن الا أن يكون سلاما عربيا فى ثناياه ، وفي أهدافه ، وفي ارادته ولن تستطيع قوة من القوى أن تفرض علينا ما تسميه سلاما ·

والمسئولية الثانية : هي أن النصر الذى تحقق بتضحيات الرجال وبدمهم الطاهر الذى تدفق بذلا وعطاء هو وديعة غالية ينبغى الحرص عليها والدفاع عنها ·

ان حربكم أيها الرجال فى اليمن لم تكن مغامرة، وانما كانت نضالا ثوريا ، أمسك بالماضى ، وراح يغيره بالنار والدم ، ليكون التحول الخلاق مما كان الى ما ينبغى أن يكون ·

وانه لواجب على الامة العربية كلها أن تحمى الوديعة الغالية التى قدمتها اليها تضحيات الرجال وجودهم حتى بالحياة ، وحين تجد انحرافا مع الهوى ، أو انسياقا مع المطامع الانانية ، أو تلاعبا بالاهداف الكبرى ، فانها لاتعتبر ذلك تورطا سياسيا أو حزبيا ، وانما تعتبره اساءة الى شرف التضحيات التى بذلها البواسل من الرجال ·

وانى لواثق أن الامة العربية اذا غفرت أى شيء ، فلن تغفر أى اساءة الى شرف التضحيات العظيمة فى ميدان القتال ·

لقد كانت معركة قاسية ، لكنها كانت عظيمة ، تلك التى حاربتم فيها حتى النصر فى اليمن ·

ولم تكن قسوتها بسبب الظروف الطبيعية التى تسود اليمن نتيجة لما فرضه حكم التخلف على شعبها المناضل العظيم ، وانما كان منذ الدقيقة الاولى قرارا خطيرا وحاسما يتعلق بمبدأ كنا نضعه فوق كل اعتبار ، وهو أن السلاح العربى لن يسفك دما عربيا ·

لكن الخيار فى اليمن لم يكن بأيدينا ، اذ بدأت الرجعية تسفك الدماء بعد ثورة شعبية ناجحة قام بها شعب اليمن متخذا من جيشه طليعة لتقدمه ·

وبعد خمسة عشر يوما من نجاح الثورة ، وبعد الفرحة الشاملة ، وبعد الهدوء الكامل ، بدأ اطلاق النار على الحدود الشمالية الشرقية ، وبدأت جيوش الرجعية المرتزقة تحاول الانقضاض على الثورة انقضاضا دمويا لا يستهدف ابادة أمل الثورة فحسب ، بل يستهدف ابادة أى فرصة للحياة على ارض اليمن ·

وكانت الرجعية المطمئنة الى الحماية الخارجية والاستعمارية تتصور أنها تواجه ثورة اليمن وفى حسابها المبدأ الذى وضعناه فوق كل اعتبار ، وهو أن السلاح العربى لن يسفك دما عربيا ، وأن القاهرة لا تستطيع أن تقف مع ثورة اليمن باكثر من اصدار البيانات والنداءات ·

ولقد كان القرار الخطير الحاسم الذى واجهناه قاسيا ، لكنه كان ضرورة ، والا فاننا نسلم للرجعية بسفك الدماء على هوى مطامعها ، ونجرد المبادىء من كل سلاح بالحق يحميها ·

ولقد اتخذنا هذا القرار جميعا ، مطمئنين الى رضا الله الذى لايقبل ان يكون للظلم سلاح ، وأن يواجهه الحق بغير سلاح ·

ولقد بذلتم جميعا هناك أخلص الجهود وأكرمها ، لكى لا تسيل على أرض اليمن دماء غزيرة ، وكان سلاحكم قادرا لو تركتم له العنان أن يسيل دما بغير حساب ، لكن العقاب لم يكن غايتكم ·

لقد كنتم هناك أصدقاء للحياة ، ولم تكونوا أعداءها · وانى لأعلم أن كثيرين من شهدائنا الأبرار راحوا ضحية محاولتهم تجنب سفك الدماء ، وكشفوا أنفسهم للعراء أمام كل فرصة لاحت للسلام ·

لقد وضعتم الدعوة جنبا الى جنب مع طلقات الرصاص ، وفتحتم قلوبكم قبل أن تفتحوا نيران مدافعكم ، ووصلت رسائلكم بكلمة الهدى تسبق طائراتكم » ·

٦ ــ مساعدة الاقاليم العربية :

ولن ينسى العرب ان جمال عبد الناصر هو الذى آزر ليبيا وتونس والمغرب وغيرها من أقاليم الوطن

العـــربي على مناضـــلة الاســـتعمار وعلى الظفر بالاستقلال ، وهو الذى يناصر ثوار الجنوب وثوار الخليج ، لأن هذه كلها أجزاء من الوطن العربي ، لا يمكن اغفالهـــا ، ولا يمـكن التفريط فى حقوقهـــا ،فمعركة الجزائر معركتنا ، ومعركة الأردن معركتنا ، لأننا ان قلنـــا غير هذا نتنكر لعـــروبتنا ولقوميتنا ولمصائرنا .

مصيرى هنا مرتبط بمصير أخى فى الاردن وأخى فى لبنان وفى سورية والسودان . ومازالت القومية العربية تتقدم وتنتصر ، وتسير الى الأمام ، وهى تعرف طريقها ، وتعلم من هم أعداؤها ، ومن هم اصـــدقاؤها ، وتعـــلم أن وجودها العـــزيز فى اتحادها » .

٧ ـ الجهاد لاسترداد فلسطين :

اما حماسة الرئيس المشتعلة ، وجهاده الموصول لارجاع فلسطين العربية الى اهلها ، فقد عرفه العالم كله ، وجلجل به صوت الرئيس مدويا فى المؤتمرات السياسية ، حتى صارت قضية فلسطين المغتصبة جزءا لاينفصل من قضايا الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يمكن أن ينفصـــل عن القضـــايا العربيـــة التى تتبناها ، وتنافح عنها فى كل ميدان .

وقد كان جمـــال عبد الناصر يستطيع الرضـــا بانصاف الحلول التى عرضتها عليه أمريكا وانجلترا وفرنسا وغيرها ، فيكسب صداقتها ، أو على الأقل يكسب التخفف من عداوتهـــا ، ولكنه أبى فى كل ما عرض عليه الا الحل الطبيعى السليم ، وهو تحرير فلسطين ، وعودتها الى أهليها ، وعودتهم اليها أشرافا كرماء .

وحينما يأذن الله بعودة فلسطين الى اربابها ـ ولا شك فى أن هذا قـــريب ـ ستكون افراح العـــودة المظفرة مقرونة باسم البطل العربى جمال عبد الناصر الذى حارب على أرض فلســـطين ضابطا ، وحارب الاستعمار من أجل فلسطين ، رئيسا للجمهـــورية حربا لم يتسرب اليهـــا فتور أو ملاينة أو رهبة مما ينشأ عنها من عواقب ونتائج .

٨ ـ توحيد الصف :

ولقد كان بارعـــا أيما براعة فى دعـــوته الملوك والرؤساء العـــرب الى الاجتماع فى مؤتمـــر القمة العربى الأول فى ١٣ من يناير سنة ١٩٦٤ بالقاهرة ، اذ أثمر هذا المؤتمر عدة ثمرات ، منها تصفية الجو العربى من غبـــار الخلاف الذى أثارته الدســـائس والمطامع ، واقامة مشروعات مائية على نهر الاردن للاستفادة من مائه فى زراعـــة الارض العربيـــة ، وابطال محاولة اسرائيل تحويل مائه الى فلســـطين المغتصـــبة ، وانشاء قيـــادة عســـكرية مشـــتركة واقامة كيـــان فلسطينى ، وبذل الجهود الســـياسية المتنوعة لشرح قضـــية فلسطين للعـــالم كله ، وبناء علاقات الأمة العربية مع الدول الأخرى على أساس موقف هذه الدول من الحقوق العادلة المشروعة لشعب فلسطين .

ثم كان الاجتماع الثانى فى ٦ من سبتمبر ســـنة ١٩٦٤ بالاسكندرية ، وقد قرر بدء العمل فورا فى المشروعات العربيـــة لاســـتغلال ميـــاه نهر الأردن ، ومكافحة الاستعمار البريطانى فى المناطق العربيـــة التى مازالت بريطانيا تستعمرها وتقديم المســـاعدات لحركة التحرير فى الجنوب المحتل .

وانه ليسترعى النظر أن الرئيس جمال عبد الناصر ردد فى خطبته بالمؤتمر الثانى ماقاله فى المؤتمر الأول وهو « أن الجمهورية العربية المتحدة تشترك فى هذا المؤتمر الثانى للملوك ورؤساء العرب بنفس الروح التى حفزتها الى توجيه الدعوة للمؤتمر الأول : روح الايثار والحرص على المصير القومى المشترك »

واصـــرارحكم بوضـــوح انه ليس لدى الجمهـــورية العربية المتحـــدة أية موضـــوعات تتعلق بســـياستها الخاصـــة الوطنية او القوميـــة أو الدولية ترغب فى اقحامها على وقتكم » .

ومعنى هذا بوضوح صريح أن الدعوة الى المؤتمر مبعثها فلســـطين والعروبة ، وغايتهـــا فلســـطين والعروبة .

هذه لمحات الى بعض ماقامت به مصر فى المجـــال العربى من واجب فرضته عليها عروبتها التى تعتز بها وتحرص عليهـــا وتناضـــل فى سبيلها بقواها كلها ، ولا أرب لها الا عزة العرب ووحدة العرب .. كيان فلسطينى ، وانشاء قيادة عسكرية مشتركة .

(.. د . احمد الحوفى ..)

الثورة الاشتراكية والتنظيم السياسي

للدكتور: أحمد كمال أبو المجد

اذا كانت الثورة فى جوهرها العام تغييرا جذريا مفاجئا فى الانظمة السياسية والاقتصادية للمجتمع، فان قيام الثورة الاشتراكية ونجاحها يعنى ـ بصفة أمضى ـ وصول طلائع القوى صاحبة المصلحة فى التغير الاجتماعى الى السلطة ومواقع الحكم لتمارس من هناك مهمتها الثورية فى تغيير أسس العلاقات الاجتماعية .

غير أن وصول هذه القوى الى السلطة لا يشكل ، فى الحقيقة سوى نقطة البدء فى عملية التغيير الثورى بمضمونها الحقيقى .ومن هنا تغدو المحافظة على الثورة وضمان استمرارها المشكلة السياسية الاولى التى تواجه الطلائع الثورية المنتصرة بعد وصولها الى السلطة . ومن هنا أيضا تظهر الحاجة الى تنظيم سياسى يتولى هذه المحافظة وذلك الضمان ، عن طريق تجميعه للقوى الثورية وتنظيمه لحركتها ، ووقوفه فى وجه بقايا القوى الاجتماعية المضادة للثورة ،وصاحبة المصالح المتعارضة مع مصالحها .

غير أن الحاجة الى التنظيم السياسى فى ظل المجتمع الاشتراكى لا تنبع من هذه الحاجة الطبيعية الى حماية الثورة وحدها ، وانما تنبع من طبيعة الثورة الاشتراكية ، وطبيعة الاشتراكية نفسها . فالثورة الاشتراكية ثورة من أجل الجماهير ، والاشتراكية ـ بطبيعتها ـ نظام شعبى يقوم على سيطرة قوى الشعب العاملة على أدوات الانتاج ، ومن ثم فان الضمان الوحيد لاستمرار عملية التغيير الاجتماعى فى اتجاهها الاشتراكى الصحيح هو أن يتولى الشعب بنفسه قيادةعملية التغيير وان يتولى تنفيذها وهى امور لا يمكن أن تتم بطريقة علمية ونظامية الا عن طريق تنظيم سياسى شعبى .

وفوق ذلك كله فان مشكلة التنظيم السياسى تفرض نفسها فى كل مجتمع ديمقراطى ، باعتبارها مشكلة الشكل التنظيمى الذى يتحقق به توكيد السلطة للشعب ووضعها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه .

والتنظيم السياسى فى مجتمع اشتراكى ينبغى أن تتوافر له ضمانات ثلاثة رئيسية .

اولا : شعبيته بان يكون ممثلا لجماهير الناس .

ثانيا : اشتراكيته ، بان يكون معبرا عن مصالح القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى .

ثالثا : فاعليته ، وقدرته على الحركة ، بما يضمن له أداء دوره فى حماية عملية التحول الاشتراكى والسير بها فى طريقها .

١ ـ وفى مقام توكيد الشعبية فى التنظيم السياسى تثور المقارنات التقليديةبين نظام الأحزاب السياسية المتعددة ، ونظام الحزب الواحد ، والانظمة البديلة لهما كنظام الاتحاد الاشتراكى العربى .

والثورات الاشتراكية لاتستطيع ـ بحكم منطقها نفسه ـ ان تأخذ بنظام الاحزاب المتعددة ، بحيث يدعو بعضها الى الاشتراكية ويدعو بعضها الآخر الى أنظمة اخرى ، وذلك أن استمرار الثورة يعنى فى ذاته استمرار تصفية القوى المناهضة للاشتراكية ، واستمرار تجميع القوى الاشتراكية فى وحدة تنظيمية محكمة تتولى عملية التغيير الاجتماعى .

أما نظام الحزب الواحد فقد يبدو أكثر الانظمة بريقا أمام الثورات الاشتراكية ، وذلك بما يتيحه من تجميع القوى الاشتراكية وتمكينها من قيادة عملية التحول ، وبما يؤدى اليه من امكانيات دفع عملية البناء الاجتماعى فى حزم وسرعة لاينال منهما ما تستهلكه عمليات الصراع الحزبى والمناورات

السياسية من جهد ووقت ولهذا لم يكن غريبا ان تميل اليه معظم الدول الاشتراكية ، خصوصا فى آسيا وافريقيا ، حيث تسعى الثورة الاشتراكية ـ فى المقام الاول ـ الى تحقيق التنمية الاقتصادية ، واللحاق بركب الدول المتقدمة ، بعد سنوات او قرون من التخلف والفقر ٠

غير أن مزيدا من التأمل فى نظام الحزب الواحد يكشف عن حقيقة خطيرة تتصل بطبيعته ، فهذا النظام يقوم فى جوهره على احتكار طبقة او فئة قليلة من المواطنين للعمل السياسي ، واحتكارهم ـ تبعا لذلك ـ سلطة توجيه أجهزة الحكم ورقابتها والتأثير عليها ، اى احتكارهم ـ للسلطة ، وما يتبع احتكار السلطة ـ من احتكار عملية التغيير الاجتماعى ٠

وبعبارة أخرى قد يكون نظام الحزب الواحد ـ بمعالمه الاساسية المشار اليها ـ اسلوبا ناجحا من اساليب العمل الثورى ، وقد يكون سبيلا مؤديا الى تحقيق التنمية ، ولكنه يبقى دائما بعيدا عن أن يكون اسلوبا من اساليب العمل الديمقراطى ، لانه سبيل الى حكم الطبقة أو الاقلية وليست سبيلا الى حكم الشعب وتوكيد سيادته ٠

وبين هذه الانظمة المختلفة كان على الثورة الاشتراكية فى مصر أن تختار اسلوبها فى التنظيم السياسى ٠

واستقرت تجارب الثورة فى هذا الميدان عند نظام الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يعتبر ـ بحق ـ نموذجا جديدا من نماذج التنظيمات السياسية ٠

١ ـ ويختلف الاتحاد الاشتراكى عن الاحزاب السياسية فى ظل نظام التعدد من ناحيتين اساسيتين :

(أ) فهو من ناحية تنظيم سياسى وحيد ، يعمل بعيدا عن المنافسة والصراع الحزبى ٠

(ب) وهو من ناحية اخرى ليس تنظيما بعيدا عن السلطة ، يسعى للوصول اليها عن طريق الانتخابات كما هو الشأن فى النظام الحزبى ٠ وانما يشكل جزءا ثابتا من اجزاء البناء السياسى والدستورى وله دور محدد منتظم فى سير الحياة السياسية عن طريق ما يملكه من سلطة توجيه اجهزة الحكم ورقابتها ، وما يقوم به من دور اساسى فى رسم السياسة العامة للبلاد ٠

٢ ـ ويختلف الاتحاد الاشتراكى عن نظام الحزب الواحد كذلك من ناحيتين :

(أ) أنه اذا كان الحزب الواحد يضم طبقة واحدة من طبقات المجتمع او قيادات هذه الطبقة وطلائعها ٠ فان الاتحاد الاشتراكى يجمع داخل تنظيماته الكتل الشعبية المكونة لجميع قوى الشعب العاملة ٠٠ ومعنى هذا أن عنصر الشعبية قائم ومحقق فى نظام الاتحاد الاشتراكى دون نظام الحزب الواحد ٠

(ب) أنه اذا كانت طبيعة الحزب الواحد ، باعتباره منظمة قلة من المواطنين ، قد فرضت على هذه القلة ـ كما تدل التجارب العديدة فى اتباع اساليب معينة فى العمل داخل الحزب ، تقوم على الصراع المستور بين القوى ، ولا تسمح ـ فى كثير من الاحيان ـ بحرية نقد حقيقة منتجة ، فان طبيعة الاتحاد الاشتراكى ، باعتباره منظمة قوى الشعب العاملة كلها ، تعفيه من ضرورة الالتجاء الى هذه الاساليب ، وتزيد فرص الممارسة الحقيقية لحرية الكلمة ، وحرية النقد ، والتقدم عن طريق الحوار والمناقشة ، والقيادة الجماعية للعمل الوطنى ٠

٣ ـ أما الطابع الاشتراكى للتنظيم السياسى فى منطقة الثورة الاشتراكية فيتحقق بحرمان القوى المضادة للثورة الاشتراكية من المشاركة فى هذا التنظيم ٠٠ وفى هذا المقام ينعكس ـ فى وضوح كامل ـ ما بين الفلسفات الاشتراكية من اختلاف فى النظر وفى مبادىء العمل ٠ فحيث يسود منطق سيطرة الطبقة الواحدة ، تحتكر هذه الطبقة عضوية التنظيم السياسى ، فيفقد شعبيته ، ويتحول الى حزب واحد بالمدلول الذى بيناه ٠٠ أما حين يسود منطق التذويب السلمى للفوارق بين الطبقات ، ويستقر الايمان بامكان قيام وحدة وطنية من قوى الشعب العاملة ٠٠ فان هذه القوى جميعها تشارك فى التنظيم السياسى ، وتتعاون فى دفع عملية التحول الاجتماعى ٠

وهذا المنطق الاخير هو الذى قام عليه الاتحاد

الاشتراكي العربي فتحقق لهمعنى الديمقراطية ومعنى الاشتراكية على السواء ٠

٣ ـ واما الفاعلية والقدرة على الحركة السريعة ، فليست ـ كما يتصور البعض ـ مشكلة دقة فى التنظيم والتخطيط ٠٠ وانما هى ترتبط ـ فى معظم الاحوال ـ بطبيعة التنظيم نفسه وبالمبادىء التى يقوم عليها ٠٠ فلا شك ـ مثلا ـ أن الحزب الممثل لطبقة واحدة ، يكون أكثر قدرة على الحركة ، وذلك بسبب الضآلة بالنسبة لحجمه من ناحية ، ووحدة الاتجاه بين أعضائه من ناحية أخرى ٠ أما حيث يضم التنظيم السياسى قاعدة عريضة من المواطنين الممثلين لقوى الشعب العاملة المختلفة ، فان الامر يبدو أكثر صعوبة وتعقيدا ، اذ قد يكون من العسير على منظمة سياسية تضم ملايين عديدة من المواطنين أن تتمتع بقدرة كاملة على الحركة السريعة الواضحة الاتجاه ٠

وهذه الصعوبة هى التى انتبه اليها ميثاق العمل الوطنى فى الجمهورية العربية المتحدة حينما تحدث عن الحاجة الماسة الى ايجاد جهاز سياسى داخل الاتحاد الاشتراكي يكفل لهذا الاتحاد ـ الى جوار خصائصه الديمقراطية التى أشرنا اليها ـ قدرة سريعة على الحركة ، وفاعلية تتناسب مع المهمة الضخمة التى تلقيها على عاتقه مرحلة بناء مجتمع جديد على أساس من الكفاية والعدل ٠

والواقع أن انشاء هذا الجهاز السياسى يثير مسألتين :

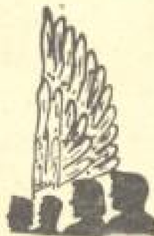
الاولى : ضمانات قدرته على أداء مهمته ، وهذه تقتضى ـ فى تقديرنا ـ أن يتم تكوينه بالاختيار من بين العناصر الثورية ذات الكفاية والقدرة الحركية من ناحية ، وذات الالتزام الفكرى والسلوكى بالخط السياسى المحدد فى الميثاق من ناحية أخرى حتى لا يصل الى هذا الموقع من مواقع القيادة الا من كان ممثلا فى صدق لروح الثورة الاشتراكية العربية ولكل ما فى خصائصها من أصالة ٠

والاخرى : أثر انشاء هذا الجهاز على عنصر الشعبية فى التنظيم السياسى ٠ والجدير بالملاحظةهنا أن الجهاز السياسى الذى نتحدث عنه هنا ، أو الذى أشار اليه ميثاق العمل الوطنى ، وتحدث عنه الرئيس فى أكثر من مناسبة انما هو جهاز يعمل داخل الاتحاد الاشتراكى ، وبقصد احكام عمله وتنظيم حركته ومضاعفة نشاطه ٠ ومعنى هذا أن الارادة التى توجه الاجهزة الحكومية وتراقبها وترسم السياسة العامة للدولة ستبقى دائما ارادة قوى الشعب العاملة المجتمعة فى الاتحاد الاشتراكى ٠

ولا يفوتنا ونحن على أبواب تكوين هذا الجهاز أن نذكر بالاهمية البالغة لتصنيف القوى الاجتماعية القائمة وتحليلها ، والتثبت الكامل من الولاء الفكرى والتنظيمى لكافة العناصر التى تفتح أمامها أبواب هذا التنظيم ، حتى تأتى هذه القيادة الطليعية صورة امينة وصادقة لقوى الشعب العاملة صاحبة الحق الوحيد فى قيادة عملية التغيير الثورى ٠٠

كما لا يفوتنا أن نذكر بالاهمية البالغة لتوكيد الاسلوب الديمقراطى فى العمل داخل هذا الجهاز السياسى ، حتى يكون مركزا من مراكز الممارسة الديمقراطية الحرة على مستوى ينبغى أن يعكس كافة القيم والمبادىء التى يقوم عليها التنظيم السياسى فى مجتمع اشتراكى ديمقراطى ٠

« د٠ أحمد كمال أبو المجد »



افريقية على الطريق الاشتراكى

للدكتور: عبد العزيز كامل

قارة واحدة :

أود ان أصاحب القارىء فى رحلة افريقية نرى فيها معا بعض ملامح الفكر الاشتراكى ونحاول أن نكشف أعماقه وأن نتبين معالمه الحاضرة ، فهذا الربط بين الماضى والحاضر قمين بأن يوضح خطوطا فكرية استمرت حية فى القارة رغم ماحاول الاستعمار وبذل من جهود لقطعها ، وايجاد حاضر للقارة منفصل عن ماضيها • وهذا الفصل لم يكن مقتصرا على مابين الماضى والحاضر ، بل انه حاول - ولا زال - يحاول - ان يفصل بين افريقية المطلة على البحر المتوسط وهى ما يسميها احيانا • بافريقية العربية او افريقية الاسلامية ، وبين افريقية جنوب الصحراء ويسميها احانا افريقية السوداء أو افريقية الزنجية ، وهذه الاسماء غير دقيقة الدلالة : فالعرب لم يقتصروا على النطاق المطل على البحر المتوسط وانما انتشروا من قديم عبر الصحراء ولازالوا هناك حتى الآن ، والاسلام كذلك عبر الصحراء من القرون الاولى للبعثة النبوية واقام دولا وحضارات فى النطاق الرعوى الممتد جنوب الصحراء ، كما دخل افريقية عن طريق المحيط الهندى والبحر الاحمر • ولم تكن الصحراء حاجزا لاباب له بين الشمال وبقية القارة ، وان حاول الفكر الاستعمارى ان يؤكد هذا القول بادلة اصطنعها لنفسه واراد أن يفرضها على التاريخ •



هذه مقدمة ينبغى ذكرها حين تعرض للتيارات الفكرية فى افريقية لاننا لو سلمنا بالانقطاع الفكرى بين شمال القارة وجنوب الصحراء لما كان هناك مجال للقول بالتفاعل الفكرى بين قطاعاتها •

والاتجاه الافريقى الحديث كما عبر عنه الدكتور ديبوا يؤكد عمق التفاعل بين افريقية المطلة على البحر المتوسط - او افريقية المتوسطة - وبين ما اطلق عليه اسم دكتور ديبوا « افريقية الجنوب » أى ما يقع - بعامة - جنوب الصحراء • وهذا الاصطلاح يختلف عن « جنوب افريقية » وهى الجمهورية المعروفة فى أقصى جنوبى القارة ، وميزة هذا الاصطلاح الجديد انه لا يعترف بالصحراء فاصلا ، وانما يتجاهلها كعامل طبيعى ادى الى عزل الشمال عن الجنوب كما يدعى كثير من الكتاب الاوربيين •

فاذا ما كان الحديث عن الطريق الاشتراكى فيمكن فى اطمئنان ان نذكر مظاهر التفاعل بين شمال القارة وجنوبها - بعامة - وأن نذكر عمق التفاعل بين الثورة المصرية وبقية الثورات فى القارة وما اتخذته من طريق اشتراكى تطور به حياتها •

مصادر فكرية :

وفى دراسة الفكر الاشتراكى فى افريقية يجوز بنا الا نقيد أنفسنا ـ تاريخيا ـ بظهور الفكر الاشتراكى فى أوربا ـ وانعكاسه على افريقية ـ بعامته ـ وانما ينبغى أن يكون لنا ـ الى جانب دراسة التفاعل بين الفكر الافريقى والفكر العالمى ـ معرفتنا بمقوماتنا الفكرية ومظاهر الاشتراكية فيها وان حملت أسماء اخر ٠

وليس المهم فى الدراسة أن نقف عن حدود اسماء الاحزاب الاشتراكية فى افريقية ٠ والزعماء الاشتراكيين والمؤلفات الاشتراكية والمؤتمرات المشتركة ، وان كان لهذا كله منزلته فى الدراسة ، وانما واجبنا الاول أن ندرس مدى اصالة الفكر الاشتراكى فى القارة ٠٠ فى حياتها القبلية وتقاليدها العريقة ٠

فاذا ما رجعنا الى ما قبل الاستعمار بمؤثراته العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فستجد أمامنا ثلاثة مصادر فكرية لها عراقتها فى القارة وهى وفق ترتيبها التاريخى :

١ ـ الديانات والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية القديمة فى القارة ٠

٢ ـ المسيحية فى افريقية كما تمثلها كنيسة الاسكندرية ولها امتدادها فى اثيوبيا وشرق افريقية وكان لها امتدادها فى شمالى افريقية ، وكان تأثيرها محدودا جدا على ما سوى ذلك من أجزاء القارة ، ثم تركز بعد هذا فى المركز الرئيسى ـ فى مصر ـ واثيوبيا ٠

٣ ـ الاسلام : وكان دخوله الاول من شرق افريقية ثم موجته الرئيسية من مدخلها الشمالى الشرقى من شبه جزيرة سينا ٠ ومنها وصل الى مصر ثم انتشر على محورين رئيسيين : على طول النيل وعلى طول ساحل البحر المتوسط الى المغرب ٠ ثم دفع مع طرق القوافل الرئيسية حتى وصل غربى افريقية وهناك تلاقى مع الموجة المتقدمة من مصر جنوبا على المحور النيل ٠ ومن النطاق الرعوى تقدمت طلائعة تخترق الغابة الاستوائية وتلتقى مع المؤثرات الاسلامية المقبلة من المحيط الهندى ٠

ومن اهم ما امتاز الاسلام فى غرب افريقية أن السكان الذين آمنوا به كانوا من اهل البلاد ، ولم يبق دينا غريبا او وافدا يرتبط بعنصر او لون ، وانما استقر هناك ، واصبح من المقومات الرئيسية للحياة فى غرب افريقية ٠ قامت باسمه دول واعتنقته قبائل وشعوب ، وعدل من نظام حيازة الارض والمواريث والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية واوجد ، بيئة حضارية ، جديدة لها مميزاتها وخصائصها ونظمها فى التعامل ٠ ونفس الوضع حدث فى شرق افريقية مع اختلافات اقتضتها ظروف البيئة والتطور هناك ٠

١ ـ الديانات والاوضاع القديمة فى القارة :

هذه المؤثرات الحضارية التى عرضناها ، هل لها من جذور اشتراكية ؟ وهل لهذه الجذور من مظاهر فى حياة الافراد والجماعات، وبالتالى فى الحياة الجديدة التى دبت فى افريقية بعد تحررها وتطورها الاشتراكى ؟

هنا نود أن نقف قليلا عند نقطة حاول بعض الكتاب الغربيين ابرازها ، لا لرفع شأن القارة وانما باعتبار هذه النقطة من مظاهر التأخر فيها ٠ وذلك حين اعتبروا نظم الملك المشترك أو المشاع عند الافريقيين مرحلة متأخرة بالنسبة الى نظم الحيازة الفردية ، ثم عادوا بعد هذا الى تمجيد التأميم وملك الجماعة وحقها !! ٠٠ والتناقض العقلى هنا واضح فى الموقف الفكرى عند بعض الكتاب الاوربيين مما يزيد من ضرورة اعتمادنا على انفسنا فى تفهم ماضينا والقيام بابحاث جادة عميقة تبرز الجوانب الاصيلة فى الفكر الافريقى ، وتتبع العروق الثمينة فى أغوار الماضى لنفيد فيها فى صناعة الحاضر والمستقبل ، وليزداد الافريقيون ثقة بما عندهم ٠٠ وعندهم كثير مما يظنون أن الغرب جار عليهم به ٠٠ وهى بضاعتهم ردت اليهم ٠

ولنبدأ بعرض بعض مظاهر الحياة الاشتراكية فى تلك المرحلة الاولى السابقة لدخول المسيحية والاسلام ثم نتتبع الخط الاشتراكى ـ فى سرعة ـ حتى الوقت الحاضر الذى تفاعل الافكار الاشتراكية فى افريقية المعاصرة وتحدد الدور الذى قامت به ثورة ٢٣ يوليو فى هذا المجال ٠

ولا زالت الزراعة هى الطابع الغالب فى افريقية مع التطور الصناعى الذى حدث فى بعض اجزائها ٠٠

وهذا التطور له اتجاهان متعارضان : الاتجاه الاشتراكي الذى حدث فى مصر والجزائر وبعض الاقطار الافريقية المستقلة وهو يستهدف مصلحة الجماعة ، والاتجاه الراسمالى الذى حدث فى جمهورية جنوب افريقية والكونغو ·· والذى يمثل امتدادا للاوضاع الاستعمارية سواء أكان هذا الاستعمار مفروضا من الخارج كما فى الكونغو ام تقوم به اقلية تمثل استعمارا داخليا كما فى جمهورية جنوب افريقية · فهذه الاقلية لاتستطيع القول بسبب وجودها ، أن جنوب افريقية دولة مستقلة فى الواقع رغم انها سياسيا تعتبر كذلك ·

سنعود الى الماضى عندما كانت الزراعة المحور الرئيسى ، وكانت مشكلة حيازة الارض من اخطر المشكلات التى تقابل القارة فى تطورها · وهذه المشكلة لقيت من الباحثين عناية كبيرة ولا تزال تلقى هذه العناية حتى الوقت الحاضر ·

ونظرة الافريقى الى أرضه نظرة فيها احترام يصل الى التقديس ، تستوى فى هذا ديانات وتقاليد غرب افريقية ووسطها وشرقها وجنوبها ، وما حفظته الآثار الفرعونية من تقاليد فى هذه النطاقات لاتزال مرعية حتى الوقت الحاضر ، وكان القسم بالارض له منزلة كبيرة ، فهى الارض الام التى تعطى الطعام للصغير ، وبزرعها ويرعاها الكبير ، ويثوى فيها بعد وفاته ، وتحلق فوقها روحه ·· فالصلة قوية بين الفرد والارض ، وبين الحى والميت ، وبين الفرد والفرد ·· الصلة قوية بين جميع أفراد المجتمع وما فيه من معالم الطبيعة : الارض والسماء والحيوان ، كان هناك نظام شامل للكون عند الافريقى ، تختلف تفاصيله من قبيلة الى اخرى ، ولكن له أصول ثلاثة : الايمان بخالق لهذا الكون ، الايمان بالعمل الصالح فى هذه الحياة ، الايمان بجزاء بعد هذا العمل · ومن هذه الاصول الثلاثة نبعت فكرة الترابط القوى بين الافراد بعضهم ببعض ، وبينهم وبين الارض ، ومن هنا نجد أصلا عريقيا للحياة المشتركة او الفكر الاشتراكى ، فقداسة الارض ، كانت عند قدماء المصريين ، وكان للارض اله هو « جب » صوره المصريون القدماء مستلقيا على بطنه وقد نبتت المزروعات فوق ظهره · وقريب من هذا التقديس ما صنعه الافريقيون مع أرضهم ·

وقد بينت الدراسات الحضارية ان افريقية لم تكن متحفا للمتناقضات الفكرية ، وانما كانت فيها اصول عامة يمكن أن نراها فى اجزاء القارة ، رغم تباين البيئات · وقد عنى بها نفر كبير من العلماء من ابرزهم هرسكفتس وراتراى ولوكاس وفروبينيوس وتاليوت ·· ومع أن الملك المشاع كان واسع الانتشار فى « افريقية الجنوب » الا أن القارة عرفت نظما من الحيازة الفردية · وقد عرض جوموكنياتا ــ فى تفصيل ــ لهذا الموضوع فى كتابه « مواجهة جبل كينيا » وان كانت دراساته منصبة على شعب الكيكويو فى كينيا ·

وكان نظام الزراعة المتنقلة سائدا فى افريقية الجنوب وبمقتضى هذا النظام تزرع الاسرة قطعة من الارض فترة ، ثم تدعها بعد هذا مدة تتراوح بين خمس عشرة وعشرين سنة تستعيد فيها الارض خصوبتها · وبذلك كانت الدورة بين التربة والنبات كاملة : الارض تزرع حتى تضعف ، ثم تترك حتى تقوى · وحين يترك الافريقى أرضه لتقوى ، فليس معنى هذا أنه تنازل عنها أو انها اصبحت أرضا لا مالك لها ، وانما معناه انها لاتزال داخلة فى المجال الحيوى للقبيلة وأن نقل الحيازة من فرد الى فرد يتم عن طريق سلطة مركزية هى زعيم القبيلة أو مجلس الحكماء ، وليس من حق هذا الزعيم التصرف فى الارض « خارج » نطاق القبيلة ·

ومن هذه الزاوية نستطيع أن نخرج بثلاث نتائج :

١ ــ أن القبيلة كانت تمثل وحدة اقتصادية ، أو اذا شئنا تعبيرا حديثا ، كانت تطبق « نظاما اشتراكيا » فى حيازة الارض · وبعبارة أخرى كانت الارض « ملك الجماعة » وان عرفت افريقية نظاما من الحيازة الفردية · وأن هذا الملك الجماعى أو المشترك ، اذا كان يحمل معنى الاشتراك أو فيه روح الاشتراكية فانه يحمل فى نفس الوقت روح الحيازة المحددة المعالم على مستوى الجماعة ، كشخصية معنوية · فمن الممكن أن يقرر الزعيم أو مجلس الحكماء نظاما معينا لاستغلال الارض وتوزيعها على افراد القبيلة ، وأن يقضى فى المنازعات · أما التصرف فى الارض بحيث تخرج حيازتها من يد القبيلة فهذا ــ من البديهى ــ لا يمكن ان يدخل فى سلطة الزعيم أو مجلس الحكماء ·

٢ ــ ان ادعاء الاوربيين عندما استولوا على الارض

انها لم تكن ملكا لاحد ، ادعاء باطل • وكون الجماعة أو القبيلة تزرع جزءا من الارض وتترك جزءا آخر ليسترد خصوبته ، لا يمكن أن نستنتج منه انها تنازلت عن الجزء المتروك •

٣ ـ ان المعاهدات التي وقعها المستعمرون مع الزعماء واعطتهم حق التصرف في مساحات واسعة من الاراضي الافريقية ، باطلة قانونا لانهؤلاء الزعماء لا يمتلكون هذه الارض ليتصرفوا فيها ، وانما هم « وكلاء » عن الشعب أو « ممثلون للشعب » ولم يثبت انهم استشاروا أصحاب الحق الاول فيها، وهم كل المجتمع •• بل اننا اذا شئنا الدقة لقلنا ان هذه الارض عندهم ملك الاجيال المتعاقبة جميعا •

وفي هذا الموقف يمكن ان يرجع الى ما سجله لورد هايلي في صراحة في كتابه الضخم « مسح افريقي » (ط اكسفورد ١٩٥٧ ص ٦٨٦)

« ان الحكومات قد بسطت نفوذها على الارض وامتلكتها بوسائل متعددة • ففي بعض الاحيان أخذتها بحق الفتح ، وفي بعض الاحيان تم هذا عن طريق معاهدات مع رؤساء القبائل اعتبرت كأنها تسليم الارض للمستعمرين • وأحيانا كان يتم الاستيلاء عن طريق تفسير النصوص من وجهة النظر الاوربية بصرف النظر عن فهم الافريقيين اياها عند توقيع الاتفاق • وفي الواقع كان العامل الجوهري الذي يقرر انتقال ملكية الارض الى المستعمرين هو مدى ملاءمتها للاستعمار ، لا الاسس والحجج القانونية هذه الملاءمة تفسرها ظروف المناخ والتربة• وهي التي وجهت تيار الهجرة الاقتصادية الى جنوب وشرق القارة اكثر من اتجاهه نحو الغرب » •

وكان مجيء الاستعمار هنا تقويضا للاشتراكية الاولى واقامة للامبريالية مما مما دعا الى كفاح جديد لبناء المجتمع الاشتراكي المستقل الجديد •

وفي التعقيب على هذا الوضع الجائر في افريقية يقول الرئيس عبد الناصر في فلسفة الثورة (١٩٥٤) « اننا لن نستطيع بحال من الاحوال ـحتى لو اردناـ أن نقف بمعزل من الصراع الدامي المخيف الذي يدور اليوم في اعماق افريقية بين خمسة ملايين من البيض ومائتي مليون من الافريقيين •

لا نستطيع لسبب هام وبدهي ، هو اننا في افريقية •

ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالي للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجي كله •

ولن نستطيع بحال من الاحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا في المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء •

ويبقى سبب هام ، هو أن النيل ، شريان الحياة لوطننا ، يستمد ماءه من قلب القارة •

ويبقى ايضا أن السودان ـالشقيق الحبيبـ تمتد حدوده الى أعماق افريقيا ويرتبط بصلات الجوار مع المناطق الحساسة في وسطها •

والمؤكد أن افريقيا الآن مسرح لفوران عجيب مثير وان الرجل الابيض الذي يمثل عدة دول أوربية يحاول الآن اعادة تقسيم خريطتها ، ولن نستطيع بحالمن الاحوال أنتقف امام الذي يجري في افريقيا ونتصور أنه لايمسنا ولا يعنينا » •

ويتابع الرئيس عرض الآمال الى جانب التعقيبات فيقول : « ولسوف أظل أحلم باليوم الذي أجد فيه في القاهرة معهدا ضخما لافريقيا ، يسعى لكشف نواحي القارة أمام عيوننا ، ويخلق في عقولنا وعيا افريقيا مستنيرا ، ويشارك مع كل العاملين من كل انحاء الارض على تقدم شعوب القارة ورفاهيتها » •

كان هذا في عام ١٩٥٤ ومر بعد هذا أحد عشر عاما ساندت فيها جمهوريتنا كل الحركات التحررية في افريقية على المستوى المحلي والافريقي والعالمي واستطاعت هذه القوى المتعاونة ان تزحف بافريقيا الى مكانة الصدارة في المشكلات العالمية مما زاد من أعباء العمل وضاعف من تبعاته •

٢ ـ المسيحية في افريقيا :

وهنا ينبغي أن نفرق بين ماحمله الاستعمار الأوروبي معه من مذاهب مسيحية وبين كنيسة الاسكندرية كنظام افريقي أصيل نبت في القارة

وانتشر فيها على نفس المحورين التقليديين : المحور النيلي نحو الجنوب وساحل البحر المتوسط نحوالغرب والاتجاه الجنوبي يتكامل فيه النيل مع البحر الاحمر للوصول الى اثيوبيا حيث استقرت النصرانية هناك. ولقد كان أمام النصرانية عند قيامها صراع رهيب مع قوة الرومان ووثنيتهم، ودفعت النصرانية عن عقيدتها ضحايا وقرابين بشرية واضطهادا لازال حيا في ضمير الانسانية . وسجل القرآن الكريم جانبا من أعمال الرسل وجهادهم في سورة « يس » و « البروج » ، هذا الى ما حفظه تاريخ الكنيسة من صفحات في هذا السبيل . وكانت النصرانية معنية بتطهير النفس والجانب الاخلاقي من حياة الافراد ، دون دخول في تفاصيل نظم الحياة الاقتصادية ، ويبدو هذا من مراجعة الاناجيل وأعمال الرسل ، كما كانت عمليا في كفاح لا ينقطع من أجل توضيح جوانب العقيدة ، وبخاصة عندما استقلت كنيسة الاسكندرية بمذهبها الخاص الذى عارضت فيه الامبراطورية .. والذى يعنينا من هذا أن التأثير كان مقتصرا على الجوانب الروحية والاخلاقية وهي بطبيعتها اوضاع فرديةدون أن يتحول الى نظام اجتماعي واقتصادى يبدو تأثيره العملي الشامل في حياة المجتمع . واستمر هذا الوضع حتى جاء الاسلام بعد ستة قرون ونصف تقريبا من مولد سيدنا عيسى عليه السلام .

وليس معنى هذا ان المسيحية لم يكن لها من تأثير على تعديل نظم حيازة الارض . وانما تبدو جوانبمن هذا التعديل فيما أصبح للكنيسة من أرض تقوم بأمرها ، وهبها أصحابها للعمل الصالح والبر بالمحتاجين.. وبهذا تحول جانب من الارض الى هدف جديد . جعل للكنيسة نشاطها فيمجال العمل الاجتماعي ، بينما دفع الاضطهاد الذى حدث جانبا من رجال الكنيسة الى حياة الاديرة والرهبنة . وسنرى في المقال المقبل التطور في ظل الاسلام لنصل به الى المرحلة الحاضرة التي تحياها افريقيا والتي اشتد فيها التفاعل بين أجزائها مع توضيح لدور الثورة في هذا المجال .

« د . عبد العزيز كامل »

صيحة عربية

للشاعر: عبد المنعم عواد يوسف

الى الذين يميعون قضية فلسطين بتصريحاتهم الغريبة

باسم ركب عربي الزحف ، دفاق المشاعر
باسم اطلالة فجر يتحدى الليل ، ثائر
باسم « مليون » شهيد ، عانقوا روح الجزائر
اطلعوا الصبح نديا ، يتغنى بالبشائر
باسمهم أرفع صوتي ، عربي النبر ، فائر

باسمها ، باسم البساتين النديات اليانعه
التي كانت ، وحقل لم يعد يدرى ربيعه
منذ أن قد أبعدت عنه يد الخصب الوديعه
يد فلاح يناغي أرضه البكر البديعه
باسمها يزأر صوت البعث في صمت الطبيعه

باسمها ، باسم الخيام السود في الارض العراء
باسم أشباح بها ، رهن الأسى والبرحاء
باسم شيخ ذابل النظرة ، يطويه العياء
باسم طفل صارخ ، شق سكون الصحراء
باسمهم أرفع صوتي ، مفعما بالكبرياء

باسمهم ، باسم الضحايا ، والمآسي العربيه
أرفع الصيحة ، تهتز اباء وحميه
صفعة في وجههم ، في وجه تجار القضيه
الأُلى خانوا كفاح الشعب ، ساقوه مطيه
نحو أطماع حقيرات ، وأغراض دنيه

باسم شعب قاوم الموت أبيا وعنيدا
صيحتي تعلو زئيرا عربيا ، ووعيدا
اتركوها ، حلها ليس ادعاء ووعودا
حلها ما زال اصرارا ، عتادا وحشودا
ودما يجرى لكيما يطلع الفجر الجديدا

نهج الأحرار من قديم



بقلم : محمد الغزالى

فى السهول المستوية ينداح السيل حتى يبلغ منتهاه ما يعترضه شىء .

وفى حقول الأرز والقمح تهب الريح فتميل السيقان الغضة كلها ما ينتصب منها عود .

وبين جماهير الدهماء ، ينتشر التقليد الخاطىء ، أو العرف السيىء فما يرده ذكاء ، أو تمتد رهبة السلطان وسطوة الملك الطائش فما يقمعها تمرد .

ولكن هناك رجالا من معادن فريدة تشذ عن هذا العموم المهين

فهى الجبال التى تقف مد السيل ، والاشجار التى لا تنثنى مع هبوب العاصفة .

وهم الصاحون بين السكارى ، فاذا شاع خطأ تعرضوا هم له بالنقد ، واذا الف الناس مسلكا لم يعجبهم تصرفوا هم منفردين على طريقة المعرى حين قال :

تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد
بعدوى فما أعدتنى الثؤباء

واذا ركع الناس بين يدى ملك ظالم ، أو استكانوا لأوضاع مزرية ، لمحت فى أبصارهم بريق الأنفة ، وفى سيرتهم شرف الحرية ، فما يستريحون حتى تنجو البلاد والعباد من آثار الفساد ، وقيود العبودية .

اولئك هم الثوار الذين يعتز بهم الايمان، وتستقيم بهم الحياة .

واذا كان الله جل شأنه قد صان العمران البشرى بالجبال ، وقال فى كتابه « وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم ، وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون» فقد اقتضت حكمته العليا ان تصون المجتمع الانسانى بهذا النفر من حراس الحقائق الرفيعة وحماة المثل الفاضلة .

فهم الدواء الخالد لكل مايفشو فى الدنيا من علل،

وهم الأمل الباقى لبقاء الخير فى الأرض وان ترادفت النوب ، واكفهرت الآفاق .

ربما كان عشق الحق خليقة فيهم فطرهم الله عليها، كما قال فى كتابه « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » .

ولعشق الحق أعباء مرهقة ، **اولها** الصبر على تثبيط الخاذلين ، وكيد المعوقين والمخالفين ، بيد أن طبيعة الثورة على الباطل لا تكترث لشىء من هذا ، وفى الحديث الصحيح « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة ـ أو حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » .

وأكثر الناس يعرف الحق معرفة حسنة ، غير انه لا يأسى لهزيمته ، ولا يأسف لضياعه !

أو لعل احساسا من الضيق يخامره لخذلان الحق ، الا أن هذا الاحساس يصطدم بمصالح النفس وضرورات العيش ، ومطالب الأولاد ، ليتراجع المرء رويدا رويدا عن هذا الشعور النبيل ، ويؤثر الاستسلام على المقاومة، والاستكانة للواقع عن تغييره وانكاره .

وهذا السلوك لا يتفق مع طبيعة الايمان ، ويستحيل أن تتقبله نفس ثائرة لله مؤملة فيما عنده .

فالغاضب لله ورسوله يذهل فى سورة يقينه عما يحرص عليه الجبناء من حياة ومتاع ، ولا يرى أمامه الا نصرة الحق ورفع لوائه وليكن ما يكون .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى أكون احب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » على أن من العبث انتظار التفانى فى الحق من عبيد أهوائهم وصرعى نزواتهم ، ان الأمر يحتاج الى تربية وتبصرة حتى يكون مذاق الايمان أحلى فى فم الانسان من كل لذة عاجلة .

عندما يشعر امرؤ بالسعادة لأنه واسى محروما ، أو نصر ضعيفا ، أو آمن قلقا ، أو آوى هائما ، أو

احصن عرضا ، أو حقن دما ، فهو انسان كبير ، ومثله أهل لأن يقتدى عناصر الايمان بالنفس والتقيس .

والثائرون ضد الظلم والناقمون من أعوانه رجال من ذلك المعدن الصلب ، واندفاعهم لتقليم الأظافر الشرسة ضرب من الاصلاح العام للحياة والأحياء « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

وفي الأعصار الأخيرة قامت ثورات شتى استهدفت انقاذ الجماهير من الملوك المسلطين، واسرهم المحظوظة ، وثورة يوليو سنة ١٩٥٢ من بين هذه الثورات الخطيرة ، ونحب أن نقول بجلاء انه حيث يسود الحكم المطلق تنتقص الانسانية من اطرافها ، بل من صميمها !

وذلك أن الله قد خلق البشر آحادا صحيحة وجعل لكل أحد منهم مدى معينا يمتد فيه طولا وعرضا . فاذا عن لأحدهم أن يتطاول وينتفخ ويتزيد ، فعلى حساب الآخرين حتما .

ومن هنا تجد من حوله أنصاف بشر او أرباع بشر ! أصبحوا كسورا لا رجالا سواء ، وما نقص من تمام انسانيتهم أضيف زورا الى الكبير المغرور ، فاصبح فرعونا مالكا بعدما كان فردا كغيره من عباد الله ...

ولما كان الاسلام انقاذا للناس من جهالاتهم المتوارثة ، وحماية للفطرة من أن تأكلها تقاليد السوء وقوانين الاستبداد الأعمى ، فقد جعل كلمة التوحيد ـ وهى عنوانه وحقيقته ـ نفيا للوثنيات كلها ورفضا لأية عبودية في الأرض وتدعيما للحرية التي ذرا الله الناس عليها والكمال الذي رشحهم له ...

ذلك بعض ما تعنيه الكلمة العظيمة «لا اله الا الله» ... وهى الكلمة التي يرددها الالوف دون وعى . بل لعلهم يعيشون فى ظلها عبيد أوهام ...

وقد بعث محمد للناس وفى قلوبهم وجل من سطوة الملوك الأولين ، فلما جيء بأعرابى يوما فى حضرته أخذته رعدة ـ يحسب نفسه قريبا من أحد الجبابرة ـ فقال له الرسول : هون عليك ، انى لست بملك . أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .

كان قد وقر فى الأذهان أن الملوك ليسوا من عبيد الله المألوفين فان الأبراج التي يحيون فيها قطعت

نسبتهم من الأرض ووصلتها بالسماء ، فزعموا أنهم نسل آلهة أو عاشوا كذلك وان لم يقولوا بالسنتهم ما يقولون بأفعالهم !

فأراد محمد أن يعرف العرب على أنه بشر مثلهم لا ملك فوقهم ، ثم انتسب الى أمه ، لا الى العظماء من أجداده ، ليزداد لله تواضعا ومن الناس قربا .

وجاء الحكام الراشدون بعده فمشوا فى أثره وربطوا سببهم بالجماهير التي تبوأتهم فما تنكروا لها ولا تكبروا عليها ولا حسب أحدهم نفسه من دم أنقى أو عنصر أزكى .

واسمع الى أبى بكر بعد ما ولى الخلافة يقول : « اما بعد فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فأعينونى . وان رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم . الا ان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه . اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم » .

وجاء فى خطبة لعمر بن الخطاب : « اعلموا أن شدتى التى كنتم ترونها ازدادت أضعافا على الظالم والمعتدى ، والأخذ لضعيف المسلمين من قويهم فاتقوا الله وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم » أيها الناس : « انه لم يبلغ ذو حق فى حقه أن يطاع فى معصية الله » .

هذا هو وضع الحاكم المسلم فى الدولة المسلمة !. رجل من صميم الأمة يطلب أن يعان على الحق وأن يمنع من الباطل ، ويرى السلطة المخولة له سياجا للمصالح العامة لا مصيدة للمنافع الخاصة ولا بابا الى البطر والطغيان ذلك هو أدب الاسلام الذى خط مصارع الجبابرة فى الدنيا وحط منازلهم فى الآخرة « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » .

حيث يكون العسف والخسف لابد ان يكون الاسلام دينا ثائرا يطلب النصفة والرحمة .

وحيث يكون الاستعلاء والاستعباد لا بد أن يكون المسلمون ثوارا ينشدون العزة والكرامة .

وقد تكون عقبى الجهاد موتا في غربة ، أو قتلا في معركة ، والثائرون ضد الباطل أدنى الناس الى البلاء والعطب .

وماذا في هذا ، ان ما يحذره غيرهم هو الذى ينشدون لأنفسهم !

وتلك طبيعة الثائرين ، اما أن يحيوا كما يريدون ، أو يموتوا كما يريدون .

انهم عزيمة تؤثر في الحياة سلبا وايجابا ، وليسوا عربات تشد الى جياد الآخرين .

ويعجبني قول الطرماح بن حكيم ، وهو يسعى الى الغنى حتى لا يحتاج الى فسقة الأمراء في عهده أو الى عداة الخلفاء ـ كما سماهم :

وانى لمقتاد جوادى وقاذف
به وبنفسى العام احدى المقاذف
لأكسب مالا ، أو أءول الى غنى
من الله يكفيني عداة الخلائف

ثم اسمع الى هذا الثائر الضارب في مناكب الأرض طلبا للعزة يقول :

فيارب ان حانت وفاتى فلا تكن
على شرجع يعلى بخضر المطارف
ـ أى على نعش ملفوف بالأقمشة المطرزة ـ
ولكن قبرى بطن نسر مقيله
بجو السماء في نسور عواكف
وأمسى شهيدا ثاويا في عصابة
يصابون في فج من الأرض خائف

والمسلمون اليوم لن ينجحوا في حرب الاستعمار الا اذا استهتروا بالموت وأحبوه في ذات الله .

أرأيت تاريخنا القديم وأبطالنا الأولين :

لقد كانوا يتمنون من أعماق قلوبهم أن تتوى جثتهم الممزقة في حواصل الطير وأجواف الوحوش. وهم هلكى ، لا بين أحضان الأهل الباكين والأحباب المواسين ، ولكن في وحشة الصحراء ورحاب الميادين أو في أفق مبهم من أعماء الدنيا ، وعلى شفة أحدهم وهو يجود بروحه قول الشاعر :

وذلك في ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

هكذا مضت سنة الايمان منذ أبرم عقد الجنة ، ووصفت آيات الله من وقعوا عليه بأنهم « يقتلون ويقتلون » .

وهكذا مضت سنة الرجولة من قديم الزمان . فاعتبرت موت الرجل بين أهله معرة ، لأن هذا شأن النساء والعبيد .

الشرف والمكرمات فمصارعهم تحمر بها صحائف التاريخ، ويلبس الشفق القانى ثوبه الأرجوانى منها! وبذلك المعنى هتف الشاعر القديم :

وانا لقوم ما نرى القتل سبة
اذا ما راته عامر وسلول
تسيل على حد الظبات نفوسنا
وليست على غير الظبات تسيل
وما مات منا سيد حتف أنفه
ولا طل منا حيث كان قتيل

أجل هذه شارات السيادة الا يموت الرجل حتف انفه ، ولكن يموت في عرصات الوغى .

لما قتل الأمويون مصعب بن الزبير ، قام أخوه عبد الله فخطب الناس فكانت خطبته تعبيرا لبنى أمية أنهم يموتون على فرشهم ! اما آل الزبير فقد كفنوا في دمائهم بطلا من بعد بطل ..

وخطب أبو حمزة الخارجي يصف رجاله ، وكيف جند لهم المنايا واستهلكم صدق الجهاد ، فكان من كلامه في لقائهم الحتوف : « استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشباب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه . فاسرعت اليه سباع الأرض وانحطت اليه طير السماء ..

فكم من عين في مناقير طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله .. !

وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله . »

فانظر مصاير اولئك الشباب كيف خطها القدر ؟

وكيف تذكر في سياق الدلالة على حب الله والتفانى فيه ؟

ان أولئك الشهداء المستميتين في محاربة البغى ، الذين رضوا ان تدق اعناقهم قبل أن تدق على أبواب الاسلام يد آثمة ، وأن تمزق اعضاؤهم قبل ان يتمكن من الكيد لدين الله كافر سافر أو منافق خناس .

ان أولئك الشباب الهلكى ، المبعثرة أحشاؤهم هنا وهناك ، سوف تجمعهم القدرة العليا بكلمة واحدة ، فاذا الجبين المشجوج ناصع مشرق ، واذا العين المفقودة حوراء مبصرة ، واذا الجثة الممزعة بشر سوى يقول لله : « آمنت بك وتحملت فيك ما ترى ..»

تلك سنة المؤمنين الأحرار ، في المحيا والممات .

« محمد الغزالي »

أصداء الثورة في الشعر العربي

للدكتور ماهر حسن فهمي

يا ثورة الاحـــرار في   مصر سلمت الى القيامه
سحى على وطن الفـــدا   سحى عبيرك يا غمـامه
ســحى فللاحرار يوم   تكبر الدنيـا قيـــامه
مدى العروش الخائنات   فأنت في القدر ابتسامه
يا نيل فجـرك فجـرنا   واراك في الوجنات شامه

بهذه الأبيـات انطلق صـوت الشـاعر العراقي هـلال ناجي يبشر بانتهـاء عهـد ، وباشراقة فجر عـربي جـديد ، يوم قامت ثورة مصر في ٢٣ يوليه عام ١٩٥٢ . فهي ليست ثورة مصر وحـدها ولكنها بشـير بنهضة عربية شـاملة ، وهي ليست ثورة سياسية فحسب ، ولكنها صحوة العملاق ليخطط حيـاته تخطيطا جـديدا ، ويطور قيمه ومفاهيمه ليلحق بركب الدنيا ، وقد يتهم الشعراء بأنهم خياليون يقطعون الليل مع احلامهم ، ولـــكن الذى يقطع الليل ساهرا ، هو وحده الذى يرى طلوع الفجر قبل غيره كما يقول « أوسـكار وايلد » ، ومن اجل هذا أحس الشعراء بالأمل يحدوهم مع طلائع الثورة .

والحق أن الأدب بكل فنونه قد شارك مشاركة فعالة في التمهيد للثـورة ، ففي ميدان القصة نجد «المعذبون في الأرض» لطه حسين ، و « بداية ونهـاية » لنجيب محفوظ ، و «عودة الروح» لتوفيق الحكيم وغيرها من القصص التى صـورت تفـاوت الطبقـات الاجتمـاعية في مصر ، والحيـاة المتفسخة الفاسدة ، وفي ميـدان الشـعر نجد الاتجاه الرومانتيكى الذى غلبت عليه الحيرة الفواحـة بزفرات الحنين الى الأمـل الضائع ، والخيال الجامح الذى يفر الشاعر على أجنحتـه من مرارة الواقع وشـقائه . ومن المؤكد أن الهروب من الحياة لم يكن بأحسن الحلول ، فقد استطاعت الطبقة الوسـطى الذكية بايجابيتها وثورتها أن تغير ملامح الحياة الكئيبة ، ولكن من المؤكد أيضـا أن كثيرين من أبناء الطبقتين الوسطى والفقيرة كانوا ينعزلون عن المجتمع أو يهربون من الحيـاة ، وأن الأدب بكل فنـونه قد ألقى الأضـواء على هذا الواقع البغيض ليكشفه لتقشعر لهوله النفوس ، ثم تحاول التفكير في الخلاص .



كانت بداية الثورة اذن ، هي نهاية الشعر الرومانتيكي ، شعر العزلة والهروب من الحياة، والأمل الضائع والدموع المهراقة ، والخيال المحلق بعيدا بعيدا عن مرارة الواقع . انتهت مدرسة ابراهيم ناجي وعلى محمود طه وبشارة الخوري ، وبانحسار هذه الموجة التي لم تعد تمثل حياتنا المناضلة تفتحت براعم جديدة في كل أرجاء الوطن العربي ، وتأصلت جذور المدرسة الواقعية . فمحمود حسن اسماعيل الثائر في ديوانه « نار وأصفاد » ليس هو الشاعر الهارب في ديوانه « أين المفر ؟ » ، وعبد الرحمن الشرقاوي في مطولته « من أب مصري الى الرئيس ترومان » بما فيها من محتوى وشكل جديدين، غير الشاعر الباكي الذي سبق أن قرأنا له في الصفحة الأدبية بجريدة المصري ، والبياتي الشاعر العراقي الرومانتيكي في ديوانه « ملائكة وشياطين » غير البياتي الذي نعرفه في دواوينه التالية مثل « أباريق مهشمة » و « المجد للأطفال والزيتون » و « أشعار في المنفى » وغيرها ، وبدر شاكر السياب في « أساطير» الملىء بالأحلام المجنحة غيره في « أنشودة المطر » ، حتى نزار قباني الشاعر الغارق حتى أذنيه في الحب انتشلته الثورة ودفعت به دفعا لخوض غمار المعارك العربية .

تطورت القصيدة في مضمونها وشكلها كما قلنا . فما هي سمات هذا التطور ؟ كان الشاعر العربي يبحث في قلقه الدائب عن الأمل الضائع ويتلفت وهو غارق في مأساته علّه يجد شعاع الفجر أو البطل المخلص .

فيم انتظاري دونما حلم
وغدي الى الأحلام يفتقر
وتلفتي ؟ والأفق مضطرم
دام يموت وراءه سحر

ومفهوم البطل كما أوضحه « سليمان العيسى » هو القادر على أن يعيد « ميلاد شعب مل قتل الدجى » ، شعب يبحث عن معجزة تخلصه ، عن واقع يصهر تاريخه في شكل عملاق ثائر يفجر الصحراء الجرداء بكل معاني الحياة ، بل يبعث الحضارة العربية في صورة جديدة ، بعد أن يقلم أظافر الغاصب ، عندها سوف يضحى كل ثائر بروحه ، « ووزاره في النزع طيف البطل » . وهي نفس الصورة التي رسمها البياتي في ديوانه « المجد للأطفال والزيتون » والتي تقشت في صدر كل عربي « سمعتهم باسمك يلهجون ، فدى لك العيون » فهو محيي الأمة العربية ومنزل الغيث والأمل في صحراء حياتنا التي أحالها الظلم والبؤس جرداء خاوية ، وتتكرر عشرات النسخ من نفس الصورة عند عشرات من الشعراء العرب مثل السياب وناجي علوش وهلال ناجي وغيرهم . لم تعد اذن صورة « المثل » هي صورة الغارق في أحلامه أو الهارب من الأيام وانما تحددت ملامح البطل المنقذ منذ قامت الثورة المصرية ، ورأى فيها الشعب العربي في كل مكان بداية فجر جديد ، وفي بطلها صورة الفتى العربي المناضل الذي كنا نبحث عنه وتتلفت حائرين فلا نجد الا مصرع النهار على مذبح الليل في كل يوم .

كل هذا حق ، ومن الحق أيضا أن الشخصية العربية بمقوماتها لم تكن واضحة المعالم لأن رعشة الحياة خبت في الجسد كله ، ولو قمنا باحصاء الشعراء البكائين على العروبة — قبل الثورة — لم نكد نستثنى منهم أحدا ، وليس ذلك بعجيب فهذا الشعر صورة صادقة للحياة الباكية نفسها ، بما فيها من استسلام وقطيعة وذل ، ولكن مفهوم القومية العربية لا يلبث أن يتبلور ويتجسد وتتضح مقوماتها وأهدافها . وعندما كان الشاعر العربي يردد قبل الثورة « اني أرى سبب الفناء وانما سبب الفناء قطيعة الارحام » ، كان يعتقد انه لمس لب الحقيقة ، وانه قد أدرك السبب قبل غيره من الباحثين الذين يرون بوادر الفناء ويحومون حول اسبابه ثم يبعدون فيرون أن الانسياق وراء الثقافة الغربية هي السبب أو أن الاستعمار هو السبب ، مع أن كل ذلك ليس الا نتيجة حتمية للتمزق ، لم يعد الأمر في أعقاب الثورة عاطفة عربية تتحدث عن قطيعة الارحام ، وانما انبعثت الشخصية العربية قوية جارفة تتخطى الحواجز وتبلورت القومية العربية في شكل عقيدة لها مقوماتها كما ذكرنا ولها فلسفتها . فالشاعر اليوم يتناول مضامين جديدة وهو يتحدث عن عقيدته ، فهي « وحدة في المصير » وهي « تاريخ

أمجادنا ، ثم هي قد تحولت من عاطفة الى عقيدة « عروبتي فكر أصيل ، يبتغي الوحدة » وهي « ثورة جيل جديد آمن بالحيدة » .

والمطلع على قائمة المراجع التي نشرتها دار الكتب متضمنة الكتب الخاصة بالقومية العربية يدرك من الخط البياني الذي ارتفع بعد الثورة ارتفاعا غير متدرج ، أن تلك العاطفة التي كانت تجول بالصدور وينطق بها اللسان في تثاقل ، قد تحولت الى فكر وتحليل ودراسة ، فعدد الدراسات التي طبعت في البلاد العربية قبل ثورة ٢٣ يوليو لم تكن تزيد على اصابع اليدين ، ثم يرتفع الخط البياني في ست سنوات فقط - وهو تاريخ طبع نشرة دار الكتب - الى حوالي ثلثمائة كتاب كانت هذه الحقيقة متوارية خلف حجاب كثيف من التيارات السياسية ، ثم كانت فترة ما بين الحربين فترة كافية لأن تختمر فيها هذه الحقيقة فتتوالى الثورات في كل البلاد العربية . ومن الواضح أن تلك الثورات لم تحقق الآمال التي كانت معقودة عليها ، فقد أدت الأحداث في مصر مثلا الى تعاون الأحزاب مع الاستعمار أو مع القصر بعد عام ١٩١٩ ، وفشلت ثورة العراق التي قادها رشيد عالي الكيلاني كما فشلت ثورة الشام عام ١٩٢٦ ، ولكن هذه الثورات نفسها كانت نقطة البداية . ثم بدأ العرب يجربون قوتهم ضد عدوهم في حرب فلسطين ، كالفتى حين يبدأ في استعمال يديه في معاركه بعد أن يشعر بطاقته ، وأخيرا انطلق العملاق ، نضجت قوته العقلية واستوت قوته البدنية ، فانطلق يصارع بهما معا من أجل تثبيت شخصيته ، ومن أجل حياة أفضل .

وهكذا انحدرت الفكرة الاقليمية ، وكان مصدر الخطر الحقيقي في هذه النزعة هو ايمان كثيرين من العرب بهذه الخطوط الوهمية ، فلقد نشأ جيل من الناس لا يعرف الا هذه الحدود الجديدة ، أما الشيوخ الذين يعرفون حقيقة المأساة ، فقد استكان كثير منهم الى الواقع بعد أن كانوا من مكافحي الأمس . انحدرت الفكرة الاقليمية وتوارت مسرعة عجلة ، والدارس لشعر اليوم ، يجده ينبض عن قلب واحد كانما هو وجدان فرد واحد ، يتلقى أصداء الحياة من بيئة واحدة . كل هذا يجعلنا ندرك ارتباط الاقليمية بالشعر الرومانتيكي وموجته التي طغت في فترة ما بين الحربين، فالمسايرة الزمنية واحدة والعزلة التي رانت على الشاعر الرومانتيكي هي نفس العزلة الاقليمية ، والانطواء على النفس هو نفس الانطواء الذي طبع حياتنا المنعزلة في ظل الاقليمية ، والظلم والفساد الذي صاحب تطور الرأسمالية والاقطاعية في ظل الدوائر الصغيرة التي رسم الاستعمار مراكز كل منها واقطارها ،هو نفس الاستسلام والكآبة التي طبعت الشعر الرومانتيكي ، والفرار على أجنحة الخيال من هذه الدوائر الصغيرة هو الأمل الذي داعب الشعراء من أجل حياة أفضل .

وهكذا انداحت موجة الرومانتيكية بكل قيمها حين انبعثت الثورة المصرية رافعة لواء القومية العربية من الخليج الى المحيط ووجدها الشعراء « جوهرا فردا وابداعا ودينا ، ان خبت تخبو وان استيقظت، يستيقظ الابداع فينا » وكأنما أحس الشعراء فعلا أن يقظة الشعر النضالي الجديد قد ارتبط بوجود هذا الجوهر ، فاستيقظ الابداع كما يقول « جميل شلش » بعد أن كانت الأحلام الرومانتيكية تهدهد غفوته ، ثم يستمر نفس الشاعر في القصيدة :

انها خصب وحب وسلامه
انها أنشودة الثورة تستيقظ فينا
مشعلا حرا على درب الكرامه
فهي اعصار وبركان ونار

فهي خصب بعد حياة جرداء ، وهي سلام ، ولكنه سلام القادر لا سلام المستسلم ، وهي حب ، ولكنه ليس الحب الرومانتيكي بكل صوره الكئيبة المهومة ، انه حب الوجود بعد حب العدم ، قامت الثورة لتنير الطريق الى درب الكرامة وهي اعصار يجتث الاعشاب الصفراء التي تعوق نمو حياتنا ، فلم يبق أمام الشاعر الا أن يغني الشعب العربي المناضل ، نشيد الثورة والحرية والنضال .

والقارىء لشاعر عربي كالسياب - على سبيل المثال - يجد ديوانه « أساطير » يضم هذه العناوين (سراب ، اللقاء الاخير ، نهاية ، سجين ، ذكرى لقاء ، سوف أمضي ، هوى واحد ، لن نفترق ، الموعد الثالث ، أساطير ، وداع ، ملال ، ستار) ولو درسنا عناوين قصائد الشعراء العرب قبل الثورة المصرية لخرجنا باحصائية فريدة حين نقارنها بعناوين قصائد دواوينهم بعد الثورة ففي « أنشودة المطر » لنفس الشاعر تطالعنا هذه العناوين (أنشودة المطر ، بورسعيد ، المومس العمياء ، حفار القبور ، الأسلحة والأطفال ، جيكور والمدينة ، غريب على

(البقية على صفحة ٣٤)

بين عهدين

للشاعر: محمود غنيم

لا مصر مصر ولا السكان سكان … واد جديد وقوم غير من كانوا
عهدان : هذا عزيز ملؤه رغد … وذاك طابعه ذل وحرمان
ثلاث عشرة مرت لم تدع حجرا … الا تناوله نقض وبنيان
خطا الشعوب ونيدات فكيف بنا … مرت علينا الليال وهي ازمان ؟
يكاد ينكر طرفي ما اشاهده … كأن طرفي يرنو وهو وسنان
اذا مشيت بسيف النيل انكره … وربما انكرتني منه شطآن
قد كان يجري ذليل الماء مكتئبا … ما باله اليوم يجري وهو نشوان ؟
على المجرة جر الذيل مفتخرا … اما ترى الموج فيه وهو ميسان ؟
من للمجرة بالسد الذي رفعت … أسواره فوق ماء النيل أسوان ؟
اين العميد بشط النيل يملكه … طرا كما ملك الدنيا سليمان ؟
واين سدته تعنو الجباه لها … وتنحنى فوقها هام واذقان ؟
والنيل يعصر للمحتل كرمته … وسادة النيل للمحتل عبدان ؟
لا يعجبن ذليلا حسن بزته … بعض الثياب على الأحياء اكفان
اليوم ينساب ماء النيل منطلقا … خريره نغم شاج والحان
يارب عصر مضى لا النيل مرتجز … ولا تحس خرير النيل آذان
بطيب للغاصب المحتل سلسله … وابن البلاد بماء النيل غصان

***

لا يرجع الله عهدا دال دائله … ساد السواد به جور وطغيان
كل امرئ عاكف فيه على وثن … والمالكون زمام الامر أوثان
كنا وكانت به أهدافنا سلعا … لهن في مصر اسواق واثمان
بل الزعامة فيه كل متجر … يريد ربحا وحظ الشعب خسران
من كل صائغ أقوال منمقة … كأنه في مجال القول سحبان
على المناصب بين القوم معركة … كبرى لها الف ميدان وميدان
والأجنبي يدير الحرب عن كثب … في مصر وهو قرير العين جذلان
كانوا نعاما اذا نار الوغى اتقدت … لكنهم اذ يسود السلم فرسان
كم أنكرت عهد الاستعمار شرذمة … هم لا سواهم للاستعمار أعوان
زعامة كان الاستقلال في يدها … عصماء يعرضها في السوق دهقان
ما كان في يدها استعمار مصر سوى … قميص عثمان لما مات عثمان

تموز بالثورة البيضاء تاه على   كل الشهور فغض الطرف نيسان
شتان بينهما هذا يفوح به   زهر وذاك ليوم النصر ابان
انعم بها ثورة باتت تسير على   مشكلاتها امم شتى وبلدان
آثارها عربى السمت أسمر من   صميم مصر بماء النيل ريان
فى عصبة من بنى الأهرام شامخة   بناهمو لو يلين الصخر مالانوا
مبرئين من الآراب ما علقت   بما عليهم من الأثواب أدران
غذاهمو من ثمار النيل يانعها   ومن حرائر وادى النيل ألبان
على أكفهمو أرواحهم هبة   منهم لتحرير واديهم وقربان
لهم قلوب على الأوطان سائلة   من رقة وهى يوم الروع صفوان
لم يولدوا فى قصور العز شامخة   يزين أبهاءها حور وولدان
بل ابتنتهم عصور كلها محن   للظلم فيها كما للطيف ألوان
والشعب يصلحه أبناء جلدته   هيهات يأسو جراح الشاء ذؤبان
لا يحسم القول عدوانا على وطن   وانما يحسم العدوان عدوان
لا يطفىء الماء نيران العدو اذا   أغار بل تطفىء النيران نيران
ثلاث عشرة ما شاب الشباب بها   ولا تجاوز سن الرشد غلمان
قد حققت معجزات لا يحققها   لمصر فى عالم الأحلام انسان
ولا تنبأ رمل الضاربين بها   اذا تنبأ بالأسرار كهان
ولا تدور لشعر فى مخيلة   والشعر تدنو له الشعرى وكيوان
انى اتجهنا رأينا نهضة عمما   لها أساسان :انصاف وعمران
ياليت شعرى أعهد السحر قد رجعت   فيه العصا وهى فوق الارض ثعبان ؟
كلا لعمرى ما السحر المبين سوى   عزم شديد القوى يحدوه ايمان

* * *

عهد الخواقين قد طاح الزمان به   ما عاد يزهى بتاج الملك خاقان
قد حطم المارد العملاق قمقمه   فما لغير سواد الشعب سلطان
والملك عبء ينوء الظهر محمله   لاهامة عاطل بالتاج تزدان
ليست ملوك الورى أنصاف آلهة   ولا رعاياهمو فى الارض قطعان
بالأمس كان لنا عرش أقيم على   غير الولاء فلم يصلح له شان
والعرش عزته من عز أمته   ان هان شعب على حكامه هانوا
هيهات يثبت عرش الملك ان هو لم   تسنده من شعبه المحكوم أركان

* * *

تموز ذكرتنى ما لست ناسيه   والذكريات مسرات وأحزان
ذكرتنى القصر اذ طاف الجنود به   وربه عن صروف الدهر غفلان
صريع كاس غريق فى مباذله   يا ليت شعرى اقصر ذاك أم حان ؟
الشعب كان سجينا عند مالكه   فبات وهو لرب التاج سجان
فقضى شريدا فما أدمى القلوب ولا   سالت عليه من الأجفان غدران
والدهر قاض اذا جار القضاة على   حق ففى يده للعدل ميزان

« بقية المنشور على صفحة ٣١ »

الخليج ، قافلة الضياع) ، وحتى قافلة الضياع يتحدث فيها عن مأساة فلسطين ، ومنهج الشاعر في التعبير عن تجربته يختلف عن منهج الشعراء السابقين، فشوقي مثلا عندما تحدث عن نكبة دمشق في قصيدته « سلام من صبا بردى أرق ، ودمع لا يكفكف يا دمشق » تحدث عن القضية في أفقها العام ، والشاعر الرومانتيكي كان مشغولا بذاته عن القضايا العامة في أكثر الاحيان ، ولكن الشاعر الواقعي ارتبطت القضية العامة بذاته ارتباطا كاملا مسئولا :

أنا أيها الطاغوت مقتحم الرتاج على الغيوب
أبصرت يومك وهو يازف هذه سحب الغروب

ولكن السؤال الآن : لماذا ارتبط انتشار الشعر الحر بفترة الثورة وأصبح قالبا لأكثر المضامين الجديدة ؟ من الواضح أن الأمر لا يتعلق بتفسخ إنسان العصر الحديث كما يحلو لكثير من النقاد أن يقولوا تفسيرهم ، لأن الانسان العربي في مرحلة ثورة وليس في مرحلة تفسخ كالغربي اللامنتمي الذي يدرك أن حضارته قد آذنت بالزوال ، ولكن الأمر يتعلق بالشخصية العربية التي حاولت التعبير عنها في مختلف الميادين ، فكانت الثورات العسكرية هي التعبير السياسي والاتجاه الى التصنيع هو التعبير الاقتصادي والشعر الحر هو التعبير الأدبي ، معنى هذا أن الثورة قد حطمت كثيرا من القيود السياسية والاجتماعية والفكرية ، وهكذا حطم الشعراء بأيديهم ما رأوه قيودا تعوقهم عن الانطلاق والحرية . ولكن الثورة حين بدأت عملية البناء الاجتماعي والفكري كانت في حاجة الى تخطيط جديد ، ومن هنا وجدنا — تلقائيا — حركة تخطيط لأصول الشعر الحر في كتاب **نازك الملائكة** « قضايا الشعر المعاصر » ، لأن الحرية ليس معناها الفوضى ، وقد اضطربت المجلات الأدبية بفيض من هذا الشعر الحر الذي لا تحده قواعد معينة — عند بعض شعراء هذا الاتجاه — حتى وصل الأمر الى درجة كبيرة من الفوضى المطلقة في مجلة « شعر » البيروتية . وعندما وصلت الموجة الى ذروتها ، بدأت تنحسر تحت وطء التخطيط والتقعيد والنقد ، وهكذا رأينا نازك الملائكة — **وهي من رواد الشعر الحر** — تعود مرة أخرى الى الشعر العمودي في قصائدها الأخيرة ، مصورة في قوالبه ، مضامينها الجديدة .

« **د. ماهر حسن فهمي** »

ثورة الحرية

للشاعر : أحمد عبد اللطيف بكه

في قيود الذل ، في ذل الشقاء
عاش شعب لم يجد غير العناء
شاءت الأقدار في عليائها
أن تعيد « الحق » في نور الرجاء
ثار « أحرار » ، لتحيا أمة
عزها الله بعز الأقوياء !

في بطولات تجلت ، فانجلت
عتمة ، وانشق « فجر » بالضياء
بين اشعاع بدت « حرية »
قد تنادت ، واستعزت بالنداء
صوتها فيه جلال ماثل
انها تحكي به « صوت السماء » !

« ثورة الحرية » العليا بها
آية التمجيد في معنى العلاء
حطمت ظلما ، بروح عادل
ثم قامت تبتني حر البناء
اذهل العالم ما قامت به
بين آيات التفاني ، والوفاء

قد أعز الله شعبا ماجدا
لم يرد غير التسامي في البقاء
ظن « صوت البغي » في طغيانه
أنه باق ، فأفناه الفناء
بدد الله له ... أهواء
بعد أن أعلى « قصورا » في الهواء
وانطوى عهد — على بهتانه —
كل بهتان مآل لانطواء

والألى خطوا العلا في سيرهم
قد أعدوا « منهجا » فيه الوفاء
عن « جمال » الحق صانوا عهدهم
فاستقام الأمر منهم بالاخاء
ان هذا الشعب في نهضته
يرقب الآمال عن روح الصفاء
حقق الله له آماله
في « نقاء » الروح يحبوه الرخاء !

ثورتنا الثقافية

بقلم محمد عطا

ربما لانغالى اذا ذهبنا الى أن ثقافتنـــا حتى غداة الحرب العالمية الثانية كانت ثقافة ميتافيزيقيـــة او ثقـــافة تعيش على الماضى ولا تكاد تحفل بالصراع الفكرى والمذهبى الذى ساد العالم ولا بالواقع المؤلم الذى يعيش فيه العالم العربى ، كان أعلامنـــا من الكتاب يجترون تراثنا القديم وان اصطنعوا المنهج الحديث فى الكتابة والتاليف ، ولم يخرجوا عن هذه الدائرة الا فى الأقـل الأندر · خرج الدكتـور طه حسين فكتب كتيبه « **المعذبون فى الأرض** » وخرج توفيق الحكيم فى قصته الطويلة « **عـودة الروح** » وربما عالج كتاب آخرون موضوعات ثقافية ثورية ولكن قراءهم كانوا قليلين ولعل تكتابنـا بعـــض العذر ، فقـــد انصرفوا الى الكتـابة عن عباقرتنـا وأجدادنا العظام ومفكرينا حتى لا ينصرف شـبابنا الى عبادة أبطال الغرب وحتى لا تتــكون فيهـــم عقيدة افقار الشرق من المكافحين الابطال ، وهذا خطر شديد كان ينبغى درؤه والتصدى له ، ولا شك أن هؤلاء الكتــاب قد أدوا واجبهم فى هذا الصــدد ، ونحن من أجل ذلك لانحملهم تبعة التقصير أو ترميهم بالسـلبية أو الخنــوع ، لقد مثلوا عصرهم وان لم يمهدوا للعصر الذى بعدهم حتى جعلوا كاتبا من كتابنا يعد تلميذا لهم يفاجأ بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأحداثها وهو الكاتب « نجيب محفوظ » الذى توقف فترة عن الكتابة بعد قيام هذه الثورة حيث قال فى أحد أحاديثـه « وفجـــأة اذا بالرغبـــة فى الكتابة الرومانسية التاريخية تموت فى نفسى ، وأجدنى أتحول الى الواقعيـة فى « القاهــرة الجديدة » بلا مقدمات ، وظللت غارقا فيها حتى أنهيت الثلاثية فى ابريل عام ١٩٥٢ وكانت أمامى سبعة موضوعات لروايات أخرى فى نفس الاتجاه الواقعى النقدى ، واذا بثورة ١٩٥٢ تقوم فتموت معها الموضـــوعات السبعة من حيث الدافع لكتابتها ·

وأذكر أنى عرضت هذه الموضوعات على عبد الرحمن الشرقاوى وبعض الزملاء الادباء ودهشـــوا لانى لم اكتبها ، فما أكثر الذين بدءوا بعد الثورة ينقدون فى أعمالهم الأدبية مجتمع ما قبل الثورة ، أما أنا فقد حدث التوقف الثالث فى حياتى الأدبية ، اذ حينما ذهب المجتمع القديم ذهبت معه كل رغبة فى نفسى لنقده · وظننت انى انتهيت أدبيا ، ولم يعد لدى ما اقوله او اكتبه ، واعلنت ذلك وكنت مخلصـا فيه ولم يكن الأمر دعاية كما ظن البعض ــ وظللت على هذه الحال من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٧ لم اكتب كلمة واحدة ، ولم تنبعث فى نفسى رغبة فى الكتابة وكنت أعتبر المســـالة منتهية تماما حتى وجدتنى أكتب « أولاد حارتنا » وأنشرها سنة ١٩٥٩ » ·

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية قويت الدعـوة الى الاصلاح الاجتماعى ونشر العدالة الاجتماعية حتى فى الدول الرأسمالية كانجلترا مثلا ، وتردد صدى هذه الدعوة القوية فى الدول التى تعانى من الشقاء والبؤس ومن بين هـــذه الدول مصر فانبرى بعض الكتاب القلائل لنشر الوعى الاجتماعى والعمل على التخفيف من حدة الشقاء والبؤس السائدين · فى هذه الفترة بالذات تكونت الطليعة الثورية فى كل قطـــاع من القطاعات ، فى قطاع الجنـود وفى قطاع الاعلام وفى قطاع العمال وفى قطاع المثقفين وأخذت كل طليعة فى محيطها باسلوبها الخاص ولكنهـــا لم تتجمع على صعيد واحد بفعل الظروف القاسية التى يعيشون فى ظلهـــا من تعقب الأحرار فى كل مكان وتشريدهم وتعذيبهم وسجنهم واضطهادهم ·

ومما لا شك فيه أنه كان يسود البلاد فى هـــذه الفترة احساس بالسخط العام ، واحساس بالتغيير المحتـــوم وكانت له نذره وارهاصـــاته من ثورات الفلاحين واضرابات العمال والمظاهرات الصاخبـــة التى كانت تجوب شوارع القاهـــرة وأخيرا حريق القاهرة المروع ·

وفي هذه الفترة بالذات وضعت بذور الثورة الثقافية ، وأعني بها الثورة على المجتمع القديم المتهالك ثورة التحرير ، تحرير الوطن وتحرير المواطن ، والوطن الذي تعنيه هذه الثورة هو الوطن العربي بأسره من المحيط الى الخليج ، والمواطن الذي تعنيه هو المواطن العربي لا المواطن المصرى أو السورى أو الجزائرى أو اليمنى واذن لم تكن حدود هذه الثورة تقف عند حدود مصر ولكنها تجاوزتها الى البلاد العربية التي ترزح تحت نير الاستعباد بكل صوره وألوانه .

ثم انفجرت هذه الثورة بكل طاقاتها حين قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، وكان هذا الانفجار حين نجحت الطليعة الثورية في الجيش في أن تكون لها المبادأة والمبادرة وأن تحقق الحلم الذي كان ينشده المثقفون الثوريون في القطاعات الأخرى ، وأن تمضي قدما في التبشير بالقضاء على الاستعمار والاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم ، وكان معنى هذا التبشير أنها ثورة تقدمية وأن القائمين بها في قمة الطلائع الثورية ثم كانت عند كلمتها واستطاعت أن تحرر البلاد من الاستعمار ، وأن تقضي على الاقطاع ، وأن تقلم أظفار الرجعية ، ومكنت لنفسها بهذا النصر الحاسم في معركة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وباصدار القوانين الثورية في يوليو ١٩٦١ حين أعلنت الدولة الاشتراكية الديمقراطية واعلانها هذا أدى الى أن يلتف حول علمها المثقفون الثوريون الذين أظهروا ترددا قبل هذا الاعلان العظيم .

ومعنى ما تقدم أن الثقافة الثورية قد مكن لها أو مهد لها الطريق ، ولكن ما هي الثقافة الثورية ؟ الثقافة الثورية في مفهومي هي التي تحمل على الرجعية والتخلف وتمكن للأفكار الجديدة التقدمية هي التي تنادي بحرية الوطن والمواطن ، وتمهد للقضاء على الطبقية حتى يعيش الناس في المجتمع متساوين كراما .

ونحن أحوج ما تكون اليوم الى هذه الثقافة الثورية ، وأن نجعل لها المقام الأول لأن سموم الرجعية ما زالت تنفث ، ولأن التخلف ما زال يعشش في أدمغة بعض الذين يعايشوننا ويسيطر على سلوك بعض من يحيون في محيطنا ، ولأن التقدمية معناها التحرك والمبادأة ، معناها التطور والتغير ، ولن يكون تحرك ولا تطور الا بالقضاء على السلبية والتقوقع والانتهازية ، ولأن الاشتراكية فيها معنى عقائدى يحتاج الى تأكيد وتثبيت وتمكين وتوضيح وتفسير ، والى شوط طويل نقطعه ونحن في يقظة وتأهب ، ولأننا شبعنا وارتوينا من الثقافة السلفية ، واذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نمكن للقادة الثوريين من نشر آرائهم وأفكارهم في الأجهزة الثقافية المختلفة ليمهدوا للأجيال القادمة .

ولا شك أننا في العيد الثالث عشر للثورة قد استطعنا أن نحقق هدفا عظيما في ثورتنا الثقافية، هذا الهدف هو جعل الثقافة للجميع ونشر الثقافة في أوسع محيط وبأجهزة الثقافة المتعددة فنشر الكتاب على نطاق واسع في طبعات شعبية وغير شعبية ، وتعددت المسارح ، وتكونت فرق تمثيلية، وأقبل على المسرح رواد متعددون بلغوا مليون مشاهد في العام الماضي وكثرت الافلام السينمائية وتعددت دور العرض التي قدمت فيها أفلام جادة تبشر بنهضة سينمائية في المستقبل القريب ، وتقدم فن الموسيقى وقام على أصول وقواعد فنية أصيلة ، وزاد الارسال الاذاعي والتليفزيوني زيادة مذهلة ولونت البرامج ، وتعددت القنوات والمحطات الاذاعية ، وأصبحت لنا مجلات أدبية وفنية « الرسالة » و « الثقافة » و « الشعر » و « القصة » و « الفنون الشعبية » و « المجلة » و « المسرح » و « الكتاب العربي » و « الهلال » .

ومن المؤسف والمخجل أنه لم تكن لدينا مجلة أدبية واحدة قبيل الثورة ، وقد سجل علينا هذا المأخذ أكثر الكتاب الغربيين .

وعلينا في المرحلة القادمة أن نحقق الهدف الثاني لثورتنا الثقافية وهو التأصيل لثقافتنا العربية محاولين ما امكن تذوق العالم لها بصبغها بالصبغة العربية الانسانية، فتعدد الثقافات ضرورى للحضارة الحديثة اذ أن انتصار الحضارة على زاد واحد معناه جدبها ثم احتضارها اننا نريد لثقافتنا سمتها الخاصة ، وطابعها الخاص ، وروحها الخاصة فاذا قرأها الأجنبي أحس بأنه يعيش في جونا ، ويتنفس بروحنا ويحيا في مجتمعنا ، هذا المجتمع ذو الشيات الخاصة والنكهة العربية ، وقد يرى بعضهم أن تعدد الثقافة يضر بالتقارب العالمي ولكن الامر غير ذلك ، فالتعدد والتلوين والاثراء معناه الحياة والتجدد والخصب والنماء ، ومعناه في الوقت نفسه نشاط المجتمعات الانسانية وحيويتها أما التكرار والمحاكاة فدليل على

الجدب والضعف والتخلف ، فلن يوجد مجتمع تام من غير حركة دافقة ، حركة سياسية واجتماعية وثقافية اننا نريد للقصة العربية في المرحلة القادمة أن تحكي واقعنا ، وتنقل الى العالم مجتمعنا بخيره وشره ، حلوه ومره ، بالنضال الذي يدور فيه ، بالصراع الذي يحتدم فيه ، بالمتناقضات التي تظهر فيه ، بالقوى التي تتجاذبه الى خلف والى امام ، بالطابع الذي يجسده ، والنوازع الانسانية التي تصطخب فيه ، ونريد للشعر الا يكون ذاتيا خالصا بل أن يتغنى بآلام المجتمع وآماله ، ويكون نابضا بالخلجات الانسانية ، هاتفا بالقضاء على المتناقضات ، نابعا من روح عربية أصيلة ، بلغة مسلسلة يفهمها العام قبل الخاص ، فالأدب في عصرنا لم يعد قاصرا على فئة خاصة أو جماعة بعينها ،بل انه يخاطب الجماهير العريضة ، والأديب الحق هو الذي يصل بقوله الى أوسع قاعدة واضخم جبهة ، على أن تأثيره وانطباعاته قد لا تكون بدرجة متساوية في أذهان الجميع فهناك الدارس الواعي الذي يقرأ في عمق وهناك القارىء العادي الذي يقرأ للمسلاة أو هو بطبيعة تعلمه لا يستطيع الوصول الى أغوار الكاتب ولا شك أن مثل هذا الاخير كثرة ، ولكن هذا الأثر السطحي بمعونة الناقد يرفع مستوى الجماهير ، ويدفع بعضهم الى أن يتابع قراءاته ، ويولى الموضوعات المطروحة اهتماماته • لقد كان الشاعر الجاهلي القديم يخاطب جمهور القبيلة باللغة التي يفهمها ويتذوقها فيطرب له ، ويطلب المزيد من انشاده ، فعلى شاعر العصر أن يخاطب جمهوره بلغة عصره واسلوب عصره وتفكير عصره حتى يفهم عنه وحتى يكون تأثيره أعظم وأعمق •

وكذلك الأمر بالنسبة لكاتب المسرحية الذي يجب أن يتخذ موضوعه من واقع الجماهير ومن حياتهم وانه لما يبشر بخير أن بعض الكتاب المسرحيين المعاصرين في بلدنا قد نهجوا أخيرا هذا النهج وظهرت مسرحيات لامعة لبعض كتابنا كسعد الدين وهبه والدكتور يوسف ادريس ومصطفى محمود ونعمان عاشور وتوفيق الحكيم ورشاد رشدي ولطفي الخولي ،مسرحيات نرى فيها حياتنا أو جوانب من حياتنا وتعرض لنا بعض مشكلاتنا والمتناقضات القائمة بيننا •

وثورتنا الثقافية حتى تكتمل أركانها وعمدها ينبغي أن تطور نفسها يطلع مثقفونا على المنابع الثرة من الشرق والغرب ، ويدرسوا اتجاهات الفنون الحديثة وأسلوبها وأفكارها ويفيدوا من الآثار الرائعة والقمم الشامخة في الآداب العالمية ، فالتلقيح الثقافي يؤدي الى اخصاب قوي يحمل بذور البقاء والخلود ، وثقافتنا على مر العصور كانت ثقافة قائمة على الاخذ والعطاء ، وخاصة في عصرها الذهبي في العصر العباسي • انها ثقافة ليست مغلقة أو متعصبة ولكنها ثقافة مفتحة النوافذ ، متجددة •

لقد ركدت ثقافتنا فترة طويلة وخاصة في عصور المماليك والأتراك ولم تبدأ في النهوض الا في أخريات القرن التاسع عشر حيث حاولت بعث التراث القديم ، وترجمة الآداب العالمية وظلت تعيش على ذلك حتى ثلاثينات القرن العشرين ، وهنا بدأت تشع اشعاعات كانت ارهاصا للنهضة الثقافية ثم خاض المجتمع العربي حربا عنيفة ضد الاستعمار ، وبرز المقال في هذه الفترة ثم كان مبدأ ظهور القصة الحديثة في « زينب » للدكتور محمد حسنين هيكل •

وهذا التخلف الثقافي الطويل وهو انعكاس للتخلف العسكري والاقتصادي كان من الصعب التحرر منه ونحن يخنقنا الاستعمار والاقطاع فما أن تخلصنا منهما ، وبدت قوتنا العسكرية والاقتصادية حتى كانت نهضتنا الثقافية الاصيلة التي يمكن ان يؤرخ لها مؤرخ الادب الحديث بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبالاحرى عقب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ •

لقد اصبحت لنا شخصيتنا الدولية المستقلة ، واصبح لنا كياننا المادي ، واصبحنا أحرارا كراما نشعر بالحرية والكرامة ، وهذا الشعور هو الذي حرر افكارنا ، ونقلنا نقلة كبرى الى أن نسجل هذه الأحاسيس والمشاعر وأن يظهر فننا بمظهر القوة والثراء ، وأن يزيل منا عقدة مركب النقص ،وأن نسطر مكنون نفوسنا ، وأن نصور الآمال العراض التي تملك علينا آفاقنا ، ونجسد الآلام التي كنا نجول فيها أو نضج منها ، وان نشارك اخواننا لنا لم تتح لهم الحرية بعد آلامهم واشجانهم في الوقت الذي اتينا فيه الا أن نحمل معهم السلاح وأن نخوض معهم المعارك وأن نشاركهم التضحيات ، وأن نخاطب الضمير العالمي ليؤيد دعوتنا الصادقة في المساواة الحقيقية بين البشر ، فلا أسود ولا أبيض • ولا حر ولا عبد وكذلك في المساواة الحقيقية بين الامم فلا قوى ولا ضعيف ولا كبرى ولا صغرى ، وسنظل نحمل السلاح والقلم ولن نتخلى عن أي منهما حتى تحرر الشعوب ، والافراد على السواء •

« محمد عطا »

رسالة .. الى وحدوي .. سجين

للشاعر: علي محمد محمد

صديقي !.. ايها الخالي الى نفسك ..في السجن
تصون جبينك العالي عن الاطراف .. والحزن
وخلفك .. شعبك الغالي شهيد البطش .. والغبن
وحشد رؤى .. وآمال وراء كفاحك المضني
تلفت نحوك الفجر .. يعانق روحك الحرة
وحام المجد .. والنصر .. على وحدتك .. المرة

***

اخي !.. والليل حول السجن .. مصلوب على الافق
وغول الصمت .. يفغر فاه .. يفغر فاه .. كالنفق
يشل الحس .. في الآذان .. والاقدام .. في الطرق
وانت هناك .. ترقب موكب الاجيال .. في قلق
تشق السفح صاعدة .. لفجر القمة الفضي
فتجذبها حبال الليل .. في عنف — الى الارض

***

اخي !.. مافصة السجان .. في اسطورة الزمن ؟
تحجر خلف باب السجن .. حتى عاد .. كالوثن
واعفن روحه .. المنخوب .. كالجثمان في الكفن
فلم يمنع اكف الريح .. ان تنساب .. بالسفن
الى الشطآن .. والعمران .. خلف العالم الازرق
لتفرش دربنا .. العربي .. بالريحان .. والزنبق

***

اخي ! .. لن يحبسوا التاريخ .. في اعماق زنزانه
اخي .. لن يعصبوا في ظلمة الاسوار .. اجفانه
اخي .. فليسال الطاغوت — تحت القبر — اقرانه
فكم وقفوا امام الوعي .. يحتبسون طوفانه
وكم قتلوا .. وكم سحلوا .. وكم شنقوا .. وكم خنقوا
وفوق قبورهم .. عبرت خطى التاريخ .. تنطلق

***

صديقي .. اننا نجرى مع التاريخ .. في المجرى
طلائع نحن .. نرتاد المصير .. ونسبق العصرا
نقبنا في جدار الليل نقبا .. افرغ الفجرا
فاشرق فوق امتنا .. صباح الوحدة الكبرى
ومهما اسرف الاقزام .. في الطغيان والعسف
فلن يتقهقر التاريخ .. لن يرتد .. للخلف

***

اخي ! .. لم تبق ايام .. نبعثرها على الدرب
تعثر خطونا .. حتى تخلفنا .. عن الركب
شاونا الغرب في الماضي .. وعدنا طعمة الغرب
يمزق شملنا .. ليصول فوق مجالنا الرحب
فقل للثعلب المخمور .. عندك .. من دم الفتنه
ستغرق قبرك الاجيال .. في سيل .. من اللعنة

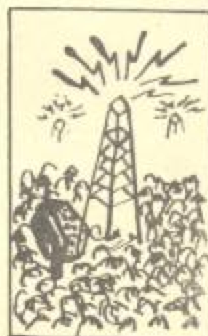
***

صديقي !.. عندما يبدو شعاع الفجر .. في الافق
ويصحو الشعب .. لا الفرد على اضوائه .. الباق
ويوضع عندنا .. حد للاستغلال .. والرق
فلا تسمع من يشدو بغير العدل .. والحق
هنالك .. ينصت الفرع .. الى ترنيمة الجذر
ويقضى ذلك الوضع .. على الحرمان .. والفقر

الثورة والإذاعة

« ان الثـــورة تنظــر الى الاذاعة كجامعـــة عامة ، مفتـــوحة الابواب للجميع توزع عليهم من الثقـــافات الادبية والفنية ، ما لو صح لاعان على تربية الشعب التربية القومية التي تزيد من قواه الروحية ، وتؤكد من طموحه ، وتثبت عقيـــدته في مثله الوطنية العليا .. »

جمال عبد الناصر



الدكتور : محمد المعتصم سيد

ثلاثة عشر عاما مرت على ثورة ٢٣ يوليو المجيدة .. التي قامت لتعيـــد بناء وطننا من جديد .. وعملت منذ اللحظات الاولى لنجاحها على ان تسابق الزمن لتعوض الشعب ما فاته خـــلال سني التخلف والظـــلام .. ولتلحق بمواكب التقدم التي سبقتنا اليه دول كثيرة .

وقد انعكس هذا النشاط البالغ على شتى مرافق حيـــاتنا .. فشملته يد الزعامة والاصلاح والتطـــوير . وكان طبيعيا ان تظفر الاذاعة بنصيب كبير منه .. وكان هـــدف ثوار مصر أن تقوم الاذاعة برسالتهـــا على خير وجه في الداخل وفي الخارج .. وان تكون الرســـــول الامين لمصر الثورة التي انطلقت عـــلى الدرب التحررى الوطني .. فرسمت لها سياسة هدافة ترمي الى الترفيه عن المستمع في الداخل وزيادة وعيه القومي ، واسماع صوت مصر للخارج .

والذين عاصروا الاذاعة منذ قيامها عام ١٩٣٤ ، يشـــــهدون بأن الطفرة الهائلة التي انطلقت بها برامجهـــا وموادها وساعات ارسالها وكل مرافقها لم تتم الا مع مطلع ثورة ٢٣ يوليو - بحيث يؤكدون أن مولد الاذاعة الحقيقي كان مع ثورة مصر الخالدة .. وأصبحوا يؤرخون لها منذ ذلك التاريخ باعتباره النقطة التي انطلق منها صوت مصر الحقيقي ، صوت الحرية والاحرار .

وبقدر ما كان ثوار مصر حريصين على أن تقوم في البلاد اذاعة وطنيـــــة سليمة الاسس والاهـــداف .. قوية تستمد قوتها من قوة ايمان الشعب وصدق احساساته ، بقـــدر ما حرص اعـــداء مصر ممثلين في الرجعيـــــة والاستعمار على محاربة أقوى أجهزة اعلامنا .. واكثرها انتشـــــارا دون هـــوادة ، فاطلقوا عليهـــا محطاتهم السرية والعلنية تحـــاول ان تشكك المستمعين في صدق ما تذيعه اذاعة

القاهرة بأكاذيب ومفتريات لم تدم طويلا .. بل كانت سببا هاما من اسباب التفاف المستمعين في الخارج حول اذاعة مصرالتي حركت مشاعرهم الوطنية وهزت قلوبهم الى حد انها ارقت أعداءها .. وباتوا يتلمسون السبل للقضاء عليها . ورأوا في العدوان الغاشم فرصة ليخمدوا صوتها بقنابلهم .. ولكنهم نجحوا فقط في أن يزيدوا ايمان الناس بها وحرصهم على الاستماع اليها .

وقد قامت اذاعة القاهرة بدور طليعي في مساندة الحركات الوطنية في العالم .. شهد له الجميع ..فكان موضع التقدير والثناء من جانب الاحرار المناضلين ، ومثار السخط والاحتجاج من جانب الدوائر الاستعمارية ، كانت الاذاعة المصرية وراء الثورات التي قامت في دول افريقيا وآسيا تنادي **بالحرية والاستقلال** .. وكانت ايضا وراء الحركات التي قامت في امريكا اللاتينية لتحدد معالم السير ، لشعوب دولها .. ووقفت من المسائل العالمية ، كموقف التجارب النووية والتسابق الذرى ، ومشكلة توحيد المانيا ، وقضية قبرص ، وموضوع التفرقة العنصرية وغيرها ـ وقفة الاحرار التي تدعو الى حسم هذه المشكلات بما يتمشى مع ارادة الشعوب الحقيقية وبما يؤيد الدعوة الهائلة التي نشأت للتعايش السلمي .

وكانت رسالة اذاعة القاهرة من هذه الانتفاضات الثورية والمواضيع السياسية الكبيرة التي تشغل الرأى العام العالمي رسالة هدافة ترمي الى توضيح الرؤيا امام المستمعين .. والوصول بهم الى اعماق الحقيقة . ولم تدخر في هذا وسعا .. بل سعت الى تحقيقه عن طريق البرامج الخاصة وارسال مندوبيها الى مكان الاحداث لتكون رسائلهم خالية من خلط الوكالات الاجنبية وتشويه الاذاعات الاستعمارية ، وقد نجحت في هذا الدور الى أبعد الحدود .. فقفز اسمها الى مصاف الاذاعات الأولى في العالم .

ولما كانت الاذاعة المصرية تهدف الى خدمة المستمع المحلي في الداخل ، كما تعمل على اسماع صوت مصر للعالم ..فقد روعي في تقسيم فروعها وبرامجها ما يخدم هذا الهدف الذى طرا عليه كثير من التغيير والتعديل ليتمشى مع الطفرة الكبيرة التي انطلقت منها لتصل الى ابعد الغايات .

بدأت الاذاعة بساعات ارسال لم تتجاوز ١٢ ساعة يوميا .. ووصلت اليوم الى اكثر من ١٧٠ ساعة يوميا . وبدلا من أنها كانت تقدم في عام ١٩٥٢ برنامجها العام فقط .. اصبحت اليوم تقدم الى جانب البرنامج العام (٢٠ ساعة يوميا) صوت العرب ٢١٫٥ ساعة واذاعة ركن السودان ٦٫٥ ساعة ، والبرنامج الثاني ٣ ساعات ، ومع الشعب عشر ساعات والشرق الأوسط ٩٫٥ ساعة ، واسكندرية المحلية ٧ ساعات ، والبرامج الأوربية ١٥ ساعة ، والبرامج الموجهة ٧٢ ساعة ، والقرآن الكريم ١٤ ساعة .

وكان عدد الموجات التي تذيع عليها عندما قامت ثورة مصر محدودا ولا يتجاوز مجال انتشارها حدود البلاد ، فاصبحت الآن تغطي جميع أنحاء العالم بقوة ووضوح ، وتعددت الموجات القصيرة والمتوسطة ونفذت مشروعات استكمال حقل الهوائيات الموجهة والصواري في أبي زعبل والمقطم والمنصورة وابيس بعدد هائل من الصواري والهوائيات الموجهة لاستخدامها في ربط مناطق الاستماع بما يكفل للمستمعين في كافة الأنحاء استقبال موجات اذاعة القاهرة والاستمتاع بما تقدمه لهم من برامج مختلفة .. واصبحت اذاعتنا بفضل هذا الجهد الجبار ثاني اذاعة في العالم .

وفي مجال النشاط الدولي ..

تسهم اذاعة القاهرة بقدر ملحوظ في المؤتمرات التي تعقد سواء في الخارج أو على أرضها لتبادل الخبرات وتحسين الخدمة البرامجية وتقوية الاواصر بين الاذاعيين . وتنظيم توزيع الموجات الاثيرية . وقد بلغ عدد المؤتمرات التي اشتركنا فيها خلال السنوات الماضية حدا يقطع بنشاطنا في هذا المضمار .

وفي مجال النشاط الاقليمي ..

انتظمت وفود الاذاعيين من سائر أنحاء الوطن العربي للالتحاق بمعهد التدريب الاذاعي الذى أنشأته اذاعة القاهرة لصقل المواهب الاذاعية ، وتمكين العاملين في الاذاعة من دراسة أساليب العمل بها على أصول علمية تبعدهم عن مجالات الارتجال ومدة الدراسة في هذا المعهد ثلاثة أشهر ويعمل ثلاث دورات سنويا .

وبعد .. ففي خلال هذا المدى القصير .. وصلت الاذاعة الى هذه المرتبة المتقدمة .. وهذه المرحلة الهامة من مراحل تطورها .. نحو الصدارة ولا شك أن الجهود الثورية التي بذلت وتبذل لتحقيق هذا المستوى المشرف تضعها موضع التقدير والعرفان .

اما المواطنون الذين لمسوا هذا النشاط الهائل الذى وفر لهم وقتا طيبا من المتعة والتثقيف .. فانهم ولاشك يقدرون هذا التوجيه حق التقدير .. ويشجعون القائمين عليه بما يحفزهم الى المضي في سبيل تحقيق رسالتهم .

« د . محمد المعتصم سيد »

ثورتنا فى الشعر المعاصر

بقلم عبد الرحمن البجادى

ظهرت الانطلاقة العربية الكبرى ممثلة فى ثورة (٢٣ يوليو) التى انتشرت أضواؤها فى العالم : فى افريقيا ، وفى آسيا ، وفى أمريكا اللاتينية ، وأحدثت شلالاتها تتدفق فى مجالات شتى ، فى مجال السياسة ، وفى مجال الاقتصاد ، وفى ميدان العلم ، وفى ميدان الفنون بعامة ، والأدب خاصة ، وأحدثت الثورة تغييرا كبيرا فى المفاهيم الاجتماعية والقيم الحضارية ، كما خلقت جيلا جديدا من الكتاب والباحثين والمؤلفين ، وعملت على تعميق مجرى الثقافة العربية الاسلامية ، والحفاظ على مقومات الأمة وتراثها ، مما يشهد لها بالفخر والاكبار فى صفحات التاريخ البيضاء .

واذا كانت الثورة قد اقتلعت جذور الطغيان ، وأحدثت دويا هائلا فى الداخل والخارج بانتصاراتها الرائعة ، فانها عملت على ايجاد نهضة ثقافية شاملة ، فانشأت عددا كبيرا من المسارح والمجلات ودور الاذاعة .. ولكل منها رسالة خاصة ، واستطاعت أن تؤثر فى الوجدان الأدبى ، فظهرت تيارات متباينة الا أن مناطها كان يتخذ طابعا ثوريا .. ثوريا على الماضى ومخلفاته المتآكلة ، وثوريا على الطبقية والانحراف الفكرى ، وكانت رسالتها العمل على تذويب الفروق وتشجيع المؤلفين ، وتقدير المتفوقين فى شتى الفنون والعلوم .

وان الباحث فى التاريخ الأدبى المعاصر ليروعه هذا الحصاد الهائل من جيل الثورة الناهض ، ففى ميدان المسرح والقصة والشعر ظهرت طاقات خلاقة، استمدت أفكارها من ينبوع الثورة ومعينها الخلاب ، وتحول تيار الأدب من اجترار أفكار بالية الى اعطاء أضواء جديدة ، يصعب على الباحث تقييمها فى مقالات عديدة ، لتعدد اتجاهاتها وفنونها ، ولتأثرها بالتيارات الثورية العالمية .

وسنحاول هنا أن نلقى ضوءا على أثر ثورتنا فى الشعر العربى المعاصر ، وموقف بعض شعراء العربية فى مصر وغيرها من هذه الثورة والانضواء تحت لوائها ، وان كان هذا يحتاج - كما قلنا - الى دراسات ورسائل جامعية تضطلع بتقييم هذا الحصاد الثورى فى مختلف مراحله وصوره .

لقد استطاعت الثورة أن تحمل على عاتقها مهمة تطهير الوطن من الدخلاء والأجانب ، ولكن كان عليها أن تحرر المواطن من استغلال فئة خاصة كانت تسير فى ركاب المستعمر وهى طبقة الاقطاعيين والمستغلين ، فاصدرت قانون الاصلاح الزراعى الأول ، وحددت الملكية بمائتى فدان أولا فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ثم كان لهذا أثر كبير عند الشعراء ، فنظموا القصائد فى تمجيد الثورة والفلاح ، الذى حال استبعاده للأرض ومالكيها وللشاعر (**محمود حسن اسماعيل**) قصيدة طويلة بعنوان (الأرض) بداها قائلا :

بين ذل الثرى ، ودمع الحفاة
هبت الأرض من عميق السبات
نفخ الصور فى رباها ، فقامت
تحصد الظلم فى صدور الطغاة
ضرب الله ليلها بضحى البعث
فضجت قبورها بالحياة

وتحدث عن قصة الأرض التى تعذب أهلها والتى تشكو ولا من يرثى لها ، كما تحدث عن العابد الذى (يأتى بأفصح المعجزات) حينما يمس جبهة الأرض، وكيف كانت للظالمين فيها صولة ، حتى عادت الى أصحابها ..

قرع الحق بابه .. فاذا الظلم من الروع ذرة فى فلاة
واذا الظالمون صرعى .. عليهم كفن الظلم شائه المخزيات
قرع الحق بابه .. فاذا الطاغون وهم على بقايا رفات
واذا قصة المواكب والأسياد تهوى ذليلة الكلمات ..

ولكن هذا القانون لم يعجب كبار الملاك والاقطاعيين ، وهذا أمر طبيعي .. فعلت صيحات تنكر هذه الخطوة الاصلاحية ، وهنا نقرا للأستاذ « **علي الجندي** » قصيدة (دولة الاقطاع) التي قالها حينما تبرم كبار الملاك من أخذ أرضهم وفيها يوجه الحديث اليهم في عنف فيقول :

يابني « الطين » مالكم
قد عميتم عن الرشد
كلكم يحمل الجوى
بين جنبيه والكمد

ويبين لهم ان الأرض من حق زارعها الذي يقف عمره على العناية بها ، وليست من حق من ينام في مقاصيره ، أو ينفق أموالها فيما لا يرجى منه فائدة :

ليست الأرض أرض من
في مقاصرة رقد
منفقا ريعها على
ربة الدل والغيد
انما غلة الضياع لمن
جد واجتهد !
انها للذي سقى
غرسها والذي حصد !!

وبعد قضية الأرض تأتي قضية الجلاء الذي تحقق على يد رجال الثورة في عام ١٩٥٤ بعد أن ظل الاستعمار جاثما على أرض مصر أكثر من سبعين عاما وتسهم مصر مساهمة فعالة في المؤتمرات العالمية الكبرى ، وكان مؤتمر باندونج الذي عقد في ابريل سنة ١٩٥٥ واشتركت فيه ٢٩ دولة مستقلة من شعوب آسيا وافريقيا تضم أكثر من نصف سكان العالم ويسهم الشعر كذلك في تمجيد هذا العمل الانساني النبيل ، الذي علت فيه لأول مرة أصوات شعوب القارتين وهي تؤكد اصرارها وعزيمتها على السعي قدما الى الأمام ، والوقوف بين الكتلتين المتصارعتين في الشرق والغرب، وتبنت هذه الشعوب سياسة الحياد الايجابي ، والتعايش السلمي ، وعدم الانحياز .. ولكن سرعان ماذبر الاستعمار مؤامراته وحاول أن يشل قوى مصر ويكيد لها ، فبدأ في انشاء أحلاف وقواعد عسكرية تحيط بمصر، وبدأت مصر تبحث عن تراثها وكنزها الضائع .. ولم يكد يأتي العيد الرابع للثورة حتى أعلنت تأميم القناة في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ فاهتز لهذا النبأ كثير من زعماء العالم واقطابه .. وكان للشعر دوره الفعال في هذه المعركة ويصور الشاعر **محمود غنيم** هذه الفرحة في قصيدته « تأميم القناة » فيقول :

حينما قال (جمال) : أممت
رقص الوادي وغنت ضفتاه
وسرت في كل عطف هزة
وتمشت بسمة فوق الشفاه
واظل النيل عيد شامل
فيه حيي كل مصري أخاه

وتمر الأيام والثورة تنتقل من نصر الى نصر ، ويبارك انتصاراتها الشعراء في مصر وغيرها من البلاد العربية ، حتى اذا ماجاء ٢٩ أكتوبر من نفس العام حدث العدوان الثلاثي ، وأفاض في الحديث عنه شعراء العربية وغيرها ، وفي مقال ـ دور الشعر في معركة بورسعيد ـ بالثقافة عدد ٧٧ صورة لموقف شعراء العروبة وغيرها من هذه المعركة التي خرج فيها الشعب ظافرا منتصرا يردد هذه الأغنية :

اني ملكت في يدي زمامي
وانتصر النور على الظلام
وغردت حمامة السلام
اني ملكت في يدي زمامي

وتتجه الثورة بكل قوتها نحو تدعيم الكيان العربي وتوحيده في جمهورية عربية متحدة شع سناها ، ومالبث الأعداء أن تربصوا بها الدوائر ؛ فحاولوا أن يقضوا عليها في المهد ، ولكنها كانت أقوى من المؤامرات والمتآمرين وجلجل صوت الشاعر السوري المعاصر **سليمان العيسى** قائلا :

ياليالي الضياع والقيد زولي
نحن ياقوت وحدة لن تزولا
وحدة تلهم الكواكب مسراها
وتمشي في القفر ظلا ظليلا
وحدة تفجر الينابيع في الكون
فراتا يسقي العطاش ونيلا
وتلم المعذبين بأرضي موجة
لن تضل بعد السبيلا !!

وفي ٩ يناير سنة ١٩٦٠ أعلن بدء العمل في السد العالي الذي كانت معركة القناة معركة دامية من أجله .. واخذ الشعر دوره في الاشادة بهذه المعجزة الكبرى التي حدت بالشاعر أن يقول :

قالوا العجائب سبع قلت : ويحكمو
ما هذه السبع الا سد أسوان

واسهم الشاعر (عزيز أباظة) بقصيدته

المشهورة عن السد التي تشدو بها (أم كلثوم) ، كما صور هذا الشاعر **على محمد حمد** الذى فاز بجائزة المجمع اللغوى هذا العام عن ديوانه الأول.. وفى قصيدته (فى مهرجان السد) يقول :

ايه أسوان أى فجر من العمران واليمن شع فوق الدرب؟
يابنة الشمس أى وعد مع التاريخ ناداك من وراء الغيوب؟

ويصور هذه الهمة والوثابة ، وتلك الانطلاقة الرائعة ، التى فجرت الجبال وقيدت النيل بعد أن ظل يهدد الأرض فى موسم الفيضان ، ويصور مقدار مايجتنيه الشعب من وراء هذا العمل الرائع فيقول :

وهدير الآلات يعصف بالصمت الذى من قديم رواقه
والنسور السمراء تحتل اكتاف الروابى فى وثبة وانطلاقه
فجروا السد فى الجرانيت وشقوا فى جوفها انفاقه
هيكلا للرخاء والسلم تبنيه على النيل قوة خلاقه

وتأتى القوانين الاشتراكية التى ترفع من شأن العامل والفلاح فيسهم الشعر بدوره كذلك فى تمجيد هذه الأعمال الرائعة ، كما يبارك هذه الخطوات التى تعمل على توفير سبل الخير والرفاهية للشعب .. هذا بالاضافة الى تدعيم الصناعة وانشاء أكثر من ٨٠٠ مصنع فى أنحاء الجمهورية كان له الأثر فى القضاء على سيطرة الاستعمار والتحكم فى اقتصادنا ، كما استطعنا أن نقضى كذلك على هذه الأسطورة القائلة بأن مصر لا تصلح الا كبلد زراعى فقط وقد أوجز الشاعر **صالح جودت** فى (نشيد الثورة) الذى القاه فى مؤتمر الأدباء العرب الذى عقد بالكويت سنة ١٩٥٨ .. أوجز ما جاء به فجر يوليو ، وما حققته الثورة ، فقال :

أيا فجر يوليو رعاك الاله
وبوركت فى كتب الدعوة
صحونا على صيحة كالرعود
ونادى المؤذن بالثورة
فقمنا وثرنا مع الثائرين
على الظلم ، والبغى ، والرشوة

الى أن يقول بعد أن يشير الى ما حققته الثورة :

وكم وعدونى .. ولو لم يفوا
بالوعود لثرت على ثورتى !!

ولم تقتصر تأثيرات الثورة على الأدب العربى فى مصر وحدها بل أثرت كذلك فى البلدان العربية الاخرى ، ونحن نعلم مقدار ماأسهمت الجمهورية العربية المتحدة فى الحركات التحررية فى الجزائر وفى اليمن ، وفى ثورة العراق وغيرها من ثورات أفريقيا مما كان له صدى فى أعمال الشعراء المعاصرين .

ولاننسى مقدار مابذلته الثورة من جهد تجاه قضية فلسطين ، هذه القضية التى مازالت رهينة البحث فى المؤتمرات الدولية وفى الأمم المتحدة ، وقد أسهمت الثورة مساهمة فعالة فى انشاء المنظمة الفلسطينية ، كما أنها طرحت القضية فى مؤتمر القمة الاول والثانى ، ودعت الى انشاء قيادة عربية واحدة .. وبدأت فى تحويل مجرى الاردن وضرب الحصار الاقتصادى على اسرائيل حتى يعود المشردون الى ديارهم ..

وفى ديوان (مع الغرباء) نجد الشاعر الفلسطينى **هارون هاشم رشيد** يغنى لباعث الكيان الفلسطينى، يغنى لناصر الشعب فى قصيدة بعنوان «لهذا اغنى .. لناصر شعبى» فيقول :

لهذا أغنى لناصر شعبى
لباعث مجدى له انظم
لمن عند أهلى وشعبى وقومى
هو الفجر والنصر والبلسم
لمن حقق النصر فى بور سعيد
وحطم أحلام من أجرموا
أغنى له كل عمرى أغنى
وانى به كلف مغرم !!

وهكذا استطاعت الثورة أن تؤثر فى ادبنا العربى والتف حولها عدد كبير من الشعراء ، أسهم بقلمه فى ارساء دعائمها ، وتمجيد انتصاراتها فى الداخل والخارج ، واذا حاول الدارس أن يفتح ديوانا أو مجموعة من الشعر فكثيرا ماتصادفه قصائد تنبىء عن أن الثورة لم تكن منعزلة عن الشعب ، ولا عن ركاب العربية ، كما أن الشعب لم يتخل أبدا عن مساندة الثورة والانضواء تحت رعاية قائدها الملهم هذا الشعب الذى تغنى يقول : **كامل الشناوى على لسانه :**

أنا الشعب ، شعب العلا والنضال
أحب السلام ، أخوض القتال
ومنى الحقيقة ، منى الخيال !!
وعندى الجمال ، وعندى «جمال»

وفيما قدمنا من نماذج . شاهد على مقدار أثر ثورتنا فى الشعر المعاصر . هذه الثورة التى حققت فى ثلاثة عشر عاما لم تحققه ثورات أخرى فى أكثر من مائة عام ، ذلك لانها ثورة من الشعب والى الشعب .

دور الشعر في التمهيد للاشتراكية
من زاوية قضية الأرض

بقلم : إسماعيل الصيفي

لقد كان «اغاني الكوخ» — اول داووين «محمود حسن اسماعيل» — من اكبر الاعمال الشعرية التى عالجت «قضية الارض» في الشعر العربى قبل الثورة بوعى وثورية . غير ان صدور ديوان يحتضن الفلاح ومشكلاته ، والكوخ واحلامه لا يكفى في مقام التدليل على وجود ظاهرة ، ولابد — بجانب ذلك — من ابراز هذه الحقيقة ، وهى اننا لا نكاد نعرف شاعرا عاش في العقدين السابقين على الثورة ، ولم يغمس يراعته فى احزان الفلاح ، ويسطر بها قصيدة او ابياتا .

ليست هذه عدوى تفشت فى الشعراء ، ولا بدعة انتشرت بينهم ، ولكن اقتراب فجر الثورة فى تاريخ كل امة عظيمة لابد ان تسبقه نذره وبشائره ، انها بمنزلة الطرقات على باب التاريخ ، غير انها طرقات لا يعلم تأويلها ، الا بعد ان تحين الساعة — ساعة الصفر — فعندئذ ينكشف الغطاء ، ويدرك الناس كنه ماكانوا يجهلون .

يواكب «اغانى الكوخ» على الطريق الاشتراكى انتاج شعرى خالد ، لم يظفر باهتمام نقاد الادب ومؤرخيه بعد ، برغم ما يمتاز به من طرافة الموضوع وصدق التجربة ، وبساطة التناول ، ذلك هو انتاج الشاعر محمد السيد شحاته الذى اصدره فى جزءى ديوانه «بين احضان الطبيعة» ، فلقد وقف الشاعر اعماله فى هذين الجزءين على القرية ، بكل ما تحويه من زروع وترع ، وحيوانات وطيور ، واناس وفصول ..

ويلاحظ على شعر هذا الديوان ما يلاحظ على كل شعر خالد ، من انعكاس الحالة الوجدانية الخاصة بالشاعر والعامة للوطن .. على كل ما يصور ، انه ينظر الى الريف من خلال عدسة لونتها ذاتـه ومجتمعه بالقلق والاسى ، فهو يتحدث عن البطيخة — موضوع طريف — فتبكى كلماته حين يقول لنا :

نمت على الارض لم يصعد بها زمن
كان ايامهـــا مـــن نـــوع ايامى

ويحدثنا عن الغراب — موضوع طريف ايضا — فيقول له :

لـم لا تشـــيب وانت اول رائى
اولـى الدماء على ثـرى الغبـراء ؟

لم يساله في احساس عميق واع بفداحة الطبقية:

خاطب ضـياع الاغنيـاء وقل لهـا
كم مـن ضـياع فيـك للفقـراء

هذان البعدان — الذاتى والاجتماعى — للتجربة يخصبانها ويعمقانها ، ويجعلان طرافة الموضوع ترسم على الشفاة ابتسامة عذبة ، لا تلبث حتى تصبح ابتسامة معذبة .

والديوان — بعد — في حاجة الى توفر واحتشاد لا يتاحان لى الآن لعدم وجوده بين يدى ، وما دمت قد اردت لهذا المقال ان يبرز ما اعده ظاهرة وتيارا فى الشعر العربى ، واعنى «قضية الارض» . فان تعديد الامثلة هو ما يقتضيه المقام من مقال .

وها نحن اولاء نرى «العوضى الوكيل» في ديوانه «شفق»يصورلنا مأساة الفلاح فى حديثه عن «الريف المصرى» ، فبعد ان صور روعة الجمال الطبيعى فى الريف ، وقبل ان يعود الى تصوير هذه الروعة مرة اخرى يقول :

يا لهـذا الفلاح تنكـره الدنيـا
ولكـن فضـــله معـــروف

ان مضى الناس يجحدون مساعيه
تولـى الدفاع عنـــه الرغيف

قانـع بالذى يجـىء من الـرز
ق ، ولكنـــه ابى عيـــوف

ينبع الخيـر مـن اصـابعه تلك
فيروى وهو الظمى اللهيف

مـمن جهـــده ســواه من النا
س ، ولكنــــه ضـئيل نحيف

وهنا نقدم ملاحظة توشك ان تكون ظاهرة عامة فى الشعر الذى يعالج «قضية الارض» هى ان

تصوير حرمان الفلاح يقترن بتصوير روعة الاطار الطبيعي للحياة من حوله . وقد تجلت هذه الظاهرة في ديوان «اغاني الكوخ» ، وكان شعراءنا قد هدتهم فطرهم الى أن ابعاد المأساة لا تكتمل الا بتصوير طبيعة الريف ، وبابراز ما فيه من جمال ، فالذي لا شك فيه ان هذا الاحساس بالتضاد بين الاطار الطبيعي وحالة الانسان الذي يعيش فيه من شأنه ان يعمق الشعور المأسوي لدى القارىء ، وأن يدل على رحابته لدى الشاعر ، ولا سيما اذا كان هذا الانسان البائس هو صانع ذلك الاطار الخلاب .

وننتقل من رصد هذا الاطار الطبيعي «للحياة» في الريف الى رصد الاطار الطبيعي «للموت» فيه ، وليس هذا من قبيل التداعي اللفظي بين الحياة والموت وانما هما زاويتان تعمقان احساسنا بالهوان الذي يبلغه الانسان في ذلك الاطار حيا وميتا .

يعود « الهمشري» الى قريته الشبلاوين طامعا ان يموت هناك بين المروج العاطرة ، حيث يلتحف البنفسج ، وحيث تطالع عينه لآخر مرة صورة الروابي الخضر ، وتصافح سمعه – لآخر مرة – صدى خرير المياه وهو يسري الى الموت ، فيقول في قصيدة « العودة » :

اموت قرير العين فيك منعما
يخدرني نفح من المرج عاطر

ويلحفني فيك البنفسج ، ولتكن
مسارح عيني الربا والمخاضر

وآخر ما اصغي اليه من الصدى
خريرك يفنى وهو للموت سائر

غير ان هذه «الميتة الشاعرية» لا تتاح للشاعر ، لان المرئيات والاصوات – تحت الاحساس القاصم بالفاقة – تبدو له دميمة شوهاء ، تملؤه رعبا ، فيحزنه الا يجد ذلك العزاء الشاعري الخلاب ، فيصرخ مجهشا بالبكاء :

ولكن بلا جدوى اتيت فلم اجد
سوى قفرة اشباحها تتكاثر

وقد نسجت أيدي الشتاء سياجها
عليها ، واسوار الظلام تحاصر

وقد خرج الخفاش يهمس في الدجى
ودبت على الشط الهوام النوافر

وطارت من الجميز تصرخ بومة
على صوت هر في الدجى يتشاجر

وفي فترات ينبح الكلب عابسا
فيعوي له ذئب من الحقل خادر

اذن فيا لضيعة آمال الهمشري ! ، ويا لفجيعته في عزائه الاخير ! لن يغمض عينيه حين يموت على صورة البنفسج والروابي الخضر ، بل سيطويهما – في فزع – على صور الاشباح والظلام والخفاش والهوام . ولن يكون آخر صدى يتردد في مسمعيه خرير المياه . بل سيكون صراخ بومة وصوت هر يتشاجر ، ونباح كلب وذئب خادر .

لقد سبق الهمشري كثيرون تمنوا مثل هذه الميتة الشاعرية : فبعض شعراء الخمر تمنى ان يدفن الى ظل كرمة لتسكن روحه في قبره ، حبا منه للخمر حيا وميتا ، يقول ابو محجن الثقفي :

اذا مت فادفني الى ظل كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني في الفلاة .. فانني
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

وتمنى الشاعر الخارجي «الطرماح بن حكيم» الا يموت على شرجع « سرير » ، وود لجثمانه هذا القبر العجيب :

فيا رب ان حانت وفاتي فلا تكن
على شرجع يعلى بخضر المطارف

ولكن قبري بطن نسر مقيله
بجو السماء في نسور عواكف

ولكن اذا اتفقت هذه القبور في الطرافة ، وفي دلالتها على فناء الشاعر في شيء فانها تختلف – بعد ذلك – اختلافا عميقا : فالخارجي – بفنائه في العقيدة – تمنى أروع قبر يضم جسد شهيد ، تكريما وحبا للاستشهاد ، والثقفي – بفنائه في الخمر – تمنى ابهج رمس يواري رفات مخمور ، تعلقا وهياما بالشراب ، والهمشري – بفنائه في الطبيعة – تمنى اجمل جدث يحوي جثمان «رومانسي» ، تعبيرا عن هروبه من الواقع وسخطه عليه وامله في تغييره ، فالفروق بينهم هي الفروق بين فدائي وشريب ورومانسي .

وما أريد ان اقف لابرز وصف الهمشرى او غيره من شعراء العرب بالرومانسية ، فان لى في هذا رايا لا يتسع له المقام برغم ايجازه ، ولكن المهم ان الهمشرى عبر عن رفضه ، للواقع ، حين وضعه في مقابلة المتوقع فبدا : أو ابداه دميما ذميما ،ولقد استطاع ببراعة ان يحشد الصور المتآزرة التى تجلى «روعة» الاطار الطبيعى للقرية وهو عائد متفائل ، لم تجلى «ترويع» هذا الاطار حين صدم به وهو مقيم يائس .

هذه البراعة فى رصد الصور وسوقها فى تدبير محكم يبدو عفويا غير مقصود ـ تجعلنا ندهش للصورة التى يقدمها الهمشرى فى البيت الأخير ، من هذه الأبيات التى يهديها الى القمر فى ليالى الحصاد :

لياليك من ليل الفراديس ابهج
وقدرك ازهى في العيون وابلج

كانك عين الله ترعى عبادها
وتبصر ما تحوى القلوب فتخلج

كانك في روض السموات زهرة
كأن سناك (!) عطرها المتأرج

كانك في خد السموات دمعة
همت من عيون باكيات ترجرج

فالصورة فى البيت الاخير آسية حزينة ،لا تساوق الجو البهيج السعيد الذى يتأرج به السياق ، وان قبسة من النقد الادبى ، الذى يدعو الى تآزر الصور على صنع وحدة ، ترى ان الصورة الاخيرة مفسدة لهذه الوحدة ، انها عثرة قلم • وان ضوءا من علم النفس قد يقول ان عثرات الاقلام كعثرات اللسان فى دلالتها على ما يستكن فى العقل الباطن من رغبات ومشاعر ، واذن فالاسى الذى رسبه الواقع الاليم في نفس الشاعر قد وجد له متنفسا ، فعبر عن نفسه في هذه الصورة الانفجارية ، التى بدت غريبة فى ذلك السياق التصويرى .

وتتكرر الملاحظة حين نقرأ فى ختام الابيات قول الهمشرى :

فيا بدر صبرا والليالى قصيرة
وسوف تقر النائبات فتثلج

اذ واضح ان القمر لا يصبر بقصر الليالى ، ففى زوال الليل ازال للقمر عن عرشه الذى يستوى عليه فى بهاء وتألق ، فهذه اذن عثرة قلم هى الاخرى ولكنها كسالفتها تكشف القناع عن نفسية الهمشرى التى اكتنفتها الظلمات، وارهقتها النوائب، فالشاعر ـ وليس القمر ـ فى حاجة الى هذا التبصير بقصر الليالى ، والى هذا التبشير بقرار النوائب .

وهكذا ـ مرة اخرى ـ نجد واقع القرية الاليم كان وراء قصد الشعراء حين يكوتبون عن وهى ، ووراء بعض عثراتهم حين تزل بهم الاقلام .

وفى ختام هذه الرحلة نقدم «لمحمود غنيم» قطعة بعنوان «الفلاح» ولا يعيب ابياتها انها فقط اربعة، فان مضمونها يجعلها بمنزلة رصاصات فى معركة لم تدر رحاها بعد ، فلقد حدد القدر ساعة الصفر بعد نشر هذه الابيات بعشرة اعوام :

شاهدت لؤلؤة كالبرق تأتلق
على جبين امير سار مختالا

فقلت : ما انت ؟ قالت : انني عرق
من جبهة الزارع المسكين قد سالا

الناس تنعم ، والفلاح يحترق
وليس يحرز لا جاها ولا مالا

امتصه الناس حتى ما به رمق
كأنه صب للايثار تمثالا

على انى لا اعجب لنشر هذه الابيات اول عام ١٩٤٢م فهى ـ وان كانت حقا رصاصات ـ تختتم بزناد الامان : «كأنه صب للايثار تمثالا» . فتصوير كدح الفلاح واحتراقه من اجل ان يتنعم باللآلى امير .. تصوير ذلك بانه ايثار من شانه ان يبرد النار فى جوف الرصاص ، ولكنها على اية حال شحنة ادخرها القدر الى ميعاد .

« اسماعيل الصيفى »

حول الأدب



بقلم عبده بدوى

حول تثوير الأدب

يستطيع اى انسان أن يذكر حال الأدب فى الفترة التى كانت قبل الثورة ، فالأدب ـ فى تصورى ـ كان قد استحال الى نوع من الدهشة والشلل ومجافاة الحياة ، بعد أن كان قد توهج واهتزت البذور فى قلبه بعد ثورته عام ١٩١٩ ، وبعد الحرب العالمية الأولى ، ذلك لأنه فى هذه الفترة كان قد أحس بالخطر الذى يتهدده من الخارج ، وبالخطر الذى يتجول فى أعماقه ، أو يلمس كتفه حين يسير أو يقف ، فبعد أن هدأ وميض السلاح ، أحس الأدباء أنهم يحاربون بنوع جديد من الأسلحة ، يعمل فى بطء على تفتيت الانسان من الداخل كما فتت من الخارج ، وقد أحس هؤلاء الأدباء أنهم يستندون الى جدار بعيد لا يريح ظهورهم ، بسبب عصور الضمور الفكرى التى كان يعيش فى ظلها ، والتى لم يصبح منها فى يديه شىء فكل شىء فى الحضارة العربية كان قد فقد بريقه ، واستحال الى ذكريات حائلة ، وأصداء بعيدة ، وبالاضافة الى هذا فان العالم الجديد الذى اقبل به الفرنسيون من قبل ، ثم الانجليز ، قد هز نفوس الأدباء هزة كبيرة ، وجعلهم يشكون فى أشياء كثيرة تشكل حياتهم .

ولو أصبح أهل البلاد لوجدوا هؤلاء الفاتحين يسلمون اليهم ثمرة الحضارة الأوربية ، ويقفون معهم جنبا الى جنب لبناء المصانع ، والناس والأفكار ـ كما كان يفعل أسلافهم العرب من قبل ـ لهدأت نفوسهم بعض الشىء ، ولآمنوا بالانسان وما يمكن أن يؤديه دوره فى الحياة فى أى مكان على الأرض .. ولكنهم وجدوا هؤلاء الأجانب يعملون على فك « صواميل » هذه الأمة ، ويقفون حائلا بيننا وبين ماضيها وفى الوقت نفسه بين مستقبلها ، وأنها من هذا الموقف لا تستطيع أن تتحرك لأنها مغلولة من كافة جوانبها .. وأمام هذا نرى كيف نبتت واحة أصيلة فى الصحراء تقول « كلمة مخالفة » للآراء التى أصبحت سائدة ، والتى تستند الى أشياء كثيرة ليس من بينها الاحساس بالظلم الواقع على الحقيقة فى ظل الاستعمار » ولقد قال هذه « **الكلمة المخالفة** » جيل الرواد الذى يقف على قمته العقاد ، والذى استطاع

أن يلفت القراء الى ماضيهم ، وأن يضع في نفوسهم بذور الثقة ، وأن يبصرهم الى حقيقة الموقف من حولهم ، فهذا الجيل اذا كان يتميز بشيء فهو انه استطاع أن يسد الثقوب ، وأن يرشد على الذين انهاروا ، وأن يلف أذرعته حول المعمار العربي ،وأن يكون عنده شيء من وضوح الرؤية بالنسبة لماضيه الذي يعبر - ظلما - به .



وقد أفلح هذا الجيل في أن يرفع يد المستعمر ومؤيديه من حول عنق الانسان العربي ، وأن يرغمه على ألا يتحدث - بثرثرة - في شئونه الفكرية ،ومن هنا سقط شيء من التحدي الذي كان يحول الحياة الى توتر وقلق .

.. ثم حدث أن شغل الناس بانفسهم بعد أن لعب المستعمرون من وراء الستار ، فقد كانوا من وراء الملكية ، والملكية كما يقول « ماديسون » من أكثر مصادر الفتنة شدة ، وكانوا من وراء الأحزاب التي لا تقوم على ايديولوجية واضحة ، ووراء الزعامات العتيقة التي كانت تبلى يوما بعد آخر ، ووراء ازدياد الفروق بين الطبقات ، ثم أخيرا وراء الفرقة الواضحة بين الشعب والحكام ، وقد أدى كل هذا الى فترة عميقة من الجدب الأدبي ، فقد انسحب البعض الى اجترار ذاته ، وغرق البعض في دوامة الصراع ، وأدار البعض وجهه كله للتاريخ ، ويندر في الفترة التي تسبق الثورة والتي تمثل الجيل الثاني من الكتاب ان يكون قد ظهر كتاب يبهر ، أو عمل يتحسس آلام الشعب، ويحسن الاصغاء الى ما يتردد في قلبه .

وحين تزداد المحنة ويشتد الظلام يهبط ضيف جديد على الحياة الادبية وهو « **الخوف** » ، فقد ظهر فساد عمليات الترقيع « بالاصلاح » ، واحس الناس بانهم في حاجة الى شيء يغير أيامهم ، ويزلزل أعماقهم ، كما احسوا بانهم أصبحوا غير قادرين على التمييز بين ما هو صحيح وما هو خطأ

وكانت مصر في حاجة الى ثورة تتفق وتاريخها وظروفها وفي مقدمة ما كانت تحتاج اليه أن تكون ثورة بيضاء لا تهدر الماضي ، ولا تلقى بنفسها على صور ثورة أخرى ، ولا تنسى انها مسئولة على طبيعة المنطقة العربية في أول الأمر ، ثم المنطقة الافريقية بعد ذلك .

ولقد كان وراء الثورة مصر بتاريخها ومشاكلها ، وظروفها الحضارية ، وطبيعة علاقاتها بالدول العربية والافريقية .

والذي نريد أن نخرج به من هنا هو ان الثورة حررت مصر من الخوف واذا كان الخوف كما يقول - هارولد لاسكي - هو أب الثورة ، فان الخوف في الوقت نفسه يعطل امكانيات الأمة ، ويشل قدرة الابداع فيها ، ويصرفها عن أن تنظر للعلاقات الاجتماعية وتركيباتها نظرة صحيحة ، وقد يجعل الانسان يحمل السلاح في وجه أصدقائه كما فعل ستالين مع فنلندا ، ثم انه لا يساعد على خلق الأفكار الكبيرة ، ووجود الرجال المعمقين في الحياة ، ويكفي أن نستعرض الاسماء التي حكمت مصر قبل الثورة ، والرجال الذين كانوا يدفعون الى الحكم دفعا لانهم من أسر أو لأن لهم صلات أو لانهم يملكون ما يدفعون .. لنرى أي لون من العقم كانت تعيش في ظلاله مصر ، ولعل هذهالفترة تقرب ما قيل من ان الرجال الذين حكموا الولايات المتحدة بين عامي ١٩٢٠ ، ١٩٣٢ كانوا من الرجال المحدودين في كل شيء ، لأنهم كانوا ثمرة مرة لحرب عام ١٩١٤ التي كانت تقدم نوعا من الناس يرغب في الهرب ،ويهرب من الدخول في التجربة ، بل ان هذا الحال لا ينطبق على الولايات المتحدة فقط ولكنه يتعداه الى نوع الرجال الذي قدمته انجلترا وفرنسا للحكم قبل عام ١٩٣٩ .



وكان واضحا منذ قيام الثورة انه لا يمكن عبور الراسمالية الى الاشتراكية الا على ظهر ثورة اجتماعية تقف من ورائها الدولة بثقلها ، بحيث يصبح مرفوضا تماما الاصلاح الوقتي ، والترميم اليومي ، والتسيير الذي لا يقف من ورائه تخطيط واع منظم .

ان الجيل الثالث من الأدباء هو الذي عليه أن يمهد « أرض اللقاء » هذه ، والذي عليه الا يقلد الآباء والأجداد في جهارة الصوت ، وشدة الغضب لأن هذين الجيلين السابقين كانا ملفوفين بأكثر من حصار،

وأنه لكى يحطم هذا الحصار كان لابد من رفع الصوت، وتشديد القبضة . أما الجيل الثالث فقد وفر على نفسه الصراع مع الاستعمار . ـ ومهما قيل فى شدة المتناقضات لعلة أو لتقليد ما يقال ـ فان هذا الجيل الثالث يجب أن يضع نفسه فى خدمة طمأنينة الانسان ، ومصالحته مع نفسه ومع مجتمعه ومع العالم ، ما دام فى الظروف التى يعيشها المجتمع العربى الآن ، فهو يستطيع أن يكسب بالتسامح أكثر مما يكسب بالكراهية ، على أن يكون تسامحا ذكيا ومعروفة أبعاده ، حتى لا يكون كهذا التسامح الذى قال عنه نهرو انه هو الذى ضيع أسبانيا من العرب كما فى كتابه لمحات من تاريخ العالم ، وليس معنى هذا أنا ندعو الى عدم التصادم فى الأنظمة ، فالتصادم ضرورة اشتراكية كما يقول « ايفان كريبو » ولكنه التصادم الواعى الذى يعرف أوله وآخره والذى لا يقوم على الهوى ، والذى تعطى فيه الفرصة كاملة لكافة قوى الصراع .. وأخيرا . فنحن فى ظروفنا الأخيرة ، وفى اشتباكنا مع العالم الذى أصبح ـ كما قيل ـ قريتنا ، وفى تلاحمنا مع العالم العربى فى نسيج قدرى ، وفى ضرورة اشتباكنا اشتباكا عضويا مع حركة الجماهير لا بد أن نفكر من جديد بعقولنا ، ولا بد أن نرد الأسلحة المستعارة من الشرق أو الغرب ، ولا بد أن نضع أيدينا فى البناء ـ والأدباء هم الأيدى غير المنظورة ـ الذى يعلوا على واقعنا ، وبحجارة من قيمنا .

اننا لو فعلنا هذا نكون قد عشنا على مستوى العصر ، ونكون قد فهمنا ظروفنا وتصرفنا فى ضوئها، ونكون بحق أبناء شرعيين لثورة ٢٣ يوليو ، ونكون قد وصلنا بحق الى مرحلة تنوير الأدب .

« عبده بدوى »

ناصر العرب

للشاعرة اللبنانية

سلوى الحومانى

العرب كل العرب تهتف باسم ناصر ... وبذكره تشدو وتفتخر الخناجر
قد ثار ثورته الأبية منقذا ... ومضى لياخذ للعلا يد كل عاثر
حيا جميع الثائرين فكبروا ... وتسابق الأحرار منهم والحرائر
النصر فى اسمك واجمال وفى القلو ... ب ولاؤنا ووفاؤنا ومن الضمائر
وجرى بواديك العظيم النصراء ... صارا يطيح بكل ظلام وجائر
وجهت قومك للكفاح وللعلا ... ونهضت بالفقراء تمشى للمفاخر
قد سطر التاريخ أعمال البطو ... لة للزعيم القائد البطل المثابر
هى قصة للثائرين على الفسا ... د وللأشاوسة الحماة وللمآثر
هى قصة من ثورة عربية ... بدأت بتموز وأمجاد الجزائر
النصر فى بغداد فى صنعا وسو ... ريا وفوق حمى العروبة سار ناصر
وبكل قطر ثورة منصورة ... وبكل شعب باسل قد ثار ثائر
انشودة الأبطال والمجد المظفر ... قد شدت بجمالها كل المنابر
يا ناصرا يا بسمة الأمل الكبيـ ... ـر ومجدنا العربى يا باس الأكاسر
يا ناصر العرب الكرام وعزة ال ... أحرار فى آب وفى ماض وحاضر
مجد العروبة انت انت شعاره ... وبك انتصار العرب فى الآفاق سائر

« سلوى الحومانى »



رسالة العلم

للدكتور عبد الحليم منتصر

رِيادة الفضاء

لقد كان تحليق الاخوين « رايت » فى الفضاء بطائرتهما البدائية فى سنة ١٩٠٢ أول محاولة عملية لولوج اسباب السماء ، وارتياد اجواز الفضاء ، لم تسبقها فيما نعلم الا محاولة « عباس بن فرناس » ، الا ان محاولته لم يكتب لها النجاح ، الا بمقدار ما يثبت الباحث تجربة فاشلة ، ليدل على انه عرف الصواب بعد محاولة خاطئة .

ثم كانت محاولة الطيار « لندبرج » الناجحة فى سنة ١٩٢٧ ، حين قطع بطائرته المسافة من اوربا الى امريكا عبر الاطلنطى فى طائرته دون توقف .

وكانت الحرب العالمية الثانية ، فرصة موائية لاستباق الدول المتحاربة فى سبيل تحسين وسائل الطيران وتبعيد مداه ، وظهرت الطائرات الثقالة، وعرفت الطائرات الجبارة التى تقطع آلاف الأميال دون توقف ، وتصعد فى الجو عشرات الالوف من الاقدام ، وعرفت الصواريخ المتعددة المراحل .

وكان الرابع من اكتوبر سنة ١٩٥٧ ، تاريخا مجيدا ، وهو التاريخ الذى اطلقت فيه روسيا قمرها الصناعى الأول ، ومنذئذ تجوس الاقمار الصناعية ارجاء الفضاء العريض ، تستكشف حجبه ، وتجمع المعلومات ، وتسجل الرصدات وتأتينا بأنباء يقينية عما شهدته عدساتها ، وسجلته كمراتها وآلاتها وأجهزتها الألكترونية .
وقد ظل القمر الروسى فى مداره حول الارض سبعة وخمسين يوما وبعد شهر واحد فى الثالث من نوفمبر سنة ١٩٥٧ أرسلت روسيا قمرا آخر به الكلبة لايكا .

ودخل « **يورى جاجارين** » التاريخ من أوسع ابوابه ، حين انطلق بسفينته فى الثانى عشر من ابريل سنة ١٩٦١ ، بعد ان علا بها الى ارتفاع مئات الاميال وطاف حول الارض - وهو على هذا الارتفاع مرة حول الارض - واستغرقت الدورة نحو مائة وثمان دقائق . وكانما كان نجاح جاجارين الروسى فى رحلته حول الارض وعودته سالما ، كانت حافزا لامريكا لتنطلق هى الاخرى فى هذا المجال ، حتى لا تسبقها روسيا فى مجال غزو الفضاء ، فارسلت امريكا برائدها الاول « الن شبرد » الا انه لم يمكث فى الفضاء أكثر من خمس عشرة دقيقة .

وفى الخامس والعشرين من مايو سنة ١٩٦١ ، اى بعد اقل من ستة اسابيع على نجاح رحلة جاجارين ، واقل من ثلاثة أسابيع على اطلاق اول امريكى الى الفضاء - اعتلى الرئيس الامريكى الراحل « كينيدى » منصة الخطابة فى الكونجرس الامريكى ، ليعلن ان نجاح الانسان فى الهبوط على سطح القمر قبل سنة ١٩٧٠ يعتبر هدفا قوميا . ويقول « ما من برنامج فضائى يستطيع أن يكون أعظم اثارة للبشرية ، او أكثر اهمية لعملية ارتياد الفضاء الطويل المدى ، أو يعادله فى الصعوبات الواجب التغلب عليها او الانفاق السخى اللازم

لانجازهـــا » ، وأيد الكونجرس الأمريكي برنامج الرئيس كيندى فى ارتيـاد الفضاء ، وعبأت الدولة امكانيات ضخمة لتحقيق هذا البرنامج ورصدت له مبلغ عشرين مليونا من الدولارات ، وحشدت له مائه الف شخص ما بين عالم وصانع دقيق . واذا عرفنـا أن بحوث انتاج القنبلة الذرية قـد كلفت امريكا وحـدها بليونين من الدولارات ، قـدرنا اهتمام امريكا بنجاح برنامجها الفضائى ورصدها له عشرة امثال ما رصدت للقنبلة الذرية .

وليس من اليسير ان نعرض لكل رحلات الفضاء التى قام بها كل من الروس والامريكان ، وغنى عن الذكر ان روسـيا السـوفيتيه والولايات المتحدة الامريكيه هما الدولتان الوحيدتان اللتان تستبقان فى هذا المجال ، وهما بالتالى الدولتان الوحيدتان اللتان تستطيع امكانياتهما الضخمه أن تحقق برامج فضائية معقوله تصلان بها الى القمر ، اقرب الاجرام السماوية الينا ثم الى المريخ اكثر الكواكب احتمالا لاقامة حياة عليه ، قد تكون مشـابهة أو مغـايرة لحياتنا على الارض . فمنذ رحلة جاجارين والرحلات تتعـدد وتتنوع وتختلف سرعاتهـا ، وتتبـاين اغراضها ويزيد ركابهـا ويختلف مدارها وبالتالى تراكم المعلومات والنتائج التى تحصل عليها منها .

ولكن ماذا عسى أن تكون الاهداف القريبة او البعيدة لريادة الفضاء والهبوط على سطح القمر أو غيره من أقمار أو كواكب . ولعـل القمر يكون أقرب هذه الاجرام السماوية الينا ، وان كان أبعدها احتمالا لوجود حياة به او امكان حياة عليه . اذ ان بعده عن سطح الارض لا يزيد على ٢٣٠,٠٠٠ ميل ، فى حين ان الكواكب الأخرى تبعـد ملايين الاميال .

من الخير أن نعترف بأن أهم نتيجة لهذه الغزوات الموفقة والريادة الناجحة للفضاء ، انما تكمن فى الاضافة الى معارفنا عن هذه الطبقات العليا من الفضاء وعن هذه الاجرام السماوية التى تسبح فيه ، ولعلنا نصحح فى نفس الوقت كثـيرا من الاخطاء أو المعلومات الشـائهة التى تراكمت على طول الزمان ، نتيجة لارصاد غير دقيقة او استعمال أجهزة غير وافية بالغرض . وما أشـك فى أنه قد تجمعت فى هذه السـنوات القلائل التى لم تبلغ الخمس بعد منذ صعد جاجارين ، ولم تبلغ العشر منذ أطلق أول قمر صناعي ـ تجمعت أكداس من المعلومات العلمية الصحيحة ، التى لا تقدر بمال، والتى يتضاءل الى جانبها كل انفـاق مهما يـكن سخيا . فكل اضـافة الى قدراتنا فى ارتياد الفضاء، انما يقابلهـا ركام من المعـلومات الصحيحة عن الارض والقمر والكواكب المختلفة ، وعن امكانيات الحياة على سطوحها ، وعن الاشـعاعات التى تخترق أجواز الفضاء ، وتنبعث وتنتشر هنا وهناك .

ولعل الفائدة القريبة التى امكن تحقيقها فعلا فى هذه الفترة القصيرة هى التحسينات الكثيرة التى ادخلت على الارصـاد الجوية باستخدام الاقمـار الصناعيه التى تطوف ارجـاء الكـون العريض ، تمـسحه جيئه وذهوبا ، مرسلة مختلف البيانات لاسلكيا الى الارض فزادت امكانيـات اسـتعمال المذياع ، كما زادت امكانيات اسـتعمال التلفاز ، عن طريق التلسـتار ، كما زادت امكانيات الملاحة البحريه والجوية دقة وامانا .

وقد استحدث ما لا يحصى من الاجهزة الدقيقة التى تستعمل فيما لا يحصى من الاغراض وذلك بدلا من الاجهزة الكبيرة الحجم او الثقيلة الوزن التى تضيق بها سفينة الفضاء ، وكثر استعمال الاجهزة الترانزستورية ، بدلا من الاجهزة العادية التى تكون عبئا على السفينة ، أو تشغل حيز يحتاج اليه المسافرون .

كذلك استخدمت اجهـزة طبية تسـاعد على العناية بصحة المسـافر عبر الفضـاء وتبقى على اجهزته المختلفة تقوم بوظائفها على خير وجه رغم تباين الظروف والارتفاعات والضـغوط والحرارة التى تتعرض لها سفينة الفضاء ، وابتدعت اجهزة وأدوات وأوان ، أملتهـا الحـاجة الى استعمالهـا فى رحلات الفضاء ، وغدونا نسمع عن طب الفضـاء وصناعات الفضـاء ، وملابس وطعام رواد الفضاء . وغير ذلك من الأشياء الخاصة التى ماكان لنا أن نسمع بها لو لم تدع الحاجة الملحة الى ابتكارها لتؤدى هذه الاغراض الخاصة بالمسافرين عبـر أجـواز الفضاء ، بين أقماره وكواكبه .

ويخطىء من يظن أن رحلة الفضاء سهلة مأمونة وأن ريادة الفضاء انما هى مهمة يسـيرة ، اذ الواقع انه ما تزال يعتورها كثير من المشاكل ويقابلها كثير من العقبات التى لابد من تذليلها قبل ان يتمكن العلم

من ارسال مركبة فضائية تحمل انسانا أو أناسي ، وتحط بهم على سطح القمر ، على أن يعودوا بعد الرحلة سالمين الى سطح الارض ، ليحدثونا بما رأوا وما سمعوا ، فليس من اليسير المحافظة على حياة الانسان عدة ايام في مثل هذه الظروف الفضائية العنيفة ، كانعدام الوزن ، وان الانسان ليعيش داخل غرفة مقفلة تسير بسرعة آلاف الاميال في الساعة ، وتمر في طبقات خلو من الهواء وخلو من الاكسجين ، أو عالية في درجة الحرارة وكيف يمكن توفير الهواء والماء والطعام والتخلص من الفضلات خلال أيام الرحلة التي قد تطول اشهرا اذا بعد الكوكب وشط المزار ، وماذا عن الوقود الذي يلزم لدفع هذه السفن الضخمة بهذه السرعة الفائقة لتصل الى الهدف المرسوم في الموعد المحدد ؟ وماذا عن هذه المركبة التي تمخر أجواز الفضاء ، وينبغي ألا يزيد وزنها عن حد معلوم ، وأن تكون مادتها ذات قدرة على تحمل الضغوط التي تتعرض لها والحرارة المسرفة في الارتفاع التي تضطر الى المروق وسطها ،

وقوة الدفع الصاروخي الهائلة التي تتيح لها ان تندفع بالسرعة المطلوبة ، كيف تتحكم في سرعتها عند الصعود وعند الهبوط ، كيف تدخل من جو الى جو ومن فراغ الى فراغ ومن حرارة الى برودة ، ومن ضغط الى ضغط ، وكيف تزيد في سرعتها لتصل الى اكثر من سبعة عشر الف ميل في الساعة ، ثم كيف تطامن هذه السرعة عند الهبوط على سطح القمر ، او سطح الارض عند عودتها - كيف يتحكم ركاب السفينة في كل تلك الظروف والأحوال ، وكيف يتصرفون اذا طرأ على جهاز من الأجهزة العديدة خلل ما ؟ .

ومع ذلك ، فان الآمال معقودة على نجاح الخطط والبرامج التي تعدها كل من روسيا السوفيتية والولايات المتحدة الامريكية لريادة الفضاء ، وان المعرفة الانسانية ليزداد رصيدها كثيرا جدا في السنوات الاخيرة بفضل هذا الاستباق بين الدولتين العالميتين القادرتين على الانفاق على بحوث الفضاء .

وقد صممت امريكا اول الامر برنامجا ضخما للبحث والدرس والتدريب ، كان هدفه اطلاق الاقمار والسفن الفضائية ، وكانت اول الامر خالية من الاشخاص او الكائنات الحية ، ثم حملت شخصا واحدا ، وكانت تطير اول الامر لمسافات محدودة ولزمن معين ، ثم تدور حول الأرض مرة ، ثم عدة مرات . وقد استفيد من هذه البرامج المبدئية في اختبار قدرة الانسان على البقاء حيا في مثل هذه الظروف الفضائية ، ومعرفة كيف يستطيع الجسم ان يقوم بوظائفه دون ان يتأثر بالظروف التي تسود خارج السفينة ، والتي تستحيل فيها الحياة بالنسبة للكائن الحي ، وكيف يمكن الاتصال برائد الفضاء طوال رحلته وتوجيهه ان لزم التوجيه .

وان عرضا لما قام به رواد الفضاء خلال السنوات الخمس الاخيرة ليدل على مدى التقدم الذي احرزه علم الفضاء في هذه السنوات القلائل ، وانه لمبشر بتنفيذ البرنامج كاملا والوصول الى القمر قبل سنة ١٩٧٠ كما وعد الرئيس كنيدى ، ولعل الروس ان يكونوا اسبق في هذا المجال .

فقد قام يورى جاجارين الروسي في سفينته فوستوك (١) في الثاني عشر من ابريل سنة ١٩٦١ ودار حول الارض دورة واحدة في ١٠٨ من الدقائق بسرعة تصل الى ١٧٤٠٠ ميل في الساعة . ثم كانت رحلة كل من شبرد وجريوم الامريكيين اللذين بقيا في الفضاء خمس عشرة دقيقة ، وكانت سرعة مركبتيهما نحو ٤٥٠٠ ميل في الساعة .

وفي السادس من اغسطس سنة ١٩٦١ ،صعد تيتوف الروسي في سفينته فوستوك (٢) ودار حول الارض سبع عشرة دورة وأمضى في الفضاء خمسا وعشرين ساعة وثماني عشرة دقيقة وكانت سرعة سفينته ١٧٧٥٠ ميلا في الساعة ، وقطع مسافة ٤٣٧٥٠٠ ميل أي ضعف المسافة بين الارض والقمر، أو مسافة تعادل الرحلة الى القمر ذهابا وايابا .

ثم تتابعت رحلتان للرائدين الامريكيين « جلين » و « كاربنتر » في فبراير ومايو سنة ١٩٦٢ حيث دار كل منهما ثلاث دورات حول الارض وأمضى في الفضاء نحو خمس ساعات .

ثم كانت رحلتا نيكولاييف وبوبوفتش في فوستوك (٣) وفوستوك (٤) في ١١ ، ١٢ أغسطس سنة ١٩٦٢ على التوالي ، وقد دار الأول حول الارض ٦٤ دورة في احدى وسبعين ساعة ، وقد قطع الأول مليونا وستمائة وخمسة عشر ألف ميل ، على حين قطع الثاني مليونا ومائتين واثنين

واربعين الف ميل . وبعد رحلتين أخريين لرائدين أمريكيين قفز الروس مرة أخرى في فوستوك (٥) وفوستوك (٦) ، وبلغت مدة البقاء في الفضاء نحو خمسة ايام وبلغت مسافة الرحلة نحو مليونين من الاميال ، وكذلك تعددت الرحلات وتنوعت ، وتعدد الاشخاص في السفينة الواحدة ، وشاركت المرأة في رحلات الريادة ، وتراكمت معلومات لا حصر لها واخذت صور لا تحصى ، وسجلت رصدات ، واخذت قراءات ، وزادت حدة التصويب ، وتجلت الدقة الفائقة في الصعود ثم في الهبوط وتحسنت الوسائل التكنيكية ، واستطاع أهل الارض أن يروا انسانا يدور في قمرته حول الارض على ارتفاع قد يصل الى مائتي ميل وبسرعة تزيد على سبعة عشر الف ميل في الساعة واتهم ليرونه رأى العين عن طريق التلستار كانه بين ظهرانيهم ، بل ان موجهيه كانوا يعرفون نبضه وحرارته ويخاطبونه ، ويوجهون اليه النصح والارشاد .

وبعد ، فان ريادة الفضاء ما تزال في مهدها ،ومع ذلك فان ما تحقق من نجاح حتى الآن في مجالها انما هو أدخل في باب المعجزات ، وما أظنه دار بخلد الاخوين « رايت » في مطالع هذا القرن ، او خطر على ذهن هيرون العالم الاسكندري منذ اكثر من الفين من السنين وهو يجرب صاروخه البدائي . نعم ماأظنه خطر بباله ان سيتحول صاروخه البدائي الى صاروخ متعدد المراحل يقذف بسفن الفضاء ومراكبه لتنطلق بسرعة مذهلة ، لتدور حول الارض او تصوب نحو القمر او المريخ ، ولتحط عليه يوما بما تحمل من اناسي ، ثم يعودون سالمين الى سطح الارض ، ولعل هذا اليوم يكون قريبا .

د . عبد الحليم منتصر

معرض أساتذة الرسم والأشغال

تقديم فاروق حافظ عمر



تحتفل الادارة العامة للفنون الجميلة ـ خلال شهر يوليو وبمناسبة اعياد الثورة المباركة باقامة عدة معارض للفنون التشكيلية . ففي بورسعيد معرض للسد العالي ، وفي وكالة الغوري : معرض الجمعية الاهلية للفنون الجميلة ، وفي قاعة الفنون الجميلة بالقاهرة .. معرض رابطة اساتذة الرسم والاشغال ، وقد افتتح هذا المعرض الاخير الاستاذ الكبير ـ السيد يوسف ـ وزير التربية والتعليم قائلا : « يطيب لي وقد افتتحت المعرض الثالث عشر لاعمال أساتذة التربية الفنية بوزارة التربية والتعليم وقد وجدت فيه تجديدا وتطورا ومجهودا يشكرون عليه فهو ترجمة صحيحة لاحاسيسهم مما يبشر بمستقبل كبير لهذه المادة مادة التربية الفنية في المدارس ما دام هؤلاء الرواد يشرفون عليها واني بهذه المناسبة أتمنى لهم ولابنائهم الطلبة دوام التوفيق في خدمة جمهوريتنا الحبيبة . »

والمعروف من هذا المعرض انه سنوي يقيمه أساتذة التربية الفنية لاستهداف امرين الاول : الاسهام في نشر الثقافة الفنية بين جميع افراد الشعب باعتبارها من مقومات الحياة الاشتراكية الديمقراطية .

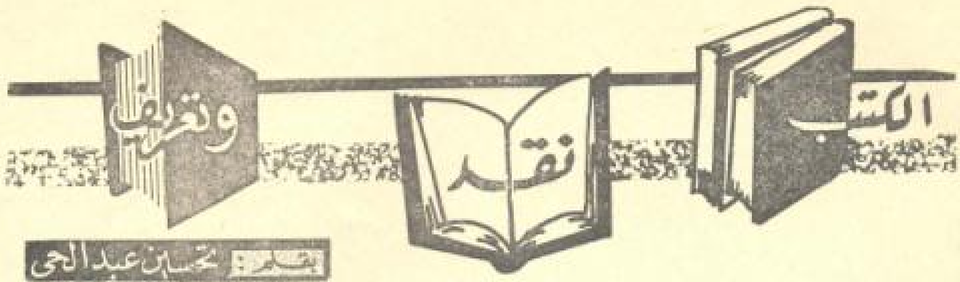
والثاني : تنمية حساسيتهم الفنية عن طريق الممارسة لزيادة قدراتهم على ممارسة العمل الرسمي في تربية الجيل الصاعد تربية فنية تستهدف صقل الخيال والابتكار وتنمية الذوق السليم والتعرف على التراث الفني العربي والاعتزاز به .

والظاهرة الهامة في هذا المعرض انه يستهدف تحقيق الفكرة الصحيحة عن العمل الفني فليس هناك فن جميل بحت وفن تطبيقي بحت فيمكن أن تلقى قطعة أثاث مستوى فني رفيع لذلك تجد أن المعرض يشتمل على اتجاهات ونماذج فنية متعددة ـ فالى جانب اللوحات والتماثيل تجد أشغال المعادن وطباعة المنسوجات والاثاث والابليكات والتطبيقات بالقماش والخزف والحلي .. الى غير ذلك من الاتجاهات التي من شأنها أن تصحح المفهوم الشائع عن العمل الفني . والى جانب ذلك يتميز المعرض في بروز شخصيات العارضين فليس هناك انحياز الى أسلوب معين من أساليب التعبير وانما المهم هو صدق التعبير وأصالته وكذلك ايضا مايمكن أن تتبينه في المعرض الاهتمام بالموضوعات التي تمس واقعنا ونهضتنا الصناعية كما نرى في تمثال «مصر أم السد» للفنان (طلعت طه سالم) الذي عبر فيها عن احتضان مصر لمشروع السد العالي في شكل امرأة فرعونية تحتضن مبنى السد العالي .

وفي أعمال الفنان محمود النبوي الشال نراه يحاول احياء تراثنا القديم في أعمال الزجاج المؤلف بالجص ـ الذي يكاد أن يندثر وذلك في موضوعاته (بائعة الفاكهة ـ زفاف الرفة) وكذلك اعمال خرط الخشب (الأرابيسك) التي كادت أن تنقرض أيضا ـ مع إضافات جديدة يجعلها متمشية مع احتياجات العصر الحديث .

فاروق حافظ عمر .





كيف نجح عبد الناصر (١)

تأليف : ر . ك . كارانجيا
تعريب وتعليق : خيري حماد



تحل غدا الذكرى الثالثة عشرة لقيام ثورتنا العربية الخالدة .. وتستقبل جماهيرنا ذكرى هذا العام وهي اشد ما تكون وعيا وارتباطا بثورتها العربية الاشتراكية تلك الثورة التي غيرت مجرى التاريخ العربي ودفعته انسانيا لكي يشارك في بناء عالم النصف الثاني من القرن العشرين . وتعرف جماهير شعبنا من المحيط الى الخليج أن ثورة يوليو المجيدة بقيادة مناضلنا العظيم جمال عبد الناصر ، هي أول حركة ثورية تحررية واشتراكية في التاريخ الانساني استطاعت أن ترتفع الى مستوى موقف أمتها العربية عندما أعطت لنفسها مضمونا ، تقدميا سياسيا واجتماعيا ، رغم انبثاقها في البداية من داخل التشكيلات العسكرية فتخطت بوعي ومقدرة مزالق والجراءات الدكتاتوريات العسكرية والمساومة مع الاستعمار والقوى الاقطاعية والراسمالية لتلتحم التحاما عضويا بالجماهير العربية ، وتجسد - فكريا وعمليا - ارادتها في التحرر السياسي والاقتصادي الكاملين وفي بناء المجتمع الاشتراكي والديمقراطي ، ثم تجعل من قضية الوحدة العربية الشاملة محورا اساسيا لحركة الانسان العربي الفرد يناضل من اجلها نضالا يوميا مريرا ضد القوى الخارجية الضاغطة على أنفاسه والسالبة لمقدراته وضد القوى العميلة التي تتحرك وفق المخططات الاستعمارية الرامية الى تثبيت التجزئة واستمرار الاغتصاب لارضنا العربية في فلسطين .

ولقد كان وما زال مناضلنا جمال عبد الناصر هو المنبع الفعلي للمذهبية والعمل العربيين على المستوى الاقليمي والقومي والعالمي .. ومن ثم فان ارتباط كل منجزات شعبنا الاقتصادية والاجتماعية والوحدوية بشخص عبد الناصر هي في الأساس تعبير صحيح ومناسب لعمق ما يتمتع به كفرد من مواهب وقدرات ومزايا نضالية ذاتية .

ولقد تركزت في شخصية مناضلنا الثوري كل اسباب ومظاهر الحماية النفسية لدى مناضلي شعبنا في كل أجزاء وطننا العربي - بعد مرور مئات السنين من الضياع والتمزق النفسي والمعنوي ، وحيث كان كافيا لعقد معاهدة حماية أو اغتصاب أن تمخر احدى بوارج الاستعمار الحربية أية مياه عربية اقليمية .. وذلك في استعراض وحشي لمظاهر القوة الغاشمة :

ولا نريد هنا أن نعدد مظاهر التأييد المادي والمعنوي لكل الحركات الثورية في وطننا العربي - وفي عالمنا الاسيوي الافريقي .. وكيف واجه مناضلنا

العظيم جمال عبد الناصر بثوريته المعهودة كثيرا من المواقف النضالية ٠٠ ولكننا نود في هذه المقدمة البسيطة أن نركز على موضوع هام يشكل في اعتقادنا محورا أساسيا لما يمكن أن نفكر فيه مستقبلا ٠

ففى وسط ضباب الأحداث المتزايدة والسريعة الحدوث بشكل فجائى أو غير فجائى على طول الجبهة العربية - والعالمية ٠ يحاول أولئك الذين يتربصون بوحدتنا الشاملة وسط ظلمة الأحداث أن يؤكدوا على شعوبيتهم المقيتة متخذين من بعض هذه الاحداث مبررات كافية للتدليل على صدق ما يقولون ٠٠ !! ولكننا هنا نؤمن بأن اية احداث أو انحرافات أو خيانات تتم فى الوقت الحاضر لتعوق مسيرة شعبنا الى الوحدة الشاملة فى مضمونها التقدمى انما هى علامات صحة لا علامات مرض يتعسر علاجه ٠٠ **لأن وحدة شعبنا العربى تستقر فى ضميره الواعى بثوريتها المعهودة ٠٠ وكلما زاد الضغط المتآمر على ضمير أمتنا الثورى فانه يكون مقدمة انفجار ثورى عارم يدعم قضية شعبنا ومطالبه العادلة ٠٠**

وتاريخ نضالنا القريب يؤكد على صحة مانقول٠٠ حيث أسفر الضغط الاستعمارى الدموى فى حرب السويس عن الوحدة بين مصر وسوريا ، وحيث استطاع ضغط الانفصال الرجعى أن يوقد ثورة شعبنا فى اليمن والعراق ٠ ومن ثم فان كل دعوى اقليمية مهما كان مصدرها - هى فى الاساس تخريب متعمد لطاقات شعبنا النضالية ولضميره الوحدوى المتعاظم ٠٠

وكتاب اليوم - **كيف نجح عبد الناصر** - الذى كتبه الكاتب الهندى الكبير «كارنجيا» - هو دراسة لافكار **مناضلنا العظيم الرئيس جمال عبد الناصر** ، وما انطوت عليه هذه الافكار من عمق فى المذهب والعقيدة ، وفلسفة قائمة على الدرس والاستقصاء والابتكار ، ودعوة الى أسمى الاتجاهات السياسية فى التعايش السلمى وعدم الانحياز ، والايمان بالسلام العالمى ، وتصفية الاستعمار والتفرقة العنصرية ، وتحقيق الاشتراكية طريقا مضمونا للحياة ، وسبيلا الى قيام مجتمع الكفاية والعدل ، والوصول بأهداف الامة العربية الواحدة الى نهايتها الظافرة فى الحرية والوحدة ٠

ولم تقتصر الدراسة التى قدمها المؤلف على الافكار والعقائد ، بل تعدتها الى الواقع والتطبيق والعمل ، وهو - على ما يبدو - ما رمى اليه كارنجيا من دراسته هذه بالفعل ٠٠ والمؤلف عندما يكتب عن الثورة وقائدها ، ومنجزاتها لا يصدر عن جهل و مجرد المام سطحى بموضوعه ، كما يفعل بعض الكتاب المغرضين من الاجانب ، وانما يصدر قبل كل شىء عن موضوعية ، وعن علم تام بحقائق الامور التى يكتب عنها ٠

***

وقد اهتم **كارنجيا** بالمشاكل والقضايا العربية وكتب فيها عدة مؤلفات كان أولها «الفجر العربى» الذى روى فيه الاحداث الخلاقة التى سبقت حرب السويس وتلتها على ضوء جذورها التاريخية ، وفى كتابه الثانى « فجر أم ظلام » تابع نفس الموضوع وتعرض فيه بالتحليل للعلاقات بين الدول العربية، ولما كان من المستحيل تفهم طبيعة التركيب السياسى والعاطفى للثورة العربية دون معالجة الازمة الناجمة عن خلق اسرائيل - الجيب الغربى الاستعمارى للصهيونية فى الوطن العربى ، فقد اتبع المؤلف الكتابين الاول والثانى بكتاب ثالث - بعنوان «خنجر اسرائيل» الذى قدمته فى العدد ١٠٥٧ من مجلة الرسالة ضمن مجموعة الكتب التى تناولت القضية الفلسطينية بجوانبها المختلفة والتى زادت على العشرين كتابا فى أعداد متوالية ٠٠ ويعتبر كتاب اليوم كيف نجح عبد الناصر استمرارا للثلاثية التى أسلفت الاشارة اليها ، واستمرارا لاهتمامات كرانجيا بتاريخ شعبنا المعاصر ٠

***

يقول المؤلف: «كان **عبد الناصر** ، وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره ، قد تحول الى جندى فى معركة الحرية ، يبحث عن الرفاق ليبددوا معه أجواء اليأس التى وصفها بالبناء الضخم ذو الأبعاد المتناهية ، وراح وهو طالب ، أثناء بحثه عن أسلحة النصر ، يقود المظاهرات الجماهيرية بمنتهى الحماسة والروح الثورية ، مصطدما برجال الشرطة ، ومنضما الى الوفود التى تطالب بالاستقلال التام ، وباتحاد الزعماء السياسيين فى جبهة وطنية واحدة ٠وأدرك، حتى فى تلك السن المبكرة ، أن الاستعمار هو العدو الأول للعرب ، وفى فلسطين ، وفى خنادق معاركها، تألفت ، تحت نيران الأسلحة المتفوقة التى كان الانجليز والأمريكيون قد زودوا الصهيونيين بها ، اول خلايا الضباط الأحرار ، حيث وضعوا هناك

وتحت وطأة الحصار ، الخطة لأداء واجبهم المقدس تجاه وطنهم ، ولم تكن تراودهم ، وتراود أولئك الذين بذلوا أرواحهم في ساحة القتال ، الا فكرة واحدة • وهي الثورة ، وكانت الكلمات الأخيرة التى صدرت عن **الشهيد أحمد عبد العزيز** هي أن ميدان الجهاد الاكبر هو في مصر • ! وكانت جذور ثورة الثالث والعشرين من يوليو عميقة كل العمق في تاريخ مصر ، ولم يكن ثمة من هو أكثر وعيا لهذه الحقيقة من **عبد الناصر** نفسه ، فلم يكن ماحدث اذن انقلابا أو تمردا ، وانما كان تحقيقا لامل كبير راود شعب مصر ، وقد بدأت ثورة **عبد الناصر** على أسس كانت الثورات السابقة قد خلقتها في أرض مصر ، كما كانت بمثابة الاشارة الواضحة الى علامة الخطر التى تركتها عيوب الثورات السابقة وأخطاؤها • ولم يكد الشعب يهلل للثورة ، مبتهجا بمقدمها ، حتى كان عبد الناصر يعلن للشعب :

« لكل شعب من شعوب الارض ثورتان ، ثورة سياسية يسترد بها حقه في حكم نفسه بنفسه ، وثورة اجتماعية ، تتصارع فيها طبقاته ، ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد » •

* * *

ولم تكد تمضى على نجاح الثورة بضعة أسابيع حتى كان مجلس قيادتها يصدر القانون رقم ١٧٨ لعام ١٩٥٢ ، لمعالجة موضوع الملكية الزراعية ، وخرج الى الوجود قانون الاصلاح الزراعى والذى عدل بعد ذلك عدة مرات • واستمرت عملية اعادة الأرض الى أصحابها الشرعيين من الفلاحين بسرعة متزايدة طيلة عامى ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ولم تؤدى السحب المتجمعة للعاصفة القادمة من العدوان الاستعمارى الى الابطاء في عملية تنفيذ الاصلاح الزراعى • ولا ريب في أن الاعتزاز الجديد بالكرامة الذى أحس به فلاح مصر بعد الاعتراف بحقه وبدوره في الحياة القومية ، قد بعث تيارا منعشا من الهواء الطلق ، في الدهاليز المظلمة والمرعبة في حياة المجتمع الريفى في مصر ولقد بات الفلاح ـ بعد أن أحس باسهامه في حياة بلاده ـ جنديا مخلصا من جنود الوطن ، والحارس الأمين لثورته •وأصبح الاصلاح الزراعى قلب الثورة الشعبية وروحها ، بل وقوتها الحركية الدافعة • وقد عنى تعبيرالاصلاح الزراعى أكثر من مجرد توزيع الأرض ، فقد كان التعبير أكثر شمولا ، حيث يعتبر تجديدا شاملا كاملا في البنيان الزراعى • بما في ذلك من انشاء للجمعيات التعاونية ، وتوسيع الرقعة الزراعية ، حيث غدتمعركة الانسان مع قوىالطبيعة ـ مجسدة في استصلاح أراضى الوادى والصحراء •

وقد أعلن الرئيس **عبد الناصر** الشروع في تنفيذ مشروع الوادى الجديد في عام١٩٥٨، وراح الرئيس بصوته الهادئ الواثق والآسر لعواطف الجماهير ، يبلغ شعبه أن من الواجب شن الحرب على الصحراء للفوز بثلاثة ملايين فدان منها •

ولم يمض شهر واحد على اعادة الأرض الى أصحابها من الفلاحين الفقراء الذين كان الاقطاع قد سلبهم اياها ، حتى كان الحلم القديم باقامة السد العالى في أسوان قد أصبح الهدف الأساسى للحمة الثورة البطولية ، وأعلن **عبد الناصر** في أكتوبر عام ١٩٥٢ ، أى بعد أربعة أسابيع فقط من اعلان قانون الاصلاح الزراعى، تصميم مجلس قيادة الثورة على تحقيق مشروع السد العالى وبنائه • وكانت صورة السد العالى تلهب خيال الفلاحين المتعطشين الى الأرض والماء عبر القرون ، وتمنيهم بفردوس من القوة والوفرة والخير • واذا كان هذا المشروع الثورى ، وما يقوم وراءه من مبادرة بطولية باسلة ، قد خلق كل ماوقع من انتصارات ومآس،فانه حمل في الوقتنفسه الجزاء **لعبدالناصر،** بل للوطن العربى بأسره ، وعندما ينتهى العمل في هذا المشروع العظيم • فان انتهاءه لابد وأن يزود هذا البنيان الذى لم يكتمل بعد ، بالمحتوى الصلب لبناء الوحدة العربية الشاملة •

وقد عنى اعلان مشروع السد العالى للثورة فى عام ١٩٥٢ ثلاثة انجازات ضخمة وهامة : أولها ـ أن الثورة تحمل أملا اقتصاديا عظيما وضخما لوجود الشعب ، ورفع مستوى معيشته .. وثانيهما أن للثورة محتواها الاجتماعى الخاص بها ، بالنسبة الى أن المشروع لن ينفذ الا ضمن القطاع الاشتراكى للانتاج القومى . وآخر الانجازات الثلاثة ، أن المشروع يحمل فى طياته تحقيق حلم قومى ، لا لشعب مصر وحده ، بل للشعب العربى كله فى جميع ربوع وطنه .



ثم يقول المؤلف بعد ذلك : « لقد غدت الجمهورية العربية المتحدة فى غضون ثلاث سنوات أكثر بلدان أفريقيا تصنيعا ، تحت اشراف قطاع عام قوى وشامل ، يسيطر على جميع فروع الصناعة وأعمال المصارف والتأميم والتجارة الخارجية. فتقوم المصانع المؤممة ـ نتيجة لاصرار الجمهورية العربية المتحدة على الاكتفاء الذاتى ، وانتاج كل شىء ـ بانتاج كل ماتحتاج اليه من المواد الطبية ، والادوية ووسائل التجميل ، والاسمنت ، والمنسوجات ، والمنتجات البترولية ، وأجهزة التلفزيون والسيارات والشاحنات ، وعربات السكك الحديدية والقاطرات والطائرات النفاثة والاسلحة الصاروخية والصواريخ ولقد أتمت مصانع ناصر للطائرات النفاثة صنع أقوى طائرات تفوق سرعتها ضعفى سرعة الصوت .



وكانت التجارب والاختبارات الاشتراكية التى قامت بها الجمهورية العربية المتحدة قد توصلت قبل عام ١٩٦٢ الى شىء يشبه التعريف للاشتراكية العربية ، وهو ما عناه الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الذى قدم فيه الميثاق الوطنى ، فلقد تبين أن على الدولة أن تلعب الدور الاكبر فى الاقتصاد الوطنى وأن من الضرورى تأميم الصناعات الثقيلة وجميع الخدمات الاساسية ، وعلى الرغم من أنه أبقى على خمسة وسبعين فى المائة من التجارة الداخلية للقطاع الخاص فان القطاع العام ـ ولا سيما عن طريق التعاونيات ـ هو الذى يتولى وضع المعايير لهذه التجارة ، فأصبحت المصارف وشركات التأميم جزءا من القطاع العام ، وأعلن الدستور المؤقت عام ١٩٦٤ الاهداف السياسية العامة للاشتراكية العربية وهى اقامة الاشتراكية كهدف شامل ، كما أعلن قيام الملكية القومية العامة فى الجمهورية العربية المتحدة وأعلن الدستور أن الدولة تقوم على تحالف قوى الشعب العاملة ، وقد كشف هذا الاعلان عن جوهر الاشتراكية العربية ولبابها ، حيث أنها ليست وسطا بين الرأسمالية والاشتراكية ، كما بدد الشكوك فى الدور الصحيح للشعب العامل وفلاحيه فى هذا البنيان ، وكان لابد من صهر فئات الشعب العاملة فى بوتقة واحدة عن طريق تأليف الاتحاد الاشتراكى العربى، وقد عنى قيام الاتحادالاشتراكى العربى أكثر من مجرد قيام حزب سياسى ، فهو فى الواقع التنظيم السياسى الشعبى الذى ينظم قوى الشعب العاملة والذى يتمثل فيه تحالف هذه القوى فى اطار الوحدة الوطنية .



ويتحدث الكتاب بعد ذلك عن دور الرئيس جمال عبد الناصر فى الدعوة الى القومية العربية والوحدة العربية فيقول : «لقد ولدت ثورة عبد الناصر نتيجة الاعتقاد بأن عليها أن تؤدى دورا حيويا وحاسما فى تحقيق حلم العرب القديم فى وحدتهم فى ظل دولة عربية متحدة وقوية ، وقد رسم عبد الناصر الخطوط الاساسية العريضة لخطةالجبهة العربية الواحدة فور نجاحه فى ثورته ، وكانت المهمة الاولى ، على ضوء هذه الخطة المقررة ، هى حمل الامة العربية على أن تعى قوتها ، ولم تكن هذه القوة كما قال عبد الناصر « فى أن تصرخ بصوت عال ، وانما فى أن تتصرف ايجابيا بكل ما تملك من مقوماتها » .

وعن مصادر القوة العربية يقول المؤلف : انها مصادر ثلاثة ، فهى الترابط المهم بين السكان فى المنطقة العربية ، وسعيهم الدائم لبناء عالم مستقر يسوده السلام ، والوضع الجغرافى ذو الاهمية التجارية والاستراتيجية للوطن العربى ، ووفرة الزيت العربى وأهميته الحتمية ، التى تجعل الامة العربية عنصرا مهما من عناصر الانسانية ، وهذه القوة لاتستمد ـ كما قال الرئيس عبد الناصر ـ « من علو صوتنا حين نولول ، ولا حين نصرخ ، ولا حين نستغيث ، وانما تتحقق عن طريق العوامل المتداخلة للحقائق الوضعية عندما تستقل عن سيطرة الدول الأخرى .

وشرح المؤلف بعد ذلك دور حزب البعثيين الانتهازى وخياناتهم لقضية الوحدة العربية فقال

،كانت خيانة البعثيين للوحدة وخروجهم عليها لاستفزاز الاكبر لثورة عبد الناصر ، وكانت مؤامرتهم مسوغا شرعيا وكافيا لقيام عمل عسكري من جانب الثورة ، ولكن عبد الناصر أظهر درجة مثالية رائعة من النضج السياسي ، أحبطت هدف المؤامرة الاستفزازية ، ولم يبعث بأية قوات الى سوريا لكي تعيدها الى حظيرة الوحدة ، فقد كان ألمه أقوى من غضبه • ووقفت مبادىء عبد الناصر لعبد الكريم قاسم ولعهد شمعون الرجعي في لبنان بالمرصاد وبعد قيام ثورتي سوريا والعراق ووصول البعثيين الى الحكم هناك ، كشفوا عن طبيعتهم الانتهازية ، ففي سوريا تحالف البعثيون مع المصالح الاجنبية، في حين دب الخلاف بين صفوفهم في العراق، ونشأ الصراع بين جماعة «طالب حسين شبيب» وجماعة «علي صالح السعدي» وأدى ذلك الى معرفة طبيعة الحزب الانتهازية . فقد اتهم السعدي شبيبا بالعمالة للامريكيين منذ أمد طويل في الوقت الذي كشف فيه شبيب عن ارتباطات السعدي العريقة بالمخابرات البريطانية ، ومن ثم طردهم الرئيس عبد السلام عارف وطهر العراق منهم ، وينتهي المؤلف بعد دراسة مطولة لأوضاع العالم العربي الى القول :

« ولا ريب في أن ما تميزت به ثورة عبد الناصر من حيوية وديناميكية ، قد أقامت الدليل الذي لايتطرق اليه الشك – في ميدان الصراع من أجل وحدة الامة العربية ، وفي غيره من الميادين الاخرى – على أن اخلاصها في الهدف ، وتصميمها في العمل ، يحولان حياة الامة العربية الآن تحويلا كاملا ويقربان اليوم الذي يتحقق فيه الحلم الذي طالما راود العرب منذ خمسة قرون حتى يومنا هذا •

* * *

ويستمر الكتاب بعد ذلك في شرح وتحليل الدور القيادي الذي قام به الرئيس جمال عبد الناصر في مؤتمر باندونج وفي المشاكل العالمية الراهنة ، مثل نزع السلاح ، واقامة التوازن الاقتصادي في العالم ، ومحاربة الاستعمار ، وتأييده لكل قضايا الحرية في العالم وخاصة بين شعوب آسيا وافريقيا وينهي المؤلف كتابه بقوله :

« هناك قلة من الناس في تاريخ العالم ، أدوا **أدوارا حاسمة، وتركوا آثارا بالغة الأهمية والخطورة في تحويل مجرى التاريخ الانساني ، وسيظل اسم جمال عبد الناصر ، في طليعة هؤلاء الناس ، مشرقا وضاء •**

« تحسين عبد الحي »

أغنية للنصر والسلام

للشاعر : يسري الفيل

النصر يهتف • • والزمان يرجع
قصصا ، حكاها لليالي مدفع
قصص البطولة ، يوم أرقت اللظى
في كفها ما اختل منها اصبع
نسجت من الاصرار صلب دروعها
ومضت ، الى من بالظلام تلفعوا
لم يدركوا يوما نهاية غدرهم
لو كان •• مالبسوا الظلام واسرعوا
لو ادركوا ان هم على أشلائنا
مروا •• فان الارض ليست تخضع
يا ويلهم •• جهلوا حقيقة أمسهم
وكثيرهم بقليلنا يتصدع
جهلوا •• وهم يتوعدون كنانتي
ناسين أن كنانتي لا تجزع
فلينطلق البارود •• ان حديثه
في «بورسعيد» لهم أجل وأنفع
نطق اللهيب ، وراح يحصد جمعهم
وبكل ناحية تكلم مدفع
ان ينصر الله الذين على هدى
صنعوا مصيرهم •• فلن يتضعضعوا
نصر الاله كنانتي •• وعلى المدى
نصر السماء لنا أعز وأمنع
يابورسعيد وأنت صامدة الخطى
والنصر أنى سرت خلفك يتبع
قول وقد حشدوا الحشود واقبلوا
نحو الديار كتائبا تتفزع
والليل مرتاع الجوانح ، يحتمي
بك •• والسلام على ثراك مروع
ايماننا بالله ثبت خطونا
وبه نخوض النار ، لانتزعزع
وبه « صلاح الدين » حطم أمسهم
واليوم •• في « حطين » اخرى نطمع
لنعيد أبناء الضياع لأرضهم
فالعار كل العار ان لم يرجعوا
هي وثبة « يا بورسعيد » تعيدهم
وتعيد وادى النور نور يسطع
ان بعثرت فوق الدروب حياتنا
لا لن تضيع • • فانها بك تصنع



يقدمها محمد العوانى

مع عيد الثورة

تستقبل الجمهورية العربية المتحدة عاما جديدا من اعوام ثورتها الرائدة ، فمنذ ثلاث عشرة سنة قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة الرئيس «جمال عبد الناصر » واذا كانت هذه الفترة تعد قصيرة بالنسبة الى عمر الشعوب ، الا أنها كانت بالنسبة الى عمر ثورتنا حافلة باعمال كبيرة ، ومنجزات ضخمة . ذلك ان هذه الانتفاضة الثورية الذى حدثت بزعامة عبد الناصر ، قد غيرت وجه الحياة ، وقضت على طغيان ملك يسنده المستعمر ، ودكت حصون الاقطاع ، واقتلعت الرجعية من جذورها، لقد تقدم عبد الناصر باسم الملايين من ابناء هذا الشعب ليخلص المجتمع من الفساد والاقطاع وسيطرة راس المال ، ووسط الاشواك والصخور خاض عبد الناصر المعارك ، وتحقق له النصر باسم امة سعت عمرها الى مصير يتفق ومالها من مجد تليد .

لقد تمكن الشعب فى عهد ثورة يوليو المجيدة أن يعيش حياة ديمقراطية سليمة على اساس من الكفاية والعدل والحرية والوحدة الوطنية وفقا لمبدا اشتراكى تعاونى يتفق مع حاجاته وتاريخه ، ولم يكن هذا المبدا الذى نسير على نهجه مقلدا ولا مستوردا ، ولكنه مستوحى من ضميرنا ومن واقع بيئتنا ، ومن تجاربنا المريرة مع الاستعمار والاقطاع وراس المال المستغل ، وقد تعلمنا من هذه التجارب التى خضناها ان خير طريقة تهدم بها كل اعدائنا هى أن نقوم ببناء أنفسنا ، وان نطلع العالم على الأسلوب الذى نبنى به حياتنا · على أن مما يزيدنا ثقة بانفسنا هو اننا نرى العالم كله يتابع باهتمام منجزاتنا ، فقد حرصت الدول المتقدمة على أن تتابع هذه المنجزات ، كما حرصت الدول النامية على ان تقتفى خطانا نحو اهدافنا البعيدة المدى، ولا شك أن هذه الانتصارات تدل على مدى نجاح ثورتنا التى صارت حديثا فى فم الزمن منذ أن قامت فى يوليو ١٩٥٢ .

يقول الاستاذ « **محمود تيمور** » فى افتتاحية عدد يوليو من مجلة « **القصة** » أن « الطور الراهن من أطوار الثورة تتجلى سماته ، فيما اعتزمنا من اقتحام ميدان الصناعات الثقيلة ، لكى نواتينا بالقسط الواقى من قدرة الانتاج ، وذلك لتعزيز الديمقراطية الاصيلة ، وتحقيق التحول الاشتراكى الصميم ..

وهذا الطور الدقيق من حياتنا الثورية لا يقتضينا مجرد الترحيب به ، والمسايرة له ، بل يطالبنا بان نعد له عدة وافرة من التجلد والاحتمال ومن الايمان بقول حكيم الشعراء « أبى الطيب »

بصرت بالراحة الكبرى فلم ارها
تنال الا على جسر من التعب

ومضى يقول :

لنا ان نتفاءل بمستقبل هذا الطور الجديد ، نتفاءل باننا ملاقون فيه من الانتصار ما لاقينا في اطوارنا الثورية السابقة من انتصارات باهرة. وفي قيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، وفيما توافر له من خصائص الزعامة الواعية القادرة ، وفيما يواتيه من توفيق - ما يملأ نفوسنا ثقة وأمنا ، وما يحفزنا على أن نكون منه كما ناشدنا أن نكون حين قال .

« اريدكم جميعا - وبغير استثناء - معي ، احتاج فكركم مع فكري ، وضمائركم مع ضميري ، وايديكم مع يدي »

ثم ختم كلمته بقوله :

في هذا اليوم الذي نحتفل فيه بالحدث العظيم ، حدث ٢٣ يوليو ، نناجي وطننا بما ناجاه به بطل الثورة في قوله :

« يا وطن الحرية والاحرار ، سلمت دائما ، واظلتك الى الأبد رايات العزة والعدل والتقدم »

وقدمت « المجلة » كلمة عن «مرحلة الانطلاق» كتبها الاستاذ « يحيى حقي » موضحا فيها أن مرحلة التحول لم تقم بدورها الا لانها جاءت في أعقاب ماض قريب وبعيد ، كان يشق لها السبيل، ماض قريب يتمثل كما يقول « في انتصارات ثورة ٢٣ يوليو التي لم تبق حلما من أحلامنا المؤرقة الا حققته : التخلص من نظام حكم عتيق فاسد ، عد نفسه قوة منفصلة يجوز لها أن توازن قوة الشعب وتعارضها ان شاءت .. وكان تاريخ مصر السياسي في تلك الفترة أشبه شيء بمباراة بين قوى ثلاث ؟ العرش والشعب والاحتلال .. ثم اعتناق للنظام الجمهوري الذي يدل اسمه على انتقال الحكم الى يد الشعب ، اجلاء الجيش الاجنبي عن ارض الوطن ، الذي كان وصمة شن لها الامة ، وقيدا يحد من حريتها واستقلالها ، رغم نص المعاهدات والدساتير بأن مصر دولة حرة مستقلة .. الاقدام بجراة على تنفيذ السد العالي .. تأميم شركة قناة السويس .. انتصار الأمة في معركة بورسعيد هو درس للاستعمار والعدوان بأن عهدهما قد انقضى .. تمصير جميع الممتلكات الاجنبية ، تمكينا لرأس مال وطني يوجه اقتصاد البلاد لصالحه وحده .

على أنه تناول الانتصارات السياسية فاوضح ما صارت اليه مصر من ارتفاع سمعتها في المجال الدولي الى مكانة مرموقة لمساندتها لحركات التحرر اينما كانت .. دفاعها عن المثل العليا في السياسة الدولية وجه آخر لدفاعها عن مصلحتها الذاتية مطابقة تضفي على دولتنا الصغيرة شرفا قلما عرفته الدول الكبرى التي تهدر هذه المثل العليا احيانا من اجل مصلحتها الذاتية .

ثم وضح أن التحول الاشتراكي هو أنجح الطرق وأسرعها الى تحقيق العدالة الاجتماعية انه « نظام غير مقتبس من الغير ، بل مستمد من طبيعة الشعب ، يهتم بالحلول العملية للمشكلات القائمة، لا بالجدل النظري »

وفي نفس هذه المجلة مقال كتبه «عثمان عسل» عن الاتجاه الانساني لسياستنا الخارجية » قال فيه ان « أشرف رسالة تعكس انسانية هذا الشعب . هي كفاحه من اجل تحرير الشعوب التي جعلت من القاهرة المركز الرئيسي لحركات التحرير الوطني في العالم وقبلة الاحرار من كل صوت وحدب وأقوى قاعدة للحرب ضد الاستعمار فهو لا يتردد في مساندة الشعوب المغلوبة على أمرها ماديا ومعنويا ..

وتؤمن القاهرة ايمانا جازما بأن قضية الحرية لا تتجزأ وانها « لا تتدخل كما تفعل الدول العظمى لفرض نظام معين أو عقيدة معينة أو لأطماع توسعية ، ثم هي تكتسب على الرغم من الدعايات المضادة - ثقة الأحرار والشعوب المناضلة »

أننا اذ نستقبل بعد ايام مطلع العام الرابع عشر لثورة شعبنا المجيدة - نؤمن ايمانا تاما بانها سوف تستمر بثوريتها في معالجة ومواجهة قضايا أمتنا المصرية ، في الحرية والاشتراكية والوحدة .. بقيادة رئيسنا المفدى الرئيس جمال عبد الناصر .

« محمد العواني »

هتـــاف الثـــوار

قصة

للكاتب الانجليزى : كلودهونسون
ترجمة وتلخيص : عبد الواحد الامبابى

كان السكون الصامت يخيم على الحى الشعبى الذى يقع فى الطرف الشرقى من مدينة « ستراسبورج » . وكان ظلام هذه الساعة المتأخرة من الليل يلف المنازل القديمة الكالحة فتبدو – اشبه بقبور مهجورة خرساء – لولا بصيص الضوء الخافت الذى ينبعث من خلف نوافذها .

وفى حجرة متواضعة منفردة فوق سطح احد منازل هذا الحى كان الضابط الشاب المغمور « روجيه دى ليل » ينطق اوتار معزفه الجامد باصوات الجماهير الثائرة فى فرنسا . ولو قدر لهذا الشاب الذى لم يتجاوز الثلاثين من عمره ان يخترق ببصره حجب الغيب لأدرك ان هذا اللحن الذى ولد فى احدى ليالى عام ١٧٩١ داخل حجرته الحقيرة سيطوف يوما ما كل احياء اوربا ويزلزل قــواعد النظام الملكى فى فرنسا وســيعرف باسم « لامارسييز » ... النشيد الذى اصبح رمزا للاحرار والثوار فى كل مكان .

كانت مدينة باريس فى تلك الاثناء تغلى كمرجل يضطرم من تحته شواظ نيران عاتية مستمرة . فالأعداء يقفون على الحدود والحقد والرغبة فى الانتقام والشعور بالضياع تملأ قلوب الجماهير الجائعة . ودماء الضحايا والأبرياء تسيل فى الطرقات بلا حساب والمعاقبة . – انصار حزب الثورة الجديدة يعقدون الاجتماعات المتتالية هنا وهنــاك ليشعلوا جذوة الثــورة فى نفوس ابناء فرنسا وليحــركوا الشعب من خلفهم للقضاء نهائيا على حكم لويس الســـادس عشر واذنابه من الأشراف والاقطــاعيين والارستقراطيين ..

.. كانت هذه الصورة الدامية بكل ظلالها القاتمة هى الصورة التى تفاعلت مع احاسيس الشاب روجيه المتاججة الشــبوبة لتنطلق لحنا مشحونا بالانفعــالات الجياشة الملتهبة ... وبينما كانت باريس تعج بهذه الامواج المتلاطمة كانت هناك اجزاء اخرى من فرنسا لا تزال تعيش حياتها الرتيبة الهادئة . ومن بين هذه المناطق قرية صغيرة نائية يقع فيها فندق « الديك الذهبى » الذى شهد الجزء الرئيسى من احداث هذه القصة وكان « مارتنيه » صاحب هذا الفندق واحدا من اشد المتحمسين المتعصبين للنظام الملكى . لا يرى فى كل ما يحدث فى باريس وفى غيرها من المقاطعات الفرنسـية الثائرة الا مجرد فورات طارئة لا تلبث ان تذبل وتموت . وقد دفعه تحمســه المتطرف الى ان يطرد من فندقه كل من يتحدث بكلمة سوء عن نظام الحكم القائم مضحيا بكل ما يدره عليه تردد هؤلاء الرواد من ربح وفير .

وفى صباح احد الايام وفد على الفندق نزيل غريب تبدو على ملامح وجهه سيماء الطبقة الارستقراطية كما تؤكد ثيابه الفاخرة الانيقة انه ينتمى حتما الى طبقة الأشراف التى يكن لها مارتنيــه كل تقدير واجلال . ولهذا قابله بحفاوة بالغة . وزاد فى اكرامه فاستدعى له ابنته « مارى » لتكون فى شرف خدمته طوال فترة اقامته . وكانت مارى تتمتع بقسط كبير من الجمال والفتنــة وتضارة الشباب فامتلأت نفس الضيف اعجابا بها وراح يظهر نحوها من الاهتمام والمجاملة الرقيقة ما جعل قلب والدها يمتلىء بالأمل فى الحصول لابنته على زوج ثرى من الطبقة الراقية . ولم يخب حدس مارتنيه ولا تخمينه فان هذا الضيف واسمه « بازن » لم يشأ ان يفاتحه عند رحيله برغبته فى الزواج من ابنته مارى عند عودته الى الفندق فى المرة القادمة . غير ان مارى كانت من الذكاء بحيث لم يغب عن فطنتها وعود هذا الصنف من الناس فى امثال هذه المناسبات . وحاولت ان تقنع والدها الساذج بان مثل هذا الوعد ليس سوى مجرد نزوة عابرة سرعان ماتخمد وتتلاشى وسط اضواء مدينة باريس حين يعود اليها «بازن» ولكن مارتنيه لم يقتنع بهذا الراى ولم يتخل يوما عن الأمل فى ان يعود هذا الثرى مرة اخرى ليفى بوعده .

وفى اليوم التالى من رحيل «بازن» وفد الى الفندق نزيل جديد عرف منه مارتنيه انه ضابط برتبة كابتن جاء الى القرية لزيارة احدى قريباته فوجدها قــد ماتت وخلفت له بعض المال مما اضطره الى ان يعتزم البقاء هنا حوالى الأسبوع ريثما يسوى امر هذه التركة ثم يسافر بعد ذلك الى باريس للالتحاق بفرقة الحرس الملكى . ورحب به مارتنيه اشد الترحيب حين علم انه من انصار النظام الملكى فاقترح على ابنته مارى ان تتردد عليه بين الحين والآخر لتلبية رغبته فيما قد يحتاج اليه . وكان هذا الضابط فى حوالى الثلاثين من عمره .. شابا رشيقا هادئا لا يصعب على من يتطلع الى عينيه وحركاته ان يدرك على الفور انه واحد من الفنانين الحالمين فسألته مارى وهى تجلس اليه فى احدى المرات ما اذا كانت له هواية معينة ! ولما اخبرها بانه من عشاق الموسيقى انفرجت اساريرها عن ابتسامة موحية غير عادية لفتت اهتمام الشاب وفضوله فاخذ يوجه اليها عديدا من الأسئلة علّه يكتشف سر هذه الابتسامة الغامضــة فعرف منهــا انها تتمتع بصوت رخيم لا ينقصه سوى بعض الصقل والدرس وانها حاولت اكثر من مرة ان تتعلم اصول الموسيقى فحالت دون ذلك ظروف العمل مع والدها فى الفندق خاصة بعــد ان ماتت امها واصبحت مضطرة الى البقاء بصفة دائمة الى جانبه . فعرض عليها الشاب ان يلقنها بعض مبادىء الموسيقى خــلال الفترة التى سيقضيها فى الفندق ولاقى هذا الاقتراح هوى فى نفس الفتاة وهنا طلب اليها روجيه ان تسمعه بعض ما تحفظ من الأغنيات الغرامية ولما اعترضت بانها لا تريد الدخول فى مباريات غزلية ضحك روجيه قائلا : ان الدنيا مليئة يا عزيزتى هذه الأيام بالحقد والبغضاء . ولذا اتمنى ان تســمعينى اغنية حب لأشعر ان هذه العاطفة لا تزال على قيد الحياة . انك من الآن تلميذتى فلا ضــير عليك اذا غنيت لى ما اطلب منك .. وشرعت مارى تغنى بصوت عذب خافت صاف هز اوتار قلب معلمها فصاح فى اطراء واعجاب .. مارى .. انك خامة طيبة ! فسألته الفتــاة فى استحياء ان يسمعها هو الآخــر شيئا من الالحان التى يحفظها فاعتدل فى كرسيه امام البيانو وهو يقول

لها : حسن .. هاك لحنا جديدا من تاليفى احب ان اسمع رايك فيه بصراحة . لقد تركت نسخة منه للفرقة التى كنت اخدم تحت لوائها عسى ان يغدو يوما من الالحان العسكرية الذائعة . لقد وضعت لحنه وكلماته ، وبدا يعزف لها اللحن فى انفعال وحماس فتملكتها هزة عنيفة ، وسرى الدم فى عروقهـا حارا سريعـا وسالها بعد ان انتهى من العزف ، اتن ... اخبريني عن رايك بصراحة ، فاجابته فى لهفة صدقنى ياروجيه اذا قلت لك اننى كنت اتصور فى ذهنى وانا اسمع لحنك هذا جيوشا زاخرة جبارة تسير على نغماته الى مصير مجهول . انه اكثر من رائع انه لحن رهيب .. انه الحياة.. الموت .. التحدى ، النداء الذى ينطلق من اعماق الوجود ليبعث الحركة والثورة ... فابتسم روجيه وهو يربت بكلتا يديه على كتفى مارى قائلا : هـذا صحيح يا عزيزتى فقد شعرت فعلا بعد ان فرغت من تاليفه ان حياتى الفنية قد انتهت ولن استطيع ان اضيف جديدا الى ما فعلت ثم سادت فترة صمت قطعها الضابط بحديث بعيد عن الموسيقى ... مارى لا ادرى ما اذا كان سيزعجك ان تعرفى اننى سارحل غدا الى باريس ، فليس امامى سوى اربع وعشرين ساعة اسلم نفسى بعدها الى فرقة الحرس الملكى واعدك باننى سارجع الى هنا مرة اخرى فى اقرب فرصة تتاح لى ، فاجهشت الفتاة بالبكاء والقت بنفسها بين ذراعى الشاب تتوسـل اليه ان يعود او ياخذها معه ، فقد اصبحت لا تطيق العيش بعيدة عنه ، واحس روجيه بشئ غامض فى اعماقه يدفعه لان يقول لمارى انه لن يتركها ، ولكنه حتى الآن لم يستقر فى باريس بعد ولم يعرف مصيره على وجه اليقين وقد تتطور الأمور فى المدينة الكبيرة على نحو تستحيل معه الحياة الهادئة ، فربت مرة اخرى على كتفى مارى وهو يقول لها .. سنعلن خطبتنا اليوم يا مارى وساعود اليك ريثما تسنح الظروف لتقرر مصير حياتنا معا ..

وفى اليوم التالى ودع روجيه خطيبته ورحل الى حيث كان يريد وراحت هى تستعيد ذكريات الساعات الحلوة داخل الحجرة التى غنى كل منهما فيها للآخر اعذب الالحان واشجاها ، وفى هذه اللحظة دق جرس الباب وكان الطارق هو مارتينيه والد الفتاة ، ولم تكد تفتح له حتى فوجئت به يلهث من شدة الفرح البادى على محياه فقال لها وهو يضمها بين ذراعيه فى سـعادة غامرة : الم اقل لك يا فتاتى ان الاشراف لا يكذبون .. لقد حضر الآن مسيو بازن يستعجلنى الوفاء بالوعد .. يالسماء ستصبحين سيدة من المع نجوم صـالونات باريس وستحضرين حفلات الرقص جنبا الى جنب مع عقيلات النبلاء والاشراف .. هيا ارتدى احسن ما لديك من ثياب والحقى بى على التو فى بهو الفندق فان السيد بازن ينتظرنا هناك فتلكات الفتاة قليـلا ثم انفجرت باكية : لا يا ابى لقد ارتبطت مع روجيه انه خطيبى وساتزوجه ولن اضحى بشبابى وسعادتى من اجل نبيل عجوز لا يلبث ان ينبـذنى ويلفظنى بعد ان ينـال منى مأربه . اننى مصرة على رايى ولن احيد عنه مهما كانت دوافع الاغراء... وطال انتظار مسيو بازن فاسرع الى حجرة مارى يستوضح جلية الامر ، وحين علم بحقيقة ما حدث وعجز عن اقناع الفتاة بكل وسائل اغرائه لجا الى اسلوب التهديد الذى قابلته مارى باعنف مظاهر التحدى ، فانصرف وهو يتوعدها باقسى الوان الوعيـد والعقاب .

انصرف بازن وفى ذهنه الانتقـام المروع من الفتـاة المسكينة ووالدها ، ولم يكد يصل الى قرية مجاورة حتى التقى بمجموعة من ضباط الحرس الملكى يقضون احدى لياليهم الماجنة فى فندق صغير يقع على شاطئ النهر فانضم اليهم يشـاركهم كئـوس النبيذ الذى احضروه معهم من باريس وسالهم ما اذا كانوا قد عثروا فى هذه القرية على فتيات يكمل بوجودهن مجلس انسهم ولهوهم فصاحوا جميعا فى عربدة وصراخ .. لا يا مسيو بازن .. ان هذا فعلا ما ينقصنـا ، وهنا وجد بازن ان فرصة الانتقام قد حانت فاشار اليهم ان يذهبوا الى فندق ، الديك الذهبى ، فى القرية المجاورة حيث توجد فتاة على جانب كبير من الجمـال والفتنة هى ابنة صاحب الفندق واكد لهم انها فتاة سـاقطة من بنات الليل الا انها تعودت ان تتظاهر دائما امام اى قادم جديد بالعفة والشرف حتى تستطيع ان تسلب منه اكبر مبلغ ممكن من المال فصاح احد الضباط السكارى ملوحا بقبعته فى الهواء ... اوه يا مسيو بازن اننى خبير بمثل هذا النوع من بنات الهوى ثم اتجه الى زملائه مـستحثا اياهم على الاسراع بالوصول الى فندق الديك الذهبى ... هيا بنا يارفاق فمجالس الخمر بدون نسـاء افضـل منها ماتم الموتى . واندفع الضباط الخمسة مسممين وجوهم شطر فندق الديك الذهبى ، وعند الباب استقبلهم مارتينيه العجوز محييا فيهم ضباط الملك ، فصاح فيه احدهم : اذا كنت انت مارتينيه فهيـا على التو باحضار ابنتك الجميلة حتى نشرب معها نخب مولانا الملك ، ولم يفهم مارتينيـه سر اهتمام هؤلاء الضباط بابنته مارى غير انه قال لنفسه لعل احدا منهم قد نزل من قبل فى فندقه ولم يتعرف عليه يومذاك ولعلهم يعرفون كذلك شدة الخلاصه للمـلك ورجاله فاسرع ينادى على مارى وطلب اليها ـ كالعادة ـ ان تكون رهن اشارة ضباط الملك ، ولم تكد مارى تلوح عند قمة السلم حتى نهض احدهم وانحنى لها قائلا : سعدت مساء يا آنسة اسمحى لى ان اذكرك بان افراطك فى الجمال لا يقل عن افراط والدك فى الولاء للملك ، ترى من ذا سيكون السعيد الذى تؤثرينه بالقبلة الأولى؟ فذهلت مارى لهذا التصرف السخيف وقالت وهى تجيل بصرها بين الحاضرين : ارجو ان تراعوا ايها السادة اننى خطيبة ضابط مثلكم ، فقابلوا قولها هذا بعاصفة من الضحك والسخرية ولم يلبث ان انقض عليها احدهم كحيوان مفترس يقبلها بقوة رغم تمنعها ثم يدعو اصدقاءه لكى يحذوا حذوه ، وفى هذه اللحظة يقبل مارتينيه حاملا زجاجات الويسكى والصودا فيدهشه مايرى امامه من انتصاب الضباط لابنته على هذا النحو الهمجى ولا يتمالك نفسه فيهوى باحدى الزجاجات فوق راس الضـابط الذى يحرض زملاءه على الاعتداء على الفتاة ، وهنا يتصدى له الضابط بول فيطلق عليه طلقتين من مسدسه يخر بعدهما جثة هامدة ، وما ان تبصر مارى والدها وقد سكنت فيه كل حركة حتى تنفجر فى البكاء والعويل ويزداد الموقف حرجا فيقترح احد الضباط شد وثاق الفتاة وتكميم فمها والاسراع بالهروب بعد اغلاق كل الأبواب والنوافذ ...

ومرت لحظات عصيبة قاسية تمنت مارى ان يعجل الله لها فيها بالموت حتى لا تعيش معذبة فى جحيم هذه الذكرى الدامية فيما بعد .

وبينما هى كذلك اذ سمعت طرقا على الباب اخذ يزداد عنفا وشدة كلما لم يجد من يستجيب له ..

وادرك صاحب هذه الطرقات ان شيئا غير عادى لا بد قد حدث لمسيو مارتينيه وابنته فلجا الى احدى النوافذ القريبة وحطمها ليتسلل من خلالها .. وكم كانت دهشته بالغة حين شاهد مارى مكبلة بقيود مشدودة على كل جسدها وتطلع فراى والدها مسجى على الارض يغوص فى بركة من الدماء فتنهد فى اسى يقول وكانه يخاطب مارتينيه .. ليتك استمعت الى نصحى انخليت عن بلاهتك فى عطفك على الملك ورجاله انهم دائما اشرار لا يحلو لهم العيش الا على اشلاء الضحايا .. ثم التفت الى مارى فوجد كمامة فوق فمها تمنعها عن الكلام فقال لها ساكتفى بنزع هذه الكمامة حتى استطيع ان اتحدث معك فى موضوع حان لى الآن ان اتحدث معك فيه .. لا تنتظرى يامارى ان تسمعى منى كلمة رثاء او عطف فلست حريصا على ان اسرى عنك الآن وانما اريد ان اشحذك وارهفك لتكونى سلاحا ولابد للسلاح من ان يحمى فى النار اولا ثم يغمس فى الماء البارد بعد ذلك .. لا اريد ان افك قيودك الآن بل ساتركها تحز فى جسدك بعض الوقت حتى لا تنسى الماساة التى الحقها بك انصار الملك .. لقد كان ابوك رجلا ورعا طيبا لا يذكر احد من ابناء القرية انه قد اساء الى مخلوق قط . وها انت ترين الآن ما حدث له على ايدى هؤلاء الاوغاد .. فسالته مارى فى صوت خافت ضعيف .. وماذا تريد منى ان افعل يا مسيو لاسال .. انى مجرد فتاة فقدت امى ثم مات ابى ولم يعد لى سند اعتمد عليه فى حياتى من بعدهما .. فصاح فيها لاسال قائلا .. اريد منك ان تتحول الى سلاح بتار يقطع لسان كل من يدافع عن الملك ونظامه ورجاله . اريدك ان تصبحى صيحة رهيبة تنضم الى صيحات الجماهير الثائرة فى فرنسا لزلزلة الطاغية لويس واعوانه ..

فطلبت اليه ان يفك عنها قيودها وان يخبرها عن اماكن تجمعات الثوار حتى تنضم الى صفوفهم ..

وما هى الا شهور قليلة حتى كانت حكومة فرنسا كلها تبحث فى كل مكان عن شخص خطير اقلق راحتها واقض مضجعها شخص يطلق عليه الثوار اسم « الشعل » .

وكان مسيو بازن خطيب مارى الاول دائب السؤال والبحث عنها لا ينفك يتقصى اخبارها فى كل مكان عرف انها ذهبت اليه ... حتى وصل اخيرا الى الوقوف عن اخر تحركاتها . وكانت رغبته فى الانتقام لا تزال متوقدة فى نفسه فاسرع الى وزير الداخلية وكان صديقا حميما له وابلغه نبا « الشعل » والمكان الذى يختفى فيه وطلب اليه ان ينتدب الكابتن « روجيه دى ليل » من فرقة الحرس الملكى ليقوم بالقاء القبض على « الشعل » فافهمه الوزير بان الشعل من قوة النفوذ بين الثوار بحيث لا يكفى ضابط واحد لالقاء القبض عليه ولا بد لنجاح العملية من ارسال فرقة باكملها خاصة بعد ان تناهى الى اسماع الملك ان الشعل هذا يتولى بنفسه الاشراف على تنظيم اكبر قطاع من الثوار . فوافق بازن بعد ان اشترط ضرورة وجود الكابتن « روجيه » بين اعضاء الفرقة التى ستقوم بمطاردة الشعل والقبض عليه واشتراكه هو فيها كدليل يرشدهم الى مكانه .

وبعد ساعات كانت فرقة الشرطة الحكومية ومن بينها الكابتن روجيه والمسيو بازن تلقى القبض على الشعل .

وكم كانت دهشة روجيه بالغة حين راى ان الشعل لم يكن سوى خطيبته « مارى » ابنة مارتينيه فوقف يهدد كل من يقترب منها باطلاق النار عليه . غير ان بازن نظر اليه فى استخفاف قائلا : ماذا حدث ايها الكابتن الهمام ؟ هل كنت على صلة سابقة بهذه الملعونة ؟ فانبرت له مارى تكيل له اللعنات والسباب وافهمت « روجيه » بكل ماحدث فازدادت ثورة روجيه واعلن على التو عصيانه طاعة الملك والوقوف امام كل من يلوذ به من الاذناب والاتباع كما جاهر بانضمامه الى الثوار والقتال فى صفوفهم حتى تتطهر فرنسا من هذه العناصر الشريرة .

الا ان الفرقة بتهديد من بازن استجمعت قواها وتقدمت تلقى القبض على الشعل بينما ارجات امر عقاب الضابط روجيه ريثما يبت وزير الخارجية فى امره فيما بعد .

واسرع روجيه ينخرط بين صفوف الجماهير الثائرة التى تكاثرت اعدادها فى كل ارجاء فرنسا .

وما هو الا شهر واحد بعد القاء القبض على مارى حتى كانت الجموع الغفيرة تزحف فى شوارع مدينة باريس تجلجل اصواتها كالرعد القاصف بنشيد « المارسيليز » الذى اصبح هتاف الثوار فى كل انحاء فرنسا .

واهتزت مارى وهى فى زنزانتها بالسجن حين سمعت اصوات الجماهير تملأ جو الميدان بانغام اللحن الهائج الذى كانت قد انفعلت به يوم ان اخذ خطيبها روجيه يعزفه لها داخل غرفتها فى فندق الديك الذهبى .

وكانت دموع الفرحة تنهال على وجنتيها ويكاد قلبها يطير من السعادة وهى تسمع اصوات الجماهير تقترب من السجن تنشد فى حماس وتدفق نشيد المارسيليز .

لقد انتصرت الثورة وعلت كلمة الشعب وانتهى عصر مصاصى الدماء .

وحطمت الجماهير ابواب السجن وكان من بينها الشاب روجيه الذى اندفع نحو مارى يضمها بين ذراعيه فى لهفة وشوق وياخذها بعيدا عن صخب الثوار وضجيجهم .

وفى نظرة عميقة معبرة تطلعت مارى الى عينى روجيه وهى بين ذراعيه لتقول له : هل تسمع لحنك الآن يا روجيه انه الهتاف الذى يشق عنان فرنسا .. الم اقل لك من قبل يوم ان سمعته منك اول مرة انه حداء الجيوش الزاخرة الجبارة فى طريقها الى النصر .. انه اللحن الذى سيرفعك الى النصر ..

فضحك روجيه قائلا : دعينا الآن ننعم باحلى لحظات حياتنا تعالى نشرب نخب فرنسا الحرة .

« عبد الواحد الامبابى »

العدد ١٠٥

الدار القومية للطباعة والنشر

الثمن ٣ قروش